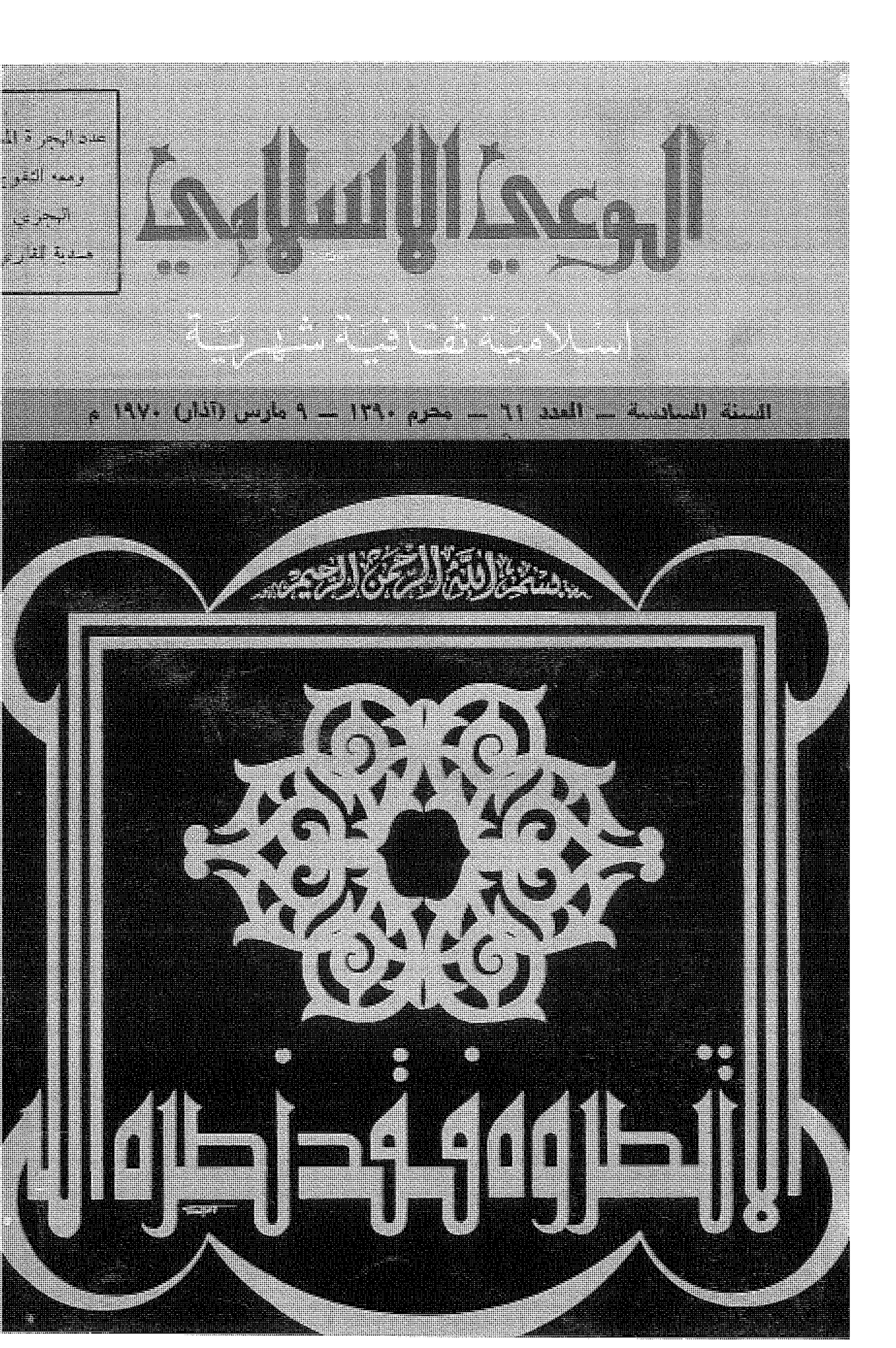

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
السنة السادسة — العدد ٦١ — محرم ١٣٩٠ — ٩ مارس (آذار) ١٩٧٠ م
بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ في هذا العدد

« الا تنصروه فقد نصره اللــه اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمــة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . »

« قرآن كريم »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادســـة

العــــدد الحادى والستون

محرم ١٣٩٠ هـ

٩ مارس (آذار) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقــاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمــن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العــراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكــويت ١ دينــار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاســترلينى)

أما الافراد فيشتركون رأســا

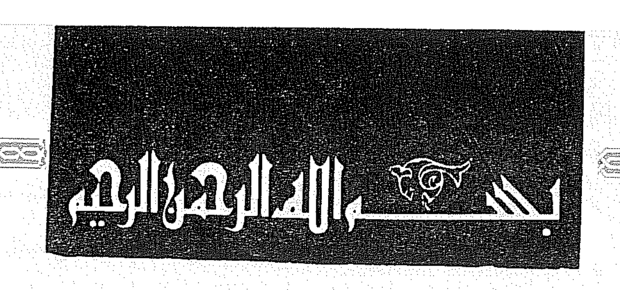
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

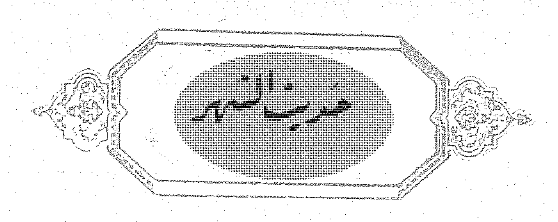
عنــوان المراسلات

مديــر ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقــاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





عام جديد

نقف اليوم على بداية عام جديد فى تاريخ أمتنا الاسلامية العظيمة ، وهو عام تدل كل الأحداث والشواهد على أنه يقربنا من معركتنا المصيرية مع العصابات الصهيونية أن لم يكن موعدا لها ، وقد تكون المعركة أسرع من ذلك ، فتدور رحاها ، وتندلع نارها أقرب من رد الطرف أو ومض البرق ، ولا يستطيع أحد من المراقبين والمطلعين أن يتنبأ أو يتكهن بمن يكون البادىء بها — العرب أو اسرائيل ، غير أن التجارب الثلاث التى مرت بنا فى سنة ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ تشير ، بل ترجح أن العدو لن يغير من خطته التى نفذها فينا ، والتى كسب بها نصره الرخيص فى المعارك الثلاث الخاطفة التى شنها علينا .. لقد لدغتنا العقرب مرة ومرتين وثلاثا ، فهل نعطيها الفرصة حتى تكون اللدغة الرابعة المجهزة — لا قدر الله ..

ان الأسلحة الهجومية الحديثة التى تتدفق على العدو ، والتى يحصل عليها بأساليبه الصريحة والملتوية ، والثقة التى يشعر بها نتيجة الوعود الممنوحة له من أصدقائه بتأييده ومساندته ، والأطماع التوسعية التى تراوده ، والحقد الدينى الذى يتحرك فى صدره ، والأضغان التى تغلى فى دمه على الانسانية .. كل هذا جعله يعمل لانهاء المعركة والحصول على النصر بواحد من اثنين :

الأول : الضغط على الشعوب العربية ، وتشديد الوطأة عليها حتى تفقد الثقة بنفسها ، وتفقد القدرة على مقاومته والوقوف فى وجهه ، فتركع على قدميه ، وتستسلم .. وحينئذ يأمر وينهى ، ويأخذ ما يشاء ، ويدع ما يشاء ويفرض شروطه التى تضرب علنا الذلة الى الأبد ، وهذا هو ما يمارسه الآن بالأساليب

البربرية التى يعامل بها العرب فى الأراضى المحتلة ، وملاحقة المقاومة الفلسطينية ، والغارات التى تجاوزت خطوط المواجهة فى الدول العربية الثلاث الى العمق داخل أراضى هذه الدول ، وقد باءت كل هذه المحاولات بالفشل والخيبة ، بل انها زادت النار اشتعالا والصدور حقدا وكراهية والعزائم ثباتا ومضاء ، وحيث فشلت محاولات الضغط لحمل العرب على الاستسلام ، فلم يبق أمام العدو الا الأمر الثانى ..

والأمر الثانى هو الأخذ بزمام المبادرة وشن الحرب الخاطفة علينا على طريقته ، وهذا ما يبيته ويعد له العدة وهذا هو أسلوبه فى حروبه مع المسلمين فى عهد النبوة ، غير أن المسلمين الأولين لم يؤخذوا على غرة ، بل كانوا أعرف بنفسية العدو ، وأعلم بطويته ، فلم يمهلوه لحظة ، وفاجأوه قبل أن يفاجئهم .

ان الدراسات النفسية للأمم والشعوب عامل كبير من عوامل الانتصار فى الحروب قديما وحديثا ، ولها فى الدول المتقدمة فى العصر الحديث هيئات علمية كبيرة تعتمد فى دراساتها على جوانب عقائدية وتاريخية واجتماعية تؤدى الى نتائج يقينية تساند وتوجه الخطط الحربية ، وعلى هذا الأساس يجب أن نعرف أعداءنا .. نعرفهم من واقع طبيعتهم التى تختلف كثيرا عن طبائع البشر ، وأن يكون نظرنا لهم وتصرفنا معهم من واقع هذا الفهم والمعرفة ، والقرآن الكريم عنى بتسجيل أكثر الوقائع التى جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود أعداء الله وأعداء الانسانية ، وفى خلال هذا التسجيل ألقى القرآن الكثير من الأضواء على ما فى حنايا ضلوعهم المظلمة ، وما يتحرك فى قلوبهم من غل وضغينة .. القرآن الكريم وضع فى يد المسلمين مفاتيح الدراسات النفسية لهؤلاء المجرمين ، وعرى الطبيعة اليهودية من زيفها ، وكشف عن حقيقتها ودخائلها .. فاليهود يغلب عليهم الصلف والغرور وهذا قولهم : ((نحن أبناء الله وأحباؤه)) وليس فى ضمائرهم مكان للقيم والمبادىء ، وهذا منطقهم : ((ليس علينا فى الأميين سبيل)) ولا يؤثر فيهم المنطق ولا تجدى معهم المسالمة والمفاوضة ، ولا يثنيهم عن أحقادهم وعنادهم الا القوة القاهرة : ((واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة)) ، وعلى الرغم من حصونهم المانعة ، وخطوط دفاعهم الحصينة ، فهم أجبن من أن يلقوا عدوهم وجها لوجه : ((لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر)) .

والوحى الالهى الصادق لم يكشف للمسلمين عن هذه الجوانب من طبيعة اليهود ونفسيتهم لمجرد الاخبار ، أو المعرفة النظرية البحتة ، أو مجرد البحث التاريخى ، أو الترف العقلى ، بل جلاها لنا لتكون ركائز ثابتة نحدد على أساسها موقفنا معهم فى جميع الظروف والعصور .

وعلى أساس الادراك الواعى لنفسية اليهود الغادرة الخائنة كان تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم معهم، فلم يعطهم الفرصة للانقضاض على المسلمين ، بل أخذ زمام المبادرة بيده وفاجأهم فى عقر دارهم ، ولو لم يتخذ هذه الخطة الحاسمة . خطة

المباغتة والمفاجأة لأوقعوا بالمسلمين فى الصــــدر الأول ما أوقعوه بهم اليوم ، ولكان لهم بالأمس مع المسجد النبوى — حفظه الله — ما كان لهم اليوم مع المسجد الأقصى من التدمير والاحراق .

وهذه واقعة حية ، لخطة المسلمين السابقين معهم يجب أن نضعها نصب أعيننا ، وأن نتخذها منطلقا لتحركاتنا معهم .

فى غزوة الأحزاب انضـم اليهود الى الحلفاء ، وتوقع المســـلمون هجوما كاسحا عليهم ، ولولا العناية الالهية التى أنقذتهم لكان فناؤهم أمرا محققا ، والقضــــاء على الدعوة الاســـــلامية لا شك فيه ولكن الله سبحانه رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وتشتت شمل الحلفاء ، وفشلوا فى غزوة الخندق ، ووضع المسلمون السلاح ، وباتوا يستريحون .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وســـــلم لم ينم بعد ما تبين له غدر اليهـــــود ، ولم يمهلهم ، بل بادر بالتحرك نحوهم ومحاصرتهم فى اليوم التالى مباشرة لجلاء الأحزاب ، ورأى أن يفــاجئهم قبل أن يســــتكملوا عدتهم ، ويقووا حصونهم ، فما كاد يصلى الظهر من يومه ذاك حتى بعث بلالا ينادى فى النـــــاس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، فأخذ المســـــلمون يلبسون ســلاحهم ويتوافدون سراعا على حصون بنى قريظة ، فمنهم من أدركته صلاة العصر بعد وصوله ، ومن أدركته فى الطريق فصلاها حيث أدركته ، ومنهم من أعجله الأمر ففوت الفريضــــة عن وقتها ، وأبى الا أن يصليها حيث أمر رســـــول الله أن تصلى .. وهذا يصـــــور لنا مقدار السرعة والمباغتة التى أرادها رسول الله للقضـــــاء على هؤلاء الاوغاد الغادرين ، ولم تأت العشاء الآخرة حتى كان المسلمون جميعا معسكرين عنــــد بئر (أبى) بـكامل عددهم وعدتهم : ثلاثة آلاف راجل ، وستة وثلاثون فارسا ، فحاصروا اليهود ، وأجبروهم على الاســــتسلام بعد خمســة عشر يوما من الحصــــار المفاجىء العاجل ، وحكم الله فيهم من فوق سبع سموات : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الـــــكتاب من صــياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقــــا . وأورثكم أرضــهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا » .

وواضح أننا حين نتحدث عن أهمية المفاجأة والمباغتة كعامل من عوامل النصر ، ونستشهد على ذلك بوقائع حية من تاريخنا — أعتقد أننا لا نبعد كثيرا عن منطق الحذر والحيطة ، ولا نتجــاهل ضرورة الاعداد للخطـــة والتدبير لها .. انما الذى نخشـــاه ونحاذره أن يصـــل العدو بتهديداته ودعاياته الى أن ييئسنا من التفوق عليه والقدرة على دحره حتى يسبقنا الى المفاجأة .. وكما أن الاغراق فى التفاؤل حمق وتهلكة ، كذلك الغلو فى التشاؤم والتخوف مصيدة محكمة وهزيمة منكرة ..

ولا يغيب عنا أننا أصحاب الحق ، أصحاب الأرض ، أصحاب المقدسات .. والحق يمنح صاحبه قوة خارقة يجب أن يعتد بها ، ويحسب حسابها كسلاح فعال ، من أسلحة النصر ، ومن هنا كان حديث القرآن الكريم عن

قوة المؤمن ، ومقابلته مرة بعشرة من الكافرين ، ومرة باثنين منهم .

ومع هذه البداية القلقة للعام الهجرى الجديد الذى لا يعلم الا الله وحده ما تتمخض عنه أيامه ولياليه ، بل لحظاته وثوانيه — يجيء الاحتفال التقليدى بذكرى الهجرة النبوية ، وهو منذ وعينا احتفال يستطيع المسلم أن يحدد مسبقا مكانه وزمانه فى البلد الذى يقيم فيه ، وأن يعرف المتحدثين ، والخطوط العريضة والطويلة لأحاديثهم ، بل يستطيع ذوو الحيثية أن يعرفوا من الرجوع الى قوائم الولائم فى الأعوام الماضية الدعوات التى توجه اليهم فى هذا العام والأعوام التالية ان كان فى العمر بقية — (ابتهاجا بذكرى الهجرة النبوية الشريفة وجريا على المعتاد سنويا ، وكل عام وأنتم بخير) .

ولئن كان الاحتفال بهذا الاسلوب مستساغا لدى بعض الناس فى أيام الأمن والطمأنينة ، فما أتخيل أن فردا واحدا من المسلمين يستسيغ أن يجرى الاحتفال — بالمراسيم المعتادة — فى هذه الأيام الحالكة السواد ..

يجب أن تتحول جموع الوافدين على الاحتفال الى كتائب تأخذ طريقها الى الأغوار والمرتفعات وخطوط المواجهة ..

يجب أن تطل الأموال الفائضة بأعناقها ، وتخرج الى النور والنار طائرات وزوارق ومدافع وصواريخ وقنابل يسلح بها المجاهدون ..

ان تاريخ وجودنا كأمة بدأ بالهجرة .. بتجاوز الضغط على الاسلام والمسلمين مداه .. ببلوغ الحقد على صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم حد الاغتيال والتآمر على حياته ..

وقد اعتبر القرآن الكريم الهجرة معركة ، وسمى نهايتها نصرا : ((ألا تنصروه فقد نصره الله

فليكن احتفالنا بالهجرة النبوية متسقا مع منطقها الايمانى فى تعبئة القوى من أجل الدفاع عن العقيدة والحق والكرامة .. القوى العسكرية ، والقوى المالية ، والقوى الاعلامية ، ونقصد بالقوى الاعلامية قوة الكلمة المؤمنة التى أمر الله بها رسوله القائد المجاهد : ((يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال)) .

ومع أول عدد من أعداد السنة السادسة لمجلة ((الوعى الاسلامى)) نتطلب — شاكرين — من الأساتذة الذين يسهمون فى تحريرها ، وكلهم من أعلام الفكر والبيان فى الجامعات والمعاهد والتأليف ، وعددهم قارب المائة والعشرين ، فى العام الماضى — نتطلب منهم المزيد من التركيز على خطر الصهيونية العالمية على العقائد والأخلاق والحضارة الانسانية عامة والاسلامية خاصة .

أما القراء الذين تصدر هذه المجلة لهم ومن أجلهم فقد كان اقبالهم على المجلة ، وحرصهم على اقتنائها ، ومطالبتهم بالمزيد من اعدادها — يفوق كل ما كنا نتوقعه ، وسيجدون فى الأعداد التالية ان شاء الله تجديدا فى الموضوعات والتبويب والتنسيق والاخراج ، ونرجو أن نكون عند حسن ظنهم بعون الله وتوفيقه .

ضوان النبلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد

تخرصات بعض سفهاء المبشرين في مدى إعجاز القرآن الكريم

للاستاذ : محمد عزة دروزة

— ١ —

كتب الخوري يوسف الحداد الذي سمى نفسه (الاستاذ الحداد) كتبا عديدة بعنوان مشترك (دروس قرآنية) محشوة بكثير من التخرص والتمحل والافتراء وسوء الفهم والتأويل والادب ، ولقد تطرق فيما تطرق اليه فيها الى مسألة (اعجاز القرآن) فقال : (ان المسلمين يلتمسون للقرآن الشمول من كل وجه ، ويحاولون أن يجدوا فيه اعجازا الهيا فى العقيدة ، واعجازا الهيا فى الشريعة ، واعجازا الهيا فى الفلسفة ، واعجازا الهيا فى العلم الحديث ، وفاتهم جميعا أن تاريخ الاسلام يجهل مثل هذا التفكير ومثل هذه المحاولات ، وان القدماء انما اجمعوا على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه) .

وقد لمحنا حين قراءة سائر فصوله فى كتابه المرقم برقم (٣) انه قد اختط خطة خبيثة ولكنها غبية ، فقد أراد أن يركز على أن المسلمين القدماء ، وهم أول المتلقين للقرآن لم يروا الاعجاز الا فى نظمه ، فيكون ما يقوله المحدثون خلاف ذلك شذوذا عن أمر أجمع عليه الاعرف والاعلم والاقدم من المسلمين ، فلا يكون له اعتبار وأساس يصح الاركان اليهما ، والتعويل عليهما ، ثم ترسم فى مباحثه التالية الطعن فى نظم القرآن ، ونقض رأى القدماء فى اعجازه أو التشكيك فيه أو توهينه ،

ظنا منه أنه يكون بذلك قد نقض دعوى اعجاز النظم القرآنى التى يدعيها القدماء بزعمه بعد أن يكون قد نقض دعوى اعجازه من النواحى الشاملة الاخرى التى يقول ان المحدثين يدعونها له .

والخورى كاذب من حيث الاصل فى قوله : ان القدماء مجمعون على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه وحسب ، فهناك آثار واقوال قديمة كثيرة ينطوى فيها تقرير كون اعجاز القرآن هو فى نظمه وفى محتواه على السواء .

— ٢ —

وقبل أن نورد النصوص الدالة على ذلك يحسن أن ننبه على أمر جوهرى فى الموضوع ، وهو أن القرآن نفسه حينما يقرر انه هدى ورحمة وشفاء للناس ويهدى للتى هى أقوم ، وتبيانا لكل شىء مما جاء فى آيات عديدة منها الامثلة التالية :

١ — (ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) . (البقرة ١ و ٢)

٢ — (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) . (المائدة : ١٥ ، ١٦) .

٣ — (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .) (ابراهيم ١) .

٤ (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (النحل ٦٤) .

٥ — (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (النحل ٨٩) .

٦ — (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) (الاسراء ٩) .

٧ — (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين [1]) . (الاسراء ٨٢) .

وواضح بكل قوة من هذه الآيات وما من بابها ، ان القرآن حينما يقرر التقريرات التى فيها انما يقرر كون اعجازه هو فى المحتوى فى الدرجة الاولى ، وهو ما يتمثل ما فى القرآن المكى والمدنى معا من اعجاز الهى فى التشريع ، واعجاز الهى فى العقيدة ، واعجاز الهى فى الحكمة ، واعجاز الهى فى الارشاد ، الى خير سبل السعادة والنجاة فى الدنيا والآخرة ، واعجاز الهى فى التبشير والانذار ، والترغيب والترهيب ، واعجاز الهى فى عرض بدائع الكون ومشاهد عظمته وروعته ، ونواميسه الماثلة فى كل شىء ، والبرهنة بها على وجوب وجود الله وقدرته واحاطته ، واعجاز الهى فى ما احتواه من فصول الجدل والحجاج والافحاح والالزام ، واعجاز الهى فى ما احتواه من الغيبيات السالفة ، والغيبيات الآتية ، واعجاز الهى فى صلاح ما أتى به من كل ذلك لكل زمان ومكان وجنس ولون وعقل وثقافة .

وكل هذا بارز ملموح بكل قوة وبكل روعة ، وبكل نفوذ ، وبكل قطعية فى مختلف سور القرآن المكية والمدنية ، ولا يمكن أن يكابر فيه ويتعامى عنه الا أحمق غبى أو حقود مغرض .

---

(١) فى القرآن آيات عديدة اخرى من بابهذه الآيات ، فاكتفينا بما نقلناه تفاديا من التطويل .

والقرآن فى متناول جميع الناس فى كل زمان ومكان .

ومن هذا المنطق قرر القرآن انه المعجزة الكافية لصدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على ما تضمنته آيات سورة العنكبوت هذه (٥٠ ، ٥١) : « وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيـات عند الله وانما انا نذير مبين . أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلـى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) .

— ٣ —

ونقطة اخرى ايضـا يحسن أن ننبه اليها قبل ايراد نصوص القدماء ، وهى أن لكون اعجاز القرآن هو فى محتواه بالدرجة الاولـى ، لم يفت نبهاء قريش الذين ناوأوا رسـالـة النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى على ما تـدل عليه محـاولتهم تخفيف مدى هـذا المحتوى التـى تستفـاد مما حكاه القرآن عنهم فى قولهم : (لو نشاء لقلنا مثل هذا أن هذا إلا أساطير الاولين) (سورة الانفال ٣١) حينما كانت تتلى عليهم آيات القرآن البينات ، كما جاء قبل هذه الآية (واذا تتلـى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء .. الخ) وقـد حكت آيـة سـورة الفرقان هذه (٥) : « وقالوا أسـاطير الاوليـن اكتتبهـا فهى تملى عليه بكـرة وأصيلا .. » ذلـك القـول مرة اخرى عنهم .

وواضح أن هذا لا يفيد انهم كانوا يعنون نظم القرآن ، وانما يفيد انهم كانوا يعنون محتواه ، ويعنون انـه مقتبس عن كتب الاولين وقصصهم ، ولم يكن تحـدى القرآن لهـم حين تحـداهم بالاتيان بمثلـه أو بعشر سور ، أو بسورة أو بحديث ، كما جاء فى هذه الآيات :

١ — (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتـوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) (البقرة ٢٣) .

٢ — (ام يقولون أفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعـوا من استطعتم من دون اللـه ان كنتم صـادقين) (يونس ٣٨) .

٣ — (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثلـه مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (هود ١٣) .

٤ — (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) (القصص ٤٩) .

٥ — (ام يقولـون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحـديث مثله ان كانوا صادقين) (الطور ٣٣ ، ٣٤) .

فان هذا التحدى لم يكن تحديا لهم بنظم القرآن وانما بمحتواه حتما ولان نظمـه مشابـه لنظمهم . وكلماته وقواعده هى كلماتهم وقواعدهم . وفى جملة (اساطير الاولين) التى حكيت عنهم الدليل الحاسـم علـى ذلك .

— ٤ —

وهناك حـديث نبوى ذو مغزى عظيم فى هذا الباب . رواه الترمذى عن الحارث الاعور عن على بن أبى طالـب قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الا انها ستكون فتنة . فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال : (كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكـم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هـو الفصل ليس بالهزل ، من تركه مـن جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الـذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الـذى لا تزيغ بـه الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو

الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قاله صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

وهذا الوصف الشائق السامى الشامل للقرآن المروى عن من أنزل عليه القرآن ، والذى هو ادرى الناس بمدى اعجازه ، ليس كما هو واضح بقوة وصفا لاعجاز نظمه ، وانما هو وصف لاعجاز محتواه فى الدرجة الاولى .

ولقد توقف بعضهم فى الحديث كحديث مروى عن النبى ، وقالوا : انه من كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولو صح هذا القول فمعناه أن هذا المفهوم لمدى اعجاز القرآن صادر عن أناس من الرعيل الاول ، ومن الذين كانوا أقرب الناس للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأفهمهم لمدى القرآن ، ومع ذلك فهناك نصوص اخرى مروية عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيها تماثل لنص هذا الحديث وهى : (قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد) . ونصوص الاحاديث بعد متساوقة مع الاوصاف الواردة فى القرآن للقرآن مما تضمنته الآيات التى أوردناها قبل .

ولقد كان معظم اهل الكتاب الذين يسميهم القرآن احيانا باسم أهل العلم ، وأولى العلم ايضا ، والذين سجل القرآن خشوعهم وسجودهم وبكاءهم وفرحهم وايمانهم ، حينما سمعوا القرآن كما جاء فى هذه الآيات :

١ — (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) (المائدة ٨٣ ، ٨٤) .

٢ — (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) (الرعد ٣٦) .

٣ — (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يَخِرّون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويَخِرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا .) (الاسراء ١٠٧ — ١٠٩) .

من الجاليات الاجنبية ، وبعضهم كان وفدا من الخارج من الحبشة أو الشام ، وبعضهم لم يكن يحسن العربية بل كان اعجمى اللسان على ما تلهمه آية سورة النحل هذه « ١٠٣ » (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) حيث يعنى هذا بصورة حاسمة أن تأثرهم بالقرآن ، وفرحهم به ، وخشوعهم وسجودهم وبكاءهم وايمانهم حينما كان يتلى عليهم ، انما كان من تأثير ما احتواه من صدق وحق وروحانية نافذة ، وليس من تأثير اعجاز نظمه .

— ٥ —

والان نورد الدليل على كذب الخورى ، فالخورى يجعل كتاب الاتقان فى علوم القرآن للامام السيوطى مصدرا رئيسيا من مصادره ، وينقل عنه كثيرا ، ومع أن السيوطى أورد حقا أقوالا لبعض العلماء بأن اعجاز القرآن هو فى

نظمه وبلاغته فانه قال : ان جمهور العلماء يقررون ان اعجازه هو فى نظمه ومعانيه على اختلاف نواحيها) وقد تعامى الخورى عن هذا القول الذى فيه تكذيب صريح لـــه ، ولقد أورد السيوطى مقتطفات عديدة من اقوال عدد منهم ، ومن جملة ذلــك فصل للخطابى احد علماء القــرآن ونورده كمثال عـــلى اقوال العلماء القدماء : (وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها : ان علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ، ولا تـــدرك افهامهم جميع معـــانى الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ ، ولا تكمل معرفتهم باستيفـــاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضهـــا ببعض فيتواصلوا باختيار الافضل مـــن الاحسن مـــن وجوهها الى أن يأتوا بكـــلام مثله ، وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ، واذا تأملت القرآن وجـــدت هذه الامور منه فى غـــاية الشرف والفضيلـــة حتى لا ترى شيئـــا من الالفـــاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاوة وتشاكلا من نظمه ، وأما معانيه فكل ذى لب يشهد لـــه بالتقدم فى أبوابه ، والترقى الى أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى انواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه ، فلم توجد الا فى كـــلام العليم القدير ، فخرج من هـــذا ان القرآن انما صار معجزا لانـــه جاء بأفصح الالفـــاظ فـــى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله وتنزيهه فـــى صفاته ودعـــائه الى طاعته ، وبيان لطـــريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهى

عـــن منكر وارشاد الـــى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها ، واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ، ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم ، منبئا عن الكوائـــن المستقبلة فى الاعصار الاتية من الزمان ، جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج لـــه ، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا اليه وأنبأ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ، ومعلـــوم أن الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنـــه قـــوى البشر ، ولا تبلغـــه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عـــن معارضته بمثلـــه ، أو مناقضته فى شكله ، ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما رأوه منظوما ، ومرة انه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس ، يرهبهم ويحيرهم فلـــم يتمالكوا ان يعترفوا به نوعـــا من الاعتراف ، ولذلك قالـــوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الاولـــين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، مـــع علمهم أن صاحبهم امى ، وليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الامور التى أوجبها العناد والجهل والعجز ، وانك لا تسمـــع كـــلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحـــلاوة فى حـــال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر ما يخلص منه اليه ، قال تعالى : (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعـــا متصدعـــا من خشية اللـــه) ، وقال (اللـــه نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى

تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) .

ونورد مثالا آخر من بابه لمفسر قديم مشهور هو الامام ابن كثير من رجال القرن السابع الهجرى قال : (ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية ، من حيث اللفظ ومن جهة المعنى ، قال تعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه ، وكل من لفظه ومعانيه لا يجارى ولا يدانى ، فقد اخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما اخبر سواء بسواء . وأمر بكل خير . ونهى عن كل شر . كما قال تعالى : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا » اى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاحكام ، فكله حق وصدق وعدل وهدى ، ليس فيه مجازفة ولا كذب ، ولا افتراء كما يوجد فى أسفار العرب وغيرهم من الاكاذيب والمجازفات التى لا يحسن شعرهم الا بها ، كما قيل فى الشعر : (ان أعذبه أكذبه) وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها فى وصف النساء أو الخيل أو الخمر ، أو فى مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو مخافة سبع أو شىء من المشاهد المتعينة التى لا تفيد شيئا الا قدرة المتكلم المتعين على الشىء الخفى أو الدقيق ، أو ابرازه الى الشىء الواضح ، ثم تجد له فيه بيتا أو بيتين أو أكثر هى بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته .

وأما القرآن فجميعه فصيح فى غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا واجمالا بمن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير ، وان تأملت اخباره وجدتها فى غاية الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة أم وجيزة ، وسواء تكررت أم لا ، وكلما تكرر حلا وعلا ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا يمل منه العلماء ، وان أخذ فى الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات ، فما ظنك بالقلوب الفاهمات ، وان وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان ، ويشوق الى دار السلام ، ومجاورة عرش الرحمن ، كما قال فى الترغيب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال : (وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون) وقال فى الترهيب : (ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور . أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقال فى الزجر : (فكلا اخذنا بذنبه) وقال فى الوعظ (أفرأيت ان متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الى آخر ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والجلاوة ، وان جاءت الآيات فى الاحكام والاوامر والنواهى، اشتملت على الامر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب ، والنهى عن كل قبيح رذيل دنىء ، وان جاءت الآيات فى وصف المعاد وما فيه من الاهوال ، وفى وصف الجنة وما وعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب بشرت به وحذرت وأنذرت ، ودعت الى فعل الخير واجتناب المنكرات ، وزهدت فى الدنيا ، ورغبت فى الاخرى وثبتت على الطريقة المثلى ، وهدت الى صراط الله المستقيم ، وشرعه القويم ، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم) .

ولو كان الخورى يخضع للحق والحقيقة أو يتحراهما ، لكان راعى ما قاله جمهور العلماء القدماء ، ولما قال ما قاله عنهم ، وغاب عنه ان كتب القدماء والكتب التى ينقل عنها ليست عنده وحده .

ومع ذلك وبعد كل ذلك فليس

مستنكرا كما يريد الخورى أن يوهمه أن يتصدى المسلمون المعاصرون لهذه المسألة ويلتمسون الشمول فى اعجاز القرآن لكل جيل وقبيل ، وفى أيدى كل جيل وقبيل ، وقد وصل الى الناس كما بلغه رسول الله عن وحى الله ، وكما دون حين بلغه ، فصار بذلك الكتاب الالهى الفريد فى هذا الباب ، وكل مسلم بل كل انسان مدعو الى تدبر آياته ، وكل ذى لب مدعو الى التذكر به ، كما جاء فى آيات عديدة منه كما ترى فى الامثلة التالية :

١ — (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ..) (النحل ٤٤) .

٢ — (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب .. (ص ٢٩) .

٣ — كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ..) (فصلت ٣)

وقرر انه هدى ورحمة وذكرى وشفاء لكل مؤمن ، ولمن حسنت نيته ورغب فى الحق والحقيقة ، كما جاء فى آيات عديدة أوردناها قبل :

فليس ما يمنع المسلم فى اى ظرف أن يلتمس فى القرآن اعجازا الهيا فى العقيدة ، واعجازا الهيا فى التشريع ، واعجازا الهيا فى الحكمة ، واعجازا الهيا فى التلقين السياسى والاجتماعى والاخلاقى والشخصى والانسانى العام ، واعجازا الهيا فى العلم الحديث ، بالاضافة الى الاعجاز الالهى فى الاسلوب والبيان ، ونفوذ الخطاب الى أعماق النفوس والقلوب والضمائر ، بل ان التماس ذلك واجب على كل مسلم ، وعلى كل انسان فى كل وقت ، وعلى المعاصرين أن يفعلوا ذلك كما فعل القدماء ، وتقدم العلوم والفنون والحضارة يجعل هذا الواجب أشد بالنسبة للمعاصرين حتى يثبتوا لابناء أجيالهم الذين اشتد انحرافهم عن الاديان مصداق قول الله : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) . ويثبتوا كون القرآن الذى يمثله هذا الدين الذى رشحه الله ليكون دين الانسانية عامة — وليظهره على الدين كله — قد احتوى كل مظاهر الاعجاز الالهى ، وكل ما يحتاج اليه البشر لسعادتهم ونجاتهم وسلامتهم وكرامتهم وطمأنينتهم ، واحتوى حلا لكل مطلب ومشكلة فى كل ظرف ومكان وبيئة ، وانهم لواجدون فيه ذلك من الدلائل القطعية والبراهين الحاسمة والشواهد الناصعة والحجة البالغة ما يثبت أن القرآن فريد فى كل ذلك ، وانه وحى الله حقا وصدقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولقد كتب كثير من علماء المسلمين المعاصرين وكتابهم خلال الحقبة الممتدة من مطلع هذا القرن ، وما يزالون يكتبون كتبا كثيرة فى اثبات الاعجاز الالهى فى القرآن من كل ناحية فيها المقنع لمن اراد الحق والحقيقة، وتغلب على الحقد والغرض والهوى ، وساهمنا نحن بتوفيق الله والحمد له فى ذلك فى كتبنا .

واذا نحن ركزنا الكلام على ناحية الاعجاز الالهى فى المحتوى القرآنى ، فليس ذلك منا اغفالا عن الاعجاز الالهى فى النظم القرآنى .

فهذا من المسلمات التى لا تتحمل أطنابا جديدا ، وقد وفاها العلماء قديما وحديثا حقها ، بما لا محل للمزيد عليه ، وانما كان ذلك منا لانه مقتضى الكلام والحافز عليه من جهة ، ولاننا نعتقد أن الاعجاز القرآنى هو فى محتواه فى الدرجة الاولى من جهة اخرى ، وهو ما اهتم القرآن للتنويه به أكثر ، والله تعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

الى أين نحن مسوقون ؟

للدكتور : علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض : الله ، الله)) .

رواه البخارى ومسلم وأحمد

١ ـ عرفته منذ أمد بعيد رجلا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، صادق الايمان ، لا يصده عن دينه صاد ، ولا يدفعه عن القيام بواجباته نحو ربه دافع ، ولا تعوقه دنيا أفاءها الله عليه عن غدوه ورواحه الى بيوت الله ، طبق على سلوكه أحكام الله أكمل تطبيق ، وجاهد ويجاهد فى الله حق جهاده بكل ما استطاع وما يستطيع من قول وعمل وبذل ، وهو سائر فى نفس الخط المستقيم دون حيدة أو التواء ، حتى ليخاله من يخالطه عن كثب أنه لا يعايش عصره ، ولا يحس بما يدور فيه من مجون وزيف سلوك ، وانما هو رجل عصر النبوة الصافى الذى لم تدنسه أفكار فجة وقحة ، ولم تستطع أن تنمو فيه تلك الفسائل الحقيرة ذات الريح العفن الكريه ، هو سليل من بكى يوم ألمت بماله الملمات فافتقده فى عرض البحار وابتلعه اليم ، وما كان جوابه حين سئل عن دواعى حزنه ومصادر ألمه الا أن قال : انى جزع أسيف لا على عرض زال وقد يعود ، وانما أسفى ومثار غمى أنى لم أعمل عملا يحتسب لى عند الله ، عملا يكون فى ميزانى يوم القيامة ، وانى أعاهد الله لو أقبلت أم دفر ثانية ، أن يكون أول ما أقوم به عمارة بيوت الله والبر بعياله ، وقد وفى ما عاهد الله عليه ، فشاد لله بيتا لا يزال يحمل اسمه الى اليوم وغدا ، وحكى عنه معاصروه أنه كان يحمل مواد البناء بنفسه ليعلى لله منارا فى زمن ما كان أحوج البلاد فيه الى تلك المنارات . .

التقيت بصاحبى ذات صباح بعيدا عن صخب الحياة ومفاتنها فى هدأة عمل وسكون ليل ، وجرى الحديث متناولا وقائع العصر بعد جولة قمنا بها فى أحياء مدينة أوربية اشتهرت بالعلوم والمعارف منذ عصور ، والجمال جمال التنسيق والابداع الذى لا يزيده مرور الايام الا فتنة وروعة وقوة ، وقال صاحبى : حبذا لو كان هذا مصروفا فيما خلق لأجله ، ووجه للانتاج النافع والبناء الداعم للحضارة الانسانية ، المساير لتعاليم رب كل شىء التى أوحاها الى رسله ، اذن لكان لها سياج عظيم يحمى من الفتنة والضياع ، فالعقل مهما كشف وفقه فهو عن ادراك سر الحياة الدفين محجوب ، فذلك غيب مكنون ، استأثر به فاطره ، والشهوات عامل معوق معاكس لاستقامة الحقيقة ، وها نحن أولاء نرى الى جانب المظهر الحضارى البادى ، بقعا سوداء تشوه انسجامه ، وتذهب بروائه ، وتكاد تأتى على الاثر الخير فيه ، مع أنه ما من ممنوع يبدو مغريا جذابا الا والى جانبه مباح أكثر اغراء وأشد جاذبية لو أحسن التوجيه اليه والاخذ بأسبابه ، ولكن الامر كما قلت : هو شيطان الغرور ، وحب المخالفة ، ومحاولة الوصول الى كل شىء دون رقابة أو محاسبة ، بل واغراغ

كل العنـــاية فى جانب المـــادة وحدها ، مادة تشيد المصنع ولا تبنى الروح ، تؤمن بالانسـانية بمقدار ما تدر مواردها ما يكفل للمصنع الاستمرار فى طريقه ، وما يديم صخب الآلة ، حتى ولو كان ما ينتج سما ومدفعا وقنابل ، فرأيى أن التقدم العلمى فرس جموح ، ولا يكبح جماحه الا شكيمة ولجام ، وما هى الا ايقاظ الروح لتعمل الى جانب المادة ، فتحول منتجاتها الى بلسم وعافية وبناء ، والا فالى أين نحن مسوقون ؟!

٢ ــ سؤال وارد ولا شك ! ويحتاج الى جواب ، وجوابه لا يستقى الا من الشريعة ، من الدين ، من المصدر الصافى ، من الـــكتاب والسنة ، ومن المعلوم بداهة أن السنة شارحة وموضحة ومؤسسة أحيانا ، يقول سيد الخلق : « أوتيت الكتاب ومثله معه » والكتاب قد أشار وأكد أن للعالم نهاية ، وأن للدنيا فناء سيلحقها قريبا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولـــــكن متى وكيف ؟! أما المتى فالله أعلم به (لا يجليها لوقتها الا هو) ، وأما الكيف فقد فصلته بعض آى القرآن الكريم وأفاضت فيه السنة الشريفة ، فالقرآن يقول : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » ٦٨ سورة الزمر . وفى أوائل كثير من ســـور القرآن ما يزيد المسألة تفصيلا والأمر وضوحا ، كسورة الانبياء والحج والحاقة والمعراج والقيامة .. الخ ، وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وســلم تفاصيل وافية عن أحوال الساعة وما يسبقها من أحداث وامارات تشير الى دنوها وتؤذن بقرب وقوعهــا ، وقد مررنا بطرف منها فى أحاديث ســـلفت ، ويعنينى هنا جواب صاحبى على سؤاله : الى أين نحن مســــــوقون ؟! رأى صاحبى وشاهد ، ورأيت معه وشاهدت ، وعرف الكثيرون الذين جابوا آفاق الدنيا المعاصرة طولا وعرضا ، أن العمل بما أوحى الله الى رسله بات منزويا فى دور العبادة لا يتعداها ، بل انه فارقها فى بعض بلاد العالم المتمدين ــ كما يســــمونه ــ فكثير من الشـــباب اذا أراد زيارة معبد ما لا يراعى اللياقة والاحترام ، وانما يدخل باستهتار واستهزاء ، والواقع أن تلك المعابد صارت قاصرة ــ تقريبا ــ على العجائز الذين يودعون الحياة ويشعرون بأن دورهم على المسرح قد ألغى نهـــائيا ولن يعود ، وهناك ــ والحق يقال ــ لا تتدخل الحـــكومات فى شئون الناس وخاصـــة فى معتقداتهم ، بل انها تعينهم على التدين أحيانا ، ففى كل أسبوع يعرض فيلم دينى على شــــــاشة « التلفاز » فضلا عن محاولة اثارة النخوة والنعرة الدينية ضد الآخرين لســـبب أو لآخر بأســـاليب متعددة يعلمها من عاش هناك ، فالعائق ليس رسميا ، وانما هو نابع من قادة الفكر ، وأكثر ما بدا من مذاهب وفلسفات بعد الحرب العـــالمية الثانية يكاد يكون منشؤه عوامل شخصية تفاعلت بها نفس صـــاحبها لمؤثرات بيئية خاصة ، ثم بدىء بتطبيقها على السلوك ، ولما كانت الى المادة أقرب منها الى الروح اعتنقها شباب من الجنسين وزادها رسوخا ، ومكن لها أن بعض مثيريها والذين تبنوها أساتذة فى جامعات مرموقة ، ومنبت البعض من صميم الطبقة التى تحمل المال والترف الى القصـــور وتكدح فى جمعه وتنميته دون أن يكون لها حظ فيه ، وتلك الفئة تمثل الكثرة الكاثرة من كل الشـــــعوب ، ولم تنصــــــفها أديان هناك ولا أحكام ، ونتج عن تلك الفلســـفات ما تتخبط فيه تلك المجتمعات بعيدا عن القيم الانســــانية الفاضلة التى يقررها ويقرها وحى الســــماء ، كما يؤيدها العقلاء ، فما العقل فى أصــــالته ببعيد عن الوحى الالهى ، وأشير دائما الى الوحى والى السماء لا هروبا من مقـــاييس عقلية خاصة ، وانما لأنى أجد تلك المقاييس ان صدقت وصدرت عن اخلاص

للعلم والانسانية بعيدا عن الانانية والنوازع الفردية البحتة متلاقية مع الوحى أيما تلاق ، ومتجاوبة كل التجاوب .

وبعد .. فقد سرت عدوى تلك المبادىء والآراء الينا لأنهـا متعانقة مع منتجات المصنع التى لا نملك أن نبتعد عنها ، والا تعرت منا الاجساد ، ودكت البيوت ، ولطالت علينا المسافات وفقدنا كل مقومات الحضارة المـادية ، فلو أمسكت بأى من شرقنا فى أى بقعة من أرضنا لألفيته من قمة رأسه الى اخمص قدمه لا يملك الا لحمه ودمه حين يريد أن ينتسب الى ترابه ، والمصنع لا يقدم لنا وسائل الحياة الا مع تمهيد لها يحطم المثل الموروثة والقيم الاصيلة ، والامر لا يحتاج الى مزيد بيان ، فالحديث الى أولى الالباب .

٣ — وندلف الى أوطاننـا — أوطـان العرب والمسـلمين — باحثين متسائلين : لمـاذا ننسلخ بهذه السرعة من أصالتنا ، ولأى داع نتبع كل ناعق ، ونغفل سريعا مقومات وجودنا ، فمن المعلوم أن لكل شعب مميزاته ، ولكل أمة مقوماتها التى لا تعرف الا بها ؟! أيعود ذلك الى ضعف فى الاصول ؟ أم الى تخلخل الايمان بها ؟ أم الى عجز حراسها ؟ أم أن ما نحن فيه وهو تمهيد لتنفيذ قضاء مبرم سابق لا يد لنا فى رده ؟! فسيحدث رضينا أو كرهنا ، أردنا أو لم نرد ! والاجابة على هذه الاسئلة مجتمعة ، تمثل الاجابة الكاملة على السؤال الرئيسى ، الى أين نحن مسوقون ؟! فلنتعرض للاجابة عليها الواحد تلو الآخر ، ولو طال البحث وتشعب !

أ) قامت على أصول التوجيه الاسلامى دراسات ، وأنشئت باسمه كراس فى جامعات غربية أكثر منها شرقية ، وتناولتها أقلام صديقة وأخرى محـايدة وثالثة سافرة العداء ، ووضعت لتوضيح نضوجها أو فجتها كتب ومؤلفات ، ولم يعد فيها سر خاف نخشى أن يتعرض للهواء فيفسد ، أو لضوء الشمس فيتبدد !!

فأما الصديق — لا المعتقد (٢) — فرأى بعد استقصاء وتعمق دراسة ، أن كل أمر الاسلام خير ، لأن ما ينشده الباحث عن السعادة قد وفرته تلك الاصول تماما ، فالمجتمع الذى تطبق فيه تعاليم الاسلام نصا وروحا يبيد فيه كل أعداء الانسانية وتنمو على أرضه مقومات الحياة الحرة الكريمة فى ظل حراسـة ساهرة واعية !! وأعداء الانسانية : الجهل والمرض والفقر ، ومقومات الوجود الفاضل : اخاء وحرية ومساواة ، وموقف الاسلام من الاعداء والمقومات معلوم واضح ، فما أكثر ما تحدث عنها كتابه الكريم ، وما أوضح بيانا فسرته سـنة نبيه صلى الله عليه وسلم . ولنعرج على مواقفه من كل منها !!

١ — فالاسلام الحق نور يبدد ظلام الجهـل ، وما يزال به حتى يمحوه نهائيا من بيئة يعيش فيها ، وقول القرآن هو الفيصل ، والسنة مؤكدة ، والتاريخ شاهد عدل .

ففى القرآن : نجد أول خطاب الهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجه الى العلم الماحى للجهل ، فالدعوة الى القراءة توجيه الى مفتاح العلوم ، اذ هى النافذة التى يطل منها العقل على نتاج صفوة العلماء فى الماضى والحاضر ، وفى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت على تعلم العبرية كما رواه ابن الاثير فى تاريخه توجيه آخر لكل عاقل أن يلم بلغة ذات قيمة فى عصره لينفذ منها الى علوم لم تسجلها لغته ولم يعها تراث آبائه أو معاصروه من بنى قومـه ، وفى قوله تعـالى : « ... قل هل يستوى الذين يعلمـون والذين

---

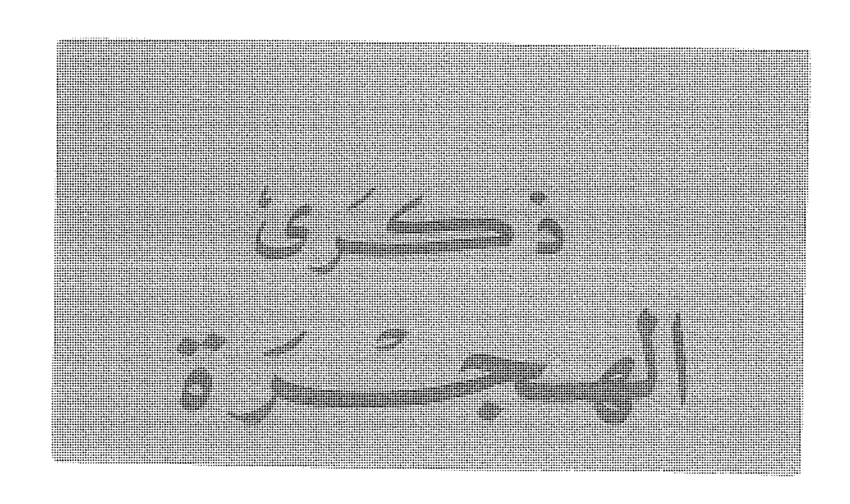
(٢) لأن المعتقد لتلك الاصول لا كلام لنا معه ولا استدلالنا بفعاله أو أقواله ، فأمره دائر بين أمرين ، فهو اما وارث لا يناقش ولا يقتدى به ، واما ناظر باحث يوكل الى نظره وبحثه ويصح أن يقتدى به .

لا يعلمون .. » ٩ سورة الزمر توضيح لفائدة العلم فهو الموصل الى أسمى ما يطلبه مؤمن من عمله وهو معرفة ربه وعبادته على هدى وبصيرة ، فالذى لا يعلم يخبط خبط عشواء لأنه لا يدرك الهدف فيما يأتى وما يذر لأنه جاهل بالنتائج ، والجاهل لا يصلح أن يكون من عباد الله المصطفين الاخيار ، فمن علم بلغ أعلى معارج الخير ومن جهل درج فى دركات الشر ، ولا يخفى هذا على ذى لب يفهم وعقل يفكر ، فالمعتبرون بحجج الله المتعظون بها هم أهل الحجا والعقل لا أهل الجهالة والغفلة .. وأية اشادة بقيمة العلماء أعظم من تلك التى يشير اليها قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء .. » والعلماء هنا ليسوا الفقهاء بالمعنى التقليدى الاصلاحى المعروف لدى المسلمين ، وانما تعنى الآية الكريمة المسلم العالم بكل الظواهر الكونية وخفايا الوجود بالقدر الذى يستطيع الوصول اليه انسان عاقل باحث مفكر ، واستعراض آيات الكتاب الحكيم التى تحتوى على مادة (ع ل م) لا يدع مجالا لشك فى أن هذا التنزيل المبارك اشتمل على أوفى ما يمكن أن يقول به قائل فى تمجيد العلم ، وعلى الدفع القوى الى محو الجهل من بلاد يسودها الاسلام شريعة ونظاما ، فلم يسبقه ولم يأت بعده من وفى العلم حقه ، وأنزل العلماء منازلهم السامية فى قمة رعاة الانسانية فى الحياة الدنيا ، وفى أعلى درجات الفردوس فى الآخرة : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

وفى السنة : يكفى حديث واحد من عشرات المئات من الأحاديث الشريفة الداعية الى العلم والمشيدة بفضل العلماء .. عن قيس بن كثير قال : كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فجاء رجل فقال : يا أبا الدرداء (انى جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة ، قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الانبياء ، وأن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » . رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى .

وأخيرا يبقى حديث التاريخ : وتاريخ المدرسة الاسلامية معلوم مشهور وواضح غير خفى وقد ترجمت آثارها الى كل اللغات الحية ، ولم يعد أمرها خافيا فى عالم علماء الدنيا المعاصرة على الاخص ، وأسماء المعلمين والمتعلمين لا تكاد تحصى خصوصا من تصدروا للعلوم الاصيلة فى كل فن وعلم ، وكانوا اللبنات السليمة القوية التى قامت عليها حضارة العالم المعاصر شرقيه وغربيه ، العالم الذى لا يمكن أن ينسى أسماء الفلاسفة المسلمين ولا الفقهاء من أمثال الكندى ، الفارابى ، ابن سيناء ، ابن رشد ، أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، أحمد ، وابن تيمية أخيرا ، وليس آخرا وكذلك تلاميذه وتأثير مدرسته فى علماء العصر شرقا وغربا ، وغير هؤلاء ممن يعيى بهم الحاضر ويقف دون بلوغ عددهم العاد الحصيف ، فقد أخرجت المدرسة الاسلامية علماء فى كل علم وفن ، كما أسلفنا ، وذلك مشهور معلوم ، وهل يخفى القمر أو هل تجحد ذكاء .

وحين أقف تاركا الحديث الآن الى عدد قادم — بعون الله تعالى — أهيب بالقارىء الكريم ألا يتعجل معرفة الصلة بين حديث الباب وبين ما ذكرنا ، فذاك آت بفضل الله ، فالصلة وثيقة وان غدا لناظره قريب . والله الموفق والمستعان .



إعداد للنفوس
وتجميع للقوى
وحماية للدعوة

للشيخ : عبد الحميد السائح

أيها المسلمون :

لقد هاجر الرسول الأعظم سيدنا ومولانا محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، كما هاجر صحبه الأكرمون الذين اختاروا أن يكونوا له أعوانا فى دعوته ، وزملاء فى هجرته ، وشركاء فى جهاده وتضحياته .

وهذه هى السنة الثالثة التى تمر فيها هذه الذكرى وقد فقدنا فلسطيننا العزيزة ، وقدسنا الخالدة وأقصانا الحبيب ، وأراضى عربية عزيزة أخرى من الشام والكنانة ، وقد تركنا فيها أهلنا وأحبابنا ، ثابتين صامدين ، يناضلون العدوان ويكافحون الشر والآثام ، ويتعرضون لمختلف أنواع التنكيل والتعذيب ، وتهديم المساكن والمتاجر ، وانتهاك حرمة الأعراض ، والمقدسات ، وهم كالطود الشامخ ، يزدادون ثباتا وايمانا فى مقاومة الاحتلال ، وأنواع الظلم امعانا ،

مهما عظمت التضحيات ، وثقلت وطأة النكبات ، يذكرون آل ياسر رضى الله عنهم وأرضاهم ، وقول الرســـول الأعظم صلى الله عليه وسلم لهم ((صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة)) ويذكرون أيضا ، موقف بلال ، وأمثال بلال ، من الأصحاب الكرام ، فى تحمل مختلف أنــواع العذاب والهوان ، فى سبيل المبدأ والعقيدة ، وما آل اليه حالهم نتيجة الصبر ، من النصر والعزة ورفعـــة الشأن ، ويضعون نصب أعينهم قول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فيما رواه البخارى ومسلم ((لا هجرة بعــد الفتح ، ولكن جهــاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا)) .

وانهم لهم المرابطون المجاهدون الصادقون ، الذين يفوتون على العدو فرصته وهدفه ، فى تخلية البلاد ، وتهجير السكان ، ومع هذا يكونـــون ردءا لاخوانهــم الفدائيين ، صفوة المجاهدين الأبــــرار ، والمؤمنــين الأخيار .

واذا كان اخواننا الصامدون فى المناطق المحتلة ، يتمتعون عند الله ، فى صيانتهم ديار العروبة والاسلام ، ومكافحتهم الأغيار ، بمزية المهاجرين ، فان اخوانهـــم الذين يمدونهم بما يثبت أقدامهم ، ويعينهم فى جهادهم ، ويزودون الفدائيين بما يصعد عملهم ، ويقوى جلادهم ، من السلاح والمال ، يمتازون بدرجة الأنصار .

أيتها الشعوب العربية والاسلامية فى المشــارق والمغارب :

لقد تحدتكم الصهيونيـــة العالميـــة ، والاستعمار والامبريالية ، تختبر ايمانكم ، وتتفحص يقينكم واسلامكم وتمتحن قواكم وتتعرف مشاعركم :

هل أنتم على احتلال الديار صامتون ساكنـــون ؟
هل أنتم لاحراق الأقصى ، وأبعاده ، متحملون ؟
هل لكرامتكم ومقدساتكم ثائـــرون ؟
هل لشرفكـــم وكرامتكم منقذون ؟
هل على وجودكم وشخصيتكم محافظون ؟
أو أنكم فى حقوقكم مفرطون ؟
وعن أرضاء الله معرضون ؟
وفى سبيل الدنيا تتكالبـــون ؟
ومن أجل ملذاتكـــم وشهواتكم غارقون ؟
وتتحملون أبعاد قول الله العلى القدير :

((وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونـوا أمثالكم))(١) .

أيها المسلمون :

يحدثنا التاريخ انه فى موقعة عمورية ، تعرضت امرأة واحدة لانتهاك عرضها ، فاستغاثت بأمير المؤمنين المعتصم ، قائلة : وامعتصمـاه ! فينتفض المعتصـم ، ويحرك جيشه ، لانقاذ المرأة ، والشرف والكرامة ، ولا يقر له قرار ، حتى أعاد للمؤمنين عزتهم ورفيع شأنهم .

فكم من امرأة انتهك عرضها فى فلسطين وسائر الأراضى المحتلة ؟ وكم من حرمـات فى تلك الديـار استبيحت ؟ وكم من مقدسات دنست ؟

(وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) ؟ (٢) .

(يايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قومـا غيركـم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير) (٣) (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٤) .

أيها المسلمون حيثما وجدتم :

انه لا يجدينا فى ديننا ، وتبرئة ذمتنا ، أن نذكـر مناسباتنا الدينية ، ونغض الطرف عـن واقعنـا ، ولا تتحرك فينا دواعي الايمان ، وبواعث الجهاد ، وقـد أصبح من نافلة القول : ان الجهاد بالمال والنفس فرض عين على كل مسلم ، وكل محاولة أو التواء ، عن المبادرة للقيام بهذه الفريضة ، هو تخلف عن المشاركة ، وتقصير فى المساهمة ، وابقاء على نفوذ العدو ، وتمكين له من الاستمرار فى غطرسته وعنفوانه ، وتدنيس المقدسات

---

(١) الآية ٣٨ من سورة محمد .
(٢) الآية ٧٥ من سورة النساء .
(٣) الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبة .
(٤) الآية ٤١ من سورة التوبة .

البقيـــة ص ٢٧

ضوء على بعض المشكلات

قرأت مقالا عن (الانفجار السكانى وامكانات التحكم فيه) نشرته صحيفة الأهرام يوم الجمعة ١٩٧٠/١/٢ ، ولا أكون مغاليا اذا وصفت هذا المقال بأنه صائب الفكرة ، عميق النظرة ، مملوء بالحقائق الجديرة بالاحترام ..

ولقد لفت عـــددا من الدعـــاة المسلمين ، وعلماء الدين ، الى هـــذا المقال ، لأنه يصور فى نظرى عودة الى أفكار سبق أن كتبتها ووقفـــت عندها ، ورأى جمهور المسلمين أنها التعبير الحق عن أحكام دينهم ونهج حياتهم ، وان كان البعض قد مـــارى فيها مراء يعلم الله بواعثه ..!!

والكاتب بعد مقدمات جيدة حـــول مشكلة النسل يقول : « أن تفسيـــر الزيـــادة السكانية بغير التخلـــف الاقتصادى ، أو رد هذه الزيادة الـــى عوامل أخرى مثل غلبـــة الغريزة الجنسية ، أو وجود الأديان المحبـــذة للتناسل ، أو عدم المبـــالاة بالرقى ، يدخل تحت باب التضليل العلمى ..!

وقد استخلص هذه النتيجة الصادقة من جملة ملاحظات علمية واجتماعية جديرة بالتأييد الحار ...

ويعجبنى أنه استهجن صيحـــات التشاؤم المفتعلة التى تخصص فـــى ارسالها بين الحين والحين نفر مـــن مقلدى الأســـاليب المجوجة فـــى الاحصاء الجزئى والحكم العام ، وهى أساليب تخدم سياسة معينة ولا تخدم حقيقة مجردة .

يقـــول الكاتب : « فى أواخـــر الستينات تدفق سيـــل جارف مـــن البيانات والبلاغات التى يتبرع بهـــا نفر من نجـــوم الرأى الامريكييـــن يزعمون فيها أن العالم قد بلغ فـــى مسيرته نحو الكارثة نقطة (اللاعودة) بسبب الزيادة المفرطة فى ســـكانه ، تلك الزيادة التى نشأت من أن أقطار العالم الثالث ـــ الذى يضم عشرات من الدول النامية أو بتعبير آخـــر

الشيخ : محمد الغزالي

عشرات من الدول المتخلفة — لم تكبح جماح شهواتها الجنسية ، ولم تستجب لدعوة المندوب الامريكى الى (تخطيط الأسرة) أو تحديد النسل الذى رأى سيادته أنه الطريق الوحيد لحسم المشكلة السكانية » .

بل لم يستحِ نفر من قادة الرأى فى أرقى الدول أن ينادوا جهرة بضرورة استخدام القسر فى الحد من هذا التفوق العددى للمراتب السفلى من البشر (!) بالقدر الذى يمنع دفع المراتب الأعلى الى الخلف ..

هذا ، ولما كانت نسبة الأولاد تكاد تكون ثابتة من عشرات السنين فان الزيادة المحذورة نشأت للأسف من قلة الوفيات بسبب ارتفاع المستوى الصحى فى أرجاء العالم .. !!

والحل ؟ انه عند أرباب الثقافة الغربية الرفيعة عدم مقاومة العلل بين شعوب لا تجد الأكل ، وترك الأمراض تفتك بهذه الاجيال الوافدة ، فان اقتحام طوفان من الاطفال الجياع على اقتصاد مضطرب أمر يهدد بكارثة ..!!

لكن كيف يوصف هذا التصرف ؟ انه تصرف انسانى عادى !! لأنه يساعد الطبيعة على انتخاب الأصلح وابقاء الأقوى ..!! بل ان هذا التصرف يتفق مع أرقى ثمرات الفكر الانسانى ، ألم يقل أفلاطون فى جمهوريته الفاضلة : (انه يجب قتل كل طفل يزيد عن العدد الضرورى ؟ ونحن قد وصلنا بالفعل الى ما يزيد عن هذا العدد الضرورى !!!

ويستتبع الفكر الغربى أحكامه على الأمور فيقول الدكتور (هوايت ستيفنز) — أحد خبراء علم الاجتماع — أن يوم القيامة سيوافق ١٣/١١/٢٠٢٦ لأن المجاعة العالمية فى هذا اليوم ستقضى على الجميع ، هكذا يقول الدكتور الألمعى بعد حساب وفق قواعد علم الاجتماع لا قواعد علم التنجيم !!

وبناء على ذلك الهوس الاحصائى يدعو الامريكيون المتشائمون الى التعقيم الاجبارى ، والى فرض نظام صارم لتحديد النسل ، والى دعوة الأمم المتحدة الى اجراء ما كى ينخفض عدد الأولاد بين العرب والزنوج والهنود وأشباههم ، وهم سواد العالم الثالث ...

ويلاحظ الأستاذ كمال السيد —

كاتب المقال — أمورا ذات بال ، منها أن الولايات المتحدة مثلا تنفق سبعين ألف مليون دولار على معدات القتال . وأن شركاتها الكبرى تعامل شعوب العالم الثالث بنهم مستغرب لا مكان معه للرحمة بهؤلاء الجياع المساكين .

يقول : « وهناك صيغة شائعة فى أمريكا الجنوبية فحواها : أن خمسة من سكانها يموتون جوعا كل دقيقة ، فى حين أن الشركات المستغلة العاملة بها تكسب خمسة آلاف دولار كل دقيقة ، أى ألف دولار من كل ميت » ..!!

ومع شعورنا باتجاه الكاتب الا أننا نعرف أن المساعدات الاستعمارية مغشوشة النية ، سيئة الهدف ، فقد توزع على الاطفال مقادير من الالبان والجبن ، ولكنها تفرض على بيئتهم قيود الفقر الأبدى الى هذا النوع من المساعدات ..

هذه البرامج توزع المواد الاستهلاكية وحسب ، على الأمم المتخلفة ، وتمتنع امتناعا غريبا عن تصنيع البيئة ، واعانتها على أن تخدم نفسها بنفسها ، وتستغل مواردها الوطنية بقدراتها الخاصة !!

كأن شعوب هذا العالم الثالث — كما تسمى — ينبغى أن تظل مشلولة المواهب مكشوفة العجز ، لا تستطيع ارتفاق ما لديها من خيرات ...

وعليها — بعد — أن تسمع الحكم بأن القيامة بعد كذا من السنين !!

ويتلقى هذا الكلام بعض قصار العقل فيطيرون به هنا وهناك ينذروننا بالويل والثبور وعظائم الأمور فاذا حاولنا التفاهم معهم قالوا : انكم رجعيون تائهون عن مقررات علم الاجتماع ، وأخطار يوم القيامة الذى سيجىء حتما مع زيادة السكان !!

ولنتناول الآن صميم المشكلة : هل حق أن بلاد العالم الثالث لا تكفى حاجات أهلها ، وبالتالى لا تتسع لمزيد من الأفواه التى تطلب القوت ، والأجساد التى تطلب الكسوة ؟

تلك هى الأكذوبة الكبرى التى يضخم الاستعمار صداها ويزعج الدنيا بطنينها !!

ان أقطار العالم الثالث مشحونة بخيرات تكفى أضعاف سكانه ، بيد أن هذه الخيرات تتطلب العقول البصيرة والأيدى القديرة .

ولو رزقت هذه الأقطار المتخلفة نهضة انسانية نزيهة ، تستهدف ايقاظ الملكات الغافية ، والحواس المخدرة ، وتطارد الخمول والوهن ، وتجند القدرات والخبرات ، وتمنع التظالم والترف ، وتضرب سياجا منيعا حول مصالح الشعوب يرد عنها غوائل الاستعمار بجميع أنواعه ، لكانت هذه الشعوب تحيا فى رغد من العيش تحسدها أقطار الغرب عليه !

ليست المشكلة اقتصادية كما يزعم الخبثاء من المستعمرين ، ومقلدوهم من الصياحين الذين يهرفون بما لا يعرفون ...

الفقر فقر أخلاق ومواهب لا فقر أرزاق وامكانات !!

لماذا يكون المولود القادم أكالا لا شغالا ، مستهلكا لا منتجا ، عبئا على الحياة لا عونا على الحياة ؟؟

لماذا تهون الانسانية فى هذه الأجيال الوافدة فيكون وجودها مبعث قلق لا مثار استبشار ؟؟

ان الجهود المادية والمعنوية التى يبذلها المتشائمون لقتل هذه الأنفس أو الحيلولة دون وجودها لو بذلت فى تصحيح الأخطاء الاجتماعية ، وتقويم الانحرافات العقلية لكانت أقرب الى الرشد وأدنى الى الغاية !!

ولكن الاستعمار الأنانى الشره يريد التهام كل شىء لنفسه وحده ، بل الأنكى من ذلك أنه يعترض طريق كل نهضة تصحح الأوضاع ، لماذا ؟ كى تبقى الأمور كما هى ، ويبقى منطقه السقيم فى علاج الأمور !!

على أن تخلف العالم الثالث ليس علة أزلية ولا أبدية ، فقد كان الأوروبيون والامريكيون أسوأ حالا منذ قرون تعد على الأصابع ، وكانت الخرافة تفتك بعقولهم فتك الأدران والعلل بأبدانهم ، فاذا صعدوا فى سلم الترقى ، وهبط غيرهم بعد رفعة أو بدأ لأول مرة يخطو على درب المدنية فلا معنى للاختيال عليه والتشفى منه !! (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) .

والأمر لا يستدعى أكثر من تغيير الظروف المؤثرة فى أحوال المجتمعات فهناك مكان ينبت العز — كما يقول المتنبى — ومكان ينبت الذل — وهناك آخر يوقظ العقل أو ينيمه ..!!

والمعتوهون الذين يصرخون جزعين : قفوا نسل الأرانب حتى لا تقوم الساعة أو حتى ترقى الأمة .

لا يعلمون أن العالم الثالث لن يرقى ولو فقد تسعة أعشار عدده ما بقيت ظروفه النفسية والفكرية جامدة على أوضاعها الحالية ..

ونعود مع كاتب الأهرام لنبصر الواقع حيث يقول : « ان موارد العالم ، خصوصا موارد البلاد المتخلفة ما زالت تفوق كثيرا زيادة أعداد السكان ، فالفائض الاقتصادى المحتمل يمكن تحويله الى ضروب من النشاط المنتج بدلا من أن يذهب الى جيوب المرابين والوسطاء وملاك الأرض ، أو يتبدد فى وجوه السرف المختلفة ، وهذا الفائض هو ما يعرفه الاقتصاديون بأنه الفرق بين الانتاج فى ظروفه الطبيعية ، وبين ما يعد استهلاكه ضروريا للجماعة المنتجة ، ويقدر هذا الفرق بنحو ٢٠٪ من الانتاج القومى ، وهو يكفل عند استثماره زيادة سنوية فى الدخل تبلغ ٨٪ وهذه الزيادة تكفى بل تفيض عن متطلبات الزيادة السكانية .. » !

الفقر الواقع أو المتوقع لا يعود اذن الى علل طبيعية ، بل الى سوء تصرف واضطراب ادارة ..!!

أو كما يقول الاقتصادى الامريكى المشهور (بول باران) : « اننا يجب أن ندق ناقوس الخطر لا لأن القوانين الابدية فى الطبيعة قد جعلت من المستحيل اطعام سكان الأرض ، بل لأن النظام الاقتصادى الاستعمارى يحكم على جموع كثيفة من الناس ، لم يسمع بضخامتها من قبل ، أن تعيش فى كنف الفاقة والتدهور والموت قبل الأوان .!!

ثم أنهى الكاتب كلمته مؤكدا أنه لا حل لمشكلات التخلف ، ومن بينها ضغط السكان على الموارد الا بتنمية بلدان العالم الثالث لثرواتها ، ومضاعفة اعتمادها على نفسها ..

ثم على القدر الميسور من المعونات الأجنبية المنزهة .. » .

......

لقد قررت هذه الأحكام تقريبا فى كتابى (من هنا نعلم) المطبوع من ربع قرن ، ولذلك فقد انشرح صدرى عندما قرأت هذه الأيام ما يزيد الحق وضوحا ... وما يبدد ضبابا كثيرا نشره فى أفق الحياة العامة أقوام قصار الباع طوال الألسنة .

وانى — اذ أؤكد المعانى الآنفة — أوجه كلمة الى نفر من المتحدثين باسم الاسلام أساءوا الى حقائقه مرارا وهزموه فى مواطن كثيرة .

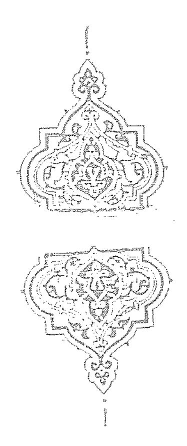
ان الاسلام ليس هو بالدين المحلى لأهل قطر من الأقطار ..

انه دين القارات الخمس ! وداره الرحبة الخصبة تمزج بين اجناس أمته فى أخوة جامعة لا تعرف الحدود الضيقة المفتعلة التى صنعها الاستعمار !! فكيف يعالجون مشكلة السكان وهم لا يدركون هذا الأساس المبين ؟ ثم أن هذا الدين يتعرض لحرب ابادة فى هذه الايام من تحالف الصهيونية والاستعمار ، فكيف تصدر الأوامر من رؤساء الاديان الأخرى بتكثير الاتباع ، ومباركة النسل ، ويفتون هم بالتعقيم والتقليل ؟ اننى لا أدرى علة هذا الزيغ ؟ أهى قلة العلم أو ليونة الضمير ؟؟

وتحذير آخر الى هؤلاء : ان أحدهم يقع على الكلمة تخدم غرضه منسوبة الى عمرو(١) بن العاص أو غيره من الرجال فيطير بها غير آبه بقيمة سندها ولا مكترث بأنها ملتقطة من كتب تجمع الجد والهزل والخطأ والصواب ...

ولو فرضنا جدلا صحة نسبتها الى عمرو ، فما كلام عمرو بالنسبة الى كلام الله ورسوله ؟ والى طبائع الأشياء وفق منطق الفطرة وحالة الدين وأوضاع المسلمين ؟؟

أرجو بعد كلمة الاهرام التى لخصتها فى مقالى أن تنتهى هذه المأساة ...



(١) ينسبون الى عمرو أنه أوصى بتقليل الاولاد ويبنون على ذلك أشياء كثيرة .

وتهديدها ، وقضاء على الكرامات ولا يرضى بذلك مؤمن بالله ورسالاته .

أيها المسلمون :

ان هجرة الرسول الأعظم صلوات الله وســــلامه عليه كانت أعدادا للنفوس ، وتجميعا للقوى ، وحماية للدعوة ، فلما أن أتم الله الوسائل استعاد الـــــوطن والكرامة والعزة والشرف ، وجاء نصر الله والفتـــح ، وتمكنت الدعوة ، وحينئذ أعلنها ، لا هجرة بعد الفتح .

فواجبنا اليوم حشد الطاقات ، وجمع الامكانات ، وتوجيه الضربات القاصمات ، التى تجعل العدو يفيق من سكراته وتشـــعره أن فى العرين أســـودا ، وفى الجموع ايمانا ، واستبسالا ، وتجعل المظاهرين لـــه والمؤيدين من دول الاستعمار أكثر تنبها ووعيا ، لما قد يصيب مصالحها من أضرار وأخطار ، اذا استمروا فى استخفافهم بالمشاعر الاسلامية ، والمصالح العربية .

وليعلم الجميع أن المسلمين والعرب ، حيثما وجدوا لن يسكتوا على ذل أصابهم ، وعار لحقهم ، وشر هـــدد عقائدهم ووجودهم ، وزلزل مقدساتهم ، وهم مدركون لابعاد قول الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فيمـــا رواه ابو يعلى فـــى مسنده ، ((اذا ذلت ذل الاسلام)) .

كما أن الهجرة النبوية كانت سببا فى عزة المؤمنين ، ونصرة الموحدين فلتكن الذكرى سببا لتوحيد القوى ، وتحقيق أهداف الهجرة ، والعمل الجدى المثمر السريع ، (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (٥) .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٦) .

---

(٥) الآية ٧ من سورة محمد .

(٦) الآية ١٠٥ من سورة التوبة .

تفضيل بعض الورثة على بعض

هل يجوز لرب الأسرة أن يمنح بعض ورثته جزءاً من ماله تمييزاً له على غيره ؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

قال كثير من العلماء لا يجوز له ذلك ، وهو حرام ، ورأى بعض هؤلاء أنه تصرف باطل ، ومن هؤلاء البخارى ، وطاووس والثورى ، وأحمد بن حنبل ، واسحق وبعض المالكية . قال الحافظ بن حجر : والمشهور عن هؤلاء أن هذا التصرف باطل ، وعن أحمد أنه يصح لكنه حرام يجب الرجوع فيه ، وتجرأ بعضهم على القول بأنه مكروه فقط .

استدل الاولون بأن الله سبحانه لم يفصل تفصيلا دقيقا فى حكم من الاحكام كما فصل فى تقسيم المواريث ، فبينما تراه فى الصلاة يكتفى سبحانه بقوله : « وأقيموا الصلاة » ويترك بيان عدد ركعاتها ، وكيفية أعمالها ، وأوقاتها لبيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، تنفيذا لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (١) .

وكذلك الزكاة بقوله سبحانه : « وآتوا الزكاة » ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنواع ما تجب فيه ، ومقادير كل نوع ، وأوقات استحقاقها ، وغير ذلك .

وكذلك الحج بقوله سبحانه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وبين الرسول فرائضه ، وواجباته وشروطه وغير ذلك .

نقول بينما نراه سبحانه فى كل ذلك يكتفى بالامر مجملا ، ويترك البيان للرسول ، نراه فى المواريث يسلك غير ذلك ، فيفصلها تفصيلا دقيقا ، فيقول : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » الى آخر آيتى ١١ و ١٢ من سورة النساء ، ثم لم يرض سبحانه بهذا التفصيل الدقيق ، بل يذكر أمامه آية تعتبر مقدمة هامة له ، فيقول : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا

---

(١) آية ٤٤ من سورة النحل .

اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم

(حديث شريف)

وهل صحيح ما يقال من أنه مكروه فقط أو هو حرام ؟

مفروضا » (٢) ثم عقب على ذلك التقسيم بآيتى ١٣ و١٤ يبين فيهما أن تلك الاحكام هى حدود الله ، وأنه وعد من أطاعه فى تنفيذها بالجنة ، وأوعد من عصاه بالنار .

فاذا تأملنا آية ٧ نراه سبحانه اختار طريق النص والتفصيل ، ولم يقل : « للرجال والنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون .. الخ » بل ذكر النساء على حدة ، كما ذكر الرجال سواء بسواء ، فماذا يريد القرآن من هذا ؟

يريد تهجين عادة جاهلية ، كانت تقترفها بعض قبائل العرب (٣) تلك هى عادة حرمان النساء من الميراث ، ومن المحزن أن الدوافع على هذه العادة الشنيعة جرت ذيولها الى يومنا هذا ، حيث تحايل بعض من ينسبون الى الاسلام للوصول اليها حتى انغمسوا فى أوحالها ، كما ستراه فيما بعد ، ثم مما يؤكد استهجان هذه العادة قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » .

---

(٢) آية ٧ من سورة النساء .

(٣) قلنا بعض القبائل لما ثبت أن كثيرا من القبائل كانت تنفر من العوائد المستهجنة ، قال أبو اسحاق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ فى كتابه الموافقات جزء ٢ صفحة ٥١ طبع دمشق : « ان للعرب فى الجاهلية عوائد قبيحة ، أبطلها الاسلام كما كان لهم عوائد حميدة أقرها الاسلام ، ومن هذا النوع الاخير تقدير الدية ، وفرضها على العاقلة ، وتوريث الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين وغير ذلك) وقال الحافظ ابن حجر جزء ١٢ صفحة ٧١ طبع الخشاب : (مما كان عند العرب فى الجاهلية وأقره الاسلام قطع يد السارق ، ومن العوائد القبيحة التى حاربها الاسلام ولكنها لم تكن عامة فى العرب ، بل كانت محصورة فى بطن من بطون تميم ، ولم تعمر طويلا ، عادة قتل البنات بدفنهن تحت التراب وهن أحياء ونزل فيها قوله تعالى : (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) آيتى ٥٨ و٥٩ من سورة النحل ، وكان أول من ابتدع هذه العادة القبيحة هو قيس بن عاصم التميمى ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام بزمن يسير ، لأن قيسا أدرك الاسلام وأسلم وحسن اسلامه ، فقضى على هذه العادة الشنيعة قبل أن تستفحل .

ولنذكر الآن أدلة هؤلاء المانعين ، ثم نتلوها بأدلة المجيزين مع مناقشتها بما يوضح موطن الحق فى هذا الموضوع .

استدل المانعون :

أولا : بقوله تعالى فى آخر آية ١١ المتقدم الاشارة اليها « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا » أى لا تقيدوا ما شرعه الله لكم فى قسمة أموالكم بين ورثتكم ظانين أن من تميزونه ينفعكم ، لأنكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فاتركوا الأمر للعليم الخبير بعباده .

ثانيا : قوله تعالى فى هذه الآية أيضا : « يوصيكم الله .. الخ » ثم كرر الوصية بذلك فى آخر آية ١٢ فقال : « وصية من الله » فمعنى هذا أن الموصى بهذا التقسيم هو الله سبحانه وتعالى ، واذا كان الرجل منكم اذا أوصى بشيء من ماله فى حدود الثلث فانه يجب عليكم شرعا تنفيذ وصيته ، فكيف والحال أن الموصى هنا هو العزيز العليم ، أليس هذا يحتم على المؤمن أن يحافظ على ماأوصى به ربه أشد من محافظته على وصية رجل من أهله ؟

ثالثا : قوله تعالى فى آخر آية ١١ « فريضة من الله » أى أن هذه السهام التى بينت لكم فرضها الله عليكم فرضا محتما ، فيجب عليكم المحافظة على فرائضه لأنها صادرة من العليم بأحوال عباده ، الحكيم فيما يشرع .

رابعا : ختم سبحانه هذا التقسيم بآيتى ١٣ و١٤ ليغلق منافذ التلاعب حيث جاء بتلك العبارة الحازمة التى تحمل فى طياتها ارعادا وابراقا يزعجان كل من تحدثه نفسه بالتلاعب بها ، تلاعب بنى اسرائيل بأحكام الله حيث تحايلوا على ابطال ما أمر الله به فى كثير من الامور (٤) .

فقال سبحانه فى هاتين الآيتين : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

قد يقول قائل : لم كانت عناية القرآن بتقسيم الثروات على هذا الوجه المفصل دون غيرها ؟

نقول لأن الله سبحانه الذى خلق الانسان ، ويعلم ما ركب فى نفسه من الشح (٥) يعلم أن المال هو عصب الحياة ، وأنه زينة الحياة الدنيا (٦) ، ويتفانى الانسان فى الحصول على القناطير المقنطرة منه (٧) .

مال هذا منزلته فى نفوس البشر ، لا جرم أن كل امرىء يحرص أشد الحرص على جذبه الى جانبه ، ويكره أن يفلت منه شيء كان ينتظره ، لكل ذلك تولى سبحانه تقسيمه بنفسه ، ليستل من الصدور ما قد يحيك فيها اذا ترك توزيعه لغيره ، ويكون سبحانه بذلك أغلق أبواب شرور كثيرة ، كما سنعلمه بعد .

---

(٤) من ذلك تلاعبهم عندما نهاهم الله سبحانه عن صيد السمك يوم السبت ، فكانوا يضعون الشباك حول السمك فى الماء ليمنعوه من الرجوع الى داخل البحر يوم الاحد ، وعند ذلك يأخذونه بسهولة ويزعمون أنهم لم يخالفوا أمر الله حيث لم يخرجوا السمك فى يوم السبت من الماء فقال سبحانه فيهم : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) آيات ١٦٣ الى آخر ١٦٦ من سورة الاعراف .

(٥) آية ١٢٨ من سورة النساء .

(٦) آية ٤٦ من سورة الكهف .

(٧) آية ١٤ من سورة آل عمران .

رب قائل من بعض العلماء يقول : ان هــذه الآيات القرآنية وردت فى الكلام عن تقسيم تركة الميت ، فهى لا تمس تصرف الحى فى ماله الذى هو محل النزاع ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول فيها : « مما ترك الوالدان والاقربون » ويقول : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم .. الخ » الى غير ذلك ، فهى آيات خاصة بالتركة جاءت لتقضى على عادات شاذة ، وتقرر المبادىء الصالحة لكل زمان ومكان ، وقد كان بعض غلاظ القلوب يورثون الذكور دون الاناث ، كما علمت ، وبعضهم يورثون الكبار دون الصغار حتى ولو كانوا ذكورا ، كما تضمنت أيضا اغلاق باب دعوة ، تهب آنا ، وتسكت آنا منادية بالتسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث .

نقول .. قد يقال كل هذا . ولدفعه نقول : ان الاسلام أعطى الوسائل حكم المقاصد ، والمقدمات حكم ما توصل اليه ، فحرم النظر الى الاجنبية لا لذاته ، بل لأنه يريد الزنا المحرم لذاته ، وحرم الخطوات الموصلة الى السرقة وأوجب الخطوات الموصلة الى صلاة الجمعة مثلا ، لأن ما لا يتم الواجب الشرعى الا به فهو واجب شرعا أيضا ، وما لا يتم الحرام الشرعى الا به فهو حرام شرعا أيضا ، واذا كان تفضيل الاولاد على بعض يعتبر نوعا من الحيل التى يتوصل بها الى تعطيل ما أمر الله به فى تقسيم المواريث فانه يكون محظورا لـمـا فيه من المفاسد التى نرى ونسمع كثيرا منها ، فقد فضل رجل طفلين صغيرين من زوجته الشابة على ولدين كبيرين من امرأة أخرى بقراريط من الارض ، فغلا الغضب فى رأس هذين الكبيرين فدفعهما الى دفن الطفلين البريئين فى كومة من (التبن) عند رجوعهما من المدرسة ، فماتا شهيدين لهذا الجور الذى ارتكبه والدهما ، ومن ذلك تحايل رجل ثرى كان يمتلك أكثر من مائتى فدان ، فمنح هذه الثروة جميعها لطفل صغير له من امرأته الشابة ، وحرم من ثرواته من بقى من ذريته ، وسلك لذلك حيلة البيع الصادر منه لابنه الطفل فتقطعت أواصر الاسرة وعلا صراخها حتى وصل الصحف ، فاذا لم يحرم الاسلام عملا تترتب عليه هذه الآثار السيئة فماذا يحرم اذن ؟

والدليل على أن هذا هو مراد الله سبحانه من هذا التقسيم الذى ذكره القرآن ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضوع ، وما قاله العلماء فى ذلك :

١ ــ فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما من علمــاء كتب السنة عن النعمان بن بشير (٨) أنه قال « أعطانى أبى عطية (٩) فقالت عمرة (١٠) بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) وقال يا رسول الله ، انى أعطيت ابنى هذا من عمرة بنت رواحة عطية ، وطلبت منى أن أشهدك عليها فقال صلى الله عليه وسلم ، هل لك أولاد غيره ؟ وفى رواية : هل له أخوة ؟ فقال بشير : نعم فقال صلى الله عليه وسلم : هل أعطيت بقية أولادك مثل هذا ؟ قال لا فقال صلى الله عليه وسلم : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، ارجع العطية ، فرجع النعمان فرد عطيته .

٢ ــ وفى رواية لمسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : أشهد على هذا

---

(٨) هو بشير بن سعد الانصارى الخزرجى .

(٩) قيل : كانت هذه العطية غلاما .

(١٠) هى عمرة بفتح العين وســكون الميم ، بنت رواحة بفتح الراء والحاء ، الانصــارية الخزرجية زوج بشير وأم النعمان .

(١١) وفى رواية : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقودنى بيده .

غيرى فانى لا أشهد على جور .

٣ — وفى رواية جابر ، فليس يصح هذا ، وانى لا أشهد الا على حق .

٤ — وفى رواية أحمد بن حنبل ، لا تشهدنى على جور ، وان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم .

٥ — وفى رواية مسلم عن الشعبى ، قال صلى الله عليه وسلم « اعدلوا بين أولادكم فى العطايا كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر » .

فيؤخذ من كل هذه الروايات :

أولا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم امتنع عن الشهادة .

ثانيا : وسمى هذا التفضيل جورا .

ثالثا : وجعله بعيدا عن العدل الذى أمر الله به المؤمنين ، ولا شك أن تعليل امتناعه صلوات الله عليه عن الشهادة بأن هذا العمل جور ، يدل على الحرمة ان لم يدل على البطلان ، وعلل العلماء حرمة ذلك بأنه يقضى الى العقوق وتباغض الاولاد وتقاتلهم ، ولا جرم أن ما يفضى الى هـذا المنكر يكون حراما قطعا ، ولذلك قال ابن دقيق العيد .. ان صيغة الحديث مشعرة بالتنفير الشديد من ذلك العمل ، حيث امتنع صلى الله عليه وسلم عن الشهادة عليه معللا ذلك بأنه جور .

وقال المهلب : يؤخذ من الحديث أن الامام يرد العطية ممن يعرف منـه هروبا من بعض الورثة ، وقد تمسك من يقول بالبطلان بقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية جابر رقم ٣ (فليس يصح هذا) وبرجوع النعمان عن الاستمرار فى انجاز عطيته .

هذه أدلة من منع تفضيل بعض الورثة على بعض من الكتاب والسنة .

فما هى أدلة من أجاز ذلك ؟ وماذا يقولون فى هذه الادلة السابقة ؟

قالوا :

أولا : ان من المقرر شرعا أن للمالك حق التصرف فى ملكه كما يشاء ، فاذا فضل بعض أولاده مثلا على بعض فهو تصرف فى حدود هذا الحق .

ثانيا : ان العلماء اتفقوا على أنه يجوز لمالك المال أن يعطى منه أجنبيـا فاعطاؤه بعض ورثته أولى بالجواز من الاجنبى . وقالوا فى الحديث أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) يدل على الاذن باشهاد الغير ، وهـذا بدوره يدل على صحة التصرف ، وقالوا فى امتناعه صلى الله عليه وسلم عن تحمل الشهادة لأنه الامام ، والامام لا يتحمل الشهادة .

ورد المانعون كل ما ذكر بما يأتى :

أما أن المالك يتصرف فى ملكه كما يشاء فهو كلام صحيح ، ولكنه ليس على اطلاقه ، اذ ليس له أن يتصرف الا فى الحدود التى رسمها له الشرع ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم منع الرجل الذى أراد أن يتصدق بكل ماله ، ولمـا قال الرجل ، أتصدق بالنصف ، قال له صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا النصف ، فقال الرجل ، أتصدق بالثلث ؟ فقال النبى : (الثلث والثلث كثير ، لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس) . وأيضا منع الشارع صاحب المال من التبذير أو التقتير فقال : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) آيتى ٢٦ و٢٧ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه : (و لاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) آية ٢٩ من سورة الاسراء ، وقال سبحانه فى صفة عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) آية ٦٧ من سورة الفرقان ، فترى من ذلك أنه سبحانه

منع اضاعة المال فى غير فائدة دينية أو دنيوية ، كما يفعل بعض السفهاء .
ومحل النزاع هنا : (وهو تفضيل بعض الاولاد على بعض) من هذا النوع الذى حرمه الله ، وليس مما أجاز للمالك أن يتصرف فيه كما يشاء .
وأما الاستدلال بأنه يجوز للمالك أن يعطى بعض ماله لأجنبى فاعطاؤه بعض ورثته أولى فانه استدلال مردود :
أولا : بما قاله الحافظ ابن حجر فى شرحه للبخـــارى من أن هذا قياس فاسد ، لأنه قياس فى مواجهة نص يخالفه ، وقد أجمع العلماء على ابطـــال قياس هذا حاله .
وثانيا : بأن يقال إن هذا الاجنبى ان كان مما لا يجوز اعطاؤه شرعا ، كما نقرأ ونسمع كثيرا عن رجال من الاثرياء ممن بلغ من الكبر عتيا ، ثم وقع فى شباك فتاة لعوب فاستنزفت جل ماله ان لم يكن كله ، وترك أولاده وأمهم فى حال يرثى لها وألجأت بعضهم الى طلب الحجر عليه . فبذل المال فى هذا السبيل لا شك فى أنه محرم شرعا على المؤمن ، ولا يجوز القياس عليه للوصول الى الجواز .
وان كان هذا الأجنبى مما يجوز البذل له كالفقير أو ذى الرحم المحتاج ، وأراد الوالد أن يدخر لنفسه ثوابا عند الله ، فأعطى مثل هؤلاء فى حدود الثلث فان أولاده لا يغضبهم ذلك ، لأنهم لا يكرهون خيرا يناله والدهم عند ربه فلا يسبب لهم ذلك التباغض والتقاطع الذى يحصل اذا فضل بعضهم على بعض بدون سبب ، لأن من طبيعة النفوس البشرية أنها يسرع اليها الفساد من تفاضـــل يحصل بين متماثلين يتجلى فيه تحيز الوالد لأحدهما .
وأما دعوى أن قوله صلى الله عليه وسلم : (أشهد غيرى) تفيد الجواز .. الخ . فمردودة بأن هذا القول من أشد أساليب النهى والتوبيخ ، قال ابن حيان : قوله صلى الله عليه وسلم : (اشهد غيرى) صيغة أمر يراد به نفى الجواز ، ويؤيده تسميته صلى الله عليه وسلم ذلك جورا وأنه ليس حقا .. الى آخر ما تقدم . فهو من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن الله عز وجل : (من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى) ، ونظير هذا الاسلوب فى الزجر والتهديد قوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) آية ٢٩ من سورة الكهف ، فهل يقول عاقل .. ان فى هذا الحديث الاذن فى اتخاذ رب غير الله ؟ أو فى الآية الاذن بالكفر ؟
وأما القول بأن الامام لا يتحمل الشهادة فمردود بأنه ليس من شأن الامام ولا من شروطامامته أن يمتنع عليه تحمل الشهادة ولا أداؤها .
قال الحافظ ابن حجر : والحق أن التسوية واجبة ، وأن التفاضل بغير ريب شرعى حرام .

النتيجـــــــة

ان الذى يؤخذ من آراء المحققين فى هذا الموضوع :
أنه اذا كان تفضيل بعض الورثة على بعض بسبب مشروع جاز ، قال أحمد بن حنبل : (ان كان للتفاضل سبب كأن يكون أحد الاولاد مريضا مرضا مزمنا جاز) لأن اخوته لا يغضبهم ذلك ، اذ الاخوة الصحيحة تتطلب منهم أن ينفقوا على أخ لهم فى مثل هذه الحال حتى من عنـــد أنفسهم ، وكذلك يجوز التفاضل اذا كان أحد الورثة صغيرا يحتاج الى تربيـــة أو تعليم أو زواج فى المستقبل مثلا ، وكان اخوته الكبار قد نالوا حظهم من ذلك ، فهنا يحسن أن يتساوى بهم أخوهم الصغير .



اليهود في فلسطين وخارجها

في الحديث عن قيام دولة اليهود بفلسطين يتحتم على البحث أن يحتوى ثلاث نقاط مهمة هى :

الأولى : الزراعة وسيلة اليهودى لاستعمار فلسطين

الثانية : علاقة اليهود خارج فلسطين بدولة اليهود

الثالثة : الى أى مدى أستطاعت الصهيونية أن تكون دولة على أساس الدين وحده ... ؟

وللاجابة على النقطة الأولى نلجأ الى مؤرخ صهيونى هو (روفائيل ماهلر) الذى وضع دراسة عميقة عن وضع اليهود الاقتصادى فى البلاد المختلفة ، رأسمالية وشيوعية واشتراكية ، ويقرر هذا المؤرخ ان اليهود يتجنبون مهنة الزراعة وأنه ليس بينهم فلاحون قط ، فيما عدا مناطق صغيرة نائية فى بولندا وروسيا فى عهد القيصرية ، وكما تجنب اليهود الزراعة فانهم تجنبوا الصناعة كذلك ، فليس لهم فى المناجم عامل واحد ، وليس لهم أى دور فى النشاط الصناعى ، أما الاعمال التى تخصصوا فيها فهى التجارة والمال والمهن الحرة كالطب والمحاماة والصحافة .

ويقرر المؤرخ الصهيونى ان هذا الوضع يثير الناس ضد اليهود لانهم لا يسهمون فى عمليات الانتاج ولا يحملون عبء العمل مع المناضلين ويروى المؤرخ انه طالما سمع فى بولندا من العمال هذا السؤال : لماذا لا نجد من بين اليهود أى عامل صناعى مثلنا ؟ لماذا لا نراهم فى هذه الأعمال المجهدة ؟ ويروى أنه قرأ أخيرا ان الاتحاد السوفياتى قرر انه ليس من حق أية قومية من قوميات الاتحاد السوفياتى ان يكون لها نسبة بين طلبة الجامعات أكثر مما لها من

سيطرة اليهود الاقتصادية على وسائل الكسب الرئيسي
وعدم ولائهم في أي مكان إلا لإسرائيل

للدكتور احمد شلبي

نسبة بين عمال المناجم ويعقب المؤرخ على هذا بقوله انه لا يوجد عامل مناجم يهودى واحد فى روسيا ولا فى أمريكا .

ويشرح لنا Hormer السبب فى عدم اقبال اليهود على الزراعة والصناعة فيقول : ان اليهود فى خلال عصور التشرد لم يكن يسمح لهم بشراء الارض ، اذ لم يكن يسمح لهم بالاستقرار فى البلاد التى نزلوا بها ، ومن ثم لم يتجهوا للزراعة ، كما ان اليهود لم يكن يسمح لهم بدخول المصانع والمناجم اذ كان يخشى ان يكونوا بها عوامل تخريب واضطراب ، وبذلك اتجهوا الى المهن الفردية ، كالطب والمحاماة والكتابة والتجارة ، على ان ميولهم للتجارة ، كانت أوسع لانهم يربحون خلالها دون ان يقدموا للمجتمع الذى يعيشون فيه اية خدمات .

ولكن الحركة الصهيونية ادركت منذ وقت مبكر ان الزراعة هى التى تمنح الشعب استقراره وتغرس جذوره فى الارض ، ولذلك كان من أول اتجاهاتها خلق الفلاح اليهودى والمزرعة اليهودية ، فخلق المزرعة اليهودية كان قرارا سياسيا وليس قرارا اقتصاديا ، من أجل هذا حرص اليهود بفلسطين على توسيع مزارعهم وللوصول لهذا الهدف ملكوا الارض بوسائل متعددة وحاولوا اغتصاب ماء الاردن بتحويل مجراه .

واتجه اليهود بالمزرعة لتكون وحدة زراعية وعسكرية فى نفس الوقت فرجالها يعنون بالزراعة ويدافعون عن المستعمرة دفاعا عسكريا حتى اذا قامت اسرائيل بحرب أصبحت المزارع المتجاورة بمثابة حصون دفاعية يسكنها الفلاح الجندى ، وتمتد على طول الحدود بين اسرائيل والبلاد العربية .

ويتصل بهذه الخطة ما شرحه

وايزمان زعيم اسرائيل بقوله ـــ ان رأيي هو ان الوطن القومي له سبيل واحد لتحقيقه ، وذلك السبيل هو ضم دونم الى مزرعـــة ، وبقرة الى بقرة ،...، وبهذا كانت الزراعة هي السبيل الذي ارتآه اليهـــود طريقا لتحقيق أهدافهم الصهيونية ، ولكن اليهود لن يصبروا على شظف الزراعة ويوم يحسون بالاستقرار سيتركون الزراعة الى وسائل الكسب الرخيص والسهل وما أكثرها عند اليهود .

وللاجابة عن النقطة الثانية نذكر ان وعد بلفور نفسه تنبأ بخطر العلاقة بين اليهود خارج فلسطين وبين دولة اليهود ، فلمن يكون ولاء اليهود الذين يعيشون في غير فلسطين .. ؟ هل سيكون ولاؤهم للبلد الـــذي ينتمون اليه سياسيا ؟ أو للبلد الذي ينتمون اليه روحيا . وشمل وعد بلفور نصا يقرر ان الوطن القومي لليهود في فلسطين لا يتنافى مع الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في غير فلسطين ..

وعلى هذا فاليهود في غير اسرائيل مواطنون ، ولاؤهم ـــ نظريا ـــ للبلاد التي يعيشــــــون فيهـــا ويحملون جنسياتها ، ولكن العلاقة بين اسرائيل وبين اليهود خارجها لم تسر عـــلى هذه النظرية واتخذت من الناحيـــــة العلميـــة الاتجاهات التي تحملهـــا الافكار التالية :

ـــ أعلنت الصهيونيـــة ان اليهود المقيمين خــــــارج اسرائيل طوائف مشتتـــة تعيش في المنفى وأنهــــم مواطنون اسرائيليون قبل كل شيء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة مهما تكن جنسيتهم الرسمية التي يسبغونها على أنفسهم ، وتقول (جولدا ماير) عن هذا ان اليهودي الانجليزي الذي ينشد بحكم انجليزيته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن ان يكون في نفس الوقت ـــ صهيونيا .

ـــ تقول الصهيونية انه اذا كان اليهود لا يتعرضون للاضـــطهاد في العهد الحاضر كما تعرضوا من قبل في روسيا القيصرية ، وفي المانيـــا النازية فان تعرضـــهم للاضــــطهاد محتمل ، فهم ساميون وهم شـــعب مختار ممتاز ، وسيظل العالم لهذا يصطنع الوسائل لاضطهادهم .

ـــ أما (آري تاتاكودار) استاذ علم الاجتماع في الجامعة العبريـــة فيضع الامر بحيث لا يحتمل شـــكا ، ويلزم اليهود ان يحسوا بالاضطهـــاد ولو لم يكن هناك احتمال له .

وهو يقول في ذلك ـــ ان اليهودي حقا هو من يشعر بأن هناك (مشكلة يهودية) حتى ولو عاش بمفرده في جزيرة نائية ليس بهامن يضطهده .

ـــ رفعت الحركة الصهيونية فوق رأس اليهود خارج اسرائيل ســــلاح التهديد ، ولم يكن التخلص من هذا السلاح ممكنا الا بكتابة شيك على أحد البنوك تبرعا لاسرائيل .

ـــ من أجل هــــذا كان كثير من المفكرين اليهود يعارضون قيام دولة اسرائيل ايمانا منهم بأن قيامها قـــد يكون سببا في اضطهاد اليهـــود من الدول الأخرى في المســتقبل ، لان اسرائيل كدولة لا بد ان تكون لها مع الزمن مواقفها المؤيدة والمعادية لدولة أخرى وفي حالات العداء سوف يكون لليهود بهذه الدولة وضع لا يحسدون عليه ، ولكن هذه الاصـــوات خفتت بعد قيام اسرائيل وان بقي أصحابها يضعون أيديهم على قلوبهم .

وعن النقطة الثالثة نذكر ان علماء الاجتماع قرروا ان مقومات التجانس تشمل ثمانية اسس ، هى اللغة والدين والارض والتاريخ والاقتصاد والآمال والجنس والأمن الداخلى والخارجي ، وقد أقام اليهود دولتهم على أساس الدين فقط ، وواضح ان الفشل لا بد ان يكون نصيب مثل هذا المجتمع لما بين معتنقى هذا الدين من تفاوت واسع ، وقد دل تعداد اسرائيل الذى أجرى سنة ١٩٥٦ م على ان اليهود باسرائيل يبلغون ١٫٦٦٧٫٤٥٥ منهم ١٨٫٨١٠ أشخاص غير معروفى الأصل وأما الباقون فمنهم ٣١٫٥٪ من ابناء آسيا و ٢٤٫٤ من أبناء أفريقية و ٤٣٫٣ من أبناء أوروبا و ٠٫٨ من أبناء أمريكا فما هى العلاقة بين هؤلاء اليهود بعضهم والبعض الآخر ؟

ان كل المعلومات والأنباء تؤكد ان الصهيونيين الأوروبيين يحتقرون الصهيونيين الأفريقيين والآسيويين ، وقد صرح الدكتور موشين وهو من كبار اليهود الشرقيين بان الاضطهاد العنصرى ضد اليهود الشرقيين اضطهاد حقيقى وليس مختلقا .

ويتضح من دراسة المؤلف الحافل الذى وضعه عن اليهود ان ما يعانيه المجتمع اليهودى الآن من فرقة وتشعب عميق الجذور يرجع أصله الى عهد العودة من سجن بابل ويقرر ان المجتمع اليهودى عقب العودة من هذا السجن كان منقسما قسمين بينهما حاجز حاد ، وكان احدهما يكون الطبقة العليا ويكون الثانى الطبقة السفلى ، وكان القسم الأول يصف نفسه بأنه الجنس المقدس أو البذور المقدسة التى لم تختلط بدم اجنبى وعادت من بابل لتعيد بناء الهيكل ومن هذا القسم يختار كبار القسس وكبار الرجال بالمدن ، أما القسم الثانى فيشمل أولئك الذين قيل ان دماءهم اختلطت بدماء أجنبية ويتحتم ان يقنع هؤلاء بالمهن الحقيرة وبالحياة فى القرى ولا ينافسون أفراد القسم الأول فى امتيازاتهم ولا فى القيادة التى هى حق من حقوقهم .

ويقول الدكتور هومر أوجل وهو قس أمريكى وقد زار اسرائيل انه رأى فى اسرائيل اقواما مختلفين نجحوا فى اقامة مزارع ومدن وفشلوا فى اقامة وطن موحد ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذى هزه فى اسرائيل وانما هزه أيضا اختلاف القيم والمبادىء والاخلاق مما جعله يقرر ان استمرار هذه الدولة فيه قضاؤها على نفسها .

ويرى انتونى ناتنج ان الجنس الاوروبى من اليهود غير مستقر فى اسرائيل وان هؤلاء الاوروبيين لم يجدوا مطلقا اماكنهم هناك ولم ولن يشعروا بأى استقرار بالرغم من كونهم الجنس الحاكم أو المسيطر .

وعلى هذا يبنى انتونى ناتنج نظريته التى تتنبأ بتقلص الجنس الاوروبى من ناحية وامتصاص الجنس العربى لما بقى فى فلسطين من اجانب من ناحية أخرى فى تطور تدريجى ويقرر ناتنج ان من الطبيعى أو من المحتم ان تستوعب فلسطين ابناءها المشردين خارجها وان تلفظ الاجانب الذين لا يندمجون فى الحياة الجديدة ، ثم تنشأ دولة فلسطين من حكومة عربية اقليمية مزدوجة العنصر يعيش فيها العرب واليهود جنبا الى جنب ، وهذا يتفق مع الاتجاه الذى يقول به كثير من قادة فلسطين فى الوقت الحاضر .

وسيجىء اليوم الذى ينتصر فيه الحق ويعود المشرد الى داره والارض السليبة لأصحابها ... ””

مائدة القارئ

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم »
صدق الله العظيم

في طريق الهجرة :

مر الرسول وأبو بكر في طريقهما الى المدينة بخيمة أم معبد ، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم — وهي لا تعرفه — عن شيء من القوت ، فقدمت له شاة هزيلة ، فمسح على ضرعها بيده فدر منه اللبن الغزير ، فشرب السفر منه ، وظلت أم معبد في عجب حتى عاد زوجها بغنماته ، فأخبرته بأمر ضيوفها ، فعرف أن هذا شأن الرجل الذي سمع به في قريش — محمد — وعلى أثر ذلك سمع أهل مكة من ينشد هذه الابيات :

جزى الله رب العرش خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... وأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شأنها وانائها ... فانكموا أن تسألوا الشاة تشهد

دعاء

هبني اللهم الصبر والقدرة
لأرضى بما ليس منه بد
وهبني اللهم الشجاعة والقدرة
لأغير ما تقوى على تغييره يد
وهبني اللهم السداد والحكمة
لأميز بين هذا وذاك

ماقل ودل

- اذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك في موضعه ثم تكلم .
- لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم — ما ملأوا دارا صغيرة .
- للتاريخ حدود كممالك الارض ، فلا يتسع الا لعدد محدود .

خمس مدمرات :

يا معشر المهاجرين : خمس خصـــال اذا ابتليتم بهن ـــ واعوذ بالله ان تدركوهن :

١ ـــ لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا .

٢ ـــ ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم .

٣ ـــ ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من الســـماء ولولا البهائم لم يمطروا .

٤ ـــ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما فى أيديهم .

٥ ـــ وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله : الا جعل الله بأسهم بينهم .

أبو علقمـــة :

قال أبو علقمة يوما لغلامه : خذ من غريمنا هـــذا كفيلا ، ومن الكفيل أمينا ، ومن الامين زعيما ، ومن الزعيم غريما .

فقال الغلام للغريم : مولاى هذا كثير الكلام ، فهل معك شيء فأرضـــاه الغريم ، فخلاه الغلام ، فلما انصرف قال أبو علقمة :

يا غلام ما صنع غريمنا ؟ قال :

سقع (بمعنى ذهب) قال : ويلك ما معنى سقع ؟ قال : بقع (ذهب) قال : ويلك ما معنى بقع ؟ قال : استقلع (رحل) قال : ويلك : ما معنى استقلع ؟ قال : انقلع ، قال : ويلك ولم طولت على ؟ قال : منك تعلمت .

منطق الجبان :

قيل لجبان : انهزمت ، فغضب عليك الامير ، فقال يغضب على الامير وأنا حى أحب الى من أن يرضى عنى وأنا ميت .

نفطـــويه :

جاء نحوى يعود مريضا ، فطرق بابه ، فخرج اليه ولده ، فقال له : كيفَ وجدت أباك ؟ قال : يا عم ورمت رجليه ، قال : لا تلحن قل رجلاه ، ثم ماذا ؟ قال : ثم وصل الورم الى ركبتاه ، قال : لا تلحن قل ركبتيه ، ثم ماذا ؟ قال : مات وأدخله الله فى عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه .



في يوم الخميس الثامن من جمادى الثانية سنة (١٣٨٩) الهجرية المصادف ٢١ آب (أغسطس) سنة ١٩٦٩ م حرقت اسرائيل المسجد الاقصى المبارك . وقد دمر الحريق القسم المجنوبي الشرقي من المسجد ، كما أتى على منبره الاثري .

وقد تركت اسرائيل القسم الباقي من المسجد الذي تزعزعت أركانه وتصدعت جذرانه من جراء الحريق ، عرضة للسيول الجارفة في الشتاء المقبل ، لتجرف ما تبقى منه خلال الشتاء القادم ، دون أن تفعل شيئا مذكورا لصيانته من تلك السيول .

ان اسرائيل تريد أن يصبح المسجد الاقصى أثرا بعد عين ، لتقيم على انقاضه هيكل سليمان بأقرب فرصة ممكنة .

ومن المؤسف حقا ، أن حرق المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، لم يكن مفاجأة للعارفين بنيات الصهيونية العالمية واسرائيل ، لان نياتهم معروفة قبل أن يكون لاسرائيل وجود في الارض المقدسة وبعد أن أصبح لها كيان في فلسطين .

ولو أردت تعداد ما ورد من وثائق وتصريحات تكشف نيات الصهاينة



ألسنة اللهب التى التهمت الجزء الجنوبى من المسجد الاقصى وترتفع مئات الاقدام فى سماء القدس نتيجة الحريق المتعمد الذى شب فى ١٩٦٩/٨/٢١ .

المبينة حول تدمير المسجد الاقصى وبناء هيكل سليمان على انقاضه ، لطال المدى وبعد الشوط ، وحسبى أن أذكر لمحات منها هى فى الواقع غيض من فيض لعل فيها فائدة للقراء .

قبل مولد اسرائيل :

جاء فى دائرة المعارف اليهودية المطبوعة فى لندن سنة ١٩٠٤ ما نصه : « ان اليهود يجمعون أمرهم بغية الزحف على القدس وقهر العرب واعادة العبادة الى الهيكل واقامة ملكهم هناك » .

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه : « ان اليهود يتطلعون الى امتداد اسرائيل واستعادة الدولة اليهودية واعادة بناء الهيكل » .

وقد طالب اليهود اثناء الانتداب البريطانى على فلسطين الحكومة البريطانية أن تسلمهم الحرم الشريف فى القدس بحجة انه ملك لهم .

وفى سنة ١٩٢٩ اعلن الزعيم اليهودى (جلوزتز) أن المسجد الاقصى القائم على قدس الاقداس ملك لهم .

وقال الوزير البريطانى اليهودى

اللــورد (متشت) : ان اليوم الذى سيعاد فيه بنــاء الهيكل اصبح قريبا جدا ، واننى أكرس ما يقى من حياتى لبناء هيكل سليمان فى مكان المسجد الاقصى .

بعد مولد اسرائيل :

بعد مولــد اسرائيل صرح (بن غوريون) مرات عديدة ولا يزال : « لا معنى لاسرائيل بــدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

وقد هدمت اسرائيل بعد احتلال القــدس يــوم ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ جميع الابنية الاثريــة وغير الاثرية الواقعة حول المسجد الاقصى بحثا عن آثار عبرانية يمكن أن تكشف عن بقايا هيكل سليمان .

وقد صرح وزير الاديان الاسرائيلى فى مؤتمر دينى عقد فى القــدس بعيد احتلالها قال فيــه : « أرض الحرم (يريد أرض المسجد الاقصى) ملك يهــودى بحق الاحتــلال وبحق شراء اجدادهم لها منذ ألفى سنة » .

وقد انشأت اسرائيل صندوقــا لجمع التبرعات اطلقت عليه اسم : (صندوق اعادة بناء هيكل سليمان)، وقد استطاعت جمع مبالغ طائلة من اليهود واشياعهم فى العالم ..

وفى ٣٠ آذار (مارس) سنة١٩٦٨ كتب امريكى من البحرية الامريكية رسالــة الى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى القــدس قال فيها : « ان هيكــل سليمان كــان المحفل الماسونى الاصلــى ، وان سليمان كان رئيس المحفل ، وان مسجد عمر (يقصد المسجد الاقصى) واقع على الهيكل هو والصخرة التى قدم عليها ابراهيم ولــده اسحق قربانا لله . وانى كماسونى أرأس جماعــة فى أمريكا نطمح أن نرى هيكل سليمان وقد اعيد بناؤه ، وان هذه الجماعة تقوم بجمع مائــة مليون دولار لهذا الفرض » .

وقد مهــدت الصحف الاسرائيلية قبل شهر واحد من حرق المسجــد الاقصى الجو المناســب لازالته من الوجود ، فدعت الى اتخاذ اجراءات عاجلة لتحقيق ذلك .

وكمثال على ذلك ، نشرت صحيفة (لامرحاب) مقــالا تحت عنوان : (هيكل سليمان بالقدس) قالت فيه حرفيا : « يجب الاستيلاء بسرعــة على المقــدسات الاسلامية ووضعها تحت سلطــة اسرائيــل مهما كان الثمن » .

وكشف المجلس الاسلامى الاعلى فى القدس عن استمرار المؤامــرة الصهيونية علــى المسجد الاقصى ، فطالب فى أوائل تشرين الاول اكتوبر سنة ١٩٦٩ (جولدا مائير) رئيسة وزراء اسرائيــل بأن توقف فــورا اعمال الحفر التى تقوم بها السلطات الاسرائيلية أسفل المسجد الاقصى ، وأنذر بأن هــذا الحفر يهدد بتقويض المسجد من أساسه .

وأعــرب زعماء المسلمين فــى القدس عن مخــاوفهم من أن تسفر اعمال الحفر هذه التى وصلت الــى عمق أربعين قدمــا علــى تعريض المسجد للخطر ، وقد سبق لاعمال الحفر أن أصابت الجانب الجنوبى من المسجد بأضرار جسيمة قبل جريمة حرق المسجد الاقصى .

وفى افادة المتهم بحرق المسجد الاقصى التى أذيعت يوم ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ذكر بصراحة : « انه اقدم على حرق المسجد الاقصى ، ليقوم على انقاضه هيكل سليمان » .

اثر الدين اليهودى فى الصهيونية :

ان العقيدة الصهيونية تنبع من صميم الدين اليهودى ، وعلى اساس الدين قامت العقيدة الصهيونية وقام عليه الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية ايضا .

واختيار فلسطين وطنا قوميا لليهود دون سائر بقاع الارض أساسه دينى بحت على أعتبار أن فلسطين هى الوطن القومى التاريخى للشعب اليهودى حسب نصوص التوراة والكتب المقدسة اليهودية كالتلمود .

قال (هيرتزل) فى خطابه الافتتاحى الذى القاه فى المؤتمر الصهيونى العالمى الاول الذى عقد فى مدينة (بال) السويسرية عام ١٨٩٧ : « الصهيونية هى العودة الى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح الرجوع الى أرض اليهود » .

وكتب هيرتزل فى كراس : (الدولة اليهودية) : « الايمان يوحد فيما بيننا » . وقال : (اريد تربية أولادى وتنشئتهم على الاعتقاد بالاله التاريخى » . وقال : « لم يكن الله ليبقينا على قيد الحياة طيلة العصور الفائتة ، لو لم يبق لنا دور لنلعبه فى تاريخ البشرية » .

ولرجال الدين فى اسرائيل اثر كبير ، وأيام السبت يبرز بوضوح أثر اليهودية فى الحياة العامة الاسرائيلية ، ومما يذكر أن بن غوريون حضر تشييع جنازة تشرشل الذى جرى يوم السبت ، فسار على أقدامه مسافة طويلة وهو قد بلغ من العمر عتيا وكاد يموت من التعب رافضا ركوب سيارته لان ذلك محرم فى يوم السبت !

والخلاصة أن الصهاينة يلتزمون بتعاليم دينهم ، ولا يبالون أن يتمسكوا بالخرافات التى لا يستطيع عاقل أن يصدقها التزاما بما جاء فى التوراة وكتبهم المقدسة وأساطيرهم التى اثبت التاريخ زيفها .

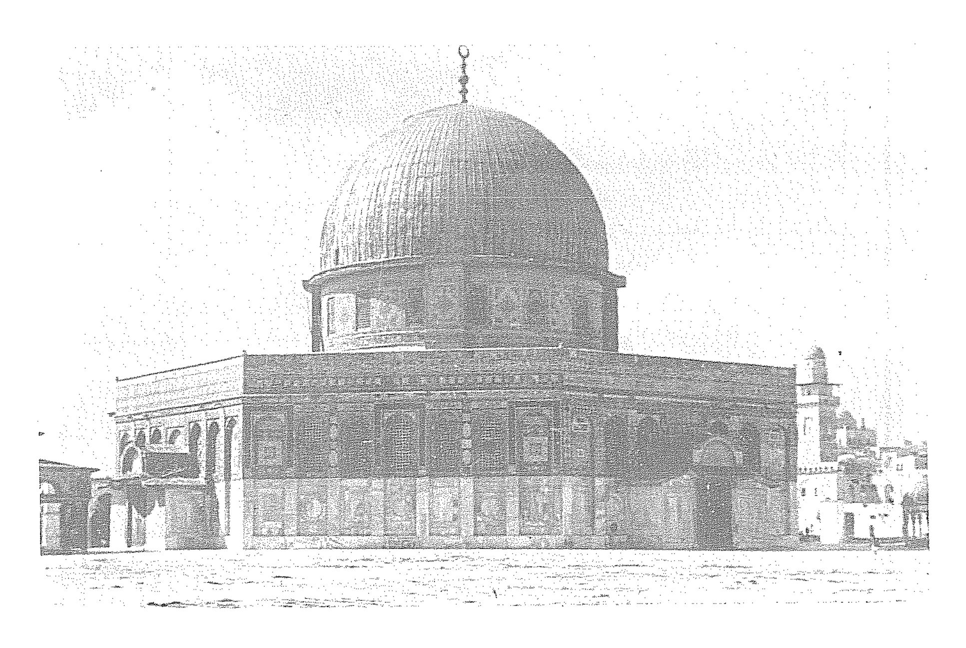
توقيتات غريبة :

ذكر المؤرخ (غارستانك) أن يهود مصر خرجوا من مصر سنة ١٤٤٧ قبل الميلاد وقد قررت الامم المتحدة فرض التقسيم وانشاء دولة اسرائيل سنة (١٩٤٧) م .

وكان عدد يهود مصر الذين غادروها مع موسى عليه السلام الى فلسطين حسب رواية التوراة (٦٠٠٠٠٠) ، وقد صدر قرار التقسيم حين اصبح عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٧ نفس عددهم وقت خروجهم من مصر اى (٦٠٠٠٠٠) نسمة .

وقد دمر تيتوس هيكل سليمان يوم ٢١ آب (اغسطس) سنة ٧٠ ميلادية ، وجرى حرق المسجد الاقصى يوم ٢١ آب — (اغسطس) كما هو معروف !

والسؤال الان : هل من الصدف أن يتم احراق المسجد الاقصى فى



قبة الصخرة المشرفة

نفس اليوم الذى احرق فيه هيكل سليمان ؟

أن من الملاحظ أن اليهود يتفاءلون بالرقم (٧) لانهم يعتبرونه رقما ربانيا ، لذلك يقدمون على تنفيذ اعمالهم الكبرى فى موعد تاريخه فيه هذا الرقم .

والامثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى .

فى تاريخهم القريب ، اى منذ عقد المؤتمر الصهيونى الاول حتى اليوم ، نجد أن الصهاينة يعتمدون على الرقم (٧) بصورة واضحة جلية .

فى سنة ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيونى الاول فى مدينة بال السويسرية ، وقد أقر هذا المؤتمر دستور الصهيونية العالمية لتحقيق انشاء دولة اسرائيل ، وانشأ المنظمات السياسية والاقتصادية واللجان وذلك بوضع هذا الدستور فى حيز التنفيذ .

وفى سنة ١٩٠٧ بدأت هجرة اليهود المنظمة الى فلسطين ، وبدأ انشاء المستعمرات الصهيونية على أرض فلسطين حسب خطة مرسومة بدعم مادى ومعنوى من الصهيونية العالمية .

وفى سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور ، وهو مكسب سياسى كبير للصهيونية العالمية ، لانه يسر لهم الدعم السياسى المنشود من اكبر دولة استعمارية فى حينه وهى بريطانيا .

وفى سنة ١٩٢٧ زادت كثافة الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وزاد عدد المستعمرات اليهودية فى الارض العربية بالشراء والاغتصاب باسناد الاستعمار البريطانى .

وفى سنة ١٩٣٧ بدأ انشاء القوات المسلحة النظامية للصهاينة فى الارض المقدسة بشكل واسع

وعلنى ، واصبح للصهاينة عصابات ارهابية قوية مسلحة بكميات ضخمة من السلاح والذخيرة .

وفى سنة ١٩٤٧ صدر قرار التقسيم الذى اقرته المنظمة الدولية ، فأصبح للصهاينة حق شرعى معترف به دوليا فى انشاء وطن قومى لهم على جزء من فلسطين .

وفى سنة ١٩٥٧ انطلقت التجارة الاسرائيلية عبر خليج العقبة الى آسيا وافريقية ، واصبحت اسرائيل تمتلك حرية الملاحة فى هذا الخليج مستندة على (ايلات) الاسرائيلى .
وفى سنة ١٩٦٧ استولت اسرائيل على الضفة الغربية فى الاردن وعلى قطاع غزة وصحراء سيناء حتى قناة السويس وعلى الهضبة السورية .

ان معظم المؤرخين متفقون على أن (بروتوكولات حكماء صهيون) قد وضعت واقرت فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال السويسرية سنة ١٨٩٧ ، وقد قدر ذلك المؤتمر لتنفيذ مخطط الصهيونية العالمية التوسعى الاستيطانى كما جاء فى (البروتوكولات) مائة سنة (١٨٩٧ — ١٩٩٧) ، اى أن الصهاينة يطمعون فى تكوين اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات سنة (١٩٩٧)!
هكذا يتكرر الرقم (٧) فى توقيت تنفيذ مخططاتهم العدوانية .

اعادة بناء هيكل سليمان :

ان النار التى احرقت المسجد الاقصى المبارك لا تزال تضطرم فى قلوب الصهاينة حماسا لتحقيق فكرة تاريخية قديمة تنص على : « اعادة بناء هيكل سليمان الذى هدمه (تيتوس) سنة ٧٠ ميلادية فى نفس المكان الذى يقع فيه المسجد الاقصى والمنطقة المجاورة له ، ويجب أن يتم ذلك فى ذكرى تهديم الهيكل التى تصادف الحادى والعشرين من شهر آب) .

هذا النص المذكور حرفيا فى التاريخ الصهيونى الحديث ، جاء ذكر الجزء الثانى منه فى الاسفار التاريخية التى تعرض تاريخ بنى اسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبالتحديد فى (سفر الملوك) ، أما الجزء الاول منه فقد جاء نصه فى (اسفار التلمود) المسماة (بالجمارا) شروح المشنات المؤلفة باللغة الآرامية — مدرسة بال .

ان اسرائيل ملتزمة باعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى ، وهى تعمل جاهدة على تنفيذه . ولم تمر مناسبة منذ استيلائها على القدس يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى الان ، الا وكشفت اسرائيل نياتها المبيتة على الالتزام القاطع بهذه النصوص ابتداء من تهجير السكان حول المسجد الاقصى وانتهاء بحرق المسجد الاقصى .

وقد ارسلت الحكومة الامريكية حمولة (٥٠٠) شاحنة كبيرة من الحجارة الصخرية من (بيدفورد) بولاية (انديانا) الى اسرائيل كما جاء فى مجلة المسيحية المعاصرة ، وتعتبر حجارة (انديانا) من افضل صخور البناء فى العالم . أما الغرض من استيراد هذه الحجارة ، فهو اعادة بناء هيكل سليمان . وقد اذاعت هذا السر مصادر علمية فى ساسبورغ انديانا التى ذكرت أن

حجر الزاوية للهيكل في القدس قد وصل الى اسرائيل ، وان تحضير مواد بناء هيكل سليمان يجري بصورة سرية منذ سبع سنوات ، وقد تبرعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية بعمودين من البرونز لنفس الغرض .

متى تشرع اسرائيل في اعادة بناء الهيكل ؟

ان عام (١٩٧٠) هو ذكرى مرور (١٩٠٠) عام على هدم الهيكل ، لذلك ستشرع اسرائيل باعادة بناء الهيكل في ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩٧٠ .

وليس هذا الذي ذكرته تنبؤا ، بل هو نتيجة منطقية للسلوك الاسرائيلي دينيا وسياسيا واجتماعيا .

ان حكام اسرائيل يلتزمون بالدين اليهودي وبما جاء في كتبهم المقدسة من أساطير ، وكل ما فعلوه حتى الآن يثبت ذلك بشكل قاطع .

وقد ذكرنا تصريحات زعماء اسرائيل السياسيين والدينيين حول اعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى المبارك وعزمهم الاكيد على تنفيذ خططهم وتصاميمهم لاقامة الهيكل .

وقد أعلنت الوزارة الاسرائيلية الجديدة التي تشكلت في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ برنامجها الجديد ، لعل اهم سماته :

١ ـ عدم قبول اى تسوية أو حل يفرض من الخارج .

٢ ـ ضرورة كفالة أمن اسرائيل واستقلالها داخل حدود مأمونة ومعترف بها .

٣ ـ عدم العودة الى خطوط ما قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

٤ ـ التمسك بالقدس بشقيها العربي واليهودي عاصمة موحدة لاسرائيل .

والواقع أن هذه النقطة الاخيرة بالذات ، وهي موضوع القدس ، هي اهم ما يجب أن نهتم به ، لما تنطوي عليه المشاريع الاسرائيلية بالنسبة للقدس من خطورة .
ان الاسلام ومقدساته سيتعرضان لأحلك ايامهما على يد الوزارة الجديدة .

ان الاغلبية التي حصل عليها التحالف العمالي في الوزارة الاسرائيلية الجديدة ، له دلالة بالغة الاهمية ، لان البيان السياسي المتضمن برنامج عمل التحالف العمالي والذي خاض على أساسه الانتخابات العامة الاخيرة وربحها ، والذي صدر يوم ١٩٦٩/٨/٥ بعد أن انتهى الحزب من مؤتمره الذي ناقش فيه برنامجه الانتخابي ، قد تضمن نقطة خطيرة للغاية عند الحديث عن القدس هي بالحرف الواحد : ((**سوف تتخذ الاجراءات المناسبة لضمان الوضع الديني للاماكن المقدسة لاسرائيل والمسيحية والمحافظة عليها وكفالة حرية الوصول اليها من قبل الاشخاص من جميع العقائد**)) .

والامر الذي يلفت النظر ، ونوجه اليه انظار العرب والمسلمين ، هو اغفال ذكر الاماكن المقدسة للاسلام وضمان وضعها الديني في البرنامج الرسمي لاقوى الاحزاب الاسرائيلية،

وهو الحزب الحاكم الآن بالفعل ، الامر الذى يقطع بأن النية مبيتة على القضاء نهائيا على الوضع الدينى للاماكن المقدسة الخاصة بالمسلمين !

كما ان الوزارة الاسرائيلية الجديدة تضم وزراء من الاحزاب الدينية المتعصبة الى أبعد الحدود لفكرة اعادة بناء هيكل سليمان ، ومناهجها الحزبية المعروفة خير دليل على ذلك .

وينبغى الا يتطرق الشك الى احد من العرب والمسلمين ، بأن الصهاينة متعصبون لليهود قوما ، ولليهودية دينا ، والا فلا معنى للصهيونية بدون هذا التعصب العنصرى الذى فاق تعصب النازى وبدون هذا التعصب الدينى . ولعل القراء يذكرون الازمة التى نشبت فى اسرائيل فى اواخر شهر تشرين الاول اكتوبر ١٩٦٩ حول تشغيل المذياع المصور (التلفزيون) الاسرائيلى فى أيام السبت ، اذ اعتبر رجال الدين اليهودى هذا العمل محرما تحريما قاطعا .

وقد بدر من جانب السلطات الاسرائيلية عدد من التصرفات تثبت وتؤكد بما لا يترك مجالا للشك فى نيات اسرائيل بالنسبة للاماكن الاسلامية المقدسة عامة والمسجد الاقصى المبارك خاصة .

فقد حرقت اسرائيل القسم الجنوبى الشرقى من المسجد فأصبح ما تبقى منه آيلا للسقوط ، اذا لم يعد بناؤه فورا .

وقد أصابت حفريات اسرائيل تحت المسجد الأقصى القسم الجنوبى منه بأضرار جسيمة ، اذ بقى هذا القسم فوق أرض مجوفة لا تقوى على تحمل ثقل البناء مدة طويلة .

اما القسم الغربى من المسجد فهو معرض للسيول التى تكون عاصفة فى أيام الشتاء نظرا لغزارة الامطار التى تهطل على القدس فى اواخر أيام الخريف وفى الشتاء وفى اوائل ايام الربيع من كل عام .

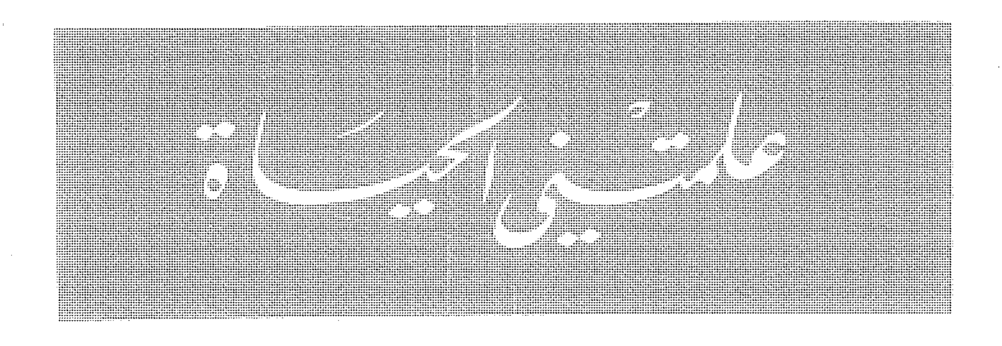
ان مصير المسجد الاقصى المبارك مهدد بأفدح الاخطار ، اذا لم يسارع العرب والمسلمون لاتخاذ الاجراءات الرادعة لصيانة هذا المسجد المقدس .

انه أمانة فى عنق كل عربى مسلما كان أو مسيحيا ، لان الصهاينة اذا بدأوا اليوم بالمسجد الاقصى ، فسيثنون غداً بهدم كنيسة القيامة ، ولان نياتهم تجاه المقدسات الاسلامية والمسيحية وتجاه الاسلام والمسيحية معروفة وهى مسطرة فى كتبهم المقدسة وفى مؤلفات زعمائهم قديما وحديثا .

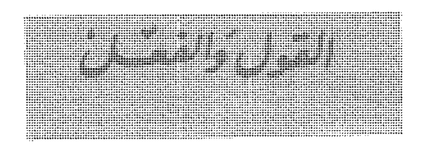
وهو أمانة فى عنق كل مسلم ، لانهم اذا لم يدافعوا عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بالمال والانفس ، فسيندمون على ما فرطوا فى جنب الله وفى جنب أنفسهم ، ولات ساعة مندم .

انى انذر العرب والمسلمين بأن مصير المسجد الاقصى المبارك قد تقرر بالنسبة للصهاينة اذا لم يثبت العرب والمسلمون وجودهم بالبذل والتضحية والفداء .

ولست اشك لحظة بنصر الله ، لان للبيت ربا يحميه ، ولكن علينا أن نتخذ اسباب النصر ، وانما هى احدى الحسنيين : الشهادة أو النصر .



للاستاذ انور العطار

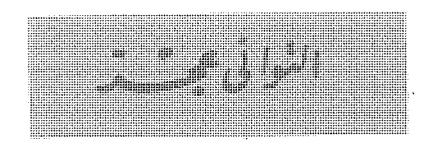


علمتنى الحيــــاة ان مــن الأفعـــــــال ما يرتــدى رداء الجمـــال

هـــى امضى حــدا واحمــد آثــا .... را واعلــى صوتــا من الأقــوال

يذهب القول ان تخلــى عن الفعـــ .... ـــل ويطوى طــى الرؤى والظلال

فاذا قلت فاشفـــع القــول بالفعـــ .... ـــل فان الفعـــال شطر الكمــال

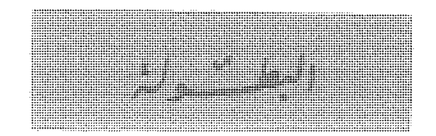


علمتنــي ان التوانـــي عجـــز .... ملـــؤه خيبــة وهمز ولمـــز

ليس يرقــى الى مريـــديه حمــد .... لا ولا يصحـــب المحبيه عـــز

فاحفــز العزم وادرع نثــرة الحــز .... م فـدرب الخلــود شــد وحفـــز

واكنز الحمـــد ــ ان هديت الى الرشـ .... ـــد محمـــدا فالحمـــد ذخـــر وكنز

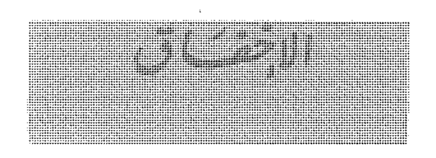


علمتنى ان البطولـة ان انـ ... ـذر للحق طارفى وتليـدى

وامد الفؤاد بالعـزم وقـا ... دا كانـى منـه بخلق جديـد

آفـة النصر ان يساوره الوهـ ... ـن فيناى عن يومـه الموعـود

ويضيـع الكفـاح فى خيبـة السـ ... ـى وفى غمرة العنـاء الشديـد

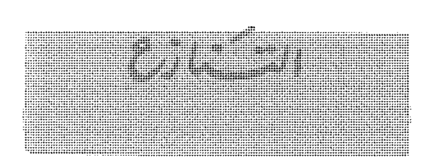


علمتنى الحيـاة ان مـن الاخـ ... ـفاق ما يلهب الجوانـح عزما

ويعيـد النضـال اوفر ايمـا ... نـا واوفى عهـدا واسطـع نجمـا

ليس منـا من استنام الى اليـا ... س وظن العـلا سرابا ووهمـا

فاتخـذ من دياجـر الخطـب نورا ... واملأ الارض والسمـوات حزمـا

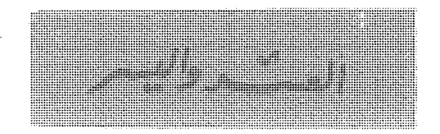


علمتنـى ان التنـازع لا يعـ ... ـقب الا التشتيـت والتمزيقـا

يذر الأهـل والصحـاب اباديـ ... ـد ويرمى بجمعهـم تفريقـا

القـوى الأمين فيه ضعيـف ... غـاب عنه الهـدى وضل الطريقا

والشفيـق الشفيق من حارب الخلـ ... ـف وابقى حبـل الوداد وثيقـا

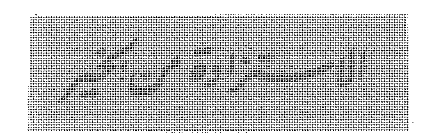


علمتنى الحيـــاة ان مــن العســـ   ـــر سبيـــلا الى افتنائـــى ويسرى

فتسربـــلت بالتعفـــف والصـــبـ   ـــر وكان الرضـــا عتـــادى وذخرى

ليس يطغى غناى ان ساده الشـــكـ   ـر ولا يعرف الضراعـــة فقـــرى

ابصر الفجـــر فى غياهـــب ليلـــى   وارى اليســـر فى تضاعيـــف عسرى

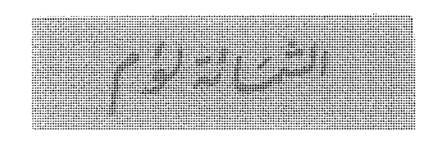


علمتنى ان استزيـــــد من الخيـــ   ـــر وان اسبق الغمـــامة نفعـــا

فازرع البر ما قـــدرت على البـــ   ـــر فان الاحســـان يخصـــب زرعـــا

واردع النفس ان دعتـــك الى الشـــح   ولا تالهـــا عقابـــا وردعـــا

وتاهـــب فانمـــا انت ظـــل   ولكم تمحى الظـــلال وتنعـــى



علمتنـــى ان الشماتـــة لـــؤم   ووبال عـــلى ذويهـــا وشـــوم

ليس يرضى بها الالـــى خبروا الدهـ   ـــر ، ونعمى الأيام ليست تـــدوم

انما الدهـــر لو تدبرت ــ يومـــا   ن فيـــوم بؤس ويـــوم نعيـــم

والمنايـــا روائـــح وغـــواد   وعـــلى أنفس الأنيس تحـــوم

التأمين

في الشريعة والقانون

للاستاذ سعد صادق محمد

نشرت مجلة الوعي الاسلامي الغراء (١) بحثا للاستاذ توفيق علي وهبة تناول فيه موضوع التأمين بجميع انواعه من الوجهتين القانونية والشرعية . ثم عرض آراء الذين يجيزون التأمين على الحياة والمانعين له شرعا ، ثم ختم بحثه بأن اجاز التأمين على الحياة باعتبار أن فيه ضرورات اقتصادية تقتضيها مصلحة الدولة ، وان فيه درءا للخطر عن الفرد حين يصيبه الخطر في نفسه أو ممتلكاته .

---

(١) انظر العددين ((٥٣ ، ٥٥)) .

والى جانب ما سنكتبه فى هـذا الموضوع الهام ، سنحاول الرد على ما أثاره الكاتب الفاضل من امور فى حل عقد التأمين على الحياة .

التأمين فى القوانين الوضعية

كان التأمين البحرى هو أول ما عرف عن نظام التأمين نظرا لما كان تتعرض له البضائع المنقولة بالسفن المارة عبر البحار من اخطار بحرية جسيمة ، وكان ذلك فى اوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان هـذا التأمين محصورا فى تعويض صاحب البضاعة عما يصيب بضاعتـه من ضرر الحـريق أو الغرق أو التلف تعويضا يوازى ما فقده فقط مـن البضائع المؤمن عليها دون تحقيق اى ربح أو ثراء . وهـذا النوع مـن التأمين هو المعروف بـ (التأمين بالاكتتاب) أو (التأمين التعاونى) .

ولما ظهر لهـذا النوع من التأمين من آثار وثمرات نافعة وضعت لـه اسس ونظم ثابتة تنظم هذه العملية وأصبح هذا أول نظام معروف للتأمين البحـرى سـمى باسـم (اوامر برشلونة) وقد صدرت هذه الاوامر عام ١٤٣٥ م وشملت عناصر التأمين البحرى وقواعده وشرائطه وآثاره وطريقـة تنفيذه ، كما نظمت لـه المحاكم التى تفصل فى منازعاته .

وبعد فترة زمنية كبيرة من نشوء التأمين البحرى ظهر التأمين البرى ، ثم التأمين على الحياة ، ثم انتشر بعد ذلك فشمل كل جوانب الحيـاة مما يتعرض له الانسان من المخاطر ، وانشئت لذلك الشركـات المعروفة باسمه من مختلف الدول ، ووضعت له نظم وقوانين عامـة وخاصة ، كما وضعت لـه المـؤلفات الكثيرة بمختلف اللغات .

وربما يكون من قبيل (الحـديث المعاد) أن نذكر هنا نظـام التأمين وعقـده ، كما جـاء فـى مصادره القانونيـة ، العـربية والاجنبية ، ومراجعه المختلفـة ، مثـل تعريف التأمين واقسامه من حيث الشكـل والمـوضوع وأركانـه واسسـه ومزاياه ، فيمكن الرجوع الـى كل هذا فيمـا سبق أن كتبه الاستـاذ توفيق علـى وهبه فـى بحثه عن التأمين .

هكذا نشأ التأمين ... وهكـذا ظهرت وتعددت موضوعاته .

موقف المجيزين للتأمين على الحياة

والذين يؤيدون التأمين على الحياة ينظرون اليه من زاوية واحدة لا ثانى لها ، هى زاوية الاقتصاد الحديث ، والنظم المالية السائدة فمـع تيار المدنية الحديثة وفد الينا نظام التأمين على الحياة ضمن القوانين الوضعية والنظم الاقتصاديـة التى وضعهـا أصحابها للتعامل على اساسها فى كافة المجالات المالية ، ومن هنا اخذنا نحن بهذه النظم الاقتصادية ، وانشأنا الشركات بكافة انواعها على اساس أن أساليـب الاصـلاح والعمران والنهوض والقوة تستدعى تجميـع الامـوال من الافراد باسم التأمين لتستغل فيمـا ينفـع الامـة فـى اقتصادها ، ثم فيما يرفـع الضرر الذى قد يصيب الفرد فى نفسه أو ماله . وتستدعى كذلك الاقتراض من الحكومـات أو من الشعوب أموالا تضمنها بسندات ذات ربح مقدر ، فتمتص بـذلك الامـوال المـدخرة المعطلة ، وتحولها الى منافع ترقى بها الامة وتنهض .

وكان من رأى هؤلاء كـذلك انه ليس من مصلحة الامة فى شىء أن تترك البيوت الماليـة الاجنبية تفيد دوننا مـن ثمرات هـذا التعامـل

خاصة ، وقد ارتبطت الدول بعضها ببعض ، وصار التعامل على اساس النظم الاقتصادية العالمية الموضوعة حديثا ، فلم يعد من الممكن اذن أن نستقل بنوع خاص من المعاملات لا يعرفه غيرنا .

نظرة الاسلام الى التأمين

هذا هو موقف المؤيدين للتأمين ، فما هو موقف الاسلام منه ؟ هل كان التأمين معروفا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو فى عهد احد من خلفائه الابرار أو صحابته الاطهار ، أو احد من التابعين رضى الله عنهم ؟ الواقع أن التاريخ الاسلامى بجميع مصادره لم يثبت لنا أن التأمين كان فى اى عهد من تلك العهود أو اى قرن من القرون الثلاثة التى شهدت فجر الاسلام وشبابه .

رأى ابن عابدين (١)

ونعرض هنا آراء فقهاء الدين المعارضين للتأمين .

سئل ابن عابدين عن التجار الذين يستأجرون مركبا من حربى يدفعون له اجرته ويدفعون ايضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى البلاد الاسلامية ، ويسمى ذلك المال (سوكره) وله وكيل عنه يقيم فى البلاد الاسلامية يقوم بتحصيل مال السوكره من التجار ، فاذا تعرض من مالهم شىء فى البحر لحرق أو غرق أو نهب أو غيره يؤدى ذلك الوكيل للتجار بدل ما يهلك من مالهم .

ولابن عابدين رأيان فى هذا الموضوع وكلاهما يقضى بفساد عقد التأمين :

الرأى الاول — اذا عقد التأمين فى دار الاسلام فانه لا يحل للتاجر اخذ التأمين ، وفى هذا يقول : « ويتبين من هذا أن بدل التأمين الذى يجرى عليه التعاقد اليوم لا يحل ، لان التعاقد يجرى فى « بلاد الاسلام » وفى مكان آخر من الفتوى يقول ابن عابدين « والذى يظهر لى انه لا يحل للتاجر اخذ بدل الهالك من ماله ، لانه التزام ما لا يلزم ، ويريد ابن عابدين بقوله « التزام ما لا يلزم » أن صاحب السوكره (المؤمن) قد التزم أن يدفع للتاجر عند هلاك ماله تعويضا لا يلزمه به الشرع ، لعدم وجود سبب شرعى يقتضى الضمان(٢) .

الرأى الثانى — اذا عقد العقد فى بلاد غير دار الاسلام فانه يحل للتاجر أخذه عن طريق شريك له حربى اجرى عقد التأمين مع الحربى الضامن ، ويسمى ابن عابدين هذا العقد بأنه عقد فاسد ، فيقول « قد يكون للتاجر شريك حربى فى بلاد الحرب فيعقد شريكه هذا العقد مع صاحب السوكره فى بلادهم ويأخذ بدل الهالك ويرسله الى التاجر ، فالظاهر ان هذا يحل للتاجر أخذه لان العقد الفاسد جرى بين حربيين فى بلاد الحرب » .

---

(١) هو واحد من الفقهاء الذين احتج بهم الذين يرون اباحة التأمين .

(٢) جاء فى كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب فقهاء الامصار ، ما يؤيد فتوى ابن عابدين ببطلان الضمان ففيه (أن ضمان مايغرق و يسرق باطل) راجع البحر الزخار ج ٥ ص ٧٥ .

رأى الشيخ محمد بخيت المطيعى

وفى فتوى للشيخ محمد بخيت مسجلة فى رسالة له بعنوان « فى أحكام السوكرتاه » يقول فيها ردا على سؤال ورد له فى التأمين « ورد خطابكم تذكرون به أن المسلم يضع ماله تحت ضمانة أهل « قومبانية السوكرتاه » أصحابها مسلمون أو ذميون أو مستأمنون ، ويدفع لهم نظير ذلك مبلغا معينا من الدراهم حتى اذا اهلك ماله الذى وضعه تحت ضمانتهم يضمنونه له بمبلغ مقرر من الدراهم ، وتستفهمون عما اذا كان له شرعا أن يضمنهم ماله المذكور اذا هلك بحرق أو نحوه أم لا يكون له ذلك ، وعما اذا كان يحل له ما أخذه من الدراهم اذا ضمنوا له ما هلك من ماله أو لا يحل له ذلك ؟

ويرد الشيخ بخيت على الفتوى وفى نهاية الرد يقول (.. والعقد المذكور لا يصلح أن يكون سببا شرعيا لوجوب الضمان ، ولا يجوز أن يكون عقد المضاربة كما فهمه بعض العصريين ، لان عقد المضاربة يلزم فيه أن يكون المال من جانب رب المال ، والعمل من جانب المضارب ، والربح على ما شرطا ، والعقد المذكور ليس كذلك ، لان اهل القومبانية يأخذون المال على أن يكون لهم يعملون فيه لانفسهم فيكون عقدا فاسدا ، وذلك لانه معلق على خطر ، تارة يقع وتارة لا يقع فهو قمار » (١) .

رأى الشيخ عبد الله القلقيلى مفتى الديار الاردنية :

السؤال — ما قولكم فى شخص يريد أن يتعامل مع جماعة مثلا على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على اقساط معينة ليعملوا به فى التجارة ، كانشاء العمارات وان ربحه منها غير محدود بقليل أو كثير ، بل على اساس ربح هؤلاء الجماعة فى هذه العملية ، واشترط معهم اذا قام بما ذكر وانتهت مدة الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة ، وكانوا قد عملوا فى ذلك المال ، وكان حيا فيأخذون ما يكون من المال مع ما يخصه من الارباح ، واذا مات فى أثناء المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ الذى تعلق به مورثهم من الارباح .

الجواب — كنا قد سئلنا عن التأمين على البضاعة وعلى الحياة ، فبينا أن ذلك غير جائز ، لانه غير جار على قاعدة المعاوضات والمعاملات المشروعة وطرق الكسب الطبيعية الخالية من الغبن والغرر والتى بين اعواضها تكافؤ ما ويكون كلا عوضيها منتفعا به ومقصورا ، وأنت لا تجد فى هذا التأمين ما ينطبق عليه مثل ما بينا ، فالذى يدفع المال فى التأمين يكون قصده أن يربح مقدارا كبيرا من المال ، ببذل مقدار يسير من المال لا مكافأة بينه وبين ما ينتظر اخذه ، فهو فى هذه الناحية قمار ، وفيه اعظم غبن ، وقد جاء فى السؤال تصوير مسألة التأمين لمن استفتته الشركة بما يشبه المضاربة ، وهى اعطاء مبلغ من المال لمن يتاجر فيه ، وهذا جائز بشروط منها ألا يكون الربح

---

(١) راجع رسالة أحكام السوكرتاه للشيخ محمد بخيت ص ٢٤ ، وراجع ايضا رأى الشيخ احمد ابراهيم « فى التأمين على الحياة » بمجلة الشبان المسلمين السنة ١٣ عدد ٣ الصادر فى ٤١/٢/٧ فى معارضته لاباحة التأمين .

مشتركا (١) وفى عقد التأمين يشترط ويتعين فيه على الشركة أن تدفع مبلغا فيح ربح كبير يكون اضعاف ما دفعه بل لا نسبة بين ما يدفعه المستأمن ، وما تعوض بـه الشركة .. وهـذا ينطبق على الربا من حيث أن المرابى لـه مالـه من الربح لا محالة ، والمستأمن لا يتحمل شيئا من خسارة كما لا يتحمل المرابى ، وهذا فى ذاته ظلم كبير ولا بد فى المضاربة التى قيس عليها التأمين من بيان ما لكل من الطرفين من الربح ومقداره شائعا ، ومعرفة ما على كل منهما ولا بد من التزام حدود تدخل فـى معنى المضاربة شرعا وعرفا ، وهذا كله مجهول فى هـذا العقد ، سوى انه اذا مضت مـدة معينة لم يمت فيها المستأمن مثلا فان له مبلغ كذا وكذا ، وهو فى هذه الناحية يدخل فى حـدود الخـاطرات التى منعها الشرع الحكيم ، وهى المنطبقة على المقامـرات ، ولا يجـوز أن يكون العقد المذكور عقـد مضاربة ، كمـا فهمـه بعض العصريين لان عقـد المضاربة يلزم أن يكـون المال من جانب رب المال والعمل من المضارب والربح علـى ما شرطـا ، والعقد المذكـور ليس كـذلك ، لان اهل القومبانية (الشركة) يأخذون المال على أن يكون لهم يعملون فيه لانفسهم فيكون عقدا فاسدا شرعا ، وذلك لانه معلق على خطر ، تارة يقـع وتارة لا يقع فهو قمار (٢) .

((التأمين ليس عقد مضاربة))

رأى الشيخ محمد عبده

والسؤال الذى وجه للشيخ محمد عبده يفيد أن رجلا اتفق مع جماعـة (قومبانية) علـى أن يعطيهم مبلغا معلوما فى مدة معلومة على اقساط معينة للاتجار فيه لهم ، فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المـدة المذكورة ، وكان حيا يأخذ منهم هـذا المبلغ مع ما ربحه من التجارة فـى تلك المدة ، واذا مات فـى خلالهـا تأخذ ورثته أو من يعينه حال حياته المبلغ المذكور مع الربح الذى ينتج مما دفعـه فهل ذلك يوافق شرعا ؟

وكان جواب الشيخ كما يأتى — اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكـون من قبيل شركة المضاربة ، وهذا جائز شرعا ...

واذا فان المسألة التى أفتى فيها الشيخ محمـد عبده لا ينطبق عليها عقد التأمين مطلقـا ، بل هـى من شركات المضاربة الشرعية ، ونبين فيما يلى ما بين عقد المضاربة وعقد التأمين من فـروق بعيدة .

أولا — **فى عقد المضاربة :** — المبلغ الذى يدفعه رب المال للعامل يظل ملكا لصاحبه ، ولا يدخل فى ملك العامل ، ويؤخذ المال للاتجار فيه ، وهـذا مـن خصائص عقـد المضاربة ، وهو ما سئل فيه الشيخ محمد عبده وأفتى بحله .

فى عقد التأمين : — تظل الاقساط التـى يدفعهـا المـؤمن له فى يد الشركة ، وهى مطلقة اليد فى أن تتصرف فيها كيفما شاءت ، ويؤخذ المال للتأمين لا للتجارة .

---

(١) وفى هذا أيضا يقـول الامـام ابن تيمية تفسد المضاربة اذا شرطا لاحدهما ربحا معينا أو اجرة معلومة فى الذمة راجع فتاوى الامام ابن تيمية الجزء التاسع كتاب الفقـه (البيع والصلح) ص ١٠٣ ص الرياض .

(٢) أسبوع الفقه الاسـلامى ومهرجان ابن تيمية المنعقد فى دمشق فى شـوال ١٣٨٠ ص ٤٣٠ .

ثانيا — فى عقد المضاربة :— يكون الربح بين رب المال والعامل المضارب شائعا .

فى عقد التأمين : يشترط فيه ربح مقدر على الشركة تدفعه للمؤمن له ، وهو ربح كبير يفوق أضعاف ما دفعه وهذا ينطبق على الربا اذ أن المرابى له ربح مقدر سلفا ، وهو مطمئن لهذا الربح ، وشركة التأمين لا تتحمل شيئا من الخسارة ، ويقول الامام ابن تيمية فى صحة العقود (متى عين فيها اى العقود شىء معين فسد العقد كما تفسد المضاربة اذا شرطا لاحدهما ربحا معينا أو اجرة معلومة فى الذمة (١) .

ثالثا — فى عقد المضاربة :— اذا مات رب المال استحقت ورثته المال الذى دفعه مع الربح ان وجد ، اما فى حالة الخسارة فانهم يتحملونها ولا شىء لهم الا ما يتبقى من رأس المال .

فى عقد التأمين : تأخذ الورثة عند موت مورثهم المؤمن له المبلغ الذى اتفق عليه مع الشركة بالغا ما بلغ ، فلو أن شخصا أمن على حياته بألف جنيه ، ثم مات بعد أن دفع للشركة مائة جنيه فقط فان ورثته أو من يعينه المؤمن له يستحقون الالف جنيه كاملة ، ففى مقابل اى شىء دفعت الشركة هذا المبلغ لورثته ؟ هل يجوز أن يقال ان الشركة تبرعت بالزائد عما دفعه ؟

رابعا — فى عقد المضاربة :— فى حالة موت رب المال يكون المال الذى يتاجر به العامل المضارب ضمن تركة المتوفى ، ويجرى فيه ما يجرى فى سائر اموال التركة .

فى عقد التأمين : فان المال المستحق لا يذهب للورثة مطلقا فى حالة ما اذا عين المؤمن له مستفيدا ، وهذا من حقه ، فالمال يذهب لهذا المستفيد ، ولو لم يكن للمتوفى مال غيره وليس لورثته حق الاعتراض ، وهذا فوق ما فيه من مخالفة لعقد المضاربة فان فيه مخالفة لقانون الميراث الذى يقضى بأن يذهب هذا المال للورثة ، أو أن يكون لهم نصيب من التركة اذا أوصى المتوفى لمستفيد آخر بشىء معلوم .

خامسا — فى عقد المضاربة : اذا انفضت الشركة بين رب المال والعامل ، فان المال يعود لصاحبه ،

فى عقد التأمين : اذا عجز المؤمن له عن دفع قسط قبل ان تمر مدة معينة منذ اشتراكه فليس من حقه المطالبة بما يكون قد دفعه ، وهذا ربح للشركة استولت عليه دون وجه حق .

واذن فان فتوى الشيخ محمد عبده بعيدة كل البعد عن موضوع التأمين ، ولا تصلح أن تكون حجة لمن يقولون بجواز عقد التأمين على الحياة باعتبار انه عقد مضاربة .

عقد الموالاة :

وقياس عقد التأمين على عقد (ولاء الموالاة) قياس غير صحيح .. صحيح أن عقد الموالاة كان موجودا فى الاسلام أول الامر ، وقد روى أبو حنيفة انه كان اذا أسلم رجل على يد رجل تعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه اى يقول له أنت تعقل من جناية خطأ ، وترثنى اذا مت . والذى صح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن البخارى وابى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم لما

(١) راجع (مجموع فتاوى الامام ابن تيمية ص ١٠٣ ج ٩ باب الفقه (البيع والصلح) الرياض .

آخى فى أول الهجرة بين المهاجرين والانصار ، كان المهاجر يرث اخاه الانصارى (١) فلما نزل قوله تعالى من سورة الاحزاب (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا) لما نزلت هذه الآية نسخ العمل بهذا الارث (٢) .

أما علاقة المؤمنين ببعض بعد نزول هذه الآية فقد حددتها الآية الكريمة من قول الله عز وجل (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) اى ذهب الميراث بهذه الصورة ونسخ ، وأصبحت العلاقة بين المؤمنين على أساس النصرة والبر والاحسان والاخوة تطبيقا لقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) (وتعاونوا على البر والتقوى) .

فالقرآن اذن لم يشرع للناس الارث بالتحالف (عقد الموالاة) بل أبطله ، ونسخ ما كان عليه الناس قبل نزول آية الميراث (٣) .

التأمين من عقود الغرر :

من خصائص عقد التأمين انه عقد احتمالى ومن عقود الغرر(٤) هو عقد احتمالى لان الخطر فيه غير محقق الوقوع ، فتارة يقع وتارة لا يقع ، فلا يعرف المؤمن له متى يعرف كذلك وقت تحرير العقد مقدار ما يعطى أو يأخذ ، وكذلك شركة التأمين لا تستطيع تحديد ما تأخذ أو تعطى بالنسبة لكل عقد بمفرده ، وهو من عقود الغرر ، والغرر من التغرير وهو المخادعة ، وقيل فى معناه هو ما خفيت عاقبته وانطوى أمره ، والمغرر بالشىء المخاطر ، والمخاطر المتردد بين السلام والعطب ، فهو ما كان مترددا بين أن يسلم للمشترى فيحصل المقصود بالعقد ، وبين أن يعطب فلا يحصل المقصود بالعقد(٥) والغرر أيضا هو كما يوضحه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن بيع الثمرة قبل تمام صلاحها فيقول (لا تبتاعوا الثمر حتى يبدو صلاحها(٦) وفى هذا الحديث يقول الرسول للسائل (أرأيت لو منع الله الثمرة فيم يستحق احدكم مال اخيه ؟) وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التى تتضمن أكل الاموال بالباطل(٧) وهذه كلها مناه نبوية فى بيع الغرر ، وانواع الغرر من طبيعة واحدة تدل على نوع المقصود .

والغرر ايضا كما فسره الامام ابن تيمية مثل بيع الفرس الشارد أو الطير الذى خرج من قفصه ونحو

---

(١) راجع تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ط ١٣٢ هـ .
(٢) راجع تفسير هذه الآية « بتفسير ابن كثير » ج ٣ ص ٤٦٧ ط الحلبى .
(٣) راجع المصدر الاول بنفس الصفحتين .
(٤) ينص القانون المصرى والسورى والعراقى أن عقود التأمين من عقود الغرر .
(٥) راجع نظرية العقد لابن تيمية ص ٢٢٤ مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ .
(٦) صحيح مسلم ص ١٣ كتاب البيوع ج ٥ .
(٧) راجع نظرية العقد لابن تيمية ص ٢٢٥ وقد فسر الزمخشرى الباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ، راجع احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٠٩ .

ذلك فان بيع هذه الامـــور من بـــاب (المخاطرة والقمار (١)).
ستقع الحادثـــة المؤمن ضدها ، ولا كذلك عقد التأمين فمحل العقـــد فيه غير ثابت وغير محقق الوجود ، فهو مثل الفرس الشارد أو الطيـــر الخارج من قفصه بعـــد صيده غير موثوق بـــه .

اجتهادات الصحابة :

ويحتج المجـــوزون للتأميـــن بما استحدثه الصحابة من امور لم تكن معروفة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يرد فيها نص بالتحريم أو الاباحـــة ، ويقيسون عليها عقد التأمين باعتباره نظاما حديثا ايضا ، لكننا اذا نظرنـــا بعمق الـــى اعمال الصحابة نجد أن هـــذا القياس لا محل له ، فجمع ابى بكر وعمر للقرآن وتحديد الجلد لشارب الخمر والزيادة فيه ، وانشاء عمر بن الخطاب لنظم حديثة للحكم كل هذه الامور لا تدخل فى عداد المحظورات بأى حال ، حتى نقول ان هـــذه الضرورات ألجـــأت الصحابة اليها ، والصحابـــة الذين فعلوا هذا هم الذين اوصانا رسول الله بشأنهم فقـــال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وما كان لاولئك الصحابـــة الكرام أن يستحدثوا شيئا محظـــورا وهـــم الـــذين سبقـــونا بالايمـــان والتقوى .

التأمين .. والضرورات

على انه من الظلم الصارخ ادخال التأمين علـــى الحياة تحـــت قاعدة « الضروريات تبيح المحظـــورات » بدعوى انها ضرورة اقتصادية تحتمها مصلحـــة الامة ، لكـــى لا تضطرب احوالها الاقتصادية ، فان للضرورة حالات تستوجب اتيان المحظور معها اذا لم يجد الانسان بديلا لها ، وكاد أن يهلك من جوع أو عطش أو فقر أو اكراه أو نحـــو ذلك فلو سلمنـــا بهذا المبدأ فى غير حالاته الاضطرارية لجاز للناس أن يحلـــوا لانفسهم ما شاءوا بحجة أن مصلحتهم فى ذلك ، فيصبح الزنا للزانى حلالا ، لانـــه مضطر اليـــه وقضى به وطـــره ، والسرقة حلالا للسارق ، لانه مضطر اليها ، وقضى بها مصلحته ، وبهذا نكون قد فتحنا الباب ليدخل منه كل من يريد التحلل من أحكام الدين ، ويجعل الضرورات معبرا يصل منه الى ما حرم الله تعالى .

وقاعـــدة الضرورات تنطبق على حالات فردية ، ولا يجوز أن نتخذ هذا المبدأ قاعدة عامـــة اساسية يسير عليها كل الناس فاتخاذ المسائـــل الشاذة قواعد عامة قلب للاوضاع ، واباحة لما حرم الله ، فالاسلام اباح للمضطر مثلا أن يأكل الميتة ، لكنه لم يبح أكلها للجميع .
علـــى أن الضرورة التـــى تبيح للانسان اتيان المحظور من أجلها هى التى يصورها قول الرسول صلـــى الله عليه وسلم « ان يجىء الصبوح — « الصباح » والغبوق « المســاء » ولا تجد ما تأكله » اى أن تمر أربـــع وعشرون ساعة لا تجـــد فيها ما تأكلـــه ، فهـــل يوجد معنى هـــذه

(١) راجع مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميـــة ص ٤٢٦ ج ٩ باب الفقـــه البيـــع والصلح .

(٢) الاكراه هو المعنى بقول الله عز وجل(الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ونحو ذلك من الامـــور التى يكره الانسان عليها وهومؤمن بضدها .

الضرورة ، فيمن يؤمنون على حياتهم فى شركات التأمين ؟

واذا عرفنا أن عقود التأمين على الحياة هى من عقود الغرر الذى جاء فيه النهى من المعصوم عليه الصلاة والسلام ، فان كل ما قيل عن عقود التأمين من انها جائزة عن طريق العرف أو المصلحة او الالتزام ، كل هذا باطل بنصوص الشريعة التى بيناها .

وبعد فان التأمين على الحياة نظام ربوى ، لانه يعطى للشخص ارباحا أكثر مما يدفع تأتى له من غير طرق الكسب الطبيعية المشروعة .

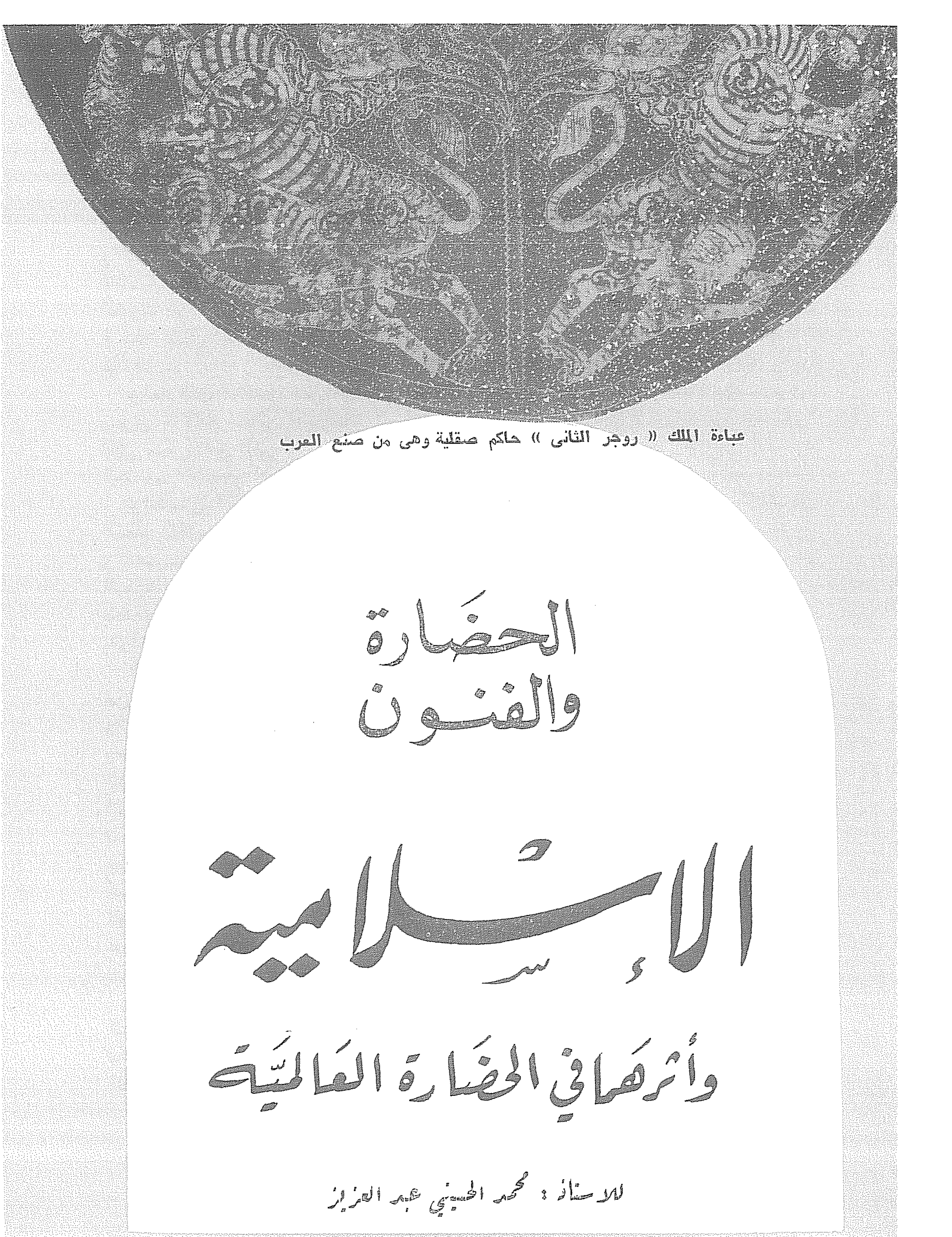
والتأمين نظام يهودى فان معظم النظم الاقتصادية الحديثة السائدة ، والمعمول بها اليوم يسيطر عليها اليهود ، وهم قوم عرفوا من قديم بالتعامل بالربا فلعنهم الله تعالى بقوله (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه)

أما ما يأخذه الموظفون والعمال فى حالة الوفاة من نظام التأمين والمعاشات الحكومى اكثر بكثير مما يعطون ، فانه يمكن القول بأن هذه الزيادة لا تعتبر ربا لان الدولة هى الملزمة شرعا برعاياها ، ولو لم تستقطع منهم شيئا وهم فى خدمتها ، فكفالة الدولة لرعاياها فى حالات العجز نظام معمول به فى كل الدول ، غير انه يجب أن تخلص هيئة التأمين والمعاشات أموالها من استثماره بالربا .

وهناك فرق ملحوظ بين التأمين الحكومى والتأمين الخاص الفردى فان الدولة حين تعطى للموظف أو العامل معاشا يبلغ اضعاف ما يدفع، فذلك لانه كان يعمل فى خدمتها ، وهى المكلفة شرعا كما سبق القول بتوفير المعيشة الكريمة له فى حالات العجز ، وفضلا عن ذلك فان اجهزة الدولة التى يعمل بها موظفوها وعمالها لم تنشأ أصلا لعمليات التأمين ، أما شركات التأمين فانها انشئت أصلا لهذا الغرض وهى لا تعطى معاشا شهريا للمستفيد ، وليست مكلفة بالانفاق عليه ، وانما هى عمليات اخذ وعطاء مؤقتة وهى تشبه (القرض) تتم فى صورة تأمين ، تقترض الشركة من الفرد مبلغا على اقساط ، ثم تحصل الفائدة المؤكدة للجانبين ، ويمكن ادخال هذه العملية ضمن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « كل قرض جر نفعا فهو ربا » .

وبهذا فانه لا يمكن اعطاء شركات التأمين حكم هيئة التأمين الحكومى ، بدعوى انها شركات مؤمنة ، والدولة هى تتولى العملية ، فالفرق قائم وواضح ولا يمكن التسوية بينهما .

ولو كان للاسلام اليوم دولة وقوة لكان تشريعه هو المتبع ، ولكان لشعوبه واممه من الوسائل الاقتصادية الاسلامية ما يغنيهم عن الربا الذى حرمه الله ، ولاستطاعوا أن يقيموا مدنيتهم واقتصادهم على اساس التراحم والتعاون، ومساعدة المحتاج ، واغاثة المنكوب باقراضه قرضا حسنا بنظام التأمين التعاونى الذى لا ينتظر من ورائه كسب ، فالتأمين التعاونى هو الذى يحض عليه الاسلام لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) .



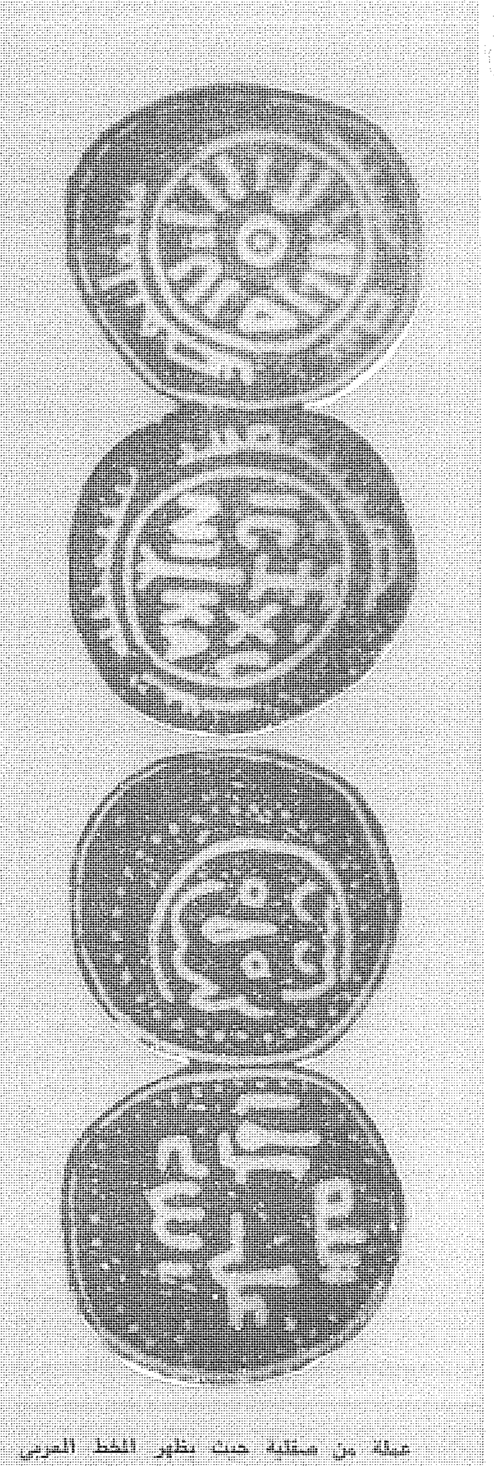
عباءة الملك « روجر الثانى » حاكم صقلية وهى من صنع العرب

الحضارة والفنون الإسلامية وأثرها في الحضارة العالمية

للاستاذ : محمد الحسيني عبد العزيز

أخذ الفن الاسلامى ينمو ويتطور ويتدرج نحو التقدم وأصبح له طابع خاص معروف عند العرب قبل اتصالهم بأمم الشرق الأدنى ذات الحضارة القديمة ، وقد تطور هذا الفن وأينع ليساير الزمن ، وشق لنفسه طريقا نحو السمو بخطى ثابتة كما انفرد بأسلوب مميز بعد أن ظل فى تجربة طويلة وتمحيص دقيق تذوق خلالها الفنون القديمة وصهرها فى بوتقته ، وأخذ عنها ما يناسب تقاليد الدين الحنيف ، وطبعها كلها بطابع اسلامى مميز حتى تبلورت شخصيته ، واتضحت معالم هذا الفن الصاعد أيام الأمويين والعباسيين .

وقد اعتمد الفنان المسلم على خياله وبيئته وأصول دينه ، وكان لتشجيع خلفاء المسلمين ورعايتهم للصناع أثره الكبير فى ازدهاره ، وابتكار أساليب وأنماط جديدة ، وليس أدل على حيوية هذا الفن وقوته مما ابتكره من زخارف هندسية ونباتية ، وأساليب فى فنون العمارة والهندسة والطراز والصناعات التطبيقية ، كما أبدع الفنان المسلم فى تطوير رسوم الطير والحيوان بطريقة ابتعد بها عن الواقع والطبيعة احتراما للدين ومع هذا فكانت الرسوم معبرة تنطق بالذوق وتوحى بالخيال الخصب مما جعله موضع تقدير مؤرخى الفنون الأوروبيين ومثار اعجابهم فاتخذوه قبسا ومنهجا ، وهكذا تأثر الفن الاسلامى بالدين أبلغ تأثير ، كما اكتسب فن الهندسة المعمارية طريقة بناء المسجد الذى تتجلى فيه بساطة الدين أول الأمر والتصرف الفنى فى بناء الايوانات حول الصحن فيما بعد ، ولم يكن المسجد الأول الذى أسسه النبى



عملة من صقلية حيث يظهر الخط العربى بجانب الخط اللاتينى .

صلى الله عليه وسلم فى المدينة سوى قطعة مربعة أحيطت بجدران الحجر وقوامها من الطين ، وأقيمت ناحية الشمال تجاه بين المقدس سقيفة من جريد النخل فوق عمد من جذوعه .

ولما تحولت القبلة الى الجنوب تجاه مكة أقيمت سقيفة ثانية ، وصار للمسجد صحن مكشوف فى الوسط وظلتان احداهما فى الشمال وأخرى فى الجنوب كانت سنة التطور هى التى دفعت المعمار الى وصل ما بين السقيفتين ، وبهذه الصور المنسقة ولد تصميم المساجد الاسلامية الأولى، ثم اتسعت الدولة الاسلامية وزادت ثروتها ، واقتضت أساليب التطور أن يهتم المعمار ببيوت الله ، فاتخذت فيها أعمدة الرخام ، وفرشت أرضها بالحصباء وعمد الفنان الى زخرفتها وتنميقها بالزخارف الجصية وتزيينها بالآيات القرآنية بالخط الكوفى اجلالا للمساجد وتعظيما لشأنها بعد أن أصبحت أندية للشورى ومكانا للحكم ومدارس دينية وعلمية يتلقى فيها الناس أصول دينهم وثقافتهم اللغوية والعلمية ، وكانت كعبة يؤمها طلاب العلم من أوروبا .

العمارة :

وكانت سفارة الامبراطور البيزنطى « تيوفيلوس » فى أول القرن التاسع الميلادى — التى أرسلها لدراسة فن المعمار الاسلامى والعادات الاسلامية — دليلا على شغف أعظم حكام أوروبا بتقليد العمارة الاسلامية التى طبقت شهرتها الآفاق مما دفع الامبراطور الى بناء قصر بالقرب من بوابات القسطنطينية عام ٨٣٥م على طراز قصور بغداد ، كما استبدلت حاشيته اللباس البيزنطى بالزى العباسى ، وصمم الحدائق على نمط الحدائق الاسلامية ، ووضعت فى ردهة الاستقبال فى القصر الاشجار المذهبة وفوقها العصافير التى تغرد آليا ومع اندثار هذا العصر الا أن أحد الأديرة التى أقيمت عام ٩٠٨م بالقسطنطينية ما زال به افريز من النسور لها أجنحة بنفس الأسلوب العباسى .

وقصر رافلو الذى شيد فى القرن الحادى عشر بشمال ايطاليا تدل تفاصيله على الأسلوب الاسلامى ، هذا بجانب كثير من مبانى مقاطعة « توسكانى وبيزا » وغيرهما ويندر أن يخلو أى قصر من عقد أو قبة طرازهما اسلامى .

ويعتبر مسجد قرطبة فى أسلوب عمارته وطريقة بناء عقوده وزخارفه قبسا للفنانين الأسبان والفرنسيين فى بناء عمائر القصور (١) والمعابد ، ويظهر الى يومنا هذا تأثر الفن الأندلسى بنظام العقود المزدوجة والقباب والزخارف الهندسية والنباتية والجصية المفرغة المبتكرة فى العمائر الأوروبية التى استمر المعمار يقلدها وينهج على أسلوبها قرونا عدة .

ولا يقتصر التأثير على فرنسا وايطاليا بل انتقل الفن المعمارى الاسلامى الى انجلترا ، ففى أحد مداخل مدينة كنيلورث عقد داخله اطار مستطيل تملأ الزخارف النباتية ما بين العقدين (٢) المتجاورين كما كان يشاهد فى المبانى والقصور فى

---

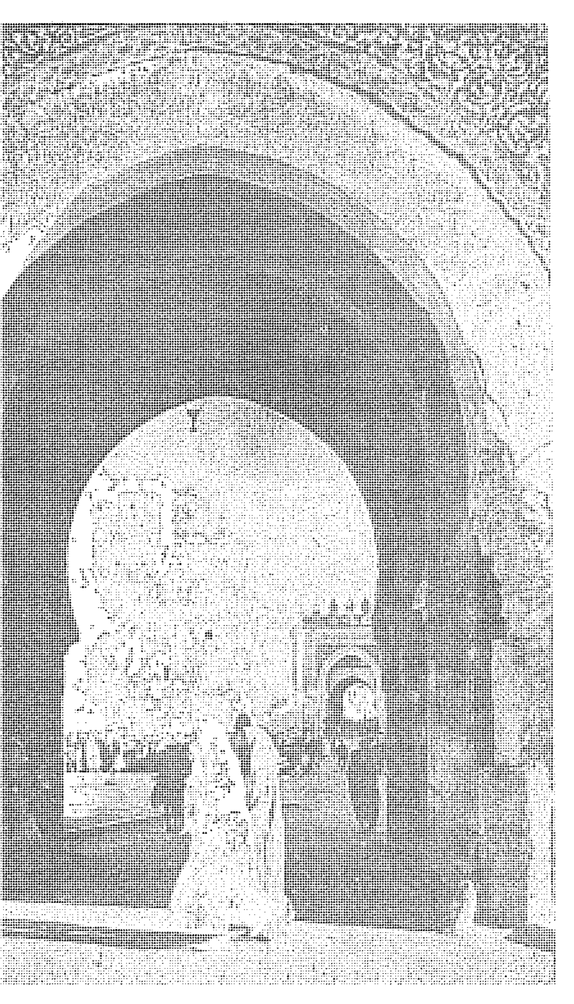
(١) كشفت الحفريات الأثرية عن بناء فى شمال أسبانيا من القرن الثالث عشر الميلادى عن زخارف خصية طرازها اسلامى .

(٢) هذا الأسلوب الزخرفى يلاحظ فى محراب جامع القرطبة .

مصر والأندلس ، وليس غريبا أن يكون المعمار الانجليزى قد زار الأندلس ابان الحكم الاسلامى أو تلقى علومه فى معاهدها بقرطبة ، واقتبس عن مساجدها وقصورها ما أغرم به وما أثار اعجابه .

الكتابة الكوفية :

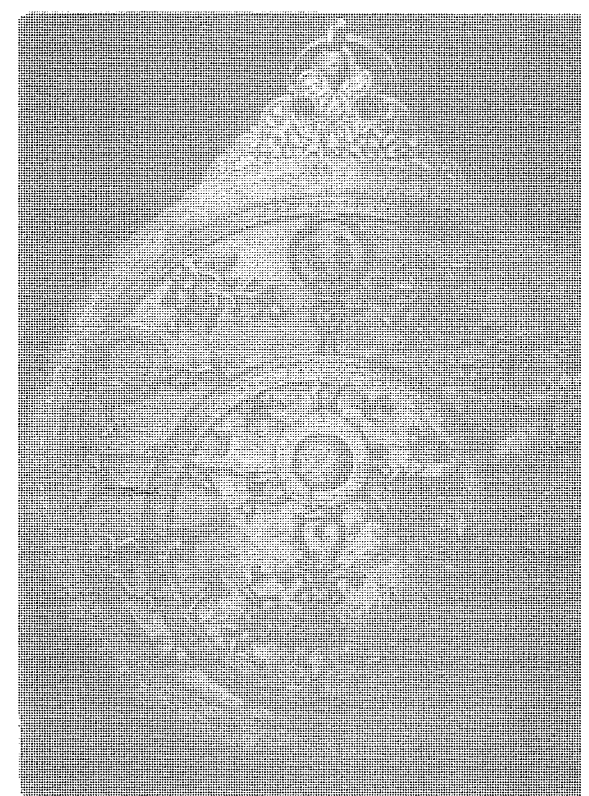
انتشر استخدام الكتابة الكوفية والزخارف القائمة عليها فى المخطوطات الفرنسية منذ القرن الحادى عشر الميلادى فصاعدا ، وتوجد لوحة مطلية فى متحفى فكتوريا والبرت بلندن صنعت فى القرن الثالث عشر الميلادى فى مدينة « ليموج » وعلى جوانبها زخرفة شبيهة بالخط الكوفى ، وأبرز الأمثلة على استخدام الخط الكوفى بشكل مقروء موجود فى صحيفة مخطوطة رسمها « أدمار دى شابان » فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى ، والذى لا زال محفوظا بمكتبة جامعة ليدن وعلى الصحيفة ثلاثة أسطر من الخط الكوفى أولها « بسم الله الرحمن الرحيم » وهناك مخطوط آخر يحتوى على عدد من الأحزمة الزخرفية مؤسسة على الحروف الكوفية للراهب « سيفر » من القرن الحادى عشر الميلادى وكلها تدل على وضوح التأثير الاسلامى ، كما استخدمت الكتابات الكوفية فى « الميداليات أو المخطوطات المستمدة من قواعد الزخارف التى تنسب الى أسرة بنى بويه التى ترجع الى القرن الحادى عشر الميلادى والموجودة فى متحف المنسوجات بواشنطن .



بوابة بشكل مدبب على الاسلوب المغربى الاندلسى للعقود .

النسيج :

ولقد أخذ الفنانون الأوروبيون فى العصور الوسطى الخط الكوفى كفكرة للزخرفة فى المنسوجات البيزنطية والتى أشهرها حرير الأسد التى تؤرخ ٩٢٣م ويدل سطحها المستوى والرسوم الهندسية التى زينت بها على أنها نسيج شرقى اسلامى بالاضافة الى الخط الكوفى الذى



الاسطرلاب الذى ابتكره العرب لتحديد مواقع النجوم .

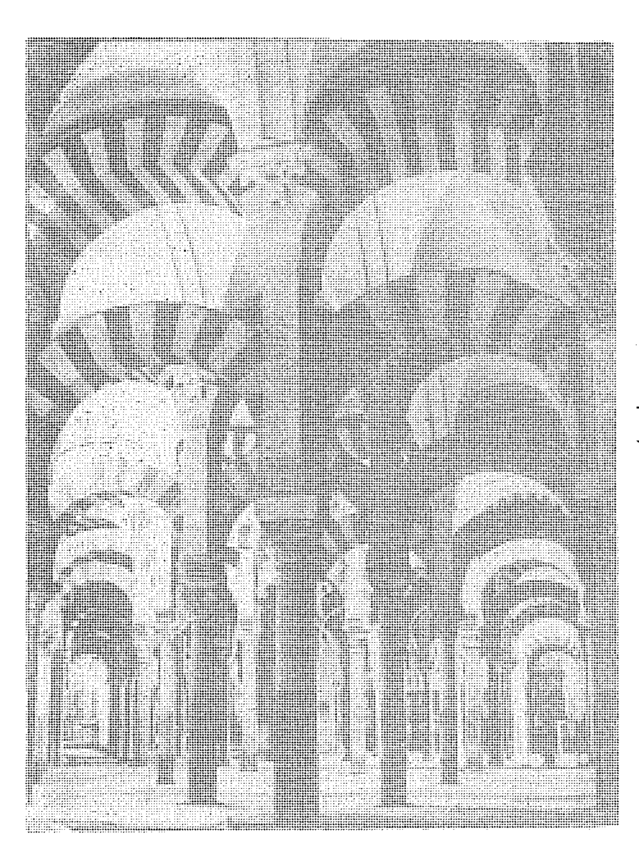
يطبعها بالفن الاسلامى

وقد ظلت المدن الايطالية تقلد النسيج الاسلامى فى تصميمه وزخارفه حتى القرن الخامس عشر الميلادى حيث أقام رجال الصناعة من الايطاليين مساكن خاصة لرجال الصناعة العرب الذين شجعهم حكام ايطاليا ، وصقيلية على العمل فى المصانع الايطالية مما جعل أثر الفن الاسلامى واضحا فى الزخارف النباتية والهندسية التى تميزت بها الصناعة الايطالية وهذا بدوره جعل البندقية تتخذ الأزياء الاسلامية نموذجا فى أزيائها وفى رسوم الكتب التى طبعت فى هذه المدينة التجارية ذات الصلة الوثيقة بشرق البحر المتوسط (مصر والشام) فى العصور الوسطى .

ويذكر ابن جبير أن النساء فى بالرمو بصقلية فى عهد الملك وليم الثانى كن يلبسن أزياء النساء المسلمات كما أشار الى مصنع أقيم فى هذه المدينة ، وقام بصنعها عامل عربى يدعى (يحيى) وطرزها بالخيوط الذهبية ، كما أن عباءة شرلمان الموجودة بمتحف « متيز » تنسب الى صقلية ، ويعود تاريخها الى القرن الثانى عشر ، وقد صيغت على طراز فارسى أو طراز ما بين النهرين مع وجود الكتابات العربية عليها .

العملة :

وقد وجدت قطعة من العملة الذهبية التى ضربت للملك « أوفا » (٧٣٧ — ٧٧٦ م) وعلى كل وجه من وجهيها توجد ثلاثة أسطر من الكتابة الكوفية محاطة بكتابة كوفية أخرى ، وتكاد تكون صورة كاملة للدينار الذى أصدره الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى (١٥٦هـ — ٧٤٤م) وربما يكون الملك قد تلقى هذا الدينار هدية من الخليفة العباسى لكن الراجح أن يكون الدينار قد وصل الى انجلترا عن طريق التجارة مع العراق ، كما وجدت دنانير اسلامية فى النرويج والسويد وشمال أوروبا بسبب مكانة الدينار الاسلامى كعملة دولية فى ذلك العصر ، ويتعامل به التجار كما يتعاملون الآن بالعملات العالمية هذا فضلا عن أن صقلية قد



مسجد قرطبة حيث تظهر العقود المزدوجة التى تميز بها الفن الاندلسى .

ضربت بها عملة محلية تحمل كتابة عربية الى جانب الخط اللاتينى .

الأسوار والحصون :

تأثرت الحصون الأوروبية بنظام التحصين العربى من الشرفات التى يحتمى خلفها المدافعون من هجـــوم خارجى ، كما أن الأسوار والأبراج التى تدعم الحصون تتخللهـــا فتحات السهام ، هذا بخـــــلاف الجيوش الصليبية التى غزت ساحل الشـــام ووجدت من أسوار القاهرة وقلعة حلب وغيرها نموذجا يحتذى فعملوا على تعميمه فى امارات الاقطاع التى انتشرت فى أوروبا فى العصـــــور الوسطى ، ففى كل قلعة يتضح الأثر الاسلامى فى نظام البناء واستخدام العقود المدببة التى ظهرت فى مسجد ابن طولون ولم تستخدم فى أوروبا الا فى القرن الرابع عشر الميلادى .

المراكز الحضارية الاسلامية :

كانت بغداد فى العراق ، والقاهرة فى مصر ، وقرطبة فى الأندلس ، ودمشق وبيت المقدس بالشام مراكز حضارية انتقلت منها الصـــــناعات التطبيقية من نسيج وزخرف وزجاج وغيره ، لكن الأندلس بعمائرهـــــا ومساجدها وصناعاتها ومعاهدهـــا

العلمية التى ازدهرت على يد العرب كانت المشعل الذى أنار الظلمات فى أوروبا حيث كانت قرطبة وطليطلة مراكز ثقافية ينهل منها الطلبة الوافدون من أنحاء أوروبا ، وكان مفكرو الاندلس وفلاسفتها أساتذة الأجيال ، ولن يستطيع أى جاحد انكار فضل العلماء والفلاسفة والأطباء أمثال ابن رشد الفيلسوف ، وابى القاسم الزهراوى الطبيب العالم الذى كان رائد الجراحين ومبتكر الآلات الجراحية فى عصره .

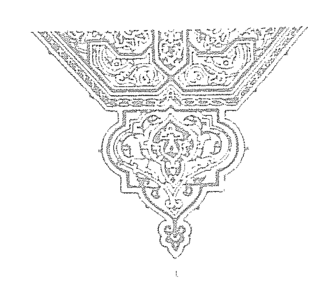
وفى الكيمياء :

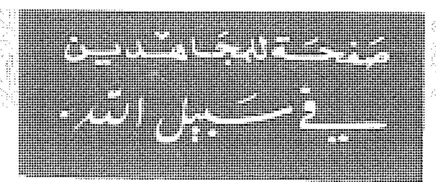
كان العرب واضعى أساس هذا العلم ورواد البحث فى مجاهل العلوم الطبية والكيميائية ويذكر الكيميائيون جابر بن حيان صاحب المنهج التجريدى وأبحاثه ودراسته العميقة التى صححت أخطاء اليونانيين ، وقد أسهم فى خدمة البشرية بكشف الأدوية وتحليل المواد من النباتات والمعادن ، واتخذ معملا كيميائيا يمارس فيه أبحاثه وتجاربه ، وكان يشرح لطلبته ومريديه الأسلوب العلمى الصحيح فى المواد الكيميائية ، وقد ظلت كتبه ومؤلفاته قبسا للدارسين من الصيادلة والأطباء فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الماضى ، وهكذا ظلت المصطلحات الكيمائية تحتفظ بأسمائها العربية اعترافا بفضل العرب على العالم الحديث .

وكان الزجل والشعر الأندلسى حافزا للأسبان فى ابتكار الشعر الحماسى ، كما أدى الى ظهور شعر « التروبادور » الذى اعتمد على العاطفة أما فى علوم الجغرافيا والفلك فدراسات العرب ومؤلفاتهم ومراجعهم فى هذين الميدانين وأبحاثهم فى النجوم واستخدامهم الاسطرلاب اسهمت مساهمة فعالة فى حركة الكشف الجغرافى ، ولن ننسى أن أحمد بن ماجد الملاح العربى هو الذى قاد سفن البرتغاليين الى الهند ، وأرشدهم الى الطرق الملاحية واستفادوا من خبراته فى كشف المحيط الهندى وجزره .



هذه صورة معبرة عن الفنون الاسلامية والعمارة العربية والعلوم التى قدمها العرب للعالم ، وكانت أبحاثهم وفنونهم وعلومهم هى القبس الذى سار العلماء الأوروبيون على نهجه حتى بلغوا الذروة ، وابتكروا العلوم والتكنولوجيا الحديثة التى وضع العرب أساسها وأرسوا قواعدها بأساليبهم التجريبية التى أصبحت أسس النظريات العلمية الحديثة ، وهكذا كان العرب حملة المشاعل ورواد العلم حين كانت أوروبا غارقة فى ظلمات فى العصور الوسطى .





وصية لقائد الجيش الإسلامي في فلسطين

كتب أبو بكر ليزيد بن أبى سفيان ، قائد المسلمين فى جبهة فلسطين يقول له :

((أنى قد وليتك لأبلوك وأجربك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك ، وان أسأت عزلتك !!

فعليك بتقوى الله ، فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك .

وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله .

وقد وليتك عمل خالد بن سعيد بن العاص الوالى السابق فاياك ونخوة الجاهلية ، فان الله يبغضها ويبغض أهلها .

واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير وعدهم اياه ...

واذا وعظت فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ...

وأصلح نفسك يصلح الله لك الناس ، وصل الصلاة لأوقاتها ، باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها .

واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون .

ولا ترينهم — حقيقة جيشك — فيروا خللك ، ويعلموا علمك .

وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم .

وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك ؟

واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة .

واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار .

وأكثر حرسك وبدلهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجاتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك .

فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه ، وعاقبه فى غير افراط .

واعقب بينهم بالليل والنهار ، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانها أيسرها لقربها من النهار .

ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع اليها .

ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العابثين .

وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر .

وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له)) .

السلام قبل الحرب

أراد الرسول ألا يدخل فى حرب مع اليهود الا بعد استنفاد كافة الوسائل للوصول الى حلول سلمية ، فبعث عبد الله بن رواحة ومعه ثلاثون رجلا من الأنصار الى أسير بن رزام ، فقدموا عليه فى « خيبر » ، وبعد أن أخذ كل من الطرفين الأمان لنفسه من الطرف الآخر عرضوا عليه أن يترك ما عزم عليه من حرب ، وأن يقوم معهم الى رسول الله ، ليحالفه ويوليه على « خيبر » ، ويعيش أهلها فى سلام مع المسلمين بدلا من الحرب وسفك الدماء ، فاستجاب أسير لذلك أول الأمر ، وخرج مع وفد المسلمين ومعه ثلاثون رجلا من اليهود قاصدا رسول الله .

وبعد أن قطع أسير ومن معه مرحلة من الطريق ندم على خروجه ، وهم بالغدر بالمسلمين ، فهوى الى سيف عبد الله بن رواحة يريد انتزاعه منه ليقتله به ، ففطن لذلك عبد الله وقال له : « أغدرا يا عدو الله ؟ » ، ثم نزل وضربه بسيفه ضربة أسقطته عن بعيره وقتلته ، ومال المسلمون على من كان معه من اليهود فقتلوهم .

عزم اليهود على غزو المدينة

وبعد قتل أسير تولى زعامة اليهود فى « خيبر » سلام بن مشكم ، وكان رأيه فى محاربة المسلمين كرأى كل من سبقه من زعماء اليهود .

وعندما تم الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فى « الحديبية » ، وتم الاتفاق على المهادنة ، وعلى تأمين بعضهم البعض ، يئس اليهود من معاونة العرب ، ومن تقديم يد المساعدة لهم .

وصرح سلام لزعماء اليهود بأن هناك خطرا يتهدد الكيان اليهودى فى أراضى « الحجاز » ، وأن الواجب عليهم أمام هذا الخطر هو أن يبادروا الى تأليف كتلة واحدة تتكون من يهود « خيبر » ومن يهود « وادى القرى » و « تيماء » ، ثم أوضح لهم خطته التى وضعها للقضاء على الاسلام ، وهى أن يزحفوا على « المدينة » بدون أدنى اعتماد على القبائل العربية ، وبذلك ينفردون بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، وقد ذهب وفد منهم الى « بنى غطفان » فتعاقدوا وتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمدا بكل ما أوتوا من قوة .

وقد علم الرسول بما يدور فى خلد يهود « خيبر » ، فأخذ يتهيأ ويستعد لمواجهتهم وقتالهم ، وكانت خطته هى أن يفاجىء عدوه قبل أن يفاجئه ، وهذا هو ما يحتمه عليه سلامة دينه وتأمين دعوته ، وقد علم يهود « خيبر » بتهيؤ واستعداد الرسول والمسلمين لقتالهم .

ويرجع بعض الرواة علم اليهود الى رأس النفاق عبد الله بن أبى ، فقد أرسل اليهم من يقول لهم : ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم . فلما سمعوا ذلك أخذوا يعدون له ، فكانوا يخرجون كل يوم فى عشرة آلاف مقاتل مسلحين مستعدين صفوفا ، ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات هيهات ! وأدخلوا أطفالهم وأموالهم فى حصون « الكتيبة » ، وجمعوا المقاتلين فى حصون « النطاة » .

حصون خيبر

كانت بلاد « خيبر » مقسمة الى ثلاث مناطق حربية ، وكل منطقة مؤلفة من عدة حصون ، وهى الآتى :

المنطقة الأولى : منطقة « النطاة » ، وهى مؤلفة من حصن « الناعم » وحصن « الصعب بن معاذ » ، وحصن « الزبير » وهو حصن « قله » ، وحصن « الكتيبة » .

المنطقة الثانية : منطقة « الشق » ، وهى مؤلفة من حصن « أبى » ، وحصن « البرىء » .

المنطقة الثالثة : منطقة « الكتيبة » ، وهى مؤلفة من حصن « القموص » وحصن « السلالم » ، وحصن « الوطيح » .

وكانت تلك الحصون من الحصون القوية المنيعة المشيدة على رؤوس الجبال ، ورجالها مدربون على القتال والنضال ، وكانت جموع اليهود فى « خيبر » تعد من أقوى الطوائف اليهودية بأسا ، وأوفرها مالا ، وأكثرها سلاحا ولكنهم — كعادتهم دائما — يهابون الحرب والالتحام فى الميدان ، ولا يحاربون الا أمام الحصون ، فاذا انهزموا رجعوا مسرعين اليها وأغلقوها عليهم ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذه الخصلة من خصال الجبن ، فقال تعالى : « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وقد عرف الرسول الكريم هذه الطبيعة فيهم ، فوضع خطته على أساسها عندما سار اليهم ليغزوهم فى عقر دارهم .

موقع خيبر

تقع « خيبر » على بعد نحو مائة ميل من شمال « المدينة » جهة « الشام » وهذه المسافة تقطعها الابل فى مدى خمسة أيام ، وهى عبارة عن واحة كبيرة ذات حدائق ومزارع ونخيل ، ولم يكن سكانها مجتمعين فى صعيد واحد ، بل كانوا متفرقين فى الوديان المتجاورة ، يسكنون بيوتا حصينة تقع فى وسط النخيل والمزارع ، وكانت « خيبر » لمنعة حصونها وطبيعة أرضها يعتقد اليهود والعرب بأن الرسول لن يستطيع أن يغزوها .

خروج الرسول الى خيبر

كانت قوة المسلمين تتألف من ألف وستمائة مقاتل ، مجهزين تجهيزا حسنا من بينهم مائتا فارس ، ويمتلك كل مقاتل راحلة سريعة ، وكان مع الجيش نساء عهد اليهن الرسول بالقيام بشئون الجرحى .

وغادر الرسول بجيشه « المدينة » بعد أن استخلف عليها سباع بن عرفطة فى شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة وبعد أن استنفر من حوله من الاعراب ممن شهد « الحديبية » ليجاهدوا معه (١) .

---

(١) كانت هذه الغزوة مقصورة على من شهد صلح الحديبية .

وكانت المسافة بين « المدينة » وبين « خيبر » خمسة أيام اذا سارهـا الجيش بالسرعة المعتادة ، وكان الرسول يعلم أن الطريقة الوحيدة التى يستطيع أن يهزم بها عدوه هى المفاجأة والمباغتة ، فقطع المسافة على طولها فى ثلاث مراحل مجهدة .

وعبأ المسلمون قواتهم تعبئة عسكرية منظمة ، وقسموها الى قسمين ، أعد القسم الأكبر لمهاجمة حصون اليهود حصنا حصنا ، وانطلق القسم الآخر الى الطرق بين « خيبر » و « غطفان » لقطع الاتصال بينهما لأنهم كانوا أحلافا ، وحتى لا يفاجئوا المسلمين من الخلف ، وقد وصل جيش المسلمين الى حصون الاعداء قبل فجر اليوم الرابع .

ويقول بعض الرواة : ان يهود « غطفان » أرادوا أن يظاهروا يهـود « خيبر » ، ولكنهم بعد خروجهم سمعوا صياحـا فى ديارهم ، فخيـل اليهم أن المسلمين قد خالفوهم الى أهليهم وأموالهم فرجعوا ، ويقول البعض الآخر : ان الرسول طلب منهم ألا يعينوا يهود « خيبر » فى هذه الغزوة ، على أن يعطيهم من « خيبر » شيئا مما سماه لهم . وعلى كل فان يهود « غطفان » لم يعينوا يهود « خيبر » وخلوا بين رسول الله وبينهم .

ووقفت « قريش » ووقفت شبه الجزيرة العربية كلها متطلعة الى هذه الغزوة ، حتى لقد كان من « قريش » من يتراهن على نتائجهـا ، ولمن يتـم الانتصار فيها ، وكان الكثير منهم يتوقع أن تدور الدائرة على المسلمين ، لمـا يعرفونه من قوة حصون « خيبر » ، وبنيانها فوق الصخور والجبـال ، وطول ممارسة أهلها للحرب والقتال ، مما يجعل فتح هذه الحصون شيئا متعذرا ، بل يكاد يكون مستحيلا .

ونزل الرسول بجيشه قريبا من حصون منطقـة « النطاة » . فقال له الحباب بن المنذر : « ان أهل النطاة ليس قوم أبعد مدى منهم ، ولا أعدل رمية منهم ، وهم مرتفعون علينا ، وهو أسرع لانحطاط رميهم ، ولا نأمن من بياتهم ، يدخلون فى حمر النخل ، فتحول يا رسول الله » ، فقال له صلى اللـه عليـه وسلم : « أشرت بالرأى » . وتحول الى مكان بعيد عن مدى نبلهم وعسكر فيه .

وعمى الله على يهود « خيبر » ما كان من أمر رسوله وجيشه ، فباتـوا آمنين مطمئنين ، وكان أول من شاهدهم الفلاحون الذين تعودوا البكور للقيـام بأعمالهم فى المزارع والحقول ، فأخذوا من الرعب والهول ، وما هى الا لحظة حتى ترددت الاصوات من حقل لحقل صائحة : محمد والخميس محمد والخميس ![1]

وكأنما رأى رسول الله أن يزيد فى فزعهم ، فصاح فى أعقابهم مكبرا : « الله أكبر . خربت خيبر ! انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صبـاح المنذرين » .

وما ان انتشرت الصيحة حتى أسرع اليهود يجرون هنا وهناك ، وقـد أخذت عليهم المفاجأة كل طريق للهجوم ، فلم يبق أمامهم من وسيلة سوى الدفاع فلجأوا الى حصونهم يحتمون بها « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب » .

وكان الرسول يعلم أن من طبائع اليهود شدة حرصهم على المال ، وأنـه قد يكون أحب اليهم من أرواحهم ، فأراد أن يرهبهم باتلاف بعض مالهم علهـم يسلموں اليه بدون قتال ، فأمر بقطع نخيلهم ، فقطع المسلمون حوالى أربعمائة نخلة ، وعندما رأى أن اليهود مصممون على القتال نهى عن قطع النخيل .

---

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدمـة ، والميمنـة ، والميسرة ، والقلب ، والساقة .

ابتدأ القتال مع اليهود فى حصن « ناعم » ، وكانوا قد حشدوا فيه قواتهم وأعدوا أنفسهم لمعركة مريرة طاحنة ، وكانوا كلما حاولوا الخروج من الحصن يشتبك معهم المسلمون ، فيرتدون الى الحصن ليحتموا خلف جدرانه القوية ، وظل الرسول سبعة أيام يقاتل أهل هذا الحصن حتى فتحه الله على يد على ابن أبى طالب .

وفى أثناء الحصار توفى زعيم اليهود سلام بن مشكم ، فتولى القيادة بعده الحارث بن أبى زينب .

ولما سقط حصن « ناعم » فر اليهود الى حصن « الصعب بن معاذ » واحتموا به ، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ، ولكن المسلمين اقتحموا عليهم الحصن وفتحوه عنوة .

وقد وجد فيه المسلمون طعاما كثيرا وذخيرة ، ووجدوا أيضا فى بيت تحت الأرض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا ، وكميات كبيرة من آلات الحرب التى دلهم عليها بعض اليهود ، وقد انتفع المسلمون بهذه الأدوات فى هذه الموقعة انتفاعا كبيرا .

وبعد سقوط حصن « الصعب بن معاذ » لجأ اليهود الى حصن « الزبير » وهو حصن قوى منيع قائم على قمة عالية ، فحاصره المسلمون ثلاثة أيام ، واستعصى عليهم فتحه ، وعلم الرسول من أحد اليهود أن وراء هذا الحصن جدولا يمد من فيه بالماء ، فأمر الرسول بقطع الماء وتعطيشهم ، فخرج اليهود من الحصن وقاتلوا المسلمين ، ولكن الدائرة دارت عليهم ولحقتهم الهزيمة . وبسقوط هذا الحصن سقطت منطقة « النطاة » كلها فى أيدى المسلمين .

وفر اليهود من منطقة « النطاة » الى منطقة « الشق » واعتصموا بحصن « أبى » ، فحاصرهم المسلمون فيه ، ثم تحاملوا على الحصن وفى مقدمتهم أبو دجانة الانصارى حتى دخلوه ، فهرب من فيه من جنود اليهود ، وأخذوا يقتحمون الجدر الى حصن « البرىء » .

وزحف الرسول فى أصحابه اليهم ، وأمر بأن ينصب على الحصن المنجنيق فوقع فى قلوب أهل الحصن الرعب والخوف ، فأسلموا الحصن وهربوا . وكما سقطت منطقة « النطاة » سقطت منطقة « الشق » .

وذهب اليهود الى منطقة « الكتيبة » واحتموا بحصن « القموص » ، وكان حصنا هائلا ، بنى من الصخر الحى وحصنت مداخله تحصينا قويا ، وعلى المتاريس حراس مجهزون تجهيزا جيدا ، ويملكون كثيرا من المؤن ، ودارت حول الحصن معارك عنيفة بين الفريقين ، قاتل فيها المسلمون واستبسلوا استبسالا شديدا عظيما .

ولم يكن الأمر سهلا كما ظنه المسلمون ، فقد كانوا يعتمدون فى تموينهم على موارد الأعداء ، والآن أخذ اليهود يشعلون النيران فى مزارعهم ، ويسحبون أنعامهم الى داخل الحصن .

وبدأت المجانيق تعمل عملها ، وتجددت القيادة برئاسة أبى بكر وعمر وعلى ، لأن الرسول كان قد أصيب بما يشبه الصداع فاعتكف ، واستمرت أعمال المجانيق حتى فتحت ثغرة صغيرة فى جدران الحصن ، بعد أربعة عشر يوما من الحصار ، تدفق منها المسلمون وكأنهم فيضان عارم جارف ، وسقط

الحصن ، وقد خسر المسلمون نحو عشرين شهيدا ، بينما كانت خسارة اليهود نحو قرابة المائة قتيل . وقد سبى من هذا الحصن جمع من النساء والذرارى ، من بينهم صفية بنت حيى .

سقوط خيبر

قصد المسلمون بعد سقوط حصن « القموص » حصنى « الوطيح » و « السلالم » ، وكانا آخر حصون « خيبر » ، فحاصرهما المسلمون بضع عشرة ليلة ، ولما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله الصلح ، فصالحهم على أن يحقن دماء من فى الحصنين من المقاتلين ، ويترك الذرية لهم ويخرجوا من « خيبر » وأرضها ، ويخلوا بين المسلمين وبين مالهم من مال وخيل وسلاح .

غير أن نفوسهم رغبت عن الهجرة ، فطلبوا من الرسول أن يبقيهم فى الأرض ويعطوه نصف ثمارها ، فوافق الرسول وأبقاهم فى الأرض ، ولم يجعل ذلك الى الأبد ، مخافة عبثهم ، بل قال لهم : « ان شئنا أن نخرجكم أخرجناكم » .

ويزعم بعض المستشرقين بأن المسلمين لم يتركوا ليهود « خيبر » شيئا من المتاع سوى ثوب واحد لكل منهم ، وهذا القول مردود لما هو معروف من أن اليهود قد طلبوا بعد فتح « خيبر » شراء بعض الغنائم وفداء السبايا من أيدى المسلمين ، فمن أين اذن جاء اليهود بالثمن لو أنهم قد خرجوا عرايا ؟

ويزعم الدكتور اسرائيل ولفنسون فى كتابه « اليهود فى جزيرة العرب » أن الرسول ما ترك يهود « خيبر » الا ليفلحوا له الأرض للحاجة الى ثمارها وغلاتها ، ولأن أصحابه ليس فى وسعهم ذلك فضلا عن اشتغالهم بالأعمال الحربية .

وهذا ليس بصحيح ، لأن الرسول قد صالحهم على البقاء فى « خيبر » ، فظلوا بها الى أن أجلاهم عمر بن الخطاب فى خلافته لقول الرسول : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » (١) .

يهود فدك ووادى القرى

وعندما وصل الى سمع يهود « فدك » نبأ سقوط « خيبر » ، وبالصلح الذى تم بين رسول الله وبينهم ، رغبوا عن الحرب وجنحوا الى السلم ، وبعثوا الى الرسول ليصالحوه على مثل ما صالح عليه أهل « خيبر » ، فأجابهم الى طلبهم ، وتم الصلح بدون قتال .

ثم انصرف الرسول الى « وادى القرى » وحاصرها حتى سلم أهلها ، وصالحهم على مثل صلح « خيبر » ، أما يهود « تيماء » فقد قبلوا الجزية بدون حرب . وبذلك دانت اليهود لسلطان الرسول ، وأصبح المسلمون بمأمن من ناحية الشمال الى « الشام » ، كما صاروا بعد صلح « الحديبية » بأمن من ناحية الجنوب .

مغانم خيبر

كانت مغانم « خيبر » أكثر المغانم التى حصل عليها المسلمون منذ غزوا فى

---

(١) الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ج ٢ ص ١٥١ ، سيرة ابن هشام ص ١٠٥ ، صحيح البخارى ، باب غزوة خيبر .

سبيل الله حتى ذلك اليوم ، وقد قسم الرسول هذه المغانم بعد أن خمسها ، فأعطى الجندى من المشاة سهما ، والفارس ثلاثة أسهم ، وأعطى من خمسه لزوجاته ، وذى القربى [بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب] ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

وكان من بين المغانم التى غنمها المسلمون صحائف من التوراة ، فجاء اليهود يطلبونها ، فأمر الرسول بتسليمها اليهم ، وفى ذلك يقول ولفنسون (١) : « ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف فى نفس الرسول من المكانة العالية ، مما جعل اليهود يشيرون اليه بالبنان ، ويحفظون له هذه اليد ، حيث لم يتعرض لصحفهم المقدسة بسوء ، ويذكرون بازاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ قبل الميلاد ، اذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، وما فعله المتعصبون من النصارى فى حروب اضطهاد اليهود فى الأندلس حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة ، هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الاسلام » .

وليست هذه أول مرة يتسامح فيها الرسول ويترك لليهود صحائفهم المقدسة ، دون التعرض لها بسوء ، أو تحقيرها لشدة عداوتهم له ، فقد سمح لهم قبل ذلك بأخذ صحفهم المقدسة المشتملة على وصية سيدنا موسى عليه السلام لبنى اسرائيل ، عند اجلائهم من « المدينة » فى غزوة « بنى النضير » .

زواج الرسول من صفية

لم تكن هناك غاية يبغيها الرسول من اليهود بعد أن ألقوا سلاحهم ، وأمن الرسول جانبهم ، سوى حرصه على أن تكون العلاقة بينه وبينهم قائمة على أساس من المودة والصفاء ، لا على العداوة والبغضاء ، فاتخذ فيهم صهرا ، واصطفى من نسائهم صفية بنت حيى ، وخيرها بين أن يعتقها ويتزوجها وبين أن يلحقها بأهلها ، فاختارت أن تكون له زوجة ، فأعتقها وتزوجها مقتفيا بذلك أثر الفاتحين العظماء ، الذين كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التى يفتحونها ، ليخففوا من مصابهم ، ويحفظوا من كرامتهم .

وقد خشى أبو أيوب خالد الأنصارى أن تمثل صفية دور « يهوديت » مع « هلوفرن » ، لأن محمدا قتل أباها وزوجها ، وخرب قومها ، فيكون ذلك مدعاة لتحرك عوامل الضغينة فى نفسها ، فبات مسلحا حول الخيمة التى أعرس فيها الرسول بصفية . فلما أصبح الرسول ورآه سأله : « مالك ؟ » . قال : « خفت عليك من هذه المرأة وقد قتلت أباها وزوجها وقومها وقد كانت حديثة عهد بكفر » .

ولكن صفية كانت وفية للرسول ومعجبة به ، فأخلصت له الى أن توفى ، وعندما حضرته الوفاة كان نساؤه حوله ، فقالت صفية : « أما والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى » . فتغامز أزواج الرسول عليها ، فقال الرسول لهن : « مضمضن » . فقلن : « من أى شىء يا نبى الله ؟ » . فقال الرسول « من تغامزكن بصاحبتكن ، والله انها لصادقة » .

---

(١) اليهود فى جزيرة العرب . صفحة ١٧٠ .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على اقامة العدل فى معاملة اليهود ، يريد أن يزيل من نفوسهم آثار عداوتهم للاسلام والمسلمين ، فالعداوة بينه وبينهم لم تكن عداوة شخصية ، وانما كانت خلافا على العقيدة التى غيروا وبدلوا فيها .

روى أن اليهود شكوا الى الرسول من أن المسلمين يقعون فى حرثهم وبقلهم بعد الصلح ، فأمر الرسول بجمع المسلمين ، ثم قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ان يهود شكوا الى أنكم وقعتم فى حظائرهم ، وقد أمناهم على دمائهم وعلى أموالهم التى فى أيديهم فى أراضيهم وعاملناهم (١) . وأنه لا تحل أموال المعاهدين الا بحقها » . فكان المسلمون بعد ذلك لا يأخذون من بقولهم شيئا بدون ثمن .

فهل حفظ اليهود جميل الرسول وقدروه ؟

وهل عرفوا أن محمدا أصدق الناس قولا وأكثرهم عدلا وأطهرهم قلبا ؟

وهل أدركوا أن الاسلام لم يكن يريد بهم شرا ، وأن مبادئه تقوم على العدل واحترام حقوق الغير ، وأنه يعدل فى أعدائه مثلما يعدل فى أصحابه ؟

كلا ، لم يقدر اليهود شيئا من هذا ، وانما ظلوا على ما هم عليه من الغدر والخيانة ونكران الجميل ، وقاربت قلوبهم تحترق من كثرة الحقد على الرسول .

لقد رجعوا الى قديم عادتهم ومألوف حياتهم ، رجعوا يتآمرون عليه ويفكرون فى الغدر به ، والقضاء عليه بحيلة ماكرة .

أهدت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم الى الرسول شاة مشوية فجلس الرسول وأصحابه حولها ليأكلوها ، وتناول عليه الصلاة والسلام ذراع الشاة فلاك منها مضغة فلم يسغها وكان بشر بن البراء معه ، فتناول منها مثل ما تناول الرسول فأساغها وازدردها ، ولكن الرسول لفظها وهو يقول : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » وأمر أصحابه برفع أيديهم عن الطعام ، ثم دعا بزينب فاعترفت بأن الشاة مسمومة . فقال لها : « ما حملك على ذلك ؟ » . فأجابته : بلغت من قومى ما لم يخف عليك . فقلت : ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر ، وقد استبان لى أنك صادق ، وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فعفا عنها الرسول ولم يعاقبها ، مقدرا لها عذرها بعد الذى أصابها فى أبيها وزوجها ، ومات بشر ابن البراء من أكلته التى أكلها بعد ما سرى السم فى جسمه .

اهتمام قريش بأنباء خيبر

كان فتح « خيبر » حدثا عظيما اهتزت له « قريش » ، لأنها لم تكن تتوقع أن تنهزم « خيبر » بهذه السرعة المذهلة ، وهى على ما هى عليه من القوة والمنعة والحصانة ، ولم تكن تظن أن الرسول وأصحابه سيبلغون فى يوم من الأيام هذا المبلغ العجيب من القوة .

لقد كان اليهود من القوة بحيث لا يظن أحد أو يتوقع أن يهزموا فى يوم ما ، كان جيشهم مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، مجهزين بالعتاد والأسلحة ، ومدربين

(١) عاهدناهم على أن تكون الأرض لهم يعملون فيها ولنا نصف ثمارها وغلاتها .

على فنون القتال ، ووراءهم حصونهم القوية وآلاتهم الثقيلة ومؤنهم الوفيرة ، على حين كان جيش المسلمين لا يزيد عن الف وستمائة ، وليس معهم سوى السيوف والرماح والقسى والسهام والمجانيق ، وليس وراءهم حصن يحتمون به ، وكانوا على ذلك فى قلة من الطعام وشح من القوت وبعد عن المدد .

ومع كل هذا التباين الظاهر بين الفريقين ، والفارق الملموس فى تكافؤ الفرص وتهيؤ الأسباب ، انتصر المسلمون هذا الانتصار العجيب على اليهود .
ولا ريب أن هذا النصر الكبير قد أدهش قريشا وأذهلها ، وأذهل معها العرب وغير العرب فى شبه الجزيرة العربية ، وملأ القلوب بالرعب من هذه القوة الخارقة التى لا تعوقها حصون ، ولا يحول بينها وبين الوصول الى غاياتها شىء من الأشياء .

لقد كان الرعب الذى تقذفه الله فى قلوب اليهود من أهم العوامل فى انتصار المسلمين عليهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرر هذه الحقيقة فيقول : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .
وكان من نتائج فتح « خيبر » القضاء التام على القوة السياسية والاقتصادية والدينية التى كانت لليهود فى أقاليم « الحجاز » ، فأخذت ظلالهم تتقلص شيئا فشيئا حتى انمحت آثارهم تماما .

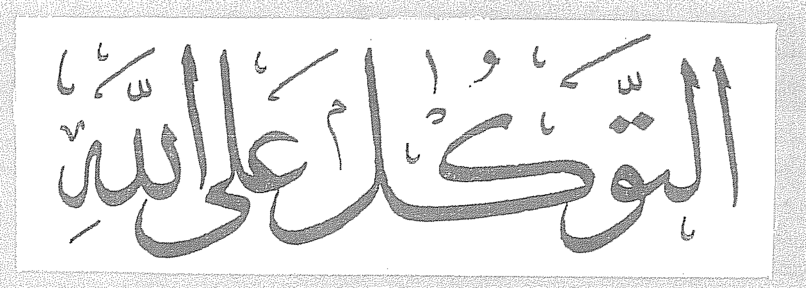
وكما قضت غزوة « خيبر » على استغلال اليهود ونفوذهم ، قضت على عنفوان « قريش » وكبريائها ، وأوقفتها أمام قوة الاسلام مغلولة اليدين ، لا تدرى ماذا تصنع حيال هذا السيل الجارف الذى لا تستطيع له صدا ، وأيقنت « قريش » وأيقن العرب معها أنه لا حيلة لهم فى مقاومة هذا الدين ، فاستسلموا للأمر الواقع ، ولم يعد هناك من يفكر فى مناوأة الاسلام .

العودة الى المدينة

وعاد الرسول بجيشه الى « المدينة » بعد أن أخضع معظم شمال « الحجاز » ، وعندما لاحت له « المدينة » بنخيلها كانت تنتظره مفاجأة سارة ، فقد وصل الى « المدينة » أثناء غيابه عنها ابن عمه جعفر ابن أبى طالب والمهاجرون الى « الحبشة » ، فاستقبلهم الرسول بسرور بالغ ، وقبل جبهة جعفر وعانقه ثم قال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » وقال لجعفر : « أشبهت خلقى وخلقى » . فاهتز جعفر من فرط سروره ، ولما أصابه من الفرح .

لقد كان لقاء الرسول بالمهاجرين رائعا ، فان آخر مرة رأى فيها الرسول هؤلاء الصحابة الكرام كانت فى أيام « مكة » المظلمة ، يوم كانوا يتسللون فى جماعات للبحث عن مأوى ، وما كان أحد ليفكر فى أنهم قد يرى بعضهم بعضا مرة أخرى .

وقد أشركهم الرسول فى مغانم « خيبر » مع أهل « الحديبية » ، ولم يقسم لأحد غيرهم معهم . لأن الله سبحانه قد جعل « خيبر » مكافأة سخية لمن بايعوا على الموت تحت شجرة الرضوان .
ولم يمض وقت طويل على أولئك العائدين حتى اكتسبوا مافاتهم من علم بالقرآن والسنة ، وانتظموا فى موكب الجهاد مع من سبقوهم باحسان .



التوكل على الله

أعلى درجات السلوك الإيجابي

للأستاذ : أحمد مختار قطب

التوكل على الله ركن بارز من أركان سلوك المسلم .. وقد كان فى الماضى مصدر قوة لا حد لها عند المسلمين ، وكان مجرد الاعتقاد الجازم غير المرتاب فى هذه القاعدة من قواعد السلوك يفجر فيمن يعتقدها كل الطاقات الكامنة ، ويمنحه قدرة تكاد تكون كاملة على التفكير الموضوعى المتجرد ...

كان هذا فى الماضى البعيد بالنسبة للغالبية من المسلمين وفى الماضى القريب بالنسبة لأقلية منهم . أما فى الحاضر فاننا نسمع من يقول ان فكرة التوكل عليه هى السر الكامن وراء تأخر المسلمين وانها الحائل بينهم وبين الادراك الحقيقى لطاقات الانسان ، وهى المرادف للايمان بالغيبيات الداخلة فى معنى الاساطير ، وأن الشخص المتوكل على الله هو الانسان القاعد الهمة البعيد عن التفكير الموضوعى غير المتدبر والمتفهم لاحكام وقوانين الحياة وهو الذى انعدمت عنده كل القوى الحافزة .

أما أن فكرة التوكل على الله لعبت دورا خلاقا ومفجرا للطاقات فى الماضى .. فهذا صحيح بغير شك .. وأما أن الكثيرين يحاولون الان تحميلها معظم مظاهر تخلفنا فليس هناك شك فى ذلك أيضا .. فكيف يتأتى ذلك وكيف يمكن أن تكون الفكرة الواحدة مصدرا للنقيضين ومؤدية للسبيلين المتعارضين .

الاصل أن الفكرة الواحدة تخدم غرضا واحدا فالاتجاه بالذهن للخطو الى الامام لا يمكن أن يؤدى بالانسان الى التقهقر للخلف الا اذا كان هناك خطأ فى الخطوة الى الامام منعها أن

تؤدى وظيفتها ، أو خطأ فى ذهن الانسان حيث حسب أنه يأمر ذهنه بالاتجاه الى الامام فى حين انه أمره بالارتداد الى الخلف أو لم يكن هذا الذهن يفهم معنى لفظ التقدم ، وحسب أن لفظ الارتداد يؤدى هذا المعنى .. وخلاصة الامر أن الخطأ لا بد وأن يكون كامنا فى الطريقة التى فهمنا بها أية فكرة .

فان فهمنا معنى التوكل على الله بأن الله لا يكون وكيلا الا لمن آمن به والتزم بكل احكامه ، كان هذا الفهم منا مؤديا الى نتائج ... وان فهمنا أن معنى التوكل عليه معنى مستقل عن الالتزام بالواجب وانه انتظار للشىء من غير اسبابه وتوقع الامر من غير مقدماته المحدثة له ادى هذا الفهم الى نتائج متعارضة ومتناقضة مع النتائج الاولى .. فحيث نقول ان حقنا فى التوكل على الله لا يتقرر الا اذا اوفينا بما امرنا به تحدث هذه الفكرة فينا ما احدثته فى اوائل المسلمين .. وان اسقطنا واجبنا فى الطاعة وطالبنا بحقنا فى التوكل ادخلنا هذا الفهم فى باب التواكل وتغيرت الصورة تغيرا كاملا وارتددنا الى الخلف ونحن نعجب كيف لا تقودنا خطانا الى الامام .

فالعلة كامنة فى الانسان ابدا .. وكل حق يقابله واجب .. والالتزامان متقابلان .. ونقول ان التوكل على الله حق للانسان الذى يؤدى الواجب الذى قال به من نتوكل عليه وهو الله سبحانه وتعالى لا ما نادت به اهواؤنا ولا ما نادى به من لا يتبعون صراط الله المستقيم .

هذا هو السر فى اختلاف النتيجتين .. بل تناقضهما .

— . — . —

وعلى ذلك فمفتاح المسألة هو فى فهم أن المتوكّل عليه يسعف المتوكّل وشرط هذا الاسعاف هو قيام المتوكّل بكل ما يطلبه منه المتوكّل عليه ليوصله النتيجة التى وعده بها وهذا هو الذى وصلنا اليه من محاولة تفهم النصوص القرآنية فضلا عما توحى به البديهة من أنه من غير المعقول أن يأمر الله عباده بقاعدة سلوك فيها تخلفهم وهلاكهم والشاهد من الاستقراء التاريخى كما قلنا انها كانت بمثابة التفجير الذرى لكل الطاقات الكامنة فى النفس البشرية ..

ولنقرأ معا الآيات الثلاث الاولى التى جاءت فى سورة الاحزاب لنرى هذا المعنى واضحا كل الوضوح :

« يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »

والخطاب فى هذه الآيات الكريمة موجه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتضمن ثلاثة أوامر يمكن بعد التزامها التوكل عليه .

فهو يؤمر باتقاء الله اى بتجنب كل ما يمكن أن يؤدى الى مخالفة الله وهى درجة سابقة على الوقوع فى الخطأ سدا للذرائع المؤدية اليه .

وهو يؤمر بألا يطيع الكافرين والمنافقين أمرا عاما لا استثناء فيه بحيث يشمل فيما يشمل كل ما جاءوا به من علم انتهى بهم الى الكفر لان ما عند الله من العلم والحكمة هو الحق « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » (الاحزاب آية ٤) ..

ونلاحظ فى هــذا النهى انه اقتصر على الطاعــة ولم يشمـــل المعرفة والتقصى والبحث لما فــى المعرفــة والعلم من فوائـــد جمة أيا كــان مصدرها .

وأخيرا فانه يؤمر وقد ترك هذه المصادر من المعرفة بأن يتبع ما يوحى اليه من ربـــه لان هذا الوحى منزل عليه من الخبير العليم الذى يعتبر وحـــده المصدر الحقيقـــى للمعرفة الواجبة الاتباع .

فاذا تم ذلـــك ورفض الرســـول الكريم اتباع كل ما تعج بــه الدنيا من تقلبات فكرية يأتى بها الكافرون والمنافقون وأمعن فـــى اتقـــاء الله وتجنب كل المزالق التى وان كانت فى مظهرها بريئة ويحسب الانسان انه قـــادر على التحكم فى مسارها الا انها حتما أقوى منه ومؤدية به الى الوقوع فيما يغضب الله .. اذا فعل الرســـول الكريم ذلك فلا خوف عليه ولا يجب أن يساوره أدنى شك فيما نصحه بــه الله وما أنزل عليه من وحى وليثق كل الثقـــة ان وعد الله حق وليؤمن ايمانا لا يتزعزع ان كل ما أمره الله باجتنابه لن يوصله الى شيء وما عليه الا أن يمتثل لما يقوله ربـــه « وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » .

أما ان حدثت الصورة العكسية وارتاب القلب وخشى أن يقطع قطعا جازمـــا بهذا الرأى ولابسه خـــوف أن تكون أهواء الكافرين والمنافقين وتقلبات أفكارهم وافئدتهم حاوية لما قد ينفع فليس للشخص اذن أن ينتظر نصرا من الله ولن يكون وكيله فيما خالفـــه فيه ولينتظر من سبيل هؤلاء الكافرين أن يؤدى بـــه الى ما هو مقدر لمثلـــه من نتائج سيئـــة مهما تحوى فى بعض مراحله من أضواء تصلح للخـــداع ولا تصلح للانـــارة الحقيقية وفـــى ذلـــك تقول الآيـــة الكريمة :

« ولن ترضى عنـــك اليهـــود ولا النصـــارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهـــدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير » . (سورة البقرة آية ١٢٠) .

هذا حديث الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم يبشره فيه بوكالته عنه وهو متبع لطريقـــه ويحذره فيه ايضا من ان اتباع السبل ستكون نتيجته الحتمية أن يوكل المرء لهذه السبل تجرفه حيث قدر لها أن تجرف تابعيهـــا .

والخطاب الموجـــه الى الرسول الكريم موجه بدوره الى كل المؤمنين ومع ذلـــك نجد الكثير مـــن الآيات تخاطب المؤمنين بهذا الذى خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وتقول لهم ان الله تكفل بمن يتبع سبيله وأما الناكصون عن هذا السبيل فهم وما تؤدى بهـــم سبلهم .. من ذلك ما نراه فى سورة ابراهيم من ربط واضح بين سبيـــل الله والتوكـــل عليه .

« ومالنا الا نتوكل على الله وقد هـــدانا سبلنا ولنصبرن علـــى ما آذيتمونـــا وعلـــى الله فليتوكـــل المتوكلون » (سورة ابراهيم آية ١٢)

وتقول الآيـــة ١١٥ مـــن سورة النساء :

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لـــه الهدى ويتبـــع غير سبيل

المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وفى ذلك تبصرة كافية بأن من يعزف عن سبيل المؤمنين تتولاه السبل الاخرى بقوانينها .

. . . .

هذه هى القاعدة العامة فى التوكل عمادها الايمان المطلق بكل ما امرنا به مع الثقة الكاملة فى وعد الله بنصر المؤمنين .. ولا شك أن الالتزام بالواجب قد يكون شاقا وتزيد المشقة عندما يكون الملتزمون به أقلية تعيش فى مجتمع تنشأ قيمه من احتياجاته المؤقتة .. وتمعن فى الزيادة عندما يكون الوفاء بالواجب قائما على بذل النفس والتضحية بالحياة فى صورة الاستشهاد عند القتال فى سبيل الله وقد تبدو فى كل هذه الحالات القيم المخالفة للشرع ذات بريق وأقرب الى تحقيق الاغراض العاجلة ، وقليل من الناس من يستطيع التصرف لحساب الآجل لا العاجل ، وكان طبيعيا أن يمر المسلمون بهذه الامتحانات وأن يرق ايمان بعضهم وأن يتزعزع من بعضهم القلب والوجدان ويحسبون أن طرق غير المؤمنين ادعى وأقرب لاستجابة متطلبات الحياة ويقول البعض كما قال القرآن الكريم « هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » كان هذا طبيعيا وكان من الطبيعى أيضا أن يقابله القرآن بالتعليم والارشاد والتوجيه وضرب المثل فاذا تكالب الناس على جمع المال وظنوا أن التحلل من كل قيمة فى جمعه وفى التصرف فيه — هى الطريقة المثلى ينبههم القرآن الى أن الرزق الواسع والضيق أمر مقدر وهو خاضع لآلاف بل ملايين من العناصر التى لا يمكن لنا الاحاطة التامة بها وان علينا التزام الرشاد فى الحصول على الرزق وتنكب هذا السبيل لا يؤدى الا الى بريق لا بد أن يخبو ، وما نسميه حسن الحظ وسوءه فى جمع المال لا يخرج عن كونه ارادة الله فى توزيع الرزق على عباده .. وقد يكون جامع المال سىء الحظ فلن يقدر على شىء منه ولن تغنيه كل وسائل الانحراف والعكس صحيح .. فما دام الامر كذلك فلا مصلحة لنا فى الخروج على أوامر الله ، وضرب الله للناس مثلا لذلك ما كان من شأن قارون الذى أبى أن يستجيب لنداء الله ورفض أن يخضع فى ماله لما أمر الله به من احسان وحسن قصد فى استعمال القدرات المالية وزعم انه هو السبب الاول والاخير فيما وصل اليه من ثروة ولذلك فهو القانون ورغباته هى الدستور الذى يحكم كل تصرفاته وإلهه هواه .. وأصبح هذا الموقف فتنة للكثيرين ممن تمنوا مكانته ... والاعجاب بالقدرة قد يتطور الى تكوين قيم وقواعد سلوك تقليدا للقادر المنتصر فلما ذهب المال وحلت بقارون الكارثة أدرك الذين كانوا مفتونين به أن خطايا قارون لم تكن هى السبب فى ثرائه كما انها لم تستطع أن تحمى هذه الثروة وان هناك ما هو أعلى من الاسباب الظاهرة وهو ما درجنا على تسميته بالحظ وان الذى يجب أن يستقر فى اذهاننا هو التمسك من هذه الاسباب الظاهرة بما أمرنا الله بالتمسك به فهو وحده يملك الظاهر والباطن .

« واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون » . (سورة القصص آية ٨٢) .

ولن نمضى فى ضرب الإمثال وحسبنا أن نضيف الى ما قلناه ما اتصل بالواجب الاشد وهو واجب الاستشهاد فى سبيل الله ان دعت لذلك الاسباب ولقد بدأ هذا الواجب عندما فُرض القتال وهو ما لا تألفه النفس البشرية وتؤثر عليه الدعة ولكن القرآن الكريم وقد فرضه على الناس عندما يكون فى سبيل الله لا لأى غرض من الاغراض التى لا حصر لها لقتال الناس بعضهم بعضا قال لهم ان الاقبال على أداء هذا الواجب هو السبيل لحياتهم وان الامم التى آثرت الدعة تفريطا فيما أمرها الله به انتهت بها الحياة الى المذلة وأدت بها المذلة الى الاسترقاق وهذا أدى الى الفناء والهلاك كان هذا حال بنى اسرائيل عندما قالوا لنبيهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكان ايضا حال غيرهم من الامم ، ثم يعرج القرآن الكريم الى الحجة الفاصلة فيقول للقاعدين انكم تحسبون أن فى قعودكم حماية لكم وانكم اكثر حصافة واصالة فى الرأى ولكن هذا وهم فارغ ، فالموت آت لا ريب فيه والحياة الى أجل ، وفرق أن يأتى هذا الاجل على شرف وبين أن يأتى على مذلة وهوان .

« الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » .
(سورة آل عمران آية ١٦٨) .

« وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .
(سورة التوبة آية ٥٠ و٥١) .

فالحرص والقعود والهرب سبب للمذلة لا للنجاة فلكل أجل نهاية لن يؤجل وقوعها اى ترخص أو تحلل أو تفريط واذ تقع هذه النهاية الحتمية لن يتبقى الا الندامة على ما فرط فيه الانسان ليتفادى ما لا يمكن تفاديه .

— . — . —

هذا هو التوكل على الله .. أعلى درجات السلوك الايجابى .. وغاية ما يكلف به المؤمن من صدق وايمان .. فاذا كان يمثل لدى بعض المسلمين غير ذلك فالعلة فيهم لا فى عقيدتهم .. واذا حاول غير المسلمين القول بأن التوكل على الله هو التواكل فهو أما بسبب عدم فهمهم للعقيدة واما بسبب رغبتهم الخبيثة فى تشكيك المسلمين فى قيمهم وقواعد السلوك لديهم ، واذا تشكك الانسان فى قيمه وقواعد سلوكه طرحها وبحث عن غيرها من المعروض فى الاسواق .. والعجيب أن كثيرا من المسلمين يؤمنون بقاعدة السلوك التى ألقيت لهم فى هذه العبارة « أد الواجب ودع ما يكون » ويجهلون أن قاعدة التوكل على الله تشمل هذه القاعدة وتستوعبها فأداء الواجب هو ما قلناه من اداء ما أمر به الله وترك ما يكون بعد ذلك هو التوكل عليه ...

محب الدين الخطيب

للأستاذ : أنور الجندي

اكتب هذا مسرعا الى مجلة (الوعي الاسلامي) الزاهرة لتسجل صورة خاطفة لشخصية من ابرز اعلام الفكر الاسلامي المعاصر ومصلح حمل لواء الدعوة الاسلامية منذ اكثر من اربعين عاما عندما اصدر مجلتيه ((الزهراء والفتح)) فكانتا امتدادا للمنار الذي كان يصدره السيد محمد رشيد رضا منذ اوائل القرن العشرين الميلادي ، وكان هذا امتدادا للعروة الوثقى التي اصدرها السيد جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده قبل الربع الاخير من القرن التاسع عشر في باريس ، فامتد منذ ذلك الوقت خط الصحافة الاسلامية الذي جاءت (الوعي) لتمثل مع الصحف الاسلامية المعاصرة بعدا جديدا له .

ومن الحق ان السيد محب الدين الخطيب قد حمل في العالم لواء الدعوة الاسلامية منذ وقت باكر ، وكان من اكبر العاملين لتاسيس جمعية الشبان المسلمين التي انتشرت فروعها في العالم الاسلامي كله ، وفي المكتبة السلفية التي اسسها منذ عام ١٩٠٩ (والتي اتصلت بها مطبعة الفتح ١٩٢١ وجريدة الفتح ١٩٢٥) وبين طائفة كريمة من اهل الفضل في مقدمتهم الشيخ الخضر حسين واحمد تيمور باشا امكن اقامة هذا البناء الذي ضم في اول تشكيل له : الدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والدكتور يحيى الدرديري ، وغيرهم .

وكان من وراء هؤلاء جميعا هذا الرجل الصامت المتواري الذي يكره الدعاية والاعلان ، وحملت جمعية الشبان لواء الدعوة الاسلامية ومقاومة حركة التبشير الضخمة التي كانت تجتاح الامة العربية كما حملت مجلة الفتح لواء الدفاع عن حرية الاقطار العربية وجاهدت جهاد الابطال مع حركات التحرير في تونس والجزائر وليبيا ومراكش حتى ظفرت

فرنسا دخولها فكانت تغير اسمها وتدخل تحت اسماء أخرى وتهرب فى الازواد التى تحملها قوافل الجمال الضاربة فى الصحراء ، ومن خلال هاتين المؤسستين عمل السيد محب الدين الخطيب فى حماسة وايمان وبعد عن الشهرة والأضواء حتى ليمكن القول بأن أبرز كتاب الأمة العربية اليوم من المتخصصين فى الدراسات الاسلامية قد بدأوا خطواتهم الأولى فى الفتح.

وقد صور هدفه من انشاء مجلة (الفتح) التى عاشت بضعة وعشرين عاما (١٩٢٦ — ١٩٤٨) بفضل صموده وقوة ارادته الغلابة فى مواجهة الصحافة ذات الموارد الضخمة : يقول :

((ان الفكرة التى تمثلها الفتح فكرة عظيمة فى ذاتها ، وهى وليدة الاسلام فليس لنا ولا لغيرنا فضل فى ايجادها وتكوينها ، وانما الفضل كل الفضل هو فى الاكثار من العاملين لها والعارفين بمزاياها والمجاهدين فى سبيلها ..)) .

وقد سجل مبادىء الفتح على صفحتها الاولى على هذا النحو الذى يمثل فى ايجاز شديد فلسفته ومفاهيمه ويدل على مزاجه النفسى (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، الفتح لأهل القبلة جميعا ، العالم الاسلامى وطن واحد ، المسلمون الى خير ولكن الضعف فى القيادة ، انت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا تؤتين من قبلك ، اعمل ليراك الله وحده ، وتوار عن انظار الناس ، الفتح رسالة الاقطار الاسلامية بعضها الى بعض)) .

وهو يكشف عن رسالة القلم عنده فى عمق عجيب ، وتبدو كلماته اليوم وبعد وفاته أشد اثارة وأبعد مدى فى تصوير ايمانه واخلاصه واعتداده بذاته وهو الذى لا حول له ولا قوة من نفوذ أو منصب : (انا فى نفسى كثير العيوب وأنى كأمثالى من البشر محل العجز والنقص ، ولكنى ساعة أمسك القلم لاكتب ما اكتبه للفتح لا أجد أمام عينى اللتين سياكلهما الدود الا ذلك الميزان الذى أزن به الأحداث والآراء ولا أقيسها الا بمقاييس الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون غير ملاحظ شيئا غير مصلحة المسلمين العامة وافقت أهواء الناس ومصالحهم أو خالفتها ، وأفقت مصلحتى ومنفعة الفتح المادية أو خالفتهما) .

(أنا فى نفسى صغير فقير ، قليل النصير ، ولكنى ساعة أدفع السوء عن حقائق الاسلام أو ابتغى المصلحة لعامة المسلمين لا أشعر بأن فى هذه

الارض قوة للباطل أخشـــاها على الحق الذي أنطق بلسانه لأن اللسان الذي انطق به هو لسان الاســـلام القوى ، وليس لسان الانســـان الضعيف) .

وبين آن وآخر ، وعـــلى مر السنوات يؤكد موقفه ويعاود قطـــع العهود على الحق الـــذي يتبعه :
((قطعت على نفسي عهدا بيني وبين ربي ، وأهتف به الآن عـــلى مسمع من الموافق والمخالف بأنى ما أدخرت ولا أدخر وسعا في العمل من جهتي على المضي في هذا السبيل ما حييت ، وعهد آخر قطعته على نفسي ، وبيني وبين ربي ، اهتف به ((بأني ما وزنت ولا ازن احـــداث البشـــر وآراءهم الا بميزان الاســـلام ، كما فهمه الصحابة والتابعون ، ولا حـــكمت ولا أحكم على تلك الأحداث والآراء الا بما تقتضيه وحدة المســـلمين ومصـــلحتهم العامـــة المجردة من الأغراض والأهواء)) .

تلك انطلاقة هذه الشخصية التي عملت في صمت وجد وقوة في مجال الدعوة الاسلامية منذ عام ١٩٠٩ حتى نهاية عام ١٩٦٩ ، حيث توفي يوم ٣٠ ديسمبر وهو يراجع تجارب المجلد الثالث عشر فوق سريره بالمستشفى الذي دخله لفترة قصيرة ــ من كتابه الضخم (فتح البـــاري في تحقيق صحيح البخاري) والذي عكف عليه منذ عشر سنوات كاملة بعد أن ترك رئاسة تحرير مجلة الأزهر التي وليها خمس سنوات كاملة والتي قدم فيها عصارة كاملة للفكر الاسلامي من خلال أكثر من (٦٠) بحثا تمثل افتتاحيات هذه المجلة العالية شهريا .

ومن خلال عديد من كتاباتـــه في مجلة (الفتح) استطعت أن أحصل على صورة واضحة لمطالع حياتـــه ومفتاح شخصيته كتبها بقلمه خلال فترات متباعدة وهي تتشـــكل في تنسيقها اليوم (صورة حياة) خصبة عريقة في مجالها الذي اختارتـــه وصمدت فيه صمودا مليئـــا بالايمان واليقين في حياة امتدت ٨٦ عامـــا هجريـــا = (١٣٠٣ ــ ١٣٨٩ هـ) ــ (١٨٨٥ ــ ١٩٦٩ م .)

((كان أبي أمين دار الكتب الظاهرية ومات أبي وأنا ابن اثنتي عشرة سنة فأخذ الشيخ طاهر الجزائري بيدي ووجهني الى الاسلام الحق ، وأوجدني في البيئة التي أشرفت منها عـــلى حقائق المجتمع ، وكانت له حلقة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع وتضم (جمال الدين القاسمي ، عبد الرزاق البيطار ، ســـليم النجاري ، رفيق العظم ، محمد كرد علي ، ســـليم الجزائري ، شكري العســـلي ، عبد الوهاب المسلمي ، عبد الحميد

الزهراوى ، عبد الرحمن شهبندر ، فارس الخورى) وأكثر ما كـــانوا يجتمعون فى الدار الكبرى التى كان يملكها رفيق العظم فى حى مئذنـــة الشحم بدمشق ، وكان مجلس هذه الحلقة يستعرض كل ما يهم المفكرين استعراضه عن الحركـــــة العلمية والفكرية والسياسية من خلال أسبوع وكان الشيخ طاهر يسدد اتجاهاتهم ويوقظهم لما خفى عليهم من أسباب الاصابة فى الرأى)) .

ويقول أنه تأثر بكتابين هامين : كتاب أم القرى لعبد الرحمن الكواكبى وكتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية لمحمد عبده .

ويتحدث عن شيخـــه وأستاذه ، أما شيخه فهو (طاهر الجزائرى) : ((هو الذى ربى عقلى وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ فى دار الشـــام الا وكانت له صلة بهذا المربى الأعظم واستفادت من عقله وسعة فضله وهو على الجملة نواة الخير الأولى ، وأهم كتب السلف النافعـــــة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارتـــــه وتحريضه ، وأنا وكل ما نشرته لسنا الا قطرة فى بحر الخير الذى كـــان يتدفق من هذا العالم الذى كانت الدنيا لا تساوى عنده جناح بعوضة)) .

أما استاذه فى الصحافة فهو (على يوسف) يقول : ((التحقت بتحريـــر (المؤيد) (سبتمبر ١٩٠٩) وقـــد وجدت منه عطفا وتشجيعا ، وبقيت أعمل فى تلك الصحافة الاسلاميـــة التى كانوا يسمونها (تيمس مصر) الى ما بعد وفاة صاحبهـــــا ، وقد استفدت من أساليبه الصحفية ومن خطته الاسلامية ما أنا مدين له به ما دمت حيا ، وفيها صاحبت المنفلوطى وتعرفت بحافظ ابراهيم ، واتصلت يومئذ من طريق (المؤيد) بكل ذى مكانة سامية من رجـــــالات مصر وعظمائها فكان ذلك عونا لى عـــلى أدراك حقائق الحياة)) .

أما مجلة (الفتح) فيقول ((ان سبب وجودها هو (أحمد تيمور) وأنه لولا (تيمور) باشا لما وجـــد الفتح وأقـــول مقتنعـــا أنه لولا وجـــود الفتح لما وجدت هـــــذه الصـــحف الاسلامية بعده ، وعندما صـــحت العزيمة على اصدار الفتح لم يـــكن فى مصر صحيفة اسلامية غير مجلـــة (المنار) ، وكانت منتشرة فى دائرة ضيقة لانها شهرية ولانها ذات ابواب محددة لا تتسع لاكثر ما يكتبه منشئها رحمه الله .

وعن طريق الفتح بدأت دراسات اسلامية استكملت من بعد وأصبحت مؤلفات هامة ، وتصـــححت حقائق كثيرة وأزيلت شـــــبهات وعرضت (الفتح) لكل التحديات التى واجهت الفكر الاسلامى والثقافة الاســـلامية ودحضت كل كذبة مضللة ، وواجهت دعاة التغريب وحطمت مخططاتهم ، وكان من أكبر أعمالهـــــا تحريض الشاعر أحمد محرم على كتابه الالياذة الاسلامية .

وقد بلغ من أمر الفتح ان ذكر كثير من المراقبين((ان دار المطبعة السلفية كانت نبع القلوب الصادية تردها من

الشباب فئة قليلة الصبر على ضيم ينزل بالأمـة العربيـة من ظـلم الاستعمار » .

وقد صور الدكتور زكـي عـلى : جهاد السيد محب الدين الخطيب فى مجال الدعوة الاسلامية فقال « انه أعلم المصريين بسير الدعوة الاسلامية وأحوال العالم الاسلامى ، وهو أول من لخص فى سطور توج بها صحيفته برنامج اتحاد اسلامى على الوضع الأمثل وأثبت فى طليعتها ، أن العالم الاسلامى وطن واحد ، وهو يعتقد أن النيل وبردى والأردن ودجلـة والسند تجرى فى وطن واحد ، وان المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها أخوة تظلهم فكرة واحدة وان اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأقطارهم ثم يمتاز محب الدين الخطيب بأنه ما حاد يوما عن الطريق الذى رسمه لنفسه منذ حمل لواء الجهاد والنضال والذود عن كرامة الاسلام ومصالح المسلمين فى كل بقعـة من بقـاع الارض ، فهو لم يجعل صحيفته سلعة ولم يتخذ من قلمه صناعة ، وهو اذا قال أو كتب فهو أقدر الناس عـلى تصوير نفسية المسلم الحقيقى » .

هذا ما قاله الدكتور زكى على عام ١٩٤٠ أى منذ ثلاثين عاما وقد أكدت الأحداث حياة السيد محب الـدين الخطيب حتى لقى ربه صدق هـذا الايمان وعمق هذا الاباء ، وبعد هذا المصلح عن المطامع الخاصة والشهرة والأضواء حتى انه كـان يحذف من القصائد أو المقالات ما يعرض لـه الكتاب خاصا بتقديره ، ويقول عن قصيدة للدكتور زكى أبو شادى : « لشد ما كانت دهشته عندما رأى القصيدة بعد نشرها مطويا منها أبيات يتمنى الكثيرون ممن طارت شهرتهم فى الآفاق أن تكون قيلت فيهم وأن يبذلوا فى سبيل ذلك أعز المعطيات »

وقد خلف السيد محب الـدين الخطيب تراثا ضخما من الأبحـاث والدراسات يمكن أن يشكل اذا عرض ونسق أيدلوجيا كاملا للفكر الاسلامى الحديث فى مواجهـة الحضـارة والتغريب والتطور ، وقد كان أسلوبه رقيقا طيعا ، فقد اتاحت له دراسته للفرنسية والتركية الى جوار تعمقه فى اللغـة العربية والادب العربى قدرة فائقـة على الاداء والبيـان فضـلا عن قـوة عارضـته فى دحض الشبهات وكشف عظمة الاسلام والدفاع عنه بأسلوب هـادىء بعيد عن الحدة أو الهجاء أو الارتطام ، فقد كانت غايته أن يكشف الحقائق دون أن يجرح الكاتبين ، وان يرد عادية الخصوم دون أن يشتبك معهم على النحو الذى يخرجه عن دائرة النضال .

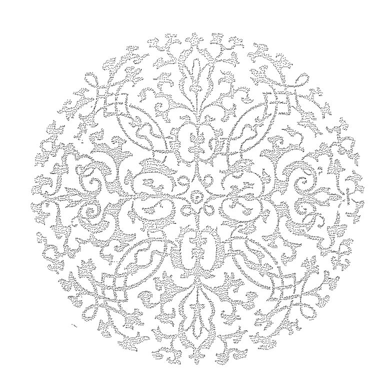
ولقد عرفت السيد محب الـدين الخطيب منذ أواخر الحرب العالمية الثانية ، وجلست اليه طويلا ، ورأيت سماحته واشراق طلعته وهيبتـه وعناده فى الحق ، لا يتراجـع عما يعتقده الحق ، الى ايمانه وايجابيته وبعده عن الضوء ، ولقد تابعت مع الايام لقاءه وكنت أعجب فى السنوات الأخيرة من صبره الدائب فى تحقيق البخارى وربط أحاديثـه ومراجعته مع كتب الصحاح وتحقيق أعلامـه وكتابه وتراجمهم ، ومـا زلت أرى أعجابه بمقامه فى الروضـة وفى شارع الفتح المسمى باسم صحيفته ، قريبا من أول خطـا « عمـرو بن العاص » فى مصر القديمة وعـلى

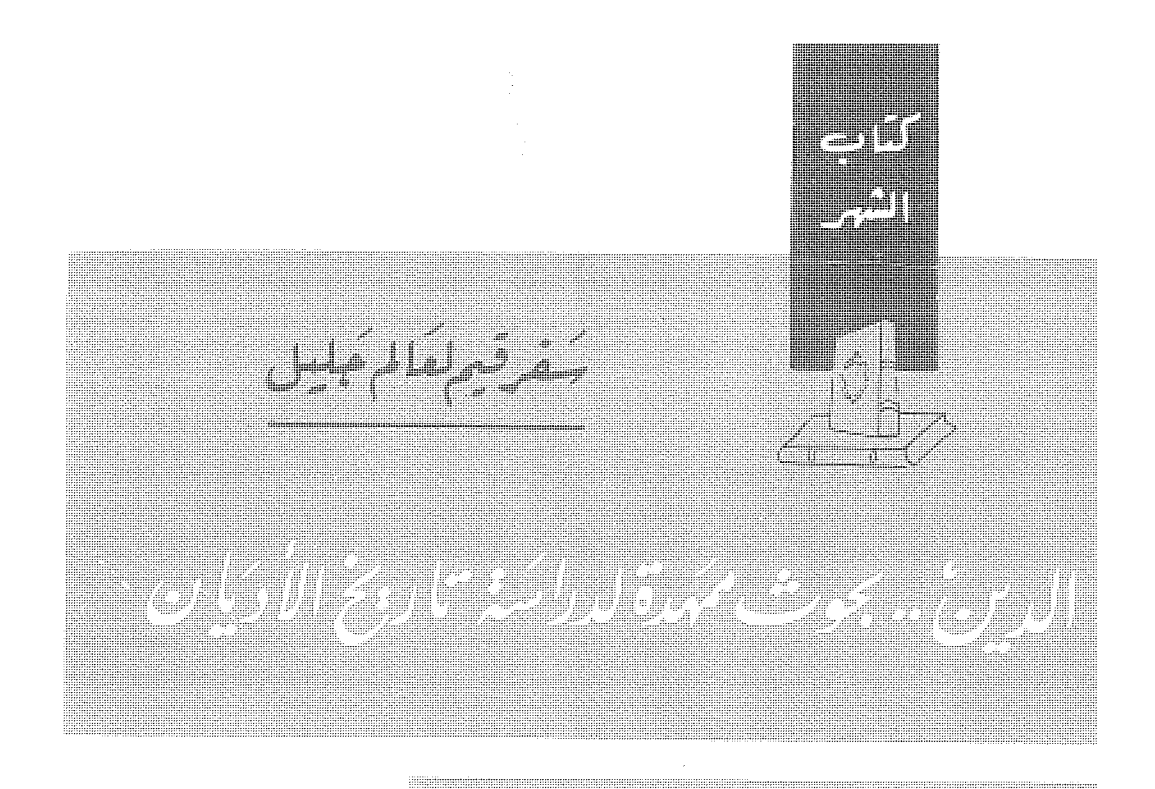
مرمى البصر من ســـاعات التاريخ الاسلامى الأول .

ولعل السيد محب الدين الخطيب هو أول مفكر عربى صـــاغ فلسفة العروبة والاسلام متصلة ملتقيــة ، ويشاركه فى هذا شكيب أرســلان وعبد العزيز جاويش ولكنـــه يفوقهما تقييما لفلسفة العروبة والاسلام فى ابحاث علمية ، ولعــل ابرز ملامح حياته الفكرية ذلك الايمان الخالص بالاســلام نقيا صــافيا معــارضا فى كـــل ذلـــك كـــل دعـــوة تحمل اسم الاسلام ولا تؤمن به ، ولقد كان للسيد محب الدين الخطيب موالاته والمامه بكل ما طبع ونشر من التراث العربى الاسلامى ومن كتب السيرة والفقه والتاريخ ، فى عديد من طبعاتها وما يتصل بها مـــن نقص وزيادة ، وما يتصل بالفرق الاسلامية من آراء ومذاهب وانحرافات ، وهو جرىء فى الحق يقول كلمتــــه فى صراحة لا تعرف المجاملة .

وأبرز ما خلف السيد محب الدين الخطيب مكتبته التى بلغت حتى اليوم مائتى ألف مجلد ، والتى جمعها فى خلال ستين عاما وما تزال بعد أكبر المكتبات الخاصة فى العالم العربى ، فقد سابقت مكتبة أحمد تيمور التى بلغت (١٢٠ ألفا) وأحمد زكى التى بلغت (١٧٠ ألفا) وتضم مكتبـــة الخطيب ، أضابير وجذاذات وأوراقا ورسائـــل ومذكرات حافلة بالآراء والأخبار التى يمــكن اذا نشرت أن تضيف كثيرا وتحقق كثيرا من وقائع التاريخ والاحداث فى الخمسين عاما الماضية من تاريخ الامة العربية ومن بين هذه الأضابير رسائل جرت بينه وبين الأمير شكيب ارسلان قيل انها بلغت ألف رسالة ولعل الابن البـــار لأبيه الأستاذ قصي القائم على دار الفتح والمكتبة السلفية يعمل مع محبى والده على أبراز هذه الآثار وتحقيقها.

ولعل خير ما نختم به هذه الكلمة عبارة المترجم له التى كان يرددهـــا كثيرا : ان رياح النصر فى الجهـــاد لا تهب الا على رجال يريدون وجـــه الله فى كل ما يعملون عرف لهم ذلك أم جهلوه ، اعترفوا لهم به أو أنكروه وآفة جهادنا أعجاب المرء بنفســـه وانتباه شهوة الظهور فى بعض أهل الفضل فينقلب كل خير الى شر وبذلك تخمد جذوة الجهاد ويتســلل الناس لواذا من قادته ودعاته .





للمغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز

عرض وتلخيص للأستاذ : حمدى متولى مصطفى صالح

. . . .

صدرت عن القاهرة (مطبعة السعادة) منذ شهور الطبعة الثانية من كتاب المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز (١) ((الدين .. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)) وقد نشر الكتاب فى طبعته الأولى سنة ١٣٧١ هـ الموافقة ١٩٥٢ م .

ويقع الكتاب فى مائتى صفحة من القطع المتوسط تتضمن مقدمة وأربعة بحوث .

فى المقدمة نقرأ عرضا سريعا لتاريخ الأديان فيقول د. دراز انه رغم حداثة كلمة (تاريخ الأديان) فان العقائد البشرية قديمة قدم البشرية ذاتها :

---

(١) د. محمد عبد الله دراز (١٨٩٤ — ١٩٥٨) ولد بمحلة دياى (دسوق) من قرى (ج. ع. م) تعلم بالأزهر ومعاهده حصل على الدكتوراه من السربون سنة ١٩٤٨ وقام بالتدريس بالأزهر والجامعات المصرية حصل على عضوية جماعة كبار العلماء (١٩٤٩) ومثل مصر فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى لاهور من ٥٧/١٢/٢٩ الى ٥٨/١/٨ وتوفى وهو يستعد لالقاء بحثه فى المؤتمر عن علاقة الاسلام بالديانات الأخرى وموقفه منها .

ففى العصر الفرعونى :

كان للمصريين دياناتهم التى كانت تتصف فى الأعم الأغلب بالتسامح ، ومحاولة التوفيق بين كافة المقدسات والمعبودات بافتراض أنها تنتمى الى أسرة واحدة .

وفى العصر الاغريقى :

تتلمذ الفلاسفة على الحضارة المصرية ، وقدموا دراسات وصفية للاديان المعروفة وقتئذ ، اتسمت فى الغالب بالطابعين الأسطورى والتمثيلى ، كما ظهرت مذاهب فلسفية تراوحت بين الشك واليقين ، منها السوفطائية واللا أدرية والابتيورية والرواقية الى جانب الفلسفة التحقيقية الايجابية التى تعترف بوجود حقيقة ثابتة للاشياء وبأمكان العلم بها ، ومن أعلامها سقراط وأفلاطون وأرسطو .

وفى العصر الرومانى :

انتقلت مذاهب الاغريق الى الأمة الرومانية بفضل الفتوح ، وان كان انتقالها شكليا محرفا يتسم بالتردد والتلفيق واللامبالاة أكثر مما يتسم بالتسامح الدينى .

وفى العصر المسيحى :

أعلنت المسيحية دينا رسميا للدولة بفضل الامبراطور قسطنطين (٣٢٥ م) ، وعرفت مدافعين عنها ضد النحل الجديدة المنافسة لها على رأسهم القديس (أوغسطين) .

وجاء الاسلام فأيقظ غرب أوروبا من عزلته الأدبية اذ لم ينتبه الغربيون لكنوز الحضارتين اليونانية والرومانية الا وهى فى أيدى العرب المسلمين — ففلسفة أرسطو مثلا لم يسمع بها الغرب الا على لسان ابن رشد واتباعه — وتميز أثر المسلمين فى علم الاديان بطابعين مبتكرين .

١ — صار علم الأديان علما مستقلا عن العلوم والمعارف الأخرى .

٢ — قام على دراسات وصفية واقعية لكافة الاديان والعقائد ، معتمدة على مصادرها الأولى الموثوق بها ، وقدم العرب المسلمون كثيرا من المؤلفات فى علم الأديان ، منها الملل والنحل للشهرستانى ، والفصل فى الملل والنحل لا بن حزم وغيرهما .

وببداية عصر النهضة اتجهت ، أوروبا الى التنقيب عن الآثار الاسطورية ، وتفسير ما ترمز اليه من عقائد ، ثم ظهرت حركة الاصلاح المسيحى (البروتستنتية) ، واهتمت بفهم نصوص الكتاب المقدس والتمسك بحرفيته ... وفى أواخر القرن الثامن عشر صار (علم الأديان) ذا شعبتين .

١ — شعبة قديمة مجددة

تقوم على وصف وتحليل كل ملة مع تجديدها ، بتوسيع مادة البحث ليشمل العالم أجمع بدلا من حوض البحرين الأبيض والأحمر ، وكذلك الاستفادة بما تقدمه العلوم والمعارف الأخرى من وسائل البحث .

٢ ــ شعبة جديدة مبتكرة :

وهى ضرب من الدراسات النظرية والاستنباطات الكلية التى تهدف الى اشباع نهم العقل فى التطلع الى أصول الأشياء ومبادئها العامة ، حين تتشعب عليه جزئياتها وتفصيلاتها .

.. ..

وفى البحث الأول : يقدم المؤلف تحديدا لمعنى الدين اللغوى ، فيؤكد أصالة مادة (الدين) فى اللغة العربية ، بخلاف ما ظنه بعض المستشرقين من أنها دخيلة معربة عن العبرية أو الفارسية ، ويضيف أن كلمة الدين عند العرب تشير الى علاقة بين طرفين ، يعظم أحدهما الآخر ، ويخضع له ، فاذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا ــ واذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمرا وسلطانا وحكما والزاما ، واذا نظر بها الى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذى يعبر عنها .

أما المعنى العرفى للدين فيعبر عنه علماء المسلمين بأنه (وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات ، والى الخير فى السلوك والمعاملات) .

أما الغربيون فيعبرون عنه تعبيرات كثيرة تتراوح بين تضييق دائرة الدين كتعريف (ماكس ميلر) الدين بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، وبين ابعاد فكرة الألوهية من التعريف كقول (اميل دور كايم) الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والاعمال المتعلقة بالاشياء المقدسة أى المعزولة المحرمة ــ اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة ــ ويستنكر د. دراز ما ذهب اليه (دور كايم) ، ويؤكد مع (أرنست شلايرماخر) بأن حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة والخضوع لها خضوعا كليا .

غير أن ثمة فروقا بين الخضوع الدينى واللادينى يتمثل فى صفات الشىء الذى يقدسه المتدين ويخضع له وطبيعة هذا الخضوع ذاته :

(فالقوة التى يقدسها المتدين ليست فكرة مجردة وصورة عقلية خالصة ، بل هى حقيقة خارجية .. وليست مادة يقع عليها الحس بل هى سر غيبى لا تدركه الأبصار .. وهى تتصرف بالارادة لا بالضرورة كالمغناطيس والكهرباء ــ ولها عناية مستمرة بشئون العالم تدبره ، ولها تجاوب نفسى مع نفوسه وهى قوة علوية سبحانية قاهرة غير مقهورة) .

وهذا ما يفرق بينها وبين كل من القوى المادية التى يخضع لها العالم ــ والقوى السرية التى يدعوها الساحر أو الكاهن ويحاول تسخيرها .

وفيما يتعلق بطبيعة الخضوع الدينى ، فان خضوع المتدين شعورى اختيارى مملوء بالأمل فى ذات المعبود وقدراته ــ وليس خضوعا آليا لا شعوريا قسريا يدفع اليأس والاستسلام ، أو الركون الى الأمن الغافل ، الذى تبعثه العادة الجارية ، شأن الخضوع للقوانين والظواهر الطبيعية .

وخلاصة القول فى معنى الدين أنه من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين هو (الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار ــ ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الانسان اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة وفى خضوع وتمجيد) .

ومن حيث هو حقيقة خارجة موضوعية هو (جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الالهية ، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها) .

وفى البحث الثانى : يعرض المؤلف لعلاقة الدين بأنواع الثقافة والتهذيب من أخلاق وفلسفة وغيرهما .

١ ــ الدين والاخلاق من الناحية التجريدية .. يمكن القول أنه لما كان الدين هو معرفة (الحق) الأعلى وتوقيره ، ولما كان (الخلق) هو قوة النزوع الى فعل الخير ، وضبط النفس عن الهوى فان الدين والخلق حقيقتان مستقلتان ، يمكن تصور احداهما بدون الأخرى ، فتختص أولاهما بالفضيلة

النظرية ، والأخرى بالفضيلة العملية ، ولكنهما يلتقيان فى نهايتهما ، لأن الدين لا يقرر الألوهيـة فقط ، بل هو مصدر حكم وتشريع أيضا ، لأن القانون الاخلاقى الكامل هو الذى يرسم طريق المعاملة الالهية والانسانية معا .

ومن الوجهة الواقعية :

فاننا نرى أن الشعور الأخلاقى أقدم وأرسخ فى نفس الطفل من الشعور الدينى ، ولا يشعر الطفل بحاجة الى تعليل ظواهر الكون ، وتقديس سر الوجود الا فى دور متقدم ، وفى المجتمعـات المختلفة تمتزج الاخلاق بالدين ، أو ينفصلان على درجات متفاوتة .

أما من الناحية اللغوية :

(فانه يلوح لنا أن هاتين الكلمتين ــ الدين والخلق لا تزالان تخضعان فى استعمالنا للقاعدة المعروفة فى الكلمات العربية التى من أسرة واحدة مثل (الرأفة والرحمة) ، (والبر والتقوى) ، (الايمان والاسلام) وغير ذلك ــ وهى أن هذه الكلمات التوائم كلما اجتمعت فى العبارة افترقت فى المعنى ، وكلما افترقت فى العبارة اجتمعت أو مالت الى الاجتماع فى المعنى بقدر الامكان) فـاذا قلنا (فلان ذو دين وخلق) قصدنا بالدين الجانب الالهى ، وبالخلق الجانب الانسانى ــ أما اذا قلنا (فلان ذو دين) أو (فلان ذو خلق) كان المعنى غالبـــــا أنه يقوم بالفروض الالهية ــ كما يقوم بالواجبات الانسانية بالتبعية .

الدين والفلسفة :

يتفق الدين والفلسفة فى موضوع البحث فكلاهما مطلبه معرفة أصل الوجود وغايته ، ومعرفة سبيل السعادة الانسانية فى العاجل والآجل ــ ولكنهما رغم ذلك قد يتفقان أو يختلفان فى النتائج بأقدار مختلفة فهناك الفلسفات المادية التى لا تعترف بشىء فى الوجود وراء الحس والمشاهدة ، مخالفة بذلك جميع الأديان وسائر الفلسفات ــ وهناك فلسفات روحية رغم اقرارها للالوهية فان بعضها قد تنكر قيام الاله ببدء الخلق من العدم ، قائلة بأنه قام بتنسيقها كصانع ماهر ، بعد أن وجدها أمامه ، كما يقول الافلاطونيون ، وبعضها الآخر قد ينكر عنصر الربوبية أى عناية الالـــه المستمرة بشئون خلقه مشبها اياه بالبناء الذى تنقطع صلته بالبيت بعد اتمام بنائه ، كما يقول أبيقور ، وعليه فليس ثم ما يبرر أن يرجو الناس خيرها أو يخشوا غضبها .

وحتى الفلسفات التى تلتقى مع الديانات فى الموضوع وفى الأصول العامة لا تزال تقوم بينها فروق كثيرة .

١ ــ فالفارابى :

يقول نقلا عن قدماء اليونان ان الفلسفة تعتمد فى اثباتها على البراهين اليقينية ، أما الأديان فأسلوبها اقناعى وتمثيلى ....

وهذه التفرقة لا تنطبق على كل الأديان ، ولا على جميع الفلسفات ، فالاســلام يعتمـد على الوسائل الثلاث ((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)) كما

أن التعارض بين الفلسفات دليل واضح على أنه ليس كل واحد منها يمثل الحقيقة المطلقة ، أو يقول فيها الكلمة الأخيرة .

٢ ـ وابن سينا :

يشير الى أن الاديان تولى الناحية العملية عناية أشد من النظرية ، وهذا وان كان منطقيا بوضوح فى الاسلام ، فليس ذلك شأن باقى الديانات والفلسفات .

أما علماء الغرب فيرون الفرق بين الدين والفلسفة من الوجوه الآتية :

١ ـ مشكلات الفلسفة يحلها الأفذاذ المستنيرون ، ومسائل الدين تحلها الجماهير ـ ولذلك كانت نشأة الأديان وتاريخ واضعيها غامضة .

٢ ـ الدين يورث عن السلف ، أما الفلسفة فمصدرها عقل الفيلسوف .

٣ ـ الدين يميل للثبات وعدم التطور ، والفلسفة متجددة .

٤ ـ الدين يحتل مكان الصدارة بحكم شيوعه وأسبقيته الزمنية .

٥ ـ الدين بعكس الفلسفة فى حاجة الى التجسيد والمظاهر الاجتماعية والطقوس .

٦ ـ الدين يعيش بسلطان ونفوذ الدولة ، والفلسفة لا تعيش الا فى جو الحرية .

ويفند د. دراز هذه الدعاوى بردوده الآتية :

١ ـ هذه الفروق لا تصور الديانة والفلسفة فى جميع أدوارهما ، وانما فى حالتهما الحاضرة فقط ، وفى أوروبا المسيحية بالتخصيص مما يجعل المقارنة غير صائبة .

٢ ـ الديانات أيضا تعرف الأفذاذ فضلا عن أن وضوح تاريخ الاسلام يؤكد أن القول بغموض تاريخ مؤسسى الديانات ليس قاعدة عامة .

٣ ـ الفلسفة والعلوم أيضا ـ وليس فقط الدين ـ يميلان الى الثبات الذى وصل الى الركود فى أحيان كثيرة .

٤ ـ الأديان العامة فقط ينطبق عليها حديث المظاهر الاجتماعية فى الشعائر ، بعكس الأديان الفردية التى لا يتخذ أصحابها شعارا خاصا ، مثلما كان الحنفاء يفعلون قبل الاسلام ، فضلا عن أن بعض الفلسفات مثل مذهب (أوجست كونت) له نظمه وشعائره المماثلة .

٥ ـ الأديان دائما على الأقل فى أول عهدها ، تقوم بالرفق والتسامح ، وتؤكد حرية الضمير ، ومن المشاهد أن كل الأمم فى كل العصور كانت تضم ديانات وعقائد شتى ، والذى يميز الأديان ولا تطمح الفلسفة اليه هو ما لها على نفوس أتباعها من سلطان ، يقوم على الايمان الذى يمثل غاية الدين ، وليس فقط على المعرفة التى هى غاية الفلسفة .

((الفلسفة تعمل اذا فى جانب من جوانب النفس ـ والدين يستحوذ عليها فى جملتها ـ الفلسفة ملاحظة وتحليل وتركيب ، فهى صناعة تقطع أوصال الحقيقة وتزهق روحها ، ثم تؤلف بينها لتعرضها من جديد فى نسق صناعى على مرآة الفطنة ، فتنطبع على سطح النفس قشرة يابسة ـ أما الدين فهو حداء ونشيد يحمل الحقيقة جملة ، فيعبر بها هذه القشرة السطحية ، لينفذ منها الى أعماق القلوب وأغوارها ، فتعطيها النفس كليتها وتملكها زمامها)) .

فالفرق الدقيق بين الدين والفلسفة وهو أن غاية الفلسفة نظرية حتى فى قسمها العملى ، وغاية الدين عملية حتى فى جانبه العلمى ـ وأول مظاهر ذلك الفرق أن الدين ليس ايمانا ومعرفة فحسب بل هو فوق ذلك وهو ما تفتقده الفلسفة تماما ـ التفات روحى متبادل بين المتدين وما يؤمن به ، وثانى هذه المظاهر هو ميل الفكرة الدينية ـ بعكس الفلسفة أيضا ـ الى التدفق فى الميدان الاجتماعى .

فاذا انتقلنا الى المقارنة بين الفلسفة وبين الاديان السماويـــة رأينا أن (الفلسفـــة فى كل صورها عمل انسانى يتحكم فيه كل ما فى طبيعة الانسان من قيود وحدود ، وتدرج بطىء فى الوصول الى المجهول ، وقابلية للتغير والتحول ، وتقلب بين الهدى والضلال ، واقتراب أو ابتعاد عـــن درجة الكمال) .

((أما الأديان السماوية فانها (صفة الهية) لها كل ما للالهيات من ثبات الحق الذى لا تبديل لكلماته ، وصرامة الصدق الذى لا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هى فوق ذلـــك (منحة كريمة) تصل الى حامليها وسفرائها عفوا بلا كدح ولا نصب — وتغمرهم بنورها فى فترات خاطفة كلمح البصر أو هو أقرب .)

((فاذا انفردت الفلسفة فى حكم لم يؤمن عليها العثار ، واذا التقى العقل والوحى على أمر فقد اتصلت مشاعر الليل بضوء النهار ((نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء)) .

الدين وسائر العلوم :

كل العلوم تبحث عن الكائنات ، وليس شىء منها يبحث عن مبدئها الأول وغايتها القصوى ، كما يبحث الدين — غير أنها كلها تستطيع أن تزجى لهذا المطلب خدمة ما من قريب أو بعيد ، ولن يستغنى الدين عن العلوم الا لو استغنت المقاصد عن وسائلها ومقدماتها — وليس ثم تعارض أو تناقض حقيقى بين الدين والعلوم — فليس يعقل أن يقوم ذلك بين أمرين لا اشتراك بينهما فى موضوع واحـــد .

* * * * * * *

ويخصص المؤلف البحث الثالث للحديث عن نزعة التدين ومدى اصالتها فى الفطرة فيقول :

ان المفكرين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ادعوا أن الديانات والقوانين ما هى الا منظمـــات مستحدثة أخذ عنها الكهنة الماكرون فصدقهم الحمقى والسخفاء غير أن الرحلات التى اكتشفت العقائد والاساطير المختلفة أثبتت أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل منها أمة قديمة أو حديثة ، همجية أو متقدمة ، وأثبتت كما يقول برجسون انه (وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنـــون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة) .

وفى مجال بحث ((مصير الديانات أمام التقدم العلمى)) يرد المؤلف على نظرية (أوجســـت كونت) القائلة بأن العقلية الانسانية مرت بأدوار ثلاثة هى الفلسفة الدينية ثم التجريدية ثم الواقعية وأن الأديان وان كانت عريقة فى القدم الا أنها قد شاخت ومصيرها الى الفناء — فيقول د. دراز : ان هذه المراحل الثلاث توجد متعاصرة ومتجاورة ومتكاملة فى كل شعب بل فى نفسية كل فرد — وانها لا تمثل مراحل منتهية ، وانما قد تمثل سلسلة دورية تعود الى الظهور متتابعة كلما انتهت دورتها ، وأن الترتيب الصحيح للحاجات النفسية على العكس تماما مما تخيله الفيلسوف ، وهو حاجة الحس أولا ثم حاجة العقل القانع فحاجة العقل المتسامى .

ويضيف د. دراز ان اتساع نطاق المعلومات كان بنفسه اتساعا لنطاق المجهولات ، فلا يسع العقل الا التسليم بوجود حقيقة كبرى واله أزلى باق ((وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) وأى شهادة على أن نهاية العلم البشرى ليست هى اطفاء غريزة التدين بل زيادة اشعالها من أن (كونت) نفسه الذى كان يتنبأ بفناء الديانات نتيجة لتقدم العلوم قد عاد فى آخر أمره متصوفا عجيبا ، وواضع ديانة جديدة على النظام الكاثوليكى .

(ان هذا الشوق الغريزى الى الأزلى الأبدى — وهذا الطلب الحثيث للكلى اللانهائى لـــه دلالتان عميقتان ، احداهما دلالة على مطلوبه لا كدلالة الحركة القسرية على مصدر جاذبيتها كما يقول أرسطو بل كدلالة الأثر على صانعه أو الخاتم على طابعه (حسب تعبير ديكارت) ، وثانيتهما دلالة

على أن فى الانسان عنصرا نبيلا سماويا خلق للبقاء والخلود ، وان تناساه الانسان وتلهى عنه حينا قانعا بالدون من الحياة الجثمانية المنحطة .)

فالانسان كما صح أن يعرف بأنه حيوان مفكر ، أو مدنى بطبعه ، يسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه حيوان متدين بفطرته .

ونستطيع أن نلخص وظيفة الأديان فى المجتمع كما فصلها المؤلف فيما يلى :

١ ــ الفكرة الدينية هى الغذاء الوافى لقوى النفس المختلفة والمداد الخالد لحيويتها .

٢ ــ ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة التدين أو تدانيها فى كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع واستقراره .

٣ ــ الأديان تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة .

أما البحث الرابع فيفرده المؤلف لمناقشة (نشأة العقيدة الالهية) فيقول : ان ظاهرة التدين تستند فى أصلها الى قانونين بديهيين أولهما أن كل شىء ممكن لا يحدث بنفسه من غير شىء ، وهذا هو قانون السببية ــ وثانيهما أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد يهدف الى غاية تؤدى الى غيرها ، وهكذا حتى تنتهى الى كلية ثابتة هى غاية الغايات ــ وهذا هو قانون الغائية .

ويقول المؤلف : انه من الناحية التاريخية للمسألة الدينية ، فان ثمة ثلاث نظريات أو مذاهب تعالج نشأة العقيدة الالهية .

١ ــ مذهب التطور التقدمى أو التصاعدى ..

ومضمونه ان الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية ، وترقى حتى وصل الى كمال التوحيد الذى يعتبره هذا المذهب عقيدة جد حديثة .

٢ ــ نظرية فطرة التوحيد وأصالته ..

وملخصها أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر ، وما الوثنية الا عرض طارىء أو مرض متطفل ــ ويؤيد هذه النظرية مشاهير علماء الأجناس والانسان والنفس ،منهم (لانج) ، و (بروكلمان) وغيرهما .

ويقف التحليل النفسى وشواهد التاريخ والتطور الصحيح فى صف النظرية الثانية معارضا للنظرية التطورية وان كان ذلك لا يرفع نظرية الفطرة الى صف الحقائق التاريخية المفروغ منها .

٣ ــ نظرية تقرر أن الرشد والضلال فى الفكرة الدينيـة ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط ، بل هما متعاصرتان فى كل أمة وجيل ..

وهذه أقرب النظريات تصويرا للواقع المعروف .

أما الكتب السماوية فتؤكد أولية العقيدة الالهية الصحيحة لا فى الفريزة فحسب « فطرة الله التى فطر الناس عليها » بل فى التطور الزمانى كذلك « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا » ، « كل مولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وينتقل المؤلف الى عرض النظريات التى حاولت تحديد ديانة الانسان الأول قياسا على ديانات القرون الماضية أو الأمم الهمجية ، فيقدم لنا نظريات تنتظمها عدة مذاهب هى المذاهب الكونية أو الطبيعية والروحية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والتعليمية ، وذلك على النحو التالى :

١ ــ المذاهب الكونية أو الطبيعية ، تضم مذهبين :

أ) مذهب الطبيعة العادية ــ وأشهر أعلامه (ماكس ميلر) وفحوى المذهب أن العامل الأول

فى اثارة الفكرة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة ولا سيما الافلاك والعناصر ..

وتتولد العقيدة الالهية والحركة العبادية من تزاوج مبدأين نفسيين أحدهما غريزة عقلية ، وهى غريزة التطلع لفهم الطبيعة ، والثانى حاسة وجدانية وهى حاسة التذوق الفنى لما فى الطبيعة من جمال وجلال ، ولا يزال هذا المذهب أصح المذاهب وأقواها رغم أوجه النقد التى قدمها اليـــه (دور كايم) والتى تقوم فى معظمها على فكرة ان استمرار الطبيعة على نسق واحد يجعلها أمرا مألوفا ، لا يلفت النظر ، ولا يحتاج الى تعليل .

ب) مذهب الطبيعة الشاذة العنيفة ، ويعزو الشعور الدينى الى تأثر المشاعر الغافلة بحوادث الطبيعة الشاذة والعنيفة ، مثل العواصف والزلازل والفيضانات وما اليها .

٢ ــ المذاهب الروحية أو الحيوية :

وتقول ان الاصل كان عبادة أرواح الموتى ، ومن أعلام هذه النظرية تيلور ، هربرت سبنسر فالتصور الطبيعى لظاهرة الموت أنها انفصال لعنصرى المادة والروح يرجع به كل منهما الى طبيعته وبيئته فتعود المادة الى عالمها ، وتأخذ الروح صورة أخرى من صور الوجود الغيبى ، وهكذا ينشأ الاعتقاد بوجود أرواح مستقلة عن الابدان سواء أكانت فى الأصل أرواحا انسانية انتقلت عن أبدانها أم كانت منذ بدايتها أرواحا مستقلة كالجن والملائكة أم كانت روحا أعلى من ذلك وأسمى ، وهذه الأرواح لها حرية العمل فى الميدان الذى تختاره ان نفعا وان ضرا من حيث لا يشعر بها أحد .

وقد تولدت العقيدة الالهية عن التجربة الروحية وفق تفسير تيلور على مرحلتين .

١ ــ الاعتقاد فى بقاء أرواح الموتى تفسيرا لرؤيتهم فى الحلم كما يرى الأحياء .

٢ ــ الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر .

٣ ــ المذاهب النفسية :

وترجع الوصول الى العقيدة الالهية نتيجة لتجارب الانســـان النفسية ، بخلاف المذاهـب السابقة ويتفرع عنها .

١ ــ نظرية ساباتيه : وتتلخص فى أن الشعور الدينى ينبثق من شعور الانسان منذ نشأته بالنزاع الحاد بين شعوره الذاتى بالأشياء ، وبين قصوره الذى تكشفه التجربة الخارجية ، هـذا النزاع والتمزق الذى ينتهى به الى الشعور بخضوع القوتين معا وتبعيتهما المطلقة لسطان قوة عاقلة عليـــا .

٢ ــ نظرية بيرجسون : وتدعى أن المحظورات الاجتماعية قد صورت فى النفوس بصـــورة مخيفة تجعل من المخاطرة انتهاكها ــ وبالغت الفطرة الانسانية فى تصويرها حتى خيلت للنفس أن هذه المحظورات يقوم على حمايتها حارس معنوى آمر ناه محاسب ، وذلك هو معنى الاله ، وهو عند بيرجسون وان كان معنى وهميا الا أنه وهم تفرضه الحياة ومتطلبات الحياة اليومية .

٣ ــ نظرية ديكارت : وترجع العقيدة الالهية لدى الانسان الى ما فى نفسه من تطلـــع الى (الكمال) الذى ينقصه ، وما هذا التطلع الا صورة منعكسة على مرآة النفس من حقيقة ايجابية وذات خارجية هى مادة الكمال المطلق ومصدره وهى المثل الأعلى .

٤ ــ المذهب الأخلاقى :

ذهب (عمانويل كانت) الى أن وجود (الذات الالهية) لا يثبت بالبرهان أو بالتجربة لأنـــه بديهية مسلمة تعتمد على مقدمات ثلاث :

١ ــ القانون الاخلاقى الذى يخضع له الانسان منذ طفولته ، ويجعله قادرا على استحسان الأفعال الحسنة الواجبة الأداء ، واستهجان الأفعال القبيحة الواجبة الاجتناب ــ هذا القانون الذى يعبر عن ضرورة تحقيق الخير المطلق ، وأداء الواجب للواجب وبالواجب أى تحت سلطان فـــكرة الواجب لا حب الواجب .

٢ ـ ازاء استحالة تحقيق الخير المطلق فى حياتنا القصيرة ، فلا بد من قبول فكرة خلود الروح ليصح فى العقل وجود ذلك القانون الأخلاقى .

٣ ـ فاذا حققنا (الخير المطلق) بتحصيل الفضيلة الكاملة فقد بقى أن نحقق (الخير الأعلى) وذلك هو جماع الفضيلة والسعادة اللتين قلما يلتقيان .. فلا بد اذا من التسليم بوجود الله تعالى تصحيحا لمعقولية القانون الأخلاقى .

ويدحض د. دراز مذهب (كانت) الاخلاقى بقوله :

١ ـ القانون الأخلاقى لا يلزم كل العقول فضلا عن قلبه للاوضاع حين يفضل من يفعل الواجب وهو ممتثل كاره على من يفعله عن أريحية ورضى .

٢ ـ الأساس الذى بنى عليه فكرة خلود الروح واه ضعيف لأن الخير المطلق ان لم يكن ممكنا فى هذه الحياة لم يكن واجبا ـ وان كان ممكنا لم يكن هناك حاجة الى فرض الخلود .

٣ ـ (كانت) يذكر السعادة بمعناها الدارج ، وهو تحقيق المطالب المادية فى حين أن الفضلاء يسعدون بارضاء ضميرهم ولو فى ظل الحرمان والتضحية .

٥ ـ المذهب الاجتماعى :

يخالف (دور كايم) الجميع زاعما أن التدين ليس حالة نفسيـــة فطرية ، وانما هو وليـد أسباب اجتماعية ويزعم دليلا على ذلك أن العشائر البدائية التى تدين بنظام (الطوطم) لا تـدرك حقيقة التدين الا فى حفلاتها الصاخبة المتهتكة التى تذوب فيها شخصيات الأفراد الفردية فى شخصية الجماعة وهو مبدأ الدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تعبد نفسها من حيث لا تشعر .

ويرد على هذا التفسير الاجتماعى للتدين بالحجج التالية :

١ ـ المعلومات التى يجمعها الرحالة عن البدائيين ليست فوق مستوى الشكوك إما لقصور أيهما أو كليهما أو سوء نية أو لقصور وسائل التعبير والادراك عند البدائيين ذاتهم .

٢ ـ ان مما يجافى المنطق السليم أن تتخذ نتيجة البحث فى العشائر البدائية قاعدة عامـة تعرف منها حقيقة الدين ـ شأنه فى ذلك شأن من يحدد حقيقة الانسانية من النظر فى أول أطوار الجنين .

٣ ـ ان نظام الطوطم باعتراف (لانج) ، (فريزر) ليس نظاما دينيا ، وانما نظام مدنى قضائى اقتصادى يعرف معتنقيه أنسابهم وينمى فيهم الولاء للمجتمع .

٤ ـ من المخالف للمنطق أيضا أن تتخذ حالة استثنائية من حياة هذه العشائر وهى حالـــة الصخب والمجون والاباحة أساســا للحكم ، ويهمل ما وراء ذلك من معتقدات وعبادات تكاد تصل الى التوحيد .

٥ ـ لا يكفى أن تحدث الظواهر الدينية فى جماعة وتختلف باختلافها لكى تكون ظواهر اجتماعية حقيقية ، واذا كانت الطقوس الدينية ذات طابع الزامى جماعى ، فان الاعتقادات والتصورات تبقى دائما لأفكار الفرد ووجداناته .

٦ ـ التاريخ يثبت دائما أن الجماعات تقاوم كل ديانة جديدة يحمل لواءها فى البدء أفراد أعلام ـ ولم يكن موقف أى جماعة فى بدء أى دين أن تحمل الأفراد عليه وتلزمهم به .

٧ ـ اذا كانت فكرة الاله تكبر مع كبر حجم الجماعة كما يزعم (دور كايم) فيتطور اله العشيرة الى اله الفصيلة الى اله القبيلة الى اله الشعب فمن أين جاءتنا فكرة الاله الأكبر فاطر السموات والأرض وليس لها مثال من تجمع الجماعات أو اتحادهم .

ورغم ما للجماعات من أثر خطير فى التمهيد لنشأة الأديان والتمكين لها ، فليس لنا أن نزعم أنها تخلقها من العدم وتبرزها الى الوجود ، الا اذا صح أن نزعم أن المعدة هى التى تخلق الطعام وأن البصر هو الذى يحدث الضياء .

٦ ـ المذهب التعليمى أو مذهب الوحى :

تشترك كل المذاهب السابقة فى أن العقيدة الالهية وصل اليها الانسان بنفسه عن طريـــق عوامل انسانية فردية أو جماعية ، أما المذهب التعليمى فيقرر أن الأديان هبطت الى الانسان ، ولم يصعد هو اليها ، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بنور العقل بل بنور الوحى .

هذا المذهب لم يزل سائدا عند كبار رجال الدين فى أوروبا ، كما أننا نجد فى الكتب السماوية مصداق الجانب الايجابى منه .

والنظرة الجامعة لكل هذه المذاهب تقودنا الى حقيقتين :

١ ــ ان آيات الألوهية مبثوثة فى كل شىء « ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم » .

٢ ــ ان كل فئة من الناس لها طريقها الخاص فى الاسترشاد ببعض تلك الآيات قبـــل بعض « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » والقرآن يجمع الجوانب الايجابية لكافة المذاهب المتقدمة ويزيـــد عليها .

١ ــ فيقول فى مذهب الطبيعة العادية .. « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناهـــا وزيناها وما لها فروج » ويزيد على هذا المذهب عنصرين .

أ) عنصر الاختلاف بين المتشابهات « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعنـــاب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بما واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » .

ب) عنصر الحياة « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم » .

٢ ــ وفى مذهب الطبيعة الشاذة « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » .

٣ ــ وفى المذهب الروحى .. « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » .

٤ ــ وفى المذاهب النفسية .. يورد تأكيدا لعجز الانسان أمام المقادير العليا « أم للانسان ما تمنى . فلله الآخرة والأولى » .

ويزيد القرآن عنصرا جديدا دليلا على الألوهية هو تحول الارادات الانسانية عن الثورة الى السكون وعن الكراهية الى المحبة .. « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

٥ ــ والمذهب الأخلاقى .. نجد لبه وجوهره فى القرآن « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » .

٦ ــ والمذهب الاجتماعى نراه فى القرآن حين يذكر ما للبيئة من سلطان على الأفراد يكاد يبلغ الاستبعاد الفكرى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ويعلن القرآن طريق التحرر من هذا الأمر ، وهو التفكير الفردى الهادىء القائم على البداهة والمنطق السليم .

« قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

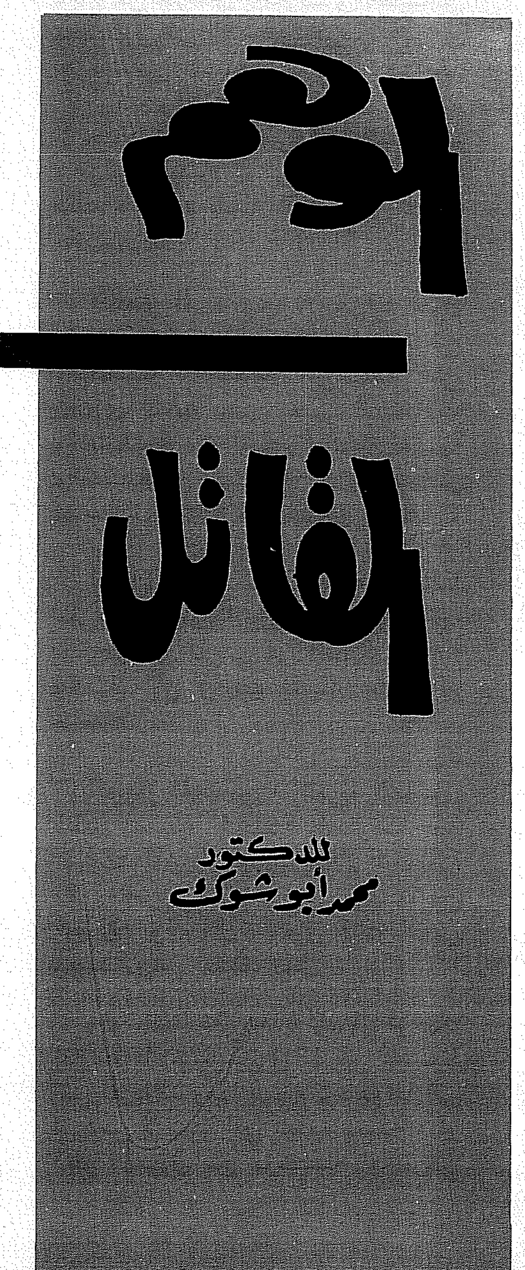
٧ ــ والمذهب التعليمى سار فى القرآن كله حين يقرر أن الرحمة الالهية لم تكتف بدلائل العقل حتى أيدتها بشواهد النقل ، وانها قطعت حجة كل غافل وكل متواكل فأرسلت رسلا مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ويختم المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز بحثه عن تاريخ الأديان بأحسن ما يختم به مثل هذا البحث فيقول :

« وانه لن يسع الباحث المنصف متى تحقق من هذه الاحاطة العلمية الشاملة الا أن يرى فيها آية جديدة على أن القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد ، ولا مرآة لعقلية شعب ، ولا سجلا لتاريخ عصر ، وانما هو كتاب الانسانية المفتوح ، ومنهلها المورود ، فمهما تتباعد الأقطار والعصـــور ، ومهما تتباعد الأجناس والألوان واللغات ، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات سيجد فيه كل طالب للحق سبيلا ممهدا يهديه الى الله على بصيرة وبينة .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر .... ! »





دخل علـــى حجرة الفحص ـــ وهو يرتجف ـــ شاحب اللـــون ـــ تختلج الكلمـــات فى نفسه ـــ ويكاد الدمع يذرف من عينيه ، لولا انه اخذ يتمالك أعصابه ـــ ويجمع قواه ليقول « لم انم الليل يا طبيب فأنـــى أحس بألم فـــى منطقة القلب ـــ وأخـــاف أن تحدث لى جلطة أو سكتة قلبية ـــ » أرجوك يا طبيب .

وآخر لا أنساه يكـــاد الهلع يأخذ بقلبه ، وقد انتابه الخوف واخذ يسرد قصته ـــ وما حـــدث لـــه فى أيامه الاخيرة من فقـــدان لشهية الاكل بل وعدم قدرته حتى للنظر الى الطعام ـــ ويخشى أن يكون عنده سرطان .

وقصة ذلك الذى توفى لـــه احد أقربائـــه من جلطـــة بالقلب وأحس بوخزة بسيطة حول القلب وظن ذلك انما هى الجلطة القاتلة ، فذهـــب لتوه الى المستشفى ، وأخذت أقنعه بشتى الوسائل أن هـــذا ليس هو مرض الجلطة ، وانه الم فى عضلات

الصـــدر يشبه الروماتيزم ــ ولكن أنى لــه أن يقتنع ، وأنــى لنفسه السقيمة أن تعــود الى رشدها ــ وأخذ كل يوم يشكو من عرض جديد ، ويأبى الا أن يساعده مساعد فــى حركاته وسكناته ، فــى إلباسه ، وإطعامه ــ وظل طريح الفراش من الوهم لا يقــدر علــى شىء الى أن انتابته نوبة التهــاب رئوى شديد . وقضى الله أمرا كان مفعولا .

وأمثال لا تحصى ولا تعد ــ يقابلها الطبيب منا كل يوم ــ يا لله ــ خوف يملــك القلــوب ــ ورعب يفتــت الاكباد ــ وسهد وأرق ــ ونفور اى نفور من الحياة ــ وضاقت الدنيــا على سعتها بهــؤلاء واولئك ــ ولم يجدوا ملاذا لهم الا عيادات الاطباء يترددون على هذا وذاك لعل الواحد منهم يستقر على قــرار ــ وأنى له ذلــك .

ولعلنى لا أكون مبالغا عندما أقول ان ما يقــرب مــن نصــف المرضى المــترددين علــى عيادات الاطبــاء يتوهمــون أمراضا لا تمت الــى ما يشكون منه بصلة ــ كلها أوهــام فى أوهــام ثم انها تكــون الطامة الكبرى اذا قلت لاحدهم هــذا وهم فيقول « كيف يكون ذلك يا طبيب ، وأنا أعلم ما فى جسمى وقرأت عن هذا المرض » ــ وكأنه هو ، ولسان حاله يقول « لا تنكر علــى مرضى ودعنى أذهب الى غيرك فلعلنى أجد عنده ما يستهوى نفســى ويشبــع رغبتى ، ويجعلنى على حق » .

واذا تعرضت من الناحية الطبية ، أرى أن المقالات والمقــالات لا تكفى للامراض غير العضويــة ــ أو ما يسمونهــا بالامراض التــى تعترى عمل العضو Functional Diseases فكل جهاز فى الجسم يمكن أن يصاب بمثل هذه الامراض .

ففى الجهاز العصبى : الصداع البسيط الذى يحسبه صاحبه انــه ناتج عن سرطان بالمخ ــ والاحساس بخــدور فى اليد أو الرجل أو اى جزء فــى الجسم ــ أو ضعف أحد الاطراف والتوهم بأن الشلل واقــع لا محالــة . الاضطرابات النفسية ، وهزات اليدين ــ والارق ــ وغير ذلك ، ورده كلــه الى مرض خبيث بالجسم .

الجهاز الــدورى : وخزات حول منطقة القلب وحسبها انها مــرض الجلطــة ، الدقات الزائــدة التى تعترى القلب فــى بعض الحــالات والناتجــة من اضطرابــات نفسية والتــدخين المــفرط ، واحساس صاحبها أن قلبه فى حالة يرثى لها .

الغازات التى تملأ المعدة وتضغط على القلب فى الليل والنهار ويؤولها صاحبها ان المرض فى القلب ــ وانه يخــاف أن لا يجد نفسه عشية أو ضحاها .

الجهاز الهضمى : القىء العصبى الذى يصيب المعــدة خصوصا عند الفتيات المضطربات ــ الآلام البسيطة التى تعترى الامعــاء وما يتبعها من امساك واسهال وتأويل ذلك الــى وجود مرض خبيث قاتل .

ولو سرنا على هذا المنوال لوجدنا أنه مع كل جهاز يؤول المرض البسيط الى تأويلات ربما يرجع مصدرها الى شخص لا يمت الى الطب بصلة ، أو آخر يهــول من مرضــه أو مرض

صاحبه ، بانيا ما يفتى به على خبرة خاطئة — أو فكرة عقيمة — أو سمع من هـذا أو ذاك — والعجيب فـى الامر أن المريض يسمع لهذه الاقوال وهذه القصص وتـؤثر فى نفسه ، وتعمل عمل السحر فيه — ونـراه لا يستجيب لما يقـول طبيبه ، وكأنه فى واد وطبيبه فى واد آخر . ولقد حاولت كثيرا مع نفسى ومع المرضى أسأل هـذا السؤال ، لماذا يسمع المريض كلام الناس ، وما يقولون — ولا يلقى بالا لكلام طبيبه ؟ — واخيرا أرجعت الامر الى شيئين رئيسيين أولهما — عدم الادراك ، والفهم ، وفهم الحياة ، والخبرة — والعلم — والثقافـة وما الى ذلك من الامور التى تجعل الفرد على جانب كبير من الثقافـة ، ليميز الخبيث من الطيب ، ويأخذ الطيب ويترك ما دونه .

وثانيهما — عدم الثقـة المتبادلة بين المريض والطبيب والتى لا بد وأن تتطور وتتعمق حتى يجد المريض أن لا سبيل له فـى معرفة مرضه الا طبيبه الذى يعالجه — ويفهم ما به من أعراض وعلامـات تلك الامراض .

وهنا أقول لكى يثق المريض فـى طبيبه لا بد لذلك الطبيب أن يجيد فن الاقناع سواء بالحجة — أو بالفحص الدقيق — أو بالقيام بالوسائل التى تؤكد المرض أو تنفيه ، بما فى ذلك تحويل المريض الى المختبر للفحص اللازم للدم أو البول أو البراز وما الى ذلك — أو ارساله الى الاشعة أو تخطيط القلب أو غير ذلـك مـن الوسائل التى فى ايدينا ، حتى نكون قد قمنا بواجبنا خير قيام ، فيحس المريض أن طبيبه عمل لـه اللازم ويكون اقناعه سهلا ، بدل أن نتركه يتخبط وينتقل مـن عيادة الى عيادة ومن طبيب الـى طبيب ، وعندما تعوزه الحيلـة يسمع الـى كلام مجرب ، أو عراف أو خبير .

أما قول الطبيب لمريضه — دون فحصه ، ودون القيام بواجبه تجاهه ان هـذا وهم ، فهـذا أول الطريق الى التخبط والتيه الذى لا يعلم مداه الا الله .

والذى يزيد الطين بلة — أن يحاط المريض بزوج أو زوجة — أو قريب لـه — يزيد من توتره واضطرابه — ولعل ذلك القريب يحسب بفعله هذا انه يفيد المريض ، بل على العكس فانه بفعلته هـذه انما يدفع بالمريض الى الخوف الشديد القاتـل . ولا أنسى ذلك المشـهد حينما جلـس الزوج بجوار زوجته وهى تشـكو من مرض بسيط الم بأمعـائها وهو يذكرها بهـذا المرض وذاك ويقول لها « قولى للطبيب أن عندك صداع ، وعندك آلام فـى المفاصل ، وعندك أرق ، وعنـدك امساك ، وعندك وعندك » — حتى اننى ضقت ذرعا وقلت له هـل أنـت المريض ، أم هى ؟ دعها تقول ما تشـاء وانـى أنصت لها ولا تبلبل أفكارها وتجعلها تحس كأنها حطام منهـار تقترب من القبر .

— ثم لو امعنا النظر — لمعرفـة أسباب هـذا التـوتر العصبى — والخوف الشديد من المرض — لوجدنا أن الامـور تتكشف عن كثير مـن الاسباب التى تدعو الى ذلك .

أولا : التوتر النفسى الذى يسود مجتمعاتنا الان — والانغماس الشديد فى ملذات الحياة ، والتعلق بأسبابها — والتكالب علـى جمـع الثروات والسعى وراء الشهوات .

ثانيا : فقدان الثقة بالنفس — والثقة بين المخلوق والخالق — وكأن الانسان فى هذه الحياة أصبح هو الذى بيده زمام كل شىء — يقول أنا سأصنع هذا وذاك — وهذه خططى ومستقبلى — ولم يحسب حساب ربه الذى بيده مقاليد كل شىء — فاذا اصيب بأمر أبعده عما خطط ورسم ، ضاقت الدنيا فى وجهه — ولعن الايام — وبدأت الامراض ، وتعقدت الامور — واصبح فى دوامة — وحلقة مفرغة لا تنتهى — نوائب تجره الى أمراض — وأمراض تجره الى نوائب وهكذا دواليك .

ثالثا : عدم الرضا — والقناعة ، وشكر الله على ابتلائه — والاحساس بالسكينة والارتياح — كل هذا يدعو الى التذمر من الحياة ، واضطراب النفس ، وما يدعو الى الخوف والهلع واستحكام المرض . وأنى هذا ممن يرضى بكل ابتلاء وكل مصيبة ، ويستسلم لقضاء الله وقدره . شاكرا فى كل مصيبة تصيبه ، مهونا على نفسه انه لعل الذى أصابه أهون مما أصاب غيره — متمثلا بحديث رسول الله ما معناه « لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع » .

والامثلة واضحة أمام اعين الاطباء كل يوم ، فهذا الذى يرضى بما قسم له تجده يتحمل مرضه بصبر وشجاعة ، مما يساعد على سرعة الشفاء ، والتماثل له فى أقرب وقت ممكن — أما هذا الذى يرتعد من مرض يسيط ألم به — ويجعل من ذلك البسيط الشىء الكبير ، وينظر الى الدنيا بمنظار اسود — ويعقد الامور — ترى أن مرضه يزداد سوءا على سوء ، بل وان المضاعفات التى تحدث فى بعض الامراض ، لا تكون الا مع هؤلاء — والادهى والامر ، اذا كان هذا من المحظوظين — الذين يلتف حولهم الاصدقاء والاطباء — يوصون هذا الطبيب وذاك — ويدللون مريضهم كل تدليل — اذا قال « آه » أحسها غيره آهات — واذا لم ينم قليلا — سهر حوله الليل كله غيره — مما يجعل بعض ضعافى النفوس من المرضى يهولون من مرضهم — ويتظاهرون وكأن العلاج لا يفيد فيهم — وبالتالى يبلبل فكر الطبيب المعالج ويبدأ فى تغيير ما وصف من علاج ، بل وبعض الاطباء يتخبط بتخبط مرضاهم ، مما يؤدى الى عواقب وخيمة .

اقول اذا تسلحنا حقا بسلاح الايمان بالشفاء والامل وأن الاجل مكتوب ، ازدادت قوتنا على احتمال المرض ، ولم يجد الهلع والخوف الى نفوسنا سبيلا .

هذه بعض النقاط تعرضت لها ، آملا أن يهدأ كل مريض نفسا ، عندما يصاب بمرض — ولا يدع للخوف والهول الى نفسه سبيلا — وفى الوقت نفسه لا يهمل فى نفسه ، ويثق فى أطبائه ويرضى بقضاء الله وقدره — فكل هذه من العوامل المساعدة على سرعة الشفاء . وكم من مريض — كما قلت — بهذه الصفات تغلب على مرضه فى أحلك الساعات — وكان نعم الصابر الحامد الشاكر .

كثيرا ما يبتلى الانسان بالاوهام أكثر مما يبتلى بالحقائق ، وكثيرا ما ينهزم الانسان من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ، وهذه الاوهام تتكاثر وتتراكم مع ضعف

الثقة بالله وبالنفس ، والمؤمن القوى الايمان يعيش بمنجاة من هذه الاوهام القاتلة ، والى هذا يشير القرآن الكريم الى أثر الايمان فى التخلص من عواقب الهموم والاوهام « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

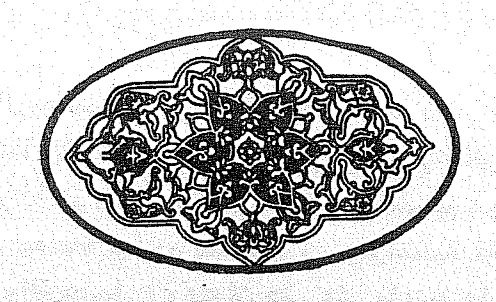
وقد فطن الشاعر العربى الى هذا فقال :

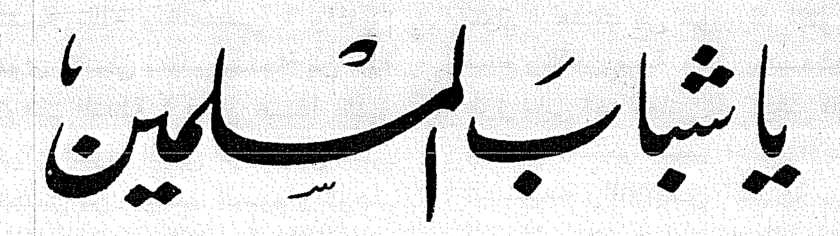
وما الخوف الا ما تخوفه الفتى
وما الامن الا ما رآه الفتى أمنا

ولا شك أن أعصاب الناس فى هذا العصر تكاد تحترق فى السباق على حطام الدنيا وقد أثر هذا فى النفوس والاجسام تأثيرا بليغا — كتب « ديل كارينجى » فى هذا المعنى يقول : عشت فى نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة ، فلم يحدث أن طرق بابى أحد يعانى من مرض القلق والوهم الذى سبب فى الاعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر أكثر مما سببه الجدرى بعشرة آلاف ضعف .

ويقول الدكتور (و. س. الفاريز): اتضح أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لعلتهم اساس عضوى البتة ، بل مرضهم ناشىء عن الخوف والقلق والبغضاء والاثرة المستحكمة وعجز الشخص عن الملاءمة بينه وبين نفسه والحياة .

ان الايمان بالله يجتث الوهم من نفس المؤمن ، ويملأ حياته بالراحة فى يومه والرضا عن غده « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .





يا شباب المسلمين فى كل ارض
قد أصبح الأمر جدا ما بعده جد
وهذا نداء اليكم من صميم القلب
وبلاغ اليكم منذرا بين يدى أفدح خطب ...

. . . . .

قبل أربعين سنة فى فلسطين كان الأمر كله مظاهرة تهدر لساعة او ساعتين ، واطلاق الرصاص من رشاش او اثنين ، ويهود قلائل مستضعفون ، ما ان يسمعوا ضجة حتى يهرعوا مختفين ، ثم يزج ـ ان شق الأمر ـ بعض عشرات منافى السجون ، وقد يعلق على حبل المشنقة شهيد او اثنان فان كثروا كانوا ثلاثة .. وكان الجدل يدور ، هل يسمح لبضع عشرات من ألوفهم ان يتخذوا لهم ركنا تكاثروا فيه من الارض عسى أن يجعلوا من المكان رمزا لوجود لهم فى الدنيا ، ووطنا مصغرا يعبرون منه الى المباكى والذكريات العتيقة .

. . . . .

ثم كشفت الأربعينيات قبل حوالى ثلاثين سنة بعض ما كان خافيا .. فاذا الأمر أمر دولة فى معظم الماهول والقفار من فلسطين ، واذا هو منطق جائر فى التمزيق والتقسيم ، وجيش خفى كان معدا ليوم معلوم .. ودراسة فادحة فى الترويع والترحيل ، وعدوان حتى على ما يزيد على جور

التقسيم واذا ثمة مدافع بدل البنادق ، وقنابل حيث كان يطلق رصاص وفترة انتظار مطلوبة حافلة بالحيرة والغثيان ، ثم اذا طائرات حيث لم تكن طائرات من قبل ولا مطارات ، واذا فى مواقع السيارات دبابات وآليات ، واذا مفاجاة المفاجآت ، وماتم المآتم مما علمتم فى حزيران ..

ثم ما الذى يحاولونه او ينفذونه الآن ..
ان حريق الأقصى هو عنوان الكتاب الرهيب بكل ما فيه من سطور سوداء .
الدور البارزة تصفى بالنسف والتقويض

الرجال الذين عرفوا النضال يوما مهما كان بعيدا من قبل يعذبون أو يغتالون أو يطردون أو يجوعون أو يخادعون بالاغراء عسى أن تملأ معدهم بما يسد فراغ أرواحهم ..
وكل معالم الثقافة الاسلامية ، والآثار الاسلامية ، والنفوس المتشبثة ولو باشكال الاسلام الظاهرية ، وكل شىء يمت بصلة الى الاسلام يمحى ويزال فى جهد دائب موصول بالليل والنهار ...
واسباب الحياة الاقتصادية لضفة الأردن الشرقية شرع فى تحطيمها ابتداء من الغور ومزارعه ، واستمرارا بالعدوان على اربد وأراضيها وهى منطقة الخصب الثانية بعد الغور .
وبالتالى يجرى الاعداد لمرحلة غثيان وتقويض من الداخل قبل حلول المرحلة التى ينشد الصهاينة أن تضعهم على أطراف بادية الشام من تبوك حتى مشارف الفرات ...

يا شباب المسلمين وانادى الشباب الأن المتصدين للمرحلـــة المقبلة وأهدافها هم الشباب ...
لا تخدعنكم المسافات فقد ثبت بطلان المسافات ...
ولا يخدعنكم الأمان الزائف ، فانـــــه أمان الخـــــراف التى انما تحيا الى أن يصل اليها دور العرض على سكين الجزار .
لا يخدعنكـــم ثراء ولا اكتفــــاء فان جمــــال الصــــوف على الحملان ما رفع يوما عنها أنياب ذئب من الذئاب .

• • • • •

يا من يعيشون على بقايا ميراث الذمم من حضـــارة النـــور ايام مجـــد الاسلام
ان للطامعين حضارة من دخان المصانع
سفاحــــــة لا ترتوى الا بالدماء
سوداء لا ترضى بغير حشرنا تحت خيام ســـوداء
منزوعة من جســـد الربا لا تلذ الا لحوم الضحايا والتعســـاء
مجرمة بربرية مهما بدت براقة لامعة ، منبتة الجذور فى أرض الرحمة
ساخرة بكل قيم الانسانية ، مقطوعة الصلة بالسماء ...

• • • • •

برابرة هؤلاء يا شباب الاسلام فاحذروا وتنبهـــوا واعملوا قطعان غاب هؤلاء ان لم يردعوا بالضرب الصاعق فلن يرعووا
كل دينار ينفق فى الترف سينقلب الى لعنـــة من الهـــلع فى ساعات الروع .
كل ساعة من العمر تضيع فى اللهو ســـوف يحيا أمثالها فى ضمائركم لسعا من الندم .
لن ينفع بعد اليوم ناد ولا سمر .
ولن ترد البأس قصور ولا دور ولا شوارع حسان
وانما يفل الحديد الحديد ، ويرد الأزيز المتفجر باللهب بازيـــز يمزق غلاف الجو ..

• • • • •

خذوا العلم وأنتم تسائلون انفسكم كيف نفيد منه فى المعركـــة
عيشوا الحياة ولكن باعين على العدة والعتـــاد والاستعـــداد
متفتحة ..

سائلوا انفسكم فى كل صباح ومساء ..
ماذا فعلنا لكى نكون جاهزين للمعركة ؟
كيف اعددنا اجسامنا للزحف بين سحب اللهب وتحت انقاض
الخرائب
وهذا القرآن لم نحمله ان لم ندافع عن وجوده ؟
وهذه الجوامع لم ندخلها ان لم نتلقن فيها دروس العزة والجهاد
والجامعات والمخابر لم ننشئها ان لم نتعلـــم فيها صنعـــة
ترد عنا بطش العاديات .
وهذه السيارات لم نركبها ان لم نعرف كيف نحيلها الى مدرعات
وآليـــات .

. . . . .

والله انهم لا يقصدون النيل والفرات ليقفوا عند النيل والفرات
وايم الله انهم يبغون محـــو الاسلام وكل آثاره فى الأرض ..
وانهم يقصدون كل شىء فى وجودنـــا وكياننا ..
وما مسافة ببعيدة اليوم على آلـــة او طائرة ...
فعيشوا للمعركة وكأن غـــدا المعركة
وادركوا ابعادها والا تخطتكم وانتم ساهون
وكافحوا شرور الفساد والالحاد والتخنث والترف والا فسدتم
من الداخل وتقوضتم وهيئتم لعدوكم ..
فالله الله فى دينكم ، الله الله فى صميم وجودكم .

. . . . .

حكم الإسلام في الصلح مع اسرائيل

والتعاون مع حلفائها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد — فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم اليها عن حكم الشريعة الاسلامية فى ابرام الصلح مع اسرائيل التى اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالا وشيبا وشبانا فى آفاق الارض ، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة ، وعن حكم التوأد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسى والمادى لاقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الاسلامى بين دول الاسلام ، وعن حكم الاحلاف التى تدعو اليها دول الاستعمار ، والتى من مراميها تمكين اسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها الى أهلها ، وحيال المشروعات التى تحاول اسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين اليها ، وفى ذلك تركيز لكيانها ، وتقوية لسلطانها مما يضيق الخناق على جيرانها ، ويزيد فى تهديدها لهم ، ويهيىء للقضاء عليهم .

• • •

وتفيد اللجنة ان الصلح مع اسرائيل — كما يريده الداعون اليه — لا يجوز شرعا ، لما فيه من اقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه ، وقد اجمعت الشرائع السماوية والوضعية على

صدر عن لجنة الفتوى بالجـــامع الأزهر الفتوى التالية ، ننشرها قطعا لدابر الفتنة التى تدبر للمسلمين اليـــوم .

حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب الى أهله ، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففى الحديث الشريف : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) وفى حديث آخر : (علــى اليد ما أخذت حتى ترد) ، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلســطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعــلى أموالهم : على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الاسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختــلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد الى أهــلها ، وصــيانة المسجد الاقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حولـــه ، وصيانة الآثار والمشاهد الاسلامية ، من أيدى هؤلاء الغــــاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالســلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البــلاد من آثار هــؤلاء الطغاة المعتدين ، قــال تعــالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــوة ومن رباط الخيل ترهبون بـــه عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهـــم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . ومــن قصر فى ذلك أو فرط فيه ، أو خذل المسلمين عنه ، أو دعا الى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لـــدول الاســـتعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضـــد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربى الاسلامى ، فهو — فى حكم الاسلام — مفارق جماعة المسلمين ، ومقترف أعظم الآثام . كيف ويعــلم الناس جميعا أن اليهود يـــكيدون للاسلام وأهله ودياره أشد الكيد ، منذ عهد الرسالة الى الآن ؟ ! وأنهم يعتزمون الا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وانما تمتد خططهم المدبرة الى امتلاك البلاد الاسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات ، واذا كان المسلمون جميعا — فى الوضع الاسلامى — وحـــدة لا تتجزأ بالنسبة الى الدفاع عــن

بيضة الاسلام ، فأن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر ، والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية ، وتمدها بالمال والعتاد ، وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار ، فهو غير جائز شرعا ، لما فيه من الاعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الاسلام ودياره ، قال تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله — سبحانه — فى آية واحدة جميع ما يتخيله الانسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء ، وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك ، واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعالى :

«قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها امدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة وبالسلاح والقوة : سرا وعلانية مباشرة وغير مباشرة ، وكان ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من اعذار ومبررات .

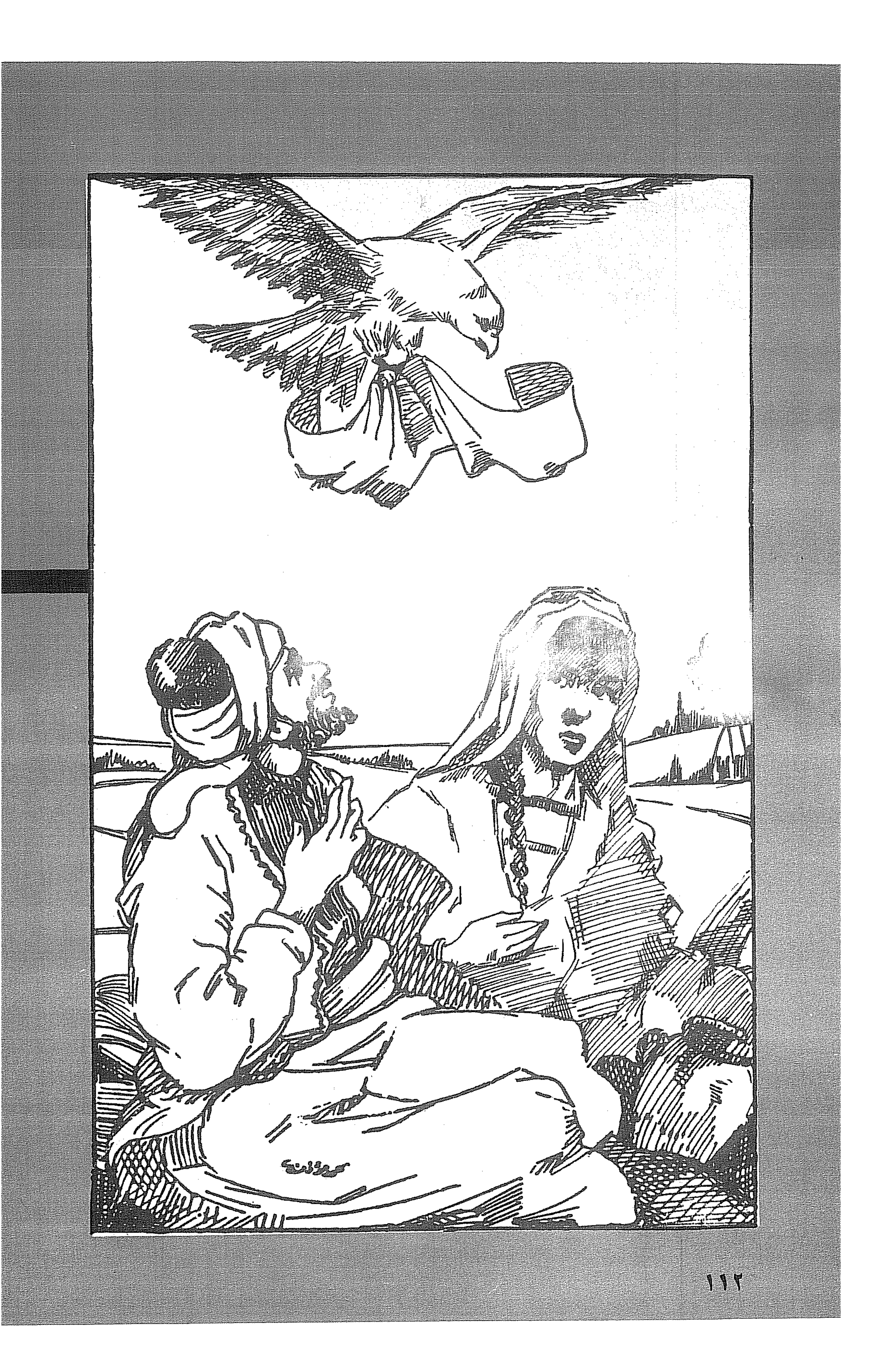
ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف — التى تدعو اليها الدول الاستعمارية ، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الاسلامية ، ابتغاء الفتنة ، وتفريق الكلمة ، والتمكين لها فى البلاد الاسلامية ، والمضى فى تنفيذ سياستها حيال شعوبها — لا يجوز لأية دولة اسلامية أن تستجيب لها

وتشترك فيها ، لما فى ذلك من الخطر العظيم على البلاد الاسلامية ، وبخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية الى الصهيونية الباغية ، نكاية فى الاسلام وأهله ، وسعيا لايجاد دولة لها وسط البلاد الاسلامية ، لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهى فى الوقت نفسه من اقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعا ، والتى قال الله تعالى فيها : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » ، وقد أشار القرآن الكريم الى أن موالاة الأعداء انما تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها الى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا اسرائيل — ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء من تنفيذ تلك المشروعات التى لا يراد بها الا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الارض ، حتى تعيش كدولة تناوىء العرب والاسلام فى أعز دياره ، وتفسد فى البلاد أشد الفساد ، وتكيد للمسلمين فى أقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها ، ويقفوا صفا واحدا فى الدفاع عن حوزة الاسلام ، وفى احباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة ، ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها ، فقد ارتكب اثما عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدوا به — وهو القدوة الحسنة — فى موقفه من اهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه — رضوان الله عليهم — من ديارهم ، وحالوا بينهم وبين أموالهم واقامة شعائرهم ، ودنسوا البيت الحرام ، بعبادة الأوثان والاصنام ، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لانقاذ حرمه من أيدى المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون ، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

البقية ص ١١٩





الأستاذ : علي أحمد باكثير

— ١ —

في ديار بني غطفان .

مرجانة : أمن المرعى أم من جئت الى ديار غطفان يا سهيل ؟

سهيل : منذ يومين يا مرجانة .

مرجانة : ولم تشأ أن تلقاني الا اليوم ؟

سهيل : أردت أن ألقاك وحدك ولم يتح لي ذلك الا اليوم في هذا المرعى الجميل .

مرجانة : انه ليس بمرعى جميل يا سهيل ولكني لم أجد غيره .

سهيل : هو جميل بوجودك فيه يا مرجانة .

مرجانة : كنت أظن أن الدين الجديد قد صرفك عنا .

سهيل : كلا يا مرجانة ما زادني الاسلام الا حبا لك ووفاء بك .

مرجانة : انما قلت هذا لترغبني في دينك .

سهيل : بل هو الحق يا مرجانة ، لقد ذهبت الى المدينة ورأيت محمدا صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وصليت خلفه فرأيت ذلك ايمانا ويقينا ، وكنت حريا أن أقيم بالمدينة وأستقر بها لولا أن نطقة على لساني كما تلقه ويدعوني لأعود اليك .

مرجانة : لا تكذب يا سهيل ، كأنك انما عدت الى غطفان اذ لم تجد في المدينة عملا يقيم أودك .

سهيل : بلى يا مرجانة ان العمل هناك لكثير ثم ان المسلمين ليسوا كهؤلاء المشركين انهم ليتواسون فيما بينهم فلا يحوج منهم فقير ولا ابن سبيل .

مرجانة : ومع ذلك فقد عدت الى هذه الديار ديار المشركين .

سهيل : من أجلك وحدك يا مرجانة !

مرجانة : وماذا تريد مني ؟

سهيل : أن تسلمي مثلي فأتزوجك !

مرجانة : وبرأيك أن يقبل الذين أعتقوني وأعتقوك ؟

سهل : ما بالهم ؟
مرجانة : الا ترى أنهم قد احسنوا الى واليك ؟
سهل : بلى يا مرجانة .
مرجانة : أفيكون جزاؤهم ان نصبأ عن دينهم وننحاز الى اعدائهم المسلمين
سهل : ان هى الا أعوام معدودة يا مرجانة حتى يدخل العرب جميعا فى هذا الدين فيكونوا من انصاره لا من اعدائه .
مرجانة : الا غطفان .
سهل : وغطفان
مرجانة : فلننتظر حتى يسلم موالينا فنسلم معهم .

سهل : لقد انتظرنا طويلا يا مرجانة قبل العتق وبعد العتق .
مرجانة : فما كفتك تلك الحوائل كلها حتى أضفت اليها هذا الحائل الجديد .
سهل : فى وسعك ان ترفعى هذا الحائل بكلمة واحدة .

مرجانة : كيف ؟

سهل : بان تشهدى الا اله الا الله وان محمدا رسول الله .
مرجانة : هيهات يا سهل ، لا تحاول أن تستدرجنى فمهما تفعل فلن اسلم أبدا حتى يسلم موالينا .

سهل : يا مرجانة انهم وما يعبدون من دون الله لن يغنوا عنك غدا من الله شيئا .
لقد حدثتنى ذات يوم انك كنت على دين المسيح عيسى بن مريم اذ كنت بين أهلك فى الحبشة .
مرجانة : أجل قبل ان يخطفنى اللصوص ويبيعونى فى سوق الرقيق وكان اسمى هيلانة فجعلوه مرجانة .

سهل : فالدين الذى كنت عليه أقرب الى الاسلام من دين هؤلاء الذين يعبدون الاوثان
مرجانة : انى والله لا أعبد أوثانهم يا سهل ولا أدين دينهم ولكنى لا أستطيع ان أدخل فى دين جديد يحاربهم ويحاربونه .

سهل : اذن يطول عذابى بسببك يا مرجانة فلا أنا قادر فى المدينة على بعدك ولا أنا قادر هنا على قربك .

مرجانة : ماذا يمنعك من البقاء هنا يا سهل وستجد من ياجرك أجرا حسنا ان شئت من موالينا أو من غيرهم .
سهل : كلا يا مرجانة لا استطيع بعد ما عشت بين المسلمين فى سكينة وطمانينة ان أعيش هنا فى قلق وخوف .

مرجانة : تخشى أن يكتشفوا انك مسلم ؟
سهل : أجل وانما أنا عتيق من عتقائهم ولا حامى لى فيهم ولا نصير .

— ٢ —

فى مراعى آل عقيل بديار غطفان

مرجانة : عنبرة ماذا جاء بك هنا ؟

عنبرة : بدا لى اليوم ان أرعى غنمى فى مراعيكم يا آل عقيل لأكون معك يا مرجانة فهل من مانع ؟

مرجانة : لا مانع عندى يا عنبرة ولكنى اخشى ان يغضب موالى آل عقيل لما بينهم وبين مواليك من عداوة .
عنبرة : غدا تاتين أنت بغنمك الى مراعينا فلا ظلم على موالينا ولا ظلم على مواليك اشتهى يا مرجانة ان نرعى معا فى كل مكان لنتحدث معا وتؤنس احدانا الأخرى .
مرجانة : لا بأس عندى يا عنبرة . وى . من هذه الصبية الحلوة ؟
عنبرة : هذه دعد احدى بنات مولاى امرتنى أمها ان اسرح بها فى المرعى ليشتد عودها وتحسن صحتها .
مرجانة : اتخرجين بها كل يوم ؟
عنبرة : نعم .

مرجانة : حاذرى عليها يا عنبرة لا تنفلت هنا أو هناك فتضيع منك .
عنبرة : صدقت انها شقية لا تسمع الكلام .
مرجانة : وهذا الوشاح الأحمر ما كان ينبغى ان ترتديه

عنبرة : تخشين عليه من اللصوص ؟
مرجانة : وعليها هى فان اللص قد يقتلها من اجله .
عنبرة : اتسمعين يا دعد ؟ لا تنطلقى بعيدا عنى . العبى دائما بالقرب منى .
دعد : لا شأن لك أنت . أنا العب كيفما أريد .
عنبرة : اسمعت يا مرجانة ؟
مرجانة : لا حق لك يا دعـــد . يجب ان تسمعى كلامها من أجل مصلحتك .
دعد : وأنت أيضا لا شأن لك .
عنبرة : انتظرى يا دعد .
دعد : (صوتها من بعيد) ماذا تريدين ؟
عنبرة : العبى كيفما شئت عندك ولا تجاوزى ذلك التل .
مرجانة : لو كنت مكانك يا عنبرة لما قبلت ان اسرح بها معى فى هذا الخلاء البعيد .
عنبرة : أنت معتوقة يا مرجانة ففى وسعك ان تقبلى أو ترفضى ، اما انا فعلى أن أطيع وليس لى أن اعترض على شىء .
مرجانة : قولى لهم انك عليها تخافين .
عنبرة : فسيتهموننى بانى لا أريد أن اتعب نفسى ، انك لا تعرفين آل خيثمة انهم ليســـوا كآل عقيل .

مرجانة : أجل يا عنبرة آل عقيل احسن الناس لمواليهم لقد مكثت امة عندهم اكثر من تسع سنين فوالله ما رأيت منهم الا العطف والاحسان .
عنبرة : يكفى انهم اعتقوك .
مرجانة : هذا ديدنهم يعتقون كل عبد أو أمة يجدون منه أو منها الاخلاص فى خدمتهم
عنبرة : أما آل خيثمة فمن أخلص لهم أبقوه فى رقهم والا باعوه .
دعد : عنبرة . تعالى يا عنبرة .
عنبرة : ماذا تريدين ؟

دعد : استحى ان أقول لك أمامها .
مرجانة : لعلها تريد قضاء حاجة .
عنبرة : أجل هو ذاك . اخلعى وشاحك يا دعد ... هاتى ضعيه هنا بجنب مرجانة اجعلى بالك منه يا مرجانة . سنمضى الى خلف ذلك التل ثم نعود .

مرجانة : انا باقية هنا ولن اتحرك حتى تعودى بالصبية .
سهل : (يظهر فجاة ويهمس) مرجانة .
مرجانة : من ؟ سهل ؟
سهل : عنبرة مولاة آل خيثمة كانت عندك ؟
مرجانة : نعم ماذا جاء بك ؟ اتريد منها ان تتحدث عنا فى الحى كله ؟
سهل : كلا يا مرجانـــــة لن أمكث عندك الا قليلا قبل ان تعود بالصبية .
مرجانة : لو التفتت وراءهـــــا الآن لرأتك عندى .

سهل : اذن انبطح على الارض فلا ترانى .
مرجانة : بربك وبدينك هذا الجديد ماذا تريد؟
سهل : لا أريد منك شيئا غير أن تشـــهدى الا اله الا الله وان محمدا رسول الله .
مرجانة : كلا لن أفعل . قلت لك لن أسلم حتى يسلم موالى آل عقيل .
(يسمع حفيف أجنحة طائر ينقض من الجو)
سهل : ما هذا ؟
مرجانة : ويلتاه . الحدايا خطفت الوشاح فطارت به .

سهل : ظنته قطعة لحم .
مرجانة : ماذا اصنع الآن ؟
سهل : أخبريها بالحقيقة .
مرجانة : ربما تظن انى ..
سهل : سأشهد أنا لك بما رأيت .
مرجانة : كلا لا أريدها ان تراك عندى
سهل : من الخير لك الآن ان ابقى .
مرجانة : كلا ان كنت تحبنى يا ســـــهل فانطلق من هنا واسرع .

سهل : حبا وكرامة يا مرجانة . استودعك الله .
مرجانة : وى . ها هى ذى مقبلة . اخشى ان تكون قد لمحته وهو ينطلق . أن لم تره هى فربما تراه الصبية . يا ليتنى تركته يبقى ليشهد لى . هل أناديه ليعود ؟ كلا لن يسمعنى فقد ابتعد .

عنبرة : من ذا كان عندك يا مرجانة ؟
مرجانة : لا أحد .
عنبرة : لكنى لمحت شبح رجـــــل ينطلق

كالهارب . ألم يمر بك . ؟
مرجانة : لا ..
عنبرة : ألم تريه ؟
مرجانة : لا ..
عنبرة : لا بد انه مر من خلفك . تعالى يا دعد . ارتدى وشاحك .
دعد : أين هو يا عنبرة ؟
عنبرة : أين هو يا مرجانة ؟
مرجانة : أنا فى غاية الأسف يا عنبرة لم أشعر الا وقد انقضت عليه فطارت به .
عنبرة : من هى ؟
مرجانة : الحديا يا عنبرة .
عنبرة : اتريدين ان تقولى ان الوشاح قد خطفته حديا فطارت به .
مرجانة : أى والله يا عنبرة . الوشاح أحمر اللون . حسبته قطعة لحم .
عنبرة : والرائحة الا تعرف الحديا رائحة اللحم . ؟
مرجانة : لا بد انها الآن قد القته فى مكان ما حين اكتشفت حقيقته .
عنبرة : ولماذا لا يكون ذلك الرجل الذى كان عندك هو الذى اختطفه فطار به ؟
مرجانة : ما هذا الذى تقولينه يا عنبرة ؟ تريدين أن تتهمينى ؟
عنبرة : لو كنت بريئة لما أنكرت ذلك الرجل الذى انطلق من عندك كالهارب .
مرجانة : فسأخبرك الآن من هو . انه صاحبى سهل الذى يريد ان يتزوجنى . وقد كرهت ان تريه هنا عندى فتحدثى الناس بذلك فأمرته فانطلق .
عنبرة : انك لتحسنين التلفيق يا مرجانة ولكنك لن تستطيعى ان تقنعى أحدا بتلفيقك .
مرجانة : يا ليتك ما جئت الى مرعانا اليوم . لقد كنت شؤما على ..

— ٣ —

عقيل : يا خيثمة بن سنان لا تكرهنا على مالا نريد من أجل وشاح تافه .

خيثمة : يا عقيل بن زيد ان اجتراء مواليكم على سرقة وشاح ابنتى ليس بالأمر التافه

عقيل : هذا لو وقعت السرقة فعلا ولكنها لم تقع .
خيثمة : فأين اذن ذهب الوشاح ؟
عقيل : خطفته الحديا فطارت به .
خيثمة : امثلك يا ابن زيد فى سنك وعقلك يصدق مثل هذه الفرية
عقيل : يا ابن سنان انك لا تعرف هذين المعتوقين . لقد لبثا عندنا دهرا طويلا فما جربنا عليهما كذبا قط ولا رأينا منهما اى سوء . هذا حين كانا رقيقين فكيف الآن وقد صارا عتيقين ؟
خيثمة : لعلهما يعفان عن سرقة مواليهما ولا يجدان بأسا فى سرقة غيرهم .
عقيل : ان عفا عن سرقتنا فهما عن سرقة غيرنا أعف .
خيثمة : فلعلهما كانا يسرقان منكم وانتم لا تشعرون .
عقيل : كلا نحن اعرف بموالينا منكم .
خيثمة : انك تدافع عن هذين السارقين كأنما كانا من صميمكم .
عقيل : وانك حين تصر على تكذيبى فيما اعرف من امانتهما وصدقهما لا توجه التهمة الى اثنين من صميمنا فحسب بل توجهها الى .
خيثمة : معاذ الله يا ابن زيد بل انت الذى شئت ان توجهها الى نفسك اذ تدافع عنهما بالحق وبالباطل .

عقيل : بل كنتم تريدون أن تسيئوا الى سمعتنا آل عقيل فلما اعياكم ذلك ووجدتموها ناصعة كالدينار عدتم الى حادث صغير يقع مثله كل يوم وفى كل مكان فاتخذتموه ذريعة للتشهير بنا ولكنا والله لن ننيلكم أبدا ما تبتغون .
خيثمة : لو كنا نريد ذلك كما زعمت لعمدنا الى افعالكم أنتم لا الى أفعال مواليكم .
عقيل : لو كان ذلك فى امكانكم لفعلتم .
خيثمة : سبحان الله ألم تستمهلونا ثلاثة أيام لتبحثوا عن الوشاح الذى زعمتم ان الحديا قد طارت به ؟
عقيل : بلى .
خيثمة : فها قد مضت الأيام الثلاثة ولم تأتونا بشىء .

عقيل : انما استمهلناكم رجاء ان تكون الحديا قد ألقته فى مكان قريب حين يتضح لها انه ليس يلحم فارسلنا مع سهل جماعة من خدمنا وعبيدنا عسى أن يعثروا عليه ولكنهم بحثوا عنه فى كل مكان فلم يجدوه .

خيثمة : أفليس ذلك دليلا على كذب سهل هذا وصاحبته مرجانة فيما روياه ؟

عقيل : كلا فمن الجائز ان تكون الحديا قد القته فى مكان بعيد أو فى مكان غير بعيد ولكن مر به أحد الناس فالتقطه .

خيثمة : أوليس من الجائز بالاحرى ان تكون مرجانة قد أخذته فاعطته لصاحبها ليبيعه فيقتسما ثمنه وثم دلائل تشير الى ذلك ؟

عقيل : أى دلائل ؟

خيثمة : ان سهلا ذهب للقائها فى المرعى ولم يظهر لها الا حين ذهبت عنبرة بالصبية لقضاء حاجتها فلما عادت وجدته يعدو هاربا ولم تجد الوشاح الذى وضعته بجانب مرجانة لترعاه وانها لما سألتها عن ذلك الهارب انكرت أنها تعرفه بل أنكرت أنها رأته هناك ثم عادت فقالت انه صاحبها سهل .

عقيل : انما كان ذلك كله لانهما كان يستحييان ان يتحدث الناس بما بينهما قبل ان يتفقا على الزواج ولذلك كرها ان تراهما عنبرة مجتمعين فلما اتهمتها عنبرة بالسرقة وكذبت قصة الحديا لم تجد بدا ان تعترف باهون الأمرين فتقول لها ان ذلك الهارب هو صاحبها سهل .

خيثمة : هذا كلام لا يقنع احدا ولا يرضيه .

عقيل : ما رأيك يا ابن سنان فى رجاء اتوجه به اليك حفاظا على السلام وقطعا لدابر الفتنة ؟

خيثمة : ما هو ؟

عقيل : ان تقبل منا وشاحا جديدا نشتريه لابنتك دعد ..

خيثمة : انك تهيننى بهذا الطلب يا ابن زيد كأننا لا نقدر ان نشترى لابنتنا وشاحا آخر وكأننا ما قمنا وقعدنا الا لنحصل على ثمن الوشاح الذى ضاع .

عقيل : فأى شىء اذن يرضيك ؟

خيثمة : لا يرضينى غير ان تسلموا الينا سهلا ومرجانة .

عقيل : لتصنعوا بهما ماذا ؟

خيثمة : لنعذبهما حتى يقرا بما ارتكباه فلا يعودا الى ارتكابه مرة أخرى .

عقيل : أما هذا فلا سبيل اليه أبدا .

خيثمة : اذن فانى منصرف الآن فلا تلومن الا نفسك

عقيل : اتهددنى ؟

خيثمة : لتصلن يدى اليهما بالحسنى أو بالقوة . (يخرج)

عقيل : دون ذلك وخرط القتاد .

مرجانة : مولاى هل لنا ان ندخل الآن ؟

عقيل : ادخلى يا مرجانة وادخل أنت يا سهل . اسمعتما ماذا قال خيثمة ؟

سهل : نعم سمعناه يا مولاى يهدد بالحرب.

مرجانة : دعنا يا مولاى نعترف له باننا أخذنا الوشاح فذلك ما يبغيه

عقيل : كلا لن ننيله ما يريد .

مرجانة : حتى لا تعود الحرب بين حييكما يا مولاى

عقيل : فلتعودن بيننا ان شاؤا جذعة .

— ٤ —

مرجانة : ماذا نصنع الآن يا سهل ؟

سهل : هكذا هؤلاء المشركون يا مرجانة ينزغ الشيطان بينهم من أجل نخوة أو نزوة فيتقاتلون ويتحاربون .

مرجانة : وأنتم يا بنى الدين الجديد ألستم تقاتلون الناس ؟

سهل : كلا يا مرجانة انما يجاهد المسلمون فى سبيل الله لا بطرا ولا رياء ولا نخوة ولا كبرياء ولا علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين .

مرجانة : دعنى من هذا . انى أخاف يا سهل ان تكون الغلبة لآل خيثمة على آل

عقيل ، فنكون نحن الذين سببنا لهم العـــار والدمار .

سهل : اتريدين مخرجا من ذلك يا مرجانة ؟

مرجانة : نعم هل عندك من مخرج ؟

سهل : هلمى بنا نجأر بالدعـــاء الى رب السماء ان يظهر براءتنا بآية من عنده .

مرجانة : كيف يا سهل ماذا نقول ؟

سهل : قولى : آلهى يا رب العالمين لئن اظهرت براءتى بآية من عندك لادخلن فى دينك دين محمد ولاكونن من المسلمين

مرجانة : آلهى يا رب العالمين لئن أظهرت براءتى بآية من عندك لادخلن فى دين محمد ولاكونن من المسلمين .

سهل : يدعو مبتهلا وحده) اللهم تقبـــل دعاءها يا رب . انك سميع الدعاء . اللهم يا مطلعا على كل شىء يا عالما ببراءتها يا مالكا ناصية كل دابة فى الارض وكل طائر فى السماء يا قادرا على كل شىء اظهر براءتها بآية من عندك واجعلها من المسلمين « آمين »

(تسمع جلبه وضوضاء من الخارج وأصوات مختلطة)

مرجانة : وى ! ما هذا يا سهل ؟

سهل : لا أدرى يا مرجانة .

مرجانة : عسى الا تكون الحرب قد قامت جذعة

سهل : ليس لنا ان نخرج من هنا الا باذن مولانا عقيل

مرجانة : يخشى علينا ان نقع فى أيـــدى اعدائه .

سهل : لكنا نريد أن نعرف ماذا يدور هناك فى المعرصة

عقيل : (صوته من بعيد) مرجانة . سهل مرجانة .

مرجانة : : هذا صوت مولانا ينادينا .

عقيل : مرجانة . سهل .

مرجانة : لبيك يا مولاى . ماذا جرى ؟

سهل : ما هذه الضوضاء . يا مولاى ؟

عقيل : الناس يتوافدون الى الرحبة من كل مكان ينظرون الى طائر يحوم فوق رؤوسهم يحمل فى منقاره شيئا أحمر كأنه الوشاح .

سهل : الله أكبر . هذه الآية من عند اللـــه

عقيل : ماذا تقول يا سهل ؟

سهل : لا شىء يا مولاى لعلها الحدايا التى خطفت الوشاح قد جاءت لتعيده الى مرجانة .

مرجانة : هل لنا ان نخرج الى الرحبـــة يا مولاى ؟

عقيل : نعم ما جئت الا لادعوكمـــا الى الخارج . هلما .

— ٥ —

(فى بيتهما بالمدينة المنورة بعد زواجهما)

مرجانة : ما رأيتك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الصباح فأين كنت يا سهل ؟

سهل : بل كنت هناك يا مرجانة .

مرجانة : ولكنى لم أرك .

سهل : غيرت مكانى اليوم فلم تستطيعى ان تريني من صفوف النساء .

مرجانة : ان كنت تحبنى فصل دائما فى الموضع الذى استطيع ان اراك فيه

سهل : فيم يا مرجانة ؟ اليس فى وقوفك أمام الله ما ينبغى ان يشغلك عنى ؟

مرجانة : انى ازداد خشوعا فى صلاتى حين أراك يا سهل .

سهل : وكيف ذلك يا مرجانة ؟

مرجانة : ما ان أراك تصلى أمامى حتى أتذكر دعاءك وابتهالك يوم الوشـــاح وكيف استجاب الله لى ولك .

ويوم الوشاح ....

الزوجان : (معا)

مـــن تعـــــــاجيب ربنــــا
الا أنـــه من ملـــة الــكفر نجانى

سهل : احقا يا مرجانـــة ان أم المؤمنين عائشة لا تمل سماع هذه القصة منك ؟

مرجانة : أجل يا ســـــهل ما ترانى أم المؤمنين فى مجلس لهـــا الا وتســـتعيدنى روايتها ثم تنشد معى فى ختامها .

ويوم الوشاح من تعـــاجيب ربنا
الا أنه من ملـــة الكفر نجانى .

ـــــ « ســــتار » ـــــ

وما أشبهه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لا بد من رعايته ، وهو أن مكة كان بلدا مشتركا بين المؤمنين والمشركين ، ووطنا لهم أجمعين ، بخلاف أرض فلسطين ، فانها ملك للمسلمين ، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ، ومع ذلك أبى الله تعالى الا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيها والمشركين ، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقتال المعتدين . فقال تعالى : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

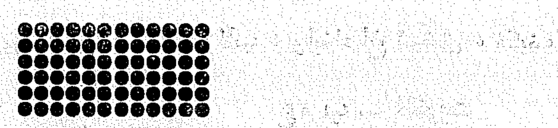
ومن مبادىء الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، واذا كانت ازالته واجبة فى كل حال ، فهى فى حالة هذا العدوان أوجب والزم ، فان هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند اخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد ، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهى : احترام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

● ● ●

أما بعد ــ فهذا هو حكم الاسلام فى قضية فلسطين ، وفى شأن اسرائيل والمناصرين لهنا من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريده اسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها ، وفى واجب المسلمين حيال ذلك تبينه لجنة الفتوى بالازهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين ، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة ، وان يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين ، وتدبير الكائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى ، وحق الأجيال المقبلة فى ذلك ، اعزازا لدينه القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الايمان به ، وعلى نصرة دينه وعلى العمل بما يرضيه . والله أعلم .



الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

فوائد المصارف

السؤال :

هل يجوز لى شرعا أن أقترض من بعض المصارف المالية مبلغا بفائدة لكى أبنى به بيتا لسكناى وسكنى من أعول ، لأنى فى حاجة ماسة الى السكن ، ولا أستطيع بناءه الا بهذا الاقتراض ، وقد سبقنى الى هذا زملاء لى ، ألا يدخل هذا فى حالة الضرورة ، أم أن الضرورة فقط لسد الجوع .

عدنان أحمد أبو عيسى — دبى

الاجابة :

ورد هذا السؤال الى الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا وقد تفضل بالاجابة التالية :

ان من المحرمات ما لا يبيحه الاضطرار أصلا كقتل النفس بلا حق ، أما الاضطرار الذى يبيح بعض المحرمات القطعية كالربا وأخذ مال الغير دون اذنه فلا يختص بسد الجوع ، بل يدخل فيه أيضا الاكراه مثلا ، كما يدخل فيه أيضا دفع مخاطر عن النفس أو الولد أو الأهل يتوقف دفعها على فعل ذلك المحرم ، ولكن من الواضح أيضا أن الاضطرار لا يدخل فيه رغبة الانسان فى الاعتياض بمسكن مملوك عن السكنى بالأجرة ، فأغلب الناس يسكنون بالأجرة ولا يملكون مساكنهم ، وكذلك لا يتناول الاضطرار رغبته فى توسيع أعماله التجارية بل عليه أن يعمل برأس المال الذى يملك ، وبما يمكن أن يقترضه فوقه بطريق الحلال ، هذا ما عندى من علم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ميراث

السؤال :

توفيت سيدة وتركت أخوين شقيقين ، وأخا لأب ، وأبناء أخ شقيق ، فكيف توزع تركتها ؟

ع٠ ب — الكويت

الاجابــة :

التركة كلها للأخوين الشقيقين تعصيبا ، ولا شىء للأخ لأب ولا شىء لأبناء الأخ الشقيق لأن الأخوين الشقيقين أقرب للمتوفاة منهم جميعا .

استقبال القبلة

الســؤال :

تضطرنى ظروف عملى أن أكون أحيانا فى مكان ولا أعرف فيه القبلة ، فهل أؤخر الصلاة أو أصلى فى أى اتجاه .

حمد العلى ــ أبو ظبى

الاجابــة :

استقبال القبلة شرط فى صحة الصلاة قال تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ولا يجب على المسلم التوجه الى القبلة الا فى الصلاة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة ، وكبر ،) فاذا عرف المصلى القبلة وجب عليه أن يتجه اليها فى صلاته ، أما اذا لم يعرفها ولم يجد من يدله عليها فانه يجتهد ويتحرى قدر امكانه ثم يتجه الى الجهة التى غلب على ظنه أنها القبلة ويصلى وصلاته صحيحة : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

فى الرضاع

الســؤال :

رضعت من امرأة مسيحية ، فهل فى هذا الرضاع اثم ، وهل يحل لى التزوج من احدى بناتها التى لم ترضع معى .

محمد حسين ــ بيروت

الاجابــة :

أولا : لا اثم فى هذا الرضاع مطلقا على أحد لا على الرضيع ولا على أهل الرضيع ولا على المرضعة .

ثانيا : بهذا الرضاع تصبح المرضعة أما لك من الرضاع وتصبح بناتها أخوات لك من الرضاع فلا يحل لك التزوج من احدى بناتها ، ولا فرق فى هذا الحكم بين المرضعة المسلمة ، والمرضعة المسيحية ، فمن رضع من امرأة أصبحت أمه سواء أكانت مسلمة أم مسيحية ، وصار أولادها أخوة له من الرضاع سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين .

الكتب الجنسية

السـؤال :

هل يحل للمسلم قراءة الكتب التى تتحدث عن الغريزة الجنسية وتصف الاتصال الجنسى .

س. ع. طرابلس لبنان

الاجابـة :

قراءة هذه الكتب فى رأينا تؤدى الى الفتنة والوقوع فى المحرم ومقارفة المعاصى ، ولذا نفتى بحرمة قراءتها خوفا من الوقوع فى الحرام ، وما أدى الى الحرام فهو حرام .

واذا كانت هذه الكتب ثقافية فقط ، وليس المقصود منها الاثارة ، وأمن القارىء على نفسه الوقوع فى الحرام ، وقصد بالقراءة مجرد المعرفة ، فلا حرمة ، والحديث يقول : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » ، ويقول : « استفت قلبك » .

حقوق النـاس

السـؤال :

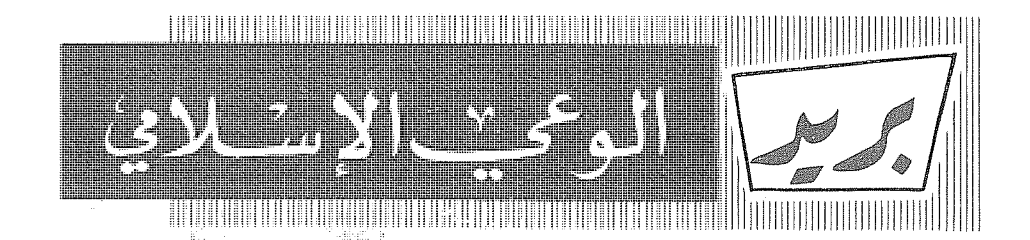
فيما مضى من عمرى ظلمت بعض الناس ، وأخذت من أموالهم بغير حق ، فهل يرفع عنى هذا الذنب التصدق على الفقراء بمقدار ما أخذت من أموالهم .

ح. ج ـ البصرة

الاجابـة :

من أخذ مالا أو شيئا بغير حق وجب عليه أن يرده الى صاحبه بأى وسيلة من الوسائل وبهذا تبرأ ذمته ، وتبرأ ساحته أمام الله أحكم الحاكمين ، فحقوق العباد لا تسقط بالصدقة .

وننصح السائل بأن يبحث عن أصحاب هذه الحقوق ، ويردها اليهم بأى وسيلة والوسائل كثيرة ، فان عجز ولم يستطع الاهتداء اليهم ولا الى ورثتهم تاب الى الله تعالى واستغفر وتصدق بمثل هذه المبالغ التى يعتقد أنه أخذها بغير حق ، والمأمول فى الله عز وجل أن يغفر الذنب ويقبل التوبة .



ملابس النساء

تلقينا من القارئة سعاد طه بالكلية الطبية فى بغداد رسالة تقول فيها : شرعت منذ مدة فى لبس لباس محتشم فى رأيى وهو عبارة عن بنطلون ليس ضيقا وفوقه فستان ليس بالقصير ولا بالطويل ، ومعه ايشارب يوضع على الرأس ، وتسأل القرئة عن رأى الدين فى هذا الزى ..؟

□ □ □

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الاستاذ الشيخ زكريا البرى أستاذ الشريعة فى جامعة الكويت .

قال فضيلته :

لا يضع الاسلام قيدا على حرية المرأة فى لباسها وزينتها ، وانما يمنعها أن تخرج عن اطار الحرية الى ميدان الفوضى باتخاذ أسباب الفتنة لنفسها ولغيرها عن طريق اظهار مفاتن جسدها وأنوثتها للأجانب عنها بكشف أجزاء خاصة من جسمها أو ابرازها وتحديدها ومحاولة لفت الانظار اليها ، فلا يطلب منها زيا معينا ، وانما يطلب منها أن يكون الزى ساترا وغير معوق عن العمل والحركة فى المجتمع .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)) .

ويقول أيضا : ((يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)) .

والمرأة المسلمة فى المجتمع المعاصر بين حالتين : حالة الافراط والتفريط فمنهن من تبالغ فى الحجاب ، ومنهن الكاسية العارية التى تتبع فى ذلك (فتاوى) مصممى الازياء الذين لا يحجزهم دين ولا يحكمهم خلق فاضل ، ومن ورائهم هيئات وشركات تستفيد من ذلك ..!!

أما الزى الخاص الذى سألت عنه القارئة فيبدو أنه زى لا يتفق اتفاقا كاملا — مع الاحكام الاسلامية اذا كان محددا للجسم ومبرزا للمفاتن ومشبها للنساء بالرجال ، ومع هذا فهو أقرب الى الاعتدال من الازياء الفاجرة الاخرى التى ابتدعها الغرب وسماها (مينى جيب) و (ميكروجيب) .

ومن عجيب الامر فى هذا العصر — وما أكثر عجائبه ! — أن بعض النساء تلبس فى بيتها ومع زوجها أزياء ساترة ولا تحرص على الزينة التى تسعد زوجها حتى اذا ما تهيأت للخروج اتخذت من مظاهر الزينة والاثارة والفتنة جميع أسبابها

وعكست القضية الشرعية والاجتماعية والعقلية ، وأصبحت الزينة مباحة الأجنبى حراما على الزوج الا بمقدار ما يشاركه فيه الاجنبى ، وأصبح زى المرأة وزينتها مرضا اجتماعيا انتقلت عدواه من المرضى الى الاصحاء حتى أصبح الخروج بالزى الاسلامى الساتر مدعاة للسخرية والاستهزاء ، ولم يعد فى مقدور فرد أو جماعة محدودة أن تعالجه وحدها ولابد فيه من تضافر جميع الجهود من كافة الهيئات والمستويات بصدق واخلاص .

العلماء .. فى المعركة ..!!

وقد وصل خطاب من القارىء عبد الله من — صور — لبنان يقول فيه : لماذا لا يشترك العلماء فى القتال ما دام الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا استبيحت أرض اسلامية ويضرب القارىء مثلا بالقراء والعلماء القدامى الذين (لم يتخذوا من علمهم — كما يقول — عذرا لأنفسهم بالتأخر عن القتال بحجة أنه يكفيهم عن الجهاد والقيام بالارشاد) .

وقد أجابك أيها الاخ فضيلة الشيخ محمد شعبان الاستاذ بجامعة الكويت قال :

من المبادىء التى قررها الاسلام أن الجهاد يصير فرض عين على كل مسلم قادر على الجهاد اذا احتل العدو أرضا من أرض المسلمين ، ودعت الحاجة الى تجنيده وان من يتأخر عن الجهاد فى هذه الحال يكون آثما أشد الاثم لا فرق فى ذلك بين عالم فى أى فرع من فروع العلم وبين غيره .

وفى الحالة التى يعيشها العالم الاسلامى الآن يجب الجهاد على كل قادر عليه حفظا لدينه وتحريرا لوطنه وصيانة لعرضه ، ومن دعى اليه فأبى استحق العقاب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

والجهاد أنواع : جهاد بالنفس للقادر عليه وجهاد بالكلمة ممن يجيدها أو ينتفع برأيه فى القتال وجهاد بالمال .

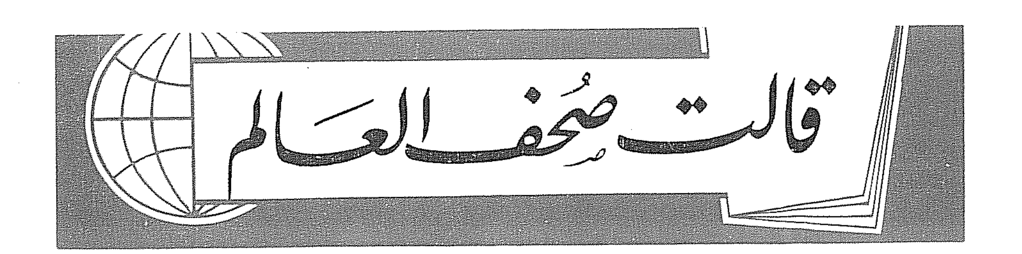
وليس الجهاد قاصرا على النوع الاول ، فان القادر على الكلمة قد يكون له من الاثر فى أحيان كثيرة ما ليس لحامل المدفع .

وما نعانيه الآن من حرب نفسية واعلامية لا هوادة فيها أساسها الكلمة ونشر الاخبار والدعايات ، ولها من الاثر ما لا يمكن انكاره ، بل ان ذلك يعتبر من أساليب الحرب الحديثة .

على أن الحرب الدائرة الآن لم يقل أحد انها فى حاجة الى رجال بقدر حاجتها الى السلاح لأنها حرب علم و (تكنولوجيا) قبل أن تكون حرب سيف ومدفع .

ومع ذلك فالذى يعرفه الناس جميعا أن جيش بعض البلاد العربية يضم الآن عددا كبيرا من المتخرجين فى جامعات دينية يقفون جنبا الى جنب مع اخوانهم المتخرجين من جامعات أخرى وغيرهم من بقية أفراد الجيش .

وهناك فريق آخر من العلماء يعيش فى الخطوط الامامية للجبهة واعظا ومرشدا وموجها روحيا ، فدعوى بعد العلماء عن المعركة ليست دقيقة فى الواقع ، ولا ننسى أن الفضل الاكبر فى تجاوز الهزيمة نفسيا ، والتقدم الى ما نحن عليه من استعداد الآن كان مرجعه الى الكلمة المؤمنة القوية التى كان على رأسها رجال الشريعة الاسلامية فى البلاد الاسلامية والله يوفق الجميع الى أداء دوره .



نشرت صباح الخير القاهرية الكلمة التالية للدكتور أحمد مهنا مدير ادارة البحوث والنشر بالازهر ردا على مقال الحلال والحرام المنشور فى المجلة المذكورة للدكتور مصطفى محمود

« رد الازهـــر »

منذ بدأ النشر وأنا أتابع ما تكتب ، وقد رأيت من واجبى أن أعاود الكتابة اليك بعد قراءتى للحلقة الخامسة (الحلال والحرام) .

وأود أن أوضح لك أن الذى يدفعنى الى الكتابة هو اعتقادى بأن هناك — فيما كتبتم — ما يحتاج الى اعادة نظر ، ولا يخالجنى شك فى أنك لن تتردد — اذا اقتنعت بوجهة نظرى مرة أخرى ، ونحن جميعا يا أخى نخطىء ونصيب .

لقد بدأت الحديث فقلت : التحريم فى القرآن ليس لمجرد التحريم ، ولا التحليل لمجرد التحليل وانما **« ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث »** .

وهو بدء واضح وجميل ولا يخالفك فيه أحد ، ولكنك عندما أردت شرح هذه القضية وتخيرت الآيتين الكريمتين : **« قل للمؤمنين يغضـــوا من أبصـــارهم »** ، **« وقل للمؤمنـــات يغضضن من أبصارهن »** .

كمثال موضح جرى قلمك — بما نود أن تعاود النظر فيه فقد قلت :

« لو أخذنا الآية بظاهر حروفها دون أن يكون جوهر القضية واضحا فى الذهن فسوف نجـــد أن الحياة الطبيعية فى زمننا (زمن المينى جيب .. الخ) أمر صعب والسير فى شارع مثل عمـــاد الدين .. و .. و .. سيرا مطابقا لحروف الآية هو الممكن الصعب » .

وما أظننى فى حاجة الى اقامة الدليل على أن الذى يسير لهدفه فى أى شارع ملىء بمـــا تقول لن يقع فى المحظور مطلقا ، وانما الذى يقع هو ذلك الذى يكرس وقته ونشـــاطه لتتبع النســاء .

ولن أدعى أن السائر لهدفه لن يقع نظره على صاحبات المينى جيب والديكولتيه .. الخ ولكنى أؤكد أنها نظرة عابرة ليس من السهل تجنبها ، ولكنها لن تترك أثرا فى نفسه ، ولعل ذلك ممـــا يشمله القول المأثور « لك الاولى وعليك الثانية » وهو ولا شك ينطبق عليه قولك « ولا ضرر فى انسان تقوده عيناه فى طريقه » واسمح لى أن أستعير تعبيرك « مجرد ارسال النظر لا ضرر منه ، ولكن الضرر فيما يجرى فى القلب والعقل نتيجة امعان النظر الخبيث . وقلت فى شرحك للآيتين :

« وغض البصر ليس فقط غض النظر عما يتعرى من الجسد ، وانما هو أيضا غض للبصر عما فى يد الناس من مال ونعمة .. الخ » .

وأنا لا أخالفك فى أن غض البصر عما فى يد الناس من مال ونعمة مطلوب وواجب لصالح الفرد نفسه ولكن الذى لا أوافقك عليه أن يكون ذلك من أهداف الآيتين موضوع الحديث فالآية الاولى تقول :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم .. »

والثانية تقول :

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » .

ولا شك أن الربط بين غض البصر وحفظ الفرج فى الآيتين يحدد المراد هنا ، وهو غض البصر عما يتعرى من الجسد ، ولا صلة بغض البصر فى الآيتين عما فى أيدى الناس .

ولسنا فى حاجة الى شرح الصلة بين الامرين (**غض البصر وحفظ الفرج**) فكلنا نعرف الوقاية خير من العلاج ، وأن الوسيلة الموصلة الى المحظور يجب أن تكون محظورة كذلك ، ومن هنا كان الارشاد الالهى الحكيم بغض البصر للمحافظة على الفرج ، وأرجو أن تسمح لى مرة أخرى فأستعير بعض تعبيراتك .

« **والقرآن يفسر بعضه بعضا ولا ينبغى أن نلتقط منه نصا واحدا حرفيا نقول هذا هو الاسلام** » .

وفى محاولة شرحك للفرق بين النظرة الحلال ، والنظرة الخبيثة عقدت مقارنة بين « رجل » متصوف عابد يرى قدرة الله فى كل شىء وابداع صنع الله على وجه كل شىء ..

وهو رجل قد غفل عن الخلق فلم يعد يرى الا الخالق و « رجل » آخر ينظر فيفكر فى اللهط ويسيل لعابه وتخرج عيناه من محاجرهما جموحا وشهوة .. الخ .

وكأنى بك لا ترى فى الوجود الا أحد هذين الرجلين فاما هذا الذى بلغ الذروة فى السمو واما ذاك الذى هبط الى أسفل الدرك .

وهذه النظرة — يا أخى — لا تمثل الواقع فى شىء ، فكلا الرجلين قليل فى الحياة العادية والكثرة الغالبة بين هذا وذاك ، والتشريعات العامة لا تكون للقلة وانما هى للجموع بقطع النظر عن الشواذ ، ولا أظن أن هذا المعنى جديد عليك .

ولعلنى لا أفتات على القرآن الكريم اذا قلت انه لم يفرض وجود « المدينة الفاضلة » فى هذه الدنيا وانما عالج أدواء الانسانية فى اطارها الحقيقى الذى يجمع بين من بلغ الذروة ومن هبط الى أسفل الدرك ومن هم هناك فى سفح الوادى ، وقد يلقى على هذا الذى نقوله بعض الضوء ، قول الله تبارك وتعالى :

« **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ..** »

وبعد أن تحدثت عن الاكمام الطويلة والاكمام القصيرة وعن البلاج وما يكون فيه من متعة بريئة ونظرة بريئة الخ .. قلت :

« وظروف المجتمعات تتغير ، ولهذا كان مدار الكثير من الآيات على ما فى القلب والنية والسريرة لنضع أيدينا على الجوهر حتى لا نتوه فى الحرفيات والتفاصيل وننسى اللباب .. »

وأعتقد أنك لا تخالفنى فى أن هناك اطارا عاما لكل مجتمع يرسمه دستوره . وتغير الظروف فى أى مجتمع لا ضرر منه ما دام داخل هذا الاطار الذى حدده المشرع ، أما اذا خرج عن الاطار العام فهو شذوذ ينبغى أن يقوم ويعالج ، والمجتمع الاسلامى ليس بدعا من المجتمعات الانسانية وقد رسم القرآن الكريم حدود الإطار الذى يجب الحفاظ عليه ، والخروج عن حدوده لا يبيح لنا الاعتذار بتغير الظروف وانما يوجب علينا الدراسة الفاحصة لتشخيص الداء ومحاولة علاجه .

أما القول بأن مدار الكثير من الآيات على ما فى القلب والنية والسريرة .. الخ . فهو وان كان صحيحا فى ذاته الا أن ربطه بما سقت من حديث يقلب معناه ويتعارض مع واقعه .

ان النصوص الدينية كلها سواء أكانت آيات كريمة أم أحاديث نبوية — عندما تتحدث عن أن المدار على ما فى القلب والنية والسريرة انما تعنى أن التظاهر بالطاعة مع اضمار ما يناقض هدفها يفقد العمل قيمته .. وليس هناك نص من هذه النصوص يتصل بالمعصية أو بالذنب فى قليل ولا فى كثير .

واسمح لى أن أستعير قولك :

« والايمان ليس صورا من خارج ولا أعمالا زائفة خالية من صادق النيات » وما أظن أنك تريد بالايمان هنا معصية أو ذنبا .

وبعـــد ..

فهذه بعض النقاط التى لفتت نظرى وليست كلها ، وأرجو أن تتكرم بنشر هذه الرسالة كاملة فى مجلة (صباح الخير) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



رســــالة الدين

من كلمة للاستاذ على سيد حسن نقتطف الفقرات التالية :

ان حب الانسان البالغ للبقاء هو الذى يدفعه الى التعلق بالخلود ، أو على الاقل ، ان من يرغب فى الخلود لهو ضمنا يريد البقاء ، واذا تساءلنا عن سر هذه الرغبة الملحة فى البقاء أو الخلود لدى الانسان ، لوجدنا أن دافعها ومحركها الرئيسى هو حب الذات ، المتمركز فى فطرة الانسان .

ويتضح لنا من ذلك أن حب الانسان البالغ لذاته ، هو ما يدفع به الى حمأة السعى والكفاح من أجل بقائه ، وينتج عن ذلك استمرار الحياة على كوكبنا الارضى .

ولكننا يجب أن نلاحظ أن مشكلات الانسانية وأسباب مآسيها ، انما تنشأ من ذلك المنطلق أيضا ، ذلك أن الانسان سينصرف الى نفسه كلية ويعزف عن تحقيق مصلحة المجتمع ، فنراه يندفع من أجل ذاته محققا لها أقصى ما يستطيعه من المنفعة واللذة المادية ، دون أن يعبأ بالآخرين .

فاذا ما أردنا من ذلك الانسان أن يغير اتجاهه لصالح الجماعة ، علينا أن نضع المقيـــاس الخلقى الكفيل بجعله يندفع نحو ذلك الهدف .

ان كل علاج لمشكلات الانسانية ينبغى أن يأخذ هذه الحقيقة (حب الذات) بنظر الاعتبار أما اذا سعى الانسان وراء التغلب عليها ، فان علاجه سيتحول الى علاج مثالى عقيم لا رصيد له فى الواقع العملى الذى يحياه الانسان .

وهنا تبرز أهمية الدين كوسيلة فعالة للربط بين حب الذات المتمركز فى فطرة الانسان ، وبين المقياس الخلقى الذى يجب أن يسير عليه الانسان فى واقع الحياة .

وبتعبير آخر ، ان الدين يوحد بين المقياس الفطرى للعمل والحياة ، وهو حب الذات واشباع رغباتها وملذاتها ، وبين المقياس الذى ينبغى أن يقوم للعمل والحياة ، وهو المقياس الخلقى الذى يضع الصالح العام موضع الاعتبار ، فبدون المقياس الخلقى يصبح عمل الخير أسطورة مجردة .

واننا لنقع فى خطأ فادح عندما نجرد الانسان من هذا المقياس ، فنربطه بمفهوم مادى ، ثم نأمل منه أن يضحى بمصالحه الشخصية فى سبيل الغير ، اذ أنه سيصبح — فى هذه الحالة — وقد

رسخ فى ذهنه ، أن لا قيم فى الحياة الا القيم المـادية الخالصة ، وأن ليس له الا هذه الحياة المحدودة والتى لا يعرف لها سوى اللذة والمتعة المادية .

ولعل هذه الحقيقة هى السبب فى ما أصاب ويصيب الماديين من فشل ذريع فى اقامة مفاهيم أخلاقية لا ترتكز على الفكرة الالهية .

ان الدين انما يوحد بين ذينك المقياسين ، لأجل أن تصبح الطبيعة الانسانية فى الفرد عاملا من عوامل الخير والسعادة للمجموع .

والدين عندما يفسر الحياة الدنيا على أنها مقدمة لحياة أخرى يكسب فيها الانسان على قدر ما يسعى فى حياته المحدودة فى سبيل رضاء الله ، فانه فى هذه الحالة سيؤدى بالانسان لأن يندفع لتحقيق مصلحة الجماعة ولخدمة الآخرين وفق شروط وطرائق يحددها الدين نفسه .

والانسان حينما يتجه لمثل هذا العمل انما يندفع اليه بسبب حبه لذاته ولأجل تحقيق الفوز فى الآخرة ، ولكنه فى الوقت نفسه — ومن حيث يشعر أو لا يشعر — يتبنى المصلحة الاجتماعية ويساهم فى تحقيق أهداف المجتمع .

عادات ومخترعات شرقية

وكتب الاستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول :

يظن كثير من الناس أننا مدينون للحضارة الغربية بكل شىء مهما دق أو جل من شئون حياتنا ، وينسبون كل ما دل على الرقى الى أوربا وأمريكا ..

وقد آن الاوان لنعرف حقنا وماضينا حق المعرفة ونقدره حق التقدير ، وننفض عن أنفسنا هذه التبعية للحضارة الحديثة فلا نصدق كل ما يقال فى فضائلها ومميزاتها دون بحث ونظر وعرض على العقل .

وبعد قراءة عميقة فى كتب الرحلات العربية المشهورة تبينت أننا الاصل فى كثير من العادات والمخترعات ، بعد أن كنا نظن أنها وليدة القرن الرابع عشر الهجرى ، العشرين الميلادى .. ثم نقلها الغرب عنا بعد أن حسنها وجملها ووسمها بميسمه وطبعها بطابعه ، ثم جاءتنا مع الحضارة الحديثة مستوردة على الصورة التى ألفناها ..

ومن أولى منا بانصاف أنفسنا والتفتيش عن كنوزنا الضائعة وتراثنا المدفون وحضارتنا الرائعة بعد أن عاد الينا كل ذلك فى صورة أخرى ، وفى شكل غريب عنا .

ومن الدعاوى المجملة المعروفة ان نقول ان الحضارة الغربية مقتبسة من الحضارة الاسلامية فلا بد من التفصيل ومن معرفة مواضع النقل وأدلة الاقتباس وفى أى شىء كان ، والصورة التى ظهر عليها الشىء المنقول أو المقتبس ، ولا ريب فى أن هذه العادات التى رآها الرحالة فى بلاد الشرق كانت مبسطة اذا قيست بحالتها فى العصر الحاضر الا أن هذا لا ينفى أصالتها لدينا ، ونقل الغرب لها عنا ، وان كانت قد تطورت ونمت على يديه حتى أصبحت على ما نرى ..

وليس معنى هذا أن نغلق آذاننا وأن نعصب أعيننا عن الاستفادة والانتفاع بثمرات تجاربهم وعلومهم ما دام ذلك لا يجنى على عقيدتنا ، ولا يهدر شخصية الشرقى المسلم .. فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .. وليس للعلم وطن ، وليس للحكمة وطن انهما ملك للناس أجمعين .



اعداد : عبد المعطي بيومي

الكويت : أعلن سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء أن الكويت تبرعت لحركة الكفاح الفلسطيني بـ ١٥ مليون دينار .

- أدلى سعادة رئيس مجلس الامة الذى رأس وفد الكويت فى المؤتمر الدولى للبرلمانيين الذى عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى بتصريح جاء فيه : أن المؤتمر فضح الاعتداءات الاسرائيلية ، ونجح فى ابراز عدالة القضية الفلسطينية ، وقد لاحظنا أن كثيرا من أعضاء الوفود لا يعلمون شيئا عن وجهة النظر العربية .
- قام سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة القاهرة أوائل الشهر الماضى تفقد فيها القوات الكويتية وأجرى محادثات مع المسئولين ، وحمل رسالة من فخامة الرئيس المصرى الى أخيه سمو أمير البلاد المعظم .
- صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت يهمها قيام اتحاد امارات الخليج العربى على أسس راسخة لصالح شعب المنطقة .
- رأس معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الحفل الذى أقامته الوزارة فى مسجد السوق الكبير بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية الشريفة .
- أقر مجلس الوزراء تخصيص مبلغ ١٠ آلاف دينار لعدد من الجمعيات الاسلامية فى باكستان والفيلبين وكندا والسنغال والحبشة والعراق وسوريا ولبنان .
- بدأ أسبوع العمل الفدائى الثانى الذى تنظمه جمعية المعلمين بالتعاون مع كثير من المؤسسات والهيئات .
- تبرعت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لاعمار بلدة الكرامة الاردنية التى هزم فيها الفدائيون والجيش الاردنى جيش اسرائيل فى مارس ١٩٦٨ م .
- بعثت الكويت بمبلغ (٥٠) ألف دولار لمنكوبى الحرب فى نيجيريا .

أكد معالى وزير التربية أن اسرائيل تقوم بتحريف الكتب الدراسية وتشويه التعليم الدينى خاصة فى المدرسة الاسلامية داخل حرم المسجد الاقصى .

القاهرة : أكد بيان دول المواجهة الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى عزم الدول العربية على الاستمرار فى معركة المصير حتى يتحقق هدفها فى النصر .

- أكد تصاعد العمليات الحربية خلال الشهر الماضى بين العرب والصهيونية تفوق القوات العربية والحاق خسائر جسيمة بالعدو .
- بحث وفد من هيئة الدعوة الاسلامية بأندونيسيا مع المسئولين فى القاهرة وسائل نشر الدعوة الاسلامية وتعزيز التعاون الثقافى الاسلامى بين البلدين ، كما زار القاهرة فى طريقه الى الحج السيد ديماريو عضو البرلمان الفلبينى ، وقد أجرى بعض الاتصالات حول التعاون بين القاهرة وجمعية مسلمى الفلبين .
- قام وزير التربية فى تانزانيا بزيارة القاهرة حيث طلب من وزير الاوقاف امداد تانزانيا بالمدرسين والمطبوعات الاسلامية .

▪ عين الدكتور عبد الحليم محمود أمين مجمع البحوث الاسلامية وكيلا للازهر بالاضافة الى عمله ، وقد أذاع المجمع بيانا رفض فيه الدعوة الى تلحين القرآن الكريم بالموسيقى .
▪ عقد فى المدة ١٩٧٠/٢/٢٧ المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة حول مسائل تخص الفكر والحياة الاسلامية ، وقد حضره علماء من كل الدول الاسلامية .

السعودية : أدى جلالة الملك فيصل فريضة الحج وأقام مأدبة لكبار الشخصيات الاسلامية ورؤساء بعثات الحج وألقى خطابا قال فيه : ان علينا قبل كل شيء المحافظة على ديننا وعقيدتنا وأن نستعد للكفاح بكل ما أوتينا من قوة الايمان والاخلاص .
▪ قام الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران بزيارة الى الاردن حيث تفقد القوات السعودية المرابطة هناك واجتمع مع جلالة الملك حسين .
▪ بلغ عدد الحجاج هذا العام حوالى (٧٠٠) ألف حاج .
▪ قام الشيخ محمد سرور الصبان أمين رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بزيارة القاهرة فى الشهر الماضى بدعوة من المجلس الاعلى للشئون الاسلامية حيث اطلع معاليه على النشاطات الاسلامية فى القاهرة .

الاردن : صرح جلالة الملك حسين بأن أكثر من ٢٠ فى المائة من الاردنيين مجندون فى المعركة المصيرية مع اسرائيل .
▪ أكد السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين أن الثورة الفلسطينية بدأت تشكل خطرا على الكيان الصهيونى وأن شعار اقامة دولة عربية يتساوى فيها أهل الاديان انما يأتى بعد تحرير الارض .
▪ حكمت محكمة اسرائيلية فى نابلس على فدائيين عربيين بالسجن مدى الحياة بحجة أنهما كانا يحملان تعليمات بالحاق الضرر بحائط المبكى بالقدس ، والجدير بالذكر أن اسرائيل برأت المتهم باحراق المسجد الاقصى .

العراق : قام مدير أوقاف العراق بزيارة الى القاهرة حيث أجرى مع وزير الاوقاف مباحثات هامة .

سوريا : تقرر اقامة اتحاد يضم مجامع اللغة العربية والعلمية فى دمشق وبغداد والقاهرة .

لبنان : أكد السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء أن الدفاع عن البلاد أهم من كل شيء الان ، وأن شئون الدفاع تأتى قبل الشئون المعيشية والاجتماعية مهما كانت هامة .

البحرين : أصدر حاكم البحرين عدة مراسيم لاصلاحات جذرية جديدة ترمى الى ترسيخ دعائم الدولة العصرية منها اصدار قانون بانشاء مجلس الدولة .

تونس : سيعقد فى أوائل هذا الشهر المؤتمر السادس لوزراء الاقتصاد فى المغرب العربى حيث يبحث مشروعا للتعاون الاقتصادى فى المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) .

الجزائر : عقدت عدة اتفاقيات صداقة وحسن جوار بين تونس والجزائر تناولت تدعيم العلاقة بين البلدين فى المجالات الاقتصادية والقضائية والصناعية والسياحية .

المغرب : زار المغرب بدعوة من حكومتها السيد شريف الدين بيرزاده المدعى العام الباكستانى لبحث العلاقات بين البلدين .
▪ دعا مؤتمر وزراء التربية والتعليم والتخطيط العرب منظمة اليونسكو العالمية الى شن حملة لمساعدة الاطفال الفلسطينيين الذى يعانون فى ظل الاحتلال الاسرائيلى من أوضاع تربوية واجتماعية قاسية .
▪ تقرر تبادل السفراء بين المغرب وموريتانيا فى القريب العاجل بعد أن سويت الخلافات بين الدولتين عقب مؤتمر القمة الاسلامى الذى عقد بالرباط قبل ثلاثة أشهر وكان المغرب يطالب بموريتانيا جزءا منه .

« الى راغبى الاشــــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) — السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية — السيد حسين قمر .

تعـــز : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

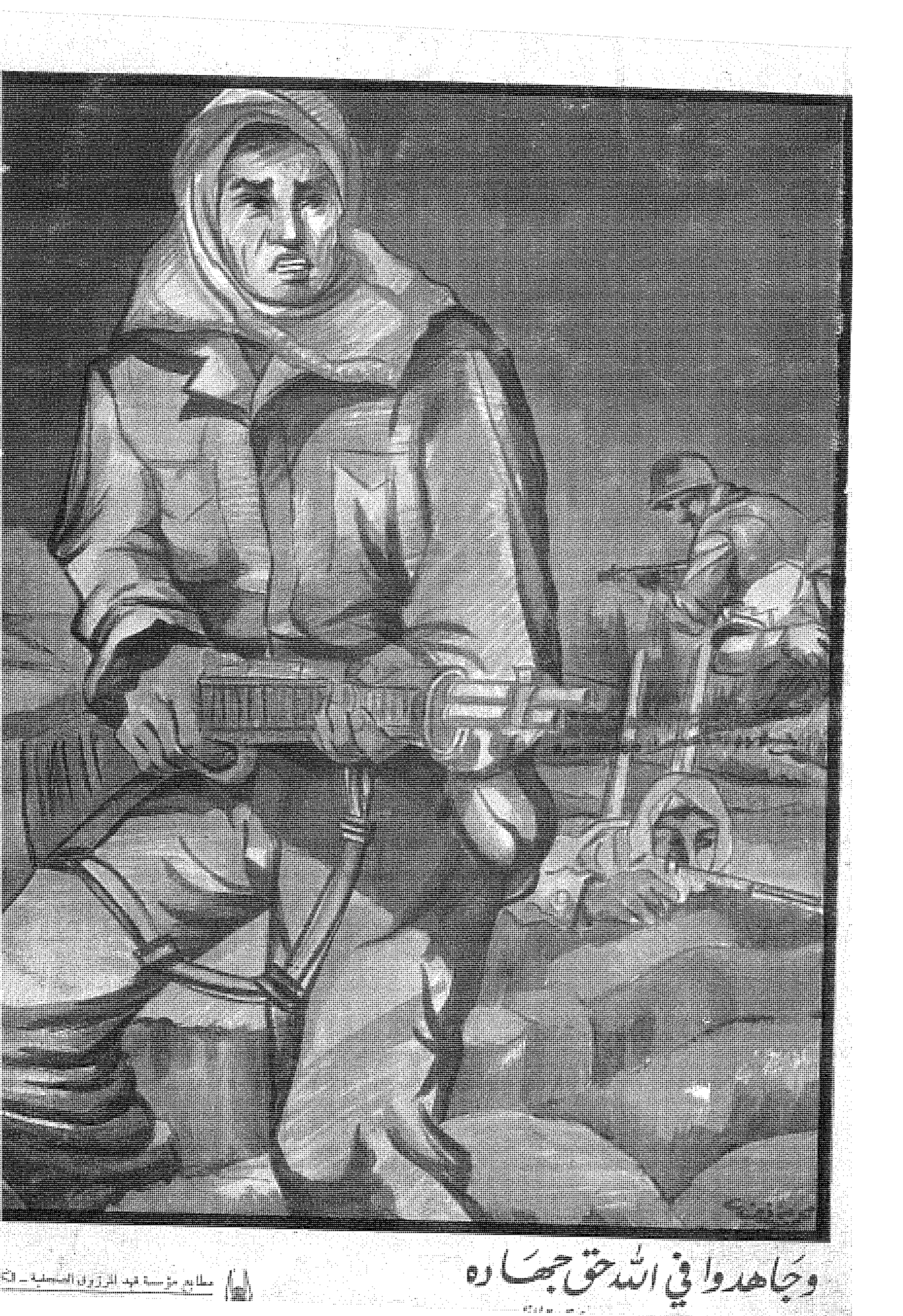
مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب — ص.ب (١٣٢) — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب (٢٨٠) — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

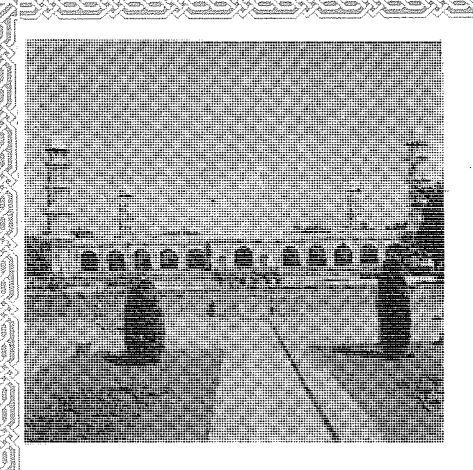


وجاهدوا في الله حق جهاده



السنة السادسة — العدد ٦٢ — صفر ١٣٩٠ هـ — ٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ م

اقرأ في هذا العدد



مسجد ((بادشاهي)) بلاهور وهو من أكبر المساجد في العالم بناه الامبراطور المغولي أورنكزيب في القرن السابع عشر في باكستان الغربية ، ويبدو في الصورة مدخله الرئيسي بطرازه العربي الرائع وعقوده الجميلة ، ومناراته الاربع الشاهقة ، وأمامه حديقة تضفي عليه بهاء وجمالا .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثاني والستون

صفر ١٣٩٠ هـ

٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

أبعاد الهجرة النبوية

أقامت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجد السوق الكبير ، وتولت الاذاعة والتليفزيون نقل هذا الاحتفال وقد افتتحه سعادة الوزير عبد الله المشارى الروضان بهذه الكلمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه أجمعين :

أيها الاخوة الكرام :

ان رسولنا صلى الله عليه وسلم هو الامام والقائد ، وعلى أمتنا أن تذكر رسولها الكريم ، وسيرته العطرة ، وما قام به من أمجاد وبطولات، وتتخذه منارا وأسوة — فالله سبحانه وتعالى يقول فى محكم تنزيله : ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

ونحن حينما نحتفل بذكرى هجرة سيد الخلق لا بد وأن نستعرض ظروف هذه الهجرة بتعقل وتفهم ونعمل جادين على الاخذ بنصح نبينا الكريم والاقتداء بسيرته — فلقد كان عليه الصلاة والسلام ثابتا فى الشدائد ، صابرا على البأساء والضراء — ولقد لقى بمكة قبل هجرته من قريش ما يشيب النواصى ويهد العزائم ، وهو مع الضعف يصابر ويثبت — ونحن فى هذه الظروف الراهنة التى تعيشها أمتنا العربية والاسلامية ، ما أحوجنا الى الصبر والثبات فى الشدائد والمحن — فما من أمة الا وفى تاريخها نصر وهزيمة ، والهزائم تطهر الامم وتصقل روحها .

والهزيمة التى حلت بنا ، يجب ألا تحطم نفسياتنا لأنها لا شىء — اذا تعلمنا منها واتعظنا ، وأخذنا منها العبر والدروس ، وغيرنا ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا ، قال جلت قدرته : ((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) عندها يكون النصر حليفنا ، هذا النصر الذى وعد الله به عباده المؤمنين الصالحين .

أيها الاخوة :

اقتدوا بأصحاب رسول الله الذين قاموا بأعمال جبارة حققت النصر للاسلام والمسلمين ، وأقاموا دولة الحق التى انحنت لها رقاب أعظم الدول فى ذلك الوقت .

لماذا لا نكون كذلك ؟ أم أننا اعتدنا تقبل الغزو الفكرى الهدام ، تحت ستار التقدم والمدنية ؟ التى هى بلا شك تدفعنا الى الهاوية والدمار ، ما هى الا قشور



سعادة وزير الاوقاف
والشئون الاسلامية
عبد الله المشارى الروضان

الحضارة ــ زيفها وخداعها ــ أفكار تدعو الى الانحلال والابتذال ، هذه هى الرجعية بعينها ، فحضارتنا العربية والاسلامية ، عريقة ومعروفة ، أخذ منها الغرب وتعلمها ، وبعد عنها أبناؤها .

أيها الاخوة :

عودوا الى ربكم ، عودوا الى دينكم وتعاليمه ، انكروا ذاتكم فى سبيل المصلحة العامة والقضية الاولى ، وتعاونوا على أن تكونوا صفا واحدا فى وجه العدو الذى حرق مسجدكم ، ويريد القضاء على هيبة الاسلام والمسلمين .

هناك على خط النار وفى داخل الارض لكم اخوة أنكروا ذاتهم وحملوا أرواحهم على أكفهم طلبا للحرية والعيش الكريم بازالة الكفر والباطل .

اخواننا الفدائيون ينزلون بعدونا كل يوم بل وكل ساعة أكبر الخسائر ، يزرعون الموت فى بنيانه يزعزعون كيانه المهلهل ، يحاربون من أجلكم ، من أجل كرامة الانسان المسلم ، فافتحوا قلوبكم لهم وأمدوهم بعونكم حتى ينصرنا الله بنصرهم .

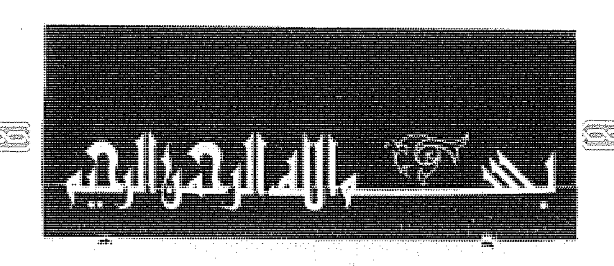
أيها الاخوة :

قصة الهجرة الكريمة لا تخفي على أحد منكم ، والغاية من الاحتفال بذكراها أن نتعظ منها ، أن نتفهمها على حقيقتها ، بأبعادها ومراميها وعبرها ، فاصبروا على الشدائد كما صبر محمد وصحبه فى سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه الحق ، اصبروا واعملوا ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ولا تكونوا الا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

والله نسأل أن يحقق لأمتنا النصر على عدو الله وعدوها .

ويسعدنى فى هذه المناسبة الكريمة أن أرفع الى مقام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولى عهده الامين والشعب الكويتى الكريم والامة العربية والاسلامية أسمى آيات التهانى والتبريك آملا أن يعيد الله هذه الذكرى علينا وقد تحقق النصر لأمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





الكلمة ... والرصاصة

يلفت الناظر فى كتاب الله كثرة الآيات الكريمة التى تتصل بالجهاد فى سبيل الله ، وهى تكاد تبلغ نصف ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة ، وهذا يصور لنا أولا — أهمية الجهاد فى هذه الفترة من حياة الأمة الاسلامية ، ويفتح أعيننا وقلوبنا على الدور البطولى الذى قام به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين لنا — ثانيا — حاجة الأمة المجاهدة الى الكلمة المؤمنة الصادقة التى تقهر نوازع الخوف وتقتل بواعث الجبن وترخص المال والدم لحماية الحق وصيانة الشرف .

واذا أحصينا بالأرقام عدد الغزوات والسرايا والبعوث الحربية التى وقعت فى قرابة عشر سنين قضاها الرسول فى المدينة — أدركنا مدى التأثير البعيد لفعل هذه الآيات فى نفوس المؤمنين وحشد طاقاتهم وانطلاقهم على رغبة وحنين الى الجنة كأنهم يرونها رأى العين ويتنسمون ريحها .

بلغ عدد الغزوات تسعا وعشرين غزوة قاتل الرسول فى تسع منها : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف .. أما السرايا والبعوث فقاربت الستين .

كانت الكلمة وراء قوة الايمان التى عبأت الامة كلها للحرب ، ووضعتها تحت السلاح وأعدتها لاحتمال المغارم والتضحيات ونقلتها الى حومات الوغى وساحات القتال وجعلتها تواجه الموت وهى على ثقة كاملة من نصر الله وأمل واسع فى احدى الحسنيين الشهادة أو الظفر .

ويتعهد الله سبحانه عباده المؤمنين بالآيات فتتنزل تباعا قبل المعارك تنبيها واعدادا وتحريضا «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ((يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا)) ((يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال)) ((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم)) وفى أثنائها تثبيتا وتطمينا ((اذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام)) ، وبعد أن تضع الحرب أوزارها تشريعا وبشرى للصادقين ووعيدا وتهديدا للقاعدين والمثبطين ((يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول)) ((ولا تحسبن الذين قتلوا فى

سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)) ((فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)) .

وتأتى بعد كلمة الله كلمة رسول الله الذى أوتى ذروة البيان وأعطى جوامع الكلمة فيشغل بيانه عن الجهاد جزءا كبيرا من حديثه يدعو الى مقابلة القوة بالقوة ورد العدوان بالعدوان ودفع الشر بالشر وينفخ فى أصحابه روح العزة والكرامة حتى لا يقبلوا الدنية ولا يصبروا على ضيم ولا يستكينوا لظالم فيحضهم على الجهاد ويدفعهم الى الاستعداد ويدعوهم الى استكمال ثقافتهم العسكرية ويشهد بنفسه ضروب فروسيتهم وملاعبتهم لسيوفهم ورماحهم ويبشر المجاهدين بالنصر فى الدنيا والفوز فى الآخرة ويضمن على الله للشهداء حياة طيبة ((تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى ، وايمانا بى ، وتصديقا برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون الدم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل)) .

وتنفذ الكلمات الى أعماق القلوب وتأخذ بزمام النفوس فاذا المؤمنون كلهم رجل واحد وقلب واحد ويد واحدة يقاتلون فى سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص .

وتتابع الكلمات النبوية فتداوى الكلوم وتشد العزائم وتخفف الشدائد فجسد المجاهد محرم على النار اذ لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى أنف مسلم وما أغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار وكل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى عمله الى يوم القيامة ومن مات مرابطا أمن الفزع الاكبر وغدى على برزقه وريح الجنة وطوبى لعبد أخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة أو فزعة طار اليها يبتغى القتل فى مظانه والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها وعينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

ومع الكتاب الكريم والسنة النبوية وفى كل منها غناء وأى غناء فى استنفار المؤمنين للجهاد — يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطباء وشعراء يدافعون عن الاسلام ويواجهون الحرب الكلامية للاعداء بحرب كلامية مؤمنة أشد وأعنف منها . يقول ابن قيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد وكان من شعرائه الذين يذبون عن الاسلام كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكان أشدهم على الكفار حسان .

ويتوسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شاعره حسان مقدرة بلاغية وقوة اعلامية فيبدى اعجابه به ويغريه بمهاجمة الاعداء ويقول له : شن الغطاريف على عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام .

ويروى أن رجلا قال يا رسول الله ان أبا سفيان (ابن الحارث) يهجوك فقال اللهم انه هجاني واني لا أقول الشعر فاهجه عني . فقال حسان : يا رسول الله أتأذن لي فيه . فقال له : ايت أبا بكر يخبرك بمثالب القوم ، ثم اهجهم وجبريل معك فانشد حسان ..

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

.. ..

وكانت كلمات الخلفاء ووصاياهم ، وخطب الولاة والقواد تفجر الطاقات الكامنة في نفوس المؤمنين ، وتقلل العدو في أعينهم ، وتحملهم على أن يعدوا للجهاد كل شيء ، وأن يلقوا بثقلهم في المعركة .. كانت كلماتهم تسكن الفتن ، وتجمع الشمل ، وتشد العزم .. وماذا كان يجمع المسلمين عند انفراط عقدهم عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحداق الاخطار بهم من كل مكان ، وشدة حذر أولى العزم من أصحابه ، وتخوفهم من الحرب على مستقبل الاسلام والمسلمين .. لولا كلمات صادقة من الخليفة الاول في جموع المسلمين الذين تباعدت وجهات نظرهم في قتال مانعي الزكاة .. كلمات تصور الاستمساك بالحق كاملا غير منقوص ، وترفض في اصرار التفريط أو التمهل فيه : ((والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه)) كلمات حسمت الموقف ، وقطعت السبيل على المتخوفين ، وردتهم الى الحق ، وقادتهم الى النصر : ((ولولا أبو بكر لهلك عمر)) .

وماذا فعل فاتح الأندلس (طارق بن زياد) بعد أن نزل بالجزيرة الخضراء ، وأقدم على سفنه فأحرقها ، وقطع الرجعة على جنده ، فأثارهم .. بماذا يهدئ ثائرتهم ، ويبعث فيهم روح الاستماتة والجهاد .. كلمات في أحرج المواقف وأشدها بأسا .. كلمات أعادت الأمل ، وبثت الثقة ، وحولت الأنظار من الوراء الى الأمام ، ومن الفكر في العودة الى الفكر في البقاء ، أين المفر ؟ ((البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر)) .

وقد عقدت كتب السيرة والأدب فصولا طوالا للاشعار الحماسية والأقوال الثائرة التي هزت قلوب المؤمنين وألهبت مشاعرهم حتى بدت الدنيا في أعينهم مجازا للآخرة فحرصوا على الموت أشد من حرصهم على الحياة وآمنوا ايمانا عمليا بأن كل شيء بمقدور فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

وان حينهم سوف يواتيهم ولو كانوا فى بروج مشيدة ، وان ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى السماء الا فى كتــاب ولو كانوا فى بيوتهم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وكان الله ورسوله أحب اليهم من أنفسهم وأموالهم وأهليهم .

تروى كتب الأدب أن امرأة النابغة الجعدى ناشــدته الله أن يقعد عن الجهاد حرصا على سلامته فأجابها :

باتت تذكرنى بالله قاعـــــــدة	والدمع ينهل من شأنيهما ســبلا
يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى	كرها وهل أمنعــن الله ما بذلا
فان رجعت فرب الناس أرجعنى	وان لحقت بربى فابتـــغى بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرنى	أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

.. ..

ان مصير المعركة معلق بأمرين لا يغنى أحدهما عن الآخر سلاح حديث ، ورجال عقيدة يملؤون ساحاتها بايمان وثيق وجأش رابط وصبر شديد وبشاشة ورجاء والذى يعنينا هنا هو الرجال والكلمة المؤمنة هى السبيل الى ايقـــاظ القلوب وايقاظ العزائم ونحن بحاجة ماسة الى المزيد من هذه الكلمة فى الخطب والمقالات والمؤلفات وبرامج الاذاعة والتلفزيون ، ان معركة الاعلام لا تقل شأنا عن معركة الصاروخ والمدفع ، وان مائة مليون عربى ، أو ســبعمائة مليون مسلم قد يحتاجون الى مزيد من العدة والتدريب ، ولكن لا يستطيع أحد أن يدعى أن عندنا نقصا فى المؤمنين من حملة الاقلام وأرباب البيان ، وذوى القدرة على الترجمة والكتابة والتأليف ومخاطبة الدنيا بكل لسان .

اننا فى المعركة الحربية بحاجة الى استيراد الصواريخ والمدافع الثقيلة والطيارات وأجهزة الرادار ، وكثير من المعدات الحربية ، ولكننا لســنا فى المعركة الاعلامية بحاجة الى استيراد أرباب البيان وحملة الأقلام .

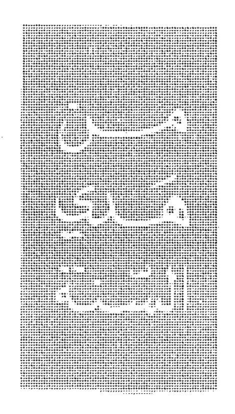
والــكلمة المطلوبة فى المعــركة ليست أى كلمة ، فمن الــكلام ما هو كالأسلحة الفاسدة تضر ولا تنفع ، وتكون عونا للعدو وسلاحا فى يده .. بل هى الــكلمة المؤمنة النافذة الى القــلوب المتميزة بنوعيتها .. بصــدقها .. بمنطقها ، واذا كان العدو قد اســتطاع أن يلبس الحق بالباطل ، ويضــلل العالم بدعاياته وأكاذيبه . أفليس من واجبنا أن نكشف زيفه ، ونفضح باطله .

ان الله عز وجل صور لنا تأثير الكلمة المنزلة تصويرا معجزا ، وجسده تجســيدا واضحا ، فقال تعالت كلماته : ((لو أنزلنا هــذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)) .

وحاجتنا الى الكلمة لا تقل عن حاجتنا الى الرصاصة ..

مدير ادارة الدعوة والارشاد

زهران البهلى



الى أين نحن مسوقون ؟ ٢

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض : الله ، الله »
رواه البخارى ومسلم وأحمد

١ — فى العدد الماضى تناول القول مثار هذا البحث ، الذى انطوى على التأكيد المؤيد بالبراهين العقلية والواقعية بأن المجتمع الذى تطبق فيه أحكام الاسلام نصا وروحا يبيد كل أعداء الانسانية وتنمو على أرضه مقومات الحياة الحرة الكريمة فى ظل حراسة ساهرة ماهرة واعية ، وألمنا بطرف من موقف الاسلام من (الجهل) وأوضحنا مدى اصراره على ابادته ، وحرصه على التمكين لنور العلم أن يمتد أفقه بكل وسيلة ممكنة ، وحمله العامة والخاصة على رفع العوائق من طريقه فلا عذر لجاهل يقيم على جهله فى بلد تعلو فيه راية الاسلام ، ويتردد على أسماع أبنائه صباح مساء قول الله تبارك وتعالى : « .. قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب » (١) .

ونعوج اليوم موضحين كيف يعالج الاسلام المرض والفقر حتى يجتث أصولهما ، ويقتلع جذورهما من أرضه ، ويأتى على منابتهما فى مظانها فلا يبقى لهما أثرا فى واديه ولا ظلا على وطن يسود فيه ، فالشعب الذى تعتل صحة أبنائه ، وتفشو فيهم الامراض ، محكوم عليه بالفناء ، حيث لا يزال يتهاوى حتى يتلاشى ، ومن أهم عوامل انتشار الاوبئة تلوث المياه ، والقاء القاذورات على قارعة الطريق ، واهمال النظافة فى المسكن والملبس والاجسام ، والدارس لبديهيات الفقه الاسلامى فى عباداته التى هى القربى الى الله ، وعمادها ولا شك

(١) الآية رقم ٩ من سورة الزمر .

هو الصلاة ، يلفى من أولى مقوماتها الطهارة فلا تصح صلاة بدون وضوء (٢) ، فقد روى أحمد والشيخان من حديث عبد الرحمن بن صخر مرفوعا : (لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ) وتنبيها على أهمية الوضوء وبيانا لمنزلته ، وأن الصلاة التى هى أهم ركن من أركان الاسلام بعد الايمان لا يمكن اقامتها الا بالطهارة قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا .. الآية الكريمة رقم ٦ من سورة المائدة . وروى البخارى وأصحاب السنن عن عمرو بن عامر الانصارى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة ..) وروى مسلم من حديث أبى هريرة أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع فى الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع فى الساق ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ .

فالنظافة ركن الصحة البدنية وأما الوسخ والأقذار فمجلبة للامراض والادواء الكثيرة ، ومن ثم نرى الأطباء يشددون فى أيام انتشار الأوبئة والامراض المعدية فى طلب المبالغة فى النظافة ، والاسلام يرى أنه جدير بالمسلمين أن يكونوا أصح الناس أجساما وأن تنتفى الامراض من بينهم فالدين مبنى على العناية بنظافة الأبدان والثياب والأمكنة فهذا ينفى الاسباب التى تولد الجراثيم وتنشر الامراض بينهم ، ويرى الاسلام مع هذا أن من تكريم المسلم لنفسه وأهله وقومه الذين يعايشونه أن يكون نظيفا فمن كان كذلك كان جديرا بحضور مجامعهم ولقائهم ومن كان وسخا قذرا مجته العيون واحتقر عند كرام الناس ولا يرونه أهلا لمجالستهم ، ولأجل هذا ورد الأمر بالغسل يوم الجمعة والتطيب ولبس الثياب النظيفة لأنه يوم يجتمع فيه الناس فى المساجد لعبادة الله تعالى روى مالك وأحمد والبخارى ومسلم من طرق عدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « غسل الجمع واجب على كل محتلم » وروى البخارى عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه ، ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى » .

وأفرد الفقهاء جميعا على اختلاف مذاهبهم بابا يشرحون فيه أنواع المياه التى يجوز منها التطهير ويصح بها الوضوء والاغتسال ، وآخر يوضحون فيه وجوب الابتعاد عن النجاسات حتى تصح العبادات ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول فى الماء الراكد حتى لا يفسد وتفوح منه الروائح الكريهة الضارة بالصحة عموما . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه » متفق عليه .

وفيما رواه مسلم عن جابر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبال فى الماء الراكد .. ولم يقتصر حرص الاسلام على صحة الناس أن يحضهم على الطهارة للعبادات بل تعدى ذلك الى إبعادهم عن أماكن العدوى وانتقال الادواء فنهاهم عن الدخول الى بلد موبوء وعن الخروج منه اذا كانوا فيه حتى

(٢) أو ما ينوب عنه عند فقدان الماء .

لا ينتشر المرض ويعم وحتى ينحصر فى مكانه فيمكن القضاء عليه وهذا أساس الحجر الصحى المعمول به فى عصر الوصول الى القمر ، كما نهى عن الامتلاء من الطعام وقسم الامر ثلاثة أقسام : ثلث للماء ، وثلث للطعام ، وثلث للنفس ، وقال سيدى رسول الله : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » وورد فى الآثار اياكم والبطنة الى آخر ما هنالك من آثار الرسول وصحابته وتابعيه مما يدل على الحرص الشديد على سلامة الابدان بكل طريقة ممكنة مما لو ذهبت أشير الى مواطنه فضلا عن احصائه لطال الحديث وما انتهى المطلوب .

٢ ــ واذا تجاوزنا القول عن حفاظ الاسلام وعنايته بصحة الناس وجرهم بعيدا عن الامراض بما لا تجد له ضريبا ولا مشــابها لدى أى تشريع آخر مهما كانت مصادره ، أقول اذا تجاوزنا هذا البحث الى الكلام عن علاج الاســـلام للفقر والجوع ألفينا العجب العجاب من تخطيط هذا الدين وتعاليمه للقضاء على هذا العدو الالد للانسانية بالوسائل التى لا يضار بها أحد فى نفسه أو ماله وفى الوقت نفسه ترسى أسس السلام والألفة والمحبة بين أفراد مجتمع تسود فيه ، ولا نتعرض هنا الى مبادىء سادت فى دول معاصرة عولجت بها الحالات الاقتصادية فى تلك البلاد ، ولا نشير الى مذاهب أقرت مهدرة كرامة الانسان فى صورة ما قدم اليه من احسان ، ولا نريد أن نتحدث عن قيود لبديهيات مقومات الانسانية تحولت من الحديد الى الذهب فهى قاتلته على أى حال ، فلكل هذه الامور مواضع أخرى بعضها نوقش وفند ، وبعضها لا زالت تحميــه حراب وقنابل ومصير تلك النظم الى الفناء فما لم ينبع من قيم تعلو بالخلق المقــوم لوجود الانسان كانسان وان لاح برقا فهو خلب وان بدا من بعيد ماء فسيجده الفاحص الداعى سرابا لا غناء فيه وان قامت عليه تشريعات وظل مسيطرا ردحا من الزمان « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وانما نورد هنا ما وضحه القرآن ، وما أورده للقضاء على العدو الالد والخصم الكاشح ، ألا وهو الفقر والعوز ، فقد حرص التشريع الاسلامى على محوه بنشر الوعى العملى ، والدعوة الى الكفاح المتواصل ونبذ الاتــكالية ، والتبطل ، والتعاون الجاد للبناء القوى المتكامل ، ويتضح هذا من خلال الصور التى تبدو للنظرة السطحية شيئا فرديا هينا لا يعالج مشكلة عامة ، ويخرج منها نفســـها الدارس الباحث الذى يريد الوصول الى الحقائق من منابعها النقية ومصادرها الحقة فى غير التواء ولا تدليس أقول يخرج منها بقواعد ثابتة بناءة تحفظ على الانسان انسانيته وكرامته وتحيله من تافه لا يؤبه له الى لبنة قوية صامدة لها كيانها الاصيل فى تكوين المجتمع الفاضل ، فحين يقول سيدى رسول الله : (اليد العليا خير من اليد السفلى) يوجه كل ســـامع مصغ لهذا المنطق القوى الكريم الى العمل الذى يؤتى أطيب الثمرات ، ويزيد على الحاجة ويعين بما فضل عاجزا لا يقوى على كسب ، ويجىء الى المجلس الشريف مســتجد يطلب قوتا فيسأله الرســـول الكريم أليس فى بيتك شىء فيجيب قعب وحلس ويؤمر باحضارهما ويعرضهما المشرع الحكيم على الناس فى مزاد علنى ويشترى بما نتج من ثمنهما فأسا وحبلا ويقول لصاحبه اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ويختفى الرجل ثم يعود مرفوع الهامة موفور الـــكرامة ، عزيز النفس ويخبر أنه احتطب وباع واشترى الطعام والكسوة لأهله وفضـــل معه ما تصــدق به على عاجز بائس محروم ، والثروات لا تهبط على أربابهـــا من السماء ــ الا قلة وارثة نادرة والنادر لا حكم له ــ وانما تنمو من القليل وتتكاثر من ضئيل وبالجد والمثابرة والعزم والجهد يبنى الحطاب مصنعا ويشــيد دارا

للانتاج يعمل بها الكثيرون ويحصلون بعرقهم على ما يجعلهم أعضاء نافعين لمجتمع يستقرون فيه ، وأما من عجز عن عمل لشيخوخة أو مرض أو أى عائق لا يستطاع التغلب عليه ، فلمثل هذا حق مقرر فى مال الواجد المستطيع يأخذه سرا أو علانية لكن يؤدى اليه على أى حال : « ان تبدو الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ويشير ما أثر عن العرب عامة أنهم كانوا يعدون من مكارم الأخلاق وحميد الشيم الاسرار بالاحسان فقال حكماؤهم : « اذا اصطنعت المعروف فاستره ، واذا صنع اليك فانشره (٣) » وقال دعبل الخزاعى :

اذا انتفعوا أعلنوا أمرهم وان أنعموا أنعموا باكتتام

وقال سهل بن هارون :

خل اذا ما جئته يوما لتسأله أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : لا يتم المعروف الا بثلاث خصال : تعجيله وتصغيره وستره ، فاذا أعجلته هنيته ، واذا صغرته أعظمته ، واذا سترته أتممته ، ومن مقول بعض الشعراء :

زاد معروفك عندى عظما انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهور خطير

ويظن بعض المعاصرين أن فعل الواجب لأنه الواجب مذهب مستحدث ويعلم الله أنه ما من حديث الا وله فى القديم مرجع ، ولقد دعا القرآن الى أداء المعروف دون من واصطناعه دون انتظار الثناء وانما يفعل الخير لأنه أمر رب الخير فهو واهبه فى الاصل ومثيب عليه فى النهاية ، بل يرى القرآن الكريم أن فى المن ابطالا للثواب وبعدا عن الاخاء السوى الذى تقوم صلاته مع الاخوة وأبناء الوطن على الفناء فيهم والغض من كل ما يفعل لصالحهم مهما عظم وجل ، فمن قيم صنيعه فقد أهدره قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر » .. الخ الآية ٢١٤ من سورة البقرة . ويقول شاعر القوم :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ليس الكريم اذا أسدى بمنان

وقال أبو بكر الوراق :

أحسن من كل حسن فى كل وقت وزمن
صنيعة مربوبة خالية من المنن

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر : فعلت اليك وفعلت . فقال له : اسكت فلا خير فى المعروف اذا أحصى ، وروى عن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ، ويمحق الاجر ، ثم تلا (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) .

(٣) اذا لم يكن فى نشره غضاضة .

فالمسلم الصادق فى ايمانه يقدم ما يستطيع أن يقدم من خير واحسان طاعة لله وامتثالا لتعاليمه وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومجتمع يسوده التكافل يختفى فيه الفقر حيث يجد المحتاج عونا فى شدة ، ولقمة فى سغب ، وكساء فى عرى ، ومأوى حين يعز المأوى ولياذا يحميه من النازلات ، ودرعا يقيه الغـائلات ، وقلوبا كريمة تتجـاوب معه فى أحزانه حتى تمحوها وآلامه حتى لا يشعر بها ، وكل ما مر مما أشرنا اليه هو فى الصدقات الاختيارية فى الاسلام ، ولكنها اجبارية لدى القلوب المؤمنة ، فهو أى المؤمن يصدق وصايا رســول الله ويعمل بها ، ورســول الله هو الذى يوضح فى كثير من أحاديثه الشريفة أنه لا يريح رائحة الجنة من بات شبعان وجاره طاو ساغب ، بل يزيد رسول الله الحبيب صلى الله عليه وسلم الامر ايضاحا حيث يقول فى شـأن الجار (ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه ســيورثه) أى يجعله وارثا ، ويقول عليه الصلاة والسلام (لا تشتر فاكهة فيخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها ، ولا تسـتعل عليه فى البناء فتحجب عنه الريح الا باذنه) وما الناس فى أى مجتمع الا جار ومجاور له .

وأما البذل القسرى بالتشريع الاسلامى فهو الزكاة وهى ضريبة لا بد منها تجبى بأمر الحكومة القائمة وتوزع على فقراء المسلمين وفى مصالح الشعب عامة ولها مصادر وموارد ومقادير مقررة فى الاسلام منذ بزوغ فجره ، قاتل عليهـا أبو بكر رضى الله عنه ونفذ بذلك تعاليم القرآن ولم يسمح لغنى أن يغتال حق الله فى ماله مهما كانت سطوته وقوته ، وما هذا التشريع الحـكيم الا تكوين لوزارة المالية الاسلامية تجبى من الاغنياء ما يرد على فقرائهم ، ويوم قام هذا التشريع الاسلامى لم يكن لدول تعد متحضرة الآن وجود فى الوجود .

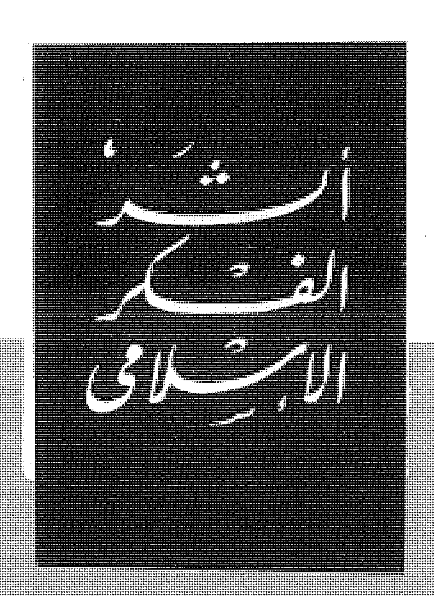
أما بعد ، فهل لنا أن نتساءل ؟! الى متى يظل المسلمون فى أوضـاعهم الماثلة ولديهم الامكانيات الروحية التى لا تطاول لدى الآخرين ، والقوى المادية التى لا تملكها ولا تحلم بها شعوب كثيرة على وجه البسيطة ، الى متى يبقون رعايا لا راعين (٤) ؟! أينقصهم العلم ؟ أيعوزهم العقلاء ؟ أهم فى قلة من عدد ؟! جواب كل ذلك لا ، فقد انتشرت المعرفة الحضارية فيهم منذ بدء الاسلام وأضافوا اليها حضارات أخرى وعلوما ومعارف أنتجتها العصور الحديثة (٥) وفيهم من العقلاء من يفوقون غيرهم فى كثير من أمم الارض وعددهم والحمد لله يجل عن الحصر ، فهل من مدكر ؟ ..

أم هناك قيود تعوق انتشار الحرية والاخاء والمســاواة بينهم ؟! حتى يعتدوا بأنفسهم ويقتحموا عقبات الحياة بكياسة وجرأة ويمضوا الى حيث أراد لهم خالقهم الى الصدارة والكمال والقيادة ، لهذا حديث ســيأتى حتى يرتبط عنوان البحث بصلب القول ومضمون الكلام غالى لقاء قادم ان شاء الله .

---

(٤) أقصد الصدارة الفكرية والرعاية بمعنى توجيه العالم كله الى نور الاسلام ، فهذه رسالة المسلمين كافة على اختلاف درجاتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية ، والعالم ينتظر المخلص الآن ولا هادى الى الصراط السوى الا الاسلام ..

(٥) وكانوا هم اللبنات الاولى لها .



في الحضارة الأوروبية

للدكتور محمود محمد قاسم

ظلت الحضارة الاسلامية تسيطر على العالم طيلة خمسة قرون ، وكانت ممثلة للحضارة الانسانية طيلة العصور التي سيطرت فيها ، وما زالت اثارها واضحة في هذه الحضارة ، اذ ان العناصر الحضارية الاسلامية قد دخلت ضمن التراث الانساني وامتزجت بعناصر جديدة جاءت بها حركة النهضة الأوروبية منذ مطلع العصر الحديث .

ومن المؤكد ان حضارة المسلمين قامت على اسس مختلفة اهمها الدين الجديد الذي بعث امة العرب ، وربطها بكثير من امم المشرق والمغرب ، والذي غير معالم كثير من اقطار آسيا وافريقية واوروبا ، والى جانب هذا الأساس الاول وجد العرب والمسلمون اسسا اخرى لدى اليونان والفرس والرومان ، لكن المسلمين صبغوا هذا التراث الاجنبي المتعدد الاتجاهات بصبغة اسلامية ، وقد بدا أثر ذلك بصفة واضحة في مختلف فروع المعرفة الانسانية ، ويكفي ان نشير هنا الى مساهمة المسلمين في بناء الحضارة الانسانية في الدراسات الفلسفية والالهيات والتصوف والاجتماع .

لقد اطلع مفكرو الاسلام على التراث الفلسفي الاغريقي ، وهو التراث الذي عرفت مختلف الأمم

اصالته وعمقه ، والـذى ما زالت تنم عنـه الاتجاهـات الفلسـفية المعاصرة .

لكن هذا لم يحـل دون ان يفطن المسلمون الى ما يحتوى عليه هـذا التراث الفكرى من عناصر يمكن ان توضـع موضع المناقشـة والنقد . وبعيد عـن ذهننـا ان نتطـرق هنـا الى الحـديث عن التفاصـيل الفنيـة فى دراسـة الفلسـفة اذ يخرج بنا هذا الحديث عن النطاق الذى أردناه لهذه الكلمة فيكفى اذن ان نشير مثلا الى ان الفيلسـوف الكندى فطن الى تناقض أرسطو فى فكرته عن العالم ، واخذ عليه ان هذا التناقض هو الذى صرفه عن تقرير فكرة وجود خالق لهذا الكون ، وان آمن بوجود اله عده هو غريبا عن الكون وجاهلا به ، وقد بنى الكندى نقده لارسطو على الربط بين فكرة المكان والزمان فما دام العالم فى رأيه متناهيا من جهة المكان فلا بد له أيضا ان يكون متناهيا من جهـة الزمان ومعنى ذلك انه ينكر على ارسطو فكرته القائلة بان العالم قديم لا أول له ولا آخر من حيث الزمن .

كذلك نجد ابن سـينا وغيره من فلاسفة المسلمين لا يرتضـون فكرة ارسطو ، ولهذا الفيلسوف الاسلامى اراء علمية فى الدراسات النفسـية وله محاولاته القيمة فى طرق العلاج النفسانى وقد رأى ابن رشد كذلك نوعا من التناقض فى مذهب أرسطو عن النفس والعقل فارتضى مذهبـا خاصا مبتكرا يتلخص فى ان العقل ليس الا مظهرا من مظاهر النفس وان أرسطو الذى قال بامكان خلود العقل كان ينبغى له ان يقرر خلود النفس فى الوقت نفسه .

واكثر من ذلك نجد ان ابن رشد ــ الذى جهل المسلمون فضله ، بل اساءوا اليه حيا وميتا ــ قد حظى بشهرة عريضة فى العالم الغربى ، وأثر فى تفكير أوروبا تأثيرا كبيرا ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى ، أما شهرته فمرجعها الى انهـم يعدونه هنـاك الشـارح الأكبر لفلسـفة أرسطو ، وهذا حق لانه افضل شراح هذا الفيلسوف ، اما تأثيره البـالغ فيمكن القول بأنه سلك طريقتين . فمن جانب ابتكر ابن رشـد نظريته الكبرى فى التوفيق بين العقل والدين، وطبقهما تطبيقا ممتازا ومبتكرا على عقائد الاسلام ، فأخذها عنه مفكرو المسيحية وحاولوا تطبيقهـا على عقائدهم ، واشهر هـؤلاء المفكرين « توماس الاكوينى » الذى يعد ممثل التفكير الـكاثوليكى حتى عصرنـا الراهن ، غير أن هؤلاء الذين افادوا من نظرية ابن رشد لم يكونوا عدولا معه ، اذ سطوا على آرائـه جملة وتفصـيلا ونسـبوها الى انفسـهم ثم رأوا ان ينسبوا اليه بدع المفكرين الخارجين على الكنيسة وان يحاربوه على انه امـام الملحدين فى العالم المسيحى، وبهذا يتبين لنا الطريق الآخر للتأثير الذى اشرنا اليه منذ قليل . ذلك ان الناقمين على رجال الكهنوت وجدوا فى شروح ابن رشد كما وجدوا فى آراء الفارابى مصدرا هاما يمكن ان تسـتمد منـه الحجج لمحاربـة المسيحية ، لـكن ابن رشد لا يعد مسئولا لمجرد انه شرح كتب ارسطو، بل الاولى ان تنسب المسئولية الى هؤلاء الذين استخدمـوا فلسـفة أرسطو استخداما خاصا ، وايا كان الأمر فان حركة احيـاء العلوم فى اوروبا وما تبعها من ظهور النهضة

الحديثة ترجع دون شك الى هـذا التأثير غير المباشر الذى حرر اهل الفكر هناك من احتكار رجال الكهنوت للمعرفة الانسانية .

وينبغى ان نقرر ان مناهج علماء المسلمين وفلاسفتهم ساعدت علـى بعث الحركة العلمية في أوروبا ، ذلك ان هؤلاء العلماء لم يقتنعـوا باتباع منهج ارسطو التقليدى بل اضـافوا منهجا تجريبيا لم يكن للاوربيين عهد به وهو المنهج الذى نراه واضـحا لـدى الطبيب الـرازى وابن الهيثم وغيرهما والذى اقتبسه روجر بيكون فى القرن الثالث عشر حتى وضحه من بعده فرانسيس بيكون ومن جاء بعده من دراسى المنهج العلمى .

وبديهى ان هـذا المنهج التجريبى كان العامل الجـوهرى فى تطوير الحركة العلميـة التى تقوم عليها الحضارة الحديثة ، وهو منهج عربى فى اصوله .

وللامام الغزالى محاولاته الموفقة فى الاخلاق والتصوف وشهرته فى هذين المجالين حقيقة معروفة ويعد كتابه احياء علوم الدين من أفضـل ما كتب الاخلاقيون ففى هذا الكتاب نجد تحليلا نفسـيا رفيعا لمختلف العواطف الانسانية وللمثـل العليا التى ينبغى الوصـول اليهـا قدر الاستطاعة لتحقيق سـعادة الفرد والاسر والجماعة .

وفى الاحياء فصول رائعة يعرض فيها الغزالى بالتفصيل لموضـوعات اخلاقية دينية ، كالصبر والاخـلاص والصدق والعفو والايثار والتواضع ورياضة النفس ومجاهدتهـا والحب والمحبة والاخوة والصحبـة والتوكل كما يحلل فيها كثيرا من الرذائـل كالحسد والحقد والطمـع والنفاق والكبر والعجب ...

هذا ونجد للغزالى فى مختلف كتبه فكرة اصيلة ثابتة وهو ان التصوف الاسلامى يجب ان يظـل فى نطاق الاسلام واخلاقه ومثله ، وهو يفند تصـوف القائلين بالحـلول والاتحاد ويبين انه يتنافى مع العقيدة الاسلامية الواضحة التى تتخذ العقل حليفا لها ومما تجدر الاشارة اليه ان الغزالى التزم دائما مبدأ الجمع بين العقـل والشرع ، والعقل عنـده هو ميزان الحق الذى به نعرف الرجال بدلا من ان تتخذ أقـوال هـؤلاء مقياسـا للحق .

أما تصوف ابن عربى فله آثاره العميقة فى نشأة الفلسفة المثالية فى أوروبا وهو يعد فى راينا من طلائع الأدب الرومنتيكى .

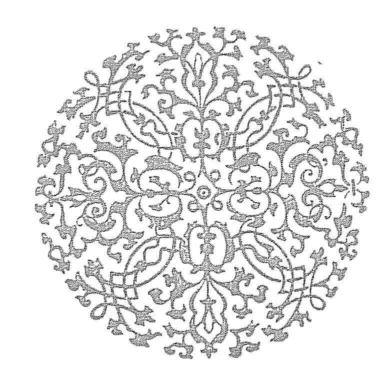
أما فى علم الاجتماع فمن المؤكد ان مقدمة ابن خلدون تعد أول دراسة جدية ومنهجية فى علم الاجتماع وهى علمية لانها اعتمدت على منهج دقيق تتخذ فيه قوانين العمران من جهـة الثبات ومن جهة التطور أساسا لفهم الحوادث التاريخية ونقدها وتحليلها وتصنيفها ، ووضع نظرية علميـة لتفسيرها، فابن خلدون قد سبق علماء الغرب حتى القرن التاسع عشر عندما تحدث عن ضرورة وضع منهج لعلم جديد مهمته معرفة أحـوال العمران الانسانى ، وهذا هو الشرط الاول فى السمو بالتاريخ الى مرتبة العلم بدلا من الاعتماد على مجـرد السرد دون تمييز من صحيح الخبر وباطله فالتاريخ لن يكون علما الا اذا كـان ذا طابع اجتماعى من حيث الاتجاه ومن حيث المنهج .

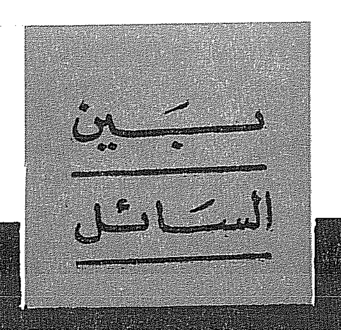
تلك أمثلة قليلة تكشف لنا عن أثر علماء المسلمين فى توجيه الفكر البشرى وهو كما نعلم عنصر اساسى فى كل حضارة ، وقد يتساءل المرء عن سبب ركود الفكر الاسلامى وتخلف الامم الاسلامية فى الناحية العلمية ان ذلك موضوع لدراسة أخرى غير انه يمكن الاشارة بصفة موجزة الى ان عوامل هذا الركود عديدة ومتشابكة . فمن ذلك الضعف السياسى الذى حل بهذه الامة وتحالف المستبدين على توجيه مصائرها يساعدهم فى ذلك ظهور طبقة من المفكرين الدينيين الذين اختلفت أهواؤهم ومذاهبهم ولكن اتحدت غاياتهم فى الحجر على التفكير الحر وهو مبعث كل تقدم علمى .

فاذا رأينا نوعا من حرية التفكير والاتصال بالثقافات الأخرى كان لنا ان نتوقع ازدهار الحركة العلمية لدى المسلمين وظهور الاصالة والابتكار فى بحوثهم وانتاجهم ، ذلك اننا لا نؤمن بالاسطورة التى تفرق بين الشعوب بناء على اختلاف اجناسها . فالتفكير الانسانى وحدة شاملة تساهم فيها كل أمة بقدر طاقتها وتبعا للظروف الاجتماعية والسياسية التى تعيش فيها وقد تكون هذه الظروف مواتية وقد تكون معوقة .

غير أنه يجب ان نفطن الى مسألة لها أهميتها وهى ان المذاهب الفلسفية فى الغرب ليست فى الواقع الا نوعا من الصراع الدائم هناك بين الدين والعقل مما يفسر لنا انه ليس من الضرورى ان يوجد هذا الصراع فى كل أمة وبنفس الصورة .

وان من يتتبع تاريخ المذاهب الفلسفية الغربية منذ عصر النهضة حتى وقتنا الحاضر سوف يرى ان هذه المذاهب تتأرجح دائما بين قطبى الايمان والالحاد .





بين السائل والفقيه

سأل سائل فقيها من الفقهاء : أين تجد فى كتاب الله « خير الامور أوسطها ؟ » قال : أجده فى قوله تعالى « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

قال : فأين تجد فيه « من جهل شيئا عاداه ؟ » قال : فى قوله تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » .

قال : فأين تجد فيه « اتق شر من أحسنت اليه ؟ » قال : فى قوله تعالى « وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

قال : فأين تجد فيه « الجار قبل الدار ؟ » قال : فى قوله تعالى « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » .

قال : فأين تجد فيه : « ليس الخبر كالعيان ؟ » قال : فى قوله تعالى « أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » .

قال : فأين تجد فيه « فى الحركات البركات ؟ » قال : فى قوله تعالى « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة » .

قال : فأين تجد فيه « حين تغلى تدرى ؟ » قال : فى قوله تعالى « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا » .

قال : فأين تجد فيه « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟ » قال : فى قوله تعالى « هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل » .

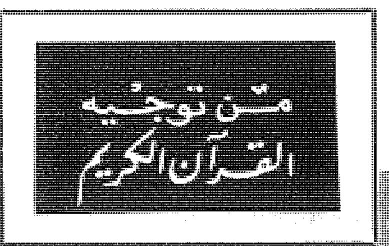
قال : فأين تجد فيه « من أعان ظالما سلط عليه ؟ » قال : فى قوله تعالى « كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » .

قال : فأين تجد فيه « لا تلد الحية الا حية ؟ » قال : فى قوله تعالى « ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » .

قال : فأين تجد فيه « للحيطان آذان ؟ » قال فى قوله تعالى « وفيكم سماعون لهم » .

قال : فأين تجد فيه « الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ » قال : فى قوله تعالى « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا » .

قال : فأين تجد فيه « الحلال يأتيك كفافا ، والحرام يأتيك جزافا ؟ » قال : فى قوله تعالى « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » .



المادية

في مظاهرها وآثارها

١ ـ مظاهرها في الإيمان بالله

للدكتور : محمد البهي

« مادية » الاتجاه في الإيمان بالله صورة من صور « المادية » في اتجاه الحياة والنظرة إليها . و« المادية » في اتجاه الحياة والنظرة إليها قصر الإيمان على ما يحس ويشاهد : يحس بلمس اليد ، ويشاهد برؤية العين ، ونفي كل ما وراء مستوى لمس اليد أو رؤية البصر ، وإنكاره إنكارا شديدا ؛ لا يقبل المناقشة والمراجعة .

والماديون الذين ينكرون ما وراء لمس اليد أو رؤية العين ليسوا بعيدين عن « الخرافة » وتصديق « الوهم » و« الخداع » . بل طالما كان الأمر ماديا يلمس أو يشاهد بالبصر فهو موجود ، وفي وجوده قد يكون غير عادي ؛ وقد يكون موضوع إيمان يتجاوز به حقيقته إلى ما يصبح أن يكون خرافة ، أو وهما أو خداعا يجسد .

و« الوثنية » في قديمها ومعاصرها تعبر عن أمرين :

عن (١) مادية الإيمان ،

ثم عن (٢) الإيمان بالخرافة فيما هو مادي .

... فليست الوثنية إلا « الاعتقاد » فيما يتمتع بقيمة المحسوس على نفع يمنحه ، أو فيما يضر اتقاء ضرره . والوثنية المصرية القديمة ، وكذا الوثنية الفارسية أو الزرادشتية ، ثم الوثنية الإغريقية ؛ كل منها تعبير عن الاعتقاد في موجود مادي يتجه إليه أو يتقرب منه وإليه ؛ وله قداسة المعبود . لأنه موضع الرجاء والأمل أو موضع الخشية والخوف ؛ لدى من يعبده ويقدسه ، وهو تلك صاحب الاتجاه المادي في الإيمان .

والاحجار والاصنام ، وأنواع الحيوانات ، والنار ، والانهار ، والصحراء ، وغيرها من معالم الوجود الطبيعي المادى كانت تعبد وتقدس للأمل والرجاء فيها مرة ، وللخوف والخشية منها مرة أخرى .

وآلهة قدماء المصريين . وفى مقدمتهم : ازيس وأوزريس — كانوا من الانسان العادى فى طبيعته وخصائصه ، ولكن الملك ، والسلطان ، والسيطرة جعلتهم موضع رجاء أو خشية وأصحاب نفع يرتقب أو خوف يتقى ، حتى أضفى عليهم جاههم وبأسهم وارتفاع منزلتهم فى التخيل « خرافة » الالوهية . ثم أوحت هذه الخرافة بالايمان والاعتقاد بأنهم فوق البشر وموضع العبادة .

والكنيسة — يوم غلب عليها الاتجاه المادى — فجسمت الالوهية فيها وجعلت نفسها جسما حلت فيه « روح الاله » ومنحت لتصرفاتها « العصمة » وحق سماع « الاعتراف » واعطاء صكوك الغفران .. نقلت الى « ألوهية المسيحية » مادية الوثنية الرومانية — والاغريقية قبلها — وأنزلت « السماء » الى « الارض » وحولت الانسان عليها الى « اله » أو شبه « اله » فى قداسته واحترامه والطاعة له . وبذلك أصبحت صاحبة اتجاه مادى فى الايمان .

والغلاة الذين قالوا « بحلول الله » فى الامام وأعطوه « حق الشفاعة » قربوا الاسلام الى مادية الاتجاه فى الايمان وأنزلوه الى « وثنية الانسان » .

● ● ●

ومظاهر المادية فى الايمان بالله على عهد الرسالات تعود جميعها الى مطلوبات تلمس وتشاهد ، يطلبها المعارضون الماديون كوسيلة فى رأيهم الى اتباع الدين والرسالة السماوية ، يطلبون :

أ) رؤية الله جهرة ، أو :
ب) الحديث مع الله مشافهة ، أو :
جـ) انزال الملائكة الى الارض ، أو :
د) تفجير المياه فى الصحراء ، أو :
هـ) انشاء حدائق فى الفيافى القفر تتخللها القنوات والانهار ، أو :
ز) استبدال الذى هو أدنى من الطعام بالذى هو خير منه ، أو :
ح) الصعود الى السماء وتوثيق هذا الصعود فى كتاب يقرأ ، أو
ط) تنفيذ الوعيد باسقاط السماء كسفا وقطعا على المعارضين .

والقرآن الكريم يقص فى قصص الرسل ما تعرضوا له من أصحاب الاتجاه المادى فى الايمان من انكار وتعنت ، ومن تحد فيما طلبوه يرجع بخصائصه الوجودية الى الحس والعيان وحده .

وقصة ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — فى قومه تصور « الوثنية » القديمة فى الايمان ، كما تصور دوافعها لدى الوثنية ، وهى دوافع الحصول على منفعة أو اتقاء مضرة وأخيرا تتشكك فى أن يكون أصحاب هذا الاتجاه ممن يفضلون الذين يقيمون الحقائق بما لها من خصائص ذاتية وحدها :

يقول القرآن الكريم فى التعبير عن هذه القصة فى سورة الانبياء :
« ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل ، وكنا به عالمين .

١ — « اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟. قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .
« قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين ؟
« قال : بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتا لله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .
« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ، لعلهم اليه يرجعون .
« قالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ انه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له : ابراهيم . قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا : انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .

٢ — « قال : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟

٣ — « أف لكم ، ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون » (١) .

... فالقصة تحكى : أن قوم ابراهيم كانوا يعبدون الاصنام من دون الله : « ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون » . وأنهم كانوا يرجون من عبادتها اما النفع أو خشية الضرر : « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم » فاذ ينفى هنا ابراهيم أن هذه الاصنام التى يعبدونها هى فى واقع الامر لا تنفع ولا تضر ، يقرر الحقيقة فى ذاتها ، ولكنه فى الوقت نفسه يصور اعتقادهم فى نفعها وضرها . وأخيرا تحكى هذه القصة التنديد بالوثنية فى عبادة الاصنام ، وتجعل عباد الاصنام فى مستوى أدنى من مستوى العقلاء من البشر : « أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ » .

وفى سور أخرى عديدة يذكر القرآن الكريم تحديات المعارضين والكافرين فيما يطلبونه من أدلة مادية حتى تكون وسيلة للاقتناع بدعوة الرسول المرسل اليهم : فيذكر فى سورة البقرة قول الله تعالى على لسان المعارضة لموسى عليه الصلاة والسلام :
« واذ قلتم : يا موسى ! لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (عيانا ومشاهدة) » (٢) .

وعلى لسانهم أيضا :
« واذ قلتم : يا موسى ! لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك : يخرج لنا مما تنبت الارض من : بقلها وقثائها ، وفومها وعدسها ، وبصلها قال : أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » (٣) .
فقد طلب معارضو موسى عليه الصلاة والسلام من الماديين الذين عبدوا العجل « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين (٤) فى تحديهم لرسالته : أن يريهم الله جهرة وعلنا مرة ، وأن يغير طعامهم من المن والسلوى بالبقول والقثاء والثوم والعدس مرة أخرى .

---

(١) الانبياء ٥١ — ٦٧ .
(٢) البقرة ٥٥ .
(٣) البقرة ٦١ .
(٤) الاعراف ١٥٢ .

ويذكر في سورة المائدة ما طلبه الحواريون من عيسى عليه السلام تطمينا لقلوبهم في علاقتهم به واستكمالا لتصديقهم برسالته ، من انزال مائدة من السماء :

« اذ قال الحواريون : يا عيسى ابن مريم ! هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين » (١) .

وفي سورة الاسراء يجمل أنواع التحديات المادية التي واجه بها المشركون رسول الله محمدا عليه الصلاة والسلام في قول الله تعالى :

« ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ، فأبى أكثر الناس الا كفورا (أي برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام) . وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء — كما زعمت — علينا كسفا ، أو تأتي بالله ، والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك ، حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه » (٢) .

وكرر بعض هذه التحديات في آيات أخرى . في قوله :
وقال الذين لا يرجون لقاءنا (وهم المشركون الوثنيون) :
« لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ! » (٣) .
وفي قوله :

« وقال الذين لا يعلمون (وهم المشركون الوثنيون) : « لولا يكلمنا الله ! أو تأتينا آية ! (أي معجزة مادية مما طلبوها من قبل) كذلك ، قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون » (٤) .

... فالمعارضون لرسول الله ، عليه الصلاة والسلام — من المشركين وهم الوثنيون الماديون ، وهم بحكم اتجاههم المادي لا يؤمنون بالآخرة : « وقال الذين لا يرجون لقاءنا » ، كما لا يعلمون الحقائق في واقع أمرها : « وقال الذين لا يعلمون » تحدوه عليه الصلاة والسلام بطلب :

اخراج الماء من صحراء ، أو بتحويل بعض الارض القاحلة الى حدائق تتكاثف فيها أشجار الفاكهة من نخيل وعنب ، كما تتخللها القنوات والانهار ، أو بتحقيق وعيد الله للمعارضين باسقاط السماء عليهم قطعا قطعا ، على نحو ما جاء في سورة سبأ :

« أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ؟ ان نشأ نخسف بهم الارض ، أو نسقط عليهم كسفا من السماء ، ان في ذلك لآية لكل عبد منيب » (٥) .

أو برؤية الله جهارا وعيانا ،
أو بقدوم الملائكة أفواجا الى الارض ومشاهدة الناس اياهم ،

---

(١) المائدة ١١٣ .
(٢) الاسراء ٨٩ ، ٩٥ .
(٣) الفرقان ٢٢ .
(٤) البقرة ١١٨ .
(٥) سبأ ٩ .

أو باقامة منزل من ذهب ،
أو بالصعود الى السماء والنزول منها وتوثيق هذه الرحلة بما يؤكدها .
... وهى طلبات مادية ، لأن وسيلة الاقناع لديهم لا تخرج عن الحس والشاهد .

● ● ●

والعقلية المادية تصور عقلية الطفولة البشرية فى الادراك ، وهى عقلية تقف عند الحس والشاهد ، وتتأثر فى الحكم بالحس والشاهد وحدهما . والطفولة البشرية فى الادراك توجد أينما توجد « الانانية » . والطفل الصغير أنانى بحكم تطوره ، والانسان البالغ صاحب الطفولة البشرية فى الادراك هو أنانى أيضا بحكم وقوف تطوره عند الحس وحده .

والمجتمع الانسانى لا يخلو من طفل صغير وكبير ، ولا يخلو من أنانى . ولذا فهو لا يخلو من مادى فى الايمان ، ولا يخلو من مشرك أو وثنى ولا يخلو من ملحد ومتحد ، ولا يخلو من كافر ومعارض : « ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه ، حتى تأتيهم الساعة بغتة ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم » (١) .

فيقرر القرآن الكريم أن الشك فى القرآن — وهو آخر صورة للاسلام فى رسالة الله — لا يزال باقيا الى قيام الساعة ، يباشره الكافرون والمعارضون .

ومعنى ذلك : أن الكفر موجود وسيظل موجودا . وتبعا لذلك سيبقى الشك فى قيمة القرآن : اليوم ، وغدا ، كما كان بالامس .

ومن ينتظر زوال الطفولة البشرية فى الادراك من المجتمع الانسانى كمن ينتظر زوال المرض منه كلية أو زوال الفقر والحاجة الى غير عودة ، أو زوال الانانية والانتهازية والنفاق والجبن .. الى غير ذلك من الصفات التى يدل زوالها على السلامة التامة والكمال فى الانسانية .

ان الطفولة البشرية فى الادراك مرض فى تطور الانسان ، شأنها شأن أى مرض آخر يعجز الانسان عن حركة البدن أو اللسان ، أو أى عضو من أعضاء الجسم ويمنع مباشرته لمهمته الخاصة . هو ظاهرة « جمود » فى التطور العقلى . بدليل أن الذى يقف بتفكيره عند الحس أو عند الامر المادى قد يعتقد فى الوهم والخداع ، على أن أيا منهما حقيقة واقعة . والوثنى القديم ، والوثنى المعاصر كلاهما لا يتحرك فى ادراكه الى ما وراء الحس ، ومع ذلك يؤمن بأن انسانا ما معصوم فى قوله ، وصاحب نفع وضر ، وله قداسة ترفعه فوق المستوى العادى للانسان . والاعتقاد فى الوهم أو الخداع على أنه حقيقة واقعة ظاهرة تشير الى « التأخر والتخلف » أو الى « الجمود » فى التطور العقلى ، وبالتالى الى وجود الطفولة البشرية فى الادراك .

وفيما تقوله الآية الكريمة :

« ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى

---

(١) الحج ٥٥ .

يكونوا مؤمنين . وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (١) .

... من أن محيط المشيئة الالهية أوسع من الواقع فى حياة البشرية ، يشير الى أن هذا الواقع تحكمه خصائص الطبائع . ومن بين هذه الخصائص فى المجتمعات الانسانية تفاوت الناس فى درجات الادراك وفى مستويات السلوك . ولذا لا يكون الناس جميعا مؤمنين بالله ، كما لا يكونون جميعا كافرين به ، ولا كلهم أصحاب روح جماعية فى سلوكهم ولا أيضا أنانيين فى السلوك .

ولذا فالرسول الداعى عليه الصلاة والسلام لا يستطيع — وليس من حقه كذلك أن ينتظر — أن يحمل جميع الناس على الايمان بالله ولا أن يراهم يوما ما مؤمنين ، لم يتخلف منهم أحد : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

والايمان بالله هو من نصيب البعض منهم ، كما أن الكفر به من نصيب البعض الآخر . والكفر لا يكون الا من نصيب المتخلف فى ادراكه أو المادى فى تفكيره ، أو الانانى فى سلوكه : « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله » . وهى تلك النفس التى تطورت فى ادراكها ولم تقف به عند حد الادراك الحسى ، وتجاوزت مرحلة الطفولة البشرية : ان فى التفكير أو فى السلوك . « ويجعل الرجس (العذاب) على الذين لا يعقلون » . وهو رجس الكفر وعذابه . وهو من نصيب الذين « لا يعقلون » . أى لم يسيروا فى تطور التفكير الى مرحلة « العقل » و « الرشد » الانسانى . وانما بقوا فى حدود المرحلة السابقة على مرحلة العقل والرشد ، وهى مرحلة الطفولة البشرية والتخلف فى التفكير ، والانانية فى السلوك . ومظهر هذا التخلف هو الميل الى الاتجاه المادى والارتباط بالمحسوس فى الادراك والسلوك معا .

وكذلك فيما يؤخذ من هذه الآية :

« ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ، ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير » (٢) .

... من استحالة جمع الناس جميعا فى أمة واحدة — هى أمة الايمان أو أمة الكفر — يعود أيضا الى خصائص الطبائع للافراد التى هى متنوعة ومختلفة ، بل وقد تكون متأخرة . واذا كانت الآية بمنطوقها تقرر أن الذين ينتمون الى « أمة الايمان » هم ممن شملهم الله برحمته ، بينما الآخرون ليس لهم من ولى ولا نصير ، لأنهم ظلموا أنفسهم ، والكفر بالله كان عملية ظلم ارتكبوه ضد أنفسهم هم .. فواقع هؤلاء وهؤلاء أن لكل منهم عملا يسند اليه ، وهو عمل ارادى .. هو الرغبة — أو عدم الرغبة — فى تخطى الحواجز والمواقع التى تقف بالانسان فى دائرة الطفولة البشرية . وهى عوامل : « الالف » والعادة والاستقرار أو الركون الى « عقيدة » ما يحول التثبت بها دون الوقوف موقف « التجرد » فى النظر والحكم .

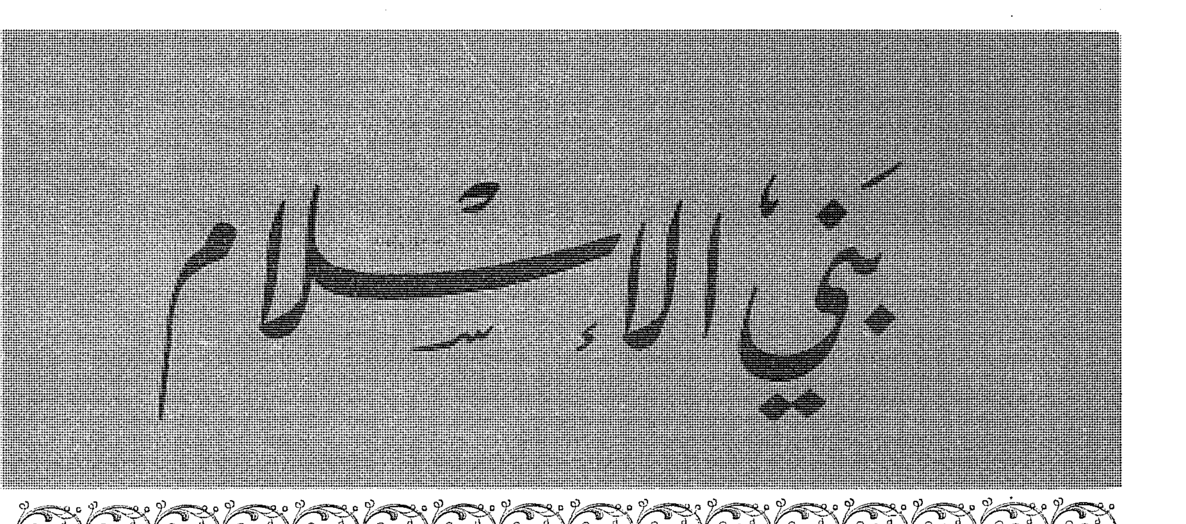
وشمول الله سبحانه وتعالى برحمته فريقا من الناس لا يعنى سلب ارادتهم فيما يتصفون به من صفات مميزة لهم ، كصفة الايمان هنا . فهم فى ايمانهم لهم ارادة وعمل ، كما لأولئك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، لهم عمل وارادة فى كفرهم .

(البقية فى العدد القادم)

---

(١) يونس ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) الشورى ٨ .



عزفت عن الهوى وطويت نفسى ... وعفت مدامتى وحطمت كأسى

أاللهو والأسى يدمى فؤادى ... وأطرب والعدو اجتاح قدسى ؟

فلا والله لن أرضى حياة ... وشيب العار جلل كل رأس

متى نصحو ونبعث بعد موت ... ويغدو يومنا عطرا كأمس ؟

متى نجتثها فتنا عظاما ... ونودعها هناك بعقر رمس ؟

حزازات غدت ترتاد فينا ... فكم باضت ، وكم بشرت بفقس

بنى الاسلام كفوا عن خلاف ... فان الخلف أزهق كل نفس

فهل نرنو الى نصر وانا ... لنصبح فى انشقاقات ونمسى

ولو أنا عزفنا عن صغار ... لما حلت بنا أيام نحس

بنى الاسلام لا تذروا وحوشا ... فأعداء السلام منوا بمس

بنى الاسلام قد وضحت نوايا ... صهاينة الا باءوا بتعس

فهم قد أحرقوا مسرى رسول ... فلا تأسوا فما يجدى التأسى

وما يجدى بكاء أو وعيد ... وما تجدى شكاة عند خرس

ولكن قوة ومضاء سيف ... كما سقناه فى ((تتر)) ((وفرس))

همو باعوه للشيطان زهدا ... فبئست صفقة تمت ببخس

للأستاذ : محمد علي مكي

همو عاثوا كما ازدادوا عتوا ... وقدس الله يأبى أى بأس

وهم تخذوا من الدولار ربا ... أليسوا العابدين لكل فلس ؟

قديما ألهو عجلا فحقت ... عليهم لعنة ورموا برجس

وأنفسهم أبت منا وسلوى ... وتاقت — من خباثتها — لعدس

فكم ظلموا ، وكم قالوا لموسى ... : ألا أرنا الاله بغير لبس

اما قد قتلوا رسلا كراما ... كما نالوا المسيح بكل دس

عجبت لطغمة راحت تباهى ... وتزعم أنها من خير جنس

فسممت المياه بكل عين ... والحقت السواد بكل شمس

وراحت تخلع الزيتون حتى ... تبث سواه من شر وبؤس

فيا أتباع ((أحمد)) أين أنتم ... أما زلتم بلا وعى وحس ؟

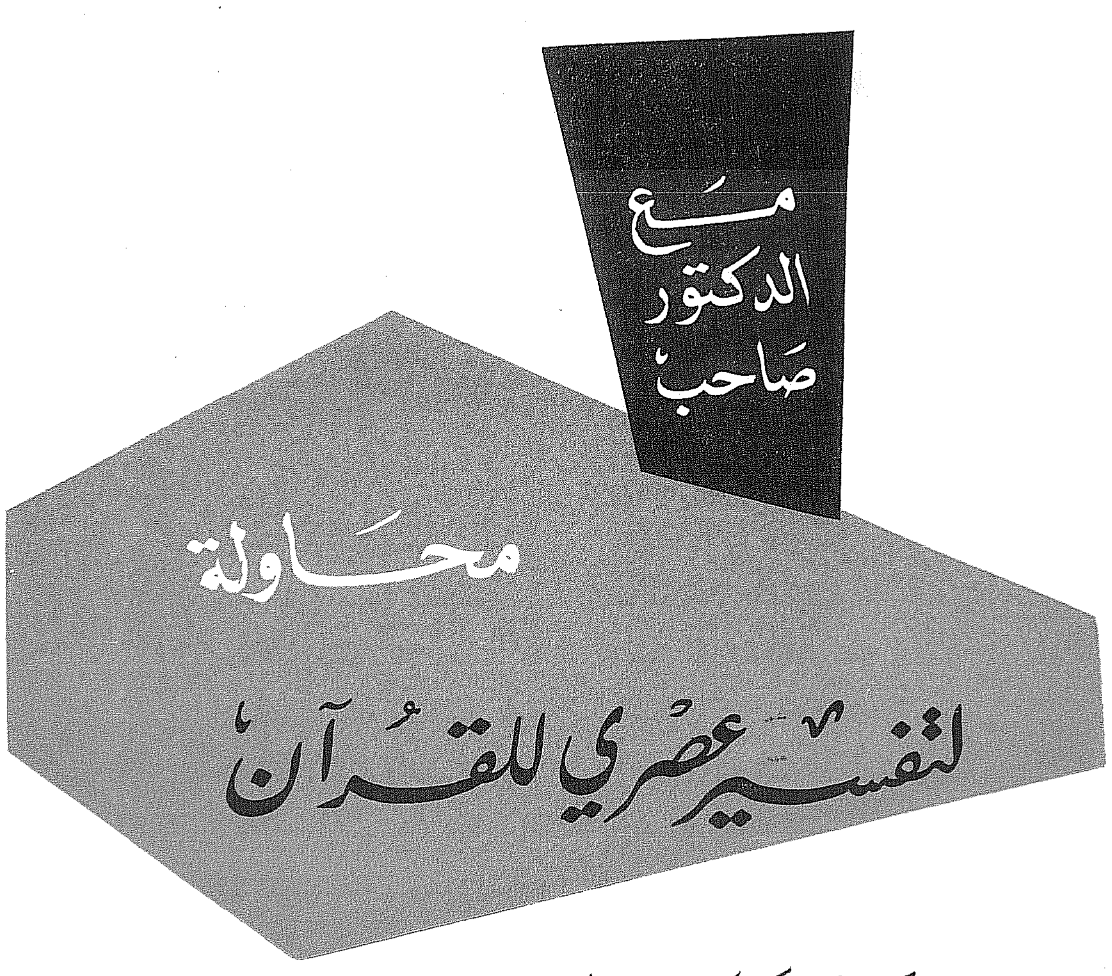
ويا أتباع ((عيسى)) هل وعيتم ... وما صنعوا براهبة وقس

فهل ترجون بعد اليوم نصرا ... وأنتم فى الأرائك والدمقس ؟

غدا سيعود اشراق ومجد ... بقعقعة المشارف لا بهمس

فيا قوم اتقوا ربا والا ... فبطن الأرض يشجب كل حدس

فاما النصر أو فالعار يبقى ... اذن والله ما كنا بانس



للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي
المدرس بكليتي الشريعة والآداب ــ جامعة دمشق

كنت ، ولا أزال ، أتابع هذا الذى يكتبه الدكتور مصطفى محمود فى (صباح الخير) حول محاولته العصرية لتفسير جوانب من القرآن .

ولم يكن لدى ما يدفعنى الى تتبع فصوله هذه لولا أنها ذكرتنى باليوم الذى عرفت فيه هذا الرجل من خلال أول شىء قرأته له . .

كنت اذ ذاك فى القاهرة ، فى عام ١٩٥٧ ، وفى بارقة زمنية قصيرة ، لمع واختفى كتاب اسمه « الله والانسان » لمصطفى محمود ، ولم تطل هذه اللمحة الزمنية أكثر من ثلاثة أيام ، فقد صودر الكتاب وجمعت نسخه المنتشرة فى كافة المكتبات والاكشاك .

وقد وقع الكتاب فى يدى ، فأتيح لى أن أتصفح معظمه .. لقد كان الكتاب محاولة عصرية أيضا ، ولكنها محاولة لتفسير الحقيقة الالهية وعلاقة الانسان بالله .. وانتهى الكاتب الصحفى من محاولته هذه الى أن الله عز وجل ليس الا وهما جسدته الحاجات المختلفة لدى الانسان ..!!

وانطوى عنى اسم مصطفى محمود ، فى تلافيف هذا الكتاب الذى انطوى من السوق خلال ثلاثة أيام من ظهوره ، الى أن انتشر من جديد فى محاولته العصرية الثانية ..

ورأيته فى محاولته الثانية هذه يمزق كتابه الذى نشره قبل ثلاثة عشر عاما صفحة صفحة ، ورأيته من خلال كل سطر يكتبه فى مقالاته الجديدة اليوم يستغفر الله من اللغو الذى خاض فيه بالامس ، ورأيته لا يستشهد بالآية من القرآن الا ويقول فى رأس كلامه عنها : يقول ربنا جل جلاله ، أو يقول أحكم الحاكمين جل جلاله .. يؤكد بذلك نسبة هذا الكتاب الى الخالق عز وجل .. ورأيته لا يقف عند حد الايمان بالله وكفى ، ولكنه يأبى الا أن يوضح بالدليل العلمى الذى لا يقبل الريب أن هذا الكتاب ليس من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ، وما ينبغى وما يعقل أن يكون من صنع بشر .. ورأيته يلمس بفكر متشبث مطمئن ، وبنفس منتشية راضية كثيرا من أماكن الاعجاز فى القرآن ، ورأيته يلح فى محاولة تنبيه العقول الى الحقائق العليا التى تنبه اليها عقله ، ووعاها فكره واستيقنتها نفسه ..!!

ثم تابعته ، وهو يتحدث فى جانب آخر من أخطر وأهم الجوانب التى عالجها كتاب الله عز وجل .. جانب التسيير والتخيير فى حياة الانسان ، وأمسكت قلبى بيدى وأنا أسير متئدا وراء محاولته الخطيرة هذه .. ولكنى والله رأيت الرجل الذى كان يحاول بالامس أن يجعل من حقيقة الله عز وجل وهما فى حياة الانسان ، يجعل من حقيقة التيسير والتخيير فى حياة الانسان أكبر شاهد على عظمة الخالق وعدله ، ورأيته وهو يتناول آيات القرآن المتعلقة بهذا الموضوع يعالجها على ضوء مصباح يتقد ايمانا ويقينا بالله عز وجل .

ومضيت أتابع سيره الجديد ، على درب الايمان بالحقيقة العظمى التى ينبغى أن يضل عنها أى عقل ، فرأيته يتحدث عن الانسان ونشأته كما يقرر القرآن ، ورأيت الرجل وهو يعالج هذا البحث كأنما تتنازعه أفكار وفرضيات مختلفة تطوف كلها مجتمعة فى رأسه ، وهو يريد أن ينفلت منها ليتفرغ الى وحى هذه الآيات ، وينصت الى صريح قرارها وواضح تبيانها ، ولكن تلك الافكار والفرضيات لا ترتد عنه الا وهى مقبلة اليه ، ولا تدع رأسه الا وفى أذنيه منها وسوسة وطنين ..

فكان أن انتهى من محاولته فى تفسير الآيات المتعلقة بنشأة الانسان ، الى ما يشبه من يريد أن يعقد صلحا بين مجموع هذه النظريات والفرضيات ، وما يقرره كتاب الله تعالى فى يقين وحزم ..

ثم انطلق ينفض يديه من هذه المشكلة والخصومة التى عز عليه أن يجد فيها غالبا ومغلوبا ..

لم أعلق كبير اهتمام على هذه الظاهرة التى تجلت خلال محاولة كاتبنا المؤمن ، بل السعيد بايمانه ونشوة يقينه ، فطبيعى جدا أن يتقابل ايمانه الغض مع رواسب فكرية مختلفة تجمعت فى قاع نفسه خلال مغامراته الثقافية والفكرية المختلفة ، وطبيعى جدا أن يتزاحم القديم والجديد بين جوانحه الى حين ، وأن يتقاربا الى بعضهما كلما سنحت فرصة ، عسى أن يتعارفا فيتحدا فى ظل تعايش سلمى معقول .. ولكن الرواسب ستضطر أخيرا الى أن تهاجر من موطنها الذى طالما تمكنت فيه .. لقد كان يتاح لها أن تعيش وتستوطن فى ذلك الفراغ الرحيب من الشك .. والشك خير مهاد يترعرع فيـه مختلف النظريـات والفرضيات والاوهام ، وعندما يعمد يقين الايمان الى اقتلاع هذا الفراغ واقتصائه من طوايا النفس ، فانه يقصى معه أيضـا كل ما ترعرع وتجمع فى داخله من الاوهـام والفرضيات ..

ثم رأيت الكاتب ينتقل من مجالات العقيـدة فى القرآن ، الى البحث فى تشريعاته وفلسفة أحكامه ، ورأيته يتناول حديث الحلال والحرام فى القرآن .
وأمعنت ، فرأيت النقلة بين أحاديثه السابقة فى العقيدة والايمان ، وحديثه الجديد عن السلوك والمعايير نقلة بعيدة وعويصة ..

انه يريد أن يفصل بين الوسيلة والغاية فى أمر السلوك وأغراضه السامية أى أنه يريد أن يثبت بأن السمو النفسى والنظافة الانسانية ، من اليسير عليهما أن يتحققا دون وساطة قنطرة من القيود السلوكية المعينة .. فمن اليسير أن يتعفف كل من الرجل والمرأة ، ويترفعا عن الجنوح الشهوانى وقبائحه ، دون أن يقوم بينهما حاجز من حراسة الحجاب أو تنظيم السلوك أو ضبط الحريات ..
ومن اليسير أن تتلاقى الاجسام العارية على الشطآن الملتهبة ، وتكون أفـكار الجميع منصرفة مع ذلك الى زرقة السماء ، وآيات الله المنبسطة على صفحة البحر .. وهكذا يستطيع الانسان أن يمارس حريته فى الانطلاق أمام الدوافع المختلفة لأى تطور من التطورات العصرية ، ويحافظ فى نفس الوقت على الغايات السامية العليا التى قامت عليها شرعة الحلال والحرام فى القرآن ..

لم أعجب لهذا الكلام قط .. ولم أجد فى بعد النقلة والفجوة بين طبيعـة مقالاته السابقة وحديثه الجديد هذا أى شىء يدعو الى الاستغراب .

ولقد قال لى بعضهم أرأيت ؟ لقد كان الرجل يمهد فى كتاباته الاولى لهذه المكيدة التى طرحها فجأة بعد أن تكاثرت الانظار من حوله ، لتجد أمامها مزيدا من الرواج ، وسبيلا أعرض الى النفوس ..

قلت لا .. ان الرجل كان صادقا مع نفسه فى كتاباته الاولى ، وهو صادق مع نفسه فيما كتبه اليوم . ولـكن السر فى الفجوة التى قامت بينهمـا تتمثل فيما يلى :

أولا : ان محاولة التخلص من العقائد والافكار الباطلة ، أيسر بكثير من محاولة التخلص من السلوك المنحرف ، فالتحرر من الاولى لا يكلف صاحبها أكثر من يقظة تامة فى الفكر والعقل .. ومتى استيقظ العقل اندفع بطبيعة الحال الى اطراح الزيف واعتناق الصحيح ، أما التحرر من السلوك المنحرف فانه يكلف

صاحبه جهدا عظيما يقع أهم أعبائه على النفس ، ويذهب ضحيته كثيرا من شهوات الانسان وأهوائه ، وهيهات أن يقوى كل انسان على مثل هذا التحرر الذى يكلفه كل هذا الجهد .

لذلك كان الفارق بين الايمان بالفضيلة وتطبيقها ، فارقا عظيما .. الايمان بالفضيلة شيء سهل على الفكر والعقل لا يكلفهما أى قيد أو فطام .. فمن أجل ذلك كان المؤمنون بها هم أكثر المنصفين من الناس ، أما تطبيقها فأمر عسير على النفس وأهوائها يكلفها أن تنفطم عما لا صبر لها عنه ، ولذلك كان الذين يمارسونها ويأخذون أنفسهم بها طائفة يسيرة من الناس .

وهذا ما يعبر عنه المربى الفرنسى جان جاك رسو عندما يقول « كم قيل وأعيد القول عن الرغبة فى اقامة الفضيلة على العقل وحده ، ويا له من أساس متين .. أى أســـاس هذا ؟ ان الفضيلة كما يقولون هى النظام ، ولـــكن هل يستطيع الايمان بالنظام أن يتغلب على مسرتى الخاصة ؟ » .

ثانيا ــ لقد عاش الرجل فى خضم هذه المظاهر التحررية دهرا طويلا من الزمن ، واستيقظ على ايمانه بالله وعقيدته بشرعته وأحكامه ، وان هذا الخضم يتلبسه من كل جوانبه وأطرافه .. ولا يتأتى له أن يتخلص منه الا فى صورة التخلص من الحياة نفسها بأبسط أشكالها ومظاهرها .. ثم انه رأى من طول مراسه لهذه المظاهر السلوكية المتحررة ، واستمرار ألفه لها ، انها فقدت القدرة على أن تتدخل الى الفكر بأى محاولة تغيير أو اثارة . فمن اليسير على الانسان المفكر بنظره أن يختط لنفســـه السبيل الفكرى الصحيح ، فى نجوة عن تأثير تطورات العصر وتقاليده ..

ولقد رأى هذا الامكان بعينه .. ألم يتفتح عقله للهداية والايمان ، وأشرب قلبه حب التعلق بكتاب الله تعالى ، والعكوف على دراسته ، وهو يلبس هـــذا الثوب المنسوج فى سداه ولحمته من أقصى مظاهر التحرر السلوكى ، التى تفور بها المكاتب والردهات المحيطة به ؟

اذا ، فلقد تحققت الغاية بدون التعب وراء أى وسيلة مما أنيط به حكم الحلال والحرام .

أقول هذا الكلام اعتذارا عن الذى وقع فيه كاتبنا الحر الصادق مع نفسه فيما أعتقد .. لا اعتذارا عن الحقيقة نفسها ، فالحق لا محيد عنه فى حال من الاحوال ، ومهما تجمعت الاعذار ، فانها لن تقوى على نسخه أو تغييره ما دامت هناك حقيقة ذاتية مطلقة ، وليست أمرا نسبيا موقوتا .

ولذلك فلا بد من أن أضيف الى اعتذارى عن الدكتور مصطفى فيما قاله عن الحلال والحرام ، مناقشة سريعة حول البحث نفسه .

لن أتحاكم معه الى النصوص القرآنية ودلالاتها ، ولا الى الحدود والضوابط التى يجب على الانسان التزامها لدى تفسير الالفاظ وأخذ المعانى منها ، ولا الى القواعد المعروفة فى كيفية الاخذ بدلالات الالفاظ ، وهى القواعد التى ان لم يأخذ بها المتكلم أو السامع انقطعت صلة التفاهم بينه وبين الآخرين ، وأصبحت اللغة التى تشيع بينهم ــ أيا كانت ــ كلاما فارغا لا طائل تحته ولا مدلول له .

أجل .. ان الانسان عندما يسمع هذه الآية « قل للمؤمنـــات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » ثم يخرج فى تفسير الفقرة الاخيرة منها عن سلطان اللغة ودلالتها ومنطوقها ومفهومها ليستخرج منها دلالات أخرى بدلا منها ، فمعنى ذلك بكل بساطة ووضوح أنه يعلن عن عدم

حاجته الى اللغة وسيطا بينه وبين أفكار الآخرين ، ومعنى ذلك أيضا أن الله عز وجل قد رصف كل هذه الالفاظ والجمل الى جانب بعضها دونما حاجة اليها ، وقد كان أحرى به أن يقول بدلا عن كل ذلك قل للنساء يتعففن ..!!

أقول : لا أحب أن أناقش الدكتور من هذا الجانب .. فربما كان الرجل بعيدا فى اختصاصه العلمى عن الخوض فى هذا المجال الذى قد لا يصلح للخوض فيه الا علماء التشريع .

ولكننى أسير معه فى الطريق الآخر الذى فضل أن يسير فيه الى نظريته الطريفة عن الحلال والحرام ، وقد كانت طريقته الفضلى اليها التحليل النفسى .

يرى الدكتور مصطفى أن المهم فى أحكام الحلال والحرام فى القرآن أن يسمو الانسان الى صعيد من التربية الانسانية الفضلى ، فليس المهم فى تحريم النظر الى مفاتن المرأة الاجنبية ألا يحدق النظر فيها بعينيه ، ولكن المهم ألا ينحرف معها الى ممارسة أى رذيلة ، وليس شيئا مرضيا عند الله أن يغمض عنها عينيه فى الوقت الذى ينحط معها الى ارتكاب الفواحش .

وهذا كلام صحيح ! ولكن صحة هذا الكلام لا تستلزم امكان التلاعب بالحكم اطلاقا ، وهنا تبرز نظرية الكاتب أنه يريد أن يقول اذا عرفت الغاية من شرعة الحلال والحرام ، فلنركز على الغاية دون أن نضيع وقتا طويلا أو قصيرا فى وسائلها الشكلية التى لا معنى للتقيد بهـا الا التخلف عن مقتضيات التطـور والانحباس فى أقفاص من النظم والعادات العتيقة ، وعلى هذا فان كل ما يطالب به ذلك المسلم الذى يتقلب على رمال الشاطىء فى الاسكندرية هو أن ينظر الى الاجساد العـارية من حوله ببراءة وطيب خاطر ، وأن يسمو بنفسـه وفكره صعدا ..

فنظرية الكاتب تنحصر فى دعوى امكان تحقيق الغايات الانسانية دون الاستعانة بشىء من وسائلها ، وهذا ما نخالفه فيه ويخالفه فيه كل باحث .

ان السارق لا يعتبر سارقا بنظر كل من الشريعة والقانون الا اذا استل المال من حرز مثله ، واللوم الذى يقع على صاحب المال بسبب عدم حفظه له أكبر من اللوم الذى يقع على السارق الذى أخذه من الارض بدون حق ، مع أن السارق كان بوسعه أن يسمو عن ارتكاب هذه الجريمة دون الحاجة الى اخفاء المـال عنه .

والمجرم لا يعتبر مجرما يقع تحت طائلة العقوبة القانونية الا اذا كان قد ارتكب جريمته فى ظروف أمكنته من الاطلاع على عقوبتها المقررة ، ومهما قيل عن ضرورة تسامى هذا الانسان عن مقارفة ما ارتكبه بقطع النظر عن أى عقوبة أو جزاء ، فان هذه الضرورة لا تشكل أى مسئولية تنـاط به بحيث يجرم من أجلها .

اذا فهناك ظروف تساعد على الانحراف الى الخطيئة ، وظروف أخرى تساعد على الابتعاد عنها ، ولا يمكن للقانون أيا كان مصدره أن يتجاهل هـذه الظروف ولا يبالى بها .

والحق الذى لا شك فيه هو أن الشريعة الاسلامية لا تشرع للانسان غاية نبيلة الا من حيث تشرع السبيل اليها ، ولا تحذره عن نهاية سيئة الا من حيث

تنهاه عن تعاطى أسبابها ، والانسان لدى التحقيق انما يملك اختياره فى السلوك ما دام يتابع خطاه فى طريق الوسائل والاسباب ، فاذا تجاوزها أصبح تلبسه بالغاية أمرا حتميا لا مناص منه ، ولا اختيار له فيه سواء كانت الغاية بحد ذاتها خيرا أم شرا .

وانظر الى دقة القرآن فى التعبير عن هذا المعنى عندما يقول (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا) (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) أرأيت ؟ انه لا يقول لاتقترفوا الفواحش أو الزنا أو تأخذوا مال اليتيم ، ولكنه يقول لا تقربوا أى لا تسلكوا السبيل التى تنتهى بكم الى ارتكاب الزنى والفواحش المختلفة ، فهو انما ينهانا عن ممارسة أسباب هذه المنكرات لأن ذلك هو الضمان الطبيعى للحيلولة دون وقوعها .

أما اذا مارس الانسان أسباب المحرمات ، وخاض سبيلها ، فهيهات أن يملك قوة تقف به عند نهاية الطريق وأول الغاية ، وقد يكون ثمة شذوذ عن القاعدة ، ولكن الشاذ لا حكم له عند أى مفكر قانونى منصف .

وهذا يعنى أن الله عز وجل عندما حذر من الزنى ، انما حذر منه بتحريم أسبابه الموصلة اليه من تبرج ، واختلاط وخلوة ، وتلامس ، ومقدمات .. ولو تأملت لوجدت أن هذه الامور التى حرمها لا تنطوى بحد ذاتها على أى مفسدة أو سوء ، ولا معنى لتحريمها لو نظر فيها الى جوهرها ومضمونها ، ولكن مفسدتها فى كونها جسرا يعبر منه الى ما هو السوء الحقيقى .

هذه الحقيقة ، لا يمارى فيها أى باحث ، ولا أعتقد الا أن الدكتور مصطفى محمود يؤمن ويصدق بها كأقوى ما يكون الايمان والتصديق .

ولكن لعله يريد أن يناقشها من جانبين :

الجانب الاول :

أن الابتعاد عن ممارسة الاسباب قد يتجرد فى بعض الاحيان عن فائدته المرجوة ، وذلك عندما يخترع الانسان للوصول الى الفاحشة أسبابا أخرى ، كتلك التى تحتجب وتتستر ، ولكنها تبعث بفنون اغرائها من وراء الحجاب ، بل بواسطة الحجاب نفسه .

والجواب على هذا واضح .. ان الشارع جل جلاله حرم اتخاذ كل وسيلة (طبيعية كانت أو مصطنعة) الى الفواحش والمنكرات ، واستبدال وسيلة بأخرى لا يغير من حكم الاولى ، أى أن اتخاذ مظهر الاحتشام نفسه سبيلا الى عرض المفاتن ليس دليلا كافيا على مشروعية التعرى والتبذل فى المظهر .

والجانب الآخر :

ان شيوع سبب من أسباب الاغراء والتنبيه الى الفاحشة ، يجعله من الابتذال بحيث يضعف أخيرا عن أداء غرضه الاصلى ، فيصبح مظهرا طبيعيا لا ايحاء فيه ولا حياة ..

وهذه نظرية عتيقة جدا ، يرددها كثير من المثاليين ، ولا أظن أن يكون الدكتور مصطفى واحدا منهم بحال ، وهى نظرية وهمية لا تستند الى أى دلالة تطبيقية .

ان تحليل الامر فى ذلك ، هو أن سر الاغراء فى عرض ما يتعرى من الجسد مثلا ، انما هو فى دلالته على الخفى منه .. فاذا مضت مدة من الزمن على الحد الفاصل بينهما ، ضعفت الصلة بينهما أمام الابصار ، فخف أثر الاغراء ، ويكون ذلك هو الدافع الى التلاعب بالحد ، وزيادة نسبة العرى ، فاذا مضت مدة أخرى آل الامر الى مثل ما آل اليه الوضع الاول ، وهكذا تقوى وسيلة الاغراء كلما بدا الشعور بضعفه ، ومع اشتداد وسيلة الاغراء بسبب هذا الدافع تشتد معها نسبة الفواحش أو نسبة الاضطرابات النفسية عند الناس بسبب مقاومتها أو معالجتها .

واذا فلا معنى للحديث عن هذه النظرية لأن العجلة سائرة على كل حال ، وليست بواقفة ، ففى كل يوم فن من الاغراء جديد ، ولا يكاد الفن من فنونه يتقادم ويفقد بعض مؤثراته حتى يأتى من ورائه فن جديد يحمل أقوى عناصر التأثير .

واذا فكيف يكون العلاج ؟ ان العلاج انما يكون باجتثاث الجرثومة من أساسها ، وبتدارك الامر عند أول محرك تتوالد عنه المراحل المتتالية الاخرى .

هذا شىء .. وشىء آخر يعرفه كل منصف هو أن مظاهر الاغراء التى قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع ، انما تفقد ذلك عند من خاضوا غمارها خلال مرحلة طويلة من الزمن فعادوا وهم لا يحفلون بها ، لا لأنهم قد تساموا عليها ، ولكن لأنهم قد بشموا بها .

ان رؤية المناظر والمواقف الجنسية المختلفة فى بلدة كالسويد مثلا ، يعتبر أمرا عاديا لا يثير استغرابا ولا اهانة ولا استهجانا لدى أولئك الذين نشأوا وعاشوا فى تلك الاجواء ، فهل يعنى ذلك أنهم قد تجاوزوا مرحلة التأثر بدواعى الانحراف وأسبابه ، فهم لا ينحطون اليها ولا يتأثرون بها ؟

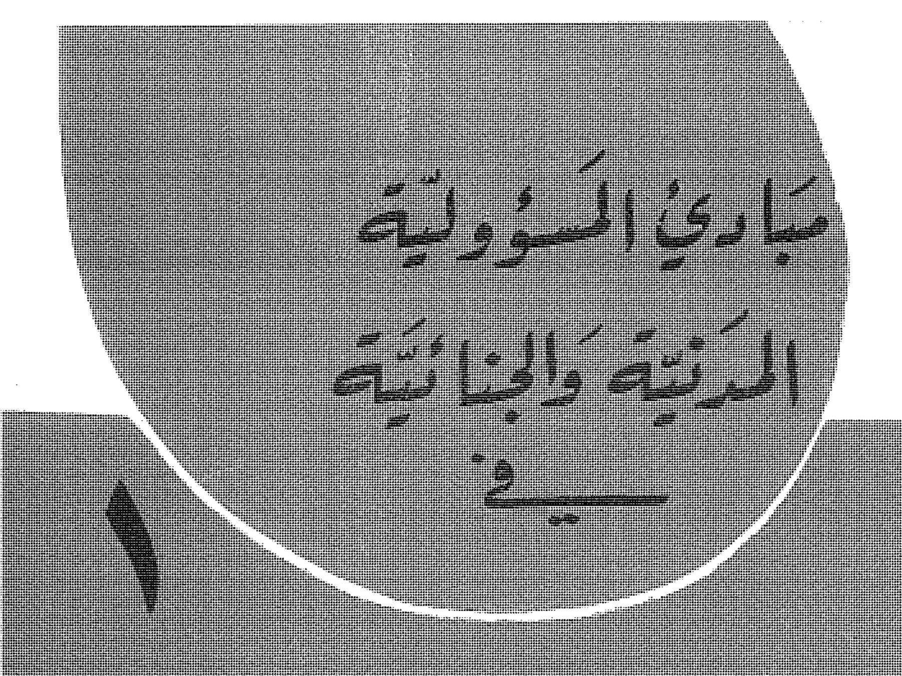
كلنا يعلم أن هذا الذى يمر بهذا المشهد الجنسى المكشوف غير عابىء به ولا ملتفت اليه ، قد تجده بعد ساعة يمارس نفس العملية فى مكان آخر ، فعدم الاكتراث والتأثر بمظاهر الاغراء انما هو نتيجة انتشار اللذة رخيصة فى كل مكان ، وليس نتيجة فهم معين أو جديد لما تبصره عيناه .

والذى يتصور تحقق الامر الاول دون اشتراط تحقق الامر الثانى ، انما هو كمن يتصور امكان زهد الجائع فى الطعام ، وعدم الالتفات اليه اذا ما انتثرت أطباقه الشهية أمام عينيه عن يمين الشارع ويساره ..

والخلاصة :

اننى لا أشك فى صدق الدكتور مصطفى محمود مع نفسه فيما عرض ويعرض له من بحوثه حول القرآن .. ولكنى أريد منه (وهو العالم النفسى المختص) أن يمعن فى هذا الذى أقول ، ويتهم نفسه قليلا فيما أوحت اليه عن فلسفة الحلال والحرام .

على أن من الطبيعى جدا أن يمر الدكتور (اذا علمنا مبدأ رحلته الفكرية) بهذه المرحلة من التصور .. ولكنى على يقين أنه سرعان ما يتجاوزها نحو الاستقرار الاعمق والاتم ..



١ الفقه الإسلامي

للدكتور : وهبة الزحيلي

إن كل باحث في فقه الإسلام الخالد وثروته الكبرى يجد الدليل القاطع على أنه فقه ثري غزير محتوى على مادة حيوية شاملة لشؤون الحياة في مجالات الأعمال المدنية والتصرفات المادية : المشروعة منها وغير المشروعة ؛ وهذا يقوي حسن صلاحية هذا الفقه لاستمداد أحكام التقنينات المدنية والجزائية منه ؛ لما يتجدد فيه من التزام عقلاني واتساع المعالم وفكر قانوني ثاقب ، وخطة واعية لسبر أغوار المشكلات الاجتماعية ترفدها بالعلاج الشافي ، وتمدها برحيق الحياة السعيدة الخيرة .

وينطلق هذا الفقه من تقدير أهمية الدور الذي للإنسان في عمارة هذا الكون ، والحفاظ على ما هو صالح من تراث الأقدمين ، ودعمه للتخطيط لمعالم الحياة البشرية في المستقبل على أسس إنسانية كريمة ، ونظريات علمية واجتماعية رشيدة تستهدف الخير والمصلحة العامة ، ورفاه وأمن الإنسان .

وها انا نجد مثالا لذلك فى مبادىء المسئولية المدنية والجنائية فى الاسلام التى تعتبر أقوم وأهدى سبيل للحكم على ذاتية فقهنا ، وأصالة شرعنا ، ومرونة وواقعية أحكامنا التى تعالج أخطر القضايا الاجتماعية المتكررة الحدوث كل يوم ، والمعتمدة على أساسين :

أولهما : مبدأ احترام الأموال والأنفس والدماء كقاعدة جوهرية لنظام المجتمع ، قال عليه الصلاة والسلام : (ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ..) ..

ثانيهما : اعتبار مبدأ المسئولية الشخصية أو الفردية هو الأصل العام فى المسئولية عن الأعمال العمدية أو التقصيرية ، قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وأهم مبادىء المسئولية المدنية ما يأتى :

أولا : الخطأ كالعمد فى وجوب الضمان : الضمان : هو الالتزام بعوض مالى للغير جزاء لتلف المال أو ضياع المنافع ، أو الضرر الجزئى أو الكلى الحادث بالنفس الانسانية . وقد اتفق الفقهاء على أن اتلاف المال موجب للضمان سواء أوقع عمدا أم خطأ ، والخطأ يشمل التقصير والاهمال وعدم الاحتراز ، كما أنه لا فرق بين الكبير والصغير والخطأ والنسيان أو السهو ، والعلم والجهل ، وانما ينظر الى الاعتداء على أنه واقعة مادية محضة بقطع النظر عن نوع الاهلية فى شخص المتعدى أو قصده . قال الامام الشاطبى : « ان الخطأ فى الحكم بالتضمين بالأموال مساو للعمد فى ترتب الغرم فى اتلافها » وقال شيخ الاسلام العز بن عبد السلام : (ان الاتلاف يقع بالظنون والأيدى والأقوال والافعال ، ويجرى الضمان فى عمدها وخطئها ، لأنه من الجوابر ، ولا تجرى فى العقوبة والقصاص الا فى عمدها ، لأنهما من الزواجر ، وقال فقهاء الفروع المذهبية : ومن أتلف من مكلف (بالغ عاقل) وغيره خطأ أو سهوا مالا محترما لغيره بغير اذن المالك ، ضمن ما أتلفه ، لأنه فوته عليه .

ولا فرق أيضا فى كون التعدى حاصلا بفعل ايجابى كالاحراق والاغراق والاتلاف ، أو بفعل سلبى كترك حفظ الودائع فانه موجب للضمان ، فمن رأى انسانا يسرق الوديعة وهو قادر على منعه ، ضمن المال ، لترك الحفظ الملتزم بالعقد . ومن امتنع عن بذل الطعام لمضطر اليه ، أو عن تقديمه لسجين حتى مات ، كان ذلك اعانة على القتل ، ومسببا للهلاك المتوجب للضمان .

واذا كان التعدى ظلما محضا كالغصب ، كان مضمونا بأى حال حدث تلفه ، سواء بالتعدى أم بالتقصير أم بقوة قاهرة أم آفة سماوية ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » .

ثانيا : الضمان يشمل الضرر المادى والمعنوى : كان الناس فى الماضىيهتمون بالأضرار المادية ، ويتسامحون — فيما يظهر — بالنسبة للأضرار الأدبية أو المعنوية ، أما عرف اليوم فقد أضفى على هذه الأضرار صفحة مادية لا تقل أهمية عن الأضرار المادية ، فصار التعويض عنها أمرا سائغا مشروعا ، نظرا لتعقد ظروف الحياة ، وتشابك المصالح وكثافة الناس ، وسرعة تأثرهم بالأوضاع الاقتصادية القائمة على عنصر المنافسة والمزاحمة .

لهذا اقتصر فقهاؤنا على تقرير وجوب تعويض الضرر المادى بمختلف أشكاله اذا كان ضررا محققا، سواء أكان يسيرا أم فاحشا ، قولا أم فعلا ، سلبيا أم ايجابيا .

أما الضرر الأدبى أو المعنوى (وهو كل ما يصيب الانسان من ألم وحزن ، أو يلحقه من ضرر بسبب ضياع مصلحة أو فوات فرصة) فلم يقرر جمهور الفقهاء بشأنه ضمانا فى أصل الحكم الفقهى ، لأن الضمان مال ، والضرر الأدبى لا يمكن تقويمه بالمال ، كما ذكر ابن قيم الجوزية فى الطرق الحكمية .

الا أن بعض فقهائنا — لا سيما بعد التطورات التى أشرنا اليها — لم يجدوا مانعا من تعويض الأضرار الأدبية لتعارف الناس ذلك ، وعملا بالمبادىء العامة التى تنفى ايقاع الضرر مثل قاعدة « الضرر يزال » و (لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام) و (المعروف عرفا كالمشروط شرطا)

وفى أحكام الشريعة ما يؤيد ذلك ، اذ أن الشرع أوجب عقابا جنائيا ثمانين جلدة أو تعزيرا عند اختلال شرط من شروط الحد فى حالة قذف الأعراض وانتهاك حرمة المؤمن وخدش الكرامة .

ثم ان فى مبدأ السياسة الشرعية المفوض الأخذ به للحكام متسعا للحكم بالتعويض على الضرر المعنوى دفعا للحرج ، وصيانة للسمعة والشرف ، وحماية للمصالح الاقتصادية الشخصية أو العامة .

وفى أحكام الفروع المذهبية مؤيدات أخرى ، فقد قرر صاحبا أبى حنيفة أنه يجب التعويض بسبب الضرر الأدبى فى حالة الألم الجسمانى ، فقال محمد : تجب حكومة عدل : (أى تعويض يقدره القاضى) على الجانى بقدر ما لحق المضروب أو المجروح من ألم دون أن يترك الاعتداء أثرا ماديا فى الجسد ، وقال أبو يوسف : للمجنى عليه أن يرجع على الجانى بما أنفقه من ثمن الدواء وأجرة الأطباء .

وفى نطاق التعزيرات (أى العقوبات غير المقدرة نوعا ومقدارا فى الشريعة) قرر أبو يوسف ، وعلماء المالكية ، وبعض الشافعية وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية أنه يجوز للقاضى الحكم بالغرامات أو التعزيرات المالية أى بالتعويض النقدى على كل الأضرار التى لا نجد فى الشرع عقوبة مقدرة فيها ، وفى ذلك مسايرة للروح العامة التى تقوم عليها الشريعة من رعاية المصالح ومنع الضرر ودفع الحرج ، وأحقاق الحق ، والتزام العدل .

ثالثا : لا يقابل الاتلاف بمثله : يحرم شرعا مقابلة الاتلاف بمثله ، حفاظا على الأموال ، لأن تبديدها واتلافها بدون حق اضاعة لها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله كره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وأضاعة المال » .

ولأن مقابلة الاتلاف بمثله يؤدى الى توسيع دائرة الجريمة والضرر بدون فائدة ، مع أنه يجب تضييقها وحصرها فى أضيق نطاق ممكن ، هذا وان الاتلاف لا يجبر التلف الحاصل ، على نقيض الحكم بالتعويض ، اذ أن فيه ترميما لآثار الضرر ، وزجرا للمتعدى من الاعتداء على أموال وحقوق الآخرين بدون عذر أو حق شرعى ، لذا قال عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار» ومعنى الضرار : هو مقابلة الضرر بالضرر .

رابعا : الضمان يكون بالمثل أو بالقيمة : ان الأصل العام فى الضمان هو ازالة الضرر عينا كاصلاح الحائط المتهدم أو جبر المتلف واعادته صحيحا كما كان عند الامكان كاعادة المكسور صحيحا ، فان تعذر ذلك وجب التعويض : المثل فى الأشياء المثلية والقيمة فى القيميات . والمقصود بالمثليات : ما تماثلت آحاده

أو أجزاوءه بحيث يمكن أن يقوم بعضها مقام بعض دون فرق يعتد به .

والأموال المثلية أربعة : هي المكيلات والموزونات والعدديات المتقاربة وبعض أنواع الذراعيات . وأما القيميات : فهي ما تفاوتت أفراده ، فلا يقوم بعضها مقام بعض بلا فرق كالدور والأراضي والاشجار وأنواع الحيوان والمفروشات ونحوها .

فان كان المال مثليايجب ضمان المثل باتفاق العلماء لقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ؛ « وجزاء سيئة سيئة مثلها»قال الامام الزيلعي: ضمان العدوان مشروط بالمماثلة بالنص والاجماع . وقد ثبت في السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للسيدة عائشة التي كسرت اناء ضرتها : « طعام بطعام ، واناء باناء » .

وهذا ما يقره المنطق ، اذ أن الالزام بضمان المثل أقرب الى الأصل التالف من القيمة ، والواجب في الضمان الاقتراب من الأصل بقدر الامكان تعويضا للضرر ، لأن المقصود من التضمين جبران الضرر ، وذلك أعدل وأتم في مثل الشيء المتلف جنسا ونوعا ومالية .

وأما اذا كان المال قيميا : فيجب ضمان القيمة باتفاق العلماء أيضا ، لأنه تعذر الوفاء بالمثل تماما صورة ومعنى ، فوجب المثل معنى وهو القيمة ، باعتبارها تقوم مقامه ، ويحصل بها مثله ، واسمها ينبيء عنه .

وهنا نجد اختلافا فقهيا لعلمائنا : وهو أنه هل تضمن القيمة في القيمي أصالة أو بدلا من المثل ؟ قال الامام مالك : لا يقضى في العروض من الحيوان وغيره الا بالقيمة يوم استهلك . وقال جمهور الفقهاء . الواجب في ذلك أصلا هو المثل ، ولا تلزم القيمة الا عند العجز عن المثل .

وكذلك اذا تعذر وجود المال المثلي، ينتقل الى القيمة للضرورة وعملا بالقاعدة الشرعية : « اذا تعذر الأصل ، يصار الى البدل » م/٥٣/ مجلة الأحكام العدلية) . والتعذر أما حقيقي حسي : كانقطاع وجود المثل في السوق بعد البحث عنه ، وان كان موجودا في البيوت . أو حكمي : كأن لم يوجد الشيء المماثل الا بأكثر من ثمن المثل ، أو شرعي : كالخمر التي يملكها الذمي وأتلفها المسلم له ، فانه يجب عليه ضمان القيمة فقط ، وان كانت الخمر من المثليات ، لأنه يحرم عليه تملكها بالشراء ، كما هو معروف .

خامسا : الاكراه لا يمنع الضمان :

اذا أكره انسان على اتلاف مال لآخر كاحراق أثاث منزل مثلا ، فان الاكراه لا يصلح عذرا لاسقاط الضمان ، الا أن الضامن اما أن يكون هو المكره ، أو المستكره .

فان كان الاكراه ملجئا أو تاما : فالضمان على المكره عند الحنفية ، والحنابلة في الأرجح عندهم ، وبعض الشافعية لأن المستكره مسلوب الارادة وما هو الا آلة بيد المكره ، ولا ضمان على الآلة اتفاقا . وقال المالكية والظاهرية وبعض الشافعية: الضمان على المستكره ، لأنه يكون في هذه الحالة كالمضطر الى أكل طعام الغير ، بجامع اباحة الفعل في الحالين ، وكما يجب ضمان المضطر ، يجب ضمان المستكره .

وقال الشافعية في الراجح عندهم : الضمان على المكره والمستكره ، لأن الاتلاف صدر من المستكره حقيقة ، ومن المكره بالتسبب ، والتسبب في الفعل

والمباشرة سواء ، لكن يستقر الضمان فى النهاية على المكره فى الأصح .

قال العز بن عبد السلام : «الاكراه موجب للقصاص والضمان على المكره لأنه ملجىء المستكره الى المباشرة ، فان طبعه يحثه على درء المكروه عنه .. » .

وأما ان كان الاكراه ناقصا أو غير ملجىء : فالضمان على المستكره عند الحنفية والمالكية والظاهرية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة ، لان الاكراه الناقص لا يسلب الاختيار أصلا ، فلم يكن المستكره مجرد آلة فكان الاتلاف من المستكره ، فوجب الضمان عليه .

سادسا : الجواز الشرعى ينافى الضمان : معنى هذه القاعدة أنه اذا كان الفعل الضار جائزا مطلقا أو غير ممنوع شرعا بأى وجه من وجوه المنع ، فلا ضمان على الفاعل أى لا يسأل مسئولية مدنية ، كما فى الأمثلة الآتية :

— اذا ترتب على فتح محل تجارى كساد تجارة المحل الآخر ، فلا ضمان .

— من حفر بئرا أو حفرة فى ملكه، فوقع فيها حيوان مثلا ، فمات ، لا يضمن الحافر شيئا ، لأن كل انسان حر التصرف فى أملاكه ، ما لم يتعلق بها حق الغير ، والا فيمنع من الفعل بأن كان تعسفا فى الاستعمال .

— اذا أذن الحاكم بفعل كهدم جدار أو دار أثناء الحريق ، أو كالانفاق على الأقارب من ودائع الأموال الخاصة بشخص غائب ، فلا ضمان على الهادم والوديع ، للاذن بذلك لمصلحة عامة .

— اذا تلف الشىء المأجور أثناء الاستعمال المأذون فيه ، أو بالتحميل بالقدر المعتاد المألوف بين الناس ، فلا ضمان على المستأجر ، لانه فعل أمرا جائزا له ، أما اذا تجاوز المستأجر الأمر المألوف فيضمن لتعديه .

سابعا : الخراج بالضمان أو الغرم بالغنم : معنى هذه القاعدة أن من يسأل عن ضمان شىء عند تلفه ، له الحق فى منفعته ، فى مقابلة تحمل تبعة الهلاك أثناء بقائه عنده . فلو رد المشترى الحيوان المبيع على البائع بسبب عيب قديم فيه ، بعد أن استعمله مدة من الزمن ، لا تلزمه اجرته عن تلك المدة ، لأنه لو تلف حال وجوده عنده ، كان عليه ضمان مثله أو قيمته .

ولو كان المبيع شجرة ، فأثمرت عند المشترى ، ثم ردت على البائع بسبب الاستحقاق أو لتفرق الصفقة مثلا ، كانت الثمرة للمشترى ، لأنه هو المتحمل تبعة الهلاك فيما لو هلكت .

الا أن هذه القاعدة مقيدة بحالة وجود ملكية مشروعة ، فان لم تكن الملكية مشروعة وجب الضمان ، فالغاصب لا يملك زوائد المغصوب ، والبائع قبل قبض المشترى للمبيع لا حق له فى زوائد المبيع لأنه وان كان ضامنا للمبيع حال بقائه لديه بسبب وضع يده عليه ، فان المبيع ، على ملك المشترى بمجرد انعقاد العقد .

ثامنا : الأجر والضمان لا يجتمعان: هذه القاعدة حنفية المذهب ، ومثلها فى المسئولية الجنائية : « الحد والضمان لا يجتمعان » فلا يضمن السارق مثلا الشىء المسروق اذا أقيم حد القطع عليه ، وكان المسروق هالكا أو مستهلكا .

ومعنى القاعدة : أن الأجرة الواجبة لقاء منفعة لا تجب ، ويسقط التزامها اذا كان هناك التزام بضمان قيمة العين فيما لو هلكت سواء أو وقع الهلاك فعلا أم لا ، وذلك بشرط عدم استقرار الأجر فى ذمة الضامن ، كأن استوفى المنفعة ، فيلزم حينئذ بالأجر والضمان .

فلو استأجر شخص دابة أو سيارة للركوب ، فحملها حملا معينا بدلا من الركوب ، فتلفت ، يضمن قيمتها ، ولا أجر عليه ، لأنها هلكت بفعل غير مسموح به من المؤجر ، فصار بذلك غاصبا ، ولا أجرة على الغاصب ، لأن الأجر والضمان لا يجتمعان .

لكن هذا يعتبر منفذا خطيرا أمام المستأجرين للتخلص من دفع الأجرة ، وذلك بمخالفة وجه الانتفاع المتفق عليه ، ثم رد المأجور سليما لصاحبه ، ونظرا لهذه النتيجة الغريبة ، قال الحنفية : يجب الأجر المسمى استحسانا ، وان كان لا يجب قياسا (راجع مجمع الضمانات : ٢٥)

تاسعا : (جناية العجماء جبار) :

معنى هذه القاعدة أن الاتلاف الذى يحدثه الحيوان من تلقاء نفسه ، ولم يكن عقورا ، ولا فرط مالكه فى حفظه حيث يجب عليه حفظه ، وذلك فى الليل أو فى أمكنة التجمعات لا ضمان فيه على صاحبه لعدم وجود الادراك الذى هو أساس المسئولية ، فان كان الاتلاف بواسطة صاحبه كأن كان راكبا أو سائقا أو مجفلا ، فعليه الضمان . وأصل هذه القاعدة حديث نبوى نصه : « العجماء جرحها جبار » أى هدر لا ضمان فيه .

عاشرا : ما لا يمكن الاحتراز عنه لا ضمان فيه : الاسلام دين اليسر والسماحة والاعتدال ، فكل ما يمكن تجنبه والاحتراز أو الاحتياط عنه ، يكون سببا موجبا للضمان ، وكل ما يشق البعد أو الاحتراز عنه ، لا يكون سببا موجبا للضمان ، لأنه من الضرورات ، ولأن ما يستحق على المرء شرعا يعتبر فيه الوسع والطاقة . وعلى هذا :

ــ لو اشترى رجل من آخر شجرة فقطعها ، فادعى البائع أن المشترى حين القطع أفسد له بعض أشجار لم تكن داخلة فى البيع ، فقال المشترى : انا لم أتعمد ذلك ، ينظر : ان كان الذى يدعيه البائع من الفساد يمكن التحرز عنه ، فيكون المشترى ضامنا له ، وان كان مما لا يمكن الاحتراز عنه فلا ضمان بذلك على المشترى ، ويكون مأذونا به دلالة أو ضمنا .

ــ للناس الانتفاع بالمرافق العامة مشيا أو ركوبا ونحوهما بشرط السلامة وعدم الاضرار بالآخرين بما يمكن التحرز عنه ، دون ما لا يمكن التحرز عنه ، حتى يتيسر للناس سبيل الانتفاع ، ويتحقق العدل وتزول العوائق ، ويتوفر الأمن والحرية فى الطرقات .

حادى عشر : اذا اجتمع المباشر والمتسبب ، يضاف الحكم الى المباشر:

المباشر : هو الذى حصل الضرر بفعله بلا واسطة أى دون تدخل فعل شخص آخر مختار ، وعرفه الحموى شارح أشباه ابن نجيم بقوله : « هو أن يحصل التلف بفعله من غير أن يتخلل بين فعله والتلف فعل مختار » .

والمتسبب : هو الذى يحدث أمرا يؤدى الى تلف شيء آخر حسب العادة لكن لا يقع التلف فعلا منه ، وانما بواسطة أخرى هى فعل فاعل مختار . وعرفه الحموى بقوله : « هو الذى حصل التلف بفعله ، وتخلل بين فعله والتلف فعل مختار ».

فاذا تعددت أسباب الضرر ، كان المباشر هو المسئول عن الضمان ، حتى ولو كان السبب البعيد متصفا بصفة التعدى ، لأن المباشر هو علة الضرر فى الواقع ، أو هو المؤثر الأقوى فى احداث العدوان ، وأما دور السبب فهو ضعيف لم يستقل وحده بالخطأ .. هذا اذا كان السبب لا ينفرد بالاتلاف اذا ترك وحده بدون مباشرة ، أما اذا كان السبب مما يعمل بانفراده ، فيشترك المتسبب والمباشر فى الضمان .

فهذه افتراضات ثلاث : قد يضمن المتسبب وحده ، وقد يضمن المباشر وحده ، وقد يشتركان فى الضمان .

فمن أمثلة تضمين المتسبب وحده اذا كان متعديا : سائق الدابة ، فلو ساق رجل دابة فوطئت شيئا ، فأتلفته ، كان ضامنا ، لأن السبب انفرد بالتأثير ، ولم يتوسط بينه وبين التلف فعل شخص آخر مختار . وهكذا (يضاف الفعل الى المتسبب ان لم يتخلل واسطة) .

ومن أمثلة تضمين المباشر وحده : دافع الشخص الى البئر ، فلو حفر رجل بئرا تعديا بأن كان الحفر فى طريق عام بدون ترخيص ادارى من السلطة الحاكمة ، ثم جاء رجل آخر ، فدفع غيره فى البئر ، أو ألقى حيوانا فيه ، ضمن الدافع ، أو الملقى ، لأنه مباشر للتلف بالذات ، وأما حافر البئر فهو متسبب فقط ، لأن حفره وان أفضى الى التلف ، لكنه لا ينفرد بالاتلاف ما لم يوجد الدفع الذى هو الفعل المباشر .

ومثله لو دل شخص سارقا على مال انسان فسرقه ، فالعقوبة والضمان على السارق لأنه مباشر ولا شيء على الدال ، لأنه متسبب .

ومن أمثلة اشتراك المتسبب والمباشر فى الضمان بأن تتعادل قوة التسبب والمباشرة فى احداث التلف : حالة قيادة الدابة بسائق وراكب ، فلو اجتمع على قيادة دابة سائق وراكب عليها ، فالضمان عليهما لأن سوق الدابة وحده يؤدى الى التلف ، وان لم يكن هناك شخص راكب عليها .

وخلاصة ذلك عند الفقهاء أن المتسبب يشترك مع المباشر فى تحمل الضمان اذا كان السبب مما يعمل ويؤثر بانفراده . ، وهذا رأى الحنفية والشافعية ، أما المالكية والحنابلة فقالوا : يشترك الاثنان فى الضمان اذا كانت المباشرة مبنية على السبب وناشئة عنه ، بحيث لو تخلفت السببية لزالت علة الاتلاف ، كما هو الحال فى جريمة الاشتراك بالقتل أو السرقة ونحوهما من الجرائم .

هذا أنموذج من مبادىء المسئولية المدنية فى الفقه الاسلامى ، والكلام عن ذلك تفصيلا يحتاج الى افاضة واسهاب محله فى كتب الفقه العام أو نظرية الضمان فى الاسلام .



ياشباب العرب ماهي ثقافتكم..؟

للأستاذ : أحمد محمد جمال

نتابع الحديث عن (الثقافة الاسلامية) شخصية ومصدرا ، وتمييزا بينها وبين الثقافة الغربية المعاصرة ، ومواجهة لأخطار الثقافات الاجنبية المعادية للأسلام والمسلمين.

بعد ان بينا فى المقال السابق ان الثقافة الاسلامية تعنى العلم والعمل معا أى انها فى المفهوم الحضارى الاسلامى نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة مجردة ..

وان التفوق العلمى والتقدم التكنولوجى فى الحضارة الحديثة لم يغنيا شيئا فى اسعاد الانسانية وترشيد أخلاقها ، لانها تفتقد (الدين) اذ (العلم المجرد وحده لا يكفى بل لا بد مع العلم من دين . كما لا بد للجسد كى يحيا من روح .

ان المصادر الرئيسية للثقافة الاسلامية هى :

— القرآن الكريم .
— ويليه التراث النبوى ، من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام قولا وعملا وأمرا ونهيا ، وترشيدا وتوجيها .
— ثم تاريخ المسلمين عبر عهوده ، منذ العهد النبوى الى اليوم.

فهى أى ، الثقافة الاسلامية — ربانية التلقى نبوية التوجيه ، تاريخية النسب .. اذ أنها تنتمى الى تاريخ أصيل جليل ، ذى امثلة ونماذج رائعات فى الحضارة الانسانية .

يقول الدكتور عبد الكريم عثمان فى كتابه عن الثقافة الاسلامية « انها تجمع بين الغايات والوسائل وبين العلم والايمان . وكونها تستمد كيانها من مبادىء الدين ، لا يعنى تخليها عن العقل والعلم

فاعتماد الثقافة الاسلامية عليهما واحتفاؤها بهما أمر لا يحتاج الى بيان فالدين ليس بديلا عن العلم والحضارة ولا عدوا لهما . وانما هو اطار ومحور ومنهج لهما فى حدود اطاره الذى يحكم شؤون الحياة »

ويقول أحد العلماء الكبار المعنيين بالثقافة الاسلامية . ان المنهج الالهى ليس عدوا للأبداع الانسانى ، وانما هو منشىء لهذا الابداع ، وموجه له الوجهة الصحيحة كى ينهض الانسان بمقام الخلافة فيعمل ويتحرك فى نطاق ما يرضى الله ..

● الثقافة الاسلامية انسانية عالمية تجمع بين العلم والايمان .

● الثقافة الغربية لا تهتم الا بالمادة موضوعا وسلوكا وغاية .

مزايا الثقافة الاسلامية .. !!

ونحن حين نذكر مزايا الثقافة الاسلامية نتبين من فورنا الفروق الواضحة بينها وبين الثقافات الاجنبية ، سواء كانت غربية أم شرقية ، قديمة أم حديثة . ولا نحتاج الى اطالة وتفصيل لنركز عليها .

فمما تمتاز به الثقافة الاسلامية : انها انسانية عالمية ، تنظر الى الناس بمقياس واحد لا تفسده قومية أو عنصرية ولا يحيف عليه جنس أو لون . وذلك ان الرابطة التى تربط بين الناس فى مفهوم الثقافة الاسلامية — هى (العقيدة) والسلوك الراشد ، أى العمل الصالح .. بهما يرتفع ميزان الفرد أو ينخفض — كما يقرر ذلك مصدرها الاول . (القرآن الكريم) فى قوله عز وجل « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وكما جاء فى مصدرها الثانى (التوجيه النبوى) فى قوله صلى الله عليه وسلم « سلمان منا آل البيت — لوجاء الأعاجم بعمل ، وجئتم (يخاطب العرب) من غير عمل ، كانوا أولى بمحمد منكم لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى »

ان عصبية العشيرة والقوم والجنس واللون والارض عصبية صغيرة متخلفة .. عصبية جاهلية عرفتها البشرية فى فترات انحطاطها الروحى .

وهى — كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان — عصبية لا تصلح ان تكون القيمة العليا ، والغاية القصوى ، التى يجتمع عليها الناس على كر العصور وتعاقب الاجيال وانما الله وحده ، فى رأى الثقافة الاسلامية ، هو الهدف الاسمى والقيمة الخالدة .. هو الذى يمكن أن تلتقى عليه الانسانية افرادا وجماعات ، وتستقى منه الخير والحق والعدل والقوة .

وتمتاز الثقافة الاسلامية أيضا بان الدين الذى هو قوامها وعصامها نظام كامل شامل أى أنه منهج للحياة البشرية الواقعة بكل مقدماتها وبكل تجاربها وعواقبها ، فهو نظام يشمل التصور الاعتقادى الذى يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الانسان فيه ، كما يعين غاية الوجود الانسانى ، وهو أيضا يشمل الانظمة الواقعية التى تصدر عن ذلك التطور الاعتقادى .. كالنظام الاخلاقى والنظام الاجتماعى والنظام الاقتصادى والنظام السياسى .

يقول الاستاذ العقاد فى كتابه (الاسلام فى القرن العشرين) « ان شمول العقيدة فى ظواهرها الفردية والاجتماعية هو المزية الخاصة فى الثقافة الاسلامية . وهى المزية التى توحى الى الانسان انه كل شامل ، فيستريح من خصام العقائد التى تشطر السريرة الى شطرين .

وحسبنا تقرير القرآن (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) وتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى) .

● ● ●

ومن مزايا الثقافة الاسلامية — كذلك — انها متجاوبة متفاعلة تمنح الفرد الحرية الكاملة ، لتحقيق مقامه كخليفة فى الارض يواجه الكون والحياة باحساس رضى ونظرة ودود ، ويد عاملة منتجة وفكر متأمل بحاث

وهذه (الايجابية) فى الثقافة الاسلامية — كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان ناتجة عن مبادىء الاسلام التى لا تتمثل فى مجرد مجموعة من القيود والكوابح والضوابط الرادعة .. وانما هى فى صميمها قوة بناءة وحركة دافعة الى النمو والتطور والانطلاق الى تحقيق الذات فى هذه الحركة فى أسلوب نظيف ...

وتوجيهات القرآن الكريم ، الذى هو — كما اسلفنا وكررنا . المصدر الرئيسى للثقافة الاسلامية فى هذا المجال كثيرة

وقد ركز القرآن الكريم على (العقل الانسانى) فجعل يتحفى به ، ويلفت انتباهه الى ملكوت السموات والارض وعجائب المخلوقات وبدائع القوانين الكونية ، فتحدث اليه عن الشمس والقمر — وعن الليل والنهار وعن السحاب والمطر وعن الماء وينابيعه فى الارض وان الله جعل منه (كل شىء حى) من انسان وحيوان ونبات . وتحدث اليه عن الزرع الذى تختلف الوانه وثمراته وتأكل منه أنعامهم وأنفسهم وعن البحار ولآلئها وذخائرها وأسماكها ومرافقها الاخرى — وعن الجبال وحكمة خلقها وما تضمه من كنوز الذهب والفضة والمعادن الأخرى .

ومع تكرار الحديث القرآنى الى (العقل) بالنظر والتفكر والتأمل كرر القرآن كذلك توجيه الانسان الى السير فى الارض والعمل الدائب للانتاج والاصلاح والانتفاع .

والى جانب ذلك كله من حث متواصل على العلم والعمل — وعد القرآن الكريم بأن مرور الزمن وتعاقب الاجيال البشرية سيكشفان عن آيات لله جديدة ومعجزات باهرة فى انفس البشر وآفاق الكون .

واحسبنى غير محتاج الى التفصيل أو التدليل على أن تقدم الفكر الانسانى فى ميادين العلم والتكنولوجيا ، وما احدثاه من صناعات واختراعات واكتشافات ومنافع كان تحقيقا لوعود القرآن الصوادق واخباره الصحاح .

وكان من ثمرات الثقافة الاسلامية لكونها قرآنية المصدر نبوية التوجيه ، انسانية الخلق — أن قدمت للناس عبر تاريخها المجيد مبادىء الحق والعدل والحرية والاخاء والمساواة فى نماذج بشرية واقعية من الخلفاء والامراء والعلماء والعمال والاجراء ورجال التجارة والاقتصاد والخاصة والعامة .

كما أنها قدمت للناس احكاما وآدابا لعلاقة الفرد بأسرته وعلاقته بمجتمعه وعلاقته بحكومته وعلاقة حكومته به وبالمجتمع كله ، ثم بالحكومات الاخرى والعلاقة هنا تعنى المسؤولية .. أى ما يجب لكل

طرف أو يحق عليه تجاه الطرف الآخر ومن هنا كانت احكاما وآدابا انسانية الروح والسلوك تهدف الى اعطاء الحقوق ، وبذل الواجبات ، فى تعاون وبر واخاء .

ومن أهم ما قدمته الثقافة الاسلامية أنها كونت (للعرب) الذين انبعث (الاسلام) من أرضهم ، وبلسانهم وعلى يد رجل منهم — شخصية ممتازة لا شرقية ولا غربية شخصية ذات عقيدة سائدة ، ورسالة ماجدة ، وفكر مستقيم .

ولما كان هذا (الفكر) الاسلامى الخاص باتجاهاته ومجالاته هو أساس الشخصية العربية المسلمة كان من حق كل مسلم غير عربى ان يمتاز به على الناس جميعا (ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

وهنا نذكر بأسف شديد ان المشكلة الرئيسية التى يعانى منها المسلمون اليوم هى افتقادهم للشخصية الاسلامية الاصيلة وضياعهم بين شتى المذاهب والاخلاق والافكار الهدامة المخربة التى وفدت اليهم مع الحضارة الغربية المعاصرة .

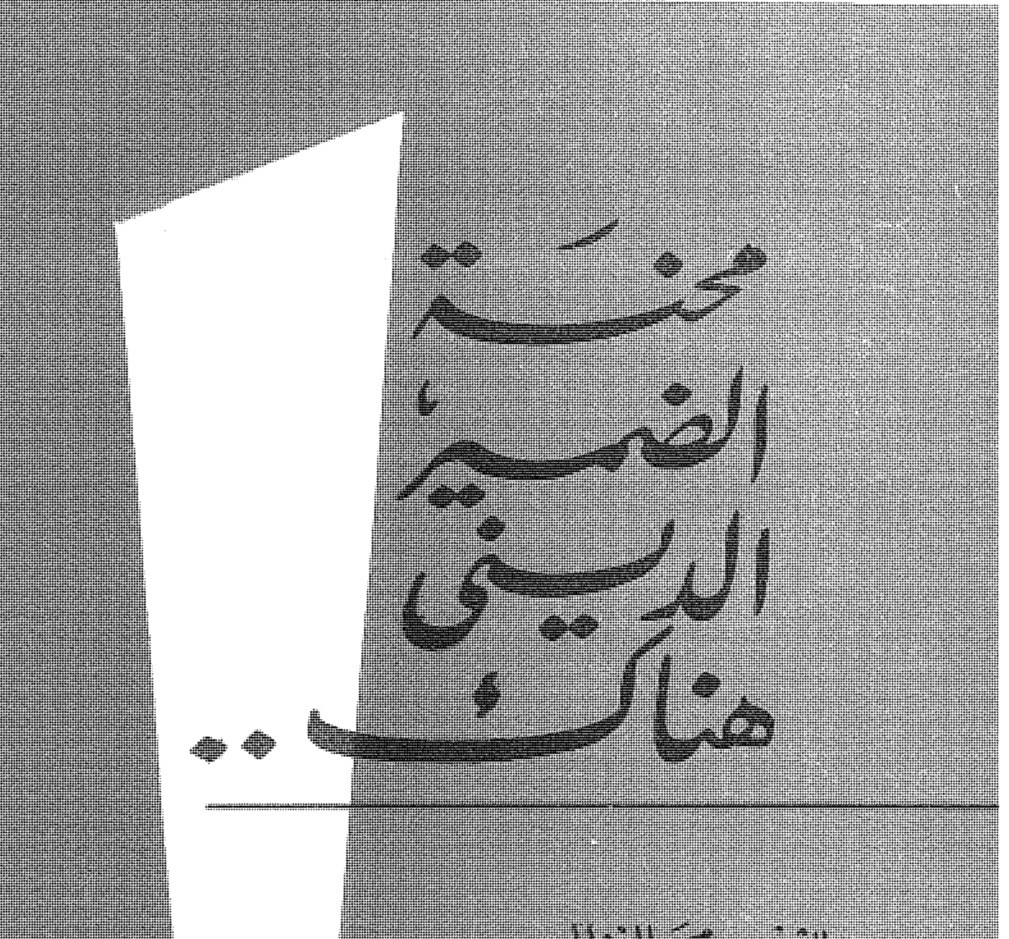
انهم — كما يقول الدكتور عبد الكريم عثمان — لم يستطيعوا حتى الآن أن يضعوا ايديهم على ابعاد شخصيتهم وحقيقتها وأهدافها ، وما لم تحدد الامة ماهيتها ، وتتأكد من أهدافها فان سيرها يكون ضربا على غير هدى . ومن هنا تخلف المسلمون عن المشاركة فى السيطرة على الطبيعة وامتلاك أسباب التقدم المادى والاقتصادى وتوزع اتجاهتهم واختلاف وسائلهم التى يسلكونها للارتفاع بمجتمعاتهم الى مستوى أفضل .

الثقافة الغربية

فى مقابل تلك الامتيازات التى اختصت بها الثقافة الاسلامية الاصلية — نجد الثقافة الغربية التى لا تهتم الا بالمادة موضوعا وسلوكا وغاية حيث أصبحت الحياة فى الحضارة الغربية — كما يقول الاستاذ مالك بن نبى فى كتابه (وجهة العالم الاسلامى) أرقاما ، وأصبحت السعادة مقيسة بعدد الوحدات الحرارية والهرومونات وصار العصر عصر كم يخضع الضمير فيه للنزعة الكمية ، كما صار عصر النسبية الاخلاقية فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة ، لقد مات معنى الفضيلة من الوجه الذى مات فيه مفهوم العدالة وصارت الحياة الاقتصادية الى نفس المصير يوم وجد بعض الناس فى أنفسهم الجرأة ليؤكدوا ان التجارة هى السرقة الحلال .

ولا يقول هذه الحقيقة المرة عن الثقافة الغربية أمثال الاستاذ مالك بن نبى من الباحثين المفكرين وحدهم بل يقولها عن تجربة وعيان أوساط المثقفين فهذا طالب سعودى يدرس فى احدى الجامعات الامريكية كتب الى أحد أقاربه يقول له فى رسالة خاصة ان الحياة هنا مادية ١٠٠٪ ولا يعرف الانسان الا بماله وثروته فيقال جاء فلان الدولار وذهب فلان الدولار ،،

والى جانب (المادية) الطاغية فى ثقافة الغربيين وحضارتهم نجد فيها طغيانا آخر هو (العنصرية) البغيضة التى يكفينا تأكيدا لها حديث (رينان) عنها فى قولته المنكرة (جنس واحد يلد السادة والابطال هو الجنس الاوروبى فاذا ما نزلت بهذا الجنس الى مستوى الحظائر التى يعمل فيها الزنوج والصينيون ... فانه يثور ، ومصداق ما زعمه رينان نجده واضحا قائما فى الصراع العنصرى بين البيض والسود فى أمريكا وفى روديسيا .



محنة الضمير الديني هناك .. !

للشيخ : محمد الغزالي

هذه سياحة سريعة داخل أقطار الفكر الديني الغربي ، ستفاجئونا فيها أحكام ينقصها السداد ، ومؤامرات يحكيها الغدر ، وحقائق لا تزال غميقة على طول العهد وامتداد الزمان !!

ومن حقنا نحن المسلمين — وقد لفحتنا حرب بقاء أو فناء — أن ندرس الجبهة التي مسنا عدوانها ، وأن نزن بمعيار حديد طبيعة المواقف الدينية التي تكمن أو تبرز خلف أحداث لا تبدو لها نهاية قريبة !!

ونبدأ بمقال نشرته مجلة كاثوليكية تطوعت بإسداء نصائحها الغالية لإسرائيل ، وليست هذه النصائح الغالية أن يعترف اليهود بحق العرب ، وأن يعودوا من حيث جاءوا تاركين البلاد لأصحابها ... لا !!

إن الضمير الديني عند الصحيفة الكاثوليكية جعلتها تسدي نصحا من لون آخر ، لقد قالت لليهود : إننا احتللنا فلسطين قبلكم ، وبقينا فيها سبعين عاما ، ثم استطاع المسلمون إخراجنا وتهديم المملكة التي أنشأناها ببيت المقدس ، وذلك لأغلاط ارتكبناها ، وها نحن أولاء نشرح لكم تلك الأغلاط القديمة حتى لا تقعوا فيها مثلنا .... !!

استفيدوا من التجربة الفاشلة كي تبقى لكم فلسطين أبدا ويشرد سكانها الأصلاء فلا يخامرهم أمل فى عودة ..!!

وشرعت الصحيفة التقية تشرح : لماذا انهزم الصليبيون الأقدمون ، وتوصى حكام «اسرائيل» بأمور ذات بال ، وتحرضهم فى نذالة نادرة أن يوسعوا الرقعة التى احتلوها ، وأن يستقدموا أفواجا أكثر من يهود العالم ، وأن يحكموا خطتهم فى ضرب العرب ، ومحو قراهم ، وابادة خضرائهم ، وبذلك يستقر ملك اسرائيل ، ويندحر الاسلام والمسلمون ...

وهاك أيها القارىء عبارات المقال الذى نشرته مجلة « تابلت » الانكليزية الكاثوليكية للكاتب (ف. س. أندرسون) .

يقول الكاتب المذكور : « ان نظرة واحدة الى خارطة حدود اسرائيل الحالية تعيد الى الذاكرة للفور أوجه الشبه القوية بين تلك الحدود وحدود مملكة الصليبيين التى قامت عقب احتلال القدس سنة ١٠٩٩ م

ونظرا الى الأعمال العدائية بين اسرائيل وجيرانها نرى من المفيد أن نقارن بين الحالة العسكرية الراهنة وبين مثيلتها أيام الصليبيين القدامى علنا نرى ما اذا كان سيقيض لاسرائيل حظ أوفر مما كان للصليبيين أم سيلقون مصيرهم ؟ ان مملكة الصليبيين لم يكتب لها البقاء الا أمدا قصيرا ، فقد مكثت ثمانية وثمانين عاما فقط ، ثم استرد المسلمون القدس !

ومع أن المسيحيين نجحوا فى الاحتفاظ بقطاع صغير شرقى البحر المتوسط مدة مائة عام أخرى الا أنهم فشلوا فى الدفاع عن عكا أخيرا وأخذوا يغادرون هذه البلاد تحت جنح الظلام عائدين الى أوروبا ...

إن سقوط تلك المملكة كان يعود الى بضع نقائص ظاهرة فاذا أريد لاسرائيل أن تعيش مدة أطول ، فما عليها الا أن تحتاط ضد هذه النقائص ..

لقد دخل الصليبيون فلسطين فى ظروف ملائمة جدا لهم ، تميزت بوقوع الفرقة بين المسلمين ، وعجزهم عن اقامة جبهة مقاومة موحدة ! وهكذا استطاع المهاجمون أن يهزموا المسلمين بسهولة ، دويلة بعد دويلة ، وأن يمكنوا لأنفسهم فى الأقطار التى فتحوها .

غير أنه لم يمض وقت طويل حتى ظهر زعيم عسكرى مسلم استطاع أن يوحد المسلمين أمام خصومهم بسرعة ، ثم حشد قواهم فى معركة حطين ، وأصاب الصليبيين بهزيمة ساحقة ، تقرر على أثرها مصير القدس ، بل انحسر بعدها المد الصليبى جملة ، ودخل صلاح الدين الأيوبى مدينة القدس ، التى عجز أعداؤه عن استبقائها أو استعادتها فتركوها يائسين » .

يقول الكاتب الكاثوليكى « كان الصليبيون يستطيعون البقاء مدة أطول فى تلك البلاد لو لم يعانوا نقصا شديدا متواصلا فى الرجال ، ولو أنهم وسعوا حدود مملكتهم وفق ما تمليه الضرورات العسكرية الماسة ، لماذا لم يحتلوا دمشق ؟ لقد كان احتلال دمشق مفتاح مشكلتهم وضمان بقائهم !

وسيظل عدم تقديرهم لهذه الحقيقة لغزا لنا ! نعم انهم بذلوا جهودا واهية لاحتلال تلك المدينة ، بيد أن محاولاتهم كانت من الضعف بحيث كتب عليها الفشل » وبدلا من أن يتابعوا جهودهم لاحتلال دمشق اتجهوا جنوبا واحتلوا العقبة وشرعوا يوجهون حملاتهم الى مصر ، مع أن الاشراف على النيل هدف عسير التحقيق !!

وعندما أصبحت للمسلمين اليد العليا فى ذلك العهد استطاعوا إجلاء الصليبيين عن العقبة وعن سائر حصونهم فى الجنوب ، الا أن الكارثة الكبرى

جاءت من الشرق ، فان معركة حطين وقعت بالقرب من بحيرة طبرية عند الزاوية الشمالية الشرقية لملكة الصليبيين ...

ولما كانت دمشق والأرض الممتدة بين الأردن والصحراء السورية ملكا للمسلمين فقد استطاعوا أن يتحركوا بحرية على ثلاث جبهات حول الملكة الصليبية التى أضحت شبه محصورة ...

وذلك ما أعجزها عن المقاومة ! »

يقول الكاتب الحزين لما أصاب أسلافه : « ولو أن الصليبيين اندفعوا قدما وقطعوا الممر الذى يؤدى الى الشرق من دمشق لاستطاعوا منع مرور الجيوش والقوات بين سورية ومصر ، ولكانت حدودهم الشرقية المستندة الى الصحراء أكثر أمانا ، ولأمكنهم الانتفاع من أساطيلهم البحرية » ثم يستأنف الكاتب الحاقد كلامه فيقول : « لقد أقيمت اسرائيل فى وقت كان العرب فى الدول المجاورة عاجزين عن القيام بعمل موحد ، ثم بقدر كبير من الجهد والشجاعة استطاع اليهود أن يبلغوا حدودهم الحالية ، لكن هذه الحدود تطابق حدود الملكة القديمة للصليبيين وقد عرفنا مآلها فما العمل ؟ »

يقول الكاتب محرضا اليهود على مزيد من العدوان : « مرة أخرى ، ما لم تتحرك اسرائيل فى الاندفاع نحو دمشق فستبقى للعرب تلك الحرية الخطرة فى تنقيل قواهم حول ثلاث جهات من اسرائيل ، وفى ذلك ما فيه » .

ويستطرد : « قد يكون من العسير سياسيا أن تتحرك اسرائيل لغزو سوريا واحتلال دمشق ، لكن الاتجاهات السياسية السورية قد تساعد على تسويغ ذلك ، وان مثل هذه النزهة الحربية (!) ستنطوى على فائدة دائمة لاسرائيل أعظم من الفائدة التى تجنيها من التغلغل فى صحراء سيناء » .

ويختم الكاتب نصائحه لأصدقائه اليهود فيقول : « ان اسرائيل لن تنقصها القوى البشرية ، فلديها جيش كبير ، بالاضافة الى هجرة منظمة من جميع أنحاء العالم تمدها بكل ما تفتقر اليه من طاقات ، ويجب أن تظل قادرة على وضع جيش قوى فى الميدان يكون دائما على أهبة الاستعداد » .

لو أن كاتب هذا الكلام يهودى قح ما استغرب المرء حرفا منه ! ان وجه العجب فى هذا التوجيه المشحون بالود لاسرائيل ، والبغض للعرب والمسلمين ، أن الكاتب رجل مسيحى ينشر رأيه فى مجلة كاثوليكية .

وهو يفكر ويقارن ويقترح كأن القضاء على العروبة والاسلام جزء من عقله الباطن والظاهر ، ثم هو لا يشعر بذرة من حياء فى اعلان سخائمه ! ان مشاعر البغضاء المضطرمة فى جوفه تغريه بالاسترسال والمجازفة دون أى تهيب .

ويحزننا ان هذا الكلام ليس ابداء لوجهة نظر خاصة ، فان الكاثوليك فى أرجاء الأرض انتهزوا فترة الضعف التى يمر بها الاسلام كيما يحولوها الى هزيمة طاحنة وفناء أخير .

والروح الذى أملى بكتابة هذا المقال هو نفسه الروح الذى كمن فى مقررات المجمع المسكونى الذى عقده بابا رومة وصالح فيه اليهود ، وأمر الكنائس بعده ألا تلعنهم فى صلواتها .

وهو الروح الذى جعل البابا بولس يزور القدس ، ويدخل الأرض المحتلة ويتعامل مع سلطات اسرائيل ، وهو تصرف لم يفعله أحد البابوات من مئات السنين !! وللقارىء المسلم أن يسأل : أذلك موقف الكاثوليك وحدهم ؟ أم أن

أصابع الاستعمار الغربى قد أفسدت التفكير الدينى لدى كثير من المفكرين الغربيين ؟
قرأت كتابا وجيزا للمؤلف المصرى المنصف الدكتور وليم سليمان وردت به هذه الحقائق نذكرها مع تعليق سريع لا بد من ايراده .. قال : « فى ديسمبر سنة ١٩٦١ عقد مجلس الكنائس العالمى مؤتمره الثالث فى نيودلهى ، وأصدر قرارا حدد فيه موقفه من اليهود جاء فيه ... لا بد من تهيئة التعليم الدينى المسيحى وتقريبه للأذهان على وجه يبرىء اليهود من تبعات الأحداث التاريخية التى أدت الى صلب المسيح اذ أن هذه التبعات تقع على عاتق الانسانية كلها (!) وقد صرح الراعى البروتستانتى الأمريكى ل . ج . بنيت الأستاذ بمعهد اللاهوت بنيويورك قائلا : ان الكنائس مسئولة بوجه خاص عن العداء للسامية فقد ظلت تعاليم المسيحية موجهة عدة قرون ضد اليهود وهو عداء يعد من مخلفات الأحقاد الدينية القديمة » .

نقول نحن : وما ذنب المسلمين فى هذا ؟ وهل عرب فلسطين يدفعون ثمن هذا الخطأ الكنسى من وطنهم وكرامتهم وحاضرهم ومستقبلهم ؟
ذلك ما يريده مجلس الكنائس العالمى الموقر !! فان هذا المجلس عقد مؤتمرا فى بيروت وزار أعضاؤه مخيمات اللاجئين ثم قرر أنه ليس هناك حل دائم لمشكلة الفلسطينيين الى أن يبت فى القضية الخاصة بالخلاف بين العرب واسرائيل .

وقال المؤتمر الطيب القلب : ان ذلك سيشمل خطة عامة لتعويض اللاجئين سواء عادوا الى وطنهم أم لم يعودوا وأن هناك صدقات سوف يأخذها أصحاب الأرض والمطرودون ..!!

وفى سنة ١٩٦٤ عقد مجلس الكنائس العالمى فصله الدراسى الثالث عشر « بجنيف » وافتتح الجلسة عميد الكلية اللاهوتية بجامعتها فقال لا فض فوه « حين تثور مشكلة اليهود فان الكنيسة لا تستطيع أن تتجاهل ثقل مسؤليتها العظيمة عن آلامهم ، وضياعهم طول تاريخهم ، ولذلك فان أول ما يصدر عنها نحوهم هو طلب المغفرة .. » !!
يجب على الكنيسة أن تطلب المغفرة من اليهود !! بهذه العبارة الضارعة الذليلة يفتتح مجلس الكنائس العالمى الجلسة التى يحدد فيها موقفه من دولة اسرائيل .. ونتساءل نحن مرة أخرى اذا أجرم غيرنا وجب علينا نحن القصاص ؟
«أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا»
لقد فكرت فى هذا الأمر مليا ! ان حقنا ليس غامضا حتى يلتمس عذر لستبيحه ! هل المال اليهودى من وراء هذه الذمم الخربة مهما كانت مناصبها الدينية ؟ ربما أم أن الضغائن العمياء على الاسلام وأمته سيرت الخطب والمقالات فى هذا المجال الفوضوى المكابر الوقح ؟ ربما .
لكن الدكتور وليم سليمان فى كتابه « الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية » .
يذكر لنا كلاما آخر يستحق الدرس والتأمل .
انه ينقل عن مؤرخ الارساليات « ستيفن نيل » هذه العبارات من تقرير له : « لقد تيقن الرجل الغربى أن سجله الاستعمارى حافل بالعار ، وأصبح أقل ثقة مما كان فى وحدانية الانجيل المسيحى ونهائيته ، وفى حقه — أى حق

الرجل الغربى — أن يفرض على ورثة الأديان العظيمة الأخرى شيئا قد يثبت فى النهاية أنه ليس أكثر من خرافة (١) غربية A. WESTRN MYTH

وبدأ فى أوساط رجال اللاهوت هجوم صريح على الألوهية بكل مظاهرها فى المسيحية ! وانتشر تيار فكرى يجعل نقطة بدايته « موت الاله » (!) وينادى بمسيحية لا دين فيها ! وينادى بهذه الأفكار « بنهوفــر ويلثمان » والأسقف الانجليزى « جون روبنسون » (٢) ويخيل للمراقب من بعيد أن القوم يثورون على الاله لأنه تخلى عنهم وساعد أعداءهم » .

ويستطرد الدكتور وليم سليمان فيقول عن الغربيين : « الدين فى نظرهم لم تعد له قيمة فى ذاته ، انه شيء يمكن الاستفادة منه لتحقيق الأهداف الدنيوية التى ينشدها الغرب فى شتى أنحاء العالم .. »

وخلاصة هذا الكلام أن المسيحية انتحرت فى أوروبا ! فأى تدين هذا الذى ينخلع ابتداء عن الايمان بالحى القيوم ؟ ويعتبر التعامل معه منتهيا لأنه تلاشى ومات ..؟!

إن ذلك هو التفسير الحقيقى لانضــواء رجال الكهنوت تحت رايـة الاستعمار وركضهم الخسيس فى خدمة قضاياه ..

وعندما تتسابق شتى الكنائس الغربية لارضاء اسرائيل وتملق اليهود فهل يدل ذلك الا على شيء واحد ... أن رجال الدين باعوا ضمائرهم للشيطان ..؟

إن العرب يتعرضون لابادة عامـة ، والمتفجرات تنسف منازلهم ، وقد محيت قرى بأكملها من الوجود ، والدفاع عن النفس يوصف بأنه اجرام وتمرد ! ووسط هذه الحريق المستعرة ، يبارك ساسة اسرائيل ، ويقول رجال الدين والدنيا : خلقت اسرائيل لتبقى !! فأين منطق الايمان بالله واليوم الآخر فى تلك المداهنة وهذا الاستخذاء .

ظاهر أن القوم قد تحولوا الى سماسرة وعملاء للاستعمار العالمى .. واعتقادى أن هذه المحنة الرهيبة ستوقظ الاسلام النائم ، وان كان غيرى يرى أن المادية المتربصة هى الكاسبة من خيانة الغرب لدينه ومثله .

ولا شك أن المستقبل محفوف بأخطار شداد ، بيد أننا لن نفقد توازننا ولا ثقتنا فى أصالتنا الدينية ولا آمالنا فى جنب الله .

واعتقادى كذلك أن الاستعمار سيفشل فى محاولاته الدائبة لجر الكنائس الشرقية الى جانبه ، واشراكها فى مآسيه ، واذا كان قد ضلل البعض فان الجمهرة الغالبة ستبقى على وفائها لتعاليمها ومواطينها وتاريخها الصبور ..

---

(١) تاريخ الارساليات ص ٤٥٠ — ٤٥٦

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب روبنسون « Houest To God » الذى طبع منه فى مارس سنة ١٩٦٣ أربع طبعات وفى ابريل سنة ١٩٦٣ طبعتان وفى كل من مايو ويوليو وسبتمبر من نفس العام طبعة . وكانت الطبعة العاشرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ وقارب عدد النسخ المطبوعة منه مليون نسخة . وعلقت عليه مجلة تايم فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٤ ونيوزويك فى ابريل سنة ١٩٦٦ ومجلات امريكية أخرى كثيرة ..!!

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ
عبد الستار محمد فيض

الرسالة المحمدية وشواهدها :

دراسة مفصلة تتناول شخصية النبى صلى الله عليه وسلم من خلال كتب السنة التى حفظت آثره وسجلت أخباره وقد اقتبست منها بعض شواهد رسالته وأبرزت طرفا من سمات عظمته وهو كتاب قيم لمؤلفه الكاتب الاسلامى المعروف الشيخ محمود عبد الوهاب فايد .

وسيجد القارىء فى هذه الدراسة شعاعا من ضوء النبوة الخاتمة المتألق الذى هدى الناس ويهديهم الى الصراط المستقيم .

والرسالة تقع فى ٣٢٠ صفحة ومن طبع دار الطباعة المحمدية بالازهر ونشر مكتبة القاهرة .

أبو ذر الزاهد :

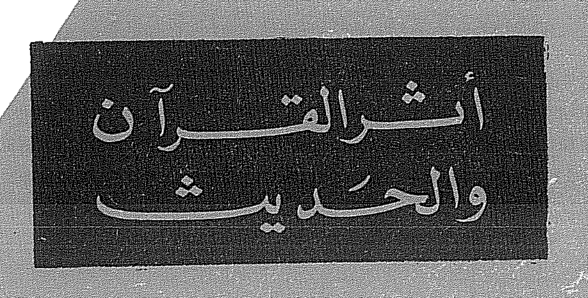
كتاب من تأليف الاستاذ محمد سعيد ريه يتناول فيه شخصية الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى — تلك الشخصية التى يجب على الانسان أن يتعرف على حقيقتها بالدراسة ليقف على مآثرها تمجيدا لموقف صاحبها الانسانى النبيل .

والكتاب يقع فى مائة صفحة وطبعته مطبعة نور الأمل — بالقاهرة .

الفكر الاسلامى :

المجلة الاسلامية التى تصدرها لجنة الفتوى بلبنان وقد ظهر منها العدد الاول ، وهى كما يبدو من اسمها مجلة اسلامية تهتم بشئون وقضايا المسلمين فى الوطن العربى والاسلامى ولأول مرة فى تاريخ هذا الوطن الحبيب لبنان تظهر بين مسارحه هذه المجلة لتكشف برفق وحنان ولكل الناس عن حقيقة الاسلام المعظيم ، تضع تعاليمه وآدابه ومقاصده بين أيديهم جميعا .

ولأول مرة تبرز هذه المجلة لتأخذ طريقها الى قلوب الجميع دون تفريق مؤكدة أنها ستأخذ على عاتقها التعليم المخلص والارشاد الرفيق والنصح الغيور والوعى الاسلامى تتمنى لزميلتها كل تقدم وازدهار فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام والمسلمين .



في خطابة الصدر الأول

للدكتور
محمد محمد خليفة

الأسلوب القرآني :

كان القرآن المعجزة البيانية الخالدة التى عاشت على الحياة حياة للأدب العربى فى عصور الاسلام تمده بكل أسباب القوة ، وتضع أمام الهائمين بمحاسن البيان روائع الصور ، وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين هو ذلك اللسان الذى وافتنا به الآثار الأدبية ، وتجمعت فيه لهجات الكثير من العرب ، وكانت بلاغة القرآن أسمى بلاغة جاءت بذلك اللسان لسمو معانيها وتماسك ألفاظها ، وتناسق تراكيبها ، فبلاغته جامعة لكل جمال ، وكلامه قريب الى عقول العامة ليس بمستغلق على أفهامهم « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

وهو نثر لا ريب فيه . وآياته المحكمة النسج الزاخرة بالمعانى ، الفياضة بالرقة اللفظية المتلاقية مع

كل مقام وردت فيه ، المليئة بالصور المثيرة ، والوجدانيات العميقة : هذه الآيات الجامعة لكل ذلك كانت آيات أعجزت العرب عن محاكاتها وهم أرباب الفصاحة والبيان ، وبلسانهم نزل القرآن .

فايجازه معجز حين لم يقف عند تجنب الحشو وفضول الكلام ، بل تجاوز ذلك الى حذف بعض أركان الكلام ، واستثمر البقية الباقية من الألفاظ فى أداء المعنى فى وضوح وقوة .

واطنابه لم يرسله زيادة لا تهدف الى جديد ، وانما هى زيادة تحمل فى طيها من أسباب التأكيد والقوة والجمال ما لا يكون مع غيرها .

وبهذا وذاك هزت بلاغته من دانت لبلاغته العقول ، فكم سجد بلغاؤهم حينما سمعوا ثلاث كلمات قرآنية تجمع عواقب الدنيا والآخرة هى « وكل أمر مستقر » وحينما قرع أسماعهم قوله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فألفوه قد جمع كل مكارم الاخلاق ، وكم فيه من عبارة موجزة تطامنت عندها عبقريات الفصحاء من مثل قوله تعالى : « فى القصاص حياة »

ولم يعجزهم ايجازه أو اطنابه فحسب ، بل راعتهم جوانب بلاغته كلها : راعهم جرس فواصله فى مثل قوله : « والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . » وسحرهم جمال صوره ودقة تصويرها فى مثل قوله : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وفى قوله : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه » وما أروع تصويره للحياة الدنيا فى قوله : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح » .

وكم فى القرآن من مجازات هزت المشاعر من مثل قوله : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا » وقوله « وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم » .

وقد استخدم القرآن السجع أو رعاية الفواصل كما يسمى تأدبا مع الأسلوب القرآنى ليتحدى العرب بذلك الذى عنوا به وبرز فى كلامهم

اعجاز القرآن :

لقد سجل القرآن عجز العرب عن محاكاته فى عصر من أزهى عصور البيان العربى ، وأقدرها على الاتيان بالروائع والبعد عن اللحن فتحداهم بل تحدى الجن معهم أن يأتوا بمثله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله :

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » وقد عجزوا على الرغم من تدرج التحدى على حين أنه لم يخرج عما ألفوه فى كلامهم من

الحروف والالفاظ والتراكيب ، وبأنه لم يخرج عـن ذلـك كان أعظم فى الاعجاز .

ولقد تشعبت الآراء حول اعجاز القرآن :

١ ـ فرأى أبو اسحاق النظام : أن سبب الاعجاز يرجع الى أن الله صرفهم عن الاتيان بمثله .
٢ ـ ورأى عبـد القاهـر : أن الاعجاز يرجع الى خصائص نظمـه ودقائقه .
٣ ـ ورأى القاضى عياض : أن مرجع اعجازه الى حسـن تأليفـه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغتـه وصور نظمه وأسلوبه ، وما أنبأ به من أخبار القرون الماضية .
٤ ـ ورأى الجاحظ : ان اعجازه يرجع الى بلاغتـه وخصائصـه البيانية .

فالاعجاز يرجع عند غيـر النظام الى الكلمـات الفصيحة المنسقـة الحروف المرتبة الحركات والسكنات ثم الى موقع تلك الكلمات من النظم وترتيبها فى الجمل ثم الى الفواصل التى تختم بها الآيات ثم الى الربط بين الجمل ، ثم الى الجمال التوقيعى الذى نحسه فى النظام الصوتى الذى يهز النفوس وما كانت العرب تعهـد مثل هذه الهزة إلا فى الشعر ، ومن ثم رأوا مجالا للطعن بأنه شعر وأن مرتله شاعر « وما هو بقول شاعر »

وقد اختلف نظام الآيات من حيث الطول والقصر والايقاع باختـلاف المقام الذى نزلت فيه فعناد المكيين وحقدهم على الدعوة الاسلامية وعلى صاحبها ، والكيد له والاسراف فى ايذائه وايذاء أصحابه كل ذلـك استدعى ارسال التخويف والارهاب فى قذائف عاجلة تروع وتفزع ولهذا جاءت الآيات المكية فى مثل هـذه المقامات فى عبارات قصيرة تحمـل الخوف والرهبة . وتقرع قرعـا متلاحقا أسماع المعاندين فى مثل قوله تعالى : « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه ، ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليـه ، هلك عنى سلطانيه ، خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » .

أما حين قر للدعوة ولأهلها القرار فى المدينة فقد تطلبت الحياة الجديدة للنظام الاسلامى وتطلب جدل اليهود الحجة والاقناع فطال مع ذلك نظام الآيات فى مثل قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ومـا أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون » ، وكقوله : « يـا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » الى آخر الآية .

ولقد كان للقرآن أثره الكبير فى عقول المسلمين وبخاصة أولئك الذين كان لهم بصر بروائع القول ووهبوا الأذواق التى تدرك الجمـال الفنى .

وتأثرت الخطابة فى الصدر الأول بالقرآن اقتباسا وأسلوبا ومنطقـا وحجة .

مدى أثر القرآن فى الخطابة :

هزت الأساليب القرآنية قلـوب العرب حين أدركوا فيها بلاغة دونها بلاغة أرباب البيان من أمثال سحبان وغير سحبان ، بل لا توازن بها بلاغة بشر ، فقد أسرتهم تراكيبه فى ألفاظها ومعانيها وفصلها ووصلها ومجازاته واستعاراته وتشبيهاته وكل صـوره

البيانية،وأسرتهم قوة حجته واجتذبهم توجيهه ، ووقفوا عند كل ذلك يرتشفون من منهله الثجاج ويملئون عقولهم وقلوبهم من كل ما جاء فى القرآن وما ملأ به حياتهم ونظام معيشتهم ، فلما تطلبت الدعوة الاسلامية خطباء ينشرونها ، ويدافعون عنها ، ويعيشون مع أحداثها انطلقوا دعاة تدفق بيانهم وتفجرت قلوبهم وسالت ألسنتهم خطابة حية قوية متأثرة فى ألفاظها ومعانيها وبلاغتها وحجتها بالقرآن فتراءت خطابتهم وكأن القرآن قد انطبع عليها روحا وفكرا وأسلوبا من حيث البعد عن الغريب ، وأحكام تأليف العبارات ، وابداع النسج ، واستمدت منه كل ذلك لتؤثر فى النفوس أثرا قريبا من أثره لأنها ربيبته ، وأى مؤثر أعظم من مؤثر القرآن حين تنهج العقول نهجه ، وتقفو خطاه .

وكان أكثر الخطباء تأثرا به أولهم تلقيا له ، ثم أقربهم منه بالجسم والروح ، ثم من عاش معه بعقله يتلقى منه اشراقاته التى تشع فى كيانه وحياته ثم تنعكس على لسانه كلما وجد مجال القول .

وكانت دعوة التوحيد أول دعوة جاء بها الاسلام فأعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا ثم أعلنها فى دار بنى الأرقم التى اتخذها كعبة للدعوة ولتلقى نور الحق ، وأعلنها لمن جاءه من العرب ولليثربيين فى العقبة وفى المدينة وغير المدينة ، وقد تأثر فى كلماته التى أرسلها حول هذه الدعوة بقول ربه جل من قائل « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » ، « قل هو الله أحد » ، « قل يا أهل الكتابتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا » .

وكما تأثر صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات وبغير هذه الآيات تأثر الدعاة والمهاجرون الذين حملوا دعوة الحق وأعلنوها حيثما حلوا أو رحلوا :

تأثر بها جعفر بن أبى طالب وهو يخطب بين يدى النجاشى فى الحبشة حين فر بدينه من المكيين مع غيره ، وذهب وراءهم وفد قريش يطلبون من النجاشى تسليمهم فقال جعفر فى حديثه عن محمد صلى الله عليه وسلم : فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .

وكان من أسس العقيدة الاسلامية الايمان بالبعث والحساب : وردد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فى خطبه بل فى أول خطبة له أعلن بها الاسلام على جبل الصفا فذكر الموت والحساب والبعث وذكر ذلك فى أول خطبة له بالمدينة وفى أول خطبة جمعة له أقامها عليه الصلاة والسلام بالمدينة ، وهو متأثر حين يذكر ذلك بقول ربه : « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة » (آل عمران) وقوله : « بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا » (الفرقان) وقوله : « واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة » (الجاثية) واستعان الرسول بكل ذلك فى رده على المشركين الذين حكى القرآن رأيهم فى قوله : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ما لهم بذلك من علم » (الجاثية) .

بكل هذه الآيات وغيرها تأثر

الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى خطبه التى أرسلها وتناول فيهـا الحديث عن البعث والحساب .

وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبة جمعة له الـى الايمان بالله والى معاداة الكفار فقال من تلك الخطبـة : (أومن به ولا أكفـره ، وأعـادى من يكفره) وهو متأثر فى هذا بقوله تعالى : « يـا أيها الذين آمنـوا لا تتخـذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » الممتحنة .

كما أمر فيها بطاعة الله ورسوله مقتبسا ذلك من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيـعوا الرسول » « النساء » .

وحذره فى تلـك الخطبة مـن التفريط فى جنب الله أخذا من قوله تعالى : «واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشـعرون . أن تقول نفس يـا حسرتا على مـا فرطت فى جنب الله » (الزمر) .

وقال فى هذه الخطبة : (قد علمكم الله كتـابه ونهج لكم سبيله ليعـلم الذين صـدقوا وليعـلم الكاذبين) مقتبسا من قوله تعالى : « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعـلمن الله الذين صـدقوا وليعـلمن الكاذبين » (العنكبوت) .

ثم قال فيها : « فأحسنوا كمـا أحسن الله اليكم » أخذا من قولـه تعالى فى قصة قارون : «وأحسن كما أحسن الله اليك » (القصص) وفيها قال : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » وهذه عبارات من آيات ربط بينها وساقها فى خطبته فقولـه : وجاهدوا الى قوله : هو اجتباكم من سورة الحـج وفى نفس الآيـة « وسماكم المسلمين » وأما قوله : ليهلك الى قوله عن بينة الثانية فمن سورة الانفال » وتجلت البلاغـة النبوية فى ربـط هذه الأجزاء ربطا محكما بين الجهاد والموت فى سبيله وتسميتهم بالمسلمين .

وفى كلمته الموجزة التى قالها حول الخروج الى بدر بعد أن سمع خطيبى المهاجرين والأنصار قال : (سيروا وأبشروا فان الله وعدنى احـدى الطائفتين) مشيرا الى قوله تعالى : « واذ يعدكم اللـه احدى الطائفتين أنها لكم » وفى خطبته التى هيأ بها النفوس للخروج الـى أحـد قال : (فاستفتحوا أعمالكم بالصبر والجهاد والتمسوا بذلك ما وعـدكم الله به) يشير الى وعد الله فى قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » (الحج) .

وقال فى هـذه الخطبـة : (ان الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز) يشير الى قوله تعـالى : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وفى خطبة يوم الفتح قال : (الناس من آدم) ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » فكان فى ذلك الاقتباس اشراق شع على قول الرسول فملأه نورا انسكب فى قلوب سامعيه .

وأما خطبة الوداع فدارت كلهـا حول معانى القرآن وامتلأت اقتباسا منه قال فيها :

(ان ربا الجاهلية موضوع) فأشار

بذلك الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » والى قوله : «يمحق الله الربا ويربى الصدقات» .

وتكلم عن جزاء القتل العمد مشيرا الى قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » (النساء) .

وبين حكم القتل خطأ مشيرا الى قوله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » .

وتكلم عن حق الرجال على النساء مشيرا الى قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » (سورة النساء)

وقال : (من حقكم عليهن ألا يأتين بفاحشة) متأثرا بقوله تعالى : « واللائى يأتين الفاحشة من نسائكم » الخ (النساء) .

وقال فى تلك الخطبة : (فان فعلن فقد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح) وهو فى ذلك قد تأثر بقوله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن » (النساء) .

وتكلم فيها عن النسىء وهو تأخير الأشهر الحرم عن زمانها ورجع فى ذلك الى قوله تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما » (التوبة) .

وفيها قال : (ان الله قسم لكل وارث نصيبه) وكانت العرب تحرم البنات من الميراث وتقصره على الذكور وقد تأثر فى ذلك بقوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » .

وفى قوله : (من ادعى الى غير أبيه) الخ ، بين حكم هؤلاء الذين يدعى بنوتهم وقد أشار الى قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » (الأحزاب) .

وكما تأثر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن تأثر أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، ومنهم ثابت بن قيس فى رده على خطيب بنى تميم حين حضر وفدهم بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل عن الاسلام فبدأ ثابت خطبته بقوله : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره وقد تأثر فى ذلك بقوله تعالى « فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها » (فصلت) .

وقال أبو بكر فى خطبته التى ألقاها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم : ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم مشيرا الى قوله تعالى : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان » الخ (الأعراف)

وخاطب عمر فى هذه الخطبة فقال : أما علمت أن الله يقول لمحمد : « انك ميت وانهم ميتون » .

وأجاب عمر بعد الخطبة بعبارات من آيات ربط بينها فقال : أشهد أن الكتاب كما نزل والحديث كما حدث وأن الله حى لا يموت وانا لله وانا اليه راجعون فأخذ قوله : وان الله حى من قوله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » وقوله وانا لله الخ من قوله تعالى :
« وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » .

وفى خطبة يوم السقيفة قرأ أبو بكر على المتنازعين قوله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ليدلل على أن التقدم فى الترتيب دليل على تقدم المنزلة عند الله فى الدنيا والآخرة .

وللموضوع بقية قادمة ان شاء الله .

قرارات مجمع البحوث الإسلامية

بشأن :

تلحين القرآن الكريم .
حكم الجمع بين القراءات في المجلس الواحد .
كتابة المصحف بالرسم العثماني .
ترتيب السور والآيات في القرآن .

ترددت فى السنوات الاخيرة دعوات تنادى بتلحين القرآن الكريم ، وقد عرض هذا الموضوع مع موضوعات أخرى تتصل بكتاب الله تعالى على مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة فاتخذ فيها القرارات والتوصيات التالية :

وقد أرسل الينا الدكتور عبد الحليم محمود الامين العام للمجمع رسالة مع هذه القرارات والتوصيات جاء فيها :

ان مجمع البحوث الاسلامية قد أصدر قراره فى شأن الدعوة الى تلحين القرآن الكريم ، وهى الدعوة التى ظهرت على أقلام بعض الكتاب فى فترات متباعدة ، وقد أعار المجمع اهتمامه لهذا الموضوع ، ودرسه دراسة وافية ، وانتهى فيه الى تحريم التلحين تحريما قاطعا ، والاكتفاء فيما يتصل بتحسين الصوت فى القراءة على القواعد التى وضعها علماء التجويد ، وفى حدود الآداب التى ينبغى التزامها ، والخشوع الواجب مراعاته :

وفيما يلى النص الكامل لما أقره المجمع :

تلحين القرآن الكريم :

« ان القرآن الكريم قد وصل الى المسلمين عبر العصور مكتوبا بالرسم العثمانى الذى يحافظون عليه منعا لأى تحريف يطرأ على لفظ القرآن .

كذلك فان ترتيله متوارث جيلا عن جيل بالنطق الذى أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع علماء المسلمين قواعد صريحة محدودة فى علم التجويد هى التى تحكم ترتيل القرآن الكريم ، وفى أى خروج عليها مخالفة لا يقرها الاسلام ، ولا يرضى عنها المجمع » .

حكم الجمع بين القراءات فى المجلس الواحد :

« يوصى المؤتمر بعدم الجمع بين قراءات القرآن الكريم عند تلاوته فى المجلس الواحد ، فى المحافل أو الاذاعة أو التلفزيون أو فى تسجيله على أى من وسائط التسجيل الصوتى » .

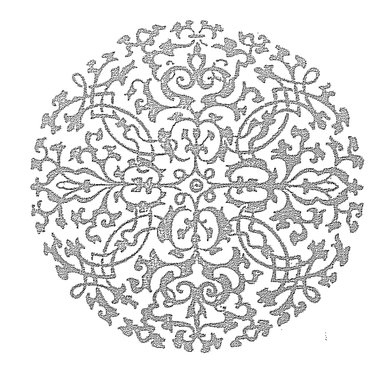
كتابة المصحف بالرسم العثمانى :

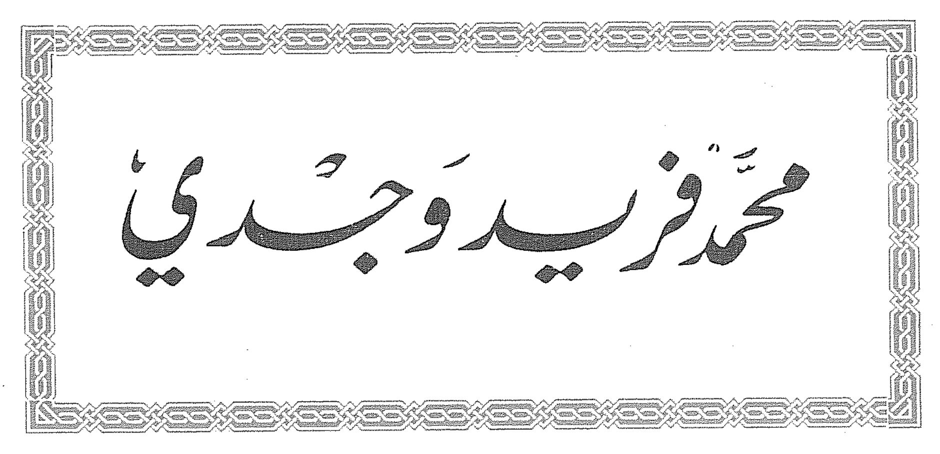
« يقرر المؤتمر وجوب المحافظة على رسم مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فى طبع القرآن الكريم فى مصحف كامل ، أو فى طبع أجزاء منه ، ولا يجوز استعمال الرسم التعليمى الا اذا كان ذلك لبعض الآيات من كتب تعليمية ، أو لغرض اقتباس بعض الآيات أو الاستشهاد بها » .

ترتيب السور والآيات فى القرآن :

« يقرر المؤتمر تقريرا اجماعيا مؤكدا وموثقا بأن ترتيب السور والآيات فى القرآن الكريم هو ترتيب توقيفى تلقاه الرسول عليه الصلاة والسلام بوحى الهى ، وأن هذا الترتيب هو الذى جاء فى المصحف الامام عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ويعلن المؤتمر أنه لا يجوز لأحد أن ينحرف عنه أو يخالفه بأى وجه من الوجوه » .





محمد فريد وجدي

للأستاذ : محمد الصالح آل إبراهيم

كثير من العظماء جاءوا ولم تدق لهم الطبول وذهبوا ولم يشعر أحد بذهابهم ، ولكن العظمة تترك وراءها تراثا لا يفسده الاهمال ، ولا تخفيه عوامل الزمن .

ان الرجال تقاس بأعمالها وجهادها وبقدر ما أسدت الى المجتمع من فضل ونفع .

ومن أولئك العظماء الذين ساهموا فى نهضة هذه الأمة الفكرية فى القرن العشرين الأستاذ محمد فريد وجدى .

فقد عاش حياته كلها فى سبيل النضال من أجل الثقافة الحقة ، وكان زاده ايمانا صادقا ، وعزيمة قوية وفكرا نيرا وقد خدم هذه الأمة خدمة جلى ، يقصر عنها كثير ممن يعدونهم فى هذا العصر رءوس الفكر والأدب

والباحث عن سيرته ونشأته لا يجد مصادر تبين عن تثقيفه وتاريخ حياته ، ولقد يحار المرء فى عدم وجود ترجمة مستفيضة أو مركزة لمثل هذا العلامة المناضل القريب العهد ، وان وجد شيء من ذلك فلا يتعدى النزر اليسير ، وكل ما يجده الباحث أنه ولد فى الاسكندرية وتربى فى المدن المصرية حيث كان أبوه موظفا كبيرا ، ثم انه استقر فى القاهرة وعمل فى وظيفة صغيرة فى وزارة الأوقاف ، ثم أنشأ مطبعة ، وأصدر جريدته (الدستور) وأصدر (الوجديات) ولكن لن تجد وصفا لحياته فى تلك الآونة وما مر عليه من مصاعب ومتاعب أو غير ذلك .

وكان الأولى بأجهزة الثقافة أن تحرص على لم شتات سيرته فانه أنموذج فاضل يجب أن يكون مثالا للأجيال ، فحياته كلها تدل على الجهد والمثابرة والتضحية فى سبيل العلم والمعرفة ، وقد ترك تراثا خالدا على مدى الأجيال .

ان لمحمد فريد وجدى فضلا على الأمة الاسلامية عامة وعلى مصر خاصة ، فلقد ضحى فى سبيل أمته بكل غال وثمين ، وكان جهاده جهاد الأبطال الصامتين ، ولقد كان وحده مدرسة بما ألف وأنشأ .

ولقد جعل قلمه فى خدمة الأمة واعلاء شأنها ، وظل وفيا صدوقا أبيا شريفا بعيدا عن الاضواء ولعل هذا ما جعله ينال الاهمال والنسيان ،

لأنه يعرض عن المجاملات والمداهنات ليبقى عفيفا لا تدنسه الاكدار .

عاش فريد وجدى فى مصر يحمل القلم مناضلا عن لغة الضاد مجاهدا فى سبيل الاسلام ، ولقد لقى كثيرا من العنت والمحاربة ، ولكنه كان صاحب مبدأ يناضل فى سبيل مبدئه لا يستهويه مطمع ولا يغريه مغنم .

ولقد أنشأ جريدة كانت مثالا للاستقامة القلمية ، وهاديا منيرا للذين قد تغريهم بهارج المبادىء الخادعة ، وكان ما يكتب فى الجريدة يتسم بالمنطق الهادىء الرصين والفكر المستنير .

ولقد عجز عن مواصلة سير الجريدة بسبب قلة المال فعرض عليه الكثير من رؤساء الأحزاب فى ذلك العصر المساعدة الجمة بشرط أن يميل الى اتجاههم السياسى فى الجريدة ، فأبى اباء الحر الذى لا يقبل الدنية ، ، وأضطر الى تسديد ديون الجريدة ببيع ما يملك ، ولقد جاء فى كتاب (أنا) للعقاد (تقديم طاهر الطناحى) : (ولم أزل أعمل فى تحرير (الدستور) حتى أضطرت الى التوقف عن الصدور) .

واننى لأحمد الله أن كانت بداية عملى المنتظم فى الصحافة مع رجل كالأستاذ وجدى رحمه الله قليل النظير فى نزاهته وصدقه وغيرته على المصلحة القومية واستعداده للتضحية بماله وراحته فى سبيل المبدأ الذى يرعاه ، ولا يتزحزح عنه قيد أنملة ، فقد عطل صحيفته وبين يديه عرض سخى من جماعة (تركيا الفتاة) التى رأت أن تتخذ منها لسان حال لها فى مصر والشرق باللغة العربية ، وهذا غير العروض التى توالت عليه من جانب (المعية الخديوية) .... فأقدم على تعطيل الصحيفة لكى لا يخالف عقيدة من عقائده السياسية مرضاة لهؤلاء أو هؤلاء ، وباع كتبه ليؤدى حساب العمال والصفافين والموظفين مليما بمليم .

هذا وان لم يكن هذا أسلوب العقاد فهى واقعة يذكرها العقاد دائما جاءت بأسلوب المقدم ، وهى تدل دلالة واضحة على ما يحمل هذا الرجل من فضل وشمم ، وقد أخذنا هذه القصة من أحد الثقاة الذين عملوا معه ، والدلالة الأخرى التى نستفيدها من هذه القصة ما يتعرض له صاحب القلم الشريف والمفكر الحر من ضيق وأهمال واغراء للخيانة وبيع للضمير ، حينما يقف يدافع عن عقيدته بايمان وامانة فى ذلك العصر وفى كل عصر كما يظهر على مستويات مختلفة .

كان مطلع هذا القرن ميدانا لشن حملات هجومية من أعداء الاسلام وخصومه لتحطيم هذه العقيدة السمحاء ، ولقد جند أولئك الأعداء جميع ما لديهم للتشكيك فى صلاحية الاسلام ، وايهام الناس بعدم موافقته لهذا العصر ، بعد أن بهرتهم أضواء المدنية الغربية وأخذت عليهم كل مسلك ، ولقد تصدى هذا الكاتب لهجماتهم وطعناتهم ، ففندها تفنيدا منطقيا علميا ولم يترك لهم مجالا يدخلون منه الا وأوصده ، ولا ثغرة تتراءى لهم الا وأحكم اغلاقها ، وأبان ما فى هذا الدين من شمول لحاجات النفوس وحاجات المجتمع ، وأوضح بجلاء ما يتميز به من فضل سابق ولاحق على الانسانية وشرع فى اظهار محاسن الاسلام ، وأنه دين صالح لكل زمان بما فيه من طواعية وسماح ، وبما يدعو اليه من فضيلة وتقويم ، وكان فى جميع بحوثه ومناظراته وردوده على المستشرقين مثالا للعقل الرزين ، وللعالم الخبير الذى لا يأتى بالحجة الا ولها سند من العلم والمنطق .

ومحمد فريد اسلامى بالمعنى الصحيح ، أوقف قلمه وأوقف نفسه

فى سبيل الدفاع عن عقيدته ودينه ، فكان لا يترك مجالا يمر الا وتحدث فيه عن فضائل الاسلام ومحاسنه ، حتى انه فى (دائرته) اذا تطرق الحديث الى مادة لها اتصال بالاسلام تبسط فى القول ، وتحدث عن الموضوع بتوسع شامل ، وهو بما عمل وساهم يعتبر من أبرز دعائم نهضتنا الأدبية والثقافية ، ومن حقه على أمته أن تخلد ذكراه وتدرس سيرته ، ولقد قال عنه المستشرق الألمانى بول كراوس : (خلقت كلمة أديب له .. وهو يستمد أدبه وعلمه من وثيق ايمانه وصدق اسلامه .. وايمانه بالله يضيء له ظلمات الفكر وبحوثه تهدى الحيارى من قرائه ..) .

مؤلفاته :

ألف فريد وجدى كثيرا من الكتب ذات القيمة العلمية والثقافية ، فله كتاب كنز العلوم ، واللغة والاسلام فى عصر العلم ، والحديقة الفكرية فى اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية ، وعلى أطلال العالم المادى ، ومجموعة الرسائل الفلسفية وكتاب المعلمين ، ونقد الشعر الجاهلى لطه حسين ، و(ما وراء المادة) والمرأة المسلمة ، ورسالة الفلسفة الحقة فى بدائع الاكوان ، ومدينة الاسلام ، والاسلام دين عام خالد ، وأصدر فى بدء حياته الأدبية مجلة (الحياة » فى مدينة السويس ، وأصدر جريدة (الدستور) التى تكلمنا عنها سابقا ، وكان أحد محرريها عباس العقاد ، ولقد اكتسب العقاد من زمالته مع محمد فريد ثروة ذات قيمة وأثر ، وقد ظهرت فيما بعد ، ولا شك بأن اتجاه العقاد الى الكتابة فى المواضيع الاسلامية كان له رواسب عميقة منها عمله مع محمد فريد وجدى ، ثم أصدر (الوجديات) وهى شبه أسبوعية ، وقد تولى رياسة تحرير مجلة الأزهر من سنة ١٩٣٤ م الى سنة ١٩٥٣ م ، وكانت معظم الموضوعات التى يتطرقها فى (الأزهر) من أهم وأدق ما يتعرض له الباحث ، وكان كثيرا ما يركز على الرد على علماء الغرب ومؤلفيهم ومستشرقيهم ، مدافعا عن الاسلام وصلاحيته ، مبينا ما فيه من قيمة عالية وأهداف سامية ، ولو رحنا نجمع المقالات التى دبجها قلمه فى تلك الفترة لأصبح لدينا منها عدة كتب .

دائرة القرن العشرين :

لفريد وجدى جهود مشكورة فى تيسير الثقافة ، وأجلها نفعا فى هذا المجال كتابه : (دائرة معارف القرن العشرين) فهو موسوعة ثقافية علمية أدبية ، بذل فى سبيل تصنيفها كل ما يمكن بذله من مؤلف بمفرده ، فحرى أن تعجز عن مواضيعها جماعة من المؤلفين ، لتشعب المواضيع فيها ، ولتباعد الاطراف فى أغراضها ، ولتعدد الاتجاهات فى أبحاثها ، ثم لما تحتاج اليه من دقة واستقصاء ، ولما يتطلب البحث فيها من دأب وجهد مضنيين،وأن كان للمحققين مآخذ على هذه الدائرة ، فهى مآخذ تبنى بالقياس (لدائرات المعارف) التى تؤلفها جماعة من العلماء تعاونهم الهيئات والأفراد المتخصصون ، أما بالنسبة للأستاذ محمد فريد وجدى فان مآخذهم عليه (وان كانت صادقة فى أغلب أقوالهم) فانها تعد حسنات له .

أسلوبه :

يعد محمد فريد وجدى من الرواد الأوائل الذين مهدوا السبيل لخلق أسلوب سهل رائق يقرب الى الأذهان ويبعد عن الحشو والتعقيد ، ولعل

أبرز ما يمتاز به أسلوبه هو التقريب مع التعبير الدقيق ، وأسلوبه يتدفق تدفق السيل المنحدر من مكان بعيد ، فانت لا تشعر بالمطر وما يصاحبه من برق ورعد ، ولكنك لا تحس الا وقد تدفق الوادى بسيل جامح ، وقبل ذلك كله له اطلاع واسع ومعرفة بشتى المعارف ، قل ان اجتمعت لغيره ، وهذه المعرفة هى التى تطعم أسلوبه بالرواء وتميزه بالاحاطة ، وأعتقد أن أول من أزاح ما ران على الأسلوب الكتابى من غثاثة وركود الأستاذ محمد فريد وجدى ، ولقد غفل نقاد الادب ومؤرخوه عما لوجدى من يد طولى فى تحرير الأسلوب فى العصر الحديث ، ولنأخذ تلك القطعة التى سنوردها دليلا على ما يتميز به أسلوبه ، وان كانت ليست بكافية للدلالة على جميع ما فى أسلوبه من صفاء ورواء . جاء فى كتابه : الاسلام فى عصر العلم الجزء الثانى صفحة ٢٢٥ بصدد الايمان بالله : (**العقيدة بوجود الخالق أول العقائد التى تولدت بالفطرة فى نفس الانسان ، فان شئت فقل انها لازم من لوازم معناه ، وان شئت فقل انها صفة من صفات جوهره ، وان شئت فقل انه شعور روحانى حملته روحه معها من عالمها ، هذه العقيدة هى أعطف شىء عليه فى مصائبه وأحنى آس عليه فى نوازله ، يعتصم بها فى مخاوفه ، ويلتجىء اليها فى معاطبه ، ويستسهل بها صعوبات الحياة ومرارات العيش ، ويموت بها مرتاحا قرير العين لتيقنه أن يدا تنتظره لتحمله الى عالم أرقى من هذا العالم ، وقدرة تختفى به تحفظه من عاديات الفناء وجانحات العدم ، تأمل فى أمر هذه العقيدة التى تمس أخص جهة من جهات حياة الانسان ، وتدبر بامعان فى شعوبها السارية من سائر عواطف النفس مسرى الكهرباء فى أسلاكها ، والأشعة على ذرات أثيرها ، ثم دع هذا العالم الباطنى واستجل هيكل الانسان الظاهرى ، ترى قوى النظر والشم واللمس والذوق والحس مستخدمة ومسخرة لهذه العقيدة أيضا ، فما مناظر هذا الجمال التكوينى ، وبدائع هذا العالم الحسى مما يؤثر على كل حاسة من جهة قابليتها الا مثيرات لهذه العقيدة ، موقظات لزيادة الشعور بها ، تأمل هذا بامعان ثم تيقن أن كل تغير يحصل فى العقيدة مهما كان صغيرا يقع من هذه المشاعر الباطنة والظاهرة موقعا يناسبه ، وينزل منها منزلة تلائمه ، فان كان هذا التغير فى الجهة التى تقويها قويت كل قوى نفسه على حسب جهة تلك القوة ، وأن كان فى الجهة التى تضعفها ضعفت كل تلك القوى ضعفا مناسبا ، ونحن لا نعنى هنا بالقوة والضعف ما يعطيهما اللفظان على اطلاقهما ، وانما هما قوة وضعف معنويان يدريهما كل من يشعر بقوى ذاته**) .

ولوجدى قدرة فائقة على خوض الموضوعات الشائكة ، فهو يبحث ويقارن ويحقق فى أمر فلسفى بتعابير سهلة وبألفاظ دقيقة ، واذا ما استرسلت معه فى القراءة ، خلت أن الموضوع لسهولته يتطرق لمسائل عابرة مع العلم أنه يبحث فى مسألة أعيت الفلاسفة والدارسين ، فهو فى هذه الناحية (أى ناحية الأسلوب فى الكتابات العلمية) يفوق الفلاسفة والمفكرين .

وفريد وجدى مع ذلك لا يتأنق فى أسلوبه تأنق الصانع ولا يحرص على الاطار الا بقدر ما يفيد المعنى ،

عاش فريد وجدى فى أخريات حياته عيشة الانعزال والكفاف حتى وافته المنية سنة ١٩٥٤ وقد كان مولده سنة ١٨٧٥م ، فاكرم الله مثواه وأحسن اليه .

مائدة القارئ

أعدها : أبو نزار

محطة أم العيش

هي محطة الكويت الارضية للاتصال عبر الأقمار الاصطناعية ، وتقع في منتصف الطريق بين الكويت العاصمة ومدينة البصرة وتم افتتاحها في منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، وهي واحدة من (٣٣) محطة في العالم في عشرين دولة ، وتربط الكويت مباشرة باليابان والبحرين والمانيا الغربية وانجلترا ، وبفرنسا عن طريق ألمانيا وبالولايات المتحدة عن طريق انجلترا ، وسيتم في القريب ربطها بمحطات باكستان الغربية والهند ولبنان وايطاليا ، ويمكن بواسطتها توفير الخدمات الهاتفية والبرقية ونقل البرامج التلفزيونية الحية عبر القارات ، وتبادل الصور والخرائط

مفتش الساعات

اعترض الشيخ عبد العزيز البشرى ذات يوم أثناء رجوعه من الديوان شاب أنيق الملبس ، وقال له يا عم : كم الساعة الآن ؟ فطالع البشرى ساعته وقال له : الساعة ٢ وسبع دقائق .

فحسر الشاب كمه الأيسر ، فانكشفت عن ساعة ذهبية ، ونظر فيها وقال : لا ... لا .. ساعتك مؤخرة أربع دقائق وانصرف .

وكان مع البشرى صديق له ، فعجب من أمر الشاب وسأله من هذا ؟ فقال البشرى : مفتش ساعات .

بيت النبوة

روى الامام أحمد بسنده عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة (قطيفة) ووسادة من أدم (جلد أحمر) حشوها ليف ، ورحيين ، وسقاء وجرتين .

فقال علي لفاطمة ذات يوم : لقد سنوت (استقيت) حتى اشتكيت صدري ، وقد جاء الله أباك بسبي ، فاذهبي فاستخدميه (أطلبي منه خادما) .

فقالت : وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي (ظهر فيها بثر) .

فأتت النبي ، فقال : ما جاء بك أي بنية ؟ قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحييت أن تسأله ، ورجعت .

فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فأتيناه جميعا ، فقال علي : يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري .

وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك الله بسبي ، فأخدمنا .

فقال صلى الله عليه وسلم : والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ولكن أبيعهم ، وأنفق عليهم أثمانهم .

أصول العربية

قال أبو الأسود الدؤلي : دخلت على أمير المؤمنين (علي) فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر ؟

فقال : سمعت ببلدكم لحنا ، فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية ، فقلت له : أن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته بعد أيام ، فألقى الى الصحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل .

ثم قال : تتبعه ، وزد فيه ما وقع لك ، واعلم أن الاشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشىء ليس بظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر .

الخنساء

الخنساء : الظبية ، وغلب هذا اللقب على تماضر بنت عمرو من آل الشريد من قبيلة سليم لما كانت عليه من جمال وكمال .

وكان لها أربعة بنين خرجوا لفتح فارس ، وخرجت معهم ، وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هـ ، وأوصتهم من الليل بقولها :

يا بنى انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحدا ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية .. أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا الى مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها خبرهم فقالت :

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة .

بين القبور

قال الأصمعى : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فاذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى ، فالتفت الى صاحبى فقلت : هل رأيت أعجب من هذه ؟ قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ، ثم قلت لها : يا هذه انى أراك حزينة وما عليك زى الحزن !! فأنشأت تقول :

فان تسألانى فيم حزنى فاننى
رهينة هذا القبر يا فتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا
كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك اجلالا وان كنت فى الثرى
مخافة يوم أن يسوء لسانى

ثم قالت :

قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل
كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه
أن قد تسر به من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة
عجيبة الزى تبكى بين أموات

أدب

سئل العباس بن عبد المطلب : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فأجاب : ان رسول الله أكبر منى ، وأنا ولدت قبله .



اتخذنا هذا الركن ابتداء من هذا العام الجديد من أعوام هذه المجلة لأجل الموسوعة الفقهية لنبين فيه عنها باستمرار ما ينبغى بيانه للمعنيين بها الذين يهمهم أن يعرفوا عنها ما يريدون معرفته . وسنحافظ باذن الله تعالى على ملئه بانتظام من كل الشؤون والمعلومات المتعلقة بالموسوعة الفقهية .

أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

نبين فيها يلى الحاجة الى الموسوعة الفقهية على ثلاثة مستويات تتسم بالطابع الدولى ولكل منها موقع هام :

المستوى الاول : مساهمة الشريعة الاسلامية فى امداد القانون الدولى الذى تحكم به محكمة العدل الدولية وغيرها من المحاكم ، وتزويده بالقواعد والنظريات القانونية باعتبار أن الشريعة الاسلامية سبقت الامم والتشريعات الحديثة فى تقنين الحقوق الدولية .

المستوى الثانى : اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا وحيدا أو رئيسيا فى عقود الامتياز الدولية فى بعض الدول الاسلامية ، كاتفاقيات شركات النفط مع حكومات الدول المنتجة له باعتبارها القانون الداخلى للدولة المنتجة الذى ترجع اليه هيئات التحكيم فى تفسير وتطبيق الاتفاقية عند الخلاف .

المستوى الثالث : الرجوع الى الشريعة ضمن برامج دراسات وبحوث المؤتمرات الدولية والمعاهد والجمعيات الخاصة بالقانون المقارن .

ونتناول بالايضاح الحاجة الى مرجع ميسر للشريعة الاسلامية فى مختلف مذاهبها وقواعدها الفقهية فى كل من هذه المستويات تباعا ..

□ □ □

أولا ـــ الشريعة الاسلامية بين مصادر القانون الدولى العام :

اتجهت المجموعة الانسانية بعد الحرب العالمية الاولى الى تنظيم جماعة دولية تحكمها قواعد معينة تنظم روابطها وتنسق علاقاتها ، فكان أن أنشئت الى جانب عصبة الامم محكمة دولية هى المحكمة الدائمة للعدل الدولى .

وقد تجدد هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية بانشاء محكمة العدل الدولية الى جانب هيئة الامم المتحدة ، ونظمت أمور هذه المحكمة بنظام خاص ملحق بميثاق الامم المتحدة رتب تشكيلها واجراءاتها ، ونص فيما نص عليه على تعداد مصادر القانون الدولى التى ترجع اليها المحكمة عند الفصل فى نزاع معروض أمامها ، فنصت المادة ٣٨ من نظام محكمة العدل الدولية على :

١ ـــ وظيفة المحكمة أن تفصل فى المنازعات التى ترفع اليها وفقا لأحكام القانون الدولى ، وهى تطبق فى هذا الشأن :

أ) الاتفاقات الدولية العامة والخاصة التى تضع قواعد معترفا بها صراحة من جانب الدول المتنازعة .

ب) العادات الدولية المرعية المعتبرة بمثابة قانون دل عليه تواتر الاستعمال .

جـ) مبادىء القانون العامة التى أقرتها الامم المتمدنة .

د) أحكام المحاكم ومذاهب كبار المؤلفين فى القانون العام فى مختلف الامم ، ويعتبر هذا أو ذاك مصدرا احتياطيا لقواعد القانون وذلك مع مراعاة أحكام المادة ٥٩ .

٢ ـــ لا يترتب على النص المتقدم ذكره أى اخلال بما للمحكمة من سلطة الفصل فى القضية وفقا لمبادىء العدل والانصاف متى وافق أطراف الدعوى على ذلك .

وقد وجه الفقه الدولى عناية خاصة الى نص الفقرة ١/٣٨ جـ التى جعلت المصدر الرابع هو : « مبادىء القانون العامة التى أقرتها الامم المتمدنة » ، ذلك أن محكمة العدل الدولية نفسها قد حاولت عدة مرات تحديد معنى « المبادىء العامة » غير أن محاولاتها لم تكن ناجحة . والسبب يرجع أساسا الى الصعوبة الكبيرة التى تجدها المحكمة ـــ حينما تعرض لها نقطة قانونية محددة كانشاء العقد أو الاثراء غير المشروع ـــ فى معرفة رأى كل من النظم القانونية المتمدنة فى هذه النقطة بالذات .

لذلك أصبح من الضرورى قيام دراسات مقارنة بغية تحديد المبادىء المشتركة بين مختلف النظم حتى يكون فى استطاعة القاضى الدولى تأسيس حكمه على المبادىء العامة بثقة واقتناع وتمكن .

وقد اهتمت عدة هيئات علمية ومنظمات دولية بدراسة مشكلة « المبادىء العامة » سواء من ناحية المنهج المقارن للوصول الى تحديدها أو من ناحية تفسير عبارات المادة ١/٣٨ ج نفسها ..

وليس هنا مجال استعراض هذه المشكلات والآراء المختلفة بصددها ، وقد نعود الى ذلك فى مناسبة أخرى ، ولكن المهم هو بيان ضرورة تيسير الجهود المبذولة للدراسة المقارنة للنظم القانونية الكبرى بغية تحديد « المبادىء العامة » المشار اليها .

والنظم القانونية المقصودة بالدراسة المقارنة ، كما يبينه الباحثون ، هى — الى جانب الشرائع الاوربية ذات الاصل اللاتينى والجرمانى والانجلو سكسونى — القانون السوفيتى ، والشريعة الاسلامية ، والقوانين الهندية ، واليابانية ، والصينية ، والافريقية ، وقوانين أمريكا اللاتينية ، وكذلك الشرائع اليهودية والكنسية .

وجدير بالذكر أن نظام محكمة العدل الدولية ينص فى مادته التاسعة كذلك على أنه « ينبغى أن يكون تشكيل الهيئة (أى قضاة المحكمة) فى جملتها كفيلا بتمثيل المدنيات الكبرى والنظم القانونية الرئيسية فى العالم » .

وقد جرى العمل على ذلك فى اختيار قضاة المحكمة ، فكانت الشريعة الاسلامية ممثلة دائما بمقعد واحد ، وأحيانا بمقعدين (على اعتبار القاضى الباكستانى ممثلا للشريعة الاسلامية ، والقانون الآسيوى ، والقانون العام معا) .

□ □ □

ولا شك فى أن تشكيل المحكمة الدولية على هذا النحو يساعد الى حد ما على المعرفة الاجمالية لاتجاهات النظم القانونية الرئيسية ولكنه لا يكفى بالمرة للغرض المقصود من تحديد « المبادىء العامة » لأن الاحاطة بدقائق كل نظام من النظم القانونية الكبرى لا يكفى للقيام بها فرد واحد ، فضلا عن أن مهام القاضى تشغله عن التفرغ لهذا العمل العلمى الذى يحتاج الى عكوف العديد من الاساتذة المتخصصين فى كل شريعة للوصول — بعد البحث المقارن — الى تحديد « المبادىء العامة » بين هذه الشرائع .

واذا لم يقم فقهاء المسلمين فى هذا العصر بواجبهم فى عرض الشريعة الاسلامية بالترتيب والتنسيق الذى يوافق أسلوب العصر ، وييسر الرجوع الى أحكامها ، ومعرفة آراء مذاهبها فى كل مسألة فالنتيجة الطبيعية هى اعتماد الراغبين فى معرفة أحكام الشريعة على ما يكتبه المستشرقون وغيرهم مما سنعرض أمثلة له فى حلقات مقبلة لبيان مسؤولية فقهاء المسلمين فى هذا العصر عن عرض أحكام الشريعة والدفاع عنها .

ومن هذا المثل الواحد تتضح الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على هذا المستوى الدولى ..

وللحديث صلة .

ب) من أخبار الموسوعة :

■ الموضوعات التي تمت كتابتها ومراجعتها وتهيئتها للطبع ، ونشرت في طبعة تمهيدية هي : الاشربة — الاطعمة .

ويجرى الآن اعداد موضوع عقد الحوالة من عقود المعاملات ليكون هو الموضوع الثالث الذى ينشر فى الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة .

■ الموضوعات الاخرى التي تمت كتابتها ، وهي تحت المراجعة والتهيئة للطبعة التمهيدية هي :

الذبائح	الوضوء	اللقيط	القصاص
الصيد	الاعتكاف	الارث	عقوبة التعزير
الاضحية	صلاة العيدين	القضاء	عقد الصلح
العقيقة	صلاة الجمعة	القسمة	المستأمنون
الآنية	أوقات الصلاة	الشركات	الذميون
الجنائز	النسب	الاجارة	أموال الحربيين
الاستسقاء	النكاح		

الاعمال الجانبية :

■ وقد تم فى المدة الماضية انجاز عمل جانبى هام هو عمل ملخص لأحكام المذهب الحنبلى فى صورة معجم رتبت فيه الاحكام بترتيب الحروف الهجائية ملخصا من كتاب المغنى لابن قدامة المقدسى . وهو الآن تحت المراجعة تمهيدا وتهيئة لطبعه ونشره . وسيكون لنشره ان شاء الله وقع وتقدير كبير فى عالم الفقه الاسلامى ، نظرا لما لأصله (المغنى) من شأن ، لأنه يعنى بعرض المذاهب المخالفة وأدلتها ويناقشها ، فهو — الى جانب كونه من أمهات كتب المذهب الحنبلى — يعتبر من المصادر الهامة للفقه العام . فاخراج معجم لخلاصة أحكامه مرتبة بالترتيب الالفبائى الموسوعى ييسر الاستفادة منه لجميع الباحثين .

وستواصل ادارة الموسوعة هذا النوع من الاعمال الجانبية فى أمهات الكتب من مختلف المذاهب حتى يكون لكل مذهب فقهى معجم لتسهيل مراجعة أحكامه .

■ تقوم ادارة الموسوعة بجمع النادر القيم من كتب الفقه ومخطوطاته وتقوم بتصوير ما لا يتيسر لها اقتناؤه من المخطوطات النادرة مستعينة بقسم التصوير بجامعة الكويت ريثما يتهيأ للموسوعة اعداد قسم خاص بتصوير المخطوطات وقراءة واستنساخ المخطوطات المصورة على أفلام وبطاقات .

■ انتقلت ادارة الموسوعة الى مبنى خاص لتوفير جو الهدوء والسعة اللازمين لطبيعة عمل الموسوعة .

تعمل ادارة الموسوعة على استكمال جهازها الفنى والادارى حرصا على سرعة انجاز المشروع .

ج) من بريد الموسوعة :

يرد الى ادارة الموسوعة كثير من الرسائل المتعلقة بالموسوعة ، ولا سيما بعد توزيع موضوعات الطبعة التمهيدية . وتحمل معظم هذه الرسائل الثناء والتقدير لمشروع الموسوعة ، كما تحمل كذلك ملاحظات بناءة مخلصة ، بعضها يتعلق بموضوع الاشربة ، وبعضها يتعلق بخطة الموسوعة نفسها .

وادارة الموسوعة تتقدم بالشكر الى جميع أصحاب هذه الرسائل وتعتز بتجاوبهم ومشاركتهم الفكرية ، كما أنها تضع ملاحظاتهم موضع الاعتبار فى الموضوع الذى تتعلق به لأجل الطبعة النهائية للموسوعة بعد تمام تحريرها ، وفى الموضوعات التالية من الطبعة التمهيدية .
ونتناول فى هذا الركن بعضا من هذه الرسائل بالتعليق لما تثيره من ملاحظات هامة قد يشارك فيها عدد من القراء ، وترى ادارة الموسوعة أهمية مناقشتها وتوضيح الرأى فيها . وسنعرض فى العدد القادم ان شاء الله ما توافر لدينا فى هذا الشأن .

د) تعليقات وأجوبة :

أدلى الدكتور عبد الحليم محمود الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة بحديث فى ركن (لقاء الاشقاء) باذاعة الكويت فى شهر رمضان ، قال فيه — ردا على أسئلة الاستاذ موسى الدجانى مدير هذا الركن — (انه من المأمول أن تتعاون المشروعات الاربعة القائمة فى كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وفى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لدى وزارة الاوقاف بالقاهرة ، وفى جمعية الدراسات الاسلامية فى القاهرة أيضا ، وفى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ، وانه يرى أن تأتى المبادأة باقتراح هذا التعاون من الكويت ..)

ولا شك فى أهمية التنسيق بين هذه المشروعات الاربعة التى تسعى الى غاية واحدة ، وفى ضرورة تجنب الازدواج والتباين فى أعمالها ، فضلا عن الحاجة الى تضافر جهودها وتكامل امكانياتها لتحقيق الهدف النبيل الذى قامت من أجله .. وهو خدمة فقه الشريعة الاسلامية ، وخدمة المجتمع الانسانى به .

ومشروع الموسوعة الفقهية بالكويت كان وما زال حريصا على هذه المعانى ، وتشهد على ذلك ملفاته الزاخرة بالمراسلات حول هذا الموضوع .

واذا كانت ظروف بعض هذه المشروعات قد عاقت تحقيق التعاون فى صورته المثلى ، فان مشروع الكويت لم ينصرف عن أداء ما يشعر به من واجب فى هذا الخصوص ، وأحدث مظاهر ذلك أن ادارة الموسوعة بالكويت قد عرضت

على فضيلة الاستاذ الشيخ على الخفيف أحد دعامات موسوعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة أثناء زيارته للكويت فى الشهر الماضى أن يأخذ من صور المخطوطات الفقهية النادرة التى حصلت عليها الموسوعة بالكويت ما لم يتيسر للمجلس الاعلى فى القاهرة ، وذلك حرصا على تحقيق الاهداف العلمية التى يعمل لها الجميع .

□ □ □

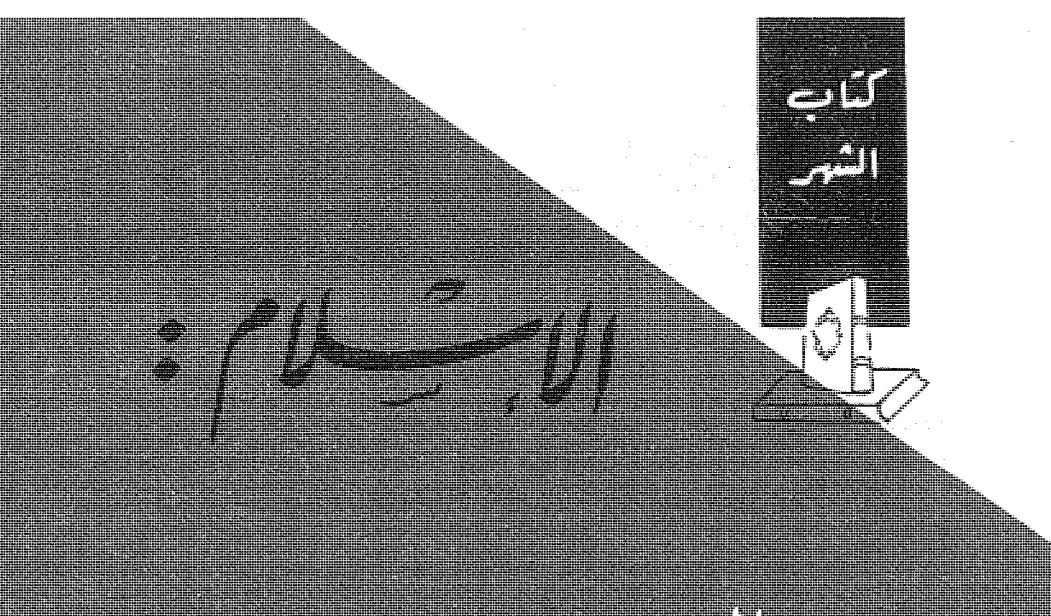
نشرت مجلة الرسالة الكويتية فى عددها الصادر فى ٤ من ذى القعدة ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠/١/١١ م مقالا قيما عن مشروع الموسوعة الفقهية وأهميته العظيمة فى العصر الحاضر ، وقيمته الكبرى الخالدة فى نهضة دولة الكويت . وقد قدمت له ادارة تحرير المجلة بتقدمة جاء فيها : انها لا تشجع ابتداء الموسوعة بالعبادات — التى هى من الامور الخاصة بالمسلمين وحدهم — وأنهــا كانت تفضل أن تكون الموسوعة مقتصرة على شؤون المعاملات .. واشارت الى أن أمور العبادات وما اليها قد قتلت بحثا ودرسا وتأليفا .

أما عن بدء ادارة الموسوعة بطبع موضوعين من شؤون الحلال والحرام فى الطبعة التمهيدية وهما : (الاشربة) و (الاطعمة) دون موضوعات المعاملات فمرجع ذلك الى أن هذه الطبعة التمهيدية ليس مقصودا بها أن تأتى على ترتيب الطبعة النهائية التى سيكون لها نظامها الخاص بعد تمام تحرير كل موضوعاتها . فادارة الموسوعة تقدم للطبعة التمهيدية ما ينجز لديهــا من موضوعات ، أولا بأول ، بحسب موعد انجازها . ولا يخفى أن ذلك أمر يتعلق بظروف عملية ولايدل على أن ادارة الموسوعة ترجح البدء بالعبادات ، فان بعض الكتاب يفضلون الكتابة فى موضوعات أحد أقسام الفقه (كالعبادات أو الاحوال الشخصية مثلا) دون الاقسام الاخرى ، وبعضهم ينجز ما يعهد اليه بسرعة بينما يتأخر كاتب آخر .. وهكذا .

ثم انه ليس صحيحا أن نقلل من أهمية مسائل العبادات والحلال والحرام فهذا أمر حيوى يهم المسلمين أنفسهم ولا شك أن الموسوعة تهدف الى خدمة المسلمين أولا فى حاجتهم العلمية قبل أن تهدف الى خدمة غيرهم . والشريعة الاسلامية وفقهها هما كل متكامل البناء والقواعد والمرتفقات .

أما فكرة الاقتصار على بحث مسائل المعاملات فمناقضة تماما لمعنى التكامل فى فقه الشريعة — كما أن الاقتصار على بحث مسائل العبادات يحمل التناقض نفســه ، وادارة الموسوعة مع احترامها لرأى القائمين على تحرير « الرسالة » لا توافق على المساس بهذا التكامل الفريد الذى يميز شريعة الاسلام عن غيرها من النظم والتشريعات .

على انه من ناحيــة الواقع كذلك ، قد تهيــأ لدى الادارة الآن عدد من موضوعات المعاملات هى تحت المراجعة والتهيئة للطبعة التمهيدية ، وسنبدؤها بموضوع الحوالة ثم ما تمكن تهيئته من موضوعات الاجارة والشركات والقسمة وغيرها ان شاء الله ..



الصراط المستقيم

ISLAM-THE STRAIGHT PATH

عرض وتعليق الأستاذ : عبد العزيز شرف

صدر هذا الكتاب في نيويورك في ٤٥٢ صفحة للدكتور الأستاذ ك . و . مورجان ... وفي مقدمة الكتاب ذكر الناشر أنه سلك في طريقة اعداده نفس الطريقة التي اتبعها من قبل في مجلدين سابقين .. أحدهما عن الديانة الهندوسية ، والآخر عن الديانة البوذية ... وهذا العمل بوضع تخطيط مؤقت للموضوعات التي يتناولها الكتاب ، وعرض تصميمه على بعض العلماء المسلمين في تركيا ومصر وسوريا ولبنان والعراق وايران والباكستان واندونيسيا وعلى أحد العلماء المسلمين اللاجئين الى أمريكا ... واستفتاهم عن رأيهم في هذا التخطيط المبدئي وهل يعطي تقسيمه صورة واضحة صحيحة للإسلام ؟ ومن يصلح لكتابة كل فصل من فصول الكتاب ؟

وقد ذكر الناشر أنه عدل من التصميم الذي وضعه تعديلا جوهريا في ضوء المقترحات التي قدمت له ... وعهد الى الكتاب الذين رشحهم اخوانهم المسلمون للقيام بهذه المهمة ، ليكتبوا فصول الكتاب ... وذكر الأستاذ مورجان في تصديره كذلك أن هؤلاء الكتاب كانوا يعلمون أنهم لا يكتبون فصولا مستقلة قائمة بذاتها ، وانما يتناولون النواحي والجوانب المختلفة لموضوع قد وضعت خطته الشاملة بعناية واحكام ... وكانوا يقدرون خطورة التبعة الملقاة على عواتقهم ...

وقدم الناشر العلماء الذين اشتركوا فى كتابة فصول الكتاب وهم الاساتذة :

المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز والمؤرخ الراحل شفيق غربال وفضيلة شيخ الازهر الراحل محمود شلتوت والدكتور أبو العلا عفيفى ، ومحمود شهابى أستاذ الشريعة بكلية الحقوق وأستاذ الفلسفة الشرقية بكلية الدين فى جامعة طهران ، والدكتور اسحاق موسى الحسينى أستاذ الأدب العربى بمعهد الدراسات العليا بجامعة الدول العربية ، وحسن بصرى قنطاى من علماء الاتراك المتقاعدين والذى ترجم القرآن الى اللغة التركية منذ عهد قريب ، ومظهر الدين صديقى رئيس قسم التاريخ الاسلامى بجامعة السند فى حيدر أباد بباكستان وداود س. م تنج أحد أعضاء قنصلية الصين فى بيروت ، والدكتور ب. أ. دجا جاديننجرات أستاذ الاسلام فى كلية الآداب بجامعة أندونيسيا ، والدكتور محمد رشيدى سفير أندونيسيا فى الباكستان .

وقد كتبت فصول الكتاب المختلفة الاحد عشر بسبع لغات : منها أربعة فصول كتبت بالانجليزية ، وسبعة الفصول الاخرى كتبت بالفرنسية والعربية والفارسية والتركية والصينية والهولندية ، وترجمت جميعها الى اللغة الانجليزية وأعيد عرضها بعد الترجمة على كتابها الاصليين للمراجعة والتأكد تحاشيا لسوء الفهم ومنعا لوقوع الخطأ والتحريف ، ولم تقدم للطبع الا بعد أن أقر كل كاتب ما كتبه .. وقد جاءت فصول الكتاب — حقا — كما أراد لها الناشر بمعاونة العلماء المسلمين محكمة النسج خالية من العيوب التى تلحق بالابحاث عادة كالتطويل الممل والايجاز الذى يخل بالموضوع ..

منشأ الاسلام

كتب الفصل الاول المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز خاصا بمنشأ الاسلام .. وقد استهل الفصل بفاتحة القرآن ووضح معنى الصراط المستقيم فى رأى الاسلام وشرح معنى كلمة الاسلام ، وبين أن على المسلمين قبول جميع الكتب السماوية واحترامها والاعتراف بالانبياء المرسلين بغير تفريق بينهم ، كما بين الدكتور دراز أن جوهر رسالة الرسل هو تلقين الناس الاعتقاد بوحدانية الله واقامة العدالة بين الناس .. ثم عرض بعد ذلك لحياة النبى عليه الصلاة والسلام ، وقدم لقرائه صورة موجزة معبرة عن حياته وجهاده .. والقرآن الذى نزل على محمد يستجيب للعقل ، ولكنه فى نفس الوقت يسمو على العقل ، ويخلص بذلك الى قداسة مصدره ، وهو معجزة محمد صلى الله عليه وسلم .

وينتقل الدكتور دراز من الحديث عن مفهوم المعجزات فى الاسلام الى التحدث عن القرآن ونزوله فى أوقات مختلفة خلال ثلاثة وعشرين عاما وجمعه بعد وفاة النبى تحت اشراف زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر الصديق وظهور المصحف العثمانى فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، ونفى زعم القائلين بأن تعاليم الاسلام تشبه تعاليم الصابئة ، ذلك أن الصابئة كانت من المشركين عبدة الاوثان والمؤمنين بالنجوم ، وأكد أن القرآن ليس من وحى البيئة التى كان يعيش فيها النبى ولا ثمرة تفكيره وتأملاته ، وانما هو وحى الهى تنزل على النبى موجه

الى البشر جميعهم على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم .. ثم تحدث عن أسس العقيدة الاسلامية والسنة ، وينهى فصله القيم بقوله : ان الاسلام ديانة التوحيد الخالص الصافى ، وان عناصره الثلاثة الهامة هى : أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن البشر جميعهم اخوة ، وأن هذا هو صراط الاسلام المستقيم ، صراط الذين يخضعون لارادة الله المتجلية فى القرآن كما نزل به جبريل على محمد رسول الله .

الافكار والحركات فى تاريخ الاسلام

وفى الفصل الثانى يتحدث الاستاذ شفيق غربال عن الافكار والحركات فى تاريخ الاسلام ، ويصف مكة فى حياة النبى بأنها كانت جمهورية تجارية ومركزا دينيا هاما وأنها كانت مستقرا لقبيلة قريش التى يرجع أصلها الى اسماعيل بن ابراهيم .. ثم يعرض لحياة النبى فى مكة وهجرته الى المدينة ثم وفاته فى المدينة سنة ٦٣٢ ميلادية ، وخلافة أبى بكر الصديق فى زعامة المسلمين ، ثم خلافة عمر ..

ويشير الكاتب الى تغير الاحوال بعد عمر والى أن الصحابة لم يقدموا لعثمان الطاعة والمعاونة التى سبق أن قدموها لعمر « فقد كانت الخلافات الخاصة والمناقشات قد فرقت ما بينهم ، وأدى ذلك الى الفتنة التى أطاحت بحياة عثمان » .. ثم واصل التأريخ لخلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه وكيف أن بعض الناس لم يتورعوا عن القاء تبعة قتل عثمان على كاهله ، وكيف أدت الخلافات بين على ومعاوية وقبول التحكيم الى ظهور فرقة الخوارج ، ثم ظهور طائفة الشيعة بعد مقتل على رضوان الله عليه ، وقيام الدولة الاموية وسقوطها بمجىء العباسيين .. ثم تحدث الكاتب المؤرخ عن ظهور المذاهب الاربعة : مذهب أبى حنيفة فى العراق ومذهب مالك بالحجاز ، ومذهب الشافعى بمصر ، ومذهب ابن حنبل بالعراق . ثم واصل الحديث عن المعتزلة والشيعة والمتصوفة ، وانتقل من ذلك الى الحديث عن الدولة الفاطمية والدولة الاموية فى الاندلس والاغالبة فى تونس والدولة الطولونية والحمدانيين فى حلب ، وحركة البربر فى القرن الخامس الهجرى الخ .. وتحدث بعد ذلك عن تأثير الغزالي وابن عربى وابن الفارض ، وتحدث عن الاسلام فى السودان وشرقى افريقية وفى الملايو واندونيسيا وختم حديثه القيم بآراء سديدة تصدر عن مؤرخ اسلامى نزيه صائب النظرة عن حال الاسلام فى أيامنا ..

المعتقدات الاسلامية وشريعة الاسلام

وفى الفصل الثالث يتناول فضيلة الشيخ محمود شلتوت — عليه رحمة الله — موضوع المعتقدات الاسلامية وشريعة الاسلام فيبين أن الاسلام دين الهى وأن محمدا مصطفى من قبل الله تعالى لابلاغ دينه الى البشر ليؤمنوا به ويتبعوا تعاليمه وأحكامه ، وبين أن فى القرآن نوعين من النصوص ، واضحة محددة لا تحتمل أكثر من معنى واحد وأخرى تحتمل أكثر من تفسير واحد .

وقد نشأت حول الاخيرة نظريات كثيرة واتجاهات مختلفة حول تفسيرها ، وهى تفسيرات غير ملزمة عموما . والاسلام فيما عدا معتقـداته الاساسية لا يخضع لطراز معين من التفكير ولا لمذهب خاص فى التشريع فهو دين متسامح يتسع للحرية المعقولة ويدعو لها ويقرها ، وهو ملائم لكل ألوان الثقافات وجميع الحضارات .

التفسير العقلى والتفسير الصوفى للاسلام

وحول هذا العنوان تحدث الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسـفة الاسلامية بجامعة الاسكندرية ، وهو يرى أن المبدأ الاساسى الذى حاول الفقه الاسلامى أن يثبت أركانه هو مبدأ التوحيد ، وفقهاء المسلمين لا يقبلون أى تساهل فى هذا المبدأ ، فهو عماد العقيدة الاسلامية والاصل الذى تتفرع منه سـائر العقائد ، ولذا يسمى الفقه الاسلامى علم التوحيد . وتحدث الاستاذ الفاضـل بعد ذلك عن نشوء فرق الخوارج والقدرية والشيعة والمرجئة ، وأشـار الى العاملين الهامين فى نشوء الفقه الاسلامى ، أولهما عنده هو القرآن نفسه . والآخر — وهو عامل خارجى — هو التأثيرات الثقافية التى جاءت الى الاسلام من الخارج ، وتحت تأثير هذا العامل الاخير أثيرت بعض المسائل الاخلاقية مثل مشكلة الجبر والاختيار ، وبرزت بعض المشكلات الميتافيزيقية مثل مسألة صفات الله ومشكلة خلق القرآن .. الخ .

ويعارض الدكتور أبو العلا عفيفى رأى دى بوير وغون كريمر وماكدونالد : ان الفقه الاسلامى تأثر الى حد كبير بالفكر المسيحى .. ويستند فى ذلك الى حجج قوية على الرغم من أن معظم القضايا الدينية الكبرى كانت تبحث فى الشام التى كانت مركزا هاما للاهوت المسيحى .. ثم يتحدث عن موقف المتصوفين من الاسلام ونشأة التصوف الاسلامى والخلاف بين المتصوفة وأنصار السنة ، وتصور الصوفية لفكرة الله .

الشـيعة

وحول موضوع الشيعة تحدث الاستاذ محمود الشهابى بادئا بحثه بالحديث عن القرآن وأنه أنزل للبشر كافة ..

ويتحدث عن النبى ويشير الى حديث غدير خم وقول النبى للمسلمين وهو فى طريقه الى حجة الوداع : « من كنت مولاه ، فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ويستخلص من هذا الحديث أن النبى قد رشح عليا للخلافة بعده ، وهى — كما نعرف — وجهة نظر الشيعة .

ويعرض لنشوء الشيعة فى أعقاب تنحية على عن الخلافة بعد وفاة النبى .. ثم يفصل أصول المذهب الشيعى ، ويوضح مبادئه الاساسية ، وأشار الى أوجه الخلاف بين الشيعة والسنة وبخاصة طائفة الاشعرية ، وما اتفق فيه المعتزلة مع الشيعة .

الثقافة الاسلامية
فى البلاد العربية والافريقية

ويتناول الدكتور اسحق موسى الحسينى الحركة الوهابية المنبثقة من تعاليم ابن تيمية ، وكيف أن الاحوال التى كانت سائدة فى شبه جزيرة العرب دعت محمد بن عبد الوهاب الى تأكيد بعض الجوانب من تعاليم ابن تيمية دون الجوانب الاخرى ..

وتحدث عن الشيعة الزيدية فى اليمن والخوارج فى عمان ، والاسماعيلية فى منطقة حماة قرب السلامية ، والدروز فى الجبل ودروز لبنان والناصرية فى اللاذقية ، ثم يتحدث عن الاسلام فى العراق ومصر وشمالى افريقية ، ويشير الى الحركات الدينية التى قامت فى هذه البلاد مثل حركة الاصلاح الدينى التى قام بها الاستاذ الامام محمد عبده .

الثقافة الاسلامية
فى بلاد الترك

ويستهل الاستاذ حسن بصرى قنطاى حديثه عن الثقافة الاسلامية فى بلاد الترك قائلا : ان الاتراك باعتبارهم من أقدم الاقوام وأكثرهم انتشارا قد دخلوا ديانات عدة قبل دخولهم فى الاسلام ، فقد دانوا بالمانوية والزرادشتية والكونوفوشيوسية والبوذية الخ .. ولكن هذه الاديان لم تستأثر بهم الاستئثار الكافى فتطلعوا الى ديانة ترضى مثلهم العليا ونوازعهم الانسانية ، فهم يتطلعون الى دين يشمل الانسانية جميعها ويسمو بالانسان ويكون مرشدهم فى الطريق الذى يفضى الى السعادة دنيا وآخرة ، وقد وجدوا فى الاسلام الدين الذى كانوا يتطلعون اليه ، ولذا سارعوا الى الدخول فيه حينما واجههم وتعلقوا به تعلقا شديدا ، ولا يزالون الى اليوم من أشد أنصاره وأقوى حماته .

ويورد الكاتب الفاضل رأى الجاحظ فى الترك الذى جاء فى رسالته المشهورة الى الفتح بن خاقان عن مناقب الترك وقول القائد العربى يزيد بن مزيد فى وصفه للترك : « ليس لبطن التركى على ظهر الدابة ثقل ، ولا لمشيه

على الارض وقع . وانه ليرى وهو مدبر ما لا يرى الفارس منا وهو مقبل ، وهو يرى الفارس منا صيدا ويعد نفسه فهدا ، والله لو رمى به فى قعر بئر مكتوفا ما أعجزته الحيلة » .

ثم تناول الكاتب الفاضل تأثير الاتراك فى الثقافة الاسلامية وأشار الى مبادىء الاسلام الاساسية والصوفية فى تركيا واستنادها الى بعض آيات القرآن والحديث ، وذكر مشاهير متصوفة الاتراك مثل جلال الدين الرومى .

الاســـــلام
فى الباكستان والهند

وعن الاسلام فى الباكستان والهند كتب الاستاذ مظهر الدين صديقى الفصل الثامن من الكتاب يوضح فيه طائفة من المعلومات التاريخية المحققة عن تاريخ الاسلام فى الهند وقد قسم تاريخ الهند أربعة عهود ليوضح ظهور الثقافة الاسلامية فى الهند والباكستان :

— عهد ما قبل دخول المغول .
— وعهد حكم المغول .
— وعهد الانحلال والتفكك .
— والعهد الاخير هو القرن الماضى ويشمل الحكم البريطانى وخلق الباكستان .

ويبدأ التاريخ الاسلامى الحقيقى فى الهند بقيام الدولة الغزنوية وان كان الغزو الاسلامى الاول للهند قد بدأ فى عهد الخليفة الاموى الوليد من سنة ٨٧ الى ٩٧ هـ .

وتحدث الاستاذ صديقى عن العهد البريطانى وظهور التقسيم وفلسفة اقبال والحركة القديانية والمودودى الزعيم الدينى وغلام أحمد بارويز وقارن بين آراء المودودى وآراء بارويز .

الثقافة الاسلامية
فى الصين واندونيسيا

وفى الفصل التاسع تحدث الاستاذ داودسنجالصينى عن الثقافة الاسلامية فى الصين ، وفى الفصل العاشر تحدث الاستاذ حسين دجاجاديننجرات عن الاسلام فى اندونيسيا ، ويتناول الفصلان دخول الاسلام فى البلدين ، وقد كان للمسلمين الصينيين مكانة ملحوظة فى عهد أسرة يوان وأسرة منج التى خلفتها وحكمت الصين من سنة ١٣٦٨ الى سنة ١٦٤٤ م . وفيما يبدو أن الاسلام دخل اندونيسيا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وأن التجار المسلمين ساعدوا على انتشاره فى تلك الانحاء .

الوحدة والتنوع
فى الاسلام

وفى الفصل الاخير الذى كتبه الاستاذ محمد رشيدى نجد حديثا عن المسائل الاساسية التى اتفق عليها المسلمون جميعهم مثل القرآن والسنة والقياس وأسس العقيدة الاسلامية مثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأركان الاسلام مثل الصلاة والزكاة ، والشريعة الاسلامية والفرق الاسلامية ، ثم تحدث عن المجتمع الاسلامى بوجه عام وعلاقة فكرة القومية بالاسلام ، وأن القومية حينما تسترشد بمبادىء الاسلام العامة تعمل على التجمع وتؤدى الى الوحدة .

والاتجاهات الرئيسية فى العالم الاسلامى اليوم فى نظر الاستاذ محمد رشيدى أربعة هى :

— الاتجاه المحافظ .
— الاتجاه الى الاصلاح .
— الاتجاه الصوفى .
— الاتجاه الشيعى .

ويرى أن التقدم الهائل فى المواصلات وأساليب الاتصال والتعليم قد جعلت هناك جوا من الفهم المتبادل لوجهات النظر الاخرى .

وبعد .. فاننا نعتقد أن هذا الكتاب يكتسب قيمته لشيئين أولهما أن كتابه ومؤلفيه من علماء الاسلام المؤمنين العارفين ، لذلك خرج الكتاب ممتازا فى مادته وموضوعه . والفضل فى ذلك يرجع الى ناشر الكتاب الاستاذ كنث و. مورجان أستاذ الدين فى جامعة كولجيت الامريكية الذى خرج على عادة علماء قومه فعرض الاديان الكبرى على القراء الغربيين من خلال أقلام أهل الرأى ..

والقيمة الثانية لهذا الكتاب ترتبط بالقيمة الاولى اذا علمنا أن كتابات الغربيين فى موضوع الامم والعقائد كثرت بعد الحرب العالمية الثانية وخضعت كتاباتهم لدواعى نفسية تمليها العقائد الدينية على أنصار الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ..

وكتاب الغرب — كما يقول أستاذنا العقاد — حين يكتبون عن الاسلام يتفاوتون فى قيمة الكتابة ، ولكن تفاوتهم على حسب البواعث والنيات أضعاف تفاوتهم على حسب الدراية والمعرفة ، لأنهم طوائف مختلفة لا تتفق فى الوجهة ولا فى الخلق ولا فى الاستعداد .. لذلك كانت قيمة هذا الكتاب واضحة فى أن كتابه من المشهود لهم بالتمكن وسداد الرأى واتزان الاحكام من علماء الاسلام نفسه ..

وحسب هذا الكتاب أن تكون له هذه القيمة لندعو مع أستاذنا على أدهم الى ترجمته الى اللغة العربية وأن نحتفى به حفاوة تليق بقيمته العلمية والمنهجية .

المؤتمر الخامس لعلماء المسلمين

المؤتمر يوصي الدول الاسلامية بارسال الطيارين والفنيين الى ساحة القتال ، ويوصي بحشـــد الطاقات من أجل استرداد المسجد الاقصى والاراضي العربية المحتلة وتخصيص جزء من الزكاة للجهاد فى سبيل الله .

اعداد الأستاذ : عبد المعطى بيومى

التقى فى القاهرة ١٠٠ عالم اسلامي يمثلون ٣٦ دولة اسلامية فى آسيا وافريقيا وأوروبا فى مؤتمر دينى كبير ينظمه كل عام مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بالقاهرة .

وقد قسمت أعمال المؤتمر هذا العام الى فترتين احداهما بدأت يوم ٢٢ ذى الحجة ١٣٨٩ (٢٨ــ٢) وتنتهى يوم ٢٧ ذى الحجة (٥ ــ٣) وقد خصصت هذه الفترة لمعركة المسلمين مع العدو الصهيونى ومناقشة وسائل اســـترداد القدس والمسجد الاقصى .

والفترة الثانية بدأت يوم ١٠ مارس وتستمر حتى يوم ٢٥ مارس وتقتصر هذه الفترة على أعضاء مجمع البحوث الاسلامية وتناقش فيها الابحاث العلمية لوضع الحلول لبعض المشكلات الحياتية للأمة الاسلامية .

وقد افتتح الفترة الاولى الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشـــئون الازهر نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر .

ثم ألقى فضيلة شيخ الازهر الدكتور محمد الفحام كلمة حدد فيها مسئولية المؤتمر فقال ان هذا المؤتمر مسئول أمام الله والتاريخ عن سلامة العقيدة وصيانة المقدسات وحماية أحكام الله وثقافة الاسلام بكل أبعادها فكرا وبحثا وعلمـــا وعمـــلا .

ثم تحدث الشيخ عبد الحميد السائح وزير الاوقاف الاردني السابق وممثل وفد فلسطين فى المؤتمر فألقى كلمة ذكر فيها المسلمين فى العالم كله باخوانهم المجاهدين فقال :

اذا كان اخوانكم فى الوطن المحتل من غزة الى القدس الى الخليل ورام الله ، وغيرها مرابطين يتحملون صنوف الاذى والتعذيب ويضحون بمســـاكنهم وقراهم ، وتنسف وتزال من الوجود واذا كان الكثير من الشباب والفتيات ينالون مختلف أنواع القسوة والتنكيل فى السجون والمعتقلات ومع هذا فانهم صابرون

صامدون ، صبر ياسر وآل ياسر وبلال وأمثـــاله واذا كان أهل اربد والسلط والكرك وغيرهم من سكان الاردن يقابلون الموت بشجاعة نادرة ، ويستخفون بقنابل النابالم وغيرها ومختلف أنواع الوحشية والبربرية التى توجههـــا اليهم اسرائيل الصهيونية بالسلاح الامريكى يصبرون على كل ذلك فى سبيل المحافظة على أوطانهم والحرص على شرفهم وكرامتهم وعقائدهم واذا كان ســـكان الجمهورية العربية المتحدة يقابلون الغارات الاسرائيلية بأعصاب قوية ونفوس مؤمنة مطمئنة يفوتون على العدو ما يهدف اليه من أحداث . .

فان الواجب الدينى والقومى على جميع المسلمين والعرب حيثما وجدوا أن يدعموا مواقف الصمود وأن يهيئوا فرصة العمل ، وأن يجندوا قواهم وطاقاتهم فى سبيل معركة تقرر مصيرنا ومصير أعدائنا .

ثم ألقى الدكتور عبد الحليم محمـــود وكيل الازهر وأمين مجمع البحوث الاسلامية وأمين المؤتمر كلمة بين فيها منهج مجمع البحوث ورسالته قال :

ان منهج مجمع البحوث الاسلامية انما هو شعار علماء الامة الاسلامية فى كل عصر . انه الجهاد والعلم .

الجهاد من أجل المحافظة على الذاتية الاسلامية بيضاء نقية ومن أجـــل المحافظة على الامة عزيزة الجانب آمنة فى وطنها ، والعلم من أجل بيان الذاتية الاسلامية نقية من أجل بيان فرضية الجهاد فى صوره المتناسقة . .

ثم ألقى الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار أمين عام المجلس الاعلى للأزهر البحث المقدم من فضيلة شيخ الازهر عن استرداد بيت المقـــدس ذكر فيه أن أهداف اسرائيل هى تدمير المسجد الاقصى كله واقامة هيكل سليمان على أنقاضه وأن قرار تدويل القـــدس قرار جائر يتجاهل رعاية الحـــكم العربى للأماكن المقدسة .

كما ناقش المؤتمر بحثا للدكتور عبد الله ماضى وكيل الازهر السابق عن « الجهاد بالمال فى نظر الاسلام » قال فيه ان الجهاد فى سبيل الله ببذل النفس والمـــال اعلاء لكلمة الله ودفاع عن الحقوق والحرمات .

وقد ألقى الدكتور اسحق موسى الحسينى بحثا عن الجانب الاسلامى فى القضية الفلسطينية أشار فيه الى أن العدو اذا تمكن من ترسيخ قدمه فى فلسطين التى تقع فى قلب العالم الاسلامى فلن يقنع بها بل سيثب منها على ما حولها ليقيم دولة كبيرة من النيل الى الفرات .

كذلك استمع المؤتمر الى اللواء الركن محمود شيت خطاب فى بحثه عن « أهداف اسرائيل التوسعية » وقد بين اللواء فى بحثـــه أن الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية استند أصلا الى عدد من الفرضيات والوعود الدينية ولـــكنه انطلق بشكل أساسى من الحلول الصهيونية المرتكزة على العقيدة الدينية ، لذلك فان هدف اسرائيل هو اعادة شعبها الى فلسطين التاريخية .

وألقى الفريق عبد الرحمن أمين بحثا عن « التولى يوم الزحف » ثم واصل المؤتمر أعماله فى الايام التالية ، فألقى فضيلة الشيخ المهدى بو عبد الله (الجزائر) ناشد الامة الاسلامية حشد طاقاتها جميعا للمعركة ثم الدكتور على أرسلان (تركيا) والشيخ محمد سالم عبد الودود (موريتانيا) ثم الاستاذ أسعد مدنى (الهند) حيث كشف زيف الدعايات الصهيونية وتضليلها للرأى العام .

كما تحدث الامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى بلبنان حيث ندد بتحريف اسرائيل للقرآن والسنة واقترح الامام الصدر تشكيل

فرق فدائية من كل البلاد الاسلامية للمشاركة فى المعركة لتحرير القدس والاراضى العربية المحتلة وتقديم تقارير من كل الدول الاسلامية عن امكانياتها لتنفيذ خطة شاملة لدعم المعركة بالمال والرجال كما طالب بانشاء مكتب اسلامى عالمى دائم للدعاية للقضية الاسلامية والعربية .

والقى الاستاذ عبد الله كنون (المغرب) بحثا عن « العمل الفدائى فى نظر الاسلام » ثم اختتم الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشئون الازهر المصرى أبحاث المؤتمر فى هذه الفترة ببحث عن « الاسلام والتفرقة العنصرية » فأكد رفض الاسلام لهذه التفرقة واقترح نشر سلسلة من الدراسات فى هذا الموضوع .

وفى مساء يوم ٤ــ٣ عقد المؤتمر جلسة ختامية للفترة الاولى برياسة فضيلة شيخ الازهر حيث شكر العلماء وجهودهم وقدم فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح ليعلن قرارات المؤتمر وتوصياته التى وافق عليها العلماء بالاجماع .

ومن أهم هذه التوصيات :

١ ــ يؤكد المؤتمر أن الجهاد بالمال والنفس أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين ومن يتخلف عنه يسلك سبيلا غير سبيل المؤمنين ، وانه لما كانت اسرائيل تحشد كل طاقاتها مدعمة من الصهيونية والاستعمار فانه يتحتم على جميع المسلمين تحمل واجباتهم فى الجهاد والعمل على ارسال المجاهدين الى ساحة القتال .

٢ ــ يحث المؤتمر الدول العربية على حشد كل طاقاتها لدعم الجبهة الشرقية والغربية وتقوية القيادة العربية الموحدة ويدعو المسلمين كافة الى مساندة هذه القيادة ماديا ومعنويا .

٣ ــ يوصى المؤتمر جميع المسئولين فى الدول العربية والاسلامية بتيسير العمل الفدائى فى بلادهم ويعلن أن تجهيز الفدائيين بالسلاح والمال وكل ما يحتاجون اليه هو من الواجبات الشرعية وأن دفع الزكاة فى هذا السبيل هو من مصارف الزكاة الشرعية .

٤ ــ يقرر المؤتمر أن اقدام اسرائيل على احراق المسجد الاقصى المبارك يمثل ذروة الجرائم على بيوت الله تعالى وقمة الاعتداء على مشاعر المسلمين حيثما كانوا ويؤكد أنه واجب على جميع المسلمين الجهاد المقدس المسلح لتخليص المقدسات الاسلامية والمسيحية على السواء من أيدى الصهيونية المغتصبة .

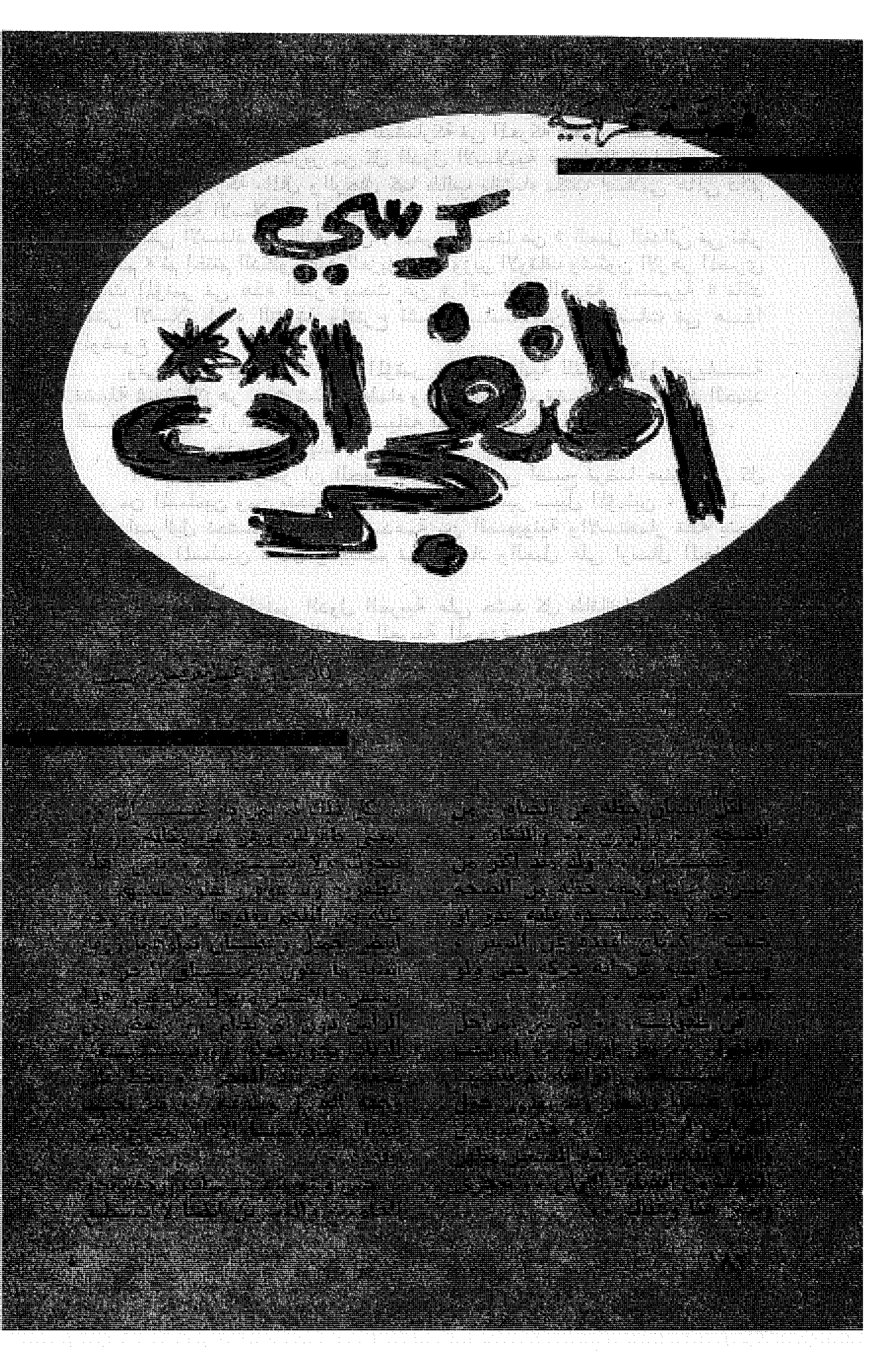
٥ ــ يقرر المؤتمر أن المعركة القائمة اليوم معركة مصيرية للشعوب العربية والامة الاسلامية على السواء فالعروبة هى دعامة الاسلام ، اذ قال الرسول عليه الصلاة والسلام اذا ذلت العرب ذل الاسلام .

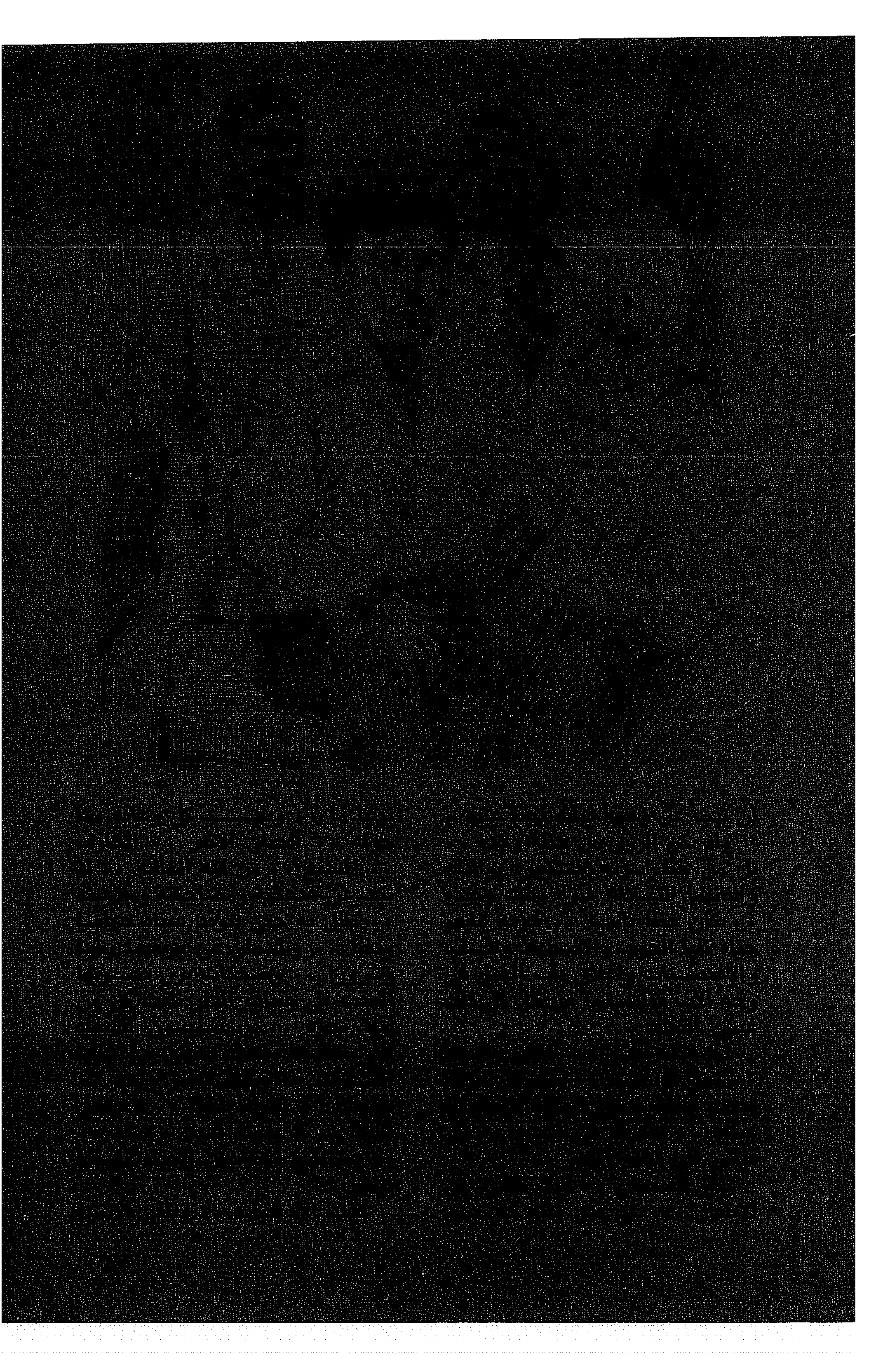
٦ ــ يؤكد المؤتمر الدعوة الى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الدول العربية والاسلامية وتبادل الوفود بينها لنشر قرارات المؤتمر على المستوى الرسمى والشعبى .

وقد استقبل الرئيس عبد الناصر أعضاء المؤتمر والقى فيهم كلمة قال فيها :

ان جهد البلاد العربية والاسلامية فى مواجهة العدوان ما زال متواضعا وأنه يجب تشكيل لجان من كل بلد لنصرة القضية وقال اننا لا نواجه اسرائيل وحدها وانما وراءها الاستعمار العالمى .

وقد أبلغت الحكومات الاسلامية عن طريق سفاراتها وبعثاتها الدبلوماسية فى القاهرة بهذه القرارات والتوصيات رجاء وأملا أن تتحقق وتتحول الى أعمال حقيقية تعيد للاسلام كرامته وقوته وللمسلمين عزتهم ومقدساتهم .





اشياء بجانبها تكمل صورة الحياة من حوله .. أحبهم من أعماقه .. أما هم .. فلم يزد أمره بينهم عن أنه مجرد حياة تدب على الارض بأنفاسها فقط .. شيء مختلف عن باقي الاحياء .. لا يعرف الارجل .. لا يعرف الايدى .. الناس غيره هم يداه ، رجلاه .. لو قدر له أن يعيش وحيدا لمات بعد أيام قليلة .. لن يجد من يطعمه أو يسقيه .

تبكى أمه من ذلك كلما خلت الى نفسها :

ــ نحن غرباء فى أرضنا .. عدو غادر جاثم على الارض .. مستقبلنا فى يده طريق من اثنين : الخروج .. أو الموت .. لا ثالث لهما .

وينفجر فى قلبها أتون الحزن من أجل الغربة وهم فى أرضهم .. وتشرئب بعنقها وترفع راسها متحدية :

ــ أبو غسان .. اختار أحد الطريقين .. الموت دون الرحيل .. الاولاد مثله حتى الفتاة الوحيدة مثلهم .. يفضلون الشقاء أو الموت على الرحيل مدافعين عن أرضهم وعن كل ما هو مرتبط بها .

ترفع طرف ثوبها الاسود الملامس للتراب الغالى الذى تقبله مع زوجها وابنتها وابنائها كل صباح وتمسح دمعا ساخنا يلهب خديها المغضنين كى يندلع من جديد لما تكابده من حزن عميق :

ــ وغسان ماذا يكون مصيره .. اذا بقى وحيدا ؟

وتذهب بعينيها الدامعتين الى السماء وكأنما التقت بالله وجها لوجه :

ــ اختر له شيئا حسنا .. يموت قبلى حتى لا يحس بآلام الحياة .

ولكنها ماتت وهو دون الخامسة عشرة .

وبعدها بعامين لحقها أبوه وقد مات فى أحد سجون اليهود من شدة التعذيب حتى يخرج من أرضه .. ظل رافضا طاعة العدو .. متحملا كل ما يصبونه عليه حتى غادر الدنيا كلها .. واصراره يفجر فى أنفسهم أحقر الاحقاد .. فلم يكفوا عن تعذيبه رغم أنه مات .

تلفت غسان حوله يبحث عن يديه ورجليه .. أمه وأبيه .. كانا يعطيانه طواعية .. فى محبة .. فى ايثار غامر .. اكبر القلوب وأوسعها وأرحمها .. أمه وأبوه .. هما نبع الحياة .. لم يعرف معهما نسمة حزن .. لمسة أسى .. طعم المرارة لم يذقه .. وعرف كل ذلك الآن .. اخوته يقدمون له طعاما وشرابا وينقلونه للمنام كلما أراد .. يؤدون واجبا من أجل ذكريات غالية يتوارى أصلها خلف سور القرية فى مدافنها العتيقة المتهدمة .. منذ حرب ١٩٤٨ أحسه .. ودمعت عيناه لاول مرة وتغيرت نفسه .. وأصبح فعلا الانسان العاجز الذى ينتظر من غيره المعونة بعد أن كانت أمه لا تنتظر أن يطلب بل تقدم له طواعية واختيارا :

ــ أنا لا أساوى شيئا .. الدودة تسعى وراء العيش .. النملة تتعاون وتجاهد وتكافح فى نقل الفضلات الى مخزن تضعه فيه حتى يأتى وقت الشتاء ويمنعها المطر من السعى .. سمعت ذلك من مذياع كان يحمله شخص جاء يزور أبى .. وتهامس معه يحدثه .. تمنيت أن أسمعه .. لكنهم أخفضوا الاصوات أكثر من اللازم .. وبعد أن غادر الدار ضج الفرح بأختى وانطلق من فمها صوت مرح سعيد بأن كان عندهم فدائى قطعوا العهد على التعاون معه .. حتى هناء التى تصغرنى بأعوام ستتعاون معه .. أما أنا ..

تنهـد فى مرارة .. وصب من عينيه الدموع غزيرة بعد أن عرفها .. وفاضت بها عيناه كلما فاض بقلبه الأسى والحزن ..

ـ ليتنى أقدر على شىء .. أنا عبء فوق كاهلهم .

قلبه يغلى دائما .. والاسرة من حوله كلما نظر اليها وراقب احوالها .. وجدها تغلى .. لا تستقر على حال .. أخ خارج .. وأخ داخل .. والثالث يقضى خارج الدار اياما فى سرية تامة .. الاخت تخرج وعلـى وجهها ملامح الجـــد والاتزان .. وتعود وهى سعيدة فرحة تكاد تطير بجناحين .. ولا تـكاد تدخل ويرى الاخوة سرورها يقفز من عينيها حتى يقفزون ويتبارون فى حملها من فوق الارض وفى تقبيلها :

ـ كأنى غير موجود ابدا .. لم يحاول أحد منهم أن يشركنى فيمـــا يقول .. لم تعطنى أختى فرصـــة أرحب بعودتهـا وهى مسرورة .. قطعوا من ناحيتى الامل .. لهم الحق فى ذلك ..

نما شعوره بعدم جدواه بينهم .. وتمـــرد مرات كثيرة على ما كانوا يقدمونه له .. ولكن نداء الحيـــاة حطم حائط تمرده .. فعاد يمد فمه يأخذ من أيديهم الطعام والشراب .. ولم تفارقه ملامح الالم من حزن يملأ قلبه .. قالت له هناء :

ـ مالك يا غسان ؟

ـ لا أريد منكم شيئا ..

ـ ولم ؟

ـ لا تحبوننى ..

ـ من قال ذلك ؟

ـ أنا أعرف .. أحس ذلك من نفسى ..

ـ نقدم لك كل ما تريد ..

ـ ليس الطعام فقط ولا الشراب .

ـ اذن ماذا ؟

ـ اشياء اخرى .. اخرى ..

واجهش بالبكاء من فرط ما يعانى .. وانخلع قلب الفتـــاة .. واخذت تربت كتفه وتبكى هى الاخرى ..

ـ ماذا تقصد يا غسان ..

ـ أريد أن أقبلك عندما تعودين والفرح فى عينيك .

فضحكت .. أضحكها الطلب .. ومالت تقبل وجنتيـــــه المبتلتين .. ومسحت خدها الاثيل وأرختـــه امام شفتيه ..

ـ قبل كما تريد ..

ـ قبل ..

ـ قبل .. مالك لم تقبلنى .. الم تطلب ذلك ؟

ـ لا يا هنـــــاء .. وانت عائدة والسرور يضج فى عينيك ..

ـ عائدة ... من اين ؟

بهتت .. لم تكن تتوقع من غسان هذا الذى يقول .. ابدا .. واخذت تدفعه بكرسيه لتنقله منه الى فراشه .. فقـد أوغل الليـل واقترب من منتصفه وغطته وقبلته ..

ـ سوف تقبلنى عندما اعود

ولما عادت ذات يوم وفت بوعدها الذى كان ينتظره .. ولكنه سألها من أين عادت فأجابته :

ـ ان ارضنا ســـليبة .. ونحن ندافع عنهـــا وعنك .. نريد أن نثبت أنفســنا فى أرضـــنا بدلا من اغترابنا فيها .. يـــا غسان .. ثأر أبينا وثأر أمنـــا .. وآلاف غيرنا مشردة ..

ـ لذلك انت سعيدة ؟

ـ بالطبع .. مـــا أسعدنى وأنا أبذل فى هذا السبيل .

ومدت رأسها لأخيها من جديد يقبل وجهها كلـــه ويشبع منه ويبث فيـــه انفعـــالات قلبـــه .. وكلما خرجت وعادت .. تقبله ويقبلها .. وتحكى له كل ما فعلته .. أصبح بعد ذلك

عنده تاريخ كبير .. عن أعمـــال الفداء فى الأرض المحتلة حتى جمح به الخيال فتصور نفسه خلال أحــلام اليقظة يضرب ويضرب ويضرب ... ويقتل من الأعــداء آلافا مؤلفـــة .. ولكنه أحس بعجزه عن أى شىء .

• • •

كانت الأعمال الفدائية متناثرة .. غير مترابطة .. دافعها كلها شريف .. ولكن ليس لها خيط واحــد تنتظم فيه فتقوى ..

وامام الخطــر العظيم .. نجــد الناس كلهم يجتمعون .. لا شعوريا هكذا .. يجمعهم نداء الحياة .. ضد أعداء الحياة ..

سيطر العدو على مساحات أوسع مما كان معه .. وطرد أعــدادا أكثر من أهل البـــلاد من منازلهم وسلب أملاكهم .. وشردهم فى العراء تحت وابل المطر وقيظ الصــــــيف وذل الضياع

لكن هذه الجموع رافضة كل ذلك .. وما من واحد فيها الا وهو منضم لجبهة الدفاع عن الارض .. لا يهمه ما يقاسيه .. فالنتيجة المرتقبة مــا أعذبها وما أحلاها وما أسعدهم يوم يحققـــونها حتى ولــو كانوا يأكلون التراب .. فهو ترابهـــم وما أكرمه عليهم .

وزادتالاعمال التى تحكى قصصها هناء الى غسان .. وكانت أســـعد لحظات عمره تلك التى يسمع فيها من هناء مـــا فعلت .. وما سمعت عن الأعمـــال العظيمـــة .. وترى بريق عينيه يضىء ويضىء من فرط السعادة .. ثم لا يلبث الضـــوء أن يذبل .. ويخفت ويتغير وجه غســـان .. من الفرح الضاحك الى الحزن العميق .

ــ اشـــاركهم بسمعى وقلبى فقط .. ليتنى استطيع أكثر من ذلك .. لا شىء فى الحياة كلها أستطيعه غير ذلك .

رات هناء الدموع فى عينيه فبكت هى الاخرى .. عرفت ما يعانيه وما يعتلج فى قلبه ــ فانزاحت من جانبه فى رفق وتركته وحيدا فى مكانه فوق كرسيه ذى العجلات .

أفاق غسان وبدأ يستعيد تلذذه بأن يتذكر ما قـــالته هناء منـــذ قررت أن تحكى له .. واذا بأصوات تشـــــبه الجلبـــة المختنقة تتوارد على سمعه من الحجرة التى يبيتون فيها جميعـــا .. واختلاط هـــذه الأصوات ببعضها شد أذنه وحول تفكيره اليها عن أى شىء عداها .. وأخـــذ يكد ذهنه كى يبعد الكلمات عن بعضها فيفسرهـــا ويصبح لها معنى .

كلهم سيعملون فى الجبهـــة ولن يعودوا الى الدار الا لمامـــا ويجب أن يبقى أحد من أجل غسان .. ورفض كل واحد أن يبقى من أجل هـــــذا الفرض .. حتى هنـــاء .. أصرت على الرفض .. والرفض القاطع .

ــ والحل .. ؟
قالها هيثم ..
ــ نعمل قرعة
الحـــظ يلعب دوره .. جاء على هناء أن تبقى ..

رضيت بالقرعة وهى تبكى هـــذا الحظ العاثر الذى يحول بينها وبين مواصلة العمـــل فى ســـبيل أرضها الغالية .. فقد وعدهـــا اخوتها أنهم سوف يستعينون بها عند الضرورة .

وبقيت مع غسان فى المنزل لا هم لها الا أن تقطع الوقت بحكايات عن

الفدائيين تحكيها لغسان ثم تقف على باب البيت ترقب دوريات العــــدو المارة من أمامه كل ساعة .. ترقبها وهى تتميز من الغيظ والحنق وتدعو عليهــم بقصف العمر أو كارثة تنزل عليهم من حيث لا يعلمون .

وفى يوم كان هيثم يمر أمام المنزل فى طريقه الى أحد الأهداف الحيوية للعدو يضع فيه شحنة مدمرة تقوضه وتجعــله رمــادا ولهيبا .. ففوجىء بدورية للاعداء .. كثيرة العدد ... فى سيرها عدوان وترقب .. كأنمــا تبحث عن شىء مثله .

انفلت هيثم الى داخل المنزل وترك شحنته لأختــه وشرح لها الطــريق وكيف تضعها فى الهدف تماما ... وخرج مسرعا .. عائدا الى الجبهـــة ليأخذ غيرها ويذهب الى هدف جديد.

انها فرصـــة مواتية جــاءت لهناء تسعد قلبها وتعوضها عن جهاد أيام انقطعتها ولكن كيف تخــرج بهــذه الشحنة ودوريات العدو لا تزال أمام الدار .. كلما أطلت عليهم وجــدت أعدادهم تزيد .. والشارع يخلو الا منهم .. والعربات المسلحة تتــوارد عليهم وكأنهم ســوف ينسفون الحى بأكمله .. ماذا تفعل .. ؟ تذهب الى الباب وتعــود والتوتر يكاد يقتـــل أعصابها .. تنظر الى غســان بكل عنفوانهــا فى لهفــة الحاجــة الى مساعدة .. ثم ترتد عنه وهى آسفة .. يائسة .. فليس عنده ما تريد ..

ترددت يقلقها بين الباب .. وبين غسان .. وهى لا تريد الا أن تموت والشحنة توضع فى الهدف .. واذا بغسان يناديها :

ــ أنا أستطيع مساعدتك ..

سمعته .. ومالت عنه متجهــة الى الباب :

ــ أحلام يقظة .. لا يستطيع حتى أن يشرب بيده .. يا للسخرية .. يساعدنى .. فصرخ بأعلى صوته.. لأول مرة فى حياته يرتفع له صوت .

ــ تعالى هنــا ..

بهتت من هــول المفاجـــأة ... وذهبت تلبى هذا الذى أنشــق عنه الزمن .. ولم تعـــرف من أين ولا كيف .. وقفت أمــامه كالتلميـــذة الصغيرة .. قال لها :

ــ أعــرف الأمر كله .. سمعت حديثك مع هيثم .. هاتى الشــحنة يا هنــاء .. ضعيها تحتى وادفعينى الى حيث تريدين .. لا بد أن نقتلهم .. أو نموت .

ترددت .. أرادت أن تقول شيئا .. فقاطعها فى حزم وألم .

ــ نفذى ما أقول ..

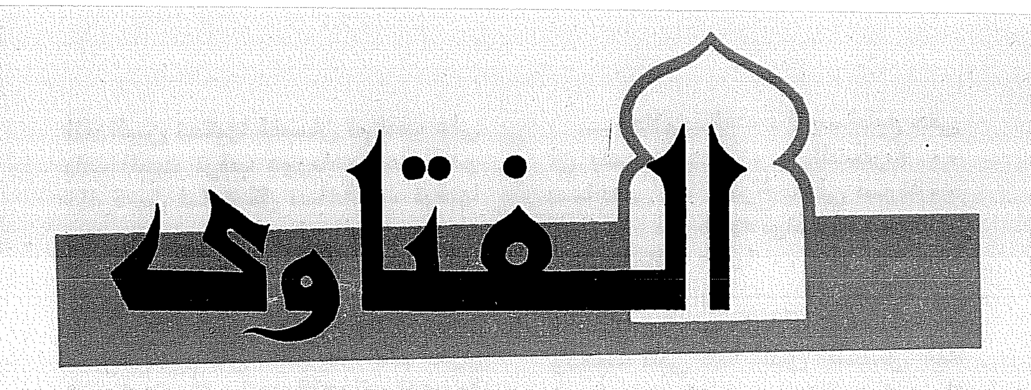
ورق صوته .. ودمعت عيناه وهو يستطرد :

ــ واذا مت .. فأخبرى إخــوتى أنى دفعت نصيبى .. فى ثأر أرضى وأبى وأمى .

استردت هناء أنفاسها .. ونفذت ما أراده غســان .. ودفعته أمامها بكرسيه المشحون وخرجــا من البيت الآخر مرة .

لم يكتشف الاعداء الذين فتشوهما شيئا .. فذهبا الى الهدف ... ثم جعــلا اقامتهما فى الجبهـــة .. مع أشرف ناس .

وبين الحين والحين .. يذهبـــان سويا الى هدف جديد .. وشعارهما الموت .. أو النصر .



دواجن المزارع
ثقب الاذن

السؤال ١ : ما حكم أكل لحوم الدواجن التى تربى فى المزارع ، وتعلف علفا يدخل فيه الدم عنصرا أساسيا فى تغذيتها بالقياس الى حكم الدجاجة المخلاة (الجلالة) التى تاكل العذرة ؟

السؤال ٢ : ما حكم ثقب الاذن من أجل وضع الحلى عليها ، وما الفرق بينه وبين ثقب أرنبة الانف والوشم من حيث احداث الالم وتغيير خلق الله ، وهذان الاخيران محرمان ؟

(فخرى أحمد : ثانوية التاج للبنات — عمان — الاردن)

•• •• •• ••

وقد تفضل الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا بالاجابة التالية :

ج ١ : ان الدجاجة أو الشاة أو الناقة الجلالة (هى التى تأكل النجاسات) يكره أكل لحمها كراهة فى معظم المذاهب الفقهية ، الى أن تستبرأ بحبسها عن أكل النجاسات واعلافها العلف الطاهر مدة يغلب فيها على الظن ذهاب أثر الجل من لحمها ، وتختلف هذه المدة بحسب حجم الحيوان ، ففى الدجاجة قدرت بثلاثة أيام ، وفى الشاة بأكثر ، وفى الناقة بأكثر وفى بعض المذاهب يحرم لحم الجلالة حرمة حتى تستبرأ .

لكن المهم معرفة حد الجلالة ، فلا تكون الدجاجة ونحوها جلالة بالنظر الفقهى الا اذا كان أكلها كله أو غالبه من النجاسات والاقذار حتى انتن لحمها ، وظهرت منها رائحة النتن ، هكذا عرفوها ، فأما اذا كانت تخلط فى مرعاها ، ولم ينتن لحمها فلا كراهة فى أكلها ، وصرحوا بأن العبرة لنتن لحمها لا لمجرد أكلها من النجاسات ، فان مجرد أكل النجاسة لا يجعل لحمها حراما ولا مكروها .

وبذلك يعرف أن لحم الدواجن التى تربى فى المزارع لا كراهة فيه ، وان دخل الدم عنصرا فى علفها ، ولا سيما أن الدم لا يعتبر مثل العذرة ، لأن اللحم لا ينتن منه وان كثرت نسبته فى علفها ما دامت العبرة لنتن لحمها وريحها .

ج ٢ : نص الفقهاء الحنفية على جواز ثقب اذن البنت لوضع القرط ونحوه للزينة ، كما نصوا على جواز خزمها فى الانف حيث يكون ذلك زينة متعارفة للنساء ، ولا يجوز شىء من ذلك للصبيان ، لأن الشريعة أباحت التحلى والتزين

للنساء دون الرجال ولا يجوز تعويد الاطفال على خلاف ما هم يهيؤون له فى الكبر ، فيجب تعويد الصبيان على الرجولية ، وتعويد البنات الطفل على أخلاق النساء ، ويحظر العكس ، أما الوشم فمحظور حتى للنساء لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنه ولعن الواشمة والمستوشمة ، وليست العلة فى هذا النهى هى الالم حتى يقاس عليه ثقب الاذن ، كما أن تغيير الخلقة الطبيعية كما يبدو فى الوشم لا يوجد نظيره فى ثقب الاذن أو الخزم ، لأن هذا الثقب هو مجرد احداث مركز لتعليق قطعة الحلى المباحة ، والله سبحانه أعلم .

فى الوكالة

ما قول علماء الشافعية فى رجل تحت يده سيارة لآخر ، ثم ان الاخر مالك السيارة كتب رسالة له يقول فيها ما نصه : « أقول لك السيارة سيارتك تشرق أو تغرب بها ما حد له شغل ما دام أنا غائب فانت المالك ولك مطلق التصرف فيها ، بالذى تراه مناسبا ، فهل هذه الالفاظ التى جاءت برسالة المالك تخول للامين بيع السيارة أم لا ، وهل هى من ألفاظ الوكالة الصريحة أو الكناية ؟

سيد عونى ربيد ــ جمهورية اليمن الشعبية

الاجابة :

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى .

ان المعتبر فى الوكالة أن يتلفظ الموكل بلفظ يدل على رضاه بالتصرف ، سواء أكان صريحا أم كناية ، وقد نص الشافعية على أن الكتابة كناية ، حتى لو كتب انسان لفظا صريحا فى الوكالة لم تعتبر الكناية صريحة ، بل تعتبر كناية محتاجة الى نية الكاتب ، ولا تعرف نيته الا باستفساره .

فبناء على هذا لا يجوز للامين أن يتصرف فى السيارة الا التصرفات التى كان مأذونا فيها من المالك شفاهيا قبل أن يرسل اليه هذه الرسالة التى قصد بها دفع اعتراض المعترضين ، فاقدامه على بيع السيارة اعتمادا على ما فى هذه الرسالة لا يجوز شرعا وهو من قبيل بيع الفضولى ، وعليه أن يتحمل تبعته لا سيما أنه صرح فى رسالته بعلمه أن المالك غير راض عن بيعها والله أعلم .

وقت العمل

اننى أعمل فى احدى الصحف المحلية موزعا ، ويستغرق عملى فى التوزيع ثلاث ساعات اذا سرت سيرا عاديا ، واذا أسرعت يستغرق ساعتين ولى اشتراك فى معهد الطباعة ساعة يوميا .

وأنا أستحث نفسى لكى أوفر ساعة أذهب فيها للمعهد ، فهل هذه الساعة حلال أو حرام على أنها من حساب العمل .

ن. م ــ الكويت

الاجابة :

وقد تفضل فضيلة الشيخ على البولاقى بالاجابة عن هذا السؤال :

ان قضاء ساعة من ساعات العمل فى مصلحة خاصة لا يجوز الا باذن أو عرف يقضى بذلك ، فعلى هذا لو كان الاتفـــاق بينك وبين ادارة الجريدة على الخروج للتوزيع فى مدى ثلاث ساعات ، فأمكنك ادخار ساعة منها من غير اخلال بالتوزيع فالعرف يقضى بجواز تصرفك فى هذه الساعة لا سيما أنه فى طلب العلم .

وكذا لو استأذنِت من له حق الاذن فأذن لك صراحة بخلاف ما لو صرح بالمنع .

النـــــذر

نذرت لله تعالى أن أصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع اذا ولدت ولدا ، وقد من الله على فأنجبت ولدا ، ووفيت بنذرى مدة سنتين ، ولكنى أصبحت غير قادرة على الوفاء بهذا النذر لضعفى وكثرة أولادى ، فما حكم الله ؟

الاجابة :

نشرنا هذا السؤال والاجابة عليه فى العدد (٦٠) وقد أرسل لنا الشيخ محمد الاشقر تحريرا للاجابة ننشره فيما يلى :

هذا نذر تبرر يجب عليك الوفاء به ، وأنت قد كلفت نفسك بهذا النذر مشقة شديدة ، وما كان أغناك عن هذه المشقة ، فالنذر كما جاء فى الحديث لا يقدم شيئا ولا يؤخر ، ولكن يستخرج به من البخيل ، ولكن ان كنت غير قادرة على الاستمرار فى الصوم كما تذكرين فى سؤالك ، فللفقهاء فى هذه الحالة رأيان :

الاول : تلزمك كفارة يمين فقط .

الثانى : تلزمك مع كفارة اليمين فدية طعام مسكين عن كل يوم تفطرينه مما وجب عليك صومه بالنذر .

والذى نرجحه أن عليك كفارة يمين ، ثم تصومين بعد ذلك نشاطك وتفطرين ما لا تقدرين على صومه .

روى عقبة بن عامر قال : نذرت أختى أن تمشى الى بيت الله ، وأمرتنى أن أستفتى لها النبى صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيته ، فقال : لتمش ولتركب ولتصم ثلاثة أيام .



واجب الدعاة فى مجتمع اليوم

كتب الاستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

المجتمع – بالمعنى المثالى – حركة وثابة نحو الهدف وانطلاقة واعية نحو المبدأ .. وصلابة وعزم تتخطى كل عقبات اليأس المثبط الى قمم الامل المشرق ..

والسياج المنيع لتلك الانطلاقة الفتية هو الدين بكل جلاله وروعته .. بكل منهجه وطريقته التى تتواكب مع منطق الحياة الصحيحة ، وتتلاقى مع موكب الاحياء فى غاية تتجه بهم نحو القيمة والقمة .

والدين لم يكن فى يوم من الايام – عائق عمل ولا حائل تقدم بل استقراء التاريخ يشهد أن الحضارات الاولى التى شيدها الانسان انما قامت على أساس من الدين والتدين ، ويوم أن عرف المسلمون طريقهم الى كتاب الله ، واستلهموه رشدهم ، وقادهم الى أمة هى من التاريخ غرته ومن الزمان ربيعه ..

واذا اتفقنا على أن الدين ضرورة قصوى للحياة الانسانية فى دابرها وحاضرها ومستقبلها فعلينا اذا – أن نتميز بملامح اسلامية صحيحة ، ونتسم بسمات مميزة مشخصة فى جميع سيرنا واتجاهاتنا ومن هنا يتأكد دور الداعية الى الله تعالى فى قياس واقع الناس (بترمومتر) الدين ..!! حتى نستطيع السير فى الحياة على هدى وبينة ، ونحقق قول الله تبارك وتعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وحينما ننادى بأهمية الداعية الى الله فاننا نعنى بهم هؤلاء الذين يتجهون نحو تربية الانسان وشحن أحاسيسه بمبادىء الخير والحب والحنان .. ورياضة روحه وضميره بقيم الحق والفضيلة والجمال .

اننا نعنى بهم أولئك الذين يتقدمون الركب بقوة ايمان وصدق عقيدة يوجهون الناس وفق الاغراض الاسلامية النبيلة التى تدفع بقوافل البشر نحو الكرامة والعزة ، اننا نعنى بهم هؤلاء القادرين على بيان الحوافز الروحية التى تؤمن للعمل مقصده ، وتخلصه من شوائب النفاق وكدر الرياء .

فعلينا – نحن الدعاة – اذا ما أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا والناس من حولنا أن ننزع

الى سلوكنا فنقومه والى قلوبنا فنطهرها والى عقولنا فننميها .. ثم علينا أن نترك تلك الخلافات التى لا تجدى والتى أضرت .

ان الشباب المعاصر لا يخلو من فطرة الله ((التى فطر الناس عليها)) ولا ينأى فى قرارة فؤاده عن منطق الخير ، وانما أخاله مذهولا لا يدرك أو مسترسلا .. لا يتدبر ، فهو فى أمس الحاجة الى من يسمعه كلام الله ، ويوجه اليه نداءه ، ويقف منه موقف المذكر دائما كلما زل أو كاد ..

ان مشكلة الشباب المعاصر لا يقوم فى أنهم لا يريدون أن يعرفوا واجباتهم ، بل تقوم أساسا فى أنهم لم يستطيعوا أن يعرفوا تلك الواجبات .

أيها الدعاة :

ان لكم أسلافا .. أدوا الامانة وأخلصوا لله أعمالهم .. وسبقوا الحوادث وفرضوا المسائل وأجابوا عنها ، كل ذلك بعقل واع حصيف وبصيرة طاهرة نفاذة ولم يدخروا وسعا فى الذود عن دين الله .. فجددوا عهد أسلافكم وانطلقوا الى العالم فأنقذوه من صراع جارف وحيرة مادية .. وانهيار الحادى ومن شرور مبادىء متطرفة ومذاهب هدامة ، فان الانسانية أحوج ما تكون الى من يسمعها نداء الله .

صرخـــة

وتحت هذا العنوان يقول الاخ ابراهيم حمد ابراهيم هندى :

مع نسمات عام هجرى جديد ، حرى بنا أن نتذكر منزلة الشهداء ، وما أعد الله لهم من ثواب كبير ونعيم مقيم .

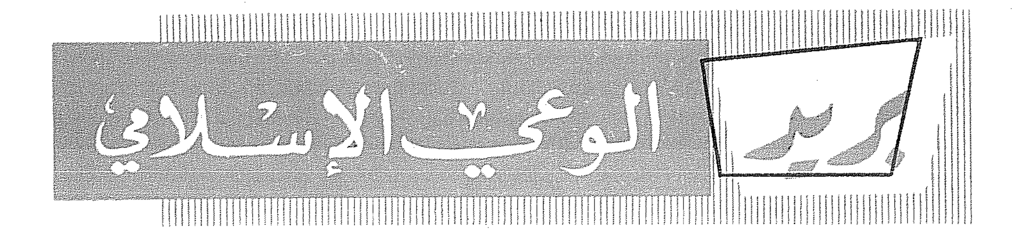
وجدير بنا نحن المسلمين أن نقف لحظات على أعتاب هذا العام نراجع فيها سيرة الاولين كى نأخذ منها عبرة اليوم ، وعظة المستقبل .

ففى تاريخ آبائنا الاولين الكثير من قصص الكفاح والفداء ، ولعل أقلها ما حدث فى موقعة بدر حيث انتصر الحق على الباطل ، وانتصرت القلة على الكثرة ، وتحقق النصر العظيم ، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فهذه عصابة صهيون يساندها الغرب قد كشفت عن وجهها السافر ، وأظهرت عداءها للبشرية والاديان ، فسلبت الديار والاموال ، وشردت أصحاب الارض الشرعيين فى الفيافى ، وأحرقت المساجد ، وهدمت الكنائس ، وتحدت المسلمين ، وعاثت فى أرض الطهارة والانبياء فسادا ، فى غير اكتراث ولا مبالاة ، فهل من مانع يمنعها ، وهل من راد يردها عن غيها وعبثها ؟

ليس هناك الا الجهاد والقتال والوقفــة المؤمنة والصــلة القوية بالله ، ومتى تحقق ذلك فستكون الغلبة للمسلمين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

فهيا نجمع قوانا ونعود الى رحاب الله ، ونوحد أمرنا ليوم الخلاص ، وأن يوم الخلاص والثأر لقريب كما قال الشاعر :

اليوم دقت ســاعة الخــلاص ... ما للجهــاد اليوم من منـــاص



المحــــاماة

استفسر كثير من القراء عن مهنة المحاماة واصلها فى الاسلام ، وعما تعود به من كسب على المشتغلين بها .
وقد تفضل بالرد الدكتور أحمد عبد المنعم البهى الاستاذ بجامعة الكويت فقال :

لا شك أن الوكالة جائزة فى الاسلام وضبطها الفقهاء بقولهم : « كل ما جاز للانسان أن يتصرف فيه بنفسه جاز له أن يوكل فيه ، وكل ما جاز للانسان أن يباشره بنفسه ، جاز له أن يوكل فيه ، واستثنوا من ذلك بعض العبـــادات وبعض الامور الشخصية التى لا تصح الوكالة فيها » .

صحيح أنها على هذا النحو الحالى وبهذه الصورة المعاصرة لم توجد فى صدر الاسلام لأن وجودها كان رهنا باستحداث أنظمة شتى فى التقاضى ، ومع ذلك نستطيع أن نقول أن بعض القضايا فى عصر الصحابة وقف بعضهم منها موقف الدفاع عن المتهم ، ومن ذلك ما رآه عمر رضى الله عنه بوصف كونه أميرا للمؤمنين رجم المرأة التى وجدت حبلى ولا زوج لها فدافع عنها الامام على باعادة التحقيق معها لجواز أنها استكرهت على هذا الامر ، وفعلا ظهرت براءتها عندما أعيد التحقيق معها .

وهذا يوضح لنا أن الدفاع عن المتهم جائز شرعا فضلا عن أن المحـــاماة لا تخرج عن كونها نوعا من التوكيل .

على أن التنظيم القضائى فى عصرنا الحاضر يستدعى فى معظم الاحيان وجود محـــام مع المدعى أو المدعى عليه ، لأن معظم النـــاس لا يعرفون مواد القانون ، ومن أين يبدأون بالدفاع عن حقهم أو يردون على خصم أقدر منهم فى محاولة الحكم له ضدهم ، وهناك سيدات لا يستطعن التردد على المحاكم لظروف مختلفة ، ومن ثم كانت المحاماة ضرورة فى ظل النظام القضائى الحالى .

أما ما يقال من أن بعض المحامين يوكلون للدفاع عن الباطل ، فانى أعلم أن كثرة منهم ترفض قبول هذا النوع من القضايا هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان للمحكمة تقديرها وهى لا تأخذ دفاع المحامين قضيةمسلمة ، وعلى الذين يدافعون عن الباطل وزر عملهم ، وهذا دون شك ينافى المهمـــة السامية التى يقومون بها ، وهى نصرة العدالة والدفاع عن الحقوق المهضومة ، ومن أجل ذلك نستطيع أن نقول أن مهنة المحاماة مشروعة وجائزة ، ولا تأباها نظم الاسلام وكسبها حلال شرعا .

المصحف .. المصحف

لاحظت فى الفترة الاخيرة وجود عدة طبعات من المصحف الشريف بهـا اختلال كبير لا يصح التهاون فيه ، ولا اغفاله ويبدو أن الخلل نشأ من اهمـال العمال الذين يعملون فى الطباعة والتجليد ، فبعض المصاحف نجد فيها الورقة الواحدة فيها صفحة من سورة البقرة والصفحة الثانية من سورة الفتح ، وبعض المصاحف نجد فيها ورقتين من سورة التوبة وسط سورة الشورى ، فما حكم الاسلام فى هذه المصاحف ؟

س٠ ع ــ السودان

يجب شرعا مصـادرة هذه المصاحف ومنع تداولهـا ، وهذا أولا واجب الحكومات الاسلامية اذ أنها تملك السلطان الذى يمكنها من ذلك ، وهذا الواجب الملقى على عاتق أولياء الامور ، لا يعفى المسلمين كأفراد فيجب على كل مسلم وجد مصحفا من هذه المصاحف أو سمع به أن يبادر الى احراقه ، وأن ينبـه اخوانه الى القيام بهذا الواجب .

ومن واجب الانصاف للدول الاسلامية تسجيل اهتمامها البالغ بأمر طبع المصحف ، ففى كل دولة ــ على ما أعلم ــ هيئة علمية خاصة يعرض عليهـا المصحف قبل طبعه ، ومع هذا الاهتمام فان أخطاء تحدث ، واهمالا يقع ، والامر يحتاج الى عناية بالغة واهتمام أكبر وانا نقترح أن تنشأ هيئة دولية اسـلامية تشرف على طبع المصحف .

وكلمة أخيرة الى المشتغلين بالطباعة أن يتقوا الله فى كتاب الله .

الجهـاد فى الاسـلام

يسأل الأخ أحمد عبد الحميد من القاهرة عن القتال فى الاسلام ، وهل هو دفاعى أو هجومى ، وبناء على طلبه أحلنا هذا السؤال على اللواء الركن محمود شيت خطاب ، فتفضل بالاجابة التالية :

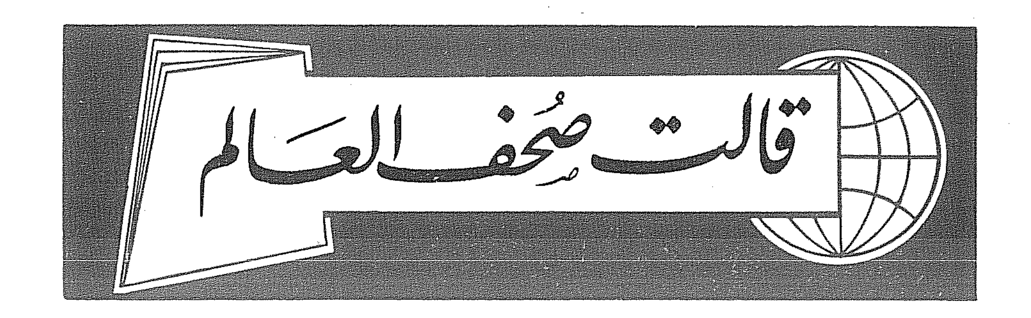
والواقع هو أن الاسلام دين سلام ، وهذا ما تنص عليه آيات القتال فى الاسلام ، ولكنه سلام الاقوياء لا سلام الضعفاء ، أى أن القتال فى الاسلام هو لاقرار السلام لا لاقرار الاستسلام .

وقد فصلت ذلك فى بحث (القتال فى الاسلام) فى كتابى الرسول القائد ، كما شرحت ذلك فى بحث (تعاليم الفتح فى الاسلام) الذى جاء خاتمة لكتابى : قادة فتح العراق والجزيرة ، فليرجع الى هذين البحثين السيد السائل اذا أراد .

أما اتخاذ خطة الهجوم ، فان الهجوم هو أنجع وسائل الدفاع ، كما تنص على ذلك الكتب العسكرية الفنية القديمة والحديثة .

وصفحات القتال هى : مسير الاقتراب ، والدفاع ، والهجوم ، والانسحاب والمطاردة ، وهذه الصفحات هى لتحقيق (هدف) القتال وهو (السلام) فى الاسلام ، و (الاعتداء) فى كثير من الاديان والمعتقدات ، فالسلام هو (الهدف) وصفحات القتال (الوسائل) ، والهدف هو القاعدة ، والوسائل تتبدل حسب الظروف .

وشكرا للسيد السائل على سؤاله ، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه .



بيـــــان

نشرت مجلة الفكر الاسلامى التى تصدر عن دار الفتوى الاسلامية فى بيروت هذا البيان لسماحة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية ردا على الاستفسارات حول حكم الاسلام فى كتاب « نقد الفكر الدينى » الذى ظهر فى الآونة الاخيرة .

فى هذه الفترة العصيبة من حياة العرب والمسلمين يحلو لبعض المحسوبين على الامة العربية أن يعكروا صفوها ، ويفرقوا كلمتها بما ينشرون من أفـكار خاطئة وتهجمات ضارة ، ينالون بها من الدين السماوى ومبـادئه المقدسة ، متذرعين بأنهم يقولون كلامهم فى ظل من حرية الرأى ، وهى دعوى تغرى السذج والبسطاء فيتأثرون بها ، ويسيرون فى ركاب هؤلاء المفسدين .

وكتاب « نقد الفكر الدينى » نموذج من تلك النماذج المخربة ، المجافية لأدب الدنيا وأدب الدين . ووضعا للحق فى موضعه ، وقطعا لألسنة السوء ، نوجه أنظار أبنائنا الى ما يلى :

أولا : ان الاسلام دين يكفل الحرية للفرد بكل أبعادها ليتصرف الانسان من خلالها بمطلق ارادته . على أن للحرية فى أعراف الناس وقوانينهم ، كما أن لها فى عرف الشرع وقانونه حدودا يجب التزامها حتى لا تنقلب فوضى ، تضر الفرد ذاته ، وتضر مجتمعه ، وتفقد فكرة المنطلق حرمته وقيمته . والمعروف أن حرية الانسان تنتهى عند حدود حرية غيره وكرامته ، وبهذا تصان الجماعة وتحفظ من الهزات والرجات والقلاقل .

ثانيا : ان فى الاسلام مقدسات لا يجوز المساس بها ولا النيل منها لأى سبب وأى حجة . فالله والملائكة والجن والجنة والنار ، والحساب والثواب والعقاب وخلق آدم من تراب وصدور الامر من الله عز وجل لابليس بالسجود له سجود تعظيم وتكريم ، واباء ابليس تنفيذ أمر ربه ، كل هذه وغيرها مما ورد شبيهه فى القرآن والسنة ، مسلمات قطعية الثبوت فى الاسلام ، والايمان بها فريضة محكمة على كل مسلم ، والتشكك فى تصديقها أو تصديق بعضها كفر صراح يخرج المسلم من الاسلام .

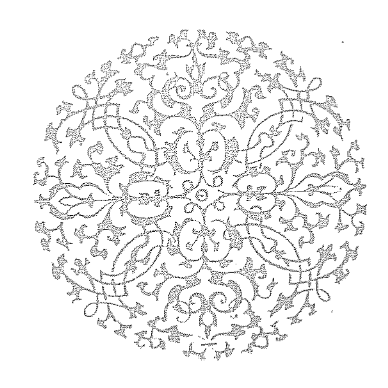
ثالثا : ان رفض التسليم بهذه الغيبيات وأمثالها مما قطعت الادلة الشرعية المتواترة بثبوته بحجة مخالفته للعلم هو افتراء على العلم نفسه ، ذلك لأن العلم الوضعي لم يزل يشتمل على طائفة كبيرة من الغيبيات لم ينفذ بعد الى أسرارها ومع هذا يسلم العلم بها تسليما عفويا ، وذلك باعتراف المؤلف ، فكيف يؤخذ على الديانات التسليم بما هو غيبي . وفوق هذا فالعلم البشري بما أوتي من النفاذ والقدرة لم يستطع ولن يستطع أن يكتشف تلك المغيبات التي هي من أمر الله وخاصة علمه ، وليس عدم اكتشاف العلم الانساني لأمر دليلا على عدم وجوده ، وما كشفه العلم حتى أيامنا هذه لا يزال يسيرا بالنسبة الى ما هو مجهول وصدق الله العظيم اذ يقول (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

رابعا : ان مشايعة المنكرين والسير معهم وتأييدهم في أفكارهم وتبرير هذا الانكار بحرية الرأي هو رفض لأمر الله ومروق بالتالي من الدين .

خامسا : وبناء على هذه الحقائق التي أسلفنا بها فان كتاب « نقد الفكر الديني » بما اشتمل عليه من انكار للغيبيات وافتراء على الدين والقرآن يعتبر مؤلفه خارجا عن الاسلام مرتدا وكذلك من يؤيده ويجاريه في رأيه .

سادسا : ان واجب الدولة أن تقطع الطريق على مثل هذه الافكار الضالة الهدامة التي تضر الامة في صميمها ، وتعرضها لانقسامات خطيرة وفتن شعواء ، لا يعرف مداها الا الله وان على الدولة أن تطبق ما لديها من القوانين الصريحة في معاقبة كل من يتعرض للشعائر الدينية وللمقدسات بما يسيء حتى لا يضطر المسلمون الى سلوك الطريق الذي يرونه فيه حماية عقيدتهم وصيانة دينهم .

سابعا : وعلى أبنائنا جميعا أن يحذروا هذه الافكار الضارة السامة التي لا تلتزم بشرع ولا تؤمن بدين والتي تلتقي في صميم اتجاهاتها مع أفكار الصهيونية العالمية التي تستهدف محاربة الأديان لاضعاف المواطنين والاستيلاء على أوطانهم ومقدراتهم ومرافقهم .





اعداد . ع . ب

الكويت : استقبل سمو ولى العهد وفدا اسلاميا يمثل المركز الاسلامى فى بروكسل حيث عرض على سموه مشروع المسجد الذى ينوى المركز انشاءه .

● قام سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة الى البحرين فى أوائل الشهر الماضى وصرح بأن للكويت قوات فى السويس ولكنها مع ذلك مستعدة للدفاع عن البحرين .

● وافق مجلس الوزراء على التبرع لعدد من الجمعيات والمراكز الاسلامية فى الخارج .

● عقد بالكويت فى أوائل الشهر الماضى مؤتمر خبراء التمويل العرب وقد وافق على انشاء شركة عربية برأسمال ١٠ ملايين دينار تساهم فيها الدول العربية للاستثمارات ضد مخاطر الحرب وغيرها .

● قام رئيس العلماء فى يوغسلافيا بزيارة الكويت حيث قدم شكر المسلمين للمسئولين على المساعدات القيمة التى تعطيها الكويت للمؤسسات الاسلامية هناك .

● احتفلت البلاد بيوم المعلم حيث كرم عدد من المعلمين وقد أقامت المدارس احتفالات بهذه المناسبة أبرزت دور المعلم فى خدمة العلم والامة .

● قدمت الكويت الى الصومال عشرة آلاف كتاب مدرسى وقال السيد محمد شيرة محمد مدير المناهج التعليمية أن الصومال تشكر الكويت على هذه المساعدة العلمية القيمة .

● عقدت اجتماعات مطولة فى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية لرسم خطة الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية بمناسبة العام المالى الجديد .

القاهرة : احتفلت البلاد بالذكرى الاولى لاستشهاد الفريق أول عبد المنعم رياض وقد احتفلت القوات المسلحة بهذه المناسبة حيث أبرزت معنى استشهاد الفريق فى الصفوف الامامية لجيشه .

● عقد مؤتمر علماء المسلمين الخامس فترته الثانية حيث ناقش أعضاء المؤتمر مشكلات الانحراف وبحث علاقة الاسلام بالفكر الحديث كما بحث دور الازهر فى نشر الدعوة الاسلامية .

● أحبطت القوات العربية محاولة العدو عبور القناة وأغرقت بعض قواربه وألحقت خسائر فى الارواح والمعدات .

● صرح الدكتور عبد الحليم محمود أمين عام مجمع البحوث الاسلامية أن القاهرة ترسل ٤٠٠ واعظ كل عام الى البلاد الاسلامية وأنه يوجد على جبهة القتال ٢٠٠ واعظ يعملون على اذكاء الروح والجهاد .

السعودية : عقد فى جدة فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى قرر عقده مؤتمر القمة الاسلامى الاول لبحث ومتابعة ما تم تنفيذه من قرارات القمة الاسلامية .

● صرح وزير الاوقاف المغربى أنه (مسرور جدا لما لاحظه من عناية واهتمام المسئولين فى المملكة العربية السعودية باظهار المشاعر المقدسة بالمظهر اللائق الذى يساعد الحجاج على أداء حجهم براحة واطمئنان) .

العراق : تم الاتفاق بين الحكومة العراقية والاكراد على تصفية المشكلة الكردية بعد عشر سنوات من القتال . وصرح مصدر مسئول بأن الاكراد فى شمال العراق سيشتركون فى عمليات فدائية ضد اسرائيل .

الاردن : قام جلالة الملك حسين بزيارة الى باكستان فى أوائل الشهر الماضى وقد تباحث مع حاكم أبو ظبى وشاه ايران حول دعم الجهود العربية .

● بدأت اسرائيل مخططا لترحيل ٣٠٠ ألف فلسطينى من قطاع غزة الى الضفة الغربية وقد أصدرت وزارة الداخلية الاردنية أمرا بمنع دخول القادمين من القطاع ومن الضفة الغربية الا بجواز سفر .

● صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أن الحرب الشعبية بدأت فى قطاع غزة وأن الاراضى العربية المحتلة سوف تشهد انطلاقات ثورية شعبية عما قريب .

سوريا : نشطت القوات السورية وقوات المقاومة وألحقت بالعدو الصهيونى خسائر جسيمة .

لبنان : صرح وزير الانباء اللبنانى أن لبنان متضامن مع العالم العربى ونفى ما ذكره وزير خارجية اسرائيل من أن لبنان مستعد لتوقيع معاهدة مع اسرائيل .

ليبيا : احتفل فى يوم ٣١ مارس الماضى بجلاء آخر جندى بريطانى من البلاد .

● عقد فى آخر مارس الماضى مؤتمر لوزراء التربية والتعليم فى المتحدة وليبيا والسودان لتوحيد مناهج التعليم فى الاقطار الثلاثة .

● تمت الاجراءات لافتتاح سفارات ليبية فى كل من جمهوريتى اليمن وموريتانيا والصومال .

السودان : صرح رئيس مجلس الثورة بأن مؤتمر دول شرق ووسط افريقيا الذى عقد فى الخرطوم مؤخرا نجح فى وقف النشاط الاقتصادى الاسرائيلى فى المنطقة .

المغرب : ينظم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط مسابقة على الصعيدين العربى والاسلامى للكشف عن المخطوطات القديمة النادرة ، آخر موعد لتقديم المخطوطات نهاية يونيو ١٩٧٠ م .

● تأجل مؤتمر وزراء اقتصاد المغرب العربى الذى كان مقررا عقده فى الشهر الماضى بالرباط لاعتذار ليبيا عن حضور المؤتمر .

تركيا : صرح نائب تونية المستقل البرفسور نجم الدين أربكان أن هدفنا هو اعادة بناء تركيا المؤمنة من جديد على أسس الاسلام .

الباكستان : قررت الباكستان حضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى جدة .

أندونيسيا : دعا الجنرال ناسوتيون رئيس المؤتمر الاستشارى المؤقت جميع المسلمين فى اندونيسيا الى بذل مساعيهم للعرب وناشد الحكومة تدعيم علاقاتها مع حركة التحرير الفلسطينية .

الهند : صرح رئيس مجلس التعليم الاسلامى فى ولاية كيرالا الهندية أن المجلس بصدد تأسيس مركز خاص للبحث والتحقيق فى العلوم الاسلامية وقد زار الكويت لتوثيق العلاقة بين الكويت والمسلمين فى كيرالا .

اخبار متفرقة

مدريد :

بلغ عدد الطلاب العرب الذين يدرسون فى أسبانيا ما يقارب ٨ آلاف طالب .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعـــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

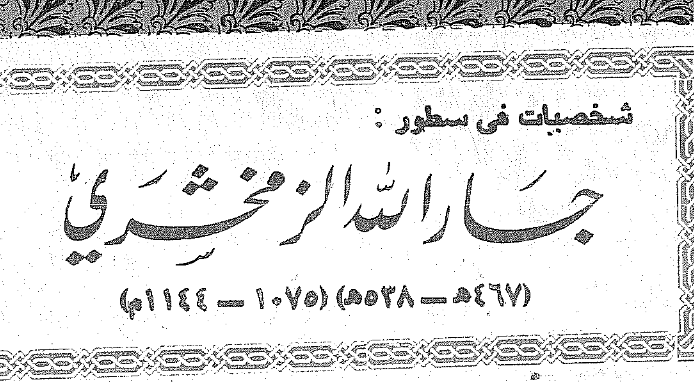
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



شخصيات في سطور :

جار الله الزمخشري

(٤٦٧هـ ـ ٥٣٨هـ) (١٠٧٥ ـ ١١٤٤م)

* هو ابو القاسم محمود بن عمر ابن محمد الخوارزمي الزمخشري أحد ائمة الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان ، من ائمة المعتزلة كان مجاهرا شديد الانكار على المتصوفة ..

* سافر الى مكة المكرمة وجاور بها زمانا ولذلك لحقه لقب جار الله وفيها الف الكشاف ..

* نسبه الى بلدة من قرى خوارزم تسمى زمخشر (بفتح ففتح فسكون ففتح) وبها ولد

* كان يمشي على خشب واحدى رجليه ساقطة وسئل في ذلك فقال انه بسبب دعاء الام فقد امسك ـ في صغره ـ بعصفور وربطه من رجله واخذ يلعب به ، ثم دخل العصفور في خرق فنهته امه عن أن يجذبه وطلبت ان يفك وثاقه فلم يفعل وجذب العصفور فانقطعت رجله فتألمت الوالدة لحال العصفور وقالت : قطع الله منك ما قطعت منه ، واستجاب الله فحين مضى الى بخاري يطلب العلم ، سقط عن دابة ، كان يركبها فانكسرت رجله واستوجب الامر قطعها ..

* اشهر مؤلفاته :

له ديوان شعر

اساس البلاغة

ربيع الابرار

ضالة الناشد والرائض في علم الفرائض

القسطاس في العروض

المفصل في النحو

البدور السافرة في الامثال السائرة

المنهاج في الاصول

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ـ في تفسير القرآن الكريم ، وقد علق على الكشاف قوم منهم الامام ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي بكتابه ((الانتصاف من الكشاف)) بين فيه ما تضمنه الكشاف من آراء الاعتزال وناقشها ، واستدرك عليه في بعض اعاريب آيات من القرآن ..

ونظرا لكثرة ما استشهد به الزمخشري من الشعر في كتابه الكشاف فقد وضع احد الفضلاء المسمى محب الدين افندي كتابا سماه ((شرح شواهد الكشاف)) اورد ، فيه شعر الكشاف كله ونسبه الى اصحابه واستكمل ابياته وقصائده ..

* كانت ولادة الزمخشري ـ رحمه الله ـ في السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة بزمخشر . اما وفاته فكانت في ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بخوارزم في قصبتها جرجانية او ((كركانج)) كما يقول ياقوت في معجمه وهي على نهر جيحون .. رحمة الله تعالى .

العوضي الوكيل

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثالث والستون

ربيع الأول ١٣٩٠ هـ

٦ مايو (أيار) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

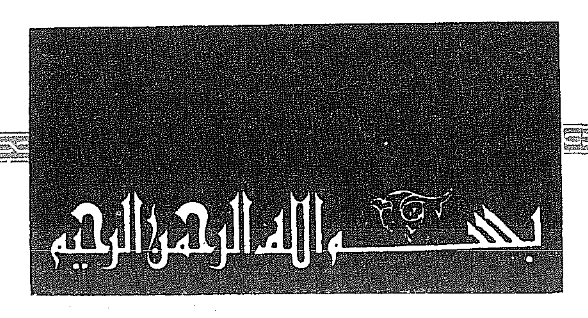
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

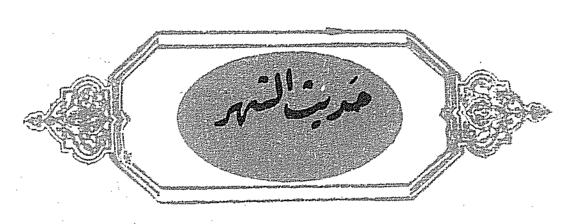
عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت





نبيّ الملحمة

مع اشعة الشمس المحرقة التي يصطليها جندنا المرابط على اطراف ارض الاسلام المغتصبة .. مع رياح الصيف الملتهبة التي تلفح وجوه الصامدين على خطوط النار مع العدو .. مع الظلام الرهيب الذي يلف الملثمين المدججين بالسلاح ، يبثون الألغام ، وينصبون الكمائن ، ويقتحمون الأسلاك ، ويقذفون المستعمرات .. مع ألسنة اللهب التي تنطلق من فوهات البنادق والمدافع والقذائف المنقضة ليل نهار منذ حرب حزيران .. مع المغارم الفادحة والتضحية الباهظة التي كتبت على الأحرار ثمنا لحريتهم ودفاعا عن كيانهم .. مع مراجل الغضب التي تفور في دماء الملايين من المسلمين نقمة واستنكارا للعدوان الوحشي الاسرائيلي على حقوقهم ومقدساتهم .. مع هذه الآلام ، ومع الأمل الكبير والثقة الكاملة في أن الله معنا ، وأن جندنا هم الغالبون

وفي خضم الأحداث النازلة والمحن الفاشية ، تفد علينا ذكرى المولد النبوي الشريف ، فتنحسر القرون المتطاولة ، وتتقارب الأمكنة المتباعدة ، ويتلاقى المسلمون مع صاحب الذكرى الهادية الملهمة ، ويعيشون مع القائد المنقذ نبي الملحمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي حارب الفكرة بالفكرة ، وقرع الحجة بالحجة وواجه القوة بالقوة ، وشهر السلاح في وجه السلاح ، ووضع السيف في موضع السيف ، كما وضع الندى في موضع الندى ، وجاءنا بكتاب لم يحمل الينا كلمة المسيح عليه السلام : (من ضربك على خدك الأيمن فادر له خدك الأيسر) بل حمل لنا ما ينفخ في روحنا ، ويشد من عزمنا ، ويثير فينا حمية العقيدة المقيمة للعدل ، المبيدة للجور والظلم .. حمل الينا : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) .

ان ذكرى المولد النبوى الشريف تشد المسلمين الى رسولهم العظيم ، وتفتح اعينهم على الشرف الكبير الذى عهد به الحق تبارك وتعالى الى الرسول الخاتم ، والى امته .. شرف حراسة الدعوة ، والدفاع عن الحق بحد السلاح حين يحدق الخطر بالحق ويصبح اهله مهددين بالهلاك والفناء وتلك مسئولية لم يتحملها رسول قبله ، ولم تنهض بها امة من الأمم السابقة .

ان القرآن الكريم وهو يقص علينا خبر الماضين ، وانباء القرون الأولى وتاريخ النضال بين المرسلين السابقين ، وبين اقوامهم — لم يذكر لنا شيئا عن معارك حربية خاضوها ، فليس فى قصة نوح مع قومه ، ولا فى تاريخ هود مع عاد ، ولا فى نبأ صالح مع ثمود ذكر لاشتباك مسلح ، او معركة نشبت بقوة الحديد والنار — مع شدة عناد الكافرين ، وقوة شكيمتهم واضطهادهم للمؤمنين ، وكل ما ذكره القرآن عن موقف الرسل الكرام : الدعوة الهادئة اللينة ، والمحاجة العقلية المقنعة ، فنوح قال لقومه : (انى لكم نذير مبين ، أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) وهود قال لقومه : (الا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله واطيعون . وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين .

اتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين) وصالح وعظ قومه فقال : (اتتركون فى ما ههنا آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) .

والقرآن الكريم يتحدث عن موقف العنف الشديد الذى لقيه ابراهيم من قومه .. العنف الذى بلغ من الفظاعة والقسوة مبلغ احراقه بالنار : (قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) .

وكذلك يتحدث عن العفن الخلقى، والشذوذ الجنسى الذى استشرى فى قوم لوط ، وطغيان النزوات السفلى فيهم على كل القيم والمبادىء ، وتنكرهم للفطرة السليمة التى تلتزمها الحيوانات ، واصرارهم على المضى فى الفاحشة ، وتحديهم رسولهم حين استنكر عليهم ذلك : (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين . ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) .

مع هذا الحديث المستفيض عن الرسالات السابقة ، وعن الصراع بين المرسلين وبين اقوامهم ، وتكرر هذا الحديث فى اكثر من موضع من الكتاب الكريم ، فانه لم يرد فيه ذكر لاستنفار المرسلين والمؤمنين ، وتعبئتهم للجهاد ، وحملهم السلاح ، فى وجوه المجرمين المعتدين .

فهل معنى هذا ان الرسالات

السابقة كانت تترك دون حراسة ولا حماية ، وان المرسلين ومن آمن بهم كانوا يستسلمون لأعدائهم ، ويقعون فريسة سائغة لهم دون مقاومة ، وهل معنى هذا أن الجهاد بقوة الحديد والنار لم يفرض عليهم كما فرض علينا ، وأننا الأمة الوحيدة التى كتب عليها وعلى رسولها الجهاد .

ان الله سبحانه اجل واعز من ان يدع رسله مع المؤمنين غرضا للمجرمين ، وهدفا للمعتدين ، فكل رسالة سماوية كانت تحمل معها القوة الضاربة التى تكفل حمايتها ، وتؤدب المعوقين لها الواقفين فى طريقها ، وهذه القوة الضاربة كانت تأتى من السماء ، فالقدر الأعلى هو الذى تكفل بألوان العذاب والنكال لمن كذب برسل الله ، وبسط يده أو لسانه بما يسوؤهم .. كان القدر القاهر يتولى عقاب الظالمين وتأديبهم وكان هذا العقاب عادلا يأتى على قدر الجرائم ، فاما هلاكا جماعيا ، واما دون ذلك .

وقد أشاد الكتاب العزيز الى هذه الحروب الالهية : (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية)(فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية) ، وفى عقاب قوم لوط يقول الله عز وجل : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد) .

فطوفان نوح ، وصواعق عاد ، ومرسلات هود ولوط حروب الهية نزلت بالظالمين ، وفعلت بهم أكثر مما تفعل سيوف المجاهدين ، ولم يفلت من عقاب الله باغ ولا عاد (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) .

ولم يرد فى القرآن الكريم اشارة الى تكليف الله الرسل السابقين بحمل السلاح ، ولا الى فرض الجهاد على أتباعهم الا فى الرسالة الموسوية ، ولم يقدر لقوم موسى أن ينهضوا الى هذا الشرف الذى كتب عليهم ، بل جبنوا واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وقالوا له : (اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) .

ولم تبدأ المعركة الحقيقية بين الكفر والايمان الا على يد نبى الملحمة محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى يد اتباعه الذين باعوا أنفسهم لله يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

لقد حمل رسول الله والمؤمنون مسئولية حماية الدعوة والدفاع عنها، واستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وواجهوا جيوشا كانت على أرفع مستوى فى العدة والعتاد والتدريب والتخطيط ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم القائد البصير اذا وجبت الحرب ،

ودعت الضرورة اليها . يقول الأستاذ العقاد عن الكفاءة العسكرية للرسول (أنه كان يعلم من فنونها بالالهام ما لم يعلم غيره بالدرس والمرانة ، ويصيب فى اختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خططه اصابة الرأى واصابة التوفيق ، واصابة الاستشارة .. ولو تتبع حروبه قائد عسكرى من أساطين فن الحرب فى العصر الحديث ليقترح وراء خططه مقترحا ، أو ينبه الى خطأ لأعياه التعديل) .

ولم يؤثر عن قائد من قواد التاريخ العظام أنه نزل بنفسه الى ميدان المعركة ، أو شارك فيها مشاركة ايجابية وتعرض لأخطر المواقف ، كما شارك نبي الملحمة صلى الله عليه وسلم ، يقول على كرم الله وجهه ، وهو البطل المغوار والمقدام الذى لا ينكص (كنا اذا احمر البأس ، ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أدنى من القوم منه) ويقول أنس بن مالك (كان رسول الله أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا ، وقد سبقهم ، واستبرأ الخبر ، وهو على فرس لأبى طلحة عرى ، وفى عنقه السيف ، وهو يقول : لن تراعوا . لن تراعوا) .

وقد كان ثبات القائد صلى الله عليه وسلم فى المواقف التى يفر فيها الكماة ، وتنخلع فيها قلوب الصناديد سببا فى تحويل الهزيمة المؤكدة الى نصر ..

تروى كتب المغازى والسير أن المسلمين فى غزوة حنين فوجئوا بالسهام تنحط عليهم فى الظلام من كل جانب فما يدرون أمن السماء تأتى أم من الأرض ، ولم يجدوا بدا من التقهقر ، وانتهز العدو الفرصة فهجم بخيله ورجله ، وأمعن فى ظهورهم طعنا وضربا ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الهلع والاضطراب فى صفوف الجيش جعل يصيح : (أيها الناس .. هلموا الى .. أنا رسول الله .. أنا محمد بن عبد الله ..

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

فانقلب المسلمون يتواثبون ، واجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال الصادقون فى عزائمهم وايمانهم ، وحملوا على العدو ، فتفرقت جموعه ، وغنم المسلمون غنائم لا يحصيها العد ..

لم يوجد انسان يدعو الى حق ، كما دعا رسول الله ، ولم يوجد انسان يحب السلام ، ويدعو الى حقن الدماء كما كان رسول الله ، ومع ذلك فانه لم يجد بدا من الاحتكام الى السيف .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

ولقد ضقنا ذرعا بالحجج والبراهين مع عدو الله اسرائيل ، فليس الا الاقتداء بنبى الملحمة صلوات الله وسلامه عليه .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

[signature]



المادية

في مظاهرها وآثارها

١ ـ مظاهرها في الإيمان بالله

للدكتور : محمد البهي

* والاتجاه المادي ـ وهو الايمان بالمحسوس وحده ـ اذا كان يعبر عن طفولة بشرية في التفكير ، وعن تأثر بعوامل تبعد عن « التجرد » في النظر والحكم ، واذا كان ينم عن « أنانية » في السلوك ، فانه لا يتخلى عن هذه الظواهر ، عندما يصبح ذا طابع فلسفي أو «مدرسة» من مدارس الفلسفة في عصر ما من عصور الفكر البشري .

فالمادية كمذهب فلسفي اذ تضع هدف الحياة في المتعة الحسية الحاضرة ، وتجعل الامر الذي يجب أن يسعى اليه الانسان : هو المتع المادية أو الحسية ، دون القيم المثالية التي يجب أن تحتقر .. اذ توحي أو تطلب ذلك غالبا تستهدف اشباع « الانانية » وحب الذات ، دون شيء آخر . ولذا تسخر من الدين ، عندما يبشر بوجود آخر وراء هذا الوجود المادي ، وهو وجود « الاخرة » . وتعتبر الدين من اجل ذلك خداعا ، اذ يصرف الناس عندئذ عن السعي لتحصيل هذه المتع المادية أو الحسية ، املا في متع أخرى غير محسة ومشاهدة في عالم المرئيات اليوم .

ان المادية كمذهب فلسفي يستهدف المتع المادية وحدها ؛ لا تجعل من أهداف الانسان في حياته مثلا : معاملة الوالدين معاملة مهذبة كريمة ، ولا « الحسنى » في العلاقات بين الافراد بعضهم مع بعض . لان هذا وذاك لا يصور متعة حسية أو مادية . فالمتعة الحسية أو المادية هي ما تتصل باللذة أو الفرح .

«والأنانية» ليست لها معنى سوى ان تكون « الذات » مركز التفكير ، والسعى ، وما يحصلـــه الفرد فى حياته . فما يجر على الذات وحدها منفعة مادية أو يدفع عنهـــا ضررا ماديا يعد من مستلزمات الأنانيـــة ونتائجها . فاتجاه الانانية ، لا يعرف القيم المثالية . لان القيم المثاليـــة تتصل بالمجتمع وبحياة الأفراد كافة كما تتصل بحياة الفرد والذات التى تؤمن بها . فالمحبة والمودة ــ اى محبة الغير كمحبة النفس ومـــودة الغير كمودة النفس ــ مثلا من القيم المثالية . وتقف « الأنانيـــــة » فى طريق تحقيقها . لانهـــا لا تملى الا محبة « الذات » وحدها ومودة « الذات » لا غيرها .

واذن على « الذات » التى تتجه اتجاه « الأنانية » ان تسعى فقط فيما يمتعها امتاعا حسيا أو ماديا . وهذا هو مطلوب المادية كمـــذهب فلسفى .

ومن أجل ما تنطوى عليه المادية كمذهب فلسفى من حب الـــــذات وتشجيع « الأنانية » لا تصلح ان تكون قاعدة لمذهب اجتماعى اصلاحى يستهدف تقوية العلاقات ، ولا حلا لمشكلة اجتماعية يعيد « الصفاء » فيما بين الأفراد فى المجتمع . لأنها اذ تشجع الانانية وتركز مطلوبها فى المتع الحسية وحدها فانها تشجـــع الفردية من ناحية وتقف بالنشـــاط الفردى عند المتعة الحسية فقط . وكلا الأمرين يحول دون قيـــام علاقات « انسانية » بين الأفراد فى المجتمع ، وبالتالى يحول دون وجود مجتمع يعتمـــد على مقومات الترابط بين أعضائه . والذى يحول دون قيام المجتمع يحول دون اصلاحه واعادة الصفاء بين أفراده .

بل على العكس : تشجيع الهدف الأنانى وتركيزه فى المتعة الحسية يثير الأحقاد والضغائن بين الأفراد الأنانيين الآن . واثارة الاحقـــــاد والضغائن تؤدى الى تنافس عـــلى المتع الحسية والمادية ، ينتهى أمره الى تمزق وتفرق ثم الى خصومـــة قاتلة . فالمتع الحسيـــــة محدودة والطاقة على التنافس مختلفـــة . ومن هنا لا يفتر التنافس ولا يضعف ، ثم لا تنتهى كذلك الخصومة القاتلة ولا تزول .

والماديــــــة اذن كمذهب فلسفى تشعلها حربا بين الأفراد ، ان هى حاولت أن تأخذ لنفسها دور المصلح الاجتماعى أو دور صاحب الخلفيـــة الاجتماعية . ومن السخرية بمكان ان تطلب « المادية التاريخية » فى أهدافها تنظيما عالميا ، اجتماعيـــا واقتصاديا ، تزول فيه : الطبقية ، والدولة ، والالزام . لانه بحـــكم الاتجاه المادى لا يلتئم مجتمع ، وبحكم هذا الاتجاه أيضـــا لا ينتهى صراع الأفراد ، وبحكم هذا الاتجاه أخيرا لا تكون خلفية فضـــلا عن أن تكون خلفية اجتماعيـــة تقوم على الالتزام دون الالزام .

كيف تزول الطبقية ، والفرديـــة قائمة ؟

وكيف لا توجد دولة ، والخصومة بين الأفراد مشتعلة ؟

وكيف لا يكون هناك الزام ، والمتع الحسية هدف رئيسى للأفـــراد فى السعى والتحصيل ؟

ان الطبقيــة ســتقوى وتبتلــع الأفراد ، بحيث تصبح هى وحدها ولا شىء غيرها ،

وان الالزام لا يكون اكراهـــا فحسب بحكم القانون أو السلطـة التنفيذية ، وانما سيكون ارهابـا بفعل التعذيب والأســاليب غير الانسانية ،

... عندما توضع « الماديــة التاريخية » أهدافها موضع التنفيذ فى مجتمــع ما مــن المجتمعــات البشريــة .

وأى مــذهب فلســفى يشجــع الفردية والأنانية لا يخرج فى تفكيره عن نطاق الطفولة البشريــة التى تقف عند حد « الذات » وعند حـد المحسوس وحده .

واذا ساعدت « المادية التاريخية » مظاهر المجتمع الانسانى المتخـلف فى خضوع الحياة البشرية للأفراد فيه الى « الاقتصـــاد » والثروة الموجودة فيه ، فان تطور المجتمــع نفســه لا بد أن ينبثق عن « مبادىء » و « مثل » وأن يخضع فى مصيره الى هذه المبادىء والمثل . وعندئذ تنفك مجرى الحياة فيه على الجانب الاقتصادى وتأثيره .

كيف يدفع المجتمع الى حرب ، لا يؤمن بها ؟ ان الفرد يحارب دفاعا عن « ذاته » بحكم غريزة المقاتلــة فيه ، وهى غريزة تتفرع عن غريزة « حب البقاء » . ولــكن المجتمع يحارب ان كان هناك ايمان بفــكرة أو بمصلحة عامة . والفــكرة أو المصلحة العامة هى من القيم المثالية، وليست من المتع الحسية .

واذن فالمادية التاريخية ان وجدت سندا لفلسفتها فى مظاهر المجتمع المتخلف البدائى ، فانها لا تســتطيع أن تكون قوام حركة اجتماعية تطور المجتمع فى مجال الانسانية .

الانسانية والأنانية عــلى طرفى نقيض ، كالمادية والمثالية . والأنانية والفردية متآخيان ، كالانسانيــة والاجتماعية سواء بسواء .

❋ ❋ ❋

❋ وكذلك مظاهر الماديـــة فى الايمان بالله فى الوقت الحاضر ترجع الى مطلوبات تحس ، وتشاهد .

ومن المناقشة التى أجرتها احـدى المجلات الألمانية (١) مع شباب بعض الجامعات وشابات بعض المدارس الثانوية للبنات بمناسبة المظاهرات الصاخبة التى يقوم بها شـــباب الجيل الحاضر فى ألمانيا وفى أوروبا وأمريكا ، يتضح أن الشباب اليوم فى جملته يرفض الايمان باللـــه . والسبب فى هذا الرفض كما يذكر : ســوء الأوضــاع فى العــلاقات الانسانية : الحرب فى فيتنـــام ، والتفرقة العنصريـــة فى الولايات المتحدة الامريكية ، والكبت للحريات فى أوربا الشرقية ، وسوء استغلال المال فى أوربا الغربية .

ومن اجابة أحد الموظفين الشباب قوله : « أنا لست ملحدا ، ولــكن وجود الشقاء فى كل مكان للعــالم يوحى بأن الله اله سىء . ولم أصل بعد الى رأى نهائى ، ولكن أعتقد أنه لا توجد « طبيعة عليــا » فى الكون » .. يمكن أن يصور مطلوب الشباب فى سبيل الايمان باللــه : « بتحسن الاوضاع المادية والعلاقات بين الناس جميعا » . وهو مطلوب يتحدى به شباب الجيــل الحاضر وجود الله .

مجلة Quick فى عدد ٣٠ يولية ١٩٦٩م التى تصدر بمدينة ميونيخ .

ومن اجابة البعض الآخر بقوله : فأنا لا أجد في الله « حماية » ولا أجد في « العبادة » ما يمنحني « الثقة » .. يعبد هدف الوثنية القدسية في الحصول على النفع المادى أو اتقاء الضرر المادى .

وكاتب التقرير يجمله في النقاط الآتيـة : ـ

١ ـ « أن الشباب لا يريـد أن يثق ثقة عمياء بتوجيه الآباء وسلطتهم ويشك شكا تاما في كل سلطـة ، سواء : اكانت للدولـة ، أم لبيت الأبوين ، أم للكنيسة .

٢ ـ « ومنذ أمد لا يصدق بشيء لا يحس ، أو يمكن أن يدرك بالحس . وليس على استعداد لان يصـدق الآن بوجود الله .

٣ ـ « ومن اجابات شـبـاب الجامعة :

« ـ انما استمد التي احتاجها من « العقل » وليس من « العبادة » طالبة

« ـ انا لست ملحدا ، ولـكن وجود « الشقاء » في كل مكـان بالعالم يوحى بأن الله اله سيء . ولم أصل بعد الى رأى نهائي . ولكن أعتقد أنه لا توجد « طبيعة عليا » في الكون » موظف .

« ـ بناء على تجاربي الشخصيـة لا يوجد اله . فأنا لا أجد في الله « حماية » ولا أجد في « العبادة » ما يمنحني الثقة » طالبة موسيقى .

٤ ـ « اذا وجدت الجنة فيجب أن توجد عـلى الأرض التي نعيش عليها ، لنسعد بها . ان الجنـة لا توهب . انها تقتنص ولا توجد جنة على الارض طالما هنـاك حرب في فيتنام ، وطالما هناك تفرقة عنصرية في الولايات المتحدة الامريكية ، وكبت « للحريات في أوربا الشرقية » ، وسوء استغلال للمـال في أوربا الغربية » .

٥ ـ « ونسبة ٤٤٪ من الـذين سئلوا من طلاب وطالبات الجامعات لا يصدقون بالله . » .

« ونسبة ٧٪ على الاقل يشكون في وجوده .

« ونسبة ٢٣٪ يرون أنـه من الممكن التصديق « بنظام أعلى » في الكون أو « بطبيعة عليا » فيه .

« وواحد فقط من أربعة عـلى استعداد للاعتراف بوجود اللـه . ولكنه ليس اله الكنيسة أو الـه الانجيل » .

« و ٨٪ من الطالبات بالمدرسة الثانوية يصدقن بوجود « طبيعـة عليا » .

« و٩٪ لا يصدقن بشيء » .
« و ١٪ تصدق بالله » .
« وتجيب بعض الطـالبات بالعبارات الآتية :
« ـ لماذا يجب أن يؤمن الانسان بشيء ما ؟
« ـ أنا أومن بالانسان ، وبالعالم وبنفسي . ولكن لا أومن « بطبيعة عليا » .

« ـ أنا أومن بالله على أنـه الذى يسند اليه البالغون ما لا يمكنهم أن يوضحوه ، فيقولون : هذا من الله » .

❊ ❊ ❊

... ولا شك أن هذه الاتجاهات

المدونة لايمان الشباب الأوربى اليوم تشير وترجع الى جو « المادية » الطاغية فى العالم المتقدم صناعيا وعلميا اليوم ، سواء بسبب ازدهار الحياة المادية وزيادة الترف فيها ، أم بسبب طلب المزيد من هذا الترف .

ومما يزيد فى ترف هذه الحياة أن لا يسمع الشباب عن الحرب فى مكان ما ، ولا عن شقاء فى بقعة من بقاع العالم . لانه يخاف الحرب ، ويخشى أن يجر الشقاء ، أو الكبت ، أو التفرقة العنصرية الى حرب يتورط فى النهاية هو فيها .

يريد أن يعيش آمنا ، فى سلام واسترخاء ، مستمتعا بمتعه الحسية التى يقدمها له فى يسر : التطور التكنولوجى والعلمى للنصف الثانى من القرن العشرين .

وهو اذ ينكر الله ، لان الله لا يساعده — كما يدعى — على هذا السلام والاسترخاء والاستمتاع بالمتع الحسية ، فى غير قلق ولا خوف من القلق . . فى غير حرب وفى غير خشية من الحرب .

انه سئم الحرب ، ويتذكر نتائجها التى مرت بالجيل السابق عليه . وهى نتائج تدمير وتخريب وفقر واذلال . ولا يريد أن يعيش فى مثل هذه النتائج مرة أخرى . ولذا يريد « السلام » . وهو سلام التراخى ، وسلام الترف ، وسلام الأمن .

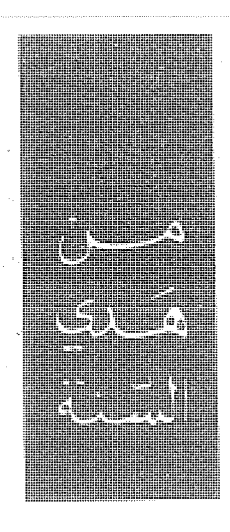
انه قد يسارع الى الايمان بالله لو وفر له هذا « السلام » على الارض : سلام التراخى ، وسلام الترف ، وسلام الأمن . ولكن طالما هناك ما يقلقه فى هذه الارض ، وطالما هناك عليها ما يخشى منه على هذا السلام فى أية بقعة من بقاعها فالله غير موجود فى اعتقاده « فليس فى وجوده حماية وليس فى العبادة اياه ما يمنح الثقة فى هذا السلام ! » .

والعالم كله اليوم وطن واحد ومجتمع واحد ، رغم وجود تواصل فى الأوطان ورغم وجود تعدد فى الأجناس والقوميات . ولكن الاحداث ان وقعت فى أى مكان منه تتعداه حتما الى مكان آخر وأمكنة أخرى . فالابعاد فى الزمن والمكان قد انتهت بتقدم العلم والتطبيق الهندسى المعاصر .

واذن ايمان الشباب الاوربى اليوم بالله مرهون بتلك التحديات . وهى أبعاد الخوف والقلق ، وابعاد مصدرهما من الحرب . وهى تحديات مادية .

ولكنه لم يقتنع هذا الشباب بعد — تحت تأثير المادية — بأن طبيعة الحياة الانسانية على الارض منذ وجود الانسان : الحرب والسلام ، والخوف والأمان ، والموت والحياة ، والفقر والازدهار ، والتدمير والبناء . . .

وهل لا بد اذن — لكى يقتنع الشباب الاوربى اليوم بوجود الله — من أن ينهى الله الحياة الانسانية على الارض أو يغير نمطها الجارى منذ الآن ، فترتفع منها تلك المتناقضات حتى يرجع عن كفره ويعود الى الايمان بعد الحاده ؟ ! .
أم أنها « المادية » التى سدت منافذ التفكير السليم ، وهو تفكر الرشيد ، وليس تفكير الطفل حول ذاته ؟ !



إلى أين نحن مسوقون ؟ ٣

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ، الله »
— رواه البخارى ومسلم واحمد —

١ — لا يزال الحديث موصولا بما قدمناه كاشفا عن عمق ادراك الاسلام لمشكلات المجتمع الانسانى ، غائصا على اسرارها ، مفتشا عن خباياها ، متتبعا مكامنها ، دالا على خطورتها ، منذرا بويلات تفاقمها ان هى دامت ، ولم يقف عند الابانة عنها ، وانما أفاض فى وصف العقار(١) الذى يقضى عليها فى مهدها ، ويبيدها قبل نجومها ، مفهما أن الجاهل او الفقير او المريض لا يمكن بحال أن تقوم بهم وبأمثالهم حضارة ، وكيف وهم جياع متهالكون لا يعون ؟! وقد مرت — فى مقالين سبقا — لمحات من أضواء سلطت على تلك الآفات ، وما رسم لها العليم الحكيم من علاج يحسمها ، ويطهر الأرض من وجودها ، وما عال من اقتصد ، ولا مرض من أكل اذا جاع وترك الطعام وهو فيه راغب ، ولا جهل من اتخذ القرآن العظيم امامه وقدوته وهاديه .

بقى أن نطلع على مشهد آخر تبدو فيه يد الاسلام مبسوطة للاخاء ، مقدمة للحرية ، عاملة على المساواة

(١) عقار ككتان : ما يتداوى به من النبسات او اصولها (القاموس المحيط) ج ٢ ص ٩٠ المكتبة التجارية بالقاهرة .

كل ذلك في اكمل عرض ، واجمل صورة وأوضح بيان .

أ ـ حكمة الاسلام تجتث الخصومات ، وتقضى على العداوات وتنيخ راحلة الأخوة والحب فى مناخ يعفى آثار التفرق والاختلاف ، ولن نبعد فى استدلالنا عن ساحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد فاضت سنته الشريفة بما لو طبق واقعيا لاستراح الناس ، وعم التراحم ، وما شكا أمرؤ ضياع حق ، او عدوانا على حمى ، ولتلاشت الفاظ السوء ، واستقرت فى المعاجم ولم تستطع أن تبرز سائرة على قدم ، وهل رايت أجمل او اجل من توجيه يرتفع بالبشر الى مستوى يجعل التدنى عنه انكارا للانسانية وعودا الى البهيمية المتوحشة النافرة الفاتكة ، ويدرك هذا من نهى الاسلام عن تعاطى أمور تبدو للسطحى هينة ، ويدرك المتعمق أنها على تفاهة مظهرها سوس رهيب ينخر فى عظام المجتمعات حتى يبيدها ، ومن بديهيات المدركات منها (الغيبة) التى رسم لها القرآن الكريم صورة بشعة تعافها النفوس الأبية الكريمة ، فيقول الله فى محكم آياته حاثا على حفظ غيبة الناس أيا كانوا : « .. **ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم أن ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ..** » مشبها الاغتياب بأكل اللحم بجامع التمزيق فى كل ، فالمغتاب ينهش الأعراض ويمزقها ، وناهيك بفظاعة التصوير اذا كان المأكول لحم أخ ميت فتلك حال مستقذرة كريهة لدى الناس جميعا ، واستمع الى هادى الثقلين حين يقول مبعدا عن هجر القول وفاحشه حاثا على صون الألسنة وامساكها عن الخوض فى الآخرين ، روى مسلم وأبو داود والترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **اتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : ذكرك اخاك بما يكره ، قيل : افرايت لو كان فى اخى ما اقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** » وقد وجدت كلمات سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقلا خصيبا فى نفوس صحابته عليهم جميعا رضوان الله ورحماته ، فامتثلوا ، ودعوا غيرهم بسلوكهم واقوالهم الى انتهاج نفس المسلك الكريم الذى انتهجوه ، يروى البيهقى عن سعيد ابن المسيب رضى الله عنهما أنه ـ أى سعيد ـ قال : كتب الى بعض اخوانى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**ان ضع امر اخيك على احسنه ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرىء مسلم شرا ، وانت تجد لها فى الخير محملا ، وما كافأت من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه** » .. وسمع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال : « **اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس** » ويؤكد هذا المعنى الشريف قول سيدى رسول الله فى حجة الوداع : « **ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا** » ، فقد عبئت السنة الشريفة بكل ما يوطد أركان الاخاء بين الناس ، وما يباعد بينهم وبين العداوة والشحناء ، وجعل سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الايمان الصادق الحب فى الله والتلاقى فى رحابه : « **وان يحب المرء لا يحبه الا لله** .. » ومن القربى الى الله ورسوله بذل النفس والنفيس لاسعاد بائس أو صلة رحم أو تيسير على معسر ، وفى الوقت نفسه لم يقم وزنا للون ولا لجنس .

ب ـ وموقف الاسلام من الحريات أشهر من أن يدل عليه ، فهو ضد كل ما يقيد حرية الانسان وما يحد من نشاطه السوى ، وما يضيق على معتقداته ، ويضغط أفكاره ، فلا خضوع الا لله ، ولا عبودية لسواه ، والعاقل من يستخدم الحرية فى كل ما يعود على مجتمعه بالخير والسلام فان تكلم كان كلامه للصالح العام ، وان نقد جعل نقده بناء لا هادما ، وان كتب فليدافع عن قضية عادلة تعنى قومه ومواطنيه ، وان سافر فليجلب المنافع فى كافة صورها المفيدة لوطن تظله سماؤه وتقله أرضه وينعم بخيراته ، ويروح ويغدو حرا فى رحابه ، وان حكم فليرس قواعد العدل ، ويقطع دابر الخصومة ، ويعين على نوائب الدهر وكلها حريات يكفلها الاسلام ، ويدعو لها ، ويرفع العوائق من طريقها لتثبت وتدوم ، وبهذا يكون أبناء الاسلام لبنات صالحات لقيام بناء متماسك يصمد للعواصف والأعاصير

جـ ـ والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ، واتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، هى من بديهيات الاسلام ، ومن أصوله التى لا تقبل النقض ولا المعارضة ، ومن صميم توجيهاته ، فيفسح المجال لكل قادر على ارتياد الطريق ، وكل عامل وما عمل ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، والناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأى منهم على آخر الا بمقدار ما ينتج وما يفيد ، فلئن كان الكل من آدم وآدم من تراب ، فالتفاضل بينهم بالفعالية الذاتية فى الحياة عامة ، والاسلام يدفع بكل قوة العاملين الى الصدارة ، وأما المتقاعسون فلا مكان لهم تحت الشمس ، ولا قيمة لهم ولا وزن فى عرف الاسلام .

٢ ـ ونعود الى السؤال الذى فرض علينا هذا البحث ، وكان مدعاة لاستعراض مواقف الاسلام من مقومات الحياة الحرة الكريمة فى جميع صورها ، والتساؤل لا يخرج نطاقه عن العجب والحيرة اللتين يثيرهما التناقض البادى فى المجتمعات الاسلامية عامة ، والذى لا يستطاع ربطه بأسس اسلامية ، ولا يقترب أبدا من صريح الاسلام ولا من تلميحاته ، وأثار هذا الموقف المراقبين لأحوال المسلمين الذين يبحثون الأصول الاسلامية فيجدونها فوق الشبه والاعتراضات ، واذا درسوا واقع المسلمين الفوهم بعيدين عن تلك الأصول السامية ، وحتى العبادات التى يقومون بها لا تؤتى ثمرها المرجو كما نص الكتاب والسنة ، فما هى أسباب انحسار الاسلام عن حياة المسلمين ؟

ينادى كثيرون بوجوب تطبيق أحكام الاسلام ، ولكن المطبق واقعيا الآن هو موافق تماما لما يريده الاسلام فى النواحى المدنية ، ومخالف فى التشريعات المالية ، وهذا راجع الى ضعف الفقهاء المعاصرين عن الادلاء بالرأى الصريح اما نعم واما لا ، فأية واحدة منهما لو صدرت من جماعة منهم ولا سيما من هيئة معترف بها فى عالم الاسلام عامة كمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة لصار هذا القرار اجماعا كاجماع السلف الصالح ، ولهذا أرى أن التردد فى اصدار مثل هذا الحكم ضعف أدبى(٢) ويحتاج الى شجاعة فى قوة دين ، فمسائل البنوك والتأمينات وغيرها مما لا يستغنى

(٢) لا توجد سلطة حكومية مطلقا تعارض فيه ،وانما هو تقاعس من نفس الفقهاء فلعلهم يفعلون .

عنه العالم المعاصر ، يجب أن يقول فيه علماء المسلمين المعاصرون رأى الاسلام على حقيقته دون مواربة ، ولا يدعوا المدعين يخوضون فيما لا يعرفون فيضلون ويضلون ، واذا رأوا أن تلك المعاملات مخالفة للاسلام ، وجب عليهم أن يضعوا خطة كاملة للبديل المناسب ولا أظن أن الاسلام يعجز عن ايجاد هذا البديل أبدا ، والا لم يكن عاما خالدا .

هذه واحدة ، وأخرى معروفة معلومة مسئوليتها على القائمين بأمور المسلمين وهى اقامة حدود الله ، وحدود الله لفظ يبدو مخيفا للبعض، والواقع أنه شيء مريح الى أقصى حدود الراحة ، فأى حد يخيف أهو قطع يد السارق أم هو رجم الزانى ؟ هذان هما أشد ما يبدو من الحدود ولكن هل مجرد الاسم يثير الزوابع ، أم العاقل يبحث ويدقق ويعلم كيف ومتى تطبق تلك الحدود ، ألا يعلم الناس من تاريخ الاسلام أن حد الزنا لم يثبت مطلقا بشهادة شهود خلال أربعة عشر قرنا ؟ وانما ثبوته دائما كان بالاقرار ، والا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ادرأوا الحدود بالشبهات » ؟ وهل يدرون أنه لا بد من ضمانات اجتماعية خاصة يقررها الاسلام ثم يعاقب بعد تطبيقها أولا بقطع يد الخارج على المجتمع الذى يكفله من كل نواحيه ؟ وحينئذ يصير عضوا فاسدا يجب أن يبتر ، كما يقطع العضو من الجسد اذا أصابه داء عياء ،وكان لا بد من بتره .

فالنتيجة التى نخرج بها هى أن التبعة فى اضطراب المجتمعات الاسلامية يعود بعضها الى علماء المسلمين ، أعنى الفقهاء منهم على الأخص ، والجزء الآخر على الحاكمين ، ولا شيء يسوء مطلقا فى هذا القول اذا كان رائدنا تقويم معوج مجتمعاتنا والحفاظ عليها ..

٣ — وفى نهاية المطاف يجب الا ننسى أن استعراض التاريخ ، ودراسة وقائعه دراسة واعية فاحصة متعمقة توضح لنا أبعاد الحياة الانسانية على ظهر الأرض ، وانها تمر دائما بتطورات وانتقالات لا بد منها ، لا يستطيع الانسان التحكم فيها ، ولا اخضاعها لسيطرته بشكل عام ، والمسلمون أنفسهم أدركتهم تلك الحالات الحتمية فما يبدو غريبا فيهم الآن ، سادهم فى عصور مضت عصور انتقالهم من بداوة بادية الى حضارة ومدنية ، ومطالع صفحات الأيام الاخيرة للدولة الأموية ، وأيام العباسية يجد مصداق هذا القول ثابتا واضحا ، فيوم فتحوا بلاد الفرس والروم بنوا وشادوا ، وجدت فيهم علوم ومعارف وظهرت لديهم فلسفات وانطباعات لم يكن لهم بها عهد من قبل أيام الصحراء والخيام والابل والنعم ، فوجدت حانات الخمور ، ودور البغايا اسرارا أو اعلانا ، واختلط حابلهم بنابلهم ، وتكاثرت الظباء على خراش ، وبدا فيهم الشذوذ عن المألوف السوى ، وقل مثل هذا فى قديم الرومان والفرس ، وسر حتى تلتقى بمثله فى بابل واشور ومنف ، وقف متأملا النتائج الحتمية لهذا الانطلاق فى الأعصر الغابرة انها كانت حكما بالفناء على تلك الحضارات جميعها ، واستيلاء غيرها على مقدراتها ، ثم ضياع بعضها الى الأبد ، وصارت تاريخا من التاريخ ، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولئن كان التاريخ يدرس للعبرة ، وللتلافى أخطاء قوضت كيان أمم ، وطمست معالم حيوات ازدهرت ردحا من الزمان فأولى بالمعاصرين أن يحاولوا البعد عن الانزلاق فى

تلك المهاوى التى أهلكت من قبلهم ، فلا يدعو الحبل على الغـارب هكذا حتى لا يفلت الزمام من أيديهم ، وما ترك القرآن الكريم تلك الأمور دون تنبيه على مغبتها ، وانما أشـار اليها وتحدث عن نتائجها طويلا ، فكم من أمة بطرت معيشتها فبادت ، فهـل من مدكر يسمع قوله تبارك وتعالى : **« وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين »** وقـد جرت سنته التى لا تتخلف فى عباده أن يملى لهم حتى اذا بلغوا القمـة فى الفساد ، والعتو عن أمره أخذهم بقارعة تدع الحليم حيران **« ان بطش ربك لشديد »** والقارىء للقرآن الكريم يجب ألا ينسى الوعيد الشديد المتمثل فى بعض آياته التى تشير الى املاء الله للناس ثم أخذهم اخذ عزيز مقتدر ، والله سبحانه قادر ، ولن يقف أمام قدرته عائق ما ، ولن يعجزه شىء فى السـموات ولا فى الأرض انه عزيز حكيم ، فلنصغ للقرآن يقول : (**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحـوا بما أوتوا اخـذناهم بغتة فـاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**) (٣) .

٤ ــ واخيرا : هل من الممكن أن يتجه البحث اتجاها آخر مرتكنا على القرآن والسنة أيضا ولا يبعد عنهـا فيقال : ان الزمان حين يشرف على نهايته ، ويمحى ذكر الله من الأرض ، وتبدو أشراط الساعة والساعة آتية لا ريب فيها ، ففى أحاديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم ما يشير الى هذا ويؤكده ، فقد ثبت بالسـنة الصحيحة أن أهـل الأرض يكفرون ويعبـدون الأوثان ، وانه لا تقـوم الساعة الا على شرار الناس ، فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« تجىء بعـد موت عيسى ريح باردة من قبل الشـام فلا تبقى على وجـه الأرض احدا فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو ان احـدكم فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفـة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقولون : ما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهـم فى ذلـك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصـور »** وقد روى أحمد ومسـلم والبخارى حديث الباب ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : **« لا تقـوم الساعة حتى لا يقـال فى الأرض : الله ، الله »** .

فالى أين نحن مسوقون فى عصرنا هذا ؟! إلى تمثيل دور أو طور لا بد لأجيـال معـاصرة أن تقوم به على المسرح ، كمـا قام به غيرهـا ، ثم تبيد كما بادت ، وتجىء من بعدهـا من يعمر ويسود ، ويطبق أحكام الله من جديد ، وهكذا دواليـك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أم هى النهاية والمصير الى تحقيق أحاديث السـاعة انتظـارا لتنفيذ مهمـة اسرافيل ؟!

لعلها الأولى أو الثانية ، وان كنا نضرع الى الله أن يعفى المعاصرين من أن تتحقـق فيهم احدى هـاتين النهايتين ، وأن يوفقهم للابتعاد عن الواقع الذى وان بدا سيئا فليس من الصعب تلافى أخطاره على العقـلاء اذا صحت العزائم ، وصدقت النيات والله الموفق والمستعان .

(٣) الآيتان ٤٤ و ٤٥ من سورة الأنعام .

التطبيق العملي للجهاد

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

عند اعلان الجهاد ، كان المسلمون الصادقون يتسابقون الى تحمل أعبائه باذلين أموالهم وأنفسهم رخيصة في سبيل الله .

وكان أعداء المسلمين يرتجفون فرقا من اعلان الجهاد ، لأنهم يعلمون حق العلم بأن المجاهدين يتوخون احدى الحسنيين : النصر أو الشهادة (1) .

وقد عاشت الدولة العثمانية ردحا طويلا من الزمن على الرغم من ضعفها الشديد وقوة أعدائها واطماع أولئك الأعداء بخيراتها وتكالبهم على ابتلاعها ، ولكن بعد انهيار تلك الدولة لم يظهر للجهاد أثر في النطاق الاسلامي الشامل .

لقد عقدت مؤتمرات اسلامية في القاهرة ومكة المكرمة وعمان بعد نكسة عام ١٩٦٧ م ، وشهد هذه المؤتمرات نخبة من علماء المسلمين وقسم من السياسيين .

وأعلنت المؤتمرات الاسلامية الجهاد باجماع آراء علماء المسلمين الذين شهدوا هذه المؤتمرات : (ان أسباب وجوب الجهاد التي حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة في العدوان الاسرائيلي ، **بما كان من اعتداء على أرض الوطن العربي الاسلامي ، وانتهاك لحرمات الدين في أقدس شعائرها ، وأماكنها**

---

(1) نشبت كثير من الحروب بين الدولة العثمانية من جهة وبين الامبراطورية الروسية قبل الحروب العالميـة الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) كان آخرها قبل سنوات من تلك الحرب ، وأعلن المتمسكون الجهاد ، ولبى الدعوة القادرون على حمل السلاح ، ويمموا شطر ساحة القتال ، ولا يزال أهل الموصل الحدباء يذكرون كيف تجمع الناس وعلى رأسهم رجال الدين ، واشتروا ما يقاتلون به ويحملون عليه ، وقد تبرع الأغنياء بالخيل والبغال والنقود والأرزاق للمجاهدين ، حتى اذا استكملوا متطلباتهم تحركوا جماعات من مرحلة الى أخرى ، فوصلوا الى ساحة الشرف ، وأدوا واجبهم واستشهد منهم عدد كبير ، وفي الحرب العالمية الأولى رفض المسلمون الهنود مقاتلة اخوانهم المسلمين في العراق ، فهرب منهم عدد ضخم من جانب الجيش البريطاني الى جانب الجيش العثماني ، وقد أعدم الانكليز من قبضوا عليه من الهنود المسلمين الذين هربوا بينهم الى اخوانهم رميا بالرصاص ، وكان الذين أعدموا يرددون وهم في ساحة الاعدام : الله أكبر .. الله أكبر ..

- كيف يمكن إخراج الجهاد من نطاق الفتوى إلى نطاق العمل ؟
- في استطاعة العرب حشد عشرة ملايين مجاهد
- الطاقات العربية والإسلامية متفوقة على الطاقات الإسرائيلية
- الطاقات الإسرائيلية منظمة والطاقات العربية غير منظمة
- ما يحتاجه العرب اليوم هو التنظيم السليم

وبما كان من إخراج المسلمين ، والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة ووحشية في تقتيل المستضعفين من الشيوخ والأطفال) ..

« لذلك كله صار الجهاد بالأموال والأنفس فرضا عينيا (٢) في عنق كل مسلم يقوم به على قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار (٣) » .

ويعني ذلك أن الجهاد أصبح « أمانة » في عنق كل مسلم ومسلمة ، لا يتخلف عن تحمل أعبائه المادية والمعنوية أحد إلا ويرمى بالنفاق ويعاقب بأشد العقاب : **« يا أيها الذين آمنوا : ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟! فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٤) » .**

وقد فرضت الحرب على المسلمين فرضا ، بعد الغزو الإسرائيلي التوسعي الاستيطاني لبلادهم ، وبعد طرد العرب والمسلمين من فلسطين ، وبعد الظلم والتعذيب الذي لاقاه الفلسطينيون على أيدي الصهاينة ، وبعد حرق المسجد الأقصى وبعد تهديم مساجد المسلمين والاستيلاء عنوة على قسم منها ، وبعد انتهاك حرمات أقدس مقدسات العرب والمسلمين في الأرض المقدسة ، لذلك وجب على كل قادر على حمل السلاح أن ينهض بواجبه جهادا بالروح ، ووجب على كل قادر على بذل الأموال أن ينهض بواجبه جهادا بالمال ، فليس عربيا ولا مسلما من يتخلف عن الجهاد في مثل هذه الظروف والأحوال .

إن نفوس العرب مائة مليون نسمة أو يزيدون ، ونفوس المسلمين سبعمائة مليون نسمة أو يزيدون .

والقاعدة العسكرية للنفير تقول : « إن عشرة بالمائة من تعداد كل أمة قادرون على حمل السلاح » .

---

(٢) فرض عين : هو النفير العام (التعبئة العامة) كما يعبر عنه العسكريون المحدثون .

(٣) قرارات وتوصيات المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية — القاهرة — ١٣٨٨ هـ .

(٤) الآيتان الكريمتان من سورة التوبة (٣٨ — ٣٩) .

ومعنى هذا أن باستطاعة العرب حشد عشرة ملايين مقاتل فى الميدان ، وأن باستطاعة المسلمين حشد ستين مليون مقاتل للحرب .

ونفوس اسرائيل اليوم لا يزيد على مليونين ونصف المليون نسمة ، فأين تصبح اسرائيل لو صدق العرب والمسلمون ما عاهدوا الله عليه ؟!

ان الطاقات العربية والاسلامية المــادية والمعنوية متفوقة على الطاقات الاسرائيلية المــادية والمعنوية تفوقا ساحقا .

ولكن الطاقات الاسرائيلية (منظمة) ، والطاقات العربية والاسلامية (غير منظمة) ، لذلك تغلبت الطاقات القليلة (المنظمة) على الطاقات الكثيرة غير (المنظمة) .

وما يحتاج اليه العرب اليوم ، هو التنظيم السليم .

— ٢ —

لقد أظهر العرب والمسلمون شعورا طيبا منذ مولد اسرائيل حتى اليوم .

وحين أحرق المسجد الاقصى المبارك بالنار ، طغى هذا الشعور العربى الاسلامى الطيب ، فأصبح خطرا داهما يهدد الحاكمين الذين بقوا متمســكين بالمواقف السلبية تجاه القدس وفلسطين .

وكان انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى فى الرباط من ١٠ رجب الى ١٤ رجب سنة ١٣٨٩ الهجرية الموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) الى ٢٦ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٦٩ م حدثا تاريخيا ، واستجابة لشعور العرب والمسلمين الطيب نحو القدس وفلسطين .

وقد شهد هذا المؤتمر ست وعشرون دولة عربية واسلامية مثلها فيه ملوك ورؤساء الدول العربية والاسلامية وممثلوهم .

واستبشر العرب من المحيط الى الخليج ، واستبشر المسلمون من المحيط الى المحيط ، بهذا المؤتمر الذى ضم أكثر الدول العربية والاسلامية ، وعقدوا عليه أعظم الآمال ، وتوقعوا منه اصدار مقررات ايجابية تبلور العواطف العربيـــة والاسلامية الطيبة لتصبح جهادا طيبا يضر وينفع ولا يبقى شعورا طيبا لا يضر ولا ينفع .

لقد كانت أهم مقررات مؤتمر القمة الاسلامى ، اعلان استنكار المؤتمرين لجريمة احراق المسجد الاقصى ، وتأييدهم لحقوق شعب فلسطين ، ووجه المؤتمر نداء حارا الى الدول المسؤولة عن حماية السلام فى العالم بأن تضاعف جهودها على المستوى الفردى والجمـــاعى لانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة) (٥) .

وما زلنا نتوقع من الاجتماعات المنبثقة عن هذا المؤتمر أن يقرر الجهـــاد بالاموال والانفس ، ويقرر مسؤولية كل دولة ماديا ومعنويا فى حمل أعباء الجهاد ويقرر كيف ومتى وأين يبدأ الجهاد .

ان الطريق لبلورة الشعور العربى الطيب ليكون عملا ايجابيا طيبا واضحا كل الوضوح ، وسلوك هذا الطريق يؤدى الى وضع حد حاسم لمطامع اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ، والى استعادة حقوق العرب فى الارض المقدسة .

وما لم يسلك العرب والمسلمون هذا الطريق ، فان اسرائيل ستمتد من النيل الى الفرات اليوم أو غدا .

---

(٥) أنظر تفاصيل بيان المؤتمر فى صحيفة الاهرام القاهرية الصادرة يوم ١٩٦٩/٩/٢٦ .

ان الصهيونية العالمية تطبق مخططا رهيبا مدروسا لتحقيق أهدافها التوسعية ، ومن يمعن النظر فى مخططها ، ويفكر مليا بانجازاته ، يجد أن الصهيونية العالمية تسير سيرا حثيثا نحو تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ان معظم المؤرخين متفقون على أن (بروتوكولات حكماء صهيون) قد وضعت وأقرت فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ ، وقد قدر ذلك المؤتمر لتنفيذ مخطط الصهيونية العالمية التوسعى الاستيطانى كما جاء فى (البروتوكولات) مائة سنة (١٨٩٧ — ١٩٩٧) .

فهل يترك العرب والمسلمون الحرية الكاملة للصهيونية العالمية لتحقيق مخططها ؟

— ٣ —

ان الطريق الذى يؤدى الى انتصار العرب والمسلمين على اسرائيل يضع حدا لما يحيق بهم من أخطار جسام تهدد مصيرهم السياسى والحضارى ، هو فى (تنظيم) طاقاتهم المادية والمعنوية ، لتصبح قوة ضاربة تفرض السلام على منطقة الشرق الاوسط ، وتزيل خرافة اسرائيل ، وتحطم مخططها التوسعى الاستيطانى على حساب الدول العربية .

والمساعى السياسية والحلول السلمية لن تنجح ما دام العرب والمسلمون ضعفاء ، وستتحقق حتما تلك المساعى والحلول اذا أصبح العرب والمسلمون أقوياء .

ومنذ حرب ١٩٦٧ م حتى اليوم صدرت قرارات من مجلس الامن ، وهيئة الامم المتحدة تدين اسرائيل ، وتقضى بانسحابها من الاراضى العربية التى احتلتها بعد تلك الحرب ، ولكن اسرائيل ضربت بتلك المقررات عرض الحائط .

وقد بذلت مساع سياسية تحت اشراف الهيئة الدولية وبمحاولات الدول الاربع الكبرى ، ولكنها باءت كلها بالاخفاق الذريع .

لم يبق أمام العرب والمسلمين غير الحل العسكرى الذى يعتمد القوة سبيلا ومنهجا ، فكيف يتم ذلك ؟

— ٤ —

فى سنة ثلاث عشرة الهجرية كان خالد بن الوليد على رأس جيش المسلمين لفتح (أرض الشام) (٦) ، فكان عليه أن يقاتل الروم بنفس الاساليب التعبوية التى يقاتلون بها أعداءهم .

وكانت أساليب الروم التعبوية فى القتال ، تستند على تقسيم قواتهم الى مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة وقلب على رأس كل منها قائد مسؤول ، وكان كل قسم من هذه الاقسام يضم مجموعات ، كل مجموعة منها مؤلفة من ألف مقاتل

---

(٦) أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والاردن .

تحت قيادة قائد من قادتهم العسكريين ، وكانوا يطلقون تعبير (كردوس) (٧) على كل مجموعة من هذه المجموعات .

وبدأ خالد يعد جيشه للقتال ، فخرج فى تعبية لم تعبها العرب من قبل (٨) اذ نظم جيشه فى ستة وثلاثين كردوسا ، وصاول الروم بهذا التنظيم العسكرى المشابه لتنظيمهم ، وبذلك استطاع احراز النصر عليهم فى معـركة اليرموك الحاسمة .

ولو أن خالدا قاتل الروم بأسلوب الكر والفر أو بأسلوب الصف اللذين كان العرب يقاتلون بهما من قبل ، لما انتصر على الروم فى تلك المعركة .

ان اسرائيل تقاتل اعتمادا على : (الحرب الاجماعية) وهى الحرب التى ترتكز على حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة لتكون فى خدمة المجهود الحـــربى .

فقد استطاعت اسرائيل حشد ١١ ٪ من طاقاتها البشرية فى حرب حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ م للحرب ، بينما حشد العرب ثلاثة بالالف فقط من طاقاتهم البشرية للحرب .

واستطاعت اسرائيل حشد كل طاقاتها المادية الاخرى للحرب ، حتى العربة اليدوية التى يستعملها البائع المتجول كان لها مكان معين فى ميدان القتال ، فكم استطاع العرب أن يحشدوا طاقاتهم المادية الاخرى للحرب ؟!

واستطاعت اسرائيل حشد كل طاقاتها المعنوية للحرب ، فكم حشد العرب من طاقاتهم المعنوية ؟!

ان على العرب والمسلمين أن يطبقوا (الحرب الاجماعية) ، وقد طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرنا تنفيذا لما جاء فى القرآن الكريم : ((**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله**)) (٩) ، فهل يعجز أحفادهم عن تطبيق الحرب الاجماعية فى القرن العشرين ؟

ان الجيش النظامى لم يعد وحده مسؤولا عن احراز النصر ، بل المسؤول عن احراز النصر هو الشعب كله بما فيه الجيش النظامى ، وهذا الجيش هو رأس الرمح للشعب فقط ، فلا يصح أن يدعى أحد من العرب والمسلمين غير العسكريين بأنه غير مسؤول عن احراز النصر فيقف موقف المتفرج .

وبالنسبة للطاقات البشرية للعرب والمسلمين ، فان هذه الطاقات يجب أن تحشد للمجهود الحربى بموجب تنظيم دقيق ، بحيث يعرف كل قادر على حمل السلاح تفاصيل واجبه فى الحرب ، وكيف يستطيع تنفيذه .

---

(٧) كردوس جمعها كراديس ، وهو كتلة من الجنود يتألف من ألف مقاتل ، وينقسم الكردوس الى أجزاء عشرية : العريف يقود عشرة رجال ، والنقيب يقود مائة رجل ، وكلمة كردوس معربة عن اللغـــة الرومانيـــة ، وأصـــلها كلمـــة كورتيس) . أنظر التفاصـــيل فى : قادة فتح العراق والجزيرة (١٢٧) .

(٨) الطبرى (٥٩٣/٢) وابن الأثير (١٥٨/٢) .

(٩) الآية الكريمة من سورة التوبة (٤١) وانظر تفسيرهـــا فى تفسير الكشـــاف للزمخشرى لتجد أن المسلمين طبقوا الحرب الاجماعية قبل أربعة عشر قرنا ، وليس كما استقر فى الافكار ، وهو أن الالمان أول من طبقها فى الحرب العالمية الثانية . وأنظر ما جاء عن الحرب الاجماعية فى كتاب الامة فى الحرب لكشير لودندروف .

ومعنى هذا أن كل قادر على حمل السلاح ، يجب أن يكون مدربا على استعمال سلاحه ، وعلى التعاون فى القتال مع أقرانه ، وأن يكون مجهزا بالتجهيزات الضرورية للقتال ، وأن يكون مسلحا بالسلاح الذى يستعمله فى القتال ، وأن يكون (منظما) ضمن جماعة لها قائد مسؤول .

هذه الطاقات البشرية للعرب والمسلمين يمكن تقسيمها الى قسمين :

أ) المجاورة لاسرائيل : ويكون القادرون على حمل السلاح اما جنودا فى الجيش النظامى ، أو حراسا للاماكن الحيوية التى يستهدفها العدو ، أو فدائيين ضمن المنظمات الفدائية ، أو مجاهدين .

يجب أن يكون لكل فرد واجب فى خدمة المجهود الحربى .
ب) غير المجاورة لاسرائيل : يجب أن يكون القادرون على حمل السلاح ، اما فى الجيش النظامى ، أو فى المناطق التى يستطيعون منها مباشرة واجباتهم القتالية .

ان تدريب الطاقات البشرية للعرب والمسلمين وتسليحها وتجهيزها وتنظيمها تحتاج الى قيادة قادرة واعية قوية أمينة . وهذه القيادة ترتكز على دعامتين : الاولى دعامة روحية ، والثانية : دعامة مادية .

ان الدعامة الروحية لها أثر حاسم فى كل قوة تصمم على القتال حتى احراز النصر مهما كانت تكاليف القتال على الارواح والاموال .

قبيل نشوب القتال بين المسلمين والروم فى معركة (اليرموك) الحاسمة سنة ثلاث عشرة الهجرية (١٠) ٦٣٤ م ، قال رجل من المسلمين لخالد بن الوليد رضى الله عنه : (ما أكثر الروم وأقل المسلمين) ! فقال خالد : (بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان) (١١) .

ومعنى ذلك أن المحاربين بعددهم وعددهم ومعنوياتهم ، وليس العدد والعدد بأهم من (المعنويات) (١٢) بالنسبة للمحاربين خاصة ، وبالنسبة للشعوب عامة .

وقد كان نابليون يقول : (قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوى ثلاثة على واحد) أى أن الجيش تكون قيمته المعنوية ٧٥ ٪ وقيمته المادية ٢٥ ٪ .
وأيد نابليون فى قولته هذه كبار القادة العسكريين ، وقادة الفكر العسكرى منذ أيامه حتى اليوم .

غير أن اللواء (فولر) — وهو من قادة الفكر العسكرى فى العصر الحديث قال فى كتابه : (الاسلحة والتاريخ) : (ان نسبة المعنويات فى المحاربين تساوى

---

(١٠) ابن الأثير (١٥٧/٢) .
(١١) الطبرى (٥٩٤/٢) .
(١٢) المعنويات : هى القوى الكامنة فى صلب الانسان التى تكسب القابلية على الاستمرار فى العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به ، ومهما اشتدت الأزمات وكثرت التضحيات . أنظر التفاصيل فى كتاب : الوحدة العسكرية العربية — بيروت — دار الارشاد — ١٩٦٩ — ص (١٣٢) .

نسبة القضايا المادية فيهم ، فهو يخالف نابليون بالتفاصيل ، ويتفق معـــه فى المبدأ ، نظرا لاختراع الاسلحة الحديثة (١٣) .

والمعنويات هى العقيدة ، ولا نصر للمحاربين ولا لأى شعب لا عقيدة له : يدافع عنها دفاع المؤمن بها ، ويضحى بما يملك من روح ومال .

ان العقيدة هى التى تشيع الانسجام الفكرى فى العقول والقلوب معا بين أبناء الشعب الواحد وبين أفراد القوات المسلحة وبين المحاربين ، وهذا يؤدى الى التعاون بين الافراد والجماعات خدمة للمصلحة العليا .

واختلاف العقيدة فى الجيش الواحد أو الشعب الواحد ، يحول دون تعاونه ويجعل من الجيش عصابات مسلحة ، ومن الشعب كتلا متناقضة .

ان الروح أغلى ما يملكه الانسان ، فهو لا يضحى بها الا دفاعا عن مثل عليا يؤمن بها ، والعقيدة هى التى تضمن له هذه المثل العليا التى تجعله يضحى من أجلها بالمال والروح .

والعقيدة بالنسبة الى العرب هى الاسلام الذى قادهم الى النصر قرونا طويلة ، فلما ضعفوا صانهم من الانهيار .

لقد غرس الاسلام فى نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبب اليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد ، نصرا دونه كل نصر ، كما بعث فيهم الاعزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الاداء للعالم .

وقد انتبه ابن خلدون الى أهمية العقيدة للعرب ، فقال فى مقدمته : **((ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم)) (١٤).**

ان العرب بالاسلام كل شيء ، والعرب بدون اسلام لا شيء (١٥) . وما يقال عن العرب يقال عن المسلمين فى كل مكان .

ثم ان العرب والمسلمين يقاتلون الصهاينة ، وهؤلاء متمسكون بعقيـــدتهم الصهيونية التى ترتكز على الدين اليهودى أولا وآخرا وقبل كل شيء .

فى الجيش الاسرائيلى حاخامات على رأسهم حاخام الجيش الاكبر ، وهم يتمتعون بسلطة لا مثيل لها ولا نظير فى الجيوش الاخرى .

وفى جيش اسرائيل تجرى مسابقات سنوية فى التوراة ، يكرم المتفوقون فيها أعظم التكريم وينالون أكبر الجوائز .

كما أن فى الجيش ضباطا ومراتب أخرى ، يقيمون الشعائر الدينية عند حائط المبكى ، وأفراد قوات المظلات الاسرائيلية تؤدى يمين الولاء أمام هـــذا الحائط : يحملون البندقية بيد والتوراة فى اليد الاخرى (١٦) .

والعقيدة — كما هو معروف — لا تحارب الا بعقيدة ، والفكرة لا تقـــاوم الا بفكرة .

من هنا تبرز أهمية القيادة الدينية للمحاربين من العرب والمسلمين .

---

(١٣) أنظر التفاصيل فى كتاب : الوحدة العسكرية العربية (١٢٩ — ١٣٠) .

(١٤) أنظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون — بيروت — ١٩٦٧ م — (٢٦٦/١) .

(١٥) أنظر التفاصيل فى : الوحدة العسكرية العربية (١٣٤ — ١٣٥) .

(١٦) جريدة الكارديان البريطانية نقلا عن جريدة الجمهورية القاهرية الصادرة فى ١٩٦٩/٨/٣١

صفحة للمجاهدين في سبيل الله

قائد معركة نهاوند

دخل عمر المســـجد ، وأرسل بصره القوى فى جنباته فلمح ((النعمان بن مقرن)) يصلى ، وما أن فرغ النعمان من صلاته حتى بادره قائلا : لقد انتدبتك لعمل ؟ واســـتمع النعمان لمشيئة أمير المؤمنين ، ثم أجاب : ان يكن جباية للضرائب فلا ، وان يكن جهادا فى سبيل الله فنعم .. انه جهاد وأى جهاد ، وما أصدق بصيرة الخليفة التى دلته على مثل هذا الرجل ، رجل ليست له نفســـية كبار الموظفين فى هذه العصور من كل مترف يدمى بنانه امساك القلم ، ولا يحسن الا التبطل أو معالجة أتفه الأمور .. كلا ! ليس ابن مقرن ممن يسارعون الى مثل هذه الأعمال ، لأنه رجل مسلم ، والرجال المسلمون يخفون بفطرة ايمانهم الى العمل والجلاد والاشتراك فى الحياة وتكاليفها .

وفى الساحة التى ارتوى ثراها بالدماء الغزيرة تولى النعمان ادارة المعركة ، وكان جيش العدو بادى اليقظة ، عسير المنال ، وحاول أركان حرب النعمان يوما أن يحملوه على الاسراع فى منازلة العدو ، ولكنه خاطبهم : تريثوا حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر .. ذلك أن وهج الظهيرة كان شديد اللفح ، فما أن هبت طلائع الأصيل حتى صاح القائد المؤمن : أيها الناس ! انى هاز لوائى ثلاثا ، فأما أول هذه فليتوضأ كل جندى ، وأما الثانية فليعد سلاحه ، وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد ، وان قتل النعمان ، وانى راغب الى الله بدعوة ، وأقسم على كل امرىء منكم — أن يؤمن عليها — اللهم ارزق النعمان شهادة فى نصر عظيم وفتح على المســـلمين ، فأمن القوم ، ثم هز لواءه ثلاثا ، وتقدم الرجل صفوف الغزاة فى زحف متتابع الحملات ، جياش بالايمان والتضحية ، قد رص القرآن بنيان أصحابه ، فلم يقو على رد عزائمهم كل ما حشد الأكاسرة من قوى مختلطة ، واطرد اندفاع المسلمين فى نواحى الميدان كلها ، ثم أطبقت أجنحتهم على أعدائهم اطباقة عارمة كان معها النصر الغالى ، والفتح الكريم .

ولكن أين النعمان صاحب هذه الروح ؟ لقد كان أول صريع ! .. وصادفه أحد جنوده الأبطال وما زال به رمق ، فاستحضر بسرعة اداوة ليغســـل منها وجه الجريح النبيل .. واذ يعاود النعمان شعوره العازب من هول ما أصابه يسائل مسعفه : من أنت ؟ معقل بن يسار — ما فعل الله بالناس ؟ فتح الله للمسلمين — قال : الحمد لله كثيرا ، اكتبوا بذلك الى عمر ، وفاضت نفسه .

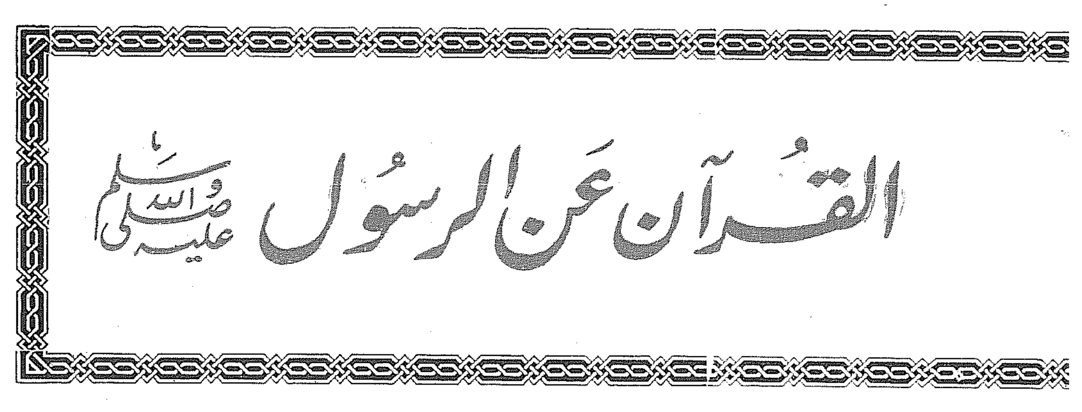


١ ــ تحدث القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آيات كثيرة بعضها يبين مهمة الرسول وأصول الدعوة التى بعث بها الى الناس كافة ، وما اتصف به من أخلاق حميدة وصفات كريمة ، وبعضها الآخر يشير الى ما لاقاه الرسول وأصحابه من أذى المشركين وعنت الكافرين وما جرى بينه وبينهم من أحداث ، وما حققه الله فى النهاية من نصر مؤزر لدينه ونبيه ومن آمن به ، فضلا عن أن سورة من سور الكتاب العزيز قد سميت بسورة « محمد » عليه السلام ، ولا سبيل هنا للحديث عن كل ما جاء فى القرآن عن الرسول ، فهذا يحتاج الى بحث مستفيض ، لا تغنى مقالات بله مقالة واحدة به ، ولهذا أقصر حديثى فى تحية ذكرى مولد الرسول على آيتين مكيتين(١) على أرجح الآراء ، وردتا فى آخر سورة التوبة وهما : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . والآية الاولى تتحدث عن صلة الرسول بقومه ، على حين تتحدث الآية الثانية عن صلة الرسول بربه ..

٢ ــ والصلة بين الرسول وقومه كما أجملت الآية تقوم من جانب الرسول على حرصه على قومه ورحمته بهم ، فهو يريد لهم أن يسلكوا طريق الخير ويتبعوا دعوة الحق ، ويدعوا ما هم عليهم من الشرك والكفر ليفوزوا برضوان الله وينجوا من عذاب النار ، وقد تحمل فى سبيل ذلك كل ألوان الأذى والاضطهاد فما زادته الشدائد الا رحمة بقومه وحرصا عليهم علهم يهتدون ويؤمنون .

والآية الكريمة فى مستهلها تقول : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، ولم تقل جاءكم رسول منكم ، وذلك التعبير أدل على نوع الوشيجة التى

(١) يرى بعض المفسرين أن هاتين الآيتين آخر ما نزل من القرآن ، والراجح أنهما مكيتان ، وقد نزلتا فى أول زمن البعثة (أنظر تفسير المنار ج ١٠ فى صدر تفسير سورة التوبة و ج ١١ ص ٩١ ، ط . المنار) .



القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ : محمد الدسوقي

تربط الرسول بقومه فهو بضعة من أنفسهم تتصل بهم اتصال النفس بالنفس ، وهذا لا يجعل الرسول أمام قومه موضع التهمة فى النصيحة لهم والرأفة بهم ومن ثم كان لذلك التعبير ايحاء أخاذ يسيطر على الاحساس والشعور ، ويفضى الى الألفة والمحبة والارتياح .

وللمفسرين فى هذا الجزء من الآية رأيان : رأى يرى أن الخطاب فيه للعرب خاصة ، وهو رأى الجمهور(1) ، وان معنى أنفسكم على هذا الرأى أى من جنسكم ونسبكم فهو عربى مثلكم تعرفونه وتفقهون عنه .

والرأى الثانى يذهب الى أن الخطاب للبشر جميعا على الاطلاق ، ومعنى كونه من أنفسهم ، أى من جنس البشر ، وقد رجح بعض(2) المحدثين من المفسرين الرأى الأول ، لأن الرسول وان بعث للناس جميعا قد وجه دعوته الى الأقرب فالأقرب ، فالعرب آمنوا بدعوته مباشرة ، والعجم آمنوا بدعوة العرب ثم بدعوة بعضهم لبعض بعد انتشار الاسلام فيهم ، فالآية فى خطابها للعرب انما تذكر فضل الله عليهم بأن اختار منهم رسولا كريما رحيما لا يجهلونه ، فعليهم أن يلتفوا حوله ويسمعوا لقوله ، ويكونوا لرسالته حماة ودعاة .

٣ — ويرى بعض المفسرين أن قوله تعالى «من أنفسكم» يقتضى مدحا لنسب النبى صلى الله عليه وسلم وأنه من صميم العرب وخالصها وفى صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه فى تفسير قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » قال : لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ، وروى عن

(1) أنظر تفسير الطبرى جـ ١٤ ص ٥٨٤ ط : دار المعارف ، والقرطبى جـ ٨ ص ٣٠١ ، ط : دار الكتب ، والألوسى جـ ٣ ص ٣٩٢ ط : بولاق ، وابن كثير جـ ٤ ص ٢٧٥ .

(2) تفسير المنار جـ ١١ ص : ٨٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح(١) » .

والذى لا جدال فيه أن الله تبارك وتعالى يصطفى لتبليغ وحيه ، أظهر خلقه نسبا وأكملهم خلقا ، وان خاتم الأنبياء والمرسلين قد اجتمع له من الفضائل والشمائل ما لم يجتمع لغيره من الخلق فكان عليه السلام المثل الأعلى للانسان الكامل فى كل شىء ، وليس أدل على ذلك من ثناء ربه عليه ، حيث قال سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وقد قرأ بعض القراء بفتح الفاء من أنفسكم من النفاسة والمراد الشرف ، وأنه صلى الله عليه وسلم من أشرف العرب وأفضلهم ، وهى قراءة شاذة عرض لها ابن جنى فى كتابه « المحتسب »(٢) محاولا الاحتجاج لها فقال : معناه من خياركم ومنه قولهم : هذا أنفس المتاع ، أى أجوده وخياره ، واشتقه من النفس ، وهى أشرف ما فى الانسان .

وقد رفض هذه القراءة بعض المحدثين(٣) لأنها من جهة خبر واحد لا يثبت به القرآن ، ومن جهة أخرى أن المعهود فى فصيح الكلام أن النفيس والأنفس مما يوصف به الاشياء لا الاشخاص .

٤ ــ وأما قوله تعالى : « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم » ، فهو يدل فى ايجاز معجز على مبلغ ما كان يشعر به الرسول نحو قومه ويحمله لهم فى فؤاده ، ويسعى جاهدا لتحقيقه ، انه يدرك تماما مصيرهم المحتوم اذا ظلوا سادرين فى غيهم ، ويدرك فى الوقت نفسه أنهم عن هذا المصير غافلون أو به كافرون وهو لا يرضى لهم أن يكونوا وقودا للنار أو أن يعيشوا فى هذه الحياة الدنيا أذلة مستضعفين ، ولكنه عليه السلام يرجو أن يكون لقومه شرف الدعوة الى رسالة الخير والبر والسلام والوئام ، وأن يكونوا طليعة خير أمة أخرجت للناس تتمثل فيهم كل خلال الفضيلة والكرامة والعزة والسيادة، من أجل ذلك صبر وصابر وجاهد وقاتل ، وكان وهو فى أشد لحظات الألم مما يفعله قومه يسأل الله لهم الهداية ، ولا يستجيب لرغبة من طلب منه الدعاء عليهم ، فقد روى أن بعض المسلمين بعد غزوة أحد قال للرسول ــ وقد شج وكسرت رباعيته ــ لو دعوت عليهم، فقال : انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة ، اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .

فلم يقتصر على رفض الدعاء عليهم ، بل عفا عنهم ، ثم أشفق عليهم ودعا لهم بالهداية لأنهم قومه ولانهم لا يعلمون (٤) .

وقد أسلفت آنفا أن هذا الجزء من الآية يدل فى ايجاز معجز على مدى حرص الرسول على كل ما ينفع قومه فى الدنيا والآخرة ، لأنه يلخص فى ألفاظ معدودة كفاح الرسول فى سبيل اخراج قومه من الظلمات الى النور ، والتعبير بكلمتى « عزيز وعنتم » له دلالته القوية فى الاشارة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص : ٢٧٥ .

(٢) جـ ١ ص : ٣٠٦ ، ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٣) تفسير المنار ، جـ ١١ ص : ١٩٠ .

(٤) أنظر من أخلاق النبى ، للدكتور أحمد الحوفى ، ص : ١٨٧ ، ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

الى ما كان يلم بالرسول من ألم نفسى حاد حين يرى قومه يعكفون على ما يشقيهم ويرديهم ، وذلك أن معنى(١) كلمة عزيز أى صعب ، والعنت الاثم أو كل أمر شاق مهلك ، صعب على الرسول أن يصمت دون دفعه ويقف دون الجهاد لدحضه .

ويؤكد هذا قوله تعالى « حريص عليكم » فالحرص لغة فرط الشره ، أو شدة الرغبة فى الحصول على المفقود أو العناية بحفظ الموجود ، فالرسول كان مهتما كل الاهتمام ، وحريصا أبلغ الحرص على أن يحول بين قومه وحياة الضلال والفساد والتخلف والجمود ، وأن يدفع بهم الى الدخول فى دين الله ليعيشوا أحرارا كراما لا يخشون الا الله ولا يرضون بالدنية فى دينهم ودنياهم .

وقد وردت فى القرآن آيات عديدة سوى هذه الآية ، تتحدث عن حرص الرسول على هداية قومه وتبرز فى جلاء أن هذا الحرص كان شغله الشاغل بعد بعثته ، ومن ذلك قوله تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وهذه الآية جاءت فى سورة يوسف(٢) بعد ذكر قصته عليه السلام ، لأن العرب سألت الرسول عن هذه القصة ، فلما نزل الوحى بها ظن الرسول أن قومه سيؤمنون به ، غير أنهم لم يستجيبوا له ، فحزن لذلك ، لأن ما كان يحرص عليه ويجهد فى سبيله لم يتحقق ، فنزلت هذه الآن تسلية للرسول (٣) وتشير الى أن الهداية أولا وأخيرا مردها الى الله وان حرص الرسول لن يغير ما سبق فى علم الله كما قال تعالى : « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل(٤) » . و « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء(٥) » .

٥ — وفى الجزء الاخير من هذه الآية التى تتحدث عن صلة الرسول بقومه يخلع الله جل جلاله على رسوله صفتين من صفاته هما صفة الرأفة والرحمة اللذان يعتبران من أهم صفات الجمال القدسى(٦) ، ومن أبرز الاسماء الحسنى فيقول : « بالمؤمنين رءوف رحيم » وقد قال(٧) بعض السلف إن الله سبحانه لم يجمع لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه الا لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه قال عنه : « بالمؤمنين رءوف رحيم » وقال : « ان الله بالناس لرءوف رحيم(٨) » .

ولعلماء اللغة آراء(٩) متباينة فى تفسير معنى الرأفة والرحمة من حيث العلاقة بينهما ، فهناك من يرى

---

(١) أنظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى ، ج ٤ مادتى عز وعنت . ط : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٢) الآيـة : ١٠٣ .

(٣) أنظر القرطبى ج ٩ ص ٢٧١ .

(٤) الآيـة ٣٧ فى سورة النحل .

(٥) الآيـة ٥٦ فى سورة القصص .

(٦) مجلة الأزهر السنة الخامسة والثلاثون ص ٢٧٠ .

(٧) أنظر القرطبى ج ٨ ص ٣٠٢ ، ومجمع البيان فى تفسير القرآن ج ١ ص ١٦٩ ط : بيروت .

(٨) الآيـة ٦٥ فى سورة الحج .

(٩) أنظر مثلا لسان العرب مادتى رأف ورحم .

أن الكلمتين مترادفتان ، على حين يرى آخرون أن الرأفة أشد الرحمة ، وقال بعضهم ان الرحمة أعم من الرأفة لأن هذه لا تكون مع الكراهية وتلك تقع مع الحب والبغض ، فالانسان قد يرحم عدوه لكنه لا يحنو عليه ولا يهش له .

ومع اختلاف آراء اللغويين فى تحديد مدلول الرأفة والرحمة فان الذى لا جدال فيه ولا اختلاف عليه أنهما صفتان من صفات الكمال الانسانى الذى تطمح اليه النفوس المطمئنة والأفئدة المؤمنة ، فمن اتصف بالرأفة والرحمة فهو الانسان الكامل الذى يحمل بين جنبيه قلبا لا يعرف الغلظة ولا يجنح الى القسوة ، ولا تستبد به شهوة الانتقام من أعدائه والمسيئين اليه ، لأن احساس الصفح والعفو لديه أقوى وأغلب ، ومشاعر الاحسان والحنان أشد وأظهر .

والنص فى الآية على أن الرسول بالمؤمنين رءوف رحيم لا يعنى أنه ليس بغيرهم رءوفا رحيما ، فقد بعثه الله رحمة للعالمين ، وهداية للناس أجمعين ، وما كان حرص الرسول على هداية قومه الا لونا من الرأفة والرحمة بهم ، ولعل تخصيص المؤمنين فى هذه الآية جاء فى مقابلة ما أمر به عليه السلام من الغلظة على الكفار والمنافقين(١) ، وربما لأن الآية حين أشادت بالرسول فى حرصه على هداية قومه وما كان يشعر به من الأسى اذا رأى منهم اصرارا على ما يشقيهم ، كان ختام الآية اشارة الى ان الرسول اذا كان يحمل فى قلبه تلك المشاعر النبيلة ، نحو من لم يؤمن به فهو بالنسبة لمن صدقه واتبعه وسلك معه طريق النجاة والفوز صورة فريدة من الحنان والشفقة والعطف والرعاية ، ويكفى أن الله تبارك وتعالى وصف نفسه فى آيات كثيرة بما وصف به رسوله فى هذه الآية ، فهى رأفة ورحمة مستمدة من رأفة الله ورحمته بعباده وهو فضل عظيم أسبغه المولى سبحانه على نبيه والمؤمنين به كما قال تعالى فى آية أخرى . « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك(٢) » ، فقد وصفه الله تعالى بأنه يلين لهم ، وأن هذا اللين صادر عن قسط عظيم منحه الله اياه من رحمته جل جلاله ، لهذا أنس المسلمون الى رسول الله من رجال ونساء ، كما يأنس الاطفال الى الأمهات والآباء ، وكان أنسهم منبعثا عن حب واجلال واطمئنان الى سماحة نفسه ورأفته ورحمته(٣) .

٦ ـ وأما مظاهر رأفة الرسول ورحمته بالمؤمنين فهى كثيرة ومتنوعة وقد أشرت الى أن تخصيص المؤمنين برأفة الرسول ورحمته لا يعنى أنه ليس بغيرهم رءوفا رحيما فهو عليه السلام الرحمة المهداة الى الناس جميعا ، ولم يكن الرسول رحيما بالانسان فقط ولكن رحمته وشفقته وبره شمل الأناسى والحيوان مما يؤكد أنه عليه السلام لا يدانيه أحد فى أخلاقه ، وأنه قد

---

(١) قال تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » آية ٧٣ التوبة ، ٩ التحريم ، على أن هذه الغلظة فى جوهرها رحمة بهؤلاء الكفار والمنافقين .

(٢) الآية ١٥٩ فى سورة آل عمران .

(٣) انظر من أخلاق النبى . ص : ١٩٤ .

اجتمع له من الشمائل والفضائل ما لم يجتمع لغيره ، ولا غرو فقد اجتباه ربه لرسالته وعلمه فأحسن تعليمه ومدحه فى كتابه بالخلق العظيم . وهو لكل ذلك المثل الأعلى فى الفضائل والأسوة الحسنة لمن أراد نعيم الدنيا والآخرة وصدق الله حيث قال : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا(١) » .

ومن مظاهر رأفة الرسول بالمؤمنين أنه كان اذا سمع بكاء الصبى وهو فى الصلاة — وكان النساء يصلين فى المسجد خلف الصفوف — تجوز فى الصلاة وتعجل فيها شفقة ورحمة بوالدته ، وكان اذا أم الناس فى الصلاة تخفف رأفة بالضعفاء وذوى الضرورات ، وكان لا يجلس اليه أحد من أصحابه وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، بل كان فى موعظته للناس — وهى من أهم الأمور — يقصد الى التخفيف شفقة ورحمة بهم ، قال عبد الله بن مسعود : كان رسول الله يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا .

ومما يروى أن اعرابيا جاء الى الرسول يطلب عطاء فأعطاه ، ثم قال له : هل أحسنت اليك ؟ فقال الاعرابى لا ولا أجملت ، فغضب المسلمون من هذا الرد الجافى وهموا به فأشار الرسول اليهم أن كفوا ثم قام فدخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئا ثم قال : هل أحسنت اليك قال : نعم فجزاك من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى أنفس أصحابى من ذلك شىء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك قال : نعم ، فلما كان الغد جاء الاعرابى فقال الرسول لأصحابه ان هذا الاعرابى قال ما قال فزودنا فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ فقال الاعرابى نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال عليه السلام : مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وأنا لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار(٢) .

فهذا موقف رائع من مواقف الرسول يدل على حكمة وكياسة كما يدل على حلم وعفو ورأفة ورحمة ، ويرشد المسلمين الى ما يجب أن يكونوا عليه من معاملة مثل هذا الاعرابى بالتى هى أحسن ، حتى يكونوا دائما دعاة تآلف ومحبة ، وحتى يظل المجتمع الاسلامى صورة حية واقعية للقيم والمبادىء التى صلح عليها أمر الدنيا والآخرة ،

(١) الآية ٢١ فى سورة الاحزاب .

(٢) أنظر رسالة النبى ص ١٩ ط : جريدة الاهرام سنة ١٣٧٠ .

ولا مجال هنا للنص على كل مظاهر رأفة الرسول ورحمته فهى كما أسلفت كثيرة ومتنوعة ويمكن لمن أراد أن يقف عليها ويتزود منها أن يرجع الى بعض أمهات كتب الحديث والسيرة وبعض المؤلفات الحديثة التى تناولت هذا الجانب فى شخصية الرسول (١) .

٧ ــ وأما الآية الثانية وهى التى تتحدث عن صلة الرسول بربه فانها تخاطب الرسول عليه السلام بأن يلجأ الى الله ان أعرض عنه قومه ، انها تصل الرسول بالقوة التى تحميه وتكفيه لأن الله وحده هو صاحب الحول والطول واليه ينتهى الأمر كله ..

ان الله سبحانه يعلم أن رسوله لن يدخر وسعا من أجل هداية قومه وأنهم سيعرضون عنه ويؤذونه فى نفسه وأهله وأصحابه ، وأن هذا الايذاء والاعراض سيكون مصدر ألم للرسول لأنه حريص على هداية قومه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فجاءت هذه الآية بعد تلك الآية التى امتن الله فيها على قومه بارسال رسول منهم يعطف عليهم ويرأف بهم ، لتكون بمثابة التسلية للرسول والتذكير له بأن يلجأ الى الله ان أعرض عنه قومه فهو وحده نعم المولى ونعم النصير .

٨ ــ وبعد فان محمدا صلى الله عليه وسلم جاهد فى الله حق جهاده حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

واذا كان عليه السلام فى حياته حريصا على هداية قومه فانه بعد أن هداهم الله كان أشد حرصا على اعتصامهم بما جاءهم به ودعاهم اليه ليظلوا خير أمة أخرجت للناس تنشر الخير وتحمى الحق وتأخذ على أيدى الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون ، ولهذا حذرهم قبل وفاته من كل ما يوهن عقيدتهم أو يفرق وحدتهم ، وكان جماع ما أوصاهم به قوله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنة رسوله » .

والمسلمون اليوم وهم يمرون بفترة عصيبة فى تاريخهم ويواجهون عدوا أثيما يمكر بهم ويسعى دائبا للقضاء عليهم وعلى مقدساتهم ، لا مناص لهم من أن يعضوا بالنواجذ على ما حضهم عليه نبيهم وأوصاهم به حتى لا يضلوا طريق الايمان الصحيح ، وسبيل الحياة العزيزة الكريمة التى خلقوا لها وأمروا بالحفاظ عليها والموت دونها وصدق الله العظيم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (٢) » .

---

(١) وذلك مثل محمد المثل الكامل للمرحوم جاد المولى ، وبطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ومن أخلاق النبى للدكتور أحمد الحوفى .

(٢) الآية ٨ من سورة « المنافقون » .

السيرة النبوية في الأدب الحديث

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

ذكرني بموضوع محمد عليه السلام في الأدب الحديث ، كتاب جيد من تلك الكتب التي تظفر بها المكتبة من حين الى حين . وهو كتاب « المثل الأعلى في الأنبياء » ألفه بالانجليزية المفكر المسلم الهندي « خوجة كمال الدين » ؛ وكتب مقدمته اللورد هيدلي البريطاني الذي أسلم وحسن اسلامه وتوفي بلندن سنة ١٩٣٥ ؛ وترجمه الى العربية الأستاذ أمين محمود الشريف .

ولن أتناول بالحديث تلك الكتب التي ألفها في العصر الحديث مفكرون ومستشرقون بغير اللغة العربية ؛ فترجم بعضها ، وظل كثير منها في لغته الأصلية ينتظر من يوفقه الله الى ترجمته . فان الموضوع قد يطول بنا اذا أدخلناه هذا المدخل ، أو أنزلناه هذا المنزل . ولكننا سنتناول كتبا عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام وسيرته كتبها قوم من العرب المحدثين والمعاصرين وتناولوا فيها صاحب الرسالة المحمدية من نواح مختلفة ، وزوايا متعددة ؛ وأخذ كل مؤلف منهم من جوانب الرسول بما شاء الله أن يستخرج منه مثالا رفيعا للكمال الانساني الذي أودعه الله في صاحب رسالته ؛ وناشر دعوته .

ولم يشأ المفكرون المسلمون في العصر الحديث أن يقطعوا الحبل الذي بدأه اخوانهم قبلهم منذ الكتب الأولى في السيرة والمغازي . ولم يقفوا بالنبي الهاشمي وسيرته عند الحد الذي بلغه أسلافهم ؛ ولكنهم داوموا على قراءة السيرة النبوية في مصادرها الصحيحة الأولى ؛ وقرأوها بلغة العصر الحاضر وعقليته ؛ وجعلوا منها موضوعات جديدة كل الجدة ؛ تتلاءم مع روح عصرنا ومفاهيمه ؛ حتى لا يجد القارىء الحديث نفسه منبت الصلة بين عصره والعصور الأولى للاسلام ؛ وحتى يستطيع أن يفهم تمام الفهم معنى الخلود في رسالة الاسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

واذا كان الكتاب المعاصرون والمحدثون قد شاركوا بالنثر في اعادة كتابة السيرة النبوية بأسلوب حديث ؛ فان الشعراء لم يتخلفوا عن ميدان رأوا لأنفسهم حق الكلام فيه . ولا أقصد بالطبع تلك القصائد المتناثرة التي تجدها متفرقة في

دواوين الشعراء المسلمين من أمثال شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد محرم ، ومحمود رمزي نظيم ، ومصطفى صادق الرافعي ، ولا تلك القصائد التي نظمها في نبي الاسلام فريق من الشعراء المسيحيين ، من أمثال خليل مطران ، وشلبي الملاط ، والدكتور لويس صابونجي ، ووديع البستاني ، وسابا زريق ، وعبد الله يوركي حلاق في الوطن العربي ، والشاعر القروي ، وألياس فرحات ، والياس قنصل في المهجر الامريكي . وانما أقصد التأليف الشعري المستقل في سيرة الرسول . ويتجلى لنا هذا العمل في ثلاثة من كتب الشعر الحديث ، أولها (الالياذة الاسلامية) للشاعر أحمد محرم ، وثانيها (أمير الانبياء) للشاعر عامر محمد بحيري ، وثالثها (من وحي النبوة) لمحمد عبد الغني حسن .

وعلى الرغم من اختلاف آراء النقاد في ملحمة أحمد محرم ، وقسوة بعض الادباء في حكمهم على القيمة الفنية (لالياذة الاسلام) ، مقارنة بالياذة هوميروس ، فان بداية الشاعر أحمد محرم في هذا الطريق تعد ريادة لن تستهويهم سيرة الرسول ومجالي عظمته من شعرائنا الصاعدين .

أما (أمير الانبياء) للشاعر عامر محمد بحيري ، فقد بدأت تظهر فيها فنية القصة والسيرة الشعرية ، لاغنية الملحمة بمفهومها المعروف عند الغربيين ، وبهذا سار في ركب الشعراء الذين نظموا في مدح الرسول كشمس الدين الباعوني المتوفى سنة ٨٧١ هـ ، وابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ هـ ، وابن سيد الناس المتوفى سنة ٨٣٤ هـ .

ولم يخرج ديواننا (من وحي النبوة) عن مجال الشعر التقريري في مدح الرسول ، مع استلهام كثير من مجالي عظمته ، ما عدا مسرحيتين شعريتين هما (مؤامرة تخيب) و (هو النبي المنتظر) كتبناهما على سبيل المحاولة والتجربة التي قد تخيب وقد تصيب .. !

هذه هي الكتب الشعرية المعاصرة الخاصة بالرسول والرسالة ، على قدر ما نعلم مما يصلنا من الانتاج العربي الحديث .. أما كتب النثر فقد ذهبت في التاريخ لسيرة محمد عليه السلام مذاهب مختلفة ، طبقا لميول أصحابها واختلاف مناهجهم . فنرى المرحومين أحمد تيمور باشا ، والشيخ محمد الخضري ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والاستاذ محمد رضا يلتقون في كتبهم على كتابة السيرة النبوية التي تشمل حياة الرسول منذ ولادته الى لحاقه بالرفيق الاعلى ، ولكن السيرة بين أيديهم تطول أو تقصر ، والحوادث توجز أو تفصل ، والمشاهد يؤخذ بعضها ويترك بعضها طبقا لظروف الكاتب ، واختياره ، ومدى اطلاعه ، ومجال نشره . فنرى أحمد تيمور في كتابه (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) يوجز غاية الايجاز ، مع الاهتمام بأهم الاحداث البارزة في سيرة الرسول ، والبعد عن ضعيف الروايات ، فهو سيرة مركزة يخرج منها القارىء بمعلومات محكمة دقيقة مشوقة ، ونرى الشيخ محمد الخضري في كتابه (نور اليقين في (سيرة سيد المرسلين) يميل كذلك الى الايجاز ، وان كان لم يدع حادثة من الحوادث في عهد النبي عليه الصلاة والسلام الا ألم بها . ووقف عندها وقفة قصيرة . ولقد حقق بكتابه هذا رغبة قاض فاضل

من قضـــــاة المسلمين فى المحاكم المختلطة ، من التشـوف الى عمل سيرة للرســـــول خالية من الحشو والتعقيد ، ذلك القاضى المسلم هو محمود بك سالم عليه رحمة الله .

وجاء الدكتور محمد حسين هيكل فأصدر كتابه (حياة محمد) وذهب فيه مذهب التفصـــــــيل وتنســيق الحوادث وربط بعضها ببعض ، مع التنبه لمجالى العظمة فى ســـــيرة الرسول وعرضها عرضا جليا شائقا ومع التيقظ التام لاتهـــــامات أعداء الاسلام من المستشرقين ومن أليهم ، ودحضها بالأدلة العلمية والتاريخية التى لا تنقض ، ولقد اضـــــطرت الظروف الدكتور هيكل الى أن يدخل فى كتابه بحوثا ليست من السيرة ، ولكنها تتصل بها ، جريا على عادته من الاطناب الذى تتضح به القضايا المعالجة ، وتزيد ظهـــورا وجلاء وقرارا فى نفس القــارىء ، وجاء محمد رضا بكتابه (محمد رســـول الله صلى الله عليه وسلم) ، فاهتم بما أثاره المستشرقون والمغرضـــون من شـــبهات حول الرســــــالة والرسول ، ورد عليها ردودا مقنعة تضمحل أمامها الشــكوك ، وتزول الشـــبهات . ولعل هدفه الاكبر من كتابه فى سيرة الرسول كان ابطال شبهات المتعصـــبين والحانقين على الاسلام ، وهو مع هذا الترصـــد الواعى اليقظ لم تفته مصادر السيرة النبوية من كتب السيرة ، والمغازى، والتـــواريخ العامة ، واللغـــة ، والأدب ، والطب ، والفلك (فقـــد تعثر فيها على بحوث قيمـــة قد لا توجد فى كتب السير) . ويمتـــاز كتاب المرحوم محمد رضا بفهارســـه المنوعة فى أسماء الرجال والقبائل والنساء والأماكن ، مما لم أجده فى كتاب آخر من كتب الســـيرة ، ومما يجعل الرجوع الى ســـــيرة النبى وحوادث عصر النبوة مطلبا يســـير المنال .

وبمناسبة عصر النبـــوة لا يفوتنا الاشـارة هنا الى كتاب ألفه الاستاذ محمد عزت دروزة عنـوانه (عصر النبى عليه الســـــلام ، وبيئته قبل البعثة) ، وقد تحدث فيه بافاضـــة عن اقليم الحجاز وسكانه ومعايش أهله ، وتناول حياتهم الاجتمــاعية والعقلية وأديانهم وعقــائدهم بكثير من التفصيل . ولقد اســتعان على وضـــــــوح الرؤية فى عصر النبى بالصور والاوصاف والاشــــارات الكثيرة التى جاءت فى القـــــرآن الكريم . وبهذا كان كتاب الله الكريم المصدر الاول والأصيل عنده لتصوير ذلك العصر .

واذا كان المرحوم عباس محمود العقـــاد قد جرى فى عبقـريات الصـــديق ، وعمر ، والامام على ، وخالد بن الوليد ، على منهج تحليل شخصياتهم على ضوء علم النفس ، فان كتابه (عبقرية محمد) قد نحـــا هذا النحو . وقد أحس رحمه الله بما قد يثار من أســـئلة حول هذا المنهج ، فقال فى تقديم كتـــابه : (.. ليس الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف الى السير العربية والافرنجية التى حفلت بها المكتبة المحمدية حتى الآن .. لأننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها فى هذه الصفحات .. انما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل انسان ، ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذى يبث له الحب فى قلب كل انسان ، وليس فى قلب المسلم وكفى ..) ، على أن هذا المنهج فى كتابة السيرة النبوية لم يحز رضى البـــاحثين والقـــراء جميعا ، فقد تصـــدى لنقده بعض كتاب السيرة أنفســـهم مثل المرحوم الاستاذ محمد رضا الذى قال عنه :

(.. ان ذلك قد يؤدى الى الشطط وطمس الحقائق التاريخية وتشويهها . لأن سيرة رسول الله ليست كسيرة أى فرد من الافراد أو عظيم من العظماء ، ممن يطبق على حياتهم وسلوكهم أصول علم النفس ، ويحكم عليهم بمجرد الرأى والملاحظة . نعم انه عليه الصلاة والسلام انسان ، لكنه انسان ممتاز بلغت عظمته الكمال البشرى ، فلا يمكن مقارنته بغيره من عظماء القادة والزعماء ..) . وهنا نتساءل : هل ركب العقاد رحمه الله شططا فى (عبقرية محمد) أو حاول مرة طمس الحقائق التاريخية وتشويهها ؟

ويتصل عن كثب بالمنهج النفسى التحليلى لكتابة سيرة محمد فى العصر الحديث ، هذا المنهج الفلسفى الذى سلكه الاستاذ المؤرخ البحاثة محمد جميل بيهم فى كتابه (فلسفة تاريخ محمد) الذى صدر فى بيروت سنة ١٩٦١ ، وكان الحافز له على تأليفه استمرار بعض المؤلفين الاجانب فى النيل من محمد عليه السلام ، فكان هذا الكتاب (الذى اتوخى فيه وضع سيرة نبينا على حقيقتها البشرية دون زيادة أو نقصان ، بغية أن لا يبقى لهؤلاء الاجانب مبرر للنيل منه ، استنادا الى صورته المليئة بالخوارق) .

وعلى الرغم من رجوع الاستاذ (بيهم) الى القرآن والحديث الصحيح استشهادا بمواقف السيرة وصاحب السيرة ، فانه زاد على من سبقه من الباحثين باعتماده على النواميس الطبيعية التى تربط الاسباب بالمسببات ، وترتب النتائج على المقدمات .

ولقد لجأ بقية المؤلفين فى سيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من أهل عصرنا هذا الى اختيار جانب أو بعض الجوانب من حياة الرسول ، والحديث عنها وتجليتها بما لا خفاء فيه ..

فالضابط محمد عبد الفتاح ابراهيم يكتب فى غزوات الرسول كتابا عنوانه (محمد القائد) ، ويتناول مغازى الرسول من ناحيتى القتال والتخطيط للحرب ، وقد كان أول كتاب فى المكتبة العربية يتناول الناحية العسكرية الحربية من حياة الرسول . ثم جاء الضابط محمد فرج فأخرج فى سنة ١٩٥١ كتاب (محمد المحارب) . وكأنه أحس ببعد ما بين حروب الرسول وحروبنا الحديثة من وسائل السلاح وعدته ، فأجاب على سؤال صديق له : (هل كان يا صديقى فى عهد رسول الله شىء اسمه حرب بالمعنى الذى نعرفه اليوم ؟ لقد كانوا يحاربون بالحجارة والنبل والخيل ، أهذه هى الحروب التى تود أن تحدث قرارك عنها ؟) بقوله : (الحرب يا صديقى مهما اختلفت أسلحتها ، فلن تختلف أسسها ومبادئها ..)

والمرحوم الاستاذ محمد أحمد جاد المولى يكتب كتابه (محمد المثل الكامل) بعد أن طالع ما أدى اليه البحث من المثل الكاملة التى صورتها العقول البشرية جيلا بعد جيل ، فوجد أن واحدا منها لا يصلح أن يكون هداية عامة لبنى الانسان جميعهم ، على اختلاف زمانهم ومكانهم ، الا النبى محمدا عليه الصلاة والسلام ، الذى كانت كمالاته المثالية موضوع هذا الكتاب .

والاستاذ عبد الحفيظ أبو السعود يعيش فترة روحية صافية مع أصحاب محمد فيضع كتابه (محمد وصحبه) . وهو — على الرغم من رجوعه للتاريخ — فانه يتأنق فى عبارته ، ويعرض الاحداث فى ثوب قصصى شائق .

ويعمد الاستاذ محمد شوكت

التونى الى ناحية طريفة من نواحى الرسول فى عهد الطفولة والصبا ، حيث لم يحجبه اليتم عن التهيؤ لرسالته الخالدة التى رعى بها البشرية جميعا ، فنراه فى كتابه (محمد فى طفولته وصباه) يقص حياة الطفولة عند النبى فى عبارات صاغها المؤلف من نسج الحوادث ، ويرى ضرورة التنبيه الى أنها ليست « أحاديث نبوية » ، ومن ثم ليست مصدرا للاحكام الشرعية ، ولا يجوز الاستشهاد بها على أنها صدرت فعلا من الرسول . وهو تحفظ كان ضروريا فى هذا الكتاب .

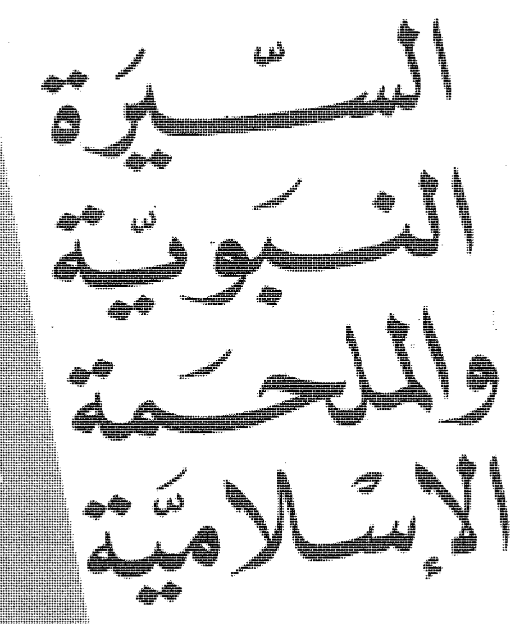
ويتناول الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى موضوع « الحرية » فى حياة الرسول ، ويشير فى كتابه (محمد رسول الحرية) الى أن السيرة ليست فى حاجة الى كتاب جديد يتحدث عن عصر النبوة ، أو يدافع عن صدق الرسالة ، أو يؤكد معجزات النبى ، ولكننا فى حاجة الى مئات من الكتب عن التطور الذى يمثله الاسلام .

ويعمد الاستاذ أمين دويدار فى كتابه الضخم (صور من حياة الرسول) الى تبسيط السيرة النبوية فى أسلوب يشجع الشباب على قراءتها ، حتى تمتلىء نفسه بما فى حياة الرسول الكريم من صدق ووضوح ، وقوة وحياة ، وعظمة وجلال . والحقائق التاريخية كلها موجودة فى هذه الصور الحية ، وتمتاز بأنها معروضة بطريقة جذابة تستهوى الشباب ..

وقد تأثر الاستاذ أمين دويدار فى كتابه هذا بما كتبه الدكتور طه حسين فى كتابه (على هامش السيرة) ، واعترف فى نهاية كتابه بأنه انتفع بمنهج الدكتور طه حسين وأسلوبه . وهو منهج من الحق أن نقول هنا انه كان لا يبعد عن أعين كثير من الذين كتبوا فى السيرة النبوية بعد الدكتور طه حسين .

واذا كانت الكتب السابقة كلها فى السيرة النبوية بأقلام مؤلفين من المسلمين ، فان فاضلا منصفا من أفاضل اخواننا الاقباط فى مصر هو الدكتور نظمى لوقا قد ألف كتابا عنوانه (محمد : الرسالة والرسول) . ولقد وقف الدكتور نظمى أمام مواقف من حياة الرسول الانسان ، فانبهر بها .. انبهر بشجاعته ، وصدقه ، وعلاقته بالناس ، وعلاقته بربه ، وانبهر بقلبه الانسانى الكبير ، فعبر عن ذلك وعن كثير غيره تعبيرا جميلا جمع بين التاريخ والفن وأدب التراجم ، مما دفع أحد المعجبين بكتابه الى أن يقول له : (ان الطابع الانسانى فى كتابك قد مس شغاف قلبى أكثر من أى شىء آخر فيه ، على جماله كله ..)

فالفنية فى كتاب الدكتور نظمى لوقا عن (محمد الرسالة والرسول) تذكرنا بالفنية المسرحية الحوارية التى كتب بها الاستاذ توفيق الحكيم كتابه (محمد) ، وقد التقط الحكيم فيه مشاهد من حياة الرسول فسلط عليها الاضواء ، ووزع الضوء بمقدار ، تبعا لانفعالاته وشعوره أمام الحدث ، وتجاوب أحاسيسه . فأبرز بعض الاحداث التى قد يراها غيره غير جديرة بالابراز ، وأخفى من السيرة أحداثا كانت جديرة بالظهور . ولكنا لا نلومه ونقول له : لماذا اخترت هذا ؟ وأخفيت ذاك ؟ انه فنان .. وحتى كتاب السيرة المحض لم يسلموا من ترك بعض الاحداث أو الالمام بها الماما يسيرا لا يتفق مع اطالة الوقوف عند بقية الاحداث .



السيرة النبوية والملحمة الإسلامية

للدكتور: زكي المحاسني

انني اردد على الدوام قولتي التي قلتها حين انتهيت من قراءة الالياذة لشاعر الاغريق الاكبر (هوميرس) :

« لقد نقش الشاعر هوميروس على حسام البطل اخيل آداب امته » وكذلك اروح سجيس الزمن اقول :

« لقد نقش رسول الله صلوات الرحمن عليه وسلامه على سيفه الذي حارب به في حروبه ومغازيه وبخاصة في حرب بدر الكبرى ، تاريخ امته » .

ووراء هذا القول الاسلامي صرت مجدا في ان اجيء بالبرهان على صحة ماقلته في حروب الرسول ومغازيه .

كان صلوات الله عليه دائب الهبة في الجهاد ، وكان قائدا عسكريا منقطع النظير ، وقد كنت اماليء عجبا حين أتذكر في تاريخ الجلاد والحروب البشرية ما كان قد اثاره نابليون بونابرت من المعارك الطواحن في أوربة ابان حكمه وجلاده ، حتى وقع في حرب (واترلو) مهيض الجناح وخسر المعركة وانطوى بها ذكره الى الابد . فأخذت أجيل خيالي وفكري وأدير على النتائج الحربية حوارى بيني وبين نفسي ، فانظر الى معركة « احد » التي خسرها الرسول وجرح فيها ، كيف استطاع ان يثبت بعدها ثبات الجبال الرواسخ التي لا تزلزلها الاحداث !!

وخرجت بمنتوج حكمى قاطع ، وهو أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كان مخططا حربيا عظيما ، فهو حين قال فى أحاديثه المأثورة :

« يدفن رجل صالح تحت أسوار القسطنطينية » كان يخطط لحروب طويلة مع البيزنطيين ، وهم الذين يدعوهم القــرآن الكريم بالروم ، فان معاوية بن أبى سفيان أرسل ابنه يزيد قائدا على جيش لجب عرمرم لفتح القسطنطينية . وسار الجيش قدما فى مجالات الاناطوليق (بلاد الاناضول) يغذ السير على الافراس السلاهب وكله فرسان وليس فيه راجل لبعــد الشقة وطول الطريق الرومية ولم يكد هــذا الجيش يفصل من الثغور الشامية ، ويدخل ديار الروم فاتحا أو مصالحا حتى ركض أحد الفرسان الى القائد يزيد ، فقال له :

ـــ يا يزيد ، أدرك أبا أيوب الانصارى ، فانه وجد معنا ، وهو مكب على قربوس فرسه من الحمى .

فعطف يزيد عنق جواده وعاد القهقرى فى مسيرة جيشه اللجب حتى بلغ أبا أيوب فدهش لوجوده ، فقال له فى عجب أخاذ :

ـــ ما الذى أقدمك أبا أيوب ، وقد خلفتك بالمدينة مريضا ، فرفع أبو أيوب رأسه من الضنى القتال ، وقال ليزيد :

ـــ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدفن رجل صــالح تحت سور القسطنطينية .

فأحببت أن أكون أنا ذلك الدفين تحت أسوار الروم . فلما سمع يزيد هذا القول أحس كأن شعر رأسه قد وقف هيبة وتأثرا بما يشاهد ويرى من أبى أيوب البطل العظيم الذى ليس فى بدنه قيد اصبع الا وفيه طعنة أو جرح . ولقد بلغ من السن عتيا . فحلف يزيد ليبلغن أبا أيوب مناه فأمر بالجيش أن يستحث بلا وقوف حتى يدرك أسوار القسطنطينية قبل أن يدرك الموت أبا أيوب .

ولكن الموت سبق الى البطل الاسلامى العظيم الانصــارى ، فأمر يزيد بتكفينه ووضعه بتابوت من الخشب وبيت فى نفسه أمرا عائلا ، وبلغ جيش المسلمين بقيادة البطل يزيد أسوار القسطنطينية ، فقال يزيد للابطال :

ـــ احملوا أبا أيوب فى نعشه على عواتقكم ودعوه يدخل المعركة معكم فانه ان خاضها ميتا فكأنه خاضها حيا . وكانت بوادر العسكر الرومى قد تقدمت فى حماية السور ، فدخلت فى قتال مع المسلمين ، وكان فى رعيل الابطال أبو أيوب الانصارى محمولا على الاكتاف ، يدور مع حامليه يمنة ويسرة وحاملوه يتواقعون على السلاح ، فاذا سقط أحدهم هب الآخر الى حمل النعش بالبطل الانصارى ، وكان « قيصر » قد علا أسواره ، ودهش لــما يشاهد ، هو وقادته والسافحون عن السور برشق النبال والقاء النار على المسلمين بالمنجنيقات ، ولما

أدرك قيصر أن المسلمين على الرغم من المشقات فى طى المسافات ، قد ظهروا مجالدين ببطولة أخذت بمجامع اعجابه ، أرسل لوقف القتال ، وطلب المقابلة للتهادن ، فأرسل يزيد وفدا من أبطاله وزودهم بما يراه من القول والعقل ، فدخلوا على قيصر فى قصره المرد وهو فى جمع من أهله وأبطاله فكان أول ما ابتدرهم فيه :

— ما هذا الذى كنت أراه محمولا على عواتق جنودكم المقاتلين ، يدور بينهم حيثما داروا ، فقال أحد الموفدين المسلمين :

— هذا أبو أيوب الانصارى صاحب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، نذر أن يدفن تحت أسوار بلدك ، وأدركه الموت قبيل وصولنا الى هذه الاسوار ، فأمر قائدنا يزيد أن يخوض أبو أيوب معنا المعركة ، فهذا الذى كنت تعاينه من أعالى أسوارك ، وكنت تراه ، فبادر قيصر الى اكرام الوفد وحلف أمامهم بصوت جاهر :

— وحق المسيح لأكرمن قائدكم هذا العظيم أبا أيوب الانصارى ولأقيمن له مقاما مشهورا ولأسرجن له ما دام الفتيل والزيت فى الوجود .

وقفل وفد يزيد بمعاهدة بين الروم والمسلمين أدامت الوئام وحقن الدماء زمنا طويلا .

وبر قيصر بنذره ، فاذا أبو أيوب يرقد فى ظلال مقام محمود والسراج فوق ضريحه وتتوارد العصور وتتالى ، وأبو أيوب الانصارى بمكانه من التخليد والتمجيد حتى كان عصر الترك فقاموا له بالتجلة والتعظيم وبنوا مسجدا كبيرا عنده وحدائق حوله واذا العصر الحديث حتى اليوم يشهد حيا كبيرا مترامى الجنائن عالى المنائر والبيوت هو (حى أيوب) بالاستانة .

تلك صفحة منطوية من تاريخ المسلمين فى ملحمتهم الخالدة التى طالما حلمت فى نظمها ، وقد رحت من عشر سنين أنظم الاناشيد لهذه (الملحمة) العظمى وليوم اليرموك .

ولقد بلغت بهذه الملحمة حتى الآن (يوم اليرموك) وقد نشرت هذه الاناشيد وبلغت بها اثنين وعشرين نشيدا فى (مجلة قافلة الزيت) .

فاذا رجعت الى حياة الرسول الاعظم محمد بن عبد الله وجدته يقول أنا نبى الملحمة ، ويقول انما بعثت لكم بالملحمة ، فالملحمة الاسلامية من روح الرسول تناولت أناشيدها . ومن الهام نفسه الراضية المرضية أنظمها .

ولقد وجدت السيرة النبوية هى الملحمة الاسلامية الاولى التى ينبغى أن تنبع منها ذكريات الحروب الاسلامية الروائع فى عهد الرسول ، كحرب بدر الكبرى — وانى لأكتب هذا المقال لمجلة الوعى الاسلامى أستعيد فيه الذكريات الخوالد تاريخ (بدر) ومعركتها التى لا تنسى والتى وضعت طوابعها على ديمومة

الاسلام ورفع كلمة الرحمن حتى الآباد وغزوة الحديبية وحرب الخندق وحصارها المكين ، وفتح « مكة » كل تلك الحروب حـوافل بالمجد والمروءات الاســلامية جديرة أن تؤلف مقدمة (الملحمة العربية) الاسلامية .

وان الشعر العربى المكين الذى قيل فى تلك الحروب والغزوات المحمدية مما قاله شاعر الرسول حسان بن ثابت الانصارى أو مما خلد به ســواه من الشعراء ذكرى الغزاوات والسرايا والحروب حتى يوم علا الرسول الكريم المنبر وخطب خطبة الوداع مؤذنا بغروب كوكبه من سماء الدنيا ليطلع مجرة مشعشعة فى سماء الآخرة ، ان ابن هشام المؤرخ الجليل قد قدم للأمة الاسلامية بسيرة الرسول وسجل معاركه الخالدة ، فكان عمله هذا الجاهد مندور المثال فى تاريخ الأمم وفى تاريخ التأليف العربى والاسلامى وفى مجال التراث كله وكان ثقـة مشهورا له بالنزاهة والايمان الثابت والتجرد المكين ، حتى غدا مصدرا ثابتـا (جامعيا) جامعا اعتمده الأئمة من مؤرخى الاســلام كابن اسحاق والواقـدى والطبرى والمسعودى فجعلوه مصدر الاثبات لرواياتهم المعنعنة .

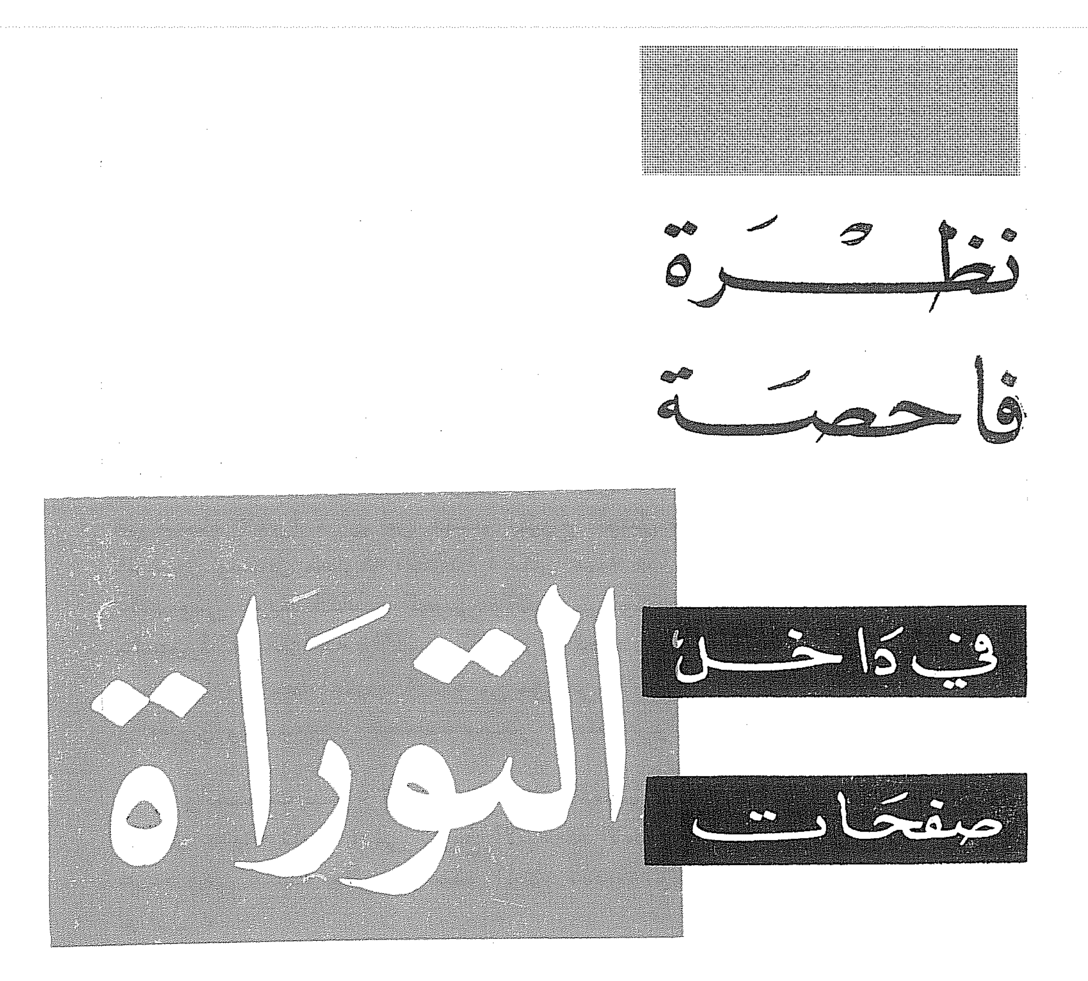
وانسحبت سيرة ابن هشام خلال العصور الاسلامية مكللة بالفخار منوطا بها كل حقيقة ثابتة ، فى تاريخ الانبعاث الاسلامى وحياة الرسول الاعظم فى حربه وفى سلمه وفى الوصف الماتع للمدينة ومكة وكل بلد مر به الرسول أو نزل .

واستمرت السيرة النبوية لابن هشام مرجعا ثابتا تمر العصور على منكبيها فلا تزيدها الا ثباتا وحقيقة وأصلا . وكم وقفت فيها على شواهد ومشاهد هى روعات التاريخ وغرر الاحداث فى دنيا الرسول والاسلام .

ولم تكن السيرة مقصورة على الحروب والغزوات وعالم الجهاد ، وانما كانت الى ذلك سجلا حافلا بحياة العرب وقصصهم ونوادرهم ، وكل ذلك راح ابن هشام يسجله ببيانه العذب ورواياته الصحاح ، ولا يفوت ابن هشــام ، فى غير استطراد ، أن يؤرخ أمجاد العرب فى جاهليتهم ، فقد أتى على وجودهم بأجمعه فى قبائلهم وشعرائهم وما كان يشجر بينهم من حروب كحـرب داحس والغبراء ، التى دامت أربعين عاما وحرب (البسوس) ومــا كان من حـروب العرب فى جاهليتهم مع جيرانهم ومع الدول الكبرى فى عهدهم كالفرس والروم كل ذلك وصفه ابن هشام وفصله أعظم تفصيل .

وأرخ لقريش تاريخا لا يبلى على ترادف الاحقاب فى أمجادها القديمـة وصعد فى تاريخ العرب الى عهد جوهم وعاد واليمن وسبأ والسيل العرم .

وانى لأسأل الله أن يهب لى عمرا أستطيع معه انجاز منظومتى الكبرى (الملحمة العربية الاسلامية) .



للأستاذ : محمد صبيح

ورد فى النسخة المتداولة للتوراة (العهد القديم) أن عدد اليهود الذين خرجوا من مصر بقيادة سيدنا موسى عليه السلام كان ٦٠٠ ألف عدا الاطفال وكان يعقوب وأبناؤه عندما وفدوا الى مصر فى عهد يوسف الصديق سبعين فردا وطالت مدة اقامتهم بين المصريين ٤٣٠ سنة . وألقى أحد المؤمنين بالتوراة نظرة فاحصة على رقم الوافدين من اليهود والخارجين ، وشك فى صحة الرقم الذى سجلته التوراة ، وقال : لعل الاصوب أن يكون شعب موسى ستين ألفا لا ستمائة ألف ..

وهنا هاج الحاخام الاكبر فى اسرائيل وماج ، ونسب الكفر والالحاد لهذا الذى تشكك فى تواريخ التوراة وأرقامها ، فما كان من صاحب التصويب الا أن نكص على عقبيه متراجعا ، وأعلن توبته وندمه على ما بدر منه .. ولم يكن أحد غير « بن جوريون » نفسه !

وأجرت احدى صحف تل أبيب استفتاء بعد عدوان يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ عن رأى الاسرائيليين فى الارض الجديدة المحتلة . هل تبقى كلها فى يد اسرائيل أو تتنازل عن بعضها للعرب ، وكان رأى ٤٠ ٪ من الذين اشتركوا فى

هذا الاستفتاء أن ترد الارض المحتلة بعد العدوان الى أصحابها .. وهنا ثار الحاخام الاكبر وفار ، وهدد الذين أيدوا الانسحاب بويل السماء وثبورها لأنهم ينادون بترك أرض نصت التوراة على أنها لهم . ونسبهم جميعا الى الكفر والالحاد ، وهنا عاودت الجريدة استفتاءها ، فاذا نسبة الـ ٦٠ ٪ ترتفع الى ما يقرب من الاجماع فلتبق الارض محتلة وليكن ما يكون من حروب وكروب توقيا من لعنات ممثل التوراة الاول .

وهذه الاحداث وأمثالها تؤكد الرأى القائل بأن يهود هذه الايام ، مثل الذين سبقوهم بعد جيل ، يعيشون فى التوراة ، فهم الذين صنعوها قديما ، وهى التى تصنعهم بعد ذلك .

النظرة الداخلية للنص الحالى

أكد القرآن الكريم فى مواضع كثيرة جدا ، أن التوراة التى كانت بين أيدى اليهود فى الحجاز محرفة ، ومصنوعة ، ومكذوبة ولكن القرآن أشار الى أن صحائف من التوراة الصحيحة كانت معروفة لدى اليهود .. بل نوه القرآن أيضا ، بأن التوراة الاصلية ، كانت موجودة ومعروفة فى وقت ظهور سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام .. قال تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل » .

واذن فمن أين استمد اليهود هذا الكتاب الذى بين أيديهم ، وما المصادر التى دونوا منها الكثير مما ورد فى العهد القديم ؟؟

الحقيقة أن عددا من العلماء الغربيين حاولوا محاولات جادة أن يردوا كثيرا من صحائف هذا الكتاب اليهودى الى الاصول القديمة التى استمدوها منها مما سنعرض له فى بحث خاص .

كما أنفق بعض علماء المسلمين جهدا طيبا فى دراسة النص التوراتى المتداول ، لاظهار ، ما فيه من تعارض وتهافت ، يدل على أن للتوراة الحالية أكثر من مؤلف وأكثر من جامع ..

والمعروف من تاريخ الفرقة اليعقوبية اليهودية ، أنها لجأت الى مصر أول وجودها ، وأقامت فيها أربعة قرون وثلاثين سنة . وعلى الرغم من أن تيارات الفكر والادب المصرى ، كانت من النضوج والعمق ، بحيث كان يمكن أن تؤثر على الفكر اليهودى ، أو على الاقل توجده . ولكن يبدو أن النفسية اليهودية ، المنهزلة دائما — كانت أشبه بالارض القاحلة لا ينمو فيها بذر ، ولا ينتج ثمر . فقد أوصى يوسف عليه السلام قومه ، أن يقولوا إنهم من الرعاة الذين لا يتقنون صناعة أو زراعة ، وبذا ينبذهم المصريون ، لأنهم لا يحبون رائحة الرعاة .. وهكذا عاشوا على أطراف البيئة الزراعية فى الشرقية ، وربما فى أرض فاقوس بالذات التى ما تزال تحمل الاسم اليهودى .

وقد خرج اليهود من مصر الى برية سينا ، ثم فى اغاراتهم على أرض مدين ، وأرض الكنعانيين ، شغلوا بحروبهم ، ولم يكن بين أيديهم من معين فكرى وروحى يعتد به الا الوصايا العشر .. والا تعليمات سيدنا موسى لهم ، ولا يمكن أن نعتد بما ورد فى التوراة من هذه الاحاديث المنسوبة لموسى الكليم ، لأنها تمثل ما لا يليق بمراكز النبوة من جفوة فى الحديث — مع الذات الالهية يؤخذ على عامة الناس فضلا عن الانبياء كما تدل على قسوة عنيفة ، وأنواع من العذاب يصبه على الناس يمينا وشمالا .. وما هكذا كان الأنبياء . ولكن تصور كتاب التوراة

المتأخرين ، لما كان عليه أدب موسى وسلوكه ، انما استمد من محض خيالهم ، ومن معين نفوسهم .

ابن حزم .. ونقده المر

وفي ميدان الحرب النفسية التى يسلطها اليهود على شعوبنا محاولة مستمرة لاثبات أنهم الشعب المختار ، وأنهم اذ يتملكون ما بين النيل والفرات انما يعملون بالنصوص الواردة فى التوراة ..

ومن بين علماء المسلمين الذين بذلوا جهدا ممتازا فى دراسة النص المتداول من التوراة فى عصره ابن حزم (توفى فى منتصف القرن الخامس الهجرى وكان يحضر حاخامات اليهود فى الأندلس ، ويحاججهم بما رأى من تزييف وتلفيق وتدافع فى التوراة فكانوا لا يحيرون جوابا (١) .

من ذلك مثلا ما ورد فى التوراة عن رفقة زوج اسحاق من أنها كانت عاقرا ثم حملت وازدحم ولدان فى بطنها . فأوحى لها الله أن فى بطنها أمتين وحزبين يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير — فلما كانت أيام الولادة ، اذا بتوأمين فى بطنها ، وخرج الاول أحمر كله كفروة من شعر فسمى « عيسو » وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب « عيسو » فسماه « يعقوب » .

يقول ابن حزم معقبا على هذه الرواية : لا مؤونة على هؤلاء السفلة فى أن ينسبوا الكذب الى الله عز وجل ، وحاش لله أن يكذب . ولا خلاف بينهم فى أن عيسو لم يخدم قط يعقوب وأن بنى عيسو لم تخدم قط بنى يعقوب ، بل ان فى التوراة نصا أن يعقوب سجد على الارض سبع مرات لعيسو اذ رآه . وان يعقوب لم يخاطب عيسو الا بالعبودية والتذلل المفرط ، وان جميع أولاد يعقوب حاش بنيامين ، الذى لم يكن ولد بعد ، كلهم سجدوا لعيسو ، وان يعقوب أهدى لعيسو ، مداراة له ، خمسمائة رأس وخمسين رأسا من ابل وبقر وحمير وضأن وماعز ، وان يعقوب رآها منة عظيمة ، اذ قبلها منه ، وان بنى عيسو لم تزل أيديهم على اقفاء بنى اسرائيل من أول دولتهم الى انقطاعها .. »

وفى قصة خديعة يعقوب لأبيه الشيخ اسحق ، كيما ينال عهده من دون أخيه تعليق طريف لاذع لابن حزم نقتطف منه ما يلى :

١ — اطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه ، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والاعداء ، فكيف مع نبى مع أبيه النبى .. أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق فى قول الله تعالى :
« يخادعون الله ، والذين آمنوا ، وما يخدعون الا أنفسهم » .

٢ — أخبارهم أن بركة يعقوب — أى عهده — انما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث .. حاشى للانبياء وهذا ، ولعمرى أنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم الا الخبيث المخادع .

٣ — عندما دعا إسحق بالبركة لابنه عيسو ، فتلقاها يعقوب خديعة ، أى منفعة للخديعة هنا ؟!!

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل للامام أبى محمد بن على بن حزم الظاهرى ، الجزء الاول ص ١٣٦ وما بعدها .

وكانت البركة أو الدعاء الذى تلقاه يعقوب خديعة وغشا كما تقول التوراة ، يقضى بأن تخدم نسله الامم ، وتخضع لهم الشعوب ، وما من شيء من هذا حدث فقد خدم بنو اسرائيل الامم فى كل بلد ، وفى كل أمة ، وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم ، وبعدها .

وهكذا يمضى ابن حزم فى دراسة طويلة مفصلة لا يترك فقرة فى التوراة المتداولة ألا تناولها بالنقد الداخلى والهجوم العنيف .

مثل من صورة موسى عليه السلام

وفى مراجعتنا للتوراة المتداولة ، نعود الى ما أشرنا اليه قبل من تصويرها لسيدنا موسى عليه السلام .

تقول التوراة إنه عندما نزل موسى بالوصايا العشر من الجبل ، وجد أخاه هارون استجاب لرغبات اليهود وصنع لهم تمثال عجل من الذهب ليعبدوه ولما رأى موسى الرب يهم بعقاب الكافرين به قال له « لماذا يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ، ويد شديدة . لماذا يتكلم المصريون قائلين اخرجهم (الرب ..) بخبث ليقتلهم فى الجبال ، ويفنيهم عن وجه الارض ارجع عن حمو غضبك واندم (الرب الذى يندم ..) على الشر بشعبك .. فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه .. »

وأراد موسى أن يعاقب قومه ، فكان عقابه ، كما صورته التوراة دمويا غريبا فى بابه .. فقد أمر بقتل ثلاثة آلاف رجل ، على أن يقتل الواحد أخاه أو صاحبه أو قريبه وأن يقتل الاب ابنه .. وبهذا تعود البركة للشعب !!

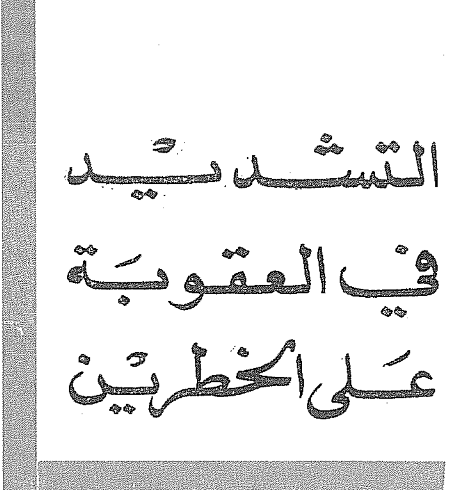
وفى هجوم اليهود على أهل مدين ، قتلوا جميع الرجال وأخذوا النساء والاطفال سبايا وأسرى . فاذا بموسى يأمرهم بقتل كل ذكر من الاطفال ، والابقاء على العذارى من النساء وقتل المتزوجات جميعا . أو على حد قول التوراة كل امرأة عرفت بمضاجعة ذكر اقتلوها ، وذكرت التوراة أن من ثبت أنهم عذارى من النساء ، بلغ اثنين وثلاثين ألفا ، أخذن سبايا ..

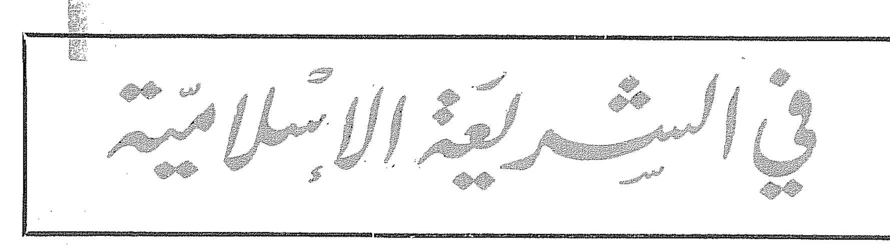
هذه هى الصورة الرهيبة التى رسمها كاتبو التوراة لسيدنا موسى .. ولا عجب فقد تحركت أقلامهم فى ثنايا أحاديثهم عن أنفسهم بعض الحق اذ نقلت ان الرب وصف اليهود بأنهم شعب « صلب الرقبة » وأنهم « جماعة شريرة » وما أكثر ما ثاروا على الطعام الذى قدمه لهم الرب فى سينا وهو المن والسلوى ووصفوه بأنه طعام « سخيف » وودوا أن يعودوا الى أسر المصريين حيث يجدون السمك واللحم الطرى ، مع أن ماشيتهم كانت منهم ومنها كانوا يقدمون الذبائح للرب .

ومن أعجب ما ذكرته التوراة عن موسى ، أنه صنع حية من نحاس وقد ظلت هذه الحية من بين معبودات اليهود لقرون كثيرة تالية .

أين هذا كله من الصورة الكريمة الوضاءة لسيدنا موسى التى قدمها القرآن فى عشرات المواضع ، والتى ترفع مقام النبوة فوق هذا العبث التوراتى ..

ان كل عيبنا أن التوراة كتاب مطبوع بأرخص الاسعار ، ولكن ما أقل الذين يجدون لديهم الطاقة لقراءته .. ان أى قراءة فيه تقنع القارىء بأنه بازاء مفتريات ليس أولها ولا آخرها . دولة النيل والفرات التى أخذوها من التوراة .





للأستاذ : أحمد فتحي بهنسي

ان السياســـة الحكيمة هى التى ترعى مصلحـــة المجتمع وتحفظ له مقوماته وأهمها الأمن والطمأنينـــة فلا فائدة ترجى من مجتمـــع يعمه الفوضى ويسوده الفساد والاخـــلال بالسكينة .

لذلك نجد أن الفقهاء يؤكدون دواما بأن المجرم المعتاد المفسد يؤخـــذ بالشدة ولو تجاوزت عقوبتـــه الحد بل قد يصل الأمر لقتله فى غير الحد .

حقيقة أنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى أحوال ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير حق .

كما توجد أحاديث أخرى نص فيها على القتل فى غير هـــذه الحـــالات الثلاث مثل :

١ ــ الشذوذ الجنسى :

عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من وجدتموه يعمل عمـــل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أصحاب السنن .

٢ ــ قتل شارب الخمر اذا اعتاد ذلــك .

فقد تواردت الروايات عـــلى أن شارب الخمر يقتل فى الرابعـــة . عن الترمذى وأبى داود عن معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » .

٣ ــ قتل السارق اذا اعتاد ذلك:

روى عن عطاء وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز ان سرق الخامسة قتل .

٤ ــ قتل من يزنى بذات محرم :

عن الترمذى والنسائى وأبى داود أن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: مر بى خالى أبو بردة بن نيار ومعه لواء فقلت أين تريد ؟ فقال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه . وعن عبد الله بن عباس : أن الرسول قال : « من وقع على ذات محرم فاقتلوه » .

فالأصل فى جريمة الزنا فى الشريعة أن عقوبة من يرتكبها ان كان غير محصن أى لم يسبق زواجه الجلد مائة جلدة والنفى مدة عام . وان كان محصنا فجزاؤه الرجم أى القتل رجما

بالحجارة ، الا أنه فى الحالة التى ورد بها الحديث أتى الرجل فاحشة تخالف النواميس الطبيعية فكان جزاؤه القتل بصرف النظر عما اذا كان محصنا أو غير محصن .

وقد يوجد من عتاة المجرمين من لا يزول فساده الا بالقتل ولا يلحقه حد من الحدود التى تجيز القتل فهل يجوز للقاضى أو ولى الأمر تعزيره بالقتل ليكف أذاه عن الناس ويرتدع به غيره ؟

يرى البعض أنه يجوز للامام التعزير بالقتل ويستدلون برأى مالك وبعض أصحاب أحمد بجواز قتل الجاسوس المسلم اذا اقتضت المصلحة قتله . ورأى مالك وبعض أصحاب الشافعى وأحمد فى قتل الداعية الى البدعة كالتجهم والرفض وانكار القدر للفساد فى الأرض لا للارتداد عن الدين .

وقد صرح بهذا الرأى أصحاب أبى حنيفة فى قتل اللوطى اذا أمعن فى ذلك تعزيرا .

عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو فى سفر فجلس مع أصحابه يتحدث ثم انفتل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اطلبوه فاقتلوه قال : فقتلته فنفلنى سلبه ، رواه البخارى وأبو داود .

قال ابن تيمية :

وقد يستدل على أن المفسد اذا لم ينقطع شره الا بقتله فانه يقتل ، بما رواه مسلم فى صحيحه ، عن عرفجة الأشجعى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

وكذلك قد يقال فى أمره ، يقتل شارب الخمر فى الرابعة ، بدليل ما رواه أحمد فى المسند عن ديلم الحميرى رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله انا بأرض نعالج بها عملا شديدا . وانا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا ، فقال : هل يسكر؟ قلت : نعم . قال : فاجتنبوه . قلت : ان الناس غير تاركيه . قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم .

وهذا لأن المفسد كالصائل فاذا لم يندفع الصائل الا بالقتل قتل .
والحقيقة أن المصلحة العامة تقتضى

أن يعزر ولى الأمر بالقتل فهناك من المجرمين طائفة تخصصت فى أنواع من الفساد تضر به الأمة فى أموال ونفوس أبنائها ولا تلحقهم نصوص الحدود التى تستأصل شأفتهم ويلزم أن تشدد عليهم العقوبة التى تبعدهم عن المجتمع السليم حتى يطمئن الناس على أمنهم .

ورد فى ابن عابدين :

« رأيت فى الصارم المسلول للحافظ ابن تيمية أن من أصول الحنفية أن ما لا قتل فيه عندهم مثل القتل بالمثقل والجماع فى غير القبل اذا تكرر فللامام أن يقتل فاعله وكذلك له أن يزيد على الحد المقدر اذا رأى المصلحة فى ذلك ويحملون ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من القتل فى مثل هذه الجرائم على أنه رأى المصلحة فى ذلك ويسمونه القتل سياسة وكان حاصله أن له أن يعزر بالقتل فى الجرائم التى تعظمت بالتكرار وشرع القتل فى جنسها ولهذا أفتى أكثرهم بقتل من أكثر من سب النبى صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة وأن أسلم بعد أخذه وقالوا يقتل سياسة » .

كما أن للامام قتل السارق سياسة أى ان تكرر منه ، ومن تكرر منه فى المصر الخنق قتل به سياسة لسعيه بالفساد .

وكل من كان كذلك يدفع شره بالقتل ـ كما أن الساحر أو الزنديق الداعى اذا أخذ قبل توبته ثم تاب لم تقبل توبته ويقتل ولو أخذ بعدها قبلت وأن الخناق لا توبة له .

المفسدون للأعراض :

ومن وجد رجلا مع امرأة لا تحل له ـ فله قتله ان كان يعلم أنه لا ينزجر بصياح وضرب بما دون السلاح والا فليس له ذلك .

ولو أكرهها فلها قتله ـ ودمه هدر . وان كانت المرأة مطاوعة قتلهما

ولو رأى الزوج مع امرأته رجلا وهو يزنى بها أو مع محرمة وهما مطاوعان قتلهما جميعا .

فالفرق الذى أورده الفقهاء هو بين الأجنبية والزوجة فمع الأجنبية لا يحل القتل الا بالشرط المذكور من عدم الانزجار ومع غيرها يحل القتل من غير هذا الشرط .

وفرق بعض الفقهاء قائلين : اذا كان الرجل مع المرأة التى لا تحل له قبل أن يزنى بها فهذا لا يحل قتله اذا علم أنه ينزجر بغير القتل سواء كانت أجنبية عن الواجد أم زوجة له أم محرما منه . أما اذا وجده يزنى بها فله قتله مطلقا . ولا ضمان عليه ولا يحرم من ميراثها ان اثبته بالبينة أو بالاقرار .

ولما كان هذا العقاب ليس من الحد بل من الأمر بالمعروف فلا يشترط فيه أحصان المتهم . ويدل على ذلك أن الحد لا يليه الا الامام .

وقياس هذا ما فى البزازية وغيرها : ان لم يكن لصاحب الدار بينة على أن من قتله كان يسرق من منزله ـ فان لم يكن المقتول معروفا بالشر والسرقة قتل صاحب الدار قصاصا وان كان متهما به فكذلك قياسا ، وفى الاستحسان تجب الدية فى ماله لورثة المقتول لأن دلالة الحال أورثت شبهة فى القصاص لا فى المال .

كذلك يحل قتل المكابر بالظلم وقطاع الطريق وصاحب المكس وجميع الظلمة .

أى اذا كان الشخص مسافرا ورأى قاطع طريق له قتله وان لم يقطع عليه بل على غيره لما فى ذلك من تخليص الناس من شره وأذاه .

وفى رسالة أحكام السياسة عن النسفى سئل شيخ الاسلام عن قتل الأعونة والظلمة والسعادة فى أيام الفترة .

قال : مباح قتلهم لأنهم ساعون فى الأرض بالفساد .

كما ذكر الصدر الشهيد عن الحنفية أنه يهدم البيت على من اعتاد الفسق وأنواع الفساد فى داره .

وقد هجم عمر رضى الله عنه على نائحة فى منزلها وضربها بالدرة حتى سقط خمارها فقيل له فيه فقال : لا حرمة لها بعد اشتغالها بالمحرم والتحقت بالاماء .

وروى أن الفقيه أبا بكر البلخى خرج الى الرستاق وكانت النساء على شط النهر كاشفات الرؤوس والذراع فقيل له كيف فعلت هذا ؟ فقال : لا حرمة لهن انما الشك فى ايمانهن كأنهن حربيات .

معتادو السرقة :

تقطع يد السارق اليمنى فى المرة الأولى فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق بعد ذلك لم يقطع عند الحنفية استحسانا ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب وتظهر توبته .

وعند الشافعى تقطع يده اليسرى فى المرة الثالثة ، وفى المرة الرابعة تقطع رجله اليمنى ثم يحبس بعد ذلك .

وعند أصحاب الظواهر فى المرة الخامسة يقتل .

قطع الطريق :

قال الله تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

والآية صريحة من أن قاطع الطريق الذى يخل بأمن الناس وطمأنينتهم . اذا تاب قبل القدرة عليه فانه لا يعاقب على التفصيل الآتى :

١ — حقوق السلطة العامة :

قال مالك والشافعى وأصحاب الرأى وأبوثور والحنابلة : ان الحد يسقط عنهم لما ورد فى الآية الصريحة . فعلى هذا يسقط عنهم وجوب القتل والصلب والقطع والنفى .

٢ — حقوق الأفراد الخاصة :

تجب عليهم هذه الحقوق . فيبقى عليهم القصاص فى النفس والجراح وغرامة المال فى السرقة والدية اذا سقط القصاص ، والأرش أو الحكومة بحسب الأحوال .

هذا هو المفهوم من توبة المحارب — وعلى هذا جرى الصحابة . وفى

هذا يروى البيهقى عن الشعبى أن عثمان بن عفان استخلف أبا موسى الأشعرى . فلما صلى الفجر جاءه رجل من مراد فقال : هذا مقام العائد التائب أنا فلان بن فلان ممن حارب الله ورسوله . جئت تائبا من قبل أن تقدروا على . فقال أبو موسى : جاء تائبا من قبل أن تقدروا عليه فلا يعرض الا بخير .

كذا روى أشعث عن الشعبى أن سعد بن قيس سأل علي بن أبى طالب فقال له : يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله؟ فقال : أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض . قال : ثم قال : الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم . قال سعيد : وان كان حارثة بن بدر ؟ قال : وان كان حارثة بن بدر قال : فان جاء حارثة بن بدر تائبا فهو آمن ؟ . قال علي : نعم فجاء به فبايعه وقبل ذلك منه وكتب له أمانا .

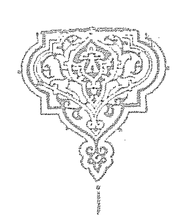
الا أن الامام ابن جرير الطبرى روى عن هشام بن عروة أنه أخبره أنهم سألوا عروة عمن تلصص فى الاسلام فأصاب حدودا ثم جاء تائبا . فقال : لا تقبل توبته لو قبل ذلك منهم اجترءوا عليه وكان فساد كبير .

فعروة بن الزبير حين رأى ما رأى من عدم قبول توبة من تاب قبل القدرة عليه وأنه لهذا يكون مؤاخذا بما جنى بما فى ذلك اقامة الحد عليه. ويكون قد نظر الى درء المفاسد التى تترتب على قبول توبة من جاء تائبا من أولئك الناس .

قال المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى فى ذلك :

« ونحن من جانبنا نعتقد أن الخير فيما ذهب اليه عروة رضوان الله عليه وبخاصة فى هذا الزمن الحاضر الذى ضعف فيه وازع الدين وكثر فيه المنافقون .

فلو عفونا عن حد كل من أظهر التوبة ، كنا نعفو عن كثير ممن يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ، وحينئذ تضيع حدود الله . ويجرؤ المجرمون على انتهاك محارم الله والاعتداء على الأبرياء ، ما داموا يستطيعون أن يقولوا : تبنا وأنبنا الى الله » (١) .



(١) وعروة بن الزبير : هو ابن العوام الأسدى القرشى أبو عبد الله أحد الفقهاء السبعة بالمدينة . كان عالما بالدين . صالحا كريما ، لم يدخل فى شىء من الفتن . وانتقل الى البصرة ، ثم الى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين . وعاد الى المدينة فتوفى فيها . وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وامه . « وبئر عروة » بالمدينة منسوبة اليه .

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ
عبد الستار محمد فيض

من الفكر والقلب :

فصول من النقد فى العلوم والاجتماع والآداب بقلم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى .

والكتاب يتناول طائفتين من الابحاث احداهما فكرية وعلمية والأخرى أدبية واجتماعية وكلاهما نقد وتحليل لجملة من المفاهيم المختلفة الشائعة فى مجتمعنا والكثير من هذه الابحاث كان قد نشر فى مجلات وجرائد مختلفة فى أزمنة متفاوتة والبعض منه جديد ينشر لأول مرة .

وقامت مكتبة الفارابى بدمشق بطبع هذا الكتاب فى ٣١١ صفحة .

أوراق من دفتر مسافرة فى الخليج العربى :

تسجيلات صحفية قامت بها الاديبة هداية سلطان السالم فى امارات الخليج العربى ، وقد جمعت هذه الملاحظات كثيرا من الاسرار التى تحيط بخليجنا العربى ولا يعرفها الكثير من أبناء الأمة العربية بل الكثير من أبناء الخليج أنفسهم واضافت اليها صورا التقطت على الطبيعة لاظهار مراحل التقدم المتزايد فيها .

والكتاب يحتوى على ٢٩٨ صفحة وقامت بطبعه مطبعة حكومة الكويت .

من اعلام العارفين :

الجزء الأول من كتاب يجمع بين دفتيه بحوثا وتراجم لبعض رجالات الأمة ممن عرفوا بالعلم المقترن بالزهد والتعبد وكان فى حياة هؤلاء العارفين صور رائعة للتوجيه الاسلامى واصداء عالية لنداء الفطرة الانسانية الزكية .

والكتاب من تاليف الأستاذ صادق محمود الجميلى وطبع دار النذير للطباعة والنشر فى بغداد ويحتوى على ١٠٠ صفحة .

الابحاث النافعة فى التربية والاخلاق والمواعظ الحسنة :

مقتطفات من أقوال المؤمنين فى الأخلاق المحمدية والمواعظ الحسنة جمعها السيد/محمد سفيد السيد أحمد الشبيب من دير الزور بسوريا فى كتيبات صغيرة صدر منها حتى الآن ثلاثون كتيبا .

وتحتوى هذه المجموعات على كثير من سير الصحابة وأفكار العلماء والحكماء والأدباء والشعراء والمصلحين المخلصين وهى توزع مجانا خدمة للاسلام والمسلمين .



الدكتور
محمد عاطف العراقي

اولا : تقديم :

فى هذه المقالة سنقتصر ـــ بعد أن نعرض بايجاز لاهم معالم حياته ـــ على دراســـة ناحية من نواحى نبوغ هذا الفيلسوف ، والتى ـــ رغم أهميتها ـــ لم تنـــل العناية التـــى تستحقها ، سواء من جانب المستشرقين او الباحثين العرب . ونعنى بذلك مجال الطب عند مفكرنا الاسلامى .

وقد يكون سبب ذلك ، ان الشهرة التـــى نالها كتاب القانون لفيلسوف المشرق ابـــن سينا ، قد حجبت الاهمية الكبرى لمؤلفـــات فيلسوف المغرب ابن رشد فى مجال الطب ، والتى تصل فى بعض القوائم الى عشرين مؤلفا .

وقد يكون سبب ذلك ايضا ، أن ذيوع صيت فيلسوفنا بين اللاتين كشارح لأرسطو ، قد ارتفع الى الحد الذى حجب شهرته كطبيب ومؤلف لكتب هامة فى مجال الطب وفى مقدمتها كتاب (الكليات) الذى سنتحدث عنه بعد قليل .

قلنا ان دراسة هذا المجال لم تنل العناية التى تستحقها . وهذا يجعل مهمة الباحث فى طب ابن رشد مهمة عسيرة ، نظرا لأنه لا زال مجالا بكرا الى حد كبير . ولكننا سنحاول من جانبنا دراسة هذا الجانب رغم ما فيه من غموض وصعوبة ، آملين أن نكون قد وفينا جزءا من جانبنا نحو هذا المفكر العملاق الذى يحق لنا معشر المشتغلين بالفكر الاسلامى العربى ، أن نفخر بانتاجه ونزهو بما حققه من نفوذ طوال عدة قرون جاءت بعده وخاصة اننا — كما قلنا — نعيش الآن فى ذكراه الخالدة .

ثانيا : مصادر حياة الطبيب الفيلسوف ابن رشد :

يمكن القول — اعتمادا على ما يذكره E. Renan أن أهم المصادر القديمة التى نرجع اليها فى دراسة حياة ابن رشد هى :

١ — اشارة موجزة خص بها ابن الأبار فيلسوفنا ابن رشد ، حين قيامه باكمال معجم التراجم لابن بشكوال . ٢ — مقالة طويلة ضمن تكملة لمعجمى ابن بشكوال وابن الابار ، وقد كتبها أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى . ٣ — دراسة وجيزة لابن أبى أصيبعة فى كتابه الشهير « طبقات الاطباء » . ٤ — مقالة للذهبى تحدث فيها عن اضطهاده ونكبته ايام يعقوب المنصور . ٥ — مقالة ليون الافريقى فى مؤلفه « مشاهير الرجال عند العرب » . ٦ — اشارات بعضها يغلب عليه الايجاز لمؤرخى الاندلس ، وخاصة عبد الواحد المراكشى فى كتابه القيم « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » . ٧ — بالاضافة الى ذلك ، فهناك بعض العبارات المتناثرة بين ثنايا مؤلفات ابن رشد نفسه ، وتشير من بعض زواياها الى حياته .

ويظهر — كما يقول E. Renan ان ابن الأبار والأنصارى يمدان أكثر معرفة باخبار ابن رشد ، اذ أنهما قد استندا فى سرد أخباره على من عرف فيلسوف قرطبة وطبيبها معرفة صحيحة ودقيقة . وكذلك تستحق اخبار عبد الواحد المراكشى الثقة التامة ، وان كان قد ظهر بعد ابن رشد بجيل ، اذ أن الأخبار التفصيلية التى رواها عن ابن زهر وابن باجه وابن طفيل ، تدلنا على أنه عرف بدقة المجتمع الفلسفى فى زمانه . أما ابن أبى اصيبعه فقد جمع أخباره من القاضى أبى مروان الباجى . واذا سلمنا بأن القاضى هذا ، عرف ابن رشد معرفة شخصية ، فان ترجمة ابن أبى أصيبعة لحياة ابن رشد تعد ترجمة صادقة .

ثالثا : نشأة ابن رشد والبيئة الفكرية التى عاش فيها :

ولد طبيبنا أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد فى قرطبة عام ١١٢٦م (٥٢٠هـ) وقد اتفق ابن الأبار والأنصارى على هذا التاريخ ، كما روى أنه مات فى عام ٥٩٥هـ = ١١٩٨م .

وعلى وجه التحديد — كما يقول S. Munk فى ليلة الخميس التاسعة من صفر التى توافق العاشر من ديسمبر .

واذا ذكرت قرطبة ، فقد ذكرت مدينة من أعظم المدن بالاندلس ، اذ ينتسب اليها جماعة كبيرة من أهل العلم . يقول ابن بسام فى كتابه « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » كانت قرطبة منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وأم القرى ، وقرارة أهل الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى ، وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ... ومن افقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها الفت التاليفات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة .

وابن رشد نفسه طالما اعتز بقرطبة اعتزازا كبيرا ، بل كثيرا ما ذكرها — كما يقول Renan — بين ثنايا مؤلفاته وشروحه . فمثلا فى شرحه لكتاب جوامع السياسة حينما ذكر زعم افلاطون بان اليونان شعب ممتاز فى الثقافة العقلية ، ادعى للاندلس عامة ولقرطبة على وجه الخصوص هذا الامتياز . وفى كتابه ((الكليات فى الطب)) أكد لنا ان الاقليم الذى تقع فيه قرطبة هو أطيب الاقاليم . واذا رجعنا الى كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقرى ، نجد خبر تلك المناظرة التى جرت فى حضرة ملك المغرب ، المنصور يعقوب ، بين الفيلسوف ابن رشد وأبى بكر ابن زهر ، وكان هذا الاخير من اهل اشبيلية ، حول تفضيل أى البلدين على الآخر . فيقول ابن رشد : اذا مات عالم باشبيلية وأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها . وان مات مطرب بقرطبة واريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية .

هذا عن قرطبة التى أجمعت كتب التاريخ على وجود نهضة ثقافية فيها أكثر من غيرها من مدن الاندلس . أما عن أسرته ، فاننا يمكننا ان نعتبرها من الأسر التى كانت تتمتع بالوجاهة والشهرة ، كما كانت تتمتع بتقدير عظيم فى مناصب القضاء . وقد شجع وجود ابن رشد بين افراد هذه الأسرة على الاشتغال بالنواحى الثقافية والتاليف فى مختلف فروع المعرفة . فالجد كان قاضيا للجماعة بقرطبة ، كما كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع اهل عصره . والأب لم يكن ليقل تعمقا فى الفقه عن جد ابن رشد هذا . وابن رشد نفسه قد حفظ كتاب الموطأ عن أبيه كما يحكى ذلك ابن الأبار .

والمهم عندنا ان ابن رشد قد نشأ فى جو يفيض بالعلم والمعرفة . كما أكب على دراسة الشريعة الاسلامية والفقه المالكى ، بل درس الأدب والشعر ، واتجه الى التعمق فى الطب والرياضيات والفلسفة وعلم الكلام . واذا رجعنا الى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، وجدناه يذكر الكثير من العلماء والفلاسفة سواء كانوا أساتذة لفيلسوفنا ، أم كان بينه وبينهم صلات فكرية . فمنهم ابن بشكوال وأبى جعفر المنصور وابن مسرة وابن طفيل . أما ابن باجة فاننا نرجح انه لم تنشأ بينه وبين فيلسوفنا صلات فكرية . دليل هذا أن فيلسوفنا كان فى الثانية عشرة من عمره حين توفى ابن باجة سنة ١١٣٨م . وهذه السن بطبيعتها لا تسمح بالاتصال الفكرى بينهما .

كما كان من الاحداث الهامة فى حياته ، اتصاله بامير المؤمنين أبى يعقوب يوسف ، الذى يحكى عنه المؤرخون ، انه كان ذا ثقافة غزيرة ، وانه كان مطلعا على الفلسفة ورجالها . واتصاله بامير المؤمنين هذا ، كان من الاسباب التى دفعته الى شرح أرسطو .

بعد ذلك تأتى نكبته ، ونكبته نكبة للفلسفة واضطهاد للمشتغلين بها . اذ أن الأمير أبا يعقوب الذى طالما شجعه ، قد توفى ، وخلفه ابنه يوسف الملقب بالمنصور . واذا كان هذا الاخير قد كرم ابن رشد تكريما عظيما ، الا ان نكبة فيلسوفنا وطبيبنا قد حدثت فى عهده (١) .

رابعا : اهتمامه بمجال الطب :

قلنا ان فيلسوفنا وطبيبنا ابن رشد قد خاض فى ميادين عديدة . اذ أننا لو أخذنا فى دراسة نتاج واحد واحد من مفكرى الاسلام ، لم نجد منهم من كان أعمق تأثيرا وأقوى بريقا من هذا المفكر العملاق .

فاذا انتقلنا من ميدان الفلسفة التى طالما بحث فيها المؤلفون من مستشرقين وعرب ، الى ميدان الطب ، وجدنا ابن رشد قد ساهم مساهمة كبيرة فى هذا الميدان . وقد تتلمذ طبيبنا على أبى جعفر هارون ودرس عليه الطب ولزمه مدة . وهذا ما تحكيه لنا كتب التراجم التى عنيت بالترجمة لفيلسوفنا . كما أنه درس دراسة عميقة كتب الطب التى ألفها

(١) لمعرفة تفصيلات هذه النكبة وأسبابها ، يمكن الرجوع الى كتابنا : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٦٨ م .

من سبقوه فى هذا المجال . فاذا رجعنا الى قوائم مؤلفاته ، وجدناه قد أفاض فى شرح وتلخيص كثير من كتب جالينوس وابن سينـا وغيرهما .

وقد ظهر أثر ذلك كله فى كثير من الكتب التى ألفها ابن رشد . ويكفى على ذلك دليلا ، كتاب الكليات ، ذلك الكتاب الذى عرف فى العصر الوسيط ، واشتهر شهرة كبيرة ، وان كانت تلك الشهرة لم تبلغ الشـهرة التى بلغها كتاب « القانون » لابن سينا ، كما قلنا ذلك فى بداية هذه المقالة .

لم يقتصر ابن رشد على التاليف فى الطب ، بل انه اشتغل بالطب عمليا . اذ ان بعض مترجمى حياته يقولون انه كان يلجا الـى فتواه فى الطب ، كما يلجا الى فتواه فى الفقه ، حتى تولى منصب الطبيب الخـاص للخليفة يوسف ، محتلا بذلك المقام الاول بين علماء الاندلس .

ومن الجدير بالذكر أن ابن رشد — كمـا سنوضح بعد قليل — لم يخرج الطب عن مجال الفلسفة . فالعصر الذى عاش فيه ، كان عصر ادخال للعلوم كلها فى اطار الفلسفة ، طبقا للنظرة الأرسطية للفلسفة ، والتى كانت عنده دراسة شاملة للوجود ككل ، بما يشمله هذا الوجود فى مجالات عديدة يعنى كل مجال منها بناحية معينة . ولا يخفى أن هذا على النقيض من نظرتنا الى الطب الآن ، والذى أصبح علما مستقلا قائما بذاته، له مناهجه التجريبية التى تقوم على الملاحظة والتشريح والاجراء التجارب العملية .... الخ .

هذا ولم يدرس فيلسوفنا الطب الا من جهة الأمور العامة الكلية لا النواحى التفصيليـة الجزئية . وهذا واضـح من عنوان كتابـه « الكليات » . فهو قد درس جميع أنـواع الامراض المعروفة حتى عصره دراسة عامة ، دون أن يتطرق الى البحث فى التفاصيـل الفرعية . ولهذا نجده يوصى صديقه ابا مروان عبد الملك بن زهر ، وهو من كبار اطباء عصره أن يضع كتابا فى الأمور الجزئية ، لتكـون جملة كتابيهما كتابا شاملا فى صناعة الطب . يقول ابن رشد : فمن وقع له هذا الكتـاب « الكليات » ، دون هذا الجزء ، واجب عليه ان ينظر بعد ذلك فى الكنانيش .

خامسا : مؤلفاته فى ميدان الطب :

(١) كتاب الكليات :
Culliyyat Generalites:

اشرنا الى هذا الكتاب منذ قليل . ويعتبر هذا الكتاب عمدة كتبه فى مجال الطب . وقد اشادت المراجع التى تعرضت للبحث فـى مؤلفات ابن رشد الطبية ، بهذا الكتـاب . ويرجع Leon Gauthier فى كتابه Averroes أن ابن رشد قد الف هذا الكتاب ما بين عام١١٦٢م وعام ١١٦٩م .

اما S. Munk, E. Renan فيرجحان أن هذا الكتاب قد ألفه ابن رشد قبل عام ١١٦٢م ويستدلان على ذلك بأن ابن رشد كان يذكـر اسم صديقه ابن زهر وهو الذى توفى عـام ١١٦٢م ، كمعاصر له ولا زال حيا .

وقد ذكر هذا الكتاب ابن أبى أصيبعة وابن الأبار . وكذلك نجده مذكورا فى القوائـم الحديثة التى اعتمدت على فحص قوائـم المكتبات الكبرى التى تحتوى علـى بعض مؤلفات ابن رشد كمكتبة الاسكوريال باسبانيا والمكتبة الاهلية بباريس .

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب لم يحقق حتى الآن تحقيقا علميا دقيقا . لكن توجد له نسخة منقولة بالتصوير الشمسى عـام ١١٣٩م . وهو من منشورات معهد فرانكو (لجنة الأبحاث المغربية الأسبانية) .

والقارىء لهذا الكتاب الذى يتضمن سبعة اجزاء ، يجد أن ابن رشد قد تاثر تاثرا كبيرا

بآراء أرسطو الفلسفية ، وطالما نجده قد استفاد منها فى تقرير نظرياتـه الطبية ، بالاضافة الى نقده لأسلافه فى بعض النواحى العلاجية .

(٢) شرح أرجوزة ابن سينا فى الطب :
Commentaire Sur Le Poeme Medical d' Ibn Sina Appele Ardjuza

ويقول E. Renan عن هذا الشرح انه من أكثر تآليف ابن رشد انتشارا . وجدير بالذكر أن هذا الشرح يوجد مخطوطا بنصـه العربى فى عدة مكتبات . ومن هذه المخطوطات نسخة موجودة بدار الكتب المصرية مـع مجموعة .

والمهم فى هذا الشرح أن طبيبنا ابن رشـد يؤكد فيه وهو يشرح طب ابن سينا ، المبادىء التى انتهى اليها فى كتابه « الكليـات » . فيذهب الى أن صناعة الطب تتكون من مبادىء العلم الطبيعى ومن مبادىء صناعة الطـب التجريبية ، ومنها التشريح . ومعنى هـذا انه لا بد من معرفة الكليات التى تحتوى عليها هذه الصناعة — اى صناعة الطب — ، يضاف اليها طول المزاولة . بحيث اذا زاول الانسان اعما لهذه الصناعة ، حصلت له كما يقول ابن رشد — مقدمات تجريبية ، يقدر بها أن يوجد تلك الكليات فى المواد .

وهذا يؤدى بابن رشد الى التاكيد عـلى ضرورة الجمع بين العلم والتجربة ، أو بـين الاسس النظرية والتطبيقات العملية . فهـو يقول انه لا بد من العلم مع التجربة ، « لانه ليس يكتفى فى هذه الصناعة بالعلـم دون التجربة ، ولا بالتجربة دون العلم » ، ولذلك كان من شرط الطبيب أن يكون مع قيامه على علم الطب مزاولا لأعماله .

(٣) الترياق : De La Theriaque
ويشير ابن رشد الى هذا الكتاب بين تضاعيف كتابه الكبير فى الطب « الكليات » . ويقول E. Renan : ان هذا الكتاب يوجد بنصه فى مكتبة الاسكوريـال باسبانيـا ، بالاضافة الى وجود ترجمات لاتينية وعبرية له فى كثير من المكتبات .

(٤) فى المزاج المعتدل Des

(٥) رسالة المفردات
temperaments egaux Un traite De Simplicibus

ويقول E. Renan ان الموجود فى هذه الرسالة يخالف الموجود فى الرسالة التى تحمل نفس الاسم والتى نشرت باللاتينية ، اذ أن هذه الرسالـة الاخيرة هى نفسها القسم الخامس من كتاب الكليات .

(٦) تنوع المزاج وتباينه :
Des temperamen torum differentiis

يقول E. Renan أيضا انه توجـد نسخة من هذه المقالة بنصها العربى .

(٧) عرض كتاب طريقة الشفاء لجالينوس .

(٨) عرض كتاب الادوية المفردة
لجالينوس De Medicaments Simples .

(٩) عرض كتاب المزاج لجالينوس
De Temperamentis De Gadien

(١٠) عرض كتاب الاسطقسات لجالينوس
Istouchisat De Galien

(١١) عرض لمقالات جالينوس الخاصـة بتشخيص الاعضاء المصابة .

(١٢) مباحثات متبادلة بين ابى بكر بن طفيل وبين ابن رشد فى وصفه للدواء فى كتابـه المسمى بالكليات .
Traites echanges entre Abou Bekr Ibn Tofail et Ibn Roshd sur le chapitre des medicaments, tel qu il se trouvedansson liver intitule Culliyyat.

(١٣) كتاب فى حميات المعفونة
Les Fievres Putrides

(١٤) مسالة فى تناوب الحمى
La fievre Intermittente.

(١٥) نظام الملينات فى الطب
Canones de Medicinis Laxativis

(١٦) فى وسيلة التناسـل de spermate

(١٧) اجابات أو ارشادات فى موضـوع الاسهال .
Reponses ou Conseils touchant la diarrhee

(١٨) عرض أو شرح وسيط لكتاب الحميات لجالينوس De Febribus de galien

(١٩) عرض لكتاب القوى الطبيعية
لجالينوس De Facultatibus Naturalibus

(٢٠) عرض لكتاب علل الأمراض واعراضها لجالينوس .

هذه هى الكتب الطبية التى تنسب لفيلسوفنا وطبيبنا ابن رشد . منها — كما هو واضح — ما قام ابن رشد بتاليفه ، ومنها ما هو شرح على كتب الأطباء الذين سبقوه كجالينوس وابن سينا . ولكن يجب القول بانه فى شرحه لم يقتصر على مجرد العرض فقط ، بل انه كثيرا ما يوجه سهام نقده الى آراء بدت عنده آراء خاطئة . وهذا كما سيتضح — سبب اهتمامه بمؤلفات جالينوس بالذات .

سادسا : عرض لأهم معالم آرائه الطبية من خلال كتابه ((الكليات)) :

قلنا ان البحث فى طب ابن رشد جدير بالنظر والدراسة المستفيضة . اذ من العار أن تظل أكثر كتب ابن رشد الطبية ، بل كلها ، اذا استثنينا ((الكليات)) ، حبيسة قاعات المخطوطات ، تتآكل أوراقها يوما بعد يوم . ان واجبنا البحث عن مخطوطات مؤلفاته وشروحه الطبية فى مكتبات العالم شرقا وغربا والعمل على تحقيقها ونشرها نشرا علميا دقيقا حتى يمكننا البحث فيما احتوت عليه هذه المؤلفات والشروح ، وحتى نكون قد قمنا بواجبنا نحو فيلسوف وطبيب لقى اهمالا كبيرا من جانب ابناء دينه ووطنه ، فى الوقت الذى احتفلت فيه أوربا بهذا الفيلسوف احتفالا كبيرا ، بحيث لقيت الدراسات حول كتب فيلسوفنا فى أوروبا الكثير من العناية .

وفى السطور التالية سنحاول من جانبنا عرض أهم آرائه الطبية ، وخاصة من خلال أهم مؤلفاته الطبية على وجه الاطلاق ، وهو كتاب الكليات .

(١) موضوع صناعة الطب والاقسام التى تنقسم اليها هذه الصناعة :

الدارس المؤلفات وشروح طبيبنا ابن رشد يجد أن نزعته الفلسفية قد أثرت فى آرائه الطبية كما يجد أن ابن رشد يتأثر بارسطو أكثر من تأثره بجالينوس . بل انه فى كثير من المواضع لا يتردد فى تفضيل آراء الأول على آراء الثانى . فهو اذا كان قد عقد كثيرا من الصفحات فى كتبه الفلسفية والتى تتحدث عن عظمة أستاذه أرسطو وتفضيله على ما عداه من مفكرى البشرية قاطبة ، فان التاثر بارسطو لم يقتصر على مجال الفلسفة عند ابن رشد ، بل نجده قد تعدى ذلك الى ميدان الطب .

وسننقل فيما يلى نصا لابن رشد من كتابه ((الكليات)) يوضح لنا موضوع صناعة الطب ، والاقسام التى تنقسم اليها هذه الصناعة .

يقول ابن رشد (ص ٧ من الكتاب المذكور آنفا) : ان صناعة الطب صناعة فاعلة عن مبادىء صادقة يلتمس بها حفظ بدن الانسان وابطال المرض ، وذلك باقصى ما يمكن فى واحد واحد من الابدان . فان هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرىء ولا بد ، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذى يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، ثم تنتظر حصول غايتها ، كالحال فى صناعة الملاحة وقيادة الجيوش .

ولما كانت الصنائع الفاعلة بما هى صنائع فاعلة تشتمل على ثلاثة أشياء : أحدها معرفة موضوعاتها ، والثانى معرفة الغايات المطلوب تحصيلها فى تلك الموضوعات ، والثالث معرفة الآلات التى تحصل بها تلك الغايات فى تلك الموضوعات ، انقسمت باضطرار صناعة الطب أولا الى هذه الاقسام الثلاثة .

فالقسم الاول الذى هو معرفة الموضوعات يعرف فيه الأعضاء التى يتركب منها بدن الانسان البسيطة والمركبة . ولما كانت الغاية المطلوبة هنا صنفين : حفظ الصحة والازالة المرض انقسم هذا الجزء الى قسمين : أحدهما يعرف فيه ما هى الصحة لجميع ما به تتقوم ، وهى الاسباب الاربعة التى هى العنصر والصورة والفاعل والغاية وجميع لواحقها .

والقسم الثانى يعرف فيه ما هو المرض أيضا بجميع أسبابه ولواحقه .

ولما كان أيضا ليس فى معرفة ماهية الصحة والمرض كفاية فى حفظ هذه وازالة هـذا ، انقسم هذان الجزءان أيضا الى جزئين آخرين احدهما يعرف فيه كيف تحفظ الصحة والثانى كيف يبطل المرض .

ولما كانت الصحة أيضا والمرض ليسا بينين بأنفسهما من أول الامر فقد احتيج أيضا الى تعرف العلامات الصحية والمرضية ، وصار هذا أحد أجزاء هذه الصناعة .

من النص الذى ذكرناه فيما سبق ، ومن استعراض بعض الفصول التى كتبها الطبيب الفيلسوف ابن رشد ، يمكننا أن نقول ان صناعة الطب عنده تنقسم الى سبعة أجزاء يعرض لها ابن رشد بالتفصيل (١) .

فهو يذكر فى الجزء الأول أعضاء الانسان التى شوهدت بالحس . ويعرض فى القسم الثانى ، الصحة وأنواعها ولواحقها . والثالث المرض بأنواعه وأعراضه . والرابع العلامات الصحية والمرضية . والخامس ، الآلات وهى الأغذية والادوية . والسادس ، الوجه فى حفظ الصحة . والسابع ، الحيلة فى ازالة المرض .

(٢) العلاقة بين الطب والعلم الطبيعى :

قلنا فيما سبق أن ابن رشد لم يشأ اخراج الطب من دائرة الفلسفة ، وهذا هو السبب فى أننا نجد الأثر الفلسفى بارزا فى طبه وفى طب الأقدمين بوجه عام كجالينوس وغيره .

واذا كان ابن رشد ، شأنه فى ذلك شأن أرسطو ، قد جعل الحكمة أو الفلسفة تبتلع فى جوفها سائر العلوم بحيث تبدو العلوم وكأنها تتفرع بعضها عن البعض مكونة بذلك نسق الفلسفة ، فان ذلك قد دفع طبيبنا ابن رشد الى بيان العلاقة بين الطب والعلم الطبيعى .

وسنحاول فى السطور التالية بيان تصور ابن رشد لهذه العلاقة ، وذلك على ضوء ما كتبه فى « الكليات » وفى « شرح أرجوزة ابن سينا فى الطب » ، وكذلك بعض العبارات المتناثرة هنا وهناك فى كتبه الفلسفية كتهافت التهافت .

يذهب ابن رشد الى أن الطب صناعة تؤخذ مبادئها من العلم الطبيعى . بيد أن العلم الطبيعى يعد نظريا ، أما الطب فيعد عمليا . وعلى ذلك فاننا اذا تكلمنا فى شىء مشترك للعلمين ، فان ذلك يكون فى جهتين .

نوضح ذلك فنقول بأن صاحب العلم الطبيعى اذا كان ينظر فى الصحة والمرض من حيث هما من اجناس الموجودات الطبيعية ، فان الطبيب ينظر اليهما — أى الصحة والمرض من حيث أنه يحفظ أحدهما ويبطل الآخر ، أى يبقى على الصحة ويعمل على ازالة المرض .

يقول ابن رشد (كتاب الكليات ص ٨) : ينبغى أن تعلم أن صاحب العلم الطبيعى يشارك الطبيب ، اذ كان بدن الانسان أحد أجزاء موضوعات صاحب العلم الطبيعى . لكن يفترقان بأن هذا ينظر فى الصحة والمرض من حيث هى أحد الموجودات الطبيعية ، وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وازالة تلك .

ويصعد ابن رشد من ذلك الى تقرير العلاقة بين العلم الطبيعى والطب . فالصناعات التى تتسلم عنها صناعة الطب كثيرا من مبادئها بعضها نظرية ، وهى العلم الطبيعى ، وبعضها عملية ، وهذه منها صناعة الطب التجريبية ، ومنها صناعة التشريح . أما صناعة الطب من حيث هى شىء عملى ، فانه يستفاد منها معرفة قوى وخصائص أكثر الأدوية ، وذلك لأن الذى يدرك منها بالقياس شىء نزر بسيط لا يكفى فى تكامل وجود هذه الصناعة . فاذن الصناعة الطبية

(١) يمكن الرجوع لمعرفة هذه التفصيلات الى كتابنا : « النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد » ص ٣٥ وما بعدها (طبعة دار المعارف بالقاهرة) .

القياسية تقتصر على أسباب ما أوجدته الطريقة التجريبية .

يتضح لنا من هذا كله ، وخاصة من تلك العبارة الاخيرة ، كيف أن ابن رشد يولى الطرائق التجريبية عناية كبيرة ، ويجمع بين الناحية النظرية والناحية العملية . واذا كنا قد قلنا فيما سبق أن ابن رشد قد أثرت فيه الآراء الفلسفية النظرية ، فان ذلك لم يمنعه من أن يعترف بأهمية الناحية العملية ودورها فى الأبحاث الطبية والطرق العلاجية .

(٣) مصدر حركة الجسم :

اشرنا فى الصفحات السابقة الى أن ابن رشد قد توفر على دراسة كتب من سبقه من أطباء وخاصة جالينوس الطبيب الكبير — . كما بينا أن ابن رشد كثيرا ما يفضل آراء الفيلسوف أرسطو على آراء الطبيب جالينوس وسنكتفى فيما يلى بايراد رأى واحد من الاراء المبثوثة بين تضاعيف كتاب الكليات بصفة خاصة . رأى يدرس مصدر حركة الجسم ويبين لنا نقد ابن رشد لجالينوس .

يتساءل ابن رشد عن مصدر حركة الجسم ، ويرى أنه الحرارة الفريزية التى فى أبدان الحيوان . ولذلك متى بردت الاعضاء بطلت حركتها .

واذا كان جالينوس قد انتهى الى القول بأن مصدر هذه الحرارة هو الدماغ ، وأنها تنبث منه فى الاعصاب الى جميع البدن ، مستدلا على ذلك بالقول بأن [illegible] الادراك الحسى والحركة يتأثر بكل ما يصيب الدماغ من ألم ، فان ابن رشد يذهب الى أن الدماغ يعد فى الواقع خادما للقلب ، وعلى ذلك تكون الحرارة مصدرها أساسا القلب لا الدماغ .

واذا تأملنا فى قول ابن رشد هذا ، تبين لنا كيف أن ابن رشد قد انحاز تماما الى رأى أرسطو ، الذى يعتبر القلب عضوا أصليا ، ويعده مصدرا لجميع وظائف الحياة الحيوانية . يقول ابن رشد : « انه يظهر أن الماشى فى حين مشيته تنتشر فى بدنه حرارة لم تكن قبل . والعضو الذى فى من شأنه أن تنتشر منه الحرارة فى جميع البدن ، هو القلب لا شك فيه . ولذلك متى طرأ على الانسان شىء يفزعه وانقبضت الحرارة الفريزية الى القلب ، ارتعشت ساقاه ، حتى أنه ربما سقط ولم يقدر أن يتحرك .

وهكذا يضرب لنا ابن رشد الكثير من الامثلة التى يرى أنها تدل على رأيه فى أن القوة المدبرة التى تقدر هذه الحرارة الفريزية فى الكمية والكيفية ، هى فى القلب ضرورة . كما أن مركز الادراك الحسى انما يتمثل فى الحرارة الفريزية التى توجد فى القلب بذاتها كما توجد فى سائر الاعضاء بما يصل اليها من الشرايين النابتة من القلب . أما الدماغ الذى يقول به جالينوس فانه لا يمكن أن يكون ينبوع الاحساس بل أن عمله لا يتعدى تعديل الحرارة الفريزية فى آلة الحس .

. . . . .

لعلنا بعد ذلك كله نكون قد أوضحنا أهم معالم الآراء الرئيسية لابن رشد فى مجال الطب . وكيف كان يتأثر تارة وينقد تارة ويضيف آراء خاصة به تارة ثالثة . كل ذلك نتيجة لتعمقه فى البحث واجتهاده فى محاولة الوصول الى الحقيقة بما تشمله من مجالات عديدة . ونعتقد أن واجبنا نحو هذا الفيلسوف الطبيب يقتضى منا البحث عن كتبه فى جميع المكتبات المتفرقة شرقا وغربا ، والعمل على نشرها ودراستها ، حتى تظهر أمامنا الصورة الصحيحة والدقيقة لفكر اسلامى جبار .

مائدة القارئ

يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ..

خطبة النصر

لما انجز الله وعده ، ودخل صلاح الدين مدينة القدس غمر الفرح قلوب المسلمين فى جميع الاقطار ، وأخذ الشعراء والأدباء والخطباء يهنئون بالفتح المبين ويشيدون بجهاد جند المسلمين ، وقد عثرنا على خطبة الجمعة التالية للقاضى محمد ابن على المعروف بابن الزكى :

أيا الناس : أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة ، وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها على أيدى المشركين ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها مجار ، فطوبى لكم ، فقد ظهرت على أيديكم من المعجزات النبوية والواقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوحات العمرية ..

جددتم للاسلام أيام القادسية والملاحم اليرموكية ، والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة الاعداء ، وتقبل منكم ما تقربتم به اليه من اهراق الدماء ، واثابكم الجنة فهى دار السعداء .

نبى الملحمة

عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه اسماء منها ما حفظنا ، قال انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة والملحمة .

قانون فطرى

ان الدجاجة اذا هبت تحمى افراخها استماتت ، فانقلبت صقرا .

والقطة اذا ضويقت وغضبت صارت نمرا .

والماء اذا اندفع كان سيلا مدمرا .

والهواء اذا انفجر كان اعصارا مخربا .

ولولا الضغط ما ثقب المسمار الخشب ، ولا اطلق المدفع القنبلة .

أعدها : أبو نزار

الزواج بالأجنبية

لما كانت (القادسـيـة) لم يجد الناس نساء مسلمات ، فتزوجوا نساء أهل الكتاب ، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب الى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه (المدائن) رسالة يقول فيها :

بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل الكتاب فطلقها ..

فكتب اليه : لا أفعل حتى تخبرنى أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ؟

فكتب اليه عمر : لا بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلابة ، وان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم .

فقال حذيفة : الآن ، وطلقها .

الثعبان فى رأسه

أصيب أحد الفلاسفة فى أواخر عمره بتوهم أن فى أمعائه ثعبانا ، فراجع الأطباء ، وسأل الحكماء ، فكانوا يخفون الضحك حياء منه ، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود ، ولكن لا تقطنها الثعابين ، فلا يصدق .

واخيرا راجع طبيبا حاذقا بصيرا بالنفسيات ، فسقاه مسهلا وأدخله الموضع الذى يقضى فيه حاجته بعد أن وضع له فيه ثعبانا ، فلما قضى المريض حاجته رأى الثعبان ، فأشرق وجهه ، ونشط جسمه ، وأحس بالعافية .

ولما سئل الطبيب عن سبب نجاحه فى شفاء الرجل قال :

ما شفى الشيخ لأن ثعبانا كان فى بطنه ، فنزل ، بل لأن ثعبانا كان فى رأسه ، فطار .

مساكن ذوى الدخل المحدود

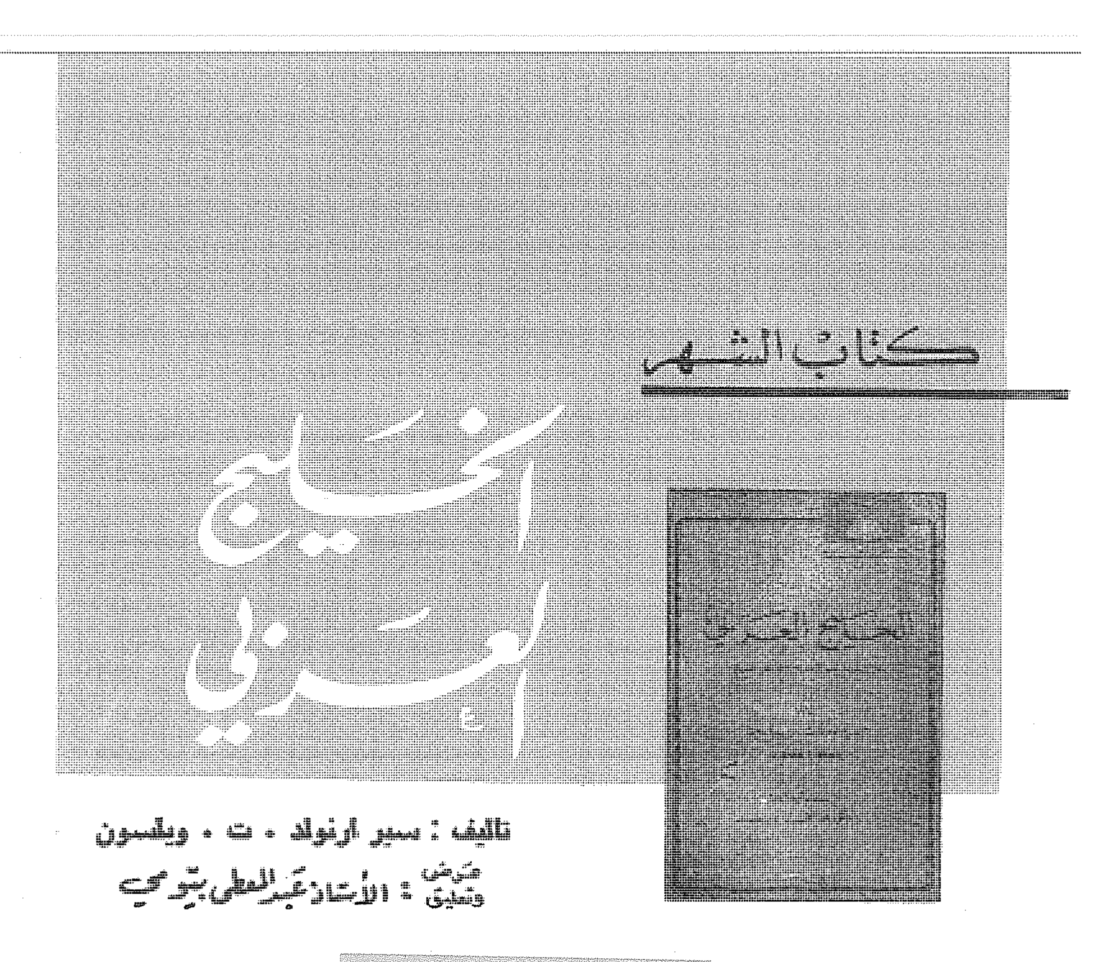
انشئت فى (السويد) جمعية اسمها (جمعية أمناء الازهار) عملها جمع الاموال التى يشترى الناس بها طاقات الزهور التى تهدى فى العرس ، وأكاليل الورود التى تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ، وانفاقها فى بناء مساكن صحية للعمال والفقراء وقد تمكنت الجمعية من بناء خمسة آلاف مسكن حتى الآن .

بطيخ مجفف

قال الرحالة ابن بطوطة عن بطيخ خوارزم : انه لا نظير له فى بلاد الدنيا ، ومن العجائب انه يقدد وييبس فى الشمس ، ويجعل فى القواصر ويحمل من خوارزم الى اقصى بلاد الهند والصين ، وليس فى جميع الفواكه اليابسة أطيب منه .

سمكة القرش

قال ناصر خسرو : كنت فى سفينة محملة بالجمال لأمير مكة ، فمات جمل منها فرموه فى البحر ، فابتلعته سمكة فى الحال ، ولم يبق خارج فمها الا رجله ، فجاءت سمكة اخرى وابتلعت هذه السمكة بالجمل ، ولم يظهر عليها أى اثر ، ويسمى هذا السمك القرش .



يتركز الاهتمام العالمى على هذه البقعة من غرب آسيا الجنوبى — منطقة الخليج العربى — حيث تلعب هذه المنطقة دورا رئيسيا فى حياة الوطن العربى بل فى حياة العالم كله بما تحمل من ثروة اقتصادية هائلة تكمن فى عروق النفط التى تمتد على شواطىء الخليج ، وفى الخليج ذاته ، تكفل للعالم احتياطيا لا نظير له من هذه المادة الاستراتيجية الهامة .

ولم تكن شرايين النفط وحدها هى سر اهتمام العالم الحديث بهذه المنطقة بل كان موقع الخليج وثرواته الاخرى من قديم هى التى استهوت الكثيرين من المغامرين وجذبت أنظار الدول والقت بأطماعها على شطآنه .

ومن هنا خصصت جامعات الكويت والبصرة وبغداد والموصل وغيرها من الجامعات العربية والاجنبية مجالات واسعة فيها لدراسة الخليج دراسة علمية دقيقة تاريخية ، وجغرافية وأحوال السكان فيه وما يحتـوى عليه باطنه من أسرار .

وكتاب (الخليج العربى) لمؤلفه « سير أرنولد . ت . ويلسون » حلقة هامة من الدراسات .. ألفه رجل عاش فى الخليج ثمانية عشر عاما بشمسه اللافحة وهوائه الساخن ، ومزاج الطبيعة الحاد فيه .

والكتاب عبر ستة عشر فصلا يصف فيه مؤلفه البيئة الجغرافية والاحوال السياسية والاجتماعية كما يعرض مجملا لتاريخ الخليج منذ أقدم الازمنة حتى اوائل هذا القرن ..

فبعد أن يذكر المؤلف موجزا عن تضاريس منطقة الخليج العربى ودرجات حرارته العالية صيفا — مع فروق بسيطة بين مدنه وقراه — يتعرض لأصل سكان الخليج ، فيذكر أنهم جميعا من العرب غير فئات قليلة من البلوش والفرس والهنود والزنوج فى بعض أنحاء متفرقة من الخليج .

وقد بين المؤلف أن الخليج العربى منذ تكونه الجيولوجي قد وجدت عليه طوائف من البشر يحيون الحياة البدائية وقد كانت لهم رماح طويلة من الخشب المبرى كما كانت جميع مظاهر حياتهم وأسلوبهم فى المعيشة صورة للبشرية فى عصورها الاولى ، والواقع أن المؤلف هنا ينقل رواية عن (آريان) أن صورة الانسان الاول هذه ما زالت مستمرة فى بعض الحالات حتى الوقت الحاضر وان كنا لا نعتقد ذلك مع هذا الفيض الحضارى الهائل الذى يغمر الخليج الآن .

وفى الفصل الثالث عن الخليج العربى فى العصور التاريخية الغابرة يقول المؤلف إن التاريخ الغابر للخليج والمناطق المحيطة به هو على الأغلب فرضى وتخمينى فمعرفتنا عنه تعتمد فى الدرجة الاولى على الخرافة وعلى الاستدلال من السجلات التاريخية القديمة التى وصلتنا مثل العهد القديم ومن الكتابات المسمارية على الالواح التى أصبحت تتضح تدريجيا ، ومن جماجم وعظام الاجناس القديمة والحديثة على التوالى ، ولست أدرى كيف يكون هذا التاريخ فرضيا وتخمينيا مع أنه يعتمد على مثل هذه الآثار التى يعتمد عليها تاريخ أرقى الامم فى هذه المعمورة .

على أية حال يذكر المؤلف أن الفينيقيين والبابليين منذ القرن العاشر ق. م. اتصلوا بالخليج اقامة أو تجارة وان لم يستطع أن يحدد المدى الذى وصله أولئك أو هؤلاء مما أقلق الفرس الذين كانوا يتوجسون خيفة من القراصنة الذين كانوا يهددون المقاطعات على الشاطىء فأقاموا شلالات وسدودا على نهر قارون الاسفل حتى يتعذر الدخول الى الخليج وقد فكر الاسكندر المقدونى فى ازالة هذه السدود فيما بعد الا أن المنية عاجلته .

وقد عرف الكتاب القدامى منطقة الخليج — فى الفصل الرابع — من هيردوت وآريان وبطليموس وغيرهم الذين وصفوا رحلات الاسكندر وغيره كما وصفوا بعض أحداث المنطقة الا انه كما يقول المؤلف — قد ظلت معرفتنا بالمنطقة بعد بطليموس يغشاها حجاب لم يكد يرفع الا فى القرون الاسلامية الاولى حينما ألقى المؤرخون والجغرافيون المسلمون فيضا من الضوء على المسرح .
أما فى العصور الوسطى فان الثقة فى تاريخ هذه المنطقة تزداد عن ذى قبل حيث بدأ الكاتب يسجل للمؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الفضل فى تدوين تاريخ الخليج بوضوح وذلك يعود الى الوسائل التى هيأها الاسلام للمسلمين بالرحلة الى الحج أو الى طلب العلم أو التجارة فى مناكب الارض أو الجهاد فى سبيل العقيدة .

ويذكر المؤلف فى الفصول ٥ ، ٦ ، ٧ تاريخ العراق وخوزستان وفارس وكرمان ومكران ، ثم عمان والبحرين ثم سيران وقيس وهرمز وبوجه عام يمكن أن يقال أنه ابتداء من ظهور الدعوة الاسلامية فى أوائل القرن ٦ حتى سنة ١٥٠٦ كان الاسلام قد انتشر على ضفتى الخليج وكانت قوة الاسلام هى القوة السائدة فى المنطقة بلا منازع .

وقد عرفت المنطقة تحولا عنيفا فى سنة ١٥٠٦ حينما زحف البوكيرك (القائد البرتغالى) على مسقط وغلب المدينة على أهلها وطلب منهم دفع ١٠،٠٠٠ اكسرافين فلما لم يتوفر المبلغ امر باحراق مسقط بما فى ذلك مسجدها والسفن الموجودة فى مرفئها .

وقويت سيطرة البرتغال بعد ذلك على هرمز وما يتبعها من مدن الخليج حتى ظهر الاتراك فى منتصف القرن السادس عشر واعتركوا مع البرتغاليين ، لكن البرتغاليين انتصروا عليهم فى مواقع عدة .

وكان ظهور هولندا حينئذ مع بدء الصراع العنيف فى أواخر القرن السادس عشر بين البرتغال والانجليز هذا الصراع الذى خصص له المؤلف الفصل التاسع بكامله حيث يذكر أن تأسيس شركة الهند الشرقية فى ٣١ ديسمبر ١٦٠٠ كان علامة على التطور الاجتماعى والسياسى غير العادى لانجلترا ، وكانت البرتغال هى التى تحتكر ثروات الهند حينئذ فكانت نشاطات هذه الشركة أكبر مضايق للبرتغاليين الذين تم طردهم من هرمز فى حوالى سنة ١٦٢٥ .

وفى الفصل الحادى عشر يسجل المؤلف طرد البرتغاليين نهائيا من مسقط آخر قلاعهم سنة ١٦٥٢ للقضاء على البرتغاليين وكان طبيعيا أن يشتد الصراع بين الانجليز والهولنديين ويتخذ أشكالا مريبة .

وفى الفصل الثانى عشر عرض المؤلف موجزا عن تاريخ المناطق المحيطة بالخليج خلال القرن الثامن عشر ويذكر المؤلف أن اليد الطولى كانت للانجليز برغم المتاعب التى واجهتهم من بعض القوى العربية كآل كعب والوهابيين والهولنديين أيضا الذين كان سلطانهم قد بدأ يتقلص وخلال هذا القرن كذلك كانت للفرنسيين عدة محاولات هامة للوجود فى الخليج عن طريق بعض البعثات العلمية أو الاغارة على السفن البريطانية الا أنه فى ١٨١٠ وضع الحد لنشاط الفرنسيين فى المياه الشرقية حينما هزمت فرنسا أمام بريطانيا فى موريشيوس التى اتخذتها فرنسا قاعدة للاغارة منها على السفن البريطانية .

والى هنا نكون قد عرفنا مع المؤلف أطماع الدول المختلفة فى الخليج واحتكاراتها واستغلالها له والغريب أن المؤلف فى الفصل الثالث عشر عن (القرصنة) يذكر أن القوى العربية التى كانت هذه الدول تستعمل مياهها وموانئها دون أن تقدم لها شيئا يذكر مما تستفيده هى كانت تغير على السفن المارة بالخليج أحيانا وتأخذ ما تحمله ، وعنده أن الوهابيين والقواسم وبنو بو على قراصنة ويذكر أن انجلترا أدبت هؤلاء وان كان يذكر أيضا أن انجلترا نفسها احترفت القرصنة فى الخليج وبشكل أوسع وأقوى فيقول فى ص ٣٢٢

(ففى سنة ١٦٩٦ ظهرت خمس سـفن قرصنة فى البحر الاحمر ترفع أعلاما انجليزية وسفينتان أخريان على كل واحدة أربعة عشر مدفعا ومن البحارة مائة وخمسون وقد قامت بنهب سفن فى الخليج والبحر العربى) .

وهكذا لا يستطيع القارىء أن يكتم أسفه الشديد على معلومات السير ارنولد . ت . ويلسون هذه وظلمه للعرب أبناء البلاد وأصحابها الأصليين مما حق معه للدكتور المترجم أن يتعقبه فى كثير من آرائه فى هذا الفصل كما تعقبه فى الفصل الذى يليه — الفصل الرابع عشر — الذى يفخر فيه ببنى جلدته الانجليز حيث يقول إنهم قضوا على تجارة الرقيق فى الخليج وليصحح له معلوماته عن القرآن الذى زعم المؤلف أنه يقر الرق مع أن الانجليز أنفسهم مارسوا الرق كما مارسوا القرصنة والقرصنة المسلحة كما اعترف الكاتب نفسه .

وفى الفصل قبل الاخير يذكر المؤلف أنه خلال هذا القرن التاسع أخذت بعض الامارات تظهر ككيانات سياسية هامة لها اعتبارها فى الخليج ثم يذكر موجزا لتاريخ كل من هذه الامارات منها مسقط والبحرين والكويت .

وهنا تبدو حصافة المؤلف حيث يصف شعوب هذه الامارات وصفا دقيقا فيسجل لشعب مسقط تمسكهم بالرقيق ولشعب البحرين طرده لكل محتل فطرد البرتغال كما طرد الفرس حيث كان الاحتلال الفارسى — كما يقول المؤلف — ذا مدة غير محدودة الا أن شعب البحرين طردهم نهائيا سنة ١٧٧٩ ويصف سكان الكويت الذين كانوا ينتمون الى بنى عتبة الذين هم فخذ من عنيزة من شـمال وسط الجزيرة العربية بأنهم ذو مودة وأن بحارة الكويت أصحاب المرتبة الاولى فى الجرأة والمهارة وفى متانة الخلق والثقة (ويعتبر شعب المدينة — الكويت — بوجه عام أسمى من شعب أى مرفأ عربى آخر فى المقدرة التجارية وفى تلك الخصائص المرنة التى تعمل على خلق المواطن الصالح .

وندلف مع المؤلف الى الفصل الاخير (الخليج العربى فى السياسـات الدولية) حيث يشيد المؤلف فى حماسة بالغة بالانجليز الذين توقع استمرارهم فى الخليج حتى ليقول فى ختام كتابه « يمكننا أن نردد بصلاة صامتة كلمات أحد أعظم الرجال الذين خدموا جلالة الملك فى الخارج « عندى أن الرسالة منحوتة بالجرانيت ومقتطعة من صخر القضـاء والقدر نؤكـد بأن عملنا عـادل وأنه سيستديم » .

ولكن العقيدة التى حركت أبناء الخليج والتقدم الحضارى السريع الذى تشهده المنطقة خيب ظن المؤلف وحمل بريطانيـا على ترك الخليج نهائيـا فى سنة ١٩٧١ ذلك اذن هو كتاب الخليج العربى (للسير أرنولد . ت . ويلسـون الذى نشرته مكتبة الأمل بالكويت) ويمكننا بعد هذا العرض أن نلاحظ ما يلى :

أولا : انه يبالغ كثيرا فى تمجيد الشعب الانجليزى حتا إنه لا يمكن لباحث أن يغفل دور هذا الشعب فى تاريخ الخليج والانجازات فيه ولكن الذى كان ينبغى أن يسجله المؤلف هو تمجيد هؤلاء الذين كانوا السر الحقيقى والفعال وراء هذه النهضة وهم أبناء الخليج أنفسهم .
ثانيا : الوقوع فى أخطاء نبه على كثير منها المترجم كما أشرت الى بعضها فيما سبق ومع ذلك فان يقيننا أن الكتاب بما فيه حلقة هامة لا يمكن اغفالها عند تدوين تاريخ الخليج العربى وان لم يكف وحده لهذه الغاية بطبيعة الحال .

عيد المولد النبوي

محمد مؤذن

لا عيدَ حتى يتمَّ النّصرُ والْغَلَبُ وتأخذَ الثّأرَ منْ أعدائِها العربُ

لا عيدَ .. والشّعْبُ لمْ ترْقأْ مدامعُهُ على الضّحايا .. ولم يسْكُنْ به الْغَضَبُ

لا عيدَ .. والْمُعْتدِي داستْ جحافلُه على ترابِ بلادِي .. وهو مُغْتَصِبُ

ليس العويلُ الذي في الريحِ أسْمعُهُ إلاّ صراخَ أَساهُ .. وهو ينْتحِبُ

يرى وجوهاً غريباتٍ .. تُطَالعُهُ وأيْدِياً قاتلاتٍ .. منه تقْترِبُ

وظِلَّ ضيمٍ لراياتٍ يشاهدُهـــا عليه .. ليْسَتْ إلى التاريخِ تنْتَسِبُ

ماخاضَ منْ ركزُوها. قبْلُ. معركةً يكونُ فيها لهم .. من بعدها .. الْغَلَبُ

هانتْ .. وهان لهمْ في ظلِّها شرَفٌ أذلَّهُ أهْلُهُ والدّهْـــرُ والْحِقَبُ

* * *

لا عيدَ ياولدي .. أما الذين ترى فإنهمْ في يد المأساةِ قـــد لَعِبُوا

لو أنهم عرَفُوا .. لم يطْربُوا أبداً لكنّهمْ .. عندما لم يعْرِفُوا .. طَرِبُوا

والجهْلُ فيهمْ سلاحٌ .. ليس يملكُهُ إلا العدوُّ .. به لمّا الْتَقَوْا ضُرِبُوا

فلا تكُنْ مثْلَهمْ .. والدّمْعُ مُقْتَرَفٌ .. والهوْلُ مُنْتَظَرٌ .. والموْتُ مُرْتَقَبُ

ولُعْبَةُ العيدِ .. إنْ تفْرَحْ بها زَمَناً فالعيدُ يمضِي .. وتَمْضِي بعده اللُّعَبُ

سأشْتريهَا .. ولكنْ .. سوف يَحمِلُها إليكَ .. يومُ انْتصارٍ صُبْحُهُ عَجَبُ

يومٌ .. ترى الشعبَ فيه راقصاً فرحاً ورافعاً جَبْهةً .. ذَلّتْ لها النُّوَبُ

للشاعر : أحمد مخيمر

لا .. يابُنَيَّ .. فإسرائيلُ ما بَقِيَتْ ... أسطورةٌ صاغها العدوانُ والكذبُ

جزيرةُ البغضِ في بحرٍ يُحيطُ بها .. ... عاتي الرِّياحِ .. بموجِ الحقدِ يَضطَرِبُ

فليس يُورقُ في قلبٍ لهـا أملٌ ... وليس يُثمِرُ في رُوحٍ لها أَرَبُ

وما لها أبـداً ماضٍ تَحِنُّ له ... ولا غدٌ ترتجيهِ .. فهو مُحتجِبُ

ولن تعيشَ .. وقد سُدَّتْ مسالكُها ... إلى الحياة .. فخاب السَّعْيُ والطَّلَبُ

من يَبْنِ فوق فمِ البركانِ منزلَهُ ... لم يَبْقَ من أَمْنِهِ فيه له سَبَبُ ..

فلا يَرُوعكَ منهم .. أنهم هجموا .. ... أو أنّهم غَدَروا .. أو أنهم نَهَبوا

فما السَّماحةُ فيهم .. إنْ هُمو نزَلوا ... ولا الشجاعةُ فيهم .. إنْ هُمو ركِبوا

ولا الإباءُ بموجودٍ إذا ظُلِموا ... ولا الوفاءُ بمأمونٍ .. إذا صَحِبوا

مُشرَّدون على الأجيال .. مُذْ وُجِدوا ... فكلهم .. تائهٌ في الأرضِ .. مُغترِبُ

أخطاؤُنا نحن .. أعطتْ كُلَّ ما أخذوا ... وفُرْقةُ الرَّأيِ جادت بالذي كسِبوا

ومكَّنتْهم من البحرِ الذي سلكوا ... وأسْلَمتْ لهمُ الأرضَ التي سلَبوا

لكنَّ أخطاءَنا ليستْ تدومُ لهمْ ... فالشعبُ يكشِفُها فيمَنْ بها نُكِبوا

وقبضةُ الجيشِ إنْ تضربْ ستسحقُهمْ ... في حيثُما سكَنوا .. أو أينما ذهبوا

كأنها جبلٌ .. من فوق أرؤسِهمْ ... يهوِي .. وبحرٌ مُخيفُ الموجِ ينقلِبُ

لن يُفلِتوا منه .. واليومُ الأخيرُ له ... تُضيءُ من نورِهِ الأيامُ والحِقَبُ

إنْ كان يشقَى ويلقَى دونَه تعَباً ... فإنما الرَّاحةُ الكبرى لمن تعِبوا ..

المؤتمر الخامس لمجمع البحوث

ما لم تنشره الصحف عن
المناقشات الجانبية
التبشير بالإسلام
ما هو الاقتراح الذي

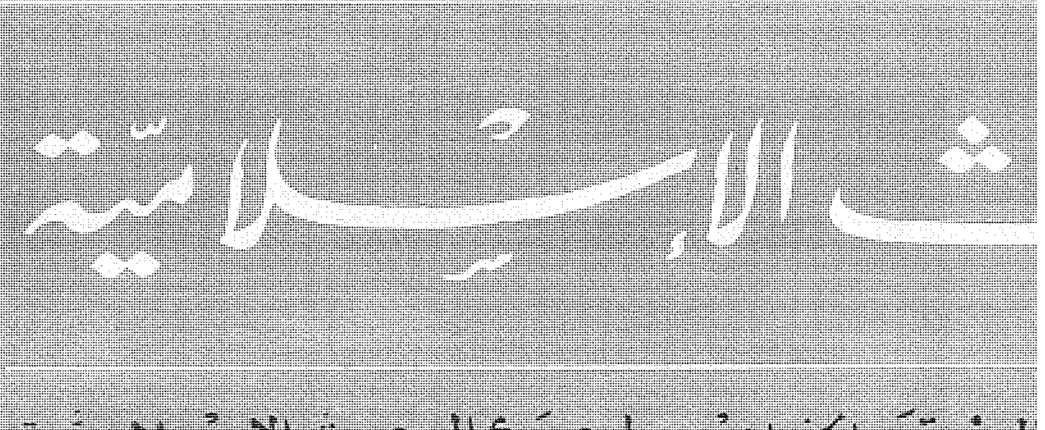
للأستاذ : صلاح عزام

انتهى المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية .. عقدت جلساته على فترتين .. استمرت الأولى ٥ أيام .. استغرقت ٤٧ ساعة على مدى ١٠ جلسات .. هى أهم أحداث المؤتمر لما تخللها من مناقشات اشترك فيها علماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم .

أما الفترة الثانية التى اقتصرت على أعضاء المجمع فقد استمرت ١٦ يوما قدم فيها ٢٠ بحثا ونوقشت فى ٣٨ ساعة .

وهناك الكثير الذى لم تذكره الصحافة ، وبالذات عن المناقشات التى دارت حول البحوث المقدمة .. والمناقشات التى دارت عفو الخاطر واثارتها الأحداث اليومية وبالذات فى الفترة الأولى .

نشرنا فى العدد الماضى انباء المؤتمر وقد وافانا الاستاذ صلاح عزام بهذا الوصف التفصيلى لما دار فيه .



لمؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية

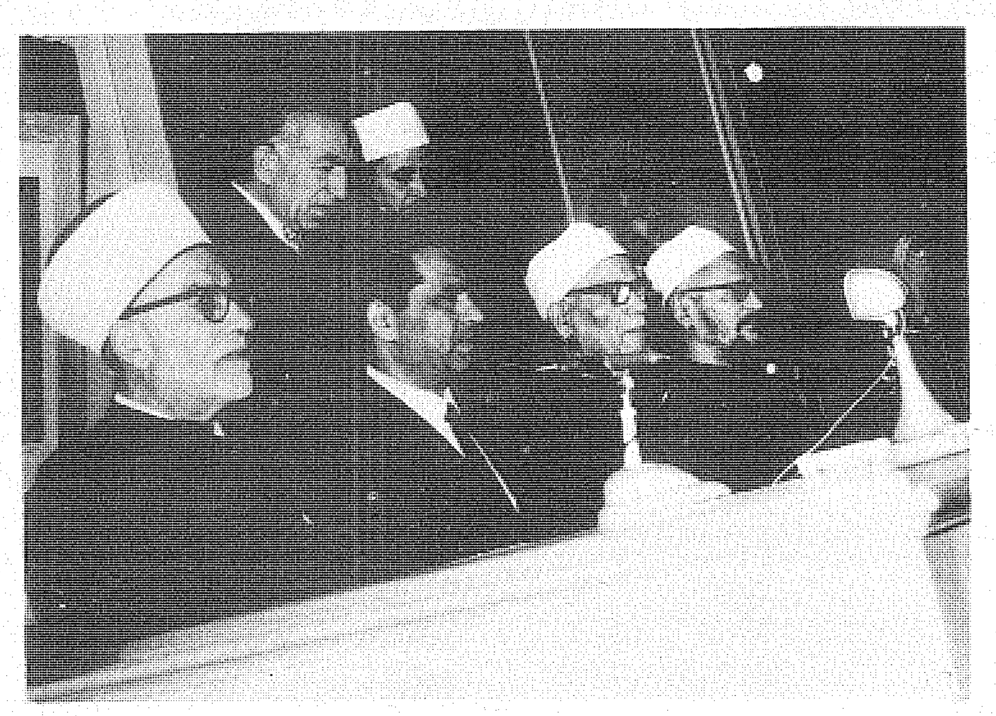
كانت على مستوى البحوث العلمية

يناقش صراحة لأول مرة

لم تؤخذ عليه الأصوات؟



بعض اعضاء الوفود اثناء جلسة الافتتاح



المنصة الرئيسية للجلسة الافتتاحية وقد ظهر فيها : الدكتور الفحام شيخ الازهر والدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف والدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر والشيخ عبد الحميد السائح .

وقد أتاحت لى الظروف أن أشهد كل الجلسات .. وأن أحضر كل المناقشات .. وأن أستمع الى جميع الاقتراحات ... والظاهرة التى كانت غالبة على أبحاث ومناقشات الفترة الأولى هى ارتباطها بالمعركة والجهاد .. ووضع اليهود .. وتوسعات اسرائيل .. ومسئوليات الشعوب الاسلامية ..

ولنبدأ ..

فمن أهم ما قيل ما ذكره كل من ..

الامام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد الفحام .. (أن المحنة التى نمر بها تمثل فى جوهرها محنة اسلامية .. أنها قضية دينية قبل أن تكون قومية أو سياسية .. وليس لها من حل الا فى العودة الى خصائص هذه الأمة .. الايمان بالله .. والجهاد فى سبيله .. والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتمسك بكتاب الله ، واقتداء برسول الله ، والتزام بالهدى الالهى فى جميع مناحى الحياة ..) .

— و .. (لقد أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم اعلاء لكلمة الله ودفعا للعدوان ، وانقاذا الأرض الاسلام من سيطرة أعدائه ، وتطهيرا للمقدسات من رجس الطغاة ، وانه لا خيار لنا فيما فرض علينا من جهاد والأعداد بحزم وعزم لمعركة المصير ..) .

— و .. (ان الأمة الاسلامية تعيش حاضرا مريرا لأنها تباعدت عن مصدر عزتها ، وتقاعست عن نصرة الحق والجهاد فى سبيل الله) .

— و .. (ان رسالتكم أيها العلماء لجد خطيرة فى هذه الظروف العصيبة التى تحيط بأمتكم . وان العالم الاسلامى يترقب منكم انتفاضة مؤمنة قوية تحيى أمله ، وتفك قيده ، وتحرر

أرضه ، وتصون عرضه ، وتهيىء له الحياة الحرة العزيزة التى أرادها الله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

انتم امل المسلمين :

وقال الدكتور عبد العزيز كامل :

ـ (ان الشعوب الاسلامية تأمل أن تجد فى مواقفكم ما يفتح الطريق أمام غايتها وهى اعلاء كلمة الحق ، وتحرير الأرض وتطهيرها ، واسترداد القدس الأسير ، وتحقيق النصر الذى وعدنا الله عز وجل .).

ـ و .. (ان شعوبنا تنتظر منا الكثير وتتطلع الى قياداتها العلمية بأن تبذل أقصى جهدها فى ترجمة الكلمة الى عمل مصداقا لتوجيه الرسول الأعظم صلوات الله عليه (قل آمنت بالله ثم استقم) ليكون من وراء الجهود المخلصة المؤمنة على الصعيد الاسلامى العالمى ما يعين على استرداد أرضنا ومقدساتنا السليبة والقضاء على العدوان الصهيونى ، والتغلب على قوى الاستعمار التى تحركه ونصرة ديننا فى معركته المصيرية ، ضد أعظم تكتل عدوانى يواجهه فى تاريخه المديد (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) .

بحثان عسكريان

والظاهرة الأخرى التى تميز بها المؤتمر الخامس أن اثنين من رجال الحرب المسلمين كان لكل منهما بحث محلق .. الأول اللواء الركن محمود شيت خطاب عن أهداف اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية ، وقد قدمه بقوله (الذين يعتقدون بأن اسرائيل كارثة حلت بشعب فلسطين وحده .. وأن ما تدبره اسرائيل من عدوان وتوسع لا يتعدى فلسطين . يجهلون الحركة الصهيونية وأهدافها



حديث بين الشيخ حسن خالد مفتى لبنان ومفتى المسلمين بالاتحاد السوفيتى



حديث بين السيد عبد الخالق حسونة
والشيخ نديم الجسر

ومخططاتها التوسعية .. والحقيقة هى أن خطر اسرائيل يهدد كيان الأمة العربية التاريخى والحضارى ، وانها اخطر مدى يهدد الدول المجاورة لها بالغزو والعدوان والاحتلال ..) وبعدها ذكر بالوقائع والخرائط نوايا اسرائيل .

والثانى للفريق عبد الرحمن أمين وكان عن (التولى يوم الزحف) وقال فيه (ان ـ الدعوة الاسلامية لم تكن يوما دعوة جنسية أو اقليمية ، وانما اقرار الحق بين الناس ، ونشر مبادىء المساواة والعدل بينهم ومن غير أن تجنح الى القوة ..) .

ـ و .. (ان الجهاد فى سبيل الله هو غاية الفضل ونهاية العمل .. وان شهداء الجهاد على موعد مع الله الا يذيقهم طعم العذاب وزفرة الموت ، وانهم من ساعة استشهادهم احياء يرزقون فقد قال الله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ..) .

غاية واحدة

وكلمات عديدة وبحوث قيمة ..

ولكن المناقشات والتعليقات نفس الأهمية واكثر .. ومن ذلك .. ما قاله الشيخ محمد ابو زهرة من (أن السبيل الى أن نعمل هو ان نتجه جميعا الى غاية واحدة هى رفعة الاسلام .. ورفعة اللغة العربية لأنها دعاء القرآن الكريم ، وان النصر ليس بكثرة العدد والمدد وانما بالعزيمة وقوة الايمان) .

التبشير بالاسلام

ولأول مرة .. وفى مؤتمر عام تناقش قضية التبشير بالاسلام والعمل على ذلك ووضع خطة له .. ففى كلمة للدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر وأمين مجمع البحوث الاسلامية قال : (انه يرجو أن ينبثق من المؤتمر لجنة تخطيط لصندوق الدعوة لترفع شعار الجهاد والعلم .. وأن تعمل فى مجالين رئيسيين .. لاحياء اللغة العربية والحفاظ عليها ، لغة مقدسة بعد أن نزل بها القرآن الكريم .. والمجال الثانى .. التبشير بالدين الاسلامى فى كل مكان ، وهو أمر يجب أن نبدأ فيه من الآن ونعمل عليه لاهميته القصوى ...

وقال الشيخ حسن خالد الكثير عن مسئوليات التجمعات الدينية ، وهو يقصد بذلك الجمعيات ومن الذى قاله (اننا يجب من الآن أن نعمل على تشجيع واحياء المنظمات الاسلامية ، وان نعمل على أن يكون أعضاء هذه المنظمات مسلمون قولا وعملا .. وان يكونوا قدوات فى محيط المجتمع الذى يعملون فيه .. وان نمد لهم كل عون ، وأن نيسر لهم كل معرفة بالجوانب الاسلامية ، وبذلك نضمن مراكز اسلامية تقابل التيارات المختلفة فتردها الى الصواب بالحجة والمنطق والعمل والأسلوب الحديث .

وانا أطالب أيضا بأن نعمل على نشر الفكر الاسلامى والثقافة بأسلوب وتفكير يتفقان مع العصر ومع كل قطر اسلامى ، وأن يشرف على ذلك الهيئة الاسلامية الكبرى بكل بلد اسلامى ضمانا للعمل المنظم المستمر الخالص لوجه الله ..

نشر التعليم الدينى

أما الشيخ محمود صبحى مدير الجامعة الاسلامية بليبيا فكان اهتمامه الرئيسى يدور حول ضرورة نشر التعليم الدينى ، وعلى جميع مستويات مراحل التعليم وقال : (انه يجب من الآن دراسة مقررات المؤتمرات الاسلامية التى عقدت من قبل ، وفى كل مكان وعلى جميع المستويات ، وفى نظرى أن من أهم التوصيات التى سبق صدورها من مؤتمر اسلامى عال تلك التى أصدرها مؤتمر كوالالمبور فى ماليزيا العام الماضى ، والتى تقضى بتدريس الدين الاسلامى فى جميع مراحل التعليم ، وكذلك نشر اللغة العربية فى كل البلاد الاسلامية .

وهذا كله أمر يجب أن نعمل على تنفيذه وفورا .. وأن يساهم كل عالم اسلامى فى تطبيق هذا الامر فى بلده وأن نسانده جميعا .. فلا نتصور مسلما بغير اللغة العربية .. وحتى يسهل على المسلمين معرفة قواعد دينهم وفهم كتابهم المقدس القرآن الكريم ..) .

قضية فلسطين

أما الامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى بلبنان ، فقد كان حديثه الطويل على مدى ٤٠ دقيقة عن فلسطين والجهاد الاسلامى ومسئولية المسلمين وعلمائهم ...



بعض أعضاء وفد النمسا فى المؤتمر

ثم ضرورة توحيد المذاهب الاسلامية ومما قاله : (انه يتحتم ضرورة انشاء مكتب دائم لتزويد علماء المسلمين بأخبار القضية وبلغات مختلفة ... وان على هؤلاء بدورهم نشر هذه الأخبار والمعلومات على اوسع نطاق والتصدى للدعاية الصهيونية ..

وأن على جميع محطات الاذاعة والتلفزيون أن تخصص برنامجا يوميا بعنوان صوت الاسلام فى فلسطين .. اذ أن اليهودى فى المعركة لا يفرق بين صهيونى ويهودى .. وانما الكل فى المعركة يهود .. ضدنا ..) .

— و .. (اننا يجب أن نعمل من الآن على القضاء على التفرقة بين الأمة الاسلامية .. وان نرد كل خلافاتنا الى القرآن الكريم ، نحتكم الى قواعده ونواهيه ، فان هذا هو أساس الدين .. ونحن أمة واحدة ...) .

وآراء مالك بن نبى

و .. ختاما لهذا التحقيق .. لنأخذ بعض كلمات رددها الكاتب الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى .. وهزت أعماق الكثيرين ومن ذلك ..

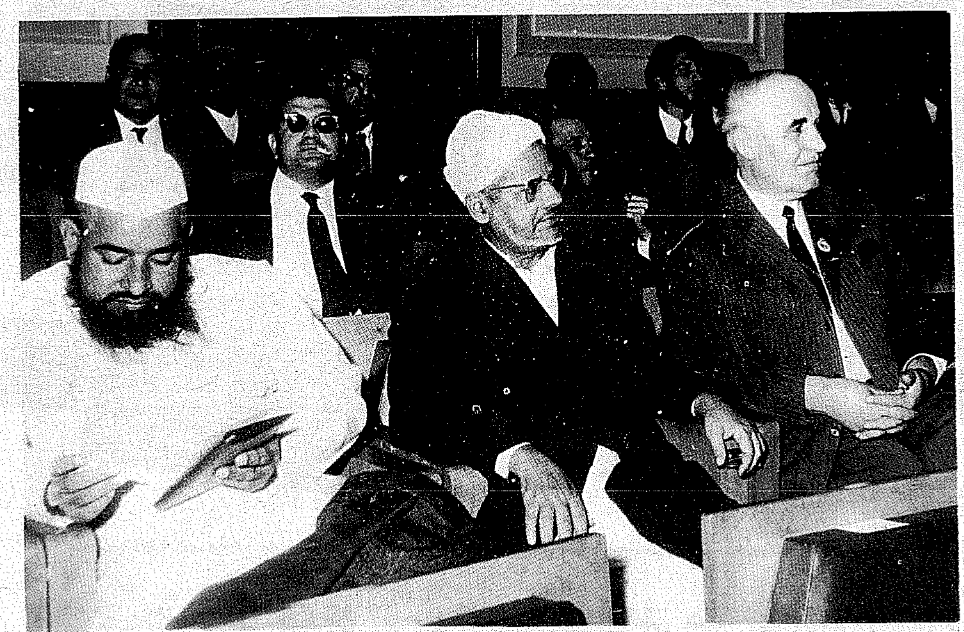
— .. (انه يجب على الكاتب المسلم ان تكون له الصدارة فى الراى وسط مجتمعه .. وان عليه مسئولية كبرى .. ومن ذلك العمل على محاربة الكلمات الدخيلة معنى واسلوبا فى العربية ، والتى قصد منها الاستعمار واليهودية العالمية محاربة كل من كان يعمل ضد مصالحهم قبل الحرب العالمية الثانية واثناءها ..) .

— و .. (اننا كمسلمين نرفض كل فلسفة سياسية تقوم على قاعدة التفرقة العنصرية وعلى العنف والتشريد ..) .

— و .. (ان المفكر المسلم لا يجب أن يقف موقف السلبية أمام الأحداث العالمية .. والأفكار السياسية والثقافية فان لنا فى الاسلام معينا لا ينضب ووجب معرفته .. ووجب أن نضع كل فكر .. وكل شىء فى



اللواء محمود شيت خطاب مع بعض اعضاء الوفود



ممثلو الهند والباكستان ويوغسلافيا فى المؤتمر

الميزان الاسلامى ، ونخرجه على الناس ..) .

— و .. أريد لكل مؤتمر يعقد ويأخذ الطابع الاسلامى ان يكون مقره أكبر مركز اسلامى .. ففى القاهرة مثلا يكون فى صحن الأزهر الشريف .. وأن يكون فى كل مكان ذا طابع اسلامى بحت ..) .

— و .. (يجب من الآن أن نعمل على ظهور سلطة روحية تجمع الرأى وتوحد الصف بالنسبة للمسلمين فى العالم كله .. واننا يجب من الآن أن نعيد النظر فى قضية الخلافة الاسلامية .. فقد باتت ضرورة عالمية ومصيرية .. وليكن لها أى اسم .. ولكن ليكن هدفها توحيد الصف الاسلامى والرأى الاسلامى فى كل مكان على ظهر الارض .. وان كنت اتفاءل بكلمة (مجلس الخلافة) .. وليشترك فيها كل العالم الاسلامى .. ولكن لنبدأ فى اعلان وجودها من الآن ..) .

وتوصيات

وصدرت التوصيات بعد هذا كله .. وعلى مرتين بعد الفترتين .. ولكن اقتراحا تقدم به واحد من العلماء لم يحظ بالاقتراع عليه .. وكان يدعو الى ضرورة أن يخصم مبلغ بنسبة معينة من مرتبات الموظفين ومن دخول ذوى الاعمال الحرة .. تكون حصيلة للجهاد فى سبيل الله .. من اجل فلسطين ومن اجل نشر الدعوة الاسلامية والتبشير بالاسلام الحنيف ..) .

و .. اجمالا .. فقد كان المؤتمر ناجحا والحمد لله ..

أبحاث المؤتمر

٢١ ذو الحجة ١٣٨٩ — ٢٧ فبراير ١٩٧٠ .

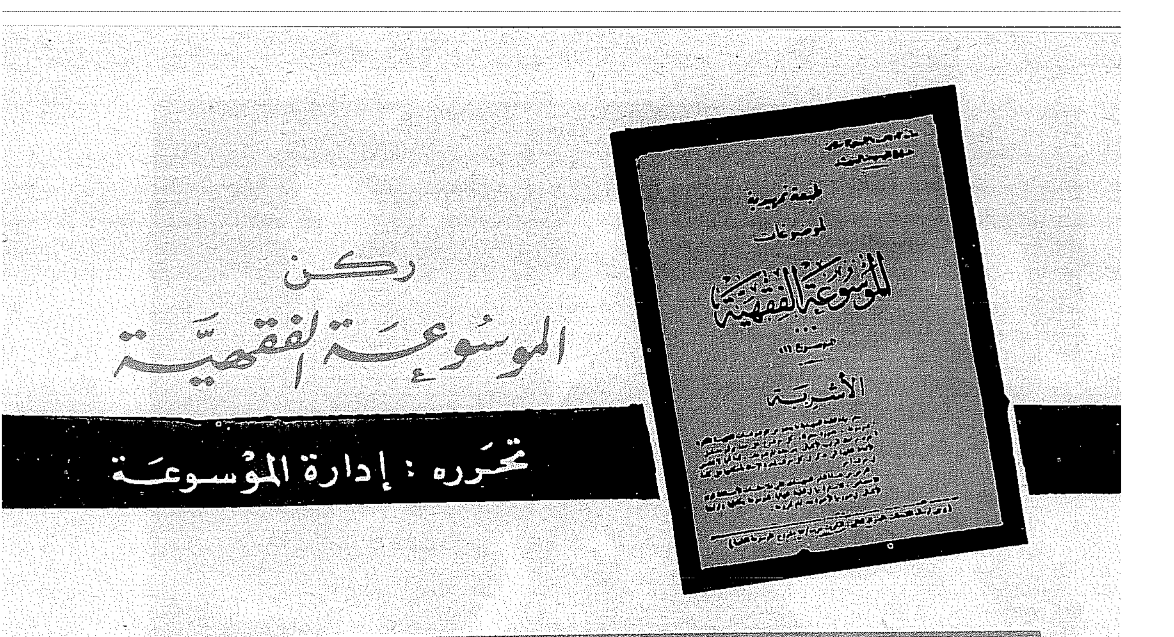
١٩ المحرم ١٣٩٠ — ٢٧ مارس ١٩٧٠ م

١ — الامام الاكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد محمد الفحام .
استرداد بيت المقدس .

٢ — الدكتور عبد العزيز كامل
التفرقة العنصرية
الدعوة والمجتمع

٣ — اللواء الركن محمود شيت خطاب
أهداف اسرائيل التوسعية فى البلاد العربية .

البقية ص ٨٦



« نقتصر فى ركن الموسوعة بهذا العدد على حلقة من بحث (الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى) ، مرجئين باقى أبواب الركن الثابتة (أخبار الموسوعة وبريدها) الى العدد القـــادم ، حرصـــا على وحدة البحث وتكامله »

الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

— عرضنا فى العدد السابق أهمية موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق العالمى من ناحية حاجة قضاة محكمة العدل الدولية فى سبيل معرفة « المبادىء العامة التى اقرتها الامم المتمدنة » الى مصدر ميسر للرجوع الى أحكام الشريعة الاسلامية باعتبارها أحد النظم القانونية الكبرى فى العالم .

— ونبحث فى هذا العدد ، أهمية موسوعة الفقه الاسلامى على مستوى دولى آخر ، هو محاكم التحكيم الدولية التى يكثر الرجوع اليها خاصـــة لحل المنازعات التى تنشأ بين الدول والشركات الاجنبية الكبرى التى تباشر نشاطها فى أقاليم هذه الدول .

— وتأتى فى المرتبة الأولى من هذا النطاق تلك الاتفاقيات الخاصة بامتيازات استخراج واستثمار موارد الثروة كالنفط وغيره ، والتى تكون فى العادة معقودة لمدد طويلة . وأهمية هذه الاتفاقيات تتجلى من جهة تعلقها بموارد ثروة طبيعية تكون فى معظم الاحوال مصدرا رئيسيا ان لم تكن المصدر الرئيسى لواردات هذه الدول .

— وليس الأمر مقتصرا على هذه الاتفاقيات الكبرى ، وانما يتصل كذلك بالعديد من الاتفاقيات الخاصة بعقود انشائية (مقاولات) ذات مدة محددة ، وبمبلغ أقل نسبيا من الاتفاقيات الاولى . ويدخل فى هذه الطائفة تعهدات انشاء المطارات ، والموانىء ، والســكك الحديدية ، والطرق ، والمبـــانى الضخمة ، ومصافى المياه ، ومصافى النفط ، ومحطات توليد الكهرباء ، واقامة المصـــانع

على اختلافها .. فمعظم هذه المقاولات الكبيرة تتولاها فى الدول الناشئة شركات أجنبية ترتبط مع حكومات هذه الدول باتفاقيات خاصة .

ـ والمهم هنا فى هذين النوعين من الاتفاقيات أن معظمها ينص على أنه فى حالة الخلاف بين هذه الشركات والحكومات المتعاقدة معها تتولى هيئة تحكيمية النظر فى النزاع واصدار الحكم فيه ، أى أن الخلاف مع هذه الشركات يخرج عن اختصاص المحاكم الوطنية ، وتتولاه هيئة تحكيم تؤلف عادة باختيار كل طرف لأحد أعضائها ، ثم يتفق الطرفان على اختيار العضو الثالث أو يعهد الى جهة ثالثة (١) باختياره .

ـ والمشكلة التى تعنينا بالذات هى أن هذه الاتفاقيات تنص أحيانا على تحديد القانون الذى تطبقه هيئة التحكيم ، وأحيانا أخرى لا تتعرض لتحديد هذا القانون من قريب أو من بعيد (٢) .

وفى حالات عدم تحديد القانون الواجب التطبيق فى الاتفاقية الاصلية ، قد يتفق الطرفان فى مشارطة التحكيم ، بعد نشوء النزاع ، على تحديد القانون الواجب التطبيق فى النزاع (٣) ، وقد يترك ذلك لهيئة التحكيم ، التى يكون أمامها حينئذ أن تختار بين قانون الدولة محل ابرام الاتفاقية وقانون الدولة محل تنفيذ الاتفاقية وقانون الدولة محل التحكيم والمبادىء العامة المتعارف عليها بين الدول المتمدنة وقواعد العدالة والسوابق القضائية الدولية وغير ذلك ..

ـ أما حالات تحديد القانون الواجب التطبيق ، فتختلف بين اتفاقية وأخرى :

ـ ففى اتفاقية الكويت مع كل من شركة النفط العربية المحدودة (اليابان) (م ٣٩) وشركة شل لاستثمار البترول المحدودة (م ٣٥) نص على أنه :

« يقيم الفريقان علاقاتهما بالنسبة لهذه الاتفاقية على مبدأ حسن النية والاخلاص . وبالنظر الى اختلاف جنسية الفريقين فان هذه الاتفاقية يجب أن

---

(١) المقيم البريطانى فى اتفاقيات الكويت مع شركة نفط الكويت (م ١٨) ، وشركة الزيت الامريكية المستقلة (م ١٨) ورئيس محكمة العدل الدولية فى اتفاقيات الكويت مع شركة النفط العربية المحدودة ـ اليابان (م ٣٣) وشركة شل لاستثمار البترول المحدودة (م ٢٩) ، وغرفة التجارة الدولية بباريس فى بعض اتفاقيات الكويت مع شركات المقاولات الاجنبية كشركة ساب التى انشات مطار الكويت الدولى .

(٢) كاتفاقية الكويت مع كل من شركة نفط الكويت المحدودة وشركة الزيت الامريكية المستقلة ، وكاتفاقية راس الخيمة مع شركة نفط كوامكو ، وكاتفاقية مسقط وعمان مع كل من شركة امتيازات النفط المحدودة وشركة فيلبريور .

(٣) كما حدث فى النزاع بين المملكة العربية السعودية وشركة أرامكو حيث نصت المادة الرابعة من مشارطة التحكيم على ان :

« تفصل هيئة التحكيم فى هذا النزاع :

أ) وفقا لقانون المملكة العربية السعودية كما هو محدد هنا فيما يلى ، وذلك فيما يتعلق بالمسائل التى تدخل فى اختصاص المملكة العربية السعودية .

ب) وفقا للقانون الذى ترى هيئة التحكيم وجوب تطبيقه ، وذلك فى المسائل الخارجة عن اختصاص المملكة العربية السعودية .

وان قانون المملكة العربية السعودية المشار اليه فى هذا النص هو الشريعة الاسلامية :

أ) كما هو مبين فى مذهب الامام احمد بن حنبل .

ب) كما هو مطبق فى المملكة العربية السعودية » .

تنفذ وتفسر وتطبق وفقا **للمبادىء القانونية المشتركة** بين الكويت و (اليابان فى الاولى ، وانجلترا فى الثانية) . وفى الحالات التى لا توجد فيها هذه المبادىء المشتركة ، فوفقا **للمبادىء القانونية المعترف بها عادة فى الدول المتمدنة** بصورة عامة ، ومن ذلك المبادىء التى طبقتها المحاكم الدولية » .

— ويتضح من الاستعراض السابق لنواحى المشكلة واحتمالاتها أن حالات تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى حالات النزاع بين الدول الاسلامية والشركات الاجنبية التى تباشر نشاطها على أراضيها وفقا للاتفاقيات محل هذه الدراسة — يمكن تصنيفها على النحو التالى :

١ — حالات تطبق فيها الشريعة الاسلامية باعتبار أنها المصدر الكامل للتشريع فيها ، كحالة المملكة العربية السعودية حيث يطبق المذهب الحنبلى .

٢ — حالات تطبق فيها الشريعة الاسلامية باعتبار أنها القانون العام للدولة ، كحالة الكويت حيث تطبق مجلة الاحكام العدلية فى الامور المدنية ويرجع فى تفسيرها الى المذهب الحنفى وهو مصدر استمداد أحكام المجلة .

٣ — حالات تطبق فيها المبادىء المشتركة بين الشريعة الاسلامية وقوانين وضعية معينة (كالقانون الانجليزى أو اليابانى) أو سائر النظم القانونية الكبرى فى العالم ، وذلك كحالة الكويت فى اتفاقياتها مع شركة النفط العربية المحدودة — اليابان ، وشركة شل لاستثمار البترول المحدودة .

وفى جميع هذه الحالات تحتاج هيئات التحكيم الدولية التى تنظر هذه الخلافات الى معرفة ميسرة مفصلة دقيقة لأحكام الشريعة الاسلامية فى كثير من المسائل التى تثار فى أثناء بحث النزاع والتى تتنوع وتختلف من نزاع الى آخر .

ولعل مما يوضح مدى الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى لسد هذه الثغرة الهامة ، أن نشير بايجاز الى ما حدث بالفعل أثناء نظر النزاع بين المملكة العربية السعودية وشركة أرامكو ، حيث كانت هيئة التحكيم مكونة من المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى عن الطرف السعودى (وقد حل محله بعد وفاته الاستاذ محمود حسن) والدكتور سابا حبشى عن الشركة ، والاستاذ جورج ساوزر هال (سويسرى) محكما ثالثا . فقد تعرضت هيئة التحكيم لبحث عدة مسائل نقتصر منها هنا على هاتين المسألتين (١) :

١ — هل تعتبر اتفاقية امتياز البترول تصرفا اراديا منفردا من جانب الدولة ، أو عقدا عاما أو اداريا ، أو عقدا خاصا ، أو ايجارا ، أو اعطاء منافع ، أو تنظيما له طبيعة خاصة نصفها عام ونصفها خاص ..

وقد اعترضت الشركة بأن المذهب الحنبلى ليس من التطور الكافى بحيث يحدد الطبيعة القانونية للعمليات التى يتطلبها استثمار النفط .

وقد أخذت هيئة التحكيم بوجهة النظر هذه مقررة أن نظام امتيازات المعادن والنفط بقى بدائيا فى الشريعة الاسلامية ، وأن المذهب الحنبلى لا يتضمن أى قاعدة محددة عن امتيازات المعادن ، ولا عن امتيازات النفط من باب أولى وأنه أمام هذه الثغرة فى المذهب الحنبلى ، تكون الاتفاقية المعقودة بين حكومة السعودية والشركة محكومة بالمبدأين الاساسيين فى الشريعة وهما مبدأ حرية

---

(١) ليس هنا مجال عرض نقاط الخلاف بين السعودية والشركة أو تطوراته أو نتيجة التحكيم .

التعاقد بما لا يتعارض مع الكتاب والسنة ، ومبدأ احترام الالتزامات التعاقدية . وأن الشريعة — وفقا لرأى ابن تيمية (من ترجمة لاوست لكتاب السياسة الشرعية) — لا تفرق بين المعاهدات والعقود الخاضعة للقانون العام أو الادارى والعقود المدنية أو التجارية — وأنه وفقا لهذه القواعد يكون امتياز النفط المعطى لشركة أرامكو ذا طبيعة تعاقدية .

٢ — ما هو القانون الذى يحكم هذا العقد ؟

ردت هيئة التحكيم على هذا التساؤل بأن قانون السعودية هو الواجب التطبيق . ونظرا للثغرة القائمة فى الشريعة الاسلامية فى هذا الموضوع ، فان عقد امتياز النفط المعطى لشركة أرامكو يحل محل القانون الواجب التطبيق ليصبح هو نفسه القانون الذى يحكم نفسه ..

— وليس هنا مجال مناقشة رأى هيئة التحكيم ولا الحكم الذى أصدرته ضد السعودية فى هذا النزاع(١) ، ولكنا نشير فقط الى أن توهم وجود ثغرة فى الشريعة الاسلامية فى موضوع تنظيم الثروة المعدنية والنفط على وجه الخصوص ، ما كان ليثور فى ذهن هيئة التحكيم — على فرض حسن نيتها وتجردها فى البحث عن الحقيقة — لو كان للفقه الاسلامى موسوعة مرتبة ترتيبا حديثا تيسر الرجوع الى أحكام المذاهب الفقهية فى مختلف المسائل .

وليس هنا كذلك مجال عرض رأى الفقه الاسلامى فى مسائل النفط فذلك موضعه البحوث التفصيلية فى الموسوعة ، ولكنا نكتفى بالاشارة الى مرجع واحد من مراجع الفقه المعروفة المتداولة وهو فى الفقه الحنبلى والفقه المقارن ، الا وهو كتاب المغنى لابن قدامة ، فقد أورد فى الجزء الثالث صفحة ٢٨ والجزء الخامس فى الصفحات ٥٢٠ الى ٥٢٢ ما كان يغنى عن الرجوع الى ترجمة فرنسية لكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ، وهو لايجازه ولطبيعة موضوعه ليس مظنة بحث شؤون النفط والثروة المعدنية .

وسنعرض فى العدد القادم ان شاء الله لأفق آخر من آفاق الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد الدولى .

(١) بتاريخ ٢٣ — ٨ — ١٩٥٨ .

• تصحيح خطـأ •

وقع فى موضوع (الاطعمة) الذى صدر من الطبعة التمهيدية للموسوعة الفقهية : جاء فى آخر الفقرة/١١٩/ص/٧٦/« أن الاباضية نصوا على حل لبن الكلبة ان لم يمس جلدها » .

وهذا سهو : والواقع انهم نقلوا هذا الرأى عن البعض وناقشوه ، وردوه بشدة مع الاستغراب .


الصامدون في الأرض

للأستاذ : أحمد العناني

بطل حلحول

العظم واهن بلا ريب ، بدليل الظهر المقوس ، والعصا التي تقرع الدرج هابطة بصاحبها الى المنزل الذي يسعى اليه ..

والرأس مشتعل شيبا الى آخر شعرة ولكن بريق العينين وبعض قسمات الوجه تحمل احتجاجا صارخا على رداء الشيخوخة الذي كسيه الرأس ، وفرض على فقرات الظهر قبل الأوان ..

والمنزل يهبط اليه الوافد على درج مكشوف يواجه واديا في عمان تهب فيه رياح كانون منطلقة عاتية متمردة لها صفير يكاد يصم الآذان ، وأعمدة المطر تتلوى مع الريح المجنونة على غير نسق ثابت فلا يدري الرجل الواهن العظم كيف يرد عن وجهه ، فيما هو مشغول بتثبيت قدميه الواهنة على الدرج ..

والريح نفسها عطلت الهواتف ، وبعثرت الأسلاك العالية متقطعة على الأرض ، وأثارت حطام الورق المحترق بلهب الصيف دوامات تدور في اسفل افق غائم أكدر ، مقفر ماطر عاصف الأرياح ..

والليل قد جن والشوارع استراحت من خبط النعال وتخففت من حركة المركبات ، والصغار ناموا على أغاني الفداء وحكايات الأشبال ، وبقيت في المنزل عينان ساهرتان مشدودتان حينا الى حبال الخيام المشدودة في كل مكان كأنما تتوسلا اليها أن تشهد هي الأخرى ، وحينا تعاودان الى ذكريات أوائل الشتاء في البلد الحبيب المحتل ، حلحول أعلى مكان مأهول في فلسطين ، بلد الجراح والعذاب والكبرياء والجوع والخرائب ، بلد التضحية والرجال والأطلال ، دار الشهداء والسجناء والمعذبين ومأوى التحدي والحزن وكل ما يفجره العذاب في قلوب ذات صلابة وكبرياء .. أين منه مئذنة جامع يونس عليه السلام وزمر الحجاج الفلسطينيين في معادهم يزورون الأقصى ثم يقصدون حرم يونس بن متى قبل أن ينتهوا الى آخر ما تنتهي به الرحلة الى حرم ابراهيم الخليل أبي الأنبياء ..

أين أغانى الموسم باقيات من عهد صلاح الدين تنضح بعزائم الجهاد وحب الرجال ، تنساب على زهور نيسان فوق رواب أنارها الاسراء ، وحفظ خاطرها الصموت أسرار الشهداء من عهد خالد وعمرو ابن العاص . وأين الناى والحادى والقطعان ؟ .. أين الصفصاف والمروج والغدران ؟ أين سمر النوادى ، وارنان الشادى ؟ وأين مجامع الخلان وقصص الشهداء والجمع الحسان .. ؟

وقرع الجرس ، وانفتح الباب بالجهد الجهيد أمام صولة الاعصار ، وأضىء ضوء على الدرج وانكشف الراس المشتعل بالشيب نافر الموضع الآن على ظهر مقوس ..

الله أكبر .. أهذا ما أبقت الاحداث من جسد متكامل وهمة عارمة ورجل حق الرجولة مهما قل فى الشدائد الرجال ..

كان العناق صامتا ، ودمعتان ثنتان تسللتا ، وحالا مستحيتا وابتسامة تتشبث بالشفتين وقد زمتا .. وعتاب حائر على تغضنات الجبهة لا يدرى لمن يكون .

ورانت فترة صمت ، وصاحب البيت يحدق فى وجه الضيف . شد ما تغير الآن كل شىء وضمر ، الا بريق العينين ما يزال حيث كان ، وما يفتأ غضوبا ثائرا كهذه الريح الغاضبة تعصف فى كل مكان .

بل استغفر الله ان آثار الرزايا ما تزال باقية على الجسد الضامر .

على الجبين ندبة الجرح العميق من هراوات الجنود البريطانيين أيام كان شابا عام ألف وتسعمائة وتسعة وعشرين وكان وقتها يبلغ العشرين عاما حين وجده الجنود جريحا بين القدس والخليل ، عائدا الى حلحول يتخفى بجرحه الذى ناله فى القدس ، لكن احدى الدوريات أمسكت به ، وجاءت به الى القرية لتحقق معه أين كان وأين أصيب ومن كان معه وهو يصر على أنه أصيب برصاص طائش وهم حينا يلكمونه بعنف على الوجه ، وحينا على رغم جرحه يأمرونه بالتحامل على نفسه ، والسير على حصباء مخلوطة بكسور من الفخار والزجاج والشوك ، وهو يهتف « الله أكبر ، من جاء بكم من أقاصى اسكتلنده وويلز ، ومن استأجركم لسلب أرضنا واعطائها للصهاينة والمشردين » .. ولا أدرى كيف قهر الحمى الملتهبة التى الحت عليه فى مستشفى سجنوه فى احدى حجراته ، ولا كيف يعيش الناس بعد القهر والاذلال والجراح والسجن ، لكن البذور التى زرعها صلاح الدين فى التربة التى جددت اغتسالها بالدم الزكى تحت راياته كانت بذوره محصنة منتقاه ..

والساق اليمنى ملتوية من الوسط تبدو بوضوح أكثر ضمورا من شقيقتها اليسرى ، ولذلك قصته تهون حين تكتب ثانية بمداد الاقلام ، فقد كتبت لأول مرة بألم عبقرى أشد حمرة من الدم وأعظم ايلاما من الجراح ، وكان ذلك سنة ألف وتسعمائة وثمان وثلاثين .

كان يقضى الليل مع الثائرين يعلن السخط على الظلم بتصيد دوريات العدو ، وفى آخرة منه يخفى سلاحه ويؤوى الى فراشه ويصحو لعمله مع سائر الناس ، وتكررت فى الوديان القريبة من القرية ملاحم بطولة نادرة ، وكان كافلو الخطة الصهيونية يتميزون غيظا من حفنات الثوار الذين أسقطوا فى ليلة واحدة عند « بئر السبيل » طائرتين وعطلوا ثلاث مصفحات وأحرقوا اثنتين وسيارة نقل عسكرية ، وبادروا الى ارسال أشد فرقهم همجية بقيادة

بربرى متمدن يدعى « دوجلاس » آلى على نفسه أن يستحدث فنا من العذاب لم يصل الى سمع أحد مثيل له من قبل .

وفورا أنشأ دوجلاس بقطع من الليل سجنا مكشوفا أحاطه بالاسلاك الشائكة ، وبث حوله الانوار الساطعة الكشافة ، ولأيا جعل مساحته تتسع لثلاثين شخصا ثم فاجأ القرية فجمع منها مائة وثلاثين رجلا وفتى ، وكان صاحبنا بين هؤلاء ، أخذ على حين غرة بعد أن آوى الى فراشه وحشد الرجال فى المعسكر اياه الذى سماه دوجلاس « جهنم » والى جانبه كانت هناك أريكة فى ظل شجرها فيها فراش وثير ، مرفوعة على قوائم معدنية جميلة ، وفوقها حشايا موشاة بتطريز بديع ، وأمامها مائدة على نضد جميل ، حافلة بالشواء تتضوع رائحته فى المكان والى جانب المزهريات الحوافل بالورود كان الماء يتلألأ مشعشعا فى أباريق من البللور الصافى ، وقد سمى العش الهانى « بالجنة » .

أحكم « دوجلاس » اغلاق ما سماه هو « جهنم » وما تعارف عليه الناس فى حلحول باسم « التيل » ، وأعلن أن لمن شاء أن يسلم بندقيته أن ينتقل الى « الجنة » والا فهو باق نهاره تحت لظى الحر فى شمس موسم الحصاد ، ليس له من الماء الا عشرون غراما كل يوم ، فاذا جن الليل فلا نوم لأن الانوار الكشافة تدار لتسلط على أعين النزلاء أما الطعام فلا طعام أبدا ، كذلك يمنع الاتقاء من حر الشمس بأى غطاء من ملابس النزلاء .. والواقع أنه لم يبق بعد الاسبوع الاول على أى من النزلاء سوى سواتر عوراتهم ، فقد كان الجند يصادرون كل ما تتقى به الشمس ويحرقونه ..

وكان صاحبنا يحرض النزلاء على الصمود والاعتصام ، ويحذر أيا منهم من الضعف والتخاذل ، وقد ضرب غير مرة ضربا مبرحا ، لكن الضرب لم يكن شيئا اذا قيس بالعطش الرهيب ، وراح النزلاء يتساقطون موتى واحدا بعد واحد ، وقد خفتت حتى اناتهم الخافتة اذ يرفعون أعناقهم متمتمين « وتر .. ميه يا دوجلاس .. الله أكبر » .

وتخاذل رجل واحد جاء ببندقية فأدخل الى « جنة دوجلاس » على أعين الناس . لكنه لم ينعم بذلك الا يوما فقد اعتصره الندم على ما فعل من تسليم بندقيته ، وراح يهذى ليلة بطولها ولم يسلم حياته القصيرة التى عاشها من هذيانه المحموم حتى مات ..

أما صاحبنا فقد صمم على أن يجد طريقه الى الماء بكيفية أسمى وأشرف ، وتظاهر بأن لديه بندقية فأتبع بجنديين سارا وراءه وهو يحبو حبوا أن كان كل نزيل عاجزا عن الوقوف منتصبا ومضى أمامهما الى بئر وهناك قذف نفسه فيها ، وأطلقت عليه النار لما بانت حيلته للوصول الى الماء ، ثم حمل وهو ينزف وضمدت ساقه المصابة ولم يخرج الا مع الخارجين بعد سبعة عشر يوما ، مات فيها من أهل حلحول من مات ، وأصيب من أصيب بالعاهات .. وبعد عشرين سنة لم يبق منهم على قيد الحياة سوى هذا الرجل الصلب الكيان .

وقاتل وجرح فى كفار عتسيون سنة ثمان وأربعين ، وأصيب بطلقتين فى خاصرته أمام رامات راحيل بظاهر القدس ، واحتسب فى الله ولدا شهيدا فى البلدة القديمة من القدس ، وواحدا آخر كان يتسلل طوال الخمسينيات عبر فلسطين

كلهـا بجنح الليل فيعـود محملا بأسلاب الغاصبين ، وعلامات على من ظفر به من جند العـدو فقتله واحتمل سلاحه .. وفى آخر رحلة له ذهب واستأثرت به السهول بين الخليل وغزة فى احدى قوافل الليل فلا يدرى أحد أين لقى مصرعه ..
لكن كل الكوارث تهون أمام كارثة سبع وستين ..
لم ينم ليلته كلها حين سـقطت القدس .. يده على لحيتـه يمزق شـعرها أسى وتفجعا ، ودموعه تنهمر وهو يتقلب كالملسوع ، وحين يتصور دخول جند الظلم سـاحة الاقصى ينهض فيرقص من الألم رقص الطير الذبيح .. ومع ذلك استطاع عزمه الجبار أن يهضم الألم الرهيب كما تطحن المعـدة الجبارة سيىء السموم مع الطعام .. وما لبث أن ربط نفسـه الى تنظيم للمقـاومة ، واشـترك فى غير معركة واحدة وبحث عن الموت بحث المحب المستهام .. لكن الأجل لم يواته ..
عبثا كان الغاصبون يبحثون عنه بعد كل حادث جديد ، قواتهم تهبط فجـأة من طائرات « الهيلوكبتر » على قمم الجبال حينا ، وفى القيعان أحيانا .. يتلمسونه حيثما عرف أن له أو لأحد من أصـحابه أرضـا يزرعونهـا أو مكانا قد تقودهم اليه الحاجة أو الحنين .. كل ذلك وهو أقرب جدا مما يتصـورون ، فى البلدة القديمة من حلحول دور طالما نبشت مصـاطبها القديمة عن فسيفساء متآكلة الجوانب موغلة فى القـدم أو عن تمـاثيل وأدوات فخارية ، والناس هجروا هذه الدور الى البلدة الجديدة على الطريق بين القـدس والخليل .. هنـاك كان صاحبنا ونفر قليل جدا من النـاس يثق بهم ، قد نبشـوا بين جدار وجدار ، وأنشـأوا نظاما كاملا للانذار وللتخفى ، ولاطلاق النار فى ساعات الحصـار .. وظلوا كذلك حتى أدت مصـادفة غريبة الى محاصرة أحد زملائه الابطـال .. وهنـاك وقف بطل حلحول المغوار فأعيا سرية من جند العدو ، وقتـل نائب حاكمهم العسـكرى وقاوم بين الخـرائب ، حتى اذا كادت تنتهى الذخيرة ، وانهمرت كالسـيل قنابل المدافع المسـتقدمة للنجدة ودكت معقل البطـل ، وتقدم المعتـدون لينبشوا بين الاطلال عن الرجل فاذا هو يخرج عليهم جريحـا فيفرغ آخر رصاصاته الباقية فى أجساد بضعة رجال منهم ، وحين تم كل شىء صرخ « الله أكبـر » لو قد بقى ما يكفى للقضاء على بقيتهم واسـتلمه الغادرون أسيرا ، وما يزال يعانى التعذيب حيث فقئت احدى عينيـه وكسر له ساق ويد من خلاف ، وفى كل يوم يقال مات ، ولكنه فى الواقع لم يمت .. أما البـلدة القديمة من حلحول وما يحيط بها من دور فقـد تلقت عنفوان غضب العـدو الذى نسفها كما يعرف الناس جميعا ..
جلست أنتظر الرجل حتى ينطق ، ولكنه صـامت صموت التمـاثيل أمـا أنا فكيف اجترىء على صمته ووراء كـل عقـد من حيـاته سفر ضخم من جلائل الاعمال والبطـولات .. ليت شعرى هل هى سـكتة اليأس ، أم صموت الذى جاهد وأبلى وأعذر .. وأى شىء أقول للرجل ؟ وأى شىء يريده منى فلا أعطيـه راضيا مقبلا شاكرا له اسـتمرار الثقة ؟
وأخيرا تـكلم .. قال لى انك تكتب ، وأنا أعلم أنك لم تنقطع عن الكتابة ، وغير مسـتطيع أن تفعل حتى لو شئت فاكتب ما أقوله لك .. انشره على الناس . قل هذا صوت البلد الذى ما فتىء أربعين سـنة

يقاسي عذاب الاحتلال صنوفا ، وعذاب الاسر والتجويع اشكالا وفنونا ، البلد الذى نسف نسفا ، وما يزال شامخ الجبين يحمل جراحه فى عزة واستماته .. قل لهم ان للقوم مساعى واهدافا ، يريدون الارض، ويريدون الاستغلال، ويريدون الغطرسة والاستعمار ، وتتلذذ طبائعهم المجرمة ببث الرعب والفساد ، ولكن شيئا آخر يعتمل فى نفوسهم ، ويتخفى تحت كل افعالهم ، ويبررون به كل جرائمهم .. انهم يريدون استئصال الاسلام وهذه غاية غاياتهم .. شيء ما فى هذا الدين يغيظهم ويفرى اكبادهم ، سر ما فى هذا الدين يعذب وجدانهم ويثقل كاهلهم ..

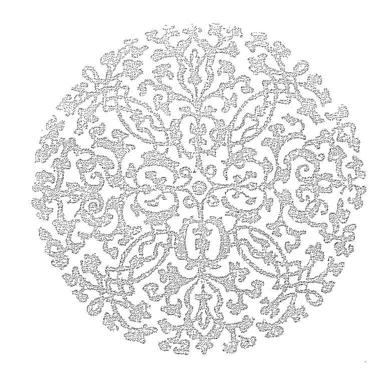
لقد سجنت مرات وجرحت مرات أكثر ، وطوردت وحوصرت وأوذيت، ووالله لا يعرف الشوق الا من يكابده ، ولا يفهم عن مقاصد الظلم الا من يبتلى بها .. ووالله ما لهم من غاية تحدوهم أعظم عندهم من استئصال الاسلام ، وتعطيل النداء بـ « الله اكبر » من كل رسالته ، والحيلولة دون التجمع عليه والتداعى على نوره .. تعرف ذلك من شتائمهم وفلتات السنتهم .

قل للمسلمين فى أنحاء الارض انهم يريدون دينهم قبل كل شيء ، يريدون تحطيم يقين المسلمين بالسلب والحرب حينا ، وبتلويث الاخلاق ، وتحريف القيم والمفاهيم وتسخير المضللين والمرجفين .. قل لهم فليحترموا أنفسهم ، وليقبلوا على قرآنهم ، وليعلموا أنه ما من شيء سواه ينقذهم من شر يراد بهم .

قل لهم ان حقيقة ما يريدون هو أن يلملموا بقايا العرب فى خارج الجزيرة ثم يعيدوهم وثنيين مرتدين يعيشون على أبسط أتاوه ، ويؤدون لاسرائيل وجائب حماية ظهرها وتأمين سلامتها ، وتسهيل تجاراتهم وتجارتها ، قل لهم ان ما يقال عن الحلول السلمية هو أحدث مخدر يحول بين الضحية والحركة حتى يأتى دور جديد فى تقطيع اوصالها .

أخبرهم عن قصة رجل واحد من قرية فى فلسطين وما لاقى عسى أن يعلموا أن أبعاد ما عليهم ما تزال أكبر مما يظنون .. قل لهم ان غرزة فى حينها تقى شر عشر متأخرات .. قل لهم ان حقدهم المجنون لا يملك أن يهدأ ما لم تحطموه حتى ينتهى عند يثرب ومكة .. قلت سأفعل ودعنى أنظر فيما تأمرنى به غير ذلك .

ابتسم وقال لا شيء لا شيء .. أنا عائد ووالله لن تفتر لى عن طلب الشهادة همة .. ادع لى بها .. ثم انصرف ولم يعد بعدها .





رؤساء وفود الاردن والاتحاد السوفيتي والصين

٤ــ الدكتور محمد البهى
اسرائيل والدين
الشباب المسلم اليوم
٥ ــ الشيخ احمد حسن الباقورى
الأزهر فى خدمة الاسلام
٦ ــ الدكتور عبد الحليم محمود
الاسلام والعلم
٧ ــ الوزير ابراهيم الطحاوى
الكلمة والحركة ودورهما الأساسى فى نهضة المسلمين .
٨ ــ الفريق عبد الرحمن أمين
التولى يوم الزحف
٩ ــ الدكتور محمد عبد الله ماضى
الجهاد بالمال فى نظر الاسلام
١٠ ــ الدكتور اسحاق موسى الحسينى .
الجانب الاسلامى من القضية الفلسطينية .
١١ ــ الاستاذ عبد المنعم خلاف
الفارة الصهيونية غارة دينية على الاسلام والانسانية .
١٢ ــ الاستاذ عبد الله كنون
العمل الفدائى فى الاسلام
الاسلام والشباب

١٣ الشيخ عبد الله عبد الخالق المشد
وظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر
١٤ ــ الشيخ الفاضل بن عاشور
امتزاج الازهر بالزيتونة
١٥ ــ الاستاذ عبد الحميد حسن
الحياة المثالية للفرد والمجتمع كما أوضح الاسلام معالمها .
١٦ ــ الدكتور ابراهيم اللبان
ايمان الشباب صيانته ووسائل دعمه
١٧ ــ الدكتور محمد مهدى علام
التربية الخلقية للشباب
١٨ ــ محمد خلف الله أحمد
الاسلام وحماية الشباب من الانحراف الفكرى والسلوكى .
١٩ ــ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
اثبات العقائد الاسلامية بين النصيين والعقليين .
٢٠ ــ الدكتور مصطفى كمال وصفى
كفاية الشريعة الاسلامية فى تثبيت التعامل واستقراره
٢١ ــ الدكتور محمد أحمد الغمراوى
فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم



زكاة العمارات والآلات

السؤال :

هل تخضع مطحنة الحبوب ومصانع الطوب لفريضة الزكاة ؟ واذا كانت تخضع فهل يقتصر التكليف الشرعي على الآلات والبناء أو يضاف اليه الايراد طوال العام ؟ وما حكم العمارات السكنية وغيرها من أوجه الاستثمار بالنسبة الى الزكاة ؟

صالح حسن درويش (ج٠ ع٠ م)

الاجابة :

وقد عرض هذا السؤال على الاستاذ مصطفى احمد الزرقا فتفضل بالاجابة التالية :

نص الفقهاء على أن المال الذى يخضع لفريضة الزكاة هو المال النامى فعلا او تقديرا من حيوان ونبات وغيرها بشرائط ٠

فاما الحيوان والنبات فلكل منهما شرعا نظام تفصيلى خاص ليس مسؤولا عنه الآن ٠

واما سواهما فيشمل السلع التجارية والذهب والفضة ولو غير مسكوكين ، ثم سائر النقود المتداولة من غيرهما (يدخل فيها اليوم المسكوكات المعدنيـة والاوراق النقدية) ٠

والمراد بالسلع التجارية ما هى تحت المتاجرة بالفعل لا مجرد كونها قابلة للاتجار بها ٠

واما الذهب والفضة وسائر النقود فتشمل المخزون المكنوز ، والمستثمر فعلا ، لأنها تعتبر نامية تقديرا ، والشرع يحظر النقود وتعطيلها عن الاستثمار الذى خلقت له ، بخلاف السلع فانها محل للانتفاع بعينها استهلاكا او استعمالا ، فميز شرعا فيها بين النامى فعلا وبين ما هو مخصص لوفاء الحاجات الشخصية كمفروشات البيت ، وكتب القنية ولو صاحبها غير عالم ٠

ويستثنى من ذلك بعض مستثنيـــات فى حالات ، منهـــا آلات الحرف والصناعات التى يستخدمها صاحبها العامل فعلا فى العمل الانتاجي بخلاف هذه الآلات اذا كان صاحبها يتاجر بها تجارة ، فانها خاضعة للزكاة .

اما العقار فاذا كان صاحبه يتاجر بعينه تجارة بيعا وشراء فهو عندئذ يتبع حكم السلع التجارية ويخضع للزكاة بشرائطها ، واذا كان لسكنى صاحبه أو لعمله فلا زكاة فيه ، واذا كان للاستغلال بالايجار فلا زكاة فى عينه لأنهم اعتبروا عينه حينئذ غير نامية ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشرائطها من النصاب الزائد والحول .

هذه خلاصة موجزة مكثفة (دون تفصيل الشرائط غير المسئول عنها) لمـــا يقرره الفقهاء .

ومنها يعلم ان المعـــامل ســـواء أكانت للطوب ام للطحن ام ســـوى ذلك لا تخضع آلاتها ولا بناؤها لفريضة الزكاة بحسب ظاهر نصوص الفقهاء ، ولكن تخضع المواد الاولية التى تعمل فيها وثمراتها المـــالية التى تنتج من استثمارها بشريطة النصاب الزائد والحول لأنها عندئذ مال تجارى نام .

وشريطة الحول ليس معناها أن تبقى المنتوجات مجمدة حتى تمضى عليها سنة لكى تخضع للزكاة ، بل ان الحول يسرى عليها لو بقيت ، ويستمر اعتباره ساريا دون انقطاع على عوضها ونمائها لو بيعت فى اثنـــائه ، لأن عوضها خلف عنها .

على ان من فقهاء العصر من يرى ضرورة اخضاع معامل الصناعة الآلية اليوم بآلاتها ومبانيها للزكاة ، لأنهـــا قد تمثل اليوم رؤوس اموال (ضـــخمة استثمارية نامية) بخلاف آلات الصناعة اليدوية قديما . لكننى ارى ان هذا لا يجوز لفرد أن يفتى به من تلقاء نفسه ، بل يتوقف على اجتهاد جماعى من وظيفة مجمع فقهى نرجو أن يوجد فى العالم الاسلامى .

على أنه اذا نظرنا الى اعمق من الظاهر قد ندرك ان المصانع الآلية المتطورة بصورتها الحاضرة الضخمة اليوم ، آلات وبناء ، قد يكون فى عدم اخضاعها للزكاة مصلحة لا تقل عن المصلحة الملحوظة فى اخضـــاعها ان لم تزد ، فان ما تفتحه من ابواب العمل المنتج للعمال والفقراء ، فتحرك فيهم طاقات كبرى كانت عرضة للتعطيل والشلل ، وتدر أرزاقا لأولادهم وأسرهم ، وتدير دولاب الاقتصاد العام فى جميع أنواعه ، أن هـــذا الأثر كله تستحق به المعامل هـــذا التشجيع على انشائها بعـــدم اخضاعها لتكليف الزكاة لو أن اصحابها قنوا من ورائها أرباحا وثروات ضخمة ، ولا سيما اذا عرفنا ان تلك الثروات والارباح خاضعة للزكاة (الى جانب ما تفرضه النظم المالية اليوم من ضرائب لا يفلت منها بناء ولا آلة ولا دخل) ولو ادى اصحابها زكاة مواردها لكان فيها خير عميم .

فلا أرى من الجائز بتفقه فردى ومرتجل ان يفتى باخضاع مبانى المعامل واثاثها وآلاتها لتكليف الزكاة ، ولنسر على خطى فقهائنا الاولين فى الصـــورة الابتدائية الاولى ، ففيها حكمـــة وروية ومصلحة تنطبق على الصورة المتطورة الحديثة لهذه المعامل . والله سبحانه أعلم .

حد السرقة

السؤال :

ما هى السرقة كيف تثبت صحتها ، كيف تقطع الاصابع ومن أى محل .. وهل صحيح أن السرقات قليلة جدا فى مجتمع يسوده تطبيق القانون الاسلامى الشامل الكامل .. وهل تقطع يد السارق اذا كانت سرقته عن حاجة ماسة كالفقر .. وما هى واجبات الدولة الاسلامية للقضاء على السرقة .. ولانعاش اقتصاد المجتمع وبناء اقتصاد سليم ..؟

عبد المحسن على الجبورى — بغداد

الاجابة :

تفضل بالرد على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى .

اما معنى السرقة التى توجب قطع اليد فهو ان ياخذ انسان شيئا مملوكا لغيره على وجه الاختفاء مع استيفاء الشروط واهمها :

اولا : أن يكون السارق بالغا عاقلا وليس من اصول المسروق منه ولا فروعه .

ثانيا : ان يقل المسروق عن نصاب وهو ربع مثقال من الذهب الخالص او ما يساوى ذلك من غير الذهب كالنحاس والفضة والكتب والامتعة والثياب والاوراق النقدية وغيرها (وربع المثقال هو جرام واحد وكسر مقداره ٢٥/٤ من الجرام) .

ثالثا : أن يكون المسروق محرزا بحرز مثله اى محفوظات بحيث لا يعد صاحبه مقصرا ومفرطا .

رابعا : الا يكون السارق ماذونا له من صاحب المال فى الدخول الى المكان الذى سرق منه .

خامسا : ان تثبت عليه السرقة اما بالاقرار واما بشهادة رجلين عدلين يشهدان انهما راياه وهو يسرق ، وليس من الشروط غنى السارق ، فالفقير الذى يسرق يثبت عليه حكم القطع كالغنى ، لأنه لا يعد وسيلة للعيش ولو بسؤال الناس .

واما صفة القطع فهى ان تقطع اليد اليمنى من المفصل الذى يفصلها عن الذراع وهو الرسغ ، فان سرق بعد ذلك قطعت رجله اليسرى من المفصل الذى يفصلها عن الساق وهو الكعبان ، فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى ، فان سرق رابعا قطعت رجله اليسرى ، فان سرق بعد ذلك عاقبه القاضى بما يراه رادعا له من العقوبات .

ثم ان السرقات الموجبة للقطع تقل جدا فى مجتمع يسوده تطبيق القانون الاسلامى الشامل الكامل لما فى القطع وغيره من الزواجر الشرعية من استتباب الامن .

وعلى الدول الاسلامية ان تعمل على رفع مستوى المعيشة ، ووقاية شعوبها من الفقر وفساد الاخلاق والجهل بالدين ، مع المحافظة على العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

بأقلام القراء

جهـــاد النفس

كتب الاستاذ علي علي عياد تحت هذا العنوان يقول :

لقد قدم لنا الرسل والانبياء والمصلحون امثلة كثيرة لهذا اللون من الجهاد الشاق العنيف .

وتبرز حياة الرسول العربي محمد — صلى الله عليه وسلم — من بين هؤلاء وأولئك كنموذج صالح ومفيد للقدوة الحسنة ، ولاعطاء المثل على جهـــاد النفس .

فها هو — صلى الله عليه وسلم — يروض نفسه على الطاعة ، فيقـــوم الليل ، ويطيل التهجد ، ويكثر من العبادة والبكاء ، مع أن الله — عز وجل — قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. ويجيب الرسول ذات مرة على تعجب أصحابه الذين سألوه عن سر انهـــاكه لنفسه ومقامه عند الله عظيم .. بقوله « **افلا أكون عبدا شكورا** » .

والرسول أيضا هو الذي كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ، ولقد يمر الشهر ، ويأتي بعده الشهر الآخر .. وما توقد نار في بيته — صلى الله عليه وسلم — لخبز أو طبخ .. كما تحدثنا بذلك احدى أمهات المؤمنين .. وانما هما الاسودان : التمر والماء ، عليهما يعيش ، وبهما يقتات ، بل انه — صلى الله عليه وسلم — كان يفضل اللبن ، لأنه يجمع بين الشبع والري .

ولقد روى أنه — عليه الصلاة والسلام — لم يجمع في أكلة واحدة بين صنفين من الطعام ، وفارق الدنيا دون أن يشبع من خبز الشعير ، وكان النبي الكريم يجعل ستارا كثيفا من التقوى بين نفسه وبين الترف .. فكان ينام على حصير خشنة تترك آثارها على جســـده الطاهر ، وما كان ليستعين بأحد في شئونه الخاصة ، وانما يحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويطعم ابله ، وينصب خيمته ويحمل حاجته من السوق ، ولم يكن ذلك عن عجز أو فاقة .. وانما كان جهادا شاقا للنفس ، ورياضة لها وتغلبا على شهواتها ، واقترابا من الله جل وعلا .

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « **قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أني عرض على أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا .. يارب ، اجوع يوما ، واشبع يوما ، فاما اليوم الذي اجوع فيه .. فاضرع اليك وادعوك ، وأما اليوم الذي اشبع فيه .. فاحمدك واثني عليك ، مالي والدنيا ، انما انا في الدنيا كرجل سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفيء ، فتركها ولم يرجع اليها** » .

الهـــــدايا

وكتب الاستاذ عبد الرحمن احمد شادي تحت هذا العنوان يقول :

الهدية شيء محبوب يقرب بين الاهل والاصحاب ، والغريب انها أصبحت تباعد بين الناس ، وتقطع الارحام ، وتدعو الى الجفاء والوحشة ، وذلك لمـــا يتكلفه الزائر المقيم أو المسافر من الهدايا الثقال ، فهي في عرف اليوم واجب

لا يستطيع أن يفلت منه ، بل أصبح من العيب أن ترد الهديةِ بمثلها ، فلا بد أن تأتى رابية نامية زاكية مضاعفة ، والا تعرض للذم وسلقوه بألسنة حداد كأنها قرض غير حسن ، وأشكالها وانواعها كثيرة لا يغنى فيها شيء عن آخر .

على الزائر أن تسبقه الحقائب ممتلئة بما فيها : من الحرير والصوف والقطن المفصل والغفل من التفصيل والنظارات والساعات ، وأربطة العنق وأقلام الحبر ولعب الاطفال والازهار الصناعية الخ .. عليه أن يرضي خاطر الصغير والكبير ، وأن يختار لكل فرد ما يناسبه ، وعليه أن يعرف بظهر الغيب ، وهو يشترى الهدايا الاهواء والمشارب والنزعات والميول ، فيأتى لكل فرد بما يسره ..

ومهما بذل من الجهد الطيب والهمة المشكورة فانه لن ينال رضا الناس .

ربما ساءهم اللون أو كدر صفوهم الطراز المتيق ، أو أحزنهم ايثار بعض الافراد بنصيب أكبر أو قماش أغلا .

وكل هؤلاء الذين يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع لا ينظرون الى ظروف الزائر المسافر .. فقد غرم مالا يسيرا أو كثيرا فى القطارات والسيارات والبواخر والطائرات ، ووقع فى يد من لا يرحم من الحمالين وأصحاب الفنادق .. وربما اضطرته أثقال الهدايا التى يحملها الى الكذب والولوج فى مواطن الريب ، واعطاء الرشوة والغش والنفاق والذل والحاجة الى اللئيم الذى يظن به ظن السوء ، وكل هذا مما يكرهه المسافر ، ولا يحب أن يورط نفسه فيه ..

الا يمكن للأهل والاصدقاء أن يضعوا أنفسهم موضع الزائر حامل الاثقال من الهدايا ، فان جاء بهدية بعد أن طابت نفسه ببذلها دون مشقة ولا مئونة عليه قبلوها ، والا التمسوا له الاعذار السالفة ، وفكروا بعقله هو لا بأطماعهم ، ولجأوا الى القناعة ، ويكفيه أنه سعى اليهم ، وكانوا من القاعدين وأنه رعى عهد الصحبة .

وكم صبر — صلى الله عليه وسلم — على أذى قومه ، أغروا به صبيانهم وسفهاءهم فتابعوه بالسباب ، وقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه .. ولم يتركوه حتى وهو بين يدى مولاه — عز وجل — فوضعوا القاذورات على رأسه الكريم .

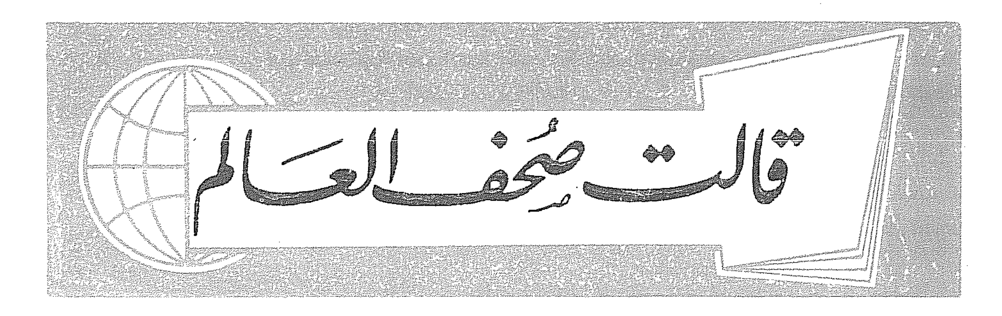
وتجمعت الاحزاب ضده من : قريش ، وغطفان ، وبنى أسد ، وبنى سليم ، واليهود ، لقد ارتكبوا معه كل ما هو سيىء وقبيح .

وكان من الممكن أن ييأس ، وكان من الممكن أيضا أن تتوق نفسه للراحة والاطمئنان ، وأن يعيش كبنى قومه في رفاهية وهناءة .. ولكنها نفس ، محمد ، الطاهرة ، الزكية ، التى استطاعت أن تصمد للتحديات الكبيرة القاسية ، وأن تتحمل الصعاب ، وتثبت أنها فى مستوى المسئوليات الخطيرة الملقاة عليها من قبل السماء .

وما أحوجنا اليوم — وأمتنا العربية والاسلامية — تعيش معارك التحدى والمصير ، مع الاستعمار متمثلا فى وليدته المدللة اسرائيل ، الى تمثل حياة الرسول عليه الصلاة والسلام والسير على نهجه الرشيد .

وما أشد حاجتنا الى جهاد النفس ، نكبح جماحها حين تريد السقوط فى مهاوى الرذيلة ، ونتحكم فى شهواتها حين تبغى شيئا لن يضرها الاستغناء عنه ، ونروضها حين تركن الى الدعة والسكون .

ان جهاد النفس هو طريقنا الواضح نحو تحقيق الاهداف الكبرى على المستوى القومى والعالمى ، واذا كانوا فى الطب المادى يقولون : (الوقاية خير من العلاج) فاننا فى الطب الروحى ينبغى أن نقول : ان جهاد النفس هو البداية الطبيعية لجهاد المدفع والطائرة ، وهو العامل الحاسم فى الانتصار على كل الاعداء .



اوليـــــات النصر

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (هدى الاسلام) الاردنية تقول :

لم يكن فى حسبان العدو عندما شبن حرب الايام الستة ، أن تكون مقاومتنا على هذا المستوى ، أو أن تستمر المقاومة الى هذه الايام ، بل ظن الامر سينتهى بانتهاء الحرب ان كتبت له الغلبة فيها ، ولكن الايام خيبت ظنه وقلبت أمله ، وحطمت رجاءه عندما رأى الامة المقهورة تورق فيها شجرة المقاومة ، وتنبعث فيها روح الصمود ، وتتحرك فى أوصالها روح القتال ، وتشتعل فى قلوب أبنائها حرارة الكفاح .

ومع الايام جن جنونه ، وفقد أعصابه ، وخرج عن صوابه ، فأخذ يضرب دون وعى يمينا ويسارا دون تفريق بين المقاتلين وبين الشيوخ والاطفال والنساء وازداد ضربه من الارض والجو على مدن الشمال وقرى الشمال فى شرق النهر ، نهر الاردن .

ومن الامر البديهى أن الغارات الجوية العنيفة ، وضرب المدفعية من هضبة الجولان يستهدف بها العدو القوى المعنوية ، والقضاء على روح الثبات والصمود والمقاومة التى يتحلى بها شعبنا فى الشمال وفى كل مكان ، ولكن هل ينجح الاسرائيليون فى الوصول الى هذه الغاية ؟ وهل هذا النمط من العدوان الآثم المستمر يلجئنا الى نبذ روح المقاومة ، والى فقدان ايماننا بحقنا أم أنه يسير بنا فى درب آخر لم يكن فى حسبان العدو أن نسير فيه .

ان المتتبع لمسيرة أمتنا التاريخية والواقعية يجزم بأن اسرائيل لن تصل الى مبتغاها ، ولن تحقق أهدافها ، ولن يكتب لها البقاء فى أرضنا مهما امتد بهـا الزمن ، ومهما تعددت ألوان عدوانها ، ومهما اتسم هذا العدوان بالقسوة والعنف والوحشية والهمجية ، ومهما كانت ضخامة الاموال الاجنبية ، وغزارة المعدات الحربية والعلمية التى تتدفق عليها ، ومهما كانت وسائل الدعم الخارجى لهذا الكيان الغريب عن أرضنا .

وأرى أن استمرار العدوان يحقق لنا خيرا على المدى البعيد ، فذلك يقوى فينا روح المقاومة ، ويزيد من اصرارنا على الجهاد ، ويجعلنـا اكثر شـعورا

بالمسؤولية ، وينشر بيننا مزيدا من الوعي على حقيقة هذا العدو ، ويجعلنا أكثر ادراكا لخطر الوجود الاسرائيلي في منطقتنا ، فلما ازدادت اسرائيل في عدوانها ازدادت أمتنا في تمسكها بحقها ، وازداد صبرها وصلابتها .

ومن المعلوم أن المزيد من الصمود أداة جبارة ، ووسيلة فعالة ، مضمونة النتائج لصالحنا على النطاق الداخلي ، والنطاق الخارجي على حد سواء اذا ما أحسن استخدامه بصورة معقولة بعيدة عن الارتجال ، ومن أولويات استمرار هذا الصمود الذي نباهي به توحيد الجهود ، وتجميع القوى ، وتشابك الايدي ، ونظافة القلوب ، فذلك عمل جوهري في استمرارية الصمود ، وعامل أساسي في كسب المعركة في الحرب الطويلة ، ولا عجب في ذلك كله فشعار العدو قنبلة وقذيفة وطائرة تنطلق من فراغ الباطل ، وشعارنا صبر وتضحية وفداء ، ينطلق من حرارة الحق وشتان بين الشعارين وبين المنطلقين .

الاثرياء عنـــدنا وعندهم

في لقاء بين مجلة الهدف الكويتية والدكتور يوسف الصايغ جرى حديث طويل تناول القضية الفلسطينية نقتطف منه الفقرات التالية :

الاثرياء يقدمون فضـــلات موائدهم تبرعا ، واذا قارنا التبرعات العربية بالتبرعات اليهودية الفردية ، لأدركنا تفاهة ما يقدمه الاثرياء العرب ، وما ينطبق على الفلسطينيين ، ينطبق كذلك ، والى حد أبعد على اخوانهم العرب .

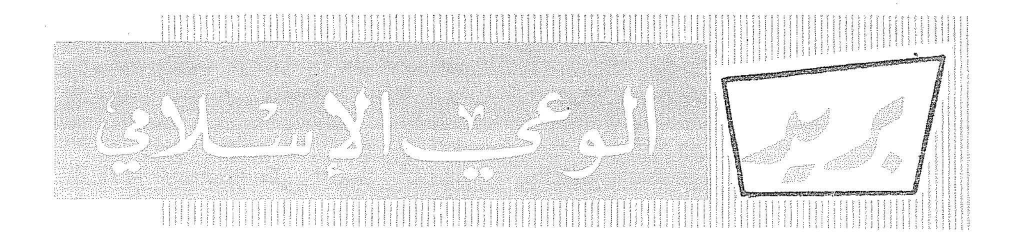
والمختصون ، مهما كان اختصاصهم — مهندسين أو اطباء أو فنيين — لم يدركوا بعد مسؤوليتهم في تخصيص قسم من وقتهم بشكل منتظم لأغراض الثورة الفلسطينية ، وينبغي ألا ننسى أن كل رجل اسرائيلي عليه أن يخصص ثمـــانية أسابيع في العام الواحد ، لاعادة التدريب ، وعدم الانقطاع عن أساليب القتال ، والاطلاع على أحدث فنونه ، ولو طبقنا هذا النظام عندنا ، لقامت الشكوى من كل صوب ..

بعبارة مختصرة — يقول الدكتور صايغ — وبالرغم من اتساع المشـــاركة كما قلت ، فان الفرد العربي لا يزال يتصور أن سواه ملزم بالنضال ، وما أقل الذين يعترفون للثورة بحق التجديد مهما كانت حقول الاختصاص التي يطلب من المجندين العمل فيها .

ان الثورة في اعتقادي قد بلغت مرحلة متقدمة ، صار يجوز لها فيها أن تعبيء الطاقات ، لا أن ترجو بحياء وخفر .

● والناحية الاعلامية ؟

— الاعلام احدى جبهات المواجهة ، على أنني أود أن أضع الاعلام في موضعه السليم بالنسبة للمجابهة الشاملة مع اسرائيل ، فالاعلام يسعى الى خلق الصورة الملائمة ، أو تصحيح الصورة الخاطئة ، لا يستطيع الاعلام أن يخلق صورة ليس وراءها حقيقة ، واذن فان ما نراه من اعلام ناجح الى حد ما للعمل الفدائي ، مرده الى وجود العمل الفدائي بالذات .



□ زواجك أفضل □

السيدة س. ع. من الجمهورية العربية المتحدة تقول في رسالتها :

انها فقدت زوجها منذ ثماني سنوات ولها منه اولاد تعيش معهم بروح الكفاح وتقول : انها لا تنوي الزواج ابداً ومع ذلك فهي تحب من يشجعها على هذا الكفاح ، ولها ابن خالها يزورهم كثيراً ويعاون اولادها ، ولكنه يجلس معها احيانا على انفراد وتأخذهما بعض عاطفة ، وتسال ماذا اصنع علما باني متدينة تفيض عيني بالدمع مع ذكر الله حتى في الصلاة ، وهل يعتبر لقائي هذا مع ابن خالي خطا ؟ واذا كان خطا هل له كفارة من مال او صلاة او صوم ؟

◆◆◆ ◆◆◆

وقد اجاب على هذا السؤال الأستاذ الدكتور احمد عبد المنعم البهي رئيس قسم الشريعة بجامعة الأزهر واستاذ الشريعة بجامعة الكويت قال سيادته :

ما دام ابن خالك يبدي نحوك العواطف التي ذكرتها في خطابك ، فيحسن في هذه الحالة زواجك منه اذا كانت لديه نية صادقة في التزوج بك ، وسيتضح لك مدى نواياه إن كانت عواطفه صادقة نحوك ، أو أنها لمجرد التسلي ، فإن لم تكن لديه نية الزواج بك فخير لك وله أن تقطعي هذه الملاقة لأنها ستجر قطعا الى ما يرفضه الشرع ولا ترضاه امرأة متدينة مثلك يفيض قلبها بحب الله وذكره كما ذكرت في خطابك .

واعلمي أنه لا يجوز لك شرعا لقاء ابن خالك على انفراد لأنه ليس محرما لك (**أي ليس ممن لا يحل له زواجك**) ولقاؤكما منفردين حرام شرعاً فضلا عن أنه يجر الى الإثم .

ونصيحتي لك أن تتزوجي بابن خالك اذا قبل أو غيره ممن يتقدم لك من الأكفاء ، وممن تلمسين فيه حرصه عليك وعلى أولادك ، فالزواج سنة سنها الإسلام وليس هناك مأخذ عليه .

ولا تظني أن الزواج يمنعك من الرعاية الواجبة لأولادك فربما يكون عاملا

مساعداً فی الحفاظ علی الأولاد وتربيتهم وخاصة إذا وفقت الی من يهتم بأولادك ويعنی بأمرهم ، وخير لك أن تمشی فی ركب الحياة مع زوج من أن تمشی وحدك فی خضمها .

أما ما سألت عنه من بعض ما يحدث من ابن خالك ورويته فی خطابك فكفارته عدم العود والتوبة النصوح الی الله والإستغفار مما كان .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

□ عمر الشيطان □

ومن ندور محمد سعد بيت الطلبة بالعباسية القاهرة — بعث يسأل عن الحكمة فی إماتة الرسل وإبقاء ابليس .

فی البداية — يا سيد ندور — نذكرك بأن أفعال الله سبحانه لا يمكن أن تعلل من قبل العقل البشری لأن هذا العقل قاصر تماما عن أن يدرك الحكمة مما يفعل الله إلا إذا كشف الله سبحانه هذه الحكمة لخلقه ، وكثيراً ما تری العقول فعلا معيناً كأنه الشر المحض ، ثم يمضی الزمن فتنكشف وجوه للخير ما كان لها أن توجد لولا وقوع ذلك الفعل الذی حسبه الناس شراً محضاً فإذا هو للخير اقرب .

ولكن طموح العقل البشری إلی معرفة الأسرار واستكناه بواطن الأمور لا يكف عن التماس الحكم من وراء الأفعال واذا لم يكن بد من إرضاء هذا الطموح ، فان الاجتهاد العقلی هو الذی يتصور أن الله سبحانه أعطی إبليس هذا العمر المحدود ليظل اختباراً للناس « **ليميز الله الخبيث من الطيب** » وليكون هناك جهاد للنفس الانسانية فی ضبطها علی العبادة والخير ليعظم ثوابها فی الطاعة والجهاد معا ، ولو لم يكن هناك ذلك (**الشيطان**) وجهوده فی اغواء الناس لما كان للجهاد معنی ، ولكانت الطاعة من طبيعة الانسان بوصفه إنساناً ، ومعنی الانسانية الكامل هو الجهاد الدائم فی سبيل الخير وضبط الغرائز والملكات علی مقتضاه .

علی أن الله سبحانه وتعالی لم يستجب لرجاء إبليس فی العمر المحدود تكريماً له إنما قبل طلبه علی سبيل الإهانة والطرد من رحمته .

يقول القرطبی فی تفسيره : إن الله كلم إبليس (كلمه تغليظا فی الوعيد لا علی وجه التكرمة والتقريب) .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

□ غلاء المهور .. مرة ثانية □

فی هذا الباب من عدد ذی الحجة ١٣٨٩ هـ نشرنا رسالة لقارئة من الظفير بالملكة العربية السعودية تشكو فيها من غلاء المهور كظاهرة اجتماعية يحاربها الخلق السليم والمصلحة ، لما لها من أضرار تلحق بالشباب عامة .
وقد قمنا وفاء بأمانة التوجيه الاسلامی منبهين الی خطر هذه الظاهرة وموقف الاسلام الحنيف الذی يحث علی تزويج البنت اذا خطبها من يرضی

الناس خلقه ودينه دون توقف على مهر كبير ، وإلا كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**)) .

لكن مسألة الخطاب والرد عليه بهذه الصورة اتخذت ابعاداً أخرى ، ووصل إلينا اكثر من خطاب بعضها ينفى وجود ظاهرة غلاء المهور فى الظفير بينما يؤكد البعض وجودها ومعاناة الكثير منها .

على أن اغرب خطاب تلقيناه فى هذا الصدد من مرسل — لا داعى لذكر اسمه — يقول فيه : إننى تتبعت رمز مرسل السؤال المنتحل فعرفت الإسم الحقيقى لهذا الرمز ..

إنه لا يعنينا أن يكون غلاء المهور موجوداً ، أو غير موجود فى الظفير ، أو فى غيرها لأنا لا نتهم بلداً ما بقدر ما تعنينا محاولتنا إصلاح العيوب وسد الثغرات لتكون حياتنا على ضوء التوجيه الاسلامى الكريم ، ولذلك جاء ردنا بعلاج الظاهرة حيثما وجدت .

◊ ◊ ◊ ◊ ◊ ◊

□ راى طبيب □

قرأت فى مجلتكم الفراء فى العدد رقم (٦١ لسنة ١٣٩٠ ص ١٢٢) فى الفتوى عن قراءة الكتب الجنسية ورأيى كطبيب اقدمه خالصاً لوجه الله حتى لا أكون قد سكت عما أعلم هو :

إن قراءة الكتب الجنسية قبل الزواج تكون للعلم كما فى كلية الطب وهذه ضرورة ، أما فى غير هذا فهى ولا شك مفسدة .

أما بعد الزواج فأرى من واجب كل متزوج أن يطلع على ما يسعده فى الزواج ...

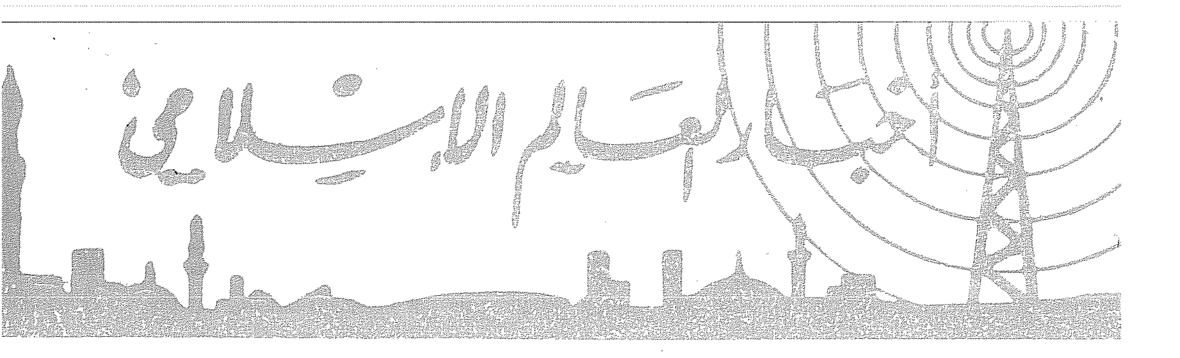
(الدكتور خير الدين عيسى الصليبخات — الكويت)

فرق بين الكتب الطبية والكتب الجنسية التى نعنيها ، وما يدرس فى كليات الطب هو الكتب العلمية الطبية ، وتعلم وقراءة هذه الكتب فرض كفاية على المسلمين .

أما الكتب الجنسية التى تعتمد على الاثارة وإيقاظ الغرائز السفلى عن طريق الكلمة أو الصورة أو الرسم ، وغمر المكتبات بهذا اللون الرخيص مع زهادة ثمنه ، وجعله فى متناول يد المراهقين — فهذا هو الذى نخشاه ونحاذره ، وندعو الى وقاية ناشئتنا من خطره . وشكراً للسيد الدكتور ..

● تصويب ●

فى العدد ٥٩ من المجلة وقع خطأ لفظى فى موضعين من مقال (اوقات رمى الجمار) ص ٢٢ ، فقد جاء فى السطر السابع عشر عبارة (وعند ابى حنيفة ان اليوم الرابع من ايام التشريق) وجاء فى السطر الحادى والعشرين عبارة (اما اليوم الثانى من ايام التشريق) والصواب العيد بدلا من كلمة التشريق فى الموضعين .



إعداد : ع. ب.

الكويت : صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت ترحب باعلان قطر استقلالها ، وتؤيد كل اجراء يعود على شعب الامارات الشقيقة بالخير والرقى .

☐ يقوم معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجولة فى بعض البلاد الاوروبية تلبية لدعوة بعض المراكز والهيئات الاسلامية هناك .

☐ استقبل معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية كلا من فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى والشيخ محمد أبو زهرة .

☐ قررت وزارة التربية تعديل مناهج التربية الدينية ، وتطوير النشاط الدينى فى المدارس .

☐ استشهد اثنان من المجاهدين الكويتيين فى معارك القناة التى جرت مؤخرا .

☐ أكد مؤتمر منع الجريمة الذى انعقد فى الكويت أوائل الشهر الماضى أن ما يقوم به رجال الكفاح المسلح فى الارض المحتلة دفاع شرعى ضد جرائم اسرائيل ، وطالب الامم المتحدة باتخاذ ما يلزم من التدابير العملية لمنع هذه الجرائم .

☐ تلقت الجهات المختصة تقارير عديدة من سفارات الكويت فى عدد من الدول الاجنبية تتعلق بشئون المسلمين ، ونشاط البعثات الاسلامية ، وحركات التبشير فى هذه الدول .

☐ تحتفل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى فى جامع السوق الكبير مساء السبت ١١ من ربيع أول .

☐ قام الحاج أحمد النتو رئيس الجمعية الاسلامية فى الفيلبين بزيارة الكويت حديث عرض على معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أحوال المسلمين فى الفيلبين وحاجتهم الى المساعدة .

القاهرة : ارتكبت اسرائيل عملا عدوانيا آخر على هدف مدنى بعد اغارتها على مصنع أبى زعبل المدنى ، فقد أغارت فى الشهر الماضى على مدرسة ابتدائية فى محافظة الشرقية ، واستشهد فيها عدد كبير من الاطفال .

☐ انهى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية أعماله للفترة الثانية فى أوائل الشهر الماضى حيث ناقش مشكلات انحراف الشباب وعلاقة الاسلام بالتيارات المعاصرة .

☐ أجرى وزير التربية فى ج. ع. م. عدة اتصالات مع وزراء التربية فى العالم ، ومع مدير عام اليونسكو ومنظمة رعاية الطفولة العالمية لاطلاعهم على مدى وحشية العدوان الاسرائيلى على المدرسة .

☐ تعمل الجامعة العربية على جعل يوم ٢٠ أغسطس يوما عالميا فى ذكرى احراق المسجد الاقصى بهدف استنكار اعتداء اسرائيل على الممتلكات الثقافية والدينية فى الارض المحتلة .

السعودية : قرر مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى انعقد فى جدة فى الشهر الماضى انشاء أمانة عامة دائمة للمؤتمر مقرها جدة لمتابعة تنفيذ قراراته على أن يعقد المؤتمر القادم فى باكستان .

☐ بعثت الحكومة السعودية بقوات اضافية لقواتها فى الجبهة الشرقية بعد اشتراكها فى معارك غور الصافى فى الشهر الماضى وعدوان اسرائيل عليها بعد ذلك .

□ قامت جمعية التاريخ والآثار برحلة علمية اشترك فيها نخبة من أساتذة جامعة الرياض وغيرها وعدد من الطلاب الى المدينة المنورة والقصيم وحائل ومدائن صالح وتيماء للتعرف على الاماكن الاثرية ودراستها .

الاردن : قامت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة بزيارة أخرى للمنطقة العربية فى الشهر الماضى للتحقيق فى جرائم اسرائيل فى الارض المحتلة فقاطعتها اسرائيل ومنعتها من الدخول اليها .

□ تدم وفد فلسطين مذكرة الى المؤتمر العالمى للمعلمين الذى انعقد فى برلين الشهر الماضى كشفوا فيها دور اسرائيل فى تجريد المناهج التعليمية من المبادىء والقيم واحلال أفكار الخنوع والرضا بالواقع محلها .

□ صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين أن الفدائيين نجحوا فى تطوير الصواريخ وصنع بعض المدافع ، وأن المنظمة تستهدف انشاء جيش من الفدائيين .

□ قرر أبناء الخليل تأليف لجنة لمقاومة الاستيطان الصهيونى ردا على محاولة اسرائيل توطين (٢٥٠) عائلة صهيونية فى الخليل وانتزاع (٣٠٠٠) دونم من الارض الزراعية فى الضفة الغربية .

□ ترجم كتاب عن المسجد الاقصى الى اللغة الفرنسية وضعه سماحة الشيخ عبد الحميد السائح .

العراق : شكلت وزارة جديدة ضم اليها خمس وزراء أكراد تطبيقا للتصالح الذى تم بين الحكومة والاكراد فى الشهر الماضى .

سوريا : دارت معركة حامية لأول مرة منذ يونيو ١٩٦٧ بين سوريا واسرائيل أسقطت فيها سبع طائرات اسرائيلية ، اعترفت اسرائيل باثنتين منها احداها من طراز فانتوم .

ليبيا : أعلن العقيد القذافى رئيس مجلس الثورة ورئيس الوزراء أن ليبيا لن تعتمد على المبادىء المستوردة ، وستنأى عن الصراع العقائدى المقيم .

□ قرر مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب الذى انعقد فى طرابلس فى الشهر الماضى ان تعقد جامعة الدول العربية فى الاسبوع الاخير من يونيو القادم حلقة دراسية لخبراء التربية والتعليم العرب لدراسة نظم الامتحانات وتنسيقها وتوحيدها .

المغرب : أقيم فى المغرب فى الشهر الماضى أسبوع ثقافى كويتى لابراز معالم النهضة الثقافية والاجتماعية فى الكويت .

□ زار وفد عسكرى باكستانى المغرب فى أول صفر الماضى ، وقد أجرى مباحثات عسكرية هامة مع المسئولين المغاربة .

قطـر : أعلنت قطر استقلالها أول صفر الماضى وأصدرت دستورا مؤقتا . ينص على أن الاسلام هو الدين الرسمى للبلاد ، وأن الشريعة الاسلامية مصدر التشريع فيها .

البحرين : صرح الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بأنه متفائل بمهمة المبعوث الدولى فى البحرين ، وأن كل شىء سيتم حسب ما هو معروف من قبل ، وقال : ان الشعب البحرينى متمسك بعروبته وتاريخه .

اندونيسيا : أعلن وزير الخارجية الاندونيسى أن الحكومة ستقوم بمحاكمة كل من اشترك فى تهريب الاسلحة الى اسرائيل أو الى بيافرا .

اخبـار متفرقة

لندن : أنشئت رابطة اسلامية من (٢٠) جمعية اسلامية تكون مهمتها انشاء دار اعلام اسلامية ، كما تتولى نشر التراث الاسلامى والتعريف بالمفكرين المسلمين القدماء والمعاصرين .

جنوب افريقيا : حذر المسلمون فى جنوب افريقيا الحكومة العنصرية بأنهم سيكافحون حتى النهاية اذا أقدمت الحكومة على تنفيذ مشروعها القاضى بهدم المساجد فى المناطق التى يسكنها البيض .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعـز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

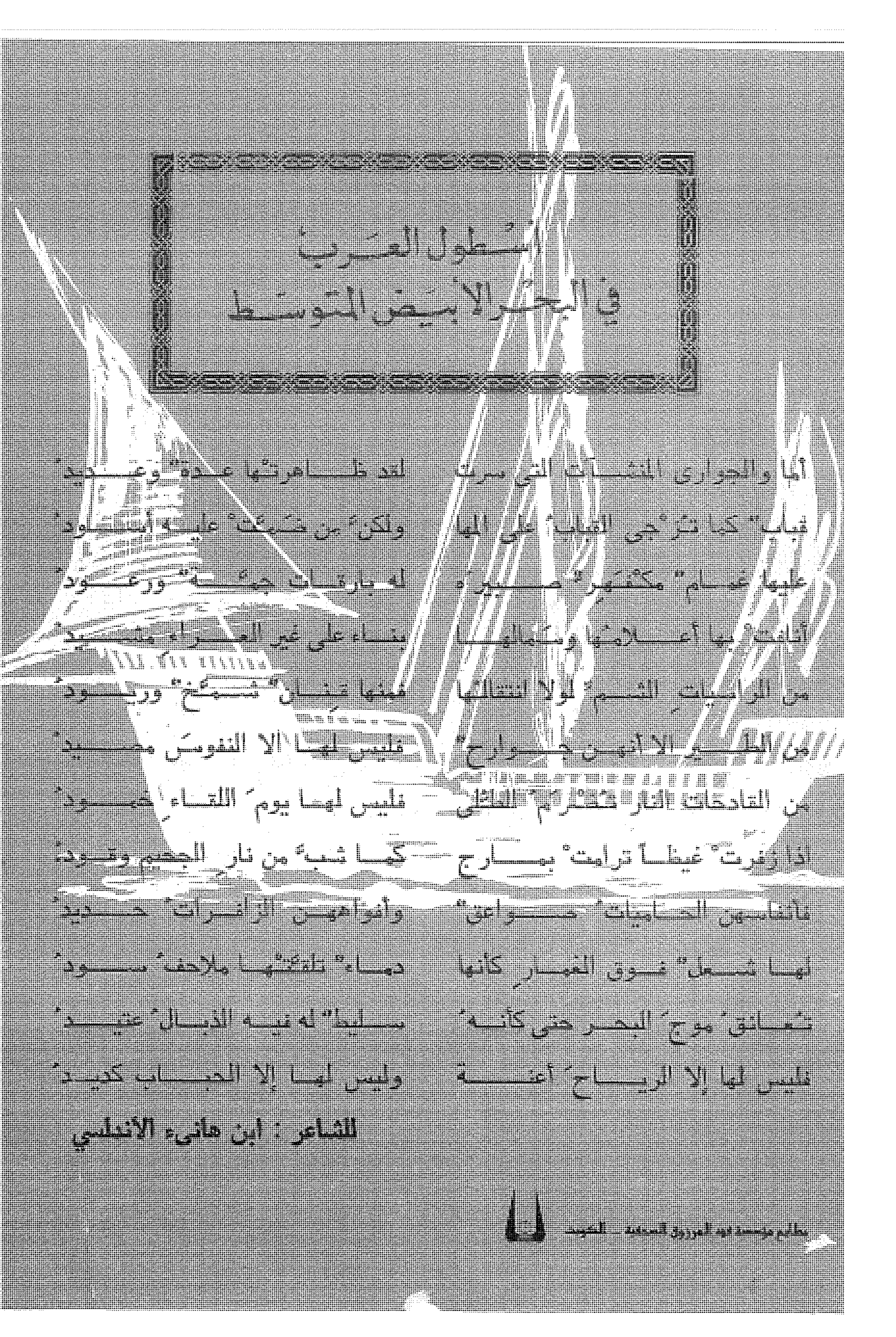
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط

أما والجواري المنشآت التي سرت ... لقد ظاهرتها عدةٌ وعديدُ

قبابٌ كما تزجى القبابُ على المها ... ولكنْ من ضمّت عليه أسودُ

عليها غمامٌ مكفهرٌ صبيرُه ... له بارقاتٌ جمّةٌ ورعودُ

أنافت بها أعلامها وسما لها ... بناءٌ على غير العراء مشيدُ

من الراسيات الشمّ لولا انتقالها ... فمنها قنانٌ شمّخٌ وريودُ

من الطير إلا أنهن جوارحٌ ... فليس لها إلا النفوسَ مصيدُ

من القادحات النار تضرم للطلى ... فليس لها يومَ اللقاء خمودُ

إذا زفرت غيظاً ترامت بمارجٍ ... كما شبّ من نار الجحيم وقودُ

فأنفاسهن الحامياتُ صواعقٌ ... وأفواههن الزافراتُ حديدُ

لها شعلٌ فوق الغمار كأنها ... دماءٌ تلقتها ملاحفُ سودُ

تعانقُ موجَ البحر حتى كأنه ... سليطٌ له فيه الذبالُ عتيدُ

فليس لها إلا الرياحَ أعنةٌ ... وليس لها إلا الحبابَ كديدُ

للشاعر : ابن هانيء الأندلسي

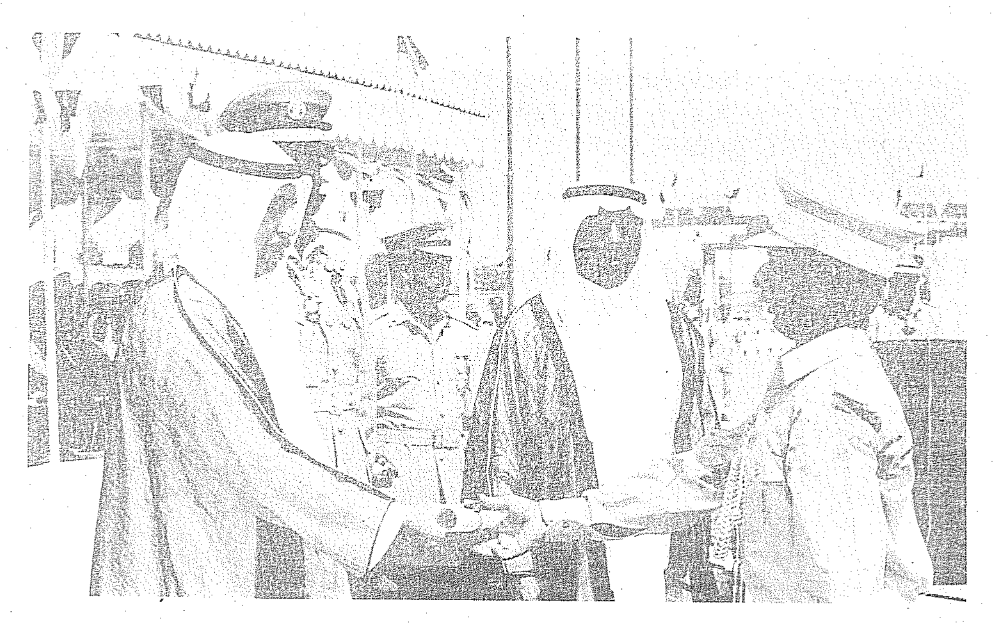
بمطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت



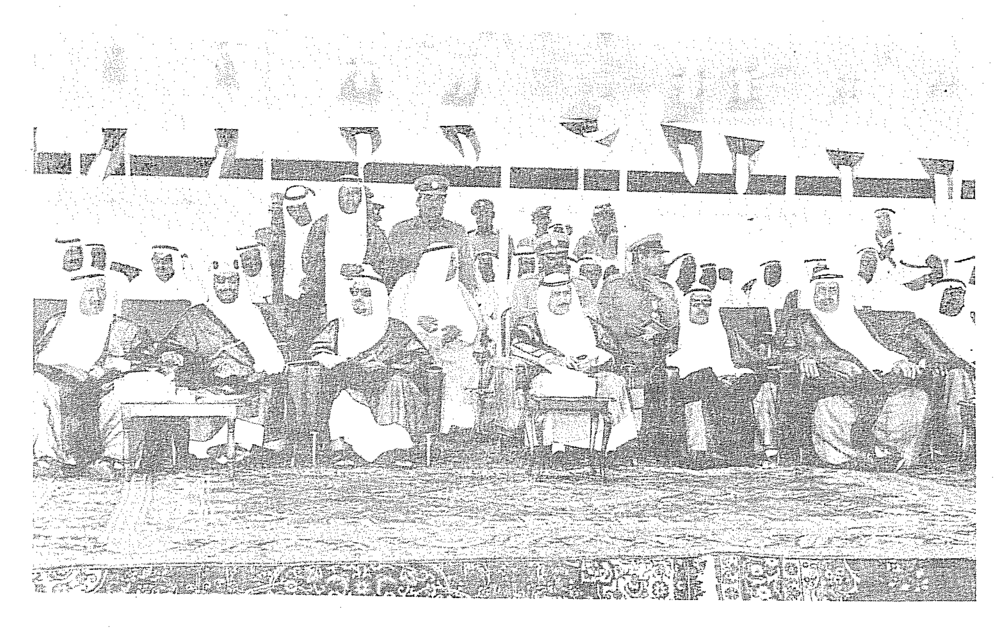
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

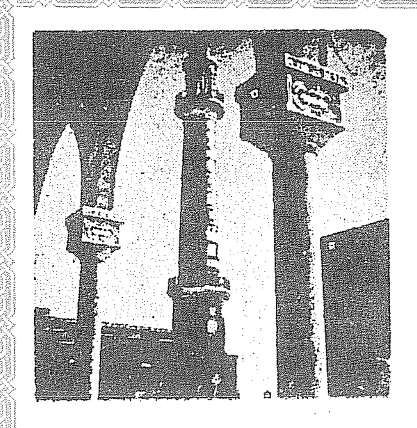
السنة السابعة — العدد ٦٤ — ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ — ٥ يونيو « حزيران » ١٩٧٠ م



سمو الامير المعظم وهو يسلم الشهادات للخريجين .



تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة فشمل برعايته السامية ، قبل ظهر أمس الاثنين ١٩٧٠/٥/٤ ، حفل تخريج الدفعة الاولى من ضباط الكلية العسكرية . ويبدو سمو الامير وسمو ولي العهد وعدد من الشيوخ والوزراء وهم يتابعون العرض العسكري الذي جرى بهذه المناسبة .



مسجد الفاضل بمدينة ((المنامة)) عاصمة البحرين وتبدو فى الصورة منارته الرشيقة بنقوشها الجميلة وبعض العقود فوق الاسطوانات المرتفعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الرابع والستون

ربيع الثانى ١٣٩٠ هـ

٥ يونيو ((حزيران)) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

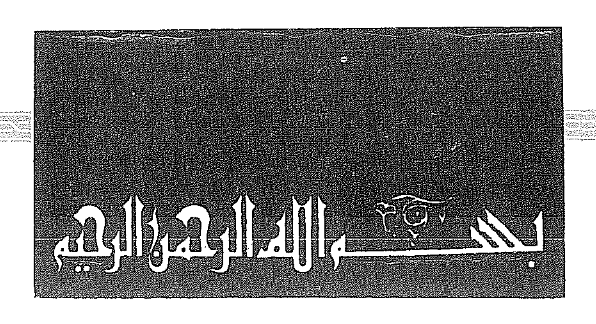
فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



حديث الشهر

اليهود والاسلام

هذا التحدى العسكرى والسياسى والفكرى الذى يواجهه الاسلام اليوم ليس هو الأول ، ولا الأخير . وهذه المؤامرة الاسرائيلية السافرة ، والايدى التى تساندها ، وتخطط لها ليست جديدة على الاسلام والمسلمين .

لقد واجه الاسلام فى تاريخه الطويل خصومات حاقدة ، وعداوات كافرة ، حاولت سحقه ، وهددته بالفناء ولكنها باءت كلها بالفشل ، وانتهت جميعها بالهزيمة ، ونصر الله دينه ، واعز جنده : ((ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا)) ((والله متم نوره ولو كره الكافرون)) .

وتاريخ المسلمين العسكرى تاريخ مضىء مشرق .. وصفحاته عامرات بالبطولات والتضحيات ، اذ لم يخل جيل من الأجيال ، ولا عصر من العصور من حروب دامية خاضها المسلمون حماية للحق ، وردا للظلم وقمعا للعدوان ، وكسرا للجبارين .

اشتبك المسلمون فى نزاع مسلح مع الوثنيين ، واشتبكوا مع اهل الكتاب من الروم وغيرهم ، واشتبكوا مع اليهود ، فما وجدوا عدوا أسود قلبا ، ولا أشد خبثا ، ولا الأم نفسا ، ولا الد خصومة ، ولا أعنف عداوة من اليهود .

ولهذا نزل القرآن الكريم على الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ينبهه ويحذره ، ويؤكد هذا التنبيه والتحذير للمؤمنين فى جميع العصور من هذا العدو ، فقال سبحانه : (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) .

وكشفت آيات الكتاب العزيز للمسلمين عن كثير من سوءاته ومخازيه مع رسالات الله السابقة كدليل حى على شدة اجرامه ، ووجوب الحذر منه .

فهو عصى على كل اصلاح ، متمرد على كل هداية ، ملعون فى الزبور على لسان داود ، وفى الانجيل على لسان عيسى ، بسبب غدره بعهود

الله ، واعتدائـه على رسل الله ، وجراته على محارم الله ، وتحالفه مع الشيطان لاطفاء نـور الله : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانـوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) .

ان تاريخ اليهود مـع المرسلين تاريخ اسود ، مخضب بدم حملـة الوحى ورسل الهـداية ، ولا يزالون يحملون لعنة الله ، وتلاحقهم سبة التاريخ نتيجة ولوغهم فى هذا الدم الطهور الزكى الذى لم يرو ظمأهم اللاهث منه دم رسول واحد ، ولا اثنين ، وقد فضحهم الكتاب الكريم ، فقال سبحانه : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كـذبتم وفريقـا تقتلون) ومن قبل القرآن سجـل عليهم الانجيل على لسان عيسى عليه السـلام نهمهم لاراقة الدماء ، وتعطشهم للجريمة ، فقال : يا اورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين .. كم مرة أردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها .. ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك خرابا . هـذا الكـلام موجود فـى انجيل متى فى الاصحاح الثالث والعشرين .. وما اظن انه غاب عمن يساندون اسرائيل من اتباع المسيح .

ان تاريخ اليهـود مع المرسلين تاريخ اسود ، وتاريخهم مع خـاتم المرسلين اشد سوادا .. لقد التقى بهم رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وجهـا لوجه فى المـدينة ، فسالمهم ، وتودد اليهم ، وزارهم ، وطمأنهم ، وتعاهد معهم فى صحائف مكتوبة ، كفل لهم فيها حـرية دينهم واقامـة شعائرهم ، وأمنهم علـى انفسهم وأموالهم ، واتفق معهم على حماية المدينة من كل عدوان ، والدفاع عنها ضد كل مغير ، وطلب منهم ألا يحاربوه ، وألا يعينوا عليه عدواً ، وأعطـاهم كثيرا مـن الامتيازات ، فأباح للمسلمين طعامهم ، وأجاز لهم التزوج من نسائهم ، وبدأ صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فصـاهرهم ((وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعـامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) واتخذ بيت المقدس قبلة لـه تأليفا لقلوبهم ، وكانـوا يصومون يوم عاشوراء ، فلما قـدم المدينة ، ورآهم يصومونه قال : ما هذا ؟ قالوا : يوم نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أحق بموسى منكم ، فصامـه ، وأمـر المسلمين بصيامه .

فهل قـدر اليهود هذه المعاملـة الحسـنة مـن جانب رسول الله والمسـلمين ، وهل كانـت رغبتهم صادقة فى معايشـة المؤمنين فـى المدينة فى سلام ، وهل احترمـوا عهدهم ووفوا بوعدهم ؟ .

لقد اثبتت التجربة الحية أن اليهود لا امان لـهم ، ولا عهد لـهم ، فهم غادرون ، خائنون ، لا يعاشرون ولا يسالمـون ولا يوثق لهم بعهد ، ولا يقفون فى عداواتهم عند حد اذ لم

تمضى الا فترة قصيرة على هذه المعاهدة حتى تكشفت نفوسهم المريضة ، وظهرت نواياهم الخبيثة ، وتأججت نيران الحقد فى صدورهم .. لم ينظروا بعين الرضا الى الانتصارات التى حققها المسلمون ، بل خافوا من امتداد رواق الاسلام وانتشار نوره ، وكان كل انتصار جديد يحرزه المسلمون يزيد فى غيرتهم ، ويدفعهم الى الغدر ، ويفيض على السنتهم عداوة وبغضا ، والقرآن الكريم يصور للمسلمين فى دقة بالغة نفسية اليهود ويحذر من الاطمئنان اليهم والثقة بهم ، والاعتماد على هذه المعاهدة فيقول سبحانه : (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها انتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) .

رفضوا جوار الرسول ، وتنكروا للأمان الذى أعطاه لهم ، ولم يكفوا عن أساليب الختل والخديعة التى مرنوا عليها ، فدسوا الدسائس ، واثاروا الفتن ، ودبروا الاغتيالات وتآمروا مع المشركين ، وتآمروا مع المنافقين ، ودخلوا فى نزاع مسلح مع المسلمين ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجمعين على التنكيل به ومحو دين الله استدار لهم ، فقضى على سلطانهم ، وحطم نفوذهم ، وطهر الجزيرة من رجزهم ودنسهم ، وكان ذلك بوحى من السماء وأمر من رب العالمين : (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) .

هذه الصفحات المطوية من تاريخ التحالف مع اليهود ننبه اليها ، ونضعها أمام أعين العرب والمسلمين فى هذه الفترة التى يلوح لهم فيها بايثار العافية واختصار الطريق والجنوح الى السلام المحموم ، ولعل التجارب الثلاث التى مرت بنا فى السنوات ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ تقطع بأنهم على طبيعة الحيات اذا أحست بالدفء نفثت سمومها فى أقرب الناس اليها .

. . . .

وبجانب هذه الحقيقة التى ينقلها التاريخ الصادق وتؤكدها التجارب الحية عن عنف اليهود فى عداواتهم للاسلام ، وعدم جدوى مسالمتهم — تبرز حقيقة أخرى هى الصلف والغرور والادلال بالقوة ، وقديما قالوا لرسول الله بعد انتصاره فى غزوة بدر : (يا محمد : أرأيت أنا قومك ؟ لا يغرنك ان لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس !!

ان اليهود مع ما تأصل فيهم من الجبن والخوف والحرص على الحياة ، ومع ما عرف عنهم من أنهم لا يعتمدون فى

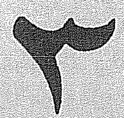
حروبهم على تسيير جيوشهم في الفضاء الرحب ، وانهم يكرهون لقاء عدوهم في الميادين المكشوفة ، وكانت خطتهم في الحرب قديما القتال من وراء الحصون والجدر : (لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر) كما ان خطتهم في الحرب حديثا الاعتماد على سلاح الطيران حيث يكونون بمنجاة من اللقاء وجها لوجه .. مع هذه الطبيعة الجبانة فانهم لا يستسلمون من قريب ، ولا يلقون السلاح الا اذا اعيتهم الحيل ، ويئسوا من العون والنصير .

لقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع من المدينة ، فلم يستسلم الباقون منهم ، فكر على يهود بني النضير ، وقاتلهم في حصونهم حتى اخرجهم منها ، فلم يرضخ الباقون ، فحاصر بني قريظة خمسا وعشرين ليلة ، ونكل بهم ، فلم يلق الباقون منهم السلاح ، فنزل خيبر ، وقال : خربت خيبر ، خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، فحاربوه في كل منطقة ، وقاوموه من حصن الى حصن ، وما زال يتعقبهم حتى قضى على سلطانهم ، وبقيت قلة منهم ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارسل اليهم : ان الله اذن لي في اجلائكم ، فقد بلغني ان رسول الله قال : لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ، واجلى عمر البقية الباقية منهم .. فلم يكن سوى الاجلاء حل آخر الأمن الاسلام وأمن المسلمين .

ان يهود اليوم هم يهود الأمس في طباعهم الغليظة ، وقلوبهم القاسية ، لم ينطفىء حقدهم ولم تضعف عداوتهم ، وماذا بقي من العداوة بعد الالوف التي ذبحوها في فلسطين ، والالوف التي عذبوها في السجون ، والالوف التي أحرقوها بالنابالم .. ماذا بقي من العداوة بعد الارض التي اغتصبوها ، والدور التي نسفوها ، والاموال التي نهبوها ، والمقدسات التي احرقوها ، .. ماذا بقي من العداوة بعد عشرات الالوف من المشردين والمهجرين .. ان القرآن الكريم الذى نزل من عشرين قرنا كأنه ينزل اليوم فينبه المسلمين الى خطرهم .. ((لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا)) .

ان يهود اليوم هم يهود الامس لا يعايشون ، ولا يسالمون ، ولا مقام لهم في ارضنا ، وان القتال الناشب بيننا وبينهم يجب الا يتوقف حتى ينتهي بنصرة المظلومين وطرد الظالمين : ((قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)) ((الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا)) .

مظاهر الماديّة



ا الشرك بالله

ب النفرة من سماع الدعوة لوحدة الألوهيّة

ج الاعتزاز بالقوة الماديّة في المال والأولاد

د تقييم الناس على أساس الثراء والجاه والعصبية

هـ السخرية من المؤمنين والضعفاء

و انكار البعث

ز انكار الحياة الأخروية

في اتجاه الحياة :

للدكتور : محمد البهي

* من غير شك ان يكون الشرك بالله — في صورة ما — اهم مظاهر المادية في اتجاه الحياة للانسان . فمن طريق الشرك وحده يصل الانسان المادي الى هدفه من المتع الحسية والوقوف عندها وحدها . لانه لا يطالب عندئذ بالروحية ولا بالمثالية ولا بالانسانية .

فاقتناص المتع الحسية يحتاج الى المالاة والنفاق . وامز هذا وتلك يضيون بالتقلب نحو مصادر النفع والضرر . وليس الشرك الا هذا التقلب في عبادة من تؤمل فيه المنفعة او الحماية من الضرر .

* وترتبط بظاهرة الشرك هذه في اتجاه المادي في الحياة ظاهرة النفرة من سماع دعوة الوحدة في الالوهية ، اذ هي دعوة شمول دون التقلب في العبادة وفي سبيل السعي نحو جلب المنفعة او دفع الضرر .. هي دعوة الى القيم المثالية التي ترتفع فوق المتع الحسية ، والتي لا يتجه اليها سوى من تخلص من سيطرة « الانانية » عليه .

والقرآن اذ يقول في وصف اصحاب هذا الاتجاه المادي في الحياة :

« واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » .

« واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » (١) .

... يحدد يقينا هذه الظاهرة المشتركة في حياة المادي ، وهي ظاهرة الشرك ، والكفر بالله وحده . فعدم الايمان بالآخرة هنا : **« الذين لا يؤمنون بالآخرة »** يرمز الى الشرك وهو ظاهرة اخرى من ظواهر الاتجاه المادي في الحياة ، نتيجة للشرك والكفر بالله وحده . والتعبير بقوله : **« واذا ذكر الذين من دونه »** يراد به ما دون الله من الاصنام والاوثان . وكما تكون هذه الاصنام والاوثان احجارا تكون من الناس ، والاموال ، والاولاد ، والمتع الحسية والجاه الدنيوي ، وهم الشركاء المساعدون الذين يتجه اليهم المادي في حياته هاشا وفرحا .

فاذا ذكرت الدعوة الى وحدة الله فى الوهيته وذكرت صفاته ــ وهى تعبير عن القيم المثاليــة العليا ــ سد طريق الشرك أو طريق التقلب والنفاق . أى طريق الوصول الى المتــع الحسية .

فدعوة التوحيد توحى لمن يؤمن بها ان يقف فى عبادته عند اللــه وحده ، ويتمثل فى نفسه صفاته جل جلاله ، كى يقترب بهذه العبادة منه . والمؤمن بالله لا يقترب منه عن طريق العبادة الا اذا حاول أن يحاكى هذه الصفات فى تصرفاته وسلوكه : فيحاكى العلم ، والخلق ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والغنى ، والرحمة والشدة ، .. الى غير تلك الصفات التى تعرف لله سبحانه وتعالى .

والمؤمن بالله اذ يحاكى هذه الصفات فى التصرفات والســلوك لا يحتاج الى وسيلة أو وسائل ، ولا الى شريك أو شركاء للــه جــل شأنه ، فى تحقيق منفعة مادية أو دفع ضرر مادى . لانه نفسه لا يقف عند حــد المتع الحسـية الدنيوية كهدف أخير فى حياته . وانما يتطلع الى متع أخــرى فى مرحلة ثانية فى وجود الانسان أكثر خيرا وأبقى نفعا . ثم مع ذلك يرى : أنه بتحصيل العلم ، واتقانه العمل والابداع فيه ، وبدفعه فوق الشهوات والاهواء ، وبقنــاعة فى الاستمتاع بما يملك .. وغير ذلك عن طريق عبادته ، يحس بمتعة نفسية أكثر من تلك المتع الماديــة . بل ربما يرى أنه فى تنازله عما يملك أو يقتنى من متع الى غيره من أصحاب الحاجة يزيد فى متعة ذاته وفى الاحساس بهذه المتعة .

فالنفرة من سماع دعوة الوحدة فى الالوهيــة أمارة الماديــة فى اتجاه الحياة للانسـان . لانها تنطوى على حرمان جزئى على الأقل من المتع المادية . وهو ذلك الحرمان الذى يفرضه المؤمن بالله وحده على نفسه ، ان تعين الحرمان سبيلا الى الاقتراب من الله فى صفاته .

والاستبشـار عند سماع ما دون الله من شركاء متمثلين فى انسان أو فى مال أو فى أولاد ، أو فى حجر ، هو صنم ، امارة الماديــة فى اتجــاه الحيــاة للانسـان . لانها هى الهـدف الــذى يسـعى اليه المادى ، ولان تحصيله ــ لهذا الهدف ــ يثير المتعة الحسية لديه . فالتقرب من انسان ذى جاه أو سلطان ، وتحصيل المال ، ووجود عصبيــة الاولاد من شأنها أن تثير الفخــر والزهــد ، كما من شأنها أيضا أن تزيد فيما يستمتع به الانسان المتقرب الى أى منها .

❋ وبالاضافة الى هذه الظاهرة المزدوجة فى حياة المــادى توجد ظاهرة أخرى تكــاد تكون تعبيرا عما تنطوى عليه نفس صاحب هذا الاتجاه . وهى الاعتزاز بالقوة المادية فى المال ، والاولاد ، والاعداد ، نقرأ قول الله تعالى :

« وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها (اصحاب التجاه المادى) :

١ ــ « انا بما ارسلتم به كافرون » .

٢ ــ « وقالوا : نحن اكثر اموالا واولادا ، وما نحن بمعذبين » .

« قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقــدر ، ولكن اكثــر النــاس لا يعلمون » .

« وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها (اصحاب الاتجاه المادى) : صالحا ، فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون » (٢) .

... فبينما من وجهت اليهـــم دعوة التوحيد فى الالوهية وانذروا من رسولهم ان هم عارضوها ، يعلنون كفرهم بها ، وهــم من أصــحاب الترف

واليسار : « .. **الا قال مترفوها : انا بما ارسلتم به كافرون** » .. اذا هم فى الوقت نفسه يرفضون الانذار والتهديد من رسولهم ، معتزين بأنهم أكثر أموالا وأولادا من غيرهم ، وبالاخص من المؤمنين : « **وقالوا : نحن اكثر اموالا واولادا** » ومن أجل أنهم أكثر أموالا وأولادا فهم يتصورون أنهم لا يعذبون ، أى لا ينال منهم وعيد ولا تهديد ، وكذلك لا ينال منهم عقاب وعذاب ان وقع عليهم بالفعل : « **وما نحن بمعذبين** » .

فمن يتجه اتجاه المادى فى الحياة يفتر بما يحصل من أموال وثروات ، ويطغى بما تكون له من عصبة فى الأولاد والاسرة . ويعتقد بما له من قوة الثراء والأولاد أن السوء لا يقترب منه ، وأنه بأمواله وأولاده يتصور أنه يستطيع أن يفعل ما يريد . يتصور أنه يستطيع أن يكون ذا جاه ونفوذ أكثر ممن يمارس الجاه والنفوذ بالفعل : « **كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى** » . يتصور أنه يستطيع أن يشارك الله فى تدبير الكون وتوجيه حياة المجتمع والأمة . بل يتصور أنه يستطيع أن يكفر بربه وبنعمه ، بسبب ما لهذه النعم الكثيرة من تأثير عليه فى الغرور والطغيان : «**واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه** » . « **ان الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد** » . وحتى لو نزعت منه قوة المال والأولاد فترة يتذوق فيها الحرمان فانه لو عادت له هذه القوة مرة أخرى سيعود هو سيرته الاولى فى الاعتزاز والغرور طالما يتمكن منه الاتجاه المادى : « **ولئن اذقناه** (الانسان) **نعماء بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عنى ، انه لفرح فخور** » (٣) .

انه اتجاه المادية يجعل الانسان يفتر بما يملك من قوة ، حتى تجعله يجترىء على ربه فيكفر به : « **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ؟** » رغم انه هو : « **الذى خلقك فسواك فعدلك . فى اى صورة ما شاء ركبك !** » (٤) . رغم أنه الخالق له فى أحسن صورة ، ورغم أنه المنعم عليه بأسباب القوة المادية التى يفتر بها الآن . ولكنها المادية تعمى ولا تبصر ، وتضل ولا تهدى . ولكى لا يترك القرآن الكريم حجة صاحب الاتجاه المادى فى الحياة فى الاعتزاز بالأموال والاولاد تأخذ الطريق الى نهايته فى الحجية كسبب للاعتزاز والغرور وقف ليقرر حقيقته :

الأولى : أن المال فى كثرته وقلته هبة من الله للانسان ، ولا شأن له بالايمان والكفر .. لا شأن له بالاتجاه الصحيح فى الحياة أو الخاطىء فيها : « **قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » . فهم لا يعلمون بسبب الغرور بالمال وقوة تأثيره فى الحياة على الادراك والحكم .

الثانية : أنه لا صلة للاموال والاولاد برضاء الله عمن تكون له أموال وأولاد . فالأموال والأولاد بمعزل تماما عن مقياس الرضاء عند الله . ومقياسه الحقيقى يتمثل فقط فى الايمان ، والعمل الصالح المستقيم : « **وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** » (٥) .

وبتقرير هاتين الحقيقتين أصبح لا يستند صاحب الاتجاه المادى فى الحياة فى غروره واعتزازه بالأموال والأولاد الى حجة واقعية . فما عنده اليوم من اموال قد ينتقل الى غيره غدا . وما له من أولاد الآن قد يسيئون اليه بعد وقت من الزمن ويصبحون عليه نقمة بعد أن تصورهم نعمة . والاموال والاولاد اذن ليست من الأمور الذاتية التى تلازم ذات الانسان فى غده ، كما هى له فى

يومه . ومبعث سرور الانسان يجب أن يكون فيما هو أبقى ، وليس فيما هو متغير ومتقلب .

* وعن الاعتزاز بالقوة المادية في المال والاولاد لدى صاحب الاتجاه المادى في الحياة ، يتكون عنده مقياس التقييم للآخرين عداه على أساس من الثراء والجاه والقوة المادية - ان في الاولاد والقبيلة ، أو في السلطة ... ويبعد كل ما له علاقة بانسانية الانسان في تقييمه وتقديره .

وما جاء في سورة الزخرف من قصة فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام يعطى ما للمتع والقوة المادية من أثر في تقييم الناس ووضعهم في درجات التقييم المختلفة . نقرأ قوله تعالى في هذه السورة :

١ - ((**ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال : انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا** (معجزاتنا) **اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها .**))

٢ - ((**واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون . وقالوا : يا ايه الساحر ! ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون**)) .

٣ - **فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون في قومه قال : يا قوم ! اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ؟**))

٤ - ((**أم انا خير من هذا الذى هو مهين** (موسى) **ولا يكاد يبين .**))

٥ - ((**فلولا القى عليه اسورة من ذهب ، او جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين**)) (٦) .

... فهذه الآيات تجمل خمس مراحل في تطور علاقة موسى - عليه الصلاة والسلام - كرسول أرسل من قبل ربه الى فرعون مصر وملائه ، كمجموعة تمكن من نفوسهم حب المتع الدنيوية واعطيت من أسباب القوة المادية المال والرجال ، والجاه والملك والسلطة ، وبذلك لا ترد في التقييم للبشر سوى ما تملك هي من مصادر القوة والاعتزاز .

المرحلة الاولى وصول موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون وملائه بما يؤيد دعوته الى الوحدة في الالوهية من معجزات ، وعرضه هذه المعجزات معجزة بعد أخرى ، وهي تتفاوت في التفوق بعضها على بعض ، ومع ذلك كان الرد على دعوته بالضحك وبالكفر بها : ((**ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها**)) .

المرحلة الثانية : مجازاة فرعون وملائه على هذا الرفض والكفر بالقحط في انتاج الحقول والنقص في ثمار الحدائق سنين عديدة ، لعلهم يرجعون فيكشفون غطاء المادية في اتجاههم في الحياة عن عيونهم ويعودون الى الايمان بالله وحده : ((**واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون**)) . والعذاب الذى أخذوا به هو ما تحكيه الآية الاخرى في سورة الاعراف : ((**ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين** (قحط المحاصيل - والتعبير عنها بالسنين لانها كل سنة) **ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون**)) (٧) . وعندما تضرروا بالقحط ونقص الثمرات سنين عديدة ناشدوا موسى عليه الصلاة والسلام أن يدعو ربه بما عهد اليه من الرسالة وبما اختاره لادائها ، أن يكشف عنهم هذا العذاب ، وهو عذاب القحط ونقص الثمرات .وكان عذابا في حقيقة أمره لان معيشة سكان وادى النيل تقوم على الفلاحة والزراعة . فاذا أصيب الزرع والثمر بتلف أو ضرر كان الجوع وكانت مآسى الفقر والضيق .

ناشدوا موسى ان يدعو ربه ، على أن يؤمنوا برسالته ، اذا ذهب عنهم هذا الضنك ، أو هذا العذاب : « **وقالوا : يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا لمهتدون** » .

المرحلة الثالثة : أنه بعد أن كشف عنهم العذاب ، الذى تمثل فى القحط والضيق سنين عديدة عادوا فنكثوا بما عاهدوا عليه من اهتداء وايمان . وغلب عليهم الاتجاه المادى فى حياتهم وخدعوا من جديد بما لديهم من قوة ومتع حسية وأعلن فرعون الزهو بملكه ، وتملكه الغرور الذى سد عليه منافذ العقل والحكمة : « **فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ! : أليس لى ملك مصر ، وهذه الانهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون ؟** » .

المرحلة الرابعة : ان فرعون فى موجة الزهو والفخر بملكه وبقوته وبما لديه من أموال وثراء عبر عن احتقاره لموسى عليه الصلاة والسلام وقاس منزلته بمقياس المادة وحدها التى تتمثل فى المظهر وفى القدرة على الاستمتاع بمتع الحياة الدنيا : « **أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين** (يقصد موسى) ؟ »

المرحلة الخامسة : وانه تبعا لمقياس المادة وحدها كان يمكن لفرعون وملائه أن يصدقوه لو قدم اليهم فى صورة ثرى ألقيت عليه أسورة من ذهب : « **فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب** » . لانه عندئذ يكون ذا منزلة اجتماعية تعطيه الحق فى النقاش ، كما تعطى لقوله امكانية القبول والتصديق . فهو عندئذ ليس بذى حاجة لا يسمع قوله ولا تقبل دعوته .

فاذا لم يكن على صورة الثرى عديم الحاجة الى الغير فلا أقل من أن تصحبه بعض الملائكة للتدليل على شأنه واحداث فرصة لقبول دعوته : « .. **أو جاء معه الملائكة مقترنين** » . وفرعون كان ماديا ، أى يغلب عليه الاتجاه المادى فى الحياة ، وله خصائص أصحاب هذا الاتجاه . وهو اذ ينكر على موسى — عليه الصلاة وسلام — رسالته ويرفض الايمان بها ويتخذ من الآيات والمعجزات التى عرضها مادة للضحك ، كل ذلك بسبب انه من الضعفاء الاذلاء فى مظهرهم الذين لا يستطيعون أن يتزينوا بما يتزين به الأثرياء وأصحاب الجاه . ويترك قيمته الذاتية وقيمة رسالته الموضوعية التى هى لصالح المجتمع فى علاقات بعضه ببعض ، وراء المظهر الخارجى له . أى أن مقياس القبول أو الرفض ليس موضوع الرسالة ولا خصائص الذات وقيمتها التى لموسى عليه السلام ، وانما هو مظهر موسى من الفقر أو الثراء .

* والذى يقدر الناس على أساس من فقرهم أو غناهم ، أو على أساس ضعفهم وقوتهم المادية ، أو على أساس مدى استمتاعهم بمتع الحياة أو مدى حرمانهم .. لا شك أنه يسخر من الفقير أو الضعيف أو المحروم ، مهما كانت استقامته فى السلوك ، وحكمته فى التصرفات ، وانسانيته فى معاملة الآخرين، فى الوقت الذى يوفر فيه الاحترام للثرى أو القوى أو المستمتع بالحياة المادية ولو كان ظالما لنفسه ولغيره أو معتديا على الآخرين فى حرماتهم ، وأنفسهم ، وأموالهم ، ومساكنهم .. ولو كان أنانيا ومتغاليا فى احترامه وخضوعه ، ومنافقا فيما يقدم من مظاهر الاحترام للغير والولاء له .

هذه الظاهرة — ظاهرة السخرية من الفقراء والضعفاء مهما كان شأنهم وكانت قيمتهم فى ذواتهم — هى أمر طبيعى لمن يسيطر عليه الاتجاه المادى فى

حياته . بقدر زينة الدنيا وبقدر من يتزين بها ، ويحتقر القيم المثالية ومن يسمى اليها ، ان حرم من الدنيا ومالها من زينة ومتعة :
١ — « **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** » ، ٢ — « **ويسخرون من الذين آمنوا** » ، ٣ — « **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة** » ، ٤ — « **والله يرزق من يشاء بغير حساب** » (٨) .

... والآية هنا تعطى ما يتصوره الماديون بالنسبة للقيم فى الحياة ، وكذلك ما هو عند الله فى حقيقة الأمر وواقعه . تعطى :

ان الذين يكفرون بالله ، يخدعون بالحياة الدنيا ، وتبدو لهم على غير حقيقتها .. تبدو لهم أنها الامل والهدف ، ولا شيء آخر وراءها . وسواء أكان كفرهم هو سبب خداعهم بالدنيا ، أم أن خداعهم بالدنيا هو سبب كفرهم .. فالامران ظاهرتان لا تنفك احداها عن الاخرى فى السلوك لصاحب الاتجاه المادى .

ولأنهم يقعون تحت تأثير الخداع بزينة الحياة الدنيا ، لا يرون فى غير هذه الزينة شيئا يستحق التقدير وتمنح له القيمة . ولذا الذين لا يملكونها ليس لهم وزن فى التقدير والتقييم ، وهم لذلك موضع سخرية واستخفاف ممن يملكونها .

والمؤمنون لأنهم عادة لا يتشبثون بمتع هذه الحياة الدنيا ، فى سبيل هدف أسمى بعدها وهو هدف الرسالة والجهاد فى سبيلها ، فليسوا من أصحاب الزينة الدنيوية ، وبالتالى هم محل سخرية واستخفاف فى نظر من يصنع القيمة كل القيمة على المتع الدنيوية وحدها : « **ويسخرون من الذين آمنوا** » .

ولكن حقيقة الامر وواقعه : أن المؤمنين لهم الدرجة العليا عند الله فى آخرته ، وأنهم متفوقون فى منزلتهم على أولئكم الماديين : « **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة** » .

وأن متع الدنيا اذا أعطيت لانسان ما لا تعطى له بسبب ايمانه أو كفره ، فهى من الله . وكما يعطيها الله لمن يشاء ، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء . وفى بسطه للرزق قد يبسطه بغير حدود : « **والله يرزق من يشاء بغير حساب** » . فالرزق ومتع الحياة الدنيا كلها عطاء وحرمان ، وسعة وضيقا لا تتبع الايمان والكفر ، وليست بالتالى عنوانا على القيمة والمنزلة . بل أساس القيمة فى التقوى والايمان ، وليس فى المال والثراء وجاه الدنيا .

ولكنها ظاهرة المادية فى اتجاه الحياة تأخذ طريقها فى السخرية والاستخفاف بمن لا يملك من الدنيا زينة أو متعة ، كما تأخذ الطريق الى صور أخرى تعبر عنها .

ومن المظاهر الضرورية لأصحاب الاتجاه المادى فى الحياة انكار « البعث » وانكار « الآخرة » كلية بما فيها من جزاء .. بما فيها من جنة ونار .

أما انكار البعث فلان البعث ضرورة تترتب على النظرة الى الدنيا على أنها مرحلة أولى فى حياة الانسان ، هى مرحلة « الاختبار » فى العمل والسلوك ، وأن ما فيها من متع حسية من زينة ومال وولد لا يمثل المتع النهائية فى حياة الانسان عامة ، وأنها أدنى بكثير من تلك المتع التى هى خالصة للمؤمنين فى الحياة الثانية ، وهى حياة الآخرة .

والبعث اذن بناء على هذه النظرة هو بداية المرحلة الثانية التى ستتقرر اما الى جنة أو الى نار فى الدار الآخرة ، تبعا لنوعية العمل الذى قام به الانسان فى الدنيا .

ولكن من يرى متع الحياة الدنيا متعا نهائية ، وأن الدعوة الى الانصراف عن

تحصيلها هي دعوة خادعة ومضللة لا بد أن ينكر متعا أخرى وراءها . وبالتالى ليست هناك فى نظره حاجة الى « بعث » ولا الى دار أخرى يستمتع أو يشقى فيها الانسان . وليس هناك تقييم آخر لعمله فى الدنيا .. ليس هناك حساب ولا وزن لما عمل من قبل . والمقاييس التى تستخف بمتع الدنيا أو تقنن السلوك والاعمال فيها هى مقاييس وضعت لهدف واحد ، وهو الحيلولة دون الاستمتاع بزينة هذه الحياة لأكبر عدد ممكن من الناس ، كى تتوفر هذه الزينة لقلة قليلة منهم فقط ، وهم الذين يستطيعون اقتناصها بطاقاتهم وقوتهم المادية المثلة فى الشرف والجاه ، أو المال والاولاد .

فالبعث فى نظر أصحاب الاتجاه المادى جزء من « مركب » — هو الجزاء الاخروى ، والدار الآخرة ، والجنة والنار فيها — يستهدف الظلم فى توزيع متع الدنيا بحرمان من يستطيع السعى الى تحصيلها عن طريق اغرائه ببريق هذا « المركب » .

والقرآن الكريم يصور النظرتين وأصحابهما فيما تقصه هذه الآيات :

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » .

« وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » .

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ! » .

« وقالوا : ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٩) .

.. فالذين اجترحوا السيئات وارتكبوا الجرائم — وفى مقدمتها الشرك والكفر بالله — فريق له نظرته فى الحياة ، وهى نظرة صاحب الاتجاه المادى . ومن اجل ذلك لا يرى الا أن الوجود الحاضر مستمر ، فى استمرار الموت والحياة وليس لهذا الاستمرار نهاية . والموت طبيعى والحياة طبيعية أى أن ما يجرى فى هذا الوجود الشاهد هو أمر طبيعى ، لا دخل لأجنبى عن الطبيعة والدهر فيه : **« ما هى الا حياتنا الدنيا** (الحاضرة والمشاهدة) **نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر** (ما يميتنا الا الدهر وما ينشئنا أيضا الا الدهر والطبيعة) » .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات — وفى مقدمتها الايمان بالله وحده — فريق ثان له نظرته فى الحياة ، وهى نظرة المؤمن بالآخرة وبالبعث والحساب فيها ، ويرى أن الموت والحياة بيد الله ، وأن استمرار الوجود الانسانى ليس على هذه الارض وانما فى دار أخرى ، وله طابع آخر يختلف عن طابع الوجود الارضى .

وبينما الفريق الاول أعمته الطبيعة واتجاه المادية فضل على علم منه وشعور تام بوضعه ، وسدت عليه منافذ الادراك الصحيح — وهى منافذ السمع والبصر والفؤاد — وأصبح لا يتجه الا من ظلال المادية وحدها .. اذا بالفريق الثانى على هداية من ربه ، وشتان ما بين الفريقين فى محياهم ومماتهم .

وهذا الاتجاه المادى ليس وقفا على جيل معين من البشر . انما هو ظاهرة انسانية تتجلى فى كل جيل من أجيال البشرية ، ويعتبر أصلا من أصول الحياة الانسانية ، كالايمان بالله سواء بسواء . أى أن كلا منهما من ظواهر التفكير الانسانى التى تصاحبه بحكم طبيعته فى تطوره وفى مدى اختلاف الافراد فى هذا التطور .

ودعوة الايمان بالله فى أى زمن سيواجهها حتما هذا الاتجاه المادى الذى ينكر عليها دعوتها فى أصلها الذى تقوم عليه ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ فى وجوده أو فى صفاته الاخرى بالنسبة للانسان والكون .

والقرآن ذاته يقص هذه المواجهة الحتمية التى واجهتها دعوة الايمان بالله فيما مضى ـ وتواجهها كذلك فى الحاضر والمستقبل ـ وانها لم تكن قاصرة على رسول أو داع ـ بعينه :

« **ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين** (أى من بعد نوح ومن آمن به) . **فارسلنا فيهم رسولا منهم** (قيل : هود أو صالح أو شعيب) : **ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ؟**

١ ـ « **وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا : ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ! ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين . ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين** » (١٠) .

فأصحاب الاتجاه المادى الذين ذكرت الآيات السابقة فى سورة الجاثية ، وهم مشركو مكة ، انكارهم للبعث فى مواجهة دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكونوا وحيدين فى تاريخ البشرية فى هذا الاتجاه . بل تذكر هذه الآيات الاخرى التى وردت فى سورة المؤمنين وتتحدث عن أصحاب هذا الاتجاه المادى فى خصائصهم الاساسية ـ وهى الكفر بالله ، والتكذيب بلقاء الاخرة ، والترف فى الحياة الدنيا ـ بأنهم أنكروا « البعث » فى مواجهة دعوة هود ، أو صالح ، أو شعيب اياهم : « **ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون** » . وهذا انكار سابق على انكار مشركى مكة للبعث فى مواجهة دعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وسيظل انكار « البعث » فى الآخرة ظاهرة للاتجاه المادى فى الحياة بعد الدعوة المحمدية الى يوم تقوم الساعة .

أما انكار « الآخرة » فهو لا يقل وضوحا فى نتائج الاتجاه المادى فى الحياة عن أى مظهر آخر من مظاهره . فطالما الدنيا وحدها هى مجال الحياة لصاحب هذا الاتجاه ، وطالما ما فيها من زينة ومتع مادية هى التى ينبغى أن يسعى اليها وحدها ، وطالما الطبيعة هى كذلك بقوانينها التى لا تتخلف ، ذات التأثير وحدها فى مجريات الحياة والوجود على الارض ، وطالما المقاييس التى تخفف من وزن وقيم المتع المحسوسة من أموال وأولاد وغيرها هى مقاييس قصد بها نفع القلة على حساب الكثرة .. طالما كل ذلك فلأى سبب أو لأى هدف آخر تكون الدار الآخرة ؟

انها عندئذ تكون زائدة على الوجود الانسانى ، ولا تشغل فيه فراغا ، الا فى وهم من يتجاوز فى نظرته وفى حياته هذا الوجود الدنيوى الحاضر !! هذا منطق الماديين . انهم يعيشون لوقتهم ولوجودهم الحاضر فحسب :

« ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون » (يترددون فى ضلال) » (١١) . فهم واقعون تحت خداع ما فى الدنيا من زينية ، ولا يرون شيئا آخر وراءها يستحق أن يصرفهم عنها .

ويربط القرآن الكريم بين عدم الايمان بالله وحده وعدم الايمان بالآخرة ، ويكاد يجعل عدم الايمان بالله وحده نتيجة لازمة لعدم الايمان بالاخرة ، فيما يقوله :

« الهكم الله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » (١٢) .

.. فاذ تدعو الرسالة الالهية الى الايمان بالله وحده ، عندما تقرر : **« الهكم الله واحد »** .. تذكر أن الذين لا يؤمنون بالآخرة من شأنهم أن تنكر قلوبهم الايمان بالله وحده ، ومن شأنهم أيضا أن يترفعوا عن سماع الدعوة الى هذا الايمان ، فضلا عن النظر في هذه الدعوة وما تنطوى عليه من حق : **« فالذين لا يؤمنون بالآخرة : قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »** .

والامر في مظاهر الاتجاه المادى فى الحياة لا يحتاج الى تفتيش فى أى واحد منها يستلزم الآخرة لأنها جميعها متفرعة عن أصل واحد ، هو عدم مفارقة المحسوس الى ما وراءه سواء فى ادراكه وتأمله أو فى الايمان به . وطالما وجد مظهر منها فى تصرفات انسان ما فالمظاهر الاخرى لا بد أن تكون مصاحبة له في الوجود ، وان اختلفت درجة وجوده وظهوره للعيان .

وفى تصوير القرآن للذين لا يؤمنون بالآخرة فى قوله :

« واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء ما بشر به : أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ؟ الا ساء ما يحكمون ! للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم » (١٣) .

.. بأنهم المثل السيىء بين الناس ، وفى تصويره لهم كذلك فى قوله :

« وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم • وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون » (١٤)

.. بأنهم منحرفون عن الصراط السوى ، رغم أنهم يدعون اليه ، وبأنهم سرعان ما يعودون الى الطغيان والتردى فيه ، ان زالت عنهم المصائب بعد وقوعها بهم .. هذا التصوير وذاك هو تصوير لصاحب الاتجاه المادى فى الحياة وان جاء هنا فى شأن من لا يؤمن بالآخرة . ولذا يمكن أن يوصف أى انسان بدت فى سلوكه أية ظاهرة من ظواهر الاتجاه المادى بكل الخصائص التى يستلزمها هذا الاتجاه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى يمكن : ما قيل بخصوص ظاهرة ، أن يقال فى ظاهرة أخرى :

أ) فالشرك ،
ب) والنفرة من سماع الدعوة لوحدة الالوهية ،
ج) والاعتزاز بالقوة المادية فى المال والاولاد ،
د) وتقييم الانسان على أساس الثراء والجاه والعصبية ،
هـ) والسخرية من المؤمنين ، والضعفاء والفقراء ،
و) وانكار البعث ،
ز) وانكار الآخرة ..

... كلها ظواهر أو مظاهر للاتجاه المادى فى تصرف الانسان . فاذا تقلب الانسان فى عبادته وولائه وصداقته واحترامه ، ودأب على النفاق ، واتخذ من الجبن ستارا لحسن المعاملة .. فهو مادى فى اتجاهه . ويمكن أن تلاحظ عليه بقية الظواهر الاخرى .

وكذلك اذ يعتز بالقوة المادية ، وحدها ينفر من الدعوة الى الالوهية والوحدة فيها . واذ يقيم الآخرين على أساس القوة المادية يسخر من الضعفاء والفقراء ، كما يسخر من المؤمنين الذين حرموا زينة الحياة الدنيا . واذ ينكر البعث او اليوم

الآخر يستند الى أصحاب القوة فى الحياة وحدهم ويدل لهم ، ويستهزىء فى الوقت نفسه بكل قيمة عليا لا يجسدها حس .

يستحيل على المادى فى اتجاهه فى الحياة أن يؤمن بقول الله تعالى :

« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » (١٥) .

. . . أو يؤمن بقوله جل وعلا :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهى الحيــوان (الحياة) **لو كانوا يعلمون »** (١٦) .

. . يستحيل عليه أن يؤمن بهذه أو بتلك . لأنه لا يؤمن بأن معرفته بالوجود الدنيوى هى معرفة سطحية . والا لمــا تهالك على الدنيا وزينتها ومتعها . . والا لمــا تركها تسد عليه منافذ الادراك دون غيرها . ولأنه لا يؤمن أيضا بأن ما فى الحياة الدنيا أن هو الا لهو ولعب . . ان هو الا قليل الاهمية بالنسبة لمــا فى الآخرة ، وانه لا يمثل الحياة الحقيقية ، وانما تمثلها الدار الاخرة تمثيلا صحيحا .

هو على النقيض : يؤمن بأن معرفته معرفة دقيقة ويقينية ، اذ قصرها على الوجود الحاضر المحسوس وحده ، ولم يتجاوزه الى ما هو مغيب وغير مشاهد . ويؤمن مع ذلك ــ أو بناء على ذلك ــ بأن تركيزه فى هذه الحياة الدنيا والاستمتاع بما فيها من متع وزينة انما يحيي حياة واقعية ، ويمارس نشاط الاحياء اليقظين ، وليس نشاط الاحياء فى صورة الاموات ، الذين لفظتهم الحياة بعد أن قللوا من شأنها .

والصراع بين المادى واللامادى ، أو بين الواقعى والمثالى ، أو بين الوجودى والروحى هو صراع منبثق من طبيعة الانسان ، وليس هو مفروضا على الانسان . ومعنى ذلك أنه سيظل على هذه الارض ، طالما يوجد عليها الانسان .

ومن اجل ذلك مهمة « الروحية » أو « المثالية » أو « الدين » لم تنته بعد ، مهما طغت « المادية » فى اتجاهها ، وتأثيرها ، واجتذاب الاتباع اليها . سيظل للدين دوره ، كما للمادية عنادها وجماحها ، ولو ترك « الدين » مكانه لنــادته « المادية » من جديد الى الصراع معه . اذ يستحيل أن يكون الناس امة واحدة فى الايمان أو فى الكفر . . فى الروحية او فى المادية . ولو بدا فى لحظة ما أن الناس جميعا ماديون لتحول فى نفس اللحظة فريق منهم يزهد المادية ويقاومها ، وان لم يكن باسم دين أو باسم روحية خاصة .

كذلك لا تزول « المادية » من على هذه الارض وفيما تذكره الآية الكريمة :

« وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون » (١٧) .

. . يدل دلالة قطعية على أن « المادية » . وبعض من يتأثرون بتوجيهها ــ موجودة فى كل مجتمع بشرى ولا تزول اطلاقا ، ليباشر من يتبعها الانحراف والاجرام . وهم لا يسيئون الا لأنفسهم ، رغم انهم ليسوا على ادراك بهــذه الاساءة . ولو بدا أن الناس جميعا أصبحوا روحيين لوقع فى ذات اللحظة : ان فريقا منهم ينصرف عن الروحية الى المادية ويسمى الى اشباع الشهوة ، واشباع الهوى ، ويبدأ فى الصراع من أجل « ماديته » أو من أجل انفصاله واعتزاله بقية الناس فى اتجاه وحده . **« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين »** (١٨) .

والامر الذى يزيد أو ينحسر هو عدد المؤمنين بالروحية والكافرين بها .. هو عدد الذين لا يتقاتلون على متع هذه الحياة ، وعدد من يقاتل ، ويخرب ويدمر ، وينتهك الحرمات ، ويرتكب أساليب القرصنة والغدر والخيانة فى سبيل هذه المتع المادية .

والمادية والدين اذن على طرفى نقيض . ولن تكون المادية دينا وعقيدة ، كما لا يكون الدين مادية وتقربا الى عبادة المتع المحسة . والخصومة بين الطرفين لا تحتاج الى اعلان . والمنافق هو الذى يظهر قرب المادية من الروحية أو العكس .

ويعاب على المادية طغيانها ، كما يعاب على الروحية عزلتها — ان اتجهت الى العزلة والانفصال عن الحياة الدنيوية وما فيها — وطغيان المادية لا يبقى ولا يذر على هذه الارض ما يستحق الحياة أو الوجود . وعزلة الروحية توقف حركة السعي فى هذه الحياة وتجمد النشاط البناء فى عمارة الكون وكشفه .

ولذا : كان الاسلام — الذى هو رسالة الله على لسان أى رسول — يدعو الى الحيلولة دون الطغيان عن طريق المال والاولاد والقوة المادية ، كما يدعو الى عدم العزلة وعدم الانفصالية عن الحياة الدنيا وما فيها من متع ، على نحو ما تنشد « الروحية » فى علوها ومبالغتها :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » (١٩).

.. تلك دعوة قوم قارون اليه . وعندما لم يتبعها كان جزاؤه : **« فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » (٢٠) .**

ان مستقبل الدين ليس الى الزوال وان كان الى الاضمحلال . وان مستقبل « المادية » ليس الى الاكتساح وان كان الى الطغيان . والحرب العالمية الثالثة هى التى ستعيد الطريق من جديد الى الايمان بالله ، والى القيم الانسانية فى عالم الانسان .

---

(١) الزمر ٤٥ .
(٢) سبأ ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) هود ١٠ .
(٤) الانفطار ٥ — ٨ .
(٥) سبأ ٣٦ ، ٣٧ .
(٦) الزخرف ٥٤ — ٥٦
(٧) الاعراف ١٣٠ .
(٨) البقرة ٢١٢ .
(٩) الجاثية ٢١ — ٢٤ .
(١٠) المؤمنون ٣٩ .
(١١) النحل ٥ .
(١٢) النحل ٢٢ .
(١٣) النحل ٥٨ — ٦٠ .
(١٤) المؤمنون ٧٣ — ٧٥ .
(١٥) الروم ٧ .
(١٦) العنكبوت ٦٤ .
(١٧) الانعام ١٢٣ .
(١٨) الانعام ١١٨ ، ١١٩ .
(١٩) القصص ٧ .
(٢٠) القصص ٨١ .



للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

حول النبوة

مضى الحديث عبقا بالكلم الطيب من هدى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتقى فى مسيرته بقلوب عامرة بالايمان الذى وجدت حلاوته مشربة بحب الله ورسوله ، فعبت منه ، وصار نورها الذى يهديها فى بيداء الحياة ، ورائدها الـــذى تقتفى خطاه فى صحراء الوجود ، ثم بدا لمطمئن الى هذا اللون من تقديم السنة المطهـــرة ، أن يتساءل اثـــر حواره مع رهط من مراهقى الثقافـــة الوافدة ، وعبر عن تساؤله فى ذكائه الفطن الأريب مشيرا الى تســـاؤل الرفاق فى أسف لما دعاه شـــكوكا وتسمية الحقيقة حيرة عابرة تردها نظرة فاحصة ، ثم أوضح ما يرومون بنص تساؤلهم ، ما برهان صـــدق النبى ، وما هى الدواعى لظهور حملة هذا الوصف على مسرح الحياة الدنيا واليس فيما منحنا من عقول الغنـــاء الكافى للمضى نحو تحقيق أهدافنا على الأرض ؟! ولوى هذا التساؤل عنان الموضوع المعتاد الى بحث يجيب عنه ويمكن اندراجه تحت نقطتين لهما حق الامتداد الى ثالثة اذا دعا الداعى منهما تدور حول تحقيق صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتعقـــب الثانية ببيان ضرورة قيامهم بدورهم بين البشر .

١ ــ قصة الحديث حول النبـــوة مؤيدة ومعارضة تمتد حوادثها الى أزمان ضاربة فى أغـــوار الماضى ، فالانقياد الفطرى الذى لازم الدعـــوة الاسلامية أول أمرها ، مـــا لبث أن تسربت اليه عوامل الشك وانفتحت عليه أبواب الاتهامات ، حين اختلط حملة الاسلام بالبيئات التى التحفت الدين ولم تتبطنه ، وكان هذا ظاهرة طبيعية من قوم رأوا فى الدعـــوة الجديدة عاديا ألغى دياناتهم وأتى على كثير من مقدساتهم ، وأخضـــع لسلطانه من كان يطاول السماء ولا يتصور أن يدانيه أحـــد ، وتكالـــب الموتورون على هذا الناشىء القوى

العود ، محاولين تقويض أركانه ، ولكن هيهات هيهات لما يرومون ، فقد عاجوا خاوى الوفاض حتى من خفى حنين ، وما كان لهم أن يحققوا مآربهم ولن يكون ! ما دام بين حملة الاسلام مفكرون يؤمنون بما حكاه التنزيل الحكيم (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) .. ولست أريد هنا سرد آراء أولئك الحاقدين معتنقى المزدكية والمانوية يعضدهم مارقون تصدى لهم فى وقتهم الحسن البصرى وعمرو ابن عبيد ، ثم أجبرهم على أن يأرزوا الى أجحارهم أحذق الجدليين صاحب الفكر الرصين والرأى السديد والأجوبة الباترة لشبه الخصوم ، ذلك هو (النظام) ثم تلميذه الجاحظ من بعده ، ومن نحا نحوهما على مر العصور الى يومنا هذا ، فذاك بحث فلسفى يثقل على عقول المتسائلين ، وانما سأسلك طريقا وسطا يجلو الحقيقة فى يسر ، معتمدا على ركائز من واقع حياة الأنبياء والمرسلين ، وما كان لهم من حوار مع معاصريهم ، وما اتسم به سلوكهم من استقامة وفطنة وصدق وحسن معاملة لم يرق اليها غيرهم ، فأولئك هم المصطفون الأخيار .

أ ـ قام الاجماع على أن البرهان الأول على صدقهم هو المعجزات التى ظهرت على أيديهم ، وأورد كثيرون من المتصدين لاحقاق حقهم أدلة تعضد المعجزة وتقويها وتصلح سنادا متينا يثبت نفس الدعوى ، فمن البدهى أن الكاذب يظهر كذبه واضحا فى الذى يأمر به ويخبر عنه ، كما أن الصادق يعرف صدقه من ثنايا قوله وفعله ، ويؤيد ذلك قول الله تعالى : (**ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول**) (١)

وفى الحديث الصحيح (**ما أسر أحد سريرة الا كساه الله جلبابها ان خيرا فخيرا وان شرا فشر**) وقال عثمان رضى الله عنه (**ما أسر أحد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه**) ... وقيل شعرا :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومن أصدق ما يدل على صعوبة تخلص الانسان من طبائعه ومسلكه ، وعلى عدم قدرته على التفلت من عاداته ومألوفه ، ويبرهن على أن المقدمات تتبعها نتائجها أن صدقا وان كذبا ، ما كان من موقف خديجة رضى الله عنها يوم عاد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أول لقاء له مع الوحى وبادرها قائلا : (**انى قد خشيت على عقلى**) فأجابته على الفور اجابة الدارس لسلوكه ، الفاقه لما هو عليه من خلال الخير ، الموقن بصدق فراسته وما يقول : (**كلا . والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر**) فقد خشى رسول الله عارض السوء فجاءته بما ينفيه عنه مستدلة بحميد ما درج عليه هو فى سلوكه ، ومثل هذا حكم النجاشى حين قص عليه المهاجرون الاولون الى الحبشة ما كان من أمر رسول الله فقال لهم : (ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) ولسنا نبعد عن نفس الجادة حين نورد ما دار بين أبى سفيان وقيصر الروم كما حكاه البخارى ومسلم

والمؤرخون حول النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتهى باقرار قيصر الروم بنبوته مستنتجا حكمه من واقع ما عليه صاحب الرسالة ، ولطرافة الحوار نذكره مفصلا بنص رواية الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك (٢) :

« عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى أبو سفيان ابن حرب قال : كنا تجارا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة (٣) بيننا وبين رسول الله خرجت فى نفر من قريش تجارا الى الشام وكان وجه متجرنا منها (غزة) فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس وأخرجهم منها ، وكانت (حمص) منزله فخرج منها يمشى على قدميه متشكرا لله تعالى حين رد عليه ما رد ليصلى فى بيت المقدس ، فلما انتهى الى (ايلياء) وقضى فيها صلاته ومعه بطارقة وأشراف الروم أصبح ذات يوم مهموما يقلب طرفه الى السماء فقال له بطارقته : ما بك أيها الملك الغداة ، قال : رأيت فى هذه الليلة أن ملك الختان قد ظهر ، قالوا : أيها الملك ، ما نعلم أمة تختتن الا يهود ، وهم فى سلطانك ، وتحت يدك ، فابعث الى كل من لك عليه سلطان فى بلاده فمره فليضرب أعناق كل من تحت يده من يهود واسترح من هذا الهم ، فوالله انهم لفى ذلك من رأيهم يديرونه ، اذ أتاه صاحب (بصرى) برجل من العرب ، وكانت الملوك تهادى الاخبار ، بينها ، فقال : أيها الملك ، ان هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدث عن أمر حدث فى بلاده ، فسله عنه ، فلما انتهى به الى هرقل رسول صاحب (بصرى) طلب هرقل الى ترجمانه أن يسأله : ما الحدث الذى كان ببلاده فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبى قد اتبعه أناس وصدقوه وخالفه ناس ، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة فتركتهم على ذلك ، فقال هرقل : جردوه ! فاذا هو مختون ، فهاج هرقل ، وصاح : هذا والله الذى أريته لا ما تقولون أعطوه ثيابه وتركه يمضى لطيته ، ثم دعا صاحب شرطته ، وأمره أن يقلب الشام ظهرا وبطنا حتى يجيئه برجل من قوم هذا النبى ، قال أبو سفيان : فوالله لنحن بغزة اذ هجم علينا صاحب الشرطة ، فقال : أأنتم من قوم الرجل الذى ظهر بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : أيكم أمس به رحما ، قلت : أنا ، فقال : ادنه فاقعدنى بين يديه ، وأجلس أصحابى خلفى ثم قال : أنى سائله فان كذب فردوا عليه يقول أبو سفيان : فوالله لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت أمرأ سيدا تكرم عن الكذب ، وعرفت أن أيسر ما فى ذلك ان أنا كذبته أن يحفظوا ذلك على ثم يحدثوا به عنى فلم أكذبه ، فقال : أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى ، قال أبو سفيان : فجعلت أهون له من شأنه وأصغر له أمره وأقول : أيها الملك ، ما يهمك من أمره ان شأنه دون ما يبلغك ، وقيصر لا يلتفت الى قولى .. ثم قال : أنبئن عما أسألك عنه من شأنه ، قلت : سل ودار بينهما الحوار الآتى :

قيصر : كيف نسبه فيكم ؟

أبو سفيان : محض أوسطنا نسبا

قيصر : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

أبو سفيان : لا ! ما جربنا عليه كذبا .

قيصر : لقد علمت أنه ما كان ليترك الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، وتابع أسئلته .

قيصر : فهل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟

أبو سفيان : لا .

قيصر: فما صفة اتباعه منكم ؟

أبو سفيان : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، وأما ذوو الاسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد .

قيصر : أخبرني عمن تبعه أيحبه أم يقليه ويفارقه .

أبو سفيان : ما تبعه رجل ففارقه

قيصر : أخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟

أبو سفيان : سجال يدال علينا ويدال عليه .

قيصر : فهل يغدر ؟ــ وهنا يقول أبو سفيان ــ فلم أجد شيئا مما سألني عنه أغمزه فيه غيرها ، فقلت : لا ، ونحن منه في هدنة ، ولا نأمن غدره ، ويقول أبو سفيان : فوالله ما التفت اليها مني ، ثم كر عليه الحديث ، ثم عقب عليه قائلا : لئن صدقتني عنه ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه ، انطلق لشأنك ، قال أبو سفيان : فقمت من عنده وأنا أضرب احدى يدي بالأخرى ، وأقول : أي عباد الله لقد أمر أمر ابن أبي كبشه ، أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام) .

ويعقب شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الحديث (٤) مستعرضا كلمات قيصر الروم وأجوبة أبي سفيان ويؤكد انه لم يكن من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب قط ، بل لم يعرف عنه الا الصدق وهو يتورع أن يكذب على الناس فتورعه عن أن يكذب على الله أولى وأحق ، والانسان قد يخرج عن عادته الى عادات بني جنسه ، فاذا انتفى هذا وهذا كان أبعد عن الكذب وأقرب الى الصدق وكان اتباع رسول الله من الضعفاء ، وهذا من علامات الرسل ، فاتباعهم دائما ابتداء من الضعفاء ، يحكي القرآن الكريم عن نوح عليه السلام وقومه : (**قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**) وقالوا : (**ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الراي**) ــ وكان المؤمنون برسول الله يتزايدون ولا يرتد أحد منهم بعد الايمان ، وهذا من دلائل الصدق والحق ، فان الباطل لا بد وأن ينكشف آخر الأمر فيرجع عن الاتباع ويمتنع عنه من لم يدخل فيه .

وبالنظر في واقع ما يصادفنا يوميا نرى أن معرفة الناس والحكم عليهم بدراسة أحوالهم وما يشتهر عنهم وأن عقلاءهم يثبتون على نحو من الصفات والعادات لا يتجاوزونه ، وكثيرا ما يجاب المستفسر عن شخص لم تكن له به معرفة : انه ذو عقل ومروؤة وخلق ، ويسرد المسئول أدلته على قوله بما يبدو ممن يتحدث عنه ، واذا كان العكس أجاب : انه فاتك ألوى ، كاذب مداهن ، أو أنه غر جال أحمق الى آهخر ما هنالك من أوصاف الخير أو الشر حسبما تدور عليه حال الشخص فمن عرف بشيء شهر عنه والسلوك الخاص بكل الأنبياء كان واضحا غير خفي على معاصريهم فلم ينعتوهم بسوء أبدا الا ما يمليه الحقد الدفين والعدواة الكامنة لدى ضعفاء النفوس ومرضى القلوب .

• • •

وأما أمر المعجزات ، وهي الأمور الخارقة للعادة المتحدى بها التى ظهرت على يدى الأنبياء فواضح ظاهر وما القرآن عنا ببعيد ، فهو المعجزة الخالدة لخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، وما كان لأحد أن يأتى بمثله ولن يكون ، وورد هذا فى أسلوب التحدى واضحا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ، ويذكر الشهرستانى (ان النبوة ليست صفة راجعة للنبى ، ولا درجة يبلغ اليها احد بعلمه وكسبه ، ولا باستعداد نفس يصل به الى الروحانيات ، وانما هى رحمة ونعمة يمن الله بها على من يشاء من عباده يصطفيه ويؤيده بالخوارق المعجزة) ، وعقد الامام الحجة الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) فصلا عنوانه (حقيقة النبوة) قال فيه :

(ودليل وجودها وجود معارف فى العالم لا تنال بالعقل ولا تدرك بالكسب ، فان من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا يوصل اليها الا بالالهام الالهى ، وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها بالتجربة فيتبين أن فى الامكان وجود طريق لادراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل ، وهو المراد بالنبوة لا أن النبوة عبارة عنها فقط ، بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولها خواص كثيرة سواها ، وما ذكرنا قطرة فى بحرها ، ومعجزات الأنبياء اكثر من أن يتحدث عنها ولا سبيل اليها ببضاعة العقل اصلا) (٥) .

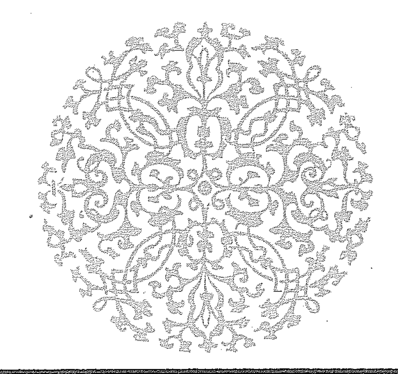
ب ــ وأما دواعى وجود الانبياء وظهورهم من بين البشر فله وجوه كثيرة يكفى واحدها برهانا مؤيدا للدعوى ، فما بالك بها مجتمعة ، ولنسق ما يتسع له المقام منها :

فمن المعلوم ضرورة أن من الأمور والوقائع الكونية ما يمكن للعقل أن يستقل بادراكها دون الحاجة الى معين ، وذلك كادراكنا أن العالم لا بد له من صانع حكيم مدبر محيط بكل شىء علما حتى يجرى على هذا التناسق ، وبهذا التوازن والانسجام العجيب فى كل مظاهره والموجودات فيه ، فمن غير المسلم به عقليا أن يأتى هذا النظام عفوا وارتجالا وصدفة ، ودور الانبياء هنا تأكيد وتقرير للعملية العقلية المستنيرة ، وبهذا الدور تندفع أعذار المكلفين جملة وتفصيلا ، ولو أدعى البشر أن هذا القوى القادر الخالق الذى اهتدوا الى معرفته عقليا لم يبين لهم الشرائع ، وقد سلط عليهم الشهوات والهوى ، ولم يمدهم بمن اذا سهوا أرشدهم ، واذا مال بهم الهوى منعهم ، ولم يزل اعتراضهم قائما ، كما أنهم على فرض ادراكهم الحسن والقبح فهم عاجزون عن ادراك صفة الجزاء على وجهه الشرعى بالخلود فى الجنة للمحسن وفى النار للمسىء ، فتحديد نوع الجزاء خارج عن نطاق مدركاتهم ادراكا كاملا محددا متميزا .

ومن الأمور ما لا يستقل عقل بادراكها لبعدها عن الحواس المعتادة ظاهرة كانت أو باطنة ، ولا يعلم نفعها أو ضررها على وجه يحسن معه استعمالها ، والتجربة لا تفى بالمقصود منها ان دخلت فى نطاق الحسن فكثيرا ما نجد من الاشياء ما يصلح دواء ، وغذاء وبلسما شافيا ،

وآخر هو سم ناقع ومصدر أدواء ، وادراك كنه الأشياء يحتاج الى توجيه صحيح وعلى سبيل المثال ، قد يرى البعض أن فى شرب الخمر نشوة ، وأن فى قتل فلان خلاصا من عدو ، وأن الفجور بحسناء أجنبية عنه غنم ، وأن استيلاءه على ما للغير فوز وأى فوز ، ويغفل فى الوقت نفسه عن الاخطار المستكنة وراء فعاله ، التى تشيع الفوضى الاجتماعية وتقضى على الطمأنينة وتعادى العدالة ، ولا يغرب عنا تفاوت الادراكات ، وأن الكامل نادر ، وأن الاسرار الالهية عزيزة جدا ، زد على ذلك حاجة الناس الى الصناعات النافعة ، كما أنه لا بد فى المعيشة من علم الاحكام والسياسة وتبادل المنافع والمصالح ، وقد وضع الرسل أسس كل تنظيم يضمن للبشرية هدوءها واستقرارها وتعاونها ، كما دلها على منافع المعادن وعلمها الصناعات ، والامثلة فى القرآن كثيرة قال تعالى : (فى حق داود عليه السلام : ((**وعلمناه صنعة لبوس لكم**)) وفى نوح عليه السلام (**واصنع الفلك**) وعن المعادن (**وانزلنا الحديد فيه باس شديد**) وفى قواعد العدالة (**أن الله يامر بالعدل والاحسان**) ...

وفوق هذا ـ ما كان للانسان أن يدرك تفاصيل الشرائع كما رسمها مدبرها ، فمن يستطيع أن يفصل الصلوات وأحكامها ومقاديرها ومواعيدها ، والصيام وحدوده ، والحج ومكانه وزمانه ، فاذا تأملنا ما سبقت الاشارة اليه الفينا الحاجة الماسة الى وجود الرسل ، وعلمنا أنه لهذا أرسلهم الله كما تواتر ذلك فى مختلف الاعصار ، وهنا نقف عن الكتابة فلعل فيما مضى به القول بعض الفنية لمستفهم ـ على أن أعود ـ بعون الله ـ الى تناول الموضوع من جوانب أخرى والله المستعان ...



---

(۱) الآية ۳۰ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

(۲) ص ۲۲۸ من الجزء الثانى طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة ۱۳۵۷ هـ ۱۹۳۹ م .

(۳) يشير الى صلح الحديبية عام ست من الهجرة الكبرى .

(٤) ص ٩٤ من شرح العقيدة الاصفهانية ـ دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

(٥) ص ۱۳۳ المنقذ من الضلال ـ طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

الجانب العمراني في الحضارة الإسلامية

للدكتور : محمود محمد قاسم

عميد كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

قد يميل بعض الباحثين في الدراسات الاسلامية الى اصطناع اسلوب اللوم والنقد لمعاصريهم وربما كان هذا المنهج لا يخلو في بعض الأحيان من رائحة تزكية النفس . أما اذا خلا منها فلربما شابته عاطفة المرارة .

وبعيد عن خاطرنا كل البعد أن ننتقص شيئا من صدق اخلاصهم او من حميتهم في محاولة ايقاظ المسلمين المعاصرين ، لكن يبدو لنا أن هذا المنهج لم يعد منهجا مناسبا ، فلقد كان هو المنهج السائد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي ، عندما تم سقوط دول المسلمين جميعا تحت ضربات الغرب .

أما في النصف الثاني من القرن العشرين ، ورغم الكوارث التي نزلت ببعض البلاد الاسلامية ، والتي نرى أنها لن تكون الا كوارث عابرة ، فان هذا المنهج التقليدي يوشك أن يدفع النفوس الى اليأس ، بدلا من أن يحفزها الى الرجاء والعمل ، كذلك لا نريد أن ننتقل الى المنهج المناقض تماما ، وهو منهج التفاؤل الساذج الذي يعد مفرطا في بعث ما يمكن أن نسميه أملا مرضيا يسبح بالناس في متاهات الخيال ويبعدهم عن الواقع ، فلنسلك اذن منهجا معتدلا يجانس بين الواقعية والمثالية ، فينأى بنا عن هذين المزلقين الخطرين اللذين يقود أحدهما الناس الى هوة اليأس ، في حين ينتهي بهم الآخر الى عالم من الأوهام والأحلام .

فشبابنا اليوم في حيرة من أمره ، وهو منقسم على نفسه بين متفائل

يرجو بعث القديم بما فيه من خير وشر ، ومتشائم يرى أن عجلة الزمن أسرع من أن تتيح لنا الوقوف ، ولو قليلا ، أمام ماض يقال : انه قد انقضى وغبر ، وأن الخير كله أن نتجه الى المستقبل ، أو بعبارة أدق نحو حضارة الغرب لكي نقتبسها دون تحوير أو تعديل ، كما اقتبسنا كثيرا من مظاهرها المادية من ملبس ومسكن وعادات اجتماعية وضروب الترويح عن النفس .

ومع ذلك ، فسوف نتجه الى هذين الفريقين على حد سواء ، فان أصحاب القديم وأنصاره ربما لم يعرفوا كثيرا عن قديمهم هذا ، في حين أن أصحاب الجديد ليسوا بأسعد حظا بمعرفة جديدهم ، اذ ربما جهلوا كثيرا من موارده وأصوله .

وأيا ما كان مقدار الصدق فيما نقرر فان حاضر العالم الاسلامي بمشكلاته التى نحياها جميعا ، منذ نهضة بلادنا في الزمن القريب ، حاضر يضطرب بميلاد جديد ، فنحن نرى ظهور علامات العمران الحديث في كثير من أقطارنا جنبا الى جنب مع بقاء مظاهر التخلف والبؤس في كثير من هذه الاقطار أيضا ، ونعنى بها التى ما زال الاستعمار يستنزف ثرواتها ، دون أن يفيد أهلها من ثرائهم شيئا ، كما هى الحال فى بعض بلاد المسلمين بأواسط أفريقيا أو فى الشرق الاقصى حيث سعى المستعمر قبل انسحابه منها أن يمزق هذه الاقطار أو يبذر فيها بذور الانفصالية ، وأن ينشر المدارس التبشيرية تدعيما لتفتيت الروابط القومية فيها ، ومنعا لأى تقدم اسلامى فى المناطق المجاورة لها .

وهذا الحاضر الاسلامى المضطرب الذى يوشك أن يلد الخير أو الشر ، سواء بسواء ، هو الذى يبعث هذا الصراع النفسى عند شبابنا ، ويشحذ ذلك الصدام بين عقليتين متنافرتين في مجتمعاتنا ، مما يدعو الى تمزقها وانفصام وحدتها وترددها فى اختيار طريق سوى أقرب الى تحقيق تقدمها وضمان رخائها ، وهذا هو ، فيما نعتقد ، الهدف المشترك لهاتين العقليتين المتصارعتين ، وهو الذى كان ينبغى أن توحد له الجهود ، بدلا من تشتتها وتنافرها .

أما المتشائمون فهم الذين لا يرون سوى البؤس والشقاء .

وأما المتفائلون المفرطون فى تفاؤلهم ، فهم الذين يؤمنون بأن مشكلات العالم الاسلامى سوف تحل دون جهد أو نصب .

وأما المعتدلون فهم الذين يرون مظاهر التقدم الحضارى فى كثير من بلاد المسلمين ، لكن يرون أيضا مظاهر التخلف والبؤس والتدهور فى بلاد اسلامية أخرى ، وهم يعلمون فى الوقت نفسه أن مظاهر العمران الحديث جميلة حقا ، ولكنها ليست كل شيء ، وأن مظاهر التخلف تبعث اليأس القاتل ، غير أنها أمر يمكن القضاء عليه بكثير من العمل والصدق فيه .

وليس العمل والصدق فيه أمرا يستحيل غرسه فى نفوس الشباب ، بل نرى أن الشباب هم أكثر الناس حاجة اليه وأشدهم طلبا له ، فان الشباب طموح بطبيعته ، وأما اليأس فانه أقرب الى قلوب الشيوخ والمعمرين ، ونرى أن نهضة الشرق بالعمل والصدق أمر قد تم فعلا بالنسبة الى الغرب عندما كانت المقارنة فيه بين حضارة المسلمين وحضارة الاوروبيين كفيلة بأن تبعث

اليأس فى قلوب كثيرين من أبنائه .
واليوم نقارن بين حضارتنا وحضارة أوروبا أو الغرب بأوسع مفاهيمه ، ونرى أننا ، رغم كثير من مظاهر العمران عندنا ، أكثر منه تخلفا ، وأننا لن نستطيع المحافظة على البقاء الا اذا لحقنا به قبل أن يجهز علينا ، وربما ساعدنا على اللحاق به فى المستوى الحضارى ، وعلى النجاة من المصير الرهيب الذى تحددت ملامحه بوضوح سافر فى آفاقنا العسكرية والسياسية والدينية والاجتماعية — نقول ربما ساعدنا على ذلك أن نعلم كيف لحق بنا هو يوم أن كانت حضارتنا مثله الأعلى ، وعندما كانت ثقافتنا تبهره وتدك معاقل الجهل فيه فى الوقت الذى كانت لا تحاول فيه التنكيل بالاعداء أو التفكير فى ابادتهم ، كما فعل النازحون من أوروبا الى أمريكا بثلاثين مليونا من الهنود الحمر ، لقد كان المسلم فى ذلك الحين مثلا أعلى ، وكان الاوروبيون اذا رأوا انسانا كاملا وصفوه بأنه عربي أو مسلم .
فاذا كان من عادتنا أن نقارن بين حاضر الغرب وحاضرنا ، وسواء سلكنا مسلك اللوم والتقريع أو مسلك الرغبة فى التحرر من تراثنا وماضينا معا ، أفليس من المشروع أيضا أن نرجع الى الماضى ولو قليلا ، حتى نعلم كيف أفاد الغرب من حضارة المسلمين ، وذلك دون أن يكون فى الرجوع قليلا الى الماضى صرفا عن ضرورة العمل المستمر لتحطيم حواجز الحاضر لربط الماضى بالمستقبل ، فليس فى دعوتنا هذه نوع من التعلل بالأمانى أو التنفيس عن عقد المجتمعات الاسلامية الراهنة عندما نبعث جمال بعض جوانب الماضى وروعتها ، بل فيها زاد وعون على محاولة تحقيق مستقبل أفضل من الحاضر والماضى معا .

واذا نحن قصرنا حديثنا هنا على الناحية العمرانية فى بلاد المسلمين ، فلربما كان هناك من المعاصرين من يظن أن تقدمنا فى هذه الناحية خلال عشرات السنين الأخيرة شيء دخيل على حضارتنا ، وأن أمتنا لم تعرف فى ماضيها مثل هذا العمران ، وانها مدينة به لأوروبا التى لم تعمل منذ عصر الاستعمار الا من أجل تحطيم حضارتنا بجميع مظاهرها ، ان العنصر الحضارى الكامن فى ضمير هذه الأمة هو الذى حفزها ، فى العصر الحديث ، الى التجديد العمرانى فى ظروف سياسية واجتماعية غاية فى القسوة .

والحق أن بلادنا هى التى أوحت فيما مضى الى أوروبا بتجديد مظاهر العمران فيها ، وكان اتصال الغرب بالعمران الاسلامى ، عبر الأندلس وصقلية وشمال افريقية والشام ، هو الذى كشف له عن مقدار الهاوية التى انحدر اليها منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة ، وكانت دولة حضارية ممتازة ، ومنذ سيطرت الكنيسة على مصائر شعوب أوروبا حتى عصر النهضة وعهد التحرر العقلى والفكرى فى أوروبا ، بفضل ظهور كل من حركة احياء العلوم وحركة الاصلاح الدينى ، وكلاهما نتيجة مباشرة للاتصال بالحضارة الاسلامية ، وكلاهما كان ثورة على الكنيسة الكاثوليكية التى ورثت امبراطورية روما ، فطمست معالم عمرانها وبددت حضارتها ، بل قضت عليها قضاء مبرما ، فأصبحت روائع آثارها لا ترى الا فى متاحفها الدينية .

لقد شهد الاوروبيون نماذج من العمران الاسلامى فى بلاد الأندلس كما شهدها من رحل منهم الى المشرق

أيام الحروب الصليبية ، فعلموا أن أعداءهم أجدر أن يكونوا أساتذة لهم في كل شيء ، ولم تكن مدن الأندلس الا لتثير اعجابهم وتحفزهم الى محاولة محاكاتها ، فقد رأوا في أثناء تتلمذهم على أساتذة المسلمين في جامعات الأندلس كيف كانت قرطبة والزهراء وغرناطة وأشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها من المدن .

أما قرطبة التي عنى عبد الرحمن الناصر بتجميلها وتزيينها ، فقد أصبحت تضاهي بغداد بهاء وجمالا . وبغداد هي عاصمة الخلافة ، فهي أشهر من أن نعرض لوصف العمران فيها ، اذ كانت عاصمة الدنيا أيضا في عصر العباسيين ، لأن الدولة الاسلامية هي التي كانت تسيطر تقريبا على العالم المعروف في ذلك العهد .

ومما قد يعطينا فكرة عن اتساع عمران بغداد أن نقول انه كان يوجد بها ، في أوائل القرن الرابع الهجري ، سبعة وعشرون ألف مسجد ، وكان لقرطبة جوها الحضاري الذي عرفته بغداد في أيام هارون الرشيد ، لكنه كان في قرطبة جوا خالصا من حضارة البادية ، اذ كانت حضارة الأندلس عربية وغربية في آن واحد ، كما أراد لها عبد الرحمن الناصر أن تكون ، انها كانت حضارة تقبل كل شيء من غرب وشرق ، وتحوله الى شيء آخر فريد في نوعه أو نسيج وحده .

ثم جاء عبد الرحمن بن محمد فبنى غرب قرطبة مدينة سماها الزهراء ، فأحكم تخطيطها ، وحدد أماكن الأسواق والحمامات والقصور فيها ، ثم أراد لها أن تنمو سريعا ، فأغرى الناس بالبناء فيها لقاء جائزة مالية لكل من بنى لنفسه فيها مسكنا بجوار السلطان ، وقد صدق حدسه ، اذ اتصل عمران قرطبة بمدينة الزهراء ، فكان السائرون خلال المدينتين يقطعون مسيرة عشرة أميال في ضوء المصابيح التي تنير الطرق الواسعة التي لم تعرفها أوروبا الا في عصور متأخرة ، ومما كان يزيد قرطبة والزهراء جمالا أن واديهما كانت تحيط به المروج والبساتين ، وتدور فيه أكثر من خمسة آلاف من طواحين المياه .

وكانت غرناطة على مقربة من مدينة البيرة ، وكان يحفها سور من البساتين العريضة ، وكانت تستند الى جبل الثلج التي تكسو سفوحه الكروم ، بينما يمتلىء واديها بضيعات الكبراء ، والجنان التي يعجز الوصف عن بيان مفاتنها ، فكانت دمشق بلاد الأندلس في جمالها وحصونها ذات الأسوار الشامخة والمباني الرفيعة ، وأسواقها وحماماتها الأنيقة . أما جوف الوادي فكانت ضياعه تلوح مبانيها خلال أشجار الثمار وأشجار الزيتون واللوز والكمثرى ، وكان أهل غرناطة يتخذون الوادي وضياعه مسارح للندوة وقرض الشعر ، أما المنخفضات حول غرناطة فكانت مليئة بالدوح والبيوت والأبراج التي بلغ عددها في ذلك العهد أربعة عشر ألفا ، والى جانب الجبل كانت هناك ضاحية تسمى « دمع العين » وكانت في أيام المسلمين متنزها بديعا به القصور والدور العالية ، وكانت القرى التابعة لغرناطة تحوى ، كما يقول ابن الخطيب جملا ضخمة من الرجال وفحول الحيوان ، وفي كثير منها المساجد والطواحين .

أما أشبيلية ، مدينة الطرب والغناء ، والعلم والتصوف أيضا ،

فكـانت تمتاز بحسن مبانيها وعناية أهلهـا بتزيين دورهم من الخـارج والداخل ، وذلـك بسـبب تأصل الحضارة فيها الى حد أن العامة كانت تعبر عـن ترف الحضارة في هذه المدينة بقولها : « لو طلب لبن الطير في أشبيلية لوجد » . وكـان النهر العظيم يمر بهـا ، وعلـى ضفافه المتنزهات والبسـاتين والكروم التي تتصل دون انقطـاع ، وكـان أهلها يميلون الى اللهو والغناء ، وكان فيهم الى جانب ذلـك عـربدة وشراب ، وكانوا يتذوقون المزاح الـذي كانوا يرصعونه أحيانا بألفـاظ السباب ، وهذا ما نراه عـادة في المجتمعات التي يبلغ فيها التحضر حدا مفرطا .
وقد تخصصت أشبيلية في صناعة آلات الموسـيقى ، التي استوحاها الاوروبيـون فـي ابتكـار أدواتهم الموسيقية فيما بعد ، كـذلك بلغت مبانيهـا من الاتقان غايته بحيث أن أكثر دورها كانت لا تخلو من المـاء الجاري ومن الأشـجار المتكاثفة ، كأشجار الليمون والنارنج ، غير أن كلا من مرح المدينة وطربها لم يكن حائلا دون وجود طبقـة ممتازة من العلماء فيها ، اذ كانت بها مـدرسة جمعت أعلام العلماء من المسـلمين والنصـارى واليهـود ، هذا إلا أن المدينة لما سقطت فـي يد الاسبان ظلت ، لفترة مـن الزمن ، مركزا علميا ، ذلـك أن الفـونس العالم استعان بكثير من علمـاء المسلمين للتدريس في مدرسة أنشأها للطب والعلوم ، وكانت المواد تدرس فيها باللغتين اللاتينية والعربية .

ولا نريد أن نكثر من وصف مدن الأندلس ، فلنكتف بأوصاف عابرة لكل من طليطلة ومرسية ومالقة .

أما طليطلـة فكانت من أكثر المدن سكانا تحيط بها أسوارها المنيعة ، وفي داخلها الحصن الكبير ، وكان بها قنطرة عجيبة من قوس واحدة يدخل تحتها الماء بعنف ، وفي آخر القنطرة كانت هنـاك ناعورة يقـول عنها الادريسي : انها كانت ترتفع في الجو تسعين ذراعـا ، فترفع المـاء الى القنطرة ، فيجري على ظهرها ، حتى يدخل الى المدينة .

وأما مرسية فقد اختصت بتجهيز العرائس ، في حين اشتهرت مالقة بجودة أنبذتها .

فاذا نحن انتقلنا الى المشرق وجدنا الفسطاط فـي مصر ، وقد قيل ان بعض الـدور فيها كان يرتفع الى ثمانية طوابق كأنها المنائر ، وربما سكن الدار الواحـدة منها أكثر من مائتي نفس ، وكان الطابق الأول منها لا يسكن عـادة ، بل يخصص لأعمال اخرى كالحوانيت وغيرها ، أفليس ذلك قريب الشبه بما نجده اليوم في كثير مـن أحياء القاهـرة والجزائر والكويت ودمشق وبغداد وغيرها من عواصم البلاد الاسلامية وكبريـات مدنهـا . ويقـول ناصر خسرو في وصفه لمصر : « وترى مصر من بعيد كأنها جبل ، وبهـا بيوت من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ولهـا أسواق وشوارع توقد فيها القناديل ، لأن ضوء الشمس لا يصل الى أرضها . وربما كان ذلك يرجع في الحقيقة الى ضيق شوارعها ، كما نجده في أيامنا هـذه في بعض احياء القاهرة .

أما القاهـرة ، مـدينة المعز ، فكانت ، في أول نشأتهـا ، مدينة حدائق كمدينة فرساي مثلا في فرنسا أو المعـادي من ضواحـي القاهرة المعاصرة وكانت الدور فيها منفصلة

بعضها عن بعض بالأشجار الكثيفة ، وكانت المياه ترد اليها عن طريق قنوات مغطاة تتفرع الى الدور لتمدها بالماء ، وقد عرف هذا النظام أيضا في كثير من بلاد المسلمين الاخرى . وكانت مجارى المياه هذه على أعماق متفاوتة ، وقد يضطر المرء أحيانا ، الى أن يهبط مائة درجة حتى يصل اليها ، وكان هناك من يقوم على حراستها وحفظها وصيانتها .

ولا يتسع الحديث هنا لوصف مستشفيات البلاد الاسلامية ، لكن يكفى ، بصفة عابرة ، أن نقول انها كانت مفتوحة للجميع ، دون تفرقة دينية أو عنصرية .

فاذا نحن أردنا ، بعد ذلك ، أن نكمل الصورة التى رسمناها للجانب العمرانى فى الحضارة الاسلامية ، فقد يجوز لنا أن نقارن بين مدن الاسلام وبين مدن أوروبا فى تلك الحقبة من الزمن نفسها ، أو فى الحقبة التى تلتها ، فلقد رأينا كيف كانت قرطبة والزهراء وغرناطة وأشبيلية وطليطلة ومرسية وبغداد ودمشق والفسطاط والقاهرة ، وغيرها من بلاد المسلمين ، بقصورها وأبراجها وبساتينها وحماماتها وأسواقها ومستشفياتها ، فلنر الآن كيف كانت باريس وغيرها من عواصم أوروبا فى تلك الفترة الزمنية نفسها .

لقد ظلت باريس ، فى خلال العصور الوسطى وحتى بدء القرن الثانى عشر ، مدينة يرثى لها ، ففى ذلك القرن أخذ الفرنسيون يرصفون شوارع عاصمتهم ، ومن قبل كانت هذه الشوارع مليئة بالأقذار والمستنقعات كبعض مدن أقاليمنا العربية فى الوقت الحاضر ، غير أنه لما تم رصف شوارع باريس بدأت تخف فيها حدة أوبئة الحمى والدوسنتاريا ، وأخذت الحالة الصحية بين سكانها تقترب مما كانت عليه فى مدن المسلمين وقراهم بالأندلس ، وساعد على ذلك أن حكومة فرنسا منعت خنازير أحد الأديرة ، وهو دير القديس انطوان من أن تعيث فسادا وقذارة فى طرقات المدينة ، كذلك حرمت الحكومة فى باريس القاء المياه القذرة من النوافذ .

ولسنا فى حاجة الى أن نظل فى نطاق القرن الثانى عشر ، بل نستطيع أن نقفز عدة قرون لنجد أن أحد الكتاب الاوروبيين ممن شاهدوا روما فى سنة ١٨٧٠ م يقول : « أن المرء كان لا يستطيع السير فى طرقات المدينة الا وعيناه مصوبتان دائما نحو الارض ، حتى لا يخوض فى القاذورات التى تتقزز منها النفوس » .

أمافى برلين ، فى تلك الحقبة نفسها ، فكانت الشوارع تكاد الا تكنس أبدا ، وكان رجال الشرطة يلزمون كل فلاح يدخل الى تلك المدينة بعربته المحملة بالخضر أو الدواجن أن يخرج بعربته هذه من المدينة ، وقد حملها من أدران برلين وأوساخها قدر ما يستطيع أن يجره حصانه .

ويلاحظ أنه لما تم رصف شوارع باريس فى القرن الثانى عشر الزمت الحكومة سكان المدينة أن يعلقوا المصابيح فى نوافذ البيوت المطلة على الشوارع لإضاءتها ليلا ، وأخيرا فكرت هذه الحكومة فى محاولة استخدام نظام الإضاءة الذى كان مطبقا بنجاح فى كل من قرطبة وغرناطة .

واذا نحن تركنا عواصم أوربا فى خلال العصور الوسطى ، وفى فجر عصر النهضة أو حتى فى العصر الحديث ، لكى نتجه الى قلب القارة رأينا هذه القارة تكاد تكون مغطاة بالغابات فى جملتها ، تتخللها ، على مسافات شاسعة ، بعض المدن وأديرة الرهبان ، أما فى الأراضى المنخفضة ، وعلى طول ضفاف الأنهار ، فان المستنقعات كانت تفوح برائحة العطن ، وتنشر الموت هنا وهناك ، كما كانت أوبئة الطاعون البلاء المستمر لأهل أوربا .

وكانت منازل الأوربيين خلال العصور الوسطى ، حتى فى لندن وباريس ، من الخشب والطين ، وكانت مغطاة بالقش أو أعواد الغاب ومن الطبيعى أن سكان هذه العواصم كانوا لا يعرفون شيئا عن السجاد الفاخر ، وغير الفاخر ، الذى كان يملأ بيوت المسلمين ويغطى جدرانها بل كانوا يستعيضون عنه بالقش على الأرض ، ولما كانت المدافىء غير معروفة فى ذلك الحين فان الدخان كان يتصاعد من فتحات فى سقوف المنازل . ولم يكن هناك أى نظام للتخلص من الفضلات والأوساخ ، فكان القوم يلقون بامعاء الحيوان والخضروات التالفة فى عرض الطريق ، وكان الرجال والنساء والأطفال ينامون فى نفس الغرفة ، وكثيرا ما كانوا يفسحون فيها مكانا لماشيتهم ، على نحو ما يفعل بعض البؤساء من فلاحى البلاد المتخلفة فى عصرنا الراهن ، وكان السرير يتكون من كيس محشو بالقش ومن وسادة محشوة بالصوف ، وكانت نظافة الاجسام أمرا غير معروف ، ولذا فان أجساد الناس ، بما فيهم كبار موظفى الدولة والأساقفة ، كانت مرتعا للحشرات الطفيلية ، كما يقول « دراپير » صاحب كتاب « الصراع بين الدين والعلم » الذى اعتمدنا عليه فى اقتباس هذه المعلومات عن العصور الوسطى الأوروبية ، وأيا كان الأمر فان الطبقة الارستقراطية من حكام ورجال كهنوت كانت تستعين بالعطور لإخفاء نتن الأجسام أما رجال الطبقة الوسطى فكانوا يرتدون ملابس من الجلد ، وكانوا يعدون من المنعمين المترفين اذا أكلوا اللحم مرة واحدة فى الأسبوع .

وقد ترك لنا البابا « بيوس » الثانى وصفا طريفا لانجلترا فى القرن الخامس عشر ، أى فى سنة ١٤٣٠م فقال : « ان بيوت الفلاحين كانت تبنى من الأحجار دون ملاط ، وكانت سقوفها تصنع من الحشائش الجافة أما باب البيت فكان يتخذ عادة من جلد أحد الثيران ، أما الغذاء فكان يتألف من بعض الخضروات أو من لحاء بعض الأشجار أحيانا اذا شحت الخضر ، وفى بعض المناطق كان الناس لا يعلمون ما الخبز ، وكثيرا ما كان الفلاح يستعيض عن الملابس بحزم من القش يربطها حول جسمه وأعضائه ، ولذا كان فريسة طيعة لشتى الأمراض ، وما كان ليأمل فى الشفاء الا عن طريق معجزة لأحد القديسين ، أو عن طريق التبرك بآثارهم أو مخلفاتهم .

فهل من العجيب ــ كما يقول لنا « دراپير » أيضا ــ أن نعلم أن الناس أكلوا لحوم البشر فى مجاعة فى سنة ١٠٣٠م بلندن ، وأن خمسة عشر ألفا من أهل هذه المدينة هلكوا جوعا فى سنة ١٢٥٨ م ، ولم تكن الأحوال الصحية فى بقية أوربا بأفضل منها فى انجلترا ، فقد هلك ثلث سكان فرنسا بوباء الطاعون فى القرن الرابع عشر ، ومن الإنصاف

أن نقول : ان مثل هذه المجاعات والأوبئة كانت تحدث ، بين حين وآخر ، فى بلاد المسلمين ، وقد حدث فى بعض المجاعات فى بغداد فى عصور التدهور أن الناس كانوا يبيعون الدار لقاء رغيف من الخبز ، كما يروى لنا ابن الأثير فى كتابه « الكامل » . كذلك نعلم أن الطاعون أهلك خلقا كثيرا فى القرن الرابع عشر ، على نحو ما يذكر لنا ابن خلدون ، لكن يجب أن نعترف الى جانب ذلك ، أن الحالة العمرانية فى الشرق وفى الأندلس وفى شمال أفريقيا ما كانت لتشوه جمالها وروعتها مثل هذه الكوارث الطارئة.

ومن الإنصاف أيضا أن نقول : إن هذا التخلف المريع لأوربا فى العصر الوسيط لم يحل قط دون تقدمها أو خروجها من عصور الظلام ، فقد استطاع الأوربيون بسبب احتكاكهم بالمسلمين ، حربا وسلما ، أن يضعوا أسسا راسخة لحضارتهم التى تسيطر على عالمنا الحاضر ، فبنت المدن الجميلة ، وساعد على تحسينها وزيادة ثرائها ، ابتداء من القرن الخامس عشر ، ما نهبه الأوربيون من بلاد المسلمين ومن الشرق بصفة خاصة ، ولا سيما بعد أن قضوا على الأسطول العربى فى الخليج الهندى ، وبعد أن كشفوا طريق الرجاء الصالح ، واذا كان الأوربيون النازحون الى الأمريكتين استطاعوا أن يفنوا ملايين البشر ليحلوا مكانهم وان احتفظوا بنماذج منهم فى مناطق مغلقة ، فانهم لم ينجحوا بعد ، وأعتقد أنهم لن ينجحوا ، فى إبادة المسلمين ، اللهم الا اذا أتاح المسلمون رقابهم للسيف طوعا واختيارا ، ونحن لا نعتقد أن هذا أمر سيحدث . فان المبادىء الإسلامية قد تخبو فى النفوس لفترات ، ولكن جذوتها لا تنطفىء ابدا .

ومما يساعدنا على تقرير هذا الأمر أن حالة المسلمين فى عصرنا الراهن لا تشبه حالة الأوربيين فى العصور الوسطى ، واذا كان الأوربيون قد اقتبسوا كثيرا من حضارة العرب وصبغوها بصبغتهم ، فما الذى يحول دون أن يقتبس العرب مظاهر العمران من الغرب ، وأن يخلعوا روحهم عليها ، ذلك أنه لا يكفى أن تحاكى أمة حضارة أمة أخرى ، وأن تقنع بالمظاهر الخارجية لها ، ذلك أن المظاهر الخارجية لا تكفى ، بل لا بد لها من أصول داخلية تعتمد عليها ، فهى ليست فى الحقيقة إلا ثوبا يلحقه ما يلحق بقية الثياب من التقادم والتلف أو التمزق وأهم من ذلك أن يكون النبع من الداخل ، بمعنى أن يبعث العرب ، والمسلمون بصفة عامة ، ما انطوت عليه أعماق نفوسهم من أصول حضارية أتاحت لهم حتى الآن أن يحتفظوا بالحياة ولو مشوبة بالمهانة وأن يقفوا أمام محاولات الإبادة .

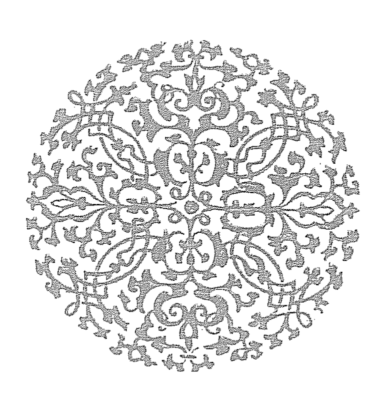
حقا ان الحياة العربية الراهنة لا توحى بكثير من الآمال قريبة التحقق ، لكنها حياة لا تبعث على القنوط ، وهى أشد ما تكون حاجة الى مناهج جديدة وعواطف جديدة وعقلية جديدة أيضا ، ومما يبشر بالخير أن هذه الامة لم تعد تقنع بضروب الوعظ ، أو تستطيب صنوف التقريع التى تميت القلوب لانها تفرط فى اللوم ، وتكاد أن توصد باب الأمل ، كذلك لم يعد هناك كثيرون يخدعون بالامانى والأحلام ، اذ يحدسون حدسا صادقا أن هناك

شيئا آخر اجدى بكثير من التحسر على الماضي أو الحياة في جو من الخداع والوهم ، وسيقوى هذا الحدس عن طريق العمل والصدق فيه ، وبالعزوف عن الوان من الثقافة أصبحت لا تطاق ، لأنها لا تعدو أن تكون اجترارا لآراء غدت خلوا من كل روح .

ولسنا من هؤلاء الذين يفرضون آرائهم على الناس عن طريق التقريع أو اللوم أو بأية وسيلة أخرى ، بل انا نحسن الظن بالبشر ، ونعتقد أن اليأس عند شبابنا لم يصل بعد الى درجة كبيرة من الخطورة بدليل شدة إقبالهم على الحياة وتمسكهم بها والرغبة في نعيمها ، لقد قسا أحد كبار الكتاب عندنا منذ سنين على جمهور القراء ، لكنهم لم يحملوا قسوته محمل الجد ، لقد وصفهم بالغباء والتفاهة لأنهم لا يقدرون الثقافة الرفيعة أو لأنهم لا يقرأون .

ولئن صح ما قاله من أنهم لا يقرأون ، فربما كان من الأفضل أن يتساءل ، ولماذا لا يقرأون ، اذ من المحتمل أنهم لا يجدون شيئا يستحق القراءة ، أو أن متاعب الحياة قد تصدهم ، حتى عن متعة قراءة الأدب الرفيع ، ومثل هذا الكاتب هؤلاء الذين يصفون العرب والمسلمين بالكسل وبالرغبة عن الأمل في حياة أفضل ، ولربما كان من الأولى أن يدرك هؤلاء أن الناس اذا فقدوا حماستهم للعمل فلربما كان ذلك بسبب سوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، التي قد تقف أمامهم حواجز صماء تحول دونهم ودون العمل الذي يؤدي الى حصيلة تليق بالآدميين ، وهذا أمر هو البداهة نفسها . فانا نرى أن مستوى الحياة لدى المسلمين يتفاوت من بلد الى آخر حسب الأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

وفي اعتقادنا أنه ليس هناك ما يبرر الإفراط في التشاؤم ولا في التفاؤل ، اذ ما زال اليأس الذي يعانيه شبابنا يحتوي على جرثومة من الأمل ، وانا لنرجو أن تكون الأوضاع السيئة في عالمنا العربي حافزا لهذا الشباب الى تطعيم هذا الواقع ببعض القيم والمثل . فانهم هم أقدر الناس على تجاوز الكوارث المؤقتة ، وعلى تحويل مظاهر الفشل الى عناصر حية تبعث موجة من الأمل المعتدل ، وعلى الافادة من دروس الحاضر لبناء مستقبل أقل هوانا وشعورا بالضياع والتمزق من حالتهم الراهنة .

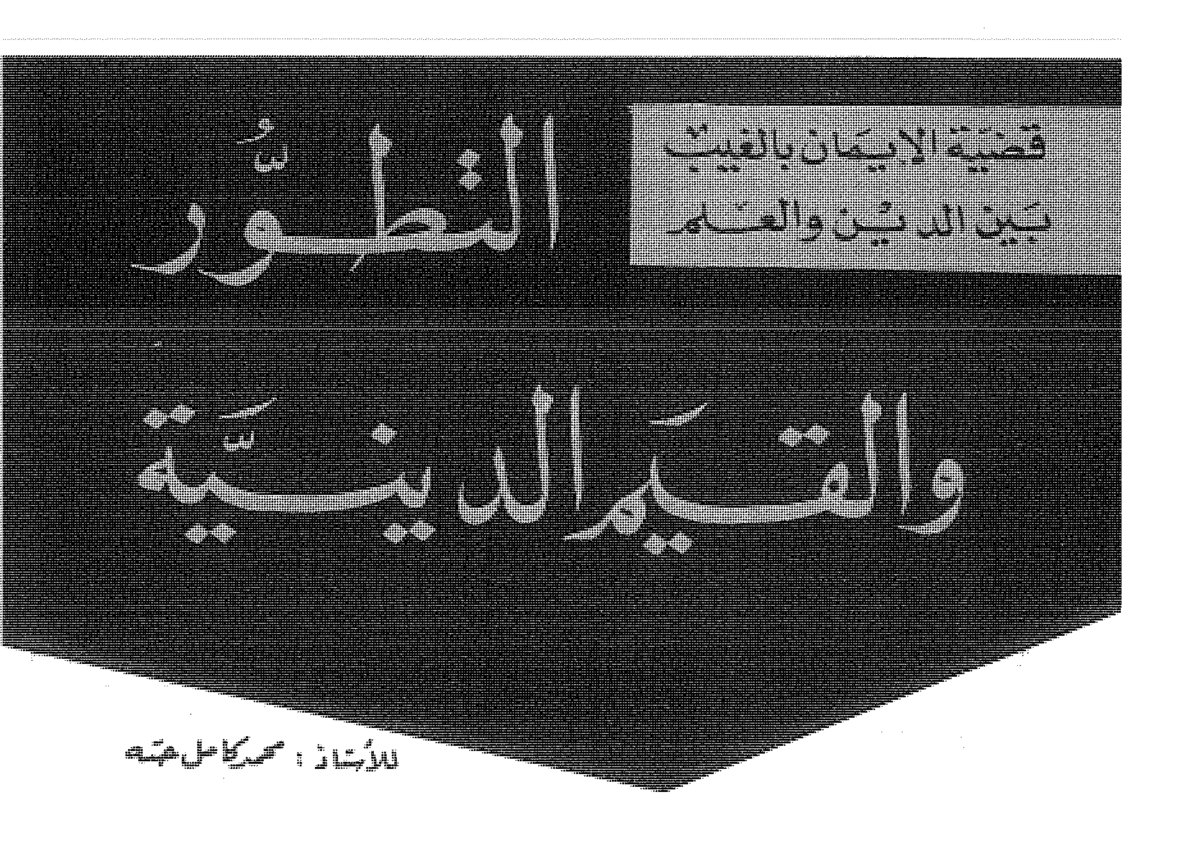


عبد الله بن عتيك

أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من المدينة ، فنزل فريق منهم بخيبر ، وكان على رأسه ((أبو رافع سلام بن أبى الحقيق)) وكان ذا ثروة طائلة ، رصدها للفتن والمؤامرات وافساد الأمن ، فكلف رسول الله خمسة من أبطال المؤمنين ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وخرجوا الى خيبر تدفعهم قوة الايمان الى التضحية بالنفس فى سبيل الله ..

وفى مكمن قريب من حصن أبى رافع ، المليء بالعدد والسلاح ، المحاط بأسوار من الحديد والنار جلس الخمسة يتشاورون فى الأمر . كيف ينفذون الى أبى رافع ، وماذا يصنعون أمام مناعة الحصن وكثرة الحراس ، وتناوبهم فى الحراسة طول الليل ؟ وبينما هم يتشاورون ، ويرسمون الطريق لتنفيذ الواجب الذى أمرهم به رسول الله ، وعاهدوا الله عليه بدت لابن عتيك فكرة ، فصاح فيهم دعكم من ذلك كله ، ولتكن فى حراسته جميع شياطين الارض ، فانا قاتلوه ان شاء الله .. لقد آمنا بالله ورسوله ، وآمنا بأن أبا رافع عدو الله ورسوله ، وقد اشترى الله منا النفوس والأموال بأن لنا الجنة ، فاجلسوا مكانكم ، وخذوا حذركم ، وانطلق عبد الله الى الحصن مجردا من كل شيء الا سيفه وايمانه ، واستطاع أن ينفذ الى داخل الحصن رغم الأسوار والحراس ، واختفى فى مكان قرب الباب ، وظل فيه حتى نام الحراس ، وهدأت الأنفاس ، فنهض من مكانه ، وأخذ المفاتيح من جانب البواب ، وأخذ يفتح الأبواب بابا بابا ، وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل حتى انتهى الى عدو الله ورسوله ، وخاف أن يكون مع أبى رافع أحد ، فنادى : يا أبا رافع ، وعلى صوت الاجابة أهوى بسيفه ، فلم يصبه ، فعرفت امرأة أبى رافع صاحب الصوت ، فقالت لزوجها بصوت مضطرب هذا صوت ابن عتيك ، فقال لها أبو رافع : ثكلتك أمك ، وأين منا الآن ابن عتيك ؟ فعاد عبد الله للنداء مرة ثانية مغيرا صوته مقلدا أحد الحراس ، وقال : ما هذا الصوت الذى نسمعه يا أبا رافع فصاح به : لأمك الويل ، أين أنت ورجل فى الحصن يضربني بالسيف ، وعلى الصوت ضرب عبد الله فأصاب عدو الله ، وضرب الثالثة فقضى عليه ، وخرج عبد الله الى الباب الخارجى ، وبينما هو يقفز الدرج اذ انزلقت رجله فانكسرت ، فعصبها بعمامة حتى وصل الى أصحابه ، فزف اليهم البشرى ، وحملوه الى رسول الله وأخبروه ، فأشرق وجهه وقال لعبد الله أبسط رجلك ، فمسحها عليه السلام بيده الكريمة :

فقال عبد الله فكأنها والله لم تصب طول حياتى بسوء ولهى والله أقوى رجلى .



للأستاذ : محمد كامل حته

المجتمعات الانسانية فى تطور دائم ، وتحول مستمر . فهى لا تثبت على صورة واحدة ، ولا تجمد على وضع معين ، ولكنها تتطور من حال الى حال ، وتأخذ أشكالا مختلفة فى أساليب الحياة ووسائل المعيشة وطرائق التفكير .

فما هو موقف الحقائق والقيم الدينية من هذا التطور ؟

وهل تستطيع هذه القيم أن تجارى طبيعة الحياة فى تطورها ، وأن تلبى حاجات المجتمع المتغيرة من حال الى حال ؟

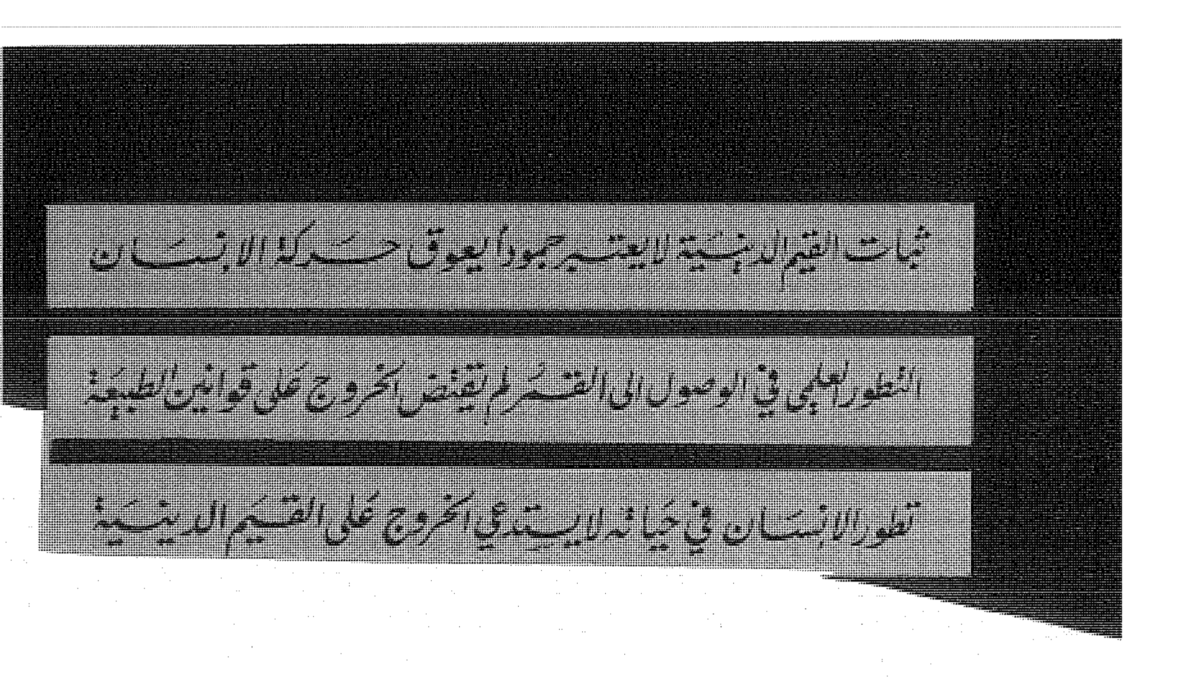
وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، لا بد من وقفة عند معنى التطور والثبات .

ان الوجود بما فيه من مختلف الكائنات ، تحكمه قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فهذه الافلاك فى حركتها الدائبة ، وهذه الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات .. تقوم على نظام ثابت وقواعد محكمة ، ولكل منها قانونه الذى يخضع له ويسير عليه .

بلايين الكواكب والنجوم التى تسبح فى الكون ، لكل منها مدارها الذى لا تحيد عنه ، ومجالها المغناطيسى الذى لا تتجاوزه .

الانسان الذى يبدأ تكوينه من خلية واحدة ، فاذا هذه الخلية تتحول الى جسم متعدد العناصر من لحم وعظم وغضاريف ودماء ، متعدد الاجهزة من قلب ورئة ومعدة وعين وأذن وأعصاب ، متنوع المشاعر من شجاعة وخوف ، من كرم وبخل ، من حب وكراهية .. الى غير ذلك من الاضداد ..

عالم النحل بما فيه من تخصص عجيب فى العمل ، حيث تقوم كل نحلة



بعمل معين ، وبما فيه من هندسة عجيبة فى بناء البيوت التى تتكون من عدة غرف مسدسة الاضلاع !!

النبات الذى تلقى بذوره فى أرض واحدة ، ويسقى بماء واحد ، ثم يخرج بعد ذلك مختلف الانواع والالوان والرائحة والطعم ..

هذه الكائنات جميعها تحكمها قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . ومنها الانسان الذى تحكمه قوانين ثابتة فى تكوينه وخلقه ، كما يرتبط بقوانين أخرى فى حياته هى القيم الدينية التى لا تتغير ولا تتبدل ، لأنها تتصل بفطرة الانسان ومعنى وجوده فى هذه الحياة .

ومن هنا كان معنى الثبات فى القوانين الكونية بالنسبة للكائنات ، وفى القيم الدينية بالنسبة للانسان .

واذا كان ثبات القوانين الكونية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الكائنات فى الكون ، ولكنه ضرورة تنظم وجود هذه الكائنات ومسيرتها ـ فكذلك ثبات القيم الدينية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الانسان فى الحياة ، ولكنه ضرورة تنظم حياة الفرد والمجتمع .

ولننظر فى هذه القيم الدينية وكيف أنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت أساليب تفكيره ومعيشته ..

ان الدين فى جوهره تنظيم للصلة بين الانسان وربه خالق الكون والحياة ، وتنظيم للصلة بين الانسان والمجتمع الذى يعيش فيه . وذلك على أسس مترابطة لا ينفصل أحدهما عن الآخر . فهو حين يقوم على الايمان بالله واحد متفرد بكمال الصفات ، انما يجرد البشر فى الوقت نفسه من دعوى الالوهية والاستعلاء والسيطرة ، ويبطل مزاعم الذين يرون لأنفسهم حقوقا مقدسة أو غير مقدسة على غيرهم من الناس ، ويضع الجميع على مستوى واحد فى الحقوق والواجبات، ثم لا يبقى لأحدهم فضل على الآخر الا بما يقدم من عمل صالح يفيد الفرد أو المجتمع .

والدين حين يقرر مبدأ الجزاء ويعد بالثواب والعقاب ، يقرر كذلك أن الله — تبارك وتعالى — لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه . وانما هى حوافز وزواجر تتصل بالفطرة الانسانية لتبلغ بالفرد والمجتمع الغاية من وجوده فى هذه الحياة .

والدين حين يقرر حتمية البعث والنشور ، انما يقضى على فكرة « العدم » التى تغرق الانسان فى الشعور بالضياع والتفاهة ، وتقتل فيه معنى وجوده ، وتدفعه الى اليأس والكآبة التى تحطم حياته ، أو الاستغراق المجنون فى الفردية وانتهاب الملذات . وبذلك يعطى الدين للحياة قيمتها ، ويرسم للانسان رسالته فى هذه الحياة ، ويربطه بأهداف سامية تبعث فى نفسه معنى الخلود .

وعقيدة الايمان بالله ، لا تستطيع الانسانية أن تستغنى عنها فى أى عصر من العصور ، ولا فى أى مجتمع من المجتمعات ، لأن هذه العقيدة مرتبطة بالفطرة الانسانية . وما يحدث لهذه العقيدة من قوة أو ضعف ، من استقامة أو انحراف ، انما ينشأ نتيجة التوافق مع الفطرة الانسانية أو التناقض معها فى الفكر والاتجاه .

فالفطرة الانسانية تؤمن بوجود اله مبدع لهذا الكون ، له الاسماء الحسنى ، وحده لا شريك له ، ولا معبود بحق سواه . فاذا انحرف الانسان عن فطرته ، لا يستطيع حتى مع انحرافه أن يتخلى عن فكرة الاله المعبود ، ولكنه يخطىء فى تصور هذا الاله والتعبد له . ولهذا الانحراف عن الفطرة الانسانية وما يؤدى اليه من خطأ التصور والعبادة صور كثيرة :

فمن الناس من يعبد الاصنام ، أو يقدس بعض الحيوان !

ومنهم من يعبد البشر من الملوك والزعماء ، أو من الاحبار والرهبان والصالحين :

— « اتخذوا أحبارهم (١) ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢) .

ومن هؤلاء « الاحبار » من تعتبر آراؤهم ونظرياتهم عند أتباعهم فى بعض المجتمعات المعاصرة « دينا » له قداسة الدين المنزل من السماء ..

وقال آخرون فى مقام التبرير والاعتذار : — « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) .

ومن الناس من يعبد آلهة أخرى .. المال ، الشهوات ، الاهواء : — « أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .. » (٤)

ان الانسان حين ينحرف عن فطرته ، لا يستطيع أن يعيش فى فراغ عقائدى ، فهو يشغل هذا الفراغ ويلبى نداء الفطرة بتصور الاله على صورة ما .. سواء كان على خطأ فى هذا التصور أم على صواب !!

وكذلك القيم الدينية التى تنظم حياة الفرد والجماعة ، لها صفة الثبات والدوام والاستقرار ، لأنها تتصل بالفطرة الانسانية التى لا تتغير ولا تتبدل . « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٥) .

---

(١) علماءهم .
(٢) الآية ٣١ سورة التوبة .
(٣) الآية ٣ سورة الزمر .
(٤) الآية ٢٣ سورة الجاثية
(٥) الآية ٣٠ سورة الروم .

ان رعاية حقوق الوالدين مثلا ، من القيم الدينية التى لا تتبدل ولا تتغير ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت صور المجتمع : ـــ « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (١) .

وكذلك المساواة بين البشر دون النظر الى الجنس أو اللون أو الغنى أو الفقر : ـــ « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) .

... وتقويم كل امرىء بما يحسنه ، لا بما يدعيه من حسب ونسب وثروة وجاه . واقامة العدل ، والاحسان فى القول والعمل ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ـــ هذه المبادىء العامة وغيرها مما يشكل الصورة الكلية للدين لا يمكن أن تتغير موازينها أو تتبدل آثارها على اختلاف الزمان والمكان ، لأنها حقـائق ثابتة وقيم خالدة كما لا يمكن أن تتغير أو تتبدل مسيرة الافلاك وسنن الطبيعة فى الكون والحياة .

وانما يجرى التغيير والتبديل داخل اطار هذه الصورة الكلية للقيم الدينية ، وانطلاقا منها لتحقيق المصلحة ومواجهة تطور الحياة وتجدد صورها . وقد كفلت هذه القيم الدينية تلبية سمحة لكل حاجات البشر ، واستجابة غير محدودة لكل تطلعات الفكر الانسانى .

ذلك أن الدين ـــ حتى فى الامـــور التعبـــدية ـــ يحرص على تأكيد معنى « المصلحة » فى هذه العبادات ، ولا يفرضها فرضا بدون تعليل أو بيان ..

- « وأقم الصلاة أن الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر » (٣) .
- « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (٤) .
- وفى الدعوة الى الحج يقول : « ليشـهدوا منافع لهم » (٥) .

ومن القواعد المقررة فى الشريعة ، أنه حيث تكون المصلحة فثم شرع الله ، وأنه لا ضرر ولا ضرار .

وانطلاقا من هذه المبادىء العامة نشأ ما يسمى بالمصالح المرسلة ، وهى ما لا يشـهد لها « نص » بالابقاء أو الالغاء . والتى تحقق « المصلحة » حيث تكون ما دامت لا تعارض نصا قطعى الدلالة .

ان أبا بكر ـــ رضى الله عنه ـــ حارب ما نعى الزكاة ، وليس لعمله هذا سابقة من قبل . وأسقط عمر سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات ، حين قويت شوكة الاسلام ، كما أسقط حد السرقة عام المجاعة . مع ما فى ذلك من ظاهر المخالفة لما ثبت بالنص ، لأن دلالة الحكمة أقوى من ظاهر النص . وليس هناك استهداف للمصلحة وحرية فى التشريع أبلغ من هذا الذى فعله عمر !!

ومن القيم الدينية الخالدة فى مجال الفكر اطلاق حوافز الانسان للنظر فى

---

(١) الآية ٢٣ و ٢٤ سورة الاسراء .
(٢) الآية ١٣ سورة الحجرات .
(٣) الآية ٤٥ سورة العنكبوت .
(٤) الآية ١٠٣ سورة التوبة .
(٥) الآية ٢٨ سورة الحج .

ملكوت السموات والارض ، واثارة أشواقه للكشف عن عالم الغيب فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وأن يجاهد فى عمارة الارض التى استخلفه الله فيها ، ولم يقيد الدين ذلك الا بالحدود التى تحمى الفرد والمجتمع من غوائل الاسـراف والبغى .

والانسان قد يتطور أسلوب تفكيره بما يكتسب من تجارب العلم والمعرفة ، وقد يتطور أسلوب حياته من البداوة الى الحضارة . فهل هذا التطور فى أساليب التفكير والحياة ، يستدعى بالضرورة تغييرا وتبديلا فى القيم الدينية الثابتة ، أو الانصراف عنها الى قيم أخرى تحل محلها وتشغل ما تخلفه من فراغ ؟

ان التطور العلمى فى الوصول الى القمر مثلا ، لم يقتض الخروج على قوانين الطبيعة الثابتة . ولكن هذا التطور تم من خلال هذه القوانين التى جعلت لكل من الارض والقمر منطقة جذب محدودة بأبعادها ، فاذا انطلق الانسـان بمركبته وتجاوز منطقة الجاذبية الارضية ، يظل فى اتجاهه البعيد حتى يصـل الى منطقة الجاذبية الاخرى التى تقوده الى الهبوط على القمر بسلام !!

وكذلك التطور الذى يحققه الانسان فى حياته ، لا يستدعى بالضرورة الخروج على القيم الدينية ، أو ابدالها بقيم أخرى غيرها ، لأنه انما يحقق هذا التطور من خلال ما تدعو اليه هذه القيم التى تستهدف تحقيق معنى وجود الانسان فى هذه الحياة .

لـماذا اذن نشأ الصراع فى بعض العصور ، وفى بعض المجتمعات ، بين الدين والعلم ، وبين الدين والحياة ؟

الحقيقة أن الصراع لم ينشأ على هذه الصورة ، لم يكن هناك صراع بين الدين والعلم ، ولا بين الدين والحياة ، لأنه لا تعارض بين الدين وبين العـلم والحياة ..

وانما نشأ الصراع فى أوربا فى العصور الوسطى بين رؤساء الدين وبين الرواد من علماء الفلك والجغرافيا ، حين اصطدمت الكشوف العلمية لهـؤلاء الرواد ، بما لهؤلاء الرؤساء وغيرهم من تفسيرات للكون والحياة .

من هؤلاء الرواد « نيقولا كوبرنيكوس » الذى أعلن نظرية تعتبر اليوم من البديهيات ، ولكنها أثارت فى ذلك الوقت عاصفة من الانكار الشديد .. وهى أن الشمس لا تدور حول الارض ، ولكن الارض ومعها الكواكب السيارة هى التى تدور حول الشمس .

ولولا أن « كوبرنيكوس » توفى بعد ساعات من صدور كتابه الذى ضمنه هذه الحقيقة العلمية ، لـما نجا من العقاب الاليم الذى تعرض له من جاء بعده من العلماء ..

ومن هؤلاء « غاليليو » الذى تابع جهود سلفه وأثبت نظرية دوران الارض ، فقاده هذا الى الوقوف أمام محكمة التفتيش فى روما ، ليحاكم بتهمة الـكفر والالحاد ، ويلقى من أجل ذلك السجن والتعذيب والاهانة والمصادرة ، ثم يموت بعد ذلك شيخا محطما محروما حتى من الصلاة على جثمانه ، منبوذا بعيدا عن مقابر أهله ومواطنيه ! (١) .

ولقد ظل الصراع محتدما بين آباء الكنيسة والعلماء عدة قرون حول هذه الحقائق وغيرها من الكشوف العلمية ، وحول مصادرة حرية الفكر باسم الدين — الامر الذى أحدث فجوة كبيرة بين التصور الدينى للكون والحياة كما يريد أن

---

(١) كتاب « تاريخ الصراع بين اللاهوت والعلم » للاستاذ اسماعيل مظهر .

يفرضه رؤساء الدين هناك ، وبين الحقائق العلمية التى غزت العقول وأصبحت من القضايا المسلم بها فى منطق العقل والواقع .

ومن جهة أخرى ، كان موقف بعض رؤساء الدين هناك يتعارض مع الحقوق الانسانية للفرد والمجتمع ، فى علاقة الانسان بربه ، وفى الاسس التى يقوم عليها كيان المجتمع السليم ..

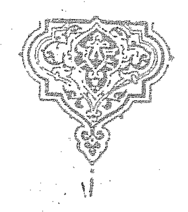
- كان بعض الباباوات يبيعون الجنة بالبطاقات !
- وكان بعضهم يبيع الوظائف الكنسية لمن يدفع ثمنا أكبر ..
- وكانت الكنيسة تمثل النظام الاقطاعى فى حيازة الاراضى الشاسعة ، وتسخير « المؤمنين » فى خدمتها لحساب الآباء والرؤساء !
- ثم كانت العلاقات « المريبة » والفاضحة ، بين بعض الآباء وسيدات القصور .. (١) .

من هذا وذاك ، اهتزت الصورة الدينية فى الغرب ، وانحسر سلطان الدين عن مكانه الطبيعى فى النفوس وفى المجتمع ، وأصبح عند القلة المتدينة طقوسا يؤدونها دقائق كل أسبوع ..

هذا فى الغرب ، فماذا فى الشرق ؟

ان الامر هناك قريب من ذلك . والدين فى جوهره برىء مما ألصق به فى تلك المجتمعات ، لقد حكموا على الدين من خلال مواقف بعض المنتسبين اليه ، ومن خلال الصور التى انحرفت بالناس عن حقيقة الدين وقيمه وأهدافه ، حتى قال بعضهم فى وصف هذا الدين الذى عايشوا رجاله وصورته المزيفة انه « أفيون » الشعوب . لأن الدين بهذه الصورة كان مسخرا لدعم سلطان القياصرة ، وفرض العبودية والاستغلال على الجماهير ، وصرفهم عن الجهاد لاسترداد حقوقهم وكرامتهم وبناء مجتمعهم على أساس من الكفاية والعدل .

هذه هى أزمة الدين فى المجتمعات التى انحسرت فيها القيم الدينية عن واقع الحياة . وهى أزمة لا تقوم على تعارض بين القيم الدينية وتطور الفكر والحياة ، ولكنها تقوم على مواريث فكرية واجتماعية استقرت هناك نتيجة الصراع المزعوم بين الدين والعلم ، وبين الدين والحياة ..



---

(١) كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية » تأليف برتراند رسل . ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود .

حول القرآن الكريم

للدكتور
عبد العال سالم مكرم
جامعة الكويت

التقاء الثقافات بين الأمم المختلفة ظاهرة معروفة سجلها التاريخ فى صفحاته الخالدة ، وهـذا أمر طبيعى ، لأن الفكر الانسانى يدور فى فلك واحد ، هو الانسان نفسه ، من حيث ارتباطه بالحياة ، من حيث حاجياته ومطالبه ، من حيث تقدمه وتطـوره ، من حيث نظرته الى الحيـاة ، وفهمه لطبيعـة الوجود ، ومن حيث ارتباطه بقوة هى أعظم من قوته ، تسيطر عليه ، وترسم له خطوط رسالته فى الحياة .

ولما فتح المسلمون هذه البلاد العديدة ، باسم العقيدة ، وباسم الاسلام ، لم يبخلوا بثقافتهم الاسلامية على البلاد التى فتحوها ، فقدموا لهم من زادها الفكرى ما أنار لهم جـوانب الحياة ، فكراً وعقيدة سياسة واجتماعا ، أدبا وثقافة اصلاحا وتهذيبا ..

ففى بلاد الأندلس مثلا تحتل الثقـافة الاسلامية المكان الأعلى فى نفوس أبنـاء هذه البـلاد ، مما هال أحد المفكرين الاسبان ، فكتب يقول :

« ان أرباب الفطنـة والتذوق ــ سحرهم رنين الأدب العـربى ، فاحتقروا اللاتينية ، وجعلوا يكتبون بلغـة قاهريهم دون غيرهـا وأنهم يعجبون بشـعر

العرب ، وأقاصيصهم ويدرســـون التصـــانيف التى كتبها الفـــلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحـــاضها والرد عليها ، بل لاقتبـــاس الأسلوب العربى الفصيح ، فأين اليوم من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيـــل غير رجال الدين . الى أن يقول : .. ان الجيل الناشىء من المسيحيين الأذكيـــاء لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربى واللغة العربيـــة وانهم ليلتهمون كتب العرب ، ويجمعون منها المكتبات بأغلى الأثمان » (١) .

ومن الأندلس سطع نور الحضارة الاسلامية على أوربا ، فأنارت أمامها الطريق الى الحضارة الأوربية التى نمت وتطورت فغزت آفاق الفضاء .

ولما ضعف المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها تطلع الاستعمار باسم هذه الحضارة الى السيطرة على بلادهم ، واغتصاب ثرواتهم ، وتبديد ما لديهم من قيم ، وسلب ما بقى لهم من تراث .

على أن التراث الاسلامى ، وهو أثمن ما تملكه الأمة الاسلامية والعربية ، لم ينج من خطر هذا الاستعمار ، بل ان العديد من المؤامرات حيكت حوله ، من أجل جمعه ، والاستيلاء عليه ، بأى ثمن ، وبأية طريقة ، ليفقد المسلمون هـــذا التراث الذى يعتزون به من ناحية وليقدمه لهم المستشرقون بعد ذلك مشوهـــا من ناحية أخرى ، ليكون وسيلة تضليل تشكك المسلمين فى هذا التراث لينقطع الخيط الذى يربط الأمة الاسلامية بماضيها التليد ، وأمجادها السالفة فتعيش بلا تاريخ ، وتحيا بلا ماض ، ومن ثم تهتز ثقتها بنفسها ، فتكون كالشـــجرة التى اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، وقد عثر فى مكتبة (دير الشوير) بلبنان على وثائق تثبت هذه الحقيقة ، ومن هذه الوثائق الوثيقة التى تنص على أنه (فى سنة ١٦٧١م أرسل عالى الجناب الملك لويس الرابع عشر رسله الى جميع بلدان الاسلام لشراء المخطوطات ، وزود مبعوثيه بأوامر شريفة الى جميع القنـــاصل الفرنساوية ليضعوا رجالهم وأموالهم فى خدمة هذه الغاية) (٢) .

أليست هذه الوثيقة تثبت فى صراحة ووضـــوح تآمر الاستعمار الأوربى منذ القرن السابع عشر على تراثنا لتبديده ، أو تشويهه ، أو مسخه ؟ واذا فقدت الأمة تراثها ، فقدت أغلى مـــا تملك ، بل فقدت نفسها ، ومسحت وجودهـــا من التـــاريخ .

ولا شك أن تراثنا الاسلامى والعربى مصدره الأول القرآن الكريم ، فهو الينبوع الذى استقت منه المعارف والعلوم ما أمدها بالحيـــاة ، وما بعث فيها الحركة والازدهار .

وهذا القرآن الكريم هو الخـــط الأكبر فى وجه الاســـتعمار ، فمـــا دام المسلمون يحافظون على القرآن ، حفظا ، وعلما وعملا فان مطامحهم تتحطم على صخرته العاتية ، لأنه قوة تعمل عملها فى النفوس ، فتحول الضعف الى قوة ،

---

(١) الاســـلام والمستشرقون : الأستاذ زكريا هاشـــم ص ١٧ : طبع المجلس الأعلى للشـــئون الاســـلامية ١٩٦٥م .

(٢) الاســـلام والمستشرقون ص ٢١ .

والعجز الى حركة واليأس الى أمل : وصدق الله العظيم ((**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**)) .

من أجل ذلك صاح (فلادستون رئيس الوزارة البريطانية ، وبيده القرآن الكريم فى مجلس العموم البريطانى فى عهد الملكة فكتوريا وهو يقول : (ما دام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلن يقر لنا قرار فى بلادهم) .

لهذا فقد أخذ المستشرقون على عاتقهم التشكيك فى هــذا القرآن الكريم وذلك بترجمته ، وباقامة الدراسات فى مجاله .

وحينما بدا لى أن أكتب فى هذا الموضوع ، وعشت فى المراجع التى كتبت عن المستشرقين فى مجال الدراسات الاسلامية أعنى هذا المجهود الضخم الذى بذل فى ترجمة القرآن الكريم من العربية الى اللغات الأوروبية منذ سنة ١١٤٣م حيث ظهرت أول ترجمــة للقرآن الكريم باللاتينيــة على يد المستشرق (روبرت أوتشتر) الى يومنا هذا ، وراعنى أكثر هذا السيل المتدفق من الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم ، أقول : لقد تملكتنى الدهشـــة ، واستبد بى الألم ، كيف جندت هذه النفوس لتحمل هذا العبء الثقيل ؟ وما السر وراء هذه الجهود ؟ ولماذا وقف علماؤنا متجمدين أمام هذه الأعمال الضخمة ، لِم لم تعرض ؟ لم لم تنقد ؟ لم لم تقم حولها الدراســات ، ان الاسلام قوة ويخشـــى المستعمرون أن يجذب بقوته الكثير من أبناء جلدتهم ، فحاول الكثير منهم أن يشوه هذا الاسلام فى مصدره الأول ودعامته الأولى ، وذلك بالاجهاز على كتاب الله .

ومن هؤلاء المستشرقين الذين حملوا معاول الهدم المؤرخ (برايس) الذى قال : (أن احتكاك الاسلام بالحضارة سيقضى عليه ويؤذن بنهايته) .

ومن هؤلاء (لنز) الذى قال : (ان الاسلام قد يبقى اذا ترك لنفسه ، أما اذا احتك بالمدينة الحديثة فانه يمت لا محالة) .

ومن هؤلاء (بيشون) الألمانى القائل : (ان انحطاط المسلمين يرجع الى أسباب متصلة بالاسلام نفسه لعدم موافقته روح التمدن) (٣)

وانتشرت حركة الاستشراق فى أوربا وأمريكا ، ولا زالت فى نمو مستمر ، ولا زالت المطابع ، ودور النشر تخرج لنا الكثير من تراثنا العربى والاســـلامى محققا بيد هؤلاء المستشرقين ، وان الكثير منه قدموه لنا ناقص التكوين أو مشوه الولادة ، أو محشوا بالأباطيل .

والذى يدعو الى العجب حقا أن المثقفين من أبناء العرب الذين تتلمذوا على هؤلاء المستشرقين عاشوا بأفكارهم ، لم يحاولوا أن يجددوا ، لم يحـــاولوا أن يردوا الحق إلى نصابه ، بل كانوا مفتونين بآراء هؤلاء المستشرقين يرددونها من غير وعى ، كأنها قرآن منزل لا يقبل النقاش أو الجدل .

---

(٣) من مقدمة كتاب (المستشرقون والاسلام) .

فباسم حرية التفكير التى يدعونها تحطمت المقاييس ، وأوشك التراث على الضياع مع أن حرية التفكير التى تقوم على المنطق ، بعيدة عن الهوى ، بريئة من النوايا السيئة لا تتعارض مع الاسلام ، بل لا أبالغ اذا قلت انها مبدأ من مبادئه ودعامة من دعائمه ، لأن الاسلام ، أتاح للعقل الانسانى هذه الحرية فى التفكير لأنه ابن الحياة ، ومن حقه أن يتعرف عليها معرفة كاملة ، وبهذه المعرفة يشتد عوده ، ويتسع ادراكه ، ومن ثم يستطيع أن يتطلع الى آفاق أرحب والى مجالات أوسع بحيث لا يقف عند ظواهر الأشياء ، وانما يتعمق فى كنهها ليدرك أسرار الوجود ، وحقيقة الحياة ، وبذلك يساعد الانسانية فى تقدمها وتطورها .

ولو سار المستشرقون فى بحوثهم ودراساتهم وراء هذه الغاية لأفادوا الانسانية ، وقدموا لها المصباح الذى ينير لها دياجير الحياة ، ولكن التعصب الأعمى وقف حائلا بين الكثير منهم وبين هذه الغاية ، فكانت معظم أفكارهم حول الاسلام تحتاج الى تصحيح أو تعديل حتى لا يقع ناشئة المثقفين فى حبائلها ، فتلتوى فى نفوسهم وسائل التفكير .

وهذا الانتاج الضخم فى مجال الدراسات القرآنية الذى أشرت اليه سابقا قد يجهله الكثير من المثقفين العرب مع أن الواجب يقضى (أن نفهم حقيقة ماضينا وحاضرنا ، وأن نقرأ ما يكتب لنا أو علينا وما نعرف أو نوصف به) .

من أجل ذلك أحب أن أضع بين يدى القارىء صورة لهذه المجهودات فى الدراسات القرآنية التى قام بها المستشرقون ، وهى تتمثل فى أمرين هما :

(١) ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية .
(٢) الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم .

أولا : ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية :

كانت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة اللاتينية : وقام بها المستشرق روبرت أوتشتر : فى عام ١١٤٣م وقد كان روبرت أسقفا فى أسبانيا ، وتثقف بالثقافة العربية ، واشتغل بالرياضة والفلك ثم صرف عنهما الى ترجمة القرآن باللغة اللاتينية وقد استعان باثنين من العرب فى هذه البلاد .

اللغة الفرنسية : وقد ترجم القرآن الكريم باللغة الفرنسية على يد جماعة من المستشرقين الفرنسيين أذكر من هؤلاء : الدكتور (ماردروس) وقد ولد فى القاهرة ١٨٦٨م ، وتعلم فى مدرسة الآباء اليسوعيين وترجم القرآن الكريم الى الفرنسية عام ١٩٢٦م .

= مونتيه : من أصل سويسرى ، وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق منذ نشأته ، وترجم القرآن الكريم الى الفرنسية ١٩٢٩م ، ونقلت الترجمة الى اللغة الايطالية فيما بعد .

= أوكتاف بل : ولد فى الجزائر حيث تلقى علومه هناك ، وعين مديرا

لمعهد الدراسات العليا ، وقد اشترك مع محمـد التيجانى فى ترجمة القرآن الكريم الى الفرنسية .

= بلاشر : تلقى دروسه الثانوية فى الدار البيضاء ، وتخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر .

ترجم القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية فى ثلاثة أجزاء طبع باريس ١٩٥٢م .

اللغـة الايطاليـة :

ومن المستشرقين الايطاليين الذين نقلوا القرآن الكريم الى اللغة الايطالية :

= الأب ماراتش : وقد ولد فى ضاحية (لوكا) بايطاليا ، وتعلم العربية ، وترجم القرآن الكريم الى الايطالية ترجمة حرفية سنة ١٦٩١م .

اللغـة الانجليزيـة :

ومن المستشرقين الانجليز الذين ترجموا القرآن الكريم الى اللغة الانجليزية :

(ج . رودويل) ترجم القرآن الكريم فى ٥٦٢ صفحة طبع لندن ١٨٧٦م .

ادوارد هنرى بالمر : ترجم القرآن الكريم سنة ١٨٨٠م طبع أكسفورد .

جورج سيل : ترجم القرآن الكريم فى ٤٧٠ صفحة ١٨٩٢م يقول الأستاذ نجيب عفيفى : (وقد نجح فى ترجمته فذكرها فولتير فى القاموس الفلسفى ، وأعيد طبعها مرارا ، الا أنها اشتملت على شروح وحواشى ، ومقدمة مسهبة هى فى الحقيقة بمثابة مقالة اضافية عن الدين الاسلامى عامة حشاها بالأفك ، واللغو ، والتجريح وقد نقلها الى العربية ابن الهاشم العربى ١٩١٣م طبع القاهرة) (٤) .

ما رمادوك وليم بكثول : ترجم معانى القرآن الكريم سنة ١٩٣٠م قصد بعدها مصر لمراجعة ترجمته مع بعض العلماء ، وطبعت طبعة ثالثة فى ٦٩٣ صفحة طبع لندن ١٩٦٢م .

ريتشارد بل : ترجم القرآن الكريم سنة ١٩٤١م وكان جل غرضه من هذه الترجمة تحليل السور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبى لها .

اللغـة الهولنديـة :

ومن المستشرقين الهولانديين كرامزر .

ترجم القرآن الكريم الى الهولاندية ١٩٥٦ طبع أمستردام بروكسل .

اللغـة الألمانيـة :

ومن المستشرقين الألمان :

فردريخ شواللى : وهو تلميذ المستشرق نولدكه ، وقد أعاد طبع تاريخ النص القرآنى لنولدكه بعد تحقيقه ، والتعليق عليه فى مجلدين طبع (ليبزيج ١٩٠٩ — ١٩١٩م) .

---

(٤) المستشرقون : نجيب عفيفى ج ٢ ص ٤٧١ .

نولدكه : أشهر آثاره : أصل وتركيب سور القرآن طبع ١٨٥٦م ثم أعاد النظر فيها وترجمها الى الألمانية ونشرها بعنوان : تاريخ النص القرآنى سنة ١٨٦٠م .

اللغة الدانماركية :

يدرسين : ندب فى عام ١٩١٦ الى جامعة كوبنهاجن محاضرا ، فترجم القرآن الكريم الى الدانمركية طبع أستكهولم ١٩١٧م .

ثانيا : الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم :

باللغة الفرنسية :

(توافق القرآن والانجيل) بحث نشره المستشرق يوستل الذى ولد فى مدينة بارنتون من أعمال نورماندى ونشر سنة ١٥٤٣م .
(السامريون فى القرآن) بحث للمستشرق جوزيف هاليفى من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بالسوربون ونشر بحثه فى المجلة الآسيوية ١٩٠٨م .
(وجه الشبه بين القرآن وشعر أمية بن أبى الصلت) بحث للمستشرق الفرنسى هيارناڤا وقد نشر بحثه سنة ١٩٠٤م .
(بحث عن القرآن الكريم) للمستشرق البارون كارادى ڤو وقد نشر بحثه ١٨٩٨م .
(دراسة آية من القرآن الكريم) للمستشرق جريڤو وقد نشر بحثه ١٩١٤م فى مجلة الشرق المسيحى .
(القنديل والزيت فى القرآن) للمستشرق الفرنسى كلرمون — جانو وقد نشر بحثه فى مجلة تاريخ الأديان ١٩٢٠م .
(النفس فى القرآن) للمستشرق بلاشر وقد نشر بحثه فى مجلة الساميات ١٩٤٨م .

باللغة الانجليزية :

(سلك البيان فى مناقب القرآن) للمستشرق الانجليزى بنريس وقد طبع فى لندن ١٨٧٣م .
(التطور التاريخى للقرآن) للمستشرق الانجليزى كانون أدوارد سل وقد طبع فى مدراس ١٨٩٨م .
(الاعجاز فى القرآن الكريم) للمستشرق الانجليزى روبسون وقد نشر ١٩٣٣م .
وقد نشر كارل ڤولليرس النمساوى أستاذ اللغات الشرقية بجامعة ڤينا بحثا بعنوان (القرآن بلهجة مكة الشعبية) .

باللغة الألمانية :

(نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) بحث للمستشرق الألمانى ڤلوجيل المولود فى ١٨٠٢م والمتوفى ١٨٧٠م .

(الكلمات الأجنبية فى القرآن) للمستشرق الألمانى فرانكيل وهى رسالته فى الدكتوراة . وقد ولد فى ١٨٥٥ — ١٩٠٩م .
(تفسير القرآن وترتيبه) للمستشرق هيرتوريج هير طبع ١٩٠٢م .
(حروف النفى فى القرآن الكريم) طبعت ١٩١١م ، والطبعة الثانية بتوسع ١٩١٤م .
(معجم قراء القرآن وتراجمهم) طبع ١٩١٢م .
(تحقيق القراءات الشاذة فى كتاب المحتسب لابن جنى طبع ١٩٣٣ م .
(كتاب مختصر القراءات) لابن خالويه طبع ١٩٣٣م .
وهذا الانتاج للمستشرق الألمانى برجستراسر وبعض الكتب المحققة من التراث ، قد طبعت باللغة العربية .
(كتب تفاسير القرآن) للمستشرق الألمانى زايبسولد المولود ١٨٥٩م والمتوفى ١٩٢١م .

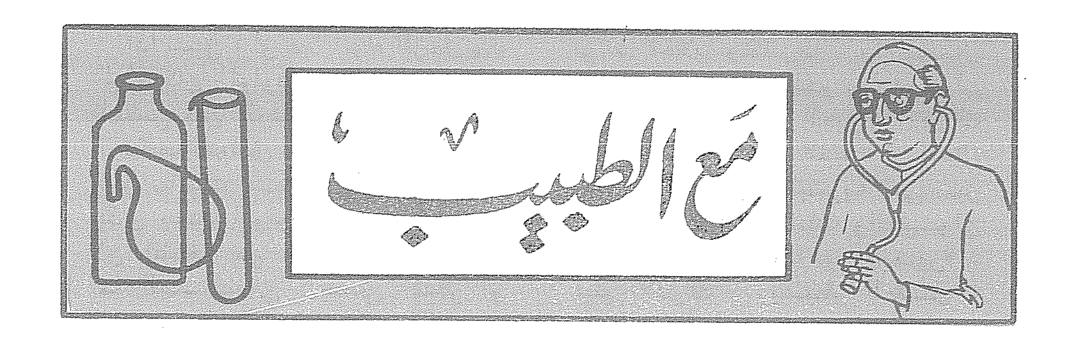
(التوراة فى القرآن) للمستشرق الألمانى غايل طبع ١٨٣٥م .
(مذهب الطبيعة الواحدة النصرانى فى القرآن) للمستشرق بومشتارك وله كتاب (النصرانية واليهودية فى القرآن) طبع ١٩٢٧م .
(مراجع القرآن وعلومه) .
(رسالة فى تاريخ علم قراءة القرآن) .
وهذان البحثان للمستشرق الألمانى بريتسل المولود عام ١٨٩٣ — المتوفى ١٩٤١م .
(الشرع فى القرآن) للمستشرق الألمانى ريجلين .
(دليل القرآن) للمستشرق الألمانى مالير .
(تفسير القرآن) للمستشرق الألمانى كومبرت وقد نشر ١٩٤٨م .
(الصلاة فى القرآن) للمستشرق الألمانى جوتيه .
(القرآن) بحث ألقى فى مؤتمر المستشرقين للمستشرق الألمانى أنطون شبيالير وقد ولد سنة ١٩١٠م . (٥)

وبعد ، فان الناظر الى هذه الدراسات القرآنية يرى أن وراءها سموما دفينة ، تقدم سهلة التناول باسم المناهج الحديثة فى الدراسات الاسلامية من ناحية ، وباسم حرية الفكر من ناحية أخرى .

لهذا ، فان الواجب يقضى أن ينظر الى تراثنا الذى مسته يد المستشرقين نظرة واعية فيها الكثير من اليقظة ، وفيها التعمق الذى يكشف ما وراء السطور ، فما وافق قيمنا ، وسار فى درب ثقافتنا الاسلامية قبلناه ، وما حاد عن السنن وركب الشطط ، ولاذ بالانحراف رفضناه ، وفضحناه ، وهناك جوانب فكرية أثارها المستشرقون فى مجال الدراسات القرآنية استطعت أن أبين زيفها ، وألمس عوارها ، فالى بحث قادم لعرض هذه الجوانب ، والرد عليها ان شاء الله ، تلبية لقول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

---

(٥) الذى أعاننى فى جمع هذه الدراسات من بين السطور الكتب الآتية :
أ — المستشرقون : نجيب عقيقى ط ثالثة — دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
ب — المنتقى من دراسات المستشرقين : الدكتور صلاح الدين المنجد — طبع القاهرة ١٩٥٥م .
جـ — المستشرقون والاسلام : زكريا هاشم طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .



نفخ الروح غير تكاثر الخلية

الصبغي الجنسي المذكر والمؤنث

تفضل الدكتور حسن هويدى بالاجابة عن أسئلة وجهت اليه حول بيان ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية عن نفخ الروح فى الجنين وعن تحديد نوعه ذكورة وأنوثة .
وفيما يلى نص الأسئلة والأجوبة ننشرها عن حضارة الاسلام الدمشقية ردا على الاستفسارات التى وردت للمجلة فى هذا الموضوع

١ ـ فى الحديث الشريف :
« ان احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات .. » .
أ) هل ثبت علميا هذا التسلسل الزمنى والانتقال من نطفة الى علقة الى مضغة ؟
ب) هل الروح تنفخ فى الانسان بعد تمام الـ ١٢٠ يوما أم أنها تنفخ تدريجيا ؟
ج)المعروف أن النطفة هى خلية حية ، وكذلك البيضة خلية حية ، ومن اجتماعهما تتكون البيضة الملقحة والأخيرة تتكاثر حتى يتشكل الجنين على الشكل المعروف .
والسؤال : ما معنى نفخ الروح هنا ما دام هناك تكاثر وما دامت النطفة والبيضة خليتين حيتين ؟
د) ما هو الرأى حال انزال الجنين قبل الـ ١٢٠ يوما ، ووضعه فى محاضن خاصة حتى يتم التخلق ؟
هـ) يحاول بعض العلماء اليوم تلقيح البيوض والنطف خارج جسم الحى أى فى الزجاج ، فالى أى مدى يمكن نجاح هذه المحاولة وما هو رأى الاسلام فيها ؟

٢ — وفى الحديث الشريف :
اذا سبق (أو علا) ماء الرجل ماء المرأة كان المولود ذكرا ، واذا كان العكس كان المولود أنثى .
فكيف التوفيق بين الحديث الشريف وبين ما ثبت علميا من أن الرجل هو الذى يحدد المولود ذكرا أو أنثى ، لأن النطف فى الرجل تحمل أما الصبغى الجنسى المذكر أو الصبغى الجنسى المؤنث ، ذلك بعد الانقسام المنصف ، بينما البيضة فى المرأة تحمل فقط الصبغى الجنسى المؤنث .
فاذا كانت النطفة الملحقة للبيضة تحمل الصبغى الجنسى المؤنث كان المولود أنثى ، واذا كانت النطفة الملحقة للبيضة تحمل الصبغى الجنسى المذكر كان المولود ذكرا .

* * *

١ — الحديث الشريف « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه » .
أ) نعم ثبت علميا هذا التسلسل الزمنى ، والانتقال من نطفة الى علقة ، ثم الى مضغة ، وكثيرا ما يذكر بعض المدرسين فى كلية الطب الآية الكريمة الدالة على ذلك بكل اعجاب .

ب/ج) قضية نفخ الروح بعد تمام الـ ١٢٠ يوما جاء بها الحديث الصحيح يخبر عن هذا السر العظيم من عالم الغيب ، قبل أن يصل الطب الى ما وصل اليه من علم الجنين ، وها هنا يجب أن نميز بين أمرين لنحصر الاجابة على الفقرتين (ب/ج) بفقرة واحدة .
الكائن البشرى فيه روح حيوانية وروح بشرية ، أما الروح الحيوانية فهى كالتى يتمتع بها الحيوان بل تشبه النامية النباتية فى النبات ، ويتم بكل من الروح الحيوانية والنامية النباتية توالد الخلايا وتكاثرها ، والأعمال الغريزية ووظائف الحواس دون أن تهب جسم النبات أو الحيوان الادراك الشامل أو البصيرة النافذة أو العقل المدبر ، أما الروح البشرية التى تميز بها الانسان على النبات والحيوان فهى التى يشرق منها نور البصيرة ، فيتم الادراك ، ويسيطر العقل ، وتتصرف الارادة ، ويستقيم المنطق ، مما حرم منه الحيوان على الرغم من تمتعه بالحياة الحيوانية والتصرفات الغريزية ، ولذلك عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق متحرك بالارادة ، ولو لم تكن ارادة وعقل لما صح تكليفه ، ولذلك لم يكلف الحيوان .

اذا تبين هذا عرف منه الفرق بين الروح الحيوانية التى تتكون تدريجيا بتكاثر الخلايا الحية فى جسم الانسان والحيوان على السواء ، وبين الروح البشرية التى تنفخ فى الجنين بنهاية الـ ١٢٠ يوما ، وبها يمتاز صراحة على النبات والحيوان ، ولو لم تكن روحا أخرى عظيمة ، لما امتاز الانسان على الحيوان بعقل وادراك ومنطق ، ومن توهم بعض طلاب الطب ظنهم أن روح الانسان ليست الا النامية النباتية ، أو الحيوانية التى بها تتكاثر الخلايا ، وتتولد الاخلاط ، وأذكر أن ثمة قولا لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه يفصل فيه بين الروح البشرية التى هى سر من أسرار الله تعالى وهبها الانسان تكريما وعناية ، وبين النامية الحيوانية والنامية النباتية ، ولا أذكر أين مر بى هذا الكلام النفيس لأشير اليه على التحديد .
بقى هنا أن نشير الى أن كتب علم الجنين فى الطب الحديث تنص على أن الجنين فى نهاية الأشهر الأربعة

يكون طوله (١٦ — ٢٠) سم ووزنه (٢٧٠) جراما ، وتظهر الأوبار على جسمه، ويكتمل أنبوب جهازه الهضمى ويبدأ الكبد بعمله الوظيفى ، ويكون قد تميزت ذكورته وأنوثته منذ الشهر الثالث ، اذن بعد هذا التكامل الجسدى الحيوانى (بواسطة تكاثر الخلايا التدريجى) أصبح الجسم مهيأ لايداع الروح البشرية التى هى من أمر الله ليتكامل تكاملا آخر بهيئة لحمل رسالته التى تميز بها على سائر المخلوقات ، وهذا طبعا من أخبار الغيب الا أنه لا يتعارض مع العلم ، بل ينسجم معه تماما بغير التباس ، ويدل عليه — كما قلنا — امتياز الانسان بالعقل والارادة والمنطق .

د/هـ) أن انزال الجنين قبل (١٢٠) يوما لا يؤدى الى شىء ، ويصيب الجنين حينئذ الموت المحقق وهو موت الحياة الحيوانية (حياة الخلايا) مهما حاول محاول ، أما محاولة بعض العلماء تلقيح البيوض بالنطف فى الزجاج فلم تنجح ، ولم يتكون من ذلك الا قطعة لحمية غير متميزة ولا مخلقة فهى كتلة من الخلايا فحسب ، وقد أجمع أطباء التوليد أن الجنين النازل من الرحم قبل الشهر السادس لا يعيش .

٢ — الحديث الشريف (اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة) .

ان ما كتب علميا من أن ماء الرجل يشتمل على الصبغى المذكر والصبغى المؤنث ، وان ماء الأنثى لا يشتمل الا على الصبغى المؤنث ، يذكر بحقيقة خلق المرأة الأولى من الرجل الأول (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

اذ لو لم تشتمل حقيقته على حقيقتها لما أمكن أن تنبثق عنه الا أن يشاء الله سبحانه خالق الأسباب ، وأن الذى ذكره أن الحديث ورد بمعنيين متباينين الأول ما ذكرتم ، والثانى (اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة أشبه الولد أباه) وبالعكس ، غير أنى لا أذكر سند الحديث بلفظه الذى ذكرتم فان ثبتت صحته كان التوفيق بينه وبين ما ذكر علماء هذا الفن كما يلى :

— اذا كان الولد ذكرا كان ذلك بسبب غلبة الصبغى الجنسى المذكر (وهى غلبة وعلو لماء الرجل لا شك فيها) . وذلك منسجم تماما مع ما جاء فى الحديث الشريف .

— اذا كان الولد أنثى كان ذلك بسبب غلبة الصبغى الجنسى المؤنث (الموجود فى نطفة الرجل) .

ولكن لما كان الصبغى المؤنث فى الرجل مشبها للصبغى المؤنث فى المرأة ، بل هو عينه تركيبا وتأثيرا صح أن نسميه ماء الأنثى «وما اشتمل عليه ماء الرجل الا لصفة كما قال فيه دون الأنثى بنى عليه تخلق الأنثى منه فى بادىء الأمر » واذا صح أن نسميه ماء الأنثى كانت الغلبة والعلو لماء الأنثى حالة تولد الأنثى ، وصح لنا حينئذ أن نقول: اذا سبق ماء المرأة ماء الرجل كان المولود أنثى .

وهنا يجب أن نلاحظ ملاحظتين الأولى : أنه لولا وجود الصبغى الجنسى المؤنث فى ماء المرأة لما كان المولود (أنثى على الرغم من الصبغى المؤنث فى ماء الرجل) اذن فصبغى المرأة المؤنث كان له دور ضرورى لازم (فى حالة تولد المولود أنثى) لا محالة . . . .

والثانية : لا يبعد أن يكشف العلم ان التأثير فى التأنيث متوقف على الصبغى الأنثوى فى المرأة بالدرجة الأولى دون أن يتنافى مع وجود الصبغى المؤنث وضرورته فى ماء الرجل .

حفلة خيرية

قال الطالب الفتى لأستاذه : ما بال قوم يعمرون الحانات والمراقص ، ويقترفون السيئات والآثام ، فيشربون ويلعبون ويريدون بذلك كله اغاثة الملهوف ، واطعام الجائع ، واعانة المحروم ؟
قال أحد الحاضرين : أولئك قوم يحادون الله ، ويوادون الشيطان .
قال آخر : أولئك قوم يتخذون غضب الله القوى وسيلة الى رضا الانسان الضعيف .
قال ثالث : أولئك قوم يقرضون الله بالربا ، ولكنهم يتعجلون الفائدة فى الدنيا مخافة أن تضيع عليهم فى الآخرة .
قال رابع : أولئك قوم وثقوا بالحياة العاجلة ، فاغتنموا لذاتها ، وشكوا فى الحياة الآجلة ، فلم ينتظروها .
قال الأستاذ : أولئك قوم يحسن أن تقرأوا فيهم ان شئتم قول الله عز وجل : ((أذهبتم طيباتكم فىحياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)) .

الحمامة . الذئب . الانسان

أثبتت التجارب النفسية على الحيوان :

١ ــ أن الحمامة لا ترجع عن خصمها اذا حبست معه فى قفص واحد حتى تجهز عليه .

٢ ــ أن السباع عامة تجرى على سنة غير هذه السنة فى صراعها مع أبناء نوعها ، فلا يعتدى الذئب على الذئب الذى يقاتله اذا استسلم له .

٣ ــ أما الانسان فهل يسلك مسلك الذئب أو مسلك الحمامة ؟

أسعد لحظات الأم

أسعد لحظة تمر بحياة الأم ، ولا تفارقها أبدا ــ هى اللحظة التى تضع فيها طفلها ، وينصرف عنها الناس ، وتشعر لأول مرة أن هذا المخلوق الصغير قد أصبح لها وحدها .

الزوجة المثالية

أجرى استفتاء بين عدد من الازواج ، وقد أثبت أن أهم صفات يجب أن تتحلى بها الزوجة هى أن تكون :

ربة بيت ممتازة ، وأما مثالية ، وطاهية ماهرة ، وصبورة طيبة القلب .
وأن تعرف متى يجب أن تتكلم ، ومتى يجب أن تسكت ، وأن تعنى دائما بمظهرها فى بيتها حتى تستطيع أن تحتفظ بزوجها .

أكبر أخطاء الأم

يؤكد علماء التربية أن الأم ترتكب أكبر الاخطاء فى حياتها عندما تترك مهمة العناية بتربية طفلها لامرأة أخرى مهما كانت الصلة التى تربطها بها ، حتى لو كانت أقرب قريباتها .

جوامع القارة الافريقية

١ ــ أقدم جامع فى افريقية جامع الفسطاط أنشأه عمرو بن العاص سنة ١٣ هـ .
٢ ــ يليه جامع الناقة بطرابلس . أنشىء سنة ٢٣ هـ .
٣ ــ وبعده جامع عقبة بالقيروان أنشىء سنة ٥١ هـ .
٤ ــ ورابعها جامع الزيتونة بتونس أنشىء سنة ١١٤ هـ .

مقالات فى كلمات

١ ــ كسوتنا الاخيرة فى الدنيا بغير جيوب .
٢ ــ السمعة الحسنة تذهب بعيدا ، والسيئة أبعد .
٣ ــ الثروة تعب فى الجمع ، وهم فى الصيانة ، وخوف من الضياع .
٤ ــ الحماقة فى الوقت المناسب عقل .
٥ ــ أحبب جارك ، ولا تهدم دارك .

أكبر دول العالم

١ ــ روسيا وتبلغ مساحتها (٢٢٫٤٠٢٫٠٠٠) كيلو متر مربع .
٢ ــ كندا ومساحتها (٩٫٩٧٦٫١٧٧) كيلو متر مربع .
٣ ــ الصين ومساحتها (٩٫٥٦١٫٠٠٠) كيلو متر مربع .
٤ ــ الولايات المتحدة ومساحتها (٩٫٣٦٣٫٣٥٣) كيلو متر مربع .

الهيموجلوبين

هو المادة الحمراء التى فى الكرات الحمراء فى الدم ، وعملها حمل الاكسجين من الرئة عند التنفس الى خلايا الجسم .

حرف الدال

دخل أبو خالد يزيد المهلبى على المعتمد مرات ، فأنشده قصائد على الدال ، فقال له : يا يزيد ، ما لى أراك لا تعدو الدال ؟ فقال : وكيف أعزك الله يا أمير المؤمنين ، وأسمى يزيد ، وأبى محمد ، وأكنى بأبى خالد ، وأنت المعتمد ، وتسمى بأحمد ومن صفاتك الجواد ، فأين أدع الدال .

الطوز

لفظ تركى معناه الغبار ، وتحمله الرياح القوية ، ويذهب فى السماء مئات الأمتار ، ويتكاثر أحيانا حتى يحجب نور الشمس ، وهو معروف فى الكويت .



دائرة المعارف الاسلامية وأبو هريرة والصحيحان

للشيخ : كمال أحمد عون

لمؤسسة الشعب بالجمهورية العربية المتحدة جهود طيبة فى بعث التراث العلمى والدينى ، وتيسير ما صعب اقتناؤه من أمهات الكتب ومراجع البحث ، الى جانب ما تنشر من مؤلفات حديثة نافعة .

ومن أعمالها الحالية طبع دائرة المعارف الاسلامية التى أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية أئمة المستشرقين فى العالم تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ، وينقلها الى العربية عدد من فضلاء الاساتذة العرب .

وهذه هى الطبعة الثانية بعد نفاذ ما أنجز منها ترجمة وطبعا فى المرة الاولى التى بدأت عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف ، تحت اشراف وزارة « المعارف » على جل مجلداتها ، وقد بلغت الى حرف العين خمسة عشر مجلدا .

تعليقات العلماء :

ولقد أنصف الاســـاتذة المترجمون حينما اتجهـــوا — أو اتجهت وزارة « المعارف » — الى عدد من أعلام العلماء فى الازهر ودار العلوم والجامعـــة وغيرها ليسهموا فى مراجعة الترجمـــة ، والتعليق على بعض المواد ، وابداء الملاحظات والآراء السديدة ، مقررين أن أولئك المستشرقين لا يسلمون من هوى أو خطأ شأن الطبيعة الانسانية .

كما نصوا صراحة فى مقدمة الطبعة الثانية (الحالية) على أن هذا العمل الجليل قد تجاوز الترجمة « الى التعليق على كثير من موادها ، بالتصحيح أو التكملة أو رد هوى ، أو درء مطعن ، وتولى ذلك أئمة الكتاب والعلماء العرب .. من الاساتذة المتخصصين .

وجاءت التعليقات والتصويبات على كثير من مواد الدائرة تتوالى فى الطبعة الاولى ، وهكذا هى فى الثانية ، وتتفاوت فيما بينها ، من سطور فى الهامش الى عدة صفحات فى صلب الدائرة أثر المادة المعلق عليها ، وربما علق على المـــادة الواحدة أكثر من واحد ، ونشرت تعليقاتهم فى نفس المكان تباعا ، وبدأ ذلك من أول صفحة ، وفى أول مادة ، وهى مادة الالف .

أبو هريرة فى الدائرة :

فلما جاء دور الحديث عن أبى هريرة الصحابى الجليل رضى الله عنه ، خالف المترجمون عادتهم فى عرض المادة على بعض المختصين لمراجعتها والتعقيب عليها ، **وقد جاءت المـــادة مزيجا من الحقائق والاغاليط** بقلم « جولدسهير » — ولو كانت تلك الاغاليط هينة لأمكن التغاضى عنها ، أو التماس العذر لمترجميها .

واذ قد فاتهم واجب التعقيب والتصحيح — ولا ندرى لفواته سببا — فما كان ينبغى أن يفوتهم ما كتبه المحققون من علماء المسلمين ردا على ما جاء فى الدائرة المذكورة **من أخطاء ومفتريات** ، وما نشرته مجـــلة الازهر — عميـــدة المجلات الاسلامية — بالنسبة لأبى هريرة ، ولغيره من الموضوعات الدينية وهى كثيرة ، ثم ماتلا ذلك من مؤلفات ، ومن ترجمة لأبى هريرة فى أعلام العرب .

بل كان عليهم أن ينظروا ما دونته الدوائر العلمية التى كتبها قبلهم علماء من العرب أفذاذ ، وقد أشاروا اليها فى مقدمة الطبعة الاولى كدائرة معـــارف وجدى ، ودائرة معارف البستانى (بطرس) وما كتب فى الاخيرة عن أبى هريرة بمنتهى الدقة والانصاف من مصادره المعتبرة ، مـــع ما صحب ذلك من اجـــلال حقيقى لهذا الصحابى الجليل .

لقد كان عليهم أن يلحقوا شيئا من ذلك بالطبعة الاولى ، أو يستدركوه على الاقل فى الطبعة الثانية ، ولكنهم لم يفعلوا !! بل زادوا الامر تأكيدا ، والخطأ اصرارا ، بترجمة أخرى بقلم « روبصون » مضافة الى الترجمة الاولى ، **متفقة معها فى كثير من الاخطاء** ، ولم يكفها الطعن فى أبى هريرة حتى تجاوزته هذه المرة الى **الطعن من طرف خفى فى صحيحى البخارى ومسلم** .

□ □ □

وفى الحق أن لو كان وكد هؤلاء المستشرقين التحقيق العلمى فى نزاهة وصدق وتثبت لما خلطوا بين حق ثابت وباطل ظاهر ، ولكان فى بعض ما أثبتوه ما يكفى لدى المنصف لكشف وجه الحق ، ودحض كل افتراء .

والى القارىء الكريم البيان :

قال « جولد سهير » عن أبى هريرة ما نصه فى الترجمة : « قدم المدينة فى أيام غزوة خيبر عام ٧ هـ فاتصل بالنبى ولزمه منذ ذاك .. وقد شجعته ملازمته للنبى على أن يروى عنه بعد وفاته من الاحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة وتقدر الاحاديث التى تضاف اليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث .. ونجد بين الذين رووا عن أبى هريرة كثيرا من أكابر الاسلام فى عهده الاول .. وقد استعمله عمر على البحرين اعترافا منه بفضله فى اذاعة الاحاديث ، ولما عزل من هذا المنصب وأراده الخليفة على العمل ثانية أبى وآثر أن يعيش فى المدينة كما يعيش عامة الناس .

ووافقه صاحب الترجمة الثانية « روبصون » على هذه المعلومات ، وزاد قوله : « وقد اشتهر أبو هريرة بالتقوى » وحدد من روى عنه الاحاديث من الصحابة والتابعين بأكثر من ثمانمائة من المحدثين .

□ □ □

أبو هريرة هذا فى ملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن فى رأى هذين المستشرقين أن يحيط فى بضع سنين بكل هذه الاحاديث ، والامر عند « جولد سيهر » على ما يلى :

أ) اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ ، فقالوا : ان النبى لفه فى بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع .

ب) طريقته فى الرواية بأسلوب مؤثر يدل على ما امتاز به من روح المزاح تفسر ظهور كثير من القصص .

جـ) علمه الواسع بالاحاديث التى كانت تحضره دائما أثار الشك فى نفوس من أخذوا عنه ، ولم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر حتى اضطر أن يدافع عن نفسه .

د) علينا أن نقف من أحاديثه موقف الشك والحذر .

هـ) وقد وصفه « شبرنكر » بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا .

وقد أتم « روبصون » صاحب الترجمة المزيدة فى الطبعة الثانية فصول الرواية فرأى : « أن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة » ثم تظاهر بالانصاف وهو يقول : ولكن يصعب علينا أن نقر ما نعته به شبرنكر بقوله : انه المنافق الورع من الطراز الاول ، لأن الاحاديث التى رفعت اليه ليست كلها بالضرورة من روايته ، فقد لا يكون أبو هريرة أكثر من سند موات نسبت اليه أحاديث وضعت فى زمن متأخر عنه .. وختم حديثه بقوله : « وقد ظهر كثير من الاحاديث التى رويت عنه فى صحيحى البخارى ومسلم » .

وخلاصة تلك الاقاويل :

١ ــ الطعن فى شخصية أبى هريرة ، وفيما روى من الاحاديث لشبهات لديهم حامت حولها .
٢ ــ نتيجة لذلك توهين من روى عنه من أكابر الاسلام فى صدره الاول وهم أكثر من ثمانمائة من العلماء الاعلام .
٣ ــ توهين الصحيحين ، وهما أصح دواوين الاســـلام بعد القرآن الكريم .

□ □ □

وأى فادحة تصيب الاسلام أشد من هذه لو صح شيء مما ذكروه !! ولو لم يكن سوى هذا ثمرة لكل ما جهد أعداء الاسلام أن ينالوه من المسلمين ودينهم ، لكفى ثمنا لكل ما بذلوه فى الكيد للاسلام من جهد ومال ، بل وما أشعلوه من حروب وعدوان على المسلمين فى تاريخهم القديم والحديث .

فى الواقع التاريخى :

أما أبو هريرة رضى الله عنه فقــد أسلم قبل الهجرة النبوية كما حققــه الباحثون على يد سيد من قومه هو طفيل بن عمرو الدوسى ، ولـــا وفد مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر لازمه فى حله وترحاله ، وكانت اقامته بالمسجد فى أهل الصفة للعبادة ، والتلقى عن رسول الله ، لا يشــغله حينذاك ما شغل غيره من المـــال والعيال ، وقد عرف له النبى فضله وحرصه على العلم والعمل ، وأمن على دعائه أن يرزق علما لا ينسى ، وظهرت بركات دعائه صلى الله عليه وسلم فيما حمل أبو هريرة من العلم ، كما ظهر فضله بين صحابة رسول الله ، وكثرة حفظه ، وقد راجعوه واستوثقوا من روايته كشأنهم دائما فى تحرى الحديث النبوى ، وحمل عنه الحديث كثير من أعلام المســلمين صحابة وتابعين .

شبهات داحضة :

استكثر أصحاب الدائرة على أبى هريرة حفظ هذه الاحاديث فى بضــع سنين ، والحديث النبوى ــ كما هو معلوم ــ قول من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عمل من أعماله يحدث عنه من شهده ، أو اقرار على عمل الغير ــ وكما روى الحديث عن أبى هريرة بعض الصحابة فقــد روى هو عن بعضهم كذلك ــ والصحابة فى رواياتهم حديث رسول الله عدول .

ونســـأل ويســــأل كل منصف : أين حفظ هـــذه الاحاديــث بلفظها أو بمعناها ــ ولا حرج فى ذلك ــ من حفظ القرآن الكريم بلفظه وأدائه ، ومن حفظ عشرات الالوف من القصائد كما كان رواة الادب ، ومن حفظ أنساب العرب فى تشعبها وتداخلها وشتات القبائل على وجه الجزيرة العربية ، وقد كان الصديق

أبو بكر رضى الله عنه مرجع الحفظة وامامهم ، وكان من شباب الصحابة من تعلم العبرية والتفاهم بها فى خمسة عشر يوما استجابة لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عباس — كما هو معروف عنه — يحفظ القصيدة من الشعر — وربما بلغت ثمانين بيتا عند سماعها لأول مرة ، وهو فى المسجد بين أصحابه .

كثرة مباركة :

أما كثرة رواية أبى هريرة فقد طال فى الاسلام عمره معلما نيف على نصف قرن ، شغل يسيرا بالولاية لعمر رضى الله عنه ، ثم عزله وقاسمه ماله على عادة عمر فى محاسبة عماله ، فلما طلبه للولاية ثانية أبى رغبة فى التفرغ لعبادته وعلمه ، ولو كان فى ولايته مغمز ما طلبه عمر ثانية .

تثبت واخلاص :

كذلك ما حسباه شكا من الصحابة فى رواية أبى هريرة أو تشكيكا فليس كما قالا ، بل هى الدقة المعهودة من صحابة رسول الله فى تلقى حديثه النبوى . ومن الاخلاص لدين الله أن يراجع بعضهم بعضا ، وأن يتثبت مثل عمر رضى الله عنه فى رواية الحديث ، فيطلب الى روى حديثا أن يأتى بمن يشهد معه فيه ، ومن الاخلاص كذلك أن يعقب أحدهم على الآخر فيما يظنه سها فيه أو غاب عنه ، لا يمنع من ذلك عظمة الراوى ، أو قوة الثقة به ، فلقد استدركت السيدة عائشة على بعض أحاديث رويت عن بعض أعاظم الصحابة ، من ذلك ما رواه البخارى من ردها رواية ابن عمر رضى الله عنه فى عذاب الميت ببكاء أهله ، فقالت : انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليعذب بخطيئته وذنبه وان أهله ليبكون عليه .

وفى رواية أخرى : انكم لتحدثون عن غير كاذب ولا مكذب ، ولكن السمع يخطىء أحيانا .

وهذه الاستدراكات وأمثالها من مفاخر الرواية الاسلامية فى النصح لدين الله ، وفى تحرى الصواب قدر الطاقة البشرية .

خصـوصية :

ولقد انفردت الامة الاسلامية فى خصائصها العديدة بنقل الشريعة المطهرة نقلا متصلا بمصدرها الاول . فالقرآن الكريم بلفظه وحروفه منقول بالتواتر كتابة ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلغه جبريل عليه السلام .

والسنة منقولة برواية الثقات العدول من الصحابة والتابعين ومن يليهم ، وقد هيأ الله سبحانه لهذه الشريعة الخاتمة من أئمة الدين وحفظته من صانها من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين وكيد الحاقدين ، فأبطلوا كل باطل حاول أعداء الاسلام أن يلحقوه بالسنة ، أو يدسوا فيه على الرواة ، أو يلصقوه جهلا بالدين .

وان نقد الائمة للرواة ، وتحريهم مكانة الحديث سندا ومتنا مما لم يقدر مثله لأمة من أمم الارض لمـــا يبين عن رعاية الله تعالى لهذا الدين الذى رضيه لعباده ، فأكمله وصانه وأتم به نعمته عليهم .

تزكيـــــة :

ورواية العديد من الائمة عن أبى هريرة ــ وهذا شأنهم فى الدقة والضبط والتحرى عن الرواة ــ تزكية وأى تزكية لعدالته وعلمه وحفظه وضبطه ، بل لقد صرحوا بذلك فى مواطن كثيرة ، حفلت بالكثير الطيب منها كتب التراجم الاصيلة كالاصابة لابن حجر ، وهى منثورة فى مواطنها من كتب السنة ــ من ذلك على سبيل المثال ، قول عمر رضى الله عنه : أبو هريرة ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه ــ وقال البخارى فيه : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره ــ ومثل ذلك قال عنـــه الشافعى رحمه الله . وقال عنه أبو الزعيزع كاتب مروان بن الحكم : أرســـل مروان الى ابن هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان على رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرنى أن أنظر فما غير حرفا عن حرف .

□ □ □

أما قول « جولد سيهر » وقد اخترع الناس هذه القصة (قصة الشملة التى لفه الرسول بها ودعا له) ليبرروا كثرة الرواية عنه ، فيكفى فى سقوطه أن يقول جولد سيهر نفسه : انه قد روى عنه أكابر أهل الاسلام . فهل كان هؤلاء الاكابر يخدعون أنفسهم عن دينهم ليستكثروا من الرواية عن أبى هريرة ؟!!

تمـــويه :

كذلك القول بأن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون كلها صحيحة ــ بهذا الاجمال فى الحكم من غير تمييز بين ما ثبت عنه ، وما نسب اليه ــ ليس ذلك القول فى الحقيقة الا تمويها بالتعميم فى العبارة ، يخيل لقائليه سهولة الطعن فيما روى عن أبى هريرة من الاحاديث ، وفيمن رووا عنه من الأثبات ، وفيما خرج أهل الصحاح له وفى مقدمتهم البخارى ومسلم ، وذلك بعيد كل البعد عن النزاهة العلمية والدقة الواجبة على البـــاحثين الذين يحترمون الحقيقة ويحترمون أنفسهم وقراءهم ــ وكان على هذين الباحثين أن يلاحظـــا **ما اعترفا به على استحياء** من أن أحاديث مما نسبتها الروايات اليه **قد نحلت له فى عصر متأخر عنه** ، **واذا فليس عليه منها بأس** ، **كما لا بأس على الصحاح منهـــا** ، بعـــد أن انتهض علماء الحديث وجهابذة السنة ، ومازوا **السقيم من الصحيح** ، وكشفوا عن **حقيقة كل راو وما روى** ، **والتزم أئمة الصحاح** بتخريج الصحيح فقط من الاحاديث .

كما عرض العلماء لأحاديث الصحاح بعناية خاصة وكاملة ، شارحين ومبينين وجه كل حديث مما يدق معناه على غير الدارسين .

فان كان فى نظر هذين المستشرقين من مواد الصحاح ما ليس بصحيح فأيسر ما يقال فى ذلك : انهم مع أنفسهم منطقيون ، **والا فما عساك تنتظر ممن لا يؤمن بصدق نبى الاسلام** ، فضلا عن الايمان بما أوتى من خصائص ومعجزات ! **هل يؤمن بالقرآن الكريم** ؟ والقرآن الكريم لدى المسلمين فى مثل ضياء الشمس نهارا والقمر بدرا ليس دونهما سحاب ، أو هو بحمد الله أضوأ .

هل تنتظر منه التصديق بأحاديث الاسراء والمعراج ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، واطعام الكثير بالزاد القليل ؟ أو هو يؤمن **بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله** ؟ وهذا وغيره من آثار قدرة الله كثير .

الصحيحان :

اما أن يخرج الصحيحان البخارى ومسلم أحاديث كثيرة لأبى هريرة فهو أمر طبعى من شيوخ أئمة الحديث لراو من أعظم رواة الاسلام ، وذاك واجب الامامين الجليلين فى نقل ما صح عندهما من روايات هذا الصحابى الجليل .

والتعريض بالصحيحين بعد التعريض بأبى هريرة ، والتشكيك فيما يرويان هدف من أهداف أعداء الدين ، ودون ذلك بحمد الله خرط القتاد ، فاذا كان أبو هريرة قد شهد له شهادة عملية من العدول كل من روى عنه ، وهم فوق الثمانمائة من الائمة الاعلام ، فقد شهد للصحيحين علماء الامة ، وتلقوهما بعد الدرس والبحث بالقبول ، وناهيك بأن يكون منتهى نقد الائمة كالدارقطنى لبعض أحاديث البخارى أنها مع صحتها لم تبلغ ما شرطه الامام البخارى فى رواية الصحاح ، ومؤداه أن بعض الاحاديث أقوى سندا من بعض وهذا أمر طبعى لا بأس فيه .

والدارس المتثبت للصحيحين قلما يجد حديثا واحدا تفرد بروايته راو واحد من أبى هريرة وسواه ليس له شاهد آخر بلفظه أو بمعناه ، ولينظر من شاء من المنصفين صنيع الامام مسلم فى صحيحه وقد عنى بجمع الاحاديث فى المعنى الواحد بأسانيدها المتعددة فى موضع واحد ، ليراه فى تحرى الفاظ الرواة ، والتثبت منها ومن أسانيدها آية من الآيات .

حقيقة :

وبعد : فهذه دائرة معارف كتبها مستشرقون ليست فى الحقيقة كما قال عنها مترجموها فى مقدمة الطبعة الاولى : «نماذج فى البحث والعمق والتحقيق» ولكنها معلومات ، وبعضها وجهات نظر يعوزها التحقيق ، وبعضها أدواء هوى ، أو مطاعن من آثار تعصب مقيت ، كما اعترف الاساتذة المترجمون فى كلتا الطبعتين الاولى والثانية ، وأشرنا سابقا اليه .

واذا كان من حقنا بل من واجبنا أن نعرف ما يقوله الغرب فينا وعنا فذلك على ألا يكون مصدر علمنا بأنفسنا ، بل على أن يكون فى وضعه الصحيح موضع يقظة وحذر .

المستشرقون فى ميزان العقاد :

أما المغترون بكل ما يقوله المستشرقون ، فيقلدونهم فى فهمهم لمعان دينية وطعنهم فى شخصيات جليلة اسلامية ، وتشكيك فى الادب العربى ، والرواة العرب ، فى كل فرع من فروع العلم ، أيا كان الرواة على حد تعبير معروف لعميد المشككين ، فاليهم والى غيرهم نقدم هدية علمية قرأناها فى حينها منذ بضعة عشر عاما ، تبصرة لمن يفرطون فى الثقة حيث لا تتوفر موجباتها ، فيظلمون أنفسهم وعقولهم ، قبل أن يكونوا للحق ظالمين — يقول الاستاذ العقاد — طيب الله ثراه — فى كتابه « مطلع النور » من فصل قيم عن الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية ، وحال الادب ، وتوحد اللغة ، وتعرض المستشرقين لما لا يحسنون ، وجهالاتهم أحيانا فى البدهيات ، ويسوق نماذج طريفة عجيبة لبحوث بعض منهم ، وصفوا بأنهم من أعلامهم فيقول :

« ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ .. أنها تأتى بمعنى نام ، لقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » .. ومنهم من يترجم « أبا بكر » بأبى العذراء ، لأنه كان والد الزوجة التى بنى بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى عذراء .. ومنهم من يقول : ان التضحية تدل على عبادة الشمس ، لأنها من الضحى .. ومنهم من يحسب أن القصيدة من القصد فيترجمها بالكلام الذى يراد معناه » .

ويستطرد فيورد الاعاجيب ، ويكشف من أمرهم ما يكفى لكشف الغشاوات عن بعض العيون والقلوب ان كان الى ذلك سبيل ، الى أن يقول من نفس الفصل تحت عنوان فرعى : « سوء فهم وسوء نية »

« والمعهود فى جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية ، لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين ، أو سياسة المبشرين المحترفين وينظرون فى بحوثهم نظرة الغربى الذى ينظر الى الشرقى نظرة المتعالى عليه فى حاضره وماضيه ، غير أنهم ما عدا القليل منهم محدودون سطحيون .. »

□ □ □

وأخيرا فعلى مترجمى الدائرة ، وقد اعترفوا أنها تحوى الخطأ حينا ، والهوى حينا آخر ، وقرروا أنهم تجاوزوا الترجمة الى « التعليق على كثير من موادها بالتصحيح ، أو التكملة ، أو رد هوى ، أو درء مطعن » أن يتحروا صحة موادها تحريا كاملا ، وأن يستعينوا بالمختصين كل فى مجال اختصاصه ، وأن ينظروا بعين الاعتبار الى كل ما يوجه اليهم من نقد بناء ، حفاظا على المنهج العلمى ، ووفاء بما شرطوا على أنفسهم ، بل بما دعوا اليه ورحبوا به كل الترحيب من الملاحظات والتصويبات ولهم بعد ذلك كل التقدير .

والله ولى التوفيق .

مفاتيح الجنة

أنا عربىٌ ، ففـــى مهجتى دماءُ الفـدى ، وصدى الثـورةِ

سأمضى إلى (الشام) القَى على رُبَى القدسِ ـ فى لهفةٍ ـ اخوتي

من الغرب من سفحِ (أطلَسِنا) سأَمْضِي ، فانِّى على أَهبـــةِ

سأمضى إليهم ! نعـــمْ إنني حزمتُ على كاهــــلي عُدَّتى

سأَحمل من تُرْبنـــــا حفنةً يذكِّرني شـمُّها تربـــــتى

فلن أَرجـــعَ العامَ أو بعـده وكيف ؟ وقـــد بعثُهمْ مهجتي

هناك ســأرقدُ فى مضجعـى على أَرضنـــا ، إنها بلْدَتِـــى

أَموت لأُدفَنَ في تُرْبهـــــا (فلسطينُ) مُلْكِي بـلا مريةِ

بـلادى ، تُراثِى ، فلى أَرضُها وللعربِ ، إنهمـــــوا أُمَّتى

* * * *

(ببيسان) أو(عسقلان)أخى ! أحب الممـات ، أو (الرمـلة)

للأستاذ : المدني الحمراوي

الرباط — المغرب

و (غزة) و (الأردن) المشتهى و (سيناء) صحراءها مُنْيَتي

و (يافا) و (تل أبيب) وما حواليهما كلُّها رغبتي

ومولد عيسى واخوانه بمنطلق الوحي والملةِ

ومسرًى لأحمد قد جاءه وفي ركبه موكبُ الرحمةِ

بلاد العمومة أقضي بها فأرقدُ إن لم أنل طِلْبَتي

أحجُّ إلى (قدسها) ماشياً لأركعَ في مسجدِ (الصخرة)

وألثم أرضاً دعا فوقها وصلى بها عادلُ الأمَّةِ

بقاعٌ من الطهر محبوبةٌ لها - كالحجاز - سنا الحرمةِ

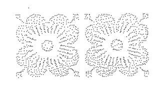
وأرضُ النبوةِ قد دُنِّسَتْ بِشؤمِ القرودِ ذوى اللعنةِ

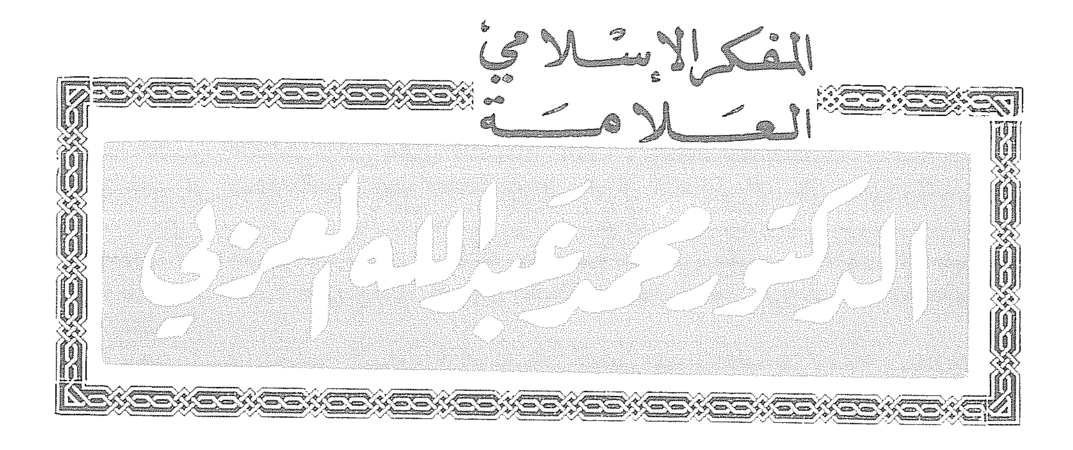
باقدامهم أحرقت ، فالثرى لهيبٌ تضرَّم في وقدةِ

وفي جوِّ آفاقها قد علا دخانٌ تراكمَ من نِقْمةِ

☆ ☆ ☆ ☆

فهيَّا - رفيقي - إلى إخـــوة … دعوْني : (تعال إلى الجنةِ) !
وهيَّا نحثُّ الخُطَـــــى لا تقلُ … تَمَهَّلْ ، ولكنْ على ســـرعةِ
فشوقي عظـــيمٌ إلى معشري … سأعدو ســـريعاً بلا وَقْفةِ
أخــــاف إذا أَبطأتْ رحلتي … فواتَ الشـــهادةِ والعـــزةِ
ســـــأعدو لأدركَ في مسجدٍ … هناك - قبيل الرَّدى - ركعتي
وأَدرك من بعـــــــدَها غارةً … سأَدخلُ منها إلى غـــرفتي
فأَلقى بهـا الحور في فرحـــةٍ … وأَرتـــعُ في الخلْد في روضةِ
ففي (القدس) في شامه كُلِّه … مفاتيحُ قصـــرِيَ في الجنة
فأَســـرع معي إنني ذاهبٌ … وسرْ يارفيقي على خطـوتي
سنلقى هناك لنـــــا إخوةً … وأَهــــــلاً ، ونظفرُ بالبُغْيَةِ
ونحملُ في صفهـــم - مثلَهم - … بنـــادقَ تنطـــقُ بالحكمةِ
نقاتلُ ابليسَ في كهفــــــه … ونقذف جندَه في حفــــرةِ
وننزع منهـــــم مفاتيحَنـا … فأَسرعْ ، وعَجِّلْ إلى الجبهةِ
إلى جنـة الخلد في غِبْطـــةٍ … وان لم نَمتْ فإلى الرفعــــةِ
إلى كلِّ شبرٍ بأَرض الهـــدى … نسيرُ عليـــه بلا كلفـــة
«فلسطين» منـا ، ونحن لهـا … سأَمضى ســـريعاً إلى قبلتي





للأستاذ : أنور الجندي

من حق مجلة الوعى الاسلامى أن تنقل الى قرائها فى العالم الاسلامى كله تحية سريعة الى روح المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى ، فقد كان واحدا من كتابها ، وقطبا من أقطاب الفكر الاسلامى ، وعالما جليلا له نظرية كاملة فى الحياة والمجتمع مستمدة من مفهوم الاسلام ، طرحها فى عديد من مؤلفاته وأبحاثه ، وحاول بها تقديم « أيدلوجية » اسلامية للأمة العربية فى مواجهة الأيدلوجيات المختلفة .

والدكتور العربى واحد من ذلك الرعيل الذى بدأ حياته الفكرية فى الثلاثينيات من هذا القرن بعد أن أتم دراسته فى كلية الحقوق فى القاهرة ، وأحرز أرقى الشهادات من جامعتى أكسفورد بانجلترا وليون بفرنسا فى دراسات النظم الدستورية والادارية والمالية ، وعمل فى سلك الجامعة المصرية ، ومعاهد العالم العربى المختلفة ، وقد انتشرت مؤلفاته العديدة فى مجال القانون والاقتصاد ، كما عنى باعداد موسوعة ضخمة فى مبادىء علم المالية العام فى ٤ مجلدات .

وبدأت مؤلفاته تشق طريقها منذ عام ١٩٢٦ تقريبا ، ولكنها اتسمت فى السنوات العشر الأخيرة باتجاه جديد ، حيث اتصلت بالدراسات الاسلامية والعربية ، فكان من أهمها (ديمقراطية القومية العربية بين الشرق والغرب) والاقتصاد الاسلامى وسياسة الحكم ، وحرب الانسان ضد الجوع وسوء التغذية ، والملكية الخاصة وحدودها فى الاسلام ، والاقتصاد العالمى بالمقارنة الى الاقتصاد الاسلامى .

كما رأس فى السنوات الأخيرة معهد الدراسات الاسلامية ، وعمل عضوا بمجمع البحوث الاسلامية ، وساهم بقدر كبير فى الدراسات المختلفة ، حول النظم الاسلامية والنظام الاقتصادى العالمى .

وكانت دعوته الكبرى الى تصحيح الفكرة الخاطئة التى أشاعها الغرب

والاستعمار عن ربط انحطاط الأمم الاسلامية بالاستمرار فى التمسك بدينها الاسلامى ، ودحض ما حاوله كثير من المستشرقين من تشويه تعاليم الاسلام ، وعرض مفاهيمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى اطار من الجمود والركود ، حتى يصلوا الى القول بأنها لا تلائم العصر الحديث ، وحتى يتسرب هذا التصور الخاطىء الى عقول الشباب المثقف ، ولذلك فقد كانت رسالته الى الشباب فى معهد الدراسات الاسلامية هى ابراز التعاليم الاسلامية فى وضعها الصحيح ، سواء فى مجال الاقتصاد أو التنظيم أو الدولة بعيدة عن تشويهات عصور الانحلال والاستعمار ، وذلك مساهمة منه فى تكوين نواة من الباحثين تتوفر فيهم القدرة على وضع الحلول لمشكلات هذا العصر فى ضوء تعاليم الاسلام الأساسية .

وهو يرسم مفاهيم الاسلام ازاء قضايا العصر فى مختلف دراساته ومؤلفاته على نحو يدل على عمق الايمان وسلامة الأداء العقلى والعلمى ، ووفق أحدث مستويات البحث العلمى . فيقرر (أولا) أن الاسلام خاتم الديانات الالهية للبشر لم يترك جانبا من جوانب حياتهم الا وضع فيه تعاليم تناولت تنظيم الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففى ملكية المال فرض التكاليف على مالك المال التى تؤدى الى نفعه ونفع المجتمع على السواء ، وكذلك فرض على مالك المال أن يحسن استثماره لأن الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، وحث على أن يتبع المالك أرشد الأساليب فى استثمار ماله ، ثم فرض ضريبة الزكاة التى تؤدى الى تداول الثروة فى المجتمع ، وتخلق جوا من التراحم والمودة بين الأفراد والجماعات ، وفرض عليه ثالثا أن ينفق فى سبيل‌الله فوق الزكاة ، وفرض عليه رابعا أن يتجنب الاسراف والتقتير على السواء ، وألا يستعمل ما يملكه فى الحاق أى ضرر بالمجتمع ، وأن يمتنع عن المعاملات التى تؤدى الى تنمية ماله بطرق غير مشروعة كالغش والاحتكار والربا ، ويقول : هذه الفرائض لو قارناها بالاقتصاد الغربى لوجدنا أنها تختلف عنه اختلافا جوهريا ، ففى اقتصاد الغرب ان حق ملكية المال مطلق من كل قيد ، ولذلك يتصرف أصحاب المال فيه دون أن يراعوا مصلحة المجتمع ، ويركزون همهم فى مكاسبهم الخاصة ، فينشأ عن ذلك اشتعال البغضاء بين الطبقات المحرومة وقيامها بالثورات والاضطرابات .

هذا عن الدعامة الأولى للاقتصاد وهى دعامة المال ، أما الدعامة الثانية للاقتصاد وهى دعامة العمل ، فان الاسلام يحث على العمل والانتاج ، ويحث المسلم وهو يعمل على ابتغاء مرضاة الله والسعى الى تحقيق فلاح الدنيا والآخرة .

وعنده أن هناك بديلا اسلاميا للربا يسمى (عقد القراض) أو المضاربة ، وكان من المشغولين فى الدعوة اليه ، وتنفيذه بديلا عمليا فى المصارف الاسلامية والعربية .

ويستكمل الدكتور محمد عبد الله العربى نظرته الاقتصادية بنظرة الى الديمقراطية والقومية . فيؤكد (ثانيا) أن الاسلام على خلاف المألوف فى الكتب السماوية قد دعا الى نظام حكومى يجب التقيد به ، هذا النظام هو الديمقراطية السياسية فى أسمى أوضاعها وأصول هذا النظام هى .. أولا اختيار رئيس الدولة أو الخليفة بالمبايعة أو الانتخاب العام ، ثم تقييد هذا الخليفة فى تصريف شئون الدولة بالشورى ، ثم قرر فى عديد من الآيات ومتواتر الأحاديث تلك

المبادىء الأساسية التي على هديها انفجر بركان الثورة الفرنسية ، وثورات اخرى سابقة ولا حقة (مبادىء الحرية والاخاء والمساواة) ثم قرر الى جانب ذلك تلك الأصول الدستورية التي بدونها يكون النظام البرلماني اسما على غير مسمى (حرية القول والرأى والنقـد) .

وقد تم للانسان بمقتضى الاسلام أمران عظيمان طالما حرم منهما وهمـا ــ استقلال الارادة واستقلال الرأى والفكر ، وبهما كملت له انسانيته ، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التى فطر عليها ، وحين قرر الاسلام حرية الارادة وحرية الرأى والمساواة دعمها بثوب طهور من الاخلاق ، أسبغه على سلوك الأفراد والجماعات ، لتكون الوقاية المنيعة لهـذا البنيـان الديمقراطى الرفيع ، .

والأخلاق عند باحثنا الكبير هى علة العلـل فى الديمقراطيات الحديثـة ومصدر أزماتها الخانقة بل الداء الوبيل الذى ينخر فى هيكلها حتى لتوشك أن تنهار فقد ارتبط النظـام الديمقراطى السياسى الغربى بضعف الوازع الدينى .

وأشار الى انحراف الغربيين عن تعاليم الأديان ، وانكبابهم على المـادة انكبابا كليا حتى صارت فى حياة الناس غاية لا وسيلة ، وأشار الى الوسـطية التى امتاز بها الاسلام ، والتى قضت بمداومة التوفيق بيـن الروحية والمادية القوتين الدافعتين فى حياة الانسان .

(ثالثا) ويقرر الدكتور العربى أن الفكر السياسى الغربى يرى أن الأديان السماوية ليست لها رسالة فى أمر الدولة وشئون الحكم ، فهذه من شـئون الدنيا التى ينفرد البشر بتنظيمها على أسـاس أن ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

ولكن الاسلام وهو خاتم الأديان وهو البصير بما سوف يفضى اليه تطور الانسانية كان لا بد له أن يستكمل هداية الانسانية فى جميع شئونها فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسـانية ، ووضع الأصول التى يجب على كل مجتمع انسانى أن يسير فى نطاقها فى الجانبين على السواء ، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفريع والتفصيل فيما يبنيـه على ضوء تطورات كل زمان ما دام ذلك فى نطاق الأصول العامة .

الاسلام يقر الهيكل المادى للدولة (كما يصوره الفكر الغربى فى عناصره الثلاثة (أرض وشعب وحكومة) لأنه يطابق الواقع المادى الذى لا يعارضـه الاسلام ، ولكنه يحيط هذا الهيكل المادى باطـار من روحانياته تتمثل فى الأصول التى فرضت تعاليم كلية (خلقية واقتصادية وسياسية) ثم يتميز فى أحد هـذه العناصر المادية « عنصر القومية » باتجاه أوسع فى آفاقه ، وأعمق فى انسانيته مما يتخذه التصوير الغربى .

ويركز الاسلام على التعاليم الخلقية التى قوامها الايمان بوحدة الله ، فلا يعبد المسلم مع ربه أحدا ، والانسان خليفة الله فى الأرض ، وبذلك وضع كرامة الفرد على أمتن أساس ، وجعل قيامه على هذه الفضائل نتيجـة منطقيـة لهذه الخلافة ثم لم يقتصر على هذا التوجيه الوجدانى ، بل اتجـه اتجاها علميا لتحقيق هذا التوجيه ، ففرض عباداته ، وكلها تدريب فعال على تدعيم هـذه الفضائل فى نفس المسلم واشعار له بالرقابة الالهية على نشاطه اليومى .

(رابعـا) أما نظرة الاسلام الى المال فالمال كله ملك لله وحده الذى لـه ملكوت السموات والأرض ، أما الانسان فى اختصاصه ببعض هذا المـال فليس الا خليفة الله فيه ، استخلفه فى الانتفاع بهذا المال ، فوجب أن ينهض بأعباء هذه الخلافة ، وهى اما تكاليف ايجابية تتمثل فى فريضة الزكاة التى حدد الاسلام نصابها أو فى فريضة الانفاق فى سبيل الله ، وهى أوسع نطاقا من فريضـة الزكاة لأنها تمتد الى الانفاق فى سبيل مصلحة المجتمع .

وفى وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتاج ،

وقد قرر الاسلام فى شأن المال (١) كف المالك يده فى استعمال ماله فى الحاق الأذى أو الضرر بمصلحة الجماعة (٢) تحريم الربا (٣) تحريم الاحتكار اذا كان فيه اضرار بمصلحة الجماعة (٤) تحريم الاسراف والشح على السواء .

(خامسا) ويشير الباحث الى مفهوم الاسلام للتطور فيقول ان التوجيه الاسلامى فى استخدام العقل قام عـلى معايير عامة يهتدى بها فى تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية أى فى كل ما يمس المجتمع الاسلامى فيما عدا الشئون التعبديـة .

هذه المعايير العامة تكفل أكبر قسط من المرونة فى التشريع ، وأوسع قدرة على مواجهة كل جديد من أحداث الحياة غير المحدودة بتطوراتها غير المتناهية ، مواجهة تظل دائما فى نطاق هذه التعاليم الكلية من هذه المعايير العامة (القياس) وما يتفرع منه ويقترن به من استحسان واستصلاح .. واستصحاب ، وسد الذرائع والعرف .

هذه المعايير العامة التى يجب الاهتداء اليها وتطبيقها تطبيقا بصيرا مستمرا لوضع التعاليم الكلية موضع التنفيذ ، وقد أقر الاسلام التعاليم الكلية ، وسمح لمجتهدى المسلمين بالنظر فى التفصيلات الجزئية ، وذلك حتى لا يقيد الأجيـال المقبلة بهذه التفصيلات والتطبيقات ، بل يتركها حرة تقتبس الوضع التى تتوافر فيه الملائمة العملية لحاجات كل زمان ومكان .

ويرى الباحث أن تعاليم الاسلام ينبعث الاذعان لها من وجدان الفرد ، قبل أن ينبعث من سلطان الدولة .

(سادسا) ويكمل الدكتور عبد الله العربى نظريته الاسلامية الشاملة الى الحياة والمجتمع بموقف الاسلام من القومية فيقول : ــ

ان الاسلام يتجه نحو عنصر القومية اتجاها أوسع فى أعماقه ، وأوسع فى انسانيته من التصور السائد للقومية فى الفقـه الغربى ، فتعاليم الاسـلام الخلقية فى الاخاء الانسانى والمساواة بين البشر الذين خلقهم الله من نفس واحدة تأبى عليه أن يتخذ من القومية المحلية تبريرا لعدوان قوم على قوم ، وبذلك ينفى الاسلام فكرة التمييز العنصرى ، واستغلال رقعة من الأرض لحساب رقعة أخرى أو استغلال طائفة من البشر لحساب طائفة أخرى ، وتعاليم الاسلام تقضى بأن الله استخلف الجنس البشرى كله فى هذه الأرض لعمارتها واستغلالها بلا تمييز فطرى بين قوم وقوم ، والقومية فى نظر الاسلام باعتبارها عنصرا من عناصر بناء الدولة هى رابطة تؤلف بين جماعة تعيش فى رقعة ذات حدود جغرافيـة متقاربة ، وليست دعوة للانعزال عن أقوام آخرين يقيمون فى رقعات أخـرى

او تناصبهم العداء ، بل هى دعوة الى التعارف والتعاون بين هذه القوميات المختلفة .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وبذلك جعل التقوى مقياس الصلاحية للأفراد والشعوب على السواء ، والتقوى تعبير شامل لجميع الفضائل التى تهدف لخير الفرد والمجتمع . « ليس لعربى على أعجمى فضل الا بالتقوى » .

ويصل الى القول بأن هذا التوجيه الاسلامى فى أمر القومية يفضى الى نتائج ثلاث .

(اولا) أن الأقليات غير الاسلامية التى تعيش فى الأوطان ترتبط من غير حرج ولا عسر كالأكثرية الاسلامية برابطة القومية المشتركة مع الاكثرية ، ويسوى بينها فى التمتع بالحقوق والواجبات .

(ثانيا) ان الاسلام ينزع من فكره القومية تلك الأنانية الطاغية التى من شأنها أن تخلق منافسة مدمرة بين القوميات المتباينة ، وأن تستأثر لذاتها دون سائر الأمم بخيرات الأرض « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

(ثالثا) انه ما دام التآخى والتعاون هو فريضة الاسلام فان تآخى الشعوب الاسلامية وتعاونها فيما بينها أوجب وألزم لاتحادها فى العقيدة ومنهج الحياة .

ويرى أنه ينبغى أن تلتقى جميع القوميات تحت لواء الأخوة الانسانية والأخوة العالمية ، ويقارن بين مفهوم الاسلام وبين واقع القوميات الغربية ، وما حاكته من نظريات تبرر به نضالها الدامى وكفاحها فى سبيل السيطرة على العالم ، وما اصطبغت به القوميات الغربية من أنانية زجت بها طوال العصور الماضية فى ظروف مدمرة .

وعنده ان القومية العربية بمعناها الاسلامى تؤمن بكرامة الانسان والاخاء الانسانى ، فهى لا تناصب الأمم الأخرى العداء ، ولا تعتدى عليها ، وكذلك لا محل فى القومية العربية للأخذ بالتفرقة العنصرية ، ويشير الدكتور العربى الى (عراقة) القومية العربية ، وتمسكها بتعاليم الاسلام الذى تهتدى به فى كل مناحج حياتها منذ أقدم العصور ، وانها من أجل ذلك لا يمكن أن تقلد تقليدا أعمى النظم السائدة فى الشرق أو فى الغرب ، لأن انظمتها الرئيسية مستمدة من المبادىء الكلية السامية التى جاء بها القرآن .

تلك محاولة سريعة لتصوير منهج الدكتور محمد عبد الله العربى فى فهمه لأيدلوجية الاسلام فى نطاق المجتمع والحياة ومن خلال مفاهيم الاقتصاد والسياسة والقومية ، وهى فى مجموعها تمثل فكر رائد ومصلح اسلامى ، وصل الى قمة الفهم للفكر الغربى ، واستطاع أن يقارن بينه وبين الفكر الاسلامى كاشفا عن جوهر هذا الفكر وامتيازه وحاجة الانسانية اليه ، وهى عجالة نقدمها بمناسبة وفاة الدكتور العربى فى أول يناير ١٩٧٠ م عن اثنين وسبعين عاما ؛ قدم فيها للفكر الانسانى أكثر من ثلاثين مؤلفا فى القانون والاقتصاد ، والسياسة والاجتماع .

رحمه الله رحمة واسعة ،،،،

حديث مع الشيخ الباقوري

حول قضايا الدين والفكر

أمام تاريخ طويل من التجربة والعمل المضنى على ذرى النشاطات الاسلامية كان مجلسى بجوار الاستاذ أحمد حسن الباقورى حيث كانت تنبثق كلماته بصوته القوى لتتحرك على قلمى لتصل الى هذا المكان بما فيها من قوة وأصالة وعمق وتفاؤل بالمستقبل .

والشيخ الباقورى لا يكاد يجهله أحد فى الاوساط العلمية الاسلامية والادبية فهو عضو مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ومدير معهد الدراسات الاسلامية بالمنيل بالقاهرة ، وقد شغل منصب وزير الاوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة ومنصب مدير جامعة الازهر ، وغيرها من المناصب الكبرى فى الحقل الاسلامى ، وقد عرف برصانة أسلوبه وقوة معانيه وتأثيره الخطابى .

ولقد هممت أن ألقى سؤالى على الشيخ الا أنه بادر بأن طلب قبل كل شىء أن أسجل عنه :

« يطيب لى قبل الاجابة على أسئلتكم أن أبدأ بتقديمى أخلص المودة وأصدق الاحترام الى دولة الكويت الشقيق شعبا وحكومة وفى ذروتها العليا صاحب السمو أمير البلاد المعظم ضارعا الى الله عز وجل أن يلهم الشعب الشقيق ما ينفعه فى دينه ودنياه وأن يجنبه تربص المتربصين به من دعاة العنصرية الصهيونية وأعداء الاسلام .

وبعدها كان سؤالى :

ـــ هل ترى فضيلتك أن الصراع السياسى الدائر الآن بين الشرق والغرب كان له تأثيره على الفكر الاسلامى وما مدى هذا التأثير وما مظاهره ؟

قال فضيلته :

□ كل صراع بين قوتين متقابلتين تنشأ عنه مظاهر ومشاعر وأفكار وعلوم ومعارف والذين يتأملون التاريخ الانسانى يرون على سبيل المثال أن الصليبيين حين اتصلوا بالشرق منذ أمد بعيد تأثروا بالشرقيين وتأثر الشرقيون بهم وأخذ

- لابد أن يعود الشرق العربي الاسلامي ليلتمس شخصيته من حقيقة ذاته
- من الايغال في باب الاسفاف النيل من قدر الامام محمد عبده
- أتمنى ان تنشىء جامعة الكويت كرسي الأستاذ العقاد
- لا بد للشباب من منهاج ولا بد من القدوة قبل المنهاج

اعداد الأستاذ عبد المعطي بيومي

الشرق عن الغرب الصليبي وأخذ الغرب الصليبي عن الشرق العربي الاسلامي .

ومظاهر هذا التأثير الآخذ والمعطى من الكثرة بحيث لا تنقاد لحصر ولا تخضع لبيان فلا بد أن يكون لهذا الصراع الراهن بين الشرق والغرب بمقتضى هذه القاعدة الاجتماعية الصحيحة آثار ..

أولا : يؤثر الشرق بأفكاره فى الغرب ويؤثر الغرب بأفكاره فى الشرق ويؤثر الغرب والشرق جميعا فى الذين يعيشون بين الشرق والمغرب من العرب والمسلمين .

هذا من الناحية النظرية المنطقية فأما الناحية الواقعية فلا تخفى أن الشرق مال الى الاعتدال فى السنين الأخيرة فى نظرته الى الشئون الدينية .

وكما أخذ الشرق عن الغرب هذا الاعتدال فى النظر الى حرية التدين فأطلق منها ما يتفق مع نظرته السياسية كذلك أخذ الغرب عن الشرق فنشأت فيه فيما أعلم اشتراكية الرأسمالية واشتراكية الرأسمالية فيما رأيت وسمعت وعشت فى انجلترا تقوم على تحقيق أمور منها الضمان الاجتماعى فلا يكاد يخلو عامل من عمل يكفل له العيش سواء فى ذلك البريطانيين وغير البريطانيين الذين يعيشون فى بريطانيا تدفع لهم الدولة كل أسبوع خمسة جنيهات .

ومنها التأمين الصحى فكل محتاج الى طبيب أو الى مستشفى أو الى علاج ودواء يستطيع الحصول عليه فى بريطانيا بالاشتراك فى التأمين الصحى بمبالغ فى غاية الزهد والضآلة ولا يكاد المرء يجد فرقا بين الذين يدفعون نفقات العلاج والذين لا يؤدون هذه النفقات بل ربما كان الذين لا يقومون بنفقات العلاج موضع عناية وعلاج أكثر من الذين يقومون بأداء هذه النفقات . وأغلب الظن أن هذا الاتجاه فى البلاد البريطانية متأثر الى حد قريب أو بعيد بالاتجاه الشرقى .

وكما أثر الغرب فى الشرق والشرق فى الغرب أثرا معا فى الفكر الاسلامى المعاصر فرأينا كثيرا من الدول العربية والدول الاسلامية تأخذ بمعان من الرعاية

للشعوب لم تكن تأخذ بها من قبل ورأينا من الكتاب والشعراء والخطباء وأصحاب الرأى واللسان بوجه عام من يتأثرون بالنظريات الوافدة من الشرق والغرب تأثرا أبلغ وأبعد مدى من تأثرهم بالثقافة الناشئة فى بلادهم ولعروقهم ولمذاهبهم .

ولا بد مع الزمن ومع التفاعل المستمر من أن تتضح هذه الافكار وتنتهى الى غاية تكون وسطا بين الشرق والغرب كراهية للتبعية وحرصا على تكامل الشخصية وخاصة فى منطقة الشرق العربى التى لها ماض جليل يشدها الى تميز تشعر معه أنها صاحبة فضل حضارى عريق على الشرق وعلى الغرب جميعا .

والذين يقرأون للكتاب الغربيين من أمثال الاستاذ جوستاف لوليون الفرنسى والدكتورة سيجريد هونكه المستشرقة الالمانية يرون بوضوح كيف تأثرت أوربا بكل ما فيها من شرق وغرب بالحضارة العربية الاسلامية ومن ثم يكون لهم أن يوافقونى على أن الشرق العربى الاسلامى طال الزمن أم قصر لا بد أن يلتمس شخصيته من حقيقة ذاته وتاريخه وعروقه الموغلة فى الحضارة والعلوم والمعارف رغم ما يبدو الآن على السطح من الاخذ بالنظريات الكاملة للشرق أو للغرب .

على أن الذى أدين الله عليه أن كل مذهب يهتم بالانسان فى الدنيا ويعمل على توفير السعادة له لا بد أن تكون بينه وبين الاسلام تخوم مشتركة ظاهرة يراها الناس بوضوح ، أو خفية يراها الناس بعد تأمل عميق وهذا يعنى فى رأيى أن فى الشرق خيرا لا يجوز أن نجحده جحودا وأن فى الغرب خيرا لا يجوز أن نجحده كذلك جحودا كاملا فان نحن أخذنا من الغرب بعض الخير ومن الشرق بعض الخير فاننا نأخذ بعض ما أعطيناه ومثلنا فى ذلك مع الشرق والغرب كما قال الشاعر :

كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه ، لأنه من مائه

قلت : من من المفكرين المعاصرين فى نظركم كانت له تجديدات بارزة فى الفكر الاسلامى والمؤسسات الاسلامية ؟

☐ من أشهر هؤلاء وأقربهم الى نفسى رجلان أحدهما من أبناء الازهر وهو الاستاذ الامام محمد عبده وهو رحمه الله مجاهد صادق بعيد النظر غيور على الاسلام والمسلمين غيرة عاملة كارمة وليست غيرة ثرثارة حاقدة كأكثر أنواع الغيرة التى نشهدها فى دنيانا الآن .

لقد كان الامام الشيخ محمد عبده وما يزال تراثه العلمى بين أيدينا يدافع عن الاسلام ويرد الشبه عنه وقد كانت تفيض حقدا عليه أقلام المستعمرين من كتاب الغرب ومطايا هؤلاء المستعمرين من كتاب الشرق ومتفلسفتهم .

ومن التنكر للحق ونبش القبور والايغال فى باب الاسفاف النيل من قدر هذا الامام الجليل الذى احتمل فى سبيل الدفاع عن الاسلام داخل بلاده وخارجها ما جهده جهدا شديدا ورماه بالامراض والاسقام فعاش أخريات حياته مجهودا مكدودا بين المشفقين عليه والشامتين فيه .

رحمه الله رحمة واسعة وهدى الذين يعرضون به وينالون منه الى سواء السبيل .

والرجل الثانى هو الاستاذ عباس محمود العقاد وهو فى تقديرى أزهرى بتخرجه على ثقافة الازهر وان لم يكن أزهريا بتخرجه فى الازهر فقد كان رحمه الله بهذه الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة الى جانب ثقافته العربية المتينة خير لسان للعروبة والاسلام بما كتب من كتب ومقالات وأذاع من أحاديث تدفع عن العربية أوهام المبطلين وعن الاسلام شبه المغرضين .

وقد صدر عن مدرسة الاستاذ العقاد فى كتبه ومجالسه فضلاء كثيرون سوف تبرزهم الايام لتنتفع بهم أمتنا أحسن الانتفاع ان شاء الله .

واننى لأتمنى أن تنشىء جامعة الكويت فى دولة الكويت الشقيق كرسى الاستاذ العقاد فانه رحمه الله ليس ملكا لقطر ولد فيه ولكنه ملك للأمة العربية الاسلامية جمعاء .

ـــ من الملاحظ أن الشباب الاسلامى ـــ مثل كل الشباب المعاصر ـــ يعانى ما يمكن أن نسميه أزمة انحراف عن القيم الدينية فما علاجكم لهذه الظاهرة ؟

□ الحقيقة أن هذه المشكلة مشكلة عالمية كما قلتم وكل المفكرين فى العالم يأسون أبلغ الاسى لمـــا يصير اليه الشباب من الانحلال والاستهتار ، وتصورى أن هذه المشكلة على هذه الصورة تصورا عالميا يجعل من العسير على أن أجد علاجا أقتنع به حتى أقترحه على العاملين .

اننا ـــ نحن الامة العربية الاسلامية ـــ موصولون بالعالم كله فى كل مكان وليس فى قدرتنا أن نضرب نطاقا من حولنا أو سورا حديديا يفصلنا عن الناس فى الغرب أو فى الشرق وحتى لو استطعنا أن نقيم هذا السور الحديدى ونعتزل فان الاذاعات عن طريق الراديو والتليفزيون لا تستطيع قوة فى الدنيا أن تضع بيننا وبينها حجاب .

وكل ما أحب أن أقوله لأبناء أمتنا المسئولين منهم وغير المسئولين فى هذا المقام أن نربى شبابنا على الاعتزاز بأن لهم ماضيا مجيدا وأن نغرس فيهم الشعور بأصالتهم العريقة وأهم من هذا المنهاج فى التربية هو وجود القدوة الحسنة ، فالمنهاج وحده لا يكفى فى تربية الجيل وقد تغنى القدوة الحسنة عن المنهاج .

وأحب أن يعرف أبناء قومى أن القرآن الكريم فى يدى عمر بن الخطاب هو القرآن نفسه فى يد الحجاج بن يوسف الثقفى اذ قد نجح القرآن ـــ وهو أبدا

ناجح — فى تقويم النفوس وتهذيب الطباع فمعظم النجاح راجع الى القدوة مع المنهاج وليس الى المنهاج وحده .

فنحن نحتاج اذن الى أمور ثلاثة فى بلادنا العربية الاسلامية :

الامر الاول : منهــاج واضح ميسر محبب تستمد منــه التربية للجيل الناشىء .

الامر الثانى : أن نصرف عنه بقدر ما نستطيع المجون والخلاعة والشذوذ فى السينما والتليفزيون والاذاعة والمراقص وما يتصل بهذه الامور .

الامر الثالث : أن يكون الغيارى على هذه المعانى قدوة حسنة فيما يدعون الناس اليه .

— ما هو تقييمك للأمة العربية الاسلامية والدور الذى اضطلعت ويمكن أن تضطلع به ؟

☐ أحب أن أستمع من قراء (الوعى الاسلامى) بمزيد من الوعى والانصاف لأقرر حقائق لا مناص من التسليم بها .

١ — كانت الامة العربية فى هــذه الصحراء من قبل أمة بعيــدة عن الحضارة بكل معانيها .

٢ — كان من حول الامة العربية فى صورتها هذه ثلاث حضارات احداها فى فارس والثانية فى أثينا والثالثة فى مصر ولا ينكر أحد أن هذه الحضــارات الثلاث كانت ترتكز على قوى نفسية وقوى مادية كثيرة .

٣ — ان اختيار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من هذه الامة ليبلغ الى الانسانية كلها رسالة الحق مستعينا فى أداء هذه الرسالة باللسان العربى فى كتاب الله والشعب العربى فى جندية الله لا بد أن يكون مشتملا على حكمة تدعو الى التأمل والبحث والاستقصاء ..

والذى يخطر فى الذهن لأول ما يتأمل الانسان هذه الصور أن هذه الامة العربية كانت تكره الضيم وتلوذ بالانفة ويتنازل أحدهم عن حياته اتقاء للضيم والأنفة من الذل فى الجاهلية قبل الاسلام وهذه فضيلــة قوم رسول الله حين حملهم أعباء الدعوة الى الله فمضوا لا يلوون على شىء فانتشرت بهم دعوة الحق وعم ببطولتهم نور الله الآفاق .

والذى أحب أن يتناوله الناس فى هذا الصدد من العناية ، والتأمل هو أن رذائل الامة العربية — فى أكثر مظاهرها فى الجاهلية — هى فضائل تطرفت فأصبحت رذائل ، فأما رذائل غيرها فانها موغلة فى باب الرذيلة .

وعلى هذا يكون الشعب العربى بخصائصه التى كانت فيه سواء كانت لسانية أم نفسية أم خلقية شعبا صالحا للجندية فى أداء رسالة الله الى عباده تحت قيادة محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

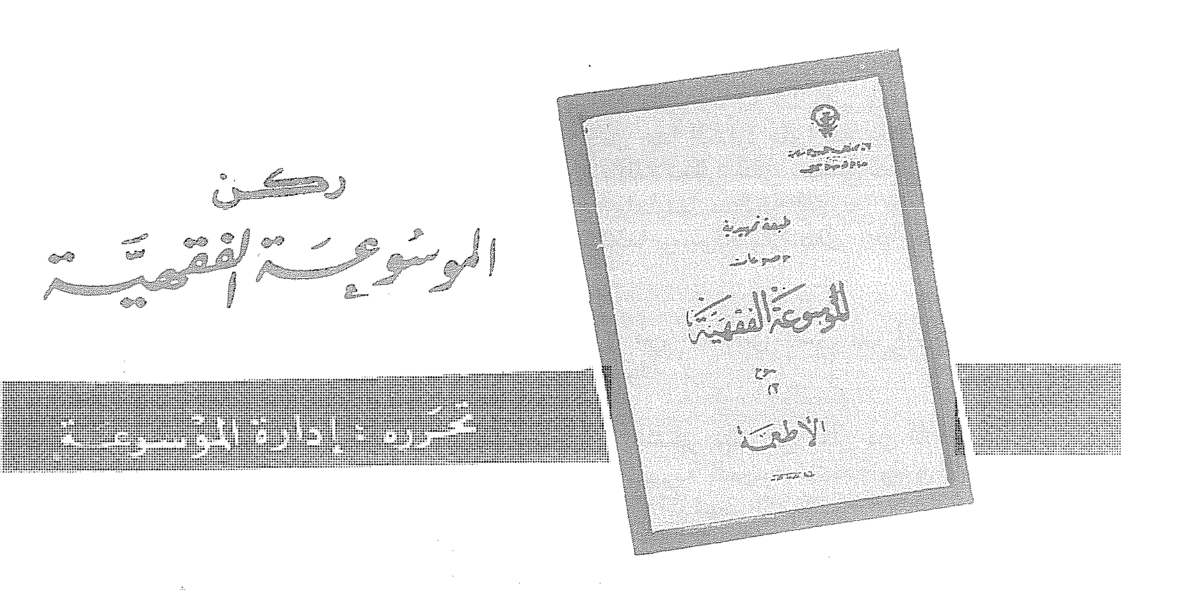
ومن هنا نقف قليلا عند قول الله تعالى فى سورة الزخرف خطابا لرسوله الكريم : (فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) فان الله تعالى جعل هذا الكتاب علوا للعرب وللمسلمين ونباهة ذكر لهم ان هم راعوا حق الله فيه والله تعالى على مقتضى حكمة لا يرفع دنيئا لشرف فلو لم تكن الامة العربية فى جاهليتها صالحة للشرف ما أنزل الله تعالى كتابه بلسانها ولا اختار من بين أبنائها رسوله ولا جعل هذا كله نباهة شأن لهم ورفعة ذكر .

— هل تتكرموا باعطاء القارىء فكرة عن الاساس الذى من أجله أنشىء معهد الدراسات الاسلامية الذى توليتم ادارته .

□ معهد الدراسات الإسلامية يرجع التفكير فيه الى أكثر من ثلاثة عشر عاما مضت حين كنت وزيرا للأوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة وكان الغرض منه — ولا يزال — تقريب مسافات الخلف بين المذاهب الاسلامية الفقهية ولست أعنى بالتقريب أن يتنازل الناس عن مذاهبهم ولكنى أعنى أن يذكروا دائما أن الخلاف المذهبى ينبغى أن لا تفسد به الاخوة بين الاخوة ومن حسن الحظ أن مختلف المذاهب الاسلامية يضع نصب عينيه أمورا أربعة يؤمن بها ويدين الله عليها وهى الاصول فى الاسلام .

فأهل المذاهب جميعا يؤمنون باله واحد لا شريك له يؤمنون بالله وحده لا شريك له ويؤمنون بمحمد عبد الله ورسوله ويؤمنون بالكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ويؤمنون بالكعبة قبلة للمسلمين فى الصلاة .

فهذه الاصول تكفى المسلمين ليتعارفوا ويتقاربوا ولا يتربص بعضهم ببعض ولا يعين بعضهم على بعض وخاصة اذا نظرنا فرأينا البابا فى روما يجمع مختلف المذاهب وقادتها والمنتمين اليها من الارثوذكس والكاثوليك والبروتستانت فيما يسمونه المجمع المسكونى واذ قد كان ذلك سابقا عند المسلمين معروفا عند غير المسلمين كان المسلمون أولى بهم وأقرب لأن الفرقة بينهم بالغة ما بلغت لن تكون أكثر من الفرقة فى المذاهب المسيحية ، فهذا الاتجاه الى اتجاهات كثيرة أخر من أجله أنشىء هذا المعهد ومن أجله أسأل الله تعالى أن يفتح به طريقا الى الخير يفهم به المسلمون أكثر مما فهموا حقيقة الاسلام ويفهم به غير المسلمين الاسلام فى آسيا وافريقيا ويستطيع الذين يتلقون الدراسة فيه من حملة الدرجات الجامعية . الاول أن يناهضوا الدعاية المسمومة ضد الاسلام من المبشرين الذين يعملون فى آسيا وافريقيا بين يدى الاستعمار ولا يجدون أشهى الى قلوبهم ولا أجمل فى أعينيهم من النيل من الاسلام ومن نبى الاسلام والله الموفق للخير والمعين عليه ان شاء الله .



١) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا في العددين السابقين أهمية موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى من ناحية حاجة قضاة محكمة العدل الدولية وقضاة محاكم التحكيم الدولية الى مصدر ميسر للرجوع الى أحكام الشريعة الاسلامية .

ونبدأ بهذا العدد عرض أفق ثالث من آفاق الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد الدولى ، وهو دراسات وبحوث المعاهد والجمعيات والمؤتمرات الخاصة بالقانون المقارن .

وسيتناول بحثنا فى هذا الصدد :

١ — دراسات القانون المقارن فى الجامعات والمعاهد ، وفى مؤلفات القانون المقارن التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات .

٢ — جمعيات القانون المقارن ، وما تصدره من مجلات وبحوث .

٣ — المؤتمرات الدولية للقانون المقارن ، وما تبحثه من مسائل وتتخذه من توصيات .

٤ — مراكز الاعلام القانونى ، ولا سيما بعد تزويدها بالادمغة الالكترونية التى تغذى بالمعلومات ثم توزعها حسب الطلب على الباحثين .

□ □

ونبدأ بالناحية الاولى :

أصبحت دراسة القانون المقارن جزءا أساسيا من برامج كليات الحقوق فى القارتين الاوروبية والامريكية ، حتى لا تكاد تخلو كلية للحقوق من كرسى لدراسة القانون المقارن .

وقد بدأ هذا الاهتمام فى جامعة أكسفورد سنة ١٨٦٩ ، أما فى الجامعات الاوربية فقد بدأ قبل ذلك بمدة طويلة ..

والى جانب دراسة القانون المقارن وادخاله فى مواد البرامج العامة فى كليات الحقوق ، تقوم فى عشرات الجامعات معاهد مخصصة للقانون المقارن على مستوى الدراسة الجامعية ، ومستوى الدراسات العليا بعد الجامعية . بل هناك جامعات بأكملها متخصصة فى الدراسات المقارنة كالجامعة الحرة للدراسات المقارنة فى اللوكسمبورج .

هذا وقد أنشىء عام ١٩٢٨ معهد توحيد القانون الخاص فى روما ، واعتبر مؤسسة قانونية ملحقة بعصبة الامم ، كما أنشىء المجمع الدولى (الاكاديمية الدولية) للقانون المقارن فى لاهاى .. والمؤسستان الأخيرتان ليستا معاهد تدريسية بل معاهد بحوث .

ورغم اكتظاظ برامج كليات الحقوق بالمواد الاخرى المنافسة لدراسة القانون المقارن ، ورغم الصعوبة اللغوية فى الرجوع الى المراجع القانونية بلغاتها الاصلية ، بل ورغم صعوبة تكوين مكتبات مخصصة للقانون المقارن لمعاونة الباحثين ، نقول رغم كل هذه الصعوبات ، قد شقت دراسة القانون المقارن طريقها للحاجة الملحة اليها على الصعيدين العلمى والعملى (سياسيا واقتصاديا) وتبلورت هذه الحاجات العملية فى السعى الى توحيد بعض قواعد القانون الخاص (الخاصة بالشيكات والسندات ووثائق الشحن) وبعض قواعد القانون الدولى الخاص .. ودخلت دراسات القانون المقارن فى مرحلة هامة بظهور فكرة الوحدة الاوربية وما تقتضيه من توحيد بعض أحكام القوانين فى هذه البلاد ..

واذا كان الاتجاه الصحيح فى تدريس القانون المقارن بالجامعات ، يبدأ من تكوين الملكة القانونية لدى الطالب بتوسيع نظرته لتتجاوز حدود قانونه الاقليمى الى المقارنة بقوانين الدول الاخرى ، وكان هذا الاتجاه — ولا سيما فى المراحل الجامعية الاولى — لا يقتضى أكثر من جولات سريعة بين المبادىء الهامة فى بعض النظم القانونية الكبرى ، فان ذلك يستتبع فى مراحل أخرى التعرض لبعض التفصيلات ، كما يظهر بوضوح فى الدراسات العليا بعد الجامعية وما تستتبعه عادة من « قاعات بحث » وبحوث على مستوى « الدكتوراه » .

وهكذا تنتقل الدراسة من « المنهج المقارن لدراسة القانون » الى تطبيق هذا المنهج بالفعل باجراء المقارنات بين النظم القانونية الكبرى فى مسائل معينة بالذات .

لذلك نرى الكتب الجامعية التى تمثل مناهج الدراسة المقارنة للقانون ، تشتمل على الاصول العامة والمنهج المقارن ، كما تشتمل على عرض موجز للنظم القانونية الرئيسية فى العالم يوضح المعالم الرئيسية ، ويشير الى المراجع لمن أراد الاستزادة فى تفاصيل هذه النظم .

وكذا تعرض الكتب التطبيقية للقانون المقارن ، التى تتناول مسألة معينة بالدراسة المقارنة ، رأى مختلف النظم القانونية العالمية الكبرى فى هذه المسألة .

ولنأخذ على سبيل المثال كتابين شهيرين فى القانون المقارن :

أحدهما عرض مبدئى للقانون المدنى المقارن ، لمؤلفه الفرنسى الاستاذ رينيه دافيد ، فقد تناول هذا الكتاب فى قسمه الاول : أهمية دراسة القانون المقارن ، وفى قسمه الثانى : نظم القانون المعاصرة (الفرنسى والانجلو أمريكى والسوفيتى

والاسلامي والهندى والصيني) وفي قسمه الثالث : معلومات ذات أهمية عملية في دراسة القانون المقارن . وقد حظيت الشريعة الاسلامية من هذا المؤلف بثمان وعشرين صفحة مليئة بما يحتاج الى الرد والتعليق مما لا مجال له الآن ، وقد نعود اليه فيما بعد .

أما الكتاب الثـاني فمطول في ثلاثة مجلدات لمؤلفين ثلاثة ، هم : بيير أرمنجون ، وبارون بوريس نولده ، ومارتن وولف . وقد عرض في قسم أول : مبادىء القانون المقارن ، ثم في قسم ثان : العناصر المشتركة في النظم القانونية الحديثة ، ثم في أقسام تالية تناول بالبحث كلا من القوانين الفرنسية والالمانية والاسكندينافية والانجليزية والسوفيتية والاسلامية والهندية .

وقد حظيت الشريعة الاسلامية من هذا المؤلف بمائة وخمسة وثلاثين صفحة جديرة كذلك بالدرس والتعليق .

وقد ضربنا هذين المثالين لتوضيح أهمية دراسة الشريعة الاسلامية في مناهج القانون المقارن بجامعات العالم ليتبين مدى الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامي في هذا الصدد ، اذ أن أساتذة القانون المقارن في بلاد العالم المختلفة (بله طلاب القانون الذين يحتاجون الى مراجع للاستزادة من العلم بالشريعة الاسلامية) لا يجدون أمامهم لمعرفة أحكام الشريعة سوى ما كتبه المستشرقون (وكثير منهم مغرضون دساسون أو جاهلون) ، أو ما ترجم من المتون والمختصرات — وهذا نزر قليل — ككتاب خليل في الفقه المالكي ومجلة الاحكام العدلية في الفقه الحنفي وغيرهما .

ان موسوعة الفقه الاسلامي بعد تمام تحريرها وترجمتها الى اللغـات العالمية ، ستكون بلا شك المرجع الرئيسي لكل من يريد معرفة أحكام الشريعة بمذاهبها المختلفة ، بصورة ميسرة وأسلوب علمي مقارن ..

وفي العدد القادم ، نعرض لباقي صور الاهتمام بالشريعة الاسلامية ضمن بحوث القانون المقارن ومؤتمراته الدولية .

□ □

ب) من يريد الموسوعة ؟

جاء الى ادارة الموسوعة من الاستاذ السيد وهيب دياب من دمشق ملاحظة حول موضـوع الاشربة (الذي هو أول موضوع صدر في الطبعـة التمهيدية لموضوعات الموسوعة) حول الخبر الذي نقل في موضوع « الاشربة » عن سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه من أنه « روى عنه أنه أضاف قوما فسقاهم ، فسكر بعضهم ، فضربه الحد ، فقال الرجل : تسقيني ثم تحدني ؟ فقال على : انما أحدك للسكر ». (موضوع : الاشربة ص ٣٧) فنبهنا الاستاذ وهيب الى أن ابن قتيبة في كتابه (الأشربة) قد عزا الحادثة الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد روجعت ادارة الموسوعة شفهيا أيضا بانتقاد ايراد هـذا الخبر في موضوع الاشربة وقال المنتقدون : كيف يجوز ايراد هذا الخبر في الموسوعة مع

أن نسبته الى سيدنا على ظاهرة الكذب ، اذ يستحيل عليـــه أن يسقى أحدا خمرا .

ودفعا للأوهام نجيب على هذا الانتقاد بالايضاحات التالية :

١ ـــ ان الخبر المنقول فى الموسوعة الفقهية ليس فيه ان ما سقاهم اياه كان خمرا ، فقد جاء فيه أنه : « سقاهم » ولم يذكر فيه ماذا سقاهم . ولا يمكن أن يفهم أحد من أهل العلم أن عليا رضى الله عنه سقاهم خمرا ، فمن يتوهم ذلك هو المخطىء فى الفهم .

والواضح ـــ ولا سيما من سياق الكلام واستدلال من استدلوا به ـــ أنه سقاهم مشروبا مباحا من الانبذة غير المسكرة وقد أوضحنا فى عدة أماكن من موضوع الاشربة (ص ٣٤ حاشية رقم ٢) ان النبيذ بمعناه القديم هو ما ينبذ ، أى يطرح من الزبيب أو التمر ونحوهما فى ماء حتى يحلو فيشرب ، وهو غير النبيذ بمعناه المتعارف فى عصرنا هذا فان النبيـــذ فى عصرنا اليوم هو الخمر الاصلية نفسها التى جاء الاسلام بتحريمها . أما معناه فى القديم فهو غير ذلك والشواهد على هذا فى النصوص كثيرة ، وقد نقلنا قبيل ذلك (ص ٣٥) عن عائشة رضى الله عنها أنهم كانوا ينبذون للرسول عليه الصلاة والسلام قبضة من تمر وقبضة من زبيب فى الغدوة فيشربه عشية ، أو ينبذون له عشية فيشربه غدوة .

ونقلنا أيضا قبل خبر على مباشرة عن عمر رضى الله عنهما أنه كان يشرب النبيذ الشديد الحلاوة الذى لا يسكر . وقلنا : « أما ما يسكر فقد حرموه » ذلك لأن النبيذ المذكور اذا طال مكثه يبدأ فيه التخمر فيصبح مسكرا بدرجة تختلف بحسب مدة المكث ومقدار المادة الحلوة . وقد قدر الحنابلة طول المدة التى يحرم بعدها النبيذ بثلاثة أيام بلياليها ، لاحتمال افضائه بعد ذلك الى الاسكار (الاشربة ص ٤٥) كل هذا موضح قبل الخبر المذكور وبعده . ومنه يتضح أنه لا مجال للتوهم بأنه ما سقاه على ـــ لو صح الخبر ـــ كان خمرا كما توهم بعض القراء بل هو نبيذ بمعناه القديم المشروح .

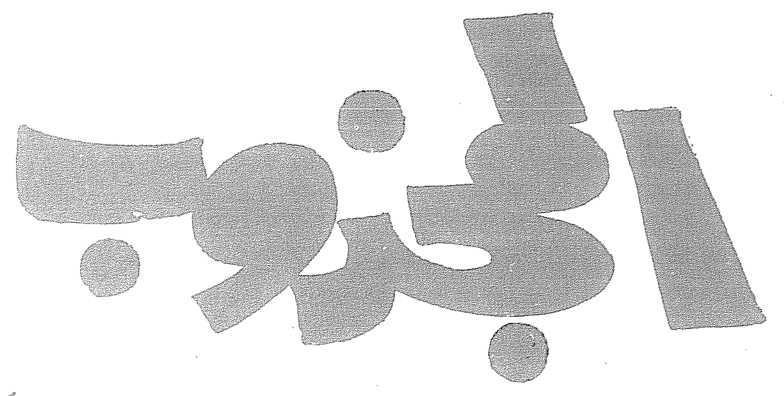
وأما السكر الذى اعترى أحد من سقاهم فانه لا يدل على أن النبيذ كان مسكرا ، بدليل أن الآخرين لم يسكروا ، وانما يدل على أن ذلك الرجل كان لديه فرط حساسية تجعله يتأثر هو خاصة ببعض الاشياء التى ليست فى ذاتها مؤثرة . وعندئذ كان عليه أن يمتنع عما يضره ويؤثر فيه ، فلذلك ضربه الحد . وهذا يدل على صلابة سيدنا على رضى الله عنه فى اقامة أحكام الشرع على من يتهاون فى اجتناب ما يجب عليه اجتنابه ولو كان ضعيفا . كل هذا لو فرض الخبر ثابتا .

٢ ـــ على أننا نقلنا فى الحاشية (ص ٣٧ ح ١) عن مراجع أخرى أن هذا الخبر لا يصح عن على رضى الله عنه لأن فى سنده مدلسا وضعيفا . فضعف الخبر أو عدم صحته منقول معه فما وجه الانتقاد على الموسوعة عندئذ بأنه خبر غير صحيح ؟

والموسوعة تنقل فيها الادلة وردودها بكل أمانة فيما تنقل من اختـــلاف

البقية ص ٨٥

قصّة تاريخيّة قصيرة



للدكتور: نجيب الكيلاني

« هذا هو »

تمتم (فرط الرمان) فى ضيق بالغ ، وأوشك أن ينقض على الرجل المجهول بسيفه الذى يتدلى الى جواره ، وهو على صهوة حصانه ، ان (فرط الرمان) كما يسميه العامة، أو (برتلمى) الرومى أشهر من نار على علم ، القاهرة كلها تعرفه ، رجال الحملة الفرنسية يكنون له الاحترام ، ويغدقون عليه المنح والاوسمة ، هذا هو حاله بعد أن تحول من بائع للقوارير ، أو مملوك تافه ، الى عميل ذى شأن كبير . . وأصبح من جلاس نابليون وكليبر ، ومينو ، كما أصبح يصدر الأوامر لكبار الشيوخ أمثال المهدى والسادات والشرقاوى وغيرهم . .

ونظر (فرط الرمان) الى الرجل المجهول متفحصا ، الرجل يقف فى ملابسه الرثة وسحنته الجامدة وكأنه لا يعنيه شىء ، تلك هى المرة الخامسة التى يراه فيها ، ان لهذا الرجل المجهول نظرات مخيفة ، صامتة ، تنطق بآلاف العبارات ، نظرات يخفق لها قلب (فرط الرمان) ، بل يخاف منها ، على الرغم من أنه فى عنفوان سطوته وجبروته ، فهو جلاد القاهرة الاشهر ، والذى يبث اسمه الذعر فى القلوب . .

ترجل (برتلمى) — فرط الرمان — من فوق جواده ، ومضى صوب الرجل، تحيط به كوكبة من رجال العسس ثم أمسك بطوق الرجل فى عنف ، وهدر :

— (من انت ؟ ؟)

لم ينطق الرجل بكلمة واحدة ، ظل صامتا ، يرشقه بنظراته الحادة التى تحمل آلاف المعانى ، راسخا فى مكانه كالجبل ، فأستشاط (برتلمى) الرومى غضبا ، وصرخ :

« تكلم ، والا حطمت جمجمتك . . من انت ؟؟ » .

قال الرجل بصوت لا يختلج ، وكأن

صوته يتردد فى أروقة قاعة ضخمة ، وكان لنبراته صدى يفوح برائحـــــة القـــدم والخلـــود :

ـــ ((أنا رجل على الله ..)) .

زمجر فرط الرمان :

ـــ ((ما اسمك ؟؟)) .

ـــ ((عبد الله))

ـــ ((من أية أسرة فى القاهرة ؟؟))

ـــ ((ليس لى أسرة .. الجميـــع أهلى))

همس فرط الرمان بصوت كالفحيح:

ـــ ((شريد ؟؟)) .

ـــ ((لا .. فانا اعـــرف نفسى ، واعرف طريقى)) .

ـــ ((ومن أين تحصل على رزقك ؟))

ـــ ((وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ..)) .

لم يطق برتلمى صبرا ، رفع يده الغليظة ، وهوى بها على وجه الرجل فى حنق ، لم يتزحزح الرجل من مكانه وان احتقن وجهه ، بقى كصـــــخرة عاتية ازدادت نظراته اشتعالا ، ثم ـــ بعد لحظة صمت ـــ قال :

ـــ ((العقاب يتبع الجريمة .. وأنا لم أجرم ..)) .

وانهالت لكمات الرجال وركلاتهم ، حينما رأوا سيدهم (برتلمى) يفتح الطريق أمامهم لاهدار كرامة انسان برىء ، ثم صاح (برتلمى) بهم كى يكفوا عن الضرب ، وأمرهم بتفتيش الرجل تفتيشا دقيقا ، لعـــل معه سلاحا ، أو ربما يخفى فى طيـــات ثيابه الرثة أوراقا ، لكنهم لم يجدوا معه شـــيئا ، ووقف برتلمى يلهث اعياءلا من أجل مجهود بذله ، ولكن من شدة الانفعال الغامض الغريب ، وعـــاد ينظر الى الرجل المجهول ، فوجده يبتسم .

صاح برتلمى :

ـــ ((لم تبتسم ؟؟)) .

ـــ ((الأن حبيبى قال لى : امـــلأ قلبك بالنور ، وارو ظماك باليقين ، وعطر أحلامك بالمحبـــة ، تنبثق فى روحك سعادة لا تموت ..)) .

قال أحد الأتباع :

ـــ ((يبدو يا ســـيدى انـــه أحـــد المجاذيب ..)) .

وما أن سمع الرجل المجهول ذلك حتى أخذ يتطوح يمنة ويسرة ، وقد تبللت أهدابه بالدموع وينشد :

يا راحلين الى (منى) بقيادى
شوقتمو يوم الرحيل فـــؤادى
سرتم ، وسار دليلكم يا وحشتى !
الحب أرقـــنى وصوت الحادى
فاذا وصـــلتم سالمين فبلغـــوا
منى السلام الى النبى الهادى

كان صوته نديا رقراقا ، تخالطه الدموع ، ويوشيه الحنين ، وانطلق برتلمى فجأة يقهقه بصوت عـــال ، وأخذ رجاله من حولـــه يقهقهون ، والتأم من حولهم عدد كبير من المارة عند (الأزبكية) ، فصاح بهم الجلاد كى يتفرقوا ، وأعمل رجاله فيهـــم السياط حتى انفضوا ، ثم عاد الى الرجل المجهول وقال :

ـــ ((أنت تعـــرف مـــن يكـــون (برتلمى))) .

ـــ ((ليس لى أخ بهذا الاسم ..))

صاح فى انفعـــال :

ـــ ((انه أنا .. الجميع يعرفون من أنـــا)) .

ـــ ((لكنى لا أعرف ..)) .

ـــ ((فلماذا ترمى بنفسك أمامى

من آن لآخر ؟)) .
ــ ((هو الذى يرمينى ..)) .
ــ ((مـــن ؟؟)) .

ــ ((حبيبى ..)) وأخذ ينشد :
يامن يرانى ولا أراه)) ..

فقاطعه برتلمى قائـــلا :

ــ لئن رأيتك فى وجهى مرة ثانية لأمزقن جسدك اربا اربا ..)) .

وأسرع برتلمى الى جواده وانطلق، ومن خلفه شرذمته ، فى شـــوارع القاهرة التى يلفها الصمت والترقب والحزن ، بعد المعارك الدامية التى خاضتها جماهير الأمة ضـــد رجال الحملة الفرنســـــية ابان الثورات المتـــلاحقة ..

وفى المساء كـــان (برتلمى) فى ســــجن القلعة الكبير ، حيث تكتظ الزنازين بزعماء الثورة من رجـــالات الأزهر والتجار ، وقليل من المماليك والأتراك ، كانت القلعة هى المكان المختار (لبرتلمى) ، فيها يشعر أنه نصف اله ، يأتى اليه السجـــــانون بالرجال المقيدين ، فيستجوبهـــــم ، ويتسلى باهانتهم وتعذيبهم ، وقـــد يقتل البعض منهم ، ويضعهم فـــى أجولة ، ثم يقذف بهم فى أعماق النيل الهادر ، أو يقطع رقاب البعض ، ويعلقها على قارعة الطريق ، أو فى الميادين العامة ، حتى يبذر الرعب فى القلوب ، ويخمد اشتعال الثورة .

وتذكر برتلمى فى تلك الليلة ، ذلك الشخص المجهول ، وأخذ يتحدث عنه من جديد أمام ضباطه وحراسه فى اهتمـــام عجيب ، وهـــــم يدارون سخريتهم ، ويندهشون لهذه الخرافة التى لا معنى لها ..

وحانت من برتلمى التفاتة مباغتة ، فرأى على ضوء المصابيح الزيتيـــة ، رجلا يحمل على ظهره قربة ممتلئـــة بالماء ، وصرخ كمن لدغته حية :
ــ ((انه هو ..)) .

شحب وجهه ، ثم جـــرى مسرعا اليه ، وحوله الرجال ، فوجد (سقاء) عجوزا لا يمت بأدنى صلة الى الرجل الذى يتحدث عنه ، وتمتم فى شىء من الخجـــل :

ــ ((ان نظراته تشبه نظرات ذلك المجهول الى حد كبير .. انها النظرات التى لا تنطفىء أبدا حتى فى محاجر الذين يموتون أمامى .. أجل يموتون مفتوحى العينين .. والنظرات الحاقدة تظل تتحدانى .. لكم تمنيت أن أفقأ عيون هؤلاء الناس جميعا ..)) .

قال رفيق :

ــ ((يبدو انك يا برتلمى قد أكثرت من شرب الخمر .. ثم انك لم تعـــد تنام نوما كافيا ..)) .

الأنين ينبعث فى أروقة الســـجن الكبير ، وشتائم الجلادين المقذعـــة تثير ضجيجا كبيرا ، والظلام يحيط بالأضواء الخافتة ، يكـــاد يخنقها ، وبرتلمى يتمايل فـــى نشوة كاذبة ، يضحك والدموع فى عينيه ، وخيالات كثيرة متناقضة تعشش فى رأسه ، ويغمغم :

ــ ((القوة وحدهـــــا هى قانون الحياة .. هى التى تملك التغيير .. أستطيع بسوطى أن أحيـــل أشجع الشجعان الى جبان رعديد ، يصرخ ويستغيث كامرأة .. ومن يستعصى على أقطع رقبته .. أنهى كل تمرد فيه .. القوة لا حد لتأثيرها .. وأنا أملكها .. أيها الأصدقاء .. التفكير الطويل مضيعة للوقت .. الرحمـــة خوف .. لا شىء سوى أن تنفـــــذ ما تريد بسرعة .. عدونا الوحيد هو التردد .. لكن ذلـــك الرجل المجهول تزعجنى نظراته .. لست أدرى لماذا لم أقتله على الفور ؟؟ انه مثير ..

غامض .. غريب .. لكم تمنيت أن أشق قلبه بخنجرى لأرى ما بداخله . »

وقدم رجل يلهث ، والعرق يتقاطر على جبينه .. ووقف أمام (برتلمى) وقـــال :

ـــ « سيدى .. الثورة انــدلعت فى (حى بولاق) .

حاول برتلمى أن يفيق من سكره ، حك جبهته ، وتمتم :

ـــ (بولاق ...) .

ـــ « أجل يا سيدى .. وضعوا المتاريس .. هاجموا مجموعة كبيرة من رجالنا .. دمروا عددا من نقط الحراسة .. انها شىء له خطره .» .

ـــ « كيف يجرؤون على ذلك ؟؟» .

ـــ طائفة من رجال الأزهر ، يتبعهم جمهرة من التجار ، وكل شعب بولاق»

هز برتلمى رأسه ، وقال :

ـــ « لا شك أن الشـــيخ السادات على رأسهم .. » .

صمت الرجل برهة .. ثم قال :

ـــ « القائد .. هو ذلك الرجل .»

ـــ « ... مـــن ؟؟ » .

ـــ « ذلك الذى صفعته صباح اليوم .. وأشبعناه ضربـــــا .. انه ليس « مجذوبا .. » انه الحاج (مصطفى البشتيلى) ... صـــــديق الشيخ السادات .. » .

هب برتلمى واقفا ، كل عضلـــة كانت تختلج فى جسده ، قلبه يخفق بشدة ، النظرات الحديدية العنيدة ، التى تصرخ بالحقد والكراهية تنتصب فى ذاكرته كالقضاء النافذ ، رائحـــة الدم والحريق والاشـــلاء تعود الى أنفه .

ورنت فى أذنه بقية كلمات رجـــل العسس الذى حمل اليه الأنباء :

ـــ « هكمدار العاصمـــة الفرنسى يطلبك .. الأمر أخطر مما نتصور ..»

وابتسم سجين مربوط فى أعمدة خشبية ووقعت عينا (برتلمى) عليه فجأة ، فجن جنونه ، فأقترب منه ، وداعبه بابتسامة شاحبة وقال :

ـــ « لم تبتسم ؟؟ » .

ـــ « أنا مظلوم .. » .

قال برتلمى بهدوء غريب ، وهو يهم بالانصراف :

ـــ « أما وقـــد ثبتت ادانتـــــك باعترافك .. »

قاطعه السجين قائلا :

ـــ « لم أعترف بشىء .. »

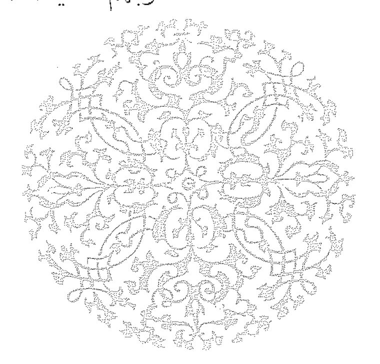
هدر برتلمى :

ـــ « ابتسامتك اعتراف صريح .» .

وتوجه بالحديث الى رجاله :

ـــ « اقطعوا رأسه .. وعلقوها على باب الأزهر .. لن أتيح فرصـــة لمجذوب آخر كى يشعل ثورة .. » .

وهتف السجين فى استســـلام : « نحن لا نموت .. والشهداء عنـــد ربهم أحياء .. يرزقون » ..

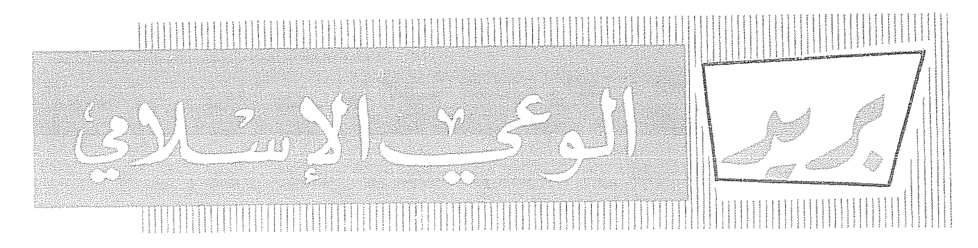


الاجتهادات . وهذا يوفر لها القيمة العلمية والثقة ، فاذا تصرفت من عندها تلخيصا وحذفا بما لا يتفق والامانة العلمية فقدت هذه القيمة .

٣ ـــ والخبر المذكور لم تنقله الموسوعة عن كتب التاريخ أو الادب . بل عن كتب كبار أئمة الحديث ، فقد بينا فى الحاشية أنه أخرجه الدارقطنى وابن أبى شيبة عن الشعبى ، كما نقلنا تضعيفه والطعن فى صحته .

٤ ـــ وأما كون الخبر المذكور قد نسبه ابن قتيبة فى كتابه « الاشربة » الى عمر رضى الله عنه ، فاننا قد بينا فى الحاشية أن منهم من رواه عن عمر ومنهم من رواه عن على رضى الله عنهما .

ومما أوضحنا يتبين أنه لا محل للغط والاستغراب فى نقل هذا الخبر . وعلى فرض أن نقله لم يكن مناسبا فان الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة قد جعلت لتلقى الملاحظات وتصحيح أو تعديل ما ينبغى تصحيحه أو تعديله قبل الطبعة النهائية حيث يفوت امكان التدارك والعصمة لله وحده سبحانه .



حول تحضير الارواح

موضوع امكان تحضير الارواح هو حديث الناس فى الـكويت فى هذه الايام منهم المصدق ومنهم المكذب ، وقرأنا أن للسيد الدكتور عثمان خليل تجربة طويلة فى هذا الموضوع ، فهل يمكن أن تفيدونا برأيه مبسطا فى هذا الموضوع .

أحلنا هذه الرسالة على السيد الدكتور ، فتفضل بالاجابة التالية :

تجربتى فى الروحية — وهى موضوع السؤال — تتلخص فى الآتى :

١ — اتصلت بالدراسات والتجارب الروحية منــذ حوالى ربع قرن ، وتجاوبت مع التربية الدينية التى كان لى نصيب منها منذ طفولتى أو صـبـاى ، واطمأن يقينى الى أن البحث فى هذا المجال ليس جائزا شرعا فحسب ، بل انه محثوث عليه توكيدا للايمان بخلود الروح ، وتفكرا فى آيات الله ، واستزادة من علم الله ، وتعبدا قلبيا عميقا فى عصر طغت فيه المادية واستشرى الالحاد .

٢ — هالنى ما اطلعت عليـه (مباشرة أو نقلا) من بحوث ومؤلفـات وصحف وهيئات ومؤتمرات دولية خاصة بالدراسات الروحية فى الخارج ، وما خضعت له هذه الجهود — فى مختلف دول العالم — من تدقيق واختبـار خلال القرنين الاخيرين على وجه الخصوص ، وقد أسفر كل ذلك عن تراث علمى ضخم فى هذا المضمار تتزعمه أعداد لا يكاد يدركها الحصر من العلماء المبرزين فى العلم والمكانة الاجتماعية فأحسست أننا — ونحن موطن الرسالات والمعـانى الروحية فى العالم — أولى بذلك الامر ، ووجدت ضالتى فى جمعية بالقاهرة يعبر اسمها ذاته عن ضالتى وهى ((الجمعية الاسلامية الروحية)) ورائدها مستشار سابق بادارة قضايا الحكومة هو الاستاذ رافع محمد رافع ، الرائد الصوفى الشاذلى كذلك ، فلازمته ، وازدادت قراءاتى الاسلامية عن الروح (لابن القيم وغيره) ، وعن الصوفية ومناقبها .

٣ — عندما حضرت الكويت سنة ١٩٦٢ اتصلت بشخص ذى صلة بجماعة القاهرة المذكورة (هو الاستاذ محمود حورانى) ولم تكن قد بدت عليه أمارات الوساطة الروحية بعد ، ولكن أخبرنا وسيط آخر (هو المهندس منير الاعور) بمستقبل الاخ محمود الوساطى ، وبعد قرابة سنة أو أكثر بدأت فعلا وساطته فى صورة غيبوبة كاملة (١٠٠ ٪) وبافاضة فى الاحاديث الدينية تذهل السامع فى ذاتها ، وفى صدورها عن حالة ((لا وعى)) وعن شخص لا يعرف — فى حالة وعيه — قليلا مما يفضى به فى حالة الغيبوبة ، فتضاعف تعلقى وزملائى بهـذا الاتصال الروحى المبارك فى الله .

٤ — ظللنا سنين نتعبد الله على هذا النحو فى شبه خلوة (بحجرة تامة

الاظلام ، وبخلوص من مشاغل الدنيا ، وعدم التفكير الا فى الله مع ترديد اسمه تعالى قلبيا وبدون صوت مسموع) . ولم يكن يخطر ببالنا أن يقتحم علينا هذه الخلوة الاسبوعية ــ ولمدة ساعة ــ أحد غير القليلين من المؤمنين بالروحية من أصدقائنا الخلصاء ، ثم اتسعت الدائرة بتزايد الراغبين من هؤلاء ، ثم تسرب الموضوع الى الصحافة وأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الراغبين فى تلمس أسباب القرب الى الله ، أو فى التعرف على أسرار الاتصال الروحى الذى ملأت مؤلفاته حيزا كبيرا فى مكتبات العالم ، وبدأت تأخذ مكانا يذكر فى مكتبات العالم العربى وعلى أيدى علماء أفاضل .

٥ ــ تبدأ جلساتنا بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، فقراءة الفاتحة مرة ، فالآية (٣٥) من سورة النور « الله نور السموات والارض » (الاية) فسورة الاخلاص ثلاثا ، فالفاتحة مرة أخرى ، ويبدأ الوسيط معنا القراءة ثم نفتقــده تدريجيا خلالها ، حيث تبدأ غيبوبته شيئا فشيئا . وبعد انتهاء تلك التلاوة بدقيقة أو دقائق معدودة يبدأ الوسيط بالقاء السلام بصوت خافت ، وببعض عبارات التحية ، ثم يتدرج صوته فى الارتفاع حتى يصبح أحيانا كالخطيب المتدفق من فوق منبر ، ولا يعيد كلمة أو يتلعثم فى جملة ، بل كأنه شريط مسجل ، ويبدأ عادة بسؤالنا عما نريد أن يحدثنا فيه من الامور الدينية التى تنفع الناس ، متباعدا عن الامور الفردية أو الخاصة التى تشغل العوالم غير المدركة (ويقصد بها الجــن خاصة ، والارواح الشاردة التى لم تبلغ رقيا فى الله) . وعادة نفوض الرأى للروح الزائر أول الجلسة ليحدثنا فيما يتفضل به ، وبعد هذا الحديث يســأل الروح الحاضرين ، فيسألون بما يريدون ، ويجيب على الفور على أسئلتهم ، وكل هذه الاحاديث ــ الا النادر ــ قد حرصنا على تسجيلها على أشرطة محفوظة لدينا ونطبعها فى عدد محدود من النسخ بقدر الحاضرين المهتمين بالقراءة بعد السماع .

وفى نهاية الجلسة يؤذننا الروح الزائر بذلك ، ويحيينا منصرفا « على بركة من الله ورسوله » فنقرأ الفاتحة ثلاثا ، مسك الختام .

٦ ــ مثل هذه الجلسات لا يقــدر نوعية الارواح المتحدثة فيهــا ، ولا مستواها فى جانب الله ، الا من يحضرها ويعيها ، وهو بعد ذلك الذى يستطيع بعقله وقلبه ــ وبالممارسة كذلك ــ أن يقطع بكون الارواح الزائرة أرواح بررة ، أم أرواح جن ، أم جنا حيــا كما يحصل لدى كثير من النــاس فيزيد بعضهم بعضا رهقا .

٧ ــ حسب تجربتى للآن ، تأبى الارواح الراقية فى الله الكشف عن أسمائها لأنها فنيت فيه تعالى ومسحت بجانبه عن « أناتها » كالجدول الصغير عندما يصب فى المحيط الكبير فيفنى فيه ، كما يأبى العــارفون بهذا المستوى الربانى لهذا الاتصال الروحى أن ينزلوا به الى مستوى الاسئلة الصبيانية التى يتقدم بها أحيانا غير العارفين بهذا الجانب من العلم والعبادة ، كالسؤال عن اسم أب فلان ، أو أمه ، أو عــدد أطفاله ، أو ما الى ذلك من أمور قد تليق بمستوى قارىء كف أو ورق أو ملازم جن أو مخادع ، ولا تليق بمستوى أرواح علوية تدانى البشر برحمة وهداية من عند الله . ولذلك كنا نضيق أحيانا بمثل هذه الاسئلة ، ولكن الروح الزائر كان دائما يجيب اجابة توجيهية للسائل ليرقى بالسؤال الى مستوى العلم فى الله ، ولنا ليتسع صدرنا لكل سؤال فقد سبق للكثيرين منا أن مروا بمثل هذا الدور .

٨ — تخصص الجلسة (أو بعض الجلسة) أحيانا للعلاج ، ويروى المرضى الكثير عن فضل الله ومنه عليهم بالشفاء .

٩ — لسنا ندعو أحدا للروحية الا بمثل ما تدعو أخاك للصلاة أو الصوم مثلا أو لسائر طاعات الله . ولا هدف للوسيط أو أى واحد من حوله الا مرضاة الله ، وليس هنالك أى مقابل مادى أو غيره يمكن أن يدع مجالا للشك فى خلوص هذه العبادة وتمحضها للتقرب الى الله . ولا أود أن أقول أكثر من أن القائمين بالروحية على هذا النحو يبذلون الكثير من الجهد والمال ، وأنا أقلهم فى هذا المضمار ، وان نسبت الصحف الى شرف القيادة ، والله يعلم اننى لست الا أحد الرواد المتواضعين فى هذا الميدان .

١٠ — آفة المجادلين فى شأن الروحية أو غيرها ممن يجادلون عن غير علم ، فالمرء عدو ما يجهل ، قد يكون الانسان فى قمة العلم فى بعض الميادين ، ويكون جاهلا حقا لميدان آخر كالروحية ، فاذا غلبت عليه طبيعة العالم قال ((لا أعلم)) وان غلب عليه ((كبرياء العلم)) أو ((كبرياء الجهل)) أفتى عن غير علم ولذلك فتحنا باب حضور الجلسات الروحية لكل راغب فى التعرف عليها ولو لم يكن مؤمنا بها ، ويقيننا الذى اكدته التجربة أن الخبر ليس كالعيان . وقد كان المرء يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد بدنياه بديلا ، ثم يخرج من عنده وهو لا يريد بآخرته بديلا .

والله أسأل أن يجعل لنا نصيبا من التأسى برسول الله العظيم ، وأن يلهم الجميع التوفيق فى سبيل مرضاته .

تعقيب

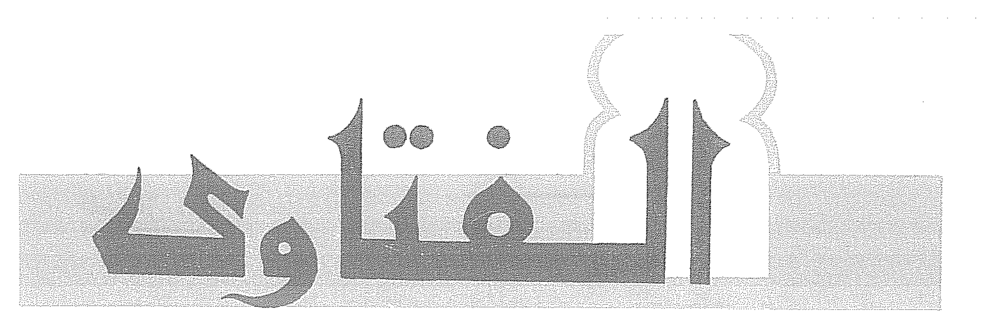
قرأت المقال المنشور فى العدد (٦٢) الذى كتبه الاستاذ عبد العزيز شرف والذى عرض فيه كتاب : ((الاسلام : الصراط المستقيم)) ولاحظت أن الكاتب يعتقد أن الكتاب لم يترجم الى اللغة العربية حيث يقول فى ختام مقاله (وحسب هذا الكتاب أن تكون له هذه القيمة لندعو مع أستاذنا على أدهم الى ترجمته الى اللغة العربية وأن نحتفى به حفاوة تليق بقيمته العلمية) ..

ويبدو من هذه الفقرة التى نقلتها أنه سبق للاستاذ الكبير على أدهم أن دعا الى مثل هذه الدعوة .

وحيث أن الكتاب المذكور قد تداولته الايدى باللغة العربية منذ عام ١٩٦٣ حيث ترجمه الاستاذ محمود عبد الله يعقوب ونشرته : دار مكتبة الحياة ببيروت وشركة النبراس ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (بغداد — نيويورك) .

وقد راجع الترجمة الاستاذ نور الدين الواعظ وقدم له بمقدمة ضافية جاءت مكملة لموضوعات الكتاب تحدث فيها عن الاسلام : عقيدة ورسالة كما تحدث عن الجانب السياسى من رسالة الاسلام .. وعن الشورى فى الحكم وعن طريقة انتخاب الامام وعن القضاء واستقلاله .. وعن صيانة حرية المواطنين فى ظل الاسلام .. وعن مكان القوة والاعداد منه وعن الجانب الاقتصادى من رسالة الاسلام والاسس التى يقوم عليها وعن الجانب الاجتماعى فى هذا الدين .

البقية ص ٩١



زكاة الاسهم

السؤال :

بعض الناس يشترى أسهما (كمدخرات) وينتفع بعائدها ، وبعضهم يشترى أسهما للتجارة ، فكيف يزكى كل منهما الاسهم التى يمتلكها ؟

وقد تفضل بالاجابة على هذا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

ان أسهم الشركات لم تكن فى الماضى معروفة بالصورة التى عليها فى الحاضر ، وان كان معناها له أصل فقهى .

ولذلك ما نبديه من رأى ليس مأخوذا من آراء الفقهاء بالنص ، ولكنه مستنبط من تطبيق القواعد الفقهية ، أو ما يسمى فى عرف علماء الاصول بتحقيق المناط .

لقد قرر الفقهاء أن الزكاة تجب فى المال النامى ، ويقولون سببها مال نام بالقوة ، وبتطبيق هذه القاعدة على الشركات نجد أن الزكاة واجبة فيها لأنها أموال نامية بالفعل .. ولكن كيف تجب الزكاة : أتجب بنسبة من رأس المال ، اذا حال عليه الحول ، أم تجب بنسبة من الغلات التى تخرج كل عام ؟

نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أخذ الزكاة من الاموال المنقولة بربع العشر من رأس المال ، فعشرون مثقالا يجب فيها ربع العشر وهو نصف دينار .

والاموال الثابتة وهى الارض الزراعية والاشجار ، تجب الزكاة فى غلاتها ، وهى الزروع والثمار ، يجب العشر ان سقيت بغير آلة ، ونصف العشر ان سقيت بآلة ، ولما كانت الشركات أشبه بالمال الثابت .. رأينا أن تكون الزكاة فى غلاتها بعشر الصافى بعد كل النفقات ، فمن يقتنى أسهما ، ليأخذ غلاتها عليه عشر ما يئول اليه بعد الضرائب المستحقة .

واذا كان يتجر فيها بالبيع والشراء ، فان الاسهم ذاتها تكون سلعة تباع وتشترى ، وتجرى فيها زكاة عروض التجارة ، فتكون زكاتها بربع العشر فى قيمتها بعد حولان الحول ، وهذا هو حكم الحال الثانية .

هذا ما انتهى اليه رأيى ، فان كان حقا فمن توفيق الله ، وان كان خطأ فالله تعالى أعلم بالصواب .

□ □

لمس المرأة

السؤال :

أنا أتبع المذهب الشافعى ، والمعروف أن الشافعى يرى أن لمس المرأة ينقض الوضوء ، وانني أشتغل فى محل تجارى ففى بعض الحالات تلمس يدى يد المرأة عندما أعطيها البضائع التى تشتريها عفوا بدون تعمد وبدون أى قصد فهل هذا ينقض وضوئى أو لا ؟

ع٠ م — الكويت

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى :

اختلف الائمة رضى الله عنهم فى انتقاض الوضوء بهذا النوع من اللمس الذى وصفه السائل الكريم بأنه غير مقصود فقال الشافعية : انه ينتقض به الوضوء ، وقال الحنفية والمالكية والحنابلة والظاهرية وغيرهم انه لا ينتقض الوضوء به ، ويجوز للمسلم تفاديا للحرج والضيق أن يقتدى بهؤلاء الائمة فى عدم انتقاض وضوئه ، وقد روى البيهقى عن القاسم بن محمد أنه قال : ((اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لعباد الله)) ، وروى أيضا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ((ما سرنى لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة)) وروى أيضا عن يحيى بن سعيد أنه قال : ((أهل العلم أهل توسعة ، وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا)) ، وأخرج الخطيب البغدادى عن اسماعيل بن أبى المجالد قال : ((قال هارون الرشيد لمالك بن أنس : يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب — يعنى مؤلفات الامام مالك — ونفرقها فى آفاق الاسلام لنحمل عليها الامة ، قال : يا أمير المؤمنين : ان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة ، كل يتبع ما صح عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله تعالى)) . واذا أراد السائل الكريم بيان وجهة أنظار الأئمة المختلفين فى هذه المسألة فليرجع الى مقال : (انتقاض الوضوء باللمس نموذج لاختلاف الائمة) .

□ □

العادة الشهرية

السؤال :

أنا مسلمة أعبد الله وأطيعه ، ومشكلتى فى أننى كلما جاءتنى العادة الشهرية فان والدتى تجعلنى لا أقرب مكانا ولا ألمس شيئا بل تظن أن كل ما أمسه ينجس ، فهل لها حق فى هذا .

أرجو منكم المشورة الحق ولكم شكرى وامتنانى .

مسلمة

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد الاشقر :

(المسلم لا ينجس) هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة حينما كان أبو هريرة جنبا فانخنس وذهب فاغتسل .
وكذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم زوجته عائشة أم المؤمنين أن تأتيه بالخمرة (مفرش للسجود) من المسجد فقالت : انى حائض . فقال : « ان حيضتك ليست فى يدك » .

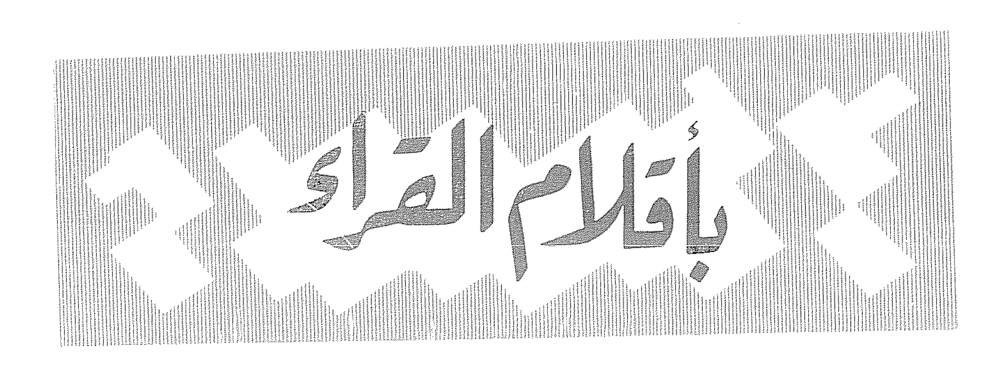
هذا يدلنا على أن الشريعة تعتبر الحائض والجنب طاهرين فى بدنهما وملابسهما ما عدا ما أصابه الاذى منهما ، ولا ينجس أى شىء بملامستهما له .

وأصل الفكرة الخاطئة القائلة بنجاسة الحائض ونجاسة ما تلامسه الحائض ، مأخوذ عن اليهود ، فقد كان اليهود اذا حاضت المرأة عندهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، بل يسكنونها فى غرفة منفصلة ، وكان هذا من الاغلال التى وضعها الله عمن تبع شريعة الاسلام : كما قال الله فى وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف .. وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ، ومن المعلوم عقلا أن المرأة اذا حاضت فالدنس والاذى انما هو فى المحل المعين ، وأما اليد والرجل وسائر البدن فليس فيه أذى ، وهذا هو مقتضى التفكير السليم ، فمن تشدد واعتبر النجاسة عامة للبدن كله فهو مغال متشدد ، ومن لم يعتبر فى الحائض أى نجاسة ولو فى المحل فهو متساهل مفرط ، والاسلام هو دين الفطرة الموافق للعقل السليم .

بريد الوعي (بقيــة)

ثم راح يعرض فصول الكتاب فى اختصار وشمول موضحا رأيه فى قيمة كل فصل مؤيدا حينا .. كقوله مشيرا الى البحث الذى كتبه المرحوم شفيق غربال : « وأعتقد بأن هذا البحث فريد فى بابه لما احتوى من ابداع علمى ونظرة تحليلية شاملة لتطور الآراء والحركات فى التاريخ الاسلامى وأن كاتبه بحق من الأفذاذ العلماء .. ومعترضا حينا ولكن برفق ولين وأدب جم كقوله فى نهاية تلخيصه للبحث الذى كتبه محمود شهابى والمتعلق بموضوع الشيعة » وقد تضمن بحث الاستاذ شهابى آراء تقبل المناقشة الا أننا آثرنا السكوت عليها وتركناها الى القارىء الكريم حرصا على احترام الآراء وأداء للامانة العلمية .
لهذا سرنى أن أحيطكم والاستاذ الكاتب بهذا علما .. وليحتفى أخونا بهذا الكتاب .. احتفاء يليق بقيمته العلمية والمنهجية وليشكر معى المترجم على ما بذله من جهد .. وصفه الاستاذ نور الدين الواعظ بأنه : « كان جهدا جبارا نبع من ايمانه العميق فدفعه الى سهر الليالى الطوال فى رفقة هذا الكتاب وهو يترجم دقائقه العلمية والفلسفية والدينية بروح لا تعرف الملل .. »

ابراهيم بن عبد الرحمن البليهى ـــ الرياض ـــ السعودية



منطق الاسلام

كتب الأخ مصطفى يوسف راجح بكلية حقوق عين شمس تحت هذا العنوان يقـــول :

لقد عود الدين الاسلامى مفكريه ، ورجالاته من العلماء والفقهاء أن يكونوا باحثى حقيقة ، يعنى ألا يتعصبوا لرأى لمجرد أنه يخالف ما درجوا عليه وعلموه ، يعنى أن الاسلام دين منطق وعقل منذ اللحظة الأولى ، أدوات المنطق هى العقل واللغة والقلم ، وأول ما يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل يطلب منه أن يقرأ فيقول : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) فالعلم هنا شرط للوصول الى الله ، والعالم هو الذى يستطيع أن يسلك الطريق بنور علمه ، وهو قبل كل شىء لا يتلقى الا عن اقتناع ، ولا يجادل الا عن اقناع . وتاريخنا الاسلامى ملىء بالعلماء المخلصين ، الذين رباهم الاســـلام خير تربية ، فها هو الشافعى رضى الله عنه يقول : (**ما ناظرت أحدا قط ، فأحببت أن يخطىء وقال ماكلمت أحدا فأحببت ألا أن يوفق ويسدد ويكون عليه رعاية من الله وحفظ ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو لسانه ، وقـــال ما أوردت الحجة على أحد فقبلها منى الا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرنى أحد على الحق ، ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته**) . وذلك أقصى ما يرجو علم المنطق أن يصل اليه بمن آل على نفسه مهمة الوصول الى الحقيقة العلمية أو الروحية . والاسلام فتح المنافذ المسدودة التى أغلقتها الديانـــات الأخرى ، وجعل شرط الايمان التفكر فى آيات الله فى الانسان قديما وحديثا ، ولفت نظر المسلم أو القارىء الباحث الى سير السابقين وما آلوا اليه ، وهى دعوة صريحة وواضحة لدراسة الديانات القديمة ، والنظر فيها ووضعها موضــــع البحث لكى يظهر الحق من الباطل ، وفى ذلك يقول عز وجل فى محكـــم آياته فى ســـورة يوسف : (**ألر تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت قبله لمن الغافلين**) .

والقرآن الكريم ملىء بالآيات البينات التى تزخر بالدلائل الواضحة لسير

الأولين ، وكيف ضلوا وأضلوا ، فالله تعالى يقول فى سورة الحجر : (**ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن**) .

والله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم حث على البحث الدائب المستمر

والكشف والتنقيب ليكشف الانسان وليعلم وليرى عظمة الخالق فى مخلوقاته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : (**قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**) والسبق المنطقى واضح كل الوضوح وبين وظاهر فى خطاب القرآن لكل زائغ مشرك بالله ، وذلك ليصل به الى الحقيقة الدينية ، وليهديه سواء السبيل .

ولسنا نقول شيئا جديدا اذا قررنا أن الاسلام بهذا السلوك الالهى سبق المناهج الحديثة التى تضع الأصول العريضة والتفاصيل الكثيرة للبحث العلمى كى تصل الى الحق . .

أبـواق شرقيـة

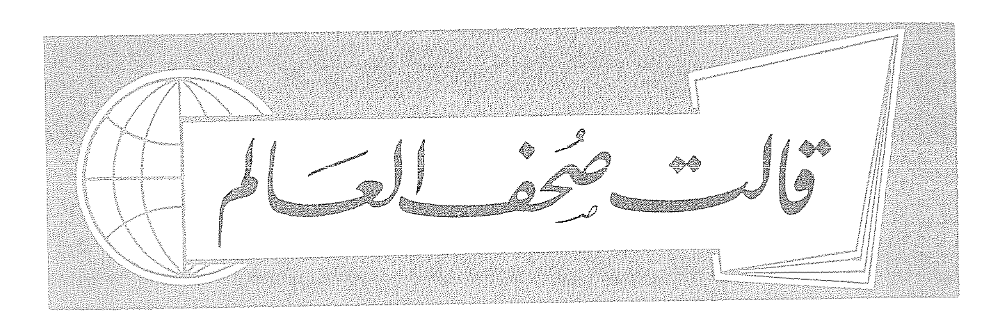
ويقول الأستاذ عبد الرحمن أبو شادى تحت هذا العنوان :

تسارع هذه الأبواق البشرية بالتقاط كل مايظهر فى المغرب من آراء ومذاهب وأفكار ونظريات ، كما يلتقط المذياع الموجات القادمة من محطة الارسال . . ثم تحاول أن تجعل لها السيادة والذيوع فى حماسة غريبة واستماتة فى نشرها كأن هذا العمل نوع من الرق الفكرى يعلن الولاء لسادته فى كل مناسبة وبغير مناسبة .

والرقيق يجب أن يكون تابعا لأى صعلوك يقول كلاما أو ينشىء نظرية أو يؤلف مذهبا ، فيجب على الشرق العربى المسلم أن يقول آمين ، وأن يسلم بالنبوغ والعبقرية من أول جولة كأن النظرية أو المذهب أو الكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهم مع ذلك يجادلون فى كلام الله ويمترون فى وجوده . .

وبلوى المسلمين والعرب والشرقيين بهذه الامعات أشد من سهام أعدائهم ، والغرب والشرق والشمال والجنوب والجنس والقبيل حواجز مصطنعة ما كان ينبغى لها أن تقوم فى وجه أخوة البشر ، ولا حرج على الغربى حين تعلم من الشرقى أو على الشرقى حين يتعلم من الغربى ما دام الوصول الى الحقيقة هدف الجميع والاخلاص فى السعى اليها رائد العالم والمتعلم ، وقديما تعلم ابن آدم القاتل الدفن من غراب ، فكان صاحب فضل عليه ، والقصة فى سورة المائدة ، وأحاط الهدهد بما لم يحط به سليمان ، ولكن ماذا نفعل اذا كانت هذه المذاهب الخبيثة تستهدف ضياع شخصية الأمة وفناءها فى غيرها من الأمم وتمثل معنوياتها وابادة كل ما يسمى اسلامى .

فاذا أراد المحامون عن شخصية الأمة أن يدافعوا عن كرامتها وعدم ذوبانها فى غيرها قامت القيامة . .



لبـــنان

كتبت صحيفـــة الرأى العـــام الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

أيا كانت النتائج العسكرية التى أسفر عنها العدوان الاسرائيلى على لبنان الحبيب ، فان المعـــارك التى شهدتها أرض لبنان كانت وستبقى واحـــدة من أهم العـــلامات المميزة لتاريخه الحـــديث . فليس هاما أن القوات الاسرائيلية تمكنت من التوغل داخل الارض اللبنانية وان طائرات العدوان قد قصفت مواقعه وقراه ، ذلك أن كل عدوان فى العالم قـــادر على ارتكاب الجريمة .

ولكـــن المهم أن نلاحـــظ ما رافق العدوان الاسرائيلى الجديد من مظاهر عســـكرية واستراتيجية يمكننا القول أن أولاها كانـــت فى قيـــام الطيران السورى الذى كان بعد حزيران أكثر أسلحة الجيوش العربية فعالية فـــى الجو ليشترك فى صد العدوان عن لبنان كما اشتركت القوات الاردنية والعراقية بقصف قوات العـــدو فى الجبهة الاردنية مما يؤكد وحدة الحياة والمصير بين دول الوطن كلهـــا ومما يشكل اختبارا رائعـــا لمجابهة واحدة ضد العدو الاسرائيلى لا تسمح لـــه بالانفراد بدولـــة عربية فى عدوانه .

ان قيـــام القـــوات الســـورية والعـــراقية والاردنية بالمشاركة فى مقاومـــة الهجوم الاسرائيلى ظاهرة سوف تظل مـــن أبرز الاحـــداث السياسية ـــ العسكرية فى المنطقة لانها تجىء تجسيدا فعليا لاقوال كثيرة عن وحدة خط المواجهـــة وعن وحدة الصف ووحدة المصير .

فلقد كان العدو يتصرف دائما على أساس القتال ضد دولة عربية واحدة مما يفسح لـــه فى مجـــال التفوق العسكرى ولكن المشاركة قد أعطت العدو وعلمتنا جميعا الدرس الذى يجب ألا ننساه ، والذى نسيناه طوال الســـنوات الماضية وبعـــد حزيران بالتخصيص .

فقد كان العدو يهاجم على جبهـــة قناة السويس فـــلا تنطلق رصاصة واحـــدة من الجبهـــة الشرقية وكان العدو يهاجم الجبهـــة الشرقية ، فلا تنطلق رصاصة واحـــدة من الجبهة الغربية اسنادا للعمليات فى الاردن أو سورية .

ولكن قتال اليوم قد قلب الصورة وغير الاستراتيجية العسكرية ونقل أحاديث وحدة المصير الى الساحة الوحيدة التى يثبت فيها الدم وحدة الحياة ، فى وجه العدوان الاسرائيلى المدعم بالتأييد والسلاح من أمريكا التى اثبتت فى سكوتها عن العدوان على لبنان أنها الوجه الآخر للصهيونية القبيح ، وانها آخر ما يمكن للبنان أن يعتمد عليه لحماية حدوده وأرضه .

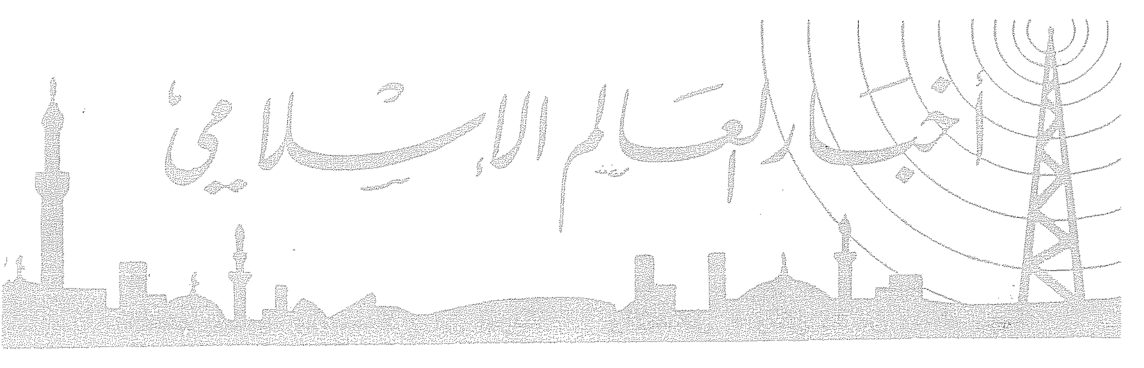
بشائر معركة المصير

ويتحدث فضيلة الشيخ نديم الجسر فى مجلة ((جوهر الاسلام التونسية)) عن بشائر معركة المصير ، فيقول عن أخوة المسلمين : ان اخوة المسلمين ، على اختلاف أقطارهم وأعراقهم وألوانهم ومصالحهم الدنيوية ، ليست من نوع الاخوة الوطنية ولا من نوع العصبية ولا من نوع الرابطة الاجتماعية ، التى تشد الأواصر بين الخلطاء والشركاء حول مصالحهم الاقتصادية والمعاشية ، ولكنها أخوة من صميم العقيدة ولا يتم اسلام المسلم ولا يتحقق ايمانه الا اذا استقرت فى قلبه استقرارا وجدانيا ينسى معه كل مصلحة شعوبية أو مذهبية أو عصبية أو اقليمية أو عائلية أو شخصية أو اقتصادية أو معاشية حتى يجعل هذه المصالح كلها تحت قدمه اذا تعارضت مع تلك الاخوة الاسلامية المقدسة .

ولا يغترن أحد من المسلمين أو غير المسلمين بما يراه اليوم فى هذه الاخوة من تخلخل عند بعض ضعفاء النفوس فان هؤلاء قلة . ومثلهم عند الأمم كثير ولا سيما الأمم التى دخلت زمنا طويلا تحت حكم الغزو والاحتلال . ولكن ما من مسلم مهما بلغ رجسه فى الخيانة ومهما بلغ الثمن الذى باع به نفسه الا ويجد فى سويداء قلبه اذا هو خلا فى سواد الليل الى نفسه غصة أليمة فى الفؤاد ، وكربا ممضا فى الضمير ما دام يؤمن بالله وبأن محمدا رسول الله .

هذه حقيقة يعرفها كل مسلم من نفسه وان جهلها أو شك فيها غير المسلمين وكيف لا يكون المسلم كذلك اذا كان يؤمن بالله ورسوله ، وهو يسمع قول الله (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم . اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

ويسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) وقوله صلى الله عليه وسلم (من بات ولم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) وقوله (من حمل علينا السلاح فليس منا) وقوله (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وقوله صلى الله عليه وسلم (اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار) .



اعداد : ع. ب.

الكويت : شرف سمو أمير البلاد المعظم حفل تخرج أول دفعة من ضباط الكلية العسكرية وقد ألقى سعادة وزير الداخلية والدفاع خطابا بهذه المناسبة .

☐ أبلغ سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء السفير اللبنانى لدى الكويت أن الكويت أميرا وحكومة وشعبا تقف الى جانب لبنان فى محنته وأن الكويت مستعدة لكل مطلب يريده لبنان .

☐ قام الفريق حردان التكريتى نائب الرئيس العراقى بزيارة البلاد فى الشهر الماضى وقد أجرى مع المسئولين مباحثات هامة حول القضايا العربية الراهنة .

☐ تم الاتفاق بين الكويت والسعودية على تقسيم المنطقة المحايدة بين البلدين وقد تسلمت الكويت يوم ٢٠ الماضى ميناء سعود ومنطقة الوفرة .

☐ أعلن مدير الادارة المركزية للاحصاء النتائج الاولية لتعداد السكان الذى جرى فى الشهر الماضى وبلغ عدد السكان (٧٣٣١٩٦) نسمة منهم (٣٤٥٨٩٨) كويتيا ، و (٤١٦٦٥٨) غير كويتى .

☐ أكدت الكويت للمبعوث المصرى د. حسن عباس زكى موقفها الحازم وايمانها بالقضية العربية وأنها مستعدة لكل التضحيات .

☐ اتفقت الكويت وباكستان على وضع برنامج طويل الامد للتعاون بين البلدين المسلمين فى مجال الاغراض السلمية للطاقة الذرية .

☐ سلم السفير الكويتى فى باكستان المبالغ التى تبرعت بها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الى الجامعة المحمدية بروالبندى ، وقد تلقت الوزارة رسالة من جماعة الفكر الاسلامى فى باكستان تطلب مساعدتها بالكتب الاسلامية .

☐ زار الكويت وفد اسلامى من تايلاند حيث شرح للمسئولين أحوال المسلمين فى تايلاند وحاجتهم الماسة الى الدعم المادى والثقافى .

☐ بعثت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الى سفارة الكويت فى لندن بناء على طلبها كمية من ترجمة معانى القرآن الكريم بالانجليزية لتوزيعها على المسلمين فى لندن .

☐ عاد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من جولة زار فيها بعض الهيئات والمراكز الاسلامية فى أوربا لدراسة أحوالها .

القاهرة : عاد مبعوثو الرئيس جمال عبد الناصر من جولتهم فى الدول العربية بعد مشاورات أسفرت عن وحدة الصف العربى فى وجه المساعدات العسكرية لاسرائيل .

☐ يتوقع العسكريون تصاعد العمليات الحربية ضد العدو فى هذا الصيف .

☐ سيقوم فضيلة شيخ الازهر على رأس وفد من العلماء بجولة فى الدول الاسلامية الدعوة الى الجهاد لتحرير الارض العربية والقدس من الاحتلال الاسرائيلى تنفيذا لقرارات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث .

☐ افتتح فى جامعة الازهر أول معمل نووى وسيقوم المعمل بدراسات نووية متقدمة .

☐ عقد المؤتمر السابع للمجلس الوطنى الفلسطينى ، وحضره مندوبون عن جميع المنظمات الفدائية .

السعودية : بعث المركز الاسلامى فى ويلز بانجلترا رسالة شكر لجلالة الملك فيصل على مساعداته المادية والمعنوية للمركز .

□ وجه الهلال الاحمر السعودى رسالة الى الجمعيـــة الدوليـــة للصليب الاحمـــر يلفت نظرها الى استهتار اسرائيل بالقوانـــين الدولية لحقوق الانسان .

الاردن : أمر الملك حسين بانشاء كلية لأبناء الشهداء تتسع لألف وخمسمائة طالب وتضم أقساما أبتدائية واعدادية وثانوية ومختبرات علمية وميكانيكية وكهربائية .

□ اجتمع فى الاردن وزراء المواصلات والنقل فى السعودية والاردن وسوريا لدراسة مشروع اعادة تسيير الخط الحديدى الحجازى وتأمين نفقات هذا المشروع .

□ عقد فى أواخر الشهر الماضى اجتماع لموجهى التربية الدينية لبحث أفضل الوسائل لتحسين أسلوب تدريس التربية الدينية فى المدارس الاردنية .

العراق : اشتركت القوات العراقية المتمركزة فى الجبهة الشرقية فى صد الهجوم الاسرائيلى على لبنان يوم ١٢/٥ الماضى .

سوريا : خاضت سوريا المعركة مع لبنان وقد أسـقطت للعدو ثلاث طائرات اسرائيلية فى الاغـــارة على لبنـــان يوم ١٢/٥ الماضى .

لبنان : أغار العدو الاسرائيلى على جنوب لبنان فى أوائل الشهر الماضى وقد تصدى له الجيش اللبنانى وقوات الفدائيين الفلسطينيين .

□ تبرع الملك الحسن الثانى ملك المغرب بمائة ألف دولار لمؤسسة الاخطل الصغير بهدف انشاء مؤسسة عربية ثقافية تحمى التراث العربى .

ليبيا : أصدر مجلس قيادة الثورة قانونا لحماية الاخلاق يقضى بمعاقبة كل من يقوم بدور تمثيلى ينافى الاخلاق ومعاقبة كل من ترتدى الثياب القصيرة ومن يعاكس النساء فى الشوارع والطرقات .

تونس : نعت تونس فى الشهر الماضى فضيلة العلامة الفاضل بن عاشور مفتى تونس وعضو مجمع البحوث الاسلامية وعضو رابطة العالم الاســـلامى « الوعى الاسلامى » تشارك العـــالم الاسلامى أساها وترحمها على الفقيد الكبير .

الجزائر : بحث العقيد القذافى رئيس مجلس الثورة الليبى مع الرئيس بومدين تدعيم التعاون بين دول المغرب العربى وذلك فى زيارة قام بها القذافى الى الجزائر فى الشهر المـــاضى لمدة ثلاثة أيام .

المغرب : قدم أول سفير موريتانى فى المغرب أوراق اعتماده لجلالة الملك الحسن .

البحرين : وافق مجلس الامن بالاجماع على تأكيد رغبة شعب البحرين فى أن تصبح دولة البحرين دولة عربية مستقلة ونتمنى للشقيقة المسلمة تقدما مطردا فى عهد الاستقلال .

ايران : رحب مجلس الامة الايرانى بأغلبية ساحقة بقرار مجلس الامن الموافقة على تحقيق رغبة شعب البحرين فى استقلاله وعروبته .

تركيا : عقد فى تركيا أوائل الشهر الماضى مؤتمر قمة ثلاثى حضره الرئيس الباكستانى وشاه ايران والرئيس التركى لبحث القضايا السياسية والاقتصادية لبلادهم وقد أيد الزعماء الثلاثة ضرورة انسحاب اسرائيل من الارض العربية .

باكستان : سيعلن قريبا دستور جديد فى باكستان يتمشى مع الروح الاسلامية وسيصبح الاسم لباكستان الجمهورية الاسلامية الباكستانية .

اقرأ فى هذا العدد

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ـــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـــ المنامة ـــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـــ السيد محمود قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ـــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص.ب (٣٦١) ـــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ـــ السيد حسين قمر .

تعـز : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت ـــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ـــ مكتبة الوحدة الوطنية ـــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ـــ ص.ب (١٣٢) ـــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب (٢٨٠) ـــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

مع الخالدين ...

أبو الريحان البيروني

- ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في ٢ ذي الحجة ٣٦٢ هـ في قرية صغيرة قرب مدينة كات عاصمة خوارزم وهذه المدينة تسمى الآن مدينة البيروني .
- كان من أسرة فقيرة وقد عمل في صباه مساعدا لأحد علماء النبات مما ربى في نفسه ملكة البحث الطبيعي .
- تعرف في شبابه على الفيلسوف الاسلامي ابن سينا وزامله وكانت لهما المكانة في قصر نوح بن منصور الساماني وظلا وفيين للسامانيين حتى سقط ملكهم فارتحلا معا الى امير جرجان الذى دعاهما كثيرا اليه .
- رجع الى وطنه خوارزم بعد مقتل امير جرجان واحتل منصبا سياسيا هاما الى جانب عمله في مجلس العلوم مع ابن سينا وابن مسكويه
- احبه الغزنويون — الذين تولوا الامور في خوارزم — وشجعوه على ابحاثه العلمية .
- تجلى منهجه العلمى في الجد والمثابرة والتجرد في طلب الحقيقة — بعيدا عن التعصب وضرورة التماس الاشياء من مصادرها الأولى والملاحظة والتجربة ثم اعتبار الحدس والالهام أو ما يسميه (التوفيق من الله تعالى) .

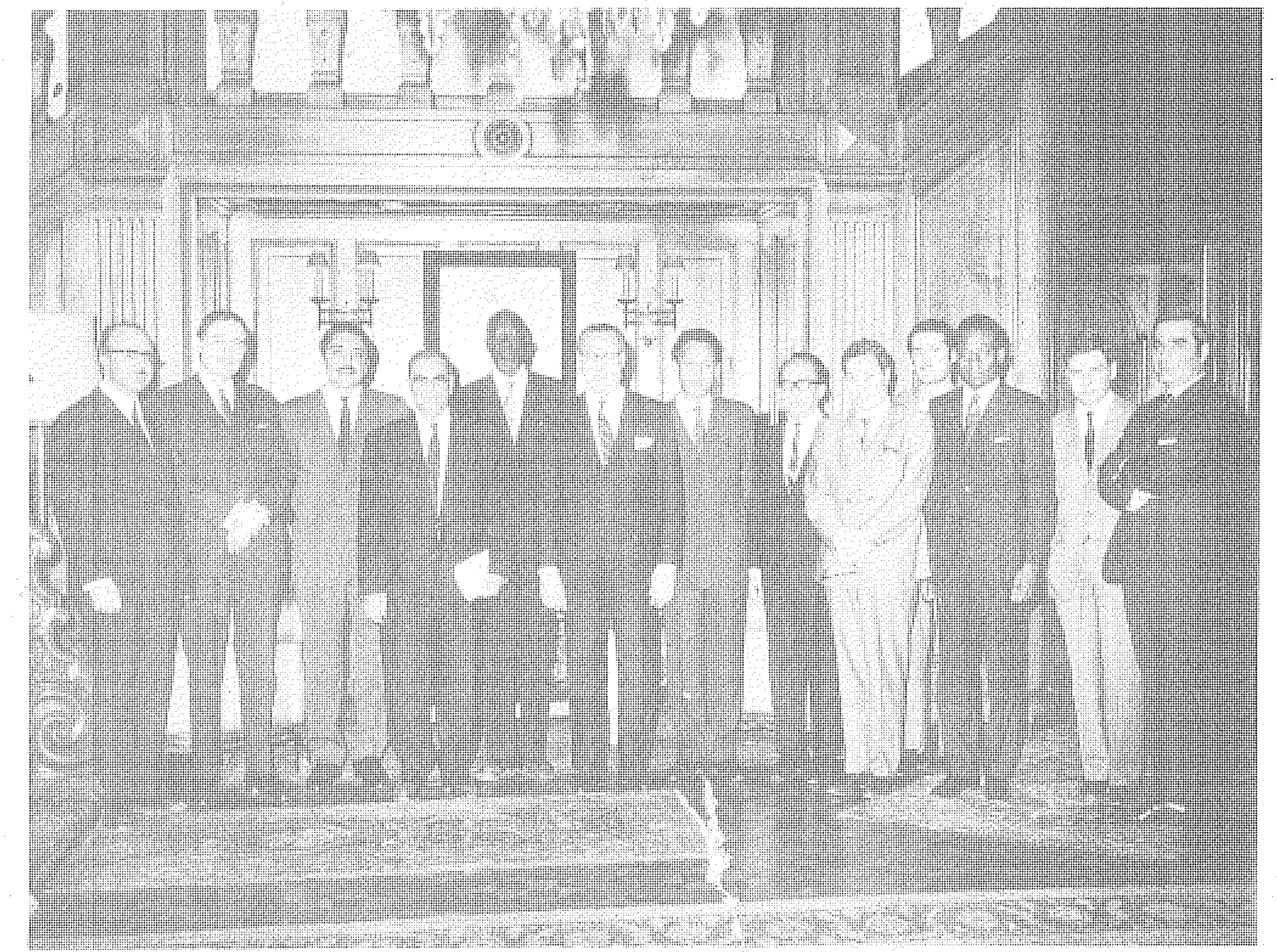
ولذلك فهو بحق من اوائل الرواد المسلمين للمنهج المسمى الذى نقلته اوروبا فيما بعد .

- توصل البيروني الى كثير من النظريات العلمية واحرز للمسلمين السبق في تأسيس العلوم الطبيعية على اسس علمية ما زال العلماء يسيرون عليها حتى اليوم .
- بلغت مؤلفاته ١٨٠ كتابا عدا الرسائل الصغيرة ، من هذه الكتب : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (وكتاب القانون المسعودى) .
- مات في غزنة سنة ٤٤٢ هـ .

عبد المعطى بيومى

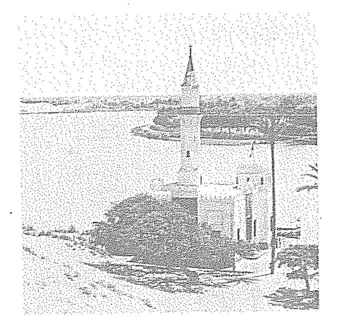


السنة السادسة ــ العدد ٦٥ ــ جماد الأول ١٣٩٠هـ ــ ٤ يوليو (تموز) ١٩٧٠م



سعادة عبد الله المشارى الر[illegible]سان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أثناء اجتماعه بعدد
من السفراء العرب وسفراء الدول الاسلامية فى بلجيكا فى مبنى السفارة السعودية .

مسجد ابى النظر الشهيد بمسجد ((ابو مندور)) وهو من سلالة الامام علي بن ابى طالب رضي الله عنه وقد جاء ابو مندور الى رشيد على فرع النيل وعاش ومات ودفن فى ارضها فبنى الأهالى هذا المسجد الذى سمى باسمه عام ١٠٠٢ ميلادية وجدد سنة ١٨٨٩ م .



الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الخامس والستون

جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ

٤ يوليو ((تموز)) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

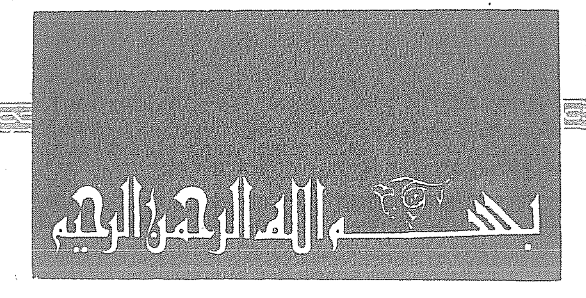
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)

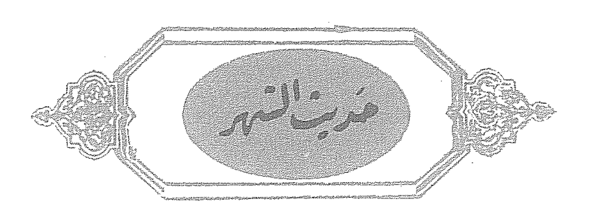
اما الافراد فيشتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت





حدود غير آمنة

لا يستطيع احد ممن اوتى علم الكتاب ان ياتى بنص على وعد إلهى فى القرآن الكريم ، او فى اى كتاب من الكتب المنزلة السابقة يعطى لليهود الحق فى حكم فلسطين ، او انشاء وطن قومى لهم فيها .

والذى جاء فى الأسفار التى يقدسها اليهود من أن الرب منحهم ارض فلسطين وما جاورها الى الأبد — هو مما كتبته ايديهم افتراء على الله .

وكتابنا يتحدث عنهم حديثا طويلا مفصلا . حديثا يكشف نواياهم ، ويفضح سوءاتهم فهم ضائعون تائهون . ممزقون كل ممزق ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما كانوا . لا وطن يضمهم فى امان ، ولا علم يرفرف عليهم فى سلام . اذا استقروا فى ارض افسدوا فيها ، واذا افسدوا سلط الله عليهم عبادا له اولى باس شديد يذيقونهم الوان العذاب ، ويستمر هذا حالهم بين الافساد والاجرام ، وبين العقاب والانتقام ((واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب)) .

والناظر فى تاريخ الأمم والشعوب قديما وحديثا لا يستطيع الا أن يقطع بان الشعب اليهودى هو الشعب الوحيد دون شعوب اهل الأرض الذى حرم الأمن والاستقرار لأنه ظل فى صراع دموى مستمر مع جميع الأمم التى آوى اليها فلم يكن له فى يوم من الأيام وطن هادىء ، ولا جزء من وطن ، ولا حدود آمنة .

والوطن العربى المسلم الذى اغتصبته العصابات اليهودية من اهله العرب المسلمين لن يخلص للمغتصبين ابدا ، والأرض الفلسطينية التى اقامت

اسرائيل فيهـا دولتها بقـوة الحديد والنار ستظل حقلا الألغام المتفجرة ، وبركانا يفور ويثور ، ويقذف باللهب والحمم حتى تطهر الأرض المباركة من رجز الغازين المعتدين ، وتعود بقوة الحق وقوة السـلاح لأصحابها الشرعيين .

ان قضـايا الأمم والشـعوب المصيرية غير قضايا الأفراد ، فقضية الفرد يحكم فيهـا غيره ، وقد يكون الحـكم جائـرا ، فيسـلم الفرد ، ويخضع ، وينتزع الحق منه ، ويعطى لغيره ، ثم يموت ، فيموت الحق فى دنيا الناس بمـوت صاحبه الى أن يسترده بين يدى الله احكم الحاكمين .

اما قضايا الشعوب فلا يقضى فيها من خارجها ، وانمـا يفصـل فيها الشعب نفسه واذا عجز عن استرداد حقه اليوم فلا يعجز عنه فى الغد ، وسينتصر ويكسب القضية ويسترد حقه مهمـا تطـاول الـزمان ، لأن الشعوب لا تموت ، فقضية جيل اليوم هى قضـية جيل الغـد هى قضية الأجيال اللاحقـة ، وكل جيل يورث لاحقـه المطالبة بحقـه ، ويحملـه تبعات الدفاع عنه والوصول اليه ، ولن تهدأ الأجيال الثائرة حتى تنتزع الحق انتزاعا وتسـتولى عليه بقوة التضحية والفداء .

لـقد وقعت فلسـطين فى قبضة الغزاة الصليبيين ، وظلت تحت حكمهم قرابة مائة عام وسلمت دول العـالم يومئذ بالأمر الواقع ، فهل كان للغزاة فى هذه الأرض التى اغتصبوها حدود آمنة طوال هـذه الفترة ؟ وهل غير اعتراف الـدول وتسـليمها بالأمر الواقع من الحق شيئا ؟

لـقد نهضت الأمـة العـربية والاسلامية باسم (الله) ووقفت صفا واحـدا فى وجـه الزحف الغاشم والاحتلال الأثيم ، وعبأت كل قواها الـروحية ، وحشـدت كل طاقاتها المادية ، وتحملت مغارم الجهاد فى سبيل انقـاذ الـوطن المغصـوب ، واسترداد الشرف المسلوب ، وكان لها ما ارادت بقوة الله الـذى يحق الحق ويبطـل الباطـل ، وعـادت فلسطين أرضا عربية اسلامية ترفرف عليها راية التوحيد من جديد ، واندحر المعتـدون يجـرون أذيـال الخزى والخذلان .

من واقع الحقائق السابقة : حيث لا نص إلهى بمنح اليهود أرض الميعاد ، ومعاداتهم لجميع شعوب أهل الأرض فـى مختلف العصـور والأمكنة ، واشتباكهم معها فى صـراع دموى مستمر ، وحق الشـعب وحده فى تقرير مصيره ، وعدم شرعية الاعتراف بالأمر الواقـع القائم علـى العنف والقهر ، وسقوط التملك بالغزو ... من هذا كله نستطيع أن نؤكد :

١ ــ أن اسرائيل ليست دولـة شرعية .

٢ ــ أن اعتراف الـدول الأعداء والأصدقاء بهـا لا يغير من الحق شيئا .

٣ ــ أن الشعب الفلسطينى هو وحده صاحب الحق فـى تقـرير مصيره .

٤ ــ أن الشـعب لن يمـوت ، وسيسترد حقوقه ان عاجلا أو آجلا ما دام يواصل الجهـاد ويسـتعذب التضحيات ويقدم الفداء .

ستظل اسرائيل بلا حـدود آمنة ... ستبقى فى العراء يلفها الذعر ، وان احتوتها المستعمرات ، واظلتها

الطائــرات وحــرستها الــدبابات ، وساندتها القوى الاستعمارية الظالمة ... واى حــدود تلك تطالب بهــا اسرائيل : حــدود سـنة ٤٨ التى وافقت عليها الهيئات الــدولية ذات المصالح الاستعمارية فى المنطقة .. حــدود ما قبل ٦٧ التى خرست عنها تلك الهيئات ... حــدود ما بعــد سنة ٦٧ التى اختلف عليهــا الأعداء والأصدقاء ... لقــد نقلت اسرائيل خطوطها وحدودها ثلاث مرات وفى كل مرة تزيد فى المساحة وتزداد فى القسوة والوحشية . ليس هناك فارق بين الأراضى المحتلة قبل ٤٨ وقبل ٦٧ وبعدهــا .. ليس هناك فارق بين القدس القديمة والقدس الجديدة ، ولا بين حيفا وسيناء ، ولا بين تل أبيب ومرتفعــات الجــولان . كلها ارض عربية اسلامية لا حق لليهود فى شبر منهــا ، ولا تملــك اى هيئة دولية القضــاء فيهــا بانتزاع جــزء منها لاسرائيل . وكل حكم لها سابق او لاحق يقضى بغير الحق باطل شرعا وقانونا لا يكسب المحكوم لــه حقا ليس له ، ولا يمنع المحكوم عليه حقا هو لــه . وستبقى اسرائيل بلا حدود آمنــة ما بقيت اسرائيل فــى ارض العرب وما دام فــى اكناف الأرض مسلم يقول لا إله الا الله محمد رسول اللــه .

الحــدود الآمنــة :

والحديث عن الحدود الضائعة التى يطالب العدو بتامينها يستلزم الحديث عن الحدود الحقيقية الآمنة التى يجب ان يعيش المسلمون فى اطارها ... وليس المقصود بها الحــدود المادية التى تحد الدول شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولا الحــدود الطبيعية من جبال وبحار وصحراء ، ولا الخطوط والاستحكامات الحربية التى تصــد غارات المغيرين .. فما قيمة كل هذه الحدود اذا كانت الأمــة التى تحيا وراءها امــة شغل ابناؤهــا عنهــا بملذاتهم وشــهواتهم وضنوا عليهــا بجهدهم وعــرقهم ، وآثروا الحياة الفارغة الذليلة على الحياة الجــادة العزيزة .

اصحابها عنها بملــذاتهم وشهواتهم وضنوا عليهــا بجهدهم وعرقهم ، وآثروا الحياة الفارغة الذليلة عــلى الحياة الجادة العزيزة ..

اذا انحدرت امة الى هذا الدرك من المهانة تحطمت حدودها وتخطفتها الأمم من حولها .

فالثروة فى يــد الســفيه المتلاف مفسدة ، والقوة العضلية فى جسد الأحمق مهلكة ، والمدفع مع الجبان هزيمة محققة ومن اجل هــذا كان تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من الأدواء التى تهلك الأمة ، وتجعل حماها مســتباحا لكل طامع فقال : يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل افق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال ثوبان راوى الحــديث : قلنا يا رسول الله : أمن قلة بنا يومئذ قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلــوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا وما الوهن قال حب الحياة وكراهية الموت .

الخط الحصين الذى يحمى الأمة فى الداخل من نفوسها ، وفى الخارج من عدوها هو العقيدة القوية القائمة على العقل الواعى والقلب المطمئن

والعاطفة المحركة (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

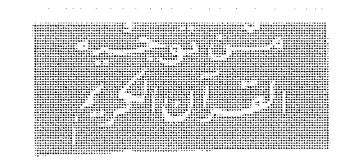
العقيدة التي تسيطر على الجهاز العصبي في المؤمن ، فتصدر عنها الأفعال والأقوال ، وتوجه الارادة الانسانية وفق مقتضاها ومتطلباتها ، وتضبط الهوى والرغبات (لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) العقيدة التي تلتزم بحدود الله ، وتعف عن محارم الله وتسير الفرد والمجتمع في خط مستقيم لا ينحرف ، ولا يزيغ ، فالعقيدة هي اساس قوة الفرد وقوة المجتمع ، وهي السياج الواقي للأمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا ايها الناس هلموا ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط فاذا أراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم .

ولكي يبقى العدو بلا حدود آمنة ، بل لكي يزول وجوده من ارضنا يجب أن تكون لنا حدود آمنة يقوم على حراستها رجال اشداء الايمان لا يخافون في الله لومة لائم يطهرون المجتمع من عوامل الانهيار ، ويأخذون على يد العابثين بمقدرات الامة ، ويوجهون الطاقات كلها لتزكية نفوسها وتقوية صفوفها ، وحشد قواها . يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقفون في وجه المنحرف ، ويأطرونه على الحق اطرا ، ولا يكفي لحماية الأمة وتامين حدودها انغلاق اصحاب العقيدة على انفسهم وقناعتهم باستقامة شئونهم وحدهم ، فان الفتنة تعم ولا تخص (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وتجسيدا لهذا الواجب يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها ، وبعضهم اسفلها ، فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا .

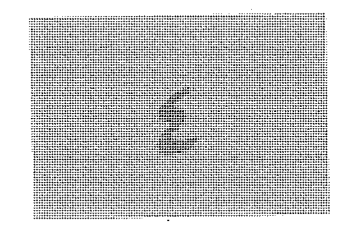
فالعقيدة ، وتجنيد الطاقات ، وحماية الأمة من عوامل التحلل حدود منيعة تحمي العباد والبلاد ، وذلك بقوة الله وتوفيقه ما تتحصن به امتنا العربية في معركتها الحاضرة ، وصدق الله ((الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)) .

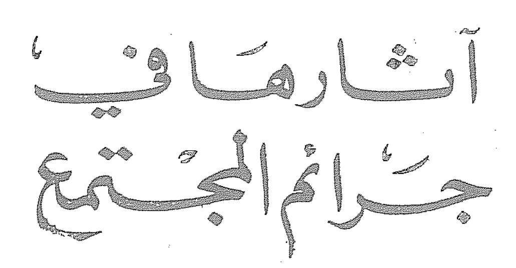
بهجرا النبلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد



المادية في مظاهرها وآثارها





للدكتور : محمد البهي

ان الجرائم الاجتماعية هي ما يعبر عنها القرآن الكريم بالفحشاء ، او الفاحشة ، والمنكر ، أو كبائر الاثم ، هى تلك التى تصور اعتداء على العرض ، والمال ، والنفس ، وتتعدى من تقع عليه الى المجتمع ككل .
اما الجريمة التى تتصل بالعقيدة فهى جريمة الشرك فى العبادة ، أو التقول على الله بغير حق وعلم .

وهناك اذن أربع دوائر فى حياة الانسان والمجتمع يجب أن تصان من الاعتداء عليها ، وهى دوائر : العرض ، والمال ، والنفس ، والاعتقاد ، والاعتداء على أية واحدة منها هو اعتداء فى الواقع على المجتمع ككل ، وليس اعتداء على فرد ، وان اتصل الاعتداء فى وقوعه بفرد أو بأفراد .

فالمجتمع لا يكون مجتمعا ، والأمة لا تصير أمة بعدد الافراد أو بمكان سكناهم واقامتهم ، وانما بالروابط بينهم ، وهى روابط تحفظ عليهم أعراضهم ، وأموالهم ، ودماءهم ، وعقيدتهم وايمانهم ، ومن هنا : كان الاعتداء على أى من هذه الجوانب هو اعتداء على مقومات المجتمع والأمة ، ولذا كان أى اعتداء منها جريمة اجتماعية وليس جريمة فردية ، فى نظر القرآن الكريم .

ولخطورة هذه الجرائم جاء القرآن بتحديد عقوبات لها — دون غيرها من الانحرافات في السلوك — ولم يدع الجزاء عليها محلا لتقدير الانسان في أي وقت أو في أي عصر :

فهناك نص على حد الزنا وهو الاعتداء على العرض .

وهناك نص آخر على حد السرقة وهو الاعتداء على المال .

وهناك نص على حد القتل وهو الاعتداء على النفس .

وهناك نص على ما يتخذ ضد الشرك وهو الاعتداء على العقيدة والايمان .

ولعناية الاسلام بصيانة هذه الجوانب في حياة الانسان — وهي عناية ملحوظة منذ بدء الرسالة الالهية حتى ختمها — أصبحت لهذه الجوانب حرمة تحول دون أن تمس ، وهي حرمة في حقيقة الأمر تعود الى قيمة الفرد ، اذ قيمة الفرد في استقلال ذاته ، وهذا الاستقلال يتميز بحق عدم المساس بالعرض ، وحق الاحتفاظ بالمال ، وحق صيانة النفس ، وحق حرية الاعتقاد ، ولا تستحل هذه الحقوق اطلاقا الا في ظل مجتمع انساني لا يحرص على القيم الانسانية في العلاقات والسلوك بين أفراده .

وقد سلك القرآن الكريم ازاء هذه الجرائم للحيلولة دونها مسالك متنوعة :

فهو ينهيه ويطلب تجنبها ، بعد أن يصفها في وقوعها بما يدل على خطرها وشناعتها ، فيقول : « **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (١) .

ثم يقول : **قل ! : انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (٢) .

... فاذ يدعو في الآية الأولى الى عدم الاقتراب من الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن يعلن تحريمها صراحة في الآية الثانية ، ما ظهر منهـا وما بطن كذلك .

والوصف « **بالفواحش** » في الآيتين هنا — وفي آيات أخرى غيرهما — وان كان يتناول أنواع الجرائم الاجتماعية الثلاثة الا أنه يدخل فيها الاعتداء على العرض دخولا أولا . فهو الجريمة الوحيدة ، دون جريمتي المال والنفس ، التي يصرح القرآن بوصفها بأنها فاحشة ، عندما أفردها بالتحريم في قوله : « **ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (٣) .

وقد يزيد في تجسيم أمر هذه الجرائم وشدة خطرها فينسب وقوعها الى الشيطان والى تأثيره ، والانسان الذي يباشر واحدة منها أو جميعها — تبعـا لذلك — هو ولي للشيطان ، يأتمر بأمره ويتصرف طبقا لاغرائه ، يقول في بعض آيات الكتاب العزيز : « **ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر** » (٤) .

... ويقصد بالفحشاء هنا في هذه الآية جريمة الاعتداء على العرض وهي الزنا ، بينما يقصد بالمنكر جريمتي المال والنفس ، وهما السرقة والقتل .

ويقول في البعض الآخر من الآيات : « **يا أيها الناس ! كلوا مما في الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين .**

« **انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** » (٥) .

---

(١) الانعام ١٥١ .

(٢) الاعراف ٣٣ .

(٣) الاسراء ٣٢ .

(٤) النور ٢١ .

(٥) البقرة ١٦٨ ، ١٦٩ .

... وهنا فى الآية الثانية من هاتين الآيتين تعبر كلمة « **السوء** » عن السرقة والقتل ، وكلمة « **الفحشاء** » عن « الزنا » ، كما يعبر قوله : « **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** » عن « الشرك » .

والآية بذلك تجمع بين الجرائم الاجتماعية الثلاثة ، وجريمة الاعتقاد ، وهى الشرك بالله ، وترد كلها ــ كما تذكر الآية ــ للشيطان فى وقوعها والتأثير فى مباشرتها .

والقرآن لا يصرح باسناد أمر الى « الشيطان » ــ وهو من فعل الانسان فى الواقع ، عندما ينحرف ويتبع نفسه الامارة بالسوء ــ الا لأن هذا الأمر بالغ الأثر السيء على المجتمع والأمة من جهة ، والا لأنه لا يأتى به فرد من الافراد الا اذا تمكنت فيه روح الانانية فأعمته عن كل ما سوى ذاته فى مجتمعه وأمته من جهة أخرى ، فاذا نسب القرآن الى الشيطان ، عدا هذه الجرائم ، تشكيك أصحاب الاموال فى أداء وظيفة المال وتحقيق منفعته العامة ، على نحو ما تذكر هذه الآية : « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** » (٦) .

... فهو ينسب اليه كذلك ايذاء كبيرا يهدد المجتمع والأمة بحرب الحقد والضياع ــ بجانب تلك الجرائم الاجتماعية ــ ، وهو الايذاء الناشيء عن حجب الانفاق فى سبيل المصلحة العامة ، وراء الزكاة .

وحجب الانفاق فى سبيل الله والمصلحة العامة ، أوعدم أداء المنفعة العامة للمال ، فى آثاره السلبية على المجتمع والأمة يشكل عاملا قويا فى التعويض لا يقل شأنا وخطورة عن شيوع تلك الجرائم الاجتماعية فى جوانب العرض ، والمال ، والنفس ، ومدى فاعليتها فى التعجيل بفناء المجتمع وضعف الأمة .

وبجانب التنبيه على خطورة هذه الجرائم واشراك الشيطان فى وقوعها يطلب القرآن تكرار الدعوة الى تجنبها وأن يناط أمر هذه الدعوة الى مجموعة من الافراد المؤمنين لا تنى ولا تتباطأ لحظة فى شأنها حتى يكون المؤمنون جميعا وهم أفراد المجتمع ــ على بينة فى كل وقت من أخطارها :

« **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » (٧) .

... واذا لم تذكر هذه الآية ــ بجانب الحث على فعل الخير ومباشرة المعروف فى القول والعمل ــ سوى النهى عن « المنكر » دون أن تذكر « الفحشاء » معه ، فان الزنا وهو فاحشة منكر كذلك ، ولكنه منكر بغيض ، ولذا أخذ وحده الوصف بالفحشاء .

والنهى اذن عن « المنكر » فى هذه الآية هو نهى عن الجرائم الاجتماعية الثلاث : الزنا ، والسرقة ، والقتل .

---

(٦) البقرة ٢٦٨ .
(٧) آل عمران ١٠٤ .

واهتمام القرآن بوجود مجموعة من المؤمنين تناط بها الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، وتجنب المنكر وان كان اهتماما برسالة الاسلام فى جملتها الا أن تخصيص « المنكر » بالنهى عنه فى مجمل الدعوة الى الرسالة يثير عناية خاصة بأمر هذه الجرائم الاجتماعية .

ومع هذين النوعين من المسالك التى يسلكها القرآن تجاه تلك الجرائم فانه قد حدد بصفة قاطعة عقوبات لها لا تتبدل ولا تتغير ، بتغير العهد والزمان مما يدل على ان الموقف تجاهها يجب أن يكون موقفا حاسما لا يقبل الاجتهاد والرأى ، محافظة علىحرمات الافراد ، وصونا للعلاقات بينهم من الضعف أو التحلل :

أ ــ فبعد النهى عن جريمة الزنا فى قوله : ((ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)) .. حدد العقوبة لمن يرتكب جريمته فى قوله : ((الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)) .

... والقرآن فى تحديد العقوبة هنا على هذه الجريمة يتجه فى تنفيذها الى المؤمنين جميعا : عندما يخاطبهم فيقول : ((فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)) .

وأخيرا عندما يناشدهم عدم الرأفة فى تنفيذ العقوبة ، لأن ذلك أمر يخص دين الله ، فيما تعبر عنه الآية : ((ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)) .

ولا شك أن الاتجاه بمطلوب هذه العقوبة الى المؤمنين ــ دون الحاكم وحده ــ يؤكد أن الاعتداء على العرض ، أو جريمة الزنا ، هى جريمة ترتبط بالمجتمع ككل ، وأن خطورتها ليست وقفا على بعض دون بعض فيه .

ونوعية العقوبة بأنها ((الجلد)) وكميتها بأنها مائة جلدة ، وعلانيتها على مشهد من المؤمنين ، وان اتسم كل ذلك بالشدة وعدم الرأفة فلأن جريمة انتهاك العرض هى عامل فاضح لانسانية الانسان ونزول بالانسان الى مستوى الحيوان نفسه . فما يترتب على الزنا من :

فضح العورة ــ والعورة آخر ما يمسك الانسان على ستره الا فى علاقة مشروعة ، ومن التهرب من المسئولية عما قد ينشأ من طفولة غير شرعية ، أو يتسبب من مرض أو تفشى أمره لحطم قوة المجتمع المادية والمعنوية .. بعيد كل البعد عن الانسانية فيما يصيب الأمة من كوارث .

ان الفارق بين عالم الحيوان ومجتمع الانسان ليس فى النسل ولا فى مباشرة الغريزة الجنسية ، فكلاهما ينسل ويباشر الغريزة الجنسية ، وانما فى المسئولية عن النسل ومباشرة الغريزة وعدم المسئولية عنهما .

فعالم الحيوان لا يعرف مسئولية فى النسل ولا فى مباشرة الغريزة الجنسية ، بينما مجتمع الانسان فى قيادته ، وفى تحديد العلاقات بين أفراده يرعى المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية معا .

ومعنى المسئولية فى دائرة العلاقة الجنسية فى المجتمع البشرى هى تحمل النتائج التى تترتب على هذه العلاقة . ولن تتم المسئولية ويتم تحمل

---

(٨) الاسراء ٣٢ .

(٩) النور ٢ .

نتائجها باباحة الزنا أو بتقليل نظرة الخطر اليه ، أو فى التحايل على قبوله فى صورة من الصور التى تروج الآن :

كصورة « الزواج الجماعى » او صورة « تبادل الزوجات والرفيقات » ، فمهما كانت صورته فهو زنا فى حقيقته ، وهو بالتالى جريمة اجتماعية ان اخذ فى الاعتبار : أن المجتمع مجتمع انسانى ويراد له ان يحقق الاهداف الانسانية فى بقائه .

ب — ويحدد القرآن أيضا عقوبة السرقة — وهى جريمة المال — فيما تذكره هذه الآية :

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » (١٠) .

... يحدد القرآن هذه العقوبة بقطع يد السارق . وهو تحديد ينطوى على عنف وقسوة أيضا ، وقد استهدف من العقوبة على هذا النحو « التنكيل » بمن يرتكب هذه الجريمة،فوق جزائه عليها : « **جزاء بما كسبا نكالا من الله** » .
وذلك لأن سرقة المال ليست اعتداء على نشاط الساعى فى تحصيله فقط ولا اعتداء على تحقيق منفعة المال العامة بانفاقه فى مصارف الترابط بين أفراد المجتمع فحسب ، ولكنها قبل هذا وذاك تعد امتهانا لكرامة السارق نفسه فى انسانيته ، وهى كرامة الانسان الذى يجب أن يسعى بنفسه فى تحصيل فضل الله ورزقه ، وفق نشاطه الخاص فى السعى والتحصيل .

اذ السارق ليس من الفقراء أو المساكين — أى ليس بعاجز عن السعى أصلا ، وليس كذلك من يقصر دخله من سعيه عن تغطية احتياجاته لنفسه وفى أسرته — فله طاقة على السعى ، وبمباشرته السرقة يعطلها عن العمل ، ويصبح من جانب يشبه صاحب الربا الذى يحول بماله دون تسخير طاقته فى سبيل الكسب وتحصيل الرزق .

والسارق — فى نظر الاسلام — ليس من الفقراء والمساكين ، لأن الفقير والمسكين يجب أن تغطى حاجة معيشتهما من الزكاة ، وانفاق المال وراءها بما يجب فى أموال الموسرين ، حسب ما جاء فى القرآن الكريم .
وحصيلة الاموال التى تجبى من الزكاة ، أو تؤخذ من الموسرين ، يشرف عليها ما يسمى فى عرف الفقهاء بـ « **بيت المال** » ، وهو الخزينة العامة للدولة فى نظام الحكم المعاصر .

ومعنى هذا : أن اثم السرقة ان باشرها فقير أو مسكين يقع أولا على المؤمنين — وفى مقدمتهم ولى الأمر فيهم — وبالتالى يسقط حدها على السارق وهو قطع اليد ، لأنه يجب أن يتكفل المؤمنون بحاجة كل منهما قبل تنفيذ حد السرقة ،وعندئذ تكون السرقة — أن وقعت — جريمة اجتماعية ، وتعد اعتداء على مالك المال والمجتمع معا .
أما على مالك المال فانها تعويق لسعيه ، وأما على المجتمع فلأنها تحول دون تحقيق المنفعة العامة لوظيفة المال ، كما يراها الاسلام .

---

(١٠) المائدة ٣٨ .

والتنكيل اذن بالسارق — عن طريق قطع يده — لا ينطوى على مجافاة لما يسمى بالحضارة الانسانية ، طالما هذه الحضارة تقوم على القيم العليا فى حياة الانسان . اذن القيم العليا التى يجب أن تتحقق فى حياة الانسان :

حرمــة المال :

وحرمة العمل والسعى :

وحرمة التكافل :

والسرقة جريمة ضد هذه الحرمات الثلاث .

والمجتمع الذى يرى فى قطع يد السارقة همجية هو مجتمع أنانى لا يكفل للعاجز عن التكسب معيشته فى الحياة ، ولا يضمن لمن يقصر نشاطه فى السعى والعمل عن الوفاء بحاجته وما يؤدى هذه الحاجة ، وعندئذ تكون السرقة وسيلة للكفاف والوفاء بحاجة المعيشة ، وليس اعتداء على حرمات المال والعمل والتكافل .

جـ — وبعد أن ينهى القرآن الكريم عن « القتل » فى قوله تعالى : ((ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق)) (١١) — وهو نهى هنا مضاعف أو مؤكد أولا بتحريم قتل النفس ، وثانيا بالنهى عن مباشرة قتلها : ((ولا تقتلوا النفس التى حرم الله)) — يحدد عقوبة القتل فيما جاء فى قوله : ((يا أيها الذين آمنوا ! كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)) (١٢) .

... وهذه العقوبة هى : القصاص « أى الأخذ بالمثل فى الاعتداء » وقد وضح القصاص ما يذكر فى قوله : ((الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)) .

ويرى أن القصاص فى القتلى بقتل المعتدى القاتل — وان كان فى ظاهره أنه اعدام نفس أخرى غير التى قتلت بالفعل ، — ينطوى على « حياة » فى واقع الأمر ، وهى حياة المجتمع فى صيانته من التمادى فى جريمة القتل مستقبلا : ((ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون)) .

وهنا اذ ترى بعض المجتمعات المعاصرة عدم الأخذ بـ « القصاص » فى القتل ، توفيرا لنفس انسانية من الموت — وهى نفس الفرد القاتل — فانها اذ تبقى على حياة فرد تهدد حياة أفراد كثيرين آخرين فى المجتمع ، وهم الذين يتعرضون لجريمة القتل من تلك النفوس التى لا يردعها سوى القصاص فى القتلى .

والمجتمعات المعاصرة — وهى تنظر الى هذه الجرائم الثلاث — الزنا — السرقة — والقتل ، على أنها جرائم شخصية وليست اجتماعية ، ومن ثم — تحدد عقوبات أخرى هى أهون بكثير من : الجلد فى الزنا ، وقطع اليد فى السرقة ، والقصاص فى القتلى — وبما تنطوى نظرتها هذه على ما يساعد تفشى هذه الجرائم فى مجتمعاتها ، بالاضافة الى العوامل الأخرى ، وهى عوامل اقتصادية ، تتردد بين سوء التوزيع للعمل أو الثروة القومية ، وخروج المرأة ومشاركتها فى مجالات العمل المختلفة .

---

(١١) الاسراء ٣٣ .

(١٢) البقرة ١٧٩ .

وازاء نهى الاسلام المشدد عن اقتراف هذه الجرائم الاجتماعية ، ودعوته الى قيام مجموعة من المؤمنين بالتذكير المستمر للابتعاد عنها ، وبالوقوف فى تحديد العقوبات عندها وحدها ... لا يرى المؤمن الا ذلك الذي يتجنب بالفعل كبائر الاثم والفواحش : « والذين يجتنبون كبائر الاثـم والفواحش واذا مـا غضبوا هم يغفرون » .. فيما يقصه القرآن الكريم من صفات المؤمنين ، التي تكون حقيقة ايمانهم ، وكذلك فيما يقصه من صفات عباد الرحمن فى قولـه : « والذن لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما » (١٣) . ومضمون ما فى الآيتين واحد ، وهو عدم اقتراف الجرائم الاجتماعية .

ويكاد يكون عدم اقتراف هذه الجرائم الاجتماعية فى نظر القرآن — بالاضافة الى تجنب تلك الجريمة فى العقيدة والايمان ، وهى جريمة الشرك بالله — يحدد مضمون الرسالة الالهية ، وما يطلب من الانسان كانسان فى سلوكه ومواقفه ، كما يكاد يكون عنوانا على الهدف الأخير المنشود فى حياة الناس من « الروحية » وعدم اتباع « المادية » فى شططها وانحرافاتها .

وفيما ينصح به القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبايعة النساء اللاتي وفدن اليه عندما تضمنت عدم اقترافهن هذه الجرائم الاجتماعية والعقيدية على السواء فى قوله تعالى :

« يا ايها النبى ! اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلـن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينـه بين ايديهن وارجلهن ، ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفـور رحيـم » (١٤) .

... دليل أكيد على الاهمية التى يوليها لسلامة الايمان وسلامة المجتمع فى الابتعاد عن جريمة « الشرك » والجرائم الاجتماعية الأخرى الثلاث ، فتكاد تكون المبايعة مقصورة على العهد بعدم اقترافها ، بالاضافة الى عدم معصيـة المعروف .

والأمر نفسه فيما يطلب القرآن على لسان رسول الله صلى الله عليـه وسلم من المعارضين لرسالته والمجادلين فيها ، فهو يتلو عليهـم المحرمات من الجرائم العقيدية والاجتماعية ، حتى اذا اتبعوها لم يكن هناك خلاف بينهم وبين المؤمنين قبلهم :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركـوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفـواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهـد الله اوفوا ذلك وصاكـم به لعلكم تذكـرون . وان هذا صراطى

---

(١٣) الفرقان ٦٨ .

(١٤) الممتحنة ١٢ .

مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٥) .

... فمضمون ما وصى به الله هنا مما يصور الصراط المستقيم هو الابتعاد « عن جريمة الاعتقاد ، وهى الشرك ، وجرائم : العرض والمال ، والنفس ، فجريمة الاعتقاد فيما ينهى عنه بقوله : « ان لا تشركوا به شيئا » . وجريمة العرض فيما يذكره فى قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . وجريمة المال فيما يعبر عنه بقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان » فان الأخذ من مال اليتيم بغير حق سرقة للمال، وبخس الكيل والميزان سرقة للمال أيضا ، أما جريمة النفس فقد عبر عنها — مرة فى صورة كانت شائعة — فى قوله : ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » وأخرى فى صورة عامة فى قوله : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » .

واتباع « العدل » فيما يوصى به القرآن هنا بعد ذلك يكاد يكون تعبيرا عن الواقع الذى يعيش فيه مَن يتجنب تلك الجرائم الأربع ، جريمة الشرك والجرائم الاجتماعية الثلاث الأخرى ، فالذى يتجنب الاعتداء على « وحدة الالوهية » وعلى حرمات العرض والمال والنفس يسلك طريق الاستفادة ، والاستقامة عدل وتوازن ، لا انحراف فيهما أصلا .

وحماية المجتمع الانسانى من هذه الجرائم هو حماية له من السقوط والتدهور فى مجال الانسانية نفسها وفى مجال العلاقات بين الافراد ، ومن يعنى بتقدم المجتمع فى ضروب الصناعة ، وفى مستوى المعيشة ، وفى توفير الامكانيات المادية للحياة ، ويترك هذه الجرائم تأخذ طريقها الى النفوس ثم الى واقع الحياة انما يساعد على السقوط والتدهور فى المجالين معا : مجال الانسانية ومجال العلاقات المتبادلة بين الافراد ، ورخاء بعض المجتمعات البشرية اليوم (فى اسكندنيافيا) بسبب التقدم الصناعى وتوفر الامكانيات المادية جعل منها نموذجا للانحلال وما يعبر عنه « بثورة الجنس » وفوضى الرأى .

د — أما جريمة العقيدة ، وهى الشرك بالله ، فقد صورها القرآن الكريم مرة : بأنها ضلال بعيد : « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٦) .
وأخرى : بأنها افتراء عظيم : « ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » (١٧)
فالمشرك بالله حقيقة ضال فى طريقه ، ومفتر فيما يدعيه :
هو ضال فى طريقه لأن سلوك طريق الشرك يوصل حتما الى حتف الذات أو الى بيعها فى سوق الهوى والشهوات ، فهو فى عيشته ، ذليل ، ومستعبد ، ولا يستطيع التحرر ومباشرة حريته الانسانية ، ومذلته وعبوديته لهواه تجعل منه منافقا وجبانا .

وهو كذلك مفتر فيما يدعيه ، لأنه لم يستوعب بعد فى معرفة حقيقة الكون واشراكه بالله عندئذ هو ادعاء بما يسير حركة هذا الكون ويديره ، والانسان

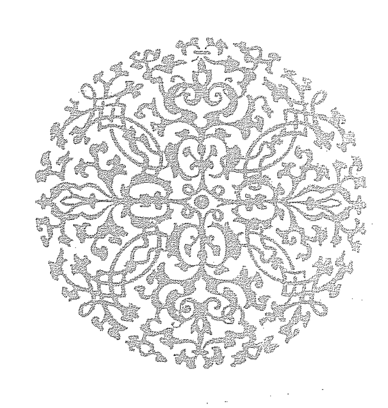
---

(١٥) الانعام ١٥١ — ١٥٣ .
(١٦) النساء ١١٦ .
(١٧) النساء ٤٨ .

فى تحديده ومحدوديته لا يستطيع الخروج من دائرته الى دائرة عليا يدعى فيها فى ثقة ويقين وقوفه على حقائق الوجود فى كنهها ، وفى ترابطها ، ولذا : الحديث عن الشرك بالله وعن وجود شركاء فى الكون معه هو حديث يقوم على الافتراء ، ويرتكب قائله اثما عظيما لأنه بقوله يظلم نفسه ويظلم من هو الكامل فى الوجود وحده معه .

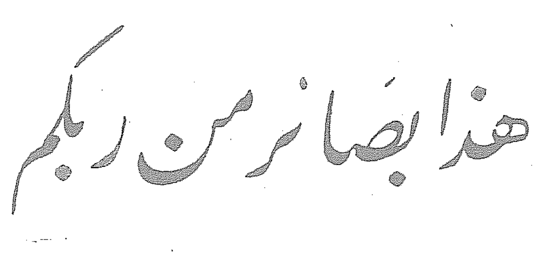
كما يعلنها القرآن الكريم — حربا لا هوادة فيها ضد المشركين ولا يستبيح فيها دماءهم فحسب ، وانما يطلب استئصالهم اينما وجدوا ، ويؤكد للمؤمنين ان الله معهم فى قتالهم للمشركين ومطاردتهم اياهم : « **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين** » .

وفيما يقرره فى قوله : « **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » (١٨) من عدم المغفرة للمشرك ما يرتكبه من جريمة فى حق « وحدة الالوهية » ... يوحى بأن هذه الجريمة على رأس الجرائم الأربع ، وربما تكون كذلك هى الأصل والمصدر لها ، فما من جريمة اجتماعية الا وتدفع اليها « المادية » وهى الغلو فى تحصيل المتع الدنيوية ، والمادية مظهر انكار الألوهية والايمان بما عدا الله سبحانه وتعالى ، والشرك بالله لا يقل فى آثاره ضررا على الانسان المشرك من انكار الألوهية ، فقوله : ان الشرك بالله ينطوى على الايمان بما عدا الله ، ينطوى أيضا على انكار خصائص الله وصفاته ، التى فى مقدمتها « الوحدة » فى الذات .



---

(١٨) النساء ٤٨ .



الدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت

روى البخاري بسنده المتصل عن أبى سعيد الخدرى قال ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » (١) .

١ ــ مر بى ذات صباح سيد مرموق من سادات القوم عمر الايمان قلبه ، وملك عليه لبه ، وصار ديدنه وهجيراه راعه اضطراب الافكار وكثرة الفتن ، عقائر ترتفع هنا وهناك وضروب من الناس كانوا فى خباء توجب طبيعة نشأتهم ونوع ثقافتهم أن لا يقام لهم وزن ، ولا يلقى اليهم بال ، فلا سابقة لهم فى جلادولا ماضى فى نضال قد رفعوا عن وجوههم القناع وسفروا بكفر صراح وسودوا صحائف تنكر بارىء النسم وتعنون سلوكها علما وتقيمه حكمة وتبرزه ثقافة وتقدمه رشدا تريد أن تكون « براقش » وتأبى أن يذكرها التاريخ « زرقاء » وما درت ، والمراهق لا يدرى وانما يساق ــ انها تتخبط فى غواية وعماية وتسلك بيداء مجهل وتقاد الى ظلمات ما بعدها ظلمات . خشى صاحبى أن يصيبه بلاء يعم وشر يسود فعاج الى الكلم الطيب يستنبئه باحثا عن مقر أمين به يلوذ وفيه يبقى على ما ضمت جوانحه من ايمان ، ووجد ما كان يبغى بعد أن لقى من سفره هذا نصبا (٢) فاشترى غنيمات وبعثها الى شعاف الجبال يلحق بها اذا دعا الداعى وأهاب المنادى ، ووقع القول وكان لا بد مما ليس منه بد .

جرى الحديث يستعرض العلل والادواء فما وجدنا غير الاسلام ملاذا ولا فى سواه حماية فهو دين الله رضى المارقون أو كرهوا ، ورحمته الى عباده ، ورسوله مصطفاه وخاتم أنبيائه وأشار أن يكون الحديث عن هداه وعقائده وعن رب كل شىء ووجوده ، ولعل حيرة أن تزول وعقلا يستجيب وكوكبا يضىء للمدلجين الحيارى .

وهنا سمعنا هتافا من أعماق قلوب مؤمنة أيها السيد : ان الاسلام لايطاول وان بناءه مشيد لا ينال وأن أمره لمستقر لا يضيع فمن أنزل كتابه حفظه ، وهو من هو له قدرة المحيى المميت الذى « أهلك عادا الاولى . وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى ، فبأى آلاء ربك تتمارى » .

وأن لله رجالا امتشقوا حسام العقل وتسنموا غارب الحقيقة يدافعون عن العقيدة ، هم كالسيل المتتابع يمرون مع حقب الزمان فيحيون الموات وسيبعثون الطمأنينة الى القلوب ومع ضوئهم سيتوارى خفاش ، ويأرز الى

جحره سام ، وإذا تخطفوا فسيخلفهم من هو أشد منهم صرامة وأقوى علما وأوسع معرفة ، وهكذا شأنهم مع الايام حتى يأتي أمر الله ، وحينذاك يقبض العلم كما شاء الله له أن يولد ، وتكون الحاقة والواقعة ولئن ينجم ذلك قريبا ، فقر عينا واهنأ بالا وسبح اسم ربك الاعلى — انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . تلك فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .

٢ — الاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لخلقه ووصى به أنبياءه ورسله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب) (٣) . ومعناه افراد الله بالالوهية وكل خصائصها والاستسلام لمشيئته والرضا بالتحاكم الى شريعته ، وهو الذى ارتضاه لعباده لا أى دين سواه (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

وقضايا الاسلام لها جانبان :

جانب « نظرى » فى حاجة الى بحث واستدلال واعمال فكر ونظر ، وهو الاصل الذى لا تقوم الشريعة الا بعد ثبوته ، ولا ترسو قواعدها الا به ، ولهذا دأب العلماء المتصدون لأمور الدين الاسلامى على تسمية تلك المباحث بأصول الدين تارة والعقيدة تارة أخرى ، وبعد التسليم المبنى على البراهين القطعية بوجود واجب الوجود وحصول القناعة الكافية يجىء دور الجانب « العملى » وهو دور الشريعة الشاملة للعبادات والمعاملات والجهاد والسير « وأفضل أصناف الاركان الدينية هى الواقعة تحت جنس الاعتقادات فانها معدودة من حيز العلم والاصناف الاخرى معدودة من حيز العمل ، وليس يشك أن نسبة العلم الى العمل مضاهية لنسبة العلة الى المعلول أو لنسبة البدء الى التمام ، والشىء متى فسدت علته واختل بدؤه لم يلحقه الصلاح أبدا ، والشىء اذا بطل تمامه فقد لحق الخلل بدأه لا محالة ، فالاعتقادات هى التى تبذل لها المهج والارواح ولأجلها تحتمل المحن والمشاق حتى أن الرجل قد يكون موسوما بطهارة الاخلاق وبالعفة والسداد ولا يلتفت الى فضائله اذا كان مدخول العقيدة ، بل تنفى عنه صفة العدالة . وينزل منزلة الفجار فى الشهادة ومنزلة الاغراب فى الميراث ومنزلة السفل فى المناكح (٤) » .

والعقيدة فى معناها العام بصرف النظر عن كونها دينية أو سياسية أو مذهبية خاصة مستندة الى حقيقة أو وهم أو الى خرافة — تطلق على التصديق الناشىء عن ادراك شعورى أو لا شعورى يقهر صاحبه على الاذعان لقضية ما من غير برهان ، فلا فعالية للعقول فى تكوين مثل هذا الاعتقاد غالبا وان طلبت له البراهين المؤيدة بعد استقراره وتكوينه ، والمعنى اللغوى قريب من هذا ومؤيد له فاستعراض مفهوم كلمة (عقد واعتقد) فى قواميس اللغة (٥) نخلص منه الى التعريف الآتى :

العقيدة (ما انعقد عليه القلب وتمسك به وتعذر تحويله عنه لا فرق فى ذلك بين ما كان راجعا الى تقليد أو وهم وما كان راجعا الى دليل عقلى (٦) .

وقد جرى القول عند علماء الكلام على أن العقيدة بمعناها الاصطلاحى

تقابل العلم والمعرفة وتواكب الايمان ، فالاعتقاد عندهم هو الادراك الجازم المطابق للواقع الناشيء عن دليل وقيد الجازم هنا ينفي الظن (٧) والوهم (٨) والشك (٩) فلا تقوم بواحدة منها عقيدة ، ومطابقة الواقع على مقتضى قواعد الاسلام يبعد اعتقادات أخرى كالتثليث (١٠) واعتقاد امتياز أمة على غيرها (١١) وأما القيد الاخير فوضعوه احترازا عن التقليد وان نازع فيه بعضهم مستدلا بما وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث آمن الكثيرون وحسن اسلامهم دون ان يطالبوا او يطلب منهم دليل ، بل ان السابقين الاولين قد آمنوا بعد أن ارتضوا خلق رسول الله وسلوكه ومعاملاته قبل الرسالة وبعدها ، ولم يؤثر عن واحد منهم طلب دليل كالادلة التي يقيمها المتكلمون ، وقد يكون هذا راجعا الى سلامة فطرهم وبعدهم عن التعقيدات الفكرية التي نشأت في عصور متأخرة وفشت بعد اندماج المسلمين من العرب مع الامم الاخرى التي حملوا اليها الاسلام وكان لها في الوقت نفسه ماض حضاري يحمل طابعا خاصا ، ولهذا لو قيل انه لابد من الدليل لتركيز العقيدة الاسلامية لكان الجواب أنه حق وضع أسسه القرآن الكريم حين دعا الى النظر السهل الميسور حتى للعامة ليصلوا منه الى معرفة الله ، وهو المأثور عنهم (البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير) ، فنحا بهم القرآن هذا النحو السهل من الأدلة في مثل قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الارض كيف سطحت) ومع هذا فقد دعا أيضا الى التعمق في النظر والفكر ، والاصالة في استنباط الادلة بطرق علمية وخبرة ذاتية ودراية واعية فأهاب بالناس ان ينظروا في الكون ومنشئه وما يحويه من موجودات مبتدئا بالانسان نفسه (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وهو بهذا يضع القاعدة الاساسية للانطلاق الفكري فاتحا المجال للباحثين تاركا دقة التفصيلات للانسان يصل الى اسرارها بجهده العقلي وسلاحه العالمي في مختلف العصور الصاعدة بدون انقطاع . ومهما نقب الانسان عن خفايا الكون فلا بد له ان يدخل في نطاق الآية الكريمة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وقلة ما أوتي الانسان من العلم يكشف عنه ويؤيده بوضوح حال من سبقونا ومقارنته بما نحن عليه الآن فلو حدث الناس منذ سنين بأن انسانا استطاع المشي على القمر لقالوا — ان محدثكم به مس من الشيطان ، وسيصل من بعدنا الى أبعد من ذلك ما دامت العقول تعمل ولا تتوقف وستقف مكتشفات اليوم الى جانب ما يحمله الغد موقف القزم الى جوار العملاق ، فمع كل صباح جديد كشف علمي فريد وعلم الله لا يتناهى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) .

وموقف الاسلام هذا كان فارقا أساسيا بينه وبين ما عرف عن أديان أخرى تحجب المعرفة عن العقل وتقيده ولو وصل الى نتيجة لا تؤيده وأرى أن التقليد كاف لحصول العقيدة الدينية مبدئيا فان قدر المقلد على تأييد ما اعتقده وتوكيده بالدليل ، ثم قصر في تحقيق ذلك فهو آثم شرعا ، والا كعوام المسلمين ومن على شاكلتهم فايمانهم صحيح وتقليدهم كاف دون اثم (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وهكذا كان مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من دعاهم الى الاسلام ، وعليه درج الراشدون من خلفائه رضي الله عنهم .

وبعد .. فان العقيدة الاسلامية تمتاز بصفائها وبعدها عن التعقيد وملاءمتها للفطرة السليمة (فطرة الله التي فطر الناس عليها) كما أن لها

خصائص مميزة في التوجيه والتربية العامة والخاصة ومن اليسير استخلاص ذلك من مدلول « كلمة التوحيد » التي جعلها الله مفتاحا للدخول في الاسلام كدين .

ففي المقطع الاول منها (لا اله الا الله) .

١ — تحرير من العبودية لغير الله الواحد ومنع من الانقياد الى اية قوة مخلوقة فكل العالم بما فيه خاضع لنظر الانسان ومسخر له (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) وهو محل بحثه ودراساته فمهما خفيت عليه الاسرار فهو مكلف بكشفها والوصول الى اعماقها ليستخدمها فيما يرقى به ويطور معيشته الى الافضل (قل انظروا ماذا في السموات والارض) فلا يوجد في تعاليم الاسلام الصحيحة ، ولا في مصادره المؤكدة الثبوت ما يعوق أو يحول أو يقف ضد أي باحث او دارس مهما تنوع بحثه وتشعبت دراسته بل القرآن يؤكد ان نهاية مطاف المفكرين الهادفين الوصول الى معرفة الله الواحد معرفة حقيقية تتبين لهم في احكام الصنع ودقة التكوين من آثار قدرة الله وابداعه (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

ومع هذا فليس لاى كائن تقع عليه الحواس أو لا تقع سلطان يؤهله لان يعبد من دون الله وهذا هو الحق الذى سيوصل اليه يوما ما (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وفي الآية الكريمة الماع الى ان الوصول الى اسرار الكون غير الانسان أيسر من معرفة خفايا النفس البشرية ويبرز هذا المعنى في تقديم الآفاق على الانفس .

يقول الكسيس كاريل في كتابه الانسان ذلك المجهول : لقد بذل الجنس البشرى مجهودا جبارا لكى يعرف نفسه ولكن بالرغم من اننا نملك كنزا من الملاحظات التى كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار الروحانيين في جميع الازمان فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا . اننا لا نفهم الانسان ككل اننا نعرفه على أنه مكون من اجزاء مختلفة وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسائلنا فكل واحد منا يكون من موكب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة وواقع الأمر ان جهلنا بأنفسنا تسبه تام فكثيرا من الاسئلة التى يلقيها وارثو الجنس البشرى تظل بلا جواب لان هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنة ما زالت غير معروفة لنا تماما حتى الآن .. ومن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان مازال غير كاف وان معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية "(١١) .

٢ — في هذا المقطع أيضا تحرير من العبودية لغير الله من الخضوع لأى كائن سواه والخروج عن طاعة من انحرف عن الجادة المفارق لدينه البعيد عن تطبيق أحكامه ، ولئن وجد الاحكام الاسلامية ظل للرق فذلك لاذابته والقضاء عليه لا لتثبيته وسيجد الفاحص المنصف ذلك واضحا جليا في ايات القران الكريم والسنة والتشريع واعمال الراشدين .

٣ ـ فتحت آفاق البحث والاستطلاع وافسحت مجال الرؤية للكون وما فيه من آثار قدرة الواحد الواجب الوجود والكون كتاب مفتوح لمن قدر على حل طلاسمه وفك ألغازه . وأمكنه وضع الحلول لعمياته واستجلاء خفاياه ، وما كل ذى بصر بصير (وكأى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقد جاء ختام آيات كثيرة فى القرآن الكريم حاثا على الفهم والفقه والعلم (ان فى ذلك الآيات لقوم .. يعقلون .. يفقهون .. يسمعون .. يتدبرون .. الخ) **وأما المقطع الثانى** : (محمد رسول الله) فانه يوجه التفكير الى النظر فى مهمة الرسول والرسل جميعا بالقياس اليه ، فما جاءوا به كله من عند الله تعالى ولا شىء لهم « عليهم السلام » الا التبليغ فقط ، ووظيفتهم منحة وهبة من العلى الكبير ، وشأنهم ايصال ما كلفوا بايصاله الى البشر ، وعدم الخلط بين الوحى وبين أى فكر بشرى ، وواضح أن الهداية وشرح الصدور لقبول الدعوة أمر خارج عن مهمة الرسل (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) .. (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

ومادام الايمان بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حاصلا فقد وجب أن يتلقى كل ما جاء به بالقبول والاذعان ، ولترد الامور كلها الى حكم الله وحكمه (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) لأن (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

والايمان بالرسول من أسس العقيدة الاسلامية ، وهو مستلزم للايمان بما بلغوه عن ربهم ، ومن معطياتهم **العقيدة** وهى الاصل و**الشريعة** وهى المنهج والتطبيق ، وهذا هو العلم والعمل ...

والحديث موصول ان شاء الله تعالى

---

(١) مفردات لغوية . يوشك : يقرب . شعف الجبال : جمع شعفه وهى رؤوس الجبال . مواقع السقط : بواطن الاودية وخصها بالذكر لأنها مكان الراعى . يفر بدينه : أى بسبب دينه ليخلص له دينه .

(٢) سفر الروح وعناؤها وكم من مقيم وهو باد ورائح وهو غاد .

(٣) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٤) ص ١٢٥ من كتاب الاعلام بمناقب الاسلام لأبى الحسن محمد بن يوسف العامرى المتوفى سنة ٣٨١ هـ (٩٩٢) م تحقيق الدكتور أحمد عبد الحميد غراب طبع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .

(٥) وفى المصباح المنير اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يؤمن الانسان به .

(٦) محاضرات فى التوحيد للعلامة الشيخ على حسب الله ص ١١ طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٧) وهو ادراك الطرف الراجح .

(٨) وهو ادراك الطرف المرجوح .

(٩) وهو ادراك الطرفين على السواء .

(١٠) يراجع فى هذا اظهار الحق لرحمة الله الهندى ، والجواب الصحيح لابن تيمية .

(١١) يشير الى قول اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

(١٢) الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » ترجمة السيد شفيق أسعد فريد .



للأستاذ حسن فتح الباب

هنـــاك فوق قمـة الضيـاء فـي حـدائق الأفـــق
والشـمس تنسـج المـروج بالجنى والشـعب ينطلـق
تأملــوا الأبطــال ، هـذه دماؤهـم علـى الشفـق
تقبــل الوديــان ، والحيــاة بالفــداء تنبثــق

★ ★ ★

وتــرفع الجبيــن عاليــا فإنهـم يشاهــدون
الرية النصـر تـرف حـرة علـى حمـى العريـن
وتفرش الطريــق بالزهــور الآبــاء والبنيــن
تحيــة الخالديــن مــن طلائــع المناضليــن

★ ★ ★

هيـا الــى الـوادى الأميـن يـا رفـاق نجتنى السـلام
ونجتلــى أنـوار مــن أردوا هنـا جحافــل الظــلام

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون

« قرآن كريم »

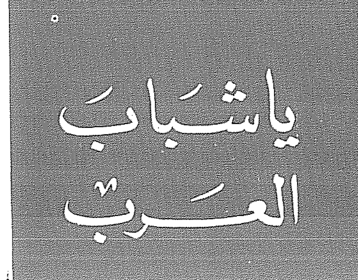
أرواحهم تسرى بيننا فى موكب الحياة الأثام
جراحهم تشع فى صدورنا الفخار كالوسام

★ ★ ★

لا تخفق الشفاه بالوداع ، انهم سيرجعون
سيرجعون فى الربيع ناضرا على مدى السنين
سيرجعون والحصاد فى الربى والطير فى الغصون
سيرجعون بهجة على الثغور قرة العيون

★ ★ ★

المجد للشعب العريق يفتدى بروحه حماه
لبعث جيلا بعد جيل يقهر العدوان والطغاه
للفارسين بالدماء دوحة السلام والحياه
للعائدين يشهدون مجدهم ، فلترفع الجباه



ما هي

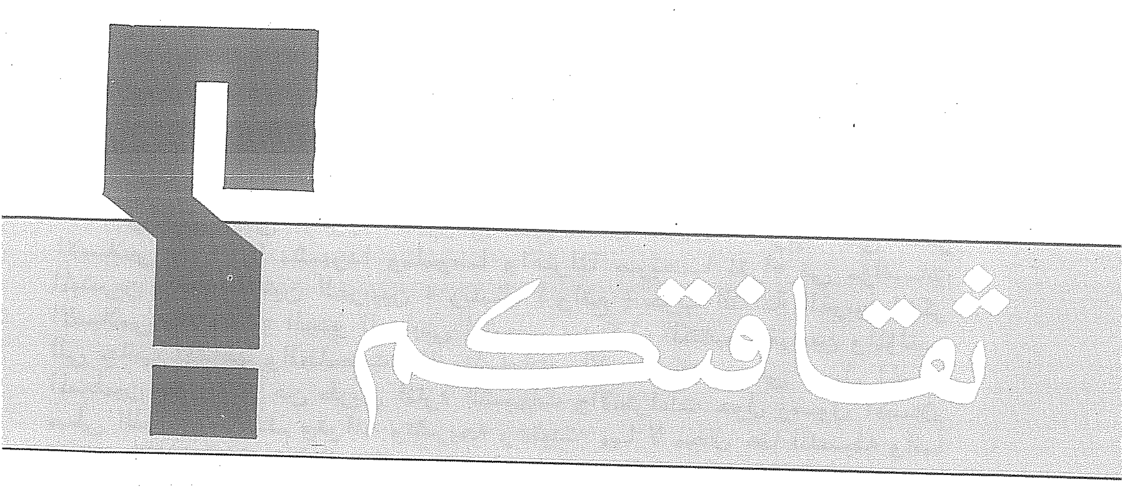
(كيف تواجه ثقافتنا الإسلامية : حضارة الغرب وثقافته)

أشرنا اشارة موجزة — من قبل — الى المشكلة الرئيسية التى يعانى منها المسلمون اليوم . وهى أنهم لم يحاولوا حتى الآن ، تحديد معالم شخصيتهم الاسلامية ، وأن ذلك هو علة ضياعهم فى معترك السياسة الدولية ، وسبب تخلفهم اجتماعيا واقتصاديا ، وسياسيا ..

فالى جانب هذه المشكلة أو المأساة الخطيرة التى يعيشها المسلمون اليوم — يعيشون أيضا صراعا خطيرا عنيفا مع حضارة الغرب وثقافته ، وتقدمه العلمى ، وتفوقه المادى المتميز بالحركة والنشاط ، والمزخرف بألوان جذابة من الوسائل والمثل والقيم الحديثة ، التى هى نتاج ثقافته الخاصة .

ان المسلمين اليوم — وقد أضاعوا شخصيتهم الاسلامية الممتازة بقيمها ومثلها وثقافتها الخاصة يواجهون الثقافة الغربية التى تشن ، كما يقول الدكتور (عبد الكريم عثمان) (١) حربا ضروسا على الفكر الاسلامى ، لأنها — أى الثقافة الغربية الحديثة كانت أثرا من آثار النزاع المسلح بين العلم ورجال الدين المسيحى ، الذين تحكموا فى مصائر الناس وحجروا على الحرية والعلم والكرامة الانسانية . ومن هنا نشأت الفلسفة الغربية المتميزة بالتحلل من المبادىء الدينية واحترام المادة وحدها .. حيث النفعية والعنصرية و (الغاية تبرر الوسيلة) و (التجارة هى السرقة الحلال) و (وأنا وبعدى الطوفان) !!

ولا فرق فى ذلك بين شرق أوربا : حيث الشيوعية الملحدة هى السائدة ، وبين غربها حيث الرأسمالية المنهومة هى المتحكمة — فالرجل العادى فى أوروبا



للأستاذ : أحمد محمد جمال

كما يقول الاستاذ (محمد اسد) ديمقراطيا كان أم فاشيا ، ورأسماليا كان أم اشتراكيا وعاملا كان أم رجل فكر — انما يعرف دينا واحدا هو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة الا أن يجعلها الانسان حرة طليقة من قيود الطبيعة . اما كنائس هذا الدين ، فهى المصانع الضخمة ، ودور السينما ، ومختبرات الكيمياء ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء . وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما ، وأقطاب التجارة والصناعة) (٢) .

ويؤكد الفيلسوف البريطانى المعاصر (برتراند راسل) ما قاله الاستاذ اسد ، فيعلن بصراحة : « ان الحضارة الحديثة أهملت الاهتمام بالروح .. وأن العالم اليوم بحاجة الى دين جديد يجعل غايته الانسان » .

ومن ناحية أخرى يقول الاستاذ (محمد أسد) : « ان أعداء الاسلام فى الخارج يرون فى اتحاد المسلمين قرب هلاكهم ، واضمحلال حضارتهم فينشرون فى طول العالم وعرضه أفكارا سيئة مشوشة عن الاسلام والمسلمين ، وأنهم اناس تواقون للحروب والتدمير ، كما يشوهون حضارة الاسلام وتراثه بكل انواع الوسائل التى لديهم . وفى كتاب (الى أين يتجه العالم الاسلامى) اعترافات صريحة وقحة لمؤلفه (هاملتون جب) ولبعض زملائه من المستشرقين الحاقدين المتآمرين على الاسلام وثقافته وتراثه الحضارى : بأن الغرض من الجهود المبذولة لحمل المسلمين على الحضارة الغربية هو تفتيت الحضارة

الاسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين ، وتغيير خصائصها تغييرا جذريا عن طريق النشاط التعليمى والاعلامى والثقافى الذى من شأنه أن يترك فى المسلمين من غير وعى منهم — أثرا يجعلهم يبدون فى مظهرهم العام لا دينيين .

وهكذا تتجلى الحرب الضروس التى تشنها الثقافة الغربية على الفكر الاسلامى : واقعا مشهودا وملموسا واعترافا صريحا نقرأه فى مؤلفات المبشرين والمستشرقين الغربيين ، ويتمثل (واقع) حرب الثقافة الغربية للفكر الاسلامى فيما جنده العدو الصليبى المتربص من كبار الكتاب الغربيين والمؤلفين الى جانب المعاهد والجامعات والمستشفيات والارساليات — فى سبيل اخراج المسلمين من دينهم عن طريق اثارة الشبهات والافتراءات حول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وقرآنه وتشريعه وعقيدته مما لا مجال هنا لتفصيله وانما نكتفى بالاشارة الموجزة اليه :

□ كالقول ببشرية القرآن الكريم — أى أنه ليس من كلام الله عز وجل ، وانما هو من تأليف محمد جمعه من ثقافات يونانية ورومانية وهندية وفارسية .

□ وكالقول : بأن الحديث النبوى من صنع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب الاربعة ، حيث أعد كل امام منهم الاحاديث المؤيدة لمذهبه الفقهى ، ثم نسبها الى الرسول .

□ وكقولهم : ان عيسى لم يخطىء قط بينما ارتكب محمد عددا من الاخطاء عاتبه عليها ربه فى القرآن !!

□ وكتعدد الزوجات المباح فى الاسلام ، وخاصة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى يرونه عيبا فيه !!

□ واثارتهم الحملة على اللغة العربية ، ودعوتهم لاستعمال اللهجات العامية فى كل قطر عربى لتمزيق شمل المسلمين ثقافيا واجتماعيا !!

□ وترويجهم لعقيدة (الجبر) بين الشباب المسلم الذى يدرس فى جامعات أوربا وأمريكا ، لكى يغروهم بترك الصلاة والصيام ، ويدفعوهم الى الفسوق والعصيان .. بدعوى أنهم مجبورون وأن كل شىء مقدر من الازل مع استدلالهم بآيات من القرآن تقرر مطلق الارادة والمشيئة لله عز وجل .

□ وزعمهم أن التشريع الاسلامى مقتبس من القوانين الرومانية وأن التراث الفكرى والعلمى الذى خلفه فقهاء الاسلام وعلماؤه وأدباؤه .. انما هو مزيج من الثقافة اليونانية والهندية والفارسية ..

الى غير ذلك من شبهات ومفتريات ودعايات يثيرها رجال الثقافة الغربية فى وجه الثقافة الاسلامية للقضاء عليها ، وتفتيت تراثها ، وابعاد المسلمين عنها كما اعترف (جب) واخوانه ..

ومن سوء الحظ .. أن كثيرا من مفكرى المسلمين المعاصرين قد أعانوا أعداءنا الألداء على أنفسنا وعلى ديننا وثقافتنا وأمتنا المسلمة ، فقاموا بنشر هذه الشبهات والمفتريات الغربية مصدقين لها .. نتيجة تأثرهم بالثقافة الغربية واعجابهم بكل ما يقوله أساتذتهم الغربيون !

والآن نتساءل : كيف نواجه بثقافتنا الاسلامية ثقافة الغرب وحضارته ؟ (٣)

□ هناك فريق من المفكرين المسلمين وقف من حضارة الغرب وثقافته موقف الخصم العنيد فمنع الاقتباس منها والاخذ عنها .

□ وفريق آخر .. يتكلف التوفيق بينهما وبين الثقافة الاسلامية على حساب طمس (الشخصية) المسلمة ، وجميع خصائصها وقيمها ومثلها الخلقية وأنظمتها التشريعية ..

□ وفريق ثالث يرى أن يحتفظ المسلمون بثقافتهم الاسلامية التى توجه الى العمل الدنيوى الصالح مع ملاحظة (الآخرة) ورابطة الجزاء بينهما وبين عمل المسلم فى دنياه .. على أن نأخذ من حضارة الغرب وثقافته كل جديد نافع ، من صناعة وزراعة وعلوم ووسائل حضارية ، دون اخلال بعقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا الاسلامية .

ورأى هذا الفريق من مفكرى الاسلام وحملة دعوته الخيرة — هو الرأى الصائب الرشيد .. فالمسلمون فى نظرنا مدعوون اليوم : أن يواجهوا ثقافة الغرب وحضارته وكيد مبشريه ومستشرقيه بأمور أربعة :

أولا : معرفة (المعالم الاصيلة) لشخصيتهم الاسلامية وتحديدها ، والحفاظ عليها ، والاعتزاز بها .

ثانيا : الاتجاه الجاد المخلص نحو ثقافة الاسلام عقيدة وشريعة وخلقا .

ثالثا : الانتفاع بالجديد الطيب من علوم العصر الحديث وفنونه وصناعاته ، واكتشافاته ووسائله الحضارية من غير تفريط فى أى جانب من أوامر اسلامنا أو زواجره .

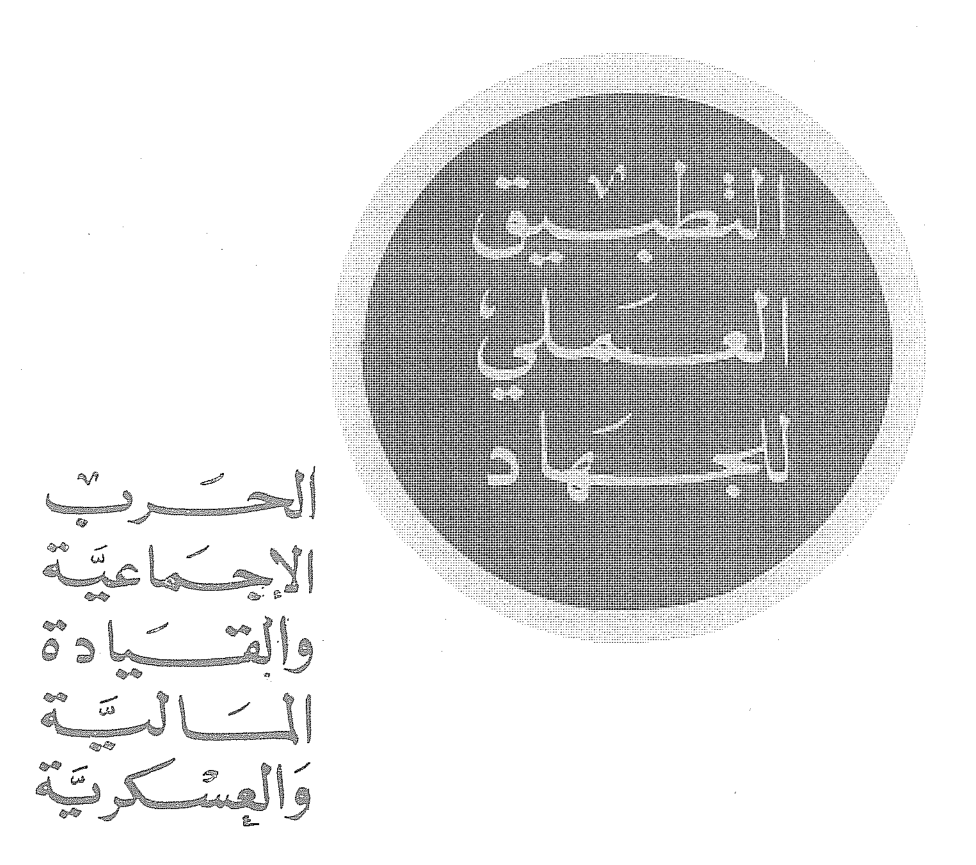
رابعا : تصفية مناهج التعليم ، وبرامج الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون ، وأوضاع النشاط الاجتماعي وأنظمته من شوائب ومعائب التقليد أو الاقتباس من الثقافة الغربية الملحدة المنحرفة — مع توجيه شبابنا وطلابنا عبر هذه المناهج والبرامج والانظمة والاوضاع التعليمية والتربوية والاعلامية والاجتماعية — وجهة اسلامية خالصة . بذلك نستطيع — بتوفيق الله وعونه — أن نعيد للمسلمين (شخصيتهم الاصيلة) و (ثقافتهم الخيرة) و (مدينتهم الفاضلة) و (مجتمعهم الرشيد) .

---

(١) فى كتابه (الثقافة الاسلامية) .

(٢) فى كتابه (منهاج الحكم فى الاسلام) .

(٣) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب (الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية) للاستاذ ابى الحسن الندوى .



الحرب الإجماعيّة والقيادة الماليّة والعسكريّة

اللواء الركن محمود شيت خطاب

أما الدعامة الثانية التى ترتكز عليها القيادة العسكرية للمجاهدين العرب والمسلمين ، فهى المال .

والمال هو عصب الحرب ، وبدونه يصاب المجهود الحربى بالشلل التام .
أن المجاهدين بحاجة الى التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الادارية (اعاشة ، طبابة — تنقل .. الخ) والقيادة .

فاذا تيسر المال بشكل مستديم منظم أمكن انجاز التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الادارية ، واذا لم يتيسر المال فلا يمكن انجاز ذلك بأى شكل وبأية صورة : بالشكل الذى يدوم فيه الجهاد وبالصورة التى يستطيع فيها المجاهدون أن ينهضوا بواجباتهم كما يرام .
وما يقال عن المجاهدين يقال عن الجيوش النظامية وعن الفدائيين .
ان المعنويات العالية للمجاهدين ضرورية لاحراز النصر ، فاذا لم يطمئنوا الى مصير أسرهم المعاشى فلن تكون معنوياتهم عالية على أى حال .

وعوائل الشهداء التى تعيش بكرامة ، سبب من أسباب رفع معنويات المجاهدين وأسرهم على حد سواء ، والعكس صحيح .

والجهاد يحتاج الى التفرغ ليؤتى ثمراته مرتين ، فلا بد من دفع مرتبات مناسبة للمجاهدين تكفى لمعيشة أسرهم ومعيشتهم ، فليس من المعقول أن يقاتل المجاهد كما يقاتل الرجال فى ظروف يكون فيها فكره موزعا بعيدا عن ساحة القتال ، خاصة اذا كان هذا المجاهد هو المسؤول الوحيد عن اعالة أسرته وبدونه تتضور جوعا .

لذلك لا بد من أن تكون للمجاهدين موارد مالية ثابتة ، والاعتماد على التبرعات التى قد تكون كبيرة فى فترة من الزمن وقليلة فى فترة أخرى لا يكفى لتصعيد الجهاد وقد يقضى عليه .

فى المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد سنة (١٨٩٧) فى مدينة (بال) السويسرية تقرر جمع الاموال لاستعمار فلسطين .

ولم تمض فترة وجيزة على عقد هذا المؤتمر ، الا وظهرت التنظيمات المالية لجمع تلك الاموال : تأسس المصرف اليهودى للمستعمرات سنة (١٨٩٨) ، وظهر الصندوق القومى اليهودى سنة (١٩٠١) .

وانتشرت لجان جمع التبرعات الصهيونية فى جميع أرجاء العالم لجمع التبرعات من الصهاينة ومن غيرهم بشتى الطرق والاساليب .

كل يهودى فى العالم ، عليه أن يدفع مقدارا معلوما من المال كل شهر ، لا يستطيع أن يتخلف عنه لحظة واحدة ولا يستطيع أن يستقطع منه قرشا واحدا : بامكانه فقط أن يضاعف المبلغ المفروض عليه تبرعا وتطوعا ، وليس بامكانه التخلف عن أداء المبلغ الواجب دفعه شهريا .

هذه النسبة التى يدفعها كل يهودى فى العالم ، تتناسب مع دخله الشهرى بحيث لا يرهقه الدفع ولا يحمله من أمره ما لا يطيق .

وهذا التنظيم الدقيق لجباية الاموال بهذا الاسلوب وبكميات معلومة ، جعل للصهاينة ميزانية ثابتة ، لا يمكن أن تؤثر الازمات والاحداث فيها .

ان تعاون الحكومات العربية والشعوب العربية مع الحكومات الاسلامية والشعوب الاسلامية ضرورى للنهوض بمهمة جمع المال للمجاهدين .

يجب انشاء (صندوق فلسطين) لتمويل المجاهدين ورعاية أسرهم وأسر الشهداء منهم ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بد عربى وكل بلد اسلامى ، وتخصيص قدر من الزكوات لتمويله ، فان الانفاق فى سبيل الله من البر الذى أمر الله به ومصرف من مصارف الزكاة الشرعية التى نص القرآن الكريم عليها .

ولست أذهب بعيدا فى طريق التفاؤل ، ولكننى واثق كل الثقة بأن فى العرب والمسلمين خيرا كثيرا ، وهم مستعدون للجهاد بأموالهم فى سبيل الله ، ولكن الذى يحول دون جباية مبالغ خيالية فى ضخامتها من المال أمران : الاول أن قسما منهم لا يعرف لمن يسلم ما تجود به نفسه من مال — خاصة بعد تكاثر لجان جمع التبرعات ، والثانى عدم الثقة ببعض لجان جمع التبرعات لانحرافها مما يؤدى أن تعم الريبة فى الجميع .

ان انبثاق لجان جمع المال لصندوق فلسطين فى كل قرية وكل قصبة وكل مدينة ، على أن تكون مؤلفة من أشخاص معروفين يتميزون بالنزاهة المطلقة والاخلاص العميق ، ثم جمع التبرعات بموجب قسائم رسمية معتمدة ، سيؤدى الى انهمار المال للفدائيين الفلسطينيين والمجاهدين انهمارا .

وسيزداد المال انهمارا بعد أن تظهر آثار الفدائيين والمجاهدين فى اسرائيل .

ان رجال الدين يستطيعون أن يخدموا الجهاد والمجاهدين وقضية فلسطين بصورة عامة فى هذا المجال أعظم الخدمات ، وبذلك يثبتون وجودهم ايجابيا ولا يبقى كلامهم أقوالا تذروها الرياح .

— ٧ —

ان القيادة العسكرية للمجاهدين هى التى تخرج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق العمل الايجابى البناء .

ونبدأ بتفصيل منظومة القيادة العسكرية للمجاهدين من القاعدة حتى القمة (انظر تفاصيل منظومة قيادة المجاهدين فى الملحق (أ) المرفق) .

أ) يجب أن يكون فى كل مدينة عربية اواسلامية قيادة عسكرية للمجاهدين ، وهذه القيادة تتألف من ضباط وضباط صف من الجيوش او من المتقاعدين .

واجب هذه القيادة هو جمع المجاهدين وتجهيزهم وتسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم فى فصائل وسرايا وكتائب ، وبعد انجاز كل ذلك تنقل المجاهدين الى مركز تجمعهم للحركة الى ميدان القتال .

وتعاون هذه القيادة فى أداء واجباتها : القيادة الروحية المؤلفة من رجال الدين المشهورين بالتدين والورع والاستقامة والعلم ، ويكون واجب هذه القيادة شحن نفوس الجاهدين بطاقات روحية ، تدفعهم الى الاستقتال فى الحرب ، ويكون واجبها حث الناس على الجهاد بالاموال والانفس .

ولكى يكون اثر القيادة الروحية ايجابيا ، فلا بد من ان يتطوع قسم من رجال الدين للجهاد .

وتعاون القيادة العسكرية فى واجباتها ايضا ، القيادة المالية المؤلفة من أنزه رجال المدينة واكثرهم امانة ، ويكون واجب هذه القيادة جمع الاموال وشراء التجهيزات العسكرية والذخيرة والسلاح ، وضبط الموارد المالية وتوزيع المرتبات على المجاهدين ورعاية اسرهم بعد حركتهم للجهاد والعناية باسر الشهداء منهم .

ب ـ) ويجب ان يكون في كل دولة عربية أو اسلامية قيادة للمجاهدين تتألف من ضباط ذوى رتب عالية وضباط صف متطوعين .

واجب هذه القيادة هو حشد مجاهدى المدن والقرى القادمين من قيادات المدن والتأكد من اكمال تسليحهم وتدريبهم وتنظيمهم ، ومن ثم نقلهم الى ساحة القتال .

وتعاون هذه القيادة القيادة الروحية والقيادة المالية أيضا ، وتكون واجبات هاتين القيادتين مشابهة لواجبات القيادتين الروحية والمالية فى قيادات المدن العسكرية ولكن على نطاق أوسع .

ج) القيادة العامة للمجاهدين ، وتكون فى ميدان القتال ، واجبها الاول هو قيادة المجاهدين القادمين من الدول العربية والاسلامية .

تتألف من ضباط ذوى رتب عالية معروفين بتدينهم وتجربتهم العملية وعلومهم العسكرية وشجاعتهم واقدامهم .

فما أحوجنا اليوم الى قائد ماهر كثير التدين ، ليقود العرب والمسلمين الى النصر .

ولكن حاجتنا الى عامل مجاهد يضرب اروع الامثال للمجاهدين فى البذل والتضحية والفداء من أمثال ابن تيمية والعز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهم لاتقل عن حاجة العرب والمسلمين الى قائد ماهر متدين بل تزيد .

— ٨ —

لقد حاولت التركيز على التنظيم العسكرى للمجاهدين ، لكى أدل على الطريق لاخراج ركن الجهاد الاسلامى من حيز الفتاوى الى حيز التطبيق العملى فى حرب حديثة فى عصر حديث لمجابهة جيش حديث هو جيش اسرائيل .

ولم أتطرق للتنظيم العسكرى للفدائيين والجيوش النظامية ، لأنهما موجودان فى الوقت الحاضر .

وبالامكان الافادة من قيادة الفدائيين لتكون النواة الصالحة لقيادة المجاهدين ، لان تلك القيادة لديها تجربة عملية فى القتال ، وقد نجحت تجربتها فى قيادة الفدائيين .

لقد كان للعمل الفدائى آثار واضحة فى الارض المحتلة وفى النطاق العربى وفى البلاد الاجنبية .

فى النطاق العربى ، رفع الفدائيون الروح المعنوية ، ونظموا صفوف الفلسطينيين ، وجعلوا منهم قوة ضاربة ذات شأن ، كما برزت من صفوف الفلسطينيين قيادة فلسطينية أثبتت عمليا بأنها قادرة على تنغيص حياة الصهاينة المحتلين .

وفى البلاد الاجنبية ، استطاع الفدائيون الاستحواذ على أجهزة الاعلام العالمية ، ويرهنوا بالدم ان حقهم فى فلسطين وراءه مطالب ، وأن شعب فلسطين لايمكن ان يتخلى عن حقوقه ، مهما طال الزمن وتضاعفت الخسائر .

واستطاع الفدائيون فى نطاق الهيئات الدولية ان يبرزوا قضية فلسطين، فأصبحت تلك الهيئات تهتم بها وتخشى عواقبها . بينما كانت قضية فلسطين قبل أن يتكلم الفدائيون بالدم مجرد فقرة فى جدول اعمال الامم المتحدة ومجلس الامن يتكرر ذكرها بدون نتيجة ملموسة .

وفى نطاق الارض المحتلة ، استطاع الفدائيون ان يجعلوا من اسرائيل منطقة غير آمنة على الحياة والمال والممتلكات ، مما أشاع الرعب بين سكانها وحرمها من تدفق المهاجرين الجدد والاموال الاجنبية والسياح اليها ، وضاعف من نفقات اسرائيل على قواتها المسلحة .

تلك هى لمحات مختصرة جدا من انجازات الفدائيين ، وهى تستحق أعمق التقدير واعظم الاعجاب .

والفدائيون مجاهدون ، وتجربتهم الرائدة اثبتت وجودها عمليا فى الميدان ، ولكن تعداد الفدائيين قليل بالنسبة لتعداد العرب والمسلمين .

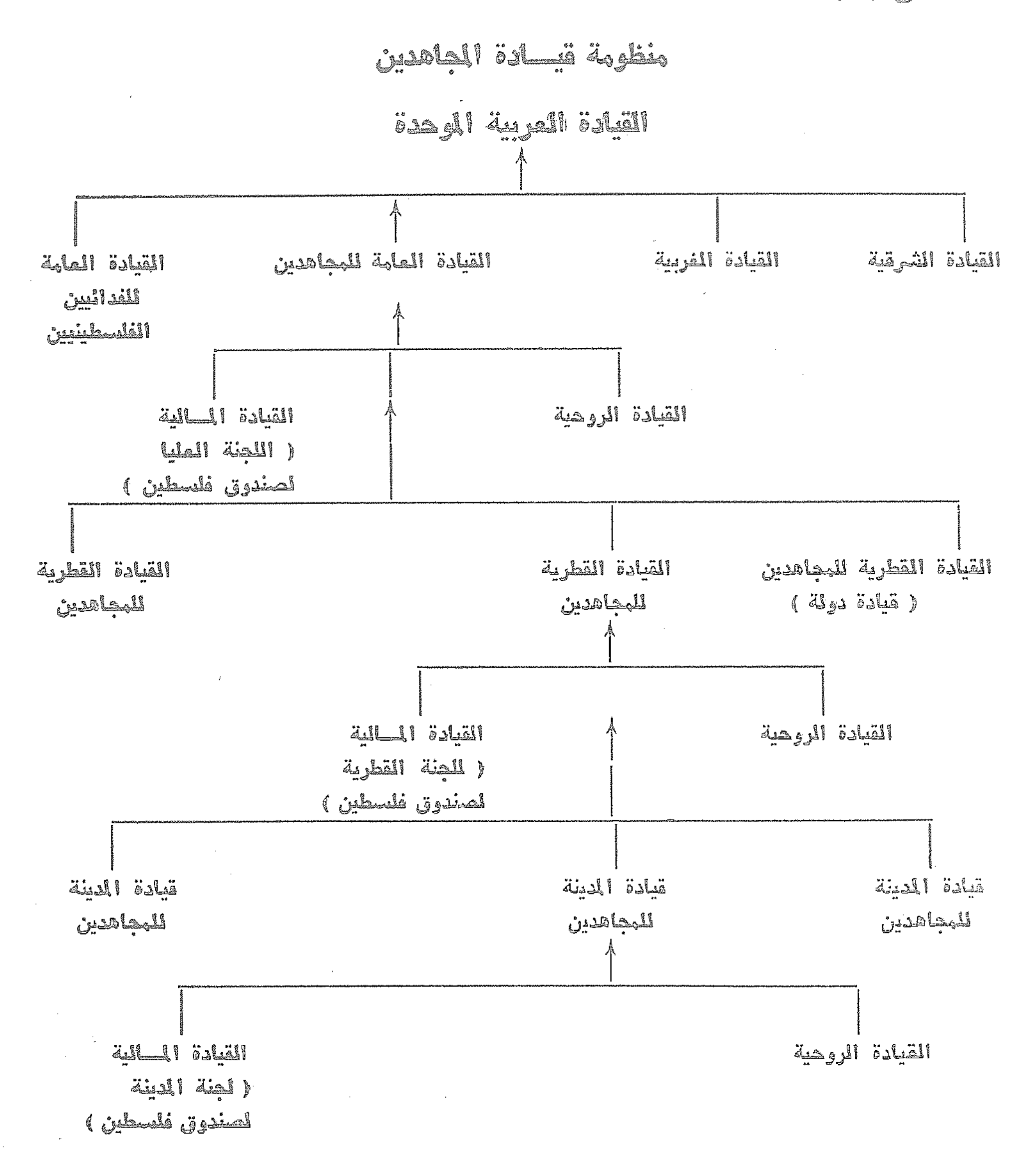
فماذا سيحدث لو تضاعف عددهم بالمجاهدين المؤمنين الصادقين ؟

ان الصهاينة ستميد بهم الارض فى اسرائيل ، وسيقولون كما قال أسلافهم من قبل : (ان فيها قوما جبارين) .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله امام المجاهدين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الملحق (ا)

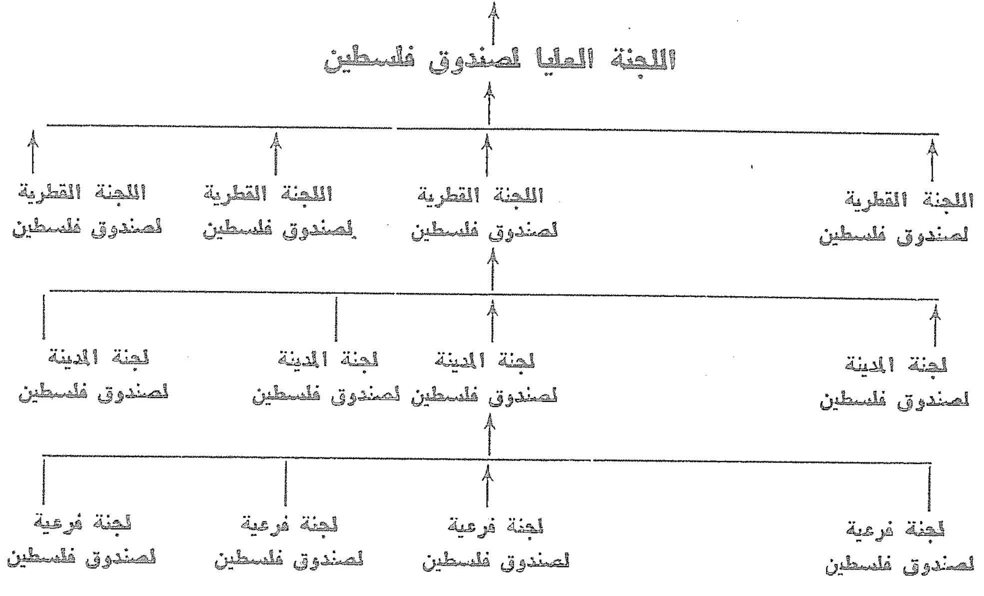


الملحق (ب)

منظـــــومة

القيادة المالية لصندوق فلسطين

القيادة العامة للمجاهدين



ملحوظات :

١ ــ تودع الاموال المجباة فى المصارف : كل لجنة يكون لها اعتماد فى مصرف معين باسم : صندوق فلسطين .

٢ ــ كل لجنة من اللجان تخول بجمع الاموال من اللجنة التى هى أعلى منها ، وذلك منعا لتعدد اللجان دون مسوغ .

٣ ــ لكى يكون لصندوق فلسطين مورد ثابت ، أقترح أن يقدم كل عربى وكل مسلم ما لا يقل عن واحد بالمائة من دخله الشهرى الى صندوق فلسطين شهريا .

أما الزكاة فيكون تقديمها للصندوق بخيار صاحب الشأن .

٤ ــ أماكن اللجان :

أ) اللجنة العليا بالقرب من جبهة القتال بتماس شديد مع القيادة العامة للمجاهدين .

ب) اللجنة القطرية فى عاصمة الدولة أو المملكة العربية أو الاسلامية قريبا من القيادة القطرية للمجاهدين .

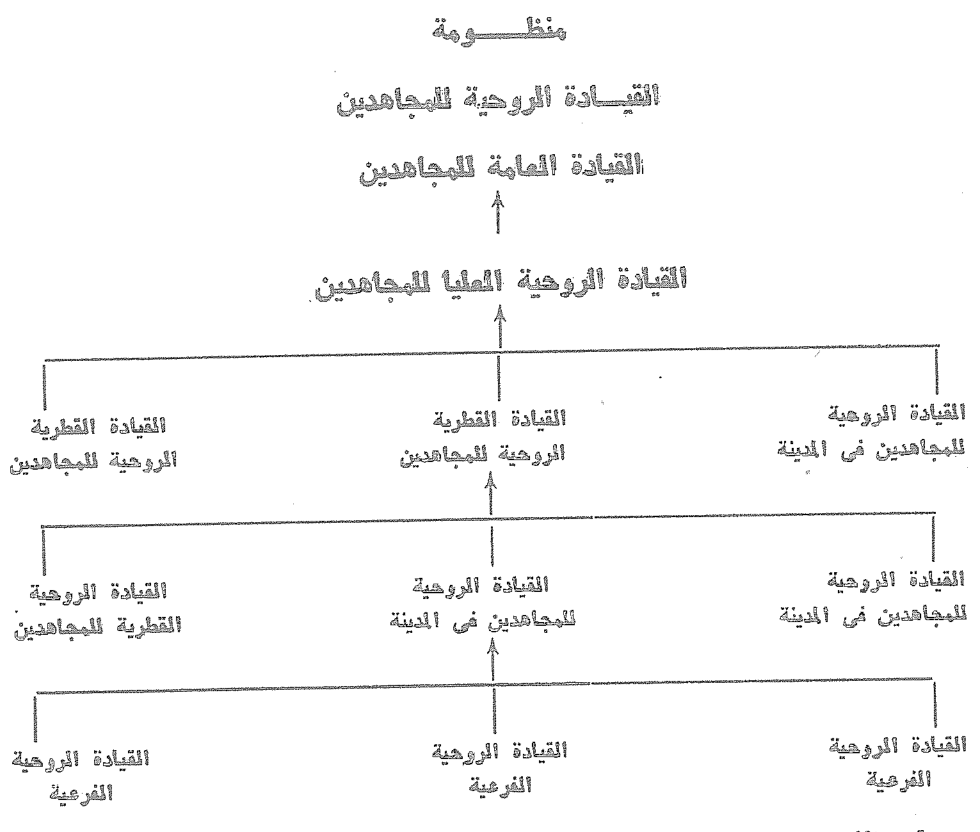
جـ) لجنة المدينة : فى المدينة العربية أو الاسلامية بجوار قيادة المدينــة للمجاهدين .

د) تكون اللجان الفرعية فى الاماكن التى تنسبها لها لجنة المدينة .

الملحق (ج)

منظـــومة

القيـــادة الروحية للمجاهدين



ملحوظات :

١ ـــ القيادة الروحية العليـــا للمجاهـــدين تكون برئاســـة شيخ الأزهر وعضوية عالم عامل من كل قطر عربى واسلامى .

وتضع هذه القيادة منهجا للمحاضرات التى تلقى على المجاهدين وتضع الخطوط العريضة لكل محاضرة .

٢ ـــ القيادة القطرية للمجاهدين تكون برئاسة مفتى القطر أو أكبر عالم عامل فيه .

٣ ـــ القيادة الروحية فى المدينة تكون برئاسة شيخ علماء تلك المدينة .

٤ ـــ القيادة الروحية الفرعية ينهض بهـا عالم القرية أو القصبة أو القضاء ، فاذا لم يتيسر فيمكن ايفاد عالم من المدينة .

٥ ـــ يجب أن يكون العالم العامل جاهزا للنهوض بأعباء الجهاد بنفسه وماله .



دار بيني وبين احد الملاحدة جدال طويل ، ملكت فيه نفسي واطلت صبري حتى القف آخر ما في جعبته من افك ، وادمغ بالحجة الساطعة كل ما يورد من شبهات ..

قال : اذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله ؟ قلت له : كأنك بهذا السؤال ، او بهذا الاعتراض تؤكد انه لا بد لكل شيء من خالق !! قال : لا تلفني في مغالطات ، اجب عن سؤالي ! قلت له : لا لف ولا دوران انك ترى ان العالم ليس له خالق ، اي ان وجوده من ذاته دون حاجة الى موجد ، فلماذا تقبل القول بان هذا العالم موجود من ذاته ازلا ، وتستغرب من أهل الدين ان يقولوا : ان الله الذي خلق العالم ليس لوجوده اول ؟ انها قضية واحدة ، فلم تصدق نفسك حين تقررها ؟ وتكذب غيرك حين يقررها ؟ واذا كنت ترى ان الها ليس له خالق خرافة ، فعالم ليس له خالق خرافة كذلك ، وفق المنطق الذي تسير عليه ..!!

قال : اننا نعيش في هذا العالم ونحس وجوده فلا نستطيع ان ننكره !

قلت له : ومن طالبك بانكار وجود العالم ؟ اننا عندما نركب عربة او باخرة او طائرة تنطلق بنا في طريق رهيب ، فسؤالنا ليس في وجود العربة ، وانما هو : هل تسير وحدها ام يسيرها قائد بصير ؟!

ومن ثم فانني اعود الى سؤالك الاول لاقول لك : انه مردود عليك ، فانا وانت معترفون بوجود قائم ، لا مجال لانكاره ، تزعم انت انه لا اول له بالنسبة الى المادة ، وارى انا انه لا اول له بالنسبة الى خالقها فاذا اردت ان تسخر من وجود لا اول له ، فاسخر من نفسك قبل ان تسخر من المتدينين ..!!!

قال : تعني ان الافتراض العقلي واحد بالنسبة الى الفريقين ؟ قلت :

انني استرسل معك لأكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الالحاد وحسب ، اما الافتراض العقلي فليس سواء بين المؤمنين والكافرين .. انني — انا وانت — ننظر الى قصر قائم ، قارى — بعد نظرة خبيرة — ان مهندسا اقامه ، وترى انت ان خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت في مواضعها وتهيأت لساكنيها من تلقاء نفسها ..!

الفارق بين نظرتينا الى الأمور انني وجدت قمرا صناعيا يدور في الفضاء ، فقلت انت انطلق وحده دونما اشراف او توجيه ، وقلت انا : بل اطلقه عقل مشرف مدبر ..!

ان الافتراض العقلى ليس سواء ، انه بالنسبة الى الحق الذى لا محيص عنه ، وبالنسبة اليك الباطل الذى لا شك فيه ، وان كان كفار عصرنا مهرة فى شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة ، فى الوقت الذى يصفون انفسهم بالذكاء والتقدم والعبقرية .. اننا نعيش فوق أرض مفروشة ، وتحت سماء مبنية ، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم ، وبهذا العقل ننظر ، ونستنتج ، ونناقش ، ونعتقد .

وبهذا العقل نرفض التقليد الغبى كما نرفض الدعاوى الفارغة .

واذا كان الناس يهزءون بالرجعيين عبيد الماضى ويتندرون بتحجرهم الفكرى ، فلا عليهم أن يهزؤا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل ، ويدوسون منطق العلم باسم العلم وهم للاسف جمهرة الملاحدة ..!!

لكنا نحن المسلمين نبنى ايماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية ، ونستقرىء آيات الوجود الاعلى من جولان الفكر الانسانى فى نواحى الكون كله .

فى صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرآن الكريم وجدت تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة فى سلم الصعود .

هذه الصورة هى صورة الرمز ، وأول صورة تطالعك هى اعلاء شأن العلم ، والغض من أقدار الجاهلين « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب » .

ثم تجىء الصورة الثانية لتبين أن المسلم ليس عبد فكرة ثابتة ، أو عادة حاكمة بل هو انسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الاوثق والأزكى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

ثم يطرد ذكر أولى الألباب للمرة الثالثة فى ذات السياق على أنهم أهل النظر فى ملكوت الله ، الذين يدرسون قصة الحياة فى مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق الى الخالق « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب » .

وظاهر من الصور الثلاث فى تلك الصفحة من الوحى الخاتم أن الايمان مبتوت الصلة بالتقليد الأعمى أو النظر القاصر أو الفكر البليد .

انه يلحظ ابداع الخالق فى الزروع والزهور والثمار ، وكيف ينفلــق الحمأ المسنون عن الوان زاهيــة أو شاحبة توزعت على أوراق وأكمام حافلة بالروح والريحان ثم كيـف يحصد ذلك كله ليكون اكسية وأغذية للناس والحيوان ، ثم كيف يعــود الحطام والقمام مرة أخرى زرعــا جديد الجمال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق ! من صنع ذلك كله ؟

قال صاحبى ـــ وكأنه سكران يهذى ـــ الأرض صنعت ذلك !!

قلت : الارض امرت السحاب أن يهمى ، والشمس أن تشع ، وورق الشجر أن يختزن الكربون ويطـرد الاوكسجين ، والحبوب أن تمتلـىء بالدهن والسكر والعطر والنشا ؟؟

قال : أتقصد الطبيعة كلها فـى الأرض والسماء !

قلت : ان طبق الأرز فى غدائك أو عشائك تعاونت الأرض والسماء وما بينهما على صنع كل حبة فيه ، فما دور كل عنصر فى هذا الخلق ؟ ومن المسئول عن جعل التفاح حلوا والفلفل حريفا أهو تراب الأرض أم ماء السماء ؟

قال : لا اعرف ولا قيمة لهـــذه المعرفة !!

قلت : الا تعرف أن ذلك يحتــاج الى عقل مدبر ، ومشيئة تصنــف ؟ فأين ترى العقل الذى أنشأ ، والارادة التى نوعت ، فى أكوام السباخ أو فى حزم الاشعة ؟؟

قال : ان العالم وجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء ، ولا نعــرف الأصل ولا التفاصيل !!

قلت له : اشرح لكم ما تقولون ! تقولون : انه كان فى قديم الزمــان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب فى أجواز الفضاء ، ثم مع طول المدة وكثـرة التلاقى سنحت فرصة فريدة لـــن تتكرر أبد الدهر ، فنشأت الخليــة الحية فى شكلها البدائى ثم شرعــت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى !!

هذا هو الجهل الذى اسميتموه علما ، ولم تستحوا من مكابرة الدنيا به !!

أعمال حسابية معقــدة تقولون : إنها حلت تلقائيا ، وكائنات دقيقــة وجليلة تزعمون انها ظفرت بالحيــاة فى فرصة سنحت ولن تعود !! وذلك كله فرارا من الايمان بالله الكبير !!

قال : ـــ وهو ساخط ـــ افلو كان هناك الله كما تقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسى والآلام ، ونرى ثـراء يمرح فيه الاغبياء وضيقا يحتبس فيه الأذكياء ، وأطفالا لا يمرضــون ويموتون ، ومشــوهين يحيــون منغصين .. الخ .

قلت : لقد صدق فيكم ظنى ، أن الحادكم يرجع الى مشكلات نفسية واجتماعية أكثر مما يعود الى قضايا عقلية مهمة !! ويوجد منذ عهد بعيد من يؤمنون ويكفرون وفق ما يصيبهم من عسر ويسر « ومن الناس مــن يعبد الله على حرف ، فان أصابــه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنــة انقلب علــى وجهه خسر الدنيــا والآخرة » .

قال : لسنا انانيين كما تصــف نغضب لأنفسنا او نرضى لأنفسنا ، اننا نستعرض احوال البشر كافـة ثم نصدر حكمنا الذى ترفضه ..

قلت : آفتكم أنكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا ووظيفة البشر فيها انها معبر مؤقت الى مستقر دائم ، ولكى يجوز الانسان هذا المعبر الى احدى خاتمتيه لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه ويهذب طباعه ، وهذا الابتلاء فنون شتى ، وعندما ينجح المؤمنون فى التقلب على العقبات التى ملأت طريقهم ، وتبقى صلتهم بالله واضحة مهما ترادفت البأساء والضراء فانهم يعودون الى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم «ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون »

قال : وما ضرورة هذا الابتلاء ؟

قلت : ان المرء يسهر الليالى فى تحصيل العلم ، ويتصبب جبينه عرقا ليحصل على الراحة ، وما يسند منصب كبير الا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب ، فان كان ذلك هو القانون السائد فى الحياة القصيرة التى تحياها على ظهر الأرض فأى غرابة أن يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب ؟

قال : ــ مستهزئا ــ اهذه فلسفتكم فى تسويغ المآسى التى تخالط حياة الخلق ، وتصبير الجماهير عليها ؟

قلت : سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور ، أن هذه الآلام قسمان : قسم منقدر الله فى هذه الدنيا ، لا تقوم الحياة الا به ، ولا تنضج رسالة الانسان الا على حره ، فالأمر كما يقول الأستاذ العقاد « تكافل بين أجزاء الوجود ، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها . وقد يطرد هذا القول فى لذاتنا المحسوسة كما يطرد فى فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية اذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع ، ولا نستمتع بالرى ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح . . »

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ينضم اليه أن الله جل شأنه يختبر كل امرىء بما يناسب جبلته وبوائم نفسه وبيئته ، وما أبعد الفروق بين انسان وانسان ، وقد يصرخ انسان مما لا يكترث به آخر ، ولله فى خلقه شئون ، والمهم أن أحداث الحياة الخاصة والعامة محكومة باطار شامل من العدالة الالهية التى ريب فيها الا أن هذه العدالة كما يقول الاستاذ العقاد « لا تحيط بها النظرة الواحدة الى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والاحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل فى تصريف الارادة الالاهية ، أن البقعة السوداء فى الصورة الجميلة وصمة تبيحة اذا حجبنا الصورة ونظرنا الى تلك البقعة بمعزل عنها ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونا من الوانها التى لا غنى عنها أو التى تضيف مزيدا الى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها ، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يصيبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته » .

تلك هى النظرة الصحيحة الى المتاعب الغير الارادية التى يتعرض لها الخلق .

أما القسم الثانى من الشرور التى تشكو منها يا صاحبى فمحوره

خطؤك أنت وأشباهك من المنحرفين.
قال مستنكرا : أنا وأشباهي لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى ! فكيف تتهمنا ؟

قلت : بل أنتم مسئولون ، فان الله وضع للعالم نظاما جيدا يكفل له سعادته ، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره ، وحذر من اتباع الاهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود . ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

« فاذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم اذا حصدوا المر من آثامهم ؟

ان أغلب ما أحدق بالعالم من شرور يرجع الى شروده عن الصراط المستقيم ، وفي هذا يقول الله جل شأنه « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

ان الصديق رضي الله عنه جرد جيشا لقتال مانعي الزكاة ، وبهذا المسلك الراشد أقر الحقوق وكبح الأثرة ونفذ الاسلام فاذا تولى غيره فلم يتأس به في صنيعه كان الواجب على النقاد أن يلوموه لا أن يلوموا الاقدار التي ملأت الحياة بالبؤس !

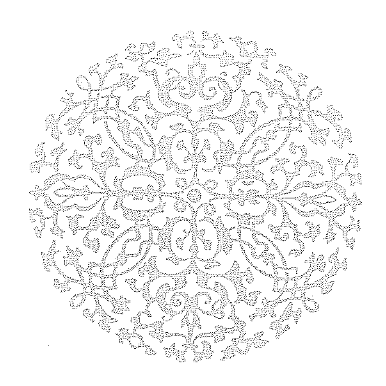
قال : ماذا تعني ؟

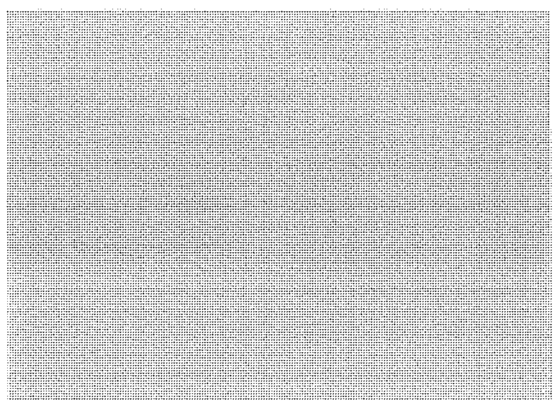
قلت : أعني أن شرائع الله كافية لاراحة الجماهير ، ولكنكم بدل أن تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهمتم دينه وفعله !!

ومن خسة بعض الناس أن يلعن السماء اذا فسدت الأرض !!

وبدلا من أن يقوم بواجبه في تغيير الفوضى واقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين . . !!

انكم معشر الماديين مرضى ، تحتاج ضمائركم وأفكاركم الى علاج بعد علاج . . وعدت الى نفسي بعد هذا الحوار الجاد أسألها : ان الامراض توشك أن تتحول الى وباء ، فهل لدينا من يأسو الجراح ويشفي السقام أو أن الأزمة في الدعاة المسلمين ستظل خانقة ؟؟





فلينظر الإنسان مم خلق

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور/محمد سلام مدكور
رئيس قسم الشريعة الاسلامية ــ كلية الحقوق جامعة القاهرة

أبدأ الكتابة فى هذه المجلة بما ينبغى أن يبدأ به كل مؤمن داع الى الايمان ، وهو بالتوجيه الى العقيدة ودين الحق تثبيتا للايمان فى نفس المؤمن ، ونزعا للزيغ ممن تراوده الشكوك ، واضاءة لمعالم الحقيقة لهداية الضال ، ووجدت أن خير ما يهدى الى ذلك ويبصر به هو أن ينظر الانسان الى نفسه من خلقه ليتعرف على أصله ، ثم يتخذ له من ذلك عبرة ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وتذكرت توجيه الله سبحانه لخلقه بقوله «وفى انفسكم افلا تبصرون» وبقوله « **فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر** » ويقول جل شأنه « **يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث** » وقد تضطرنى هذه النظرة الى أن أبحث عن بدء التكوين الجنينى ، وأن أمر بالاطوار التى مر بها الجنين فى ضوء ما جاء فى القرآن والسنة مقارنا ذلك بما أثبته علم الأجنة ، وعلم التشريح ،

وقد يجرنا الكلام فى هذا الى الكلام عن الصلة الوثيقة التى بين الانسان وبين أمه الأرض ، فان من تأمل فى الارض وأسرارها ومحتوياتها ، وربط بينها وبين طبيعة الانسان وصفاته ، وجد أن هناك توافقا عجيبا بين مواهب الارض ومواهب الانسان ، فهما كالسالب والموجب ، فاذا لم يتفاعل الانسان بمواهبه مع مواهب الأرض تعطلت قواها ، وفى الآية الكريمة التى يصور الله فيها دعوة صالح لقومه الى عبادة الله عز وجل فيما يحكى الله عنه بقوله « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها » ففى هذه الآية أشارة الى ذلك الارتباط بين الانسان وأصله فى الأرض ، فالانسان ناشىء من الأرض فى خلقته الأولى هو متغذ من الأرض بما يأكل من خيراتها ومزروعاتها ، ومن الحيوان الذى نشأ ونما من تلك المزروعات .

ومع أن الانسان من هذه الأرض فقد ميزه الله عن كل ما فيها بأن جعله خليفة فى الأرض ، ومسيطرا على جميع عناصرها لتتحقق بذلك عمارتها ، وتمتد شئون الحياة فيها الى أجل مسمى عنده ، فخضعت له بما فيها طوعا أو كرها بتوجيه من الله ، واستخلافه للانسان فى عمارة الأرض ، وبالتأمل يبدو أن سر هذه الخلافة الانسانية ، وتمكين الانسان من السيطرة على غيره من الكائنات فى هذا الكوكب المعمور هو انفراد البشر بعنصر الانسانية التى هى أمر زائد على طبيعته الحيوانية التى هى الجزء المادى فى مفهوم الانسان ، وهذه الانسانية هى التى توصله الى التعرف على ما فى الكون من عجائب وأسرار وتمكنه من التعرف على خالقه .

فالانسان فى مادته تركيب مادى ككل كائن حيوانى ، وفى انسانيته طاقة من نوع أرقى هى الروح التى هى قوام قواه المعنوية ، وقد حدثنا القرآن بذلك أصدق حديث فى آيات عدة تتمثل فيما جاء فى قول الله تعالى « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » .

والواقع أن الخلق الأول الذى يدخل فيما تدل عليه الآية الكريمة : «أفعيينا بالخلق الاول» هو مبدأ خلق الانسان الذى لا يسير فى نظام التطوير الذى جرت عليه سنة خلق الانسان بعد ذلك ، وهو ذلك البدء البديع الذى امتن الله بذكره فى عدة مناسبات ، كما تضمنت جملة من الآيات الاشارة الى ما فى ذلك الانسان من الناحيتين المادية والروحية والتنويه بشأنها تنويها ينم على ما فى الانسان من عظمة وما له من مكانة ممتازة بين المخلوقات وخاصة بما حباه الله من تلك النفحة الربانية بتلك النفحة الروحية ، فهى التى جعلت منه انسانا له ذلك الامتياز وتلك السيطرة العظيمة .

ولقد أمر الله الانسان باعمال الناحيتين وقضاء الحقين : حق الجسد وحق الروح اذ يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك » وفى هذا التوجيه الكريم يتمثل اعتدال المنهج الالهى القويم الذى يعلق قلب الانسان بآخرته ويجعله يستقبل الموت بنفس راضية مطمئنة ، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع قضاء لحقه المادى بل يحضه على ذلك ويكلفه اياه تكليفا حتى لا يتزهد فى الدنيا الزهد الذى يهمل به الحياة ويعرض عن شئونها .

وفي الحق ان ذلك الاتجاه الروحي متمثلا في عبادة الله سبحانه نتيجة اتجاه فكري وجداني عميق الى غاية روحية خالصة ولا يتمكن من الوصول اليها من جهل حقيقة الكون الـذى يعيش فيه . فكان هذا النص الكريم المعجز : «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» « فلينظر الانسان مم خلق » موجهـا النفوس الانسانية الى النظر في آيات الله والتبصر بما فيها من عبر ومعارف توقف الانسان عند حده وترده الى وضعه ومرتبته .

ومن تأمل في الانسان وتركيبـه ووظائفه ومواهبه أدهشه ذلك الصنع البديع صنع الله الذى أتقن كل شيء ودله من الطريق المباشر على عظمة الخالق القدير وانه قادر على بعثـه بعد الموت ، كما تجلت قدرتـه في خلقه وايجاده وهذا قول الله جـل شأنه : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث ، فانا خلقناكـم مـن تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجـل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغـوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا » على أن كل هذه المعاني التي يدركها الانسان في نفسه وفيما يحف به من آيات الـكون ان هي الا وشل في محيط وغيض من فيض وجزيرة صغيرة في بحر لا نهاية له حيال تلك الآيات ووجاه تلك المعلومات التي استأثر بها خالق ذلك الـكون الباهر العجيب ، وما كـان للبشرية أن تلمس هذه الحقائق التي أشـار اليها القرآن عن خلق الانسان ومراحل تطور الجنين لولا اختـراع الجاهر (الميكروسكوبات) منذ ثلاثة قرون ، ولولا ظهور عـلم التشريح وعـلم الأجنـة .

فهل يعقل مع هذا من يشك في عبوديته لله والايمان برسالتـه ؟ والا فمن أين هذا الاخبار الصـادق الذى يصور في دقة مذهلة مراحل تكوين الجنين وهو أمر خفي يحيط به الغموض من كل جانب « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعـد خلق في ظلمات ثلاث » هي المشيمة داخـل الرحم ، والرحم داخل البطن ، والبطن التي هي من جسم الأم ، لا ينفذ الى الجنين منها ضوء ولا ماء ولا هواء ، ولو وصل اليه شيء من هذا الأنهى عليـه وأودى بحيـاته ، سبحـانك ربي فأنت القادر الخالق المصـور فأنت العليم البصير منك البدء واليك المصير .

وكثيرا ما دفع التخبط والحيرة في أمر خلق الانسان وتطور مراحلـه جنينا البعض قديمـا الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خـلق الحياة فرأى فريق من العلمـاء أن المادة الحية (البروتوبلازم) لا تخضع في تفاعلهـا للقـوانين العاديـة والرياضية الثابتـة ولكنها تتم بتدخل قوى خارجية غير عادية لها هـدف معلوم وسياسة مرسومة لاحـداث هذه التفاعلات يوضح ذلـك ما قاله اخناتون فرعون مصر الـذى وجه الناس الى دين الله ، وبين لهم ما في خلق الانسان وتكوينه من دقـة تدل على الخالق وقدرته .. يا مانحـا الحياة للصغير في بطن أمه متوليـا شئونه في الرحم ، انك تمنح القدرة على التنفس كي يبقى كل من تخلقه

حيا لحين خروجه من الرحم ، وهذا ارسطو الفيلسوف المتقدم فى العصور المتقدمة ينتهي من دراسته لبيضة الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الفرخ الى أن هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية لتحقيق أغراض خاصة وهكذا حتى يكتشف أحد العلماء فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى سنة ١٨٣٨ على وجه التحديد ان الكائنات الحية تتكون من خلايا ، وأن البيضة والحيوان المنوى خليتان مستقلتان .

وهو ما يتفق مع قول الله سبحانه : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . . » أى من بين صلب الرجل وترائب المرأة أى عظمتى الصدر المتصلتين بالمبايض التى تفرز البويضة التى يتم تلقيحها بالحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل والبينية فى الآية تشير الى أن الجنين يتكون من مجموع هذين الأمرين أى من النطفة الممتزجة التى يعبر عنها فى الطب الحديث (بالبويضة الملقحة) .

حقا وصدقا ، وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن الذين جحدوا به كذبوا بما لم يحيطوا به علما ولما يأتهم تأويله . فآيات الأجنة فى القرآن من أهم الأدلة التى تثبت معجزة القرآن العلمية ، فان العلم لم يصل الى الحقائق التى جاء بها القرآن الا فى قرون متأخرة وها هو العلم فى العصور المتأخرة يقرر أن الجنين عند اكتمال نموه يكون محاطا بثلاثة أغشية صماء ــ كما قلنا ــ لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة ، وهكذا بالنسبة لترتيب خلق الحواس ، وبصمات الأصابع التى يشير اليها قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » وقوله جل شأنه « . . شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . . » . .

تخيرت أن أكتب أول ما أكتب لقراء هذه المجلة فى الآيات النفسية متلمسا ما فيها من متع روحية ، والمتع الروحية أسمى وأفضل من كل متع الحياة، وانها خير علاج وأنجع دواء، فحياة الانسان تبدأ قبل بروزه على وجه الارض بالاستكنان فى بطن أمه ، ويختمها برحلة الاستكنان فى بطن الأرض ، والذى بينهما هو مرحلة السفر الى المقر الأخير والمنتهى عند السميع البصير كما فهم ذلك الفلاسفة ، ونوه به الامام الغزالى .

وقد أعطى كثير من الباحثين فى مختلف العصور حياة الانسان على ظهور الارض اهتمامهم فكتبوا فى ذلك كثيرا ، كما أعطوا مرحلة النهاية من بدئها الى ما شاء الله قسطا غير قليل أيضا ، أما المرحلة الأولى والانسان جنين فى بطن أمه فهى التى رغبت فى أن أتكلم عنها لما تؤدى اليه معرفتها من ايمان بالله صادق ويقين ثابت انه الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وان من تأمل أطوار الجنين العجيبة وترتب كل منها على ما قبله تأملا صادقا كان جديرا أن يكفر بطاغوت الماديين وما يقول به الجاحدون الملحدون . .

والكلام عن خلق الانسان فى بطن أمه أمر قريب بعيد : قريب للامسته لنا فى أقرب شئوننا وفى حركتنا وسكوننا فهذا الانسان بدأ من نطفة خرجت نتيجة الشهوة التى ركبها

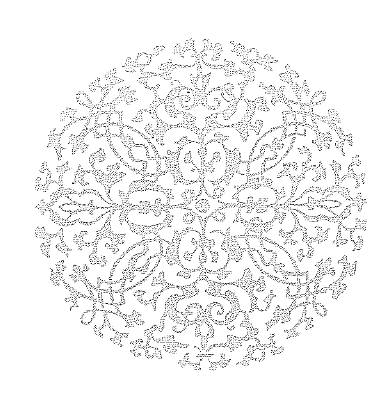
الله فى الانســـــان فكان الوجود الانسانى ، وانتشر عـــلى الارض يديرها ويعمرها ويصرف شئونهــا بأمر الله ، وبعيد لغفلة الناس عــن تدبره والنظر فيه واغفالهم لما فيــه من عبر وعجائب تخر لهــا جبـــاه الفلاسـفة والعلماء والباحثين ، وهو حرى أن يكون موضع النظر فهــو مما يكلف الناظر طاقة ومجهودا ، وهو مما يملأ نفسه بالعلم والحكمة ، ويدل على نفسه وربـه .

والحق ان نظرة الانســـــان الى نفســه تتشعب فى جهات عدة ، ونواح مختلفة ترجع الى ذاته وما يقوم بــه من اعراض وصفات كل ما فيها يدل على الله ، وترشد الى مافيه من عظمة وقدرة وهو فى حقيقته حقل للنظــر والتجارب التى يعرف بها الفرق بين المخلوق والخالق ، والكشف عن هذه الحقائق وتصويرها للناس خير هاد ومرشد للحق وموجه للايمان الكامل بالله واليوم الآخر ، ومتى اكتمـــل الايمان باللـــــه فى نفوس الأفراد والجماعات صلح أمرهـــم ، وقويت هممهم وعلا شأنهم ، وزالت معــالم الجريمة من بينهم واصبح المجتمــع نقيا طاهرا .

والانسان متى آمن كان حريا أن ينأى عن الشرور والآثام وأن يقبــل على الخير ويبادر الى الطاعـــات ويستفيد من دنياه لأخراه ، فالفضائل الاجتماعية غالبا ما تكون من آثــار الايمان بالله والبعث اذ القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الحياة ولا تقهرها الرجال ولا تمنعها الحوائل ، وهــو السبيل الى التماسك بين الآخذيــن بحبــله لأنه يؤلف القلوب على الخير ويجمعها على البر ، وما أحوجنا فى مجتمعنا الى هذا .

والايمان حقا هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالــة ، ومنار السالكين الحائرين ، وأمــان الخائفين وناصر المجاهدين فهو المعين الفياض الذى تستمد منـــه الارادة القوية سر قوتها لأنه الأساس لجميع الفضائل ...

والى لقاء آخر فى نفس الموضوع .



٢

مبادئ المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي

للدكتور
وهبة الزحيلي

وهناك مبادىء كثيرة أيضا تستقل بالمسئولية الجنائية بالاضافة الى بعض المبادىء السابقة المشتركة بين نوعي المسئوليتين : المدنية والجنائية ، وأهم هذه المبادىء ما يأتي :

أولا — لا يطل دم الا بحق :

اي أنه لا يستباح ولا يهدر دم انسان الا بحق شرعي ثابت ، لأن اهدار الدماء بغير حق عدوان أثيم على افراد البشرية ، لذا حدد الاسلام بكل وضوح الاشخاص الذين يجوز قتلهم قصدا وهم كأصل عام ثلاثة . روى الجماعة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » فدل هذا الحديث على أنه لا يحل اراقة الدم عمدا الا اذا كان الزاني محصنا (أي متزوجا) فيرجم بالحجارة ، أو كان قاتلا عمدا عدوانا ، أو مرتدا عن الاسلام بأي ردة كانت — والعياذ بالله — .

وهذا الحصر الوارد في الحديث لا يمنع من اقرار مشروعية قتال الأعداء والصوال (أي العادين على الناس) والبغاة (أي الثوار بتأويل

حق أو ولاية) ، لأن قتلهم ليس قصدا وانما لدفع شرهم وعدوانهم ، وذلك بأدلة شرعية أخرى ، لذا اقرت جميع الشرائع مبدا الحرب الدفاعية ، والدفاع الشرعي .

وقد عظم الاسلام شأن الدماء ، فقال تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض ، فكأنما قتل الناس جميعا » وقال صلى الله عليه وسلم : « قتل المؤمن أعظم عند الله تعالى من زوال الدنيا » « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » وأوصى سيدنا على فى كتابه للأشتر النخعى فقال : « اياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة : من سفك الدماء بغير حقها .. » .

وقال فقهاء الحنابلة : « الأصل فى الدماء الحظر الا بيقين الاباحة » وقال الحنفية : « الآدمى معصوم ليتمكن من حمل أعباء التكاليف ، واباحة القتل عارض سمح به لدفع شره » وقال الامام مالك : « لا ينبغى لمسلم أن يهريق دمه الا فى حق ، ولا يهريق دما الا بحق » .

ثانيا — لا يسأل احد عن جريرة احد :

أى أن العقاب فى الاسلام أمر شخصى لصيق بالجانى نفسه ، فلا يتحمل مسئولية الجناية غير الجانى ، هذا هو مبدأ المسئولية الشخصية الجزائية ، وبه هدمت الشريعة نظام الجاهلية فى أمر القتل الذى كان يعتبر جميع أفراد القبيلة مسئولين عن جناية الواحد منها ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر ... » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ، ولا بجريرة أخيه » وقال لأبى رمثة وابنه : « انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » وقال أيضا : « لا تجنى نفس على أخرى » .

وهو مبدأ عام فى كل أنواع العقوبات الشرعية ، أما نظام العاقلة الذى كان يقضى بتحمل عصبة القاتل قتلا غير عمد دية المقتول ، فهذا أمر استثنائى اقر به الاسلام النظام العربى المتبع فى الجاهلية حينما كانت رابطة القبيلة فيما بين أفرادها تقوم على أساس التناصر والتعاون ، فالقاتل لم يقترف جريمة القتل الا باعتماده على قوة أسرته أو قبيلته التى ينتمى اليها ، فكأن الجريمة منسوبة ضمنا الى كل فرد من أفراد العاقلة .

ومع ذلك فان الجانى اليوم هو الذى يتحمل وحده فى ماله الخاص دية القتيل ، لزوال نظام العشيرة وتفكك الأسرة ، وفقدان معنى التناصر بين أفرادها ، قال فى الدر المختار ورد المحتار : « اذا لم يكن للقاتل عاقلة ، فالدية فى بيت المال ، لأن جماعة المسلمين هم أهل نصرته ، وبما أن العشائر قد وهت ، ورحمة التناصر بينهم قد رفعت ، وبيت المال قد انهدم ، فتعين أن تكون الدية فى مال الجانى » .

ثالثا — الشريعة أساس الحكم على الجريمة والعقاب :

ان المبدأ السائد فى القوانين الوضيعة الجزائية هو « لا جريمة ولا عقوبة الا بالنص » وذلك لحماية حقوق الأفراد وحريتهم فى أفعالهم وتصرفاتهم ، الا أن الفقه والقضاء الحديث اتجه الى ضرورة التخفيف من حدة هذا المبدأ وتوسيع سلطة القاضى فى تقدير العقوبة أو ايقاف تنفيذها أحيانا ، منعا من جمود

التشريع الجنائى وتخلفه عن مسايرة التطورات الحديثة .

وقد اتهمت الشريعة الاسلامية جهلا وغلطا بأنها تترك أمر التجريم والعقاب مطلقا للقاضى ، ومنشأ هذا الظن الآثم عدم وجود تقنين خاص بالجرائم والعقوبات عند المسلمين .

لكن عدم وجود تقنين بالمعنى الضيق لا يعنى أن القاضى حر التصرف من حيث المبدأ فى التجريم والعقوبة ، وانما هو مقيد بأحكام الشريعة وبما تضعه الدولة له من نظام يسير عليه ، فلا مانع فى الاسلام من وضع تقنين خاص بالعقوبات ، لأن الامام أو الحاكم الأعلى مفوض اليه أصل فكرة العقوبة التعزيرية ، كما هو الحال فى حق كل دولة بأن تضع ما تشاء من الأنظمة والقوانين الداخلية ، فهو أصل دستورى فى الاسلام وغيره ، لا ينافى تقدير العقوبة وتجريم الفعل بقانون خاص يلتزمه القضاة ، والدولة مقيدة فى ذلك بما يحقق الصالح العام ومقتضيات الزمان وتطور الأحداث .

والقاضى له سلطة تقديرية فقط فى تطبيق المبدأ أو القانون المتبع حسبما يرى ملائما لظروف الجريمة والجانى ، وذلك فى غير دائرة القصاص والحدود (أى العقوبات الشرعية المقدرة نصا فى القرآن أو السنة) ومن المعلوم أن فى الشريعة بيانا كافيا لشؤون الحرام : وهو كل ما يصادم المبادىء الأساسية الكلية : وهى الدين الحق ، والنفس والعرض والعقل والمال . وهذا الاجمال أبانه الفقهاء فى كتبهم ووضعوا للقاضى وغيره تصنيفات متعددة بالجرائم والعقوبات ، وعلى كل مسلم ومسلمة كواجب دينى تعلم ومعرفة كل ماله صلة بالحلال والحرام ، حتى لا يفاجأ أحد بعقاب صاحب السلطة المنفذ لأحكام الشريعة ، ولا يحق للقاضى بعدئذ أن يجرم فعلا أو يعاقب بعقاب لا تألفه الشريعة ولا يعرفه الناس .

بل ان فقهاءنا سبقوا القانونيين الى معرفة قاعدة « لا جريمة ولا عقوبة الا بنص » فقرروا القاعدتين التاليتين :

١ — « لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص » .

٢ — «الأصل فى الأشياء الاباحة»

ومصدر هاتين القاعدتين قول الله تعالى : « وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقوله سبحانه : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وقوله عز وجل : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فهذه النصوص القرآنية قاطعة بأن لا جريمة الا بعد بيان ، ولا عقوبة الا بعد انذار . وصرح علماء الأصول من الحنفية بأنه لا يجوز القياس فى الحدود والمقدرات الشرعية .

والخلاصة أن الشريعة تلتقى مع القوانين فى بيان واحترام مبدأ قانونية أو شرعية الجرائم والعقوبات كل ما فى الأمر أن القانون حدد ذلك بمجموعة قانونية خاصة ، وأما الشريعة فيمكن معرفة الجريمة والعقاب فيها اما فى القرآن أو فى السنة النبوية ، أو باجماع المجتهدين أو فتاويهم ، وهذا لا يحتاج الا الى تنظيم وتصنيف لا مانع منه فى الاسلام كما عرفنا .

والعقوبات كما هو معروف نوعان : مقدرة وغير مقدرة ، فالأولى هى الحدود والقصاص والثانية هى التعزيرات ، والتفويض فى شأنها للدولة كأصل دستورى عام ، والقاضى ملتزم بما يأمره به الحاكم الأعلى المقيد بأوامر الشرع ونواهيه والسلطة الممنوحة للقاضى محصورة فى شأن

التطبيق فقط ، فيصدر حكمه الجزائي بحسب ظروف الجاني وطبيعة الجريمة . وبذلك فان الشريعة الاسلامية تكون قد ابتدأت في العقوبات التعزيرية بما انتهت اليه القوانين الحديثة .

رابعا ـ الحاكم هو الذي يتولى تطبيق العقاب الجنائي :

ان الحاكم أو نائبه هو الذي يختص بتطبيق العقوبات ، سواء أكانت مقدرة أم غير مقدرة ، حفظا للنظام ، ومنعا من الفوضى ، ودرءا للفساد ، وانتشار المنازعات بين الناس ، قال الكاساني صاحب البدائع : يقيم الحد الامام أو من ولاه الامام . وقال الماوردي : « مما يلزم الحاكم من الأمور العامة : اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك » وقال الدردير المالكي : « لا يجوز لأحد تأديب أحد الا الامام أو نائبه ... أو الزوج لنشوز زوجته أو تركها نحو الصلاة اذا لم ترفع للامام ، أو الوالد لولده الصغير ، أو معلما » وقال المحب الطبري « وعلى الغاصب التعزير لحق الله تعالى ، واستيفاؤه للامام » وقال العز بن عبد السلام : «لا يستوفي أحد حق نفسه بالضرب»

فهذه العبائر تدل على أن العقاب يطبقه الحاكم ، ولا يجوز لانسان لا سلطة عامة شرعية له أن يمارسه ، بدون اشراف الحاكم ، لذا فان عادة الأخذ بالثأر حرام ابطلها الاسلام ، اذ لا فائدة منها سوى توسيع دائرة القتل ، وتوالي الويلات والجرائم ، وتوليد الأحقاد ، واثارة العداوات التي لا تكاد تنتهي ، فيفشو وباء اراقة الدماء في المجتمع ، ويصبح الأمن العام مهددا بالأخطار ، لذا قال تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » .

واذا كانت الشريعة تجعل حق القصاص لولي الدم : وهو وارث القتيل ، بأن تفوض له تنفيذ القتل ، فان ذلك مشروط بأن يكون تحت اشراف الحاكم الذي يتولى اثبات الجريمة واصدار الحكم الجزائي بشأنها حسما للفوضى والنزاع . وهذا التدبير لا ضرر فيه على الجاني ما دام الجلاد أو غيره سيقتله ، بل انه أشفى لألم المصاب ، وقد يكون ادعى لرحمته وعفوه عن القاتل حينما يراه تحت سلطته ، ويقتصر حينئذ على الحق العام وهو تعزير الجاني بالحبس ونحوه بما يراه القاضي زاجرا له ولأمثاله ، كما سنبين .

خامسا ـ تكافؤ الدماء والمساواة في العقوبات :

الناس جميعا في تقدير الشريعة متساوون في الحقوق والواجبات ، وفي الحدود وسائر العقوبات وفي تكافؤ الفرص ، لا فرق بين غني وفقير ، وشريف ووضيع ، وحاكم ومحكوم ، وسيد ومسود ، والدماء متساوية بين السليم والمريض والعالم والجاهل ، والعاقل والمجنون والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، والمسلم والمواطن المعاهد ، والجماعة والواحد ، فاذا اعتدى واحد على آخر ، فقتله ، اقتص منه تحت رقابة ولي الأمر ، دون تفرقة في الجنس أو الجنسية أو العنصر والعرق ، أو اللون أو الدين . والمساواة لازمة أيضا بين الجريمة والعقاب حفاظا على أمن المجتمع والجماعة ، والفرد والأسرة ، وتحقيقا لأصول الحرية ، وصونا للكرامة الانسانية . لذا قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا

كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .. » ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ... » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ... » وقال بشأن الشفاعة فى فاطمة المرأة المخزومية التى سرقت : « انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » . وقال فى آخر حياته الشريفة : « الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » أى فليقتص منه .

وقال ابو بكر لرجل شكا اليه عاملا قطع يده ظلما : « لئن كنت صادقا لأقيد بك منه » أى لأقتص لك منه . وثبت أن عمر قال : « انى لم أبعث عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فعل به ذلك فليرفعه الى أقصه منه .. » وقال عمر أيضا فى كتابه الى سعد ابن أبى وقاص : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

سادسا ــ القصاص لا يتجزأ :

يعنى أن القصاص أو عقوبة الاعدام لا يقبل بطبيعته التجزئة ، فلا يمكن استيفاء بعض القصاص دون بعض اذ أن القضية اما موت أو حياة ، فاما أن يطبق اذا لم يكن هناك مانع شرعى من تطبيقه ولو اشترك فى الجريمة أكثر من واحد ، واما الا يطبق .

فاذا ثبت حق القصاص لجماعة ، فهو حق كامل يستقل به كل واحد منهم بالمطالبة به ، لنشوئه عن سبب لا يتجزأ ، وبناء عليه قال أبو حنيفة والمالكية : يحق لورثة القتيل الكبار طلب القصاص دون انتظار كبر الصغير ، وصحو المجنون ، بدليل قول سيدنا على لابنه الحسن عندما ضربه ابن ملجم أخزاه الله : ان شئت فاقتله ، وان شئت فاعف عنه ، وأن تعفو خير لك ، فقتله الحسن ، وكان فى ورثة على صغار السن .

وخالف فى ذلك الشافعية والحنابلة وصاحبا أبى حنيفة فقالوا : لا يجوز لبعض ورثة القتيل استيفاء القصاص الا باذن الباقين ، فان كان أحدهم غائبا أو صغيرا أو مجنونا ينتظر قدومه أو بلوغه أو افاقته ، لأن القصاص حق مشترك بينهم .

ومن أمثلة هذه القاعدة أيضا : لو عفا أحد الورثة المستحقين للقصاص ، حتى ولو كان زوجا أو زوجة ، صح عفوه ، وسقط القصاص فى قول أكثر العلماء منهم أئمة المذاهب الأربعة ، لأن العفو عن القاتل أورث شبهة فى الاستحقاق ، والقصاص لا يستوفى مع الشبهة ، ولأن العفو أسقط نصيب العافى ، فيسقط نصيب الآخر ، لعدم امكان تجزئة القصاص .

واذا اشترك اثنان فأكثر فى قتل شخص ، يقتلون جميعا باتفاق المذاهب الاربعة ، لأن زهوق الروح لا يتجزأ ، ولا يمكن قسمته بين الجناة الشركاء فى الجناية ، واشتراك الجماعة فى أمر لا يتجزأ ، يوجب عقابا كاملا فى حق كل منهم ، كأنه لا يشاركه فيه غيره ، وهذا الحكم

ثبت باجماع الصحابة ، لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل سبعة أنفس من أهل صنعاء قتلوا رجلاً ، وقال : « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا » .

واذا اشترك اثنان فى قتل رجل : أحدهما ممن يجب عليه القصاص لو كان منفردا بالجريمة ، والآخر لا يجب عليه لقصور أهليته أو خطئه أو لكونه والدا للمجنى عليه ، أو لأنه غير انسان ، فلا يقتص فى مذهب الحنفية والحنابلة من الأول ، مثاله اشتراك صبى مع بالغ ، ومجنون مع عاقل ، وخاطىء مع عامد فى قتل شخص ، أو اشتراك والد مع آخر اجنبى فى قتل الابن ، أو اشتراك رجل مع سبع أو حية فى اماتة انسان ، فلا قصاص لوجود الشبهة فى فعل الأول ، ولا يطبق القصاص مع الشبهة ، ولأنه حق لا يتجزأ ، لكن تجب الدية عليهما .

سابعا ــ اذا سقط الحق الخاص فى العقاب بقى الحق العام :

العفو عن القصاص والعقوبات أمر لازم كالابراء عن الديون ونحوها من التصرفات التى لا تحتمل الفسخ أو الرجوع .

واذا سقط عقاب القصاص أو غيره من حقوق الشرع الخالصة بالعفو من صاحب الحق فيه ، أو بسبب آخر ، بقى حق المجتمع الذى يمثله الحاكم ، فله تعزير الجانى بالجلد أو بالسجن أو بما يراه محققا للمصلحة العامة ، لأن للجماعة حقا فى أصل العقاب للتأديب والزجر ، وهذا من مقتضيات السياسة الشرعية فى مذهبى الحنفية والمالكية .

الا أن الامام مالك حدد نوع التعزير ، فقال : اذا عفا ولى الدم عن القاتل عمدا ، يبقى للسلطان حق فيه ، فيجلده مائة ، ويسجنه سنة .

وفوض الحنفية أمر العقاب حينئذ للحاكم فيما يراه ملائما .

وذكر الماوردى فى نطاق التعزيرات أن لولى الأمر فى الأظهر عند الشافعية أن يعزر الضارب والشاتم بعد أن عفا المضروب والمشتوم ، لأن للسلطنة حقا فى التقويم والتهذيب ، وذلك من حقوق المصلحة العامة . وقال أبو يعلى الحنبلى : ظاهر كلام أحمد أنه يسقط حق السلطان بعفو صاحب الحق فى التعزير ، ويحتمل أن لا يسقط للتهذيب والتقويم .

ثامنا ــ لا قصاص فى الجروح حتى يبرأ المجنى عليه :

لا يجوز اصدار حكم بالقصاص فى الجروح والأعضاء حتى يبرأ المجنى عليه ، ليعرف مآل الجراحة ، اذ أنها قد تسرى الى النفس ، فيحدث القتل فلا يعلم أنه جرح منضبط محدود الأثر الا بالبرء . وهذا هو رأى جمهور الفقهاء ، وعبارتهم فى ذلك : « لا يقاد بجرح الا بعد برئه » لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يستقاد من الجروح حتى يبرأ المجروح . واستحب الشافعية ذلك فقط عملا بأثر وارد بجواز استيفاء القصاص قبل اندمال الجرح وشفائه .

تاسعا — عمد الصبى وخطؤه سواء :

اتفق الفقهاء كما ذكرنا فى مبادىء المسئولية المدنية على أن اتلاف الصبى الصغير ونحوه كالمجنون موجب للضمان ، فاذا أتلف مال انسان أو استهلكه ، كان ضامنا لمثله أو قيمته فى ماله ان كان موسرا ، وينتظر يساره اذا كان معسرا ، لأن الصبى مؤاخذ بأفعاله دون أقواله ، قال ابن نجيم المصرى فى الاشباه : « ان الصبى المحجور عليه يؤاخذ بأفعاله ، فيضمن ما أتلفه » وقال البغدادى فى مجمع الضمانات : ان الصغر يوجب الحجر فى الأقوال دون الأفعال ، لأنه لا مرد لها ، لوجودها حسا ومشاهدة بخلاف الأقوال ، وان أتلف شيئا ، لزمه ضمانه » وقال الاستروشنى فى جامع أحكام الصغار : « صبيان يلعبون بالرمى ، فمرت بهم امرأة ، فرمى صبى ابن تسع سنين أو نحوه سهما ، فأذهب عينها ، قال الفقيه أبو بكر رحمه الله : الدية فى مال الصبى دون والده ، فان لم يكن للصبى مال فنظرة الى ميسرة » .

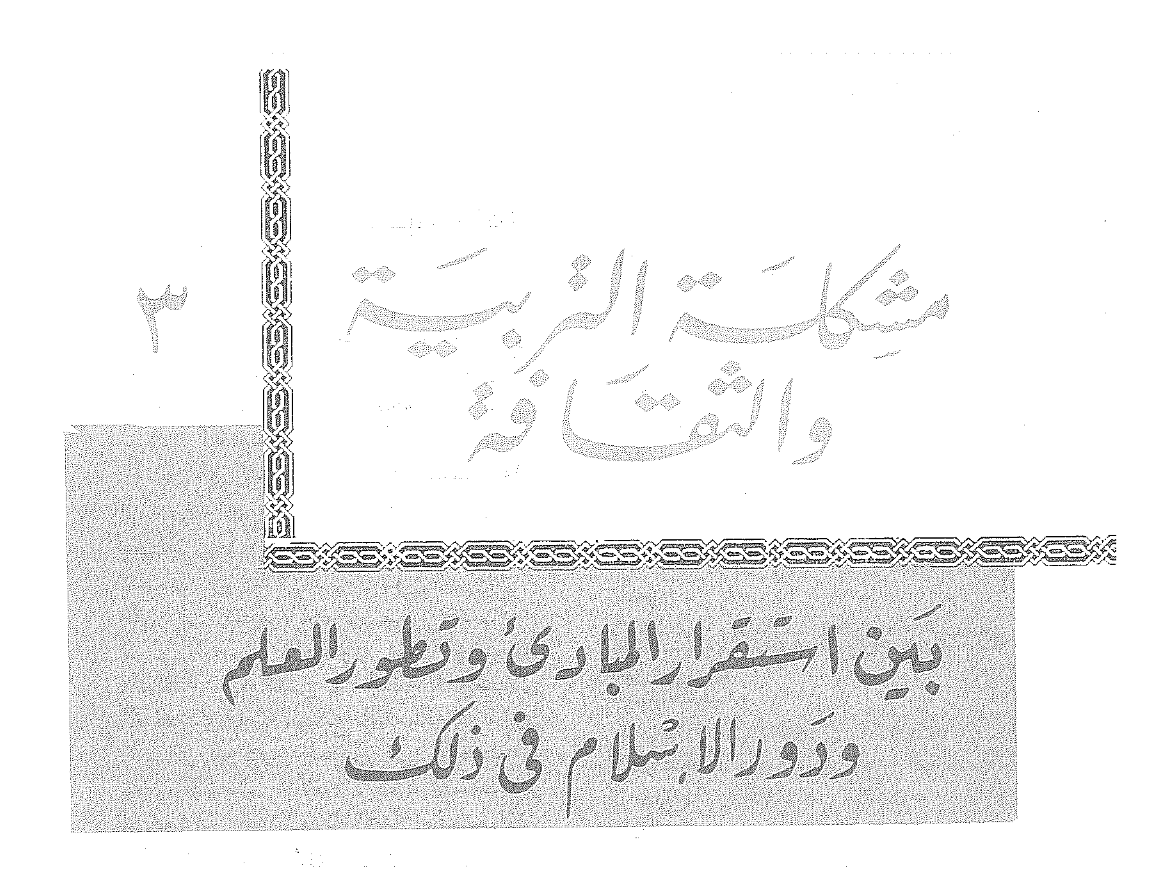
وأما فى المسئولية الجنائية ، فقال الحنفية والمالكية والحنابلة : ان عمد الصبى خطأ أى فى حكم الخطأ بالنسبة لوجوب المال والتزامه به . ومثله المجنون والمعتوه . فاذا جنى أحدهم جناية عمدا ، لا قصاص عليه ، لأنه لم يتوفر منه كمال القصد أو نية العمد ، لقصور أهليته وعقله ، ولعدم مسئوليته عن التكاليف الشرعية ، فصار فعله كالنائم وأشبه عمده الخطأ ويؤيده أن مجنونا صال على رجل بسيف فضربه ، فرفع ذلك الى على رضى الله عنه ، فجعل ديته على عاقلته بمحضر من الصحابة رضى الله عنهم ، وقال : عمده وخطؤه سواء .

وقال الشافعية : الاظهر أن عمد الصبى عمد اذا كان مميزا ، والا فهو خطأ ، يعنى أنه لاقصاص عليه لعدم تكليفه بالحلال والحرام شرعا ، لكن تجب الدية فى ماله ، ولا تتحملها عنه عاقلته . واذا كان نظام العواقل قد زال الآن فمذهب جمهور الفقهاء يلتقى فى النتيجة مع مذهب الشافعية فى أن ايجاب الدية فى مال الصبى ونحوه .

عاشرا — درء العقوبات المقدرة بالشبهات :

يحتاط فى تطبيق العقوبات الشرعية ، سواء أكانت قصاصا أم حدودا وذلك منعا للظلم ، واقرارا للعدل ، وسترا على الخاطىء بقدر الامكان لعله يتوب بنفسه ، هذا ما لم يكثر ارتكاب الجريمة من الخاطىء ، أو يقترفها بقصد المباهاة بها ، أو يترتب عليها اخلال مستمر بأمن الجماعة عامة . وذلك يعنى أن الشك يفسر لمصلحة المتهم ودليل مبدأ الدرء أحاديث نبوية واردة بألفاظ متقاربة مثل « ادرءوا الحدود بالشبهات » « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان كان لها مخرج ، فخلوا سبيله ، فان الامام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .

أما التعزيرات فلا تسقط بالشبهة، لأن القصد منها هو الزجر والردع . هذه هي أهم مبادىء المسئولية الجنائية أوردناها للادلال على حرص الشريعة على احترام الأنظمة وتربية النفوس وتهيئة جو الأمان والاستقرار للمجتمعات على أساس من الحق والعدل والخير والرحمة والمصلحة الواقعية التى لا تعارض مقاصد الشريعة .



للدكتور : محمد غلاب

(٣)

أسلفنا فى الكلمات السابقة ذلك التشابه الذى وضعه المربون بين العناية بالشجيرات المثمرة ابان نشوئها من جهة ، وتربية الاطفال والشباب فى مراحلهم الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية من جهة أخرى . ووعدنا بتفصيل مناهج التعليم والتثقيف ، وما يجب لهذا النشء من عناية تربوية واجتماعية ، ودينية ، وها نحن أولاء نوفى بوعدنا .

المرحلة الاولى :

فيما يتعلق بالمرحلة الاولى — وهى تشمل الخطوتين : الابتدائية والاعدادية — لا يستلزم الامر كثيرا من الاختلافات أو المناقشات الا حول تنظيم المناهج ، والسير بها نحو الكمال بقدر المستطاع وجعلها مشتملة على أكبر مقدار ممكن من عناصر المعرفة التى تلتئم مع عقليات النشء فى هذه السن المبكرة . وقبل هذا كله تجب العناية باختيار المعلمين الأذكياء المختصين الاوفياء المعروفين بالجدية والسمو الاخلاقى والحزم ، والمتعمقين فى الدراسة النفسية لأن أثر الاساتذة والمربين فى هذه المرحلة بقسميها هو الاثر الخالد الذى لا يزول ولا يحول

لأنه اذا كانت الأم هى « المدرســــــة الاولى » كما يقولون ، فان أثر المدرس الابتدائى هو الذى يلى أثر الام مباشرة فى ذلك التأثير الذى لا ينمحى حتى آخر الحياة ، وأنا ان أنس لا أنسى ما حييت ذلك الاستاذ الاول الذى كان مثلا فى الايمان والاخلاق والرفعة والذكاء والحزم والشدة وحسن التقدير فكنــا نستفيد منه ونحبه ونهابه ونشعر بذكائه وعدالته واستقامته . كل ذلك على قدر سواء ولم يكن أحد منا ولا من أهل القرية بل من أهل المنطقة يأخذ عليه شـيئا فى دينه أو فى خلقه أو فى تأدية واجبه « كأنه يرى الله فان لم يكن يراه فانه كان موقنا بأن الله يراه » .

مرحلة المصاعب :

غير أنه ــ بعد انتهاء هذه المرحلة بقسميها ــ تبتدىء المرحلة الثانوية ، وتبتدىء معها المصاعب والعقبات ، لأن هذه الحقبة من حياة الشباب هى أدق حقب حياته وأكثرها خطورة وخطرا لأن فيهــا تستيقظ الميول والرغبــات ، والاتجاهات المتباينة ، وهنا يجب أن يعلم المشرفون على شؤون التربية والثقافة أن الاتجاهات وحدها لا تكفى لقيادة الشباب ، بل يجب أن يحذروا منها كل الحذر بوجه عام ، وأن يضعوها تحت الوصاية التربوية أو القوامة التثقيفية ، ولكن هذه القوامة تحمل فى داخلها عناصر خطيرة على حياة الشباب كلها اذا لم تنته الا الى مناقضة قانون النمو الطبيعى بارهاقه والوصول به الى الذبول .

اهمية التعليم الثانوى :

ومن أجل ذلك فاننا نشاهد أن الهجوم متجه الى التعليم الثانوى فى كل مكان من العالم تقريبا أكثر من اتجاهه الى التعليم العالى ، وأنه لا يكف فى الغالب عن أن يكون موضوعا للتجديد والتطوير . وذلك لأنه يجب أن يكون المعلم معلما وقيما فى الوقت ذاته ، وأنه ينبغى أن يعرف كيف يتخفف من الزوائد دون أن يتعرض لتهمة التآمر على حياة الثقافة . ولا ريب أن هناك اتجاهات معــاصرة سيئة ضارة الى تطبيق المناهج الموسعة فى المرحلة الثانوية دون التنبه الى أن هذا التوسع هو من خصائص المرحلة الجامعية بخطوتيها العالية والعليا ، وذلك بسبب أن حقبة التعليم الثانوى هى حقبة التكوين الصحيح ، وفيها ينبغى ألا يمل المهيمنون على شؤون التربية من قيادة تلك العقليات الصاعدة على سلم التكوين ورقابتها وحمايتها من الفوضى الناشئة من الافراط فى التوسع . ففى هذه الاثناء النفسية من حياة الشباب ، يتخذ العقل طريقه ، ويؤلف عاداته سواء أكان ذلك بازاء حل المشكلات أم بازاء اعداد التدليل على التعقلات ، أم بازاء محاولات ايجاد الاتساق بين أجزاء القضايا التى يعمل على حلها ، وتذكر أحداثها ووقائعها . وهذه العادات هى التى يحتفظ بها كل حياته . ومن هنا أتت نفاستها وصدارتها . وبعبارة أكثر وضوحا أن هذه الحقبة هى التى ينبغى فيها تطبيق القانون القاسى الذى يتحكم فى تصرفات هذا العقل الشاب فيشذبها من جميع الزوائد الضارة أو العابثة ويكبح جموحه فيصونه عن كل انحراف حتى يصل ــ مسلحا بجميع القوى النافعة ــ الى المرحلة التالية التى وصفها الفيلسوف الفرنسى « تين » بأنها أغزر الحقب الانسانية ، وأخصبها انتاجا والتى حددها هذا المفكر الممتاز

بأنها تبتدىء قبل سن العشرين ، وتنتهى بعدها بقليل . وهو يعود الى اتباع وسيلة التشبيه بالشجرة كما أشرنا الى ذلك آنفا فيقول : « وفى ذلك العهد تمر سبعة أو ثمانية أعوام تصعد فيها عصارة الحياة فتغذى الاثمار أو الانتاج تغذية مستمرة لكي لا ينقطع ولا يتخلف من ورق الى زهر الى ثمر » وتلك هى الحقبة التينية نسبة الى « تين » الذى أحكم تصويرها أو حقبة التعليم العالى بفروعه المتنوعة وخطواته من جامعية ودراسات عليا على اختلاف صورها ، وتعـدد اختصاصاتها ، وتلك هى الآونة التى يلقى فيها العقل بنفسه — دون أية عقبات أو مصاعب — فى بحار البحوث الاشد تشعبا وتعقدا بشرط أن تكون فى داخل اطار التخصص المختار الذى يظفر فيه المجهود الشخصى بالصدارة ، ويفوز منه بنصيب الاسد .

مرحلة الدراسات العليا :

وبهذه المناسبة يحتم علينا الواجب العلمى أن نقف هنيهة عند دور أستاذ التخصصات أو الدراسات العليا فنعلن أن هذا الدور هو الانارة والتوجيـه والقيادة فى رحاب الحرية والاستقلال .

١ — فالانارة هى كشف المصادر الضرورية ، والمراجع اللازمة لا لتكوين البحث المعد فحسب ، بل لجعله عميقا ممتازا فى السير نحو الكمال ، مسهما فى الخلود بقدر المستطاع ثم تبين الفروق بين المصادر الاصيلة ، والمصـادر الدخيلة ، ودرجات أو دركات كل منها فى الاصالة والدخالة ، وشرح ما يجب على الطالب الاعتماد عليه بلا ضرورة تلجئه الى ذلك وما لا ينبغى الاعتماد عليه الا لضرورة قاهرة .

٢ — والتوجيه هو ارشاده الى مواطن الضعف فى بحوثه ، ومواضـع الكبوات والاخطاء منها ومناقشته فيها ، وتعويده على مزاولة النقد العـادل النزيه الذى لا يعرف التحامل ، ولا يألف التحيز أو الميل ، وتمرينه على النظر فى أدلته التى يدعم بها نقده ، وعلى تأييد آرائه ومساندتها فى ظل المنطق ، وفى دائرة آداب البحث التقليدية ، واشعاره بأن لديه أوسع أنواع الحرية ، ونصحه بأن يشذب مناقشاته ويصقلها ويعيدها الى الاستقامة كلما انحرفت عن الطريق السوى وأن يؤمنه من غضب الاستاذ حتى يشجعه على مساندة الحقيقة وتعقبها فى مسالكها الشائكة المتعرجة حتى الظفر .

٣ — والقيادة هى محاولة جذبه الى التنقيب الواعى عن الحقيقة من حيث هى دون أى اتباع لأهوائه الخاصة أو ميوله الشخصية واذا لم يهتد الى جميع المسالك الموصلة الى الحقيقة أو وجد طرق الاقدمين مسدودة أو ملتوية أرشده الى طرق أخرى لم يستغلها أحد أصلا أو استغلت وأسىء استغلالها وأبان له معالمها وأرشده الى تحسين ما أساء القدماء من استغلالها ثم وضعه على مبدئها ورسم له الخطة أو الخطط الضرورية المؤدية الى النجاح فى الابداع أو التجديد .

وأخيرا يجب على الاستاذ أن يعود طالب الدراسات العليا على أن يكون صعب المراس فى البحث فينبذ أنصاف الحلول ، وأن ينفر من النهايات التقريبية لأن التعليم العالى له — فى تقييم الشعوب والمفاضـلة بينها — أرفع مكانات الصدارة والامتياز . وفى هذا يقول « جول فيرى » الوزير الفرنسى الخـالد الذكر ما يلى :

« ان مراحل التعليم الاولى تحتفظ للأمة بمكانتها بين الدول الراقية ولكن التعليم العالى يضمن لها الصدارة على غيرها » .

غير أن هذا التعليم العالى على صورته العامة — وان كان يحفظ للأمة صدارتها على الامم الاخرى — هو لا يكفى لتحقيق الخلود ، بل ان الذى يحقق ذلك الخلود هو انتاج الموهوبين والعباقرة والفائقين الذين يشار اليهم فى عصورهم بالبنان ، ويكتب التاريخ أسماءهم بحروف النور فى سجلات الابدية . والا فماذا استفادت « اسبرطا » و « قرطاجنا » من أبهتهما وفخفختهما ووفرة الهناءة والقوة الماديتين فيهما ما دام أن هاتين المدينتين اللتين لا روح فيهما ولا موهبة ولا عبقرية قد عفى عليهما الزمن ، بل كاد التاريخ أن ينسى وجودهما لولا أنه يذكرهما بسبب حروبهما مع غيرهما بل أن أطلالهما هى وحدها الدالة على أماكنهما . بينما أن أثينا والاسكندرية اللتين انتزعتا خلودهما من انتاج موهوبيهما وعباقرتهما فى الفلسفة والادب والفن والعلوم ستظلان خالدتين أبداً ما دام فى الانسانية عقول وتفكيرات ولو زالت معالمهما المادية من الوجود ولا قدر الله لأن التاريخ سيذكرهما دائما منحنى الرأس أمام عظمتهما وجلالهما . وذلك لأن اجماع العقلاء منعقد على أن الشعوب لا تسلم من الفناء ولا تخلد الا بسبب حياة قيمها العقلية والروحية والدينية ، وتجديدها المستمر .

دور التثقيف :

بقى علينا الآن أن نعرض لدور أخطر من أدوار التربية ، وهو دور التثقيف العام الذى تقوم به على الاخص مرحلة التعليم الثانوى ، والذى يهيىء لأبناء الأمة كثيرا من فرص الاثمار النافع والانتاج المفيد ويجعلهم قادرين على الاسهام فى السير بها الى الامام بحظوظ متنوعة ، ويعد الموهوبين منهم للبروز والارتقاء الى درجة الصفوة الممتازة . ومن ثم فان علماء التربية يجعلونه فى مقدمة أدوار التعليم الثانوى الى جانب دور المناهج التربوية وان كان يختلف عنها فى الانظمة ذوات الاطارات المحددة باللوائح والقوانين .

ومن دواعى العناية بهذا الدور التثقيفى أنه أكثر شمولا من اطار التعليم العالى الذى كان الى عهد قريب محتفظا به لقلة محدودة من الشباب . ولو أن هذه القلة ، ولله الحمد ، قد طفقت — بفضل وثبتنا الحاضرة ونهضتنا المتلألئة — تزداد باطراد صاعد متواصل ، الا أنها لا تستطيع أن تستوعب العدد الضخم الذى يحتويه التعليم الثانوى .

واذن فمن المهم أن يفهم الشباب عند نهاية المرحلة الثانوية كل ما ينبغى له فهمه وأن يتعلم كل ما يجب عليه أن يحرزه لكى يكون مثقفا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لأن كون الفرد مثقفا ليس معناه كونه عالما متخصصا فى أية مادة بعينها ، وانما الثقافة الحقيقية هى حالة عامة بل هى فى أحد معانيها متعارضة مع التخصص .

حقا انه يقال ويعاد كثيرا فى هذه الأيام ان التخصص هو الشىء الوحيد المرغوب فيه فى عصرنا الراهن لأن مجتمعنا الحالى فى حاجة الى شخصيات متفوقة فى محيطاتها بل يقال ان التخصص هو الممكن الوحيد الآن لأن أحجام المعارف قد تزايدت بافراط الى حد أن العقل البشرى لم يعد يستطيع أن يحتويها ، بل ولا أن يتلقاها . ولكن هذه الحجج التى تؤيد التخصص وحده ، وتحاول النيل

من قيمة الثقافة العامة لا تساوى شيئا . ولهذا تجب مزاولة التثقيف منذ بدء المرحلة الثانوية . وذلك يقتضى أن تتخلص المناهج من الكميات التى ظهر بطلانها أو شاخت من المعارف وأصبحت لا تنتج الا مزاحمة المناهج عبثا وبلا فائدة على نحو ما أحدثته ثورة الفكر الاوروبى الحديثة بازاء منتجات « المدرسين » فى العصور الوسيطة فأوسعت المجال لغيرها من المعارف المفيدة .

رعاية الشباب :

وليس هذا فحسب بل ينبغى السهر على رعاية الشباب فى خارج المدارس وفى المنازل ، وحفظه من دوامة الصور المرئية والمسموعات التى تقدمها اليه الافلام السينمائية والتليفزيون والراديو . وليس معنى هذا أن منتجات هـذه الآلات كلها ضارة يجب تجنبها كلا بل ان الخليط المركب من كثير من الشر وقليل من الخير ، ودوام مزاولة رؤيته وسماعه أو الافراط فيهما ، هو الذى يوقف عجلة التفكير النافع ، ويقضى على جهود التأمل المفيد ، ويشل حركة الارادة ، ويجعل الشباب سلبيا ، ويفقده أعز الاوقات وأنفسها .

ومما ينبغى أن ننوه اليه هنا قبل مغادرة هذا البحث هو أن المتخصص الذى لم يتثقف بالثقافة العامة كان ينظر اليه فيما مضى كأنه عضو غير متكامل . وأن فنانى « النهضة » كانوا أعظم فنانى جميع العصور بفضل ارادتهم التى استقرت على « ألا يبقوا أجانب عن أى شيء » على حد ذلك التعبير الجميل الذى سجله الاغريق الاقدمون . وتلك هى عينها فكرة عمومية المعرفة التى هى ينبوع مجد أسلافنا من مفكرى المسلمين كالفارابى وابن سينا ، واخوان الصفا ، والغزالى ، ومحيى الدين بن عربى ، ومن آيات ذلك ما نراه فى مؤلفاتهم من بحور العلوم المختلفة واجاداتهم الفائقة فى كل مادة من هذه المواد التى تقصر عن الاحاطة بها جهود البشرية . ومن يرتاب فى هذا فليس عليه الا أن يلقى نظرة فاحصة فى الشفاء أو النجاة أو رسائل اخوان الصفاء أو فى الفتوحات المكية أو ما كتبه الامام الغزالى فى المنقذ من الضلال عن سعة اطلاعه وترامى معارفه ، أو ماكتبه الامام الشعرانى عن معارف محيى الدين بن عربى ، وثقافته الشاملة المحيطة . وليس هذا فحسب بل اذا نظرنا فيما يكتبه عظماء نزهاء المستشرقين عن هؤلاء الاماجد ألفينا فيها العجب العاجب الذى يرضى العقول ، ويسحر القلوب قبل أن يبهر لألاؤه الابصـار . ومن ذلك على سبيل المثـال ما يعبر به المستشرق الفرنسى الشهير البارون « كرادى فو » فى كتابه « ابن سينا » عن أعجابه بهؤلاء المفكرين الذين كان ايمانهم بالعقل بعيد المدى ، والذين بلغت معارفهم من التنوع والامتداد الى حد خليق باثارة اعجاب علماء العصـور الحديثة ومتخصصيهم الممتازين .

ولقد استمرت هذه الثقافة العميقة الضليعة التى لا يضايقها التخصص ولا يغلق فى وجهها الابواب أو استمر ذلك التخصص الواعى الذى لا تشوش عليه وفرة الاطلاع المترامى الاطراف الى ما بعد القرن العاشر الهجرى ، فكنت ترى منذ نشأة الازهر الى القرن الماضى العلوم المتنوعة تدرس فيه ساطعة متلألئة دون أن تمنع وفرتها أولئك الجهابذة من مزاولة التخصصـات المتعمقة واتقانها الى حد ايجاد الاعاجيب والمعجزات .

ولكن هذه الحركة الممتازة لم تلبث أن أصيبت بنوع من الشلل أقعدها عن

النهوض الثقافى وحصرها فى اطار محدود سميك صفيق لا يسمح بمعرفة أى شىء سوى ما هو مسجل فى الكتب التقليدية التى جعل يتوارثها التلاميذ عن شيوخهم ، وكأنهم جميعا يمثلون أهل «كهف أفلاطون» الموثقين الذين لايستطيعون الالتفات الى الوراء حتى يروا الحقائق المطلقة على ضوء الشمس المعنوية فصاروا يكتفون بالأدلة النقلية ولا يفكرون فى أن هذه الأدلة لا تقنع الا المسلمين الذين يؤمنون بصدق القرآن والاحاديث ولكن الانظمة التجديدية التى تعاقبت على هذه الجامعة التليدة جعلت تنقذها من ذلك الخمول شيئا فشيئا .

وبعد ذلك كله ومرة أخرى نعود الى ما أشرنا اليه آنفا عن المرحلة الثانوية فنقرر أنها من أفضل الحقب ، ومن خير الوسائل لتقوية ارادات الشباب وظفره بغزارة الثقافة واتساع الافق . ومن ثم ينبغى أن يفهم المهيمنون على التثقيف أنه يجب عليهم أن يضعوا فى أذهان الشباب أن نتائج سنى هذه المرحلة النفيسة يجب أن تبقى خالدة فى عقولهم ، كما ينبغى أن يثبتوا فى أذهانهم أن كلمة المعرفة معناها على الاخص امتلاك المعارف بصورة نهائيـة أو الاستيلاء عليهـا مدى الحياة ، ومما لاريب فيه أن طول المناهج ، وتراكم المواد ، وتزاحمها فى تلك العقول الشابة تضطر المعلمين والتلاميذ الى الهرولة بخطى سريعة فى ممرات العلوم وبين هياكلها دون القدرة على أن تثبت الى الابد فكرا واضحة كتلك المواد فى هاتيك العقول الناشئة التى لا تحتفظ بها الا ريثما تنتهى الامتحانات ، ثم تنسى على أثر ذلك كل شىء . وأن ننس لا ننسى عبارة الاستاذ « هنرى توريس » أحد أمجاد المحامين الفرنسيين المعاصرين اذ يقول فى هذا الشأن ما نصه : « ان العقل ينبذ فى عنف ، ما أدخل فيه بعنف » .

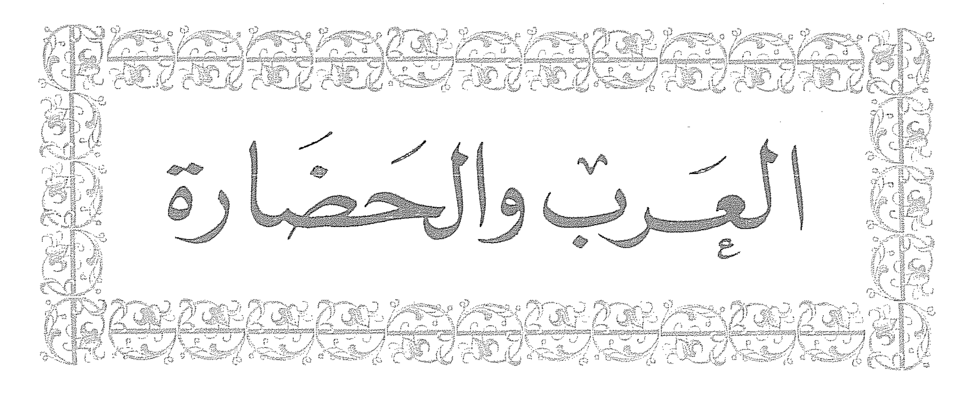
واذن فالحل الامثل لهذه المعضلة هو تقديم العروض الثقافية الى التلميذ مركزة ، ولكنها واضحة منظمة محددة ، لكى يتلقاها كما يتلقى مفردات اللغة . ولكى تبقى المعارف فى عقله الى ما بعد زمن الدراسة .

وليست الغاية المقصودة هنا هى الاحاطة الشاملة ، بل هى ايجاد عقول مفتحة مزدانة بكل ما يرصع العقل المثقف ، وينبغى أن يتذكر المهيمنون على هذه المرحلة ، أن التلميذ — بعد أن ينتهى من التعليم الثانوى — لا يتعهد بالتنمية الا العلوم التى تجتذبه ، وأنه بالتـالى يهجر الاخرى بمجرد استطاعته اختيـار تخصصه . ومعنى هذا أنه اذا انتهى من المرحلة الثانوية دون ثقافة عامة منظمة متعمقة ، فانه سيبقى دائما محكوما عليه بألا يملك سوى ثقافة جزئية .

حقا ان الاستقلال للتلاميذ يبقى كاملا بحيث يستطيعون القراءة والتفكير فيما وراء المواد الجوهرية التى يتلقونها لأن الطبائع العقلية الثرية لا تشبع ألبتة، ولكن بالنسبة الى جماهير التلاميذ ينبغى ألا يجهلوا شيئا من المواد الاساسية ، كما يجب أن يلقنوا الثقافة بطريقة متينة ، وعلى صورة خليقة بالدوام .

وأخيرا لنكن على يقين من أن الطبيب ، أو المحامى ، أو المهندس ، يكونون أقوى ، وأكثر مقدرة فى محيطاتهم الخاصة لو أن ثقافة عامة متعمقـة توجت عقولهم واقتادتها نحو الشؤون الاجتماعية والانسانية . وعند ذلك فقط يؤلفون صفوة الدولة ، ويسهمون فى عظمتها ومجدها الخالدين .

هذا وسنختتم هذه السلسلة بحديثنا عن وجوب التعليم الدينى فى مدارس الدولة على اختلاف مراحلها فالى الملتقى .



العرب والحضارة

هكذا كنا .. ويجب أن نكون

للأستاذ : محمد الدسوقي
المحرر بالمجمع اللغوى — القاهرة

١ — هناك حقيقة تاريخية لا يستطيع مؤرخ منصف أن يتجاهلها أو ينكرها وهى أن أوربا كانت فى القرون الوسطى تعيش فى ظلمات الفكر والعادات والتقاليد ولم تكن هناك قوانين عادلة تكفل لكل ذى حق حقه مهما تكن منزلته ، ولم يكن يعتقد أن يصير العالم الى ما صار اليه اليوم من القوة والتقدم فى شتى مجالات الحياة ، لولا العرب الذين أناروا للبشرية بعامة ، والأوربا بخاصة ، سبيل النهضة والحضارة ، وكانوا للعالم المنقذ الذى جنب القافلة الانسانية مزالق التأخر والاضمحلال ، وأخذ بيدها الى مراقى الفكر وسنام العقل ، ففتح بذلك أمامها طريق البحث والتنقيب والدرس الذى نقلها تلك النقلة الضخمة ، فتحولت الى مجتمع ذى حضارة ومدنية لم تعرف البشرية لها نظيرا فى تاريخها الطويل .

٢ — فالعرب — أهل الجزيرة — بعد أن هداهم الله الى الاسلام حملوا أرواحهم على أكفهم ، وانساحوا فى الارض يبلغون رسالة الله الى الناس جميعا وأقبل الناس زرافات ووحدانا على اعتناق هذا الدين الجديد طوعا واختيارا ، لأنهم ألفوا فيه غذاءهم الروحى السليم ، وانسانيتهم التى طالما تعرضت — باسم الدين — لصنوف مختلفة من المهانة والتحقير والتعذيب والتسخير .

٣ — لذلك ما كاد القرن الهجرى الاول ينتهى حتى انتشر الاسلام فى مساحات شاسعة وصل الى أوربا غربا والى الصين شرقا ، وأحدث فى كل منطقة حل فيها انقلابا جذريا فى أفكارها وعقائدها ونظم حياتها ، وانتشرت مع انتشار الاسلام اللغة العربية لأنها لغة كتابه الكريم ، وتوارت لغات اقليمية

متعددة ، وحل محلها لغة القرآن ولسان العرب واستمر هذا الى اليوم ، اللهم الا فى بعض البلاد لأسباب لا مجال لتفسيرها هنا .

٤ — وبانتشار الاسلام ولغته أصبح يطلق — فيما بعد — على كل مجتمع تسود فيه العربية بأنه مجتمع عربى ، وبأن أهله عرب ، وأن لم يكونوا من ناحية النسب من عدنان أو قحطان ، وأصبح عندما يتعرض لبيان أثر العرب فى مجال من مجالات الفكر ، لا يقصد بالعرب تلك الجماعات التى كانت تعيش فى منطقة صحراوية قبل ظهور الاسلام ولكن يقصد بهم كل من صارت لغتهم عربية وان لم يعتنق بعضهم الاسلام ، أو لم يكن يمت بعرق النسب الى قبيلة من قبائل العرب المعروفة .

٥ — وهؤلاء العرب الذين حموا الحضارة من الانهيار وكانوا لها سدنة وحراسا قد قاموا بهذه الرسالة السامية ، لأن الاسلام الذى جاءهم ، يدعو الى الحياة الفاضلة الكريمة ، ويحض على القوة فى جميع الميادين النافعة للانسانية ، وينبه العقل الى النظر والتدبر « ويجعل للعلماء مكانة عالية ، ويبين أن العلم يخدم الايمان ، وأن المرء كلما ازداد علما ازداد من الله خشية » .

والحديث عن هذه الناحية فى الاسلام يحتاج الى بحث مستفيض ، ولكن يكفى هنا القول بأن الاسلام قد فتح أمام العقل البشرى مجالات البحث والنظر ودعاه الى اقتحامها فى قوة وأن القرآن الكريم — دستور الاسلام — لا يتضمن أى حكم من الأحكام يشل حركة العقل فى سيره وتقدمه ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، وعند من رآها طلبها (١) .

٦ — لهذا فقد كان الاسلام انقاذا للبشرية من ضلالات الشرك والوثنية، وانقاذا لها أيضا من سيطرة الخرافات والجهل والأمية ، وأقبل العرب المسلمون على دراسة كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وكانوا فى أول أمرهم يهتمون بصورة عامة بدراسة القرآن والسنة ، ليكونوا على بينة من أمر دينهم ، ولكن بعد أن استقرت حركات الفتوحات نسبيا ، تنوعت الدراسات العربية وظهر فى كل ميدان من العلم رجال أدوا أجل الخدمات للحضارة والانسانية ، وظهرت عبقريتهم فيما خلفوا من آثار علمية تشهد لهم بالسبق والفضل وتؤكد أن العرب قد وضعوا الأسس الأولى لبناء الحضارة الحديثة .

ثقافات سابقة

٧ — ومن الانصاف فى القول أن نذكر أنه كانت قبل ظهور الاسلام ، وقبل أن يكون للمسلمين صولة ودولة — كانت توجد ثقافات مختلفة ومؤلفات علمية ونظريات فلسفية فى اليونان والصين وغيرهما ، غير أن السمة الغالبة، أو العامة فى فترة ظهور الاسلام هى شيوع الجهل والخرافات والأباطيل فى كل مكان ، فأوربا كانت غارقة فى غزوات البرابرة المنحدرين اليها من الشرق والشمال ، وكان قضاء هؤلاء البرابرة على الامبراطورية الرومانية فى عام ٤٧٦م مبدأ للعصور الوسطى ، العصور المظلمة فى تاريخ أوربا (٢) .

---

(١) الفلسفة القرآنية للمرحوم عباس محمود العقاد .

(٢) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

أما اليونان فانها أهملت تراثها الفكرى ، وطمرته فى الأقبية وحالت بينه وبين طلاب العلم ورواد النور ، مما كان سببا فى الانصراف الى الخرافات ، وانتشار الأمية الفكرية . ولم يكن الحال فى آسيا أحسن منه فى أوربا ، وكانت أمريكا فى ذلك الوقت مجهولة ويعيش سكانها عيشة الحيوان ، فجاء العرب ليبددوا ما ران على التفكير البشرى من خمود وركود ، ولتصبح دمشق والكوفة وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة ومكة والمدينة مراكز اشعاع علمى يهرع اليها طلاب المعرفة ، وعشاق الثقافة من كل مكان .

٨ — وشواهد التاريخ كثيرة فى مجال تعداد ما قام به العرب فى ميادين البحث العلمى والأدبى ، وسأحاول هنا الاشارة الى بعض الأمثلة ، لأن محاولة الاستقصاء تحتاج الى مجلدات ضخام وقد يكون فى المثل الواحد خير دليل على ما أرمى اليه .

من المعروف أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تتميز بفصاحة اللسان وحكمة البيان وبلاغة الشعر ، وكانت اسواقهم الأدبية ندوات ثقافية رفيعة ، وكانت شهرة الشاعر ونبوغه فى القبيلة حدثا هاما تفرح له ، وتتمادح به ، فلما جاء الاسلام بلغة الأدب وجاء القرآن الكريم فى أعلا درجات البيان ، كان هذا استمرارا لشيوع الفصاحة والأدب بين العرب ، ومع أن الفتوحات قد أدت الى تسرب العجمة وضعف السليقة اللغوية الا أن هذا لم يحل دون استمرار تفوق العرب فى البيان وقرض الشعر ، والتاريخ الأدبى للأمة العربية حافل بكتاب وشعراء ذوى حكمة وبيان وعبقرية فذة فى التفنن فى القول والابداع فى التصور والتخيل ، ويكفى أن نذكر شعراء المعلقات فى العصر الجاهلى وابن المقفع والجاحظ والبحترى وابن الرومى وأبا حيان التوحيدى وأبا العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف فى عصر ما بعد الاسلام .

الدراسات القانونية :

٩ — وفى الدراسات الفقهية والقانونية نجد أن الفقهاء قد أتوا بنظريات رائعة دقيقة فى التعامل والتقاضى ، وفى السلم والحرب ، وفى العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وهذه النظريات مستمدة من روح الشريعة الغراء ونصوصها ، ولكن فضلهم جاء من دقة الفهم ورحابة الافق وانسانية التقنين ، والقانون الوضعى لم يهتد الى بعض ما جاء به الفقه الاسلامى الا فى العصر الحديث وبتأثير من الفقه الاسلامى ، وبخاصة الفقه المالكى ، فقد كان منتشرا فى الاندلس ، وعن طريقها انتقل الى فرنسا ، واقتبست منه نظريات شتى فى مختلف الشئون القانونية (٣) . ومن الجدير بالذكر أن الامام الشيبانى — وهو تلميذ أبى حنيفة مؤسس المذهب الحنفى — يعد بما تركه من مؤلفات فى الحروب والعلاقات الدولية ، مؤسسا للقانون الدولى العام ، وقد توفى هذا الامام فى أواخر القرن الثانى الهجرى .

وهناك علم دفعت الحاجة الى فقه الشريعة وضبط أصول دراستها الى وضعه ، وهو علم أصول الفقه ، هذا العلم يمتاز بأنه بين منهج البحث العلمى

---

(٣) التشريع الاسلامى وأثره فى الفقه الغربى للمرحوم الدكتور محمد يوسف موسى .

السليم ، وسبق به علماء الاصول من المسلمين كل من جاء بعدهم من المفكرين الذين كرسوا حياتهم لوضع المناهج الفكرية وأسسها العامة (٤) .

العلوم الاجتماعيـــة :

١٠ — وفى ميدان العلوم الاجتماعية يذكر ابن خلدون على أنه مؤسس علم الاجتماع بلا نزاع ، ومقدمته الشهيرة دليل واضح على ما كان يتمتع به هـــذا المفكر من المعية واحاطة وافية بشئون الحياة والاحياء (٥) .

وغير ابن خلدون هناك مفكرون كثيرون أسهموا فى الدراسات الاجتماعية بنصيب ملحوظ ، كالامام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين ، وابن المقفع فى كليلة ودمنة والادب الصغير ، والادب الكبير ، وأبى حيان فى كتابه الهوامل والشوامل ، والبصائر والذخائر وغيرهم .

وغنى عن البيان أن الفروض الدينية من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وتعاطف فى السراء والضراء ، وتكافل فى الشدة والرخاء ، أسس اجتماعية لا نظير لها ، ولهذا يصح القول بأن المجتمع العربى كان يعيش — وما يزال — عمليا وفكريا فلسفة اجتماعية انسانية سامية المبادىء والغايات .

الفلســـفة :

١١ — أما فى الفلسفة فقد كان للعرب دور خالد ، وأثر بارز ، فالاسلام يحض على التفكير والنظر ، ويدعو الى طلب العلم والرحلة فى أخذه مهما تناءت الديار ، وهذا ما دفع العرب الى ترجمة ما لدى الامم الاخرى ، وبخاصة اليونان من فلسفة وفنون مختلفة ، وقد شجع بعض الحكام المترجمين وأغدقوا عليهم الأموال ، وهيأوا لهم كل الوسائل الممكنة لكى يقوموا بأداء رسالتهم على أكمل وجه ، ولكن مع هذا لم يلتزم كثير من المترجمين حدود الأمانة العلمية ، فكان يضيف ما ليس فى الأصل ، أو يهمل ما يجب أن ينقل بعناية وحرص ، وقد أدى هذا الى التناقض بين الآراء .

فالفلسفة اليونانية نقلت نقلا مشوها ، وقد قام الفلاسفة العرب بمحاولة التوفيق بين الآراء والنظريات المتعارضة ، ولم يكتفوا بهذا ، بل وضعوا لهـــا الشروح والتعليقات ، ومهدوا سبيل دراستها وفهمها ، كما أنهم نقدوا هـــذه الفلسفة نقدا علميا ، قائما على الفهم والتحقيق والمقارنة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الفلاسفة العرب لهم فلسفتهم الفريدة فى طابعها ومثلها ، وقد أتوا بنظريات جديدة فى الكون والنفس والعقل ، تختلف عن نظريات أرســـطو وأفلاطون ، وتؤكد أن للعرب فلســـفة أصيلة شـــكلا وموضوعا(٦) .

---

(٤) محاضرات فى الفلسفة الاسلامية للدكتور على سامى النشار .
(٥) ابن خلدون للدكتور على عبد الواحد وافى .
(٦) فى النفس والعقل للدكتور محمود قاسم .

وأن أسماء الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد أسماء عالمية فى دنيا الفكر وعالم الفلسفة قديما وحديثا ، وما ذلك الا ليدها الطولى فى وقاية التراث الفلسفى اليونانى من الضياع ولمـــا تركته من ثروة ثرة بالفكر الفلسفى العميق .

البحث العملى :

١٢ — واذا تركنا ميدان البحث النظرى الى ميدان البحث العلمى العملى نجد أن العرب كانوا أصحاب دراسة علمية دقيقة قائمة على الاستقراء والملاحظة العلمية السديدة ، وهم وان ورثوا شيئا عن الصين والهند فى بعض العلوم ، الا أنهم تمكنوا — بجدهم ومثابرتهم وصبرهم على متاعب البحث — من أن يكونوا مبتكرين ومبدعين .

فهذا ابن الهيثم العالم الكيمائى المشهور ، أول من شرح العين ، وله مسائل فيها عرفت فى أوربا بمسائل ابن الهيثم ، كما أن له نظريات بصرية تعد الاولى من نوعها فى تاريخ البحث العلمى . وابن سينا الطبيب الفيلسوف الذى نال كتابه « القانون » فى الطب درجة ممتازة ، وكان الكتاب الوحيد الذى يعول عليه فى دراسة الطب فى جامعات أوربا الى أواسط القرن السابع عشر ، وكذلك الرازى الذى ألف كتبا كثيرة فى الطب أشهرها كتاب « الحاوى » الذى يمتاز « بالملاحظات السريرية » ويقصد بها دراسة سير المرض وتطور حالة المريض .

ولجابر بن حيان وخلفائه شهرة فائقة فى علم الكيمياء ، ومؤلفاته على درجة كبيرة من الجدة والعمق والابتكار .

أما البيرونى العالم الرياضى المشهور ، فقد اشتغل باستخراج الثقـــل النوعى ، بأن كان يزن الجسم فى الهواء أولا ، ثم يزن الجسم نفسه فى المـــاء ، بعد أن يدخله فى وعاء مخروطى الشكل مثقوب على علو معين وبعدئذ يزن الماء الذى أزاحه الجسم ، ومنه يعرف حجم الجسم .

وتدل الارقام التى توصل اليها البيرونى فى الثقل النوعى بعـــد مقارنتها بالأرقام الحديثة على الدقة والاتقان اللذين امتاز بهما ، بالاضـــافة الى تيسر وسائل العلم فى هذه الايام عنها — بدرجة كبيرة — فى أيام البيرونى الذى توفى نحو سنة ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م .

وهذه قائمة ببعض المعادن التى درسها البيرونى واستخرج ثقلها النوعى مع ذكر الارقام الحديثة .

المـــادة	أرقـــام البيرونى	الأرقام الحديثة
الذهب	١٩٫٠٥—١٩٫٢٦	١٩٫٢٦
الزئبـــــق	١٣٫٥٩—١٣٫٧٤	١٣٫٥٦
النحـــاس	٨٫٨٣— ٨٫٩٢	٨٫٨٥
النحاس الاصفر	٨٫٥٨ — ٨٫٦٧	نحو ٤ ٫ ٨

ويلاحظ أن البيرونى قد استعمل طريقتين لاستخراج الثقل النوعى ، وتؤكد

الفروق البسيطة بين ما قام به البيرونى وما جاء به العلم الحديث على عبقرية فذة وذكاء عجيب (٧) .

وغير البيرونى كثيرون كالخازن وابن سينا وابن طفيل لهم دراسات فى مجال العلوم الطبيعية تشهد لهم بالفضل والابتكار .

١٣ — **وفى علوم البحار والهندسة والجبر والحساب والزراعة والفنون الزخرفية وهندسة المعمار** ، نجد للعرب مآثر خالدة وأياد لا تجحد ، ويكفى أن « فسكودى جاما » لم ينجح فى رحلته البحرية المشهورة الا على أيدى العرب ، وبواسطة علمائهم الذين درسوا البحار وعرفوا كيف يقودون السفن فى البحر اللجى ، ويخوضون غمرات الموت فى بسالة ومهارة .

أما الهندسة والجبر والحساب فان العرب أول من عرفوا الصفر وقيمته ، ولهم نظريات هندسية لم يسبقوا بها ، ويعد علم الجبر علما عربيا فى نشأته وقوانينه وليس أدل على ذلك من أن اسمه حتى الآن فى اللغات الاجنبية ما زال عربيا .

وفى **العلوم الزراعية** درسوا التربة والبذور وأنواعها وما يمكن أن يأتى بثمرات طيبة فى تربة دون أخرى .

أما هندسة المعمار وفن البناء فان الآثار الاسلامية تنطق بروعة ما وصل اليه الفن الزخرفى والمعمارى لدى العرب .. والمساجد التى ما زالت شامخة بمآذنها فى العواصم الاسلامية ، والآثار الاندلسية التى تحدت المحن والاحن ، وظلت فى أسبانيا حتى اليوم ، هى أوضح دليل على تلك النهضة المعمارية التى كانت فى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

ومتاحف أوربا والمتاحف العربية زاخرة بألوان شتى من هذا الفن الهندسى الخلاب .

١٤ — **وفى الجغرافيا** ، **وعلم الفلك** ، **والموسيقى** كان العرب روادا ، عرفوا أنواع الرياح ، وأثبتوا كروية الارض ودورانها ، ويعد الادريسى أول من رسم خريطة للعالم . أما علم الفلك فقد بلغوا فيه أعلى درجة علمية فى القرون الوسطى ، وأسسوا المراصد فى القاهرة وبغداد ، ولم تزل أسماء عدد من النجوم باللغات الاجنبية عربية الاصل تشيد بفضلهم وتنوه بجهدهم .

والموسيقى مع أنها فن قديم ، فان العرب هم الذين جعلوه علما له قواعد رياضية ، وأوجدوا السلم الموسيقى ، وقياس الوتر . وقد ألف الكندى فى الايقاع الموسيقى قبل أن تعرف أوربا الايقاع بعدة قرون .

١٥ — هذا المجد العلمى الذى كان يخفق بألويته فى أنحاء الوطن العربى بدات تباشيره مع ظهور الاسلام ، واشتد ساعده بعد ذلك وكان هو المجد الوحيد فى العالم أجمع فى القرون الوسطى ، وما بعدها الى بداية عصر النهضة .

لقد كانت نهضة رائعة وحضارة خصبة تمتاز عن غيرها من الحضارات بهذه الاصول الخمسة : احترام الانسان ، والتمسك بالمثل العليا ، وحرية الفكر والعقيدة ، واتباع العقل وتمجيده ، والايمان بالتقدم ، ويتفرع عن هذه الاصول

---

(٧) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

الخمسة كل ما يمكن أن توصف به الحضارة العربية من مظاهر خارجية ، وبغير تلك الاصول لم يكن يتسنى للحضارة العربية أن تبلغ ما وصلت اليه من تقدم ورقى فى جميع نواحى الحياة .

١٦ — وليس هذا القول نوعا من الادعاء والتعصب القومى ، فان التاريخ الاجنبى — قبل التاريخ العربى — والحق ما شهدت به الاعداء — يثبت هذه الحقيقة .

تقول دائرة المعارف البريطانية د ١٧ ص ١٠ ٤١ عن أوربا : « لا يستطيع أحد أن ينكر ما اتصف به التفكير فى العصور الوسطى من البعد التام عن العلم والنقد . ان وجود شخص واحد مثل روجر بايكون فى عصر ما ، لا يبرىء ذلك العصر من تهمة الجهل .

ان هذا القول واضح وصريح لا يحتاج الى تعليق ، أما روجر بايكون المشار اليه فى هذا النص ، فهو عالم انجليزى توفى عام ١٢٩٤ م واشتهر باهتمامه بالعلم التجريبى ، ولقد كان يتعجب من الرجل الذى يريد أن يبحث فى الفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية (٨) .

اضطهاد الفكر فى الغرب :

ويؤكد ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية من سطحية التفكير وسيطرة الخرافات والاباطيل أن التفكير العلمى كان جريمة فى أوربا يعاقب صاحبها بالموت ، ولما تجرأ غاليليو الايطالى المتوفى عام ١٦٤٢ م أن يقول : ان الارض تدور ، جروه الى محكمة التفتيش وهددوه بالقتل اذا لم يكذب نفسه ، وهكذا أجبر غاليليو المسكين على تكذيب نفسه وأعلن أمام أعضاء محكمة التفتيش أن الارض لا تدور ، وبعد أن غادر المحكمة وهو لا يزال يحمل رأسه بين كتفيه ، ثارت الحمية العلمية فى نفسه من جديد فضرب الارض برجله وقال : « ومع ذلك فأنت تدورين » ، ولكن هذه الجرأة لم تتجاوز لفظ هذه العبارة واعتزل بعد ذلك فى بيته الى أن مات .

وكان ليون فوكول المتوفى سنة ١٨٦٨ هو أول عالم أوربى أتى بالبرهان القاطع على حركة الارض الدورية ، أى منذ نحو مائة سنة فقط . ومما يدل على سيطرة الاباطيل والاوهام أن الاوربيين كانوا يعتقدون أن فى المصروع أو المحموم الذى به بثرة خبيثة شيطانا ، فيتناولونه بالضرب واللكم حتى يخرجوا الشيطان من جسمه ، فاذا لم يشف هذا المسكين من دائه ، اعتقدوا أن شيطانه الذى يلبسه قوى مريد ، فأحرقوا الاثنين معا — المريض والشيطان — بنار واحدة واطمأنوا الى أنهم أرضوا الله بذلك .

١٧ — لهذا يحق القول — دون ادعاء كاذب ، أو تعصب أحمق — بأن العرب قد رفعوا ألوية العلم والحضارة ، شيدوا المدن الضخمة ، وأقاموا المدارس والمستشفيات ، وجابوا البحار لخير الانسانية ولم يعرفوا القرصنة التى كانت حرفة لبعض البلاد الاوربية ، وكانوا محط الانظار ، وقبلة طلاب الثقافة والعلم ، وكان تعلم اللغة العربية أمرا ضروريا لكل راغب فى الدراسة العلمية المثمرة ، كما أشار الى ذلك بايكون العالم الانجليزى ، وحدثنا التاريخ أن شباب

---

(٨) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة للدكتور عمر فروخ .

أوربا كان يهرب من تعاليم الكنيسة ، ويفر الى مراكز الثقافة الاسلامية وبخاصة فى الاندلس وصقلية وجزر البحر الابيض المتوسط ، ليأخذ عن العرب ثقـافتهم وعلومهم ، وقد دعا هذا الى ثورة الرهبان ضد هذا الشباب ، ولكن ثورتهم لم توقف التيار لأنه كان أقوى من كل قوة مناوئة .

كيف نهضت أوربا ؟

١٨ ــ والآن يصح أن نتساءل بعد ما تقدم : كيف نهضت أوربا ولمـاذا كانت أسبق من غيرها ؟

لقد كان احتكاكها بالعرب عن طريق السفارات والجوار فى الاندلس وجزر البحر الابيض وأيضا عن طريق الحروب الصليبية ، ثم ما كان من شعورها بالنقص واقبالها بحكم هذه العوامل على نقل علوم العرب وفلسفة اليونان التى هذبهـا العرب ، وحموها من عوادى الزمن ــ لقد كان كل هذا سببا فى تنبيه الاذهان الى وجوب التمرد ضد التخلف ، فكانت الثورات ضد محاكم التفتيش وعهـود الارهاب ، وكانت حركات الاصـــلاح الدينى التى قضت على كثير من القيم الفاسدة ، والمعتقدات الباطلة ، وخلصت العقل من اسار الجهالة والضلالة ، ودفعته دفعا قويا الى الانطلاق فى مجالات البحث الحر والتفكير المستقل .

لقد وجه العرب أوربا وجهة صالحة ، ونفخوا فيها روح البحث والابتكار وألهموها سبيل الحضارة والقوة ، وعن أوربا أخذت أمريكا ، ثم تطور هذا البناء الحضارى ــ الذى أقام أسسه العرب ــ مع الزمن ، وأصبح اليوم شاهقا يكاد يناطح القمر .

فليس من الاسراف فى القول أن الحضارة التى يعيشها العالم اليوم وضع قواعدها العرب ، وكانوا القوة المحركة الفعالة نحو مستقبل مشرق للانسانية جمعاء .

يقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد : يمكن القول أنه من القرن السادس الميلادى الى القرن العشرين لم ينشأ فى العالم أثر جديد لا يرجع الى الحضارة الاسلامية بسبب قريب أو من بعيد ، فالحضارة الاوربية فى القرن العشرين ترجع الى عصر النهضة ، وعصر النهضة يرجع الى ثقافة المسلمين فى الاندلس ، والى الثقافة التى عاد بها الصليبيون من الديار الاسلامية ، فالثقافة الاسلامية وجهت الفكر العالمى وجهة صالحة ، كان لها أعظم النتائج فى تاريخ العالم قديمه وحديثه واحدى هذه النتـائج التى لا شك فيها كشف القـارة الأمريكية(١))) .

١٩ــ ومع هذا ذهب بعض المتحاملين من الاوربيين الى انكار فضل العرب على الحضارة والانسانية ، وادعوا بأن حضـارة العرب عالة على الحضـارات الاغريقية والرومانية ، وانهم ان كانوا قد حققوا شيئا من التقدم فى مضـمار العلوم ، فان ذلك مرده الى التراث الاغريقى الذى ترجم فى عهد المأمون ، وهذا رأى تعوزه الدقة العلمية والدراسة التاريخية الاصيلة البعيـدة عن التعصب والاهواء ، لأن الحضارات جميعا تأخذ وتعطى وتفيد وتستفيد ، والحضـارة

---

(١) مطالعات ، وأثر العرب فى الحضارة الاوربية للمرحوم عباس محمود العقاد .

الاسلامية على هذه السنة الشاملة قد أخذت كثيرا وأعطت كثيرا ، ولكنها اذا وضعت فى الميزان كان لها أكثر مما عليها ، وكانت لمؤلفاتها آثارها الكبرى فى ابانها وآثارها الباقية فى العصر الحديث(١) .

٢٠ — واذا كان هذا موقف بعض المتحاملين فان كثيرا من المنصفين يؤكدون أن العرب قد حموا الحضارة الانسانية من الضياع ، وأخذوا بيد أوربا — التى قادت التطور الحضارى بعد ذلك — الى الامام .

قال روجر بايكون : ان وجود الفكر الاوربى والعلم الاوربى كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية ، لقد دعيت أوربا فجأة الى الحياة ، بعد أن ظلت غارقة فى ظلمات الجهل طوال خمسة قرون ، وهى مدينة بكل مقوماتها الى العالم الاسلامى(٢) .

ويقول وزير المعارف الفرنسية دورى المتوفى سنة ١٨٩٤ م : بينما أهل أوربا تائهون فى بيداء الجهالة ، لا يرون الضوء الا من سم الخياط ، اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم وآداب وفلسفة وصناعات ، وأعمال يد ، وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشر فى الامم واغتنم منها أهل أوربا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنونا علمية وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع الاسلام(٣) .

واجبنا اليوم :

٢١ — وبعد فان العرب الذين جنبوا البشرية طريق التخلف ، وأناروا لها سبيل القوة والحضارة قد ضعفوا بعد ذلك — لأسباب كثيرة ، لا مجال هنا لشرحها ، ولكنهم اليوم يسيرون فى طريق الحضارة والتقدم ، ويملكون أن يجنبوا البشرية طريق الهاوية والدمار الشامل ، فالحضارة الحديثة قد طغت فيها المادية والانانية والطبقية الذميمة ، والتفرقة العنصرية البغيضة ، ففى أمريكا — زعيمة العالم الحر كما يقولون — يقوم صراع مؤلم بين البيض والسود ، وفى أفريقيا تئن مستعمرات من وطأة الرجل الابيض وجشعه واستغلاله .

ان الحضارة الحديثة تعيش برئة واحدة ، أو بشطر واحد من شطرى الحضارة السليمة . انها تعيش على المادة ، ولا تعير الروح اهتماما ، لذلك نجد التسابق الرهيب نحو التسلح ، ونجد الخوف من حرب مهلكة يسيطر على الجميع ولا منجاة للبشرية الا اذا تخلت عن غلواء المادية ورجعت الى الاسس التى قامت عليها الحضارة الاسلامية .

ان الحضارة المادية وسيلة لا غاية ، فاذا انقلبت غاية أضحت نقمة لا نعمة ، ولا بد أن تقود الى الدمار .

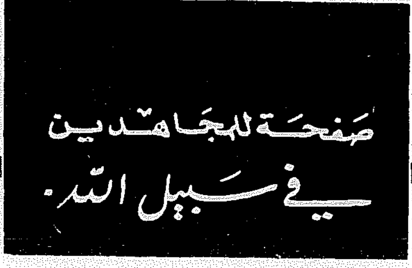
والعرب بحضارتهم الانسانية التى ترعى حظ الروح والجسد ، وتؤمن بالدنيا والآخرة عليهم أن يستعيدوا مركزهم الحضارى ويأخذوا بيد العالم الى سواء السبيل ، كما أخذوا بيده فى الماضى الى طريق النور والعرفان ، وهم باذن الله فاعلون وفى الطريق سائرون .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لاوربا لعبد الله الجرارى المغربى .



توجيهات عمر للقائـد والجنود

كتب عمر بن الخطاب الى القائد سعد بن أبى وقاص يقول :

((بسم الله الرحمن الرحيم — أما بعد — فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من ذنوبكم منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قـوة لأن عددنا ليس كعددهم ، وعدتنا ليسـت كعدتهم .

فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظـة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى اللـه وأنتم فى سبيل الله .

ولا تقولوا : ان عدونا شر منا فلن يسـلط علينا :

فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم ! كما سلط على بنى اسرائيل — لما عملـوا بمعاصى اللـه — كفـار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا .

وسلوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عـدوكم ، وأسأل الله ذلـك لنا ولكم .

وترفق بالمسلمين فى سيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عـدوهم — والسفر لم ينقص من قوتهم — فانهم سائـرون الى عـدو مقيم ، حامـى الأنفس والكراع .

وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون بها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم .

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والـذمة ، فلا يدخلها من أصحابـك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد مـن أهلها شيئا .

فان لهم حرمة وذمة ، ابتليتم بالوفاء بهـا كمـا ابتلـوا بالصبر عليهـا .

فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تنتصروا على أهـل الحرب بظلم أهل الصلح .

واذا وطئت أرض العـدو فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليكم أمرهم .

وليكن عندك من العرب — أو من أهل الأرض — من تطمئن الى نصحه وصدقـه .

فان الكـذوب لا ينفعك خبره ، وأن صدقك فى بعض .

والغاش عين عليك وليس عين لـك ..)) .



الفقيه اللغوي العلامة

الفاضل بن عاشور

للأستاذ أنور الجندي

في يوم ١٣ صفر ١٣٩٠ (٢٠ ابريل ١٩٧٠) ودع الحياة عالم من كبار علماء المسلمين هو المرحوم الأستاذ الفاضل بن عاشور فقيه تونس وعميد كلية الزيتونة وعضو المجامع العربية في القاهرة ودمشق

عاشور إمـــام المالكية فـــي تونس وعلامتها منذ أوائل القرن ، والرجل الذى التقى بالاستاذ الامام محمد عبده فى زيارته الاخيرة لتونس عام ١٩٠٤ قبل وفاته بعـــام ، وقطب الدراسة السلفية التى كانت مجلة المنـــار التى أصدرهـــا الشيخ رشيد منـــارا لها وللمغرب كله ، قال ان والده أطال الله بقاءه ، وهو ما يزال حيا ولـــه مؤلفات عديدة يتجدد صدورها فى هذه الأيام هو الذى أرشده الى هذا الطريق ، ودفعـــه الـــى أن يتزود بالثقافتين الاســـــلامية العـــربية والفرنسية الغربية .

يقول بدأت الدراسة فـــى مطالع الصبا فى البيت ، فحفظت القرآن والمتون القديمة ، ثم دخلت الزيتونة وهنالك درســـت الـــى أن تخرجت بالشـــــهادة الثانـــوية المســـماة (التطويع) عام ١٩٢٨ م — ١٣٤٧ هـ ثم واصلت الـــــدراسة العليا فـــى الزيتونة (الشريعـــة وأصول الدين واللغـــة) وعلى الشـــيخ محمد بن يوسف درســـت التفســـير وصحيح البخارى ، وعلـــى الـــوالد درسنا التفسير والموطأ والمطول للتفتازانى وديوان الحماسة .

وعلى الشيخ أبو الحسن النجـــار درســـنا علم الكـــلام (المقاصد للتفتازانى) وعلى الشيخ محمد بن القاضى درسنا أصول الفقه (شرح المحلى على جمع الجوامع) .

وكان والدى قد خطط لـــى نظاما يتضمن تعليم اللغة الفرنسية بأساتذة خاصين ، ولم أنتسب الى مـــدرسة أو الى معهد فرنسى .

ثم انتسبت الى كلية الآداب فى جامعة الجزائر لاستكمال دراستى فى اللغة الفرنسية ، وكانت الطـــريقة المتبعـــة بعد الدراسة العليا أن يتقدم الطلبة لمباريات ومناظرات للـــدخول فى سلك الاساتذية وهى مراتب ، والانتقال من كل رتبة الى ما فوقها انمـــا يتـــم بمناظرة ، وقد اجتزت المناظرات على التعاقب حتى أحرزت الدرجة الاولى عام ١٩٣٥ وقد عملت مـــدرسا فى جامعـــة الزيتونة وفى المدرسة الصـــادمية منذ عام ١٩٣٢ وأنا مستمر فى التـــدريس وظللت أواصل التدريس حتى وليت عمـــارة الكلية الزيتونية للشـــريعة وأصول الدين عام ١٩٦١(٢) .

★ ★ ★

ويمكن القول أن علامتنا قد واصل الاشـــتراك فـــى مجـــال الثقافة الاســـلامية والعـــربية منـــذ العقد الثالث ، وتوالت أبحاثه فى المجالات التونسية ورحلاتـــه فـــى الاقطـــار العربية والاسلامية ، وكانت مفاهيمه الاسلامية والعربية واضحة عميقـــة الدلالة علىغيرته وايمانه واخلاصه .

فقد كان حريصا علـــى أن يحمل لـــواء الدعوة الى الاسلام والعربية فى كل مكان ، وأن يكون مدافعا عن الفكر الاسلامى والتاريخ واللغة فى وجـــه خصومهـــــا شاجبا لأهوائهم داحضا لشبهاتهم وقد أتاه الله القدرة من ناحيتين مـــن ناحية الأداء العربى البليغ والفرنسى الطليق ، ومن ناحية اطلاعه الواسع على الفكر الاسلامى والفكر الغربى على السواء .

ولقد رددت مثل هذا المعنى على مسمعه عند لقائـــى المطول معه فى صباح الجمعة ١٩٦٩/٢/٦م فى فندق

---

(٢) وقد ظل الفقيد محتفظا بهذا المنصبحتى توفى .

شبرد بالقاهرة ، ونحن نستعرض أعماله وتاريخه فقال لى :

« انما هى ثقافة اسلامية واحدة وليست ثقافتين فهى تقوم على عامل التكون الاسلامى الصرف فأنا أنظر الى ما أقرأ بالفرنسية من ناحية المطلب الاسلامى وحده ، وأنا أرى أمامى عقلين مختلفين عقل عربى وعقل أوروبى ، وأنا ما طلبت معرفة من المعارف الفرنسية الا بدافع اسلامى ، فأنا أحس فى قرارة نفسى أن شخصيتى آتية من سعد الدين التفتازانى والسبكى حين تناقش أو تقرأ ما يكتب عن الاسلام باللغة الفرنسية » .

وفهمت من ذلك أنه يريد ألا يقال عنه أنه مثقف ثقافة غربية بمعنى أنه يؤمن بما وراء هذه الثقافة من قيم على النحو الذى يقال حين نذكر بعض الذين تعلموا فى فرنسا أو زاولوا عرض آثار الفكر الغربى عندنا .

وقد كانت حياة العلامة الفاضل ابن عاشور خصبة مليئة بالعمل والدرس والمحاضرة بين منابر المعاهد الاسلامية فى تونس وليبيا والجزائر والمغرب وفى مجمع البحوث الاسلامية ومجمع اللغة العربية وبين الكلية الزيتونية فى تونس وكلية الحقوق بها حتى كانت محاضراته تبلغ خمس عشرة ساعة فى الاسبوع ، وهو فى هذا العمل يرتجل ولا يكتب ، وقد واتته ذاكرته الخصبة ، وأسعفته عقليته الحافظة بالنصوص والمصادر على نحو بارع ، وقد كان يرى ذلك مصدرا من مصادر قصوره فى التأليف وتحرير المحاضرات والدرس على النحو الذى يلجأ اليه الاساتذة بكتابة ما يلقون فى ساحات الدرس ، وانما كان يكتفى بأن يكتب خطوطا عامة لما يتناوله ، ولذلك فقد كانت محاضراته المطبوعة فى مصر عن الحركة الفكرية فى تونس من الاعمال التى تحققت تحت تأثير الضرورة ، وان كان له الى ذلك مؤلفات أخرى منها :

١ — أركان النهضة الادبية فى تونس .

٢ — أعلام الفكر الاسلامى فى تاريخ المغرب العربى .

٣ — وله كتاب التفسير ورجاله ، الى جانب دراسات أخرى لها قيمة التأليف كأبحاثه فى مجمع القاهرة ومجمع دمشق اللغويين ومجمع البحوث الاسلامية .

وكان قد نشر فصولا منثورة فى مجلة الثريا التونسية عن مشاهير التونسيين فى القرن الرابع عشر ، وله أيضا بعض الابحاث فى مجلتى الفكر والمجلة الزيتونية .

كما شارك فى عديد من المؤتمرات الاسلامية والعربية فى مختلف بلاد الاسلام والعالم العربى كمؤتمرات الحقوقيين والمحامين العرب فى دمشق وبغداد ورابطة العالم الاسلامى فى مكة والمجلس التأسيسى فى باكستان وجامعة استانبول فى تركيا فضلا عن زياراته لاوروبا بدولها المختلفة وخاصة فرنسا وسويسرا وايطاليا ، وذلك الى شغفه بالحج والعمرة فقد أداهما عشر مرات .

كما شارك فى الاحتفال بمهرجان ابن خلدون فى القاهرة ، وحضر ازاحة الستار عن تمثال ابن خلدون المقام فى مدينة الاوقاف بالدقى .

وقد استخلصت من مراجعة آثاره وكتاباته أنه قد أضاف اضافات بناءة فى ميادين ثلاثة هى التشريع الاسلامى واللغة العربية والتاريخ الاسلامى .

وقد سألته فى ذلك فقال : ان هناك رابطة عضوية بين التشريع الاسلامى واللغة، فاللغة العربية أداة ضرورية لفهم التشريع الاسلامى ، وتعمق روح الاسلام يكاد يكون ضرورة ماسة لتذوق اللغة العربية وآدابها .

ونحن نحتاج للنظر فى تاريخ الاسلام لاستجلاء ماضينا ، وحتى نتصور ما علينا من واجبات نحو الماضى وما تربطنا به من مقومات لا نستطيع أن نخرج عنها وخروجنا عنها معناه أننا نخرج عن أنفسنا . فضلا عن حاجتنا الماسة الى التعرف على رواد نهضتنا العربية الاسلامية الأولين حتى نكون على بصيرة من الغاية التى نحن سائرون اليها الآن ، لاننا فى الحقيقة لسنا الا مواصلين السير على خطط النهضة التى خططها هؤلاء الرواد ، ولكن الطريق قد ينبهم أمامنا أحيانا ، فيكون من الضرورى لنا أن نتعرف دائما طريقنا الصحيح ، وروابطنا بقادتنا الأولين والمبادىء التى قامت عليها النهضة أصلا .

ويؤمن العلامة الفاضل بن عاشور أن العالم العربى يضم شرقين يطلق على المشرق منه وطن (الارتكاز) ويطلق على المغرب منه (وطن الامتداد) .

ويرى أن الخط الجامع بين النقطتين هو النيل ، فمن الضفة الشرقية للنيل يبدأ المشرق ، ومن الضفة الغربية يبدأ المغرب ، وقد سألته عن ذلك التمييز الواضح لدراسات المقاربة فى اللغة والفلسفة والفقه ، وذلك الطابع الذى يطبعها فقال :

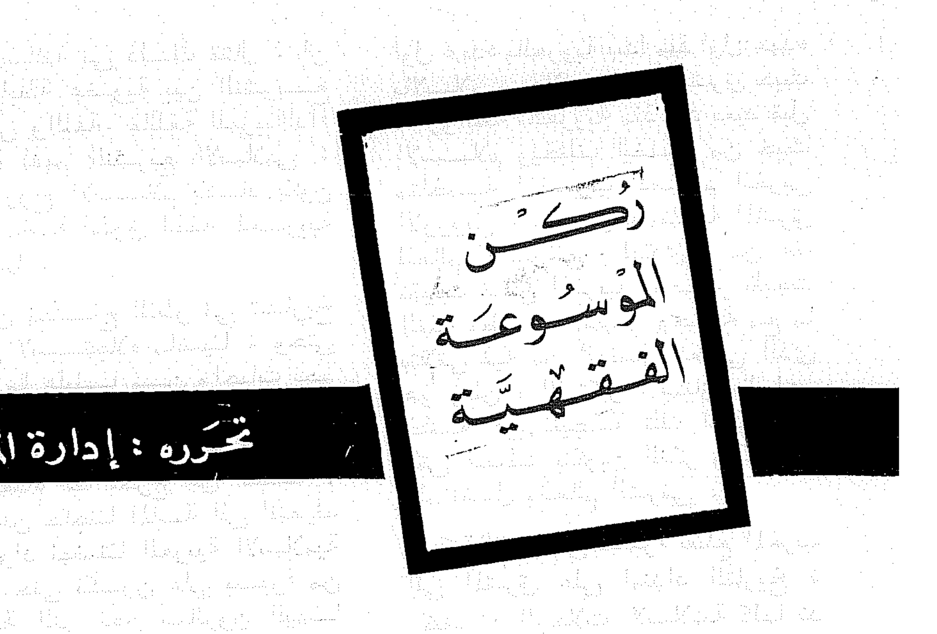
يختلف المغرب عن المشرق من حيث ائتلاف العناصر ، ومن حيث أن أول عهده بالعروبة يبدأ منذ أول عهده بالاسلام ، بخلاف ما فى المشرق حيث له روابطه بالعروبة منذ أمد بعيد قبل الاسلام ويختلف أيضا من حيث متاخمة المغرب للعالم الغربى الاوروبى ، ومن حيث متاخمة المشرق للعالم الايرانى والهندى ، من هنا تكونت فى المغرب عناصر طبعت الفكر وطبعت الادب ، وجعلته مع ما يتلاقى فيه من العنصر العربى الذى هو وطن (الارتكاز) يمتاز بظواهر خاصة هى نتيجة تلك الخاصيات التى اتصلت بتكوين الفكر والشعور ولم تتصل بالعالم الشرقى .

كما أشار الى ظاهرة تطلع المغرب الى المشرق على امتداد التاريخ ، وكيف أن الرحلات الاسلامية كلها قد بدأت من المغرب الى المشرق وليس العكس ، فقال : ان المغاربة كانوا يتطلعون دائما الى الشرق حيث بيت الله الحرام فى مكة وحيث قبلة المسلمين وملتقى وحدتهم الروحية والفكرية .

وبعد فان آثار العلامة الفاضل بن عاشور كثيرة وجديرة بالمراجعة والعرض لما تحويه من مفاهيم وآراء هى خلاصة تجربة عالم عريق أتاحت له دراسته وثقافته واتصالاته بعوالم المشرق والمغرب حصيلة ضخمة من العلم والثقافة .

هذا بالاضافة الى شخصيته الجذابة وروحه المرحة وخلقه الرفيع وذكائه الحى وبالجملة فهو أحد رواد الفكر الاسلامى العربى المعاصر ، الذين تركوا تراثا ضخما على طريق حركة اليقظة التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

« رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته » .



أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى المقال السابق لدراسات القانون المقارن فى مختلف جامعات العالم ، ومعاهده المتخصصة ، والمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات والأهمية التى تحتلها الشريعة الاسلامية فى هذا المجال .

ونتناول بالبحث الآن مجالا آخر من مجالات القانون المقارن ، وهو نشاط الجمعيات والمراكز العلمية غير التدريسية ، وما يصدر عنها من مجلات وبحوث فى القانون المقارن .

أ) وقد بدأ الاهتمام بهذا اللون من النشاط مبكرا ، فقد انشأت **عصبة الأمم** سنة ١٩٢٦ فى روما **المعهد الدولى لتوحيد القانون الخاص** وهو تابع الآن لاتحاد خاص انضمت اليه ثلاثون دولة . ويعنى هذا المعهد بدراسة أهم النظم القانونية فى مختلف البلاد ، تمهيدا للتوحيد . وقد أعد المعهد مشروعات لقوانين موحدة فى عدة موضوعات ويصدر المعهد **مجلة فصلية عن أحكام القضاء** فى المسائل التى تم فيها توحيد التشريع بين عدد من الدول .

ب) **أما فى ظل هيئة الأمم المتحدة** ، فتهتم بذلك كثير من الهيآت الدولية المتخصصة بالدراسات القانونية المقارنة . ونخص منها بالذكر منظمة العمل الدولية ، ومؤسسة اليونسكو . وقد تأسست سنة ١٩٤٩ ، تحت اشراف اليونسكو ، « **اللجنة الدولية للقانون المقارن** » بقصد انماء التعارف والتفاهم المتبادل بين الامم ، وتشجيع انتشار هذه الثقافة عن طريق نشر دراسة القوانين الاجنبية فى العالم ، واستعمال الطريقة المقارنة فى العلوم القانونية . ولهذه اللجنة شعب وطنية فى البلاد المنضمة الى منظمة اليونسكو .

وقد تابعت هذه اللجنة نشر المؤلفات والبحوث والمراجع اللازمة لتحقيق أغراضها . وتقوم اللجنة منذ عام ١٩٦٤ بعمل ضخم هو اعداد موسوعة دولية للقانون المقارن .

ج) كما تأسس سنة ١٩٢٤ **المجمع الدولى (الاكاديمية الدولية) للقانون المقارن** ومقرها قصر السلام **بلاهاى** وهو يهدف الى دراسة القانون المقارن على أسس تاريخيـــة ، والعمل على التقدم بالتشريع فى البلاد المختلفة ولا ســيما ميدان القانون الخاص عن طريق التقريب والتوفيق بين التشريعات المختلفـــة . وقد قام المجمع بتنظيم مؤتمرات دولية للقانون المقارن سنشير اليها فيما بعد . (منها مؤتمر أسبوع الفقه الاسلامى فى كلية الحقوق بجامعـــة باريس سنـــة ١٩٥١) .

د) **وفى فرنسا** أنشئت سنة ١٨٦٩ **جمعية التشريع المقارن** وهى ما زالت تواصل نشاطها حتى الآن ، وتصدر مطبوعات دوريـــة أهمهـــا نشرة جمعيـــة التشريع المقارن التى تسمى ابتداء من سنة ١٩٤٧ باسم « **المجلـــة الدوليـــة للقانون المقارن** » . وتنظم الجمعية من وقت لآخر مؤتمرات قانونية يشترك فيها مع الاساتذة الفرنسيين فقهاء من الدول الأخرى . وقد أصبح للجمعيـــة شعب فى كثير من الدول خارج فرنسا ، فى أوروبا وأمريكا .

هـ) وفى ١٩٥١ صدر مرسوم فرنسى بانشاء « **المركز الفرنسى للقـــانون المقارن** » ، ليضم جمعية التشريع المقارن الآنفة الذكر ، ومعهد القانون المقارن بجامعة باريس ، ولجنة التشريع الاجنبى والقانون الدولى التى تمـــد البرلمـــان والسلطات القضائية والجهات الاداريـــة بالمطبوعـــات التى تلزمها فى خصوص التشريعات الاجنبيـــة .

ويهدف المركز الجديد الى تحقيق التنسيق بين برامج البحوث والمطبوعات الخاصـــة بالقانون المقارن والقـــوانين الاجنبية ، والتنسيق بين مكتبات القانون المقارن وتنميـــة مراجع البحث فيه ، وتنظيم المؤتمرات الدوليـــة واســـتقبال العلماء الاجانب ، وتنميـــة الروابط معهم ويصدر المركز **مجلة فصليـــة « للعلوم الجنائية والقانون الجنائى المقارن »** .

و) **وفى انجلترا** ما زال **المعهد البريطانى للقانون الدولى والمقارن** يواصل نشاطـــه ويصدر مجلته المعروفـــة باسم « **المجلة الفصليـــــة للقانون الدولى والمقارن** » كما يصدر العديد من الدراسات القانونية المقارنة وخاصة عن دول أفريقيا وآسيا .

ز) كما ان هناك **جمعية القانون الدولى** المؤسسة سنة ١٨٧٣ ولها شعب وطنيـــة فى كثير من الدول ، وقد عقـــدت عدة مؤتمـــرات كـــان للدراســـة القانونية المقارنة نصيب كبير من نشاطها .

ح) **وفى ألمانيا** أنشـــئت سنة ١٩٢٦ **مؤسسة ماكس بلانك** التى تضـــم بضعا وعشرين معهدا للبحوث منها **معهد ماكس بلانك للقانون العـــام الاجنبى والقانون الدولى** فى هايـــد لبرج **ومعهد ماكس بلانك للقانون الخاص الاجنبى والقانون الدولى الخاص** فى هامبورج **ومعهد ماكس بلانـــك للقانـــون الجنائى الاجنبى والقانون الجنائى الدولى** فى فريبورج .

ويصدر المعهـــد العديـــد من المجـــلات المتخصصة فى هذه الموضوعات .

ط) **أما الولايات المتحدة الأمريكية** فقد تأخر الاهتمام فيهـــا بالدراســـات المقارنة ، حتى خرجت من عزلتها الدولية بعد الحرب العالميـــة الثانيـــة فبدأ الاهتمام بدراسة القوانين الاجنبيـــة دراسة ذاتية ومقارنة فى كثير من نقابات المحامين والجامعات ، وأنشئت عدة جمعيات خاصة لهذا الغرض ، **كجمعيـــة القانون الاجنبى ، والجمعية الأمريكية للدراسة المقـــارنة للقانون** . وتصـــدر

كلتاهما النشرات والمراجع والمجلات المتخصصة ، وأهمها ((**المجلة الامريكية للقانون المقارن**)) .

ى) **وفى بلجيكا** تأسس **المعهد البلجيكى للقانون المقارن** الذى يصدر مجلة فصلية باسم ((**مجلة القانون الدولى والقانون المقارن**)) .

وهناك العديد من المنظمات الدولية القانونية التى تهتم اهتماما خاصا بدراسات القانون المقارن ومن هذا القبيل :

ك) **الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين** ، ومركزها الرئيسى بروكسل بلجيكا ، وتصدر مجلة نصف سنوية تسمى : ((**مجلة القانون المعاصر**)) .

ل) **اللجنة الدولية للقانونيين** ، ومركزها الرئيسى فى جنيف (سويسرا) وتصدر مجلة فصلية تسمى ((**فى سبيل سيادة القانون**)) .

م) وأسس الاستاذ رينيه كاسان رئيس المحكمة الاوروبية لحقوق الانسان **معهدا لحقوق الانسان** ، ينفق عليه من المكافآة التى حصل عليها من جائزة نوبل للسلام ، كما أصدر مجلة فصلية تسمى :((**مجلة حقوق الانسان**)) ومركز المعهد والمجلة فى ستراسبورج فى فرنسا .

ن) كما يضم ((**مركز السلام العالمى عن طريق القانون**)) فى جنيف ونيويورك العديد من اللجان التى تهتم بدراسات القانون المقارن ، وتصدر نشرات متخصصة فى هذه الموضوعات .

س) هذا علاوة عن اهتمام المنظمات المهنية العالمية للمحامين ببعض الدراسات المقارنة وانشائها مجلات ونشرات لها وهذه المنظمات هى ((**نقابة المحامين الدولية**)) ((**والاتحاد الدولى للمحامين**)) ((**والجمعية الدولية للمحامين الشبان**)) .

الخلاصة :

ان هذه المراكز والجمعيات العلمية ومعاهد البحوث وما تصدر من مجلات وبحوث ونشرات ، لهى مجال واسع لعرض الشريعة الاسلامية وأحكامها مقارنة بالقوانين الوضعية . والاجماع منعقد على أهمية الشريعة الاسلامية ، وكونها أحد النظم القانونية الرئيسية فى العالم . وان الرغبة فى معرفة أحكام الشريعة الاسلامية قائمة لدى العاملين بهذه المراكز العلمية ، ولكن العقبة الكؤود أمامهم هى الاسلوب القديم الذى كتب به الفقه وبعثرة أحكامه المتفرقة، بين الكتب دون ترتيب ، فضلا عن صعوبة اللغة ، واختلاف المصطلحات . . .

ويوم يتحقق مشروع الموسوعة الفقهية ويترجم الى اللغات العالمية الحية ، سوف تصبح هذه المراكز الدولية مجالا خصبا لعرض الشريعة الاسلامية ، وتوضيح مزاياها ، وبحث نظرياتها فى مختلف الموضوعات .

(للبحث صلة)

ب) من أخبار الموسوعة

أولا ــ حالة الكتابة :

أ) الموضوعات الناجزة والموافقة اجمالا للخطة ولكنها تحتاج الى مراجعة أخيرة واعداد للطبع هى :

حوالة — ذبائح — نكـاح — وضوء — تعزير — اعتكـاف — نسب — صيد — لقيط — قصاص — قسمة — شركـات — **صلاة العيدين** — صـلاة الجمعة — آنية — اجارة — أضحية — عقيقـة — جنائز — أمـوال الحربيين — أوقات الصلاة — مزارعـة — جعالة — ايـلاء .

ب) الموضوعات الناجزة والتى نظر فيها مبدئيا وابديت عليهـا ملاحظـات واعيدت الى كتابها لاجراء التعديل عليها هى :
اللباس — المرتد — الظهار — اللعان — الاذان والاقامـة .

ج) الموضوعات الناجزة والتى ما زالت تحت النظر والدراسـة بالادارة لتكليف الكاتب أو غيره بتعديلها هى :
الصلح — الاستسقاء — الارث — المستأمنون — الذميون — القضـاء — التيمم .

د) الموضوعات التى تم تخطيطها من الاساتذة الكتـاب وعدلت مخططاتها من قبل الادارة ثم اعيدت لاصحابها وهى الآن تحت الكتابة هى :

الوكالة — الأيمان — الاحتكار — التسعير — الكفالة — الرهن — الغسل — الصوم — المساقاة — المغارسة — الحلى — الشفعة — نفقة الاولاد والاقارب — الطلاق — العدة — صلاة الوتر — صلاة النوافل — التركـات — الزكاة — دار الاسلام ودار الحرب — دولة الاسلام — المعاهدات .

هـ) الموضوعات التى خططها الاساتذة المكلفون بها وهى الآن فى الادارة تحت النظر لتعديل التخطيط هى :
صدقة الفطر — التمثيل السياسى — اللقطة — الاقرار — الايـداع — الحدود — الحج والعمرة — صلاة المريض — صـلاة المسافر — مسئوليـة الدولـة — الرضاع .

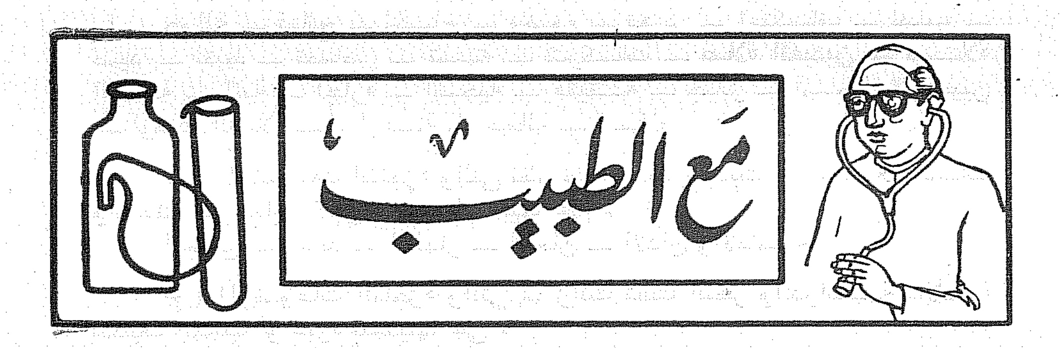
و) الموضوعات التى كلف بها اساتذة كتـاب وهى الآن تحت التخطيط من قبلهم لارسال مخططاتها لاعتمادها أو تعديلها هى :
القرائن (من الاثبات) — الشهادات (من الاثبات) — الديات والمعاقل — البغـاة — الوصية .

ثانيـا : —

بدأ اعداد قسم التصوير والاجهزة العلمية بشراء بعض اجهزة ضرورية فى هذه المرحلة ، مع استمرار الاستعانة بقسم التصوير بجامعة الكويت بالنسبة لما لم يتيسر بعد للموسوعة من الأجهزة الأخرى .

ثالثـا : —

زاد جهاز العمل بادارة الموسوعة بندب أمين مكتبة الوزارة مسـاعدا علميا ، وبتعيين مختص فى المكتبات أمينا لمكتبـة الموسوعة ومسئولا عن تنظيم الاوراق والملفـات .



أمراض الصيف

للدكتور : محمد ابو شوك

لا يكاد يمضى الربيع بجماله ، وبهجة أزهاره ، وطيب أريجه ، وما يكتنف هذا الجمال من بهجة فى النفس وراحة بال — وتأمل فى ذلك الجمال الذى يضفيه الخالق على الطبيعة — ولكن وسط هذا الجمال البديع يعانى بعض الناس من أمراض خاصة بهذا الفصل من السنة ، منها وأكثرها شيوعا أمراض الحساسية — من رمد ربيعى ، والتهابات الانف والحلق ، وحساسية فى الجلد — والربو وغيرها .

ثم يأتى الصيف بحرارته الشديدة فيهرب الناس من لقائه ، فمنهم من يأوى الى مكان مرتفع تقل فيه درجة الحرارة ، ومنهم من يذهب الى شاطىء بحر لعله يجد ملاذا بين أمواجه وعليل نسماته .

ومع كل هذا فان للصيف أمراضه الخاصة التى تلاحق الانسان سواء مكث فى منطقته الحارة أو اعتصم بجبل — أو أمضى وقته بجوار شاطىء .

ولعل أبرز هذه الامراض ما يصيب الانسان من ارتفاع درجة الحرارة . فهناك الانهاك الحرارى ، وضربة الشمس أو ضربة الحر — ثم الامراض الجلدية التى تنتج من التعرض لحرارة الشمس ، ثم الآلام المفصلية والعضلية ، والحميات المعوية ، والتسمم الغذائى .

ثم يجىء السؤال على كل لسان ، ماذا عن المرضى بالامراض المختلفة فى الصيف ؟

أولا — الامراض التى تنتج من ارتفاع درجة الحرارة :

أ) الانهاك الحرارى :

هو احساس المصاب بهبوط عام فى جسمه ، وعدم القدرة على القيام بأى مجهود عضلى — وحدوث تقلصات فى العضلات خصوصا فى الرجلين ، وتقلصات فى أعلى البطن ، مصحوبة بألم شديد — وكذلك يحس المصاب بدوار وصداع ، وفقدان الشهية للأكل وربما قىء ، وفى الحالات الشديدة اغماء ، وربما انهيار تام وعدم القدرة على الحركة — ويكون الجسم باردا ومغطى بعرق غزير بارد .

والسبب فى ذلك هو التعرض للحر ، وفقدان العرق الغزير ، الذى يحتوى على كمية كبيرة من الملح (كلوريد الصوديوم) وهو السبب فى هبوط الضغط ، والهبوط العام الذى يحس به المصاب — والوقاية هنا هامة — فاذا تعرض الانسان للحر ، وتسبب عن ذلك عرق غزير وجب عليه أن يعوض ما يفقد من ماء وتكون كمية الملح فيه زائدة — أو أن يأخذ أقراص ملح ويكثر الملح فى طعامه .

ب) ضربة الحر — أو ضربة الشمس :

وتحدث هذه من التعرض لحرارة الشمس — أو أى مصدر حرارى ، ثم توقف الجسم فجأة عن افراز العرق — فتتجمع الحرارة داخل الجسم — فترتفع حرارته — ويجف الجلد ، ويشعر المصاب بصداع شديد ودوار — وغثيان وقىء — ثم هذيان — وفى الحالات الشديدة تشنجات ثم غيبوبة . وفى الحالات الشديدة ، يحدث نزيف فى الجلد — من الانف ومن أجزاء مختلفة فى الجسم .
والوقاية هنا هامة أيضا ، فيجب الابتعاد عن مصدر الحرارة — وكذلك نقل المصاب فى أسرع وقت ممكن الى أقرب مستشفى ليعالج ، لأنه كلما مضى وقت على اصابته كلما ازدادت حالته سوءا ، وتعرض لمضاعفات شديدة ربما أودت بحياته ، والى حين نقله الى المستشفى يجب أن لا نفوت الفرصة عليه لتخفيض درجة حرارته وذلك بتخفيف ملابسه ، ووضع ماء بارد على رأسه وأطرافه مع تدليك جسمه بالماء البارد ، حتى تنخفض درجة الحرارة . ولا نضيع وقتا طويلا فى نقله الى أقرب مستشفى لتكملة العلاج ، وذلك بالتبريد تدريجيا ووضعه فى غرفة خاصة مكيفة ، ثم تعويضه السوائل التى فقدها اذا حدث ذلك .

ﻫ) التعرض للشمس :

لمدة طويلة دون وقاية يعرض الجلد والعينين الى مضاعفات عدة ، يتأثر بها من ليس عنده القدرة على تحمل أشعة الشمس ، وذوى البشرة غير الملونة لأن تلون البشرة يحميها من التأثر بالاشعة فوق البنفسجية ، ويحدث أن يحمر الجلد المعرض للشمس والاحساس بحرقة فيه مع الميل الى حكه .

وفى الحالات الشديدة يتورم الجلد ، وبعد مرور ساعات يغطى بفقاعات صغيرة سرعان ما تكبر ، وتمتلىء بسائل شفاف ، وتكون هذه محاطة بجزء ملتهب أحمر من الجلد — وفى الحالات الشديدة ربما تعرض لالتهاب بميكروب ، مما يسبب تقيحها وما يعترى الجسم من مضاعفات ، مع الارتفاع فى درجة الحرارة والاحساس بالاعياء الشديد . وفى الحالات الاشـــد ، يصحب ذلك صداع وقىء .

والوقاية هنا أيضا خير من العلاج فيجب أن لا يعرض الانسان نفســه للشمس لمدة طويلة ظنا منه أن هذا مفيد للصحة ، ويحرق جلده وعينيه — ويختار الوقت المناسب للتعرض أى فى الصباح الباكر أو بعد الظهيرة ، واذا كان ممن يتأثرون بأشعة الشمس وجب عليه تغطية الاجزاء الحساسة بدهان (بكريم) Uvostat وما شابهه ، ويلاحظ فى ذلك أن لا يغطى الجسم جميعا ، والا منع العرق من التبخر من على الجسم ، والذى هو هام فى تنظيم حرارة الجسم وكم شاهدنا حالات غطى المعرض نفسه للشمس معظم جسمه (بالكريم) ، قد أصيب بضربة شمس نتيجة لذلك ، فعليه أن يغطى الاجزاء الاكثر تعرضا كالوجه والساعدين والكتفين وأعلى الظهر .

أما اذا التهب الجلد فأحسن علاج الآن هو استخدام الغسولات التى تحتوى على مركبات الكورتيزون مثل (Celestoderm) وما شابهها ، أما اذا حدث لها التهاب وتقيح فتستعمل المركبات الحيوية للتغلب على مثل هذه الحالات مع المراهم المضادة لهذه الميكروبات ، وفى الحالات الشديدة يستشار الطبيب فى العلاج .

ثانيا — الامراض التى تصيب العضلات والمفاصل :

ورب سائل يقول : كيف يحدث ذلك فى الصيف والجو حار ؟ ولكن لوحظ أن هذه الامراض تزداد فى الصيف نتيجة للتعرض للتيارات الشديدة من النوافذ أو « المراوح » أو المكيفات — ويسبب ذلك تقلصات شديدة فى العضلات ، وآلام فى المفاصل يشتد فى الصباح الباكر عند الاستيقاظ من النوم ، أو بعد القيلولة ، بعد أن يكون الجسم قد تعرض لهذه التيارات فترة طويلة — بل لا يكاد الانسان أن يتحرك من شدة الالم — ويجدر بنا ملاحظة عدم التعرض لمثل هذه التيارات الباردة ، وتغيير الجو من حار الى بارد ومن بارد الى حار فى فترات وجيزة — وأن نبعد أسرة النوم عن المكيفات .

واذا حدثت مثل هذه الآلام فأقراص الاسبرين أو الباراسيتامول أو ما شابهها ، هى العلاج الناجع فى مثل هذه الحالات — مع تدليك العضلة المصابة بعد تسخينها وعدم تعرضها للبرودة مرة أخرى .

ثالثا — الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى :

ولعل أخفها تلك التلبكات المعوية والمعدية التى تحدث من آن الى آخر ، لمن يذهبون الى أماكن غير التى تعودوا عليها ولعل ذلك يرجع الى تغير فى

أطعمتهم والمياه التى يتناولونها واختلاف الاكلات التى تعودوا عليها . نصيحتى لهؤلاء أن لا يكثروا من الاكل الذى لم يتعودوا عليه ويجعلوا الحديث الشريف نصب أعينهم « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ، وفى بعض الحالات تزداد هذه التلبكات شدة ويحدث قىء شديد واسهال نتيجة للتسمم الغذائى الذى يحدث من تلوث الطعام بميكروبات أو افراز هذه الميكروبات وما أكثرها فى الصيف ، وما أكثر طرق نقلها بالذباب الذى يهيم على الاطعمة ، وأحب أن أشير هنا الى أن التسمم الغذائى انما يرجع الى عدم الاعتناء بالنظافة التى هى من أهم أسباب الوقاية « النظافة من الايمان » كما يرجع الى الاهمال وترك الاطعمة دون حفظها فى أماكن خاصة لكى لا تتلوث وتبقى فى حالة سليمة جيدة ، ويا حبذا لو حفظت الاطعمة فى ثلاجات خاصة واخراجها فقط عند تناولها ، وعدم تناول أى طعام مشكوك فى صلاحيته . واذا حدث التسمم وجب على المصاب أن يتخلص مما تناوله ، بأن يأخذ ماء به نسبة عالية من الملح ويتقيأ .

ولعل أقسى الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى فى الصيف هى اصابته بالحميات المعوية كالتيفود والباراتيفود ، وهى حميات معدية نتيجة لاصـابة الامعاء بميكروب خاص (باسيلوس) يذهب مع الطعام الى الدم ، ومنه الى الامعاء الدقيقة مسببا تقرحات بها ، ويصحب ذلك ارتفاع فى درجة الحرارة ، والشعور بالاعياء الشديد ــ وآلام فى المفاصل والعضلات ، وصداع مع الانتفاخ والامساك ، وفى بعض الحالات يعقب الامساك اسهال مع آلام فى البطن ، ويعقب الاسهال امساك وهكذا ، وفى الحالات الشديدة تكون الحمى مصحوبة بهذيان وفى الحالات الاشد يحدث فقدان للوعى . وفى بعض الحالات تتغير هذه الصورة ، وربما كان المرض خفيفا وتعترى المريض حمى طويلة الامد مع تلبك بسيط فى الامعاء ، تحير المريض كما تحير الطبيب بعض الوقت ، وفى النهاية بعد الفحص وعمل التحليـلات اللازمة ، تكون حمى التيفود أو الباراتيفود . والوقاية أيضا فى هذه الحميات واجبة ، والابتعاد عن المأكولات التى لا يؤمن لها ، ولا يعتمد على أصحابها ، وحث أبنائنا على عدم شراء المثلجات التى تباع مع الباعة المتجولين ، والتى كثيرا ما تتعرض للتلوث بميكروب التيفود ، خصوصا من حامل المرض أو بتلوثها من الذباب .

ونصيحتى فى علاج المريض بحمى التيفود أن يكون بالمستشفى ، لأن هذا المرض يحتاج الى عناية خاصة ، من نواحى العلاج والتمريض بحيث لا تنتقل العدوى ــ وكذلك لكثرة حدوث المضاعفات ، وللتغلب عليها فى بادىء ظهورها خوف استفحالها ــ فلقد قابلت مرضى كثيرين يحبذون العـلاج فى بيوتهم ، وما أضر ذلك عليهم وعلى من حولهم .

رابعا ــ ولعل الصورة تكتمل اذا ما طرح السؤال :

وماذا عن المرضى فى الصيف ؟

ونصيحتى لهؤلاء أنه من الواجب أن يتمتعوا باجازات فى الصيف ، ويبتعدوا عن الجو الحار ما أمكن ، لأن ذلك يساعد على تغلبهم على مثل هذه الامراض ،

ــ البقيــة ص ٨٤ ــ

من ارشيف المحاكمات





ترجمها عن التركية : ابوليلى

نبذة تاريخية :

فى ٢٥ كانون الاول لسنة ١٩٢٥ وضع كمال أتاتورك قانون الزى فى تركية ، وبموجب هذا القانون حرم لبس أى غطاء للرأس عدا القبعـــة وذلك تشبها بالغربيين . وتشكلت محكمة الاستقلال لمحاكمة كل شخص يعمل ضد النظام القائم .

ومن بين عشرات بل مئات الحوادث التى جرت فى هذه المحكمة نقـــدم نموذجا تاريخيا واحدا لاحدى هذه المحاكمات .

المنظر الاول :

(محكمة الاستقلال فى أنقرة .. رئيس المحكمة (كل على) (١) وأعضاء المحكمة فى أماكنهم . وفى قفص الاتهام نرى الشيخ عاطف أفندى . والتهمة الموجهة اليه هى نشره رسالة صغيرة يدافع فيها عن تستر النساء ويهاجم لبس القبعات . وهو يحضر الآن المحكمة بعد أن قضى عدة أشهر فى السجن .

والشيخ عاطف نشر تلك الرسالة قبل صدور قانون القبعات ، حتى أن بوليس الدولة كان آنذاك يتعقب بشدة الافراد القلائل من المسلمين الذين كانوا يلبسون القبعات . واستنادا الى قاعدة أن القانون الجنائى لا يسرى على ماسبق فقد كان من المستحيل توقيع العقوبة على الشيخ . وهذه الجلسة هى الجلسة الاخيرة اذ سيدافع الشيخ عن نفسه وستصدر المحكمة قرارها .

وفى ليلة اليوم الســـابق لهذه الجلســـة كان قد حدث حادث غريب فى السجن . فقد كان الشيخ مسجونا مع المرحوم طاهر المولوى فى نفس الغرفة ، وبناء على اصرار طاهر المولوى يكتب الشيخ دفاعه ثم يرقد وينام . وفى الحلم يظهر له منقذ الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له : (لـــماذا كتبت دفاعا ..؟ ألا تحب أن تتعجل لقاءنا ؟) ويهب الشيخ من نومه والرعدة تسرى

فى أوصاله ويسرع الى تمزيق دفاعه ثم يتوضأ ويصلى . وبعد قليل يستيقظ طاهر المولوى ويشاهد قصاصات الاوراق على الارض فيتساءل : (ماذا فعلت ؟) فيخبره الشيخ بالرؤية ويبكيان معا .

والمحاكمة التى ذكرناها فى أول المقال تجرى فى صباح تلك الليلة .

رئيس المحكمة (مخاطبا الشيخ عاطف) : قف أيها المتهم .. ان التهمة الموجهة اليك هى أنك قد كتبت رسالة ضد لبس القبعة ، ان جريمتك خطيرة فماذا تقول ؟

الشيخ عاطف : لقد كتبت تلك الرسالة قبل صدور هـذا القانون لذلك فاننى برىء .

الرئيس : ستنظر المحكمة فى ذلك . والآن أسرد دفاعك .

الشيخ عاطف : اننى برىء لذلك لا أرى حاجة للدفاع .

(علامات الحيرة والغضب لدى أعضاء المحكمة) .

الرئيس (مخاطبا المدعى العام) : يرجى بيان مطالبكم .

المدعى العام : أطالب بانزال عقوبة السجن بالمتهم .

الرئيس : تعطل الجلسة للمداولة .

(ينسحب أعضاء المحكمة الى غرفة المداولة .. وبعد فترة يعودون ويتخذون أماكنهم) .

الرئيس (يقرأ القرار بكل جبروت) : قررت المحكمة باتفاق الآراء اصدار حكم الاعدام على الشيخ عاطف المدرس فى مدارس فاتح وذلك لمعارضة القرارات الثورية لحكومتنا بكتابته رسالة ضد لبس القبعات .

(يخيم سكون كسكون الموت على قاعة المحكمة .. وقد تملكت الدهشة المدعى العام نفسه .. الجنود يخرجون الشيخ عاطف من المحكمة) .

الشيخ عاطف (بكل سكينة ووقار) : سيأتى يوم على الظالمين يقولون فيه (تا لله لقد آثرك الله علينا) .

□ □

المنظر الثانى :

منطقة (دارلوس) فى أنقرة .. من خلال الضوء الباهت للصباح الباكر تظهر منصة الاعدام على جانب الشارع المؤدى الى جامع (الحاج بيرام) .

يؤتى بالشيخ عاطف المحكوم عليه بالاعدام ، الى غرفة الانتظار وقد ألبسوه قميصا أبيضا ويحضر معه كذلك الجلاد وشرطة السجن وبعض الموظفين العدليين يشدون يديه من الخلف ثم يعلقون على رقبته قرار حكم الاعدام ..

وتنتهى فترة الانتظار لتنفتح أبواب العالم الابدى وتقترب لحظة اللقـاء فتتحرك شـفاه الشيخ بدعاء خافت ثم يتقـدم ببطء نحو المنصـة ويرتقى درجاتها .

أحد الموظفين (بعد قراءة قرار الاعدام) : ما هى أقوالك الاخيرة ؟

الشيخ عاطف : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

يدفع الجلاد الكرسى الموجود تحت أقدام الشيخ عاطف .. يتدلى جسد الشيخ فى الهواء ويلتف الحبل المدهون حول رقبة الشيخ .

وفى هذه الاثناء يسمع صوت أذان الصبح من منارة جامع (الحـاج بيرام) :

ـــ الله أكبر .. الله أكبر ..

وجسد الشيخ يتدلى فى الضوء الباهت للصباح ، وتهب ريح خفيفة باردة محولة وجه الشيخ عاطف نحو القبلة .

وبخطوات وجلة وعيون ملأتهـا الدموع يشـاهد بعض المسلمين وهم يدخلون الجامع لأداء صلاة الصبح .

□ □

المنظر الثالث :

وتمضى السنون ويهرم (كل على) رئيس محكمة الاستقلال سابقا ويصاب بمرض عضال وينقل الى المستشفى .

(أمام غرفة الرئيس السابق للمحكمة يقف طبيبان شابان) .

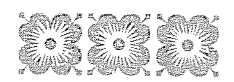
الطبيب الاول : الحقيقة أننى لا أستطيع بعد الآن الدخول الى غرفة هذا المريض .

الطبيب الثانى : ولـماذا ؟

الطبيب الاول : أتمنى من الله أن لا يبتلى أحدا بمثل هـذا المرض اذ لم اشاهد طيلة حياتى مرضا بهذه الدرجة من الفظاعة والالم .. كم هو شىء مرعب يا الهى ..!! ان قاذوراته تخرج من فمـه .. المكان كله ملوث بالنجاسـة وبالقاذورات .. والادهى من ذلك أنه لا يموت كى يستريح ، بل يتقلب بين النجاسة تحت وطأة آلام فظيعة ، ومن شدة آلامه يمزق الاغطية واللحاف . ان حاله من الفظاعة والفجاعة بحيث لا يستطيع أحد من المرضين أو الاطباء الاقتراب منه .

الطبيب الثانى : (يقترب من الباب ثم يفتحه بهدوء .. تسمع أصوات لهاث وصرخات تقشعر لها الابدان .. وتنبعث من الغرفة رائحة كريهة لا يمكن تحملها) اف .. لا أستطيع التحمل ..

(يبتعد الطبيبان بسرعة وهما يكادان يتقيآن) .



شريطة أن يداوموا على العلاج ، وأن يعطوا أجسادهم قسطا وافرا من الراحة وبذلك يكونون قد أدوا ما عليهم لأبدانهم، مصداقا لحديث رسول الله « ان لبدنك عليك حقا » ولعلني أخص بالذكر المصابين بارتفاع في ضغط الدم ـ ومرضى البول السكرى ـ ومرضى حصى الجهاز البولى .. ففى مرضى ارتفاع ضغط الدم ، خصوصا الذين تعرضوا لمضاعفات هذا الارتفاع من هبوط في القلب أو نوبات ذبحات صــدرية ، أو التعرض لثقل في اللســـان ، أو ضعف في أحد الاطراف ، لا بد لهؤلاء من أن لا يعرضوا أنفسهم لجو شديد الحرارة ، وأن لا ينسوا علاجهم في هذه الفترة الحرجة ، وان كان في استطاعتهم قضاء اجازة في جو معتدل فعليهم أن يقوموا بهـــا ، لأن في ذلك ما يبعد احتمـــال حدوث المضاعفات الشديدة ، وما أحرى هؤلاء أن يتحلوا بالصبر ، وعدم الهياج لأتفه الاسباب ، لأن ذلك يعرضهم لهزات شديدة يرتفع بسببها الضغط ـ ولا يجهدوا أنفسهم ويجعلوا لهم نظاما خاصا وهو الاعتدال في كل شيء ، مع الراحة بعد الوجبات والذهاب الى النوم مبكرا .

مرضى البول السكرى :

واعنى بذلك الذين يعانون من المرض لفترة طويلة ـ والذين يعـــالجون بكميات كبيرة من الانسيولين يجب على هؤلاء أن يراعوا بدقة الوجبـــات التى يتناولونها ، وكمية الأنسيولين ـ وتحليل البول باستمرار ، لأنه في الصـــيف تقل الوجبات ويزداد تعاطى السوائل ، كما يجب عليهم أن يراجعوا طبيبهم عند حدوث أى مضاعفات أو تعرضهم لأمراض أخرى . ويا حبذا لو قضى هؤلاء فترة طويلة بعيدا عن الجو شديد الحرارة ـ ليقوا أنفسهم من المضــــاعفات الكثيرة التى تحدث في مثل هذا المرض .

مرضى حصى الكلى ومجرى البول :

وهم يتعرضون في الصيف لتكرار نوبات المغص الـــكلوى ـ لأن البول يتركز كثيرا بسبب العرق الغزير ، وتقل كمية البول مما يســـاعد على زيادة الترسب ، وحدوث حصيات جديدة ، والتعرض للالتهاب في مجرى البول ـ لذا كان من الواجب على هؤلاء أن يشربوا السوائل بكثرة حتى يعوضوا ما يفقدون من عرق ويحافظوا على زيادة كمية البول وادراره ، وبذلك يتغلبون على حدوث حصى جديد .

ولكى نقضى صيفا ممتعا ـ متمتعين بالصحة والسعادة علينـــا أن نقى أنفسنا ونسمع لنصيحة أطبائنا ، تمشيا مع رسولنا الكريم حين يقول « تداووا فان الله قد خلق الداء والدواء » .



نجاسة الخمر

السؤال :

اثبتت بعض التجارب العلمية الحديثة أن (الخمر) عند تحضرها : تمر على عمليات كيميائية . تشبه الى حد كبير جدا العمليات الكيمائية التى يمر بها الطعام فى الجهاز الهضمى الى أن ينتهى بالفضلات (ألبراز) ما رأى الشرع أذن بعد هذه النتائج التحليلية فى نجاسة الخمر ؟

(حسين عبد الجليل ــ المحرر العلمى بجريدة البلاغ) .

الاجابة :

أجاب على هذا السؤال والذى يلية فضيلة الاستاذ مصطفى احمد الزرقا .

جمهور الفقهاء والمذاهب الأربعة متفقة على الحكم بنجاسة الخمر كالدم والبول ، لأن القرآن وصفها بأنها رجس وأمــر باجتنابها ، ومعنى الرجس فى اللغة : القذر ، واستعمله القرآن فيما يجب الابتعاد عنه بتاتا ، وهذا يوجب فى نظرهم الحكم بنجاسة الخمر . والقذارة فيها اعتبارية للتنفير .

وهناك من الفقهاء والمجتهدين من يرى عدم نجاســتها ، بحجة أن الآية الكريمة لا تدل على النجاسة ، لأن الأمــر باجتنابها ، أنما يدل على التحريم ولا يلزم منه النجاسة ، بدليل انها قرنت فى الآية بالميسر والأنصاب والأزلام ولم يقل أحد منهم بنجاسة شىء من هذه الأشياء ، والميسر لعب لا يقبل الحكم بنجاسة ولا طهارة وأن كان حــراما . كما أوضحه الامام النووى الشافعى فى المجموع (٢/٥٦٤) .

أما مراحل التفاعل الكيماوى التى يمر بها العصير الى أن يتخمر فلا عبرة له فى قضية النجاسة والطهارة التى مصدرها النص الشرعى ، ومهما كان هذا التفاعل فان التخمر فى نهايته لا يشبه تحول بقايا الطعام الى فضلات وبراز .

□ □

الطلاق لايقع

السؤال :

كنت أتحدث مع زوجتى بشأن لباسها وطوله وقصره (وهى والحمد لله تلبس الطويل جدا) فقلت : (ان تقصير اللباس بســببه يمكن الواحد يطلق زوجته) فهل يقع الطلاق بهذا اللفظ ، وقد ذكرته بشأن من يخالفون تعــاليم الدين ويخالون أنه عقيدة فى الضمير دون تنفيذ الشريعة ! . .

(... ـ الكويت) .

الاجابة :

لا يقع بهذا الكلام طلاق وليس له تأثير ما بين القائل وزوجته ، لأن لايقاع الطلاق ألفاظا وشرائط لا تتوافر فى هذا الكلام . ومن أهم تلك الشرائط أن يقصد المتكلم التلفظ باللفظ الدال على أن المتكلم قد أوقع الطلاق على زوجه .

□ □

صندوق التوفير والادخار

السؤال :

١ ـ هل يجوز شرعا ايداع الاموال فى البنوك باسم القصر خاصة على سبيل التوفير والادخار ؟

٢ ـ هل يجوز شرعا للقاصر المميز سحب أمواله ؟

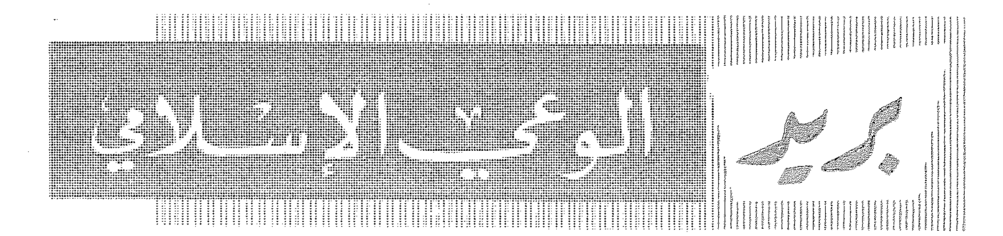
٣ ـ ما هى السن المحددة فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه التى يعتبر الصبى فيها مميزا عند بلوغها ، ثم يجوز له التصرف فى أمواله .

الاجابة :

١ ـ يجوز شرعا ايداع الاموال فى البنوك باسم القصر بشرط ألا يؤخذ عنها فائدة .

٢ ـ لا يجوز للقاصر أن يسحب بنفسه شيئا من هذه الاموال ، ولويه الشرعى الذى يحدد اسمه فى الاستمارة الخاصة بذلك أن يسحب منها ما يراه لازما لمصلحته .

٣ ـ السن التى يعتبر القاصر عند بلوغها راشدا ويجوز له التصرف فى أمواله هى ثمانية عشر عاما .



مفهوم عقوق الوالدين ، وصوره

قرأت فى كتاب فى (الكبائر) شرح كبيرة عقوق الوالدين والاحاديث الرهيبة المتصلة بها ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أعيش فى حيرة بشأن بعض حقوق الآباء التى تعكر صفو حياة الابناء أو تبدو تجاوزا على حقوق وواجبات أخرى كما فى الامثلة التالية :

مثال ١ : الجهاد ، كيف بمن يود القيام بهذه الفريضة بالرغم من منع والديه له ؟ وكيف التوفيق بين حديث (أحى والداك ففيهما فجاهد) وحديث (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) ؟

مثال ٢ : ما الحكم فيمن يعطى أبويه كفايتهما من النقود ومتطلبات الحياة ثم يطالبانه بالزيادة دون حوج ، وهو ذو عيال ، وعليه مسئوليات ، فهل يعد رفضه عقوقا .. وما المراد من حديث (أنت ومالك لأبيك) ؟

مثال ٣ : اذا كانت الزوجة تعامل والدى زوجها أحسن معاملة ويريد الابوان من الزوج أن يطلقها أو يتيح لهما السيطرة عليها أو يحرمها من المنزل المنفصل عنهما ، فهل يطلق الزوج امرأته ارضاء لأبويه وامتثالا لبعض الاحاديث التى تدعو الى ذلك ؟

آنسة ش. ص. السودان

أحلنا هذه الرسالة الى الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير موسوعة الفقه فتفضل بالاجابة التالية :

قرر الاسلام للوالدين حقوقا مادية ومعنوية أوجب على الولد رعايتها واحترامها وحسن أدائها ، وفى رأس حقوقهما المادية عليه أن ينفق عليهما اذا احتاجا ، وفى رأس حقوقهما المعنوية بره بهما فى كل وجوه البر ، واجتناب عقوقهما فى كل وجوه العقوق .

وان بر الوالدين يتجلى فى فعل ما يرضيهما ويسرهما ، من طاعة لأوامرهما وتحقيق لرغائبهما فى المعروف ، وأن عقوقهما يتجلى فيما يؤذيهما أو ينغصهما من قول أو عمل ، ويقول الفقهاء : ان الفعل السيىء يعتبر عقوقا اذا كان من شأنه أن يؤلم الوالدين (كسوء الادب معهما مثلا) وان لم يؤلم الوالد الذى أساء ابنه الادب معه لفرط محبته له وتولعه به ، والاخلال ببر الوالدين درجات : من المخالفة اليسيرة الى العقوق والايذاء الذى هو أيضا درجات متفاوتة .

هذا ، ولكن الشريعة الاسلامية من أبرز مزاياها أن تعاليمها تحفظ التوازن بين جميع الجهات الواجبة الاعتبار ، فهى لا تقبل أن تطغى رعاية نوع من الحقوق والواجبات على رعاية نوع آخر منها ، وميزان هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحادثة المشهورة : (ان لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك

حقا ، ولزوجك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه) الى نصوص أخرى كثيرة فى الكتاب والسنة الثابتة ، ففى ظل ذلك تقيد طاعة الوالدين شرعا بأن لا تكون فى معصية لله تعالى لقوله تعالى : ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) فهناك نصوص عامة ينبسط سلطانها على جميع آفاق الحقوق والواجبات فتضع لها حدودا ملحوظة تحفظ التوازن ، والشرع حقوق وواجبات متقابلة ، فكما أوجب على الولد بر والديه أوجب عليهما تسهيل هذا البر عليه وعدم ارهاقه فيه .

بعد هذا الايضاح للأصول أقول :

١ — فى الخروج الى الجهاد اذا أراد الولد الخروج وكان هناك من سواه من يغنى عنه ويسد مسده ووالداه أو أحدهما فى حاجة اليه لا ينبغى له أن يخرج ويتركهما ، فبقاؤه معهما من الجهاد لأن الجهاد يستدعى تخليف بعض المكلفين فى البلد والاهل ، وعلى هذا يحمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((ففيهما فجاهد)) .

أما اذا أصبح الجهاد فى بعض الاحوال واجبا عينيا عليه لعدم وجود من يسد مسده ، فليس خروجه عندئذ عقوقا ولا منافيا للبر وان لم يأذنا له .

٢ — ومن يعطى أبويه كفايتهما من النفقة ومتطلبات الحياة فقد أدى واجبه شرعا ، وان تطلبا شططا واسرافا فوق الحاجة المعروفة فليس واجبا عليه ، وان أراد أن يتطوع بالزيادة فذلك اليه ما لم يكن ذلك على حساب واجبات مالية أخرى عليه .

أما قول الرسول صلى الله عيه وسلم : (أنت ومالك لأبيك) فليس معناه التمليك فى نظر الفقهاء ، بل هو للتنبيه الى مبلغ حقوقهما وأن ما جناه من مال انما هو بفضل تربيتهما له حتى أصبح كبيرا قادرا مكتسبا ، فعليه أن يمتعهما بماله بسخاء .

٣ — اذا كانت الزوجة تعامل والدى زوجها معاملة حسنة وهما يكرهانها ويطلبان اليه تطليقها دون ذنب منها أو اساءة ، فليس عليه اطاعتهما لأن هذا منهما شطط واساءة وعدوان ، فلا يجوز له اطاعتهما فيه ، وما روى من بعض حوادث تاريخية فى صدر الاسلام بخلاف ذلك له تأويل آخر .

هذا ، وفى كل موطن مما لا يكلف الولد فيه باطاعة والديه فى معصية لا يجوز له الا الرفض برفق وحكمة دون اساءة لهما بالقول لأن المقصود يتحقق بعدم المجاراة لهما فى معصية وعدوان ، ولقول القرآن فى تتمة الآية السالفة الذكر : ((وصاحبهما فى الدنيا معروفا)) والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

شهداء اليرموك

شيع فى احتفال رسمى ستة عشر شهيدا من لواء اليرموك الكويتى استشهدوا فى معارك القناة .

بأقلام القراء

فى ذكرى معركة ((يونيو))

هذا هو حمانا

كتب الأستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان يقول :
النظرة الفاحصة لتاريخ الدول والحضارات ترينا أنه قد نزل بساحات الحق والمجد الكثير من الايذاء والبأساء ، ووقف الباطل بشتى صوره وأشكاله من طواغيت وأصنام وجاهلية وهوى وشهوات ونزوات فى وجه الحق الصراح ونبل مقصده وسمو هدفه وكريم غاياته ..

ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض حتى تربى العزائم الخائرة ، وتوجه النفسيات الهشة الى ما فيه تماسكها وصلابتها ، لأن المجتمع لا يخلو من مختلف البواعث مابين اقدام واحجام وعزم وتردد وهزة أمل ورعدة خوف ، ومن الخير لذلك المجتمع أن تظهر النفسيات على حقيقتها حتى يميز الله الخبيث من الطيب .
ولا شك أن الحق دائما هو المنتصر ولو بعد حين ، وأن الباطل زهوق مهما علا زبده ، وأن الليل لابد أن ينقشع مهما أرخى سدوله تحقيقا لقول الله تعالى **(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز)** .

ومعركتنا المعاصرة تحوى أكثر من معنى ، وتدل على أكثر من مغزى .. فهى أولا صراع بين الاسلام الخالد ومحاولة النيل فيه على أيدى طواغيت الشر والعدوان عموما ، وأولاد القردة والخنازير خصوصا ، وقد بدأ ذلك الصراع منذ نزل الحق تبارك وتقدس **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تمت الهجرة الى المدينة عمل جاهدا على جمع الشمل بين المسلمين بالمؤاخاة ، وعلى توحيد الصف ببسط يد السلام ليهود المدينة ، فعقد معهم معاهدة تاريخية كفلت للفريق الحرية وحسن الجوار والتعاون ، ولكن اليهود كما هو دأبهم نقضوا العهد والمواثيق فطهر المسلمون أرض المدينة وما حولها من رجسهم الى أن جاء عمر بن الخطاب فأجلاهم عن الجزيرة العربية تحقيقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام ((لايجتمع فى جزيرة العرب دينان))

ان الصراع الذى استحكم حتى سقطت اندلس الاسلام ، ولاقى المسلمون أقسى ألوان الظلم والعنت والاكراه ، وأصبح من مألوف المناظر أن ترى النواقيس تعلو شرفات المأذن ونعال الصليبين تطأ مواقع جباه المسلمين فى المساجد .

انه الصراع الذى كمن وراء الكشوف الجغرافية فى القرن الخامس عشر ، والتى كان مقصدها السيطرة المسيحية على العالم العربى حين احتل البرتغاليون البحار الشرقية ، واحتل الأسبانيون مغرب الوطن العربى كى يطبقوا عليه ويئيدوا فيه معالم الدين والحضارة الاسلامية .

انه الصراع الذى جمع جموع أوروبا لغزو الشرق الاسلامى تحت شعار الصليب الى أن قيض الله لتلك الأمة رجلا من رجالاتها حصدهم فى موقعة حطين .. انه صلاح الدين الذى طهر قدس الأقداس من شرهم وقال لهم اخرجوا ولن تعودوا .

ولكن خفايا الصدور مازالت تحترق حسدا وبغيا حتى جاء الحلفاء فى أوائل القرن العشرين ودخلوا بيت المقدس ، وقال اللورد اللنبى الانجليزى (الآن انتهت الحروب الصليبية .. !! ودخل قبر صلاح وقال عدنا يا صلاح الدين) .. !!

انه صراع عميق الجذور بين الاسلام وقوى الباطل كلها مهما تنوعت أو تشكلت **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** تلك هى الحقيقة رضينا أم سخطنا اعترفنا أم تجاهلنا .

ثانيا : معركتنا اليوم معركة شعب شرد ، وأرض سلبت وأعراض انتهكت ، ومقدسات ديست ودماء استبيحت **(ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ..)**

ففلسطين الجريحة تهيب بكل ذى ضمير أن يصحح للتاريخ مسيرته ، وينقذ العالم من قوانين الغاب التى لا يصدها غير القوة ، فالسلام بغير العدل استسلام ، والحق بغير القوة يتيم .

واستلهاما من واقع القضية الفلسطينية وصلتها الوثيقة بقيمنا ومبادىء ديننا أود أن أعرض وجهة نظر لاحت لى أمام بعض آيات من كتاب الله قال الله تعالى **(والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الامين)** . فهذه الآيات تمثل أطوارا من رسالات الله لخلقه التى توالت عليهم توضح فيهم الخير والفضيلة والجمال وترسم مناهج البر والفوز والفلاح .

فقوله سبحانه **(والتين والزيتون)** قسم من المولى ببقعة مباركة جرت فيها تفاصيل بعث الهى ، واعداد روحى لعبد الله ورسوله (عيسى) روح الله وكلمته ، تلك البقعة هى بيت المقدس الذى بارك الله حوله حيث ترتفع غصون الزيتون وتخفق رايات السلام ..

وقوله جل شأنه **(وطور سينين)** أو (وطور سيناء) قسم بهذا المكان

الطاهر تذكيرا بما كان عند الجبل من آيات ومعجـــزات حيث كلم الله موسى تكليما ، وأنزل عليه التوراة وأخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون .

وقوله تباركت أسماؤه (**وهذا البلد الامين**) هو مكة المكرمة حيث تجدد الفكر الانسانى شبابه بعد بلى وانحلال وعادت للحضارة الانسانية قوتها بعد ركود واضمحلال ، وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ..

وبعد فهذا قسم من الله العلى القدير بأماكن ثلاثة أشرق منها نور التوحيد على أيدى رسل أولى عزم .. محمد .. وعيسى .. وموسى ..

ونحن ـــ المسلمين ـــ أولى الناس بأنبياء الله ورسله لأننا ذوو عقيـــدة صحيحة سليمة (لا اله الا الله) ولأننا نؤمن برسل الله ولا نفرق بين أحد منهم ، وكل من يدعى ايمانا برسول وينكر آخر ، ويجادل بالباطل فيزعم أنه موقر لذلك الرسول فهو مخادع (مأواه جهنم وبئس المصير) .

ونحن ـــ المسلمين ـــ أمناء الله فى أرضه نحمى المقدسات ونذب عنهـــا ونعرف طهر مقصدها لأننا ذوو نسب عريق فى الحفظ والامانة ، فوجهتنا البلد الامين فى صلاتنا وحجنا تهفو اليه القلوب أينما كنا فى طهـــارة حس وحلاوة نغم ، أضف الى ذلك أننا أتباع الامين محمد .. ولله در شوقى حين يقول :

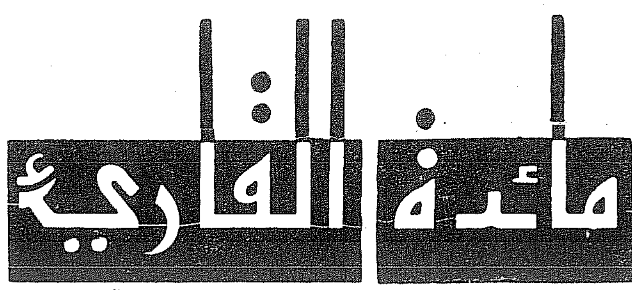
يا جاهلين على الهادى ودعوته	هل تجهلون مكان الصادق العلم
لقبتمـــوه أمين القوم فى صـــغر	ومـــا الامين على قـــول بمتهـــم

ان بيت المقدس وطور سيناء والبلد الحرام أماكن ثلاثة يجب أن يهيمن المسلمون عليها ليس تعصبا ، وانما حفاظا على المقدسات ذاتهـــا ، وتأكيدا للسلام ، وتدعيمـــا لأصوله ، فهو من قبيل وضـــع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح ..

واذا كنا اليوم نرى المسلمين قد تقاعسوا حتى سلبت أرضهم وديارهم ، بل ومقدساتهم ، فانها لمأساة يعيشها الاسلام ويحياها المسلمون .

ان مسرى محمد .. ان مبعث عيسى ومولده ... ان مهبط الوحى وملتقى رسل الله .... أولى القبلتين يحتاج منا الى مزيد من الجهد والجهاد بشقيه الاصغر والاكبر ، ومزيد من اجتماع الكلمة والالفة ومزيد من التعاون والنصرة ولا يمكن اذا اجتمعنا اليوم على هدى من الايمان بالله والاعتصام بحبله أن نعجز عن فلسطين عربية مسلمة (**وكان حقا عليه نصر المؤمنين**) .

وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ونردد على قيثارة الايمان النشيد القومى الاول : الله أكبر .. الله اكبر كبيرا .. والحمد لله كثيرا .. لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده .



اعدها : أبو نزار

ان الـــذين كفروا ينفقـــون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تــكون عليهـــم حسرة ثم يغلبون .
صدق الله العظيم

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال : يا رسول الله أقاتل ، أو أسلم ؟ فقال : أسلم ، ثم قاتل ، فاسلم ، ثم قاتل ، فقتل فقال رسول الله : عمل قليلا ، وأجر كثيرا .

— حديث متفق عليه —

سنمـــار

زعموا أن سنمار وهو رجل رومى بنى للنعمان ابن المنذر قصرا ، فلما أتم بناءه على احسن وجه ، رضى النعمان عنه ، ولكنه اشفق ان يبنى لغيره من الملوك مثل ما بنى له ، فامر به فالقى من أعلى القصر ، فاندقت عنقه ، فمات .

والناس يضربونه مثلا لمن يقدم الى الناس خيرا واحسانا فيجزونه بالشر والمساوة .

وفى الدنيا كثيرون يمكن أن يسمى كل واحد منهم سنمار ، ولكنه يلقى من حالق ، فلا تندق عنقه لانه لا يبنى لاصحاب السطوة والبأس ، وانما يبنى للشعوب ، ولا يبنى للشعوب دورا ولا قصورا ، وانما يبنى لها عقولا ويزكى لها روحا ، وينبـــه فيها وعيا .

رسالـــة

قال التلميذ لاستاذه : ألا تنبئنى عن كلمة (الرسالة) هذه التى يلوكها كل انسان حين يريد أن يعبر عن المهمة ، فللكاتب رسالـــة ، وللشاعر رسالة ، وللعالم رسالة ، ولصاحب السياسة رسالة ، وما أعرف أن اللغة تؤدى بكلمـــة (الرسالة) هذا المعنى الجديد ؟ !

قال الأستاذ : هذه كلمة أذاعها فى لغتنا الحديثة مزاج من الجهل والغرور : الجهـــل باللغة العربية ، والغرور الذى يخيل الى كل انسان أنه نبى قد أرسله الله برسالة يعـــلم بها الناس شيئا ، أو يحدث بها فى النـــاس حدثا ، واذا اجتمع الجهل والغرور على أمة رفعاها الى أكثر من الخطأ اللغوى واستعمال الألفاظ فى غير مواضعها .

حـــلة

هم أحد الأمراء أن يهدى الى أحد ندمائه خلعـــة نفيسة ، ثم غضب عليـــه قبل أن تبلغـــه الهدية ، وكان النديم طويلا فى السماء . عريضا فى الفضاء وقد أراد الامير ان يغيظه ، فأهـــدى خلعته الى نديم آخر ، وكـــان قصيرا لا يكاد يرتفع عن الارض ، وضيقا لا يكـــاد يشغل من الفضاء الا حيزا ضئيـــلا .

ولبس النديم القصير الخلعة جذلان راضيا ، فلما دخل فيها ضاع بين ثناياها لأنها لم تفصل على قده ، ودخل على الامير فلما رآه وحاشيته ضحكوا ، وأما النديم فـــلم يشك فى أن الخلعـــة خلقت لـــه ، وأما الناس فجعلوا كلما رأوه يشيرون اليه ، ويقول بعضهم لبعض : أنظروا اليه انه يرفـــل فى حـــلة فـــلان .

تقدير الأعمار

لماذا تعيش سمكة الشبوط (١٥٠) سنة
ولا يعيش الحصان القوى حتى يبلغ الأربعين

لماذا يزيد عمر الببغاء على عمر النعامة ؟
لماذا يزيد عمر السلحفاة على عمر الحوت ؟
لماذا تعيش شجرة من النبات (٣٠٠٠) سنة ، ولا يعيش نبات آخر بعد عامه الذى يثمر فيه ...
سر ذلك عند ربى سبحانه !!!

مائدة عجيبة

وصف رجل مائدة أحد الأثرياء البخلاء فقال :

شبر فى شبر ، وصحفة من قشر الخشخاش ، وبين الرغيف والرغيف ضرب كرة ، وبين اللون واللون فترة .

قيل له : فمن يحضرها ؟ قال :
الكرام الكاتبون .

العجوز المتصابية

الا انما أم الحماقة من غدت
بما ادهنت تلقى على عمرها سترا
فيحسبها من رآها طفلة الصبا
ويا ربما كانت كجدته عمرا

نفط .. ويه

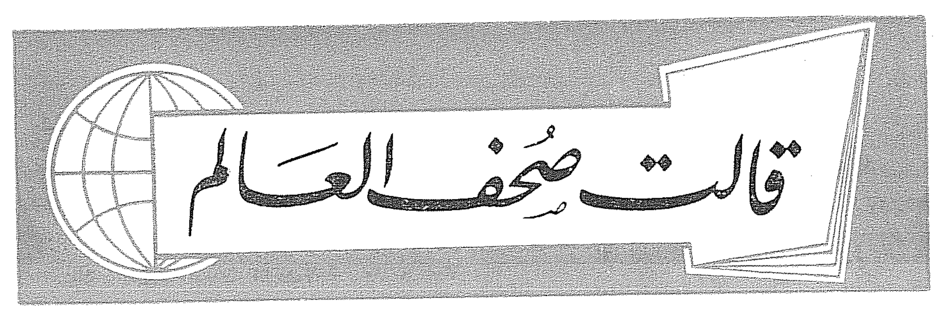
اشتهر رجل اسمه (نفطويه) بالفسق فقال فيه أحد الشعراء :
من سره الا يرى فاسقا
فليجتهد الا يرى نفطويه
أحرقه الله بنصف أسمه
وصير الباقى صراخا عليه

سخرية

قال رجل لجحا : اتحسن الحساب باصبعك ؟
قال : نعم .
قال : خذ مدين من قمح ، فعقد جحا خنصره وبنصره .
فقال : وخذ مدين من شعير ، فعقد السبابة وابهامه ، وأقام الوسطى .
فقال الرجل : لم اقمت الوسطى ؟
قال جحا : لئلا يختلط القمح بالشعير .

أعمى يقتل بصيرا

ـ قتل أعمى بصيرا ، ونشرت الصحف نبأ الجريمة ، فاستقل احد الأدباء هذا الخبر ، وعلق عليه بما يلى :
اذا أصبح الامى محررا ، والاعمش مصورا ، وأصبح الوزير شاكيا ، والمغنى باكيا ، واصبح القاضى محتالا ، والوصى مغتالا ، وأصبح العالم مخرفا ، والجاهل مؤلفا وأصبح الاجنبى مدللا والوطنى مذللا ، وأصبح مدير المعارف أعجميا ، ومفتش المدارس عاميا ، وأصبح عميد الشيطان يتعبد ويتهجد ، واسم المسلم (خريستو) بعد أحمد ،وأصبح الدعى حسيبا ونسيبا ...
فليس من غريب المقادير أن يفتك الأعمى بالبصير .



يقظة اسلامية رائعة ..

نشرت مجلة « دعوة الحق » المغربية فى افتتاحيتها كلمة قالت فيها :

لقد أصبحنا اليوم هدفا يرمى ، وغرضا تسدد اليه الضربات ، ومجالا حيويا لامتصاص ثرواتنا ومقدراتنا ، ومرمى طبيعيا ومقصودا للحضارة الغربية التى فاجأتنا بالغزو الاستعمارى ، بعد أن تآمرت على بلداننا ، فاقتسمتها ... وأجهزت عليها ، وأوقفت تقدمها ، وشوهت أمجادها ، وأضعفت شوكتها ، وطمست معالمها حتى أصبح الاسلام ، كما قال الامام الشيخ محمد عبده محجوبا بالمسلمين !!

واذا كانت الدول الاستعمارية قد أجلت جنودها ، وسحبت جيوشها ، فان هناك ما هو أخطر وأدهى ، وأفتك وأنكى .. انها ما زالت تعبىء قواها الضارية للعمل على مسخنا ، وتحويلنا عن متجهنا بما تستخدمه من قوانين ونظم ودساتير فى حكمها لنا ، وتوجيه سياستنا وبما تؤسسه من مدارس التبشير ومؤسساته وأجهزته بعد أن أخرجت جيوشها العسكرية المرئية المسموعة ، وأبقت الجيوش الحضارية فكرا وأخلاقا .. فوقع العالم الاسلامى فى بلبلة وتناقضات لا أول لها ولا آخر ..

ولئن كان بعض الفلاسفة المعاصرين المنصفين اليوم ، ينشدون التعاون العالمى والوسائل التى يمكن أن تحققه ، فان الاسلام قد حقق للانسانية مجدها ، وأشبع رغباتها وأشواقها وتطلعاتها ، وأعلى مكانتها وحققت تعاليمه الخير كله للعالم يوم كانت الشعوب سادرة فى غلوائها تهيم فى ظلمات الجهل والضلال ..

ولقد امتاز القرن العشرون ، رغم ما أصاب المسلمين فيه من محن وضغوط ، واستبداد واستعباد بتنبيه وعى المسلمين فى كل مكان الذين استيقظوا من سباتهم وغفلاتهم ، وتحقيق استقلال البلدان الاسلامية والعربية ، والافريقية والآسيوية التى فكت عنها قيود عقالها ، وتحررت من اسارها ، بفضل زعماء الاصلاح الذين أيقظوا راقد العزم ، وأرصدوا الأهبة للبعث والتطوير ، فكان لهم الفضل الأكبر فيما ظهر فى هذا القرن من اصلاح دينى ، وتجديد أخلاقى ، وتطور اجتماعى .. وكذلك بفضل الدعوات المتكررة التى تدعو المسلمين الى أن يتسلحوا بالتقنية والعلوم الحديثة ، والاعتماد على النفس ، والاستقلال التام الذى يتشخص فى الاكتفاء الذاتى ، وتطوير العقلية لهضم مفاهيم الحياة المتطورة المتجددة ، وامتصاص متطلباتها ومستلزماتها فى نطاق الاخلاق والدين والضمير مما يدفع بهم الى حياة حرة طليقة تتضوع بأريج السعادة الراضية ، وتنتشىء باستقلال تام ناجز ..) ..

ان العالم الاسلامى ، كما هو معلوم ، يزخر بطاقات بشرية راقية .. ويفيض بثروات مادية كبرى فى أرضه وسمائه ومائه الى جانب ثرواته الروحية العظيمة التى لا تتم السعادة والرخاء الا بها ..

وما أجدره بهذا كله أن يستعيد عزته وكرامته ، ويتبوأ مكانته فى المعمورة اللائقة به ، وعندئذ يشهد العالم كله نهضـــة العالم الاسلامى التحررية الباعثة على الاعجاب والاجـــلال حيث يكون لها ، باذن الله ، تأثير حاســـم فى تقرير مصير العـــالم ..

يوم النكســـــة

ومن مقال بهذا العنوان كتبت (مجلة البيان الكويتية) تقول :
ان الصهيونية العالمية تلعب اليوم لعبتها عندما شعرت بأن هناك أصواتا لدى الرأى العام العالمى بدأت ترتفع ضد المجازر التى ترتكبها اسرائيل ، وضد الاجـــراءات الوحشية التى تعـــامل بها المدنيين الآمنين فى فلسطين ، وضـــد تعسفها واحتـــلالها المزيد من الاراضى العربيـــة ، بالرغم من قرارات الهيئـــة العالمية ، وضد امتناعها عن الانسحاب من هذه الأراضى المغتصبة .

وهذه الأصوات التى ارتفعت فى العالم لا تمثل الحكومات بأى شكل من الأشكال ، ذلك لأن الحكومات مسخرة ومنقادة للصهيونية العالمية ، نقول عندما شعرت الصهيونية بأن بعض الناس فى أوروبـــا وفى أمريكا بدأوا يفيقون على حقيقة امتصاص هذه الأصوات التى بدأت تتحسس أخطارهم وترتفع ضدهم ، وضد مؤامراتهم على العالم ، فأخذ زعيمهم (ناحوم جولدمات) ، ينتقد سياسة اسرائيل المتصلبة وأخذ مثقفوهم المختارون يسيرون على نهج زعيمهم الصهيونى ينتقدون اسرائيل علنا حسب الخطة الموضوعة بل ان اسرائيـــل نفسها نظمت مظاهرات فى اسرائيل ضد حكمها تحمل بعض الشعارات المزيفة ضد اسرائيل لخداع الرأى العام العالمى ، ولامتصاص تلك الأصوات فى أوروبا وفى أمريكا التى بــــدأت ترتفـــع ضدهـــم وقبـــل أن يســـتفحل الأمـــر راح زعيمهـــــم « ناحــــوم جولدمـــــات) وبعض مثقفيـــهم ينتقـــــدون اسرائيل علنـــــا ، عندما أحســـوا أن الصلف والعجـــرفة والكبرياء والبطش ، لم يؤد الى ركوع العرب وخضوعهم، وانما أدى الى صمود العرب، وتصميمهم على تحرير أراضيهم المغتصبة كل ذلك أدى بهم الى القيام بهذه اللعبة للتنفيس عن اسرائيل من النقمة التى أخذت تزداد ضدهـــا ، حيث راحوا يطلبون من اسرائيل أن تخفف غلواءها ، وراحوا يتقربون بكلمات معسولة مضللة أمام الرأى العام الى العرب ، ويدعونهم الى الحوار والتفاهم والتعايش مع اسرائيل ، متناسين المجـــازر التى ارتكبتها اسرائيل ضدهم ، والمآسى التى اقترفتها فى حق الأبرياء من الشيوخ والنســـاء والأطفـــال .

والذى نعرفه ويعرفه العالم ان الصهيونية العـــالمية ، تسير دائما وأبدا على خطين متناقضين لتحقيق مآربها ، وهـــا نحن الآن نشاهد ونرى هـــذين الخطين متمثلين فى اسرائيل والصهيونيـــة العـــالمية التى تمثل اليهود خـــارج اسرائيل ، ان اسرائيل تتصلب وتتعنت ضد العرب ، وأمام الرأى العام العالمى ، والصهيونية العالمية تنتقد اسرائيل فى تصلبها وتعنتها هذا ، ويحاول مثقفوهـــا وزعيمها فتح حوار مع العرب ، أمام الرأى العام العـــالمى ، والكل يعمل لهدف واحد ، وحسب مخطط واحد ، والا هل يعقل أن يقوم زعيم الصهيونية (ناحوم جولدمان) بتوجيه الانتقاد الى اسرائيل التى قامت على جهوده وجهود أمثاله من الصهيونيين فى شتى انحاء العالم ؟



أعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تبرع سمو أمير البلاد المعظم بمبلغ ستة آلاف دينار تشجيعا لجمعية الجنوب والخليج العربى التى تشرف على اقامة وتعليم أبناء الخليج .

● رفع معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية تقريرا الى سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد عن زيارته للمراكز الاسلامية فى بلجيكا وايطاليا ولندن وقد نقل الى سموهما اشادة رؤساء المراكز بجهود الكويت فى نشر الاسلام .

● احتفل فى يوم السادس عشر من مايو الماضى بالذكرى السابعة لقبول الكويت عضوا فى الامم المتحدة ، وقد تلقى سمو أمير البلاد المعظم تهنئات من بعض رؤساء الدول .

● زار البلاد سمو ولى عهد رأس الخيمة وقد صرح بأن الاراضى والمياه التابعة لرأس الخيمة ملك للشعب وستبقى ملكا له ونطلب من الكويت أن تحافظ على أمن منطقة الخليج واستقراره .

● تسلمت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مبانى مدينة الحجاج بالصليبخات وستستضيف المدينة الحجاج المارين بالكويت بدون مقابل وتتسع لـ ٧٠ ألف حاج وقد تكلفت ربع مليون دينار كويتى .

القاهرة : أعلنت الميزانية الجديدة لعام (٧٠ — ١٩٧١) وتحتوى على مبلغ ٥٥٠ مليون جنيه للدفاع والأمن وهى أكبر ميزانية عسكرية فى تاريخ مصر .

● أحال الدكتور عبد العزيز كامل نسخة من المصحف المطبوع فى ألمانيا الغربية الى لجنة المصاحف بالأزهر ، وتبين أن بـه ثمانية أخطاء .

● تقرر تشكيل مجلس وكلاء للأزهر يضم كلا من الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد بيصار وعدد من كبار رجالات الأزهر .

● أنهى المجلس الوطنى الفلسطينى مؤتمره فى الشهر الماضى وقد قرر تشكيل لجنة مركزية تضم جميع منظمات المقاومة ، وتأليف قيادة موحدة فى جنوب لبنان ، ومطالبة الدول العربية بما تخصمه من رواتب الفلسطينيين العاملين فيها .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل بزيارة الى ماليزيا وافغانستان وأندونيسيا والجزائر حيث أجرى مع رؤسائها مباحثات استهدفت تقوية التضامن الاسلامى .

● أقامت كلية الفيصل الجوية احتفالا فى الشهر الماضى حضره جلالة الملك فيصل وذلك بمناسبة تخريج الدورتين الاولى والثانية من الطيارين السعوديين .

● توالى المملكة دراستها لمشروع تنظيم ذبح وحفظ الاضاحى ويتكلف ٩٦٫٥ مليون ريال سعودى ويستغرق تنفيذه ٣ سنوات .

الاردن : لفتت الحوادث الأخيرة التى جرت بين القوات الاردنية والفدائيين أنظار العالم الاسلامى ، وقد ناشد زعماء المسلمين الفريقين التكاتف ضد العدو الصهيونى .

● ذكرت مجلة ((فتح)) أن خبراء الأسلحة فى المنظمة بدأوا فى انتاج القنابل اليدوية وبعض الأسلحة الصغيرة كما أنتجوا صواريخ مضادة للدبابات وصواريخ تماثل صواريخ كاتيوشا تلائم الحرب المحلية .

● أصدر الهلال الأحمر الفلسطينى بيانا فى الشهر الماضى ذكر فيه أن اسرائيل قتلت ٢١

من رجال المقاومـة بصور وحشية حيث أجهزت علـى بعض الجرحى وعلقت البعض الآخر فى طائرات الهليكوبتر .

العراق : نعى العراق الى العالم الاسلامى الامام العلامة السيد محسن الحكيم .. والوعى الاسلامى تشارك المسلمين ترحمها على الامام الفقيد .

لبنان : صرح الرئيس الليبى أثناء زيارته للبلاد بأنه سيمد الجيش اللبنانى بالأسلحة .

ليبيا : قام العقيد معمر القذافى بجولة فى عدد من الـدول العربية للعمل على تجميع الجهود العربية فى الصراع مع الصهيونية .

● تم جلاء آخر جندى أمريكى بعد احتلال دام قرابـة ١٥ عاما .

تونس : أقيم فى مايو الماضى أول معرض للخط العربى فى المغرب العربى تحت اشراف وزارة الثقافـة التونسية .

المغرب : اتفق الرئيس الموريتانى والملـك المغربى علـى تصفية الاسـتعمار فى الصحراء الاسبانية وعلى العمل المتعاون بين البلدين فى شتى المجالات .

● قام المندوب المغربى فى الامم المتحدة بتوجيه نداء فى مجلس الأمن الى أمريكا باسم البلدان العربية وقد قال فى ندائه ان قرارا تتخذه واشنطن بتسليم أسلحة الى اسرائيل سيكون من شأنه أن يؤدى الى تغيير العلاقات بين أمريكا والدول العربية .

الجزائر : أكد وزير الخارجية الجزائرى أن الجزائر — على الرغم من بعدها الجغرافى — تعتبر نفسها ملتزمة التزاما كاملا تجـاه الدول العربية فى الشرق الأوسط .

تركيا : أصدر الرئيس التركى والباكستانى وشاه ايران بيانا عقب مؤتمرهم فى أنقره طالبوا فيه بانسحاب اسرائيل من الأرض العربية كما بعثوا برقية بهذا الشأن الى أمين عام الامم المتحدة .

ايـران : أعلنت وكالة الغوث الدولية أن ايران تبرعت بثمانية آلاف دولار زيادة على تبرعها السنوى الذى يقدر بثمانية أخرى نظرا للظروف الصعبة التى تمر بها الوكالة .

● قام وفد ايرانى بزيارة الى البحرين لتوثيق عرى الصداقة بين الـدولتين وهذه هى أول بعثة ايرانية رسمية منذ ١٥٠ سنة .

● صرح أردشير زاهدى رئيس الوزراء الايرانى أن العرب ليسوا وحـدهم فى النزاع مع اسرائيل فهناك ٧٠٠ مليون مسلم يقفون معهم .

باكستان : بعث الرئيس الباكستانى بمذكرة الى الهند يطلب موافقتها على زيارة ممثل باكستانى لمناطق الاضطرابـات بين المسلمين والهندوس .

● أصدرت الجماعة الاسلامية فى باكستان بيانا بمناسبة الانتخابات ضمنته المبادىء التى تراها لتقدم باكستان على أساس الاسلام كنظام شامل للحياة وكأساس لوجود باكستان .

ماليزيا : تقرر تعيين الأمير تنكو عبد الرحمن أمينا عاما للأمانة الاسلامية العامة الى جانب عمله رئيسا لـوزراء ماليزيا وسينتقل مقر الأمانة بعد ذلك من ماليزيا الى جدة .

الهند : صرح مفتى جمون وكشمير أن تعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين تدخل فى الدين ، وحث الحكومة على عدم المساس بمشاعر المسلمين تحت ضغط العناصر الطائفية المعادية .

● عقد فى دلهى فى الشهر الماضى مؤتمر ضم جميع زعماء الأحزاب والحـركات الاسلامية لدراسة الأوضاع الناتجة من الاضطرابات الطائفية .

ترينداد : أعلن حوالى ٣٠ شخصا اسلامهم ايمانا بعـدالة الاسلام ومساواته وقد أعلنت الهيئات الاسلامية فى ترينداد تأييدها للقضية العربية الاسلامية فى فلسطين وادانتهم للعدوان الصهيونى .

نيجيريـا : أقيم مسجد كبير فى مدينة كانو وقد حضر حفل افتتاحه يعقوب جوون زعيم نيجيريا وعدد من الـوزراء وكبار رجال الـدولة .

اقرأ فى هذا العدد

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ـــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـــ المنامة ـــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ـــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ـــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ـــ السيد حسين قمر .

تعـــز : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت ـــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ـــ مكتبة الوحدة الوطنية ـــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ـــ ص.ب (١٣٢) ـــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب (٢٨٠) ـــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الرجل السعيد

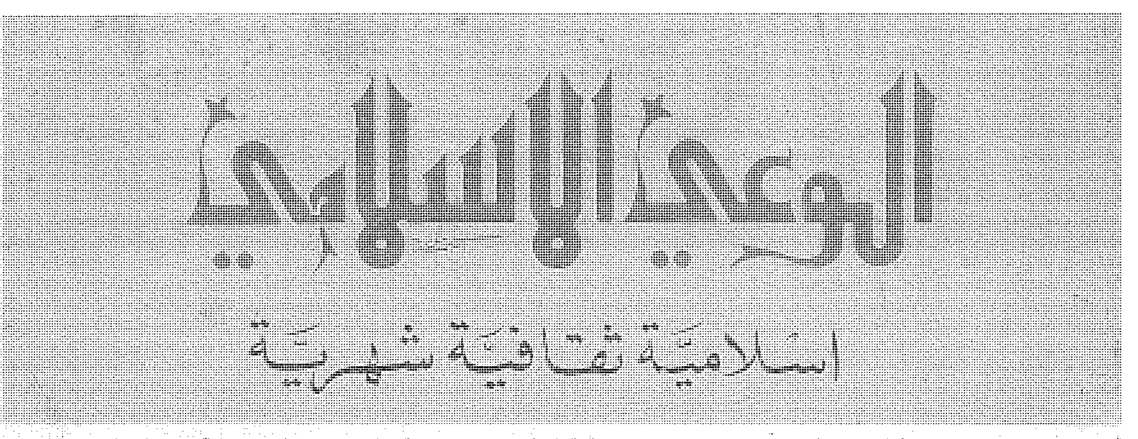
عفيفُ الجهرِ والهمسِ ... قَضَى الواجبَ بالأمسِ
ولم يعرِضْ لذي حقٍّ ... بنقصانٍ ولا بخسِ
وعند الناسِ مجهولٌ ... وفي ألسُنِهِمْ مَنْسِي
وفيه رقةُ القلبِ ... لآلامِ بَنِي الجنْس
فلا يَغبِطُ ذا نُعمى ... ويرثى لأخي البُؤس
وللمحْرومِ والعافي ... حوالى زاده كرسي
وما نَمَّ ولا هَمَّ ... بِبَعْضِ الكَيدِ والدَّسِّ
ينامُ الليلَ مسروراً ... قليل الهَمِّ والهَجْس
ويصبحُ لا غُبارَ على ... سريرته كما يُمْسِي

◆◆◆◆◆

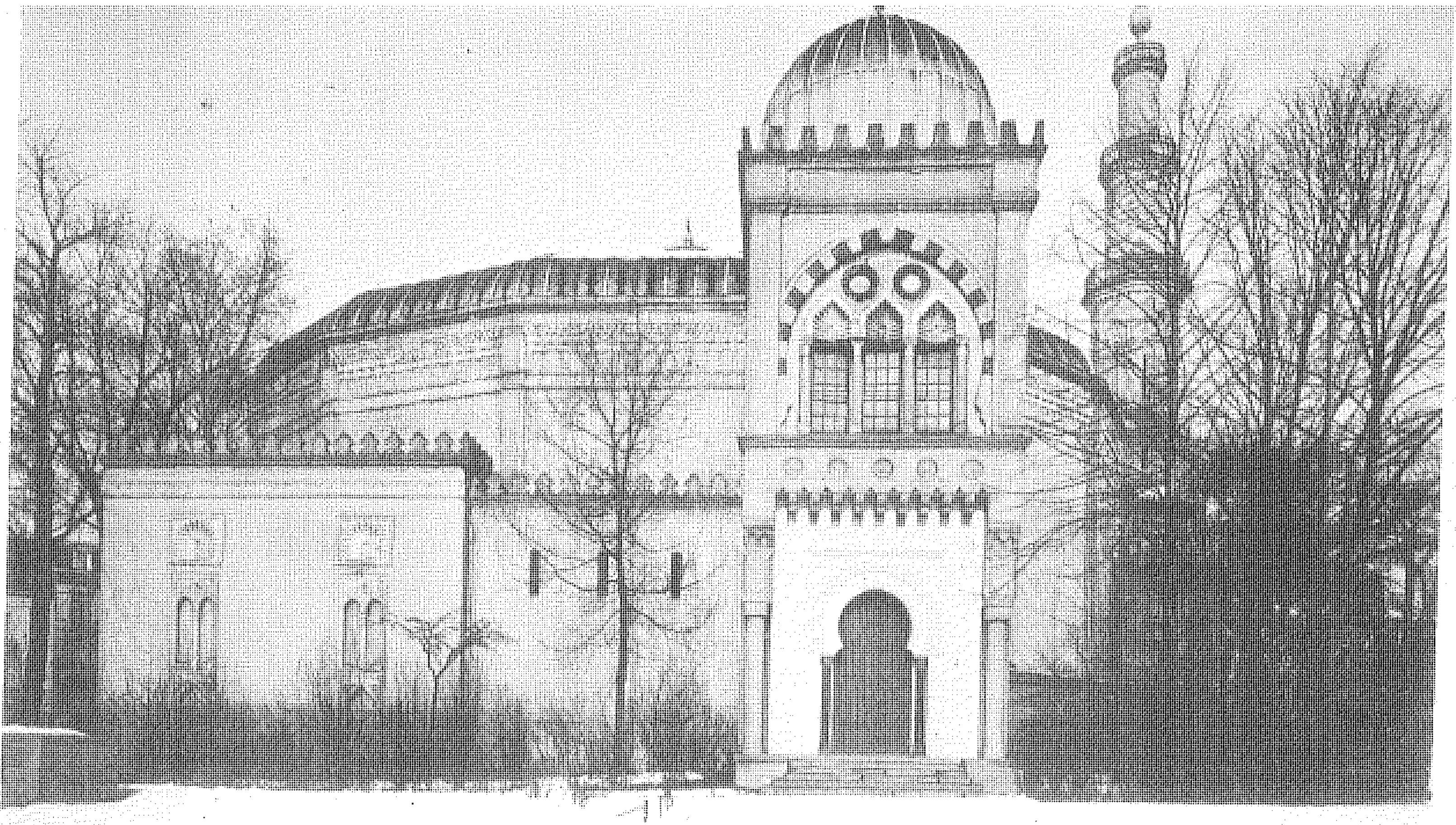
فيا أَسْعَدَ من يَمْشِي ... على الأَرضِ من الانْسِ
ومن طهره الله ... من الرِّيبَةِ والرِّجْسِ
أَنِلْ قَدْرِيَ تشريفاً ... وهبْ لي قُربَكَ القُدْس
عَسَى نَفْسُكَ أَنْ تُدمجَ في أَحلامِها نَفسي
فَأَلْقَى بَعْضَ ما تَلْقَى ... من الغِبْطَةِ والأُنْس

أمير الشعراء

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت

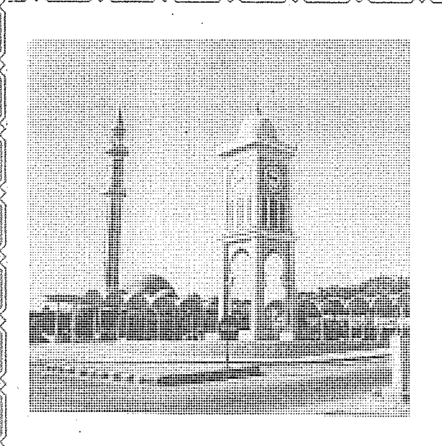


السنة السادسة ـ العدد ٦٦ ـ جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ ـ ٣ اغسطس (آب) ١٩٧٠م



Centre Islamique
et Culturel
17, avenue Père Damien

المسجد والمركز الاسلامى والثقافى
بروكسل فى الحديقة الخمسينية



مسجد الشيوخ بالدوحة عاصمة قطر يطل بمنارته الشاهقة وقبته العالية على احدى الساحات الفسيحة فى أكبر الاحياء التجارية ، ويبدو فى الصورة برج الساعة الضخم بفنه العربى الرفيع .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد السادس والستون

جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ

٣ أغسطس (آب) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



سمو ولي العهد يلتقي البيان

- لا يمين، ولا يسار، ولا انحياز لأيّ معسكر دولي
- إننا نكيّف سياستنا الخارجيّة على ضوء قضايانا المصيريّة
- شعب الكويت مرتبط بالشعوب العربيّة ارتباطاً مصيريّاً
- الكفاح المسلّح الفلسطيني المنطلق الطبيعي لاستعادة جزء عزيز من وطننا.
- نرفض أيّة حلول للقضية الفلسطينيّة ما لم يوافق عليها الشعب العربي الفلسطيني.
- شريعتنا الإسلاميّة الغرّاء تنظّم حياة المسلمين وسلوكهم ونحن حريصون على العمل بها في شتى نواحي ديننا ودنيانا.
- حان الوقت لاتخاذ خطوات إيجابيّة نحو تقرير الخدمة العسكريّة

(البيــان)

بيان سياسي خطير

لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

سمو الشيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء من رجال السياسة والحكم المرموقين ، وهو يتمتع بثقة صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، وحب وولاء الشعب الكويتى ، واحترام وتقدير بالغين فى المحيط الدولى لما يمتاز به من سداد الرأى وبعد النظر ، واحاطة بمجريات الاحداث العالمية .

وقد أدلى — حفظه الله — ببيان سياسى خطير تناول فيه سياسة الكويت الخارجية وشئونها الداخلية بما أثر عنه من صراحة وحزم ، واخلاص لدينه وشعبه وأمته .. وكان لهذا البيان صداه البعيد فى شتى الاوساط والمحافل ، فرددته وكالات الانباء ، وعلقت عليه الصحف والاذاعات المحلية والعالمية وعكفت الهيئة التشريعية فى البلاد على دراسته ، ومددت دورة انعقادها الحالية حتى تفرغ من اتخاذ الخطوات الايجابية لتنفيذ ما تضمنه من اصلاحات فى مختلف المجالات .

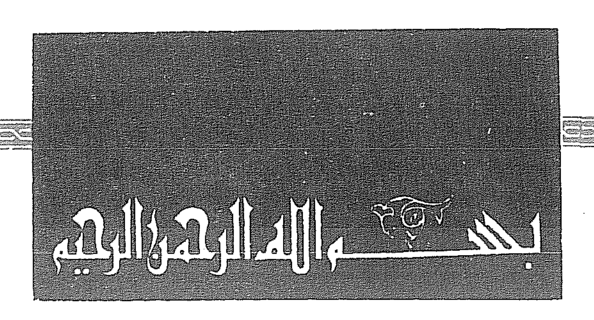
ويسر مجلة الوعى الاسلامى أن تدع القراء يعيشون مع بعض فقرات البيان التالية : **فى السياسة الخارجية** لقد أصبح من الضرورى علينا أن نعمل سريعا على تحديد موقف عربى جماعى ازاء مصالح الدول التى ما زالت تدعم اسرائيل وتشجعها على مواصلة عدوانها واحتلالها لاراضينا العربية .

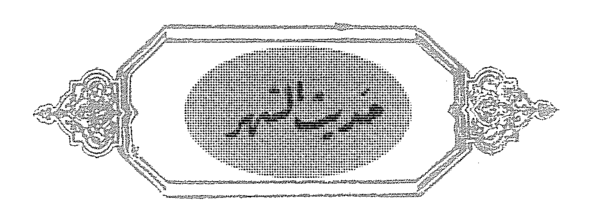
فى السياسة التشريعية : ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى لتشريعاتها هكذا كنا ، وعلى هذا نص الدستور ، وبهذا سنظل متمسكين فى رسم اطارنا الاجتماعى الذى نعيش فيه .

فى السياسة الاقتصادية :

ان العدالة الاجتماعية التى ينادى بها ديننا ، وما اشتملت عليه من مساواة وتكافل بين الناس وضمان لمستوى أفضل لمعيشة الفرد هى كبرى دعامات مجتمعنا ومناط نظرتنا الى أى مبدأ من المبادىء الاقتصادية .

وانها لخطوة مباركة ان يأخذ سمو ولى العهد زمام المبادرة بالدعوة الى الالتزام بالشريعة الاسلامية دستور حياة ووثيقة عمل بهذا وحده تحقق الامة شخصيتها وتسترد عزتها ، ويعيش المسلمون فى كنف الله وكلاءته .





ميزان القوى

هذا الميزان من مبتكرات السياسة الاستعمارية الموالية لاسرائيل كما ان طائرات الفانتوم الهجومية البعيدة المدى من مبتكراتها ، وقد اخترعته اختراعا لتبرير سياستها الجائرة في النزاع المحتدم فـي الشرق الأوسط بين العرب واسرائيل ، والصـورة المجسمة المجردة لهـذا الميزان (كفتان وعاتق) والموزون في الكفة الأولى الأسلحـة الهجومية التي مع اسرائيل لابادة العرب واغتصـاب اراضيهم ، والموزون في الكفـة الثانية المعـدات الدفاعية التي مع العرب يدافعون بها عن وجودهـم وحقوقهم والسياسة الاستعماريـة من وراء البحار تمسك بعاتق الميزان وتراقب كفتيه ، ومهمتها كما تـدعى ــ المحافظة على التوازن بين هاتين القوتين لصالح العدو الاسرائيلى فاذا ما رأت ان طائراته تتهـاوى ، وان اسلحته تتحطم ، وان فنيه يتساقطون امدته بكل ما يحتاج اليه حتى ترجح كفته ، ويتمادى في اجرامه ، هذه هي الصورة الحقيقية كمـا يراها المراقبون المنصفـون للتدخـل الاستعمارى السافر في هذا النزاع .. وهذا الوضع لا يستسيغه منطق ولا تقره عدالـة ، ولا يستقر بـه امن ولا سلام .

العقل ان كان في الرؤوس عقل ، والمنطق ان كان للالسنـة منطق ، والعدالة ان كان لا يزال للعدالة ظل في الارض ، والعقيدة ــ اى عقيدة ــ ان كان في القلوب مكان للايمـان ــ كل ذلـك يتطلب ممن يوليه جاهه وسلطانه منزلة الوساطة او الحكم

والفصل بين المتنازعين ان يلتزم امرا واحدا لا بديل عنه ، وهو ان يرد الحق المتنازع عليه الى صاحبه ، ويقنع الطرف الآخر بقبول هذا الحل ، فان لم يقتنع اكرهه على قبوله ان كان يملك قوة الاكراه ، او تخلى عنه وكف يده عن مساعدته اما ان يعطى للمغتصب سلاحا يجهز به على صاحب الحق حتى يموت ويموت حقه ، او يمد المعتدى بالمزيد من السلاح كلما راى صاحب الحق متشبثا بحقه مصرا عليه مقاتلا دونه ويبرر هذا الدعم بانه محافظة على توازن القوى بين الطرفين فهذا ما لا سندله فى قانون ولا شريعة اللهم الا اذا كانت شريعة الغاب والناب والظفر .

مسكين هذا الحق العربي الضائع الذى لم يستطع ساسة الدنيا وقادة الارض أن يتبينوه او يعثروا عليه بعد أن أعياهم البحث عنه منذ سنة ٤٧ حتى الآن .. فلسطين الدولة كلها من أقصاها الى اقصاها بمرتفعاتها ومنخفضاتها بسهولها ووديانها وما عليها من مدن وما احتوته من دور وقصور ومتاجر ومرافق ، وما نبت فيها من بساتين وكروم ، وما ضم اليها من الاراضى السورية والأردنية والمصرية . والشعب الفلسطينى كله برجاله ونسائه واطفاله احياء وأمواتا .. عشرات الالوف من الكيلومترات المربعة عشرات الالوف من المبانى عشرات الالوف من المتاجر عشرات الالوف من اللاجئين والمهجرين . عشرات الالوف التى ذبحت وقتلت كل اولاء واولئك عميت عنه الابصار ، فلم تره وضلت عنه العقول ، فلم تستطع عدالة الارض الممثلة فى هيئة الامم ومجلس الأمن ان تتعرف عليه او تصل اليه ، ولا تزال تتساءل اين العرب واين حقهم ؟

ان حق العرب فى وطنهم اظهر من ان يخدع فيه ، او يضلل عنه ، ولن تخفى معالمه بنسف الدور وتخطيط المدن ، وتشييد المستعمرات واقامة المنشآت وتوطين حمر وصفر وبيض وسود الوجوه والبشرة من مختلف اليهود المجلوبين من فجاج الارض . لن تخفى معالم هذا الحق باختلاف الالسنة انجليزى وفرنساوى والمانى وعبرى لسان المحمولين الى الارض العربية . لن تخفى معالم الحق بهدم المساجد واقامة البيع ، وحرق الأقصى وبناء المبكى ، وانقطاع الاصوات التى تجهر بالآذان وترتل القرآن وارتفاع الأصوات التى تنغم المزامير وتردد التراتيل .. ان هذا التغيير الضخم والمسخ الشامل فى الارض والبشر لن يستطيع مهما تطاول الزمن ان يحجب حق العرب او يسدل الستار عليه .. ان جريمة العدوان على الحق الاسلامى اكبر واظهر من ان تحتال الدنيا كلها على سترها واضاعة معالمها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

ان الانسان ليعجب اشد العجب حين يكون الحق واضحا بينا ، فتضل عنه العقول ، وحين يكون الباطل مكشوفا مفضوحا فتعمى عنه الابصار ... واى حق اشد وضوحا وبيانا من حق العرب واى باطل اشد تكشفا وعريا من باطل اسرائيل .

وان هذا العجب ليتزايد ويتفاقم عندما يكون ابطال الحق ، واحقاق الباطل من عقول جبارة وصلت بعلمها الى غزو الفضاء والتجول فى القمر ... هذه هى العقول التى انكرت عدل الله ، واقرت باطل الشيطان . هذه هى القلوب التى تفتحت لعواء الذئاب وفحيح الأفاعى .

واذا بلغت العقول هذا الحد من الضلال والعمى ، واستبد بها الهوى والطمع تبدد الأمل فى عونها وانصافها ووجب الرجوع الى الله والاعتماد عليه « افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

* * *

ان العدو الاسرائيلى يعرف نفسه تماما .. يعرف ان اسود ما فى حياته ماضيه الملىء بالآلام والضياع ، وان اسعد ما فى حياته حاضره الملتهب المشحون بالخطر والقلق ، وان أخوف ما يخافه ويحاذره هو مستقبله .

.. ومن اجل هذا يتلفت الى ماضيه الأسود فيفر منه ، ويتطلع الى مستقبله الغامض فيرهبه وينظر الى حاضره — على ما فيه فيتشبث به ، ويستميت فيه ، ويتحمل مخاطره ومغارمه .

وعلى اساس من هذه المعرفة والدراسة يخطط لنفسه فى خبث ودهاء .

.. بعد حرب حزيران وانتصاراته الحربية الموقوتة ملأت أجهزة دعايته الدنيا باسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر وسلاح طيرانه الذى لا يهزم ولما تكشفت حقيقة هذه الاسطورة وظهر زيفها للعالم . في معركة الكرامة حيث وجد جنوده مقرنين فى الأصفاد مشدودين بالسلاسل الى الدبابات ، وفى المعارك الجوية على المرتفعات السورية وجبهة القناة حيث تهاوت طائراته الجبارة — لما تحطمت هذه الاسطورة أخذ اليوم يقيم الدنيا ويقعدها من اجل مساندته ودعمه بالسلاح .

والضلالة الجديدة التى يحاول العدو ان يروجها اليوم ، ويضلل بها العالم هى محاولته اقناع المحيط الدولى أن بقاء الدنيا فى بقائه وأن فناء العالم فى فنائه وانه لكى يحافظ العالم على وجوده يجب أن يحافظ على وجود اسرائيل ، ولكى يامن العالم شرور وويلات حرب عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر يجب أن تعمل الدول كبراها وصغراها على حمايتها وتأمين وجودها وهذا يعنى أن تساندها القوى العالمية فى تثبيت اقدامها فيما احتلته من الاراضى العربية ، وفى اقرارها على ما فى يدها من ممتلكات العرب ، وما اغتصبته من حقوقهم .

هذا هو ما يكرس العدو له جهوده اليوم ، وهذا هو ما تنشط له أجهزة الدعاية الصهيونية فى العالم ..

ستنشق السماء ، وتتناثر الكواكب وتسجر البحار ، وترج الارض رجا ،

وتنسف الجبال نسفا ، ويصعق من في السماء ومن في الارض ، ويحين خراب العالم اذا اصاب اسرائيل سوء او مسها ضر .

ومما يثير الدهشة والعجب أن تجد هذه الضلالة طريقها الى أولى الباس والقوة في الارض ، فيعود فريق منهم الى ترديد نغمة الخطر المتزايد من تصعيد الحرب في الشرق الاوسط والى المسارعة للعمل على حفظ توازن القوى في المنطقة وعلى وجه التحديد المحافظة على التفوق العسكرى للعدو بمده باحدث الأسلحة الهجومية سرا وعلانا تبرعا وقرضا ، ويردد فريق آخر ضرورة الاتفاق على حدود آمنة للغاصب المعتدى كشرط اساسي لاقرار السلام ، والا وقعت الواقعة وازفت الازفة ليس لها من دون حلولهم ومبادراتهم كاشفة .

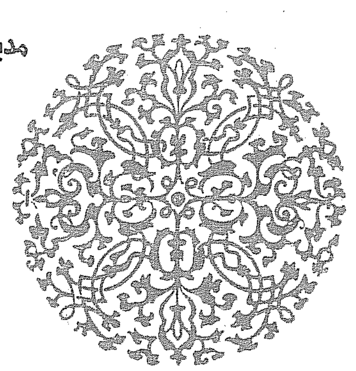
وهذه الضلالة سيفتضح امرها فلن تقع الواقعة ، ولن تقوم القيامة من اجل عيون الصهيونية . وهذا الميزان الجائر سيتحطم ، وترجح كفة المؤمنين الذين اختاروا طريق آبائهم المجاهدين « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

ان في هذه المعاداة للعدل مع وضوحه ، والموالاة الظلم مع فداحته والتواطوء على مصير شعب بتمامة من جانب اعداء الاسلام ما يفتح عيون المأخوذين ببريق الحضارة الغربية المترامين في احضانها على زيفها وتجردها من اقدس المثل والقيم الانسانية وان ما تنادى به من الحرص على الحقوق الانسانية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

الا ان الاحداث الجارية تشد العرب خاصة والمسلمين عامة الى دينهم شدا وتجتذبهم الى كتاب ربهم وهدى نبيهم جذبا ، « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد » .

محمد ابراهيم النجار

مدير ادارة الدعوة والارشاد





١ ــ القتال ضرورة فى الحياة :

※ طالما أن الحياة فيها الحق والباطل ، وفيها الاستقامة والانحراف ، وفيها العدل والظلم ، وفيها الخير والشر .. طالما فيها الشيء ونقيضه ، وفيها الانسان ذو العقل والحكمة وذو الهوى والشهوة ، وصاحب الايمان بالله وبالقيم الانسانية العليا وصاحب الكفر بها .. طالما أن الحياة الانسانية على هذا الوضع فالقتال ضرورة من ضروراتها لمنع الفساد وطغيان الشر والهوى والكفر بالله وبالقيم العليا ، وللابقاء على الايمان والعدل والخير ، يقول تعالى :

((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ؛ ولكن الله ذو فضل على العالمين))(١) . ويقول كذلك ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ـ ان الله لقوى عزيز))(٢) .

.. ففى الآية الاولى يبرر ضرورة القتال بالحفاظ على الارض من الفساد ، ويشير الى أن ضرورته تعتبر نعمة وفضلا من الله على العالم الانسانى .

.. وفى الآية الثانية يوضح ما أجمله من فساد العالم اذا لم يكن القتال مبدأ ضروريا فى حياة الانسان ــ من أن الفساد يتمثل فى ضياع الايمان بالله الذى يعد بيت الله له رمزا : ((لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)) .

واذن هدف القتال هو الحرص على بقاء الايمان بالله على هذه الارض . واذن القتال من أجل هذا الهدف فريضة وواجب على كل من يستطيعه : ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ـ وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم ـ وأنتم لا تعلمون))(٣) ((أى والله يعلم ما هو فى صالح البشرية عامة ولذا أوجب القتال ، وأنتم لا تعلمون حقيقة هذه المصلحة العامة ولذا قد تكرهون القتال)) .

※ والقتال كذلك قد يكون مكروها وبغيضا للنفس التى تجهل على مباشرته . لانه قد يعرضها للموت والفناء ، أو على الأقل يعرضها لفوات الاستمتاع بالسكنى والاستقرار فى هذه الحياة ، كما يعرضها لمواجهة المشقة النفسية والبدنية فيها .

القتال ضرورة في الحياة ـ القتال من جانب المؤمنين . الماديون الملحدون ، أو المشركون . ليس في القتال معجزة ـ النصر النهائي للايمان بالله . أجر المقاتل عند الله ـ الجهاد اليوم في سبيل الله .

للدكتور : محمد البهي

واذا كان هناك احتمال ــ وهو احتمال كبير فى الواقع ــ أن يشق القتال على النفس وأن تتضرر به ، ولذا تكرهه وتبغضه ، فلا بد أن تكون هناك فريضة فى الدين تدرب المؤمن على القتال ، وتجعل منه عبادة يتقرب بها الى الله . وكانت هذه الفريضة هى « الجهاد فى سبيل الله » . وهى فريضة ليست موقوتة بوقت معين ــ كما عرفتها القديانية لمصلحة السياسة الاجنبية فى الهند فى القرن التاسع عشر ــ بل هى فريضة دائمة ما دام الانسان على هذه الارض ، وما دام يتردد بين الايمان بالله والكفر به ، وبين الحق والضلال :

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله

« والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت)

« فقاتلوا أولياء الشيطان انّ كيد الشيطان كان ضعيفا »(٤) .

.. والذين آمنوا لا ينعدم وجودهم ، والذين كفروا لا ينعدم وجودهم كذلك الا اذا انتهت الحياة الدنيا وانتقل أمر الوجود كله الى الدار الآخرة . ولذا فالجهاد فى سبيل الله باق ، والمؤمن بالله يجب أن يتخذ منه مجالا للتدريب على التضحية بالذات فى سبيل الله ، طالما هو يعيش على هذه الارض ، وطالما هو مكلف بمقاتلة أولياء الشيطان ، وهم الكافرون المعتدون . وهو اذ يملأ نفسه بالرغبة فى التقرب عن طريقه الى الله سيؤديه وهو غير كاره له . بل على العكس سيؤديه وهو متطلع الى يوم لقائه مع الله عز وجل . واذ يؤديه وهو على هذا الوضع لا يخشى على فوات دنيا من مال وولد وزينة ، كما لا يرهب الموت ، لأنه سيجد فى البديل عن ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٥) . فسواء عليه غلب عدوه وانتصر عليه ، أم قتل فى لقائه معه ، فان الله قد وعده بأجر عظيم على ما آثره من آخرة على الدنيا فى جهاده فى سبيل الله .

* والحفاظ على الايمان بالله هو سبيل الله . وهو الغاية من القتال والجهاد . والقتال أو الجهاد بالنفس قربة الى الله اذا تمخضت غايته للايمان بالله ، ولتمكين المؤمنين بالله من ممارسة عبادتهم لله وحده . ووعد الله بنصره للمقاتلين والمجاهدين هو بسبب حرصهم على بقاء الايمان بالله ، ورغبتهم فى استمرار عبادتهم لله ، طالما هم يعيشون على هذه الارض :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور ،
« اذن للذين يقاتلون ، بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ،
« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله .. الى أن يقول :
« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »(٦) .

.. فهو فى وصفه للمؤمنين الذين وعدوا من قبله بنصرهم يصفهم : بانهم اذا مكن لهم فى الارض وكانت لهم السيادة عليها حققوا ايمانهم بالله فى مظاهرة من : اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

وهذا يعطى : أن المسلمين اذا ظلوا على الانتساب الى الاسلام ، دون أن يحققوا الايمان به فى حياتهم المقبلة ليس وعد الله لهم بالنصر مكفولا ، وليس الجهاد عندئذ فريضة يتقرب بها الى الله . لأنه قد يكون جهادا فى سبيل الشيطان ولأوليائه .

٢ — القتال من جانب المؤمنين :

※ واذا كان القتال مبدأ ضروريا فى حياة الانسان ، واذا كان الجهاد به فى سبيل الله فريضة على المؤمن المستطيع للمحافظة على بقاء الايمان وممارسته فى حياته ، فمتى تكون مباشرته من جانب المؤمنين حقا وواجبا .

ان المؤمن يقوم بمباشرته للجهاد عن طريق القتال اذا اعتدى عليه من عدوه . وعدوه :

١ — الكافرون من أهل الكتاب .

٢ — والكافرون الملحدون من الماديين أو المشركين .

وأهل الكتاب أن آمنوا بالله واليوم الآخر على نحو يغاير الاسلام ، فان الملحدين الماديين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . بل ويصدون عن سبيل الله ويحاولون بقدر امكانهم أن يردوا المؤمنين عن دينهم .

ومشروعية الجهاد عن طريق القتال تبدأ من الاعتداء على المؤمنين : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »(٧) . فيؤذن للمؤمنين بالقتال عند وقوع العدوان عليهم ، وذلك بسبب ما يلحقهم من ظلم واعتداء . وهنا يعلن الله جلت قدرته : أنه على نصرهم لقدير . لأنه يقف بجانب المظلوم ضد الظالم والمعتدى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين »(٨) . فالقرآن يدعو المسلمين الى أن يتمسكوا دائما بما هو انسانى فى معاملة أنفسهم وغيرهم . فهو اذ يشرع القتال يشرعه فى حدود ، ولهدف معين لا ينبغى أن يتجاوزه .

※ ولذا اذ يشرعه فى حدود معينة ولهدف معين ، يطلب انهاءه عندما يعلن الطرف المعتدى قبوله للسلام ، كما جاء فى قول الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين »(٩) . فهو يأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بقبول السلام عندما يعرض عليه لا عن ضعف أو خوف ، ولكن محافظة على عدم الاعتداء على العدو ، بعد أن يعرض السلام من جانبه . وفى الوقت نفسه يطمئنه عليه الصلاة والسلام بوقوف الله بجانبه وباعتماده عليه ، لو كان باطن عرض الاعداء من سلام هو الخدعة والمكر السيء . وذلك لكى لا يتردد عليه السلام كأثر فى قبوله للسلام عندما يعرض عليه .

كما يطلب أيضا انهاءه عندما ينهيه العدو من جانبه ، على نحو ما يذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم »(١٠) .

واذن لا حاجة للمؤمن فى استمرار القتال من جانبه . فالقتال ضرورة تقدر بقدرها . وقدرها هو : رد الاعتداء وانهاء العدوان والعودة الى مجرى الحياة العادى .

٣ — الماديون الملحدون أو المشركون :

※ واذا كان هذا هو موقف القرآن بصفة عامة ازاء العدوان والاعتداء فان له موقفا يزيد

عن هذا التحديد ازاء الماديين الملحدين . ولكى تحددهم أولا يرجع الى القرآن الكريم فى أوصافهم التى هم عليها ، فهو يقول فى شانهم :

١ — « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ،

٢ — « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله »(١١) .

.. فهم : لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يعرفون منكرا ولا فاحشة يحرمونها على انفسهم . بل يبيحون فعل ما يرونه لصالح أنفسهم ، ولو كان ضارا لغيرهم .. يبيحون انتهاك الاعراض ، والاموال ، والانفس .. يبيحون الارهاب والاذلال والتحكم فى الآخرين ، طالما فيه صيانة لمصلحتهم الشخصية . هم « وجوديون » أو « أنانيون » و « منفعيون » . هم ماديون ينكرون « الروحية » بل وينكرون العقل لحساب البدن ومتعه وملذاته .

وفى مقابل هذا النوع من الماديين الملحدين الوجوديين تصف الآية نفسها فى بقيتها الضرب الآخر من الكافرين من أهل الكتاب فتقول :

« ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

.. فكفر أهل الكتاب لم يبلغ الى انكارهم لله ولليوم الآخر . وانما مبلغه : أنهم لا يدينون دين الحق .. انهم يختلفون فيما يدينون عن كتاب الله ورسالته . وأهل الكتاب الباقون على عهد الرسالة الاسلامية هم :

١ — اليهود ،

٢ — النصارى .

وهذه الآية تعطى : أن الذين يواجهون الاسلام ويتحدونه بعدوانهم هم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والماديون الملحدون ، أو المشركون . وهؤلاء وهؤلاء لن يفنوا ، كما لم يفن المسلمون . واذن تحديهم باق ، وعداوتهم باقية ، وانتظار عداوتهم واعتدائهم باق . والجهاد عن طريق القتال باق ومستمر ، وفريضته لذلك باقية ومستمرة .

※ هؤلاء الماديون الملحدون — أو المشركون — يقفون من المؤمنين بالاسلام موقفا فيه تحرش وتحد . يقول القرآن الكريم فى شان موقفهم :

١ — « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(١٢) .

كما يقول :

٢ — « كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ،

٣ — « يرضونكم بافواههم ، وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون .

٤ — « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ،

٥ — « فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون .

٦ — « لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة . وأولئك هم المعتدون . فان تابوا ، واقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون .

٧ — « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم ، لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة ، اتخشونهم ؟ فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم .

« أم حسبتم أن تتركوا ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون »(١٣) .

.. فهذه الآيات تحدد موقف الماديين الملحدين — وهم من تعبر عنهم بالمشركين — بانهم :

في حال القتال مع المؤمنين :

أ) يواصلون القتال ضدهم حتى يردوهم عن الايمان ، ان استطاعوا : ((ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا)) .

ب) ولا يرعون علاقة ما ، من قرابة ، أو جوار ، أو ذمة ، أو عهد ، ان ظهروا على المؤمنين وظفروا بهم : ((كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة)) .

وفي حال السلم معهم :

أ) تصر قلوبهم على العداء ، وان عبرت أفواههم عما يرضي المؤمنين ، رياء ونفاقا : ((يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون)) .

ب) ويصدون عن سبيل الله ، ويمنعون بكل وسيلة أن يؤمن به أحد ، تحصيلا لمتع الحياة المادية : ((اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون)) .

جـ) ويبيتون النية على الاعتداء ضد المؤمنين ، ويبادرون الى مباشرته : ((وأولئك هم المعتدون)) .

※ وازاء هذا الموقف العدائي .. موقف المضمر للعدوان ، والمتربص به ، والمصر عليه يرى الاسلام أن يعطوا فرصة فان هم عدلوا عن العدوان وباشروا ما يدل على عدولهم عنه باتباعهم سبيل الله من : اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، فهم اخوان للمؤمنين في الدين : لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم : ((فان تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)) .

وجعل القرآن اقامتهم للصلاة وايتاءهم للزكاة تعبيرا لعدولهم عن اتجاههم في المادية ورجوعهم الى سبيل الله ، لأن في الصلاة مناجاة لله وحده ، وفي الزكاة اخراجا للمال ، وليس تحصيلا له . وفي مناجاة الله وحده عدولا عن ((الشرك بالله)) وفي اخراج المال عدم الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادي .

※ وان هم استغلوا هذه الفرصة للعداء ضد الدين وضد المؤمنين فالامر بقتالهم أمر لازم لا مفر منه ، حتى ينتهي خطرهم بعودتهم الى الاسلام ، اذ المادية والشرك طارىء على دين الله : ((وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم (بعدم توبتهم وعودتهم الى سبيل الله) وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون .. الى أن يقول : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم)) .

.. والقرآن هنا اذ يأمر بتوجيه القتال أولا الى أئمة الكفر فيهم فلكي يأخذ المؤمنون بالرؤوس المدبرة للعدوان فيهم وعندئذ يضعف شأن الباقين منهم ، مهما كثر عددهم . وهذا ((تكتيك)) فحسب ليسر القضاء عليهم . وليس المقصود منه ترك عداهم بدون قتال . فآية أخرى في سورة التوبة أيضا توضح مثل هذا الاجمال ، اذ تقول : ((وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين)) (١٤) .

وقتالهم المفروض على المؤمنين حتى ينتهي خطرهم (باعلان اسلامهم) ينص عليه قوله تعالى :

((واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل (والفتنة هي خطر المادية — أو خطر الشرك) ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا (بالاسلام) فان الله غفور رحيم .

((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (أي حتى لا يكون خطر لماديتهم باسلامهم) ويكون الدين لله (هذه الجملة تأكيد لما سبقتها) فان انتهوا (يكون الدين لله) فلا عدوان الا على الظالمين (أي فلا قتال من جانب المسلمين الا على من يرتكبون الظلم)))(١٥) .

※ ثم من جهة أخرى ليس قتال الماديين الملحدين — من جانب المسلمين — موقوتا بأمر أولئكم المكيين منهم ، كما قد يفهم قصر القتال عليهم من مثل هذه الآية : ((ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول (أي من مكة) ، وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم (لقرابة بينكم وبينهم

او لكثرة عددهم) فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » . اذ هذه الآية تشــــير الى حوادث الماديين الملحدين المكيين وقد جاءت بين آيات القتال للمشركين أو الماديين . فربما يظن أن مطاردة الماديين الى أن ينتهوا ويعودوا الى الاسلام مرتبطة بوقت الرسول عليه الصلاة والسلام فقط .
واذن لا قتال ضدهم بعد فتح مكة ونصر المؤمنين عليهم بهذا الفتح المبين .

واذن كذلك يجب أن يظن أن الامر على هذا النحو مع أهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية . فهو موقوت كذلك بالنصر النهائى للمؤمنين عندما تم فتح مكة . فقد جاء أمر قتال الـكافرين فى تنوعهم فى آية واحدة هى :

١ ـ « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورســـــوله (وهم الماديون الملحدون ـ أو المشركون) » .

٢ ـ « ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الـكتاب ، حتى يعطـوا الجـزية عن يد وهم صاغرون »(١٦) .

واذن أيضا الجهاد فى سبيل الله فريضة موقوتة انتهت بانتهاء فتح مكة وبعودة الاسلام الى مقر رسالته الاولى فيها . وقد كانت مكة مقر الرسالة الالهية على عهد ابراهيم عليه السلام .

وقد أشاع هذا الظن بعض الفرق الاسلامية المستحدثة فى ظل الحكم الاجنبى للمسلمين فى القرن التاسع عشر ـ وهى فرقة القديانية ـ رغبة فى توطيد الامن والاستقرار للاجنبى فى حكمه وفى استغلاله لموارد البلاد الاقتصادية والبشرية .

ولكن ماذا يصنع المؤمنون بالله عندما يتحرك ماديون جدد ضد مجتمعهم وضد ايمانهم بالله فى مستقبل قريب أو بعيد ، وقد شرح القرآن موقف الماديين الملحدين وجعل خطرهم وفتنتهم على الايمان بالله أكبر من قتالهم ضد المؤمنين به : « والفتنة أكبر من القتل » ؟

١ ـ أهناك ما يمنع وجود ماديين من جديد يلحدون بالله ويتحدون الله ورسوله ، يخرجون من بين الذين اتبعوا كتاب الله من قبل ؟

٢ ـ وأليس الماديون الملحدون ـ أو المشركون ـ هم الذين وقعوا تحت تأثير الاتجاه المادى فى الحياة ، وآثروا الدنيا على الآخرة فأنكروا وجود الله ، كما أنكروا اليوم الآخر ، كى يتمكنوا من أن يستمتعوا بالمتع المادية فى غيبة رقابة الضمير الانسانى ، والخشية من الله ، والســلوك الاخلاقى والقوانين الانسانية عامة ؟

٣ ـ وما معنى قول الله تعالى فى شأن هؤلاء الماديين : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ، ان استطاعوا » ، فيحكم القرآن ـ بصيغة المســتقبل ـ على « الطبيعة المــادية الملحدة » وعلى شأنها : متى وأين وجدت ؟

ان فتح مكة كان نصرا مبينا للايمان بالله فى ظل رســـالة الرسول محمد عليه الصــــلاة والسلام ، ولكنه لم يكن نهاية التحديات للايمان بالله . اذ طالما الايمــــان بالله موجود كان معه التحدى من الكافرين به ـ فى قوة أو ضعف ، وفى قلة أو كثرة ـ وهنا القتال كصورة من صور الجهاد فى سبيل الله ضرورة دائمة ، وفريضة مستمرة وغير موقوتة .

ان الاسلام اذا كان دين الحياة الانسانية فانه لا يضمن فى ذات الوقت أن يؤمن به جميع البشر فى أى جيل وفى أى عهد . واذا لم يضمن الاسلام ايمان الجميع به فى أى جيل وفى أى وقت فان عدم تحديه ممن لا يؤمنون به غير مضمون كذلك فى مستقبل الانسانية .

واذا كان تحدى الماديين الملحدين لله ولرسوله فى مكة كان حلقة فى سلسلة تحديات مادية سبقته للرسالات الماضية على عهد الرسل السابقين كما تذكر الآية الكريمة : « ان الذين يحادون الله ورســوله أولئك فى الاذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورســلى ، ان الله قوى عزيز » (١٧) .. فسلسلة التحديات للايمان بالله مستمرة بعد الرسول عليه الصلاة والســلام ، وبعد فتح مكة ـ وفتح مكة ما هو الا نصر واحد على المادية ـ وليس أخيرا وان كان نصرا مبينا ـ فى سلســلة انتصارات عديدة وعد بها الله المؤمنين . والمؤمنون لا ينتهون الا بانتهاء الحياة الانسانية فى هذه الدنيا .

ثم ان تعبير الآية فيما نقول : ((ان الذين يحادون الله ورسوله)) بصيغة المستقبل تفيد : أن التحدى لله ولرسوله لم يأته بعد . وانما هو مع الايمان فى أى وقت . ولهذا فالقول بتوقيت فريضة الجهاد بعيد عن الروح الاسلامية والايمان بالاسلام ..

* ولعنف المادية الالحادية — أو لعنف الشرك بالله — على الايمان والمؤمنين بالله ولخطورتها على ما يتصل بالاسلام لا يستقيم فى تصور الاسلام : أن يوجد مؤمن بالله على صلة مودة بملحد مادى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه))(١٨) . ومعنى ذلك أنه : اذا وجد من يتودد من بين المؤمنين الى الماديين الملحدين فهو ليس بمؤمن على الحقيقة وخارج عن الايمان كلية .

ووضع المؤمنين مع هؤلاء الماديين الملحدين — أو المشركين — هو اذن اما : القتال .. الى الاسلام ، واما على الاقل عدم التودد والركون اليهم فى ولاء أو شبه ولاء ، ان كانوا هم معهم على عهد :

وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر :

١ — ((ان الله برىء من المشركين ورسوله ،

٢ — ((فان تبتم (أى ورجعتم الى الاسلام) فهو خير لكم ،

٣ — ((وان توليتم (أى أعرضتم واستمررتم فى غيكم) فاعلموا : أنكم غير معجزى الله (أى ستنالكم الهزيمة حتما) وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (أى وبالاضافة الى الهزيمة فى الدنيا سيكون العذاب لهم فى الآخرة) .

٤ — ((الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين))(١٩) .

.. فهذا النداء من الله ورسوله يوم الحج الاكبر — يوم الوقوف بعرفات وتجمع المسلمين فى وقت واحد ، وعلى مكان واحد ، وفى دعاء واحد الى المولى جل شأنه — بالتبرؤ من المشركين ، وهم الماديون الملحدون، يعتبر وثيقة ايمانية يلتزم بها المؤمنون فى كل وقت فى غير شبهة وغير شك . وما جاء فيها يحدد الموقف النهائى للمؤمنين . فالاسلام مطلوب منهم أولا : ((فان تبتم فهو خير لكم)) . فان كان منهم اباء فالقتال حتى النصر عليهم : ((وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله)) . وفقط يؤمن منهم من كان له عهد عند المؤمنين فترة العهد ، على شرط أنهم لا ينقضونه من جانبهم ولا يستعدون عليهم أحدا .. ((الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم)) . اذ أن الوفاء بالعهود مظهر من المظاهر الانسانية الكريمة التى تتطلب ضبط النفس وعدم الانسياق وراء الانفعالات الهوجاء : ((ان الله يحب المتقين)) . والمتقون هم أولياء الله الذين تحرر سلوكهم من الهوى والشهوة .

٤ — ليس فى القتال معجزة :

ومع أن المؤمنين أصحاب ايمان بالله ، ومع أنهم ان قاتلوا أعداءهم من الكافرين انما يقاتلونهم فى سبيل الله ، ومع أن الكافرين غير معجزين لله فى النصر عليهم .. الا أن الله سبحانه وتعالى جعل للكون وللحياة سننا لا تتخلف عنها ، والقتال صورة من صور الحياة ، فهو خاضع لسننه الخاص . وسننه الخاص : أن الذى يرتفع فى قتاله مع عدوه عن مغانم الدنيا ويخلص لله ولاعلاء كلمته هو الذى ينتصر أخيرا . فهو مجال اختبار للايمان بالله ، كما هو مجال تدريب على التضحية بالنفس . وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بقدر ما يهون عليه أن يضحى بذاته فى سبيله : ((ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ، والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم))(٢٠) . فالآية تعبر عن ثلاثة مبادىء :

١ — المبدأ الاول : أن الله قادر على أن ينتصر من أعداء الايمان فور أن يشتبكوا فى قتال مع المؤمنين .

٢ ــ المبدأ الثانى : أن الله لا يريد أن ينتصر عليهم بادىء ذى بدء ، حتى يتضح عيانا ما عليه المؤمنون من ايمان فى قوته وفى ضعفه ، فى لقائهم مع الاعداء .
٣ ــ والمبدأ الثالث : أن من يقتل من المؤمنين فى ميدان القتال له أجره ، ولن يفوته أبدا .
واذا كان القتال مجال اختبار للايمان بالله فى قوته وفى ضعفه فالنصر أو الهزيمة احدى نتائجه . وكما يوصل الى النصر اذا كان الايمان قويا ، فانه يوصل الى الهزيمة ان كان الايمان ضعيفا .
وقوة الايمان فى السيطرة على هوى النفس والترفع عن المتع والاسلاب والغنائم .
وضعف الايمان فى النظر الى تلك المتع والاسلاب والغنائم واستهدافها فى القتال ، اما خالصة واما مع الاسهام فى اعلاء كلمة الله .
وهنا ليست فى القتال معجزة . وانما النصر فيه ــ كالهزيمة فيه ــ مرتبط بمستوى الايمان . وتوضح الآيات التالية قانون القتال ، وهو قانون لا يتغير لأنه يصور ارادة الله ، فيما يقول القرآن الكريم :
١ ــ ((قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا : كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين .
٢ ــ ((ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ، ان كنتم مؤمنين .
٣ ــ ((ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، .
٤ ــ ((وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين .
٥ ــ ((وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين .
٦ ــ ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون . .
٧ ــ ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين .
٨ ــ ((وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين .
٩ ــ ((وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم ، الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين))(٢١) .
.. فارادة الله فى واقعة ((أحد)) قد تجلت فى هزيمة المؤمنين . لأنهم لم يثبتوا فى أماكنهم التى وضعوا فيها فى مواجهة الاعداء ، واختلت صفوفهم عندما لاحت لهم بارقة نصر على أعدائهم من الماديين الملحدين المكيين ، قبل أن يتم لهم هذا النصر نهائيا . وكان انصرافهم للمنافسة فى الحصول على الغنائم المادية ، وتركوا الرسول عليه الصلاة والسلام مع قلة من المؤمنين معه ، وكانت الضربة الاخيرة لهؤلاء الماديين السبب فى نصرهم على المؤمنين .
وقد جاءت هزيمة المؤمنين فى ((أحد)) بعد نصرهم فى ((بدر)) . وبذا بدا السبب واضحا لهم فى النصر والهزيمة . ولولا هزيمة ((أحد)) لربما اعتقد بعض المؤمنين أنه يكفى للنصر على عدو الايمان ــ وبالأخص ذلك العدو الشرس ، وهو المشرك أو المادى ــ أن ينتسب المؤمنون الى الله ، دون أن يحققوا ما يطلبه الايمان من الاخلاص لله ، والصدق فى سبيله ، والصبر على ما يلحق المؤمن من مشقة وايذاء . أو لربما اعتقد بعضهم كذلك أن الايمان مصدر رزق دنيوى وأنه ((سحر)) يستتبع نتائجه حتما ، ولو كان ضعيفا ، ولو كان وسيلة لوقاية أو وسيلة أخرى لتحصيل المغانم والمتع .
وهنا جاءت الآيات التى ذكرت قبل ، توضح ما يجب أن يستخلص من الهزيمة ، طالما ((القتال)) من طبيعته أن يوصل : اما الى نصر ، واما الى هزيمة . وما يجب أن يستخلص من الهزيمة ليس هو :

الضعف والتفكك ،

ولا هو الحزن والياس ،

وانما يجب أن تقود الهزيمة الى « القوة » والى « النصر » فى قتال لاحق اذا ما أبعدت عناصر الضعف فيه . وهى عناصر الرغبة فى المتع المادية والاسباب الشخصية . فالقتال فى نظر المؤمن يجب أن يمتحض لله . فليس هو لشخص ، ولا وسيلة لدنيا تحصل . وما يستخلص من الهزيمة حسبما تذكر هذه الآيات هو :

أ) أن امارة المؤمن أن لا يضعف ولا يحزن ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين » .

ب) وأن الهزيمة اذ تلحق المؤمنين اليوم فقد لحقت أعداءهم بالامس . ومبدأ الحياة : تبادل النصر والهزيمة ، والانتهاء بالنصر للمؤمنين الصادقين ، « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

جـ) وعن طريق الهزيمة يميز الله المؤمنين حقا وصدقا ، من أولئك الذين يتسترون وراء اعلان الايمان ، وهم المنافقون ، « وليمحص الله الذين آمنوا .. »

د) ولكى يشهد المؤمنون الصادقون — تبعا لذلك — المنافقين بينهم شهود رؤية وعيان .

هـ) وهى الجانب فى تجربة القتال ، يخرج منه المؤمن مصقولا وثابتا على ايمـانه ، وفى صقله وثباته على الايمان محق لأعدائه قطعا .

و) ولولاها لما اتضح المجاهد صدقا ، والصابر حقا فى القتال ، « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ » .

ز) والهزيمة لا ينبغى أن يكون سببها شخص ، ولو كان شخص الرسول عليه الصلاة والسلام . اذ القتال فى سبيل الله هو للمبادىء التى فوق الاشخاص . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » .

ح) كما لا ينبغى أن تكون — أى الهزيمة — مصدر أسف على قتل من يقتل ، أو على فوات مغنم . فالموت مرهون باذن الله وقضائه وحده ، والدنيا لا يحرم منها من يطلبها مباشرة ، ولكن جزاء الآخرة — وهو الأهم — للمجاهد الصادق الصابر : « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » .

ط) ولم يكن الرسول — عليه الصلاة والسلام — ولا المؤمنون معه بدعا فى هزيمة لحقتهم . بل وقع ذلك مع الرسل السابقين . وكانت الهزيمة مصدر اخلاص ومناجاة لله ، ومصدر قوة فى تثبيت الأقدام وتحقيق النصر ضد الاعداء : « وكأين من نبى قاتل معـه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

ى) وأوصلتهم الهزيمة الى نصر فيما بعد : « فآتاهم الله ثواب الدنيا (وهو النصر على الاعداء) ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

واذن من شأن الهزيمة أن : توقف على الاخطاء التى ارتكبت فى القتال ، فى الوقت الذى ترشد فيه الى قانون الحياة ، وهو : أن النصر ليس وقفا على فريق بالذات . وانما هو تداول بين الفرقاء الذين يشتركون فى القتال . وهو من حق القوى فى ايمانه أولا ، بينهم . واذن قانون الحياة بين الناس لا يعرف المعجزة .

والهزيمة اذن فى ذاتها تنطوى على « قوة » اذا عرف استخلاصها ثم استخدامها .

٥ — النصر النهائى للايمان بالله :

* ومع أن القتال ابتلاء واختبار ، ومع أن النصر يخضع — كما تخضع الهزيمة فيه — الى قانون لا يتخلف يمثل ارادة الله ، فان هناك أيضا قانون آخر للحياة يمثل ارادة الله كذلك . وهو قانون النصر النهائى . وتصوره الآية القرآنية فيما يقول الله جل شأنه : « ذلك بأن الله هو

الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير » (٢٢) . فالله هو العلى الكبير وأنه الحق فلا بد أن ينتصر . وما عدا الله هو الباطل ، والباطل ضعيف فلا بد أن ينهزم .

والنتيجة الضرورية لهذا القانون هو أن الذين يقاتلون مخلصين وصادقين فى سبيل الله لا بد أن ينتصروا على الآخرين فى قتالهم معهم ، وهم الذين يقاتلون فى سبيل الباطل أو الطاغوت .

وتصرح آية أخرى بهذه النتيجة اللازمة فيما تذكره : « الذين آمنوا يقاتلون فى سـبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سـبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشـيطان (وهم أولياء الطاغوت والباطل ، أو هم الماديون الملحدون أو المشركون) ان كيد الشيطان كان ضعيفا »(٢٣) .

وضعف الشيطان ، أو ضعف أوليائه — وهم المشركون أو الماديون الملحدون — هو فى اتباع الهوى والشهوة . ومن يتبع هواه وشهوته يصور خط سيره فى الحياة تعرجات تنبىء عن تقلبه فى سبيل اتباع الهوى وتحقيق الشهوة . والمتقلب ليس له مبدأ يتمسك به . وهو اذن لا يقاتل الا مكرها . والذى يقاتل مكرها يفر من ميدان القتال فور أن يجد مخلصا لنفسه . وهو من أجل ذلك ضعيف لا يثبت . ومن لا يثبت تلحقه الهزيمة حتما .

أما « الحق » جل جلاله فهو ثابت لا يتغير . وأما الذين يقاتلون فى سبيله فهم يقاتلون عن اختيار ، ويرون فى القتال قربى الى الله . لا يصرفهم عنه متاع الدنيا ولا شـهوة النفس . ولا يسيطر عليهم أثناء القتال هوى الذات . فقد ارتضوا الآخرة بدل الدنيا وباعوا أنفسـهم لله وحده : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن قاتل فى سـبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٢٤) . « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاسـتبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفـوز العظيم »(٢٥) .

فهم أقوياء بايمانهم ، وثابتون فى القتال من أجل هذا الايمان . ولذا يكون النصر النهـائى لهم . وان هزموا فى موقعة فليتخذوا من الهزيمة فيهـا قـوة فى موقعة أخرى ، وليبعدوا عن أنفسهم عناصر الضعف فى أسرار التى اكتشفوها فى هزيمتهم .

والقانون الذى يربط النصر النهائى فى القتال بالايمان بـ « الحق » واتباعه ، ويربط الهزيمة النهائية باتباع الباطل وماديات الحياة وحدها هو قانون طبيعى تتجلى فيه الارادة الالهية كمـا تتجلى فى خصائص الطبيعة البشرية التى تحكم الانسان والمجتمعات الانسانية .

* وفتح مكة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان نصرا نهائيا له — ونصرا مبينا — على أعدائه . وبالأخص على أولئكم الماديين الملحدين ، وهم المشركون المكيون .. كان نصرا له أخيرا بعد تردد له بين نصر مرة وهزيمة مرة أخرى فى اشتباكاته مع أعداء الايمان . ولم تقده الهزيمة فى « نهاية أحد » وفى البداية فى « حنين » الا الى القوة فالنصر . وفى هـذا النصر النهائى كقانون للحياة يقول الله تعالى :

« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا .

« سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

« وهو الذى كف أيديهم عنكم ، وأيديكم عنهم ببطن مكة ، من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا » (٢٦) .

.. ومنطوق هذا القانون — كما تصوره الآية الكريمة — هو :

أولا : أن أعداء الايمان بالله ، وبالأخص الماديون الملحدون منهم ، اذا باشروا القتال مع المؤمنين لا بد أن يفروا ويولوا الأدبار ، وليس لهم معين ونصير بعد ذلك ،

ثانيا : أن ذلك يتجلى فى أحداث التاريخ الماضية كلها ، وتجلى أيضـا فى فتح مكة . واذن لا شبهة فى التلازم فى الوقوع بين قضاياه :

يوجد الايمان فيوجد النصر .

ويوجد الالحاد فتوجد الهزيمة .

ومفهوم هذا القانون انه اذا وجد المنتسبون للايمان ، دون ان يوجد الايمان حقا وصدقا فى قلوبهم ، فلا يوجد النصر لهم تبعا لانتسابهم الى الايمان وحده . فالهزيمة التى انتهت بها « احد » وابتدأت بها « حنين » تبعت انتساب بعض المؤمنين الى الايمان ، من غير ان يتمكن الايمان بالله فى نفوسهم . وهذا المفهوم صادق كقانون فى الماضى وفى حاضر المؤمنين ومستقبلهم .

ومثله قانون آخر يعبر عنه قول الله تعالى :

« والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ،

« الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٢٧) .

.. فالذين كفروا بالله هم سواء فى عدائهم للمؤمنين ، وهم اولياء بعضهم بعضا ، مهما بدا بينهم من خلاف . فاهل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق هم اولياء لاولئكم الماديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، وهم جميعا اعداء المؤمنين .

فمن يفرق من المؤمنين بين النوعين ، ويعلن الولاء لفريق بعد أن يظن الخير به ، ويبقى على الحيطة والحذر فى مواجهة الفريق الآخر ملتزما موقف الاسلام من اعداء الايمان ، فانه بولائه يجلب الخطر على المؤمنين جميعا وعلى الايمان بالله ويكون سببا فى الفساد والعبث الذى يلحق مجتمعات المؤمنين : « ان لا تفعلوه (اى ان لم تعتقدوا فى ولاء الكافرين بعضهم لبعض وتقاربهم فيما بينهم واتفاقهم جميعا ضد المؤمنين ، وان لم تتخذوا منهم موقفا موحدا ، هو موقف الحيطة والحذر ، مهما بدا من بعضهم من تودد — فهم « يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم ، واكثرهم فاسقون » — الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

والمؤمنون الذين هم فى ولاء مع اى من النوعين لا يحق لهم ان يلوموا الاسلام وانتسابهم اليه اذا ما لحقهم الاذى والضرر بسبب هذا الولاء . وانما يجب ان يعودوا باللائمة على انفسهم بمخالفتهم ارادة الله التى تتجلى فى ذلك القانون الذى يحكم مجتمع المؤمنين فى مواجهة العداء الدفين للايمان بالله والمؤمنين به .

٦ — اجر المقاتل عند الله :

اما اجر المقاتل فى سبيل الله عند الله فهو اجر متميز . والمجاهد فى سبيل الله عامة بنفسه او ماله ، له مستوى يرتفع به عن مستوى المؤمنين الآخرين الذين قعدوا عن الجهاد ، وعن مستوى اولئكم الذين يباشرون من اعمال الخير ما لا يرقى الى الجهاد بالنفس . يقول الله تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر ، والمجاهدون فى سبيل الله ، باموالهم وانفسهم .

« فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ،

« وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما »(٢٨) .

ويقول ايضا :

« اجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ؟

« لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

« الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون .

« يبشرهم ربهم برحمة منه ، ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم »(٢٩) .

.. وتفضيل الله للمقاتلين فى سبيل الله تفضيل واضح ، ودرجتهم عنده هى درجة المبشرين برحمته ، ورضوانه ، وجناته ، وبالنعيم الخالد الذى لا ينتهى . والمقاتل فى سبيل الله ان قتل او مات فى الجهاد لا يعد من الاموات الذين انتهى امرهم . بل من الاحياء الذين تتوفر

لهم صفات الحياة المستمرة : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون » (٣٠) . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون »(٣١) .

ولا شك ان الذى يضحى بنفسه — قبل الذى يضحى بماله — فى سبيل الايمان بالله بلغ مستواه فى قوة الايمان اعلى درجة ، بحيث اصبح لا يرى ذاته فى الحياة شيئا مستقلا فى الوجود يستحق ان يحافظ عليه من اجل وجوده الخاص . انه بالتضحية بذاته قد الغى انانيته وتجرد من خصائصها . فهو لا يؤثر الايمان بالله على نفسه فقط . وانما « باع » نفسه فعلا لله كلية . والموجود امامه الآن : الله جل شأنه والايمان به ، لا غير .

٧ — الجهاد اليوم فى سبيل الله :

١ — من هم اليوم اعداء الايمان بالله الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ؟

٢ — ومن هم كذلك الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب ؟

وكيف ان هؤلاء واولئكم بعضهم اولياء بعض ؟

كان المشركون بالامس على عهد نزول القرآن هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . وكان بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يدينون دين الحق . وقد طلب القرآن الكريم من المؤمنين — الجهاد فى سبيل الله — ان يقاتلوا الفريق الاول حتى يسلم أهله ، وان يقاتلوا الفريق الثانى حتى يخضع :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(٣٢) .

وقد تجلت صلة المشركين بالكتابيين الذين لا يدينون الحق ، وتجلى ولاء بعضهم لبعض فى المؤامرات العديدة وانكشف واضحا فى : واقعة « الاحزاب » ضد المؤمنين . ومن هنا جاء التحذير ، بعد التقرير ، فى قول الله تعالى : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير »(٣٣) .

* ان الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر هو مادى . لا يؤمن بالله لانه لا يراه ولا يحسه ، ولا يؤمن بالآخرة لانها فى عالم الغيب وليست فى عالم الشهادة . والمادى هو الذى يؤمن بالمادة فقط . والمادة تتشكل فى صور محسوسة وملموسة . فيدركها البصر او السمع او اللمس او اية حاسة أخرى من الحواس الخمس .

والمشرك فيما مضى هو مادى . ولانه مادى كان لا يحرم ما حرم الله ورسوله . يحل لنفسه كل ما هو فى وجوده المادى المشاهد . لا يعرف حقا لغيره فيما هو موجود مادى مشاهد ، وبالتالى لا يعرف له حرمة خاصة ، لا ينبغى ان تنتهك . وانما كل ما يقع عليه حسه — ولو كان لغيره — فهو مباح له : أخذه ، والاستمتاع به ، ولو على حساب شقاء الآخرين او حرمانهم .

لا يعرف الفواحش والمنكرات ، ولا الاثم ولا البغى والظلم .

ولا يعرف العدوان والاعتداء .

ولذا لا يحرم على نفسه ما حرم الله ورسوله ، حفاظا على حقوق الآخرين فى الوجود المشترك معه .

والمشرك الذى هو مادى ، انانى . اذ الانانى هو من يقر بالذات دون ان يعترف بالآخرين معه . هو الذى ينسى حقوق الآخرين فى سبيل متعة نفسه . هو الذى يجعل الذات مركز الوجود ، يدور هذا الوجود حولها ولصالح الذات وحدها . وهو — اى الانانى — يدور حول نفسه ليقتنص منافع الوجود المادى فيما يحيط به . فهو يتجه حسبما توجد منفعة مادية ، وقبلته فى العبادة ليست قبلة واحدة . هو كعباد الشمس يتجه الى جميع الاتجاهات بطريق الجانبية .

ومشرك الامس — كما جاء فى تعبير القرآن — هو اليوم صاحب الاتجاه الوجودى ، او

الانتهازى ، أو المادى ، أو الحسى ، أو الآلى فى عرف التفكير الفلسفى المعاصر . ويجمع هذه الاوصاف كلها « مذهب المادية » . وبالأخص : المادية التاريخية .

والمادية التاريخية اذن تنكر وجود الله ، وتنكر اليوم الآخر ، ولا تحرم ما حرم الله ورسوله . تتحدى وجود الله ، لأن الله لا يرى ولا يشاهد . وتتحدى اليوم الآخر وتجعله خداعا وتخديرا ، وتضع بدلا منه ما يأتى به الغد على هذه الارض من نعم مادية لا تحصى .. وتنكر صراط الدين فى السلوك والمعاملة ، كما تنكر مقاييس الاخلاق فى تحديد العلاقات بين الناس ، وترى الانطلاق فى سلوك الجنس . لأنه المجال الحر الوحيد الباقى ، من بين مجالات الحياة الاخرى .

وفلسفة المادية التاريخية وجدت لتتحدى الدين . والذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يقاتلون المؤمنين حتى يردوهم عن دين الله ان استطاعوا . وما قاله القرآن فى مشركى عهده : فى تحديد صفاتهم ، وفى موقفهم من المؤمنين بالله — كما ذكر من قبل — ينطبق تماما على أولئكم الذين يتبنون الفلسفة المادية التاريخية فى توجيه شعوبهم ومجتمعاتهم .

* اما الذين لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب فهم فى الدرجة الاولى الذين يبعدون الدين عن التوجيه والتربية . هم الذين يأخذون اسم « العلمانيين » منهم ، هم الذين ينكرون قيمة الدين ، وان لم يعلنوا انكار الله واليوم الآخر . هم الذين يحددون للدين منطقته وللفلسفة الحياة منطقتها .

وهؤلاء العلمانيون أولياء لأولئكم أصحاب الفلسفة المادية التاريخية . لأنهم جميعا ينتهون الى غاية واحدة ، وهى اضعاف الدين أو ابعاده عن مجال التأثير على حياة الانسان .. هى اضعاف الايمان بالله ، أو الغاؤه من الوجود الانسانى .

وولاء هؤلاء لأولئكم ، بعضهم لبعض ، تدفع اليه روح واحدة ، وتخطط له عقلية موحدة فى العصر الذى تعيش فيه الانسانية اليوم . وهى روح « العالمية » والعقلية اليهودية العالمية التى تتمثل مرة فى الفلسفة المادية التاريخية ، أو الراديكالية الماركسية ، واخرى فى الراسمالية الليبرالية ، وثالثة فى الماسونية أو فى « البنائين الاحرار » .

وتستهدف هذه العالمية :

تحقيق « التعايش السلمى » للاقليات اليهودية فى شعوب العالم .

كما تستهدف اعادة مملكة الله على أرض الميعاد ، أو اقامة اسرائيل على « صهيون » كرمز للوحدة التاريخية للشعب اليهودى وفى الوقت نفسه كوطن يلجأ اليه من يشعر بالذلة أو الاضطهاد فى أقلية من أقلياتهم العديدة .

ولا يمكن أن يتحقق التعايش السلمى للاقليات اليهودية فى شعوب العالم اليوم ، كما لا يمكن أن يتوطد أمن اسرائيل على صهيون — فضلا عن ازدهارها — الا فى غفلة من الايمان المسيحى فى الشعوب المسيحية ، والايمان بالاسلام فى الشعوب الاسلامية ، وبالأخص فى الشعوب التى تحيط بصهيون . ومن هنا جاء معول « العالمية » اليهودية : — ان فى الراديكالية ، أو فى النظام العلمانى ، أو فى الحركة الماسونية — ضد الايمان بالله فى كل طبقة من طبقات الشعب :

١ — فالماسونية تتجه بمعولها للمرؤوس والرؤساء الذين يوجهون السياسة والاقتصاد فى الشعوب .

٢ — والعلمانية تسدد ما تملك من معول ضد تقويض القيم الدينية بين المثقفين والشباب فى دور التعليم المختلفة وفى وسائل الاعلام المتنوعة .

٣ — والراديكالية تسدد وسائلها التخريبية المختلفة لمحو الدين اساسا وعلى الأخص بين العمال والفلاحين فى المجتمعات .

* وجهاد اليوم فى سبيل الله أن اتجه ضد الماديين الملحدين فى الصور العديدة لاتجاه المادية — وبالأخص ضد الماركسية الالحادية — فانه يشبه ما اتجه اليه بالامس ضد من كانوا يسمون بالمشركين .

وان اتجه الى العلمانيين من اهل الكتاب – والعلمانيون هم من المسيحيين وهدهم كاهل كتاب – فانه كذلك يشبه ما اتجه اليه بالامس ضد : « الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب » .

واذا اتجه الى الروح العالمية او الى العقلية العالمية اليهودية – والصهيونية جانب منها – فانه يكون قد اتجه الى ذلك المصدر الذى يعقد الولاء والصداقة والترابط بين الماديين الملحدين ، والعلمانيين من اهل الكتاب لتحقيق الهدف المشترك ، وهو : اضعاف الايمان بالله ، ومحاولة رد المؤمنين عن دينهم ان استطاع .

واذا لم يتيقظ المؤمنون بالله .. اذا لم يتيقظ المسلمون اليوم الى هذا المصدر الذى يعقد الولاء بين الاتجاهين فى عداء الايمان بالله لتحقيق الهدف المشترك بينهما ، فالويل لهم آنئذ من خطره الداهم وفساده الكبير : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

* وجهاد المسلمين اليوم ضد الروح العالمية او ضد العقلية العالمية اليهودية يكفى – مع ضعف المسلمين فى حاضرهم – أن يكون فى المرحلة الاولى جهاد بيقظة العقل والقلب ، وبالدعوة واللسان ، حتى لا يقع بعضهم فى صداقة أو مودة لاصحاب احد هذين الاتجاهين فتحل الفتنة فى ارض المسلمين ويعظم الفساد فيها .

ان الصهيونية العالمية هى جانب فقط من العقلية العالمية اليهودية . هى الجـانب الذى يتبنى علنا دولة اسرائيل فى اقامتها وبقائها وازدهارها .

ولكن الذى لا يعلن عن نفسه من العقلية العالمية اليهودية المحركة فى الواقع – وهو الاخطر والاهم – هو :

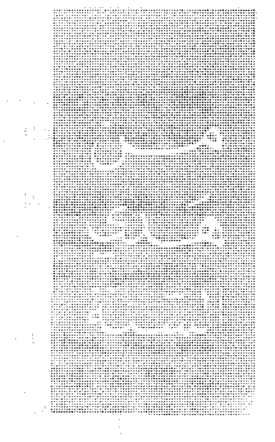
الجانب الفكرى منها وراء دفع الراديكالية الماركسية .

والجانب الآخر الاقتصادى وراء دفع العلمانية فى النظم الراسمالية .

وعدم الولاء لاى من الجانبين الراديكالى ، والراسمالى هو الصورة التى يجب ان يبرز فيها الجهاد اليوم فى سبيل الله .

---

(١) البقرة ٢٥١ .
(٢) الحج ٤٠ .
(٣) البقرة ٢١٦ .
(٤) النساء ٧٦ .
(٥) النساء ٧٤ .
(٦) الحج ٣٨ – ٤١ .
(٧) الحج ٣٩ .
(٨) البقرة ١٩٠ .
(٩) الانفال ٦١ ، ٦٢ .
(١٠) البقرة ١٩٢ .
(١١) التوبة ٢٩ .
(١٢) البقرة ٢١٧ .
(١٣) التوبة ٨ – ١٦ .
(١٤) التوبة ٣٦ .
(١٥) البقرة ١٩٠ – ١٩٣ .
(١٦) التوبة ٢٩ .
(١٧) المجادلة ٢٠ – ٢١ .
(١٨) المجادلة ٢٢ .
(١٩) التوبة ٣ ، ٤ .
(٢٠) محمد ٤ .
(٢١) آل عمران ١٣٧ – ١٤٨ .
(٢٢) الحج ٦٢ .
(٢٣) النساء ٧٦ .
(٢٤) النساء ٧٤ .
(٢٥) التوبة ١١١ .
(٢٦) الفتح ٢٢ – ٢٤ .
(٢٧) الانفال ٧٣ .
(٢٨) النساء ٩٥ .
(٢٩) التوبة ١٩ – ٢٢ .
(٣٠) البقرة ١٥٤ .
(٣١) آل عمران ١٦٩ .
(٣٢) التوبة ٢٩ .
(٣٣) الانفال ٧٣ .



هذا بصائر من ربكم

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى البخاري بسنده المتصل عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » .

حار الناس (١) فيما هو واقع في المجتمعات المعاصرة على اختلاف وجودها ، فقد انتشر بين الناشئة مجافاة الأديان ، والانغماس في المادية البحتة ، ووصل البعض الى اطراح فكرة (الألوهية) وانبرى كثيرون من قادة الفكر يبينون خطل هذا الاتجاه ، ويبرهنون على أنه مجاف للانسانية الفاضلة ، واتخذ الراغبون في السلامة العزلة مسلكا ، وتلمسوا لمسلكهم تعليلا فهموه من بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والاسلام الصراح وان حذر من الفتن والانغماس فيها ، فقد دعا بقوة الى الايمان بالله الواحد وأوضح بالبراهين القاطعة وجوده ووحدانيته ، وانه لن يستقيم أمر الحياة بغير هذا الايمان ، فالعقيدة الاسلامية قوة دافعة للاجادة والافتنان في كل شيء ، حاثة على الابداع والاختراع والمضي قدما بالانسانية الى ما يمكن لها في الوجود المثالي الكامل ، لارتكازها على الاعتصام بالله القوي العليم الخبير ، ولنستعرض الركن الأول في أسسها القويمة وهو الايمان بالله تعالى :

١ ــ مفهوم الأله في الاسلام :

الله ــ هو الخالق المعبود بحق ، المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل نقص ، وعلى هذا فمفهوم الأله في الاسلام ــ أنه هو القوة المبدعة للأشياء والأسباب ، المنشئة دون مثال سبق للسنن والقوانين الثابتة البادية في مظاهر العالم .

« والعالم هو الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك ، ولا يجمع فاعل بالواو والنون غيره ، وتعالمه الجميع علموه » (٢) « ومن أطرف أسرار اللغة العربية أن الكون الذى تشاهده هو وجملة نظام الخلق ، ما نراه وما لا نراه يسمى (عالم) التى معناها العلامة الكبيرة » (٣) ولا يطلق على الاله فى الاسلام أنه سبب أو علة ، وانما هو خالق الأسباب والعلل المتصف بالقدرة والعلم ، فله سبحانه وجود خاص متكامل ، فلا تدرك ذاته حسيا بحال من الأحوال ، وانما تعرف بآثارها ، وبمظاهر القدرة ، فلله المثل الأعلى (ليس كمثله شيء) .. « الله لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

٢ — أدلة وجوده تعالى :

منذ أقدم العصور بحث الانسان عن القوة المؤثرة فى الكون ايجادا واعداما ، وجمعا وتفريقا والتى يستند اليها وجوده وتدبيره ، ويصدر عنها ما يخرج عن طوقه وقدرته ، وما يوقفه حائرا مبهور الأنفاس أمام العظمة البادية فى هذا التنسيق البديع لحركة الأفلاك علويها وسفليها وتنوع الموجودات من سماء وأرض ، وبحار وأنهار ، وصحارى وجبال وجماد وحيوان ونبات وما أمدت به من حرارة وبرودة ، وما منحت من ليل ونهار وفصول مختلفة وغير ذلك مما يجل عن الحصر ، وكل شيء بمقدار وميزان لو أختل قليلا لهلك العالم وباد .

واتخذ البحث طرقا وأشكالا مختلفة ، وجاء فى كل عصر فلاسفة وعلماء سلكوا طريقا مماثلا أو مغايرا لمن سبقوهم وقديما حاور شيخ فلاسفة اليونان (سقراط) منذ أربعة وعشرين قرنا منكرا للاله محاورة لا نرى بأسا من ايرادها ، أنتهت بايمان محاوره (٤) .

سقراط أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟

اريستوديم نعم ، أعجب فى الشعر القصصى بهومير ، وفى التصوير بزوكسيس ، وفى صناعة التماثيل ببوليكتيت .

سقراط أى الصناع أولى بالأعجاب الذى يخلق صورا بلا عقل ولا حراك أم الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة .

اريستوديم طبعا الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة اذا لم تكن تلك من نتائج الاتفاق .

سقراط وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعطى الاعضاء لمقاصد وغايات خاصة ؟ عين ترى ، وأذن تسمع وأنف يشم ولسان يتذوق ، والعين تحاط بحراسة لحساسيتها وضعفها فتقفل عند النوم أو عند الحاجة ، وتحرس بالرموش والحواجب ، ويجعل للأذن جهاز خارجى يجمع لها الصوت ، هل يمكن أن يكون ذلك من نتائج الاتفاق ؟ والميل المودع فى النفوس للتناسل ، والحنان فى قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمجرد ولادته هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟ .

اريستوديم لا أن ذلك يدل على الابداع ، وعلى أن الخالق عظيم يحب الكائن الحى .. ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

سقراط وانت أيضا لا ترى روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل معنى هذا أن تقول ان أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون ادراك ؟ وانتهت المحادثة بايمان ارستوديم بالاله ..

ومن بعد سقراط برهن تلميذه (أفلاطون) على وجود الله .

« وكان يرى كما يدل كلامه فى محاورة طيماوس أن الاله واحد بدليل أن العالم واحد وأنه منظم » (٥) .

ثم تتابعت الدراسات الفلسفية (٦) واختلفت طرائقها فى تصوير فكرة الألوهية كما تشعبت أدلة كل طائفة على ما ذهبت اليه وتنوعت حتى جاء عصرنا الذى وجد فيه من يحاول انكار وجود الله ، وأن لم يتم لهم برهان ولم يستقيم دليل (٧) ولهؤلاء يقال : ما رأيكم فى قول الله تعالى (**تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور**) فهل باستطاعتكم منع مقدر له الوجود أن يوجد حيوانا كان أو انسانا أو نباتا أو جمادا أو كوكبا علويا أو سفليا ، وهل فى مقدوركم ايقاف الفناء والتخلص من عوامله ودفعه عن أنفسكم فضلا عن غيركم ، وما موقفكم حيال قوله تعالى « **كل نفس ذائقة الموت** » ؟ وسنترك لكم المجال لتحاولوا تبرير انحرافكم عن الجادة ان كنتم صادقين وما نظنكم فاعلين (٨) .

وقد نجمت فى الاسلام طوائف المتكلمين الذين خلطوا البحوث العقائدية بما عرفوا فى فلسفة اليونان التى ذاعت وانتشرت فى بدء ظهور الدولة العباسية ، وآتت أكلها فى عصر الخليفة المأمون ومن بعده ، واتخذوا المنطق الأرسطى وسيلة البرهان ، وأشهر مدارسهم الأشعرية والماتريدية والمعتزلة وأبرز أدلتهم العقلية على وجود الله هو اثبات حدوث العالم لأنه جواهر وأغراض متى ثبت أن العالم حادث ثبت ان له محدثا موجودا عالما قادرا مريدا ، وذلك هو الله تعالى ، وقد نبغ من المتكلمين من دافع عن العقيدة بحرارة وقوة وجلد وثبات أمثال النظام ومدرسته واضرابه ، والأشعرى وأتباعه ، والماتريدى وأنصاره ، ثم ابن رشد (٩) الذى نقد طرائق المتكلمين ودعا الى طريقة خاصة أسماها الطريقة الشرعية للبرهنة على وجود الاله .

« ... فان قيل : اذا تبين أن هذه الطرق كلها (يعنى طرق أهل السنة والمعتزلة والصوفية) ليست واحدة منها هى الطريقة الشرعية التى دعا الشرع فيها جميع الناس على اختلاف فطرهم الى الاقرار بوجود البارى سبحانه ، فما هى الطريقة الشرعية التى نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم ؟ قلنا — الطريق التى نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها ، اذا استقرىء الكتاب العزيز وجدت تنحصر فى جنسين :

أحدهما — طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجلها ولنسم هذه (دليل العناية) .

والطريقة الثانية — ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات مثل اختراع الحياة فى الجماد والادراكات الحسية والعقل ولتسم هذه (دليل الاختراع » (١٠) .

(وبعد) فلنتجاوز المتكلمين محيلين الباحث الألمعى على ما تركوا من تراث ونعرج على أدلة القرآن الكريم ففيما احتوى عليه من براهين وأساليب للوصول الى القناعة العقلية بحقيقة الألوهية ما يصلح زادا لكل المستويات

العقلية المستقيمة لا السقيمة ، مبتدئا بالأعرابى ذى الفطرة السليمة ، ومنتهيا بالفيلسوفذى النظريات العميقـــة .

فالمستعرض لآيات الذكر الحكيم الخاصة باثبات وجود فاعل مختار عــالم قادر حكيم يلفها داعية الى النظـــر فى الكون المحيط بنا ، والذى تقع عليــه حواسنا مشيرة الى أن وجوده بهذا الاحكام والاتقان ، والتدبير ، وتسخير كل ما فيه للانسان الذى هو قمة الموجودات وسيدها المطلق ـــ يخلص من كل ذلــك الى أن كل ما نرى وما لا نرى لا يمكن أن يكون مصدره الصدفة بحال ، فهذا الليل والنهار والشمس والقمـــر وتعاور الفصول الاربعة والسمـــوات والارض وما بث فيها من دابة وجماد ، ونبات ، وما يلزم لتلك المخلوقـــات لتعيش وتحيا من ماء وهواء وغذاء ، وما يستلزمه تنوعها وتباينها من مواءمة بينها ، وقوامة على حفظها ورعايتها لتستمر فى أداء مهمتها الى الايمان العميق بوجود الصانع المختار العليم الحكيم .

« ان فى خلق السموات والأرض واختـــلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » (الآية ١٩٠ من سورة آل عمران) ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابـــة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـــوم يعقلون (١٦٤ من سورة البقرة) .

« يا ايها الناس أعبدوا ربكم الـــذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج بـــه من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا للـــه اندادا وانتم تعلمون » .

(٢١ و ٢٢ من البقـــرة) .

« الم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم ازواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليـــل لباســـا وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقـــكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجـــا . لنخرج به حبـــا ونباتا . وجنات الفافا » . الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ من سورة النبأ .

« وآية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم أفلا يشكرون سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عـاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » . (الآيات من ٣٣ ـــ الى ٤١ من سورة يس) .

وبعض الآيات الكريمة تنعى على الانسان عجزه وتبدى له ضعفه وقصور باعه أمام أضعف المخلوقات وتتحداه أن يحاول ايجادها أو مثلها ـــ وهيهات ـــ أو يستخلص حقه منها اذا اغتالته .

(ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقـــوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قـــدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) .

(٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج) .

وآيات تبين عن دخيلة النفس الانسانية وحيرتها أمام الكوارث والنوازل وشحها وبخلها اذا انعم اللــه عليها .

« ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخيــر منوعا . الا المصلين » (٢١ ، ٢٢ من المعارج) .

واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كــان يئوسا .

وآيات تأمر بحمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى ، وتقرر الأدلــة على تفرده بالخلق والتقدير ، وتوجب عبادته وحده ، وأنه لا ينبغي عبادة شيء سواه من الأصنام والأوثان .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون . امن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قــوم يعدلون . امــن جعل لكم الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا . وجعل لها رواسي وجعــل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون . ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع اللــه تعالى الله عما يشركون . امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم مــن السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

(الآيات من ٥٩ — ٦٤ من سورة النمل) .

وهكذا تمضي آيات القرآن الكريم شارحة المظاهر الكونية وأصولها وأن مردها الى الله ، لتبرهن على وجوده وقيوميته (**الله لا إله الا هو الحي القيوم**) ويستطيع كل حسب ادراكه أن يعرف خالقــه ويهتدي اليه ، فالعـامي يؤمن بظاهر القول ، والمتعمق الفاحص يصل الى اسرار الخلق والايجاد .

وقبل أن ننتقل الى أقوال العلماء المعاصرين وشهاداتهم بوجود اله مدبر للكون نورد حجاج ابراهيم عليه السلام لقومه كما ورد في سورة الانعــام ، وكيف انتهى الى اثبات موجد بألطف وجه وأحسن طريق متبرئا من تلك المعبودات التي اتخذوها أربابا من دون الله ، فقد كان قومه يعبدون الكواكب لما لها من التأثير السببي في الأرض (فكانوا يعتقدون أن الشمس رب الناس ، والقمر يدبر الملوك ويفيض عليهم روح الشجاعة والاقــدام وينصر جندهم ويخــذل عدوهم ، ويعتقدون أن (مرداخ) وهو المشتري شيخ الأرباب ورب العــدل والأحكام وحافظ الأبواب التي يدخل منها الخصوم لفض خصوماتهم وأن (رنكال) وهو المريخ رب الصيد وسلطان الحرب ، وأن (عشتار) وهي الزهرة ربة الغبطة والسرور والسعادة ، وتمثل بصورة امرأة عارية ، وان (نيو) وهو عطارد رب العلم والحكمة وجاء ابراهيم بحجته البالغة فحصر العبادة في فاطر السموات والأرض وحده دون غيره . (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين) (١١) : واستمع الى ما يورده القرآن الكريم بصدد هذا النقاش الابراهيمي العظيم .

*** واذ قال ابراهيم لأبيه آزر (١٢) أتتخذ أصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نري ابراهيم ملكــوت السموات والارض وليكــون من الموقنين . فلما جن عليه الليــل رأى كوكبــا قال هــذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغــا قــال هذا ربي فلما أفل قــال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القــوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغــة قــال**

هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون . وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) الآيات من ٧٤ الى ٨٣ من سورة الأنعام .

---

(١) حار يحار .. نظر الى الشىء فلم يهتد لسبيله .

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٩٥٣ .

(٣) الاستاذ الدكتور ابو ريدة ... فى مجلة عالم الفكر ج ١ ص ١٩٠ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ــ للاستاذ فريد وجدى ج ١ ص ٤٨٦

(٥) الاستاذ الدكتور ابو ريدة فى مجلة عالم الفكر ص ١٣٦ هـ ١

(٦) تابع دراسة تلك المدارس واجاد عرضها تاريخيا وناقشها الاستاذ الدكتور « ابو ريدة » .

(٧) وان كانت الجذور العميقة لهذه المذاهب ــ ان استحقت هذه التسمية ــ ضاربة فى اغوار الماضى وقد حكى القرآن كثيرا عن المنكرين عنادا او كفرا او تقليدا للآباء ، والقائلين بالعلية والطبائعية ، وقد عنى بالرد على تلك الفرق علماء الكلام فى الاسلام ، ومما قاله بعض اهل السنة نظما :

ومن يقل بالطبع او بالعلة ... فذاك كفر عند اهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة ... فذاك بدعى فلا تلتفت

(٨) كما سنجعل ختام هذا البحث الاشارة الى شهادات العلماء المعاصرين الذين بلغوا الدرجة القصوى فى فهم ودراسة واكتشاف العلوم ــ على وجود الله ــ وقد يكون وصول قادة العلم المعاصر الى ادلة وجوده تحقيقا لقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ــ وندع المنكرين يتحقق فيهم قوله تعالى :

واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه .

(٩) ابن رشد يعد من الفلاسفة الاسلاميين الذين اشتغلوا بعلم الكلام ونقدوا المتكلمين فى الاستدلال .

وليرجع فى دراسة هؤلاء الافذاذ ومعرفة مذاهبهم الى كتب المتكلمين وما اكثرها ومن اهمها مقالات الاسلاميين للأشعرى ، ومواقف الايجى ، ومناهج الادلة لابن رشد ، والعقائد العضدية ، والعقائد النفسية وكتب الغزالى وامام الحرمين الجوينى .

(١٠) ابن رشد : (مناهج الادلة فى عقائد الملة) ص ١٥١ مكتبة الانجلو المصرية .

(١١) تفسير المراغى جـ ٧ ص ١٧٣ ــ طبع مصطفى الحلبى ــ القاهرة ١٩٤٦ م

(١٢) ابراهيم ــ هو ابو الانبياء الاكبر بعد نوح عليهما السلام ، وهو العاشر من اولاد (سام كما فى سفر التكوين ولد فى بلدة اور) من بلاد الكلدان ، وفى سفر التكوين (ان الله تعالى ظهر له فى سن التاسعة والتسعين من عمره وكلمه وجدد عهده له بان يكثر نسله وابوه سماه الله (آزر) وفى سفر التكوين اسمه (تارح) وقال البخارى فى تاريخه ابراهيم بن آزر وهو فى التوراة (تارح) وجزم الضحاك وابن جرير أن اسمه (آزر) ....



الأستاذ : البهي الخولي

هذه سلسلة من الكلمات قد تطول الى أشهر ، واريد لذلك ان نستانس لتلك السلسلة بما يمهد لها فى الذهن والضمير .. فهى ليست من احاديث الواقع التى نرددها فى صور مختلفة من التقرير .. والشكوى .. والتمنى ..

نعم ليست من احاديث التقرير التى نجيد بها عرض موضوعات تقليدية من تراثنا المجيد لا نبض فيها ولا جديد الا اناقة الصيغة او استبدال اسلوب باسلوب ..

وليست من أحاديث الشكوى او الالم لما نعانى من هوان وضيمة ، فان ما نزل بنا قد برم منا ، ومل مقامه فينا ، وكانما غدت الشكوى ضربا من « الروتين » لا يمثل الما ولا ينزع عن عرق جياش بالضيق ..

وليست من قبيل تمنى الاصلاح او ترجيه ، فانا لم نتفق بعد على معنى الاصلاح .. هل نأخذ له من الغرب .. او ناخذ من كتلة الشرق .. او نرجع فيه الى تراثنا وعروقنا الجياشة بامجاد الماضى ؟

والاختلاف على مفهوم الاصلاح آية الاختلاف على فهم الحاضر الذى يراد اصلاحه .. وهو مع ذلك خلاف تمثل وجهات نظره لونا من التطير وعداء كل

منها لغيرها عداء لا يقبل التقارب أو المعايشة في صدق .. فالتراث في نظر بعضهم عوامل تخلف ورجعية يجب أن تبيد كشرط حتم للبناء والاصلاح .. أو هو في أحسن ما يقال « مفاهيم » أدت دورها في عصر ما ولم تعد قابلة للحياة في غيره .. وأصحاب التراث ينظرون الى اليمين والى اليسار فلا يجدون الا مادية قائمة ، وجحودا لشأن خالق الكون ، بين منكر له جهرة ، ومعترف به اعترافا هو والجحود سيان ..

واختلافنا في فهم الواقع وفهم ما يصلحه يدعونا أن نطرح للبحث قضية ذلك الواقع نفسه .. هل هو واقع صالح للبقاء ولا ينقصه الا علاج وتدارك ما به من نقص وعلة ، أو أن هذا الواقع لا يصلح أن يكون واقعا بتة ، وبناؤنا عليه يقوم على غير أساس ؟ وأن علينا أن نلتمس في جد وصدق « مواصفات » أخرى لتخطيط جديد نستهدي فيه العقل والفطرة ، ونتحرى المواءمة مع كل حقيقة في الكون ظاهرة وباطنة ؟

وفي تلك « المواصفات » هل نأخذ من الغرب علومه ، وأوضاعه في الحضارة ؟ .. ان الغرب كله يتسم « بالأنانية » وهي عماد حضارته ، وهي التي دعته أن يأخذ ما بأيدينا بالعدوان والبغي ، دون أن يكفه أو يزجره عن ذلك ماله من علم بالطبيعة وطاقاتها ، بل ان ذلك العلم هو الذي أمده بالعدد التي مكنت له في أنفسنا وثرواتنا ، فاذا طلبنا ما لهم من صناعة وعلم ، فانما نطلبه لندرأ البغي عنا فحسب ، ومن قصر الرأي أن يرجو راج أو يسعى لأن يكون واقعنا مثل واقعهم في النظر الى معنى الحياة والغاية منها .. وبعبارة أخرى : النظر الى معنى الانسان ، ومفهوم فضائله ، ومكانه في الكون ومهمته فيه فان الغرب نفسه ضجر من المفهوم الحي لتلك الحقائق ، بل ضجر وشقي لممارسة المفهوم الاناني لتلك الحقائق في استباحة كل لذة حسية ممكنة ، وليس للغرب فضل أو فضيلة في ذلك الضجر ، فانما هو أثر عميق يثور في فطرة كل آدمي حين لا يتسق في نظرته للكون مع أصول فطرته .. والعجب أنهم — مع ضجرهم أو سأمهم هذا — يعالجونه بمزيد من الاغراق في الشهوات والتبجح بالتحلل والاباحة ، يغرونه ويمهدون له بمزيد من البغي والسلب وجرائم التفرقة التي لا يقرون فيها لملون بحق من حقوق الحياة .

فاذا كان الواقع كله عندنا وعند غيرنا على ما قدمنا ، فمحاولة علاجه بترقيع بعضه من بعض ليست سوى توطين أو تمكين للداء ليستشري في مواطن أخرى .. واذا ، فلا معدى من تغيير الواقع كله ، على « مواصفات — كما قلنا — جديدة ، على نطاق العالم كافة ، أو على نطاق الانسانية بأسرها » .

ومن المعروف أن هذا الواقع هو علم، وفن ، وصناعة ، وفلسفة ، وتشريع واقتصاد وسياسة ، وآداب عامة ، وعرف في معنى الفضيلة ، والحياء ، والعفة ، والعرض ، والشرف ، والسلوك الخاص ، فاذا دعت الضرورة لتغييره فليس كما نغير ثوبا بثوب ، لا يكلفنا الامر الا أن ننضي عنا هذا لنرتدي غيره .. فأن هذا الواقع ليس سوى ثمرة لنظرة خاطئة في الحياة وفي معنى الانسان !! .. وتلك النظرة نفسها انما هي ثمرة لوضع عقلي خاطيء ننظر منه الى الكون .. والكون هو وطننا العام ، اذا توطنت منه أبداننا أشياءا معدودة لكل بدن ، فأن لنا من الحواس ومدارك العقل ما يذرع أقطاره في السموات والأرض ، ويذهب في آماده الظاهرة والباطنة الى آفاق تروع الأفئدة ، وتميد لها الرءوس وما كشف الانسان من تلك الآفاق حقيقة أو مدى الا وتوطنه بعقله واقبل عليه

بحثا وتبينا لما يتضمنه .. فالكون بالنسبة لنا وطن فكرى لا حسى فحسب ، فاذا كان وضع العقل منه خاطئا فمعناه أن تبدو منه بعض الحقائق دون بعض .. وتوطن أى بيت خاص لا يكتب للانسان فيه الاستقرار والانتفاع بكافة مزاياه الا اذا أحصى وعرف كل ما يتضمن من حجر ، ونوافذ ، ومرافق ، وأجهزة للحياة والنور ، وما يلحق به من مرافق تتم بها الرفاهة والمنفعة ، وهو بعد لا يحجب الانسان عن الكون الكبير .. فأولى أن تحس فطرة العقل قلقا اذا كانت بوضع تحتجب فيه عنها بعض أو أهم حقائق وطنها الخطير ... واذا عرفنا أن فطرة العقل ليست أمرا حسيا .. واذا عرفنا الى ذلك أن توطن الكون بالنسبة لها هو توطن حقائقه المعنوية تبينا ومعرفة .. واذا عرفنا فوق هذا أن تلك المعرفة هي الزاد أو الرحيق الذى يصلح ويتم به أمر تلك الفطرة — عرفنا مدى القلق الذى يعتريها اذا لم تكن بوضع صحيح تحتل به كل مواطنها من الكون ، وتتزود بكل ما لها من ثقافة فى تلك المو طن .

إن الانسان خلق ليحيا فى الكون .. والانسان هو بدنه ، ومعايير عقله وخاصياته .. وانا نحس الى الآن أن الكون مصدر معارفنا ، ومنافعنا ، وقوام أمرنا كله ، فهو — اذا — قد فطر على سنن المواءمة حسا وروحا لمصالحنا .. أو أننا فطرنا على المواءمة لسننه لو أن مشيئة العليم الحكيم اقتضت المواءمة بين سنننا وسننه ، فلم ينلنا أى ضرر — يوما ما — بسبب الاتصال به اتصال حس أو عقل ، فاذا كان ضرر فهو منا بفساد التقدير وعدم الاكتراث لسنن الفطرة .

فاذا تكلمنا عن تغيير الواقع فلسنا نعنى تغيير أنماط الحياة الظاهرة فى فنها وصناعتها ، وتشريعها ونحوه ، انما نريد التغيير الذى يبدلنا بواقع نظرنا نمطا يقيم العقل على بحث معاييره وخصائص المواءمة لحقائق الكون .. وبتلك المواءمة يزول القلق ويتزود الفكر زاده الثقافى الجامع الذى ينشىء لحضارة الانسان أنماطها فى التشريع والفن ، ومفاهيمها الصادقة لحقائق الحياء ، والمرض ، وكرامة السلوك الخاص .. ويجعل للحياة غايتها العليا ومعناها السامى الذى يسعد به الفكر ، كما يجعل للانسان رسالة حكيمة يكرم بها سعيه ويشرف قدره بين الكائنات ..

واذ يرجع تقويم تلك الحضارة الى حقائق الكون التى لم يبتدعها انسان ، ولم يزيفها بشر .. والى معايير العقل فى كل آدمى ، فقد رجع الى الأصل الجامع الذى لا يرده أحد ، ولا يشذ عنه عقل سوى ..

الحضارة بين الحس والروح :

والحضارة ظاهر ومعنى « أو حس وروح » وقد تحول اليها الانسان بادىء بدء ببواعث أقرب الى الحس راغبة فى الاستقرار والأمن « قال فى لسان العرب : الحضر خلاف البدو .. والحاضر خلاف البادى .. **والحضارة الاقامة فى الحضر** .. والحضر والحاضرة هى المدن ، والقرى ، والريف . سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ، ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار » ..

ووضع الانسان للغته ابتداء كان يشمل ثمرة تفاعله مع الكون ، أو مع الواقع الطبيعى والاجتماعى المحيط به ، سواء كانت تجارب هذا التفاعل حسية أو نفسية ، أو عقلية ... ولغتنا العربية بوصفها من أقدم اللغات ، وقد وضعت ابتداء فى البادية من قوم لهم صفاء الفطرة وذكاء القريحة .. لغتنا بهذا الوصف

تعتبر من أصدق اللفتات تعبيرا عن فوالح الانسان الأولى وتجاربه عامة ، اذ كان يدرج بين البادية والحضر خلال تطوره من الأولى الى الثانية .. ولذا نرى صاحب لسان العرب يذكر ان الحضر سمى بذلك لأن أهلـه حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار .. وذكر القرار ، أو الاستقرار فى هذا الصدد يتضمن « لفتة » خافية للنفس ابان ذلك التـدرج أو التردد بين البـدو والحضر ، اذ كانت تلحظ الفارق بين مشاعر الاقامة فى البدو ، والاقامة فى الحضر وهو فارق لا يرجع أساسا الى رسوم الظاهر والشكل ، انما يرجع الى ما هو أبعد فى خفايا الفطرة .. يعود الى فارق القلق والطمأنينـة ، بين ما تعانيـه النفس في البداوة ، وما تسكن اليه نسبيا في الحضر .. وقد يكون هذا الفارق ماثلا في نمط الحل والترحال ، والظعن والاقامة الذى تعانيه البداوة طلبا للرعى ومساقط الغيث ، بمضاهاته بنمط الاستقرار الذى يحظى بـه الحضر بتوفـر أسباب المعيشة بينهم .. ولكنا نعنى فارقا أعمق من معاناة كسب القـوت أو يسره .. فارقا يشير الى حال القلق الدائم على الدم والمال فى البداوة ، والأمن عليهما فى الحضر .. اذ البداوة — مع حياة الحل والترحال الراتبة — لا تفتأ تشن الحروب فيما بينها ، اصابة لثأر أو طلبا لنهب حيث كان ، وكان ذلك متصلا معهودا بينهم ، حتى لكأنه عادة يمارســـونها مع من نأى أو دنا من الاباعـد والاقارب على ما يقول القطامى :

واحيانا على بكر أخينا ... اذا ما لم نجد الا أخانـا

أى أن الحرب ديدننا المتصل ، لا نكف عن الاغارة على غيرنا ، فاذا لم نجد اغرنا على من قرب من أبناء عمومتنا ... ومهما يكن من الف البادية لذلك فأنه يعارض فطرة الحرص على النفس والمال فى طبيعة الانسان ، فلا جرم كان ذلك ملحوظا — فى خفاء — حين ملاحظتهـــم ميزات الحضر ابان ترددهم عليـه واستعدادهم للتطور ، ولا جرم — أيضا — ضمنوا لغتهم تلك اللفتات النفسيـة الدقيقة ، فكان ما ذكره صاحب اللسان من تعليل تسميتهم الحضر بالحضر ، اذ سجلوا بتلك التسمية ما كانت تحسه سرائرهم من ميزات الطمأنينة والاستقرار التى ليست للبادية .

ولسنا نقصد اى بحث لغوى ، انما نعرض « وثيقـة » تتضمن لقطات لحركات النفس العربية وهى تودع للغتها انفعالاتها الاولى بظروف ترددها بين البدو والحضر .

وقد كتب فى دقائق البدو والحضر كثير ، ولكن أوفاها وافضلها ما كتبـه مفكرنا الخطير عبد الرحمن بن خلدون .. فالبدو — مثلا — مرحلة فى عمـر الانسانية سابقة للحضر .. ومجتمع البادية ساذج فى معيشته وأوضاعه لقلة مطالبه واكتفائه بالضرورات ، ومجتمع الحضر كثير المطالب متشابك الضرورات بحكم ما تتطلبه عمارة الدور والارض من صناعات متباينة ، وما يترتب على ذلك من معاملات وأوضاع تنظيمية شتى .. عرضوا لذلك ونحوه ولكن الذى يعنينا هو ذلك الحافز العميق الذى نلحظه من ورائه ، والذى حفز الانسان — وما زال يحفزه — الى الحضارة ، وهو حافز الفطرة الذى تنم عنه اللفة ، حافز الحرص على المحافظة على الذات وما لها من مقومات الحياة ... ولكن هل هذا الحافز وحده هو كل ما تضمنته الفطرة من حوافز وضرورات ؟ .. وهل ذلك المفهـوم للحضارة قد تضمن كل ما لها من مقومات وخصائص ؟

ان اللغة قالت : ان **الحضارة هي الاقامة في الحضر** ، واتسع ذلــك المفهوم بالتبعية أو اللزوم ، فشمل مظاهر نشاط الانسان فى عمــارة الارض والمدن بمختلف الصناعات .. وزاد التفاعل مع الواقع ــ حسيا وعقليا ــ فكان ما أسفرت عنه الجهود من كشوف علميــة لمخبآت الطبيعــة ، وقوانينهــا ، وأضيف ذلك ومظاهر استعماله وآثاره الى ســابقه فى مفهــوم الحضارة ومقوماتها .. وصحب ذلك كله ضروب من المعاملات ، ونظم الحكم والتشريع ، والقضاء ، والسياسة ونحوها فكانت ــ بحكم اللزوم ــ أيضا خاصية للاقامة فى الحضر أضيفت لمفهوم الحضارة .. ولكن هل انتهى الى ذلك الحد مفهــوم الحضارة ؟ .. وبعبارة أخرى هل انتهت خواطر الفطرة الداعية للتحضر فانتهى مفهوم الحضارة الى ما انتهى اليه ؟ ..

اننا نريد ان ننبه الى الرابطة الوثيقة بين حوافز الفطرة ، وبين ما تدعو اليه فى ظاهر الحياة من تفاعلات .. نريد أن ننبه الى الرابطة المنطقية الحتمية التى تجعل حضارة الانسان اثرا ضروريا لما تنطوى عليه فطرته من تطلعات وحوافز .. وعلى هذا نسأل : هــل هذا الحافز وحــده ــ حافز المحافظة على الذات ــ هو كل ما للفطرة من ميزة الحياة الباطنة ؟ ، أو ثمت حوافز وتطلعات أخرى ؟ ..

بين انفعال الحس وانفعال الروح :

منذ يعى الانسان نفسه يحس اتجاهه الى الكون وآفاقه بوجدان غامض فيه تعجب باعث على السؤال : ما هذا ؟! وهو وجدان لا تكلف فيه ، كما أنه ليس من تخييل أحد ، أو ايهامه ، بل هو حركة يجدها كل فرد فى ضميره منذ يعى نفسه ــ كما قلنا ــ .. ومع تقدمه فى عمر الطفولة يعظم التعجــب ، وتعمق الروعة ، ويزداد التساؤل : ما هذا ؟! . وتبدأ عجائب الكون تلفته الى ذاتها : الشمس بظواهر شروقها وغروبها ولألائها الباهر ، وتنقلها العجيب فى القبة الكونية كل يوم من الشرق الى الغرب .. والقمر بأشكاله المتباينة التــى يغيرها مع كل ليلة ، ويطالعنا بها من عليائه على مدى الشهر .. والكواكب التى تغطى فضاء الكون ليلا بزينتها البديعة العميقة ، وتأخذ باللب فى خشوع ورقة الى غورها السحيق ... والانسان يلبى ذلك كله فى تطلع ظاهر ، وتعجب ملح فى السؤال ما هذا ؟ ومن أوجده ؟ ..

وقد يكون هذا التساؤل فى ذهن رجل بدوى ، أو طفل حضرى أو قروى.. وقد يتلقى عنه اجابة صحيحة ، أو غير صحيحة ، وقد لا يتلقى عنه اجابة ما ، ولكنه فى كل ذلك يظل على حاله فى التطلع الى تلك الآيــات دهشا متطلبــا المعرفة .

نعم قد يخفت التنبه واحساس الروعة ــ عادة ــ لدى الأكثرين بتقدم المرء فى العمر ، وازدحام تبعات العيش وشواغله على وعيه مع تنوعها وتواليها ، ولكن ليس معنى هذا أن تلك الحال كانت ظاهرة أو خاصية تصحب الطفولة ثم تغيض أو تزول حين يبلغ أشده ، ويواجه منطق عيشه ودواعيه المتراكمة ، فانه فى غمرة تلك الدواعى قد تتاح له خلوة بنفسه فيــرى تلك الآيات أكثر اشــارة ووضوحا من ذى قبل .

فنحن — اذا — بازاء طرفين : الكون ، والانسان .. الكون له آياته وحقائقه .. والانسان — من دون كائنات الطبيعة — ينفعل بتلك الآيات والحقائق انفعالا تنبثق به فى النفس وجدانات التعجب والتساؤل ، وينبعث به العقل فى محاولة الفهم .. وقد قلنا : ان ذلك ليس عن تخييل مفتعل ، أو وهم ، انما هو عن واقع محس عتيد هو « الكون » وكذلك ليس عن خاصية مؤقتة تصحب الطفولة الغضة ثم تنتهى ، بل هى عن فطرة ذات وعى أو حس ، تواجه حقائق الكون فتنفعل أو تتأثر لها فى تعجب ودهشة فتتحرك مستشرقة متسائلة : من خلق هذا ؟! ويتدخل العقل لمعرفة المسؤول عنه .. قلنا هذا ، وهو يضعنا بازاء موازنة بينه وبين تجربة القلق التى دعت الانسان الى التحضر آنفا ..

أ — فاضطراب الأمن — بالعوامل التى تحكم بيئة البدو — عارض رغبة فطرية فى النفس — هى غريزة المحافظة على الذات — فأثارت تلك المعارضة **حركة فى الضمير ، أو قلقا** يتضمن الخوف على النفس ، ونشدان الأمن بسكنى الحضر ، وما تستدعيه من صناعات مختلفة .. وفى التجربة الثانية نجد المواجهة بين فطرة الانسان وحقائق الكون قد أثارت فى النفس **حركة أو قلقا** ، فيه تعجب واستشراف لمعرفة من خلق هذا ؟!

ب — وبواعث القلق فى التجربة الأولى حسية ظاهرة ، هى عوامل اضطراب الأمن .. وأهدافه — كذلك — حسية هى احراز الأمن على المال والنفس أى البدن ..

وفى التجربة الثانية نجد بواعث القلق هى « المواجهة » بين وعى الانسان وحقائق الكون .. فهل هى بواعث حسية ؟ .. ونجد أهداف القلق هى التطلع لمعرفة من خلق هذا .. فهل هى أهداف حسية ؟..

اذا ذهبنا نعرف حقيقة ذلك — أى البواعث والاهداف — ألفينا الانسان قد أدرك « شيئا » فى حقائق الكون ، أحس له فى نفسه أثرا مزيجا من الدهشة والتعجب ، فما عسى أن يكون ذلك الشىء ؟

انه ليس الضوء والحرارة ، ولا الاصوات والمشمومات ونحوها من الامور المحسة ، فان تلك المحسات ترد على حواسنا كل آن من نهار وليل بلا انقطاع .. دون أن يحدث مثل ذلك الوجدان العميق الهادىء المتميز بالروعة والتعجب .. نعم قد تحدث اثارة سطحية برائحة زكية أو كريهة .. وبصوت حسن أو منكر .. وبمنظر جميل أو قبيح — مثلا — ولكن ذلك غير الوجدان الذى نعنيه المتميز بالعمق والتعجب ، المتسائل : من خلق هذا ؟..

والمعروف أن الانسان ينظر كل آن الى السماء ، ، وما لها من شمس وقمر وكواكب ونجوم ، وكأنه لا ينظر اليها لاستيلاء شواغل العيش على ارادته ، فلا تنشأ بنفسه روعة ما أو تساؤل من قبيل ما قدمنا .. وهذا يدل على أن مجرد رؤية تلك الكائنات السماوية بالحواس أو بالنظر العادى لا يحدث فى النفس الأثر الذى نقرر ، وان ثمت فى تلك الكائنات ، « أشياء » غير حسية لا ترى بالنظر العادى ، انما يتنبه لها وعى الانسان اذا زالت عنه شواغله الحسية ، فيبصرها فتحدث فى الضمير خلجات التعجب التى قدمنا .

فبواعث القلق — اذا — أمور معنوية غير حسية ، تتم برؤية غير رؤية الحس .. وكما يكون لرؤية الحس أثرها السطحى برؤية منظر قبيح أو جميل يكون لتلك الرؤية المعنوية أثرها العميق فى النفس الجياش بالتعجب والتساؤل .. ونفس الانسان كالغدير الهادىء الرهو ، لا تتحرك هى ، ولا تحدث فيه

هو حركة ما الا أن يحركه محرك ، أو أن يلقى فيه بشىء يغير سكونه ، فلا مجال — بتة — لأن يقال : ان هذا التعجب والتساؤل يحدثان فى النفس بغير شىء ..

واذا ، فبواعث هذا القلق روحية بحتة ، لا تتصل من قريب أو بعيد بعوامل بيئة بدوية أو حضرية ، ولا بغريزة ما من التى تتصل بالمحافظة على الذات .. وليست هى من صنع الحواس المعروفة ، ولا هى صادرة من مادة المحسات انما هى رؤية « لمعالم عقلية » غير محسة فى الكائنات .. معان فى الكائنات يتبينها وعى الانسان اذا اتجهت ارادته الى ذلك .

ولقد كنا نسأل منذ قليل : هل ثمت حوافز وتطلعات للفطرة غير حافز المحافظة على الذات .. وقد قدمنا الآن الاجابة عن ذلك ، فاذا كان لباطن المرء حركات دعته لسكنى الحضر طلبا للأمن ، فثمت حركات انبعاث وتطلع للمعرفة لا تجد تحضرها بسكنى مدن أو ريف ، انما تجده بمقامها الأمين فى آيات الكون وحقائقه .

الانسان والكون :

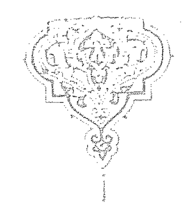
ونخلص من ذلك بحقيقة تؤكد ما قدمنا من أن الكون كله : أرضه ، وسماءه ، وما فيهما ، وما بينهما من كائنات هو وطن الانسان أينما كان ، ويجب أن تقوم صلة التوطن بينهما على أسس فطرية بينة صادقة .. فليست الأرض وحدها هى وطن البشرية ، فان الآفاق التى تحيط بنا ، ولا تفتأ تتعرض لحواسنا ومداركنا بعمقها وروعتها وآياتها فى الارض والسماء تصنع الاطار الحق لمفهوم هذا الوطن .. واذا كنا نعيش على الأرض بأبداننا فأننا نحيا فى هذا الاطار الكبير بحواسنا وعقولنا حياتنا الحافلة بأصدق المعانى .. بل اننا لا نشغل من الارض بأبداننا الا حيزا ضئيلا محدودا ، فى الوقت الذى تشغل فيه حواسنا وعقولنا ما يبدو لها من الكون كله .. فاذا عنينا بموقف الانسان من الكون ، فانما نريد صلة التوطن التام ، التوطن الحسى الذى يشغل فيه البدن بالضرورة وضعه فى الأرض ، والتوطن الفكرى الذى يلزم فيه الفكر مجال تدبره فى آيات الكون .

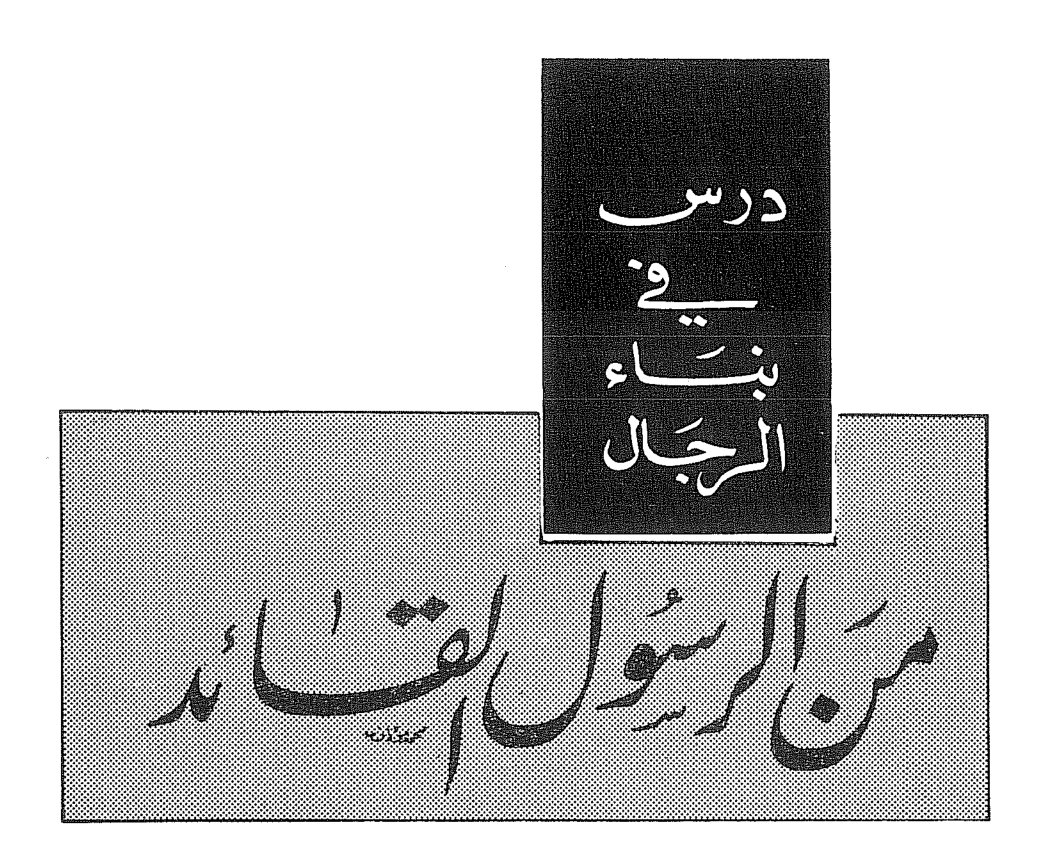
ومن البين أننا لا ندعو الى الغاء المواطنة أو المواطن الخاصة فأنها أمور ضرورية لتنظيم معيشة الانسان وعمارة الارض ، ولتنظيم قيام العلاقات الجامعة بين أفراده بعضهم وبعض .. فلكل فرد وطنان ، وطنه الخاص الذى ينسب اليه بحكم التنظيم والاستقرار المعاشى .. ووطنه الفكرى الكونى الذى يجول فى ملكوته مع أفكار سواه من بنى الانسان ، فلا تتعارض الافكار ولا تتضارب أو تتحاسد وجهات النظر .. لكل فرد وطنان على أن يؤدى لكل وطن حق توطنه : فاذا كان الفرد لا تتحقق نسبته لوطنه الخاص ولا يكتب له به الاستقرار والطمأنينة الا اذا استقرت علاقته الاقتصادية والاجتماعية والوجدانية به على أساس من المعرفة والعاطفة والارتباط الحيوى بكل مقوماته على أنه جزء من بنائه ، اذا كان هذا شأن الفرد بالنسبة للوطن الخاص ،فهو شأنه بالنسبة لوطنه الكونى ، اذ لا يكتب للضمير فيه استقرار ما الا أن يأخذ الفكر مكانه فى رياض حقائقه ..

ان بين ضمير الانسان وحقائق الكون وشائج ألفة ومواءمة فطرية ، فاذا أقبل الانسان ينظر فيها بعقله ، وحصل معانيها لنفسه ، فقد حقق المواءمة بينه وبين الكون ، وهو التجانس الذى يكتب له به استقرار الضمير ورضا الفكر ، وبه يصحب الكون على بصيرة ومعاطفة ، وتلك حقيقة التوطن الكونى .. **وهى لب حقيقة الحضارة .**

نحو الاسلام :

والانسانية اليوم تجتاز مرحلة خطيرة من بلبلة الفكر ، وقلق الضمير ، ولا سيما فى بيئات الغرب حيث يسود التوجس وعدم الثقة ، ويستعلن الشباب بالضيق وعدم المبالاة ، وليس ذلك من قلة فى الموارد ، فان الطبيعة لا تفتأ تجود بألوان من النعمة والثروة ، ولا عن جهل بالطبيعة ، فان الانسان لم يكن أعلم بها منه اليوم ، بل لأن الصلة الفكرية بينه وبين الكون لا تحقق المواءمة الضرورية لاستقرار النفس .. واذا ، فلا بد من علاج ، أو من نهج يقيم علاقة الانسان الحسية والفكرية بالكون على سوائها .. نهج نستوحى فيه فطرة العقل ، وحقائق الكون ، لا نلوذ فيه بنحلة خاصة ، ولا مبدأ فيلسوف كائنا ما كان .. ولسنا نجد فى تقرير سنن الكون وعلاقتها بفطرة الانسان : فطرته الفكرية ، والنفسية ، والعملية ، فى عمق وصدق ووفاء من « الاسلام » واننا نظلم الحقيقة ونسىء الى أنفسنا أشد الاساءة اذ ننظر الى الاسلام على أنه دين طائفة خاصة أو أمة بعينها .. فالاسلام دين كونى ، ينظم علاقة الانسان كافة بالكون كله حسه ومعناه ، أو ظاهره وباطنه .. ينظم تلك العلاقة على أساس ما بين الانسان والكون من مواءمة حسية ، وروحية ، وفكرية ، وان النظر الفطرى الحكيم المتحرر من لوثة الهوى والطائفية جدير أن يضع بين يدى صاحبه الكثير من قواعد تلك العلاقة ما دام يستهدف فطرة العقل ، ودلالات الكون السافرة له وانه كلماأجال النظر فيما حوله من حقائق ، كثرت لديه حصيلة الحق التى تقوم بها علاقة الانسان بالكون على أوثق الروابط وأصدق الأسس ، وان كل ما يجتمع له بهذا النظر السليم من معارف ، وحقائق ، وأحكام ، انما يطابق فى مادته — أو يقارب — ما نزل به القرآن الكريم من الله ، ذلك أن القرآن لم يجىء بجديد يقحمه على استعدادات الناس النفسية والفكرية ، انما جاء — كما قلنا — ليقيم فطرة الانسان على سوائها لتقوم العلاقة بينه وبين الكون على أوثق الروابط ، وأصدق الأسس .. وذلك ما سنحاول بيانه فيما تأتى من الكلمات .. وبالله التوفيق .





اللواء الركن : محمود شيت خطاب

كفايات النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة الجوانب ، وكل صنف من أصناف الناس يستطيع أن يتخذ منه قدوة حسنة تفيده لحاضره ومستقبله ، اذ يمكن أن يجد فيه كفاية خاصة تكون مثالا رائعا يحتذى بها ، لاتصالها اتصالا مباشرا بحياة ذلك الصنف من الناس .

وبالطبع فان النبى صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ، وكان لهذا التأييد الالهى أثر حاسم فى نجاحه بشيرا ونذيرا ، ومشرعا وقاضيا ، وسياسيا واداريا ، وقائدا وجنديا .

وهذا التأييد الالهى ، لا يمنع مطلقا من أن يكون لكفاياته الشخصية أثر حاسم أيضا فى نجاحه ، وصدق الله العظيم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) .

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لأصحابه عليهم رضوان الله فى حياته المباركة وبقى الأسوة الحسنة لأتباعه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ولا يزال الأسوة الحسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٢) .

والأسوة الحسنة تكون اقتداء بأعماله وأقواله عليه أفضل الصلاة

والسلام ، وتلك هى كفاياته العالية الفذة انسانا سويا بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين .

— ٢ —

وكما يستطيع كل صنف من أصناف الناس اقتباس ما يفيدهم من كفاياته الانسانية المتميزة فى حياتهم العملية فان تلك الكفايات يمكن أن تكون نبراسا للناس كافة فى ظروف معينة من عمر الزمن تهدى للتى هى أقوم ، وتنير الطريق للسالكين فى دروب الحياة تحقيقا لأهداف باقية ومثل عليا .

والحرب اليوم هى حرب مصيرية ضد اسرائيل التى لديها مخططات توسعية استيطانية فى البلاد العربية ، فما الذى يفيد العرب لحاضرهم ومستقبلهم فى هذه الظروف العصيبة اقتباسا من نور كفايات الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، أن من كفايات النبى صلى الله عليه وسلم المتميزة ، هى قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

وأستطيع أو أوكد بكل وثوق ، بأن قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، هى من أهم الأسباب الدنيوية لنجاحه فى السلم والحرب على حد سواء .

كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة ، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابى من مزاياتفيد المجتمع الاسلامى الجديد ، وكان يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين .

وكان فى الوقت نفسه يعرف ما يعانى كل صحابى من مثالب ، وكان يتغاضى عن تلك المثالب ، ويغض الطرف عنها ، ويذكر أصحابه بأحسن ما فيهم ، ويأمر أصحابه أيضا بالتغاضى عن المثالب ، والأشادة بأحسن ما فى اخوانهم تقديرا واعجابا .

وكان عليه أفضل الصلاة والسلام بهذا السلوك الرائع الذى التزم به فى كل حياته المباركة : يشيد بالمزايا وينتفع بها لخير المسلمين ، ويغض الطرف عن المثالب ويقومها بالحسنى ، ثم يداويها بما عرف عنه من حكمة وموعظة حسنة وتربية أبوية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة السليمة والأسلوب الحصيف ، يبنى النبى صلى الله عليه وسلم الرجال ولا يحطمهم ، ويقوم المعوج ولا يكسره ويشيد للحاضر والمستقبل لا للحاضر وحده أو للساعة التى هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، أن كل انسان يبتسم بمزايا حميدة معينة ، ولكنه يعانى من مثالب خاصة ، لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى ، فكانت اشادته بالمزايا واشادة أصحابه بها يقوى تلك المزايا ويشد أزرها ، وكان اغضاؤه عليه أفضل الصلاة والسلام واغضاء أصحابه عن المثالب يقلل من أثرها ، ويستر عليها ، ويجعلها تتضاءل شيئا فشيئا حتى تتلاشى نهائيا أو يضعف تأثيرها وقد تنتهى الى الأبد .

وكان عليه الصلاة والسلام يدرك كل الادراك ، أن كل انسان لا بد من أن يعانى نقصا فى ناحية من نواحيه الخلقية ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه ، فكان يغض الطرف عن ناحية النقص فى أصحابه ، ويستفيد لمصلحة المسلمين من ناحية الكمال ،

فلا يكون ذلك النقص سبة ومثلبة على صاحبه ، لأنه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال ، فينوه بصاحبها ويذكره بها ويثنى عليه أعظم الثناء .

— ٣ —

كان من بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه عليه أفضل الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بناحية القيادة ، فولاه قيادة الرجال فى السرايا والغزوات .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشجاعة الفردية ولم تكن لديه قابلية قيادية ، فاستفاد منه فى مبارزة الشجعان والأقران والقيام بالأعمال الفدائية جنديا من جنود المسلمين .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأى الثاقب والتفكير العميق ، فأفاد عليه أفضل الصلاة والسلام من آرائه وحكمته ومشورته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر المتين والبيان البليغ ، فأفاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان ...... وكان .....

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة فى عمرة القضاء سنة سبع الهجرية الوليد بن الوليد المخزومى أخا خالد بن الوليد رضى الله عنهما قائلا : أين خالد ؟ ثم قال : (ما مثل خالد من جهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيرا له ، ولقدمناه على غيره) .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك الى أخيه خالد فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة واعلان اسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة مهاجرا الى الله ورسوله فى أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية .

قال خالد : فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال : النبى صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلا رجوت الا يسلمك الا الى خير ، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : ان الاسلام يجب (٣) ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك ... فوالله ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بى أحدا من أصحابه فيما يجزئه (٤) .

وولى النبى صلى الله عليه وسلم خالدا قيادة الرجال فى الحرب بعد اسلام خالد .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضا فقد ولاه قيادة الرجال فى الحرب بعد اسلامه ، وقال عن خالد وعمرو حين قدما المدينة المنورة مسلمين : القت اليكم مكة أفلاذ كبدها (٥) ..

— ٤ —

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه غنيا ، فأفاد المسلمون من ثرائه : ابتاع للمسلمين مربدا (٦) بعشرين ألفا ، وابتاع للمسلمين بئر (رومة) (٧) وجهز جيش العسرة الذى زحف من المدينة المنورة شمالا بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش

الروم فى غزوة تبوك حتى ما يفقد هذا الجيش عقالا ولا خطاما ، ولم نسمع أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعرا مجيدا ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال .

وكان كثير من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يعدون من أشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنودا فى جيش المسلمين ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنودا متميزين ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين أصحابه من يحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتابا للوحى ومحررين لرسائله الى الملوك والأمراء .

وكان من بينهم اداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته .

وقد سأله قسم من الصحابة أن يوليهم مناصب ادارية فرد الذين لا يستطيعون النهوض بهذا الواجب ثم ذكر لقسم منهم بصراحة متناهية سبب عزوفه عن توليتهم !

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : دخلت أنا ورجلان من بنى عمى على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحد الرجلين : يارسول الله ! أمرنا على بعض ما ولاك الله .... وقال الآخر مثل ذلك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أنا لا نولى هذا الأمر أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه) .

وقال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : يا رسول الله ! ألا تستعملنى ؟ فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بيده على منكبى أبى ذر ثم قال : (يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا الذى أخذها بحقها وأدى الذى عليها) .

— ٥ —

وقبل حركة المسلمين لفتح مكة المكرمة حرص الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام على كتمان حركته من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، كما حرص على كتمان نياته العسكرية فى الفتح ، حتى يباغت قريشا ويجبرها على الاستسلام دون اراقة الدماء .

ولكن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ، كتب رسالة الى قريش وأعطاها امرأة متوجهة الى مكة المكرمة ، يخبر فيها قريشا بنيات المسلمين فى حركتهم لفتح مكة .

وعلم النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، فبعث على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه ليدركا تلك المرأة التى تحمل تلك الرسالة ويأخذاها منها ، فأدركاها وأخذا الرسالة التى كانت معها .

ودعا النبى صلى الله عليه وسلم حاطبا يسأله : ما حمله على ذلك ؟ فقال حاطب : يا رسول الله ! أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا تبدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس له فى القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (يا رسول الله ! دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق) .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أما انه قد صدقكم ، وما يدريك ؟ ! لعل

الله قد اطلع على من شهد (بدرا) فقال : أعملوا ما شئتم) .. شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفا عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمر المسلمين أن يذكروه بأفضل ما فيه .

وعاش حاطب فى مجتمع الصحابة ، لا يشنع عليه أحد ، ولا يذكره الناس الا بالخير ، ولا يسمعونه الا ما يشتهى ، ولا يرددون عنه الا أفضل ما فيه من مزايا وخصال .

— ٦ —

وبعد فتح مكة المكرمة أسلم عكرمة ابن أبى جهل وحسن اسلامه ، ثم أصبح من أعاظم المجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ومن أكابر قادة الفتح الاسلامى العظيم .

وكان أبوه من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة وللدين الحنيف ، وقد لاقى مصرعه فى غزوة (بدر) الكبرى كما هو معروف ، فمات غير مأسوف عليه ، تخلص المسلمون بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون أبا جهل ابن هشام بما فيه ، فلما أسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليهم رضوان الله (عكرمة يأتيكم ، فاذا رأيتموه فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى (٨)) .

هكذا يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام بالكف عن سب أعدى أعداء المسلمين اكراما لولده المسلم ، حتى لا يتأثر هذا المسلم نفسيا بسبب أبيه ، فتتعقد نفسيته ويضيق ذرعا بالمجتمع الاسلامى الذى كان يعيش بين أفراده وجماعاته له مالهم وعليه ما عليهم .

— ٧ —

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ، ويبرزها للعيان مشجعا ويثنى عليها أطيب الثناء مقدرا ، ويغض فى الوقت نفسه عن نواقصه ويستر عليها .

وكان ذلك من أهم أسباب انتصار النبى صلى الله عليه وسلم عسكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

فلما التحق عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدثون قادوا الأمة الاسلامية سياسيا واداريا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا الى المجد والسؤدد والخير ، والى طريق الحق وسبيل الرشاد .

ذلك هو الدرس الذى يجب أن نتعلمه اليوم من سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الأبطال ، أمام المجاهدين وقدوة العاملين ، النبى العربى الأمى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

هذا الدرس هو : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وبناء الرجال لاعداد خير خلف لخير سلف .

ان العرب بخاصة ، والمسلمين بعامة مطالبون اليوم بأن يستفيدوا من طاقات كل فرد منهم ماديا ومعنويا ، فكل فرد له طاقة معينة

من مناحى الحياة يمكن أن يفيد المجتمع الذى يعيش فيه ، والمصلحة العامة التى ينبغى أن تكون هدفا حيويا للجميع يجب أن ننوه بالمزايا ونغض الطرف عن المثالب .

يجب ألا نبرز المثالب ، ونغض الطرف عن المناقب .

يجب الا نخلق المثالب للناس خلقا، ونغمط المناقب غمطا .

يجب أن نبنى الرجال ولا نحطم الرجال .

ان الذين يعملون على تحطيم الرجال يخدمون اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين فى كل مكان .

ان اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب هو من أهم عوامل بناء الرجال وبناء الأمم أيضا :
وصدق الشاعر :
يبنى الرجال وغيره يبنى القرى

شتان بين قرى وبين رجال
والسؤال الآن : كيف استطاع النبى صلى الله عليه وسلم بناء الرجال ، حتى أصبح قرنه بحق خير القرون ؟

ولماذا كان يحرص أعظم الحرص على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، فيعترف الناس من حوله ، ولا يزال الناس يعترفون حتى اليوم ، أن ذلك الرجل لذلك العمل هو من أعلى المستويات بالنسبة للمتيسر فى حينه من الرجال ؟

الجواب بسيط ، هو أنه كان مثالا حيا يمشى على الارض فى تطبيق أقواله على أعماله ، فيضرب بذلك للصحابة بمثاله الشخصى أروع الأمثال .

لقد نسى النبى صلى اللهعليه وسلم نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين ، لذلك استقطب حوله الرجال الأقوياء الأمناء من ذوى الكفايات العالية قوة للمجتمع الاسلامى وأمنا .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام (من ولى رجلا وهو يعلم أن هناك من هو أقدر منه ، فقد برئت منه ذمة الله) .

ترى !!

هل نقتبس هذا الدرس من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لنستريح ونريح ، أم لا نزال بحاجة الى كثير من النكسات والنكبات حتى نعود الى طريق الحق والصواب ؟ !

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنعام (١٢٤) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٢١) .
(٣) يجب : يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر .
(٤) طبقات ابن سعد (٥٢/٤) و (٣٩٤/٧) .
(٥) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٣) .
(٦) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .
(٧) بئر رومة : بئر فى عقيق المدينة المنورة وهى من ضواحى المدينة المنورة انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤/٢) .
(٨) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .



* منذ صدرت المجلة وهى ملتزمة بمضامين اســـمها ((الوعى الاسلامى)) ومعطيات هدفها ((المزيد من الوعى وايقاظ الروح بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية)) وفى حدود هذا الالتزام تقوم ما يرد اليها من بحوث ومقــالات وقصص وشعر وتراجم ، فتنشر ما يتفق مع ما التزمته وتدع ما لا يتفق معه .

* ومع هــذا الالتزام فى المنهج التزام آخر حرصت على أن تأخذ به نفسها ، وهو ما يلاحظ من افساحها المجال ـ قدر الاستطاعة فى كل عدد من أعدادها للأقلام الرفيعة فى مختلف الأقطار الاسلامية تقديرا لها ، وانتفاعا بها ، وجذبا للقراء الذين يحبون أن يقرأوا لــكتابهم الذين نشأوا فى بيئتهم كما يتطلعون الى الأقلام البعيدة عنهم .

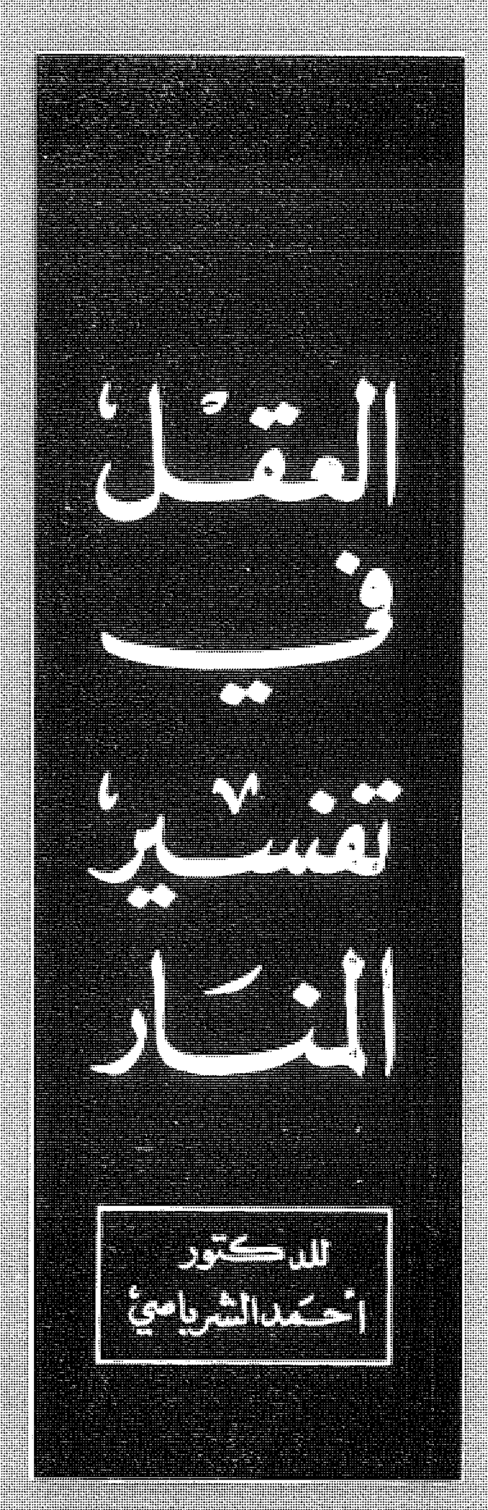
* وكان لهذا الالتزام فى المنهج والــكتاب أثره فى رواج المجلة ، وبلوغها تقدير الكاتبين ، وثقة القارئين حتى أصبح كل كاتب من كتابها ، وقارىء من قرائها يؤثرها ويعتبرها مجلته المفضلة ويلح فى الســؤال عنها ان تأخرت فى الطريق عن موعد وصولها اليه ، أو نفدت أعدادها من الباعة بسبب التزاحم عليها مع وفرة المطبوع منها .

* بقى شىء آخر جديد نحب أن نضيفه الى ما ســبق وهو أن المجلة تتلقى بحوثا علمية مستفيضة لا يتسع لنشرها عدد واحد ، ولهذا كانت تقسمها الى أجزاء تنشرها تباعا أو متفرقة حسبما تســمح به ظروف النشر وأحيانا كانت تنشر بعضها ، وتصرف النظر عن بعضــها الآخر لطول العهد وكثرة المواد ، وقد أثار ذلك شكوى الكتاب والقراء .

ويلاحظ القراء أن المجلة فى الأعداد القريبة السابقة نشرت بعض هذه البحوث مرة واحدة قطعا لأسباب الشكوى ، ولكن ذلك جاء على حساب الابواب الاخرى والاقلام الكبيرة التى تعودت المجلة أن تقدمهــا للقراء فى كل عدد .

وبعرض الأمر على السيد الاســتاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة رأى زيادة عدد صفحات المجلة من (١٠٠) الى (١١٦) بصفة مستمرة ابتداء من هذا العدد تمكينا للمجلة من النهوض برســالتها والوقوف فى وجه المجلات العلمانية التى تنقل عن الشرق والغرب ما هو ضد الدين بدعوى التجديد ، والتصــدى للفكر الدخيل على المجتمعات الاسلامية ، واحباط خططه فى تحويل الشباب المسلم الى تبعية أجنبية غريبة عنه وعن دينه وتاريخه ومجتمعه .

ولعل هذه الخطوة المباركة ترضى كتابنا الكبار ، وقراءنا الأعزاء .. والى مزيد من التقدم بعون الله وتوفيقه .



من المناسب أن نذكر كلمة عن الناحية العقلية في تفسير المنار ، لأن التفسير بالعقل كما عرفنا يدفع الى التدبر في معاني الالفاظ والعبارات ، وهذا جهد لغوي وادبي ، يستتبع في كثير من الاحيان الاستشهاد أو الاستئناس للتفسير المختار بشواهد من بليغ الكلام العربي .

والاحتكام الى العقل ظاهرة واضحة في « تفسير المنار » ، وفي القدر المشترك بين محمد عبده ورشيد رضا على وجه التخصيص .

ورشيد رضا يرى ان أصول الدين في العقائد وحكمة التشريع مبنية على ادراك العقل لها ، واستبانته لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد ، وسد ذرائع الفساد (١) .

ومن امثلة الجنوح الى العقل في « تفسير المنار » القول بأن جنة آدم وحواء التي كانا فيها ثم اخرجا منها هي بستان من البساتين ، كان آدم وزوجه منعمين فيها ، وانه ليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها .

ويعتمد التفسير هنا على ان الجنة — كما يفهمها أهل اللغة — هي البستان ، أو المكان الذي تظلله الاشجار بحيث يستتر الداخل فيه (٢) .

وكذلك من أمثلة الجنوح الى العقل في « تفسير المنار » أن يقرر أنه ليس هناك نص على أن « حواء » خلقت من ضلع آدم ، وأن قوله تعالى :

« **وخلق منها زوجها** » ليس نصا فى ذلك ، لأن المعنى : خلق من جنسها ، مثل قوله تعالى : « **ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا** » .
وأما الحديث الذى يقول : «**فان المراة خلقت من ضلع أعوج** » فهو على حد قوله تعالى : «**خلق الانسان من عجل** (٣) »
ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره تفسير المنار فى قوله تعالى : « **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن** » حيث قال : « الكلمات جمع كلمة ، وتطلق على اللفظ المفرد ، وعلى الجمل المفيدة من الكلام ، والمراد منها هنا مضمونها من أمر ونهى » . ثم جاء فيه بعد ذلك : « ولم يذكر الكلمات ما هى ، ولا الاتمام كيف كان ، لأن العرب تفهم المراد بهذا الابهام والاجمال ، وأن المقام مقام اثبات أن الله تعالى عامل ابراهيم معاملة المبتلى ، أى المختبر له ، لتظهر حقيقة حاله ، ويترتب عليها ما هو أثر لها ، فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله ، باتمامه ما كلفه الله تعالى اياه ، واتيانه به على وجه الكمال » .
هذا هو المتبادر ، ولكن المفسرين لم يألوا فى تفسير الكلمات والخبط فى تعيينها (٤) .
ومن أمثلة ذلك ما ذكره التفسير عن قوله تعالى : « **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** » حيث اختار التفسير أن « المصلى » هنا موضع الصلاة بمعناها اللغوى العام ، وهو الدعاء والتوجه الى الله تعالى وعبادته مطلقا ، وقال رشيد ان حمل الصلاة هنا على معناها اللغوى أظهر (٥) .
ومن اللمحات العقلية اللغوية البلاغية الرائعة ما جاء فى تفسير المنار عن قوله تعالى « **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** » ، حيث قال بعض المفسرين ان لفظ « مثل » هنا زائد ، ولكن صاحب تفسير المنار يعلق على ذلك بقوله :
« واستنكر الاستاذ الامام ذلك واستكبره كعادته ، فانه يخطىء كل من يقول : ان فى القرآن كلمة زائدة ، أو حرفا زائدا ، وقال : « ان (لمثل) هنا معنى لطيفا ونكتة دقيقة .
وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الأنبياء ، ولكن طرأت على ايمانهم بالله نزغات الوثنية ، وأضاعوا لباب ما أنزل على الأنبياء ، وهو الاخلاص والتوحيد وتزكية النفس ، والتأليف بين الناس ، وتمسكوا بالقشور ، وهى رسوم العبادات الظاهرة ، ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ، ويزيد فى عداوته وبغضائه له ، ففسقوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين .
فلمابين الله لنا حقيقة دين الأنبياء ، وأنه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق ، وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الأنبياء قد ضلوا عنه فوقعوا فى الخلاف والشقاق ، أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم الى الايمان الصحيح بالله ، وبما أنزل على النبيين والمرسلين ، بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به ، لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله فى بعض البشر ، وكون رسولهم الها ، أو ابن الله ، ومن التفرق والشقاق لأجل الخلاف فى بعض الرسوم والتقاليد .
فالذين يؤمنون به فى الله ليس مثل الذى نؤمن به ، فنحن نؤمن بالتنزيه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك القياس .
فلو قال : فان آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وما أوتوه ، فقد اهتدوا ، لكان لهم أن يجادلوا بقولهم : اننا نحن المؤمنون بذلك دونكم ، ولفظ (مثل) هو الذى يقطع عرق الجدل .

على أن المساواة فى الايمان بين شخصين ، بحيث يكون ايمان أحدهما كايمان الآخر ، فى صفته وقوته وأنطباقه على المؤمن به ، وما يكون فى نفس كل منهما من متعلق الايمان ، يكاد يكون محالا ، فكيف يتساوى ايمان أمم وشعوب كثيرة ، مع الخلاف العظيم فى طرق التعليم والتربية والفهم والادراك .
ولو كانت القراءة : (فان آمنوا بما آمنتم به) — كما روى عن ابن عباس فى الشواذ — لكان الأولى أن يقدر (المثل) ، فكيف نقول — وقد ورد لفظ (مثل) متواترا : انه زائد ؟ (٦) » .

ومن أمثلة استخدام العقل فى « تفسير المنار » ما جاء فيه بشأن الحجر الأسود ، حيث قرر انه لا مزية له فى ذاته ، فهو كسائر الحجارة ، وانما استلامه أمر تعبدى ، فى معنى استقبال الكعبة ، وجعل التوجه اليها توجها الى الله الذى لا يحدده مكان ، ولا تحصره جهة من الجهات (٧) .

وكذلك ما جاء فى « تفسير المنار » عن صخرة بيت المقدس ، حيث ذكر انها ليست بأفضل من سائر الصخور فى مادتها وجوهرها ، وليس لها منافع أو خواص لا توجد فى غيرها ، ولا هيكل سليمان نفسه — من حيث هو حجر وطين — أفضل من سائر الأبنية ، وكذلك يقال فى الكعبة والبيت الحرام (٨) .
ولا شك أن تفسير النص القرآنى فى ضوء العقل وفقه اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، يعطى الاسلام قوة وصلابة عند الذين يعتزون بالعقل والعلم المادى ، ولذلك يروى السيد رشيد رضا أن أحد النوابغ من رجال القضاء الأذكياء قال للأستاذ الامام : « انك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذى يقبله العقل ، ولا يأباه العلم ، قد قطعت الطريق على الذين يظنون أنه قد اقترب الوقت الذى يهدمون فيه الدين ، ويستريحون من قيوده ، وجهل رجاله وجمودهم » .
ويعلق السيد رشيد على هذا بأنه اتبع طريقة العقل مع بعض المنكرين لوجود الله تعالى ، فلم يستطيعوا لها دحضا (٩) .

ولكن مدرسة « تفسير المنار » التى جعلت من أهدافها التوفيق بين الدين والعقل ، أصابها طائف من المبالغة ، حيث أسرفت أحيانا فى الخضوع للعقل ، وهو أمام الغيب قاصر مهما كانت قوته ، وأسرفت أحيانا فى الحذر والاحتراس من تقبل الغيبيات والتسليم بها ، واذا كان الناس قد حمدوا لها تحديد نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم ، وتوفيقها بين كلام الله وسنته الكونية المألوفة ، ومقاومتها طوفان الخرافات والاسرائيليات والأساطير التى تسربت الى رحاب التفسير ، واستعانتها بمقررات العلم الحديث فى اقناع أهله بالدين وتعاليمه . . .

اذا كان الناس قد حمدوا لها هذا كله ، فانهم قد فزعوا حين رأوا الأمر قد زاد عن حده ، فكاد ينقلب الى ضده ، ومن أمثلة المبالغة فى تحكيم العقل فى « تفسير المنار » ذكره أن الملائكة هى القوى والأفكار الموجودة فى النفوس ، وأن المراد بسجود الملائكة لآدم هو تسخير القوى للانسان فى هذه الحياة ، وان قصة آدم بما فيها من محاورة الملائكة ، وتعليمه الأسماء ، وسجود الملائكة له . . . الخ ، هى من باب « التمثيل » ، لأنها وقعت بالفعل (١٠) . . . . . الخ .

والعجيب أن السيد محمد رشيد رضا قد أشار الى خطأ من يقول ان الدليل العقلى هو الأصل ، فيرد اليه الدليل السمعى ، ويجب تأويله لأجل موافقته له مطلقا ، ويعلق رشيد على هذا بقوله :

« والحق كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان كلا من الدليلين اما قطعى ، واما غير قطعى ، فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا ، حتى نرجح أحدهما على الآخر ، واذا تعارض ظنى من كل منهما مع قطعى ، وجب ترجيح القطعى مطلقا ، واذا تعارض ظنى مع ظنى من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول ، لأن ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التى يكثر فيها الخطأ جدا (١١) » .
ليت ما فى « تفسير المنار » كله خضع لهذه القاعدة المعتدلة المستقيمة .

* * *   * * *   * * *

والعجيب أيضا أن الدكتور طه حسين قال لى عن اخضاع التفسير للعقل :
« لى على الشيخ محمد عبده اعتراض ، فان تأويله لنصوص القرآن ، وحرصه على أن يكون نص القرآن ملائما كل الملاءمة للعلم الحديث ، مما أخالفه فيه ، فهو مثلا يقول عن الحجارة الموصوفة فى سورة الفيل بأنها من سجيل : انها جراثيم (١٢) وهذا توسع فى تحكيم العقل ، والمسلمون الأوائل وهم صحابة الرسول لم يفهموا هذا .
والله يفعل ما يشاء ، ولكن الانسان يفعل ما يستطيع ، والانسان الآن قد وصل الى القنبلة الذرية والهيدروجينية والغازات السامة ، مما لم يكن العرب يعرفونه فى ذلك الوقت ، فالله يخبرنا بأنه أرسل حجارة من سجيل ، ولا بد أن آخذ القرآن بلا تأويل ، وأن أقبل النص القرآنى كما هو ، والعلم لم يحط بكل شىء ، والله وحده هو الذى يعلم كل شىء » .
ثم أضاف الدكتور طه قوله : « ان بعض المستشرقين يذهب هذا المذهب ، فيقول ان الفيل لم يكن فيلا ، بل كان قائدا من قواد الروم جاء مع أبرهة ، واسمه (أفيلاس) ، وقد سمعت هذا من المسيو جاستون فييت الذى كان مديرا لدار الآثار العربية » .

* * *   * * *   * * *

اشارات اجتماعية وسياسية :

من الأمور التى لاحظتها فى تفسير المنار أن رشيدا كان ينتهز فرص التفسير ليضع فى كلامه اشارات اجتماعية أو سياسية ، تتعلق بالوطن العربى ، أو العالم الاسلامى ، ومن أمثلة ذلك أنه فى الجزء الأول يشير الى النزعة الفرعونية التى بدت من بعض المصريين ، ودفعتهم الى بغض اخوانهم فى اللغة والدين ممن هاجروا الى مصر ، وقال رشيد هذا سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ، ولما جاءت سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) أضاف الى قوله السابق ان تلك النزعة الفرعونية قد قويت عند القبط وزنادقة المسلمين (١٣) . ورشيد قد لقى متاعب من هؤلاء .
ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تعرض فى سورة الأعراف لتفسير قوله تعالى :
« قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » وفى نهاية تفسيره للآية قال :
« اللهم تب على أمتنا ، وارفع عنها رجس الأجانب الطامعين ، وأعوانهم المنافقين (١٤) » .

وهو قد قال هذا سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) والاحتلال البريطانى جاثم على البلاد ، والثورة المصرية تجاهد لزحزحته ، وبعض الخونة يسير فى ركاب الانجليز .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه فى تفسيره لسورة الأعراف يتحدث عن اباحة الحكومة المصرية للزنى ، وسكوت علماء الدين على ذلك ، ويقول ان هذا باغواء الافرنج ، كما يتحدث عن دعوة بعض المصريين الى أن تكون حكومة مصر غير دينية ، وأن تلغى المحاكم الشرعية اقتداء بالحكومة التركية ، وأن مصطفى كمال أتاتورك فى الوقت نفسه استدل على جواز اقامة التماثيل شرعا بوجودها منصوبة فى مصر . (١٥) .

وعندما يفسر السيد رشيد قول الله تعالى فى سورة هود : ((**واتبعوا أمر كل جبار عنيد**)) يعرض بالملوك الطغاة المستبدين ، ويقول : « فهل يعتبر بهذا بقايا الملوك الجبارين فى الأرض قبل انقراضهم (١٦) » .

وعندى أن هذه الاشارات السياسية والاجتماعية لها قيمتها الكبيرة ، فهى تعطينا ملامح للعصر الذى عاش فيه رشيد ، وتعرفنا بالتيارات والأحداث التى كانت خلاله ، كما أننا نفهم منها أن رشيدا لم يكن بمعزل عن مجتمعه ، بل كان يمتزج به ، ويتعرف اليه ، ويحكم عليه ، وكان أيضا يستخدم كتابته ــ حتى فى التفسير ــ للحث على ما يؤمن به ، وللتنفير مما يراه ضارا أو سيئا .

ومن المفيد جدا أن يتتبع متتبع هذه الاشارات خلال التفسير ، وخلال آثار رشيد الأخرى ، وبذلك التتبع تتكامل صورة واضحة المعالم لتأثر رشيد بعصره ، وتأثيره فى عصره ، ولجوانب هذا العصر بما فيه من اتجاهات وتيارات .

* * *   * * *   * * *

ملاحظات على تفسير المنار :

ألاحظ على « تفسير المنار » ما يلى :

أولا : الاستطرادات الطويلة التى تشبه البحوث المستقلة ، والتى توجد فجوات واسعة ، تحول دون متابعة التفسير ، ورشيد نفسه يشير الى هذه الاستطرادات ، ويقول : « وأستحسن للقارىء أن يقرأ الفصول الاستطرادية وحدها ، فى غير الوقت الذى يقرأ فيه التفسير » (١٧) .

ثانيا : الأسلوب الخطابى الذى يبدو أحيانا فى « تفسير المنار » ، ولعل رشيدا نفسه قد أحس بهذا اللون الخطابى الذى يفتح الباب للتطويل والاسهاب، فعمد الى اختصار « تفسير المنار » فى أجزاء موجزة تحت عنوان : « التفسير المختصر المفيد » ، الذى يمكن أن يزداد علمنا بأمره عند الحديث عن كتب رشيد رضا .

ثالثا : عدم الاستقرار أحيانا فى التفسير ، ومن أمثلة ذلك أنه تكلم عن السبب فى عدم نزول : ((**بسم الله الرحمن الرحيم**)) فى أول سورة التوبة ، فقال :

« ولذلك لم تنزل البسملة فى أول سورة التوبة التى فضحت آياتها المنافقين ، وبدئت بنبذ عهود المشركين ، وشرع فيها القتال بصفة أعم مما أنزل فيما قبلها من أحكامه » (١٨) .

فنفهم من هذا أن عدم ذكر البسملة هو أن السورة منذرة ، وليست موطنا داعيا الى التحدث عن الرحمة التى ذكرت كثيرا فى القرآن ، ولكن رشيدا يعود فى الجزء العاشر من التفسير الى الحديث فى الموضوع ، فلا يجعل هذا القول هو المختار ، بل يقول عن سورة التوبة : « ولم يكتب الصحابة ولا من بعدهـم البسملة فى أولها ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور ، هـذا هو المعتمد المختار فى تعليله ، وقيل : رعاية لمن كان يقول انها مع الأنفال سورة واحدة ، والمشهور أنه لنزولها بالسيف ونبذ العهود ، وقيل غير ذلـك مما فى جعلـه سببا وعلة نظر (١٩) .

ففى الموطن الاول يلوح لنا ان رشيدا قد اختار الرأى القائل بأن سورة التوبة حذفت منها البسملة لأنها انذار وتشريع قتال ، وفى الموطن الأخير يرى أن المعتمد المختار غير ذلك ، وكلمة « المشهور » التى ذكرها لاتقطع بأن هـذا هو المعتمد ، فقد يكون هناك قول مشهور ، ومع ذلك لا يكون هـو المعتمـد المختار .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تحدث فى الجزء الأول من التفسير عن اسم الله الأعظم ، فقرر أن اسمى « الحى والقيوم » هما مع اسم الجلالة (الله) : « ما يعبر عنه بالاسم الأعظم ، وهو القول الراجح عندنا » .
ولكنه حينما بلغ تفسير قوله تعالى : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم »** فى الجزء الثالث قال كلاما لا يفيد تأكيده لما سبق أن قرره . انه قال : « وهذا الذى قلناه فى بيان معنى (الحى القيوم) يجلى لمن وعاه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا هو الاسم الأعظم ، أو قال (أعظم أسماء الله الحى القيوم) ، وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمـذى وابن ماجه ، عن أسماء بنت يزيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (**اسم الله الأعظم**) فى هاتين الآيتين : (**والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم**) وفاتحة آل عمران : **« ألم ، الله لا اله الا هو الحى القيوم »** (٢٠) .

فهو فى الموطن الأول صرح بأن الاسم الأعظم يتكون من ثـلاثة أسماء : « الله ، الحى ، القيوم » ، ولكنه فى الموطن الأخير لم يصرح بذلك ، بل أفهمنا أن الاسم الأعظم يتكون من اسمين هما « الحى ، القيوم » ، وان كنا نستطيع أن نستنبط من الشواهد التى ذكرهـا الأسماء الثلاثة التى يتكون منها الاسـم الأعظم .

رابعا : العجلة أحيانا فى كتابة التفسير ، وعدم التهيؤ الكافى لصياغته باتقان واحسان ، وكل لون من ألوان الكتابة قد تحتمل فيه العجلة ، الا كتاب الله العلى الأعلى ، فانه يلزمه التدبر ، والاستعـداد ، والتفرغ عند كتابـة تفسيره .
ورشيد ـــ كما يحدثنا ـــ كان يكتب التفسير أحيانا وهو على سفر ، وهو مثلا يقول فى حديثه عن رحلته الى الحجاز : « وتأخرت عنهم لاتمام ما كنت بدأت من كتابة نبذة من التفسير للمنار ، لارسالها مع البريد من جـدة ، مع كتابـة ما لا بد من كتابته الى مصر (٢١) .
وأغرب صور العجلة وقلة الاستقرار فى كتابة رشيد للتفسير هو ما فعله فى الجزء الخامس من « تفسير المنار » ، مما ترشدنا اليه عبارة ختم بها هـذا الجزء ، وفيها يقول :

« تم الجزء الخامس من التفسير ، وقد نشر في المجلد الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من المنار ، بدأت بكتابة هذا الجزء وأنا في القسطنطينية سنة ١٣٢٨ هـ ، ففاتني تصحيح ما طبع منه في أثناء رحلتي تلك ، وأتممته في أثناء رحلتي هذا العام (١٣٣٠ هـ) الى الهند . فمنه ما كتبته في البحر ومنه ما كتبته في المدن والطرق بالهند ومنه ما كتبته في مسقط والكويت والعراق ، وقد أتممته في المحجر الصحي بين حلب وحماة ، في أوائل شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف ، ونشر آخره في جزء المنار الذي صدر في آخر رمضان ، ولم أقف على تصحيح شيء مما كتبته في أثناء هذه الرحلة أيضا (٢٢) » .

لعل رشيدا أراد بهذا أن يشير الى اقتداره على الكتابة وهو مشغول أو غير مستقر ، أو لعله أراد بذلك أن يلتمس لنفسه عذرا فيما يحدث من تقصير أو من هفوات الطبع ، ومهما يكن الدافع فتفسير كتاب الله ينبغي له الاستقرار والتفرغ .

ولا يستطيع عارف بقدر كتاب الله تعالى أن يرتضي خطة رشيد في كتابته التفسير التي يقول عنها : « واننا نكتب التفسير دائما في وقت ضيق ، ونعطي ما نكتبه للمطبعة من غير قراءة ولا مراجعة ، ثم لا نراه الا عند تصحيح ما يجمع في المطبعة ، وكلما جمع شيء يطبع ، وان لم تتم كتابة ما يتعلق به (٢٣) » .

خامسا : انتقال تفسير المنار من مختصر ، الى متوسط ، الى طويل ، فرشيد يذكر في نهاية تفسير «الفاتحة» المنشور في الجزء الاول من «تفسير المنار» أن غرضه الأول من كتابة تفسير الفاتحة ، ونشره في مجلة المنار ، كان بيان ما يستفيده من دروس شيخه الاستاذ الامام ، مع شيء مما يفتح الله به عليه في ايجاز .

فاختصر فيما كتبه أولا ، ولما طبع تفسير الفاتحة على حدته زاد فيه بعض الزيادات ، وكان قد بدا له أن يجعل هذا التفسير مطولا مستوفى . ولما بدأ طبع الجزء الأول من التفسير ، وانتهى من طبع الصفحات الخاصة منه بتفسير الفاتحة ، عززه بفوائد ألحقها بآخر تفسير هذه السورة (٢٤) .

ولقد صرح رشيد في مواطن أخرى بأنه يدخل تنقيحا واضافة على التفسير بعد نشره في المجلة ، مثل أن يقول : « وبعد أن طبع تفسير تلك الآية (٢٥) في المنار نقحناه ، وزدنا فيه فوائد أثبتناها في نسخة التفسير التي تطبع على حدتها (٢٦) .

ولو أن رشيدا كان في هذه التغييرات يسير على نظام محدد واضح لهان الخطب ، ولكنه تارة يضع الاضافة في وسط الكلام ، وتارة يضعها في الهامش ، وتارة يجعلها في آخر الموضوع ، وتارة يجعلها في نهاية الجزء مع استدراكات أخرى .... الخ.

التفسير بعد رشيد :

انتهى رشيد رضا رحمه الله فى التفسير الى الآية الحادية بعد المئة من سورة يوسف ، وهى : « **رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت وليي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين** » .

ثم لحق رشيد بربه ، وكان من حوارييه وأصدقائه العالم السورى الشيخ محمد بهجة البيطار ، فواصل البيطار تفسير سورة يوسف حتى نهايتها ، وقد نشر تفسير هذه السورة مستقلا فى كتاب كتب مقدمته الشيخ البيطار ، كما نشر فى الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار .

ثم طلب الاستاذ محيى الدين رضا — ابن اخى رشيد رضا — من الاستاذ البيطار أن يواصل كتابة التفسير لنشره فى مجلة « المنار » التى اريد لها أن تستمر ، فأستجاب البيطار لذلك ، وبين يدى رسالة منه الى الأستاذ محيى الدين رضا بتاريخ ٢٠ ربيع الأنور سنة ١٣٥٥ هـ . ومنها قوله : « اما اتمام هذا التفسير الكبير : تفسير المنار المنير ، المنقطع النظير ، فأى مانع يمنعنى منه ، لولا الشعور بالضعف والتقصير ؟ . على أننى اعتزمت بحول الله وتوفيقه المضى فى هذه السبيل : سبيل اتمامه .. » الخ ..

ولكن ، ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فلم يستمر صدور « المنار » طويلا ، وبوقوفه عن الصدور انقطع التفسير . ثم حاول الأستاذ حسن البنا أن يواصل التفسير ، فيبدأ من حيث أنتهى السيد رشيد رضا رحمه الله والأستاذ البيطار ، وكتب فعلا تفسيرا لجانب من سورة الرعد نشر فى الأعداد الستة التى أصدرها من المنار بعد وفاة السيد رشيد كما عرفنا ، ثم وقف المنار عن الصدور ، فانقطع بذلك التفسير .

° ° °　　° ° °　　° ° °

اقتراحى بشأن تفسير المنار :

أقترح ما يلى بشأن تفسير المنار :

١ — طبع هذا التفسير طبعة مصححة متقنة مضبوطة ، لأن الطبعة الأولى منه نادرة جدا ، والطبعتين اللتين صدرتا منه بعد ذلك مليئتان بالأخطاء المطبعية ، حتى انك تجد الجزء من أجزائها وقد ألحقت به قائمة لتصحيح الأخطاء تستغرق نحو ثلاث عشرة صفحة أو اكثر .

٢ — وضع الترقيم الكافى فى هذه الطبعة المقترحة ، لتمييز كلام الأستاذ الامام من كلام السيد رشيد ، على قدر الامكان .

٣ — ضبط الكلمات الغريبة فى التفسير بالشكل ، وتوضيحها بالشرح المختصر ، لأن الطبعات السابقة لم يشكل فيها الا نص الآيات عند ذكرها لأول مرة ، وفيها مفردات غريبة تركت بلا ايضاح .

٤ — التعليق على ما يحتاج الى تعليق من التفسير .

٥ — الحاق الاستدراكات والتصويبات التى ذكرها رشيد فى أواخر الأجزاء بأماكنها المتعلقة بها داخل كل جزء .

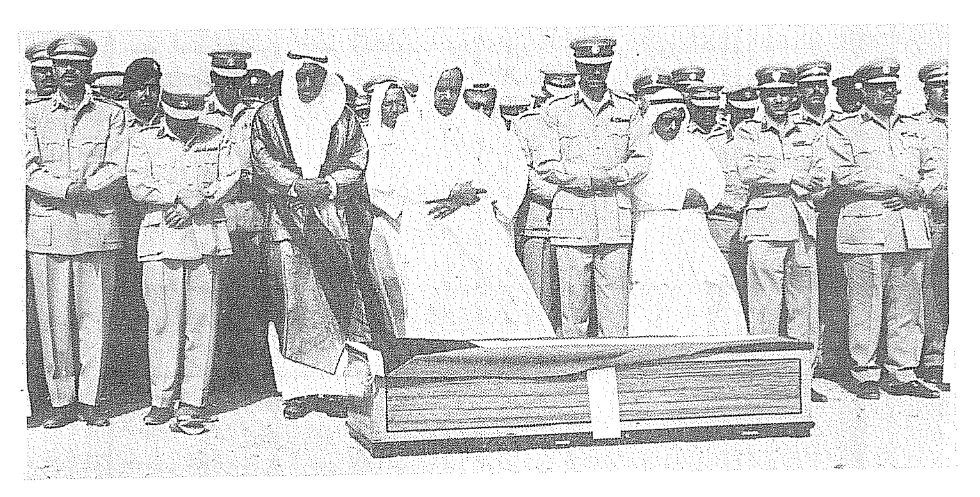
٦ ــ استنهاض همم المتخصصين فى التفسير الى اكمال تفسير القرآن الكريم ، على الخطـــة التى سار عليها الأستاذ الامام والسيد رشيد رضـــا ، ومن حيث انتهيا ، فان ذلك أجدى على المسلمين من عودة كل كاتب فى التفسير الى فاتحـــة المصحف والبدء منها فى التفسير .

٧ ــ استنهاض همة بعض المتخصصين فى التفسير لاكمال ما شرع فيه رشيد من كتابة « تفسير مختصر مفيد » يستخلص من تفسير المنار الكبير .

لقد وجدنا من يخلف الشيخ محمد عبده فى شخص السيـــد محمد رشيد رضا ، فهل نجد من يخلف السيد رشيد رضا ؟ .

---

(١) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٢١ .
(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦١ و ٤٦٢ .
(٦) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٨٤ .
(٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٦٧ .
(٨) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣ .
(٩) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٤ .
(١٠) انظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .
(١١) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٥٣ .
(١٢) ذكر الأستاذ الامام فى تفسير « جزء عم » أن داء الجدرى والحصبة فشا فى الجيش المهاجم للكعبة ، فكان سبب ذلك الهلاك ، كما ذكر أن الطير الأبابيل قد تكون من جنس البعوض والذباب الذى يحمل جراثيم الإمراض ، (انظر ص ١٢٠) .
(١٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ٣١٢ .
(١٤) تفسير المنار ــ ج ٨ ص ٤٩٩ وقد بدأ رشيد فى كتابةهذا الجزء فى رمضان سنة ١٣٢٨ هـ
(١٥) المرجع السابق ص ٥٣٢ .
(١٦) تفسير المنار ــ ج ١٢ ص ١٢٠ وقد بدأ رشـــيد فى تفســير هـــذا الجزء ســـنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤) م .
(١٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٦ .
(١٨) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٦ .
(١٩) تفسير المنار ، ج ١٠ ص ١٧٤ .
(٢٠) تفسير المنار ، ج ٣ ص ٢٨ .
(٢١) المنار ، المجلد ٢٠ ص ١٠٨ .
(٢٢) تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤٧٦ وانظر مثل هذا فى ج ٤ ص ٤٨١ .
(٢٣) تفسير المنار ، ج ٧ ص ٩٤ .
(٢٤) انظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٢ .
(٢٥) هى قوله تعالى : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منهـا زوجها .....» فى أول سورة النساء .
(٢٦) المنار ، المجلد ١٣ ص ٣١ .



سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع وكبار ضباط الجيش يؤدون الصلاة على روح الشهيد النقيب على احمد القصار الذى استشهد يوم الجمعة ١٩٧٠/٦/٢٦ وهو يؤدى واجبه دفاعا عن الارض والكرامة العربية على جبهة قناة السويس .

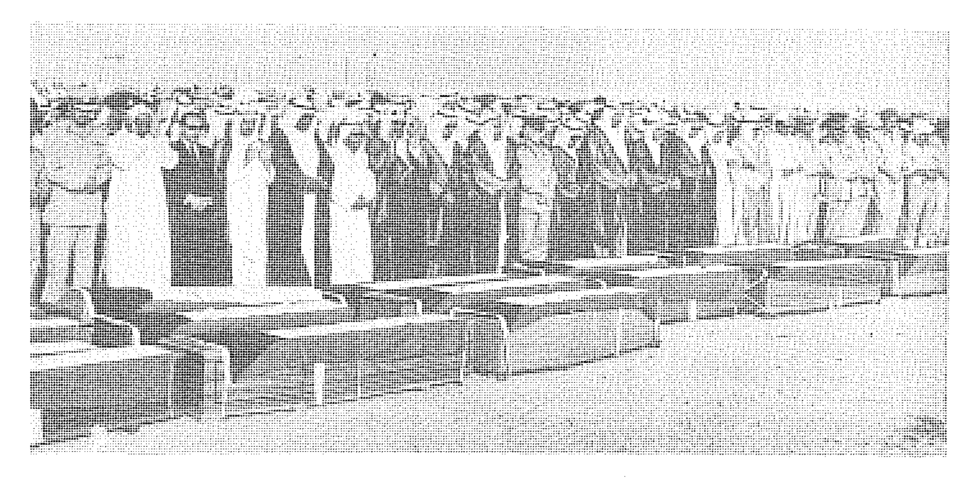
أسماء الشهداء

النقيب على احمد النصار
الرقيب على محمد سلطان
العريف فرحان حمود الرشيدى
نصار نادر الرشيدى
وكيل العريف مسلط محمد المطيرى
سعيد سعد الرشيدى
سعود براك العتيبى
مفرح دخيل العنزى
عشرى فرحان العنزى
خنفور حمود الرشيدى
نايف حمود الشمرى
مقعد حبيليص العتيبى
مطر عبد الرحمن منشد العتيبى
مسعود عويض الحربى
رزيق زيدان الرشيدى
محمد فارس العجمى
محمد مطلق العتيبى

مَوكبُ

❊ هؤلاء الذين سبقوا الى الرفيق الاعلى فى روضات الجنات طليعة المجاهدين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم فى الكويت ، وحملوا السلاح ووقفوا صفا بجانب اخوانهم المقاتلين فى دار الاسلام على ضفة القناة يقاتلون رعاع الارض الذين اعتدوا اليوم على المسلمين كما اعتدى آباؤهم من قبل على النبيين والمرسلين ..

❊ هؤلاء الطليعة الذين استشهدوا من أبناء لواء اليرموك الكويتى فى معارك الصهيونية الباغية — غصن مورق فى شجرة باسقة ، متعددة الاغصان ، ممتدة الجذور طالما رويت بالدماء الزكية لاصحاب العقيدة الذين نذروا أنفسهم لله وعرفتهم ميادين الموت



سمو الشيخ جابر الاحمد ، ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء واصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات يؤدون الصـــلاة على أرواح الشهداء الذين جادوا بأرواحهم دفاعا عن الحق العربى على جبهة القتال فى السويس ..

الشـــــهداء

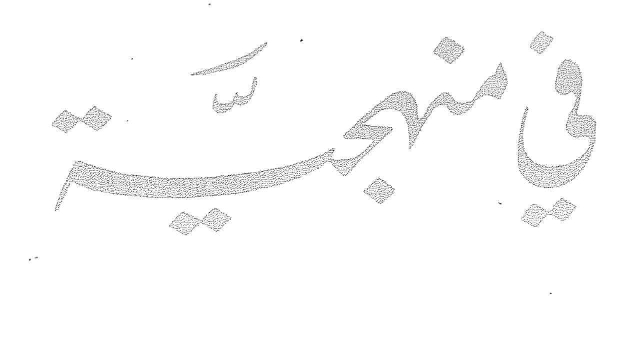
وساحات الوغى أبطالا يقاتلون فىسبيل الله فيقتلون ويقتلون .

* سل عنهم العدوة الدنيا والعدوة القصوى فى بدر ، وسفوح الجبال فى أحد ، والبطاح المنبسطة فى حنين والتلال المتراكمة فى حطين ، والدروب والمنعرجات فى فلسطين .. سل عنهم شمال افريقيا ومضـــــايق الاندلس وسهول الصين ، ووديان السند وأحراش الهند .. وأسوار القسطنطينية .. بنوا على أجسادهم تاريخ دينهم ، وسجلوا بدمائهم حرية أمتهم .

وللحرية الحمراء باب　　　بكل يد مضرجة يدق

* ان الشهادة فى ميزان العقيدة منزلة يســــارع اليها ، ويهنأ بها ، وليست مصيبة يجزع إمنها أو يساق فيها العزاء .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — لما أصيب اخوانكم جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيبمأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ عنا اخواننا أننا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا يتكلوا عن الحرب ؟ فقـــال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم قال : فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضلـــه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

التوازن والتركيب



في منهجية الفكر الإسلامي

للأستاذ: رمضان لاوند

ثلاثة مناهج فكرية ظهرت فى غربى المتوسط وشرقيه ابتداء من العصور اليونانية القديمة حتى اليوم :

١ — منهج يعتمد على العمليات العقلية النظرية التى تنضبط بعلم المنطق الأرسطى .

٢ — منهج يعتمد على البحث العلمى ، وينضبط بالأبعاد المادية لأشياء المعرفة باعتباره أداة المعرفة الوحيدة .

٣ — منهج يعتمد على كل من العمليات العقلية النظرية والمادية الموضوعية وارادة الابداع والوعى الوجدانى معا فى جملة واحدة وبأقدار متوازنة موزونة .

المنهج الأول جاء به اليونان القدماء ، والمنهج الثانى جاء به الغرب المعاصر منذ عصر النهضة ، أما المنهج الثالث فهو المنهج الاسلامى .

فى ضوء هذا التصنيف نواجه تراث المعرفة الانسانيـــة فى حوض البحر

الأبيض المتوسط ، وفيما يلي نقرر الوقائع والملاحظات النابعة من هذا التصنيف بالذات :

الفكر اليوناني القديم :

عندما أعلن طاليس الفيلسوف اليوناني الأول أن الماء أصل الوجود ، وكان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد ، فقد أعلن في الحقيقة نشوء ما يمكن أن نطلق عليه اسم (المنهج الفكري الهندسي) .
والملاحظ أن كل الفلاسفة الطبيعيين الذين جاؤوا بعد طاليس أو عاصروه قد صدروا في نظرياتهم التي علقوا بها أصل الوجود عن هذا (المنهج الفكري الهندسي) نفسه ، فأعلنوا على التعاقب أن الهواء أو العناصر الاربعة أو النار هي أصل الوجود .

والظاهرة نفسها قد تكررت حين جاء من يمكن أن نطلق عليهم اسم (فلاسفة الوجود) فقد أصروا جميعا على اعتبار الوجود أصلا للموجودات كلها بالرغم من ظاهرة التجريد التي تميزت بها فلسفاتهم .
والقول هو نفسه عند كل طبقات الفلاسفة والمفكرين اليونان بما فيهم أرسطو نفسه الذي كانت مهمته جمع طرائق التفكير التي وقع عليها في التراث اليوناني السابق وأساليب المناقشة ، واطلاق اسم (علم المنطق) عليها .
وقد اعتبر أرسطو واضع علم المنطق تجوزا مع العلم انه قد أوتي موهبة الجمع والتنسيق ، وليس بالقليل أن يؤتى المرء بمثل هذه الموهبة .
وعندما نعلم أن علم المنطق (الأداة المنظمة للعمليات العقلية) هو العلم الذي يعتبر الوجود كله — بما فيه الانسان نفسه — مجموعة من العلاقات المنطقية ؛ نستبين من ثم مدى اغفال هذا العلم لكثير من العلاقات والحقائق الكونية والانسانية الأخرى .

وقد يكون من المفيد هنا أن نستشهد برأي مفكر غربي كبير ينقد الفكر الأرسطي ، ويعطينا صورة واضحة عنه ، يقول ويل ديورانت في ص ١٢٠ من كتابه (قصة الفلسفة) في الترجمة العربية للدكتور فتح الله محمد المشعشع :

« وهذا يجعله (أي أرسطو) يطوف في كل علم ويورطه في مقدمات واسعة ؛ وهنا يكمن عيب اليونان الكبير الذي كان يعوزه النظام والتحديد والتقاليد الثابتة ، فقد جال بحرية في ميدان غير محدود ، وجرى طوعا الى النظريات والاستنتاجات ، وبذلك حلقت الفلسفة اليونانية ، وقفزت فوق مرتفعات لا يمكن بلوغها مرة ثانية بينما تخلف العلم اليوناني وراءها الخ » .

هنا يتهم الناقد الاميركي فكر أرسطو ومنطقه بوضع مقدمات خيالية نابعة من افتراضات قد تشكل في النهاية فكرا متناغم الاجزاء ، ولكنه لا يمثل الواقع ، فالانسان عند أرسطو ظاهرة منطقية متناغمة ، ولكنها ليست الانسان الواقعي الذي يفكر وينفعل ويريد ويوجد ما يشاء ويعدم ما يشاء ، وبالتالي الانسان المركب من عناصر متباينة ومتداخلة ومتوازنة في الوقت نفسه ؛ أن ويل ديورانت يتهم فكر أرسطو بالخيالية والافتراضات التي لا علاقة لها بالواقعية العلمية .
كل الفلاسفة والمفكرين اليونانيين كانوا ينطلقون من منهج واحد هو منهج

التفكير الهندسي البسيط وهو تفكير يتناقض تناقضا تاما مع بنية الطبيعة والكون وبصورة خاصة مع بنية الكائنات الحية ، وفى مقدمتها الانسان نفسه .

الفكر الغربى الحديث :

ولو انتقلنا الى الفكر الغربى الحديث لوجدنا ظاهرة جديدة من حيث الشكل ولكنها قديمة من حيث المضمون والمحتوى هذا الفكر يجد فى الوقائع المادية وابعادها مصدرا وحيدا للمعرفة ، ومنهجا وحيدا لفهم الكون والطبيعة والانسان وبذلك يكون الانسان الذى هو الموضوع الرئيسى الذى يواجهنا باستمرار ، مجموعة من العلامات المادية المحضة .

فاذا كان الانسان الارسطى مجموعة من الافتراضات العقلية الخيالية النظرية للسبب الذى ذكره ويل ديورانت فان الانسان المفكر العلمى الحديث هو مجموعة من العلامات المادية والقوانين الفيزيائية والكيميائية ، ولما كانت القوانين التى تكشف من طبيعة هذه العلاقات علامة على وجود منهج هندسى يبسط الأشياء والوقائع الانسانية تبسيطا يخرج بها عن طبيعتها التوازنية ، فان من الطبيعى جدا ان نقول : ان الفكر الغربى الحديث بموضوعيته المادية هو ظاهرة جديدة مخالفة عن الفكر اليونانى المنطقى فى الشكل ، ولكنها مشابهة له من حيث المضمون باعتبار أن الانسان فى نظرهما هو مجموعة من العلاقات المادية الثابتة .

أما الفلسفات العقلية النظرية عند الغربيين بعد النهضة ، والتى خالفت الفكر المادى الموضوعى فهى لم تخرج عن كونها استمرارا للعقلية الارسطية القديمة التى تجعل من لعبة الفكر المنطقى ، والمهارات العقلية المتمثلة فيها ، ميزانا لحقائقها ووقائعها المختلفة ، واتهام هذه الفلسفات بالمثالية البرجوازية من قبل الماديين لا يغير شيئا من الحقيقة التى قررناها مع العلم أن بعض هذه الفلسفات قد نادى بنظريات ثنائية اعترفت بحقيقتى المادة والروح ، واعتبرتهما متساويتين فى تمثيل الوجود ولا سيما الوجود الانسانى .

المهم أن المنهج الفكرى عند العقليين على اختلاف مدارسهم ، والماديين العلميين على اختلاف نظراتهم ، قد جعل من الكون والطبيعة والحياة حقائق عقلية نظرية أو علمية مادية وحسب .

الفشل :

من هنا مصدر العجز المفلس الذى اتصف به الفكر اليونانى الأرسطى حين ظهرت المدارس اليونانية المتأخرة والتى رفضت فلسفة ما وراء الطبيعة لتصبح مدارس سلوكية اخلاقية عملية ، من مثل المدارس الرواقية والكلبية وغيرهما ، وما هنا أيضا مصدر الفشل الذى يسجله الفكر الغربى الحديث فى استيعاب الحقيقة الانسانية ، وتعيين ابعادها ، ووضع الحلول المناسبة لها ، والسيطرة على الأزمات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية التى تعصف بمجتمعات الغرب اليوم .

واذا كان العقل المعاصر ما يزال متمسكا بمنهجه الفكرى المادى فى مواجهة

قضايا الانسان والكون فلأن هذا المنهج يتميز بالبساطة والسهولة تماما ، كما بقى العقل اليونانى القديم متمسكا بمنطق أرسطو النظرى فى مواجهة قضايا الانسان والكون ، ذلك أن منطق أرسطو النظرى سلاح سهل يصلح لتأييد كل وجهات النظر ، وكل المواقف الفكرية المتناقضة .

فلو صح أن المنهج المادى هو المنهج الصحيح لمعرفة الكون والانسان ، لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة ، ولو صح أن المنهج المنطقى الأرسطى هو المنهج السليم لمعرفة الكون والانسان لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة أيضا .

وكما تمزق الفكر الحديث شيعا وفرقا مختلفة بسبب العجز فى منهجه ، فقد تمزق الفكر اليونانى بعد أرسطو وقبل أرسطو بسبب العجز فى منهجه أيضا .

لقد فشل هذا الفكر وذاك لأنهما يصران على تبسيط ظاهرتى الكون والانسان تبسيطا ساذجا يخرج بهما عن حقيقتهما الأصيلة .

الوهم الكبير :

أما القول بأن البناء العقلى المنطقى النظرى قد نجح فى تقرير الحقائق كلها فهو وهم كبير ، لأن التناغم والانسجام فى القضية العقلية المنطقية لا يعنى أنهما يمثلان الحقيقة ، فهما بالتالى يمثلان افتراضا نظريا متكاملا ، ولكنه فاقد لواقعية الحقيقة الحية ، وكذلك الشأن بالنسبة لبناء المعرفة العلمية المادية ، فقد نجح هذا البناء فى تحقيق أعظم المنجزات التكنولوجية ، ولكن المنجزات التكنولوجية شىء ، والحقائق الانسانية شىء آخر ، وليس أدل على ذلك من أن العلم الذى بلغ بتطبيقاته التكنولوجية مرحلة غزو الفضاء وتفجير الذرة ، هو نفسه الذى ما يزال عاجزا عن الاجابة على أبسط التساؤلات المتصلة بتوضيح العلاقة بين الدماغ والعقل ، أو العلاقة بين الارادة والعقل ، أو العلاقة بين الحياة والموت ، أو العلاقة بين الحياة والخلية ، عشرات من الأسئلة الاساسية والأولية يقف العلم أمامها عاجزا ، لأن قضاياها ليست فى متناول البحث العلمى .

ومع ذلك فالفكر العلمى مصر على تجاهل عجزه معتمد على منجزات المادية التى تساعده على التشويش على مخالفيه ، كما كان الفكر المنطقى القديم مصرا على تجاهل عجزه معتمدا على مهارته فى تأليف القضايا المنطقية التى يحاول أن يبهر بها مخالفيه ويشوش عليهم .

نقلة الى الاسلام :

وبعد ، فانه يجدر بنا وقد أدركنا جوانب العجز فى المنهجين الغربى الحديث واليونانى القديم ، أن نلقى نظرة على منهج الفكر القرآنى فى الاسلام .

المسلمون يعلنون أن القرآن الكريم قد طرح منهجا سليما يضع الكون والطبيعة والانسان فى صميم الصورة الحقيقية للخلق .

والمسلمون يقولون بعد تتبعهم لجوانب الشخصية القرآنية : ان منهجية الفكر الاسلامي ذات طابع توازني تركيبي ، فهي ترفض التبسيط الساذج في الرؤية الفكرية لكل من اليونان القدماء والغربيين المعاصرين ، وهي تقرر أن الحفاظ على التوازن الدقيق بين عناصر المنهجية المركبة هو وحده الذي يحقق الرؤية الانسانية السليمة للانسان والطبيعة والكون .

نظرية التوازن :

جاء في الآية ١٩ من سورة الحجر قوله تعالى : « والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون » وفي الآية ٢١ من السورة نفسها جاء قوله تعالي « وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

النباتات الموزونة والتنزيل الذي يتحقق بقدر معلوم ، تقرر حقيقة واقعة هي استمرارية الأشياء منذ بدء الخلق حتى اليوم المرأة والرجل ، النبات والحيوان والانسان ، النسب القائمة بين هذه وتلك وأولئك ، ثم الأكوان كلها ، النظام الفلكي ونظام بناء الذرة ، كل هذا مستمر متكرر بأقدار معلومة وباعداد موزونة ، العلاقة بين الخلية والخلية في العضو الواحد ، والعلاقة بين العضو الواحد وبقية الأعضاء في الجسد الواحد ، وكذلك الشأن في العلاقة بين الأجهزة الداخلية في الجسم ، ومن وراء ذلك كله تلك الأخلاط التي تنتشر في الجسد الحي ، والتي ما تزال في سلوكها التوازني ظاهرة معجزة أمام الأبحاث العلمية الحديثة .
يبقى أن نشير الى العلاقة الخفية بين الجسد والملكات النفسية المختلفة ، العقل والارادة والانفعال أو العاطفة ، وهي علاقة تتحقق بها ظاهرة أخرى من ظاهرات التوازن المدهش العجيب .

فهل بعد هذا كله من يتنكر لظاهرة التوازن ؟ وهل هناك من يستطيع أن يفسر استمرارها ، وأن يجد القانون العلمي الذي يستطيع بوسائل الأبحاث المخبرية أن يصفه ويتعرف الى أسراره ؟
التوازن حقيقة يعترف بها كل العلماء ، ويشهد آثارها كل المفكرين ، ويشعر بفعلها الأساسي في تحقيق الاستمرار للوجود كل صاحب عقل .
وعندما نقول (توازن) فنحن بالتالي نرفض أية منهجية في البحث لا تنطلق من النظرة التوازنية ، فالعقل لا يستقل بوجود الانسان ، وكذلك الارادة أو العاطفة ، لكن العلاقة التوازنية بين هذه الملكات النفسية المختلفة هي التي تتمثل بها ظاهرة الوحدة في السلوك الانساني ، ولما لم تكن الوحدة التي يحققها التجانس المتوازن بين العناصر المتعددة ، موقوفة على مخلوق معين ، فقد وجب أن نواجه ظاهرة الوحدة هذه متمثلة في الكون كله ، وحقيقة مسلمة في كل ميدان وعلى كل مستوى من المستويات .

ولما كان بحثنا متصلا بكل ظاهرات الوجود ، فقد وجب أن نتعرف الى كل عنصر من العناصر التي تتحقق بها وحدة الموجودات وظاهرة تجانسها ، فما هي هذه العناصر أو القوى المختلفة التي تتحقق بها رؤية متكاملة للكون والانسان .
لننظر فيما جاء من وحي الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، ذلك أن مرتكز بحثنا هنا هو التعاليم القرآنية وحسب .

الارادة :

لا احد يشك فى أن الارادة المبدعة التى تقرر حرية الانســـان فى الحركة والسلوك والتصرف هى حقيقة انسانية واقعة ، ولكن الارادة التى هى الابداع الحرفى تحققه الانسانى لا تستطيع أن تفسر لنـــا كل ظاهرات الخلـــق ومجالى وجوده ، فهل نستطيع عن طريق القرآن الكريم أن نجد لهـــذه الارادة دوراً فى ميدان غير ميدان النشاط الانسانى ، وعلى مستوى يتجاوز قدراته العملية ؟

ان لنا فى القرآن الكريم ما يساعدنا على تحقيق هذا الدور والتعرف اليـــه لنقرأ الآية ٢٦٠ من سورة البقرة ، قال تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) وها هى آية أخرى نقرأها فى سورة آل عمران الآية ٥٩ قال تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »

فى هاتين الآيتين ما يكشف عن نوع من أنواع العلاقة بين الخلق وخالـــق الخلق ، فاذا سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى كان الجواب هو التجربة العملية التى تكشف عن طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق ، هذه العلاقة متمثلة فى الارادة الالهية ، واذن فالله سبحانه وتعـــالى يقرر أن العلاقـــة المنطقية ، والعلاقة السببية المادية لا تستطيعان أن تفسرا الكيفية التى تم بها الخلق ، فهما اذا لا تصلحان للاجابة عن سؤال ابراهيم الخليل ابدا .

والشىء الذى يدعو الى الدهشة أن أصحاب هذين المنهجين عاجزون عن تجاهل دور الارادة المبدعة فى تحققها الانســـانى ، ومع ذلك فهم يتنـــكرون لها بمحاولاتهم المستمرة فى الزعم بأنها خاضعة لقوانين ماديـــة يجهلها العلم حتى اليوم ، ويصرون فى الوقت نفسه على التمسك بها حتى لا يقعوا فى التناقض فتبطل المنهجية العلمية المادية التى يتعلقون بها ويتنكرون لما سواها .

ويزيد فى عجبنا أن الكثيرين منهم ينادون بحرية الارادة فى عملها الابداعى ، ثم يرفضون المناداة بها حين يواجهون قضية أصل الكون ومصدر وجوده .

والفرق الظاهر بين ارادة الله للكون كله ، وارادة الانسان فى خلق اعماله هو الفرق بين حجم المخلوق لكل من الله والانسان ، ثم طبيعة العلاقة بينهما ، فالانسان هو جزء من الكون الذى خلقه الله ، واذن فان ارادته مرتبطة بعناصر وقوى وقوانين يخضع لها هذا الكون كله ، أما الله سبحانه وتعالى فهو فوق هذا الكون ومن ورائه ، واذن فان ارادته غير مرتبطة بأى عنصر أو قوة أو قانون فهى ارادة مطلقة ، واذا لم نسلم بصفة الاطلاق فى ارادة الله فنحن متناقضون مـــع عنصر آخر يلعب دوراً خطيراً فى حياتنا هو العقل .

العقـــل :

لا أحد يتردد فى أن العقل ظاهرة نفسية مسلمة ، وأنه الميزة التى يتميز بها الانسان من الحيوان والنبات فبالعقل ندرك قوانين الأشياء ، والعلاقة الثابتـــة التى تربط أحدها بالآخر ، والعقل كما يبدو لنا ملكة ســـلبية ، انه أداة الـــوعى

والادراك ، ولكنه لا يملك طاقة الفصل وارادة التصرف ، فالفعل والتصرف من خصائص الارادة الانسانية .

العقل نفسه مضطر للاعتراف بوجود علاقة خاصة بين الكون وخالق الكون، لانه بما يملكه من الأدوات التي هي الحواس الخمس لا يستطيع أن يتجاوز الابعاد المحسوسة للكون ، وهو في الوقت نفسه مضطر للتسليم بوجود علاقة على نحو من الأنحاء بين الموجود والارادة المبدعة له ، هو يسلم بها على المستوى الانساني فلا يعترف بانتقال الشيء من السكون الى الحركة ما لم تكن هناك ارادة انسانية مباشرة أو غير مباشرة من وراء هذه النقلة ، فاذا كان استمرار الكون بتوازنه وتكرره ودوراته التي هي ظاهرة خلق مستمر غير كاف للتدليل على وجود ارادة من ورائه فان من المكابرة البالغة أن يرفض العقل دور الارادة الالهية في تحقيق عملية الخلق المستمر .

اذن فما هو دور العقل في الاسلام بعد التسليم بوجود منطق الارادة من ورائه ؟

تعالوا بنا الى القرآن الكريم نسأله عن دور هذا العقل في الحياة الانسانية لنقرأ في الآية ٤٦ من سورة الحج قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

واذن فان مهمة العقل بعد التسليم العقلي بدور الارادة المبدعة على مستوى الانسان وعلى مستوى الاله الخالق مع تبين الفرق بين المستويين كما شرحناه قبل قليل ، هي مهمة استكشافية : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » أي هي عملية وعي بحت كما قلنا من قبل أيضا ، وعملية الوعي العقلي تستنير بظاهرة الاستمرار في العلاقات بين الأشياء والتي يعبر عنها اليوم بكلمة قوانين ، وهنا يأتي دور العلم المادي بالتعاون مع العقل ، ان دوره هو البحث عن هذه القوانين وحسن الاستفادة منها في صنع تشكيلات مختلفة انطلاقا من ارادة الابداع .

ان مهمة العلم ليست تفسير الوجود العام بالمنهج الموضوعي المادي ، بل هي الكشف عن قوانين هذا الوجود ، وحسن استغلالها والافادة منها .

والخطأ الذي يرتكبه العلم المادي هو في طموحه الى تفسير كل ظاهرة حتى ظاهرة الوجود الكوني بالقوانين التي يهتدي اليها بواسطة العقل أولا والأدوات التكتيكية التي اعتمدها العقل وجعلها وسيلة لتسريع الفائدة .

والسؤال الذي يرد الآن هو : هل في وسع العقل ان يتجاهل منطق العاطفة وظاهرة الانفعالات والاحساس الوجداني العميق ؟ طبعا لا ، ذلك أن هناك قطاعا نفسيا خاصا تتحقق به رؤى معينة نسميها رؤى فنية أو وجدانية يكون فيها للذوق وللقيم الجمالية والأخلاقية دور خاص .

وكما كان كل من العقل والارادة ظاهرة تقليدية وكان لكل منهما دور ايجابي في تشكيل التراث الانساني ، فان للعاطفة الروحية وما يتفرع عنها من الانفعالات والاحاسيس الوجدانية دورها الايجابي في تشكيل هذا التراث ، فلنبحث عن هذه العاطفة في القرآن الكريم .

العـــاطفة :

روح التـــدين عاطفة ، الحب عاطفـــة ، البغض عاطفة ، التعلـــق بالقيم الجمالية عاطفة ، ولو شئنا الانتشار على ظاهرات العاطفة لوجدنا ما لا سبيل الى حصره .

والعاطفة ملكة نعين بها موقفنا الوجدانى من المعانى الجمالية والخلقية ، فهى اذن ذات دور انسانى تماما ، كما هو دور كل من العقل والارادة ، لننظر فى تراث التصوف الانسانى ، وما يتصل به من القيم الأخلاقيـــة والذوقية ، ولنتأمل فى النتاج الفنى وما يرتبط به من القيم الجمالية ، أو ليست هذه وتلك جانبين من جوانب التراث الانسانى فى مسيرته الحضارية ؟

ولعلنا فى غير حاجة الى الاســـتدلال على وجود هـــذه العاطفة بجانبيها الأخلاقى والجمالى فى القرآن الكريم ، فالآيات القرآنية حافلة بهذه المعانى التى تحض على تربية الذوق ، وقيم المحبة والتعاون والتضحية والفداء والتقوى التى هى فى حقيقتها اتصال وجدانى بالذات الالهيـــــة التى هى المثل لظاهرة القيـــم والمعانى الجمالية فى منطق العصر .

حتى البناء القرآنى نفسه هو بناء فنى توفرت له كل عناصر الجمال التعبيرى المعجز بالاضافة الى الرؤية الفكرية الواضحة أو لم يتحد القرآن الكريم من خاصم تعاليمه ان يأتوا بعشر سور أو بســـورة من مثله ؟ أو لم يعلن بهذا التحــــدى جمالياته الفنية ؟

لنقرأ فى الآية : (١١٢) من ســـــورة التوبة قولـــه تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » .

أوليست هذه الصفات التى يتصف بها المؤمنون تعبيرا عن شفافية الوجدان الروحى والحس الذوقى عندهم ؟

أفلا يرى قارىء هذه الآية الكريمة تلك الصورة الرائعة للانسان المتديـــن الذى يقلب وجهه فى السماء ، ويحقق السمو فى ذات نفسه بحيث يرتفع عن كل معنى من معانى القلق المدمر والحيرة المضيعة ؟!

أين المنهجية المركبة ؟ :

فى ضوء الحقائق والملاحظات التى سجلناها فى هذه المقالة نستطيع أن نقول : إن نظرية المعرفة فى القرآن الكريم لا تقف عند الرؤية العقلية المنطقية أو المادية بخاصة ، كما لا تقف عند ارادة الابداع ، ولا تقتصر على تربية الذوق أو الحس الوجدانى وحسب ، بل هى معرفة تنادى بنظرية التوازن بين القوى المختلفة ، هذه القوى تتلاقى وتتداخل ، ويكمل بعضها البعض الآخر من أجـــل تكوين الرؤية المتكاملة فى التعليم القرآنى الكريم .

فنحن نؤمن بالله فى ضوء الايمان بارادة الخلق الالهية ، ونحن نستدل على وجود هذه الارادة بالمنطق العقلى ، ونفيد من استمرارية القوانين الالهية بالمنهج العلمى المادى ونربى ذوقنا الفنى ، وقيمنا الأخلاقية بمعاناة التقوى ، وترقيق العواطف .

انه المنهج الالهى التركيبى الذى يقرر ظاهرة التوازن فى الخلـــق على كل المستويات ، فيجمع بين تكوين الذرة ، وتكوين المجرات ، انه قول الله « ومـــن أحسن من الله قيلا ؟ » صدق الله العظيم .

مائدة القارئ

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

صدق الله العظيم

حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، واذا خلفه فى أهله فخانه قيل له يوم القيامة هذا خانك فى أهلك ، فخذ من حسناته ما شئت فما ظنكم ؟ .

حديث شريف

دعاء

ضاقت نفس المريد يوما بالشدائد التى تموج بها الحياة ، فقال لشيخه — علمنى كلمات أتجه بهن الى الله فى أعقاب الصلوات الخمس ، فقال له — سل الله أن يعصمك من صغر النفس الذى تضخم له الأجسام ، ومن ضيق العقل الذى تتسع له البطون ، ومن قصر الأمل الذى تمتد له أسباب الغرور .

لعاب المنية

كان أبو حية النميرى من أجبن الناس وأكذبهم ، وكان له سيف يسميه (لعبة المنية) ليس بينه وبين الخشبة فرق .

وحدث أن كلبا دخل بيته ليلا ، فظنه لصا ، فانتضى سيفه ، ووقف فى وسط داره يهدد ويتوعد ويقول : — أيها المغتر بنا ، المجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل ، ولعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك . وبينما هو يرغد ويزبد اذا الكلب قد خرج ، فقال — الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا .

قراقوش

كلمة تركية ، ومعناها (العقاب أو النسر الأسود) وسمى به بهاء الدين أبو سعيد ، ونشأ فى خدمة صلاح الدين الأيوبى ، وخاض معه معارك ، ولى عكا بعد أن أخذها صلاح الدين من الافرنج ، توفى بالقاهرة ، وينسب اليه العامة أحكاما تعسفية هى محل شك لأنه كان موضع ثقة البطل صلاح الدين .

جمرك

كلمة تركية بمعنى ديوان ، وادارة الجمارك عملها مراقبة الصادرات والواردات وتحصيل الرسوم المقررة عليها فضلا عن مراقبة المسافرين والقادمين ، وتيسير دخولهم وخروجهم من الدولة والنظام الجمركى قديم يرجع عهده الى اليونان والرومان ، وتعتبر الرسوم الجمركية مصدرا من مصادر ايرادات الدولة فضلا عن انها وسيلة لحماية الانتاج المحلى .

الفيتــو

اصطلاح لاتينى بمعنى (أنا أمنع) وهو حق فرد أو هيئة فى وقف نفاذ قانون صادر من هيئة صاحبة حق فى اصدار هــذا القانون .

وقد نشأ فى العصر الرومانى الأول فى وقف نفاذ القوانين التى يصدرهـــا مجلس الشيوخ الرومانى .

واشتهر الفيتــو فى العصر الحديث وهو حق مقرر للدول الكبرى الأربع — (الولايات المتحدة ، روسيا ، بريطانيا وفرنسا) — فى أن تعطل أى قرار تصدره هيئة الأمـم المتحدة أو أحد مجالسها ، وقد استخدم هــذا الحق مرات فى وقف قرارات مجلس الأمن .

ســـام ٣

قال إعرابى لآخر — خرجت مرة على فرس لى ، فاذا بظلمة شديـدة فيممتها حتى وصلت اليها ، فاذا قطعة من الليل لم تنتبه ، فما زلت احمل بفرسى عليها حتى أنبهتهـــا فانجابت .

فقال الآخر — لقد رميت ظبيا بسهم ، فعدل الظبى يمنــة ، فعدل الســهم خلفــه فتياسر الظبى ، فتيــاسر الســـهم خلفــه ، ثم علا ، فعلا السهم خلفــه ، وانحدر فانحدر خلفه حتى اصابــه !!

ضرتــــان

تزوج رجل امرأة جديدة على اخرى قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر عـــلى جارية القديمة فتقول :

وما يستوى الرجـــالان — رجل صحيحة
واخرى رمى فيها الزمـــان فشــــلت .

ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوب بـــه البلــى
وثـــوب بأيــدي البائعين جديـــــد .

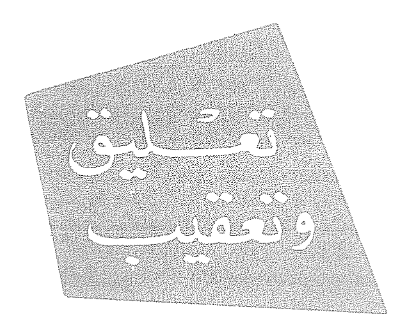
فمرت جارية القديمة على باب الجـــديدة يوما ، وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهـــــوى
مــــا الحـــب الا للحـــبيب الاول
كم منـــزل فى الارض يالفــــه الفتـــى
وحنينـــــه أبــــدا لأول منـــزل

ثقافـــة الامـــام الشافعى

روى الفخر الرازى أن الرشيد ســـــال الشافعى — هل تعرف الطب ؟ فقال :

اعرف ما قالت الـــروم مثل ارسططاليس ، وسقراط ، وجالينوس ، وفور فوريوف ، بلغاتها وما نقله أطبـــاء العرب ، وفنته فلاسفة الهند وتمقته فقهاء الفرس .



حول مقال

الأحكام الإسلامية بين الدوام والتغير

المقال نشر فى مجلة العربى ، وهو للاستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الكويت ، والتعليق بعث به الينا الدكتور سليمان دنيا أستاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة أم درمان ، والتعقيب لصاحب المقال .

والذى أقحم « الوعى » فى الموضوع مع أن المقال لم ينشر فيه : أهمية موضوع البحث وخطره وحيويته وتقدير الدوافع العلمية التى أملت التعليق على صاحبه ، وصلة صاحب التعقيب بالمجلة ، فهو أحد كتابها الأعلام .

ولما كان من حق المجلة ــ كما يقضى بذلك العرف الصحفى ــ التصرف من حيث الشكل فيما ينشر فيها ، فقد استندنا الى هذا الحق فى تعديل او حذف بعض الكلمات والعبارات التى نجمت عن حدة النقاش .

وبعد نشر التعليق والتعقيب نعتقد أن مجال البحث والتمحيص قد استوفى حظه من صفحات المجلة ، فلم يعد هناك متسع فيها بعد لتعليق أو تعقيب آخرين .

التعليق :

تحت هذا العنوان فى مجلة العربى العدد ١٣٨ الصادر فى صفر ١٣٩٠ ه كتب الاستاذ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية فى جامعة الكويت مقالا ذهب فيه الى أن الاحكام الاسلامية قسمان : قسم يتغير ، وقسم لا يتغير .

وهو يقصد بالتغير أن يكون هناك حكم اسلامى قائم فنلغيه ونهجره ، ونحل محله حكما آخر يخلفه فى أداء وظيفته يقول « والاحكام الجديدة التى تقول بها الأمة الاسلامية — ممثلة فى أصحاب الاختصاص — تكون هى الفقه الاسلامى المعاصر أما الاحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحله وجزءا من تاريخه » .

وقد وضع الاستاذ حدا فرق به بين ما سماه فقها ثابتا باقيا على مراحل التاريخ ، وما سماه فقها متغيرا يبقى مدة ثم يمضى ليحل محله غيره ، وهكذا دواليك ، وضرب للثابت والمتغير أمثلة واستشهد بكلام بعض الفقهاء .

وكل ما قال بخصوص ما أسماه فقها متغيرا غير مسلم له واليك البيان .

أما الحد الذى وضعه بين ما أسماه أحكاما متغيرة وأحكاما ثابتة فهو قوله « تساءلنا : ما الحدود الفاصلة بين الاحكام المستقرة والاحكام المتغيرة ونجيب عن سؤالنا بأن الاحكام المستقرة مأخوذة من نصوص قطعية فى ثبوتها عن الشارع وقطعية فى دلالتها على الاحكام المستفادة منها والتى تنظم علاقات ثابتة وغير متطورة . ومن أظهر الامثلة لذلك الاحكام الخاصة بنصيب الورثة فى التركة والاحكام الخاصة بالمحرمات من النساء فى الزواج أما الاحكام المتغيرة فانها تخرج عن هذا الحرم المقدس وتلك المنطقة الحرام وهى أكثر أحكام الفقه الاسلامى » .

ويتضح من هذا النص أن الاحكام المستقرة يجب أن يجتمع لها ثلاثة شروط .

الاول : أن تكون قطعية الثبوت .

الثانى : أن تكون قطعية الدلالة .

الثالث : ان تكون العلاقة التى تنظمها هذه الاحكام علاقة ثابتة غير متطورة :

ويتضح أيضا أن الاحكام المتغيرة هى التى لم يجتمع لها كل هذه الشروط الثلاثة . [كنا ننتظر بعد ذلك أن تكون الامثلة التى ذكرها تفريعا على هذه القواعد وتطبيقا لها كان يقول ان الحكم الفلانى مستقر لأنه اجتمع له قطعية النص وهو كذا وقطعية الدلالة وهى كذا ولأن العلاقة التى ينظمها هى كذا وهى ثابتةغير متغيرة وأنالحكم الفلانى متغير لأنه فقد من الشروط] ولكنا لم نجد ما كنا نتوقعه .

وقد أشار المقال اشارة موجزة الى الاحكام المستقرة لأنه لا جديد بشأنها يقال أما الاحكام المتغيرة فقد احتفل المقال لها أيما احتفال وهى من وجهة نظر صاحبه أكثر احكام الفقه الاسلامى .

وقد عرفنا أن معنى التغير عنده أن يصبح عندنا حكم اسلامى جديد يطلب الينا العمل به وحكم آخر قديم يطلب الينا تركه باعتباره غير صالح لمتابعة السير مع قافلة الحياة وبعد مدة يصبح هذا الجديد بدوره قديما يتوقف العمل به وينضم الى سابقه ليمثلا مرحلتين من مراحل التشريع الاسلامى وطورين من أطوار تاريخه وهكذا دواليك نظل نستقبل جديدا من الاحكام ونستدبر قديما . ولكن فكرة التغير هذه تتغير فى المقال ولا تثبت على حال واحدة ، استمع اليه يقول (وكتب الفقه الاسلامى بحر زاخر بهذا النوع من الأحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار وليس التغيير حينئذ تغييرا فى الحكم الشرعى الاصلى وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى بعد اعادة النظر وتبين ما هو أقرب الى الحق والصواب) .

والاشارة فى قوله [هذا النوع من الاحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار] راجعة الى ما سبق له قبل هذا الكلام مباشرة من قوله [وهى الاحكام التى أخذت من نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها وكذلك الاحكام المستفادة من القياس مما تعددت فيه آراء



الفقهاء تعددا يتناول فى بعض الاحوال جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها والتى عدل عنها أصحابها أو لم يتابعهم فيها تلاميذهم فى حالات كثيرة بعد أن تبين لهم رجحان غيرها] .

فهل الاحكام المتعددة للواقعة الواحدة القابلة للترجيح وحسن الاختيار تدخل فى نطاق ما أسماه المقال حكما قديما يهجر ويصبح مرحلة من مراحل الماضى وحكما جديدا يظهر ويحل محل الحكم القديم ؟ أم هذه الاحكام المتعددة التى يجد كل واحد منها وجهة نظر تؤيده وترجحه على غيره يبقى بعضها قائما الى جوار بعض يأخذ منها القاضى والمفتى ما يترجح لديه ، وقد يترجح لدى شخص ما لا يترجح لدى غيره ، وقد يترجح عند الشخص الواحد فى حال ما لا يترجح عنده فى حال أخرى وهو فى كل حال ينبغى له أن يأخذ بما يترجح له فيها كما قال سيدنا عمر لأبى موسى الاشعرى فى رسالته المشهورة (ولا يمنعنك قضاء بالأمس فراجعت فيه نفسك فبدا لك غيره ان تأخذ بما بدا لك] .

وتزداد فكرة التغير قلقا واضطرابا حين يقول : [وليس التغيير حينئذ تغييرا فى الحكم الاصلى وانما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأى الاجتهادى بعد اعادة النظر وتبين ما هو أقرب الى الحق] .

ففى هذا المقام أين هو الحكم الشرعى الاصلى الذى يطلب المحافظة عليه من التغيير ؟ ان الذى معنا نص احتمل أكثر من رأى [مما تعددت فيه آراء الفقهاء تعددا يتناول فى بعض الحالات جميع الاحتمالات العقلية التى يمكن القول بها] .

وكما اضطربت فكرة التغير وهى بيت القصيد فى المقال اضطربت الامثلة التى أوردها تطبيقا لفكرة التغير وتفريعا عنها نذكرها واحدا اثر واحد ونبين انه لم يستقم له واحد منها يقول :

أولا : [الاحكام المستفادة من نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها ، وكذلك الاحكام المستفادة من القياس] وتحت هذا العنوان ذكر مسألتين (١) عمر وميراث الجد (٢) عمر واشراك الاخوة الاشقاء فى نصيب الاخوة من الأم .

أما عن المسألة الاولى فيقول : [ومن ذلك أن بعض الروايات تذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى فى أول الأمر ان الجد أب الأب يأخذ حكم الأب فيحجب الاخوة الاشقاء أو الاخوة من الأب عن الميراث فى أخيهم وان حفيده من ابنه عاصم توفى عنه وعن أخوين فاستشار على بن أبى طالب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما — فلم يوافقاه وكان مما قاله زيد فى توضيح رأيه لو أن شجرة تشعب منها غصن ثم تشعب من ذلك الغصن خوطان ، ذلك الغصن يجمع الخوطين دون الأصل ويغذوهما . الا ترى يا أمير المؤمنين ان أحد الخوطين أقرب الى أخيه من الأصل ؟ فرجع عمر عن رأيه الاول وكان مما قاله لولا أن الرأى اجتمع على هذا ما رأيت أن يكون ابنى ولا أكون أباه ثم خطب الناس وأمضى الرأى الاخير] .

وهذه المسألة لا تلتئم مع الأصل الذى سيقت معه لأن الاصل المذكور هنا هو نصوص ظنية فى ثبوتها عن الشارع أو ظنية فى دلالتها على معانيها أو حكم يقاس عليه ، فاين من هذا قوله [ان بعض الروايات تذكر] ان هذه الروايات اذا أصر صاحب المقال على أن هذه المسألة مندرجة تحت الأصل الذى ذكرت تحته يجب أن توضح لنا النص أو القياس الذى أسند اليه الرأى الاول ثم كيفية تطويع هذا النص أو ذلك القياس حتى صار راجحا فى افادة الرأى الثانى وبدون هذا البيان تصبح المسألة مقطوعة الصلة بالأصل الذى ذكرت تحته لعل الذى أغراه بذكرها فى هذا المقام هو مجرد اشتمالها على رأيين رأى كان يأخذ به سيدنا عمر أولا ثم رأى أخذ به ثانيا ونحن نبين له ان ذلك لا يفيده فى تحقيق غرضه من أن أحد الحكمين صار قديما مهجورا والآخر صار ضرورة لا معدى لنا عنه .

لأن سيدنا عمر ربما لم يصر على الرأى الاول خشية أن يتهم لأن الرأى الاول يعطيه الحق فى الميراث والآخر يمنعه منه نعم ان سيدنا عمر فوق الاتهام ولكن سيد البشر على الاطلاق صلى الله عليه وسلم قيل له (اعدل يا محمد فانك لم تعدل) .

ولأن قول سيدنا عمر [لولا ان الرأى اجتمع على هذا .. الخ] يشعر بأنه انما عدل عن رأيه الاول نزولا عند رأى الاغلبية لا اقتناعا بالمثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت .

ولأن المثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت لا يحقق أرجحية الرأى الثانى عن الاول لأن قرب أحد الخوطين من الآخر قرب مكانى صرف وليس بأحدهما حاجة الى الآخر بل فى زوال أحدهما وقطعه

مصلحة للآخر حيث يتوفر له وحده الغذاء الذى كان يقسم عليهما أما صلة كل واحد منهما بالغصن وبالأصل فهى صلة قوية لأنه لا غنى لهما عن الاصل الذى يمدهما بالغذاء ولا عن الفرع الذى ينقل اليهما هذا الغذاء فصلة كل واحد من الخوطين بالآخر اذا قيست بصلتهما بالاصل وبالغصن ظهرت واهية ضعيفة .

وعلى فرض أن سيدنا عمر اقتنع بأرجحية الرأى الثانى على الأول فان هذا ليس يعنى الغاء الرأى الاول ومحوه من الوجود فها هى ذى كتب الفقه تذكر الرأيين معا لأن عدول المجتهد عن رأيه ليس يلزم غيره من المجتهدين بالعدول عنه .

وأما عن المسألة الثانية فيقول [ومنها ان سيدنا عمر كان يرى عدم توريث الأخوة الأشقاء وتوريث الاخوة من الأم دونهم فقال له الأخوة الاشقاء يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حجرا ملقى فى اليم أليست أمنا واحده ؟ فاذا لم ينفعنا الأب فلا ينبغى أن يضرنا وما زادنا الأب الا قربا فقال سيدنا عمر صدقتم ثم قضى باشراك الأخوة الاشقاء مع الاخوة لأم فى الثلث باعتبارهم جميعا أخوة لأم] .

وهذه المسألة كسابقتها لم يبين المقال الصلة التى تربطها بالاصل الذى وضعت تحته فان قوله : [ان سيدنا عمر رضى الله عنه كان يرى عدم توريث الاخوة الاشقاء] ينقصه بيان مستند هذا الرأى ، وانى أقول له أن الرأى الاول ما زال هو الراجح وان عدل عنه سيدنا عمر لأن الاخوة الاشقاء عصبة وشأن العصبة انهم تارة يرثون وتارة لا يرثون وحين يرثون فتارة يرثون أقل من أصحاب الفروض وتارة يرثون أكثر منهم وهكذا فليس لهم ان يتذمروا اذا حرموا وليس لهم أن يحتالوا على الميراث بنقل أنفسهم من وضع الى وضع ليضيقوا على غيرهم أرأيت لو ترك الميت أخا لأم وأخا شقيقا وعما وطالب العم بأن يعتبر الأخ الشقيق أخا لأم ليشترك الاخوان فى الثلث ويتركا الثلثين للعم وعارض الأخ الشقيق وقال — انا أرث بالعصوبة خمسة أسداس التركة ولو صرت أخا لأم ورثت السدس فقط فلا شك أننا سنرفض رأى العم لأنه تحايل لا مبرر له فعلى غراره يجب أن نرفض رأى الأخوة الاشقاء المحرومين من الميراث اذا طالبوا أن يعتبروا أخوة الأم لأن الأب اذا كان فى بعض الاحيان سببا للميراث الكثير فانه يكون فى بعضها سببا للحرمان منه فيجب الاعتراف به فى كلتا الحالتين أما ان نعترف به حين يكون سببا للميراث ولا نعترف به حين يكون سببا للحرمان منه فان ذلك احتيال لا يسوغ الأخذ به ومراعاة لجانب طرف من الورثة على حساب طرف آخر .

واذن فالرأى الاول ان بدا فى رأى سيدنا عمر مرجوحا فهو فى رأى غيره راجح وكلا الرأيين فقه اسلامى معاصر ليس من حق أحد أن يحكم على أحدهما بالموت وعلى الآخر بالحياة .

ينتقل بنا المقال بعد ذلك الى موضوع آخر فيقول : —

ثانيا : الاحكام المأخوذة من نصوص تقصد الى تحقيق مصلحة دقيقة وفيها يقول [المثال الاول : اشتراط النسب القرشى فى رئيس الدولة كما يؤخذ من قوله عليه الصلاة والسلام (الائمة من قريش)] .

وأرى أن لفظ رئيس الدولة — كما يدل عليه العرف السياسى يعنى الملك أو رئيس الجمهورية وكل منهما يحكم قوما مخصوصين أما الامام الوارد فى الحديث فهو من يحكم جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم وأجناسهم نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا غير ذلك ولا يلزم ان ما هو شرط فى ذلك يكون شرطا فى هذا أما أن الامام يكون من قريش أو لا يكون وأما أن الحديث محمول على الوجه الذى حمله عليه ابن خلدون أو محمول على غيره فتلك مسائل يجب التعرض لها حين يفكر المسلمون عن بكرة أبيهم فى العودة الى رحاب الامامة العظمى . أما الآن فالاحداث الحاضرة تشغلهم عنها والنقاش فيها مضيعة للوقت الذى تتطلبه مشاكل ملحة .

المثال الثانى :

غنائم الحرب ، وفيها يقول [ومن ذلك أيضا أخذ المحارب لما يجده من سلب قتيله المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام « ومن قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فان منح السلب للقاتل من قبيل

التحريض على القتال فى ظروف دعت، اليه وللحاكم أن يفعله والا يفعله بحسب ما يرى من مصلحة فهو ليس من قبيل الشرع العام الثابت الذى لا تجوز مخالفته] .

وواضح من تعليق صاحب المقال على الحديث النبوى الشريف أنه ليس عليه مطعن لا من ناحية ثبوته ولا من ناحية دلالته ومع ذلك فهو يتركه دون ما سبب ذكره .

فتراه يقول (فان منح السلب للقاتل من قبيل التحريض على القتال ، فى ظروف دعت اليه) فهل هناك قتال بين المسلمين واعدائهم تدعو الى التحريض عليه ظروف ، وقتال لا تدعو الى التحريض عليه ظروف ؟

وتراه يقول (وللحاكم أن يفعله والا يفعله فهو ليس من قبيل الشرع العام الذى لا تجوز مخالفته) فمن أين له هذا الا أنه لو قال : ان المقاتلين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجهزون أنفسهم ، فناسب أن تقابل تضحيتهم بالنفس والمال بما هو فى الوقت ذاته تشجيع على القتال من أخذ سلب القتيل أما فى العصور المتأخرة فالدولة تجهز المحارب ، وتعطيه أجرا ، وتعطى ورثته عطاء يعولهم لو مات . أو لو قال : ان القتال سابقا كان قتال مبارزة يتأتى معه معرفة القتيل وقاتله . والقتال فىالمعصور المتأخرة قتال جماعات تستعمل آلات تصيب من مسافات بعيدة ولا يتيسر مع هذا معرفة الاصابة القاتلة ولا من سددها. لو أنه قال شيئا كهذا لكان بالتحقيق العلمى أشبه . أما رفض الحديث دون ما سبب يذكر ، فهو ما لا نوافقه عليه .

ومع كل ذلك فانى أقول لصاحب المقال : ان المثال لم يحقق الغرض الذى من أجله سيق ، وهو الغاء حكم واستحداث حكم لأن صاحب المقال نفسه يقول (وللحاكم أن يفعله والا يفعله) أى للحاكم أن يعطى سلب القتيل لقاتله ، وهذا يعنى أن الحكم قائم لم يلغ ، غاية الأمر انه رخص فى تركه أحيانا .

المثال الثالث :

قوله : [تملك الارض الميتة بمجرد احيائها المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام (من أحيى أرضا ميتة فهى له)] ويقف من هذا الحديث النبوى الشريف نفس موقفه من الحديث السابق الخاص بحيازة القاتل سلب قتيله ، فهو يرفضه من غير ما سبب يذكره سوى قوله : ان أبا حنيفة اشترط اذن الحاكم المبنى على المصلحة . ويكفى ردا على هذا الموقف أنه يذكر هذا الحكم مثالا للحكم الذى تعطل العمل به وأصبح يمثل مرحلة من مراحل تاريخ التشريع القديم ، ثم هو فى الوقت ذاته يجيز للحاكم أن يعمل به .

ولقد خطرت لى فكرة بخصوص (1) تملك الارض الميتة بأحيائها وبخصوص (2) أخذ القاتل سلب قتيله . تلكم هى :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بأكثر من مهمة ، وكان يباشر أكثر من وظيفة : فهو صلى الله عليه وسلم حين يبلغ عن ربه يكون قائما بمهمة الرسول وحين ينظم شئون الرعية يكون قائما بمهمة الحاكم ، وحين يجلس للفصل فى خصومات المتنازعين ، يكون قائما بمهمة القاضى ، وهكذا .

فلعله صلى الله عليه وسلم حين قال (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) كان يباشر مهمة الرسول ومهمة قائد الجيش معا ، بمعنى أن يكون الله قد أوحى اليه الحكم الشرعى الخاص بهذا الموضوع على هذه الصورة (لقائد جيش المسلمين أن يأذن للمقاتلين بالاستيلاء على سلب قتلاهم) فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه حيث رأى المصلحة فى استعماله فقال لأصحابه (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) وهذا ليس يعنى أن على كل حاكم غيره صلى الله عليه وسلم أن يأذن . بل له أن يأذن ، وله ألا يأذن ، كما أنه صلى الله عليه وسلم له فى مقام آخر ألا يأذن .

كذلك يكون قوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) من قبيل مباشرته صلى

الله عليه وسلم لمهمة الرسول والحاكم معا ، بمعنى أن الله أوحى اليه الحكم على هذه الصورة (الحاكم الحق فى أن يملك الارض الميتة لمن يحييها) وكانت المصلحة فى عهده صلى الله عليه وسلم تستدعى هذا التمليك فقال صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) استعمالا لحقه كحاكم . ولغيره صلى الله عليه وسلم من الحكام أن يستعملوا الحق الذى خوله الله لهم منعا واعطاء حسبما تقتضى المصلحة .

وخلاصة هذا الرأى أن اذن الحاكم لا بد منه ، لأنه معتبر فى أصل التشريع ، وقد جاء قوله صلى الله عليه وسلم (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه) وقوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهى له) اذنا منه صلى الله عليه وسلم لمن خاطبهم بهذا القول وحدهم ويحتاج غيرهم اذنا آخر من حكامهم . ولعل هذا الفهم هو ما لحظه أبو حنيفة حين اشترط اذن الحاكم ، لكن رأى أبى حنيفة لم ينقل الينا على هذه الصورة التى أوضحناها بل نقلوه كأنما هو استدراك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا ينبغى ان يغيب عن البال ان فهم الحديثين على هذا الوجه لا يخدم قضية صاحب المقال ، لأنه زعم أنه كان هناك حكم عام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمليك القاتل سلب قتيله وتمليك الارض الميتة لمن يحييها ، فجاء الناس بعده من أمثال أبى حنيفة وعطلوا هذا الحكم العام ، وأحدثوا حكما آخر خاصا ، هو التمليك باذن من الحاكم ليتوفر له وجود حكمين :

حكم قديم قد الغى ، وحكم جديد حل محله كما هى قضية تغيير الاحكام الشرعية التى يدعو اليها .

نعم ان هذا التخريج لا يخدم قضيته ! لأن مفاده انه ليس عندنا الا حكم واحد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التمليك باذن من الامام ، ولم يكن لأبى حنيفة سوى انه فهم الحكم الذى جاء عن رسول الله صلىالله عليه وسلم لا انه أتى بجديد من عنده عطل به ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المثال الرابع :

التسعير الجبرى وفيه يقول :

ومن ذلك منع التسعير الجبرى فانه مأخوذ من أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : سعره لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : بل ادعو الله ، ثم جاء رجل آخر وقال بمقالة الاول فقال الرسول عليه الصلاة والسلام [« بل الله يرفع ويخفض وانى لارجو أن ألقى الله عز وجل وليس لأحد عندى مظلمة » ويبدو من وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم عند دعاء الله سبحانه وتعالى وتفويض الامر اليه فى رفع الاسعار وخفضها وامتناعه عن التسعير ان الغلاء المشكو منه كان غلاء ناتجا عن ظروف اقتصادية طبيعية لا استغلال فيها ولا احتكار ، ولم يكن غلاء مصطنعا ، ولهذا امتنع عن التسعير فى وقته . ثم ذهب سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد الانصارى من أئمة فقهاء التابعين الى جوازه بعد تغير الظروف الاولى ووجود غلاء مصطنع] .

والذى يفهم من هذا الكلام ان هناك غلاء طبيعيا وهذا لا يقتضى التسعير ، وغلاء مصطنعا وهذا يقتضى التسعير ، فحينما وجد الغلاء المصطنع وجد التسعير ، حتى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيثما وجد الغلاء غير المصطنع لم يوجد التسعير حتى فى عهد سعيد بن المسيب ، وربيعة بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سعيد الانصارى ، فأين من هذا دعوى تغيير الاحكام الشرعية بحيث نوارى التراب حكما ، ونستحدث حكما غيره ؟

المثال الخامس :



التقاط الابل الضالة ، وفيه يقول : [ومن ذلك منع امساك الابل الضالة المأخوذ من قوله عليه

الصلاة والسلام ؟ حينما جاء رجل يسأله عن ذلك « مالك ولها ؟ معها سقاؤها وحذاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها » وقد استمر تطبيق هذا الحكم مدة الخليفتين أبى بكر وعمر ، ثم جاء الخليفة عثمان فأمر بالتقاطها بعد أن خيف عليها وأمر بحصر أوصافها وبيعها ، حتى اذا جاء صاحبها أعطى ثمنها . ثم رأى الامام على فيما بعد أن تبنى دار تحفظ فيها هذه الابل ، اذ رأى أن بيعها واعطاء صاحبها ثمنها ، قد لا يغنى غناءها] .

والذى أفهمه من هذه الوقائع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أفراد الشعب من أن تتعرض للابل الضالة ، واختص نفسه بهذا الحق باعتباره حاكما للمسلمين يستعمله اذا دعت اليه الحاجة فلما جاء عهد عثمان وعلى ، استعملا هذا الحق المخول لهما باعتبارهما خليفتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ وجدا الداعية تدعو الى استعماله .

وخلاصة هذا الرأى ان افراد الشعب ممنوعون من التقاط الابل الضالة والحاكم مخول هذا الحق . فأين من هذا ما ذهب اليه صاحب المقال من أن هناك حكما ألغى ، وحكما استحدث حل محل الملغى ؟

وفى الموسع تخريج هذه الوقائع على رأى آخر هو أن منع الرسول صلى الله عليه وسلم امساك الابل الضالة مقيد بالامن عليها ، وان امساكها مقيد بالخوف عليها . فحيثما توفر الأمن أطلقت وحيثما خيف عليها أمسكت . وعلى هذا الفهم أيضا ليس هناك حكم ملغى وحكم مستحدث .

وينتقل بنا المقال الى موضوع آخر فيقول :

ثالثا : الاحكام المبنية على المصلحة وفيها يقول [كما يدخل فى الاحكام المتغيرة أيضا تلك الاحكام التى لم يرد عن الشارع فيها نص بذاتها ولا فيما يماثلها ، أو كان نص الشارع فيها مجملا غير مفصل ، قد فوض أمر تفصيله الى أهل الذكر] وهذه الاحكام قد قال فيها السابقون ما قالوا ويقول فيها اللاحقون ما يقولون ، وتقوم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء معا الى جانب بعضها فقها اسلاميا للقاضى والمفتى أن يأخذ منها ما يراه مناسبا للاحداث المعروضة عليه ، وقد يختار منها فى موقف لاحق غير ما اختاره فى موقف سابق ، فليس فيها اذن ما يجب أن نحكم بموته ، وما يجب أن نحكم له بالحياة وحده .

وينتقل بنا المقال الى موضوع آخر فيقول : —

رابعا : الاحكام المبنية على العرف ، وفيها يقول (ومن ذلك ما أفتى به بعض الفقهاء من حل أخذ الأجر على تعليم القرآن وعلى الآذان والامامة فى الصلاة ، بعد ان تغيرت الظروف وأصبحت هذه الاعمال فى حاجة الى من يتفرغ لها ويلتزم بها . بينما كان المتقدمون يرون عدم جواز الاجر لوجود من يقوم بها من غير أجر طاعة وعبادة] .

وهذا لا يفيد أن هناك أحكاما اندثرت ، وأحكاما قامت مقامها . بل أحكام الاولين وأحكام الآخرين كلها قائمة ، فلو وجد الآن من يقوم بهذه الاعمال حسبة لله ، لما دفعنا عليها أجرا ، ولو لم يوجد فى الماضى من يقوم بها حسبة ، لدفعنا عليها أجرا .

فالاحكام كلها قائمة يطبق كل منها على الحال التى تقتضيه فليس بينها ما هو ميت وما هو حى ، مثلها فى ذلك مثل الحكم بالقصاص والحكم بدفع الدية ، لم يلغ واحد منهما الآخر ، ولكن هذا له حال يطبق فيها ، وذاك له حال يطبق فيها .

كذلك الحكم بأن المروءة شرط فى شهادة الشاهد ، باق لم يتغير ولكن العلامات التى تدل على المروءة هى التى تغيرت ، فمثلا كان أهل المروءة يلتزمون ما يدل على وقارهم وحشمتهم مما يفعله نظراؤهم ، وكان غيرهم لا يلتزمون ذلك ، فلبسة الرأس لما كانت علامة أهل الوقار والحشمة ، وعريها كان علامة على غير ذلك ، امتنع القضاة عن قبول شهادة من رضوا لأنفسهم أن ينسلخوا عن عادة أهل الوقار والحشمة . فلما تغير العرف وأصبح بعض علية القوم يكشفون رؤوسهم لم يصبح عرى الرأس علامة على التجرد من المروءة .

كذلك لو حلف رجل لا يأكل اللحم . وكان قومه يعتبرون السمك لحما . فانه يحنث لو أكل السمك . ولو حلف رجل غيره لا يأكل اللحم ، وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما ، فانه لا يحنث لو

أكل السمك . فاختلاف الحكم هنا ليس سببه اختلاف العرف ، وانما سبب اختلاف الحكم ان السمك كان محلوفا على عدم أكله فى المثال الاول ، وكان غير محلوف على عدم أكله فى المثال الثانى . وهذا المعنى هو الذى عناه شهاب الدين العراقى بقوله (اياك أن تقول : اننا لا نفهم منه الا الطلاق الثلاث لأن مالكا رحمه الله قد قاله ، أو لأنه مسطور فى كتب الفقه ، لأن ذلك غلط بل لا بد أن يكون ذلك الفهم حاصلا لك من جهة الاستعمال) وبقوله (يجب علينا أن نعتقد أن مالكا أو غيره من العلماء انما أفتى فى هذه الالفاظ بهذه الاحكام لأن زمانهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هـذه الألفاظ للمعانى التى افتوا بها) .

فان هذا الكلام يعنى أنه لو قال مالك : من حلف لا يأكل اللحم فأكل السمك حنث ، فيجب أن يفهم من ذلك ان العرف فى عهد مالك كان يعتبر السمك لحما ، ويجب أن لا نأخذ قول مالك قضية عامة فنقول رأى مالك أن من حلف لا يأكل اللحم فأكل السمك حنث ، ونطبق هذا الرأى على من حلف لا يأكل اللحم وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما .

هذا ما حذر منه العلامة شهاب الدين العراقى الا أن الاديان ما جاءت — منذ جاءت — الا لتقود الاعراف والعادات وتوجهها الوجهة الصالحة ، لا لتنقاد لها وها هوذا رسول الله صلى الله عليـه وسلم يخط خطا ثم يخط عن يمينه خطوطا وعن يساره خطوطا ،ثم يشير الىالخط الاول فيقول : هذا طريق الله ، ثم يقول عن الخطوط الاخرى أن على رأس كل واحد منها شيطانا يدعو اليه ثم يقرأ قوله تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فتعاليم الاسلام هى العرف الذى يجب أن نسير عليه ، وما عداها من الاعراف والتقاليد انما هى سبل الشيطان .

وينتقل بنا المقال الى موضوع أخير فيقول :

خامسا : أحكام الضرورة والحاجة ، وفيها يقول [ومن ذلـك جواز النطق بكلمة الكفر مـع الاطمئنان القلبى فى حالة الاكراه وتناول الطعام والشراب المحرم دفعا للهلاك ، وجواز الافطار فى رمضان للمسافر] .

واذا كان الشرع الشريف قد أباح للمسافر أن يفطر فى رمضان ، وأوجب على المقيم الصحيح أن يصوم .

واذا كان قد أباح للمضطر أن يأكل الميتة ، وحرم ذلك على غيره . واذا كان قد أباح للمكره أن ينطق بكلمة الكفر تقية وحرم ذلك على غيره فهل هذه الاحكام متواردة على موضوع واحد ألغى فريق منها فريقا ؟ أم هى أحكام متواردة على موضوعات مختلفة لا يسد حكم منها مسد غيره . ولا بـد للجماعة منها ، جميعا ، اذ لا تخلو الجماعة عن مضطر ومسافر ومكره ، ومختار ومقيم وواجد .

فأين من هذه الاحكام ما أسماه تفسيرا يقضى بالغاء بعض الاحكام وأيداعها باطن الارض لا تخرج منه أبدا ، واستحدا ثأحكام أخرى تحل محلها ؟

التعقيب :

١ — فى عصرنا الحاضر أصدرت بعض الدول تشريعات غيرت بعض أحكام المواريث ، فسوت بين الذكر والانثى ، وحرمت تعدد الزوجات والطلاق — فى الاحوال المشروعة، وعاقبت عليها ، ونحو ذلك من التشريعات التى تصادم الاسلام مصادمة صريحة ، فى نصوص شرعية قطعية فى ثبوتها عـن الشارع الحكيم وقطعية فى دلالتها على معانيها . ثم هى فى الوقت نفسه تحكم علاقات ثابتة وغيـر متطوره ، ولا يمكن مطلقا أن يقوم ما يدعو الى تغييرها .

٢ — وقد استغلت فى ذلك القاعدة الفقهية الذهبية ، وهى تغير الاحكام بتغير الازمان ، كتبرير وسند لهذه التشريعات ، تلك القاعدة المشهورة التى اشتملت عليها كتب القواعد الفقهية ، والتـى نصت عليها مجلة الاحكام العدلية التى أصدرتها الدولة العثمانية أخذا من المذهب الحنفى فى مادتها التاسعة والثلاثين والتى لا يزال معمولا بها فى بعض البلاد الاسلامية ، وقد كتبت فيها فصـــول فى كتب الفقه والأصول قديما وحديثا ، وكانت موضوعا دارت وتدور حوله مؤلفات ورسائل علميـة

فى الجامع الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الاسلامية فى الماضى والحاضر ، تبين حدود القاعدة وحكمتها وأحكامها وأسانيدها وأمثلتها وسماحتها .

٣ ــ ودار بينى وبين بعض رجال التشريع نقاش حول هذه التشريعات المصادمة للاسلام ، فاستشهد ليلزمنى ببعض الأحكام الاسلامية التى غيرتها تشريعات معاصرة فى بلاد اسلامية أخرى ، فى قوانين الاحوال الشخصية والمواريث والوقف والوصية وغيرها ، نحو أحكام ميراث الاخوة مع الجد ، وميراث الاخوة الاشقاء مع الاخوة من الأم ، وايقاع الطلاق الثلاث واحدا ، وعدم ايقاع الطلاق المعلق فى بعض الحالات وأحكام المفقود ونحو ذلك .

وانتقل الحديث الى بعض الأحكام المتناثرة فى كتب الفقه الاسلامى وفى بعض فصوله ، وضربها أمثلة لعدم الصلاحية للتطبيق الآن ، فبينت له أن هذه الأحكام لا تستند فقهيا الا الى مصالح أو أعراف تغيرت كما أشار الى تطور الحياة المعاصرة ومقدار ما بلغت من أساليب متقدمة فى النظم الدستورية والادارية والمالية ونحوها ، وأثار قاعدة الضرورات التى طرأت وتطرأ أحيانا ، وأنهى حديثه بما كان من احدى الدول التى تركت تطبيق الفقه الاسلامى جملة وتفصيلا .

٤ ــ وقد دعانى ذلك ، قياما بواجب دينى وعلمى ، وقد شرفنى الله سبحانه فجعل الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى دينى ودنياى ــ الى أن أكتب بحثى المنشور فى مجلة العربى ، موضحا به الفرق الواسع بين هذه التشريعات الأخيرة التى تدخل فى اطار الاسلام ، ولا تفتات على نصوصه ويتسع لها تعدد الآراء بين فقهائه ، وتلك الأخرى التى تخرج عن ساحته الرحبة ، وتفتات على نصوصه ، وتصادم أسسه وأهدافه . ولهذا حرصت فى تمثيلى على بعض هذه الأمثلة التى أثيرت والتى يتبين منها الفرق واضحا بين هذه التشريعات وتلك .

٥ ــ وكان لا بد لى من أن أجمل القول واضحا فيما يمكن أن يسمى أو يعد تغييرا فى الأحكام الاسلامية التطبيقية التى عمل أو يعمل بها ، تلك الاحكام الثابتة بأدلة ظنية ، ومن البدهيات عند أهل العلم أنها أكثر أحكام الفقه الاسلامى سواء أكان هذا التغير راجعا الى تغير الاجتهاد والترجيح وحسن الاختيار من آراء الأئمة السابقين ، وهذا هو النوع الأول ، أو كان سبب التغيير ما عرف أخيرا عند بعض العلماء باسم (السياسة الشرعية) فى أحكام تستند الى نصوص قصدت الى تحقيق مصلحة وقتية متغيرة ، وهذا هو النوع الثانى . أو أحكام تستند الى المصلحة ، والمصلحة وحدها ، وهذا هو النوع الثالث ، أو أحكام تستند الى العرف الصحيح وحده ، وهذا هو النوع الرابع . والسياسة الشرعية مادة تدرس فى الجامع الأزهر وبعض الجامعات ، وهناك دبلوم (للسياسة الشرعية) فى كلية الشريعة بجامعة الأزهر تدرس فيه أصول هذه الاحكام المتغيرة ، كما اشتملت خطة الدراسة بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت على هذا الدبلوم .

يقول الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الأسبق : « ان بعض من لم يتثقفوا الثقافة الاسلامية الصحيحة يصرحون فى غير مبالاة ان المسلمين مضطرون أن يلجأوا الى أحكام سياسية غير شرعية بجانب عملهم بأحكام الفقه الشرعى الذى وصل اليه الفقهاء فى العصور الاولى من الاسلام وذلك انه كلما اتسع العمران وارتقت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة ، تجددت حوادث ونبتت مشاكل ، وعرضت شئون لم يكن للناس عهد بها من قبل فكان لزاما أن يواجهوا ذلك بما يناسبه من أحكام سياسية غير شرعية ، هكذا يقولون .. وانى أثبت أن السياسة الشرعية فيها الغنية والكفاية ، وأنها من دين الله وشريعته ، وأن السياسة والفقه صنوان من أصل واحد ، وان الاسلام ــ بفقهه وسياسته ــ كفيل بتحقيق مصالح الناس فى كل حال وزمان .. فمهما تطورت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة .. فان المسلمين لا يعوزهم أن يجدوا فى دينهم وشريعتهم لكل حادثة حكما ينطق به فى دليل من الكتاب أو السنة ، أو ينفذون اليه من طريق التأمل فى روح الشريعة ، وتدبر ما تقضى به أغراضها وأسرارها ، أو يهتدون بأصول الاسلام العامة

وقواعده الكلية المحكمة .. وبذلك كان المسلمون فى أول أمرهم ، ويكونون حين يستقيمون على جادة دينهم وشريعتهم فى غنى أن يلجأوا الى سياسات أخرى وضعية ، أو يستعيروا قانونا من القوانين الأجنبية (١) » .

٦ — ثم ألحقت بذلك الأحكام التى غيرها الشـــــارع أو اذن فى تغييرها عنــد تحقق الضرورة والحاجة تفريقا حكيما بين حال السعة وحال الضرورة ، بين الظروف العادية والظروف الاستثنائية ، وهذا هو النوع الخامس .

٧ — وبينت فى الهامش بعض مراجعى العلمية الأمينة المشهورة من تراثنا الفقهى العظيـــم الخالد ، وأهبت بالدول الاسلامية وعلمائها أن ينهضوا بهذا الفقه نهضة كبرى تجعله قانون المسلمين فى جميع العلاقات الخاصة والعامة وبينت ان الجهود الفردية عاجزة وحدها عن أن تحقق ما يرجى الفقه من خير وازدهار .

وكان مما قلته : « من الواضح أن تغير الاحكام بتغير الزمان لا يعنى التنكر لتراثنا الفقهى العظيم ، الذى حوى من الاصول والنظريات والقواعد والاحكام ، مع حسن التأصيل والتحليل والتعليل مـــا يجعله ثروة كبرى ، نستثمرها ونتميها ونكملها باجتهادات جديدة لما جد فى حياتنا من عادات ومعاملات وتطورات فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وبدون الجهود الايجابية المؤمنة المتعاونة التى ترعاها الحكومات والشعوب الاسلامية ، وتدعمها ماديا وأدبيا وقانونيا ، بدون هذا سندور فى حلقة مفرغة وستظل أحكامنا أثوابا مرقعة ، تضم أنسجتها قطعا وخيوطا قديمة ، وأخرى جديدة ، وثالثة أجنبية غربية ، دون ترابط ولا انسجام بل ان هذه الجهود ستضيع أمام طوفان التيــــارات الشرقية والغربية ، مع ان فقهنا الاسلامى شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، يغمرها نوران نور على نور — نور الشرع ، ونور العقل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٢) .

٨ — وحرصت كما قلت فى نهاية بحثى — على أن أكتبه بأسلوب يوضح المصطلحات الفنية التى لا يعرفها الا المتخصصون وهم قلة ، حتى يسهل فهمه لأى مثقف ثقافة عامة ، فيكون نصيرا للفقـــه الاسلامى ، وحتى يستغنى به المسلمون عن أى قانون أجنبى لا يرتبط بمصادرنا الطاهرة .

٩ — وعندما تكرمت رياسة تحرير مجلة « الوعى الاسلامى » الغراء طالبة رأيى فيما ذكره صاحب التعليق وهو زميل يعرفنى وأعرفه استاذا للفلسفة والعقيدة فى جامعة الأزهر ، رجوتها التفضـــل بنشر مقالى أو ملخصه الواضح ان نشرت رده ، حتى يجتمع للقارىء الواعى عناصر الحكم كاملـــة وحتى يتبين هدفى ، ويقارن بينه وبين ما نقله صاحب التعليق منه ، وتأويلاته وتعقيباته عليه التى تفيد الدعوة الى ايداع الفقه باطن الارض لا يخرج منه أبدا .. وحتى ينظر القارىء الى ما صدر به الكاتب كلامه وقبل أن يدخل فى الموضوع من قولى « ان الاحكام الجديدة التى تقول بها الأمة الاسلامية — ممثلة فى أصحاب الاختصاص تكون هى الفقه الاسلامى المعاصر ، أما الاحكام السابقة فانها تمثـــل مرحلة من مراحله ، وجزءا من تاريخه » دون أن يربطها بسابقها ولاحقها وهى العبارة التى جــاءت عند النوع الثالث ، مثل تفصيلات أنظمة الدولة الدستورية ، والادارية والمالية والقضائية وأحكام التعزيزات .

١٠ — ولم أشأ أن أدخل فى جدل اكتفاء بهذا التعقيب والتوضيح للقارىء ، فالعرف الصحيح مصدر من مصادر الفقه الاسلامى يرجع اليه المقنن والقاضى والمفتى ، وليست كل الأعراف والتقاليد سبيل الشيطان كما قيل ، ورأى سيدنا عمر رضى الله عنه فى المسألة الميراثية الخاصة بالأخـــوة

---

(١) السياسة الشرعية والفقه الاسلامى ص ٣ — ٥ .

(٢) مجلة العربى مايو ١٩٧٠ .

الاشقاء والأخوة لأم لا يسمى احتيالا كما قيل ، وليست تفسيرات الأئمة لبعض الاحاديث رفضا لها كما قرر الكاتب ، ومن العجيب انه يوافقنى فى التفريق بين ما صدر عن الرسول — صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولا وما صدر عنه بوصفه حاكما ، ومع ذلك يخالفنى ثم يعتبر أن هذا التفريق فكرة جديدة خطرت لى مع أن هذا مقرر قديما فى كتب الأصول والفقه .

١١ — فاذا لم يتيسر للمجلة نشر مقالى ولا ملخصه ، فأرجو القارىء اطمئنانا لدينه أن يطلع على المقالين المنشورين بمجلة العربى فى شهرى فبراير ومايو ١٩٧٠ ، وعلى ما نشرته لى مجلة الوعى الاسلامى فى أعدادها ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ ، ربيع الثانى ، وجمادى الثانية ، وشعبان ١٣٨٨ هـ عن الفقه الاسلامى فى ماضيه وحاضره ومستقبله .

١٢ — وسيرى القارىء الواعى أن كاتب المقالة — مع حرصه الشديد البالغ على مخالفتى فى كل ما ذكرته من أمثلة كما قرر فى مقالته لم ينقض كلمة واحدة مما قلته بل على العكس جرى قلمه ، يؤيد جميع ما ذكرته من أمثلة فيما عدا مثال اشتراط القرشية فى رئيس الدولة الاسلامية الأعلى (الامام) فقد تركه حتى (يفكر المسلمون عن بكرة أبيهم فى العودة الى رحاب الامامه العظمى) وحينئذ يفكر فى أمر اشتراطها أو عدمه فان رأى أن هذا الشرط أبدى بحث المسلمون عن بكرة أبيهم عن هـذا القرشى ، مع ان هذا المثال قد ينتظر منه القارىء رأيا فيه ، لأنه دون غيره يتصل بدراسات صاحب المقالة دارسا ومدرسا ، فان موضوع الامامة والخلافة ألحق ببحوث العقيدة لأسباب تاريخية .

ومن حسن الحظ أن عندى نسبا قرشيا مكتوبا ومتوارثا ، مع ايمانى بأن أكرمنا عند الله اتقانا وأننا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

ثم انه لا يحب كلمة التغيير فى الاحكام الاسلامية الاجتهادية مع أنها ليست من عندى ، بل هى تعبير جرى على ألسنة العلماء قديما وحديثا ، مفرقين تفريقا واعيا بين الشريعة الاسلامية والفقـه الاسلامى ، تفريقا يعرفه علماء اللغة العربية ، بين كلمة (الشريعة) وكلمة (الفقه) ويعرفه علماء الاسلام أخذا من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ...) وقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ...) فالشريعة سماوية أضيفت الى الله العليم الحكيم ، والفقه فهم لها من العلماء الفقهاء .

يقول الاستاذ الشيخ محمد على السايس عميد كلية أصول الدين وعميد كلية الشريعة الأسبق وعضو جماعة كبار علماء الازهر ، ثم مجمع بحوثه ، فى بحث نشرته الامانة العامة للمجمع سنة ١٩٦٧ ص ٣ (من الناس من يغلط ويخلط بين الشريعة والفقه ويظن خطأ أن ما ينقل عن الأئمـــة المجتهدين من اجتهادات هو نفس الشريعة ، ويتبع هذا الخلط انهم طعنوها مرة بالجمود ، وأخرى بالتناقض ، والشريعة بحمد الله لا جمود فيها ولا تناقض ، وذلك لأن التشريع الاسلامى تشريع سماوى سنه للناس رب العالمين) .

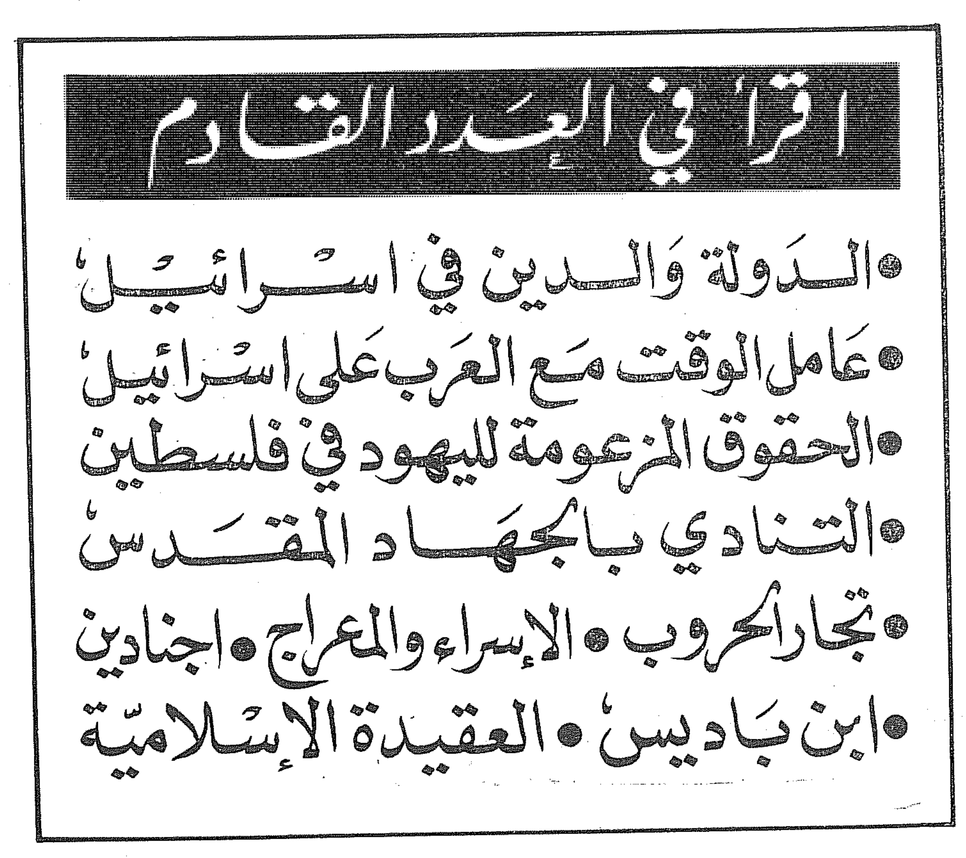
ويقول ص ١٨ (ترى كثيرا من الفقهاء يعدلون عن فتاوى وأحكام كانت لهم فى بعض المـــواطن ليفتوا على خلافها ، فللامام الشافعى كثير من المسائل مذهب قديم ومذهب جديد ، فان تغير الرأى وعدول الفقيه عن اجتهاده ليس سببه فى جميع الاحوال راجعا الى تبين وجه الصواب بعد الخطأ .. ولكنه كثيرا ما يكون سببه تنقل المجتهد فى الاقطار ووقوفه على تغاير العرف والعادة عند الأمــــم المختلفة) .

ويقول ص ٢٤ (والاحكام الاجتهادية التى نقلت عن الأئمة وأتباعهم قابلة للتغيير والتعديل كلما جدت الحاجة الى ذلك ، واقتضت المصلحة العامة التى لم تصادم نصا شرعيا وان الاحكام المبنية على المصالح لم توضع لتكون أغلالا ترسف فى قيودها الى يوم الدين ، بل ان الوقوف عندها لا يتفق وروح الاسلام ومخالف لطريقة السلف الماضين .

١٣ — وأرجو القارىء بعد ذلك أن يسأل من يخاف من التغيير علام يخـاف ؟ ان كان على الاحكام الاسلامية الفقهية الموجودة فى الكتب فليطمئن اطمئنانا تاما ، لأنه بعيد عن أن يناله تغيير أو تعديل لأنه مطبوع ومنشور وتراث موروث ، وقد دعوت الى زيادة العناية بنشره واخراجه وجمعـه وفهرسته ، واشتركت فى ذلك بجهدى المتواضع وان كان على الفقه الاســـلامى المطبق قانونـا فالحمد لله ولا يحمد على مكروه سواه — قد تقلص ظله ، وانحسر مده فى أكثر البلاد الاسلاميـة الى أحكام الاسرة فقط دون غيرها من فروع القوانين الاخرى وهى الكثرة الكاثرة لأسباب يرجع بعضها الى جهل أعدائه ، والناس أعداء ما جهلوا وبعضها الى من أقحموا أنفسهم قديما فى ميدانه مـن غير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

١٤ — وحسبى مما كتبت أننى قصدت ربط المسلمين بأحكام الاسلام ديانة وقضـاء ، ظاهرا وباطنا فى كل صغيرة وكبيرة ولو كانت أحكام تعيينات الموظفين وترقياتهم وتأديبهم أو كانت أحكام قواعد المرور وحمل البطاقات الشخصية ، وهو أمر يحقق اصلاحا كبيرا فى المجتمع الاسلامى ، حين يعرف المسلمون أن هذه الاحكام احكام الاسلام ، يتولى الحكام الحساب عليها فى الدنيا ، ثم يتولى الله سبحانه الثواب والعقاب عليها فى الآخرة .

أعان الله الفقهاء على حمل أمانة الفقه الاسلامى التى تنوء بالعصبة أولى القوة ، حتى يرتبط المسلمون به ، ويستغنوا عن القوانين الاجنبية التى لا تأخذ عن مصادره الطاهرة ولا تلتزم بأحكامها . وأدعو الله للقارىء ولأخى بالعافية فى الدين والدنيا .

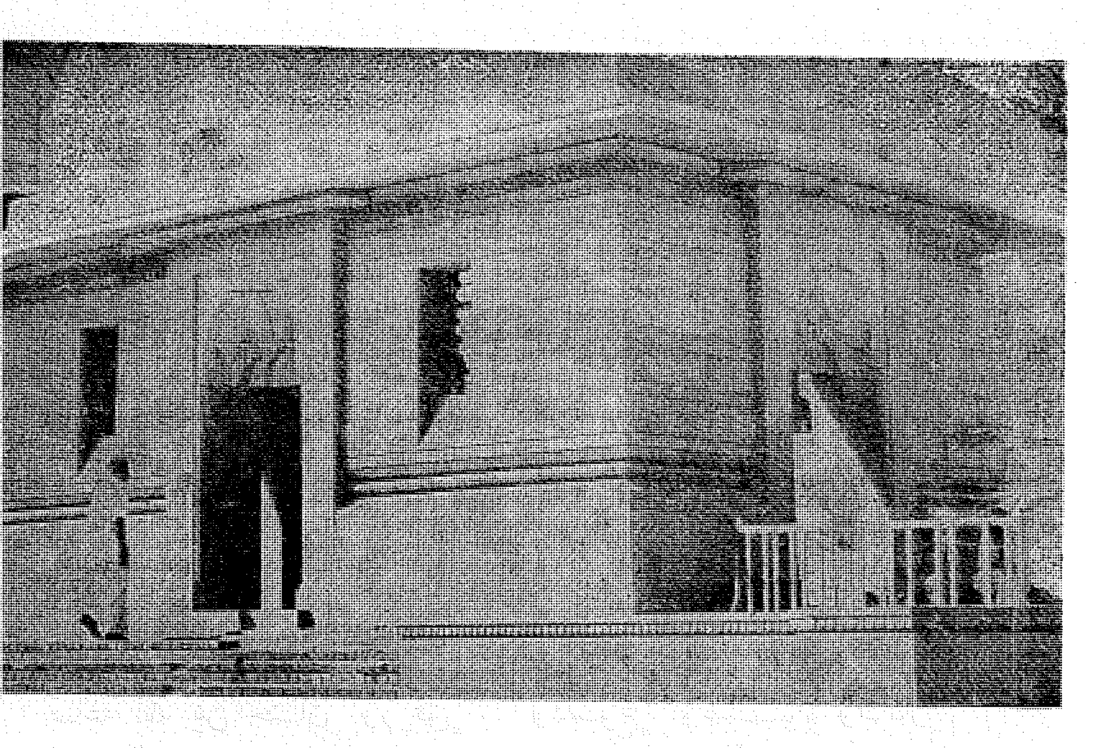


هنا البيت الذي سأموت فيه ..

وهان موتے كي پابندي ..



شاعر الإسلام





إيـهِ إقبـالُ يا رفيفَ الدَّرارى   يَانَسِيجَ الشُّمُوسِ والأقمـــارِ

يَامَنَارَ الإسـلامِ في لَيْلِهِ الدَّا   جِى وَفى زَحْمَةِ الخُطُـوبِ الكِبارِ

يَارُؤَى الشَّرْقِ ماأَطَلَّتْ رُؤَى الشَّرْ   قِ وَيَا طَيْفَهُ الحبيب السَّارى

يَاصَدَى الأنْفُسِ اللَّهِيفَـةِ يَاحَا   مِـلَ عِبْءِ الهمُـومِ والأكْدَارِ

تَنْقُلُ البُرْءَ للأُلى نَشَدُوا الـبُرْ   ءَ وفى القلبِ أَىُّ حُـزْنٍ وَارِ

هكذا الأنفسُ الكبيرةُ تحيـــا   لسواها في غبطةٍ وافْـــتِرارِ

فإذا رُمْتَ أَنْ تكونَ سَعيداً فَتَعَهَّدْ مَصَائِبَ الأَحْرَارِ
بَسَمَاتُ الحَنَانِ أَفْعَلُ في الأَنْفُسِ مِنْ كل نائلٍ مِدْرَارِ
تَمَّحِى الكائناتُ والفضلُ يبقى وهو إرْثُ الأَعصارِ للأَعصارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

كانَ مِلْءَ القلوبِ مِلْءَ الأَمَاني مِلْءَ ما في الحياةِ مِنْ أَوْطَارِ
صَاغَ مَالَمْ يَصُغْهُ حُلْمٌ جميلُ فاتنُ الوَشْيِ عَبْقَريُّ الإطارِ
وَشَدَا للجمالِ والوَتَرِ المِطْرَابِ والزَّهْرِ والغديرِ الجَارى
طَافَتِ الأَرضُ في رُؤَاهُ تصاويرَ نَدَايَا بجِدَّةٍ وابْتِكَارِ
قيلَ لى صِفهُ قلتُ دُنْيا مِنَ الفَنِّ وَكَوْنٌ مِنْ حكمةٍ واعْتِبَارِ
صَاغَهُ اللهُ مِنْ حنانٍ وَرِفْقٍ ودُمُوعٍ وَصَبْوَةٍ وادّكَارِ
يُشْرِقُ البِشْرُ مِنْ مُحَيَّاهُ نَضْراً وَمِنَ البِشْرِ أَنْفُسُ الأَبْرَارِ
صَوَّرَ الطَّبْعَ مثلَما خُلِقَ الطَّبْعُ وَغَنّى كما تُغَنّى القَمَارِى
وَيرِفُّ المَعْنى النبيلُ على اللَّفْظِ رَفيفَ النَّدَى على النُّوَّارِ
يَالَهُ شَاعراً تَمَرَّسَ بالسِّحْرِ وَأَعْظِمْ بالشَّاعرِ السَّحَّارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

إيهِ إقْبَالُ يَانَشِيدَ الأَنَاشِيدِ ونجوى دَاوُدَ لِلْمِزْمَارِ
يَاحُدَاءَ الرُّعَاةِ فى شُعَبِ الشَّرْقِ وَيَاسِرَّ أَرْضِهِ المِبْكَارِ
يَاصَلاةَ الغَابَاتِ فى خَشْعَةِ اللَّيْلِ وَنَجْوَى الأَرْوَاحِ في الأَسْحَارِ
لَكَ لَحْنٌ جَمٌّ المَنَاعِمِ فيهِ رَاحةُ النَّفْسِ والقُلُوبِ الحِرَارِ
لاَيُغَنّى سِوَى الجَمَالِ وَلاَ يَعْرِفُ غَيْرَ الحَقِّ الجَلِيِّ العارى
هُوَ فَيْضُ العُقُولِ والفِطْرَةِ السَّمْحَةِ وابْنُ الطَّبيعةِ المِبْشَارِ
لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُالوُضُوحَوَيَبْغِي الشِّعْرَ خِلْواً مِنْ زُخْرُفٍ مُسْتَعَارِ
أَيَّ مَعْنىً سَكَبْتَ في أُذُنِ الدَّهْرِ فَظَلَّتْ تَعِجُّ كالزَّخَّارِ

وَتُثيرُ الدَّفِــينَ فى مُهَجِ الغَيْــــبِ وَتَرمِى التَّـــيَّارَ بالتَّيَّارِ
إنَّهُ الفِكْرُ جُذْوَةٌ ، انْطِــلاَقٌ وَشَرارٌ مُسْتَرْسَلٌ مِنْ شَرَارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

أيُّها العَبقَرىُّ يَارَوْعَةَ الشَّرْقِ وَوَشْىَ الغُدُوِّ والإبْكَارِ
أيُّها الشاعرُ الذى نَضَّرَ الشِّعْـــرَ وأضْفَى عليهِ ظِلَّ ازدِهَارِ
عَالَمٌ قَلْبُكَ الكَبيرُ وَدُنيـــا حَفَلَتْ سَاحُها بــأَىِّ فَخَارِ
مَثَّلَ العَصْرَ خَيْرَ مَنْ مَثَّلَ العَصْـــرَ وأفْضَى بِجَهْرِهِ والسِّرارِ
ببيانٍ كَأَنَّهُ عَبَقُ الخُلْدِ حَبيـــبٍ في بَثِّـــهِ والحِـــوَارِ
هاتِ حَدِّثْ وَصِفْ نِضَالَكَ في الأَرْضِ وَبَرحَ النَّوَى وعِبْءَ السِّفارِ
صوَرِ الغُرْبَةَ التى ما تَقَضَّى وَتَشَوُّقْ إلى الحِمَى والدِّيـــارِ
مَا أذابَ الحَنينُ منك فؤاداً مُسْتَطَاراً برغمِ شَحْطِ المَزَارِ
يا لَقَلْبٍ مُعَذَّبٍ شَفَّهُ الوَجْـــدُ فَدَاوَى أُوَارَهُ بــأُوَارِ
يَتَنَزَّى أسىً وَيَهمِى وَفَــاءً وَيُذِيبُ الإعلانَ بالإسْرَارِ
كَيْفَ أَنسَى فرائداً لَكَ صِيغَتْ مِنْ مَضَاءٍ وَجُرْأَةٍ واصْطِبَارِ؟
لَسْتُ مِثْلَ الفَرَاشِ يَصلَى بنارِ النَّـــاسِ لكنَّنى صَلِيتُ بِنَـــارى
فإذا احْلَوْلَكَ الدُّجى مِثْلَ عَينِ الظَّبْـــيِ واعْتَادَهُ كَلَوْنِ القَـــارِ
كَشَفَتْ نفسيَ الحَنادسَ كشفاً وملأتُ الأكْوانَ بالأنـــوارِ
لا أرَى مِنَّــــةً عليَّ لإنسانٍ لأنى كَرَّمتُ صُنْعَ البَارِى
أنَا مِنْ نشوةٍ على الدهر تَبقَى أنا مِنْ وَمْضَةٍ وَفَيْضِ انْبِهَارِ
نَفَحَاتُ الهُيـامِ تَنْسِمُ فى الرَّوْضِ ويُنْمِي الهُيامُ زَهرَ البَرَارى
وشعاعُ الهُيامِ ينفـــذُ في البَحْـــرِ فيَهدِي الحيتانَ طَيَّ البحارِ
نَقْشُ رَبى يَجِدُّ بى كُلَّ حـينٍ وَتَرَاءَى الحيــاةُ في أطْـــوارِ
فإذا مَـرَّ بي نَهَـارى كأمسِي فَكِيَانِى من التَّجَـــدُّدِ عَـارِ
إنَّ هَذا العَقْلَ القَويـمَ أسيرٌ لَمْ يَزِدْهُ التَحْلِيقُ غَـيْرَ إسارِ

مَلأَ الكائنـــاتِ همّاً وغمّـــاً وَأَســـالَ الدماءَ كالأنهـــارِ
أينَ منهُ الحُبُّ الذى يُسعِدُ الرُّو حَ ويُنشِي الوُجودَ بالأعطَارِ
ويُعيـدُ الحياةَ جـــذوةَ نارٍ لَمْ يَزلْ وَهجُها سَنا الأبصَارِ
ياشُعاعَ الهوى لأنتَ مَنارى الـــحَقُّ إنْ أطفأَ الحِمامُ مَنارِى
ولَكَمْ تامَهُ الحِجَـــازُ فَغَنَّا هُ لُحونًا سِحْرِيَّةَ الأوتـــارِ
وَصَبا للحطيمِ والرُّكْنِ والأَســـتارِ فى خشعـــةٍ وفي إكْبارِ
في « هَدَايا الحِجَازِ » مِنْهُ حَنينٌ كحنينِ « الرَّضيِّ أَوْ مِهْيارِ »
سَكَبَ النَّفْسَ في الحجازِ شعوراً كانْسِكَابِ الأنوارِ فى الأَزْهَارِ
وتَشَهَّى لَوْ زَارَ « طَيْبَةَ » في الحُـــلْمِ وَأَغْفَى عَـلَى ثَرَى المخْتَـارِ
وَلَكَمْ آثرَ الكَرَى في حِمَاهَا وَلَكَمْ كَانَ صَـــادِقَ الإِيثارِ
وَدَّ لَوْ أَنَّهُ انطَوَى في ثَرَاهَا وَثَـوَى في تُرَابِهـــا المِعْطَارِ
فَارِسِى لِسانُهُ ، عَـــرَبىٌّ قَلْبُهُ والهـوَى المُوافي المُجَارِى
شَغَفَتْ قَلْبَهُ العُرُوبَةُ وَجداً وَتغَنَّـــى بطَيفِها الـــزُّوّارِ
وتَمَنَّى لها المجَـــادَةَ والسَّعْـــدَ لتبقى تاجاً عـــلى الأدْهَارِ
ودَعَا المسْلمينَ للوحْـدَةِ الكُبْـــرَى وَقَهرِ اعدَا وَغَسْلِ العَار
مَا أَطَلَّ الإيمانُ يوماً على الضَّعْـــفِ ولا بَاءَ مؤمِـــنٌ بِخسارِ
أَصحِيحٌ أَنَّ الأُلى مَلَكُوا الأَرْ ضَ غدَوا نُهبَـةَ الذِّئابِ الضَّوارِى
لا وَرَبِّ الأَنامِ ما ضَعُفَ القَوْ مُ وإنْ طافَ حَظُّهُمْ بِعِثَارِ
تلك أفكارُهُ البَواقِي عَلَى الدَّهْـــرِ وَسِرُّ الخُلُودِ في الأفـكارِ
أَيُّها الشاعرُ الذى عَاشَ لَحْناً وَسَرَى كالعبيرِ فى الأقْطَـارِ
ذَابَ مثلَ النَّدَى عَلَى مُقَلِ الزَّهْـــرِ وَشِبْهَ الأسَى على القِيثَارِ
أَنْتَ حُبٌّ وَرِقَّـــةٌ وَحَنَانٌ وَمِنَ الحُبِّ أَرْوَعُ الآثـــارِ
وَلَكَمْ يبعثُ الشجونَ ويُضْنِي أَنْ يُرَى العَبْقَرِيُّ رَهْنَ تَبَارِ
وَيَجِـفَّ النَّهْرُ الذى سَالَ بالشَّدْ وِ وَحَيَّـا بالسَّاكبِ المِدْرَارِ

ويغيبَ الطيرُ الذى هدْهَدَ الكَوْ ... نَ بأَحْلَى اللحُون والأَسْمَارِ
ويبيتَ الروضُ النضيرُ كئيباً ... واجمَ الثَّغْرِ موُحِشاً كالقِفَارِ
الحُظُوظُ البيضُ التى شَيَّعَتْهُ ... كالحظوظِ السودِ التى لا تُمَارِى
والأَمانِى الزُّهْرُ التى وَدَّعَتْه ... كالمَنَايَا السُّحْمِ التى لا تُدَارِي
أَيهذا الطَّيْفُ الذى اتَّشَحَ الخُلْـــدَ وَوَلَّى إلى حِمَى الأسْرَارِ
قِفْ عَلَى رَبْوَةِ الخُلُودِ تُسَائِلْـــكَ هَلِ ارتَحتَ مِنْ جوىً واسْتِعَارِ
هَلْ نَزَعْتَ الحَيَاةَ فى الضَّفَّةِ الأُو ... لى وَفَارَقْتَها فِـراقَ الزَّارِى
وَلَمِسْتَ الرُّوحَ الذى يَسَعُ الخَيْـــرَ كَمَا يلمسُ الصَّباحَ السَّارِي
إنْ تَكُنْ جُزْتَهَا فَطُوبى لَكَ اليَوْ ... مَ بمثْوىً خِلْوٍ مِنَ الأغْيَارِ
كُلُّ دارٍ رَهْنُ الأَذَى والرَّزَايا ... غَيْرَ دارِ الأَحِبَّـةِ الأَخْيَارِ
هِىَ كَهْفُ السَّلامِ لَا أَمْسِ فيها ... بِمُوَلٍّ ولا غَـــدٌ بانْتِظَارِ
هِىَ يَوْمٌ باقٍ وخُلْدٌ طويلٌ ... أَبدِيُّ الأَغْوارِ خافِى القَرارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وَقَوافٍ لوْ أَنَّهنَّ عُيُونٌ ... لَتَهَامَيْنَ بالدُّموعِ الغِـزَارِ
لَا يُوَفِّى القَرِيضُ مَهْما تَغَنَّى ... مَا بَيَانِى يكفِى وَلَا أشعارى
فَاْحيَ بالذِّكْرِ لا تَرُعْكَ المَنَايَا ... إنما الذكرُ أخلدُ الأعمارِ
تتلاقى الدموعُ في غَمْرَةِ الحُزْ ... نِ ويبكى الهزارُ شجوَ الهَزَارِ
الأَصابيحُ دُثَّـــرٌ عَافِيَاتٌ ... تَنْطَوى عَنْكَ واللَّيالِى عَوارِي
وكُؤوسُ النَّعِيمِ يَمْتَصُّها الحُزْ ... نُ وَطَيْرُ المُنَى قصيرُ المطارِ
والحياةُ التى صَحِبْتَ اغْتِرارٌ ... مَا حَيـاةٌ مصحوبةٌ باغْتِرَارِ
أَنْتَ في الفكرِ صورةٌ لَيْسَ تُمْحى ... لا يَذُوقُ الخُلُودُ طَعْمَ انْدِثَارِ
أَنْتَ فى الذِّكْرِ خالدٌ لَيْسَ تفْنى ... لَا يَحُومُ الرَّدى عَلَى التَّذْكارِ

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

كَرَّمَتْكَ الأَجْيالُ يا شُعْلَةَ الفِكْـــرِ وَأَضفَتْ عَلَيْكَ إكليلَ غَارِ
فَلَئِنْ صَاغَتِ القَرِيضَ عُقُوداً ... فَبِما صُغْتَ يا سِراجَ النَّهارِ

أنا مدين بهذه القصيدة التى أكثرها من جو (اقبال) وبعض كثيرها مترجم عنه ، للوزير العالم الدكتور (محمود حسن) وزير الباكستان المفوض فى دمشق ، وتلميذ الشاعر وصديقه فلقد اختارنى عضوا فى (حلقة اقبال) التى أسست فى دمشق فقدر لنا بمؤازرته قراءة الشاعر العظيم اقبال وفهم مراميه ، والاحاطة بأخباره ، ونشر كنوزه وخيراته ، وتنشر هذه القصيدة احتفاء بالذكرى الحادية والثلاثين لوفاة شاعر الاسلام محمد اقبال الشاعر الذى اتخذ من مبادىء الاسلام العظيمة الخالدة فلسفة لا تمحوها الايام ، والعالم الذى كان يعتقد أن تجدد الاسلام لا يمكن أن يتم ما لم يعزز المسلمون قواهم الفكرية والخلقية ، ويرتفعوا بنفوسهم الى مستوى أسمى .

ولد محمد اقبال بمدينة (سيالكوت) باقليم البنجاب عام ١٨٧٣ م . وتوفى بمدينة لاهور فى ٢١ نيسان ١٩٣٨ م الموافق عشرين صفر الخير ١٣٥٧ هـ

أتم علومه بانكلترا والمانيا ، فحصل على اجازة فى الفلسفة من جامعة كمبراج وكان موضوع بحثه (تطور ما بعد الطبيعة عند الفرس) وقد منحته جامعة ميونخ شهادة الدكتوراة فى الفلسفة كما حصل على اجازة فى القانون .

كان على صلة وثيقة بالمستشرق البريطانى السير توماس أرنولد مؤلف كتاب دعوة الاسلام ، وكان أرنولد أستاذ العربية فى جامعة لندن ، ثم أستاذ الفلسفة فى جامعة (عليكره) الحكومية فى لاهور ، وكان واسع العلم محبا للحضارة الاسلامية .

وفى عام ١٩١٨ دعى الى (مدراس) لالقاء سلسلة من المحاضرات ، وقد جمعت تلك المحاضرات وسميت (اصلاح الفكر الدينى فى الاسلام) وهى أعظم ما كتب اقبال فى الفلسفة .

كان عضوا فى المجلس التشريعى بالبنجاب ، وشارك فى سياسة بلاده بأقواله وأفعاله ، كما ترأس مجامع سياسية عديدة ، واشترك فى مؤتمر المائدة المستديرة ، بلندن .

كان عمادا قويا لحزب الرابطة الاسلامية ، وحسبه أن يقول فيه القائد الأعظم (محمد على جناح) .

: كان لى صديقا صدوقا واماما هاديا ، وكان فى أحلك الخطوب التى مرت بى ونحن بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخر لم تزلزله الزلازل ولم تعصف به العواصف .

ضمن شعره نظرته الواسعة الى الأخوة الاسلامية ، وكان يكره

العنصرية ، وينادى بالوحدة والأخذ بأسباب القوة ، وقد اتخذ الصقر له شعارا . ولقد وفق أديب العرب الراحل الأستاذ أحمد حسن الزيات فلخص الشاعر اقبالا فى كلمه الطيب على نحو ما تلخص حديقة من الزهر فى زجاجة من العطر .

« وما كان اقبال الا بضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الاسلام من روحه ، فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة ، وكانت فلسفة شعرية فريدة لا هى عدمية مترددة شاكية كفلسفة أبى العلاء ولا هى وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نتشه ، وانما هى الاسلامية الموحدة المؤلفة السمحة كما أوحاها الله بروحيتها النابعة من القلب الشاعر بآلام الارض وماديتها الصادرة من العقل المتصل بالهام السماء » .

آثار محمد اقبال

لشاعر الاسلام محمد اقبال مؤلفات وآثار وأعمال بعضها مكتوب باللغة الأردية ، وبعضها باللغة الفارسية ، وبعضها باللغة الفرنسية ويسود هذه الآثار الشعر ثم النثر ، واليك ثبتا بهذه الدواوين والآثار :

١ ــ باللغة الاردية شعرا :	عام الطباعة
بانك درا (صلصلة الجرس)	١٩٢٤
بال جبريل (جناح جبريل)	١٩٢٥
ضرب كليم (ضرب الكليم)	١٩٢٧
أرمغان حجاز (هدية الحجاز)	نشر بعد وفاته ،

٢ ــ باللغة الفارسية شعرا :

أسرار خودى (أسرار ذاتيه)	١٩١٥
رموز بنخودى (رموز نفى الذاتية)	١٩١٨
بيام مشرق (رسالة المشرق)	١٩٢٣ وكتب الشاعر فوق عنوان الديوان (جواب ديوان الشاعر الالمانى « جوتيه »)
جاويد نامه (الكتاب الخالد)	١٩٣٢ وفى العنوان تورية بجاويد ابن الشاعر وهذا الكتاب على غرار « الكوميديا الالهية» التى كتبها الشاعر الايطالى دانتى .

بس جه بايدكرداى أقوام شرق
(ما ينبغى أن نعمل يا أقوام الشرق) ١٩٣٦
مسافر ١٩٢٤
زبور عجم (زبور العجـــم) ١٩٢٩

٣ ــ بالاردية نثرا :

اقبال نامه (مجموعة رسائل)

٤ ــ الانكليزية نثـــرا :

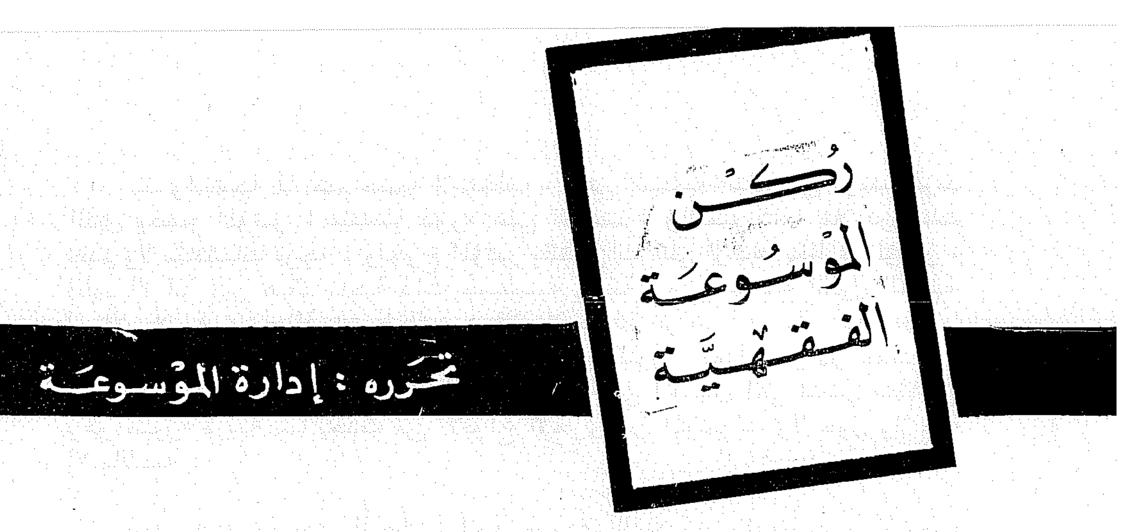
1—Six Leatures on The Reconstration of Religious Thought In Islam . . 1944.

2—Iqbal Letters to Jinnal . . 1944.

3--The Development of Metephyeics in Persia.

4—Speechs and Statmants of Iqbal . . 1908.

ذكرى شاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال من منشورات السفارة الباكستانية بدمشق ــ نيسان ١٩٦٩ بتصرف .



أ) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى العددين السابقين لدراسات القانون المقارن فى الجامعات والمعاهد وللمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات ، كما عرضنا لجمعيات ومراكز القانون المقارن وما تصدره من مجلات وبحوث .
ونعرض بالبحث الآن مجالا ثالثا من مجالات القانون المقارن هو المؤتمرات الدولية القانونية وما تبحثه من مسائل وما تتخذه من توصيات .

ان العديد من المنظمات الدولية أو الوطنية الهامة ، أو معاهد البحوث التى تناولناها بالبحث فى العدد السابق ، تقوم بتنظيم مؤتمرات دولية لبحث موضوعات قانونية خاصة على أساس مقارن بغية التوصل الى قرارات أو توصيات أو مشروعات قوانين نموذجية أو لمجرد تبادل وجهات النظر وتعميق البحث فى العديد من المشكلات القانونية التى يشترك فى الاهتمام بها كثير من بلاد العالم .

وتدعى الدول الاسلامية — ضمن من يدعى من الدول — لحضور هذه المؤتمرات ويمكن أن نلخص ردود الفعل للدول الاسلامية على النحو الآتى :
— يحدث فى كثير من الحالات عدم اهتمام من حيث مبدأ المشاركة فى المؤتمر ، فلا ترسل الدولة الاسلامية وفدا أو مندوبا يمثلها .
— فى الاحوال التى تقرر الدولة الاشتراك فى المؤتمر ، يحدث عادة ان يتم تقرير الاشتراك واختيار الوفد فى آخر لحظة ، فلا يكون هناك فرصة للاعداد للمؤتمر .

— قلما توجد فى الدول الاسلامية أجهزة لمتابعة النشاطات الدولية ، بحيث تكون هناك دراسات مسبقة معدة فى الموضوعات التى ستناقش فى المؤتمر ، ويترك ذلك للجهد الشخصى لاعضاء الوفد الذى سيحضر المؤتمر .

— كثيرا ما يكون اختيار أعضاء الوفد على أساس اتاحة فرصة للسفر والراحة والاستمتاع لذوى الحظوة من أصدقاء المسئولين والمقربين اليهم ، لا على أساس اختيار الشخص المتخصص فى الموضوع الذى يعقد المؤتمر لمناقشة أمثاله .

ـــ والنتيجة لما تقدم حتمية لا تتخلف ، وهى السلبية التامة فى موقف الوفد الذى يحضر المؤتمر ، فيقتصر دوره على الاستماع والتصويت ، فلا دراسات تقدم ولا مناقشات توجه ، ويخرج المؤتمر بالقرارات التى أرادها منظمو المؤتمر ، اللهم الا اذا كان هناك ناحية ذات حساسية معينة تمس سياسة الدول العربية أو الاسلامية ، فحينئذ تنشط الوفود الاسلامية للاعتراض ، وغالبا ما ينتهى الأمر بمجاملتهم واستبعاد ما يغضبهم ، فتسكن الثورة ويهدأ الجو من جديد .
هذا ما يحدث كثيرا فى المؤتمرات العلمية فى المسائل التى تتصل بالقانون وهو صورة قريبة مما يحدث فى الانواع الأخرى من المؤتمرات ولا حول ولا قوة الا بالله .

نقدم هذا بين يدى البحث ، لنوضح مدى البعد بين واقعنا وبين ما يجب علينا من الاهتمام بالمؤتمرات الدولية ، ولنبين أن الايجابية ـــ التى نفتقدها فى المجال الدولى ـــ شرط أولى لما نحن بصدد بحثه من أهمية الاستفادة من هذه المؤتمرات الدولية لعرض وجهة النظر الاسلامية ، والدور الذى يمكن أن تؤديه موسوعة الفقه الاسلامى فى هذا المجال .

ولنضرب أمثلة لبعض مؤتمرات الاعوام السابقة :
١ ـــ عقد فى مونتريال بكندا فى آذار (مارس) ١٩٦٨ مؤتمر دولى غير حكومى لبحث حقوق الانسان تمهيدا للمؤتمر الدولى الحكومى الذى عقد فى طهران فى شهرى نيسان وأيار (مايو) ١٩٦٨ ، وقد تناول البحث فى كلا المؤتمرين المزيد من حقوق الانسان وحرياته ، والضمانات العملية لممارسة هذه الحقوق والحريات .
٢ ـــ عقد فى لاهاى فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ الدورة الحادية عشرة لمؤتمر لاهاى للقانون الدولى الخاص . وقد تناول البحث اعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق والتفريق القانونى ، ومعاهدة القانون الواجب التطبيق على حوادث المرور ، ومعاهدة الحصول على الادلة فى الخارج فى المسائل المدنية والتجارية ، ومراجعة معاهدة الاعتراف بالاحكام الاجنبية وتنفيذها .
٣ ـــ وفى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ عقد فى بانجكوك مؤتمران (أحدهما) المؤتمر العالمى لمركز السلام العالمى عن طريق القانون ، (والثانى) مؤتمر الجمعية العالمية للقضاة . وقد تناول البحث فى مؤتمر القضاء مسائل الاجراءات القضائية ، وتكوين القضاة واختيارهم ، والتنظيم والادارة القضائية ، والازدواج القضائى فى البلاد النامية .
٤ ـــ وفى بيروت عقد المؤتمر السنوى للجمعية الدولية للمحامين الشبان فى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ وتناول بالبحث مسائل : نقل أعضاء الجسم الحى أو الميت حديثا الى جسم آخر ، والقانون الواجب التطبيق على عقد البيع الدولى .
ومن المؤسف حقا أن صوت الشريعة الاسلامية لم يسمع فى أى من هذه المسائل التى طرحت ، بسبب السلبية التى يبديها المسلمون فى هذه المجالات من ناحية ، وبسبب عدم توافر المرجع الميسر لمعرفة رأى الشريعة الاسلامية من ناحية أخرى .
ولا يفوتنا قبل أن نختتم هذا المقال ان نشير الى ان هذه المؤتمرات فرص دولية مستمرة ، وأن ما فاتنا فى الماضى بامكاننا أن نعوضه فى المستقبل ، ونذكر فيما يلى أمثلة للمؤتمرات التى ستعقد فى الشهور الستة القادمة :

١ — ففى ١٥/ — ١٩/ من تموز (يوليو) ١٩٧٠ تعقد الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين مؤتمرها التاسع فى مدينة هلسنكى من بلاد فنلندا حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

(١) المظاهر القانونية لمشكلات الاستقلال الوطنى ، والسلام والأمن الدولى والصراع ضد الاستعمار فى عالم اليوم .
(٢) المشكلات القانونية للدول النامية .
(٣) المظاهر القانونية لصيانة الحقوق الاساسية للانسان فى العالم المعاصر .
(٤) التقدم العلمى وحقوق الانسان .

٢ — وفى لاهاى يعقد المؤتمر الرابع والخمسون للجمعية الدولية للقانون فى المدة من ٢٣/ — ٢٩/ آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

القوانين ضد الاحتكار — القانون الطبى الدولى — القانون النقدى الدولى — حقوق الانسان — العلاقات العائلية — الأمن والتعاون الدوليين — الاستثمارات الخارجية فى الدول النامية — حق اللجوء — التحكيم — تعاقب الدول — قانون الفضاء — ثروات أعماق البحار — القانون الجوى والقرصنة الجوية .

٣ — وفى طوكيو يعقد اتحاد المحامين الدولى مؤتمره الثالث عشر فى المدة من ٢٤/ — ٢٨/ آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث تبحث المسائل الآتية :
دور المحامى فى السنوات العشرين القادمة — مسئولية المحامى عن اهماله — الزواج بين مختلفى الجنسية — القانون والأدمغة الالكترونية — دور المحاكم غير القضائية فى حل المنازعات .

٤ — أما المؤتمر السنوى الثامن للجمعية الدولية للمحامين الشبان فينعقد فى روما فى المدة من ٢٢/ — ٢٦/ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حيث تظهر المسائل الآتية على جدول الاعمال :
حرية الاعلام — البيع الدولى للبضائع — حقوق الاطفال غير الشرعيين — التحاق المحامى الشاب بمؤسسة مهنية .

لقد ارتفع صوت الشريعة الاسلامية فى عدد قليل من المؤتمرات الدولية فى الماضى ، وكان لذلك أثره البالغ فى تعريف الاوساط القانونية الدولية بمزايا الشريعة ودفع الشبهات عنها وقدرة فقهها الغزير على امداد هذه المؤتمرات بالمفيد القيم من البحوث والنظريات القانونية ، كما كان لاعتراف هذه الاوساط بفضل الشريعة ومزاياها أثر فى تثبيت قلوب كثير من المسلمين الذين يحتاجون الى مثل هذه الشهادات ليثقوا بقيمة تراثهم العظيم الخالد ، ويطمئنوا الى شريعتهم (والفضل ما شهدت به الاعداء) .

وأقرب الأمثلة على ذلك قرارات مؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد فى كلية الحقوق بجامعة باريس سنة ١٩٥١ ، وهو الذى كان من جملة قراراته وتوصياته ضرورة ايجاد موسوعة للفقه الاسلامى .

ونأمل ان يتجدد نشاط المسلمين ويستمر فى هذه الاوساط الدولية وان يكون لموسوعة الفقه الاسلامى دور فعال فى تيسير معرفة الاحكام الاسلامية وعرضها فى هذه المجالات .

ب) من بريد الموسوعة :

وردت الى ادارة الموسوعة عدة ملاحظات من بعض الاساتذة نقتصر فى هذا العدد على مناقشة جانب منها وهو ما يختص بالمذاهب التى ينبغى للموسوعة عرض آرائها ، وكذا ما يختص بالآراء المختلفة فى داخل المذهب الواحد ، ما يذكر منها وما يترك :

١ — فقد كتب الينا بعض الأساتذة يرى الاقتصار على مذاهب السنة الاربعة المعروفة وعدم الاشارة الى ما سواها .

٢ — كما اقترح البعض ان تختار الموسوعة ما دل عليه الكتاب والسنة ولا تتعرض للخلافات بالمرة . (أى ان تقوم الموسوعة باجتهاد جديد) أو أن تذكر الخلاف فى آخر الكلام على سبيل التضعيف . واقترح البعض أن يتم اختيار الرأى من قبل لجنة تشكل خصيصا لهذا الغرض .

٣ — ويرى البعض ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية .

٤ — كما يرى البعض — مع موافقته على عرض الخلافات — اهمال الاقوال الضعيفة والشاذة .

وفيما يلى نجيب على هذه الملاحظات :

١ — أما عن المذاهب التى تتناولها الموسوعة بالدراسة المقارنة ، فقد اتجهت موسوعة جامعة دمشق من قبل وموسوعتا المجلس الاعلى الاسلامى وجمعية الدراسات بالقاهرة الآن الى الاتجاه نفسه من شمول العرض الفقهى للمذاهب الثمانية الموجودة حاليا فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، ولا ضرر من ذلك ، اذ الأمر مقتصر على بحث النواحى الفقهية دون النواحى العقائدية والسياسية ، ولا شك أن شمول البحث لأوسع دائرة من المذاهب مع بيان دليل كل رأى يحقق المقصود من الموسوعة ، وهو عرض الثروة الفقهية الضخمة التى تزخر بها كتب الفقه على اختلاف مذاهبه عرضا مقارنا . ويهمنا فى هذا المجال ان نشير الى أن بعض المذاهب التى لم يقفل فيها باب الاجتهاد ، استمر الانتاج الفقهى فيها متطورا مع حاجة كل عصر ومتطلباته مما يفيد بحثه فى معرض الدراسة المقارنة .

كما أن هذه الدراسة المقارنة يتضح منها أثر الخلافات العقيدية والسياسية فى بعض الآراء الفرعية دون البعض الآخر مما يهم الباحث معرفته فى ضوء الدراسة المقارنة .

وان عرض المذهب المخالف أيا كان لا يعنى تفضيلا أو تأييدا له من جانب الموسوعة ، أو انتقاصا من غيره — رغم الخلافات الجذرية أحيانا ، كما بين الشيعة والاباضية — اذ ان منهج الموسوعة موضوعى بحت يعرض للرأى مع دليله دون تجريح أو ترجيح ، ولا مجال بالتالى لما يخشاه البعض من اثارة فرقة أو نشر بدعة كما جاء فى بعض ما ورد الى الموسوعة من رسائل .

٢ — أما اقتراح اختيار ما دل عليه الكتاب والسنة دون عرض الخلافات بالمرة ، فهذا خلاف الخطة الموسوعية كذلك ، اذ أن الاختيار أو الترجيح انما يكون عند اصدار قانون أو فتوى ، أما مجال البحث العلمى وعرض الثروة الفقهية التى تمتاز بهذا التنوع فى النظر المؤدى الى الخلاف فى الرأى ، فلا مناص فيه من عرض الخلافات وأدلتها ، ولا سيما أن الخلاف قد يكون فى دلالة النص من كتاب أو سنة على الحكم فى المسألة ولا مجال اذن للقول بأن رأيا

معينا دل عليه الكتاب والسنة . فكل رأى له وجهه فى الفهم والاستدلال المبنى على أصول الاجتهاد ، كما ان مناقشتــه للرأى المخالف مبنى كذلك على هــذه الأصول نفسها .

وللقارىء — ان كان من أهل النظر والترجيح — أن يختار لنفسه الرأى الذى يطمئن اليه بعد معرفة الآراء كافة وأدلتها ، ولا يمنع ذلك من أن يبــدى كاتب الموضوع أو ادارة الموسوعة رأيه الشخصى فى الحاشية — غير مختلط بالفقه المنقول الذى تتولى الموسوعة عرضه بأمانة — اذا اقتضى الأمر تعليقا أو مناقشة لبعض الآراء .

كما أن بعض الموضوعات ذات الصبغة القانونية تقوم ادارة الموسوعــة باختيار آراء معينة فى مسائلها وأحكامها تمثل المبادىء والقواعد الاساســية الفقهية فى موضوعها، وتصوغها فى صورة مواد مقننة ملحقة بالموضوع الأصلى تمهيدا لفكرة تقنين كامل من الفقه الاسلامى وسيظهر موضوع الحوالة — الذى هو تحت التهيئة والطبع الآن — بهذه الصورة ان شاء الله .

٣ — أما اقتراح ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية ، ففيه تجزئة للبحث فقد يكون القدر المتفق عليه أقل كثيرا من المختلف فيه ، وهو الأغلب وتقسيم الرأى حتى فى المسألة الواحدة بين المتن والحاشية يشعب البحث ويتعب القارىء ، فاذا أنزلت الخلافات مع أدلتها ومناقشاتها الى الحاشية صارت الحاشية أكبر بكثير من المتن ، مع ما فى ذلك من تشويه تحرص الموسوعة على اجتنابه .

هذا ، وقد خصصت الموسوعة الحاشية للآراء الشخصية للكاتب عنــد الضرورة ، كيلا تختلط بالفقه القديم الــذى يعرض كاملا فى المتن ، سواء منه ما كان محل اتفاق أو ما كان مختلفا فيه .

٤ — وأخيرا نأتى الى مناقشة الاقتراح الخاص باهمال الاقوال الضعيفة والشــاذة .

لقد انتهجت ادارة الموسوعة كما هو موضح فى بيانات خطة الكتابة التى ترسل الى الأساتذة الكتاب لمراعاتها فى كتابة الموضوعات — نهجا مقتضاه ذكر الخلافات الجوهرية دون غيرها ، والمراد بالخلاف الجوهــرى كل ما فى ذكره قيمة علمية ، ولا سيما الخلافات التى تعتمد على أصول أو نصوص معارضــة لما يتبناه المذهب الحنفى (الذى يجعل بساطا لعرض الموضوع) ، ومن الخلافات الجوهرية ما يبدو أدنى الى روح الشريعة وأكثر تحقيقا لمقاصدها العامة ، ولو كان مرجوحا فى المذهب المنقول منه فلا حاجة الى ذكر الخــلاف الذى يكــون نظريا محضا غير ذى ثمرة ، أو فرعيا تافها غير ذى بال .

وهكذا يتبين أن المعيار الذى وضعته ادارة الموسوعة هو التفرقة بيــن الخلاف الجوهرى وغير الجوهرى ، وليس التفرقة بين الرأى الراجح والرأى الضعيف أو الشاذ ، ذلك ان الرأى قد يكون ضعيفا أو شاذا فى عصر ، ثم يبدو فيما بعد أن المصلحة كل المصلحة فى الأخذ به وان قائله كان أبعــد نظرا من عصره وأكثر ادراكا للنتائج لا سيما اذا تبناه ولى الأمر بما له من سلطة الترجيح فيصبح بذلك راجحا بعــد أن كان مرجوحا ، كما وقع فى تقنينات الاحــوال الشخصية فى طلاق الثلاث بلفظ واحد . فالمفروض فى الموسوعــة أن تعرض الآراء جميعا طالما أن موطن الخلاف أمر جوهرى ، لأن المقصود من الموسوعة هو العرض العلمى المحايد الأمين للآراء كافة ، وليس من مهمتها الترجيح . ولمن شاء ترجيح رأى على رأى أن يفعل ذلك خارج نطاق الموسوعة .



للأستاذ
عبد الفتاح أبو غدة

اتفق جمهور العلماء ومنهم أئمة المذاهب الأربعة على الحكم بنجاسة الخمر ، وقد استدلوا لنجاستها في كتب التفسير والفقه بقوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

ولما كان القرآن الكريم حمال وجوه من المعاني ، لم تكن الآية قاطعة الدلالة على النجاسة ، ولذا رغب الناس دليل نجاستها من السنة المطهرة ، فإنها شارحة القرآن ومبينة لوجوهه ومعانيه . فبحثت عنه طويلا ، وسألت عنه كثيرا كبار العلماء فلم أصل إليه ، ثم منحني الله الوقوف عليه ، فرأيت الآن نشره ، لما قد جرى في بعض المجالات العلمية من تساؤل عنه وإنكار لوجوده .

فأقول : جاء في الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه ، ورواه عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم : ما يدل على نجاسة الخمر .

فروى البخاري في مواضع من « صحيحه » والألفاظ شبه واحدة ، فلفقت من بعضها في بعض ، في كتاب الصيد والذبائح في « باب صيد القوس » (٩ / ٥٢٣) ، و « باب ما جاء

فى التصيد) ٥٢٨:٩ ، و (باب آنية المجوس والميتة) ٥٣٧:٩ ، قال أبو ثعلبة : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسـول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب ، أفنأكل فى آنيتهم ؟ وبأرض صيد ، أصيد بقوسى ، وبكلبى الذى ليس بمعلم ، وبكلبى المعلم ، فما يصلح لى ؟

قال : أما ما ذكرت من أنك بأرض أهل الكتاب فلا تأكلوا فى آنيتهم ، إلا أن لا تجدوا بدا فاغسلوها وكلوا فيها . وأما ما ذكرت من أنك بأرض صيد فما صدت بقوسك فذكرت الله فكل ، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله فكل ، وما صدت بكلبك الذى ليس بمعلم فأدركت ذكاته فكل » .

ورواه مسلم فى « صحيحه » فى كتاب الصيد والذبائح ٧٩:١٣ ، والنسائى فى « سننه » فى كتاب الصيد والذبائح أيضا ١٨١:٧ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه أبو داود فى « سننه » فى كتاب الأطعمة فى (باب الأكل فى آنية أهل الكتاب) ٣٦٣:٣ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالخمر وهذا لفظه « قال يا رسول الله : إنا نجاور أهل الكتاب ، وهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيتهم الخمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا ، وإن لم تجدوا غيرها فارحضوها — أى اغسلوها — بالماء ، وكلوا واشربوا » .

ورواه الترمذى فى « سننه » أول أبواب الصيد فى (باب ما جاء ما يؤكل من صيد الكلب وما لا يؤكل) ٢٥١:٦ ، وفيه : « ... إنا أهل سفر نمر باليهود والنصارى والمجوس ، فلا نجد غير آنيتهم ؟ قال : فإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » . قال أبو عيسى — أى الترمذى — : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه أيضا فى أبواب السير فى (باب ما جاء فى الانتفاع بآنية المشركين) ٥٠:٧ « قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب ، نأكل فى آنيتهم ؟ قال ان وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها ، فإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها » .

ورواه أيضا فى أبواب الأطعمة فى (باب ما جاء فى الأكل فى آنية الكفار) ٢٦٧:٧ « قال أبو ثعلبة : يا رسول الله إنا بأرض أهل الكتاب ، فنطبخ فى قدورهم ؟ ونشرب فى آنيتهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لم تجدوا غيرها فارحضوها — أى اغسلوها — بالماء » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه فى « سننه » فى أبواب الجهاد فى (باب الأكل فى قدور المشركين) ٩٤٥:٢ « قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته فقلت يا رسول الله : قدور المشركين نطبخ فيها ؟ قال : لا تطبخوا فيها . قلت فإن احتجنا إليها فلم نجد منها بدا ؟ قال : فارحضوها رحضا حسنا ، ثم اطبخوا وكلوا » .

ورواه أيضا فى أبواب الصيد فى (باب صيد القوس) ١٠٧١:٢ مقتصرا فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه الإمام أحمد فى « المسند » فى (مسند أبى ثعلبة) ١٩٣:٤ — ١٩٥ من خمس طرق إلى أبى ثعلبة ، وبألفاظ متقاربة أتمها قوله ١٩٤:٤ : « قلت يا نبى الله : إن أرضنا أرض أهل كتاب ، وإنهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف أصنع بآنيتهم وقدورهم ؟ قال : إن

لم تجدوا غيرها فارحضوها ، واطبخوا فيها واشربوا » .

ورواه الحاكم فى « المستدرك على الصحيحين » فى كتاب الطهارة ١٤٣:١ « قال : قلت يا رسول الله انا بأرض أرضنا أهل كتاب ، يشربون الخمور ، ويأكلون الخنازير ، فما ترى فى آنيتهم وقدورهم ؟ فقال دعوها ما وجدتم عنها بدا ، فاذا لم تجدوا عنها بدا فاغسلوها بالماء ، أو قال : انضحوها بالماء ، ثم قال : اطبخوا فيها وكلوا » .

ثم رواه الحاكم من طريقين آخرين الى أبى قلابة الراوى عن أبى ثعلبة بنحو هذا اللفظ ، وقال عقبهما : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، لم يخرجاه » . وأقره الحافظ الذهبى فى « تلخيص المستدرك » .

ففى أمره صلى الله عليه وسلم بغسل الأوانى التى تشرب فيها الخمر دليل على نجاسة الخمر ، لا سيما وقد منعهم من استعمالها ان وجدوا غيرها : « ان وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها » . وما أذن لهم باستعمالها الا بشرط غسلها وأن لا يجدوا غيرها : « فان لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » .

وقد استدل بهذا الحديث غير واحد من العلماء على نجاسة الخمر ، قال الخطابى فى « معالم السنن » ٢٥٧:٤ شارحا حديث أبى داود السابق ذكره : « والأصل فى هذا أنه اذا كان معلوما من حال المشركين أنهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيتهم الخمور ، فانه لا يجوز استعمالها الا بعد الغسل والتنظيف . وأما مياههم وثيابهم فانها على الطهارة كمياه المسلمين وثيابهم ، الا أن يكونوا من قوم لا يتحاشون النجاسات ، أو كان من عادتهم استعمال الأبوال فى طهورهم ، فان استعمال ثيابهم غير جائز ، الا أن يعلم أنه لم يصبها شىء من النجاسات ، والله أعلم » .

واستدل به على نجاسة الخمر ايضا الامام تقى الدين ابن دقيق العيد فى كتابه « الامام » ، كما نقله عنه الحافظ الزيلعى فى « نصب الراية » ٩٥:١ ، والامام ابن الهمام فى « فتح القدير » ٥١:١ .

وأورده الامام مجد الدين ابن تيمية مستدلا به على نجاستها فى « منتقى الأخبار » فى كتاب الطهارة فى (باب تعين الماء لازالة النجاسة) ٣٦:١ بشرح الشوكانى : « نيل الاوطار » . وقال الشوكانى فيه فى (باب طهارة الماء المتوضأ به) ١٩:١ فى سياق الرد على من قال بنجاسة عين الكافر مستدلا بحديث أبى ثعلبة : « والأمر بغسل الآنية فى حديث أبى ثعلبة ليس لتلوثها برطوباتهم ، بل لطبخهم الخنزير وشربهم الخمر فيها ، يدل على ذلك ما عند أحمد وأبى داود من حديث أبى ثعلبة أيضا بلفظ : ان أرضنا أرض أهل كتاب ، وانهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف نصنعُ بآنيتهم وقدورهم ؟ » .

وروى الحاكم فى « المستدرك » فى كتاب الأدب ٢٨٩:٤ــ٢٩٠ « عن سبيعة الأسلمية قالت : دخل على عائشة نسوة من أهل الشام ، فقالت عائشة : ممن أنتن ؟ فقلن : من أهل حمص ، فقالت : صواحب الحمامات ؟ فقلن : نعم . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمام حرام على نساء أمتى . فقالت امرأة منهن : فلى بنات أمشطهن بهذا الشراب ، قالت بأى الشراب ؟ فقالت : الخمر . فقالت

عائشة رضى الله عنها : أفكنت طيبة النفس أن تمتشطي بدم خنزير ؟ قالت : لا ، قالت : فانه مثله » . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » . انتهى . ووافقه الذهبى على صحته فى « تلخيص المستدرك » فقال : « صحيح » .

وجاء فى تاريخ الامام ابن جرير الطبرى : « تاريخ الأمم والملوك » ٢٠٤:٤ فى حوادث سنة ١٧ من الهجرة ما صورته : « كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : فما زال خالد — يعنى ابن الوليد — على قنسرين ، حتى غزا غزوته التى أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب لنفسه . كتب إلى السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى المجالد مثله . قالوا :

وبلغ عمر أن خالدا دخل الحمام فتدلك بعد النورة بثخين عصفر معجون بخمر ، فكتب اليه : بلغنى أنك تدلكت بخمر ، وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الاثم وباطنه . وقد حرم مس الخمر الا أن تغسل ، كما حرم شربها ، فلا تمسوها أجسادكم ، فانها نجس ، وان فعلتم فلا تعودوا . فكتب اليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر ، فكتب اليه عمر : انى أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء ، فلا أماتكم الله عليه ، فانتهى إلى ذلك » .

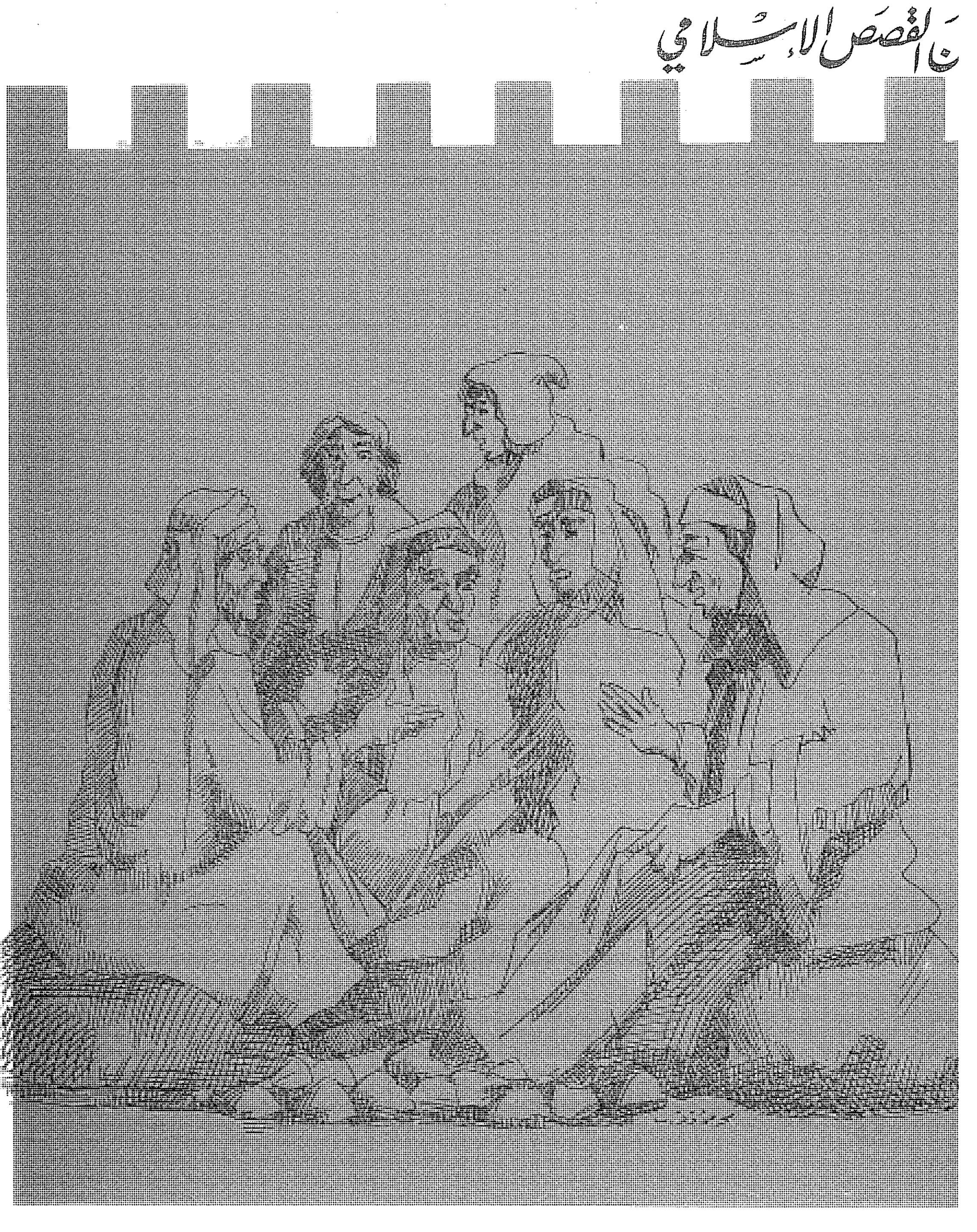
وفتوى الصحابى حجة فيما لم يرد فيه نص عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف اذا طابقت فتواه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت معززة لدلالته ومبينة لمعناه ومؤيدة لفهمه .

والفاروق وعائشة رضى الله عنهما من كبار فقهاء الصحابة الذين شاهدوا مواضع التنزيل ، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله وسيرته وأمره ونهيه : ما مكنهم أن يفهموا كلام الله وكلام رسول الله حق الفهم ، وقد صرحا بأن الخمر نجسة كدم الخنزير ، وظاهرها وباطنها حرام .

وصريح فتواهما هذه الى جانب الحديث الشريف الدال على نجاسة الخمر يكونان بيانا وتفسيرا لمدلول (الرجس) فى قوله تعالى : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وتكون النجاسة حقيقة فى الخمر ، ومجازا فيما ذكر معها من باب عموم المجاز ، كنجاسة المشركين المصرح بها فى قوله تعالى : (انما المشركون نجس) . لاشتراك جميع المذكورات فى آية الخمر فى خبث الأثر ، وإضاعة العقل وإهداره ، وتولية الشيطان وإضلاله ، والله أعلم .



من القصص الإسلامي





بقلم : حسين الطوخي

هاجت البغضاء في قلوب يهود المدينة واعتزجت بها رجفة سرت في أوصالهم حين علموا بنصرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ومن معه من المسلمين في وقعة « بدر » الكبرى على كفار قريش وطفقوا يتناقشون وقائع هذه الغزوة ويحدث بعضهم بعضا :

« ان محمدا لم يلق في رجال قريش من يحسن القتال ولو لقينا لاقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال احد . »

وتحري الرسول إفك ما يقولون ، ووضح له أن يهود بني قينقاع قد نقضوا العهد وانهم نزعموا حبالة التشكيك في قوة المسلمين على قهر أعداء دينهم الجديد .

يومئذ بادر النبي بجمعهم في سوق بني قينقاع ، وحرارة معركة بدر لم تبرد بعد ، وواجههم صلوات الله عليه بكل ما يملك من جسارة المحارب قائلا :

« يا معشر اليهود .. احذروا من الله عز وجل مثلما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم قد عرفتم انى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله اليكم . »

كان حديث النبي انذارا ووعيدا ليهود المدينة عامة ، وليهود بني قينقاع خاصة ، لكنهم صعروا خدهم وظلوا يمشون في الأرض مرحا ويشنون هجوم أحقادهم في محافلهم ونواديهم وفي أمسيات لياليهم يشككون الناس في بقاء هذا الدين ، ويشترون الشائعات بأن قريشا لن تسكت على هزيمتها وعن محمد وعمن انضوى تحت لوائه ، وانها ستلعق جراحها ثم تتجهز للقاء محمد لتقضي عليه وعلى دعوته قضاء لا قيامة له بعده ..

واستشاط النبي غضبا وغيرة على دينه ودعوته ، وان هي الا ليلة أو ضحاها لم ينزل عليه جبريل عليه السلام بالآية الكريمة :

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » .

ويحزم النبي أمره ويخرج مع أصحابه ومحاربيه من المسلمين ويحاصر يهود بني قينقاع خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ثم نزلوا على حكمه ، ويريد

قتلهم ، ثم يكلم فى شأنهم فلا يرضى بغير اجلائهم من المدينة ومصادرة ما يملكون من أموال ودور ومتاع ، فكان أن غادروا المدينة الى خيبر .

اهتزت الجزيرة العربية من أدناها الى أقصاها بعد أن حملت الرياح على أجنحتها نبأ طرد بنى قينقاع من المدينة ، وبات معشر اليهود فى كل مكان فى هم مقيم وبلاء عظيم .

ترى هل يستسلمون لهذا المصير الفاجع الذى يتهددهم ويتربص بهم كلما أوغل النبى فى غزواته ، وكلما عاد موكبه الظافر الى يثرب ؟

لقد زاد احساسهم بخطر محمد ودعوته ، ما أقدم عليه من طرده لبنى النضير بعد مصادرة أموالهم وسلاحهم وأغلب ما يملكون ، ليذهبوا الى الشام غير مأسوف عليهم لما بدا من غدرهم يوم أن عزموا على قتله بالقاء صخرة عليه من خلف جدار كان يجلس اليه ومعه نفر من الصحابة .

ثم تضاعف احساسهم بما يحيط بهم ويساقون اليه من تشريد قريب ، حين بلغهم قتل الرسول لبنى قريظة بعد وقعة الخندق — وقد كانوا مناصرين ومظاهرين لكفار قريش . يومئذ ناح اليهود على قتلاهم الستمائة الذين أمر الرسول بضرب أعناقهم وأقسموا من خلال دموعهم أن ينازلوا محمدا فى وقعة كبرى ولو فنوا عن آخرهم !

● ● ●

اجتمعت أحبار اليهود فى خيبر وتدارسوا موقفهم المؤلم بعد تلك الضربات القاصمة ، وأيقنوا فى قلوبهم أن الاستسلام لمحمد وجيوشه المحاربة ستزيد من قوته بقدر ما يسلبه من عزمهم على مناوأته والتصدى لدعوته التى تحمل فى طياتها القضاء على أمنهم وأحلامهم وما يملكون .

وتتوالى اجتماعاتهم كل ليلة فى خيبر ، تلك الواحة الكبيرة الظليلة ، وقد حفت بها الحدائق وزراعات النخيل ، وتوفر فيها ماء العيون والآبار ، كما توفر لها البعد عن المدينة شمالا قرابة مائة من الأميال ، كما اتخذ يهودها بيوتا محصنة بين تلافيف النخيل والزرع ، وبين تلال من الصخور المنيعة ، وفى بطون وديان تناثرت هنا وهناك لا تراها العين الا بامعان وتدقيق نظر .

ثم يطوف الأحبار ورؤساء القبائل على تلك البيوت المحصنة ، ويفرقون السلاح على أهلها ويمنونهم بيوم النصر القريب على محمد وعلى من معه من المسلمين والذين آمنوا بدينه الجديد .

وينعقد مجلسهم الكبير ذات ليلة تحت زعامة كبيرهم « **سلام بن مشكم** » الذى أعلن فيهم بأن هناك خطرا عظيما بات يتهدد الكيان اليهودى فى شبه الجزيرة العربية ، وأن واجب اليهود ازاء هذا الخطر ، ان يبادروا الى تأليف كتلة واحدة متماسكة تضم يهود « خيبر » ويهود « وادى القرى » ويهود « تيماء » ثم كل يهودى يرى فى نفسه قدرة وكفاءة يشارك بهما فى وقف هذا الخطر الداهم .

وكانت خطة « سلام » أن يزحفوا على « المدينة » بجموعهم وسلاحهم من غير اعتماد على القبائل العربية الذين ألفوا ان ينضموا اليهم من قبل فى مناوأة

النبى ، حتى ينفردوا بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، ثم ذهب وفد منهم الى « بنى غطفان » فتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمدا ومن ينضوى تحت لوائه .

وبلغ الرسول وهو فى المدينة ما انتوى عليه يهود خيبر ، وما اعتزموه من التحرك والخروج الى المدينة بجيشهم لمحاربته ، وأذن فقد بدل اليهود أسلوب تفكيرهم وخططهم ، وباتوا يناصبونه العداء جهرة بعد أن كانوا يتخفون ويتسترون بخبثهم ودناءاتهم المستورة .

وكذلك بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ان كفار قريش قد جمعوا عزمهم من جديد على محاربته والتجهز لملاقاته وكسر شوكته ، وانهم ينسقون خططهم مع يهود خيبر من وراء حصونهم ، وانهم يزودونهم بكل ما يقدرون من مئونة ورجال مدربين على القتال وحمل السلاح .

انها اذن معركة فاصلة والتحام مصيرى سيمتحن به الاسلام والمسلمون وآذان الدنيا يومئذ وعيونها تترقب ما ستاتى به الأيام المقبلة .

وقد عزم النبى ، بمشاورة صحابته ، أن يبادر بحرب اليهود فى عقر دارهم حربا لا هوادة فيها أو تراجع .

وفى يوم باهر من شهر المحرم للسنة السابعة للهجرة ، خرج محمد وأصحابه بجيش عرم رجاله أسود والخيل من أمام الجيش ترسل عيونها بريقا من لهب ، وأسنة الرماح تلمع فى وهج الشمس أو فى ضياء القمر البازغ نذيرا بالموت والفناء لأعداء الله وأعداء دينه القويم .

خرج النبى من المدينة قاصدا خيبر ليحبط ما تآمر عليه اليهود ومن يناصرونهم ، ولينصر دين الله خاتم الأديان الذى أنزله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهالة وعبث الكهانة الى نور الحق والخير ، وليرد للانسان كرامته ويخلصه من استعباد الانسان لأخيه الانسان .

وان هى الا مسيرة أربعة أيام ، وينزل الرسول بجيشه فى وادى « الرجيع » بين يهود خيبر وقبائل « غطفان » ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر بما تعاهدوا عليه .

فوجئت « غطفان » ذات صباح باكر بجيش النبى وما هو عليه من وفرة فى السلاح ، وغضب يبرق فى العيون ، وصدق عزم على قتال لا رحمة فيه ولا هوادة ، فأخذوا يولون الادبار نجاة بأعناقهم تاركين يهود خيبر الى مصيرهم الاسود المحتوم .

ساعتئذ بدأ الرسول بأموال خيبر يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصنا حصنا فكان أول ما افتتح حصن « ناعم » ثم حصن « القموص » ثم حصن « الصعب بن معاذ » وقد كان هذا الأخير أعظم حصون اليهود وأكثرها طعاما وأوفرها ذخيرة وسلاحا .

ولما افتتح الرسول من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الاموال والسبايا ما حاز ، انتهى ومعه المسلمون الى آخر حصونهم « الوطيح والسلالم » بعد أن حاصر من فيهما بضع عشرة ليلة .

يومئذ أيقن يهود خيبر بحلول الهزيمة بهم ، فبعثوا الى الرسول ان يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له كل ما يملكون من مال وزرع وسلاح ، فكانت خيبر برمتها فيئا للمسلمين .

ويقبل النبى صلوات الله وسلامه عليه عرضهم الذليل بعد ان حاقت بهم

الهزيمة التى لا قيامة لهم بعدها ، ويأذن عليه السلام لرجاله أن يخلدوا للراحة من عناء الحرب ومشقة القتال ، ويضرب الحصار على كل أطراف خيبر ، وتفرض عليها الحراسة المشددة ريثما يتجهز المسلمون للعودة الى المدينة تسبقهم أهازيج النصر على أعداء الله وأعداء دينه الحنيف .

وهناك خارج أطراف خيبر ، تتجمع الفلول المنهزمة من اليهود يلعقون جراحهم ، ويذرفون الدموع السخينة على ما أصابهم ، ويبدون الندم على ما تورطوا فيه ولكن هل ينفع الآن ندم ؟

وفى مزارع خيبر ، وتحت ظلال نخيلها الباسق ، يتجمع المسلمون المنتصرون يسمرون ويسترجعون ذكريات وقعاتهم مع اليهود فى المدينة ، ويتدارسون خطط النبى وصحابته كلما خرج للغزو والقتال فى سبيل الله ، وكيف ان الله ينصر من ينصره ويؤيد برحمته كل من يعبده بقلب سليم .

استرجع المحاربون خطط النبى وكيف كان عليه السلام حصيفا غاية الحصافة بعد أن دخل المدينة مهاجرا من مكة فرارا بدينه من كفار قريش ، حين وادع اليهود ، حتى يؤمن ظهره حين يخرج لمحاربة أعداء الله .

ذكروا فيما ذكروا ان الرسول لم يهادنهم عن ضعف ، ولم يوادعهم عن استسلام لسلطانهم أو نفوذهم ، وانما كانت دعوته تقتضيه الا يحارب فى اكثر من جبهة ، ولا يشغل جيشه المحارب بأكثر من عدو واحد .. فى وقت واحد ..

وذكروا فيما ذكروا كذلك ، أن الرسول لم يعلن عليهم الحرب فى المدينة الا بعد أن ضاق بهم بعد أن نقضوا العهود ، وتناسوا الوعود ، وانهم عادوا الى ما ألفوه من خسة فى الطبع ودناءة فى الضمائر التى انطوت جوانحها على كراهة البشر عامة والمسلمين خاصة .

وفى ليلة أخرى من ليالى خيبر ، يذكر المسلمون ان النبى الكريم لم يكن عاتبا على يهود المدينة ولا ظالما لهم حين أخرجهم من بلاد المسلمين ، ذلك لأنه عليه السلام أدرك أنه كلما أفسح لهم صدره ، ومد فى حبال حلمه ، كلما زادوا بغيا وافسادا ، وكلما وسع فى موادعتهم ، كلما أمعنوا فى شركهم ومناصرة أعداء الاسلام عليه وعلى المسلمين .

لقد صبر عليهم الرسول صبرا جميلا ثم أدرك بحسه الصادق فى نهاية المطاف ، أنه يعرض الدعوة الاسلامية ويعرض المسلمين معه الى خطر يستفحل أمره ، طالما بقى اليهود فى المدينة مع المسلمين الذين فروا بدينهم من افك قريش وجبروت الظالمين .

عند هذا الحد من الحديث ، ارتفعت أصوات مؤمنة رصينة تقول : لله در محمد ما كان أجمله وأحلمه ! لقد ظن السفهاء حلمه ضعفا وجبنا ، وحسبوا كرمه ونقاء قلبه استسلاما وخورا .

ويعود الحديث الشائق الى ما كان عليه ، ويذكر القوم المؤمنون والرسول على مقربة منهم فى خيمته مع خاصة صحابته ، أنه عليه السلام لم يكن مغامرا حين عزم على قهرهم واجلائهم من المدينة ، وانما كان يقدر لكل خطوة يخطوها توقيتها المناسب ، وكان يزن كل كلمة تخرج من بين شفتيه بميزان احدى كفتيه تحمل روح رجل محارب من طراز فريد ، وفى الكفة الأخرى عقل رجل سياسى ذى ذكاء شديد .

كذلك لم يكن الرسول الا رجلا مسئولا أمام هذا العالم الذى انفتحت آذانه وعيونه تترصد دعوته ، وترقب كل ما يصدر عنه من قول أو فعل .
لم يكن صلوات الله عليه يقول كلاما يضلل به المسلمين ثم لا يقدر على ترجمته الى فعل ايجابى ، انما كان يقول ويفعل ما أمر به الدين الذى أنزله الله لهداية العالمين.

كذلك لم يكن عليه السلام يستأثر برأى صدر عنه دون أن يعرضه على صحابته ، فان أقروه عليه أنفذه ، وان أجمعوا على غير رأيه ، نزل عنه وهو راض غاية الرضاء . كان صلوات الله عليه يستشير ويستشار عملا بما نزل به قرآن الله « وأمرهم شورى بينهم » .

ويذكر الرجال المحاربون فيما يذكرون فى هذا السمر الشائق ، ان الرسول صلوات الله عليه لم يكن يخرج للغزو الا بجيش كامل العدة من مئونة وسلاح ، ومعه رجال محاربون يحبون الموت حبهم للحياة ، لا يصرفهم عن القتال جمع مال أو تجارة أو تعلق بزخرف الدنيا وعرضها الزائل .

كذلك لم يكن صلوات الله عليه يخرج للقتال قبل أن يؤمن الجبهة الداخلية فى المدينة ، فاذا كان العام عام جدب وقحط ، عدل عن الخروج حتى تتيسر للناس أرزاقها وتنفرج أزماتها ، ويكون هناك فائض من أموال يشترى بها سلاح الحرب ومئونة المحاربين ، فالحرب من قبل ومن بعد ، حرب عقيدة ومصير ، وليست أمر هزل يعقبها شر مستطير .

وتبلغ النبى فى خيمته جل هذه الاحاديث الواعية وتتبسم ثناياه ، وينشرح صدره ، ويطمئن فؤاده على الاسلام وعلى دعوته ، ويدعو الله أن ينير للناس البصائر وان يهديهم الى صراط مستقيم .
وتتسمع فلول اليهود الى ما يدور ويتناقل على السنة المسلمين فى خيبر ، وتنشق قلوبهم غيظا وتكاد عروقهم أن تتمزق حسرة وكمدا .

ويعاودون التفكير فى مؤامرة جديدة لعلها تصيب من محمد مقتلا ..

كانت هناك امرأة تنوح ليلها ونهارها على مقتل زوجها وأبيها وعمها ، وتدور على بيوت اليهود خارج خيبر تلطم خدودها وتشق ثيابها وقد بللتها الدموع تطلب الى الفلول الباقية أن يفعلوا شيئا يخفف لوعتها وثكلها فكانوا يجيبون : وماذا نقدر عليه يا زينب وقد بات سلاحنا مغلولا وأموالنا وقد ذهبت الى المسلمين .. لم نعد نملك شيئا نقدر به على أمر .. الصبر يا بنت الحارث .. الصبر .

وتزأر زينب بنت الحارث فى وجوه الاحبار وتقول فى النهاية :
عندى حيلة أقتل بها محمدا فأعينونى على انفاذها .. ويجيب عليها أحبار اليهود :

وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ وتقول زينب : الى بشاة سمينة فانى أعلم أن محمدا يحب كتفها جيدة الشواء والنضج ، والى بسم زعاف مما تستخدمون فى قتل أعدائكم وسأقدم على فعلة لا يقدر عليها الرجال .. واحر قلباه .. وازوجاه ..

أقبلت زينب متلفعة برداء الليل بعد أن صلى القوم العشاء ، الى خيمة النبى تحمل على رأسها وعاء من فضة أرقدت فيه الشاة السمينة وقد تطايرت

منها رائحة الشواء تقتحم أنوف حراس الخيمة ، فحسبوها احدى نساء المحاربين أحبت أن تحيى النبى وصحبه ومن ثم أذنوا لها بالدخول .

قالت زينب وهى تصطنع الحياء وتضع الشاة بين يدى الرسول :

بأبى أنت وأمى يا أبا القاسم الا ان تقبل هذه الشاة المباركة التى أجدت انضاجها وشيها .. انها هدية أهديتها لك ولأصحابك .

ساعتئذ ، تبسم الرسول وهش فى وجهها بعد أن حسبها بدوره احدى المسلمات المصاحبات لأزواجهن ، وأخذ يتمتم بعبارات الشكر والرضاء ، وانصرفت زينب وهى تمنى النفس بالآمال الكبار ..

أذن النبى الكريم للصحابة أن يدنوا من الطعام وأن يبدأوه قبله تواضعا وتأدبا ، فتناول « بشر بن البراء » قطعة من لحم الشاة أخذ يلوكها فأحس منها بطعم غريب لكنه ازدردها فى النهاية ولم يبد منها امتعاضا حياء من رسول الله .

لكن الرسول سلام الله عليه حين قضم قطعة من ذراع الشاة وبدأ يلوكها أحس بذات الطعم الغريب والمذاق العجيب فكف عن الأكل ولفظ ما تناوله وهو يقول :

ارفعوا أيديكم فان كتف الشاة تخبرنى أنها مسمومة .

ساعتئذ قال بشر بن البراء :

والذى اكرمك لقد وجدت ذلك من أكلتى التى أكلت حين التقمتها فما منعنى أن ألفظها الا أنى كرهت أن أبغض اليك طعامك .

حزن الرسول غاية الحزن لما تيقن أن الشاة مسمومة ، وأن خبث اليهود وإفكهم لم يقف بهم عند حد .

وجاهد رسول الله وصحابته ان يعينوا « بشرا » على أن يلفظ ما دخل الى جوفه ، لكن ارادة الله كانت أسبق من ارادتهم ، وسرى السم فى بدن الصحابى الجليل حتى حال لونه وأتاه وجع الموت .

ودعا الرسول بصاحبة الشاة قبل أن تخرج الى أطراف خيبر ، وعلم أنها « زينب بنت الحارث » زوج سلام بن مشكم فسألها :

ما حملك على ما صنعت ؟

قالت زينت :

ــ انك نلت من قومى ما نلت ! قتلت أبى وعمى وزوجى فقلت فى نفسى : ان كان نبيا فستخبره الذراع وان كان ملكا استرحنا منه . وقد استبان لى أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك ، وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

ولم يسع الرسول الكريم الا أن يعفوا عنها وأن يغتفر لها فعلتها بعد الذى أصابها فى أبيها وزوجها وعمها .

وعاد النبى وصحابته وجيشه المنتصر الى المدينة يحملون «بشر بن البراء» وظل عاما يشكو وجع السم والمرض حتى وافاه الأجل شهيد حياته وفدائه للرسول ، ودفن مع الشهداء والابرار فى أكرم جوار .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها ..

التلقيح الصناعى

السؤال :

ما حكم الشرع الاسلامى فيما يسمى اليوم بالتلقيح الصناعي ، وهو ادخال نطفة رجل تؤخذ من مستودع خاص تحفظ فيه النطف يسمى (بنك النطف) الى رحم امراة بوساطة طبيب يقوم بهذه المهمة ، عندما لا يستطيع الزوج تلقيح زوجته بطريق الاتصال الجنسى الطبيعى وهو الجماع حيث قد اختلف علماء الشرع والطب فى جواز ذلك وقام بشأنه نزاع ؟

اورخان ارصوى مفتى خانفازى

احيل هذا السؤال على فضيلة الشيخ مصطفى احمد الزرقا فتفضل بالاجابة التالية :

ان فى حكم هذه المسالة شرعا تفصيلا بحسب الأحوال :

أ ــ فاذا أريد اخذ النطفة من الزوج نفسه وادخالها الى رحم زوجته لتسهيل عملية الحمل التى لا تحصل بالجماع الطبيعى بينهما لسبب من جهته هو أو من جهتها هى ، فهذا قد يمكن القول بجوازه شرعا اذا دعت اليه حاجة ، كما لو لم يكن للزوجين أولاد وهما حريصان على التناسل وانجاب ذرية لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما ، وأصبح متوقفا على هذه العملية .

والمحذور الوحيد الذى يلحظ شرعا فى هذه الحال هو لزوم انكشاف عورة المرأة لغير زوجها فاذا احتاج اليه الزوجان ورغبا فيه معا ، أو أراده الزوج فقد يمكن القول باغتفار هذا الانكشاف الضرورى الخاص رعاية لهذه المصلحة وان كنت أنا أفضل الأستغناء عنه ، فان رغبة انجاب الأولاد قد نشك فى أنها ترتقى الى نطاق الضرورات التى تبيح المحظورات كالحاجة الى التداوى للخلاص من مرض مؤذ لا يمكن التداوى منه ومعالجته الا بكشف العورة .

واذا قلنا بالجواز يجب أن يلحظ عندئذ أن الضرورة تقدر بقدرها ، وانه اذا أمكن أن تقوم بهذه العملية امرأة (طبيبة) أو متمرنة ، لا يجوز أن يقوم بها رجل (طبيب أو متمرن) لأن فقهاء الشريعة يقررون أن انكشاف الجنس على جنسه عند الضرورة أخف محذورا من انكشافه على الجنس الآخر ، ولذا لا يجوز أن يقوم بتطبيب المرأة أو توليدها رجل اذا كان هناك طبيبة أنثى أو قابلة عالمة تستطيع القيام بهذه المهمة .

ب ــ واما اذا كان الزوج عقيم الماء ، وأريد ممارسة عملية التلقيح الصناعي بأخذ نطفة رجل آخر من نطف تحفظ خصيصا لهذا الغرض بوسائل فنية في مستودع النطف (البنك) ووضعها في رحم الزوجة لتحمل ، فهذا حرام قطعي لا يجوز فعله بحال من الاحوال اصلا مهما كانت ظروف الزوجين لأن فيه تغييرا للانساب بما يترتب عليها من حرمات شرعية وحقوق وواجبات .

ومن يستبيح ذلك فخير له أن يعتبر نفسه غير مسلم .

حديث باطل

السؤال :

هل هذا الحديث صحيح « من احب وعف ومات فهو شهيد » ؟

اجاب على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد سليمان الاشقر :

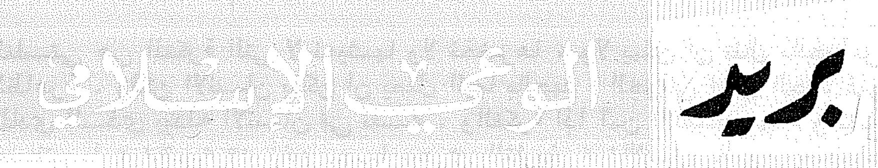
حديث « من عشق فعف وكتم فمات مات شهيدا » اشار السيوطى فى الجامع الصغير الى ضعفه ، واستنكره يحيى بن معين ناقد الاسانيد المعروف ، وروى في كتب الادب فى (مصارع العشاق) لأبى جعفر السراج بلفظ « من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا » ورواه الزبير بن بكار مرفوعا بسند قال فيه السخاوى انه صحيح ، وقال : قال العراقى فى هذا الحديث : سنده فيه نظر (المقاصد الحسنة للسخاوى) .

وقال ابن القيم (روضة المحبين ص ١٨١) : « هذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا ، لا يشبه كلامه ، وقد انكر حفاظ الاسلام هذا الحديث على (سويد) .

وقال البخارى : كان سويد قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه ، وادخله ابن الجوزى فى الاحاديث الموضوعة ، واما رواية الزبير بن بكار التى قال فيها السخاوى انها صحيحة ، فقد قال عنها ابن القيم : هى من رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف تنسبه اهل الحديث الى الكذب

والخلاصة ان هذا الحديث ليس له من جهة الرواية مكانة من الصحة تجعله حجة ، وانما هو مما تتناقله كتب الادب ، ولكن معناه مديح خاصة باللفظ الذى رواه به ابو جعفر السراج « من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدا » لان من ترك شهوته لله بعد تمام مقدرته عليها ، وعدم الحواجز بينه وبينها الا خوف الله والحياء منه ، فهذه منزلة مدح الله بها نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام . وفى الحديث الصحيح ان رجلا كانت له ابنة عم هى احب الناس اليه ، وكانت فقيرة الحال وعفيفة النفس ، وانه قدر على الوصول الى غرضه منها ، فلما قالت له (اتق الله) تركها لله وعف عنها ، واستجاب الله دعاءه عندما كان فى اضيق احواله .

وهذا طبعا ان لم يكن قادرا على الوصول الى غرضه بالزواج المشروع لمانع من فقره ، او امتناعها ، او امتناع اهلها . او لمانع شرعى او غير ذلك ، اما ان كان قادرا على الزواج وتركه ، واخذ يتلوى من الالم فحسبه ذلك .



حــول تحضير الارواح

تحت هذا العنوان نشرنا فى العدد الماضى اجابة للدكتور عثمان خليل على سؤال وجه اليه حــول تجربته فى الروحية .

وقد ورد لهذا الباب رسائل كثيرة من القراء تعليقا على ما نشر ، ونكتفى هنا بالرسالة التى وردت الينا من السيد عبد الفتاح عزت سالم من (ج٠ع٠م) ــ الزقازيق ، وقد طواها على ثلاثة آراء لعلماء متخصصين فى عــــلم النفس والفلسفة والتصوف .

اما راى علم النفس فيتحدث عنه الدكتور احمد فؤاد الاهوانى فيقول :

ان الروح شيء فى طى الغيب لا يدركها العقل ، ولا يمكن معرفة حقيقتها سواء من الناحية الفلسفية أو الناحيــة الدينيــة ، اللهــم الا اذا قلت المعانى الروحية ، أى المعقولات المجردة ، ولكن هل للروح وجود مستقل ؟ هــذه هى المسألة ، فنحن اذا قلنا روح الأمة ، فهل معنى هذا أن للأمة روحا ؟ واذا قلنا الفنان يخلق أعمالا فنية فيها روح ، أو يرسم لوحات زيتية ذات روح أو يؤلــف قطعا موســـيقية ذات روح ، واذا قلنا أن الشـــاعر ينظم قصيــدة تنبض بالروح ... فهل معنى ذلك أن لكل هــذه الأشياء أرواحا ؟ الواقع وحقيقــة الأمر أن معنى (روح) هنا تعبير مجازى ، هــذا من الناحية الفلسفية ، أما من الناحية الدينية فانها تخبرنا أن هناك أرواحا ، ولكنها عند هــذا الحــد تقف ولا ترغب فى المناقشـــة ، فالدين يعترف بالأرواح والجن وبأشياء من هــذا القبيل ، ولكنه يسلم بذلــك تسليما .

والقرآن الكريم بين فى آياته الحكيمة انه ليست هناك ضرورة للخوض فى مثل هــذه الموضوعات ، اذ قال الله تعالى فى كتابه العزيز « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » فلا سبيل الى الانسان لمعرفــة الأرواح ، وليس من مصلحته البحث فى ذلك ، وعلى ذلــك فانى أرى أن الخوض فى مسائــل الأرواح عبث لا طائل تحته ، اذ أن الحس يختص بالحس ، والأشياء الطبيعية .. أما ما دون ذلك فلا يجوز لــه أن يخوض فيه . وعلـــى ذلك فان تحضيــر الأرواح لون من الشعوذة التى تحمل وراءهـــا أشياء ليس من شــأن العــلم أن يخوض فيها .

واما راى الفلسفة فيتحدث عنه الدكتور عثمان امين فيقول :

ان تحضير الأرواح موضوع ظهر منذ أوائل هــذا القرن ، وقد قــام به جماعة بقصد التسلية حينا ، وللفت الأنظار حينا آخر ، وهو نوع من التهريج ، وليس معنى هذا أن الروح غير معروفـــة فى الفلسفة ، اذ أن الروح بمعناهــا

الفلسفي هى الفكرة التى لا نعيشها ولا نحضرها ، ولا يمكن أن تنال بالحواس الظاهرة . ولكن الانسان يمكن أن يصل اليها بالجهد (الجوانى) أى الجهد غير المادى الـذى يبذله الانسان فى نفسه . والفكرة اذا آمن الانسان بها ، واقتنع بصحتها ، فانه قد يغير بها مجرى التاريخ ، فالايمان بالروح يصنع التاريخ .

وأساس الفلسفة كلها الروح .. والايمان بالروح هو وجود قوة تحدد جانب الحياة ، ومحمد عبده كان من الأشخاص الذين آمنوا بالفلسفة الروحية ، كما أن فلسفة أفلاطون قائمة على الاعتقاد بالروح وخلودها فالجزء الروحانى باق ولو زال الجزء الجسمانى بعد موات الجسم وهلاكه ، والروح فكرة ، فاذا كانت حية فى قلوب أمة من الأمم فهى التى تبعث فيها الحياة .

هذا هو مدلول الروح فى الفلسفة وليس من العلم أو الفلسفة أن نعترف بتحضير الأرواح ، فهى مسألة أشبه بمسائل الحواة أو الألعاب البهلوانية ، ومن يقوم بتحضير هذه الأرواح يمكن أن يفتى فيها ، أما أنا فرغم أن المذهب الجوانى يؤمن بالروح فأرى أنها مسألة لا أستطيع أن أفتى فيها فى ضوء العلم الحديث .

ويكشف عن رأى الصوفية الدكتور أبو الوفا التفتازانى فيقول :

اننى كمتصوف لا أؤمن بتحضير الأرواح ، ولو أننى من الصوفيين الذين يؤمنون بعالم روحى ، ولكن عالمهم الذى يؤمنون به يختلف كل الاختلاف عن ذلك ، فالصوفييون يؤمنون بأن الروح فى البرزخ أو فى الحياة البرزخية مصداقا لقوله تعالى « **ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون** » ومعنى ذلك استحالة انتقال الأرواح من عالم البرزخ الى عالمنا هذا على أى وجه ، أما مسألة تحضير الأرواح فقد تكون عن طريق قوى خفية مثل الجن ، أو تكون لونا من الأوهام ، فالذى يحضر الروح يكون تحت تأثير وهم يؤثر فيه من الناحية السيكولوجية ، والصوفييون حاولوا محاولات مختلفة للاتصال بالعالم الروحانى ، أو العالم العلوى أو الأفلاك العلوية .

وكانوا يعتقدون أن علوما لهذا الفرض تعرف عندهم بعلوم الأسماء والحروف ، أى أنهم يعتقدون أن كل حرف من حروف الأبجدية له خاصة معينة ، فالأفلاك لها تأثير على عقول الافراد ، ومن هنا ظهر علم حساب النجم وحساب الطالع ، والبعض يؤمن بأن الحروف التى فى أوائل السور لها خواص روحية معينة ، ومن هؤلاء ابن سينا فى الرسالة النيروزية اذ اعتقد أن هناك أسرارا خاصة للحروف الموجودة فى أول السور ، وحاول أن يستخرج المعالم الباطنة ، وهذا العلم معروف فى الغرب بعلم الأسرار الباطنة

ولكن تحضير الارواح على الوجه الـذى نسمع به ، لم يعرف عند فلاسفة المسلمين .. علمائهم وصوفيتهم رغم أن الصوفيين يعتقدون أن الروح اذا تخلصت من عوائق البدن بالرياضة والمجاهدة ، استطاعت أن تصل الى معرفة الله . وينسب اليها بعض الصوفيين القدرة على اتيان الخوارق ، وهى المعروفة عندهم بالكرامات ، وهى خوارق للمادة ، تظهر على يد الولى أو الصوفى المتعبد فى مقابل المعجزة التى هى خارقة للعادة وتظهر على يد النبى !

بأقلام القراء

العربية لغة عالمية

كتب الأستاذ محمد بلى الفوتى المشرف على الشئون الاسلامية فى جمهورية التوجو تحت هذا العنوان يقول :

يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء ــ والافارقة خاصة ــ تعلم العربية وتبنيها لغة ثانية فى المدارس العمومية والخصوصية معا :

(١) ان اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منبتا ، وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة ، وأبلغها عبارة ، وأغزرها مادة ، وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس ، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وسعة صدرها للتعريب ، وهى لغة شاعرية حساسة ذات منطق وفصاحة وبلاغة وآداب .

فليس هناك معنى من المعانى ، ولا كلمة من الكلمات ، ولا فكرة من الافكار ولا عاطفة من العواطف ، ولا نظرية من النظريات ، تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا واضحا .

(٢) لقد استطاعت اللغة العربية أن تقهر اليونانية فى الشرق ، واللغات الشعبية التى كانت منتشرة فى المغرب العربى ، وغلبت كذلك اللغة القبطية فى مصر . كما وجدت مكانتها مرموقة بين اللغات العالمية .

(٣) انها هى الصلة الوثيقة بين حضارات الماضى ، وحضارات اليوم ، وبذلك أدت خدمة جليلة للانسانية جمعاء .

(٤) ان الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة العربية ، مثل الجبر والاكسير ، والكحول ، وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية ، كالقطن والياسمين والزعفران .

(٥) وهى من اللغات الرئيسية فى العالم التى أصبحت لغة حية قوية الأمم وشعوب مختلفة متباينة فى أجناسها وفى أصل نشأتها وطبيعتها .

(٦) لقد اندثرت أخوتها السامية من أرامية ، وكلدانية وكنعانية ، وسريانية وعبرانية قديمة ، وأشورية وغيرها حين بقيت هى على رغم ما مر بها من عصور الركود ، وما زالت تحيا حياة طيبة ، وتتعمق وتتسع فى جميع الآفاق وستظل كذلك ــ ان شاء الله تعالى ــ الى قيام الساعة .

(٧) وهى معتبرة حاليا لغة هامة وعظيمة تدرس فى جميع جامعات العالم .
(٨) معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية فى برامجها اليومية .
(٩) الثقافة العربية تجعل الانسان ممثلا ممتازا لدى الدول العربية والاسلامية معا .

وبالنسبة الى الافريقيين :

(١٠) ان العربية لغة افريقية واسيوية معا .

(١١) وهى اكثر اللغات انتشارا فى افريقيا ، وينطق بها خمسا سكان افريقيا .

(١٢) تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية لها معا . وهى ـــ الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية الليبية ، والجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية الاسلامية الموريتانية والجمهورية السودانية .

وهذه الدول تغطى مساحة ٨٥٩٠٥٤٠ كيلومتر مربع ويسكنها اكثر من تسعين مليون نسمة .

(١٣) ان اللغة العربية هى الرباط الوحيد الذى يشد افريقيا بآسيا والتى تعتبر اكبر قارة فى العالم ولذا فهى جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التى توحد افريقيا بآسيا .

(١٤) تستعمل ثلاث لغات فقط فى مؤتمرات (منظمة الوحدة الافريقية) وهى اللغة العربية اللغة الافريقية الوحيدة ، والانكليزية ، والفرنسية ، وهما لغتان استعماريتان .

(١٥) ان اللغة العربية جديرة بمنح الاحساس بالشخصية القومية فى البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الاوروبية التى هى من بقايا الامبريالية الاستعمارية .

(١٦) يرجع كل الفضل لمعرفتنا تاريخ افريقيا الى العربية .

وبالنسبة الى المسلمين :

(١٧) ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ولسان النبى العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما .

(١٨) ان المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم كله ، وثلثى مجموع سكان القارة الافريقية واكثرهم يستعملون العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .

(١٩) واخيرا ، ان العربية هى اللغة الوحيدة التى يستعملها المسلمون فى صلواتهم ومناجاتهم وفى دعواتهم وابتهالاتهم ، ولهذا تعتبر اللغة الاسلامية الوحيدة .

التلمود دستور الصهيونيـــة

وكتب الأستاذ محمد العبد المصرى بمنظمـــة فلسطين العربية تحت هـــذا العنوان يقول :

ولم يكتف اليهود بما أدخلوه على التوراة من تحريـــف طمس الكثير مـــن حقائقها بل قاموا بوضع كتاب آخر عظموه أكثر من تعظيمهم لتـــوراة موسى ، وجعلوه أكثر قدسية لأنه وضع حسبما شاءوا وجاء ليرضى عقد نفوسهم وأحقادهم ذلك الكتاب هو « التلمود » الذى يعتبر بحق دستور الصهيونية الأول ، وموقد جذوتها ، ورغم ما لهذا الكتاب من عظيم التأثير على الفكر الصهيونى فما زالت كبريات جامعاتنا ومعاهدنا خلوا منه ، وما زال كبار مثقفينا لا يعرفون عنه الا شذرات يقرءونها فى ثنايا الكتب ، وقد زعم اليهود أنه أنزل على موسى شريعتان احداهما الشريعة المكتوبة التى تحتويها الاسفار الخمســـة ، وأخرى شفـــوية يتلقاها الخلف عن السلف ، وأن تلك الشريعة الشفوية أعظم قدرا من الشريعة المكتوبة ، وكان أحبار اليهود يستظهرون تلك الشريعة ويحفظونها عن ظهر قلب ، ويضيفون اليها فى كل عصر شروحا ومتونا جديدة ، ولما كثرت شروح الأحبـــار وتفاسيرهم أصبحت مهمة استظهارها مهمة شاقة لذلك حاول الاحبار «هالل ومائير وعقيبا» تصنيف هذه الاحكام ، ولـــكن عملهم لم يلق استحســـانا من جمهرة اليهود .

وفى سنة ١٨٩م قام الحبر يهودا هنسيا ـــ الذى كان يقيم فى قرية صبوره على بحيرة طبرية والتى آلت اليها الزعامة الدينية ليهود فلسطين بعد خـــراب الهيكل ـــ قام بترتيب وتدوين الشريعة الشفوية كاملة ، وزاد عليها اضافات من عنده ، فكانت هى (مشنا الحبر يهودا) التى انتشرت بين اليهود حتى أصبحت الصورة المعتمدة للشريعة الشفوية ، ثم قام أحبار الأمورائم (الشراح) بشرح هذه المشنا والتعليق عليها ، وتحليل نصوصها وتفسيرها بصورة مفصلة ، ولكن كان تفسير يهود فلسطين لهذه الاحكام يختلف عن تفسير يهود بابل الذين كانت لهم جامعتهم الدينية فى مدينة سورا ، وما أن قارب القرن الرابع على الانتهـــاء حتى نسق أحبار فلسطين تفاسيرهم وصاغوها بالصورة المعروفة « بالجمـــارا الفلسطينية » وباضافتها الى (المشنا) نشأ التلمود الأورشليمى ، وبعد ذلـــك بحوالى مائة عام نسق أحبار بابل تفاسيرهم حتى أصبحت (الجمارا البابليـــة) أطول من المشنا باحدى عشرة مرة وقد كتبت المشنا أصلا بالعبرية ، بينما كتبت الجمارا بالآرامية ، وهناك تلمودان الأورشليمى الـــذى يضم المشنا والجمـــارا الفلسطينية ، والتلمود البابلى الذى يضم المشنا والجمارا البابلية وهو أطول من التلمود الأورشليمى ويتكون من ٢٦ مجلدا بينما يقتصر الأورشـــليمى على ٢٢ مجلدا .

وما كاد يتم التلمود حتى أصدر الأمبراطور جستنيـــان سنة ٥٥٣م قرارا بتحريمه لما يحتوى من حقد على البشرية واستهانة بالقيم الانسانية الا أن اليهود ازدادوا تمسكا بالتلمود وتعاليمه مما جعل له أكبر الأثر فى تشكيل النفســـية اليهودية ، ونظرة اليهود الى الآخرين .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة هــدى الاسلام الاردنية تحت هــذا العنوان تقول :

ان أعظم ثروة تملكها أمة من الأمم هي ثروتها الفكريـة ، لأن هذه الثروة هي التي تنمي طاقة الامة على الحركة ، وقدرتها عـلى النهوض والابداع ، وتعين لها أهدافهـا وترسم غاياتهـا وتضيء لها سبيلها في مسيرتها نحو تلـك الأهـداف والغايات ، كما تمنحهـا القدرة عـلى حل المشكلات العارضة وازالة المعضلات التي تقف في وجهها .

وفكر أمتنا الأصيل في ماضيها وحاضرهـا هو الاسلام ، الاسلام ليس غير بعقيدته وفلسفته ومنهجه وثقافته يعرف ذلـك كل من لـه المام بقضايا الفـكر ، وكل فكر غيره وصل الينا انمـا هو فكر دخيـل طارىء لا يلبث أن يقف تياره اذا ما تنبهت الشعوب الاسلامية الى قيمـة الثروة الفكرية التي تمتلكهـا .

وقد ابتليت الشعوب الاسلامية بتحديات عقائدية ، وضغوط فكريـة وغزوات ثقافية متلاحقة أوجدت في حياتهـا حيرة ، وفي صفها ارتباكا ، ولولا اصالة الفكر الاسلامي وخصائصه الفريدة لاندثر بفعـل تلـك الضغوط الجارفة . وما زالت هــذه التحديات والضغوط تتوالى وتشتد يوما بعــد يوم وساعة بعد ساعة ولم ينقطع تيارها الجارف منـذ أمـد بعيد .

وقد أخذ الذين أتوابها هم وتلاميذهم يروضون هــذا الجيل عـلى تقبل الأفكـار والفلسفـة والأخـلاق الغربية كحضارة حديثة لا مفر من العيش في كنفها أو الركوع أمام هيكلها .

ونتج عن هــذه التحديات والضغـوط مظاهر أخلاقية في حيـاة المسلمين لا تتناسب والأخلاقية الاسلامية ، فأصيب هــذا الجيـل بآفات عارضة أشبه بأمراض الجلد يعقبها هبوط في الجسم كله .

ولم تكن هــذه التحديات وليدة المصادفة ، ولا نتيجـة ما يسمونه بالتطور التاريخي الحتمي بل جاءت وليدة أبحـاث مستفيضة ودراسات عميقة ، واحصاءات دقيقة وتقديـرات ومخططات بعيدة المدى .

والمتعمق في دراسة هــذه التحديات والضغوط يجدها ترمي الى ثلاثة أمور :

الأول : زعزعــة العقيدة الاسلامية في نفوس هــذا الجيـل ، باعتبارها مرتكز الوجود الاسلامي كله .

الثاني : تحطيم كل قيمة حية تجدد في المسلمين الوعي واليقظـة والحركـة .

الثالث : سلب الخيرات واستغلال منابع الثروات الضخمة الدفينة في بلاد المسلمين .

فليس أمام المسلمين من مفر فى أن يقفوا صفا واحدا متراصا من هذه الضغوط ، موقف المناهضة المستنيرة الحازمة ، ولا مفر من أن يتقدموا بأفكار ومفاهيم يظهر فيها الاسلام قوة دافعة فى الحياة العامة .

فى مرضاة الله

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول :

لا يسأم المؤمن الذى توفرت له يقظة القلب واشراقة النفس من العمل الدائب ابتغاء مرضاة الله تعالى داعيا — على الرغب والرهب — من يجيب المضطر اذا دعاه ، أن يكتب له القبول ، وأن يجعله فى عداد من تثقل موازينهم يوم القيامة ، وذلك هو الفوز الكبير .

وانطلاقا من هذه النقطة يبصر المؤمن كل واحدة مما يلاقيه من مصاعب أو متاعب فى قضايا أمته ولها وجهان : **أما احدهما** — فهو ما تفرضه مواجهة تلك القضية من جهد جاهد ودأب مخلص ، ليعد لها العدة ويواجهها بما تحتاج اليه . **والثانى** — انها واحدة من موائد الحق سبحانه ، يقبل عليها من يقبل ، ليكون له من انجاز ما يفرضه الاسلام بشأنها ، بريد خير ، وطريق سعادة ينالها من أحبهم الله وأحبوه ورضى الله عنهم ورضوا عنه .

وفى هذا لن يكون ثقل التبعات وصعوبة اقتحام العقبات ، باعثا على الهروب من الساحة أو القاء الحبل على الغارب ، خصوصا فيما يخمره العقل الباطن ويخرج على فلتات اللسان ، أو يظهر على التصرفات وكأنه قضية مدروسة اتخذ لها بعد البحث والتمحيص قرار . بل على العكس . ان شعاره دائما (وسارعوا الى مغفرة ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

والحق أن هذه اللمسة الايمانية التى تحرك المسلم من الأعماق ، هى التى تجعله اكثر حركية وقدرة على التأثير ، بما يسبق خطوته من الاخلاص والتقوى ، وهى التى تطبع عمله بطابع الاستمرار ، والصبر على كل المعوقات عند ارادة التغيير والانتصار على عوامل اليأس واستبطاء النتائج وثمرات العمل .

والمؤمن — فى ذلك كله — يرافقه على المدى وضوح فى الرؤية ، ووعى للواقع الذى تظله أحداثه ، وادراك لطبيعة الارض التى يتحرك عليها فى مواجهة أعداء أمته هنا وهناك ، وقدرة على تقويم كل صغيرة وكبيرة مما تلده الليالى ويطلع الفجر به على دنيا الناس كل صباح .

لذا تراه — وعناية الله معه — لا يتخلف عن واجب ، ولا يضيق ذرعا بالمسؤولية ، ولا يتبرم بالتكليف ولا يطيش أمام تلك الصور المعادية التى تفجؤه بألوانها وأشكالها طولا وعرضا وعمقا وانحرافا قد لا يخطر لك ببال .

الكويت :

● بأمر صاحب السمو أمير البلاد المعظم سيبنى على نفقته الخاصة مساكن لأسر شهداء الجيش الذين استشهدوا فى معارك القناة .

● عكفت الدوائر المسئولة على دراسة البيان السياسى الخطير الذى القاه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● صدر بيان رسمى عقب زيارة وزير خارجية ايران للبلاد أكدت فيه الكويت وايران أهمية استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين فى وطنه .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة بالاشتراك مع بعض الوزارات تقوم بتوعية المواطنين بمناسبة ذكرى حريق المسجد الأقصى التى توافق ٢١ أغسطس الحالى .

● صرح معالى وزير الارشاد والانباء بالنيابة بأن الكويت تستنكر التصريحات الامريكية التى تظهر العداء للعرب .

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكتاب الرابع من سلسلة احياء التراث الاسلامى وهو كتاب « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لمؤلفه الحافظ ابن حجر العسقلانى تحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الهندى .

● قررت رئاسة هيئة أركان القوات المسلحة تزويد ادارة التوجيه المعنوى بجماعة من الوعاظ .

● تضمن تقرير اللجنة المشكلة لتعزيز التربية الدينية فتح تخصص للشريعة الاسلامية فى كلية الآداب وكلية البنات .

القاهرة :

● قام الرئيس عبد الناصر على رأس وفد مصرى بزيارة الاتحاد السوفياتى وقد أجرى هناك مباحثات حول النزاع العربى الاسرائيلى كللت بالنجاح التام .

● تحطمت أسطورة الفانتوم على ضفاف القناة ، وصرح مصدر مسئول بأن جهاز الدفاع الجوى المصرى جعل مهمة الطيران الصهيونى صعبة .

● قام وفد يمثل الأزهر برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة للبلاد الاسلامية فى آسيا للدعوة لتحرير الارض المقدسة .

● عين الدكتور محمد بيصار أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية خلفا للدكتور عبد الحليم محمود الذى عين وكيلا للأزهر .

● تلقت جامعة الأزهر ٢٠ منحة دراسية من المانيا الديموقراطية .

السعودية :

● عاد جلالة الملك فيصل الى البلاد بعد أن قام بجولة شملت عددا من الدول الاسلامية .

● صدر بيان تركى سعودى عقب زيارة وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية لتركيا أكد سياسة البلدين الموحدة تجاه النزاع العربى الاسرائيلى .

بغـــداد :

● أصدرت الحكومة أمرا بحظر النشاط البهائى الهدام فيها .
● تقرر تشكيل فوجين من قوات (البيش مركه) الكردية للعمل كحراس للحدود العراقية .

عمـــان :

● تم توقيع اتفاقية سلام بين الحكومة وبين المنظمات الفدائية تكفل سيادة النظام فى البلاد وحرية العمل الفدائى .
● تصاعد العمل الفدائى فى بيسان ومستعمرات الحدود وتصاعدت معه خسائر العدو .
● تفيد الانباء الواردة من المناطق المحتلة ان آلاف الاسرائيليين غادروا اسرائيل عائدين الى بلادهم بعد تزايد العمليات الحربية .

دمشـــق :

● كان للمواقف البطولية التى قام بها الجيش السورى فى معاركه الاخيرة مع اسرائيل أثر بارز فى رفع الروح المعنوية والثقة بفعالية الجبهة الشرقية .

بـيروت :

● يلاحظ المراقبون تحركات مشبوهة للعدو على الحدود الجنوبية وتبذل الجهود الحربية لمواجهة الموقف .

الخرطوم :

● وصف وزير الدفاع السودانى المقترحات الامريكية الأخيرة لتسوية النزاع بين العرب واسرائيل بأنها الغاء لقرار مجلس الأمن ومحاولة لتفكيك الامة العربية .

الجزائـــر :

● صدر بيان مشترك عقب زيارة جلالة العاهل السعودى للبلاد اكد الجانبان فيه أن الكفاح المسلح الطريق الوحيد لاسترداد الاراضى العربية المغتصبة .

الربـــاط :

● يقوم جلالة العاهل المغربى بدور كبير فى اقناع الولايات المتحدة بانتهاج سياسة موالية للعرب بدلا من السياسة المعادية .

ليبيـــا :

● حيا العقيد القذافى دولة الكويت التى تعطى للمعركة كل ما لديها من امكانيات .

باكستان :

● يتوقع المراقبون أن توصى باكستان على عدد من طائرات ميراج ــ ٥ ــ الحربية التى تبلغ سرعتها ضعفى سرعة الصوت .

نيويورك :

● عقد اتحاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة مؤتمره السنوى التاسع عشر ومن المشروعات التى تبناها الاتحاد انشاء صندوق لتحرير الارض المقدسة .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة ــ سوق الليل ــ ص ب (٢٢)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة ــ باب الريع ــ ص ب (٢٢)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر :

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

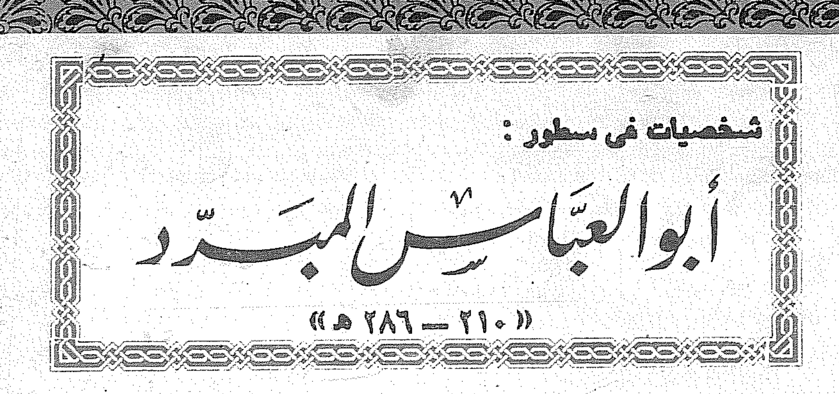
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



* هو ابو العباس محمد بن يزيد الأزدى اليمانى زعيم نحاة البصرة فى زمنه العالم الحجة ..

* من شيوخه المازنى والجرمى وابو حاتم السجستانى وابو محلم الشيبانى ثم عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ..

* كان مولعا بالجدل والمناظرة ، وحفظت لنا كتب النحو والسير ما وقع بينه وبين ثعلب صاحب المجالس وغيره من المفكرين والنحاة والأدباء

* قال عنه ابن كثير فى البداية والنهاية « كان ثقة ثبتا فيما ينقله » ، وقال عنه صاحب تاريخ بغداد « كان عالما فاضلا موثوقا به فى الرواية » .

* من تلاميذه الزجاج . وعلى بن سليمان الاخفش ، وابو بكر بن السراج وابن كيسان .

* من مؤلفاته :
  - ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .
    وهى رسالة صدرها بقوله : « هذه حروف الفناها من كتاب الله عز وجل مختلفة المعانى متقاربة فى القول مختلفة الخبر »
  - الكامل وهو اشهر كتبه على الاطلاق وهو كتاب فى الأدب والنحو والبلاغة وقد علق عليه الشيخ سيد بن على المرصفى فى كتاب سماه « رغبة الآمل من كتاب الكامل » ، فاستكمل الأبيات قصائد وشرح وبسط ..
  - شرح لأمية العرب للشنفرى ..
  - المقتضب وهو كتاب فى النحو والصرف وفيه هاجم بعض روايات القراء وكثرت فيه الشواهد القرآنية حتى اربت على خمسمائة شاهد .

* وحرف الراء فى المبرد تنطق بالفتح وتنطق بالكسر ، قالوا انه سمى بذلك لأنه المبرد (بالكسر) اى المثبت للحق ، او لأنه المبرد (بالفتح) أى حسن الوجه رحمه الله واجزل ثوابه) .

« العوضى الوكيل »



السنة السادسة ــ العدد ٦٧ ــ رجب ١٣٩٠ هـ ــ ١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ م

عدد خاص

ومعه ملحق

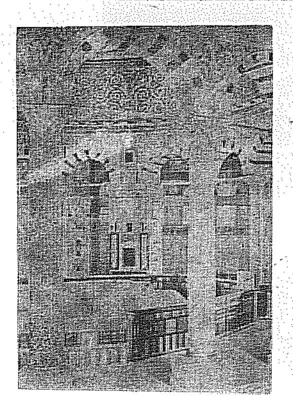
هدية

قصة

غزو فلسطين



القدس — صلاة الجمعة فى الحرم الشريف



الصخرة المشرفة من الداخل يحيط بها سور خشبى دقيق الصنع ويظهر فى الصورة منظر فريد لجانب من المسجد غاية فى الروعة والاتقان ، يتجلى فيه الفن العربى بعقوده الجميلة وزخارفه الدقيقة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد السابع والستون

رجب ١٣٩٠ هـ

١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

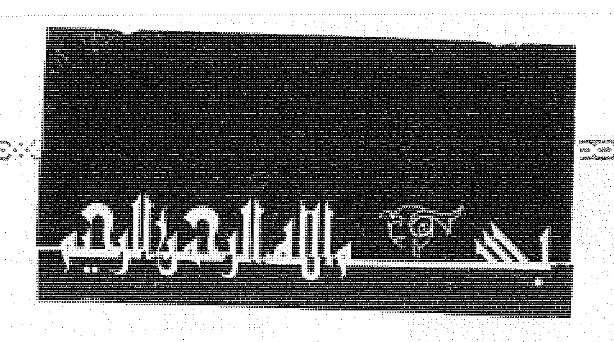
فى الخارج ٢ ديناران

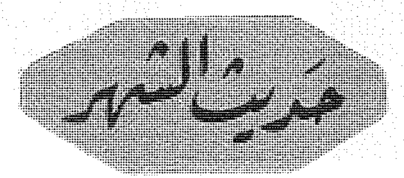
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت





ضيف السماء

نعيش مع هـذا الحديث لحظات نغتنمها من دنيانا لنقضيها فى عـالم النور . عالم الملأ الأعلى . بعيدا عن جو الحياة الصاخب ، وأديم الأرض المخضب بالدماء ... لحظات نقضيها فى طـريق مأنوسة بحملـة الوحى الالهى الذين وصلوا الأرض بالسماء ، وارتفعوا بالبشـرية من حيوانيتهـا الضالة المسـعورة الـى انسانيتها الخيرة الرفيعـة .

نعيش فى هذا الحديث مع ضيف السماء .. صاحب الـرحلة الأولى والأخيرة من نوعها فى تاريخ الوجود كله من أزله الى أبده .. مع ((محمد)) وحسبه من الألقاب والنعوت وشارات الكمال والجلال أنـه رسـول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وهـذه الرحلـة القدسية بـدأت بالاسراء من المسجد الحرام بمكة ، وانتهت بالعروج الى مستوى لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل مـع استراحة قصيرة فى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، واستغرقت لحظـات اتسعت عمقا لما لم تتسع لـه الأيام والشهور ، وقصرت أفقيا فلم تتجاوز بحساب الفلك لحظـات بين العشاء الآخرة وبين الفجر .. قالت أم هانىء بنت أبى طالب : ان رسول الله نام عندى تلك الليلة وفى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس ، فصليت فيه ، ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين .

وتخليدا لهذه الرحلة وتمجيدا لها سميت باسمها سـورة فى الكتاب الوحيد المقطوع بصدقه ، المرتل آناء الليل وأطراف النهار ، وفاتحة سورة الاسراء هذه تدل دلالة صـريحة لا

تحتمل الجدل والتأويل على تحققها فى الحس ووقوعها فى اليقظة ، وتقطع الطريق على الجاحدين والمنكرين : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

والآيات الأولى من سورة النجم تشير الى المرحلة السماوية من هذه الرحلة : (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

وصاحب الرحلة وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقص نبأها على مسامع الدنيا كلها فيقول فيما رواه أنس بن مالك :

أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين فأتانى جبريل باناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى بن مريم فرحبا بى ودعوا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لناواذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير قال تعالى فى سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كليوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ، ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على وعلى أمتى خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال : ارجع الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت الى ربى وقلت له يا ربى خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت : حط عنى خمسا قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال : فلم أزل أرجع بين ربى

تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال : ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت : قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه . ثم رجع عليه السلام من ليلته .

وقد تلقى المؤمنون أنباء هذه الرحلة بالايمان والتصديق ، بل بالفرح والأمل فى انفراج الشدائد التى أحاطت بهم ، ولم يتسرب الى قلوبهم أدنى شك فيما سمعوا عن الآيات الكبرى التى شاهدها رسول الله فى مسيرته ، بل زادتهم ايمانا الى ايمانهم ، وكانت بلسما للجراح النفسية والجسدية التى أصابتهم من عنت الكفار واضطهادهم .

وتتجلى قوة هذا الايمان وصلابته فى كلمة الصديق أبى بكر التى قذف بها فى وجه رءوس الكفر حين ذهبوا اليه فى مظاهرة صاخبة يغرونه بتكذيب رسول الله ظنا منهم أنهم قد وقعوا على فرصة مواتية للنيل منه وتجريحه وزعزعة الثقة والايمان به ...

ذهب الكفار الى أبى بكر ليطلعوه على هذا النبأ المثير ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك . يزعم أنه قد جاء الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع الى مكة ؟ فقال لهم أبو بكر : أنتم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك .. فوالله انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء فى ساعة من ليل أو نهار ، فأصدقه .. انه أمين السماء . لا يكذب أبدا !!

ويبدو أن هذه الرحلة المباركة الفريدة على ما فيها من عجائب وغرائب لم تستطع الحروف والكلمات إلا مجرد تقريبها للعقول والأذهان ، وعجزت تمام العجز عن تصوير كنهها وحقيقتها لأنها وقعت فى عالم مغيب عنا بعيد عن ادراكنا وتصورنا المحدود ..

مع هذا كله فقد كانت نفسية صاحب الرحلة صلوات الله وسلامه عليه أعلى من أن تشغله صورها ومشاهدها عن الله الذى لم يغب عن قلبه طرفة عين لا فى يقظة ولا منام ، لا قبل الرحلة ولا بعدها .

لقد كان الرقى الى السماء مطلبا من المطالب التى تحدى بها الكفار رسول الله ، فقالوا له : أوترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وكان الرسول يعلم أن دوافع العناد والتحدى ، وليست الرغبة فى الايمان والاقتناع هى التى دفعتهم الى هذه المطالب ، وكان رده عليهم : (سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) ..

مع هذا لقد رقى الرسول الى السماء ، وكان مقتضى الطبيعة البشرية يلح عليه أن يردد أنباء هذه المعجزة الخارقة على مسامع المناوئين لدعوته فى أكثر من مناسبة إلا أننا لا نكاد نعثر فى سيرة صاحب الرسالة على أى أثر له يتحدث عن هذه الرحلة بعد انتهائها وفوات وقتها ، وما أكثر الأحداث التى كانت تستدعى فى منطقنا وتصورنا الحديث عنها

والافاضة فيما رأى فيها وشاهد ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على مقام النبوة الذى يعلو فوق الزعامات والقيادات ، وأن أمرها ليس كما قال أبو سفيان عندما رأى الكتيبة الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء . قلت هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ، فقال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .. ليس أمر الرسالة الالهية أمر ملك كما تصور أبو سفيان عندئذ ولكنه فوق هذا بكثير انه كما قال العباس لـه : (ويحك انهـا النبـوة) .

وفى مجريات الأحداث التى وقعت فى تلك الليلة شيء يسترعى الانتباه ويجب التوقف عنده والتأمل فيه .. لقد التقى النبى بالأنبياء والمرسلين فى هذه الرحلة وفى مقدمتهم أولو العزم صلوات الله وسلامه عليهم ، وتحدث اليهم وتحدثوا اليه إلا أن شيئا فى ثنايا حديث موسى معه جدير بالنظر .

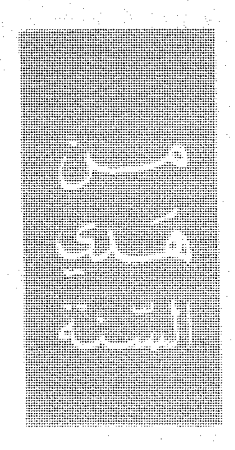
لقد كان الأنبياء جميعا أشد الناس بلاء ، ولاقـى المرسلون جميعا من أقوامهم الأمرين : فنوح لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين ، وما آمن إلا قليل . وابراهيم أوقد له خصوم دعوته النيران التى تخطفت ألسنتها الطير فى جوف السماء ، وعيسى واجـه المؤامرات على قتلـه وسفك دمه ، وموسى لم يكن بدعا من الرسل ، ولم يكن طريق عودتـه وحـده مليئا بالأشواك ولكن ظاهرة غريبة تظهر فى حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقد كان هو الرسول الوحيد الذى شكا من قومه ، ومع أن هذه الشكاة جرت عرضا أثناء الحديث إلا أنهـا تفضح طبيعة قومـه بنى أسرائيل الذين اتسموا بشدة تمردهم على الله ، ولم تجد وسائل الاقناع ولا وضوح البراهـين الـى أنفسهم وقلوبهم طـريقا .. حـروف قليلة تنطوى على تاريخ طويل ، كلمـات معـدودة تقطر ألما مما حدث منهم . سلسلة طويلة من التجـارب المريرة التى خاضها موسى معهم بقيت عالقة فى ذهنه عميقـة فى نفسه جرت على لسانه فى هذا المقام العجيب قال موسى لمحمد عليهما الصلاة والسلام : لقد جربت الناس قبلك ، وعالجـت بنى أسرائيل أشد المعالجـة ، وقد وعت نفس الرسـول هـذه المعانى واستقرت فى أعماقه قبل أن يصطدم باليهود فى المـدينة وكان منهم من الخيانات والمؤامرات ما لم يجد لـه الرسول علاجا إلا بالسيف .

ان رسل اللـه جميعـا أخوة ، والديانات كلها تنبع من أصل واحد والكتب السـماوية يصـدق بعضها بعضا ، ولكن الأهواء والشهوات هى التى فرقت الناس أشياعا وأحزابا وصدق الله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) .

وفى ذكرى الاسراء والمعراج يذكر المسـلمون أولـى القبلتـين وثالث الحـرمين ، ويتطلعـون الى الأرض المباركة سائلين الله عز وجل أن يهبهم قوة من عنده يفكون فيها اسار حرمهم ويطهرون أرضهم وما ذلك على الله بعزيز .

رضوان النبلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد



هذا بصائر من ربكم

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

فى حديثين مضيا جرى القول موضحا ما رنت اليه الفطرة الانسانية منذ أن برأها قيوم السموات والأرض ، تنشد الهدوء الروحى ، وتطلب معرفة القوة الدافعة لهذا الكون فى سيره على اتساق يحار فى تعليلها عقل مبدع (بفتح الدال) ، فطورا يقارب الحقيقة وحينا يبعد عن مدارها ، تحدوه عاجلة يريدها ، يضحى بكل القيم الفاضلة فى سبيلها فيصاب بالصمم والبكم والعمى فلا يهتدى ، ومن أقل النادر من أهمل أو حاول أن لا يكترث بروابط المادة البحتة ، فانحل عقاله ، وتراءى له المورد على أضواء متباعدة لا يستطاع عنونتها خافتة ولا تسميتها ساطعة ، ولا يدرى أمن ملاحة الفكر العالى (فى جملته) وتوفيقه أم من قباحة اتجاهاته ودلائل خذلانه النظر بعين الحقد والبغضاء الى مصدر القيادة الواعية المثالية فى كل أطوارها الشديدة الحدب ، البالغة الرحمة بالبشرية ، بل بكل باغم وصامت ، المتمثلة فى رسالات السماء ، المنتهية فى فضلها ، الواصلة قمة الخير فى الحنيفية السمحة التى أوحيت الى سيدى رسول الله (محمد) صلى الله عليه وسلم .

وشب جيل ، وتعاقب نظراؤه ، على التعلق بأذيال بادى القوة المادية الغاشمة ، وما دروا ، أنهم لو سلكوا الطريق لوصلوا ، فما فى قاموس ذوى الهمم القعساء محال أبدا ، وأنه لمن أشد أنواع التسفل والتدنى أن يقلد المرء دائما ولا يحاول أن يبدع ، وهل يستوى مالك الشىء يشتريه ، ومنشئه العالم بكل تفاصيل أجزائه ومهامها ؟! كلا ! فالمبتاع لا يزال عبدا للثانى يفزع اليه كلما توقف ما ملك عن القيام بما يراد منه ، فيرتبط به ارتباط الظل بالأصل والضوء بمصدره ، والحركة بمولدها . .

ونلتقى اليوم بمن بحثوا عن خالق هذا الكون واهتدوا الى معرفته بآثار قدرته البادية فى كل خطوة من خطوات دراستهم العلمية بعيدا عن المؤثرات العقائدية الخاصة ،

وأيقنوا أن « فى كـل شىء آية تدل على أنه الواحد » .

العلمـاء المعـاصرون والايمان بالله تعـالى :

يقصد ــ هنا ــ بالعلماء ، طائفة من المتخصصين فى سـائر فروع العلوم من الكيميـاء الى الفيزياء الى الأحيـاء الى الفلك الى الرياضيات الى الطب الى غير ذلك(١) .. وقبل أن نشير الى آرائهـم ، نورد فذلكة يسيرة عن الدواعى لإلحاد الملحدين ، وتنكبهم الطـريق السـوى ، وخاصة فيمـا يتعـلق بالأديـان فى العصر الحديث .

منذ منتصف القـرن الثامن عشر على وجه التقريب برز فى الوجود من يجاهر بانكار وجود إله خالق للكون ، وتزعم هذا الاتجاه من دعوهم علماء وفلاسفة ، ولا نريد أن نحجـر على العقول فلا تفكر ، ولا أن ندعو الى إعدام زعماء الفكر المخـالفة للأديان والداعية الى نبذ كـل دين ، ولكنا نرى أن هؤلاء نشـأوا وعاشوا فى ظروف خاصـة تأثروا بها حدت بهم الى الثورة العنيفـة ، وكان من أهم أسبابها الظلم الاجتمـاعى المنصب على بعض الطبقـات الشـعبية فى الأوطان التى وجدوا فيها ، وما رأوا من الحيف والإجحـاف يحيـق بفئة خاصـة وتقوم به السـلطة الزمنية متعاونة معها السـلطة الدينية التى تجاهل رؤساؤها أبسط قواعد الدين المسيحى ــ دين تلك الشـعوب ــ الداعى الى الرحمـة والتسـامح والأخذ بناصر المحتاجين ، واتخـذت السلطتان الزمنية والدينيـة وضعا متحدا ضاغطة بثقلها على الكادحين الفقراء ، تمتص دماءهم ، ولا تسمح لهم حتى بفتـات الموائد ، واستنام القيـاصرة والكهنـة للترف والبذخ والإسراف ، ويشـهد مـا خلفتـه العصـور الوسـطى فى أوروبا من قصور ودور بصدق ما كان من الظلم كما كان (٢) . لهـذا انصب غضب الثوريين على السـلطة الزمنيـة والدينية معـا ، ودعوا الى فصلهما فصلا كاملا ، وذاعت القولة المأثورة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) .

وكان لا بـد ولا مناص ولا مهرب لمريدى الاصلاح من فعل ما فعلوه فى سبيل إزالة عوائق المسـاواة بين الجميع فى الحقـوق والواجبـات ، فهوت تحت أقدامهم السلطتان معا ، فأما السلطة الزمنية فقد أقصيت عن المسرح وحل محلها نظام جديد ، وأما السلطة الدينية فقد لاذت بجـدران المعابد وأغلقت عليها أبوابها .

وحين يعالج الموضوع هنا لا يهتم بالاشارة الى نظـام خاص قائم أو اندثر ، وانمـا يعنى البحث بذكـر الحقـائق التى سـيطرت وكان من نتائجها ما وصـل إلينا نحن بخيره وشره ، لنصل الى وجه الصـواب المطلوب . وهنا نتساءل : هل الدين المسيحى من حيث هو دين سماوى دعا فى أصوله وقواعـده الى ظلم وحيف وإجحاف ؟! والجواب : كلا ثم كـلا ، بل الأمر بالعكس ، إنه تبنى التسامح فى أسمى صوره ، فمهما تفاوتت الأقدار فالكل عبـاد الله ، والأفضل منهم دائما هو الساعى فى خير الجميع ، والأكثر امتثالا لاوامر الله ، هذا هو أصل الدين المسيحى بل كل الأديان السماوية التى اتفقت كلمتها جمعاء على التوحيد (لا إله الا الله) فلا معبود بحق سواه ، ومعنى هذا التحرر التام من كل قيد يجر الى الخضوع لغير اللـه سبحانه ، إذن فلمـاذا اتهم الدين وحـورب تلك الحـرب الشـعواء ؟ لأن الناس لا

يفكرون فى المسطور بالأوراق ، ولا الى المحكى بالألسنة وإنما يعنون ، ويهتمون بالأسلوب المطبق واقعيا ، الملزم للعمل بين الناس .

وقد نسى الذين كانوا على رأس الكنيسة حينذاك أو تناسوا الجانب الإلهى الحقيقى ، وركنوا الى السلطة الزمنية يتملقونها ليصلوا الى بعض ما تملك من متاع الدنيا ، فصارت لدور العبادة اقطاعيات ، ولرؤسائها مظاهر الأباطرة ، وكان هذا سببا فى ثورة بعض عقلاء رجال الدين على الآخرين الذين حاربوا كل تقدم فكرى ليبقوا على أوضاعهم الخاصة ، ومن هنا نشأت الثورة على الدين عامة وصدر حكم بعض المفكرين باعدامه ، والعمل على إقصائه نهائيا عن الوجود الشعبى ، ولكن النظرة الواعية الى هذا الحكم توضح توتر أعصاب هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قضاة ، وشدة غضبهم الذى أعماهم عن البحث فى الأصول التى جاء بها الدين ، وهذا برهان النزعة الجنونية السطحية التى انتقلت بالشعب من ظلم مادية الاقطاع والكنيسة الى مادية المذاهب الاقتصادية المتعنتة ، فلم تحقق للناس رفاهية ولا أمنا ، لأنها فقدت صمام الأمن الذى لا بد منه لضبط النفس الانسانية ، وتربية الضمير الفاضل لديها ، وكل ما حدث هو انتقال من سلطة حاولت كتم أنفاس الناس واستغلالهم الى مشابه لها لا يقل عنتا وجورا عنها ، فكلا النظامين لا يرحم مخالفه فى الرأى ولا يعطيه الفرصة للدفاع عن نفسه .

والاتزان والفكر الصحيح لا يلغى وجود الانسان مهما كان وضعه الاجتماعى ، ولا يغفل الجانب الروحى لأنه لا يستقيم الضمير الانسانى الا اذا ارتبط بقوة خالقه يعتقد فيها القدرة على مراقبته ومحاسبته **ولا يعزب عنها شىء من** أحواله مهما حاول اخفاءها ، وحينئذ يخشاها ويراقبها ويعمل على ارضائها بعيدا عن الانحرافات ، ولا نشك فى أن الإلحاد وجد فى كل عصر ومصر ، وذر قرنه فى حقب التاريخ المتعاقبة ، غير أنه فى عصرنا أخذ أسماء علمية أو فلسفية ولكنه علم وفلسفة أخطأهما الصواب .

(وقد كان هناك الحاد وملحدون دائما لم يخل منهم عصر ، ومعظم الحادهم نتيجة للهوى أو الجهل أو الى مزاج شخصى غير متزن انحرف بصاحبه عن الحكم السليم ، وبعض الملحدين يتعمد لأمر أو لآخر محاربة الايمان بوجود الله ... أما فى العصور الحديثة فان الالحاد يرجع بالاضافة الى ما تقدم — الى مذاهب فلسفية زائغة فى تفسير الكون يتقبلها العاجزون عن الاستقلال فى التفكير أو الذين يبغون من وراء اتباعها تحقيق أغراض شخصية) . (٣)

وسأشير هنا الى ما برهن به علماء معاصرون اختلفت تخصصاتهم العلمية ، ولما كان مجال البحث لا يتسع لسرد كل آرائهم والتعليق عليها فسأقتطف بعض ما فى مقدمة كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) مما كتبه الدكتور المترجم(٤) مبينا كيف وصل هؤلاء العلماء الى أحكامهم بوجود الله قال : (لقد بين أولئك العلماء لنا كيف تدلهم قوانين الدنيا الحرارية على أنه لا بد أن يكون لهذا الكون من بداية ، فاذا كان للكون بداية ، فلا بد من مبدىء من صفاته العقل والارادة واللانهائية ، نعم ان هذا الخالق لا بد أن يكون من طبيعة تخالف طبيعة المادة التى تتكون من ذرات تتألف بدورها من شحنات أو

طاقات لا يمكن بحكم العلم أن تكون أبدية أو أزلية . وعلى ذلك فلا بد أن يكون هذا الخالق غير مادى وغير كثيف ، لا بد أن يكون لطيفا ، متناهيا فى اللطف ، خبيرا لا نهاية لخبرته ، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) ، واذا كنا نريد أن نصل اليه ، فسبيلنا الى ذلك لا يكون بحواسنا التى لا تستطيع أن ترى الا الماديات الكثيفة ، واذا كنا نريد أن نلمس وجوده فان ذلك لا يمكن أن يكون داخل المعامل أو فى أنابيب الاختبار ، أو باستخدام المناظر المكبرة أو المقربة ، وانما باستخدام العنصر غير المادى كالعقل والبصيرة ، وعلى من يريد أن يدرك آيات ذاته العلية أن يرفع عينيه عن الرغام ويستخدم عقله فى غير تعنت أو تعصب ، ويتفكر فى خلق السموات والأرض (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) .

ان فروع العلم كافة تثبت أن هناك نظاما معجزا يسود هذا الكون أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التى لا تتغير ولا تتبدل والتى يعمل العلماء جاهدين على كشفها والاحاطة بها ، وقد بلغت كشوفنا من الدقة قدرا يمكننا من التنبؤ بالكسوف والخسوف وغيرهما من الظواهر قبل وقوعها بمئات السنين .

فمن الذى سن هذه القوانين وأودعها كل ذرة من ذرات الوجود ، بل فى كل ما هو دون الذرة عند نشأتها الاولى ؟ ومن الذى خلق كل ذلك **النظام والتوافق والانسجام** ، من الذى صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير ؟ هل خلق كل ذلك من غير خالق ، أم هم **الخالقون ؟ ان النظام** والقانون وذلك الابداع الذى نلمسه فى الكون **حيثما اتجهت أبصارنا يدل** على أنه القدير وعلى أنه العليم الخبير من وراء كل شىء .

ويرد العلماء على أولئك الذين يدعون أن الكون نشأ هكذا عن طريق المصادفة ، ويشيرون الى استخدام الرياضة وقوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر . فاذا كان لدينا صندوق كبير ملىء بآلاف عديدة من الأحرف الأبجدية ، فان احتمال وقوع حرف الالف بجوار الميم لتكوين كلمة (أم) قد يكون كبيرا ، أما احتمال تنظيم هذه الحروف لكى تكون قصيدة مطولة من الشعر أو خطابا من ابن الى أبيه فانه يكون ضئيلا ان لم يكن مستحيلا ، ولقد حسب العلماء احتمال وقوع الذرات التى يتكون منها جزء واحد من الأحماض الأمينية (وهى المادة الأولية التى تدخل فى بناء البروتينات واللحوم) فوجدوا ذلك يحتاج الى بلايين عديدة من السنين والى مادة لا يتسع لها الكون المترامى الأطراف . هذا لتركيب جزء واحد على ضآلته فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعا من نبات وحيوان ، وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى ، وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السموات والأرض ، انه يستحيل عقلا أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبطة العشواء . لا بد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير أحاط بكل شىء علما وقدر كل شىء ثم هدى .

ثم تجىء بعد ذلك الترجمة الكاملة لآراء العلماء المتخصصين شاهد صدق واقعى على وجود اله مبدع للكون .

وكتاب آخر تحدث عن الايمان ، وأوضح مؤلفه كيف يكون انتشار العلم وسيلة الوصول الى الله وما أصدق

القرآن حين ينادى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وحين يؤمن العلماء ومن ورائهم الناس جميعا يتخلصون من سلطان المادة البحتة القاتل الذى تحكمه شهوات وتنفذه سلطات وتؤيده نوازع مختلفة لا ضابط لها ولا ميزان ، ونورد هنا ما علق به أحد الذين قدموا الكتاب فى ترجمته العربية قال : وجاء العلم ، وجاء العلماء بألف ألف دليل على وحدة الأرض ، وما عليها ووحدة السماء ، ومن هذه الوحدة(٥) درج الناس والعلماء الى وحدة رب هذه الأرض وهذه السماء ومع هذا بقيت فى العلماء بقية تتول بالخلق والتخلق طبعا وتنكر وجود الله ، ومن هذه البقية العالم الانجليزى جوليان هكسلى فكتب فى ذلك كتابا أسماه (الانسان يقوم وحده) وهو فى ذلك يسير على درب سار عليه جده من قديم فجده توماس هكسلى (١٨٢٥ — ١٨٩٥) صاحب دارون وناصره فى القرن الماضى . وظهر هذا الكتاب لهذا العالم فانبرى له عالم آخر . فكتب كتابه (ان الانسان لا يقوم وحده) أراد بذلك أن يقول أنه يقوم فى هذه الدنيا ومعه (الله)(٦) والكتاب يعدد فى ايجاز جميل هذا الاتساق الذى يجمع بين الخلائق جميعا وبين الحى والحى ، وبين الحى والجامد ، وعبر حدود الأرض واتجه الى السماء ، يربط ما بينها وبين الحياة على هذه الأرض وهو يدلل من صفات هذا الشيء وهذا الشيء على أن صانعهما لا بد واحد فهما كالمفتاح وقفله اتساقا لا يمكن أن يكون ابتدعهما ودبرهما الا عقل مدبر واحد)(٧) .

وكل ما ورد من كلام العلماء فى هذين الكتابين وأمثالهما له أصل فى آيات القرآن الكريم ، فقد كان سر الوصول الى تلك النتائج الايمانية هو اطلاق العقل من عقاله وحمله حملا على البحث والدرس والتنقيب

وأحيل طلاب الحقيقة على ما كتب هؤلاء العلماء ، ودراسة القرآن دراسة فاقهة واعية ليصلوا بأنفسهم الى الايمان ، وحين يصلون لن يزعزع ايمانهم نعيق غربان الغرب وآفاته ولا خرافات الشرق وترهاته فالحياة بلا ايمان تصبح جحيما لا يطاق ، وما نشهده على مسرح الدنيا الآن فى قاراتها المختلفة من الحروب والفتن مصدره ، القلق والحيرة والبعد عن الايمان الصحيح ، والاسلام يقرر فى صراحة ووضوح : أن ايمان المقلد لا يقبل بحال ما دام الانسان قادرا على متابعة الأدلة الكونية الناطقة بوجود الله ووحدته لأن العقائد الموروثة تتهاوى تحت أول صدمة فكرية غريبة ، وأما العقائد المكتسبة بالبحث والدرس فلا يزعزعها شيء ،

---

(١) ص ٢ « الله يتجلى فى عصر العلم » .

(٢) كما تشهد أهرام مصر بمقدار جبروت الفراعنة ، وفى العصر الحديث كم استغل فلاحو مصر فى السخرة وحفر قنال السويس والترع المنبثة فى الوادى الخصيب !! ونظراؤهم فى بلاد أخرى كثيرون .

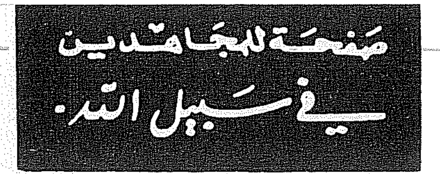
(٣) الاستاذ الدكتور (أبو ريدة) الايمان بالله فى عصر العلم « مجلة عالم الفكر ج ١ ص ١٧٥ » .

(٤) د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ص ٢ — ٤ .

(٥) وحدة المخلوقات غير وحدة الوجود التى نفاها علماء الاسلام وبرهنوا على بطلانها

(٦) ترجم هذا الكتاب تحت عنوان « العلم يدعو الى الايمان » (٧) .

(٧) ص ٣٦ من الكتاب المذكور .



وامعتصماه ..

وقف رجل على المعتصم فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء سيرة ، قد لطمها علج فى وجهها ، فنادت : وامعتصماه ! فقال العلج : وما يقدر عليه المعتصم ! يجىء على أبلق وينصرك ! وزاد ضربها .

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فقال له الرجل وأشار الى جهتها : ها هى ذى ، فرد المعتصم وجهه اليها .

وقال : لبيك أيتها الجارية ، لبيك ، هذا المعتصم بالله أجابك ، ثم تجهز اليها فى اثنى عشر ألف فرس أبلق ، وحاصرها .

ولما طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له : انا نرى أنك ما تفتحها الا فى زمان نضج العنب والتين ، فشق عليه ذلك واغتم ، وخرج ليلة مع بعض حشمه متجسسا فى المعسكر يسمع ما يقول الناس ، فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل ، وبين يديه غلام اقرع قبيح الصورة ،وهو يضرب على السندان ويقول : فى رأس المعتصم ! فقال له معلمه : أتركنا من هذا مالك وللمعتصم ؟ فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوما على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها ! لو أعطانى الأمر ما بات غدا الا فيها .

فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلا به ، وانصرف الى خبائه فلما أصبح جاءوا به ، فقال ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك ؟ فقال الرجل .

الذى بلغك حق ، ولو وليتنى الحرب فانى أرجو أن يفتح الله عليك . فقال : قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب ، ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ، ولم يثبت قول المنجمين .

ثم دعا بالرجل الذى بلغه حديث الجارية ، فقال له : سر بى الى الموضع الذى رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك المعتصم ؟ ثم ملكها العلج الذى لطمها ، والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله .



تمهيــــــد :

هناك بعض المفاهيم ، أو بعض الحقائق يجب توضيحها قبل الحديث عن الدولة والدين فى الوقت الحاضر ، وقبل الحكم بصحة أو بخطأ جعل الدين من مقومات الدولة فى قرننا العشرين ، قرن التقــدم العلمى والتيكنولوجى والتطور نحو الانسانية أو العالمية .

■ الحقيقة الاولى : الدين والدولة فى الصراع السياسى والاستقلال بالحكم فى المجتمع :

لو أن الكنيسة فى روما لم تأخذ لنفسها دور الدولة وسلطة الحكومة — منذ أن انتقلت المسيحية الى اوروبا — لما وجد فى تاريخ المجتمع الأوربى نزاع على السلطة بين ما يسمى « دينا » وما يسمى « دولة » ، ولما عرفت فلسفة ما بعد الثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر تبريرا للفصل بيــن الجانبين فى توجيه الحكم فى المجتمع .

... ولو أن الكنيسة الرومانية توفرت فقط على العناية بالمسيحية فى تطبيق سلوكها الاخلاقى ، دون ان تتطلع لأن تكون هيئة سياسية لما برز الاتجاه « العلمانى » فى فصل الدولة عن الدين فى نظام الحكم فى المجتمع الغربى . فالاتجاه العلمانى اذ يرى عدم تدخل « الدين » فى الدولة فانه يعنى بالدين الكنيسة كهيئة صاحبة سلطة . ولكنه لا يعنى اطلاقا انكار القيم الدينية المسيحية أو عدم الأخذ بهــا وعدم احتضانها .

ان الجمهورية الفرنسية المعاصرة — وهى الخامسة فى سلسلة جمهوريات ما بعد الثــورة

الدين والدولة في الصراع السياسي .
الحكومة الالهية ـ قضية العلم والدين .
إسرائيل المعاصرة ـ اليهودية والدولة المعاصرة .
رسالة موسى ـ الإسلام دين الله والدولة .

للدكتور : محمد البهي

الفرنسية ــ ما زالت ترى نفسها حامية الكثيليكية فى العالم ، بينما التاج البريطانى بدوره يعلن حمايته للبروتستينية (١) فى كل مكان .

وان الروح المسيحية فى الحكومات العلمانية فى المجتمعات الاوروبية والامريكية تسود فى قوانينها ــ وبالاخص فى قوانين الأسرة ــ كما تسود فى مواقفها التى تتخذها فى الداخل أو فى الخارج . ودولة السويد ــ وهى أكثر الدول الاوروبية تحررا من التقاليد المسيحية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ــ فان عطفها على « بيافرا » الكاثوليكية ــ فى مواجهة الكثرة المسلمة فى نيجيريا ــ فى الحرب الأهلية الاخيرة تجاوز العرف الدولى ، وهى أكثر الدول حفاظا عليه .

ولا شبهة اطلاقا فى أن المقصود بالفصل بين الدين والدولة فى اتجاه العلمانية هو الفصل بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة .

□ ■ □

■ الحقيقة الثانية : معنى الحكومة الالهية ، وهى فى واقع الأمر حكومة الكنيسة الكاثوليكيــة :

فهذه الكنيسة ترى : أنها تحكم على الارض ، نيابة عن الله ، وهى بذلك مجسمة لله الأب ، والابن ، والروح القدس ، فلها عصمة فى القول ، وطاعة على المؤمنين بها . وانها وحدها لها الحق فى تفسير الكتاب المقدس . والبابا ــ وهو رئيس الحكومة الالهيــة ــ تنتقل اليه هذه المبادىء الثلاثــة :

١ ــ عصمــة القول .
٢ ــ وحق الطاعة على المؤمنين بالكثلكة .
٣ ــ وحق تفسير الكتاب المقدس .

وفى شخص البابا يرتفع مستوى الانسان العادى الى مستوى القداسة ، بعد ان تجسدت فيه الكنيسة ، وهى بدورها تجسد المعبود فى ثلاثيته : الأب ، والابن ، والروح القدس .

واذا كان الذى يتصور الخلاف فى الاتجاه العلمانى بين الدين والدولة أنه خلاف بين مبادىء المسيحية فى ذاتها والدولة فى المجتمع الاوروبى فى توجيه شئونها .. يخطىء فى العلاقة بينها ، فكذلك يخطىء هذا الذى يتصور الحكومة الاسلامية على عهد الرسول عليه السلام — أو على عهد الخلفاء الراشدين بعده — على أنها : ((حكومة الهية)) أى حكومة معصومة عن الخطأ ، أو حكومة مقدسة ، وأن الامام بدوره يمكن نيابة عن الله فى الأرض ، وأن له وحده حق تفسير القرآن الكريم .

فمبدأ ((الاجتهاد)) فى الاسلام :

١ — يحول دون العصمة فى الراى والقول فى شرح مبادىء الاسلام ، ويحفظ على الانسان المسلم مستواه الانسانى فى الخطأ والصواب .

٢ — ويعطى فى الوقت نفسه للفقه الاسلامى صلاحية ملاحقة الاحداث والتطورات فى حياة المجتمع الانسانى .

وأى فرد مسلم ، وأية حكومة اسلامية تطبق كتاب الله فانها لا تخروج عن دائرة ((الاجتهاد)) فى التطبيق ، أى تدور بين الخطأ والصواب فيه . ولذا لا توجد حكومة ((الهية)) فى الاسلام ، كما لا يوجد دين ودولة فيه . أى لا توجد سلطتان : احداهما سلطة الدين وهى الهيئة المشرفة عليه ، وثانيتهما سلطة الدولة وهى الهيئة أو الهيئات السياسية .

والحكومة الاسلامية اذن هى حكومة انسانية تستند الى كتاب الله فى التطبيق .

والاسلام تقنين لسلوك الفرد وسياسة الأمة معا ، ولا يعرف الازدواج فى السلطة ، كما لا يعرف الفرق بين دين ودولة .

واللبس فى هاتين الحقيقتين فى مجتمعاتنا الاسلامية جاء نتيجة ((للتقليد)) والنقل عن تفكير الغرب ، دون أن تكون هناك أصالة لفهم المبادىء الاسلامية عند المقلدين والناقلين .

وهكذا : مبادىء المسيحية ركن أساسى فى نظام الحكم العلمانى القائم على الفصل بين السلطتين : الدينية والزمنية : فى تشريعه ، وفى سلوكه وفى مواقفه . وربما لا نجد فى المجتمع العلمانى المعاصر — وهو خلاف المجتمع الالحادى المادى — سلطة زمنية تتنكر للمبادىء المسيحية ، رغم انها قد تكون فى نزاع مع سلطة الكنيسة .

واذا لم ينص فى دستور النظام العلمانى على اعتبار المسيحية دينا فلأن هذا النظام يريد أن يأخذ — على الأقل فى الظاهر — بمبدأ ((المساواة)) و ((عدم التفرقة)) بسبب الدين فى رعاية الافراد وتطبيق القوانين التى تصدرها .

□ ■ □

■ الحقيقة الثالثة: اتجاه قلة من المظهرين والسياسيين الى ابعاد المسيحية عن حياة المجتمع العلمانى فى الغرب . وهذه القلة اذ تتجه هذا الاتجاه تتاثر :

أما بطريقة العلم التجربى المادى .

أو بالخصومة الحادة للكنيسة .

فالذين يتاثرون بالطريقة التجربية وحدها فى مفهوم العلم يرفضون اعتبار ((ما وراء الطبيعة)) علما . أى يرفضون المعرفة التى لا تستخلص من ((الشاهد)) ، والتى تعود فقط الى ((المغيب)) والدين هو من الله الذى لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

ومن هؤلاء المفكرين :

DAVID HUM الفيلسوف الانجليزى فى القرن الثامن عشر (١٧١١ — ١٧٧٦) الذى يرى أن الحقائق الدينية لا يمكن أن نعرفها على الاطلاق ، وانما نعتقدها فقط .

AUGUSTE COMTE والفيلسوف الفرنسى فى القرن التاسع عشر (١٧٩٨ — ١٨٥٧) والذى

يعتبر أن المعرفة الانسانية اذا ابتدأت باللاهوت ثم بما وراء الطبيعة فانها تنتهى الى العلم الوضعى وهو العلم التجربى .

MAX WEBER والفيلسوف الالمانى فى القرن العشرين (١٨٦٤ — ١٩٢١) والذى يرفض ما وراء الطبيعة ، كعلم له اعتبار العلم التجربى .

ومثل هؤلاء المفكرين وعلماء الاجتماع فى معارضتهم للدين فى ان يدخل دائرة « العلم » ويبعدونه عن تنظيم المجتمع والدولة تبعا لذلك بدون العلم فى دائرة التجربة المادية وحدها ، ولا يقيمون وزنا « للتجربة النفسية » أو التجربة الذاتية (الروحية) التى تصعد بالمعرفة الى الله جل شأنه عن طريق الصفاء النفسى . وهى تلك التجربة التى يتبناها المفكر المسلم : محمد آقبال « كضو » للتجربة المـادية .

ومعرفة الله سبحانه وتعالى عندئذ نتيجة « للتجربة » ، كالعلم الطبيعى الذى هو نتيجة للتجربة الماديـة .

ويرفض مثل هؤلاء المفكرين لدخول الدين مجال العلم من جانب .

وبمحاولة جعله فى نطاق التجربة من جانب ، وان كانت تجربة من نوع آخر ...

نشأت قضية : « العلم والدين » .

ويترتب على اعتبار الدين علما « تجريبيا » وجوب تاسيس الحياة الاجتماعية على الأخذ بالمبادىء الدينية وجعل الدين كمقوم من مقومات نظام الدولة .

كما يترتب على عدم اعتباره علما فى نظر أصحاب « التجربة المادية » وحدها ، أبعاده عـــن شئون الدولة وسياسة الحكم .

واذن أى اتجاه مادى فى نظام الحكم وسياسة الدولة يرى من الامور الضرورية لصالح الدولة عدم مهادنة الدين فى أية صورة من صور المهادنة . وحديثـه عن العـلم ، ووصفه المبـادىء أو الظواهر بـ « العلمية » وتحكيمه ما يسمى بالاسلوب العلمي والمعالجة العلمية لأمر ما هو للحيلولة مباشرة دون الدين وقضايا الايمان بالله .

وربما يعود بعض الدوافع الى تشدد أصحاب الاتجاه المادى فى معارضتهم للدين باسم العلـم التجربى : فهم عاجزون عن تفسير : —

« التثبيت » فى اصل الوجود .

و « العصمة » للانسان .

وصكوك « الغفران » .

و « كرسى الاعتراف » فى نظام الكنيسة فى المجتمع الأوربى .

فهذه المبادىء تحول دون « الوحدة » المطلقـــة فى أصل العالم الطبيعى ، كما تحــول دون « المساواة » فى الاعتبار البشرى لأفراد المجتمع .

ومن الذين تأثروا بالخصومة الحادة للكنيسة : FRANCOIS-VOTAIRE

الكاتب الفرنسى فى القرن الثامن عشر (١٦٩٤ — ١٧٧٨) .

ومن الأقوال التى تنسب اليه قوله : « اذا لم يكن الله موجودا فيجب على الانسان ان يخترعه حتى لا ييأس من الشقاء الموجود فى العالم . فنظام العالم القائم لا يبعـث فى حقيقـة أمره على الرضاء . ولذا يجب أن يتصور : ان قدرة الله غير محدودة ، وأننا سنحقق رسالته فى العالم . والهدف الاعلى هو :

١ — تخفيف الشقاء فى العالم .

٢ — وتحقيق القيمة العليا التى هى العدالة ، وقيمتها هى قيمة « أبدية » .

فوظيفة وجود الله فى تفكيره هى وظيفة نفسية ، يحمل تصور وجوده على عدم اليأس مـن العالم فحسب .

□ ■ □

وليس المجال الآن مجال توضيح الصلة فى الاسلام :

١ — بين الدين والدولة .

٢ — وبين الدين والعلم .

... ويكتفى فقط بأنه طالما لا توجد حكومة الهية فى الاسلام ، وطالما لا توجد هيئة خاصة ذات سلطة سياسية باسم الدين فيه تنازع ما يسمى بالسلطة السياسية الزمنية .. فلا توجد على الاقل خصومة بين الدين من جانب ، والدولة والعلم من جانب آخر .

والى مسئولية « الاجتهاد » فى الاسلام يعود الخطأ والصواب فى سياسة الحكم ، كما يعود اليه فى ذلك طريق السلوك العملى للافراد فى الأمة .

والقرآن كتاب هداية للانسان فى شئونه وفى وصوله — عن طريق معرفته — الى ربه . وهو للناس متساويين أمامه ، وليس مقسما بعضه الى مجموعة دينية ، وبعضه الآخر الى مجموعة كونية وسياسية أخرى منهم .

اسرائيل المعاصرة :

١ — أى رباط لاسرائيل المعاصرة :

فى اقامة دولة .

وبقاء دولة .

والتماسك فى اطار الدولة غير « اليهودية » ؟

أ — أهو رباط اللغة العبرية ، وهى التعبير عن تاريخ بنى اسرائيل على أساس من اليهودية فى الكفاح من أجلها أو فى تحريفها وتأويلها ؟

ب — أهو رباط « القومية » اليهودية وليست هناك قومية يهودية لا يحتوى مضمونها : اليهودية كدين ؟

جـ — أهو اللغات العديدة التى تعلمها اليهود فى أوطانهم الجديدة فى العالم بعد أن تفرقوا اليها ، أم هو التاريخ المختلف للشعوب التى استقر بين أبنائها هؤلاء النازحون اليهود ؟

٢ — أهو القيم الانسانية الفلسفية البحتة التى تعلو الشعب اليهودى وفوق الأديان ؟

أ — وهل هذه القيم تصلح لأن تكون الرباط بين اليهود ، ولا تصلح أن تكون الرباط بين أفراد شعب آخر من الشعوب البشرية ؟

ب — ثم هل توجد فلسفة غير متحيزة .. فلسفة فوق مستوى الشعوب والاجناس ، وفوق الأديان جميعها ؟

□ ■ □

□ ان اللغة العبرية لو اتخذت الرباط المشترك فى اقامة دولة اسرائيل المعاصرة — وهى تعبر فى تاريخ اسرائيل عن اليهودية فى مراحلها المختلفة — فليست اذن اللغة العبرية المكونة من الفاظ وتراكيب هى الرباط . وانما مضمونها التاريخى . وهذا المضمون ذو صلة وثيقة باليهودية كدين .

□ والقومية اليهودية ليست فى تحليل واقعها سوى الوعاء التاريخى والدينى واللغوى . فان اتخذت هذه القومية الرابطة فى دولة اسرائيل المعاصرة فاليهودية تمثل القسط الواسع ، والمتميز فيهـا .

وليست هناك قومية تعتمد على لغة القوم وحدها كتعبير وأساليب . وانما أية لغة هى كائن حى، مظهره التعبير باللفظ والتركيب ، وحقيقته تاريخ القوم الذى تنتسب اليه . وأخص ما يحمله تاريخ القوم — أى قوم — هو عقيدته ، وتقاليده ، وكفاحه فى سبيل استقلاله أو سيادته .

والقوم الذى يحافظ على استقلاله وسيادته هو ذلك الـذى تميزت شخصيتـه . والعناصر الاساسية فى شخصية أى قوم من الاقوام هى :

اعتقاده الخاص برسالة معينة فى حياته .

وتقاليده التى تربط بين أفراده .

□ أما اللغات العديدة التى تعلمها النازحون من اليهود وسط الشعوب التى استقروا بها ، وأما تاريخ هذه الشعوب التى استوطنوها فانها — هذه وتلك — لا تصلح ان تكون الرباط فى اقامة دولة ، وان صلحت أن تكون وسيلة ترابط بين مجموعة وأخرى من اليهود .

□ والقيم الانسانية التى تدعى أية فلسفة تجردها عن التحيز ، وبالتالى تدعى : انها فوق الشعوبية والمذهبية الطائفية والدينية .. التى تدعى أنها « عالمية » لا توجد بعد حتى الآن . وتوجد يوم يوجد « الانسان العالمى » الذى يفكر تفكيرا عالميا فى الانسانية وحدها : لا يتأثر فيه ببيئة ولا وراثة ، ولا بمحدودية وجود الانسان نفسه .

ويستحيل وجود هذا الانسان الا اذا ولد ونشأ على غير هذه الارض .

وما يدعى : انه تفكير عالمى اليوم فلا يعدوا أن يكون تفكيرا طلب فيه أن تتجرد بعض الشعوب من خصائصها لصالح شعب واحد فيها . فالفكرة « الماسونية » مثلا وان أدعت فى طابعها « العالمية » فهى فى خدمة « اسرائيل » منذ وجود هذه الفكرة .

واللغة العالمية « الاسبرنتو » لا تعبر عن تفكير انسانى عالمى . بل هى بالأحرى عامل لتذويب خصائص الشعوب ومحاولة دمجها وازالة الفواصل بينها فى الاعتقاد والروابط الخاصة لصالح مجموعة مشردة ، هى اليهود ، كى تعيش فى تسلل واطمئنان ، وكى تمارس نشاطها المالى والعقلى فى غيبة من الوعى الوطنى الذى تحييه اللغة الوطنية .

□ ■ □

اليهودية والدولة المعاصرة :

ولكن اذا صلحت اليهودية — أو تعينت ، دون اللغة العبرية ، ودون القومية اليهودية ، ودون فلسفة القيم غير المتحيزة — أن تكون الرباط بين اليهود فى العالم أو فى أى مكان منه هل تصلح مع ذلك ان تكون أساسا لدولة عصرية ؟ .. لاسرائيل كدولة تحاول أن تثبت وجودها ؟

ان الدولة « العصرية » هى التى تكون لجميع الافراد فيها : حمايتها للجميع على السواء ، والعمل فيها لا يحرم منه راغب فى العمل بسبب عنصره أو طائفيته ، أو عقيدته ، أو لغته .

هى الدولة التى تتيح لجميع الافراد حرية ممارسة العبادة ، وعدم الاكراه فى الدين . هى التى لا تميز مجموعة من أفرادها فى الاعتبار البشرى على مجموعة أخرى فيها ، على الأخص لسبب الدين أو العنصر .

١ — فهل فى اليهودية ما يحول دون أن تكون دولة اسرائيل دولة عصرية اذا قامت على أساس منهـا ؟

٢ — هل فى اليهودية ما يجعل اليهود وحدهم أصحاب ميزة على من عداهم فى العقيدة فى دولة اسرائيل المعاصرة ؟

ان الرجوع الى اليهودية فى صلتها برسالة الله — وهى رسالة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام — يمكن أن ينير الطريق الى جواب هذا السؤال .

وخير مصدر نرجع اليه هو القرآن الكريم . « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون (أى عن كتاب الله) . وانه لهدى ورحمة للمؤمنين » (٢) .

رسالة موسى واليهودية :

ان رسالة موسى — كما أنزلت وكما يصورها القرآن الكريم — تختلف عن « اليهودية » التـى

يتبعها اليهود والتى يتخذون منها أساسا للترابط فى قيام دولة اسرائيل المعاصرة . يقول الله عز وجل فى وصف رسالة موسى :

((أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه

((ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة)) (٣) .

... فقد وصف ((كتاب موسى)) بأنه كان قبل القرآن اماما للبشرية ورحمة لهم . وجاء القرآن شاهدا عليه ومؤيدا لما جاء به وهو (أى القرآن) لذلك امام ورحمة للناس جميعا ...

بينما يقول فى وصف اليهودية بين بنى اسرائيل :

((وقالوا (أى أهل الكتاب) : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا !

((قل : بل ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

((قولوا : آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ،

((ويعقوب ، والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم . صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون)) .

((أم تقولون : ان ابراهيم ، واسماعيل واسحاق ، ويعقوب ، والاسباط ، كانوا هـــودا أو نصارى ؟ قل أأنتم أعلم أم الله)) (٤) .

فالقرآن ــ فيما يحكيه عن المولى جل شأنه هنا ــ لا يقبل اليهـــودية ((أو النصرانية)) كدين لهداية البشرية وانما دين الله مصدر هدايته هو : ((ملة ابرهيم حنيفا)) . فاليهودية ((أو النصرانية)) دين فريق مقيد من البشر ، وليست الدين الذى هو للناس جميعا ، وهو وحده الذى يقبل عند الله . وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعها .

ثم فى قوله تعالى : ((ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)) (٥) .

ينفى أن يكون ابراهيم عليه السلام يهوديا ، ثم يثبت أنه كان مسلما وهذا يوضح أن هنـــاك اختلافا وفجوة بين ما لليهود من يهودية ... وبين ما عليه المسلمون من اسلام الذى هو رسالة اللـــه منذ ابراهيم حتى محمد بن عبد الله عليهما الصلاة والسلام .

وتختلف اليهودية عن كتاب موسى ، كما تختلــف عن ملة ابراهيم ، وعما أنزل الى الرســـل جميعا :

فكتاب موسى ، ورسالة ابراهيم ، وما أنزل على الرسل من بعدهما هو الاسلام الذى جاء به القرآن مصدقا لما بين يديه من هذه الرسالات ...

واذن : ــ

هنا رسالة الله ، أو الاسلام . وهى الرسالة الالهية منذ ابراهيم ... حتى موسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وهنا شىء آخر يختلف عنها وهى : يهودية بنى اسرائيل .

والحديث كذلك عن اليهودية ليس هو الحديث عن دين الله أو عن رسالته للبشرية التى هى الاسلام منذ ابراهيم عليه السلام .

والسؤال الآن : بم تختلف اليهودية عن كتاب موسى ؟

ويجيب القرآن الكريم أيضا عن هذا السؤال فى مثل ما يذكره قول الله تعالى :

((وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه .

((قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟

((بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير)) (٦) .

... فكل من اليهود والنصارى صنع فى رسالة الله ما يجعلها مصدر تمييز لهم ، بحيث يتجاوزن هم فى أنفسهم عن طريق التحريف فيها مستوى الانسان الى مستوى آخر أقرب الى الله ، وهو مستوى الأبناء ، أو الأحباء .

وقد كان بنوا اسرائيل يدعون أنهم أولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام . ولذا لا يعاقبون على ذنوب يرتكبونها ، وان عوقبوا عليها — على اسوأ الفروض — فلمدة قصيرة . ولذا جاء القرآن — كرسالة لله — ينفى هذا الادعاء ، ويؤكد أن الناس جميعا سواء أمام الجزاء ، وأنه لا فرق بين مجموعة وأخرى ، ولا بين شعب وآخر فى ذلك .

... جاء قول القرآن هذا فى قوله :

« وقالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودة !

« قل : اتخذتم عند الله عهدا ، فلن يخلف الله عهده ؟ أم تقولون على الله مالا تعلمون ؟

« بلى ! : من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٧) .

.. فشعب بنى اسرائيل ليس شعبا « مختارا » يتميز عما سواه من الشعوب ، كما تنطق رسالة الله فى القرآن ، وان ادعى اليهود ذلك لأنفسهم .

والذين يكفرون « بروحية » الدين تحت تأثير الاتجاه المادى فى الايمان بالله ، ويباشرون هذا الاتجاه فى ارتكابهم الجرائم الاجتماعية ، رغم اعطائهم العهد والميثاق على عدم ارتكابها ، لا يستبعد منهم أن يخالفوا هذه الروحية فى تمييز أنفسهم عن سواهم ، بعد أن يعلنوا الايمان بها :

١ — فقد طالبوا برؤية الله عيانا كطريق للايمان به : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات » .

٢ — وباشروا الجرائم الاجتماعية ، رغم المواثيق المؤكدة على عدم ارتكابها :

« واذ أخذنا ميثاقكم :

« لا تسفكون دماءكم ،

« ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم اقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء :

تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم أسارى تفادوهم ، وهو محرم عليكم اخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون » (٨) .

واستمر شعب بنى اسرائيل نفسه تحت تأثير « المادية » قرونا وأجيالا عديدة حتى اليوم ، رغم سلسلة من الانبياء توضح لهم رسالة موسى ، ورغم ان عيسى جاء على أثرهم برسالة الله اليهم مرة أخرى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه » ورغم مناشدته اياهم أن يسمعوا لصوت الآيات ، ورغم توضيحه لما اختلفوا فيه عن كتاب الله : « وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل » . « واذ قال عيسى بن مريم : يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة » .

ومما اختلفوا فيه عن كتاب الله قولهم : انهم شعب الله المختار . ومع ذلك ظلوا ماديين ومدعين لأنفسهم بسبب ماديتهم ما يتفوقون به على غيرهم . ولهذا كانوا ظالمين لأنفسهم :

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه (أى عن كتاب الله) فاتقوا الله وأطيعون .

« ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل الذين ظلموا من عذاب يوم أليم » (٩) .

فبنوا اسرائيل ظلوا مختلفين عن دين الله ورسالته على عهد موسى .

ثم اختلفوا كذلك عن دين الله ورسالته على عهد عيسى : منهم من كفر به وبرسالته . ومنهم — وهم قلة — أصبحوا حواريين له . وهم الذين أخذوا اسم ((النصارى)) من أبناء هذا الشعب الاسرائيلى : ((فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى الى الله ؟

((قال الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)) (١٠) .

واختلافهم عن دين الله ورسالته — سواء على عهد موسى ، أو على عهد عيسى عليهما السلام — هو على نحو ادعاءاتهم التى سجلها القرآن الكريم عليهم فيما يحكيه عنهم :

من قولهم : ((نحن أبناء الله وأحباؤه)) .

وقولهم : ((لن تمسنا النار الا أياما معدودة)) .

وقولهم : ان ابراهيم كان يهوديا فيما ينفيه القرآن فى قوله : ((ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما)) .

((وقولهم على مريم بهتانا عظيما))

ومن قولهم : ((انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله .

— : ((وأخذهم الربا وقد نهوا عنه .

— : ((وأكلهم أموال الناس بالباطل)) ....

وقد جاء القرآن بعد ذلك يناشدهم عدم الغلو فى الدين ، وعدم اتباع الهوى . ولكن ظل نداؤه اياهم بغير جدوى . واستحقوا بسبب ظلمهم لأنفسهم واختلافهم عن دين الله اللعن من الله جلت قدرته :

((قل يا أهل الكتاب : لا تغلوا فى دينكم غير الحق ،

((ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل .

((لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا ،

((وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون)) (١١)

▪ فاستعلاء شعب اسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة على أساس من عقيدة ((اليهودية)) يحول دون أن يكون ((الدين)) من مقومات الدولة ، كدولة عصرية ، يجب أن تسوى بين جميع الافراد فى الاعتبار البشرى وفى حرية العقيدة .

▪ وتأثر شعب اسرائيل اليوم فى دولتهم المعاصرة بالاتجاه المادى — الذى ظل طوال تاريخهم — لا يجعل ((اليهودية)) أيضا دينا ، يعتبر أولا يعتبر من مقومات دولة عصرية . أى أنه يحول دون اعتبار اليهودية دينا أولا .

و ((اليهودية)) اذن لا تصاحبها خصائص الرسالة الالهية وخصائص دينية . وأبرز هذه الخصائص :

أولا : المساواة فى الاعتبار البشرى : ((يا أيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) . ((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) (١٢) .

وثانيا : ((روحية)) الدين . وهى تلك الروحية التى تحول دون الجرائم الاجتماعية فى الأموال والأعراض والانفس ، والتى تحمل على تجاوز دائرة الطفولة البشرية فى التفكير والاعتقاد . فلا يقف تفكير المؤمن بدين الله وروحية هذا الدين عند حد المحسوس والشاهد ، كما لا يجمد اعتقاده وايمانه بما يحسه فقط ، ويرفض كل ما عدا الحس أن فكر أو اعتقد . ولذا يرفض الايمان بالله لأنه لا يحس :

((ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل .

((لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير)) (١٣) .

واذا حال ((عدم المساواة)) فى الاعتبار البشرى دون صلاحية ما يدعى له الدين أو العقيدة من

أن يكون دينا أو عقيدة ، ففقدان « روحية الدين » أو الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادى أكثر أبعـــادا لما يدعى : أنه دين من أن يكون دينا .

فالاتجاه المادى من شأنه أن يفرق حتى بين الأخوة ، والدين من شأنه أن يكتل ويجمع حتى بين الأعداء : « .. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (١٤) .

الاتجاه المادى يشجع « الأنانية » و « الفردية » . والدين يشجع روح الجماعة والمشاركة ، على حساب الذات وشهواتها . و « الأنانية » — هى داء المجتمـــع وعدوه الأول .. هى مصـــدر الخصومات والأحقاد .. هى مصدر الاستغلال والاحتكار .. هى مصدر العبث والفساد عن طريـــق الترف والمبالغة فى المتعة المادية .. هى مصدر القتل واشاعة الفحشاء والمنكر .. هى مصدر الشرك والانتهازية والنفاق .

ولذا لا يصدق اطلاقا ان أية ايديولوجية تدعو الى المبادلة أو المنفعة « المادية » وحدها تصبح عقيدة أو دينا ، فضلا عن أن تكون ذات أثر ايجابى فى حياة من يدعى أنهم يؤمنون بها .. لا يصدق مطلقا : أن مذهبا ماديا فى الحياة يشيع روح الانسانية أو يستهدف المستوى الانسانى فى المجتمع .

والاتجاه المادى يطلب اقتناص الفرصة فى جمع المال والمتع الدنيوية ، والدين يطلب الزهـــد فيها لصالح الايمان بالله والقيم العليا .. يطلب « التضحية » حتى بالنفس ، بعد المال والولد .

و « اليهودية » المادية اذن ، و « اليهودية » التى تدعى أنها دين « النخبة » ودين « الشعب المختار » لو تأسست عليها الدولة المصرية ، دولة المساواة فى الاعتبار البشرى ، لكانت عوامل الفرقة فيها متعددة ولكان الصراع الداخلى أشد وأعنف فيها . وهى عوامل العنصرية والانتهازيـــة الماديـــة .

ولكنها فى الآونة الحاضرة لا يبدو التفرق فى مجتمعها ولا التمزق الداخلى فيه بسبب التركيز على « توسعاتها » وعلى ما يضمن لها شبه الاستقرار ، ويكفل لها أمنا خارجيا .

وعوامل العنصرية اذا أوحت بها عقيدة كان تمزيقها للوحدة الداخلية أمرا لا مفر منه ان عاجـــلا أو آجلا . وعوامل الانتهازية المادية لا تسبب فرقة الانانية فحسب ، وانما مع ذلك تجعل الأخ يحقد على أخيه ويغدر به ويتسلط عليه ان أمكن ، فى سبيل تحصيل المتعة المادية .

الاسلام دين الله ، والدولة :

واذا كانت رسالة الله لعيسى ابن مريم عليه السلام تحولت الى مسيحية الكنيسة ، واقامت هذه عليها سلطة سياسية وحكومة الهية معصومـــة عن الخطأ ، ومن شأنها عندئذ أن تحـــول دون اعتبارها مقوما فى « دولة انسانية » تصيب وتخطىء فى تقديرها ، واذا كانت رسالة موسى عليـــه السلام تحولت الى دين « النخبة » و « شعب الله المختار » .. تحولت الى « اليهودية » ومن شأنها عندئذ أن تحول دون اعتبارها مقوما فى « دولة عصرية » لا تفرق بين الأفراد فيها ولا ترى «للشعوبية» أثرا فى تمييز هؤلاء الافراد بعضهم عن بعض ، فان الاسلام دين الله ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وقد جاء مصححا لتحريف الرسالتين السابقتين قبله ، ولبيان ما اختلف فيه أهل الكتاب هنا وهناك عن كتاب الله ، يضع الناس جميعا سواء أمام الاعتبار البشرى ويرفع العصمة عن الانسان الا فى نطاق ما يكلف به رسوله لتبليغه من وحى الله الى الناس كافة :

فالاسلام دين الله ، ورسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ — التفرقة العنصرية ولا الشعوبية كأساس لتقدير الناس والأفراد . وانما يعرف مقياســـا واحدا تقاس به منازلهم ومستوياتهم . وهو مقياس « التقوى » أو السلوك الانسانى المهـــذب أو المستوى البشرى الفاضل . فهو لا يبدأ بالتفرقة بين الافراد ، وانما يرجىء التفاضل بينهم الى وقـــت مسئوليتهم عن التصرف والسلوك والى وقت حريتهم وعدم اكراههم على الفعل ، بعد أن يضمن لهم أن رسالته قد بلغت اليهم .

وبذلك يصحح الاسلام ما اختلف فيه بنو اسرائيل عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ومحمد على السواء . وقد آذى الله اليهود بسبب تحريفهم لدين الله وادعائهم : انهم « شعب الله المختار » وسلط عليهم آلام « التفوق » فى العنصر والفرق فيما ادعته أوربا من الآرية وتفوقها على « السامية » فى النصف الأول من قرننا الحاضر .

٢ ـ ولا يعرف الاسلام أيضا القداسة والعصمة للبشر . فالناس كما هم سواء فى الاعتبار البشرى ، هم سواء أيضا فى التعرض للخطأ والصواب . والفاضل بينهم ليس هو الذى لا يخطىء وانما هو الذى لا يقصد الى الخطأ .

وبهذا أيضا يصحح ما اختلف فيه النصارى عن كتاب الله ودينه ، وهو كتاب موسى ، وعيسى ومحمد على السواء .

والاتجاهات الراديكالية ـ وهى الاتجاهات المتطرفة فى الفلسفة الغربية ـ فى المجتمعات الأوربية هى فى الاغلب وليدة استنكار « القداسة » و « العصمة » للانسان فى دين الكنيسة .

كما أن تصادم الأحداث فى تطور الحياة للمجتمعات المسيحية المعاصرة مع نظام الكنيسة يعود كذلك الى المبدأ الكنسى وهو : « الربط » بين اللـه وابن الله والروح القدس والايمان بحلول الوحدة « الثلاثية » بينها فى رئيس الحكومة الالهية الذى له وحده حق القول والتفسير ، وحق الطاعة والولاء .

وهكذا : الاسلام دين الله ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام لا يعرف تفرقة عنصرية أو شعوبية ، ولا يعرف حكومة الهية ولا انسانا معصوما فى الحكم أو التقدير والرأى ، ولا انسانا مقدسا فوق مستوى البشر وأقرب الى مستوى الملائكة ، فضلا عن مستوى الله جل شأنه .

الاسلام يعرف الانسان كانسان ويقدم له المشورة والهداية كصاحب طبيعة بشرية يعرض لها الخطأ والصواب ، والزلل والسداد ، والمرض والصحة ، والفقر والغنى ، والطفولة والشيخوخة ، والموت والحياة ، والضعة والشرف بالمال أو بالعصبية أو بالحكم ، والتواضع والطغيان .. يعرض له النقيض ونقيضه من صفات الوجود .

ويريد للانسان فحسب أن لا يسقط الى مستوى الحيوان فى اغفال العقل والقلب وأن يركز فقط على المعدة والفرج .. يريد للانسان أن يكون لبنة مصقولة فى بناء مجتمع انسانى كبير . وصقلها عن طريق الحد من « الانانية » وافساح مجال لمعنى الجماعة ومشاركة الحياة والوجود .

والآن اذا ترك الاسلام ـ دين الله ورسالة محمد عليه السلام ـ فى المجتمعات الاسلامية ، وأبعد عن أن يكون من مقومات الدولة العصرية فذلك يرجع الى أحد أمرين :

١ ـ أما الى تقليد المجتمع الاوربى ـ فى غربه أو فى شرقه ـ تقليدا ينطوى على التبعية المطلقة لتطور هذا المجتمع واحداثه التى تتعاقب فيه ، فى أعراض عن مراجعة الاسلام وتاريخ المجتمع الاسلامى .

٢ ـ واما سعيا الى التخلص من مبادىء الاسلام فى الحكم . وهى تلك المبادىء التى لا تساعد على أن تكون السلطة المتسلط ، ولا على أن يكون الحكم لجاه الحكم .. تلك المبادىء التى أدناها العدل ، وأرفعها الاحسان . والعدل اذا كان توازنا فى المبادلة والمعاملة واحقاق الحق لكل صاحب حق فالاحسان هو اعطاء من انسانية المحسن ، ممثلا فى عمل خير انسانى أو فى مال أو فى معاونة للغير ، أكثر من الأخذ منه .

.. تلك المبادىء التى تجعل « الحرية » أمرا مكتسبا للفرد لا توهب من أحد سواه ، وانما تنزع عن طريق العبادة لله سبحانه وتعالى من هوى النفس وشهوتها ، واكتسابها هو « جهاد أكبر » وهو أعظم شأنا من جهاد « الميدان » ولقاء الأعداء . لأن هذه الحرية لو تحققت لدى الافراد فى المجتمع كانت هى سبيل النصر فى ميدان القتال فى كل مرة يواجه فيها الأحرار من المؤمنين عدو الله وعدوهم . ولكن النصر فى ميدان القتال مرة لا يكفل حرية المجتمع الدائمة التى تتجلى فى قوته وفى

تماسكه ، وفى بقائه معتزا بشخصيته التى تميزه عن غيره ، وتجعله مستقلا غير تابع الا لله وحده جلت قدرته .

و ((القومية)) التى يحاول بعض مدعى التفكير الاجتماعى الاجانب أن يجعل كل منهم ((بديلا)) منها عن الاسلام فى الترابط ان هى الا وعاء لا يحتوى الا الحقد على الاسلام ، بعد جهل بمبادئه ، وفى الوقت نفسه بعد وعى بآثاره الايجابية فى تجميع الأمة وفى نهضتها بعد استقلالها السياسى .

أن ((القومية)) التى يعنيها بعضهم قومية الفـــاظ لغوية ، وقومية تاريخ لا يصور أحــداث أمة كانت لها رسالة وقيم عليا وعاشت من أجل هذه الرسالة والقيم ، وتريد أن تعيش لها فى أجيالها المستقبلة ، فهى قومية جسم لا روح فيه .

و ((قوميـــة)) بعضهم قوميـــة الحـــاد بـــدين اللـــه ، وقوميـــة ((اســـتيراد)) لفـــكر متعثر يقوم على الدعوة لتنمية ((الحقد)) فى النفوس ويضع الغدر واللاانسانية فى ضروبها المختلفة أساس السلوك ، كما يضع الأفراد فى الأمة فى متاهة الخصومات ودوامة النزاع وسوء العلاقات .

... هى ((قومية)) تحيل مجتمع ((القوم)) المطمئن الآمن على نفسه وعلى رزقه الى مجتمـــع يكفر بنعم الله فيقع فى اضطراب الجوع والخوف ويشق عليه أمر الحياة . وهذه سنة لا تتغير فى حياة المجتمعات : ((وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)) (١٥) .

... هى قومية تدعو الى الوثنية المادية : ((واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)) (١٦) .

□ ■ □

■ أن الاسلام دين الله ، ورسالة خاتم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعرف :

١ — الفصل بين دين ودولة ، انما يعرف الحياة الانسانية للفرد وفى علاقته بغيره .

٢ — ولا يعرف : قضية للدين والعلم ، وانما يعرف مؤمنا بالله يحكى صفاته فى نفسه من : علم وغنى ، وخلق وابداع .. ويتقرب بما يحاكيه اليه جل جلاله .

٣ — ولا يعرف : حكومة الهية ، ولا رفعا لانسان عن مستواه الانسانى ، وانما يعرف انسانا يصيب ويخطىء فى تقديره وفى رأيه وفى علمه .

٤ — ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والفرق ، وانما يعرف أن الناس جميعا سواء فى الاعتبار البشرى وفى المسئولية أمام الله ، وأن التفاضل بينهم هو فى مدى تحقيق مستوى الانسانية فى تفكير المؤمن وسلوكه وعمله .. هو فى التقوى والعمل الصالح .

٥ — ولا يعرف : تواكلا عن السعى والعمل ، وانما يعرف متوكلا ومعتمدا على الله سبحانه ، بعد العزم وتحديد الطريق الذى يسلكه فى سعيه وفى عمله .

٦ — ولا يعرف : انسانا ماديا أنانيا يطغى بماديته وأنانيته ، وانما يعرف انســانا محسنا : يعطى انسانيته على الأقل بقدر ما يأخذ ان لم يكن يعطى أكثر .

٧ ـــ ولا يعرف : انسانا راهبا أو مترهبا ، وانما يعرف انسانا يستمتع بمتع الحياة وبزينتها فى غير غلو وفى غير ترف يجر الى العبث والفساد .

٨ ـــ ولا يعرف : مالا منفعته خاصة ، وانما يعرف أن المال اذا كانت ملكيته خاصة فوظيفته اجتماعية ومنفعته عامة للناس جميعا .

٩ ـــ ولا يعرف : واليا يطلب الولاية فيولى ، وانما يعرف الولاية بيعة واختيارا ممن يملك حق الاختيار فى الأمة .

١٠ ـــ ولا يعرف : عصيانا لوال يولى الا فى معصية مؤكدة لله ولرسوله .

أى شىء قبل هذا أو بعد هذا يصلح أن يكون بديلا عنه فى حياة الانسان وفى شئون أفراده ؟

قرآن الله موجود بأيدى المسلمين . وليس لهم أن يشكوا من ضعف أو هزيمة الا أنفسهم .

□ ■ □

والتقدم العلمى والتيكنولوجى لا يغنى عن الاسلام ، دين الله ورسالة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام ، فى اسعاد البشرية وفى خيرها وفى الترابط والاطمئنان بينها .

ان التقدم العلمى والتيكنولوجى يساعد على التطور المادى وتوفير الامكانيات المادية للبشرية .

ولكنه لا يحول دون أن يحتكر فريق من الناس هذه الامكانيات ويحرم منها فريقا آخر .

.. لا يحول دون أن توجه هذه الامكانيات المادية للاضرار ببعض الناس ولشقائهم .

.. لا يحول دون أن تكون هذه الامكانيات مصدر تهديد للقلق والخوف للبشرية كلها وتدبر سوءا بمستقبلها .

.. لا يحول دون أن تكون هذه الامكانيات سببا لتربص بعض الناس ببعض ولغدر بعضهم ببعض .

.. لا يحول دون أن تكون هذه الامكانيات عاملا للفساد والعبث والتحلل من القيم الانسانية العليا .

فاذا أضيف الى الاسلام فى الدولة العصرية العلم والتيكنولوجيا ، أصبحت هذه الامكانيات المادية التى يوفرها التقدم العلمى والتيكنولوجى :

فى خدمة ((الانسانية)) .

.. فى خدمة الخير والنفع العام .

.. فى خدمة القيم العليا للمجتمع الانسانى العالمى ،

وليست فى خدمة الانانية .

١ ـــ ((ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب (وهم من يدعى أنهم أهل كتاب) .

٢ ـــ ((ولا المشركين (وهم الوثنيون الماديون الملحدون))) (١٧) :

((أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم))(١٨)

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا وأصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شيء قدير .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير » (١٩) .

□ ▪ □

وصدق الله العظيم .

---

(١) ووقوف بريطانيا — فى الحرب الاهلية النيجرية منذ قيامها فى سنة ١٩٦٨ — ضد بيافرا ، بينما تقف فرنسا للدفاع عن استقلال بيافرا يدل على أن كلا من الدولتين الاوربيتين المعاصرتين فى اختلافهما يرجع الى اختلاف تبنيهما للاتجاه المسيحى الخاص . فسياسة فرنسا العلمانية تسير حسبما تطلب دولة الفاتيكان فى الشرق أو الغرب . والرباط القوى بين فرنسا ودول أمريكا اللاتينية لا يرجع الى الثقافة الفرنسية بقدر ما يرجع الى الاتجاه الكاثوليكى المسطر .

(٢) النمل ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) هـود ١٧ .

(٤) البقرة ١٢٥ — ١٢٩ .

(٥) آل عمران ٦٧ .

(٦) المائدة ١٨ .

(٧) البقرة ٨٠ — ٨٢ .

(٨) البقرة ٨٤ ، ٨٥ .

(٩) الزخرف ٦٣ — ٦٥ .

(١٠) آل عمران ٥٢ .

(١١) المائدة ٧٧ — ٨٠

(١٢) سبأ ٢٨ .

(١٣) الانعام ١٠٢ — ١٠٣ .

(١٤) آل عمران ١٠٣ .

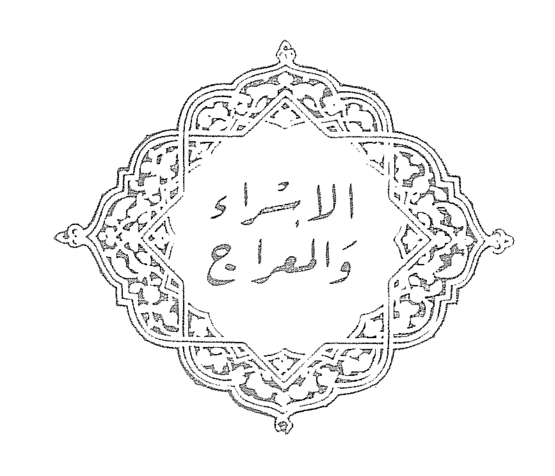
(١٥) النمل ١١٢ .

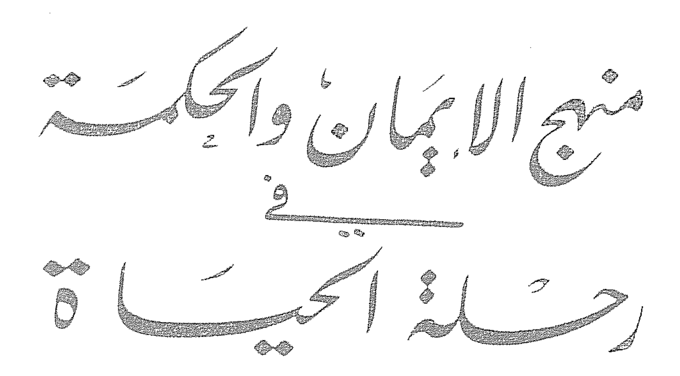
(١٦) يس ٧٤ ، ٧٥ .

(١٧) « ويل للمشركين : الذين لا يؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم كافرون » . فطابعهم طابع مادى صرف . واذا تحدثوا عن الدين : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

(١٨) البقرة ١٠٥ .

(١٩) البقرة ١٠٩ ، ١١٠ .







للدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر

أخرج الامام أحمد والشيخان عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، حدثهم عن ليلة أسرى به ، وكان مما قال فى هذا الحديث الصحيح — أن جبريل عليه السلام ، شق عن صدره ، واستخرج قلبه الشريف ، ثم « أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة ، فغسل قلبى ، ثم حشى ثم أعيد » . .

وأخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهرى عن أنس قال :

كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرج سقف بيتى وأنا فى مكة فنزل جبرائيل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست ملىء حكمة وايمانا ، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه . . »

ثم بدأت الرحلة :

وكان أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو مشهد قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم — يا جبرائيل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه .

وأول مشهد أذن بعد ، امتلاء القلب حكمة وايمانا ، هو مشهد الجهاد .
وما من شك ، فى أن القلب اذا امتلأ ايمانا وحكمة ، فان الجهاد يصبح فى أوائل ما يحافظ عليه من شعارات :

١ — جهاد النفس لتتزكى ، وتزكية النفس لا حد لها ، والصفاء لا نهاية تحده .

وكلما سما الانسان فى الصفاء درجة كلما استشرف الى أسمى منها ، وكلما سما كلما قرب من الله أكثر والقرب من الله لا نهاية له ، وهذا القرب هو غاية المؤمنين ، ومن وقف منه عند حد معتقدا أن هذا هو نهاية المطاف فان هذا يكون دليلا على أن همته ليست بهمة السابقين السباقين .

٢ — وجهاد الأسرة حتى تستقيم والله سبحانه وتعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

ووقاية الأهل من النار ، هو جهادهم حتى يستقيموا ويمتنعوا عن الوقوع فى المعصية ، فذلك هو وقايتهم من النار .

٣ — وجهاد المجتمع ليكون مجتمعا مؤمنا ، وهذا الجهاد عنصر هام من عناصر خيرية الأمة الاسلامية والله سبحانه وتعالى يقول :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

ويقول سبحانه :

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما رواه الترمذى وأبو داود :

« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فى جهاد المجتمع :

« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

٤ — ومن أسمى أنواع الجهاد جهاد العدو بالسلاح واللسان والمال ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

وأخرج الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بغزو ، مات على شعبة من النفاق » .

ولقد أخرج الشيخان عن الصحابى الجليل ، أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله ، أى الاعمال أفضل ؟

قال : الايمان بالله والجهاد فى سبيله .

ولقد اهتم الاسلام بأمر الجهاد بحيث جعله شعار كل مسلم وأحاطه بعناية بالغة .

لقد بين الله سبحانه : أن الاستئذان فى التخلف عن الجهاد يتنافى مع الايمان ، بل يتعارض معه ، بل ينتفى الايمان عند التخلف مع القدرة .

يقول تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » .

وموالاة الاعداء كفر ..

يقول سبحانه : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون » .

ولقد وصل الأمر فى عقاب التاركين للجهاد أن ينذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انذارا شديدا فعن أبى بكر رضى الله عنه : فيما رواه الطبرانى باسناد حسن — قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب » .

واذا انتهى الجهاد الى الاستشهاد ، فالمصير الجنة والقرب من الله ، وفى القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد فى الآخرة ..

يحدث ابن كثير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رأى جابر بن عبد الله مهتما لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد قال له مطمئنا ومبشرا :

« ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ » فقال جابر :

قلت بلى .. قال :

ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب ، وانه كلم أباك كفاحا (والكفاح المواجهة) .

قال : سلنى أعطك . قال :

أسألك ان أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية .

فقال : الرب عز وجل ..

انه قد سبق منى القول بأنهم اليها لا يرجعون .

قال : « أى رب فأبلغ من ورائى » .

أى أبلغهم بهذه النعمة الكبرى التى يتقلب فيها الشهيد فى الجنة .

فأنزل الله تعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم

يرزقون ، فرحين بما أتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وان الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فالشهيد سعيد باستشهاده ، ويتمنى أن لو أعيد الى الدنيا مرة أخرى ، ليكون شهيدا من جديد . ومن الأحاديث أيضا أن حارثة بن سراقة قد استشهد فى غزوة بدر فأتت أمه — وهى بنت البراء — رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

يا رسول الله ، ألا تحدثنى عن حارثة ، فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك ، أجتهد عليه فى البكاء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

يا أم حارثة انها جنان فى الجنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى .

هذا هو الجهاد الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشهده أول ما رأى من مشاهد بعد أن ملىء قلبه الشريف حكمة وايمانا .

أما الآية الكريمة التى يقول عنها صاحب الكشاف :

ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية فهى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

يقول صاحب الكشاف :

ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية ، لأنه أبرزه فى صورة عقد عاقده رب العزة وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط ، بل اذا كانوا قاتلين أيضا لاعلاء كلمته ، ونصر دينه .

وجعله مسجلا فى الكتب السماوية وناهيك به من صك . وجعل وعده حقا ولا أحد أوفى من وعده فنسيئه أقوى من نقد غيره .

وأشار الى ما فيه من الربح والفوز العظيم ، وهو استعارة تمثيلية . . . صور جهاد المؤمنين ، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه ، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء .

وأتى بقوله : « يقاتلون . . . » الخ . . بيانا لمكان التسليم وهو المعركة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : الجنة تحت ظلال السيوف(١) .
ثم أمضاه بقوله :

« ذلك هو الفوز العظيم » .

وبعد — فان منهج الايمان والحكمة فى حياة المؤمنين وفى رحلة الحياة يبدأ بالجهاد .

وأما المشهد الثانى الذى رآه صلى الله عليه وسلم ، بعد مشهد المجاهدين فهو مشهد تاركى الصلاة يقول الحديث الشريف .

« ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

وهذا المشهد يتناسق وينسجم مع مشهد آخر رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يراه النائم .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . « فانطلقت فمررت على مالك وأمامه آدمى ، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمى ، فيقع دماغه جانبا ، وتقع الصخرة جانبا » .

ولما سأل صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قيل له (أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير مواقيتها ، فهم يعذبون بها حتى يصيروا الى النار) .

والصلاة فى الاسلام لها أهميتها الكبرى .

ولأهمية الصلاة فى الجو الاسلامى كانت لها مقدمات منها الطهور ، أى الوضوء ، وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شطر الايمان ، فقد أخرج الامام مسلم عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : —

الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات ، والأرض والصلاة نور ، والصدقة برهان والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

ومن مقدمات الصلاة الأذان ، ولقد كان للأذان مشهد فى رحلة الايمان والحكمة .

فقد روى زيد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم من طريق محمد بن الحنفية ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شاهد فيما شاهده ملكا يخرج من وراء حجاب ويقول —

الله أكبر ، الله أكبر ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر ، فقال الملك أشهد ان لا اله الا الله فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا أنا فقال الملك أشهد ان محمدا رسول الله ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى انا أرسلت محمدا رسولا ، فقال الملك حى على الصلاة حى على الفلاح ، فنودى من وراء الحجاب صدق عبدى ، ودعا الى عبادى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيومئذ أكمل الله لى الشرف على النبيين والمرسلين والأولين والآخرين . وما من شك فى ان كتب السنة ، وكتب السيرة استفاضت فى كيفية ابتداء المسلمين فى التفكير فى الاعلام

بالصلاة وانهم تداولوا الأمر فيما بينهم واستقر الرأى على الأذان فى صورته الراهنة ، وذلك عن طريق رؤيا رآها صحابى جليل ، وأيده فيهـا برؤيا أخرى سيدنا عمر بن الخطـاب رضى الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين ، ويكون الأذان اذن قد بشر به فى الملأ الأعلى قبل الهامه عن طريق الرؤى — فى عـالم الملـك .

هذا بعض مقدمات الصلاة اعلانا عن أهميتها .

وأهمية الصلاة آتية من انها تذكر باللـه ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر .

يقول سبحانه —

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد لا بأس به ، عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه .

« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت ، صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عملـه » . وروى الائمة مالـك وأبـو داود ، والنسائى وابن حبان فى صحيحه ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول —

« خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن ولم يضيـع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخلـه الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء أدخلـه الجنة » . . وفى رواية لأبى داود — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول —

« خمس صلوات افترضهن الله ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن واتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه .

ومما لا شك فيه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانهـا بذلـك تقرب من الله سبحانه حتى لقد أطلق عليها الصالحـون انها معراج المؤمنين الى الله ، ومثل بعضهم القيام فيها بين يدى اللـه بالاسراء الى بيت المقدس والركوع فيها بالعروج الى السماء ، والسجود فيها بالقرب من اللـه سبحانه وهو القائل —

« واسجد واقترب » . .

ورسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول — أقرب ما يكـون العبد من ربه وهو ساجد . .

وينصح صلوات الله وسلامه عليه بالدعاء فى السجود لمكانـة القـرب من الله سبحانـه وتعالى . بيد ان الصلاة التى ثمرتها ذلك انما هى الصـلاة التى استكملت الشروط ، وشروطها ذكرها القرآن فى ثلاثة جوانب :—

أ — اقامتها .

ب — المحافظة عليها .

ج — الدوام عليها .

ومما قاله القرآن فى وصفـه المؤمنين .

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر اللـه وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهـم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

ويقول سبحانه —

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

ويقول سبحانه —

« ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مســه الخير منوعا ، الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » .

واقامة الصلاة ، أداؤها على الوجه الكامل بقدر الاستطاعة وذلــك انه حينما ينطق بتكبيرة الاحرام ويكون بذلــك قد دخل فى الصلاة فانه يجب عليه ان ينفصل عن كل ما سوى الله سبحانه ، أى ينفصل عن الأهل والمال والجاه والوظيفــة ، ينفصل عن كل ما يشغــل كيانه عن الله سبحانه وذلــك تحقيق لقوله — الله أكبر ، فما دام هو الأكبر — وقــد نطق بذلك المصلى — فعليــه ان ينصرف اليه وحده لا يشغله عنه دنيا ولا هوى ، لا يشغله عنه المال والبنون .

والصلاة المقامة هى الصلاة التى استكملت الخشوع ، يقول سبحانه .

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

والصلاة المقامة هى الصلاة التى يشعر فيها المصلى انه بين يــدى الله ، ويشعر فيها بمعــانى أم الكتــاب التى لا تنفذ معانيهــا ، والتى تــذكر الانسان بحمد الله على نعمه وبرحمة الله العامة الشاملــة ، وتذكره بيــوم الحساب وتعلمه انه سبحانه مختص بالعبادة ومختص بالاستعانــة ثم الدعاء بالهداية الذى يقــول الله سبحانه وتعالى عند طلبه .

هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .

ثم يركع متواضعا ، والسجود منتهى التواضع ، ومن أجل ذلك كان منتهى القرب من اللــه سبحانه وتعالى أما المحافظــة على الصلاة فانها اداء الصلاة فى أول الوقت ، وأول الوقت رضوان الله ووســطه رحمة اللــه ، وآخــره مغفرة اللــه .

أما الدوام على الصلاة ، فانه معنى من أجمل المعانى ، انه الاستمرار فى جو الصلاة فى جو الصلة باللــه فالصلاة صلــة بين العبد وربه ، وهــذه الصلة يجب أن تدوم سواء أكان الانسان فى الصلاة بالفعل أم لم يكن فيهـــا واقعيا .

فاذا أقــام الانسان الصلاة وحافظ عليها ، وداوم على الشعور بجوها فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكــر وتقربه من اللــه سبحانه وتعالى . يقــول الامام القشيرى — سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول —

ان نبينا عليه الصلاة والسلام ، أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، فان الصلاة لنا بمنزلة المعراج ، وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ، ثــلاث منازل من الحرم الى المسجد الأقصى ثم الى سدرة المنتهى ثم منها الى قاب قوسين فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل القيام ثم الركوع ، ثم السجود وهو نهايته القــرب قال الله تعالى —

« واسجد واقترب » .

وبعد ، فان الصلاة قد فرضت والرسول صلى اللــه عليه وسلم ، أقرب

ما يكون من ربه ، انها فرضت وهو فى مقـام قاب قوسين أو أدنى .

وهذا المقام ينتهى فى فضل الله وفى كرمه ب « أدنى » أى أدنى من « قاب قوسين » فى هذا المقام أوحى الله الى عبده ما أوحى ، وكان فيما أوحاه سبحانه الصلاة التي جعلها صلة بين العبد وربه والتي جعلها مفزعا للعبد فى كل ما أهمه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلما حزبه أمر يفزع الى الصلاة .

أما المشهد الثالث الذى رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رحلة الايمان والحكمة أو فى منهج الايمان والحكمة أو فى حياة الحكمة والايمان فهو مشهد يتعلق بالزكاة .

(..........

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ، ورضف جهنم وحجارتها ، قال — ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال — هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا ..

ولقد أخذت الزكاة فيما بعد ، الحظ الكافى من الاهتمام ، ولكن موضوع المال على وجه العموم أخذ منذ ابتداء الاسلام وطيلة نزول الوحى حظا يتناسب مع مكانته فى المجتمع ومع صلته بالنفس صلة وثيقة من حيث توفيره لكل ما تطلبه الحياة من رغبات ضرورية كانت أو كمالية .

وقبل أن نتحدث عن نظرة الاسلام للمال على وجه العموم نتعجل فنذكر مشاهد أخرى خاصة بالمال حتى نستكمل المشاهد الخاصة بالمال .

الربـــا

أ — جاء فى رواية أبى سعيد الخدرى عن البيهقى وفى رواية أبى هريرة عن ابن أبى حاتم « ... فاذا انا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر ، فيقول » .

اللهم لا تقم الساعة ، وهم على سابلة آل فرعون ، قال فتجىء السابلة فتطؤهم ، قال فسمعتهم يضجون الى الله ، قال — قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك « الذين يأكلون الربا ، لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .

ب — أخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم —

رأيت ليلة أسرى بى رجلا يسبح فى نهر يلقم الحجارة ، فسألت من هذا ؟ فقيل لى — هذا آكل الربا .

ج — « ... قال ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط يعرضون على النار لا يستطيعون أن يتحولوا من مكانهم ذلك فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال — هؤلاء أكلة الربا .

د — ولقد مثل آكل الربا له صلى الله عليه وسلم ، فى رؤيا منامية على الوجه الآتى يقول —

فمضيت فاذا أنا بنهر من دم يفور كفوران المرجل ، وعلى حافتى النهر

ملائكة بأيديهم نار ، كلما طلع طالع قذفوه بها ، فيقع فى فيه ، فيشتعل الى أسفل ذلك النهر .

فلما سأل صلى الله عليه وسلم عن تفسير ذلك قيل له —
أما النهر الذى رأيت يفور كفوران المرجل فيه قوم عراة على حافة النهر فأولئك الذين أكلوا الربا فهم يعذبون به حتى يصيروا الى النار(٢) .

آكل مال اليتيم

أ — « . . . ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الابل فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله .

قلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟

قال — هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (٣) » .

ب — قال ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل فى أيديهم قطع من النار كالانهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما .

** ** **

والآن نبدأ بالقاء الضوء على موقف الاسلام بالنسبة للمال .

أنه أولا ملك لله يمنحه سبحانه وتعالى لمن يشاء فى سعة أو فى قلة حسبما تقتضيه حكمته ، أنه ملك لله يستخلف عليه من يشاء من عباده ، فالمالك فى الاسلام مستخلف فيما يملك اذا كان يسمى المستخلف مالكا .

يقول سبحانه
« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »(٤) .

ويقول تعالى —
« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »(٥) .

ان المال مال الله ، والعبد مستخلف فيه .

والمالك لم يترك الأمر بدون قواعد ، وانما وضع القواعد الكثيرة ، ونتحدث عن هذه القواعد دون ترتيب معين .

من هذه القواعد :

ان هذا المال وان كان لله ، فانه ليس حقا مشاعا لكل الناس وانما المالك يمنح من شاء ما شاء . ويحرم حرمة تامة أن يعتدى انسان على آخر فيأخذ من المال بغير وجه حق .

وحرمة المال كحرمة النفس ، وحرمة العرض ، ورسول الله صلى

الله عليه وسلم ، يقول في خطبة الوداع « .... انما أموالكم واعراضكم حـــرام عليكم كحرمـــة يومكم هذا في شـــهركم هذا في بلدكم هذا ، اللهم هـــل بلغت اللهم فاشـــهد » .

ومن مات دون ماله فهو شـهيد .

وآخذ المال بغير وجه حق يصل به الأمر الى قطع يده .

وفي الصحيحين عن عروة عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، في غزوة الفتح فقالوا ـــ من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالـــوا ـــ

ومن يجتريء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فأتى بها رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، فكلمه فيها أسامة ابن زيد فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ـــ « أتشفع في حد من حدود الله عز وجل » فقال له أسامة ـــ استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هـــو أهله ثم قال ـــ

أما بعد ، فانما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، واني والذى نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

ومن القواعد الهامة ، ان في المال حقوقـــا ، أن فيه الزكاة .

والزكاة حارب عليها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ـــ يروي الامام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ـــ لما توفي رسول الله صلى اللـــه عليـــه وسلم ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ، وكفر من كفـــر من العرب ، فقـــال عمر رضي الله عنه ـــ

كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله ؟

فقال أبو بكر ـــ

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعه .

قال عمر رضي الله عنه ـــ

فوالله ما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر أبي بكـــر للقتـــال فعرفت انه الحق(٦) .

ولكن الزكاة ليست هي الحق الوحيد في المال ، فالله سبحانه وتعـــالى يقول ـــ

« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم »(٧) .

ويقول سبحانه ـــ

« والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم »(٨) .

وهذه الآيات عامة هدفها اشعار المؤمنين بأن في المال ـــ من اى نـــوع كان ـــ حقا يجب أن يؤدى .

وفي المال حق أداء الصدقة .

يقول تعالى ، « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير »(٩) .

ويقول سبحانه

« ان تبدو الصدقات فنعما هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير »(١٠) .

ويقول تعالى « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال»(١١) .

ويقول سبحانه

« آمنو بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » (١٢) .

ومن القواعد قاعدة مزدوجة تتمثل في قوله تعالى .

« فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله اذا تردى ، ان علينا للهدى ، وان لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى ، لا يصلاها الا الأشقى ، الذي كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى »(١٣) .

والجانب الاول من هذه القاعدة المزدوجة ، أو الوجه المشرق منها هو ان من استجاب لله ورسوله في المال ، فان الله سبحانه وتعالى ييسره لليسرى ، واليسرى هنا بمعنى من المعاني التي تتضمن الكثير من الخير ، انها تتضمن ما يعبر الله عنه بقوله

« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين »(١٤) .

وتتضمن ما يعبر الله عنه بقوله . . « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ، الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(١٥) .

أما الجانب الثاني من هذه القاعدة المزدوجة فانه انذار للبخيل بأن عاقبة بخله ستعود عليه هو وان الله سيجعل خطواته كلها (عسرى) قلق نفساني وشح مادي ، وقد عبر الله سبحانه عن بعض ذلك بقوله .

« هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »(١٦) .

وبعد ، فإن من أجمل المشاهد التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلة الحكمة والايمان ، هذا المشهد الذي نختتم به هذا المقال .

أخرج ابن ماجة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق يزيد بن أبي مالك عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر .

فقلت لجبريل ـ ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟

قال لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة .

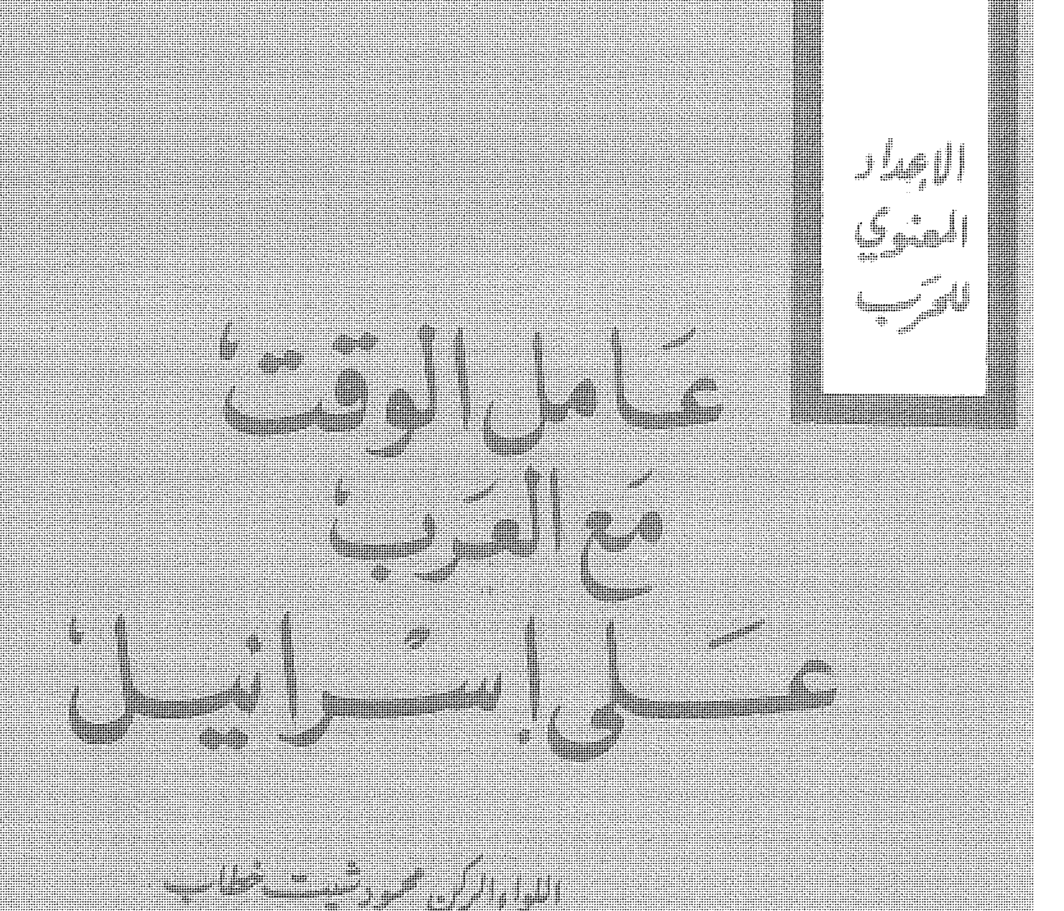
والى مقال تال ان شاء الله .

---

(١) أخرجه البخاري في ـ كتاب الجهاد وفي باب الجنة تحت بارقة السيوف عن عبد الله ابن أبي أوفى .
(٢) المعراج للقشيري ص ٤١
(٣) الخصائص جـ ١ ص ٤١٩
(٤) الحديد آيـة ٧
(٥) النور آية ٣٣
(٦) متفق عليه
(٧) الذاريات آية ١٩
(٨) المعارج آية ٢٥
(٩) البقـرة آية ٢٦٥
(١٠) البقـرة آية ٢٧١
(١١) ابراهيم آيـة ٣١
(١٢) الحديد آية ٧
(١٣) الليل ٥ ـ ٢١
(١٤) سبـأ ٣٩
(١٥) البقـرة ٢٦١ ـ ٢٦٢
(١٦) محمـد ٣٨ .

❋❋ ❋❋ ❋❋

❋❋ ❋❋ ❋❋



— ١ —

قيل لعنترة بن شداد العبسي : يا الذي جعلك أشجع الشجعان ، يخافك الأبطال ويخشاك الرجال ؟!

قال عنترة : « إني أخاف الموت كما تخافون ، ولكنني أكثركم صبراً ، وبالصبر الجميل أنتصر على الأقران ! » .

قيل له : وكيف ذلك ؟!

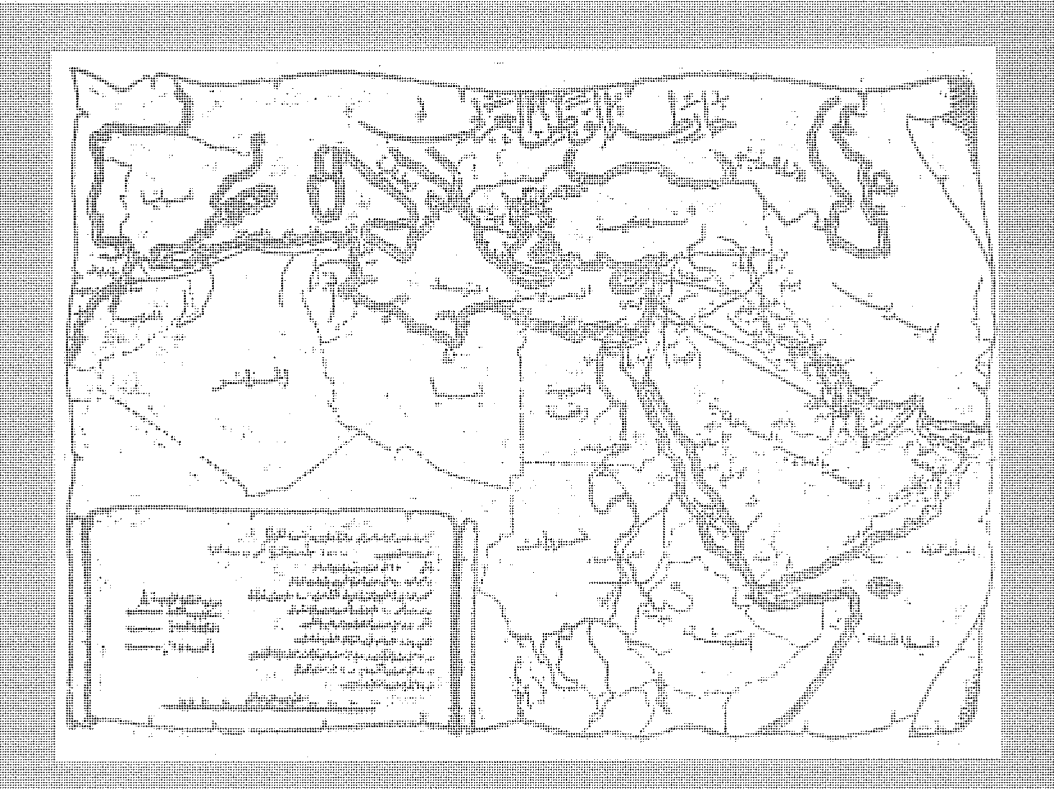
قال عنترة : « ليتقدم أشجعكم جنانا حتى أريكم كيف أنتصر عليه بالصبر » .

وتقدم السائلون أحدهم ، وكان معروفاً بشجاعته ، مشهوراً برجولته ، له مكانة بين الشجعان ، ومكان بين الرجال .

وقال عنترة للرجل الشجاع : « ضع أصبعك في فمي ، وهذا أصبعي في فمك ، وليحاول كل واحد منا أن يعض أصبع صاحبه بشدة وقسوة وإصرار » .

ووقف الشاهدون ينظرون ، وبدأ كل واحد من الرجلين يضغط بعنف على أصبع صاحبه .

واحتقن الدم في وجهيهما ، وتدفق الدم من أصبعيهما ، ومضت لحظات قصار ولكنها بدت طويلة كأنها ساعات ، وكتم الشاهدون أنفاسهم ، وخيم عليهم الصمت الرهيب .



وقال صاحب عنترة : « آه . . . آه . . . لقد آلمني القيد الآثم يا عنترة !! »

وضحك عنترة ما وسعه الضحك ، وأخرج أسنانه من أصبع صاحبه ، وقال له : « والله لو لم تقل آه . . . لبقي ، وصبرت لحظة واحدة على ما حل بك من الم ، لسبقتك الى قول آه . . . ، ولانتصرت علي » .

ان مزية الصبر من المزايا التي تقود الى النصر ، وقد انتصر العرب المسلمون في أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفي أيام الفتح الاسلامي العظيم ، لأنهم صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله .

ولقد وردت كلمة (صبر) ومشتقاتها في ثلاث ومائة آية من آيات الذكر الحكيم ، والعرب أولى الناس بالتمسك بآداب الدين الحنيف وتعاليمه ومنها الصبر ، لأنهم مادة الاسلام .

والصبر ضروري في الحرب ، وضروري بعد الحرب : ضروري في الحرب مهما طالت ، ومهما كانت التضحيات بالأموال والأنفس ، وضروري بعد الحرب في مجابهة الحرب النفسية ، وفي التصميم على احراز النصر ، وفي اعداد متطلبات النصر المادية والمعنوية .

هذا الصبر في الحرب وبعدها ، هو الذي يطلق عليه العسكريون تعبير : عامل الوقت .

— ٣ —

في تقدير الموقف العسكري الذي يعده القائد قبل الحرب بعامة وقبل كل معركة بخاصة ، يدخل فيه : عامل الوقت ، كأحد العوامل المهمة .

كما أن عامل الوقت ، يدخل في تقدير الموقف السياسي قبل الحرب وفي أثنائها وبعد الحرب .

والغرض من اجراء تقدير الموقف العسكري أو تقدير الموقف السياسي ، هو اعداد الخطط التفصيلية لتطبيقها في الحرب وفي المعارك الحربية وبعد الحرب سياسيا وعسكريا ، لذلك كان تقدير الموقف هو الاساس لبناء الخطط السليمة في المجالين العسكري والسياسي .

تقدير الموقف السياسي يبنى عليه القرار الذي يقرره السياسيون بمعاونة مستشاريهم من عسكريين وغير عسكريين وهو : هل هناك حرب ، ومتى وكيف وأين ؟

فاذا كان قرار السياسيين يعتمد الحرب ، فان القائد العسكري يبدأ عمله بتقدير الموقف ، العسكري ، ليبني عليه خطته العسكريــة ، وليقود المعارك بموجبها ، حتى تضع الحرب أوزارها .

ولعل أهم عامل من عوامل تقدير الموقف السياسي ، وتقدير الموقـف العسكري ، خاصة في تقدير الموقف السوقي (الاستراتيجي) هو عامل الوقت .

وأترك اثر عامل الوقت في تقدير الموقف السياسي الذي يقرر بموجبه السياسيون ، هل يحارب جيشهم وأمتهم أم يستطيعون التغلب على مشاكلهم بالوسائل السياسية . ولكن لا بد لي من التنويه بأن السياسيين يجب الا يقرروا اعلان الحرب ، ما لم يكونوا متأكدين بأن النصر الى جانبهم . فاذا قرروا اعلان الحرب ، ثم جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فلا بــد لهم ــ وهذا بالنسبة للعرب في حرب اسرائيل ــ من الصمود الى النهاية ، لأن العرب متفوقون على اسرائيل بتعداد السكان بنسبة اربعين ضعفا ، ومتفوقون على اسرائيل بمساحة البلاد العربية بأكثر من الف ضعف ، واسرائيل لا تستطيع تحمل أعباء الحرب مدة طويلة ، كما أن احتلالها للارض لا يعني شيئا مهما ، وجيشها كلما تقدم في البلاد العربية قل عدده وضعفت قابلياته ، حتى يتلاشى أو يكاد ، وحينذاك يستطيع العرب القيام بالهجوم المقابل على جيش اسرائيل ، والنتيجة مضمونة في هـذه الحالة ، وهي لمصالح العرب بدون أدنى شك (١) .

ولدينا شواهد من تاريخ الحرب ، يمكن أن تكون فيها دروس قيمة للعرب ، ولو أردت أن اضرب الامثال لطال المدى وبعد الشوط ، ولكن لا بأس من ايراد مثالين : الاول من تاريخ العرب ، والثاني من تاريخ الحرب العالمية الثانية .

من التاريخ العربي نذكر الحروب الصليبيـة التي انتصر فيها الصليبيــون بمنطقة الشرق الاوسط في عشرات المعارك على العرب لمدة اكثر من سبعــين سنة ، ولكنهم طردوا بعد ذلك من المناطق التي احتلوها بعد انتصار العرب عليهم في معركة (حطين) بقيادة البطل المؤمن صلاح الدين الأيوبي ، فأسدل الستار على الحروب الصليبية بانتصار المسلمين واندحار الصليبيين .

ومن تاريخ الحرب العالمية الثانية ، فقد اكتسح الالمان تشيكوسلوفاكيا في ربيع عام ١٩٣٩ ، واكتسحوا بولندا في خريف ذلك العام .

واكتسح الألمان فرنسا بحرب الصاعقة عام ١٩٤٠ ، كما اكتسحوا هولندا وبلجيكا فأصبحت بريطانيا مهددة بالغزو الالماني .

وفي عام ١٩٤١ اكتسح الالمان الاتحاد السوفياتي حتى هددوا (موسكو) و (ستالين غراد) وانحدروا جنوبا باتجاه (سيو استبول) و (شبه جزيرة القرم) .

وفي شمال افريقية اندفع (رومل) الى حدود مصر ، واستعد (موسوليني) لدخول القاهرة على حصانه الأبيض المطهم عام ١٩٤٢ .

وامتدت انتصارات الالمان شمالا ، فشملت النرويج .

وبدا للعالم كله أن كل شيء يسير في الحرب لصالح الالمان والمحور ، وأن النصر أصبح منهم قاب قوسين أو أدنى !!!

ولكن الحرب انتهت في افريقية باندحار المحور ، فانحازت ايطاليا الى الحلفاء في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٣ ، وبدأ غزو الحلفاء لنورماندي في فرنسا ليلة ٥/٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ ، واجتاح الروس الجبهة الشرقية الالمانية في أول كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ ، واجتاح الحلفاء نهر الراين في شباط (فبراير) ١٩٤٥ .

وفي ٩ آذار (مارس) ١٩٤٥ استسلمت المانيا للحلفاء !!

وكانت انتصارات الالمان في الصفحة الأولى من صفحات الحرب العالمية الثانية انتصارات تعبوية ، لها تأثير على الدعاية وعلى السمعة و (الهيبة) ، ولا شيء غير ذلك .

وكانت انتصارات الحلفاء في (العلمين) وفي (نورماندي) وفي الجبهة الشرقية انتصارات سوقية (استراتيجية) ، لذلك خسرت المانيا الحرب في النهايـة .

واليوم تعاني المانيا المنتصرة في أول الحرب العالمية الثانية ، والمندحرة في نهايتها ، من تقسيمها الى شطرين : شرقي وغربي ، ومن وجود قوات الحلفاء من امريكيين وفرنسيين وبريطانيين وروس في عقر دارها .

ان الانتصارات المحلية في ابتداء الحرب ، قد لا تؤدي الى الانتصارات في النهاية ، والعبرة في خواتم الامور لا في مقدماتها .

ولو أن العرب صمدوا شهـرا واحدا لانهارت اسرائيل حتى ولو احتلت أضعاف ما احتلته من الارض العربية بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

على كل ما فات فات، وما مضى لا يعود ، والمهم هو أن نعتبر بما فات ومضى ، والا يدب الينا النسيان سريعا ، فنحتاج الى عبر ودروس جديدة .

— ٣ —

والسؤال الآن : لماذا عامل الوقت مع العرب على اسرائيل ؟

ان اسرائيل اول من يعرف ان عامل الوقت مع العرب ، وان انتصاراتهم عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، لن تجديهم نفعا في المدى البعيد ، وهم اذا ربحوا معارك كثيرة في أوقات متفاوتة ، فانهم ينهارون حتما اذا خسروا معركة واحدة .

وحين تبنت الصهيونية العالمية في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد عام ١٨٩٧ في مدينة (بال) السويسرية قضية اقامة الدولة الاسرائيليـة في ارض فلسطين ، عارض هذا المشروع عقلاء يهود معارضة شديدة ولا يزال عقلاؤهم يعارضونه حتى اليوم ، وقد كتبوا حول ذلك العديد من المؤلفات ونشروا الكثير من البحوث والدراسات ، ذكروا فيها أن مصلحة يهود تناقض على خط مستقيم كل تجمع لهم في الأرض المقدسة لتكوين دولة . وحجتهم الدامغة هي أن بني اسرائيل عاشوا عشرات القرون في دول كثيرة بين أمم شتى ، فاذا اضطهدوا في

بقعة من بقاع الارض او من امم من الامم ، فان الآخرين في البقاع والأمم الاخرى يبقون بدون اضطهاد ، وهكذا يستمر العنصر اليهـودي في الحياة . وقد مرت على يهود فترات قاسية عانـوا خلالها ما عانـوه محليا ، وفي هـذا العصر اضطهدهم قيصر روسيا ثم اضطهدهم هتلر ، ولكنهم في الاقطار الاخرى لم يعانوا الاضطهاد . اما اذا تجمعوا في قطر واحد او في مكان واحد ، فان احتمال القضاء عليهم مرة واحدة متوقع — خاصة اذا عاشوا في منطقة يعادونها وتعاديهـم ، ويتنكرون لاهلها ويتنكرون لها .

تلك هي آراء عقلاء يهود بايجاز شديد ، وهي بحق نصيحة ثمينة قدمها أولئك العقلاء لقومهم ، ولكن آراء هيرتزل وأشياعه من الصهاينة المتعصبين تغلبت على صوت العقل والحكمة ، فكانت المنظمة الصهيونية العالمية التي عملت لتشكيل دولة اسرائيل ، فلما أصبحت تلك الدولة حقيقة راهنة عام ١٩٤٨ في جزء مـن فلسطين بتأييد من الدول الكبرى باسم هيئة الأمم المتحدة وبمعاونة الأيدي الخفية وعلى رأسها الماسونية ، بدأت سلسلة من الحروب التي يشتد أوارها ويتصاعد لهيبها كلما تقادم مولد اسرائيل ، حتى أصبحت اسرائيل تنفق على جيشها الشطر الاكبر من ميزانيتها ومن دخلها القومي لتستطيع الدفاع عن نفسـها ولتحقيـق أهدافها التوسعية الاستيطانية ، وحتى أصبحت اسرائيل في وسـط خضم من الاعداء : اللاجئون الذين بلغ تعدادهم اليوم أكثـر من مليون ونصف انسـان يتطلعون الى أرضهم وأملاكهم ، ومائة مليون عربي يحيطون باسرائيل من كل جانب ، وستمائة مليون مسلم من المحيط الى المحيط يعادون اسرائيل ويحقدون على تصرفاتها اللاانسانية وعلى أعمالها الوحشية البربريـة ويتربصون بهـا الدوائر ، وكل انسان في العالم يستشـعر معاني الانسانية ولا يرضى الظلـم والعدوان يرى في اسرائيل دولة معتدية عنصرية تتميز بالظلم والعدوان .

ولعل من الغريب أن اسرائيل يتزايد قلقها ويتناقص أمنها ، كلما ازدادت توسـعا ونفوسـا وانتصارات . فقد كانت تظن أن العرب لا يخشون غير القـوة ولا ينصاعون الا للقوة ، وأن بامكانها فرض الاستسلام باسم السلام على العرب بالقوة ، وهذا ما كان يصرح به قادة اسرائيل وما يسطرونه في مؤلفاتهم ومقالاتهم ولكن اسرائيل خاب ظنها ، لأن العرب لم يستسلموا لها ، ولم يخضعوا لشروطها وبقوا مصممين على استعادة حقوقهم المغتصبة ، متحملين من أجل تحقيق هـذا الهدف كثيرا من التضحيات بالارواح والاملاك والاموال .

بعد حرب عام ١٩٤٨ ، كان تعداد الجيش العامل في اسرائيل عشرة آلاف مقاتل ، وكانت نفوسها أقل من مليون يهودي .

وبعد حرب عام ١٩٥٦ ، كان تعداد جيشها ستة عشر الف مقاتل ، وكان نفوسها مليونا ونصف المليون .

وقبل حرب عام ١٩٦٧ ، كان تعداد جيشها النظامي اثنين وعشرين الـف مقاتل وكان تعداد سكانها مليونين ونصف المليون !

وبعد حرب عام ١٩٦٧ ، ظلت اسرائيل في حالة النفير الخاص ، وبقي تحت السلاح ما لا يقل عن ثمانين ألف جندي !

وبقاء حالة النفير الخاص ، وعدم عودة اسرائيل الى حالتها الطبيعية مـن الناحية العسكرية ، دليل على أن أمنها مهدد بأفدح الاخطار ، وأن جيشها النظامي والاحتياطي هو لحمايتها والدفاع عنها وضمان الأمن لسكانها .

وليس بقاء أكثر من ثمانين ألفا من جنودها الاحتياط لمدة طويلة بالأمر الهين

على دولة قليلة السكان فقيرة الموارد ، تعتمد الاعانات الخارجية لدعم اقتصادها الوطني . ان بقاء هذا العدد الضخم من الجنود الاحتياط يكلف اسرائيل يوميا ما يزيد على خمسة بلايين دولار ، بالاضافة الى ترك هؤلاء الجنود الاحتياط واجباتهم ووظائفهم ومهنهم وأعمالهم المدنية ، مما يؤثر أسوأ الأثر في الاقتصاد القومي الاسرائيلي .

وكانت خسائر اسرائيل بالارواح بعد حرب عام ١٩٤٨ أقل منها بعد حرب عام ١٩٥٦ ، وكانت هذه الخسائر أقل من خسائرها بعد حرب ١٩٦٧ .

وقد صرح موشي دايان يوم ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٧٠ ، بأن المقاومة الفلسطينية تضاعفت منذ حرب عام ١٩٦٧ حتى اليوم ، فأصبحت أربعة أمثال ما كانت عليه بعد تلك الحرب .

وخسائر اسرائيل تزداد كل يوم ، باعتراف قادة اسرائيل العسكريين واستنادا الى بلاغاتهم الرسمية .

اسرائيل اذن لم تحقق هدفها الذي تحلم به وهو استسلام العرب .

والمقاومة العربية لم تضعف ، بل ازدادت تصاعدا وقوة .

ونتائج توسعها أصبح يكلفها نفقات باهظة لا تستطيع تحملها مدة طويلة ، ولا بد لها من أن تجد حلا يخرجها من مأزقها .

لذلك يتجول (٢) (سيسكو) المستشار الاول للرئيس نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية في قضايا الشرق الاوسط متنقلا بين عواصم الدول العربية واسرائيل ليجد لاسرائيل المخرج المناسب من ورطتها .

وتجوله أول الغيث ، ومن المتوقع أن يزداد النشاط الامريكي لايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط .

ولكل هذا معنى واحد ، هو أن الوقت مع العرب على اسرائيل ثمرة للصمود العربي وعدم استسلام العرب .

— ٤ —

كيف نجد الوضع داخل اسرائيل ؟

عندما بدأت الهجرة اليهودية الى فلسطين عام ١٩٠٧ بشكل منظم مدروس قدم فلسطين (الرواد) كما يطلق عليهم الصهاينة في مؤلفاتهم وفيما يكتبون ويذيعون ، وكان هؤلاء المهاجرون الاولون في أوج شعورهم الديني تضحية وبذلا وتحملا للاخطار .

واستمرت الهجرة تصاب بالمد تارة وبالجزر أخرى ، حتى عام ١٩٤٨ ، وكان في أذهان يهود حلم يراود مخيلاتهم هو : انشاء دولة اسرائيل ، والعودة الى أرض الميعاد ، واعادة بناء هيكل سليمان في القدس .

يهود العراق مثلا تركوا قصورهم في شارع (أبي نواس) على دجلة في مدينة بغداد ، وتركوا أراضيهم ومزارعهم ، وقصدوا فلسطين ليعيشوا في الصحراء في الاراضي الوعرة عيش الكفاف ، وتلك تضحية لا شك فيها .

وما يقال عن يهود العراق ، يقال عن يهود الاقطار الأخرى .

وبعد حرب عام ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٦٧ ، تضاعف عدد المهاجرين اليهود ، ولكن عدد المهاجرين النسبي كان اقل مما كان يتوقعه زعماء الصهاينة ، مما جعلهم يصابون بخيبة الأمل ، حتى صرح بن غوريون عام ١٩٦٠ : « ان كل يهودي لا يعود الى اسرائيل محروم من رحمة الله اسرائيل » .

وبعد انتصار اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ ، توقع قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية العالمية بأن الهجرة اليهودية ستنطلق بغزارة نظراً لتوسع رقعة اسرائيل أولا ، ولحاجة أرضها الى الدفاع عنها بعد توسعها ثانيا ، حتى قدر أحد زعماء اسرائيل أن سكان اسرائيل سيصبحون أربعة ملايين في عام ١٩٧٠ !!

ولكن توقع قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية في تزايد الهجرة اليهودية لم يتحقق ، بل ان قسما من المهاجرين الذين عاشوا ردحا طويلا في اسرائيل هربوا من اسرائيل الى بلادهم ، كما جرى في قسم من يهود الاتحاد السوفياتي والعراق وقد أصدر هؤلاء الهاربون بيانات تفضح ما يلاقيه المهاجرون في اسرائيل من عنت وشقة وارهاق .

ان بقاء ثمانين ألف مقاتل باستمرار في بلد تعداده مليونان ونصف المليون نسمة ، فيه صعوبة على السكان ، وفيه استنزاف للاقتصاد القومي ، وهذا ما لا تستطيع اسرائيل تحمله طويلا . ولو أن الهجرة اليهودية تدفقت بعد حرب عام ١٩٦٧ بغزارة كما كان متوقعا لها ، لكان من السهولة بقاء ثمانين ألف مقاتل باستمرار تحت السلاح .

وليس أمام اسرائيل اليوم بعد اخفاق مخططات الهجرة اليهودية اليها ، الا أن تجد لها حلا سريعا تتنازل بموجبه عن معظم الارض العربية المحتلة في حرب عام ١٩٦٧ ، وتستبقي تحت سيطرتها ما تعتقد أنه ضروري لها من ناحية أمنها ومن الناحية الدينية أيضا .

ولكن اسرائيل تفعل ذلك مضطرة بالنسبة لظروفها الراهنة لكي تحظى بالسلام ، لأنها تعلم بأن المهاجرين اليهود لا يمكن أن يتركوا أوطانهم ويهاجروا الى بلد لا يأمنون فيه على حياتهم وأموالهم والسلام الذي تريده اسرائيل هو سلام مرحلي يهيىء لها أسباب الهجرة اليها ويدعم اقتصادها القومي ، مما يؤدي بالتالي الى تزايد قوتها البشرية والمادية ، وحينذاك تسترد ما تنازلت عنه من الارض العربية أولا وتتوسع في مناطق جديدة ثانيا تحقيقا لاحلامها التوسعية : من النيل الى الفرات !!!

لذلك أحذر العرب والمسلمين من أحبولة السلام التي تتظاهر بها اسرائيل بين حين وآخر ، لأن واقع اسرائيل هو أنها دولة معتدية لها أطماع توسعية في البلاد العربية ، وما تظاهرت اسرائيل بالرغبة في السلام الا واضطرمت الحرب ، وما أصدق القائل : « اذا تكلمت اسرائيل عن السلام فأنها تريد الحرب » .

ان الطريق أمام العرب والمسلمين واضح المعالم لا يحتاج الى دليل ، وهو أنه لا سلام في المنطقة ما لم تسترد حقوق العرب كاملة ويعود اللاجئون الى وطنهم ، ثم تنشأ دولة في فلسطين لسكانها كلهم لا لليهود وحدهم ولمصلحة شعب فلسطين كله لا لمصلحة الصهيونية العالمية وحدها .

— ٥ —

وكانت اسرائيل تتوقع أن تتدفق اليها رؤوس الأموال الضخمة من الخارج ، والواقع أن الاموال تدفقت اليها بعد مولدها عام ١٩٤٨ ، ولكن هذا التدفق قل بعد حرب ١٩٥٦ وتلاشى تقريبا بعد حرب ١٩٦٧ .

ان المال هو عصب الحرب ، والحرب تلتهم الأموال التهاما — خاصة الحروب الحديثة التي تحتاج الى أسلحة وعتاد بغير حدود والى ابتكار أسلحة

جديـــدة غير تقليدية والى تطوير الاســـلحة التقليديـــة ؟ فمن ايـــن تاتي اسرائيـــل بالامـــوال الجسيمـــة ؟ أمن المعونـــات والاعانات وسنـــدات القروض والتبرعـــات ؟ لـــكل ذلك حدود قد تؤمن العيش الرغيد لاسرائيـــل في أيام السلام ، ولكنها لا تسد حاجة اسرائيل ـــ وهي دولة عسكرية ـــ في ايام الحرب أو في أيام ما يشبه الحرب !

صحيح أن اسرائيل اصبحت لها صناعة كبيرة وتجارة في كثير من الاقطار الافريقية والآسيوية ، وأنها تبذل أقصى جهدها بموجب تخطيط سليم لتوســـيع تجارتها وصناعتها ، كما أن تجارتها ازدادت بنسبة ٢٣٪ مع الدول الافريقيـــة والآسيوية بعد حرب ١٩٦٧ لاغلاق قناة السويس الذي حرم تلك الدول من تجارة أوروبـــا .

ولكن اقتصاد الحرب ونفقات العسكرية الاسرائيلية أضخم بكثير من طاقات اسرائيل الاقتصادية في الوقت الحاضر ، لذلك لجأت اسرائيل الى الولايـــات المتحدة الأمريكية لسد عجزها المالي ، كما أفادت من التعويضات الالمانية التـــي قدمتها اليها المانيا الغربية حتى عام ١٩٦٤ لسد هذا العجـــز ولتغطية نفقاتهـــا العسكرية .

أن اسرائيل لا يمكن أن تعيش الى الأبد على المعونات والاعانات والتبرعات والقروض ، وليس في الدنيا دولة تستطيع أن تبقى الى الأبد وهي لا تعتمد على اقتصادها القومي أولا وقبل كل شيء .

ـــ ٦ ـــ

وكان من جملة خطط اسرائيل الاقتصادية الاعتماد على تزايد السياحة الى بلادها للاستفادة من العملة الصعبة ولنشر الدعاية لمنجزاتها العلمية والاجتماعية والزراعية والصناعية .

وقد بذلت اسرائيل قصارى جهودها لاستقدام السياح بأعداد وفيرة الـــى بلادها ، فأقامت الفنادق الفخمة وضاعفت النوادي الليلية وغابات المراة وأماكن الميسر وأراقت دماء الفضيلة وأشاعت الجنس .

كانت سفاراتها ـــ خاصة في الدول الافريقية والآسيوية اذا علمت بـــأن موظفا كبيرا في تلك الدول لديه اجازة سنوية ، تطوعت بتقديم تذاكر الســـفر بالدرجة الاولى في الطائرات الاسرائيلية اليه وعرضت عليه أن يحل ذلك الموظف ضيفا على اسرائيل ما أقام فيها . وكان كل موظف أجنبي كبير يجد تذاكر السفر ورسالة الدعوة على مكتبه قبل أن يحل موعد أجازته بأيام ، فاذا تقبل الدعوة حظي في اسرائيل بأيام سعيدة وليال حمراء ، حتى اذا عاد الى بلاده أطلق لسانه بالثناء العاطر على الحضـــارة البالغة التي قوبـــل بها وعلى التطور العلمـــي والاقتصادي والعسكري والسياسي والاجتماعي في اسرائيل .

وكان في تقدير اسرائيل أن السواح سيزدادون بعد حرب عـــام ١٩٦٧ ، خاصة بعد احتلال الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية . ولكن لم يصدق هذا التقدير ، لأن الأمن ليس مستتبا داخل اسرائيل ، مما حرمها من العملة الصعبة ومن الدعاية لها أيضـــا .

فاذا قارنا طاقات اسرائيل البشرية والمادية بطاقات العرب ، وجـــدنا أن الطاقات العربية متفوقة على الطاقات الاسرائيلية تفوقا ساحقا .

تعداد العرب مائة مليون أو يزيدون ، وهم يتزايدون بسرعة داخل اسرائيل وخارجها ، وعلى سبيل المثال فان نفوس الجمهورية العربية المتحدة يتزايد مليون نسمة كل عام . وفي داخل اسرائيل يتزايد العرب بنسبة ثلاثة الى واحد من تزايد يهود ، وسيكون عدد العرب داخل اسرائيل خلال عشرة أعوام مساو لعدد يهود فيها ، وبعد هذا التاريخ تصبح النسبة العددية للعرب أكثر من النسبة العددية ليهود .

ويقطن العرب رقعة واسعة متصلة تجمع بين آسيا وافريقية من المحيط الى الخليج ويتسلطون على أخطر الممرات والمعابر البحرية .

وتضم بلادهم ثلاثة من أعظم أنهار الدنيا البالغ عددها ثلاثين نهرا كبيرا في العالم كله : النيل والفرات ودجلة .

في هذه الارض العربية ٢٣٪ من بترول العالم ، و ٦٠٪ من احتياطي بترول العالم ، ويبلغ مجموع الاراضي الزراعية فيها أكثر من مائة الف فدان تحوي على أكثر من مائة مليون رأس من الماشية ، وتنتج ٨٥٪ من محصول التمور في العالم ، و ٧٪ من القطن و ٨٥٪ من الاقطان الطويلة التيلة و ٨٪ من الكروم و ٩٪ من الموالح و ١٤٪ من الزيتون .

هذه الارض العربية التي تبلغ مساحتها (٤٥٠٠٠٠٠) ميل مربع أو نحو (١١٠٠٠٠٠٠) كيلومتر مربع ، يمكن أن يتضاعف اقتصادها القومي بادخال الاساليب الحديثة على الزراعة والصناعة ، وقد كان العراق وحده يضم ثلاثين مليونا من السكان في أيام العباسيين ، وقد أطلق عليه هيرودوتس أبو التاريخ اسم : « مستودع الحبوب في العالم » .

ان طاقات اسرائيل البشرية والمادية قليلة بالنسبة للطاقات العربية .

ولكن الطاقات الاسرائيلية (منظمة) ، والطاقات العربية غير (منظمة) .

والطاقات القليلة (المنظمة) تتغلب دوما على الطاقات الكبيرة غير (المنظمة) .

فأين تصبح اسرائيل لو نظم العرب طاقاتهم ؟

واذا كانت الطاقات العربية مبعثرة وغير منظمة اليوم ، فلن تبقى كذلك غدا وهذا معناه أن الوقت مع العرب على اسرائيل .

— ٧ —

ان الاخبار التي تتسرب من اسرائيل تؤكد أن التذمر بين سكانها يتزايد يوما بعد يوم ، فقد كانت العسكرية الاسرائيلية تمني شعب اسرائيل بأنهم سيعيشون بأمن وسلام واطمئنان بعد كل نصر تحرزه تلك العسكرية على العرب .

وبعد نصر اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ ، بدا قادة اسرائيل واثقين بأنفسهم وباستسلام العرب دون قيد أو شرط .

ولكن لم يتحقق كل ذلك ... بالعكس تصاعد الرعب في اسرائيل ، وأصبحت كل بقعة فيها غير آمنة ، كما أصبح العرب أشد اصرارا على المطالبة بحقوقهم الكاملة .

هذا التذمر الاسرائيلي ، وهذا الصمود العربي ، جعل ثقة شعب اسرائيل بحكومته وجيشه متزعزعة ، وتعالت صيحات كثيرة تتساءل بحيرة وجزع : الى متى ؟ لقد ضحينا كثيرا من أجل العسكرية الاسرائيلية دون جدوى ، فمتى تتحقق الاحلام ؟؟ متى ؟!

وفي اسرائيل تناقضات لا تعد ولا تحصى : أحزاب كثيرة من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، وفيها تمييز عنصري بين يهود الشرق ويهود الغرب ، بل هناك تمييز عنصري بين كل قسم من هؤلاء اليهود ، فمكانة يهود العراق مثلا ليست كمكانة يهود اليمن ، وهناك فروق طبقية وفروق اجتماعية وفروق اقتصادية وفروق سياسية بين سكانها .

هذه التناقضات مكبوتة في الوقت الحاضر لخوف الشعب الاسرائيلي من العرب ، ولعل التصريحات غير المسؤولة التي صرح بها قسم من زعماء العرب قبيل حرب عام ١٩٦٧ لها نصيب عظيم في هذا الخوف . ان العرب لم يضطهدوا العنصر اليهودي في كل تاريخهم الطويل ، وقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرتبا شهريا ليهودي من بيت مال المسلمين لأنه كان بغير معيل ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من عادى ذميا فقد عاداني » . وقد وصل قسم من يهود الى منصب الوزارة في العهد العباسي ، وكان منهم أطباء للخلفاء وقد اضطهدهم الاسبان قبل فتح الاندلس فعاشوا بعد فتح المسلمين للاندلس عيشة رغيدة يذكرونها حتى اليوم . تلك لمحات من معاملة العرب لليهود ، فلمصلحة من يصرح بعض زعماء العرب بأنهم سيفنون الصهاينة ويقضون عليهم قضاءا مبرما ، ومتى أفنى العرب أهل الذمة في تاريخهم العريق ؟

وقد قرأت أكثر ما كتبه المؤلفون اليهود بعد حرب عام ١٩٦٧ ، فوجدت ان تصريحات بعض زعماء العرب المتطرفة مسجلة حرفيا في كتبهم لاستثارة الجماهير الصهيونية بها ولاظهار دولة اسرائيل بمظهر المدافع عن حياة شعبها ومصيره !!

والدرس الذي يجب أن نتعلمه هو أن نفكر قبل أن ننطق ، والا نذيع التصريحات المرتجلة التي تضر مصالحنا وتفسد قضيتنا دون مسوغ .

والحرب دماء ودموع وموت ودمار ومشاكل ومشاق ، يتحملها الطرفان المتحاربان بكميات وكيفيات متفاوتة .

أما النصر فلا يكون الا للاكثر صبرا من الطرفين ، وعمر الشعوب لا يقاس بالساعات والايام والاشهر والسنوات ..

وصدق الله العظيم : (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس) (٣) .

وصدق الله العظيم . (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليما حكيما) (٤) .

ولكن اذا كان عامل الوقت مع العرب على اسرائيل ، وأن المعركة الاخيرة للعرب على اسرائيل ، فليس معنى ذلك أن ننام أو نستنيم للاماني والاحلام ، ونترك أعداءنا يعدون ويستعدون .

ليس معنى ذلك أن تبقى اسرائيل في أعلى درجات الاستعداد والحذر واليقظة ، ويبقى العرب لا يعدون ولا يعيدون في سبات عميق .

ان العرب يجب أن يعدوا ما استطاعوا من قوة ، وأن يتطوروا علميا في ميدان العلوم التطبيقية ، وأن يرتفعوا بمستواهم العسكري تدريبا وتسليحا وتجهيزا وتنظيما وقيادة ، وأن يحشدوا كل طاقاتهم المادية والمعنوية للحرب ، وأن يعودوا الى تعاليم دينهم الحنيف وعلى رأسها الجهاد بالاموال والانفس في سبيل الله ، وأن يطهروا أنفسهم ويتوبوا توبة نصوحا .

على العرب أن يستعدوا للحرب وأن يعدوا كل متطلباتها ، ليستفيدوا من

عامل الوقت الذي هو في جانبهم ، وليتنصروا حتما على اسرائيل بأقرب وقت ممكن وبأسرع مدة ممكنة .

أما اذا بقوا يغطون في نومهم : طاقاتهم المادية تذهب بددا ، وطاقاتهم المعنوية معطلة ، فانهم لن ينتصروا أبدا حتى ولو أصبح تعدادهم أضعاف تعدادهم اليوم ، وأصبحت مواردهم الاقتصادية أمثال ما هي عليه اليوم .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها » ، فسأله أحد أصحابه : « أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟؟ » ، قال : « بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم كغثاء السيل » .

أقولها صريحة حاسمة : ان العرب اذا وجدوا طريقهم السليم اليوم ، اعدادا واستعدادا وايمانا بالله والعلم ، فالنصر لهم باذن الله وهو نصر فاصل قريب .

واذا بقوا على ما هم عليه متواكلين متفرقين ، اعدادهم للحرب قليل ، واستعدادهم للقتال تافه ، وايمانهم بالله ضعيف ، وايمانهم بالعلم طفيف ، فان النصر منهم بعيد .

ولكنني أضيف ، أن النصر النهائي مهما طال الوقت مضمون للعرب ، لأن جيل النكبة اذا نام ساعة ، فلن ينام أولادهم وأحفادهم الى قيام الساعة .

في الصحيحين حديث عن مقتلة تقع في المستقبل بين يهود والمسلمين وتكون النصرة فيها للمسلمين على يهود .

جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي .. تعال فاقتله » . وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله » . وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! .. يا عبد الله .. ! هذا يهودي خلفي ، تعال فاقتله » .

وجاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود ، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله ! هذا يهودي ورائي فاقتله » . وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه يهودي : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله » .

تلك بشارة من وراء الغيب لا بد وأن تتحقق اليوم أو غدا .
وان غدا لناظره قريب .

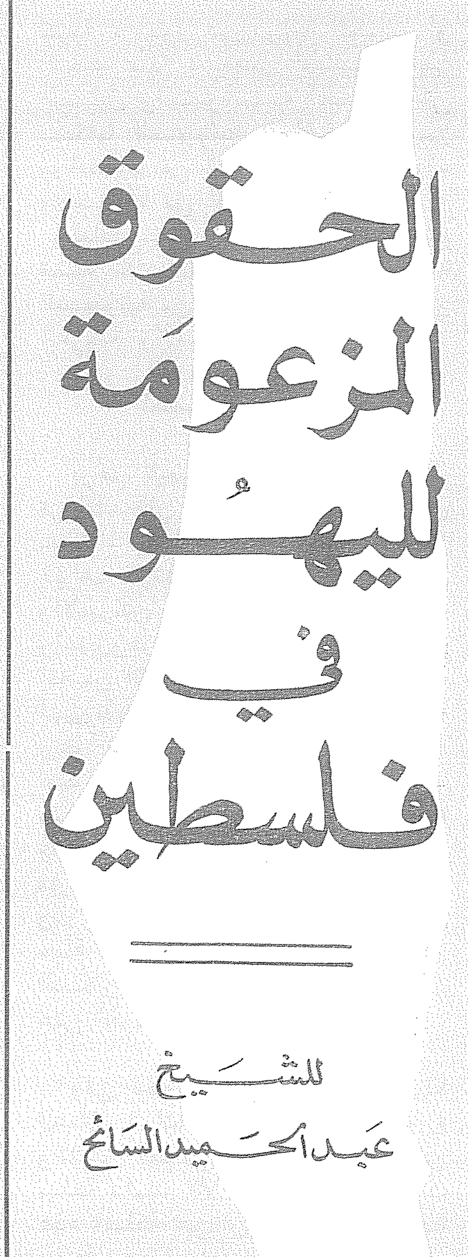
---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتابنا : الايام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها — بيروت — ١٩٦٧ — ص (٨٣ — ٩٢) .

(٢) كان يتجول خلال شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ .

(٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .

(٤) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ١٠٤) .



الحقوق المزعومة لليهود في فلسطين

للشيخ
عبد الحميد السائح

مهما أرادت أن تتستر اسرائيل الدولة ، وعصابة العسكريين التى تسيرها ، وتقوم على أمرها ، ومهما وضعت على وجهها من براقع ، فانها تمت فى جذورها الى اعتبارات دينية ، بصرف النظر عن سلامة هذه الاعتبارات أو عدم سلامتها .

ونحن نعتقد قطعا انها اعتبارات واهية لا تلبث أن تنهار أمام البحث العلمى ، أو الاعتبار المنطقى فى هذا العصر .

وقد استغلت الصهيونية ما شوهت به العلاقة بين اليهودية والمسيحية ، وما موهت به من احقيتها فى أرض فلسطين ، وغير فلسطين ، اعتمادا على نصوص دينية ، من العهد القديم ، سنتعرض لمناقشتها فى هذا المقال .

كما استغلت ضعف العالم الاسلامى ، وضعف العالم العربى ، وتفرق حكامهم ، وانشغالهم بما بينهم من خلافات ومشكلات أصطنعها الاستعمار ، وأثار أوارها ، فوجهت الضربة الاولى الى العالم الاسلامى والعالم العربى ، فى أعز بقعة من بقاعها ، واغتصبت قسما كبيرا من أرض فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وكان المفروض ان يهتز العالم الاسلامي ، والعالم العربى ، لتلك الكارثة ، ويدرك الاخطار التى تهدد مصيره ، فى عقيدته ، ومقدساته ، وحضارته ، ووجوده ، فيتدارك الخطر قبل استفحاله ، ويبادر الى القضاء عليه ، ويتناسى كل خلافاته وتناقضاته ، أمام هذا الخطر الأكبر .

ولكن القوى المؤازرة للصهيونية ، من دول الاستعمار والامبريالية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة ، حجبت الرؤية عن المسلمين والعرب ، رغم امكاناتهم الهائلة ، وشلت طاقاتهم ، حتى تحقق العدوان الغادر سنة ١٩٦٧ م ، وأتى على باقى فلسطين ، وبعض أراضى عربية من دول أخرى ، ثم بلغ بالصهيونية الاستهتار بالمشاعر العربية والاسلامية ، فى تحد سافر ، فاقدمت على احراق المسجد الأقصى المبارك ، لتقيم على انقاضه ، الهيكل المزعوم ، وقد كان فى تقدير الكثيرين ، ان هذه الخطوة وحدها ، وما تحمل فى طياتها من ابعاد خطيرة ، تكفى لينتفض العالم الاسلامى ، وتهتز قواعده ، وتتحرك فصائله ، لتدق أبواب القدس ، وتنقذها من نكبتها ، وتخلصها من شر كبير ، وبلاء عظيم ، ولكن الرياح جرت على غير ما تشتهى السفن .

ويعتقد الكثيرون ان لتلك القوى الاستعمارية المؤيدة للصهيونية أثرا كبيرا فى تلك النتيجة .

ومع ان أوروبا أو أميركا المسيحية ، قد فقدت صفتها المسيحية الحقيقية ، وأصبحت تسير وراء مخططات استعمارية بالوان جديدة ، فقد كان لتلك الجذور الدينية أثر كبير فى أوساطها وجماعاتها ، حتى اعمتهم عن ان يروا الحقيقة ، أو يحاولوا رؤيتها ، وبقيت الفكرة الشائعة ، كأنها قضية مسلمة ، ان أرض فلسطين أرض اليهود ، وعدوا بها من السماء ، لا سبيل الى ذلك أو النقاش فيه .

ورغم انه ظهر هنا وهناك ، أشخاص أو جماعات محدودة ، تتلمس الحقيقة أو تحاول تلمسها الا انه لاتزال الحجب كثيفة ، تحول دون رؤية الحقائق أو البحث عنها ، بفضل أساليب التضليل والتشويه المتعددة التى سلكتها الصهيونية العالمية ، ومن وراءها ، فى شتى انحاء الارض ، وخصوصا فى أوروبا وأميركا .

لذلك كانت الحاجة ماسة الى فضح تلك الاساليب ، وما تدعيه الصهيونية من حقوق لها ، فى ديار العروبة والاسلام .

الحقوق التاريخية

يزعم اليهود الصهيونيون ان لهم فى فلسطين حقوقا تاريخية وأخرى دينية ، جعلت فلسطين لهم من دون غيرهم ، وقد اغتر كثير من الأوروبيين والاميركان بمثل هذه الاقوال ، واعتبروها مبررا لعدوانهم . مع انه من الثابت تاريخيا ان العرب استوطنوا فلسطين منذ أقدم الازمنة وبقوا فيها ولم يغادروها ، رغم طروء عدد من الغزاة عليها ، مكثوا فيها مدة من الزمن ، ثم ارتحلوا عنها ، وقد تسلل اليهود الى فلسطين ، فى فترات متعددة ، جماعات جماعات ، ولم يعرف بنو اسرائيل فى فلسطين حياة الاستقرار على الاطلاق ، وظل السكان الاصليون يناضلون ضدهم حتى اخرجوهم منها .

وفى عهد داود وسليمان عليهما السلام ، اتحدت القبائل اليهودية ، وانشأوا لهم فى قسم من فلسطين مملكة دامت ٧٣ عاما ، وقد عجزت هذه المملكة عن ان تضم اليها يافا وغزة وسيناء .

ويقول المؤرخ الانكليزى ويش ان اليهود لم يكن لهم حينئذ منفذ على البحر ، فالموانىء الشمالية كانت تحت سلطان الفينيقيين ، وموانىء

الجنوب كانت تابعة للفلسطينيين .
ولما توفى سليمان عليه السلام سنة ٩٢٧ ق.م. انقسمت المملكة قسمين : مملكة اسرائيل ، ومملكة يهوذا .
أما مملكة اسرائيل فقد عاشت حتى عام ٧٢٢ ق.م. ثم زالت .
وأما مملكة يهوذا فقد عاشت حتى عام ٥٨٧ ق.م. ثم عفى على آثارها وتفرق اليهود أيدى سبا خارج فلسطين .

وان كورش ملك الفرس بعد ان استولى على بابل سنة ٥٣٨ ق.م. وقضى على الدولة الكلدانية ، سمح لمن يرغب من سبى بنى اسرائيل بالعودة الى القدس وتجديد المدينة والمعبد ، على ما ذكره سفرعزرا ، فعاد بعضهم وبقى الكثيرون منهم حيث هم ، ولم يعودوا .

ولما استولى الرومان على البلاد ساءت الامور ، وعلى الاخص فى عهد فيلكس وفستوس ، ومن بعدهما فلوروس ، الذى تولى الحكم سنة ٦٤ م . وفى عهده قامت حرب بين اليهود والرومان بدأت سنة ٦٦ م وانتهت سنة ٧٠ م ، وذلك باستيلاء تيطس الرومانى على أورشليم ، وتدميرها هى وهيكلها ، ومنذ ذلك الحين لم تقم لليهود قائمة فى تاريخ فلسطين .
ويقول المؤرخ ويلز ، لقد كانت حياة اليهود فى فلسطين ، وخاصة القرون الثلاثة الاخيرة ، أشبه بحياة رجل أصر على الوقوف وسط ميدان صاخب ، فكان مصيره ان دهمته السيارات .

وفى أوائل القرن السابع الميلادى، قامت الدولة العربية الاسلامية ، واستولت على ما بين النهرين ، وعلى سوريا ، فدخلت فلسطين فى حيز تلك الدولة ، بل صارت قلب العالم العربى ، وبقيت تلك البلاد فى الادارة العربية والاسلامية ، ما عدا حقبة الحروب الصليبية .
وقال المستر نيوتن ، فالعرب لا اليهود هم أصحاب تلك الصلة التاريخية الثابتة المتمادية غير المنقطعة .

وعند العلامة المحقق المشهور ، جيمس فريزر ، ان الناطقين بالعربية من فلاحى فلسطين هم من ذرارى القبائل التى استوطنت فلسطين قبل الوجود الاسرائيلى ، وانهم ما زالوا متصلين بالارض لم ينفكوا عنها ، ولا اقتلعوا منها ، ولئن طغت عليهم الفتوح موجات ، فانهم ثبتوا واقاموا .

وقصارى القول انه ان صح لليهود وجود مدته مئات السنين ، فللعرب فى فلسطين اقامة مستمرة ، مداها ألوف لا مئات ، ثم ان الوجود اليهودى انقطع العهد به منذ ١٨٠٠ سنة ، وقد دام العهد العربى دون انقطاع ، فهم لا اليهود أصحاب تلك الصلة ، واصحاب ذلك الحق (١) .

وفوق هذا كله ، فاننا لا نسلم بان مجرد الصلة التاريخية فى أى بلد من بلدان العالم ، تخول مدعى تلك الصلة ، ان يغزو بلادا مسكونة باهلها ، من أقدم الازمان ، ويطردهم منها ، والا لتغيرت خارطة العالم ، ولقضى على ميثاق الامم المتحدة ، والقوانين والاعراف الدولية ، ولرجعنا بالعالم الى عهود الفوضى والبربرية والغزوات الشريرة ، وهذا ما لا يقره العالم فى القرن العشرين .
وبذلك يظهر ان دعوى الحقوق التاريخية لليهود فى فلسطين لا مبرر لها ولا تعتمد على ما يصح الاستناد اليه (٢) .

الحقوق الدينية

ان الحقوق الدينية تستند الى ما جاء فى بعض اسفار العهد القديم . وان البحث العلمى اثبت ان تلك الاسفار ليست هى التوراة الاصلية ، والتى هى كتاب سماوى ، وانما هى من وضع حاخاماتهم ورؤسائهم بعد موسى عليه السلام ، بعدة قرون ، مما لا يدفع عنها تهمة التحريف والاضافة حسب اهوائهم ومخططاتهم .

يقول السيد ندرة اليازجى : لا تعتبر التوراة برمتها توراة ، فالتوراة الحقة كما يدعى البعض، هى الاسفار الخمس الاولى ، وليست هى الا أخبار شعب أو تاريخا قوميا، لا يسعنا القول الا انه مرادف للتاريخ العادى ، لاية أمة حاولت ان تزج الله فى قضاياها القومية ، لذلك لا نستطيع ان نعتمد على التوراة فى شىء ، ذلك لانها **مبادىء سرقت من مصر والكلدان ، وزعمت انها يهودية ووضعت فى قالب قومى شديد ،** ولا يمكننا ان نبقى من التوراة الا على الاجزاء المتعلقة بحياة بعض الانبياء واقوالهم فقط ، وسلخها عن التاريخ القومى اليهودى ، ولكن لما كانت التوراة لا تسمح لنا بهذا ، **فلا بد اذن من ان نهمل مخلفاتها كلها (٣) .**

واذا رجعنا الى الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ، لوجدناه يتضمن ان ابراهيم ومن معه ، اتوا الى أرض كنعان ، واجتازوا الى مكان شكيم (نابلس) وظهر الرب لابراهيم ، وقال : لنسلك أعطى هذه الارض الخ .

وفى الاصحاح الثالث عشر من نفس السفر ، ان ابراهيم اقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون (الخليل) وقال له الرب : ان جميع الارض التى انت ترى ، اعطيها لك ولنسلك الى الابد .

وفى الاصحاح الخامس عشر ان الرب قطع ميثاقا مع ابراهيم قائلا : لنسلك أعطى هذه الارض ، من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات (وعدد اقواما) منهم الكنعانيون واليبوسيون ، الذين هم من العرب .

وفى الاصحاح السابع عشر ان الرب وعده ان يعطى له ولنسله من بعده ، كل أرض كنعان الخ . وفى بعض الاصحاحات ان الوعد مشروط بان يحفظوا عهده ، مما يدل على التضارب فى هذه الاصحاحات عن المساحة التى وعد الله بها ، وعما يتعلق بالموعود ، فتارة يكون الوعد قاصرا على أرض كنعان الواقعة غرب الاردن ، وتارة تشمل اقواما عديدة ومساحات واسعة ما بين النيل والفرات ، وتارة يذكر الوعد لابراهيم ونسله ، وتارة لاسحق ، واخرى ليعقوب ، مما يضعف قيمة هذه الوعود ، أو صحة الاعتماد عليها .

على اننا لو سلمنا جدلا بان كتبهم الدينية تعد نسل ابراهيم بفلسطين فان العرب هم من سلالة اسماعيل بن ابراهيم ، كما ان اليهود هم من سلالة اسحق بن ابراهيم ، وبذلك لا يكون لهم فى فلسطين حق

مطلق . وفوق هذا فان الآيـــة ٤٣ وما بعدها من سفر يشـــوع وردت هكذا : فاعطى الرب اسرائيل جميع الارض التى اقسم ان يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها ، فاراحهـــم الرب حواليهم ، حسب كل ما اقسم لآبائهم ، ولم يقف قدامهم رجل مـــن جميع أعدائهم ، بل دفع الرب جميع أعدائهم بايديهم ، لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح ، الذى كلمه به الرب ، ببيت اسرائيل بل الكل صار :

وعلى فرض صحة صدور الوعد ، يكون وعد الله قد تحقق ، ووعد الله لا يتكرر ، ولا وجه التشبث باوهام لا أساس لها .

على ان صاحبى كتاب تاريـــخ فلسطين ذكرا ان علماء التوراة كانوا قسمين ، فرقة تقول : ان النبـــوات تمت وانقضى زمنها ، وأخرى تقول : ان الله سيعطى البلاد لليهود بعد ان ينتصروا .

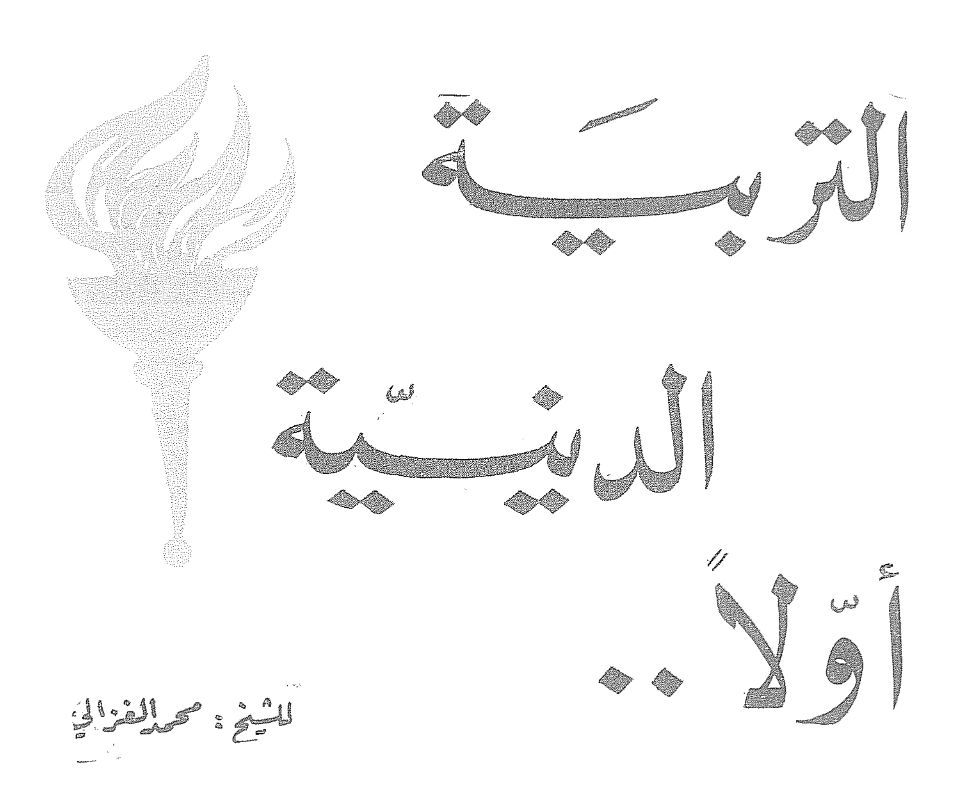
ومع اعتقادنا بان المـــوقف مـــع الصهيونية ليس مـــوقف الاقتنـــاع والحجة ، الا انه ينبغى علينـــا ان نفضح الاساليب التى يعتمـــدون عليها ، ليعرف العالم حقيقة دعواهم وأكاذيبهم (٤) .

وبذلك تبين بجلاء ان كـــلا من الحقوق التاريخية والحقوق الدينية ، التى يتشبث بها اليهود للاستيلاء على ديار العروبة والاسلام ، لا أســـاس لها ، يصح الاعتماد عليه ، وان معظم الاوســـاط الاوروبيـــة والاميركيـــة مضـــللون ، ويجب ان نعمل قدر الامكان على ازالة الحجب عن عيونهم وتوضيح الرؤية .

وان واجب العرب والمســـلمين ، ان يقبلوا التحدى الصهيـــونى ، ويبرهنوا على وعيهم للاخطار التى يتعرض لها وجودهم ، وعقائدهـــم ومقدســـاتهـــم ، وان يكونوا على مستوى مسئولياتهـــم ، وان يردوا على الصهيونية ومن يشايعها من دول الاستعمار والامبرياليـــة ، باثبات وجودهم ، وادراكهم لواجبهـــم ، ويبادروا الى درء الاخطار المتلاحقة ، فى قوة المـــؤمنين ، وصلابـــة المجاهدين ، وتضحية الموقنين بالنصر المبين ، ولينصرن اللـــه من ينصره ، ان الله لقوى عزيز .

---

(١) خمسون عاما فى فلسطين .
(٢) انظر كتاب ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ؟ للكاتب .
(٣) رد على اليهود واليهودية المسيحية ص ٢٧ — ٢٨ .
(٤) المرجع السابق المشار اليه . ماذا بعد احراق الاقصى ؟



التربية الدينية أولاً..

للشيخ: محمد الغزالي

في صدر تاريخنا ، وعلى امتداده مع الزمن ، كان العالم الاسلامي يعرف بحبه للجهاد ، وارتضائه لأشق التضحيات كي يحق الحق ويبطل الباطل .

كان هذا العالم الرحب عارم القوى الأدبية والمادية حتى يئس المعتدون من طول الاشتباك معه فقد كبح جماحهم ، وقلم أظافرهم ، ورد فلولهم مذعورة من حيث جاءت ، أو ألحق بهم من المغارم والآلام ما يظل بينهم عبرة متوارثة وتأديبا مرهوبا . . .

ويرجع ذلك الى أمور عدة ، أولها أن الحقائق الدينية عندنا لا تنفك أبدا عن أسباب صيانتها ودواعي حمايتها ، فهي مغلفة بغطاء صلب يكسر أنياب الوحوش اذا حاولت قضمها وذلك هو السر في بقاء عقائدنا سليمة برغم المحاولات المتكررة لاستباحتها ، تلك المحاولات التي نجحت في اجتياح عقائد أخرى أو الانحراف بها عن أصلها . .

ثم ان الاسلام جعل حراسة الحق أرفع العبادات أجرا ، أجل فلولا يقظة أولئك الحراس وتفانيهم ما بقي للايمان منار ، ولا سرى له شعاع « قيل يا رسول الله : ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ! ثم قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام . . . حتى يرجع المجاهد في سبيل الله » (١) .

واذا كان فقدان الحياة أمرا مقلقا لبعض الناس ، فان ترك الدنيا بالنسبة

الى المجاهدين بداية تكريم الهى مرموق الجلال شهى المنال حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم حلف يرجو هذا المصير ((والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل)) (٢) فأى اغراء بالاستماتة فى اعلاء كلمة الله ونصرة الدين أعظم من هذا الاغراء ؟

لقد كانت صيحة الجهاد المقدس قديما تجتذب الشباب والشيب ، وتستهوى الجماهير من كل لون ، فاذا سيل لا آخر له من أولى الفداء والنجدة يصب فى الميدان المشتعل ، فما تضع الحرب أوزارها الا بعد أن تكوى أعداء الله ، وتلقنهم درسا لا ينسى . .

هل أصبحت هذه الخصائص الاسلامية ذكريات مضت ، أم أنها محفورة فى عقلنا الباطن تحتاج الى من يزيل عنها الغبار وحسب ؟

ان الاستعمار الذى زحف على العالم الاسلامى خلال كبوته الأخيرة بذل جهودا هائلة لشغل المسلمين عن هذه المعانى ، أو لقتل هذه الخصائص النفسية فى حياتهم العامة ، وذلك ليضمن فرض ظلماته ومظالمه دون أية مقاومة !!

وقد توسل الى ذلك بتكثير الشهوات أمام العيون الجائعة ، وتوهين العقائد والفضائل التى تعصم عن الدنايا ، وابعاد الاسلام شكلا وموضوعا عن كل مجال جاد ، وتضخيم كل نزعة محلية أو شخصية تمزق الأخوة الجامعة ، وتوهى الرباط العام بين أشتات المسلمين . . وقد أصاب خلال القرن الأخير نجاحا ملحوظا فى سبيل غايته تلك .

ومن ثم لم تنجح محاولات تجميع المسلمين لصد العدو الذى جثم على أرضهم ، واستباح مقدساتهم . . . وما قيمة هذا التجميع اذا كان الذين ندعوهم قد تحللوا من الايمان وفرائضه ، والقرآن وأحكامه ؟ ان تجميع الاصفار لا ينتج عددا له قيمة !! وان الجهد الاول المعقول يكمن فى رد المسلمين الى دينهم ، وتصحيح معالمه ومطالبه فى شئونهم ، ما ظهر منها وما بطن . . .

عندئذ يدعون فيستجيبون ، ويكافحون فينتصرون ، ويحتشدون فى معارك الشرف ، فيبتسم لهم النصر القريب ، وتتفتح لهم جنات الرضوان . . .

ان الرجل ذا العقيدة عندما يقاتل لا يقف دونه شىء ، أعجبتنى هذه القصة الرمزية الوجيزة ، أسوقها هنا لما تنضح به من دلالة رائعة .

حكوا أنهم فيما مضى كانوا يعبدون شجرة من دون الله ، فخرج رجل مؤمن من صومعته وأخذ معه فأسا ليقطع بها تلك الشجرة ، غيرة لله وحمية لدينه !!

فتمثل له ابليس فى صورة رجل وقال له : الى أين أنت ذاهب ؟ قال : أقطع تلك الشجرة التى تعبد من دون الله ، فقال له : اتركها وأنا أعطيك درهمين كل يوم ، تجدهما تحت وسادتك اذا استيقظت كل صباح !!

فطمع الرجل فى المال ، وانثنى عن غرضه ، فلما أصبح لم يجد تحت وسادته شيئا ، وظل كذلك ثلاثة أيام ، فخرج مغضبا ومعه الفأس ليقطع الشجرة .

فاستقبله ابليس قائلا : الى أين أنت ذاهب ؟ قال أقطع تلك الشجرة ! قال : ارجع فلو دنوت منها قطعت عنقك .

لقد خرجت فى المرة الاولى غاضبا لله فما كان أحد يقدر على منعك !!

أما هذه المرة فقد أتيت غاضبا للدنيا التى فاتتك ، فما لك مهابة ، ولا تستطيع بلوغ أربك فارجع عاجزا مخذولا . . .

ان الغزو الثقافى للعالم الاسلامى استماتت فى محو الايمان الخالص وبواعثه المجردة ، استماتت فى تعليق الاجيال الجديدة بعرض الدنيا ولذة الحياة ، استماتت فى ارخاص المثل الرفيعة وترجيح المنافع العاجلة ..

ويوم تكثر النماذج المعلولة من عبيد الحياة ومدمنى الشهوات فان العدوان يشق طريقه كالسكين فى الزبد ، لا يلقى عائقا ولا عنتا ..

وهذا هو السبب فى جؤارنا الدائم بضرورة بناء المجتمع على الدين وفضائله ، فان ذلك ليس استجابة للحق فقط ، بل هو السياج الذى يحمينا فى الدنيا كما ينقذنا فى الآخرة ...

ان ترك صلاة ما قد يكون اضاعة فريضة مهمة ، واشباع نزوة خاصة قد يكون ارتكاب جريمة مخلة ، لكن هذا وذاك يمثلان فى الأمة المنحرفة انهيار المقاومة المؤمنة والتمهيد لمرور العدوان الباغى دون رغبة فى جهاد أو أمل فى استشهاد ، ولعل ذلك سر قوله تعالى : :

« **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** » (٣) .

ان كلمة الجهاد المقدس اذا قيلت — قديما — كان لها صدى نفسى واجتماعى بعيد المدى ، لأن التربية الدينية السائدة رفضت التثاقل الى الارض والتخاذل عن الواجب ، وعدت ذلك طريق العار والنار وخزى الدنيا والآخرة .

وهذه التربية المغالية بدين الله ، المؤثرة لرضاه أبدا هى التى تفتقر اليها أمتنا الاسلامية الكبرى فى شرق العالم وغربه .

وكل مؤتمر اسلامى لا يسبقه هذا التمهيد الحتم فلن يكون الا طبلا أجوف !!

والتربية الدينية التى ننشدها ليست ازورارا عن مباهج الحياة التى تهفو اليها نفوس البشر ، ولكنها تربية تستهدف ادارة الحياة على محور من الشرف والاستقامة ، وجعل الانسان مستعدا فى كل وقت لتطليق متعه اذا اعترضت طريق الواجب .

كنت أقرأ مقالا مترجما فى أدب النفس فاستغربت للتلاقى الجميل بين معانيه وبين مواريثنا الاسلامية المعروفة ، التى يجهلها للأسف كثير من الناس .

تأمل معى هذه العبارة « يقول جوته الشاعر الالمانى : من كان غنيا فى دخيلة نفسه فقلما يفتقر الى شىء من خارجها !

أليس ذلك ترجمة أمينة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » !

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت نعم يا رسول الله ! قال : فترى قلة المال هو الفقر ؟

قلت : نعم يا رسول الله . قال : انما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب .

واسمع هذه العبارة من المقال المذكور : النفس هى موطن العلل المضنية ، وهى الجديرة بالعناية والتعهد ، فاذا طلبت منها أن تسوس بدنك سياسة صالحة فاحرص على أن تعطيها من القوت ما تقوى به وتصح ، هذا القوت شىء آخر غير الاخبار المثيرة والملاهى المغرية والاحاديث التافهة والملذات البراقة الفارغة ، ثم أنظر اليها كيف تقوى بعد وتشتد ، أن التافه الخسيس مفسدة للنفس !! واعلم

أن كل فكرة تفسح لها مكانا فى عقلك ، وكل عاطفة تتسلل الى فؤادك تترك فيك أثرها ، وتسلك بك أحد طريقين اما أن تعجزك عن مزاولة الحياة واما أن تزيدك اقتدارا وأملا . . .

أليس هذا الكلام المترجم شرحا دقيقا لقول البوصيرى .

واذا حلت الهداية نفسا نشطت للعبادة الاعضاء !

وتمهيدا حسنا لقول ابن الرومى :

أمامك فانظر أى نهيجيك تنهج طريقان شتى ، مستقيم وأعوج

واقرأ هذه الكلمة أيضا من المقال المترجم (٤) : **رب رجل وقع من الحياة فى مثل الأرض الموحلة فكادت تبتلعه ، ولكنه ظل يجاهد للنجاة مستيئسا ، وبينما هو كذلك انهارت قواه ، وشق عليه الجهاد ، وأسرعوا بـه الى الطبيب .. أن الطبيب لم يجد بجسده علة ظاهرة . كل ما يحتاج اليه الرجل مـن أول أمره ، ناصح يعلمه كيف ينازل الحياة وجها لوجه لا تثنيه عقبة ولا رهبة !**

ان هذا الكلام ذكرنى بما روى عن جعفر الصادق : من طلب ما لم يخلق تعب ولم يرزق ! قيل وما ذاك ؟ قال : الراحة فى الدنيا .

وأنشدوا :

يطلب الراحة فى دار الفنا خاب من يطلب شيئا لا يكون !

ان التربية التى ننشدها نحن المسلمين ليست بدعا من التفكير الانسانى الراشد انها صياغة الاجيال فى قوالب تجعلها صالحة لخدمة الحق ، وأداء ضرائبه ، واحتقار الدنيا يوم يكون الاستمساك بها مضيعة للايمان ، ومغاضبة للرحمن ..

والاستعمار يوم وضع يده على العالم الاسلامى من مائة سنة صب الاجيال الناشئة فى قوالب أخرى ، نمت بعدها وهى تبحث عن الشهوات ، وتخلد الى الارض ، فلما ختلها عن دينها بهذه التربية الدنيئة استمكن من دنياها ، فأمست جسدا ونفسا لا تملك أمرها ، ولا تحكم يومها ولا غدها . . .

بل انها فى تقليدها للعالم الأقوى تقع فى تفاوت مثير عندما تنقل المباذل ، ومظاهر التفسخ فى الحضارة الأوربية تنقلها بسرعة الصوت أما عندما تنقل علما نافعا ، وخيرا يسيرا ، فان ذلك يتم بسرعة السلحفاة وكثير من الشعوب الاسلامية تبيع ثرواتها المعدنية والزراعية بأكوام من المواد المستهلكة ، وأدوات الزينة والترف مع فقرها المدقع الى ما يدفع عنها جشع العدو ونياته السود فى اغتيالها وابادتها ..!!

وظاهر أن هذا السلوك استجابة طبيعية لأسلوب التربية الذى أخذت به من الصغر ، وأثر محتوم لاتخاذ القرآن مهجورا ، ونبذ تعاليمه وقيمه ، وهل ينتج ذلك الا طفولة تفرح باللعب المصنوعة ، والطرف الجديدة ، والملابس المزركشة ، والمظاهر الفارغة ؟ ولا بأس بعد توفير هذا كله من استصحاب بعض الآثار الدينية السهلة ! ولتكن هذه الآثار الاحتفال بذكرى قديمة أو زيارة قبر شهير !!

ثم يسمى هذا السلوك التافه تدينا !!

لقد جرب المسلمون الانسلاخ عن دينهم ، وأطراح آدابه ، وترك جهاده فماذا جر عليهم ذلك ؟ حصد خضراء هم فى الأندلس فصفرت منهم بلاد طالما ازدانت بهم وعنت لهم ، وما زال يرن فى أذنى قول الشاعر :

قلت يوما لدار قوم تفانـــوا   أين سكانـك العزاز علينـا ؟
فاجابت هنا أقاموا قليـــــلا   ثم ســاروا ولست أعلم أينا !!

أسمعت هذا النغم الحزين يروى فى اقتضاب عقبى اللهو واللعب ، عقبى اضاعة الصلاة واتباع الشهوات .. ان عرب الاندلس لم يتحولوا عن دارهم طائعين ، ولكنهم أخرجوا مطرودين .

أفلا يرعوى الأحفاد مما أصاب الأجداد ..؟

لقد قرأت أنباء مؤتمرات عربية واسلامية كثيرة اجتمعت لعلاج مشـــكلة فلسطين فكنت أترك الصحف جانبا ثم أهمس الى نفسى : هناك خطوة تسبق هذا كله ، خطوة لا غنى عنها أبدا .

هى أن يدخل المسلمون فى الاسلام ..

اننى ألمح فى كل ناحية استهانة بالفرائض ، وتطلعـا الى الشـهوات ، وزهادة فى المخاطرة والتعب ، وايثارا للســطوح عن الاعماق والاشـكال عن الحقائق ، وهذه الخلال تهدم البناء القائم ، فكيف تعيد مجدا تهدم ، أو ترد عدوا توغل ..؟

ما أحرانا أن نعقل التحذير النبوى الكريم : « انما أخشى عليكم شــهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » .

فاذا أصغينا الى هذا النذير ابتعدنا عن منحدر ليســت وراءه الا هاويــة لاقرار لها ، ثوى فيها ــ من قبلنا ــ المفرطون والجاحدون ؟

---

(١) (٢) الحديثان من رواية البخارى .
(٣) سورة مريم الآية رقم ٥٩ .
(٤) المختار مختصرة عن مجلة « ذى فورم » .

النشاط الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية

لمطلع كبير ..

كان هدف الصهيونية حتى عام ١٩٤٧ انشاء دولة لليهود فى الشرق الأوسط ، ثم صار بعد قيام تلك الدولة فى عام ١٩٤٨ المحافظة على كيانها وتقويتها عسكريا وسياسيا وماليا ، وكان نشاط اليهود الأمريكيين فى كلتا المرحلتين عظيما وواضحا ، بل انه ليقال : « لولا يهود أمريكا — أو بعبارة أخرى : يهود نيويورك — لما قامت اسرائيل ولما صمدت فى دفاعها عن كيانها المعتدى » .

* * *

كان عدد اليهود فى الولايات المتحدة حتى عام ١٨٩٠ م دون المليون نسمة يتركز ربعهم تقريبا بمدينة نيويورك ، وكان هناك اتجاه بينهم نحو الاندماج فى البيئة الأمريكية ولم يكن هناك تشدد ضد التزاوج مع غير اليهودى بل قامت بينهم حركة على يد المهاجرين من المانيا منهم ترمى الى التجديد ونبذ التقاليد اليهودية البالية العتيقة ، ونشأ عن هذه الحركة انقسام دينى بينهم ، لذلك نجد اليهود الأمريكيين الآن طوائف دينية ثلاثة : المحافظين والأرثوذوكس والمجددين .

ولكن حدث فى الفترة ما بين عام ١٨٩٠ وعـام ١٩٢٤ م ان جاءت موجات يهودية هائلة من بلاد شرق أوربا يعرفون بقبائل «الأشكنازميين» بلغ عددهم مليونى نسمة استقـر ثلثهم فى مدينة نيويورك ، جاء هؤلاء بأفكارهم التعصبيـة وفلسـفتهم الصهيونية العـدوانية ومعارضتهم العنيفة للدعوة للاندماج فى البيئـة الجديدة واصروا على وجوب احتفاظ اليهودى بشخصيته اليهـودية بكامل عناصرها ولاموا الدعوة الى الاندماج والتكيف فى البيئة الجديدة ، ونظرا لكثرة عـددهم وخشونتهم وتعصبهم لآمـال تثيـر عـواطف اليهـودى وتتجاوب معها فقد غلبوا عـلى الأفكـار التنويرية التى كان ينادى بها مهاجرو اليهود الألمانيين الـذين كانوا أعلى منهم ثقافـة وأكثر رقـة وتهذيبا ، وبمرور الـزمن صبغوا الجميع بصبغتهم وتلاشـت الفروق بينهم ، وطرحوا القول بأن أمريكـا بوتقة تنصهر فيها الثقافات وجاءوا بفكرة ان أمريكا باقة تلتقى فيها شتى الحضارات مع احتفاظ كل زهرة فيها بلونها وعنصرها ولقيت هـذه الدعوة تاييـدا من بعض الأوربيين البيض الذين كانوا يتهيبون فكرة الانصهار اذا تناولت العنصر الامريكى الأسود الذى هو من سلالات الافارقة الذين جلبهم الأوربيون واستعبدوهم .

انشأ هؤلاء المنظمات اليهوديـة المختلفـة لترعى صالحهم ، كان من أهمها :

« المنظمة الصهيونية الأمريكية » (١٨٩٧) ، والمنظمة الصهيونيـة النسوية المسماة « حداسـة » (١٩٢٢) ، ثم « الوكالة اليهودية » (١٩٢٩) ، وهيئة « مقاومة التشهير باليهود » (١٩١٣) والهيئة الكبيرة المسماة « اللجنة اليهودية الأمريكية » (١٩٠٦) وتشغل الآن هذه المنظمات عمائر كبرى عالية واسعة ولها فروع فى شتى البلاد ، وتقوم بنشاط متنوع وجبار وتتغلغـل فى شـتى نواحى الحياة الأمريكية ، ويعمل أكثرهـا على مستوى عالى .

ومنذ ضعف شأن اليهـود فى المانيا تحت الحكم النازى فى السنوات السابقة على بدء الحرب العالميـة الأخيرة فى عام ١٩٣٩ اعتبر يهود امريكا انفسهم الهيئة الراعية لمصالح جميع اليهود فى العالم والساهـرة على سلامتهم والمسئولة عن حقوقهم فتتبنى أهدافهم وتعمل بشتى الوسائل على تحقيق أمانيهم ، ولقد استغلوا الاضطهاد الذى انزلته النازية بيهود المانيا ، وعداء الحلفاء النازية فى نفس الوقت فى جلب عطف الغربيين عليهم، وادخلوا فى روع الجميع ان هتلـر قتل منهم ستة ملايين نسمة وبالغوا ولا يزالون ، فى تصوير وحشيتـه النازية عن طريق شاشة السينمـا والتلفزيون والصحافة ونظرا لكراهية الغرب لألمانيا النازيـة فقـد لقيت دعاياتهم اذنا صاغية ، ونفوسـا متأثرة ، وقد سموا أى موقف أو قول لا يتفق مع اغراضهم « معاداة السامية » وهى تسمية خاطئة لانها معاداة لليهود وحدهم لا للساميين جميعا ، ولكنهم نجحوا فى هـذه التسمية وجعلوها مقبولـة مسلمة لدى الغربيين ، وربطـوا هـذا المصطلح بأعمال النازيين وجرائمهم ضدهم حتى أصبح الفـرد الغربى الآن يخشى للغاية الاتهام بهذه الشبهة لما يلحقه من عار ودمار ، ولا يتورع اليهود من ان يوصموا بهذا الاتهام

أى مخلوق يتصرف أو ينطق بغير ما لا يرضيهم .

*   *   *

وكان من عمل اليهود الأمريكيين فى المرحلة الأولى من تأسيس اسرائيل المزعومة ما يلى :

أولا : أثروا على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الأولى بايعاز من الأنجليز فدخلت أمريكا الحرب لصالح الحلفاء ، وكافأتهم انجلترا على ذلك بوعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧ م .

ثانيا : ومنذ ذلك الحين يرسمون الخطط لاقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ويعملون على تهجير اليهود اليها بشتى الطرق مستخدمين فى ذلك أموالهم والسنة دعاياتهم ذات الانتشار الواسع ، من صحافة وغيرها ، كما مولوا الحركات الارهابية اليهودية بفلسطين وأمدوها بالسلاح وعملوا على شراء الاراضى هناك وخاصة منذ تأسست الوكالة اليهودية التى يعتبر مكتبها فى مدينة نيويورك اعظم فروعها .

ثالثا : ولما تكونت هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب الثانية واتخذت مدينة نيويورك مقرا لمركزها الرئيسى ثم عرض مشروع تقسيم فلسطين على هيئة الأمم لعب اليهود دورا كبيرا لنجاح هذا المشروع الذى لم يكن فى صالح العرب حينئذ ، بل لم تكن لهيئة الأمم صلاحية لتفرض على أمة عزلاء التنازل عن الجزء الأفضل من بلادها لعدو مسلح خبيث ، لذا كان اكثر الأعضاء فى غير جانب المشروع ، ولكن لجأ اليهود لشتى الطرق للتأثير على الأعضاء وعملوا من وراء الكواليس للتصويت فى صالح المشروع ، واستخدموا فى ذلك نفوذ الرئيس الأمريكى لدى بعض الدول التى تتلقى معونات من أمريكا للضغط على مندوبيها فى هيئة الأمم ، وبذلك مر المشروع عام ١٩٤٧ رغم معارضة أصحاب البلاد الشرعيين .

*   *   *

وبعد أن اقاموا دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ يعمل اليهود الأمريكيون للأهداف التالية :

١ — الدعوة الى الفلسفة الصهيونية وجعلها عقيدة مقبولة ثابتة مسلمة ، والعمل على تدعيم اسرائيل وتنفيذ سياستها أيا كانت والدفاع عنها ، واظهار اسرائيل بمظهر المسالم الوديع الذى تتجمع حوله الذئاب لتنهشه .

٢ — مساعدة اليهود فى كل مكان وخاصة من بقى منهم فى بلاد لا تتودد للصهيونية ولا تقبل عدوانها مثل روسيا والبلاد العربية ، فيعملون على تهجيرهم الى اسرائيل بالذات ، أو الى غيرها كالولايات المتحدة الأمريكية ويرصدون الأموال الكثيرة ويخططون لذلك فى دقة .

٣ — الحفاظ على الشخصية اليهودية دينيا وثقافيا وعنصريا والعمل على عدم الاندماج أو الذوبان فى البيئات المحيطة ، واحياء التراث اليهودى واللغة العبرانية واظهار اليهودية على انها منبع الأديان ورأس الحضارة والثقافات،وبث فكرة أن اليهود شعب الله المختار وترويج الزعم بان كل ما تم من أعمال مجيدة فى التاريخ — حتى بناء الاهرامات — واختراع الاصطرلابات وما كان من اختراعات أخرى واكتشافات انما كان بفضل عباقرهم وعمل النابغين من بينهم ويسلك اليهود شتى الأساليب

لتحقيق هـذه الأهـداف ، ومن هذه الأساليب ما يلى :

أولا : تنظيـم نشاطهـم المتنوع المتشعب تنظيما دقيقا والقيام به عن طريق منظماتهم المختلفة التى تحدثنا عن بعضها من قبل كاللجنة اليهودية الأمريكية ، والمنظمات الصهيونيـة والوكالة اليهودية ، ثم « الصندوق الاتحادى للاكتتابات » الذى أنشىء عام ١٩٣٩ ومنذ ذلـك الحين وهو يبعث الأموال الطائلة الى حركـات الارهاب اليهودية بفلسطين ثم بعد ذلك الى حكومة اسرائيل .

ثانيا : الضغط عـلى الهيئـات والحكومات :

كالضغط على البنوك مثلا بمعاملة موظفيه اليهود معاملة خاصة فاذا تردد البنك أوعزت المنظمات اليهودية الى زبائنه بسحب حساباتهم منـه ومقاطعته ، واذا مالت احـدى الصحف للاعتدال فى القضية العربية أوعزوا الى اليهود ألا يعلنوا فيهـا فتفلس الصحيفة حيث ان مواردها من الاعلانات ، وهـكذا ، وقد رأينا كيف استفادوا من الضغط عـلى الحكومة الامريكية لدخول الحـرب العالميـة الأولى ليحصـلوا عـلى وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وبضغطهـم عليها حصلت اسرائيل على طائرات الفانتوم ويضغطون الآن عليها للمزيد منها ، الى جانب ما يهربونه اليهـا سرا أو علانية ، ومن تدبيرهم انهـم يوقتون اجتماعات مؤتمراتهم أثنـاء المعـارك الانتخابية عـلى مختلف المستويات أو عند نشوء أزمة معينة تعنيهم ، ثم يدعون المرشحين ليخطبوا فى مؤتمراتهم ، وبما ان المرشـح بحاجة الى تأييدهم فهو مضطر ليتكلم فى صالحهم فتعتبر تصريحاتـه فى نظرهم عهـدا يأخذونه بـه اذا ظفر بالحكم ، ومما يجعلهم موضع العناية من السياسيين انهم رغم ضآلـة عددهم حيث لا يزيدون عن ستـة ملايين نسمة موزعين عـلى سائر البلاد ، أى مالا يزيد على ٣٪ من مجموع السكان فانهم حريصون على استخدام حقهم الانتخابى واستغلاله فى صالحهم ، أضف الى ذلك نفوذهم القوى على الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة ، كأمواج الاذاعـة وقنوات التلفزيون ودور المسارح وشاشـة السينما ، فلهم فى كل ذلـك النفوذ الأكبر والسيطرة الواضحة عن طريق أموالهم ونشاطهم فى كل منها ، ومن وسائلهم فى الضغط العمل من وراء الكواليس والاندساس فى الحفلات والمجتمعـات والمنتديات لا لأغراض التجسس فحسب بل بقصد التأثير على ذوى النفوذ أو الأعضاء فـى مجلس يوشك ان ينظر ويتخذ قرارا فى أمر يعنيهم ، وأكبر مثل لذلـك تأثيرهم على ممثلى الدول بهيئـة الأمم المتحدة للتصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين عـام ١٩٤٧ ، ومنذ قوى شأنهم ازداد نشاطهم فى هذا السبيل مستفيدين من وجود السفارة والقنصليات الاسرائيلية التى تتوصل بسهولة لكبار رجال الحكومة وأعضاء الكونجرس — وبعضهم من اليهـود أيضا — وتتعاون السفارة والممثلون الاسرائيليون بوضوح مع زعمـاء الصهيونية ، وييسر عملهم درايتهـم بالخبايا والاوضاع .

وبفضل هـذه الوسائل نجـح الصهيونيون فى التأثير على سياسة أمريكا التى أصبحت تعتبر اسرائيل ابنها اللقيط وتؤيدهـا فى دورهـا كرأس جسر للاستعمار على مشارف الطرق الى آسيا وأفريقيا ، حتى ان بعض أعضاء مجلس الكونجـرس أصبحوا ينظرون الى اسرائيل وكأنها

ولاية أمريكية مما يجعل حمايتها والدفاع عنها وتنمية اقتصادها واجب مقدس فى نظرهم ، وان الحفاظ على الكيان الاسرائيلى انما هو حفاظ على المصالح الأمريكية ضد النفوذ الروسى المتزايد فى منطقة الشرق الأوسط .

ثالثا : جمع الأموال عن طريق الاكتتابات بطرق منظمة وعلى جميع المستويات من بينهم ومن بين انصارهم وذلك بحجة الانفاق على خدمات اجتماعية ولذلك تعفى هذه الاكتتابات من الضرائب ، ولكن يرسل ٧٠٪ من الحصيلة السنوية على الاقل الى اسرائيل عن طريق الوكالة اليهودية ، ومنذ انشىء صندوق الاكتتاب اليهودى عام ١٩٣٩ وهم يجمعون الملايين ، كان يرسل أكثرها ليصرف على الأعمال الارهابية فى فلسطين فلما أقاموا اسرائيل عام ١٩٤٨ بلغ ما أرسل لها ذاك العام مائتى مليون دولار ، ثم توالت المساعدات اليهودية لاسرائيل سنويا بمبالغ هائلة ، ويقال أن مجموع ما تبرعوا به لاسرائيل فى العامين التاليين لحرب عام ١٩٦٧ بلغ ٧٥٠ مليونا ويعملون على جمع خمسمائة مليون فى العام الحالى ، والمعروف أن من الأهداف الكبرى لاسرائيل تجميع يهود العالم فيها لاستعمار الاراضى المغتصبة ، ولكن يهود أمريكا لم يهاجر منهم لاسرائيل الا القليل ويقتصر تأييدهم حاليا على مد اسرائيل بالمال والعتاد وترويج سياستها والدفاع عنها وتهجير يهود روسيا والبلاد غير الموالية اليها .

رابعا : اهانة العرب ودينهم واظهارهم بمظهر التأخر والرجعية ووصمهم بالفساد والاسراف والجهل والوحشية ليخذل الشعب والحكومة قضايا العرب ، ويظلوا على مناصرة اليهود والصهيونية ، يستخدمون فى ذلك بصفة خاصة شاشة السينما والتلفزيون والمسارح ، يلبسون العربى شخصية المزواج السكير المتجر بالعبيد المستهين بالاعراض الجارى وراء الشهوات وحشيا مسرفا مبذرا لاقيا فى النهاية مصيرا ذليلا مهينا على يد يهودية أو يهودى فيؤثرون بذلك على المشاهدين والمشاهدات فى وقت ومناسبات مستعدين فيها للتقبل والتأثر ، وبالاخص من قبل الشباب والناشئة ومن خلا ذهنه عن الحقيقة من الكبار ، وقد امتد نفوذهم — بالاضافة الى الصحافة والتلفزيون والسينما — الى الجامعات ودور التعليم غير اليهودية فيبثون السموم ضد الاسلام فى المحاضرات والكتب الدراسية ، ويستغلون فى ذلك احقاد المسيحية الصليبية وجهل الابرياء ثم تخاذل المسلمين وتفرق العرب حتى أمام هذا العدو الذى يهدد كيانهم ويخرب ديارهم ويستبيح دماءهم وأموالهم .

خامسا : التشهير بما يسمونه « التعصب ضد السامية » وقد بينا كيف يتخذون من هذا التعصب ذريعة لجلب العطف عليهم وعلى قضاياهم مستغلين الاتجاه الحديث للكنائس من التفاهم مع مختلف الأديان لمواجهة المبادىء اللادينية ، وبشىء من الضغط على رؤساء الكنائس ، أو بدون ضغط لدى الحمقى ممن يحقد على الاسلام من بينهم ويريد ان يتملقهم فيستكتبونهم كما يستكتبون المشاهير من الاساتذة والعلماء والكتاب تصريحات ونداءات موقعا عليها منهم لصالح اسرائيل والصهيونية وينشرونها فى شكل بارز على صفحات الجرائد ويذيعونها على الأثير وعلى شاشة التلفزيون

للتأثير بها على الناس ، ثم انهم يؤولون عبارات العهد القديم ليجعلوها تتنبأ بما يجب أن يحدث لبنى اسرائيل فى العصر الحديث من مجد وعز ولعدوهم من ذل ودمار .

وبعد : فان تمسك اليهود واعتصامهم بما يعتقدون انه دينهم ويزعمون انه تقاليد اسلافهم ، ثم استفادتهم من وسائل الدعاية الحديثة ، وترابطهم فيما بينهم حتى على باطلهم جلب الكثيرين من ذوى النفوذ الى جانبهم واعانهم على تحقيق هدفهم رغم ما ينطوى عليه من ظلم وعدوان ، ولعله آن الاوان لنا معشر المسلمين لنجتمع ونتحد كى يرد الله عنا ما لحق بنا من ظلم ويعيننا على استرداد مجد أسلافنا الأبرار .

حقائق وأرقام

١ — انه ، عندما نشأت مشكلة فلسطين عام ١٩١٧ ، كان أكثر من ٩٠ ٪ من كان فلسطين عربا ؟ وانه لم يكن فى فلسطين ، فى ذلك الوقت ، أكثر من ٥٦٠٠٠ يهودى ؟

٢ — وان أكثر من نصف أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين فى ذلك الوقت ، كانوا من المهاجرين الجدد — الذين قدموا اليها فى السنوات الخمس والثلاثين السابقة هربا من الاضطهاد فى أوروبا؟ وان أقل من ٥ ٪من سكان فلسطين عام ١٩١٧ كانوا من اليهود الفلسطينيين المواطنين ؟

٣ — وان عرب فلسطين كانوا يمتلكون فى ذلك الوقت ١/٢ ٩٧ ٪ من الاراضى ، بينما لم يكن فى حوزة اليهود (المواطن الفلسطينى منهم والمهاجر الجديد) الا ١/٢ ٢ ٪ من الاراضى ؟

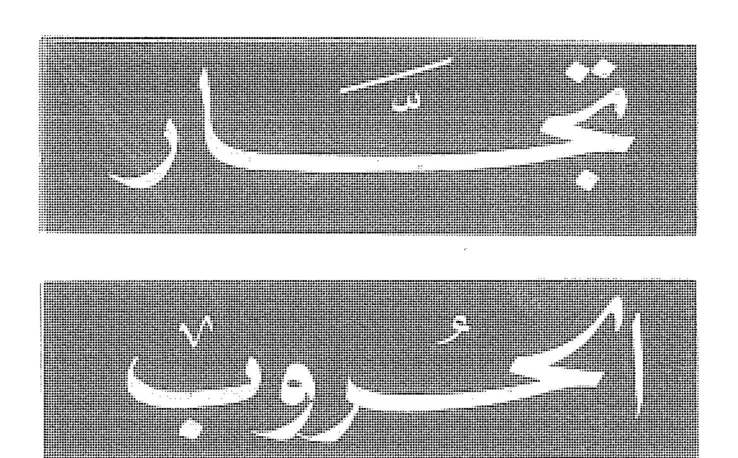
٤ — وانه ، خلال ثلاثين عاما من الاحتلال والحكم البريطانى ، لم يستطع الصهيونيون ان يتملكوا سوى ١/٢ ٣ ٪ من أرض فلسطين — وذلك على الرغم من تشجيع الحكومة البريطانية ؟ وان الحكومة البريطانية هى التى نقلت ملكية معظم هذه الاراضى الى الهيئات الصهيونية ، ولم يبعها ملاكها العرب ؟

٥ — وانه ، لذلك ، لم يكن فى حوزة الصهيونيين أكثر من ٦ ٪ من مجموع مساحة أراضى فلسطين عندما نقلت بريطانيا قضية فلسطين الى الأمم المتحدة ١٩٤٧ ؟

٦ — وانه ، على الرغم من هذه الحقائق ، فقد أوصت الجمعية العامة للامم المتحدة بانشاء « دولة يهودية » فى فلسطين ، وان توصية الجمعية العامة منحت هذه « الدولة » المقترحة حوالى ٥٤ ٪ من مجموع أراضى البلاد ؟

٧ — وان اسرائيل استولت أثر ذلك (ولا تزال تستولى) على ٤٨ — ٨٠ ٪ من مجموع مساحة أراضى فلسطين ؟

٨ — وان معظم هذا التوسع حدث قبل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، أى قبل انتهاء الانتداب البريطانى رسميا وانسحاب القوات البريطانية من فلسطين ، وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين وقيام الحرب بين الدول العربية واسرائيل ؟



بقلم : الأستاذ عبد الله التل

إن الثورات والانقلابات والحروب التى وقعت منذ عصر التسامح مع اليهود ، وهو الممتد عبر القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ، تكاد تكون من صنع اليهود أنفسهم ، لجأوا إليها تنفيذا لتعاليم التوراة والتلمود التى تحض على القضاء على غير اليهود كلما استطاع اليهود إلى ذلك سبيلا ، مستخدمين كل السبل التى توصلهم الى أهدافهم البعيدة فى حكم العالم من (أورشليم) عاصمة ملكهم كما يدّعون . ويسعى اليهود قبل الالتجاء الى سفك دماء الجوييم (Goyim) وإبادتهم ، الى السيطرة عليهم ماديا وثقافيا وروحيا لتسهل مهمة تدميرهم والقضاء عليهم . فمن الناحية المادية استطاع اليهود أن يمتلكوا المال والذهب ويسيطروا على المصارف وغيرها من المؤسسات الاقتصادية التى تتحكم فى المال الأوروبى الأمريكى . وبذلك سيطروا على كبار الشخصيات العالمية التى تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا فى زج بلادها فى حروب تكون نتائجها لصالح اليهود وحدهم . ولقد تعددت وسائل اليهود وتنوعت لإغراء الشخصيات العالمية ودفعها للوقوف الى جانبهم . ومن هذه الوسائل إغداق المال وعرض المناصب ذات الجاه والمناصب العلمية ووسيلة الخداع فى النواحى الدينية ثم الارهاب .

أما المال فهو السلاح الذى أذلّ وما زال يذل كبار شخصيات العالم التى استطاع اليهود شراء ضمائرها وتسخيرها فى خدمة اليهودية العالمية . ومن لم ينفع معه إغراء المال اشتراه اليهود بالألقاب العلمية التى أغدقوها على عدد لا يحصى من رجال الغرب ، استصدر اليهود بها قرارات من جامعات يسيطرون عليها . ولا يخفى أن عددا كبيرا من اليهود حصلوا على الألقاب العلمية الرفيعة بطريقة أو بأخرى ، ليخدعوا العالم بألقابهم العلمية ، مع أنهم

فى حقيقة أمرهم أحط شعوب الأرض علما وخلقا ومدنية ، بدليل أنهم لم يتركوا منذ آلاف السنين أى أثر لمدنيـــة أو فلســـفة اذا مـــا قورنوا بأى شعب من شعوب العالم .

ويكسب اليهود فريقا من الشخصيات العالمية عن طريق التضليل الدينى التاريخى ، موهمين ضحاياهم أنهم الشعب المختار الذى نصت نبوءات التوراة المدسوسة على وجوب عودته الى — أرض الميعاد — ...! كما يكسبون عددا آخر من رجال السياسة العالمية بالارهاب اليهودى الذى يهدد كل صاحب قلم حر . ولدى اليهود من الجمعيات الإرهابية السرية ما يؤمن لهم الوسائل الكفيلة بتنفيذ تهديدهم أى إنسان من شعوب الغرب الأعمى الذى ســـعى الى حتفه بظلفه وشجع اليهود على التمادى فى غيهم وطغيانهم . ولقد كان من نتيجـــة التسامح الغربى الأبله استفحال شر اليهودية العالمية وتمكنها من إثارة الفتن والحروب والثورات ، بعد أن سيطرت على اقتصاد دول الجوييم وأذلت كبـــار الحكام ورجال السياسة والفكر فى الغرب الأعمى . فلنتتبع فى هذا المقال أثر اليهود فى أهم الثورات والانقلابات والحروب التى حدثت فى عصر التســـامح ، مبتـــدئين بآل روتشـــيلد وما كان لهم من أثر فى تلك الثورات والانقـــلابات والحروب .

آل روتشـــيلد

كانوا وما زالوا يمثلون قوة المال فى اليهـــودية العالمية طـــوال القرون الثلاثة الماضية . ولد جدهم الأكبر (ماير أمشيل روتشيلد) ١٧٤٣ — ١٨١٢ فى مدينة فرانكفورت بألمانيا من أب صاحب بنك . وحين أرسله أبوه ليدرس الدين اليهودى ويصبح حاخاما ، لم يجد عنده الاستعداد لهذه الدراسة . فانكب على الأعمال المالية والتجارية منذ طفولته . واشترك فى أعماله التجارية مع يهودى آخر اسمه جاكوب شيف الذى أصبح فيما بعد وذريته من أكبر أغنياء نيويورك . ووطد روتشيلد صلاته بملك ألمانيا ذى الثراء الفاحش ، واستثمر له أمواله فى الدنمارك ، فتضاعفت أرباحه وازداد وثوقا به . وحين غزا نابليون ألمانيا وهزم البروسيين (١٨٠٦) هرب الأمير وليم وترك أمانة عند روتشيلد الذى استغلها وتاجر بها وساعد نابليون ضد الألمـــان الذين أحسنوا إليه وتسببوا فى ثرائه الفاحش . وأنجب روتشيلد خمسة أولاد وخمس بنات ، وزعوا أنفسهم على العواصم والمدن فى أوربا وأمريكا ليؤســـسوا فروعا لبنك روتشيلد فى هاتين القارتين . ظل أمشيل الثـــانى فى فرانكفورت الى جـــانب والده ، واستقر سولومون فى فينا بالنمسا ، وناثان فى لندن ، وكارل فى نابولى بايطاليـــا ، وجيمس فى باريس . واشتغلوا فى الأعمال المصرفية والربا والقروض المحلية والدولية ، وكونوا بذلك أخطر أخطبوط اقتصادى فى تاريخ الانسان . ولعب هذا الأخطبوط الاقتصادى أدوارا رئيسية فى اثارة الحروب والفتن والثورات بمساعدة الماسونية اليهودية والجمعيات السرية التابعة لها .

كان اليهود من وراء الثورة الفرنسية التى جاءت بالشعار المزيف ـــ حرية ، مساواة ، إخاء ـــ ذلك الشعار الذى اخترعته الماسونية اليهودية لتخدع به العالم وتقضى على مقومات بقاء الدول والتحكم فى مصائرها . وفى العهد الذى قامت به الثورة الفرنسية ١٧٨٩ كان حكام الدول الأوربية وقادتها بما فى ذلك روسيا وبولندا ، يتبادلون أنظمة التعليم العلمانى وأفكار الإصلاح التى روج لها اليهود . وحين قامت الثورة كان المحفل الماسونى الأكبر فى باريس مركزا لتجمع قادة الثورة . وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية فى ذلك المحفل . وتعترف دائرة المعارف الماسونية : « انه منذ القرن السادس عشر والبناؤون الأحرار فى مقدمة القائمين بحركات اجتماعية سلمية كانت أو عنيفة ، قلبت الأوضاع القديمة ووضعت الأسس الديمقراطية الحديثة . وكانت الثورة الفرنسية فى مقدمة هذه الحركات الاصلاحية القوية العنيفة ... »

وتضيف دائرة المعارف الماسونية الى اعترافها :

« قال لامرتين ان اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى فى سنوات ١٧٨٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ . وقال المؤرخ السياسى الاقتصادى لويس ربلان بأن الماسونية كانت معملا للثورة ، وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة ـــ الانسكلوبيديا ـــ وحقا قال ، فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن ، تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ... ولا غرابة فى الأمر ، فالماسونية قد اتخذت شعارا لها كلمات ثلاث ، حرية ، مساواة ، إخاء ، اتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية شعارا ... »

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كان وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها ، وتذكر أسماءهم صريحة وهم :

دانيال اتزج (١٧٢٢ ـــ ١٧٩٩) من برلين
ديفد فريد لاندر (١٧٥٠ ـــ ١٨٣٤) من برلين
هرز سيرف بير (١٧٣٠ ـــ ١٧٩٣) الالزاس
بنجامين جولد سمد (١٧٥٥ ـــ ١٨٠٨) لندن
ابراهام جولد سمد (١٧٥٦ ـــ ١٨١٠) لندن
موزس موكاتا (١٧٦٨ ـــ ١٨٥٧) لندن وهو عم المليونير اليهودى الانجليزى مونتفيورى .

وحين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهوديا توراتيا تلموديا . إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا وتآمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس ، وكانت غايتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك الى النبلاء ورجال الدين ، وطمس القوانين ، وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمى . ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها ، بل قام بها أجانب يتسترون وراء قوة سرية ترمى الى هدم كل شىء فى فرنسا . ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الأسرة الحاكمة وبين الشعب ، ثم باثقال كاهل البلاد بالديون اليهودية التى

تظهر الملك الحاكم أمام شعبه مبذرا أنانيا ظالما . ومعروف أن نيكر Necher اليهودى كان وزيرا لمالية لويس السادس عشر ملك فرنسا . فأغرق هذا الوزير فرنسا بالديون حتى وصلت ١٧٠ مليون جنيه استرلينى ، وهى ديون باهظـــة فى ذلك الحين . وكانت الملكة مارى أنطوانيت بما لها من قوة الشخصية عقبة فى طريق خطط اليهود والماسون . وتلقت منهم الإنذار تلو الانذار لتفسح لهم مجال العمل فلم تعبأ بهم . فرسموا خطة تجويع فرنسا . ثم أشاعوا أن الملكة قد أوصت على عقد ماسى بربع مليون جنيه بينما شعبها يتضور جوعا ... واستغلت الصحافة الواقعة تحت تأثير اليهود الحـــادث المختلق لنشر هـــذه الأكذوبة بين الشعب الجائع . ولم تكن الملكة فى وضع يمكنها من تكذيب الاشاعة التى اختلقها اليهود العاملون بتجارة الجواهر .

وفى سنة ١٧٨٩ أكره الدائنون اليهود ملك فرنسا على إصدار قوانين تسهل لهم سرقة العرش والكنيســة وتدمر الأعيان والنبلاء والتقـــاليد والثقافة والثروة الوطنية . واشتعلت الفتنة ، وسارت المظاهرات تطالب بقتل الملك . وكان من أبرز رؤوس الفتنـــة شولديرو دى لاكوس مدير القصر الملكى وهـــو يهودى إسبانى ، ومانيول قائد عامة الشعب وهو يهودى إسبانى كذلك ، وهو الذى قاد الحملة ضد الملك وعائلته وأعدمهم فى الدير . وكان من بينهـــم ديفد الرسام وهو يهودى كان يرأس لجنة الأمن العـــام ويحاكم الضحايا الأبرياء . وفتك اليهود ومعهم الشعب الأعمى بالملكة بعد أن سيق زوجها لويس السادس عشر الى المقصلة ، كما فتكوا بعشرات الألوف من أبناء فرنسا الأبرياء .

واتبع الثوار طريقة اليهود التوراتية التلمودية فى ذبح الأسرى والمساجين وذبح النساء والأطفال ورجال الدين ، وهدم الكنائس والأديرة ونهب أموالها ومصادرة ممتلكاتها التى كانوا يذيعون أنها تزيد على ١٥ مليار فرنك ، وحين تم تقديرها بعد النهب والتدمير ، وجد أنها لم تزد على مليار فرنك وزعت على اليهود الذين قادوا الثورة . وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بذلك العمل التاريخى العظيم ، الذى خدم الانسانية وأعطى وثيقة حقوق الانسان .. !

وهى لعمرى فرية يهـــودية انطلت عـــلى ملايين البشر الذين انخـــدعوا بالأكاذيب اليهودية ، كما انخدعوا بالتاريخ المزيف الذى كتبه اليهود وعملاؤهم عن السلطان عبد الحميد والعثمانيين بشكل عام .

فالثورة الفرنسية غدت فى حقيقتها من أســـباب شقاء العـــالم وإذلال الشعوب وتسخيرهـــا لخدمة اليهودية العـــالمية التى خططت للثورة وموّلتها ونفذتها وجنت أرباحها . ويكفى أن نذكر الحقيقـــة المرة وهى أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية سنة ١٧٨٩ قد تحولت تدريجيا الى مزرعة يهـــودية بمالها وثقافتها وعلمهـــا وسياستها واقتصـــادها . كما غدت فرنســـا بفضل

التسامح المخل الذى فرضته الثورة ، بؤرة فساد ، توزع الرذيلة والفسق والفجور على العالم بأسره . كما تولى اليهود عملية تحويلها الى ماخور للترفيه عن الأثرياء والأفاقين والمغامرين الذين يرحلون الى فرنسا للاستمتاع بالفن اليهودى الفرنسى والمدنية اليهودية المدمرة .

أثر اليهود فى حروب نابليون

استمر اليهود فى استغلال الثورة الفرنسية بعد أن حطموا أسس الدولة من نواحيها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية ، وأصبحوا القوة الحقيقية التى ترهب الشعب الفرنسى تحت ستار الشعار المزيف حرية ، مساواة ، إخاء . وحين انتهت السلطة العليا فى فرنسا الى نابليون ، انتهز اليهود الفرصة وأخذوا فى الاتصال به والإيحاء اليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة رجال الدين منهم . ويقول ليفى أبو عسل فى كتابه الذى نشره عن اليهود فى مصر قبل ست وثلاثين سنة :

« ... وقد أدرك نابليون بفرط ذكائه ما يمكن أن تنتجه أذهان اليهود . وكان يعلم أن انقاذهم وإعادة نشاطهم فى ميدان السياسة ومناحى الثقافة فى وطن أجدادهم وفى جزء من الأقاليم المصرية لا يقتصر أمرهما على أن يكون حادثا تاريخيا وإنسانيا فحسب ، بل يجب أن يكون من الوسائل الفعالة لتحقيق ما له — لنابليون — من المقاصد الكبيرة والمرامى البعيدة فى الشرق ... وقد تأهب نابليون لهذا الأمر بأن ضم اليه اليهود والذين كان يجب أن يفعلوا ما يطابق الحالة الجديدة التى سيشرع فى ايجادها ولكى يتمكن من احتلال فلسطين من أقصاها الى أقصاها . ولإحاطة جيوشه بسياج من الأمن والطمأنينة .. »

ونجحت عمليات الاتصال بنابليون ومخادعته وإيهامه بقوة اليهود وما يناله من خير حين يستعين بهم فى حروبه . وتخلق نابليون القائد المغوار بأخلاق اليهود الخادعة الخسيسة ، وانحط الى مستواهم فى الغش والتلون والمكر . ففى الوقت الذى كان فيه يصدر نداءه ووعوده لليهود باقطاعهم أرض مصر وفلسطين ، كان يتظاهر أمام المصريين بالصلاح والفلاح حتى انه ادعى الاسلام فى منشوره الكاذب الذى جاء فيه :

« ... يا أيها المصريون قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه .. أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لأمتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون ... »

وتكشفت وعود اليهود لنابليون عن أوهام وأحلام ، فلم تظهر لهم أية قوة فى الشرق يمكن أن تعينه على تحقيق أطماعه العسكرية وأطماعهم اليهودية . وتحطمت الآمال والأحلام على صخرة الدفاع فى عكا . واندحر نابليون القائد الجبار الذى لم يهزم ، أندحر أمام القوة الصغيرة المؤمنة الصابرة . وتضيع مع اندحاره آمال اليهود وأحلامهم فى الاستيلاء على مصر وفلسطين — الى حين — .

واليهود فى جميع أعمالهم وخططهم لا يخدمون الا أنفسهم . فهم تجار حروب لا يتورعون عن امتصاص دماء الشعوب فى الوقت الذى تحترب فيه تلك الشعوب بدوافع يهودية غايتها سفك دماء الجوييم أو الجنتايلز كما يسمون غير

اليهود . وهم فى الحـــروب والثورات جميعها ينقســـمون على جانبى المعركة ليتمكنوا من ابتزاز أموال الطرفين المتحـــاربين . فآل روتشـــيلد وغيرهم من أصحاب الملايين اليهـــود ، كانوا يقســـمون أنفسهم بين الاطـــراف المتحاربين لاستغلال المعارك فى جمـــع الملايين من دماء الشـــعوب الغافلة . ففى حرب نابليون مع بريطانيا ، كان أغنياء اليهود يقدمون القروض للانجليز والفرنسيين معا . وفى معركة واترلو لعب روتشيلد لندن لعبة يهودية قذرة بأن دبر مـــع روتشيلد باريس طريقة سرية لنقل أخبار المعركة . واستطاع روتشيلد لندن أن يعلم من أخيه فى فرنسا رجحان كفة الانجليز فى المعركة . فما كان منه الا أن ذهب للبورصة متجهم الوجه فظن الانجليز أن المعـــركة خاسرة . وأقبلوا على بيع الأسهم فهبطت أسعارها فى دقائق لتجد عملاء روتشيلد يشترونها بأثمان زهيـــدة . ثم تصل أنبـــاء المعركة الرسمية الى لندن بعـــد ساعات من شراء الأسهم من المساهمين البؤساء . وفى صباح اليوم التالى يكون خبر النصر قد انتشر فى البلاد . وتفتح البورصة أبوابها لتعود الأسهم الى الارتفـــاع من جديد وليربح روتشيلد لندن عشرة ملايين دولار فى أقل من أربع وعشرين ساعة .

ولم يكتف اليهود بالاتجار فى أموال الناس وسرقتها عن طريق البورصة والقروض والربا ، بل كانوا يتحكمون فى التموين والغذاء اليومى للشعب فى كل من بريطانيا وفرنسا . ففى بريطانيا مثلا كانوا يحملون السيف ذا الحدين ، بمعنى أن الحكومة البريطانية كانت تشترى الذهب من روتشلد لتشترى بالذهب التموين من روتشيلد نفسه . .

وحين فرضت الدول المتحالفة على فرنسا — بعد معركة واترلو — معاهدة باريس الثانية ٢٠ نوفمبر ١٨١٥ كان من بنودها أن تدفع فرنسا غرامة حربية مقدارها سبعمائة مليون فرنك . فلجأ لويس الثامن عشر الى جيمس روتشيلد لاقتراض المبلغ ، فاشترط هذا أن يحصل اليهود على منصب رفيع فى القصر الملكى .

وصحا نابليون فى أيامه الأخيرة وقبل سقوطه وأدرك الى أى مدى نجح اليهود فى خداعه والغدر به فقال عنهم :

« لقد عزمت على تحسين أحوال اليهود ، غير أنى لا أريد زيادة منهم فى مملكتى . لقد عملت بالفعـــل كل ما يثبت ازدرائى لأحقـــر شعب على وجـــه الأرض . . . »

أثر اليهود فى ثورات القرن التاسع عشر وحروبه

استفحل أمر اليهود بعد نجاحهم الحاسم فى الثورة الفرنسية ، وما نالوه بعدها من مكانة مرموقة فى فرنسا وغيرها من بلدان أوربا ، مما شجعهم على التمادى فى خلق الفتن وتدبير المؤامرات وتحريك الثورات وتنفيـــذ الاغتيالات

السياسية . كانوا وراء الانقلابيين الذين وقعا فى فرنسا سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٨ . وكانوا وراء عمليات اغتيال غستاف الثالث ملك أسوج ، وابن الملك شارل العاشر الدوق دى بارى ، والملكة اليعابات فى النمسا ، والملك همبرت الأول فى ايطاليا ، واسكندر الثالث فى روسيا ، وشارل الثانى فى البرتغال . هذا فضلا عن الذين سعوا فى قتلهم وحبط مسعاهم مثل الملك لويس فيليب ، ونابليون الثالث ، والقيصر نيقولا الثانى ، والملك الفرنسى الثانى عشر وابنه الفرنس الثالث عشر . ولم يسلم من شرهم رئيس جمهورية خط الاستواء غرسيا مورينو الذى كان من أعظم رجال عصره ، ولم يقترف اثما سوى قيامه فى وجه الفوضى اليهودية الماسونية ، فقتلوه غيلة وغدرا .

وأسهم اليهود كذلك فى حرب السبعة أسابيع (١٨٦٤) التى وقعت بين بروسيا والنمسا ، وفى حرب السبعين (١٨٧٠) التى وقعت بين فرنسا وبروسيا . وكانوا وراء العصيان الذى أعلنه الشيوعيون (١٨٧١) فى باريس وهم الذين أوجدوا حركة النهليست (Nihilism) فى روسيا والشعلة فى بافاريا والكربونارى فى ايطاليا . وهى الحركات الثورية الفوضوية التى قامت لتحارب الدين والاخلاق والتقاليد ونظام الأسرة والملكية الشخصية والادارة المركزية . وحين نهضت حكومة القيصر للوقوف فى وجه الحركة التخريبية ، رد النهليست اليهود بأعمال ارهابية واغتيالات عديدة ضد حكام المقاطعات وضد ضباط الشرطة . ولم ينته القرن التاسع عشر الا وحركة النهليست قد غدت نواة الثورة الشيوعية التى قامت فى أكتوبر ١٩١٧ .

ومن أبرز حروب أواخر القرن التاسع عشر التى دبرها اليهود ، هى حرب البوير بين الانجليز وشعب البوير (١٨٩٩ — ١٩٠٢) . فحينما اكتشف الذهب بكميات كبيرة فى الترنسفال سنة ١٨٨٥ ، هرع اليهود لسرقة الثورة الجديدة من شعب البوير الفقير . وحين أحس شعب البوير بالمؤامرة اليهودية الجشعة هب يدافع عن حقه فى الثروة . بيد أن اليهود استطاعوا كعادتهم أن يحركوا شهية الاستعمار البريطانى ويوهموه أن الثروة له . ونجح اليهود كذلك فى إقناع الشعب البريطانى أن المعركة فى جنوب إفريقية هى من أجل مجد الامبراطورية البريطانية ومن أجل تأمين الثراء للشعب البريطانى . ولكن الحقيقة كانت تشير الى أن دماء الانجليز والبوير معا تسفك فى سبيل تحقيق أطماع اليهود وجشعهم فى تكديس الذهب وامتصاص دماء الشعوب . وظن المغامر البريطانى سيسيل رودس أنه يستخدم اليهود فى الحصول على أكبر كمية من الذهب لبريطانيا ، مع أنهم فى الواقع كانوا يسخرونه لخدمة أغراضهم ، وجعلوا منه آلة تساعد على اشعال الحرب التى ذهبت ضحيتها آلاف الشبان من الانجليز وعشرات من شباب البوير بقيادة البطل الوطنى كروجر الذى نزح الى أوربا بعد انكسار قواته ، محاولا إسماع صوته الى حكومات أوربا الغافلة عن خطط اليهود ومؤامراتهم . وذهبت صيحاته أدراج الرياح وانتصر اليهود وسخروا الامبراطورية وقواتها من أجل نقل الذهب من جنوب افريقية الى بنوك اليهود فى بريطانيا .

ويضيق هذا المقال عن استيعاب الحديث عن أثر اليهود فى الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولذا فانى أرجىء استكمال البحث الى عدد مقبل من المجلة ان شاء الله .

مع الإسراء

ليسَ في الكاسِ جرْعةٌ من نشيدِ   ضاعَ في زَحْمةِ الهمومِ قَصيدي !
وبقايا الأقداحِ من خمْرةِ الفكرِ تلاشـــت وغابَ عنهما وجُـــودى
حُطِّمَ النّايُ ، لم يَعُدْ يتغنّى !   كيف يشدُو الهزارُ غيْرَ سعيدِ؟!
أيُغنّى الحزينُ يقتلهُ الهمُّ ، وتحبُــــو   أوطانُه في القيــودِ ؟!
أيْن مِنّى القصيدُ - ياأمـة العُرْ   بِ - وآلامُنا بغيرِ حُدودِ ؟!
وجراحى كتمتُها في فؤادى !   فتوالتْ سهامُها من جديدِ !!
كيف أشدُو ، ومسجدُ القدْس أضحى   يابنى العُرْب طُعمةَ الوقودِ ؟؟
ومُصَلّى الرسولِ قـــد دنّسته   واستبدت به كلابُ اليهودِ !
وشبابُ الإسلام يلهوُ ، ويلهو !!   ليس يُعنى بغير عيش رغيدِ !
فلهذا هجرتُ شِـــعْرى وفنّى   وجـراحى مليئةٌ بالصديدِ !!!

◆ ◆ ◆ ◆ ◆

كان بالأمسِ يستعدُّ بَيـــانى   يومَ ذكْرى الإسراءِ بالألحان
لكنْ اليومَ يقطرُ الشّعرُ هماً   ويُثيرُ العميقَ من أشـــجاني

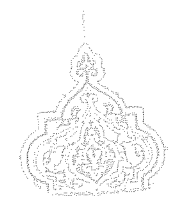
للأستاذ : محمود سلطان
الكويت

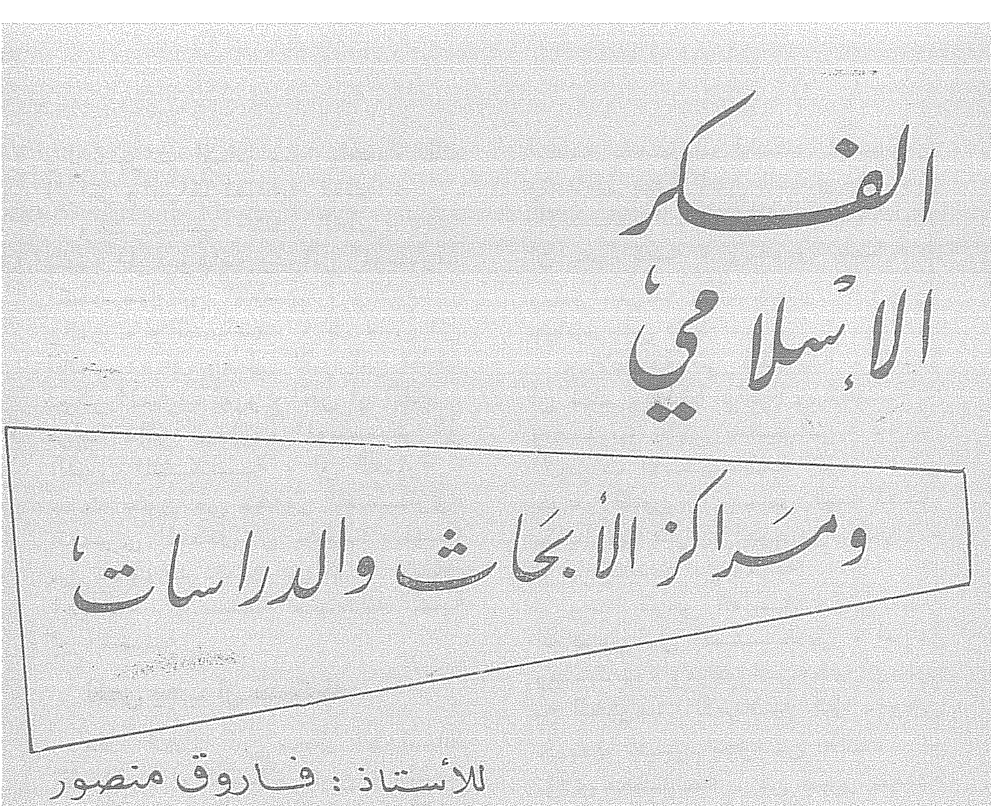
إين ما شادَه الجــدودُ قديماً ؟! ... أَين مجدٌ يفوق كُلَّ المعـاني ؟!
وحدودُ الإسلام في الصين شرقاً ... ثم غرْباً لدولـــــة الاسبان
ويخرّ الملوكُ للعُــرْب إجْلا ... لاً ، وعزُّهـمْ بكلّ مكان !
ويقول الرشيدُ للسُّحْبِ : ألْقِي ... أَوْ دَعِي ، فالخراجُ بين بَنَانِي !!
ثم دارَ التاريخُ ، وا حسرتاهُ !! ... فانتكسنا في عالمِ الأَحزان !
ورأينا أعزَّ شـــيءٍ لَدَيْنا ... قدْسَ أقداسنا مع الشيطانِ !!
وحِمانا العزيزُ !! ضاعَ حِمانا ! ... ورجعْنا بالخزْي والُخسرانِ !
ثم ذكرى الإسراءِ تأْتي ، ومسرى ... أَشرفِ الخلْق في أَسىً وهوان
يا لهوْلِ الأَحداثِ قد أذهلتني !! ... فلساني مُكبَّلٌ وجنـــاني !!

* * * * *

اعتذاري لخاتمِ الأنبـــياءِ ... يوم ذكرى المعراج والإسراءِ !
عاجزٌ عاجزٌ عن الوصفِ شعري ... فالرسول الكريم فــوْقَ الثَّناء
فلندعْ مركبَ الفضاءِ وما فيه ... فهذا يفــــوق كلَّ ادّعاء !

إنها رحلةٌ لأعظمِ هادٍ رحلةٌ كفكفتْ دموعَ البلاءِ
فإذا الرسْلُ كلهم في لقاءٍ وإذا البشرُ كلُّه في السماءِ!
والرسولُ العظيم ينهلُ نوراً سابحاً سابحاً ببحرِ الضياءِ
والرسولُ الحبيبُ يدنو ويدنو وتوالى العطاءُ إثْر العطاءِ!
إنه منزلُ الزعامةِ للرسْلِ جميعاً، وقمةُ الأنبياءِ!
أهوَ قابَ القوسينِ؟! بل هو أدنى في بهاءٍ، في عالمٍ من سناءِ
ورأى ما رأى، وشاهدَ حقاً!! ثم كان اللقاءُ أسمى لقاءِ!!!
يا رسولَ الإسلامِ، إنيّ ظامي فاسقني من هداك، وارْوِ أوامي
سيدي المصطفى، وفؤادي يشكو من رزايا قدْ زدنَ في إيلامي!
أنت خيرُ العبادِ، أسرى بك اللهُ، وحزْتَ الوسامَ أعلى وِسام
يارسولَ الإسلامِ، قلْبي جريحٌ فخطوبُ الإسلامِ جِدُّ عِظامِ!
سيدي المصطفي أتيناك والأبوابُ سُدَّتْ، وأنت خيرُ إمام
قد ضللْنا الطريقَ، والدربُ وعْرٌ وأضعْنا المصباحَ وسْط الظلام!
يارسولَ الإسلامِ، ذُبْنا اشتياقاً لضياءٍ يُزيحُ وجْهَ القتامِ
مالشعبِ الإسلامِ غيرك مأوًى في الملماتِ، ياشِفاءَ السّقام
وعليك الصلاةُ من كلّ قلبٍ وعليك السلامُ، خيرُ سلام!!





الفكر الإسلامي ومراكز الأبحاث والدراسات

للأستاذ : فاروق منصور

ان الحاجة ملحة لمعرفة الكثير من المعلومات الصادقة والدراسات الجادة عن الاسلام . ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله .

وتتزايد على مر الأيام ضرورة توفير الأبحاث والوثائق الميسرة لمعرفة الاسلام والمؤدية لفهمه ، كعقيدة ، ودين سماوى ، منزل ، وكحضارة وتاريخ ، مع الالمام بدوله ورجاله ومؤثراته الحضارية وقيمه الاجتماعية ومشاكل شعوبه المعاصرة ، وأفضل الوسائل لتجميع شملها ، والتقريب بين جماعاتها ليكونوا جميعا هذه الأمة التى أرادها الحق تبارك وتعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

واذا كانت أمانة حمل هذا الدين تقتضى العمل على استخدام أكثر الوسائل فاعلية فى نقله الى الآخرين فاننا مطالبون بالبحث عن تلك الوسائل ومعرفة السبيل الأمثل فى القيام بها .

ولقد اقتضى التطور العلمى أن يتوافر ما يلبى حاجة الناس ، ويجيب عن تساؤلاتهم اليومية ، وما يطرحونه من استفسارات متزايدة حول الدين أو الفكر ، أو الفن أو فى مجالات العلوم ، وكافة ما يتعلق بحياة الانسان ، لا فى عالمنا فحسب بل فى العوالم الأخرى بعد أن غزا الانسان القمر ، وأصبح يجاهد لغزو كواكب أخرى ، وكان نتيجة للتقدم العلمى ، أن قامت المراكز المتخصصة للأبحاث ، والدراسات والقياسات والوثائق كمعهد جالوب للاحصاء وقياسات الرأى فى الولايات المتحدة ومعهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن ومركز شئون الشرق الأوسط أو الشئون السوفيتية بميونخ ، وتتسابق الدول اليوم فى انشاء تلك المراكز ، وتغدق عليها الأموال

والتيسيرات ايمانا منها بأهمية تلك المراكز وادراكا لفاعلية عملها .
ولقد صاحب التقدم العلمي أيضا تأليف الموسوعات ودوائر المعارف المتخصصة فى العلم ، والأدب ، والفن ، والصناعات ، بل حتى فى التنجيم ، بل وصل الأمر الى تأليف دوائر المعارف لفروع الفن أو العلم ، فرأينا دائرة معارف الموسيقى أو الفنون التشكيلية ، أو العمارة ، بحيث يكون فى مقدور القارىء العصرى المتعجل أن يجد ما يبغيه من معلومات دقيقة عن كل ما يشغل اهتمامه ، أو تتطلبه احتياجاته المهنية أو التثقيفية .

نقص يجب أن نستكمله :

فاذا انتقلنا الى مجال الدراسات الاسلامية أو الاسلام كدين ، وتاريخ ورجال وشعوب ودول . نجد أننا نفتقر الى هذا كله . ولا نكاد نملك موسوعة واحدة ، بعد أن توقف المرحوم فريد وجدى طيب الله ثراه ، عند الأجزاء التى أصدرها من دائرة معارف القرن العشرين والتى باتت غير قادرة ، على سد كثير من اهتمامات القارىء .

والملاحظ اليوم أنه مع كثرة الجهات المعنية بالشئون الاسلامية فى العالم الاسلامى الا أننا ما زلنا نعانى نقصا كبيرا ومخلا فى معرفة أبسط المعلومات عن واقع الحياة فى الدول الاسلامية ، وتطور الفكر الاسلامى وقضاياه .
ويعجز الكثيرون عن متابعة هذا الفكر فى مساره أبان عصوره المختلفة ويقتضى هذا أن نفكر عمليا فى علاج جذرى وأن نبحث عن أفضل الوسائل فى عرض هذا الفكر على الأجانب ، كما يقتضى منا العمل الجاد ، والتفكير البناء لايجاد المناهج الكفيله بتعريف أبناء المسلمين وشبابهم بهذا الدين الذى يشرفون بالانتساب اليه ، والذى يجب عليهم أن يعوا قيمه ، ويتفهموا فكره ، ويلموا بتراثه ، ليستفيدوا به ويبنوا حياتهم على هديه .
وبالاضافة الى ذلك كله ، فعلينا أن نهتم وبصفة دائمة ومنتظمة ، وبأسلوب علمى منظم ، بتوفير الاجابات الاسلامية المستمدة من جوهر الدين ، وسامى قيمه لكل ما يطرحه قارىء اليوم من تساؤل ، أو ما ينشده من معرفة .
وهذا فرض كفاية ينهض به القادرون من المسلمين ، أفرادا وجماعات ، وفرض عين يجب أن تقوم به الحكومات الاسلامية كلها . وهى جميعها تقوم بجزء من ذلك ، أو تؤدى بعضا منه . فى صور متعددة ولكنها ما زالت حتى الآن دون الغاية المرجوة ، وأقل من المستوى المطلوب .

مناهج اعداد الباحثين :

واذا استوعبنا أهمية تلك المراكز التى لا يختلف فيها اثنان ، فاننا سنجد أنفسنا مدفوعين الى التفكير فى توفير المجال الصالح للبحث العلمى ، فى مجال الدراسات الاسلامية . وذلك بايجاد قاعات البحث ، التى يلتقى فيها الباحثون ، والتى يجد الباحث الناشىء فيها الفرصة ليتعرف على أجيال سبقته فى البحث ، ونظم منهجية واضحة تعينه على ما هو مقبل عليه .
وفى هذا الجو العلمى ، تتأكد الأخوة الاسلامية ، وتوجد الوسيلة العملية للتقريب بين المفكرين المسلمين ، أولئك الذين تكاد تكون الصلة بينهم مقطوعة . لأننا لو نظرنا اليوم لوجدنا أن المعنيين بأمر

الفكر الاسلامى والمهتمين به ، لا يكاد يعرف بعضهم البعض ، الا على صفحات الكتب ، كما أن الباحث فى أى فرع من فروع الدراسات الاسلامية يجد نفسه دائما فى متاهة كلماهم بأن يقدم على عمل فكرى ، فيجد الصلة مقطوعة غالبا بينه وبين قديمه . والعلاقة بينه وبين ما يكتب عن الاسلام بلغته العربية فى بلد عربى غير الذى يعيش فيه أو بلغة أجنبية . مقطوعة أيضا .

ولقد عجزت الصحافة والكتاب عن أن يكونا وسيلة سريعة للتعريف بما ينتجه المفكر العربى أولا بأول ، وبصورة تتيح للقارىء فى أى بلد عربى أن يكون باستمرار ملما بكل ما يكتبه فى مجال اهتمامه الكتاب العرب فى بقية البلدان العربية . أو يكون متابعا لما تخرجه المطابع العربية ، فى الوطن العربى كله . أو ما تصدره دور النشر فى العالم الاسلامى .

متاعب فى الدراسات العليا الاسلامية :

واذا انتقلنا الى مجال الدراسات العليا فى العلوم الاسلامية ، فاننا نسمع من الشكوى من الدارسين لما يلاقونه من صعاب فى معرفة المراجع الأساسية لمواضيع أبحاثهم ، أو الأماكن التى توجد فيها . كما يشكون دائما من متاعب التعرف على المفكرين المسلمين القدامى ، وعدم قدرتهم على اقامة صلات حقيقية بالأحياء منهم ، لأنه لا توجد جهة علمية تخطط ، وتضع الوسائل، وتوفر الظروف التى تتيح أقامة صلات وثيقة بين المفكرين المسلمين ، وأنه من المخجل حقا أن يتقدم الطالب فى جامعاتنا للحصول على شهادة علمية فيحصل على الدكتوراة بأعلى تقدير وهذا اعتراف بأنه حصل من المعارف فى مجال تخصصه ، وأنه أضاف الى تلك المعارف جديدا . بينما هو لا يعرف أهل هذا العلم فى بلده ، وتقف حدود معرفته عند قراءة الكتب ، أو عدة زيارات للاستاذ المشرف على البحث ، ولقاءات سريعة للجنة الاشراف التى تناقش موضوعه ولقد أدى ذلك الى وجود دراسات ناقصة أو مبعثرة أحيانا ، وأدى فى أحيان أخرى الى تقصير الدارسين عن ارتياد مجالات كثيرة كانت تحتاج الى الدراسات العصرية، وتتطلب جهدا دؤوبا . وقدرا متزايدا من المعرفة . ولم يدفع بهم الى ذلك الا قلة المراجع وعجز الجهد الفردى ، عن تذليل العقبات الكثيرة المتراكمة على طريق البحث العلمى فى بلادنا . وتتمثل فى نقص المراجع ، أو ارتفاع ثمنها ارتفاعا مخيفا ، أو عدم وجود صور من المخطوطات فى بلد الدارس .

ولو وجد الدارسون من يزلل لهم تلك العقبات ، لوجهوا جهودهم لما هو أكثر ثمرة ، وأكثر عمقا وجدية ولكان فى أيدينا اليوم الكثير مما نفتقر اليه من دراسات .

الأجانب والدراسات الاسلامية :

واذا كان هذا هو ما يواجه الباحث المسلم ، فما أكثر ما يعترض الباحثين غير المسلمين فى مجالات الدراسات الاسلامية ، ان كثيرا من الدراسات كتبت عن الاسلام فجاءت تشويها له ، أو قصرت عن فهمه ، وتبيان حقيقته . وقد يكون ذلك لنقص المعلومات المتوافرة لدى الدارس عن الاسلام أو لصعوبة الحصول على المعلومات الدقيقة والاحصائيات الجديدة عن العالم الاسلامى بصورة مستمرة وكلما دعت الحاجة العلمية

أو لأنها فهمت النص الاسلامى فى جو بعيد عن روح الاسلام ،

ولو وجدت جهة أو مؤسسة أو هيئة علمية تهتم بتوفير ذلك ، لخدمت الاسلام كثيرا ، ولأسهمت فى تطوير البحث العلمى ، وأفادت الفكر الاسلامى ، وأعانت الباحثين فى مجالاته المختلفة بتوفير المعلومات الدقيقة ، التى توضح القضايا ، أو ترشد للمراجع ، أو توثق الصلات بين الباحثين ، وهذا ما يمكن أن تنهض به مراكز الدراسات والابحاث الاسلامية .

المسلمون والدراسات التى كتبت عنهم :

وكما يجهل الدارس الأجنبى الكثير عنا فاننا نجهل الكثير عما يكتب عنا بلغات أجنبية ، أما لأن الكثيرين منا لا يجيدون اللغة الأصلية التى كتب بها البحث أو الدراسة عن الاسلام ، أو لصعوبة الحصول على المرجع العلمى بلغته أو لعجز الباحث الفرد عن متابعة كل ما يكتب ، ومعرفة صدوره أولا بأول ، أو لصعوبة الحصول على الدراسات التى تصدرها الهيئات العلمية المتخصصة .

ولسنا بحاجة الى التأكيد على مدى أهمية هذه الدراسات التى تكتب عن الاسلام وضرورة متابعتها بصورة علمية منتظمة تتمثل فى قسم يتابع ما ينشر ويترجمه اذا رأى فيه فائدة ، ويقيم ما يحتاج منه الى تقييم ويوضح ما تدعو الحاجة الى ايضاحه أو يرد على ما يتطلب الرد ، أو يرى فيه طعنا على الاسلام . أو تجنيا على المسلمين . والامر هنا أمانة علمية ، وخدمة للدين ، كما أنه عمل قومى وانسانى ، بالغ الأهمية ، وهو من أهم ما يتطلبه واقعنا .

وتحتمه ظروفنا ويستلزمه تطورنا العلمى المتمثل اليوم فى هذه الجامعات والهيئات العلمية ودور الطباعة والنشر التى تملأ البلدان الاسلامية والعربية .

اننا يجب أن نعرف أولا بأول ، كل ما يكتب عنا لنفهم رأى الآخرين فينا ، جهلهم بحقيقتنا .. تخبطهم فى فهمنا .. عداءهم لنا .. ملاحظاتهم علينا .. أعجابهم بنا أو استهانتهم بشأننا ، وسخريتهم منا .

لأن من الرأى ونقيضه ، ومن المدح والذم نستطيع أن نتبين الطريق لمخاطبة الآخرين ، وأن نفهم كيف نقدم الاسلام للناس ، كيف نستفيد من معرفة موقفهم تجاهنا لنوجد الوسائل التى تضمهم لصفنا أو تقنعهم برأينا ، لأنهم بين أمرين : جاهل عن حقيقتنا ، لو عرف لاقتنع ، أو عدو لو عرفناه لانتصرنا عليه ، لأن معرفة العدو بداية الطريق الى النصر ولاننا بمعرفة رأى غير المسلمين فى الاسلام ، وغير العرب فى العروبة وتحليلنا لهذه الآراء نخرج بمعرفة أسلم الطرق لعمل أفضل ، وتفكير أكثر ثمرة .

هذا .. هو الطريق :

لهذا فانه من الخير أن نسارع بانشاء مراكز للدراسات والبحوث والوثائق الاسلامية فى كل بلد اسلامى ، وفى كل مكان يعنى بالاسلام ، بل فى كل مؤسسة أو هيئة أو جماعة أو جمعية تستهدف العمل الاسلامى فى جميع البلاد الاسلامية ، ما دامت تبتغى حقا خدمة الاسلام ، وتنشد صدقا أن تؤدى حق الله كما يجب فى عصر العلم والمعرفة .

وتقوم تلك المراكز بتوفير

المعلومات الاسلامية الدقيقة والكاملة وتنظمها بصورة تمكن من الافادة الدائمة منها ، وتيسر توصيلها الى كل من يطلب الاستفادة العلمية بها . كما يوفر كل مركز مكتبة متخصصة قادرة على أن تفى بحاجات الباحثين كلما أمكن ، وتعد السجلات العلمية للمفكرين المسلمين القدامى والمحدثين ، وتعمل على الاضافة الدائمة بحيث تغطى بالتعريف والتوضيح كل رجالات الفكر الاسلامى فى مجالاته المختلفة ، كما تحرص تلك المراكز على أن توفر المعلومات المبسطة عن الاسلام ، الصالحة للطفل أو التى يطلبها الشباب ، بحيث تلبى احتياجات كل سن ، وتتمشى مع مراحل النمو الجسمى والعقلى للنشء المسلم ، وتهتم أيضا بزيادة معرفة الانسان العادى بالعلوم الاسلامية ، والتاريخ الاسلامى ، وتنقى تاريخنا من الخرافات والاسرائيليات . كما توفر ما يصلح للرد على الغزو الفكرى ، أو دعاوى التبشير علاوة على انشاء أقسام الوثائق التى تضم صورا للمخطوطات والوثائق ، وتضم الاحصائيات اللازمة للمتخصصين ، لأننا نفتقر اليوم الى الكثير من ذلك ولا نجد احصائية دقيقة عن تعداد السكان المسلمين فى العالم ولو بصورة اجمالية ، ناهيك عن الاحصاء النوعى والتعداد العلمى الدقيق .

ان انشاء تلك المراكز سيحقق هذه الغايات ، وسيكون وسيلة للربط بين الباحثين فى الاسلام بعقد اللقاءات والندوات العلمية بينهم ، كما سيؤدى الى خلق جيل من الباحثين المسلمين ، ويوجه أنظار الشباب المسلم الى البحث العلمى فى المجالات المختلفة للفكر الاسلامى ويحفز جهدهم ، وييسر الصعاب أمامهم ، ويقدم لهم كل عون ممكن فى سبيل أن ينهضوا بعبء تطوير مجتمعهم ، وحمل رسالة الاسلام فى عصرهم ، لينقلوا الامانة كاملة وميسرة لأجيال كثيرة تأتى من بعدهم تعتز بما نقل اليها ، وتجد الأمر ميسورا لحمله ، والطريق مذللة للاضافة اليه .

ويمكن عن طريق قاعات البحث التى توجد فى تلك المراكز ، والتى ستكون ميدانا للتدريب العملى على البحث ، أن نستفيد بالخبرات الاسلامية والكفاءات العلمية النادرة التى تتمثل فى كبار رجال الفكر الاسلامى الأحياء الآن أمد الله فى عمرهم ، وبارك فيهم ، وأثمر فى غرسهم ، ومكننا من الاستفادة بهم وبعلمهم . وتتم هذه الاستفادة عن طريق وجود هيئة علمية دائمة للبحث داخل كل مركز تضم نخبة من المفكرين المسلمين ، يلتقى بهم الشباب ، ويبحث معهم ، ويأخذ عنهم ، ويستفيد من توجيهاتهم ، وملاحظاتهم ، كما يمكن الاستعانة بجميع الاساتذة المسلمين على نظام الاستاذ الزائر ونظام تبادل المعلومات والمطبوعات ويجب أن يهتم كل مركز بذلك ، ويضيف اليه أن يصدر دورية علمية تتضمن أبحاثه الجديدة ، وتعرف بالفكر الاسلامى ، وقضاياه ، كما تعرف بالباحثين المسلمين الجدد وتتبنى أبحاثهم ، ويمكن لكل مركز أن يقدم من المعونات بقدر ما تساعده ظروفه .

بهذا نكون قد قدمنا شيئا لديننا وأمتنا ولاجيالنا القادمة ، وتكون تلك الأجيال معبرا حضاريا يتطور خلاله الفكر الاسلامى ، وتنتقل منه الحضارة الاسلامية ، كما تكون تلك الأجيال اضافة حقيقية من المسلمين للفكر ومن الاسلام للبشرية .

اعداد : الاستاذ عبد الستار فيض

الديـــوان

فى سنة ١٩٢١ لاحظ الاستاذان عباس محمود العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، أن ريح الأدب راكدة ، وأن المقاييس الأدبية والفنية بحاجة الى التصحيح والتقويم ليتبين للناس الرشد مـن الغى فى مناهج الأدب والفكر ، فتعاهدا على تأليف كتاب فى النقد والأدب سمياه (الديوان) ، وقالا انه سيكون فى عشرة أجزاء تصدر تباعا ، ثم أصدرا الجزء الاول من هذا الكتاب والحقاه بالثانى ، ثم سكت العقاد والمازنى . ولم يقدما بقية الاجزاء العشرة ، ومضى على هذا السكوت سبع وأربعون سنة عادت فيها ريح الأدب الى الركود ، واختلت المقاييس الأدبية والفنية اختلالا بينا ، لذلك قامت الحاجة الى وصل ما انقطع من سلسلة كتاب الديوان لتتم الأجزاء العشرة فتطوع الاستاذ العوضى الوكيل ليحمل هذا العبء وقام بكتابة الجزء الثالث من الديوان ، وهو الذى بين أيدينا ويتكون من ٤٨ صفحة ، ومن طبع ونشر مطبعة وادى النيل بالقاهرة .

عبير من دمشق :

ديوان شعر للشاعر السورى عدنان مردم بك ، يحتوى على العديد من القصائد الرائعة فـى وصف الآثار والطبيعة وفى وصف الصور الحية لبائع العرقسوس ، وشواء الذرة ، وصانع الزجاج ، والحائك ، والخزاف ، والحمال ، وغيرهم من المعذبين فى الأرض ، كذلك احتوى الديوان على الكثير من تأملات المؤلف الروحية كما أنه اختتمه بقصائد تاريخية عن وقائع نور الدين زنكى ، وموقعة حطين ، وأمثال ذلك ، والكتاب يقع فى مائتى صفحة ومن طبع ونشر دار عويـدات ص.ب ٦٢٨ بيروت — لبنان .

قطرات من نور الهداية :

صفحات خالدة وتفسيرات كاملة لأركان ديننا الاسلامى الحنيف سلك مؤلفها الاستاذ محمد أبـو عجوة عبد المطلب فى تأليفها مسلك التسلسل والعمق دون اسفاف أو تعقيد لتكون منهلا ينهل منـه الجميع ما يرغبون من لمحات الهداية .

وهذا الكتاب يضع أمام المسلم صورة لبعض تعاليم الاسلام وجملة من آدابه يقع فى أكثر من مائة صفحة ومن طبع مطبعة الحرية بالزقازيق — ج.ع.م.

المؤتمر والمهرجان بين بغداد والبصرة

الكتاب السادس من سلسلة الثقافة العامة التى تصدرها وزارة الثقافة والاعلام بالعراق بقلم الاستاذ العوضى الوكيل كتبه عن مؤتمر الادباء السابع ومهرجان الشعر التاسع اللذين انعقدا فـى بغداد والبصرة بالجمهورية العراقية فى ابريل / نيسان ١٩٦٩ م .

ولم تكن كتابة المؤلف استعراضا خالصا لما قيل فى المهرجان ولا نقدا خالصا له ، ولكنه جمع بين الاتجاهين كما أنه ألحق بالكتاب خمس قصائد مما ألقى فى المهرجان ويحتوى الكتاب على (١١٢ صفحة) ومن طبع مطبعة الجمهورية — ببغداد .

للأستاذ : عبد الحليم عويس
أستاذ التاريخ والحضارة بثانوية ابن باديس ـ الجزائر

فى الساعة الثامنة من صباح السادس عشر من ابريل من العام المسيحى الحالى (١٩٧٠ م) انطلق ثلاثة عشر مليونا من أعضاء الامة العربية يترجمون فى الذكرى الثلاثين بكل لغات القول والفعل عن مظاهر التبجيل والحب والوفاء لرجل من رجالات الاسلام وعلم من أعلام البعث العربى ، وضمير من ضمائر اليقظة ، وداعية من دعاة الحل الاسلامى لأزمة الانسان العربى الحضارية ..
نعم .. انطلقت هذه الملايين القابعة فى الشمال الافريقى ، وانطلقت من ورائها أمة الاسلام تبكى بقلبها المكلوم ذلك الرجل الذى انطلق من بين آلاف الظلمات الاستعمارية ، ومن خلف أسوار (الفرنسة) الرهيبة ليعلن للعالم بأعلى صوت :

«أن هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون هى فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا . ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها وفى دينها .. لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة » .

ان أحدا لا يستطيع أن يمنح هذه الكلمات قيمتها التاريخية الحقيقية الا اذا عاش الواقع الجزائرى الحالى ، ورأى عن كثب بصمات فرنسا الاستعمارية التى لا تزال تفرض نفسها بعد ثمانية أعوام من الاستقلال .

بصمات تتجلى فى (استعمار خلقى) يجعل من الخمر والميسر والعلاقات الجنسية الملوثة عادات شخصية تدل على التطور ، وتعمق معنى الحرية الفردية ..

بصمات تتجلى فى (استعمار عقدى) يتمثل فى تلك الخرافات التى انتشرت حتى طمست حقائق الاسلام كقوة حركية قادرة على استيعاب واقع الانسان العربى وقيادة طريق مستقبله .

بصمات تتجلى فى (استعمار لغوى) يتمثل فى لسان ذلك الانسان الجزائرى الذى يبكى قلبه حين يريد أن يترجم عن خلجات فؤاده بالعربية فيتعثر به اللسان ، فلا يملك الا أن يلعن الاستعمار ..

هذه البصمات وتلك تتناثر هنا وهناك يلعنها الجزائرى المسلم فى أعماقه المسلمة العربية ، ويترجم عنها بلسانه الذى يتأرجح بين العربية والفرنسية ، ويحاول جهده التخلص منها كبقايا استعمارية ، ويتجشم فى سبيل ذلك ما لا يعلم مداه الا الله ، وكل ذلك الصراع مع كل هذه البصمات لا يزال يدور بعد ثمانية أعوام من نزوح فرنسا رسميا عن الجزائر ، ومن وجود نظام يجعل العربية لغة الدولة الرسمية ، ويستعمل كل نفوذه لنشرها ، ويحترم الاسلام ، ويفرض له مكانته التى نرجو أن تنمو وتتقدم ..

نعم .. كل ذلك يدور فى هذه الايام — مع هذه الوضعية الاخيرة — فكيف أتيح لرجل من الناس منذ أكثر من اربعين سنة أن يكتب هذا الكلام فى صحيفته العربية التى يصدرها رغم أنف الاستعمار !!

طاقة اسلامية :

من خصائص هذا الدين انه قادر على الانبعاث من أشد ظروف الهزيمة المادية والنفسية ، و (صلاح الدين) فى التاريخ الاسلامى ليس فردا بذاته ، وانما هو ظاهرة تاريخية تتكرر فى مراحل الوجود الاسلامى كلما تطلب الامر ذلك .

ولو أن هذا الدين يجرى على سنن القواعد البشرية العادية دون أن تحميه من الخارج قوة تظهر له بين الحين والحين (صلاح الدين) يجدد ما كاد يندثر من أمره ، ويرفع بين الناس راية حضارته لأمكن أن تندثر حضارة هذا الدين منذ قرون عديدة !!

... انى أرفع صوتى بهذا الكلام لأشير الى حقيقة هامة هى انى لا أريد أن أكتب عن ابن باديس احياء لذكراه فى النفوس أو اعترافا بفضله على العروبة والجزائر فحسب ، وانما أكتب عنه ليعلم الذين رأوا واقع هذه الامة رؤية السائح المتفرج — بعد هزيمتها الاخيرة — فلم يحاولوا رفع راية أمل ولا التضحية فى سبيل كلمة حق ، وانما انطلقوا يزرعون بذور الهزيمة الابدية ويروجون لأفكار التحلل والاستسلام .. نعم انى أتكلم عن ابن باديس ليعلم هؤلاء — اذا كانوا يجهلون — حقيقة ما يتمتع به هذا الدين من أصالة حضارية ، وليعلموا أيضا سيرة رجل آمن بالعمل قبل القول وآمن باسلامه وعروبته ، وانطلق منهما على نحو ايجابى ثورى ينتشل شعبا كان قصارى أمل بعض مثقفيه أن يجدوا أنفسهم فى مستوى بشرى متقارب مع الاستعمار السيد ، ولم يكن أحدهم يحلم — مجرد الحلم — بامكان وجود جزائر اسلامية عربية ذات كيان دولى خاص وذات رسالة فى محيط العالم الاسلامى والعالم العربى على حد سواء !!

فى قسنطينة :

ولد الامام ابن باديس (الشيخ الرئيس) سنة ١٨٨٩ م فى مدينة قسنطينة — أكبر مدن الشرق الجزائرى — وأبدع مدن الجزائر على الاطلاق من حيث الموقع الطبيعى ، وأشهرها من حيث احتضانها القديم للثقافة الاسلامية ، وانجابها لكثير من قادة الفكر الاسلامى فى الجزائر ، وكذلك كثرة الآثار الاسلامية بها ..

لقد كانت قسنطينة — طيلة عهد الاستعمار الفرنسى بالذات — طليعة مدن

الجزائر كفاحا فى سبيل الثقافة الاسلامية والعربية .. وقد ساهمت بطائفة ممتازة من العلماء والمفكرين المسلمين كسيدى عمار بن شريط القسنطينى المفتى وسيدى محمد الشاذلى القسنطينى ، والشيخ الفاضل عبد الحفيظ الهاشمى الذى أصدر من قسنطينة فى عهد الاستعمار أكبر جريدة عربية يومية (النجاح) .. وقد صدرت فى قسنطينة كذلك جريدة (المنتقد) بقيادة مجموعة من علماء الاسلام .. ومن قسنطينة كذلك صدرت (الشهاب) مجلة شيخنا ابن باديس التى كانت الصوت الاقوى والاكبر لجماعة العلماء المسلمين ، ولحركة البعث العربى فى الجزائر .

فى قسنطينة هذه نشأ الشيخ الرئيس وترعرع وتلقى علومه ، ثم تخرج من الزيتونة عام ١٩١٢ م ، ولم يلبث أن قام بالحج الى بيت الله الحرام — شأنه شأن الامير عبد القادر — حيث استغل هذه الرحلة الدينية فطاف بالمشرق والمغرب ، وأتيح له أن يعرف من أمراض المسلمين الشيء الكثير ، فعاد الى الجزائر عازما على الاصلاح وفق منهج اسلامى تكونت أبعاده فى ذهنه من مجموعة من المؤثرات الهامة صدر بعضها عن الواقع ، وصدر بعضها عن الثقافة التى تشبع بها الشيخ ، وصدر بعضها عن الروح الاسلامية الجديدة التى أشاعها فى سماء العالم الاسلامى السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده خاصة وأن الشيخ محمد عبده قد زار الجزائر سنة ١٩٠٣ م وأصبح ذا تأثير كبير فى نفوس المثقفين والوطنيين الجزائريين ..

الكفاح الاسلامى الجزائرى :

لكى نعطى حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى أسسها الشيخ الرئيس مكانتها التاريخية الحقيقية فى قصة الكفاح الاسلامى الجزائرى .. يجب أن نربطها ربطا موضوعيا بقصة الكفاح الاسلامى فى الجزائر كلها ..

وفى الحق فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تك الا تجسيما حيا ومنظما لقصة كفاح الاسلام فى الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ م .

ولسنا نتحيف حقائق التاريخ اذا ما ذكرنا أن (العنصر الاسلامى) كان هو العنصر الوحيد البارز فى انقاذ الجزائر من المصير الذى آلت اليه الاندلس ..

واذا ما استثنينا الطابع الاسلامى الذى امتازت به حركة الامير عبد القادر فاننا نجد كل بواكير النضال ضد فرنسا قد حملت البصمات الاسلامية .. ولئن كانت حركة (نجم شمال افريقيا) التى ظهرت سنة ١٩٢٥ م كأول حركة ثورية تنظيمية ضد الوجود الفرنسى فى الجزائر .. لئن كانت هذه الحركة هى أول محاولة تنظيمية ضد فرنسا ظهرت فى دور الكفاح التنظيمى فان هذه الحركة ذاتها كان العنصر الاسلامى محركا قويا لها حتى أنها تماشيا مع واقعها ، قد أعطت نفسها اسمها الصريح منذ سنة ١٩٣٦ م وأصبحت تدعى (الاتحاد الوطنى للمسلمين المغاربة) ..

على أنه فى نفس التأريخ الزمنى لقيام حركة نجم شمال افريقيا ١٩٢٥ م قد ظهرت جمعيات الاصلاح بوادى ميزاب وكان شعارها : « الدين والخلق قبل الثقافة ، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد » .. ومواكبة لجمعيات الاصلاح ظهر (نادى الترقى) الذى كان نصيرا كبيرا للثقافة الاسلامية والعربية وداعيا اليها بين الجماهير الجزائرية ..

وفى نفس الموكب الاسلامى الذى يقود معركة انقاذ الجزائر من براثن الفرنسة العاتية ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ ابن باديس معطية كل الاهداف الجزائرية المبعثرة صيغتها التقنينية الواضحة التى تمثلت فى :

☐ مقاومة الادماج والتجنيس وابراز الشخصية الجزائرية .
☐ فصل الدين الاسلامى بكل أجهزته عن سلطة الدولة الفرنسية الحاكمة .
☐ اتاحة الفرصة للتعليم العربى والثقافة العربية ليأخذا مكانتهما اللائقة بهما فى الجزائر .
☐ تربية الشباب الجزائرى تربية اسلامية ، وتكوين طليعة شبابية تقود بعث الجزائر بعثا اسلاميا .
☐ العمل على توحيد كلمة المسلمين والقضاء على أسباب انحطاطهم ..

.. هذه هى جماع أهداف جمعية العلماء التى انطلقت منها — وانطلق منها الشيخ ابن باديس فى محاولة كفاحية لاعطاء الشعب الجزائرى صفته التاريخية الاسلامية .. وسيرا فى الطريق الى تحقيق هذه الاهداف فقد قامت الجمعية بقيادة ابن باديس بتنفيذ الخطوات التالية :

☐ انشاء المدارس العربية والاسلامية وعلى راسها معهد ثانوى بقسنطينة .
☐ انشاء المساجد والنوادى الثقافية .
☐ ارسال البعثات العلمية الى بلاد الاسلام المتقدمة .
☐ تأسيس الكشافة الاسلامية .
☐ تأسيس جمعية التجار المسلمين .
☐ تأسيس جمعية الفنون الجميلة والموسيقى العربية .
☐ انشاء صحافة عربية واسلامية !!

الشيخ الرئيس ومنهجه الاصلاحى :

على امتداد ما يزيد عن ربع قرن من الزمان من حياة الشيخ التى لا تزيد عن واحد وخمسين عاما كان الشيخ الرئيس — رحمه الله — يقضى سحابة نهاره ومعظم ليله فى (الجامع الاخضر) أو (سيدى قموش) أو (سيدى بو معزة) أو (مدرسة التربية والتعليم) بقسنطينة يعلم ويحاضر ويفسر القرآن ويغرس القيم الاسلامية بكل الطرق المستوحاة من منهج القرآن فى التربية .. لقد آمن الشيخ بشىء عظيم .. لقد آمن بأن مستقبل الجزائر الاسلامى يتوقف على تكوين قيادات شبابية تنصهر فى بوتقة الاسلام ، ويتاح لها أن تتصل بالاسلام من خلال منبعه الثر الصافى (القرآن الكريم) ، ومع أننا نلمح فى هذه الطريقة أصداء (المنهج التعليمى) الذى انتهجه الامام محمد عبده وخالف به طريقة أستاذه جمال الدين الا أننا — اعطاء للصورة حقها — نعترف بأن الشيخ ابن باديس كانت له جولات يغلب عليها الطابع الثورى .. ولقد تمثلت هذه الجولات فى عديد من مقالاته ونظراته التربوية كما تمثلت فى ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير الذى جمع فيه ابن باديس شعب الجزائر سنة ١٩٣٦ م ، والذى يتاح له أن يدرس بعمق الوضعية الفرنسية فى الجزائر سوف تتكشف له الاعماق الثورية لهذه المحاولات ، وفى ذات الوقت

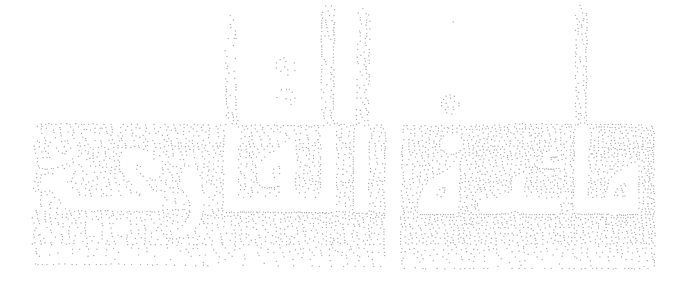
سوف تتكشف له نواح كثيرة من نواحى ذكاء وعبقرية الشيخ ابن باديس .

ان الشيخ الرئيس لم يقف عند حدود المحاضرات والدروس فى قسنطينة ، وانما كان دائم التجوال والانخراط فى كل التجمعات التى يستطيع من خلالها أن يغرس القيم التى يؤمن بها .. وتحقيقا لأكبر ارضية يمكن أن تصل اليها هذه القيم فقد شجع الشيخ الصحافة العربية والاسلامية التى كانت تجد كل عنت من السياسة الفرنسية وعملائها .. ومن هنا فقد قام الشيخ نفسه باصدار مجلة (الشهاب) وجريدة (التقدم) كما ساعد في تحرير جريدة صديقه الشيخ البشير الابراهيمى (البصائر) وفى مجلات السنة ، والشريعة ، والصراط ، وجريدة المرصاد .. وغير هذه وتلك من المجلات والجرائد التى تسير مع طريق الشيخ وطريق جمعية العلماء المسلمين ..

لقد كان الشيخ الرئيس يؤمن بتكوين (الفرد) ايمانا مطلقا ، ويرى أن (الفرد) أساس المجتمع الصالح ، ومن هنا فقد عكف على الدروس والمحاضرات وعمل على الاتصال المباشر بتلامذته ، وتكوين علاقات فردية يستشف من خلالها روح الفرد ، ويتمكن من التأثير فيه — وهذا المنهج مع قربه من منهج الشيخ محمد عبده لكنه كان عماد منهج جمال الدين فى نفس الوقت — بيد أنه من جراء هذا المنهج الذى الزم الشيخ به نفسه ، فانه كان يرفض أية جولات دعائية أو (مؤتمراتية) خارج الجزائر وكل ما هو من هذا القبيل كان يحيله الى صديقه الشيخ البشير الابراهيمى .. كما أنه من جراء هذا المنهج سالف الذكر لم يتوفر له أن يترك آثارا علمية ضخمة ، وكل الآثار التى ظهرت بعده هى من صنع تلامذته الذين حضروا عليه دروس قسنطينة طيلة خمسة وعشرين عاما .. وربما كان من أبرز آثاره التى جمعها تلامذته بعده (تفسير ابن باديس) وهو تفسير عصرى لبعض الآيات القرآنية التى ألقاها الشيخ كدروس فى (حلقات الذكر) التى كانت تعقد فى (الجامع الاخضر) .. وقد جمعها تلميذه (أحمد أبو شمال) لكن حالت ظروف دون نشرها كاملة ، ثم وفق الله الاستاذين : محمد الصالح رمضان ، وتوفيق محمد شاهين فقاما بنشرها خير قيام .. كما قام الاستاذ محمد صالح رمضان وحده بنشر بعض آثار الامام الاخرى فى كتاب أسماه (العقائد الاسلامية) من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ثم وفق الله أحد تلامذته أخيرا وهو الاستاذ محمد الطاهر فضلاء فجمع كثيرا من مقالاته وخطبه بين سنوات (١٩٣٢ — ١٩٣٩ م) ونشرها بعنوان قال الشيخ الرئيس .. وتحت الطبع الآن كتاب (التربية الاخلاقية عند ابن باديس) للأستاذ الكبير (تركى رابح) ..

وفى الحق لا تزال آثار كثيرة من آثار الامام حبيسة أضابير كثير من تلامذته المنتشرين فى أنحاء الجزائر الآن ، ولا تزال بعض آثار الشيخ فى حاجة الى تحليل موضوعى . .ولعل هؤلاء الذين أتيح لهم أن يتنفسوا فى مناخ الشيخ وأن يعيشوا فى ظلاله — أطال الله أعمارهم — لعلهم يبادرون — فى ذكراه الثلاثين — باعطاء (ابن باديس) الفكرة و (ابن باديس) الثورة و (ابن باديس) التاريخ والحقيقة .. بعض ما يستحقه (ابن باديس) الظاهرة التاريخية الفذة من درس وتحليل وحفظ .. انهم بذلك يمنحون شجرة الفكر الاسلامى بعض أوراقها اليانعة ، ويمنحون الاجيال العربية والاسلامية الجائعة غذاءها الذى لا يصح جسمها الا به ..

رحم الله ابن باديس ، وأقال الامة التى عمل من أجلها من عثراتها ، وهداها الى الطريق المستقيم .



((وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)) .

صدق الله العظيم

المشورة فى الحرب

أتى قوم من العرب شيخا لهم قد أربى على الثمانين ، وأهدف على التسعين ، فقالوا له : ان عدونا استاق انعامنا ، فأشر علينا بما ندرك به الثار ، وننفى بــه العار .

فقال : الضعف فسخ همتى ، ونكث ابرام عزيمتى ، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العــزم ، والجبناء من ذوى الحــزم ، فان الجبان لا يألو برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الــرأى بنتيجــة تبعد عنكم معــرة نقص الجبان وتهور الشجعان ، فاذا نجم الرأى على هــذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب .

شيخ الاســلام

لقب ظهر فى النصف الثانى من القــرن العاشر ، وكــان مقصورا على العلماء والمتصوفة ، لقب به فى القرن الحادى عشر رأس فقهاء الشافعية فى خراســان (اسماعيل ابن عبد الرحمن) ومــن بعــده (فخر الدين الرازى) وأصبــح اللقب فى مصر والشام لقب تشريف، وليس لقبا رسميا ، وكان ذلــك فى أوائل العهــد المملوكى .

وأطلق هذا اللقب عــلى مفتى الاستانة ثم الغى سنة ١٩٢٢ .

رجل الشرطــة

قال الحجاج بن يوسف : دلونى على رجل للشرطة ، فقيل له : أى رجل تريد ؟

قال : أريد رجلا دائم العبوس ، طويل الجلوس . سمين الامانــة أعجف الخيانــة .

فقالوا : عليك بعبد الرحمــن التميمى ، فأرسل اليه ، فقال له عبد الرحمن : لست أعمــل لك عملا حتى تمنع من الدخول عــلى ولدك وأهل بيتك وحاشيتك .

فقال : لك ذلك . يا غـــلام ناد : من دخل عليه أو طلب اليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

اعداد : أبو نــزار

((لما كذبتنى قريش فى الاسراء قمت فى الحجر ، فجلى اللـه لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظـــر اليه)) .

حديث شريف

العصــــــا

سئل أعرابى عــن عصاتـــه فقال :
أركزها لصلاتى ، وأعدهــــــا لأعدائى ، وأسوق بهـــا دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ، وأعبر بها النهر فتؤمننى ، وألقــى عليها كسائى فتسترنى من الحر ، وتقينى من القر ، وتدنى ما بعد منى وهى محمل سفرتى ، وعلاقــة أدواتى ، ومشجب ثيابى . أعتمد بها عند الضراب ، وأقرع بهـــا الأبواب ، وأتقى بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرمح فى الطعـان . ورثتها عن أبى ، وأورثهـــا بعدى ابنى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخــرى كثيرة لا تحصى .

أربـــع كلمـــات

خرج الزهرى يوما من عنـــد هشام بن عبد الملـك فقال :

ما رأيت كاليوم ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهم رجل عنـــد هشام . دخل عليـه فقال له :

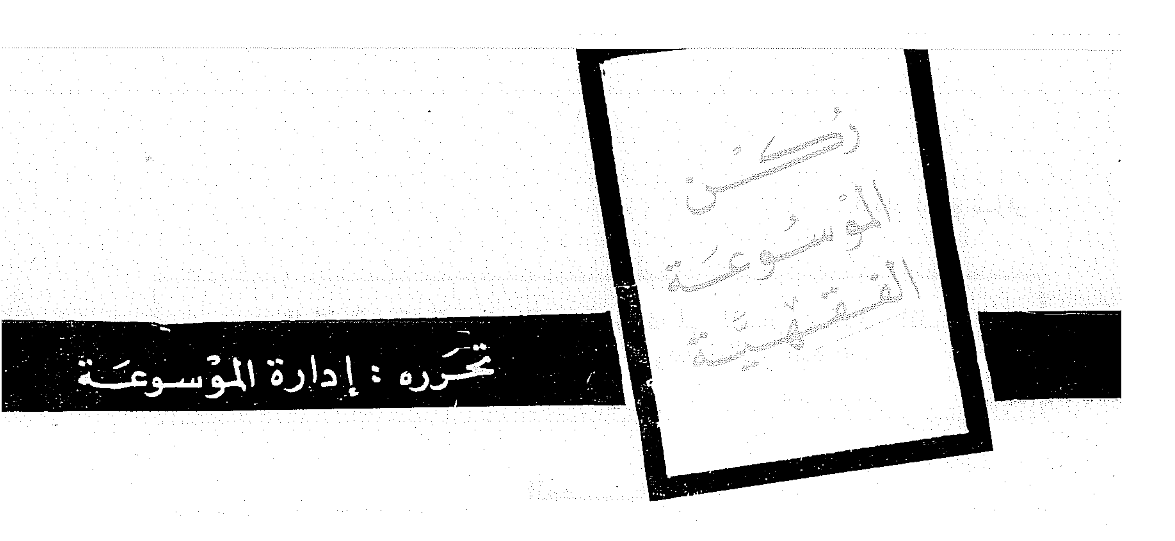
يا أمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات ، فيهم صلاح ملكك واستقامة رعيتك ، قال : هاتهن . قال : لا تعـدن عدة لا تثق من نفسك بانجازهـــا .

ولا يغرنك المرتقى وان كـــان سهلا اذا كان المنحدر وعـــرا . واعلم ان للأعمال جزاء ، فاتق العواقب ، وان للأمور بغتـــات فكن على حذر .

فقيــــرة تشكــــو

خرج الخليفـــة المهـدى بعـد هدأة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقـول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديـــون ، وعضتهــــم السنون ، باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبنـــاء سبيل وأنضاء طريق . وصية الله ووصية رسول الله ، فهل آمـــر بخير كلأه الله فى مقره ، وخلفه فى أهله .

فأمر الخليفـــة نصرا الخادم ، فدفع اليها خمسمائة درهم .



الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد العالمى

تحدثنا فى الأعداد السابقة عن عدة مجالات قانونية دولية ، وبينا مدى الحاجة الماسة الى موسوعة الفقه الاسلامى بالنسبة الى تلك المجالات . ونختم اليوم ببيان مجال جديد هو مراكز الاعلام القانونى التقليدى والآلى .

كانت الطريقة السائدة حتى عهد قريب فى ترتيب المعلومات ليسهل الرجوع اليها هى ما يعرف بالفهرسة بأنواعها وأساليبها المختلفة التى يمكن معرفة تفاصيلها من الكتب المتخصصة فى هذا الميدان .

ثم حدثت ثورة حقيقية فى هذا الميدان بعد ما كثرت الكتب والمجلات والوثائق والمعلومات التى ينبغى على الباحثين الرجوع اليها ، وأصبحت الوسائل التقليدية لا تفى بالغرض ولا تسعف الباحث ، وتقدمت الآلة تعرض خدماتها على الانسان فى هذا الميدان ، واذا بامكانياتها الضخمة تيسر ما كان يصعب على الانسان عمله وتنجزه بسرعة مذهلة ، بل وتقوم بما لم يكن بوسع الانسان أن يقوم به ولو تضافرت الجهود وامتد الوقت .

وليس هنا مجال شرح الدور الذى تقوم به الآلة فى هذا المجال ويكفى أن نشير الى البحث القيم الذى نشرته مجلة « عالم الفكر » التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء فى الكويت فى عددها الثانى بعنوان « العقول الالكترونية » للدكتور صلاح الدين طلبة ، ففيه البيان الوافى لانواع هذه الآلة وطرق عملها ومجالات استخدامها .

وينبغى فقط أن نضيف هنا أن استخدام هذه الادمغة الالكترونية قد بدأ فى ميدان القانون منذ عدة سنوات ، وأصبح الآن منتشرا فى العديد من كليات الحقوق ، وادارات المحاكم ، والشرطة ، ومراكز الاعلام ، ومكاتب المحامين ، ومعاهد البحوث القانونية ، وادارات الضرائب ، والمنظمات الدولية فى أوربا وأمريكا والدول الشيوعية .

ويختلف البرنامج الذى تقوم به الآلة من حالة الى حالة وفقا للغرض الذى أعدت لتحقيقه : فهى أحيانا تجمع القوانين واللوائح ، وأحيانا أخرى تجمع السوابق القضائية ، وفى حالات ثالثة تجمع المعاهدات الدولية .. الخ .

ثم ان مهمتها تقتصر أحيانا على اعطاء المعلومات التى لقنتها دون

« اعمال فكر »(١) ، وفى حالات أخرى تعطى نتيجة معينة أو رأيا معينا جوابا على السؤال الذى يلقى اليها .

وحتى لا يتشعب بنا الحديث فى هذا المجال المستحدث الطريف فاننا نقتصر على ما يختص بمراكز الاعلام القانونى التى تهتم بجمع القوانين على الصعيد الدولى ، والتى يكون من الطبيعى أن تشمل الشريعة الاسلامية ضمن برامجها .

بدأ الاهتمام بتوسيع نطاق عمل الادمغة الالكترونية فى ميدان القانون الى الصعيد الدولى فى جامعة واشنطن التى شمل برنامج « دماغها الالكترونى القانونى » الى جانب معاهدات الامم المتحدة ، مجموعة من الدراسات القانونية المقارنة عن عدة دول علاوة على سلسلة من الاتجاهات ذات التوسع العالمى .

غير أن الفكرة أخذت صورتها الكاملة حينما أوصى « مركز السلام العالمى بواسطة القانون » بانشاء مركز دولى للاعلام القانونى فى جنيف يتسع لتخزين كافة المعاهدات والتشريعات والاحكام وغير ذلك من المواد القانونية من كافة النظم القانونية ، ومن كافة بلدان العالم ليكون فى خدمة رجل القانون من أى بقعة فى العالم ، مستعينا بوسائل الاتصالات الحديثة من « فيلكس » وغيرها ..

أما عن نطاق الاستفادة من هذا المركز الاعلامى القانونى فستتسع للمحامين (وعددهم فى العالم حوالى مليون) والقضاة (وعددهم فى العالم حوالى ٣٠٠٫٠٠٠) وللحكومات (حوالى ١٢٥) والمنظمات الدولية (يبلغ عددها الالوف) وأساتذة القانون (حوالى ٦٠٠٠ فى العالم لحوالى ٦٠٠ كلية حقوق و ١٠٠٫٠٠٠ طالب حقوق) والشركات ذات النشاط الدولى (يبلغ عدد القانونيين فيها حوالى ١٥٫٠٠٠) وعدد غير قليل من الجمعيات والمنظمات الخاصة .

ان دخول الشريعة الاسلامية ضمن برنامج هذا المشروع يتوقف الى حد كبير على مدى تنظيم احكامها وسهولة معرفتها ..

واذا ظلت أحكام الفقه مبعثرة فى بطون الكتب القديمة ، حيث تجدها فى غير مظانها ، وحيث يختلف ترتيبها ، بل ومصطلحاتها ، من مذهب الى مذهب ، وحيث لا يجمعها عرض مقارن موحد ، وحيث لم تمتد يد الفهرسة والتنظيم الشكلى الى كتبها .. اذا ظلت أحكام الفقه على هذه الحال ، فالعذر كل العذر للقائمين على مشروع مركز الاعلام القانونى اذا أغفلوا ادخالها ضمن برامجهم ، اذ كيف يتسنى لهم حل رموزها التى تستعصى على الكثيرين من أبناء العربية المثقفين بل والمتخصصين ..

لذلك كان مشروع الموسوعة الفقهية ضرورة أساسية وعاجلة ، كى تخرج أحكام الفقه من بطون أمهات المراجع القديمة لتعرض بأسلوب حديث موطأ ميسر مفهوم ، على أساس مخططات منطقية واضحة ، جامعة لرأى المذاهب المختلفة ، ومقسمة على فقرات

---

(١) ومن ثم نرى أن التسمية المناسبة لها هى : (الادمغة الالكترونية) وليس (العقول الالكترونية) على أن تسميتها أيضا (أدمغة) يعتبر سابقا لاوانه فقد يتبين لزوم تغيير هذه التسمية فى المستقبل ، ولاسيما اذا نظرنا الى معانى أسمائها الاجنبية فى الانكليزية والفرنسية

مرقمة يسهل الاحالة عليها . وهذه كلهـا من مستلزمات « الادمغة الالكترونية » حتى يمكن تغذيتها بها وتخزينهـا تمهيدا لتلبية طلبـات الراغبين فى معرفة أحكام الشريعة الاسلامية فى مشـارق الارض ومغاربها .

من بريد الموسوعة

وصلتنا رسائل عدة منها ما يتعلق بتفاصيل موضوعى الاشربة والاطعمة ، ومنهـا ما يتعلق بأمور عامة عن خطة الموسوعة ونحن نورد اليوم بعضا من الملاحظات العـامة المتعلقة بخطة الـكتابة فى الموسوعة شاكرين للاساتذة الذين تفضلوا بالكتابة الينا ملاحظاتهم القيمة ، والتى هى موضع تقدير واعتبار ادارة الموسوعة ..

١ ــ كتب الاستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور علامة تونس مقترحا « تأليف لجنة مهمتها تدوين المحررات بصورة نهائية ليكون طبع الموسوعة جاريا على أسلوب متحد وليس على هاته اللجنة جناح فى طلب مخاطبة الاساتذة المحررين اذا أشكل شىء من تحريراتهم » .

فنقول : اذا كان مقصود فضيلته لزوم تأليف هيئة تحرير فى جهاز الموسوعة نفسه تحرر فى موضوعاتها الى جانب نظام الاستكتاب من الخارج فهذا حاصل ، وان كانت هيئة التحرير فى جهاز الموسوعة حتى الآن لم تستكمل عدد الاعضاء المحررين المأمول أن تتألف منه . وقد كتبت بالفعل موضوعات للموسوعة عديدة فى هيئة التحرير .

واذا كان مقصود فضيلته لزوم تأليف لجنة مراجعة للموضوعات التى تكتب توحيدا لخطة الكتابة وأسلوبها فهذا واجب حقا ، ولكن لم توجد حتى الآن لجنة مراجعة بهذا المستوى لأسباب خارجة عن ارادة الادارة ، ونأمل أن توجد فى المستقبل . لكن الادارة وضعت خطة تفصيلية للكتابة فى بيانات تعطيها للاساتذة الكتاب ليراعوها توحيدا للخطة والاسلوب ، كما أن الادارة والجهاز العامل معها تقوم حاليا بهذه المراجعة .

٢ ــ واقترح فضيلته أيضا : « توخى استعمال العبارات الاصطلاحية الفقهية بالاساليب الفقهية دون تغييرها الى التعبيرات المتبعة فى الانشاءات الحديثة » .

فنقول : من خطة الكتابة فى موضوعات الموسوعة ــ كما هو موضح فى بياناتها الآنفة الذكر ــ لزوم محافظة الاستاذ الكاتب على عبارات الفقهاء ما دامت واضحة سهلة ، فان كانت معقدة يعسر على غير الفقهاء المختصين حلها وفهمها يجب نقل مضمونها بعبارة واضحة مبسطة . وهذا من أهم المزايا المنشودة فى الموسوعة .

أما الاصطلاحات فقد نصت خطة الكتابة أيضا على لزوم المحافظة عليها ، وما كان منها يحتاج الى شرح ليفهمه القارىء غير المختص فانه يشرح بايجاز فى الحاشية . وادارة الموسوعة تراعى تطبيق ذلك بكل دقة ممكنة .

٣ــ وكتب الاستاذ الدكتور أحمد حمدى الخياط الطبيب الجراثيمى بدمشق يقترح « عصرنة الكثير من المباحث (لعله يعنى المصطلحات) لتكون أكثر نفعا فى تثقيف الجيل الحاضر فقهيا . مثال على ذلك : الشروط الموضوعة للخمر المسكرة أنها ماء العنب النيىء بعد ما غلى واشتد ، وقذف بالزبد .. الخ .

يمكن التعبير عن ذلك كله : بالاختصار الذى له أكثر هذه الصفات وأسهل فهمها على من يريد التفقه من المثقفين » .

ونقول : ان هذا الاقتراح على وجاهته يمشى فى اتجاه معاكس للاقتراح السابق . والادارة حريصة على أن تسلك مسلكا وسطا بقدر الامكان يأخذ من كل من هذين الخطين المتعاكسين بطرف : وذلك بالمحافظة على نقل المعايير الفقهية كما نص عليها الفقهاء لأنها معايير ثابتة صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، حفاظا على أمانة النقل . وفى الوقت نفسه يذكر ما يمكن أن يقابلها من تعابير عصرية أو علمية حديثة ، لأن (العصرنة) المحض قد تؤدى الى تغيير الصورة الفقهية ، فتظن اخلالا بأمانة النقل ، واجتهادات جديدة من كتاب الموسوعة .

٤ — وكتب بعض الاساتذة يقترحون « تخريج جميع ما يرد من الاحاديث النبوية الشريفة وبيان درجتها وعزوها الى كتب الحديث الاصلية كالبخارى ومسلم وأبى داود .. دون الكتب المجمعة والمختارة والشروح والمختصرات كنيل الاوطار مثلا .. » .

ونقول : ان خطة الكتابة الموسوعية المبينة فى البيانات المشار اليها تتضمن نصا صريحا على وجوب تخريج الاحاديث وعزوها الى مراجعها الاصلية . وقد طبق ذلك فعلا فى موضوعى الاشربة والاطعمة .. واذا ندر شىء لم يجر تخريجه فهو سهو يستدرك فى الطبعة النهائية . أما العزو الى كتب الفقه دون تخريج وعزو للمصادر الحديثية الاصلية فنبه الى ذلك .

ولكن ينبغى أن يعلم أن الموسوعة لا تتدخل فى الحكم على درجة الحديث من عندها ، وانما تنقل بايجاز ما تقوله المراجع تصحيحا أو تضعيفا ، ولاسيما عند نقل مناقشات الأدله . وكل ذلك بالحدود التى تقتضيها الضرورة ولا تخرج بالموسوعة عن صفتها الفقهية . ويبقى على مريد التوسع والمناقشة التفصيلية أن يرجع الى المراجع الحديثية المعزو اليها والى شروحها .

٥ — كما اقترح البعض عدم التعرض لشرح المعانى اللغوية الا فى حدود الحاجة ، وكذلك عدم الدخول فى شرح مصطلحات غير متعلقة مباشرة بالموضوع ، وعدم الترجمة لبعض الفقهاء ، ولو بايجاز فى الحاشية .

فنقول : ان هذا الاقتراح (فى غير قضية التراجم) يخالف خطة الموسوعة التى يجب أن تكون مغنية للقارىء عن كثير من المراجعات التى يتوقف عليها فهم ما تنقله من أحكام الفقه . أما تراجم الفقهاء فلا شأن للموسوعة بها وقلما يتعرض لها الا نادرا فى الحاشية عندما تلحظ حاجة القارىء الى معرفة شىء عن الفقيه المار ذكره .

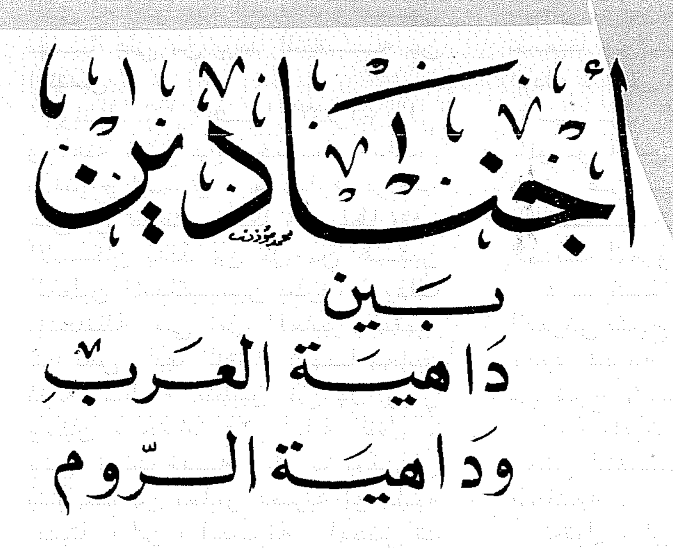
وقد وقع ذلك فى ترجمة مقتضبة للشيخ عبد الغنى النابلسى فى موضوع الاشربة (ف/٩١) .

على أنه قد يرى تخصيص جزء فى آخر الموسوعة للتعريف الموجز بالفقهاء على أساس الترتيب الابجدى لاسمائهم .

٦ — لاحظ الكثيرون أن حروف الطباعة كبيرة الحجم (حجم ٢٤) واقترحوا استعمال حجم (٢٠ أو ١٦) .

فنقول : ان هذه الملاحظة واردة .. وقد كانت ضخامة الحرف فى موضوعى الاشربة والاطعمة اضطرارية ، وسيعدل الى حرف أصغر حجما فى الموضوعات المقبلة .

مسرحية قصيرة



أجنادين بين داهية العرب وداهية الروم

للأستاذ : أحمد محمد السقاريني

الفصل الأول
ــ المشهد الأول ــ

فى ساحة المعركة ، يبدو الفريقان (جيش المسلمين وجنود الروم) وقد اشتد أوار المعركة بعد أن استمرت أياما . أحد جنود المسلمين يقول لرفيقه : لقد اختلت صفوف الروم ، انظر اليهم يتطايرون كالذباب فرقا وهلعا .

الجندى الآخر : ألم تر أن جثث صرعاهم ملأت السهل ؟ ولا شك أنهم أيقنوا بالهزيمة .

الأول : انه وعد الله عباده بالنصر ، ومن أوفى بعهده من الله يا سعيد .

صوت القائد عمرو بن العاص يرتفع فى المسلمين : أيها المسلمون ، يا جند الله ، شدوا على عدوكم ، فان الوهن قد حل بهم وأصابتهم الذلة ، واصدقوا الله ما وعدتموه فانكم الغالبون باذن الله .

(صيحات الجنود تتعالى : الله أكبر ، الله أكبر) .

الجندى الأول : شكرا لله ، ها هم يتراجعون عن مواقعهم ، ولا أراهم الا فارين شراذم يطلبون النجاة قانعين بالهزيمة .

الثانى : أجل ، أجل يا سعيد لقد انكشف قلب هجومهم ، وها هى الميمنة تنهار والميسرة تولى الادبار . الله أكبر .

عمرو بن العاص ينادى فى الجيش : دعوهم يفرون ولا تلاحقوهم أيها الجند ، اجمعوا غنائمكم ، وادفنوا شهداءكم ، ثم عودوا الى معسكركم وخذوا قسطكم من الراحة .

عمرو بن العاص : يا عبد الله ، خذ خمسين من الجنود واصعد الى أعالى تلك الهضاب التى أمامنا ، واستقصوا لنا أخبار العدو ، وطبيعة المنطقة ، وراقبوا القلعة فى أجنادين .

عبد الله : أمر القائد عمرو مطاع ، ولسوف نتعقب فلولهم الى أسوار القلعة .

عمرو : ما لهذا ندبتك يا عبد الله ، وانما أريدك أن تختار للجند معسكرا يشرف على القلعة .

عبد اللـه : كما ترى أيها القائد ، سأرتاد المنطقة وآتيك بالخبر .

عمرو : وأنتم أيها الجند ، تهيأوا للانتقال الى المعسكر الجديد .

(ينادى حارس خيمته) يا عامر .

عامر : لبيك أيهـا القائد .

عمرو : أدع لى قادة الجيش فى الحال .

عامر : (مناديا) الى فسطاط عمرو بن العاص يا قادة الجيش .

(يدخل القادة فيسلمون على عمرو ثـم يأخذ كل منهم مكانه) .

عمرو : ان هذه القلعـة التى آوى اليهـا قائد جيش عدونا ، أصبحت تتحدانا ، ولا بـد من فتحهـا .

أحد القادة : أمن أجل هذا دعوتنا أيهـا الأمير ؟

عمرو : أجل وهل لى سواكم من سلاح ألقى به عدو اللـه وعدو المسلمين .

الثانى: سنهاجم القلعـة وننقض سورها حجرا حجرا .

عمرو : وكيف نهاجمها وهم قد تحصنـوا فيها ؟ وفى ذلـك تعريض الجند للمشقـة والهـلاك ؟ !!

ثالث : اذن نحاصر المدينة ، حتى تنفذ مـن مخازن المحـاصرين الأقوات فيضطـرون للاستسلام .

عمرو : ان الأخبار التى عندنا تشير الى أن الشهر والشهرين لا تستنفد أقواتهـم المخزونـة !!

الأول : وماذا ترانا فاعلين بهم ؟ !

عمرو : لا بد من استدراجهم حتى يخرجوا الينا ، فنقاتلهم فى معركـة مكشوفـة يهزمون فيها .

الثانى : ولكـن أمر اخراجهم ليس سهلا الى هذا الحد ، وبالقدر الـذى تتصـوره يا عمرو ، فان مرارة الهزيمـة التى ذاقوها تركت فى نفوسهم عقدة لن تحل أبدا ، فكيف السبيل الى ذلـك ؟

عمرو : أجل أيها القائد . ولكن مهما يكن من أمر فلا بـد من كسب الوقت الـذى يضيع بسرعة ، ولا بد من تصفية الروم من أرض فلسطين ، لتفتح الطريق أمامنا الى مصر .

القائد : لننتقل اذن الى محاصرة القلعـة ونتدبر هناك على مهل ما يمكن أن نفعلـه .

عمرو : هو ذاك ، فانفر بالجند الى المكان الذى اختار عبد اللـه ، وابنوا فيـه معسكركم الجديد .

(المنادى ينادى فى الجيش) : الأميـر يأمر بالمسير الى المعسكر الجديد ، فسيروا على نظـامكم .

المشهد الثانى —

(الجيش فى مسيرته الى المعسكر الذى اختاره عبد اللـه ، ووافق عليه عمرو) .

عمرو : (لعبد الله) : صف لنا موقع المعسكر الذى اخترته يا عبد الله .

عبد اللـه : اننا اخترنا معسكرنا خلف احدى الهضاب المطلـة على أسوار القلعة ، بحيث نستطيع مراقبة الرومان منه ، ولا يطلعون على ما يدور فى معسكرنا أيها القائد وبحيث نسيطر على جميع الطرق المؤدية الى القلعـة .

عمرو : هذا حسن يا عبد اللـه ، ولكن قل لى ما أخبار القلعـة نفسها ؟ وماذا يجرى فى داخلها ؟

عبد اللـه : انها محصنة بأسوار منيعة ، ورجال الحامية كثيرون على ما يبدو .

عمرو : ليس هذا هو المهم ، هل تبينت شيئا من أخبار القائد ؟ .

عبد الله : أجل أيها الأمير ، فقد قيل لنا أن قائد الحامية هو الأرطبون ، وقد عين قائدا عاما للرومان فى فلسطين كلها ، بعد الهزائم المتلاحقة التى منوا بها .

عمرو : ذاك داهية ، وأمره يتطلب جهدا كبيرا .

عبد اللـه : ما دمت مع اللـه فلا تبال ، ان الله معيننا عليه .

(يصل الجيش الى مقرهم الجديد) .

عمرو : دع الجنود يستريحون من عناء الجهد وينصبون خيامهم ، ويأخذون طعامهم .

عبد اللـه : أيها الجند انصبوا خيامكم ، وهيئوا لأنفسكم الطعـام ، والزموا معسكركم

عمرو : أما أنت يا عبد اللـه فخذ فئة من جندك وطف بهم حول الحصن ، فلعلك تقع على جانب ضعيف نأتيهم منه .

عبد الله : لا عليك أيها الأمير فانى منقب السور عن الثغرات وآت بما يفتـح اللـه علينا ان شاء الله .

عمرو : لا تنس أن تحضـر الينا كل مـن تلقاه فى طريقك فهم يعرفون الموقـع ، ويخبرون من أمر الحصن ما يخفى علينا .

عبد الله : اطمئن أيها الأمير ، فالنصر لنا باذن الله .

(يذهب عبد اللـه مع جنده ويبقى عمرو فى الفسطاط وحده) .

عمرو : أيها الحارس .

الحارس : لبيك أيها الأمير .

عمرو : أين قواد السرايا ؟

الحارس : هم فى خيامهم ينظمون أمور الجند ويتفقدونهم .

عمرو : ادعهم الى فى الحال .

الحارس (ينادى) : يا قادة السرايا ، الأمير عمرو بن العاص يدعوكم الى مجلسه ، فهلموا اليه .

(يتوافد القادة الى فسطاط عمرو) .

القادة : (يدخلون على عمرو) : السلام عليك أيها الامير ورحمة اللـه وبركاته .

عمرو : وعليكم السلام ورحمة اللـه . حياكم اللـه ، وأيدكم بنصر من عنده ، لقد أبليتم فى جهادكم البلاء المحمود .

أحدهم : ذلـك بفضل الله عز وجـل ، وبفضل قيادتكم الحكيمـة أيها الأمير .

عمرو : والآن .. ما عندكم من خطـة لفتح هذه القلعـة التى احتمى بها عدونا ؟

الثانى : نحن عند رأى الأمير ، وخططه ننفذهـا بكل ثقة وشجاعة .

الثالث : ان ايماننا الـذى لا يتزعـزع بربنا يمدنا بالقوة التى لا تغلب ، فمرنا نهجم على القلعـة .

عمرو : أنا لا أشك فى مقدرتكم وجرأتكم ، على فعل كل عظيم من الأمور ، وأنا أستشيركم فهل من رأى لدى أحدكم ؟

الأول : الرأى عندنا أن نتسلق الاسـوار عليهم فى غفلـة منهم .

عمرو : رأى لا بأس به ولكنه صعب التنفيذ، فمن يتسقط لنا أخبار غفلاتهم ، والا كان غير مضمون النتائج .

الثانى : نكيد لهم فنوهمهم أنا مرتحلون ، حتى اذا خرجوا باغتناهم على حين غرة ، وسبقناهم الى باب القلعـة .

عمرو : لقد فعلناها بهم أكثر من مرة ، وهم الآن حذرون منها ، ويصعب علينا اقناعهـم بذلـك .

الثالث : اذن نبعث اليهم وفدا يفاوضهم على الصلح ان كانوا يرغبون فيه بشروط مغريـة لهم .

عمرو : ذلـك رأى معقول ، نستطيع أن نطلع منه على حالهم وأحوال قلعتهم ، ولا ضير علينا من فشل مفاوضتهم .

الاول : ولكن لماذا نحن متعجلون فى أمـر القلعـة أيها الأمير ؟

الثانى : ولا علينا فنحن أصبحنا نسيطـر على معظم أرض فلسطين ، وآمنون فى الارض التى خضعت لنا .

عمرو : هـذه النظرة للأمور ، وخاصـة العسكرية منها ، ليست بعيدة ، ولا حكيمـة فالحرب سيف ذو حدين ان لم تحسمها بسرعة وفى الوقت المناسب ، جرت المخاطر التـى يصعب السيطرة عليها .

الثالث : وما الخطر الممكن حصولـه أيها الامير ، وقد أصبحنا سادة الموقف ؟

عمرو : انا نخشى أن يتصلوا بقومهم فـى مصر فيرسلوا لهم العدد ، ويتعقد الموقف .

الاول : اذن ، فالأمير عازم على وضـع خطة سريعة الأثر .

عمرو : أجل ، وقد أصبحت الآن أميل الى أرسال بعثة التفاوض ، فلعل اللـه أن يفتح علينا .

الثانى : انها مهمة شاقة ، وصاحبها يجب أن يجمع الى الذكاء وحسن التصرف ، الحكمة والفضل .

عمرو : سنختار أحدكم ليؤدى هذه المهمة فمن ينهض لها ؟

الأول : كلنا يحرص على السبق بها ، وللأمير أن يختار ويندب من يشاء .

عمرو : لقد وقع اختيارنا عليك يا حماد ، فاذهب وهيىء نفسك .

حماد : انه لفخر لى أن يعهد الى بأمر أرجو أن يكون فيه كل الخير للمسلمين .

عمرو : أريد أن أوصيك بوصية تحفظها فى سفارتك هذه ، فانت ذاهب لمعرفة أسرار العدو لا للبحث معه فى أمر يرضيه ، فوافقهم على الكثير ، وأطمعهم فيما يريدون ، ولكن اياك والغبن .

حماد : لا عليك ايها الامير ، فانى سأبذل فى سبيل ذلك كل جهدى .

عمرو : واعلم أنك ذاهب الى الأرطبون قائد الرومان المخادع الماكر ، الذى لا تنطلى عليه الكثير من الحيل .

حماد : وبم تشير أيها القائد ؟

عمرو : اتبع معه ما اعتدنا عليه فى مثل حالته ، ولا تظهرن عليك الدهشة أو الارتباك .

حماد : اعرض عليه الاسلام ، أو الدخول تحت سلطان المسلمين وذمتهم فان أبى فالجهاد

عمرو : أحسنت يا حماد ، ثم خض معه فى شروطه التى يشترط ولا تقطع بشىء .

حماد : أنا ذاهب اليه ، فليأذن لى الامير بالانصراف .

عمرو : انتظر قليلا حتى نكتب له كتابا تحمله اليه .

حماد : لا داعى للكتاب ما دمت أحفظ دورى وأعرف مهمتى .

عمرو : لا ، يا حماد ، انها عادة السفراء دائما ، أين الحارس ؟

الحارس : لبيك أيها الأمير .

عمرو : هات الدواة والقرطاس .

الحارس : (يحضرهما اليه) هذه الدواة ، وهذا القرطاس .

عمرو : (يكتب الكتاب) بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمرو بن العاص أمير جند المسلمين الى قائد جيش الروم الأرطبون .

سلام على من اتبع الهدى وبعد : أعرض عليكم شروطا ثلاثة : الاسلام ، وتكونون ان استجبتم اليه أخوة لنا ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، فان أبيتم فتدخلون فى ذمتنا تدفعون الجزية ، ولكم علينا الحماية ، وتكونون فى دولتنا أهل ذمة ، فان أبيتم فليس أمامنا بعد الا المناجزة بالسيف .

عمرو : هذا الكتاب سلمه اليه يا حماد ، وقد سمعت ما فيه (بعد أن يقرأه جهرة) .

حماد : سمعا وطاعة أيها الأمير .

عمرو : والآن يمكنك أن تذهب ، واياك وما عليه الحصن وأهله ، رافقتك السلامة وحالفك التوفيق .

الفصل الثانى
ــ المشهد الأول ــ

عمرو بن العاص فى خيمته يقطعها بعصبية جيئة وذهابا ومعه أحد قواده .

عمرو : هل حضر القائد الذى أرسلنا به الى الحصن يا عبد الله ؟

عبد الله : لما يحضر بعد ، ولا أظنه الا قادما عن قريب .

عمرو : ان أخشى ما أخشاه يا عبد الله أن لا يدعه الرومان يفهم شيئا أو يرى شيئا .

عبد الله : وتكون سفارته حينئذ فاشلة .

الحارس : (يدخل الحارس عليهما) لقد حضر القائد الذى ذهب الى الارطبون ، وهو يستأذن فى الدخول .

عمرو : دعه يدخل فنحن فى حاجة الى سماع أخباره .

حماد : السلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

عمرو وعبد اللـه : وعليك السلام يا حماد
عمرو : ما وراءك ، وما الذى جئت به ؟
حماد : لقد ذهبت الى الحصن وقابلت الأرطبون وتحدثت اليه .
عمرو : وكيف كان حديثك معه ؟ هل عرفت لنا من أسرار الحصن شيئا ؟

حماد : انهم حجبوا عنى كل شىء . أدخلونى فى سرداب معتم لم أخرج منه الا لمقابلة الأرطبون .
عمرو : هذا ما كنت أتوقعه ، وأخشاه ، ولكن ألم أنبهك الى ما يجب عملـه ؟

حماد : لم أستطع أن أفعل شيئا فقد أحاطوا بى ، ولم يدعونى أتجول فى الحصن .
عمرو : ألم أقل لـك يا عبد اللـه ؟ فما كل شجاع يتقن السياسة ، ويحسن المراوغة .
حماد : كم حاولت ذلـك فما مكنونى منه أبدا .
عمرو : هذا أمر محير حقا ، ولكن لا بد من عمل مجد ، ولكن قل لى : هل فى القلعة جنود كثيرون . ؟

حماد : لقد رأيت أكثر من خمسين جنديا يقفون على باب مقر الأرطبون .
عمرو : وهل لاحظت على وجوههم تحولا ، أم أنهم صامدون مصممون على القتال ؟
حماد : ما انتبهت الى هذه الملاحظة أيها الامير .
عمرو : وكيف كانت معاملتهم لك يا حماد ؟

حماد : كانت بين اللين فى بعض الاحيان والغلظة فى أكثرها .
عمرو : على أية حال ، لا بأس عليك ، اذهب الى خيمتك يا حماد ، وخذ قسطك من الراحة .
حماد : أنا عند رأى أمير الجيش .
(يخرج حماد ويذهب الى فراشه) .

عمرو : أرأيت يا عبد الله كيف خاب السهم الذى صوبناه الى الأرطبون ؟
عبد اللـه : لقد علمت أن الارطبون داهية الرومان ، وليس من السهل التحايل عليه .

عمرو : كنت أظن أن الأمر لا يحتاج الى جهد جهيد .
عبد الله : وعلى ماذا عزم الأمير للخروج من هذه الحال الملة ؟ .
عمرو : لقد طال أمد الحصار ، ولست منتظرا بعد الآن .
عبد اللـه : ولكن لا بد من خطة موزونة ومحكمة .
عمرو : أما الخطة فهى جاهزة ومفصلة ، ولن يصعب علينا كثيرا استبدالها أو تغييرها .

عبد اللـه : اذن فقد اعتزمت أمرا أراك مصمما على تنفيذه أيها الأمير .
عمرو : أجل يا عبد اللـه ، ولكنى أريد أن تبقى الخطة سرا ، وأن لا يعلم بها أحد أبدا .
عبد اللـه : كما تشاء ، وحتى أنا لا ينبغى لى أن أعلم ؟ !!

عمرو : أما أنت فلا بأس عليك ، فاعلم أننى سوف أذهب بنفسى لمقابلة الارطبون .

عبد الله : أنت بنفسك ؟! والخطر الذى ينتظرك هناك ؟ انهم ان اكتشفوا أنـك عمرو فسيقتلونك ؟

عمرو : ان العمر بيد الله وحده يا عبد الله ، ولا بد من العمل المجدى . فهم لن يخرجوا لقتالنا الا بالحيلة .
عبد الله : انا لا أخاف عليك أيها الأمير فالداهية الأرطبون لا يجابهه الا من كان أقدر منه ، وأنت له .
عمرو : اذا كان الصباح ، تنكرت وارتديت ثياب جندى وذهبت الى القلعة .
عبد الله : نسأل الله لك التوفيق والنجاح ... فاذهب على بركة اللـه .

الفصل الثالث

ـ المشهد الاول ـ

تظهر القلعة وبابها الخشبى الضخم المغلق وقد بدا من كوى المراقبة جنديان ، وعمرو بن العاص يتقدم نحو القلعة .

رابى : انظر يا ماريوس ، هذا قادم الينا .
ترى من يكون ؟
ماريوس : ما أراه الا رسولا من جيش المسلمين .
رابى : وماذا يريد ؟ ولم يمض على سابقه سوى أيام ؟
ماريوس : لعلهم رأوا بشأن المفاوضات معنا رأيا آخر .
رابى : ربما جاء يعرض على القائد الأرطبون صلحا بشروط مقبولة .

ماريوس : لننتظر ، فهذا هو مقبل رافعا منديله الأبيض .
رابى : مكانك أيها الرجل ، ولا تتقدم خطوة واحدة ، والا اخترق هذا السهم صدرك.
عمرو : رويدك أيها الحارس .
رابى : من أنت ؟ ومن أين أنت قادم ؟

عمرو : أنا رسول من قائد جيش المسلمين الى قائد الحصن .
رابى : وماذا تريد منه يا رسول جيش المسلمين ؟!!
عمرو : معى له رسالة أبلغها اياه من قائد الجيش .
رابى : انتظر حتى أنقل خبر قدومك الى الأرطبون وأستأذن لك ، واحترس أنت يا ماريوس من هذا العربى .

ماريوس : لا عليك فأنا عين ساهرة عليه .
(بعد فترة وجيزة ماريوس يطل من كوة السور وعمرو يقف أمام باب القلعة) .
عمرو : ألم يحضر رفيقك بعد أيها الحارس ؟
ماريوس : ها هو ذا قادم .

رابى : أين رسول جيش المسلمين يا ماريوس ؟ افتح له باب الحصن ، فقد اذن الأرطبون بدخوله .
ماريوس : تقدم أيها العربى ، وقف قريبا من الباب .
رابى : فتشه يا ماريوس قبل أن يدخل ، وان كان معه سلاح فخذه منه ، ولا تدعه يدخل حتى يسلمك اياه .
ماريوس : (يفتح باب الحصن) هات سلاحك الذى تحمله ، ثم ادخل .
عمرو : لا أحمل الا هذا السيف فى غمده ، خذه .
ماريوس : هاته ، ودعنى افتشك .
عمرو : لا داعى لذلك فنحن المسلمين لا نكذب .
ماريوس : الأوامر لدينا مشددة بأن لا نترك أحدا يمر بالباب حتى يفتش .

عمرو : أنتم أيها الرومان شديدو الحرص على أمور تافهة ، فماذا يستطيع جندى - أن يفعل بسيفه المغمد هنا ؟ !!

ماريوس : ان الحذر من السلامة .
عمرو : هيا فتش ، وتأكد مما أقول ؟ !
ماريوس : (يفتشه فلا يجد معه شيئا) الان وقد اطمأننت فادخل .
(يدخل عمرو من الباب فيغلقه ماريوس من خلفهما) .
ماريوس : قده يا رابى الى الداخل ، ثم أدخله على الأرطبون .

- المشهد الثانى -

رابى : اعصب عينيه ولا تتركه يرى شيئا داخل الحصن .
عمرو : ولكن كيف أستطيع السير وأنا معصوب العينين ؟ يا للعجب مما تفعلون أيها الرومان .
رابى : اننا نخشاك على أسرارنا .

عمرو : وأية أسرار هذه التى يفضحها من يمر بالطريق ، ان هذا لا يطاق ، ولن أخضع له أبدا .
رابى : وماذا عليك لو فعلت فأنا أقودك عبر الدروب والأزقة حتى نصل مقر الأرطبون .
عمرو : أولى لى أن أعود أدراجى من حيث أتيت .
رابى : لا تفعل ، حسنا اذن ، سر أمامى ولا تلتفت يمنة أو يسرة .

عمرو : الآن يستطيع الانسان أن يمتع ناظريه بجمال ما فى القلعة من أشياء بديعة.

رابى : لقد اتفقنا أن لا تنظر شمالا أو يمينا .
عمرو : دعنا يا هذا ، أنظـر الى ملابس الجند ما أجملها ، كم تمنيت أن أمتع نظرى بالتفرج عليها .
رابى : وماذا ترى ، لو أنك تشاهـد حرس القائد بالثياب المزركشة والخـوذ اللامعـة ! ! !
عمرو : وكيف لى بذلـك يا رفيقى ؟ وأنـا مغرم بالمناظر الجميلـة ، ولم يسبق لـى أن رأيتها ، فانا خادم فى المعسكر لا أغشى المعارك ، ولا أدخل الحروب .
رابى : ما دمت خادما فلا خـوف منك ، ولأدورن بك طريقا طويلـة ، ولأفرجنك على ملابس الحرس ، فنحن نعرف أنكم أيهـا العرب لم تعتادوا مثل تلـك المناظر الخلابة .
عمرو : ولكن قل لى ، أين تصنعون هـذه الملابس المزركشة ؟
رابى : كنا نصنعها فى دمشق وقنسرين .
عمرو : وهذه الابراج ما أبدع هندستهـا ما أمهركم معشر الرومان فى بناء الأسوار ، فمن أى شىء تبنونها ؟
رابى : حتى هـذه تسأل عنها ، الامر فى غاية البساطة ، نأتى بالجبس ونعجنـه بالزيت وهما عندنا وافران .
عمرو : وهل كل أبراج الحصن وجدرانه مصنوعة من الجبس والزيت ؟
رابى : نعم الا الجزء الجنوبى الغربى فهو مبنى من الطين لأنه رمم على عجل ولم يـكن هناك متسع لاحضار الجبس والزيت ...
عمرو : أنحن الآن بعيدون عن مقر الأرطبون
رابى : كلا ، فالحصن كما ترى صغير ومقر القائد فى وسط الحصن .
عمرو : ان وقت صلاتنا قد حان فهل لى أن أصلى فى هذا المكان ؟
رابى : وكيف تصلى هنا وليس فى المكان مسجد أو مكان للعبادة ؟ !!
عمرو : ان ديننا جعل لنا من الارض مسجدا تؤدى عليها صلواتنا ، ولا ضرورة أن يكون هناك مكان خاص بالعبادة .
رابى : لا بأس ، اذن سر بنا الى تلـك الساحة وأقم فيها صلاتك .

عمرو : (محدثا نفسه) : انها لفرصـة سانحة ، أطلع فيها على تحصيناتهم .
رابى : هل انتهيت من عبادتك ؟ هيا بنـا الى مقر القائد الأرطبون .
عمرو : أجل ، وأسرع بنا فقد تأخرنا كثيرا .

ــ المشهد الثالث ــ

(رابى وعمرو بن العاص يصـلان الى مقر الأرطبون قائد الرومان) .
رابى : أيها الحارس استأذن لهذا العربى رسول جيش المسلمين على القائد الأرطبون .
الحارس : انتظر قليلا ، (يدخل الحارس على الأرطبون) .
أيها القائد رسول من جيش المسـلمين بالباب ينتظر الاذن له بالمثول بين يديك .
الأرطبون : أدخلـه فى الحال .
الحارس : أمر القائد مطاع (يخرج الـى عمرو ورابى) . ادخل أيها الرسول فقد أذن القائد .
عمرو : (يدخل على الأرطبون ويجده وحده) سلام على من اتبع الهدى .
الأرطبون : أهـلا بك أيها الرسول ، بلغ ما تحمله من أميرك ، وأجلس قريبا منى .
عمرو : جئتكم أيها القائـد مفاوضا ، ولم أحمل اليكم رسالـة .
الأرطبون : على ماذا تفاوضنا أيها العربى
عمرو : فى أمر هـذه الحرب التى طالت بيننا وبينكم .
الأرطبون : وماذا تريدون منا ؟ وما هـى شروطكم ؟
عمرو : أنت تعلم أننا لا نحمل معنا الا هدى نبينا محمد رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم ، فاذا دخلتم فيه مسلمين انتهى ما كان بيننا ، والا دخلتم فى ذمتنا ، ولا شىء عندنا غير هذا .
الأرطبون : هذان شرطـان رفضناهما من قبل ، ولا داعى لتكرارهما على أسماعنا ، ونحن لا نسمح بالتحدث أمامنا بهما .
عمرو : هذا شأنكم وحدكم ، ولكنا مضطرون

لتبليغكم أمانة فى أعناقنا ، وأنتم بعد ذلك أحرار فيما تفعلون .

الأرطبون : لقد تجاوزتم الحد فيما تأتون من أفعال ، ألم يكفكم أنكم هاجمتمونا فى عقر دارنا حتى تفرضوا علينا شروطكم ؟ .

عمرو : ليست شروطا نفرضها عليكم من أجل منفعة لنا عاجلة ، ولكنها تعاليم ديننا الحنيف التى لا يجوز لنا أن نحيد عنها .

الأرطبون : ثقوا بأنه ليس من شيء يرغمنا على التسليم ، وليس لكم الا أن ترحلوا عن حصننا هذا .

عمرو : من أجل هذا أتيتكم اليوم مفاوضا فهل لكم فى ما يحقق مصلحتنا ومصلحتكم ؟

الأرطبون : أن كان الأمر كذلك ، فقل ما عندك أسمع ؟

عمرو : كنت أرجو أن أستمع منكم الى ما يمكن أن تعرضوه علينا .

الأرطبون : نحن نريدكم أن تتركونا وشأننا .

عمرو : وما الذى يضمن لنا عدم اعتدائكم على جندنا بعد أن نتركهم ؟

الأرطبون : نقطع لكم على ذلك العهود ، ونلتزم بها ، فلا نتعرض لكم ، ونعيش فى حصننا آمنين .

عمرو : ان هذا الأمر يحتاج الى مزيد تفصيل وبحث ، فاننا نخشى أن تتصلوا بالرومان وتستعدوهم علينا بعد أن نرحل عنكم .

الارطبون : اننا نعهد فيكم أيها المسلمون حسن الجوار ، وعدم نقض العهود ، واذا أمنا على أنفسنا وحقوقنا فلن يكون ثمة داع لطلب العون من أحد .

عمرو : هذا رأى معقول ولكننا نشترط عليكم عدم التدخل فى حربنا مع الحصون الباقية التى نعتزم فتحها ، فهل توافقون على ذلك ؟

الأرطبون : لا داعى لمثل هذا التخوف ، فنحن لا شأن لنا بغيرنا .

(يقف الأرطبون ليخرج وهو يقول) : لا تخش شيئا أيها العربى ، فقد عرضت لى حاجة أقضيها وأعود ، (ويخاطب الحارس) أيها الحارس ، أين الجندى الذى جاء بالعربى ؟

الحارس : رابى ، أيها الجندى ، أجب القائد الكبير .

رابى : الطاعة والتحيات القائد العظيم .

الأرطبون (محدثا نفسه) : لا شك فى أن هذا العربى هو قائد الجيش أو ممن يعتمد القائد عليه (للجندى) : انتبه جيدا أيها الجندى .

رابى : أمرك مسموع ومطاع أيها القائد العظيم .

الأرطبون : اذهب الى حارس باب الحصن وأبلغه أمرى بأن يقتل هذا العربى الذى جاء معك عند خروجه من الباب .

رابى : أنقتله أيها القائد ؟

الأرطبون : أجل ، أفهمت ما قلته لك ؟

رابى : نعم فهمته وسأبلغه الأمر يا سيدى القائد . وسوف أشترك معه أيضا .

(يعود الأرطبون الى خيمته .)

عمرو بن العاص : (ما أظن الداهية الا قد أمر بقتلى قبل أن أغادر الحصن ، ولا بد من حيلة أتخلص بها من شره (مخاطبا نفسه) .

الأرطبون (ممازحا) لعلك لم تستوحش بوحدتك أيها العربى ؟

عمرو : نحن العرب أيها القائد لا نعرف الخوف ولا توحشنا الوحدة ، لنا ايماننا ، ولا عليك .

الأرطبون : هل فكرت جيدا فى الذى تحدثنا به قبل قليل لانهاء الحرب ؟

عمرو : أنا شخصيا موافق على الاقتراح .

الارطبون : اذن يمكننا أن نكتب المعهد الآن ، أليس كذلك ؟

عمرو : هذا لو أن أمر الجيش كله لى ، ولكن وراءى آمر الجيش ، ولا أستطيع البت بأمر دونه .

الأرطبون : ولكنك أخبرتنى أنك مفوض فى أن تمضى ما تراه !!!

عمرو : انا واحد من عشرة وجهنا الخليفة

فى المدينة مجلس شورى لأمير الجيش لا يقطع دوننا أمرا ولا يخالف لنا مشورة أبدا .

الأرطبون : ألا تنوب عنهم وأنت مبعوثهم الينا ؟ !!

عمرو : أخشى أن قطعت الامر دونهم أن يخالفونى فيما أمضيت .

الأرطبون : فنحن على هذا فى حاجـــة الى مشاورتهم .

عمرو : انه أمر لا بد منه اذا كنـا نريـد أن يتم اتفاقنا وأن ينفذ وألا يتعرض الاتفـاق الى النقض .

الأرطبون : وما العمـل الآن اذن ؟ !!
اذهب اليهم وائتنى فى الغداة بجلية الامر .

عمرو : أرى أن أحضرهم جميعا الى هنـا اذا كان الغد فيجرى الاتفاق على مسمع منهم وموافقـة .

الأرطبون : يحضرون هنا !! انه لامر معقول جدا ، (ولنفسه) : فكرة رائعة .

عمرو : المصلحـة العامة تقتضى ذلـك ولا يمكنهم مخالفة أمر الأمير الـذى يروم انهاء الحرب بسرعة ليستريح قليلا .

الأرطبون : ما أصوب الرأى الـذى تقول به أيها العربى .

عمرو : ولكنى أخشى أن لا يسمـح لنا حراسكم بالدخول ، ونحن عشرة .

الأرطبون : الأمـر هين فسأبلغهم أوامرى بأن لا يمنعوكم من الدخول ساعة تحضرون .

عمرو : هل لى أن أطلب من القائـد الأرطبون امارة على الذى اتفقنا عليه ليصدقنى حجتى .

الارطبون : سأكتب الى أميركم كتابا ، وسأبعث لكل واحد من أصحابك هـدية تليق بهم وبمكانتهم .

عمرو : الآن أضمن لـك أن يسير كـل شىء بالطريق الطبيعى ، وستنجح خطتنا .

الارطبون : هذا ما نرجوه .. اليك الكتاب مختوما بخاتم الأرطبون . وهذه الهدايـا العشرة .

الارطبون : انتظر قليلا ، فقد بقيت هدية الأمير ، سآتيك بها .

الفصل الرابـع

ـ المشهد الاول ـ

(يخرج الارطبون من المكان وينادى على الحارس) .

الأرطبون : أيها الحارس ، أين الجندى الذى أرسلناه الى باب الحصن ؟

الحارس : ذهب ليبلغ ما أمرته به .

الأرطبون : أئتنى بجنود ثلاثة .

الحارس : أيها الجنود اجيبوا القائد .

الأرطبون : اسمعوا جيدا ، اذهبوا الى باب الحصن وأبلغوا الحارسين أن لا يتعرضا للعربى الـذى أمرتهما بقتله ، هيا .

الجنود : السمع والطاعة لأمـر القائد الأرطبون .

الارطبون : (لنفسه) : ان قتل عشرة من خيرة القادة فى جيشهم خير من قتل واحـد فقط وانه لصيد ثمين .

(يدخل الارطبون الى مقره) : هذا كساء من الحرير الثمين هديـة لأميركم .

عمرو : ليأذن لى القائد بالانصراف .

الارطبون : رافقتك السلامة ، وتذكر اننا بانتظارك غدا مع صحبك .

عمرو : ان أنسى فانا أحرص منـك على انهاء هذا الامر وحسمه .

الارطبون : أيها الحاجب رافق العربى هذا وحافظ على سلامته ، ولا تدعـه حتى يخرج من باب الحصن .

(يصل عمرو والحاجب الى باب الحصن) .

الحاجب : افسحوا الطريق للرسول أيهـا الحراس ، وأنت يا ماريوس ، افتح بـاب الحصن .

ماريوس : أين الكتاب الـذى يحملـه من القائـد ؟

عمرو : هو ذا ومختوم بخاتمـه ؟

ماريوس : حسنا اذن ، تفضل واخرج ، وهذا سلاحك فخذه ، ولا تنتظر ، فقد نجوت.

عمرو : الحمد الـه الـذى خلصنى من شر الأرطبون ، هكذا فلتكن الخديعة ، وما الحرب الا الخدع .

المشهد الثانى

(يسرع عمرو الى معسكر جيشه)

عبد الله : حمدا لله على سلامتك يا عمرو ، فقد خفنا عليك كثيرا .

عمرو : كاد الداهية أن يفترسنى لولا خدعتى له .

فاستعدوا أيها القادة ، وهيئوا سراياكم الزحف على الحصن .

عبد الله : وكيف نهاجم الحصن ؟ ومن أى جهاته نأتيه ؟

عمرو : اختر يا عبد الله فئة من الجيش وتسللوا الى الزاوية الجنوبية الغربية . ثم اعملوا فيها فؤوسكم حتى تحفروا فيها مدخلا . أيها الحارس .

الحارس : لبيك أيها الأمير .

عمرو : ليناد المنادى يا معشر الجند ازحفوا للاقاة عدوكم .

(صيحات التكبير تنطلق من حناجر الجند ، بينما يتسلل عبد الله وفئته الى حيث أمرهم عمرو) .

المشهد الثالث

فى مقر الأرطبون ، الأرطبون جالس كعادته بين بعض من قادته يدخل الحارس .

الحارس : يا سيدى القائد ، ان المسلمين يهاجموننا من جهات ثلاث .

الأرطبون : ردوهم عنكم بالنبال وبالنار .

أحد القادة : لنخرج اليهم فلعل أمرا جديدا قد حدث .

جندى آخر : أيها القائد لقد فتح جند المسلمين ثغرة فى الزاوية الجنوبية الغربية من السور .

الأرطبون : وكيف حدث هذا ؟.

الجندى : لا ندرى .

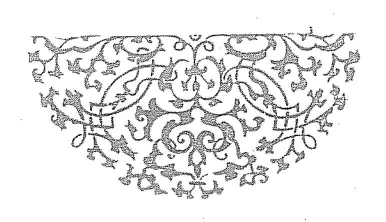
الأرطبون : لم يبق الا أن نخرج اليهم فنقاتلهم فى ساحة المعركة .

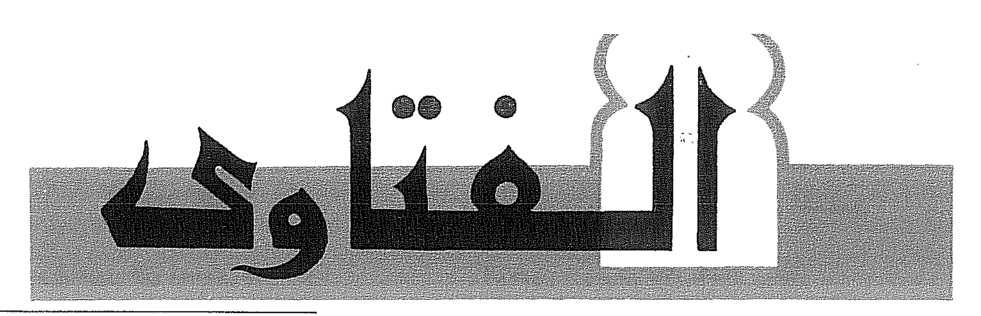
(يخرج جنود حامية الروم الى خارج القلعة) .

أحد الجنود : انظر أيها القائد الى هذا القاتل ، أليس هو الرسول العربى الذى جاءنا بالأمس .

الارطبون : يا للداهية ، هذا هو صاحبنا بالأمس ، انه كما قدرت قائد الجيش ، لقد خدعنى هذا الرجل ، هذا أدهى الخلق جميعا .

(ويتلفت الى حارسه) أيها الحارس عد الى الحصن سريعا ، وأحمل معك ما خف وغلا ، واسبقنى على طريق مصر ، فهذا القائد لا ينفع معه شىء ، والهرب من وجهه أضمن للسلامة ، هيا ولا تبطىء .





يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القــراء وتجيب عنها ..

الخطبة بغير العربية

السؤال :

ما يقول العلماء وفقهم الله تعالى فى أمر نزل فى عامة مسلمى العجم الذين لا يفهمون اللغة العربية فهل يجوز لهم خطبة الجمعة بلغتهم المفهومة لهم ليتمكنوا من الاستفادة من الوعظ والارشاد الأسبوعى فى الجمعة الشريفة ؟ وهل كان الصحابة رضوان الله عليهم يخطبون باللغة العربية فى البلاد الأعجمية التى فتحوها أو بلغة العجم كما يفهمون ؟

(عمر بن على المليبارى ــ مكة المكرمة)

الاجابة :

لعلماء المسلمين فى هذه المسألة قولان :

القول الاول : أن الخطبة لا تصح بغير العربية ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب بها ، وكان أمراء المسلمين فى الاقطار المفتوحة يخطبون بها . فان لم يحسنها أحد منهم لزمهم أن يتعلمها أحدهم . وان لم يمكن ذلك صلوا صلاة الظهر .

والقول الثانى : أنه لا مانع من أن تكون الخطبة بغير العربية ، لأن المقصود الوعظ وهو يحصل بكل اللغات .

والقولان عند الشافعية والحنفية .

والاولى للخطيب اذا كان المستمعون لا يفهمون العربية أن يأتى بأركان الخطبة بالعربية ، وذلك من حمد الله والصلاة والسلام على نبيه ، والأمر بالتقوى وتلاوة آيات من القرآن . ثم يكلمهم بعد ذلك باللغة التى يفهمونها ، لأن الله تعالى يريد أن تصل كلمته الى العالمين وتقوم حجته عليهم ولا يتم ذلك الا باللسان الذى يفهمونه ، كما قال الله عزوجل (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) .

وأولى من هذا أن يلقى الخطبة كاملة بالعربية على فقرات ، وكلما انتهى من فقرة منها ترجمها وهو على المنبر بلغة المستمعين .

وذلك لأن الله أنزل الكتاب عربيا ، على رسول عربى ، وجعل الدين حكما عربيا ، فينبغى أن يكون الظاهر فى شئون الدين اللسان العربى ، وأظهر ما يكون ذلك فى الخطبة على المنبر الذى يجتمع حوله المسلمون ، متشوقين الى الاستماع الى الآيات البينات المنزلة من ربهم على نبيهم الحبيب ، بنفس الطريقة التى كان يلقيها على صحابته رضوان الله عليهم أجمعين . والله أعلم .

تنظيم النسل

السؤال :

هل يجوز شرعا لرجل فقير الحال أن يعطى زوجته حبوب منع الحمل ؟

الاجابة :

ورد فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه انه قال : كنا نعزل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل ، وفى رواية لمسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا .

وورد أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى العزل فقال له : (اعزل عنها ان شئت فسيأتيها ما قدر لها) .

وفى غزوة بنى المصطلق سأل الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل : فقال : (لا عليكم أن لا تفعلوا فانما هو القدر) رواه مسلم .

وروى أحمد واصحاب السنن ، انه ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم قول اليهود : ان العزل هو الموؤدة الصغرى ، فقال عليه الصلاة والسلام : (كذبت يهود ، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت ان تصرفه) .

فهذه الأحاديث صحيحة وصريحة فى أن العزل جائز ومأذون فيه شرعا ، ولا مانع يمنع منه سواء للفقير والغنى ، وللزوجة المريضة والصحيحة . وسواء كان القصد منه تقليل النسل ، أو عدم الحمل اصلا ، أو الابقاء على نضارة الزوجة مدة أطول ، أو لأى سبب آخر .

وليس فى ذلك مضادة لارادة الله ، فان الله اذا شاء فلا راد لمشيئته ، فلو أراد خلق الولد هيأ الأسباب من الشوق الى الزواج ، والى وجود الولد ، وغير ذلك مما يؤدى الى نفاذ ارادته سبحانه ، قطعا ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى عندما قال : (لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه) .

وليس فى ذلك أيضا عدم ثقة برزق الله ، ولا هدم للتوكل على الله ، فان الولد يحتاج الى رعاية وتربية وتأديب والى طلب للرزق وسعى فيه ، واجهاد للبدن فيما يحفظ الولد ويحوطه ويجمله وينشئه النشأة الصالحة ، وكل ذلك مجهودات لا بد لبدن الأب وعقله أن يؤديها . فالأب انما يريد بمنع النسل أو تقليله الاقتصاد فى تلك المجهودات والاقتصار على ما يستطيع أن يقوم به . وكذلك الأم ، والتوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب التى خلقها الله ، فمن اتخذ سببا للكسب لا يقال انه غير متوكل ، ومن طلب العلاج والتداوى من مرضه لا يقال انه غير متوكل ، ومن نظم دخله وخرجه ومجهوداته وأعماله لا يقال انه غير متوكل على الله . وكذلك هنا : فمن نظم نسله وتحكم فيه بحسب ما يرى أنه أصلح له لا يقال انه غير متوكل على الله .

ولذلك ورد العزل عن عشرة من الصحابة ، صح عن أربعة منهم على الأقل ، ونصت كتب المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة على الاباحة الا أنهم اشترطوا تراضى الزوجين على العزل ، فلا يجوز العزل الا برضاهما جميعا . لأنهما جميعا يشتركان فى حق التمتع باللذة الكاملة التى يقطعها العزل أو

ينقصها ، وفى الرغبة فى الولد . وفى وجه للشافعية أن للرجل العزل ولو لم ترض المرأة . فالمسألة عند فقهاء المذاهب اذن مسألة حفظ حق كل من الزوجين فى كمال اللذة ، وليس فى جواز العزل من حيث هو ، فهذا أمر مفروغ منه محقق شرعا .

ولكن مع هذا لا ينبغى أن يكون تحديد النسل سياسة عامة للأمة ، تتبناها الدولة وتسلك السبل المختلفة للوصول اليها ، وخاصة فى بلادنا الاسلامية التى تفتقر افتقارا شديدا الى السكان . فالسكان فى البلاد العربية لا يزيدون عن مئة مليون مع أن مثل مساحتها اتسعت فى اوروبا وامريكا الى اضعاف ما اتسعت له البلاد العربية من السكان . لكن الذى يجب أن تنصرف اليه أذهان المخططين والمفكرين فى البلاد الاسلامية هو تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، والتى تحول بوضعها الراهن دون الانطلاقة الكبرى التى تهيىء الفرصة لمئات أخرى من الملايين المسلمة القوية أن تظهرالى الوجود ، فى هذا العش البشرى المهد — الأرض — عاملة بارادة الله وناطقة بحقيقة الكون الأساسية — لا اله الا الله — والله أعلم .

طالب العلم

السؤال .

أنا طالب أتابع دراستى فى التعليم (الدينى) بالمغرب وقد حصلت والحمد لله على الشهادة الثانوية فى هذه السنة . ولكن مشكلتى هى أن أبى كان يقف دائما فى وجهى دون مواصلة التعليم ويحثنى على مزاولة التجارة . مع أن الأخ وعدنى بالمادة .

فهل اذا خالفت أبى وتابعت دراستى يعد ذلك عصيانا للأب ؟

(الصالحى محمد بن الحسين) الدار البيضاء

الاجابــة :

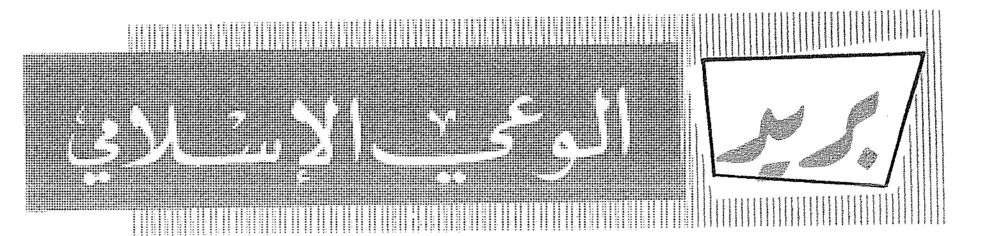
طلب العلم الدينى فرض على كل مسلم عربيا أو غير عربى ، لأن الإله أنزل الكتاب ليدبروا آياته ، والأمى والجاهل لا يتمكن من التدبر لأنه تعوزه آلة ذلك وهى فهم أصول الكلام العربى وقواعده ، ويجهل كيف فسر النبى صلى الله عليه وسلم كتاب ربه بقوله وعمله .

وبر الوالدين وطاعتهما واجبة ، خاصة اذا أمر الولد بتعلم ما ينفعه فى دينه ودنياه . فاذا رأى الوالد أن من مصلحة الولد أن يتعلم التجارة ويتعامل بها لزم الولد طاعته .

ومن الخير لمن يتعلم العلم الدينى أن تكون له تجارة أو حرفة يعتمد عليها فى تحصيل قوته لئلا يكون معدم الكسب الا عن طريق ما يعلمه من العلم الدينى .

لذلك نرى للأخ أن يستمر فى دراسته ويطيع والده فى ما يريد له من مزاولة التجارة ، فيجمع بين الخيرين ، ويجعل مزاولة التجارة بعد الانتهاء من الدراسة يوميا ، وفى أثناء العطلات الموسمية ، والله يهدى السبيل .

أجاب على هذه الأسئلة فضيلة الشيخ محمد الأشقر .



حديثـــان موضوعـــان

ورد فى مجلة الأعتصام القاهرية العدد التاسع ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ فى باب تطوف ما يلى :

١ — روى عن عمر رضى الله عنه مرفوعا « ان آدم عليـــه الســـلام رأى اسم النبى صلى الله عليـــه وسلم مكتوبـــا على العرش وان الله قـــال لآدم لولا محمد ما خلقتك » فادعنى بحقه أغفر لك) .

٢ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضـــا « أوحى اللـــه الى عيسى — آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنـــوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولا الجنـــة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليـــه لا الـــه الا الله محمد رسول اللـــه فسكن » ثم هو يرجع هذه الأحاديث للحاكم والى مرجع آخر يسميه المقامات العلية .

فما مدى صحة هذه الأحاديث ؟ وهل هى صحيحـــة ؟ أم موضوعـــة واذا كانت صحيحـــة فلم أنفرد بها الحاكم ولم يرد لها نص فى صحيح البخـــارى او صحيح مسلم .

سعيد عثمان
ج٠٤٠م

تفضل بالاجابـــة على هذه الرسالة فضيلة الشيخ محمد **الأشقر** :

هذان حديثان موضوعان ومعنى انهمـــا موضوعان مكذوبان مختلقـــان منسوبان الى رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم زورا ، ولـــم يقلهما . بين ذلك علماء الحديث ونقـــاده .

فقد روى هذين الحديثين الحاكم فى المستدرك فى الجزء الثانى الصفحة ٦١٥ من طبعة حيدر آباد ، و (المستدرك) ليس موضع ثقـــة عنـــد علمـــاء الحديث بل قد وجهوا اليه سهام اللوم والتجهيل ونعتوه بالتساهـــل فى تصحيح الأحاديث ، وادعاء انها على شرط البخـــارى أو شرط مسلم .

أما الحديث الأول منهما فقد قال عنه الذهبى فى كتابه الـــذى تتبع فيـــه ما فى المستدرك قال — ليس هـــذا الحديث على شرط الشيخين بل هـــو حديث موضوع ، وعبد الرحمن (راويه وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم) واه اى ضعيف جدا . وفى رواته عبد الله بن مسلم القهرى ولا يدرى من هو .

وأما الحديث الثانى فقد قال عنه الذهبى أظنه موضوعا عـــلى سعيد .

ومما يدلك على تهافت عمـــل الحاكم فى المستدرك انه روى هـــذين الحديثين ثم روى بعدهما ما يلى : —

عن أنس بن مالك قال ـ كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فاذا رجل فى الوادى طوله اكثر من ٣٠٠ ذراع .. فأتيته فقال ـ قل لمحمد صلى الله عليه وسلم اخوك الياس يقرئك السلام فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فعانقه ، واكل معه ، ونزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وكرفس وحوت فأكلا واطعمانى .. ثم رأيته مر نحو السماء على السحاب قال الحاكم (٦١٧/٢) هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجه البخارى ولا مسلم .

قال الذهبى (بل هذا حديث موضوع قبح الله من وضعه . وما كنت احسب ولا اجوز ان الجهل يبلغ بالحاكم الى ان يصحح هذا . والذى افتراه هو يزيد بن يزيد البلوى أو ابن سيار) انتهى كلام الذهبى .

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله زعم بعضهم انه لم ير فى المستدرك حديثا على شرط .. الشيخين ، وهذا اسراف وغلو ، وبعضهم اعتمد تصحيحه مطلقا وهو تساهل ، والحق ما قال ابن حجر ان الحاكم سود كتابه لينقحه فأعجلته المنية عن ذلك .

اقول ان ابن حجر يعنى ان الحاكم جرى على طريقة بعض المحدثين انهم ، يجمعون ما يسمعون من سمين الحديث وغثه ، ثم اذا رووه فتشوا عنه وفيه فلم يرووا منه الا ما كان صحيحا . ويقولون فى ذلك (اذا جمعت فقمش ، ثم اذا رويت ففتش) الا ان الحاكم جمع فقمش ، ولكن لم يتيسر له ان يفتش فيما كتب لأنه لم يرو كتابه لأحد وانما أخذ غالبه عنه بطريق الاجازة كما قال ابن حجر ، والأجازة لا يخفى عدم ثقة العلماء بها كطريقة لنقل الأحاديث وهذا من احسن ما اعتذر به عن الحاكم . وقيل انه اعترته غفلة فى آخر عمره ، دخل بسببها عليه أحاديث لم يكن يرضاها .

اما الكتاب الآخر الذى ذكر السائل ان الحديثين وردا فيه وهو كتاب (المقامات العلية) فانى لم أجده ولم أطلع عليه . ولا يبعد أن يكون حاكيا عن مستدرك الحاكم فقط .

هذا وان النظر فى الحديثين بعين فاحصة يظهر ما فيهما من العلل الدفينة ، فان الله عز وجل ذكر قصة آدم فى مواضع كثيرة فى القرآن وذكر توبته عليه مفصلة فى سورة البقرة وسورة الأعراف وغير ذلك فبين ان الله تاب عليه لأنه اعترف بخطيئته وندم وأظهر لربه حاجته وفقره الى مغفرته (قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فلو كان الذى وقع ان آدم دعا الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم لذكره فى القرآن فكيف يترك القرآن بيان هذا الأمر المهم ، ثم تتركه السنة النبوية المشهورة أيضا وهل يجوز لعالم أن يأخذ بأمثال هذه الروايات المكذوبة ؟..

وهناك أمر آخر وهو انه ذكر فى هذين الحديثين ان الله عز وجل ما خلق آدم ولا خلق الجنة ولا النار لولا محمد صلى الله عليه وسلم فسبحان الله رب العالمين قد أمر الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول (انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) فهو صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر وانما تميز بما أوحى الله اليه وبجهاده الذى كان سببا فى اهتداء جمهور كبير من البشر فالله خلق خلقه ليعبدوه ويطيعوه ولا يعصوه وخلق الجنة ثوابا لمن اطاعه ، والنار لمن عصاه ، فالله عز وجل هو الذى خلق آدم وبنيه والجنة والنار وخلق كلا من الثلاثة لأجل ان يطاع فلا يعصى . فهو الخالق وطاعته سبب الخلق وحكمته



نظرة جديدة الى التبشير بالاسلام

كتب الأستاذ : محمود حنفى كساب تحت هذا العنوان يقول :

تعنى كلمة الاستعمار تحرك قطعان من البشر تتسم بالتقدم الى مكان غير مأهول ، أو مأهول بقصد نشر المدنية فيه ، ولكن الاستعمار كما نعرفه لايعنى أكثر من الاستخراب .. فمن الناحية الاقتصادية لا يفعل الاستعمار فى المكان الذى يسيطر عليه سوى أن ينزح ثروته ، وخاصة المواد الخام اللازمة لمصانعه ، ثم حين يجىء اليوم الذى يرحل فيه لا يترك فى البلد شيئا تستطيع الاعتماد عليه لبناء نفسها ، ذلك لأن المستعمر قد سلب كل شىء !

فجزيرة كالجزيرة البريطانية تعدادها أكثر من خمسين مليونا ، لو أنها لم تنزح ثروات مستعمراتها لما استطاعت أن تصل الى دولة الرفاهية التى يعيش الشعب البريطانى فى كنفها ، ومثال الجزيرة البريطانية كثير من الدول مثل هولندا ، وبلجيكا ، والبرتغال .. فالمستعمرات كانت وسيلة رئيسية فى سبيل تكدس الثروات داخل هذه البلاد ، ومن ثم كان تقدمها فى المدنية والحضارة !!

ومن الناحية الثقافية يحاول الاستعمار جاهدا طمس كل ما يملكه الشعب المستعمر من حضارة ، وذلك عن طريق فرض لغته ، وثقافته ، وقيمه الفكرية ، وكلنا يذكر أن مصر قبل ثورة ١٩١٩م كان التعليم فيها باللغة الانجليزية ، ولكن الشعب استطاع ، وذلك عن طريق تمسكه بلغته ودينه وعروبته ، أن يعرب التعليم كله .. والجزائر ومحاولة فرنسا فرنستها حتى أنه مازال الى الآن وسيلة التخاطب فى الجزائر العربية هى اللغة الفرنسية .. بل ان كتابها المشهورين لا يزالون يكتبون باللغة الفرنسية .. وأمثلة كثيرة فى آسيا وأفريقيا تدل على أن الاستعمار يحاول أن يضع ركائز تضمن تبعية الشعب المستعمر له !!

ومن الناحية الدينية يحاول الاستعمار أن يجعل شعوب المستعمرات تدين بدينه .. ولقد كان أول انقضاض استعمارى على الشرق هى الحملات الصليبية ، وكان رجال الدين المسيحى يحركون التعصب الدينى لدى أوروبا ، ويدفعون الجيوش للتحرك نحو الشرق لتنصير الوثنيين اتباع محمد !! والتاريخ يخبرنا عما فعله المتعصبون فى الأندلس الاسلامية .. ومحاكم التفتيش وغيرها !

كل ذلك يطلعنا على أن الاستعمار ليس فقط نهب ثروات بمعنى قرصنة ، ولكن نهب كل ما تملكه الشعوب ماديا أو معنويا .. فحينما يحل الاستعمار ببلد تتبعه على الفور بعثات التبشير فى صورة مدرسة أو كنيسة أو مستشفى ..

وأهمية التبشير بديانة المستعمر راجعة الى أن الدين عامل مهم فى الولاء للحاكم .. ومن هنا يدرك الاستعمار أهمية نشر ديانته وذلك ليسهل عليه حكم الشعوب المغلوبة على أمرها .. لذا كانت أهمية البعثات التبشيرية .. وكان اهتمام المستعمر بتعضيدها !

والشعب المستعمر عادة يكون متخلفا ، وهو يحتاج الى التعليم ، ومن ثم يذهب طلاب العلم الى مدارس الاستعمار الذى يعلم فيها لغته الدخيلة ، وعن طريق اللغة يمكن ربط وجدان المتعلم بوجدان المستعمر ، وخطوة بخطوة يكون المبشر قد استطاع أن يكتسب ثقة الطالب ، ومن ثم يلقنه الديانة عن طريق غير مباشر ، وذلك عن طريق الحكايات وغيرها مما هو مألوف فى التدريس !

واذا مرض الانسان يذهب الى مستشفى المستعمر ، ويعالج بالطب الحديث فيشفى .. ويسأل : من نشكر على الشفاء العاجل ؟ .. فيجد من يقول له على الفور : اشكر المسيح .. ومن هو المسيح ؟ ! .. انه الهنا والهك .. شكرا للمسيح .. وهكذا .. وعادة يختار المبشرون من الأفراد الذين على درجة كبيرة من الثقافة ، والايمان ، وانكار الذات ، وتوفر لهم كافة الامكانيات وذلك حتى يأتوا بالمعجزات !

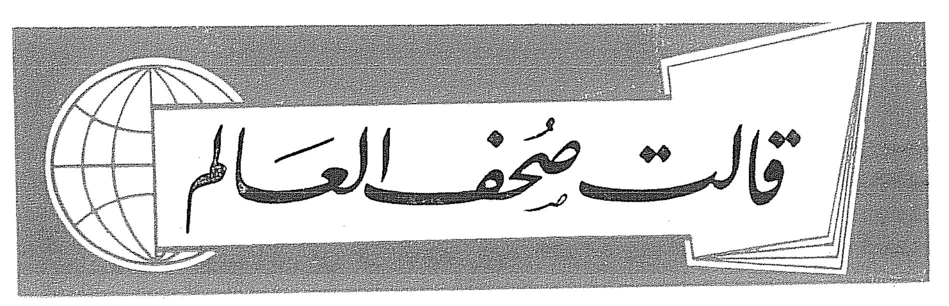
وعادة يكون المبشر عالما فى فقه اللغات ، أو مهندسا ، أو طبيبا ، وذلك حتى يستطيع أن يقنع بأن المسيحية هى التى أتاحت له كل هذا التقدم ، وأن اعتناقها من شأنه أن يجعل المرء متدينا .. وتمويل البعثات التبشيرية لاحد له .. فهناك معونات الدولة ، وهناك تبرعات الهيئات الاحتكارية ، والمؤسسات الاقتصادية ، لأن مصلحة الاحتكاريين فى انتشار ديانتهم .. وذلك لترويج منتجاتهم لأن المسيح يقول : (احبوا أعداءكم) ، ومع ايماننا بالمسيح كرسول للسلام ، الا أن الاستعمار قد شوه رسالة المسيح فى آسيا وأفريقيا .. فليست رسالة المسيح نهب ثروات الشعوب ، وحبس حرياتها ، وانما رسالة المسيح أن يسود السلام والحب كافة العالم ! (ويل لك أيها المخرب) (اشعيا ٣٣) .

وخطورة التبشير فى البلاد التى يعيش شعوبها على الفطرة ، أى الشعوب التى لم تبلغها رسالة سماوية مثل قبائل افريقيا ، هى أنه ذيل للاحتكارات العالمية .

والسؤال الآن : وما هو موقف الاسلام من كل هذا ؟ . ويكون الرد بالسلب ! ذلك أن الاسلام مرت عليه فترة نام فيها نشاط دعاته ، وهذا يرجع الى أسباب عدة منها :

— الدعاة أنفسهم والبلاد التى أتوا منها .
— عدم الايمان بقدسية الرسالة التى يضطلع بها الداعية .
— مستوى الدعاة الثقافى والحضارى .

اننا نريد الداعية المسلم مهندسا ، وطبيبا ، وخبيرا زراعيا .. فهذا من شأنه أن يعلو بالاسلام .. فالاسلام هذا الدين الذى انتشل أمة العرب من وهدتها منذ قرون .. فى مقدوره الآن أن ينتشل أمما كثيرة من وهدة الذل
اننا نريد تخطيطا عربيا اسلاميا شاملا لمواجهة الحرب التبشيرية التى يشنها المبشرون فى آسيا وأفريقيا .. وهذا رهن بفهم المسلمين لرسالة الاسلام العالمية ، وقبل أن يفوت الاوان .



القرآن
هو كل شيء في حياة المسلمين

نشرت **مجلة (المجتمع) الكويتية** الكلمة التالية التي وجهها معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية للمسئولين عن مراكز تحفيظ القرآن التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعي أثناء زيارته لها :

القرآن هو كل شيء في حياة المسلمين .. هو مبدأ وجودهم وعماد بقائهم ، وأساس سيادتهم ، ومن أجل هذا كانت المحافظة عليه محافظة على الكيان والمصير لهذه الأمة ، وكان التفريط فيه والغفلة عنه هدما للأمة واذابة لشخصيتها . هذه حقيقة لا تقبل الجدال والمكابرة ، والقرآن الكريم بما اشتمل عليه من عقيدة صحيحة وتشريع كامل وآداب عالية . هو المنهج السماوي لتربية الشباب وتكوين الجيل المسلم ، وهو الواقي للجيل المعاصر من الانحرافات الضالة والغزو الفكري المحموم ، واننا نهيب بشبابنا المأمول أن يعود الى رياض الكتاب العزيز ، يلتمسون فيه أسباب العزة والقوة ، وأن يسيروا على نهج سلفهم الصالح في حفظه ومدارسته وتطبيقه في محيط الفرد ، ومحيط الأسرة ، ومحيط الجماعة .

ومن توفيق الله لجمعية الاصلاح الاجتماعي انها أقامت ستة مراكز لتحفيظه في العطلة الصيفية انتظم فيها عدد كبير من الطلبة وأقبلوا على حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية والعربية ، وهي بادرة طيبة مباركة ، وخطوة ناجحة نرجو أن تتبعها خطوات ، وأن تتم العناية بالقرآن الكريم في جميع المدارس والمعاهد .

وقد سعدت بزيارتي للجمعية ورؤية أبنائنا يقبلون على حفظ القرآن الكريم وترتيل آياته ..

كما سرني عناية المسئولين عن الجمعية بهؤلاء الناشئة ، وتعليمهم بجانب القرآن الكريم بعض العلوم الدينية والشرعية المناسبة لهم ، وانا لنرجو أن تتضاعف هذه الجهود ، حتى يصبح للجمعية عشرات المراكز التي تغطي مناطق الكويت ، كما نرجو من أولياء الأمور أن يشجعوا أبناءهم على الانتظام في هذه المراكز التي باركها الله سبحانه ، وهذا من فضل الله عز وجل الذي تعهد بحفظ كتابه الكريم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

الدين والشباب

ومن مقال تحت هذا العنوان نشرته **مجلة (دعوة الحق)** المغربية نقتطف الفقرات التالية :

لعل من أهم ما تجب الاشارة اليه أولا أن مشكل الشباب على العموم ، هو اليوم مشكل عالمي لا يختص بالشباب المسلم ولا يقتصر على موقفه من الدين ، فالثورة التي أضرمها الشباب الفرنسي ربيع سنة ١٩٦٨ وكادت تطيح بنظام الحكم في فرنسا ، كان لها صدى في جميع أنحاء العالم ، وتجاوب معها شباب أكثر من قطر غربي فضلا عن بعض الأقطار الشرقية . والملاحظ أن

انبعاثها كان من الأوســـاط الجامعية والطلاب فى المعـــاهد العليا ، ثم عمت المراهقين من الشـــباب الذين كانوا يعربون بضراوة عن تمردهم وسـخطهم وخروجهم على كل الأعراف والمواصفات الخلقية والاجتماعية .

ومن المألوف الآن فى كل البلاد رؤية الأفواج من الشـباب الذين اتخذوا التبذل واسدال الشعور ، والهندام المثير شعارا لهم ، أما جماعة (الهيبيين) الذين تخطوا هذه المرحلة ، فانهم قد انغمسوا فى القذارة الحسية والمعنوية ، وأقبلوا على تعاطى المخدرات ، وممارســة أنواع الانحراف ، متحدين أولياءهم ومجتمعهم ، ومعبرين بشــذوذهم واستهتارهم عن احتقار كل المبــادىء والقيم الانسانية .

فنقطة الانطلاق عند شباب العصر فى تحركاته وسلوكه هى الرفض — كما رأينا — لكل المســلمات ، والتقاليد ، والآداب العامة التى وجدوا عليهـا آباءهم وبيئاتهم ، والتى هى أساس المدنية الحديثة ، لا للدين فقط كما هو حال غالب شبابنا .

ان الدين عند شباب العصر نزعة عدمية نشأ على رفضها مسـبقا ، لأن أولياءه لم يكونوا يعتبرون الدين شيئا عمليا ، وقد نفضوا أيديهم منه لـما كانوا شبابنا فمهدوا بذلك لما يقوم به أبناؤهم اليوم من رفض تام لــكل ما هو طيب وصالح .

وهذا ما نخشاه على مستقبل شباب الاسلام ، فان الالحاد الذى ينتشر اليوم بين شبابنا سيكون مدرجة لوقوع المجتمع الاسلامى فى مآسى وانتكاسات الله أعلم بعواقبها . وذلك حينما تنشأ النابتة الجديدة فى أحضان هذا الشباب ولا يكون لها رادع من دين أو خلق يحجزها عن التردى فى حافرة الجــاهلية الأولى .

الغارة الصهيونية

ونشرت **مجلة (الفكر الاسلامى) البيروتية** تحت هذا العنوان مقالا نقتطف منه ما يلى :

فى هذه الظروف التى يمر بها العالم الاســلامى والعربى ازاء العــدوان الاسرائيلى ، والتى لم تســفر بعد عن ادراك كاف لمدى الأخطــار والأهوال الصهيونية التى تحيط بالاســلام ودياره ومقدساته .. يجب أن يبحث علمــاء الاسلام ومفكروه فيما أدى الى هذه النظرة السلبية المحدودة ..

وفى ظنى أن السبب فى هذه النظرة يرجع الى عدم ادراك البعد الدينى للصهيونية وأنه أساس أبعادها السياسية والاقتصادية والاستعمارية الاخرى ، وأنه هو الذى يجعل اليهود يصرون ويندفعون الى فلسطين وما حولها لاسترداد أرض مقدساتهم الدينية والقومية ولتحقيق وعود الله لابراهيم عليه الســلام ، ويجعلهم ينزعون أنفسهم ومصالحهم المادية من أوطان عاشوا فيها مئات السنين وصــارت لهم فيها عزة وحرية وثروة ونفوذ وســيطرة لا يمكن الانخلاع منها والهجرة من أرضــها الا تحت تأثير عقائد دينية اســتقرت فى أعماق النفس اليهودية وحكمتها وسيطرت على تصرفاتها منذ أن طردت من فلسطين .

وقد تكشف لكل بصير ، أن الصهيونية تفجر الحرب علينا وعلى الانسانية باسم الدين والعنصرية وعقيدة (الشعب المختار) .

وزعماء الصهيونية أنفسهم يعلنون البعد الدينى لحركتهم ولا يخفونه .. فلماذا نتطوع نحن باخفائه عن جماهيرنا وجنودنا الذين يقع عليهم أعباء مقاومته ودفعه .. ؟



الكويت :

● يقضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فترة من الوقت فى ربوع لبنان للراحة والاستجمام .

● أعرب رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الدفاع والداخلية عن أمله فى أن يجنب الله الامة العربية خطر الانقسام وأن يلهمها القدرة على استرداد مكانتها وعزتها .

● صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت ستستمر فى دعم الدول المتضررة بالعدوان ، وأنها لن تسحب قواتها من قناة السويس ، وأن المعركة لم تنته بعد .

● رأس معالى وزير الخارجية وفد الكويت الى اجتماعات دورة الجمعية العامة للامم المتحدة.

● ستنشأ وكالة رسمية للانباء تغطى الأخبار فى العالم من خلال مكاتب ومراسلين لها .

● قدمت الكويت خمس منح دارسية لكل من تونس والمغرب والسودان للاشتراك فى الدراسات التى يقوم بها معهد الكويت للتخطيط الاقتصادى .

● تم التوقيع على اتفاق ثقافى بين الكويت والاردن يهدف الى تنمية العلاقات الثقافية والاعلامية وتبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية بين البلدين .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الثانى للنقل والشهادة فى معهد الامامة والخطابة التابع لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

● ذكرت مصادر مطلعة ان الجهات المختصة تدرس برنامج مساعدات تربوية وعلمية مع امارات الخليج .

القاهرة :

● توقف اطلاق النار بين مصر والأردن من جانب واسرائيل من جانب آخر لمدة ٩٠ يوما ابتداء من منتصف ليلة ٩/٨ وكلف وسيط الأمم المتحدة بوضع قرار مجلس الأمن موضع التنفيذ .

● أكد وزير الارشاد بأن مصر لا تفكر فى عقد صلح مع اسرائيل وأنه لن يكون هناك أى مفاوضات طالما أنها تحتل أراضى عربية .

● أوصت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى باصدار سندات للجهاد لتمويل الأعباء التى تستلزمها المعركة .

● تعقد جامعة الدول العربية دورتها (٥٤) لمجلس الجامعة يوم ١٢ سبتمر الحالى .

● تم تحويل قسط الدعم السعودى وقدره عشرة ملايين ومائتان واثنان وستون جنيها استرلينيا .

السعودية :

● اعترفت المملكة العربية السعودية بجمهورية اليمن ، وتبادلت الدولتان التمثيل الدبلوماسى .

● صرح نائب وزير الدفاع والطيران بأنه سيفتتح قريبا مصنع للأسلحة الحديثة فى المملكة .

● أصبح ميناء ينبع مستعدا لاستقبال البواخر الكبيرة بعد الفراغ من الاصلاحات التى تمت فيه .

بغـداد :

● صرح مصدر مسـئول بأن العراق يرفض أية ادعاءات أجنبية فى الخليج العربى وطالب بضرورة أنسحاب القوات البريطانية وتصفية القواعد الاستعمارية فيه .

بيروت :

● يواصـل العدو الاسرائيلى عدوانه على الأراضى اللبنانية ، وتقوم القـوات اللبنانية بالرد على العدو .

صنعاء :

● صرح رئيس مجلس الوزراء بأن المجلس الوطنى يضع الآن الخطوط العريضة لدستور جديد مستقى من الشريعة الاسلامية .

عمـان :

● صرح وزير الخارجية بأنه اذا لم تنسحب اسرائيل من الأراضى المحتلة فانها ستحول بذلك دون أى تسوية ممكنة .

● ازدادت هجمات الفدائيين على المستعمرات الاسرائيلية بعد قرار وقف اطلاق النار .

الخرطوم :

● قال رئيس مجلس قيادة الثورة السودانى : ان القوات العربية مصـممة على الاستمرار فى الكفاح لتحرير أراضيها .

● صرح مسئول بان الصهيونية كانت وراء حركة التمرد التى وقعت مؤخرا فى البلاد .

طرابلس :

● تم ترحيل الايطاليين الذين قرر مجلس قيادة الثورة استرداد ممتلكاتهم فى ليبيا .

تونس :

● صرح وزير الخارجية بان وقف اطلاق النار سيسـاعد المبعوث الخاص للامم المتحدة على أداء مهمته فى الشرق الاوسط : ولن ينجح السلام الا اذا أخذت مسألة الفلسطينيين بعين الاعتبار

الجزائر :

● ينتظر أن يرأس الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الوفد الذى يمثل الجزائـر فى مؤتمر القمة الافريقى الذى يعقد فى هذا الشهر .

● وقعت الجزائر وموريتانيا اتفاقيات اقتصادية وفنية وثقافية وشكلت لجنة من البلدين لوضع هذه الاتفاقيات موضع التنفيذ .

اندونيسيا :

● تعقد المسابقة الثالثة لتلاوة القرآن الكـريم فى عاصـمة مقاطعات كلمنتان الجنوبية فى اكتوبر القادم .

● ظهر فى المكتبات كتاب يحمل الأفكار الالحادية وقد طلبت سكرتارية الحزب الاسلامى منع تداول هذا الكتاب .

كوالالمبور :

● صرحمصدر مسئول بأن الأمير تنكو عبد الرحمن يرى دعوة وزراء خارجية الدول الاسلامية الى عقد اجتماع فى أقرب وقت لحل الخلافات بين الدول العربية .

أثينـا :

● أطلقت الحكومة اليونانية سراح الفدائيين السبعة المسجونين لاختطافهم طائرة بوينج يونانية .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

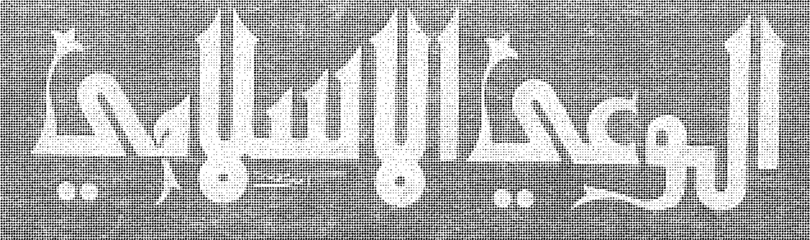
ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

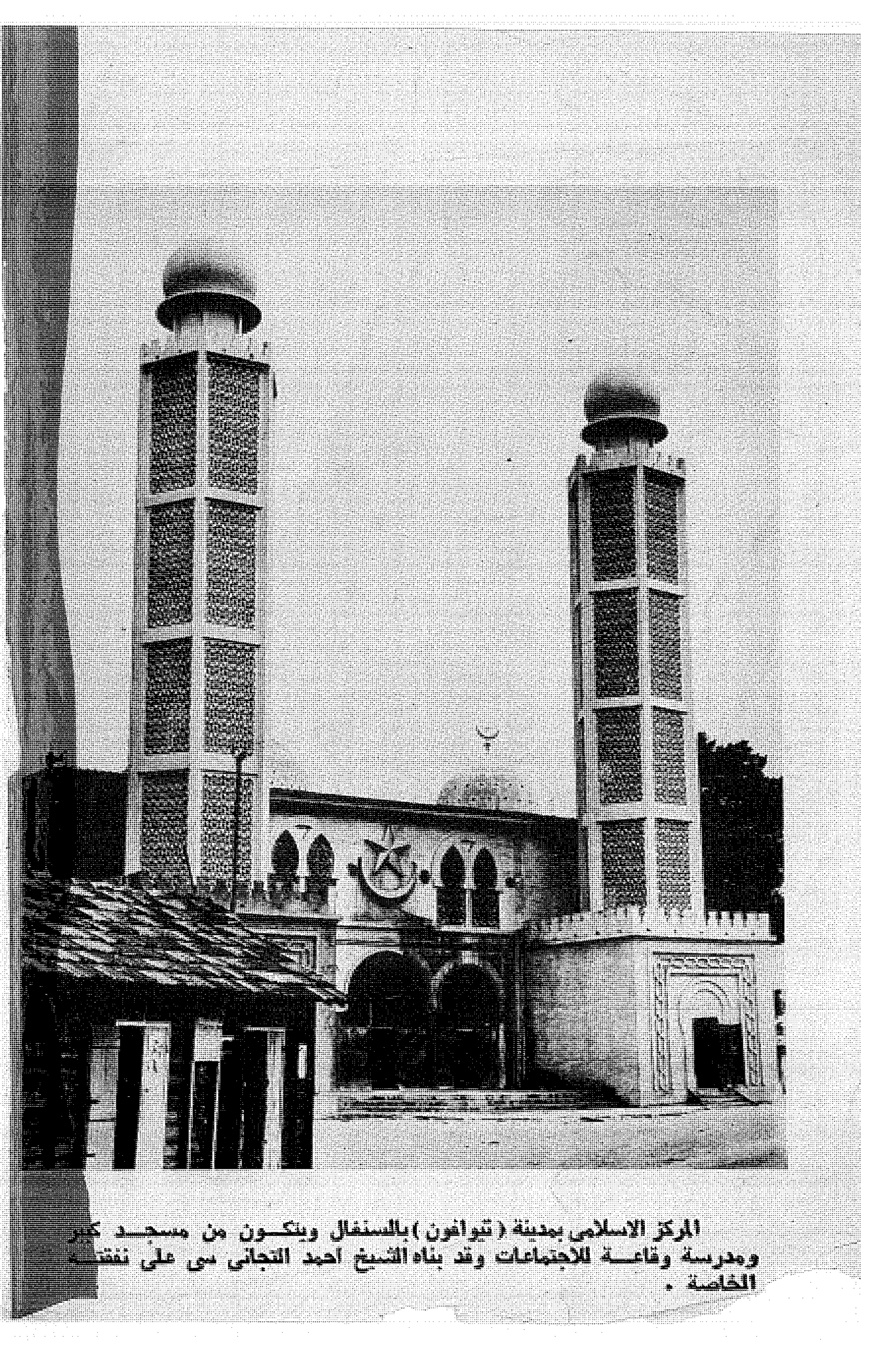
اقرأ في هذا العدد



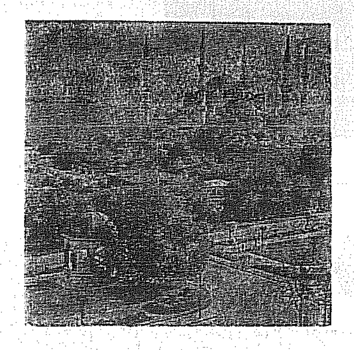
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة — العدد ٦٨ — شعبان ١٣٩٠هـ — أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠م



المركز الاسلامي بمدينة (تيوافون) بالسنغال ويتكـون من مسجـد كبير ومدرسة وقاعـة للاجتماعات وقد بناه الشيخ احمد التجاني سي على نفقتـه الخاصة .



مســـجد الســـلطان احمد الذى يســـمى بالجامـــع الأزرق بســـبب الفسيفساء الزرقاء التى تزين جدرانه ويبلغ ارتفاع قبته ١٩٠ قدما ويعتبر من أجمل مســـاجد مدينة استانبول استمر بناؤه على يد المهندس محمد آغا من سنة ١٦٠٩ الى ١٦١٦ وتحيط به حديقـــة خضراء واسعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

الســـنة السادسة

العدد الثامن والستون

شعبان ١٣٩٠ هـ

اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقـــاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

الثمـــن

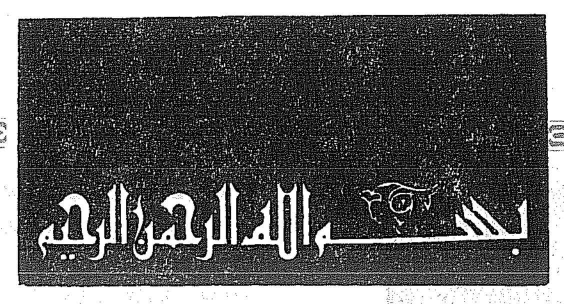
الكويت	٥٠	فلســـا
السعودية	١	ريـــال
العـــراق	٧٥	فلســـا
الاردن	٥٠	فلســـا
ليبيـــا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـــا
الجزائـــر	دينـــار وربـــع	
المغرب	درهم وربـــع	
الخليج العربى	١	روبيـــة
اليمن وعدن	٧٥	فلســـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـــا
مصر والسودان	٤٠	مليمـــا

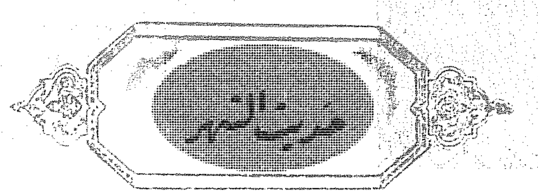
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـــويت ١ دينـــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاســـترلينى)
اما الافـــراد فيشـــتركون راســـا مـــع متعهد التـــوزيع كل فى قطره

عنـــوان المراسلات

مديـــر ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشـــئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





الدعوة والدعاة

تسير الدول المتقدمة اليوم في سياستها الحضارية والعمرانية على منهج التخطيط والتنسيق ، وكان لهذا المنهج أثره البعيد فيما أنجزته من أعمال ضخام ، وما حققته من آمال كبار ما كانت تنجز وتتحقق بهذه الصورة لو أن الأمور فيها سارت مسيرة الفوضى والارتجال ، فدراسة المشروعات الكبرى في كل قطاع من قطاعات الدولة ، وتنفيذها وفق خطة مدروسة في زمن معين – ثمرة من ثمرات التقدم الحضاري الذي يتميز به العصر الذي نعيش فيه .

والتخطيط عملية شاقة يحشد لها الخبراء وكبار العلماء الذين يدرسون احتياجات الدولة في مدى عشر سنوات أو خمس في المجالات المختلفة كالتعليم والصحة والزراعة والصناعة ، وعلى ضوء من هذه الدراسات يضعون المشروعات التي تفي بهذه الحاجات في حدود الامكانيات المادية المتاحة التي تضمن تنفيذها جنبا الى جنب حتى لا يطغى مشروع في قطاع على حساب مشروع في قطاع آخر .. وبهذا التخطيط يتم التوازن والتنسيق بين حاجات الامة وبين امكانياتها ، ويتحقق التطور والتقدم الحضاري المنشود .

والتقدير والحسبان سنة من سنن الخلق والابداع الالهي ، وعلى هذه السنة المحكمة أقام الخالق المبدع – سبحانه – نظام الوجود كله ، ولولاها لدكت قواعده ، وأنهارت عمده ، وأختل نظامه ، وتوقفت مسيرة الحياة فيه .

والقرآن الكريم يشير في كثير من آياته الى هذا السنن الكوني ، والى أن الكائنات كلها تخضع لحكمه ، وتسير وفق نظامه ، وأنه ينطبق على الكواكب والليل والنهار ، كما ينطبق على الأمطار والنباتات ، وأنه لا يشذ مخلوق كائنا ما كان عن هذه

القاعدة المضطردة : ((وخلق كل شيء فقدره تقديرا)) .

والمتتبع لآيات الكتاب العزيز يرى أن المبدع المستغني عن المشير والوزير جل علاه - يلفت الانظار والعقول الى ان مسلك القدر الأعلى جرى في ايجاد كل شيء وفقا لنظام محكم سبق في الأزل قبل تنفيذه وايجاده : ((وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)) .

والشمس والقمر انما يتحركان بحساب بالغ الدقة ، والليل والنهار انما يتعاقبان على خطة رتيبة . لا يتقدمان ، ولا يتأخران ((الشمس والقمر بحسبان)) - ((والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) والماء الذى هو أصل الحياة ينزل بقدر معلوم ((وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض)) والنباتات المختلفة تنبت وتتنوع بالقدر الذى تحتاج اليه الحياة على وجه الأرض ((وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها)) - ((والارض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)) .

وهل تأويل يوسف - عليه الصلاة والسلام - رؤيا الملك الا خطة (سبعية) وضعها الصديق عن علم لمواجهة الأخطار التى تحيط بالشعب في سني القحط والمجاعة : ((وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)) .

وقال يوسف في تعبيرها : تستقبلون سبع سنوات مخصبة تزدهر فيها حقولكم ، وتكثر غلاتكم ، ثم تأتى في أعقابها سبع شداد يسود فيها وجه الارض ، وتمسك فيها السماء ، فلا ماء ينزل ، ولا نبات ينبت ، فما حصدتم في سنوات الرخاء أخزنوه في أهرائكم ومخازنكم محفوظا في سنبله حتى لا تفسده الآفات وذلك ليسد حاجتكم في السبع الشداد والسنين العجاف : ((تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)) وقد نفذت الخطة باحكام ، فوقت الأمة ويلات الجدب والقحط .

والتخطيط والتنسيق كما يلزم ، وينفع فيما يصلح الناس في شئون معاشهم ودنياهم .. في تخطيط المدن وتعبيد الطرق ، وانشاء المصانع واصلاح الاراضي وشق الترع وحفر المصارف وادارة الآلات . كذلك لا بد من التخطيط فيما يكون به الانسان انسانا في تكوين عقيدته ، في تهذيب خلقه . في تقويم سلوكه . في تغذية مشاعره وتنمية وجدانه . في التسامي بغرائزه . في هدايته وتبصيره الصراط المستقيم .

وبهذا جرت السنة الالهية الحكيمة فان الله سبحانه كما قدر أرزاق العباد ، ودبر أقواتهم ، وسخر لهم ما في السموات وما في الارض للوفاء بحاجاتهم - تعهدهم كذلك بالوحى ينبههم الى ما غفلوا عنه ، ويحذرهم مما انخدعوا به ، ويذكرهم بالله ، وابتعث فيهم النبيين والمرسلين يحدونهم الى طريق الحق ، ويعرفونهم

الفضائل ، ويشرحون لهم ما أمر الله به ، وما نهى عنه .

وكان ابتعاث المرسلين في فترات متقطعة . يرتفع فيها صـوت النبوة كلما مست حاجة البشرية الى بشير ونذير ، واذا كانت حالـة الامـة تستدعي أكثر من رسول في زمن واحد ومكان واحد ، كما حدث في بني اسرائيل أرسل الله عددا من المرسلين يفي بحاجة الامة ويتعاونون عـلى اصلاح أمرها .

وظلت هـذه السنة الالهيـة في التعريف باللـه قائمة على تعهـد الامم والشعوب بحملة الوحي الاطهار في فترات متقاربة أو متباعـدة من الزمان حتى القيت مقاليد الوحي كلها في يد محمد رسول اللـه خاتم النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وكانت مناهج الوحي الى المرسلين مناهج واضحة مفهومة كاملة بالقدر الذي تحتاج اليه أممهم ، ويفي بعلاج أدوائها وعللها ، فما أرسل اللـه من رسول الا بلسان قومه وما أنزل من كتاب الا كان مفصلا يكشف معالم الطريق أمام الناس ، وكان جهـد المرسلين عـلاج الخلل في السلوك الانساني ومداواة العلل التي تشيع في الامة وتنذرها بسوء المصير .

ان الدعوة الى الله عمـل ضخم يتطلب كفايات مؤمنة متميـزة . اذ الدعوة هي بناء الانسان بناء روحـه وقلبه ومعنوياته . بناء فكره ومشاعره ووجدانه ، وليس هنـاك أصعب مراسا من الانسان ، فهو كثير اللدد ـ والخصومة . عصي لا ينقـاد الا لهواه ولا يستسلم الا لشهواته ومن أجل هـذا كانت مهمة الداعيـة من أشق المهام وأصعبها ، وخاصة في هذا العصر الذي فسد فيه التصور والتفكير ، وأختلت فيـه المقاييس والموازين حتى أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا والحسن قبيحـا والقبيح حسنا ، وأي فساد وخلل أكثر من أن يستسيغ عقل وتفـكير رواد هـذه الحضارة الماديـة الشامخـة أمورا تعافها الحيوانات . ان الشذوذ الجنسي الآن يمارس في ظل قانون وضعه أصحاب العقـول الجبارة . ان المخادعـة والمخادنة في ظـل الأعراف الحضاريـة المتقدمـة شيء لا معرة فيه . انه لا يقدر على نقـل أقـدام الغارقين في الوحـل الى انقاذهم الى الطريق السـوي .. الا الاشداء الأقويـاء أولو العقيـدة والقلب الحي .

ان الاسلام يتعرض في هذا العصر لغزو عقائدي مدمر . وضع مخططه في دقة وأحكام وخبث ودهاء وظهرت آثاره في العقل المسـلم والمظهر المسلم ، فهل نشط المسلمون لحماية عقولهم ومجتمعهم والوقوف في وجه هـذا الغزو المنظم بمخطط مماثـل يدفع المسلمين الى الاستمساك بدينهم والاعتصام بكتابهـم ، والاعتزاز بشريعتهم والحفاظ على أخلاقهم ؟

ان الدول الاسلامية الكبرى في هذا العصر تتدارك في مجال الحضارة المادية ما فاتها في عصور التخلف ، وتحشد كل قواها وامكانياتها للعمران والتشييد وفق مخطط زمني محدد ، فالمدن والجسور والقصور والمنشآت فيها صورة طبق الاصل لما في العالم الغربي المتقدم ، فهل وجد الجانب الروحي في هـذه الدول ما وجـده الجانب المادي من التخطيط والعناية حتى يتم بناء الامـة عـلى قواعـد

الاسلام ومبادىء الدين ، أم أن شئون الدعوة الى الله تتبع سياسة الفوضى والارتجال ، وتتحكم فيها الأهــواء والرغبات ، وينظر اليها نظرة ثانوية لا تستحق الاهتمام والتفكير .

ان حصوننا مهددة من الداخل ، وأن ميدان الدعوة الى الله يقف فيه كثير ممن لا يحسنون القيادة والتوجيه ... ان نفرا من المسلمين أقحمـــوا أنفسهم فى هذا الميــدان مدفوعين بفيض من الحماس والغيرة عــــلى محارم الله مع الجهل الفاضح بالكتاب والسنة وفقــه الشريعــــة وعـــدم القدرة على مخاطبـــة الجماهير .. فمنهم من لا يفرق بين الآية والحديث والمثل والحكمة ، ومنهم من لا يميز بين ما صح من الحديث وما لم يصح منه ، ومنهم من يتصدى للفتوى وهو لا يحسن الوضوء ، ومنهم من يتسلط على عقول العامة ، ويستولى عــــلى عواطفهم بما يحدثهم به من خرافات وأساطير بعيـــدة كــل البعـــد عن الصحة والعقل والمنطق والصدق ، وكثير منهم من يعتلى المنابـــــر فى البوادى والريف ليسمع الناس هجر القول وفاحش السباب . يكــــفر ويفسق ويدخل الجنة ، ويؤجج النيران على حسب هـــــواه وجهلـــــه .. وقد تعود المستمعون لهــذا الصنف من الناس على الخطب الحاميــــــة والمواعظ الكاوية ، وأصبح لا يقنعهم، ولا يؤثر فيهم الا هذا اللون من الكلام، وخطر هؤلاء المتحدثين الجهلــة اذا قيس بخطر المؤلفين الجهلـــــة كان أهون وأخف فان الحديث يتبخر مع الهواء ، ولا يستقر منه فى أوعية النفوس الا القليل .. أما الكتـــاب المحشو بالكذب على الله ورسولــه والمملوء بمن سار على الماء ومن طار نعشـه ، ومن تزوج بالجن ، أما هذه الكتب فان الاجيال تتناقلها وتتاثر بها ، ومن العسير أن تقنع الأمى الدينى بكذب ما جاء فيهـا لأنها فى نظره مطبوعة ومتداولة ، ومضى على طبعها وتداولها كـــذا من السنين وقرأهـــا العديد من الناس ، وما فيها منسوب كذبا الى الامام الغزالى والى أبى يزيد البسطامى والقطب الشعرانى والامام الخواص ، ويعلم اللـــه أن هؤلاء الصالحين برءاء الى الله مما زور عليهم ونسب اليهم ... ولا يوجد قانون يحمى عقول البسطاء والسذج ويمنع تداول هـــذه الكتب بين الناس بل ان المطبـــوع منها من مئــــــات السنين يعاد طبعه على نفقـــة بعض المحسنين المغرر بهم من أهـــل الخير والبر .

يجب على المسئولين والمشتغلين بالدعوة الاسلامية أن يأخذوا الأمـــر مأخذ الجد ، وأن يبصروا من بعيـــد الخطر الزاحف الــذى ظهرت طلائعه بيننا .. ويجب أن يفهم أن الخطــر أسرع وأعقد من أن يعالج بمقال ينشر أو حديث يذاع ، أو قرارات وتوصيات تتخذ ، ثم لا تنفــذ .

ان الناس لا يستغنون عن هداية الله كما لا يستغنون عن رزقــه ، ومهما أوتوا من علم فلن يستطيعوا ان يدبروا شئونهم بعيدا عن وحى الله ((وان هذا صراطى مستقيمـــا فاتبعـــوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكـــــم تتقون)) .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان النبلى

من مدى السنة

السنة والبدعة

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه .

(١)

١ ـ تعريف السنة والبدعة والفرق بينهما
٢ ـ تدوين السنة وعلومها
٣ ـ أدب السنة والحديث

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ـ التعريف

ورد لفظ « السنة » فى اللغة العربية بمعنى الطريقة مطلقا مرضية كانت او غير مرضية .

وعند علماء الأصول هى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته (١) .

وعند علماء الفقه هى المطلوب طلبا غير جازم ، أى ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وعند علماء الحديث هى كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وتعرف فى الشرع تعريفا عاما بمعنى ما يقابل « البدعة » فيقال ، هى الطريق المسلوكة فى الدين ، بأن سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه

---

(١) معنى تقرير الرسول (صلى الله عليه وسلم) لصحابته هو أن يرى أو يعلم بعض افعالهم فيقرهم عليها ولا ينهاهم عنها .

الراشدون والسلف الصالح من بعدهم ، وبهذا المعنى تشـــمل الواجب والمندوب والمباح سواء كانت من قبيل الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات .

وأما البدعة فهى (فى الاطلاق اللغوى العام) ــ كما قال الشــــاطبى فى الاعتصام أصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى (بديع السموات والأرض) أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله سبحانه (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى ما كنت أول من جاء بالرســـالة من الله الى العباد ، بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعنى ابتدأ طريقة لم يسبقه أليها سابق ، فاستخراج البدعة للسلوك عليها هو الابتداع ، وهيئتها هى (البدعة) .

والبدعة والأبتداع من الأمور التى ينشأ عنها تطور الوجود فى كل شىء فالبقاء على حال مســـتقرة محال ، وهى فى المجال العام لازمة للحياة الأفضل دائما كتطور الصناعات ، وتعدد المخترعات فى كل وسائل الحياة الانســـانية ، وما الحضارة التى نرى الا نتيجة للابتداع والاختراع المتكرر ، وهذا عمل يحث عليه الاسلام لانه يحمل على الأخذ بالافضل دائما فى كل الأمور .

وأما البدعة التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيها يوما « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » فالمقصود منها اختراع شىء فى أصول الدين لم يكن على عهد رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الأصول الدينية قد تكاملت وتركها رسول الله على المحجة البيضــــاء غير قابلة للنقص ولا الزيادة ، قال تعـــالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

ولهذا عرفوا البدعة شرعا

بأنها طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصـــد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ...

وينسب الى الامام مالك وأصحابه ، وجرى عليه الشاطبى فى الاعتصام تعريف البدعة بأنها ما أحدث بعد النبى صـــلى الله عليه وســـلم على أنه دين وشرع ، بأن يجعل من الدين ما ليس منه ، بناء على تأويل أو شبهة غير معتد بها .

فالمبتدع متبع هواه ، ولا تكون البدعة على هذا التفسير الا مذمومة .

فالخلاصة أن الكلام فى الدين وأصوله يقبل فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترفض البدعة فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

٢ ــ تدوين السنة وعلومها

أ ــ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب — فى عهد الصحابة .
ج — فى عهد التابعين .
د — فى العصور التى تلت .

أ — فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

يجمع الباحثون فى هذا الموضوع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى صحابته عن كتابة الأحاديث ، ثم عاد فأجازها ، **وتفصيل ذلك** أنه لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول فى الاسلام للعقيدة والتشريع ، أولاه الرسول عليه الصلاة والسلام كل عنايته ، ووجه اليه اهتمام صحابته ، فحفظوه فى صدورهم وقيدوه كتابة فى الرقاع المتخذة من الجلود ، والسعف ، وعلى الحجارة ، والعظام ولم يدعوا فرصة تمر دون أن يسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عما خفى عليهم من أحكامه وتشريعاته ، فعرفوه وفقهوه وحفظوه جملة وتفصيلا ، ونظرا للاهمية البالغة التى توجب الحفاظ على آى القرآن نقية بعيدة عن شبهة الاختلاط بكلام آخر ولو كان كلام الرسول نفسه ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته عن تدوين الأحاديث كتابة ، وأمرهم بالاقتصار على كتابة القرآن وحده ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الأمام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى « لاتكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب شيئا فليمحه » ... ولم يكن هذا النهى مانعا لبعض الصحابة الذين يجيدون الكتابة أن يتخذوا لأنفسهم صحفا خاصة يسجلون فيها ما يسمعون من الرسول عليه السلام ، وقد حدث هذا فعلا فاتخذ عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة كانت تسمى « الصادقة » لدقة ما ورد فيها ، وقد أخرج الامام أحمد ، والبيهقى فى المدخل عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال « ما كان أحد اعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فقد كان يكتب ولا اكتب » ... وكتابة عمرو استرعت أنظار بعض الصحابة الذين قالوا له « انك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يقول ، ورسول الله قد يغضب ، فيقول ما لا يتخذ شرعا عاما » فرجع ابن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ما خرج من فمى الا حق » (١) ومعنى اذنه عليه الصلاة والسلام لابن عمرو بالكتابة أنه نسخ نهيه الأول عنها لزوال المانع ، وقال العلماء فى هذا (أن النهى خاص بمن لا يؤمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة ، أما الاذن فهو خاص بمن أمن عليه ذلك) (٢) ووجدت صحائف أخرى لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم مثل سعد بن عبادة الأنصارى وعبد الله بن أبى أوفى وسمرة بن جندب ، وجابر بن عبد الله ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس .. الخ .

٢ — عهد الخلفاء الراشدين

ولما ولى أبو بكر رضى الله عنه أمر المسلمين بعد وفاة النبى صلى الله عليه

---

(١) ابن عبد البر جامع بيان العلم ٧٦/١ .
(٢) الدكتور السباعى السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى /٩ .

وســلم تشـــدد كثيرا فى الــرواية وتورع عن الكتابة ، ويذكر مؤلف (تذكرة الحفاظ (١) أنه أى أبا بكر جمع الأحاديث المكتوبة وأحرقها ، ولما جاء بعده عمر رضى الله عنه مال الى أن يكتب الحديث ، ولكن غلب عليه الخوف من اختلاطه بالقرآن ، أو انصراف المسلمين عن القرآن الى حفظ الأحاديث المكتوبة فعدل عن الأمر بالكتابة وقال (انى كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فاذا اناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وأنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا) وقال الخطيب البغدادى (أن سبب كراهة من كره الكتابة من الصدر الاول انما هو الخشية من أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره أو يشتغل عنه بسواه) .

٣ ـ عهد التابعين

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر فى خطبه دائما وخاصة فى حجة الوداع قوله (الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) تفانى الصحابة فى نشر وصاياه واوامره وتشريعاته بين الناس ، وظل كبار التابعين ممتنعين عن الكتابة والتقييد ، ولكن فى أوائل المائة الثانية من الهجرة الشريفة بدأ البعض يميل الى التدوين خوفا من ضياع السنة بموت حملتها ، ففى سنة ١٠١ هـ أصدر عمر بن عبد العزيز أمرا بتدوين الحديث مستندا الى آراء كبار علماء الشريعة فى عهده الذين ايدوا هذا الأمر ونفذوه عمليا ، وفى طبقات ابن سعد (أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمر بن حزم ما نصـــه « أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ما ضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية (٢) فاكتبه فانى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله » وكان عمر قد كتب الى الأمصار بمثل ما كتب به الى ابن حزم ، (وكان أول من استجاب له فى حياته وحقق له غايته عالم الحجاز والشام محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى المدنى المتوفى سنة ١٢٤ هـ الذى دون له كتابا فغدا عمر يبعث الى كل أرض دفترا من دفاتره ، وكان الزهرى يفخر قائلا « لم يدون هذا العلم أحد قبلى » (٣) ويبدو أن الداعى الأقوى الى التدوين فى هذا العصر هو انتشار وضاعى الحديث ، والقصاص الذين كانوا يعظون الناس ويخوفونهم بأحاديث غير صحيحة النسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد خشى العلماء على أحاديث الرسول أن تختلط بغيرها من المفتريات وصار من الضرورى لديهم أن يكتب الحديث الصـــحيح وبدأ التدوين فى تلك الحقبة مخلوطا بفتاوى الصحابة والتابعين كما ورد فى موطأ الامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ .

٤ ـ وعلى رأس المائتين بدأ تدوين المسانيد خالية من الفتاوى (واول من كتب مسندا خاليا من الفتاوى هو أبو داود الطيالسى ٢١٤ هـ ، ومن أرقى المسانيد

---

(١) نقل هذا النص الدكتور صبحى صالح عن جامع بيان العلم وطبقات ابن سعد .

(٢) امرأة من الانصار اشتهرت بالتحديث .

(٣) الدكتور صبحى الصالح فى علوم الحديث ص ٤٦ .

مسند الأمام احمد بن حنبل ٢٤١ هـ ، ولم تدون السنة الصحيحة وحدها مرتبة على أبواب الا فى عصر أتباع التابعين ممن عاصروا البخـارى ، وأما من جاء بعدهم من المتأخرين عن هذا العصر فغالب ما قـاموا به هو التهذيب والشرح وأختصار الكتب الصحيحة المشهورة) (١) .

علوم السنة

١ — أنتشار الأحاديث الدخيلة (الموضوعة) وأسبابه
٢ — عناية المسلمين بأمر السنة
٣ — ظهور علم الحديث رواية ، ودراية (مصطلح الحديث)

---

١ — أسباب أنتشار الأحاديث الموضوعة

منذ مقتل عثمان رضى الله عنه لم يجمع المسلمون على خليفة له ، ونشب نزاع شديد بين على ومعاوية تطور الى قتال سالت فيه دماء المسلمين الذكية بغزارة ، وصار لكل منهما مناصرون ، وتفرق المسلمون شيعا واحزابا ، وبذل كل فريق ما استطاع لنصرة من يواليه ، وبدأوا يخترعون أقوالا ينسبونها ألى رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤيد فى نظرهم ما يرومون ، وكان هذا ايذانا بالتزيد على رسول الله ونسـبة ما لم يقله وما لم يفعله أليه صـلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ أن الحقبة التى عاش فيها كبار الصحابة كابن عمر وابن عباس لم يتغشـاهاالفساد بالصورةالتى انتشر بها بعدهم لأن هؤلاءالاصحاب كانوا يقفون بالمرصاد لكل من يتزيد فى فعل أو قول ، فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول فى الحجاج بن يوسف (... عدو الله ، استحل حرم الله ، وخرب بيت الله ، وقتل أولياءه) ويجابهه حين وقف يخطب ضد عبد الله بن الزبير ويصفه بأنه بدل كلام الله ، فيقول له (كذبت لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كـلام الله ولا أنت ، فأجاب الحجاج أنت شـيخ خرف فرد ابن عمر أما أنك لو عدت لعدت) .

كما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل يتورعون عن القول دون علم أو سماع من رسول الله فقد أخرج البيهقى عن البراء قوله (ليس كلنا كان يسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضياع واشغال ، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشـاهد الغائب ، كما كانوا يحاورون الناقل حتى يثقوا بصحة نقله ، فقد قال قتادة (ان أنسـا حدث بحيث فقال له رجل أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليـه وسلم ؟ قال نعم (أو حدثنى من لم يكذب) (٢) ، والله ما كنا ندرى ما الكذب) .

---

(١) الدكتور صبحى الصالح ص ٤٨ علوم الحديث .
(٢) شك من الراوى فى اللفظ .

وقبل أن تشتد الفتن فى بلاد المسلمين وتستشرى ، كان الناس يتقبلون الحديث دون مناقشة ، وخاصة اذا تكلم به صحابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استعر أوارها بدأ سامعو الحديث الشريف يشكون فى كل ما يسمعون ألا أذا استوثقوا من القائل ، وكان من الموثوق بهم فى قوة دينه وعدالته، وذكره الحسن بين الناس ، ومما يصور تلك الحالة ، ويعطى فكرة واضحة دقيقة عن هذا التحول العجيب والسريع فى الوقت نفسه ما رواه الامام مسلم فى صحيحه حيث يقول (حدثنا رباح عن قيس بن سعد عن مجاهد قال « جاء بشير (بالصغير) العدوى الىابن عباس رضىالله عنهما فجعل يحدثه ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل أبن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه ، فقال يا ابن عباس مالى لا أراك تسمع لحديثى ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ، فقال ابن عباس ، أنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابتدرته ابصارنا ، واصغينا اليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف) .

وأهم الاسباب التى دعت الى أختلاف الأحاديث ونسبتها كذبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (النزاعات السياسية والزندقة والعصبية والجهل بالدين مع الرغبة فى الخير والتقرب الى الملوك والأمراء والقصص والوعظ) .

٢ ــ عناية المسلمين بأمر السنة

ولما مضى هذا العصر ، ونمت الفتنة واستعرت نارها ، كثرت الاحاديث الموضوعة التى يناصر بها كل فريق فريقه ، واول بلد نشأ فيه تغيير الأحاديث هو العراق يقول الزهرى وهو أمام أئمة الحديث واول من جمعه ودونه (يخرج الحديث من عندنا شبرا فيرجع الينا من العراق ذراعا) وكان الأمام مالك يسمى العراق (دار الضرب) أى تضرب فيها الأحاديث وتخرج للناس .

كل ما مر حمل الغيورين على دينهم الذين وقفوا حياتهم على خدمته خالصا لوجه الله ، وفتح الله عليهم أبواب المعرفة ، وآتاهم القوة الروحية الخارقة فصبروا على تحمل المشاق ، وهاجروا طويلا فى سبيل جمع الأحاديث الصحيحة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وعملوا على تنقيتها من شوائب الوضع والوضاعيين ، ورسموا لعملهم خطة مدروسة متميزة ، نشأت عنها علوم الحديث التى أوصلها بعضهم الى اثنين وخمسين علما والبعض الى خمسة وستين علما ، ومن أهمها علمان رئيسيان هما علم السنة دراية ورواية .

(للحديث بقية)



الفواصل

للدكتور : علي محمد حسن

ويسميها أبو زكرياء الفراء العالم النحوى المشهور (الفصول) ، و (رءوس الآى) ، جاء عند نظره فى قول الله تعالى : (أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قوله : (وهذا فى القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك لأنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه ، فيقال : ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا وكذا ، فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء ، وأنت تراه فى رءوس الآيات — لأنها فصول — حسنا) .

وبعد أن ذكر بعض آيات جاء فيها الجواب بغير الفاء ، وكلمات جاءت فيها الفاء ، وأخرى جاءت الواو قال : (فاعرف بما جرى تفسيره ما بقى ، فانه لا يأتى الا على الذى أنبأتك به من الفصول ، أو الكلام المكتفي يأتى له جواب) .

ونظن أن هذه الكلمة (الفصول) جاءت تسمية لرءوس الآى لأول مرة فى كلام الفراء ، وعلى وجه التأكيد لم أر فيما وقفت عليه من كتب أحدا استعملها قبل الفراء .

أما كلمة (الفواصل) فأول ما وقفت عليها فى رسالة (النكت) لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى ، فقد جعلها عنوان فصل من فصوله ، وعرفها وخصها بحديث لعله الأول من نوعه قال فى تعريفها : (الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن الافهام) ، وفرق بينها وبين الأسجاع ، فقال : (والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة ، فى الدلالة اذ كان الغرض الذى هو حكمة انما هو الابانة عن المعانى التى الحاجة اليها ماسة) .

قال : (وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى أحسن صورة يدل بها عليها) .

ثم بين نوعى الفواصل فى القرآن الكريم ، فقال : (والفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة ، والآخر على الحروف المتقاربة) .

ومع أننى لم أقف على هذه الكلمة فى كتاب سابق على رسالة الرمانى أظن أن استعمالها سبق هذا التاريخ ، لأن حديث الرمانى عنها حديث من يتكلم على أمر معروف عند الناس وفى العادة يأتى التعريف والتقسيم وذكر الفائدة ، بعد أن تكون الكلمة قد شاع استعمالها .

وأيا ماكان فان مدى علمى الآن هو أن الفراء أول من استعمل فى رءوس الآى كلمة الفصول ، وأن الرمانى هو أول من استعمل كلمة (الفواصل) .

ثم جاء المتأخرون فكان أكثرهم على ما سار عليه الفراء والرمانى ، من أن الفواصل هى رءوس الآى ، وان لم يكن ذلك واضحا فى كلام الرمانى ، لكن تمثيله يفيد أنه يجعل الفواصل ورءوس الآى مترادفين ، وقليل من المتأخرين من جعل الفواصل أعم من رءوس الآى ، جاء فى كتاب (البرهان فى علوم القرآن) لبدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ما يأتى : (معرفة الفواصل ورءوس الآى . وهى كلمة آخر الآية كقافية الشعر ، وقرينة السجع ، وقال الدانى : كلمة آخر الجملة) .

قال : (وفرق الامام أبو عمرو الدانى بين الفواصل ورءوس الآى ، أما الفاصلة فهى الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس آية ، وكذلك الفواصل بين رءوس آى وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية) .

ونلاحظ الفرق بين تعريف الرمانى للفواصل بأنها (حروف متشاكلة) وبين تعريف الزركشى للفاصلة بأنها (كلمة آخر الآية) ، غير أن تقسيمهم للفواصل ، وحديثهم عنها يرجح تعريف الزركشى ، فالفاصلة ليست الحرف الأخير المماثل أو المقارب للحرف الأخير فى الجملة السابقة ، وانما هى الكلمة التى تتفق أو تتقارب مع كلمة أخرى فى آخر جملة جاءت معها ، وتمثيله بقافية الشعر ، وقرينة السجع تأكيد لمراده ، وهى أن الفاصلة هى (الكلمة) .

ومثال الفاصلة التى ليست رأس آية قول الله تعالى من سورة الاعراف : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا » ومن شواهد ذلك أيضا قول الله تعالى : « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم » وقوله سبحانه : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » وقوله عز اسمه « أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله » وقوله على لسان سيدنا زكريا « رب انى ، وهن العظم منى » .

ويبدو أن العلماء أخذوا هذه التسمية « الفواصل » من قوله تعالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) وقوله سبحانه : (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) .

وليس من اليسير حصر الطرق التى جاءت عليها الفواصل فى القرآن من حيث التزام حرف مماثل أو مقارب ، وانما يمكن فقط أن نعطى أمثلة .

فمن سور القرآن الكريم ما جاءت كلها على حرف واحد مثل سورة (القمر) فكل فواصلها على حرف الراء ، ومثل سورة (القدر) ففواصلها على

الراء كذلك ، ومثلهما سورة (الاخلاص) فهى على الدال ، وسورة (الناس) فهى على السين .

ومن سور القرآن ما يلتزم حرفا واحدا فى أكثر الفواصل ، ويخالف فى فواصل قليلة ، مثلا سورة الأعراف ، جاءت جمهرة فواصلها على حرف النون ، وآياتها مائتان وست ، والفواصل التى جاءت على غير النون نحو عشر آيات أكثرها على الميم ، وبعضها على اللام .

أما أكثر سور القرآن فمتعددة الفواصل ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقد لاحظ بعض الباحثين أن القرآن الكريم كان يلتزم الفواصل المتماثلة فى مواطن الوعظ والترهيب وأن هذا يغلب على السور المكية .

أما من حيث الـــتزام حرف أو أكثر ، فقد لاحظ الباحثون أن التزام حرف واحد هو الكثير الغالب ، وقد يلتزم حرفان فى مثل قوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) ، وقد تجىء الفواصل على ثلاثة أحرف ، مثل قوله تعالى : (بل عجبت ويســـخرون واذا ذكروا لا يــذكرون واذا رأوا آية يستسخرون) ، وقد تجىء على أربعة أحرف ، وهذا آخر ما انتهى اليه مجىء الفاصلة فى القرآن الكريم ، ومثال ذلك قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طـــائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) .

كما لاحظ الباحثون أن أكثر الفواصل فى القرآن تجىء على النون والميم وحروف المد واللين ، قالوا : وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك .

قال سيبويه رحمه الله : أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الألف والواو والياء لأنهم أرادوا مد الصوت .

وتختلف الفواصل عن قوافى الشعر اختلافا كثيرا ، ولذلك فكثير مما يعد عيبا فى القوافى لا يعد عيبا فى الفواصـــل ، فمثلا يكره فى القوافى أن تتكرر الكلمة الواحدة فى القافية قبل سبعة أبيات ، ولكننا نجد فى الفواصل مثل قوله تعالى : (والسماء رفعهـــا ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ، وكذلـــك نجد الفواصل تكون بحروف متقاربة بخلاف القوافى ، ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم : (ص . والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) . وقوله سبحانه : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) . وهكذا .

قال صاحب البرهان : (ومبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتــوح بالمنصوب غير المنون ، ومنه قوله تعالى : (انا خلقناهم من طين لازب) مع تقدم قوله (عذاب واصب) و (شهاب ثاقب) .

● ●

وقد شغل العلماء من قديم بقضايا ثلاث تتعلق بالفواصل :

الأولى : هل يراعى القرآن الكريم المناسبة اللفظية فيغير وضـــع الجملة الطبيعى من أجل الفاصلة ؟

الثانية : هل يسمى ما ورد فى القرآن من الفواصل المتماثلة سجعا ؟

الثالثة : كل آية فى القرآن ختمت بما يناسب أولها ، وان غمض ذلك فى

بعض الآيات . وسنلم بهذه القضايا الثلاث لنوفى هذا البحث حقه من الدراسة .

● ●

القضية الأولى :

لعل أقدم ما وصلنا من بحث مفصل فى هذا الموضوع هو ما بسطه الفراء فى كتابه (معانى القرآن) ، وقد ألف هذا الكتاب فى شهور سنتى ٢٠٢ و ٢٠٣ هـ أى قبل وفاته بأربع سنوات .

ذهب الفراء الى أن القرآن الكريم قد يعنى بالمناسبة اللفظية الى حد أن يغير من طبيعة الجملة من أجل هذه المناسبة .

فالقرآن — مثلا — يثنى فى موضع الافراد فى قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال : وانما هى جنة واحدة .

والقرآن يحذف المفعول للمناسبة بين رءوس الآى ، كما فى قوله تعالى : (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) .

والقرآن يورد الكلمة الواحدة بنطقين مختلفين من أجل المناسبة كما فى كلمة (نكر) فقد جاءت فى قوله تعالى : (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) مخففة ، أى بسكون الكاف ، وجاءت فى قوله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر) مثقلة أى محركة الكاف بالضمة . والتخفيف والتثقيل لغتان ، ولكن آثر القرآن التخفيف فى الآية الأولى لأن الفواصل التى معها كلها مخففة ، وذلك فى قوله تعالى : (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسريسرا وكأين منقريةعتت عنأمر ربهاورسله فحاسبناهاحساباشديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) ، فالفواصل كلها : يسرا — نكرا — خسرا — ذكرا — مخففة وهذا سر التخفيف فى كلمة نكرا .

وآثر القرآن التثقيل فى الآية الثانية لأن الفواصل كلها مثقلة ، وذلك فى قوله تعالى : (حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) ، وهكذا جاءت كل الفواصل التى سبقت هذه الفاصلة ، والتى جاءت بعدها مثقلة (القمر — مستمر — مستقر — مزدجر — عسر — ازدجر — منهمر) الى آخر السورة .

ويرجح الفراء قراءة على قراءة خضوعا للمناسبة ، فقد روى قراءتين فى كلمة (ناخرة) من قوله تعالى : (أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) روى عن ابن عباس أنه قرأ (ناخرة) ، وأن أهل المدينة والحسن قرأوا (نخرة) ثم قال — أعنى الفراء — : (وناخرة أجود الوجهين فى القراءة لأن الآيات بالالف ، ألا ترى أن (ناخرة) مع (الحافرة) و (الساهرة) أشبه بمجىء التنزيل والناخرة والنخرة سواء فى المعنى) .

بل ينفى عن الكلمة الاستقامة فى القراءة اذا لم توافق بقية الفواصل ، فهو ينظر فى قوله تعالى : (فمالهم لا يؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون) ثم يقول : (وقوله : بما يوعون . . ما يجمعون فى صدورهم من التكذيب والاثم والوعى ، ولو قيل — والله أعلم — :

بما يعون — لكان صوابا ، ولكنه لا يستقيم فى القراءة) وقد ذكر الفراء شواهد أخرى من الآيات مؤكدا ان القرآن يراعى المناسبة اللفظية .

ثم جاء فيما بعد الشيخ شمس الدين بن الصائغ فألف كتابه (احكام الرأى فى أحكام الآى) وقال فيه انه تتبع الأحكام التى وقعت فى آخر الآى للمناسبة اللفظية فوقف منها على نيف وأربعين حكما ، وقد ذكرها الامام السيوطى فى كتابه (الاتقان فى علوم القرآن) ونذكر منها على سبيل المثال : تقديم الضمير على ما يفسره فى نحو قوله تعالى : (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) ، واجراء غير العاقل مجرى العاقل فى قوله تعالى : (انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) وقوله سبحانه : (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) والفواصل بعدها (المشحون — يركبون — ينقذون — حين — ترحمون) .

وممن وافقوا الفراء فى رأيه الامام العالم المفسر (ابن عطية) الأندلسى ، فقد قال فى قوله تعالى : (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) ان قوله (وأجل مسمى) معطوف على (كلمة) ولهذا رفع ، والمعنى : (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى التأخير (واجل مسمى) لكان العذاب لزاما . لكنه قدم وأخر لتشتبه رءوس الآى .

ومنهم (ابن سيده) العالم اللغوى الأندلسى صاحب (المحكم) و (المخصص) فقد قال فى قوله تعالى : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) : أى أعضادا ، وانما أفرد ليعدل رءوس الآى بالافراد ، والعضد : المعين .

والآية من سورة الكهف ، والفواصل قبلها : (أحدا — بدلا) . ومنهم (امام الحرمين) فقد ذكر فى كتابه (البرهان) أن من ذلك صرف ما كان جمعا فى القرآن ليناسب رءوس الآى ، كقوله تعالى : (سلاسلا وأغلالا) .

وممن ناصروا الفراء الامام بدر الدين الزركشى ، فقد قال فى كتابه (البرهان) : (واعلم أن ايقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع) ثم ذكر اثنى عشر موضعا ، ونسب بعضها الى علماء سابقين . وقد جاء فى الموضع الثانى عشر قوله : (العدول عن صيغة المضى الى الاستقبال كقوله تعالى « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » حيث لم يقل : (وفريقا قتلتم) كما سوى بينهما فى سورة الاحزاب ، فقال : « فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ، وذلك لأجل أنها هنا رأس آية (١) .

قلت : والفواصل قبلها : (تعملون — ينصرون) وبعدها (يؤمنون) .
ومنهم العلامة أبو السعود العمادى صاحب التفسير المعروف بـ (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) فقد قال عند تفسيره لقول الله تعالى : (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) من سورة الانبياء ، قال : وتقديم الجار — أى من الساعة — لمراعاة الفواصل) . يريد أن نظم الكلام كان : وهم مشفقون من الساعة ، ولكن لما كانت الفواصل قبل هذه الآية وبعدها على (النون) مع الواو أو الياء ، تدم الجار والمجرور مراعاة للفواصل .

ولم تمض نظرية الفراء ومن ناصره دون معارضة ومعارضة عنيفة من القدامى والمحدثين .

---

(١) أوفى ما كتب عن الفواصل — فيما وقفت عليه — هو ما جاء فى كتاب (البرهان) للزركشى ، وعنه أخذ السيوطى أكثر ما كتبه عنها فى (الاتقان) .

ولعل (ابن قتيبة) أول عالم أنكر على الفراء مذهبه ، وشدد عليه النكير ، فقد اعتبر صنيع الفراء (تعسفا) استعاذ بالله منه ، وذلك حيث يقول : (ونحن نعوذ بالله أن نتعسف هذا التعسف ، أو أن نجيز على الله الزيادة والنقصان فى الكلام لرأس الآية) وحيث يقول : (انما يجوز فى رؤوس الآى زيادة هاء السكت أو الالف أو حذف همزة أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى فمعاذ الله ، وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين ، قال : (ذواتا أفنان) ثم قال : (فيهما) ، (ولو أن قائلا قال فى خزنة النار : انهم عشرون . وانما جعلهم تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هــذا القول الا كقول الفراء) .

قلت : وبصرف النظر عن تأييدنا أو معارضتنا لرأى الفراء نرى أن ردود ابن قتيبة وأدلته غير متجهة .

أولا : لا يلزم الفراء تنظيره بعدة الملائكة لأن الفراء يقول ان مجيء الاثنين مكان الواحد انماهو مذهب العرب فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها،كقول الشاعر

ديار لهــا بالرقمتين كأنهــا مراجيع وشم فى نواشر معصم

وكقول الآخر :

فقولا لأهل المكتين تحاشدوا وسيروا الى آطام يثرب والنخل

قال الفراء بعد أن أورد موضعى الشاهد من هذين البيتين : (وأشير بذلك الى نواحيها أو للاشعار بأن لها وجهين ، وانك اذا وصلتها ونظرت اليها يمينا وشمالا رأيت فى كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة) .

ثانيا : أن التثنية فى قول الله تعالى (ذواتا أفنان) و (فيهما) لا تعكر على مذهب الفراء اذ له أن يقول أنها جاءت بحسب اللفظ .

قال صاحب (البرهان) : وكأن الملجيء للفراء الى ذلك قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وعكس ذلك قوله تعالى : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) .

ولكنه عاد يحذو حذو ابن قتيبة ، ويرد قول الفراء ، فقال : على أن هذا (يريد ما جاء فى الآيتين السابقتين) قابل للتأويل ، فان الالف واللام للعموم خصوصا أنه يرد على الفراء قوله : (ذواتا أفنان) .

وقبل أن نترك الحديث مع ابن قتيبة أحب أن أقول انه لم يرفض مراعاة المناسبة اللفظية رفضا باتا بل أجازها ، ولكنه قصرها على زيادة هاء السكت أو حذف حرف مثلا ، ولعله يشير بذلك الى مثل ما جاء فى قوله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر) فان قراءة حفص على حذف الياء من (يسرى) وظاهر أن سبب ذلك هو مراعاة الفواصل .

وجاء بعد ابن قتيبة أبو بكر الباقلانى العالم الاشــعرى صـــاحب كتاب « اعجاز القرآن » وعرض فيما عرض له من أبحاث لقضية تغيير النظم من أجل مراعاة الفواصل ، فوافق ابن قتيبة فى رأيه ، ورفض نظرية الفراء رفضـــا حاسما ، وان أجاز ذلك فى مواضع تجيء غير مقصودة ، قال عن الفراء وأمثاله (وأقوى ما يستدلون به : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهمـــا السلام ، ولمكان السجع قيل فى موضع (هرون وموسى) ، ولـــا كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون ، قيل : (موسى وهرون) ويجيب الباقلانى عن (أقوى ما يستدلون به) فيقول : (وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هرون عليهما السلام فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع

الكلام فليس بصحيح لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهى أن اعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحـــدا من الأمر الصعب الذى تظهر به الفصاحة ، وتتبين البلاغة) .

والحق أن رد البـــاقلانى غير مقنع ، فالامر واضح ظـــاهر فى مراعاة الفواصل فحين تكون على الالف يتـــأخر ذكر موسى ، وحين تكون على الواو والنون يتأخر ذكر هرون ، وادعاؤه أن ذلك من تنويع التعبير لا ينهض مدافعا لمــــا هو الظاهر ، ويمكن أن يكون جوابا فى كل موضع لكنه جواب غير مقنع .

ويدعى الباقلانى أنه يستطيع أن يأتى على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ، ويبين الموضع الذى يدعى فيه مراعاة المناسبة من الفوائد ما لا يخفى قال : (ولكنه خارج عن غرض كتابنا) .

ويا ليت الباقلانى فعل ، اذا لجاءنا بأسرار جمة لمجىء الفواصل التى ذكر الفراء ومن شايعه أن مجيئها للمناسبة اللفظية .

وقد نقل صاحب البرهان عن الزمخشرى أنه كذلك يرفض نظرية الفراء ، قال : (ذكر الزمخشرى فى كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الالفـــاظ المونقة فى السمع ، السلســــة على اللسان ، الا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة فاما أن تهمل المعانى ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه الى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير) .

ومن المتأخرين الذين شددوا النكير على مجرد مراعاة المناسبة اللفظية الشيخ محمد عبده ، فقد وقف عند قوله تعالى : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) مبينا سر تقديم الرأفة على الرحمة ناعيا على من يقول : ان ذلك للفاصلة . قال صاحب المنار السيد رشيد رضا فى تفسيره : قال الجلال : والرأفة شدة الرحمة ، وقدم الابلغ للفاصلة ، وأنكر الاستاذ الامام هذا القول أشد الانكار ، وينكر مثله فى كل موضع ، فيقول : ان كل كلمة فى القرآن موضوعة موضعها اللائق بها ، فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة لأن القول برعاية الفواصل اثبات للضرورة .

.. وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الا لتـــأثرهم بقوانين فنون البلاغة وغلبتها عليهم ، مع الغفلة فى هذه النقطة عن مكانة القرآن فى ذاته ، وعدم الالتفـــات الى مالكل كلمـــة فى مكانها من التأثير الخاص عنـــد الذوق العربى .

ونظن أن الأستاذ الامام لم يهيأ له الاطلاع على كتاب (معانى القرآن) للفراء ، فانه يرجع القول برعاية الفواصل الى غلبة الفنون البلاغية على بعض المفسرين ، وقد أكد الفراء رأيه فى هذه القضية قبل أن تنشأ فنون البلاغة .

● ●

هذه صورة لما وقفت عليه من آراء القائلين برعاية الفواصل ، والمنكرين لها وأحب أن أقول :

أولا : ان القـــائلين بمراعاة الفواصـــل لم يمنعوا أن يلتمس فى بعض المواضع سر آخر للصنيع الذى جاء فى الآية . وقد نقل السيوطى عن ابن الصائغ صاحب كتاب « إحكام الرأى » قوله : لا يمتنع فى توجيه الخروج على الاصل

فى الآيات المذكورة — يريد الآيات التى لاحظ فيها مراعاة الفواصل — أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فان القرآن العظيم — كما جاء فى الأثر — لا تنقضى عجائبه .

ثانيا : القرآن الكريم أنزل بلغة العرب ، وجرى على منهجهم فى بلاغتهم ، ومراعاة التناسب اللفظى مما يزداد به المعنى جمالا فليس يضير القرآن أن يكون راعى فى بعض آياته مجرد التناسق اللفظى ، ومما لا شك فيه أن مراعاة التناسب اللفظى ميزة من ميزات اللغة العربية ، ونحن نؤمن أن القرآن لم يترك ميزة تمتاز بها هذه اللغة الا أخذ منها بنصيب موفور .

ثالثا : اننا نجد القرآن الكريم يلتزم فى بعض السور وزنا خاصا للفواصل ، وربما طالت السورة كما هو الشأن فى الأعراف — مثلا — ولا يمكن أن يكون ذلك أمرا غير مقصود اليه .

رابعا : فارق كبير بين أن نقول ان هذا الوزن جاء للفاصلة ، وبين أن نقول ان الكلمة موضوعة فى غير موضعها ، فهذا قول لا يمكن أن يقال ، فالكلمة قارة فى موضعها ، ولها معناها الجميل اللائق بالجملة ، ولكن الأمر فى ايثارها دون غيرها مما يؤدى مؤداها فهذا قد يكون لمجرد التناسب .

خامسا : ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم — وهو أفصح العرب كان يراعى المناسبة اللفظية فيغير صيغة الكلمة ، من ذلك قوله وهو يعوذ الحسن : (أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة) وانما أراد (ملمة) لأنها من (ألم) ، وقوله عليه الصلاة والسلام للنساء اللاتى تبعن جنازة : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وانما أراد (موزورات) لأنها من الوزر ، فقال (مأزورات) لمناسبة مأجورات ، قصدا للتوازن وصحة السجع .

سادسا : العرب أنفسهم يغيرون صيغة الكلمة مراعاة للتناسب ، من ذلك قولهم : ويل للخلى من الشجى بتشديد الياء فيهما ، وهى مشددة فى (الخلى) غير مشددة فى (الشجى) وانما شددوها مراعاة للتناسب .

ومن ذلك قولهم : (هنأنى الطعام ومرأنى) فقد حذفوا الهمزة من (أمرأنى) وهى الصيغة الصحيحة لهذا الفعل ليناسب (هنأنى) ، وكانوا اذا نطقوا بالكلمة مفردة قالوا (أمرأنى الطعام) . روى ذلك عن الفراء .

أقول — كما قال الفراء — اذا كان العرب يتصرفون فى الصيغة لمراعاة التناسب ، واذا كان الرسول الكريم — وهو أفصحهم — يفعل ذلك ، واذا كان القرآن جاء على أبلغ الاساليب العربية ، فليس هناك ما يمنع أن يراعى القرآن هذه المناسبة ، وفى بعض الأحايين تكون هى وحدها الداعية الى أن يجىء النظم على صورة خاصة .

● ●

القضية الثانية :

اتفق العلماء على أن الفواصل لا يجوز أن تسمى قوافى ، وقالوا فى تعليل ذلك : لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه ، وخاصة به فى الاصطلاح .

كما اتفقوا على امتناع استعمال الفاصلة فى الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه . ثم اختلفوا وطال بينهم الخلاف حول جواز استعمال السجع فى القرآن .

وقبل أن نفيض الحديث فى هذا الخلاف نشير الى موقف العلماء من السجع

فى ذاته فنقول : قضية السجع قضية قديمة ، وقد كان الجاحظ من أوائل المتكلمين فيها ، فقد دافع عنه ، وأكد أنه فضيلة من فضائل الكلام البليغ .

جاء فى (البيان والتبيين) : قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى ، واقامة الوزن ؟ قال : ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يا رسول الله ، أرأيت من لا شرب ولا أكل ، وصاح واستهل أليس مثل ذلك يطل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسجع كسجع الجاهلية » ؟

قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد ابطال حق ، فتشادق فى الكلام .

وفى هذا الكلام سببان من أسباب الرغبة فى السجع :

أولهما : الرغبة فى بقاء الكلام ، لأن الحفظ الى الكلام المسجوع أسرع والتقييد له أكثر ، وذلك أن الكلام المرسل لا يعلق بالنفس علوق الكلام الموزون ، بدليل أن ما ضاع من شعر العرب أقل كثيرا مما ضاع من نثرهم ، مع أن نثر العرب كان أكثر من شعرهم .

ثانيهما : أمر نفسى ، وذلك أن النفس بطبيعتها تميل الى النغم ، وتنشط له ، والنغم يوجد فى السجع ، ولا يوجد فى الكلام المرسل الذى أطلق عليه هذا السائل للرقاشى اسم (المنثور) فكأن المنثور عنده مقابل للمقيد بوزن أو بسجع .

وفى كلام عبد الصمد اجابة واضحة ، ورد للحجة التى يتذرع بها الكارهون للسجع ، وتلك هى انكار النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل الذى سجع عنده ، وقد أجاب الرقاشى بأن النبى لم ينكر عليه السجع ، وانما أنكر عليه أنه أراد أن يتوسل به الى ابطال حق .

ثم وضح الجاحظ هذه الاجابة ، فقال : وكأن الذى كره الاسجاع بعينها ، وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكون اليهم ، وكانوا يدعون الكهانة ، وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن كانوا يتكهنون ، ويحكمون بالاسجاع .

والجاحظ يشير الى الرواية الاخرى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أنكر بها على من سجع عنده ، وهى : أسجعا كسجع الكهان ؟!

ثم قال الجاحظ : قالوا : فوقع النهى فى ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم ، وفى صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم .

والجاحظ يجعل نظيرا لذلك النهى ما ورد من النهى عن رواية مرثية أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر ، ورواية هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة ، قال : فلما زالت العلة زال النهى .

ومن كلام الجاحظ نفهم أن السجع كان فى وقت ما محرما ، وأن ناسا كرهوا السجع لذلك ، ولكنه يعود فيحتج لجواز السجع ، واستحسانه ، فيذكر

أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع الشعر واستحسنه ، وأمر به شعراءه ، وأن عامة الصحابة قالوا شعرا واستمعوا واستنشدوا ، والسجع دون الشعر فكيف يحل الشعر ، ويحرم السجع ؟ وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسجع ، وكذلك الخطباء كانوا يسجعون عند الخلفاء الراشدين فلا ينهونهم وكان بعض الوعاظ الكبار سجاعا ، وقد كان يحضر مجلسه بعض كبار العلماء والزهاد فلا ينكرون عليه .

والجاحظ الذى دافع عن السجع هذا الدفاع ، ووصف به كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة نزه القرآن الكريم عنه ، وأبى أن يسمى ما فيه من الفواصل أسجاعا ، وعبارته فى ذلك : (خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع) .

ولعل الجاحظ هو أول من أبى اطلاق السجع على الفواصل ، ثم رأينا الخلاف يحتدم فى هذه القضية فجمهور علماء المسلمين يمنعون هذه التسمية كما منعها الجاحظ ، وجماعة من العلماء والادباء يجيزونها .

قال الرمانى : (ذهب الاشعرية الى امتناع أن يقال فى القرآن سجع ، وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ، ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعنى ، ولا تكون مقصودة فى نفسها) قال : (ولذلك كانت الفواصل بلاغة ، والسجع عيا) .

وقد نقل القاضى أبو بكر الباقلانى هذا المذهب عن أبى الحسن الاشعرى ، ودافع عنه دفاعا مخلصا ، فقد عقد له فصلا فى كتابه (اعجاز القرآن) ، ترجمته : (باب نفى السجع عن القرآن)وقد ربط بين نفى السجع ، وبين رأيه فى تفرد القرآن بأسلوب خاص ، وذلك حيث يقول (ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع الاعجاز) .

وهذا كلام غريب حقا ، كأنه لا وجه لاعجاز القرآن الا كونه خارجا عن أساليب العرب . وكأن تسمية رءوس الآى (فواصل) يجعله خارجا عن كلام العرب ، وتسميتها (سجعا) يجعله داخلا فيها ، ولم لم يجعله داخلا فى أساليب العرب تلك الالفاظ المشتركة ، وهذه الصور التركيبية التى لا تختلف عن كلام العرب فى شىء ، الا فى كونها فى أعلى درج البلاغة ؟

ثم يعود الباقلانى الى هذا القول الغريب ، فيقول : (ولا بد لمن جوز السجع فيه — فى القرآن — وسلك ما سلكوه من أن يسلم بما ذهب اليه النظام وعباد بن سليمان ، وهشام الفوطى ويذهب مذهبهم فى أنه ليس فى نظم القرآن وتأليفه اعجاز ، وانه يمكن معارضته ، وانما صرفوا عنه ضربا من الصرف) .

ويمكن تلخيص الحجج التى اعتمد عليها المانعون فيما يلى ، كما جاء فى الاتقان للسيوطى :

أصل السجع من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، وشرف عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها ، ولأن السجع عيب يتبع فيه المعنى اللفظ ، ولأن وصف القرآن بالسجع يجعله غير خارج عن أساليب كلام العرب ، ولو جاز أن يقال : سجع معجز لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر أن يكون حجة من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات بخلاف

الشعر ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم ، ذم السجع بقوله للرجل الذى سجع عنده : أسجع كسجع الكهان ، وللسجع منهج محفوظ من أخل به وقع الخلل فى كلامه ، وفواصل القرآن متفاوتة ، بعضها متدانى المقاطع ، وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير ، وذلك السجع غير مرضى ولا محمود .

هذه خلاصة الادلة التى ذكروها فى امتناع اطلاق لفظ السجع على الفواصل ، وأكثر هذه الادلة — كما هو ظاهر — قابل للجدل والمناقشة ، وقد فعل كثير من المؤلفين ذلك .

فقد عقد أبو هلال العسكرى فى كتابه (الصناعتين) فصلا ، ترجمته : (فى ذكر السجع والازدواج) وقد جاء فيه : (وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق) .

ثم أجاب عن بعض ما يحتج به المانعون ، فقال عن انكار النبى — صلى الله عليه وسلم — على من سجع عنده : (ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا لقال : أسجعا ، ثم سكت) ثم قال بعد ذلك : (وكيف يذمه ويكرهه ، واذا سلم من التكلف ، وبرىء من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه) .

والعسكرى على مذهب الباقلانى فى أن القرآن (فى نظمه خارج عن كلام الخلق) ولكنه يثبت السجع فيه ، ويمثل له بآيات كثيرة ، وكذلك يثبت الازدواج بل ويقول : (ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن) .

فوجود السجع والازدواج فى القرآن عند العسكرى لا يخرجه عن أن يكون مغايرا لكلام الخلق .

ويفصل ابن سنان الخفاجى القول فى رد شبه الاشاعرة ، فيتحدث عن السجع والازدواج ويلحقهما بالمناسبة بين الالفاظ فى الصيغ ، ويذكر الآراء فى استحسانها وكراهيتها ، وحجة كل فريق من المستحسنين والكارهين ، ثم يقول : (والمذهب الصحيح أن السجع محمود اذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ، ولا أحضره الا صدق معناه ، دون موافقة لفظه) .

ثم يفرق بين الفواصل والاسجاع ، فيقول : (ان الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول ، والفواصل على ضربين : ضرب يكون سجعا ، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع ، وضرب لا يكون سجعا ، وهو ما تقابلت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل) . وكل من هذين الضربين يكون محمودا ومذموما : (فأما القرآن فلم يرد فيه الا ما هو من القسم المحمود) .

ثم ذكر آيات من القرآن ، وأشار الى بعض السور ، وقال ان جميعها على الازدواج : (وهذا جائز أن يسمى سجعا ، لأن فيه معنى السجع ، ولا مانع فى الشرع يمنع ذلك) . وهو يشير بذلك الى الحجة التى تمسك بها المانعون من أن اطلاق السجع على القرآن لا يجوز شرعا ، لأن القرآن كلام الله تعالى فهو صفة من صفاته ، ولا يجوز وصف الله بصفة لم يرد بها اذن من الشرع ، فلا يصح أن يقال : الله يسجع ، وابن سنان لم يناقش الحجة ، وانما اكتفى باصدار الحكم ، وهو أنه لا مانع فى الشرع يمنع من أن يسمى ما فى القرآن سجعا ، ثم قال : (وأظن أن الذى دعا أصحابنا — يريد الاشاعرة —

الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب .. ولا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضا وصوتا وحروفا وكلاما وعربيا ومؤلفا) .

ومرة أخرى لم يجب ابن سنان اجابة مقنعة عن حجة أصحابه ، فان كون القرآن عرضا وصوتا وحروفا .. كل هذه أوصاف عامة لكن السجع اقترن بقوم بأعيانهم هم الكهان ، فاذا كان المانعون نزهوا القرآن أن يصفوه بالسجع لأنه اقترن بطائفة خاصة فان لهم وجها من الرأى ، وهذا بخلاف كونه كلاما ومؤلفا يشارك كلام العرب فى ذلك .

وقول ابن سنان (هذا غرض فى التسمية قريب) لا يصلح ردا ، فالذى يتضح للمنصف أن ابن سنان حاول أن يؤيد رأيه ، ويرد على المانعين ولكنه حام ولم يقع .

● ●

ويجيء ضياء الدين بن الاثير صاحب كتاب (المثل السائر) فلا يجادل ولا يحاج ، وانما يسوق القضية مساق المسلمات ، فهو يذكر — أولا — أن السجع نوع من صناعة تأليف الالفاظ ويقول ان بعض أصحابه من الكتاب قد ذمه ، ويعلل ذلك بعجزه عن أن يأتى به ، ثم يقول : (والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير ، وحتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور) فالرجل يتجاوز الخلاف ويأبى أن يشير اليه ، ولا شك أنه اطلع عليه فالرجل كان كثير القراءة للكتب التى ألفت قبله ، وهو — على وجه الخصوص — قد أشار الى كتاب (سر الفصاحة) لابن سنان ، وأشاد به ، فهو يقول فى مقدمة (المثل السائر) عن علم البيان وأن الناس ألفوا فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبا ، يقول : (وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه ، وعلمت غثه وسمينه فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى) فلا شك أن الرجل اطلع على حجج المانعين ، ورد المجيزين ولكنه أعرض عن كل ذلك .

غير أنه وقف عند انكار النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل الذى سجع عنده ، ولم يزد فى اجابته عما ذكره الجاحظ .

وكما أعرض عن الخلاف فى هذه المسألة أعرض — أيضا — عن الخلاف فى قضية مراعاة المناسبة اللفظية ، وساقها مساق المسلمات ، فذكر أن القرآن قد يزيد كلمة بمعنى الكلمة السابقة عليها لأجل السجع ، وشاهده فى ذلك قول الله تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) فهو يرى أن اللفظين (رسولا — نبيا) بمعنى واحد ، ولكن لما كان أكثر سورة مريم مسجوعا على الياء ذكر القرآن كلمة (نبيا) ليحقق بها السجعة . قال : (ايراد لفظين فى آخر احدى الفقرتين بمعنى واحد : لا بأس به لمكان طالب السجع) . ونظر بقول النبى صلى الله عليه وسلم (مأزورات) مكان (موزورات) و (لامة) مكان (ملمة) وقد سبق أن ذكرنا هاتين الكلمتين ، ثم قال : (فالسجع قد أجيز معه تغيير وضع اللفظة — أى كما فى قول النبى صلى

الله عليه وسلم — وأجيز معه أن يورد لفظتـــان بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين) أى كما فى الآية الكريمة .

والذى أراه — بعد كل هذه الرحلة الطويلة — أنه لا شىء يدعونا الى أن نسمى ما جاء من الفواصل المتماثلة سجعا ، ما دامت كلمة (الفواصل) تؤدى المعنى ، حتى يظل القرآن الكريم على قدسيته ، لا يوصف الا بما يناسبه من الالفاظ ، وحتى نسد الباب على كل مدع فنحول بينه وبين أن يطلق على القرآن أو على ألفاظه ما يطلقه على عامة كلام الناس ، وقد رأيت فى أثناء هذا البحث من يحلو له أن يقول (موسيقى الفواصل) ومن يقول (الموسيقى القرآنية) وتعدى بعضهم ذلك كثيرا فأطلق على بعض قصص القرآن « سيمفونية » وآخر اجتلب كل الالفاظ التى تستعمل فى الموسيقى فأطلقها على القرآن ، وهذا باب يأتى بأعاصير وعواصف وواجبنا أن نقف دونها ، ولا نسمح لأحد أن يصف القرآن الا بكل كلمة تليق به جلالا وقدسية .

وقد كان الاشـــاعرة على حق حين منعـــوا أن يطلق على القرآن لفظة (السجع) وان لم تكن أدلتهم مسلمة ، ولكن الشىء الذى لا ينبغى أن يمـــارى فيه أن فتح الباب أمام كل كلمة يستعملها الناس لتطلق على القرآن يجيئنا بما يمس جلال القرآن وعظمته ، فكما أن من الواجب علينا أن نحافظ على قراءات القرآن ، وعلى رسمه كذلك يجب علينا أن نقتصر فى أوصافه على ما ورد به الخبر ، أو ما يؤخذ من القرآن نفسه .

القضية الثالثة :

وهى أهم القضايا الثلاث من حيث دلالتها على الاسرار البلاغية التى يراعيها القرآن الكريم .

وقد شغلت هذه القضية كل مفسرى القرآن ، وكل الباحثين فيه ، وعنى بها علمـــاء البديع فسموها (مراعاة النظير) وبعضهم خصها باسم (تشابه الاطراف) وجعل هذا نوعا من مراعاة النظير ، وقالوا فى تحديده : أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى ، أما لكون ما ختم به كالعلة لـــا بدىء به ، أو العكس ، أو كالدليل عليه ، أو نحـــو ذلك ومثلوا له بقول الله تعـــالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) . قالوا : فان عدم ادراك الابصار له وهو مدلول الجملة الاولى يناسبه قوله اللطيف ، وكونه مدركا للأبصار وهو مدلول الجملة الثانية يناسبه قوله الخبير .

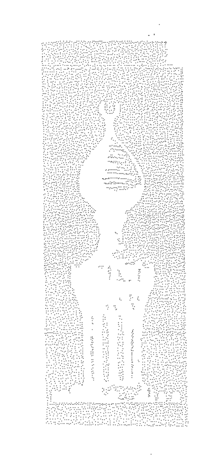
ونحو قوله تعالى : (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم) .

لـــا عدد جلائل نعمه على الناس ، وكانت كلها مسخرة مدبرة ، وكانوا لولا رحمته متعرضين حيالهـــا لمتالف عظيمة من الاهوال البحـــرية والآفات السماوية عقبها بذكر الرأفة والرحمة لينبه على كمال لطفه ، وعظيم رحمتـــه بالخلق .

قالوا : ومن أوضح ذلك ما تعطيه المقارنة بين هاتين الآيتين ، من سورة السجدة : (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) .

فالآية الاولى مسوقة للعظة عن طريق ما يروى فيسمع ، ولذلك جاء فى نهايتها : (أفلا يسمعون) والآية الثانية موعظتها بصرية مشاهدة ، ولذلك جاء

فى أولها (أو لم يروا) وفى نهايتها : (أفلا يبصرون) .
وهذا النسق أمر فطرى عند أصحاب اللغة ، وبدهى عند أصحاب الاذواق السليمة الذين تمرسوا بلغة العرب ، وأطالوا النظر فى بيانها .
روى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ : (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولم يكن الاعرابى على علم بالقرآن ، ولكنه قال :
وصدق حس الاعرابى ، فان ختام الآية : (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) .
ان كان هذا كلام الله فلا ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه اغراء عليه .
فالعزة والحكمة هما اللتان تناسبان فى معاملة من يزل من بعد ما تبين له الحق لأن فى وصف الله بالعزة ما يجعله ينتفع بعلمه ، ويتمهل طويلا قبل أن يزل ، وفى وصفه بالحكمة ما يشعر بأنه — سبحانه — له فى خلقه شئون ، ومن ذلك أن يضل السالك طريقه ، وهو يحمل المصباح الذى يهديه ، ويكشف له مزلات الطريق !
وقد عنى بعض المفسرين ببيان هذا التناسب فى كل آية ختمت بجملة منفصلة عن الجملة الاولى .
ويسمى الباحثون فى علوم القرآن هذه المسألة (ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام) وقد أكثروا من الشواهد لها ، غير أنهم ذكروا أن من ذلك ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل ، وعرف عندهم — لذلك — ما سمى (مشكلات الفواصل) .
وذكروا لذلك ، شواهد كثيرة ، منها قوله تعالى : (ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ، فانه يبدو لغير المتأمل — فى بادىء النظر — أن المناسب أن تختم الآية بقوله (فانك أنت الغفور الرحيم) .
ومثل ذلك قوله تعالى : (أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) وقوله سبحانه فى سورة الممتحنة : (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) وقوله فى سورة غافر : (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) .
وقد أزال العلماء فى كل هذه الآيات ما خفى على قصار النظر ، ومن قولهم فى الآية الاولى : ان المحدث عنهم عصاة ، يستحقون العقوبة ، والغفران لمن يستحق العقوبة انما يكون من العزيز أى القاهر الغالب ، الذى لا يعترض على أمره ، اذ العزيز مأخوذ من عز اذا غلب ، ثم لما ذكر أن المغفرة للمذنب انما تكون من العزيز الغالب الذى لا اعتراض على أمره ناسب زيادة « الحكيم » دفعا لما يتوهم من أن العفو عن المستحق خال عن الحكمة فذكر الحكيم اشارة الى أن فعله ذلك لحكمة وسر يراعى قهرا وعدلا فكأنه يقال : ان تعف لهؤلاء المذنبين فأنت أهل لذلك اذ لا اعتراض عليك لعزتك ، ومع ذلك ففعلك لا يخلو عن حكمة ، ولو خفيت عن الخلق .
وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وانما هو على معنى تسليم الامر الى من هو أملك لهم ، ولو قيل : (فانك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة ، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه .
... وبعد .. فهذا حديث عن الفواصل فى القرآن الكريم ، تضمن أهم القضايا فيها ، ولكنه لم يوفها حقها من البحث والاستقصاء ، وان كان فيه بعض الغناء . والله الهادى الى سواء السبيل .



نشأة الفقه الاسلامي وأصول مذاهبه

للأستاذ: مناع القطان

(١)

الحديث عن الفقه الاسلامى حديث عذب شائق ، تتعدد جوانبه ، وتشرق ملامحه فى كل مبحث من مباحثه ، ولطالما استشرقت النفوس المؤمنة فى أنحاء العالم الاسلامي الى مراجعة رصيدها الضخم ، وذخيرتها الهائلة فى التشريع الاسلامي ، وفقه أئمته ، حتى تبصر سبيل مجدها ، وتدرك طريق سعادتها ، وتعمل جادة على استئناف الحياة الاسلامية الفاضلة فى كل ميدان من ميادين الحياة .

والفقه الاسلامى هو المعين الذى يمد الانسانية بالمنهج السديد فى كل شأن من شئونها ، حتى يستقيم أمرها على الجادة ، وتشق طريقها على هدى من ربها ، فحرى بأبناء الاسلام أن يعوا هذه الحقيقة ، ويبيدهم هذا الخير المتوارث الذى سعدت به البشرية قرونا عديدة ، وهى اليوم ـــ وقد كابدت ألوان الشقاء من جراء انحرافاتها عن الاسلام ـــ أشد ما تكون تعطشا الى سبيل الخلاص ، فى فقه الاسلام ومبادىء الشريعة .

معنى الفقه :

والفقه فى اللغة بمعنى الفهم ، ومنه قوله تعالى : (وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله (قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) وفى الاصطلاح : العلم بالاحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية .

والفقة بمعناه العام واكب الحياة الاسلامية منذ بزغ فجر الاسلام ، حيث كان الوحى يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتلقاه عنه صحابته ولهم من سلامة الذوق العربى ما يمكنهم من فهم القرآن الكريم ، والعمل بمقتضاه ، ولم يكن لديهم حاجة الى الاجتهاد فى استنباط حكم الا حيث لا يجدون نصا من كتاب أو سنة ، وقد أقر رسول الله معاذا على ذلك حين بعثه الى اليمن فقال له : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال فان لم يكن فى كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ، قال : اجتهد رأيى ، لا آلو ، قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : الحمد الله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد نقل أهل العلم هذا الحديث ، واحتجوا به على جواز اجتهاد الصحابة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، ووردت حوادث تدل على أنهم كانوا يجتهدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فى كثير من الاحكام ولم يعنفهم .

١ ــ قال لهم رسول الله يوم الأحزاب : (لا يصلين أحد منكم العصر الا فى بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق حين أدركتهم الصلاة ، وقال : لم يرد منا التأخير ، وانما أراد سرعة النهوض ، وتعجيل المسير ــ فنظروا الى المعنى ــ واجتهد آخرون وأخروها الى بنى قريظة ، فصلوها ليلا ــ ونظروا الى اللفظ ــ قال ابن القيم تعليقا على هذا : وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس .

٢ ــ ولما كان على رضى الله عنه باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم هو ابنى ، فأقرع على بينهم ، فجعل الولد للذى خرجت له القرعة ، وجعل عليه للرجلين ثلثى الدية ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء على رضى الله عنه .

٣ ــ ومسألة الزبية مشهورة عن على كذلك ، روى أن قوما من أهل اليمن حفروا زبية للأسد ، فاجتمع الناس على رأسها ، فهوى فيها واحد ، فجذب ثانيا ، فجذب الثانى ثالثا ، ثم جذب الثالث رابعا ، فقتلهم الأسد ، فرفع ذلك الى على رضى الله عنه فقال : للأول ربع الدية لأنه هلك فوقه ثلاثة ، وللثانى ثلث الدية لأنه هلك فوقه اثنان ، وللثالث نصف الدية لأنه هلك فوقه واحد ، وللرابع كمال الدية ، وقال فانى أجعل الدية على من حضر رأس البئر ، فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو كما قال .

٤ ــ واجتهد سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، وحكم فيهم باجتهاده ، أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ، فصوبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات » .

٥ ــ وخرج رجلان من الصحابة فى سفر ، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيدا طيبا ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذى لم يعد ، أصبت السنة وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى توضأ وأعاد ، لك الأجر مرتين ، أى أنه صوبهما فى اجتهادهما .

٦ ــ وعن عمار قال : « أجنبت فلم أصب الماء ، فتمعكت الصعيد ، وصليت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : (انما يكفيك هذا) وضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، الى غير ذلك من الحوادث .

فهذه ونظائرها نماذج لفقه الصحابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند غيبتهم عنه ، حيث لايجدون نصا من كتاب أو سنة . وقد وجدوا فى ذلك مندوحة ، لأن يجتهدوا على ضوء ما عرفوه من شريعة ربهم ، وهدى نبيهم .

الفتوحات الاسلامية ومقتضياتها :

أخذ الفتح الاسلامى يبسط نفوذه فى عهد الخلفاء الراشدين على الأقطار

المجاورة للجزيرة العربية ، ودخل تحت لواء الاسلام من أصحاب الحضارات القديمة ناس من الفرس والروم ، لهم من العقائد والتقاليد والأنظمة ما يتنافى كله أو جله مع العقيدة الاسلامية وشريعتها الغراء ، وطبيعة هذا الفتح تستوجب ثقل المسئولية وعظيم التبعة على المسلمين الفاتحين ، وتستدعى من الخلفاء أن يواجهوا هذا بتنظيم الجيوش وامدادها ، وتولية الولاة على البلاد المفتوحة ، وادارة شئونها .

وباتساع الفتوحات الاسلامية تتجدد مشكلات الناس ، وتجد أقضية لم تكن معهودة من قبل ، وليس لها أصل فى كتاب أو سنة ، وكان موقف الصحابة من القضايا الجديدة أن يجتهدوا فيها ، فمنها ما اتفقوا فيه على رأى ومنها ما اختلفوا فيه .

أهم القضايا التى اتفق عليها الصحابة :

١ ــ كانت القضية الأولى التى واجهها الصحابة اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قضية الخلافة ، حيث اختلفوا فيمن يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى سياستهم وتدبير شئونهم ، أما الأنصار فظنوا أن الأمر ينبغى أن يكون فيهم ، لأنهم آووا النبى صلى الله عليه وسلم والذين هاجروا ، وخاضوا المعارك فى سبيل الله ، فاجتمعوا بالفعل ، وأزمعوا أن يبايعوا رجلا منهم بالخلافة ، ورشحوا سعد بن عبادة زعيم الخزرج . ولكن الأمر انتهى الى زعماء المهاجرين ، فأسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الى الأنصار ، ودار بينهم شىء من الجدال ، وخطب فيهم أبو بكر ، وقال لهم نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وأقنعهم بالأمر حتى سمحت نفوسهم ، ثم أسرع عمر الى بيعة أبى بكر فتبعه الأنصار ، وبايع بعد ذلك سائر المسلمين .

٢ ــ وكانت القضية الثانية التى واجهها الصحابة هى امتناع جماعة من العرب عن أداء الزكاة ، فعزم أبو بكر أمره على قتالهم ، ولم يكن من رأى عمر بادىء الأمر قتال هؤلاء لأنهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فظل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره للقتال ، واتفق الصحابة عليه .

٣ ــ ومن القضايا التى اتفقوا عليها كذلك جمع القرآن ، فقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن قد جمع فى مصحف واحد ، وليس هناك فى كتاب أو سنة ما يدل على جمعه ، ولكن عمر رأى ضرورة ذلك بعد موقعة اليمامة ، وظل يراجع أبا بكر حتى اقتنع بذلك ، وصار هذا اجماعا من الصحابة .

٤ ــ وشاور عمر فى تدوين الدواوين ، وكان قد اتبع رأى أبى بكر فى التسوية بين الناس فى الأعطية ، فلما جاء فتح العراق رأى التفضيل فيما بينهم بقدر بلاء الرجل وجهاده ، واستشار فى ذلك ، وانتهى الأمر الى قول عمر : « ما من أحد الا له فى هذا المال ، وما أنا فيه الا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته » .

أهم القضايا التى اختلفوا فيها :

١ ــ تدخل الأرض فى البلاد المفتوحة عنوة فى عموم الغنيمة التى قال الله تعالى فيها : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ومقتضى هذا أن تقسم الأرض المغنومة قسم الغنائم ، فيكون أربعة أخماسها للغزاة ، والخمس للمصالح العامة المذكورة فى الآية ، ولما فتحت الفتوحات فى زمن عمر سأله الصحابة قسمة الأرض التى فتحت عنوة بين الغانمين ، ولكن عمر رأى أن مستقبل المسلمين فى هذه البلاد وما تحتاجه من نفقات فى ادارتها وتنظيم شئونها وتحقيق مصالح الناس فيها يستدعى التفكير فى ابقاء هذه الأرض دون أن تقسم ، حتى يبقى لمن يجىء بعد الغانمين شىء ، وذلك بوقفها على مصالح المسلمين ، لهذا رأى عمر ترك الأرض لأهلها ، على أن يوضع عليهم ما يحتملون من خراج تكون منه أعطيات المسلمين ، وما يحتاجون اليه من نفقات للجند والقضاة والعمال وسد حاجة المعوزين من اليتامى والمساكين ، ووافق عمر على رأيه جماعة من الصحابة ، منهم عثمان وعلى ومعاذ بن جبل ، وطلحة ، وخالفه آخرون ، منهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، ورأوا أن تقسم الأرض ، ويقسم أربعة أخماسها على الغزاة ، والخمس لمن ذكروا فى كتاب الله تمسكا بآية الغنيمة .

وقد حاول بعض الفقهاء تبرير فعل عمر كما رواه أبو يوسف فى الخراج ، وذلك لقول الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الى قوله سبحانه : (والذين جاءوا من بعدهم) ونقل عن عمر أنه قال فى هذه الآية : فكيف أقسم لكم وأدع من يأتى بغير قسم ، فأجمع على تركه ، وجمع بين خراجه واقراره فى أيدى أهله ، ووضع الخراج على أيديهم والجزية على رءوسهم .

٢ ــ حد الخمر : كان الأمر قبل خلافة عمر فى عقوبة شارب الخمر على الضرب بالأيدى والنعال وأطراف الثياب دون حد مقدر ، حيث لم يفرض الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخمر حدا ، ولم يسن سنة ، فلما جاء عمر استشار الناس بعد أن كثر شرب الخمر ، فقال عبد الرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر .

٣ ــ الطلاق الثلاث : وأمضى عمر بن الخطاب الطلاق الثلاث على خلاف ما كان الأمر قبله (فعن طاوس عن ابن عباس أنه قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا أمرا كان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم) .

٤ ــ صلاة التراويح : ومما ينسب الى عمر جمع الناس على صلاة التراويح فى رمضان ، وقد جاء قيام رمضان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحابته جماعة ، ثم ترك ذلك مخافة أن تجب عليهم ، وقد صلاها الناس فرادى فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدرا من خلافة عمر ، فخرج عمر ليلة فرأى الناس أوزاعا يصلون فى المسجد فقال : لو جمعتهم على امام ؟ فأمر أبى بن كعب فصلى بهم ، ثم خرج

ليلة أخرى فرآهم مجتمعين على أبى بن كعب فصلى بهم ، كما ينسب اليه زيادة النفل فى رمضان أو غيره على احدى عشرة ركعة الى عشرين ركعة أو أكثر ، وهذا أمر لم يتم الاتفاق عليه .

٥ ــ المعهود فى حقوق العبد ، التنصيف ، واختلفوا فى الطلاق عند اختلاف الزوجين فى الحرية والرق ، فأفتى عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت بأن الحرة تكون زوجة للعبد تحرم الحرمة المؤبدة بطلقتين ، واعتبروا الطلاق بالزوج لأنه الموقع للطلاق ، وهو الذى بيده عصمة النكاح ، وخالفهما على ، فقال لا تحرم إلا بثلاث طلقات ، أما الأمة تكون زوجة للحر فتحرم بطلقتين ، فاعتبر الطلاق بالزوجة لأنها هى التى وقع عليها الطلاق .

٦ ــ قال الله تعالى : (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وقال : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكر الله فى المطلقات أن عدة الحوامل أن يضعن حملهن وذكر فى المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا ، فعلى الحامل المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا وأن تضع حملها حتى تأتى بالعدتين معا ، اذ لم يكن وضع الحمل انقضاء للعدة هنا الا فى الطلاق ــ ويقول غيرهم : اذا وضعت ذابطنها فقد حلت ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : من شاء باهلته ، أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى ، يعنى البقرة ، ومآله تخصيص آية البقرة بآية الطلاق .

٧ ــ سهم المؤلفة قلوبهم : عن ابن سيرين عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس الى أبى بكر فقالا : يا خليفة رسول الله ان عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تعطيناها ؟ فأقطعها اياهما ، وكتب لهما عليها كتابا ، وأشهد وليس فى القوم عمر ، فانطلقا الى عمر ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما فى الكتاب ، تناوله من أيديهما ، ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما ، والاسلام يومئذ قليل ، وان الله قد أغنى الاسلام ، اذهبا فاجهدا جهدكما ، لا يرعى الله عليكما ان رعيتما .

فقد خالف عمر فى ذلك أبا بكر رضى الله عنهما ، ثم أمضى أبو بكر ما فعله عمر ، مما يدل على أنه سوغ له اجتهاده ، مع أن سهم المؤلفة قلوبهم مذكور بنص القرآن فى مصارف الزكاة : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) .

٨ ــ واختلفوا فى الجد : فقال زيد بن ثابت ــ وهو المروى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود ــ يورث مع الأخوة ــ وقال أبو بكر ــ وروى عن عائشة وابن الزبير وعبد الله بن عقبة ــ أنهم جعلوه أبا وأسقطوا الأخوة معه .

تفرق العلماء فى الأمصار :

بدأت الفتوحات الاسلامية تتسع فى عهد عمر بن الخطاب ، وظلت موجة المد الاسلامى فى المشرق والمغرب تشق طريقها من بعده ، وكان لا بد للعرب المسلمين الفاتحين أن يؤهلوا أنفسهم لحكم البلاد التى فتحوها بالعلم والمعرفة ،

ولا بد للذين دخلوا فى الاسلام من غير العرب أن يتعلموا العربية لدينهم ولدنياهم فا ستتبع الفتح الاسلامى حركة علمية فى البلاد المفتوحة .

وكان عمر يميل الى استبقاء كبار فقهاء الصحابة بالمدينة للاستعانة بهم فى الفتيا عند عرض المشكلات ، والحيلولة بينهم وبين الاشتغال بالحياة الدنيا ومظاهر الحكم ، ولكنه مع ذلك أرسل بعض الصحابة معلمين فى الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات ، وكتب عمر الى أهل الكوفة : « انى بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسى ، فخذوا عنه » فقدم الكوفة ونزلها ، وابتنى بها دارا الى جانب المسجد . .

وبعد عهد عمر كثر انتشار الصحابة فى البلاد المفتوحة ، وقد أنشأ هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا فى الأمصار حركة علمية فى كل مصر نزلوا فيه ، ولدى كل واحد منهم من العلم ما قد لا يكون مع الآخر ، وكونوا مدارس منهجية فى تعليمهم ، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم ، فتخرج عليهم التابعون ، وتأثرت البلاد التى نزلوا فيها بشخصياتهم ، ونهجوا فى العلم مناهجهم ، ومن الطبيعى أن تزدهر هذه الحركات العلمية فى المدن خاصة ، لأنها أكثر ناسا وأوفر عمرانا ، وقد تميز فى هذه الحركة منهجان :

أحدهما : منهج أهل الرأى أو مدرسة الكوفة بالعراق . والثانى : منهج أهل الحديث أو مدرسة المدينة بالحجاز .

١ ــ مذهب أهل الرأى فى العراق :

ربما كان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة فقها للنصوص واجتهادا فى فهمه ، واقداما على ابداء الرأى فيه ، والمشكلات التى اعترضت الصحابة ، واجتهدوا فيها تعطى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الميزة فى أكثر من موضع ، وان كان قد حرص على استشارة الصحابة ، والتريث فى الأمور ، فعن الشعبى قال (كانت القضية ترفع الى عمر رضى الله عنه فربما تأمل فى ذلك شهرا ويستشير أصحابه ، واليوم يفصل فى المجلس مائة قضية) وسار عبد الله بن مسعود رضى الله عنه على طريقة عمر ، وتأثر به فى آرائه ، وروى عنه أنه قال (انى لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم) وجاء فى أعلام الموقعين أن ابن مسعود كان لا يكاد يخالف عمر فى شىء من مذاهبه ، وقال الشعبى (كان عبد الله لا يقنت ولو قنت عمر لقنت عبد الله) وهذا يدل على ان ابن مسعود نهج منهج عمر فى التفكير والاستنباط والرأى حيث لا نص . وروى عن ابراهيم النخعى أنه كان لا يعدل بقول عمر ، وابن مسعود اذا اجتمعا ، فاذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب لأنه كان ألطف .

وقد عرفت من قبل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عبد الله بن مسعود الى أهل الكوفة ليعلمهم ، وكانت حركته العلمية فى العراق كبيرة واسعة ، ونهج تلاميذه نهجه من بعده فاعتبرت مدرسة ابن مسعود بالعراق نواة لمدرسة الرأى حتى نسب اليها بعض التابعين فقيل (ربيعة الرأى) .

ويرجع انتشار مدرسة الرأى فى العراق الى الأمور الآتية :

١ ــ تأثرهم بالصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى كان من منحى عمر بن الخطاب واستاذ الكوفة كما عرفنا .

٢ ـــ كان الحديث فى العراق قليلا اذا قيس الى ما لدى أهل الحجاز ، موطن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة .
٣ ـــ والعراق متاخم للفرس ، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالا وثيقا ، وذلك من شأنه أن يحدث كثيرا من المسائل الجزئية والمشكلات المتعددة التى تحتاج الى إعمال الرأى .

٤ ـــ وكان العراق موطن الشيعة والخوارج ، وعلى أرضه دارت الفتنة ، ثم شاع الوضع فى الحديث تأييدا للمذاهب السياسية ، وهذا جعل علماءه فى مدرسته يقلون من رواية الحديث ويتحفظون فيها ، تحرزا من الوقوع فى الأحاديث الموضوعة ، فكانت الاحاديث التى يعول عليها لديهم قليلة ، وهذا يدعوهم عند النظر فى المسائل الى القول بالرأى حيث لا نص .

مميزات مدرسة أهل الرأى :

١ ـــ كثرة تفريعهم الفروع لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث نظرا لتحضرهم ، وقد ساقهم هذا الى فرض المسائل قبل أن تقع ، فأكثروا من أرأيت لو كان كذا ؟ فيسألون المسألة ويبدون فيها حكما ثم يفرعونها بقولهم (أرأيت لو كان كذا ؟) ويقلبونها على سائر وجوهها المكنة وغير المكنة أحيانا ، حتى سماهم أهل الحديث (الأرأيتيون) وقال سعيد بن المسيب لربيعة الرأى وقد اعترض عليه فى مسألة (أعراقى أنت ؟) وقدم على مالك بن أنس ، أسد بن الفرات ، قال أسد : وكان أصحاب مالك يهابونه فى السؤال فكنت اسأله عن المسألة ، فاذا أجاب يقولون قل له : فان كان كذا ، فأقول له ، فضاق على يوما فقال : هذه سليسلة بنت سليسلة ، ان أردت هذا فعليك بالعراق .
٢ ـــ قلة روايتهم للحديث واشتراطهم فيه شروطا لا يسلم معها الا القليل .

مذهب أهل الحديث فى الحجاز :

كان للمدينة منزلة خاصة باعتبارها دار الهجرة التى نزل فيها التشريع وشهدت ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا ، وعاش فيها الخلفاء الراشدون ، فأصبحت مهد السنة ، ومنبع الحديث ، وملتقى الصحابة ، وهذا يجعل أهلها أثبت الناس بالفقه وأشدهم تمسكا بالرواية ، ووقوفا عند الآثار .

ومدرسة المدينة فوق هذا تستقى منهجها من شيوخها الأوائل الذين فى مقدمتهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم جميعا ، وقد عرف ابن عمر بحرصه الشديد على تتبع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتزاز به ، وتأثر بهذا المنهج تلاميذه الذين حملوا لواء العلم بهذه المدرسة ، وفى مقدمتهم سعيد ابن المسيب الذى أكب على جمع الآثار وفتاوى الصحابة ، وحفظ كثيرا منها ، وقيل فيه انه أعلم الناس بما تقدمه من الآثار ، وأفقههم فى رأيه . وعن ميمون ابن مهران قال : (أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد فسألته) ومن هذه المدرسة الشعبى الذى يقول : (ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله فخذوه ، وما كان من رأيهم فاطرحوه فى الحسن) .
ومذهب مدرسة أهل الحديث أنهم اذا سئلوا عن شىء فان عرفوا فيه آية أو حديثا أفتوا والا توقفوا ، روى عن رجل سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شىء فقال : لم أسمع فى هذا شيئا ، فقال له الرجل : فأخبرنى أصلحك الله

برأيك قال : لا ، ثم أعاد عليه فقال : انى أرضى برأيك فقال سالم : أنى ؟ لعلى أن أخبرتك برأيي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأيا غيره فلا أجدك .

وترجع أسباب وقوف أهل الحجاز عند النصوص الى الأمور الآتية :

١ ــ تأثرمدرستهم بالمنهج الذى التزمه علماؤهم كما ذكرنا فى حرصهم على الاحاديث والآثار وتجنبهم الاخذ بالرأى وإعمال القياس الا اذا كانت هناك ضرورة ملجئة .

٢ ــ ما لديهم من ثروة كبيرة لدى الصحابة الذين استوطن أكثرهم الحجاز عامة والمدينة خاصة من أحاديث وآثار .

٣ ــ بساطة الحياة لدى أهل الحجاز وقلة مشكلاتهم ــ حيث كانوا على الفطرة الاولى بمنأى عما تحدثه المدنية الفارسية أو اليونانية من تفريع للمسائل .

٤ ــ بعدهم عن مواطن الفتنة وبواعث النزاع بالنسبة لما كان عليه الأمر فى العراق .

ومن مميزات هذه المدرسة :

١ ــ كراهيتهم لكثرة السؤال وفرض المسائل وتشعب القضايا .
٢ ــ الاعتداد بالحديث والوقوف عند الآثار .

وكان بين أهل الرأى وأهل الحديث منافسة شديدة ، وعاب كل فريق منهم طريقة الآخر ، وان كان من بين الحجازيين من يميل الى الـرأى كربيعة بن عبد الرحمن شيخ الامام مالك ــ أخرج مالك فى الموطأ عن ربيعة قال : سألت سعيد ابن المسيب : كم فى اصبع المرأة ؟ قال عشرة من الابل ، قلت ففى اصبعين ؟ قال : عشرون ، قلت : ففى ثلاثة ، قال : ثلاثون ، قلت : ففى أربع ؟ قال : عشرون . قلت : حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها ؟ ! فقال له سعيد : أعراقى أنت ؟ فقال ربيعة : بل عالم مستثبت أو جاهل متعلم ، فقال سعيد : هى السنة . يشير بهذا الى ماأخرجه النسائى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : (عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث من ديتها) ومع ورود النص لا مجال للعقل ، ولذلك عاب سعيد على ربيعة ما يعيبه على العراقيين يومئذ من تحكيم العقل فى النصوص .

الفقهاء السبعة :

وقد اشتهر من مدرسة أهل الحجاز الفقهاء السبعة :

قال ابن القيم فى أعلام الموقعين : وكان المفتون بالمدينة من التابعين : ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هاشم ، وسليمان بن يسـار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهؤلاء هم الفقهاء ، وقد نظمهم القائل فقال :

اذا قيل من فى العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل : هم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وعن هؤلاء السبعة انتشر فقه أهل المدينة وعلى يدهم تخرج من جاء بعدهم من الفقهاء ، وتعتبر مدرسة الفقهاء السبعة المدرسة الفقهية الأولى فى هذا العصر ، حتى سمى باسمهم ، فقيل عصر الفقهاء السبعة ، وكان عملهم الفقهي أساسا لمنهج الفقه الاسلامى فى البحث والنظر .

للحديث بقية

حوار حول الجهاد الأكبر

للأستاذ: أحمد محمد جمال
مكة المكرمة

خلال حوار علمي فكري رائع .. تحدث فريق من العلماء والمفكرين حول (الجهاد الاكبر) ، وقد رأينا أن لا نحرم منه قراء « الوعي الاسلامي » لأنه جزء من رسالتها الفكرية السامية ، ولأن المسلمين — اليوم — أحوج ما يكونون الى (وعي) حقيقة الجهاد الاكبر .. الذي هو في نظرنا دواء دائهم ، وقوة عيائهم ، ومجدد أمر دينهم ، وباعث عزائمهم ، ومحقق مكارمهم .

يرى (بعضهم) ان الحديث المشهور : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : جهاد النفس » وهو بلفظ آخر : « قدمتم خير مقدم .. وقدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : مجاهدة العبد هواه » — يرى بعضهم ان هذا الحديث ضعيف الاسناد . وقد رواه السيوطي في الجامع الصغير وحكم عليه بالضعف ، كما حكم به البيهقي والعراقي ايضا .

فالحديث — في نظر هذا البعض — واه ضعيف . مع ان كثيرا من العلماء يدافع عنه ويرى معناه صحيحا ، وهو يعارض معارضة بينة قوله تعالى : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم — فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » (١) .

---

(١) سورة النساء / ٩٥ .

راى الامام ابن القيم

● قال (أحدهم) : ان العلامة ابن القيم رحمه الله يقول فى كتابه « الفوائد » تعليقا على قول الله عز وجل « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٢) : علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا . وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الاهواء الاربعة فى الله هداه الله سبل رضاه الموصلة الى جنته ... ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر الا من جاهد هذه الأعداء باطنا ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه » اهـ — افلا نفهم من قوله أفرض الجهاد جهاد النفس .. ما يهدف اليه الحديث النبوى الذى ضعفوه : (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) ومن قوله « ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا » ما يهدف اليه الحديث الآنف الذكر ؟ ثم أن هزيمتنا أمام الشرذمة الباغية (اسرائيل) يؤيد ما ذهب اليه ابن القيم رحمه الله فى قوله : « ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا » وكأنه رحمه الله قد شاهد هزيمتنا ، ورأى أنها نتيجة انهزامنا امام انفسنا وأهوائنا والشيطان !

راى العلامة المناوى

● قلت : وكابن القيم يرى العلامة (المناوى) « أن الجهاد الاصغر هو جهاد العدو المتبين ، والجهاد الأكبر هو جهاد العدو المخالط — أى النفس — » ، وهو راى كثير من علماء السلف — رحمهم الله — الذين يرون أن معنى الحديث صحيح ، وان كان من حيث السند ضعيفا .

وتعقيبا على استدلال (بعضهم) بآية « لا يستوى القاعدون .. » قلت : ان فضل المجاهد على القاعد أمر غير منكر ، ولا خلاف بل اختلاف بيننا فى هذا الفضل العظيم الذى ميز الله به المجاهدين على القاعدين .

وانما نرى أن جهاد النفس يجب أن يسبق جهاد العدو ، كاعداد وتربية تمهد للقتال وتمكن من الانتصار .. كما نرى أن المسلم الذى يعجز عن مجاهدة أهوائه يعجز — بالتالى — عن مجاهدة أعدائه .. تماما كما هو الحال فى (الطهارة) لا تتم الصلاة الا بها ، ومع ذلك فليست الأولى أفضل من الثانية . والقعود مجردا ليس أفضل من الجهاد ، ولا القعود للتربية والاعداد أفضل من الجهاد مطلقا . وانما كانت الأهمية والأسبقية لجهاد النفس .. لأنه الوسيلة والمقدمة والسلم للانتصار فى مجاهدة الاعداء .

فليلاحظ الفرق الواضح بين القول : ان القعود أفضل من الجهاد ، وهو بلا شك باطل حكم ببطلانه القرآن الكريم ، وبين القول : ان جهاد النفس مقدم وسابق على جهاد العدو .

وقريب من هذا المعنى قول أبى الطيب :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهى المحل الثانى

---

(٢) سورة العنكبوت / ٦٩ .

جهاد النفس فرض عين

● فرد (ثالث) : يجب أن لا يغيب عن البال أن جهاد العدو فرض كفاية ، بينما جهاد المسلم لأهوائه فرض عين . كما أن الأول مؤقت والثاني دائم .. لان القتال استثناء ، والسلام — فى الاسلام — هو القاعدة . واصلاح الأنفس وتربيتها على الحق والعدل والخير ، واعدادها للدعوة الاسلامية قولا وعملا وحكما وسياسة هو المطلوب دائما ، من أجل تسعيد المجتمع الاسلامى ، وترشيد أفراده ، وجعله مثالا يحتذى صدقا وعدلا ، ومروءة وفضلا .

● وعاد (البعض) يردد : ان المستعمرين وجدوا فى هذا الحديث الضعيف سندا ، والذى يصحح كثير من العلماء معناه — وجدوا فيه صارفا للمسلمين عن الجهاد الحقيقى .. الذى هو جهاد العدو — فى نظرنا — وذلك بتصويره جهادا أصغر كما جاء فى لفظ الحديث !

موقف الاستعمار من الحديث

● قلت : ان المستعمرين كانوا أذكى وأوعى لمعنى الحديث الذى قيل أنه ضعيف الاسناد — فذهبوا منذ زمن طويل يحببون الى المسلمين اللذائذ والشهوات وانتهاك الحرمات ، واختلاط الاولاد بالبنات ، ويطعنون فى أحكام الاسلام وآدابه ، وبذلك أسكتوا فى نفوسهم هاتف (الجهاد الأكبر) ، جهاد النفس ، فانغمس المسلمون فى متع الحضارة الغربية المادية ، وشغفوا بزخرفها .. فكان ما كان من ضعفهم عن الجهاد الاصغر ، وانهزامهم أمام أحقر الدول وأذل الشعوب .

وبين أيدينا بروتوكولات صهيون ، وأعمال المبشرين ، ومفتريات المستشرقين : شواهد قائمة على صدق ما نقول من خدمة أعدائنا فى معرفة حقيقة (الجهاد) التى صرفونا عنها باسم التطور والتحضر ، والتحرر من مكارم الاخلاق ، التى بعث من أجلها الرسول صلى الله عليه وسلم وأنزل علينا القرآن الكريم .

موقف الفقهاء من الأحاديث الضعيفة

● قال هذا (البعض) نفسه : ان الحديث ضعيف السند كما ترون . وكم أساءت الأحاديث الضعيفة الى السيرة النبوية ، بل الى الشريعة الاسلامية .. حيث كانت — الأحاديث الضعيفة — سببا للاختلاف بين العلماء والفقهاء !

● قلت : اننى أخالفكم فى هذا أيضا .. فالحديث الضعيف — كما قال الامام أحمد رضى الله عنه — « خير من آراء الرجال » . ولذلك يؤخذ به فى فضائل الأعمال ومناقب الرجال . كما أن الامام أبا حنيفة رحمه الله يقدمه على القياس الذى هو الأصل الثالث من أصول التشريع الاسلامى .

ومن ناحية أخرى نرى أن الحديث الضعيف عند هذا الامام أو ذاك الفقيه .. صحيح عند امام أو فقيه آخر . وربما كان — من وجهة نظر بعضهم —

صحيح المعنى ، أو أنه مؤيد بسنة متبعـــة أو عمـــل جار أو بآيات وأحاديث أخرى .

وهناك أحاديث نبوية صحيحة السند عارضتها فى المعنى أحاديث مثلها صحيحة السند ، فاضطر العلماء والفقهاء الى تأويلها للجمع بينها ، أو الى القول بنسخ السابق للمسبوق .

ولا شك أن نظام الجرح والتعديل ــ أى معرفة رجال الحديث النبوى بما يسمى مصطلح الحديث ــ هو مما امتازت به الشريعة الاسلامية على كافة الشرائع والأديان السماوية والوضعية ، اذ به حفظت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى الأصل الثانى للتشريع الاسلامى ، كما تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن من التحريف : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٣) .

والحديث ــ موضوع البحث ــ وان كان ضعيف الاسناد ، الا أنه صحيح المعنى ، سليم المتن ، ولا نزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قاله ، ولكننا نرى أن آيـــات كثيرة من القرآن وأحاديث أخرى من ســـيرة الرسول وتاريخ الصحابة تؤيد معناه .

الجهاد الأكبر .. هو جهاد النفس

أجل ان الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ــ كما يرى ذلك كثير من علماء السلف والخلف . وهذا لا يعنى أن يقعد المسلمون عن قتال أعدائهم وخصماء دينهم . بل يعنى أن جهاد النفس هو المقدمة والوسيلة والسلم للجهاد الأصغر الذى هو جهاد العدو .. لأنه لا نتيجة بلا مقدمة ولا غاية بلا وسيلة ، ولا ارتقاء بلا سلم ، ولا انتصار على عدو الا بقوة نفسية وأخلاقية ، ولا شجاعة صحيحة الا برأى حكيم ــ كما قال أبو الطيب .

والجهاد الأكبر هو جهاد النفس لأنك « لا تجنى من الشوك العنب » كما يقول المثل العربى .. لا تجنى من النفوس التى طمست بصائرها المعصية ، وشدت على ضمائرها القسوة ، وعميت عليها الأنباء والسبل ، وركنت الى الشهوات والملاذ ــ انك لا تنتظر من هذه النفوس : نفوس الجبناء والفساق : قوة أمام العدو ، ولا جراة على القتال ، ولا صبرا على التضحية والفداء ، ولا رغبة فى النصر أو الشهادة .

لذلك كان جهاد النفس أكبر من جهاد العدو ، فهو الذى يمهد له ويحققه ، ويجعله محببا ميسورا ، ويدفع بالرجل التقى الصالح ، الى ساحة الجهاد ، وهو مبتسم فرح بلقاء العدو ، بل تراه فى ميدان المـــعركة يتشمم ريح الجنة التى تنتظره اذا قتل شهيدا ، وتسمعه وهو يهتف : (هبى ريح الجنة) !

وتراه .. وهو ينطلق الى الجهاد ، قاذفا بما فى يده من طعام شهى ، أو هاجرا عروسه الجميلة الحبيبة ولما يكمل ليلته معها ــ كما حدث لحنظلة بن أبى عامر ــ أو متمنيا لقاء ولده المشرك ليقتله وابنه يتحاماه ــ كما حدث لأبى

---

(٣) سورة الحجر / ٩ .

بكر رضى الله عنه فى غزوة بدر .. الى آخر تلك النماذج الصالحة المؤمنة التى رباها الاسلام فى مدرسته ، وصنعها الرسول على عينه ، وأنشأها القرآن على التقوى ، على جهاد النفس ، الجهادالاكبر ، حتى كان الله ورسوله فى قلوبها وسلوكها أحب اليها من أنفسها وولدها والناس اجمعين .

فلا شيء — الا الجهاد الاكبر جهاد النفس أو (مجاهدة العبد هواه) — يجعل الرجل مؤمنا صادق الايمان ، تقيا صحيح التقوى ، جريئا على لقاء أعدائه ، زاهدا فى متاع الدنيا وزينتها ، مؤثرا الشهادة فى سبيل الله على الزوجة والولد والحياة .

ومن هنا جاءت الآيات القرآنية تؤيد معنى الحديث ، وان كان ضعيف الاسناد . جاء القرآن يحث على (التقوى) فى آيات كثيرة مكررة . كما يحث على (الايمان) أيضا . والايمان والتقوى هما الجهاد الأكبر .. جهاد النفس .

ولذلك قال الله عز وجل — فى سورة الحجرات(٤) — : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ..) وقال بعد ذلك : (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون) .

فلنتأمل قوله « ثم لم يرتابوا » فمعناه : أنهم آمنوا بالله ورسوله ولم يرتابوا فيما أمرا به وفيما نهيا عنه ، وفيما وعدا به من حسن المثوبة على صالحات الأعمال .

وهؤلاء الذين : (آمنوا .. ثم لم يرتابوا) هم المجاهدون لأنفسهم ، ومجاهدتهم لأنفسهم هى الجهاد الأكبر ، لأنهم صبروا على شدائد الطاعات ، وفطموا أنفسهم عن لذائذ المنكرات ، وقاوموا مغريات الشح والبخل بالمال والنفس فبذلوهما فى سبيل الله عن رضى وسماح .

الايمان : قول وعمل ونية

● فقال (بعضهم) : ان الايمان بتعريف السلف هو قول وعمل . قال الامام الشافعى رضى الله عنه — فى الأم — وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : ان الايمان قول وعمل ونية لا يجزى واحد من الثلاثة عن الآخر » فكيف تقولون : ان الايمان والتقوى هما الجهاد الأكبر جهاد النفس ؟

● قلت : إننى لم أقصد التعريف الحرفى للايمان ، والذى يفرق بينه وبين الاسلام والاحسان .. كتحديد لكل معنى من المعانى الثلاثة ، كما يفعل المؤلفون والمدرسون بالنسبة للطلاب أو المبتدئين فى معرفة الدين .. وانما قصدت المفهوم الكلى للايمان وثمراته ، مضافا اليه التقوى التى هى الائتمار والازدجار . وبهذا المفهوم لا تختلفون معى فى القول : بأن الايمان والتقوى معا هما الجهاد الاكبر ، جهاد النفس — فالايمان كما يراه الشافعى وكما يراه السلف من

---

(٤) الآية / ١٥ .

صحابة وتابعين — كما نقلتم عنه — قول وعمل ونية وهذه الثلاثة مجتمعة هي : الجهاد الأكبر جهاد النفس .. حتى تؤمن بالله ورسوله وكتابه عقيدة وقولا وسلوكا ، فتتقي محارمه وتجتنب معاصيه ، وتقبل على طاعاته وعباداته ، وتجاهد أهواءها الباطنة أو المخالطة — كما يقول المناوى — ثم تجاهد عدوها الخارجي ، حيث ترى الدنيا — فى عينيها — رخيصة وما عند الله أبقى واغلى واجل .

فلا فرق — اذن — ولا اختلاف بين المعانى والمقاصد الكلية لكلتا العبارتين عن (الايمان) وقد جاءت (التقوى) فى عبارتى زيادة فى تأكيد المعنى وتوضيحه وتركيزه .

لا طمانينة فى الحديث الى القعود !

أما قولكم : ان الحديث يعطى الطمأنينة ، ويحبذ القعود .. للمسلمين ، فهو ان كان له هــذا الأثر ، فذلك بالنسبة للمسلمين المحسوبين على الاسلام بأنسابهم أو بشهادات ميلادهم .. الذين (ارتابوا) فى دين الله ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، انهم لا يكفون عن معصية ، ولا يفرون الى طاعة ، وان صلوا أو صاموا فليس لهم من صــلاتهم أو صيامهم الا القيام والقعود ، والا العطش والجوع . لأنهم لم يصدقوا الله ايمانا ، ولم يخلصوا لرسوله اتباعا .

الجهاد .. فى الحديث النبوى

وكذلك قدم الحديث النبوى (الايمان) بالله ورسوله على الجهاد . لأن الايمان هو التربية على الجهاد ، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه البخارى ومسلم : (سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ فقال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم مــاذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) .

وفى الحديث النبوى : « أفضل الجهاد : كلمة حق عند سلطان جائر) . وكلمة الحق هنا تعنى الأمر بالمعــروف والنهى عن المنكر ، فهو لون من الوان الجهاد الأكبر جهاد النفس ، وأفضل هذه الألوان من جهاد النفس : أن يكون الأمر والنهى موجهين الى سلطان مرهوب البطش ، مخوف السطوة .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى حديث معروف — من تداعى الأمم علينا ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، على الرغم من كثرتنا ، ولكننا غثاء كغثاء السيل .. وذلك لانكبابنا على حب الدنيا وملذاتها ، وانتزاع المهابة من قلوب أعدائنا لنا .

وفى الحــديث النبوى أيضا — أن شابا قــويا مر بين أيدى الصحابة والرسول عليه الصلاة والسلام معهم ، فقال بعضهم : لو كان هذا فى سبيل الله ! أى تمنوا أن يكون شبابه وجلده ونشاطه جهــادا فى سبيل الله . فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوضح لهم أن الجهاد فى سبيل الله ليس هو لقاء العدو فى الميدان وحده ، فهناك الوان من الجهاد فى سبيل الله قد

تساوى أو تفضل مجـاهدة الأعداء فى معـترك القتال . قال عليه الصلاة والسلام : انه اذا كان يسعى على نفسه يكفها عن سؤال الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين فهو أيضا فى سبيل الله — أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

فهذا نموذج تربوى نبوى يعطينا الـدليل الساطع على أن السعى على النفس أو الأهل للاستغناء والتعفف عن مساءلة الناس ، وللاستعلاء على هوان الحاجة — هو جهاد فى سبيل الله يضارع جهاد الأعداء — بل يفوقه ويسبقه والا لما دافع الرسول عليه الصلاة والسلام عنه ، وأبرأ ذمة الشاب من الملامة عليه .

والنموذج الثانى من التربية النبوية على جهاد النفس : شاب آخر جاء اليه صلى الله عليه وسلم .. يستأذنه للجهاد فى سبيل الله ؟ فسأله الرسول : أحى والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهد !!

هذا التوجيه النبوى له نفس دلالة الاول ، ويزيد عليها بتقديم المجاهدة فى سبيل اغناء الأبوين عن ذل الحاجة وهوان المسألة على الجهاد فى الميدان .

الجهاد انـواع شتى

ان الحديث الاول يوجه الى أن الجهاد فى سبيل الله أنواع شتى ، وليس هو الجهاد مع العدو وحده .. فالجهـاد لصيانة الـوجه من ذل السؤال ، وللتكسب بطريق الحلال ، والجهاد لرعاية الأبوين وبرهما واكرامهما عن الحاجة — هما جهاد فى سبيل الله كجهاد العدو تماما ، بل يفضلان عليه .

أما الحديث الثانى فصريح فى ايثار الجهـاد بالعمـل المعيشي من أجل الكرامة النفسية والعائلية ، وحفظها من ذل الفاقة ، وهوان المسألة — ايثار ذلك على جهاد العدو ، اذ قال عليه الصلاة والسلام للشاب : (ففيهما فجاهد) ولم يأذن له بالخروج الى المعركة .

ونخلص من هذين النموذجين للتربية النبوية الرشيدة الى تأكيد ما سبق من أن مجاهدة النفس ، وتربيتها على الايمان والتقوى ، وعلى الخلق الكريم ، وعلى العزة والاباء ، وعلى السعى الجاهد للتكسب والاحتراف .. من أجل الاستغناء عن المسألة ، والارتفاع على مذلتها وهوانها — ان مجاهدة النفس وتربيتها على نحو ذلك هو الذى يليق بالمسلم ، وهو المقدمة والسابقة والوسيلة الى امكان مجاهدة العدو الخارجى ، على حالة من التقوى والكرامة والعزة ، تعين على الانتصار عليه .

ذلك أن النفس التى أذلتها الحاجة ، أو أخلدت الى المزيد من الشهوات والملاذ والأهواء ، أو أقعدها الكسل والجبن عن التكسب الحلال والاحتراف الكريم ، أو لازمها عدم الاهتمام بواجب أو حق فرضه الله عليها نحو أسرتها

ـ وفي مقدمتها الوالدان ـ هذه (النفس) ليست جديرة ... بل ليست قديرة على مجاهدة الاعداء في ميدان القتال .

الجهاد الاكبر .. في نظر عمر

ولنلاحظ هنا : أن عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني ـ والرجل المحدث الملهم ـ كان اذا بعث بعوثا لقتال العدو .. يحذر جنده من ارتكاب المعاصي ، ويقول لهم : انكم لا تنتصرون على عدوكم بكثرة ولا قوة ، فانهم أكثر منكم عددا واقوى سلاحا .. وانما تنتصرون عليهم بطاعتكم لله ، ومعصيتهم اياه !!

و (من يهن ـ كما يقول أبو الطيب ـ يسهل الهوان عليه) وفاقد الشيء لا يعطيه ، وانك لا تجني من الشوك العنب ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وتأتي على قدر الكرام المكارم ـ كما يقول أبو الطيب أيضا .

دروس من المعارك الاسلامية

وفي دروس التاريخ الاسلامي ، من خلال المعارك الاسلامية الاولى .. نجد صورا أو عبرا تؤيد كون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، بمعنى تربيتها وتقويمها على الايمان والطاعة والصبر والمصابرة ، والتزام المبادىء والاوامر التي تصدر من القائد الأعلى ، أو الرئيس أو الأمير أو الخليفة .

ان انهزام الجيش الاسلامي في معركة أحد وغزوة حنين ـ مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قائدهم ورائدهم ـ كان انهزاما أخلاقيا أساسا ثم عسكريا تبعا . فقد خالف الرماة أمر الرسول بعدم ترك الجبل والتزامه ولو أنهم رأوا الطير تتخطف الجيش ، أو حتى لو أنهم رأوهم منتصرين .. فنزلوا عن الجبل ، والتف عليهم خالد بن الوليد وكان يومذاك قائد فرسان المشركين ، فكانت الهزيمة ـ لان الرماة لم يجاهدوا أنفسهم وأهواءها في الرغبة في مشاركة المسلمين في جمع الغنائم .

وفي غزوة حنين أعجبت المسلمين كثرتهم ، فقالوا : لن نهزم أو نغلب اليوم من قلة . وقد منعهم أدب الاسلام من الاغترار بقوتهم أو كثرتهم ، لأن النصر من عند الله . فانهزموا تأديبا وتربية لهم ، وسجل القرآن الكريم الحادثة تذكيرا للمسلمين من بعدهم ، وتحذيرا من العجب والخيلاء ، والاعتداد بالنفس ، وترويضا على الايمان بالله ناصرا ومعينا : (.. ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) (٥) .

---

(٥) الآية ٢٥ من سورة براءة .

حربنا مع اسرائيل

ومن تجارب المسلمين الحديثة : حربهم مع اسرائيل خلال العشرين سنة الماضية ، أى منذ ١٩٤٨ حتى اليوم . انها مصداق لمعنى الحديث الذى يضعفون اسناده ، فنحن العرب : مئة مليون نحارب اسرائيل التى لا يزيد عدد سكانها على مليونين . نحن العرب أربع عشرة دولة نحارب دويلة حقيرة صغيرة ، نحاربها خلال عشرين سنة ولا ننتصر عليها ، بل هى التى تنتصر علينا ، وتسلبنا أرضا جديدة من أرضنا ، ونظل نشكو على من لا ينصفنا !

ولو كنا نجاهد أنفسنا لتحكيم (الاسلام) فى أخلاقنا وأسرنا ومجتمعاتنا ، وصبرنا على طاعاته ، وهجرنا لذائذ معصياته — لتهيأنا للجهاد الاصغر ، وهزمنا عدونا فى المعركة الاولى !

وكلنا يعرف القائد العسكرى المؤمن اللواء الركن محمود شيت خطاب الذى كتب فى مجلة (الوعى الاسلامى) سلسلة من التحليلات العسكرية والسياسية والأخلاقية الرائعة عن هزيمة العرب فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ تجاه اسرائيل ..

هذا العسكرى العربى المفكر المؤمن .. الذى ألف العديد من الكتب القيمة عن الرسول القائد ، وعن الفتوح والغزوات الاسلامية الاولى .. وعن أسرارها ونتائجها — يقول فى احدى مقالاته — بمجلة الوعى الاسلامى : انه لا قيمة للسلاح بدون انسان ، ولا قيمة للانسان بدون ايمان . ولا يزال الانسان هو المسيطر على كل سلاح وعتاد ، وبدونه لا قيمة لكل سلاح ولكل عتاد . ولكن الانسان بدون عقيدة تجمع شمله ، وترص صفوفه ، وتوحد كلمته ، وتشيع فيه الانسجام الفكرى .. الذى بدونه لا يكون تعاون ولا اتحاد — هذا الانسان لا قيمة له من الناحية العسكرية . وهذه العقيدة هى مثل عليا يؤمن بها الانسان ويضحى من أجلها بالنفس والمال . ولان نفس الانسان هى أغلى ما يملكه .. فمن المستحيل أن يضحى بها الانسان الا اذا كانت له عقيدة راسخة ، وأهداف سامية . وحين كان العرب قادة وجنودا وأفرادا وشعوبا متمسكين بعقيدتهم السماوية فتحوا العالم ، وقادوا الحضارة العالمية ، وحين تخلى العرب عن عقيدتهم .. تداعت عليهم الامم كما تداعى الاكلة على الثريد » .

قلت : هذا هو مايعنيه « الجهاد الأكبر .. جهاد النفس » فى الحديث الذى يرتاب بعض العلماء الأفاضل فى صحة معناه .

وفى كتاب (الطريق الى القيادة) الذى وضعه « مونتغومرى » أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) يقول المؤلف : ان القائد يجب أن يكون متمسكا بمثل عليا ، وبالفضائل الدينية ، كما يجب أن تكون حياته الخاصة فوق الشبهات لكى يحترمه الذين يقودهم ، والميزة الاولى للقائد الناجح اخلاصه ونكران ذاته ، وولاؤه التام للقضية التى يخدمها . وقد كان نجاحى نتيجة لتمسكى بدينى وعقيدتى الروحية ، وبالخالق الفاضل » .

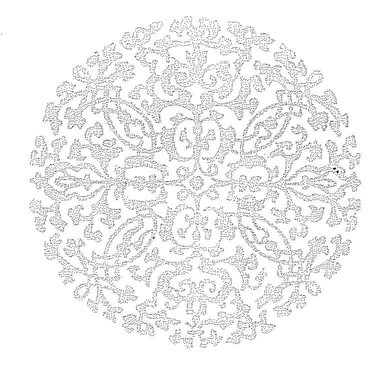
وفى مقال للعلامة الاستاذ أبى الحسن الندوى بعنوان « الحقيقة » نشرته (الرائد) الهندية — يعزو فضيلته تخلف المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله ، واعلاء كلمته ، وتحمل المشاق وتجرع المرائر فى هذا السبيل — يعزو ذلك الى عبادتهم للمادة وحب الدنيا ، وتأثرهم بالحضارة الغربية وزخارفها ومتعها !

وفى محاضرة بعنوان (الاسلام ومعركة المصير) القاها الدكتور أحمد شوقى الفنجرى بالكويت ونشرتها مجلة (النهضة) الكويتية — يقول المحاضر : ان الله قد جعل لنا من حرب اسرائيل امتحانا لنا لكى ينبهنا الى (أهمية) الرجوع اليه ، والاستعانة بتعاليمه حتى نصل الى النصر . وليس القصد من (معركة المصير) ما اصطلح عليه بعض الساسة من تسميته « بمشكلة الشرق الاوسط » أو انسحاب اسرائيل الى حدود ٦٧ أو ٤٨ — ولكن معركة المصير تبدأ من الأعماق لا من السطح ، ومن نقطة الصفر لا من آخر المطاف . انها معركة يجب أن تبدأ مع أنفسنا ، قبل أن تبدأ مع أعدائنا . . . تبدأ باعادة تربية الفرد ، وبناء المجتمع ، واصلاح الدولة ، وبعث أمة جديدة لها عزة وهيبة وبأس !!

ويقول الدكتور مصطفى عبد الواحد — فى مجلة الرابطة المكية — (ان أفضل الجهاد فى عصرنا : هو الوقوف أمام هذا الغزو الفكرى الذى توجهه الحضارة الغربية المادية ، ويستهدف القضاء على كيان المجتمع الاسلامى ، وذلك بفضح خططه وأساليبه ، وتحذير المخدوعين ببريقه .. من التهلكة التى يلقون بأنفسهم فيها) .

قلت : وهكذا يظل الحديث الذى ضعفوه سندا — صحيح المضمون قوى الاعجاز .. لان تجارب التاريخ الاسلامى ، منذ عهد النبوة الى اليوم تؤكد « أهمية » التربية النفسية ، والاعداد الخلقى ، فى عملية الانتصار على الأعداء .

أقول قولى هذا .. وأحمد الله ان أصبت ، وأستغفره ان اخطأت . وفى نفس الوقت أدعو رجال الفكر والعلم الى مناقشة هذا الموضوع المهم الذى هو مشكلة المسلمين الاولى — اليوم — وقضيتهم الكبرى ، ومناط تقدمهم أو تخلفهم ، وانتصارهم أو انهزامهم أمام التيارات الفكرية والسياسية المعادية المهاجمة . والله الموفق والمستعان .



الوجدان المسلكي

وأثره في تقدم الأمم والجماعات

للدكتور
وهبة الزحيلي

كلما ارتقى الانسان ، ازدادت مسئوليته ، وتضاعفت تبعاته ، وعظم حسابه ، وبقدر علو المراتب يسمو المرء المخلص ، وتعلو همته ، ويتفاقم نشاطه ، ويتعاظم خطره ، وكل مسئول في أي منصب عز وهان ، علا وانخفض : يعتبر عنوان تقدم الأمة ، ورمز حضارة شعبها ، ودليل المجد والتفوق فيها .

فاذا أخلص العامل في عمله ، وتفانى في القيام بواجبه ، واستشعر عظم التكليف بمهمته ، ارتدت آثار ذلك على أمته بالخير والنمو والازدهار والنتاج الخصيب .

وأما اذا خان الأمانة أو قصر وأهمل في واجب العمل ، انتكست طبيعته ، وارتكست فطرته ، وأضر مجتمعه ، وكان عنصر وبال وخراب ودمار ، ومنشأ كل تخلف وتأخر وانحطاط .

اذا تأمل كل انسان في الجهاز الحكومي لكل دولة لاسيما في شرقنا الأدنى ، وجد جيشا من الموظفين في كل وزارة ، وكتلا بشرية متراصة في كل دائرة ، ومناضد ومكاتب

مصفوفة فى كل قاعة هنا وهناك ، واذا لقى المرء فى أوساط ذلك الحشد الضخم والبناء الفخم صاحبا له ، سارع الى بث شكواه وانينه من ضآلة انتاج أولئك الموظفين ، وأخذ يسرد له أعاجيب التقصص عن معاملات وقضايا طال عليها الزمن دون أن يؤذن فجر صبحها بالانفلاق ، أو تقترب فيها ساعة المخاض ، أو ولادة النجل الشقى أو السعيد .

وتضيع الساعات بل الأيام فى البحث عن اضبارة قضية ، ويتمنى صاحبها بعد اليأس والانتظار والكلل والملال أن يزج به ولو فى النار ، ليخلص من رجاء هذا الكاتب أو ذلك الرئيس ؟! ويدور صاحب المعاملة فى حلقة مفرغة ، وكأنه أمام الموظف الذى يهزأ به ، ويسخر سائل معوز أو عابر سبيل مفزع ؟!

وتخصص بنود كبيرة من ميزانية الدولة للرواتب والمعاشات التى جمعت بواسطة الضرائب المتنوعة من عرق المسكين والم المحروم وقوت الأفراخ ؟! وقد لا يصل المرء الى مطلبه مع ذلك الا برشوة أو شفاعة وسيط ، والكثيرون عن مثل هذا عاجزون ، أو غرباء لا يعرفون ولا يؤلفون ، وكأن ذلك المواطن المسئول غافل عن القاعدة الاجتماعية التى أبانها رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام وهى : ((**لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما**)) .

فهل بذلك تعيش الأمة التى تريد النصر على عدوها ، وهل بمثل ذلك السلوك ينتظر الخير الموعود ، وهل كانت دولة الاسلام على هذا النحو من طوابير الموظفين ، أم انه لم تكن تعرف الا الجهاد ، وبعض الدواوين التى تنظم أمور الصرف والانفاق فى سبيل الله والصالح العام ؟!

أجل ! اننا نعانى فى عصرنا هذا أزمة الضمير ، ووازع الدين فى النفوس ، فلا خير يرتجى ، ولا نصر يؤمل بدون وجدان مسلكى ، وضمير يقظ ، وروح طيبة وثابة نحو الفضيلة والمعروف وقضاء الحوائج بسرعة هائلة ، وانجاز مختصر ، فكل موظف من أصغر مرتبة الى أعلى مركز فى الدولة مطالب فى شرعة الله تعالى ، وفى كل نظام بأن يتجاوب مع متطلبات العصر الحاضر وظروف المعركة الطويلة المريرة ضد العدو وأعوانه ، وذلك بالقيام بالواجب خير قيام ، منبعثا من ضميره الحى الواعى ، ومراقبا لله خالق الكون فى سره وعلانيته ، دون مصانعة ولا رياء ، ولا تملق ولا نفاق ، ولا احتساب للأجر فقط ، أو طلب للمزيد منه ، أو تطلع الى الترقية المادية ، أو اعتلاء المنصب الأرفع ، أو المكان الأسد الأمنع .

ومن المعروف أن القيام بالواجب مدعاة الى طمانينة النفس وارتياح القلب وسعادة الانسان وطهر الكسب وسلامة العافية ، وأما التلكؤ فى العمل والابطاء بأداء الواجب فهو مجلبة للنقائص والفضائح ، وسبيل الشقاء ، ومثار القلق والاضطراب ، وشتات الجنان وذهول الفكر .

ونظام الاسلام بدوره الباعث للحضارة الانسانية أشاد اشادة بالغة بمبدأ القيام بالواجب أو الوجدان المسلكى ، واعتبره مظهرا من مظاهر الأمانة العظمى التى حملها الانسان فى هذه الحياة ، والتزمها رسل الله الكرام ، واتصفوا بها على أنها أقدس الصفات التى ينبغى التحلى بها لتكون وسيلة أساسية للنجاح فى دعوتهم الاصلاحية التى ترفد العالم بكل خير وسعادة .

وأتباع الرسل وبخاصة المسلمون

تنعكس عليهم صفة الأمانة هذه ، فالمسلم الصادق الايمان أمين على كل شيء في حياته ، أمين في دينه وأخلاقه وسيرته وعمله وفي جميع حقوقه وواجباته ، فهو في وظيفته وفيما يتعلق بمصالح أمته ووطنه أكفأ الناس وأمثلهم وأرعاهم للحق وأوفاهم بالعهد والالتزام ، وأحرصهم على واجب ، وأتقنهم لصنعته وعمله ، وأخلصهم في انتاجه : **« ان الله يحب من العامل اذا عمل ان يحسن »** ، وهذا كله نابع من ايمانه وأمانته ، قال الله تعالى واصفا المؤمنين : **« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »** وقد أمرنا سبحانه باتقان العمل فقال : **« يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله »** والقوام هو المبالغ في القيام بالشيء ، والاتيان به تاما كاملا سواء أكان عملا دينيا أم دنيويا ، فالاتقان والاخلاص أساس الظفر والنجاح .

والايمان الحق والأمانة بمختلف مظاهرها متلازمان ، فالمؤمن من أكرم الناس ، لأنه يقف عند حقه ، ويلتزم بواجباته المفروضة عليه تلقاء غيره دون حساب لأحد الا اطاعة أوامر الله سبحانه ، وطلبا لمرضاته ، وخشية من عذابه ، فالله عز وجل يأمر بالتزام الأمانة في كل الأحوال سرا وعلانية فيقول : **« يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم »** ، **« ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها »** وقد ثبت عن علي رضي الله عنه قال : **« كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلع علينا رجل من اهل العالية ، فقال : يا رسول الله ، اخبرني باشد شيء في هذا الدين والينه ؟ فقال : الينه اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، واشده يا اخا العالية الأمانة : انه لا دين لمن لا امانة له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له »** وقال أنس بن مالك : قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال : **« لا ايمان لمن لا عهد له ، ولا دين لمن لا عهد له »** رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

والاخلال بواجب الأمانة كفر ونفاق ، وذلة وشقاق لذا قال صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة ـ **« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان »** زاد مسلم في صحيحه : « وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

واذا كانت الأمانة تعني كل ما يجب حفظه ، وكل ما يجب اداؤه الى صاحبه من الحقوق المادية والأدبية ، فان القيام بالواجب في الوظائف وغيرها من أهم مظاهر الأمانة ، فهو التزام ديني وأخلاقي ووجداني ضروري في مجال العلاقات الاجتماعية بين الناس لاسيما في عصرنا الحاضر ، لأنه الأساس الذي يرتكز عليه مبدأ الثقة العامة في التعامل ، والثقة قاعدة المعاملات ومدار الحياة ، ولولاها لما اطمأن الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي أو التربوي أو الاجتماعي أو السياسي أو العسكري .

فالتاجر أمين في اختيار أصناف السلع الجيدة والربح المعقول ، وبيان العيوب الخفية أو الظاهرة ، قال صلى الله عليه وسلم : **« المسلم اخو المسلم ، لا يحل لمسلم باع من اخيه بيعا ، وفيه عيب ، الا بينه له »** وفي رواية **« ولا يحل لأحد يعلم ذلك الا بينه »** وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما ، فأدخل يده فيه ، فاذا هو مبلول ، فقال : **« من غشنا فليس منا »** .

والمدرس فى مختلف مراحل التعليم أمين فى تحضير درسه وتمحيص معلوماته ، واصطفاء الآراء الملائمة لدين الله وقانون الأخلاق ، كما أنه أمين فى ايفاء الحق المطلوب منه لطلابه وانهاء تدريس منهاجه ، وشغل حصة الدرس كاملة بالعلم النافع ، والتثقيف الناجع ، والتهذيب السديد دون تفريط ولو بدقيقة واحدة من ساعة الدرس .. والعلماء فى هذا المضمار أمناء فيما يقولون ، وفيما يعلمون ، وفى الوقت المخصص المكافىء لما يتقاضون أو يأخذون ، يبينون الحق ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والموظف أمين فيما يعمل ، ناصح الناس فيما يستشار عنه ، لأن « المستشار مؤتمن ، والرائد لا يكذب أهله » وهو مطالب بقضاء حوائج المحتاجين لا تفضلا منه ولا منة ، وانما قياما بواجبه المسلكى ، ورعاية لحق الله فى عنقه دون تقصير ولا اهمال ولا تهرب أو تكاسل وتقاعس ، ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **من ولي شيئا من أمور المسلمين ، لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم** » رواه الطبرانى ، وعن ابن مريم عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه انه قال لمعاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« **من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، أحتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة** » فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين ، رواه أبو داود والترمذى ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الخلق كلهم عيال الله فاحب الخلق الى الله انفعهم لعياله** » رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

والمرأة أمينة فى بيتها وعرضها ومال زوجها ، وتربية أولادها تربية صالحة قوية ، فلا يحل لها ديانة الاخلال بواجبها فى مملكتها الصغيرة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **كلكم راع ، ومسئول عن رعيته : الامام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته** » رواه البخارى ومسلم .

والحاكم أو القائد أعظم الأمناء على مصالح الناس والبلاد واحترام تاريخ الأمة والاعتزاز بمقوماتها الدينية وتراثها الأنضر الأنصع ، ولاسيما فى وقتنا الحاضر الذى نمر فيه بمرحلة حاسمة من مراحل الصراع والكفاح وتقرير المصير مع العدو الغاصب لبلادنا المقدسة ، عن عبد الله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ما من امام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة** » رواه الطبرانى باسناد حسن ، وفى رواية له : « **ما من امام يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة ، وعرفها يوجد يوم القيامة مسيرة سبعين عاما** » .

وفى هذه المناسبة أحب أن أضيف الى ما يقرره الكاتبون من أن الجهاد فى هذه الأيام فريضة عينية فى هذا الزمن على كل مسلم ومسلمة ،

فيأثم كل واحد بتركه كترك أحد أركان الاســـــلام من صلاة وصيام وحج وزكاة ، أحب أن أضيف أمرا آخر هو أن فقهاء الاسلام اجمعوا كما هو مقرر فى دساتير الدول الحديثة على أن ولى الامر هو القـــــائد الأعلى للجيش المقاتل فهو المختص باعلان الحرب حسبما تقضى بذلك مصـــلحة الأمة ، ويظهر له من مشاورة أهل الرأى والاختصاص فى قضـــــايا الحرب ، وتدابير المعارك بعد توفير الخبرة والاخلاص والكفاءة والسلاح الملائم لأوضـــاع الحروب الحديثة ، والا كان الجهاد توريطا للأفراد والقاء بالنفس الى التهلكة .

ومن المعلوم أن الجندى أو الفدائى أو الضــــــابط أمين فى تنفيذ المهمة الموكولة اليه ، والأمر الصادر له ، ولقد كانت السرايا والبعـــــوث فى الاســــلام مثالا فذا لالتزام الواجب المكلفة به بأمانة ودقة وصدق ، وحزم وعزم وايمان .

وكل مسلم مســـئول عن رعاية الأمانة فى مجتمعه الأصغر أو الأكبر بقدر الطاقة وجهد المســــتطاع ، فيقاوم الانحراف ، ويحارب المنكر ، ويحمى الفضيلة ، أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعـــــلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيـــده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبـه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »** .

وهكذا فان واجب الانســـان نحو غيره يمتد فيشـــمل مختلف نواحى الحيـــــاة ، مع الأهل والجيـــران والأصدقاء حتى تتوطد صلات الناس مع بعضهم بعضا ، وتتضام شـــبكة منيعـــة بين الأفراد فى روابطهـــم المتعددة بحيث تتحقق كل معــــانى التضامن الاجتماعى التى ينشـــدها الاسلام ، روى مســـلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : **« قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعـــــدنى ؟! قال : يا رب ، كيف اعودك ، وانت رب العالمين ؟ قال : اما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعـــده ، اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنــــده ، يا ابن آدم ، اســــتطعمتك فلم تطعمنى ؟ قال : يا رب ، كيف اطعمــك ، وانت رب العـــالمين ؟ قال : اما علمت ان استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، اما علمت انك لو اطعمتــه لوجدت ذلك عنـــــدى ، يا ابن آدم ، استسقيتك ، فلم تســـقنى ؟ قال : يا رب ، وكيف اســـقيك وانت رب العـــالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، اما انك لو سقيته وجدت ذلك عندى »** .

هــذه بعض مظـــاهر الوجدان المسلكى أو الأمانة فى العمل ، فمن فرط فى جانب منهـــا ، أو قصر فى رعايتها ، عاش ابد الدهر فريســـة الأحزان والآلام والشـــقاوات ، وان كل ما نجده من شـــكاوى أرباب الأسر وغيرهم من اعتلال الأجسام ، وفشـــوا الأمراض والبلايا ، والقلق والاضطراب ، واختلال الأمن وفقـد الطمأنينة ، وتكاثر المحن والفتن ، وتسلط الأعداء ، مرجعه الى الاخلال بواجب الأمانة فى القول والفعـــل والدين ، والوظيفة .

نعوذ بالله من هذا الخـــذلان والغفلة ، وما أحوجنا اليـــوم دولا وأفرادا الى يقظة شديدة وتنبه واع



« ان الغاية تبرر الوسيلة . وعلينا ــ ونحن نضع خططنا ــ الا نلتفت الى ما هو أخلاقي وما هو خير بقدر ما نلتفت الى ما هو ضروري ومفيد » .

« ان موازين المجتمع وتقاليده القائمة ستنهار سريعا ، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كي نبليها بسرعة . ونمحق كفايتها » .

« وحينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أى دين غير ديننا وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى ، وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأممية » .

هذه ثلاثة من نماذج « بروتوكولات حكماء صهيون » التى حددوا فيها مسار حياتهم فى العالم وعلاقتهم مع غيرهم قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية وبعدها . الى أن يصبحوا أصحاب دولة وقوة .

ويبدو من خلال هذه النماذج : الروح الشريرة التى تسيطر على اليهود . كما تظهر رغبتهم المحمومة فى القضاء على دعوات الأخلاق وموازين الخير والمثل والمدنيات فى العالم . ارضاء لاستعلائهم وفسادهم . وتمشيا مع اتجاهاتهم المادية فى الحياة .

اليهود مع انبيائهم :

واذا قلبنا صفحات التاريخ . ورجعنا الى الماضي البعيد . فسنجد ان حياة اليهود ومعاملتهم لأنبيائهم ــ فى اية فترة من فترات التاريخ ــ تسير على نفس هذا المنهج النفعى المادى الذى خططوه فى مؤتمر بال . وتطابق الروح العدائية التى اعلنوها فى بروتوكولاتهم .. هذه الروح التى ظلت ملازمة لهم منذ وجدوا الى يومنا هذا .

لقد كانوا وما يزالون أعداء للانسانية . ومناهضين لدعوات الرسل الهادية . ومتعطشين لسفك الدماء . واهدار القيم ، واغفال الحقوق .

فقديما جاءتهم انبياؤهم بدعوات هادية تدلهم على طريق الخير والاصلاح . لكنهم كانوا غلف القلوب . فما انتفعوا بالارشاد والهدى ، بل اختاروا طريق الضلال والبطش والاستعلاء وملأوا الدنيا تمردا وشرورا . فقتلوا بعض انبيائهم .. ومن سلم من انبيائهم من القتل . لم يسلم من التكذيب والارهاق ومقالة السوء والزور ..

لقد سجل عليهم انجيل متى فى الاصحاح الثالث والعشرين من كتاب العهد الجديد خطاب المسيح عيسى عليه السلام لهم : أيها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ .. لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة . فمنهم تقتلون . وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم . وتطردون من مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا » . وقال لهم أيضا : (يا أورشليم .. يا أورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين . اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا) . كما سجل عليهم القرآن فظائعهم واساءاتهم ضد الرسل والأنبياء فقال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) .

اليهود بعد سليمان :

ورث اليهود من سليمان عليه السلام ملكا عظيما . ودولة كبيرة . وجاها عريضا . فتوفرت لهم بذلك عوامل القوة والهيلمان والسلطان ، لكنهم بدلا من أن يحفظوا نعم الله عليهم . ويشكروا له منه وفضله . استولى عليهم الكفر والبطر شأنهم فى ذلك شأن أصحاب النفوس النكدة . والقلوب المريضة التى تمكر برحمة الله . وتحيلها شرا وبلاء . تتغذى به وتلقى بثمرة هذا النكد الى ما حولها .

هكذا فعل اليهود .. فقد كفروا بهذا الملك العريض . وتمردوا بالسلطان العظيم . فبغوا وطغوا وافسدوا . والقوا بثمرة فسادهم وكفرهم الى من حولهم من الشعوب والأمم باثارة الفتن والاضطرابات ليفسدوا عليهم حياتهم .. ويخربوا حضارتهم . فسلط الله عليهم البابليين عام ٥٨٦ ق.م . اذ استولى ملك البابليين (بختنصر) على (يهوذا) مملكة دولة اسرائيل ودمر هيكل سليمان . وساق القوم أسرى الى بابل . وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) .

اليهود أيام الرسول :

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ليضع هنالك نواة دولة الاسلام الجديدة . كان يسكن هناك بعض اليهود . فنظر اليهم النبى كنظرته الى الأنصار . وأراد أن يعاملهم معاملة طيبة . فعقد معهم عهد أمان ومودة . آملا أن يعيشوا مع المسلمين فى ظل دعوة الاسلام فى حياة آمنة مستقرة . وليجعل منهم افرادا صالحين يفيدون المجتمع الاسلامى . وليشتركوا مع المسلمين فى دفع عجلة الدولة الاسلامية الجديدة الى التقدم والقوة

والسلطان . . لكن اليهود بدلا من أن يضعوا أيديهم مع المسلمين لدفع عجلة الدولة الاسلامية الى الأمام . ساروا فى اتجاه مضـــاد للدعوة المحمدية وأرادوا ارجاع العجلة الى الخلف بكل قوتهم .

فما كادت نتائج غزوة بدر الكبرى تسفر عن انتصار المسلمين . . ثم تتوالى بعد ذلك انتصاراتهم . حتى تحركت فى يهود المدينة أحقادهم وشرورهم . . لقد أيقنوا أن انتصارات المسلمين وما تلاها من تزايد عددهم . وانتشار عقائد الاسلام ستجعل المسلمين أصحاب السلطان والسيادة والقوة فى المدينة . وأيقنوا بالتالى أن قوة المسلمين وسيادتهم ستناهضهم . وتضعف مركزهم فى المدينة . . ومن هنا بدأوا يفكرون فى الأمر فلجئوا الى سياسة المناوشة والمشاكسة . فراحوا ينظمون الأشعار ضد المسلمين لاثارتهم . . ونسوا ما كان بينهم وبين النبى من عهود الأمان والاخاء . فنقضـــوه تماما . وعملوا على ايقاد نار العداوة والحرب والشرور كما أعتادوا .

وكم من مرة أنذرهم النبى وحذرهم من مغبة تصرفاتهم الطائشـــة . ولكنهم مضوا فى أحقادهم وتآمرهم ضد القيم والمثل والأخلاق . وأرادوا أن يعضوا اليد التى امتدت اليهم بالسلام والمحبة . ورفضوا معايشة النبى لهم . فأسفروا عن وجه العداوة والبغضاءللنبى وللمسلمين.ووقفوا يثيرون المسلمين تارة . ويتعاونون مع غيرهم من أعداء الاسلام تارة . ويتآمرون لقتل النبى تارة . فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن قرر القضاء عليهم ليتفرغ لدعوته . ولينجز ما أمر به فى رسالته . أما بنو قينقاع . فقد اعتدوا على المســـلمين . فأجلاهم النبى عن المدينة . . وأما بنو النضير فقد ذهب اليهم النبى مسالما فتآمروا على قتله بحجر . فحاصر بيوتهم وقاتلهم وطردهم منها . . وأما بنو قريظة فقد تحالفوا مع الاحزاب الذين تكتلوا ضد الرسول وهاجموه بالمدينة للقضاء عليه وعلى دعوته . فحاصر ديارهم . ثم حكموا فى أمرهم من حكم على رجالهم بالموت وبسبى نسائهم وذراريهم وبتقسيم أموالهم غنيمة على المسلمين .

أما يهود خيبر وفدك فقد استسلموا للنبى صاغرين أذلاء . بعد طول عناد واستعلاء . هذا هو دور اليهود كجماعة وكقوة كانت موجودة فى عصر النبوة . أراد النبى لهم المعايشة والسلام . لكنهم كانوا خونة معتدين . ينقضون المواثيق . ويعملون ضـــد اتجاهات الخير والحق ويسعون لتشكيك المســـلمين فى دينهم . وزعزعة الايمان فى قلوبهم . وقد نزل فيهم قول الله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) وقوله تعالى : (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون) .

الصهيونية . . والبهائية :

وبعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جموع اليهود . وحطم كيانهم فى المدينة وخيبر وفدك ظلت أحقادهم ملتهبة ضد المســـلمين . وضد دعوة الاسلام . . كانوا يحاولون من حين لآخر أن يتحينوا الفرص السانحة ــ ولو كانت رخيصة دنيئة ــ ليصلوا الى اغراضهم الخبيثة .

ومن الفرص التى انتهزوها ظهور « الدعوة البهائية » فى المحيط الاسلامى كدعوة أرادت أن تجمع حولها مريدين يؤمنون بمزاعمها واباطيلها . فتقودهم الى حيث يشاء هواها ودينها المزيف وفى هذه التربة الخصـــبة تستطيع الصهيونية أن تمرح وتصل الى أعماق ما تريد باسم البهائية .

والبهائية حركة فوضوية . وأبعد ما تكون عن الاسلام وروحه وعقائده . وقد ظهرت على يد راعيها ومنشئها : ميرزا حسين الملقب بالبهاء . وهى امتداد طبيعى للدعوة البابية . ولكنها اشد غلوا من البابية .
بدأت صلة الصهيونية بالبهائية مع غانية البابية (قرة العين) واليك مايقوله مؤرخ بهائــى كبير عن صــلة الصــهيونية بالبهائية (اقبــل فوج عظيم ــ أى اليهود ــ على هذا الأمر واعتنقوه ودخلوا فى ظل البهائية . واصبحوا يشـار اليهم بالبنان فى جميــع بلدان ايران . وكان أول من بذر بذور تلك التطورات هناك قرة العين) .

وكانت البهائية قد ظهرت حينا فى ايران . لكنها وجدت ان المناخ فى ايران لن يســاعدها على الاســتقرار . فانتقلت الى فلســطين بايعاز من اليهود . واستوطنت فى عكا وحيفا . وهناك أغدق عليها الاستعمار الأموال بسخاء ليمكنها من بث أفكارها المضللة . توطئة لخدمته . . وخدمة الصهيونية العالمية أيضا .
وأخذ الصهيونيون يسخرون البهائية لمكائدهم . ويحتضنونها فى مناهضة الاسلام . ويتسترون وراء هذا القناع الجديد . فأمدوا البهاء بما جاء فى أسفارهم عن بهاء الله . بعد أن لقبوه به . ودفعوه الى أن يزعم أنه المراد بلقب البهــاء ويقول مؤرخ بهائى كبير : (المراد ببشـارات الكتب المقدسة هو : ظهور بهاء الله الأبهى ، فانه ــ جل ذكره ــ هو وحده ادعى أن ظهوره هو ظهور اللــه الموعود ووجهه هو وجه الله المعبود . ويومه هو يوم الله المعهود) .
كما مضت الوكالة اليهودية تساند البهائية فى نشر آرائها المسمومة التى اتخذت من شعائر الماسونية (الحرية ــ الأخوة ــ المساواة) شعارا لها . كما مضت تتعاطف بهذا الشعار مع الحركة الصــهيونية فى دعوة الاخاء والمحبة . لتتمكن البهائية من العمل لصالح اليهودية العالمية .
هكذا استغلت اليهودية العالمية دعوة البهائية الفوضوية . وتعاونت معها للعمل فى سبيل القضاء على الوجود العربى فى فلسطين . وتدمير كل معالم الأمة العربية وحضارتها ومقوماتها ليعيشوا على اشلاء كيان العرب والمسلمين جميعا .

الصهيونية بعد مؤتمر بال :

وفى عام ١٨٩٦ م اجتمع مؤتمر ضــم يهود العالم فى مدينة بال بسويسرا حيث تم تأليف الصهيونية . وأطلق عليها أسم (الأمة اليهودية) حيث تم وضــع (بروتوكولات حكماء صهيون) وعددها أربعة وعشرون . وهى عبارة عن مؤامرة خطيرة موجهة ضد البشرية جمعاء . وضد أمنهم واستقرارهم .
وبعد مؤتمر بال قامت الصهيونية بالشروع فى تكوين منظماتها واداراتهــا الفعالة فى كل بلدان العالم لتنفيذ قرارات الصهيونية كما رســمها مؤتمر بال بسويسرا .
وهذه القرارات هى :
١ ــ العمل على استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة .
٢ ــ تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمــات محلية ودولية حسب قوانين الدول التى يعيش فيها اليهود .
٣ ــ دعم وتقوية الضمير اليهودى وروح الوطنية .

٤ ــ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات كلما كان ذلك ضروريا على تحقيق أهداف الصهيونية .

أما المنظمات والادارات فهى :

- المؤتمر الصهيونى .
- اللجان التنفيذية .
- اللجان الاستشارية .
- المصرف اليهودى للمستعمرات .
- لجنة الاستعمار .
- الصندوق القومى اليهودى .

وبدأت الاجهزة الصهيونية هــذه تعمل كاملة لترتبط بالجهــود الصهيونية الشاملة لاستعمار فلسطين . وتنفيذ قرارات مؤتمر بال .

وتنفيذا للخطة عمليا بدأت هجرة اليهود المستمرة الى فلسطين عام ١٩٠٧ ، كما بدأ شراء الاراضى من عرب فلسطين لتجريد أهلهــا تدريجيــا من كل قوة وسلاح . حتى يحين الحين المنــاسب للانقضاض على الضحية وهى : انتزاع فلسطين من أيدى أهلها الشرعيين .

وكان الاساس الذى قامت عليه الصهيونية بغزو فلسطين هو الخرافة التى آمن بها شعب اليهود من أن الله وعــدهم بأنهم راجعون الى أرض الاجداد : فلسطين باعتبارها وطنهم القومى القديم وانهم سيقيمون دولة تمتد من النيل الى الفرات .

الغاية تبرر الوسيلة :

ان الصهيونية العالمية حققت بأجهزتها المالية والادارية أهدافها وقراراتها متخذة شعار (الغاية تبرر الوسيلة) فقد اثبت ثيودور هيرتزل هذا الشعار فى مذكراته فقال : (على المرء أن يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية) .

وحين تؤمن الصهيونية بمبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) لا تتعفف عن اتخاذ اى أسلوب مهما كان هذا الأسلوب . ان اتسم باللاأخلاقية والفوضوية . ما دام سيصل بها الى غايتها الدنيئة المنشودة .

الصهيونية امس :

أما أمس . فان التــاريخ يحفظ لنا كيف رمى اليهــود :مريم ابنة عمران بتهمة الزنا حين ولدت عيسى عليه السلام من غير أب كما يولد كل البشر بواسطة اتصال الذكر بالانثى .

وكيف قام اليهودى عبد الله بن أبى بن سلول بتدبير قصة الافك ضد عائشة الطاهرة زوجة رسول الله لاثارة الشكوك حولها ، والكيد لرسول الله ارضــاء لنفوسهم المريضة حتى انزل الله آية براءتها وطهرها .

وكيف عاد عبد الله بن أبى بثلث المقاتلين من اهل النفاق . والرسول فى طريقه الى غزوة أحد لمقاتلة مشركى قريش . وذلك بغرض توهين الجيش وتثبيط همته واعاقته عن مجابهة العدو ونزاله .

وكيف قام يهود المدينة بمحاولات لاثارة الاحقاد والضغائن بين قبيلتى الأوس والخزرج بغرض هدم بنيان الاخوة الاسلامية بين هاتين القبيلتين بعد أن تام

رسول الله صلى الله عليه وسلم باصلاح ما تهدم من بنيان العلاقات بينهما . اذ دفعوا بغلام منهم الى مجلس يجمع بين الاوس والخزرج يذكرهم بيوم (بعاث) وما كان من انتصار الاوس فيه على الخزرج وكادت القبيلتان أن تتنازعا . ويعودا الى ما كان بينهما من خصام وشقاق لولا تدخل رسول الله الذى ذكرهم بما الف الاسلام بين قلوبهم . فنزل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

وأكثر من ذلك يحفظه لنا التاريخ عن مكائد الصهيونية قديما ضد الاخلاق والفضيلة وضد دعوات الحق والخير . ويضيق المقام هنا عن ذكر كل مكائدهم ومساوئهم .

الصهيونية اليوم « وراء اجهزة الاعلام » :

واليوم تسير الصهيونية على نهج أسلافهم فى التسلط على العالم وافساد حياة الناس واثارة الشكوك فى قيمهم وتقاليدهم وتسخيرهم لمصالحهم ليحققوا أطماعهم المادية فى الحياة ولهم طرق كثيرة يسلكونها لتحقيق هذه الاطماع .

فخلف وسائل الاعلام يقف اليهود للسيطرة على الصحافة ووكالات الانباء ودور النشر والاذاعة والتلفزيون فى معظم بلاد العالم ليوجهوا الرأى العام الى ما يريدون . كما أنهم يسيطرون على الصحافة ودور النشر بطريق آخر ، هو احتكار تجارة الورق ليقبضوا أيديهم ويبسطوها حسب استجابة الصحافة لأغراضهم . وقد استطاع اليهود أن يحققوا هدفهم بهذه الوسائل كلها الى حد كبير . فقد ثبت أن الصحف والمجلات التى تخضع لسيطرة اليهود فى العالم بلغت ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات وفى مختلف الاقطار .

ولا يخفى على القارىء أن الاهتمام بالسيطرة على أجهزة الاعلام جاء ضمن قرارات (بروتوكولات حكماء صهيون) فقد جاء فيها عن الصحافة (الصحافة هى القوة العظيمة التى نستطيع بها توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور . وتعلن شكاوى الشاكين . وتولد الضجر بين الغوغاء ، وقد سقطت الصحافة فى أيدينا ومن خلالها أحرزنا النفوذ . وكدسنا الذهب دون أن نظهر للعيان) .

وراء الفنون :

ومن الوسائل التى يقف خلفها الصهيونيون نجوم السينما والمسرح . وفى هذا المجال تستطيع الصهيونية أن تقدم للعالم أفلاما وروايات تحمل سموما وأفكارا صهيونية مضللة يأخذها المشاهدون وهم فى نشوة السرور والفرح دون معارضة . وفى هذا تقول بروتوكولاتهم (سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والالعاب لملء الفراغ . وسندعوا الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما اليها) .

وراء التجسس :

والتجسس أيضا من الوسائل التى يستعملها اليهود . فيتمكنون بواسطته من الحصول على أسرار الدول والجماعات ليخدموا بها مصالحهم . أو يتمكنون

بها من تدمير مصالح غيرهم .. وقصة يهوذا الاسخريوطى الذى تذكر الاناجيل أنه عمل جاسوسا لليهود وساومهم على تسليم عيسى نظير مبلغ من الفضة .. هذه القصة تشهد بذلك ، كما يشهد أيضا بذلك ادعاء بعض اليهود من المنافقين الدخول فى الاسلام . فقد اتخذوا النفاق مدخلا الى الاسلام لينالوا منه ومن دعوته ويذكر لنا التاريخ من هؤلاء : داعس ، ورافع بن حريملة ، وسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت وكثيرين غيرهم .. وكان هؤلاء يجلسون مع المسلمين فى المسجد .. وحلقات الدرس ليتجسسوا على أخبار المسلمين ويتعرفوا على أمورهم حتى راقبهم المسلمون وكشفوا أمرهم وأخرجوهم من المسجد وفضحوا للملأنفاقهم .

أما فى عصرنا هذا ، فقد عملوا جواسيس للحلفاء فى ألمانيا والنمسا وامريكا ، واستخدموا نفوذهم السياسى والاقتصادى والمالى والصحافى لتأييد قضية الحلفاء ، وفى تلك الحرب كافأهم بلفور وزير خارجية انجلترا بوعده المشئوم عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لهم بفلسطين .

ولا تنقطع خيوط التجسس فى الدول العربية بوسائل تخريبية متنوعة وغيرها . وكم انكشف منها الكثير .

وراء التآمر والاغتيال :

والتآمر والاغتيال احدى وسائل الصهيونية فى التسلط والسيطرة . ومن طبائعهم فى الحياة . فقديما تآمروا ضد يوسف بن يعقوب ليتخلصوا منه . ويقول الله تعالى فى هذا : « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » .

وعندما جاء الاسلام بتشريعاته وأحكامه العادلة . تضايق اليهود من ذلك لأن الاسلام وقف ضد بغيهم وتسلطهم ، فحاولوا اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم بعدة طرق .. فقد أوعزوا الى امرأة أن تضع له السم فى طعام دعته اليه .. ثم محاولة بنى النضير قتل رسول الله بحجر من فوق منازلهم حين ذهب اليهم مسالما ليستعين بهم فى دفع دية رجلين من بنى عامر كانا يحملان كتاب أمان من النبى وقتلهما المسلمون خطأ .. حاولوا قتله فأنجاه الله من غدرهم ، كما أنهم دبروا مقتل عمر وعثمان رضى الله عنهما .. كذلك نجد أن معظم حركات الاغتيال التى حدثت فى العالم الاسلامى بعد عصر النبوة كانت من تدبيرهم .

ولقد ظلت طبيعة الاغتيال ملازمة لليهود فى كل فترات التاريخ . ففى تاريخنا المعاصر قتلوا ستة من الروسيين عن طريق المنظمة الارهابية (الحزب الاشتراكى الثورى) التى كان يرأسها اليهودى (غرشونى) . وقتلوا بعض الانجليز فى فلسطين والمانيا وأمريكا . كما قتلت (جماعة شتيرن) الارهابية اللورد موين الذى كان وزير دولة بريطانيا . ومقيما بالقاهرة لاعتقادهم أنه اشترك مع وزير المستعمرات فى اغلاق أبواب فلسطين فى وجه اليهود .

وان نسينا فلن ننسى أبدا ما حيينا مذبحة (دير ياسين) التى تعرضت لجريمة صهيونية فظيعة اقشعرت لها الابدان ، وهزت الرأى العالمى كله بلا استثناء .

ففى أثناء حرب فلسطين هاجمت عصابتا (الأرغون وشتيرن) تلك القرية الآمنة . وفاجأوا سكانها أثناء نومهم . بزرع الألغام فيها ومهاجمتها بالمدافع الثقيلة والأسلحة الاتوماتيكية فخربوا منازلها وهدموها على من فيها . ثم فتكوا بنحو مائتين وخمسين من أهلها دون تفريق بين ذكر أو أنثى .. شيخ أو طفل ،

ومثلوا فيهم ببقر البطون ، وتقطيع الأيدى والأرجل والأثداء . وفقء العيون وجدع الأنوف . وكسر الجماجم .. ثم كدسوا جثثهم فى الآبار ليخفوا معالم تلك الجريمة البشعة . ثم ساقوا من بقى من اهل القرية حيا الى القدس . وساموهم سوء العذاب ضربا وتقتيلا .. وكان الهدف من تلك الجريمة التى فاقت كل وصف : بعث الرعب والفزع فى سكان القرى العربية فى فلسطين . ليجبروهم على ترك ديارهم خشية أن يصيبهم ما أصاب أهالى (دير ياسين) من القتل والهول .

كما لا ننسى كارثة (اللد والرملة.) اللتين احتلتهما اليهود . وقتلوا من سكانها عدة آلاف وتركوا الباقى يومين بدون طعام أو شراب . ثم جردوهم من كل شىء . وطردوهم من ديارهم .

ثم قامت العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ باغتيال الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم لأنه قال كلمته العادلة فى اعادة النقب للعرب .

وراء الجمعيات السرية :

والجمعيات السرية ايضا كانت من الهيئات التى اعتمدت عليها الصهيونية العالمية فى تنفيذ اغراضها الخبيثة عن طريق نشر افكارهم المسمومة . فقد وجهوا انشطة « جمعية فرسان المعبد » و (جمعية الصليب الوردى) للنيل من المسيحية . كما وجهوا القرامطة وغيرهم من أعضاء الجمعيات المعادية للمسلمين للنيل من الاسلام . والتشكيك فى عقائده ونظمه ،

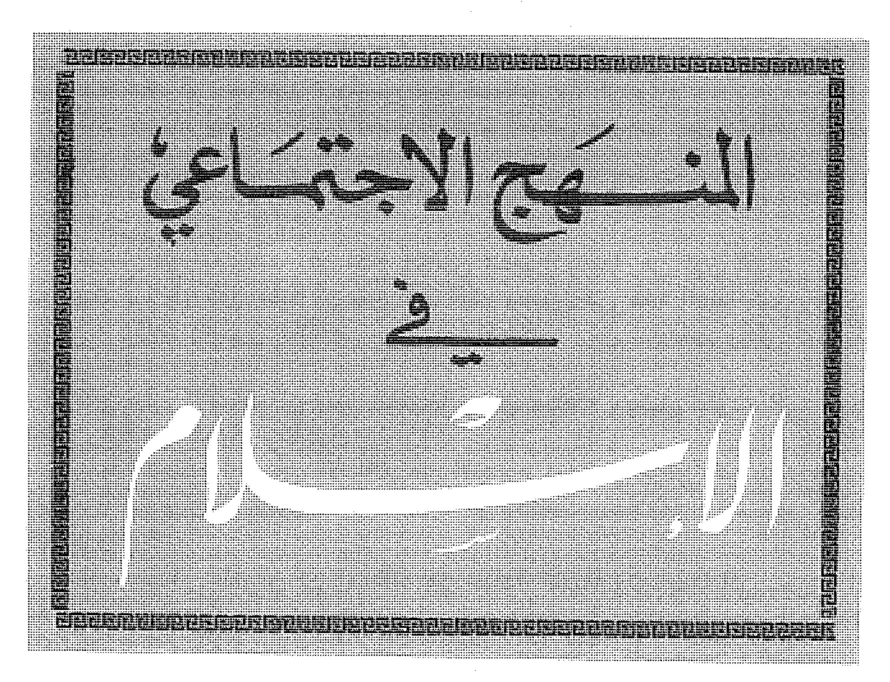
الصهيونية عدوة للسلام :

ان الصهيونية ماتزال للآن تهدر القيم . وتعبث بالأخلاق والانسانيات . وتدنس أرض النبوات وتستهين بالحضارات وذلك بما تمارسه اليوم فى العالم العربى من الاعتداءات الوحشية المتكررة على القرى والأراضى العربية من تخريب وقتل للأبرياء . والعدوان على المقدسات الاسلامية وخاصة حرق (المسجد الأقصى) واستباحة هذا الحرم المقدس موطئا لأقدام جنودها . واتخاذه مكانا للعربدة والسكر واقتراف الخطايا .

ولعل فى هذا كله ما يكذب ادعاءات الصهيونية المتكررة بحبها للتعايش السلمى . وبمحافظتها على حسن الجوار والمحبة والسلام .. ولعل فى هذا أيضا ما يؤكد أن الصهيونية عدوة للبشر والانسانية . وهادمة لصروح الحضارات ومعوقة لتقدم الانسانية ولا عجب . فقد تحدث القرآن عن اليهود بأنهم انسلخوا عن الانسانية . وفقدوا كل معانيها الكريمة . وصفاتها الجميلة . حتى انحطوا بفسادهم وضلالهم الى مستوى القردة والخنازير فقال تعالى عنهم : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) .

ان الصهيونية شر مستطير وخطر داهم . وكابوس ثقيل يجثم على صدر الأمة العربية فهم قوم لا ترتاح نفوسهم الا على الاستعلاء والا ستقطاب والظلم . والحياة معهم ضرب من المستحيل .

وان على العرب جميعا أن يجابهوا هذا العدو اللئيم بكل ما لديهم من اصرار وعناد وايمان وفى شىء من التضحية والبذل والصبر والمصابرة (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .



للدكتور: مصطفى عبد الواحد

ان تحقيق المنهج الاجتماعى فى الاسلام ضرورة تفرضها طبيعة الاسلام وتفرضها مهمته فى الحياة ..

فربما كان لبعض الديانات السابقة العذر فى نأيها عن الحياة وتخليها عن المجتمع ، وقنوعها بأن تتجه الى الضمائر والقلوب داعية الى تصفية الروح وتهذيب النفس ، لا تعيش مع الناس دنياهم ولا تقيم حياتهم على أساسها ..

أو بعبارة أخرى .. تقسم الحياة الانسانية قسمين : قسم لله ، يتناول العبادات التى لاتكمل الا باعتزال الحياة ونبذ زينتها والهروب من فتنتها ، وترك الانغماس فيها .

وقسم آخر للناس ، هو الحياة الانسانية ، بأثقالها وتبعاتها ، بمشكلاتها وعقباتها ، وهذا لاينبغى أن يتدخل فيه الدين ولا أن يفتى فيه برأى ، بل يترك قيصر يصنع فى دنيا الناس ما يشاء ويتصرف كيف يريد ، ويذر الحياة كبحر هائج تصطخب فيه الأمواج ويعلو فيه الزبد فوق القمم ..

ربما كان لهذه الديانات عذر ، فهى بحكم ظروفها التاريخية واهدافها المحدودة ، وما استقر فى ميزانها من قيم ، لاتجد ماتفتى به ، ولا ما تمسك به الزمام فى ميدان الحياة ..

الاسلام والحياة :

لكن الاسلام خاتمة الرسالات السماوية جاء ليقود الحياة ويمسك زمامها ،

وليضع أمام البشر منهاج حياة متوازنة مستقرة ، تتضح فيها نظرة متكاملة ، ليس فيها عقد أو مجاهيل ، وليس فيها غموض ولا ازدواج ..
لقد جاء ليضيء آفاق الحياة أمام الناس ويمحو من دنياهم الظلام والضلال ..
« كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ، الى صراط العزيز الحميد » (١) .
فليس في وسعه أن يدع الناس يحيون بعيدا عن نور الوحى وهداية السماء .. بل كان عليه أن يبين لهم كيف يحيون فى هذه الدنيا كما يريد ربهم ويرضى ، وكيف يقيمون علائقهم فى شتى المجالات وفق عقيدتهم وعلى أساس مبادئهم ..
كان على الاسلام أن يقيم مجتمعا يحقق مبادئه ويطبق نظرته الى الوجود ويفسر رأيه فى الحياة والأحياء ..
وبهذا لايمكن أن ينأى الاسلام عن المجتمع ، ولا أن يرضى عن مجتمع يعتمد مبادىء ظالمة ويعتنق نظريات ضالة ، أو يحتفظ بعلاقات وقيم غير علاقات الاسلام وقيمه .
فقد صح فى القرآن أن رسالته هى قيادة الحياة وتوجيهها الى معرفة الله سبحانه وعبادته والرضا بحكمه ، فما يرضى الاسلام بالانعزال عن الحياة فى أنحاء مجتمع لا يرفع شعاره ولا يعلى رايته ، ولا ينزل على حكمه وهداه .
يقول الله سبحانه :
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .
وهذه الآية لاتعنى أن يصير الرسول قاضيا فى مجتمعه يلجأ اليه الخصوم وينزلون على حكمه ، ولكنها تعنى أن يرتضى المؤمنون أحكام الشريعة التى جاء بها الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وأن تتحقق الغايات وتتأكد العلائق التى أرادها الاسلام ..
وحين يحكم الرسول بين الناس فانه لا يحكم الا بما أراه الله من نور الوحى وهداه .
« إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٣) .
ولقد تأكد فى القرآن هيمنته على الشرائع والأنظمة ، واحاطته بالأهداف والمرامى جميعا ، اذ هو تنزيل الحكيم الحميد الذى أحاط بكل شىء علما ، فلله من القدرة ما يحكم به على كل شريعة أو قانون ، ومن العلم بالحقائق والتجارب ما يدرك به كل منزع ، ويقضى فى كل جانب ويهدى فى كل سبيل ، ويقدم للناس ماهو خير من كل محاولة قاصرة أو فكر عاجل ..
فليس من العدالة أن يعزل الاسلام عن اصلاح المجتمع مع هذه القدرة الفائقة على تسيير دفة الحياة فى صواب ورشد ، وأن يقف متفرجا على مايدور حوله ، وهو فى فطرته قائد رائد ..
« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ،

---

(١) سورة ابراهيم ١ .
(٢) سورة النساء ٦٥ .
(٣) سورة النساء ١٠٥ .

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٤) .

والحق أن كل ما يعارض الوحى الالهى الصادق من الاتجاهات والفلسفات فهو هوى ونزوة تنزع بالفرد والمجتمع الى الهلاك ، ومن ثم فان على الاسلام ، وهو حامل المشعل ورافع اللواء ، أن يؤدى واجبه الاجتماعى ويقوم برســـالته وينهض بعبئه ، فيغنى البشرية عن كل ماعداه من شرائع ونظم وتقاليد ..

« وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل اللـــه اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصـــيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (٥) .

★ ★ ★

غاية الاسلام :

ومن الجانب الآخر فان الغاية التى جاء الاســـلام من أجلها لا تتحقق الا بتوجيهه للمجتمع المسلم ورعايته ...

أليس قد جاء لاخراج الناس من الظلمات الى النور ؟

لرفع الاصر عن المستضعفين وفك الأغلال عن المستعبدين ؟

لتحقيق الحياة الطيبة والهداية للتى هى أقوم ؟

فهو ليس عقيدة تكتفى بالاســـتقرار فى الوجدان ، ولا فكرة يمتلىء بها الذهن فحسب ، بل هو عقيدة تفضى الى شريعة ، وفكرة يقوم على أســـاسها نظام كامل يهدف الى اقامة الحياة المتوازية المطمئنة على دعائم من معرفة الله وفى ظل من رضوانه ..

فهل يمكن أن يقوم الاسلام بذلك اذا انفصل عن الحياة وغض النظر عن آلام الانسانية .

وهل يمكن أن يحقق الاسلام الطمأنينة والسلام ويأخذ بأيدى البشر الى سبيل مستقيم دون أن يهديهم فى حياتهم للتى هى أقوم .

ان الاسلام حين يحال بينه وبين تطبيق مبادئه وتحقيق غاياته الاجتماعية يصبح معطلا عن عمله مصروفا عن رسالته ..

ولا تنتظر منه حينئذ أن يثمر ثمرته ويحقق هداه .

ان للاسلام رأيه فى العلاقة بين البشر ، ونظامه فى الثروات والأموال ، ومنهاجه فى القيم والمعاملات ، وتوجيهه للشباب ، وخطته للمرأة ، واسلوبه فى الحياة واتجاهاته فى الغايات والاهتمامات .. فهل يمكن أن نغض النظر عن ذلك كله ، ونريد من الاسلام أن يقنع بجانب الشـــعائر والعبادات ، ويفرح بأن تصـــير له طقوس ومعابد ، ثم يتجاهل رسالته الأولى ويقطع صلته باصـــلاح المجتمع وهداية البشر ؟

ان ذلك لا يكون أبدا وآيات الكتاب الكريم تنطق فى وضـــوح وحزم بأن الحياة الاجتماعية لابد أن تكون فى ظل الاسلام وعلى أساس هديه وتوجيهه ..

وذلك التزام يقبله المسلم بمقتضى اسلامه ..

---

(٤) سورة المائدة ٤٨ .

(٥) سورة المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٦) .

★ ★ ★

خطة الاسلام الاجتماعية :

وانك لتجد الاسلام يعلن خطته الاجتماعية ويكشف عن صبغته ويبين عن رسالته فى هداية المجتمع وتحقيق الحياة الطيبة ، منذ أيامه الأولى ..

كان من الواضح منذ نزلت آيات القرآن ان هذا الدين يختلف فى اسلوبه وغايته عما سبقه من رســالات السماء .. وان كانت تلتقى جميعا عند معرفة الله والايمان به والخضوع له .. لكنها لم تخض المعارك الاجتماعية ولم تجىء بمنهاج ينظم مجالات الحياة ويعالج مشكلاتها ..

أما الاسلام فقد كان منذ أيامه الأولى يهاجم أوضاع المجتمع الجاهلى الفاسد ويكشف سوءاتها ويسدد ضربات قاصمة اليها ، اعلانا لخطته الاجتماعية واشارة الى أنه قد جاء ليقوض ذلك البناء المتداعى ويقيم مكانه نظامه الالهى الخالد ..

كان المجتمع الجاهلى قد فقد الأساس الأخلاقى السليم ، وفشت فيه أدواء الأثرة وبدت فيه نوازع السيطرة والاستبداد وضاعت فيه حقوق الضعاف وأهمل البائسون ..

وقد واجهت آيات القرآن فى مكة هذا الفســـاد وحملت عليه فى مواقف متعددة ..

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلا لمـــا وتحبون المال حبا جما » (٧) .

كذلك كان الاهتمام وكانت العلاقة فى المجتمع الجاهلى ، وقد كان بامكان الاسلام لو لم تكن اقامة المجتمع المســـلم من أهدافه أن يغضى عما يسود ذلك المجتمع الجاهلى من قيم وما يحكمه من علاقات ، ويقنع بأن يسلم الناس بجانب العقيدة والعبادة فيه ، وبهذا يصبح بمأمن من المداوات التى جرها عليه تعرضه للنظام الاجتماعى ومهاجمته لأوضاعه ..

ولكنها رسالته التى كان عليه أن يحققها ويجاهد فى سبيلها ..

وفى دعوة الاســـلام الى العقيدة وتوجيهه الناس الى عبادة الله لا يجنح الى الشـــعائر وحدها ، ولا يرى فى مجرد قيامها تحقيقا لرسالته ولا يفرح بأن يصبح له عبادات ومحاريب وخلوات ، ويعزل ذلك عن الحياة والمجتمع وما يدور فيه من ظلم واثرة ، ولكن القرآن يعلن وهو فى مكة ان نظرته الى الحياة شاملة ، وأنه لا يعزل الجانب الاجتماعى عن جـــانب العقيدة والعبادة ، ولا بد أن تحكم الانسان وحدة الاتجاه والنظر ، وأن يصدر فى حياته عن اقتناع بالنظرة الاسلامية الشاملة فتتسق علاقته بربه مع علاقته بالناس والحياة .

فلن يرضى الاسلام عن مسلم يخلص فى عقيدته وعبادته ثم يقصر عن دوره الاجتماعى ويعيش فى فردية واثرة ولا يشـــارك فى تحقيق الطمأنينة والعدالة فى المجتمع ..

ومن هنا يعلن القرآن أن المساهمة فى اشاعة الرحمة فى المجتمع وشفاء

---

(٦) سورة الاحزاب ٣٦ .

(٧) سورة الفجر ١٧ — ٢٠ .

الآلام والمسح على الجراح وتخفيف الأحزان هو التجربة الكبرى التى يجب أن ينجح فيها الانسان ..

يقول الله سبحانه :

« فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يوم ذى مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » (٨) .

فنرى القرآن يبرز المشكلات الاجتماعية البارزة التى كان يشيعها التظالم ويضاعف من بلائها الأنانية والتكالب على المال فى المجتمع الجاهلى ، ويدفع أبناءه الى المسارعة فى تحقيق التكافل والتراحم فى المجتمع ، وبناء العدالة الاجتماعية على أسسها الراسخة ، ويجعل ذلك محكا للايمان واختبارا مؤكدا للعقيدة ..

ويكشف عن تلك النظرة ما يبرزه القرآن حين يعلن الخطايا التى أودت بالكافرين وهوت بهم فى الجحيم ، فاذا هى تشتمل على الخطيئة فى حق المجتمع والنكوص عن واجباته كما تشتمل على الكفر بالله وجحود فضله ..

« انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون » (٩) .

وبذلك يفصح الاسلام عن غايته ، ويرسم حدوده فى الأذهان ، ان تضييع طعام المسكين كفر بالنظام الاجتماعى الذى يراه الاسلام ، قرنه القرآن بالكفر بالله ونكران حقه ..

وفى سبيل اقرار القيم الحقة للنظرة الاسلامية الشاملة ، والربط بين الجانب الاعتقادى والجانب الاجتماعى فى الاسلام ، يبادر القرآن فى مكة أيضا برسم صورة مجسمة للمكذب بالدين ، تتضح فيها النقائض الاجتماعية التى كانت تفشو فى المجتمع الجاهلى ..

يقول الله سبحانه :

« أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » (١٠) .

ان ذلك لا يدع شكا فى أن منهج المجتمع المسلم ضرورة لابد من تحققها ، فان الآية ترسم صورة للكفران بالجزاء وانكار البعث من خلال السلوك الاجتماعى المخالف لتعاليم الاسلام وخطته ، وليس الاسلام بالذى يفرح بأن يصدق به الناس دون أن يرتبطوا به فى دنياهم ويقيموا حياتهم على أساس مثله وقيمه ..

وتكتمل هذه الحقيقة وتتسق فى بقية سورة الماعون التى نزلت فى المدينة ، فلئن كان مطلع السورة وصفا للمكذب بالدين من جانب أخلاقه الاجتماعية الفاسدة ، فان ختامها حرب على التدين الكاذب الذى يحاول الاكتفاء بمظاهر

---

(٨) سورة البلد ١١ — ١٨ .
(٩) سورة الحاقة .
(١٠) سورة الماعون .

الشعائر دون أن يصل الى الحقيقة الشاملة التى يؤكدها الاسلام ، وهى أن الدين فى حقيقته منهاج حياة وأسلوب معاملة وبرنامج متكامل لتحقيق السعادة والطمأنينة للبشر ..

فما الذى يفرق بين جانب معرفة الله وبين الالتزام بأمره فى الحياة ؟

ان العابد الذى لا يتعلم من عبادته كيف يشارك فى اسعاد الناس وكيف يلتزم بالخير فى سلوكه معهم ، عابد كذاب لا يرضى عنه الاسلام ..

« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (١١) .

ان السورة كلها توجيه الى الحقيقة الكبرى ، حقيقة المنهاج الاجتماعى للاسلام ، وحرب على التدين القاصر الذى يقتنع بالشعائر والطقوس ..

★ ★ ★

القرآن يحارب المجتمع الجاهلى :

والذى يتتبع اشارات القرآن المكى الاجتماعية وتناوله للمفاسد والمظالم التى كانت تعج بها الحياة الجاهلية يصل الى الاقتناع بأن الجانب الاجتماعى من الاسلام من الأصالة والوضوح بحيث لا يمكن تجاهله أو الاغضاء عنه ..

ان الاسلام لم يغض الطرف عن تلك المفاسد ولم يشغله جانب العقيدة والعبادة عن توجيه الحملات الى مظالم الجاهليه ولو لم يكن لها ارتباط بجانب الاعتقاد ..

فقد كان ذلك المجتمع يقوم على الأثرة وتشيع فيه أدواؤها المريرة ولم يكن بد أن يهاجم الاسلام تلك المظاهر الاجتماعية الأثيمة ، ويقتلع الأسس الفاسدة التى يقوم عليها الترابط والتعامل ..

فهذه صورة هاجمها القرآن فى مكة ، وهى صورة قد تبدو جزئية أو فرعا مرتبطا بأصله ، لكن مغزاها الاجتماعي ودلالتها على سوء العلاقة وخبث الصلة بين الناس ، جعلت القرآن ينزل بشأنها وتسمى سورة منه باسمها ، سورة المطففين :

« ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كلا ان كتاب الفجار لفى سجين » .

فلو لم يكن للاسلام منهجه الاجتماعى الواضح ، لما كان له ذلك الاهتمام بمثل تلك المواقف ، ولترك البشر يتعاملون وفق قيمهم ورغائبهم ، أو عواطفهم واتجاهاتهم .

ولكن أى منفعة تبقى للاسلام حين يترك البشر يتظالمون ويتضاغطون ويعصف بهم الظلم والهوان ؟

ان ذلك الموقف من المطففين يؤكد أن للاسلام برنامجه الاجتماعى الأصيل ، وأنه لا يطمئن بالحياة فى مجتمع لا يعتنق منهجه ولا يحقق مبادئه .

والمغزى الواضح لتلك الحملات والمواقف الاجتماعية فى السور المكية ، أن هذا الدين قد أتى بخطة اجتماعية جديدة عليه أن يثبت دعائمها فى الحياة ،

---

(١١) سورة الماعون .

وأنه لا يتخلى فى أحرج الظروف عن هذه الغاية ، لأنه يرى أن التخلى عنها يصرفه عن وجهته ويعوقه عن أهدافه ..

ولو لم يكن قيام المجتمع الاسلامى ضرورة لابد منها لما اثار القرآن عداوات الكفار ولما أخرج أضغانهم فى هجومه على الأوضاع الاجتماعية الفاسدة وحربه للتقاليد الظالمة وفضحه للعورات الاجتماعية الشائنة ، ولقنع الاسلام بالعقائد والشعائر ، ولم يقاتل قتاله العنيف فى هذا السبيل ..

جهاد الاسلام لتحقيق منهجه :

ومضت السنون بالدعوة الاسلامية فى مكة وهى تعيش فى مجتمع يخالفها ويصد عنها ويعترض سيرها ..

فكان على الاسلام أن يمد بصره الى ماوراء مكة ويتطلع الى اقامة مجتمع جديد يصدر عن هديه ويقوم على مبادئه ويستهدف تحقيق الغايات التى جاء بها .

وما هو الا أن وجد الأنصار الذين قبلوا دعوته وبايعوا على نصرته ورضوا به على سبى الذرارى وفقد الأموال وعض الحرب والوقوف فى وجه الناس جميعا ، حتى كان على كل مسلم أن يهاجر الى المدينة ويخرج من مجتمع الكفر فى مكة ، حتى يضع لبنة فى بناء المجتمع الاسلامى ..

وسارع المسلمون الى الهجرة لا يمنعهم عنها مال ولا ولد ..

كأبى سلمة الذى حاول الهجرة الى المدينة فحال أصهاره بينه وبينها ، وقالوا له : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت أم سلمة : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه ، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا ..

قالت : فتجاذبوا بنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة .

قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى !

وما زالت أم سلمة حزينة باكية حتى رحموها فلحقت بزوجها ومعها ولدها .

ومنهم من تخلى عن ماله حتى يخلى المشركون سبيله ، كصهيب الرومى الذى قالوا له : أتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم قال : فانى جعلت لكم مالى .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ربح صهيب !

وذلك يدل على أهمية الخطوة التى خطاها المسلمون بتحولهم من مكة الى المدينة ، وخروجهم من مجتمع الكفر الى مجتمع الايمان ، انها لم تكن مغامرة ولا رحلة ولا لجوءا ولا هربا ، لكنه كان بناء لمجتمع جديد على أساس عقيدة جديدة ، ولولا ذلك لقضى على الدعوة الاسلامية فى مهدها ، أو على الأقل لعاشت صدى خافتا لا يملك هداية الناس ولا يأخذ بأيديهم للتى هى أقوم .

وبلغ من حرص الاسلام على اقامة مجتمعه الجديد وحتميته فى فرض الهجرة ، أن عزل الذين لم يسارعوا الى الهجرة الى المدينة وليس هناك ما يحول

بينهم وبين ذلك ، عن المجتمع الاسلامى ، وحرم على المسلمين موالاتهم حتى يهاجروا ...

قال الله سبحانه : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (١٢) .

وتتابع المهاجرون الى المدينة ونزلوا على الأنصار . الذين وسعتهم ديارهم وأموالهم ، على النحو الذى سجله القرآن ، مما لا نظير له فى تاريخ الدعوات والأديان .

وكان لابد للاسلام أن يحكم الرابطة ويعمل على تأكيد الأواصر وحث الخطى فى بناء المجتمع المسلم .. فلم يدع فرصة لنزعة نحو الانفراد أو نأى عن الجماعة أو خروج عن رابطتها أو قصور عن واجباتها ...

ومن هنا كان الخطاب فى القرآن دائما يتجه الى الجماعة باعتبارها كيانا واحدا ، فى التكاليف والفرائض : يا أيها الذين آمنوا .

وذلك حتى يشعر كل مسلم أن كيانه الحق فى اطار مجتمعه وأن وجوده مقترن بوجود الجماعة التى تعينه على اتباع سبيل المؤمنين وتؤازره فى سلوك الطريق المستقيم ..

ولذلك فقد ارتبطت العبادات فى الاسلام بنزعته الى التجمع واستهدفت تأكيد الرابطة فى مجتمع الاسلام ..

فالصلاة فى أكمل صورها وأعظمها أجرا حين تكون فى جماعة ..

وليس لذلك من مغزى الا اغتباط الاسلام باعلان شعائره ورضاه عما يؤكد رباطه الاجتماعى ويحقق سعيه لتشييد صرح مجتمعه القوى .. بل يجعل صلاة الجمعة فريضة محتمة ، لتكون رباطا ضروريا يزيد الصلات ويحفظ كيان الجماعة ..

وفى تشريع الصيام كانت النظرة واضحة الى رعاية العلائق وشد الأمة المسلمة الى كيان نفسى ونظامى واحد . فارتبطت فريضة الصيام بشهر واحد وأوقات منظمة وشعائر واحدة ، تعمل عملها فى تقوية البناء واذكاء رباط الوحدة بين المسلمين ..

والى هذا المنزل أيضا اتجه الحج على نطاق أشمل وفى دائرة أرحب ، تؤكد لهذه الأمة أن ربها واحد وأن دينها واحد وأن غايتها فى الحياة واحدة .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (١٣) .

مكانة المجتمع فى الاسلام :

ويتبين لنا مما عرضناه أن الاسلام قد وضع المنهج الاجتماعى فى رسالته موضعه الأصيل ، وكان ذلك متسقا مع دور الاسلام فى حياة البشر ، اذ كان على الاسلام أن يقود الحياة الى شاطىء الطمأنينة وأن يتجه بالبشر الى السلام فى حياتهم بعيدا عن الشقاء والدمار ..

كما أن الأمد الذى تبقى فى حياة الانسانية — منذ جاء الاسلام — كان أمدا يتضح فيه دور المجتمع فى حياة الانسان ، وكانت الانسانية تخرج بسعة من دور القبيلة الى دائرة المجتمع والدولة فكان المجتمع بأنظمته ومناهجه وروابطه هو

---

(١٢) سورة الانفال ٧٢ .

(١٣) سورة الانبياء ٩٢ .

المجال الذى ينتظر هداية السماء والذى يفتقر الى كلمة الحق المضيئة التى تبدد العماية والفساد ..
ومن غير الاسلام كان قادرا أن يأخذ بيد المجتمع الانسانى أو أن يقول له كلمة الحق ... ؟
ان الأديان السابقة بما تبقى فى يدها وبما واجهته من ظروف معنتة لم تكن تقوى على أن تمسك الزمام أو تدعى القدرة على هداية الركب الانسانى فى بيدائه الحيرة ولم يكن هناك الا بقايا الحضارات المادية التى تهتدى الى عنصر من الحق يختلط به العديد من الاوشاب والأقذاء !!
ولولا الاسلام فى ذلك العالم ، الذى بزغ فيه ، لما كان للانسانية القدرة على مواصلة المسير الى هدف صائب حتى اليوم ..
فلقد هدى الاسلام البشرية فى متاهتها وأخرجها الى آفاق رحيبة مضيئة تنفست فيها الصعداء وأدركت من الحقائق والأهداف مالم تكن تعلم ..
والحق أن أثر الاسلام فى المجتمع الانسانى — من جوانبه المباشرة وانعكاساته على السواء — من الوضوح بحيث لايجحده الا مكذب كنود .
وكان من فضل الاسلام على الانسانية أنه أقام فى هذه الحياة مجتمعا أثبت للانسان أن بامكانه أن يذوق السعادة ويشعر بمعنى هذه الحياة حين يتبع منهج السماء ويذعن لارادة خالقه فيما يهديه اليه ..
واستطاع الاسلام أن يمد جناح الحب والرحمة والطمأنينة على طول البلاد التى دخلت فيه وفرحت به واستظلت بظله ، طالما حافظت على هديه واستمسكت بمبادئه ، قرونا عديدة لم يغير أمرها بعد ذلك الا نبذها لتعاليمه وغفلتها عن هداه نتيجة لمكر الكافرين وخطط الجاحدين فى عصرنا المادى الذى نعيش فيه ..

الاسلام والمجتمع فى العصر الحديث :

والحق أن خطة الاسلام الاجتماعية لم تكن فى عصر ألزم له وأهم من هذا العصر الذى نعيش فيه ! ؟
انه عصر النظم الاجتماعية والبرامج المتكاملة التى يخايل بها المزورون الانسانية والتى يدعون بها أنهم توصلوا الى الحل الناجع لمشاكل الانسان وأحاطوا حقا بدائه ودوائه ...
ورغم أن الليالى تفضح البهتان وتكشف الزيف الا أن احكام الدعاية وبهرجة المنطق ربما تفتن المخدوعين وتلعب بأحلامهم الصغيرة فيتصورون فى خيالهم جنات زاهية وقصورا مزدهرة وراء تلك الدعايات الاجتماعية الزائفة ، وهى فى حقيقتها لا تسلم الا الى سجون كريهة وسفوح منتنة كما هو مشاهد فى الغرب المادى .
فكيف يقف الاسلام اليوم فى المجتمع الانسانى صامتا بينما يتكلم الافاكون ويفصح الدجالون ..
وكيف يوارى الاسلام منهجه الاجتماعى ويخفى حلوله أو يئدها بينما الشياطين تتخطف الناس الى أوديتها السحيقة وتهوى بهم الى المهالك ؟
ان الذين يطلبون من الاسلام اليوم أن يكتم بعضه وأن يبتر شطره الاجتماعى ، ويقنع بأن يحيا دين اعتقاد وشعائر ، انما يريدون من الاسلام أن يتخلى عن رسالته وأن ينصرف عن غايته التى جاء الى هذه الحياة من أجلها ..
وهذا مايأباه الاسلام بطبيعته ، ويأباه دوره فى حياة الانسان ..



أي يوم للعلا ، أشرق بي ... أنا منه في خيال عجب ؟
هذه الوثبة من تاريخنا ... تربط العرب بمجد العرب
فأعدوا ما استطعتم قوة ... فهي اليوم سبيل الرهب
ان للمدفع صوتا راعدا ... طالما أيد صوت الكتب
سلحوا الأشبال بالايمان ، والبأس ، والعلم ، وحسن الأدب
هو ذا اليوم الذي يربطنا ... بشباب من كرام النسب
قد وعى التاريخ من سيرتهم ... ما وعاه في أبر الكتب
انني أذكر منهم فارسا ... وفتى كان أبا للعرب
فادع فتيان الحمى كي يأخذوا ... عن نبي للهدى ، وابن نبي
عرك الخطب ، واذ ناجزه ... جاءه النصر بأقوى سبب
من كابراهيم اذ حفت به ... عصبة الشر ، وأهل الريب
انه نعم الفتى يوم مضى ... يعجز القوم بقول عجب
أإله ذاك ، أم ذا صنم ؟ ... ما يعي رأسا له من ذنب
إنما الله إله واحد ... كيف نستهدي بدين كذب ؟!
كان للشرك لواء خافق ... عقدوه فوق هام النصب
كيف يغدو دونه ذاك الفتى ... مسرفا في غيه ، واللعب ؟!
إنه يدعو الى نبذ الذي ... قدسوه ، يا لهول الطلب
قف معي ، والقوم في سكرتهم ... والفتى ينسل خلف الحجب
هرول الشيطان مجنون الخطى ... أسحم الوجه كليل المخلب
وحثا الترب على هامته ... وهو مزور بنار الغضب
كان إبراهيم يدعو ربه ... بولاء الخاشع المقترب
يجمع العزم ، ويهوى بالتي ... مزقت شمل ضحايا القرب
حطم الأصنام لم يترك سوى ... كابرا منها عريض المنكب
علق الفأس على كاهله ... عله إن يسألوه يجب

قف معي .. والقوم في سكرتهم ..

للأستاذ : محمد هارون الحلو

ذهل القوم ، وقد روعهم … زلة الرأى ، وفقد السلب

واستطار اللب منهم ، وغدوا … بالفتى بين القنا ، والقضب

وسنا البرهان من منطقه … يعجز القوم ، فما من معتب

اسألوهم إنهم آلهة ! … كيف لا تدفع بأس النوب ؟!

يا لابراهيم فى إيمانه … وهو فى المحنة سامى المأرب

لم يكن ذاك الفتى فى رهبة … إنما الغى حليف الرهب

صدق العقل بما جاء به … وأبوه منه لم يستجب

ومضى النمرود فى قصته … وهو يدعو قومه عن كثب

حرقوه ، وانصروا آلهة … واجعلوه طعمة للهب

يا لابراهيم يغدو باسما … وله هالة وجه الكوكب

جاء نصر الله ، فانقاد له … فى ضحى الحق حماة الشغب

قم معى نصعد رءوس الحقب … حيث دين الله عالى الطنب

حيث ابراهيم يدعو ربه … رب ، وابعث فيهم خير نبى

واسمع اللحن سماوى الصدى … وهو بالبشرى سنى الموكب

أيها الغادى اتئد إنا على … مرفأ النور بحلم أعذب

نحن فى جلوة عيد المصطفى … النبى الهاشمى العربى

خصه الله بدين قيم … واجتباه ، وهو نعم المجتبى

جاء بالقرآن نورا ، وهدى … فى بيان قدسى عجب

لم يكن شعرا ، ولا سحرا ، ولا … من كهانات دعى أكذب

إنه الحق الذى أرسى به … أحمد المختار دين العرب

وامض بالتاريخ فى موكبه … هل ترى من ناصح ، أو معتب ؟

أين فرسان شداد نهضوا … لدفاع الشرك ، من كل أبى ؟

هذه القصة من تاريخنا … قصة المجد ، ودرس الغلب

نبعث الفتيان من أشبالنا … فى هداها ، وهى أسنى مذهب



عمر بن عبد العزيز معلم العلماء

قانون التفرغ للبحث العلمي

خطر الثنائية بين العلم والعمل

للدكتور: عماد الدين خليل

لم يترك عمر بن عبد العزيز ميدانا من ميادين العمل والكفاح الا أدلى بدلوه فيه: (رسم المشاريع، وحدد الخطط، وأشار الى الأهداف، وسار بما يحيط به من امكانيات أمة متحضرة، فتية، حثيثا صوب تلك الأهداف ... ان الشخصية الايجابية الفعالة للمسؤول المسلم تتبدى — هكذا — واضحة فى خلافة عمر، انه يريد أن يطبع كل ميدان بصبغة الله، وان يشد كل فاعلية الى مصادرها الأصيلة من القرآن والسنة، وان يرسى أسس الدولة الاسلامية وحضارتها على قواعد العقيدة التى تقوم على شهادة لا اله الا الله، محمد رسول الله.

وها نحن معه، لحظات، وهو يعمل مع أحبار الأمة ومربيها ومعلميها فى ميدان التربية والتوجيه والتثقيف، ودائما ننطلق مبتدئين بوجوده هو، فتلك هى القاعدة التى أكدها الرسول عليه السلام طيلة ثلاثة عشر عاما من عمر الدعوة: ان يبدأ الانســـان ثورته من الداخل، ان يقوم بعملية تغيير باطنى سماه الرسول الجهاد الأكبر ومن ثم يجىء الانقلاب على القيم والأوضاع والقيـــود الخارجية .. وسيرى هذا الانسان آنذاك كيف ستؤتى ثورته أكلها، وكيف سيشـــهد التاريخ انقلابا تتوازن فيه القيم الخارجية والباطنية على السواء. وكيف أن الثورة الأصيلة فى كل ميدان — هى تلك التى تقوم على ما يمكن أن نسميه (التغيير الداخلى — الوجدانى) اذ أن أية ثورة لا تقوم الا على الفراغ، وعلى ارادة التحطيم الخارجى فحسب، سوف تنتهى بالفشل لأن الله ســبحانه: (لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

وما كان لعمر اذن ـــ هنا فى ميدان ، التربية والتثقيف ، الا أن يبدأ عملية التغيير العظيم هذا فى نفسه أولا ، بمعنـــى آخر : ان يكون مثقفا كى يمـــارس التثقيف ، وأن يكون القدوة الحية الصالحة كى يمارس التوجيه .
ونستطيع الآن ان نخمن ماذا يمكن أن يحدثه أى توجيه تربوى يمكن أن يمارسه عمر تجاه أمته ، بل تجاه أمم الأرض وقادتها وحكامها ، قال البلاذرى فى فتوح البلدان : « .. كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك الهند يدعوهم الى الاســـلام والطاعة ، على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه ، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب » ونضيف الآن رواية الطبرى حيث يقول : « كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء ، واتخاذ مصانع وضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع ، فولى سليمان بن عبد الملك فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى، فلما ولى عمر بن عبد العزيز ، كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وراءك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ ! » .
ولنا أن نتصور ـــ بعد هذين الشاهدين ـــ الدور الكبير الذى لعبه الخليفة القدوة فى حياة الناس الذين عاصروه ، انه استطاع عن طريق انتصاره ، لا ان يكسب حكاما وشعوبا الى الاسلام فحسب ، بل ـــ وهذا هو الانتصار الحقيقى ـــ ان يعيد الأمة الاســـلامية نفسها الى تجربتها الروحية والفكرية ، والى ارتباطها الجماعى الدائب ـــ عبر الايام والليالى ـــ بالله : صلاة وصياما وتلاوة قرآن ، وذكرا للـــه قياما وقعودا ، وتفكيرا فى خلقه ، وايمانا حيا ، دفاقا فى وجدانهم يتفجر عن هذا الاتصال المستمر بالله وملكوته .
وتلك هى القاعدة ـــ أو الخلفية ـــ التى هيأت للأمة الاسلامية فى عهـــد الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين أن تصـــنع المســـتحيل ، وان تنتقل بمدنية العالم خطوات الى الأمام ، بعد أن صبغتها بصبغـــة الله ، ورفعت فوقها راية (لا اله الا الله) .
ولنا الآن ان نعرف شيئا عن عمر (المثقف) لكى نستعرض بعض مشاريعه ومنجزاته فى هذا الميدان . (لقد هيأت الظروف لعمر ، مذ كان طفلا يرعاه ابوه عبد العزيز بن مروان امير مصر ، أوضاعا ممتازة للتعلم والتثقيف ، وكان هو قد أعرب عن حرصه على العلم وحبه للأدب منذ تفتح وعيه للحياة » (١) . فقد عكف منـــذ صباه ـــ وهو بعد فى مصر ـــ على مجالســـة الصحابة ورواة الحديث ، والاســـتماع الى الشعر والأدب ، حتى قيل أن مجلسه كان ندوة للفقهاء والعلماء والأدباء . وحفظ القرآن وهو بعد صغير . ثم ما لبث أبوه ان أرسله الى المدينة المنورة لطلب العلم ، فتفقه فى الدين ، وروى الحديث ، وعكف على دراسة الأدب ونظم الشعر (٢) كما قام باتصالات عديدة بشـــيوخ المدينة ، تمكن عن طريقها ان يبلغ شأوا بعيدا فى ميادين الفقه والحديث (٣) .
ظل عمر بن عبد العزيز يعمـــل فى هذا الميدان ، وينهل من موارد المعرفة الاسلامية : قرآنا وتفسيرا ، وفقها وحديثا وعقائد وتشريعا ، حتى بلغ من علو كعبه واستبحاره فى العلـــم ان قيل : كانت العلماء مـــع عمر بن عبـــد العزيز تلامذة (٤) ، وحتى قال الذهبى عنه فى تذكرة الحفاظ (كان عمر يقرن بالزهرى فى علمه (٥) وقال مجاهد (أتينا لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه) (٦) وقال ميمون بن مهران (كان عمر معلم العلماء) ، وقال رجاء بن حيـــوة : (ما رأيت أفصح من عمر بن عبد العزيز) وقال أحد عمالـــه : (ما التمســـنا علم شىء

الا وجدنا عمر أعلم الناس بأصله وفرعه) ويبلــغ من تقدير الامام أحمــد بن حنبل لعمر أن يقول عنه : (لا أدرى قول أحد مــن التابعين حجة الا قول عمر) ويحكى الليث كيف ان أحد أصــحابه رأى سليمان بن يسار خارجا من عند عمر فسأله : أمن عند عمر خرجت ، قال : نعم قال : تعلمونه ؟ قال : نعم . قال : هو والله أعلمكم .

ولولا الخلافة وتكاليفها لكان عمر قد قطع خطوات واســعة أخرى فى هذا الميدان ، ولأصبح من العلماء المعــدودين والفقهاء المشـــهورين وما أن تــولى عمر أعباء مهمته كخليفة للمسلمين حتى بدأ بتحويل مركز حكمه الى ساحة يجتمع فيها علماء الامة وأحبارها وربانيوها ، وأبعــد كل الشعراء المرتزقة الذين كان البلاط يعج بهم . ومن ثم راح يبذل نشاطا واسع النطاق فى هذا الميدان ، أبرزه تلك العناية العظيمة التى أولاها (علم الحديث) الذى يمثل السند اليقينى الثانى ــ بعد القرآن الكريم ــ لعقيدة المسلمين وشريعتهم ووجودهم . يقول ابو الحسن الندوى : أراد الله سبحانه أن يكون لعمر فضيلة السبق فى هذا الميدان كما كان لجده العظيم ــ عمر بن الخطاب ــ فضيلة السبق لجمع القرآن فانه رضى الله عنه هو الذى أشـار على أبى بكر بجمعه . وقد كتب عمر بن عبد العزيز الى أحد كبار علماء الحديث وأوعية العلم فى عصره : أبى بكر بن محمد بن حزم : (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه ، فانى خفت درس العلم وذهاب العلماء) وأشـار عليه بالعناية الخاصة بمجاميع عمرة ابنة عبد الرحمن الانصارية وقاسم بن محمد بن أبى بكر ، لأهميتهما ، ولم يكتف بأبى بكر بن حزم ، بل كتب الى عماله فى الاقاليم (انظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه) ، وأصدر منشورا يأمر فيه أهل العلــــم أن ينشروا العلم فى مساجدهم (فان السنة كانت قد أميتت) .

من ثم سيظل المسلمون يدينون لعمر بن عبد العزيز فى هذا الميدان العظيم حيث أقبل على تدوين العلوم الاسلامية المتمثلة بالحديث ، بعد أن تعرض للضياع لانصراف الناس الى السياسة والادارة والحروب .

لم يكن عمر بالانسان الذى تستهويه المشاريع الكبرى فيقف عند مشارف الخيال لا يتعداه .. بل هو ــ بما عرف عنه من عملية ايجابية ــ سرعان مايحيل الخيال العريض هــذا الى واقع يشهده التاريخ : فيمهد له الظروف ويحيطـــه بالضمانات العملية ، ويهيىء له من الاسباب ما يجعله يستحيل حركة مشهودة .

وها هو فى مجال هام كهذا ، يضع ما يسمى اليوم بـ (قانون التفرغ) حيث تتولى الدولة كفالة عدد من العلماء والمفكرين كى تتيح لهم التفرغ الكامل لانجاز المشاريع الفكرية التى يعكفون عليها اختيارا أو بتوجيـــه من الدولة .. فيجرى الارزاق على علماء الحديث والجمع هؤلاء ، ويرتب لهم الرواتب ليتوفروا على نشر العلم ويكتفوا مؤونة الاكتساب . فكان يمنح من بيت المال مبلغا قدره مائة دينار لكل من انقطع الى مسجد جامع فى أى بلد اسلامى لغرض التفقـــه ونشر العلم ، وتــدريس القرآن وتــــلاوته وكتب الى والى حمص (انظر الى القـــوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ماهم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هــذا ، وان خير الخير أعجله والسـلام) وفى رســـالة أخرى لوالى حمص يزيد الخليفة مشروعه هذا توضيحا فيقول : (مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئــلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن ، وما حملوا من الاحاديث) . كمـــا قام عمر بارســـال يزيد بن أبى مالك والحارث بن محمـــد

الى البادية ليعلما الناس السنة وأجرى عليهم الرزق ، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث وقال : ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجرا . فذكر ذلك لعمر فقال : (ما نعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحادث) وقد عبر عمر بهذا الجواب عما يجب أن يتحلى به الحاكم المسلم من مرونة فكرية وعدم جمود على الاشكال ، فأعلن أن أخذ الاموال لقاء الخدمات العلمية أمر لا بأس به ، وسأل الله — من جهة أخرى — أن يكثر من أمثال أولئك الذين يتبرعون بهذه الخدمات مبتغين أجر الله وحده !!

ونشهد موقفا آخر من المواقف التى تعبر عن هذه المرونة الفكرية عندما استدعى عمر الى دمشق عامله على خراسان لدى سماعه أنباء تشير الى عدم التزام هذا العامل بالعدل الكامل مع أهل خراسان . فأسرع هذا بمغادرة ولايته تنفيذا لأمر الخليفة . وعندما وصل دمشق ، ووجد الخليفة على وجهه سيماء التعب والاجهاد ، سأله : متى خرجت ؟ أجابه : فى شهر رمضان ، فرد عليه الخليفة : قد صدق من وصفك بالجفاء !! هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج ؟ ثم لنتأمل معا قوله : (ما يسرنى لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة !!)

لم تشغل أعباء الخلافة عمر عن توجيه الاهتمام الكافى شخصيا فى هذا الميدان ، فهو لا يكتفى بتوجيه العلماء الى أداء المهام الاساسية ، وتهيئة الظروف العملية لانجاز هذه المهام ، بل يسهم بنفسه فى تقديم معطياته الثقافية للأمة الاسلامية بشتى فئاتها : فيعقد مجالس الحديث ، ويروى عن المحدثين الثقاة من التابعين : أبيه وأنس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وابن قارظ ويوسف بن عبد الله بن سلام وعامر بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبى بكر ابن عبد الرحمن والربيع بن سمرة وآخرين . وينقل عنه الحديث علماء كبار من التابعين كالزهرى ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الانصارى ومسلمة بن عبد الملك ورجاء بن حيوة وآخرين .

ويقوم بجمع الاحاديث الموثوقة المسندة ، وتدوينها فى (مسند) يعرف حتى اليوم باسمه . ويبعث برسالة الى عماله يوصيهم فيها بالاحتياط فى تنفيذ العقوبات ويشرح لهم نظام التعزير الاسلامى ، ويكتب الى أحد عماله (ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الايمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وان أمت فما أنا على صحبتكم بحريص) ، وكان يقتطع من أوقات راحته فى الليل ساعات لاقامة الندوات العلمية وفتح باب النقاش الحر الذى أدرك — عمر — كم هو حيوى للتوصل الى الحقائق المجردة ، وقد أعرب عن ادراكه العميق لما ينتج عن التقاء الافكار من نتائج فكرية ايجابية ، عندما سأله رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، نهارك كله مشغول ، وهذا جزء من الليل وأنت تسمر معنا ؟! فيجيئه الجواب من معلم العلماء : يا رجاء ان ملاقاة الرجال تلقيح لأوليائها ، وان المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة ، لا يضل معهما رأى ، ولا يفقد معهما حزم) .

(وجدت ملاقاة الرجال تلقيح لأوليائها) !! لقد أصاب عمر كبد الحقيقة : ان صدام الافكار بالافكار ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وتقابل البرهان بالبرهان ، يحرك الفكر ، ويعمقه ، وفوق هذا وذاك يحدث لقاحا فتمخضا عن مزيد من الافكار .

أدرك عمر المثقف ، المسؤول ، قوة الكلمة ، وانها اذا ما انبثقت عن قلب

يتفجر بالايمان ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، غدت أعظم نفعا وأكثر فاعلية من كثير من الوسائل الاخرى التى يتوسل بها المرشدون لتوجيه الناس صوب ساحات الخير واليقين .. وكتب الى القرطبى — أحد علماء الامة — يقول (ان الموعظة كالصدقة ، بل هى أعظم أجرا وأبقى نفعا وأحسن ذخرا ، وأوجب على المرء المؤمن حقا . لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها فى هدى رغبة ، خير من مال يتصدق به عليه ، وان كان به اليه حاجة .. ولئن ينجو الرجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر . فعظ من تعظه لقضاء حق عليك ، واستعمل نفسك حين تعظ !! ولكن كالطبيب المجرب العالم الذى قد علم أنه اذا وضع الدواء حيث لا ينبغى أعنته وأعنت نفسه .. واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح ، أو ليفتح فلا يغلق ، ولكن ليغلق فى حينه ويفتح فى حينه) .

كما أدرك عمر حقائق جديرة بالاعجاب فى ميدان التربية . التربية التى تسعى الى تكوين طفل مسلم ، موحد الذات والاهداف غير منقسم على نفسه بين القول والعمل ، أو بين الواقع والمثال، طفل ينمو ويكبر وهو يمشى ، ان قراءة القرآن والتشبع بأدبه ترتبط ارتباطا شرطيا بركوب الخيل والتراشق بالنبال ، وان الفطام — منذ هذه المرحلة — عن الترف والملذات والملاهى هو الذى يخلق الرجال . وتلك — لعمرى — أهداف ارتدت عنها خائبة جل البرامج التربوية الحديثة .

ولنقرأ معا كتاب عمر الى مؤدب أولاده : « .. انى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم اليك عن غيرك من موالى وذوى الخاصة بى . فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لاحترامهم ، وترك الصحبة فان عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فان كثرته تميت القلب . وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان .. فانه بلغنى من الثقات من أهل العلم ان حضور المعازف واستماع الاغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء .. وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن ، يتثبت فى قراءته ، فاذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج الى العرض حافيا ، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف الى القائلة ..) .

● ● ●

ان أبرز ما يلاحظ فى رسائل عمر المتتالية الى ولاته وموظفيه ، هو التأكيد على ربط العلم بالعمل . فلا عمل بلا علم ، ولا علم بلا عمل . فهذا هو المفهوم التربوى الذى جاء به الاسلام ، وكرس القرآن والرسول من أجله عددا كبيرا من الآيات والاحاديث . وتلك هى ميزة الاسلام عن سائر المبادىء الوضعية التى تعانى ثنائية وازدواجا فى طبيعة العلاقة بين العلم والعمل . هذه الثنائية التى تتبدى فى دراساتهم ومشاريعهم النظرية ، وفى واقعهم العملى .. فهنالك دائما جدار فاصل بين المذاهب وبين الاعمال . والذى يقرأ معطيات الوضعيين الفكرية والفلسفية منذ عهد أفلاطون وحتى العصر الحديث يلاحظ هذه الثنائية وما من شك فى أن هذا الانفصال أمر محتم فى كل مبدأ لا يخاطب كينونة الانسان ، ولا يتعامل مع واقع الحياة ، ولا يرسم الخطوات الحصيفة لربط الاسباب بالمسببات والافكار بالاعمال . ان جانبا من أهم جوانب اعجاز الاسلام ربما انه مبدأ الهى — هو هذا الاتصال الطبيعى ، العفوى بين التوجيه والتنفيذ ، أو بين

العلم والعمل . لأن الله ـــ الذى هو سبحانه ادرى بخلقه ـــ كان يخاطب فى رسالاته دائما فطرة الانسان وكينونته ، لا جانبا واحدا منه فحسب . وكان ـــ سبحانه ـــ قد هيأ لمبادئه كل امكانات التعامل مع الواقع البشرى للتسامى به الى الآفاق التى شهدها دائما تاريخ الأنبياء والمؤمنين . وقد أدرك الأنبياء ، ومن بعدهم خلفاؤهم وتلاميذهم ، ان اخطر ما يمكن أن يصيب اتباع ديانة من الديانات هو ايجاد هذا الانفصال الخطير بين العلم والعمل ، وخلق هذه الثنائية بين التوجيه والتنفيذ . لأن ثنائية كهذه ـــ مهما كانت درجتها ـــ كفيلة بتجميد فاعلية المبادىء الاساسية للأديان من جهة ، وتمزيق وحدة الذات الانسانية من جهة أخرى ، بحيث لا تغدو قادرة أبدا على التوحد واعادة الانسجام والأخذ عن المبادىء السابقة . هذا ما حدث لبنى اسرائيل ، ولكثيرين غيرهم من اتباع الديانات . فضلا عن ان ثنائية كهذه امر محتم بالنسبة لكل المبادىء الوضعية التى تقع دائما فى خطأ اهمال الانسان كانسان ، ومخاطبة جانب واحد منه فحسب . ومن ثم تفقد أية قدرة على تربيته وتحريكه . ومن جهة أخرى فان من الامور المسلم بها ان العمل ، دون قاعدة علمية توجيهية ، لا يأتى بأية نتيجة جدية . وهذا العمل ، وان كان يتسم احيانا بطابع الشعبية والجماهيرية الا ان نتائجه تأتى دائما كالزبد الذى يخدع فورانه الظاهر كثيرا من الناس . ثم انه سرعان ما يذهب جفاء ولا ينفع الناس !! وتلك هى حركات الفوضى العديدة التى شهدها التاريخ ، والتى انبثقت عن اعمال مرتجلة لا تستند الى أية قاعدة توجيهية أو علم . . كيف انطلقت كمياه الفيضان الجارفة التى تحطم السدود ، وتسحق فى طريقها كل عناصر الحياة والنماء ، وتنشر الموت والدمار والخراب . ثم ما تلبث أن تبتلعها أغوار الأرض ، وتمتصها أشعة الشمس المحرقة ، فلا تنكشف ـــ بعد ذلك الهدير ـــ الا عن أراض تتحدى ارادة الدمار والتخريب عن غير علم ، وتنتظر الايدى العاملة التى تعرف كيف تستنبتها وتنشر فيها الخضرة والحياة .

وها هو عمر بن عبد العزيز ، يحذر الامة الاسلامية ، ومسؤوليها ، من خطأ الوقوع فى هذه الهاوية ، فيبعث برسائله المتتالية ، مندداً ، محذراً ، طالبا الالتزام الكامل بالتوحد بين العلم والعمل . يكتب الى عامله على خراسان : (ان العلم والعمل قريبان !! فكن عالما بالله عاملا له ، فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا) وفى رسالة أخرى له يقول : (اما بعد : فاعمل عمل رجل يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين) ويعلن (ان من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح !! ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه) ويعمم رسالة على عماله يحثهم فيها على اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه .

وعمر ، فى توجيهاته وأوامره تلك لعماله وموظفيه ، يريد أن يجعل من كل واحد منهم (القدوة الحية الصالحة) فى الاقليم الذى يشرف عليه ، كى يقتدى به مواطنو ذلك الاقليم . كما يريد منهم تحويل الاجهزة والامكانات الادارية التى بأيديهم الى وسائل تربوية تستهدف الربط الدائم ، والمراقبة المستمرة ، لتحقيق مفهوم التوحد بين العلم والعمل .

ورسائل أخرى كثيرة ـــ لا مجال لعرضها ـــ فى ميادين توجيهية وتثقيفية شتى ، كان عمر يصدرها الى كل الجهات ، فضلا عن رسائله فى ميادين الحرب والسياسة والادارة والاقتصاد ، تتكشف كلها عن شيئين اساسيين . أولهما : ثقافة عمر الواسعة ، وذكاؤه الفذ ، وادراكه العميق لأساليب التعليم والتربية والتفكير . وثانيهما : حرصه العجيب على خلق أجواء ثقافية حرة ، وحركة علمية

دائبة ، وحوار فكرى متصل بين كبار مثقفى الامة وعلمائها وفقهائها ، تلك الاجواء التى جعلت عصر عمر — الذى لم يتجاوز السنتين والنصف — يعج بعدد كبير من أبرز العلماء والفقهاء والمفكرين . عدد لم يشهد مثيلا له ، كثرة وتركيزا ، أى عصر آخر مهما طال . واليكم بعض الأسماء : خارجة بن زيد بن ثابت ، يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، ابو سلمه بن عبد الرحمن ، سالم بن عبد الله بن عمر ، القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، محمد ابن كعب القرظى ، عاصم بن عمر بن قتادة ، نافع مولى عبد الله بن عمر ، سعيد ابن يسار ، محمد بن الحارث التيمى ، عبد الله بن دينار الزهرى ، وعبد الله بن أبى بكر ، عطاء بن أبى رباح، مجاهد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، الشعبى ، سالم بن أبى الجعد ، حبيب بن أبى ثابت ، عبد الملك بن ميسرة الهلالى ، ابو اسحق السبيعى ، الحسن البصرى ، ابن سيرين ، ابو قلابة عبد الله بن يزيد ، عبد الملك بن يعلى الليثى ، زيد بن نوفل ، علقمة بن عبد الله المزنى ، رجاء بن حيوة ، مكحول الدمشقى ، راشد بن سعد ، سليمان بن حبيب المحاربى ، ميمون بن مهران ، يزيد بن الأصم ، ابو قبيل المعافرى ، طاووس اليمانى !!

لم يأخذ الزهو عمر بن عبد العزيز يوما ، وهو معلم العلماء ، فيسعى الى استغلال منصبه ليظهر أمام هذا الحشد العظيم من العلماء ، واقفا على القمة .. وحاشاه .. ان رأيه كان ينصب دائما على أن يكون معهم .. مع ابناء الأمة التى يرعاها فى شتى المجالات .. فى ميدان الحرب والسياسة كان عمر مع الجندى ومع المعارضة !! وفى ميدان الادارة كان عمر مع أبناء الولايات حتى لو تاخمت بلادهم حدود الصين أو انتثرت على سفوح البيرنيه .. فى ميدان الاقتصاد والاجتماع مع المظلومين والفقراء والبائسين حتى يرفعهم الى الكفاية . وها هو — فى هذه الساحة — عالم من العلماء ، واحد منهم ، يأخذ منهم ويعطيهم ويجتمع بهم اجتماع الرفيق برفاقه ، والند بأنداده .. كان رضى الله عنه يعلم أن هؤلاء العلماء هم رءوس الأمة المفكرة ، ومخططو برامجها العقائدية ، ورواد شرفها وامتيازها وتفردها على الأمم . ومن ثم فان المكانة والتقدير التى حظى بها كل منهم ، بلغت فى عهد معلم العلماء شأوا بعيدا .. ونحن اذ نؤكد هذه الحقيقة ، نورد هذا الكتاب ، من بين عدد من الكتب والتأكيدات ، لنختتم به — فى نفس الوقت صفحة مشرقة من خلافة الخليفة المعلم الى عدى بن ارطاة — عامله على البصرة : (انك لن تزال تعنى الى رجلا من المسلمين فى الحر والبرد يسألنى عن السنة كأنك ، انما تعظمنى بذلك !! وايم الله لحسبك بالحسن (البصرى) . فاذا اتاك كتابى هذا فسل الحسن لى ولك وللمسلمين .. فرحم الله الحسن فانه من الاسلام بمنزل ومكان ، ولا تقرئنه كتابى هذا !!) . وتلك هى قمة التواضع التى ما بلغها يوما علماء الارض ومفكروها .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٣/٩ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٣٢٥/١ .
(٣) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٠٨ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : المصدر السابق ٣٢٥/١ .
(٥) تذكرة الحفاظ ص ١٠٦ .
(٦) المصدر السابق ص (١٠٦) .

وثيقة إسلام جورج

جرت فى موقعـــة اليرموك محاورة طريفة بين خالد بن الوليد ، وبين جـــورج بن تيودور ، وهو نصرانى رومى .

نادى جورج : ليخرج الى خالد . فخرج خالد حتى التقى بـــه بين الصفين ..

فلما أمن كلاهما صاحبه قال جورج : يا خالد أصدقنى ، ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخـــادعنى فان الكريم لا يخـــادع المسترسل .

باللـــه هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء ، فأعطاكـــه فـــلا تسله على قـــوم الا هزمتهم .

قال : لا !

قال : فبم سميت سيف اللـــه .

قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ، فدعانا ، فنفرنـــا منه ، ونأينا عنه جميعا ، ثم أن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنـــا باعده وكذبه ! فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتلـــه ، ثم ان اللـــه أخذ بقلوبنا ونواصينا فهـــدانا به فتابعناه .

فقال : أنت سيف من سيوف اللـــه سله الله على المشركين ودعـــا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

قال : صدقتنى .

ثم أعاد اليه جورج : يا خالد أخبرنى الام تدعونى .

قال : الى شهادة أن لا الـــه الا اللـــه وأن محمـــدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله .

قال : فمن لم يجبكم ؟

قال : فالجزية ، ونمنعهم : أى نحميهم من أعدائهم .

قال : فان لم يعطها ؟

قال : نؤذنه بحرب ثم نقاتلـــه .

قال : فما منزلة الذى يدخل فيكم ، ويجيبكم الى هذا الامـــر اليوم ؟

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض اللـــه علينا : شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جورج : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لـــكم من الاجر والذخر ؟

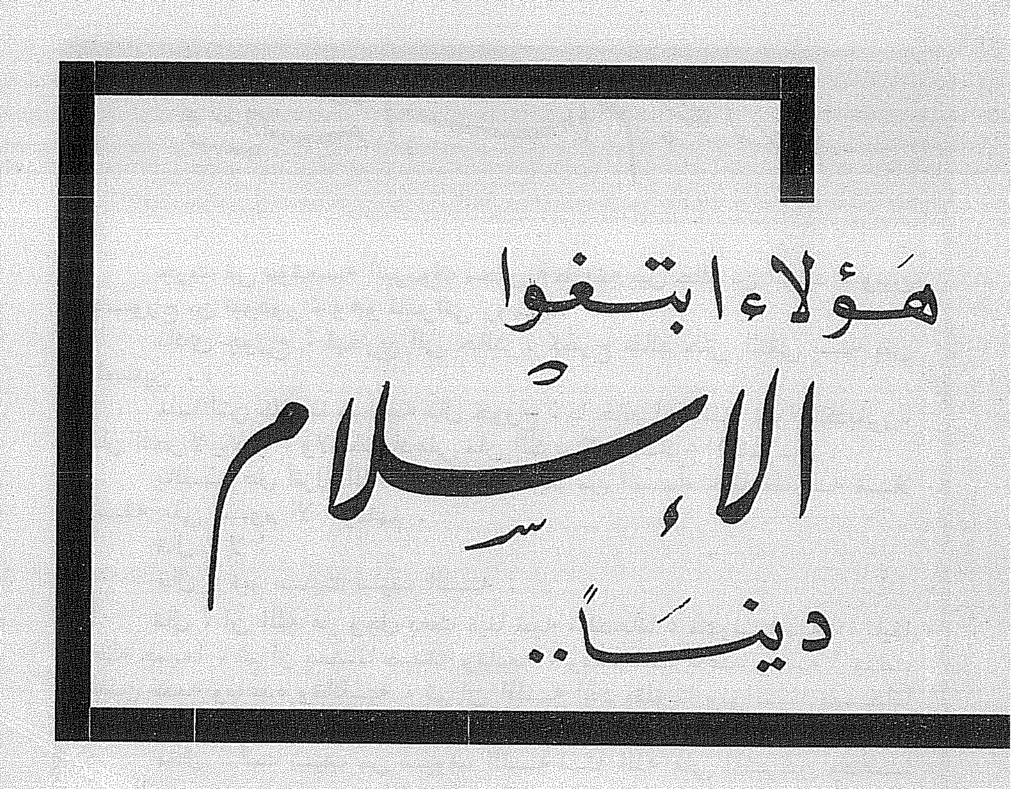
قال : نعم وأفضل .. !

قال جورج : باللـــه لقد صدقتنى . ولم تخادعنى ، ولم تتألفنى .

قال : باللـــه لقد صدقتك ، وما بى اليك ولا الى أحد منكم وحشة ، وان اللـــه لولى ما سألت عنه !

فقال : صدقتنى ، وقلب الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الاسلام .

فمال به خالد الى فسطاطه ، فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين .



للأستاذ محمد نعيم

فى مكتب الدكتور عبد الحليم محمود .. التقيت بهم .. رجلين وامرأة .. اعتنقوا الاسلام منذ مدة قصيرة ، وجاءوا الى الازهر ليدرسوا اللغة العربية ، وعلوم القرآن الكريم .. وجرى بيننا حديث طويل رووا فيه قصة اسلامهم ، ولمحات من حياتهم السابقة للاسلام .. وكان مما قالوه لى .. أنهم عاشوا الحياة المادية بكل جوانبها ، ومع ذلك لم يجدوا أنفسهم وظلوا يبحثون ويدققون ، فلما وجدوها كانت على أول طريق الاسلام ..

قلت لهم : ولماذا اخترتم الاسلام ؟ ..

قالوا : وجدناه بعد قراءات طويلة ودراسات مستفيضة ، خير دين لنا .. فهو دين العقل والحق .. دين البشرية والاسرة ..

.. .. ..

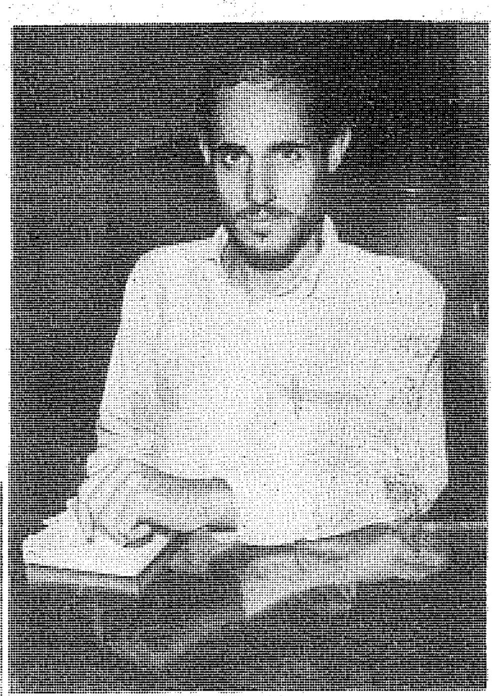
.. واذا كنا نقدم اليوم للقراء قصة اسلام هؤلاء الثلاثة ، فانما نسوق حقيقة لتكامل انسانيتهم ورجوعهم الى سليم فطرتهم ، وصدق الله العظيم اذ يقول « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ..



عائشة عبد الله وفارض رحمة الله ومصطفى يوسف ..

ونبدأ بأول عناصر هذه القصة .. الأخ مصطفى يوسف ، الذى كان يسمى فى السابق « ستيفنسن كلارك » .. وهو أمريكى الجنسية من مواليد مدينة نيويورك وعمره ٢٢ عاما .. متخرج من جامعة كولومبيا — قسم الاديان الشرقية ..

يقول الأخ مصطفى .. كانت المادية التى سيطرت على مختلف نواحى الحياة تبعث فى نفسى الضيق والاضطراب .. وكنت أبحث عن مخرج ينتشلنى من حومة القلق القاتل الذى الم بحياتى .. كنت ابحث عن الحياة الانسانية الصحيحة التى تحكمها روابط المودة والاخاء والحق والعدل والسلام .. كنت انشد الاستقرار الروحى الذى يوصل الى السعادة الحقيقية .. وفى طريق البحث المستمر صادفتنى موجة « الصوفية » السائدة بين الشباب المسلم ، فاستهوتنى ، ونالت اهتمامى .. وفى نفس الوقت دفعتنى لدراسة هذا التصوف .. فالتحقت بجامعة كولومبيا — قسم الاديان الشرقية — وكان من الطبيعى ان أدرس الاديان عامة ، ومن بينها الدين الاسلامى ، ولكنى تبينت بعد فترة من الزمن أن الدراسة بالقسم المذكور مركزة فى البوذية والهندوكية ، فلجأت الى مكتبة الجامعة التى كانت تحتوى على كثير من كتب التصوف فى الاسلام ، واقطاب المتصوفين ، ثم تابعت قراءاتى فى المكتبة العامة بالمدينة .. وكان الغزالى من أحد الشخصيات التى قرأت لها ، فى كتابه « احياء علوم الدين » .. وبعض الكتب الاخرى المترجمة ..



((ستيفنس كلارك))
أصبح
مصطفى يوسف

كما قرأت عددا كبيرا من التراجم لاشعار جلال الدين الرومى .. وغيرها .

وبعد الدراسة والاطلاع لمست أن كثيرا من تعاليم الاديان ، لا تتفق مع العقل والواقع .. فكيف مثلا : اذا ضربنى أحد على خدى الايمن ، أدير له خدى الايسر .. أو يتحول الخمر والخبز الى دم المسيح ولحمه فى بدن الانسان .. وغيره .. انها مسائل تدخل فى باب السحر ، ولا تدخل فى باب الواقع كما أن المسيح كان يعيش حياة يتعذر على الانسان أن يحيا مثلها . انه من عالم آخر ، وينبغى لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه ، ليستطيع أن يفعل مثله .. أما بالنسبة للاسلام .. فمحمد صلى الله عليه وسلم ، بشر ، وضع موضع الاسوة التى يمكن لكل بشر أن يقتدى بها ، لأنه بشر مثله .. وايمانا بذلك ، قررت أن أعتنق الاسلام فتوجهت الى تونس حيث قابلت الشيخ الجليل الفاضل بن عاشور ، من علماء تونس المبرزين ، وأسلمت على يديه ..

•• •• ••

ويجىء دور الأخ فارض رحمة الله .. وكان اسمه السابق « فيدور ايفان جفرنور » .. وهو فانزويلى الجنسية من مواليد مدينة كاراكاس



((فيدور آيفان جفرنور))
أصبح
فارض رحمة الله

— عمره ٢٧ عاما ، ومتخرج من جامعة كولومبيا — قسم فن الاعلام الجماهيرى وشعبة الانتاج السينمائى ..

فيقول الأخ فارض .. هجرت

أسرتى الى الولايات المتحـــــدة الامريكية ، ودرست فى المعـــاهد العليا هنـــــاك ، ثم توجهت الى ايطـــاليا حيث تخرجت فى أكاديمية الفنون الجميلة بجـــــامعة روما ، وعدت مرة أخرى الى أمريكا لألتحق بجـــــامعة كولومبيا — قسم فن الاعلام الجماهيرى — شعبة الانتاج الســــــينمائى .. وخلال مراحل دراستى واتصالاتى لمست الكثير من التناقضات داخل المجتمع الامريكى ، ووسط الطلاب .

وبعد تخرجى كانت معى مهنـــة ذات دخل عال يحتـــاجها المجتمع بكثرة ، فعملت فى نيـــويورك ، وهوليود ، وكاليفورنيا ، وشيكاغو .. ومارست كل التقاليد والعادات المتبعـــة هنـــاك .. وتمتعت بكل الامتيازات المادية من حياة فاخرة ، وغيرها من الاشـــياء التى يعرفهـــا النــــاس ، والتى توفرها مهنة السينما .. والغريب أن كل فرد فى العالم حين ينظر الى الافلام الامريكية يتمنى أن يعيش الحياة الامريكية ، وعندما يعرف الناس أننى قادم من أمريكا يدور بأذهانهم هذا المستوى الذى يرونه فـــى أفــلامهم ..!!.. ولكننى رغم ذلك كله اكتشفت أن ما أعيش فيه انما هو حلم .. بل حلم فارغ .. أو حلم خطر .. فقد كنت أحلم بالنجاح فى الحيــــاة ، ولكننى بعد أن حصلت على هـــذا المتاع الدنيوى لم أجده شيئا .. ولم أحصل على السعادة الحقيقية ، بل وجدت أننى كنت فى خدعة كبرى ، ولم أجد أمامى طريقـــــا آخر ، فانغمست مرة أخرى فى الشهوات حتى وصلت الى مرحلة أحسست أننى أعيش من خلالها فى جهنـــم نفسها .. هذه جهنم الذى يتمنى كل انسان أن يدخلها !! ..

(وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وســـلم « حفت النار بالشهوات » .. فالسيارات والنساء والخمر ، وكل ما تمتلكه الولايات المتحدة من هذه الشهوات والرغبات المادية) .. ولم يعـد أمامـى غير احتمالين .. اما أن أستمر فى هذه الخديعـــة الجهنمية ، وكان ذلك مستحيلا بعد أن زاد شقائى ، أو أن أهرب منها الى طريق آخر .. لكن ما هو الطريق ، فلا أعرف .. وخلال هذه المعاناة كان لا بد لى من قوة عليا تخرجنى من تلك الحيرة ، ومن ذلك اليأس ، فنظرت عفـــوا الى الدين ، وكنت منذ صـــغرى مســيحيا كاثوليكيا ، ودرست فى المدارس الـــكاثوليكية بمدينـــة نيويورك ، ولكنها تركت انطبـــاعا سيئا فى نفسى ، ثم درست البوذية والهنـــدوكية ، وبعض الديانات الوثنية ، ولكنى لم أطلع على الاسلام طوال هذه المدة ، فقد كان من السهل الاطلاع على كل الاديان فى أمريكا ، ما عدا الدين الاسلامى .. ويرجع ذلك الى سببين :

- أولهما : أن المؤســـســـات اليهودية هى التى تتحكم فى وسائل الاعلام من صحافة وسينما ومسرح .. وكل شىء .
- ثانيهما : أنه حدث أن تحول قسم دراسى بأكمله الى الاسلام ، وتصادف أن جميع طلبته كانوا من السود .. والسواد هناك يساوى فى نظرهم الشيطان ، أو الموت .. والزنوج يمثــلون مقدمة الثـــورة ، وكذلك دينهم يمثل دينا خطـــيرا باعتباره مقدمة للثورة ..

وبعد أن نظرت فى هذه الاشياء ، وفى الاديان الاخرى ، لم أجد ما يشفى روحى ، فتوجهت الى الله أن يوفقنى ويهـــدينى .. وما لبثت أن اتخذت بالفطرة هيئة السجود التى

يعرفها المسلمون فى صلاتهم .. وشعرت فى هذا بالتسليم المطلق لهذه القوة العليا .. وكنت كلما شعرت بالحيرة أتجه الى الله بمثل هذه الصورة ، حتى رآنى بعض الناس ، فأخطرونى أن ما أفعله هو نفس ما يقوم به المسلمون فى صلاتهم ..

ولما كنت لم أجد مقنعا فيما قرأته من أديان ، فلم أبحث عن الاسلام الا بعد مرور شهرين ، فبدأت أقرأ عن الاسلام بعين ناقدة ويائسة .. أن أجد فيه !! .. ومن أهم ما قرأته كتاب الاستاذ حموده عبد العاطى « الاسلام تحت المجهر » ففيه على بساطته عمق ودقة ..

وأحاول الآن ترجمته الى الاسبانية لعل بعض المواطنين فى بلادى يطلع عليه ويهتدى به الى الاسلام ..

ثم قرأت ترجمة لمعانى القرآن ليوسف على ، فوجدت فى القرآن تعبيرا دقيقا عن أعماق نفسى ، وصورة مطابقة لفطرتى التى تذكرتها وأنا أتدبر فى معانيه .. فعندما كنت صغيرا تعودت الذهاب الى الكنيسة لاعترف « للأب » ببعض الخطايا ، لكنى أحسست وقتئذ أن هذا أمر غير طبيعى ، واتجهت الى الله مباشرة قائلا له : انك لا تحتاج الى قسيس يقف بينى وبينك ، لاعترف لك بذنوبى .. وبعد ذلك كنت كلما أردت أن أتوجه الى الله ، توجهت اليه مباشرة دون واسطة قسيس له ..

وهذا معنى أن الله قد خلقنا على الفطرة ، فالاطفال يولدون على الفطرة ، ولكن آباءهم ورؤساء الاديان يوجهونهم توجيها آخر ..

وزادت قراءتى للقرآن ، وتشبعت به ، وشعرت بالسعادة لأننى وجدت فيه تلبية لكل حاجاتى الروحية ، فقررت أن أعتنق الاسلام ، وأسلمت .. والواقع أننى كلما قرأت عن الاسلام ازددت يقينا بهذا الدين ، واكتشفت العديد من جواهر هذا الكنز الذى كان مختفيا على .. ويكفينى أنه فى الوقت الذى اعتبرنى فيه المجتمع ناجحا غاية النجاح كنت أشعر بينى وبين نفسى أننى محطم فاشل .. أما بعد أن أسلمت فان هذا المجتمع ينظر الى نظرته الى الرجل الفاشل فى الوقت الذى أعتبر نفسى فيه بلغت غاية من أقصى غايات النجاح .

وقد سمعت والدتى عن الاسلام فآمنت به ، وتبعتنى فيه .. واذا كان لى من حديث الى اخوانى المسلمين ، فاننى أرجو لهم أن ينظروا الى ما فى أيديهم من الدين الحق ، وأن يتمسكوا به ، ويحرصوا عليه ، دون أن ينظروا الى الحياة المادية ، والسعادة المادية الزائلة التى يبثها الشيطان .. وبدلا من أن يستمعوا الى موسيقى الجاز والروك آند رول ، عليهم أن يستمعوا الى صوت المؤذن وهو يناديهم « الله أكبر .. الله أكبر .. حى على الصلاة .. حى على الفلاح » .

•• •• ••

أما الأخت عائشة عبد الله .. وكانت تعرف قبل الاسلام باسم « فرجينيا جراى هنرى » فهى أمريكية الجنس من سكان مدينة

لوى فيل كنتكى — وعمرها ٢٦ سنة ، ومتخرجة من جامعة كولومبيا ..

تقول الاخت عائشة .. كنت منذ صغرى متدينة ، أذهب دائما



« فرجينيا جراى هنرى »
اصبحت
عائشة عبد الله

الى الكنيسة البروتستانتية التى انتمى اليها .. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة .. ولكن اية حياة هذه ومعظم الناس لا يفكر فى الموت .. الا عندما يتقدم فى السن ..

وحدث فى صغرى أن شاهدت كثيرا من قريناتى وأقرانى فى السن يموتون فى بعض الحوادث ، فبدأت أفكر فى مصيرهم ، وماذا يحدث لهم بعد موتهم ؟ .. كما أن طريقة الحياة الامريكية تجعل المرء يشعر فى قرارة نفسه أنه سيموت عندما يبلغ الستين من عمره ، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها فى المتعة والملذات قبل أن ينتهى كل شيء !!

ولم اكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بى .. وبحثت عن سبيل للاستقرار الروحى ، فالتقيت بحركة كبيرة تسمى « الروحية » تؤمن بالحياة بعد الموت ، وعند بعضهم — كما يقولون — مقدرة على الاتصال بعالم الاموات .. ويرون ان هؤلاء من الموهوبين !! ... ولكن عندما تتفحص وجوههم أثناء غيبتهم ، واتصالهم بهذا العالم الذى يقولون عنه ، انه عالم روحى ، تجدهم لا يسألونه ارشادا عن الحياة الروحية ، ولا عن الحياة الطيبة الصالحة ، ولكنهم يسألونه عن النواحى المادية التى لا صلة لها بالدين .. كما يعتقدون أن كل شيء له تعليل فى حياتهم المادية يكون فى عالم الارواح ، أو يكون من عالم الارواح .

وقلت فى نفسى ان عالم الارواح لا يعقل ان يقصر عمله فى ارشادهم على الحياة المادية الزائلة ، ولا شك أن ذلك هو عالم الجن الذى ذكره القرآن .. الا اننى لم أكن واثقة من ذلك .. وشعرت بأنه ينبغى على أن اجمع البراهين العقلية الكافية لاثباته ، فدرست فى الجامعة مقارنة الاديان لمدة اربع سنوات باستثناء الدين الاسلامى الذى لم يكن يدرس لنا لأن رئيس القسم كان استاذا يهوديا يدعى « موريس فريدمان » .. واستمر بحثى عن حقيقة عالم الارواح مستعينة بخبرتى التى اكتسبتها فى الحركة الروحية ، وباتصالاتى بأحد الاساتذة الانجليز

الضالعين فى هذا المضمار ، لكنه مع الاسف قتل بعد مدة ، فهزنى ذلك من أعماقى ، ووجدت كل شىء حولى يبدو غير حقيقى ، حتى الكتب التى تنشر عن الاديان .. فمؤسسة مثل مجلة « لايف » التى تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتبا عن الاديان مثل البوذية والهندوكية والاسلام وكأنها أديان أثرية غير حية ، لذلك كان اطلاعى على الاسلام ضعيفا ، ولم اشعر بوجوده الا بعد أن أسلم زوجى ، فبدأت اقرأ وأدرس الكتب الصوفية ، والتراجم الاسلامية ، وأسأل المسلمين عن تعاليمه حتى وجدت فيه الهداية والحقيقة التى أبحث عنها فأسلمت

.. وشعرت عندئذ أن الله قد أنعم على بأعظم نعمة حين هدانى الى الاسلام .. فقد تغير كل شىء فى حياتى .. حتى نظرتى الى الحياة قد تغيرت .. انها معجزة كبرى ..

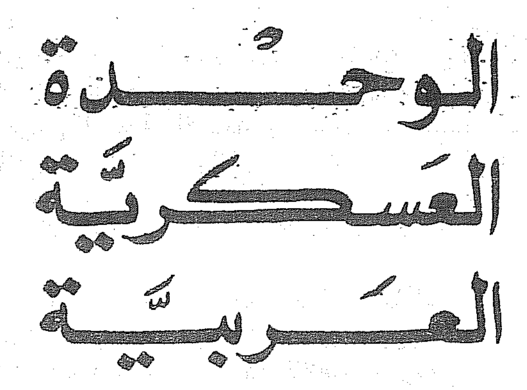
هذه هى قصة ثلاثة من الاخوة جاءوا من الغرب ونزلوا فى ضيافة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .. لم تجمع بينهم سوى العقيدة الواحدة .. والهدف الواحد الا وهو الاستزادة من علوم دينهم الجديد حتى يكونوا فى بلادهم مشاعل تضىء الطريق لكل متخبط ، أو حائر .. وليردوا بأنفسهم على الافتراءات الكاذبة التى يلصقها المشككون بالاسلام ..

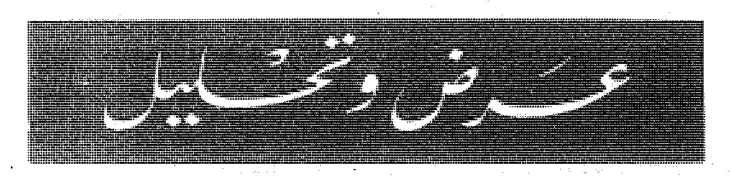
حقائق وأرقام

الحديث عن القدس جد اليم ..

بعد خمسة اسابيع فقط من سقوط القدس سنة ١٩٦٧ بيدا مشروع بناء عشرة آلاف مسكن على مدى اربع سنوات ثم تم الآتى :!

- **عاد اليهود الى الحى اليهودى من القدس .**
- **هدم السور الذى يفصل المدينة القديمة عن الجديدة .**
- **تم بناء مستعمرة على تل الذخيرة شمال القدس .**
- **فى ربيع ١٩٦٩ تم بناء حى جديد من ١٤٠٠ مسكن شمال شرق القدس .**
- **اعلن فى سبتمبر ٦٩ عن بناء ٢١٠٠ مسكن على امتداد شارع النبى اسرائيل وانجز ذلك فى مارس ١٩٧٠ .**
- **بدا بناء ١٤٠٠ مسكن آخر تنتهى فى نهاية ١٩٧١ .**
- **تم بناء مساكن لمائة عائلة فوق جبل المكبر .**
- **تم بناء ٢٠٠٠ دار فى منطقة النبى يعقوب بين القدس ورام الله .**





للدكتور : محمد بديع شريف

بين يدي كتاب : «دراسات في الوحدة العسكرية العربية» القاه محاضرات اللواء الركن محمود شيت خطاب على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية قسم فلسطين في القاهرة ونشرته جامعة الدول العربية في القاهرة ونشرته دار الارشاد في بيروت أيضا .

واللواء الركن خطاب صاحب سيف وقلم ، كتب والف في الدراسات العربية والفتوحات الاسلامية والموضوعات الحربية كتبا جليلة القدر ، اخذت مكانتها في المدارس الحربية في البلاد العربية وفي المعاهد العلمية والجامعات والمكتبات ، وكتاباه : الرسول القائد والفاروق القائد ، وكتبه عن قادة الفتح الاسلامي من الكتب الخالدة في المكتبة العربية ، وليس بدعا أن يبرز اللواء أيضا في هذا البحث الذي يعتبر كتاب الساعة لمعالجة الواقع العربي ازاء عدو رابض في أقدس قطعة من ربوع وطننا العربي . هذا العدو العنيد المتمكن يدأب ليل نهار في جمع العدة والعدد وتعبئة الجيوش المجهزة بالاسلحة الفاتكة للانقضاض على وطننا وتحقيق أحلامه في التوسع بين الفرات والنيل يشد أزره الاستعمار وتعاونه القوى المعادية للعرب والاسلام .

واللواء الركن خطاب قائد محارب شهد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وخبر قوة اليهود ولمس مواطن الضعف والقوة في صفوف العدو وصفوفنا ، ومن صفات القادة الاركان تقدير الموقف العسكري ووضع الخطط ، فاذا كتب اللواء وخطط

حالفه صدق الحكم لخبرته في موضوعه واختصاصه به وسعة اطلاعه . وها هو ذا يعرض في كتابه هذا المرض الشامل لقوة هذه الامة يوم كانت موحدة تحت راية (الرسول القائد) ويوم تهيأت لها فرص الوحدة والاستقرار ، فاندفعت تحت راية الايمان تستأنف الفتح الاسلامي المتدفق في الشرق والغرب ، فقصرت آماد الدهر وأمدت العالم في أقل من ربع قرن بقواعد حضارة خالدة لا تزال مفخرة بين مفاخر حضارات الامم القديمة والحديثة ، تلك الحضارة العربية الاسلامية عنوان العدل والاخاء والمساواة .

ومنذ أن وقعت هذه (النكسة) التي نعدها جميعا فلتة من فلتات الزمن التي لم تألفها عزة الاسلام واباء الامة العربية منذ وقعة (ذي قار) الى يومنا هذا ، لا نزال حيارى في تفسير وقوعها ، ولكننا سنجد في هذا الكتاب ما يرفع الحيرة ويوضح السبب ويفتح الامل بالنصر المرتقب ، ويجيب اللواء فيــه عما به الناس يتساءلون .

يقول اللواء : «ان ضرورة بقائنا أمة ذات سيادة ومكانة تحتم علينا أن نحقق الوحدة العســكرية ، وان نضــع تحت اقدامنا كل ما يحول دون تحقيقها ، والا فسنكون بعد سنوات عبيدا في بلادنا أو لاجئين في بلاد أخرى . وكل فرقة تقع في صفوفنا تهيىء لاسرائيل تحقيق أطماعها التوســمية ، والقاعدة الثابتة التي لا يمكن أن تتغير ليس بالنسبة الى العرب وحدهم بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ، هي أن الشعب ـــ كل شعب ـــ لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصــفوف والاهداف ، فالوحدة تجعل من الامة قوة ضاربة لا تغلب من قلة أبدا ، والفرقة تجعل من الامة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها في حرب ولا سلام » .

ويضرب اللواء الامثال في عهد عمر وعهد عثمان وعن معاوية بن أبي سفيان وعهد عبد الملك بن مروان ويجعل من سنة ثلاث وسبعين الهجرية في عهده عاما لوحدة الامة حيث خفقت راياتنا على ربوات بلاد فارس والروم وربوع الاندلس الجميلة .

واسرائيل لا تخشــى شيئا خشيتها من وحدة العرب ، ويروى اللواء عن (أنتوني ناتنك) قوله : « أن زعماء وزارة الخارجية الاسرائيلية قالــوا له : ان حكومتكم ستلجأ الى كل وسيلة ممكنة من أجل ابقاء جيرانها العرب ممزقين » .

كما يروى عن المؤرخ البريطاني توينبي قوله : « ان القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا الا اذا اتحد العرب » .

ويعلق اللواء على هذين القولين : « ان المسئول العربي الذي يتقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب في الوطن العربي تهوى اليه ، وسيجد النفوس في دار الاسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت اقدامه كماتتهاوى أوراق الشجر اليابســة في أيام الخريــف ؛ وحينذاك ســيكون للعرب قوة لها شأن في العالم كله تعيد للمســلمين عزهم ومجدهم » . ويختم هذا التعليق بقوله : « بالوحدة تموت اسرائيل ، وبالفرقــة يطول عمرها » .

ومن هذه القاعدة الثابتة قاعدة الوحدة الاساسية لحياة الشعوب ، يفتح اللواء آفاق الامل بالعزة والمجد ، ويقترح أن يعاد النظر في تكوين جامعة الدول العربية التي هي المنظمة الوحيدة التي يمكن أن تجمع صــفوفهم وتوحد كلمتهم وتجعلهم أكثر تعاونا وتكاتفا ، وأن يكون أسلوب عملها حلفا سياسيا عسكريا ،

وان يتكون فيها جهازان : الجهاز السياسي والجهاز العسكري ، ويجب أن يكون واجب مؤتمر القمة الخامس تحقيق هذا الامل الكبير للعرب ، وأن يستفيد مؤتمر القمة من تجارب الاحلاف العسكرية الكبرى في العالم وعلى رأسها حلف الأطلسي للدول الغربية وحلف وارسو للدول الشرقية .

ويقترح اللواء أن تتألف أجهزة الوحدة السياسية العربية والوحدة العسكرية من مجلس الملوك والرؤساء لمعالجة المصالح المشتركة ورسم الاتجاهات السياسية وتقديم التوجيهات الكبرى ورعاية تنفيذ المقررات ورسم السياسة العليا للعرب ورسم السياسة العسكرية للدول العربية والمصادقة على القرارات الهامة التي سيعرضها عليه مجلس الدفاع المشترك الذي يعتبر الموجه الرئيسي للسياسة العسكرية العربية والذي يتألف من وزراء الدفاع ورؤساء أركان الجيوش العربية وهو تكوين يستحسنه اللواء على أن يجتمع مجلس الدفاع دوريا مرتين في كل عام على الأقل اضافة الى حضور أعضائه اجتماع مجلس الملوك والرؤساء . ومجلس رؤساء الحكومات العربية الذي يتألف من رؤساء الوزارات في البلاد العربية والذي واجباته متابعة ومواصلة الاجتماعات الدورية بوضع مقررات مؤتمرات القمة في حيز التنفيذ العملي .

ومهما يكن من شيء فان اللواء خطاب يؤكد القول دوما في أن تكون أجهزة الجامعة في التكوين السياسي والعسكري قوية تستند الى قوة الشخصية والى الاختصاص فاذا كان الامين العام للجامعة العربية عسكريا في نظره ، فيجب أن يكون من النوع المتميز الرفيع الذي يشرف الكرسي ولا يشرفه الكرسي ويكون الامين العام المساعد العسكري ضابط ركن الامين العام وساعده الايمن في الشئون العسكرية وهو همزة الوصل بين الجامعة العربية من جهة والقيادة العربية الموحدة من جهة أخرى . ويشترط اللواء تفرغا لهذا المنصب لان الذي يتولاه يجب أن يكون الدماغ المفكر لتفاصيل القضايا العسكرية التي لها صلة مباشرة بالجامعة العربية وان يكون مسئولا عن اعداد ملكات الاجهزة العسكرية وتفاصيل الميزانية وجداول اعمال الاجهزة ومناهج اعمالها وتوقيتها واعداد النشرات اللازمة عن واجبات هذه الاجهزة وتنسيق التعاون الوثيق الفعال بينها . وقد رسم اللواء جدولا ممتازا لا سلوب العمل في الجامعة على أساس تكوينها حلفا سياسيا عسكريا .

ويعلق اللواء على هذه الاقتراحات بقوله : « ولا شك في أن كيان الجامعة العربية حين تصبح حلفا عسكريا سياسيا سيكون اقوى مما هو عليه الآن داخل البلاد العربية وخارجها اذ ان مجرد اقامة هذا الحلف سيزيد في التحام الدول العربية بالجامعة وسيساعد على زيادة شعور الجامعة العربية نحو القضايا العسكرية لانها ستكون مسئولة عن تلك القضايا بالاضافة الى مسئوليتها السياسية ، والواقع هو ان ميثاق الجامعة العربية جمع شمل الدول الاعضاء في رابطة ابتدائية وتجريبية الا انه لم ينشيء أجهزة قوية لها من السلطات والصلاحيات ما يجعلها قادرة على تحقيق اهداف الجامعة ، لذلك جاءت هذه المنظمةاتحادا ضعيفا وجودهأفضل من عدمه ولو أن هذا الوجود كان يجب أن يكون أكثر فائدة للعرب .

وفي هذا الكتاب عرض ممتاز للقيادة العربية الموحدة ويوجه اللواء اليها نقدا ذاتيا ولكنه نقد بناء ففي رايه أن تأسيس هذه القيادة كان لطمة قاسية لاسرائيل ولمن وراء اسرائيل لان كل توحيد للجيوش العربية يبدأ من انشاء هذه القيادة ولأن

هذه القيادة هى النواة الصالحة المنشئة البناءة للوحدة العسكرية العربية ولأن اسرائيل ستكون مهددة بأفدح الأخطاء اذا قدر للوحدة العسكرية العربية ان توضع فى حيز التنفيذ وقد حملت اسرائيل عليها حملة شعواء واخذت تبث التشكيك فى هذه القيادة وعاونتها الصحف المعادية لنا وساعدت علي ذلك الاذاعات الاجنبية الضالعة مع اسرائيل ولاسرائيل العذر ولمن وراء اسرائيل العذر فى أن يرجفوا ويشككوا ولكن ما عذر العرب فى اقتفاء آثار اسرائيل فان أكثر العرب الذين ينهضون بالتشكيك لا يعرفون أقل القليل عن واجبات هذه القيادة وعما قامت به منذ مولدها عام ١٩٦٤ حتى تجميدها فى أوائل عام ١٩٦٧ . ان اعمال هذه القيادة فيها السرى وفيها الجهرى وما خفى من أعمالها أعظم مما ظهر وسوف تظهر الايام اعمالها ويومها سيندم الذين فرطوا فى حقها من العرب ولات ساعة مندم .

وبعد هذا العرض النقدى يوضح اللواء واجبات القيادة الموحدة ويجملها فى توحيد التدريب العسكرى وذلك لتنوع السلاح وتطور الكتب التى تبحث فى التدريب تبعا لتطور الاسلحة ثم التمارين العسكرية بقطعات ودون قطعات والعمل على توحيد تسليح الجيوش العربية وانتاج السلاح والذخيرة وتعاون البلاد العربية فى توزيع الانتاج كل حسب مقدرته . وتوحيد تنظيم الجيوش وتوحيد التجهيز مع انتاج التجهيزات انتاجا محليا ومن واجبات هذه القيادة ايضا جمع المعلومات العسكرية المفصلة عن قوات العدو وقياداتها وتنظيمها وتسليحها ومصانعها ومجمل القول ان تنظيم القيادة العربية فى رأى اللواء الذى أورده فى هذا البحث تنظيما كما ينبغى يجعل مهمتها فى اداء واجباتها الصعبة سهلة ميسورة وفى الملحق (ب) وضع اللواء مخططا ممتازا للقيادة السياسية واجهزتها والقيادة العسكرية واجهزتها ليوضح تناسق العمل والترابط بين القيادتين .

ولا ينسى اللواء ما للوحدة العسكرية من أثر فى المعنويات التى يزيد بها القوى الكامنة فى صلب الانسان التى تكسبه القابلية على الاستمرار فى العمل والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به ومهما اشتدت الازمات وكثرت التضحيات ، ويضرب لتوضيح ذلك أروع الامثلة ومن ذلك ما نقله عن خالد بن الوليد قبيلَ نشوب القتال بين المسلمين والروم فى معركة اليرموك الحاسمة عام ثلاثة عشر الهجرية (٦٣٤م) قال رجل من المسلمين لخالد ابن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فقال خالد ما اقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان . ومعنى ذلك ان الجيش بمدده وعدده وبمعنوياته وليس العدد والمدد بأهم من المعنويات بالنسبة للجيوش خاصة وبالنسبة للشعوب عامة . ونقل عن نابليون أنه يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية ثلاثة على واحد » وأيده كبار القادة فى الماضى والحاضر .

والمعنويات للجيوش لا تزال ذات قيمة عظيمة حتى بعد ظهور الاسلحة الجهنمية الفتاكة وستبقى عاملا حاسما من عوامل النصر . ومن الجدير بالذكر أن ادامة المعنويات أصبح مبدءا من مبادىء الحرب بعد الحرب العالمية الثانية . ويقول اللواء أن العقيدة من أهم عوامل تقوية المعنويات ولا نصر لجيش لا عقيدة له يدافع عنها دفاع المؤمن بها ويضحى فى سبيلها بما يملك من روح ومال والعقيدة هى التى تشيع الانسجام الفكرى فى العقول والقلوب معا واختلاف العقيدة فى الجيش الواحد يجعل منه قوة غير متعاونة كذلك اختلاف العقيدة فى الشعب الواحد يجعل منه كتلا متناقضة وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، والقيادة الممتازة ترفع المعنويات والقائد الممتاز هو الذى يحوز ثقة من يعمل تحت قيادته

ولن يجوز ذلك حتى ينسى نفسه من اجلهم ويفعل ما يقول وينفذ أوامره على نفسه قبل أن ينفذها على غيره ومن صفاته أن يكون واعيا نزيها على خلق رفيع حريصا فى اداء أعماله ، حريصا على مصير الذين هم تحت قيادته سريع القرار يتحمل المسئولية محبا لرجاله واثقا بهم ويولى الرجل منهم العمل المناسب له ولا يميل لأحد ويساوى نفسه برجاله ولا يستأثر عليهم بشىء ويتمتع بشخصية قوية نافذة . مثل هذا القائد يراه اللواء قائدا يسير برجاله الى النصر فى يسر وسهولة . ويقول اللواء ان انتصارا واحدا للعرب على اسرائيل كفيل أن يبدل المعنويات العربية من حال الى حال . وبعد أن يفصل اللواء القول فى مكانة المعنويات بالنسبة للجيوش والشعوب ينتقل الى أثر الوحدة العسكرية فى تكامل الانتاج الحربى وتطويره ويرى ان الوطن العربى من المحيط الى الخليج وحدة اقتصادية متكاملة والتنسيق الاقتصادى العربى يؤدى حتما الى الاكتفاء الذاتى للعرب ويحرم اسرائيل من اطماعها وتهديد العرب اقتصاديا .

وكل تخطيط سليم فى هذا السبيل يضع المبادأة الاقتصادية بيد العرب على اسرائيل ومن وراء اسرائيل ففى بلاد العرب الثروة البترولية وفيها الثروة المعدنية فى اختلاف المعادن وفيها الثروات الطبيعية الاخرى والمواد الخام ما يعادل جميع الثروات الطبيعية فى أوربا كلها ، وفى بلاد العرب الممرات البرية والبحرية والمراكز السوقية (الاستراتيجية) الممتازة التى يستطيع أصحابها التحكم فى قارات ثلاث . ويركز اللواء القول على التنسيق الصناعى وصنع الاسلحة المختلفة والاكتفاء الذاتى بقدر المستطاع ومن اهداف التنسيق الصناعى العسكرى للعرب كما يراه اللواء اقامة معامل مختلفة فى الاقطار العربية تنتج سلاحا أو ذخيرة أو تجهيزات عسكرية فاذا كان مصنع عربى ينتج سلاحا خفيفا فيمكن أن ينشأ مصنع آخر فى قطر عربى آخر ينتج غير هذا السلاح وهكذا يكون هدف التنسيق زيادة فى التعاون بين البلاد العربية فى التسليح والتجهيز .

ويقول اللواء ان تنسيق الصناعات العسكرية فى كل دول العالم يعتمد على ثلاثة اصناف من الخبراء وهم الخبراء العسكريون وهؤلاء واجبهم اعطاء القرار عن اسبقية انشاء المصانع الحربية ومواضع انشائها ومقدار انتاجها والحفاظ على أمنها وسرية أنتاجها . والخبراء الاقتصاديون وهؤلاء واجبهم اعطاء القرار عن أحسن طريقة اقتصادية لاخراج هذه المصانع الى حيز الانتاج لتسد حاجة الجيوش العربية فى الحاضر والمستقبل ، وعلماء انتاج السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية وهؤلاء واجبهم انتاج هذه المواد بكفاية ومقدرة وبميزات مفضلة وكميات تسد حاجات الجيوش العربية حاضرا ومستقبلا . وقد بذلت الجامعة العربية وبعض الدول العربية والقيادة العربية الموحدة جهودا لتنسيق الصناعات العسكرية العربية ولكن هذه الجهود لم تثمر لان الوحدة العسكرية لم تصبح حقيقة ملموسة .

ولكى يعرف العرب واجبهم العلمى فى هذه الظروف العصيبة ينتقل بنا اللواء الى موضوع آخر شيق من هذا الكتاب وهو اثر الوحدة العسكرية فى المجال العلمى ويرى فى ذلك أن ما يحتاج اليه العرب فى هذا الظرف ايمان بالله لترصين معنوياتهم وايمان بالعلم لترصين الاعداد العسكرى فان الحروب الحديثة اصبحت سباقا علميا واصبح علماء الطبيعة والكيمياء والفيزياء فى مكانة مرموقة وربما يقرر العلماء بما يقدمون من أسلحة جديدة نتيجة الحرب كما حدث لليابان فى الحرب العالمية الثانية عندما ضربت هيروشيما وناجازاكى عام ١٩٤٥

بالقنبلتين الذريتين فاعلن امبراطور اليابان ان هذا السلاح الجديد لا قبل لليابان بالصمود أمامه واعلن الاستسلام . فكان انتصار الحلفاء على اليابان انتصارا علميا لامراء فيه .

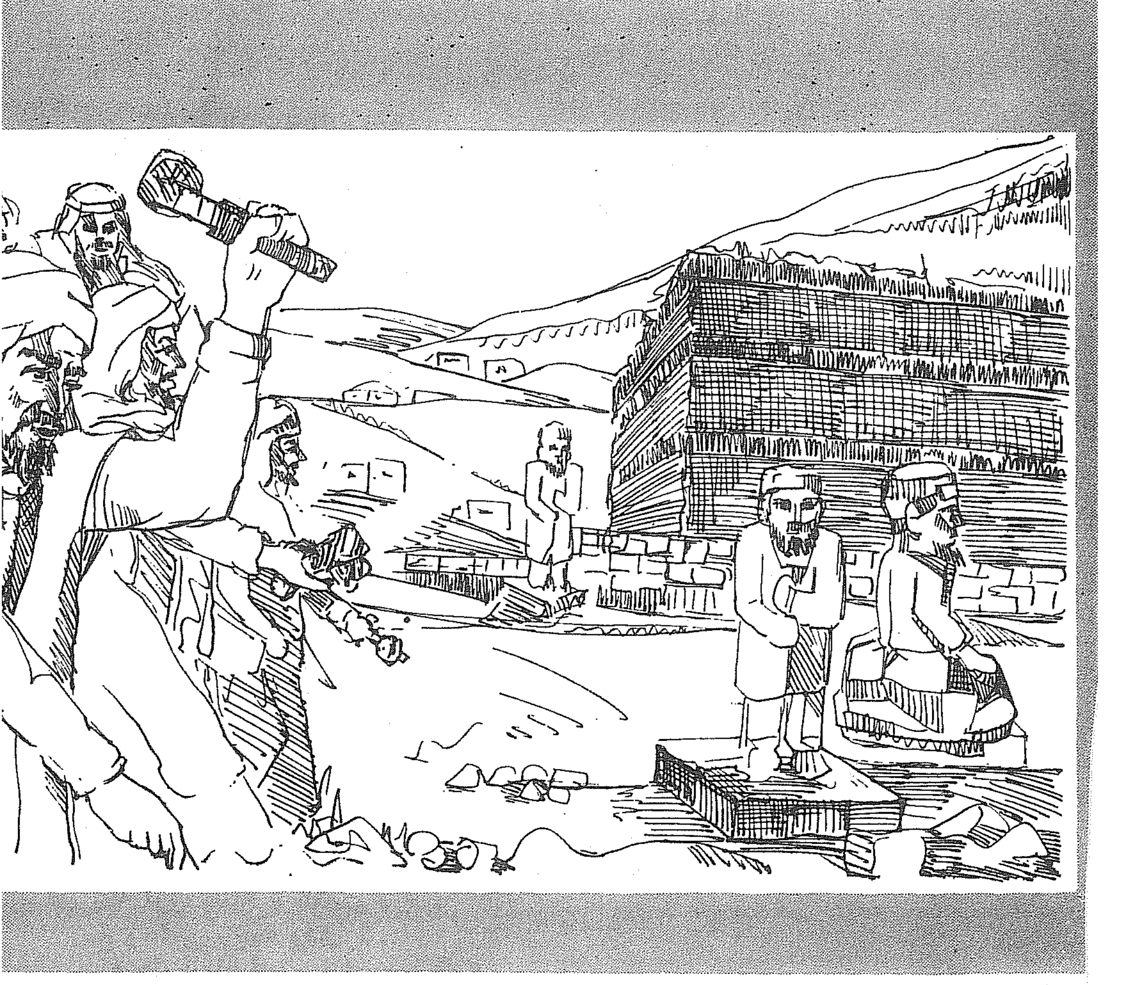
وتقوم اسرائيل اليوم بتجارب علمية لا حدود لها . وقد أنشأت المفاعلات الذرية ولها علماء منتشرون في ارجاء العالم يزودونها بالخبرة ولها أثرياء يزودونها بالمال وتتنافس روسيا والولايات المتحدة تنافسا علميا عنيفا لاخراج أفتك أسلحة الدفاع والهجوم . ويعرض اللواء ما تقوم به اسرائيل في تطوير صواريخها وقد انتهت الاعمال التحضيرية كلها في قسم هندسة الابحاث الجوية في معهد التكنيون خلال عامي (١٩٥٧ ــ ١٩٥٨) وفي الساعة الرابعة والدقيقة الواحدة والاربعين من صباح ٥ حزيران (يونيو) عام ١٩٦١ اطلقت اسرائيل صاروخها الاول من قاعدة سرية على شاطيء البحر الابيض المتوسط بالقرب من تل أبيب . ومنذ ذلك الوقت وهي تطور أبحاثها حتى يومنا هذا . ويذكر لنا اللواء جهود علماء الذرة في اسرائيل ويقول اذا كان في معهد وايزمن في رحبوت وحده مئتا عالم ذري وخمسون فنيا باعمال الابحاث الذرية قبل عام ١٩٦٧ فكم هو عددهم في معاهد اسرائيل العلمية الاخرى ؟ ويتصل علماء اسرائيل بعلماء العالم للتعاون في هذه الموضوعات وقد زودت فرنسا اسرائيل بكمية من البلوتونيوم وهو عنصر يستخرج من اليورانيوم كما أصبح الآن في وسع أية دولة شراء هذا المعدن من الاسواق العالمية وقد اكتشفت اسرائيل وجود هذا المعدن في صحراء النقب وهو متيسر في منطقة البحر الميت .

وبعد أن يذكر اللواء هذا العرض الشيق العلمي الدقيق لا يفقد الأمل ويقول ان العرب يستطيعون منافسة اسرائيل في المجال العلمي اذا تعاونوا بالجهاد بأموالهم وعلمائهم لتحقيق السبق العلمي وصمموا على ذلك . فان أثرياء العرب يستطيعون شراء اليورانيوم أما اذا بقي اهل المال حراسا على اموالهم وأهل العلم يفكرون ببطونهم فان العرب لن يستطيعوا اللحاق باسرائيل علميا وسيؤدي التفوق العلمي الاسرائيلي الى نتائج خطيرة جدا على المصير العربي كله بما فيه الاموال والعلماء .

ولا يقف بحث اللواء عند حد البحث عن الذرة بل ينتقل الى ما تفعله اسرائيل في جانب الاسلحة الكيماوية والاسلحة الجرثومية واسلحة الحرب الاشعاعية ويحيلنا في دراسة هذا البحث العلمي الى كتابه « العسكرية الاسرائيلية » ففيه تفصيل يوضح جهود هذه الدولة المقحمة في أرضنا في هذه الحقول والتي تطمع في ثرواتنا ومنافذ مواصلتنا وتكون ركيزة للاستعمار تأتمر بأمره وتنفذ مخططاته . وما عدا تلك الاسلحة الفاتكة يعمل علماء اسرائيل على ايجاد جهاز تغيير اتجاه القذائف وجهاز الاختفاء عن الانظار ويعمل في هذا المختبر عدد من العلماء الاسرائيليين بينهم يهود من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وتشيكوسلوفاكيا .

وبعد فماذا عن البحث العلمي والتطور التكنولوجي في مجال التعاون العربي ؟

يقول اللواء : يتفاوت التقدم العلمي في كل دولة من الدول العربية حسب ماتبذله من الجهود ومايتوفر لديها من امكانات علمية وعلى الصعيد الدولي لم يؤد العرب دورا ظاهرا في مجال البحث العلمي والتطور التكنولوجي . واقتصر التعاون العربي على نشاط مركز الشرق الاوسط الاقليمي للنظائر المشعة للدول العربية طبقا لاتفاق عقد بين الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة لهيئة الامم



ــ « أنت تعرف .. »
قال مغالطا نفسه ، متناسيا الحقيقة المرة التى تصفعه ..
ــ « أنا لا أعرف شيئا » .
رمته بنظرة ساخرة وقالت :
ــ « انتصر محمد بن عبد الله .. احتلت جيوشه أنحاء مكة .. استسلم له كل شيء .. خرج كبراء مكة وسادتها اليه يطلبون الصفح والغفران .. اتريد أن تسمع شيئا آخر ؟ »
هز رأسه ووجهه الشاحب وهدر :
ــ « تكلمى .. »
ــ « أنزل الأصنام من عليائها ، داسها تحت أقدامه ، صوت المسلمين يتردد فى الآفاق .. لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. واعز جنده .. »
حك أنفه غاضبا ، ودفع اناء الماء بقدمه ، وصاح :
ــ « الا يقاومه أحد الآن ؟؟ »
ــ « المقاومون لا وجود لهم الآن .. هم واحد من اثنين اما هارب خارج

.. أو لأجيء الى مختبئا .. »
أحتــد قائلا :
ـ « أنا لست جبانا »
ـ « لم أقل ذلك .. »
ـ « وأنا لم ولن أستسلم » .
ـ « هذا شأنك .. »
ـ « أتسخرين منى يا امرأة ؟! » تتوهم أشياء لم أقلها .. »
ـ « انك يا وحشى بن حرب » أفهم ما يجول فى خاطرك .. »
ـ « لكنى أقرأ ما وراء كلماتك .. يفكر أثناءها .. تذكر أيام
وسادت فترة صمت ، كان « وحشى بن حرب » أيام كان يحلم بالحريـــة ،
أن كان عبدا متمردا بارعا فى استعمال الحربة ، وتذكر الفرصة الذهبية التى
واستعداده لكى يضحى فى سبيلها بأى شىء ، وعرض عليه أن يهبه العتق
أتاحتها له الاقدار ، يوم أن أتاه سيده « جبير » ، وبطل « بدر » ، ومجندل الأبطال
مقابل قتل حمزة .. وحمزة فارس المسلمين ، هذا يوم لا ينساه « وحشى » . وأخيرا
والسادة من مكة فى المعركة الخالدة .. ويتحين الفرصة حتى واتته فقذف
بكر فى الخروج يوم « أحد » ، وأخذ يتخفى ، فى صفوف المسلمين ،
بحربته ، وقتل « حمزة » غيلة .. كان لقتله رنة أسى .. والمال .. والهدايا
وأطلق فرحة غامرة بين المشركين .. ونال وحشى الحرية .. انصرف فكره وقلبه عن
.. والشهرة .. وفقد كل أمل فى لقاء محمد ورجاله .. ويحاربه ..
الدعوة الجديدة ، لم يكن أمامه بعد ذلك سوى أن يعادى محمدا .. حتى
ويرفع راية الحقد والكراهية ضد الدين الجديد .. وتتالت المعارك .. ..
جاء اليوم الذى لا ينسى .. محمد فى آلاف الرجال ، يتوسط كتيبته الخضراء ،
ويدخل مكة فوق ناقته « القصواء » .
رفع وحشى وجهه وقال :
ـ « هل أسلم أبو سفيان حقا ؟! »
ضحكت المرأة فى مرارة وقالت :
ـ « وزوجه هند .. هى الأخرى أسلمت .. »
هز وحشى قبضته فى دهشة وقال :
ـ « آكلة الأكباد ؟؟ تلك التى أهدر محمد دمها ؟؟ كيف ؟؟ ان الأمر يبدو
لى وكأنه حلم سخيف لا معنى له .. »
ثم استطرد قائلا :
ـ « وعكرمة بن أبى جهل ؟؟ »
ـ « حاول الفرار الى اليمن » وذهبت زوجه الى الرسول تستأمنــه ،
فعفا عنه ، أدركوه قبل أن يركب السفينة ، فعاد ، ثم اعتنق دين محمد .. »
زمجر وحشى غاضبا وقال :
ـ « تعسا لك يا عكرمة ، تنكرت لدم أبيك ، وخنت ما بيننا من عهــود
ومواثيق .. »
اقتربت المرأة من وحشى ، وربتت على كتفه فى رقة وقالت :
ـ « لقد مات عصر .. وولد عصر جديد .. الا تدرك ذلك يا وحشى ؟؟ »
صاح :
ـ « الحمقى وحدهم هم الذين يستسلمون عند أول صدمة .. لم يولد

عصر ، وانما تغيرت الوجوه والاسماء .. »
هتفت مغتاظة :
ــ « أنت تخدع نفسك ، وتزيف الحقائق .. »
ــ « أنا أبعدنظرا منكم جميعا .. وافهم ما خفى على البلهاء والسذج من سادات مكة وأساطينها .. قبائل « هوازن » كلها سوف تخرج لمحمد ولن تتركه حتى تقضى عليه .. « ثقيف » بحصونها ورجالها فى « الطائف » لسوف تتصدى لزحفه .. أشتات فى أنحاء بلاد العرب سينهكون قوى محمد ، ويستنزفون عدته .. »
ويبدو أن « وحشى » قد نجح فى اقناع نفسه ، فانتعش قلبه ، وفاضت الطمأنينة على ملامح وجهه الأسود ، ومد يده محاولا مداعبة المرأة الفانية التى اتخذها عشيقة له ردحا من الزمن ، لكنها ردته فى عنف لم يألفه ، ورفضت الاستجابة لكل محاولاته ، وخيل اليه أنها تصفعه بكلماتها حينما قالت :
ــ « لسوف أذهب الى محمد » ..
ــ « لتخبريه عنى ؟؟ »
ــ « بل لأشهد ألا اله الا الله ، وأنه رسول الله » .
قهقه وحشى ، حتى كاد يستلقى على قفاه ، واحتقن وجهه ، حتى كاد يتفجر منه الدم وقال :
ــ « أوتظنينه يفتح بابه للداعرات ؟؟ »
ــ « لقد قال محمد ان الاسلام يجب ما قبله .. »
ــ « لكنك لن تستطيعى أن تنسى الكؤوس .. والرجال .. وليالى الغناء والمتعة .. »
رفعت رأسها فى تحد قائلة :
ــ « كانت مكة كلها تنضح بالعار .. كنت أبيع المتعة الحرام .. وكان الناس يشترون .. كلنا سواء فى الاثم .. وكان الناس يظلمون .. والظلم عار .. وكان السادة يقتلون .. والقتل عار .. للعار مئات الأوجه .. ولقد أسلموا برغم ذلك .. ومحمد لن يغلق بابه فى وجه أحد يأتيه تائبا مسلما .. »
جذبها من كمها فى عنف ، ثم أقعدها الى جواره ، وأظهر لها اعتراضه الشديد وعول على أن يمنعها بالقوة من الخروج ، وكان واضحا لها أنه يتصرف كطفل مشاكس ، فان الأمر لن يخفى طويلا ، وستطوله أيدى المسلمين ، وهو مهدور الدم ، وانتظرت حتى سكن غضبه ، وعاد اليه قليل من الهدوء وقالت :
ــ « اما أن تسلم ، أو تخرج من مكة تحت جنح الظلام .. اختر أيهما شئت يا وحشى ، كن عاقلا ، ولا تتصرف بحماقة والا اضعت كل شىء .. »
فكر فى كلماتها ، انها برغم ايجازها قد بلورت الموقف ، وحددت أبعاده ، لقد كانت تتكلم كفيلسوفة ، تتخذ لها موقفا لا تردد فيه ولا تخوف ، وهو الفارس .. الحر .. الذى نال حريته بحربته ، قاتل حمزة .. صاحب الاسم الطنان .. لا يعرف كيف يمضى فى الطريق .. أوليس هذا سخرية ما بعدها سخرية ؟؟ لقد كان يظن أن العبودية العن ما فى الوجود ، أما الآن فهو يشعر انه أتعس من أى عبد على ظهر الأرض .. المجد والحرية لم تشفعا له ، لم تستطيعا أن تبللا قلبه المشتعل بقطرات من أمن وسعادة .. لم تستطيعا أن تنقذا ضميره من براثن العذاب والتمزق والاضطراب .. وتمتم وقد طأطأ رأسه فى حسرة :

ـــ « انفى أتقمص انسان .. »
ـــ « لأنك أنانى .. تفكر وأنت غارق فى بحر من الكبرياء الزائفـــة .. وتخاف الجزاء العادل .. »
سدد اليها نظرات تائهة وقال :
ـــ « وماذا أفعل ؟! »
ـــ « ابحث عن الحق والباطل .. ثم اختر طريق الخير .. »
ابتسم فى حزن وقال :
ـــ « الذين يتهددهم الموت لا يفكرون فى حق أو باطل .. »
ـــ « فيم يفكرون اذن »
ـــ « فى النجاة .. »
ـــ « العودة الى الحق هى طوق النجاة .. »
ـــ « واذا قتلونى ، فأية نجاة أنال اذن »
ـــ « الموت لا معنى له هنا .. »
ـــ « لم أصل بعد لهذه المرحلة من السذاجة .. »
ـــ « لئن مت مسلما يا وحشى فان هذا عين المنى .. »
هب واقفا ، ورماها بنظرة سزراء وقال :
ـــ « حياتى أهم ما فى الوجود .. حياتى فوق المبدأ .. اننى لا اثق فى شىء بهذه الدنيا على الاطلاق .. لا احب أحدا .. ولسوف أخرج من مكـــة ، وانطلق فى أرض الله الواسعة ، لا أخضع .. متحللا من كل قيد .. وأنا واثق من أننى سأجد أعداء لمحمد .. وسأمضى فى ركبهم .. فان انتصرت نلت ما أريد وان هزمت .. فسأواصل رحلة الهروب حتى آخر العمر ... »
غمغمت المرأة :
ـــ « انك ترمى بنفسك فى تيه لا قرار له .. »

□ □ □

ومضت الأيام والشهور ، وانهزمت هوازن ، وفتحت الطائف أبوابها لنور الحق ، فأسلمت « ثقيف » ، وتسابقت القبائل لاعتناق الدعوة الالهية ، وتسلل « وحشى بن حرب » الى المدينة ، ووقف قبالة رسول الله ، ونطق الشهادتين ، فقبله الرسول ، لكنه صلى الله عليه وسلم دقق فيه النظر ، ثم قال فى حزن ، وقد تذكر مأساة الشهيد حمزة بن عبد المطلب وقال :
ـــ « أأنت وحشى ؟ »
ـــ « نعم .. »
ـــ « أرو لى كيف قتلت حمزة ؟ »
وما أن انتهى من قصته الدامية ، حتى اطرق الرسول قائلا :
ـــ « غيب وجهك عنى .. »
تلك الكلمة التى ظلت تطارد وحشى طول حياتـــه ، وتبعث فى نفســـه الأسى والعذاب ، وتثير لديه كامن الندم ، وتغرق ليله بالدموع ، ولم يشـــعر وحشى بشىء من الراحة والرضى الا بعد أن شارك فى ضرب المرتدين وقتل « مسيلمة الكذاب » ، ويومها قال فى تأثر :
ـــ « بحربتى هذه قتلت أشرف الناس حمزة بن عبد المطلب ، واكـــذب الناس مسيلمة الكذاب .. »



صلاح الدين الأيوبي

* الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأول بن الأمير نجم الدين أيوب ولد فى تكريت ٥٣٥ هـ نشأ فى بعلبك وصحب أباه حيث يعمل فى بلاط نور الدين بدمشق .

* كان مغمورا فى صباه وشبابه ولوعا بالجدل الفقهى .

* جاء الى مصر مع شيركوه فى ٥٥٩ هـ وأظهر شجاعة وقدرة ، فعين وزيرا لأول مرة فى ٥٦٤ هـ ولقبه الخليفة بالملك الناصر .

* جعل من أهدافه مقاومة الصليبيين الذين توقعوا الخطر عليهم منه فاستجلبوا النجدات من أوروبـا .

* اشتغل بتوحيد مصر والشام والمغرب والنوبة فى يـده مع مناوأة الصليبيين .

* هجم على الصليبيين بغتة فى ٥٧٣ الا أنهم انتصروا بمعجزة وأقاموا صلاة شكر فى بيت المقدس .

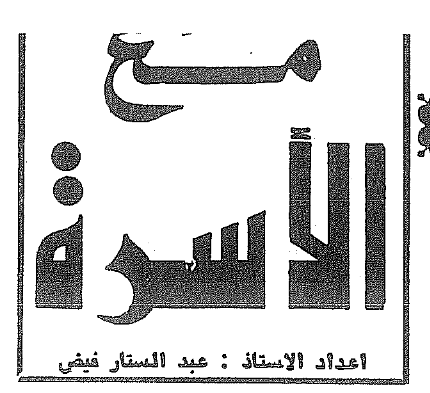
* بعد عشر سنوات من انتصار الصليبيين كان صلاح الدين قد تأهب من جديد والتقى بهم فى حطين فهزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة فسقطت فى يده بعدها حصون طبرية والناصرة والسامرة وصيدا وبيروت وتيران وعكا والرملة وغزة وحيرون ثم فتح بيت المقدس ٥٨٣ وتحقق أمل العالم الاسلامى بذلك حينئذ .

* دخل فى مفاوضات صلح أحيانا وحروب أحيانا أخرى مع ريتشارد قلب الأسد الا أن ذلـك أدرك أن لا أمل فى انتصـار حقيقى على المسلمين ففاوض صلاح الدين ورحل ، وانتهى تقريبا الوجود الصليبى فى بلاد الاسلام .

* توفى فى دمشق فى صفر ٥٨٩ .

* رحمه الله وجعل منه قدوة ومثـلا .

عبد المعطى بيومى



الأسرة في الإسلام

الأسرة هي اللبنة الاولى في بناء المجتمع ، ولذا كان اهتمام الاسلام بها تكوينا ونموا . أصلا وفرعا ، زوجا وزوجة وولدا . خطبة وزواجا وعشرة . حقوقا وواجبات . تشريعا وقصصا ، قيما وتطبيقا .

ويقوم بنيان الأسرة في الاسلام على أسس ثابتة أهمها :

١ ــ وحدة الأصل والمنشأ ، فأعضاء الأسرة من اصل واحد ومنشأ واحد ، قال تعالى : (**يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس**

من كتاب الله

« **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » .

سعادة الأسرة فى التزام امر الله ونهيه .

نساء خالدات

السيدة خديجة

هى خديجة بنت خويلد بن أسد ، وأمها فاطمة بنت زائدة ، من سيدات قريش وكانت تدعى قبل البعثة الطاهرة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سن الخامسة والعشرين وكانت سنها أربعين سنة ، وقد تعرفت عليه من خلال أخلاقه الفاضلة وسيرته العطرة ، تاجر فى مالها وسمعت عنه الكثير من الأمانة والصدق .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول من آمن به من النساء ، وأعانته بمالها وواسته بحسن عشرتها على تحمل أعباء الدعوة ، وهيأت له المنزل السعيد الذى أعانه على تبليغ رسالة ربه .

وعاشت معه أربعا وعشرين سنة وبضعة أشهر ، ولم يجمع الرسول بينها وبين زوجة أخرى ، وأنجبت له (رقية وأم كلثوم وفاطمة وزينب والقاسم وعبد الله) ..

توفيت لعشر خلون من رمضان سنة عشر من البعثة وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون ، ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ، ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز ، وحزن عليها حزنا شديدا وظل يذكرها طول حياته ويثني عليها ويقول : (**آمنت اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء**) ..

رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل الجنة منقلبها ومثواها ..

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

٢ ـ المودة والسكن : فالزوجية السعيدة تحقق التناسق والتقارب في المشاعر والأحاسيس ، وتعين على احتمال أعباء الحياة ومواجهة مسئولياتها قال تعالى : **(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** .

٣ ـ العدالة : في تحديد الحقوق والواجبات على أساس من الاستعداد البدني والنفسي لكل من الزوجين قال تعالى : **(الرجال قوامون على النساء)** وقال سبحانه : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(النساء شقائق الرجال)** .

٤ ـ وقايتها من عوامل التفكك والانحلال : فقد شرع الاسلام احكام النفقة والحضانة والرضاع والميراث وبين حدود الطلاق وتعدد الزوجات وآداب السلوك والمعاشرة ، وحذر من المضارة والانحراف والقاعدة الكلية التي بنى عليها الحياة الزوجية : **(امساك بمعروف أو تسريح باحسان)** .

من اقوال الحكماء

قالوا :

القلب يدفع طالب الزواج الى الحسناء والمصلحةتدفعه الى الدميمة والعقل وحده يسوقه الى المرأة الفاضلة ..

بريد الأسرة

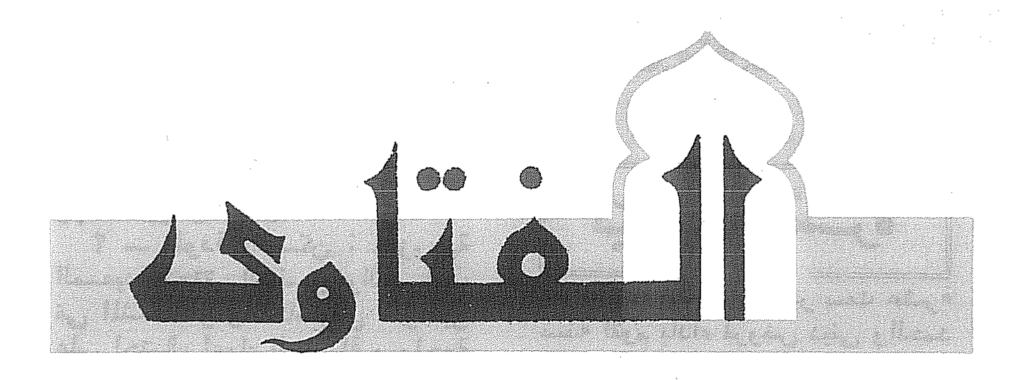
أنا فتاة أبلغ من العمر ست عشرة سنة أقوم بأداء فروض ديني والحمد لله وأتمتع برضاء الوالدين والأهل وأكثر من قراءة القرآن ولكن أشد ما يحيرني هو أنني أمشي سافرة كبنات عصري هذا مع العلم أنني لا أستطيع لبس العباءة التي كادت أن تختفي . أنني في حيرة لأنني أظن أن الله غير راض عني واني سأدخل النار بسبب ذلك .

كما أنني أعتقد أن الله لن يقبل مني أعمالي الصالحة ما دمت أسير سافرة .

(م. ع. م ـ الكويت)

المطلوب شرعا من المرأة هو ستر العورة ، وعورتها جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها باي لباس ساتر بشرط الا يكون ملفتا للنظر بالوانه البراقة ولا يكون ضيقا يحدد اعضاء الجسم ، ويبرز مفاتنه ، ولبس العباءة ليس شرطا ويجب على الفتاة المسلمة أن تكون متميزة بشخصيتها في زيها وسلوكها ، وكثير من النساء يحتفظن بزيهن الوطني المتميز كالباكستانيات والسودانيات وهو زي يتفق مع متطلبات الشريعة الاسلامية ، وهذا الزى موضع اعتزاز لهن ، ولم يكن في يوم من الأيام مثارا لقلقهن وحيرتهن ، ولا مثارا لاستهزاء الغير بهن ..

ونحن اذ نشكر لك حرصك على اداء الفرائض الاسلامية وقراءتك للقرآن الكريم نلومك أشد اللوم على السفور ونرجو أن تكوني مثالا حسنا للفتاة المسلمة المحافظة .



زواج التحليل

السؤال

طلقت زوجتى ثلاث طلقات متفرقات فى مدى خمسة عشر عاما ، واستفتيت احد العلماء فقال : انها لا تحل لى حتى تتزوج رجلا آخر ، ونظرا لأن لى منها اطفالا يحتاجون الى رعايتى ، ولنا رغبة فى استئناف الحياة الزوجية وافقت زوجتى ان تتزوج برجل آخر سموه باسمه ، ويدخل بها دخولا شرعيا ، ثم يطلقها لأتزوجها مرة ثانية ، فهل هذا الزواج الثانى صحيح شرعا ، وبالتالى هل يحل لى العقد عليها مرة ثانية بعد تطليقها من زوجها الأول ؟

سليم عثمان — السودان .

الاجابه

هذه الظاهرة موجودة فى كثير من المجتمعات الاسلامية وترد الى المجلة رسائل كثيرة تطلب رأى الشريعة فى هذه المشكلة .

وقد رجعنا الى فضيلة الشيخ السيد سابق فى الاجابة على هذا السؤال فقال :

زواج التحليل هو أن يتزوج المطلقة ثلاثا بعد انقضاء عدتها، ويدخل بها ثم يطلقها ليحلها للزوج الأول .

حكمه

وهذا النوع من الزواج كبيرة من كبائر الاثم والفواحش حرمه الله ولعن فاعله .

١ — فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لعن الله المحلل والمحلل له » رواه أحمد بسند حسن .

٢ — وعن عبد الله بن مسعود قال . « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له . » رواه الترمذى ، وقال . هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم — من غير وجه .

والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ــ منهم ، عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم . وهو قول الفقهاء من التابعين .

٣ ــ وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المحلل ، فقال .
« لا . الا نكاح رغبة ، لا دلسة ، ولا أستهزاء بكتاب الله عز وجل حتى تذوق عسيلته » .
رواه أبو اسحاق الجوزجانى .
٤ ــ وعن عمر رضى الله عنه قال .
« لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما » .
فسئل ابنه عن ذلك فقال . كلاهما زان .
رواه ابن المنذر ، وابن أبى شيبه ، وعبد الرزاق .
٥ ــ وسأل رجل ابن عمر فقال .
ما تقول فى امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها ، ولم يأمرنى ولم يعلم ؟
فقال له ابن عمر . « لا ، الا النكاح رغبة ، أن أعجبتك أمسكتها ، وان كرهتها فارقتها ، وان كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وقال . لا يزالان زانيين وأن مكثا عشرين سنة اذا علم أنه يريد أن يحلها .

حكمه

هذه النصوص صريحة فى بطلان هذا الزواج وعدم صحته لأن اللعن لا يكون الا على أمر غير جائز فى الشريعة ، وهو لا يحل المرأة للزوج الأول . ولو لم يشترط التحليل عند العقد ما دام قصد التحليل قائما ، فان العبرة بالمقاصد والنوايا .

الزواج الذى تحل به المطلقة للزوج الأول .

اذا طلق الرجل زوجته ثلاث تطليقات فلا تحل له مراجعتها حتى تتزوج بعد انقضاء عدتها زوجا آخر زواجا صحيحا لا بقصد التحليل .

فاذا تزوجها الثانى زواج رغبة ، ودخل بها دخولا حقيقيا حتى ذاق كل منهما عسيلة الآخر ثم فارقها بطلاق او موت ، حل للأول أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها .

روى الشافعى واحمد والبخارى ومسلم عن عائشة : جاءت امرأة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ــ انى كنت عند رفاعة فطلقنى . فبت طلاقى فتزوجنى عبد الرحمن بن الزبير ، وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال .

« اتريدين أن ترجعى الى رفاعه ؟ ... لا ... حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » .

وذوق العسيلة كناية عن الجماع .

ويكفى فى ذلك التقاء الختانين الذى يوجب الحد والغسل ونزل فى ذلك قول الله تعالى ــ « فان طلقها فــلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله »

وعلى هذا فان المراة لا تحل للأول الا بهذه الشروط :

١ ــ أن يكون زواجها بالزواج الثانى صحيحا .
٢ ــ أن يكون زواج رغبة .
٣ ــ أن يدخــل بها دخولا حقيقيا بعد العقد ، ويذوق عسـيلتها وتذوق عسيلته .

حكمة ذلك

قال المفسرون والعلماء فى حكمة ذلك ــ انه اذا علم الرجل أن المراة لا تحل له بعد أن يطلقها ثلاث مرات الا اذا نكحت زوجا غيره فانه يرتدع ، لأنه مما تأباه غيرة الرجال وشهامتهم ، ولا سيما اذا كان الزوج الآخر عدوا أو مناظرا للأول . وزاد على ذلك صاحب المنار فقال فى تفسيره .

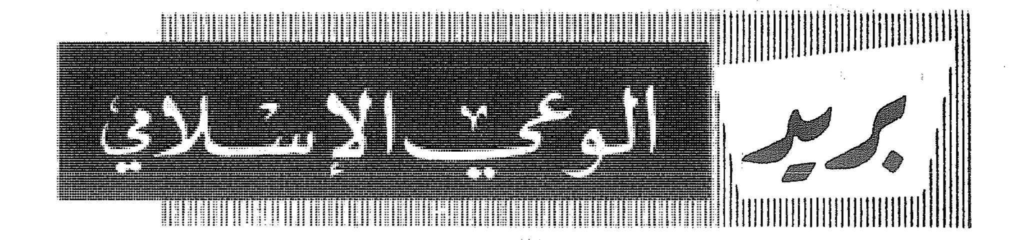
: ان الذى يطلق زوجته ، ثم يشعر بالحاجة اليها فيرتجعها نادما على طلاقها ثم يمقت عشرتها بعد ذلك فيطلقها ، ثم يبدو له ويترجح عنده عدم الاستغناء عنها ، فيرتجعها ثانية ، فانه يتم له بذلك اختبارها .

لأن الطلاق الأول ربما جاء عن غير روية تامة ومعرفة صحيحة منه بمقدار حاجته الى امرأته .

ولكن الطلاق الثانى لا يكون كذلك ، لأنه لا يكون الا بعد الندم على ما كان أولا ، والشعور بأنه خطأ ولذلك قلنا ان الاختيار يتم به .
فأذا هو راجعها بعده كان ذلك ترجيحا لامساكها على تسريحها .
ويبعد أن يعود الى ترجيح التسريح بعد أن رآه بالاختبار التام مرجوحا .
فاذا هو عاد وطلق ثالثة ، كان ناقص العقل والتأديب .
فلا يستحق أن تجعل المراة كرة بيده يقذفها متى شاء تقلبه ويرتجعها متى شاء هواه .

بلْ يكون من الحكمة أن تبين منه ، ويخرج أمرها من يــده ، لأنه علم أن لا ثقة بالتئامها واقامتها حدود الله تعالى .

فأن اتفق بعد ذلك أن تزوجت برجل آخر عن رغبة ، واتفق ان طلقها الآخر أو مات عنها ثم رغب فيها الأول واحب أن يتزوج بها ــ وقد علم أنها صـارت فراشـا لغيره ــ ورضيت هى بالعودة اليه ، فان الرجاء فى التئامهما واقامتهما حدود الله تعالى ، يكون حينئذ قويا جدا ، ولذلك أحلت له بعد العدة .



بين الشريعة والطب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بول الغلام ينضح عليه ، وبول الجارية يغسل » وقال قتادة : هذا ما لم يطعما ، فان طعما غسل بولهما . رواه الأمام احمد .

الحديث الشريف يفيد ان هناك فرقا فى الحكم بين بول الذكر وبول الأنثى . فهل الطب يؤيد هذا ؟

عبد الحميد رشاد ـ السعودية

يقول الدكتور حسن هويدى :

يتألف بول الآدمي مطلقا ـ من ذكر أو أنثى ـ رضيعا أو غيره ، طعم أو لم يطعم من الماء بنسبة (٩٥و٥٪) ، ومن عناصر أخرى كالبولة وحمض البول ، والنوشادر ، والكلور وغيرها . بنسبة (٤ر٥٪) ، وهذه العناصر لها مقادير طبيعية لا تتعداها فى حال الصحة ، فأذا اختلفت هذه المقادير ، أو دخل على البول عناصر أخرى ، دل على انحراف الصحة ، وكانت تلك العناصر مرضية ، وأذا ثبت أن تركيب البول واحد لدى جميع الآدميين ، وجب أن يكون الحكم الشرعى واحدا وهو الحكم بنجاسته ، وهذا الاستنتاج ينسجم مع اجتهاد الحنفية والمالكية الذى لم يفرق بين الذكر والأنثى فى حال الرضاعة .

وأما الترخيص الشرعى الذى أخذ به الشافمية بالاكتفاء برش الماء على بول الغلام الذى لم يطعم ، والتمييز بينه وبين الجارية فيمكن حمله على أحد الاحتمالات التالية :

١ ـ أنه أمر تعبدى ورد به الشرع ، دون معرفة سر التفريق بين الذكر والأنثى فى هذا الشأن .

٢ ـ ان بول الرضيع الذى لم يطعم تكون كثافته أقل (فى حدودها الدنيا) وبالتالى تكون عناصره المخالطة للماء بنسبة أقل أى فى حدودها الدنيا الطبيعية ، بينما تكون كثافة البول فى حدودها العليا لدى التغذى بالأغذية المختلفة ، مما

يجعل بول الرضيع المعنى قريبا من تركيب الماء في رقته وخفة لونه ورائحته ، ويجعل بول غيره كثيفا شديد اللون والرائحة ، وبهذا الفارق الواضح ، والذى يمكن كشفه بالعين المجردة دون المخبر ، أمكن التفريق والقول بالترخيص بنضحه بالماء دون الاصرار على غسله . أما التفريق بين الذكر والانثى ففى ما يلى :

٣ــ ورد فى بعض الكتب أن اختصاص الرضيع الذكر بذلك لكثرة حمله وائتلاف الناس لذلك ، فكان الاكتفاء بنضح الماء على بوله تسهيلا على الامة كبقية الرخص المشروعة .

٤ ــ أن اختلاف التكوين التشريحى للجهاز التناسلى والبولى بين الذكر والانثى يجعل ثمة فرقا دقيقا فى البول قد يعلل به ورود هذا الترخيص فى الذكر دون الأنثى ، ذلك أن بول الذكر حين ينطلق من قصبة الاحليل ينطلق حرا لا يخالطه شىء آخر ، بينما لا ينطلق بول الأنثى دون أن يجرى على أعضائها التناسلية الظاهرة وثناياها المجاورة التى كثيرا ما تحتوى على الفضلات من حاصلات التعرق والمواد المخاطية والعذرة أحيانا ، فيختلط ذلك بالبول ويغير لونه ورائحته وكثافته ويصعب جدا التفريق بين الحالة التى يحصل فيها التلوث وغيرها ، فكان الاحتراز الشرعى يقضي ببقاء الحكم على الاصل ، فأمر الشارع بالغسل ولم يرخص بشأنها ما رخص بشأن الغلام والله أعلم .

اخطاء فى ترتيب صفحات بعض المصاحف

بعث الينا السيد فارس المالكى الرسالة التالية :

طالعت مجلة (حضارة الاسلام) التى تصدر فى دمشق عدد جمادى الاولى سنة ١٣٩٠ هـ فى باب قدوة الفكر بيانا بالأخطاء التى وقعت فى ترتيب صفحات احدى نسخ المصحف المطبوع فى دار الجامعة للطباعة والتجليد فى دمشق ، وبيانا آخر باخطاء وقعت فى ترتيب صفحات احد المصاحف المطبوعة على نفقة مكتبة محمد هاشم الكتبى بدمشق .

ونظرا لأن مجلة (الوعى الاسلامى) اوسع المجلات الاسلامية انتشارا واكثرها قراء ارى أن دينى يحتم على ان ارسل لكم بيان هذه الأخطاء ، وارى ان من واجبكم ان تنشروها ليتنبه اليها كل مسلم تصله هذه المجلة .

الأخطاء التى وقعت فى ترتيب احدى نسخ المصحف المطبوع فى دار الجامعة للطباعة والنشر .

الصفحة ٤٨ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٣ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٣ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٠ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥١ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٦ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٦ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٤٩ من السورة المذكورة .
الصفحة ٤٩ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٤ من السورة المذكورة .

الصفحة ٥٥ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٢ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٢ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦١ من السورة المذكورة .
الصفحة ٦١ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٨ من سورة المذكورة .
الصفحة ٥٩ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٤ من السورة المذكورة

ومن سورة النساء .
الصفحة ٦٤ من سورة النساء تعقبها الصفحة ٥٧ من سورة آل عمران .
الصفحة ٥٧ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٢ من سورة آل عمران .
الصفحة ٦٣ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٠ من سورة آل عمران .
الصفحة ٦٠ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٥ من سورة النساء .

الاخطاء التى وقعت فى احدى نسخ المصحف المطبوع على ذمة مكتبة محمد هاشم الكتبى :

صفحة ٥٧٦ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٥ من سورة الأحزاب .
الصفحة ٥٦٥ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٧٨ من سورة فاطر .
الصفحة ٥٧٩ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٨ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٦٨ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٦١ من سورة الأحزاب .
السفحة ٥٦١ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٨٢ من سورة يس .
الصفحة ٥٨٣ من سورة يس تعقبها الصفحة ٥٦٤ من سورة الأحزاب .
الصفحة ٥٦٤ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٧٣ من سورة سبأ
الصفحة ٥٧٣ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٨٦ من سورة يس .
الصفحة ٥٨٧ من سورة يس تعقبها الصفحة ٥٧٦ من سورة فاطر .
الصفحة ٥٧٦ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٩ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٦٩ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٩٠ من سورة الصافات .
الصفحة ٥٩١ من سورة الصافات تعقبها الصفحة ٥٧٢ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٧٢ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٩٣ من سورة الصافات .

الصفحة ٥٩٣ من سورة الصافات وحتى النهاية تتعاقب الصفحات بشكل سليم .

من الواضح أن هذا الترتيب فى صفحات القرآن الكريم يؤدى الى اخطاء فاحشة فى سياق النص القرآنى ، ويلاحظ مما تقدم ان الصفحات ٥٧٧و ٥٨٠و ٥٨١و ٥٨٤و ٥٨٥و ٥٨٨و ٥٨٩و ٥٩٢ لا وجود لها فى هذه النسخة .

الوعى : راجعنا العدد المذكور من المجلة ، فوجدنا فيه بيان هذه الأخطاء وهو مطابق لما جاء فى رسالة الكاتب ننشره على مسئولية المجلة رجاء أن يتنبه اليه القراء مع الشكر لصاحب الرسالة .



شريعتنا الغراء بين التشـريعات الحديثه

كتب الأستاذ مختار عبد العليم تحت هذا العنوان يقول :

رزح العالم طويلا تحت الظلم من الملكية الأستبدادية والأرسـتقراطية المتحكمة حتى جاء الأسلام فتجاوبت الدنيـا باصـداء صـوت جـديد يفيض بالرحمة وتنضح منه الحريـة والاخاء والمسـاواة ، وما زال هذا الصوت يدنو من أوروبا حتى جاورها عدة قرون وقرع منها اذانا واعيـة ، ففهمت منه ان رئيس الدولـة ينتخب أو يبايع ويقيد فى تصـريف شـئون الجماعة بالشورى ولا تسـتقر فيه حقوق السلطان بصفة اصلية بل باعتباره نائبا عن الامة بدليل أن من ولاهم لا ينعزلون بموته كما ينعزل الوكيـل بموت الموكـل لان الوكيل الحقيقى هو الأمة وهى باقيـة ولو مات الامام ، وسمعناه لا يحابى ملكا ولا رسولا ولا يغض الطرف عن الحق اينما كان ويجعل من الامة رقيبا على الوالى بحيث يحقق لها الضرب على يده .

سـمعت اوربـا هذا واكثر منه فتفاعلت به وتاثرت نظمها بتعاليمه فتصدعت العروش والتيجان واندلع لهيب ثورة حامية الوطيس بين القديم البالى والجديد المستحدث ــ وانتصر الحق بعد ما قدم العالم ملايين النفوس قربانا لهذا النصر وتأسست مدرسة شريعة الطبيعـة والامم واضـطلع اساتذتها روسـيوس بوفان دورف قابيل بنشر مبادىء العدل بين الناس ثم تلاهم جان جاك روسـو وما لبثت اوروبا أن اعلنت حقوق الانسان فى المجنا كارتـا والـثورة الفرنسـية وغيرهما .

واذا انتهى المشرعون المحدثـون بعد كثير من المدنيات المتـلاحقة الى ان تطبيق التشـريع من حيث المكان يجب أن يكون اقليميا لا شـخصـيا بمعنـى ان يـكون القانون واحدا والمحـكمة واحدة لكل القاطنين فى حدود الدولة غير ناظرين الى الفوارق القوميـة أو الخلافـات العقيديـة واصبحت هذه القاعدة المستقرة فى البلاد الغربية بعد أن كـان القانون الرومانى يطبق على الرومان فقط .

أما فى بلاد الشرق فلم يأخذ بهذه القاعدة سوى اليابان وتركيا وفارس واذا ذهب هؤلاء المتشرعون الى أن استقرار المعاملات وتنظيم العلاقات وضمان العدالة أمور تقضى فى تطبيق التشريع من حيث الزمان الا يكون له

اثر رجعي خاص فلا يسري على الماضي واستثنوا منهـا ما يتعلق بالنظام العام أو ورد به نص خاص . فان الشريعة الاسلامية قد كانت أول من أرسى هذه القاعدة . واصلها تأصيلا استقر في نفوس اتباعها حكاما ومحكومين فاعتبرت أن التشريع اقليمي لا شخصي وكان ذلك منذ القرن السادس الميلادى قبل تفتح الحضارات فى العالم اذ أن الاسلام وضع النظم لجميع القاطنين في الدولة الاسلامية مسلمين وغير مسلمين وقسم الأرض الى دارين اثنين أولهما دار الأسلام بغض النظر عن السكان وثانيهمـا دار الحرب وهي ما عدا ذلك .

كذلك سبق الاسلام الى تقرير عدم سريان التشريع على الماضي فقال الكتاب الكريم (عفا الله عما سلف) ويستثنى من ذلك ما يمس النظام العام (فأن تبتم فلكم رؤوس اموالكم) .

وفقهاء الشريعة عندما يستنبطون احكامه يجرون مجرى الفقهاء المحدثين في محيط اوسع ونظرات اتم بعدما سمعوا القرآن الكريم يصدع بالحجة والبرهان (هاتوا برهانكم) (لو كان فيهما آلهة ألا الله لفسدتا) (تلك امة قد خلت لهـا ما كسبت ولكم ما كسبتم) . فدائرة القياس ومفهوم المخالفة والبحث عن حكمة التشريع عندنا اوسع فهي من اخصب مصادر التشريع الأسلامي بعكسه عند الغربيين فهم يتحسسون فيه ولا يلجأون اليه الا للضرورة الملحة .

ولعل في ذلك اجابة للسؤال الخالد الذى يتساءل به الكثيرون : لماذا جاء الاسلام قواعد كلية لا تفصيل فيها بينما الشرائع الأخرى كثيرة النصوص والتفاصيل والافتراضات وهو ايضا يعطينا في نفس الوقت فكرة عن تفسير التشريع عندهم حين تعارفوا على وجوب الأخذ بالنص الذى يبين قصد الشارع فيه من الألفاظ بصرف النظر عن تقدم المدنيات وتغير الملابسات . أما الشريعة فقد استنبط الفقهاء لكل حادثة حكمها .

ولله در القائل ان هذه الشريعة امتازت بخصائص ثلاث فقد امتدت عرضا حتى شملت جميع الامم (سبحان الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا .) وطولا حتى شملت آماد الزمن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) وعمقا حتى تناولت جميع النظم (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) .

شهر شعبان

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ مشهور ضامن :

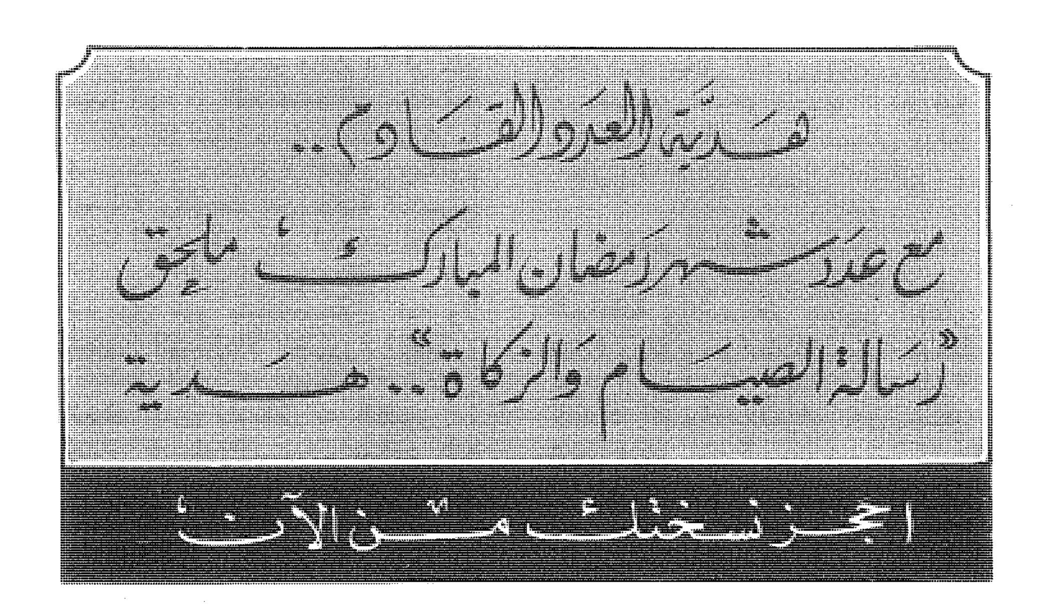
روى أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : (قلت يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان فقال الرسول ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) (رواه النسائى) .

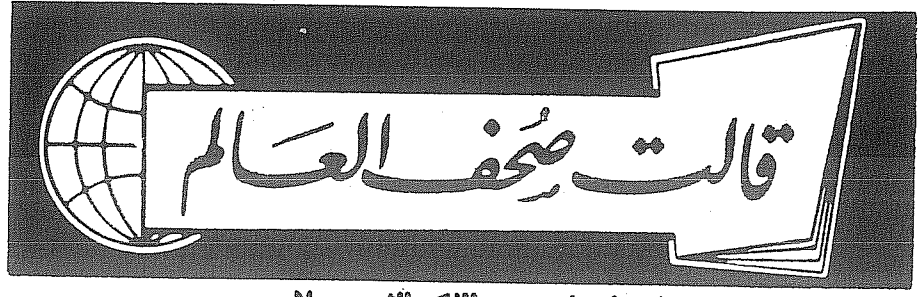
ان شهر شعبان يفصل بين رجب ورمضان ورجب شهر معظم فى الجاهلية والاسلام بتحريم القتال فيه ، ووقوع حوادث تاريخية لها أثرها البليغ في نشر الدعوة الاسلامية كحادث الأسراء والمعراج . ورمضان شهر فرض فيه الصيام ، وأنزل فيه القرآن ، ومجيء شعبان بين شهرين بهذه المكانة مدعاة للتهاون فيه ، وعدم القيام بالطاعات والعبادات ، وانطلاق

نزعات النفس وشهواتها ، فذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم هذا الشهر وبين أن الانسان لا ينبغى أن يغفل عما يرضى الله فى كل زمان وحين ، وارشد أن أبلغ ما يعيد أليه الذكرى التى تنفعه وتكبح جماح نفسه ويهذبه هو الصيام تهيئة لاستقبال رمضان ، وتذكيرا بأن هذا الشهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، ويحب أن يرفع عمله وهو صائم .
ولا ريب أن فى هذا الارشاد والتذكير ما يحمل الانسان على الطاعة وعمل الصالحات ويبعده عن السيئات ويبين سر عناية النبى عليه الصلاة والسلام بالصوم فى شهر شعبان الأمر الذى يدعوه للأخذ بأسباب الخير والهدى والرشاد ليعد نفسه للفيض الالهى العظيم .

وقد صحت الأحاديث بفضل شهر شعبان كله وطلب الاكثار فيه من الصوم ، من ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ قال : شعبان) رواه الترمذى، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان) رواه الشيخان وابو داود .

أرجو ونحن فى ظلال شهر شعبان ان نذكر هذه الحكم والعظات ، ونقتبس من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة لعمل الصالحات ، والانتفاع بالذكريات ، وان نقترن مع احياء هذه الأيام بالعبادات ذكرى القبلة الأولى وثالث الحرمين الشريفين ، ذكرى الوطن المقدس الذى اتجه الى حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحافظوا على كرامته وقداسته ، ونكون حراسا أمناء لننقذه من ويلاته ونكباته .





شبهات فى وجه الفكر الاســـلامى

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الدراسات الاسلامية مقالا جاء فيه :

ان هناك العديد من الشـــبهات ، التى يكتبها الباحثون الغربيون ، عن الفكر الاسلامى تحتاج الى توضيح وتصحيح .

وليس معنى هذا أننا ننكر فضل الفكر الغربى على الفكر الانسانى .

وليس معنى هذا اننا نشـجب الفكر الانسانى جملة ، بل على العكس من ذلك ، نحن نؤمن بعظمة المعرفة الانسانية ونذكر روائع الفكر العالمى والانسانى فى مجال دفع الانســـانية الى الأمام ، واعلاء القيم الكبرى ـ كالحرية والاخاء والبطولة ، والاستشـهاد فى سبيل العلم والكشف .

ولكنا ننكر من الفكر الغربى محاولة اذلالنا وتحطيم مقوماتنا ، فى ســبيل تركيز النفوذ الأجنبى وادامة السيطرة على العالم الاسلامى .

ونحن ننكر من الفكر الغربى ، عقوقه للقيم الانسانية واستعلاء الانسان الابيض فى غرور ، وتطبيق نظرية قوامهـــا التفرقة العنصرية ، تلك التى تقول ان ما سوى الغرب عبيد .

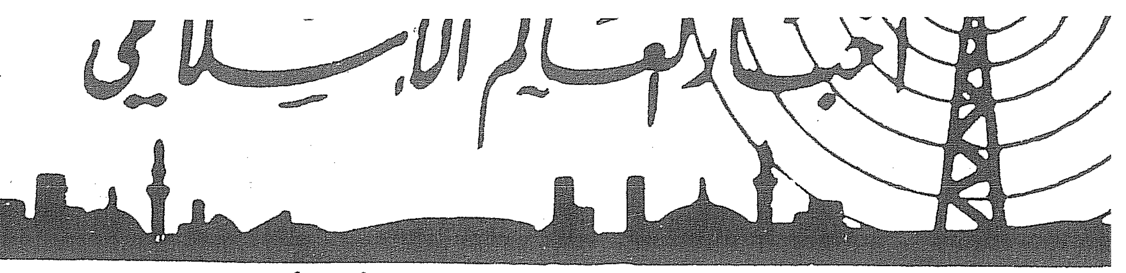
كما نقاوم نظريات الالحاد والاباحـــة ، والمادية واذلال القيم الانســـانية للانسان ، وانكار الغرب لقيم الدين والاخلاق .

ونحن من ناحية اخرى ، نؤمن بأن فكرنا العربى الاسلامى ، قادر على ان يعطى الانسانية زادا ونورا وضياء ، خاصة فى هذه المرحلة التى نما عليها عقل الانسانية ، وتمجيد ضميرها وروحها .

ومن هنا تبدو حاجة الانسانية الى جوهر فكرنا وعصارة قيمنا ، هذا الفكر الذى يرسم للانسانية طريقا جديدا ويحل مشكلات النفس والمجتمع ، والسياسة والاقتصاد ، فى ذلك المزيج الرائع بين الروح والمادة ، والعقل والوجدان والعلم والدين والدنيا والاخرة .

واعتقد ان رسالة المفكر المسلم فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمـــة العربية والعالم الاسلامى أن يكشف فى يقظة ووعى ، كل الشبهات التى يرددها النفوذ الاجنبى ، والتبعية الثقافية ، وحملات الغزو والتغريب الفكرى .

ونحن نعلم تماما ، ان الاستعمار والصهيونية ، والالحاد ما تزال هى القوى الثلاث التى تحاول أن تعيد العالم الاسلامى مرة أخرى الى مجال الســـيطرة وذلك بالقضاء ، على مقوماته واشاعة الشكوك والاتهامات والدعوات الهدامة



اعـداد : ع. ب.

الكويت : اذاع سمو الأمير المعظم حديثا بمناسبة اليوم العالمى لمحو الأمية ،جاء فيه : اننا لن ندخر وسعا فى العمل على محو الأمية بجميع أشكالها .

● وافق مجلس الوزراء على تقديم مساعدة مالية قيمتها (٢٠) عشرون ألف دينار لتدعيم النشاط التربوى فى الجمهورية اليمنية .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ (٥٠٠٠) خمسة آلاف دينار كويتى للقيام ببناء مسجد ومركز اسلامي وملحقاته فى السنغال .

● زار معالى وزير الخارجية موريتانيا فى الشهر الماضى تلبية لدعوة من حكومتها ، وقد أجرى معاليه مع المسئولين فى موريتانيا مباحثات استهدفت توثيق العلاقات بين البلدين المسلمين .

● تبرعت الكويت بمبلغ (٢٥) ألف دينار ومواد طبية قيمتها ١٠ آلاف دينار لمنكوبى الفيضانات فى باكستان .

● قررت وزارة التربية فصل مادة التربية الدينية عن مادة اللغة العربية وانشاء تفتيش خاص لها بالوزارة للتربية الاسلامية .

● احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الاسراء والمعراج فى مسجد السوق الكبير .

● عقد فى الشهر الماضى اتفاق ثقافى بين الكويت والأردن يقضى بتبادل الخبرات وتقريب المناهج التعليمية تمهيدا لتوحيد كافة المناهج العربية فى المستقبل .

القاهرة : زار القاهرة فى الشهر الماضى كل من الرئيس الموريتانى والرئيس النيجيرى لتقوية العلاقات بين كل من مصر وموريتانيا ونيجيريا .

● استقبل فضيلة شيخ الأزهر مدير كلية الدراسات الاسلامية بالسودان حيث تعرف على أعضاء البعثة الأزهرية التى طلبتها الكلية السودانية من الأزهر .

● عقد بالقاهرة فى أواخر الشهر الماضى مؤتمر العلوم والثقافة والتربية العربى ، وقد حضر المؤتمر وفود من الدول العربية حيث ناقشوا الأمور المتعلقة بالثقافة والتربية .

● قام فضيلة شيخ الأزهر فى اوائل الشهر الماضى بزيارة المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية لمدة خمسة عشر يوما ضمن رحلة فى بعض البلدان الاسلامية لشرح القضية العربية للرأى العام الاسلامى .

السعودية : وجه الملك فيصل نداء فى الشهر الماضى ناشد فيه قادة المسلمين وشعوبهم أن يهبوا لتحرير القدس ، ودعا جلالته الى عقد مؤتمر قمة اسلامى .

● زار وفد اقتصادى سعودى جمهورية اليمن لاستكمال مباحثات التعاون الاقتصادى بين البلدين ، ويشمل التعاون دعما ماليا سعوديا لليمن ، وانشاء

فى جوانبه حتى تحول بين شعوب هذا العالم ، من الالتقاء على (وحدة الفكر) هذه الوحده ، التى هى الاساس العميق المدى فى بناء الوحدة السياسية والاقتصادية ، وقيام الجبهة الموحدة القادرة على العمل والبناء .

وعلينا ان لا نوقف رسالة كشف الشبهات ودحض المفتريات ، فان الحملة على الاسلام واللغة العربية والتاريخ ، والتراث العربى والاسلامى ، لا تتوقف ، وهى تتجدد بين كل حين وآخر ، نقطة تثار من هنا ونقطة تثار من هناك ، وكأن ليس بيننا ارتباط ، ثم يعودون لاثارتها من زوايا اخرى وبأقلام أخرى .

الصحافة سلاح . . . .

وتقول صحيفة الرائد تحت هذا العنوان ،

فى هذه الفترة من التاريخ التى اضفت على العالم البشرى قداسة العلم ، وصبغت حياة الانسان بالصبغة المادية العلمية ، وجعلت المجتمع البشرى يعتمد على الطاقات الكونية اكثر منه على خالقها العظيم ، فى هذه الفترة تضاعفت مسئوليات الدعاة والقادة الاسلاميين وتحتم عليهم فى كل مجال ان يثبتوا تفوق الدين الاسلامى على كل تقدم علمى وخلود الرسالة الاسلامية على رغم كل الخوارق العلمية ، والابداعات المادية المدهشة .

ولا شك فان المسلمين وعلى رأسهم دعاة الاسلام المخلصون استفادوا من جميع هذه الاكتشافات والاختراعات فى مجال دعم الحركة الاسلامية وتوطيد أركان الدعوة واستدلوا بها على خلود رسالة الاسلام ومسايرتها مع الطبيعة العلمية والانسانية فى كل زمان ومكان ، والحقيقة ان ذلك كان مدعاة الى توسيع نشاطهم ومددا كبيرا فى اقناع الطبقة التى كانت تبحث عن الضوء بعدما طال تيهها فى دياجير الحياة ومحالك المادة .

ولم تكتف الفئة المؤمنة بسلاح واحد فى مواجهة هذا التيار الضخم وانما اخترعت أنواعا عديدة من الاسلحة تستعمل فى كل جهة وعلى كل ثغرة ، ومن بينها الصحافة والكتابة التى لعبت دورا هاما فى كسب المعركة العلمية على الدوام ، وكان لها تأثير عميق وواسع فى المعارك الفكرية والنظرية ، وتأييد الحق على الباطل . ولكن بتأثير النظريات المادية الخالصة — وجد هناك نوع من الصحافة والكتابة يسعى فى نشر كل هزيل من الافكار وبشكل مريض من الآراء ، وبكلمة اخرى أسس هذا النوع من الصحافة والكتابة لمحاربة كل فضيلة ، ومساندة كل رذيلة .

فليحرص كتابنا ودعاتنا على مقاومة هذه الصحافة الخليعة المأجورة والكتابات المحترفة الاثيمة بالصحافة السليمة المخلصة ، والكتابات الهادفة النزيهة ، وليساهم كل كاتب وكل صحفى من المسلمين فى هذه المعركة بكل ما أوتى من امكانيات ووسائل وليؤد كل منهم واجبه فى نطاقه وحسب طاقاته ، (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

شركة سعودية يمنية للبترول ومصفاة ، كما يشمل انشاء بنك سعودى فى الحديدة وصنعاء .

● تم التوقيع على اتفاقية للنقل الجوى بين السعودية وجمهورية اليمن فى نطاق تدعيم العلاقات بين البلدين .

سوريا : عقد فى الشهر الماضى مؤتمر طارىء لوزراء الصحة فى سوريا ولبنان والأردن والعراق والكويت لبحث وتوحيد الاجراءات الوقائية لمكافحة وباء الكوليرا .

لبنان : انتخب الرئيس اللبنانى السيد سليمان فرنجية رئيسا للجمهورية .

● تم انشاء يونسكو عربية من جميع الدول العربية مهمتها العمل على توحيد المناهج التعليمية فى العالم العربى .

ليبيا : تبرعت ليبيا بمبلغ مليون جنيه ليبى للمساهمة فى التخفيف عن الجمهورية اليمنية من آثار الجفاف .

الجزائر : عقد فى مدينة قسنطينة المؤتمر الرابع للفكر الاسلامى الذى اشترك فيه لمدة تسعة أيام من الشهر الماضى أساتذة ومفكرون من العالم العربى ، وقد ناقشوا دور الاسلام والحياة .

موريتانيا : عقدت بين موريتانيا والجزائر اتفاقية للتعاون الثقافى والعلمى والاقتصادى ، وستشكل لجنة على مستوى وزارى بين البلدين لمتابعة تنفيذ الاتفاقية .

باكستان : اجتاحت الفيضانات فى الشهر الماضى شرق باكستان وشملت منطقة مساحتها ٥٥ الف ميل مربع ، وقد تضرر من هذه الفيضانات حوالى ٣ ملايين شخص .

ايران : قام وفد صحفى واعلامى ايرانى بزيارات متتالية فى الشهر الماضى الى الكويت وامارات الخليج العربى .

اندونيسيا : عقدت المنظمة الاسلامية الآسيوية الافريقية أول مؤتمر لها فى ٢١ — ٢٧ سبتمبر الماضى ، وقد حضره أكثر من ممثلين لأربعين دولة اسلامية .

ماليزيا : احتفلت ماليزيا فى أواخر الشهر الماضى بعيدها الوطنى .

● دعا تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا وأمين عام الأمانة الاسلامية الى اجتماع لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، وقال ان احد اغراض الأمانة الاسلامية تحقيق التعاون وتقديم المعونة فى حالة حدوث كارثة لأية دولة اسلامية .

● تقرر تشكيل منظمة ماليزية فلسطينية تكون مهمتها تفهيم القضية الفلسطينية للشعب الماليزى وتقديم العون المادى والمعنوى للفدائيين الفلسطينيين .

اخبار متفرقة :

نيويورك : بدات الجالية الاسلامية فى نيويورك فى انشاء مركز اسلامى ومكتبة ومسجد للمسلمين .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع ... الكويت

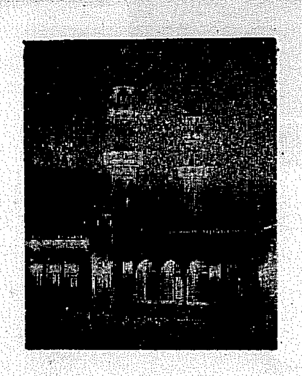

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
السنة السادسة — العدد ٦٩ — رمضان ١٣٩٠ هـ — ٣١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠ م
هذا العدد



سمو الأمير يؤدي صلاة الجمعة في الجامع الأزهر اثناء زيارتـه للقاهرة سنة ١٩٦٦ وعن يساره الرئيس الراحل جمـال عبد الناصر ، وعن يمينه الرئيس الحالى أنور السادات .



مسجد الشملان



هكذا تبدو مساجد الكويت ليلا في شهر رمضان في أجمل زينة . عامرة بالصائمين القائمين .

وفي الصورة مسجد الشملان الذي يمتاز بطرازه العربي الرفيع وموقعه الفريد .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

—

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد التاسع والستون

رمضان سنة ١٣٩٠ هـ

٣١ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار

في الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلهما بالاسترليني)

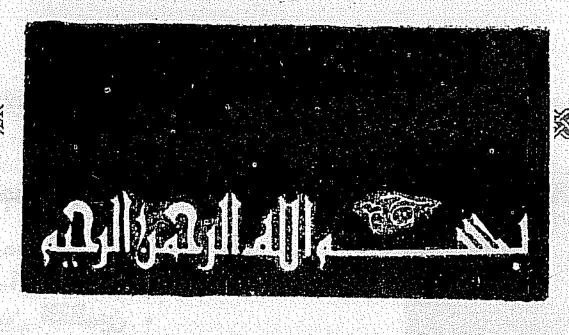
أما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطا

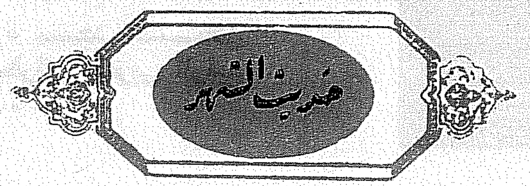
عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





من الهلال إلى الهلال

الأول هلال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان والثانى هلال شهر شوال الذى افتتح الله به أشهر الحج الى بيته الحرام ، ومن الهلال الأول الى الهلال الثانى يقوم المسلم الصائم برحلة سنوية وفقا لبرنامج سماوى شرعه رب العالمين وبينه خاتم الانبياء والمرسلين .

وارتباط عبادة الصوم الذى تتميز به هذه الرحلة بالقمر ليس بدعابين العبادات فى الاسلام فاركان الدين العملية التى تعبدنا الله بها من صلاة وزكاة وصيام وحج ترتبط زمنيا بالكوكبين المنيرين (الشمس والقمر) ارتباطا وثيقا .

فالصلوات الخمس لها أوقات محدودة لا بد ان تؤدى فيها لقول الله تعالى : ((ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)) .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الاوقات اشارة مجملة فقال سبحانه : (واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل) ، وفى سورة الاسراء (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) ، وفى سورة طه : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) .

وجاءت السنة النبوية بتحديد وقت كل صلاة منها بدءا ونهاية ، وهذا التحديد مرتبط بالشمس ، عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام ، فقال له : قم فصله . فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر ، فقال : قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شىء مثله ، ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله ، فصلى المغرب حين وجبت الشمس ثم جاءه العشاء ، فقال : قم فصله ، فصلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر حين برق او قال سطع الفجر .. ثم جاءه من الغد

للظهر فقال : قم فصـــله ، فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم جاءه العصر ، فقال قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم جاء المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه، ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل أو قال ثلث الليل ، فصلى العشاء ، ثم جاءه حين أسفر فقال : قم فصله ، فصلى الفجر، ثم قال : ما بين هذين الوقتين وقت .

وهنـــاك صـــلوات اخرى غير المفروضة يرتبط وقتها بالشـــمس ، فصلاة العيدين من ارتفاع الشـــمس قدر ثلاثة أمتـــار ، قال جندب رضى الله عنه : (كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنا الفطر والشمس على قدر رمحين والأضـــحى على قيد رمح) وصلاة الضحى يبتدىء وقتها بارتفاع الشـــمس قدر رمح وينتهى عنـــد الزوال ، قال زيد بن ارقم : خرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصـــلون الضحى ، فقال : ((صلاة الأوابين اذارمضت الفصال من الضحى)) اذا وجدت أولاد الناقة حر الشمس .

وزكاة النقدين وعروض التجـــارة والأنعام انما تجب بمرور حول على نصاب كل منها ، والحول ســـــنة قمرية .

والحج أشـــهر معلومات ، وهى شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذى الحجة وهى اشهر قمرية .

والشهر المفروض صومه رمضان وهو يبدأ بهـــلاله وينتهى بهـــلال شوال .

ففى حديث مسلم عن أبى هريرة : ان رسول الله ذكر الهلال ، فقال : اذا رأيتموه فصـــوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غمى عليـــكم فعدوا ثلاثين .

ووقت الصوم من طلوع الفجر الى غروب الشـــمس ، قال تعـــالى : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لـــكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر) .

وتحديد مواقيت العبادة وضبطها بالشمس والقمر ، وتوضيحها بالوحى على لسان المعصوم صلى الله عليه وسلم لم يجعل لكائن من كان فى أى عصر من العصور مجالا للتلاعب او الابتداع ، فلا يملك أحد تغيير هذه المواقيت ولا تعديلهـــا بالزيادة او النقص او التقـــديم أو التأخير فذلك شرع الله الذى شرعه لعباده .

وكيفية أداء هذه الطاعات وصورها العملية لم تتغير عند المســـلمين فى عهد من العهود عما كانت عليه فى زمن رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فالصلوات باقوالها وافعالها وعدد ركعاتها والزكاة بانواعهـــا ومقـــاديرها ، والصـــوم بحدوده والتزاماته ، والحج بمناســـــكه وشعائره كل ذلك لم يختلف عما كان يفعله صلوات الله وســـلامه عليه ، وما كان يفعله موافق تمام الموافقـــة لمـــا جاء به الوحى اليـــه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رايتمونى أصـــلى) و (خذوا عنى مناسككم) .

وبهذا يكون كل مسلم ملتزما باداء هذه العبـــادات فى مواقيتهـــا وعلى النحو والصـــورة المنقولة الينا قولا وعملا جيـــلا عن جيل من العـــدول الثقات .

ومن فضل الله على المسلمين أن بقيت شعائر الاسلام وعباداته سليمة نقية بريئة من التحريف والتغيير منزهة عن عبث العابثين واهواء الضالين المبتدعين ، وهذه ميزة للاسلام لم تكن لدين من الأديان ، فأنواع العبادات وصورها فى الديانات الأخرى دخلها من الزيف والابتداع ما أخرجها عما شرع الله ، اما الاسلام فقد أوصى المسلمين أن يتبعوا ولا يبتدعوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) وقال : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به ، انى اخشى ان تركت شيئا من امره أن ازيغ .

وقال عمر بن عبد العزيز : انه ليس بعد نبيكم نبى ، ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنة ، ولا بعد امتكم امة ، الا وان الحلال ما احل الله فى كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة ، الا وان الحرام ما حرم الله فى كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة الا وانى لست بمبتدع ولكنى بمتبع . الا وانى لست بقاض (مشرع) ولكنى منفذ .

وجاء رجل الى الامام مالك وهو بالمدينة وقال له : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال من ذى الحليفة ، (ميقات اهل المدينة) من حيث احرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى أريد أن احرم من المسجد ، فقال : لا تفعل . قال : انى اريد ان احرم من المسجد من عند القبر (قبر النبى) قال : لا تفعل ، فانى اخشى عليك الفتنة . قال : وأى فتنة فى هذا ؟ وانما هى أميال ازيدها قال : وأى فتنة أعظم من ان ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . انى سمعت الله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

وقال الحسن فى تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) كتب الله صيام رمضان على من كان قبلكم : فأما اليهود فرفضوه ، واما النصارى فشق عليهم الصوم ، فزادوا فيه عشرا وأخروه الى أخف ما يكون عليه فيه الصوم من الأزمنة .

والعبادات فى الاسلام مقصودة بذاتها تؤدى فى مواقيتها المعلومة وبكيفياتها المشروعة ، فهى اولا وقبل كل شىء حق المعبود ، وواجب الخالق للمخلوق قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وروى البخارى ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : (كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله اعلم . قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به أحدا) وفى الحديث القدسى : (يا بنى آدم انى ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لجلب منفعة ولا لدفع مضرة وانما خلقتكم لتعبدونى طويلا ، وتذكرونى كثيرا ، وتسبحونى بكرة واصيلا) .

ولو أن مسلما صام ولم يقصد بصومه اداء حق الله ولا القيام بواجب العبودية والطاعة للمعبود وانما قصد بصومه تحصيل مقاصد معنوية كالتحرر من سلطان النفس ، أو فوائد مادية كتصحيح البدن — ما كان صومه هذا الا عادة لا عبادة ، ورياضة لا طاعة ، وما نظن انه يحظى بالقبول عند الله ، اذ المقصود من العبادة هو الانقياد والخضوع لله ، يقول الامام محمد عبده فى تفسير معنى العبادة : تدل الأساليب اللغوية الصحيحة والاستعمال العربى الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ من النهاية ناشىء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشؤها ، واعتقاده لسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطة به ، ولكنها فوق ادراكه ، وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من الأديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى الأعلى الذى هو روح العبادة وسرها .

والذين لا يفقهون سر العبادة وروحها يحاولون بفلسفتهم الطائشة أن يتجاوزوا شريعة الله الى شريعة الهوى والشيطان فيظنوا أن اطعام الطعام يغنى عن الصيام ، وأن حسن المعاملة يقوم مقام الصلاة ، وأنه لا فائدة من معاناة آلام الجوع والعطش فى الصوم ، وبذل الجهد فى الركوع والسجود فى الصلاة .. خير لهؤلاء الذين يقترحون على الله أن يغيروا النفوس ولا يغيروا النصوص : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

أن العبادات التى جاء بها الاسلام ستبقى أشرف مظاهر العبودية لله ، وستظل أقوم مناهج التربية والتقويم امام الذين يريدون ان يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة .

وبعد :

فان المسلم الصائم يقوم فى رمضان برحلة روحية ينتقل فيها كيانه المعنوى بمشاعره وعواطفه وعقله وقلبه الى معاهد الوحى ومعالم التنزيل ، ويلتقى فيها بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فى اصفى حالاته وهو يتلقى الوحى ، وفى أشجع حالاته وهو يقود المعارك الكبرى فى بدر ، وفى أسعد لحظاته وهو يحرر البيت الحرام من رجس الشرك فى فتح مكة .

فى رمضان يحلق المسلم الصائم بروحه فوق القرون المتطاولة ، فيشهد تاريخ أمته وهو يكتب بقوة العقيدة وصدق العزيمة وحرارة الدماء فيؤمن من جديد بان لا سبيل للعزة والنصر الا سبيل المؤمنين الصادقين ..

ومن الهلال الى الهلال يعيش المسلم الصائم فترة من الزمان مع الأناسى فى الأرض ومع الملائكة فى السماء ، وكم يود ان تطول حتى يصبح رمضان السنة كلها .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان النبلى





للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

فى مقال سبق جرى البيان موضحا البدعة التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها ما مست أصلا من أصول الدين فأضافت اليه ما ليس منه أو أنقصت من مقدراته شيئا ، وأما ما جد فى الدنيا من مخترعات واكتشافات فى كل ميادين الحياة ، فلا يدخل تحت طائلة الذم ما دام مفيدا للانسانية ، وذلك أن الدين قد كملت أحكامه ورست قواعده واستبان كل شيء فيه فلم يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى الا وقد تركها على المحجة البيضاء لا عوج فيها ولا أمت ، وبعد أن أنزل عليه فيما أوحى اليه ربه من محكم التنزيل « .. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .. » .

ولما كانت السنة الشريفة شارحة لما أجمل فى القرآن الكريم ، ومؤسسة أحيانا فى بناء الاسلام ، وكانت الحكمة التى أوتيها رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام — أقول — لهذا عنى بها علماء الاسلام قديما وحديثا وحظيت منهم بدراسات وعناية لم يحظ بها علم آخر ، ووضعت لتفهمها وتنقيتها مما قد يكون علق بها من شوائب قواعد وأسس لم يصل اليها علماء ملة أخرى ولا حملة دين أيا كان فصارت للسنة علوم خاصة خالصة تحفظها نقية طاهرة صافية لتمضى مع الزمان الى جانب كتاب الله العزيز تحمل النور والهداية للناس أجمعين ، ويعرج مقال هذا العدد على ذكر بعض علومها وآدابها ..

١ — علم الحديث رواية :

ويقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو تقرير أو عمل ، وما أضيف الى الصحابة أو التابعين (١) .

وفائدته : البعد عن الخطأ فى نقل

اقوال النبى صلى اللـــه عليه وسلم وافعاله وتقريراته وصفاته .

واول من الف فيه محمد بن مسلم ابن عبد اللـــه بن شهاب الزهرى عالم الحجاز والشام المتـوفى سنة ١٢٤ هـ .

٢ ـ وعلم الحديث دراية :

ويقـــوم على مجمـــوعة من المباحث والمســائل يعرف بهـــا حـــال الـــراوى والمــروى مـــن حيث القبول والرد (كما عرفه ابن حجر) ويطلق عليه (علم أصـــول الحديث) ويسمى أيضا علم (مصطلح الحديث) ويعنى بتقسيم الخبر الـــى صحيح ـ وحسن وضعيف وتقسيم كل من هـــذه الثلاثة الى أنواع ، ثم بيان الشروط المطلوبة فى الـــراوى والمروى ، وما يدخل الأخبار من علل واضطراب وشذوذ . .) (٢) .

والراوى : هو الذى ينقل الحديث باسناده رجلا كان أو امراة .

والمروى : هو ما أضيف الى النبى صلى اللـــه عليه وسلم .

وفائدته : معرفـــة ما يقبـــل وما لا يقبل من الأحاديث ، وأول من ألف فيه هو القاضى أبـــو محمـــد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

ادب السنة والحديث (٣)

محمد رسول الله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، أوحى اليـــه بالعقيـــدة والشريعة الكاملتين الصالحتين لكـــل عصر ومصر ، ولهذا تلمس بوضوح بعد دراسة ما اثر عنه صلى اللـــــه عليه وسلم من أقـــوال وأفعال ، أنه ما ترك شيئا يوثق روابط الحياة الحرة الكريمة بين الناس ، ويدفعهم للمضى قدما فى كل ميادين العمل النافـــع المجدى ، ويمحو من بينهم ما يعكـــر صفوهم وينتزع جذور النفار والشقاق من أرضهم الا وحث عليه ، ووضع أسسه العلميـــة فى عصره ، حيث سادت الألفة وعم التعـــاون عـــلى الخير ، ومضى المسلمون جميعا الـــى هدفهم الأسمى ، وهو حمل مشاعل الهداية الربانية الى العالمين ، غايتهم رضوان اللـــه فى الدنيا والآخرة ،

والحق الذى يجب أن تخضع له العقول المنصـــفة ،وتنطوى تحت لوائه القلوب التى تنشد الســـلام والخير وتتسم به المجتمعـــات التى تتلمس النجاة من المزالق والمهالك ، وتطمح الى مستوى انسانى رفيع ، وتطمع فى احتـــلال منزلة مرموقة تهفو النفوس الى هداها ، وتســير على نورها وتقواها ـ أقول ـ ذلك الحق هو انتهاج سنة رســول الله صلى الله عليه وسلم وترسم خطاه ، والتفكير العميق فى مداخل الشريعة ومخارجها ، حتى تطبق واقعيا فى الســلوك الفردى والجماعى ونظام الدولة وخطط المعاش عامة ـ والا ـ فقلى بربك ! ماذا جنينـــا من اتبـــاع الهوى وما أفدنا من الأوبئة الفـــكرية الوافدة من هنا وهناك ، أليست للنـــاس عقول تدرك وأفهام تعى وقلوب تلين لذكر الله وما نزل من الحق ، الى متى نظل نعامة تدفن رأسها فى الرمال ، والصائد بريشنا فيصمينا ، ويرمينا حتى يفنينا ونحن أولو التراث المجيد ، وأصـــحاب القول الفصـــل اذا حكم العقـــل الرشيد ، هل لا نحس ما صرنا اليه من التمزق والتفرق ، وما نجم عنه من الصراع الدموى فى كل مكان ، وما وقعنا فيه من تأريث نار العداوة والبغضاء والتمكين للشقاق والنفرة بين الأخ وأخيـــه والولد وأبيه دون رعاية حقوق الأرحام ، وأنت فعالنا على كل نافع مفيد ، فأطفـــأنا

مصابيحنا بأنفاسنا اللاهثة جريا وراء الخراب والدمار ، وسبحنا فى دامس الظلام وأطلقنا من كنانتنا السهام خبط عشواء فأصبنا أنفسنا دون تمييز بين القريب والبعيد ، وان العالم فيما هو واقع لينظر الينا نظره الى فئة ضالة ، وقطعان هائمة على وجوهها دون راع ولا حام ، ولنمر سراعا ببعض ما رسمه الأدب النبوى لهناء الانسان ، مبتدئين من النواة الاولى لكل مجتمع وهى الأسرة ، عابرين الى الكون الفسيح فى مختلف كينوناته ومقوماته :

لقد عظم عليه الصلاة والسلام امر الوالدين ، وجعل طاعتهم مكملة لطاعة الله ورسوله ، واوصى بالأمهات ما لم يوص بالآباء لما قاسين من مشقات الحمل والولادة والارضاع وحسن الرعاية للصغار ، جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله : من احق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك ، كما جعل للأبناء على آبائهم حق الرعاية وحسن التوجيه وتيسير سبل السلوك القويم، ومجتمع تترابط أسره ، لا بد وأن ينعكس فضلها عليه فيمضى الجميع لطيتهم فى هدوء وحب وسلام .

وبعد الأسرة الجار ، وحق الجار فى الاسلام غير منكور ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » يريد ضمه الى أسرة جاره كولد وذى رحم وعد من الأعمال التى ينتفى معها الايمان ، ايذاء الجار ، فقد ورد انه عليه الصلاة والسلام قال : « ... والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، وكررها طويلا ، فقال الصحابة من يا رسول الله ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » وما الناس الا جار ومجاوره فمتى سادت الثقة والمحبة بين الجيران ، واهتم كل بمصالح صاحبه فتلك نهاية السعادة للوطن الذى يضمهم جميعا .

والأصدقاء ، ولا بد فى الدنيا من صديق تبثه شكواك ، وتستعينه فى نوازلك ، وتعتمد عليه فى كربك ، وتسدى اليه الخير فى يسارك ، وما أكثر ما طلب الرسول الى المسلمين أن ينتقوا أصدقاءهم فكل قرين بالمقارن يقتدى ، وفى أدبه الشريف تشبيه للصاحب الفاضل ببائع المسك ، والجليس السىء بنافخ الكير .

فالأول اما أن يعطيك من مسكه او تشترى منه او تجد منه ريحا طيبا فهو مصدر خير على أى حال .

وأما الثانى فلو اقتربت منه لأصابك شرر ناره فأحرق ثوبك او بدنك ، وان حاذيته شممت ريحا خبيثا ، فلا يصلك منه الا الشر فى جميع احواله فالاولى للعاقل أن يتخير جلساءه من كرام الناس خلقا فالمرء مع من احب .

وحث رسول الله على الاخلاص والتصافى بين الناس جميعا ، وكشف عن قبح الأخلاق الملتوية التى تشوبها المنفعة الخالصة ، ويعكرها لؤم الطباع وخسة التصرفات ، وسرد من علامات النفاق أحوالا تبين عنه ، ودلائل تشير اليه حتى يتحاشاه ذو البصيرة النيرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ، وطريق ترفع منه تلك الأشواك لا شك يجمل السير فيه .

وفى الأدب النبوى دعوة قوية الى ادامة التناصح بين مختلف الفئات التى تكون بناء المجتمع العام ، فقد

روى تميم الدارى أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : للـه ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » وهـذا لتـدوم اليقظة التامة بين الناس ولا توجـد فرصة لصاحب غى كى يسدر فى غيه فتستقيم الأحـوال دائما وتنعم الأمة بالعيش الهنىء .

وفيه تحريض على العمل ، وتنفير من البطالـة والتكاسل ، والمساهمة فى كل أحـوال الوطن الـذى يجمع بين جوانبه ابناء متجانسين ، قال عليه الصـلاة والسلام : « على كل مسلم صدقة ، فقالوا يا نبى اللـه فان لم يجد ؟ قال : يعمل بيده ، فينفع الناس ويتصدق ، قالوا : فان لم يجد قال : يعين ذا الحاجـة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمـل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة » . وهذا ترغيب فى اسـداء الجميل الى الناس ، ودفع الى ترك التواكل والركـون الى الراحـة ونهى عن ايذاء الغير .

والبشر فى الاسلام سواء لا فضل لأحدهم على الآخر بغنى أو جاه أو جمال مظهر او لون ، فمن أفاء اللـه عليه الخيـر ، واتخذ من يخدمـه ويساعده ، فليجعلـه فى منزلـة نفسه سواء بسواء فالتعالى خـلق جاهلى ، والتفاخر نعرة غير اسلامية، عن معروف بن سويد قال : رأيت أبا ذر الغفارى رضى اللـه عنه ، وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال انى سـابيت رجلا فشكانى الى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، فقال النبى صلى اللـه عليه وسلم : « أعيرته بأمه ؟ انـك امرؤ فيك جاهلية ، ثم قـال : ان أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمـه مما يأكـل وليلبسـه ممـا يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم » .

وحذر من اتباع الهوى ، ونهى عن الفوضى ، وأوجب طاعة الامام ما دام عاملا بما أمر اللـه به ورسولـه ، فعن عبـد اللـه بن عمر رضى اللـه عنهما عن النبى صلى اللـه عليـه وسلم قال : السمع والطاعة عـلى المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصيـة فلا سمع ولا طاعة .

هذا : ولو ذهبنا نستعرض الأدب النبوى فى مسالك الحياة ومدارجها لضاق المقام ، وما انقضى القول ، وقد ذكرنا طرفـا مما لا بد من ذكـره ، والذى لم يتمالك كثير من علماء الغرب المعاصرين أن يشهدوا بسموه وعظمته وأحقيته فى الخلـود ، وذلـك حين اطلعوا عليه فى مصادره ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وحبذا لو أن المسلمين كانوا دعاة خير بسلوكهم ، وعناوين صادقة لاسـلامهم فى أعمالهم ، وأدوات صلاح فيما يأتون وما يذرون ، فمندهـا لا تحتـاج الانسانية الى جديـد من التوجيـه ولا تفتقر الى فلسفات توضح الطريق الى السعـادة والسـلام والمحبـة والوئام ، فكل ذلـك كامن فى وصايا الرسول الكريم كمون النار فى الحجر يوريها الزند ، وما زندها الا التطبيق العملى ، وما أحفل الأدب النبـوى بالخير ، فيا ليت قومى يعلمون .

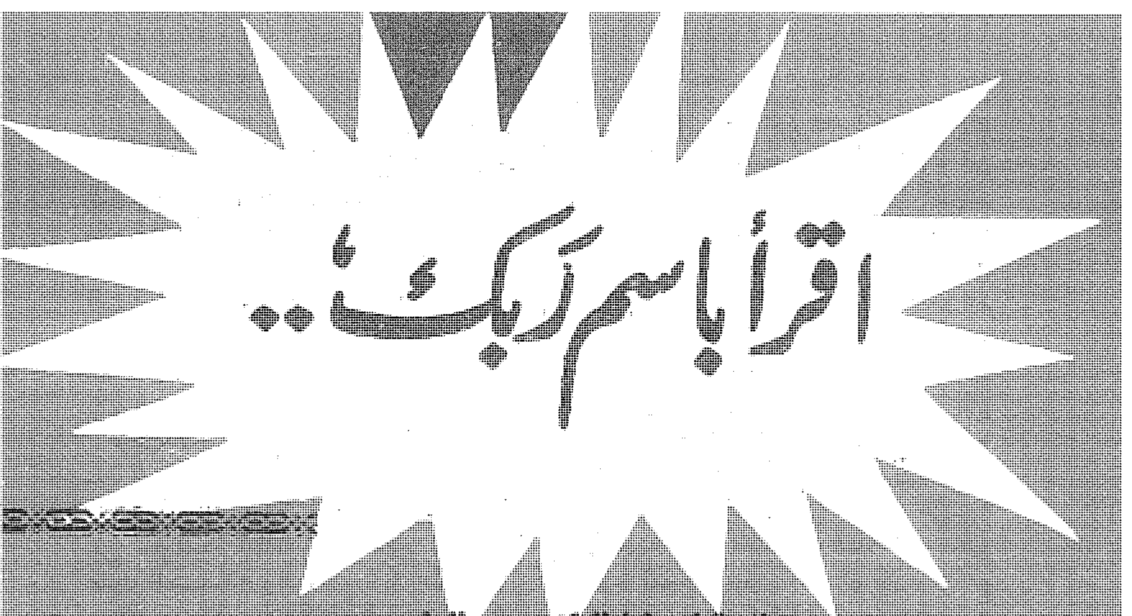
---

(١) المنهل الحديث ص ٣٥ للشيخ محمـد عبد العظيم الزرقانى القاهـرة ١٩٤٧ م .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور السباعى ص ١٢٦ حسب نشر دار العروبة بالقاهـرة ١٩٦١ م .

(٣) السنة : كل ما اثر عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير . كما مر بك آنفـا .

والحديث : هو كلام رسول اللـه عليه الصلاة والسلام ولا زيادة .



محاضرة ارتجلها الدكتور عبد الحليم محمود
وكيل الأزهر

في الموسم الثقافي الذي اقامته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية في شهر رمضان الماضي
نقلها واعدها : عبد المعطي بيومي

آية من كتاب الله حددت موقف الإسلام من قضايا الفكر العالمية في صراحة وحزم وسمو .. وتضمنت رسالة الإسلام الشاملة عقائد وأخلاقا وعبادات (قديها في زهاء ساعة ونصف في عشية ليلة من ليالي الاشراق الروحي فضيلة الدكتور المحاضر في أسلوب سهل .. راق رائق) .

قال فضيلته : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا .

وبعـــد :

فان موضوع هذا الحديث أول آية نزلت من القرآن الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) .

والآية لها الفاظ ولها جو وسنتحدث عن الفاظها وعن جوها بقدر الطاقة البشرية مستعينين بالله متوكلين عليه .

القرآن والعلم :

وأول ما يلاحظ ان تبتدىء الآية الكريمة بـ (اقرأ) فهي من أول الأمر ولأول لحظة موجهة الى الجانب العلمي ، والواقع ان الأمة الاسلامية الآن في هذه

القرآن والعلم • بدعة تعارض الدين والعلم • تقييم الثقافة البشرية العقلية • الفلسفة لا رأي لها • علاج الملحدين • موقفنا من الثقافة الغربية

النهضة لابد لها من العلم اساسا تقوم عليه فاذا انحرفت عن هذا الأساس فانها لا تقوم على اساس سليم ولا على اساس صحيح .

ومنذ البدء كان للاسلام حملة قوية فى سبيل حث المسلمين على العلم ، وان الآيات لتتوالى بعد ذلك حاثة على العلم ، محبذة له ، آمرة به : حتى ليصل الأمر فيما يتعلق بموقف الاسلام من العلم أن يلتمسه الرسول عليه الصلاة والسلام من ربه (رب زدنى علما) و (رب زدنى علما) شعار العالم المسلم الحق (رب زدنى علما) فى كل لحظة فى كل ساعة .. فى كل يوم والشعار الاسلامى هو أن من استوى يوماه فى الجانب العلمى فهو مغبون ومن لم يصل الى زيادة فى الجانب العلمى فهو الى نقصان .

بل ان الأمر ليصل الى أن الله سبحانه وتعالى يرفع العلماء الى أسمى مرتبة ايمانية : (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) فقد شهد أولو العلم فى هذه الآية الكريمة مع الله وملائكته التوحيد : شهدوا أن لا اله الا هو ، وشهادة التوحيد أسمى مراتب الايمان ، والواقع أن العلماء يصلون الى هذه المرتبة لأنهم يرون من حكمة الله فى الكون ما لا يراه غيرهم .. فعلماء التشريح يرون الا بداع المبدع لاتقان المتقن ، يرون هذه الحكمة الحكيمة فى صنع الله سبحانه وتعالى فيخرون للأذقان سجدا له وحده ، كذلك فان علماء الفلك يرون هذه السعة الشاسعة فى الكون كما يرون تنظيمه وتنسيقه ودقة جريان أفلاكه (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) يرون هذه الدقة فيخرون له موحدين فى أسمى شعور ايمانى .

نعم .. انها قمة الايمان : شهادة التوحيد ، تلك التى يشهدها العلماء مع الله والملائكة . وللايمان مراتب منها أقول : لا اله الا الله . أو أنطق : لا اله الا الله . أو اقتنع : بأن لا اله الا الله . أو أومن بأن لا اله الا الله . أو أعتقد أن لا اله الا الله وكل هذه المراتب هى دون المرتبة الأخيرة وهى أشهد أن لا اله الا الله .

ولقد أعلن الله سبحانه وتعالى ان هذه المرتبة الأخيرة — شهادة التوحيد — ينالها العلماء المقتدون بالله وملائكته فى هذه الشهادة ، ولن تجد فى مجالات الآداب العالمية شرقية ولا غربية اشادة بالعلم أكبر من هذه الاشادة أو أسمى من هذه الاشادة .

واذا قصرت الأمة الاسلامية فى تحصيل العلم فهى مقصرة فى تحصيل أسمى مراتب الايمان واذا قصرت فى الجانب العلمى فهى مقصرة فى المنهج الذى دعا اليه سبحانه وتعالى وحثت عليه أول كلمة من القرآن « اقرأ » .

اى علم ؟

ولكن ما هو العلم المقصود الذى دعا اليه سبحانه واشاد به رسوله ؟ انه العلم على وجه العموم . العلم بالكون . العلم بالطبيعة . العلم بالفلك . العلم بالكيمياء . كما أنه العلم بالتفسير وبالفقه وبغير ذلك من علوم الدين .. انه العلم على اطلاقه المطلق ... !

هذه الدعوة الى العلم بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة العلماء ايضا يقول عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقا يبتغى به علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء .. وفضل العالم على العابد (وانظروا هنا التشبيه والقياس . فضل العالم على العابد لايشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقرن فى التمثيل العالم وصاحب المنصب أو العالم والثرى وانما العالم والعابد) وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر ..

هذه هى الدعوة الاسلامية الى العلم .

بدعة تعارض الدين والعلم :

وهنا يأتى سؤال من أين هذه البدعة الشائعة التى يروجها كثير من الملاحدة عن تعارض الدين والعلم ؟ هل يتأتى حقيقة والأمر كذلك أن يكون هناك تعارض بين الاسلام والعلم ولنتبصر الأمر قليلا ما هو العلم الذى يقولون انه متعارض مع الدين ؟ انه العلم بمعناه الحديث وكلمة العلم بالمعنى الحديث تعنى : القواعد والقوانين التى اتخذت أساسا لها التجربة والملاحظة . اذن العلم الذى يعنونه ميدان الكون .. الطبيعة .. العالم المحسوس .. عالم المادة .. وما دام الأمر كذلك فلا يتأتى مطلقا ان يكون هناك تعارض بين عالم الألوهية عالم الايمان .. عالم الأخلاق .. عالم التوحيد .. عالم العقائد .. وبين العالم الذى مجاله محدود بالمادة والحس، فان دائرة الدين ودائرة المادة والحس مختلفتان فلا يتأتى أن يكون هناك تعارض . فكيف نشأت اذن فكرة التعارض بين الدين والعلم .

الواقع انها لم تنشأ فى ربوع الاسلام بل ولم تنشأ فى الشرق وانما نشأت فى أوربا ، والسبب بسيط ومعروف عند كل من درس تاريخ الفكر فى أوربا .

فى يوم من الأيام فى العصور الوسطى تبنت الكنيسة آراء أرسطو فى الطبيعة وما وراء الطبيعة واتخذت هذه الآراء قاعدة ومقياسا ومقدسا من

المقدسات ، وأرسطو شخصية بشرية تخطيء وتصيب فلما بدأت النهضة وقامت على اساس الملاحظة والتجربة بدأت ترى أن طبيعة أرسطو .. كيمياء أرسطو .. أخلاق ارسطو كل ذلك منهار، وبدأ العلماء يبرهنون على انهيار نظريات أرسطو فى الطبيعة وغيرها ، وكان كل عالم يحـاول الخروج على فكر أرسـطو كانت الكنيسة تنكل به ، تبعث به الى السجن ، تعذبه على أى وضع من الاوضاع ، وكانت هناك محاكم التفتيش تنكل بكل من خرج على آراء أرسطو . وآراء أرسطو التى يمكن بسهولة هدمها والتى تنهار فى يسر انما هى الآراء فى الطبيعة والكيمياء والفلك ، ولم يكن عند أرسطو الوسـائل التى تمكنه من الاجادة فيما يتعلق بعالم الكون ، عالم المادة ، عالم المحسوس ، فأخفق فى كل خطواته وكان انهياره فى عصر النهضة تاما شاملا . ولكن العلماء لم يكفوا : كانوا يبرهنون على أخطاء ارسطو فى عالم المادة . وشاعت فكرة التعارض بين الكنيسة والعلماء ، وانتهت هذه الفكرة بأن صارت ـ بعد تحريفها ـ تعارضا بين الدين والعلم ، وتناقلها الأوربيون . وأسـبابها معروفة فى أوربا . ثم كان هنـاك هؤلاء الببغاوات فى الشرق الذين يريدون أن ينقلوا كل ما فى الغرب الى الشرق ، والذين يعتقدون ان البيئة الشرقية هى البيئة الغربية تماما بتمام فى جوها الفكرى وفى جوهـا الروحى والايمانى .. وأخطـأوا فليس هناك تعارض بين الدين والعلم وليس هناك تعارض بين الاسلام والعلم على وجه الخصوص .

هدف القراءة فى الاسلام :

وننتهى بذلك من كلمة اقرأ ويأتى بعد ذلك « باسم ربك » ، انه لم يقل اقرأ وينتهى الأمر وانما قيدها ، قيدها لا فى مجالها ولا فى موضـوعها ولم يقيدها فى السماء ولا فى الارض ولا فى ما بينهما وانما قيدها فى النوايا .. فى الأهداف والغايات ، قيدها بأن تكون : « باسم ربك » وقد يقرأ الانسان ويقول : اقرأ باسم المصلحة العامة وأكثر الناس يقرأون باسم المصلحة العامة ، وقد يقرأ الانسان باسم ملك أو باسم الوطن وهؤلاء جميعا يختلفون ويتعارضون وهم وان اختلفوا وتعارضوا فانهم جميعا يقرأون باسم الوطن أو الملك أو المصلحة العامة أو الى غير ذلك من الأمور ، وليست هذه هى القراءة الاسلامية ان القراءة فى الاسلام لا تكون باسم المصـلحة شخصـية أو عامة ، انما يجب ان تكون القراءة باسم ربك .

اقرأ رمز لكل عمـل :

وكلمة القراءة هنا رمز فلا يعنى القرآن أبدا فى اقرأ باسـم ربك القراءة وحسب ، وانما يعنى بـ « اقرأ باسم ربك » رمزا لكل ما يمكن عمله فى الحياة . اعمل باسم ربك . قم باسم ربك . تحرك باسم ربك . نم باسم ربك .. لتكن حياتك حركة وسكونا قولا وعملا فعلا وتركا ليكن كل ذلك باسم ربك والآية التى تفسر ذلك بعض التفسير قوله تعالى : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) فالصلاة والنسك والحياة بأكملها بل والممات أيضا لله رب العالمين يجب أن يكون كل ذلك لله رب العالمين وفى سـبيل الله رب العالمين أو يجب أن يكون كل ذلك « باسم ربك »

ومهما تعددت أنواع الأعمال فى الحياة ومهما تعددت أصـــناف الأقوال فالمسلم مادام قد دخل فى الاســـلام وما دام قد عقد مع الله بيعة الايمان فان حياته كلها يجب أن تكون باسمه تعالى .

فاقرأ رمز اذن تعنى تعلم أو اعمـــل أو امتنع عن العمـــل ، واذا عملت فيجب أن يكون عملك باســـم ربك ، واذا امتنعت عن العمل فلا بد أن يـــكون الامتناع أيضا باسم ربك .

واذا كانت اقرأ فى جانب الايجاب واذا كانت قل ان صـــلاتى ونســـكى ومحياى ومماتى فى جانب الايجاب أيضا فان هناك آيات فى جانب السلب مثل قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) وكل مالم يذكر اسم الله عليه فانه فسق .

الايجاب والسلب الحركة والسكون الأقوال والأعمال الصـــمت كل ذلك يجب أن يكون باسم ربك .. ونأتى بعد ذلك الى (اسم ربك) .

التربية الالهية هى اطار الاسلام :

كنا نعتقد أن تأتى أول آية فى القرآن قائلة اقرأ باســـم « الله » لأن كلمة الله هى الكلمة التى تنطوى على كل الأسماء والصفات الالهية انها الكلمة التى تتضمن جميع المعانى ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقل اقرأ باسم الله وانما قال : اقرأ باسم ربك ولم يعبر الله ســـبحانه وتعالى بـ « ربك » مصـــادفة أو اعتباطا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعمال الله ســـبحانه وتعالى أعمال حكيمة والمعنى هنا : اقرأ باسم المربى أو اقرأ باسم التربية الالهية : اذا دخلت فى هذا النظام الذى يسمى الاسلام فوطن نفسك منذ المبدأ على أن تكون قراءتك وحياتك فى اطار التربية الالهية فاذا خرجت عن اطار التربية الالهية فقد خرجت عن هذا النظام ، اقرأ فى اطار التربية الالهية ايجابا وسلبا ، اقرأ فى اطار التربية الالهية قولا وعملا وحركة وسكونا ، فاذا لم تفعل ذلك فلســـت داخلا أبدا فى نطاق هذا النظام .. الاسلام ..

كيف تكون الثقافة باسم ربك .. ؟؟

ونحن الآن فى خضـــم من الثقافات الوافدة من الغزو الفكرى كيف تكون القراءة باسم ربك . ؟ والواقع ان الاسلام فرق منذ المبدأ بين أمرين وأوجب أن تكون هذه التفرقة ظاهرة بين أعين المصلحين فى الأمة الاســـلامية : فرق بين مجال المادة الكيمياء والطبيعة والفلك الى آخر هذه النواحى ، وبين مجال الثقافة النظرية البحتة ، الثقافة التى تتصل بما وراء الطبيعة وبالاخلاق .

أما فيما يتعلق بالمادة : بناحية الحس ، بغزو الفضـــاء ، بالصـــواريخ ،

بالذهاب الى القمر ، بكل ما يتعلق بهذا الكون المادي بأرضه فى أعماقها ببحاره فى أغوارها ، بسمائه فى فضائها الشاسع ، بسمواته بالكواكب : فان القرآن والاسلام أوجب علينا وجوبا أن نسخر كل ذلك . والله سبحانه وتعالى قد امتن علينا أن سخر لنا الأرض والكواكب والقمر فذكر كل ذلك صراحة وسخر لنا ما بين السموات والأرض فاذا أردنا الاستجابة لله سبحانه وتعالى فيجب أن نكون أول المسخرين للأرض والسماء وما بينهما من الشمس والقمر ، يجب ان نكون من أوائل أو من أئمة الذين يكتشفون كل ذلك ويسيطرون على كل ذلك وان نحن تأخرنا فى جانب من هذه الجوانب فنحن آثمون دينيا ووطنية وعروبة واسلاما وآثمون فى حق أنفسنا باعتبارنا أمة من الأمم أو جنسا من الأجناس . هذا الجانب أوجبه الله سبحانه وتعالى وسماه المسلمون تسمية جميلة سموه « اكتشاف نواميس الله فى الكون » وبينما الاسلام يوجب هذا الجانب فانه يقف موقفا حاسما من الثقافة النظرية الدخيلة وفى هذا المجال يمكننا أن نذكر بعض القصص .

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر رضى الله عنه يقرأ فى صحيفة من التوراة فقال له ما هذا يا عمر قال انها صحيفة من التوراة واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعل ويخاطب سيدنا عمر بلهجة ليست هى لهجة الود المألوفة بين الرسول وعمر بل يقول له منتهرا : « أتتهوكون فيها يا ابن الخطاب يعنى اتتشككون فيها فى ملتكم فى دينكم فى شريعتكم ، والله لو كان موسى حيا لما حل له الا اتباعى مالكم تذهبون الى التوراة او الى غير التوراة من الكتب وعندكم كتاب الله ويطيع سيدنا عمر مستجيبا لما حثه عليه رسول الله قائلا « رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا » ..

وينتهى الأمر فيما يتعلق بالتوراة . وهناك صورة أخرى : حدث ان بعض الصحابة كانوا مع اليهود وهم يقرأون التوراة فتخشع الصحابة تقول الرواية تخشع الصحابة أى خشعوا معتقدين ان التوراة – فى أساسها – كتاب منزل من الله وان كان قد حدث له تغيير أو تبديل فلم يحدث له ذلك فى جملته .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بمجرد تخشع صحابته لسماع التوراة فقرأ على الصحابة معاتبا « أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » ما بالهم يتخشعون للتوراة وعندهم كتاب الله سبحانه وتعالى وينتهى الأمر بالصحابة الى أن لا يفعلوا مرة أخرى مثل ذلك فان الرسالة الاسلامية لها ذاتية معينة فاذا فقدت هذه الذاتية وانماعت فى الثقافات والأمم الأخرى فان الأمة الاسلامية لا يصبح لها مبرر لوجودها لأن مبرر الوجود للأمة الاسلامية هى رسالتها وذاتية هذه الرسالة .

هذا هو الرسول صلى الله عليه وسلم يبرهن للصحابة أن هدايتهم فى رسالتهم وأن بقاءهم ووجودهم مرتهن ببقاء هذه الرسالة فيجب الا يكون هناك ما يلوث هذه الرسالة من قريب أو من بعيد حتى ولو كان توراة او كان انجيلا . يجب علينا أن نكون فى اطار هذه التعاليم : اقرأ باسم ربك .. لا باسم أفلاطون ولا ارسطو ولا ديكارت ولا داروين ولا كارل ماركس وانما باسم ربك ..

تقييم الثقافة البشرية العقلية :

هذه الثقافة البشرية الغازية ما وضعها فى حقيقة الأمر وحين نحاول أن

تحدد وضعها فى حقيقة الأمر لن نلجأ الى رأينا الشخصى بل الى حقائق التاريخ والواقع .

أما وضعها الحقيقى فهى متغيرة لاثبات لها وفى كل يوم هناك « مودة من المودات » وكأى « مودة » تنشأ وتتطور وتعم ثم تأخذ فى التقلص وتنتهى ليحل محلها « مودة » أخرى وتيار آخر وموجة أخرى وكل شخصية من الشخصيات التى أثرت فى التاريخ لها دور يبدأ وينتهى ولنأخذ مثلا شخصية من الشخصيات ، لا نأخذها هى بالذات وانما نأخذها كمثال ، هنـاك مثلا : (اوجسـت كونت) مؤسس علم الاجتماع أو الفيلسوف الأكبر فى عهده فيما يتعلق بعلم الاجتماع .. كادت فرنسا أن تؤلهه وكادت اوربا جميعها أن تقدسه ثم لم يمض الا قليل حتى انتهى اوجست كونت واصبحت آراؤه مجموعة من خرافات العهد الماضى لا قيمة لها فى العهد الحاضر وكل شخصـية على هذا المثل تنشأ وتتطور وتعم وينتهى الامر بأن تندثر وتنهار وتزول واذا اردنا أن نقول الحقيقـة الخالصة فانا نقولها ، وعلى أرض صـلبة : ، هذه الثقافة البشـريـة الغربيـة هى مجـرد سوفسطائية .

حقيقة انهم يفرقون بين شـخصيات كالسوفسطائية وبين شـخصـيات كديكارت مثلا لكن فى حقيقة الامر فان هذه التفرقة ليست على أساس سليم .

لماذا ؟ لأنه ـــ وهذه نقطة من أهم النقاط ـــ فى مجال الثقافة النظرية ليس هناك مقياس للحقيقة والخطأ ، للصواب والوهم ، للباطل والصدق . لقد حاول العلماء منذ العصر اليونانى الى الآن ايجـاد هذا المقياس فلم يمكنهم ايجـاده المقياس العقلى للثقافة العقليـة ، المقياس الذى يفرق بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ لم يوجد للآن ، حاول أرسطو ايجاده فيما سـموه بالمنطق فلم يفلح واخفق المنطق اخفاقا كاملا وقد حاول ديكارت ايجاده فأخفق .

ولقد أعلن ديكارت يوما أنه وجد المقياس وأشـادت أوربا بديكارت لأنه عثر على مقياس الحقيقة وأعلن ديكارت أيضا أنه سيؤلف مذهبا فى الطبيعة وفيما وراء الطبيعة وسيؤلفه على هذا المقياس الذى وجده والف ديكارت مذهبه فى الطبيعة وقبل أن تنتهى حياة ديكارت أعلن العلماء أن مذ~ ، ديكارت فى الطبيعة باطل .

وهكذا بقيت هذه الثقافة العقلية للآن فى جميع أدوارها وعصورها ثقافة ظنية وكلما جاءت أمة لعنت أختها ولو كان فى هذه الثقافة العقلية يقين لظهر ولو فى موضوع واحد وتصوروا أن جميع قضايا الثقافة العقلية منذ أن نشـأت فى العصر اليونانى حتى الآن ليس فيها قضية واحدة اتفق عليها وهذا شىء بديهى معروف ولكن هذا التعميم الذى أعممه قد لا يكون واضحا عند بعض العقول ولكنه شىء بدهى معروف عند مؤرخى الفكر .

الفلسفة لا راى لها :

ويمكن أن نقول ونحن من الصدق بمكان أن الفلسفة ـــ والفلسفة هى قضايا

عقلية بحتة — لا راى لها فى اى موضوع من الموضوعات ولا فى اى قضية من القضايا لأن كل موضوع من الموضوعات فيه رأيان او عدة آراء فهناك فى كل موضوع المنكر له والمثبت ، فليس هناك موضوع واحد فى قضايا الفلسفة أو فيما وراء الطبيعة والاخلاق الا وفيه الرأى المثبت والرأى المنكر فالفلسفة فى حقيقة امرها لا راى لها .

ومن اجل ذلك لا تطور فيها ولا تقدم بخلاف العلم المادى القائم على الأسس المادية لأن هناك التجربة التى تفرق بين الخطأ والصواب ومن أجل ذلك فان كل عالم يأتى يبنى على ما وصل اليه من سبقه ، اما الفلاسفة فكل فيلسوف يأتى يهدم ما قبله من آراء ويبنى آراء جديدة وهى من اجل ذلك لاتتطور والفلاسفة انفسهم هؤلاء الذين يبحثون فيما وراء الطبيعة والأخلاق يؤمنون بأن آراءهم ظنية لا ثبات لها .

وكل هذا يهدينا ويرشدنا الى انه يجب أن نقرأ باسم ربك يجب أن تكون اخلاقنا وتشريعنا فى اطار التربية الالهية ومن هنا كانت الحكمة فى عدم التعبير بـ « اقرأ باسم الله » والتعبير بـ « اقرأ باسم ربك » ونأتى الآن الى قوله تعالى فى الآية الكريمة : « الذى خلق » .

لماذا نقرأ باسم ربك :

ويمكن أن يتساءل الانسان .. ماهى الضرورة التى توجب أن اقرأ باسم ربى ولم لا أقرأ باسم افلاطون أو أرسطو وتأتى كلمة « الذى خلق » كبرهان طويل عريض على ضرورة القراءة باسم ربك .. باسم الذى خلق والذى سوى والذى نسق كل خلية فيك ورتب كل ذرة فى جسمك . اقرأ باسم الاعرف بك والأعرف بما يتناسب معك وهو الذى وضع لك هذه التربية ، وهذا الذى خلق ، تربيته ليست تربية من لا يعرفك وانما هى تربية الذى رتب وسوى ونسق فهو أعرف بك منك وأعرف بما يتناسب معك .

وهكذا فان (الذى خلق) هى البرهان الذى يحسم الأمر فى أن لا تقرأ باسم افلاطون وأرسطو لأنهم بعيدون عنك بل هم بشر من البشر يخطئون ويصيبون ولكن (الذى خلق) لا يتأتى أن يخطىء سبحانه وتعالى ..

هذا هو الجو الذى نأخذه من الالفاظ ..

الصدق هو الجو العام :

ونأتى بعد ذلك الى الجو العام للآية اى اننا لن نتجه هنا الى الألفاظ لفظا لفظا وأنما نتجه الى الآية بشكل عام لنتعرف على جوها العام .

(اقرأ باسم ربك) انها بدهيا تحمل الصدق فى نفسها لا تحتاج مطلقا الى مناقشة ولا الى مماراة فيما يتعلق بالصدق ، يدعوك الى أن تقرأ باسم ربك والى ان تتجرد لربك . لا يدعوك باسمه ولا باسم مصلحة وانما يدعوك وقد تجرد من كل هذه النوازع المادية والنفسية وهو يدعوك ان تتجرد لله سبحانه وتعالى هذه الدعوة لا يمكن ان تكون خطأ لأنه مالصواب حينئذ ؟ انها مجرد دعوة الى أن تتجرد لله سبحانه وتعالى فى حياتك ومن أجل ذلك فحين سمعها لأول وهلة

ورقة بن نوفل قال : هذا هو الناموس الذى انزل على موسى وآمن . آمن بها من غير دليل لأن الجو العام يفضى الى الصدق ويهدى الى الحق ولا يمكن أن يتخلله باطل او يغشاه كذب .

فالصدق اذن هو جو الآية الكريمة . الصدق أينما كانت وكنا : شرقا او غربا قديما أو حديثا لا يتغير جو الآية بحسب الزمان ولا بحسب المكان لا يمكن لمؤمن ايا كان ان يقول ان هذه الآية فيها كذب او شبهة كذب وهى حين تحمل الصدق فى نفسها تعتبر مرادفة لكلمة أخرى لا تحتمل الا الصدق أيضا تلك الكلمة هى : « الاسلام » . الكلمة التى هى عنوان لهذا الدين فهى تحمل الصدق فى نفسها لأنها تعبير موجز لقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » وهذه تعبير موجز لقوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ذلك أن معنى الاسلام أن تستسلم لله سبحانه وتعالى ان توطد نفسك على أن تكون فى اطار التربية الالهية .

اسلام .. اقرأ باسم ربك .. وتوحيد أيضا .. يتفق كل ذلك ويتطابق مع كلمة الدين الخضوع لله . الاستسلام له فالاسلام تسليم مطلق . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو ؟ فقال أن يسلم لله قلبك وان يسلم المسلمون من لسانك ويدك فان يسلم لله قلبك هذا هو معنى اقرأ باسم ربك وهذا هو الدين وهذا هو : قل ان صلاتى ونسكى .. الخ .

والواقع اننا منذ المبدأ مباشرة فى جو من الصدق اذا تدبره الانسان فلا يتأتى الشك فيه أو المماراة .

مسألة وجود الله فى الاسلام :

واذا كان الصدق جو من أجواء الآية فهناك جو آخر ذلك اننا كنا ننتظر أيضا ان تبدأ الرسالة بالاستدلال على وجود الله ولكن الرسالة الاسلامية لم تبدأ بالاستدلال على وجود الله وانما بدأت بأن افترضته سبحانه وتعالى موجودا لاشك فى ذلك وأما المشكلة الكبرى أو المهمة الأساسية للدين هى ان تقرأ باسم ربك أى ان تكون حياتك فى اطار التربية الالهية .

ومسألة وجود الله سبحانه وتعالى مسألة لم توجد قط قبل العهد اليونانى وقد كانت البشرية قبل العهد اليونانى لا تنكر وجود الله ولا تلحد فيه بل كانت بالعكس تعتقد فى أكثر من اله . نزل آدم عليه السلام بالتوحيد الخالص وانحرفت الانسانية لا الى الانكار بل الى التعدد فلما عم الانكار او أوشك ان يعم نزل رسول مبشر بالتوحيد ، وكل رسول كان مبشرا بالتوحيد . وحينما تنتهى الحياة بالرسول يبدأ الانحراف فى الانسانية لا بانكار وجود الله بل بالاعتقاد فى أكثر من اله فينزل رسول ثالث وحكمة ارسال الرسل كانت فى اساسها

التبشــــير بالتوحيد وحينما نتصــــفح التوراة لا نجد فيها ــ حتى على وضـــعها الراهن ــ اثبات وجود الله كهدف من الاهداف فلم يكن وجود الله مشكلة حتى يكون اثبات له ثم جاءت قبل المسيحية الفلسفة اليونانية وحينما جاءت الفلسفة اليونانية كان الدين الذى عليه اليونان دينا خرافيا اسطوريا وذلك معروف ونشأ فى هذه الفترة اليونانية القديمة كثير من الناس لم يرضـــوا بهذا الدين دينـــا فحاولوا أن يكونوا لأنفسهم دينا فبدأوا عقليا باثبات وجود الله وجاءت المسيحية محررة منظمة للأمر ذاهبة الى وضعها الصـــحيح وتركت خرافة أو اســـطورة أو بدعة اثبات وجود الله وليس فى الانجيل محاولة من قرب ولا من بعد فيمـــا يتعلق باثبات وجود الله ، ولكن العقلية اليونانية التى أضرت بالبشرية كلها والتى سارت مع اديانها دائما منحرفة بها الى الوضع البشرى بدل أن تتبع هذا السمو الذى احبه الله للانســـانية بقوانينه وقواعده كانت العقليـــة اليونانية تنحرف بالانسانية الى أن تتلوث افكارها بالبشرية بالعقلية البشرية الغير معصـــومة والتى تخطىء وتصيب وقد انحرفت المسيحية الى الوضع الذى أصـــبحت فيها مسألة وجود الله مشكلة يجب الاستدلال عليها .

وجاء القرآن وذهب بالانسانية الى الوضع الصـــحيح مسألة وجود الله فيه مسألة فطرية وليست من مسائل المناقشـــة أو الجدل أو الاستدلال بل ان وجود الله فى القرآن من القداسة بحيث لا يوضع موضع الجدل ولا موضـــع المناقشة ولا موضع الاستدلال ليس هناك هدف فى القرآن هو اثبات وجود الله هناك مثلا هدف فى القرآن هو اثبات رسالة الرسول صـــلى الله عليه وسلم اثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك آيات كثيرة بهذا الصدد وآيات كثيرة فى اثبات التوحيد صراحة أو ضمنا وبكل وسيلة من وسائل الاثبات تلك أهداف من أهداف القرآن لكن تجرد القرآن تماما من هدف اثبات وجـــود الله اذ لا يتأتى مطلقا ان يضع الله نفسه مسألة وجوده موضع استدلال لأن الاتجاه الى الاستدلال ينطوى فى ثناياه على أن الأمر الآخر ــ وهو الانكار ــ محتمل ، ولا يتأتى أن يضع الله مجرد وجوده لاصفة من صفاته موضع مناقشة واستدلال للأخذ والرد ومن أجل ذلك لم يكن هناك فى أول آية نزلت من القرآن محاولـــة لهذا الاثبات .

ثم حينما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن الاسلام ويجهر به لم يبدأ باثبات وجود الله وانما بدأ بالأسلوب الصحيح القويم .. التحدى بصـــدقه .. اثبات أنه صادق ، هل عهدتم على كذبا ؟ اعلنوا جميعا انهم لم يعهدوا عليه من كذب قط ، وأنه كان صادقا طول حياته . وكان من المنطق حين أعلنوا عن صدقه ان يؤمنوا بما جاء به لكنهم لم يؤمنوا لأسباب كثيرة تحدث عنها القرآن منهـــا مثلا : التنافس القبلى . الرسول صـــلى الله عليه وسلم لم يحاول اثبات وجود الله .

ولكن من الغريب أيضـــا انك اذا تصفحت العهد المكى لا تجد سؤالا وجه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اثبات وجود الله ولا تجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن هذا الاثبات واذا انتقلنا الى عهد سيدنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى لا نجد المســـألة تطرح على بســـاط البحث واذا سرنا الى عهد الامـــويين حتى عنـــد نشـــوء المعتـــزلة فى آخر عهـــد الامـــويين والمعتزلة ســـموا أنفســـهم أهل العـــدل والتوحيـــد ، عدل الله وتوحيد الله

لم يدر فى خلدهم مسألة اثبات وجود الله وهكذا الأمر الى عهد المأمون ، فى هذه الفترة — من بدء الاسلام حتى عهد المأمون — لم يدر ابدا نقاش ولا جـدل ولا حديث عن مسألة وجود الله اثباتا ولا انكارا وانما القضية مسلمة فى كل هذه الأجواء وفى كل هذه العهود .

فى عهد المأمون ترجمت الفلسفة اليونانية ولما ترجمت الفلسفة اليونانية ترجمت بكل ما فيها من أضاليل وبكل ما فيها من أوهام وانحرافات وقد انحرفت الأمة اليونانية فى الفن وانحرفت فى الأدب والفلسفة والفكر وانحرفت فى كل المجالات التى تحدثت عنها وخاضت فيها وهذا الانحراف هو الذى اثر على الامم فى مجال التاريخ الواسع لأنها انحرفت الى البشرية، والانسان ميال بطبيعته الى أن يحقق بشريته التى تخطىء وتصيب وتهتدى وتضل ، وليس ذلك بالأمر الصعب على الانسان بل ان الانسان يندفع بغريزته الى أن يحقق بشريته وما اتت الأديان الا لترتفع بالانسان الى درجة من الدرجات الايمانية التى يحبهـا الله ويحبهـا رسوله .

ترجمت الفلسفة اليونانية فى عهد المأمون كما قلنا وكان المسـلمون قبل ذلك يرون أن هذا الذى يترجم ان كان فى مجال العقائد حقا فعندنا ما هو احق منه وهو عقيدتنا بالأسلوب القرآنى فقرآننا بأسلوب عربى مبين ، هو الأسلوب الالهى الدقيق فى نضرته فى صفائه فى قوته فى دقته مالنا وللبشر الآخرين فى البيئات والأديان الأخرى نترجم ثقافتهم فى العقائد وهل عندنـا نقص فى هذا المجال .. كان ذلك شعور المسلمين وكان الأمر كذلك فى مجال الأخلاق فعندنا مصدران .. الكتاب والسنة وان كانت الأخلاق الواردة حقا فعندنا ما هو احق منها وان كانت باطلا فنحن فى غنى عن هذا الباطل .

وتحدى المأمون شعور المسلمين الأتقياء تحداهم فى صراحة وأمر بترجمة الثقافة اليونانية فى غثها وسمينها فى خطئها وفائدتها فى انحرافها وعدم انحرافها وأتت مع هذه الثقافة فكرة اثبات وجود الله .. هذه الثقافة كان من الممكن ان تكون محدودة لولا أن الأمراء فى عهد المأمون حاولوا التقرب اليه ، ومن وسائل التقرب أن يكونوا مع هوى المأمون ، وهواه فى ترجمة هذه الثقافة وبذلوا هم الآخرون الأموال فى ترجمتها . الأثرياء حاولوا كذلك التقرب اليه بهذه الترجمة فبذلوا هم الآخرون أموالهم فى هذا السبيل كما حاول المثقفون نفس الشـىء فأقبلوا على تعلم الثقافة اليونانية وتعليمها وشاعت الثقافة اليونانية . وبدأت ينفر منها المسلمون الاتقياء وبدأت كأنها ليست لها شرعية الاقامة ولكنها أخذت تتخذ مظهر الشرعية فى الاقامة وأقامت واحتلت أرض المسلمين واذهانهم وعقولهم وبدأت مسألة وجود الله معها تتخذ مظهر المشـكلة بل انتهى بها الأمر الى أن أصبحت المسألة الاولى فى علم الكلام الاسلامى مع انها بدعة يجب أن تزول من الجو .

علاج الملحدين :

وهناك من يتساءل عن الملحدين كيف نناقشهم والواقع أن الملحد لا يؤمن بالمناقشة بل هو الذى يحاول أن يجرك اليه . ان يجعلك من الملحدين ما استطاع

الى ذلك فان الملحدين فى أغلبهم الأعم طائفة مأجورة تنطق باســـم الأجر الذى تأخذه واذا لم يمكن أن يتخلى عن أجره اذن لا يتخلى عن فكرته ولو ظهر له الحق.

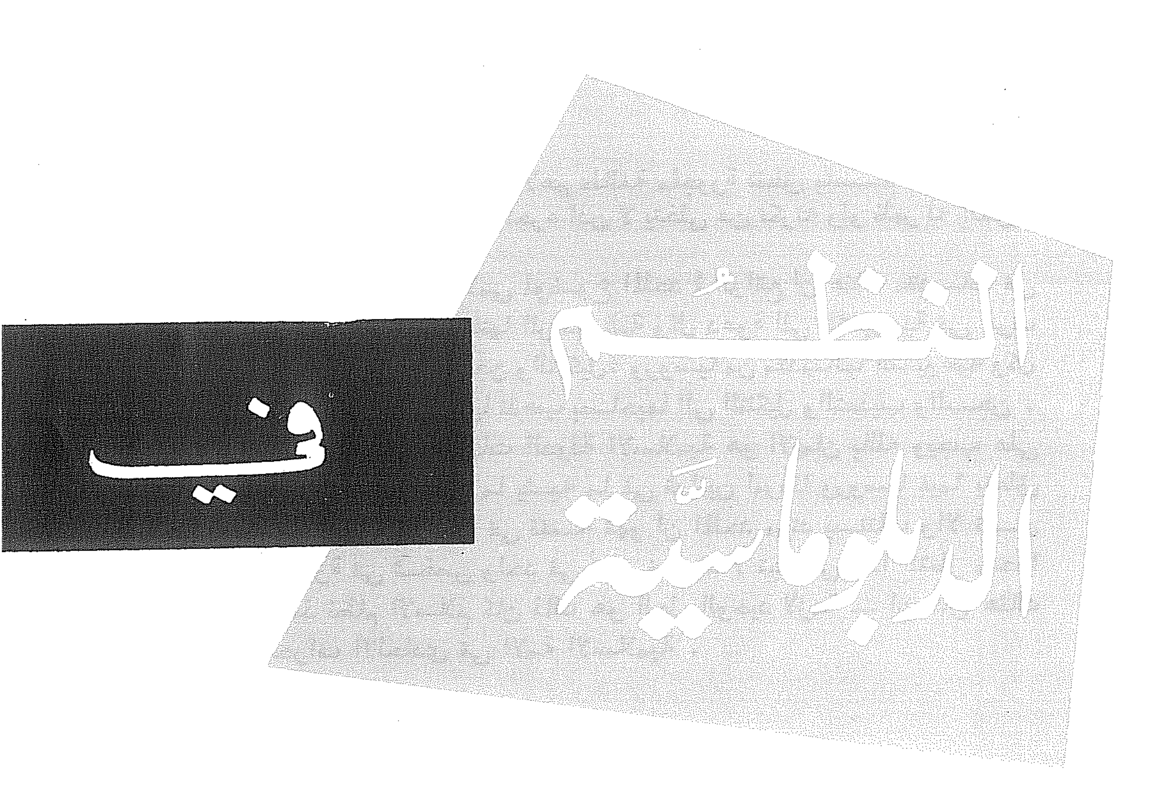
ولكن ما هو الحل الاسلامى لموضوع الملحد ؟ الواقع أن هناك مقدسات فى كل دولة مثلا أمريكا من مقدساتها الراسمالية وكل دعوة الى الشيوعية فى عرف امريكا تذهب بصاحبها الى السجن والتنكيل، وروسيا من مقدساتها الشيوعية وكل دعوة الى الراسمالية فى روسيا تذهب بصاحبها الى التنكيل والتعذيب والسجن . للدول مقدسات وأقدس مقدسات الدولة الاسلامية هو الايمان بالله ويجب على الأقل أن يكون لنا فى القانون ما يشبه ما فى قوانين أمريكا وروسيا فيما يتعلق بمقدساتها اما الحل الاسلامى فى نفسه فهو أن الملحد مرتد يستتاب والا قتـــل ولتنفذ هذه الفكرة فى شخص واحد فى قطر فسوف لا تجد فى هذا القطر ملحدا واحدا واذا نفذ نظام الاسلام كان ذلك هو الحل الوحيد لأزمة ــ ان كان هناك أزمة ــ الانحراف الالحادى فى الامة الاسلامية .

موقفنا من الثقافة الغربية :

والسؤال الاخير الذى أسأله واجيب عليه لننتهى من هذه المحاضرة هو ما قد يقوله قائل : ماذا نفعل بهذه الثقافة الغربية ، أنتركها تركا باتا لا نتفهمها ولا نعقلها ولا نبحث فيها ، أننعزل عن هذا العالم ..؟

وهذا ما لا ادعو اليه ولا اقول به انما الذى أريده من المسلمين ان ياخذوا هذه الثقافة بمأخذها الواقعى الصحيح اى أنها ثقافة بشرية ثقافة معارضـــة بالثقافات الاخرى البشرية فى البيئات الغربية أيضا ، انها ثقافة لا نسبة لها الى الصدق الا كنسبة الرأى المعارض، ومن أجل ذلك كانت كلها منذ أن وجدت الى الآن ظنية وليس فيها مسألة عقلية واحدة يمكن اثباتها فى يقين ، ولقد كان منهج الامام الغزالى فى تحدى الفلاسفة منهجا من اقوى المنـــاهج : انكم تقولون بالعقل ، وتثبتون بالعقل وها انذا اجعل جميع آرائكم منهارة بالعقل نفسه وليس منطقى بأقل من منطقكم بل ربما يكون أقوى . وهدم الامام الغزالى جميع آراء الفلاسفة بالعقل نفسه الذى برهن به الفلاسفة على جميع آرائهم .. اذا أخذنا الثقافة الغربية النظرية على أنها قضايا عقلية ظنية لا ثبات لها تنشأ وتنتهى ، اذا اخذناها على هذا الوضع فليس هناك من بأس من أن نعبث فيها اذا شئنا أن نعبث فى يوم من الايام .

والوضع الصحيح أن يكون المنبع الوحيد لثقافتنا لأخلاقنا لتشريعنا لعقائدنا هو ما أحبه الله ورسوله : القرآن والسنة « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .



تمهيد :

السفير فى اللغة هو الرسول والمصلح بين القوم وجمعه سفراء ، وقد جاء فى القاموس المحيط للفيروزابادى فى مادة سفر : « سفر وأسفر بين القوم أصلح ، ومصدرها سفر وسفارة ـ بكسر السين وفتحها ـ فهو سفير » . كما جاء فى لسان العرب : « وقد سفر بينهم يسفر سفرا وسفارة بمعنى أصلح . وفى حديث الامام على رضي الله عنه أنه قال لعثمان بن عفان رضى الله عنه : ان الناس استسفرونى بينك وبينهم أى جعلونى سفيرا وهو الرسول المصلح بين القوم . يقال سفرت بين القوم اذا سعيت بينهم فى الاصلاح .

ويتبين من هذا أن سفارة كلمة عربية أصيلة ، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهى من الكلمات المستوردة التى لم تدخل فى لغتنا الا حديثا ، فان العرب فى الجاهلية والاسلام لم يكونوا فى حاجة اليها بالنظر الى وجود لفظة عربية الأصل تعطى مدلولها وتغنى عنها ، وترجع كلمة دبلوماسية فى أصلها القديم الى اللغة الاغريقية وكانت تعنى الوثيقة أو المكاتبة التى تطوى كما يطوى الخطاب أو الصحيفة أو السجل ، ويبعث بها الحكام بعضهم الى بعض فى علاقاتهم الرسمية ، وتخول حاملها امتيازا خاصا .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية الى اللاتينية ومنها الى اللغات الأوروبية كالانجليزية والفرنسية ثم الى اللغة العربية وتطور استعمالها فى أكثر من معنى عبر العصور المختلفة حتى أصبح مدلولها فى العصر الحديث ينصرف الى فن ادارة العلاقات الخارجية للدولة ، أو هو بمعنى آخر ممارسة الدولة لسياستها

الجاهلية والإسلام

للأستاذ : حسين فتح الباب

الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية دونما حاجة الى تنفيذ سياستها فى المحيط الدولى عن طريق الالتجاء الى الحرب . وثمة معان اخرى متنوعة تستعمل فيها كلمة الدبلوماسية جوازا ، الا أن المدلول الذى اشرنا اليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعا . ومن هذه المعانى المتعددة التفاوض أو المفاوضات فيقال : حل النزاع بالطرق الدبلوماسية . ومنها الذكاء والكياسة وما ينطوى عليه هذا المعنى من اللباقة وحسن التصرف لكسب الود والثقة ، أو لاتقاء مشكلة ، أو للحيلولة دون نشوب نزاع أو استفحال خلاف ، أو لتحقيق غاية بعيدة بالأساليب الودية دون استخدام العنف . وما زالت الدبلوماسية تستخدم بمعناها الذى استعملها فيه الرومان وهو صفات المبعوث أو السفير اى الشخص الذى يوفد فى مهمة ، وما قضت به تعليمات السفارة حينئذ من وجوب التزام الأدب الوافر واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد .

ويستخدم لفظ الدبلوماسى والسفير بمعنى واحد اى انهما لفظان مترادفان . وقد استقر الاصطلاح فى العصر الحديث على : أن السفير هو المبعوث الذى توفده دولة ما فى مهمة من المهام ، فيسعى لانجازها عن طريق المحادثات وغيرها من الأساليب الدبلوماسية مع ممثلى الدولة المرسل لديها ، وهو – بتعبير آخر – وكيل حكومته المرخص بتمثيلها لدى اى دولة أخرى فى جميع المفاوضات الهامة . فالسفير فى عرف علم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسميا من دولة الى دولة أخرى ليكون نائبا عنها أو وكيلا لها – وقد تكون مهمته قاصرة على نقل رسالة شخصية أو خطاب شفهى أو مذكرة الى رئيس تلك الدولة أو الى أصحاب السلطة فيها.

ويخلع القانون الدبلوماسى على السفراء والمبعوثين حصانات واعفاءات

معينة تعرف بالحقوق والامتيازات – الدبلوماسية التي نشأت بتواتر العرف الدولي . وللسفارات أغراض شتى تختلف باختلاف مقاصد الدبلوماسية وأهدافها . فثمة سفارات تجارية ، وسفارات سياسية ، وأخرى عسكرية .

المبحث الأول :

الدبلوماسية في العصر الجاهلي

ولقد كان المعنى الحديث لكلمة سفارة معروفا في تاريخ العرب والاسلام ، فكانت السفارة في الجاهلية من المناصب التي دانت لقبيلة قريش وسطوتها ، وكان معناها عندهم انهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وارادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيرا ، وان نافرهم حي لمفاخرة جعلوا السفير مفاخرا ورضوا به .

ومن ثم عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة ، فاستخدموه في تنظيم العلاقات بين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم . وكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة ، ولتبادل المنافع مع جيرانهم وخاصة في الشرق والشمال فضلا عن حاجتهم الى كسب الأنصار في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل أو لوقف هذه المعارك . ومن ثم أدت السفارات أغراضها لديهم سواء في السلم أو في الحرب .

وساعد على ازدهار السفارات ودخول العرب في علاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم ، واقامتهم أنظمة وتقاليد راسخة في علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية – ساعد على ذلك الموقع الاستراتيجي لشبه الجزيرة العربية والناشىء عن متاخمتها مراكز الحضارات القديمة في العالم ، وهي الحضارة الأشورية في العراق ، والحضارة الفينيقية في الشام ، والحضارة الفارسية في بلاد فارس ، وقرب الجزيرة من الحضارة الفرعونية في مصر . وكانت أكثر الدول صلة بالعرب دولتا فارس والروم : وهما أكبر قوتين سياسيتين في العالم في ذلك الحين . ومن ثم توالت السفارات السياسية بين حكام هاتين الدولتين وبين القبائل العربية المقيمة على الحدود لعقد المحالفات والاتفاقات المختلفة .

وكما كانت وحدة اللغة باعثا على توثيق صلات العرب ببعضهم قبل الاسلام ، فان مركزهم التجاري الممتاز بين الممالك والبلاد الاخرى في الشرق والغرب والشمال كان باعثا على الاتصال وقيام العلاقات الودية اذ كانت شبه الجزيرة العربية معبرا وملتقى للقوافل التجارية التي كانت تتخذ عدة طرق يبرز بينها طريقان أساسيان : أولهما الطريق الشرقي وهو يتاخم الخليج العربي ، ويتاخم دجلة ، ويقتحم بادية الشام الى فلسطين ، والثاني الطريق الغربي ويتاخم البحر الاحمر . وعن هذين الطريقين كانت تنقل مصنوعات

الغرب الى الشرق ، ومتاجرالشرق الى الغرب . وقد اقتضـت هذه التجارة الدخول فى محادثات لعقد الاتفاقات بين تلك الجماعات البشرية بعضها وبعض ، وأتاح موقع الجزيرة مكانة تجارية ممتازة لسكانها وروابط حميدة فى العالم المعروف اذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم الى الملوك ووفاداتهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت اليهم بعثات من البلاد الأخرى تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

والى جانب العلاقات التجارية الخارجية بين العرب وبين البلاد المجاورة ، كانت ثمة علاقات مماثلة بين القوى السياسية داخل الجزيرة العربية . فكان هناك شريان تجارى يصل بين اليمن جنوبا ومكة شمالا . وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر هذه الحركة التجارية النشطة بين مكة والشام شمالا وبينها وبين اليمن جنوبا ، وذلك بالاشارة الى رحلة الشتاء والصيف . ومن الطبيعى أن هذه الحركة كانت تتطلب اتصالات واتفاقات دبلوماسية بين القبائل بعضها وبعض ، وبين الممالك والبلاد الأخرى فى سبيل توطيد العلاقات التجارية .

ومما يسر هذه الاتصالات ودعمها على مختلف انواعها ان بلاد الشام شمالا والجزيرة العربية جنوبا كانتا تضمان أعظم المقدسات الدينية ، فثمة بيت المقدس فى مدينة القدس ، والكعبة بيت الله الحرام فى مكة . فكانت القوى السياسية داخل الجزيرة وخارجها تنتهز حلول مواسم الزيارة والحج لعقد اللقاءات وابرام الاتفاقات والمصالحات والمحالفات ، الأمر الذى نهجه النبى عليه الصلاة والسلام بعد بعثته اذ كان يخرج فى مواسم الحج لدعوة القبائل الى دين الله .

وعرف من سفارات الجاهلية سفارة عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبرهة ملك الأحباش ، وهو فى طريقه الى مكة ، مفاوضا اياه على رد الابل التى استولت عليها طلائع جيوش الحبشة .

ووجد منقوشا على سد مأرب ما يفيد قدوم سفارات التهنئة على أبرهة من شتى الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية ، اثر انتصاره على الحميريين وتأسيسه أول دولة مسيحية باليمن ، وذلك ما يلى :

« وجاءت اليهم سفارة النجاشى ، وسفارة الروم ، وسفارة ملك فارس ، ومبعوث المنذر ، ومبعوث من قبل الحارث بن جبلة ، ومبعوث أبى خيربن جبلة ، جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن » .

ومن المعروف أن آخر سفراء قريش فى الجاهلية كان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم .

بيد أن سفارات العرب فى الجاهلية ظلت قاصرة على هذه الحدود ، فلم تستوعب — فى ميدان العلاقات الدولية — ما هو أفسح وأهم من مجرد العلاقات التجارية المرتهنة بظروفها .

المبحث الثانى :

الدبلوماسية فى الدولة الاسلامية

اولا : فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين :

فلما جاء الاسلام فى القرن السابع للميلاد طرأ تغيير جذرى فى ميدان السفارات شأنها فى ذلك شأن سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية . فأصبحت منهجا ذا قواعد ونظم محددة تترسمها الدولة فى تسيير علاقاتها بغيرها من الدول عبر العصور المختلفة .

ومن ثم نشأ نظام السفارات الاسلامية وتطورت أغراضها ونظمها وأساليبها تبعا لنشأة الدعوة الاسلامية . وتطويرها . فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ النبى من السفارات وسيلة لنشر دعوته وسبيلا الى تأليف القلوب ودستورا فى علاقاته العامة فى الجزيرة العربية ومع الأمم والشعوب الأخرى .

فكان الرسول هو المعلم الأول للسفراء المسلمين ، وهو مؤسس نظم السفارات وواضع أصولها الثابتة وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذى اتبعه خلفاؤه من بعده فى سبيل تثبيت بناء الدولة الاسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها .

ولا غرو فالاسلام دين ودولة ، وهو شريعة النور التى انزلت للبشر كافة . ومحمد عليه السلام هو مبعوث السماء الى العالمين ، أرسله الله مبشرا ونذيرا مصداقا لقوله تعالى فى كتابه العزيز :

« يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فالنبى الكريم مرسل من عند الله ، فهو سفير العناية الالهية وحامل رسالتها الى الناس جميعا . ويقول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وهذا التعارف الذى تدعو اليه الآية الكريمة انما يتم بالاتصال بين الناس ، أو هو بمعنى آخر يتم من طريق السفارات بين فرد وجماعة أو بين الجماعات بعضها وبعض أو بين دولة وأخرى .

ولقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم حروبا كثيرة ضد أعداء الاسلام ، ولكنه لم يقدم على حرب منها الا بعد أن استنفد الوسائل الودية وفى مقدمتها السفارات . ومن ثم كانت الحرب فى الشريعة مشروطة بقصد حماية الدعوة والدفاع عن النفس . فان حض الاسلام على الجهاد فقد دعا كذلك الى نشر العقيدة بالطرق السلمية . قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .
« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .
« يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » .
« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .
« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فالجهاد أو الحرب الدائمة لم تكن بمثابة العلاقة الطبيعية أو الوحيدة القائمة بين المسلمين وغيرهم . ففى غير أوقات الجهاد كانت تقوم علاقات ودية بالوسائل الدبلوماسية بين الدولة الاسلامية وبين الأمم والشعوب المحيطة بها .
« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .
« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » .

والرسول – صلى الله عليه وسلم – يتخذ الحكمة وهى أولى مقومات السفير أسلوبا لتبليغ رسالته ويجعل منها منهاجا لمعاملاته مع الناس جميعا . ويتجلى ذلك فيما سطر من كتب وما أوفد من بعوث الى القبائل العربية والى ملوك الدول المتاخمة للجزيرة ورؤسائها ، وفيما نظمه من مؤتمرات واجتماعات ، وما عقده من معاهدات للمحالفة أو الهدنة وفداء الأسرى أو تبادل المعونة وتحقيق المصالح المشتركة فى غير ذلك من الأغراض .

ومن ذلك يتبين ان السفارات العربية فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تغاير – مضمونا وأهدافا – السفارات التى أوفدها العرب قبل الاسلام . اذ كانت سفارات العرب فى جاهليتهم – كما تقدم – تتسم بالبساطة التى تتناسب مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية وتستهدف أساسا انشاء الروابط التجارية بين القبائل العربية بعضها وبعضها من جانب وبينها وبين الدول المجاورة من جانب آخر . أما السفارات الاسلامية على عهد رسول الله فكان الغرض الأول الذى تستهدفه هو الدعوة الى الاسلام ونشر رسالته .

وهكذا تطورت نظم السفارات – فى ظل الاسلام – لتفى بهذه الحاجة الجديدة ودخلت فى مرحلة أكثر تقدما فى أسلوبها ومحتواها ونعنى بها السفارات الاسلامية فى نشأتها الأولى . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب فى المستقبل . فقد كانت العلاقات الخارجية التى أقامها الرسول قاصرة فى بداية الأمر على المحادثات الشخصية وارسال الكتب وايفاد البعثات الى القبائل العربية للتعريف بالدين والحث على الدخول فيه . ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة الى مختلف القبائل ، وكانت المؤتمرات التى عقدت فى الجزيرة العربية لشرح مبادىء الاسلام والاقناع بها .وكانت المواثيق التى عقدها رسول الله مع الأوس والخزرج .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمكة من محادثات شخصية ومراســلات الى سفارات ومؤتمرات وعقد معاهدات حسبما كانت تتطلب الظروف . واستهدفت هذه الوسائل الدبلوماسية جميعها غاية واحدة هى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولما كانت الهجرة الى المدينة وأثمرت الدعوة وتحققت للعرب ــ لأول مرة ــ وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة فى المدينة برئاسة النبى صلى الله عليه وسلم ، أصبح انتهاج أسلوب السفارات احدى ضرورات جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة ، فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتوطدت أركانها ودعائمها . فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم قاصرة على التبادل التجارى ، بل امتدت الى مختلف النواحى الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة الى الاتصال بالدول المجاورة فى سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الاسلامية عن طريق ايفاد السفارات وارسال الكتب الى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها .

وظل نشر الدعوة وتوسيع نطاقها الهدف الأساسى للسفارات الاسلامية ، فاستخدمت جميع الأساليب لتحقيق هذه الغاية النبيلة . بيد أن الحروب التى خاضها المسلمون على عهد رسول الله بعد أن هاجر الى المدينة كان من شأنها توسيع أغراض السفارات ، فعقدت المعاهدات مع ممثلى الأمصــار والمدن المفتوحة لتنظيم الهدنــة أو السلم وما يقتضــيه ذلك من وقف القتال وتبــادل الأسرى . ذلك أن الدولة الاسلامية قد استغرقت معظم حياتها فى عهده صلى الله عليه وسلم فى الحروب الوقائية دفاعا عن رسالة الحق . وقد غزا الرسول بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، وكانت بعوثه وسراياه ثمانية وثلاثين ما بين بعث وسرية . فكان تبادل السفارات يكاد يقتصر على عقد الهدنة ودفع الجزية وما الى ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية ، وكان ذلك أمرا طبيعيا بالنظر الى أن من طبيعة الدولة فى نشأتها أن تقضى معظم سنى حكمها فى ارساء كيانها والدفاع عنه ضد القوى المعادية .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبى الكريم ، فالدولة الاسلامية منصرفة الى توطيد أركانها ومد سلطانهــا فى أرجاء الأرض ، فهى تخرج من فتح الى فتح . ولا تزال مقاصــد السفارات لديهــا تتركز فى بث الدعوة الى الاسلام واعلان الحرب دفاعا عن حماه والتمكين له بعقد المعاهدات . وهكذا كان العمل الدبلوماسى وسيلة لتوطيد أركان الدولة بالافادة من الأسلوب الودى كبديل للحرب أو مســاعد لها فى تنفيذ الخطط السياســية ، الأمر الذى كان ينبع من طبيعة العقيدة الاسلامية .

ثانيا : فى عصر الدولة الأموية :

ثم قامت دولة الأمويين التى اتخذت دمشق حاضرة للخلافة . ولم تختلف السفارات الدولية كثيرا فى ذلك العهد من حيث طبيعتها وأغراضها عما كانت عليه فى عهد الخلفاء الراشدين ، اذ ظل هدفهــا الرئيسى هو تأييد الفتوحات

الاسلامية فى سبيل نشر رسالة الاسلام والتمكين له ــ دينا ودولة ــ بالأقطار والمدائن التى لم يكن قد وصل اليها بعد ، والجهاد فى سبيل حمايته . فلم يحدث من هذه الوجهة تطور كبير فى مجال السفارات الدبلوماسية ، وانما كان التطور قاصرا على التقدم الفنى متمثلا فى أسلوب تلك السفارات وطابعها وتنظيمها وتشعب ميادينها . انعكاسا لقوة الدولة الأموية وبداية العصر العلمى والأخذ بأسباب الحضارة بعد الانفتاح على حضارات البلاد المفتوحة . وكان استمرار الحروب بين الدولة الاسلامية ودولة الروم لا يسمح بأكثر من تبادل السفارات لعقد معاهدات الهدنة أو تنظيم فترات السلم ودفع الجزية .

ومن ثم لم يدخل الخلفاء الأمويون فى علاقات وطيدة مع الروم ، ولم يسعوا بطبيعة الحال الى عقد أواصر الصداقة والتعاون معهم الا حينما كانت تضطرهم الظروف الداخلية الى ذلك . فكانت العلاقات السياسية الودية بين الدولتين قاصرة على الفترات التى شعرفيها الأمويون بالرغبة فى اقامة هذه العلاقات لاحتياجهم الى الاستقرار أو الى قدر من الهدوء الخارجى لمواجهة الثورات المعادية لهم فى الداخل . وقد عمد خلفاء بنى أمية الى عقد معاهدات الصلح والسلم مع الدولة البيزنطية فى أواخر القرن السابع الميلادى حتى يأمنوا الجبهة الخارجية ويتفرغوا للقضاء على الفتن التى نشبت فى البلاد على اثر الانقسام والفرقة التى دبت فى صفوف المسلمين فحولتهم الى أمويين وعلويين وشيعة . أما فى غير هذه الفترة ــ وهى قليلة نسبيا ــ فقد كانت المعارك الحربية مستمرة بين الجانبين .

وازاء هذه الظروف السياسية والعسكرية ظلت السفارات السياسية الودية محدودة فى العصر الأموى حتى فى الفترات التى ساد فيها السلام بين الدولة الاسلامية ودولة الروم ، فقد كانت تلك الفترات ــ فضلا عن قلتها ــ لا تمثل سلاما دائما يسمح بقيام تلك السفارات وانما هى فترات سلام مسلح أو صلح مؤقت .

وثمة عامل آخر حال دون ازدهار التبادل الدبلوماسى فى المجال السياسى والمجال الاقتصادى والمجال الثقافى وغير ذلك من مجالات السلام ، وهو أن النهضة فى تلك الميادين لم تعد طور البداية خلال تلك الحقبة ، اذ كانت الفتن التى أشرنا اليها والتى تمخضت عن الخلاف الذى نشأ فى أواخر عهد عثمان واستمر فى عهد على رضى الله عنهما تستأثر معظم جهود الدولة التى بذلت فى حصرها والقضاء عليها . والسفارات الدولية فى المجال السلمى وليدة عاملين لابد من توافرهما :
الأول استقرار الدولة ورخاء المجتمع وما يسفران عنه من تقدم ونهضة فى العلم والتجارة وغيرهما .

والثانى قيام العلاقات الودية فى الميدان الدولى وما تؤدى اليه من تفاهم وتعاون فى سبيل قضاء المصالح المشتركة وهى علاقات تتوقف الى حد كبير على التوازن الدولى . ولا ريب أن السلم هو البيئة الصالحة لتدعيم الروابط الدولية من طريق تبادل السفارات .

ثالثا : فى عصر الدولة العباسية :

ولما انتهى العصر الأموى وأعقبه عصر بنى العباس ، تطورت السفارات الاسلامية تطورا على جانب كبير من الأهمية ، ويرجع ذلك الى اشتداد ساعد الدولة الاسلامية حتى أصبحت فى طليعة القوى السياسية والدولية بل غدت احدى القوتين السياسيتين الكبريين فى العالم : قوة المسلمين ، وقوة البيزنطيين . وقد امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، فضلا عن اتساع أرجائها شمالا وجنوبا . فكان لذلك أثره البالغ فى السفارات المتبادلة بين دولة العباسيين وامبراطورية الروم المسيحية — الامبراطورية البيزنطية — التى كانت تبسط ظلها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وايطاليا . فازدادت تلك السفارات باتساع نطاق العلاقات الدولية بين الجانبين وتعددت ، أغراضها ووظائفها بحيث أصبح تبادل السفراء أو الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق العلاقات التجارية وتبادل الأسرى ، أو تبادل العطايا ، وفض المنازعات وعقد المعاهدات ، وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية ، كما استحدث غرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول لما يحدثه ذلك من اقرار علاقات المودة والسلام بينها دعم الحركة الثقافية فى البلاد .

ومن هذا يتبين ان الحرب لم تكن هى العلاقة الوحيدة بين العباسيين والبيزنطيين بل نشأت بينهما فى كثير من الأوقات علاقات مودة وسلام وفقا لمصالحهما التجارية ولمقتضيات التوازن الدولى .

ويرجع ذلك الى أن سياسة الفتوح فى عصر العباسيين لم تستمر كما كانت عليه الحال فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين . فلم تزد رقعة الدولة الاسلامية بل بدأت الحركات الانفصالية تعتريها فى أواخر هذا العهد ، فكانت فى حاجة الى الحفاظ على سلامة أرجائها أكثر منها الى الاستمرار فى الفتح . ومن ثم كان أكثر حروب العباسيين ضد البيزنطيين وغيرهم دفاعا عن دولتهم فى المقام الأول . وكانت تلك الحروب هى الجانب السلبى للعلاقات السياسية أما فى الجانب الآخر فقد اهتم العباسيون أكثر من الأمويين بتوسيع دائرة علاقاتهم الخارجية السلمية . فسارت السفارات بينهم وبين القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين . وعقدت بيزنطة مع بغداد معاهدات الصلح وتبادل الأسرى فى عهد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم ، وتبادلت معها السفارات فى مختلف الأغراض . وكان دعم الروابط العلمية والثقافية من أهم ما استهدفته السفارات الاسلامية من أجل توثيق علاقاتها مع جاراتها مما يشبه المهمة التى يقوم بها المستشارون الثقافيون فى سفارات الدول الحديثة اليوم .

وهكذا اقترن عصر استقرار الدولة الاسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامى أطرافها بازدهار السفارات الثقافية بينها وبين الدولة البيزنطية . فتبادل الجانبان الكتب أو الرسائل التى كانت تصاغ فى أساليب ودية ثم دخلا فى مفاوضات أسفرت عن معاهدات لاقرار التبادل الثقافى . وكانت تلك المعاهدات تنص على دراسة الكتب النادرة التى تتوافر لدى

الجانبين أو فى مكتباتهما العامة ، وتبادل البعثات العلمية ، وتيسير مهام الطلاب الباحثين فى جامعات المسلمين والبيزنطيين وفى عواصمهم .

رابعا : فى عصر الأمويين بالأندلس :

وفى عهد الأمويين بالأندلس — حيث أسس عبد الرحمن الداخل أحد أبناء البيت الأموى الذى تداعى امام قوة العباسيين امارة مستقلة سنة ٧٥١ م — خطت السفارات الاسلامية أشواطا بعيدة فى مجال التطور والتقدم . ذلك أنه كانت ثمة أربع قوى سياسية كبرى: الدولة العباسية فى المشرق وعاصمتها بغداد ، ودولة الروم فى القسطنطينية ، والدولة الأموية فى الأندلس وعاصمتها قرطبة ، ودولة الفرنجة فى بلاد الغال (فرنسا) وقد قامت فى زمن معاصر لقيام دولة الامويين بالأندلس واتخذت (اكس لا شابل) عاصمة لها ، وحاول امبراطورها شرلمان أن يعيد مجد روما القديم وينافس الدولة الرومانية الشرقية التى تأسست فى بيزنطة وتزعمت العالم المسيحى . وأصبحت دولة الفرنجة فى عصر هذا الامبراطور أعظم قوة فى أوربا الغربية ، واستطاعت بتحالفها مع البابوية فى روما أن تحد من نفوذ الدولة البيزنطية ، وتطلعت الى مد سلطانها الى شرق أوربا وبسط حمايتها على المسيحيين هناك .

وفى ظل هذه الظروف لعبت سياسة توازن القوى دورها فى العلاقات السياسية بين هذه الدول الأربع المتنافسة ، اذ كان ثمة تنافس بين العباسيين والروم الشرقيين ، ثم جد تنافس آخر بين بنى العباس فى المشرق وبنى أمية فى المغرب من جانب ، وبين البيزنطيين فى شرقى أوربا والفرنجة فى غربها من جانب آخر .

وقد أحدث التغيير الذى طرأ على التوازن الدولى فى تلك الحقبة أثره فى العلاقات القائمة بين تلك القوى السياسية المتنازعة ، ونشأ عن ذلك تطور كبير فى السفارات . فلم تعد الحرب هى السبيل الوحيدة لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة وحل مشكلاتها وتحقيق أهدافها فى التوسع والسلطان ، وأصبح حد السيف لا يكفى — ازاء تلك القوى الدولية الكبيرة — لفض المنازعات بينها . فلم يكن بد من استخدام الدبلوماسية كاحدى الأصول التى يتعلمها رجال الدولة وينتهجون على أساسها فى اقرار علاقاتهم مع الأمم الأخرى . وأصبحت الدبلوماسية نظاما مدروسا تسير عليه الدولة فى علاقاتها الخارجية .

لقد كانت حاجة الروم الى العرب ماسة ومستمرة ، وكانوا ضعفاء أمامهم منذ وحدة العرب أيام الخلافة الاسلامية . فلا غرو أن تغدو هذه الحاجة أشد بعد الانشقاق الذى دب فى صفوف المسيحيين وقيام دولة الفرنجة ومنافستها للامبراطورية البيزنطية ، هذا فضلا عن ظهور الأمم البربرية المستقلة على حدود الرومان ، وان يؤدى هذا الى أن تلجأ تلك الامبراطورية الى التفاهم مع جيرانها العرب ، وأن تسعى الى محالفتهم لمقاومة أعدائها وتأمين جبهتها الداخلية كما يتجلى ذلك فى مفاوضاتها مع هارون الرشيد والمأمون والمعتصم . وقد انعكس هذا التطور الدبلوماسى على السفارات بمختلف أغراضها ولا سيما الثقافية منها فتواتر سير السفارات الاسلامية من بغداد الى عاصمة الرومان .

ولما نافست دولة عبد الرحمن الداخل فى الأندلس سلطان الخلفاء العباسيين فى بغداد ، اتجهت الخلافة العباسية الى دولة الفرنجة القائمة على حدود الأندلس تنشد محالفتها ضد الأمويين ، واستعانت فى سبيل دعم أواصر المودة والصداقة بينهما بالتبادل الدبلوماسى ، فسيرت السفارات فيما بين بغداد وعاصمة الفرنجة . وقد تعددت الوفود بين الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وبين سيد الفرنجة ، وبين هارون الرشيد وشارلمان .

ولم تحقق الدولة البيزنطية مآربها فى محالفة العباسيين ضد الفرنجة اذ كان هؤلاء — كما أسلفنا — يسعون للتحالف مع دولة الفرنجه ضد بنى أمية فى الأندلس . وقد حاول شرلمان مهاجمة دولة الامويين ولكنه لم ينجح ، فكان من الطبيعى أن يقيم البيزنطيون علاقات دبلوماسية مع دولة الأندلس ، وبلغت تلك العلاقات أوجها فى عهد الامبراطور قسطنطين الرابع والخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر . وسارت السفارات بين القسطنطينية وقرطبة مثلما سارت بينها وبين بغداد . وكان للسفراء المسلمين فى القسطنطينية مكان الصدارة بين الممثلين الدبلوماسيين ، ولسفراء العباسيين الأسبقية فى الترتيب على سفراء الأمويين .

وقد أدى التوازن الدولى — كما تقدم — الى قيام السفارات الاسلامية من قرطبة الى العواصم الاوروبية بقصد توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية بين الدولة الاموية فى الاندلس ودولتى المسيحية فى القسطنطينية واكس لا شابل ، ثم بينها وبين جماعة النورمان فى الجزر البريطانية التى بدأت تظهر كقوة سياسية جديدة فى ذلك الحين .

وقد بلغ التبادل الثقافى ذروته فى ذلك العهد بفضل النهضة العلمية التى ازدهرت فى العواصم الاسلامية والمسيحية ، فقد كانت بغداد وقرطبة والقسطنطينية مراكز اشعاع للعلوم والفنون والآداب ، تنافس كل منها الاخرى فى التزود بالعلم والثقافة ، والبحث عن كل جديد ومبتكر من المعارف والافكار ، وتشجيع العلماء والطلاب على البحث والدراسة ، ولقد لعبت تلك السفارات دورا هاما فى اقرار السلام بين تلك القوى الكبيرة التى كانت تحتل مسرح السياسة الدولية حينئذ .

وموجز القول فى تاريخ السفارات فى الاسلام أن العرب لما تحضروا فى ظل شريعة التوحيد والحق والحرية وأخذوا بأسباب المدنية بعد رسوخ قدمهم فى مملكتهم الواسعة الاطراف وكثرت علاقاتهم بالدول والممالك المعاصرة لهم ازدهرت السفارات فى عهدهم ، فكانوا يرسلون ممثليهم — وعلى الاخص فى عهد العباسيين الأول والثانى — الى الملوك والأمراء ، ليس فى أحوال الصلح فقط ، بل كذلك فى المفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة . ولم تقتصر السفارات على الخلفاء والامراء المسلمين بعضهم وبعض بل شملت علاقاتهم التجارية والسياسية والثقافية مع رؤساء الدول الاجنبية . فجرت السفارات الاسلامية بين العباسيين وملوك الشرق فى الهند والصين ، كما جرت بين ملوك أوربا وملوك الاسلام فى الشرق والاندلس . والتاريخ حافل بأخبار السفارات التى كانت لا تنقطع بين الخلفاء المسلمين فى الأندلس وبين ملوك الافرنج .



للشيخ : أحمد حسن الباقوري

● طرح شهوات الجسد تحصيل لصحة الصوم

● تجنب المغامز الخلقية تحصيل لكمال الصوم

خير ما نستقبل به رمضان أن نستفتح الحديث عنه بالثناء على ربنا تعالى وعز بما هو أهله . ثناء العاجزين عن حصر نعمائه ، المحتاجين الى جميل معونته . فان عبدا من عباده لا يحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وننتهز فرصة هذا الشهر موسم خير ورحمة فنضرع الى الله عز وجل أن يعيده على أمتنا الاسلامية بالأمن والطمأنينة والسلام ، كما نضرع اليه أن يسبغ من ظلال هديه على ملوك أمتنا ورؤسائها وأمرائها ما يزيدهم فقها بأمجاد أسلافهم وغيرة على تراث أمتهم التى خرجت به الانسانية كلها من الباطل الى الحق ومن الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى النور .

ثم ان الصيام يقتضينا حقه من البيان فى مجالين ، مجال اللغة ومجال الشريعة .

فقد كان العرب أهل جاهلية قبل البعثة المحمدية ◄

يعرفون للصيام معانى تداولوها فى شـعرهم ونثرهم ، ورواها الأخلاف عن الأسلاف .

ومن تلك المعانى الامساك عن الحركة فى الانسان والحيوان والجماد ، كل ذلك فى عرف اللغة صيام ، فهم يقولون صامت الريح : يعنون أنها ركدت فلم تتحرك . ويقولون صامت الشمس : يعنون أنها قامت فلم تبرح مكانها عند انتصاف النهار ، ويصفون البكرة بالصيام اذا هى استعصت على الدوران فلم تخرج الدلو من البئر . وفى هذا يقول راجزهم :

شرا الدلاء الولفة الملازمة والبكرات شرهن الصائمة

يعنى الشاعر أن الدلو الضيقة التى لا تفارق صاحبها هى شر الدلاء وان البكرة المستعصية على الدوران هى شر البكرات .

والعرب تطلق على الموضع الذى تظهر فيه نجوم الثريا كأنها معلقة فى الفضاء لا تبرح مكانها كلمة مصام وفى هذا يقول امرىء القيس :

كأن الثريا علقت فى مصامها بأمراس كتان الى صم جندل

فهو فى هذا البيت يصف طول الليل ضائقا به فيتخيل أن مجموعة النجوم المعروفة بالثريا واقفة فى مكانها لا تتحرك فكأنها مشدودة الى صخور صم بحبال من الكتان متينة الفتل .

ذلك اجمال لمعنى الصوم فى اللغة .

وقد ورد فى كتاب الله الكريم الصوم بمعناه اللغوى وليس بحقيقته الشرعية على ما تشير الى ذلك الآية الكريمة « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنسيا » فالصوم فى هذه الآية يعنى الصمت والامساك عن حركة الكلام .

وليس بخاف أن بين المعنيين اللغوى والشرعى صلة وثيقة ، من حيث كانت اللغة تعطى أن الصوم امساك عن الحركة أيا كانت هذه الحركة فى انسان أو حيوان أو جماد ، وكأن الاصطلاح الشرعى يعطى أن الصيام نية فى القلب وامساك عن حركة المطعم والمشرب .

واذا كانت حقيقة الصيام لا تتم شرعا الا بالامساك عن الشهوات ، فان تمام الصيام وكماله لا يتأتى الا باجتناب المحظورات من الدس والكذب والنميمة والتجسس والخوض فى أعراض الناس . كما يقول النبى عليه السلام « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يترك طعامه وشرابه » .

وقد حرص أسلافنا الصالحون على رعاية حرمة هذا الشهر فكانوا يستقبلونه بأجل معانى التكريم ، ويقضون حقه عليهم من جهتيه جميعا . فيطرحون شهواتهم الجسدانية ارادة تحصيل صحة الصوم ، ويجتنبون المغامز الخلقية ارادة تحصيل كمال الصوم . وانما دعاهم الى هذا الحرص ما كانوا يعرفونه من فضل الصوم وجميل ثوابه ، فقد وردت فى ذلك أخبار كثيرة صحاح وحسان ، حسب المؤمن منها فى فضل هذا الشهر العظيم أن الله تعالى قد خصه دون سائر الفرائض بالاضافة الى ذاته جل ثناؤه على ما فى الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فهو لى وأنا أجزى به » ..

ومع أن العبادات كلها لله خضوعا لأمره ، واستدامة لنعمه ، فان اختصاص الصيام بالاضافة الى الله فى هذا الحديث ، انما كان لأمرين يستأثر الصيام بهما دون سائر ما افترض الله على عباده ، وأحد الأمرين أن الصيام يمنع الصائم من اللذاذات والشهوات . وهذه خصيصة له دون سائر العبادات ، وثانى الأمرين أن الصيام سر بين العبد وبين ربه فاذا كانت العبادات ظاهرة مكشوفة للناس يتمكن كل أحد من الاطلاع عليها . وقد يرائى بها ، فان الصيام محجوب لا يطلع عليه أحد سوى علام الغيوب .

وليس يسع الذين يدرسون كتاب الله ، وينظرون فى أوامره ونواهيه ، أن يجاوزوا الصيام دون أن يتلمسوا له حكمه . فان معرفة الحكمة للحكم الشرعى من شأنها أن تضاعف الرغبة فى الأخذ به والعمل بمقتضاه .

ومما هو مركوز فى الفطرة أن توقع المنفعة فى عمل من الاعمال ، يسارع بالمكلف الى تحصيل هذا العمل كما أن ادراك المضرة فيه يسارع به الى اجتنابه والتحرز منه والابتعاد عنه .

وأهل العلم يعرفون أن أحكام الله تعالى مشتملة على

حكم تصلح أن تكون مقصودة للشارع من شرعه الحكم .
فقد كان العرب أهل الجـــاهلية قبل البعثة المحمدية
ولا شك أن الصـــــوم ينطوى على حكم بالغة لعلنا لا نركب متن الشطط اذا قررنا لأنفسنا وللنـــاس أن القرآن طواها على كثرتها فى كلمتين اثنتين فى آية الصيام « لعلكم تتقون » .

وبيان ذلك أن امتثـــــال أوامر الله فى تحرى مواقع رضوانه ، هو من التكاليف التى تشق عادة على النفوس . وكل أمر يشق على النفس تحصيله ، لا بد له من ارادة قوية وعزيمة صادقة تكون معوانا للمكلف على تحمل المشاق فى ابتغاء رضوان الله امتثالا لأمره ، واجتنابا لنهيه ، فالمسلم فى ليلة باردة قارصة البرد ، لا يستطيع بغير الارادة القوية أن يقوم الى متوضئه والى صلاته . وهو نفسه فى مجـــال الرغبات الجامحة والشهوات المتحكمة ، لا يســـتطيع بغير العزيمة الصـــــادقة أن يتغلب على نزوات النفس ودوافع الهوى .

والصيام هو الرياضة النفسية الفاردة بالقدرة على تكوين الارادة القوية وتربية العزيمة الصادقة . واذا استقام للمسلم أن يحصل الارادة القوية والعزيمة الصادقة فقد استقام له أن يحكم نفسه فيرغب بها فى مرضاة الله كما يرغب بها عن سخطه جل ثناؤه . وهذا عند التحقيق هو خلاصة التقوى اذ لا سبيل الى التقوى الا من هذا الطريق وهو ما أشارت اليه آية الصيام فى كتاب الله العزيز .

تلك حكمة الصيام التى تعود ثمراتها على الفرد نفسه . وهى حكمة تعم الغنى والفقير ، والمأمور والأمير . وهى من اجل هذا أحق بالاعتبار من كل ما يذكر الناس للصيام من حكم على كثرة ما ذكر الناس له حكم . فهى عند بعضهم ترويض للأغنياء حتى يشعروا بحاجة الفقراء . وهى عند آخرين تكفير عن الخطايا بعقاب الاجساد وتعريضها لمعاناة ما تعانيه فى الصـــــيام من الظمأ والجوع . وهى عند فريق ثالث تطهير للجسم ، وتنزيه للانسان عن حاجاته الحيوانية .

ولا ينبغى أن تفوتنا فى هذا المقام حكمة لا يضيق بها الاعتبار ، ولا تتراءى للناظر خارجة عن آفاق الحكم المقبولة .

وخلاصة هذه الحكمة أن المسلمين هذا الشهر فى كل آفاق الدنيا وانحاء العالم يتحولون الى أسرة واحدة ، يتناولون طعامهم فى وقت واحد ، ويؤدون شعائر دينهم فى وقت واحد

ومن يشذ منهم عن هذا النظام يشعر بالغربة فى نفسه كما يشعر مواطنوه بالغربة عنهم .

ولقد اذكر أن أمما فى الارض تزهى على الناس بأن لها عادات وتقاليد يجتمع عليها كبارهم وصغارهم وأغنياؤهم وفقراؤهم فى ساعات معينة من ليل أو نهار . كالأمة البريطانية مثلا فان أبناءها يفخرون بأنهم يجتمعون فى منتصف الحادية عشرة من صباح كل يوم على تناول القهوة وفى منتصف الواحدة ظهرا على تناول الغذاء وفى منتصف السادسة مساء على تناول الشاى والحلوى . وعلى قدر ما يفخر أبناء الأمة البريطانية بهذه العادات ، يعجب بها غير البريطانيين ويعتبرون ذلك فضيلة لها تستحق التقدير والاعتبار .

واكثر الذين يذهبون هذا المذهب يعرفون أن أفراد الأمة الاسلامية يجتمعون فى كل مكان على تناول طعام الافطار فى شهر رمضان بعد غروب الشمس ، وتناول سحورهم فى وقت محدد أيضا . ويمتنعون عن شهواتهم امتناعا كاملا فى غير هذين الوقتين من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فلا مطعم لطاعم ، ولا مشرب لشارب .

ومع ذلك ترى الذين يقفون من الأمة البريطانية موقف الاعجاب ، لا يكادون ينتبهون لهذه المعانى الجليلة نفسها فى الأمة الاسلامية وقد جمع الاسلام عليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا خلت من الزمان . وهذا مع تفرق هذه الأمة وتباعد ديارها ، واختلاف آفاقها ، وذلك أمر كان من شأنه أن يدعو الى أعظم العجب وأكرم الاعتبار أبناء أمتنا وأصدقاءها وخصومها على سواء ، ولكن الذهول العجيب هو الذى يحول بين اهل العلم واهل العقل وبين التماس الحكم الغالية فى كل ما شرعه الله من خير للمسلمين على أن شهر الصيام فى العالم الاسلامى قد أصبحت له الى جانب هذه المزايا مزايا اخر لا تقتصر على الكبار الصائمين ولكنها تنتظم الصغار أيضا فهو موسم فرحة للاطفال وتزاور بين الناس واقبال على الله بحسن العبادة ومدارسة العلم .

فرمضان شهر مبارك الثمرات ، ميمون الغدوات والروحات على الافراد والجماعات فى كل ما يتصل بشئون الدنيا وشئون الدين .



الشورى في الإسلام تشريعاً .. وتطبيقاً

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

كم يعانى الباحث من مشقة ، وكم يجد من حرج ، حين يعرض لقضية من القضايا التى تكاد تكون فى ضمير التاريخ من المسلمات التى لا يختلف عليها عدو أو صديق ، ثم هو لايجد بين يديه من واقع الحياة فى عصره مايقيم منه الشاهد الحى على معطيات هذه القضية ، وعلى مالها من أثر فى أهلها الذين ينتسبون لها ، ويضافون اليها .. ان الباحث هنا لايعدو ان يكون صدى موحشا مستجلبا من أغوار الزمن السحيق ، فيما يقرأ على الناس من صحف التاريخ ، وفيما يقص عليهم من أنباء تضيته ، وما حملت فى وقت ما من ثمرات طيبة مباركة !! انه اذا قال — ان التاريخ يقول كذا وكذا ، جبهه لسان الحال ، وأفحمه وامسك به عن أن يمضى فيما هو فيه ، فان هو أبى ان يزايل موقفه ، أو ان يتحول عن طريقه ، لم يجد العزم الذى كان معه ، ولا اليقين الذى استقر فى وعيه ، وسكن فى ضميره ، فيمضى ان مضى — مستخزيا ، ويدافع ان دافع واهنا فاترا ..

فقضايا الاسلام ، ومقرراته فى بناء الاخلاق القويمة ، وفى اقامة موازين العدل والاحساس بين الناس بما شرعه هذا الدين من التواصى بالحق ،

والصبر والمرحمة والاخاء ، والتكافل ، ونصرة المظلوم ، والاخذ على يد الظالم ، والجهاد فى سبيل الله ، والسعى فى طلب الرزق ، واتقان العمل .. وغير ذلك مما ينتظمه دستور الشريعة الاسلامية من احكام وآداب ، بها يستأهل الانسان ان يكون خليفة الله فى الأرض وصاحب اليد المبسوطة على كل شىء فيها ــ هذه القضايا وتلك المقررات يعيش فيها المسلمون اليوم كلمات محفوظة مرددة على الالسنة ، دون ان ترتبط بمشاعرهم ، او تخالط وجدانهم او تظهر فى سلوكهم انها اشبه بتلك المخلفات الثمينة من آثار العصور الماضية التى تحويها المتاحف وتضمها دور الآثار لا يتعامل بها الناس فى حياتهم ولا يأخذون بها أو يعطون وان وقفوا حيالها معجبين ، ونظروا اليها فى اجلال واكبار وتقديس !!

هكذا نحن المسلمين ، فيما بيننا وبين أحكام ديننا وآدابه ، قد رضينا من ديننا بما نشهد من بنائه المحكم المعجز ، وشغلنا بالطواف حول هذا الأثر الخالد عن التزود منه بالزاد الذى نصحبه معنا فى رحلة الحياة . وكل حظنا من هذا الخير العظيم ، تلك اللحظات المسعدة التى نقف فيها بين يديه فاذا زايلناه انقطع ما بيننا وبينه ، وأخذنا طريقنا فى الحياة على غير الطريق القائمة عليه ، لا نكاد نذكر من ديننا الا أنه رسوم نقف عليها ، وآثار نلم بها ، ونملأ العين بها ، كلما شاقنا الحنين الى هذا الغالى العزيز الذى أودعناه بطون الصحف والكتب ، كما يودع الآباء فلذات أكبادهم بطن الثرى ، ثم يلتمسون العزاء فى الوقوف على القبور ، ومناجاة من فى القبور .

ـ ٢ ـ

ارايت اذن كم هو شاق غاية المشقة ، عسر أشد العسر أن يواجه الباحث المسلم تحديات العصر ، وواقع الحياة فيه ، بحقائق الشريعة الاسلامية ، وعرضها لتكون اسلوب حياة ، وسلوك مجتمع ، ونظام أمة ؟ واذا وجد هذا الباحث عند الذين يدينون بشريعة الاسلام أذنا تسمع أو عقلا يصدق ، او قلبا يستجيب ــ فهل يجد عند غير الذين لا يدينون بشريعة هذا الدين ، من يستمع لقوله ، أو يستجيب لدعوته ؟ وكيف ولسان الحال يقول ــ لو كان هذا حقا لأخذ به أهله ، ولو كان خيرا لأفادوا منه ، ولكان مقامهم فى الحياة غير هذا المقام ، الذى لا يحسدهم عليه عدو أو صديق ؟

وأشهد أننى ما هممت بعرض وجه من وجوه شريعتنا المشرقة ، أو حقيقة من حقائق ديننا القويم الا وقفت موقف الحيرة والتردد ، والا انتهى أمرى آخر الأمر فى كثير من الاحيان الى التحول عن هذا الموقف الى اى شأن من شئونى الخاصة او العامة ، مما استطيع أن اعطيه صورة عملية واقعة فى الحياة ، مهما صغر قدره ، وقل غناؤه ، فذلك على ما به هو ــ فى تقديرى ــ أجدى من الوقوف على منبر الخطابة ، وترديد الاحاديث المعادة التى كادت لكثرة ترددها على الآذان ان تكون اشبه بتلك الاصوات التى تنطلق من افواه الباعة الجوالين يعرضون بها ما معهم من سلع بائرة ، قد لفظتها السوق ، ولم تجد لها فى ساحتها طالبا أو شاريا !!

ان حقائق الشريعة الاسلامية أظهر من ان يدل عليها عند أهلها ، وعند كثير من غير أهلها ، والالحاح فى عرضها ، والمناداة عليها ، مما يزرى بقدرها ، ويسىء الظن بها ... ومع هذا فان التزام الصمت ، وأخذ جانب

السكوت ، هو سكوت عن الحق الذى خذله أهله ، فى موقف علا فيه صوت الباطل ، وراجت فيه دعاوى الضلال والبهتان ، والساكت عن الحق فى هذا المقام شيطان أخرس ، كما يقول الرسول الكريم ......

فاذا كان للسكوت اسبابه ودواعيه ، فان للنطق ايضا اسبابه ودواعيه ، ان لم يكن حديثا الى الناس فهو حديث الى النفس ، اشبه بالزفرات التى ينفس بها المكروب كربته :

ولواله المكروب من زفرات　　سكون عزاء او سكون لغوب

— ٣ —

هذه مقدمة لم يكن بدمنها ، وان تكن قد طالت اكثر مما كنت اقدر لها .. ولكن لابأس ، فانى ما كنت لأستطيع ان اكتب فى هذا الموضوع الذى جعلته عنوانا لهذا الحديث ، لولم اقف مع نفسى هذه الوقفة المستأنية ، وأحاورها هذا الحوار الصريح ، الذى نلتقى فيه على كلمة سواء آخر الامر ، وهو أن امضى فيما قصدت اليه ، فهو ان لم ينفع فلن يضر ، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم : « فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ..

فلنأخذ اذن فى حديثنا عن « الشورى فى الاسلام » كمادة اولى من مواد هذا الدستور السماوى الذى يحكم الجماعة الاسلامية ، ويدين به الفرد والجماعة على السواء ...

— ٤ —

فالشورى شريعة من شرائع الرسالة الاسلامية ، ومصدر من مصادر احكامها العاملة فى المسلمين ، حيث ينعقد بها الاجماع الذى هو اصل من اصول التشريع الاربعة المعتمدة فى الاسلام ، وهى الكتاب والسنة ، والقياس ، والاجماع .. اذ لا يكون الاجماع على أمر الا بعد تمحيصه ، وتقليب وجوه الرأى فيه ، وتقديم الحجج والادلة بين يدى كل رأى ، حتى ينتهى الامر الذى يجمع عليه ، بالتقاء آراء ذوى الرأى فيه من المسلمين ، وهم الذين أطلق عليهم : اهل الحل والعقد .

وليس المراد بأهل الحل والعقد طبقة خاصة من الناس ، او طائفة معينة من طوائفهم ، بل هم فى كيان المجتمع الاسلامى كله ، فى كل زمان ومكان ا لا يختص بهم موطن ، ولا يحصرهم زمن .. فحيث كان المسلمون فهم جميعا المجتمع الاسلامى ، وفيهم اهل الحل والعقد ، اى اصحاب الرأى والنظر ، فكل ذى رأى ونظر هو من اهل الحل والعقد ، وله ان يأخذ مكانه فى الأمر الذى يعرض للمسلمين ، وأن يدلى برأيه فيه ، ويقدم حجته التى تدعم هذا الرأى ، كما أن له أن ينظر فى رأى غيره ، وأن يقول فيه رأيه ، معدلا او مجرحا ، كل ذلك بالحجة القائمة على الحق والعدل ، المجانبة للهوى ، والشهوة ، وحب الغلب .
والرأى الذى ينتهى اليه المسلمون ، او أولو الحل والعقد فيهم ، هو ملزم

لجمـــاعتهم ، لا يجوز لأحد منهم مخالفته ، والخروج عليه عملا بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وليس فى هذا الالزام جور على ذاتية الفرد ، ولا عدوان على حقه فى النظر الى الأمور ، ووزنها بميزان ادراكه وتقديره ، بل ان هذا الالزام هو حماية للفرد من أن يتبع هواه ، أو أن يذهب مذهبا غير مأمون العاقبة ، لو أنه أخذ برأيه وترك رأى الجماعة ، اذ كان رأيها هو الذى تلاقت عنده الآراء ، ونخلته العقول ، وانه لخير له ان يأخذ برأى الجماعة ، الذى لاشـــك أنه أقرب الى الحق ، والى الخير ، من الرأى الذى انفرد به .

واذا كان الاجماع هو الوجه البارز من وجوه الشورى ، فان للشـــورى وجوها أخرى كثيرة .. اذ ليس كل أمر يعرض للجماعة الاســـلامية ، تنتهى بالتشاور فيه الى اجماع فى الرأى على نحو الاجماع المعروف فى الشريعة ، بل انه كثيرا ما يقع الخلاف فى الرأى على أمر من الامور ، ثم يرجح جانب فيه على جانب ، فيؤخذ بالجانب الراجح ، ويترك الجانب المرجوح .

ــ ٥ ــ

على أن الذى يعنينا هنا ، ليس هو مصدر الشورى وأشـــكالها ، وانما الذى يعنينا بالمقام الاول ، هو مبدأ الشورى ذاتها ، من حيث اعتبارها حقيقة من حقائق الاسلام ، وحكما من أحكامه العاملة ، التى يأخذ المسلم بها نفسه ، ويقيم حياته عليها ...

ففى قوله تعالى فى مقام عرض المؤمنين فى صورتهم الكاملة المشرقة : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .. (٣٨ الشورى) ــ فى هذا أمر ملزم للمسلمين بالشـــورى فى امورهم ، حيث اقترن قوله تعالى : « وامرهم شورى بينهم » بركنين من أركان الدين ، وتوسطهما ، وهما اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والمأمور بهما شرعا ، فكان حكم الشـــورى حكمهما من حيث الوجوب ، والالزام .. فقوله تعالى : « وأمرهمشورى بينهم » ــ خبر يراد به الامر والالزام .

وفى مجىء الشورى بعد اقام الصلاة ، وقبل ايتاء الزكاة ــ اشـارة الى امور :

اولا : ان الصلاة اقوال وافعال ، والشـــورى اقوال تعقبها افعال .. اما الزكاة فهى أفعال خالصة ... فناسب أن تأخذ الشورى هذا المكان المتوسط بين الصلاة والزكاة .

وثانيا : ان الصـــلاة يؤديها المرء منفردا او فى جماعة .. وهو فى حال افراده يؤديها على الصورة التى يراها ، من حيث الطول والقصر فى افعالها ، قراءة ، وقياما ، وركوعا ، وسجودا .. اما فى حال ادائها فى جماعة ، فانه لا يملك هذا الخيار بعد ان يأخذ مكانه فى الجماعة ، وينتظم فى عقدها ، فهو والجمـــاعة من وراء الامام ، الذى يجب أن يلتزموا متابعته فى كل اعمـــال الصلاة . قياما ، وركوعا ، وسجودا . والشورى صورة مقاربة للصلاة . من هذا الوجه الذى صورناها به ..

فاذا كان المرء خاليا مع رايه ازاء امر من الامور العارضة له ، كان له ان يتصرف فى هذا الامر على الوجه الذى يستشير فيه عقله ، ويحتكم فيه الى رايه ، وما يؤديه اليه اجتهاده .. اما اذا دخل مع جماعة المسلمين فى امر عام ، واخذ برأيه مكانه بينهم ، لم يكن له ان يخرج عن الراى الذى تنتهى اليه الجماعة ، والذى يتمثل لهم حينئذ فى صورة الامام الذى يأتمون به فى الصلاة .. فكما لا يخرج المأموم عن متابعة الامام فى الصلاة ، ولا يجوز له ان يستجيب لارادته فى أن يطيل او يقصر فى قراءة او فى قيام ، أو ركوع ، او سجود — كذلك لايجوز ان يخرج المؤمن عن الراى اجتمع عليه المسلمون ، بعد تشاورهم فيه ، اذ الراى الذى اجمع عليه المسلمون هنا هو من رأى الاسلام ، والسبيل التى يسلكها — متابعة لهذا الرأى — هى سبيل المسلمين .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (١١٥ : النساء) ..

وثالثا : ان الصلاة فريضة عامة تجب على كل مسلم ومسلمة وجوب عين ، متى تحققت فيه اهلية التكليف .. وكذلك التشاور بين المسلمين امر ملزم لهم جميعا وحق يؤديه كل مسلم ومسلمة للجماعة الاسلامية ، ما دام أهلا له ، وانه ليس لأحد ان يحول بين المسلم وبين ان يأخذ مكانه فى الجماعة الاسلامية ، وان يبدى الراى الذى يراه فى اى امر يعرض لهم ، تماما كما يأخذ مكانه فى صلاة الجماعة بين ، الصفوف المنتظمة فى الصلاة ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « وامرهم شورى بينهم » ففي تنكير كلمة « شورى » دليل على اطلاقها وعمومها وانها ليست على صفة خاصة معروفة بأهلها .. فكل مسلم كان اهلا للصلاة مكلفا بها ، كان اهلا للشورى مطالبا بها ..

ورابعا : ان الصلاة يجب ان يسبقها قبل الدخول فيها ، اعداد لها بالتطهير والوضوء كما يجب قبل ذلك تحصيل العلم بأركانها ، وشروط صحتها — وكذلك الشورى يجب أن تسبقها طهارة النفس من الهوى وخلوها من الدخل ، او المداهنة ، هذا الى ما ينبغى لمن يحمل امانة المشورة ان يتزود بأكبر قدر من العلم والمعرفة ، فى كل ما يتصل بأمور الدين والدنيا جميعا ..

وخامسا : ان للصلاة وقتا تؤدى فيه ، فاذا جاء وقتها أذن المؤذن بها ، ودعا المسلمين اليها ، « أن حى على الصلاة » .. وكذلك للشورى وقتها الذى تجب فيه .. فاذا حزب المسلمين امر تنادوا به ، واجتمعوا له وتشاوروا فيه ...

ذلك هو بعض السر في قرن المشورة باقامة الصلاة ، ووصلها بها ، لما بينهما من هذه المشابه الكثيرة ، قدرا واثرا ..

اما وصل « الشورى » بالزكاة من طرفها الاخر ، فانه يشير كذلك الى امور .. منها :

اولا : ان القرآن الكريم لم يعبر عن الزكاة فى هذا المقام بلفظ الزكاة ، بل جاء بها فى هذا النظم الكريم « ومما رزقناهم ينفقون » ... فجعلها انفاقا من رزق ، وهذا الرزق هو من فضل الله ... وكذلك الشورى هى انفاق من رزق ، هو مما وهب الله سبحانه من عقل ، ومما رزق اهل العقل من علم ومعرفة وهذا يعنى ان ابداء الرأى من ذوى الراى ، هو امر واجب عليهم ، وهو

الزكاة المطلوبة منهم فيما آتاهم الله من فضله ، من علم ، وحكمة ، وأصالة رأى ، وحسن تدبير ..

فمن رأى فى اى امر من امور المسلمين خللا ، وكان عنده من الرأى والتدبير ما يصلح به هذا الخلل ، ثم امسك رأيه وحبس نصحه ــ كان آثما .. شأنه فى هذا شأن من كان ذا مال وسعة ، ثم لم ينفق من ماله فى سبيل الله ، وفى سد حاجة ذوى الحاجة من المؤمنين ...

وثانيا : لم يقيد النص القرآنى هنا الانفاق بالشىء الذى ينفق منه ، من مال ، او طعام ، او كساء ، ونحو هذا ، بل جعله انفاقا مطلقا ، يشمل كل ما يرزقه الله الانسان من خير ، فسماه سبحانه رزقا ، ليشمل المال ، وغير المال ، من رأى ، وعلم ، وفن ، وكل ما فيه للناس نفع ، فلا يستبد المؤمن وحده برزق رزقه الله اياه ، وفيه فضل وسعة لغيره من المسلمين ...

وثالثا : لم يقيد النص القرآنى كذلك ما ينفق من هذا الرزق بحد محدود ، كالزكاة ، بل جعله انفاقا مطلقا ، لأنه فى مقام الشورى ، لا يكون الانفاق بقدر محدود مما يملك الانسان من علم ، ومما عنده من معرفة بل ان المطلوب منه فى تلك الحال أن ينفق كل ما يملك ، غير ممسك شيئا من رأيه ، أو محتجز شيئا من جهده واجتهاده فى تحرى وجه الحق والتهدى اليه ..

ونقرأ الآية الكريمة ، « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

وننظر مرة اخرى فى قوله تعالى : « وامرهم شورى بينهم » وفى مقام هذا المقطع من الآية الكريمة وتوسطه بين ما سبقه ، وما جاء بعده من كلمات الله ، فنرى كيف كان احتفاء الاسلام بالشورى ، وكيف انه أفسح لها مكانا بين فريضتين من فرائضه ، وركنين من اركانه ، هما الصلاة والزكاة اللتان آخى بينهما القرآن فى كل موضع اجتمعا فيه ، ولم يفرق بينهما بشىء من آدابه واحكامه الا حين يكون هذا الشىء داعية من دواعيهما ، او لازما من لوازمهما،كما رأينا ذلك فى « الشورى » واثرها فى حياة الجماعة الاسلامية ، وفى الحفاظ على بنائها الروحى والمادى جميعا .. وكما وقع الفصل ايضا بين الصلاة والزكاة فى قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون » فقد فصل هنا بين الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » لأن من معطيات الصلاة ، ومن آثارها المباركة فى المصلين أن تقطعهم عن لغو الكلام وساقطه ، كما أن من معطيات الزكاة ، ومن آثارها الطيبة فى المزكين ، أن يتجنبوا الخسيس الرذل من المال كسبا وانفاقا !

— ٦ —

والسؤال هنا هو : ــ لماذا كانت الشورى بهذه المنزلة من الاسلام ؟ ولماذا تلتفت اليها الشريعة الاسلامية بهذا القدر ، وتنوه بها هذا التنويه الذى يرفعها الى مساماة فرائض الاسلام وأركانه ؟ ولا بد للاجابة على هذا السؤال وما تفرع منه من العودة الى النظر فى قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » ... فهذا الخبر ــ كما قلنا ــ هو امر ملزم للمسلمين بأن يقوم امرهم على الشورى بينهم ، وهذا يعنى ان يكون المسلمون على كلمة سواء فيما بينهم من شئون ..

فتكون طريقهم واحدة ، ووجهتهم واحدة ، ويدهم واحدة ، وموقفهم فى مواجهة الاحداث واحدا ، فلا يذهب كل واحد منهم مذهبا ، ولا تركب كل جماعة منهم طريقا .....

فالدعوة الى الشورى ، وجعلها شعيرة من شعائر الدين ، هى فى الواقع دعوة الى وحدة الامة الاسلامية ، وحدة عامة شاملة ، تنتظم مشاعرها ، وتفكيرها ، واتجاه خطوطها فى الحياة ، فتجعل من الامة كيانا واحدا ، وجسدا واحدا ، الامر الذى اذا تحقق لجماعة من الجماعات ، اقامها فى هذه الحياة فى اكرم مقام ، واعزه ، فلا يصيبها وهن ، ولا ينزل بساحتها ضيم : !

وننظر فى هذا التدبير الحكيم لدعوة الامة الاسلامية الى الوحدة ، وجمعها على كلمة سواء .. انها لم تجىء دعوة قاهرة ملزمة ، من غير أن يقوم الى جانبها الوجود الذاتى للانسان ، والهاتف الشعورى المنبعث من ذاته الى هذه الوحدة ، بل قام مع هذه الدعوة — بل امام هذه الدعوة — دعوة الى الشورى التى يأخذ كل فرد من المسلمين مكانه منها ، ويشارك بنصيبه فيها ، فاذا انتظم للجماعة الاسلامية من تشاورهم فيما بينهم رأى ، كان هذا الرأى قائما على وجهة واحدة ، هى التى رضيها الجميع ، ونسجوا رايتها من تلك الخيوط التى اجتمعت من آرائهم جميعا ، وبهذا تكون مسيرة المسلمين تحت هذه الراية ، مسيرة ينتظمها شعور واحد ، ويحكمها رأى واحد ، وتشدها عزيمة واحدة ، فيكون منهم بهذا نسيج واحد متلاحم ، اشبه بنسيج هذه الراية التى تشكلت من مجتمع آرائهم .. وهذا هو بعض السر فى ان جاء النظم القرآنى : « وأمرهم شورى بينهم » بدلا من ان يجىء مثلا : « وكانوا امة واحدة ، او مجتمعا واحدا » .. وذلك أنه لن تكون الامة امة واحدة ، ولن يكون المجتمع مجتمعا واحدا ، الا اذا تلاقت الافكار ، وتقاربت المنازع وتوحدت المشاعر ، ولن يتم شىء من ذلك الا بالتشاور فى أمورهم ، وتبادل الآراء بينهم ، وعرض رأى كل ذى رأى فى حرية مطلقة ، بلا حدود ولا قيود ...... !

— ٧ —

فالمسلمون مطالبون ديانة وشريعة ، كما هم مطالبون سياسة وتدبيرا ان يقيموا امرهم كله على الشورى بينهم .. وهذا من شأنه ان يجعلهم دائما فى تواصل ، وفي تواصى بالنصح ، ومشاركة في السراء والضراء ، حيث يجد المرء انه مطالب بأن يكشف لاخيه عن المشكلات التى تعرض له ، كما يجد صاحبه انه مطالب بأن يبذل له الرأى والنصيحة فى صدق واخلاص ، بل وان يسعى معه ما استطاع ، فى دفع الضر عنه ، وحمل بعض الهم الذى نزل به ، حسبة لله ، واداء لحق وجب عليه ..

فاذا كان الامر العارض من البلايا العامة التى تمس المجتمع ، او طائفة منه ، تنادى اليه المسلمون وتداعوا عليها بالرأى والعمل معا ، وحمل كل منهم همها ، وشارك فى دفعها بكل ما وسعه من جهد وبما ملك من مال ونفس وولد !

وهذه المشاركة الجماعية التى تتم بين المسلمين فى مجلس المشورة الذى ينعقد بينهم للنظر فى شئونهم الخاصة ، والعامة — هذه المشاركة هى التى

توحد مشاعر المجتمع الاسلامى ، وتشد المسلمين بعضهم الى بعض ، وتجعل منهم جسدا واحدا ، فلا يشعر احد منهم انه بمنجاة من الخطر الذى يتهدد اى عضو من اعضاء الجماعة !

ومن جهة أخرى ، فان فى عرض مشكلات المجتمع على الجماعة ، وفى طلب الراى والنصيحة من أفرادها ، تربية للفرد على أداء وظيفته الاجتماعية فيها وافساح مكان له بينها .. وهذا من شأنه أن يهيىء للفرد فرصا طيبة ، يبرز فيها وجوده ويربى فيها ملكاته وينمى قدراته واستعداداته ، حتى يكون أهلا للمشورة ، ووجها من وجوهها البارزة ، وهذا بدوره داعية قوية تدعوه الى طلب العلم ، والمعرفة ، والى لقاء الجماعة بما حصل من علم ، وما وعى من معرفة ..

ومن جهة ثالثة ، فان عرض الآراء وفى تقليب وجوهها تصحيح لكثير من الآراء الخاطئة وتصحيح للمشاعر التى تتولد عن هذه الآراء .. فاذا أقام المرء رأيه عن مشورة ومناصحة فى امر من الامور ، كان هذا الامر عزيزا عليه ، حريصا على انجاحه وانضاج ثمرته ، ولهذا كانت دعوة الله سبحانه وتعالى الى النبى الكريم : ان يقيم امره فى المسلمين على الشورى ، فيقول له سبحانه : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .. فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » (٥٩ آل عمران) والرسول صلوات الله وسلامه عليه — بما أراه ربه فى غنى عن المشورة ، وعن أخذ الرأى من احد ، اذ كان انما ينطق بالحق عن الحق ، كما يقول سبحانه « وما ينطق عن الهوى» (٣ النجم) ولكن هكذا اقام الله سبحانه امر النبى مع الجماعة الاسلامية على المشورة ، حتى تصحح الآراء الخاطئة على ضوئها ، وحتى يشارك الجميع مع النبى فى اقامة الرأى ، وفى حمل تبعة المسئولية فيما ينجم عنه .. وحتى لا يقول قائل كما قال المنافق عبد الله بن ابى فى شماتة وتشف بعد غزوة احد : « لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا هاهنا » (١٥٤ آل عمران) .

هذه هى بعض ملامح « الشورى » فى الاسلام وهى — كما ترى — وثيقة من اروع الوثائق ، ودستور من اقوم الدساتير فى بناء المجتمع ، وفى وصل مشاعر أفراده بعضها ببعض ، وفى صب آراء افراده فى مجرى واحد ، يفيض بالخير والبركة عليهم جميعا ..

فهل انتفع المسلمون بهذه الدعوة التى يدعوهم اليها دينهم ، وتأخذهم بها شريعتهم ؟ وواقع الحال ينطق بغير هذا .. فلو استقام المسلمون على مبدأ الشورى لما كانوا شيعا وفرقا ، ولكانوا فى مواجهة الخطر الذى يتهدد وجودهم يدا واحدة ، تدفع هذا الخطر ، وترد هذا البلاء الذى تهب اعاصيره الهوجاء على الامة الاسلامية من كل افق ..

وعزاؤنا فى هذا المصاب فى وحدة أمتنا هو أن مواد بناء هذه الوحدة قائمة لا تزول ، خالدة لا تفنى ، وانه اذا فترت الهمم ، وضعفت العزائم عن اقامة هذا البناء فى جيل أو أكثر من أجيال هذه الأمة فان الأمل لا يزال معقودا على اجيال اخرى تعيد هذا البناء ، وتجدد ما تهدم منه .. والله سبحانه وتعالى يقول : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .



شهر رمضان

حل بنا شهر عظيم مبارك الا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والاحسان ، شهر تفتح فيه ابواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات وترفع الدرجات وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ويجزي فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه احد اركان الاسلام فصامه المصطفى صلى الله عليه وسلم وامر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن قامه ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من

ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه الى الخيرات والمبادرة فيه الى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة منها تطهير النفس وتهذيبها وتزكيتها عن الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل وتعويدها الاخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضى الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره الى ربه سبحانه وتعالى ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضا بحاجة أخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة اخوانه الفقراء والاحسان اليهم .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه الفوائد في قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه عن اخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ووسيلة قوية الى التقوى في بقية شئون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى بعض فوائد الصوم في قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فأنه له وجاء » فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم وجاء للصائم ووسيلة لطهارته وعفافه وما ذاك الا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر بالله وعظمته فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوى سلطان الايمان ، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمن ، وتقل به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها أنه يطهر البدن من الاخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقد اعترف بذلك كثير من الاطباء ، وعالجوا به كثيرا من الأمراض وقد ورد في فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات» الى أن قال عز وجل « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام

الصلاة وايتاء الزكـاة وصوم رمضان وحج البيت ..

وأخرج الترمذى عن معاذ بن جبل رضى اللـه عنه قال قلت يا رسول اللـه أخبرنى بعمل يدخلنى الجنـة ويباعدنى عن النار فقـال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . ثم قال النبى صلى اللـه عليه وسلم الا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهـم ينفقون . فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» ثم قال عليه الصلاة والسلام الا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه . قلت بلى يا رسول اللـه فقـال : رأس الأمر الاسلام وعموده الصـلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله ثم قال صلى الله عليـه وسـلم الا أخبرك بملاك ذلـك كلـه قلت بلى يا رسول الله قال : كف عليـك هذا وأشار الى لسانه فقلت يا رسـول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم بـه ؟ فقال صلى اللـه عليه وسلم ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم » .

ان الصوم عمل صالح عظيم وثوابه جزيل ولاسيما صوم رمضـان فانه الصوم الذى فرضه اللـه على عباده وجعله من أسباب الفوز لديه ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كـل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف يقول اللـه عز وجل الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلـوف فم الصائم أطيب عند اللـه من ريـح المسك » وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (اذا دخـل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين . وأخرج الترمذى وابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا كان أول ليلة من رمضان صفـدت الشياطين ومردت الجن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغـلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وينادى مناد يا باغى الخير أقبـل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » .

وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم جاء شهر رمضان بالبركات فمرحبا به من زائر وآت ، وأخرج ابن خزيمة عن سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليـه وسـلم أنه خطب الناس فى آخر يـوم من شعبان فقال : « أيها الناس انه قـد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلـة خير من ألف شهر جعل اللـه صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلـة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن الى أن قال : « فاستكثروا فيه من أربـع خصال خصلتين ترضون بها ربكـم وخصلتين لاغناء بكم عنهمـا فأما

الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله والاستغفار وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار » .

وفي الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه كان فى الغالب لا يزيد فى رمضان ولا فى غيره على أحدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه فى بعض الليالى يصلى ثلاث عشرة ركعة وفى بعضها أقل من ذلك وليس فى قيام رمضان حد محدود لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قيام الليل قال مثنى فاذا خشى احدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ماقد صلى ولم يحدد صلى الله عليه وسلم للناس فى قيام الليل ركعات معدودة بل أطلق لهم ذلك فمن أحب أن يصلى احدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة أو ثلاثا وعشرين أو اكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه ولكن الأفضل هو ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم ودام عليه فى أغلب الليالى وهو احدى عشرة ركعة مع الطمأنينة فى القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الاقبال عليها بالقلب والخشوع فيها وأداؤها كما شرح الله باخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب كما قال الله سبحانه «قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » وقال : النبى صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) وقال : للذى أساء فى صلاته اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم أرفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم أرفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم أفعل ذلك فى صلاتك كلها .

وكثير من الناس يصلى فى قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقرا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة فالواجب الحذر من ذلك ، وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر الذى نقر صلاته أن يعيدها .

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة وأدوها كما شرح الله وأغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادة والقربات — وسارعوا فيه الى الطاعات فهو شهر عظيم جعله الله ميدانا لعباده يتسابقون اليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون فى انواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والأحسان الى الفقراء والمساكين والايتام والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الخير .

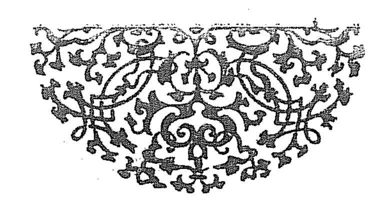
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان فاقتدوا به صلى الله عليه وسلم فى مضاعفة الجود والاحسان فى شهر رمضان ، واعينوا اخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) وقال عليه الصلاة والسلام (الصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فان أمرء سابه أحد فليقل انى أمرء صائم) وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ليس الصيام من الطعام والشراب وانما الصيام من اللغو والرفث) وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الصلاة الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر) .

وقال جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

فينبغى للصائم الاكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل والاكثار من الصلوات والصدقات والاستغفار وسائر أنواع القربات فى الليل والنهار أغتناما للزمان ورغبة فى مضاعفة الحسنات ومرضات فاطر الارض والسموات ، واحذروا رحمكم الله كل ما ينقص الصوم ويضعف الاجر ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصى كالتهاون بالصلاة والبخل بالزكاة واكل أموال اليتامى وانواع الظلم وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والدعاوى الباطلة والأيمان الكاذبة والتكبر واسبال الثياب واستماع الاغانى وآلات الملاهى وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصى التى ذكرنا محرمة فى كل زمان ومكان ولكنها فى رمضان أشد تحريما وأعظم اثما لفضل الزمان وحرمته ومن أقبح هذه المعاصى وأخطرها على المسلمين ما ابتلى به الكثير من الناس من التثاقل عن الصلوات والتهاون بأدائها فى الجماعة فى المساجد ولا شك أن هذا من اقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالا » وقال : النبى صلى الله عليه وسلم (من سمع الندى فلم يأت فلا صلاة لهالا من عذر ، وقال له : صلى الله عليه وسلم رجل أعمى يا رسول الله انى بعيد الدار عن المسجد وليس لى قائد يلائمنى فهل لى من رخصة أن أصلى فى بيتى — فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل تسمع النداء للصلاة ؟ قال : نعم قال : فأجب . وقال : عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة فى الجماعة الا منافق معلوم النفاق أو مريض وقال : رضى الله عنه لو انكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ..

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضا ما بلي به الكثير من الناس من استماع الاغاني وآلات الطرب واعلان ذلك في الاسواق — وغيرها ولا ريب أن هذا من أعظم الاسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به ومن أعظم الاسباب أيضا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » وقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق وقال النبى صلى الله عليه وسلم (ليكونن من امتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف والحر هو الفرج والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هى الات الملاهى كالعود والكمان وسائر آلات الطرب والمعنى انه يكون فى آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهى وقد وقع ذلك كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع . فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته فى رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة فى الدنيا والآخرة والله المسئول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه فى الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم اليه فى كل شىء انه على كل شىء قدير وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .



يبحث الشاعر عن

أنا أبحثُ في الأرض طويلا
أبحثُ عن قارئىَ الضـــائعْ

أبحثُ عن إنسانٍ قلقٍ يحترق على وهـج الواقعْ
ويعيش العمْرَ على أمل الإبحـار إلى الشيء الرائع
ويعبّيء كلَّ جيوب الصمتِ بتـوْقٍ ظمآنٍ جائع
إنسان يرفض أن يحيـــا إلاَّ إنساناً . . ويُتـابع
لايعرفْ خَلْفاً . . ووراءً . . رحلتُه عن فجرٍ طالع

أنا أبحث فيالأَرض طويلا
أَبحث في شوقٍ عن حرفٍ

حرفٍ لم يُهْزَم في شفةٍ شَهَرَتْهُ في وجـــه الخوفِ
فالحرْفُ تَهَرَّأَ خلْف جبال الصمت على لهب الزيْف
وانهار . . ونام على العتبات . . وعانق أَحلامَ الصيف
وتلفَّعَ في ليـــل الآلامْ مُسُوحَ بَرَاءَاتِ الطيف
من لي بالحرف كما وَلَدَتْهُ الكلمـةُ عملاقَ الزحف ؟

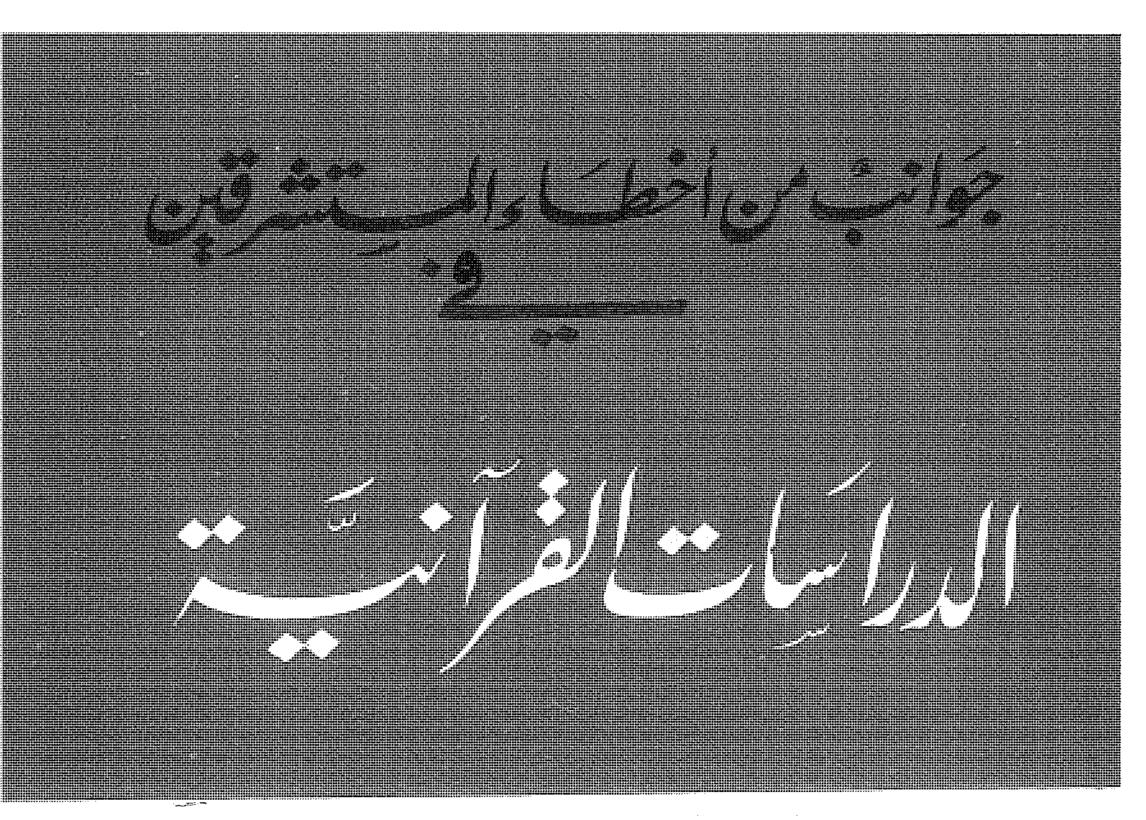
سَيف وَحرف

للأستاذ: محمد أحمد العزب

أنا أبحث في الأَرض طويلا
أَبحث عن قلبــيْن أَحَبَّا
وُلِدَا في أَرضٍ لم تعرف وجْهاً للأحقــاد وَشَبَّا
أَبحث عن قلبين حميمْين اتَّحَــدَا في العالمِ قلْبا
مِرْآتِي .. لا تعكس إلاَّ قلبيْن لَدُودَيْن أَكَبَّا
حتى صدئتْ عَيْنَا المِرْآةِ وعادت لا تعْكسُ دربْا
لو أَنّا فَتَّشْنَا في وجـــه الحقد فلن نُبصرَ رَبَّا

أَنا أَبحث في الأَرض طويلا
أبحث عن كلِّ الأشـــياء
أُعْطِي لِلَّوْن هيُولَى اللَّوْن.. وأُهْرقُ في الظِّل الأَضواء
أَعْقدُ خاصرةَ الوعْي طُمُوحاً في سارية الأَجواء
أَتمدّدُ في الأَرض جذوراً للشّجر النابت في الصحراء
أَضربُ بالسيف.. وأَهجو بالحرف المُتَوَضِّيءِ جُبَنَاء

أَنا أَبحث في الأَرض طويلا
عن أَرضٍ تُفضي لسماء



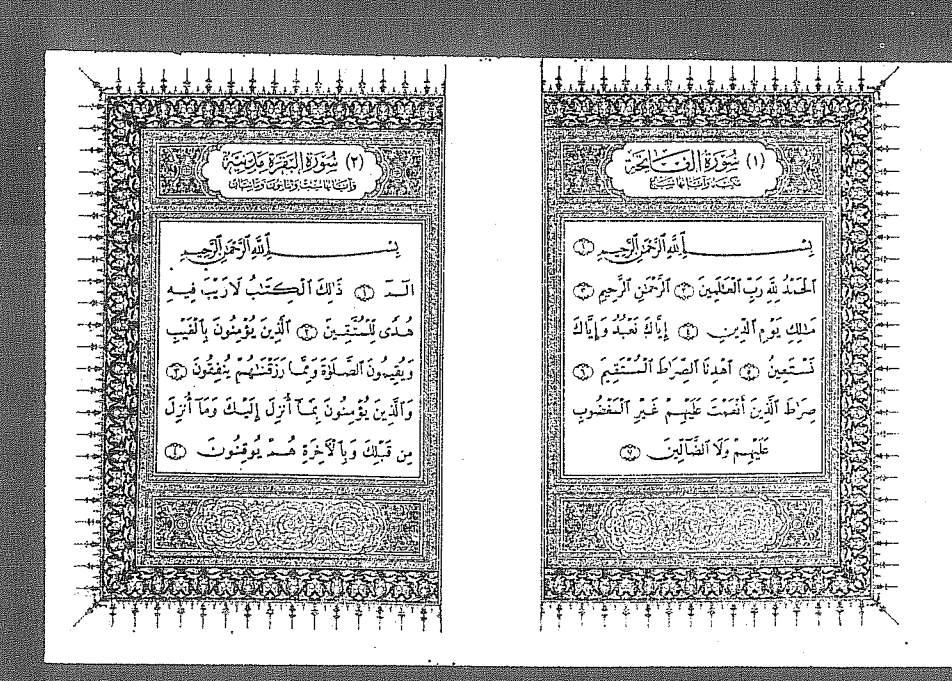
للدكتور : عبد العال سالم مكرم

بينت فى مقال سابق (١) بعضا من الدراسات القرآنية التى قام بها بعض المستشرقين ، وكان هدفى من هذا البيان هو اتاحة الفرصة لشبابنا المثقف ليقف على هذه البحوث ، ويدرك ما فيها من صواب أو خطأ ليكون على بينة من أمر هذه الدراسة القرآنية التى كتبت بأقلام قوم عاشوا فى هذه الدراسات وأفنوا أعمارهم فيها من أجل المعرفة والعلم أحيانا ومن أجل الأغراض الخفية ، وتشويه الحقيقة أحيانا وفى هذا المقال سأحاول عرض جوانب من أخطاء المستشرقين فى الدراسات القرآنية .

اولا : فى النص القرآنى وتوثيقه :

نحن نعلم أن القرآن الكريم وصل الى الذروة العليا فى التوثيق ، وهذا سر عظمته ، ومفتاح خلوده ، أتفق أهل العلم والمعرفة على هذه الحقيقة وحينما أقول : أهل العلم والمعرفة فانما أعنى هؤلاء الذين سمت عقولهم واشرقت بصائرهم ، وكان الحق رائدهم .

وقد سجل هذا القرآن الكريم تسجيلا رائعا فى مصحف لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، يقول ابن حزم فى مجال هذا التوثيق (ان هذا القرآن ظل ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن ، ولا كافر



منصف غير معاند للمشاهدة . . لا يشكون ولا يختلفون فى أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عزوجل أوحى به اليـــه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ الينا)(٢) ، وكانت الخطوة الأولى فى توثيق النص القرآنى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته حين النزول ، ومنع كتابة شىء سواه ، والســـبب فى ذلك يرجع الى صيانة القرآن الكريم من الاختلاط بغيره ، يدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عنى شيئا ســـوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه)(٣) .

وقد حدثنا أبو سعيد الخدرى أنه قال : استأذنت النبى عليه السلام أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لى)(٤) .

ولم يكن أبو سعيد الخدرى فى هذا المجال وحده ، فقد شاركه فى الرواية ايضا ابو هريرة الذى يقول : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وســلم ، ونحن نكتب الأحاديث ، فقال : ما هذا الذى تكتبون ؟ قلنا أحاديث سمعناها منك ! قال : أكتابـــا غير كتاب اللـــه تريدون ؟ ما أضـــل الأمم من قبلكـــم الا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى)(٥) .

من هذه الأحاديث الشريفة يتضـــح لنا فى جـــلاء أن القرآن الكريم وثق توثيقا مكينا فى عهده صلى الله عليه وسلم ، لأنه كتب كله بأقلام كتاب الوحى بيد أنه لم يجمع فى مصحف ، لأن الحاجة لم تكن ماسة اليه ، ولأن الصـــحابة رضوان الله عليهم كانوا يتسابقون فى حفظه ، ويتبارون فى كتابة نصه والرسول عليه السلام معهم يتلو عليهم من آياته ما تلين القلوب .

وقد أدرك الامام السيوطى هذا السر فقال فى كتابه : (الأتقان) ما نصه : (قال الخطابى : أنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن فى المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة)(٦) .

راى المستشرقين فى هذا التوثيق :

يقول (أرثر جفرى) فى مقدمته لكتاب (المصاحف) لأبن أبى داود ما نصه : (الرأى الشائع فى أن القرآن الكريم كتب فى عهد النبى عليه السلام لا يقبله المستشرقون ، لأنه يخالف ما جاء فى أحاديث أخرى أنه قبض صلى الله عليه وسلم ولم يجمع فى القرآن شىء) .

ويؤمن (أرثر جفرى) بهذه القضية ، ويؤكد ايمانه بها بقوله : (وهذا يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب ، وأبى بكر الصديق لما استمر القتل بالقراء يوم اليمامة .. وسبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن ولو كان القرآن قد جمع ، وكتب لما كانت هناك علة لخوفهما) (٧) .

واعنى هذا القول ، واطلق التفكير فيه ، ولم اجد سببا قويا يحمل هؤلاء المستشرقين الى هذا القول الباطل غير التشكيك فى النص القرآني ، لأن الذاكرة مهما كانت قوية ، فأنها لا تستطيع أن تحتفظ بما لديها فترة طويلة ، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم يكون شأنه فى مجال الذاكرة والحفظ شأن الشعر المروى عرضة للزيادة والنقص بل عرضة للتغيير والتبديل .

وفى رأيي أن الدليل مفقود فى هذه القضية ، فليس المراد من الأحاديث التى تقول : أن النبى عليه السلام قبض ، ولم يجمع فى القرآن شىء ، أن القرآن لم يكن مكتوبا حين ذاك ، بل المراد أن القرآن الكريم لم يجمع فى مصحف ، وقد قدمت السبب فى ذلك ، فتفسير المستشرقين لهذه الأحاديث أو الأخبار بهذا المعنى الذى يخالوه تفسير خاطىء وراءه ذلك الغرض الخفى، وهو اهتزاز الثقة بالنص القرآنى على أنه ليس هناك أصرح من الروايات التى تؤيد كتابة القرآن فى عهد الرسول عليه السلام ، والتى تؤكد : (أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه ما نزلت آية الا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا) (٨) .

وأما خوف عمر بن الخطاب ، وأبى بكر الصديق حين استمر القتل بالقراء يوم اليمامة فالأستدلال به فى غير موضعه ، لأن خوفهما زيادة تحر فى صيانة القرآن الكريم وحفظه ليلتقى المحفوظ بالمكتوب وذلك لأن طريقة اداء هذا المكتوب لا يتأتى الا عن طريق التلقين والرواية ، ومن ثم نشأ خوف الخليفتين الجليلين من أن يموت القراء ، فتنتثر طريقة الأداء (٩) .

ثانيا : فى رسم المصحف العثمانى والقراءات :

يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التى تدل على الكلام ، ورسم الكلمات فى القرآن كان غاية ما وصل أليه فن الرسم الأملائى فى هذا العهد ، وكتب القرآن الكريم بهذا الرسم ، واطلق عليه الرسم العثمانى ، لأن عثمان رضى الله عنه حينما كتب المصحف وضع للثلاثة القرشيين الطريقة التى أساسها يكتبون فقال : (اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم) (١٠) .

فهذا الرسم الذى سار عليه كتبةالمصحف العثمانى اصطلاحى يسير على قواعد الكتابة التى كانوا بها يكتبون .

ولماذا اتخذ المصحف هذا الرسم شعارا له أصبح سنة متبعة لا تخالف ، ذلك لأن رسوم الهجاء تتغير من زمن الى زمن ، بل من شعب الى شعب ، فصيانة لكتاب الله من عبث العابثين ، واغلاقا لباب التغيير فيه ، واحداث ما ليس منه أصبح هذا الرسم مقدسا لا يمس .

ومن هنا (قال أشهب : سئل (مالك) هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا : ألا على الكتبة الأولى) (١١) ، وقال الامام أحمد : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك) (١٢) .

وقال البيهقى فى شعب الأيمان : (من كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فأنهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم) (١٣) .

وأذا كان رسم المصحف العثمانى لا يخالف ، ولا يصح الخروج عن رسمه فهل هذا يعنى أن هذا الرسم تلزمنا القراءة به ، وانه صورة للكلمات القرآنية المنطوقة ، وأنه بهذا الاعتبار يحدد طريقة القراءة أو الأداء كما يحدد طريقة الرسم أو الكتابة ؟

الحق الذى لا مرية فيه أن الرسم غير القراءة ، لأن القراءة مصدرها الرواية ، والرسم مصدره طريقة الكتابة المعروفة اذ ذاك ، وبناء على هذا أننا نقرأ الآية ، وننطق بكلماتها كما رويت لا كما رسمت ، ولو سرنا فى طريق الرسم وحده لخرجنا بالقرآن عن حقيقته التى نزل بها ، وترتب على ذلك أننا نقرأ كلمات من القرآن بطريقة لم ترو عن النبى عليه السلام .

رأى المستشرق (جولد تسيهر) فى رسم المصحف والقراءات :

يقرر ذلك المستشرق أن نشأة الكثرة من القراءات المختلفة ترجع الى رسم المصحف ، يقول : (وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات ـــ يقصد الاختلاف فى القراءات ـــ الى خصوصية الخط العربى .. الى أن يقول : وأذن فاختلاف

تخلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات . . كانا هما السبب الأول فى نشأة حركة اختلاف القراءات فى نص لم يكن منقوطا أصلا ، ولم تتحر الدقة فى نقطه أو تحريكه) (١٤) .

وعجبت كيف يتورط ذلك المستشرق فى هذا الخطأ الفادح ؟ ومن أين تسرب الى فكره هذا الرأى الخطير الذى يرجع الكثرة من القراءات الى الخط أو الى رسم المصحف ، أنه بهذا الرأى يهدم الحقيقة التى استقرت فى نفوس المسلمين أن القراءات مصدرها الرواية والسماع لا الخط والرسم .

قلت فى نفسى : لعل هذا المستشرق استقى هذا الرأى من الزمخشرى حينما وقف من قراءة ابن عامر للآية المشهورة فى سورة (الأنعام) : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) (١٥) برفع القتل ونصب الأولاد ، وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما فى غير ظرف .

وكان من رأى الزمخشرى أن هذه القراءة مردودة ، وأرجع الزمخشرى خطأ ابن عامر فى هذه القراءة الى رسم المصحف حيث قال : (والذى حمله على ذلك أنه رأى فى بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء) (١٦) ومعنى ذلك أن ابن عامر اعتمد على المصحف ، ولم يعتمد على الرواية .

ومن هنا فتح الباب أمام المستشرق فقال ما قال :

يقول ابو حيان الأندلسى صاحب البحر المحيط واعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت ، وأعجب لسؤ ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ، وفهمهم ، وديانتهم) (١٧) .

وقد جانب الصواب هذا المستشرق حينما عرض هذه المغالطة التى تتجافى عن الواقع وعن التاريخ .

أما مجافاتها للواقع ، فانه لو كانت القراءات ترجع الى رسم المصحف لراعتنا هذه الكثرة الهائلة من القراءات التى يحتملها الرسم ، والتى لم يثبت أو لم ترو عن النبى عليه السلام .

ذلك لأن الرسم تحتمل الكلمة فيه ، وبخاصة اذا لم تكن منقوطة أو مجردة من الحركات وجوها عدة من القراءات .

والقراءات التى بين أيدينا والتى صنفها العلماء . ووفقوا فى عرضها ، وتثبتوا من سندها قراءات معروفة محدودة ، وكلها ترجع الى الرواية والنقل والى الكتابة والرسم .

وربما كان من أكبر الأدلة على بطلان رأى جولد تسيهر (ان هذه القراءات رويت وشا ت القراءة بها قبل تدوين المصاحف ، كما كان القرآن محفوظا فى الصدور قبل تدوين المصاحف ، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ، ولا الشكل اختراع فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط . فكانت قراءاتهم للكلمة على حسب ما يروون وينقلون لا على حسب ما يقرءون فى المصاحف) (١٨) .

وإذا كان نقل اللغة عن الصحف أمر معيب بعد تصحيفا ، فالأمر كذلك بالنسبة للمصحف فمن نقل القرآن عنه ، وأغلق أذنه دون الرواية ، وقع في التصحيف ، الرواية مثلا حفظ القرآن من المصحف ، وقد أخذ عليه أنه كان يقرأ : (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها أباه) (١٩) بالباء الموحدة (٢٠) . وحمزة الزيات ، كان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يوما ، وأبوه يسمع (الم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه) (٢١) فقال أبوه : دع المصحف ، وتلقن من أفواه الرجال) (٢٢) .

ومن أجل هذه التصحيفات التي تخل بمنطق الآيات قالوا : (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صحفي) (٢٣) .

والى هذا الوقت نجد معالم (الكتاب) يبتدىء مع التلميذ الصغير أول ما يبتدىء بتحفيظ القرآن الكريم قبل أن يجيد القراءة والكتابة ، لأيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط والرسم .

وأما مجافاتها للتاريخ ، فأن عثمان رضي الله عنه جرد المصحف من النقط ليحتمل رسمه القراءات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يحدده في قراءة بعينها أو حرف بعينه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على صنيع عثمان في المصحف ، وعلى رسمه ، وبذلك كانت هذه القراءات العديدة لا ترجع الى الرسم ، وأنما مرجعها الاول والأخير الى السند والرواية .

والدليل الأوضح الذي يهدم رأى المستشرق هو محاكمة ابن شنبوذ الذي ثار عليه العلماء من أجل رأيه الذي يقول فيه : ما وافق خط المصحف العثماني صحت القراءة به متى صح وجهه في العربية بقطع النظر عن الرواية (٢٤) .
هذا وقد رجع ابن شنبوذ عن رأيه لما أدب وعذب واستتيب (٢٥) .

ثالثا : الأعراب والقرآن الكريم :

بدأت حركة الآعراب في القرآن الكريم بتنقيط المصحف على يد ابي الأسود ورووا أنه أحضر له زياد بن أبيه ثلاثين رجلا لهذا العمل العظيم ، فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال له : خذ المصحف ، وصبغا يخالف المداد ، فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، واذا اكسرتها فاجعل النقطة في أسفله ، فأن اتبعت شيئا من هذه الحركات عنه ، فانقط نقطتين ، فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك) (٢٦) .

رأى كارل فولرس في أعراب القرآن الكريم :

هذا الرأى أحدث ضجة بين العلماء في الغرب والشرق ذلك لأن صاحب هذا الرأى قال : (أن القرآن الكريم قد نزل في الأصل بلهجة محلية من اللهجات العربية ، وانه لم يكن معربا ، ثم ادخل الأعراب عليه على وفق قواعد لغة الشعر) (٢٧) .

وقد ردد هذا الرأى من المستشرقين ، كاله ، وحاييم دين ، وشبهة هؤلاء أن كاله (وجد فى مخطوطين عثر عليهما فى لندن أحاديث فى الحث على التزام قواعد الأعراب فى قراءة الكتاب العزيز ، فاستدل بهـــا على أن الناس لم يكونوا يراعون الاعراب فى قراءة كتاب الله ، فى بادىء الأمر ، ثم روعى الأعراب فيها على وفق قواعد المنطق المضبوطة فى الشعر العربى والتى دونها علماء النحو فيما بعد) (٢٨) .

مناقشة هذا الرأى :

أن العلة الأولى لهذا الرأى الخطير ترجع الى وجود بعض أحاديث تنص على التزام الأعراب فى قراءة القرآن كالحديث الذى رواه أبو عبيدة باسناد له عن أبى هريرة قال : قال رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم : أعربوا القرآن وكحديث ابن مسعود قال : أعربوا القرآن فأنه عربى .

وكـــحديث عمر بن الخطـــاب : تعلـــموا أعراب القرآن كمـــا تتعلمون حفظه (٢٩) .

والواقع أن هذه الأحاديث والأخبار فيها نظر ، لأن الأعراب لم يظهر بمعناه الأصطلاحى الا فى عصر متأخر .

وفى نظرى أن المراد بألاعراب هنا الابانة والتوضـــيح ، وفهم الغريب : (وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسمون هـــذا الغريب (اعراب القرلآن) لأنهم يستبينون معانيه ، ويخلصونها) (٣٠) .

على أية حال أستطيع أن أؤكد فى هذا المقال أن هذا الفهم الذى فهمه بعض المستشرقين يدل على جهل باللغة ، بل على جهل بالتاريخ .
أما الجهل باللغة ، فأن الأعراب هنا كما قلت : معناه ، الأبانة والوضوح ، يقول الفيروز أبادى : الأعراب : الأبانة والأفصاح عن الشىء) (٣١) .

وأما أن يرجع الأعراب الى بيان حلاله وحرامه ، أى تعرفوا على ما فيه من حلال فاعملوا به ، وعلى ما فيه من حرام ـــ فتجنبوه يدل على ذلك أن الصحابة كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيهـــا من العلم والعمـــل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم ، والعمل جميعا) (٣٢) .

وأما الجهل بالتاريخ ، فأن القرآن الكريم نزل على قوم تمكنت من ألسنتهم الفصاحة وغذوا بلبان البلاغة ، وتدربوا على ميادين القول ، ولن يكون ذلك الا بأعراب ، ولو كان بلهجة محلية كما يقول بعض المستشرقين لسهل الأمر وأصبح القرآن غير معجز ، لأنه من السهل الاتيان بمثله ، ومن السهل أن يندثر هـــذا القرآن كما أندثرت بعض هذه اللهجات ، وأصبحت ، أثرا بعد عين أما والقرآن الكريم قائم بيننا بصولته البلاغية ، يتحدى أرباب القول ويعجز أساطين البلاغة ، وهو الذى خلد هذه اللغة ، وخلد اعرابها ، وجعلها حية بعد هذه السنين الطويلة التى طوت فيما طوت كثيرا من اللغات ، فأنه لا سبيل الى انكار أنه نزل معربا ، وأن القول فى ذلك قول مغرض أكبر الظن أن فتح الثغرات فى جبهة القرآن لينال

مثه من ينال كان من دأب هؤلاء المستشرقين ، ولكن القرآن الكريم أكبر من هذه السخافة ، وأقوى من هذه الفتنة ، وصدق الله العظيم .. انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٢ ص ٧١ .
(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص٢٩ .
(٣) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٣٢ .
(٤) تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٣٣ .
(٥) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ١ص ٥٧ .
(٦) المصاحف لابن أبى داود ص ٥ .
(٧) المرجع السابق والصفحة .
(٨) مقدمتان فى علوم القرآن ص ٢٧ .
(٩) أنظر : كتاب القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية طبع دار المعارف لصاحب البحث ص ٥ .
الاتقان جـ١ص ٥٩ .
(١١) الاتقان جـ٢ص ١٦٧ .
(١٢) مفتاح السعادة جـ٢ص ٢٢٥ .
(١٣) مفتاح السعادة جـ٢ص ٢٢٥ .
(١٤) تفسير المذاهب الأسلامية : ص ٨ ، ص ٩ .
(١٥) الأنعام (١٣٨) .
(١٦) البحر المحيط (جـ٤ص ٢٢٩) .
(١٧) البحر المحيط جـ٤ص ٢٢٩ و ص ٢٣٠ .
(١٨) القراءات واللهجات : عبد الوهاب حمودة ص ١٨٣ .
(١٩) التوبة / ١١٤ .
(٢٠) مذاهب التفسير الأسلامى .
(٢١) البقرة ٢ .
(٢٢) التصحيف والتحريف للعسكرى ص ٩ .
(٢٣) التصحيف والتحريف ص ٩ .
(٢٤) هامش مذاهب التفسير الاسلامى ص ٨ .
(٢٥) نفس المرجع والصفحة .
(٢٦) نزهة الالباب لابن الانبارى ص ١٢ .
(٢٧) الثقافة الأسلامية والحياة المعاصرة ص ٢٢٨ .
(٢٨) المرجع نفسه والصفحة .
(٢٩) الزينة للرازى ص ١١٧ .
(٣٠) اعجاز القرآن للرافعى ص ٧٥ .
(٣١) القاموس المحيط فى المادة نفسها .
(٣٢) مقدمة فى اصول التفسير لابن تيمية ص ٥ .



اعداد : ادارة الشؤون الاسلامية

مقدمة جغرافية :

أ ــ تقع جزر الفلبين في الشرق الأقصى من آسيا ، يحدها المحيط الهادى شرقا ، وبحر الصين غربا ، وفورموزا شمالا ، وسيليبس جنوبا .

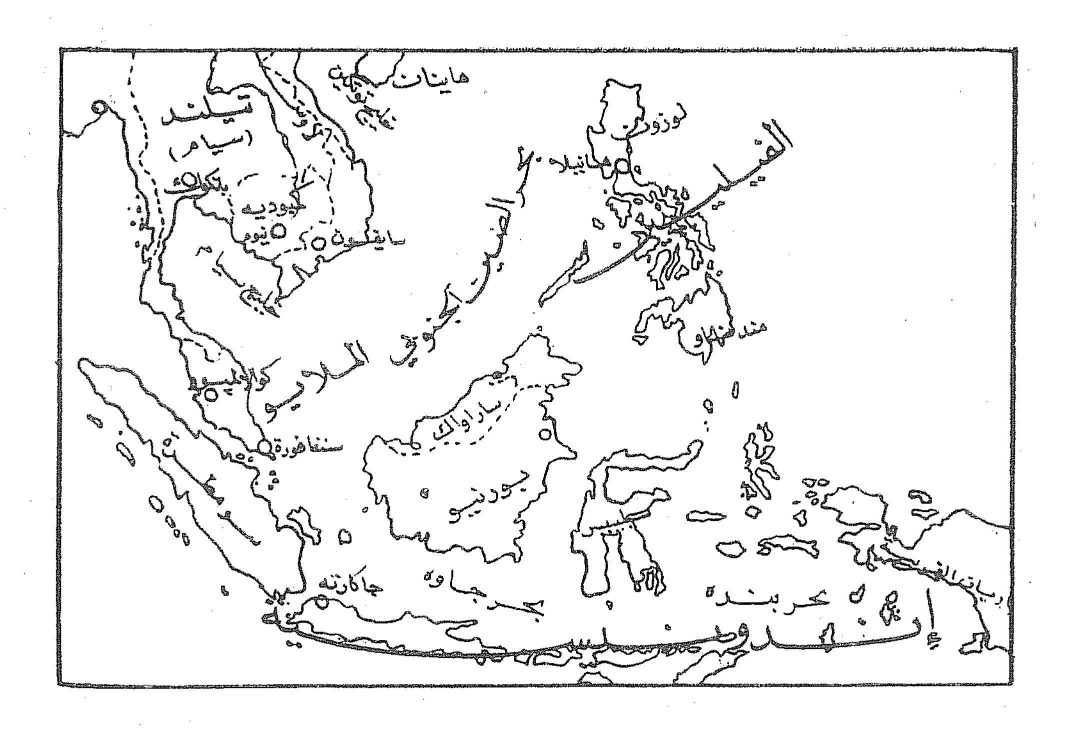
ب ــ تبلغ مساحتها ١١٥٦٠٠ ميل مربع .

جـ ــ يبلغ عدد سكان الفلبين حسب آخر الاحصائيات (٣٧) مليونا منهم أربعة ملايين مسلم ..

دخول الاسلام الى الفلبين

لمحة تاريخية :

كان دخول الاسلام الى الفلبين عام ١٣٨٠ م عن طريق الرحالة العرب الذين حملوا معهم الدعوة الاسلامية الى هذه البلاد ، وكان أشهر هؤلاء الرحالة وأكثرهم تأثيرا الشريف اسحاق بن شريف أولياء المخزومى .. ولم يمض وقت كبير



حتى بدأ عدد المسلمين بالازدياد ومبادىء الاسلام السمحة بالانتشار فى مختلف الجزر فتكونت منهم عدة سلطنات وامارات اسلامية ، وعاش المسلمون ردحا من الزمن ينعمون بالحرية فى ممارسة شعائرهم والدعوة لدينهم حتى كان عام ١٥٢١ م حين غزا الاسبانيون جزر الفلبين وبسطوا نفوذهم الاستعمارى البغيض باسم الصليب ، ولجأوا الى استخدام اقسى واشد وسائل القمع والتنكيل والاضطهاد ضد سكان البلاد لاخماد ثوراتهم واضعاف مقاومتهم .

وكان للمسلمين من هذه المعاملة الشرسة النصيب الاوفى نظرا لبسالتهم وقوتهم واستماتتهم بالدفاع عن الدين والوطن . وطيلة المدة التى ظل فيها الاستعمار الاسبانى فى الفلبين والتى تبلغ حوالى ٣٧٧ عاما لم تهدأ مقاومة المسلمين للاستعمار والمستعمرين الذين كانوا يرفعون شعار الصليب والسيف . وقد استشهد عدد كبير جدا من المسلمين فى المعارك الكثيرة التى جرت مع الاسبانيين الصليبيين وقد استطاع المسلمون ببسالتهم الاحتفاظ بسيطرتهم وسلطانهم الكامل على بعض الجزر التى يقطنونها مثل جزيرة ميندانو وارخبيل صولو ، بينما وقعت جميع الجزر التى يقل فيها عدد المسلمين أو ينعدم تحت نفوذ السلطات الاستعمارية «الاسبانية» بعد ان عجز سكانها عن المقاومة .

وفى سنة ١٨٩٨ م شهدت الفلبين غزوا جديدا من المستعمرين الامريكان الذين طردوا الاسبانيين وحلوا محلهم ، ولم تختلف نوعية الاساليب التى استخدمها الامريكيون عن اساليب الاسبانيين من حيث الوحشية واللؤم والضراوة ، كما أن الاهداف

كانت واحدة ، فتأمين المصالح الاقتصادية والسياسية ليست هي الأهداف الوحيدة بل هناك أهداف أخرى وهي التبشير وحمل الناس على الدخول في النصرانية ، ولقد مشى التبشير مع الاستعمار جنبا الى جنب في كل زمان ومكان كالتوامين او كالظل يمشي مع صاحبه ، وكثيرا ما كان التبشير من اهم الوسائل الاستعمارية ، وهذا ما يفسر لنا الاهتمام البالغ والأموال الطائلة التي تبذلها الدول الاستعمارية لتغذية البعثات التبشيرية في كل مكان .

ورغم طول المدة التي قضاها المستعمرون الاسبانيون في الفلبين فان الأهالي لم يتعودوا على الخنوع وخاصة المسلمين ، فقامت الثورات ضد الاستعمار الامريكي الجديد واستبسل المسلمون في مكافحة الامريكيين ولما ادرك الامريكيون ان القوة لا تجدي مع المسلمين بل تزيدهم استبسالا وتضامنا واندفاعا للاستشهاد غيروا اساليبهم واخذوا باستمالة المسلمين واعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية وقسطا من الحرية في حياتهم العامة للتخفيف من نقمتهم ومقاومتهم .

النشاط الاسلامي بعد الاستقلال :

وبعد ان نالت الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦ م نشط المسلمون للنهوض بأنفسهم ولنشر الدعوة الاسلامية في انحاء البلاد ، فقامت جماعات من المسلمين بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس الاسلامية ، واشهر هذه الجمعيات (جمعية اقامة الاسلام) التي تأسست عام ١٩٥٥ في مدينة مراوى وتعمل هذه الجمعية على نشر الاسلام والاهتمام بأمر المسلمين وتتلخص أهدافها بما يلي : ــ

١ ــ القيام بتعليم اللغة العربية ليستطيع مسلمو الفلبين فهم معاني القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ولتصبح اللغة العربية لغة التفاهم بين مسلمي الفلبين .

٢ ــ السعي لتوحيد كلمة المسلمين في الفلبين ليتمكنوا من القيام بدورهم لخدمة الاسلام واعادة مجده الغابر .

٣ ــ القيام بتبليغ الدعوة الاسلامية في الشرق الاقصى عامة وفي جزر الفلبين خاصة وشرح مبادىء الاسلام والرد على مفتريات اعدائه من المبشرين الصليبيين المنتشرين في جميع انحاء الفلبين .

وقد قامت هذه الجمعية باتخاذ الوسائل التي تمكنها من تحقيق اغراضها وتتلخص هذه الوسائل وما قامت به الجمعية بما يلي :

١ ــ تأسيس المعاهد والمدارس في المدن والقرى .

٢ ــ اصدار مجلة اسلامية باللغة المحلية وباللغة العربية والانجليزية .

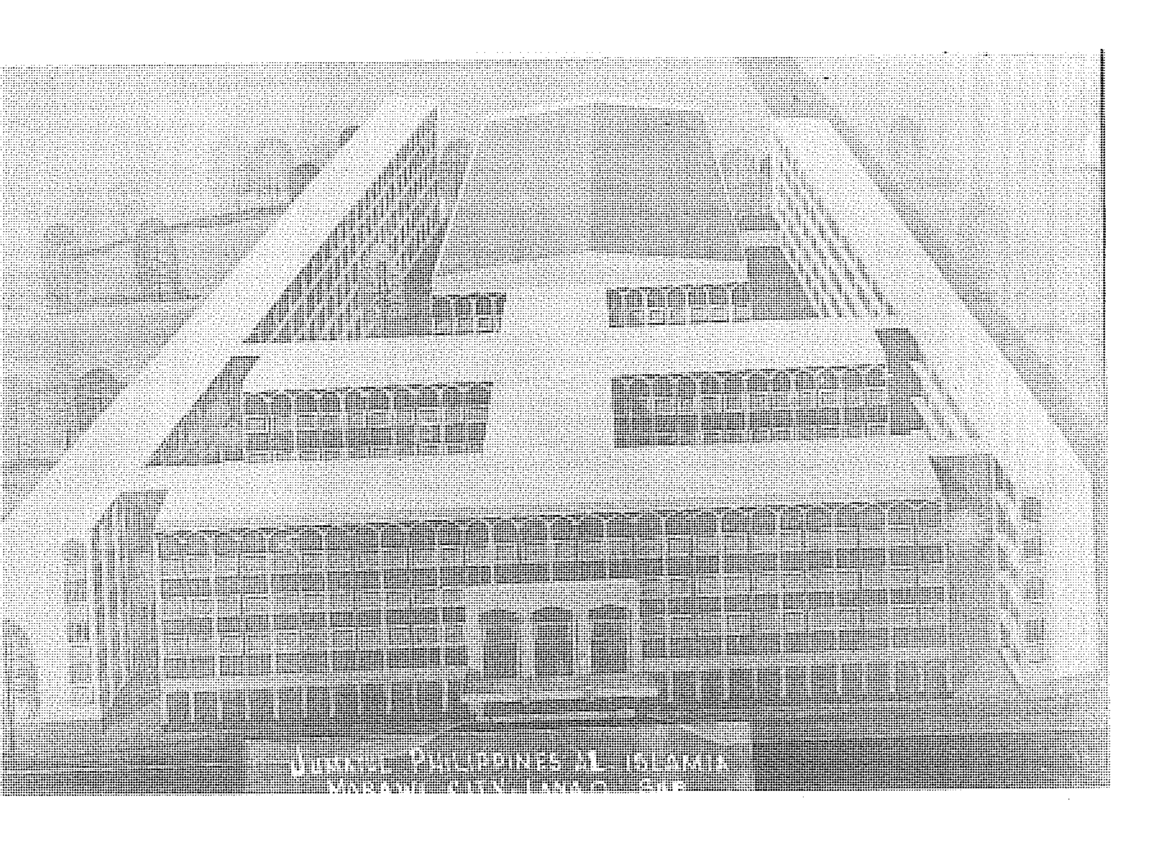
٣ ــ ارسال الوعاظ والدعاة الى المساجد والمجتمعات العامة والى المناطق المسلمة وغير المسلمة .

٤ ــ تعليم أبناء المسلمين امور دينهم الحنيف في المدارس التابعة للحكومة .

٥ ــ انشاء مكتبات اسلامية مزودة بالكتب الاسلامية والعربية والثقافية .

٦ ــ القاء المحاضرات الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام عن طريق الاذاعة في بعض المناسبات .

والجدير بالذكر ان مجلس جمعية اقامة الاسلام استطاع بفضل الله



مبنى المجمع الاسلامى فى مدينة ماراوى

تعالى أن يجمع شمل أربع وعشرين جمعية اسلامية فى الفلبين ويوحد بينهم فى منظمة واحدة اتفقوا على تسميتها بـ (اتحاد الجمعيات الاسلامية بالفلبين) ..

وقد كان لكل جمعية من هذه الجمعيات مدرسة أو مدرستين فأكثر وكلها تعتنى بتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى ، واما جمعية اقامة الاسلام فلها ما يزيد على مئة مدرسة ابتدائية وتحضيرية لقراءة القرآن الكريم ومدارس اعدادية وثانوية الى جانب معهد ميندانو العربى ، ويعتبر هذا المعهد أكبر معهد من المعاهد الاسلامية فى الفلبين وجعلته الجمعية مركزا لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وتتدرج الدراسة فيه على ثلاث مراحل : ابتدائية واعدادية وثانوية ومدة كل مرحلة/٤/سنوات وتمطى للطالب الناجح فى نهاية كل مرحلة شهادة بذلك ، وقد تخرج من هذا المعهد عدد كبير من الطلاب والطالبات وأرسل بعضهم فى بعثة علمية الى الدول الاسلامية العربية مثل المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية الليبية والجمهورية التونسية والجمهورية السودانية ليتقنوا فى هذه البلاد تعلم اللغة العربية والدين الاسلامى ، ويتم ايفاد هؤلاء الطلاب بمنح دراسية ، ويعمل بعض خريجى هذا المعهد بالتدريس فى المدارس الاسلامية المنتشرة فى المدن والقرى المختلفة فى أنحاء الفلبين ، وللمعهد مكتبة كبيرة مزودة بانواع الكتب المدرسية والمراجع والنشرات التى



مسجد تولاى — فى صولو — الفلبين —

تصل اليها كهدية من الدول العربية والاسلامية وبعضها من مشتريات الجمعية وتسمى المكتبة بـ « دار الكتب الميداناوية » ..

ولكن المشكلة التى تعترض مشاريع الجمعية هى عجزها عن تمويل مشاريعها الواسعة تمويلا كافيا للنهوض بالمهمات التى تضطلع بها وهى بحاجة ماسة الى مساعدات مادية لسد هذا العجز القائم ، وهناك جمعيات اسلامية أخرى فى الفلبين أهمها جمعية المهتدين الى الاسلام ، كما أن فيها نواة جامعة اسلامية تتألف من خمس كليات ويبلغ عدد طلابها حوالى أربعة الاف طالب وطالبة وقد تأسست فى الآونة الاخيرة جماعة نصر الاسلام يرأسها الاستاذ أحمد الونتو ولها صحيفة ناطقة بلسانها تدافع عن قضايا الاسلام والمسلمين .

أوضاع المسلمين العامة فى الفلبين

يتمتع المسلمون فى الفلبين بقسط لا بأس به من الحرية ، فمن الناحية الدينية فان الحكومة لادينية وتترك لاتباع الديانات المختلفة الحرية فى ممارسة الشعائر والتعبير عن معتقداتهم ولا تمنع من أى نشاط دينى سلمى ، ولكل اتباع دين من الديانات الحق فى الدعوة لدينهم بما لا يتعارض

مع القوانين الرسمية وسلامة الأمن كما ان الحكومة لا تساعد أية فئة دينية ولا اى دين من الاديان مساعدة مالية ، وقد سمحت الحكومة بتدريس الدين الاسلامى والدين المسيحى وغيرهما فى مدارسها الرسمية بحدود ثلاث حصص فى الاسبوع وفى مجال الحقوق السياسية والمدنية فللمسلمين الحق والحرية فى ترشيح أنفسهم لأى منصب من المناصب الانتخابية بشرط توفر الكفاءة لذلك المنصب وقد فاز أربعة من المسلمين بعضوية البرلمان كما تولى ثلاثة من المسلمين منصب محافظ فى عام ١٩٦٦ ويدير المسلمون شؤون مناطقهم التى يكثرون فيها .

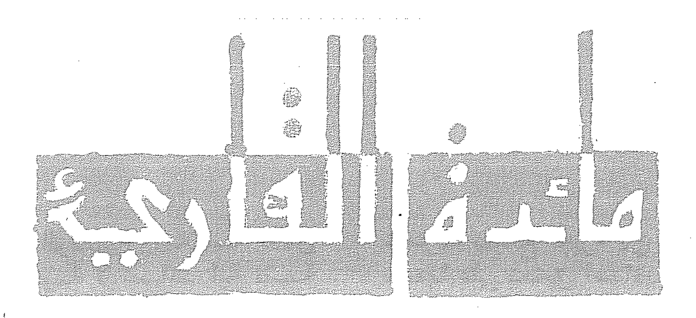
وأهم مشكلات المسلمين فى الفلبين تتركز فى الفقر والجهل مما يؤثر فى انخفاض مستواهم العام من جميع النواحى ، وتعمل البعثات والمؤسسات التبشيرية الصليبية على زيادة هاتين المشكلتين وتساهم فى تعقيدهما بما تقوم به من حرب وتضييق على المسلمين فى كل المجالات ، وتستخدم لحربهم كافة الوسائل والاسباب مهما كان نوعها .

النشاط التبشيرى فى الفلبين :

تعتبر الفلبين المركز الاول للدعوة الصليبية فى الشرق الأقصى والمركز الثانى بعد الفاتيكان فى العالم المسيحى الصليبى ، اذ يوجد فيها عدد كبير جدا من المؤسسات والبعثات التبشيرية المسيحية وكلها تتصرف بمبالغ كبيرة من الاموال تنفقها على تحقيق أهدافها الصليبية ومحاربة الاسلام واجتذاب أبناء المسلمين الى مدارسها الكثيرة وتبذل الجمعيات التبشيرية المسيحية فى الفلبين جهودا كبيرة جدا لتنصير أبناء البلاد وبث نشاطها بين المسلمين ، وقد قامت هذه الجمعيات بانشاء مدارس فى المناطق الاسلامية بلا استثناء مستغلة حماية الحكومة للحرية الدينية ، وقد تمكنت من اجتذاب عدد لا بأس به من ابناء المسلمين الى مدارسها بعد أن تمكنت بوسائلها من اغلاق أبواب المدارس الاخرى فى وجوههم او لعدم توفر هذه المدارس ، كما أنشأت مؤسسات للتسليف والقروض بفضل الاموال الطائلة التى يغدقها الفاتيكان والمنظمات الكاثوليكية كمنظمة نوتريديم التى استطاعت أن تحقق نجاحا كبيرا فى مقاطعات كوتاباتو وقامت بانشاء جامعة نوتريديم فى مدينة كوتاباتو وزودتها بمطبعة حديثة وتصدر نشرة باسم (صليب ميندناوصلو) وهى لا تدخر وسعا فى محاربة الاسلام وبث الدعاية المعادية له فى محاولة تنصير أكبر عدد ممكن من ابناء المسلمين وغير المسلمين .

خاتمة :

من كل هذا تتجلى حاجة المسلمين ومنظماتهم فى الفلبين الى العون المادى والمعنوى ليتمكنوا من الوقوف فى وجه الحملات التبشيرية ولحماية أبنائهم والحفاظ على عقيدتهم والتمكن من نشر الاسلام والدعوة له .



« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » .
(صدق الله العظيم)



عن عامر بن سعد عن ابيه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ذات يوم من العالية ، حتى اذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف الينا ، فقال : « سألت ربى ثلاثا ، فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة » :

سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة (القحط) فأعطانيها ..
وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ..
وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ..

« رواه مسلم »

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قتل » . فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : « الهرج ، القاتل والمقتول فى النار » .

« رواه مسلم »

العصا .. العصا

دخل حطاب غابة ، ومعه حديد فاس يحتطب به ، فلما رأت ذلك شجرة صغيرة بكت ، فقالت لها شجرة كبيرة : ما يبكيك ؟ قالت : اما ترين حديدة الفاس بيد الحطاب ؟ فقالت لها : ان الفاس لا تقطع الا بعصا منا نحن الشجر .

الصمصامة :

بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معدى كرب أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به اليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب اليه فى ذلك ، فرد عليه : انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث اليه بالساعد الذى يضرب به .

البطن والمزهر !!

قال أبو طالب المكى : مثل البطن مثل المزهر — وهو العود المجوف ذو الأوتار — انما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلىء . كذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام ، وأقل للمنام .

زاد السفر

عن الأحنف بن قيس أنه قيل له : انك شيخ كبير ، وأن الصيام يضعفك ، فقال انى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من الصبر على عذابه ..

الامام الزهرى

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال يحدثوننا ان الله اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب عليه السيئات .

قال : باطل يا أمير المؤمنين . أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبى ؟

قال : بل نبى خليفة .

قال : فان الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبى خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبى ؟

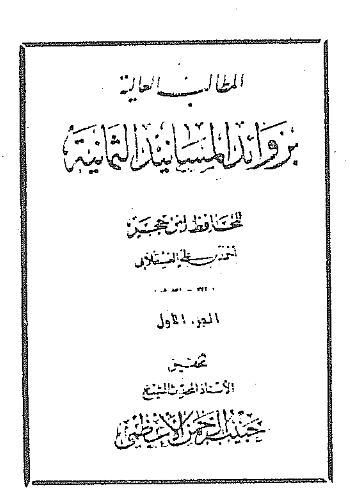
قال : ان الناس ليغووننا عن ديننا ..

وصية للجيش

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية : باسم الله ، وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله والنصر ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ، ولا امرأة ، ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان ، وعند حمة النهضات ، وفى شن الغارات .

رؤية هلال رمضان

كان القاضى أبو عبد الرحمن « عبد الله بن لهيعة » الذى ولى القضاء فى مصر سنة ١٥٥ هجرية — ٧٧١ ميلادية أول قاض خرج لرؤية هلال شهر رمضان .. فكان ذلك سنة لمن جاء بعده من القضاة .. فهم يخرجون مع الناس الى (مسجد محمود) بسفح جبل المقطم لرؤية الهلال وذلك فى شهر رجب ، وشهر شعبان استعدادا وتمهيدا لرؤية هلال رمضان .. وقد أعدت فى مكان مرتفع من المسجد دكة عرفت بدكة القضاة حيث كانوا يجلسون عليها لرصد الهلال ، الى أن بنى مكانها فى العصر الفاطمى مسجد فصاروا يرصدونه من فوق مناراته .





المطالب العالية
بزوائد المسانيد الثمانية

تعريف ونقد للأستاذ : عبد الحميد محمد البسيوني

الكتاب : المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية .

المؤلف : الحافظ ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الاصل ، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة . ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ، وبها مات سنة ٨٥٢ هـ. قال عنه مترجموه : « شيخ الاسلام ، أمير المؤمنين في الحديث » .. « الحافظ الكبير ، الامام المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة ، حتى صار اطلاق (الحافظ) عليه كلمة اجماع » .

ويصدق مقالتهم هذه ما بين أيدينا من تآليفه ، وأشهرها وأجلها كتابه « فتح البـاري بشرح صحيح البخاري » .

المحقق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، من كبار علماء الاسلام في الهند ، وأحد المتضلعين في علوم الحديث والفقه ، كما يعرف من الكتب التي نشرت بتحقيقه ، كمسند الحميدي ، والزهد لابن المبارك ، وسنن سعيد بن منصور وغيرها ..

ويكفيه شهادة بعلو قدره في فن الحديث تعقيباته على الأستاذ المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيق مسند الامام أحمـد ، وقد نشرهـا له الشيخ أحمد – رحمه الله – في آخر أجزائه ، وتلقاها بالتقدير والثناء .

الناشر : ادارة الشؤون الاسلامية ، بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية في دولة الكويت .

تقـديم :

لا توجد أمة لها سماتها المميزة ، الا ولها أصول ثابتة تقوم عليها ، ومعالم واضحة تنتهي اليها ، وشيات لازمة تفرقها من غيرها ، وموازين ضابطة تحتكم لها .. وهذا كله جميعه لا يخلق في لحظة ، ولا يولد في ساعة ، ولا يصنع في المصانع ، أو يركب في المعامل ، بل هو مد تاريخي ينتقل موجه من جيل الـى جيل ، ويورثه الخلف للسلف .

وبقدر حيوية الأمة يرى فيها اثر تراثها .

وليست أمة من الأمم — بشهادة الحس والواقع — أغنى تراثا ، واثرى ماضيا من أمتنا العربية المسلمة ، فى كل علم وفن ، ولم يعد انكار ذلك سائغا عند عدو أو صديق ، قريب أو بعيد .

ولكن الحوادث الجسام ، والتدبيرات الماكرة ، التى حاكها الكفر ضد الايمان على طول التاريخ ، منذ البعثة النبوية الى يوم الناس هذا ، والتى ما زالت تدبر ، جعلت لوننا فى بعض فترات تاريخنا يحول ، واستطاع الشيطان أن يجذب اليه فريقا يكاد ينفر من هذا التراث ، بله الجهل به والغربة عنه .

فمن خير الأعمال ، ولا ريب ، اذا نحن أردنا حياة حقيقية — أن نعود فنتعرف على ذواتنا ، ونستجد ما حال من الواننا ، ونسترد ما ضاع من معارف وجوهنا وقسماتنا ، وذلك بصحة النسب الى تراث هذه الأمة ، وبحمد الله ، كما هو منظور معروف ، قامت فى الزمن الأخير حركة احياء جيدة للتراث الفكرى والعلمى ، قيض لها فى أول الأمر أفراد وأعوان مخلصون ، ثم مع حركة الأحياء التى عمت الأمة بدأت الدول العربية : مصر وبلاد الشام والجزيرة .. تتبنى حركة الاحياء هذه وتنشر من تراثنا ما لم يكن فى قدرة الأفراد وحدهم القيام به . والكويت — احدى لبنات أمتنا الكبرى — تحمل من ذلك نصيبها ، وتؤدى للأمة حقا عليها — تقوم اليوم بقسمها فى حركة الأحياء . ومن الأجهزة العاملة فى هذا المجال ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ، وانه لعمل جيد مشكور أن تخص ادارة الشؤون الاسلامية فى هذه الوزارة بجهدها كتب القرآن والسنة ، فهى فى كلمة واحدة « الدين » الذى ندين به ((**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**)) ، والحكمة السنة ، كما صرح بذلك العالمون ومنهم الامام الشافعى رحمه الله .

وهذا الكتاب (المطالب العالية) هو كتابها الرابع ، تخرج به على العالم الاسلامى « وقد اختير كسابقه الثالث (مختصر صحيح مسلم) من رياض السنة المطهرة ، بعد كتابين سلفا يتصلان بنور القرآن المجيد » كما جاء فى كلمة معالى وزير الأوقاف فى تقديمه للكتاب .

موضوع الكتاب :

أما موضوع الكتاب فتحتاج معرفته الى لمحة سريعة عن دواوين السنة وطريقة جمعها . فهى باعتبار طريقة جمعها نوعان :

١ — المسانيد :

واعتبار التبويب فيها هو الصحابى الذى روى عنه الحديث ، بمعنى أن يذكر المؤلف اسم الصحابى ويذكر تحته الأحاديث التى ارتضاها مما تجمع لديه من رواية هذا الصحابى ، مهما كانت درجتها من الصحة أو الحسن أو الضعف ، ودون نظر الى موضوع الحديث ، ومن هذا النوع كثير ، كمسند عبد بن حميد ، والدارمى ، وأبى يعلى ، والبزاز ، وأبى داود الطيالسى ، والحسن بن سفيان ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن موسى ، وغيرهم . اكبر ما فى أيدينا وأجله من هذه المسانيد هو مسند الامام أحمد بن حنبل .

٢ — الصحاح :

ثم تلا المسانيد كتب الصحاح ، وأول من اعتنى بجمعها أبو عبد الله محمد

ابن اسماعيل البخارى ، وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، فهما أصح كتب الحديث . ثم تبعهما بقية أصحاب السنن : أبو داود ، والترمذى والنسائى، وابن ماجه ، وهى التى تعرف فى الاصطلاح بالكتب الستة .

وليس معنى هذا أن هؤلاء قد التزموا باخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث « فان البخارى ومسلما — مثلا — قد صححا أحاديث ليست فى كتابيهما كما ينقل الترمذى وغيره عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده ، بل فى السنن وغيرها . ولذلك خرجت كتب كثيرة على الصحيحين (البخارى ومسلم) يؤخذ منها زيادات مفيدة ، وأسانيد جيدة ، كصحيح أبى عوانة ، وأبى بكر الاسماعيلى والبرقانى ، وأبى نعيم الاصبهانى ، وغيرهم . وكتب أخرى التزم فيها أصحابها صحتها ، كابن خزيمة ، وابن حبان البستى . وكذلك يوجد فى مسند أحمد من الأسانيد والمتون شىء كثير ، مما يوازى كثيرا من أحاديث مسلم ، بل والبخارى أيضا ، وليست عندهما ولا عند أحدهما ، بل ولم يخرجه أحد من أصحاب السنن ، كما يقول ابن كثير رحمه الله .

اذا عرف ذلك عرف موضوع كتاب (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) فان الامام الحافظ ابن حجر أراد أول الأمر أن يجمع على صعيد واحد جميع ما وقف عليه من كتب السنة : مسانيدها وصحاحها، ثم عدل عن ذلك — كما يقول فى مقدمته — « الى جمع الأحاديث الزائدة على الكتب المشهورات ، فى الكتب المسندات . وعنيت بالمشهورات الأصول الستة ومسند أحمد ، وبالمسندات ما رتب على مسانيد الصحابة .. وقد وقع منها ثمانية كاملات ، وهى لأبى داود الطيالسى ، والحميدى ، وابن أبى عمر ، ومسدد ، وأحمد ابن منيع ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والحارث بن أبى أسامة .. الخ » .

وليس معنى قوله : « الأحاديث الزائدة على الأصول الستة ومسند أحمد » أن جملة ما فى (المطالب العالية) ليس موجودا بنصه أو معناه فى هذه الكتب المذكورة ، بل قد يكون نص الحديث أو معناه مرويا عندهم ، ولكنه فى هذه المسانيد الثمانية التى يذكر ابن حجر الزوائد فيها مروى بسند آخر ، أو عن صحابى غير الذى روى عنه فى هذه الكتب .ولذلك أزال ابن حجر هذا الوهم الذى قد يعطيه العنوان بقوله فى ختام « مقدمته للمطالب : » **وشرطى فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابى لم تخرجه الأصول السبعة من حديثه ، ولو أخرجوه — أو بعضهم — من حديث غيره ، مع التنبيه عليه أحيانا .**

ولهذا أهمية سيقف القارىء عليها بعد .

أما كيف رتب ابن حجر هذه الأحاديث الزوائد ، فهو يقول فى مقدمته : « ورتبته على أبواب الأحكام الفقهية ، ثم ذكرت بدء الخلق ، والايمان ، والعلم والسنة ، والتفسير ، وأخبار الأنبياء ، والمناقب ، والسيرة النبوية ، والمغازى ، والخلفاء ، والآداب ، والأدعية ، والزهد ، والرقائق ، والفتن ، والتعبير ، والبعث والنشر » .

اهمية الكتاب :

يقول المحقق فى مقدمته (كتاب المطالب العالية) أغنى ما ألف من كتب السنة ثروة ، وأغزرها فائدة ، لاحتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تماما ، وعلى شىء كثير من زوائد مسندين آخرين ، ولجمعه فى مكان واحد على

الترتيب الفقهى ما كان مبددا فى ثمانية أمكنة ، بل عشرة ، من غير مراعاة لهذا الترتيب ، ولاشتماله فى كثير من المواضع على بيان درجة الحديث ، من صحة وضعف ، واتصال وانقطاع ..

« وقد ازدادت قيمته العلمية فى عصرنا ، لأن اكثر الكتب الأصول التى انتقيت فيه زوائدها قد دخلت فى خبر كان ، وعسى أن يكون عبثت به يد الحدثان . فلما امتنعت الافادة منها لعوزها ، أوجبت الظروف أن يشتد الحرص على الاحتفاظ بهذا السفر الجليل ، لأنه يسد مسد تلك الأصول فيما تنفرد به » .

مخطوطات الكتاب :

يؤخذ من مقدمة المحقق أن للكتاب مخطوطات ثلاثا :

١ ــ الأولى مسندة ، أى يذكر الحديث فيها بسنده ، تقع فى ٨٤ ورقة (١٦٨ صفحة) وعدد سطور الصفحة ٦٩ ، والسطور متدانية ، والخط دقيق جدا ، وقد وقع الفراغ من نسخها على يد ملا محمد بن ملا محمد فريد بن ملا محمد عثمان السليمانى الأفغانى فى جمادى الآخرة سنة ١١١٠ هـ ، وقد وصفها المحقق بأنها مملوءة بالأغلاط والتصحيفات والتحريفات ..

٢ ــ والثانية نسخة مجردة من الأسانيد ، تقع فى ٢٥٧ ورقة (٥١٤ صفحة) عدد سطور الصفحة ٢٩ بخط دقيق ، كتب فى عام ١١١٢ ، نسخها أحمد بن عبد القادر الرفاعى المكى ، ويرجح المحقق أنه هو الذى تولى تجريد النسخة من الأسانيد .

٣ ــ والنسخة الثالثة تشمل النصف الأول من الكتاب ، وتوجد فى المكتبة السعيدية (بحيدر آباد ــ الهند) ، وقال عنها المحقق : « وهى رغم كونها ناقصة ، أحسن خط من نسخة تركيا ، وأجود من حيث الصحة ، وأقدم عهدا ، فانها كتبت سنة ٨٧٥ هـ. أى بعد وفاة المؤلف بثلاث وعشرين سنة فقط » .

منهج التحقيق :

أما جهد المحقق ، ومنهجه فى التحقيق ، فقد أبان عنه فى مقدمته بيانا مفصلا ، فى الصفحات (ر، ش، ت) ، وكان أهم ذلك :

١ ــ ترقيم الأحاديث بالأرقام المتسلسلة (ليسهل العزو الآن وفيما اذا تكرر الطبع) كما يقول .

٢ ــ مقابلة النسخة المجردة على النسخة المسندة ، واثبات المغايرات بينهما ، والحاق ما حذفه المجرد أو أخل باختصاره من كلام ابن حجر .

٣ ــ مقارنة الكتاب بكتاب آخر مشابه (للمطالب) من تأليف البوصيرى أحمد بن أبى بكر بن اسماعيل المتوفى سنة ٨٤٠ هـ .

٤ ــ بيان درجات الأحاديث من كلام ابن حجر والبوصيرى والهيثمى فى كتابه (مجمع الزوائد) ، والتنبيه عليه ــ أحيانا ــ ان لم يكن لهؤلاء أو غيرهم كلام فيه .

٥ ــ عزو كل حديث أو اثر الى مصنف آخر .

٦ ــ تعقب المؤلف اذا أورد حديثا ليس على شرطه ، بأن يكون فى شىء من الأصول السبعة ، والتنبيه على ذلك .

٧ ــ قال المحقق علقت على الكتاب « تعليقات وجيزة ، فسرت فيها غريبه واوضحت غامضه » .

وهذا منهج ــ كما يرى القارىء ــ فيه جهد جاهد ، ومشقة شاقــة .
ويكفي أن تنظر الى نموذج النسخة المسندة المصدر في مقدمة الكتاب ، وترى دقة الخط وصعوبته لتصدق ما قال المحقق من أنه : (لا يستطيع قراءتهــا الا الأفذاذ .. ورغم ذلك فقد تجلدت وتصبرت لقراءتها والافادة منها) . زد على ذلك ما التزم به المحقق من عزو كل حديث الى مصنف آخر سوى من عزاه اليه ابن حجر ، وما تعقبه به من التنبيه على الأحاديث التي ليست على شرطه .. وهذا يحتاج الى تمرس بهذه الكتب واع ، وصبر طويل في الحركة خلالهــا ، فربما استنفد الحديث الواحد أياما وأسابيع حتى يعود الباحث بما أراد ، أو ربما بلا شيء .

وثمة فائدة جليلة حظى بها كتاب المطالب من المحقق ، وجناهــا القراء ، اذ أضاف المحقق اليه فوائد وزيادات من كتاب مخطوط ليس في أيدى الناس ، هو كتاب البوصيري المشار اليه .

وقد قرأت الكتاب مستفيدا منه، متعلما من محققه ، ولكن عنت لى ملاحظات أضعها بين يدى المحقق أولا ، والقارىء ثانيا ، وعسى أن أكون مصيبا فيتــم لكتاب من كتب السنة بعض ما ينبغى له من الضبط ، وان كانت الأخرى فهــو جديد أتعلمه ، وحق أرجع اليه .

وهذه الملاحظات منها ما يتعلق بمنهج التحقيق وأصوله المتعارف عليها ، وأخص منها ما لم يلتزم المحقق فيه نهجه الذى ارتضاه وأبان عنه في مقدمته ، واختصرناه آنفا . ومنها اقامة تحريفات وتصحيفات لم يتنبه لها ، ومنها تصويبات لشروح خاطئة ، ومنها ما نراه يضيف فائدة للكتاب ، ثم أخطاء الضبط والطبع .

فأول ذلك عدول المحقق عن النسخة المسندة ، والاســناد ــ كما هــو معروف ــ من أهم الضوابط لمعرفة درجة الحديث . ولا حجة في قول المحقق : « ان نشر المسندة لا يغنى عن نشر الكتب المجموعة فيها كل على حدة » ، بل هو حجة عليه ، فقد قال قبل ذلك وهو يبين أهمية كتاب المطالب . ان « أكثر الأصول التى انتقيت فيه زوائدها قد دخل في خبر كان ، وعسى أن يكون عبثت به يــد الحدثان » .

ولا حجة أيضا بقارىء هذا الزمان ودعوى التسهيل عليه ، فقارىء هــذا الزمان ، وذاك الزمان أيضا ، يستطيع أن يجرى بعينه على السطر الذى يحوى الاسناد ، ويصل الى نص الحديث ، اذا كان ذلك همه !

زد على هذا أن اهمال السند في هذا الكتاب يضع قارئه أحيانا كثيرة أمام كلام لا يفهمه ، لأنه يتحدث عن شيء غير موجود ...

ومن أمثلة ذلك ما جاء في التعليق رقم ٥ ص ٨٤ : « في المسندة : هــذا المتن رواه أحمد وغيره من طريق عمرو بن عبسة ، وهذه الطريق شاهدة لتلــك الا أن فيه انقطاعا ، لأن عونا لم يدرك عبد الله . » ويبحث القارىء أمامه عن عون هذا المتحدث عنه فلايجده .

وأوضح من ذلك ، ما جاء تعليقا على الحديث رقم ١٠٠٩ ص ٢٩٤ من قول ابن حجر (قلت : هذا اسناد مقلوب ، ومتن مقلوب ، أما الاسناد فالصواب حرملة بن اياس كذا أخرجه أحمد وغيره .. » .

ولا وجود أمامنا في الكتاب لشيء نفهم منه كيف كان السند مقلوبا، أو يهدينا لمعرفة ما يتحدث عنه ابن حجر من شأن حرملة بن اياس أو سواه .

وأشد وضوحا من هذين المثالين ما قاله ابن حجر تعقيبا على الحديث رقم

١٢٦٥ ص ٣٧٥ : « قلت : يحيي وشيخه ضعيفان جدا ، وهذا الاسناد خطأ لهما ، رواه زياد بن أبى سودة ، عن أخيه ، عن عثمان (كذا) ، عن ميمونة وليست زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فخبط يحيي أو عمرو فى اسناده . »
وليس من هذه الأسماء كلها — عدا ميمونة — اسم واحد مذكور أمامنا لنفهم قضية ابن حجر ما هى .
ومثال رابع ، الحديث رقم ٢٧١ ص ٧٧ ، نصه « وقال البزار : حدثنا القاسم بن محمد ، حدثنا عبد الله بن داود بسنده ، ولم يشك ، ولفظه .. » .
هذه الجملة المعترضة (ولم يشك) تشى بأن غيره من الرواة شك .. فلو قد نشر اسناد الحديث السابق لربما عرفنا لهذه العبارة معنى .
وأمثلة ذلك كثيرة ، نجتزىء منها بهذه الأربعة ، وأحسبها — مع ما تقدمها من أسباب — كافية لبيان ضرورة نشر النسخة المسندة .
وكان من نهج المحقق (اتخاذ امارة طباعية يعرف منها لأول نظرة الحديث الموثق رجاله ، أو المصحح اسناده وهى عبارة عن هذه النجمة الصغيرة (*) توضح قبل رقم الحديث المتحقق فيه ذلك ..)
وهذا عمل مرضى ولا ريب ، يعين القارىء المعجل ، والقارىء غير المتخصص على بلوغ غايته ، ولكن هذا ربما أفضى الى مشكلة أو شبهة تزرى بهذه الفائدة ، فمجموع أحاديث هذا الجزء ١٤٩١ ، أشير بالصحة منها على ٤١٤ حديثا فقط . وقد يغرى هذا بعض من ساء فهمه وقل علمه أن يظن أن هذا شأن الأحاديث ، لا يصح منها الا أقل من الربع .. من أن المدار هنا على الأسانيد فقط ، بمعنى أن الحديث فى هذه الزوائد التى ينقلها ابن حجر قد يكون مرويا بسند معلول مع صحة المتن (نص الحديث) من طرق أخرى . فكنا نرجو من المحقق الفاضل ، وهو على ذلك قادر فيما نحسب ، أن يعلمنا ذلك ويرشدنا اليه ، بل ان هذا من تمام العمل ، فابن حجر مؤلف الكتاب يقول : « وشرطى فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابى لم يخرجه الأصول السبعة من حديثه ، ولو أخرجوه أو بعضهم من حديث غيره ، مع التنبيه عليه أحيانا .. » فكان حق العمل أن يتم المحقق بقية الأحيان .. »
والأحاديث التى هذا شأنها كثيرة جدا فى هذا الجزء ، ونجتزىء أيضا ببعض الأمثلة دون الاستقصاء ..
١ — الحديث رقم ٢٦ ، عرى من علامة الصحة ، وضعفه الهيثمى ، ونصه : « أم سلمة : ماتت لنا شاة كنا نحتلبها ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما فعلت شاتكم ؟ قالت قلت : ماتت فألقيناها . قال : الا كنتم تنتفعون باهابها ؟! قالت فقيل : يا رسول الله انها ميتة ! قال : ان دباغها أحلها كما أحل الخمر الخل .. » .
أقول : لهذا الحديث شاهد فى صحيح مسلم عن ابن عباس ، وأن الشاة تصدق بها على مولاة لميمونة . أنظر مسلم (بشرح النووى) ٤/٥١ ، ٥٢ (كتاب الحيض ، باب طهارة جلود الميتة) ، وسنن أبى داود (تحقيق محيى الدين) ٤/ ٩٢ ، ٩٣ (كتاب اللباس ، باب فى أهب الميتة) ، وانظر الترمذى (تحفة الأحوذى) ٣/٤٤ وما قاله بعده ، وقد خلا حديث ابن عباس من هذه الزيادة (ان دباغها أحلها ..) .
٢ — الحديث رقم ٢٠٥ عرى أيضا من علامة الصحة ، مع أن متنه مروى عن أبى سعيد الخدرى فى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد . انظر مثلا مسلم : ٤/٧٣ .

٣ — الحديث ٢٧٦ عرى من علامة الصحة ، وحكم البوصيرى بضعفه ، ولكنه شاهد فى مسلم (١٤٢/٥ ، ١٤٣) وأبى داود (٤٠٦/٤) وغيرهما .
أضف الى ذلك أن هذه النجمة المتخذة اشارة للصحة قد اختل موضعها فى بعض الأحيان فقد وضعت أحيانا مع أن فى التعليق ما يناقض ذلك ، انظر الحديث رقم ١٤٢ ص ٤٢ ، قال المحقق معلقا عليه : (فيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف) ومع ذلك فهو مصدر بنجمة الصحة !!

* * *

وكان من منهج التحقيق الذى أبان عنه المحقق فى مقدمته ترقيم الأحاديث بأرقام متسلسلة (للاستعانة بها فى العزو الآن ، وفيما اذا تكرر الطبع) .
وليت المحقق فعل ذلك حقا ، لأن العزو فى الحقيقة يمثل نظرة كلية شاملة للكتاب ، أو هو ربط لأجزائه بعضها ببعض ، وفيه فوق ذلك فوائد جمة ، فقد يكمل موضع ناقص فيه من موضع آخر ، أو يتضح ما غمض فى جزء منه من جزء آخر ، وهكذا ، خاصة فى أمثال هذه الدواوين الطوال .
فهناك مواضع كثيرة ترك المحقق فيها العزو ، فكان ذلك مضيعا لفوائد يتم بها اخراج الكتاب على صورة مرضية . والأمثلة التالية تصدق ذلك :
١ — الحديث رقم ٢٤٧ ص ٧٠ جاء معزوا لأحمد بن منيع وحده ، وكان على المحقق أن يضيف اليه بين قوسين معقوفين ، كما يصنع أحيانا (وأبو بكر ابن أبى شيبة) ، لأن الحديث نفسه جاء فى ص ٩٥ برقم ٣٤٢ منسوبا لهما .
٢ — ص ٣٣٣ قال ابن حجر تحت عنوان (باب) دخول مكة وفضلها : « سيأتى حديث ابن أم مكتوم فى السعى ، وفيه : حبذا مكة » .
لم يشر المحقق للحديث المذكور وهو رقم ١٢٣٢ ص ٣٦٥ .
٣ — وفى الصفحة نفسها ٣٣٣ جاء تحت عنوان (باب) جواز الغسل للمحرم : « حديث عمر تقدم فى باب الستر فى الغسل من الطهارة » .
ولم ينبه المحقق اليه ، وهو رقم ١٧٣ ص ٤٨ .
٤ — ص٢٥٢ باب استحباب عدم الاستعانة فى التصدق ، قال ابن حجر : (حديث عائشة تقدم فى أواخر أبواب الوضوء) .
ولم ينبه المحقق اليه ، وهو الحديث رقم ٩٦ ص ٣٠ .
٥ — قال ابن حجر بعد الحديث رقم ٩٨٢ ص ٢٨٨ : « .. الحديث ، وتقدم فى الصلاة » ونبحث عن عنوان لكتاب الصلاة فلا نجد ، ونرجع للفهرس فنجد فيه (كتاب الصلاة ٦٢ — ١٣٦) أى أن العنوان ساقط من الأصل . فضلا عن الحيرة التى تنتاب القارىء وهو يبحث عن هذا الحديث فلا يجده . وقل مثل ذلك فى الحديث رقم ١٠٥٧ ص ٣١٤ .
٦ — ولبيان فائدة العزو وضرورته فى ضبط الكتاب ، أن ابن حجر قال بعد الحديث رقم ٥٤٠ « وحديث الحارث عن على تقدم قريبا » .. ولم يرشدنا المحقق لرقم الحديث المقصود ، ولو فعل هو لوجد فائدة .. فالحديث الذى يشير اليه ابن حجر هو رقم ٥٢٧ ص ١٤٤ ، ولم ينسبه ابن حجر للحارث كما قال هنا ، بل نسبه لمسدد وأبى بكر بن أبى شيبة ، الا تستحق هذه من المحقق التنبيه ؟! الا أن يكون الحارث ليس مقصودا به الحارث بن أبى أسامة صاحب المسند بل قصد به ابن حجر أحد الرواة عن على .
ومما هو قريب من قضية النظرة الشاملة للكتاب أمر فات المحقق التنبيه عليه :

ـك انا نجد فى ص ١٠٢ عنوان (باب فضل ملازمة المسجد) ثم نجد فى ص ١٣٤ (باب فضل ملازمة المساجد) ، فما الفرق بين العنوانين ؟!

كان هذا يقتضى من المحقق التنبيه على الأقل ، خاصة وأنه استجاز لنفسه التدخل فى تبويب الأصل مراعاة لمناسبة الأحاديث أبوابها .. (انظر ص ٥٣) . ونحن نوافق المحقق فى هذا النهج ، اذ بين من مقدمة ابن حجر لكتابه هذا أنه مسودة ، وذلك اذ يقول ص ٤ : « ووقفت على قطع من عدة مسانيد .. فلم أكتب منها شيئا ، لعلى اذا بيضت هذا التصنيف أن أرجع فأتتبع ما فيها من فوائد » .

فاذا كان الأستاذ المحقق قد فعل ذلك ، فكان أولى به أن يلزم منهجه ماءة واحدة .

ويدخل فى ذلك الحديث رقم ١٤١١ ، فانه فى كتاب البيوع ، باب الغصب ونصه عن الحكم بن الحارث السلمى : « وغزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات احداهن حنين ، فكنت أسير فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلأت راحلتى ، فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أضربها فقال : مه ! وزجرها فقامت » .

أليس المحقق معى فى أن هذا الحديث لا توجـد بينه وبين الترجمة (العنوان) أية صلة ، وأن مثل ذلك يستحق التنبيه على الأقل ، وأن حقه أن يكون فى كتاب المغازى ، وهو أحد الموضوعات التى يضمها الكتاب كما جاء فى المقدمة ؟!

أو أن الذى دعا ابن حجر الى ايراده فى هذا الباب هو ذكر الصحابى (الحكم بن الحارث السلمى) الذى روى عنه الحديث السابق لهذا ، فان الحديث رقم ١٤١٠ من روايته رضى الله عنه .

وكان من نهج المحقق كما أبان فى مقدمته : « علقت على الكتاب تعليقات وجيزة ، فسرت فيها غريبه ، وأوضحت غامضه » .

وهذا نهج لازم لمن ينشر كتابا كهذا ، ويضع فى اعتباره جمهرة القراء فى هذا الزمن الذين يحذف الاسناد من أجلهم ..

ولكن هناك عشرات من الكلمات تركها المحقق على غرابتها وغموضها . وهاك بعض الأمثلة :

١ ــ الحديث ٥٨٨ (قلنا : أو ما جمعت ؟ قال : لا ، حبسنا هذا الردغ) ، لم تشرح كلمة الردغ . قال فى اللسان : الردغ والردغة والردعة بالهاء : الماء والطين والوحل الكثير . وانظر النهاية لابن الأثير .

٢ ــ الحـديث ٧١٦ ، فيه : « اذا مت فاغسلونى .. وحنطونى وأجمرونى » .

الحنوط والحناط : طيب يخلط للميت خاصة ، وقال ابن الأثير : هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة . ومعنى أجمرونى : بخرونى بالطيب .

٣ ــ الحديث ٧٢٠ « كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوبين أبيضين سحوليين » .

سحول : قرية من قرى اليمن ، يحمل منها ثياب قطن بيض ، تسمى السحولية بضم السين . كذا فى اللسان ، وعليه فينبغى ضبط السين بالضم بدل الفتحة التى عليها .

٤ ـ الحديث ١٤٤١ « وليس لعرق ظالم حق » .
هو أن يجىء الرجل الى أرض قد أحياها رجل قبله ، فيغرس فيها غرسا غصبا ، ليستوجب به الأرض .
ونسوق هذه الكلمات كنماذج فقط لهذا الغريب المتروك :
الحديث ٣٠ (أما ان الشراب كان فى سقاء منيحة لنا ماتت) .
الحديث ١٨٩ (أن ابن عمر كان يدخل الحمام فينوره صاحب الحمام) .
الحديث ٤٢٣ (وخلفه أعرابى معه ناضح له) .
الحديث ٧٣٩ (استهل الصبى) .
الحديث ٨٦٦ (سأل عمر رجلا عن ابله فذكر عجفا ودبرا) (بفتح الدال والباء) .
الحديث (١٣٣٧ (لا تلامسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تبايعوا بيع الغرر)
وهذه الثلاثة مصطلحات فقهية ، ما أحوج القارىء للوقوف عليها .
ص ٤٠١ (باب السفتجة ؟؟)
وغير هذا كثيرا جدا ، ولولا خشية الاطالة لنقلت شرحها أجمع اثباتـــا للفائدة .
وهناك ملاحظات على بعض ما تناوله المحقق بالشرح نذكر منها :
١ ـ الحديث ٨٣٤ : وفى البيت سرير محبوك بليف) .
قال المحقق فى شرحها : (المحبوك : المحكم الصنعة) .
وهذا وان كان صوابا لغة ـ غير مقصود هنا . فالمحبوك هنا : المشدود المربوط ، ومنه الحبكة (بضم فسكون) والحباك : الحبل يشد به على الوسط ، والقدة التى تضم الرأس الى الفراضيف من القتب والرحل ، والتحبيك : التوثيق فالمعنى أن أجزاء السرير مربوطة ومشدود بعضـــها الى بعض بليف .. وهذا واضح جدا .
٢ ـ الحديث ١٣٧٧ : (ابو سعيد قال : حضرت جنازة فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما وضعت سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أعليه دين ؟ قالوا : نعم . فعدل عنها وقال : صلوا على صاحبكم . فلما رآه على (قفى) قال : يا نبى الله ، برىء من دينه ، أنا ضامن لما عليه) .
رسمت كلة (قفى) بالألف الممدودة ، وشرحها المحقق بقوله : (اى : تبع) وليس كذلك . قال فى النهاية : (ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم (المقفى) هو المولى الذاهب ، ومنه الحديث (فلما قفى قال كذا وكذا) اى ذهب موليا ، وكأنه من القفا ، أىأعطاه قفاه وظهره) .
وهذا واضح المعنى جدا ، بل مفهوم من قوله فى الحديث (فعدل عنها) .
ونلاحظ أن المحقق لم يشر الى المراجع التى تعين على ضبط النص وتوثيقه وتهدى الى استكمال صورته .
وقد وقع ذلك من المحقق كثيرا عندما يأتى فى نص كلام ابن حجر ، أو التعليقات التى ينقلها المحقق عن البوصيرى والهيثمى وسواهما ، أن حديثا ما مخرج فى الصحيحين مثلا ، أو كذا أو كذا من دواوين السنة المطبوعة .. فمن حق النص ، وهداية للقارىء ـ غير المتخصص على الأقل ـ ان يعرف موضع الحديث فى الكتب المذكورة . بل ان المتخصص المشتغل أيضا بحاجة الى توفير جهده ووقته فى تقصى ذلك ومراجعته ، وتكفى هذه الأمثلة للتدليل :
١ ـ الحديث ١٢٦٥ ص ٣٧٥ ، ونصه :

« أبو أمامة قال : قالت ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أفتنا فى بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر . ائتوه فصلوا فيه ، فان صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه . قالت : يا رسول الله ارأيت ان لم نطق محملا اليه ؟! قال : فتهدى له زيتا يسرج فيه ، من أهدى اليه شيئا كان كمن صلى فيه » (لأبى يعلى) .

ثم قال ابن حجر بعده (وسبق أن نقلناه لأمر غير هذا) :

« قلت : يحيى وشيخه ضعيفان جدا ، وهذا الاسناد خطأ لهما ، رواه زياد ابن أبى سودة ، عن أخيه ، عن عثمان عن ميمونة ، وليست زوج النبى صلى الله عليه وسلم . فخبط يحيى أو عمرو فى اسناده ، وهو عند أبى داود وابن ماجه على الصواب » .

لو قد رجع المؤلف لابن ماجه وأبى داود لوجد فوائد جمة .

فالحديث فى ابن ماجه ٤٥١/١ برقم ١٤٠٧ (كتاب الاقامة ، باب ما جاء فى الصلاة فى مسجد بيت المقدس) ، وسنده هكذا (حدثنا اسماعيل بن عبد الله الرقى ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن زياد بن أبى سودة ، عن أخيه عثمان بن أبى سودة ، عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ..)

فصحة الاسناد كما ترى أن زياد بن أبى سودة يرويه عن أخيه عثمان ، وليس الأمر كما اثبت المحقق (زياد بن أبى سودة عن أخيه ، عن عثمان) .

وفى سنن أبى داود ١٨٢/١ (كتاب الصلاة ، باب فى السرج فى المساجد) جزء من هذا الحديث ، ونصه :

« ... عن زياد بن أبى سودة ، عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت : أفتنا فى بيت المقدس ، فقال : ائتوه فصلوا فيه — وكانت البلاد اذ ذاك حربا — فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله »

وأنت ترى أن اسناد ابن ماجه اتم وأصح من اسناد أبى داود ، فان أبا داود أسقط عثمان بن أبى سودة .

هذا ، وقد جاء هذا الحديث على الصواب فى مسند الامام أحمد فى مسند ميمونة بنت سعد رضى الله عنها ، ولم يذكره ابن حجر ، أنظر المسند ٤٦٣/٦ .

٢ — بعد الحديث ١٢١٧ قال ابن حجر : « قلت : أصله فى الصحيحين بدون ذكر جابر ، وسميت أم سليم » .. لم يرشدنا المحقق الى موضعه فى الصحيحين ..

ورواه البخارى فى صحيحه (كتاب الحج ، باب اذا حاضت المراة بعد ما أفاضت) ، وانظر فتح البارى ففيه فوائد ، ورواه مسلم فى كتاب الحج ٧٩/٩ .. وفيهما أن الخلاف وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت .

٣ — الحديث ٥٤٩ ، قال ابن حجر بعده « قلت : أصله فى السنن » .

أرشدنا المحقق للترمذى فقط ، والحديث فى صحيح مسلم ٦/٦ ، وفى نيل الأوطار : ١٧/٣ « رواه الجماعة الا البخارى » .

٤ — قال المحقق تعليقا على الحديث رقم ٩٦ ص ٣٠ هامش (٣) : « قال البوصيرى : رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وترك المحقق عزوه ، وهو فى ابن ماجه ١٢٩/١ ، حديث رقم ٣٦٢ (كتاب الطهارة ، باب تغطية الاناء) .

٥ — وقال المحقق تعليقا على الحديث رقم ٩٧ ص ٣٠ هامش (٣) : « .. وقال ابن حجر والبوصيرى : رواه ابن ماجه ، وليس فى سماعنا » وأهمل

المحقق الهداية اليه ، وهو فى ابن ماجه ١٨٣/١ حديث رقم ٥٥١ (كتاب الطهارة ، باب فى مسح أعلى الخف وأسفله) .
وانظر الأحاديث : ٤٢٨ ، ١٠٠٩ ، ١١٧٤ ، وغيرها كثير .
هذه هى أهم ملاحظاتنا على منهج التحقيق ، على ما هو مقرر بين العاملين فى ميدانه ، وعلى ما قرر المحقق الالتزام به ، وبقيت ثلاث مسائل فى هذا الشأن ننوه بها ، وان كنا لا نرى الزام المحقق بذلك :
الأولى : اعتذاره فى المقدمة عن عدم الانتفاع بالنسخة الحيدر آبادية ، مع أنها أقدم النسخ وأوضحها خطا على ما قرر هو . ونرجو فيما يستقبل من أجزاء الكتاب ، وهى كثيرة فيما يبدو ، أن تكون موانع تصويرها قد زالت ، اذ هى — والله أعلم — نسخة أصيلة والرجوع اليها ضرورى .
والثانية : أننا كنا نرجو من المحقق أن يتم لنا نصوص الأحاديث التى اختصرها ابن حجر — كلما أمكن — ولو فى الهامش ، اتماما للفائدة . والحق أنه أرشدنا أحيانا الى مواضع بعض الأحاديث فى الكتب الأخرى ، ولكن الغريب من ذلك أنه أحالنا أحيانا على كتاب البوصيرى المخطوط .
الثالثة : الاستغناء عن كلمة (رفعه) التى يقحمها المجرد بلا فائدة ، كما قرر هو فى المقدمة .
والآن وقد انتهينا من قول كلمتنا فى منهج التحقيق وتوابعه ، وما فات المحقق منه ، أو لم يهتد لصوابه من ذلك — ننظر فى الكتاب من حيث قراءته وتقويم نصه على ما نراه من الصواب والضبط ان شاء الله تعالى .
١ — الحديث رقم ٥١٠ ص ١٤٠ : « ... أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لأصلى بصلاته ، فافتتح الصلاة فقرأ قراءة سهلة ، ليست بالخفيفة ولا بالرفيعة ، قراءة حسنة سهل فيها .. »
كذا أثبتها المحقق (ليست بالخفيفة ولا بالرفيعة) وواضح أن صواب الكلام (ليست بالخفيضة ولا بالرفيعة) اذ خفض الصوت — أى خفوته وخفاؤه — هو قسيم رفاعته ، أى جهارته . (انظر اللسان : خفض ، رفع) .
٢ — الحديث ٢٢٧ ص ٦٤ : « ... فانطلقت وأنا أقول : ليت بلالا لم تلده أمه ، وابتل من نضح دم جبينه » . كذا كتبه المحقق مرسلا ، وقول بلال هذا شعر ترنم به رضى الله عنه :

ليت بلالا لم تلده أمه وابتل من نضح دم جبينه

٣ — وجدت مثل هذا فى الحديث رقم ٢٣٨ ص ٦٧ « كان عثمان اذا سمع الآذان قال : مرحبا بالقائلين عدلا ، وبالصلاة مرحبا وأهلا » .
هذا أيضا شعر ، وصواب كتابته :

مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحبا وأهلا

٤ — الحديث رقم ١٣٦٢ ص ٤٠٦ : وفيه أن عليا انتهى الى السوق : « .. ثم أتى صاحب التمر فاذا خادم تبكى ، فقال : ما شأنك : باعنى هذا تمرا بدرهم (كذا !) فأبى مولاى أن يقبله ، فقال : خذه **واعطها درهما** ، فانها خادم ليس له أمر ..
وقال عبد بن حميد : حدثنا محمد بن عبيد به مثله ، وزاد فيه بعد قوله **واعطاها درهما** .. الخ .
● فبين — أولا — أن صواب سياقة الحديث « فقال : ما شأنك ؟ قالت : باعنى هذا تمرا بدرهم » أى أنه سقطت منه كلمة قالت ، وعندما استدركها المحقق فى آخر الكتاب جعل مكانها (قال) وهو خطأ أيضا .

٥ — الحديث رقم ٤٣ ص ١٧ : « ... انه رأى أبا هريرة بال قائما وعليه موردتان » .

علق المحقق على كلمة (موردتان) بقوله (كذا فى الأصليين ، وفى الاتحاف موزجان ، هو الصواب عندى) .

وهذا الصواب الذى ارضتاه غير مفهوم ، فكان يحسن أن يقول : الموزج هو الخف ، تعريب (موزه) بالفارسية .

على أن ما فى الاصلين يحتمل الصواب ، كأنها — والله أعلم — ثياب بلون الورد ، أو عليها صور الورد ، فقد قالوا : « ثوب مبرج » فيه صور البروج و « ثوب مصلب » فيه كالصليب ، و « ثوب ممرجل » فيه صور المراجل و (مرحل) فيه صور الرحال .. وشواهده كثيرة جدا (أنظر المخصص كتاب اللباس : ٦٦/٤) . وجاء فى اللسان : « ورد الثوب : جعله وردا ، وقميص مورد : صبغ على لون الورد ، وهو دون المضرج » .

٦ — الحديث رقم ١٠٨٦ ص ٣٢٤ : « ما من رجل يضع ثوبه وهو محرم فتصيبه الشمس حتى تغرب الا عزبت بخطاياه » والصواب الذى يستوجبه نسق كلام العرب : « الا غربت بخطاياه » .

٧ — الحديث رقم ٨٨ ص ٢٧ « عليك باسباغ الوضوء ، يحبك حافظاك ، ويزاد فى عمرك » اختار المحقق الرفع فى (يحبك) و (يزاد) ، وعلق عليه بقوله : « فى الزوائد : يزاد ، وفى الأصلين « يزد ، فانه مجزوم ، فان كان ما هنا صوابا فقوله (يحبك) أيضا مجزوم » .

ولا داعى لهذا الاحتياط ، والذى فى الأصلين صواب على ما تقضى به قواعد النحو ، قال ابن هشام فى القطر (جوازم المضارع) : « اذا تقدم لنا لفظ دال على أمر أو نهى أو استفهام أو غير ذلك من أنواع الطلب ، وجاء بعده فعل مضارع مجرد من الفاء ، وقصد به الجزاء — فانه يكون مجزوما بذلك الطلب لما فيه من معنى الشرط » .

٨ — جاء فى آخر التعليق رقم ٥ ص ٥٥ : « .. وفى المسندة : معمر (ابن أبى حبيبة الراوى عن عبيد بن رفاعة) ، ابن معين ، وأصله فى الصحيح بغير ضعفه هذا السياق » .

وهذا كلام غير مفهوم ، صوابه : « وفى المسندة : معمر .. ضعفه ابن معين وأصله فى الصحيح بغير هذا السياق » .

٩ — جاء فى آخر التعليق رقم ٢ ص ٤٣٠ : « .. قال وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث : وثقه مأمون ورفع من شأنه » . وهذا كلام مضطرب جدا ، صوابه : « .. قال عبد الملك بن شعيب : ثقة مأمون ، ورفع من شأنه » .

١٠ — الحديث رقم ٩٧٠ ص ٢٨٥ ، وأوله « الوليد بن بشر عن حصين بن أبى الحر .. » علق المحقق على (حصين) بقوله : « لم أقف على حالها » وواضح أشد الوضوح خطأ ما قال ، وعدم مناسبته ، فهو ابن أبى الحر ، وليس بنت أبى الحر .

١١ — الحديث رقم ٣٧٢ ص ١٠٣ ، وفيه « .. أو عند مريض ، أو يتبع

جنازة » . علق المحقق على كلمة (يتبع) بقولـــــه « كذا فى كشف الأستـــــار والبوصيرى ، وفى الأصلين يتبع » .

ولا جديد يضيفه التعليق ، غير حيرة القارىء لأن ما فى الهامش هو عينه الذى فى المتن ، ولعل احدى الكلمتين (يشيع) والله أعلم) .

١٢ ـــ الحديث رقم ٤٢٢ ص ١١٦ :

ورد هذا الحديث فى الكتاب من زوائد أبى يعلى ، ومما تجدر الاشارة اليه أن الحافظ ابن كثير أثبته فى تفسيره أيضا من رواية أبى يعلى عند تفسير الآية « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » من سورة الحديد .

ورواه أيضا أبو داود فى سننه ٤/٣٨٠ (كتاب الأدب ، باب الحد) .

وسأثبت هنا نص الحديث كما هو فى الكتاب ، جاعلا الفروق التى فى ابن كثير وأبى داود فى الهامش اتماما للفائدة ، وتصويبا لما هنا .

« دخل سهل بن أبى أمامة هو وأبوه على أنس بن مالك (١) زمن (٢) عمر ابن عبد العزيز وهو أمير (٣) ، فصلى (٤) صلاة خفيفة (٥) كأنها صلاة مســـافر أو قريب (٦) منها ، فلما سلم قال (٧) : يرحمك الله ، أرأيت هـــذه الصـــلاة ، المكتوبة أم شىء تنفلته ؟ قال : انها المكتوبة ، وانها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت منها (٨) الا شيئا سهوت عنه . ان رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم كان يقول : لا تشددوا على أنفسكم ، فان قـــوما (٩) شددوا علـــى أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات (١٠) « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » أبو يعلى .

وراجع سنن أبى داود ففيه زيادة عما هنا .

كما أنه قد وردت فى الكتاب كلمات كثيرة مضبوطة على غير الوجه ، ولعلها ليست مسئولية المحقق بقدر ما هى مسئولية الطبع .

وبعد ، فلعلى أطلت حتى أمللت ، وعسى أن يغفر لى العالمون من اربـــاب فن الحديث فنحن ما زلنا تلاميذ صغارا فى هذا الميدان ، وقد وجدت الكثيرين من أقرانى وأبناء زمانى منبتا ما بينهم وبين هذا العلم الشريف ، فمن أجل ذلك ، ومن أجل أنه كتاب حديث ، استجزت لنفسى هذه الاطالة .

واختتم بما استفتحت به ، أن ما قلت انما هو وقفات عنت لى ، وليس يزرى بعمل المحقق ، أو يغض من قيمة جهده الكبير ، نسأل الله له حسن المثوبة .

---

(١) فى ابن كثير وأبى داود (دخلت على انس بن مالك) .

(٢) فى ابن كثير : (زمان عمر) ، وفى أبى داود : فى زمان عمر .

(٣) فى ابى داود : وهو أمير المدينة :

(٤) فى ابن كثير : وهو يصلى ، وفى أبى داود : فاذا هو يصلى .

(٥) فى أبى داود (صلاة خفيفة دقيقة) وفى رواية ابن داسة له (صلاة ذفيفة ، بالذال المعجمة وفاءين ، اى خفيفة ، وجاءت الكلمة محرفة فى مطبوعة الحلبى لابن كثير (صلاة خفيفة وقمة) .

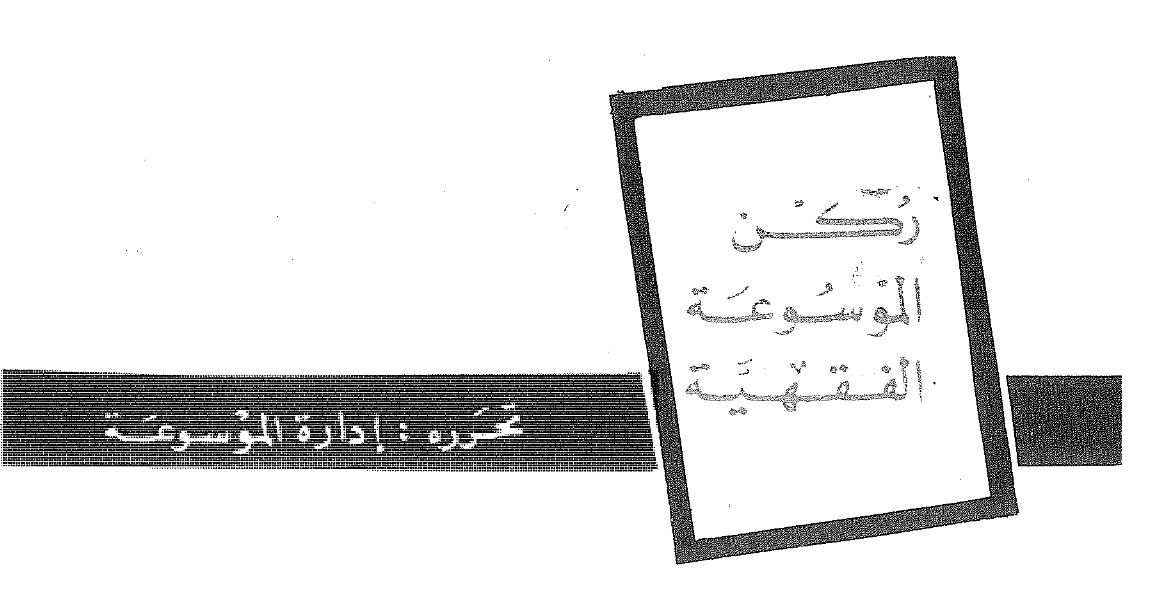
(٦) فى ابن كثير وأبى داود (او قريبا منها) .

(٧) فى ابى داود : قال أبى .

(٨) فى ابن كثير وأبى داود : (ما اخطأت الا شيئا) ، ليس فيهما كلمة (فيها) .

(٩) اثبت المحقق فى المتن (كان قوما) ، وعلق عليه بقوله (كذا بالأصلين ، ولعل الصواب (فان قوما) قلت وصوابه كما قال ، فهو كذلك فى ابن كثير وأبى داود .

(١٠) فى ابن كثير وأبى داود : الديار .



في هذا العدد سنقتصر من ركن الموسوعة على بريدها لأن لدينا تعليقا يستغرقه .

بريد الموسوعة :

كان حمل الينا البريد ملاحظات انتقادية مطولة تقع في ٢٦ صفحة مطباع (ستانسل) من الاستاذ عبد القادر السبسبي (من حلب) بعنوان : « أبحاث علمية حول الموسوعة الفقهية » تضمنت انتقاداته على موضوع الأشربة الذي هو اول موضوع صدر في الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة الفقهية . وكان الأستاذ قبل ارسالها الى ادارة الموسوعة بزمن وزعها على مختلف الجهات والأشخاص في مختلف البلاد السورية وغيرها من البلاد العربية ، ثم نشرها تباعا في مجلة « حضارة الاسلام » التي تصدر بدمشق ، وكان آخرها في العدد ٣ من السنة ١١ في جمادى الاولى سنة ١٣٩٠ هـ آب ١٩٧٠ م .

ولدى الاطلاع على الملاحظات المذكورة تبين منها بوضوح أن الاستاذ الناقد قد كتبها وهو غير متصور غاية الموسوعة ومهمتها على حقيقتها ، فقد كتبها كما لو كانت الموسوعة مشروع قانون انتقيت مواده من مختلف المذاهب ليصدر بها قانون يبيح من الأشربة أشياء ويمنع أشياء . فهو يقول مثلا : « وعليه يجب الأخذ بما قاله صاحب المحلى .. » (ص/١٦) ولذا قد ينسى احيانا أنه أمام موضوع فقهي قسم الكلام فيه الى فقرات بأرقام متسلسلة تمييزا لمقاطع الكلام وتسهيلا للاحالة ، فيسمي فقرات الموضوع (مواد) فيقول تفيد هذه المادة كذا ، أو تقول المادة رقم كذا .. متصورا أنه أمام مشروع قانون !! (ص/١٠ في الملاحظة/٢٠ و ص/١٢ في الملاحظة/٢٢ وغيرهما) .

ـــ وقال أيضا عما نقلته الموسوعة عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أقول ان هذا مذهب صحابي وهو لا يجب تقليده » (ص/١٦) مع أن الموسوعة لم تقل بوجوب تقليده وانما عرضت ما نقل عنه عرضا كغيره ، وليس من مهمتها أن تقول بوجوب تقليد أحد .

ـــ وفي الصفحة (١٧) من ملاحظاته قال الأستاذ الناقد : « على أني أرى الاقتصار على ما رواه الامام الدهلوي وما قال به الامام محمد .. الخ » .

ـــ وقال في الصفحة (١٨) : « لذلك كان تمسك لجنة الموسوعة بهذا

الحديث الشريف ، تخصيص الخمر في هاتين الشـــجرتين النخلة والعنبة وعدم تشميله لجميع انواع الخمر مخالفا لما عليه جمهور الفقهاء » .

هكذا يقول مع أن الموسوعة لم تتمسك بحديث دون آخر ، ولا بتشميله أو قصره ولا يحق لها ولا تسوغ لنفسها ذلك . وانما هى ناقلة أمينة تعرض مختلف الاجتهادات المعتبرة بترتيب موطأ ميسر تسهيلا للاطلاع ، وممنوع فى نظامها وخطتها على كتاب موضوعاتها أن يدخلوا آراءهم واجتهاداتهم فيها . واذا اقتضت الضرورة العلمية تدخل الكاتب برأيه لايضـــــاح غامض ، أو حل مشكل من النقول ، فلا يكون ذلك فى متن الموضوع بل فى الحاشية مبينا انه من كلام الكاتب أو من ادارة الموســـوعة ، تمييزا له عن الفقه المنقول . وهذا كله معلن فى بيانات الموسوعة عن خطتها .

ويتجلى من ملاحظات الأستاذ الناقد فى محطات نقده كلها أنه دائما فى معرض بيان عقوبة شرب المســـكرات ، وعند اختلاف الاجتهـــادات بين اخف واشد ، يوجب على الموسوعة أن تتبنى الحكم الأشد وتقتصر عليه على أساس انه هو حـــكم الشريعة لا غير . والدافع له الى ذلك حرصـــه على مصـــلحة الزجر .

فمن امثلة ذلك أن الموسوعة نقلت جواز اكل الخل الحاصل بتخليل الخمر عند الظـــاهرية وان كان فعل تخليلها فى نظرهم معصـــية للحديث الوارد فى اراقتها وعدم تخليلها . فقد علق الاستاذ الناقد على ذلك فى الملاحظة (٢٠) من انتقـــاداته بقوله : « أقول : يجب عدم الأخذ بهذه المـــادة (كذا) ما دام أكله يسبب معصية الله تعالى .. » هذا بقطع النظر عن خطئه فى فهم كلام ابن حزم ، فانه لم يقل ان اكل الخل معصية ، بل فعل التخليل ، وميز صراحة بين هذا الفعل وبين جواز الأكل من الخل الحاصل به .

ونحن — مع تقديرنا لهذا الدافع الدينى لدى الاستاذ الناقد فى رغبته أن يؤخذ بالأشد الأضيق وينبذ الرأى الاجتهادى الأخف أو الاوسع — لا نستطيع أن نغير من واقع الاجتهادات ، ولا نملك حق حذف بعض منها وتبنى بعض ، بعد أن تـــكون صادرة عن أهلها من ائمة الاجتهـــاد وكبار رجالات مذاهبهم . ولو قمنا بهذا التغيير لسقطت قيمة الموسوعة لدى اهل العلم ، اذ لا يبقى عملا مجمعيا موسوعيا ، أو كما يقال بلغة اليوم : (اكاديميا) .

ففى أمثال هذا النوع من الانتقادات نريد أن نقول للأستاذ الناقد : ان له الحق أن يقول هو بوجوب الأخذ برأى ابن حزم أو فلان أو فلان من فقهـــاء السلف . وكذلك لو أريد مثلا وضع مشروع قانون اسلامى للعقوبات فى بلد ما فلواضعيه الحق أن يختاروا الحكم الأشد فيصوغوه مادة قانونية للتطبيق اذا رأوا المصلحة فى ذلك . اما الموسوعة فليس هذا من شأنها وليس القـــائمون عليها هيئة تشريعية ، ولا موضوعاتها التى تصوغها وتعرضها مشروعات قوانين اسلامية تختار فيها من الاجتهادات فى كل مسألة ما تراه أفضل دون ســـواه بمقياسها الخاص فتلزم به الناس ، وانما الموســـوعة كتاب أمين ينقل مختلف الاجتهادات المعتبرة فى كل مســـألة بمنتهى الدقة والأمانة والتجرد ، وبترتيب حديث تسهيلا لمن يريدون الاطلاع على هذه الثروة الفقهية العظمى .

هذا تعليق موجز جدا على احدى الجهات التى يراها الناظر فى انتقادات الاستاذ السبسبى وملاحظاته . وهى ما يتعلق بخطأ تصوره لمهمة الموسوعة ، مع نماذج وأمثلة التقطناها عرضا تعطى فكرة عن سواها !

ولكن في انتقاداته التي حملها الينا البريد ما يبعد بهذه الانتقادات عن جادة الهدف العلمي !

فالمعروف في أصول النقد السليم العلمي المجرد أن يأتي الناقد بالنص الذي يريد نقده فيعرضه بأمانة دون تصرف فيه ، ثم ينقده كما يشاء . وبذلك يترك المجال للقارىء أن يحكم على بصيرة بين الناقد والمنقود . فليس كل ناقد مصيبا !

غير أن الاستاذ السبسبي قد تصرف في نقله لكلام الموسوعة في موضوع الأشربة الذي ينقده . فهو تارة يلخص كلام الموسوعة تلخيصا غير صحيح فيعرض للقارىء عنه خلاصة مشوهة وينقدها ! وتارة يقول إنه يستفاد من كلام الموسوعة في المكان الفلاني كذا وكذا ، ثم ينقده ، فيفرض على القارىء فهمه هو للكلام المنقود دون عرض الأصل ، لكي يقبل نقده ولو كان خاطئا ! وتارة أخرى ينقل كلام الموسوعة في الموضوع على أساس أنه ينقله بنصه الحرفي ، ثم ينقده ، وهو في الواقع قد حذف من كلام الموسوعة ما لو أثبته لسقط الانتقاد ، وذلك منه دون أي اشارة الى أن هناك شيئا محذوفا ، كوضع نقط في محله ونحو ذلك .

ولنعرض الآن بعض أمثلة من ذلك بطريقتنا في النقل الأمين ، وهي أمثلة التقطناها عرضا ومثلها كثير .

(مثال أول) — قال الاستاذ الناقد في الملاحظة (٢٦) من انتقاداته ما نصه بحروفه :

« الفقرة ٦٢ الى ٦٧ — تفيد هذه الفقرات ان كل شراب يتخذ من غير الكرمة والنخلة هي مباحة .

اقول : ان هذا يفتح بابا للفسق والفجور وشرب الخمور على انها مباحة في قول ابي حنيفة وابي يوسف . على انه يعجبني في هذا الموضوع قول العلامة الكبير الدهلوى رحمه الله ملخصه : ولما كان قليل الخمر يدعو الى كثيره .. الخ » .

ونحن — بعد أن نعجل للقارىء الكريم القول بأن كلام العلامة الدهلوى الذي أعجب به الاستاذ الناقد قد نقلته الموسوعة نفسها في الموضوع ولم يكن من مكتشفاته — ننقل ما جاء تحت الفقرات (٦٢ حتى ٦٧) المشار اليها من موضوع الأشربة ، ليرى القارىء كيف فهم منها الاستاذ الناقد أنها تبيح جميع الخمور المتخذة من غير الكرمة والنخلة ، وتفتح الباب للفسق والفجور . فقد جاء في موضوع الأشربة ص (٣٨) تحت عنوان : « الفئة الثالثة — الأشربة المختلف في كثيرها ، والراجح الحرمة مطلقا » ما يلي :

٦٢ — في هذه الفئة الاشربة المتخذة من غير العنب والنخيل ، فتشمل نبيذ العسل أو التين أو البر أو الشعير أو الذرة ونحوها ، سواء طبخ أم لا (ثم جاء في بقية هذه الفقرة تعريف النبيذ بمعناه المقصود وهو يختلف عن الخمر كليا) .

٦٣ — وحكم كل شراب من أشربة هذه الفئة الثالثة في القول المرجوح من مذهب الحنفية ، وهو المنقول عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه يحل شربه قليلا كان أو كثيرا اذا شربه الشارب لغير التلهي والطرب ، بل لغرض مشروع كالتداوي لدفع الألم ، أو اساغة الطعام ، أو القوة على العمل وأداء

الواجبات . فان كان الشرب بقصد اللهو والطرب يحرم قليله وكثيره اجماعا . وكذلك يحرم من هذه الأشربة ما يعلم يقينا أو بغالب الرأى أنه يسكره هو بذاته وان لم يؤثر فى غيره .. وكلما حرم الشرب وجب العقاب لينزجر الفساق .. واذا لم يجب الحد للشبهة وجبت عقوبة تعزيرية . وهذا هو رأى جمهور فقهاء العراق أيضـــا . غير أن الرأى الراجح المفتى به هو قول محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وهو تحريم القليل من هذه الأشربة .. ويحد من ســـكر منها كما سيأتى بيانه قريبا .

(ثم جاء فى الفقرتين ٦٤ و ٦٥ ذكر الأدلة الشرعية التى اســـتدل بها الفريقان ، وختمت بأن رأى الامام محمد هو الصحيح المفتى به عند الحنفية ، وذكرت أدلته ، ثم فى الفقرة ٦٦ نقلت الموسوعة عبارة العلامة الدهلوى التى أعجب بها الاستاذ الناقد) .

٦٧ ــ رأى السلف والمذاهب فى المسكرات غير الخمر :

ذكرنا أن الامام محمدا من أصحاب أبى حنيفة يرى أن كل مســـكر حرام كالخمر ، سواء أكان قليلا أم كثيرا ، ولكنه لا يرى وجوب الحد على شاربها الا فى حالة الســـكر فقط . وفى غير تلك الحـــالة فالعقوبة هى التعزير . أما المذاهب السبعة الاخرى وائمة السلف فانهم يوجبون مع هذه الحرمة الحد فى القليل منها ــ كالخمر ــ ولو لم يسكر منه (ثم ذكر فى بقية هذه الفقرة (٦٧) من يقول بهذا القول من كبار الصـــحابة والتابعين فى التحريم المطلق للقليل والكثير من أشربة هذه الفئة الثالثة وهى فئة الأنبذة) .

هذا كل ما جاء تحت الفقرات (٦٢ حتى ٦٧) سوى ما لخصـــناه بين اقواس أو وضعنا محله نقطا لعدم اى جدوى فى نقله حرفيا ويطول به الكلام ولا يحتمله المقام .

فليحكم القارىء الكريم على فهم الناقد أن ما جاء فى هذه الفقرات يفيد حل كل شراب مسكر متخذ من غير الكرمة والنخلة ويفتح باب الفسق والفجور على مصراعيه !!

(مثال آخر) ــ فى الملاحظة ٢٦ ص (١٨) من انتقاداته قال الاســـتاذ الناقد ما نصه بحروفه :

« جاء فى الفقرة (٦٧) (اى من موضوع الأشربة الموسوعى) ان الامام يرى ان كل مسكر حرام كالخمر ولكن لا يرى وجوب الحد على شاربها الا فى حالة السكر فقط . واما المذاهب السبعة الأخرى وائمة السلف فانهم يوجبون مع هذه الحرمة الحد فى القليل منها كالخمر ولو لم يسكر منه .. الخ » .

اقول : جاء فى القهستانى ج ٢ ص ١٨٧ ما نصه : (وحاصله ان شرب نبيذ الحبوب والحـــلاوات بشرطه حلال عند الشيخين بلا نيـــة لهو او طرب ، فلا يحد الســـكران منه ولا يقع طلاقه ، وحرام عند محمد فيحد ويقع طلاقه وعليه الفتوى) . ويؤيده ما فى رد المختار أيضا وفى شرح الوهبانية :

وفى عصرنا فاختير حد واوقعـــوا	**طلاقا لمن من مسكر الحب يسكر**
وعن كلهـــم يروى ، وافتى محمد	**بتحـــريم ما قد قل وهو المحـــرر**

وعليه فان ما ورد فى هذه الفقرة بان محمد لا يرى وجوب الحد الا فى حالة السكر مخالف لهذا النص الفقهى ولما جاء فى شرح الوهبانية » .

انتهى كلام الاســـتاذ الســـبسبى فى الملاحظة (٢٦) من انتقاداته . وقد

عجبنا من دعواه المخالفة بين ما فى الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة وما نقله من النقول عن القهستانى ، وعن المنظومة الوهبانية (لا شرحها) ، ووضعنا العبارات تحت المجهر لنرى تلك المخالفة التى ادعاها فأعجزتنا رؤيتها . فان قول القهستانى : (فيحد ويقع طلاقه) مرجع ضميره الى السكران السابق الذكر ولا مرجع له مذكور سواه .

فالقهستانى وابن وهبان فى منظومته ميز كل منهما بين الحرمة والحد عند الامام محمد ، وبينا أن تناول القليل من هذه الأنبذة حرام عند محمد . واما الذى يسكر منها فانه يحد عنده ، ويقع طلاقه اذا طلق . وهذا عين ما جاء فى الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة فأين المخالفة ؟!!

فان قيل : فما فائدة الحرمة عند محمد اذن فى القليل اذا كان لا يحد منه ؟

نقول : ان هذا السؤال لا يعترض به على كلام الموسوعة التى نقلت راى الامام محمد بأمانة ، ولكنه يوجه الى راى الامام محمد نفسه . وان الموسوعة قد توقعت هذا السؤال ، ووضعت جوابه ولكن الاستاذ الناقد قد حذفه من كلامها الذى نقله ليفتح بهذا الحذف ثغرة الى النقد !!

ففى الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة الذى نقله الاستاذ الناقد بعد قولها (ولكن لا يرى وجوب الحد على شاربها الا فى حالة السكر فقط) جملة قد حذفها الاستاذ الناقد من بين الكلام — على كبير أهميتها وتلك الجملة المحذوفة — هى : (وفى غير تلك الحالة فالعقوبة هى التعزير) وقد سبق أن نقلناها حين عرضنا مضمون الفقرة ٦٧ فى المثال الاول ومنها يتضح أن جزاء حرمة شرب القليل من هذه الأنبذة غير الخمر عند محمد هو عقوبة التعزير . أما الحد فلا يقام عنده الا على من يسكر منها .

وليس هذا هو المحل الوحيد الذى يعمد فيه الاستاذ الناقد حين ينقل كلام الموسوعة الى حذف الجزء الذى ينص على وجوب العقوبة التعزيرية حين عدم توافر شرائط اقامة الحد فى بعض الحالات فى نظر الفقهاء ، بل تكرر منه ذلك فى أماكن اخرى :

ففى الملاحظة (٢٧) من انتقاداته ص (١٩) قال ما نصه :

« ورد فى الفقرة (٨٢) « اى من موضوع الاشربة الموسوعى » المتعلقة فى البنج والحشيش والأفيون : فان اكل الشخص شيئا من ذلك لا يقام عليه حد الشرب او السكر وان تخدر منه لأن الشرع اوجب الحد بالسكر من المشروب المائع لا الماكول » .

اقول : ان هذا مذهب السادة الحنفية . واما عند الأئمة الشافعية فقد وجب اقامة الحد بالسكر الخ .. » انتهى كلامه .

فهنا أيضا حذف الاستاذ الناقد بقية عبارة الموسوعة على اهميتها وكونها قيدا ضروريا ، منعا لتوهم الاباحة من عدم اقامة الحد وتلك التتمة التى حذفها من كلام الموسوعة هى : « وانما يعاقب بالعقوبات التعزيرية الاخرى ، أو بالضرب دون الحد الشرعى وفقا لما يراه القاضى محققا للزجر والردع » فقد بتر الاستاذ الناقد هذه التتمة من عبارة الموسوعة واقتصر على جملة عدم اقامة

حد الشرب أو السكر !! فحذف من عبارة الموسوعة صمام امانها تمهيدا لمهاجمتها ظلما ، لأنه لو ابقى العبارة كما هى لما بقى مجال لنقدها !

هذه صورة اجمالية مدعومة ببعض الأمثلة الناطقة المفصحة عن طبيعة انتقادات الاستاذ السبسبى لموضوع الأشربة من الموسوعة الفقهية فى طبعته التمهيدية دون تتبع . وهى تعطى فكرة عنهـا كلها ، لأنها جميعا تجرى على نغم واحد .

وقد جاء فى مقدمة انتقاداته هذه قوله : « ولقد لفت نظرى أن هذا الكتيب فيما يظهر عليه أنه ليس من وضع لجنة الموسوعة وانما استكتب من خارج اللجنة ، وجرت عليه بعض التعديلات واخرجته الموسوعة على أنه من بعض أعمالها ، وقد استغربت أن تجعل لجنة الموسوعة باكورة اعمالها تبنى موضوع ليس من انتاجها » !!

فهنا لا بد لنا من وقفة على هذا الكلام تنويرا لمن يهمه أن يعلم :

يظهر أن الاستاذ لم يقرأ الملاحظة البارزة التى وضعت آخر الموضوع فى صفحة مستقلة (ص ٥٦) لفتا للانظار اليها وفيها اعلنت ادارة الموسوعة : « ان هذا الموضوع مما استكتب من خارج جهاز الموسوعة وأجرى عليه فى ادارتها تنقيح كثير وتعديلات أساسية واسعة » . ولذا احتاج الاستاذ الناقد أن يستنتج هذا استنتاجا ، ويسوقه بأسلوب يوحى بأن الموسوعة اخذت عمل غيرها « واخرجته على انه من بعض أعمالها » !! هذا مع اننا نبهنا فى تلك الملاحظة البارزة فى آخر الموضوع على أن للموسوعة طريقين تسلكهما فى تحرير الموضوعات الفقهية : « فبعضها يكتبه أعضاء هيئة التحرير فى جهاز الموسوعة ، وبعضها يستكتب من خارج جهاز الموسوعة » أى لقاء مكافأة مالية .

والواقع أن الموسوعة بدأت اعمالها بطريق الاستكتاب ، وهى الطريق الأساسية الرئيسية المعتادة فى تحرير الموسوعات العلمية فى العالم . أما وجود هيئة تحرير ثابتة فى مركز الموسوعة فهذا نافلة لجأت اليه الادارة هنا ابتغاء زيادة الجهود . فأى موسوعة علمية فى العالم تبلغ عشرات المجلدات الضخمة تستطيع لجنة من بضعة أفراد أن تقوم هى وحدها بكتابتها على تنوع اختصاصاتها ؟ وهناك فى اقطار العالم العربى والاسلامى فقهاء ممتازون لا يستطيعون ترك أوطانهم والاقامة فى سواها ، وقد يكونون أعلى كعبا فى العلم والكتابة الفقهية الموسوعية من سواهم ، فاشراك هؤلاء فى تحرير الموسوعة يجعلها نتاجا مشتركا تعاون عليه كل ذى طاقة من علماء المسلمين ، وليس نتاج بضعة أفراد .

وبعد ، فان ادارة الموسوعة لا تكره النقد والملاحظات ، بل هى التى طلبته وطبعت هذا الطلب عبارة ثابتة على طرة كل موضوع فى الطبعة التمهيدية . ولكننا لا نستطيع الترحيب بالنقد على غير بصيرة ، بل نريده نقدا بناء . فعملنا ونحن بشر من فرد او لجنة لا يخلو من نقص أو خطأ أو عيوب

ولاسيما العمل المبتكر ،فان العصمة لله وحده . فيجب أن يتعاون النقد البرىء المخلص مع الموســـــوعة ليأتى النتاج أقرب الى الـــكمال بقدر الامكان خدمة للشريعة الاسلامية الخالدة وثروتها الفقهية العظمى التى هى أمانة فى أعناقنا .

وهذا العمل الضخم لا ينهض به فرد ولا لجنة ما لم يتعاون عليه القادرون باخلاص من كل اقطار العالم الاسلامى ، مالا وعلما ومجهودا ، كل فى حدود قدرته . وعلى هذا الأســـاس قام هذا المشروع هنا فى الـــكويت ، وعلى هذا الأساس نبتت فى ادارة المشروع فكرة الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة رغم تكاليفها الباهظة ، وان الادارة تشكر كل من يتجاوب معها فى هذا الشعور ويهديها ملاحظاته وانتقاداته البريئة ارشادا وتصحيحا وتوضيحا ، لا تشـــهيرا وتجريحا . هدانا الله سبحانه الى سواء السبيل .

العمرة في رمضان

للعمرة فى رمضان ثواب كبير يساوى ثواب حجة

روى البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراة من الانصـــار سماها .. ما منعك أن تجىء معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه ابو فلان وابنه — لزوجها وابنها —وترك ناضحا ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمرى فيه فان عمرة فى رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفى رواية مسلم) قال : فعمـــرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى .

ولكن يجب أن يعلم ان العمرة فى رمضان وان كان لها مثل ثواب الحج الا انها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة .

عمرات النبى وزمانهـــا

روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر اربع عمر كلهن فى ذى القعدة الا التى مع حجته . عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية فى ذى القعدة ، وعمرة مع العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من جعرانه حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة ، وعمرته مع حجته .

وانما اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة لفضيلة هذا الشهر، ولمخالفة الجاهلية فى ذلك فانهم كانوا يرونه من افجر الفجور ففعله صلى اللـــه عليه وسلم مرات فى هذا الشهر ليكون أبلغ فى بيان جوازه فيها ، وابلـــغ فى ابطال ما كانت الجاهلية عليه .



كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة هو النموذج الذى احتذاه المعمار الاسلامى لبناء المساجد فى الامصار والولايات الاسلامية على مر الازمان ، فالصحن المكشوف الذى يتوسط المبنى يحيط به رواق من كل جانب ، ونظام الاعمدة التى تحمل السقف اتخذ من المبانى والمعابد القديمة اول الامر ثم استبدلت باعمدة الرخام أو الآجر فيما بعد .

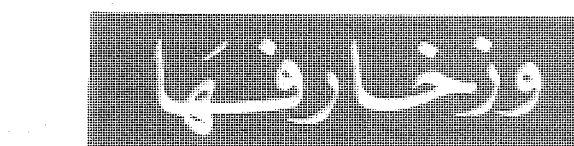
وكانت سنة التطور تقضى بتزيين المساجد وتنميقها وزخرفتها حتى تتفق هذه المساجد مع عظمة الدولة الاسلامية وسلطانها الذى امتد من الهند فى الشرق حتى المحيط الاطلسى فى الغرب ، كما أن المساجد عدت بمثابة معاهد للدراسة والعلم ومكانا للتحدث والتشاور فى امور الدولة يلقى فيها الخليفة اوامره وتعليماته ويحث فيها على الجهاد فى سبيل الله ويدعو المؤمنين الى الانخراط فى سلك الجيش للدفاع عن حدود البلاد كما انه يجب ان تحظى المساجد باهتمام الحكام فهى بيوت الله يجدر الاهتمام بها تعظيما لها وتقديرا لمكانتها فى نفوس المسلمين .

المـــآذن :

ولم تكن المآذن معروفة أيام النبى عليه الصلاة وازكى السلام ، بل كان بلال يؤذن من أعلى سطح يجاور مســجد المدينة ، ولما فتح العرب دمشــق وشاهدوا فى معبدها القديم صوامع مربعة الشكل فى الاركان الاربعة للسور الذى كان يحيط بالمعبد ، وجــدوا فى هذه الصــوامع مكانا مناســبا للأذان لارتفاعها عن المبانى ولامكان سماع صوت المؤذن من شرفاتها بوضــوح ، وقد امر معاوية بن ابى سفيان ببناء اربع مآذن لمسجد عمرو بن العاص (بالفسطاط) فى مصر عام ٥٣ هـ ولا زالت كلمة صومعـــة تعنى مئذنة فى بلاد المغرب حتى الوقت الحاضر .

ومن المآذن الفريدة فى طرازها وضخامتها منارة جامــع القيروان التى شيدها حاكم القيروان بشر بن صفوان بأمر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك فى عام ١٠٥ هـ وهى مربعـــة التخطيط وتتكون من ثلاث طبقات يبلغ ارتفـــاع القاعدة ١٨٫٨٧ مترا وارتفاع الطابق الثانى خمسة أمتار والثالث يصل ارتفاعه نحو ٧٫٥٠ مترا وهكذا تصل المنارة الى ٣٩٫٨٩ مترا عدا القبة التى تتوجها .

أما طــول ضلع القاعــدة فحــوالى ١٠٫٦٧ مترا وتميــل ميــلا هرميا حتى تصبح فى اعلى الطابق الاول ١٠٫٢٠ مترا وهذا الميل الهرمى يدل على فطنة المعمار الاسلامى وادراكه العلمى الصحيح لاسلوب البناء اذ جعل للبناء نوعا من التوازن السليم يحفظه من السقوط ولا تظهر ظاهرة الميل الهرمى فى

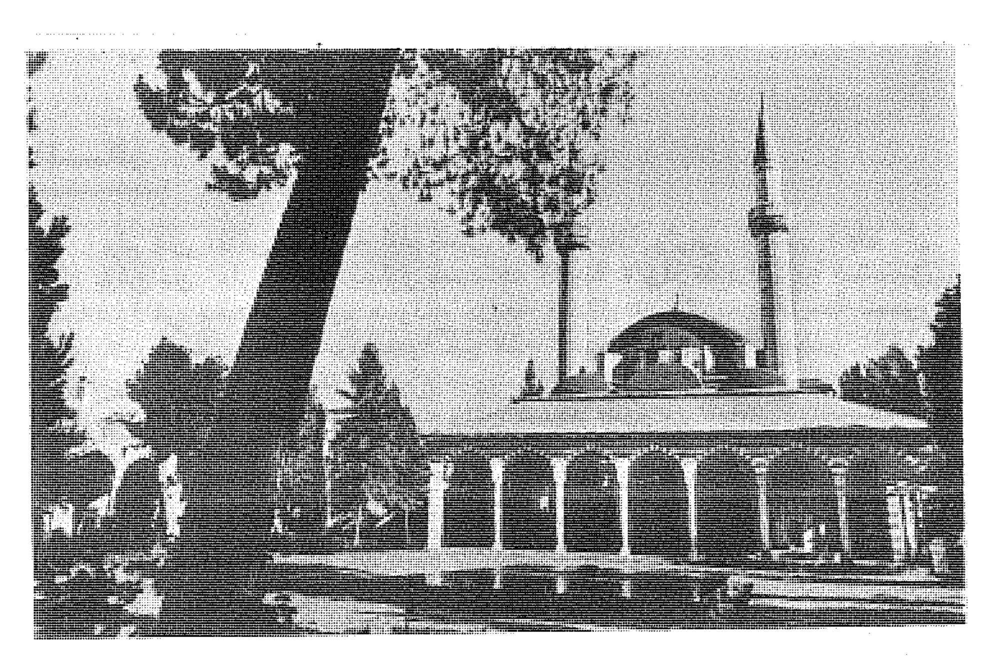


للأستاذ
محمد الحسيني عبد العزيز

الطابقين العلويين من المنارة اذ يبلغ ارتفاع طول ضلعيها على التوالى ٧٫٥٩م ١٦٫٥م وقاعدة المنارة مشيدة من الحجر وتبتدىء بسبعة مداميك من كتل من الحجر اخذت من الآثار الرومانية القديمة ويبلغ ارتفاع كل من الاربع مداميك الاولى ٤٧سم بعضها نقشت عليه حروف لاتينيه اما باقى المنارة فقد بنيت من قطع منتظمة صغيرة من الحجر سمكها ١٣٫٥سم وتبدو لصــغر حجمها كأنها مصنوعة من الآجر ، ويصعد المؤذن من داخل المنارة على درج يصعد الى قمتها يلتف حول كتلة مربعة وفى أعلى الطابق الثالث جوسق ارتفاعه ٤٫٥٠م وتعلوه قبة حوالى مترين . ويغلب على بناء المنارة فى العمارة السورية .

ومن روائع منارات المغرب منارة جامع حســان بن النعمان الرائعة فى مبناها وزخارفها وقد اقيمت فى الجهة الشمالية من المسجد وهى مربعة الشكل طول ضلعها ١٦ مترا وارتفاعها ٥٦٫٥٠م وهى مطعمة من الخارج بحجــارة زهرية اللون تحولت بفعل المناخ الى اللون الأحمر ، وهكذا فمنارة مسجد حسان من أجمل المنارات فى فن العمارة المغربى .

ومنارة جامع أحمــد بن طولــون فى القطائع حاضرة مصر الطولونيــة



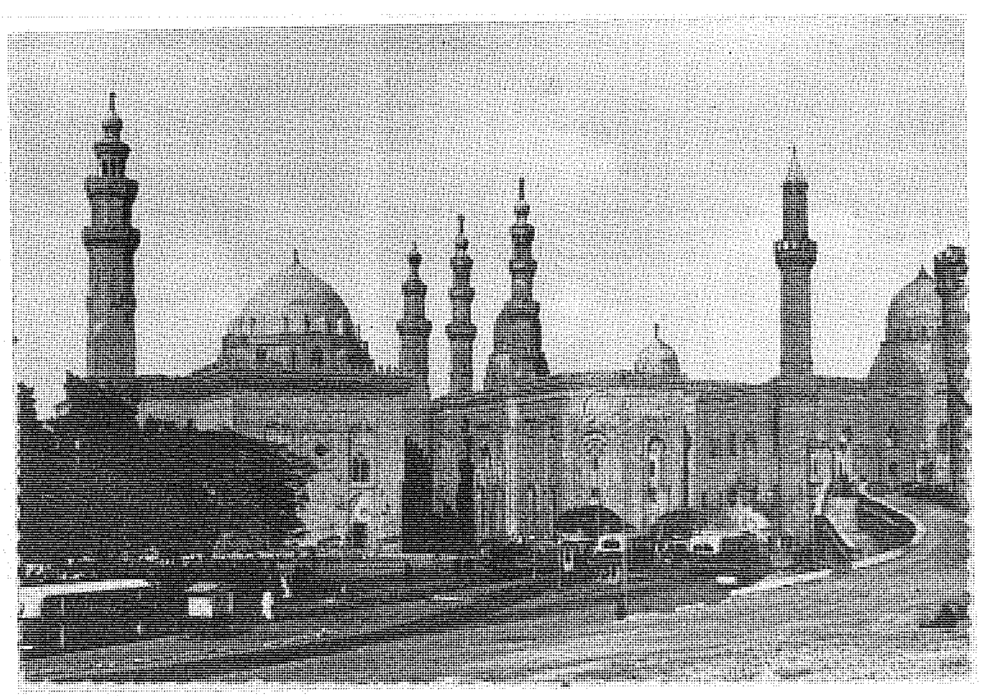
طراز المآذن العثمانية

فريدة فى طرازها حيث يصعد الى قمتها بدرج حلزونى يدور حولها من الخارج ، والمنارة مربعة المسقط تقريبا (١٢ر٧٨ × ١٣ر٦٥ مترا) وترتفع الكتلة الحجرية السامقة الى مايربو عن أربعين مترا فى روعة وفخامة وتتكون المنارة من ثلاث طبقات يصعد الى سطح الطبقة الاولى بعد ان يرقي الانسان مائة وسبعين مرقاة ، وتعلو الثانية سابقتها بنحو ستة عشر مرقاة وينتهى السلم الى الطبقة الثالثة التى بنيت على هيئة مبخرة تغطيها قبة مثمنة .

وقد اقتبست هذه المئذنة عن المنارة الملوية التى شيدها المتوكل العباسي بمسجده بمدينة سامرا بالعراق ٢٣٤ هـ وقد أخذت الاخيرة عن المعابد البابلية التى كانت مستطيلة التخطيط غالبا او مربعة ، وطرازها برج مدرج ذو طبقات تتناقص اضلاعها كلما ارتفع البناء وواجهتها عمودية ويصل الصاعد الى قمة الطابق الاسفل عبر سلم خارجي شديد الانحدار والى الطبقات العليا بامتداد هذا السلم ومسقط المنارة مربع ذو مطلع قليل الانحدار يدور حول البناء فى دورات كاملة حتى القمة .

ومن أروع المآذن الاسلامية واعظمها منارة مسجد اشبيلية التى أمر ببنائها الخليفة ابو يعقوب يوسف عام ٥٨٤ هـ وقد شيدت من الآجر على مثال منارة جامع حسان ومنارة جامع الكتبية بمر اكش ويشهد بناؤها على روعة الفن الاسلامي وجمال زخارفه ويصل ارتفاعها ٩٦ مترا ويصعد اليها من الداخل بواسطة ممرات رصفت بالآجر ولها نوافذ وشرفات وتتوجها تفاحات مذهبة قام بصنعها ابو الليث الصقلى .

ولنعد الى منارة جامع قرطبة أول مسجد شيد بالاندلس وكان درة المساجد الاسلامية والنموذج الاساسى الذى احتذاه المعمار الاسلامى فى بناء المساجد هناك ، وقد شيد لمسجد عبد الرحمن الداخل صومعة (منارة) تتناسب مع حجم المسجد وقت بنائه ولما تولى الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) عام ٣٤٠ هـ أمر ببناء صومعة عظيمة بدلا من صومعة هشام التى كانت قد تصدعت وجمع لها شيوخ المهندسين واحضر لها الحجارة الضخمة وكان

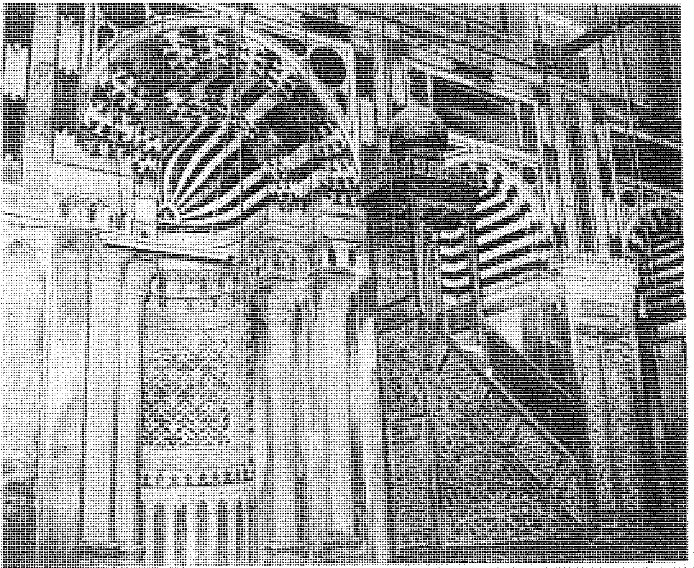


جامع السلطان حسن مآذنة على طراز المملوكى

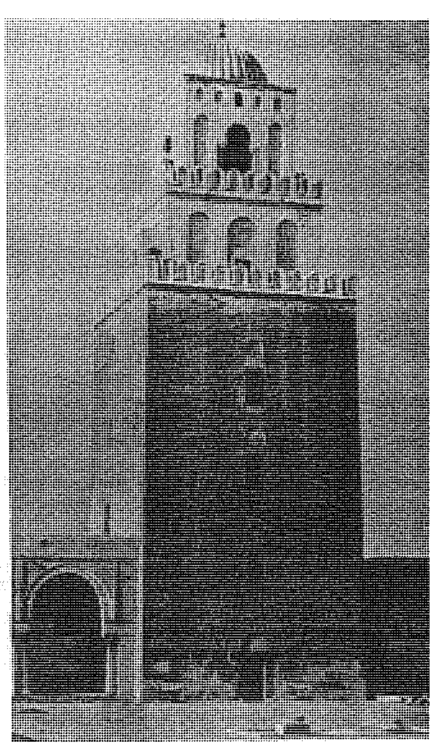
للصومعة الاولى مصعد واحد لكن المنارة الجديدة ذات مصعدين فصل بينهما بالبناء فلا يرتقى الصاعدون اليها الا عند وصولهم اعلاها ، وكان لكل مطلع منها مائة وسبع ادراج ونصب فى أعلى الصومعة سورا ركبت فيه ثلاث تفاحات تبهر الناظر بجمالها ، السفلى والعليا من الذهب المفرغ والوسطى من الفضة وارتفاع كل تفاحة ثلاثة اذرع ونصف ذراع وكان طول كل جانب من قاعدتها المربعة ٨٫٤٨ مترا وكان نظام بنائها على اساس كتلتين من الحجر موضوعتين بعرضهما بين كتلة طويلة طولها (١٫٥٠ × ٧٠ر مترا) وقد اهتم الباحثون بدراسة هذه المنارة واثبتوا انها كانت ذات نوافذ وعقود متجاورة للغاية يزينها فى محيطها شريط بارز .

وقد امتاز العصر الأيوبى بنماذج جديدة للمنائر حيث تتكون من قاعدة مربعة تنتهى بشرفة مثمنة محمولة على كوابيل خشبية ويعلوها طابق آخر مثمن الشكل واقل ارتفاعا من السفلى ويعلو المنطقة المثمنة صفان من المقرنص (حنية كالمحارة) وفى نهاية المنارة من قمتها قبة لها استطالة رأسية مضلعة تعرف باسم المبخرة ونموذج هذه المنارات منارة الصالح نجم الدين ايوب بالقاهرة .

وجاء عصر المماليك البحرية بطراز جديد للمآذن فى مصر فقد تحول أسلوب بنائها فى الطابق الاوسط من المربع الى المثمن والشرفة الجميلة التى تفصل هذا الجزء المثمن الاوسط عن العلوى محمولة على صفوف من المقرنصات والمثمن العلوى اقل ارتفاعا وضلعه أصغر من سابقه وتزخرف اضلاعه الصماء أشرطة افقية من الرخام الملون وينتهى هذا المثمن بشرفة محمولة على المقرنصات (الدلايات) وتعلوها سقيفة مثمنة محمولة على أعمدة رخامية رفيعة يتوجها كورنيش بارز من المقرنصات بقمته نهاية منتفخة .



محراب مسجد محمد على بالقلعة القاهرة



ـة جامع القيروان

اما فى عصر المماليك الشراكسة (١٣٨٢ ــ ١٥١٦ م) فتتكون المنارة من مربع يليه مثمن فدائرة ويظهر جمال النسب وروعة الانسجام فى شكل البناء مع رشاقة التصميم وتمثلها منارة السلطان قايتباى بصحراء المماليك فهى تحفة معمارية من حيث جمال النسب ودقة التفاصيل .

اما المنائر التركية فتمتاز بصغر بدنها وزيادة ارتفاعها حتى اصبحت رفيعة مدببة اشبه بالقلم الرصاص وتتكون كل منها من ثلاث مناطق متعددة الاضلاع تفصلها عن بعضها ! شرفتان محمولتان على صفوف من المقرنصات وتنتهى كل منها فى اعلاها بقمة مخروطية مدببة وقد اقتبست عن سانتا صوفيا ، ويمثلها مسجد السلطان احمد فى اسطنبول ومسجد محمد على بالقاهرة .

وتمتاز عمارة المساجد الفارسية بالمآذن الاسطوانية ، اما الهندية فمآذنها اسطوانية أو مضلعة الشكل التى تتخذ شكلاً مخروطيا فى أعلاها ويمثلها المسجد الجامع فى دلهى من القرن الحادى عشر الهجرى .

المحاريب :

ولم يكن المحراب المجوف معروفا قبل العصر الأموى حيث اقتبسه المعمار الاسلامى عن المعابد بدمشق وقد ظهر أيام الوليد بن عبد الملك فى مسجده الذى شيده بدمشق كما نقل النظام والأسلوب الى مسجد المدينة ومسجد عمرو بالفسطاط وكان المحراب بسيطا لا نقش فيه ولا زخرفة يتفق مع بساطة الدين فلما عظم شأن الدولة الاسلامية وزاد رخاؤها وكثرت مصادر خيراتها من الولايات والأمصار التى دخلت فى حكمها تفنن المعمار فى تزيين المحراب وتنميقه

نكساه بالرخام المختلف الألوان وطعم أجزاءه بقطع الفسيفساء النادرة ومن الأمثلة على هذا التجديد والتهذيب ما يشاهد فى محراب ابن طولون .

وكانت عناية الفاطميين بالمساجد وتزيين المحاريب بالغة اذ وضح الاهتمام كما يشاهد فى المحراب المعزى الذى شيده القائد جوهر فى الجامع الازهر ، ويمتاز المحراب بزخارفه وكتاباته التى تنطق روعة وجمالا ، فضلا عن زيادة عدد المحاريب فى المسجد ، ومنها المحراب الذى امر الخليفة الآمر بالله الفاطمى بعمله وقد صنع المحراب من الخشب وتزخرفه نقوش وكتبت فوقه لوحة من الخط الكوفى نصها « بسم الله الرحمن الرحيم » « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور بن عبد الله أبى على الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين فى شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله وحده .

كما امر الحكم المستنصر الأموى عام ٣٥٤ هـ ببناء محراب ثالث لمسجد قرطبة وكساه بالرخام المزين كما شيد قبة ضخمة رصعت بقطع من الفسيفساء قام بصنعها فنانون من القسطنطينية .

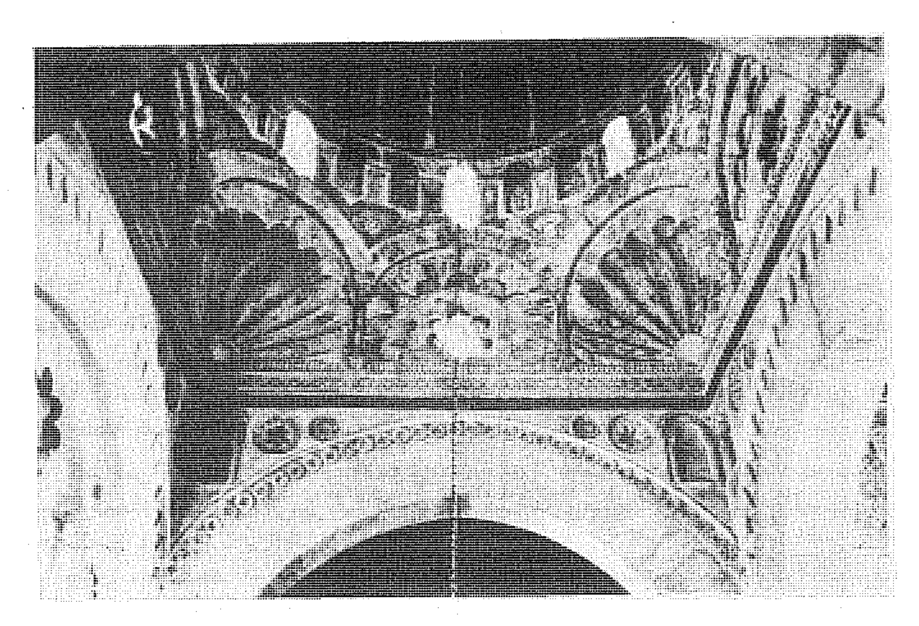
ونال مسجد ابن طولون عناية الخلفاء الفاطميين حيث امر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى عام ٤٢٧ هـ بتشييد محراب للمسجد وجاء المحراب آية فى الروعة والابداع فى زخارفه وطريقة الحفر ودقتها ، وسجل عمله بكتابة كوفية مزهرة أمر بانشاء هذا المحراب خليفة امير المؤمنين الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين السيد الأجل الأفضل سيف الاسلام شرف الأنام ناصر الدين .

وقد حظى المسجد برعاية احد حكام المماليك حسام الدين لاجين عام ٦٩٦هـ الذى شيد محرابا لمسجد ابن طولون زينه بقطع الفسيفساء المذهبة وأرخ المعمار هذا التجديد للمحراب بهذه العبارة « اقام هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين سلطان الاسلام » .

ومن المساجد المملوكية مسجد الرفاعى الذى أمر ببنائه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ووالى القاهرة ومحتسبها حوالي عام ٥١٦ هـ ويتوسط الجدار الشرقي المحراب الكبير الذى كسى بالرخام الملون كما زين عقده وتواشيحه بمزررات رخامية ملونة فوقه مقرنص مذهب ، ويقوم على جانب المحراب منبر كبير ، حاشيته موشاة بالعاج والابنوس ونقشت قبته ومقرنصاته بالذهب .

ومن أشهر المحاريب فى صناعتها وزخرفتها محراب السيدة نفيسة الذى يتألف من عدة حشوات مجمعة تضم زخارف نباتية ورسوما هندسية وله اطار يجرى فيه شريط من الكتابة الكوفية كما يجرى شريط آخر حول حنية القبلة نفسها ، والزخارف النباتية فى هذا المحراب غاية فى الدقة وفيها سيقان ووريقات بينها اوراق العنب والعناقيد مرسومة فى اسلوب قريب من الطبيعة وتتألف زخارف حنية القبلة من رسوم متشابكة وبينها وريقات وفروع نباتية اكبر حجما وهى غنية بالمراوح النخلية واوراق العنب وحباته .

اما محراب السيدة رقية فهو احدى آيات الصناعة وتتألف حنية القبلة فى هذا المحراب من حشوات سداسية الشكل مجمعة بحيث تحصر بينها حشوة علي شكل نجمة ذات ستة اطراف وتزين كل حشوة من الحشوات سيقان نباتية

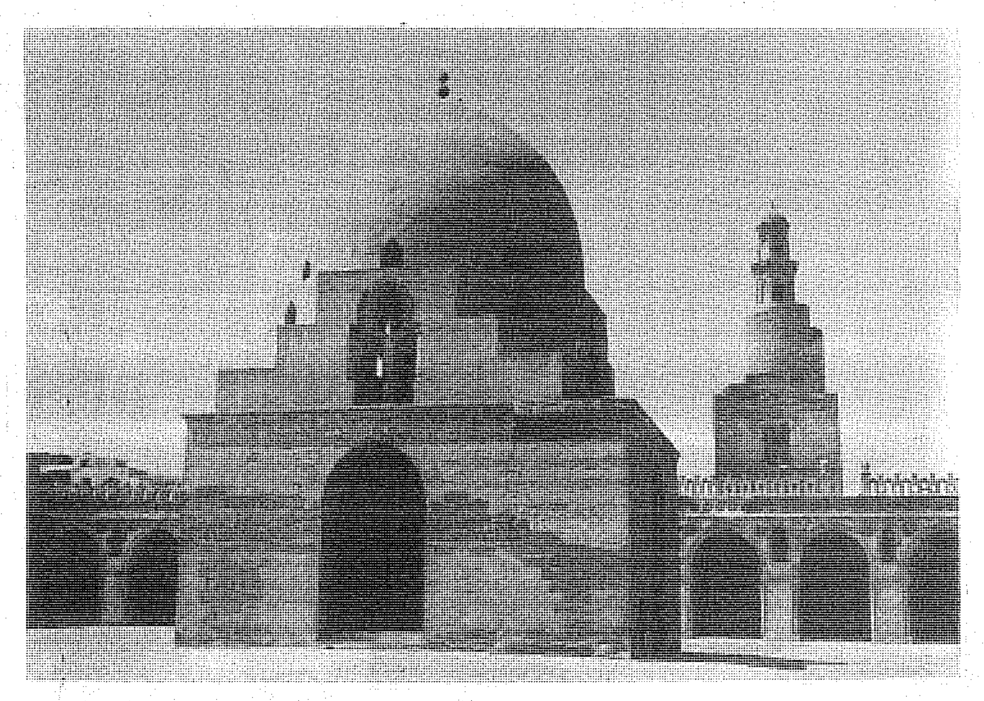


واجهة محراب جامع القيروان

دقيقة فيها وريقات ذات فصوص تحف بها كتابة بالخط الكوفى المورق ، وواجهة المحراب من خشب جيد ومزخرفة بحشوات من الساج وخشب زيتون على شكل نجوم وأشكال هندسية كثيرة الاضلاع ووريقات دقيقة ويحيط بالزخارف اطار من الكتابات الكوفية ، وظهر المحراب مزين يتسع حشوات كبيرة بين رسومها تباين جميل فالمعينات والأشكال النجمية مزينة بفروع نباتية قليلة الحفر بينما الحشوات الأخرى مزينة بأوراق عنب وعناقيد عميقة فى حفرها .

ومحراب المستنصر الفاطمى يتألف من قبلة من الخشب يحف بها عمودان ينتهى بكل منهما بمحمل وبقاعدة رومانية الشكل ويرتكز عليها عقد فارسى كعقود الرواق الرئيسى بجامع الازهر ويحيط بالقبلة شبه اطار فى كل من جانبيه الايمن والايسر أربع حشوات من خشب النبق وفيها زخارف نباتية ووريقات ذات ثلاث او خمس فصوص وفوق المحراب نص بالخط الكوفى « بسم الله الرحمن الرحيم » « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

وفى الاندلس الاسلامية يعد محراب جامع قرطبة النموذج لفن المعمار الزخرفى فقد اهتم المهندس العربى ، وعنى به اكبر عناية لانه أنبل مكان فى المسجد « فقوسه أحكم تقويس ووشمه بمثل ريش الطواويس حتى كانه بالمجرة مقرطق وبقوس قزح ممنطق وكان اللازورد حول وشومه وبين رسومه نتف من قوادم الحمام أو كسف من ظلل الغمام » وعلى واجهته سبع عقود ثلاثية الفصوص مزججه دقيقة التكوين والزخرفة يعلوها افريزان بين بحرين من الفسيفساء المذهب على أرض الزجاج اللازوردى وتحت هذه العقود افريزان آخران وعلى رأس المحراب خصة من الرخام مشبوكة محفورة منمقة تشبه



منارة جامع ابن طولون ـ القاهـرة

القوقعة المقلوبة ويؤزر المحراب من واجهته لوحتان جانبيتان من الرخام حفرت فيهما توريقات وتشجيرات غاية فى الجمال والروعة .

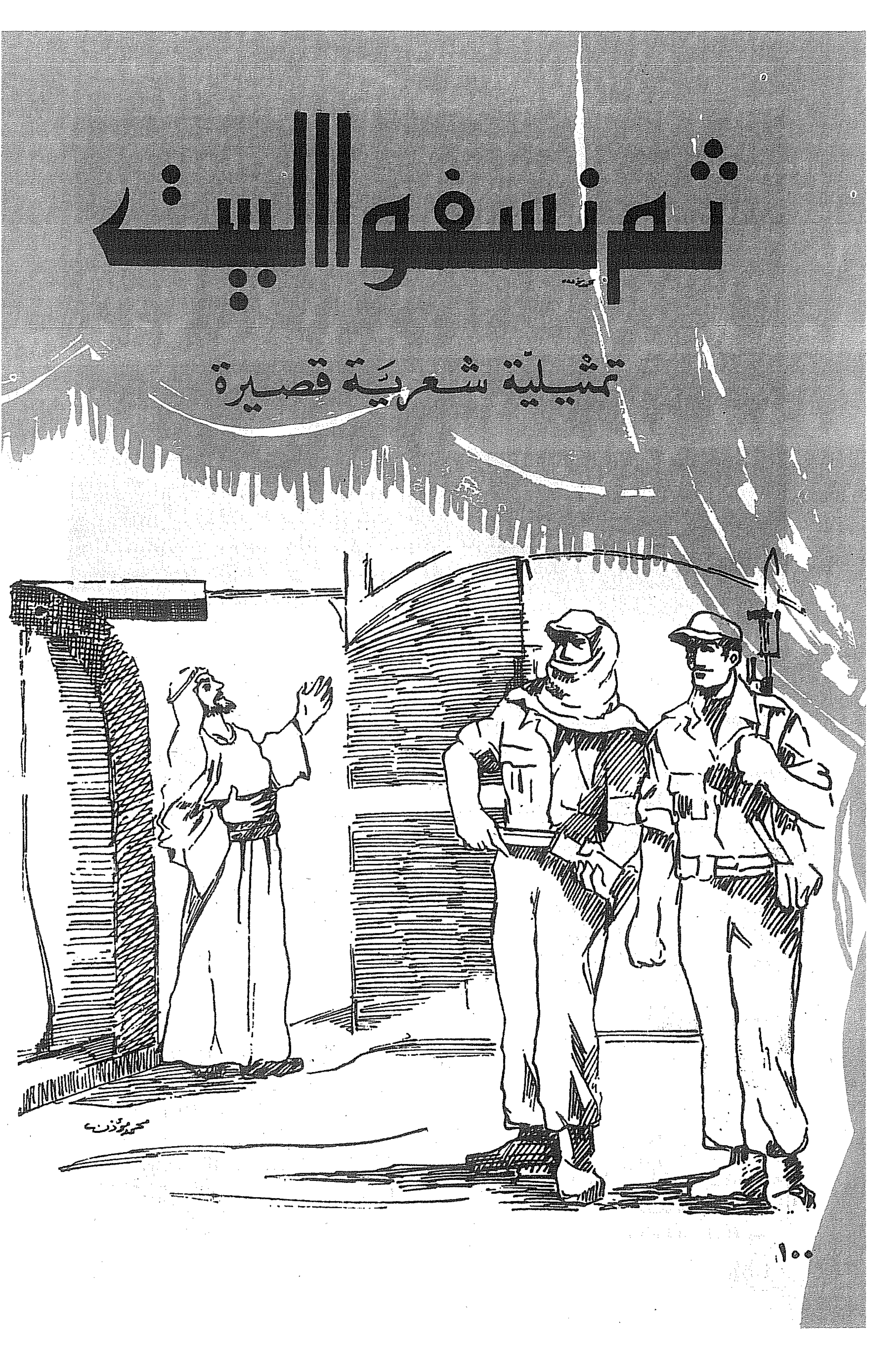
ويختلف محراب مسجد محمد على بالقلعة عن الاسلوب الزخرفى البسيط الذى يسود المحاريب التى اقامهـا العثمانيون فى مسـاجدهم على حين يزخر محراب مسجد محمد على بالرخام الالبستر حليت طاقيته بزخارف مذهبة تمثل اشعة الشمس يجاوره منبر رخامى جديد بالقرب من المنبر الخشبى القديم وهو اكبر منبر حلى بنقوش بارزة مذهبة .

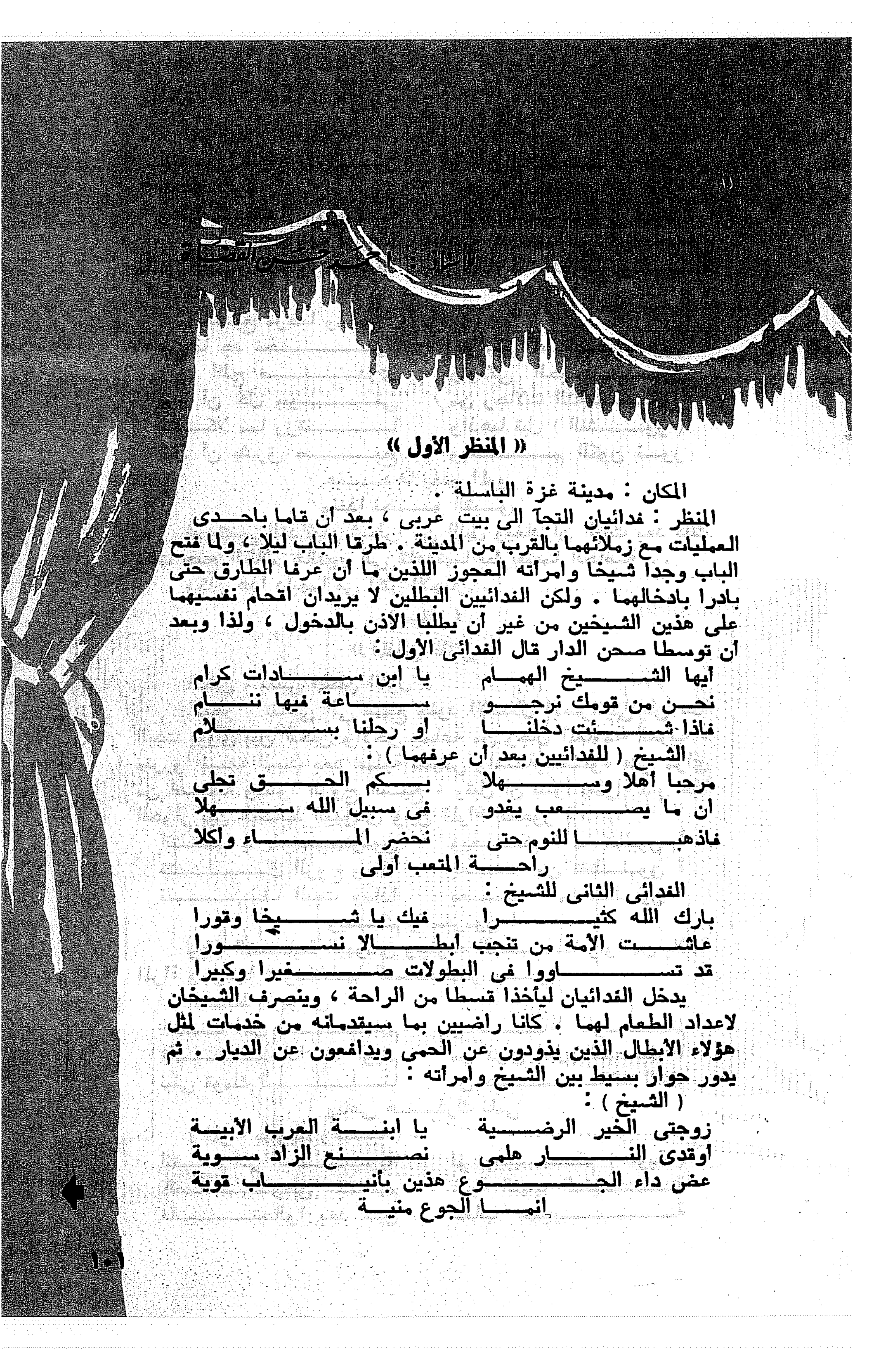
وعلى هذا النحو تطور المحراب فى أسلوبه وزخارفه فبعد ان كان مسطحا فى عهد النبى والخلفاء الراشدين واوائل العهد الاموى غدا مجوفا رائعا فى زخرفته بديعا فى صنعه كسى بالرخام ووشـى بالفسـيفساء المذهبة وأحيط بعمودين معقودين ونقشت على واجهته الآية القرآنية الكريمة « كلما دخل عليها زكريا المحراب ... » وتفنن المعمار فى نقشه وزخرفتـه بالكتابات الكوفيـة والنسخية والزخارف البديعة .

المنابر :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فى مسـجده الاول بالمدينة وهو مستند الى جذع نخلة وقد اتخذ الرسول الكريم المنبر من خشب الاثل وكانت له

ـ البقية على الصفحة (١٠٤) ـ


ثم نسفوا البيت
تمثيلية شعرية قصيرة
١٠٠



« المنظر الأول »

المكان : مدينة غزة الباسلة .

المنظر : فدائيان التجآ الى بيت عربى ، بعد أن قاما باحـــدى العمليات مع زملائهما بالقرب من المدينة . طرقا الباب ليلا ، ولما فتح الباب وجدا شيخا وامرأته العجوز اللذين ما أن عرفا الطارق حتى بادرا بادخالهما . ولكن الفدائيين البطلين لا يريدان اقحام نفسيهما على هذين الشيخين من غير أن يطلبا الاذن بالدخول ، ولذا وبعد أن توسطا صحن الدار قال الفدائى الأول :

أيها الشـــيخ الهمـــام ... يا ابن ســـادات كرام
نحـــن من قومك نرجـــو ... ســـاعة فيها ننـــام
فاذا شـــئت دخلنـــا ... أو رحلنا بســـــلام

الشيخ (للفدائيين بعد أن عرفهما) :

مرحبا أهلا وســـهلا ... بـــكم الحـــق تجلى
ان ما يصـــعب يغدو ... فى سبيل الله ســـهلا
فاذهبـــا للنوم حتى ... نحضر المـــاء وأكلا
راحـــة المتعب أولى

الفدائى الثانى للشيخ :

بارك الله كثيـــرا ... فيك يا شـــيخا وقورا
عاشـــت الأمة من تنجب أبطـــالا نســـورا
قد تســـاووا فى البطولات صـــغيرا وكبيرا

يدخل الفدائيان ليأخذا قسطا من الراحة ، وينصرف الشيخان لاعداد الطعام لهما . كانا راضيين بما سيقدمانه من خدمات لمثل هؤلاء الأبطال الذين يذودون عن الحمى ويدافعون عن الديار . ثم يدور حوار بسيط بين الشيخ وامرأته :

(الشيخ) :

زوجتى الخير الرضـــية ... يا ابنـــة العرب الأبيـــة
أوقدى النـــار هلمى ... نصـــنع الزاد ســـوية
عض داء الجـــوع هذين بأنيـــاب قوية
انمـــا الجوع منيـــة

المراة :

اننـــى طوع الأوامـــر يا ابن ابطـــال اكابر
ســوف أمضى بسرور أوقد النـــار لثائر
وهنيئـــا ومريئـــا زادنا للحـــر حاضر

وبعد ساعة وما أن أخذ الفدائيان قسطهما من الراحة حتى جلس الجميع يتناولون الطعام . وفى أثناء ذلك تحدث دردشـــة وأحاديث .

(الشيخ مرحبا ومحذرا) :

كم انا جد فخـــور ويواتينى الســـرور
ولقد اثلج صـــدرى وتولانى الحبـــور
يوم أن حل ببيـــتى من رجالات الثغـــور
فـكلا مما رزقنـــا واذهبا قبل (النشـــور)
قبل أن يشرق صـــبح ويعـــم الكون نـــور
عنـــدها يغدو المرور
منفذا نحـــو القبـــور

ثم يقضى الفدائيان شطرا من الليل ويغادران البيت بعد ذلك تحت جنح الظلام عائدين الى قاعدتهما بطريقتهما الخاصة .. وكان هذا دأبهما فى اكثر الاحيان .

(ستار)

« المنظر الثانى »

المكان : نفس المكان الأول .

المنظر : تناهى الى سمع جنود الاحتلال الاسرائيلى بأن هذا البيت يؤوى بين الحين والآخر جماعة من رجال المقاومة العرب ، فقرروا نسف البيت بعد عملية تفتيش واسعة فنسفوه على مرأى من أصحابه وقتلوا الزوج الشيخ ، وقبل ان يثنوا بالمراة دار هذا الحوار بين الضابط اليهودى وبين المراة العجوز :

أنتـــم يا مجـــرمون ويحـــكم ! ما تطلبون ؟
قتـــل الزوج وماذا بعـــده من تقتلـــون ؟
نســـف البيت وماذا بعـــده ، ما تفعلـــون ؟
ويحـــكم يا مجرمون !

يأخذ الضـــابط اليهودى وجنوده العجب لمـــا راوا من بلاغة المراة وجراتها ، ويخاطبها الضابط بمكر وسخرية :

الضابط اليهودى :

اننـــا أهل ســـلام ودعـــاة للوئـــام
فلمـــاذا قد أويتم من ذوى أهل اللئـــام ؟
نبئى قومك لســـنا من حثـــالات الأنام
ودعى هـــذرك نامى

(المراة بكبرياء وغضب) :

أنتـــم شر البـــشرية لم توحـــدكم (هوية)
كلصـــوص جمعتهم غاية النهب الدنيـــة
فاســـتحالوا بعد حين لذئاب همجيـــة

كلهم يبغى (الضحية)
يتقدم الضابط نحو المرأة مصوبا بندقيته لصدرها ، بعد أن استفزته بكلامها اللافح فتصرخ العجوز قائلة :
المرأة :
أين أبطـــال الجهـــاد من رجـــالات بلادى ؟
سمع الصـــوت (ولـــكن لا حيـــاة لمن تنـــادى)
عجزت نســـوة قومى أن يلدن أخا جهـــاد
اذا طغى ظلم الأعادى
وهنا يخاطب الضابط المرأة قبل أن يطلق عليها النار بقوله :
الضابط اليهودى (ساخرا وغاضبا) :
أين أبطـــالك أين لم لم يأتوا الينـــا ؟
كخفـــافيش الليـــالى لا يبينون علينـــا
يا عجوز الســوء هذى (طلقة) تطفح بينـــا
فخذيها واســـبقينا
ثم يطلق عليها النار فتسقط مضرجة بدمائها ، وعندئذ يذهب الضابط وجنوده عن المكان .
(ستار)
« المنظر الثالث »
المكان : نفس المكان الأول .
المنظر : تحضر الى مكان الحادث فتاة من نفس الحى بعد أن راقبت ما جرى من نافذة بيتها المجاور . كما يحضر كثير من سكان الحى الى المكان . تحدث جلبة وأصـوات حول الجثتين . تجس الفتاة نبض العجوزين فتجدهما ميتين ، فتبكى وترفع يديها صوب السماء وتقول :
الفتاة :
يا اله الكائنـــــات يا مجيب الدعـــوات !
أنت تدرى ما نلاقـــى من حثـــالات بغـــاة
ولقد طال شـــقانا فمتى نصـــرك آت ؟
أو أرحنا من حيـــاة !
يسمع الناس صوتا دون أن يتبينوا صاحبه .
(يصحب الصوت موسيقى حزينة)
الصوت :
أيهـــا الطـــالب نصرا قـــل لأقوامك طـــرا
ان نصـــر الله يأتى يوم لا تتبـــع كفـــرا
يوم لا يخرس صـــوت أو يـــكون الحـــق مرا
يوم أن يصـــحوا أهـــلك اذ بلاد العرب سكرى
ويضـــم الصف فردا بين أفراده حـــرا
هكذا الخـــالق يقضى وهو فى حكمـــه أدرى
غيـــروا (الواقع) حالا تجـــدوا عزا ونصـــرا
يتلاشى الصوت .
« ســـتار الختام »

ثلاث درجات وكان صاحب الرسالة يجلس على الدرجة الرابعة واضعا قدميه على الدرجة الثانية ولما تولى أبو بكر خليفة رسول الله صار يجلس على الدرجة الثانية على حين كان يجلس عمر بن الخطاب اثر توليه الخلافـــة على الدرجة الاولى واضعا قدميه على الارض .

ولما اتخذ عمرو بن العاص منبرا بمسجده بالفسطاط نهاه الخليفة عمر بن الخطاب وكتب اليه ـ « اما بعد فقد بلغنى انك اتخـذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين ، أو ما يكفيك ان تكون قائما والمســلمون تحت عقبيك فعزمت عليك الا ما كسرته » .

وما لبث النجار العربى أن تفنن فى صناعة المنابر من حشـــوات مجمعة ومن أروع هذه المنابر المنبر الذى صنعه بدر الجمالى لمشهد الحسين بعسقلان والذى نقل لمســجد الخليل وزخارف هذا المنبر دقيقة ويمتاز بالفروع النباتية المنقوشة فى مناطق من اشكال هندسية ومن نجوم تتألف من سيقان نباتية بين شريطين لازخرفة فيهما .

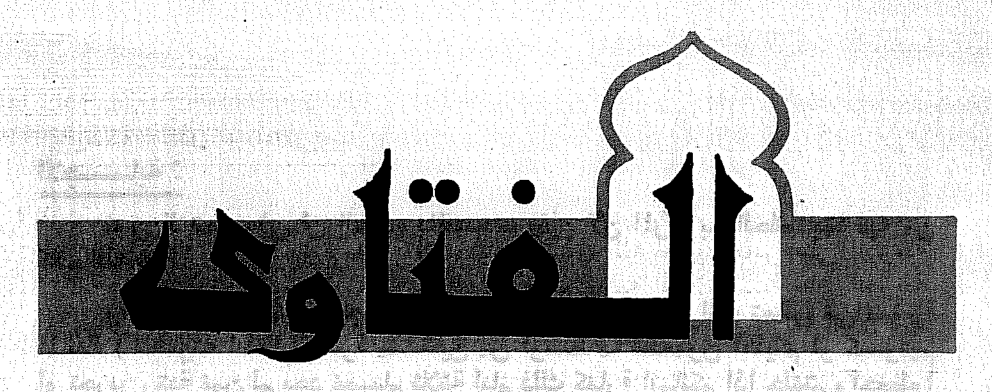
ومن التحف النادرة منبر الجامع العمرى بمدينة قوص بصعيد مصر وعليه لوحة من الخشب تشتمل على الآية الكريمة مكتوبة بخط كوفى مورق « بســم الله الرحمن الرحيم » « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وينسب الى الحافظ بالله الفاطمى .

ومن أبدع المنابر التى تنسب الى القرن السابع الهجرى منبر جامع ابن طولون ومنبر جامع المارداني والأول من خشـــب الســـاج والابنوس وزخرفته بالرسوم النباتية وقد صنع بأمر السلطان لاجين أما المنبر الثانى فحشواته من السن وقد تسربت بعض قطعه الى اوروبا لكن لجنة حفظة الآثار العربية تمكنت من شرائه واعادته الى المتحف الاسلامى بالقاهرة .

ومنبر الكتبية فى مراكش غني بالحشوات ذات الرسوم النباتية الدقيقة والاشكال المختلفة ، وحشواته عبارة عن نجوم مثمنة الإطراف ومعظم الحشوات مثلثة الجوانب وسدايب الخشب التى تحبس الحشـــوات مرصـــعة بالعاج . والاخشاب الثمينة وعليه كتابات كوفية بسيطة وموزقة وتبدو الثروة الزخرفية فى رسوم الحشوات وقوامها المراوح النخلية ذات العروق الدقيقة .

وقد صنعت بعض المنابر ابان العصر المملوكى فى مصر من الرخام واقدمها منبر مسجد الخطيرى (٧٣٧ هـ) ومنبر جامع آق ســـنقر وهو غنى بزخارفه النباتية ذات الاوراق والعناقيد .

كانت هذه المنابر موضع اهتمام الصانع الفنان المسلم وهب لها عقله وفكره لتكون رائعة فى نقوشها دقيقة محكمة فى صنعها لتليق بمكانة الامام الذى يؤم المصلين ويهديهم الى امور دينهم ويرشدهم الى اقوم الطرق لاكتساب رضاء الله كما انها كانت المكان الذى جلس عليه اشرف خلق الله محمد رسول الهدى فى اول مسجد بالاسلام ولهذا فهى جديرة بعناية الفنان وتشجيع الدولة لتدسيتها .



ميراث ذوى الأرحـــــام

الســــؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنتى بنته وبنت اخيه الشقيق فما نصيب كل منهم ؟
اسماعيل الدهشان ــ البصرة

الاجـــابة :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود فرع وارث بالفرض أو التعصيب ، ولبنتى بنته الباقى من التركة يوزع عليهما بالســوية اذ هما من الصنف الأول من ذوى الارحام ، ولا شيء لبنت الأخ الشقيق لأنها من الصنف الثالث المؤخر فى الارث عن الصنف الاول .

□ ■ □

الســــؤال :

توفى رجل عن زوجته ووالدته واخته الشقيقة واخــويه لامه (ذكر وانثى) واخيه لأبيه ، فما نصيب كل منهم ؟

عبد العليم سمهان ــ لبنان

الاجـــابة :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، ولوالدته الســـدس فرضا لوجود جمع من الأخوة ، ولأخته الشقيقة النصف فرضا ، ولاخــويه لامه الثلث فرضا بالسوية ، ولا شيء للأخ لأب لاستغراق أصحاب الفروض التركة ، وتقسم التركة الى خمسة عشر سهما توزع على النحو التالى :

الزوجة ثلاثة أسهم ، الأم سـهمان ، الأخت الشــقيقة ستة ، للأخوين للام اربعة اسهم بالسوية بينهما .

سيد على ــ ج. ع. م.

الحلف فى الانتخابات

الســــؤال :

احد المرشحين لمنصب يتم التعيين فيه بالانتخاب ــ حلف الناخبون على المصحف ان ينتخبوه ، ولا ينتخبــوا المنافسين له ، فحلف بعضهم ثم تبين له ان المصلحة العــامة توجب عليه انتخاب غيره ، فهل يلزمه شرعا التقيــد باليمين وانتخاب من حلفه غير الكفء ؟ او يجوز له شرعا ان يحنث فى يمينه ، وينتخب الكفء الصالح .

س. ع. ــ الكويت

الاجـــابة :

نص الفقهاء على أن الحلف بالمصحف يمين لأن المراد به الحلف بما فيه من كلام الله تعالى .

والحنث فى اليمين يوجب الكفارة ، وهى كما قـــال الله تعالى فى سورة المائدة (فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم) .

والحنث فى هذه الحالة مشروع ، بل هو افضل لما فيه من المصـــلحة ، عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا حلفت على يمين ، فرايت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك) .

مؤخـــر الصـــداق

الســـؤال :

توفى رجل عن زوجته قبل ان يدخـــل بها ، فما مقـــدار ما ترثه فى مؤخر صـــداقها ؟

ابو فارس ــ دمشق

الاجـــابة :

جميع الصداق المؤجل يحل للزوجة بالوفاة ولو قبل الدخـــول بها ، ويكون دينا فى تركتـــه يؤديه ورثته الى زوجته كسائر الديون التى يجب اخـــراجها من التركة قبل حق الورثة .

□ ■ □

التزوج بالملحـــد

الســـؤال :

هل يجوز لرجل ملحد ينكر وجود الله تعالى ان يتزوج مسلمة ؟

سعيد السامرائى ــ العراق

الاجـــابة :

أجمعت الشرائع السماوية على وجود الله تعالى فانكار وجوده سبحانه كفر صريح ، وبناء على هذا لا يحل شرعا للمسلمة ان تتزوج هـــذا الملحد ، واذا تم العقد فهو باطل الا أن يعود للاسلام فيجوز له أن يتزوجها بعد توبته .

□ ■ □

بريد الوعي الإسلامي

القــرآن

بعث الأخ سـليمان التركى من استامبول برسالة يسال فيها عـن اشياء كثيرة تتصل بالقرآن الكـريم وفيما يلى الاجابة على الرسالة :

القرآن كتاب الله المنزل عـلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزته الكبرى ، وقد نزل فى بضع وعشرين سنة على حسب الحوادث والمناسبات ، واغلبه نزل فى مكة وضواحيها (٨٥ سورة) ويسمى المكى ، ونزل الباقى فى المدينة (٢٩ سورة) ويسمى المدنى ، واوله نزولا سورة اقرأ) وحكمة نزوله منجمـا تثبيت قلب الرسول ، وتيسير حفظه وفهمه على المسـلمين ، ومسايرة الحوادث .

والآية جزء من القرآن ذو مبـدأ ومقطع ، واطول آية (آيـة ٨٢ من سـورة البقـرة) ، واقصر آيـة (والضحى) ورتبت الايات بتوقيف من الرسول .

والسورة جزء من القرآن وتشتمل على عدة آيات وجملة السور ١١٤ سورة ، واطولهـا سورة البقرة (٢٨٦) آية ، واقصرها سورة الكوثر (٣ آيات) .

وترتيب السور كالآيات بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان للوحى كتاب يكتبون ما نزل منه باملاء الرسول على الجلـود والعظـام والأحجار والجريد والنسيج ، وبقى القرآن فى حياة الرسول محفوظا على هذه الصورة فى تلك الصحف ، وفى صدور عدد غير قليل من الصحابة ، وبعد وقعة اليمامة التى قتل فيهـا عدد من الحفاظ ، ندب أبـو بكـر — بناء على اقتراح عمر — زيد بن ثابت لجمع القرآن ، وبقيت هـذه الصحف مرتبة تحت رعاية ابى بكر وعمر من بعده ، ثم أودعت فى بيت أم المؤمنين حفصة ، ولما اتسـعت الفتوح ، وتفرق المسلمون فى الأمصار جمع عثمان الصحابة واستشارهـم فى جمع القرآن فى مصحف واحد ، تنسخ منه نسخ ترسل الى الأمصار فأقروه على ذلـك ، وندب لهذا العمل الجليل جماعة من الحفاظ على رأسهم زيد بن ثابت ، وكتبوا عدة مصاحف من المصحف الموجود عنـد السـيدة حفصة وبعثوا الى كل قطر بمصحف واحتفـظ عثمـان لنفسـه بمصحف منها سمى المصحف الامام .

هدايا المجلـة :

شكا الينـا كثير من القراء فى مختلف الأقطار من أن الباعة يخفون

الهدايا التى توزع مع بعض أعـداد المجلـة ، ولا يظهرونهـا الا لمن يدفع لهم الثمن الذى يرضيهم ، وقد أحلنا هذه الشكايات الى شركة التوزيـع لازالة أسباب الشكوى ، وسبق أن كتبنا فى هذا الموضـــوع ، واهبنا بالباعة أن يراقبوا الله فى عملهم ، وأن يكتفوا بالربح الحلال ، ولا يأكلوا مال الله ومال الرســـول ومـــال المسلمين ، ولكن يبدو أن بعضهـــم أعماه حب المال عن القيم والمبادىء .

ونحن نذكرهم بأن كل شيء يأخذونه بغير حق حرام وسحت ، وأنه لا يبارك لهم فيه ، وكل لحم نبت من حـرام فالنار أولى به .

وعلى الاخوة القراء ان يتشددوا فى طلب هـذه الهدايا ، وأن يتعاملوا مع من يرضون دينه وخلقه .

توزيع المجلـة :

وهذا سيل من الخطابات يشكـــو فيها أصحابها من تأخر وصول المجلة اليهم ، وهذه الشـــــكوى هى أهم ما يشغلنا منذ صدور المجلـة حتى الآن ، وقد اتخذنا من جانبنا علاجــا لهذا التأخير وهو انجاز العدد قبـــل موعـــد توزيعه بخمسة عشر يوما ، ومراجعة المسئـــولين عـــن النقـــل والشحن والتوزيع برقيا ، ومع هذا فلا تزال هـــذه العقبـــة قائمـــة ، ونحن ندرك تماما ما مدى تأثير هذا التأخير على التوزيع ، ونشعر بقلق القراء وحرصهم على الحصول على المجلة فى موعدها ، ونرجو أن تذلل هـــذه العقبات فى القريب العاجل ان شاء الله .

اصحاب السبت :

الأخ فرحان عبد الماجد من البصرة يسأل فى رسالته عن سبب تسميـة اليهود بأصحاب السبت . وفيما يلى الاجابة :

اختار اليهود يوم السبت فى كل أسبوع يستريحون فيه من عناء العمل ويتفرغون فيه لعبادة الله عز وجل ، ولا يزاولون عملا من أعمال الدنيـــا كالصيد والتجارة والصناعة ، وحدث أن جماعة منهم كانوا يسكنون قريـــة تقع على ساحل البحر ، وكانـــــوا يشتغلون بالصيد ، فرأوا الحيتـــان تكثر فى يـــوم السبت ، ولكنهـــــم لا يصطادونها كما جرت بذلك عادتهم ، فتحركت فى نفوسهم دواعى الطمع والجشع وخرجوا على عادتهم وتعاليم أنبيائهم ، ولم يستمعوا الى نصـــح الواعظين منهم ، وحفروا حفرا كبيرة وصلوها بالبحر فكانت الحيتان تتجمع فيها ليلة السبت ويوم السبت ، فاذا غربت شمس السبت ، وهمت الحيتان بالرجوع الى البحر حجزوها بسدود أقاموها ، وكان ذلك احتيالا منهم ، فعاقبهم الله بزلزال شديد ، وفـــى ذلك يقول الله تعالى : **« وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحـــر اذ يعدون فى السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويـــوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانـــوا يفسقون . واذ قالت أمـــة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن الســـوء واخذنا الـــذين ظلمـــوا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون »** .



كلمة المسلم

يقول الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان :

شهدت بيعة طريفة محزنة ، بدأ البائع الكلام فى ثمن سلعته — وكانت سكينا بسعر مرتفع خمسة وعشرين قرشا ، ثم شرع فى عملية المماكسة والتغابن ، والجدل الطويل ، والأيمان الكاذبة وأخيرا تمت الصفقة بعشرة قروش أخذها البائع وسلم السكين للمشترى ، ولم تنفع الأيمان الكاذبة ولم يجد طول الكلام واضاعة الوقت واظهار المهارة شيئا .. لأن المشترى كان على علم بأصناف السلعة وأسعارها قبل أن يتحدث مع البائع ، ثم ادعى بعد ذلك كله ان الصفقة كانت مجاملة فقط (وليس فيها ربح) لأمثاله الفقراء أصحاب المصلحة الواحدة ، وتكليف كل مشتر بأن يكون على علم بما يشتريه وان يمر على الأسواق ويقضى وقتا طويلا عند التجار ، والا يشترى من أول مرة بل من عاشر مرة تكليف بالمشقة فليس كل انسان عنده هذا الفراغ الطويل الذى يقضيه فى السوق وبين التجار قبل أن يشترى شيئا واذا فعل ذلك مرة فلن يستطيعه كل مرة ، فشغله بالرزق لا يتيح له الفرصة لأن يكون خبير مشتريات فى كل شىء يلزمه .

واذا اشترى لأول مرة وهو جاهل بالأسعار وبالاصناف وفى قلبه شىء من الثقة والطمأنينة وصادف هذا الصنف من الباعة .. فانه حينئذ صيد ثمين يضاعفون له ثمن السلعة ثم يتحسرون حين يكتشفون انه كان فى الممكن الحصول على ربح اكبر من الصيد الثمين ..

ويدعون أن كل مكسب جاء عن هذا الطريق انما هو من المهارة والذكاء وهذه هى الطريقة الوحيدة للربح فى نظرهم ولا يستطيع تاجر يجلس فى السوق للمكسب ان ينال ربحا الا بها ولو تركها لمات جوعا وعطشا واشتغل طول يومه بمطاردة الذباب وتفقد السلع والتحسر على وقف الحال .

وليس للباطل ارجل فلا بد أن يعلم المشترى ان عاجلا أو آجلا مقدار الغبن الذى وقع عليه والربح الفاحش الذى حصله التاجر منه عن طريق الغش ، والكذب ، والأيمان الباطلة ، وشهادات الزور والظلم ، واستغلال الثقة بين الناس استغلالا سيئا وجهل المشترى ، فهل يعود للتاجر الذى خدعه بعد ذلك أم لا يعود ، انه يفضل أن يذهب الى من لا يخدعه ولو كان (خواجا) على غير دينه لأن كلمته أصبحت مثلا فى الوحدة ، والصدق والايجاز وتقدير الوقت والعدل والبعد عن اللغو الكثير الذى يصحب عمليات البيع والشراء عندنا .

ومن أجل هذا أصبح انصار الكلمة الواحدة الصادقة والمواعيد المنظمة والمعاملة الحسنة أصحاب الحظ العظيم فى دنيا المكاسب والتجارات ، ومن المحزن أن ينظر البائع أو التاجر الى المكسب الكبير فى يوم واحد أو فى شهر

واحد أو فى عام واحد ثم لا يبالى بمكسبه بعد ذلك طول عمره وقليل دائم خير من كثير منقطع .

وان الاسلام حين وصى بالعدل بين الناس ونهى عن الغش ، والكذب ، وخلف الوعد ، والتغابن ، وترويج البضائع بالأيمان المغلظة واستغلال جهل الجاهل وحاجة المضطر أثبت أنه دين الدنيا والآخرة معا ، ودين من أراد أن يكون وجيها فى الدنيا والآخرة وكان الأجدر بالمسلم أن ترتبط كلمته بهذه المعانى السامية ليربح ربحا عظيما فى الدنيا لا ليفلس .. الصدق ، والوحدة ، والايجاز وتقدير الوقت ، والعدل بين الناس فمكسبه من الصغير يساوى الكبير ومن الخبير بالسلعة يساوى الجاهل بسعرها وأصنافها وكانت هذه المعاملة المثالية الحسنة خير عون على نشر الاسلام والدعوة اليه فان العالم ينظر الى الاسلام من خلال المسلمين وبتعبير آخر من خلال المعانى المجسدة لا المعانى المجردة .

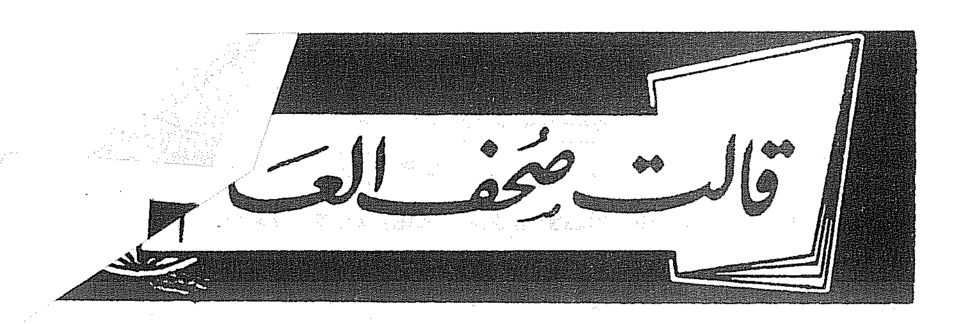
حاجتنا الى التدين !!

وكتب الاستاذ ابراهيم الحسنات تحت هذا العنوان يقول :

يولد البشر جميعا وفى نفوسهم حب كامن للعبادة لا يقل فى قوته واثره فى حياتهم عن دوافع التعليم أو طلب الماء والطعام لمقاومة الظمأ والجوع وعلى هذا فان عدم اشباع هذه الناحية بتجاهل الشعور الدينى من العوامل الرئيسية التى تحول دون السعادة التى ينشدها البشر ، كما أنه سبب كثير من حالات الاضطراب النفسى ، وقد نستطيع أن نخفى على غيرنا شعورنا الدينى ، ولكنا اذا تعمدنا اخفاءه فى عقولنا الواعية وحاولنا أن نساير الاتجاه العصرى الالحادى لتعرضت نفوسنا لصراع داخلى عنيف أشد خطرا على الأعصاب ، والصحة النفسية ، والجسدية من كبت الغرائز المختلفة ، والكبت الروحى هو علة العلل فى العصر الذى نعيش فيه .. فهو سبب ما يعانيه كثيرون من شقاء ومرارة نفسية برغم ما هيأته لهم المدنية من رغد ، وترف ، وبرغم ارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعا ملحوظا بالقياس الى معيشة آبائهم وأجدادهم .

ان انكار الجانب الروحى يؤثر فى (فلسفة) الناس وسلوكهم فى الحياة ، فهو يحفزهم الى الشعور بتفاهة الغرض الذى من أجله يعيشون ويعملون ، والى الاعتقاد بعجزهم عن وقاية أنفسهم وذويهم من المصائب والاخطار المحدقة بهم ، مما يبعث فى نفوسهم القلق والفزع . وهو يجعلهم بذلك يسلمون زمام حياتهم الى (الغالبية) لتحدد لهم أهدافهم ونظام حياتهم كما أنه يؤدى الى عدم المبالاة بشعور الآخرين والاستهتار بالمبادىء السامية وبذلك كله تصبح الحياة لا قيمة لها ولا مغزى وتمتلىء النفس البشرية يأسا ومرارة وضيقا ..

اننا نعيش اليوم فى عصر مضطرب ، فنحن لا نخلص من حرب حتى نستعد لحرب أخرى .. ومن العسير على اكثر الناس أن يواجهوا كوارث الحروب وما تثيره من فزع واضطراب بغير عقيدة دينية صحيحة قوية ، تعينهم وتشجعهم وتواسيهم . واذا كان من السهل على البشر فى عهود الدعة والسلام أن يتخيلوا أن فى وسعهم الاستمتاع بالحياة بغير معان سامية ترفعهم عن مستوى الحيوانية الكامنة فى نفوسهم ، فان ذلك متعذر الآن .



مهمة الصحافة الاســـلامية

واجاب الاســتاذ عبد الــرحمن الفارس وكيل وزارة الاوقاف والشــئون الاسلامية المساعد عن أسئلة وجهتها اليه مجلة البلاغ الكويتية فقال عن القضية الفلسطينية .

قضية اسلامية اولا واخيرا ، بالأرض المغتصبة أرض الاسلام ، والمخرجون منها مسلمون ، والمقدسات التى احرقت اسلامية ، والأقطار والشــعوب المهددة بعد ذلك قلب الاسلام .

والقضــية من الجانب الآخر ، يهودية ، فاسم الدولة التى كونها الغازون « اسرائيل » وهى اسم دينى لنبى من الأنبياء ، والأرض المحتلة انما اغتصـبوها بحجة انها أرض الميعاد ، والدار التى يرسمون فيها سياستهم سموها (الكنيست) والمسجد الأقصى أحرقوه ليبحثوا عن هيكل ســليمان ، وكل يهودى لا يهاجر الى فلسطين خارج عن اليهودية .

فالعدو ينظر اليها نظرة دينية ويتحرك ويتجمع ويحارب فى مجال العقيدة اليهودية التى تملى عليهم ، ان الرب منحهم هذه الأرض ويجب أن يفهم المسلمون أن معركة فلسطين معركة اسـلامية فعلا لا قولا ، اسـلامية فى ميدان الحرب لا على فحسب .

● وعن واجب الصحافة الاسلامية ـــ قال :

● يجب أن نبحث عن الصــحافة الاســلامية اين هى ؟ هل نســمى هذه المجلات التى تصدر فى بعض البلدان الاسلامية صحافة اسلامية تســتطيع أن تقف فى وجه العدو وتفضحه وتفضح مخططاته ، ان ما يصدر من هذه المجلات محدود فى كل شــىء فى عدده وفى مادته وفى وريقاته فى تحريره وفى الكمية التى تطبع وفى القراء الذين يقرأون ، أين دور النشر الاسلامية التى تصدر عنها مجلات اسلامية عالمية تطبع الملايين من النسخ ، وبمختلف اللغات ، ويقوم على تحريرها محررون مسلمون عالمون بأساليب الصحافة الحديثة ؟

ان للعدو صحافة تصدر فى اسرائيل ، وتصــدر فى العالم الاجنبى كله ، وتطبع بمختلف اللغات ويقرؤها ملايين الناس ، ومع هذا فاننا لا نســتطيع أن ننكر الدور الذى تقوم به صحافتنا الاسلامية الحالية فى حدود الامكانيات المتاحة

فمن الواجب اذن على الصــحافة الاسلامية المخلصــة فضح المخططات وأساليب اعداء الاسلام بشتى صورهم وخاصة العدو اليهودى الحاقد الذى هو من وراء كل طعنة توجه للاسلام والمسلمين .

ان مهمة الصحافة تطورت تطورا كبيرا فى العصر الحديث ، فهناك صحافة عالمية تعنى بالبحوث المختصـــة وهناك صحف تربوية ضخمة ، كما توجد صحف اخبارية ، وصحافتنا الاسلامية يجب أن تساير هذا التطور فتعنى أول ما تعنى بشرح العقيدة، وتغرس الايمــان فى قلوب الشــباب مع الدفاع المخلص عن المسلمين وما يلاقونه من الوان العذاب والتشريد وخاصة فى الدول التى يمثلون فيها الاقلية .

حضـــارة الاســــــلام

ليس بالأمانــــى . . . .

تحت هذا العنوان كتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى افتتاحيتهـــا تقول :

ان من الحماقة البلهاء ما يكون من تجاهل أو تغـــافل عما به كان التحول فى حياة أمتنا منذ بعثته عليه الصلاة والسلام حين بلغت رســـالة الوحى وهى وهى تتلمس طريقها فى الظلام ، فلقد كان أمر الوحى نقطة البدء فى هذه المرحلة الخطير فى حياة أمتنا منذ بعثته عليه الصلاة والسلام حين بلغت رسالة الوحى هو من عند الله وليس من عند نفسه كان اعلان تحول جذرى من حيث مفهومات الحياة ، والمقاييس التى ينبغى أن يقيموا عليها وجودهم بين أمم الأرض ، والمعايير التى بها توزن أقدار الرجال حتى صـــدق فيهم قول النبى عليه الصلاة والســـلام **« الناس معادن فخيارهم فى الجاهليه خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا »**

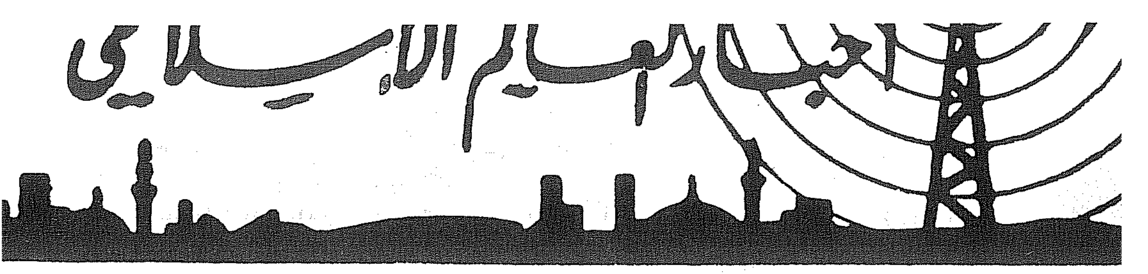
وأبرز مافى الموضوع أن تلك المقاييس بالاضافة الى ماصنعت فى اصلاحهم وتوجيه طاقاتهم وأهليتهم الوجهة الرشيدة ، وتنمية كيانهم فى ظل الهداية الربانية المشرقة جعلتهم فى حال تحفز دائم لأن يخرجوا على واقعهم قبل الرسالة ، وكان ذلك والحمد لله ، فبجانب الاصلاح الداخلى استطاعوا أن يكسروا القيد الذى ضربته عليهم غطرسة الفرس والرومان بل ورثوا أرضهم وديارهم ، ونقطة البدء هذه جعلت من العربى صاحب رســـالة يتطلع من خلالها الى ما وراء الحدود ، ويقوم بميزاتها تلك العقائد المثقلة بالخرافة وتعطيل العقـــل عند أولئك الأقوام فضـــلا عما كان عند بنى جلدته الذين يســـاكنهم ويعيش معهم من تلك العادات والتقاليد الموروثة المتدحرجة مـــع الزمن ارثا عن الآباء والجدود ، والتى أناخت بكلكلها الجاهلى ردحا من الزمن حتى أكرم الله هذه الأمة بالاسلام ، وحمل العرب رسالته الى العالمين .

والذى يرصد التحرك الاسلامى الواعى يوم كان المســـلمون على الطريق يرى كيف أن الرسالة بصرت الأمة بالخط المســـتقيم الذى يفضح كل الـــخطوط المعوجة ، ويكشف الأقنعة عن وجوه أصحابها ، ولقد علمنا الله كيف نحمده على هذا وهو أهل المحامد كلها فقال **« الحمد للـــه الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعـــل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا »** والحق أن هذه المرحلة كانت رحلة جديدة علـــى طريق الانسانية التى عانت من ظلم الانســـان لأخيه الانسان ، وغرقت فى بحار مظلمة من الوهم والخرافة والتقلب على أشواك الضياع .

ومن هنا كانت محاولة زعزعة الايمان واقصاء المسلم عن ساحة الاعتقاد الصحيح من الأمور التى تشكل المرتكز الاساسى فى منهج أعداء الأمة .

ولقد يتهيأ المناخ المناسب من طريق امتصاص الشعور الاسلامى والتطلعات الضائعة بقضايا عاطفية جانحة ، ناهيك عن تشوية الحقائق وعرض القضـــايا من وجهة النظر الخبيثة الماكرة وما أسوأها حالا أن يستخدم ذلك عند الحكم على الماضى ، ويتخذ سياطا يقود فلســـفة الوقائع ، ويرسم طريق المستقبل للفرد والجماعة .

ولو رحت تتلمس ذلك فى المجـــالات الفكرية وغير الفكرية لهـــالك الأمر وأدركت أننا حين نتغافل عن ذلك ونغمس رؤوسنا شأن النعامة فى التراب نكون كمن يريد أن يفكر من أخمص قدميه وما هو بفاعل .



اعـداد : عبد المعطى بيومى

الكـويت : رأس سمو أمير البـلاد المعظـم الوفد الذى اشترك فى تشييع جنـازة الرئيس جمال عبد الناصر وقد اعلن الحداد فى الكويت لأربعين يوما وعطلت المصالح الحكومية يوم تشييعه واقيمت صـلاة الغائب فى جميع مساجد الدولة وخرجت المسيرات الشعبية فى موكب حزين ..

● بدأ مجلس الأمة دوره العـادى الخامس المكمل للفصـل التشريعى الثانى يوم ٢٠ من شعبان الماضى .

● وجه سفير العربيـة المتحدة كلمـة شكر الى سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد والوزراء والشعب الكويتى على شعوره بمشاركة المتحدة بوفاة الرئيس الراحل .

● درس مجلس الوزراء عددا من المذكرات التى قدمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تقترح فيها تقديم مساعدات مادية لبعض الجمعيات الاسـلامية كما درس احتياجات هذه الجمعيات .

● صرح معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بأن مشروع الموسوعة الفقهية يسير على خير مـا يرام وأن الوزارة قامت بتـوزيع ١٢٠ ألف مصحف وكتاب اسلامى فى افريقيـا وجنوب شرقى آسيا ..

● استقبل معـالى وزير الاوقاف والشئون الاسـلامية فى الشهر الماضى رئيسـة جمعية المسلمين فى تايلاند .. كما استقبل نائب رئيس جمعية المسلمين فى الارجنتين .

● دعت وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية عددا من كبار العلماء والمفكرين والمقرئين فى موسمها الثقافى لهذا العام خلال شهر رمضان المبارك .

القـاهرة : فى السابع والعشرين من رجب ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠/٩/٢٨ م) انتقل الرئيس جمال عبد النـاصر — فجـأة — الى رحاب ربه متأثرا بسكتة قلبيـة ، واثارت وفاته كثيرا من الحـزن والاسى ، وقد ودعته الامة العربية والاسلامية الى مثواه الاخير يوم الخميس ٣٠ رجب ١٣٩٠ هـ ، وسار فى جنازته زعماء العرب وممثلو دول العالم وحوالى ٥ ملايين شخص من مصر والدول العربية .

● انتخب السيد أنور السادات رئيسا للجمهـورية ، وقال فى وفد أزهرى ان الأصـل أن أسمى الى الازهر لا أن يسمى الأزهر الينا وقد أقسم على مواصلة الجهد لتحرير جميـع الأراضى العربية المحتلة ، كما أقسم على أن يحافظ على حقوق شعب فلسطين .

● أبدى الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر استعداد الأزهر لتقديم المنح الدراسـية وايفـاد المدرسين والوعاظ من علمـاء الأزهر الى أوغنـدا وذلك حين زاره القـائد العام للقوات المسلحة الأوغندية .

السعودية : زار البلاد ضمن جولة فى بعض الدول العربية والاسلامية وفد من المركز الاسلامى فى الارجنتين بهدف تدعيم الصلات الثقافية بين المراكز وهذه الدول فى خدمة الدعوة الاسلامية .

● قرر مجلس الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة توزيع المنح الدراسية لهذا العام وعددها ١٠٥ منحـة على ٤٩ دولة اسلامية .

● تواصل رابطة العالم الاسلامى اجتماعاتها فى دورتها الثانية عشرة منذأوائل الشهر الماضى

الأردن : تواصل اللجنة العربية العليا المنبثقة عن آخر مؤتمر قمة عربى مراقبتها لوقف اطلاق النار واشرافها الفعلى على تنفيذ الاتفاق بين الحكومة والمقاومة الفلسطينية .

العـراق : قررت الحكومة العراقية فتح مركز تجارى عراقى فى صنعاء وتتخذ الاجـراءات اللازمة لاقامة هذا المركز .

● ستجرى قريبا مباحثات بين العراق وكل من السودان والمغرب لعقد اتفاق اعلامى بينما تجرى مفاوضات من هذا القبيل منذ عام بين العراق والاردن .

سوريا : تقرر تأجيل مؤتمر الأدباء العرب الذى كان مقررا عقده فى ٣ أكتوبر (تشرين ١) الماضى الى الربيع القادم لعدم وصول الأبحاث والدراسات المطلوبة للمؤتمر .

لبنان : شكل السيد صائب سلام أول وزارة فى عهد الرئيس الجديد .

السودان : أصدر اللواء جعفر نميرى بيانا الى الشعب المصرى عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر قال فيه : — لن نخونكم يا أبناء مصر ، ولن نخذلكم سنحارب ان حاربتم ونسالم ان سالمتم وأكد أنه سيظل وفيا لكل عهد قطعه مع الرئيس عبد الناصر .

جمهورية اليمن : أنهى المجلس الوطنى وضع مسودة الدستور اليمنى على ضوء الكتاب والسنة وسيتم انتخاب الشعب لأعضاء مجلس الشورى قريبا .

● تقرر انشاء كلية للتربية كما تقرر انشاء كلية للشريعة تابعة لجامعة الأزهر .

ليبيا : أصدر الرئيس معمر القذافى بيانا دعا فيه الى الانتصار على الحزن لوفاة الرئيس عبد الناصر ونبه الى الاخطار المحدقة بالامة .

تونس : عقد فى الشهر الماضى مهرجانان دينيان لحفظ القرآن الكريم وقد ألقيت فى كل مهرجان الكلمات ثم وزعت الجوائز على الفائزين فى حفظ القرآن الكريم .

● أكد وزير التربية التونسى أن غاية الحكومة من رفع مستوى التعليم الدينى تخريج مفكرين وفلاسفة فى التشريع . وأعلن أنه ابتداء من السنة القادمة سيتم انشاء مساجد فى جميع المعاهد الثانوية .

المغرب : ندد السيد أحمد الكتانى مندوب المغرب الذى انتخب رئيسا للجنة حقوق الانسان (بالأمم المتحدة) بالتمييز العنصرى الذى تمارسه اسرائيل فى الأرض العربية المحتلة .

باكستان : قال البروفسور غلام أعظم أمير الجامعة الاسلامية فى باكستان الشرقية أن التضامن الاسلامى هو الطريق الوحيد لاستخلاص بيت المقدس وجميع الأراضى الاسلامية التى تحتلها اسرائيل .

الهند : حث أعضاء البرلمان المسلمون السلطة على عدم اجراء أى تعديل على وضع الجامعة الاسلامية فى عليكرة وأكدوا ضرورة الابقاء على ميزتها الاسلامية .

ماليزيا : تعهد الامير عبد الرحمن أمين عام المؤتمر الاسلامى ببذل أقصى الجهود للمهمة الخطيرة التى أوكلت اليه من قبل الدول الاسلامية لاقامة مؤتمرها عملا لايجاد الوحدة الاسلامية .

● اقترح الامير عبد الرحمن انشاء مصرف اسلامى تساهم فيه الدول الاسلامية ويشرف على تمويل المنشآت فى العالم الاسلامى .

أندونيسيا : عقد فى الشهر الماضى مؤتمر اسلامى فى باندونج حضره مندوبون عن ٢٠ دولة اسلامية .

أخبار متفرقة

البرازيل : افتتحت الجالية الاسلامية فى البرازيل مدرسة اسلامية لتعليم أبناء الجالية تعاليم دينهم ولغة قرآنهم .

كاليفورنيا : يقوم مركز دراسات الشرق الادنى بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة بنشاط واسع فى هذه الايام لالقاء الضوء على الحضارة العربية والاسلامية .

لوس انجلوس : يجرى انشاء المركز الاسلامى بلوس انجلوس بمساهمة مالية من الكويت ومساهمة بالخبراء والفنيين من العربية المتحدة ومساهمة ببعض المواد من تركيا .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

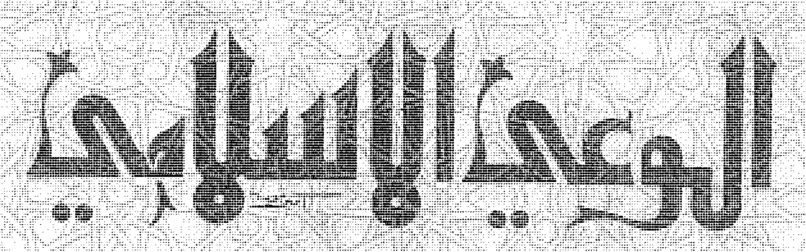
بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشمالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

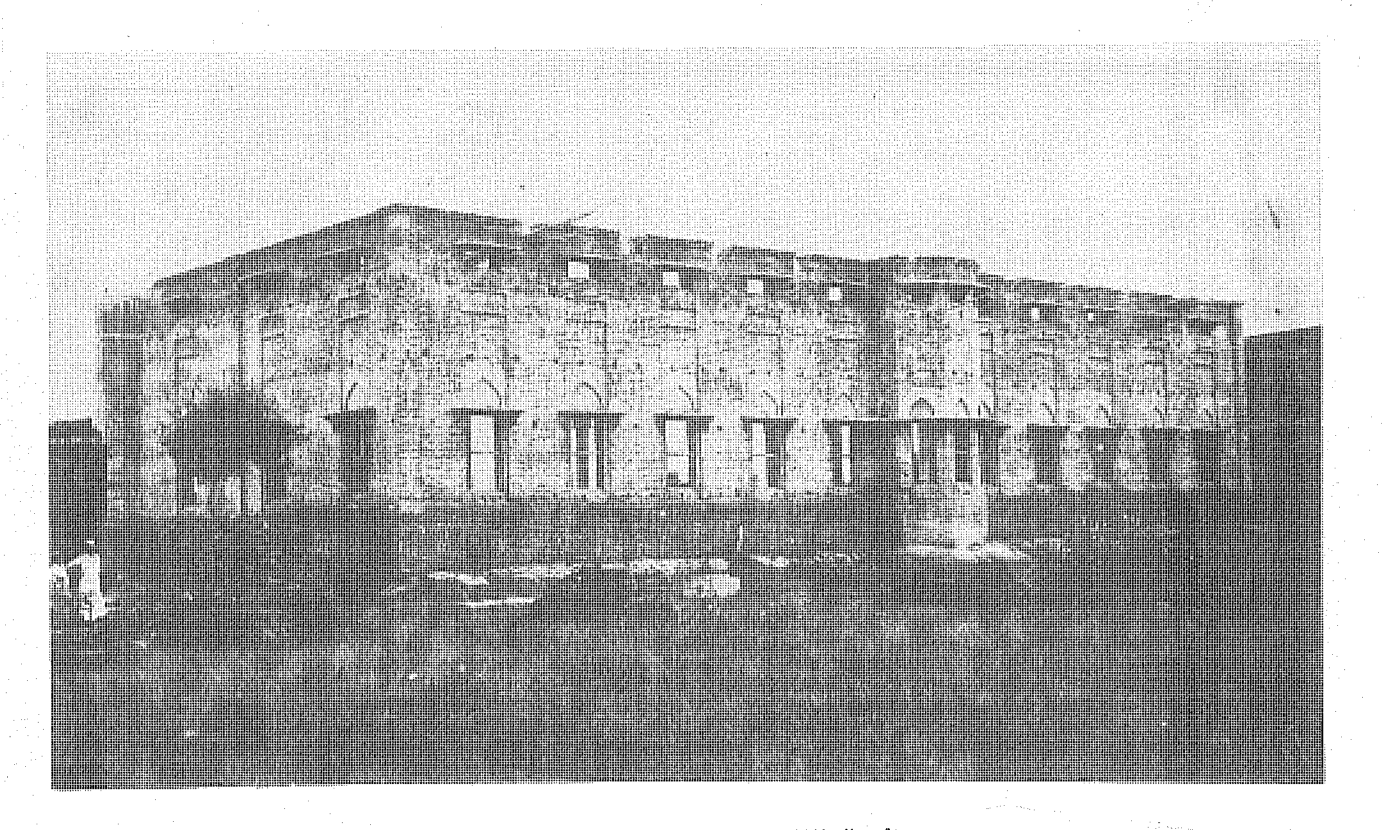
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد الرزاق الصحفية — الكويت

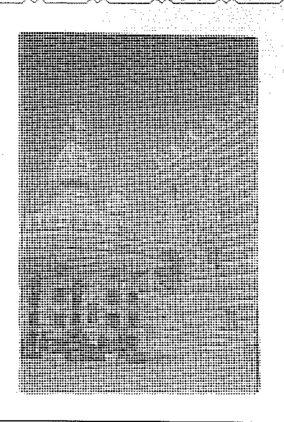


إسلامية ثقافية شهرية

العدد السبعون — شوال سنة ١٣٩٠ هـ — ٢٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٠ م



مسجد جامعة الفلاح بلوياكنج مديرية اعظم كر « الهند



مسـجد الأشرفية بجبل الأشرفية بعمـان . بناه أحد المسلمين الاغنياء ويعتبـر هـذا المسـجد من أحدث المسـاجد فى الأردن وأجملها موقعا ، وأعظمها روعة وفنا .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العـدد السبعون

شـوال سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

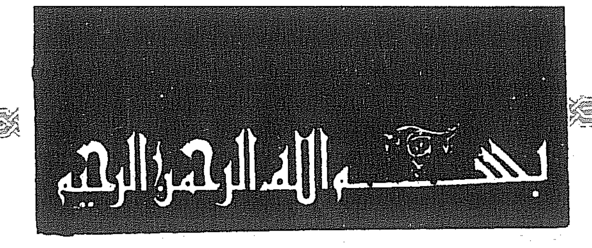
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

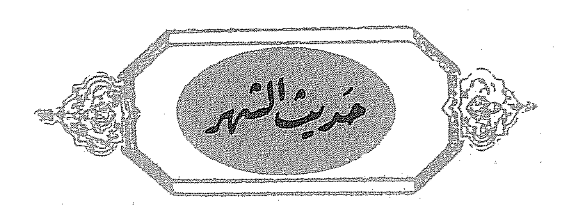
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





أعيادنا الإسلامية

تتنوع اعياد الأمم والشعوب من عهد الى عهد ، وتتغير أسماؤها ، وتعدل مواعيدها من مناسبة الى مناسبة ، وتكثر وتقل ، ويزاد فيها ، وينقص منها مسايرة الأحداث ، أو مجاراة الأهواء ، وتتأثر مراسيمها وتقاليدها بتطور الزمن وتغير الأفكار .. أما أعيادنا الاسلامية الأصيلة فهى ثابتة مذ كانت لا تتغير اسماؤها ، ولا تعدل مواقيتها ، لا تطور شعائرها ، ولا يزاد فيها وينقص منها لأنها مرتبطة بعبادة من العبادات الالهية . أصيلة أصالتها ، ثابتة ثباتها ، مشروعة شرعيتها ، وهذا هو الفرق بين ما صنع الله ، وبين ما صنع البشر .

تقوم دولة من الدول فى مكان ما من الارض ، فتكون لها أعيادها ، وتسقط هذه الدولة وتقوم مقامها اخرى ، فتلغى من الأعياد ما تشاء وتثبت ما تشاء ، وتزيد ما تشاء ، ويسود نظام من النظم جماعة من الجماعات ، فتكون له اعياده ، ويسقط هذا النظام ، ويحل محله نظام آخر يخالفه او يناقضه ، فيلغى أعياد سابقه ، ويقيم أعيادا جديدة ، ويتولى عظيم من العظماء ، فتكون ولايته عيدا ، وتنتهى هذه الولاية بموته أو بتنحيته ، ويتولى سواه فيتخذ لنفسه عيد آخر يفرضه على المحكومين .

وتختلف مراسم الاحتفال بالأعياد من شعب لآخر ومن عصر لعصر ، فآنا مواكب الخيل المطهمة ، وحينا عرض للدبابات ومظاهر القوة ، وحينا آخر اطلاق المدافع الفارغة والسهام النارية .

اما اعيادنا الاسلامية الأصيلة ، فلا صلة لها بعظيم من العظماء أيا كان مبلغه من العظمة لا بولادته ، ولا بولايته ولا بموته ، ولا ارتباط لها بقيام نظام من النظم البشرية المتغيرة المتضاربة ، ولا بتخليد موقعة من الوقائع الحاسمة

ولا تسجيل فتح من الفتوحات ، وشعائر أعيادنا هي هي لم يطـرأ عليها تغيير ولا تحوير .. نشيد علوي سماوي : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر كبيرا . لا اله الا الله . والله أكبر الله اكبر ولله الحمد .. وصـلاة جامعة محدودة المعالم . ثابتة الاقوال والأفعال بعـد ارتفاع الشمس ، وخطبتـان مناسبتان بعدهما .

اعيادنا الاسلامية الأصيلة : عيد الفطر وعيد الأضحى ، لم يزد عليهما ، ولم ينقص منهما ، ولم تتغير معالمهما وشعائرهما منذ ألف وثـلاثمائة وتسعين سنة حين قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم المدينـة ، فوجد الأنصـار يومين يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال : قد أبدلكما الله بهما خيرا منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر .

عيدان اثنان . لا يزيدان ، ولا ينقصان . للأمة الاسلامية كلها . أيا كان مقامها فى أرض الله ، وأيا كان وجودها فى أيام الله .. عيـد الفطر ، وهو أول يوم بعد رمضان يفرح فيه المسلم الصائم فرحتين : فرحة القيام بواجب الطاعة لله ، وفرحة الفوز بجائزة الله له على هـذه الطاعـة ، وهى جائزة فوق كل تثمين وتقدير ، يحدثنا عنها سعد بن اوس الأنصارى عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكـة على أبواب الطرق ، فنادوا : اغـدوا معشر المسلمين الى رب كـريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيـام النهار فصمتم ، واطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد : الا ان ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

اما العيد الثانى فهو عيد الأضحى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، وهو اليوم الـذى سماه الله يوم الحج الاكبر ، وفيه تفرح جموع الحجيج الى بيت الله بأداء الركن الخامس من أركان الاسلام ، ويفرح فيه المسلمون قاطبة بتمام نعمة الله عليهم وأكمال دينهم : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسـلام دينـا » ..

● ● ●

وأعيادنا مع انها تتسم بجمال الروحانيـة وجلال التقوى ، وتبدأ شعائرها بالخروج الى المصلى والوقوف صفوفا بين يدى الله تبارك وتعالى فى مظاهرة كبرى تشهدها الصبيان والنسـاء . قالت أم عطيـة : أمرنا أن نخرج العواتق (البنات) والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى . مع هـذه الروحانية العالية التى تتميز بها أعيادنا تتساوق مع الفطرة الانسانية الزاكية ، وتستجيب للطبيعة البشرية ، ولكن فى اتزان واعتدال ،

فهى بجانب الشفافية والنورانية والصفاء الــذى يسود المسلمين فى كل لحظة من لحظاتها ــ تضفى على القلوب الأنس وعلى النفوس البهجـــة وعلى الأجسام الراحة ، ولهذا كان منشعائر الاسلام فيها التطهر والتزين والتطيب ولبس أجمل الثياب ، قال الحسن السبط : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين أن نلبس أجود ما نجد ، وأن نتطيب بأجود ما نجـــد .

واللعب المباح ، واللهو البرىء والغناء الحسن العفيف مما رخص فيه فى يوم العيـــد رياضة للبدن واستجابة لتطلعات القلوب والنفوس .. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه الامام أحمد والشيخان : ان الحبشـــة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد ، فأطلعت من فـــوق عاتقه ، فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ، ثم انصرفت . ورووا عنهـــا أيضا قالت : دخل علينا أبو بكر فى يوم عيـــد وعندنا جاريتان يذكران يوم بعاث (وهو يوم مشهور من أيـــام العرب) فقال أبو بكر عباد الله أمزمور الشيطان . قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أن لكل قوم عيدا ، وان اليوم عيدنا . وفى رواية عروة أنه قال : لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة . انى بعثت بحنيفية سمحة .

● ● ●

أعيادنا الاسلامية أعياد عامة . لا تصطبغ بصبغـــة فردية ولا محليـــة ولا اقليمية ولا جنسية ، أعياد للصغير والكبير ، للفرد والاسرة ، للقرية والمدينة الأمة الاسلامية قاطبة ، يشترك فيها أعداد لا حصر لها من المسلمين فى الشرق والغرب من كل لون ولغة ، تشمل الفرحة فيها كل قلب ، وتعم النعمة فيها كل بيت ، وترتسم الابتسامة فيها على كل شفة ، فيها تتقارب القلوب على الود ، وتجتمع النفوس على الألفـــة وتطهر الصدور من الضغن والحقـــد ، وتتصافح الأيدى بعد طول انقباض ، ويتناسى الناس ما بينهم من أحن وثـــارات ، وتبرز العواطف الانسانية النبيـــلة . الناس كلهم رضا والناس كلهم شـــكر يتلاقون فيقول بعضهم لبعض ما كان يقوله أصحاب رسول الله : تقبل الله منا ومنك ..

● ● ●

أعيادنا أعياد مبرات وخيرات . ينمو فيها وعى الافراد بحق الجماعـــة عليهم ، وتقوى صلة الفرد بالمحيط الـــذى يعيش فيه ، ويتعاون مع الناس على الخير والاحسان اليهم ، وكلما نما الوعى بحق الجماعة والاحســـاس بمشاكل المجتمع كلما عظم الترابط بين أفراد المجتمع حتى يكونوا كالبنيان المرصـــوص

أو كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، وفى ظلال هذا الوعى والاحساس الندية الرحيمة تذوب الفوارق الكبيرة التى يشقى بهـا الناس ، وتخف حدة المآسي والأرزاء التي تمتلىء بها دنياهم ، فتنبسط الأيدى بالبـذل والعطاء ويمسح الغوث والنجدة دموع المنكوبين والفقـراء ، ويشعر الجار بحاجة جاره كما يشعر بحاجته ، ويتذوق طعم السعادة فى ادخال السرور على أولاد صديقه كما يتذوقها فى مسرة أبنائه .. ولقد عاش مجتمعنا الاسلامى فى ظل هـذه المعانى الانسانية الرفيعـة فترة من الزمان كان فيها أسعـد المجتمعات ، وأحناها على بائس ، وأعطفها على فقير ، وأسرعها لنصرة مظلوم وأغاثـة مضيع ..

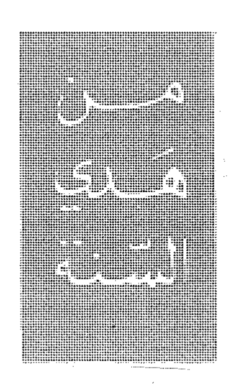
حدث الواقدى وهو من كبار علماء القرن الثانى الهجرى فقال : ((كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة فنالتنى ضائقة شديدة ، وحضر العيد فقالت امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البأس والشـدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبى رحمة لهم لما عليهم من الثياب الرثة ، فانظر كيف تعمل لكسوتهم . قال الواقدى : فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على ، فوجه الى كيسا مختوما فيه ألف درهم ، فما استقر فى يدى حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صديقى الهاشمى ، فوجهت اليه الكيس بختمه ، ثم أخبرت امرأتى بما فعلته ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى عليه ، فبينما أنا كذلـك اذ وافانى صديقى الهاشمى ، ومعه الكيس كهيئته ، فقـال لى : انك حين طلبت منى المال لم أكن أملك الا ما بعثت به اليـك ، ثم أرسلت الى صديقى الثالث أسأله المواساة ، فوجه الى الكيس الـذى بعثت به اليه ، قال الواقدى : فتقاسمنا الألف فيما بيننا ، كل واحد ثلاثمائة ، ثم أخرجنا للمرأة مائة درهم ، ونما الخبر الى المأمون ، فدعانى وسألنى ، فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .

● ● ●

هذه بعض المعانى التي تعبر عنها أعيادنا الاسلامية ، وهذا نموذج لسلوك المسلمين فيها ، وفهمهم لحقوق الأخوة الاسلامية عليها . نذكر بها فى الوقت الذى لا يغيب فيه عن المسلمين مشرقين ومغربين نداءات لجنة الاغاثة العربيـة لضحايا حوادث الاردن الاخيرة ، ولا أنين المشردين المضيعين ، ولا صيحـات الثائرين المقاتلين من أبناء فلسطين . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

ضيوابه النبلي



الدعاة إلى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء ، وكان العاقب الذى لا نبى بعده ، وضمن الله تبارك وتعالى استمرار هداية القرآن الى يوم القيامة ، وحمل الدعوة من بعد الرسول رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وساروا بها مرشدين ومعلمين الى آفاق الارض دون أن تصدهم عقبات أو تحول بينهم وبين هدفهم معوقات ، فاستقر أمرها عبر القرون المتطاولة ، ولم يخب ضوؤها رغم ما لاقت من أعاصير هوج ، وحروب ظاهرة حينا ولابسة ثوب الصداقة أحيانا ، وتيض الله لها المدافع بالسنان تارة ، وبالقلم وقوة المنطق تارات ، وكان آخر العهد بالقتال السافر المنظم قبل الحروب الاسرائيلية ، الحروب الصليبية التى انتهت بما سجله التاريخ لضراغم الاسلام ضد ضراوة التنظيم الاوربى لتلك الحروب ، ولما رأى العدو الذى لا ينام دون غايته أن السيوف فلت ، وأن الكتائب اندحرت ، وأن جموعه المقاتلة تفرقت وامحت أو كادت ، سلك للصراع أسلوبا ليس بالجديد فى تاريخ الانسانية ، ولكنه طوره وقواه ، ذلك هو محاولة هدم البناء من أساسه وتقويض أركانه بأساليب الخداع والمكر ، وطرق اللين والمحاورة البريئة فى ظاهرها ، والمنطوية على حقد دفين وسم قاتل فى نتائجها ، وهيأت له الفرصة غفلة المسلمين ، وتصدع وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، فصار لكل منهم (ليلى) يغنى عليها ، وصيودا يلقى اليها شباكه ، والعدو متربص فى حذر يسدد سهامه ويفرى البغضاء بين الاخوة والاصدقاء وفى غمرة تلك الليالى السود ، ولج بالمسلمين الى بيداء مهلك ، وحاد بهم عن الجادة التى سلكها القادة من الآباء ، ودعاة الحق من الاجداد ، ولكن رحمة الله ولطفه ما كانت لتفارق المسلمين لا الى رجعة ، وانما قيضت لهم العناية رجالا تسلحوا بالتقوى ، وبالتقوى يلين الحديد ، وتواصوا بالحق والصبر وبهما يتوصل الى الهدف مهما طال المسير ، فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا .

٢ ــ راجع تاريخ الدعوة الاسلامية واستنبئه خبرها ، واستمع اليه يقص عليك نضال علمائها ، وكفاح عقلائها تلقى فى كل مرحلة تاريخية عملاقا أو عمالقة فى الفهم والعلم

وقوة القلب وثبات الجنان لا يقلون فى ميدان النقاش والجدل ، والفهم والوعى والعلم والحكمة عن خصومهم ان لم يزيدوا ، فمنذ ظهور الحسن البصرى فى القرن الاول الهجرى الى يومنا هذا (سبعينيات القرن العشرين الميلادى) ما خلا عصر ولا مصر من ذادة عن الحق ، حملوا عبء الدعوة الى الله بكل طريقة وأسلوب ، فالمجالس التى عقدت فى المساجد فى صدر الاسلام ، ورجالها الذين صاغوا هداية الشريعة فى أساليب متطورة ، وتصدوا لكل مخالف يدافعونه بطريقته ويواجهون سلاحه بمثله ، قد غصت كتب التراث بأسمائهم ووصف علومهم ، والحديث عن مناظراتهم ، ومنازلاتهم ، فقد جالوا فى كل فن وتسلحوا بكل باتر وكونوا فرقا تفارقت سبلها ، واتحدت أهدافها ، فلئن سمعت عن سنى ومعتزلى ، وعن حامل فلسفة اليونان ومنطقهم ، وعن مفسر الكتاب وشارح السنة ، فاعلم أن الهدف واحد وهو الذب عن حياض الاسلام ، وان اختلفت الاساليب وتنوعت الطرق — وقد أدى الجميع رسالتهم على أكمل وجه وأحسنه ، ولا زالت خطاهم على الدرب نورا وهداية لكل مدلج حائر ، وعونا وقوة لكل ذى بصر وعزم ، ولئن لم يرتبط حديث بقديم لا يثبت ولا يتطور ، ولا يقوى ساعده ولا يشتد ، وما وجد شىء نشازا وصدفة ، وانما هى مراحل يسلم سابقها للاحقها ما علم ، فيضع لبنة فوق لبنات حتى يستوى البناء شامخا ، وبناء أساليب العلوم التى تتخذ وسائل دفاع عن الحقائق لا يمكن أن يجىء اليوم الذى يقال فيه انه انتهى الى حد ، فلكل صباح اشراقة قد تتماثل مع سابقتها مظهرا فهو تماثل لبادى الرأى ، ولكنه مع الفائص على طلاسم الكون معلم جديد يرشد الى خبىء يجب أن يكشف عنه النقاب ، ويزاح عن ابداعه التراب ، ويعرض للناس اختراعا وفكرا ، وفنا وعلما ، ومن سار على الدرب وصل .

٣ — بعد أن فتح الله على المسلمين الدنيا ، وظهرت لهم الوان جديدة من الحياة ، غيرت أساليب معيشتهم ، وكادوا أن يقعوا فى شراكها ، وأن تحتويهم حبائلها ، ولكن الحراس كانوا يقظة فدخلوا الى مجالس الخلفاء وذكروهم بالله ، وسمع لهم أولوا الأمر فلم يوصدوا دونهم الباب ، وطالما بكى العالم واستبكى الخليفة وأعوانه ، وكان ذلك فى صدق قوله ، وسلامة قلبه ، ولجوئه الى ربه وعزوفه عن دنيا الناس ، وترامى الى سمع المسئول عن الرعية « اتق الله » وتقبلها بقبول حسن وشجع المبلغ وأيده ، فسارت الأمور كلها على منوال كريم وسلوك مستقيم ، وانتشرت جيوش الحق الى كل صقع وبقعة ، واتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ولما كانت أزمة القلوب بيد الله ، وكان من سنته فى خلقه أن تضعف الهمم مع الترف ، وتتلاشى العزائم مع الركون الى الراحة ، وتتصارع الشهوات مع المثل الدافعة الى الخير ، وكان منها أيضا أن يعتور الهرم كل شىء ويلم بكل كائن ، وما الدول عن ذلك ببعيد ، هرمت الدولة وكادت أن تذهب أدراج الرياح ، ومع هذا ظل للاسلام دعاته وحملة رسالته فى أشد العصور ظلاما ، تحملوا وطأة العذاب وفى سبيل عقيدتهم استعذبوه ، وكلما هلك منهم سيد داع الى الله قام خلفه يحملون رسالته ، ولله رجال ما صدهم عن عقيدتهم صاد ، ولا استطاع الحديد والنار أن يضعف من قوتهم ، ولا أن

يخضد شوكتهم ، على مر الليالى وكر الأيام ، وحاولوا ونجحوا فى انشاء جماعات مترابطة تؤمن بالله فتنشأ دور العلوم الاسلامية ، وتبنى الجماعات المؤمنة ، وقام فى كل قطر اسلامى من يحمل راية الاسلام ، ومن يجرد قلمه ويضع معارفه فى خدمة دين الله ، وان اختلفت الأساليب وتنوعت المسالك .

٤ ــ ولنترك العصور التى مضت كما مضت ، فقد كان لها رجالها وحملة الدعوة فيها الذين من آثارهم ما تركوه مسطورا فى تراثهم ، وما نشاهده من أزهر وزيتونه ، ودار علوم فى القارة الهندية ، وكلية أصول الدين فى ايران ، وأفذاذ فى العلم والمعرفة فى العراق والشام ، ودعاة للحق فى القارة السوداء ، ولنيمم وجوهنا شطر حاضرنا فماذا نرى ؟ !

يحاول بعض الدارسين الذين يوصفون بالسطحية فى تفكيرهم ، والتعمق فى تبعيتهم لأذناب يهوذا أن يقللوا من قيمة جهود الدعاة فى عصرنا ، ويتهموهم بالجمود تارة ، وبالضعف أخرى ، وبالقصور تارات ، ولا أدرى لماذا ؟ ألينافسوهم فى ميدان ليس لهم بتافه من القول وضحالة فى الفكر ، قد يكون هذا ، وقد يكون لقصر باع وضيق عطن ، أو تحصيلا لما يعيبونه على غيرهم ظنا منهم أن كل الناس نعام ، وأن كل من عداهم طغام ، وانى أقول لأولئك وأمثالهم ان الاسلام ليس ملكا لأحد ، وتبعته لا تختص بها طائفة دون أخرى ، ومع هذا فأرى أن كثيرا قد أدوا واجبهم ولا يزالون يؤدونه ، ولأضرب مثلا بما يجرى فى تلك الدولة التى نعيش على أرضها ولنتدارس ما يجرى فيها ، ولنعط كل عامل حقه ولا نبخس الناس أشياءهم فقد فتحت ثروة البلد عيون الدنيا عليها ووفد كل طالب للثراء السريع اليها ، وحملت اليها العادات الغربية والتقاليد التى لا عهد لها بها ، ورأى المقيمون من وطنيين ووافدين صراع الأفكار والعقائد ، ومحاولة تقليص نور الاسلام ليخلو الجو للعابثين بالمقدسات ، وليسطوا على خيرات البلد فى هدوء من طريق مشروع أو غير مشروع ، وهذا موقف عصيب ولا شك يحتاج الى سياسة حازمة وحكيمة ولكن بالطرق السلمية الهادئة ، وقيض الله لها من أبنائها من هيأ لهم القبض على زمام الأمور فى وعى وادراك وعمق فهم وحسن تأت للأمور ، فقامت للعبادة دور سامقة شاهقة واستقدم لها خيرة العلماء من بلاد المسلمين ، وحفلت بالدروس يؤديها دعاة فاقهون للدين ، مدربون على الدعوة اليه ، مخلصون لله ، درسوا القديم ومزجوه بالجديد ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولا يقف أمر دون الكمال اذا قام عليه وتولاه من يحسن التأتى له مع دربة ودراية ، ونشأت فى وزارة الأوقاف ادارات لها أجهزتها القوية ، وظهر أثرها فى اعداد محكم لوسائل الدعاية للاسلام والتصدى الحازم لكل مارق من حملة مكروبات الالحاد والزيغ ، وصدرت مجلة (الوعى الاسلامى) وتقدمت وشقت طريقها بكل ثبات وصارت مجلة العالم الاسلامى الأولى كما تشهد بذلك تقارير وأنباء ، ووجد قراء العربية فى أيديهم كتيبات تحمل الترياق لسم الالحاد ، وستكون فى المستقبل القريب ملاحق مع الوعى بلغات المسلمين فى كل مكان ، واتخذ نشر التراث طريقا واضحا وسار بخطى ثابتة وارتضاه كل من اطلع على ماصدر منه من علماء العالم الاسلامى ، ورأوا فيما تسلكه الوزارة

منهجا واضحا يقاوم كل عوامل الهدم ويدفعها ويقضى على آثارها .

بقيت همسة نسرها فى أذن أولئك الـذين لا يهمهـم الاالحـديث عن الخطباء ؟ خطباء المنابر ، ويحاولون النيل بمختلف الهمزات والغمزات من قدرتهم وكفاءتهم ، والواقع أن هذه الفئة فى الكويت وفى طليعتهم علماء الأزهر الشريف المخلصـون لدينهم تقوم بأفضل دعاية للأسلام الحنيف ، وجهاز الدعوة والمساجد فى هذا البلد يعنى به ويشـرف عليه كبار رجال الوزارة الذين ثقفوا العلوم العالية فى الاسلام واللغة لغة العرب ، ويبذلون كل جهد فى سبيل الوصول الى أعلى المستويات ، وعلى هؤلاء النافرين الغامزين مهما حملوا من ألقاب وزاولوا من تعليم أو تجهيل — أن يوضحوا — أهدافهم حين يقولون ان من العلماء من يجامل على حساب دينه ، وحين يصيح أحدهم ان الوعاظ مقصرون ، وحين يريد أن يشـير الى أن بعض الداعين الى الله مرتزقة — ولنكن صرحاء — مع هؤلاء ان كانوا بعيدين عن الديار ووافدين اليها ، ماذا يريدون من صـيحاتهم . ان كانوا يريدون الاصلاح . فالطريق أمامهم مفتوحة ، فليدلوا بدلوهم وليقدموا ما عندهم .

ان أهل البلد يعلمون لانهم عقلاء ، وليست هـذه مجاملة ، وانما هى نتيجة خبرة طويلة ، يعلمون أن العلماء الذين عندهم هم أمثل الناس وأحـق الناس بالرعاية ، ولهذا أكرموهم بما لم يحلم به أولئك الحاسدون ، وان هدأوا وحافظوا على الصلات الطيبة فنحن معهم وان لا فلنا جولة سوف لا نغلب فيها حفاظا على تقاليد بلد عشنا فيـه زمانا طويلا وحفظنا وحفظناه وأكرمنا ، ونحن نسأل الله أن يعيننا على رد جميله كما يرضيه سبحانه .

وأخيرا : أسمع فى كل اذاعة ومن كل قطر اسلامى دعاة مفوهين وعلماء فاقهين ومحـدثين مبدعين ، ويشهد بذلك العالم كله ، ولجـهودهم آثار واضـحة فى مقـاومة الانحـراف والهداية .

ثم ماذا — ثم هاهى وزارة التربية فى الكويت تنشىء ادارة دينية وتفتيشا للدين خاصا وتزوده برجال لا يرقى الشك الى اخلاصهم لربهم وعملهم ، وما أمر الجامعة عنا ببعيد ففيهـا تدرس ثقافة اسلامية وعقيدة اسلامية ولديها أساتذة فى الشريعة ، لايألون جهدا فى التوجيه الى الخير والهداية .

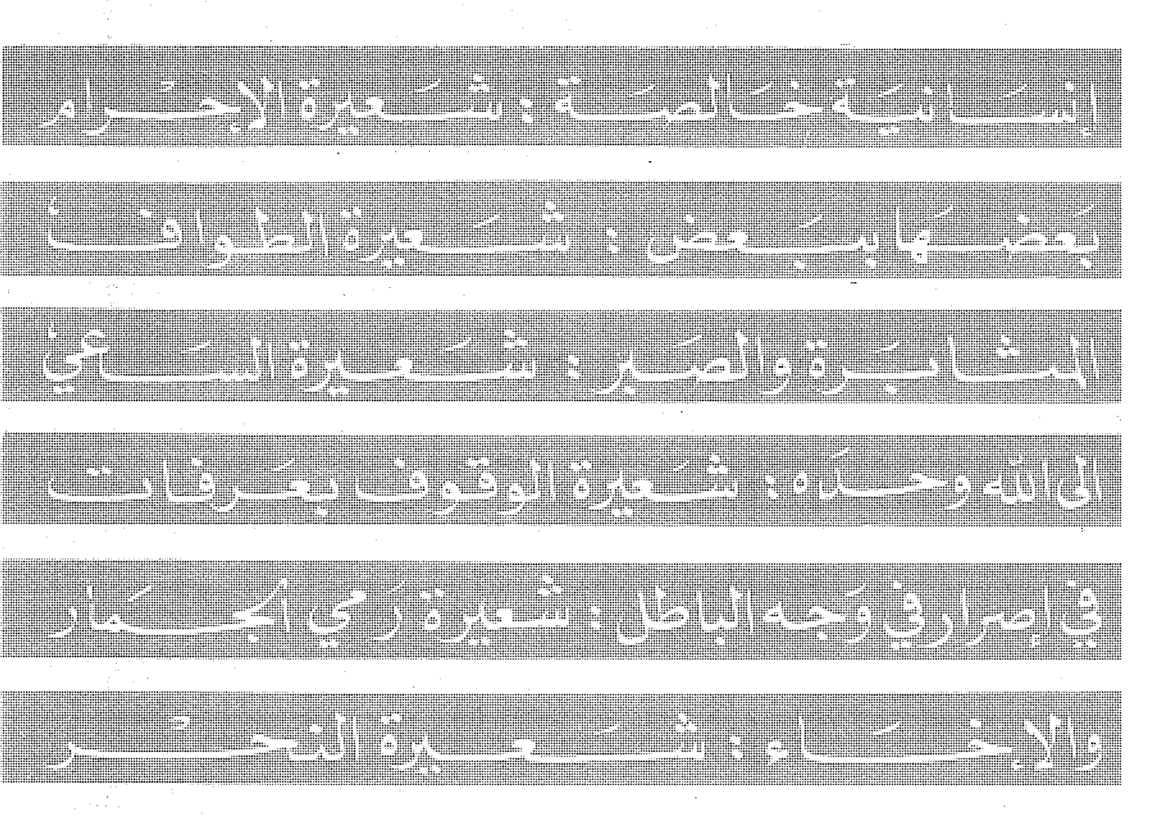
وفى الكويت جماعات لها وزنهـا الدينى ولها عملها المنتج وعلى قمتها فى الحكم رجال يعرفون واجبـاتهم نحو الله ، وفى أعيانها أعيان الاسلام ولولا ذلك لجرف التيار كل شىء وأتى على كل شىء .

وفى مصر ماذا فعل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فكم وزع من كتب وأرسل من بعوث وأنشأ محطـة القرآن ، وسـجل القرآن وفى السعودية مثل ذلك ، وفى العـراق والشام ، ولولا هذا الدفاع القـوى المنظم الآن لوجدت الاسلام ذكرى أيها المتجنى المقنع بالعفة والحـرص على الاسلام .

ان اللسان العربى هو أقدر الالسنة على تبليغ رسالة الاسلام ومن وراء هذا اللسان قلب مؤمن وادراك واع وفهم صحيح ، وبذل وتضحية ، فعلى المتجنين على الدعاة أن يتقوا الله فى دينهم وكتابهم وأخيرا وليس آخـرا أذكر هؤلاء بأن الهدم أسرع من البناء وان كل انسان قادر على الهـدم ، وليس كل انسان قادرا على البناء .



الحج
الدخول في علاقـ
ارتباط البشرية
التعبير عن
في اللقاء العام والاتجاه
التعبير عن الوقوف
في التضامن
في مجال الجماعة الكبرى



للدكتور : محمد البهي

اذا كانت صلاة الجماعة لها دورها فى الترابط فى الحياة اليومية للمؤمنين فى نطاق السكان فيما يحيط بالمسجد ، واذا كانت صلاة الجمعة لها دورها كذلك فى الترابط وتقوية الشعور بالاخاء بين المؤمنين فى دائرة أوسع وعلى فترة تتجاوز اليوم الى الأسبوع .. فان حج بيت الله الحرام هو العبادة السنوية التى تجمع بين المسلمين ممن يستطيعون أداءه فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى صفاء نفسى وفى مساواة تامة لا يتميز فيها غنى عن فقير ، ولا صاحب جاه عن عديم الجاه .

١ ـ الدخول فى علاقة انسانية خالصة :

ووظيفة العبادة فى الاسلام اذا كان من شأنها أن تخلق فى نفوس المؤمنين بالله روح « المساواة فى الاعتبار البشرى » وروح « المساواة أيضا أمام الله » فان الحج بوجه خاص يؤكد هذه المساواة منذ اللحظة الأولى فى مباشرة أدائه . فالاحرام ـ وهو أول شعيرة من شعائره ـ اعلان من المحرم أمام الله

وأمام نفسه بتحريم كل ما يحول دون المساواة فى الاعتبار البشرى ، أو يحول دون اخلاص النفس لله وحده ، وصفائها فى العلاقات بين المؤمنين .

فالمحرم باحرامه يعلن تحريم لبس المخيط على نفسه ، كما يعلن العودة الى « البساطة » فى الثياب ، وترك الزينة عن طريق شعر الرأس أو طيب البدن والثياب . لأن المخيط من الثياب قد يختلف ويتنوع فى مظهره . وعن طريق اختلافه وتنوعه فى المظهر يخرج الأمر بين الحجاج قليلا أو كثيرا عن مستوى المساواة المطلوب فيما بينهم . وبذلك يتميز بعضهم عن بعض فى الصورة المحسوسة . ولأن أيضا تزيين الشعر بقصه أو تسويته ، ووضع الطيب على الملابس والبدن من شأن أى منهما كذلك أن يحدث أثرا مميزا بين الحجاج فى المظهر ، مما يقلل من تأكيد « المساواة » ، التى تستهدفها هذه العبادة فى لقاء المسلمين فى يومهم العظيم . فهى تستهدف « التجرد » عند أداء شعائرها مما يترك أثرا فى النفوس : من أن هذا غنى أو صاحب جاه ، وذاك فقير أو عديم الجاه .

وعن هذا « التجرد » فى الاحرام لا تشتغل نفوس الحجاج بشىء سوى الله ، وسوى ما بينهم من علاقات الأخوة فى الايمان بالله ، ومما يتطلبه هذا الايمان فى سبيل بقائهم وقوتهم .

وفى الوقت الذى يعلن فيه المحرم تجرده من المخيط والزينة يعلن فيه أيضا بعده عن كل ما يربطه بمتع الدنيا ، وعما يسيىء الى الآخرين معه .. يعلن بعده عن المرأة ، وبعده عن كل ما يؤدى الى الانحراف والخروج عن الصراط السوى ، وبعده عن لغو القول وفضوله ، والخصومة واللجاجة فى المناقشة . وفى الوقت نفسه يحزم أمره على أن يكون سلوكه ، كموقفه ، هو سلوك الخير المهذب وموقف الممتثل الى الله ولهدايته . وفى هذا تقول الآية الكريمة :

« الحج أشهر معلومات ،

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج ،

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى « الألباب » (١) .

ومع ذلك فليس من المحظور على « المحرم » أن يباشر السعى لتحصيل الرزق أثناء أدائه عبادة الحج . لأن سعيه لذلك لا يجعل منه ماديا منحرفا ، ولا ينزل به الى مجال يناقض هدف احرامه فى مباشرة هذه العبادة : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » (٢) . والسعى من أجل الرزق لا يخل بعبادة الحج ، كما لم يخل بأداء الجمعة الانتشار فى الأرض بعد أدائها لا بتغاء فضل الله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٣) .

وهذا وذاك يدلان على أن العبادة لله وحده وان كانت هى الغاية من خلقه ، فيما تذكره الآية الكريمة : « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون » (٤) .. فالعمل من أجل الرزق والسعى ابتغاء وجه الله لا يخرج عن غاية الانسان من خلقه ، وهى العبادة . فالانسان فى عبادته يتجه الى الله ، وهو فى سعيه ابتغاء فضل الله يتجه اليه كذلك .. هو طالب عونه جل شأنه : ان فى أداء الصلاة ، وان فى أداء السعى من أجل الرزق .. وهو مقر بربوبيته فى مباشرة شعائر الحج وفى ابتغاء فضل الله .. وهو ان سعى وتقوت من رزق الله فلكى

ينهض بأداء العبادة لله ، وان نهض بأداء العبادة لله فلكى يستعين به على الهداية الى الصراط المستقيم ، ومن الصراط المستقيم تجنب ارتكاب المنكرات من قتل وسرقة واستباحة أكل مال اليتيم والضعيف بالباطل فى سبيل القوت والمعيشة ، والاتجاه الى الله والتوكل عليه وحده فى سعيه الخاص وعمله لتحصيل رزق الله .

٢ ـ ارتباط البشرية بعضها ببعض :

واذا كانت شعيرة « الاحرام » ـ أولى شعائر الحج فى أداء عبادته ـ تستهدف « المساواة » بين حجاج بيت الله والترابط بين المؤمنين بالله على أساس من الصفاء النفسى وعدم الاحساس بفروق التميز فى الاعتبار البشرى .. فان شعيرة أخرى من شعائره ، وهى شعيرة الطواف بالكعبة تعيد الى الترابط بين البشرية كلها فى أجيالها العديدة منذ ابراهيم الى محمد عليهما الصلاة والسلام ، قوته واعتباره . كما أن تقبيل الحجر الأسود داخل الكعبة يجسد المحبة لله .

فقد كانت الكعبة أول بيت وضع للناس على عهد ابراهيم ، وكان الطواف حولها شعيرة مستمرة من شعائر الحج الى هذا البيت الحرام . واستمرار الطواف كشعيرة للحج ينبىء عما تتوخاه هذه الشعيرة من الاسهام فى تذكير المؤمنين بالله من الصلة القوية التى تربط أجيالهم . وهى صلة الايمان بالله فى مواجهة الالحاد على الأخص . وهذه صلة تاريخية تضيفها عبادة الحج الى صلة الترابط بين المؤمنين بالله عن طريق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأداء العبادة ذاتها . يقص القرآن ما وجه الى الرسول فى قول الله تعالى :

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء ، وأمرت أن أكون من المسلمين .

« وأن أتلوا القرآن ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين » (٥) .

وما أمر به رسوله الكريم هنا هو ما استجاب الله اليه من ابراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ عندما دعاه بقوله :

« واذ قال ابراهيم ، رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام .

« رب ! : انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم .

« ربنا انى أسكنت من ذريتى (زوجه هاجر ، وولده اسماعيل) بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (٦) .

... فقد دعا ابراهيم ربه :

أ ـ فى أن يمكنه من أن تكون عبادته لله وحده ، ويجنبه بذلك الشرك ، وعبادة الأصنام ، والوقوع تحت تأثير الوثنية المادية : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » . وذلك لصالح البشرية واخراجها من الضلال .

ب ـ وأن يجعل هذا البلد ـ وهو مكة ـ بلدا آمنا : « رب ! اجعل هذا البلد آمنا » ليكون مثابة للناس وأمنا .

جـ ــ وأن يجعل منه مكانا يتجه اليه الناس بعبادة الحج حتى يكون مكانا صالحا للسكنى ، وبذلك تستمر فيه عبادة الله وحده فى البيت العتيق ، أول بيت وضع لله تعالى : « ربنا : انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . فحجاج بيت الله الحرام تهوى أفئدتهم اليه فيؤمونه يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

.. ثم يتجه القرآن الى المؤمنين لاقرار فريضة الحج على من استطاع اليه فيما يقوله الله جل شأنه :

« قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين .

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات ، مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا .

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » (٧) .

.. ففوق أن الكعبة أول بيت لله وضع للناس منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وأن الحج اليه فريضة على من استطاع اليه سبيلا .. فان من يدخله له حق الامان وحق الحماية على الله سبحانه وتعالى .

وبذلك ــ كما يعطى الطواف حول الكعبة معنى الترابط التاريخى للبشرية فى ايمانها واستقامتها ــ يعطى الاحساس بالامان من الخوف والتتبع فى رحاب الله وبيته العتيق . فالكعبة تجسم هذا الاحساس بالامان كما تجسم الذكرى التاريخية للبشرية : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما (أى سندا) للناس » (٨) . « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » (٩) .

٣ ــ التعبير عن المثابرة والصبر :

وشعيرة ثالثة من شعائر الحج قصد بها كذلك توكيد الروابط بين المؤمنين ، ولكن من جهة التعبير عن مثابرتهم وصبرهم ، وعن خفة حركتهم وسرعتها فى الاستجابة الى ما يطلبه الايمان بالله منهم من معاونة ومؤازرة فى وقت الشدة ، أو من دفع اعتداء عدو عليهم وقت عدوانه . وهى شعيرة السعى بين الصفا والمروة . فتحديد المطلوب فى السعى فى الطريق الواقع بين هذين الجبلين : الصفا ، والمروة ، بأنه سعى ينم عن النشاط وخفة الحركة وابعاد البطء والتراخى فيه وأنه سعى متكرر .. ليرشد المؤمنين فى أداء عبادة الحج الى أن بعض ضرورات الحياة قد تتطلب من المؤمنين زيادة المثابرة والصبر ، والمبادرة وسرعة الاستجابة ؟ على نمط ما يلاحظ فى أداء شعيرة السعى بين الصفا والمروة ، وتكون سرعة الاستجابة عند ئذ عبادة وقربى الى الله كذلك ، وكذلك المثابرة والصبر على تكرار السعى وزيادة مراته .

وفيما تطلبه الآية فى أداء هذه الشعيرة ، فى قول الله تعالى :

« ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (١٠) .. من المتطوع ، بالزيادة فى أداء شعيرة السعى ، وفيما تعتبره من أن الزيادة فى أدائها خير ، هو لتقرير هذا النموذج وفى سرعة الحركة فى نفوس حجاج بيت الله ، فى الصبر عند الاستجابة لما يطلبه الله سبحانه من المؤمنين به .

٤ — فى اللقاء العام والاتجاه الى الله وحده :

وهكذا اذا انتقلنا من هذه الشعائر الثلاث التى تستهدف « روح الجماعة الكبرى » فى أداء عبادة الحج الى الشعيرة الرئيسية فيه ، وهى : الوقوف بعرفات وجدنا : أن طريق أداء هذه الشعيرة من « تجمع »جميع حجاج بيت الله فى يوم معين هو يوم التاسع من ذى الحجة ، وعلى قمة جبل معين هو عرفات ، وتوجههم الى الله سبحانه فى دعاء واحد : « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. وجدنا أن هذه الصورة فى أداء هذه الشعيرة تزكى روح الجماعة الكبرى ازكاء ماديا ومعنويا : تتلاصق اجسامهم الغفيرة فى صعيد واحد ، وترتفع أصواتهم من على قمة جبل واحد ، تردد دعاء واحدا وتضرعا واحدا الى الله المعبود الواحد . تملأ الكثرة العددية نفوسهم فخرا بقوتهم ، وتتجاوب فيها قوية اصداء الايمان بالمعبود الذى وعد المؤمنين به وحده بالنصر والظفر على الاعداء الأول للاسلام أصحاب الشرك والمادية الالحادية ، وطهر منهم بيت الله العتيق الى الأبد . ينسون الدنيا ومتعها ، وينسون وجودهم الشخصى ، ولا يذكرون الا الله الواحد .

والذهاب الى « منى » والمبيت بها ليلة التاسع من ذى الحجة ، تمهيدا للوقوف بعرفات ، قيل : انه لتذكر التقاء آدم وحواء بعد خروجهما من الجنة . والوقوف بجبل الرحمة — كما يسمى — لا يقوى فحسب الشعور بالقوة والعزة والترابط بين المؤمنين برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يذكرهم فقط بالمؤمنين السابقين منذ ابراهيم عليه السلام وبرسالته فى محاربة الشرك والوثنية المادية . وانما يذكرهم كذلك بالتقاء آدم وحواء ، بعد خروجهما من الجنة .. يذكرهم اذن بأب البشرية ، كما يذكرهم بأولى الرسالات السماوية ، بجانب تعزيز روابط الأخوة الايمانية بينهم .

وهكذا : شعائر الحج اذا ارتبطت بأمكنة معينة فلأن هذه الأمكنة المعينة تجدد ذكريات خاصة من شأنها أن تطهر النفوس وتزكيها ، وتقوى الصلات بين بعضها بعضا . والأمكنة اذن لا تقصد لذاتها ، بقدر ما يتصل بها من ذكريات . فهى رموز ، أو تعبير ، أو تجسيد لهذه الذكريات . وهى لا تقدس لأنها أمكنة . وانما يقدس ما توحيه من ذكريات خالدة للانسانية كلها .

٥ — التعبير عن الوقوف فى اصرار فى وجه الباطل :

وشعيرة رمى الجمار نيط بها الوقوف فى ايمان وثبات فى وجه الباطل . والجمار ثلاث فى الطريق من منى الى مكة . وأولاها جمرة العقبة ترمى فى يوم النحر . ولاشك أن يكون للعزم الأكيد الناشىء عن الوقوف بعرفات وأداء شعيرته أثره فى الثبات على الحق ومؤازرته ومناوأة الباطل ومطاردته . ومن هنا كان رمى الجمار تعبيرا محسوسا وواضحا عن مطاردة الباطل والاصرار على الوقوف فى وجهه . فتكرار الرمى ، وعلى أيام متفرقة ، يعطى التعبير عن مدى مناوأة الشر والباطل مناوأة أكيدة ، لا هوادة فيها .

وكان الحاج برميه الجمار الثلاث يعطى العهد على عدم تراخيه فيما بعد فى انكار المنكر ، وفى دفع الباطل ، وفى الوقوف بجانب الحق . فهو الآن

شهد من شعائر الحج ومناسكه ما جعله يحمل « روح الجماعة الكبرى » .. روح الجماعة المؤمنة منذ ابراهيم الى محمد عليهما السلام وهى تلك الروح التى تساند الحق وحده ، وتعبد الله وحده ، وتدفع فى عنف وثنية المادية الالحادية والشرك بالله تعالى ، باعتبار أنه مصدر اضلال كثير من الناس : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس » .

والأصنام من الأحجار ان دل اتخاذها وعبادتها على الجهل لمن يعبدها ، فان الأصنام من الناس يدل تقديسها على المهانة والمذلة لمن يقدسها . وما ينشأ عن الجهل ضلال . وما ينشأ عن المهانة والمذلة ضلال أنكى ، وهو ضلال الضعف والنفاق والاحساس بالصغار والحقارة .

٦ ــ فى التضامن والاخاء :

وعن روح الجماعة الكبرى التى يحملها كل حاج ــ أو يجب أن يحملها ــ يقوى فى نفس الحاج باعث التضحية فى سبيل الاخاء والتضامن . ومن هنا كان « نحر الهدى » عقب رمى الجمار ، واشراك الفقراء فى طعام ما ينحر تعبيرا واقعيا عن « الاخاء » و « التضامن » بين المؤمنين .

والهدى أو الأضحية أو النحر فى التعبير المادى عن الاخاء والتضامن ، تشير من جانب آخر الى أن ختام شعائر الحج يحمل من معناه الشىء الكثير ، تلك العبادة التى تسعى الى تحقيق المساواة فى الاعتبار البشرى .

ولذا يبرز القرآن الكريم هذه الشعيرة ــ وهى شعيرة النحر ــ كهدف قوى من أهداف الحج يماثل هدفه العام فى جملته من المنافع المادية والمعنوية . اذ تذكر الآية :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ،

« ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » (١١) .

... وذكر الله على مارزق من بهيمة الانعام كناية عن النحر والذبح . وجعل مقصود ما يذبح وينحر هو « المشاركة » فى الطعام منها مع أصحاب الحاجة « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » . فاذا لم تقع المشاركة فى الطعام منها من جانب صاحب الهدى وتركها جميعها للبائس والفقير فان هذه الشعيرة لم تؤد حينئذ غايتها الكاملة .

كذلك اذا لم ينحر ويذبح ودفع ثمن ما يذبح وينحر نقدا لأصحاب الحاجة فان « واجب » الهدى ــ اذا وجب بارتكاب ما يخالف بعض الشعائر أو بالتمتع بالعمرة الى الحج مثلا ــ أو التبرع به جريا على السنة الشريفة ، لا يؤدى كما يقضى الواجب أو كما جرت به السنة .

ان شعائر الحج جميعها تكاد تكون تجسيدا لمعان تكون الهدف الأصيل من أداء عبادته .

أ ــ فشعيرة الاحرام والتجرد من لبس المخيط تجسد المساواة فى الاعتبار البشرى ،

ب ــ والطواف بالكعبة يجسد الترابط بين المؤمنين بالله طولا وعرضا ، أو فى حاضرهم وماضيهم ،

جـ ــ وتقبيل الحجر الأسود يجسد حب الله والولاء له ،
د ــ والسعى بين الصفا والمروة يجسد المثابرة والصبر فى الحياة ، والسرعة فى الاستجابة الى حاجة الآخرين ،
هـ ــ والوقوف بعرفات يجسد الاعتزاز بالقوة المادية للمؤمنين وبقوتهم المعنوية فى صلتهم بالله ،
و ــ ورمى الجمار الثلاث يجسد الاصرار فى دفع الباطل وانكار المنكر ،
ز ــ والنحر أو الهدى يجسد التضامن والاخاء .
وروح الجماعة الكبرى المستهدفة اذن من أداء عبادة الحج هى مجموع هذه « المثل » أو المعانى التى هى :

* المساواة فى الاعتبار البشرى ،
* والترابط بين المؤمنين فى حاضرهم وماضيهم ،
* والاخلاص لله وحده ومحبته ،
* والصبر والمثابرة والسرعة فى الاستجابة الى أصحاب الحاجة من الآخرين ،
* والحرص على القوة المادية والمعنوية ،
* والاصرار على مناوأة الباطل الممثل بالأخص فى الوثنية المادية الالحادية ،
* والتضامن والاخاء بين الغنى والفقير وصاحب الجاه ومن لا جاه له .

واذا كانت شعائر الحج هى رموزا أو تعبيرات حسية عن معان مستهدفة تتكون منها الروح العامة للمؤمنين ولجماعتهم ، فانه من غير المقبول أن تؤدى شعيرة منها فى غير الرمز والتعبير الذى وردت فيه . أو على الاقل لا يبلغ عند ئذ تعظيم الشعيرة المستوى المطلوب على نحو مايوصى القرآن الكريم فى قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .
وفيما تنتهى به هذه الآية من قول الله تعالى : « ... وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم (اى الا ما يتلى عليكم تحريمه فى كتاب الله) ، فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله ، غير مشركين به » (١٢) ... قصد منه تحذير : أن ينقل تعظيم هذه الشعائر الحسية لما فيها من معان مستهدفة الى صورها المادية فتقدس كأمكنة محسوسة ترى وتشاهد ، وليس كتعبيرات ورموز عن معان مطلوبة .
فاذا نقل التعظيم على هذا النحو صار الامر الى رجس الاوثان ، الذى نهت عنه الآية : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » لأنها تصبح عندئذ أوثانا مادية ، وصار الى قول الزور المنهى عنه كذلك : « واجتنبوا قول الزور » لأنه ينسب الى الله الآن الامر بتعظيم ما لا يعظم فى قوله : « ذلك ومن يعظم حرمات الله » فهو يدعو جل جلاله الى تعظيم المعنى المستهدف وليس الى الصورة الحسية التى يظهر فيها ، وكان الذين يفعلون هذا النقل والتحويل آنئذ من المشركين بالله ، على النقيض مما يطلبه الله فى قوله : « حنفاء لله غير مشركين به » .

واذا ضمت عبادة الحج هذه الشعائر العديدة فان الثمرة المرجوة منها هى البقاء على ذكر الله وحده ، بحيث يكون ذكره فى السلوك والافعال والمواقف ؛ وفى التفكير والتصور كذكر الآباء أو اشد ذكرا . ولذا يربط القرآن هذه النتيجة بالانتهاء من أداء مناسك الحج فى قوله : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله

كذكركم آباءكم ، أو أشد ذكرا » (١٣) . والتشبيه بالآباء لأن أمرهم لا ينسى من أبنائهم ، اذ ينتسبون اليهم ويحملون أسماءهم فى تمييز أشخاصهم .

وينص القرآن الكريم على طلب هذه النتيجة لأن الطبيعة البشرية — مهما تمرست على أداء العبادة لله — قد تنجذب الى اغراء المتع الدنيوية . وعندئذ قد تنسى الله سبحانه وتعالى فلا تذكره ، ولا تذكر هدايته ، ولا صراطه المستقيم فى سيرها فى الحياة ، حتى بعد أن أدى صاحب الطبيعة التى استهواها فيما بعد بريق الحياة المادية ، عبادة الحج ، وبعد أن شارك فى شعائرها وحرماتها . وعندئذ لا يعفيه أداء الحج مما سيلحقه من جزاء مقرر . وهنا تستطرد الآية السابقة فتقول :

« .. فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق (أى من نصيب) .

ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » .

فالقرآن هنا ان ربط الجزاء بنوعية العمل الذى يؤدى من الانسان وبالاتجاه الذى يسير فيه طوال حياته ويحول أن يشفع عمل صالح لعمل سىء ، فانه لا يرى « الدنيا » شرا ولا مباشرة ما فيها من متع أمرا سيئا .

والسىء فى رأيه هو الاكتفاء بالدنيا عن الآخرة .. هو الوقوف بالسعى عند تحصيل متع الدنيا ، ولو كان طريق تحصيلها يسبب ايذاء وأضرارا للآخرين . وهذا هو ما يتصوره الفريق الأول من الناس الذى تصف الآية اتجاهه فيما تقوله : « فمن الناس من يقول : ربنا : آتنا فى الدنيا ! ، وما له فى الآخرة من خلاق (أى من نصيب) » . فان هذا الفريق يقصر أمله على ما فى الدنيا وحده . والتعبير بـ « آتنا فى الدنيا » دون ذكر نصيب مما فيها يجعل المطلوب كله دنيويا .

أما الفريق الآخر الذى يطلب فى هدفه وفيما يحصله بسعيه نصيبا من الدنيا ، ونصيبا آخر من الآخرة ، كما تذكره الآية : « ومن الناس من يقول : ربنا ! : آتنا فى الدنيا حسنة (أى نصيبا حسنا لا شبهة فيه من حرام أو باطل) وفى الآخرة حسنة (أى نصيبا مقبولا عند الله خالصا لوجهه) وقنا عذاب النار (هو تأكيد لما يطلبه من حسن النصيب الدنيوى والأخروى) أولئك لهم مما كسبوا (أى مما أتوا به وحصلوه بسعيهم وارادتهم سواء فى الدنيا أو من أجل الآخرة) والله سريع الحساب (للمثيب والمسيىء على السواء) « .. أما هذا الفريق الآخر الذى يطلب الدنيا والآخرة معا ، ويعمل من أجلهما سويا بحيث لا ينطوى عمله على اساءة ما فهو مجزى على حسن عمله بالحسنى : ان فى اليوم أو فى غد .

وما قد يشاع بين العامة اذن من أن الحج فى أدائه يمحو كل سىء فى حياة الانسان : ما سبق وما سيأتى ، فهو لا يتفق مع ربط الجزاء بنوعية العمل فى صلاحه وفى اساءته . هذا الربط الذى يمثل ارادة الله سبحانه وتعالى ، كقانون لا يتخلف فى حياة الانسان على مداها .

وما قد يفهم خطأ كذلك : من أن الدنيا شر يجب تجنبه ، فهو يخالف منطوق

الآية السابقة مخالفة صريحة . والعبرة دائما بنوع السعى للانســـان ، وبنوع اتجاهه فى الحياة .

والعمل فى الدنيا من أجل الآخرة لا ينفصل عن العمل من أجر تحصيل بعض متع الـــدنيا . عمل الآخـــرة فى الدنيا هـــو فى بعد العمل من أجل الدنيا عن الاساءة .. هو فى رعاية « الحسنى » والتصديق بها فيما يعمله فى دنياه .

والعمل لذات الدنيا هو الاستهانة « بالحسنى » فى أدائه .. هو التكذيب بها كمبدأ فى السلوك والعمل .

وآية العمل الأول هو التقوى والعطاء من المال . وآية الثانى هو البخل والاستغناء بالمال والاعتزاز به وحده :

« والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى ، ان سعيكم لشتى :

« — فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى (أى نجعل طريقه سهلا ميسورا)

« — وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى .

« ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . » (١٤) .

ونتادى بما نادى به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة على جبل « الصفا » :

« لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ولله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

« لا اله الا اللـــه وحده ، أنجـــز وعده ، ونصر عبده ، وهـــزم الأحزاب وحده » .

ويجب أن ينادى به المســـلمون عن ايمان ليشــــهدوا نصر اللـــه لهم على أعدائهم ، ويروا وعده حقيقة منجزة فى حياتهم بالحسنى ، فى الدنيا والآخرة .

---

(١) البقرة ١٩٧ .
(٢) البقرة ١٩٨ .
(٣) الجمعه ١٠ .
(٤) الذاريات ٥٦ .
(٥) النمل ٩١ ، ٩٢ .
(٦) ابراهيم ٣٥ : ٣٧ .
(٧) آل عمران ٩٥ — ٩٧ .
(٨) المائدة ٩٧ .
(٩) البقرة ١٢٥ .
(١٠) البقرة ١٥٨ .
(١١) الحج ٢٧ ، ٢٨ .
(١٢) الحج ٣٠ ، ٣١ .
(١٣) البقرة ٢٠٠ .
(١٤) سورة الليل ١ — ١٣ .

من آيات الوجود

للشاعر: الربيع الغزالي

أَرَأيتَ آياتِ الوُجُودِ عِيَانَا ... أَرَأَيْتَ بُرهانًا يَلِي بُرْهَانَا

أَرَأَيْتَ آفاقَ الفَضَاءِ بَعيدَةً ... أَعْيَتْ أَسَاطِينَ العُلومِ رِهَانَا

تَمْضِي رِيَادَاتُ الفَضَاءِ لِغَايَةٍ ... فِيهَا فَلاَ تَسْطِيعُهَا إِمْكَانَا

إِنْ أَدْرَكَتْ قَمَراً وَنَالَت زُهْرَةً ... نَطَقَتْ بِآيَةِ رَبِّهَا إِيْمَانَا

وكأنما قَدْ سَبَّحَتْ بِجَلاَلِهِ ... سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ سُبْحَانَا

هذا الوُجُودُ شُمُوسُه وَنُجُومُه ... يَسْبَحْنَ فِي أَفْلاَكِهِنَّ أَمَانَا

وَعلَى كَوَاكِبِهِ الحَيَاةُ تَغَايَرَتْ ... وَتَشَابَهَتْ . . وَتَفَرَّقَتْ أَلْوَانَا

وَكَوَاكِبُ تَجْرِي الحَيَاةُ بِهَا عَلَى ... نَسَقٍ تَفِيضُ حَيَاتُهُ عُمْرَانَا

وَعَوَالِمُ اللّهُ يَعْلَمُ أَمْرَهَا ... وَعَوَالِمُ الأَسْرَارِ فَوقَ نُهَانَا

مَنْ صَانِعُ الأَجْرَامِ فِي مَلَكُوتِهِ ... تَجْرِي عَلَى أَفْلاَكِهَا دَوَرَانَا

وَكَأَنَّ سُرْعَتَهَا الخَيَالُ إِذا جَرَى ... فِي وَمْضَةٍ بَلَغَ السَّمَاءَ عِنَانَا

وَعَلَى نِظَامٍ لَيْسَ يَدْرِي كُنْهَهُ ... عَقْلٌ وَلَيْسَ يُحِيطُهُ اسْتِكْهَانَا

لاَ الحَصْرُ يَبْلُغُ عَدَّهَا بِمَرَاصِدٍ ... دَقَّتْ وَسَائِلُ عِلْمِهَا إِتْقَانَا

كَلاَّ وَلاَهُمْ بَالِغُونَ بِعِلْمِهِمْ ... مَاجَلَّ مِنْ أَسْرَارِهَا أَوْهَانَا

تَمْضِي لِغَايَتِهَا فَلَيْسَ يَعُوقُهَا ... شَيْءٌ وَلَيْسَ يَسُومُهَا إِذْعَانَا

لاَ تَلْتَقِي مَهْمَا الْتَقَتْ أَفْلاَكُهَا ... وَتَشَابَكَتْ وَتَعَدَّدَتْ أَفْنَانَا

تَمْضِي بِنَامُوسِ الوُجُودِ لِغَايَةٍ ... مَرْصُودَةٍ حَتَّى تَرَى إِيذَانَا

يَمْضِي الزَّمَانُ عَلَى تَقَادُمِ عَهْدِهِ ... أَزَلاً إِلَى أَبَدٍ بِمَا قَدْ كَانَا

هَذَا ٱلنِظامُ مَن الذَّى قَدْ صاغَهُ ... وَأَقامَ مُحْكَمَهُ البَدِيعَ وَصَانَا ؟!

اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ ... سُبْحَانَه سُبْحَانَه سُبْحَانَا

مَاسِرُّ هَذَا كُلِّهُ مَا حِكْمَةٌ ... دَقَّتْ عَلَى فَهْمِ الْوَرَى تِبْيَانَا ؟!

اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالهُ ... سُبْحَانَه سُبْحَانه سُبْحَانَا

سِرُّ الْحَيَاةِ... مَنْ ٱلذِى أَحْيابِهِ ... صُوَرَ الْحَيَاةِ تَخَالَفَتْ أَلْوَانًا؟!

هَلْ يَسْتَطِيعُ الْعِلْمُ خَلْق قُلامَةٍ ... أَوأَن يُسَوِّى فِى الْيَدَيْنِ بَنَانَا !؟

وَالنَّفْسُ يَا لَلنَّفْسِ مَا أَسْرارُها ... وَٱلْعَقْلُ مَنْ أَعْلَى بِهِ الإنْسَانَا

وَالجِسْمُ صَوَّرَه سُلاَلَةَ طِينَةٍ ... تَجْرِى الْوارِثَةُ فِيهِ أَعْجَبَ شَانَا

قُلْ لِلأُولَى قَدْ أَنكَرُوا أَحْلامَهُمْ ... وَعُقولَهُمْ : لاَتَبْتَغُوا بُرهَانَا

بُرْهَانُكُم : أَنْتُمْ يَضِلُّ ضَلاَلُكُمْ ... وَتَرَوْنَ مَابِعُيُونِكُمْ عُمْيَانَا

هَاتُوا مِنَ الْجَزَّارِ: بَعْضَ عِظَامِهِ ... أَوْ بَعْضَ لَحْمٍ..وَاصْنَعُوا إِنْسَانَا

ثُمَّ اصْنَعُوا عَقْلاً لَهُ وَدَعُوهُ يَمْشِـ ... ـى بَيْنَكُمْ .. هَلْ يَسْتَوِى حَيَوانَا

يَا كَافِراً بِاللهِ.. فَانْظُر.. هَلْ تَرَى ... مَنْ أَنْتَ مَاذَا فِى إِهَابِكَ كَانَا؟!

جِئْتَ الْوُجُودَ.. أَجِئْتَهُ بِإِرَادَةٍ ... قَدْ شِئْتَهَا وَحَلَلْتَ فِيهِ مَكَانَا؟!

وَحَيِيتَ.. هَلْ تَحْيَا بِأَمْرِكَ آنَةً ... وَشَبَبْتَ هَلْ تَنْمُو بِأَمْرِكَ آنَا ؟!

وَإِذا قَضَيْتَ فَهَلْ بِأَمْرِكَ تَنْتَهِى ... مِنْكَ الْحَيَاةُ وَتَلْبَسُ الأَكْفَانَا ؟!

مَنْ ذا أَرَادَ لَكَ الْوُجُودَ أَأَنْتَ أَمْ ... أَبَوَاكَ قَدْ شَاءَاكَ سَاعَةَ كَانَا ؟!

قَدْ أَلْقَيَاكَ مُجَاجَةً مَمْجُوجَةً ... فَإِذَا الْمُجَاجَةُ سُوِّيَتْ إِنْسَانَا

مَنْ ذَا أَرادَ أَأَنْتَ أَمْ رَحِمٌ: بِهَا ... قَدْ كُنْتَ شَيْئًا يُشْبِهُ الدِّيدَانَا

يَادُودَةً فِى الْقَاعِ.. مَنْ قَدْ شَاءَهَا ... بَشَراً سَوِيًّا .. يَمْلأُ الأَكْوَانَا ؟

اللهُ رَبُّ الْخَلْقِ جَلَّ جَلاَلُهُ ... خَلَقَ الْحَيَاةَ وَصَوَّرَ الأَبْدَانَا

الْحَمْدُ للهِ الَّذِى قَدْ خَصَّنَا ... مِنْهُ بِنِعْمَةِ دِينِهِ وَهَدَانَا

وَأَنَارَ بِالقُرْآنِ لَيْلَ حَيَاتِنَا ... لِنَرَى الْحَيَاةَ وَنُورَهَا : الْقُرْآنَا

الفطــرة.. والكون

للأستاذ : البهي الخولي

قد يقول بعضهم فى انكار أو عتب : ما بال القرآن يقحم فى مباحث الفلسفة ، والعلم ، والفكر ؟ ! ذلك ان من الاسس التى يعتمدها الغرب ضابطا للتفكير العلمى ، استبعاد النصوص الدينية جملة عن أفق العلم ، فلا يستشهد بها لصحة شىء منه ، ولا تجعل مصدرا لحقيقة من حقائقه ، ولا تتخذ قاعدة للتفريع فيه أو البناء ... عندهم أن لكل عالم أو مفكر أن يعتقد ما شاء فى الخالق .. له أن يجحده وله أن يؤمن به ، وليس له بحال أن يجعل لعقيدته والنصوص المتعلقة بها أثرا ما فى حياته العلمية ومنهجه العقلى ، فان امور العقيدة والدين لديهم — على أحسن التقدير — أمور وجدانية ترجع الى الذوق الباطن ، والتصديق القلبى والوحى الالهى اذا اعتقدوا ان الدين وحى من السماء ، أما امور العلم فترجع الى حكم الواقع المحس الذى تمحصه الملاحظة والتجربة وتضبطه معايير العقل بمختلف القواعد والأقيسة الرياضية .. ولا يستقيم شأن الانسان فى الدين والعلم الا ان يأخذ كلا بدستوره فى التحصيل والتعاطى هذا بالقلب والالهام وذاك بمعايير الفكر وفيصل التجربة .

وبيننا كثيرون أخذوا هذا الأخذ بحسن نية أو بمحض التبعية العقلية للغرب ، فقضايا الدين لديهم ليست من قضايا الفكر ولا حقائق العلم التى تناقش بها شئون الواقع وتحرر بها أوضاع الحياة ، ومنهم من صرح بأن موضوعات الدين وبرامجه الاذاعية ليست برامج ثقافية ، انما هى موضوعات لطمأنينة النفس وارضاء الوجدان العام فاذا رأوا عنوانا يتحدث عن « القرآن ومنهج المعرفة — مثلا انغضوا رءوسهم وزموا شفاههم وقالوا — ما للقرآن نقحمه فى

أخص موضـــوعات الفلسفة والفكر وربما طووا المجلة أو طووا ــ على الاقل صفحات المقال لأنه يقوم على فكرة خاطئة تستبيح الخلط بين ما هو من شئون الوجدان وما هو من شئون المنطق » .

ونحن نعذر الغرب ــ الى حد ما ــ اذ جعــل للدين هذا المفهوم الذى يفصل بين الدين والحياة ويعزل العقيدة عن مجال العقل ، فان لذلك أســباب من سلوك رجال الدين المسيحى وتفســير نصوصــه فى القرون الوسطى ، ونعذر الى حد ما ــ أيضــا ــ اولئك الذين تابعوهم منا على ذلك المفهوم فان له ــ أيضا ــ أسبابه التى لا نطيل بذكرها ، ونعلن لهؤلاء وأولئك أن المعنى الذى فهموه للدين هو تلفيق شـــائه لا يمثل حقيقة كونية ولم يرده الله لدين من الأديان ، انما اراد الله دينا هو حقيقة علمية يشهدها العقل فى صفحات الكون المحس كما يشهد أن الواحد نصف الاثنين وأن الكل أكبر من الجزء .. اراد الله دينا هو حصــيلة نظر عقلى حر فى حقائق الكون المادى غير متأثر بأى ايحاء ، أو تخيل أو تقليد موروث .. فاذا كانت حصيلة النظر فى آفاق الكون تعتبر فى ضوابط المعرفة وموازينها (علما) فهذه الحصيلة ذاتها هى مفهوم الدين .. أى هى علم ودين ما .. وذلك معنى سنعرض لبيانه ان شاء الله فى موضعه .

فاذا ذكرنا القرآن بصــدد المعرفة فانا نعنى كتابا نمطا غير الذى تمثلوه للكتب الدينية ، نعنى كتابا يتضمن مناهج سديدة فطرية للنظر فى الكون ، ويجعل حصيلة ذلك النظر قوام علم الانســان وجماع مبادئه وقيمه ، وهو فى تقريره لتلك المناهج لايعنت الفطرة باقحام الاوامر وســوقها الى مالا تعهد ، بل ينبه معايير الوعى والادراك فيها أن تنظر فيما حولها ، ولا يرضى بتة بغير ما تقبل وتأتى به تلك الفطرة .. فلينظروا معنا فيما يعرض ذلك الكتاب الحكيم ، فانهم موشكون أن يروا النمط الأصح لمسلك الفكر الى المعرفة ، وهو نمط يحســم الاخطاء ويبلغ اليقين الذى تقر به الافئدة وتسعد الضمائر .

فالقرآن فى هذا الباب انما هو ترجمة مافى الفطرة ، يقرر صلتها بالكون ، وما تتضمن من ملكات النظر وكيفيته .. فلو أن انسانا ــ لايعرف القرآن ــ أقام فطرته على سمتها فى نظره الى الكون ، وانعم النظر وتحليل الملاحظة ، وسجل ماينتهى اليه جهــد التفكير والتفاعل مع الكون لوجدنا حصــيلة تتحلى بنفس الخصائص التى يقررها القرآن مع فارق أساسى ظاهر هو الشمول والاحاطة فى تقرير القرآن مع صدق الخصائص وعمقها .. وهذا هو النهج الذى اتبعته فى هذا المبحث فانى عولت على الفطرة وواقع تفاعلهــا مع الكون ، واطلقت العقل على سجيته فألفيته فى أكثر ما كتبت ينتهى بى الى مفهوم آية قرآنية لم تكن بخلدى حين بدء الكتابة ، بحيث لا يشرق على نصها الا وقد تمهد العقل لمفهومها فيظن العقل لقوة وضوح المعنى فى البديهة كأن الآية لا تتضمن ناموسا باقيا أو حقيقة خطيرة تستأهل التقرير .

تماثل الكــون والفطــرة

وقد كتب الباحثون كثيرا عن بداءة الانسان وتطور صلته بالكون منذ وعى نفســه الى اليوم .. وكتبوا على الاخص فى صحبته العقلية له ، او صــلته العقلية به ، فبينوا كيف كانت ساذجة بادىء بدء لاتحسن التعليل والحكم على ماترى من مشاهد وظواهر كونية خطيرة كمشاهد الشمس والقمر والســماء والنجوم .. وكظواهر الرعد والبرق والسحب والمطر والسيل ، اذ كان يسأل

نفسه فى دهشـــة ما هذا ؟ وكيف ؟ ولم ؟ أو من أحداثه ؟ فلا يجد فى خزانة تجاربه وملاحظاته ما يقدم له الحكم الصادق والتعليل القويم لما يرى .

وتمضى الحقب وتتتابع الدهور ، ويأخذ على ضوء ما حصل من تجربة وما توالى من ملاحظات فى تعديل احكامه ومراجعة ماله من تعليل حتى بلغ اليوم شأوا يعتد به فى ذلك .. ولسنا بصدد احصاء ما كان له من خطأ وصواب .. وخرافة وعلم وحمق وحكمة ، ولكنا نلحظ فى حصيلة ذلك الماضى وما انتهى اليه الآن ان بين الكون وفطرة الانسان فطرته الحسية وفطرته النفســـية وفطرته العقلية علاقة تواؤم أو توافق تلفت النظر ومن ظواهر ذلك التوافق ما يلى :

١ ـــ الملاءمة التى يلبى بهـــا الكون ضرورات الانســـان واحتياجاته فقد صحب الانسان الكون منذ بداءته بصفحة بيضاء خالية من التجربة فقادته حواسه ومعدته الى التفاعل معه فوجد انه كلما احتاج الى طعام أو شراب أو نحوهما من مقومات حياته قدمه له الكون أى وجده أمامه ميسرا حاضرا موافقا لفطرته وحاجته .

وهذا ضرب من التوافق بديهى وخطير معا ، بديهى لانه واضح وضوحا لا يكاد الانسان يلتفت اليه « ومن شدة الظهور الخفاء » كما يقول البوصيرى وخطير لانه أساس حياة الانسان الحسية فى الأرض . وقد كان من وضوح هذا التوافق اننا شغلنا عن التفكير فى خطورته وعجائبه حتى اذا رحل الانسان الى القمر لم يرحل اليه الا ومعه طعامه وشرابه ، بل لم يرحل اليه الا ومعه هواؤه الذى يتنفسه ، وكل من تتبع أنباء رحلات الفضاء كان يعلم أنه لو ثقبت ملابس أحد رجال الرحلة لفقد حيـــاته ولا بد ، لأن هواء القمر ليس له التركيب الذى يتلاءم به مع كيان الانسان الحسى .

ومن هنا ندرك أن قوله تعالى (ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حـــلالا طيبا) و (كلوا واشربوا من رزق الله) لا يقتصر فحواه على أنه مجرد دعوة الى أن نأكل ونشرب مما فى الأرض لأن ضرورة الانسان تدعوه بل تضطره الى ذلك دون انتظار لصدور الاذن أو الأمر به ، انما يتضمن القول الكريم ـــ الى معنى الدعوة ـــ حقائق هى سنن من سنن الله ، يدخل فى غرضنا منها الآن اثنتان : الاولى تقرير افتقار حياة الانسان أى افتقار فطرته الحسية الى مافى الارض من عناصر ، وتلك حقيقة كونية خاصة بنا لا جدال فيها ، والثانية تقرير الملاءمة بين عناصر الأرض وفطرة الانسان وهى سنة كونية أخرى ..

وفى كل ذلك للانسان آفاق من الاعتبار والعلم على مثل ما يقول تعالى (كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) ولسنا بصدد الاستطراد الى حديث تلك الافاق فسيأتى ان شاء الله فى مناســـبته ، والذى يعنينا فى مقامنا هذا أن ما قررناه هو ضرب من الملاءمة أو التماثل بين الانسان والكون لا مرية فيه .

٢ ـــ وفى الكون ضروب من الثروات كالحديد والنحاس والذهب والفضة وغيرها من الفلزات التى ليست بطعام ولا شراب ولا تدعو اليها ضرورات البدن الحيوية ، اذ أن أى حيوان انما يعيش دون حاجة الى حديد أو معدن ، بل دون أن يدرى ما الحديد ولا المعدن ، ولكنا ندرك فى الوقت نفسه أن تلك المعادن تدخل فى حياتنا دخولا عمليا فلا نجد ظرفا من ظروف حياتنا المختلفة الا ولها فيه دور يتطلبها ، (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ذلك ان للانســـان فطرة عدا فطرة الحيوان التى قدمنا فى الفقرة الســـابقة هى فطرة التحضر

والتمدن التى لا تنشد طعاما ولا شرابا بل تنبعث باحتياجات لا تجد سدادها الا فى مكونات تلك الأرض من معدن وحجارة ونحوهما .

والمعروف أن الانسان القديم حين دعاه الخوف الى التجمع ليدرأ عن نفسه غائلة الضوارى ظل له احساسه بفرديته التى يسمونها : أل (أنا) فان التجمع كان مطلوبا لحماية أل (أنا) لا لتذوب فيه الفردية وتتلاشى ، وما لبث بالتجمع أن وجد نزوعا فطريا ينبثق من تلك الفردية فى عمق ينشد التستر والانفراد بمسكن مستقل ، وسنعود لشىء من تحليل ذلك بعد قليل فى هذا المقال ، والذى يعنينا هنا أن هذا النزوع الفطرى كان بمثابة نداء باطنى ملح فى طلب السكن المستقل ، ولم يكن باستطاعة الانسان أن يتجاهله فتحرك فى بيئة الجبال يطلب الكن ، واقبل فى بيئة البدو يتخذ من الجلود والأوبار خباءه ، وفى بيئة الادغال يتخذ كوخه ، وفى الريف وجد ما ينشد فى مادة الارض حجارتها وطينها ونحوها وفى هذا المعنى الدقيق الذى يمثل البذرة الأولى لحضارة الانسان يقول تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم » ، « والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا » .

وإلحاح هذا الباعث وشدة دأبه على الحفز والاستحثاث لطلب البيت المستقل يذكرنا بالحاح باعث المعدة لطلب القوت ، كأن الباعث الاول (معدة نفسية) الى جانب المعدة المحسة ، فهما دائبتان على حفز الانسان للاتصال بالكون الخارجى ، معدة الحس تطلب القوت من مادة ذلك الكون ، لتحصيل الطاقة التى بها سعى البدن وممارسة نشاطه على وجه الأرض ، والمعدة الاخرى تطلب (البيت) من مادة الكون نفسه اذ هو الحضانة الضرورية لخصائص حضارة الانسان ، فتكون المعانى والطاقة النبيلة التى تقوم بها الحضارة وتزدان الحياة .

ولسنا نتحدث عن دور البيت بل نتحدث عنه باعتباره أمرا مطلوبا تنشده الفطرة وتلح فى طلبه فلا تسكن الا أن ينبعث الانسان ويحقق لها من مادة الأرض ما تريد ، ويعنينا من ذلك أن كوننا الأرضى واجه مطلب الانسان فقدم له من مادته ما يلائم ضرورته ، وهو ضرب من التماثل أو المواءمة لا مرية فيه .

٣ — وفى الكون ما نسميه (قوانين الطبيعة) وهى حقائق مغلقة دون الحواس ، ولا تجد مفاتحها فى ذهن حيوان أو معدن أو نبات ، انما تجدها فى ذهن الانسان وحده ، ومعنى ذلك أن لذهن الانسان خاصية تلائم نظام تلك القوانين ، فاذا التقت تلك الخاصية بتلك القوانين على السنة العلمية المقررة أو المقدرة لالتقائها أفضت القوانين للذهن بسر تسخيرها ، وكان للانسان منها كل منفعة مقدورة ممكنة ، فالانسان بهذا لم يسخر القوانين ، ولم يوجدها كما يتبادر لذوى النظر السطحى الذين يزعمون أن الانسان قهر الطبيعة وسخر قوانينها ، وتحدى الكون فظهر عليه ، فان الانسان لا يملك أية قدرة عقلية أو بدنية لتسخير قانون مافى غير ماقدر له ، أى لاقدرة له بتة على اخراج نواميس الكون عن طبيعتها ليجعلها كما يشاء ، فالذى يدل عليه النظر الصادق النافذ أن نواميس الكون سويت على ما أراد خالقها ، وقد سويت على الوضع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعض « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » ومن تلك النواميس نظام عقل الانسان ، وبهذا التطابق بين الجميع تعمل كافة النواميس فى تناسق وتكامل ، فلا يكون النظام الذى يتفق مع مصلحة كل كائن بحسب

مكانه فى الكون ودرجته فى سلم الحياة وكل الكائنات فى ذلك سـواء الا أن خاصية الرياضـة فى ذهن الانسان ــ أى خاصـية فهم تقديرات النواميس لا تهتدى الى نظام تطابقها الا بالتجربة ودقة الملاحظة ، فاذا اهتدت تيسرت للانسان منها منفعة ، وقيل انه سخر الطبيعة وهو خطأ قدمنا صوابه ، فالطبيعة قد خلقت مسخرة ميسرة لما أريد لها ، والمصالح انما هى ثمرة التطابق ومظهره ،، واذا كان التطابق يعنى معرفة التقديرات الرياضـية التى تعمل بها كافة قوانين الطبيعة عملها الدائب ، فيكيف الانسـان أسـلوب سـعيه فى تحقيق منافعه ومصالحه على قواعد الاستفادة من تلك القوانين ، اذا كان التطابق يعنى ذلك فان مرادنا هو ذلك التماثل بين عقل الانسان ونظام الكون .. وهو ضرب ثالث من الملاءمة والتوافق لا مرية فيه .

تلك ظواهر ثلاث قائمة مسلمة ، لا شك فى قيامها وتسليمها ، ويعنينا منها أنها دليل حاسم على ما بين فطرة الانسان ونظام الكون من تواؤم وتطابق ، بل ان الامر على ماهو واضح فوق مرتبة الدليل الحاسـم ، فان ماقدمنا انما هو ثمرة الملاءمة والتطابق يراها العقل ملحقة بأصلها فى يقين لا شـبهة فيه بتة ، والمرء بازاء رؤيته العقلية لتلك الثمرة لا يجد فى نفسه أى مجال لالتماس دليل يثبت له تلك الصلة ، فان التطابق لو لم يكن أمرا مشتركا بين الكائنات وسنة جامعة لها لرفض الجسم أى طعام يتناوله الانسان بل لما كان ثمة طعام قط ، ولما تهيأ للانسان ادراك أى قانون طبيعى ، ولما نشأت له أى حاجة الى حديد أو نحوه ، ولكانت صلتنا بالفلزات عامة كصـلة أى حيوان أو دابة فى البر والبحر والجو ، ونخرج من هذا بأن التطابق بين نظام فطرة الانسان ونواميس الـكون وحقائقه ليس من قبيل الدعوى أو القضية ، انما هو حقيقة مشهودة بآثارها لمن اعتادوا أن يدركوا بقولهم حقائق الكون الحسية والمعنوية .

الفطرة رائدة الى التواؤم

وواضح مما تقدم أن فطرة الانسان ــ فطرته الحسية والنفسية والعقلية ــ كانت هى رائدة جهوده فيما حقق من تطابق بينه وبين الكون .

١ ــ فان حواس الانسـان ومعدته قادته ــ على ما قدمنا ــ الى التفاعل مع الكون ، فوجد أنه كلما احتاج الى طعام أو شراب قدمه له : وتقرير ذلك من حيث طبيعة الجسم أن الانسان يحس الجوع فيبعثه الى أن ينهض باحثا عن القوت أو ساعيا اليه ، فاذا أدرك حاجته منه سكن عنه الجوع ، ثم يتقلب فى الأرض تقلبه ويكد ما يكد ، فيفقد الجسم بما يبذل من جهد وحركة الكثير من خلاياه ــ أو الكثير من لبنات بنائه فيتخلخل ويفقد توازنه ويحتاج الى عملية تعويض تعيد اليه ما فقد من بنائه ، ويكون (الاحساس بالجوع) هو الناقوس الذى ينبه الانسان ويدعوه الى عملية التعويض ــ أى الى وجبة طعام ــ تقيم الصلب على سمته الطبيعى .. وبنداء هذا الداعى ــ الجوع ــ ينهض الانسـان باحثا عن الطعام أو ساعيا اليه .. وهكذا ... وذلك ما يسمونه غريزة « المحافظة على الذات » .

ونلاحظ فى تقرير ذلك أن المعدة لا تفقد شيئا من بنيتها بسبب سعى الانسان وكدحه اليومى ، انما الذى يفقد هو الدم ، وهو الذى يضار ويتخلخل ، ويحصل بتلك الخلخلة وما احترق من الخلايا أن يحس الانسـان (بالتعب) وذلك منطق تركيب بنية البدن ، فاذا أصاب الانسان حظا من الراحة قد يذهب عنه احساسه بالتعب ، ولكن يظل الجسم تنقصه (عملية التعويض) فاذا لم يكن هناك ناقوس

فطرى يسوقه سوقا الى وجبة الطعام ، فان الانسان لا يتنبه لشيء الا الى أن جسمه فى ضمور وذبول مستمر.. حتى يقضى.. فشاءت حكمة الخالق أن ينبعث هذا (الاحساس الصائح) الجوع من جوف المعدة ، العضو الذى لم يمسه نصب ولم يفقد من بنائه خلية واحدة مع التساهل بعض الشيء فى المصطلحات الطبية ، فالاحساس بالجوع هو قوام غريزة (المحافظة على الذات) .. وهو بما قدمنا أمر فطرى مركوز فى النفس لا ينفك عنها ، وهو اذ يؤدى للانسان أخطر ما يحفظ كيانه الحسى ، **يعمل عمله الدائب القوى فى سوقه الى التواؤم مع الكون .**

هذا وقد بلغ الانسان فى هذا الضرب من التواؤم أقصى غايته اذ لم يبق فى الأرض عنصر واحد تدعو اليه المحافظة على الذات — أى تتعلق به حياة البدن — الا أخذ حظه منه منذ أقدم العصور من هواء وماء وخضر وحب وفاكهة وبقل ونحوه .. وما نشهد للانسان من جهود فى هذا السبيل انما هو اعادة وتكرير لمطالب (المحافظة على الذات) وليس من قبيل الاضافة التى تحقق بها غريزة المحافظة على الذات تطابقا جديدا مع عناصر لم تكن تطابقت معها .

على أن الانسان منذ أقدم عصور تحضره نسى باعث المحافظة على الذات ، وتولاه نهم الى الترف ومضاعفة الاحساس باللذة ، وتنوع صنوفها ، والحصول على أكبر قدر ممكن منها : فلا يأكل أو يشرب ليؤدى لبدنه حقه ، بل استجابة لما يصبو اليه من لذات .. كل ذلك فى طموح يزيد الجهد والتوسع فى الانتاج مع ابتكار المثيرات والأخلاط التى تشهى الطعام وتثير الرغبة اليه .

ولا شك أن اللذة أمر زائد على ماتطلبه غريزة المحافظة على الذات ، فان الاغراق فيها والاستكثار من صنوفها ليس عنصرا غذائيا يتجدد به للجسم ما فقد من خلاياه ، فهو بذلك أمر دخيل على طبيعة ونواميس صحته ، يرهقه وينهكه ، الى مايلحق بالنفس من تلف وبطر .. فاذا عرضناه على منطق السنن الفيناه طاقة أو جهدا خاسرا لا مكان له فى الكون ، لا يأوى الى سنة ولا يتطابق مع شيء ..

ولا جرم أن نبذ القرآن هذه الآفة — آفة الترف — وجعلها من ظواهر انحلال الحضارات والأمم على ما سيأتى فى مكانه .

أما الطموح الذى أشرنا اليه فهو قوة مباركة تحدو الانسان الى المثل الأعلى فى كل شأنه (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ولكن استيلاء عوامل الغفلة على الانسان ينسيه مثله الأعلى ، فتضل تلك القوة غايتها ، وسنعرض لذلك ان شاء الله فى مناسبته ، وما أردنا بالاشارة اليه الا أن نفرق بين ما هو حق وما هو باطل فى الميدان الذى تصطرع فيه قوى الانسان المختلفة ليعرف فضل غريزة المحافظة على الذات فيما تؤدى اليه من مصلحة وفيما تحدوه اليه من تطابق مع الكون ..

٢ — والتجمع بالنسبة للانسان كان وسيلة يدفع بها عن ذاته مع بقاء تلك الذات على ما لها من معالم الفردية ، وخصائص الأنانية .. وفى ظل التجمع وحماه بدأ يحس نزوعا من أعماق ذاته ينشد التستر فى بعض أمره .. بدأ يحس لنظرات الناس اليه فى بعض أمره حسابا غير حساب تعاونهم معه فى جلب صيد أو مغالبة الضوارى ، بدأ يحس لهذه النظرات انقباضا يحمله على ستر

بعض أعضائه واقامة ركن مستقل لمواراة بعض شأنه ، وازاء الحاح هـذا الاحساس وقوة دفعه وتوجيهه أقام الانسان (البيت) وسكنت به نفسه .

ولم يكن ذلك عرفا أو وضعا ارتضته الجماعة ، فان الاعراف قواعد محلية تنشأ ببواعث خاصة وتختلف من بيئة الى أخرى ، على حين نرى تلك الظاهرة ــ ظاهرة اتخاذ البيت ــ عامة فى كل بيئــات الانسان التى تسنى له فيهــا التجمع ، حتى لنرى أهل الريف والبدو وسكان الجبال والادغال تأخذهم داعية ذلك النزوع فيتخذون ذلك الكن ، فمنهم من وجد فى الجبال كنه ، وفى الادغال كوخه ، وفى البدو ــ من جلود الانعام ــ خباءه ، وفى مادة الريف من الطين أو اللبن مأواه ، على ما يعم القرآن بقوله الذى قدمنا (والله جعل لكم من بيوتكم ســـكنا وجـــعل لكم من جلود الأنعـــام بيوتا تســـتخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) .. (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) .. واذا كان ذلك عامـــا فى كل بيئـــة فقد مضى عليـــه شـــأن الافـــراد فى كل عصر .

وكذلك لم يكن عامل المناخ هو الذى حفز الانسان أساسا لاتخاذ (البيت) ، فقد رأينا (البيوت) فى بعض البيئات ولا سقف لها فقصارى أصحابها منها أن تكنهم عمالا يريدون من نظرات التطفل والاستكناه (١) ذلك الى أن داعى التستر فى بيوت البدو أوفر وضوحا من دواعى اتقاء البرد والريح وغيرهما من عوارض الجو فى الليل والنهار (٢) .

ومن الملاحظ أن الانسان فى بعض المناطق يكتفى بستر عورته مع أنها أقل أعضاء بدنه تأثرا بحرارة الجو ، هذا وقد صحب الانســـان عوامل الجو دهورا طويلة قبل مرحلة التجمع فلم تثره الى ستر عورة أو اتخاذ بيت خاص ، انما كان ذلك بعد التجمع فى شأن لسنا بازاء بيانه .

واذا لم يكن اتخاذ البيت من قبيل العرف فى الجماعة ولا لاتقاء عوارض الجو ، وهو مع ذلك عام لجميع الافراد فى كل بيئة وجيل فهو أمر ذاتى لا عرضى يرجع الى فطرة النوع نفسه .

ويلاحظ أن باعث جمع القوت فى الفقرة الســـابقة ــ الموســـومة برقم ١ ــ باعث حســـى حيوانى ، اذ المراد بالمحافظة على الذات المحافظة على حياة البدن ، أما الباعث هنا فلا يطلـــب قوتا وليس هو من الـــبواعث التى تنبثق من فطرة المحافظة على الذات ــ رأس غرائز الانسان ــ فليس هو جمعا لعرض ، أو منافسة عليه ، أو تصديا لقرن ، أو طلبا لسيادة ..

وقد يذكر هنا داعى (الفردية الاقتصادية) الذى يجنح بالفرد ليحوز الى جانبه حصيلة عمله فيكون جمعها فى (حيز خاص) تحقيقا لفرديته وارضاء لأنانيته وتوكيدا لشخصيته وارادته ، ويكون ذلك تفسيرا اقتصاديا لاتخاذ البيت ، وذلك مردود لأن من كان رزقه فى الغابة أو مذخورا له فى صيد البحر ، يحصل عليه يوما بيوم دون ضرورة لحيز لم يغنه ذلك عن اتخاذ البيت .

وكذلك الكثيرون الذين لا تزيد حصـــيلة عملهم عن كفاية قوتهم اليومى ، فانهم قد اتخذوا البيت مع عدم الحافز الاقتصادى اليه ، ذلك الى أن (للفردية الاقتصادية) وزنا آخر يجردها من شوائبها وتعقيداتها ــ سنعرض له ان شاء الله فى حينه ــ وقصارى ما تنتهى اليه تلك الفردية بعد تجريد جوهرها من عقابيل الانانية ، وأوهامها الدخيلة ، انها عامل عمارة واحياء ، وليست من مقاصـــد الطبيعة فى الحيازة والكنز .. ولما انحرف الانسان عن مثله الأعلى باســـتيلاء

الغفلة والعوامل الدخيلة انحرف معه طموحه وصادف اتجاهه نحو الحيازة نفس اتجاه عاملنا الأدبى الملح فى اتخاذ البيت ..

واذا فباعث اتخاذ البيت لا ينبثق من فطرة الحس فى الانسان .

واذا كان هذا الحافز فطرة غير حسية ، وهو فى الوقت نفسه فطرة فى كافة أفراد النوع فهو فطرة معنوية أو روحيـة أو أدبية ، ولولا أثرهـا العميق الحافز الى التستر فى دأب لا يسكن الا أن يتخذ الانسان بيته لما أحس لها أحد وجودا ، وأول ما قص القرآن من تجارب الانسان فى تلك الفطرة النازعة الى النيل أن آدم وزوجه عليهما السلام لما أكلا من الشجرة وبدت لهما سوءاتها أدركهما وازعهما ، أو داعيهما النبيل ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة سترا لما بدا منهما ..

ولقد سمى النزوع الى جمع القوت (غريزة المحافظة على الذات) لأن تلك المحافظة هى الغاية من الطعام ، وامضاء لهذا المنطق نسمى نزوع النفس الى اتخاذ البيت (غريزة السكن) ، اذ بهذا البيت تسكن النفس بستر ما يؤذيها تعرضه للأنظار ، وقد سماه الله (سكنا) بقوله : (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) ، وليس الشأن فى النص الكريم شأن مبتدأ وخبر انما هو نص على قانون من فطرة الانسان ، لا ينفك عنها ، وهو سكن نفسى لاحسى ، لا يتحقق الا أن يحتوى الانسان (بيت) خاص به ، ومما له دلالة على (فطرية) هذا القانون فى النفس أن الانسان اذا نزل (فندقا) أحس — بامتداد الاقامة — نزوعا الى بيته الخاص مهما يكن بالفندق من أسباب الراحة وجودة الطعام والخدمة .

واذ تقرر أن تلك غريزة تبعث الانسان على التماس مطلب له من مادة الأرض ، وقد وجدت فى تلك المادة ما يلائم المطلب ، فذلك شاهد لتلك الفطرة بأنها قائد الانسان أو رائده الى التطابق مع الكون .

ويبقى أن نسأل : هل أتمت غريزة السكن دورها فى تحقيق التطابق أو أن ثمت مدى عليها أن تبلغه ؟.. والاجابة ميسورة اذا ذكرنا أن تلك الغريزة لا تنشد سوى ما يكنها عن نظرات الفضول ، وقد تحقق ذلك من أول الأمر بأيسر المواد .. بخباء البادية ، وكوخ الأدغال ، وبالحجارة الساذجة أو الطين أو اللبن أو بهن جميعا فى الريف ، وما زاد عن ذلك بالاتساع وكثرة الحجرات أو التعالى فى البنيان ، فليس من مطلب الفطرة وهو فوق ما تدعو اليه الضرورة ، فمكانه هنا هو مكان التزيد فى الأطعمة من الترف وتزينها بالنسبة لغريزة المحافظة على الذات ، وقد كان بيت النبى محمد — عليه الصلاة والسلام — حجرة بسيطة قائمة بالجريد الذى يشده الطين والشعر بعضه الى بعض ، فليس التعالى والتوسع والغلو فى الزخرف والأثاث ونحوه الا أثر الاستغراق فى شهوات المظهر وفتنة حاسة النظر عما جعلت له ..

ويجب أن نفرق بين ذلك الغلو فى اتخاذ البيت وبين واجب العمارة الذى ألقى على الانسان بقوله تعالى (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) أى طلب اليكم عمارتها بالزرع والاحياء ، وبناء المدارس والمستشفيات والمصانع ونحوها من المنشآت النافعة ، ولذا نعى الله على قوم مجاوزتهم للحكمة فى البنيان بقوله : (أتبنون بكل ريع آية تبعثون) ، واعتد ذلك من مظاهر انحلال الأمم وذهاب الحضارات ، وسنعرض له فى موضعه من البحث .

فثمت عمارة دعى اليها الانسان وأهل لها بملكة فى الذهن ، وثمت مطالب غريزة السكن التى لا تنشد سوى مجرد بيت ،، ويجب أن أن نفرق بين هذين

وبين مظاهر الطموح الذى ضل سبيله ، فجاوز بجهود الانسان حدا الحكمة والضرورة فى المطعم والمسكن الى عبث يوبق النفس والمال والمجتمع .

ونخلص مما تقدم بأن غريزة السكن قد أدركت غايتها من تطابق الانسان مع الكون ، منذ استخلصت من مادته الطبيعية حاجتها الى بيت يكن على صورة أولية ، وأن جهود الانسان فيما وراء ذلك لا تحقق جديدا من التطابق فى بابها لأنها اما عبث ذاهب الى خسر ، واما عمارة سيأتى نبؤها على ما قدمنا ..

٣ — وكان ما حقق الانسان من مواءمة عقلية بينه وبين نواميس الكون ثمرة فطرة حافزة رائدة ، انبثقت فى الانسان وصحبته فى مدارج تطوره منذ وعى نفسه الى اليوم ، اذ كانت تلك الفطرة تستشرف لكل ما يثير اهتمامها من ظاهرة أو حدث أو كائن ، محاولة أن تعرف ماهيته ، أو كيفيته ، أو علته .. لم تكن تملك أن تنظر السماء والقمر والنجوم والشمس فى غير اهتمام وتساؤل ، وما من شك فى أن ظاهرات البرق والرعد والعواصف والسحب والمطر وارتفاع مد البحر مثلا قد أثارتها فانبعثت تسأل ما هذا ؟! كيف كان ؟! لم ، أو من أحدثه ؟! وكانت فى كل ذلك تثير العقل للبحث والكشف عن المراد ، وكان العقل خلال هذا المدى الطويل كثيرا ما يعود من بحثه باجتهاد خاطىء أو وهم وقع له على غير أساس علمى .. وقلما كان يصيب ..

ولا يعنينا ما كان للعقل فى ذلك من خطأ وصواب ، وخرافة علم وكذلك لايعنينا لم كان الخطأ أو لم كان الصواب ، انما يعنينا شأن تلك الفطرة المستشرفة التى تتساءل فتبعث العقل ليعرف ما تسأل عنه .. ان هذا التساؤل يمثل ولا بد رغبة نازعة الى المعرفة أو الى التعلم ، ومن البديهى أن يسبق التساؤل ادراك الحواس لشىء يثير السؤال ، ظاهرة أو حدث أو كائن ، فاذا حصل ذلك الشىء فى وعى الانسان ، وكان غير معروف الكنه أو الكيفية أو العلة — استشرفت تلك الفطرة فطرة التعلم الى معرفة ما تجهل ، فادراك الحواس لشىء ما أمر ضرورى لحصول ذلك الشىء فى وعى الانسان ، ثم يكون الاستشراف للمعرفة والتساؤل ويكون انبعاث العقل للملاحظة والتجربة والموازنة والكشف .

وتلك فطرة فى كل آدمى بلا جدال ودون استثناء ، وهى جديرة أن تسمى (فطرة المعرفة) ، ولكن أجدر من ذلك أن تسمى (فطرة التعلم) ، ففى كلمة (التعلم) معنى ايجابى ، و دلالة على جهد ذاتى ، ينشد الكشف عما لا يعلم الانسان ، وذلك نفسه هو شأن تلك الفطرة ، على أننا ننظر فى ذلك الاختيار الى قوله تعالى فى أول ما نزل به الوحى « علم الانسان ما لم يعلم » فالتعليم هنا ليس تعليم تفاصيل الشرائع وأصولها ، وليس تعليم كائنات الطبيعة عناصرها وخواصها وقوانينها ، وليس تعليم السنن الانسانية الخاصة بتقويم الانسان ، وما بذلك التقويم من عجائب الملكات ، وقوانين الايجاب ، وحقائق السلب ، وما له فى مجتمعه من نواميس الصلاح والترابط أو الفساد والانحلال . التعليم هنا لا يراد به قطعا شىء من ذلك لأنه حين نزول النص الكريم (علم الانسان ما لم يعلم) لم يكن للانسان علم بما قدمنا أو نحوه ، واذ هو تعالى صادق أتم الصدق وأكمله ، فالنص الكريم يتضمن اخبارا بخصوصية تكوينية ثبت بها فى الانسان ملكات التعلم ، واستعداداته التى تجعله طلعة دائم الاستشراف لمعرفة ما لم يعلم ، ويؤنسنا فى هذا قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) ، فان التأمل فى تاريخ الانسان ، وتدرجه فى المعرفة مع الاطلاع على ما لأئمة المفسرين من قول فى ذلك ، يوجه العقل الى أن هذا التعليم ليس

مرادا به أنه تعالى علم آدم كل علم كان وكائن وسيكون بكل لغة كانت وكائنة وستكون ، فكان عليه السلام يعلم قوانين الطبيعة فى الفلك والكيمياء وتسخير المـاء والهواء والمغناطيس والكهرباء والرياضة البحتة ونظرية النسبية والذرة ومحتوياتها ونحوه مما هو معروف الى ما يجد الانسان فى معرفته وكشف اللثام عنه ، ولسنا نستبعد ذلك على قدرة الله ، ولكنا نقوله لأن الاليق بحكمة الله أن يعلمه ــ فعلا ــ ما ينظم صلته بواقعه ، وتتحقق به المصلحة ، أما أن يعلمه ذلك كله كما يعرفه العلماء الآن وكما سيعلمونه فيما بعد ليكون معطلا فى ذهنه لا يطبق منه شيئا فى حياته ولا يكون له أثر فى انتفاع أهله وبنيه به ، فهو مناف للحكمة على ما علمنا من سنته تعالى ، اذ لا يجلى الشىء الا حين تتهيأ الاسباب للانتفاع به ومعرفة حكمته ، انما نذهب فى هذا التعليم الى ما ذهبنا فى قوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) . .

ونخرج من هذا بأن أجدر ما تسمى به تلك الفطرة هو (فطرة التعلم) لطابقته لغويا لواقع الانسان فى المعرفة ولورود الوحى به .

واذ تقرر من فطرة التعلم أنها نازعة أبدا الى التساؤل والاستشراف ، سائقة الانسان أو متنقلة به من جهل الى معرفة ، والمعرفة هى الأمر الحتمى للتطابق بين نظام عقل الانســان وقوانين الكون ــ فان معناه أن فطرة التعلم كانت رائدة الانسان فيما حقق من تطابق .

وقد سألنا فى شأن غريزتى (المحافظة على الذات) و (الســكن) هل أدركت كل منهما تمام دورها فى التطابق ، وتبين من المناقشـــة أن كلا منهما أدركت الغاية من ذلك ، ومن الطبيعى أن نسأل هنا السؤال نفسه : هل حققت فطرة التعلم غايتها ؟ أى هل حققت دورها فى التطابق العقلى بين الانســـان والكون ؟

ولكى يتهيأ الذهن للاجابة عن هذا نذكر .

ا ــ أن صفحة الكون الطبيعى كله فى الأرض والســـماء بما حوت من كائنات ونواميس هى مجال نشاط تلك الفطرة ، وذلك بديهـــى ، فانه ليس لنا مصدر طبيعى للعلم سواها .

ب ــ وان وسيلة تحصيل العلم منها تلك الفطرة .

جـ ــ وأن صفحة الكون مبسوطة أمامنا لا تطوى عنا شيئا من محتوياتها ودلالاتها ، ولا تكف أحدا عن التطلب والتعلم ، واذا كان ذلك هو الواقع البديهى فقد قرره القرآن الكريم بقوله : ــ (انظروا ماذا فى السموات والأرض) ؟ ، أى يطلب الينا أن نقوم بعمليات مسح عقلى لآماد الكون وآفاقه لنعرف (ماذا فى الســـموات والأرض) ، ومعلوم أن ذلك مطلب رهيب خطير ، فان مفهوم السموات يمتد آفاقا بعد آفاق فى مسافات تحيد الرءوس لذكر أبعادها الى ما لا يمكن ادراك أبعاده ، وتنقطع دونه أدق الوسائل العلمية ، فلن تبلغه يوما من الايام ، (فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون) ، ولكن الخالق تعالى ما كان ليكلفنا هــذا التكليف الخطير الشريف الا وهو يعلم أن ما كرمنا به من أهلـية التعلم كفء له ، (لا يكلف الله نفســا الا وسعها) ، لا يكلف الله نفســا الا ما آتاها) .

واذا كلفنا الله النظر فى تلك الآفاق السحيقة والمجاهيل التى لا يعلم كنهها الا هو ، طلب الينا ألا نجاوز مادة الواقع المحس قيد شعرة ولا ما دونها (انظروا ماذا فى السموات والأرض) ؟ ، أى انظروا أى شىء فى السموات والأرض .. وهو نظر حسى عقلى معا ، وانما يقع الحس والعقل على مادة الكون لا غير ، وما يلابسها من حقائق عقلية ، أما ما وراء مادة الكون ، أى ما عداها ، وما يسمونه الشطحات والتورط فيما لا يناله الحس ولا يضبطه العقل برؤية بديهية أو قانون محسوب بقواعده وأقيسته ، فليس من سنن النظر العلمى الذى دعا اليها النص الكريم .

وقد ذكرنا (ملابسات) المادة ، ونعنى بها (حقائق) تلازمها ، ولا تنفك عنها ، ولا يمكن أن ترى المادة مستقلة عنها بحال ، من ذلك . أن المادة تشغل (حيزا) ، ولا بد .. وهذا الحيز بقدر حجمها ، ولا بد .. لا يزيد عنه ولا ينقص ، ولا يتسنى للعقل بحال أن يرى المادة دون أن يراها متلبسة بالحيز كما لا يستطيع أن يرى حيزا ما مستقلا عن المادة بحيث يقول هذا حيز طائر فى الجو أو طائرة أو سحابة دون أن يكون ثمت شىء من ذلك ..

فالحيز حقيقة علمية لا شك فيها ، لأن العقل يشهدها ملابسة للمادة . كما تبصر العين شخوص الأشياء العادية ، ولكنه حقيقة لا تدل على ذاتها بنفسها بل تدل عليها المادة .

هذا مثال للحقائق البديهية العلمية التى تلابس المادة ، ويشهدها العقل ملابسة لها ، فاذا قلنا : ان المادة وحدها وما يشهد فيها العقل والحواس من عناصر وخصائص وملابسات هى موضوع (فطرة التعلم) ، واذا قلنا مع ذلك إن الحواس والعقل هما وسيلة تلك الفطرة ، وفيصلها فى تمحيص وتحرير ما يستخلص الانسان من حقائق . فقد ألمنا بالأساس الذى لا يعتمد العلم سواه نهجا للمعرفة ، اذ ليس لنا فى غير الكون الشاخص للحس والعقل معا معتمد طبيعى للحق .

وبعد فتلك فطرة التعلم ، وذلك مجالها ونهجها .. فهل حققت غايتها من التطابق بين عقل الانسان وحقائق الكون ؟ ذلك ما سنعرض له فى المقال التالى ان شاء الله .

---

(١) مما يتسق مع كون البيوت للكن (والاستتار قول النبى محمد عليه الصلاة والسلام (لو أن امرأ طلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح) . وقول القرآن (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) .

(٢) من شواهد اللغة عندنا — على ذلك أن البدوى يسمى بيئته (الخباء) ومنه خبأ الشىء أى ستره ، والخباء ما يعمل من وبر أو صوف للسكن ، وليس فى ذلك ما يتصل بمعانى مدافعة الجو .. ذلك الى أن البيت أصلا مصدر بات يبيت وهو متصل أو ملابس لليل ، وفيه معنى الستر ولما رأى العربى فى مسكنه حقيقة الستر الدائم أطلق عليه كلمة بيت ، فصارت اسما له ، كان سدول الليل التى لا تنفذ منها الابصار تفشيه كل آن فلا تقتحمها نظرة فضول بليل أو نهار .. وليس فى تلك اللفتات والحركات الفعلية والنفسية ما ينظر الى هجمات جو ، لأن سدول الليل مقصورة على رد عوادى النظر لا عوادى الجو من أى نوع .

فلينظر الإنسان مم خلق

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

صلة الانسان بالطين

بينا فى المقال السابق المنشور بالعدد رقم ـ ٦٥ ـ جماد الاول سنة ١٣٩٠ هـ

الصلة الوثيقة التى بين الانسان وبين أمه الارض ، وتمييز الانسان عن كل ما فى الأرض من كائنات بجعله خليفة لله فى الأرض ، وسر هذه الخلافة ، وأن هذه النظرة فى خلق الانسان وتطور مراحله جنينا دفعت البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ، وأن العلم لم يصل الى الحقائق التى جاء بها القرآن فى شأن تطورات الجنين فى الرحم الا فى قرون متأخرة جدا ، وأن الكشف عن هذه الحقائق خير هاد ومرشد للحق وموجه للايمان الكامل .

وسنتناول فى مقال هذا العدد : تنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وأساس تكوينه ، وكيف خلق الله الانسان الأول من الطين ، وقدرة الله على خلق بعض أفراد البشر على غير ما جاء فى هذا النص الكريم .

الآيات القرآنية الكريمة التى أشارت الى خلق الانسان عديدة ومختلفة ،

فمنها ما تناول خلق الانسان الأول الذى تنتهى عنده البشرية ، ومنها ما تناول الخلق نتيجة التزاوج ،

والحمل ، والتوالد ومن ذلك قوله تعالى (١) : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق » . وقوله جل شأنه (٢) : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

ومنها ما تناول الأمرين معا فنبه الانسان الى أصل خلقه من الأرض الميتة ، ثم التوالد من نطفه مستقطرة أو مستلة من جسم الحى يقول الله سبحانه (٣) : « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » . ويقول جل شأنه وعظمت قدرته (٤) : « هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » .

أما الآيات التى أشارت الى خلق الانسان الأول والى ربط الانسان بالارض وبيان صلته بالتراب والماء فانها بينت ان الانسان خلق من مادة البناء الأولى وهى عناصر الأرض يقول الله سبحانه (٥) : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .. » .

ويصور موقف ابليس من خلق آدم وقد أمر الله الملائكة بالسجودلآدم فسجدوا جميعا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين فيقول الله (٦) . « ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك ؟ . قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

وينقل النويرى فى كتابه نهاية الارب (٧) عن وهب بن منبه أنه قال : قرأت فى التوراة ان الله عزوجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثة فى ولده تنمو فى جسدهم وينمون عليها الى يوم القيامة : رطب ، ويابس ، وسخن ، وبارد . فالله خلق آدم من تراب وماء ، وجعل فيه يبسا ورطوبة . فيبوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح .

والواقع أن الروح الانسانية هو ذلك المعنى الذى ميز الله به الانسان على غيره من الاجناس حتى الملائكة الذين أمرهم الله أن يسجدوا لآدم اذ نفخ فيه من روحه فان جمهور المحققين على أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة لأنهم يطيعون الله لا عن جبلة ، وانما يطيعونهعن رياضة وجهاد حتى تصفو نفوسهم ، وأما عوام البشر فان عوام الملائكة أفضل منهم لأنهم أقرب الى الله طاعة وأكثر منهم عبادة يقول العز بن عبد السلام الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ « اختلف الناس فى التفضيل بين الملائكة والبشر ، ولا شك أن الملائكة من حيث اجسادهم أفضل وأشرف من أجساد البشر ،

وأما باعتبار الأرواح فان روح الانبياء أفضل من عدة وجوه .. » .

ولقد نفخ الله الروح فى آدم على ذلك الوجه الخارق ، ثم شاء الله أن يجعل لاعادة النشأة الانسانية طريقا معينا هو طريق التوالد نتيجة التقاء الذكر والانثى واجتماع البويضة التى يفرزها مبيض الأنثى بالحيوان المنوى الذى يفرزه الرجل اجتماعا يتم فيه تلقيح البويضة وتكون أداة لبدء التكوين الجنينى . وقد مضى مألوف الناس على قاعدة التزاوج والتناسل بالتصوير فى الأرحام كيف شاء الله على السنن التى ألفتها البشرية « فيهب لمن يشاء أناثا . ويهب لمن

يشـــاء الذكور » ويهب لمن يشـــاء الجنسين ويجعل من يشاء عقيما .

والآيات التى أشـــارت الى خلق الانســـان . تدل فى جملتها على أن التراب ، والطين هـــو أول طور من أطوار الانسان على معنى أنه أصل للغذاء الذى هو مادة تلك الـــنطفة فان مادتها ترجـــع الى التغذى من النبات الذى تنبتـــه الأرض فى أى صورة كان تناول ذلك النبات ، ومن الحـــيوان الذى عاش وتغذى على ذلك النبات . فعناصر التربة الأرضية غذاء للانسان بطريق مباشر أو غير مباشر .

ومن المفسرين من يرى أن التراب المقصود فى آيات تكوين الانســـان هو التراب الذى نشأ منه الأب الذى هـــو أصـــل الانســـان آدم عليـــه السلام ولا كلام فى أنه المادة الاولى التى تكون منها الانســـان الأول ثم تناسلت ذريته منه . ومهما يكن فان التراب هو الأصل فى تكوين الانسان فى مادته الاولى الـــتى كان منهـــا بلا واسطة وهى « آدم » وفى أفراده المتناســـلة أيضا ، وبذا يكون معدن الانسان من التراب ، والطين ، ويكون مرد هذا الانســـان الى التراب فمن الارض نشـــأنا واليها نعود . انظر قول الله تعالـــى (٨) « ولقد خلقنا الانســـان من صـــلصـــال من حمأ مسنون » . والصلصال كما فى كتب اللغة . الطين اليابس الحر المخلوط بالرمل . . . وانظر قوله جل شأنه (٩) « هـــو الذى خـــلقكم من طـــين » وقوله (١٠) . « يا أيهـــا الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب » .

وقد أثبت العلم أن هناك تشابها بين المواد التى يتـــكون منها الطين والمواد التى يتكون منها الانســـان . فالطين كما يقول المتخصصون فى علم طبقات الأرض يحتوى على مـــواد معدنية مثل الحديد ، والفســـفور ، والكالســـيوم والنحاس وغير ذلك . ومواد عضوية أساســـها النباتات والحـــيوانات الـــدقيقة التى فتتت وتحللت وامتزجت مع المواد المعدنية الموجـــودة فى الطين والتى جلبتها الأمطار من الجبال ، والصـــخور ، والمرتفعات .

وقال المتخصـــصـــون فى علم الحيوان: ان جسم الانسان يحتوى على كميات ونسب معينة من المواد التى يتكون منها الطين مما يقطـــع بقوة الصلة بين الانسان وبين الطين ويجعلنا نؤمن عن اعتقاد صادق بأننا من سلالة من طين وأن الانسان خلق من صلصال .

ويجعلنا نؤمن بحق بقرآنية هـــذا الـــكلام وأنه من عند الله . فما كان محمد صلوات الله وســـلامه عليه بالمتخصص فى علم طبقـــات الارض ولا عنده من الأجـــهزة ما يمكنه من معرفة تراكيب الانسان ومعدنه بل لم يكن عرف الجنس البشـــرى هذه الاجهزة وتلك الحقائق .

وبعد اثـــبات هذا التشـــابه فى التركيب بين عناصر الانسان والأرض يظهر بوضـــوح بطلان النظـــريات العلمية القديمة التى اتجهت الى أن الكائنات الحية نشأت هكذا من نفسها بطريق التوالد الـــذاتى من مـــواد الأرض ، والتى اتجهت الى أن المادة الحية قد وصلت الى الأرض بطريق الصدفة عن بعض الاجسام الاخرى الموجودة فى الفضـــاء ومن حقنا أن نتساءل كيف نشأت الحياة فى هذه الأجسام الأخرى الموجودة فى الفضاء

ومن الذى صنع هذا التوالد الذاتى وأوجد هذه الخاصية فيه . لابد أنه قوة عليا فوق طاقة هذه الحياة . لابد أنه الله خالق كل شىء ، وصدق الله فيما أخبر به .

وواضح أن أساس ما أتناوله بالكتابة فى هذا الموضوع هو الانسان الناشىء عن التوالد . الانسان الذى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . فلا يدخل فى موضوعنا ما خرج عن دائرة الجنين مما هو معروف من آيات الله فى خلقه غير خاضع لنظام التطوير . فهذا الخلق الأول الذى أشرنا اليه آية من آيات الله التى لا ترتبط بهذه السنن التى نحاول عرضها على القارىء الكريم ليثبت عقيدته ويقوم خلقه ويطمئن كل الاطمئنان الى أنه على حق فى عقيدته الاسلامية وأن الله حق وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا وأن الله على رجعه لقادر ، وأنه محاسب على ما قدمت يداه .

كما أن خلق الأم الأولى للبشرية ليست مما يتصل بموضوعنا لأنها ما كانت من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، وانما خلقها الله كما شاء على مقتضى قدرته وحكمته وكما يقول (١١) : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. » وكما دلت عليه السنة النبوية الكريمة فلم يكن عجيبا بالاضافة الى قدرة الله أن يكون الذكر وعاء للأنثى وظرفا لخلقها وتكوينها .

وكذلك خلق المسيح عليه السلام من أمه البتول العذراء مريم لم يكن فى نظام هذا التطوير الذى نحاول عرضه على قراء مجلة الوعى الاسلامى ، وانما كان آية من آيات الله وقعت على وجه الاعجاز من غير خضوع لسنن الكون وأطواره لقول الله سبحانه (١٢) : « واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت . انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت: انى يكون لى غلام ولميمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال : كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ... » .

وسواء قلنا ان حمل المسيح عيسى ووضعه كان فى ساعة واحدة كما ينقل الالوسى فى كتابه (١٣) ، أو فى مدة الحمل الطبيعى ، أو دونه بقليل كما يقول بعض آخرون فهو شىء لم يخضع لنظام التوالد الذى نقصر بحثنا هنا عليه تبعا للآية التى ندور فى فلكها « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » .

هذا وقد بين لنا الله جل شأنه وعظمت قدرته أنه قسم خلق الانسان فى أقسام ثلاثة وأضاف اليها ارادته العقم فى بعض الأفراد كما يقول سبحانه (١٤) « لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير » فانظر كيف قدم الله سبحانه عرض هذه الأقسام بأن له ملك السموات والأرض مما يدل على أن له أن يتصرف بمقتضى ملكه بما يشاء ويحقق أى قسم من هذه الأقسام بقوله : « انه عليم قدير » . ليدل على أن كل هذه الأحوال كما أنها خاضعة لتثبيته . فهى غير جارية على مطلق الاستبداد بالأمر وانما هى على وفق

علمه الدقيق الحكيم وبمقتضى قدرته .
ولهذا فان الله قد يخرق العادة لبعض خلقه ممن وقع فى العقم كما وقع ذلك لسيدنا ابراهيم الخليل وزوجته سارة فقد كانت امرأته عجوزا ، عقيما وكان هو شيخا كبيرا كما يقول سبحانه (١٥) فىقصة سارة وقد بشرتها الملائكة بالولادة حكاية عنها .. « قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب » . ويقول فى موضع آخر (١٦) . « فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت : عجوز عقيم . قالوا : كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » .
وكما وقعلزكريا وزوجه فيما يقصه الله علينا بقوله (١٧) : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » وبقوله سبحانه (١٨) حكاية عنه : « أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا » .

فهذا التحويل الآلهى من العقم الى الانجاب شىء من آيات الله التى لا تتصل بالسنن الكونية ونظامها المعهود مع مافيه من دلالة واضحة على قدرة الله الخارقة وأنه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . وهو ان اتصل بموضوعنا فانه لا يتصل به من ناحية ما فيه من اعجاز تتمثل فى نتاجه بعد عقم وانما يتصل به من خضوعه للسنن الكونية والتطورات التى يمر بها الجنين بعد أن من الله عليه بذلك الانتاج . ولذلك فان العقم ليس من موضوعنا هنا أيضا وانما يقتصر كلامنا على الانسان الطبيعى ومراحل تطويره فى الرحم من بدء تكوينه حتى ولادته .

والى لقاء فى مقال آخر لنبدأ الكلام فيه عن أطوار الجنين فى الرحم التى يشير اليها قول الله تعالى (١٩) : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث .. » .

---

(١) سورة العلق آية ١/٢ .
(٢) سورة الطارق آيات ٥/٧ .
(٣) سورة السجدة آية ٧/٨ .
(٤) سورة النجم آية ٣٢ .
(٥) سورة آل عمران آية ٥٩ .
(٦) سورة الاعراف آية ١٢ .
(٧) ﺟ٢ص٧ طبع دار الكتب بالقاهرة .
(٨) سورة الحجر آية ٢٦ .
(٩) سورة النعام آية ٢ .
(١٠) سورة الحج آية ٥ .
(١١) سورة النساء .
(١٢) سورة مريم آيات ١٦ — ٢١ .
(١٣) روح المعانى ﺟ ١٦ ص ٧٩ .
(١٤) سورة الشورى ٤٩ — ٥٠ .
(١٥) سورة هود آية ٧٢ .
(١٦) سورة الذاريات آية ٢٩ — ٣٠ .
(١٧) سورة آل عمران آية ٤٠ .
(١٨) سورة مريم آية ٨ .
(١٩) سورة الزمر آية ٦ .



تطور الفقه ومنهج أتباع التابعين

تطور الفقه الاســلامى أمر ضرورى تتطلبه حياة الأمة التى تتجدد من زمن لآخر بمتطلباتها وحوادثها تلك الحوادث التى لايمكن حصرها على مدى العصور ، ولن يتأتى أن يكون لكل حادثة منها نص فى كتاب الله أو ســنة رسوله ، ولهذا تدعو الحاجة الى الاستنباط والاجتهاد لمعرفة حكم ماجد من حوادث ، وفى هذا يقول الشــهر ستانى (وبالجملة نعلم قطعا ويقينا أن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبــل الحصر والعد ، ونعلم قطعا أنه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضا ، والنصــوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية ، ومالا يتناهى لايضبطه ما يتناهى ـعلم قطعا أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد) .

وقد حذا أتباع التابعين حذو أسلافهم من الصحابة والتابعين فى فقه ماجد من حوادث معتمدين فى ذلك على ما نقل اليهم من أقوال هؤلاء السلف بعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم أقرب الى عهد النبوة وأصدق فهما للقرآن (وما اســتنبطوه من أحكام ينبغى أن يكون موضــع اهتمام الا اذا اختلفوا فيما بينهم ، وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولهم مخالفة ظاهرة .

وهذا النهج الذى نهجه أتباع التابعين هو طريق السداد الذى تقتضــيه الأمانة العلمية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم ((**يحمــل هذا العلم من كل خلف عدوله**)) .

تطور الفقه ـ المدارس الفقهية ـ أسباب الاختلاف ـ المذاهب الفقهية المشهورة ..

للأستاذ : مناع القطان

وكان اختلاف آراء الصحابة والتابعين فى المسألة الواحدة حافزا لأتباع التابعين على البحث فى مرجع هذا الاختلاف وتمحيص الرأى فيه ، وأدى هذا الى افساح المجال للاختيار وان تأثر علماء كل بلد بشيوخهم السالفين .

المدارس الفقهية للأمصار

كان من آثار استقرار عدد كثير من الصحابة فى الأمصار الاسلامية أن نشأ فى كل مصر منها مدرسة تولاها بادىء الأمر الصحابة بأنفسهم ، ثم خلفهم أتباعهم الذين ورثوا عنهم فقههم ورووا فتاواهم وانتقل الأمر الى أتباع التابعين على هذا النمط .

١ ـ فقهاء المدينة السبعة المشهورون انتقل الفقه من بعدهم الى نافع مولى عبد الله بن عمر ، وأبى بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، ويحيى بن سعيد ابن قيس الأنصارى ، وأبى الزناد عبد الله بن يزيد بن هرمز ، وربيعة ابن أبى عبد الرحمن مولى بنى تيم من قريش وهو المعروف بربيعة الرأى ، ثم انتقل الفقه بعد ذلك الى عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن اسحاق بن مالك بن أنس ، وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، والامام مالك بن أنس.

٢ ـ وفى مكة انتقل فقه التابعين فيها من تلاميذ ابن عباس : عطاء بن أبى رباح ، وطاوس بن كيسان ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وعكرمة الى أبى الزبير المكى ، وعبد الله بن طاوس ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وسفيان ابن عيينة ـ ثم الى مسلم بن خالد بن سعيد الزنجى ـ ولقب بذلك لحمرته ـ وسعيد بن سالم القداح ثم الى محمد بن ادريس الشافعى .

٣ ـ وفى الكوفة انتقل الفقه من كبار التابعين علقمة بن قيس النخعى ،

والأسود بن يزيد النخعي وشريح بن الحارث الكندى القاضي وأبى ميسرة عمر وبن شرحبيل الهمدانى الى ابراهيم النخعى ، وعامر الشعبى ، وسعيد بن جبير — ثم الى حماد بن أبى سليمان ، وسليمان الأعمش ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وشريك القاضي النخعى وسفيان بن سعيد الثورى ، وأبى حنيفة النعمان بن ثابت .

٤ — وفى البصرة — انتقل الفقه من الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وأبى بردة بن أبى موسى الأشعرى وجابر بن زيد أبى الشعثاء — الى أيوب بن كيسان ، والقاسم بن ربيعة ، وأياس بن معاوية القاضي ثم الى عبيد الله بن الحسن العنبرى ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد .

٥ — وفى الشام انتقل الفقه من أبى ادريس الخولانى وقبيصة بن ذؤيب الخذاعى ، وسليمان بن حبيب — الى عبد الرحمن بن جبير ، ومكحول وعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة وعبد الملك بن مروان — الذى كان يعد من الفقهاء قبل أن يلى الخلافة — ثم الى سعيد بن عبد العزيز والعباس بن يزيد وأبى اسحاق الفزارى صاحب ابن المبارك ويحى بن حمزة القاضي ، وأبى عمرو عبد الرحمن ابن عمرو الاوزاعى .

٦ — وقدم الى بغداد بعد أن بناها المنصور عدد كثير من الائمة والمحدثين ، وكان من فقهائها أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى صاحب الشافعى ، ثم كان امام أهل السنة أحمد بن حنبل .

٧ — وفى مصر انتقل الفقه الى يزيد بن حبيب ، وبكير بن عبد الله بن الأشج ، وعمرو بن الحارث ، ثم انتقل فقه هؤلاء الى عالم مصر أبى الحارث الليث بن سعد الذى كان معاصرا للامام مالك — ثم الى عبد الله بن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم من أصحاب مالك ، والمزنى ، وابن عبد الحكم والبويطى من أصحاب الشافعى .

٨ — كما نشأ فى المدن الأخرى المفتوحة كثير من الفقهاء ، فكان بالقيروان سحنون بن سعيد وسعيد بن محمد الحداد .

وكان بالأندلس يحيى بن يحيى ، وعبد الملك بن حبيب ، ومنذر بن سعيد ، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ،

وكان باليمن وهب بن منبه الصنعانى ، ويحيى بن أبى كثير ، ومطرف بن مازن قاضى صنعاء ، وعبد الرزاق بن همام ، وسماك بن الفضل .

وهؤلاء الفقهاء الذين عرفوا فى الأمصار الاسلامية المختلفة كانوا جميعا يتصدون للفتيا ، دون أن يقلد أحدهم الآخر ، وان أخذ فقهاء كل مصر عن شيوخهم السابقين ، يقول ابن حزم « ثم أتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبى حنيفة ، وسفيان ، وابن أبى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان التبى ، وسوار بالبصرة والأوزاعى بالشام ، والليث بمصر ، فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم ، وهو موجود عند غيرهم ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » ، وقد ذكر الخضرى هذا المعنى فقال « ولم يكن عرف بين الناس الانتساب الى فقيه معين يعمل بما ذهب اليه من رواية أو رأى وانما كان هؤلاء المفتون فى الأمصار المختلفة معروفين بالفقه ورواية الحديث ، فكان المستفتى يذهب الى من شاء منهم فيسأله عما نزل به فيفتيه ، وربما ذهب مرة أخرى الى مفت آخر ، وكان القضاة فى الأمصار يقضون بين الناس بما

يفهمونه من كتاب الله أو سنة رسوله أو رأى أن ظهر لهم ، وربما استفتوا من ببلدهم من الفقهاء المعروفين ، وربما أرسلوا الى الخليفة يسألونه ، كما حصل كثيرا فى عهد عمر بن عبد العزيز » .

أسباب الاختلاف بين الأئمة فى صدر هذه الأمة .

أولا : الظاهرة البشرية : فمما لا شك فيه أن الناس بشر ، وأن هؤلاء الائمة يعرض لهم الخطأ والنسيان ، وليست هناك عصمة فيما طريقه البلاغ الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نجد الرجل يحفظ الحديث ثم ينساه ، ولا يحضره ذكره عند الفتوى ، فيفتى بخلافه ، بل ربما عرض هذا فى آيات القرآن الكريم ، وآية ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب على المنبر وأمر الا يزاد فى مهور النساء فذكرته امرأة بقول الله تعالى « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا** » فترك قولهوقال — كل أحد أفقه منك يا عمر — امرأة أصابت وأمير المؤمنين أخطأ .

وأمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر ، فذكره على بقول الله تعالى « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** » مع قوله تعالى « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** » فرجع عن الأمر برجمها .

ثانيا : ان الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة فى الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند كل واحد منهم من العلم ما ليس عند الآخر ، وفيهم المقل وفيهم المكثر ، وقد تفرق هؤلاء وأولئك فى الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات الاسلامية ، فاذا عرضت قضية فى مصر منها نظر الصحابة الحاضرون فيها ، فان وجدوا أثرا عن النبى صلى الله عليه وسلم حكموا به ، والا كان الاجتهاد ، وقد يكون فى تلك القضية حكم عن النبى صلى الله عليه وسلم لدى صحابى آخر فى بلد آخر ، ولهذا أمثلة كثيرة .

١ — فقد كان حكم التيمم عند عمار وغيره ولم يعلمه عمر وان مسعود فقالا لا يتيمم الجنب .

٢ — وكان حكم الاستئذان عند أبى موسى ، وعند أبى سعيد ولم يعلمه عمر .

٣ — وكان حكم تحريم المتعة والحمر الأهلية عند على وغيره ، ولم يعلمه ابن عباس .

٤ — وكان حكم الاذن للحائض فى أن تنفر قبل أن تطوف عند ابن عباس وأم سليم ، ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت .

٥ — وكان حكم أخذ الجزية من المجوس عند عبد الرحمن بن عوف ، ولم يعلمه عمر وجمهور الصحابة .

٦ — وكان حكم اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب عند ابن عباس وعمر ، فنسيه عمر سنين ، ثم ذكر فأجلاهم .

ثم جاء التابعون ، ثم اتباع التابعين ، وتفقه كل على من قبله .

ثالثا : ان بعض النصوص قد يبدو فى ظاهرها التعارض ، فيجتهد فيها أحد هؤلاء الفقهاء وهو مأجور أصاب أم أخطأ ، فيميل الى ترجيح أحد النصين على الآخر ، بينما يميل غيره الى ترجيح هذا الآخر لمرجح لديه .

كما روى عن عثمان فى الجمع بين الأختين قال : حرمتهما آية ، وأحلتهما

آية ، وكما مال عمر الى تحريم نســـاء أهل الكتاب لقوله تعالى ((**ولا تنكحـــوا المشركات حتى يؤمن**)) وقال لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها ، وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة فى الآية الأخرى ((**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب**)) .

المذاهب الفقهية المشهورة وأصولها

تحدثنا آنفا عن المدارس الفقهية ، وذكرنا أئمة الفقه فى كل مصر ، ولكن بعض هؤلاء الأئمة قد وجد أتباعا يعملون على ذيوعه وانتشاره ، فكان مذهبهم أوفر حظا ، وتتابع الأخذ به والتفريع عنه حتى صار مذهبا مشهورا ،، بينما لم يجد الآخرون مثل هذا الحظ فأصبح فقههم منثورا فى بطون الكتب ، ولم يتيسر لهم من الأتباع من ينشر مذهبهم ، فالأئمة الأربعة المعروفون لم يكونوا جميعا أحق بالخلود من آخرين كالاوزاعى امام أهل الشام ، وسفيان الثورى الذى قال فيه ابن عيينة : ما رأيت رجلاأعلم بالحلال والحرام من الثورى ، والليث بن سعد امام أهل مصر ، وصديق الامام مالك الذى قال فيه الشافعى هو أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به ، وغير هؤلاء كثير ، وسوف نقتصر هنا على بيان أصـــول المذاهب المشهورة اجمالا بما يعطينا فكرة عن كل مذهب منها .

١ ـــ أبو حنيفـــة

تركزت مدرســـة أهل الكوفة أو أهل الرأى فى أبى حنيفة ، ويمكن اجمال أصول مذهبه فيما يأتى :

١ ـــ التشدد فى قبول الحديث :

كان أبو حنيفة يتحرى عن رجال الحديث ، ويتثبت من صحة رواياتهم فقد لا يقبل الخبر عن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم الا اذا رواه جماعة عن جماعة ، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به فأصـــبح مشهورا ، وبهذا تضيق دائرة العمل بالحديث ، وقد نقل الشافعى فى الأم عن أبى يوسف ما يوضح خطته وخطة أبى حنيفة شيخه فى ذلك قال أبو يوسف (فعليك من الحديث مما تعرفه العامة ، واياك والشاذ منه ، فانه حدثنا ابن أبى كريمة عن أبى جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود فحدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فصـــعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال (**ان الحديث سيفشو على فما آتاكم عنى يوافق القرآن فهو منى وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى**) وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الا بشـــاهدين ، وكان على بن أبى طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله والرواية تزداد كثرة ويخرج منهـــا مالا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فاياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث ، وما يعرفه الفقهاء ، فقس الأشياء على ذلك فما خالف القرآن فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان جاءت به الرواية فاجعل القرآن والسنة المعروفة لك اماما وقائدا ، واتبع ذلك وقس عليه مايرد عليك مما لم يوضح لك فى القرآن والسنة .

٢ ــ التوسع فى القياس

وحيث ضاقت دائرة الأخذ بالحديث كان التوسع فى الأخذ بالقياس ، وهكذا كان أبو حنيفة يعمل رأيه فى المسألة ، ويجتهد فى استنباط حكمها دون أن يتقيد بقول سابق للصحابة أو التابعين مالم يتبين له صحة نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عنه أنه قال (انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات ، فاذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب فلى أن أجتهد كما اجتهدوا) .

٣ ــ الاستحسان :

يعتبر الاستحسان من أصول الادلة فى مذهب أبى حنيفة وان بالغ فى الاخذ به بعض العلماء الاحناف فقالوا : ان المجتهد له أن يستحسن بعقله الا أن المتأخرين منهم على أن الاستحسان عبارة عن دليل يقابل القياس الجلى الذى تسبق اليه الافهام .

٤ ــ الحيل الشرعية :

ينسب كثير من الباحثين الى فقه أبى حنيفة الحيل الشرعية ، وأنها كانت بابا واسعا من أبواب الفقه فى مذهبه ، وقد تكلم ابن القيم عن الحيل فى كتابه (أعلام الموقعين) وشنع على من توسع فيها وقال (ان المتأخرين أحدثوا حيلا لم يصح القول بها عن أحد من الائمة ، ونسبوها الى الائمة وهم مخطئون فى نسبتها اليهم) . وأكثر ما ينسب الى أبى حنيفة من ذلك أفتى به فى مسائل تتعلق بالايمان عامة وبالطلاق خاصة ، وليس فيها تحايل على ابطال حق ، ولكنها استنباط فقهى للخروج من مأزق كأن يحلف رجل ليقربن امرأته نهارا فى رمضان فيفتيه أبو حنيفة أن يسافر بها فيقربها نهارا فى رمضان ، ويحلف آخر وقد رأى امرأته على السلم فيقول : أنت طالق ثلاثا ان صعدت ؛ وطالق ثلاثا ان نزلت ، فيفتيه أبو حنيفة أن تقف المرأة على السلم ولا تصعد ولا تنزل ، ويحتال جماعة يحملون السلم بالمرأة فيضعونها على الارض وهكذا .

٢ ــ مالك :

كما تركزت مدرسة أهل الرأى فى أبى حنيفة تركزت مدرسة أهل الحديث فى مالك رضى الله عنه ومن أصول مذهبه .

١ ــ الاهتمام بالحديث :

اهتم مالك بالحديث ولم ينهج نهج أبى حنيفة فى تضييق دائرته ، واشتراط

شهرته مع تحرى صحة السند ، وكان يقول لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ ممن سواهم لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحمل وما يحدث به .

وقد جمع مالك فى كتابه (الموطأ) ما صح من الاحاديث والاخبار لديه ، واعتبره أساسا لمذهبه .

٢ ـ عمل أهل المدينة :

ذهب مالك الى أن المدينة هى دار الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام صحابته ، وأهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل ، وبما كان من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحى ، وهذه ميزات ليست لغيرهم ، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون اليه ، فيكون عملهم حجة يقدم على القياس ، وعلى خبر الواحد ، وفى كتاب الامام مالك الى الليث بن سعد « ان الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن » .

٣ ـ قول الصحابى :

ويرى مالك فى مذهبه أنه اذا لم يرد حديث صحيح فى المسألة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فان قول الصحابى اذا لم يعلم له مخالف يكون حجة ، وقد ضمن موطأه العديد من أقوال الصحابة والتابعين ، فالصحابة أعلم بالتأويل ، وأعرف بالمقاصد لأنهم حضروا التنزيل وسمعوا كلام رسول الله ، فقولهم أولى بالاخذ يخص به العام ، ويترك لأجله القياس .

٤ ـ المصالح المرسلة :

والعمل بالمصالح المرسلة أساس من الاسس التى اعتمد عليها مالك فى مذهبه ، وهى جلب منفعة أو دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بابطال ولا باعتبار معين ، لأن تكاليف الشريعة ترجع الى حفظ مقاصدها فى الخلق ضرورية كانت أو حاجية أو تحسينية ، **والضرورية** : هى التى لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا فى الضروريات الخمسة الثابتة فى الملل جميعا وهى حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل .

والحاجية : هى التى تؤدى الى رفع الضيق والحرج والمشقة .

والتحسينية : هى المتعلقة بمكارم الاخلاق ، وكون هذه المعانى مقصودة عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة مما يدل على مقاصد الشرع ، ولذا ذهب مالك الى أن هذه المصلحة تكون حجة .

٣ ـ الشافعى :

١ ـ المنحى الوسط :

كانت رياسة الفقه قد انتهت فى العراق الى أبى حنيفة ، وفى المدينة الى

مالك بن أنس ، وقد لازم الشافعى مالكا ، وأخذ عنه كما أخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، فاجتمع اليه علم أهل الرأى وعلم أهل الحديث ، وانتحى مذهبا وسطا أصل أصوله ، وقعد قواعده .

خالف أبا حنيفة فى تقديم القياس على خبر الآحاد ، ودافع دفاعا شديدا عن العمل بخبر الواحد ، ما دام راوية ثقة ضابطا ، وما دام الحديث متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشترط شهرته كما اشترط أهل العراق كما أنكر على أهل الرأى العمل بالاستحسان ، وخالف مالكا فى حجية عمل أهل المدينة ، والقول بالمصالح المرسلة .

٢ ـ أساس مذهبه :

دون الشافعى أساس مذهبه فى رسالته الاصولية فهو يحتج بظاهر القرآن ، ثم بالسنة ، ثم بالآثار الصحيحة ، ثم يعمل بالاجماع عند عدم العلم بالخلاف ، فان لم يكن هناك دليل مما سبق عمد الى القياس فعمل به ، مشترطا أن يكون له أصل معين يقول فى رسالته (ان جهة العلم الكتاب والسنة والاجماع والآثار ، ثم القياس عليها ولا يقيس الا من جمع الآلة التى له القياس بها ، وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ، ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن ، وأقاويل السلف ، واجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل وحتى يفرق بين المشبه ، ولا يعجل بالقول به دون التثبت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد تثبتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك) .

٤ ـ أحمد بن حنبل :

أصول مذهبه :

فقه السنة : أخص ما يتميز به مذهب أحمد أنه يقوم على فقه السنة ، ولذا فانه يعد من كبار المحدثين ، وقد ذكر ابن القيم أن فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على خمسة أصول نجملها فيما يأتى :

١ ـ أحدها النصوص :

فاذا وجد النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت الى ما خالفه ، ولا من خالفه كائنا من كان ، ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا .

وثانيها :

فتاوى الصحابة أى ما أفتى به الصحابة اذا وجد لبعضهم فتوى لا يخالفه فيها أحد منهم ، ولم يقل الامام أحمد ان ذلك اجماع ، بل كان يقول تورعا لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو ذلك .

وثالثها :

الاختيار من فتاوى الصــــحابة اذا اختلفوا فانه يتخير من أقوالهم أقربها الى الكتاب والسنة .

ورابعها :

الأخذ بالمرســـل والحديث الضـــعيف اذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب فان العمل به عنده أولى من القياس .

وخامسهما :

القياس للضرورة فاذا لم يكن عنده فى المسألة نص ولا قول للصــــحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو حديث ضعيف عدل الى القياس فاســـتعمله للضرورة .

الظاهريـــة :

كانت العراق قاعدة أصحاب الرأى ، ولكننا نرى فى مطلع القرن الثالث الهجرى رجلا يولد بالكوفة (٢٠٠ — ٢٧٠ هـ) وينشأ ببغداد ، ويأخذ العلم عن اسحاق بن راهويه ، وأبى ثور ، ويدرس مذهب الامام الشافعى ، ويتعصب له ، ويصنف فى مناقبه ، وتنتهى اليه رياسة العلم ببغداد ، ثم يستقل بمذهب جديد على النقيض من مذهب أصــحاب الرأى ، فينــكر القياس ، ويـــرى أن عموم النصوص من الكتاب والسنة تكفى لبيان الأحكام ، لأن القول بالقياس تشريع عقلى ، والدين الهى ولو كان الدين بالعقل لجرت أحكام على خلاف ما أتى به الكتاب والســـنة ، ولهذا وجب أن نتقيد بظاهـــرهما الا اذا قرن النص بعلة الحكم ، وقد قال الله ((**وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله**)) ولم يقل الى الرأى والقياس .

ذلك الرجل هو أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى ، المعروف بالظاهرى .

وقد اتبـــع مذهب الظاهرية كثير من الناس فى فارس والأندلس ، ومن أشهر رجاله أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد المغلس ، وأبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ، ومن أمثلة ذلك فى فقههم .

١ — أن الاسلام حرم الربا وقال صلى الله عليه وسلم « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » .

وقد ذهب عامة الفقهاء الى أن الحرمة لا تقتصر على هذه الأنواع الستة بل تتعداها الى غيرها قياســـا ما وجدت العلة واختلفوا فى علة المطعومات

١ — فقال جماعة ان علة تحريم الربا فى المطعومات الكيل والوزن وعلى هـــذا يجرى الربا فى كل مكيـــل أو موزون بيع بجنســـه مطعوما كان أو غير مطعوم .

٢ — وقالت طائفة : العلة كونه مطعوما فيحرم الربا فى كل مطعوم قوتا كان أو فاكهة أو دواء .

٣ — وذهب قوم الى أن العلة كونه طعاما مكيلا أو موزونا .

٤ — وقال آخرون العلة الاقتيات والادخار أى كون الطعام مقتاتا مدخرا .

أما الظاهرية الذين لا يأخذون بالقياس فلم يوافقوا على هذا ، وقصروا الربا على الأصناف الستة المذكورة فى الحديث ، وقالوا ان الشارع خص من المكيلات والمطعومات والاقوات أشياء أربعة — فلو كان الحكم ثابتا فى كل المكيلات أو فى كل المطعومات لقال مثلا :

لا تبيعوا المطعوم بالمطعوم متفاضلا بالنص على علة التحريم ، فان هذا الكلام يكون أكثر اختصارا وفائدة ، فلما لم يقل ذلك ، بل عد الأربعة علمنا أن حكم الحرمة مقصور عليها .

٢ — وذهب الأئمة الأربعة الى أن حد الأمة اذا زنت خمسون جلدة بكرا كانت أو ثيبا ، أما الثيب فلقوله تعالى ((**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب**)) والمراد بالعذاب الجلد لأن الرجم لا يتجزأ ، وأما البكر فلما فى الصحيحين من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة اذا زنت ولم تحصن فقال ((**اذا زنت فاجلدوها ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير**)) .

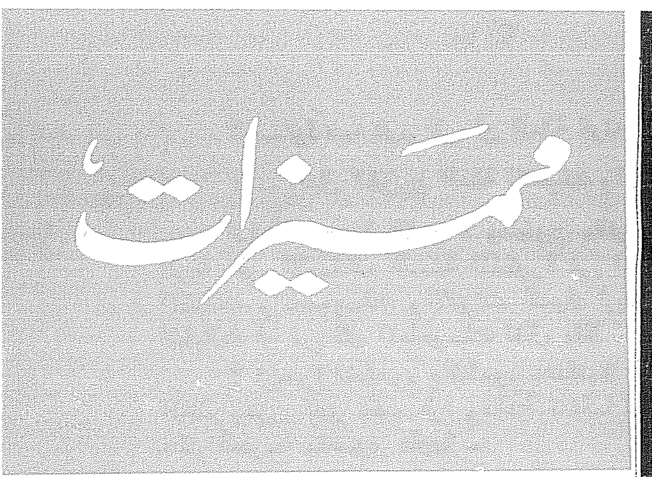
وقال داود — على الأمة نصف الحد اذا زنت وكانت محصنة لظاهر الآية وتجلد مائة اذا كانت بكرا لظاهر العموم فى قوله تعالى ((**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**)) وقد خرج من هذا العموم الأمة المحصنة بقوله تعالى ((**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات**)) فتبقى التى لم تحصن فى العموم .

هذه فكرة مجملة عن نشأة الفقه الاسلامى وأصول مذاهبه تصور لنا ذلك الجهد الذى بذله علماء هذه الأمة وأئمتها ، وكيف حرص هؤلاء المجتهدون على النظر فى شريعة الله ؟ واجهدوا قرائحهم فى معرفة أحكام ماجد من حوادث ، وقد خلفوا لنا تراثا فقهيا خالدا يتضمن من الشروح والتفسيرات ما يكشف عن ثروة شريعتنا وعظمة مبادئها ونمو قواعدها ، فهى شريعة حية لاينضب معينها ، ولا يغيض ماؤها .

واليوم — وقد تكالبت على أمة الاسلام قوى الشر فى الشرق والغرب ، ونفثت سموم أفكارها وسحرت أعين الناس ببريق خداعها ، وتخلت أقطار اسلامية عزيزة عن تحكيم شريعة ربها ، وانسلخت عن تاريخ مجدها وولت وجهها شطر الغرب تارة ، والشرق أخرى — اليوم وقد وصلت أمتنا الى هذا الدرك تتطلع النفوس المؤمنة الواعية فى أنحاء العالم الاسلامى الى يقظة جديدة تنفض عن كاهل أمتنا ركام هزيمتها ، وتعيد اليها ثقتها فى عظمة شريعتها وتشق طريق الكفاح فى سبيل هذه الغاية مجاهدة صابرة محتسبة حتى تحطم طواغيت الضلال والفساد ((**ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**)) .

والانسانية المعذبة التى تكتوى بنار الصراع الدولى فى عصر يسمونه عصر المدنية تنتظر ساعة الخلاص مما أصابها من بلاء ،

وعلى يد الجيل المسلم المجاهد فى كل بلد ترتقب الدنيا هذه الساعة لتقر عينها ويهدأ بالها فالاسلام كان — ولا يزال — سفينة نوح فى كل طوفان .



«١»

ريادتها وأسبقيتها

«٢»

عمومها وشمولها

«٣»

توازنها واعتدالها

«٤»

مراعاتها للحقوق الإنسانية الاخرى

«٥»

جمعها بين التشريع والتطبيق

أشرقت شمس الاسلام ، فى تلك البقعة الصحراوية بين تهامة ونجد ، وظلمات العصور الوسطى ، تسود العالم شرقا وغربا ، فلا بصيص لأى حق من حقوق الانسان ، ولا حرية ولا اخاء ولا مساواة ، هنا أو هناك .. عند العرب أو غيرهم ..

عند العرب :

أ ـ فالعرب تنكروا بجاهليتهم الجهلاء لسائر هذه الحقوق ولا سيما حق المساواة ، بين العربى والعربى وبين العربى وغير العربى .. وقد حاول كسرى أبرويز ـ وهو ملك الفرس ـ أن يصهر الى النعمان بن المنذر أحد ولاته الخاضعين لجبروته وسلطانه ، ولكن النعمان أبى أن يزوجه من ابنته (حرقة بنت النعمان) فكبر ذلك على كسرى ، الذى استدعاه الى (المدائن) عاصمة الفرس ، حيث أمر بطرحه تحت أقدام الفيلة التى صرعته شر مصرع .. ولما حاول كسرى أن يظفر بابنة هذا العربى الصريح ، أباها عليه هانىء بن قبيصة ، الذى استودعه النعمان

ابنته قبيل سفره الى (المدائن) ..وانتهى الأمر بالعرب والفرس من جراء ذلك الى (موقعة ذى قار) (١) التى هى أول معركة أنتصر فيها العرب على الفرس .

ويحدثنا مجد الدين بن الأثير ، أن أحد دهاقين الفرس ، حاول أن يتزوج عربية من قبيلة باهلة ، ولكن الباهليين أبوا عليه هذا « الشرف الرفيع لأنهم يرون نفوسهم — وان كانوا من باهلة — أسمى وأعظم من كل أعجمى كائنا من كان .. فلا مساواة بين العربى والاعجمى — ولا مساواة بين العربى من قريش مثلا والعربى من باهلة أو تيم التى قال فيها شاعرهم بيته المشهور مستخفا بها :

ويقضى الأمر حين تغيب « تيم » ولا يستأمرون وهم شهود

(عند بنى اسرائيل)

ب — والاسرائيليون كانوا يعتقدون فى نفوسهم أنهم « شعب الله المختار لأنهم من سلالة الأبن البار بأبيه » سام بن نوح على حين أن الكنعانيين أبناء الابن العاق لأبيه « حام بن نوح » لم يخلقهم الله الا خدما وأتباعا لهم ، استجابة لدعوة نوح على ابنه حام ونسله الكنعانيين .. مصداقا لما جاء فى الاصحاح التاسع من سفر التكوين .

(وفى اليونان)

ج — واليونان القدامى ، كانوا يطلقون على غيرهم أسم « البربر » ويرون نفوسهم أفضل الناس ، وذلك ما عبر عنه بأسلوبه الفلسفى المعلم الأول

---

(١) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٥٠ ، ثم ، العقد الفريد ٣ : ١١٣ .

أرسطو ــ كما جاء فى كتاب (السياسة) .. ثم عبر عنه عفوا أو قصدا بأسلوبه التاريخى (هـ . ا . ل . فشر) حيث قال ص ١١ من كتابه « تاريخ أوربا فى العصور القديمة » ما نصه « اننا معشر الأوروبيين أبناء هيلاس » وفى شرح هذه العبارة قال المترجمان لهذا الكتاب ص ١٤٥ « يطلق اسم (هيلاس) أو (جرايكيا) ، على شتى البقاع التى استقر بها الاغريق قديما » .

(وفى الهند)

د ــ والبراهمة فى الهند وغيرها ، كانوا يعتقدون أن (براهما) قد خلقهم من فمه ، على حين أنه خلق سواهم من ذراعه ، أو من فخذه ، أو من قدمه فكيف يرضون المساواة بينهم وبين غيرهم ؟ وأين الفخذ أو الذراع فضلا عن القدم من الفم أعلى وأشرف الاعضاء ؟ وأين المنبوذون الخدم الاتباع ، من سادتهم البراهمة ؟ وأين الثرى من الثريا ؟

هكذا كان حق المساواة بين الانسان وأخيه الانسان ، لا مكانة له ولا مكان وقت ظهور الاسلام ، الذى أعلن وطبق كل حق من حقوق الانسان ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وللمرة الاولى فى تاريخ الانسان .

(الاسلام وحده)

وبذلك أحرز الاسلام قصب السبق (والتقدمية) مع الاحاطة والشمول ، فى توازن واعتدال بين الحقوق والواجبات .. حتى لا يجور حق على واجب ، ولا يطغى حق على حق آخر من حقوق الانسان ، التى اعتبرها الاسلام كلا لا يتجزأ ، بل حلقة مفرغة لا يدرى : أين طرفاها ؟ ولا غنى لطرف منهما عن الآخر .. واعتبرها فى تعاونها على اسعاد الانسان ، كاليدين للانسان ، والجناحين للطائر ، واليد الواحدة لا تصفق ، والجناح الواحد لا يحلق .

(حقيقة المساواة)

وماذا يعنى الاسلام بالمساواة ؟

لا يعنى بها المساواة بين الناس ، فى الملكات الشخصية ، والمواهب الطبيعية ، والاستعدادات الوراثية (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ..) مختلفين ومتفاوتين فى مواهبهم وقدراتهم وامكانياتهم ، والمساواة بينهم فى ذلك . هى عين المستحيل ، الذى عناه الفيلسوف الانجليزى الحديث (هكسلى) بقوله « ان أية محاولة للمساواة بين الناس مقضى عليها بالاخفاق ، وانما المستطاع تهيئة فرص متساوية للجميع ، لأن بعض الناس يولدون مبصرين ينظرون بعيدا ، وبعضهم يولدون عميانا أو ضعاف بصر ، على تفاوت طبيعى بينهم فى ذلك ... » .

وانما يعنى الاسلام بالمساواة ، المساواة بين الجميع ، على اختلاف أديانهم وألوانهم وأجناسهم ، فى تكافؤ الفرص بينهم ، وفى اتاحة العمل الملائم لكل منهم ،

وفى جزاء كل منهم على عمله خيرا أو شرا فى الدنيا والآخرة ، دون ما نظر الى الفوارق والاعتبارات التى تحيد بنا مراعاتها عن سواء السبيل ، أو تميل بميزان العدالة المنشودة بعض أو كل الميل (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

وهذه المساواة الاسلامية ، نستطيع أن نقسمها تقسيما تقريبيا الى ثلاثة أقسام :

١ ــ **مساواة اقتصادية ...**
٢ ــ **مساواة اجتماعية ....**
٣ ــ **ومساواة قانونية ....**

أما المساواة الاقتصادية فأبرز معالمها ما يأتى :

١ ــ المساواة بين الناس فى التمتع بحق بقاء الملكية الشخصية بقاء حقيقيا أو بقاء اعتباريا ، وقد اعتبر الاسلام حرمة هذه الملكية الفردية أعظم وأقدس عند الله من حرمة الكعبة البيت الحرام ــ كما قال عليه الصلاة والسلام ــ ما دامت هذه الملكية الشخصية لا تتجاوز الحدود المشروعة بالتضخم أو الاستغلال أو المضارة للمصلحة العامة ، التى يجعل الاسلام لها الاعتبار الأول .

٢ ــ والمساواة بينهم فى الانتفاع بالملكيات الجماعية ، التى لا يملكها ولا يصح أن يملكها شخص معين ، وانما تملكها الشخصية المعنوية للجماعة أو الأمة أو الدولة أو الانسانية ، شأنها فى ذلك تقريبا شأن الأرض والسماء والشمس والقمر والهواء وما الى ذلك مما يدخل فى (المرافق العامة) التى أشار الى بعضها رسول الاسلام بقوله صلى الله عليه وسلم « الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار » وفى (١) رواية (الناس شركاء فى ثلاثة الماء والكلأ والنار) ، وفى سنن أبى داود أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما الشىء الذى لا يجوز منعه ؟ فقال الماء . قال وماذا أيضا ؟ قال الكلأ فقال وماذا أيضا ؟ قال الملح ...

وفى حديث آخر أن رجلا يدعى « أبيض بن حمال » وفد من اليمن على رسول الله ، وطلب اليه أن يقطعه الملح الذى ببعض الجهات فى بلاده ، فأقطعه له رسول الله .. ولما خرج الرجل قال أحدهم يارسول الله أن هذا الملح بأرض ليس فيها ماء ، ومن ورده من الناس أخذه وهو مثل الماء الجارى . فعاد الرسول وانتزع الملح من أبيض بن حمال ... وجعله من المرافق العامة التى ينتفع بها الجميع ... وفى تعليل ذلك يقول ابن قدامه فى كتابه (المغنى) ما نصه (لأن هذا الملح تتعلق به مصالح المسلمين العامة ، فلم يجز اقطاعه) وفى القياس على الملح وما اليه يقول امامنا الشافعى فى الجزء الثالث من (الأم) ص ٢٦٦ فى (باب احياء الموات) (... ومثل هذا كل عين ظاهرة كنفط أو قار أو كبريت أو مومياء أو حجارة ظاهرة

---

(١) أنظر مصابيح السنة فى الحسان ، ثم انظر كتاب الأموال لابن سلام ص ٢٩٥ .

فى غير ملك لأحد فليس لأحد أن يتحجرها دون غيره ، ولا لسلطان أن يمنعها لنفسه ولا لخاص من الناس ، لأن هذا كله ظاهر كالماء والكلأ ، ولو تحجر رجل لنفسه من هذا شيئا أو منعه من له سلطان كان ظالما .. » .

٣ ـ والمساواة بينهم فى امكانيات الفرص واتاحتها للحصول على المال ، بالجد والعمل ، دون ما انحراف عن سواء السبيل بالربا أو الرشوة أو الغش أو الاستغلال .. أو نحو ذلك من ألوان أكل أموال الناس بالباطل ، أو الاخلال بأى حقمن حقوق الأمـة والجماعة ، مما يؤدى الى التفاوت الطبقى المدمر ، ويستحيل به رأس المال من عامل له أثره فى الانتاج العام ، الى غول يفترس المصلحة العامة ، ويفرض سيطرته ونفوذه عليها ، ووراء ذلك ما وراءه من الضرر والضرار « لا ضرر ولا ضرار » فى الاسـلام كما قال عليـه الصـلاة والسلام ..

٤ ـ والمساواة بين جميع الولاة والحكام ، فى تحريم استغلال النفوذ والسلطان ، وهذا واجب الأمة حكومة وشعبا فى محاسـبة هؤلاء الحكام أو الرؤساء المستغلين ، كما حاسب رسول الله ابن اللتيعة الأزدى عامله لجمع الزكاة ، وسأله عما معه من المال ، فقسمه الرجل قسمين قائلا : هذا لكم .. وهذه هدايا أهديت إلى .. فظهر الغضب فى وجه رسول الله ، وقام وخطب الناس قائلا ـ كما روى البخارى وغيره ... « ... أما بعد .. فانى أستعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا أهديت إلى .. فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر : أيهدى إليه أم لا ؟ » وكما حاسب عمر بن الخطاب أبا هريرة عامله على البحرين ، وعمرو بن العاص عامـلـه على مصر ، وابنه عبد الله بن عمر ـ كمـا روى الامام الذهبى فى « تاريخ الاسلام » ...

٥ ـ والمساواة بين أصـحاب الملكيات الشـخصية فى وجوب مراعاة المصلحة العامة ، فمن تقبل منهم ذلك بـروح تعاونية سمحة كان جديرا بشرف المساواة بينه وبين أمثاله ... ومن أبى فليس له الا السلطان الذى يزع الله به ما لا يزع بالقرآن ، كما صنع الرسول مع « سمرة بن جندب » الذى كان له نخل فى بستان رجل من الانصار ، وكان يكثر من دخوله البستان هو وأهله ، مما جعل صاحب البستان يستغيث برسول الله .. فاستدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره أن يبيعه نخله .. فأبى .. فقال له : هبها لى ولك مثلها فى الجنة . فأبى أيضا . فقال له عليه الصلاة والسلام بقوة وحزم : أنت مضار ... ثم قال لصاحب البستان : اذهب فاقلع نخله ..

وكما صنع عمر بن الخطاب القوى الأمين ، مع محمد بن مسلمة الذى كان يملك بستانا يمر من خلاله الماء الى أرض يملكها الضحاك بن خليفة الأنصارى .. فأبى صاحب البستان أن يدع الماء يصل الى أرض الضحاك .. فاستدعاه عمر وسأله : أعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك ؟ قال : لا ... فقال عمر : والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته ...!!!

٦ ـ والمساواة بين جميع التجـار فى تحريم الاحتكـار ، والتحكم فى الاسعار ، وما الى ذلك من أساليب الضرار التجارى التى حرمها الاسلام تحريما

قاطعا بقول الرسول « لا ضرر ولا ضرار » وقوله « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » وبهذا الهدى المحمدى اهتدى الخلفاء الراشدون . فى وصاياهم للولاة والعمال ، من طراز وصية على بن أبى طالب الى الأشتر النخعى عقب توليته حكم مصر ...

وأما المساواة الاجتماعية الاسلامية فأبرز معالمها ما يأتى :

١ ـ المساواة بين الناس جميعا فى سائر الحقوق الاجتماعية للفرد ولا سيما حق الغذاء .. والكساء .. والمسكن .. والعلم .. ونحو ذلك ، دون ما تفرقة بين المسلم وغير المسلم . وهنا مسولية الأمة حكومة وشعبا ، تلك المسئولية التى قررها وأكدها كثير من فقهـاء الاسلام الذين ذهبوا ـ وفى مقدمتهم الامام ابن حزم ـ الى تقرير مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعا فيدفع أهل البلد الدية متضامنين ، كأنهم شركاء فى المسئولية عن موته جوعا ، مسلما كان أو غير مسلم ، مصداقا للحديث المحمدى الشريف : « أيما أهل عرصة أمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله.. » وبهذه الروح الاسلامية تشبع عبد الله بن عباس وهو يقول لغلامه أكثر من مرة : يا غلام لا تنس جارنا اليهودى ... وتشبع عمر بن الخطاب وهو يظل بلـواء التضامن الاجتماعى الاسلامى شيخا ضريرا يهوديا ـ كما روى أبو يوسف فى كتابه « الخراج » ص ١٢٦ ...

٢ ـ المساواة بين الجميع فى وجوب النهوض بالأعباء الاجتماعية التى تقتضيها المصلحة العامة ، ولا سيما الزكاة والضرائب والكفارات وما الى ذلك مما يطالب به القادرون عليها ايجابا أو ندبا ، حسبما يملك هؤلاء القادرون ...

٣ ـ المساواة بين الجميع فى وجوب احترام قواعد الميراث الاسلامى احتراما كاملا غير منقوص

أ ـ فلا حرمان لولد دون آخر من الميراث كما حاول النعمان بن بشير أن يصنع ذلك لولده من عمرة بنت رواحة ... فأبت عليه هذه الزوجة المؤمنة أن يحابى ولدها ... مستشهدة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أيدها فى موقفها قائلا لزوجها : اذهب فانى لا أشهد على جور .

ب ـ ولا حرمان للأنثى دون الذكر من الميراث فهذه جاهلية جهلاء ، ما تزال لها رواسبها حتى اليوم مع الأسف الشديد .

ج ـ ولا تحايل على قواعد الميراث بالوصية لوارث ميلا مع الهوى اهتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عقب نزول آيات المواريث « إن الله أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث ... »

د ـ ولا عدوان على حقوق الورثة بالوصية لغير وارث إلا فى حدود ثلث التركة ـ والثلث كثير ـ كما قال الرسول لسـعد بن أبى وقاص فى حديثه المشهور ...

٤ ــ المساواة بين البيض والسود ، وبين العرب وغيرهم بقول رسول الله « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ، وليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح » وهذه المساواة العنصرية واللونية التى شرعها وطبقها الاسلام منذ مئات الأعوام ما تزال بعض الدول « الراقية » بمعزل عنها فى النصف الثانى من القرن العشرين قرن التفرقة العنصرية واللونية التى ما تزال لها رواسبها ومظاهرها وآثارها ، حتى فى بيوت الله ، ومعاهد العلم والثقافة ، فى اتحاد جنوب إفريقية ، وفى بعض الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا سيما ولاية« أركيساس » وولاية « ألاباما » وولاية « فرجينيا » ...

وقد أبت العنصرية البغيضة على العالم الفرنسى « جوبينو » الا أن ينادى عام ١٨٥٨م بتفضيل الجنس الآرى على الجنس السامى ، ونسج على منواله « رينان » و « هانوتو » و « داركور » .. وأخيرا « أرنولد توينبى » و « أزغلد شبنجلر » اللذان رسما للعالم المتحضر الأبيض حدودا تمتد من ألمانيا شرقا .. إلى الولايات الأمريكية المتحدة غربا .. ومن السويد والنرويج شمالا ... الى أيطاليا جنوبا ...

فأين هذه التفرقة العنصرية واللونية البغيضة من المساواة الاسلامية الاجتماعية التى أعلنها الاسلام ، ثم طبقها بالمؤاخاة العملية بين بلال الحبشى وصهيب الرومى .. والمؤاخاة بين سلمان الفارسى وعلى بن أبى طالب الهاشمى .. والصعود بالعبد الحبشى بلال فوق الكعبة المعظمة لأداء الأذان الاسلامى الخالد وتوليته على المدينة .. وتولية ميمون الفارسى بلاد اليمن ، ثم تولية ابنه مهران من بعده .. وارسال عبادة بن الصامت سفيرا إسلاميا الى المقوقس حاكم مصر الذى لم يكد يرى لونه الأسود الرهيب حتى قال لمن حوله مذعورا : نحوا عنى هذا الأسود .. فأجابه عبادة مرفوع الرأس ، موفور الكرامة : إن ورائى من هو أشد سوادا منى وأفظع منظرا . وانى لأدعوك الى الاسلام .. فان أبيت فالجزية .. فان أبيت فالسيف ..

٥ ــ المساواة بين الرجل والمرأة مع الاقرار للرجل بدرجة شورية تعاونية . تشبه درجة الرأس على سائر أعضاء الجسم مصداقا لقوله سبحانه « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .. » وقد أثبت الله فى هذه الآية ــ كما قال المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه « نداء الجنس اللطيف ص ٧ ــ « الولاية المطلقة » : للمؤمنات كما أثبتها للمؤمنين على السواء ...

المساواة القانونية الاسلامية :

وهى بتعبير شعبى موجز : المساواة بينهم فى **الأصل والفصل** وتفصيلا لهذا الاجمال نقسم هذه المساواة ثلاثة أقسام :

١ ــ المساواة بين البشر جميعا فى الأصل الانسانى الواحد .
٢ ــ المساواة بين النساء جميعا فى الأصل الأبوى الأسرى ...

٣ ــ المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى ، والحكم القانونى .

بين البشر جميعــا

١ ــ أما المساواة بين البشر جميعا فى الانتساب الى الأصل الانسانى الواحد فهى من حق كل انسان ، لأن آدم أبو البشر جميعا ، وحواء أم البشر جميعا ، وما دام الناس جميعــا من أصل واحد ، فالواجب أن يساوى بينهم مساواة تستمد قوتها وعدالتها وحرارتها من وحدة هــذا الأصل ، وذلك ما عبر عنه الاسلام بآيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة . يكفينا منها قول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنــاكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم من خطبة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض عــلى أحمر ، فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟.. اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

وقولــه عليه الصلاة والســلام لأبى ذر الغفارى ، حينما سمعه فى سورة الغضب ، يتطاول على بلال بن رباح قائلا له : يا ابن السوداء ... فقال له المرشد الأعظم فى حسم وقوة : طف الصاع .. طف الصاع « كناية عن تجاوز الحد اللائق » ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو العمل الصالح واستجاب أبو ذر لهذا التأديب المحمدى الكريم ، استجابة عملية حارة ، حيث سارع فوضع خده على الأرض ، مقسما على بلال بن رباح أن يتفضل فيطأه بحذائه ، حتى يغفر الله له هذه العنجهية الجاهلية الرعناء ، التى تجاوزت به حدود المساواة بينه ــ وهو ابن البيضــاء ــ وبين بــلال ــ وهو ابن السوداء !!!

بين النساء :

٢ ــ وأما المساواة بين النساء جميعا ، فى انتسابهن قبل الزواج وبعده الى الأصل الأبوى الأسرى ، فهى حق لكل امرأة ، لأن عقد الزواج فى الشريعة الاسلامية ، لا يقطع صلة المرأة بأبيها ، ولا ينقل نســبة اسمها من أبيها الى زوجها كائنا من كان الأب ، وكائنا من كان الزوج .

فهؤلاء أمهات المؤمنين ، ينسبن حتى اليوم الى آبائهن .. لا الى زوجهن رسول الله ... فخديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وصفية بنت حيى بن أخطب اليهودى .. وليس للزوج بعقد الزواج أن يسلبها حرفا واحدا من نسبتها الى أبيها ، فضلا عن أن يتصرف فى مثقال ذرة من ثروتها الشخصية وملكيتهــا الخاصة ، التى هى وحدها دون زوجها صاحبة الحق الأول والأخير فيها ، غير منازعة أو مدافعة أو مدفوعة الى استشارة زوجها أو استئذانه ...

وذلك ما حرمته المرأة الفرنسية تحت وطأة المــادة ٢١٧ من القانون

المدنى الفرنسي الذى يقول ويقرر « إن المرأة المتزوجة ، حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض ، بدون اشتراك زوجها فى العقد ، أو موافقته عليه موافقة كتابية » وعلى الرغم مما أدخل على هذه المادة من تعديلات ، فان المرأة الفرنسية ، ما تزال حتى كتابة هذه السطور ، محرومة من مقومات الشخصية المدنية بعد الزواج ، تلك المقومات التى تتمتع بها المرأة المستظلة بلـــواء المساواة الاسلامية كاملة غير منقوصة .

أمـــام القانون

٣ ـــ وأما المساواة بين الجميع فى الفصل القضائى ، والحكم القانونى ، والجزاء العادل على العمل .. فهى من حق اللائذين بمحراب العدالة الاسلامية التى تساوى بينهم جميعا فى الدنيا والآخرة ، مساواة كاملة ، لا تشوبها أية شائبة من شـــوائب التفرقـــة الجنسية أو العنصرية أو اللـــونية أو المادية ، مصداقا لقول الله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانـــوا يعملون » « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقســـط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا .. » « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون .. » « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » .

وبهذا الهدى القرآنى الكريم ، اهتدى الرسول وخلفاؤه الراشدون ، فى إعلانهم وتقريرهم المساواة بين الناس جميعـــا ، وفى تطبيقهم أحـــكام هذه المساواة تطبيقا عمليا بين ســـائر الناس والعبرة بالتطبيق لا بمجرد التشريع ـــ كما قال توماس بين ـــ والى جانب الأمثلة التطبيقية التى مرت بنا فى تضاعيف هذا البحث ، نضيف الأمثلة التاريخية الحيـــة الآتية ، فى فخر واعتزاز بالاسلام ومجد الاسلام ، دون سواه :

ولا يستوى وحى من الله منـــزل　　وقافيـــة فى العالمين شـــرود

١ ـــ سرقت فاطمة المخزومية قطيفة وحليا ، وعز على قومها بنى مخزوم من أشرف البطون القرشية . واليهم ينسب خالد بن الوليد .. أن تقطع يدها .. فتشفعوا بأسامة بن زيد الى رسول الله الذى صاح فى وجه حبيبه أسامة غاضبا لله دون سواه :

يا أسامة . أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب الناس معلنا أروع دستور للمساواة القانونية عرفه التاريخ : « إنما هلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ،

وأيم الله لو أن فاطمـــة بنت محمد سرقت لقطعت يدهـــا » . وهكذا انتهت المساواة عمليا الى العـــدالة الكاملـــة بين فاطمة بنت رســـول الله فضلا عن فاطمة بنت مخزوم ... وبين سائر الناس ...

٢ — ورأى عمر بن الخطاب رجلا يجامع امرأة ، فجمع الناس يستشيرهم فيما يعمل ، دون أن يذكر اسميهما ... فقال له على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين إما أن تأتى بأربعة شهداء وإما أن يقام عليك حد القذف اذا صرحت باسميهما ، لأن الله تبارك وتعالى يقول « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » فسكت عمر ... ولم يصرح باسمى الشخصين اللذين رآهما رأى العيان ...

٣ — وشكا يهودى على بن أبى طالب الى عمر بن الخطاب فى خلافته . ولاحظ على أن عمر قد نادى اليهودى باسمه .. وناداه هو بكنيته قائلا : يا أبا الحسن .. فغضب لأن عمر لم يسو — غير قاصد — بينه وبين اليهودى حتى فى أسلوب الخطاب ..

٤ — وشكا أحدهم الى عمر بن الخطاب أن أبا موسى الأشعرى أقام عليه حد شرب الخمر .. ولكنه تجاوز الحد بأن حلق شعره ، وسود وجهه ، ودعا الناس الى مقاطعته .. فانتصف له عمر من أبى موسى ، الذى هدده عمر بقوله له فى كتابه : لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك فى الناس ...

٥ — وشكا قبطى من أهل مصر الى عمر عدوان ابن عمرو بن العاص حاكم مصر عليه فى سباق كان بينهما ، فانتصف عمر للقبطى من ابن عمرو وصاح فى وجه عمرو بكلمته العمرية الخالدة : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ..؟!!

٦ — وشكا عربى فزارى الى عمر بن الخطاب أن الأمير الغسانى جبلة بن الأيهم لطمه فى موسم الحج لطمة هشمت أنفه .. فسأل عمر جبلة .. ولما اعترف بأنه لطمه لأنه وطىء إزاره .. أصر عمر على القصاص منه .. فسأله جبلة فى دهشة : أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة .. فقال عمر كلمته الحاسمة : ان الاسلام قد سوى بينكما .

٧ — وساوى الخليفة المأمون العباسى بين ابنه العباس وبين امرأة من عامـــة الناس فى محراب العدالة ، كمـــا ساوى القاضى شريك بين الأمير العباسى على بن موسى وبين امرأة أخرى من غمار الناس ، وأصر على هذه المساواة حتى النهاية ...

وما هذه الأمثلة الا غيض من فيض المساواة الاسلامية بين الجميع ، وفى كل ناحية من نواحى الحياة ، جامعـــة بين التشريع والتطبيق ، حريصة على الموازنة بين الحقوق والواجبات .

فما أعظم فضل الاســـلام على الانسان وحقوق الانسان ولجنة حقوق الانسان فى هيئة الأمم المتحدة ، التى تقول فى المادة الأولى من الاعلان العالمى لحقوق الانسان[1] « يولد الناس أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء » . ولعل من المناســـب أن أختم هذا المقال بشـــهادة لها مغزاها من رجل له تاريخه فى « التحررية » و « التقـــدم » وهو الدكتور طه حسين الذى قال فى مقدمة الجزء الأول من كتابه « الفتنة الكبرى » ما نصه :

« النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية عجزت كلها عن تحقيق المساواة بين الجميع وتحقيق العدل الاجتماعى ، تحقيقا ينتهى بالناس الى اطمئنان لا يشوبه قلق ، وأمن لا يشوبه خوف ، والانسانية المعاصرة ترى من ذلك ما لا يحتاج الى أن نطيل القول فيه :

١ ــ فالشيوعية قد ضمنت للناس قليلا أو كثيرا من العدل الاجتماعى ... ولكنها ضحت فى سبيل ذلك بحريتهم كلهـــا .

٢ ــ والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جميعها ...

٣ ــ والديموقراطية قد ضمنت للناس شيئا من حرية وقليلا من مساواة أمام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من العـــدل الاجتماعى شيئا ...

سلكت الانسانية فى سبيل الحكم الصالح كل هذه الطرق ، وجربت كل هذه النظم : فلم تنته الى غاية .. وما زالت تشـــكو الظلم والجور والضيق والاستغلال والاستذلال ...

وتبحث عن النظام القويم الذى يضمن للناس الحرية والعدل جميعا ، وهذا النظام القويم هو الذى حاولت الخلافة الاسلامية لعـــهدى أبى بكر وعمر أن تنشئه ... ولم يعرف المسلمون ولا غير المســـلمين ، أميرا حاول من العدل ما حاول عمر ، وحقق منه ما حقق عمر » .

ذلك ما قاله طه حسين .. وأقول : ذلك سر الاسلام فى أهله : و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

---

(١) ص ٦٤ من كتاب المواطن للدكتور محمد مندور .

آراء لرشيد رضا

في

الثقافة والتربية والتعليم

للدكتور : أحمد الشرباصي

نشر التعليم :

أدرك رشيد رضا قيمة التعليم ، فتحدث عنه في كتابته أكثر من مرة ، وحث على نشره في مناسبات كثيرة باللسان والقلم ، وبالمقالة والمحاضرة والرسالة والمحاورة ، وفي مفتتح القرن العشرين تقريبا كتب يقول : « لو أن كل فقير في القطر المصرى مثلا يبذل في السنة قرشا واحدا لأجل التعليم ، لاجتمع من ذلك ألوف الالوف ، وتيسر به عمل في البلاد كبير ، فكيف اذا أنفق كل أحد على قدره ، كما قال تعالى : (لينفق ذوسعة من سعته) (١) » .

ورشيد يرى أن التربية والتعليم هما الركنان اللذان يقوم عليهما بناء السعادة ، والعاملان الرافعان الى قنة السيادة (٢) .

ويؤمن رشيد بوجوب تعميم التربية والتعليم ، لأنه يؤمن بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم كما علمه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويتألم رشيد لأنه يسمع كثيرا ممن يتحدثون عن نشر التربية والتعليم ، دون أن يصحب ذلك ايمان بما يقولون ، أو انتقال الى التطبيق والتنفيذ ، ويقول : « الذى قلت انه

وسيلة لسعادة الأمة تجمع كل الوسائل ، وسبب يرجع اليه كل الأسباب ، هو تعميم التربية والتعليم ، وهذا اللفظ تلوكه الألسنة كثيرا ، الا أن معناه لم يعط حقه من التبصر والتأمل (٣) » .

وعاد رشيد فتوسع فى شرح ذلك خلال مقال كتبه بعنوان : « التربية والتعليم (٤) » . وينبغى أن نلاحظ أن رشيدا فى هذا المجال يردد كلمتى « التربية والتعليم » مع أن اللفظ الشائع فى عصره المعبر به عن هذه الناحية هو كلمة « المعارف » ، بل قد ظللنا فى أكثر البلاد العربية نقول : « وزارة المعارف » الى عهد قريب ، ثم استجبنا لتوجيه أمثال رشيد رضا ، فتركنا كلمة « وزارة المعارف » ، واستعملنا كلمة « وزارة التربية والتعليم » .

ويبدو واضحا أن رشيدا يريد من كلمتى « التربية والتعليم » أن نجمع بين العلم والخلق ، لأن حشو الذهن بالمعلومات والمعارف لايكفى ، بل لابد معه من تأديب وتهذيب وتربية .

ونفهم من كلام رشيد أنه كلما كثرت ألوان المعارف والعلوم التى يأخذها الناشىء ازداد صلة بالثقافة الصحيحة ، واتسع أفقه العلمى ، ولذلك ينعى على بعض قومه أن يقتصروا فى ثقافتهم وتعلمهم على طائفة معينة من العلوم ، قد يكون لها قيمتها العالية ومكانتها السامية ، ولكنها لاتكفى لتكوين الثقافة العامة الواسعة ، ويحذر رشيد من طول العكوف على هذه العلوم وحدها ، دون تلقيحها بغيرها مما يساعد على هضمها ، أو يوسع دائرة الانتفاع بها ، وهو يقول :

« ان طول مدة التلقى والأخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية ، يضعف فى الطالب ملكة الحكم ، والاستقلال فى العلم ، ويحصر علمه فيما يسمع ويقرأ ، حتى لايكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملى ، أو يصنف أو يفتى ، ومن كان هذا كل علمه فلا علم له ، وانما هو ينقل ماعند غيره ، علما كان أو ظنا ، حقا أو باطلا ، خطأ أو صوابا (٥) » .

ونحن نفهم أن رشيدا فى هذا النص يدعو الى أكثر من أمر ، فهو يدعو الى ترك الاقتصار على طلب علوم معينة لمدة طويلة ، ويدعو الطالب الى ترك الاقتصار على مايسمع أو يقرأ فى هذه العلوم ، ويحثه على اضافة علوم أخرى الى هذه العلوم السابقة ، وأن يحرص خلال ذلك على تربية ملكة الحكم عنده ، والاستقلال فى العلم والفهم ، حتى لايكون نسخة مكررة ممن سمع عنه ، أو من الكتاب الذى طالعه .

ولذلك نرى رشيدا فى مقام آخر يطالب أمته بأن تعرف العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ وتقويم البلدان (الجغرافية) ، لأن الاسلام دين الفطرة الآمر بكل علم نافع ، والناهى عن كل جهل مضر ، ويطالبها رشيد كذلك بالجد والعمل ، وترك الخمول والكسل (٦) .

ولما كان الكتاب هو أساس للتعليم دعا رشيد الى العناية بالكتب وحسن اختيارها ، وتأييد الصالح منها ، ومقاومة الضار ، وقال فيما قال : « الأمة لايصلح حالها الا اذا كانت الكتب المتداولة بين أفرادها فى التعليم والمطالعة مشتملة على مافيه صلاحها وطرق منافعها ، على الوجه الصحيح ، من حيث الأخلاق والآداب ومن حيث الأعمال » .

ثم يذكر أنواعا من الكتب الضارة المنتشرة فى مجتمعه ، ويطالب بمحاربتها ، ويدعو الى تيسير المعارف فى كتب سهلة واضحة ، ويقول : « هذا ركن عظيم من أركان الاصلاح ، وهو مطلوب من رجال العلوم وحملة الأقلام ، لا من رجال

السياسة والأحكام (٣) » .

وآراء رشيد السابقة سديدة موفقة ، تدل على عمق ادراكه لأهمية التربية والتعليم فى المجتمع .

رشيد ونوادر المخطوطات :

كان رشيد رضا طالب علم ، وعالما ، وكاتبا ، ومؤلفا ، وصاحب مطبعة ، وناشر كتب ، ولذلك لم يكن غريبا أن يعنى بالبحث عن المخطوطات المهمة ، وبخاصة ما اتصل منها بما عنى به من علوم الدين واللغة ، ومن أمثلة ذلك أنه شغل نفسه مدة طويلة بالبحث عن مخطوطات تتعلق بالمسائل المجمع عليها ، ولقد كتب فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ رسالة الى صديقه أمير البيان شكيب أرسلان يقول له فيها :

« فى المسائل المجمع عليها خلاف كثير ، وللحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شىء ، الا أن يكون فى بعض المجاميع المجهول مافيها بدار الكتب ، أو فى بعض المكاتب الخاصة ، وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب أو كتابين لأبن المنذر ، يوجد أحدهما فى مخطوطات خزائن الآستانة ، ولابن حزم كتاب آخر استدرك فيه على أبن تيمية بكتاب خطأه فيه بدعوى الاجماع فى مسائل كثيرة .

وقد ظفرت بهذا الكتاب مخطوطا ، وما زلت أبحث عن أصله لابن حزم ، حتى علمت بوجود نسخة منه فى الآستانة ، وبأنه تنقص منه ورقة من آخره .

وقد سافر فى الصيف الى الآستانة حسن بك عديل فؤاد بك سليم صديقنا الذى يقيم معه فؤاد بك فى داره ، فكلفته أن يسعى لأخذ صورة عكسية منه . فان فعل فاننى أطبعه مع كتاب ابن تيمية ، فيكون أكمل كتاب لنا فى بابه ، وأضع له مقدمة فى بيان ماهو دينى ، وما هو غير دينى من مسائل الاجماع ، ويكون حجة لى وسندا فى سائر كتبى الاصلاحية (٨) » .

وفى أثناء كتابة رشيد فى مجلته وفى كتبه أشار أكثر من مرة الى عنايته بالمخطوطات الدينية وغيرها ، ولقد أسهم رشيد بذلك فى نشر الكتب القيمة التى كان قراؤها فى أشد الحاجة اليها حينئذ ، وكان نشر الكتب يسيرا متواضعا فى نطاق ضيق ، وهذا جهد منه مذكور ومشكور .

ومما يتصل بنشر الكتب أن رشيدا فى سنة ١٩٠٣ أبدى اعجابه بالفهارس التفصيلية التى يضعها الأوربيون مع الكتب التى ينشرونها ، وكان ذلك الابداء بمناسبة حديث عن ديوان « سبط ابن التعاويذى » الذى نشره المستشرق الانجليزى مرجليوث ، حيث قال رشيد :

« وهذه الفهارس التى يلحقها الافرنج بكتبهم ، وما يطبعونه من كتبنا ، مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ، ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فاننا نحذو حذوهم فيها (٩) » .

وقد أعجبت برشيد حين رأيته سارع فحذا حذو هؤلاء ، فوضع فهارس كافية لمجلدات مجلته (المنار) ، وفى كثير من هذه المجلدات جعل رشيد فى صدرها فهرسا عاما لجميع الموضوعات ، مرتبا حسب الحروف الأبجدية ، وفهرسا للآيات القرآنية . وفهرسا للأحاديث الواردة فى المجلد ، وفهرسا للكتب والمجلات التى تحدث عنها ، وفهرسا للكاتبين فى هذا المجلد .

وقد يضيف فهرسا لوفيات الأعيان ، وقد تزيد صفحات هذا الفهرس للمجلد الواحد عن ثلاثين صفحة .

ولكن رشيدا فاته — لظروف مختلفة ، كغلاء الورق ، أو سفره بعيدا عن مصر ، أو عدم وجود من يعاونه — أن يضع مثل هذه الفهارس لبعض مجلدات المنار .

ولا شك أن هذه الفهارس جهد محمود ، لأنها تعين على مراجعة موضوعات « المنار » : تلك الموسوعة الاسلامية العربية الضخمة ، وقد سلك رشيد هذا المسلك الحميد فى « تفسير المنار » أيضا .

وانه لمن الخير العلمى والأدبى أن يوضع فهرس كامل شامل لمجلدات « المنار » كلها ، لكى يتسع نطاق الانتفاع بهذه الموسوعة ، والفهارس التى وضعها رشيد لمجلدات المنار تصلح أساسا لهذا الفهرس الكامل الشامل .

وأذكر بهذه المناسبة أن مجلة « المشرق » اللبنانية لها فهرس كامل شامل فى مجلد مستقل ، وهذا الفهرس يجعل طالب الحاجة من مجلداتها يهتدى اليها والى مواطنها فى أسرع وقت ممكن ، فليت مجلة « المنار » يتحقق لها ما تحقق لمجلة « المشرق » ، ولعل الأيام تتسع والأسباب تتهيأ لأحقق هذا العمل .

رشيد والترجمة :

لم يتقن رشيد لغة غير اللغة العربية ، وان كان قد عرف جانبا من اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وقد حدثنا رشيد عن طلبه العلم فى المدرسة ، فأخبرنا أنه لم يعن باللغة التركية ولا الفرنسية ، وان كان قد حفظ مافرض عليه من دروسهما فى المدرسة الوطنية ، ثم ندم على عدم تعلم الفرنسية ، بعد أن علم أن لها فوائد كثيرة فى خدمة الاسلام (١٠) .

ولهذا عنى رشيد بأن يعوض هذا النقص بمطالعة كل مايستطيع مطالعته من الكتب المترجمة ، وكان يطلب أحيانا من أصدقائه الذين يعرفون لغات أجنبية أن يترجموا له مايحتاج من مقالات أو بحوث .

ونفهم من رسالة كتبها رشيد الى الأمير شكيب أرسلان بتاريخ ٣٠ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٦ أن رشيدا كان حريصا على ترجمة كتاب « سرائر القرآن فى خلق وافناء واعادة الأكوان » الذى ألفه المرحوم مختار باشا ، وأنه حاول ذلك ، واتصل بالأمير شكيب ، ومحمود باشا مختار ، وعبد الغنى بك سنى ، والدكتور شرف الدين التركى ، لكى يحقق هذه الامنية (١١) .

وكذلك عنى رشيد بأن ينشر فى المنار الترجمة التى قام بها الأستاذ عبد العزيز محمد لكتاب « اميل القرن التاسع عشر » ، كما نوه أكثر من مرة بكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » الذى ترجمه أحمد فتحى زغلول عن الانجليزية . كما نوه بكتاب « الرد على الدهريين » الذى ترجمه الشيخ محمد عبده ، وطبع كذلك كتاب « الصحة » الذى كتبه المهاتما غاندى ، وترجمه الشيخ عبد الرازق المليح أبادى ، وقصة « آخر بنى سراج » التى ترجمها الأمير شكيب أرسلان ، كما عنى بأن ينشر بحوثا ومقالات كثيرة مترجمة فى مجلة « المنار » .

● ● ●

رشيد والأدب الشعبى :

لم يفت رشيدا أن يتحدث عن الأدب الشعبى ، وأن يسجل بعض النصوص من هذا الادب — وان كانت موضع نظر عند رشيد وغيره من الجهة الدينية فهو ينكر هذا أشد الانكار — ومن أمثلة ذلك قوله :

« أعرف رجلا شيخا أشيب أعمى أجش الصوت ، ينشد الأماديح المنظومة على طريقة المواويل ، بالاستغاثة بالسيدة (١٢) .

يابنت بنت النبى ، طلى وشوفينا
يابنت بنت النبى ، دخلك أنا عيان

وأعرف امرأة عمياء كانت تجلس فى ظل دارنا ، وهى تحفظ أسجاعا متناسقة فى الدعاء ، هممت غير مرة بأن أنصت اليها وأكتبها عنها (١٣) » .

وينبغى أن نتأمل قوله هنا : « أنصت اليها » وقوله : « وأكتبها عنها » فان هذين القولين يدلان على عناية رشيد رضا منذ وقت مبكر بالأدب الشعبى ، ورغبته فى متابعته ، ولنتذكر أنه قال هذا الكلام فى أوائل القرن العشرين ، وفى وسط عام ١٩٠٤ ، فهو اذن قد وضع الاشارة الدالة على استحسان العناية بتتبع الأدب الشعبى ومحاولة تقييده .

رشيد ومقاومة العامية :

قد يفهم فاهم من محاولة رشيد رضا تتبع الأدب الشعبى أنه كان يرضى عن نشر العامية ، أو يدعو اليها ، وهذا خطأ ، لأن رشيدا عاش نصيرا للفصحى ، كارها للعامية ، محاربا للذين دعوا الى نشرها .

ومن الشواهد على ذلك — وهى كثيرة مبثوثة فى مجلة المنار وغيره من كتب رشيد — أنه فى سنة ١٩٢٩ سأله سائل عن مدير لمدرسة اسلامية فى بيروت ألقى خطابا فى مدرسة تبشيرية دعا الناس فيه الى احلال العامية محل الفصحى ، أو تسكين أواخر الكلام ، فرد عليه رشيد مستنكرا ذلك ، وقال فى اجابته :

« ان كان المدير الذى أشرتم اليه يدعو الى أن تجعل العامية لغة القراءة والكتابة ، أو يترك الاعراب منها ، فهو اما جهول لايعقل مصلحة الأمة العربية فى دينها ولا دنياها ، واما سىء النية يخدم الأجانب فى اضعاف هذه الأمة ، وافساد أمرها عليها ، الا ان كان يقصد بذلك الكلام المعتاد ، فله عذر ما ، وهذا الذى نظنه ، وقد يكون الناقل مخطئا فى الفهم (١٤) » .

رشيد واصلاح الخط العربى :

تكلم رشيد رضا سنة ١٩١٠ عن صعوبات الخط العربى ، ووجوب اصلاحه ، واقترح أن تكون الحروف متفرقة ليسهل الطبع والجمع ، وأن تختصر

هيآت الحروف ، ويستغنى عن « الفتحة » فى الشكل ، لأنها كثيرة ، ويوضع للرفع والكسر أداة ، واقترح رشيد على من يقومون بسبك الحروف أن يقدموا على تنفيذ هذه الفكرة (١٥) .

ولابد أن نتذكر هنا أن هذا الموضوع قد أثير بعد ذلك بعشرات من السنين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وغيره من الهيئات المختصة بالبحوث اللغوية ، واتجه الرأى فى السنوات الأخيرة — بعد بحوث ومحاولات طويلة متشعبة — الى الاخذ بما يقرب من رأى رشيد ، واستعملت فعلا هذه الحروف الميسرة فى بعض مطبوعاتها .

● ● ●

رشيد وقضية القديم والجديد :

فى بحث لرشيد بعنوان : « التجديد والتجدد والمجددون » قال :

« وأما المتقدم والمتأخر من الناس فقد كانت القاعدة عند أهل العلم والأدب منا تفضيل المتقدم على المتأخر ، ولكن القاعدة عند أهل النشوء والارتقاء العكس. وانما هذا وذاك بالنسبة الى جملة أهل العصر ، دون الأفراد النابغين الذين قلما تجود بمثلهم الأزمان » .

ثم يقول : « وقد كان بعض الأدباء يفضل المتأخرين فى بعض الأشياء ، وقد افتتح عنترة معلقته المشهورة بقوله : (هل غادر الشعراء من متردم) يعنى أن الشعراء قبله لم يتركوا لمن بعدهم قولا يقوله .

ولكنه هو جاء فيها بمعان لم يسبقه اليها غيره ، وقد عارضه ابن أبى حجلة فى تفضيل كتابه (ديوان الصبابة) على ما سبقه فى معناه . يقول فى خطبته : فان قلت الفضل للمتقدم ، وهل غادر الشعراء من متردم ، أقول : فى الخمر معنى ليس فى العنب ، وأحسن مافى الطاووس الذنب .

وكلمة (الفضل للمتقدم) صارت مثلا فى أفواه العلماء والأدباء ، ولا أدرى أول من قالها ، هل هو عدى بن الرقاع الشاعر الأموى الذى ضمنها فى شعره أم غيره (١٦) ، وهذا شيخ صناعة الادب الحريرى (١٧) قد استشهد فى تفضيل بديع الزمان على نفسه فى مقدمة مقاماته بقول عدى هذا .

ثم رأيناه عقد المقامة السادسة منها لتفضيل الطريف على التليد ، ونصر العصاميين على العظاميين » .

ثم يقول : « والقول الحق فى الموضوع أنه لابد للبشر فى كل من القديم والجديد ، وأن فى كل منهما الحسن والقبيح ، والنافع والضار ، وأن من الناس من هو أميل بطبعه الى هذا ، ومن هو أميل الى ذاك من أجناس الأشياء وأنواعها ، وقلما يفضلها لمحض جدتها الا الأطفال ، ومن على مقربة منهم من النساء والرجال .

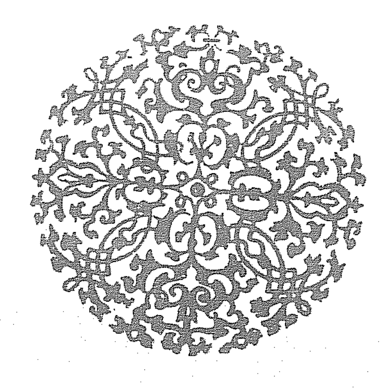
وأما العقلاء المستقلون فلا يرغبون عن النوع القديم الى الجديد الا بمرجح

يرجحه عليه ، عملا بالقاعدة المنطقية فى المتساويين ، وانما تكون الجدة مرجحة فى جزءيات النوع الواحد ، اذا كانت متساوية فى سائر صـــفاتها ، فان الجديد يكون أزهى وأبهج ، وأثبت وأبقى (١٨) » .

وعندى أن هذا رأى معتدل ، لايعنى بالعصبية للزمن ، بل يعنى بالموضوع والثمرة .

---

(١) تفسير المنار ، ج ٤ ص ١٣٢ .
(٢) المنار ، المجلد الأول ، ص ٥٦٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٦ — ٦١ .
(٥) المنار والازهر ، ص ١٩٦ .
(٦) مجلة المنار ، المجلد ٣ ص ٢٤٤ .
(٧) المنار ، المجلد ٣ ص ٤٩ — ٥٣ .
(٨) كتاب السيد رشيد رضا ، ص ٧٥٥ .
(٩) المنار ، المجلد ٦ ص ٩٤٥ .
(١٠) المنار والازهر ، ص ١٣٨ .
(١١) السيد رشيد رضا ، ص ٤٦٥ .
(١٢) يقصد السيدة زينب بنت على .
(١٣) المنار ، المجلد ٧ ص ٣١٩ . عدد ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٤ .
(١٤) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٧٣٨ .
(١٥) المنار ، المجلد ١٣ ص ٢٠٤ . عدد ١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩١٠ .
(١٦) تكرر من رشيد اتيانه بلفظة « أم » مع « هل » ، وهذا مما يلاحظ عليه لغويا .
(١٧) قد يثير هذا التعبير من رشيد عن الحريرى شيئا من العجب ، فقد عرفنا فى موطن آخر ان رشيد رضا يفضل بديع الزمان فى المقامات على الحريرى ، ويرى ان الحريرى متكلف متصنع .
(١٨) المنار ، المجلد ٣٢ ص ٥١ و ٥٥ .





سألقاك يا بني

طالما استوقفتني هزات عنيفة اعادت الى خاطري ما وعيناه في دراساتنا الإسلامية ، هل يكون الجندي محاربا حقا اذا ذهب الى المعركة وهو حريص على حياته كلفا بان يرجع من المعركة وكأنه راجع من مباراة لكرة القدم مثلا ، ادى واجبه فلعب الوقت المحدد ليلاقي بالتصفيق او الاسف ، او انه يذهب الى المعركة كنزهة يعود بعدها ليأخذ قسطه من الراحة ، ام انه يذهب الى المعركة مملوءا بالرغبة في القتال حتى آخر نفس يتردد في صدره وحتى آخر قطرة من دمه تجرى في عروقه .

اذا كانت الاولى فخير له الا يذهب لانه في منأى عن رسالته التي عليه اداؤها .

واذا كانت الثانية فهو يذهب حبا في وطن حريصا على شرف راغبا في شهادة ، وهذه هي رسالة الجندي .

لذلك كنت حريصا على تسجيل هذه الخواطر التي ملكت على مشاعري حين جاءني نبأ استشهاد انسان شرفت بشهادته شرفا لم انله قبله واحب لكل أب ولكل أم لهما جندي في الميدان ان يناله .

كان امله دائما ان يلتحق بالخدمة في القوات المسلحة ، فقد كان على خلق عظيم ورجولة مبكرة لا تعهد فيمن هم في مثل عمره ، هادئا عطوفا على كل صغير او كبير عرفه وعاشره .

تحقق امله بالالتحاق بالقوات المسلحة ، وكنت القى شجاعته واقباله على القتال فخورا ومشفقا في وقت معا ، حصل من قيادته على التقدير بل التقدير ماديا ومعنويا .

كان يرد على نصيحتي بالحذر بايمان عميق بقضاء الله وبالرسالة الخالدة للجندي وللمقاتل ، كان يقول لي ان ما سيصيبني قذيفة كتب عليها اسمي وغيرها لن يصيبني وان كانت هي فلا مفر منها .

ايمان بالله عريق وحب وفناء في سبيله بلغ ذروة لم يصل اليها الا المجاهدون الصادقون الذين باعوا انفسهم لله ليشتروا بها جنة ونعيما في جواره فربحت تجارتهم .

ايمان جعلني انسى العمر والزمن واتمنى ان اعود مقاتلا كما كنت منذ نيف من السنين واُنادي بقول الحق ((يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما)) .
كنت اخلو الى نفسي فتغلبني العاطفة ســانحة من الوقت واقول لها ، قد اكون اعطيت هذا الابن الحبيب من طاقة الحماس اكثر مما يحتمله شبابه الغض وليس من العدل ان افرغ حصيلة من الجندية اختزنت في عشرات السنين بلغت بنا وبلغنا بها خريف العمر في نفس شاب في ربيع الحياة امامه سنين طويلة حتى يقوى على حملها ، لقد قدمت اخا شهيدا من ثلاث سنوات بها وليس عدلا ان اقدم بها ابنا ناعما يعدون العدة ليوم عرسه ويقترب مع الايام يوم زفافه .

كنت استمع اليه بسرد قصصا حبيبة الى نفس كل جندي وهو يقول : لقد حطمت تحصينات العدو في مواجهتي ، وسانتقل بوحدتي الى موقع آخر لاحطم ما بقي منها ، وهكذا كان ينتقل بوحدته من شمال الجبهة الى جنوبها مؤديا لواجبه الحبيب الى نفســه ، وهو تحطيم مواقع العدو وتحصــيناته ، ومعها احلامه وآماله .

كان يقص على كيف اصيبت دبابته ولم يصب وهو بداخلها ، وكيف اخطأته قذيفة سقطت وانفجرت على بعد قليل منه ، ولم يصبه منها شظية بسوء فيزداد ايمانه بالقضاء ويقوى عزمه على القتال والاستبسال .

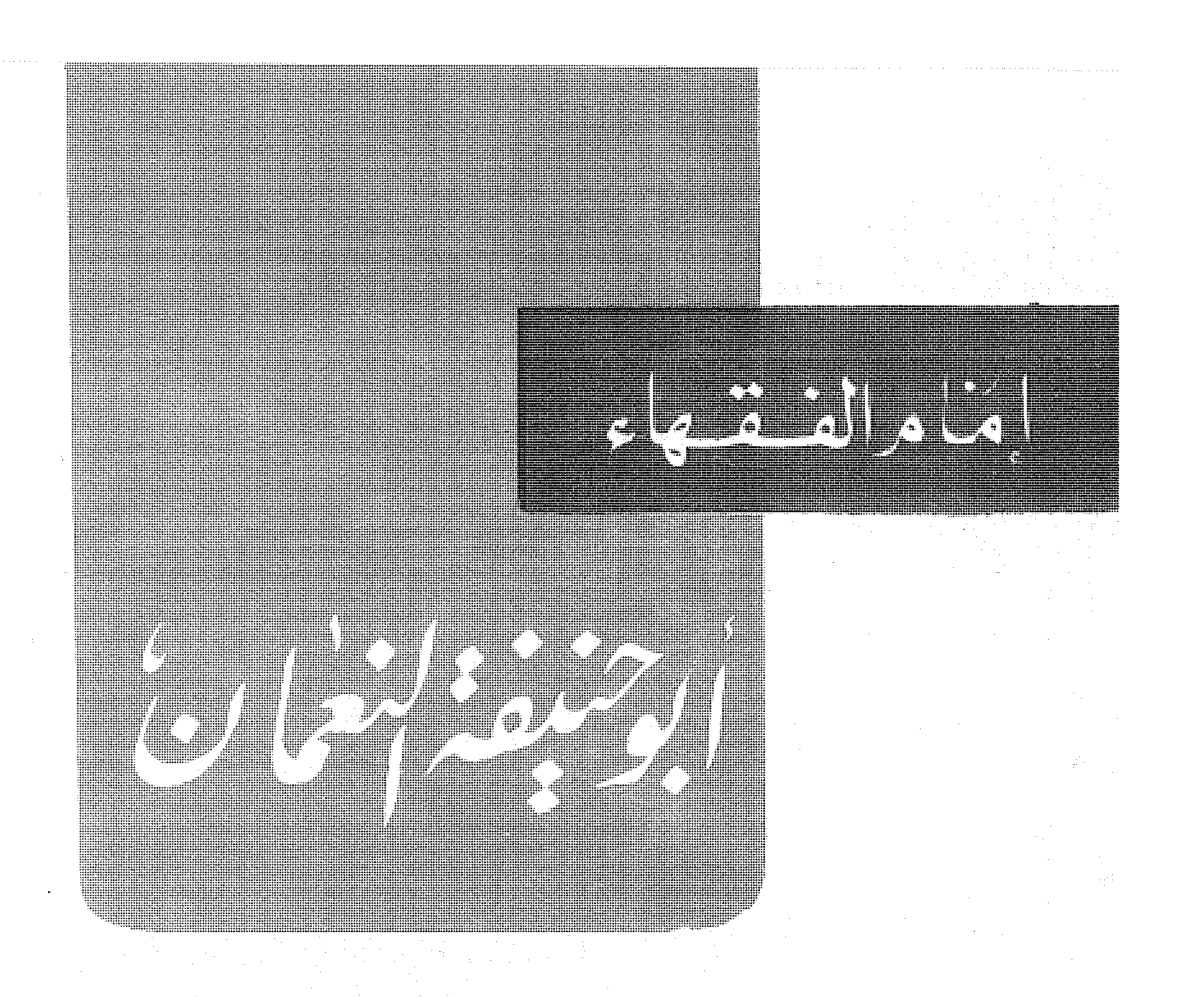
كان يستمع الى بشغف وثقة وانا اردد على ســمعه ((انك واقرانك من المقاتلين تدافعون عن عقيدة عن شرف عشــيرة وكل اسرة لها مثلك جندي في الميدان يحمي في الوطن عرضها ووجودها وامنها وان وطننا جدير بان يحب بكل قوة وبكل حياه ، واذا كان العدو الخبيث في سبيل باطله يقاتل بهذه الضراوة والشراسة فحري بكم ان تدافعوا عن حقكم بضراوة وشراسة اعنف واشد ، انكم تدافعون عن تاريخ مجيد حقيق بان يحب بكل نفس وبكل جارحة وبكل روح ، احب لكم ان يكون هتافكم وانتم تخوضون كل معركة ضد عدوكم — الله اكبر — كاني بك يا بني وصوتك يهدر بالنشيد ، قد صدقت القدر فصدقك وكنت الشهيد .

اعطيت حياتك لله فهنيئا لك ما اعطيت وما اخذت فربحت عوضك الله عن عروس في الارض عروسا تزف اليهــا في السماء اطعت ربك ووفيت عهدك وفديت انسانيتك ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .
هنيئا لك يابني هذه الصــحبة الطاهــرة في ظل العرش الكريم الى يوم القيامة ، هنيئا لك يابني طيب الحياة وطيب الموت فقد ادركت الشهادة مقبلا غير مدبر حاملا سلاحك مصوبة الى نحر عدوك وعدو وطنك .

هنيئا لك يابني فقد غسلت بالنار لا بالماء ودرجت في علم لا في كفن وكتبت الخلد في سجل الخلود لا في دفتر الصحة .

هنيئا لك قد بلغت بغيتك وبغية كل نفس مؤمنة بالله وبوطنها وعد الصدق سالقاك يابني مرتين سالقاك وصحبك اعلاما خفاقة يوم النصر القريب ان شاء الله ، وسالقاك في جنات ونهر في مقعد صــدق عند مليك مقتدر ، يوم البعث مع الشهداء الصديقين فهذا وعد لن يخلفه الله .

سلام عليك وعلى صحبك في الصالحين الابرار
سلام عليك وعلى صحبك في الخالدين .



للدكتور : محمد محمد أبو شهبة

تقـــدمة

لما انتشر الاسلام واتسعت رقعته ، وامتد سلطانه حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار دخلت فيه الكثرة الكاثرة من أبناء هذه البلاد التى استظلت بلواء الاسلام عن طواعية واختيار ، وأخلصوا لهذا الدين وللغته العربية : لغة القرآن غاية الاخلاص فلا تعجب اذا وجد من هؤلاء أئمة أعلام : فى التفسير والحديث ، والفقه والاجتهاد ، واللغة العربية وعلومها وآدابها .. والعلوم العقلية ولا سيما الكلام ، والعلوم العملية كالطب والهندسة ، والرياضيات كالحساب والجبر والمقابلة ، والعلوم الكونية كالكيمياء والطبيعة ، والفلك ..

من هؤلاء الأئمة الاعلام . امام الفقهاء أبو حنيفة النعمان ، الذى يعتبر مفخرة للفقه الاسلامى ولاسيما فى عصوره الاولى . وسأتناول فى هذا المقال شيئا من جوانبه الفقهية والاجتهادية ، وعلمه بالقرآن والسنة وانه ذو باع طويل فيهما ، وعصره ونسبه ، وحياته الخصبة المشرفة التى تجعله فى عداد الخالدين من رجالات العلم فى العالم .

نسبه ونشاته :

الامام ابو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطى(١) التيمى ولاء ، ذلك أن زوطى جد الامام كان فارسا من اهل كابل(٢) وكان مملوكا لبنى تيم الله ابن ثعلبة ، فأسلم فأعتق فصار ولاؤه لهم اما والده ثابت فقد ولد على الاسلام ، وهذا هو المعتمد فى نسبه ، وان زعم بعضهم أنه لم يجر على احد من أجداده رق بل بالغ البعض ، فجعله يتصل الى العرب بنسب .

ولا يضير الامام قط أن يكون أصله فارسيا ، ولا أن يكون احد اجداده استرق ثم أعتق ، لأن الاسلام لا يفرق بين عربى وعجمى ، ولا بين مولى وسيد فى التقدير الديني والعلمي ، وفى الموالى من رفعه دينه وعلمه الى مقاعد الشرف والسيادة ، وفى العرب من أوبقه كفره ، ورمى به فى زوايا الاهمال جهله ، وكانت ولادة الامام بالكوفة سنة ثمانين للهجرة ، وقد عاش بها معظم حياته ، ولم يفارقها الا الى مكة فترة وجيزة ، والى بغداد قبيل وفاته وكانت وفاته سنة مائة وخمسين فهو اذا عاصر معظم الدولة الاموية ، وأوائل دولة بنى العباس .

عصره وكونه تابعيا :

ان العصر الذىعاش فيه الامام يعتبر من عصور الاسلام الذهبية ، والامام ولد ونشأ فى قرن يعتبر من القرون الخيرة الفاضلة ، وهو عصر التابعين ففى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .. وقد صح كما قال الامام الذهبى(٣) انه رأى أنس بن مالك — رضى الله عنه — وهو صغير ، وروى ابن سعد فى كتابه (الطبقات) عن الامام أنه قال : « قدم أنس بن مالك الكوفة ونزل النخع ، وكان يخطب بالحمرة قد رأيته مرارا » كما أنه رأى عبد الله ابن أبى أوفى ، وغيره من الصحابة ورؤيته بعض الصحابة ليس فيها خلاف بين العلماء ، وانما الخلاف فى سماعه منهم ، والثقات من حفاظ الحديث ونقاده على أن الامام لم يسمع من احد منهم ، ومذهب جمهور المحدثين أن السماع من الصحابى ليس شرطا لتحقق كونه تابعيا(٤) وهي خصوصية امتاز بها الامام عن بقية الائمة الاربعة .

اساتذته وشيوخه :

وللامام شيوخ كثيرون من اعيانهم محمد بن السائب الكلبى النسابة المفسر ، وجعفر الصادق ، وابن شهاب الزهرى عالم الشام والحجاز ، وشعبة بن الحجاج ، وربيعة الرأى شيخ الامام مالك وسليمان بن مهران من كبار المحدثين ، وحماد بن أبى سليمان وهو الاستاذ الاكبر للامام أبى حنيفة ، وقد لازمه ملازمة طويلة وتخرج على يديه، ونهل وعل من معينه الثر ، وحتى أثر عن حماد أنه قال : « لقد أنزفتنى »(٥) .

تلاميذه :

وقد روى عن الامام وأخذ منه العلم والفقه الكثيرون من الائمة من مشاهيرهم محمد بن اسحاق بن يسار امام اهل المغازى ، ومحمد بن عمر الواقدى ، وابراهيم بن أدهم ،

والحسن البصرى ، وأبو يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ابن الهذيل ، وغيرهم وهؤلاء الثلاثة هم أخص تلاميذه المتفقهين عليه ، ويدل على جلالته أن بعض شيوخه قد أخذ عنه كربيعة الرأى ومالك وحماد بن أبى سليمان ، ووصل بعض المؤلفين فى مناقبه بتلاميذه والآخذين عنه الى نحو الثمانمائة وسرد أسماء الكثيرين منهم(٦) .

فقه الامام :

والامام أبو حنيفة أحد أذكياء الدنيا المعدودين ، ورائد الأئمة المجتهدين المشهورين ، وأحد الفقهاء الأربعة المتبوعين ، الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وسادت مذاهبهم فى أقطار العروبة والاسلام ، وقد أقر للامام بالفقاهة وتملك ناصية الاجتهاد ، وبلوغه الغاية فى ذلك جمهرة من فقهاء الشريعة الكبار ، وائمة الحديث المشهورين روى عن الامام اللوذعي محمد بن ادريس الشافعي انه قال : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة ، وهذا عبد الله بن المبارك يقول « كان أبو حنيفة أفقه الناس ما رأيت افقه منه » .

ويقول فى حقه سفيان الثورى : « وهو أفقه أهل الارض » وأثنى عليه وعلى قوة حجته امام دار الهجرة مالك بن أنس فقال : « لقد رأيت فتى لو كلمك فى هذه السادية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » .

علمه بالقرآن والسنة :

وقد كان الامام حافظا للقرآن ، مديما للقراءة له ، وقد روى انه كان يختم القرآن فى رمضان ستين ختمه ختمة بالليل وختمة بالنهار ، كما كان عالما بعلومه وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وعامه وخاصه ، ومطلقه ومقيده الى غير ذلك من علوم القرآن التى لا بد منها لمن يبلغ الاجتهاد فى الأحكام ، وبيان الحلال والحرام . كما كان — رضى الله عنه — حافظا للأحاديث والسنن شديد العناية بها ، ثقة فى الرواية ، بصيرا بالعلل والرجال ، مقبول الجرح والتعديل ، روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن سفيان بن عيينة قال : « أول من اقعدنى للحديث أبو حنيفة قدمت الكوفة ، فقال أبو حنيفة : هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار فاجتمعوا على فحدثتهم » وناهيك برجل يزكي سفيان بن عيينة فى الحديث ، والامام أبو عيسى محمد بن عيسي بن سورة الترمذى وهو أحد الأئمة الستة فى الحديث يعتمد على الامام فى التعديل والتجريح فيروى فىكتاب العلل من (جامعه) عن الحمانى قال : سمعت أبا حنيفة يقول : ما رأيت أكذب من جابر الجعفي(٧) ولا أفضل من عطاء ابن أبى رباح « كما أثنى عليه جهابذة الحديث ونقاده ، سئل يحيى بن معين وهو الامام الحجة فى الجرح والتعديل : هل حدث سفيان عن أبى حنيفة ؟ قال : نعم كان أبو حنيفة ثقة صدوقا فى الفقه والحديث مأمونا على دين الله ، وروى عنه أنه قال : « سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : « لا تكذب الله تعالى ، ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة » .

وكان يحيى بن سعيد القطان يذهب فى الفتوى مذهب الكوفيين

فيختار قول أبي‌حنيفة من أقوالهم(٨) ويقــول في حق الامام تلميــذه أبو يوسف وهو من حفاظ الحديث كما قال ابن جرير الطــبرى « كان أبو حنيفة أبصر بالحديث مني » ويقول : « ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة » ولا عجب أن يكون الامام أبو حنيفة بهــــذه المنزلة وقد أخذ الحديث عن رجاله كسفيان الثورى وشــعبة بن الحجــاج ، والأعمش وغيــرهم من أئمة الرواية ، وكانت الــكوفة آنئذ منزلا لكثير من الأئمة الذين جمعوا بين الرواية والدراية(٩) وأما ما ذكر في تاريخ بغـــداد من الطعــن في الامام فذلــك من آثار التحــامل والتعصب ، قال الامام الســيوطى في كتابه « مناقب أبي حنيفة » : « لا تغتر بكلام الخطيب فان عنده العصــــبية الزائدة على جماعة من العلماء كأبي حنيفــــة وأحمد ، وبعض أصحابه ، وتحامل عليهم بكل وجه » ولم يسلم — في الغالب — أحد من مشــــاهير العلماء من الطعن والتجريح بغير حق ولعن الله الحاسدين والحاقدين .

التجني على الامام :

وقد غمط الامام حقه في العنــــاية بالأحاديث والسنة ، وثقته في الرواية بعض حاسديه ورموه بما ليس فيه ، فزعموا أنه قليل البضــــــاعة في الحديث ، وأنه قلت روايته تبعا لذلك قلة لا نصــدقها في حق طالب من طلاب الحديث فضلا عن امام مجتهد تزعم مدرســـة في الفقه والاجتهــاد يعتبر رجالهــــا مفخرة من مفــاخر الاسلام قديما وحديثا ، واليك ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته(١٠) ، وحكايته هذا القول الضعيف عن هذا البعض ، ورده عليهم قال : « واعلم أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه الصناعة والاقلال فأبو حنيفة رضى الله عنه — يقال بلغت روايته الى ســــبعة عشر حديثا أو نحوها ومالك — رحمه الله — انما صــح عنده في كتاب الموطأ وغايتها ثلاثمائة حديث(١١) أو نحوها ، وأحمد بن حنبل في مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما أداه اليه اجتهاده في ذلك ، وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين الى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلذا قلت روايته ، ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الأئمة لأن الشريعة انما تؤخذ من الــــكتاب والسنة ، ومن كان قليل البضاعة في الحديث فيتعين عليه طلبه .. الى أن قال والامام أبو حنيفــــة انما قلت روايته‌لما شــدد في شروط الرواية والتحمل ، وضعف رواية الحــديث اليقيني اذا عارضها الفعل النفسى ، وقلت من أجلها روايته فقل حديثه لا أنه ترك رواية الحــديث متعمدا فحاشاه من ذلك ، ويدل على أنه من كبــــار المجتهدين في علم الحديث اعتمـــاد مذهبه بينهم ، والتعويل عليه » .

فها نحن نرى أن ابن خلدون ذكر هذه المقالة المتجنية على الامام بلفظ (يقال) وهي من صيغ التضعيف في عرف علماء الرواية ، واذا كان ابن خلدون بين الســـبب في قلة رواية الامام فمراده بذلك القــلة النسبية لا ما حكاه في صدر كلامه بصــــيغة التضــــعيف ، ومما ذكرنا من نص المقــدمة يتبين للبــــاحث المنصف والقارىء المتثبت أن عزو هذا القول الضعيف الى ابن خلدون تجن كذلك على العلامة ابن خلدون ، وخيانة للامانة في البحث ، وقد انزلق الى هذا الرأى الضعيف الذى لا سند له

بعض الكاتبين المحدثين(١٢) فى الحياة العقلية فى صدر الاسلام وجعله من قول الثقات ، ويعلم الله أن القائل به ليس من الثقة فى شيء وانا لا أنكر تفاوت الأئمة فى الحفظ والرواية فذلك أمر معلوم مفروغ منه ، ولكن الذى لا أكاد أصدقه أن تنزل مرويات الامام الأعظم الى هذه القلة الضئيلة وكيف يتهيأ لمجتهد أن يبنى مذهبا على سبعة عشر حديثا صحت عنده ، وأقل ما يقال فى مسائله التى تكلم فيها أنها تبلغ ثلاثا وثمانين ألف مسألة فى العبادات والمعاملات ، وكيف يجوز قبول هذا القول وشاهد العيان يرده ، فكثرة أحاديث الامام تظهر من حججه المسرودة فى أبواب الفقه التى نقلها عنه أصحابه ، والمدونة فى تلك المسانيد السبعة عشر(١٣) لكبار الأئمة من أصحابه وسائر الحفاظ ، وكان مع الخطيب البغدادى عندما حل فى دمشق مسند أبى حنيفة للدارقطنى ، ومسند أبى حنيفة لابن شاهين وهما زائدان على السبعة عشر المذكورة(١٤) .

والظاهر أن الخطأ دخل على القائل بأن الامام لم يصح عنده الا سبعة عشر حديثا من أنه سمع أن للامام سبعة عشر مسندا أى كتابا مرتبة أحاديثه على حسب الصحابة فظن أن المراد بالمسند الحديث الذى ذكر له اسناد فوهم هذا الوهم الفاحش . وكيف نصدق مثل هذا الرأى العارى عن الحجة ، وهذا هو الحسن بن زياد أحد تلاميذ الامام كان يقول : « كان أبو حنيفة يروى أربعة آلاف حديث : ألفين لحماد ، وألفين لسائر المشيخة » واليك ما ذكره الحافظ الناقد الذهبى فى حق الامام : « ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط مسائل الفقه فانه أول من استنبطه من الادلة ، وعدم ظهوره فى الخارج لا يدل على عدم اعتنائه بالحديث كما زعمه بعض من يحسده ، وليس كما زعم ، وانما قلت الرواية عن الامام وان كان متسع الحفظ لأمرين : أحدهما : اشتغاله باستنباط المسائل من الأدلة كما كان أجلاء الصحابة كأبى بكر وعمر وغيرهما يشتغلون بالعمل عن الرواية حتى قلت روايتهم بالنسبة لكثرة حديثهم ، وكثرة رواية من دونهم بالنسبة اليهم ، وهذان الامامان مالك والشافعى لم يرويا الا القليل بالنسبة لما سمعاه لاشتغالهما باستخراج المسائل . ثانيهما : ان الامام أبا حنيفة كان من المتشددين فى الرواية وفى تصحيح الاحاديث ، وقد ذكر العلامة ابن الصلاح أن من مذاهب التشديد — يعنى فى الرواية — مذهب من قال : لا حجة الا فيما رواه الراوى من حفظه وذلك مروى عن مالك وأبى حنيفة رضى الله عنهما(١٥) .

وكان للامام شغوف نظر فى الأحاديث ، والترجيح بينها ، ومن لا يعرف ذلك يلصق بهما هو براء منه ، سئل الأعمش وهو من كبار المحدثين عن مسائل ، فقال لأبى حنيفة : ما تقول فيها ؟ قال كذا وكذا فقال الاعمش من أين لك كذا ؟! فقال الامام : أنت حدثتنا عن أبى صالح عن أبى هريرة عن رسول اله صلى الله عليه وسلم بكذا وحدثتنا عن فلان الصحابى عن رسول الله بكذا وسرد عدة أحاديث على هذا النمط وصار يتكلم فيها ، ويستنبط منها على حسب اجتهاده فقال الأعمش :



الأقاليم الفزيوغرافية لسيراليون

أولا ــ ان تكون وطنا للرقيق المحررين .

ثانيا ــ ان تكون قاعدة في غرب افريقيا لمقاومة تجارة الرقيق ، ونشر الثقافة المسيحية في هذا الجزء من القارة .

واستطاعت جماعة « كلافام » وهي جماعة وهبت نفسها لتحرير الرقيق ، استطاعت الحصول من الزعيم الافريقي « توم » وهو من قبيلة التمني ــ على مساحة من الارض في شبه جزيرة « سيراليون » .

وفي ٢٢ فبراير سنة ١٧٨٧م ابحرت من بريطانيا المجموعة الاولى من الرقيق المحررين وكان عددهم نحو اربعمائة تقريبا ، ووصلت السفينة سيراليون في مايو من السنة نفسها وسمى هذا المكان الذي افرغت فيه السفينة حمولتها من الرقيق المحررين « فريتاون » أي مدينة الحرية .

ومن هذا التاريخ « وفريتاون » عاصمة « سيراليون » .

ولعلنا بهذه المقدمة الخفيفة نكون قد عرفنا لماذا سميت سيراليون وفريتاون بهذين الاسمين

ولقد استمر ارسال الكثير من العبيد المحررين ، ولم ينته القرن الثامن عشر الا وكانت بريطانيا قد تمكنت من ارسال جميع المحررين فيها الى سيراليون .

واصبحت فريتاون بعد ذلك قاعدة للاسطول البريطاني لمراقبة تجارة الرقيق عبر الاطلسي والقضاء عليها ، ومصادرة ما تحمله السفن منها ، ثم اعادته الى موطنه ان امكن والا فالى سيراليون ليسهم في تكوين المجتمع الجديد .

وسكن هؤلاء جميعا فريتاون وما حولها .. واطلق عليهم اسم « الكريول » وهم بهذا

يتميزون عن سكان الداخل من القبائل الافريقية ، ويمثلون عالما جديدا ، وثقافة متميزة ، فهم لا يجمعهم بسكان الداخل الا وحدة اللون .

اما اللغة والدين والنظرة الى الحياة ، والموقف الاجتماعي والاقتصادي ، فكان يختلف اختلافا جذريا بين الساحل والداخل ، اى بين « الكريول » وهم من عرفنا ، وبين سكان البلاد الاصليين !!

موقع سيراليون :

تقع سيراليون على الساحل الغربى من افريقيا ، ويمتد ساحلها ٢١ ميلا من الحدود الغينيـة شمالا حتى حدود ليبريا جنوبا وتحد شمالا بغينية وجنوبا بالمحيط الاطلسى ، وشرقا بغينية وليبريا ، وغربا بالمحيط الاطلسى .

ومساحتها : ٢٧٩٢٥ ميلا مربعا ، ومجموع سكانها ٢ ½ مليون نسمة ، والسنة فى سيراليون فصلان : ممطر وجاف .

ويستمر المطر من مايو الى اكتوبر او نوفمبر والامطار غزيرة ، وقد تستمر عدة ايام دون انقطاع .

اقتصاد سيراليون :

واقتصاد سيراليون يعتمد اساسا على عاملين :

انتاج الغلات الزراعية ، واستخراج الخامات المعدنية .

واهم حاصلاتها الزراعية ــ زيت النخيل ، والكاكاو ، والكولا ، والزنجبيل والبن والموز والموالح والفول السودانى والارز .

واهم معادنها الماس ، ــ وله اهمية كبيرة فى اقتصاد سيراليون ــ والى جانب الماس تعنى سيراليون ، باستخراج الحديد ، والالمنيت والبلاتين ، والذهب ، والكروم .

كيف ومتى استقلت سيراليون ؟

كان فى سيراليون تسعة احزاب ، اتفقوا جميعا على تكوين جبهة واحدة للمطالبة باستقلال سيراليون ، وكونوا وفدا ، وعندما وصل الوفد الى لندن لحضور المؤتمر الدستورى فى ربيع ١٩٦٠ ــ قال وزير المستعمرات ان استقلال سيراليون امر مقرر ، وفى ٢٧ من ابريل سنة ١٩٦١ وافقت بريطانيا على ان تمنح سيراليون استقلالها .

وارتفع علم جديد للحرية فى سيراليون ، انضم الى غيره من الاعلام التى حصلت على حريتها واستقلالها فى افريقيا .

وكان اول رئيس للوزراء بعد الاستقلال الدكتور « ملتن مارجاى » وقد زرته فى مكتبه فى رمضان سنة ١٩٦٢ حيث كنت عضوا فى بعثة وزارة الاوقاف الى سيراليون فى هذا الشهر ، ولقد كانت هذه اول بعثة ازهرية تدخل سيراليون .

لقد قال لنا الدكتور « ملتن » انا احب الاسلام ، لأن جدى مسلم ، ولذلك فانا اصلى مع المسلمين فى مساجدهم ومع المسيحيين فى كنائسهم .

وتلك طبيعة حكام سيراليون الى الآن ويبدو أن هذا من اجل أن الغالبية مسلمة فيجد الحاكم وهو مسيحى دائما نفسه مضطرا لمجاملة المسلمين لأنهم أصحاب الاكثرية .

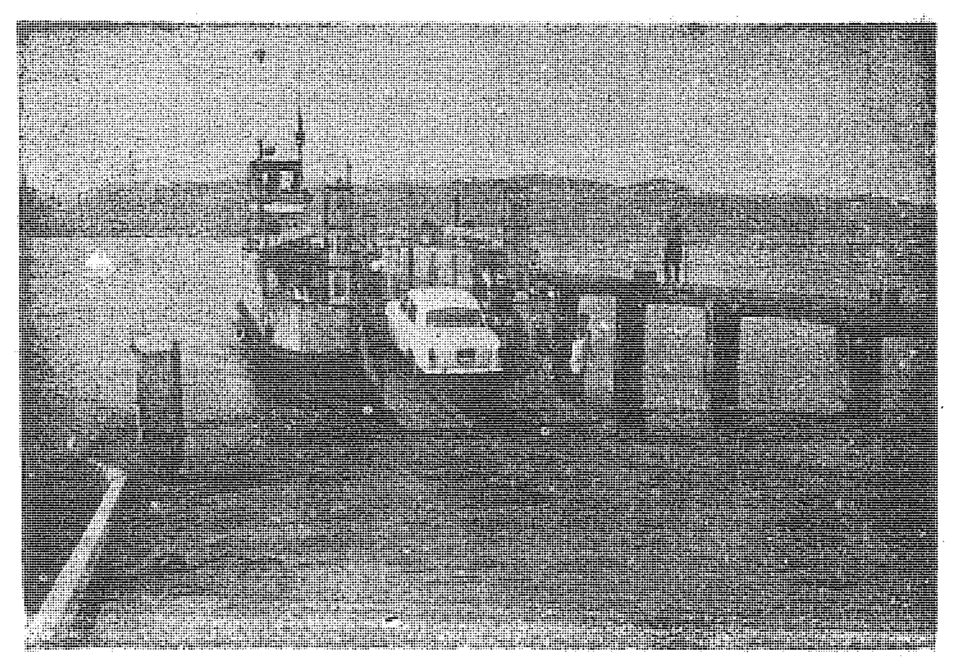
وخلف الدكتور « ملتن » شقيقه « البرت مارجاى » وسار على نفس الطريق وسلك نفس المنهج ، واستمر فى الحكم حتى انقلاب سنة ١٩٦٧ .

سيراليون المسلمة :

لقد عرفنا شيئا عن تاريخ سيراليون وعن قصة نشأتها كدولة ذات كيان . ويجب أن نعرف شيئا عن تاريخ الاسلام فى هذه البلاد وكيف دخل اليها ؟ وما هى العوامل التى أبقت عليه ، وجعلته دين الاغلبية فى هذه البلاد بالرغم من غلبة التبشير ، وتنصر الحكومات المتعاقبة التى حكمت سيراليون سواء ما كان منها تحت الحماية وما اصبح فى ظل الاستقلال بعد سنة ١٩٦١ م .

لقد وصل الاسلام الى غرب افريقيـة عن طريقين .

طريق الصحراء من تونس والجزائر والمغرب . الطريق الساحلى الى السنغال ومنها الى بقية غرب افريقيا جنوب الصحراء .



ــ الفيرى ــ الذى ينقل المســــافرين الىفريتاون بعد وصولهم الى المطار عبر المحيطالاطلسى .

وقد تعاقبت على غرب أفريقيا امبراطوريات اسلامية بعد قيام دولة المرابطين سنة ١٠٤٢ هى امبراطوريات غانا ، ومالى وصنفهاى ، وانتشرالاسلام بين كثير من قبائل الفــولا ، على ساحل غينيا ، ثم جماعات الهوســـــا والمادنجو .

ولقد دخل الاسلام الى سيراليون بواسطة اولا ــ طريق التجارة والمعلمين فى الفترة بين القرنين الحادى عشر والسابع عشر ودان به الحكام دون الشعب وكان بطىء الانتشار غير محسوس .

ثانيا ــ عن طريق حروب الفولا المقدســـة التى بدأت حوالى سنة ١٨٠٠ م بعد تكوين المملكة الاسلامية فى مرتفعات فوتاجالون ، والتى قام دعاتها بالحروب المقدســـــة ضد القبائل المجاورة جنوبا وغربـــــا ، حتى دان بالاسلام كثير من القبائل الوثنية ، ووصــــل بعض الدعاة الى مناصب المشايخ ، مما كان له اكبر الاثر فى اتبــاع العامـــــة للعقيدة الاسلامية ..

واستمر انتشار الاسلام على يد جماعات المادنجو ، والفولا ، والسوسو .. خـــلال القرون التالية . حتى أصبح الاسلام هـــو الدين السائد فى شمال ســــيراليون حيث تتركز جماعات التمنى ، ثـم فى الشرق بين المندى ، واصبح يدين به حاليا ما يزيد على ال ٧٠٪ من سكان البلاد .

ولقد كان للفرق الصوفية التى تكونت فى غرب أفريقية أثر كبير فى انتشار الاسلام . ولعل أهم هذه الطرق التيجانية والقادرية ، وأتباعها كثيرون ، ولهم أوراد يلتزمون بهـــا ولا يحيدون عنها ، ويجتمعون عليها فى بيوت الله مساء الاثنين والخميس ولهم دوى كدوى النحل ، ولا تكاد ترى مسلما من اتباع هاتين الطريقتين ، يمشى الا ومسبحته فى يــــده ولسانه يلهج بذكر الله .

وبسبب هاتين الطريقتين تسربت العقيدة الاسلامية الى الوثنيين فى غرب أفريقيــا ، وانتشر الاسلام فى قوة وبصفة متصـــــلة ، وبخطوات وئيدة هادئة .

وكان المعلمون حتى منتصف القرن التاسع عشر يؤسسون المدارس ، ويقومون بالانفاق

عليها ، كما كانوا يقومون بنشاطهم فى نشر الدعوة الاسلامية بين القبائل بالحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة .

ولقد زاد انتشار الاسلام ، وكثر اتباعه فى سيراليون ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، ودانت به أغلبية السكان .. لانه دين الفطرة ، ودين يتناسب يسره ومرونته مع اهل هذه البلاد . ودين يسوى بين الجميع فلا فضل لعربى على عجمى ولا لأسود على ابيض الا بالتقوى .

ولو أن افريقيا كلها خلى بينها وبين الاختيار وزالت العقبات التى تحول دونه لما اختارت غير الاسلام دينا ، وغير محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ... ولقد ظل التعليم بين ابناء البلاد قاصرا علـى تحفيظ القرآن الكريم يقوم به المعلمون من أبناء قبائل الفولا والماندنجو والهوسا حسبة لله سبحانه وتعالى ولا تزال هذه الكتاتيب قائمة تؤدى رسالتها وتقوم بواجبها ، وتعد التلاميذ لدخول المدارس الاسلامية التى انشئت فى الآونة الاخيرة ..

وكم كان جميلا ومؤثرا حين كنا على سفر فى فجر يوم من الايام ، ورأينا أمام كثير من القرى التى مررنا عليها نيرانا مشـتعلة قد هتكت حجب الظلام وحين سألنا عن مصدر هذه النيران واسبابها ، قيل لنا ان هذه النـار يوقدها الألفوات ويجتمعون عليها مع تلاميذهم الذين يحفظونهم القرآن حتى يروا على ضوئها الواحهم ، ويتبينوا كتاباتهم ، ويقرأوا مـا يكتبون ، حين سمعت ذلك أطرقت هنيهة ، وقلت فى نفسى صدق الله العظيم حيث قال ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ .

التبشير :

عاش اهل البلاد فى عزلة معرضـين عن مدارس التبشير التى قامت فى بعض المدن ، والتى كانت تصر فى تعسف علـى تعميد ، وتنصير ، وتغيير أسماء كل من يدخلون فيها من ابناء المسلمين .

وبهذه العصبية الكافرة من مدارس التبشير حرم الكثير من أبناء المسلمين من فرص التعليم التى هيئت لغيرهم ، من أبناء الكريول . والتى رشحتهم فيما بعد لتولى اعلى المناصب فى الدولة .

ومن العجيب أن هذه المدارس لا زالت تصر على ذلك وتقوم به على الرغم من ان قانون التعليم فى سيراليون لا يســمح لها بهذا الاعتداء الاثيم على حرية الاديان ولكم نبهنا المسئولين الى ذلك ، وكان الصدى ..

لقد أسمعت اذ ناديت حيـــا
ولـكن لا حياة لمن تنـــادى

أحجم المسلمون عن الحاق ابنائهم بمدارس التبشير ، وقد قال أحد كبارهم حين سألته عن كثرة الجهل وقلة الوظائف بين طوائف المسلمين ، قال لقد فضلنا ان نكون مسلمين جهلاء على أن نكون كفارا علماء ..

اما الذين لم يحجموا عن مدارس التبشير من المسلمين والحقوا أبناءهم بها ، وتغاضـوا عن تنصيرهم أو تعميدهم ، فقد وصل ابناؤهم الى كثير من المناصب الرئيسية فى الدولة .

ومن الأسر التى كانت تدين بالاســلام ، وتحول ابناؤها الى النصرانية «اسرة مارجاى» وهى أسرة مندية ، وكان منهـا اول رئيس للوزراء ، وهو الدكتور (ملتن مارجاى) وآخر رئيس للوزراء حتى قبل انقلاب ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ . وهو « البرت مارجاى »

وكذلك أسرة « كاريفا سـمارت » وزير خارجية سيراليون الاسبق وهو من قبيلة التمنى وكذلك البريجادير (لانسانا) قائد القـوات المسلحة السابق قبل ثورة ١٧ مارس سـنة ١٩٦٧ ولكم دعانا لصلاة العيد فى القوات المسلحة ، وحدثنا عن ذكرياته الاولى فى حفظ القرآن الكريم ، وأنه لا يزال يحتفظ بمصحف فى مكتبته .

ان التبشير فى سيراليون له أصول عميقة عمق الاستعمار الذى جاء به وحمله الى هذه البلاد فى غفلة وجهل من أهلها ..

وهو يسير على سياسة مدروسة وخطة محكمة لا تقوم على المظاهر وانما تقوم على تخطيط زمنى وعقائدى .

وهو لم يجىء وحده ، وانما جاء فى ركـاب الاستعمار ، والاستعمار هو الذى كان يحميه ويؤازره ، وقدم له كل أسباب البقاء والحياة

وكل المعونات المادية والمعنوية ، وهو الذى هيأ له تربة صالحة ، وجوا ملائما بين اوساط الحاكمين الذين تعاقبوا على سيراليون ، وكانوا يملكون فى ايديهم سلطة البلاد ومقاليدها ان سيراليون بها ما يزيد على ثمانمائة مدرسة ، بين ابتدائية ، وثانوية ، غالبيتها يسيطر عليها ويديرها جمعيات تبشيرية وهيئات كنسية .

التعليم فى سيراليون :

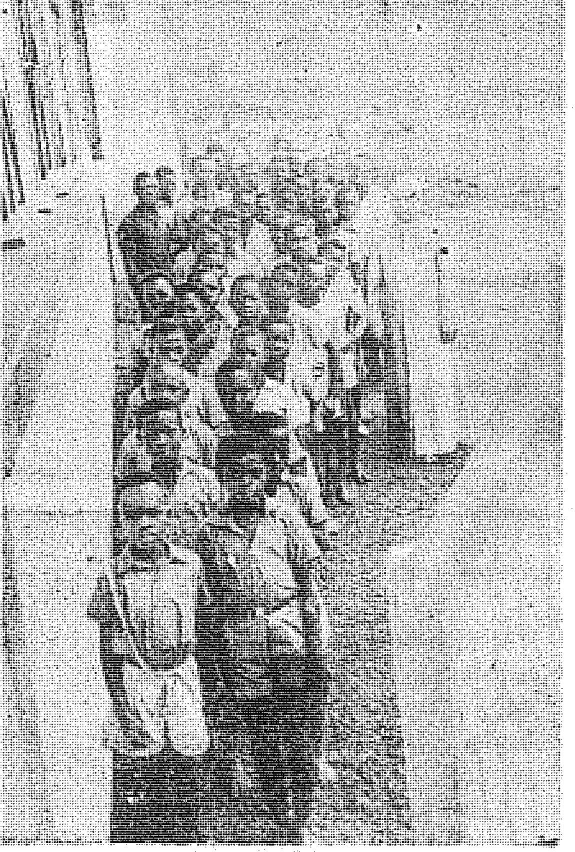
تتمثل فى سيراليون جميع انواع التعليم الابتدائى ، والثانوى ، والتجارى ، واعداد المعلمين ، والصناعى ، والمهنى ، والجامعى حيث تم انشاء كلية فورابى وقامت بتاسيسها الجمعية الارسالية الكنسية سنة ١٩٢٧م وهى تابعة لجامعة درهام فى بريطانيا ، وقد اتسعت هذه الكلية حتى اصبحت جامعة تشتمل على الكثير من الكليات والدراسات ، كما تستقبل العدد الوفير من ابناء غرب افريقيا ، وعدد طلابها يزيد الآن عن الخمسمائة طالب يمثلون الكثير من دول القارة الافريقية مثل نيجيريا ، وغانا ، وغمبيا ، وكينيا ، واوغنده ، وروديسيا الجنوبية وجنوب افريقيا .

ومما يذكر ان بها قسما للعلوم الدينية ، يشتمل على دراسات للعلوم الدينية للحصول على الليسانس .

وبرامج دراسية فى دراسة الانجيل ، ودبلوم للدراسات العليا فى اللاهوت وكل الدراسة فى سيراليون باللغة الانجليزية

التعليم العربى :

حتى سنة ١٩٦١ لم يكن للتعليم العربى نصيب ، بل كان كل حظه هذه الكتاتيب المتناثرة هنا وهناك .. حتى تاسست جماعة الاخوة الاسلامية وافتتحت اول مدرسة لها بمجبوراكا وامدتها الجمهورية العربية المتحدة باثنين من المدرسين ، وتوالت البعثات بعد ذلك ، وتسابق المسلمون فى كل البلاد فى فتح مدارس عربية اسلامية حتى تركناها سنة ١٩٦٨ ولجماعة الاخوة الاسلامية ما يزيد

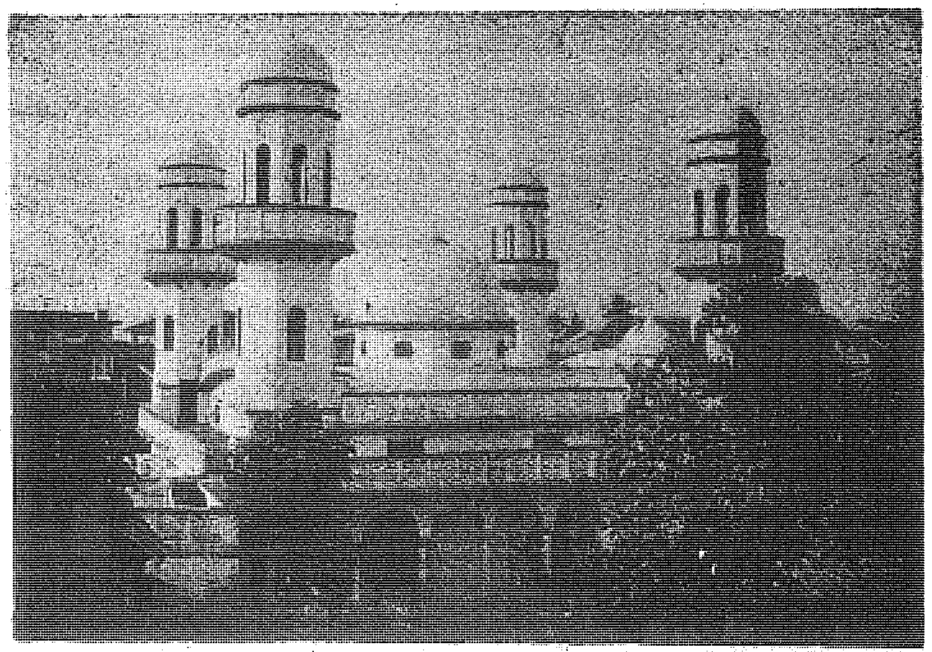


صورة لتلاميذ مدرسة الأخوة الاسلامية بمدينة فريتاون

على ٤٢ مدرسة ابتدائية — ومعهد لاعداد المعلمين ومشروع انشاء مدرسة ثانوية ولا تزال البعثة التعليمية هناك تؤدى واجبها على اكمل الوجوه .

والى جانب مدارس الاخوة الاسلامية . توجد مدرسة ثانوية للمؤتمر الاسلامى والمدرسة الايمانية التى يديرها الحاج جبريل سيسى شيخ قبيلة التمنى ، وأول من تعلم فى الازهر الشريف .

ومدارس جماعة الاحمدية ، وللاحمدية فى سيراليون نشاط ملحوظ ، وقد وصل اول دعاتها الى سيراليون سنة ١٩٣٧ واخذ ينتقل



مسـجد الفولا بمدينة فريتاون وهو من اكبر المساجد

من مكان الى مكان ، حتى استقر فى « بو » ومنها امتد النشاط الى فريتاون حيث بنوا مسجدا ، ومكتبة ، ومطبعة وقاموا بانشاء بعض المصانع لانتاج بعض احتياجات البيئـة ومتطلباتها وكـان بعض الوزراء ينتمى الى هـذه الجمـاعة ، والكثير من المسـلمين لا يعرفـون مـا تنطـوى عليـه دعوتهـم وحين يعلمون حقيقتها ينفضون من حولهـم ، حيث لا يوجد مسلم يقبل أن يناقش فى قضية أن محمدا رسول الله وانه خـاتم الانبياء والمرسلين ،

مساجد سيراليون :

وسيراليون بها الكثير من المساجد فـكل قبيلة لها مسجد ومسجدان وثلاثة ، وفريتاون وحدها بها ما يزيد عن الثلاثين مسـجدا ، وبعض هذه المساجد يرجع الى تاريـخ قديم يرتبط بتاريخ الاسلام فى هذه البلاد .

ومن التقاليد الجميلة فى هذه المسـاجد تخصيص ربع المبنى تقريبا للسيدات لانهن يؤدين الصلاة جماعة مع الرجال فى كل الاوقات ..

الجالية العربية :

فى سيراليون جالية عربية لبنانية تزيد عن خمسة آلاف نسمة ، وهى تعمل بالتجارة ولهم هناك ناد كبير ، ومدرسة ، وفى طريقهم الى انشاء مسجد كبير يساهم فيه كل ابناء الجالية وهم يتفاعلون دائما مع الاحداث التى تمـر بالعالم العربى والاسلامى ، فصلتهم باوطانهم قائمة ، وارتباطهم بعروبتهم وثيق ، ويرجى منهم خير كثير لو احسنوا صلتهم بربهم ، واقاموا شعائر الاسلام فيما بينهم .

النشاط العربى :

للجمهورية العربية فى سيراليون ، سفارة ومركز ثقافى به الآلاف من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ويؤمه الكثير من عشاق العلم والمعرفة ، وهناك فرع لشركة النصر وبعثة تعليمية بها اكثر من خمسة وعشرين مدرسا وواعظا يعملون فى مدارس الاخوة الاسلامية والمؤتمر الاسلامى ، والمساجد ، والاذاعـة



صورة لمبعوث الازهر فى صلاة عيد الفطر المبارك

والتلفزيون وقد كان لنا برنامج تليفزيونى كل اسبوع يسمى « نور على نور » وكان نافذة يطل منها وجه الاسلام والعروبة فى هذا البلد الكريم .

وقد كان لمدير المركز الثقافى اثر فعال فى هذا البرنامج حيث كان يترجم ما يقال فيه من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية بالاضافة الى نشاطه المتعدد فى جميع المجالات كما كان لنا درس اسبوعى لتعليم اللغة العربية فى التليفزيون ولقى اهتماما كبيرا .

النشاط الاسرائيلى :

فى الآونة الأخيرة كان للاسرائيليين نشاط معمارى وتجارى ملحوظ ، ولكن تبين بالتجربة ان اعمال اسرائيل تنقصها الامانة والدقة ، وان كل المنشآت والمبانى التى قاموا بها او اشرفوا عليها كانت تخالف المواصفات المتفق عليها ، وبدأ الخلل يظهر فيها ، كما ظهر كثير من الاختلاسات التى قام بها موظفون اسرائيليون ، وحين اكتشف امرهم فروا هاربين وعلى الرغم من كل هذا فنشاط اسرائيل لا يتوقف ، واطماعها فى أفريقيا ليس لها حدود ، ولها أساليب ماكرة خبيثة تستميل بها الكثير من الشخصيات الكبيرة التى ينتظر أن تكون عونا لها وسندا فى يوم من الايام ومن هذه الاساليب اعطاء تذاكر الدعوة للسفر الى اسرائيل وزيارتها مجانا وتسهيل سفر الطلاب اليها للدراسة حتى يعودوا بافكار جديدة ، ويكونوا عونا لها فى تنفيذ مخططها الاستعمارى البغيض .

ثورة الجيش فى سيراليون :

بعد خلاف طويل قام بين حزب الحكومة

وحزب المعارضة A. B. C. اثر نجاحه فى الانتخابات العامة ، وعدم تمكينه من مزاولة الحكم ، وحدوث بعض القلاقل والاحداث ، قام الجيش بثورته فى ١٧ مارس سنة ١٩٦٧ وتولى قائد الجيش زمام الامور ، ثم تبعـــه انقلاب من الجيش نفسه ، تولى بعده زمام الامر حزب المعارضة وتولى منصـــب رئيس الوزراء المستر « شياكة ستيفن » وهو اول رئيس للوزراء تفهم القضية العربية وافسح صدره لها ، كما اعطى للصحف حريـــة نشر وجهة النظر العربية على اوسع نطاق ، وقامت صحيفة الديلى ميل وهى الصحيفة الرســـمية الاولى للبلاد بنشر عدة تحقيقات كان لها اكبر الاثر فى القاء الاضواء على مشكلات الشرق الاوسط وعلى اعتداء اسرائيل الغاشم الاثم على جميع المقدسات ..

كما كان من نتيجة الثورة اختيار الحاج محمد بنجاتيجان سى هاكما عاما لسيراليون . وهــو اول هاكم عام مسلم يتولى هذا المنصب فى تاريخ سيراليون وهو من اسرة مسلمة وكان والده احد ائمة المسلمين . وهو عضو بجماعة الاخوة الاسلامية .

وقد راس وفد برلمان ســــيراليون لزيارة الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٥ بدعوة من رئيس مجلس الامة العربى .

العادات والتقاليد :

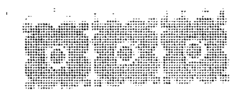
ان شعب سيراليون كاى شعب له عاداته وتقاليده وفلسفاته ، فهو يشـــتمل كما ذكر « هاريسون تشرتش » على مائة وستين زعامة قبلية ، ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها ، ولكل قبيلة لغتها التى تتعامل بها فيما بينها .

وان كانت اللغة السائدة فى الاوساط المثقفة هى لغـــة « الكريول » ، وهى خليط من البرتغالية ، والانجليزية ، وخليط من لغـــة بعض القبائل كالتمنى ، والاوكو والسوسو ، والفولو . حتى جعل بعض الكتاب يصفونها بانها خليط المخاليط .

ومن الغريب أن المســـافر الى سيراليون يستعمل طرق المواصلات الثلاثة الجو ، والبحر والبر . فالطائرة تقطع رحلتهـــا من القاهرة الى سيراليون فى اثنتى عشرة ساعة تقريبا وبعدها تصل الى « لونجى » وهو مطـــار سيراليون ، ومن المطار تنقل الســـيارات المسافرين الى شاطىء المحيط الاطلسى المقابل لشاطىء فريتاون ، ومن هذا الشاطىء يقوم « الفيرى » وهو المعـــدية بنقل الركاب عبر المحيط حتى يصل بهم الى شاطىء فريتـــاون وبهذا تنتهى رحلة المسافر الى سيراليون .

خاتمة ..

هذه لمحات سجلتها عن سيراليون لم تشمل كل ما فيها وان شملت بعضه وكنت فيها عـــلى حد قول القائل ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولعلى أســـتطيع ان شاء الله أن أعود الى الحديث مرة أخرى لأوفى بعض الجوانب حقها من البحث ، ونصيبها من التوضيح . واللـــه المستعان .





فكرة جمع الفتاوى وخطواتها العملية

للأستاذ : أنور أحمد قادري

تقديم : *

كتاب (الفتاوى الهندية) العالمكيرية من أعظم وأهم مراجع الفقه الحنفي ، كانت في التاريخ الاسلامي أول مشروع تأليف كتاب فقهي جامع تقوم به لجنة رسمية من كبار فقهاء العصر تؤلف بأمر ملك حاكم لهذه الغاية قبل نحو أربعة قرون ، لتجميع الاحكام المبعثرة ، وتسهيل الرجوع اليها واختيار الرأى الفقهى الراجح فى كل مسألة ، منعا لفوضى الفتوى والقضاء . فهى الخطوة الأولى من نوعها فى تاريخ تدوين الفقه الاسلامى ، وهى تمهيد وتعبيد لطريق التقنين من الفقه .

وللأستاذ الباكستانى السيد انور احمد قادرى الأستاذ فى كلية الحقوق الاسلامية السندية فى كراتشى عاصمة باكستان بحث مسهب باللغة الانجليزية عن هذه الفتاوى ، كان أرسله الى ادارة الموسوعة الفقهية لترجمته ونشره ، فعهدنا الى الأستاذ الدكتور برهان الشطى فى مجلس التخطيط بالكويت بترجمتها ، فقام بهذه المهمة مشكورا رغم ضيق وقته وزحمة أعماله خدمة للفقه الاسلامى ، ثم جرى فى ادارة الموسوعة تنقيح الترجمة ورد الكلمات الاصطلاحية وأسماء الاعلام والكتب الى أصولها العربية ، لأن كثيرا من هذه الألفاظ اعتراها تحريف كبير فى نقلها عن العربية الى الانكليزية التى كتب بها البحث كاتبه ، ثم ترجمتها عن الانكليزية .

والآن نقدمها الى مجلة (الوعى الاسلامى) لتنشر ويطلع ابناء العربية على

* كتب التقديم الاستاذ مصطفى الزرقا خبير الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية .

اوسع بحث يؤرخ مشروع وضع الفتاوى الهندية العالمكيرية الذي ظل حتى اليوم لا يوجد عنه في العربية الا معلومات بسيطة يسيرة .

وجدير بالتنبيه أن تسمية هذا الكتاب الفقهي الجامع الجليل باسم (الفتاوى) لا يدل على ما لهذه التسمية من معنى معروف ، فالمعروف أن كتب الفتاوى — وكثير ماهي في مدونات فقه المذاهب — تدل على مجموعات من أجوبة المسائل والوقائع التي سئل فعلا عنها جامعوها من كبار الفقهاء وأجابوا عنها ، ثم رتبوها على الأبواب واخرجوها في كتاب كبير أو صغير .

أما هذه الفتاوى العالمكيرية فهي ليست فتاوى بهذا المعنى ، وانما هي مجموعة كبرى من فروع الفقه الحنفي وأحكام مسائله في جميع الأبواب الفقهية جمعت من أمهات مدونات الفقه الحنفي متونا وشروحا ، ومن كتب الفتاوى (بمعناها المعروف) وانما سميت بالفتاوى العالمكيرية ، لأنهم جمعوا فيها الاقوال والآراء الفقهية الراجحة في المذهب الحنفي ليعتمدها المفتون والقضاة في الافتاء والقضاء فهي الأحكام الفقهية التي يجب اعتمادها للفتوى ، ومن هنا جاءت تسميتها بالفتاوى .

تنسب الفتاوى العالمكيرية الى الامبراطور الملقب عالمكير — أي فاتح العالم — واسمه أورانك زيب وهو من أعظم أباطرة هندستان المغوليين ، وأورانك زيب هو الابن الثالث للشاه جهان ، وقد ولد في شهر أكتوبر من عام ١٦١٨م وكان اسمه الاصلي عند الولادة «محمد» الا أن والده بدل اسمه الى اورانك زيب ومعناه « زينة العرش » لأنه كان الابن المفضل لديه ، وقد اتخذ أورانك زيب فيما بعد القابا اضافية منها (محيي الدين) و (عالمكير) ، وقد اظهر اورانك زيب في سن مبكرة وطوال حياته شعورا دينيا عميقا ، ويقال بأن هذا الشعور الديني تولد لديه خلال مرحلة تعليمه على يد كبار العلماء المسلمين (١) . وقد ناضل تحت رايته السواد الاعظم للمسلمين من أجل بعث المثل الاسلامية العليا ، وبعد أن تغلب على العقائد الكافرة تسلم عرش دلهي في عام ١٦٥٨ م ، وقد أصدر أوامره رأسا بالاقتصاد في نفقات البلاط الملكي ، واتخذ اجراءات عديدة لاصلاح طرق الحياة وأساليب المعيشة ، فأنشأ لهذه الغاية (محكمة الاحتساب) وتبنى خطوات لتحسين احوال عامة الناس وضمان الرفاهية لهم .

وليس بين المؤرخين من يستطيع أن يجادل في أن الامبراطور عالمكير قد كان عاهلا تقيا وملكا نيرا ، فقد كتب مرة الى والده قائلا له :

« **ان السيادة هي الحفاظ على مصالح الشعب وليس الانغماس في الشهوات والتبذير** » وكان يقول : (**ان كل ما لدى الامبراطور من أملاك وثروات ليست ملكا له ، بل هي وديعة تخص البلاد والعباد**) وفي شؤون ادارة الدولة كان يقول :

(**نحن اتباع عمر العظيم**) ولذلك (**فان الملك يمكن الادعاء عليه امام القضاء**) وكان كثيرا ما يستشهد بمثنويات الشاعر سعدي القائلة : **تخل عن أن تكون ملكا بربك تخل عن أن تكون ملكا ، او قرر بان يكون حكم ممالكك بيدك فقط**) (٢) .

كل هذا جعل الآخرين يلقبونه بأنه : (**محيط العدالة**) ، وبكونه اكثر الناس تميزا بالاخلاص والتقشف وقد كان ضليعا في قوانين الشريعة ، ورجل دولة ،

وأداريا من الطراز الأول ، فقد شمل برعايته المتعلمين ، وأسس لهذا الغرض عدة مدارس ، وأوجد نظام المرتبات الثابتة لكل من المعلمين والتلاميذ على السواء . وفي عهده توطدت بشكل خاص العلاقات السياسية والدبلوماسية والثقافية والتجارية والعلاقات الدولية الأخرى مع البلاد الاسلامية في آسيا الوسطى ، فقد تم تبادل السفراء مع بلاد تركستان ، وكان الامبراطور يحترم مبعوثي البلاد الأجنبية احتراما عظيما . وكان القانون الدولي الاسلامي يطبق في عهده بحق على جميع بلاد العالم المسلمة على السواء ، كما كانت الدول غير المسيحية تتمتع بالسيادة التامة في نظره ، تمارس حق ارسال السفراء وقبولهم ، وكان استقلال دولة ما استقلالا قائما بحكم الواقع يعني في الوقت نفسه سيادة قائمة بحكم القانون بصرف النظر عن أي اعتراف رسمي بتلك السيادة ، ولقد انحرف القانون الدولي المعاصر انحرافا جذريا عن هذا المفهوم الطبيعي للسيادة مما أدى الى المغالطة بالحكم على تصرفات دولة ما خلال القرون الماضية على أساس مفاهيم القانون الدولي المعاصر (٣) .

ووصل الاسلام بسلطته الزمنية في عهد هذا الامبراطور العظيم الى ذروتها ، ومع مرور القرون التي فصلت بين عهد النبي عليه الصلاة والسلام وعهد علماء المسلمين البارزين في ظل حكم الامبراطور — توصل الدين الاسلامي الى بلوغ أعلى مستويات الحضارة الفكرية ، ولم يكن في عهد الامبراطور أية معارضة سياسية من قبل من كانوا ضد الاسلام لأنهم لم يكونوا ليجرؤوا على القيام بأي نشاط معاد ، وكان هناك شعور بالحاجة لأن يكرس الامبراطور نفسه لمبادىء الحكم الاسلامي في الشؤون الدستورية وشؤون الادارة الحكومية ، ولما كان حجر الزاوية في قيام الدول والحكومات هو القوانين المتعلقة بالادارة القضائية والقانونية شعر الامبراطور شعورا صادرا من صميم قلبه بأنه كان عليه أن يعمل على ادخال المثل العليا الاسلامية في العقائد والمعاملات بصورة رسمية ، وبالتالي ادخال نظام يقوم على مبادىء تحكم الشؤون اليومية للحكومة والافراد وأساليب فض المنازعات التي تقوم فيما بينهم .

الخطوات المتخذة من قبل الامبرطور في سبيل اعداد مدونة الفتاوى :

لما كان الامبراطور نفسه فقيها فقد كان يهتم اهتماما عظيما بالفقه الاسلامي ، وهذا ما جعله يدرك حاجة زمنه اليه ، وكان أول خطوة اتخذها في سبيل جمع الفتاوى وترتيبها اختياره لكبار علماء الفقه والشريعة ، ممن كان مشهودا لهم بطول الباع في هذا المضمار ، وبعد ذلك اتخذ الترتيبات اللازمة لكي يحصل هؤلاء العلماء المختارون على التعويضات المالية المناسبة ، وفي خطوة ثالثة أصدر الامبراطور أوامره بجمع كل مايمكن جمعه من الكتب والمؤلفات لتكون مراجع تسهل على العلماء المهمة الموكولة اليهم ، وأخيرا أقام الامبراطور نفسه مراقبا ومتتبعا للعمل على أساس يومي وبذلك كان يطلع يوميا على ماتم انجازه من أعمال .

وقد اتخذ الامبراطور هذه الاجراءات جميعها خلال أربع سنوات من تسلمه العرش وعين مجلس الفقهاء في سنة ١٠٧٣ هـ ، وكان من مقاصد الامبراطور

بالاضافة الى ما ورد ذكره أعلاه ان يتم بشكل نظامى ترتيب الآراء الفقهية الموثوق بها ، التى جاء بها المجتهدون السابقون ، والتى كانت مبعثرة فى العديد من كتب الفقه والفروع وذلك لكى يمكن وضع مؤلف شامل وسجل ترجع اليه المحاكم والأفراد فيما يتعلق بشؤون دينهم ، ويمكن القول بالاستناد الى الوثائق المتوافرة ، بأن العلماء والفقهاء الذين ساهموا فى جمع كتاب الفتاوى كانوا ذوى الأسماء التالية :

الملا نظام الدين برهان بورى رئيسا لمجلس الفقهاء ، الملا وجيه الدين من غاباماو ، الملا حميد جاونبورى ، القاضى محمد حسين جاونبورى ، الملا جلال الدين محمد جاونبورى ، السيد نظام الدين ثتاوى ، الملا محمد جميل صديقى ، مولانا شافع سرهندى ، القاضى محمد أبو الخير ، الملا أبو واعز هوغمى الملا وجيه الرب ، الملا زياد الدين محدث ، السيد محمد قناوجي ، الشيخ رضي الدين بهاغا البورى ، الملا محمد أكرم لاهورى ، مولانا محمد فائق ، القاضى على أكبر سعد الله خانى ، السيد عناية الله مونغرى ، الملا غلام محمد لاهورى ، الملا فصيح الدين جفرى ، الشيخ احمد خطيب ، الملا محمد غوث ، الامير ميرغان علامة الآراء ، وغيرهم من أكابر العلماء .

وقد تم ترتيب العمل بحيث عهد الى الشيخ وجيه الدين من غاباماو القيام بالربع الأول من العمل ، وعهد بالربع الثانى الى الشيخ جلال الدين محمد جاونبورى ، وأعطى الربع الثالث الى القاضى محمد حسين جاونبورى وخصص الربع الرابع للملا حميد جاونبورى . وقد ألحق بكل من هؤلاء العلماء الأربعة عدد من المستشارين وعلماء الشريعة ، وكان عليهم القيام بجمع كتب الشريعة الموثوق بها ، والمذاهب الفقهية الاسلامية وترتيبها حسب تسلسلها الزمنى ، وترأس الملا نظام الدين العلماء الأربعة المذكورين ، وكان هو بدوره مرتبطا ارتباطا مباشرا بالامبراطور ، وكان الملا نظام الدين بوصفه رئيسا لمجلس الفقهاء يستدعى يوميا لمقابلة الامبراطور ليطلعه على ما تم انجازه من أعمال ، وذكروا أن الامبراطور كان كثيرا مايبدى ملاحظات انتقادية على العمل اليومى المنجز ، الذى كان يقدر بحوالى ثلاث أو أربع صفحات يوميا ، كما كان يشير الى بعض النواقص فيما يقدم اليه من مسودات ، وقد استغرقت عملية جمع الفتاوى فترة ثمانى سنوات ، وقدرت تكاليفها المالية بحوالى ثمانية لخات من الروبيات أى (٨٠٠٫٠٠٠) روبية (وهذا يعادل — على أساس النظام النقدى الحديث والتطورات الاقتصادية الطارئة — حوالى ثلاثين لخا من الروبيات ، أى ثلاثة ملايين روبية) .

وقد جمعت الأحكام الفقهية باللغة العربية ، وسميت (بالفتاوى العالمكيرية) ، واحتوت على عرض موثوق به لأحكام الشريعة وقوانينها واجتهاداتها ، وعلى علوم الدين ، واتخذت صفتها الرسمية على شكل مرسوم امبراطورى ، وقد ترجمت هذه الفتاوى فيما بعد الى اللغة الفارسية بناء على رغبة ابنة الامبراطور (٤) .

مصادر الفتاوى ومحتوياتها :

نظرا الى أن الامبراطور نفسه كان مهتما بعملية جمع الفتاوى ، فانه يقال

بان مجموعة الفتاوى استندت بصورة رسمية على المراجع الموثوق بها فى أحكام السنة والمذهب الحنفى ، وتسجل مجموعة الفتاوى هذه خطوة رائعة فى تاريخ قوانين الشريعة الاسلامية بالهند ، وبالنظر لأساليب العمل التى اتبعت فى اعداد مجموعة الفتاوى والترتيب النظامى لموضوعاتها فانها تتفوق على جميع المجموعات الفقهية التى تم اعدادها فى الهند سابقا ، وعلى الأخص منها (الفتاوى التتارخانية) فى زمن الامبراطور فيروز شاه تغلاق فى القرن الرابع عشر الميلادى و (الفتاوى الابراهيم شاهية) المنسوبة الى ابراهيم شاه شاركى فى القرن الخامس عشر ، وان الكتب التالية تعتبر من اهم مراجع الشريعة الاسلامية والاجتهاد وعلوم الدين التى تم الاستناد اليها فى تحضير مجموعة الفتاوى العالمكيرية :

١ ــ (الهداية) لبرهان الدين أبى الحسن على بن أبى بكر الفرغانى المرغينانى (٥١١ ــ ٥٩٣ هـ) وقد كتب هذا الكتاب بصورة متواصلة خلال ثلاثة عشر عاما .

٢ ــ (الوقاية) و (شرحها) لعبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة .

٣ ــ (النقاية) لصدر الشريعة ، مع شروح : الشيخ تقى الدين أبى العباس احمد بن محمد الشمنى ، والشيخ زين الدين عبد الرحمن بن أبى بكر المعروف بابن العينى ، والشيخ عبد الواجد بن محمد ، والشيخ علاء الدين على ابن محمد ، والعلامة قاسم بن قطلوبغا ، والشيخ محمود بن الياس الرومى ، ومولاى شمس الدين محمد الخراسانى القهستانى ، وابى المكارم بن عبد الله ، والملا على القارى .

٤ ــ (كتاب الطحاوى) وهو المعروف بشرح معانى الآثار ، للامام أحمد ابن محمد بن سلامة الازدى .

٥ ــ (كنز الدقائق) لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى .

٦ ــ (كتاب القدورى لأبى الحسين أحمد بن محمد القدورى .

٧ ــ (المحيط) لبرهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد بن الصدر الشهيد .

٨ ــ (المحيط) لرضى الدين محمد بن أحمد السرخسى .

٩ ــ (الجامع الصغير) للامام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى .

١٠ ــ (المبسوط) ويقال له (الأصل) للامام محمد أيضا .

١١ ــ (الكافى) للحاكم الشهيد جمع فيه ستة من كتب الامام محمد .

١٢ ــ (منية المصلى) لسديد الدين الكاشغرى .

١٣ ــ (فتح القدير) للمحدث الفقيه ابن الهمام (بالنسبة للأجزاء الخمسة الاولى من شرح الهداية وتكملته (نتائج الأفكار) للمفتى أحمد شمس الدين قاضى زاده (بالنسبة للأجزاء الباقية) .

١٤ ــ (النوازل) للامام أبى الليث السمرقندى .

١٥ ــ (بدائع الصنائع) لأبى بكر بن مسعود الكاسانى .

١٦ ــ (السراج الوهاج) لأبى بكر بن على الحدادى شرح به القدورى .
١٧ ــ (كتاب الزاهدى) لنجم الدين مختار بن محمود الزاهدى شرح به القدورى .
١٨ ــ (المنتقى) للحاكم الشهيد .
١٩ ــ (البحر الرائق) لزين الدين بن نجيم .
٢٠ ــ (العناية) للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد البابرتى .
٢١ ــ (جامع المضمرات) لجمال الدين يوسف بن عمر الكادورى ، شرح به القدورى .

ومن المؤلفات القيمة التى تم الرجوع اليها بالاضافة الى ماورد ذكره :

القنية ــ زيادات الجامع الكبير ــ المختار ــ الذخيرة ــ غاية البيان ــ البرجندى ــ البناية ــ الزبدة ــ التهذيب ــ الاختيار ــ فتاوى قاضيخان ــ الفتاوى التتارخانية ــ معراج الدراية ــ التمرتاشى ــ الجوهرة النيرة ــ غياث السرنجى ــ جواهر الاخلاطى ــ الفتاوى البزازية ــ ــ فصول العمادية ــ الفتاوى السراجية ــ التجنيس ــ مختار الفتاوى ــ خزانة الفتاوى ــ الفتاوى الكبرى ــ الفتاوى الصغرى ــ الحاوى للقدسى ــ الفتاوى المحبية ــ خزانة المفتين ــ النهر الفائق ــ مجمع البحرين ــ التنوير ــ الشمنى ــ خزانة الفقه ــ البرهانية .. الخ ..

وقد جمعت هذه المؤلفات كلها ، ودرست بعناية فائقة ، وفحصت محتوياتها فحصا دقيقا ، وصنفت حسب درجة الوثوق بها ، وذلك لغاية الاستعانة بها فى عملية جمع الفتاوى العالمكيرية ، وكان على القائمين بعملية جمع هذه الفتاوى أن ينظموها بحيث يمكن استخراج مبادىء عامة منها قابلة للتطبيق ، ويزيلوا ما علق بها من خلافات ، أو ما كان منها مثارا للشك أو الجدل .

وقد تم تبويب الفتاوى :

أ ــ المقدمة وتشتمل على سبب تأليف الكتاب وفضل الملك اورانك زيب فى ذلك ، وأن جامعيه اقتصروا فيه على المفتى به من المسائل الفقهية ، ومن ظاهر الرواية فى المذهب الحنفى غالبا ، والاشارة الى اصطلاحهم فى عزو النصوص الى مراجعها ..

ب ــ الفصول الرئيسية وتشمل الموضوعات والكتب التالية :

كتاب الطهارة ــ كتاب الصلاة ــ الزكاة ــ الصوم ــ والمناسك ــ النكاح ــ الرضاع ــ الطلاق ــ العتاق ــ الأيمان ــ الحدود ــ السرقة ــ السير ــ اللقيط ــ اللقطة ــ الاباق ــ المفقود ــ الشركة ــ الوقف .

كتاب البيوع ــ كتاب الصرف ــ الكفالة ــ الحوالة ــ كتاب أدب القاضى ــ كتاب الشهادات ــ كتاب الوكالة ــ كتاب الدعوى ــ كتاب الاقرار ــ كتاب الصلح ــ المضاربة ــ الوديعة ــ العارية ــ الهبة والاجارة ــ كتاب المكاتب ــ

وكتاب الولاء ـ وكتاب الاكراه ـ كتاب الحجر ـ كتاب المأذون ـ كتاب الغصب ـ كتاب الشفعة ـ كتاب القسمة ـ كتاب المزارعة ـ كتاب المعاملة (أى المفارسة) ـ كتاب الذبائح ـ كتاب الاضحية ـ كتاب الكراهية ـ كتاب الرهن ـ كتاب التحرى ـ كتاب أحياء الموات ـ كتاب الشرب ـ كتاب الأشربة ـ كتاب الصيد ـ كتاب الجنايات ـ كتاب الوصايا ـ كتاب المحاضر والسجلات ـ كتاب الشروط ـ كتاب الحيل ـ كتاب الخنثى ـ كتاب الفرائض .

وقد اشار الذين قاموا بعملية جمع الفتاوى الى المصادر المعتمدة التى جمعت منها الآراء الفقهية . كما أنهم ذيلوا هذه الآراء بتعليقات حول المفتين الذين ادلوا بتلك الآراء ، وشملت عملية جمع الفتاوى جميع ميادين الشريعة الالهية التى اعتمدت فيما بعد لتكون المرجع القانونى الأساسى الى جانب المؤلفات المعروفة فى فقه الشريعة .

وقد تناولت محتويات الفتاوى المذكورة كل مظهر من مظاهر الحياة الاسلامية الاجتماعية والدينية للفرد والمجتمع على السواء ، وعلى هذا الأساس خصصت فصول مستقلة للأمور العائدة للمعاملات الفردية والاجتماعية وللسلوك الدينى ، ولادارة القضاء ، ولشؤون الدولة الداخلية والخارجية .

واحتوت الفتاوى على قواعد محددة للتفسير والتأويل ، ورغبة فى حسن تفهم المسائل الفقهية بشكل مناسب فقد رؤى أن يستخدم جامعو الفتاوى اصطلاحات توضح المسائل المبحوثة ، وعلى هذا الأساس ، استخدم التعبيران التاليان ، وهما : هو الصحيح ، وهو الأصح ، للتمييز بين قوة الآراء الفقهية التى تم جمعها والتى تتعلق بمسألة معينة من المسائل الفقهية ، وكذلك الحال بالنسبة لتعبير : (عليه الفتوى) وهذا للدلالة على أن الرأى الفقهى مسند الى سلطة افتائية ، (*) وتعبير (عليه الاعتماد) وهو يعنى بأن علماء الشريعة يثقون بالرأى الفقهى موضوع البحث ، واذا اخذ عامة الناس برأى شرعى ما يشار حينئذ الى هذا الرأى بعبارة : (عليه عمل الأمة) . أما اذا كان التعامل الجارى يأتلف مع رأى شرعى فيشار اليه بعبارة : (عليه العمل اليوم) . وهذه التعابير المستعملة لتمييز الآراء الفقهية قد اختيرت بشكل يمكن معه بيان الرأى الفقهى المفضل .

كل ما سلف يدل دلالة واضحة على ما للفتاوى العالمكيرية من قيمة كبيرة ، وما لها من وضع مرموق بالمقارنة مع غيرها من كتب الشريعة والاجتهاد فى العالم الاسلامى ، وفى الحقيقة يقال بأنه ليس هناك من عمل فقهى يماثل ما تتصف به الفتاوى العالمكيرية من ميزات خاصة بها حتى اصبحت مرجعا أساسيا فى كل الاقطار الاسلامية حتى بلدان العالم العربى (٥) .

وقد تميز عهد الامبراطور أورانك زيب فى تاريخ الهند بادارة قضائية وقانونية نزيهة . والادارات التالية كانت الادارات الرئيسية فى الدولة :

أ ـ ادارة الخزينة العامة والايرادات تحت اشراف الديوان المالى .

ب ـ البلاط الملكى تحت اشراف خان الزمان أو كبير الحجاب .

جـ ـ النفقات وادارة المحاسبة العسكرية تحت اشراف البكشى الامبراطورى .

د ـ الهبات الدينية تحت اشراف الصدر الأعظم (ويدخل تحت اشرافه أيضا أمور الاحسان والصدقات) .

هـ ـ القوانين المدنية والجزائية تحت اشراف كبير القضاة .

و ـ مراقبة الأخلاق العامة تحت اشراف المحتسب .

ز ـ وفى نطاق الادارة القضائية يعتبر قاضى القضاة القاضى الأعلى .

وكانت ادارة الولايات تسير على هذا النمط نفسه مع بعض التغييرات المحلية ، ويروى المؤرخون بأن الامبراطور كان فى مناسبات عديدة ينتقد الأحكام الصادرة عن المحاكم الدنيا ، وكان يشعر بأن بعض هذه المحاكم لا تلم الماما كافيا بالقوانين ، وكان هذا بالاضافة الى الرغبة السائدة آنذاك ، من الاسباب الرئيسية التى حملت الامبراطور على تنفيذ مشروع جمع الفتاوى (٦) .

وفى مجال الادارة القضائية صدر الأمر بأن توضع الفتاوى موضع التطبيق والتنفيذ ، وهكذا فقد ورد عن بعض المؤرخين ورواها السيد م . ب احمد (الصفحة ١٨٦ وما يتبعها) بأنه كما جاء فى الجزء السادس (الصفحة ٢٤٩ ـ ٣٧١) من الفتاوى العالمكيرية : (لا يجوز اتلاف سجلات القضايا ويجب اتاحتها بناء على الطلب الى المحاكم الأخرى) .

(انظر الامر الصادر عن أورانك زيب فى قضية عظمة الله ضد غلام محمد فى الباقيات ص ٥ وكذلك ص ٢٤ ، وانظر كذلك سفر العوض ص ٦) وعندما كان أورانك زيب يعيد قضية ما لاعادة النظر فيها لم يكن يكتفى باعطاء توجيهاته الى المحكمة التى أعيدت القضية اليها ، وانما كان يشير الى القواعد والاجراءات التى غفلت المحكمة عن اتباعها ، وفى قضية استئنافية تتعلق بموضوع كفالة وجد أورانك زيب اجتهاد المحاكم الدنيا معيبا (بوجه شرعى) (انظر الكلمات الطيبات) وبالاضافة الى ذلك أدخل الامبراطور اصلاحات قانونية تبعا لحاجات زمانه ، فقد روى أنه أدخل نظام السجن الاحتياطى ، الذى أخذ به فى قانون أصول المحاكمات الجنائية لعام ١٨٩٨ م فى عهد الادارة البريطانية ، كما أصدر أوامره بأن يبت فى القضايا الجنائية بسرعة ودون أى ابطاء ، وكذلك أوعز بضرورة تعيين وكلاء للدفاع عن المتهمين المعوزين ، وقام بالاضافة الى ذلك باصلاح نظام الاستئناف ، وهذا كله غيض من فيض مما قام به أورانك زيب من خطوات اصلاحية (٧) . ويقال بأن العلاقة بين الجهاز القضائى والجهاز التنفيذى فى عهده كانت على العموم حسنة ، ومما لا شك فيه أن شخصية الحاكم كانت عاملا أساسيا فى حسن ادارة الدولة ، ففى عهد عالمكير كانت قرارات المحاكم تحظى بالطاعة كما كان القضاة يتمتعون باحترام فائق ، ومن الأمثلة البارزة فى هذا

الصدد أن السيد ميرزا كوتشاك حاكم لا هور أصدر أوامره مرة باجراء تحقيق في بيت السيد على أكبر قاضي لاهور الذي كان يشك بأنه أقدم على قتل اثنتين من امائه وقد فضل حاكم لاهور أن يقدم على الانتحار على أن يذهب لمقابلة أورانكزيب ليشرح له ملابسات قتل القاضي على أيدي رجال الشرطة بسبب محاولة القاضي منع رجال الشرطة من اجراء التحقيق (٨) . ومثل هذه الأمثلة التي رواها ساركار (الجزء الخامس ص ٤٢١ ، خافي خان الجزء الثاني ص ٤٣٦) تدل دلالة واضحة على أن خضوع القضاة لسلطة الملك لم تؤثر على حريتهم القضائية (٩).

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد ٣ صفحة ٩٩ وما بعدها من الطبعة التاسعة ادنبره .

(٢) للتفاصيل انظر مآثر عالمكيرى ، عالمكير ــ ناما ، رقعة عالمكيرى ، منتخب اللباب ، فتوحات عالمكيرى .

(٣) مآثر عالمكيرى ٤١ ــ ٦٤ ، ٦٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٣ ، ٢٤١ (ترجمة ج ، ن ساركار) ، أسس القانون الدولى (مقدمة أ. بلييه ، باريس ١٩٠٤) دى ليجاسيونيبوس ليبرى تريس لالبريكو جنتيلى (ترجمة ج. ج. لينج) طبعة ج. ب. سكوت ١٩٢٤ ، ستة كتب ذات فائدة عامة لـ.ج بودان . (ترجمة ر . كنولز لندن ١٩٠٦) ، س . هـ ــ الكسند روفيتش ــ الكسندر : سيادة المغول والقانون الدولى : دراسات فى القانون (كلية قانون باتنا ، الـكتاب الذهبى التذكارى) ص ١١٥ وما بعدها (دار النشر الآسيوية ١٩٦١ بومباى) .

(٤) ن ب . ا . بيلى : البيع فى الشريعة المحمدية ، ملاحظات مبدئية ، (١٨٥٠) ، م . ب . أحمد : ادارة العدالة فى الهند فى العصور الوسطى ٤١ (١٩٤١ عليجرا) ، هـ. م. اليوت : تاريخ الهند ، المجلد السابع ١٦٠ ، تحليلات هارينجتون ، المجلد الاول ٢٤١ . الفتاوى العالمكيرية (الترجمة الاردية طبعة ديوباند ١٩٦٥) جزءا ص ١٦ ــ ٢٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ــ المجلد الثانى الكراسة ٣٦ (الطبعة الجديدة ١٩٦٤) ص ٨٣٧ .

* سقط عند الكاتب ذكر ٢٠ بابا مفرقة ، وقد استدركناها من كتاب الفتاوى ، العالمكيرية وأضفنا كلا منها فى ترتيبه (ادارة الموسوعة) .

** تعبير « عليه الفتوى » ليس معناه كما فهم الاستاذ الكاتب ان الراى مستند الى سلطة افتائية ، اى صادر عن دار فتوى اومفت رسمى بل معناه فى اصطلاح المذهب الحنفى انه هو الراى الذى يجب العمل به (ادارة الموسوعة) .

(٥) ج.ن.ساركار ، الادارة المغولية ، ٢٢ ، الفتاوى العالمكيرية (الترجمة الاردية ديوباند ١٩٦٥) جزء ١ ص ١٦ ــ ٢٤ ، خافى خان : منتخبات اللباب (المكتبة الهندية) المجلد الثانى ٢٥١ ، بيلى : المختار من الشريعة المحمدية ، المجلد الاول ص ٧ ، ٨ ، م. ب. أحمد : المصدر السابق ٤١ وما بعدها .

(٦) انظر مآثر عالمكيرى ٥٢٩ ، تجلى نور ٧٧ ، ٩٨ ، ١١٩ وما بعدها ، م.ب. احمد ٤٢ ، ج ن ساركار : تاريخ أورانكزيب المجلد الثالث٨٤ ، مرآة أحمدى تعليمات الامبراطور الىحاكم جوجرات) ، الفتاوى العالمكيرية المجلد الخامس ١٠٦ ــ ٢٥١ (الطبعة الاردية المعادة ١٩٦٤ فى لاهور باسم الفتاوى الهندية) .

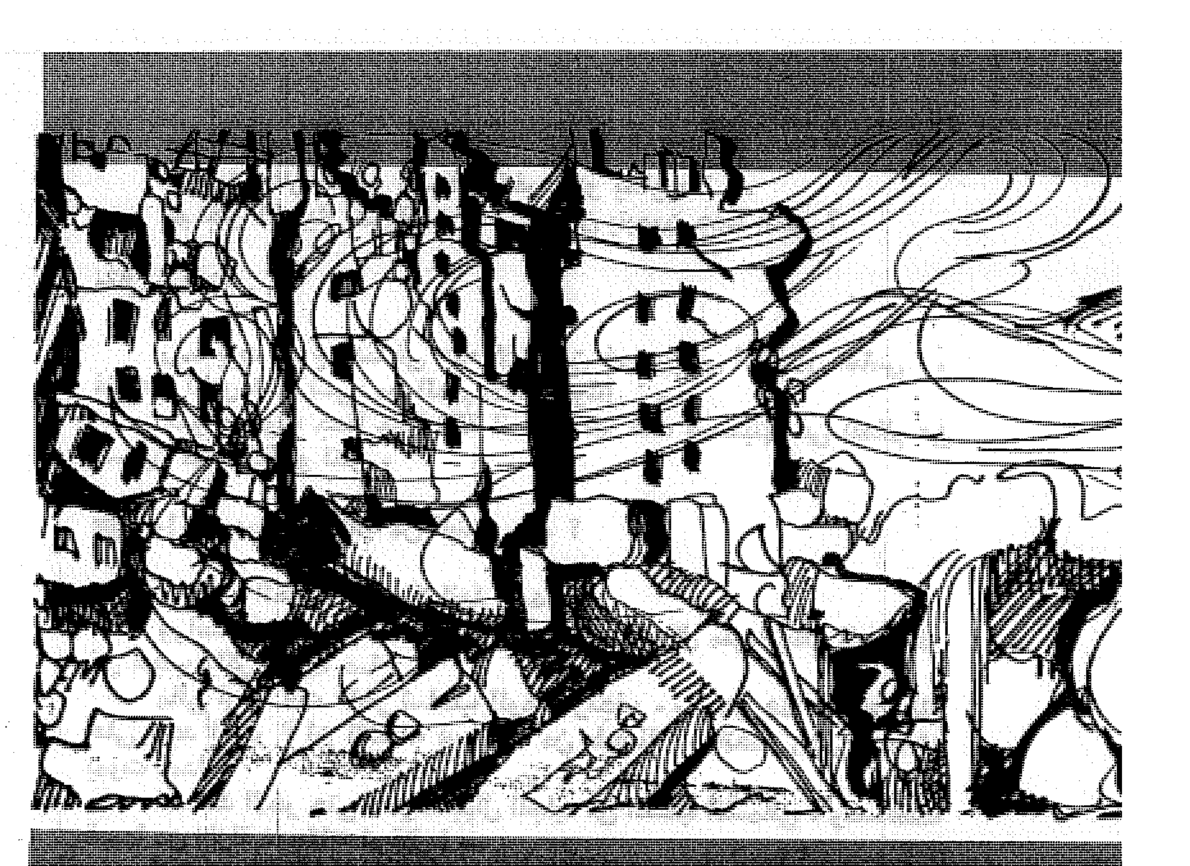
(٧) انظر عالمكير ناما ١٠٧٦ وما بعدها ، زمانوشى : تاريخ المغو لر ا.س . لندن م.ب. احمد: المصدر السابق ٢٠٦

(٨) م. ب. أحمد ٢٧٦ ، (مانوشى) ستوريا الجزء الثانى ٢٥٤ .

(٩) المصدر السابق ص ٢٧٣ وما بعدها ومراجعها .

قصة من
الأدب
الديني

مخاوف إبليس



لوحات : أ . محمد حبيب البوهي

شعر الفتى بالإرهاق الشديد .. فقد توالت الأحداث وتكاثرت .. وأخذ بعضها برقاب بعض ... وكان يلهث بالليل والنهار ... كي يوالي إرشاد أتباعه ... وأنصاره .. عما يجب أن يفعلوه ... وكان قد اتخذ له أماكن إقامة مختلفة — في فيتنام وكمبوديا .. وأمريكا اللاتينية وأمريكا غير اللاتينية !! .. وجنوب أفريقيا والتبت وغيرها .. وغيرها ..

لقد كانت له مراكز في كثير من هذه الأماكن .. غير أن محل إقامته في الشرق الأوسط لم يكن في الشرق نفسه ... وإنما كان زوايا أقوام آخرين في الغرب .

إنه يوسوس في هذه الزوايا .. فتجد خفافيش الزوايا السوداء .. من الرؤوس إلى الأيدي فتوقع قرارات — بإرسال المزيد من الطائرات والقذائف والصواريخ !! الأسلحة والعدوان في الشرق الأوسط .

على كل حال .. ليس هذا هو المهم ... إنما الحقيقة أن الفتى شعر بأنه مرهق .. متعبا ... مريض — وكان يلمز شناخيب الزجاجة مرتجف الأوصال ...

وقال الذين من حوله : ستكون محنتنا الملعون .. إنه يحمل على عاتقه أعباء جنات الملايين من البشر .

وقال شيطان صغير لشيطان آخر وهو يحاوره : ـ
كم تظن النسبة المئوية من الناس الذين يتبعون جدنا الكبير ؟

فقال صاحبه : ـ

ربما يزيد اتباع جدنا فى هذه الأيام عن خمسين فى المائة من الناس ..
فضحك الذى عنده شىء من العلم الأسود وقال : ـ
سوف يموت جدنا كمدا لقلة أنصاره اذا قلت نسبتهم فى العالم عن تسعين فى المائة أو أكثر .

■ تقول تسعين فى المائة من البشر ... ؟

هذا هو الحد الأدنى والا انهار كمدا
ورانت فترة من الصمت على الاثنين .. كان كل منهما ينظر الى الآخر فى عجب ولكن اولهما صاح :
مالى أراك أنت الآخر شاحب الوجه ترتجف .. ؟ هل هذا اشفاق منك على الجد الكبير ؟ ان الشفقة ليست من طباعنا .. اتخشى على ابينا ان يموت كمدا ؟
فضحك الآخر حتى اهتزت جبال الجليد فى القطب الشمالى ، وتساقطت قممها من زلزلة ضحكاته ثم قال : ـ
لا تخف يا اخانا فان ابانا لن يموت ... الموت امل عظيم لن يتحقق لأحد منا ... لقد امهلنا الى آخر الدهر ... ثم نساق يوم الساعة الى الهول الكبير ... لقد تحدثت عن موت جدنا على سبيل الأمنية التى لن تتحق ... الموت نعمة حرمنا منها ... علينا أن نواصل حمل هذه الرسالة السوداء .. التى ناء بحملها عبر الأجيال جدنا ابليس حتى اصيب بالارهاق الشديد .
وبينما كان هذان الشيطانان الصغيران على هذا المنوال فى الحديث ... اذ هب اعصار شديد اقتلع الأشجار من جذورها ، ثم انفجر زلزال اطاح ببنيان مدينة كانت قائمة على مقربة منهما ... وانتشرت ريح عفنة حتى هم احدهما أن يسد أنفه فضربه الآخر على يده وقال : لا تفعل ... فان هذه هى ريح جدنا ..... انه على وشك الوصول وهذه هى علامات قدومه ..
وفجاة سمعا التحية التقليدية : عليكما اللعنة ...
فسجدا حتى مست الأرض منهما الجباه وصاحا فى صوت واحد : ـ
اللعنة الكبرى لسيادتكم ... لعنت اينما كنت يا ابانا .. يا من يفرخ الشر ويتضاعف فى ركابك ..
فرح ابليس الكبير بهذه التحية ، وطلب اليهما ان يستويا قائمين وقال : ـ انه كان فى اقصى الغرب حيث أقيم حفل كبير فى بلد هناك . قال قائل منهما : ـ حفل كبير فى بلد غربى ..!! ولكن لماذا تحظى الاطفال هناك بتشريفك اياها .. ؟
زم الشيطان شفتيه اسفا لغباء حفيده وقال ـ
يبدو أنكما لا تطالعان جريدة .... « على الدنيا الخراب » ..
فظهر الأسف فى وجهيهما وقالا : ـ

لأول مرة سوف نقول الحق ... فاغفر لنا هذه الخطيئة ... اننا لم نعد نقرا صـــحيفة « على الدنيا الخراب » منذ ان تركت انت تحـــرير المقال الرئيسى فيها .
فقال الجد .. هناك لذلك عدة اسباب ... أولها انه لم يعد هناك من سبب كبير للكتابة .. ان الخراب لم يعد فى حاجة الى وصف ، والذين يخربون بيوتهم بأيديهم لم يعودوا فى حاجة الى توجيه ، انما أنتم ايها الأغبياء ما زلتم فى حاجة الى المزيد من العلم الأسود ، هيا معى الى الأعالى ، سوف نرتفع فوق الأرض الف ميل كى تنظروا اليها فتبدو لكم كالكرة الصغيرة فى يد طفل ، وحين تدور تحت أنظاركم فسترون الأحداث التى تجرى عليها كانها رواية مما يشهده البشر فى دور الصور المرئية .
وتم تنفيذ ذلك ، واخذ الشياطين ينظرون الى الأرض من بعيد ، وكانت احداثها تجرى تحت عين كل شيطان لقد بدت الكرة مشتعلة من اقصاها الى اقصاها ، ودخان المدافع ، والقنابل ، والبارود ، يكاد يغطيها ، وتصور احد الشياطين أنها تبدو تافهة ، وفى مقدوره بقبضة يده ان يحطمها ، وقرا صاحبه ما يدور فى خلده فقال له : حذار أن تفعل ـ لقد اصبحت الأرض بهذه الصورة قرة لأعيننا .
واخـــذت الأرض تدور وتدور ... مرات ومرات .. تـــحت انـــظار الشياطين ... وكلما دارت دورة راوا نارا يتطاير شـــررها ، ودخانا يعم البقاع ، وسمعوا صراخا يتبعه صراخ ، وقبورا تحفر .. واخذ احد الشياطين يصفق بيديه فرحا مسرورا وهو ينظر الى الكرة من الشرق ومن الغرب ، ومن الشمال ومن الجنوب ، فلا يجد شيئا غير الصراخ والعويل ، حقول تحترق ، ودور تنهار ، اطفال ابرياء يدفنون احياء تحت جدران مدارسهم ... مصانع تتحطم .. اشجار تتهاوى .
وقال احد الشياطين لصاحبه وهو يحاوره : ـ
أتظن اننا نحن الذين نصنع كل هذا .. ؟

فاجابه الآخر قائلا ، كيف تتصور هذا أيها الأحمق .. انهم هم انفسهم الذين يتولون النصيب الأكبر من الأمر . كل ما كان علينا ان نغرس البذور .. ونتركها تنمو .. ولقد فعلنا ، ولكننا نستعد الآن لجولة أخرى ... اننا سوف نضع بذورا اخرى ، وهذه البذور الجديدة سوف لا تؤتى اكلها الشيطانى على الفور ، سياتى موعدها بعد حين .
قال الشيطان الصغير : واين نضع هذه البذور ؟
قال الشيطان الكبير : سوف نهبط الى الأرض ، وسنجول فى حقول جديدة ـ هى مزارعنا الجديدة . وهبط ابليس ومعه تلميذاه فى مكان ما ، فى اقصى الغرب ، حيث وجدوا مئات من بنى البشر ـ رجالا ونساء ـ عراة كما ولدتهم امهاتهم يذهبون ويجيئون متعانقين فى غير مبالاة بشىء .
مئات من العورات مكشـــوفة فى غير حيـــاء ، واعمال مخزية تتم فى سعادة ، وهم الشيطان الصغير ان يخفى عينيه لولا ان ضرب جده على يده وقال : هؤلاء هم الذين يصنعون المستقبل لنا . فتساءل الصغير وماذا تسمى هذا ... ؟
قال الكبير : يمكنك ان تسميه انحلالا . هيا معى الى مكان آخر .
وانطلق الشيطان الكبير وتلميذاه الى حيث مئات ومئات اخرى ...

رجالا ونساء ... صبية وفتيات ، اكواما فوق أكوام ، وقد تدلت شعور الرجال والفتية فاصبحت مثل شعور النساء سواء بسواء . يتدافعون نحو صيدليات تمدهم بصنوف مختلفة من المخدرات ـ يسرعون بها الى الأرصفة ويتهادون متعانقين تحت ضربات موسيقى قوية مزعجة معربدة ، ذات جلاجل ، كانما تحركها يد الجان .

ودخان يتصاعد من الأركان .

قال الشيطان الذى يريد ان يتعلم : وما هذا ؟

ما هذا النوع الآخر من البذور ؟ لقد علمت ان البذور الأولى هى الانحلال .. ؟ فما هذه ؟

قال الجد : يمكنك ان تسميها المخدرات ..

قال الشيطان الصغير : ولكنى ارى الذكور يطلقون شعورهم فيما يشبه الضفائر ، وهم يتفاخرون بما يصنعون ، واسمعهم يطلقون على انفسهم اسماء مخزية ..

قال ابليس : ـ

انهم يسمون انفسهم (الخنافس) وهو اسم يدل على منتهى ما وصلوا اليه ، هوام خرجت من الجحور لتعيث على سطح الأرض ، الا يدل هذا الاسم الذى اختاروه لأنفسهم على مستواهم !! انهم خنافس ـ انهم بذلك يفرحون ... انهم بهذا الوصف يتفاخرون ، هلا سموا انفسهم أسودا .. أو نمورا .. او حتى جيادا أو حميرا .. ؟

لا .. انهم لم يفعلوا ، لقد صدقوا فى وصف انفسهم ... خنافس .. انه الاسم الذى ينطبق تمام الانطباق على الذين يأخذون انفسهم بالانحلال ، والمخدرات . لقد ابتلعوا الطعم الذى القيناه اليهم فصاروا خنافس ، ومن يدرى فلعلك تسمع بعد ذلك انه سيكون من ذريتهم من يطيب لهم ان يطلقوا على انفسهم صراصير ، ومن يدرى ايضا .. فلعل الأمر يصل بنفر من بنى البشر أن يستمروا فى هذا التحول ليكون منهم بعد الخنافس فئات مثل الخنازير ، والقردة ، والخفافيش وابناء آوى ..

هلل الشيطان الصغير ، وضرب بيديه ، ورقص ، فتلك مناظر سوف تكون رائعة .. سوف يرتد الذين خلقوا فى احسن تقويم الى أسفل سافلين ..

واخذ ابليس بايدى تلاميذه وراح يطوى الأرض طيا .. غير انه فى جوف الليل .. فى مكان ما فى الشرق بدت مآذن .. وساحات .. ورجل ينادى ، وقد اوشك النهار ان يبين ... بأن هناك ماهو خير من النوم .

ان الرجل يقرع طبلا ، وهناك آخر يصعد الى مئذنة ، ويرسل فى سمع الدنيا الأذان الرائع ... وراح الشيطان يتطلع الى البيوت والى الطرقات فاذا قوم يسيرون ، يلبون النداء ، مهطعين الى الداع ... فى وجوههم نور ، وبين أيديهم نور .

قال الشيطان الصغير متسائلا .. من هؤلاء ؟ وما هذا الذى يصنعون ؟

قال جده الكبير فى غيظ كظيم : اولئك الذين لو اشتدت يقظتهم لضاع امرنا ، وتهدم بنياننا ، انهم حراس الحقول الذين ناموا عنها فقمنا فى غفلة ووضعنا البذور .

هؤلاء الذين لو اشتدت يقظتهم فان الأمر سوف يتبدل .

وضحك الشيطان الصغير مرة أخرى ... لو ...



تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد العالمى :

انتهينا فى عدد سابق من استعراض مختلف المجالات الدولية التى هى بحاجة ملحة الى موسوعة الفقه الاسلامى .

وقبل ان ننتقل الى بحث آخر نشعر ان ثمة سؤال يفرض نفسه وينبغى ان نتعرض للاجابة عليه ، وهو : أليس فيما كتبه المستشرقون عن الشريعة الاسلامية ما يغنى ويسد الحاجات التى تحدثنا عنها فى الاعداد الماضية ؟

ونحب اولا ان نشير الى وجود العديد من اقسام الدراسات الاسلامية فى الجامعات الاوربية والامريكية التى تعتنى بتدريس الشريعة الاسلامية ، كما تشرف على رسائل دكتوراه لمن اراد البحث فى الشريعة . وكذلك يقوم الاساتذة المستشرقون بتأليف الكتب للدراسات الجامعية وغيرها فى موضوعات فى الشريعة الاسلامية .

وليس فى نيتنا أن نستعرض قوائم الكتب والابحاث ، حتى لا يضيع القارىء فى متاهة كتابات المستشرقين بمختلف اللغات ، اذ الحقيقة انها تعد بالمئات ، وانها بدأت مبكرة منذ القرن الثامن عشر ومعظمها اصبح نادر الوجود لا يحصل عليه الا فى دور الكتب الخاصة بهذه المراكز الاستشراقية ، وسنكتفى هنا بالاشارة الى بعض ما انتجه المستشرقون المعروفون فى مسائل الشريعة الاسلامية فى السنوات الأخيرة :

— خطوط عريضة فى الشريعة المحمدية لآصف فيضى الهندى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٥٠٠ صفحة .

— مصادر الفقه المحمدى ليوسف شاخت الألمانى الأصل (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٣٠٠ صفحة .

— مدخل للشريعة الاسلامية ليوسف شاخت (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٢٠٠ صفحة .

— المختار من الشريعة المحمدية (وهو مختصر للفتاوى الهندية) لنيل بيلى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٨٠٠ صفحة .

— دراسة فى الشريعة الاسلامية المقارنة للينانتدى بلفوند الفرنسى (باللغة الفرنسية) فى حوالى ٩٠٠ صفحة .

— مدخل لدراسة الشريعة الاسلامية للويس ميليو الفرنسى

(باللغة الفرنسية) فى حوالى ٨٠٠ صفحة .

— مصـــادر وتطور الشــريعة الاســلامية لمجيد خدورى (باللغة الانجليزية) فى حوالى ٣٥٠ صفحة .

— ويتضح من هذه الامثلة ، وهى قليل من كثير ، ان انتاج المستشرقين على صعيد الفقه العام الاســلامى لا يعدو ان يكون دراســات موجزة تتناول جميع فروع الشــريعة فيما لا يتعدى الألف من الصفحات ، وغالبا ماتكون الآراء مستمدة من مذهب واحد او مذهــبين من مذاهــب الـفقه الاســلامى ، مما لا يجــد طالــب الاسترادة بغيته فيه .

— هذا من جهــة الحجم ومدى التوسع فى الدراسة .

اما من جهة صحة الآراء المنسوبة الى الفقه الاسلامى وسلامة الحكم عليها ، فاننا نجد الكثير من الاخطاء غير المقصودة ومن القصور فى فهم الآراء وعرضها ، وهذه نتيجة طبيعية لصــعوبة المراجع الفقهية القديمة ووعورة مسالكها على ابناء العربية انفسهم ، فلا غرابة ان تكون اشــد استغلاقا على غير المســتمكنين من اللغة العربية .

هذا كله مع افتراض حسن النية لدى بعض المستشرقين فى دراسة الشريعة وعرضها ، اما بالنســبة للحاقدين منهم على الاسلام وبعضهم من اليهود والقساوسة فلا غرابة فى ان تنطوى كتاباتهم على الــكثير من الدس الخبيث والتحــريف الملتوى المعمود ، والافتراء ، وكل ذلك يتلقاه القراء ولا سيما الاجانب ايضا بحسن نية . وهيهات ان يســتطاع دفــع ما تثيره هذه الكتابات من شبهات ، مع انتشار هذه الكتابات فى مختلف بقاع العالم وبمختلف اللغات .

فمن كل ما تقدم يتبين ان ما يكتبه المستشرقون عن الشريعة الاسلامية لا يمكن ان يسد الحاجات التى تحدثنا عنها ، بل ان تصحيح الاخطاء الواقعة فى كتابات المستشرقين انفسهم — عن قصد أو عن غير قصد — هو احدى الحاجات الجوهرية التى تتطلب سرعة انجاز موســوعة الفقه الاســلامى وترجمتها الى اللغات الاجنبية .

بهذا نــكون قد انتهينا من عرض وجوه الحاجة الى الموســوعة على الصعيد العالمى ، وسنبدأ فى العدد القادم باذن الله عرض وجوه الحاجة اليها على الصعيد الاســلامى والله الموفق .

اخبار الموسوعة

تجــرى الآن المراجــعة النهائية لموضــوع الحوالة وهو الموضــوع الثالث من الطبعة التمهيدية وسيقدم الى المطبعة قريبا ان شاء الله .

وستكون طباعته بحرف اصغر مما طبــع به الموضــوعان الســابقان « الأشــربة » « والاطعمة » وذلك استجابة لملاحظات وردت الى الادارة بهذا الخصــوص ولتكون اقرب الى حجم الحرف المالوف فى الموسوعات العالمية .

هذا وســيتتابع باذن الله نشــر موضوعات اخرى من الموضــوعات الناجــزة والموجــودة حاليا بملفات الموسوعة والتى اصبح عددها اربعين موضــوعا ، وذلك فور الانتهاء من مراجعة كل منها .

ويؤمل فى المستقبل ان يسير عمل

المراجعة بسرعة اكثر متى تمت زيادة عدد الاساتذة المراجعين وهو ما يجرى الآن السعى له فى نطاق خطة تدعيم اجهزة العمل فى ادارة الموسوعة وزيادة فاعليتها .

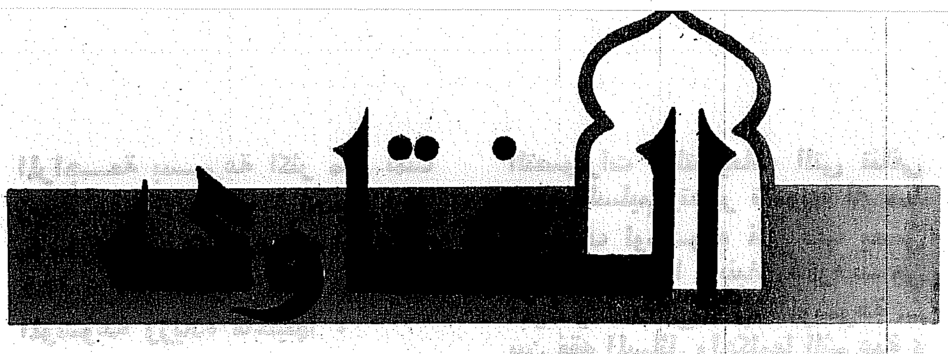
بريد الموسوعة

ورد من الاستاذ المفضال الشيخ عبد الجليل عيسى استيضاح عما اذا كانت خطة الموسوعة تقضى بنقل كل ما ورد فى كتب الفقه من آراء وخلافات ، حتى الآراء الفاسدة التى وردت فى بعض كتب المتاخرين والتى تتجافى مع أصول الاسلام العامة كاجازتهم اسقاط الصلاة بالطريقة المعروفة والتى يبرا منها العلم والدين وان ذكرها بعض الفقهاء المتاخرين مثلا ، وكذا ذكر ما به يعتق الميت من العذاب بقراءة الصمدية كذا الف مرة ، ويسمونها عتاقة ، وما يزعمه بعضهم من ان السنة قد تزرى بالمسلم وعلى ذلك ترتكب البدعة وتكون هى السنة ... فما موقف الموسوعة من مثل هذه الآراء المنكرة : هل تنقلها فى جملة الخلافات مع العلم بان المسلمين يرتقبون الموسوعة على انها دين الله الحق الخالص من الشوائب ... وهى جهالات بل ضلالات ، أو تهملها ، وعند ئذ قد يغتر بصحتها بعض الجهلة ؟

وقد اجابه الاستاذ خبير الموسوعة مبينا خطتها التى ينبغى ان يراعيها كتابها فى هذا الشان ويتلخص جوابه بما يلى :

١ — ما كان من آراء بعض المتاخرين المذهبيين الذين عرفوا بالاغراب فى التصويرات والتفريعات التى تنافى الفقه السليم وتعتبر تشويها له مما يؤسف لوجوده فى كتب بعض المتاخرين ، لهذا لا ينبغى ذكره — فى الموضوعات التى تكتب للموسوعة — بين فقه المسائل واحكامها الشرعية ، وذلك كالطريقة المعتادة بعد وفاة الانسان لاسقاط ما فى ذمته من صلوات متروكة ، ويسمونها عملية (سقوط الصلاة) التى فى صورتها المعتادة هى بالمهزلة المضحكة اشبه ، وقد ذكرها (مع الاسف الشديد) بعض المتاخرين من فقهاء المذاهب ، والمؤسف اكثر من ذلك ان يوجد من فقهاء العصر البارزين المعدودين فى فئة المجددين من يدافع عنها وينشرها فى مجلة الازهر ، ويراها صورة عملية من الدين ، وهى ليست سوى غفلة وشرود ذهن عن مقياس مقاصد الشريعة وقواعدها التى تابى قبول الاحتيال على الله تعالى ومن هذا القبيل حيل اسقاط الزكاة . فكل ذلك مما يجب دفنه لا نشره ، لأنه من تلويثات الفقه وليس من الفقه . ولكن المهم هو تحديد ما ينطبق عليه هذا الوصف كى يعرف الكاتب ما ياخذ وما يدع . ولا سبيل الا ترك تقدير ذلك للكاتب نفسه . وستكون هناك مراجعة لما يكتب وتنقيح اذا تسرب شىء من ذلك الى الموضوعات المكتوبة .

على انه لا باس بان يشير كاتب الموضوع فى الحاشية اشارة تنبيهية الى هذه الآراء الفاسدة المنكرة اجمالا لا تفصيلا ، فى مناسباتها من الموضوع للتحذير من اغترار احد بها وظن صحتها وجواز الاعتماد عليها بين الآراء والخلافات الفقهية المحترمة .



الحج اولا او الزيــارة

السؤال :

هل الافضل لمن اراد الحج ان يبدأ به او بالزيارة ؟

الاجابة :

يقول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسـبق جوابا على هذا السؤال : ـــ

اتفق فقهاء السلف على جواز البدء بأيهما شاء ، وعلى افضلية البدء بالمدينة للزيارة اذا كانت فى طريقه الى مكة تيسيرا له وتخفيفا ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا خير بين امرين يختار ايسرهما وأهونهما ، واختلفوا فيما هو الأفضل بالنسبة لمن ليست المدينة فى طريقه الى مكة ، كأهل مصر مثلا ، فذهب علقمة ، والأسود ، وعمرو بن ميمون ، الى افضلية البدء بالزيارة لا حراز فضيلة الاحرام من ميقات المدينة الذى أحرم منه الرسـول صلى الله عليه وسـلم فى حجته .

وذهب من التابعين الى افضـلية البدء بالحج ، عبد الـرحمن بن يزيد ، وعطاء ، والنخعى ، ومجـاهد ، واخـتاره أبو حنيفة وأحمد ، وبه أفتى الليث السمر قندى .

ومأخذ ذلك ، على ما يظهر لنا ، اعتبار الأصالة والتبعية ، كما صرح به النخعى ، ومجاهد ، فيما روى عنهما : « اذا أردت مكة للحج او العمرة فاجعل كل شىء لهما تبعا » سواء أكان الحج فرضا أم نفلا ، واليه يشير حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . **« من حـج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى »** رواه الدار قطنى ، والطبرانى فى الكبير والأوسط من طريق حفص بن سليمان القارى عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر ، وحفص قد وثقه أحمد وحديثه الآخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : . **« من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى »** .

وقال صاحب الفصول نقلا عن صالح وأبى طالب : « اذا حج للفرض لم يبدأ بالمدينة لأنه اذا حدث به حدث الموت ، كان فى سبيل الحج ، فاذا كان تطوعا بدأ بالمدينة » أ هـ . ومقتضى ماذكر أن الخلاف انما هو فى الحج المفروض .

أما فى النفل : فيبدأ بالمدينة للزيارة ، ثم يحرم من ميقاتها للنسـك ، وقد نقل الاتفاق على ذلك ، ولكن قد علمت مما سبق اطلاق القول بأفضـلية البدء بالنسك سواء كان فرضا أم نفلا .

وكذلك القول فيمن يسافر بقصد العمرة ، والزيارة ، وليست المدينة فى طريقه الى مكة ، فالأفضل له على القول الأول البدء بالزيارة ، وعلى الثانى البدء بالعمرة كما صرح به النخعى ومجاهد .

ويظهر لنا ترجيـح القول الثانى فى الحـج والعمرة باشـارة الأحاديث

السابقة ، فيبدأ بالنسك ثم يتبع بالزيارة ، وان رجح السمهودى الأول ، والسعيد من وفقه الله تعالى لأدائهما على اى نحو كان ، والله اعلم بالصواب .

فــى النســـب

تلقى الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير الموسوعة الفقهية هذا السؤال من أحد الشباب المسلمين المقيمين فى أوربا :

السؤال :

عن شاب زنى بامراة هناك ، ثم اتت بمولود قالت انه منه ، ونظرا لاهمية الموضوع من الوجهة الاسلامية ، ولكثرة شبابنا الذين يقيمون فى البلاد الاجنبية لفترات طويلة للدراسة او سواها ، راينا نشر الجواب فيما يلى :

الاجابة :

ان الزنى المحض لا يثبت به نسب من الرجل الزانى ولو تحقق أن الولد منه . وان النسب يثبت بالاقرار أو بالدعوى بأن يدعى بأن هذا الولد ولده او أن يقر بذلك ، ولو لم يبين سببا شرعيا من زواج ونحوه ، فيحمل على سبب شرعى حملا ، اى يفترض افتراضا انه ابنه بسبب شرعى كزواج غير مشهور أو وطء بشبهة ، وذلك بشرط أن يكون الولد مجهول النسب ، . (أى ليس له نسب ثابت قبلا من رجل معروف بأنه أبوه) وأن يكون المدعى بالنسب والمقر به لم يعطف البنوة على الزنى ، أما اذا قال هو ابنى من الزنى ، فانه لا عبرة عند ئذ لدعواه أو اقراره ، لأن الزنى ليس سببا للنسب ، ولا يثبت به ولو حصل المتحقق بأن هذا الحمل من هذا الزنى ، وأن ثبوت النسب بالدعوى أو الاقرار دون بيان سبب شرعى هو حكم القضاء الذى يبنى على الظاهر اذا وقعت أمامه الدعوى أو الاقرار ، وليس معناه حل هذا الادعاء أو الاقرار ديانة ، فاذا كان الرجل يعلم أن الولد ليس ابنا شرعيا منه لا يحل له ديانة ادعاء نسبه أو الاقرار به ، لأنه بذلك يثبت به حقوقا غير شرعية فى الواقع تزاحم ذوى الحقوق الشرعية من مالية وغير مالية .

هذا حكم الشريعة فى مختلف المذاهب الفقهية بل فى أوسعها ، لا أعلم فى ذلك خلافا وانما يثبت نسب ولد الزنى من أمه فقط فى أوسع المذاهب ، وتترتب بينه وبينها أحكام الأمومة والبنوة من حرمة ونفقة . فان لم يكن لأمه مال فنفقته فى بيت المال .

والنفقة بسبب القرابة فرع عن تلك القرابة نفسها : فحيث لا نسب فلا نفقة واجبة شرعا فى حكم القضاء ولو مع العلم بأنه ولد زنى منه .

هذا قانون الشرعية الذى يقضى به القاضى .

ولكن هذا لا يمنع من أن يشعر الأب من الزنى (اذا تحقق أن هذا الولد ثمرة زناه) بواجب أدنى نحو هذا الولد الذى جنى هو عليه ، وكان هو السبب فى مجيئه الى الدنيا منقطع النسب ، فقدم الى أمه فى صغره واليه فى كبره نفقة تقيم أود حياته .

يتضح مما تقدم انه اذا لم يعترف بأنه ابنه فى بلاد تلزمه بالنسب أو بحقوق قضائية لو اعترف بذلك ، فانه لا اثم عليه شرعا وانما الاثم محيط بعنقه من ذلك الزنى وهو الجريمة الاصلية ولا سيما اذا كان غير متحقق أنه من زناه ، وكون الأم كانت بكرا لا يكفى لهذا التحقق ، اذ قد تكون بكرا حين زناه بها ، ثم تخالط غيره بعد ذلك لا سيما فى بلاد تفشى فيها الزنى عمليا ، واعتادته واستباحته كبلاد أوروبا والله سبحانه أعلم .

بأقلام القراء

« الاسلام ومسئولية الفرد فى المجتمع »

كتب الشيخ حماد محمد حماد الواعظ بالقاهرة تحت هذا العنوان يقول : —

القوة فى نظر الاسلام ليست الا طريقا من طرق الاصلاح العام وسبيلا من سبل السلام بارهاب المفسدين فى الأرض ، ورد كيد المعتدين الآثمين ، قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف) . وقال الشاعر :

النواميس قضت الا يعيش الضعفاء
كل من كان ضعيفا أكلته الأقوياء .

لقد كنا فى زيارة اخوتنا وأبنائنا من الضباط والجنود فى جبهة القتال على خط النار فوجدنا والحمد لله رجالا وأبطالا رابضين كالأسود يتحينون الفرصة للقاء العدو انهم شعروا بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقهم ، وهى تحرير هذه الأرض السليبة ، وقد آلوا على انفسهم الا يعودوا الى ذويهم الا اذا تحررت هذه الأرض ، وعاد اليها أصحابها اللاجئون . لقد نظرنا الى عيونهم فرأينا فيها العزم والتصميم والارادة الصادقة لتطهير هذه الأرض ، ورأينا سواعدهم القوية وقلوبهم الفتية المليئة بالايمان العميق .

رأينا صورا مشرقة حقا تحيط بها البطولة والتضحية والفداء ، فاذا طلب قائد عددا من الجنود ليقوم بعملية خاصة تقدم اليه عدد كثير ، كل منهم يريد أن يأخذ هذا الشرف لنفسه ، ليرجع باحدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة ، انها حقا صور تذكرنا بقول ابى بكر الصديق رضى الله عنه (احرص على الموت توهب لك الحياة)ومما أدخل السرور على قلوبنا وسيعجل لنا النصر القريب بعون الله أننا رأيناهم وهم على خط النار يؤدون الصلاة فى أوقاتها ، فقد استوى عندهم حى على الصلاة وحى على الجهاد . ان العالم العربى والاسلامى لينظر الى ابنائنا على خط النار فى كل مكان نظرة التقدير والاجلال ، نظرة الترقب والاصرار ، ينتظرون منهم الوثبة الخالدة التى تمحو العار وتطهر الأرض . أما نحن فعلينا الآن أن نقوم بالمسئولية الأخرى ، وهى مد المقاتلين بالمال والسلاح والكلمة الطيبة والمشاركة الوجدانية لرفع روحهم المعنوية ، بمعنى أن نعيش معهم وهم على خط النار بوجداننا ومشاعرنا وحواسنا ، فلا يكون قوم من أبنائنا جادين يضحون بالدم الغالى فى سبيل الشرف والكرامة والحرية ويكون قوم منا هازلين منصرفين قد نسوا احتلال أرضهم ، ونسوا الثأر الذى بيننا وبين أعدائهم .

لقد شحنت اسرائيل جنودها فى معركة ٦٧ بالروح المعنوية ١٠٠٪ فأجدر بنا نحن أن نشحن أبناءنا بهذه

الروح المالية الوثابة حتى نسترد حقنا المغتصب . وقد رسم لنا القرآن الكريم طريق النصر على الاعداء فى أوامر عشرة ليعرف كل منا مسئوليته ، وهذه الأوامر اربع منها فى وقت السلم قال تعالى : —
« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . وقد تمهد بها رسول الله وصحابته ، واربع منها فى وقت الاستعداد للمعركة ونحن فيها الآن قال تعالى : —

«ياأيهاالذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » واثنتان فى وقت الاشتباك مع العدو قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، وقد أخذ رسول الله وصحابته بها كلها فكان النصر وكانت العزة والقوة والمنعة .

« اخوان شقيقان »

كتب الأستاذ عبد الرحمن شادى تحت هذا العنوان يقول —

زادت نسبة غزو المرض الرهيب وهو السرطان الذى استعصى علاجه على الأطباء ، وهم يروضونه كما تروض الوحوش المفترسة ، وكثرت ضحاياه وفرائسه للمدمنين على التدخين ، والغريب ان كلمة العلم حين تبتعد عن مرحلة الفروض والتجارب ، وتنتفى من حولها الادعاءات ، وتبلغ غايتها وتستقر فى النهاية على أسس راسخة متينة وتصبح حقا لا مرية فيه ، ويقينا لا يقبل الجدل تتفق حينئذ مع كلمة الايمان ، وكلاهما يصدر عن واهب الوجود ومفيض النعم ..

ولكن الشهوات قد اكتسحت الجميع ، وأصبح التقليد الأعمى سيفا مسلطا على الرقاب لا يستطيع الفرار منه الا القليل .. ومهما نصح الايمان والعلم والعقل والاقتصاد بنى الانسان فهم عن النصح معرضون .

مؤمن عليه أن يحارب العادات السيئة وأن يعرض عن قرناء السوء ، والمفروض أن تكون فيه الحصانة الكافية ، والمقاومة اللازمة للأمراض والعادات السيئة التى تفد علينا من الغرب ، ولكنه بدلا من هذا انساق فى التيار .

طبيب يعلم الخطـ[illegible] قبل سواه ، ولكنه أسير العاد[illegible] يدخن بشراهة منقطعة النظ[illegible] ،

اقتصادى يع[illegible]م قيمة الأموال وفائدتها اذا استخدمت فى أغراض حميدة ، وضررها اذا استخدمت فى أغراض سيئة ، وانفقت فى مصارف قذرة ، ويعلم بلوى الاسراف ، ولكنه مدخنة بشرية .

عاقل من يحمد التجربة بعد أن سار فيها فترة طويلة من الزمن ، وهو ينصح أبناءه أن لا يكونوا مثله ، ولكن كلامه فى واد .. وملازمته للدخينة اكثر من ملازمته للرغيف فى واد آخر ، ليت هذه الأموال الطائلة التى تقدر بملايين الجنيهات فى كل بلد توجه الى منابع الثروة ومصادر الأرزاق .

اتفق الأخوان الشقيقان العلم والايمان على عداوة الدخان فهل يكون لهذا الاتفاق ثمرة فى الاعراض عنه ، واذا كانت هذه عادة سيئة مذمومة بالنسبة للدول الغنية ، فكيف تقلدها الدول النامية التى تحارب الفقر ..



فلينظر الانسان مم خلـــق

نشرنا في عدد جمادى الأولى ، لهذا العام ، الحلقة الأولى من سلســلة الحلقات التى يكتبها تحت هذا العنوان ، الدكتور محمد ســلام مدكور ، رئيس قســم الشريعة الاســلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، وقد بعث الينا الأخ سفيان كامل برسالة من امريكا ، يقول فيها ان هذا الموضوع يتصــل بدراسته ويســتفسر عن بعض النقاط التى وردت في المقال ، وقد احلناها على الدكتور فتفضل بالاجابة الآتية :

اننا اذ نشكر لسيادة السائل اهتمامه بالموضــوع او تعلقه به ، وحسن ادبه لتجنظاته الكريمة في خطابه ، فاننا نبدأ اولا بتوجيهه الى ان المقال ليس مقالا طبيا ، وليس كاتبه طبيبا او متخصــصا في علم الأجنة ، وانما هو متخصص في فرع من فروع الشريعة الاسلامية ، كما ان المقال ليس الهدف منه بيان دقائق خلق الانسان في مراحل تطوره ، مما يظهره علم التشريح وعلم الأجنة ، وانما الهدف من ذلك العرض النظر والتامل في خلق الله ، الذي احسن كل شيء ليؤمن بقدرته جل شــانه على بعثه بعد الموت ، ويحاسبه على ما قدمت يداه في دنياه ، حتى يتعظ فيستقيم امره وتحسن سيرته .

وتنحصر استفسارات السيد السائل في الآتي :

١ — المجاهر .. بالجمع .

٢ — الظلمات الثلاث ..

٣ — الاعتراف قديما بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الانسان ..

٤ — الترائب في قول الله « يخرج من بين الصلب والترائب » .

٥ — الأغشية الصماء ..

٦ — بصمات الاصابع ..ونجيب بالآتي :

١ — جمع مجاهر صحيح من ناحية القياس ، مثل مكتب ومكاتب ، والجمع هنا مقصــود به ما يقابل المفرد ، لان المخترع حينما اخترع المجهر صنع منه عدة افراد ، سواء اكانت من نوع واحد أم من انواع مختلفة فان الجمع هنا لا يفيد اكثر من ان هناك شيئا متعددا من هذا النوع ، سواء اختلفت صفاته أم اتحدت ، على انه لا مانع من أن نقصد في التعبير بالجمع الانواع المختلفة التى ظهرت للمجاهر في قولنا : (وما كان للبشرية ان تلمس هذه الحقائق التى اشار اليها القرآن من خلق الانسان ومراحل تطور الجنين لولا اختراع المجاهر ..) فان هذا كما تقول : اننا قبل اختراع الطائرات ماكنا نستطيع ان نصعد الى الفضاء او نحلق في الجو ، ولو انك قلت : قبل اختراع الطائرة لاوهم خلاف المقصود ، اذ قد يوهم ان المخترع انما هو طائرة واحدة ..

٢ — الظلمات الثلاث تعبير قرآني سليم ، والظلمة لاتدل على مكان ولا غشاء ، وانما هي وصف

يقوم بالمكان فيجعله مظلما ، وهذا التفسير للتعبير القرآنى ليس من اختراعنا ، وانما هو كلام ائمة التفسير ، ويريدون به ان الظلمة حلت فى المكان الذى به الجنين ، وزادها تكاثفا تعدد الطبقات . فالمشيمة وان كانت غشاء الا انها تحوى الجنين ، وهى داخل الرحم الذى هو داخل التجويف البطنى ، وكلها لا ينفذ اليها الضوء . وهذا كما وصف القرآن الكريم الظلمات بان بعضها فوق بعض . « أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » ، فهذا يعنى ان الظلمات وجدت فى البحر ، وزادت بسبب تكاثف هذه الاجسام فحالت دون وصول الضوء والنور ، فكان المشبه « اذا اخرج يده لم يكد يراها » لوجود هذه الظلمات .. على ان المشيمة وان كانت تتكون من اغشية فانها تصير مكانا يحوى الجنين ، وتقع داخل الرحم الذى يقع اسفل البطن فهو فى مكان مغلق داخل مكان مغلق .

٣ ـ اما عن استفساره الثالث عن التعبير فى قولنا : « وكثيرا مادفع التخبط والحيرة فى امر خلق الانسان البعض قديما الى الاعتراف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ، فراى فريق ان المادة الحية (البروتبلازم) لا تخضع فى تفاعلها للقوانين العادية ، ولكنها تتم بتداخل قوى خارجية غير عادية ، وقد مثلنا بما قاله اخناتون ، وما انتهى اليه ارسطو فهو يسال عن مدى هذا ، القدم وارتباطه بمادة البروتبلازم » .

ونحن نذكره بان موضوع مقالنا (فلينظر الانسان مم خلق) لتوجه الناس الى وجود الخالق وقدرته ، وان الاتجاه الى معرفة الخالق عن طريق النظر فى خلق الانسان عرف قديما جدا ، فقد قال اخناتون ، فرعون مصر ، الذى وجه الناس الى دين الله الواحد ، وبين لهم مافى خلق الانسان وتكوينه من دقة تدل على الخالق وقدرته : (... يامانحا الحياة للصغير فى بطن امه ، متوليا شئونه فى الرحم ، انك تمنح القدرة على التنفس كى يبقى كل من تخلقه حيا لحين خروجه من الرحم) . ومن المعروف ان اخناتون كان فى عصر قبل الميلاد باربعة عشر قرنا .

فنحن لم نقل ان اخناتون عرف اسم البروتبلازم ، وانما هو يتحدث عن المادة الحية التى عبر عنها العلم الحديث بالبروتبلازم ، ولذا وضعناها بين قوسين .
وكذلك بالنسبة لما قلناه عن ارسطو فانه قد نظر الى بيض الدجاجة والتطورات التى تمر بها حتى يخرج منها الجنين ، وانتهى من نظره وتامله الى ان هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية ، وهذا الموجه القادر شىء فوق طاقة البشر .

فنحن لم نقل ان اسم البروتبلازم قد عرف فى عهد ارسطو ، ولم نقل ان ارسطو درس ذلك فى المعامل وبالاجهزة ، انما خرج بهذه الدراسة نتيجة التامل والنظر الذى جاءت دعوة الله اليه « فلينظر الانسان مم خلق » الذى هو موضوع المقال .
٤ ـ الترائب فى قول الله تعالى : « يخرج من بين الصلب والترائب » فالسائل يستفسر عن كم عظام الصدر ، وكيفية اتصالها بالمبايض ، ونحن نقول لسيادته : اننى لست طبيبا أو متخصصا فى علم التشريح ، وانما انا مشتغل بعلوم الشريعة الاسلامية ، ومتخصص فى فرع منها وهو الفقه الاسلامى ، وما قلته من تفسير للترائب هو ما قاله المفسرون قديما ، ومدون بكتبهم ، وليس من اختراعنا .
وقد يكون هناك اتصال على اى وجه كان ، بين صدر المراة والمبايض ، مما يجعل ما قاله المفسرون لا يبعد كثيرا عما ينتجه علم التشريح ، وخاصة ان الشرايين تمتد فى الجسد فى جميع الاتجاهات .
٥ ـ الاغشية الصماء ـ يسال سيادته ما المقصود بالصماء ؟ فنقول المراد ان هذه الاغشية لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الهواء ، والتعبير بالاغشية الصماء مصدره ، كتب اساتذة كلية العلوم واساتذة كلية الطب ، ولادة وامراض نساء ، (راجع للدكتور نجيب محفوظ كتابه فن الولادة ، وللدكتور عبد الحليم كامل بحثه المنشور بمجلة منبر الاسلام ، عدد رجب سنة ١٣٨٤ هـ ، والدكتور

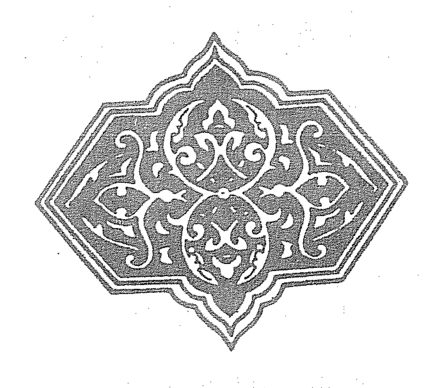
ايدث سيرول فى كتابه جسم الانسان ، ترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمى ، وغيرها من المراجع التى اشرنا اليها فى كتابنا (الجنين والأحكام المتعلقة به فى الفقه الاسلامى) سنة ١٩٦٩ ، الذى نشرته دار النهضة العربية بالقاهرة) .

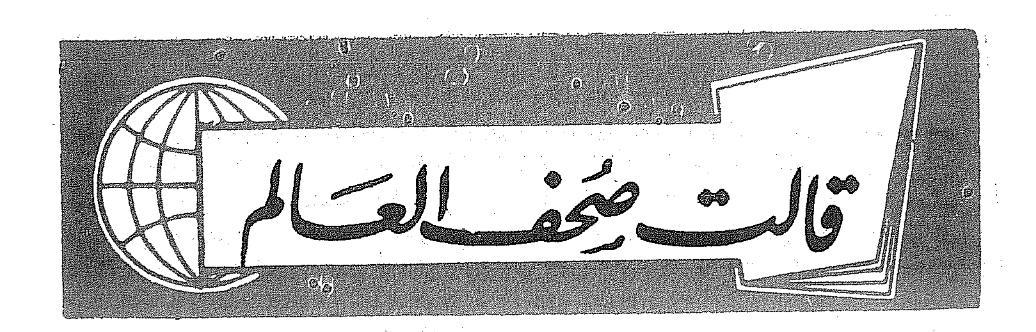
أما ترتيب خلق الحواس الذى يسال عنه سـيادته فقد بينته هذه الكتب والبحوث وذكرته فى كتابى المذكور ، وقد لا يتسع هذا الرد لذكره ، على اننا قد نتعرض له فى هذه السلسلة من المقالات ان وفقنى الله ، واتسعت له صفحات المجلة .

٦ – بصمات الأصابع ، ويسال اخيرا سيادته ماهى علاقة البصمات بخلق الانسان ، وتطور الجنين ، ويقول المعروف ان البصمات معجزة من معجزات خلق الجنين ، ونحن نقول له : اننا بصدد بيان فضل الله علينا ، وعظمة قدرته ، وانه خلق فى كل انسان بصمات تختلف عن غيره ، من سائر أفراد البشر ، نشير الى ذلك ونربطه بقول الله تعالى ((بلا قادرين على ان نسوى بنانه)) فقد قال كثير من المفسرين المتأخرين فى الزمن : ان المقصود بتسوية البنان الاشارة الى هذه البصمات ، وسنبين ذلك فى موضعه من المقالات المتتابعة التى سنقدمها لمجلة الوعى الإسلامى لتتكرم مشكورة بنشرها .

واخيرا فان سيادته يسال عن كيفية تغذية الجنين ، وعلاقته بالام ، وكيفية تطور اقسام الجسم ومقاومة الامراض ، ووراثة الصفات .. ونحن نقول له اننا سنشير الى ذلك فى سلسلة المقالات التى سنوافى بها المجلة بعون الله تعالى ، ومع ذلك ففى وسع سيادته ان يراجع كل هذا فى كتابنا الذى اشرت اليه ، ولا ينسى اننى استاذ مادة الشريعة الاسلامية ، وان أساس بحثى اسـلامى ، وأن مقارنتى بالطب وبعلم الأجنة لمجرد تقريب الاطوار – التى يمر بها الجنين ، والتى اشار اليها القرآن الحكيم – لذهن القارىء ، والله سبحانه الموفق والعاصم من الخطا ، فان كان فى شىء مما قلته او اقول خطا فمنى ، واستغفر الله عليه ، وان كان قد وفقنى الله الى الصواب فمن الله ، وهو جل شانه اعلم بالصواب .

واخيرا فانى اشكر للقارىء اهتمامه بالموضوع ، وحرصه على التفهم ، كما اشكر لادارة المجلة توجيه السؤال لى للاجابة عليه ، وفقنا الله جميعا لخدمة الاسـلام والمسلمين ، ولتبصـير الناس بحقيقة الدين ، وان الله سـبحانه جعل فى خلقنا آية ومعجزة ، ولو نظرنا فى انفسـنا لآمنا به ، وايقنا أنه على رجعنا لقادر .... والسلام عليكم ورحمة الله .





كيف دخل الاسلام الصين

ومن مقال بهذا العنوان نشرته صحيفة الاخبار القاهرية نقتطف ما يلي :

انهم يزيدون عن خمسين مليونا .. وهم من اكثر المسلمين تدينا فى الدول الشيوعية .. ونسبة كبيرة منهم على المذهب الحنفى .. وهم يحبون العرب وتتحدث نسبة كبيرة منهم العربية .. وهم يمثلون عشر قوميات .. ولديهم أربعة آلاف جامع .. والمعهد الاسلامى الدينى عندهم يشبه الأزهر لدينا يتخرج فيه رجال الدين .. وقد سمح لهم بالسفر الى الحج سنة ٥٢ ولهم عضوان مسلمان فى الحكومة المركزية .. وتمثيل فى مجالس النواب ..

ويتركز المسلمون فى اقليم سينكيانج فى الشمال الغربى .. حيث تعيش جماعات (اليوغر) المسلمة وهى تركية الاصل ويزيد عددها على ٥ ملايين نسمة وقد منح هذا الاقليم استقلالا ذاتيا .

والى جانب ذلك توجد عناصر أخرى من الصينيين (الهان — والكازاخ — والمغول — والغوى — والخاخا — والأوزيك — والتتار) . ويتركـز المسـلمون فى اقليمى (كاسـو وتنجسـياخوى) — المستقل — ذاتيا والذى يوجد فى الركن الجنوبى الغربى من نهر هوانج (النهر الأصفر) ، ويعيش شعب (الغوى) المسلم حول هذا النهر حتى اعالى نهر (هوانج) بين مقاطعات كانسـو وهونان وتشنغهاى ، ويوجد مسلمون ايضا فى مقاطعة (يونان) فى جنوب الصين وفى منطقة (زتشوان) الى الجنوب .

ولكل قومية من القوميات المسلمة عدد من النواب فى مجالس نواب الشعب فى درجاته المختلفة وذلك بالنسبة لمجموع السكان .. ويحتل المسلمون عددا من المناصب الهامة فى جميع نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهم على درجة عالية من العلم والثقافة ، وكثير من المسلمين وصلوا الى منصب الرياسة للمناطق المستقلة ذاتيا .

واكبر مقاطعة تضم اكبر عدد من المسلمين هى (سينكيانج) أو تركستان الصينية ، وهى اكبر مقاطعات الصين ، وهى ، تقع بين حدود الصين والاتحاد السوفيتى وجمهورية منغوليا الشـعبية وافغانستان والتبت وكشمير ٨٠ر٠٠٪ من سكانها مسـلمون ، وأغلب مطبوعاتها باللغة التركية (بالحروف العربية) ، واهلها خليط من الاتراك والمغول والايرانيين ، وقد توطد الاسلام هناك فى القرنين الخامس والسادس عشر .

وقد اصبحت تركستان فى العصر العباسى من أقوى المناطق التى تشع الثقافة الاسلامية ، من مدنها (كاشغر وبلخ) وظهر منها الامام الترمذى ، والنسـائى ، والزمخشرى ، والجرجانى ، والخوارزمى ، والفارابى وعلى بن سيناء ، وأبو زيد البلخى ، وأبو ريحان البيرونى .. وهؤلاء وغيرهم كانوا من ائمة العلماء فى العالم قاطبة ، والذين ادخلوا العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والجغرافيا والهندسة وغيرها ..

والحقيقة ان أول صلة بين الاسلام وهذه المنطقة تعود الى القرن السابع الميلادى بعد معركة نهاوند التى اكتسح فيها العرب ايران ، وهرب ملكهم (يزدجرد) آخر ملوك الاكاسرة الساسانيين الى تركستان .. وقد استنجد ابنه (فيروز) بملك الصين لحمايته من العرب ، لكنه اعتذر من بعد المشقة ،

والحقيقة انه كان يخشى بطش العرب ، وان يورط بلاده فى معركة معهم .. ورغم ان الصلة بين العرب والصين كانت متصلة عن طريق التجارة قبل ذلك ، الا أن أول غزو منظم قام به العرب ، كان ايام عثمان بن عفان على منطقة خراسان ، ومنذ هذا التاريخ وهذه المنطقة اساسية للاسلام فى آسيا الوسطى ، واستطاعت الدولة الأموية أن تدعم مكانها ، وان تجتاح جيوش العرب كل منطقة تركستان الشرقية واصبحت (شفر) من اهم المدن الاسلامية منذ ذلك التاريخ وذلك بعد أن استسلمت هذه البلاد تماما فى معارك استمرت ١٢ عاما متصلة ..

وقد شهد القرن العاشر اسلام اكثر من (٢٠٠) الف اسرة اغلبهم من الأتراك بين منطقة طشقند وفاراب .

وكانت مقاطعة .. ((كان سوا)) تعتبر مركز حربيا لتخريج المقاتلين ، وأهم مدنها (لانتشيود) ومعظم سكانها من الأتراك ، وتكتب الحروف باللغة العربية والقرآن يدرس باللغة العربية بحروف عربية ، وللجمعية الاسلامية الصينية فرع ضخم بها لتخريج العلماء .. واغلب السكان يتبعون المذهب السنى وهم خليط من الشافعية والحنفية .

وهذه المنطقة فى الحقيقة هى نافذة الاسلام على الصين الغربية ويمتاز اهلها بمعرفة أصول الفقه واللغة العربية والشريعة الاسلامية وحفظ القرآن .. وهم من اكثر المسلمين فى العالم تدينا .. وشهدت هذه المنطقة حركات دينية مسلمة متعددة ، كان آخرها منذ ٦٠ سنة (حركة اهل السنة) ، وبهذه المنطقة اكثر من ٣٢ مسجدا اكثرها مساجد اثرية تعود الى العصر الأموى والعباسى والتركى . وبها مسجد عبد الرحمن البغدادى وهو من الذين قدموا فى فرقة الانقاذ وقضى نحبه بها .

الاسلام .. والعالم

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة الأهرام القاهرية تقول :

هل يمكن أن يفيد العالم اليوم من العالم الاسلامى .. او ان الاسلام قد ادى رسالته وانتهى .. ؟

أن عدد المسلمين اليوم يربو على ستمائة مليون نسمة ، ولا يدخل ضمن هذا العدد كثير من الأقليات الاسلامية فى المناطق التى لم تخضع الى حصر دقيق حتى اليوم ، أو لم تهتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص .

وهذا العدد الضخم من البشر الذى يتحد فى العقيدة وفى الهدف والغاية . ولا يوجد له نظير فى العالم على الاطلاق ، يتميز عن غيره بالتجاور فى المكان ، والتركز فى قلب العالم ، فدول العالم الاسلامى تتجمع فى بقعة مستطيلة — تمتد دون حواجز ، أو فواصل — من اواسط آسيا الى المحيط الأطلسى ، ومن روسيا فى الشمال الى المحيط الهندى ، وأما فى افريقيا فيتضخم حجم الكتلة ، فتمتد شمالا الى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، وجنوبا الى ما وراء خط الاستواء .

اثر الوضع الجغرافى فى انتشار الاسلام :

فوضع المسلمين الجغرافى هو الذى مكن لهم — ولا يزال يمكن لهم — من الاتصال بغيرهم من البشر والثقافات المختلفة ، فينقلون عنهم — بيسر وسهولة — مالديهم من مبادىء وقيم ، وينقلون اليهم ما يؤمنون به من عقيدة ودين ، فتلقى آذانا واعية وقلوبا متفتحة ، وهكذا انتشر الاسلام فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، على ايدى الأفراد وبجهد الدعاة .

فالفرد المسلم فى اى بقعة من بقاع الأرض يشعر بانه داعية الى الله يعرف الناس بالاسلام وينقل اليهم تعاليمه ، ويبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشعربانه خليفته فى القيام بالدعوة والبلاغ ، وهذا التعريف والتبليغ — فى نظره — فرض عليه ينبغى ان يؤديه فى كل الأحوال ،



اعداد : الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الخامس التكميلى للفصل التشريعى الثاني لمجلس الأمة ثم القى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء في الجلسة الافتتاحية خطابا جامعا اوضح فيه سياسة الكويت تجاه القضايا المحلية والعامة .

● صرح معالى وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر ان الكويت تعمل لتسوية الخلاف فى وجهات النظر بين امارات الخليج .

● اعلن معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أن الوزارة سترسل بعض الوعاظ مع بعثة الحج هذا العام وقال ان الوزارة فرغت من اعداد مدينة للحجاج المارين بالكويت وستكون معدة اعتبارا من هذا العام .

● ساهمت الكويت بمبلغ عشرة آلاف دولار لمساعدة مؤسسة الأيتام الاسلامية فى تايلاند وقد سبق للكويت مساعدة هذه الجمعية بمبلغ ستين الف دولار .

●زار سماحة مفتى لبنان البلاد ، واعلن السيد عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ان زيارة سماحته تهدف الى توطيد سبل التعاون الاسلامى بين البلدين من تبادل العلماء والخبرات الدينية وكل ما يتعلق بأى نشاط اعلامى دينى .

● تبرعت الكويت بمبلغ (١٧٥) الف دولار للصندوق الخاص للأمم المتحدة و ١٥٠ الف دولار لبرنامج المساعدة التقنية التابع للمنظمة الدولية .

● يعقد فى الكويت اسبوع التربية الثالث خلال الفترة ما بين ١٩ — ١٢/٢٤ ويهدف الى تنشئة التلاميذ تنشئة دينية واتاحة كل الوسائل لتوعيته توعية كاملة .

● احيا شهر رمضان المبارك بتلاوة القرآن الكريم والوعظ والارشاد عدد من كبار العلماء والقراء الذين استضافتهم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهرة : اقيم فى القاهرة يوم ٥ من الشهر الماضى مؤتمر كبير فى ذكرى الأربعين لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر وقد تحدث فى هذا المؤتمر رئيسا ليبيا والسودان ومندوبون عن الكويت والأردن وبعض الدول ..

● تم الاتفاق بين المتحدة وزعيمى مسلمى داهومى وتشاد على أن تبعث القاهرة الى المسلمين فى البلدين مكتبات اسلامية ونسخا من المصاحف والمصاحف المرتلة واسطوانات الوضوء والصلاة .

● عقد فى القاهرة فى الشهر الماضى مؤتمر قمة ثلاثى بين رؤساء المتحدة وليبيا والسودان وقد علم ان اجتماعاتهم تهدف الى وضع اصول للتنسيق الكامل بين البلدان الثلاثة .

● اعد الاتحاد العام لتحفيظ القرآن ثلاثة آلاف جائزة وكأسا باسم الرئيس عبد الناصر لمن يفوز فى مسابقة حفظ القرآن التى تجرى يوم الاسراء والمعراج فى العام القادم ٠

الأردن : يقوم السيد الباهى الأدغم رئيس اللجنة العربية العليا لمراقبة اتفاقية القاهرة بجولة في بعض الدول العربية لاطلاعها على الوضع فى الاردن ٠

● ابدت المتحدة والسعودية ولبنان مساعدتها للأردن فى ازالة الأنقاض الهائلة المتخلفة عن الحرب التى دارت بين الجيش والفدائيين ٠

● شكل الملك حسين حكومة جديدة في الشهر الماضي برئاسة وصفى التل وقد اعلن رئيس الوزراء انه يعمل على ــ تنفيذ اتفاقية القاهرة وعمان ٠

لبنان : قام فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى الجمهورية اللبنانية بزيارة الكويت في الشهر الماضي بدعوة من معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية

● اصدر مكتب مؤتمر العالم الاسلامي في بيروت فى الشهر الماضى عدة محاضرات عن حقوق الشعب الفلسطيني واطماع اسرائيل فى القدس والخطر الناجم عن تدويلها ٠

الصومال : في ذكرى ثورة الصومال فى الشهر الماضى اعلن رئيس مجلس الثورة ان الثورة تعمل على تحقيق امانى شعب الصومال ٠

تونس : اجتمع المكتب التونسى لبناة الجمهورية فى دورته الخامسة لتنظيم جهود الشباب والعمل على تنظيم هذه الجهود بين اقطار المغرب العربى فى مجالات التربية وغيرها ٠

المغرب : فرضت حكومة المغرب ضريبة خاصة توجه لمساعدة الشعب الفلسطيني ٠

● قام وفد اقتصادى جزائرى بزيارة المغرب لتوقيع اتفاقية حول اقامة علاقات مباشرة بين الدولتين تشرف على المصاريف فى خزينتى الدولتين ٠

ايران : ذكرت احصائيات رسمية ان عدد سكان ايران بلغ ٢٨٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة ٠

باكستان : تلقى السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية من السيد ابو الاعلى المودودى خطابا يؤكد له فيه ان الجماعةالاسلامية فى باكستان تنظر بالتقدير الى فتح وانها جمعت لها بعض التبرعات وعلى استعداد لمواصلة التعاون معها ٠

طشقند : حث المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى طشقند فى الآونة الأخيرة على الكفاح فى مواجهة الاستعمار والظلم والعمل على حرية الشعوب وتقرير المصير للشعوب المضطهدة ٠

ماليزيا : اعلن تنكو عبد الرحمن سكرتير عام امانة الدول الاسلامية ان وجود كتلة اسلامية بين الكتلتين الشرقية والغربية من شانه ان يحافظ على السلام العالمى ويضع المسلمين فى مسار التقدم فى العالم ٠

● اعلن فى كوالا لا مبور ان احدى عشرة دولة اسلامية اشتركت فى المسابقة الدولية لقراءة القرآن التى اقيمت فى ١٧ نوفمبر الماضى ٠

اندونيسيا : ثبت من فحص دقيق ان المراة التى ادعت انها تحمل جنينا يكلم الناس ويقرأ القرآن انها تخفى مسجلا سجلت عليه آيات من القرآن وكلمات معينة ٠

● اتخذ المؤتمر الاسلامى الافريقى الآسيوى الذى انعقد فى باندونج اخيرا عدة قرارات هامة تمس التعاون الاسلامى الدولى وانشاء بنك اسلامى ومنظمة دولية اسلامية ورعاية الأقليات الاسلامية فى العالم ٠

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

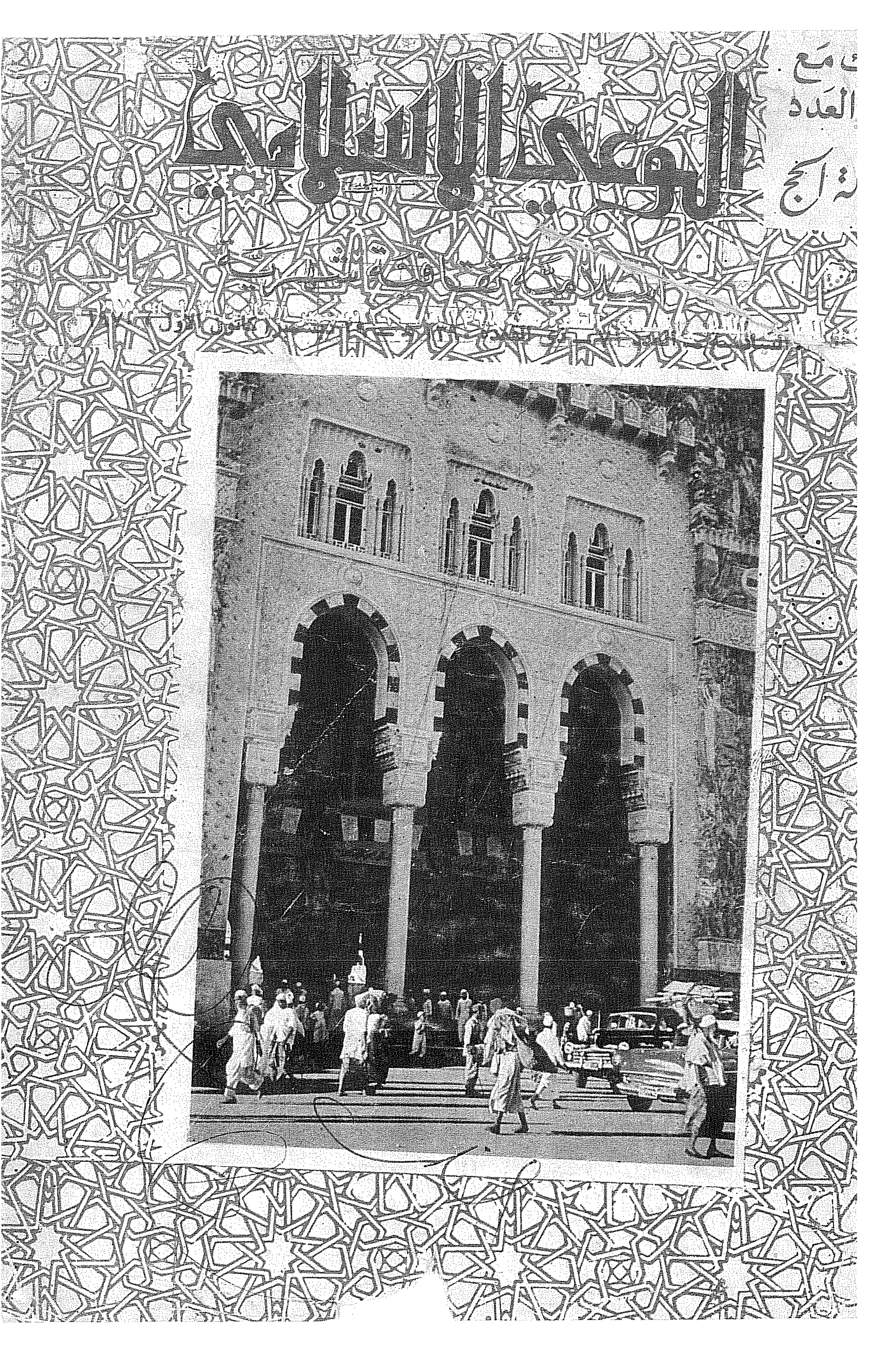
ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

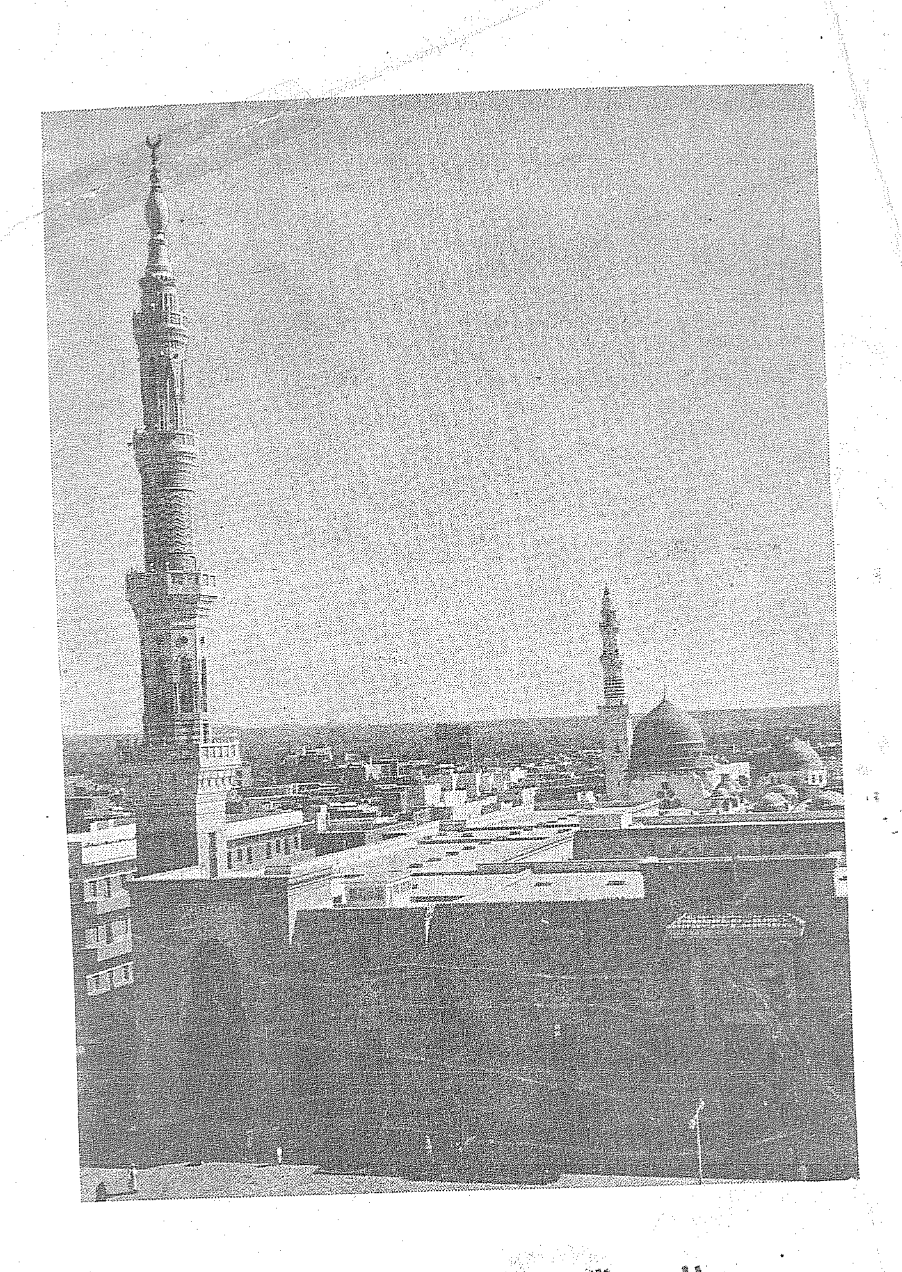
بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

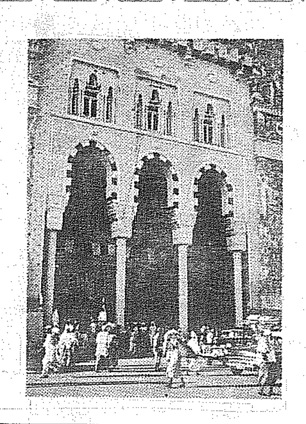
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد


الوعي الإسلامي



المسجد النبوى الشريف والقبة الخضراء .



المسجد الحرام اقدم المساجد وأفضلها ، واوسعها ، ويتكون من طابقين ويتسع لـ ٣٠٠ الف ، وتبلغ مساحته (١٦٠١٦٨) مترا مربعا ، في الصورة منظر رائع لأحد مداخله بعد التوسعة الأخيرة وهو تحفة فنية جميلة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الحادى والسبعون

ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

وقل رب زدني علماً

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت ـ ١٩٧٠/١٢/٥ بافتتاح الاجتماع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية وحفل توزيع شهادات الدرجات العلمية على خريجى الدفعة الاولى من جامعة الكويت .

وقد بدأ الحفل بالسلام الأميرى ، ثم مر موكب أعضاء مجلس الجامعة والأساتذة وبعد ذلك تلا أحد طلبة الجامعة آيات مباركة من كتاب الله . ثم قام وزير التربية صالح عبد الملك الصالح ومدير الجامعة الدكتور عبد الفتاح اسماعيل بدعوة صاحب السمو الأمير المعظم لالقاء النطق السامى التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الضيوف الكرام ، حضرات السادة ، ابنائى الطلاب والطالبات .

انه لمن دواعي سروري ان افتتح اليوم الاجتماع الثاني للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية ، هذا الاتحاد الذى كان انشاؤه فى عام ١٩٦٤ فكرة موفقة ونرجو ان يحقق اهدافه السامية بتوثيق عرى التعاون بين الجامعات العربية الممتدة من الخليج الى المحيط ورفع مستوى العلم الجامعى بما يكفل للشباب العربي بلوغ القدر الامكن من الكفاية والنهوض بالبحوث العلمية والتطبيقية بشتى المجالات . كما يسرنا أن نحتفل اليوم لأول مرة بتوزيع شهادات الدرجات العلمية على خريجى الدفعة الأولى من طلاب وطالبات جامعتنا .

وهكذا شاءت الظروف ان تشاركنا الجامعات الشقيقة فرحتنا بقطف الثمار الأولى لجامعتنا الفتية . كما شاركتنا من قبل منذ حوالي أربعة اعوام فى حفل افتتاح هذه الجامعة التى اردنا لها ان تتوج هامة التعليم فى بلادنا لتكون صرحا شامخا وحصنا للفكر والبحث العلمى .



سمو أمير البــلاد
يتفضل بافتتاح الاجتماع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحــاد الجامعات العربية وحفل توزيع شهادات الدرجات العلمية علــى خريجى الدفعة الاولى من جامعة الكويت .

ودعامة راسخة للمستقبل نصون بها نهضتنا ونقيها عوامــل الجمــود والتخلف .

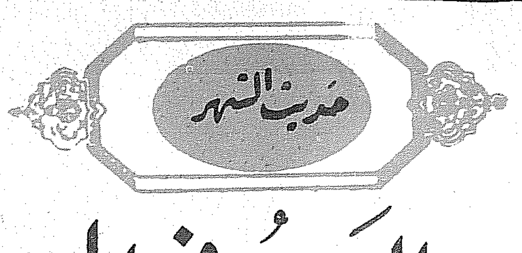
لقد هيأ لكم وطنكم السبل للتزود من العلم فى أعلى مراتبه لــكى تحملوا نصيبكم انتم ومن يأتى بعدكم من الخريجين ، من المشاركة فى بناء هذا الوطن على أساس الايمان والاخلاص والوفاء . وبهــذا يستطيع بلدنا الحبيب أن يجابه تحديات عصر أصبح العلم فيه أمضى الاسلحـــة ، ويسهم فى جهود امتنا العربية من أجل أحياء تراثها المجيــد ، وتحقيق المزيد من تقدمها وازدهارها .

ويطيب لى فى هذه المناسبة أن أقدم لكم من كل قلبى أخلص التهنئة لتخرجكم متمنيا لكم مستقبلا سعيدا مثمرا ، كما يطيب لى أن أوجه التهنئة الى أبناء الخليج العربى وأبناء البلاد الشقيقة والصديقة الــذين تخرجوا معكم بعد أن نهلوا من نفس نبعكم .

وانه ليسعدنى فى ختام هــذه الكلمة ان أوجه أطيب التحية والتقدير الى اساتذة جامعتنا وجميع العاملين فيها والى الضيوف الكــرام الذين شاركونا يومنا هذا .

والله اسأل ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير العميم لبــلادنا وأمتنا العربية والاسلامية والانسانية جمعاء وأن يهىء لنا سبل النصر المؤزر من عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه .



الهَدْيُ في الحج

تكثر الاحاديث فى هذه الايام حول الذبائح التى يتقرب بها الحجاج الى الله تعالى فى موسم الحج ، ومن خلال هذه الاحاديث نلمح ظاهرة غريبة تبدو هينة فى نظر المتحدثين ، ولكنها كبيرة عند الله ، فكل واحد منهم يعطى نفسه ببساطة وسهولة حق الفتيا والجرأة على شريعة الله ، ولو أن هؤلاء المفتين الجرءاء على دين الله ردوا الامر الذى اختلفوا فيه الى الله ورسوله واولى العلم لما وقعوا فى هذا الحرج ، معرضين انفسهم لغضب الله ومقته ، ورحم الله السلف الصالح الذين كان الفرد منهم يوزن بالدنيا علما وفضلا ، ومع ذلك فقد كان لا يفتى فى أمر من أمور الدين الا عن روية ودراية خوفا من أن يدخل تحت طائلة « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » .

أمامى احصائية نشرتها حديثا احدى المجلات الاسلامية ، ونسبتها الى أحد الاطباء البيطريين الذين أشرفوا على المسلخ فى منى خلال موسم الحج الماضى .. تقول الاحصائية أن (٧٤٥٠٠٠) رأس ذبحت فى المسلخ أيام عيد الاضحى ، ولكن التى خرجت من هذه الكمية الضخمة للانتفاع بها هى (٢٠٠٠٠) عشرون الف رأس فقط يعنى أن الباقى من الذبائح وقدره (٧٢٥٠٠٠) رأس دفنت فى التراب ، وذهبت هدرا دون أن ينتفع بها أحد هذا فضلا عن الماشية التى ذبحت خارج المسلخ ، وهذا يعنى على اقل تقدير أن ثلاثة أرباع المليون من الانعام بلحومها وجلودها وأصوافها تذهب كل عام هدرا .

هذه أعداد ضخمة ، وثروة طائلة من غير شك ، وهذه مشكلة قائمة تستلزم التفكير والحل السريع ، ولكن المفتين وأصحاب الحلول يختصرون الطريق ، ويندفعون الى التحلل من أحكام الله ، ويرون الاستعاضة عن الذبح بالنقود وتوزيعها على الفقراء وأصحاب الحاجة ،

ان الأمر لو ترك لأمثال هؤلاء يحللون ويحرمون ، ويتأولون ما لا يفقهون باسم يسر الشريعة وتطورها مع كل زمان ومكان — لأدى ذلك على ممر الايام الى التعديل والتغيير فى صور العبادات ، وما أيسر ذلك على أصحاب القلوب المريضة والافكار الشاذة .

وقد تنبه الى خطر هذه الجرأة على دين الله العلماء الراسخون . قال

الشيخ محمود شلتوت : ان الهدى من شعائر الله التى يجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها واغفالها ، وحسبنا « لا تحلوا شعائر الله » والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة .

ان للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك نزولا على حكم الآية الصريحة الواضحة وهو التقرب الى الله باراقة الدم ، ولله سبحانه أن يتعبد عباده بما يشاء . بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون ، وما كان اختلاف الفرائض فى عدد الركعات والكيفيات وتحديد الاوقات واختلاف مقادير الزكاة والكفارات وسائر ما دخل فى العدد أو اعتبرت فيه الكيفية الا نوعا من التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة .

ان النفع المادى ليس هو كل المقصود من الذبح واراقة الدم ، والذين ينظرون الى الهدى من خلال هذه الزاوية يبعدون كثيرا عن فقه التشريع الذى يربط بين الهدى الذى ينحره الحاج وتقوى القلوب ، أن التقوى هى الغاية من مناسك الحج وشعائره وقد كان المسلمون الاولون يغالون فى الهدى ويختارونه سمينا غالى الثمن ، يعلنون بذلك تعظيمهم لشعائر الله ... روى عن عبد الله بن عمر قال : أهدى عمر نجيبا ، فأعطى بها ثلاثمائة دينار ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى أهديت نجيبا ، فأعطيت بها ثلاثمائة دينارا ، أفأبيعها وأشترى بثمنها بدنا ؟ قال : لا انحرها اياها .

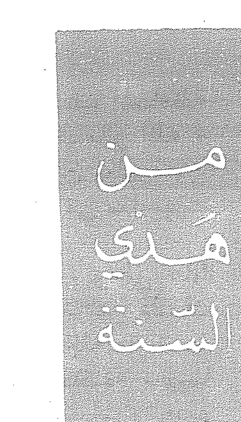
ان الذين يحملون التشريع مسئولية ضياع هذه الثروة غير منصفين ، والذين يتأولون النصوص الصريحة ، ويرون استبدال النقود بالهدى بعيدون عن الصواب ، فكثرة الذبائح فى منى يرجع الى أمرين :

١ — عدم الالمام بأحكام الشرع فى الهدى ، فالشريعة لا تفرض على كل حاج ان يذبح وانما أوجبته فى بعض الحالات كالتمتع أو ترك واجب من واجبات الحج ، أو فعل محرم من محرمات الاحرام ، وليس كل الحجاج متمتعا ولا تاركا لواجب ولا فاعلا لمحظور ، كما أن الشريعة لم تفرض على كل من وجب عليه الدم أن يذبح فى منى وفى أيام النحر .

٢ — الاهمال والتقصير فى استخدام الطرق العلمية الحديثة فى حفظ اللحوم والانتفاع بها على مدار العام ، فلماذا لا تنشأ هيئة اغاثة اسلامية تقوم بجميع هذه الذبائح وحفظها وتوزيعها على مئات الالوف من المسلمين المشردين المنكوبين فى العالم الاسلامى ... اننا فى عصر تغمر فيه أسواقنا اللحوم المثلجة والمعلبة المستوردة .. ان دين الله يسر ، ولكن فى العقول ضيق وفى الجهود قصور ، ولا يمكن أن نحمل التشريع آثار هذا الضيق ، ولا نتائج هذا القصور .

زهران البيلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد



من الكلم الطيب

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « يا غلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف » .

حديث حسن صحيح

١ — أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خلفه ، وتحدث اليه طويلا موجها الى الله ، ودافعا الى أساس السعادة ومصدرها ، وحكى ذلك ابن عباس فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم القى الى قولا حكيما ، ورسم لى خطة شاملة للسير فى الحياة الدنيا ، وبدأ حديثه الشريف بقوله عليه الصلاة والسلام : « يا غلام أو يا غليم : احفظ الله يحفظك » وبدهى لدى ذوى البصائر أن الله مالك كل شىء وخالقه ومدبره ، لا يعزب عن علمه ، ولا يبعد عن قدرته كائن ، لأنه سبحانه المكون ، والبارىء والموجد ، والمبدىء والمعيد ، فمن أراد القوة والسيادة والقيادة الحقة المنتجة للخير ، النافعة للبشرية ، فلينشدها فى رحاب الله ، ومن أحب علم ما لم يعلم ، وفقه ما لا يدرى ، وانفتاح سبل وكوى المعرفة الكلية والجزئية ، فليتجه الى الله وحده ، ومن طلب المال والجاه والبسطة فى الرزق واتساع السلطان فلن يجد أسس ذلك كله الا عند الله ، ومن رام ما يرام من فضائل الوجود ومزاياه المتمثلة فى جمال اتساقه ، وبداعة تنسيقه ، وعمق دلالته على موجده الحق ، فلا مناص له من أن يطرق أبواب رحمة الله ، فكل ما ترى وما لا ترى مما يحس وما لا يحس من كائنات علوية وأرضية مكونة ومقدرة ومرسومة على ألواح الطبيعة من ابداع رب كل شىء .

واقتضت حكمة الله وقامت على ذلك البراهين الواقعية والعقلية على أن الأخذ فى الأسباب للوصول الى الأهداف شىء لا بد منه ، ولا مناص

عنه ، ولا محيص من التمسك به ، فمن أراد اجتياز قناة صغيرة لا يتأهب له كما يعد عدته للسفر الطويل على متن الأوقيانوس مثلا ، ومن رغب الوصول الى هدف قريب يقاس بالأمتار ، لا يهيء له القوى التى تلزم للمسافات البعيدة أميالا ، ومن أحب مشاهدة منظر الى جواره على حائط أو بساط الطبيعة لا يحتاج الى منظار يقرب ما نأى عنه وبعد ، فلكل شيء وسيلة مناسبة ، ولكل عمل جهد يوافقه ، والنفوس تتفاوت فى الهمم ، والعقول لا تتساوى فى الادراك ، والقوى لا تتقارب فى الشدة والضعف ، تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تبديلا .

٢ — ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاس به فى توجيهه وقيادته بشر ، وان كان من طينة الأناس فهو المختار ، والمصطفى لمهمة لا نظير لها ولا مشابه ولا مماثل ، مهمة دون الوصول الى غايتها تدق الأعناق ، وتتلاشى القوى ، تلك هى وضعه أسس كمال انسانى فى كل صور ذلك الكمال ، مهمة هى تبليغ تعاليم رب القوى والقدر الى من فضلوا على بعض من خلق ليقودوا كل من خلق ، وأوجدوا لغاية أرادها الله ، ومن أجلها براهم ، مهمة تتمثل — ان صح القياس — فى قوة أصول كل ما يفكر فيه بشر من خير يرقى بالانسانية ويعلو بها الى مدارج السماء وأسبابها ليتصلوا بالملأ الأعلى ملائكة ويتجافوا عن الارض فلا يلتصقوا بترابها شياطين ، تتعهد الطفل والصبى بحكمته والشاب والشارخ والكهل والشيخ برعايته ، وهدايته باذلا صلى الله عليه وسلم جهدا لا يقوى عليه بشر من البشر الا رسول مشمول برعاية الله وهدايته وتوجيهه وارشاده واعداده الطويل لتلك المهمة الشاقة ، ولكل هذا صبر مع صنوف الناس حتى وصل بهم الى ما أراد الله من معرفة بالدين وفقه للقواعد وادراك للأحكام ، ما ترك شيئا الا دل عليه ، وأخبر عنه ، ووضحه ، وأبرزه لذى عينين ، وفقه ذلك صحابة وتابعون وتابعوهم ، وما كان ذلك مهما كان ليمنع وقوع بعض الشرور التى تغتال الارواح وتعدو على المال ، وتنتهك الأعراض لأن هذا من سنة الله أيضا ، وهو أن يتعاور الخير والشر على هذا الوجود ، والموفق السعيد من لاذ بحمى الله وقوته ، وعزف عما يرديه فى مهاوى الشر والهلاك ، وتمسك بحبل الله ، والقى رحاله فى رحابه ، ولا يجيء ذلك عفوا دون اعمال جهد وارهاق نفس ، وتقويم معوج فلا بد من عمل ولا مناص من ارهاق فى سبيل الهدف ، ولا يمكن أن يصلك أو تصل الى ما تبغى دون جهد جهيد ، وعمل دائب ، وتجاف عن الراحة ، واطراح للذات الأنفس الفانية ، فمن تواكل تآكل ، ومن ضعف عن السير هلك فى صحراء الوجود ، وتاه فى بيدائه ، ومن لم يعمل جهده البدنى والفكرى والعصبى ويلقى بلدوه فى الدلاء يموت ظمأ على حافة بئر ملىء بالماء ، ولكن لا بد من الأسباب يا أبناء الدنيا .

٣ — ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وانقلب الناس على أعقابهم وخاصة فى عصرنا وما سبقه من عصور تتصل بأسواره وتلاصق جدرانه ، وحقت كلمة الله (نسوا

الله فأنساهم أنفسهم) وتوالت المحن وولجت الى الدور الخاصة والعامة ، فلا تجد بيتا مسلما على شرعة اسلامه ، ولا مجتمعا حمل الاسم الا وقد تخلى عن الأسس ، ولا رجلا أو امرأة الا ما ندر (والنادر لا حكم له) الا شاكيا من لحمة دم ، ووشيجة رحيم ، وطغى الفساد وزاد ، وعم وتراكم ، وجاء دور جنى القطوف ، ولسوء حظنا عاصرنا بعض الوانه ، اختلاف فى الاقطار ، وتطاحن بالآراء ، ونفاق فى عمل ، وانتهاك لكل حرمة ، ثم تعد على الأرواح ، واستهانة بمقدرات الآخرين ، ونسيان كامل لكل علاج ورفض شامل لرأى فطس الأطباء ، ولوى الجميع اعناقهم بعيدا عن النور ، وأحبوا السير فى الظلام ، وسائر الظلام مرتبك حيران قد يصيب نفسه حين تزل به قدمه فى مغارة ، وحين تحمله ساقاه الى متاهة ، فهو لا يفكر الا فى شحم ولحم حمل ، والا فى غرائزوهوايات بها اتسم ، فلا يعرف بعيدا عن هيكله مستحقا لرحمة أو معونة ، فليمت الجميع ليحيا ، ويفنى الكل ليعيش الفرد ، وساد استعمال انتاج معامل السلاح ومصانعه ، ودر ذلك الثراء على تجار الحديد والنار ، وركب زعيمهم طائرته ليحلق فوق الرمم التى ضاقت بها القبور ، وليسعد ناظريه بلون الدماء يخضب الأرض ، وتأبى الارض اخفاءها ، وليشم رائحة الجثث المحترقة ، والحقول المبادة ، ولم يرعو أمام أطفال لا حول لهم ولا طول ، ولم يحرك عواطف الرحمة فيه بطون حوامل تبقر ، وأعراض تنتهك ، وصار قلبه حجرا من الحجر ، أو حديدا صلدا من نوع لا يلين بالنار ولا يخضع للطرق ، وسار الكل الى الهاوية ، وها هم سائرون ولات حين مناص .

٤ — وجملة واحدة من توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (احفظ الله يحفظك) تلوى عنان الشر وتقضى على الظلام ، وتعلى راية الحق ، ولكن كيف ؟! هذا لا يكون الا بالتربية من الأساس ، والتنبه لمآسى الانحراف ، والضرب بشدة على أيدى قادة الحروب الذين يعيشون للعمل ضد الانسانية ، وما وسيلته الا تنشئة جيل وتربية أطفال وتبديل أنواع الألبان التى يتكون منها العظم حين يبدأ فى الاشتداد ، والاعصاب حين تحاول احتلال مكانها فى الميدان ، ووضع مرائى جديدة أمام الاعين الناشئة ، وملاحقة ذلك باخلاص ونور ، بأخلاص الأنبياء ونور الله وهدايته ، ليتكون جيل على نفس المبادىء النابعة من (أحفظ الله) لتحقق النتيجة الحتمية (يحفظك) وانى ذلك وكيف يتدارك ؟ انه ممكن وليس محالا ، فما فى الدنيا محال ما دامت للرجال عزائم ، وللنساء قلوب ، ولدى الجميع تراحم ، وأمامهم قيادة ، والكل ممكن تحققه حين نؤمن بأننا جديرون بحياة كريمة وحقيقون بسلام اسلامى ، ومحتاجون لراحة أبدان وعقول فالمدى طويل والبون شاسع ، والمتاهة مخيفة والغد غيب ومفتاحه مع اليوم ، فمن لا يوم له لا غد يدرك ولا مستقبل يبنى .

٥ — واقول واكرر واعيد ولن آتى بجديد فكم من قائل للخير ومنبه عليه، وداع الى سلوكه ، ولكن ما هى النتيجة !! تكمن النتيجة فى تحمل الآلام التى تتسلق الى قمة الداعى ، وتتمكن منه ، فنحقق قول سيد البشر (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، فقد خبا يا قوم ضوء الهداة ، وتضاءل نفوذهم ، وظهر عليهم ضعفاء الفكر

المنقادون لتوجيه الدرهم والدينار ، والسائرون مع المعدات والفتحات والأنابيب، وعرف العادى على الأخلاق كيف يصل ، فاختار ذات الابتسامة الفاتكة ، والقد الأهيف ، واستسلم مقابلوه للترهات ، ولاذوا بحمى ابليس اخترعوه ، بل كان ميتا فأحيوه ، فالنجاء النجاة ، وان شئت فاللطيمة اللطيمة ، والصحو الصحو .

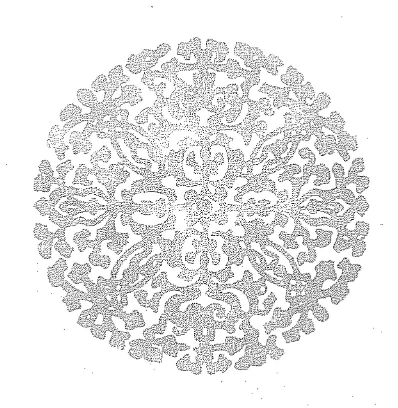
وها هو الخط المرسوم والصور الهادية ، والكلمة الهادفة (احفظ الله يحفظك) ، وكفى ذلك توجيها لمن أراد هداية . ..

واخيرا — هل نستطيع أن نجد من نقرأ عنه بديلا عن أن نقرأ له ، ومن نلوذ بظله من حر أنفاسه ، ومن تدمع العين معه حين يلين القلب عوضا عن تمثيل العين ، ومن يضع نفسه موضع خصمه دون لجاجة ، ومن يتصور الواقف أمام عرشه جالسا عليه ، ومن يدرك سائل العطاء مالك المال ، ومن يتأكد من وجوده لخير غيره لا للقضاء عليه ، ومن لا ينسى أن المقام قصير مهما طال

فما دام الفناء ملاحقا فلا خلود ، ومن يتأمل الأمثال فى الطبيعة فيعلم يقينا أن الوردة الناضرة ستذبل وتلقى على الارض وتداس ، بعد عز البقاء فى روض وجمال وتنسيق بأرق أنامل، ولثم ثغور تعز أن تضاهى ، وأن هذا البناء الجميل سيصبح اثرا بعد عين ، وأن انهارا غاض ماؤها ، وأن قفرا صار عامرا ، وأن أمما بادت ومضى بها الزمان لا الى عودة ، لعل وعسى وما ذلك على الله بعزيز ولكن واحسرتاه (وكأى من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) .

اخى فى الله : ليس هذا وعظا تمر به عينك دون لقاء مع قلبك وانما هى ثقة مصدور ، تبين حقائق غير خافية ، وتكشف ما انكشف من أوادم فى ثياب سباع ، وانس ينطوون على وحوش ، وهل يا ترى أعاد الزمان نفسه فيستطيع الحديث أن يردد مقالة القديم :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير
والعلة — نسيان : احفظ الله يحفظك
فهل من مدكر ؟!





أية قوة هذه التى تراقب فى دقة ، وتحاسب فى شدة ، وتضفى على مطيعها لباسا من الأمن والرضا والراحة ، وتعاقب عاصيها بوخزات من القلق والأسى والندم والحسرة ، وتحصى على الانسان ما يعمل سرا أو جهرا ، ولقد يحاول أن يخدعها بتسويغ يصطنعه ، أو تعليل يخترعه ولكنها حصيفة لا يخدعها تسويغ ولا تعليل ، ولا محاولة للفرار ؟

انها الضمير . فما هو الضمير ؟

(١)

اننا نخطىء اذا حاولنا أن ندرك حقيقته ، فانه قوة نفسية لا ترى ولا تسمع و لاتلمس ولا تشم ولا تذاق .

وأنى للحواس المحدودة أن تدرك ما يستخفى على الحس ، ويستعصى على الادراك ؟

ولماذا نتطلع الى ادراك خفايا النفس ونحن نجهل كثيرا جدا مما عداها ؟ فهل رأينا ما بالذرة من كهارب والكترونات ، ونحن لا نعرفها الا بآثارها التى كشفت عنها الأجهزة العلمية التى فجرتها ؟

وهل أبصرنا النتح والتمثيل الكلوروفلى بالشجرة الخضراء التى نستظل بها ، ونعجب بمرآها ، ونطعم من ثمرها ، ونحن لا نعلم هذا الا بأجهزة ومخابر ؟

وهل نسمع أو نبصر ما يزخر به الفضاء المحيط بنا من أصوات وأنغام وأحاديث وصور الا اذا ضغطنا على زر المذياع أو التلفزيون ؟

وهل ننظر بأعيننا ، أو نسمع بآذاننا ، أو نلمس بأصابعنا ، أو نشم بأنوفنا ، استحالة الطعام الذى نأكله أو الشراب الذى نشربه الى دم يجرى فى الشرايين والأوردة قوة وحياة ؟

وماذا نعلم عن الكهرباء الا أنها قوة تسرى في أسلاك تبدو آثارها اذا ما أدرنا زرا من الأزرار المعدة على نظام خاص ؟

فلا علينا أن نجهل حقيقة الضمير كما نجهل كثيرا من حقائق الكون ، ولا علينا أن نؤمن بالضمير من آثاره التى تحس ، كما نؤمن بسواه مما يتبدى لها من مظاهر وآثار ، ولقد صدق الله تعالى في قوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

(٢)

لكن الضمائر تتفاوت قوة وضعفا، وتتباين يقظة وغفلة ، وتتغاير نشاطا وخمولا ، وتختلف رهافة وغلاظة .

ففى الناس من منح ضميرا دائم اليقظة والنشاط والرهافة ، كأنه حارس البيت الحريص لا يفتأ يعس حوله طوال الليل ، يتسمع كل نأمة ، ويتحسس كل حركة ، أو كأنه شرطى المرور يراقب مسير السيارات ليصرفها باشاراته الحمراء والخضراء لتتوقف أو تمضى .

وفى الناس من يصحو ضميره حينا ، ويغفو حينا ، وينشط تارة ، ويكسل تارة ، ويسيطر مرة ، وينقمع مرة ، كشمس الشتاء تسفر ساعة ، وتحتجب خلف السحاب ساعة .

وفيهم من يصاب ضميره بالخدر والخور ، فيسترخى ويطول به الاسترخاء ، ويهجع ويمتد به الهجوع وقد ينام ويستطيل به زمن المنام .

وبين هذه الحالات درجات وطبقات ومنازل مختلفات .

على أن الضمير اليقظ ربما يغفو ، والضمير المترجح بين اليقظة والغفوة قد يصحو ، والضمير الهاجع قد ينشط ، لأن بصيص نوره قد يوقظ صاحبه ، أو يحاول أن يوقظه ، ولقد يهزه هزة عنيفة لا تمكنه من رقاد .

أكتب هذا وأنا على شاطىء البحر وقد رأيته يوما يمور ويفور ، وتتلاحق كتل أمواجه كفيالق الجنود فى الميدان وأبصرته يوما آخر يتوسط بين الهدوء والهياج ، ونظرته يوما ثالثا ساجيا كبساط أو دارة فى الصحراء .

وأحسب أن الضمائر على هذا الغرار .

فالضمير الحى متحرك دائم الحركة ، يقظ متلاحق اليقظة ، لا تعتريه فترة ولا هداة ، كالبحر المائج

والضمير المترجح بين اليقظة والغفلة كالبحر يهيج يوما ويسكن آخر . والضمير النائم هو البحر الذى سجا وسكن وركد .

والضمائر فى تنقلها من حال الى حال كالبحر يصخب يوما ويهدأ يوما ثم يتوسط بين هذا وذاك .

وكما أن البحر الساجى قد يسرى فى أعماقه تيار لا يرى ، فكذلك الضمير النائم قلما يموت ، وقلما يطغى عليه الرقاد .

(٣)

ومن نعم الله على عباده أنه كرمهم بالعقل وبالنطق وبالشرائع التى بعث بها الرسل ، وكرمهم أيضا بهذه القوة السامية التى تميزهم من الحيوان وهى « الضمير » .

فهل نعدو الصواب اذا تخيلنا الضمير الحى شعاعا إلهيا ينير الطريق الى الحق والى الخير ، أو صوتا ربانيا يحذر من الشر ومن الباطل ؟

ان الضمير مظهر من مظاهر تقوى الله ، لأنه يخضع النفس للطاعة وان اطمأنت الى النجاة من تبعة الجريمة والعصيان .

هـذا الضمير الحى هـو ضمير الاتقياءالاتقياءالذين وصفهم الله تعالى فى قوله : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو مـا ملكت أيمانهم فانهـم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئـك هـم العـادون ، والذين هم لأمـاناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهـم يحافظـون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » . (المؤمنون) .

وهم أصحاب عـزائم قوية تقمع وساوس الشـيطان ، وتردهم الى الطاعة والى الحق والخير ، قـال تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » .

لهذا يتحـامون الشبهات عمـلا بقـوله صلى الله عليـه وسـلم : « الحـلال بين ، والحـرام بين ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حـول الحمى يوشك أن يقع فيه . ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله فى أرضه محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

وهو — فى حالة أخرى — النفس اللوامة التى كرمها الله تعالى بالقسم بهـا ، فقـال : « لا أقسم بيـوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ، أيحسب الانسـان أن لن نجمـع عظـامه ، بلى قـادرين على أن نسوى بنانه » . (سورة القيامة)

وهـذه النفس اللوامة هى بعض صفات المتقين فى قـوله تعـالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعـدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضـراء ، والكـاظمين الغيـظ ، والعـافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلمـوا أنفسـهم ذكروا اللـه فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » . (آل عمران) .

وهم سرعان ما يرجعون الى الله بالتوبة نادمين فيتوب عليهم : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليمـا حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قـال : انى تبت الآن ، ولا الـذين يموتون وهم كفار ، أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما » .

أمـا الضمير النائم فهـو ضمير المعـاندين المكابرين الذين يعلمون الحق وينكرونه ، ويعـرفون الخير ويجتنبونه ، ويسيرون وراء أهوائهم كل مسير .

وهؤلاء ينطبق عليهـم قول الله تعالى : « فى قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بمـا كانوا يكذبون » .

وقـوله سـبحانه : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجـر منه الأنهـار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعلمون » .

وقوله تعالى : « ومن الناس من

يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو الد الخصام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد » .
هذا الضمير كالطفل أو كالفسيلة ، يحتاج الى تربية وتغذية وتنمية ، كما يحتاج الجسم ، وكما يفتقر الشجر .
فالدين يربيه ، والقدوة الصالحة تغذيه ، والبيئة الخيرة تنميه ، والسلوك القويم يدربه ويهديه ، على حين أن ضعف التدين ، أو فساد القدوة أو نغل البيئة أو انحراف السلوك يضل الضمير ويصمه ويعميه .
فلا عجب أن كانت الضمائر الحية أوفر كثرة ، وأحد يقظة ، وأقوى أثرا ، فى المتدينين ، وفى الذين يحيون فى مجتمعات خيرة ، وفى الذين يجدون الأسوة الفضلى والقدوة المثلى منذ سن مبكرة .
لهذا أوصى الاسلام بمخالطة الأخيار ، وحذر من معاشرة الاشرار ، فقال صلى الله عليه وسلم : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك اما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » .
وقال : « ما استخلف خليفة الا له بطانتان : بطانة تأمره بالخير ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » .
ورغب الاسلام فى القدوة الصالحة ، فجعل ثوابها مضاعفا يعدلها ويعدل ثواب من عملوا بها ، وخوف من القدوة الطالحة فجعل عقابها معادلا لها ولذنوب من عملوا بها ، قال عليه الصلاة والسلام : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .
وحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .
وهكذا يحرص الاسلام على تربية الضمائر بشتى الوسائل ، لأنها لو صلحت صلح الفرد والامة ، ولو فسدت فسد الفرد والأمة ، فهى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .
بعد هذا العرض للضمير ، وأنواعه ، وحالاته ، ووسائل تنميته وعناية الاسلام بتربيته .
ننظر الى بعض آثار الضمير فى الفرد وفى الامة ، لندرك مدى قيمته وخطورته وآثار يقظته وانتصاره .
١ — هنالك شخص يعلم من أسرار أمته الحربية ما يكفل لها النصر الحاسم أن حاربت ، وقد حاول أعداء وطنه أن يغروه بالذهب الوفر ليطلعهم على ما يعلم ، ولو أنه كشف لهم عما أرادوا لم يعلم به أحد . فهل استجاب لهم ؟
ولماذا لا يستجيب والذهب يجاذبه ويخادعه ؟
لماذا يرفض وهو بمنجاة من ذل الفضيحة وشقاء العقوبة ؟
وأى بأس فى أن يسعد هو ويشقى غيره ؟
لكن ضميره صاح به : اياك وما

يغريك به أعداؤك وأعداء وطنك ، فان ذهبهم ثمن لذل يحيق بك وباخوتك ، ومكافأة على جريمة لا يغفرها لك الدين ولا القانون ولا الخلق الكريم ، وستجد هذا الذهب جمرات تكوى جبهتك وجنبيك وظهرك وقلبك ، ولن تنعم بشيء وأنت شقى ووطنك تعيس .

فلتمش عفيف (اليد) نزيه (النفس) طاهر (الضمير) سعيدا بأن وطنك فى عزة ، وبأن مواطنيك أعزة .

فلم يتردد فى أن آثر الشرف على الخسة ، فقال لضميره : لبيك لبيك ، ورد الأعداء فى خزى بما عرضوا .

ثم انتصر وطنه ، وسعد بنوه بانتصارهم ، وشعر هو فى أعماق نفسه بسعادة مضاعفة لا تعدلها قناطير من ذهب ولا من نشب .

وبهذا سلم من جناية الخيانة ووبال المال المحرم ، وعمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » وقوله : « أيما رجل أصاب مالا من غير حله وأنفق منه لم يبارك له فيه ، وان تصدق لم يقبل منه ، وما بقى فزاده الى النار ، أن الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر الطيب » .

٢ — وهنا قاض يفصل فى قضية كبيرة الحق فيها مع ضعيف ، والباطل مع قوى ثرى ، فيحاول القوى أن يستميل القاضي الى جانبه ، فيغريه بسيارة أنيقة يقدمها له بطريقة ملتوية مستورة . فاذا بالقاضى النزيه ينفر من هذا العرض الموبوء ، ويقول لنفسه : وأين سلطان العدالة الذى اقسمت أن أرعاه ؟ ومن أين لى أن اتهرب من رقابة الله وشديد عذابه يوم يحاسب كل امرىء على ما فعل فى دنياه ؟

وكيف يسوغ لى أن امتلك ما لا بوسيلة محرمة تحريما لا يخفف من شدته وشناعته دين ولا عرف ولا قانون ؟

ومن للضعفاء اذا سطا على حقوقهم الاقوياء ؟

وماذا يكون شعور الناس أن فقد العدل سلطانه على الناس ؟

ألا تتقلص قيمة العدالة ؟ وتتضاءل رهبة القانون ، وتتخاذل أقدار القضاة ، ثم تشيع الفوضى والظلم والفساد ؟

لخير لى أن أمشى على قدمى وأنا حى الضمير ، نقى النفس ، طيب الأحدوثة من أن أركب سيارة أنيقة والاوزار تركبنى ، وأثقال اللوم والندم تبهظنى ، ومخاوفى من عقاب الله تلحق بى وتسبقنى .

لقد قرأت ووعيت قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » .

وقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون » .

وقرأت وفهمت قوله صلى الله عليه وسلم : « من أعان ظالما ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » .

وقوله : « من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم فى لحظه وأشارته ومقعده ومجلسه » .

وعرفت من عدالة النبى أن امرأة من

مخزوم سرقت ، فأحزن قريشا شأنها، فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله ؟ ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حبيبه ؟

فلما كلمه أسامة قال رسول الله : أتشفع فى حد من حدود الله ؟

ثم قام فخطب ، وجاء فى خطبته قوله : « انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

فليرفع العدل علمه خفاقا ، وليزدد ضميرى الحى قوة واشراقا ، وليذهب الثرى برشوته الى أمثاله من موتى الضمائر ، وساء المصير ، وليعتقل لسانى بالشلل ان نطق بحكم يأباه ضميرى الذى أكرمنى به الله تعالى .

٣ — وهذا أستاذ بالجامعة معروف بوثاقة الحزم ، وقوة العزم ، وسداد القصد ، وسلامة التقدير .

رسب فى علم يدرسه شاب وحيد لوالد موسع متطلع فى لهفة الى أن يحمل وحيده شهادة ، وتكرر رسوبه ، فظن الوالد أنه تدير على رشوة الاستاذ ، فعرض عليه فى خفاء قدرا من المال يزيد على ما يتقاضاه فى عام .

لكن الاستاذ فكر وقدر ، فقالت له نفسه : انك تقضى فى مصير الشباب — وهم فتيان اليوم ورجال الغد — بسلطان من نفسك ، وبرهان من علمك ، ونور من ضميرك ، فكيف تمنح نجاحا من يصر على رسوب ؟

وأنى لك أن تتيح الصحة من يؤثر المرض ؟

وهل لك أن تصف بالعلم من يؤثر الجهل ؟

ومتى تساوى الغبى والذكى ، والمهمل والجاد ، والخامل والعامل ؟

ولو أنك فعلت ذلك ، وفعل غيرك مثل ذلك ، فماذا يصير حال الامة فى مستقبلها القريب والبعيد ؟

وأية خيبة تصيب الشباب التواق الى المعرفة ، وتصيب الاسر الحريصة على أن ينجح بنوها بالحق والعدل ؟

وماذا تصنع بمال كل قرش منه يسمك بالضلال ، ويصمك بالخزى ، ويكويك بالألم ؟

ولئن احتملت هذا — ولن تحتمله فبم تدافع عن نفسك أمام الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟

انك اذن قاض ظالم زينت له الرشوة أن يعصى ربه ، ويخالف ضميره ، ويميل مع الهوى ، فليتبوأ مقعده من النار .

فقال الاستاذ لنفسه : سمعا لك سمعا ، وسمعا لضميرى سمعا ، وسحقا للمال ، وبعدا للضلال ، وليرسب الشاب أو ينجح جزاء وفاقا لما أجاب ، ولتقطع يمينى لو وقعت على ورقته بنجاح وهو لا يستحق النجاح .

٤ — وثمة رجل أغراه الشيطان بامرأة ، وتكرر الاغراء ، ثم كانت خلوة دبرتها المصادفة ، فهم بها وهمت به ، لكنه سمع هتافا عاليا من ضميره أتقترف اثما حرمه الله لتحظى بلذة عاجلة تصطلى بعدها بنار الآجلة ؟

أتقوم على ما تأباه لامك وابنتك وأختك وزوجتك ؟

أتعتدى على عرض ترتبط به سمعة أسرة وشرف رجال ونساء ؟

أتلوث نسلا بدخيل لا هو ينتسب اليك قانونا وشريعة ، ولا هو ممن سينسب اليه حقيقة وطبيعة ؟

وبم تسوغ فعلتك أمام ضميرك اذا أفاق من غفوته ، وجعل يقطعك مزقا وأشلاء ؟ .

وماذا تقول لربك حينما تعرض

عليك صحيفتك السوداء لتقراها ، وقد أحصت صغائرك وكبائرك ؟

أليس في الحلال الـــذى شرعه الله غنية عن الفحشاء التي حــرم الله ؟

ألم تسمع قوله تعالى : « ولا تقربوا الزنا ، أنه كان فاحشـــة ، وساء سبيلا » وقوله سبحانه : « الزانيـــة والزاني فاجلدوا كل واحد منهمـــا مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ألم تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف السبعـــة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله « ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : انـــى أخاف الله » ؟

فلتبرأ من نزغة الشر ، ولتنصرف عن نزعة المنكر ، ولتفر من هذه الهوة ولتطب نفسا بأنك أصخت لضميرك ، واهتديت بهداه ، فسرعان ما نجـــا الرجل ، وطابت له النجاة .

٥ — وذلك صانع ماهر حرفتـــه أصلاح السيارات ، سول له الشيطان يوما أن يضاعف كسبـــه بالتمويـــه والغش ، فيضع قطعا باليـــة يزعم أنها جديدة ، ويصلح الظاهر ويـــدع الباطن ، ليتقاضى أجر الذى أصلح الفاسد ، وبدل التالف .

ولكن ضميره استيقظ ، فأنبأه بما يلحقه عمله من أذى بالذين ائتمنوه ، فقد تحترق السيارة بمن فيها ، وقد تنحرف الى هاوية فتنقلب ، وربما تتأبى على التوقف فتصدم شخصا أو عـــدة أشخاص ، والمسئول الحقيقى هـــو الذى زعم أنه أصلحهـــا وهو لـــم يصلح ، فكيف ينجـــو من عـــذاب الضمير ؟ وأين يهرب من أشــــباح جريمة تلاحقه ؟

ومن الذى يضمن له أنه لا يحيق به شر أنكى من الذى أوقعه بسواه ؟

وكيف يبتذل سمعته بالامانـــة ، وشهرته بالدقة ، واقتران اسمـــه بالاتقان ؟

وأى عذر له وقد سمع وفهم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكـــون تجارة من تراض منكم » .

وقوله سبحانه : « أوفوا الكيـــل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنـــوا بالقسطاس المستقيم » .

وقوله تعالى: «ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليـــوم عظيم ، يوم يقـــــوم الناس لـــرب العالمين » .

وأى فرق بين غش في صناعـــة ، وتطفيف الكيل والميزان ؟

ولقد سمع وفهم قوله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » وقوله : « من انتهب فليس منا » .

وقوله : « ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا ، واذا ائتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا ، واذا باعوا لم يطروا ، واذا كان عليهم لم يمطلـــوا ، واذا كـــان لهم لم يعسروا » .

فلم يلبث أن أصلح التالف ، وأتقن الاصلاح ، وقنع راضيا بالأجر الحلال على ما عمل وما أصلح .

٦ — أما بعد فهذا هو الضمير ، وهذه لمحـــة الى آثاره .

وهكذا تتكرر الأمثال فتتسع للناس جميعا ، ذكورا وأناثا ، رجالا ونساء ، فتيانا وفتيات ، وتسع أحوالهم جميعا في وظائفهم وفي أعمالهم ، وفـــى معاملهم وفي مصانعهم ، وفي حقولهم وفي متاجرهم وفي مدارسهم وفـــى جامعـــاتهم وفـــى صلة كـــل منهم بنفسه وبأخيه وبالمجتمع الذى يعيش فيه .



للأستاذ : محمد ناصر الدين الألباني

ومن المشاهد حقا أن مثل هذا التعاون قائم الى حد كبير بين المتخصصين

واذا كان الأمر كذلك ، فمن الواجب حينئذ أن يستعين كل متخصص بعلم ما ، بعلوم غيره من ذوى التخصصات الأخرى حينما يكون هناك ارتباط وثيق بين علمه وعلومهم ، وذلك ليكون على ثقة فيما يذهب اليه من فهم أو يصدره من حكم .

لا يخفى على أهل العلم أن من الواجب اليوم على كل من يريد أن يستقل فى الفهم عن الله ورسوله ، ان يكون على علم بقسم كبير من العلوم التى تساعده على ذلك ، مثل أصول التفسير ، والفقه ، ومصطلح الحديث وما يتفرع منه من المعرفة بما صح من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يصح ، وأن يكون على جانب كبير من الثقافة والمعرفة باللغة العربية وآدابها .

بيد أن الواقع يشهد أن من النادر جدا ، أن يكون الفرد متمكنا فى كل علم من هذه العلوم وغيرها ، متقنا اياها ، كما لو كان متخصصا فى علم واحد منها ، ولذلك فان من البدهى أن نرى أهل العلم والعقل يتخصصون فى علم واحد أو اثنين ، مع المشاركة طبعا فى العلوم الأخرى الضرورية منها ، فكان فيهم المفسر والمحدث ، والفقيه والمؤرخ ، واللغوى والأديب وغيرهم ، مما هو معروف .

فى العلوم الشرعية ، فالمفسر مثلا يستعين بالمحدث واللغوى ، وهذا يستعين بالمفسر والمحدث ، وهذا يستعين باللغوى والفقيه ، وهذا يستعين بأولئك وغيرهم وهكذا ، فكل قد أخذ حظه من الأجر والفضل باستعانة غيره به ، والاستفادة من علمه وتخصصه .

غير أن أهل العلم بالحديث والتخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيمه ، من القدامى منهم والمحدثين ، كانوا أقل العلماء حظا فى الاستعانة بهم والاستفادة من علمهم ، لا سيما فى القرون المتأخرة كهذا الذى نحن فيه وما قبله من القرون الثلاثة بصورة خاصة ، فقد انصرف العلماء فضلا عن غيرهم عن العناية بهذا العلم وتدريسه دراسة تليق بجلاله وعظمته ، حتى فى المدارس الشرعية ، بل ان بعض المدارس التى كانت مخصصة لتدريس الحديث فيها فيما قبل ذلك من القرون صارت اليوم خرابا يبابا ، وبعضها تدرس فيها العلوم الشرعية ، وأما الحديث فدراسته رمزية ! ليس فى أساتذتها متخصص فى علم الحديث كدار الحديث بدمشق وغيرها ! .

ومن المعلوم أن علم الحديث النبوى هو أوسع العلوم الشرعية قاطبة وأغزرها فائدة ، وأكثرها اتصالا وارتباطا بالعلوم الأخرى ، فما من مفسر أو فقيه أو مؤرخ أو لغوى الا وهو بحاجة اليه ، والى الاستعانة بالمتخصص فيه ، والاعتماد عليه . ومع ذلك فالواقع أن القليل من المتخصصين فى العلوم الأخرى من استفاد من علمهم وتحقيقهم ، فكان من آثار ذلك انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة والتى لا أصل لها بين المسلمين الخاصة منهم والعامة لا أستثنى منهم خطيبا ولا مدرسا ، ولا واعظا ولا مرشدا ، ولا كاتبا ولا محاضرا ، الا من شاء الله وقليل ماهم . ذلك لأن ثقافتهم مستقاة من كتب — هى على اختلاف بحوثها ومواضيعها — جلها مشحونة بمثل تلك الأحاديث ، لم يلتزم من ألفها هذا النهج العلمى من الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بها .

فكم من عارف بعلم الكلام — ولا أقول علم التوحيد — أودع فى كتابه من الأحاديث هى عند أهل العلم موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستحق أن تذكر فى كتب الوعظ والتصوف والرقائق ، بله كتب العقائد والتوحيد والحقائق مثل حديث : (ان الله لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أشرف منك ، فبك آخذ ، وبك أعطى) (١) .

وكم من ماهر فى علم أصول الفقه أقام أصلا ، أو قعد قاعدة على أساس حديث منكر أو موضوع عند المحققين كحديث معاذ : (بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ..) الحديث (٢) و (اختلاف أمتى رحمة) (٣) .

بل وكم من محدث مكثر حافظ ، يحتج بأحاديث فى الأحكام وغيرها من

---

(١) انظر المقاصد الحسنة (رقم ٢٣٣) و (كشف الخفا) (رقم ٧٢٣) .

(٢) تكلمت عليه فى (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) ولما ينشر بعد ومحله منها قبيل المائة التاسعة .

(٣) انظر فى السلسلة المذكورة برقم (٥٧) .

أبواب الشريعة هى — عند ذوى التخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيمه — أما ضعيفه أو موضوعه ، فالأحاديث التى يصححها الحاكم وغيره من المتساهلين . (!)

وكم من مفسر بارع تأول آية ، أو ذكر سبب نزولها أو ساق قصة متعلقة بها ، أو لمناسبة ما ، اعتمادا على حديث لم يتثبت من صحته ، هو عند أهله العارفين به ضعيف وموضوع ، مثل حديث قصة الملكين هاروت وماروت ، وارتكابهما عدة فواحش !(٤) ، وحديث قصة الغرانيق وأن الشيطان تكلم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بآية مدح بها آلهة المشركين : (تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى) ! ولنا فى بيان ضعفه وبطلانه رسالة بعنوان : (نصب المجانيق ، لنسف قصة الغرانيق) وهى معروفة(٥) .

وكم من فقيه جامع أوجب على الناس ما ليس بواجب . أو أسقط عنهم ما هو واجب ، أو حرم عليهم ، ما ليس بحرام ، وأحل لهم ما ليس بحلال أو أبطل عليهم عبادة صحيحة ، أو صحح لهم عبادة باطلة ، أو سفك دما محرما ، وحرم دما مهدورا ، أو شرع لهم عبادة ليست مشروعة . كل ذلك لم يكن منهم عن هوى أو غرض ، حاشاهم ، وانما كان اعتمادا منهم على أحاديث توهموها ثابتة ، وليست كذلك ، ولو أنهم رجعوا الى أهل التخصص والمعرفة بالحديث لعلموا أنها ضعيفة أو موضوعة ، لا يجوز تشريع شىء ما بها ، ولو فى حدود الندب والاستحباب ، فكيف فى التحريم والتحليل ، والابطال والايجاب ؟ ! والأمثلة على ماذكرت كثيرة جدا تبلغ المئات بل الألوف .

وأما الصوفية وأمثالهم ممن ألف فى علوم الدين ، والأخلاق ، والآداب والمواعظ ، فحدث عن أحاديثهم ، وما وقع فيها من الأباطيل ولا حرج وحسبك أن تطلع على كتاب (المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار) للحافظ زين الدين العراقى ، انك ان فعلت ذلك فسترى ما هو أعجب وأعجب !! .

ولما كنا على أبواب حركة علمية واسعة النطاق ، فى شتى أنواع العلوم ومنها الفقه والتشريع الاسلامى ، كان طبيعيا جدا أن يكتب كثير من العلماء والكتاب فى مواضيع معينة من أبواب الفقه ، وخصوصا ما كان منها متعلقا بالحقوق والقانون والاجتماع والاقتصاد .. وتلقى محاضرات كثيرة فى مثل هذه المواضيع ، وبعضهم شرع فى تأليف كتب خاصة فى الفقه الاسلامى أو فقه السنة جامعا لجميع أو أكثر الأبواب الفقهية التى يحتاجها المسلم مبتدئين بـ (كتاب الطهارة) ، ثم (الصلاة) ، ثم (الزكاة) وهكذا الى آخر الكتب التى جرى الفقهاء قديما على نسقها .

ولكنى رأيت أكثر هؤلاء العلماء والكتاب والمحاضرين ، قد سرت اليهم عدوى من قبلهم من الفقهاء من ترك الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بالحديث ، فلا تكاد تجد حديثا واحدا فى كل ما يكتبون من البحوث الخطيرة مخرجا مصححا أو مضعفا على طريقة أهل الحديث ، اللهم الا قليلا منهم ، وخيرهم صنعا من يقول : (رواه فلان) ثم يسكت ، ولا يبين درجته من الصحة أو الضعف ، وهو قد

---

(٤) قد بينت بطلانها وأنها من الاسرائيليات فى السلسلة المتقدمة ، فمن شاء الاطلاع فليرجع اليها رقم ١٧٠ .

(٥) قام بطبعها المكتب الاسلامى بدمشق لصاحبه الأخ زهير شاويش .

يكون موضوعا مكذوبا عند أهل الحديث ! وقد أقام عليه من أشرنا اليهم علالى وقصورا » .
واليك بعض الأمثلة :

١ — قال بعض الأفاضل ممن ألف فى فقه السنة :

« يحرم على الجنب أن يمكث فى المسجد لحديث عائشة قالت : (جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجوه بيوت أصحابه شارعة فى المسجد فقال : وجهوا هذه البيوت عن المسجد .. فانى لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب » . رواه ابو داود . وعن أم سلمة قالت : (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته : ان المسجد لا يحل لحائض ولا لجنب) رواه ابن ماجه والطبرانى .

أقول : فقد حرم المكث فى المسجد بناء على هذا الحديث ، وأنا أعلم انه ليس هو أول من فعل ذلك بل هو مقلد لبعض من سبق من الفقهاء ، وما أوقعه فى ذلك الاعدم رجوعه الى أهل التخصص فى الحديث . ولو صنع لوجد قول البيهقى : (ليس بقوى) . وقول عبد الحق الاشبيلى : (لا يثبت) وقول الخطابى : (ضعفه جماعة) . ذكر هذا الامام النووى فى المجموع (شرح المهذب) (٢/١٦٠) .

ثم انه لو رجع الى مصدر الحديث مباشرة ألا وهو أبو داود وابن ماجه ، وكان من أهل العلم بتراجم الرواة وأحوالهم ، لوجد أن مدار الحديث على جسرة بنت دجاجة ، وقد قال البخارى فيها : (عندها عجائب) ! ولما وقع فى هذا الايهام الفاحش وهو أن للحديث طريقين : أحدهما عن عائشة ، والآخر عن أم سلمة ، وحقيقة الأمر أن الطريق واحدة مدارها على جسرة هذه كما أشرت اليه آنفا ، غاية ما فى الأمر ، أن بعض الرواة اختلفوا فى اسناده عن جسرة . فقال أحدهم : عنها عن عائشة . وقال آخر : عنها عن أم سلمة . فيتوهم من لم يرجع فى الحديث الى الأصول والأمهات أن للحديث طريقين زد على ذلك أن هذا الاختلاف يعتبر عند أهل الحديث اضطرابا يزيد الحديث ضعفا على ضعف ، فكيف يجوز لعالم أن يحرم بمثله شيئا ؟ ! .

وليس غرضى الآن تحقيق القول والافاضة فى بيان ضعف الحديث وما قيل فيه ، .

٢ — وقال آخر من الأفاضل المشهورين والعلماء البارزين فى رسالة له فى (الحقوق العامة لأهل الذمة) :

(دم الذمى كدم المسلم ، فان قتل مسلم أحدا من أهل الذمة اقتص منه له ، كما لو قتل مسلما) .

ثم استدل على ذلك بحديث ابن عمر عند الدارقطنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بمعاهد وقال : أنا أكرم (وفى رواية : أحق) من وفى بذمته (٧) .

مع أن هذا الحديث عند أهل المعرفة به ضعيف دون أى اختلاف بينهم ،

---

(٦) انظر (فقه السنة) للسيد سابق (ص ١١٧ — ١١٨) الطبعة الأولى .
(٧) انظر كتاب (نظرية الاسلام وهديه) ص ٣٤١ للأستاذ المودودى .

فقــد ضعفه الطحاوى والدارقطنى والبيهقى ونقل عن الامام صـــالح بن محمد الحافظ أنه قال : (هو مرسل منكر) .

ولو أن الفاضل المشار اليه استخرج الحديث بنفسه من (سنن الدارقطنى) لوجد كلام الدارقطنى عقبـــه صريحـــا فى تضــــعيفه اياه ، وذلك قوله (ص٣٤٥) : (لم يســنده غير ابراهيم بن ابى يحيى ، وهو متروك الحديث ، والصواب عن ربيعة عن ابن البيلمانى مرسل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وابن البيلمانى ضـــعيف لا تقوم به حجـــة اذا وصـــل الحديث ، فكيف بمـــا يرسله ؟ !) ..

وقد فصلت القول على هذا الحديث وذكرت طرقه وعللها ونصوص أهل العلم فى تضعيفه فى الجزء الخامس من « سلســـلة الأحـــاديث الضـــعيفة والموضوعة » رقم (٢٠٦٠) ، .

٣ ـــ وقال ثالث فى (بحث الدور الفقهى الأول : عصر النبوة) ، وقد ذكر طائفة من الأحاديث كأمثلة لجملة من الأصول والقواعد الكلية التى تركها صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم ، منها حديث : (الشفعة كحل العقال) ثم قال الفاضل المشار اليه : (فهذا الحديث مثلا يصلـــح أساسا لفكـــرة مرور الزمن ، وتحديد المدد للمطالبة ببعض الحقوق ، ولاســـتعمال بعض الخيـــارات كخيار الرؤية والعيب ، و ..) (٨) .

فلو أن المذكور رجع الى بعض المتخصصين فى الحديث والعارفين بصحيحه وضعيفه ، لما جزم بنسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما اتخذه مثلا للفكرة الذى ذكرها ، فقد قال أبو زرعة (حديث منكر) وقال ابن حبان : (لا أصل له) وأورده البيهقى فى (الســـنن الكبرى) (١٠٨/٦) فى جملة أحـــاديث ساقها بأسانيدها فى : (باب رواية ألفاظ منكرة يذكرها بعض الفقهاء فى مسائل الشفعة) ! .

٤ ـــ حديث (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى أهل الذمة : لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

لقد اعتدنا ان نســمع هذا الحـــديث من كثير من خطبائنا ومرشـــدينا ومحاضرينا ، وهم يتكلمون عن حقوق أهل الذمة فى الاسلام ، جازمين بنسبته الى النبى عليه الصلاة والسلام ، حتى أصبح ذلك عقيدة راسخة فى قلوب كثير من الدعاة المعروفين بالاصـــلاح والتجديد ، فضـــلا عن غيرهم من المسلمين الصالحين ، فهذا أحد دعاتهم يصرح بمعنى ذلك فى بيان أذاعه على الناس بمناسبة الجدل الذى قام حول محاولة بعض اخواننا الاســلاميين لادخـــال دين الدولة الاسلام ، فى دستور سنة ١٩٥٠ فقال : (المواطنون متساوون فى الحقوق ، لا يحال بين مواطن وبين الوصول الى أعلى مناصب الدولة بســـبب الدين أو الجنس أو اللغة) . يشـــير بهذا الكـــلام الى هذا الحديث ، والحديث المتقدم برقم (٢) .

والواقع أن هذا الحديث لا أصل له عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا السياق الذى اعتادوا ذكره ، وانما أورده هكذا بعض الفقهاء الذين لا علم عندهم بالسنن ، فقلده من أثرنا اليهم ، ثم أذاعوا الحديث على الناس ونشروه بينهم

---

(٨) انظر كتاب (المدخل الفقهى العام الى الحقوق المدنية فى البلاد السورية) (٦٧/١و٦٨) الأستاذ الفاضل مصطفى الزرقا .

كتابة ووعظا ، دون أن يحاولوا الرجوع به الى ذوى التخصص فى الحديث ليكونوا على بينة من أمره ، ولا ينسبوا الى النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس من حديثه ، بل هو معارض له أشد المعارضة ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال هذه الجملة : (لهم مالنا وعليهم ما علينا) فى الذين يسلمون من المشركين ، ورد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من حديث بريدة بن الحصيب وسلمان الفارسى وغيرهما ،) .

٥ — حديث (اذا صعد الخطيب المنبر ، فلا صلاة ولا كلام) .

وهو حديث متداول على ألسنة بعض الفقهاء ومسطور فى غير ما كتاب فقهى ، واشتهر على ألسنة الناس حتى توجت به بعض المنابر فى بلادنا الشامية ، ولا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ، بل ان معناه مخالف لبعض الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم : (اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما) أخرجه الامام مسلم وغيره ..

وقد بينت حال هذا الحديث ، وما قاله أهل العلم فيه فى (سلسلة الأحاديث الضعيفة) (رقم ٨٧) فليراجعه من شاء التحقيق ، .

ومن الأمثلة المتقدمة — وهى غيض من فيض — يتبين لكل عاقل أن الأحاديث الضعيفة مع الجهل بها هى من أكبر العوامل — ان لم أقل : هى أكبرها اطلاقا — على حمل بعض المسلمين على الانحراف عن دينهم ، انحرافا أعتقد أنه أخطر ما أصيب به المسلمون من الانحرافات الكثيرة ، ذلك لأنهم فى اتباعهم اياها ، وتمسكهم بها ، يظنون أنهم انما يتبعون كلام من أوجب الله عليهم اتباعه ، والتسليم لكلامه ، ووصفه بقوله : (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى) ، وصدق الله ، وأخطأ أولئك حين استسلموا لكل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث ، ولم يتحروا ما صح منها مما لم يصح ، مع علمهم ويقينهم بانه ليس كل ما يعزى اليه صلى الله عليه وسلم من الحديث صحيح ثابت عنه ، فكان المفروض أن يكون هذا وحده كافيا ليحملهم على البحث والتنقيب وتتطلب الحديث الصحيح ، فكيف ورسول الله صلى عليه وسلم قد أخبرهم فيما صح عنه أن بعض الناس سيكذبون عليه ، فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (ان كذبا على ، ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه مسلم من حديث المغيرة رضى الله عنه ، ثم حذرهم صلى الله عليه وسلم من الاغترار بهؤلاء الكذابين والاعتماد على حديثهم فقال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم) . رواه مسلم أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

وان من حرصه صلى الله عليه وسلم على حديثه ، وسلامته من أن يلوث بأحاديث الكذابين عليه أنه اعتبر الذين يروجون الأحاديث دون أن يتثبتوا من صحة نسبتها اليه صلى الله عليه وسلم فى حكم الكاذبين عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : (من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) . وقال صلى الله عليه وسلم : (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) . رواهما مسلم . وروى عن الامام مالك رحمه الله انه قال لابن وهب : (اعلم انه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع) .

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال : (لا يكون الرجل اماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع) .

ولذلك اتفق العلماء على أنه لا يجوز الاحتجاج بالحديث الضعيف فى الاحكام (٩) ا فضلا عن العقائد ، ذلك لأن الحديث الضعيف لا يفيد الا الظن المرجوح والأخذ به مذموم بنص الكتاب والسنة ، فقال تعالى : (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) وقال صلى الله عليه وسلم : (اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث) متفق عليه . وفى حديث آخر : (اتقوا الحديث عنى الا ما علمتم ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (١٠) .

واذا كان الأمر كذلك ، فكان الواجب على الفقهاء الذين هم المرجع لعامة الناس فى التعرف على أحكام الشريعة مفصلا أن يكونوا أبعد الناس عن مخالفة هذه النصوص ، ومناقضة ذلك الاتفاق الذى انعقد بأمثالهم من العلماء الذين قالوا به ذلك ما يقتضيه حسن الظن بهم وجلالة قدرهم .

ولكن الواقع يشهد — والأسف يملأ قلبى — أن جمهورهم على اختلاف مذاهبهم ، قد امتلأت كتبهم بمئات الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، التى رتبوا عليها أحكاما شرعية كثيرة على اختلاف أنواعها وخطورتها ، مما سبق تفصيل القول فى بعضها والتمثيل لها بأحاديث هم مصدرها والمستدلون بها ، تبعهم على ذلك بعض المعاصرين ! .

وهذا أمر يشهد به كل من له معرفة بعلم الحديث ، وله اطلاع لا بأس به على الكتب الفقهية المبسوطة فى المذاهب الأربعة ، ومن أجل ذلك وضع جماعة من أئمة الحديث على بعض الأمهات منها كتب التجريحات المعروفه (١١) . وألف ابن الجوزى الحنبلى كتابه (التحقيق فى مسائل التعليق) وذكر فى مقدمته الحامل له على تأليفه فقال : : (كان السبب فى اثارة العزم لتصنيف هذا الكتاب أن جماعة من اخوانى ومشايخى فى الفقه ، كانوا يسألونى فى زمن الصبى جمع أحاديث التعليق ، وبيان ما صح منها ، وما طعن فيه ، وكنت أتوانى عن هذا لسببين :

احدهما : اشتغالى بالطلب .

والثانى : ظنى أن مافى التعاليق من ذلك يكفى ، فلما نظرت فى التعاليق رأيت بضاعة أكثر الفقهاء فى الحديث مزجاة ، يعول أكثرهم على أحاديث لاتصح ، ويعرض عن الصحاح ويقلد بعضهم بعضا فيما ينقل . ثم قد انقسم المتأخرون ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قوم غلب عليهم الكسل ، ورأوا أن فى البحث تعبا ، وكلفة ، فتعجلوا الراحة ، واقتنعوا بما سطره غيرهم .

والقسم الثانى : قوم لم يهتدوا الى أمكنة الأحاديث ، وعلموا أن لا بد من سؤال من يعلم هذا ، فاستنكفوا عن ذلك ! .

والقسم الثالث : قوم مقصودهم التوسع فى الكلام طلبا للتقدم والرياسة ،

---

(٩) انظر (المجموع شرح المهذب) للامام النووى (٥٩/١) و (الاجوبة الفاضلة) لابى الحسنات للكنوى ص (٥٦) .

(١٠) انظر مقدمة (صفة الصلاة ص ٧ الطبعة الثالثة) .

(١١) انظر مقدمة (صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ص ٤ — ٥) و (الرسالة المستطرفه للكتانى (ص ١٤١ — ١٤٢) .

واشتغالهم بالجدل والقياس ، والالتفات لهم الى الحديث لا الى تصحيحه ، ولا الى الطعن فيه .

وليس هذا شأن من استظهر لدينه ، وطلب الوثيقة فى أمره .

ولقد رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ قد أخرجت فى الصحاح : (لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الألفاظ) ! ويرد الحديث الصحيح ، ويقول : (هذا لا يعرف) ! وانما هو لا يعرفه ، ثم رأيته قد استدل بحديث زعم أن البخارى أخرجه : وليس كذلك ثم نقله عن مصنف آخر كما قال تقليدا له ، ثم استدل فى مسألة فقال : (دليلنا ما روى بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كذا) ! ورأيت مشايخنا يقولون فى تصانيفهم : « دليلنا ماروى أبو بكر الخلال باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، و « دليلنا ماروى أبو بكر عبد العزيز باسناده » .

و « دليلنا ما روى ابن بطه باسناده » ، وجمهور تلك الأحاديث فى (الصحاح) ، وفى (المسند) وفى (السنن) غير أن السبب فى اقتناعهم بهذا ، التكاسل عن البحث . والعجب ممن ليس له شغل سوى مسائل الخلاف ، ثم قد اقتصر منها فى المناظرة على خمسين مسألة ، وجمهور هذه الخمسين لا يستدل فيها بحديث ! فما قدر الباقى حتى يتكاسل عن المبالغة فى معرفته ؟ ! .

وألوم عندى ممن قدمته من الفقهاء ، جماعة من كبار المحدثين عرفوا صحيح النقل وسقيمه ، وصنفوا فى ذلك ، فاذا جاء حديث ضعيف يخالف مذهبهم بينوا وجه الطعن فيه ، وان كان موافقا لمذهبهم سكتوا عن الطعن فيه . وهذا ينبىء عن قلة دين ، وغلبة هوى (ثم روى بسنده عن الدارقطنى وهذا بسنده عن وكيع أنه قال) : أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون الا مالهم)(١٢) .

قلت : ومن المؤسف أن الوصف الذى ذكره ابن الجوزى ينطبق تماما على رجلين كبيرين ، أحدهما شافعى المذهب وهو الامام البيهقى ، والآخر حنفيه وهو علاء الدين ابن التركمانى ، وذلك ظاهر فى كتاب الأول منهما (السنن الكبرى) ، وفى كتاب الآخر (الجوهر النقى فى الرد على البيهقى) . بل ان ابن الجوزى نفسه لم ينج من هذا البلاء ، .

وأعتقد أن السبب فى ذلك ، انما هو التعصب لمذهب معين ، فذلك هو الذى يحمل البعض على السكوت عن الحديث الضعيف اذا كان له . ويسارع الى الكشف عن علته اذا كان عليه ، بل ان بعضهم ، قد يصحح الضعيف ، ويضعف الصحيح حمية لمذهبه ، . فلو لم يكن للتعصب من شؤم الا هذا لكفى ... فالحمد لله الذى عافانا من العصبية المذهبية ، ورزقنا التمسك بالسنة المحمدية فقط دون غيرها ..

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى (منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية) (ج ٤ ص ١٠) :

(قاعدة : المنقولات فيها كثير من الصدق ، وكثير من الكذب ، والمرجع فى التمييز بين هذا وهذا ، الى علم الحديث ، كما نرجع الى النحاة فى الفرق بين

---

(١٢) رواه الدارقطنى فى سننه ص ١٠ ، وفيه ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن سالم السلولى أبو سالم عن أبيه عن وكيع ، ولم أر من ترجمه هو وأبوه ، وقع فى (التحقيق) (السكونى) بدل (السلولى) ، ولم يورده السمعانى فيهما .

نحو العرب ، ونحو غير العرب ، ونرجـع الى علماء اللغة فيما هو من اللغة ، وما ليس من اللغة ، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك ، فلكل علم رجال يعرفون به ، والعلماء بالحديث أجل قدرا من هؤلاء ، وأعظمهم صدقا ، وأعلاهم منزلة ، وأكثر دينا ، وهم من أعظم الناس صـدقا وأمانة وعلمـا وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل ، مثل مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد والشافعى وأحمد .. و .. البخارى ومسلم وأبى داود .... وابن عدى وأبى حاتم البستى والدارقطنى وأمثال هؤلاء خلق كثيـر لا يحصى عـددهم من أهـل العلم بالرجـال والجرح والتعديل ، وان كان بعضـهم أعلم بذلك من بعض ، وبعضهم أعدل من بعض فى وزن كلامه كما أن الناس فى سائر العلوم كذلك . (قال :) وهذا علم عظيم من أعظم علوم الاسلام . (قال ص ١١) : « والاسناد من خصائص هذه الأمة ، وهو من خصائص الاسلام ، ثم هو فى الاسـلام من خصائص أهل السنة) ثم قال (ص ١٢) :

« فالأصل فى النقل أن يرجع فيه الى أئمة النقل وعلمائه ، ومن يشركهم فى علمهم ، وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل مفصل عن الرواية فلا بد من هذا وهذا ، والا فمجرد قول القائل : » رواه فلان « لا يحتج به ، لا أهـل السنة ؟ ولا الشـيعة ، وليس فى المسلمين من يحتج بـكل حديث رواه كل مصنف » ثم قال فى فصل آخر (١١٥/٤) :

« وقد يكون الرجل صـادقا كثير الحديث ، كثير الرواية فيه ، لكن ليس من أهل العناية بصحيحه وسقيمه ، فهذا يستفاد منه نقله ، فانه صادق ضابط ، وأما المعرفة بصحيحه وسقيمه ، فهذا علم آخر ، وقد يكون مع ذلك فقيها مجتهدا، وقد يكون صالحا من خيار المسـلمين ، وليس له كثير معرفة ، لكن هؤلاء وان تفاضلوا فى العلم ، فلا يروج عليهم من الكذب ما يروج على من لم يكن له علم ، فكل من كان بالرسول أعرف ، كان تمييزه بين الصدق والكذب أتم . فقد يروج على أهل التفسير والفقه والزهد والنظر أحاديث كثيرة ، اما يصـدقون بها ، واما يجوزون صدقها ، وتكون معلومة الكذب عند علماء الحديث ، وقد يصدق بعض هؤلاء بما يكون كذبا عند أهل المعرفة مثل ما يروى طائفة من الفقهـاء ، حديث : (لا تفعلـى يا حميراء فانه يورث البرص) وحـديث (زكـاة الأرض يبسها .) وحديث .. وحديث .. الى أمثال ذلك من الأحاديث التى يصـدق بعضـها طائفة من الفقهاء ، ويبنون عليهـا الحـلال والحرام ، وأهـل العلم بالحديث متفقون على أنها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعة ، وكذلك أهل العلم من الفقهاء يعلمون ذلك » .

وقال العـلامة محمد بن عبد الهادى بعد أن نقل قول ابن تيمية : « فقد يروج ... » . :

« وهذه الأحاديـث التى ذكرها ، منها مالا يعرف له اسـناد ولا أصـل كحديث : « زكاة الأرض يبسها » ومنها ما هو موضوع ، وما هو ضعيف الاسناد كحـديث « لا تفعلى يا حميراء » رواه الدارقطنى وابن عدى وغيرهمـا وهو موضوع ، وحديث « نهى عن بيع وشرط » رواه البيهقى باسناد ضعيف .. » ثم قال ابن عبد الهادى : « ويشبه ما ذكره شيخنا من هذه الأحاديث ما يذكره بعض الفقهاء والأصوليين ، أو المحدثين محتجا به أو غير محتج به ، مما ليس له اسناد ، أو اسناد ، ولا يحتج بمثله النقاد من أهل العلم كحديث (النهى عن بيع الكالىء بالكالىء) وحديث .. و حديث .. » . ثم ختم ذلك بقوله .

« واعلم أن غالب هذه الأحاديث مروية بالأسانيد ، ومنها ما لا يعرف له اسناد أصلا ، وهى على أقسام : فمنها ما هو موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيقين ، ومنها ما يشك فى وضعه ، ومنها ما اسناده ضعيف ، ومنها ما قد يحسنه بعض الأئمة ، والله الموفق للصواب) (١٣) .

وقال العلامة ابن الحسنات اللكنوى فى (الأجوبة الفاضلة) (ص٢٩ـ ٣٠) بعد أن ذكر أصنافا من الوضاعين ، منهم من وضعوا أحاديث فى الأحكام ، وتقولوا بالحلال والحرام :

ومن هنا نصوا على أنه لا عبرة للأحاديث المنقولة فى الكتب المبسوطة ما لم يظهر سندها ، أو يعلم اعتماد ارباب ـ الحديث عليها ، وان كان مصنفها فقيها جليلا ، يعتمد عليه فى نقل الأحكام ، وحكم الحلال والحرام ، الا ترى الى صاحب (الهداية) من أجلة الحنفية ، والرافعى شارح الوجيز من أجلة الشافعية ـ مع كونهما ممن يشار اليه بالأنامل ، ويعتمد عليه الأماجد والأماثل ـ قد ذكرا فى تصانيفهما مالا يوجد له أثر عند خبير بالحديث يستفسر ، كما لا يخفى على من طالع (تخريج أحاديث الهداية) للزيلعى ، و « تخريج أحاديث شرح الرافعى » لابن حجر العسقلانى . واذا كان حال هؤلاء الأجلة هذا ، فما بالك بغيرهم من الفقهاء الذين يتساهلون فى ايراد الأخبار ، ولا يتعمقون فى سند الآثار ؟

ولذا قال على القارى فى (رسالة الموضوعات) : حديث « من قضى صلاة من الفرائض فى آخر حجته من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته فى عمره الى سبعين سنة » باطل قطعا ، ولا عبرة بنقل صاحب (النهاية) ، وغيره من بقية شراح (الهداية) فانهم ليسوا من المحدثين ، ولا أسندوا الحديث الى أحد من المخرجين . انتهى .

وقال السيوطى فى (مرقاة الصعود الى سنن ابى داود) تحت حديث (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتمشط أحدنا كل يوم : (فان قلت : نقل أنه صلى الله عليه وسلم « كان يسرح لحيته كل يوم مرتين » قلت : لم أقف على هذا باسناد ، ولم أر من ذكره الا الغزالى فى (الأحياء) ولا يخفى ما فيه من الأحاديث التى لا أصل لها انتهى .

وقال اللكنوى فى كتابه الآخر (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) (ص ١٢٢ ـ ١٢٣) بعد أن ذكر مراتب كتب الفقه الحنفى ، وما يعتمد عليه منها وما لا يعتمد :

« كل ما ذكرنا من ترتيب المصنفات ، انما هو بحسب المسائل الفقهية وأما بحسب ما فيها من الأحاديث النبوية فلا ، فكم من كتاب معتمد ، اعتمد عليه أجلة الفقهاء مملوء من الأحاديث الموضوعة ، ولا سيما الفتاوى ، فقد وضح لنا بتوسيع النظر ، أن أصحابها وان كانوا من الكاملين ، لكنهم فى نقل الأخبار من المتساهلين » .

ثم قال اللكنوى فى الكتاب الأول (ص ٣٥) : « فان قلت : فما بالهم أوردوا فى تصانيفهم الأحاديث الموضوعة مع جلالتهم ونباهتهم ؟ ولم لم ينقدوا الأسانيد مع سعة علمهم ؟ قلت : لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه موضوعا ،

---

(١٣) نقلته من مجموع بخط محمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زريق ، فيه عدة كتب منها فصل قال : رأيته بخط الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الهادى رحمه الله تعالى فى أثناء كلام له وهو محفوظ فى المكتبة الظاهرية برقم (٤٠٥ حديث) .

بل ظنوه مرويا ، وأحالوا نقد الأسانيد على نقاد الحديث ، لكونهم أغنوهم عن الكشف الحثيث ، اذ ليس من وظيفتهم البحث عن كيفية رواية الأخبار ، انما هو من وظيفة حملة الآثار ، فلكل مقام مقال ، ولكل فن رجال » .

قلت: وفى جوابه رحمه الله نظر كبير وتسامح ظاهر ، فان كون نقد الاحاديث ليس من وظيفة الفقهاء ، فذلك لا يسوغ لهم مطلقا أن يوردوها محتجين بها ، ومؤيدين بها مئات الفروع المذهبية ، وهذا معناه أحد شيئين :

اما أنهم يرون صحتها ، فلذلك احتجوا بها ، وهذا بعيد لأن شهادة الأئمة المتخصصين ترد ذلك .

واما انهم لا يعلمون صحتها ومع ذلك استدلوا بها ، وهذا هو الذى نعتقده ، وهم على هذا متساهلون كما صرح اللكنوى فيما تقدم ، فلعل الله عز وجل يغفر ذلك لهم لخدمتهم للشرع بعلم الفقه ، وان كان تساهلهم هذا له آثاره السيئة من نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين طلاب الفقه ، حتى صار من الصعب اقناعهم بضعفها وصرفهم عنها الى الأحاديث الصحيحة لثقتهم العمياء بمن أوردها من الفقهاء ، وتوهمهم أنهم كانوا على معرفة تامة بالأحاديث صحيحهاوسقيمها وانهم لم يوردوا الا ماصح منها !، ويصرح بعض غلاتهم بقولهم: « كل فقيه محدث ، وليس كل محدث فقيها » وجهلوا أو تجاهلوا قول الرجل الحكيم : (ولكل فن رجال) .

ونحن بعد هذا ، لا نريد من فقهائنا اليوم ، أن يصير كل واحد منهم محدثا ، الى جانب كونه فقيها ، يستطيع حين يتطلب الأمر أن يستخرج الحديث من مصادره وأصوله القريبة منها والبعيدة ، وأن يحكم عليه بالصحة أو الضعف ، ليس ذلك تقليدا منه لغيره ، بل بدراسته بنفسه لاسناده ، وبمعرفته لرواته ، وتتبعه لعلله ، كلا لا نريد منهم هذا ، فانه شيء صعب حقا ، ولم لا ؟ وأكثرهم لم يدرسوا من علم الحديث الا ما يعرف اليوم بـ (مصطلح الحديث) دراسة سطحية نظرية لم يقترن منها تطبيق عملى ، على نحو دراستهم سائر العلوم الأخرى مثل (الفيزياء) و (الكيمياء) وغيرها من العلوم التى اذا لم ينضم اليها دراسة تطبيقية ، فسرعان ما ستتبخر من اذهانهم بعد انتهائهم من الدراسة وحصولهم على الشهادة !

وانما نريد من فقهائنا اليوم شيئا وهو سهل على من سهل الله له :أن يعتبروا بصنيع من قبلهم ، فلا يحتجوا بالأحاديث الضعيفة لاثبات أى حكم شرعى وأن يتعرفوا عليها بالرجوع الى أهل التخصص والمعرفة بها من المحدثين ، وهؤلاء لهم كتب كثيرة معروفة فى تخريج بعض الكتب الفقهية ، ولهم كتب أخرى متنوعة تساعد الفقهاء على تمييز الحديث الصحيح من الضعيف وبذلك يصح اعتبارهم ويكون فقههم نافعا صالحا مشكورا .

---

(١٤) للشيخ الفاضل عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بكلية الشريعة فى الأزهر مقدمة على (المقاصد الحسنة) وأخرى على (تنزيه الشريعة) كاد أن يحيط فيها بالكتب المؤلفة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والمشتهرة على الألسنة ، مع التنبيه على المطبوع منها ، فليرجع اليهما .

نداء

يا رفيقاً أعطى الحياةَ كَثيرًا ... جَدِّد العزمَ لا تملَّ المسيرًا

أنت ما زلت سيداً وستبقى ... سيِّدَ الكَون أولا وأخيرًا

أنت أنت الذى أقام وأرسى ... دولة الحق عزةً وضميرًا

فاستحالت ناراً على كل باغٍ ... أكلته وأصبح الكونُ نورًا

أنت من دوَّخ الطغاةَ فعادت ... هجماتُ التَّتار تبكى المصيرًا

أنت من رَّغ الغزاةَ فأمسَى ... في يَدَيْك الطاغوتُ عبدًا أسيرًا

ياحفيداً لخالدٍ ولعمروٍ ... وصلاحٍ مازلت نصرًا كبيرًا

★ ★ ★ ★

يارفيقاً أعطى الحياة كثيرا ... جَدِّد العزمَ لا تملَّ المسيرًا

أنت روح الحياة قيثارَ حُبّ ... يهب اللَّحْنَ والهُدَى والعَبيرًا

لا تخَاذلْ فالطَّبلُ أجوف يُدَوِّى ... مِن فراغٍ وَيستَطِيلُ غُرُورًا

واللَّهيبُ الّذى تراه صِيَاحٌ ... رَاعبٌ حاقِدٌ يفحُّ سَعِيرًا

هُو يخشى مصيرَه حيث ينها .... رُو يَهوى أرضا رَماداً حَقِيرًا

إنَّ تلكَ الأمواجَ يقذفُها الريـ ... ـحُ وَيمضى مُقَهْقِهاً مذعُورًا

للأستاذ : بكر موسى

حيثُ يمتصه الفضاءُ وتُدمى ... جبهةَ البحرحين تَلقى الصُّخُورَا

والبراكينُ لعنةُ الكَبْتِ تَقْضِي ... نَحْبَها ذلةً تمنى المُجِيرَا

إنها رعدَة الشِّتاءِ ضَبَابٌ ... يتعالى ويَنْتَهي زَمْهَرِيرَا

وخريفٌ من الرُّعُونةِ يعدُو ... ساكباً دَمْعَه غَزيراً غزيرَا

ذَاكَ صوتُ الضَّلالِ مهما تعالىَ ... باهِتَ اللَّحنِ لاَ يمسُّ الشُّعُورَا

صرخَةٌ مالها صدًى وصُرَاخٌ ... لاَ غِبُّ الخَطْولم يُحرِّك ضَميرَا

* * * *

يَارَفيقاً أعطَى الحياةَ كثيرًا ... جَدِّدِ العَزْمَ لاتملَّ المَسِيرَا

أنت تحيا لِلحقِ . والحقُ يَمضِي ... واثقَ الخَطوِ ناصراً مَنْصُورَا

وَطَرِيقُ الأحرار شَوكٌ ولمَّا ... يَجِدِ الحُرُّ فِي الدُّروبِ زُهُورَا

يَاأَخِي لا تَقُلْ هزِمْنَا فَنصرُ المُؤمِنِ الحَق قَدْ يَكُونُ أَخِيرَا

فشلُ الخَصْمِ أن يَرَاكَ قويًّا ... مُستَمِيتاً عَلى البَلاءِ صَبُورَا

إنَّها مِحنَةٌ يَطُولُ مَدَاهَا ... فَتَجَلَّدْ تَلْقَ العَسِيرَ يَسِيرَا

ربَّ ضُرٍّ تَضِيقُ منهُ طَويلاَ ... يجعلُ اللهُ فيه خَيراً كَثيرَا

والحياةُ الحياةُ عزمٌ وحَزْمٌ ... فَتَقَدَّمْ ولاَ تملَّ المَسِيرَا

المعتدون على

الفقه الإسلامي

للدكتور : وهبة الزحيلي

الاسلام النظام القائم بذاته المستقل عن أى تشريع آخر : لا يعرف منطقة ولا تقبل صراحته الا تصنيف الناس الى فريقين : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، فريق المتقين المؤمنين الأخيار ، وفريق العصاة والكفار والمنافقين والأشرار .

والفريق الثانى لا خطورة فكرية منه على الاسلام ، لأنه يكره المسلمين بدافع الحقد ، والتعصب والتقليد الموروث عن الآباء والأجداد ، وبالتالى لا يقبل تطبيق نظام الاسلام فى نطاق الحياة العامة وفى مجال التقنين النافذ الملزم لكراهية فى الصدور وبسبب ممارسة طقوس دينية مخالفة للاسلام ، فان أريد تطبيق الاسلام فى بلد اسلامى يوما ما ، ظن من يعرف بالأقليات ظنا خاطئا أن الاسلام ينتقصهم حقوقهم ، ويفرض عليهم واجبات وأعباء خاصة تتنافى مع المستوى اللائق للانسان وكرامته فى العصر الحديث . غير أن المنصفين من هذا الفريق بعيدون كل البعد عن أمثال هذه الترهات والأباطيل ، فهم يترفعون عن دوافع التعصب الأعمى وبواعث العصبية الجاهلية ، فيعملون أفكارهم المجردة ، ويقدرون ماجاء به الاسلام من اصلاحات جذرية لتنظيم الحياة العامة والخاصة ، ويعترفون بسلامة واعتدال قواعد الاسلام وأحكام فقهه ونظرياته العامة التى تعتبر من أرقى وأنضج وأوفق لما توصل اليه الفكر القانونى المعاصر ، لذا فانه لا غرابة اذا وافق بعضهم على تطبيق أحكام الفقه الاسلامى باعتبارها وليدة البيئة العربية وتراث القومية العربية .

وفى انطباعاتنا أن هؤلاء سواء أكانوا ظالمين أم مقسطين عادلين لا يهمنا

أمرهم ، ولا يزعجنا موقفهم من الاسلام ، بل ولا يزيدنا تناؤهم أو تقديرهم ايمانا وحبا وتقديرا لفقهنا الاسلامى العظيم ورجاله الأفذاذ .

وانما الأدهى والأمر ، والأنكى والأعجب أن نجد أناسا من الفريق الثانى — فريق المسلمين — يسيئون الى أنفسهم ودينهم ، ويستهينون باخوانهم العاملين فى حقل الاسلام الذين لا يشاركونهم فى الظاهر فى اختصاصهم ونشاطهم ، أو لا يسيرون معهم سير الأتباع فى كل شىء ، سواء أكان خيرا أم موصوفا بالخيرية .

وجناية هؤلاء فيما سنوضحه فاحشة منكرة ، لأننا كما نعلم لا يؤتى الاسلام الا من أهله وعشيرته :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند .

والاسلام فى عقيدة أتباعه هو المحكم فى الخلافات ، ومرد النزاع ، وعلى مائدته وفى هديه تفض المنازعات وتهدأ ثورة النفوس عند الخصام : « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله » .

والاسلام كما هو معروف حرب على الجهالة والجهلاء ، وعدو للتخلف والهزيمة ودعاة الانهزام ، ودعوة الى الحرية والفكر والعقل والنور والمدنية والعرفان .

لكن الجاهل المعروف بجهله شأنه يسير ، وانما الخطر الذى نعانيه اليوم هو بسبب الجهل النصفى وهو جهل المتعلمين والكتاب والأدباء والمتخصصين فى شتى أنواع العلوم والمعارف الحديثة بحقيقة الاسلام ، ومع ذلك فهم بحكم اسلامهم وغيرتهم على دينهم يتصورون نظام الاسلام وتشريعه حسبما يتراءى لعقولهم « الذكية » وأفكارهم « العميقة » وآرائهم « السديدة » ، وغاب عنهم أن مثل هذا الذكاء والفكر محصور فى حدود اختصاصهم وفى دائرة أدبهم أو علمهم الذى تعلموه على مقاعد جامعات الغرب الشهيرة ، وفيما وراء ذلك يعدون جهلاء مغرورين مفتونين ان ادعوا علمهم مثلا بفقه الشريعة الاسلامية وأصولها ودقائق علومها وقدر فقهائها الأوائل ، بل ربما فى أحكام العبادة الدينية التى يؤدونها خمس مرات فى اليوم أو مرة فى العام أو فى العمر ، وهى فى الحقيقة مشتملة على أخطاء ، ومردودة فى وجوههم يوم القيامة ، لأن الله سبحانه لا يقبل من العبادة الا ماكان صحيحا خالصا من الشوائب .

وعند أدنى التأمل نقول : رحم الله امرءا عرف قدره فوقف عنده ، فلا عيب مثلا ان كنت جاهلا بعلم الطب أو الهندسة أو الفلك أو الفلسفة ، وأنا الآن أمارس اختصاصا آخر ، وعندئذ لا يعقل بداهة أن أتهجم على أرباب العلوم الأخرى وان كان الجاهل بالشىء عدوا لما جهل .

ولكن مع كل هذه البدهيات والمسلمات الضرورية فى منطق الأشياء ، تطلع علينا الآن بعض المؤلفات الاسلامية ، وتنشر بعض المجلات الاسلامية فى صفحاتها الأولى ، ويتواتر النقل عن بعض الجماعات والأشخاص الاسلاميين من دعوة سافرة الى التهوين من شأن دراسة الفقه الاسلامى واعتبار أن العمل فى ميدانه « ليس عملا للاسلام ، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته ، وأنه مضيعة للعمر والأجر أيضا » .

هذا القائل أحد فئات خمسة تستهين بدراسة الفقه الاسلامى ، وتلتقى فى مآل الأمر — وان كان بغير شعور — مع النزعة الاستشراقية الآثمة التى

تطفح قلوب أصحابها بحقد دفين معاد للاسلام فى جملته ، وموجه الى القلعة الحصينة فيه بعد القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذه الفئات الخمسة هى مايأتى :

الفئة الأولى :

تقول : لا فائدة من دراسة هذا الفقه المسطور فى الكتب « القديمة » الكثير الفروع ، المشتت الأصول ، الموزع الأفكار ، المعقد الألفاظ والاصطلاحات ، والمشتغلون به هم « أهل الظاهر » وعلمهم علم الظاهر ، وأما هم فيأخذون العلم من مصدر الوحى ومفتاح النبوة وصاحب الرسالة مباشرة بالاتصال القلبى ، أو عن حضرة الله بطريق العلم اللدنى : « وعلمناه من لدنا علما » .

وهذا محض الكذب والافتراء والغرور ، لأن الوحى لا ينزل الا على نبى او رسول ، ولا يطلع الله سبحانه على علمه وغيبه أحدا الا بوحى سماوى منزل : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » . وأما الالهام المزعوم فلا يصلح دليلا من أدلة الشرع ، ولا طريقا لمعرفة أحكام الاسلام ، لأنه طريق غير مأمون العاقبة اطلاقا ، وليس بالموثوق عقلا ونقلا ، لاحتمال الخطأ والفوضى والتخليط الناجم عنه . ومن المعروف أن شرع الاسلام انما يؤخذ عن صاحب الرسالة مباشرة وينقل الى من بعد أصحاب النبى بالسند المتصل الذى تميزت به الامة الاسلامية عن غيرها من الامم الاخرى ، وكان ذلك هو السبب فى الحفاظ على سلامة أحكام الاسلام من التغيير والتبديل ، والتحريف والتأويل ، والله سبحانه وتعالى نهانا عن التكلم فى الدين بغير علم ، قال عز شأنه : « ولا تقف ماليس لك به علم » « ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

هؤلاء الروحانيون عابثون تائهون يفترضون أشياء من بنات الخيال وعالم الأفكار البعيدة ان لم يلتزموا بضوابط الشريعة كما تلقاها صحابة رسول الله ، وعملوا بها ، وعرفوها واضحة جلية ، لأن شريعتنا تعتمد أو لا — كما أشرت — على النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال للعقل فى تقرير أو اثبات أو افتراض شىء بغير اعتماد على نقل ثابت ، أما فى مجال التحقق من صحة النقل أو التثبت منه فان للعقل دورا فى ذلك لتزييف النقل أو رده أو اقراره فى ضوء معرفة أصول الشرع ومقاصده العامة وأهدافه الاصلاحية ، ولن تتوفر تلك المعرفة بغير دراسة مستمرة طويلة تتمثل كل ماجاء به الاسلام من عقيدة وعبادة وتشريع وحكم وتوحيد وتصوف وتفسير وحديث وفقه وأصول ... الخ .

وحينئذ فقط يتهيأ لنا أمثال أولئك الرجال الذين كانوا ينخلون الحديث نخلا بحس صادق وذوق مرهف وصفاء أصيل ، فصانوا السنة النبوية عن كل دخيل ، وحموها من افتراء المفترين ، ووضع الوضاعين للأحاديث المزعومة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفئة الثانية :

بعض الدعاة الى الاسلام : وهذه أخطر الفئات ، لأنى والناس يحبون بالفطرة كل عامل مخلص لدين الله ، ويثقون بأشخاص الدعاة ، لأنهم مؤتمنون

على نقل رسالة الاسلام للأجيال المتلاحقة وتقريبها من أذهان الناشئة وعرض فلسفة الاسلام لهم عرضا شيقا رائعا ، وتصوير أهداف الدين ومراميه القريبة والبعيدة تصويرا أدبيا حديثا ومبتكرا أحيانا .

لكن هؤلاء ان اصابوا فى مجال الدعوة الى الاسلام والمطالبة بتطبيق نظامه عقيدة ودستورا وحكما وادارة وقانونا نافذا ، فهم فيما يبدو متناقضون ، لأنهم ان أرادوا تطبيق دستور الاسلام ، فهل يمثل هذا الدستور تمثيلا بارزا جوهريا سوى الفقه الاسلامى يعنى الأحكام العملية الصادرة عن الانسان قولا وفعلا وتصرفا وهل تغنى الغيرة الدينية والعاطفة الصادقة والايمان الصحيح عن الربط العضوى الكامل بفقه الاسلام الذى يرسم للمجتمع حسبما تقضى به السياسة الشرعية نظام الاسلام الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى .

وهل الأمل الباسم باقامة مجتمع اسلامى مستقيم يعيد مجد الاسلام الأول وصفوه الأمثل يكون بغير قواعد الاسلام الفقهية وانظمته التفصيلية ؟ !!

واما أحكام الاســـلام الاعتقادية والخلقية ، فهذه فى الغالب ليست مثار نزاع ، الا لهوى شخصى ، اذ من النادر بين المسلمين من يتنكر لعقيدته وفطرته وقواعد الأخلاق التى وضعها الاســـلام وبلورها على نحو يحقق الخير للجماعة والنفع العام للعالم من غير تمييز بين الناس فى الجنس أو اللـــون أو العرق أو اللغة أو الدين . وقلما تجد أحدا لا يسلم بأصالة الأخلاق الاسلامية وسموها وواقعيتها واعتدالها لمسايرتها متطلبات المادة والروح ، والدين والحياة ، والعمل والعبادة فى اتم نظـــام وأحكم أساس .

واما الفقه الاســـلامى الذى هو مصدر الدســـتور والقانون فلا تســـهل معرفته ، ولا يعرفه الناس بدون دراسة مستمرة له تعرف المســـلمين بأحكامه وتبين لهم ماهو خالد باق منه لا يتغير للنص القاطع الوارد بشأنه ، وما هو قابل للتطور والتبدل أو التعديل لانبنائه فى أصله على نحو مرن متجاوب مع المصالح المتجددة والحاجات المتغيرة . كما أنه لا بد من بيان ما يجوز للحكـــام فعله وما لايجوز من تقييد المباح ، وسد الذرائع ، وايقاف النص مؤقتا ، والســـبل التى يسوغها الشارع فى بدء الحكم وأثنائه ، وما يصادم الشريعة من الوسائل المحرمة لتحقيق الغايات المرجوة .

أننتظر قيام دولة الاسلام الراشدية لنبدأ دراسة الفقه الاســـلامى فيعم الجهل ويسوء الفهم وتختلف الآراء ، وتتجلى آثار ذلك فى وضع دستور اسلامى فوضوى مشبع بروح التعصب والهوى والاجتهاد القلق ، كما يحلو لأمثال هذا الأديب الكاتب !!

الا نعلم أن الناس اليوم أفلسوا من بضاعـــة الوعظ والارشاد واثارة العواطف ، كما يفعل هذا الكاتب ، وكما يفعـــل الخطباء فى محاضراتهم وعلى منابرهم ، وسبب الافلاس أن الناس أصبحوا لا يتحمسون للمبادىء الرائعة دون أن يلمسوا فائدتها أو يعرفوا حقيقتها وأهدافها ، أو يدركوا المصـــالح المترتبة عليها ، كما يفعل الفقيه فى تبيان كل ذلك وايضاحه .

الا ندرك ادراكا تاما ان كفالة الله لحفظ القرآن الكريم لا تقتصر فقط على حفظ آياته السامية بين دفتى المصحف دون تحريف أو تبديل ، وانما الحفظ شامل لكل الروافد التى تساعد على حفظ القرآن ، ومن أهمها وأولها مدارس الشرع وحلقاته وكلياته وجامعاته ؟ !!!

كيف يصح القول بأن دراسى الفقه يشـــبهون مصممى الأزياء والملابس التى تتغير حسب الفصول والأعوام ، علما بأن فقه الاسلام يرتد فى الحقيقة الى المصدر الالهى بطريق الوحى ، اذ لا خلاف بين المسلمين فى أن مصدر جميـــع الأحكام الشرعية انما هو الله سبحانه بعد البعثة النبوية ، سواء اكان ذلك بطريق النص المباشر فى القرآن والسنة ، أم بواسطة الفقهاء المجتهدين ، لأن المجتهد مظهر للحكم لا منشىء له من عند نفسه .

واذا كان هناك « قسط كبير من الأحكام الفقهية من ثمرات التفكير الاجتهادى اهتدى اليها بوسائل استنباطية مختلفة » فلا يعنى ذلك كما يتبادر للأدباء مثلا ان هذا الاجتهاد من محض الفكر الشخصى والهوى الذاتى ، لأن الاسلام الذى هو تشريع سماوى يتقيد الاجتهاد فى نطاقه اما بتفسير نص قرآنى ، أو حديث نبوى صحيح ، أو أصل شرعى مستنبط منهما ، أو قاعدة فقهية مأخوذة من وقائع التشريع وأسباب النزول أو من المقاصد العامة والأهداف الكبرى او الأساسية التى ينشد الاســـلام تحقيقها وتنظيم المجتمع على هديهـــا ان كان ما يكتبه هذا الكاتب الأديب الذى يجعل العمل فى الأدب والفن والتجارة أفضل من دراسة الفقه وأجدى سبيلا هو زلة قلم وشططا فى القول ، فالخطب يسير ، لأن الكاتب أحيانا يكون متأثرا بالخيالات ، وقد يجمح به الغرور ودافع التجديد الى اسفاف فى الكلام ، وقد يجرى على قلمه شطحات شيطانية تشبه شطحات الشعراء وغلواءهم والشعراء يتبعهم الغاوون .

وأما ان كان ذلك فكرة وتخطيطـــا كما هو المرجـــح من أمثاله واعوانـــه والناشرين لكلامه لتهوين دراسة الفقه وتقليل أهميته وجدواه ، والاستخفاف برجالاته وأساتذته وطلابه ومعاهده ومدارسه ، فهذا ما نرفضه رفضا ابديا ، ونعلن تخطئته ، ونقرر أنه جهل فاضح بالفقه واحكامه وانظمته ، كما بينا فى بدء المقال .

فهل دراســـة تفســـير القرآن الكريم والحديث النبوى لها ثمرة عملية فى الغالب غير ثمرة استنباط الأحكام الشرعية منهما ، فهما فى الحقيقة واغلب علوم الاسلام قد تبلورت وتمثلت فى الفقه والفقهاء ؟ !

وهل يعرف الغربيون عن حضارة العرب وافكار المسلمين القانونية غير فقه الاســـلام الذى يصـــور المجتمـــع فى نشـــاطه الـــفكرى والاقتصـــادى والاجتماعى ؟ !

وهل المؤتمرات الدولية اعتمدت غير الفقه الاسلامى مصدرا من مصادر التشريع العام فى العالم ؟ !

وهل يستطيع امرؤ الغض من قدر فقها ئنا العظام الذين هم مفخرة الاسلام الكبرى وأعجوبته النادرة بما أعقبوه من تراث مجيد غزير صالح الى الآن ومنذ اثنى عشر قرنا ، لأن رائدهم كان هو الاخلاص والتفانى فى الوصول الى الحق وخدمة العلم ، ولأنهم يستمدون من روح الاسلام وأصوله الأبدية ؟ !

وهل خلد الرومان ذكرهم بالرغم من عظمة دولتهم ومضى آلاف السنين عليها بغير الفقه الرومانى الذى هو شىء يسير اذا قيس بالفقه الاسلامى والذى اشتغل به فقهاؤهم الاقدمون ، حتى كانت آراؤهم ونظرياتهم اساسا أوليا للفقه اللاتينى المعاصر فى أوروبا ، مما بوأ تاريخ الرومان القانونى منزلة جعلته يحتل مقررا دراسيا فى مختلف كليات الحقوق الحديثة ؟ !

ثم انه هل يفتخر الفرنسيون واضعو القـوانين فى العـالم الغربى بغير مجموعة نابليون بونابرت التى تمخضت عنها الثورة الفرنسية سـنة ١٧٨٩ م بفضل الفقهاء القانونيين الذين كانوا من ورائها . وكذلك شأن الجرمان والفقه الجرمانى وغيره .

وهل الفقهـاء فى كل عصر على ممر التاريـخ الا أولئك العمالقة الذين يعكسون لنا صورة المجتمع الذى يعيشون فيه ، ويرسمون لنا صـورة نظامه القانونى وحياته التى تسير فى فلكه ودائرته ، فنستفيد بالتالى من تجارب الماضى ونخطط للمستقبل على نحو متزن واضح .

ان الذين يهونون من شـأن الفقه ودراسـته ويقولون مثلا : انه « فقه العوام » للصلاة والصيام والأعمال ، الم يكونوا هم بالأولى أحرص الناس على الاستفادة من هذا الفقه لتصحيح عباداتهم ، وقد شاهدت بنفسى خللا فيها عند بعضهم ، ثم ترغيب الناس وحمل أنفسـهم بالذات على جعل البيوع والأشرية والشركات والرهون والتجارات على أساس اسلامى ؟ !

ثم الم يعلموا أن فقه الاسلام راجع اما الى آية قرآنية ، أو حديث نبوى ، أو أصل اسلامى ، وأن عمل الفقهاء ليس بضاعة مزجاة كما يزعمون وانما هو عمل خالد باق مثمر ، وثروة تشريعية كبرى ، وخدمة جلى للاسلام ، ونحن بأمس الحاجة الى دراسة انتاجهم ، واقتناء حصاد أفكارهم ؟

وهل أصحاب الفن والأدب والتجارة قليلون حتى نترك دراستنا الفقهية ، ونزاحمهم على عملهم « الشريف » ؟ ! واذا تعرضت مؤسسـة تعليمية للعلوم الشرعية للالغاء من سلطة ما ، فلماذا نتألم ونأسف اذا كان هذا الأديب الكبير وداعية الاسلام يرى أن الاشتغال بالفقه الاسلامى مضيعة للعمر والأجر معا : « كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا » .

لا يصح لى أن أقول وفق منطق الكاتب المذكور : ان الاسـلام هو الفقه مثلا ، وانما هو كل علم له صلة بالشريعة ، مما يوجب على احترام المختصـين فيه ، وتقدير القيم الناتجة عنه ، ذلك لأن الاسلام كل لا يتجزأ وكل علم فيه يخدم العلم الآخر ، والاسـلام بنيان كبير يحتاج الى مهرة متعددين متعاونين لا قامة صرحه ورفع لوائه ، والاسلام بحاجة ماسة الى تعاون أيدى كل اتباعه ، فهو يحتاج الآن الى المفسر والمحدث والفقيه والاصولى والمتكلـم (عالم الكلام أو التوحيد) والفيلسوف والمؤرخ والداعية ، كما انه محتاج لتطبيق مبادئه ونهضته الى الخبراء الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين والكتاب والأدباء والمترجمين ، والمخترعين والصناع والتجار والزراع والمثقفين والقضاة واعوانهم ... الخ . هكذا يقوم بنيان الاسلام : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضـوان خير ، أم أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم الظالمين » .

ومن يستطيع الزعم بأن دارس الفقه لا يدعو الى الاسلام واقامة دولته ، والجهاد فى سـبيل الله ، ومقاومة الأعداء مهمـا كان لون العدوان ، وطرد المحتلين والمستعمرين من كل جزء من اجزاء بلاد الاسلام ، وهل حمل لواء الجهاد بحق الا الفقهاء على ممر العصور ، فنحن فداء للاسـلام بالروح والمال عقيدة وجهادا وتضحية وبذلا وسياسة وعملا واخلاصا ونصحا . قال أستاذنا الجليل

الشيخ محمد أبو زهرة : « ومن يحاول أن يفهم الشريعة الاسلامية على أنها قوانين مجردة ومعالجات لاصلاح طوائف من المجتمع وتنظيم معاملاتهم من غير أن يربطها بالاسلام ، فلن يفهمها على وجهها الصحيح ، لأن الفهم المستقيم : ما قام على رد الفروع الى أصولها ، والنتائج الى مقدماتها ، والأحكام الى غاياتها ، والآراء الى مقاصد قائليها ... » .

وان دراستنا للفقه لا تعنى فقط معرفة آراء فقهائنا العظام فى عصر الازدهار الفقهى فى القرن الثانى الهجرى ، وانما هى دراسة نقدية ايجابية متحركة نامية تقرر ما عليه الفقه فى الماضى — واغلبه جيد — وتبين مدى ملاءمته للحاضر وتطلعات المستقبل ، وعندئذ نستفيد من تراثنا العظيم ومن طرائق المجتهدين فى استنباط الأحكام الشرعية ، ثم نحاول تنمية هذا التراث وتطويره ووضع الضوابط الصحيحة المستفادة من فقهائنا للانطلاق المتعقل نحو المستقبل المنتظر والحاضر القائم .

هذا فضلا عن معرفة أحكام الحلال والحرام والصفة الدينية التى يتصف بها الفقه الاسلامى وبيان أوجه صحة العبادة الشرعية والمعاملات المدنية ، ونوع العقوبات الجزائية التى يجب تطبيقها على الجناة ، وأحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث ووصايا ، وأصول المعاهدات وأحوال السلم والحرب والأوضاع الدستورية والادارية ، والعلاقات الخارجية والداخلية مع غير المسلمين . كل ذلك يعرف فى كتب الفقهاء ، فهل الاشتغال بذلك يعتبر مضيعة للعمر والأجر معا ، وهل هو فقه أوراق رخيص ؟ !!

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص بشىء غير العلم والفقه فقال : « أفضل العبادة الفقه » « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ... » الحديث . واذا كان الفقه المراد فى الأحاديث المذكورة أعم من فقه الفقهاء ، فهو على كل حال من مشمولاته وأخص ما يراد منه .

والزهد بدراسة الفقه زهد فى الحقيقة بالاسلام ؟ لأن غاية الفقه الاسلامى تنظيم الحياة الخاصة والعامة واسعاد العالم كله ، وتحقيق مصالحهم ، ودفع السوء والمفاسد عنهم ، ووضع أسس المجد المرتقب ، واصلاح العلاقات الانسانية وتقوية الصلة بالله .

فهل العناية بدراسة هذا الفقه لا تخدم رسالة الاسلام ، أو أن العمل فيه عمل مريح لا خطر فيه كما يتصور أديبنا الكاتب الكبير ؟ !

أجل ! انه عمل ثقيل لمن يعرف الفقه ومشتملاته ، ومسئولية عظمى وأمانة كبرى عند من يحسن فهم الفقه ، فالفقيه اذا سئل عن قضية فأفتى فيها بما يخالف ارادة الحاكم مثلا تعرض لكل أنواع الضغط والتعذيب والتنكيل ، كما حصل للامام مالك فى عهد أبى جعفر المنصور حيث أفتى بعدم وقوع طلاق المستكره ، فجلد ، وكما ثبت الامام أحمد أمام سياط الخليفة المأمون فى محنة خلق القرآن ، فثبتت بثباته عقيدة الأمة .

ومع كل ذلك ، هل الحكام والأمراء ودعاة الاصلاح بغنى عن فقهاء يعتبرون عونا أوليا لهم ، وسندا دائما معهم ، وقوة فكرية تؤصل سياستهم أو دعوتهم على أساس علمى رصين ، وفكر ثاقب ، ورأى نافذ ؟ !

فليس الاسلام عاطفة فقط ، ولم يقم مجتمعه على غير هدى ونور ، وعلم وفقه ، ونظام وتخطيط .

وهل اثبات صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، أو اثبات مرونته وتطوره وقابليته للحياة الحاضرة يكون بغير دراسة الفقه وانضاج احكامه ، وسبر أغواره ، ورصد تطلعاته ومراميه وأبعاده ؟!

واذا كان منهج الاسلام وطبيعته فى بادىء أمره فى مكة هو محاربة عوامل الانحراف الاساسية للمجتمع ، والقضاء على مفاسد الجاهلية ، فلا يعنى ذلك أن يكون الحفاظ على الاسلام الآن وتهيئة عوامل الاستقرار لأنظمته رهينا باصلاح العقيدة فقط ، بل لابد من تعاطف جميع القوى الاسلامية وقوانين الاسلام لاقامة حياة منظمة ومجتمع مسلم ، وهل القوانين الوضعية الآن التى تخطط لأفكار الناس ونشاطاتهم سوى فقه الفقهاء وصنيع العلماء ؟!

أجل !! ان محاربة دراسة الفقه من بعض المسلمين ، أو قادتهم ان كانوا كما يحسبون قادة لموقف غريب مدهش ، بل هو أشد ما رأيته غرابة فى حياتى فى عصرنا الحاضر الذى لا تقوم فيه دولة بغير دستور وقانون . وعلى كل حال فالتهوين من دراسة الفقه بكل أبوابه مصدره جهل به ، وغرور مسيطر على نفوس بعض الأشخاص ، ولعلى لا أبالغ فى اثبات صحة ما أقول ان تحديت أو امتحنت أمثال أولئك المستهينين ليفهمونا حقيقة نص فقهى أو منشأ قاعدة أصولية ، أو طريق الخلوص من تعارض دليلين شرعيين ، ان لم يحتكموا الى مجرد عقولهم ومنطق أقوالهم ، وما أبعدها أحيانا عن المنطق الصحيح والفكر الاسلامى الأصيل .

ان الفقه الاسلامى الذى عرف أحدث النظريات القانونية الجديدة مثل نظرية الظروف الطارئة والقوة القاهرة ، ونظرية تحمل التبعة ، ومسئولية عديم التمييز ، والتعسف فى استعمال الحق ، والضرورة ، وضمان الاعتداء أو المسئولية المدنية والجنائية . . الخ : هذا الفقه أى عار فى دراسته وهلا نعترف بأنا مازلنا مقصرين بحقه للاستفادة منه ، ولرفد الفكر المعاصر بأصول ومبادىء كثيرة من معينه الذى لا ينضب . وعند ئذ تتجلى الحقيقة الدامغة ، وتتبدد أوهام القائلين بأن دراسة الفقه الاسلامى هى مجرد دراسة تاريخية محضة متذرعين بعدم تطبيقه الآن ؟ !

الفئة الثالثة :

بعض دعاة الاصلاح للدراسات الاسلامية فى المعاهد والجامعات : لقد طالعتنا أحداث « المجددين العصريين » بالعجب العجاب استجابة لصيحات سابقة باصلاح مناهج الدراسات الاسلامية منذ أكثر من ربع قرن ، مطالبة تلك الصيحات بالنهوض بدراسة المشكلات المعاصرة وتغيير الكتب المقررة ، وتبسيط المقررات الشرعية ، والابتعاد عن دراسة الفروض والقضايا النظرية والمسائل الخيالية والأبحاث غير الموجودة فى وقتنا .

لكننا مع الأسف بعد أن ترقبنا المولود السعيد القوى « تمخض الجمل فولد فأرا » فكان الاصلاح الجامعى على غير المراد ، اذ جاء مسخا وتقصيرا وقتلا

او اضعافا للدراسات الاسلامية ، فبدلا من وضـــع المناهج الجديدة فى مرحلة التعليم الثانوى والجامعى على أساس اسلامى صرف يؤصل الاحكام الاسلامية ويربطها بأصولها الأولي ونظرياتها العامة ومقاصد التشريع وتعميق الأفكار وعقد الصلة بالحياة الحاضرة ، وبدلا من توسيع دائرة تدريس العلوم الاســـلامية ، بدلا من كل ذلك تركز الاتجاه نحو تقريب الفقه الاسلامى مثلا من القانون الوضعى على انه الأصل « الأسمى » وأصبحت المقارنة مع الفقه تستهدف تذليل الأحكام المخالفة للقانون على نحو يتقبله سدنته وتصـــورات رجاله ، ناسين بأن فقهنا الاسلامى له طابعه الاستقلالى ، وأن القانون لم يستقر بعد ، وهو من وضع المستعمرين والأعداء الحاقدين .

واصبح مع الأسف الشديد حظ دراسة العلوم الاسلامية بمقدار الخمس ، وخصصت الأربعة الأخماس الباقية للعلوم العصرية .

الفئة الرابعة :

الزعانف والطفيليون : وهؤلاء أمرهم جلل حقير اذ أن كل الناس يعرفونهم ، فهم لنقص فى تكوينهم لاهم لهم الا التطفل على العلم ومحاولة مد الرءوس على موائد العظام ليختلسوا عظمة تسد جوعتهم ، وترفع خسيستهم ، وتعوضهم عن دناءة طبعهم وانحطاط اقدارهم ، ليظهروا بذلك فى مصـــاف العلماء ، بل فوق الفقهاء ، بل المجددون المصـــلحون كما يروق لهم وكما يزعمون ، ولكن لا يعدو أمرهم عن انهم كالحجاب الـــذين اعتادوا السطـــو على ما فيه جيوب الناس ، أو التسلط على سدة الحكم وتقلد السلطة كما حصل فى دور انحطاط الخلافة العباسية .

وطريق هؤلاء فى الظهور تتبع شـــواذ الآراء الفقهية ومحاولة ترجيحهـــا وتقويتها بظواهر الأحاديث النبوية ، ثم يطلعون على الناس بالجديد « المحقق » والرأى « الصائب الدقيق » المستقى من سنة النبى صلى الله عليه وسلم وفقه السلف الصالح ، وكأن فقهاءنا كانوا لا يعرفون السنة فى عهد تدوين الســـنة وفى القرن الذى شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية ؟ !

وان أردت معرفة هؤلاء فهم بسطاء فى العقل ، قساة فى الطبع ، شذاذ فى الآراء ، يزعمون التجديد ، ويزيفون اقوال فقهائنا الغابرين الذين شهد لهم الشرق والغرب بفقهم ، يعادون أساتذة الفقه ويصـــفونهم بالجهل ، ويتكلمون بكلام أخرق لا أدب فيه ولا ذوق ولا ميزان ولا أصول ، ويتشـــدقون بالأقوال ، وينادون بتوحيد المذاهب الاسلامية والزام الناس برأى واحد من بين هذه الآراء التى هى « ركام » أو « خيام » أو خرافات » . وأما هم فلا يقولون الا حقا ، ولا ينطقون الا بالحكمة ، ولا يرون رأيا أصح أو أرجح فى الاسلام من رأيهم « الفج » وصدق الله حيث يقول : « ولا تقولوا لمـــا تصف ألسنتكم الكذب : هذا حـــلال وهذا حرام .. » الآية .

هؤلاء فى الحقيقة عنوان الخرق والسفه والجهل والطيش والغرور ، لأن الدعوة مثلا الى **توحيد المذاهب دعوة فارغة وكلام شاعرى** اذ كيف يمكن جعل الاثنين فى واحد أو الاناءين فى وعاء واحد ؟ فاختلاف المذاهب الفقهية أمر ضرورى

لمن اشتغل بالدراسات الفقهية وعرف أدلة الشريعة وطبيعتها وكيفية استنباط الاحكام منها وتنوع الفاظ اللغة العربية فى الدلالة على الحكم ، وهو أيضا اختلاف يعد بحق رحمة للامة لما فيه من توسعة وتيسير فى اتباع الشخص ما يسهل عليه عند الحاجة ووفق متطلبات الحياة . وبذلك يعتبر اختلاف المذاهب الاسلامية مفخرة كبرى ، لأنه ثروة تشريعية عظيمة يأخذ منها الناس ماهم بحاجة اليه ، لا سيما وان الحاجات متجددة ، والمصالح متغيرة ، والأنظمة متبدلة ، والحياة فى حركة وفاعلية ونمو وتبدل مطرد ، فاذا الزمنا الناس برأى واحد او بمذهب معين — وهو مالم يجرؤ عليه كبار الخلفاء العباسيين — نكون بذلك قد حفرنا بأيدينا قبورنا لأنفسنا . والتوفيق بين المذاهب يخلق نوعا جديدا من التعقيد والتضييق أعقد بكثير مما عليه الفقه الحاضر ، بل انه يزيدنا حيرة وارتباكا كبيرين فى التزام وتطبيق الأحكام الشرعية .

نعم انه لا مانع من الأخذ بأى رأى أو مذهب اسلامى فى مجال التقنين الموضوع ، لأن للحاكم ترجيح أحد الآراء الفقهية ، ثم قد يجد حاكم آخر بعده تجافيا لهذا الرأى مع المصلحة الزمنية . ومن هنا أصاب مخططو الموسوعة الفقهية فى الكويت وغيرها بالاقتصار على عرض أحكام الفقه الاسلامى كما هى دون تدخل من الكاتب برأى شخصى الا فى الحاشية ، حتى لا يكون هناك حجر فى المستقبل على الأخذ برأى آخر ، لا سيما اذا كان المرجح غير أصيل النظرة الفقهية ، بله العالة على الفقه ؟ !

الفئة الخامسة :

دعاة الاتجاه النظرى للفقه : وهؤلاء يقولون : ان الفقه الاسلامى فى بدء تكوينه اتجه اتجاها نظريا منفصلا عن الحياة العملية الواقعية ، او أنه فقه ورقى مثالى لا يتعدى جدران منزل الفقيه وتصوره المجرد . وهذا الفريق ممن تتلمذ على بعض كبار المستشرقين من أصل يهودى مثل جولد تسيهر ، وكأن هؤلاء تأثروا بما كان يصدر عن الخلفاء الأمويين والعباسيين من مخالفات لأحكام الفقه . وهذا لا يصلح حجة ، فان مخالفة الحاكم السياسى لحكم فقهى لا يصلح دليلا على مثل هذه الدعوى الخطيرة الفارغة التى تلتقى مع أنصار الفئة الثانية التى تكلمنا عنها ، وكلهم كما أوضحنا مخطئون فى تصورهم عن الفقه والفقهاء ، لأن فقه الاسلام يعتمد فى الدرجة الأولى على النصوص الشرعية التى لا مجال للادعاء بأنها لم تجىء للحياة العملية ، وأما المخالفات فهى حجة على أصحابها فقط .

وأما فقهاؤنا — كما هو معروف عن حياتهم وسيرتهم — فقد كانوا على صلة وثيقة بالحياة بدليل اعتمادهم على الأعراف والعادات والاستحسان والاستصلاح والقرائن العرفية ، واستقراء الحوادث وتتبع أحوال الناس ، وسؤال التجار والاختلاط بهم ومعرفة مايدور فى الأسواق وتعاطى الصنعة والتجارة احيانا ، والتنقل فى البلدان طلبا للحديث ، ومعرفة الأحوال السائدة فى الأمصار وفى العواصم والأقطار ، مما يكون سببا أحيانا للرجوع عن مذهب كامل أو عن آراء فى مسائل جزئية ، لذا كان الفقهاء المتأخرون يقولون عن اختلاف بين ائمة المذاهب المتقدمين : هذا اختلاف عرف وزمان ، لا اختلاف حجة وبرهان .

وكان بعض الفقهاء يوجهون الحكام بطريقة غير مباشرة فى وضع الخطط السياسية والاقتصـادية والاجتماعية ، لما كان للفقهاء من منزلة مرموقة بين الناس ، حتى ان الخلفاء العباسيين وجدوا حاجة ماسة للتقرب من الفقهاء .

وقد يوجهون الخلفاء بطريقة مباشرة باصدار الفتاوى واقتراح الترتيبات اللازمة لاصلاح الادارة والنظم المالية لتأمين الواردات ، والعدالة فى النفقات . وكان الفقهاء هم الذين يضعون أنظمة القضاء وطريق الفصـل فى المنازعات والأقضية وشروط القضاة ، ويفيدون أيضا بلفت الأنظار نحو مبدأ السياسـة الشرعية والضرورات العملية الطارئة التى تقتضيها شؤون الحياة والعمران والدولة والأفراد .

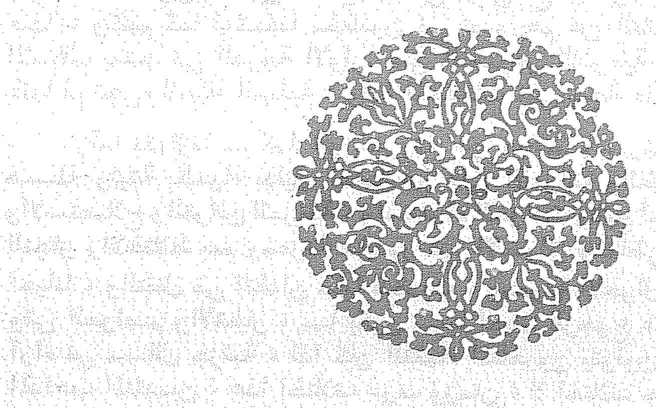
هذا فضلا عن أن الفقهاء كانوا المرجع الأوحد لافتاء الناس فى قضاياهم المدنية والجنائية ، وكان المسلمون حريصين فى كل زمن على الاستفادة من علم الفقيه واجتهاد المجتهد .

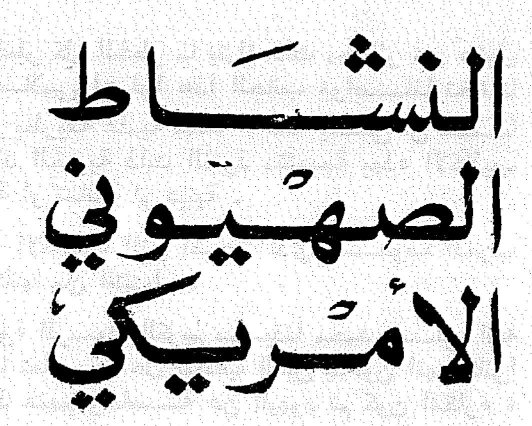
فهل كان هذا الفقه بعد كل هذا عملا مثاليا نظريا غير مطبق ولا متفاعل مع الحياة العملية ؟ !

ان هذه دعوى من أبطل الباطلات ، وسبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .
نعم كان هناك ما يعرف بالفقه الفرضى أو الافتراضى أى افتراض حوادث ووقائع لم تقع ، والحكم عليها سلفا ، الا أن هذا لا يعنى أن تكون الحادثة نظرية بحتة ، وانما احتمالات وقوعها كثيرة ، وهذا يدل على بعد نظر الفقهاء وعمق تفكيرهم ، مما أكسب الفقه وبخاصة فقه الحنفية خصوبة وسعة وحيوية .

هؤلاء هم المعتدون على الفقه الاسلامى من أهله وذويه ، والمسلمون عموما اشد عدوانا باهمالهم المطالبة بتطبيق أحكام الاسلام واحترام مبادئه ، والتزام أهدافه ، وتنفيذ شرعه عملا ، الا أنه بالرغم من كل صنوف العدوان الأثيمة ، والوان الظلم والقطيعة ، سيظل الفقه الاسلامى فقها ذا مدلول وقيمة حضارية كبرى ، ولن يهون من شأنه أقلام واشخاص وفئات نكرات عنه ، وليطمئن الناس الى أن من يستهين بالفقه ومدارسه واساتذته شأنه شأن قول القائل :

كناطح صخـرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل





النشاط الصهيوني الأمريكي

«عود على بدء»

لمطلع كبير

وبمناسبة الحديث عن النشاط الصهيونى بالولايات المتحدة الامريكية الذى نشر بعدد شهر رجب ١٣٩٠ بمجلة « الوعى الاسلامى » الغراء يحسن أن نتنبه الى أن نفوذ ذلك النشاط وأثره يتجاوز الحدود الامريكية ويتعداها الى سائر الاقطار فى أوربا وآسيا وافريقيا واستراليا ، حيث تتجاوب له جيوب المنظمات الصهيونية العلنية والخفية المنبثة فى جميع الاركان . فمما لا شك فيه أن ألسنة الاعلام الامريكى أقوى منها فى أى بلد آخر وأكثر موارد وأقوى نفوذا ، فما تنشره الصحافة الامريكية التى يسيطر عليها الصهيونيون بصفة تكاد تكون كاملة تتلقفه ألسنة الاعلام بالبلاد الاخرى وخاصة فى الاقطار الموالية للغرب فتعكس ما فيه وتكرر الاكاذيب والتلفيقات التى يحتوى عليها ، وفى ذلك من الخطورة ما فيه .

ويجب أن نعلم أن خصومة الصهيونية للعرب والاسلام لا تقتصر على الناحية العسكرية ، بل هم يحاربوننا فى عقائدنا ، ويحاربوننا ثقافيا وحضاريا وتاريخيا ، ويعملون على طمس المعالم ودفن الحقائق ، ويبنون على انقاضها اكاذيب ملفقة يروجونها ، ويكررونها فيغيرون الحقائق التاريخية ، ويصفون الكتاب الكريم بما ليس فيه ، بل يحرفونه ويغيرونه ، ويقللون من اهمية حضارة

الاسلام ويمسحون عقيدته ، والخطر كل الخطر ما يترك ذلك من اثر فى عقول الناشئة ، ولو ان قادة الفكر الاسلامى اهملوا هذا الجانب فواصلنا تغافلنا ولم نعد العدة لمواجهة هذا الخطر بطريقة علمية فعالة ، فانه يخشى أن تنشأ الاجيال الجديدة وخاصة فى البلاد الغربية ذات النفوذ متشبعة بهذه الاكاذيب متقبلة لها على انها حقائق تاريخية او ثقافية او دينية .

ولنضرب بعض الامثلة لتلك الاكاذيب التى اضحت لدى شعوب الغرب — الا لدى من عصمه الله — وكأنها من التنزيل .

يكذبون — لعنهم الله — نبوة الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون انه انما تعلم من اهل الكتاب الذين يدعون انهم كانوا يكثرون فى مكة والمدينة وانه اخذ عنهم وخاصة عن اليهود ثم كون افكاره ، وزعم انه يوحى اليه ونسب كتابه الى الله — استغفر الله — فيمثلون لذلك باتخاذ القدس قبلة فى الصلاة أيام مكة وفى بدء عهد الهجرة بالمدينة ، ولكنه لما حقد على اليهود جدلهم ونضيحتهم اياه (هكذا) غير اتجاه القبلة وجعلها تجاه الكعبة نكاية فى اليهود ، ويضربون المثل ايضا باحترام الاسلام ليوم عاشوراء تقليدا لليهود ، وباتخاذ احد ايام الاسبوع يوما ذا صفة دينية خاصة اتباعا لهم ، ولكنه كى يخالفهم جعله يوم الجمعة بدلا من يوم السبت !

ثم انهم ليكذبون على القرآن ويصفونه بما ليس فيه ، ويكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم وينسبون اليه مالم يقل او يفعل ويروجون الزعم بان النبى صلى الله عليه وسلم فرض دينه على عرب الجزيرة بحد السيف ، ثم تبعه فى ذلك اصحابه فنشروا دينه بجيوشهم الجرارة وبعامل الرعب والفزع لا بالاقناع والحجة متغافلين عن الحقائق التاريخية وعن نصوص القرآن نفسه التى تعارض هذه الاكاذيب !

والعجب كل العجب ان تلك المفتريات تلقى اذنا صاغية متقبلة ، وليس ادل على ذلك مما ذكره قاض امريكى كبير كان الى عهد قريب عضوا بارزا بالمحكمة العليا ، زعم فى سياق الحديث عن التعليم الدينى بالمدارس ان فاتحة الكتاب التى يكررها المسلمون فى صلاتهم تحض على قتل غير المسلمين ، ونشرت الصحف ذلك الحديث فاحدث ضجة بين مسلمى امريكا الشمالية وكتبت اليه احتجاجات مشددة من جانب البعض واستفسارات مهذبة من بعض السادة سفراء الدول الاسلامية ، فكانت اجابته غير مقنعة ولم يبال بتصحيح ما ذكره فى الصحف كما كان ينبغى .

ومما قرأنا اخيرا فى صحيفة يسارية موالية للصهيونية مقالا لاحد مراسليها عاد من زيارة للمغرب العربى فصار يسب فى اهله ويطعن فى اخلاقهم ويصف الكتاتيب وصبيانها وصفا مزريا وزعم انهم يتعلمون هناك قصصا منها ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) رأى اصحابه مرة يتكلمون مع النصارى بالمدينة فغضب لذلك ونهرهم وزجرهم .

ثم انهم ادخلوا فى روع العالم ان الوجود الاسرائيلى الحديث هو ما بشرت به نصوص العهد القديم التى يؤمن بها ويقدسها اليهودى والمسيحى على السواء ، اعنى تلك النصوص التى وعد الرب فيها ابراهيم ان تكون ارض

فلسطين لذريته ، متناسين أن من العرب ايضا من هو من ذرية ابراهيم ، ومتجافين للحقيقة اعني أن زعماء الصهيونيين الافاقين صادرون من سلالات لا تمت لابراهيم عليه السلام بصلة وانما اعتنق اسلافهم دين اليهودية ، فليس كل يهودى من ذرية ابراهيم كما انه ليس كل مسلم من ذرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم !

ثم يزعمون أن الوجود الاسرائيلى حقيقة تاريخية ثابتة ، بمعنى انه منذ قامت دولة اسرائيل على يد دواد لم ينقطع ابدا وجود عدد من اليهود بفلسطين أو بمدينة اورشليم (القدس) بصفة خاصة قل ذلك العدد أو كثر ، حتى قامت دولة اسرائيل الحديثة عام ١٩٤٨ ، بينما حل العرب بفلسطين مع الفتح الاسلامى فقط اى منذ مادون اربعة عشر قرنا ، ثم يقولون ان فلسطين لم تكن ابدا دولة عربية مستقلة ، بل كانت تحكمها المدينة أو الكوفة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة أو استانبول حتى فرض عليها الانتداب البريطانى عقب الحرب العالمية الأولى . ويتغافلون عن الحقيقة التاريخية وهى ان العرب كانوا مستقرين بفلسطين قرونا قبل الفتح الاسلامى الذى حطم دولة الغساسنة العربية الموالية للدولة البيزنطية فى ذلك العهد ، وان اليهود كانوا ممنوعين عن الاقامة بمدينة القدس حتى الفتح الاسلامى ، ثم انهم يقيسون الامور على ضوء مفهوم القومية الحديث متجاهلين الحقيقة ، وهى ان فلسطين جزء من الامبراطورية الاسلامية المجيدة لا يعنيها اذا كان مقر خليفتها المسلم الكوفة أو دمشق أو استانبول ، والعجيب أن تلك الترهات يبتلعها ويتقبلها من يظهر مواليا للقضية العربية من الغربيين وتنعكس فى كتاباتهم !

ومن الأكاذيب التى اصبحت حقائق مسلمة تتكرر دائما على الالسنة وعلى صفحات الجرائد وبالكتب والنشرات وعلى شاشة التلفزيون زعمهم أن لاجئى عرب فلسطين ضحية اخطاء الحكومات العربية المجاورة ، فيدعون انه فى عام ١٩٤٨ — عندما حصلت اسرائيل على ما يسمونه الاستقلال — عملت الدول العربية على احراق اليهود بالنار وقذفهم فى البحار وسيرت جيوشها الى فلسطين لهذا الغرض ونشرت نداءات لعرب فلسطين باخلاء بيوتهم والخروج الى الصحراء كى لا يتعرضوا لاهوال الحرب حتى اذا تم تطهير البلاد من اليهود عادوا على ديارهم ، ولكن يقولون هزمت الجيوش العربية ونجحت اسرائيل فى استقلالها ثم لم تكن اسرائيل لتقبل عودة هؤلاء لخطورتهم على سلامتها ، ثم انهم لا يذكرون شيئا مما يقوله الطرف الآخر من اثر اعمال عصابات الارهاب الصهيونية حتى قبل قيام اسرائيل — كما حدث فى مذبحة قرية ديرياسين فى ١٠ ابريل ١٩٤٨ التى ملأت قلوب السكان العزل المساكين فزعا ورعبا وحفزتهم على الهرب بعد أن ذبح فيها ٢٥٤ من رجالهم ونسائهم واطفالهم ، وكان هذا فى الحقيقة الهدف المبيت لهذه الاعمال الوحشية ، كما طردت اسرائيل وتطرد عشرات الآلاف من اصحاب البلاد ، وتنسف بيوتهم وتستحل اموالهم على مسمع من الغرب الاعمى المطموس على قلبه !

لا يذكرون هذا حتى على سبيل الجدل ويحاولون الرد عليه وذلك كى تكون دعواهم وحدها هى التى تشغل افكار الناس وعقولهم ولا يزاحمها فى ذلك قول آخر .

لقد استشرى الخطب واستفحل المصاب ، ولكن اليأس والقنوط عجز ، والكتاب الكريم يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولكن ليس معنى حفظ الله لهذا الذكران يتحقق باعجوبة او عن طريق المعجزات ، فقد انتهى عهد تنزل الملائكة مسومين أو مردفين ، وانما يكون ذلك عن طريق العمل الاسلامى الصحيح والكفاح الواعى المستنير .

لذلك ينبغى علينا معشر المسلمين أن نعى حقيقتين ثابتتين ، ثم نخطط كفاحنا على اساسهما ، الحقيقة الأولى هى ماذكرنا من قبل من أن الخطر الصهيونى ليس قاصرا على الناحيتين السياسية والعسكرية فحسب بل هو خطر يتهدد ديننا ويحاول تحطيمه ، واليوم نرى المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين بيد العدو وتحت رحمته . ولولا بعض الاعتبارات لهدم وبنى المعبد على انقاضه ، ويخشى أن يتعرض القبر الشريف والمسجد الحرام لغارات العدو وتنابله ، وقد سمعنا أن متحدثا من قادتهم أنذر بذلك ، لذلك لا يسوغ للعرب أن يعتبروا كفاحهم من أجل قومية عربية بل يجب أن يكون جهادا دينيا اسلاميا ، كما أن على المسلمين خارج الأمة العربية أن يتيقظوا الى الخطر الذى يهدد اماكنهم المقدسة ويتعرض بالتالى لشرف دينهم ومستقبل اسلامهم .

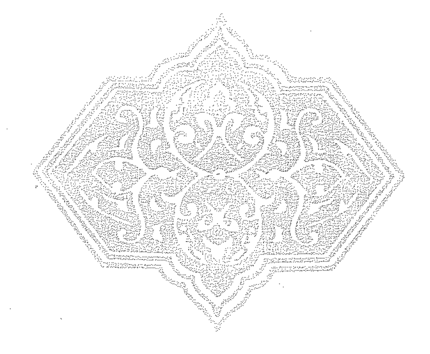
والحقيقة الأخرى هى أن الصهيونية ليست عقيدة يهودية محضة بل فلسفة يهودية تؤديها وتعتنقها المسيحية الغربية يتزعمها اليهود ومن خلفهم ساسة المسيحية الاوربية وأموالها وعتادها ، ويجب أن نذكر أن الخصومة بين الاسلام والمسيحية الغربية أمر قديم بدأ منذ قهرها الاسلام فى القرن السابع الميلادى واوقف امتداد نفوذها السياسى شرقا بل ازاله من بلاد الشرق الاوسط كله ، لقد تعايشت المسيحية الشرقية مع الاسلام منذ ذلك الحين فى سلام وذلك لما ابداه الاسلام من مبادىء العدل والتسامح ولكن المسيحية الغربية المنهزمة لم تحتمل الصدمة بسهولة بل أبطنت حقدها على الاسلام ونقلته الى اجيالها الناشئة جيلا بعد جيل ، عن طريق تغذيتها بافكار مسمومة واتهامات باطلة عن الاسلام وكتابه وحياة رسوله ، ثم تحينت للاسلام الفرص حتى واتتها أيام زحف المغول على الجناح الشرقى من الخلافة الاسلامية فحملوا على الجناح الغربى منها حيث حشدوا جيوشهم واساطيلهم فيما سمى بالحروب الصليبية وارتكبوا من الفواحش والمنكرات والتمثيل بالمسلمين ما يعجز عنه الوصف ، كما انتهزوا ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم فى اسبانيا فطردوهم منها بطريقة وحشية آثمة شفوا بها ما انطوت عليه قلوبهم من غل وأحقاد ، ولكن آمال المسيحية الاوربية فى الشرق الاوسط تحطمت على يد صلاح الدين الذى عاملهم معاملة كريمة نبيلة فما رضخوا ولا سكنوا بل ارسلوا جيوشهم فورا لاكتشاف موانى البلاد الاسلامية فى آسيا وجزر الهند الشرقية ليحتلوها بقوة السلاح وليذيقوا أهلها المسلمين الويلات وصنوف البلاء والتعذيب وليصرفوا أهلها المسلمين عن دينهم الحنيف الى المسيحية ان استطاعوا ، ولما لم يستطيعوا اذاقوا أهلها الويلات وصنوف التعذيب دون رحمة أو شفقة .

لقد ضج الغرب كله هذه الايام ورفع عقيرته بالاتهام والغضب عندما تعرض الفدائيون الفلسطينيون لبعض الطائرات المملوكة لبلاد معادية وخشوا على حياة ركابها ، ونسوا أن اسلافهم فى القرنين السادس عشر والسابع عشر احرقوا سفنا تحمل حجاجا آمنين فى طريقهم الى البيت الحرام بمن فيها من نساء واطفال بل كانوا يصفرون ويسخرون ، يستمتعون بمنظر ضحاياهم

الذين اصبحوا وقودا لنيرانهم ، ولقد كانوا يضحكون من امهات استغثن بهم والقين اليهم باطفالهن فيقذفون بالاطفال المساكين فى النار كما يقذف الفحم للوقود ، اننا لا نبرر ايذاء آدمى ولا نرضى عنه ولكننا نود أن نذكر الغرب باعماله وما كسبت يده الآثمة وما تكسب ، الا تحرق اسرائيل بغاراتها عشرات الآدميين ومئاتهم وتهدم عليهم بيوتهم على مسمع من هؤلاء الذين يزعمون انهم اتباع المسيح واحباؤه ؟ لماذا لا يفوهون بكلمة انسانية طيبة ؟ لماذا يمدونهم بالاسلحة الفتاكة الاجرامية وهم يعلمون انها لتخريب المدن والقرى وقتل من بها من نساء وشيوخ وصبيان ؟

اننا لا نتهم المسيحيين جملة بالظلم والتعسف ، بل نحفظ الجميل لكثير منهم من اصدقائنا الذين عاشوا بيننا وشهدوا ابلغ أنواع الظلم والمكيدة تنزل بأهلنا وذريتنا ، انهم يحاولون الدفاع عن قضيتنا وان يصلوا الى اسماع أهليهم وقلوبهم بمنطق العدل والرحمة ، ولكن ابواق الصهيونية المدوية وعقائرها الوقحة العالية ، وامكانياتها الواسعة واموالها الطائلة ونفوذها الجبار يطغى على صوت العدالة الخافت ويجرف بجبروته وعنفه اثر تلك الجهود لهذه البقية الصالحة الكريمة .

يساعد على ذلك تشتتنا وتفرقنا وخلافاتنا وانانيتنا وعجزنا حتى امام هذا الخطر الاعظم الذى يهدد ديننا وكياننا عن أن نتفق امام العالم على مواجهة العدو الخبيث ، وعصياننا فى صراحة فاضحة لتعاليم ديننا وارشاد كتابنا وهدى نبينا ، فكان لذلك خطران ، الاول أن الاجيال الاسلامية الناشئة التى تتلقى المعرفة والقيم من جيل الآباء والاجداد تعانى من تعارض عقلى ونفسى يجعل تاثير ما يتعلمونه سطحيا غير عميق ، ويعودهم على الاستهانة بهذه القيم والارشادات حيث يتعلمون شيئا ثم يجدون المشاهد مخالفا ومعارضا له ، فيمرض ضميرهم أو يموت ، ويهون عليهم العصيان والمخالفة ، فينذر ذلك بخراب الامة وضياع الدولة وفساد الجماعة ويفقد الامل فى اصلاحها واعادة هيبتها وضمان مصيرها ، كما أن العالم الخارجي يشهد حال المسلمين فيتهم الاسلام بانه دين يودى باهله الى القهقرى ولا يعينهم على مواجهة حاجات العصر ومقتضياته ، ولا ينهض بهم على التعاون والاتحاد أمام خطر يهدد مصيرهم ومصير تراثهم فينفرون منه ويزدرونه ، يحسبون سلوك الناس ومستواهم انعكاسا لدينهم ، ونتيجة لعقائدهم وتقاليدهم ، والاسلام فى ذلك — والله — لمظلوم !



منزلة العبادة في المسجد

منزلة المسجد الحرام بين المساجد . شد الرحال إليه .

تحديد المراد بالمسجد الحرام .

فضل الصلاة فيه .

العبادات الأخرى هل تضاعف ؟

الجوار فيه . الصد عنه .

الزيادات بعد العهد النبوي هل لها حكم المسجد الأول . ؟

الحرام والمسجد النبوي

للشيخ : محمد الأشقر

تتبين منزلة المسجد الحرام بين المساجد المبنية لله ، لمن يعلم (١) أنه أول مسجد فى الأرض بنى لعبادة الله . و (٢) أنه قبلة الصلاة والدعاء والدفن للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مع اقتران ذلك بأن الاسلام ناسخ لما قبله من الشرائع . و (٣) أنه مخصوص بمزيد من العناية الالهية و (من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) سورة الحج / ٢٥ . و (٤) أن الحج اليه ركن من أركان الاسلام . و (٥) أن الصلاة فيه مأجورة بمائة الف صلاة فى ما سواه . و (٦) أن من دخله كان آمنا رعاية لحرمة الله وتعظيما لجنابه و (٧) أن الوحش والطير يأمن فيه مما يؤذيه ، بأمر الله الشرعى فيسرح ويمرح فى جواره آمنا . وكذلك النبات . و (٨) ان اشراع السلاح فيه للقتال ممنوع ولو على الكافر الا دفاعا عن النفس . و (٩) أنه يحرم السماح للكافر بدخوله لأن الكافر نجس ، والبيت مطهر . و (١٠) أن حرمه يستوى فيه العاكف والبادى من المسلمين . أى المقيم والغريب يستويان فى حقوق الاقامة فيه و (١١) أنه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد أو مكان من الامكنة بقصد زيارته والعبادة فيه ، ما عدا هذا المسجد والمسجد النبوى والمسجد الاقصى . و (١٢) أن تأسيسه كان على يد ابراهيم خليل الله واسماعيل الذبيح وفيه مقام ابراهيم والحجر الاسود و (١٣) أن فيه عبادة لا تصلح فى مكان آخر وهى الطواف والسعى . وبعض هذه الميزات ناشىء من بعض .

١ ــ أما الميزة الأولى ، فقد قال الله تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) سورة آل عمران / ٩٦ . وقال ابو ذر للنبى صلى الله عليه وسلم : أى مسجد فى الأرض وضع أول ؟ قال «المسجد الحرام» قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » رواه البخارى ومسلم (ابن كثير ، التفسير ، سورة آل عمران /٩٦) وأوضح ما قيل فى تفسير ذلك أن ابراهيم بنى البيت الحرام ، ويعقوب بنى المسجد الأقصى ، ويعقوب حفيد ابراهيم فالمدة بينهما قريبة .

٣ — واما القبلة فبقول الله (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضــاها فول وجهك شطر المســجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) البقرة / ١٤٤ .

٤ — واما الحج فبقول الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) سورة آل عمران / ٩٧ مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان » رواه البخارى ومسلم .

٥ — واما مضاعفة الصلاة فيه فتأتى فى اواخر هذا البحث .

٦ ، ٧ ، ٨ — واما الا من فيه للبشر والحيوان والنبات فلقول الله تعالى (ومن دخله كان آمنا) سورة آل عمران / ٩٧ وقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) سورة البقرة / ١٩١ . وقوله (أو لم يرو انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) سورة العنكبوت / ٦٧ . مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة « وفى لفظة » « ولا يصاد صيدها » .

٩ — ومنع المشركين من دخوله لقول الله (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) سورة التوبة / ٢٨ .

١٠ — وأما استواء المواطن والغريب فى حقوق الاقامة فيه ، فلقول الله تعالى (أن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) سورة الحج / ٢٥ .

١١ — وأما جواز شــد الرحال اليه والى المســجدين النبوى والاقصى للعبادة دون المساجد الأخرى فلقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » رواه البخارى ومسلم .

١٢ ، ١٣ — وأما تأسيسه على يدى ابراهيم خليل الله واسماعيل الذبيح بأمر الله ، والطواف فيه والسعى فلقول الله (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) سورة البقرة / ١٢٥ ، ١٢٧ .

هذا وانما ذكرت من الادلة اصرحها ولم اقصد الحصر .

تحديد معنى (المسجد الحرام) : باستقراء مواضع ورود هذا اللفظ فى الكتاب والسنة نجده (١) احيانا يعنى به (الكعبة) فقط دون ما حولها (٢) واحيانا يعنى به (الكعبة وما حولها مما هو مهيأ ومعد للصلاة فيه) فقط دون ما حول ذلك من أرض مكة وحرمها .

(٣) واحيانا يعنى به (مكة كلها وما حولها من حرمها) .

(٤) واحيانا أخرى يدور اللفظ بين هذه المعانى الثلاثة .

مثال الأول : قول الله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) مع قول ابن عباس عن الكعبة (البيت كله قبلة) .

٢ ـ ومما عنى به مسجد الصلاة المحيط بالكعبة قوله تعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ...) سورة التوبة / ١٩ . وقوله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) فليس المقصود به كل الحرم المكى . والا لقال (ولا تقاتلوهم فى المسجد الحرام) .

٣ ـ ومما عنى به (الحرم المكى كله) قوله تعالى / (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام ...) سورة الاسراء / ١ . على رواية من روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ليلة الاسراء يبيت فى بيت ابنة عمه أم هانىء بنت ابى طالب . وهو طبعا خارج مكان الصلاة .

وغالب ما ورد من ذكر (المسجد الحرام) دائر بين هذه المعانى الثلاثة دون تحديد (١) ومثال ذلك (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) .

وانما دار اللفظ بين المعانى الثلاثة لأن (الكعبة) بنيت لأجل أن يصلى فيها فهى (المسجد الحرام) ثم حدد حولها مكان للصلاة فهو (المسجد الحرام) وكل مكة وعمرانها ومساكنها انما انشئت وتوسعت وتتوسع **لأجل** الكعبة والصلاة فيها وخدمتها وخدمة ضيوفها . وهى حريم (البيت الحرام) أى فناؤه الملحق به الآخذ حكمه كما أن لكل بيت (حريما) . ولذلك لولا (الكعبة) لم تكن (مكة) فما احراها اذن بهذه التسمية (المسجد الحرام) .

انطباق احكام المسجد الحرام على المعانى الثلاثة :

(١) هناك احكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه مسجدا ، فهى تنطبق على المكان المعد للصلاة حول الكعبة ولا ينطبق على باقى اجزاء مكة وما حولها . وذلك كتحريم البيع والشراء فى المسجد . وتحريم قضاء الحاجة فى المسجد . وتحريم انشاد الضالة فى المسجد . ووجود المصلين المقتدين بامام صلاة الجماعة فى المسجد . ونحو ذلك .

(٢) وهناك احكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه محرما بأمر الله ، وأن تعظيمه يبتغى به وجه الله ، فهذه تنطبق على مكة وما حولها . وذلك كأمن الداخل فى الحرم وأمن حيوانه ونباته ، وتحريم أخذ اللقطة فيه . ومضاعفة العقوبة لمن ألحد فيه واتخذه مكانا للمعصية ، أو صد الناس عن القدوم اليه واعاقهم عن ذلك .وحرمان المشركين من دخول المسجد الحرام واستواء الغريب والمواطن فى حقوق الاقامة فيه .

(٣) وهنالك احكام تدور بين الناحيتين السابقتين وذلك كما ورد فى الحديث « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ما سواه الا المسجد الحرام » رواه البخارى / ك ٢٠ ب ١ ومسلم . وفى لفظ فى غير الصحيحين « وصلاة

فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى هذا) فهل الصلاة فى بيوت مكة وسائر بقاع الحرم مأجورة بمائة ألف صلاة فى المواضع الأخرى ؟

فقيل (١) أن ذلك الفضل فى الصلاة هو لكل مكة وحرمها . وممن قال بذلك عطاء بن أبى رباح رواه عنه الطياسى كما ذكره فى فتح البارى . وقدمه ابن حجر فى الفتح وصححه النووى (فتح البارى ك ٢٠ ب ١) .

وقيل (٢) أن ذلك الفضل خاص بالموضع الذى يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم . وقد قرره المحب الطبرى ، واحتج له بقول النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه » فجعل الفضل لنفس المسجد لا لكل المدينة ، فينبغى أن يكون الأمر بمكة كذلك .

والذى جنح اليه ابن حجر مذهب حسن ، وخلاصته :

١ — أن صلاة الفرض بالمسجد فى مكة أفضل من صلاة الفرض فى بيوتها وفى غير حرمها .

٢ — وأن صلاة النافلة فى بيوت مكة أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام .

٣ — وأن صلاة النافلة فى بيوت مكة أفضل من النافلة فى البيوت فى غير مكة .

وكان ذلك جمعا منه بين الحديث المشار اليه (صلاة فى مسجدى هذا ... الخ) والحديث الآخر (خير صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة) .

حكم الزيادات المضافة الى المسجد الحرام : ان كل ما أضيف الى المسجد الحرام من الزيادات فله — ان شاء الله — فضل المضاعفة المذكورة فى الحديث السابق ، لأنها بضمها الى (المسجد) اصبحت (مسجدا) وهى (حرام) لأنها من الحرم ، فان نص الحديث أن (صلاة فى المسجد الحرام خير من ..... الخ) ولا خلاف فى ذلك — فيما نعلم — بحمد الله .

حكم الزيادات فى المسجد النبوى : أما الزيادات فى المسجد النبوى فهل تعتبر من المسجد النبوى فى حكم المضاعفة فيه .

نقل ابن حجر عن النووى أنه قال : ينبغى أن يحرص المصلى على الصلاة فى الموضع الذى كان فى زمانه صلى الله عليه وسلم دون ما زيد فيه بعده ، لأن التضعيف انما ورد فى مسجده ، وقد اكده بقوله (هذا) . هذا قول النووى . ونقل مثله عن أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى . والذى يظهر لى غير هذا — والله اعلم — لما يلى :

أن ميزة المسجد النبوى أنما جاءت ، والله اعلم ، من كونه أسس على التقوى على يدى نبى كريم كما أن مسجد مكة أسس على يدى ابراهيم واسماعيل كما ذكر الله عنهما أنها بوأ لهما مكان البيت ، وأمرهما برفع بنيانه ، وتطهيره من الشرك ، ليعبد الله فيه . فلما كانت الاضافات فى مسجد مكة تابعة فى الحكم للمسجد الأصلى لأنها تؤدى نفس الغرض ، فكذلك ينبغى أن يكون الامر بالمدينة .

وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم (صلاة فى مسجدى هذا) وتأكيده بقوله (هذا) فيظهر والله أعلم أن كلة (هذا) لم يقصد بها نفى مضاعفة الاجر فى الاضافات الحادثة ،ولكن لئلا يظن أن المقصود كل مسجد بناه النبى صلى

الله عليه وسلم كمسجد قباء ومسجد الفتح وغير ذلك . فأما الاضافات فهى من المسجد قطعا ، بدليل أنه لو صلى رجل فيها ثم أقسم بالله أنه صلى فى المسجد النبوى لكان قسمه صادقا. وبهذا يتضح ما فى قول النووى من التناقض لتفرقته بين المسجدين النبوى والحرام فى أمر واحد ، شمله حديث واحد .

ومهما قيل فى الاضافات فى المسجد النبوى فلا ينبغى أن يغفل عن أن الاضافة التى فى جهة القبلة — اعنى أمام المحراب النبوى الى جدار القبلة الآن ، انما زادها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والصحابة متوافرون ، واتفقوا على ذلك ، وكان قيام عمر رضى الله عنه فى الصلوات الخمس اماما بالصحابة ، فى تلك الزيادة . وكانت الصفوف الأول التى هى أفضل الصفوف تقوم فى تلك الزيادة . فهل يظن بهم أنهم كانوا يعتقدون أن الصلاة فى غير موضعهم أفضل ؟

هذا ، واذا علم أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار فى حياته بالزيادة فى المسجد علمنا أن تلك الزيادة التى فى القبلة لها حكم المسجد من كل وجه . وذلك ما رواه الامام أحمد أن عمر قال : لولا أن سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « ينبغى أن نزيد فى مسجدنا » . مازدت . ورواه غير الامام أحمد أيضا .

اذن فالقول بأن الزيادة فى المسجد له حكم المسجد الأصلى تصح نسبته الى الصحابة ، الذين صلوا فى المقدمة . ولم ينقل أن أحدا منهم أنكر ذلك فيما نعلم ، وذلك ينبغى أن يكون اجماعا . ولذلك قال ابن فرحون : لم يخالف فى هذه المسألة غير النووى . ونقل المحب الطبرى أن النووى رجع عن هذا القول . (انظر : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١ / ٣٥٧ وما بعدها) .

ومن هذا يتبين خطأ قوم يتركون الصلاة فى الصفوف الأولى فى المسجد النبوى ويتأخرون الى الصفوف المتأخرة ، وكثيرا ما تنقطع الصفوف فيما بين ذلك ، مع قول النبى صلى الله عليه وسلم « من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله » (الحاكم والنسائى عن ابن عمر الجامع الصغير) وكأن هؤلاء يستنكرون ما فعله عمر رضى الله عنه وصحابة رسول الله معه ، الذين هم اعلام الدين ونجوم الهداية . وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

وما هى الحجة التى بأيدى هؤلاء الذين يتركون الصفوف المتقدمة رغبة عنها ؟ ليس لهم دليل منير ولا حجة قائمة . وهم لا شك قد حملهم حبهم للنبى صلى الله عليه وسلم ومسجده على ذلك ، ولكنهم فعلوه على غير هدى ، وبغير دليل . فهى محبة غير مستبصرة . وأكمل العمل ما كان على طريق واضحة . وأصدق المحبة ما حمل المحب على أن يتبع طريق المحبوب . وقد قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) والله أعلم .

---

(١) هذا بخلاف لفظ (الكعبة) (والبيت الحرام) فهما لفظان خاصان بالبنية التى يطاف حولها . وبخلاف لفظ (الحرم) فان المقصود به مكة كلها وما حولها الى (الاميال) المعروفة .

ومما يجدر التنبه له أن بعض الناس اذا كان بمكة يقول دخلت (الحرم) يعنى به دخوله (المسجد) . وهذا استعمال غير سديد . كما أن بعض الناس يطلق لفظ (الحرم) على مساجد أخرى فيقول (حرم الاقصى) ، أو (الحرم الزينبى) أو غير ذلك ، وهذا أيضا خطأ ، فان ابراهيم حرم مكة ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم حرم المدينة ، فهما الحرمان الوحيدان فى الاسلام يحرم صيدهما ونباتهما .

فلينظر الإنسان مم خلق

٣

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

« أطوار الجنين فى الرحم »

بينا قبل الصلة الوثيقة بين الانسان وأمه الارض وتنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وكيف خلق الانسان الأول من الطين، وأشرنا الى النظريات التى قيلت بالنسبة لأصل خلق الحياة البشرية وأشرنا الى ما خرج عن دائرة الجنين كخلق آدم من طين ، ثم خلق حواء من ضلع آدم ، وخلق عيسى من غير أب ، وكل ما جاء على غير السنة الكونية ولا يندرج تحت هذه الآية ، وسنبدأ الكلام هنا عن أطوار الجنين .

الجنين هو المادة التى تتكون فى الرحم من عنصرى الحيوان المنوى والبويضة ، وسمى جنينا لاستتاره . فالجنين فى أصل اللغة المستور فى رحم أمه بين ظلمات ثلاث كما يقول الله تعالى (١) : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » ، والأطوار التى يمر بها الانسان فى الرحم قبل خروجه الى الحياة وانفصاله عن أمه بينها الله سبحانه فى قوله (٢) : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين » وسنقتصر هذا المقال على الكلام عن (النطفة فى القرار المكين) .

جاء فى اللغة : النطفة ماء الرجل والمرأة ، ويعبر القرآن عن النطفة فى بعض آيات التكوين بقوله (٣) فى الآية التى ندور فى فلكها : « خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » ويقول (٤) « أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى » وبقوله (٥) : « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه » وبقوله (٦) : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » .

وقد وصف العلماء تلك النطفة بأنها جسم متناسب الأجزاء يخلق الله فيه أعضاء مختلفة وطباعا متباينة . وهذا الكلام يشير الى مظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته فى تخليق هذه المتباينات المختلفة الصور والوظائف من تلك المادة ، ينقل البستانى فى دائرة معارفه عند كلامه عن الجنين (٧) عن كتاب العرب « القوى كلها موجودة فى نفس النطفة فاذا أخذت فى العقل أول الأمر أمعنت أمعانا فصيرتها لحما ، ثم أمعنت فتكونت الأغشية والأوعية التى فيها باحداث النفخ ثم بتحرك جميع القوى فيها .. وتعمل كلها عملها فى وقت واحد لا على التوالى » .

وقد أختلف المفسرون فى معنى النطفة . فذهب قليل منهم الى أنها نطفة الرجل وحده اذ الدفق لا يكون الا فى ماء الرجل . والذى عليه جمهور العلماء والباحثين من المفسرين — وأيده علم الأجنة فى الطب الحديث — أن هذه النطفة تخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وأيده من رأى ذلك من المفسرين بالسنة النبوية الكريمة فيما ورد فى وصف الجنين بالذكورة والأنوثة اذ يقول عليه السلام : « اذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرا .. واذا غلب ماء المرأة يكون أنثى » وواضح من هذا الحديث أن الجنين يتكون من النطفة الممتزجة من ماء الرجل وماء المرأة ، ولم يثبت أن الدفق خاص بماء الرجل وأن الدفق يتحقق فى ترائب المرأة عندما يبدأ انفصاله منها .

وأما علم الأجنة فى الطب الحديث فان المشتغلين به متفقون على أن الحمل لا يتحقق الا نتيجة اتصال الحيوان المنوى من الذكر بالبويضة ، التى يفرزها مبيض المرأة وأن كان بعضهم يذهب الى أنه لا يسمى نطفة الا قبل اتصال ماء الرجل بالبويضة ، يقول الدكتور نجيب محفوظ فى كتابه « فن الولادة » (٨) « الحمل نتيجة اتحاد عنصرى التوليد فى الذكر والأنثى أى الحيوان المنوى والبويضة أى البويضة الملقحة ، والتلقيح هو قذف الحيوانات المنوية فى البويضات الأنثوية ، ويتم التلقيح أما خارجيا أو داخليا ، والتلقيح الخارجى يحدث عادة فى الحيوانات المائية . فتقوم الأنثى بوضع البيض فى الماء ثم يرشه الذكر بالسائل المنوى الذى يحتوى على الحيوانات المنوية . وأما التلقيح الداخلى فيحدث فى الديدان والحشرات والحيوانات الثديية ومنها الانسان ، وفى هذا النوع من الاخصاب تصب الافرازات الجنسية الذكرية فى داخل الفتحات الجنسية الانثوية وعملية الاخصاب تحدث عادة بواسطة حيوان منوى واحد ، وفى بعض الاحيان يشترك فى عملية الاخصاب عدة حيوانات منوية . ونتيجة لاتحاد البويضة بالحيوان المنوى يتم الاخصاب وتتكون خلية

مخصبة تحتوى على صفات كل من الأبوين وتنتقل بالوراثة الى الكائن الحى الجديد .

على أن التلقيح لا يحدث وقت وصول أول حيوان منوى اليها بل بعد وصول جملة من الحيوانات بجوارها ، وكأنما البويضة تتردد فى اختيار رفيقها ، وباتصالهما يتحدان ويتقرر نوع الجنين وشخصه وصفاته المتوارثة من أبويه بارادة الله . ففى هذه البويضة الملقحة تكمن الطاقة التى تجعلها تتطور وتنمو الى حيوان كامل وفيها الصفات حلوها ومرها ، وفيها قوة العقل وقوة الجسم ، وفيها يكمن كل ما يتصل بهذا الجنين .

وهذا التلقيح يحدث فى الثلث الأعلى لقناة « فالوب » بالنسبة للمرأة ، ثم تستمر البويضة الملقحة فى سيرها متجهة الى الرحم ، وفى طريقها اليه تنقسم ويستمر انقسامها بنظام دقيق حتى تتطور من خلية واحدة الى مجموعة خلايا تصل الى ست عشرة خلية فى أربعة أيام ، ويطلق عليها فى هذه المرحلة من مراحل النمو اسم الجرثومة التوتية لما بينها وبين ثمرة التوت من شبه ، وعند هذه المرحلة تكون قد وصلت الى فراغ الرحم ، وهى محاطة بدائرة من الخلايا ، وتحاط هذه الدائرة بالغشاء الذى كان يحيط بالبويضة أصلا . ثم تلتصق بجدار الرحم فتفقد الحركة بحرية ويكون هذا فى اليوم الثامن تقريبا . وبذلك يبدأ الحمل فى القرار المكين — الرحم — .

ومعنى كون الرحم مكينا أنها متمكنة ، فهى لا تنفصل لثقل حملها ، ولا تمج بما داخلها ، وهو كناية عن جعل النطفة مصونة . وهذا يشير الى أن الله سبحانه لم يهمل تلك النطفة منذ أول طور من أطوارها ، ولكنه هيأ لها ذلك المكان يحملها ويحميها ويضطلع بأعبائها التى تلاقيها حتى ينتهى بها الى آخر المراحل باخراجها منه على أنه برغم ذلك باق على مكانته ، معد لاستقبال غيرها من الوافدين حتى يرحل كما رحل النازل الأول ، ولهذا لفت الله سبحانه الانظار والبصائر الى موضع العبر والقدرة .

ومدة رحلة النطفة حتى تستقر فى الرحم بالعلوق فى جداره هى ثمانية أيام على ما قال الاطباء ، أما علماء الشريعة فان من خاض منهم فى تحديد هذه المدة تأثر بظاهر حديث الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك .. » الحديث . فقال : ان طور النطفة يكون أربعين يوما .

والواقع أن الحديث روى برواية أخرى نصها : « أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك .. » ولا معنى لقيد (فى ذلك) : الا ما تفيده دلالة الالفاظ وهى أن طور العلقة يكون فى أثناء المدة الاولى ، وكلمة ثم حينئذ تكون للترتيب الذكرى لا للترتيب الخارجى حتى لا يكون هناك منافاة بين كلمة (ثم) وكلمة فى ذلك .

واذا أخذنا بهذا القيد الوارد فى هذه الرواية كان معناه أن مرحلة العلقة فى نفس المدة الاولى ، فيمكن تفسير بدئها بما ذهب اليه الاطباء ، وبه يتفق

الحديث مع الطب فلا يكون هناك ما يدعو الى رفض ما قال به الطب ولا التوقف فى دلالة الحديث ولا يكون هنالك تناقض بين ما قاله الطب وما دل عليه الحديث ، واذا فان الطب مع دلالة الحديث . واذا ما لاحظنا أن الحديث يفيد أن الروح لا تنفخ الا بعد مائة وعشرين يوما كما هو اجماع المفسرين وقد أيده العلم الحديث . فاننا نقول : ان أصل معنى كلمة (ثم) يدل على التراخى ، ومعنى التراخى تأخر المدة الثانية عن الاولى فترة من الزمن فلتكن هذه الفترة هى المتممة للأربعة أشهر ، ويؤيد ذلك أن هناك بعض المراحل التى لم ينص عليها الحديث وهى مرحلة العظام واللحم فلتكن هذه فى مدة التراخى المشار اليها بثم الأخيرة فى الحديث ، وليكن نفخ الروح بعد ذلك .

ويؤيد ما اتجهنا اليه ما قاله الامام الرازى (٩) نقلا لتصوير الاطباء فى عهده لمراحل الجنين : من أن الجنين يصير علقة بعد خمسة عشر يوما ، ثم تتميز الرأس والقلب والكبد فى صورها فى اثنى عشر يوما ثم تنفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع ، وفى تمام الاربعين يوما يتم انفصال الاعضاء .. وأن هذه المرحلة هى مرحلة التجمع التى يشير اليها حديث « أنه يجمع أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما .. » .

وقد يكون من المناسب أن نشير هنا الى ما قاله الفقهاء بالنسبة للأحكام الشرعية التى تتعلق بالنطفة وان ذلك وان كان يخرج بنا عن موضوع النظر والتأمل فى خلق الله فان فى طبيعة دراستى الفقهية ، وطبيعة مجلة (الوعى الاسلامى) ما يشجعنى بل يدفعنى الى ذلك ، ولا يجعل تناول هذه الاحكام أمرا استطراديا ، فليكن بجانب النظر والتبصر الوقوف على الاحكام الشرعية العملية التى نحتاج الى تعرفها فى عباداتنا وأعمالنا .

ومن هذا الكلام عن حكم طهارة أو نجاسة المنى — وهو السائل الخارج من الجهاز التناسلى من الانسان بلذة واشتياق ، وهل اذا أصاب الجسم أو الملابس أو المفروشات أثناء احتلام أو مداعبة فهل هو نجس يتنجس به الموضع الذى اتصل به فيجب غسله وتطهيره أو يكتفى بفركه أو هو طاهر وتجزىء الصلاة معه ؟

وخلاصة آراء الفقهاء فى هذا : أن مذهب أصحاب الرأى أنه نجس ويجزئه فرك يابسه لحديث السيدة عائشة أنها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله ، وقد جاء الفرك أيضا فى رواية عنها أن النبى صلوات الله عليه قال فى المنى يصيب الثوب: «ان كان رطبا فاغسليه وان كان يابسا فافركيه » ومذهب الشافعى والمشهور عن أحمد ومذهب الظاهرية أنه طاهر ، وقال مالك انه نجس ويجب غسله ، وهو المروى عن الزيدية والشيعة الجعفرية وفقهاء الأباضية .

وتنقل بعض كتب الحنابلة عن الامام أحمد أنه فرق بين منى الرجل وما ينزل من المرأة فقال : انما يفرك منى الرجل ، أما منى المرأة فلا يفرك لأن الذى للرجل ثخين والذى للمرأة رقيق فلا يبقى له جسم بعد جفافه يزول بالفرك فلا يفيد الفرك فيه شيئا .

والقائلون بنجاسة المنى مطلقا لا بد عندهم من غسل منى المرأة أيضا

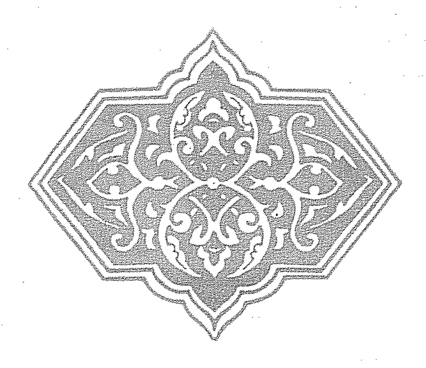
رطبا كان أو يابسا ، والقائلون بطهارته قالوا : يستحب غسل منى المرأة كما يستحب فرك منى الرجل . وينص الحنفية على أن «نجاسة المنى عندنا مغلظة ويطهر محل المنى اليابس عندنا بالفرك ، ولا يضر بقاء أثره كبقاء أثره بعد الغسل ولا فرق بين منى الرجل ومنى المرأة » وهناك تفصيل فى كتب المذهب .

ونصت كتبهم أيضا على أنه لا فرق فى هذا الحكم بين منى الآدمى ومنى غيره ، ونقل ابن عابدين عن الطهطاوى أن منى كل حيوان نجس والرخصة بالفرك وردت فى منى الآدمى على خلاف القياس .. بينما ينص الشافعية على أن «المنى طاهر من جميع الحيوانات الا الكلب والخنزير أما منى الآدمى فلحديث عائشة وأما منى غيره فلأنه أصل حيوان طاهر فأشبه منى الآدمى . ثم قالوا : ويستحب غسل المنى». وينص المالكية على أن « النجس منى ، ومذى ، وودى من الآدمى ، أو حيوان محرم الأكل ، أما المباح أكله فقيل بنجاستها وقيل بطهارتها » ..

والى لقاء آخر لنتكلم عن مرحلة التخلق ان شاء الله حتى يكمل النظر ويتم التبصر .

---

(١) سورة الزمر آيـة (٦) .
(٢) سورة المؤمنون آية (١٤/١٢) .
(٣) سورة الطارق آيـة (٦ ، ٧)
(٤) سورة القيامة آيـة (٣٦ ، ٣٧) .
(٥) سورة فاطر آيـة ١١ .
(٦) سورة يس آيـة ٧٧ .
(٧) جـ ٦ ص ٥٦٩ .
(٨) فن الولادة ط ٤ . ص ٦٩ .
(٩) التفسير الكبير جـ ٢٣ ص ٨٤ .





للأستاذ : حسن القضاة

يسرنا أن نكتب هذه الترجمة القصيرة عن حسان بن ثابت الانصارى مستعرضين بايجاز حياته وشعره من خلال ديوانه ، ومفندين بنفس الوقت ، أو واضعين على بساط البحث والحقيقة تلك الفرية ــ بل الفريات ــ التى أوردها كثير من الرواة والاخباريين حول شخصيته ، لا سيما وأن سيرة هذا الشاعر الكبير مرتبطة ــ الى حد بعيد ــ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد دعى بشاعر الرسول .

فمن هو حسان بن ثابت ؟!

نسبه :

نسبوه لأبيه فقالوا : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وينتهى نسبه بيعرب بن قحطان .

ونسبوه لأمه : الفريعة بنت خالد بن حنيس بن لوذان بن عبدون بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج . واذن فهو خزرجى من جهة أبيه وأمه معا .

عمــره :

بالرغم من أن معظم الرواة اتفقوا على أنه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاما الا أنهم اختلفوا فى سنة وفاته (١) فمنهم من قال : انه توفى فى السنـــة الاربعين من الهجرة ، ومنهم من قال : بل فى السنة الخمسين ، وآخرون : فى سنة أربع وخمسين .

أما الطبرى فقد وضعه فيمن توفوا فى السنة الثمانين من الهجرة .

ونحن يمكننا أن نعتبر الرواية التى تقول بوفاته فى سنة أربعين من الهجرة تقريبا هى الصحيحة حيث أن أخباره تتوقف فى أواخر عهد الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وان تحديدنا لسنة أربعين من الهجرة زمنا لوفاته يجعلنا نرفض فكرة أنه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاما . فقد روى أنه عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان حسان يبلغ من العمر ستين عاما تقريبا ، ومعنى ذلك أنه عاش ما لا يزيد عن مائة عام ، ويكون بذلك قد ولد فى منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادى (٢) .

أســــرته :

وحسان من أسرة كانت ذات شأن عظيم سواء فى الجاهلية أو الاسلام . فوالده ثابت بن المنذر ، حكمته قبيلتا الاوس والخزرج فى حرب (ســـمير) المشهورة فى الجاهلية ، والتى تقاتلت فيها القبيلتان بسبب فرس نحوا من عشرين سنة ، أوشك أن يفنى بعضهم بعضا . ولم يدرك حسان تلك الحرب ، ولكنه رد فيها على شاعر الاوس قيس بن الخطيم عندما فخر عليه بهذا اليوم (٣) وأخوه أوس بن ثابت ممن شهد العقبة مع السبعين من الانصار ، كما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الخليفة الراشدى الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وهناك من الرواة من يقول : ان أوس بن ثابت شـــهد بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى فى خلافة عثمان ، ومنهم من يقول : انه قتل يوم أحد شهيدا . ويبدو أن الرأى الاخير هو الصواب اذ جاء فى قصيدة لحسان ما يشير الى استشهاد أخيه أوس هذا عندما قال :

ومنا قتيل الشعب أوس بن ثابت   شهيدا وأسنى الذكر منه المشاهد

أما الاخ الثانى لحسان فهو أبى بن ثابت ، وكان يكنى بأبى شيخ ، وقد شهد بدرا ، وأحدا ، وقتل يوم بئر معونة شهيدا فى صفر على رأس ســـتة وثلاثين شهرا من الهجرة .

وعرف لحسان أكثر من أخت ، اتفق الرواة فى اثنتين منهن ، وهما كبشة ولبنى بنتا ثابت بن المنذر (٤) وقد أسلمتا وبايعتا الرسول ، وحسن أسلامهما . أما الاخريان فهما فارعة وخولة بنتا ثابت بن المنـــذر ، فقد اختلفت الروايات فيهما (٥) .

كما عرف من زوجات حسان ثلاث ـــ اثنتان تزوجهما قبل الاسلام ، وهما عمرة بنت صامت بن خالد من الاوس ، وشعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودى ،

أو بنت كامن الاسلمية . وثالثة وهبها له رسول الله صلى الله عليه وسلم هى سيرين القبطية التى كانت هدية المقوقس حاكم مصر الى الرسول عليه السلام .

وعمرة هى التى أحبها حسان حبا عظيما . وحدث أن أسر الاوس مخلد بن صامت الساعدى ، فتكلم حسان فى أمره بكلام أغضب عمرة فعيرته بأخواله ، وفخرت عليه بالاوس ، وهو الخزرجى المتعصب ، وكان يحب أخواله ويغضب لهم ، فطلقها ، فأصابها من ذلك شدة ، وندم حسان بعد ذلك ندما شديدا (٦) .

يقول من قصيدة له مشببا بها :

أجمعت عمــــرة صرما فابتكر انمــــا يدهــن للقلب الحصر (٧)
لا يكن حبــــك خبــــا ظـــــاهرا ليس هــذا منك يا عمــر بسر (٨)
ســـألت حســان من أخـــواله انما يســأل بالشىء الغمــــر (٩)
قلت : أخـــــوالى بنـــو كعب اذا أسلم الابطـــال عورات الدبر (١٠)
رب خـــــال لى لو أبصــــــــرته سبط الكفين فى اليوم الخصر (١١)

وعمرة هى التى شبب بها قيس بن الخطيم الاوسى غريم حسان ومهاجيه فى الجاهلية عندما قال :

أجـــد بعمرة غنيانهـــا فتهجر أم شأننا شانها ؟

وذلك لأن حسان كان يشبب بأخت قيس ليلى بنت الخطيم فى شعره .

أما شعثاء فقد اختلف فى أمرها . قال بعض الرواة انها بنت سلام بن مشكم اليهودى ، وقال آخرون هى امرأة كانت تحت حسان ، وهى بنت كامن الاسلمية من خزاعة . وربما كان الرأى الاخير أقرب الى الصواب . ويبدو أنه لم يكن على وفاق زوجى معها فقد قال فى ابنه منها :

غلام أتاه اللؤم من شطر خاله له جانب واف وآخر أكشم

فقالت تجيبه :

غلام أتاه اللوم من نحو عمه ومن خير أعراق ابن حسان أسلم

أما الزوجة الثالثة فهى التى وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، وهى التى كانت هدية المقوقس حاكم مصر الى الرسول الكريم ، وأخت مارية القبطية زوج الرسول . وقد أخلف حسان من هذه الزوجة ابنه الشاعر المشهور عبد الرحمن الذى ورث الشعر عن والده .

واستمر يحمل لواءه مدة فى العصر الاموى .

ويذكر الرواة أن لحسان ابنتين : احداهما أم فراس ، وهى من زوجـــه شعثاء ، ولا نجد من أخبارها شيئا (١٢) ، أما الاخرى فهى ليلى بنت حسان التى يروى ابن عساكر فى تاريخه (١٣) عن الاصمعى أنه كان لحسان ابنة تدعى ليلى ، وحدث يوما أن كان حسان جالسا فبدا له أن يقول الشعر ، فقال :

أنمى الى افنــــاء عمـــرو وعـــامر سمت لمعاليهـــا وعــزت كهولهـــا
متـــاريك أذناب الامور اذا التوت أخـــذنا الفـــروع واجتثثنـــا أصولها
الى أسرة طـــابت وعولى فرعهـــا فليس لفـــرع غيــرها أن يطولهـــا

ثم انقطع . فقالت له ابنته من الخدر : كأنك قد انقطعت ! فقال : نعم . فانثنت تقول :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنـــا كرام يعـــاطون العشـــيرة ســـولها

فقال حسان :

وقافية عجت بليــــل ثقيــــــــلة تلقيت من جـــو الســــماء نزولهـــا
يهاب الذى لا ينطق الشعر سؤلهـــا ويعجـــز عن أمثالهـــا أن يقولهـــا

ثم غضب على ابنته لقولها الشعر ، وقال : لهممت أن أحلف أن لا أقول بيت شعر ما دمت حية . فقالت : أنا أؤمنك ، والله لا أقول بيت شعر ما صحبتك .

كما يظن أن لحسان ابنا يسمى الوليد ، فقد كان يكنى بأبى الوليد ، واشتهر بذلك . ولكن الرواة لم يذكروا من شأن هذا الابن شيئا .

شخصيته :

ان ما يعنينا لدى التحدث عن شخصية حسان جانبان مهمان هما :

الاول : البحث فى صفاته الجسمانية التى جاءت متفرقة فى أخباره لدى كثير من الرواة .

والثانى : بحث تلك المسألة التى شغلت الباحثين على مدى الازمنة ، وهى الصاق تهمة الجبن به ، ومدى صحة هذا الاعتقاد .

فقد ذكر الرواة أنه كان لحسان ناصية يسدلها بين عينيه ، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله ، ويقول : ما يسرنى به مقول أحد من العرب . والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه . ثم كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته . وقد سأله ابنه عبد الرحمن يوما : يا أبت لم تفعل هذا ؟ فقال : لأكون كأنى أسد والغ فى دم (١٤) .

ومن هذه الرواية يتضح لنا مدى نفوذ حسان فى الجاهلية ، وخوف العرب من أهاجيه . لأن اللسان الذى يحلق الشعر ، ويفلق الصخر ، هو لسان تخافه القبائل وتحرص على أن تتقى شر صاحبه . وأما أنه كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ليكون كالاسد الوالغ فى الدم ، فهذا ما حاول الباحثون أن يتخذوه وغيره كمظهر من مظاهر الجبن .

روت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها بهذه المناسبة : أنها كانت فى فارع — أطم (١٥) حسان — يوم الخندق ، وقالت : كان حسان معنا فيه ، والنساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم ، اذ أتانا آت فقلت : يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . فقالت :

فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئا احتجزت (١٦) ثم أخذت عمودا ثم نزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت : يا حسان انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل . فقال مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب (١٧) .

وقد وردت روايات أخرى تشبه الى حد كبير موقفه من القتال فى هذه الرواية ، وكلها تدل على أنه كان يخاف المشاركة فى قتال ، سيما وهو لم يساهم قط فى غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهل يعتبر هذا الخوف جبنا ، ألا توجد هناك علة أخرى تمنعه من الاشتراك فى الحرب ؟ قد يكون السن هو السبب ، فهذه الاخبار جميعا رويت عن حسان ، وقد بلغ الستين على الاقل . ورجل فى الستين من عمره قد يضعف عن أن يدخل حربا أو يساهم فى قتال (١٨) .

غير أن هناك سببا آخر أشار اليه صاحب الاغانى ، وهو أن أكحل (١٩) حسان كان قد قطع ، فلم يكن يضرب بيده (٢٠) ، وقال الواقدى مدافعا عن حسان وعن تهمة الجبن الموجهة اليه (٢١) : ان قومه كانوا يدفعون أن يكون جبانا ولكنه أقعده عن الحرب أن أكحله قد قطع ، فذهب منه العمل فى الحرب . ويؤيد هذا الرأى قول حسان نفسه :

أضر بجسمى مر الدهور وخان قراع يدى الاكحل
وقد كنت أشهد وقع الحروب ويحمر فى كفى المنصل

ويدفع الاصمعى عن حسان تهمة الجبن بقوله : الدليل على أن حسان لم يكن جبانا أنه كان يهاجي خلقا فلم يعيره أحد منهم بالجبن .

وجدير بالملاحظة أن الوقائع التى استشهد بها الاخباريون على جبن حسان كلها وقائع اسلامية ، وعلى هذا يمكن أن نرجح أن قطع أكحل حسان حدث فى الجاهلية ، أو قبل دخوله فى الاسلام . ولا شك أن مثل هذا السبب الى جانب كبر سنه ، وضعف روح المغامرة عنده ، يجعله حذرا متمهلا فى الوقت الذى نجد فيه شباب المسلمين وشيوخهم مندفعين بقوة الدين وبروح الرسول نحو الجهاد الذى كان المظهر الحقيقى للمسلم المؤمن فى هذه الفترة (٢٢) .

شعره الجاهلى :

لا نكاد نظفر بمصدر ينبؤنا بحياة حسان فى الجاهلية ، من حيث نشأته الاولى ، وبدء قوله الشعر ، وعن الاحداث المهمة أو الغزوات التى شارك فيها . واذ عرفنا أنه عاش ما يقرب من ستين عاما فى الجاهلية فاننا لا نستطيع — اذن — أن نصور شخصيته فى تلك الفترة المهمة من حياته — ولذا فلا بد لنا من أن نلجأ الى ما بقى من شعره الجاهلى ننقب فيه عن أبعاد تلك الشخصية .

وعلى الرغم من قلة هذا الشعر ، وما وقع فيه من اضطراب على مر السنين ، فانه يصور شخصية حسان القبلية ، تلك التى كانت لسان حال قومه الخزرج ، وصحيفتهم اليومية الناطقة باسمهم ، والمنافحة عنهم بأشعارها أمام أعدائها من القبائل الاخرى .

وقد استطاع أن يشيد بأيام الخزرج فى قصائده يوم الربيع ، ويوم خطمه ، ويوم بعاث ، وأن يقف من قيس بن الخطيم شاعر الاوس موقف المبارز .

اقتتلت الاوس والخزرج قتالا مرا بمكان اسمه الربيع ، حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، فقال حسان قصيدته :

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها

فرد عليه قيس بن الخطيم — شاعر الاوس — معارضا :

أجد بعمرة غنيانها فتهجر أم شأننا شانها ؟

ولو قارنا القصيدتين لوجدنا أن حسان يقف فى بيتين من قصيدته متذكرا أحباءه ، ويصف فى بيتين آخرين واديا صعب الاجتياز فاجتازه — رغم عزيف الجن فيه — على ظهر ناقة هوجاء ، يسألها عن حال حبيبته وقد رحل أهلها عن

الديار ، ثم يتحدث بأبيات أخرى بلسان قومه معددا أمجادهم فيقول :

ويثـــرب تعـــلم أنا بهــــــا   اذا التبس الحـــق ميزانهـــــا
ويثـــرب تعـــلم أنا بهـــــا   اذا خـــافت الاوس جيرانهـــــا
فلا تفخـــرن والتمس ملجـــأ   فقـــد عاد للأمس أديانهـــــا

بينما يبدأ قيس قصيدته المناقضة بالغزل فى عمرة بنت صامت زوج حسان وذلك فى خمسة أبيات منتقما بذلك من حسان فى التشبيب بها على طريقة الجاهليين . وبالرغم من أنه ينعتها بنعوت جميلة فى تلك الابيات الا أن ذلك يضايق العربى الشريف ويزعجه ، يقول قيس :

فمـــا روضـــة من ريـــاض القطـــا   كأن المصـــابيح حوذانهـــا (٢٣)
بأحسن منهـــا ولا مزنـــــــــة   دلوح تكشـــف أرجانهـــــا (٢٤)
وعمـــرة من ســـروات النســـا   ء تنفـــح بالمســـك أردانهـــا(٢٥)

ثم ينتقل قيس بعد ذلك الى الفخر بلسان قومه كما فعل حسان :

نحن الفـــوارس يوم الربيــــــ   ـــع قد علمـــوا كيف فرســـانها
جنبنـــا الحراب وراء الصريــــ   ــخ حتى تقصف مرانهـــا (٢٦)

ولم يقتصر حسان فى شعره الجاهلى على تمثيل القبيلة فحسب ، بل لقد زار ملوك الغساسنة ومدحهم . وكان اتصاله بهم اتصالا بذوى قرباه ، فقد يسر له نسبه فيهم أن يتردد على بلاطهم كثيرا ، وأن يجيزوه فى كل مرة . أما زيارته للمناذرة فقد اختلف فيها ، وان كان هناك ما يشير الى حدوثها .

وقد عرف أنه كان صديقا وفيا للأمير الغسانى جبلة بن الايهم . وقد مدحه بقصائد جيدة ، وعرف له جبلة هذا حتى بعد أن تنصر وسافر الى بلاد الروم . فقد حدث أن أرسل معاوية — فى أثناء ولايته فى الشام — رسولا اليه ليعود الى الاسلام ، فرد جبلة الرسول وقد سأله عن حسان ، فقال له الرسول :

شيخ كبير قد عمى . فدفع اليه جبلة ألف دينار ، وقال : ادفعهـــا الى حسان . قال الرسول : فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيه حسان بن ثابت فقلت له : صديقك جبلة يقرأ عليك السلام . قال : فهات ما معك . فقلت : يا أبا الوليد كيف علمت ؟ قال : ما جاءتنى منه رسالة قط الا ومعها شيء (٢٧) . وعن الاصمعى أن جبلة بعث اليه بخمسمائة دينار ، وكسى ، وقال للرسول : ان وجدته قد مات فابسط هـــذه الثياب على قبره ، واشتر بهذه الدنانير ابلا فانحرها على القبر . فوجده حيا فأخبره ، فقال حسان : لوددت أنك وجتنى ميتا (٢٨) .

وعندما ارتد جبلة عن الاسلام وتنصر دافع حسان عنه أمام الخليفة عمر . اذ أنه لـــا علم عمر بارتداد جبلة صعب عليه ذلك ، وقال لحسان : يا أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبلة بن الايهم ارتد نصرانيـــا ؟ قال : انا لله وانا اليه راجعون ، ولم أرتد ؟ قال لطمه رجل من مزينة . فقال حسان : وحق له . فقام اليه عمر رضى الله عنه بالدرة فضربه بها .

وربما كانت أهم قصيدة جاهلية بقيت لحسان فى مدح الغسانيين هى التى مدح بها الملك الغسانى عمرو بن الحارث ، وفيها تمكن من الوصول الى الذروة الفنية فى مدحه للغسانيين ، وفى وصفه لمجالسهم وندواتهم ، يقول :

لله در عصـــــابة نادمتهـــــــم   يومـــا بجلق فى الزمان الاول (٢٩)
أولاد جفنـــة عنـــد قبر أبيهــــــم   قبـــر ابن مارية الـــكريم المفضـــل

يســـقون من ورد البريص عليهـــم بردى يصفق بالرحيق السلسل (٣٠)
بيض الوجـــوه كريمـــة أحســـابهم شم الانـــوف من الطـــــراز الاول

اســــلامه :

مما لا ريب فيه أن شاعرنا قد تهيأ لاعتناق الدين الجديد فى الوقت الذى تهيأت فيه قبيلته . واذا كانت قبيلته الكبرى (الخزرج) عامة ، وقبيلته الصغرى (بنو النجار) بشكل خاص ، قد حالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم واستعدوا للدخول فى دينه قبل أن يهاجر الى مدينتهم ، فلا شك أن حسان قد حذا حذوهم هو الآخر .

ولكن .. هل كان اسلامه اسلام المؤمن الصادق بمعنى الكلمة أم مرحلة انتقال من دين الى آخر ، شأنه فى ذلك شأن من يتبع قبيلته فى كل أمر ولا يتخلف عنها أبدا ؟! كما أن الدارس لشخصيته عليه أن يتناول أيضا هـــذه الشخصية بالبحث من جميع جوانبها دون أن يترك فيها شبهة كتلك التى أثارها القدماء والمحدثون ، ولم يخلصوا فيها الى نتيجة ، وهو اشتراكه فى حديث الافك وتقوله فيه .

وقصة الافك كما وردت فى سيرة ابن هشام (٣١) وفى غيرها من كتب السيرة :

لـــا أن خرجت السيدة عائشة رضى الله عنها زوج الرسول عليه السلام فى غزوة بنى المصطلق مع جيش المسلمين ، وأثناء رجوع الجيش تخلفت عنه لقضاء حاجة ، فتأخرت وسبقها المسلمون الى المدينة . ثم وجدها صفوان بن المعطل السلمى ، وكان قد تأخر هو أيضا ، فأركبها ناقته ، ودخل المدينة ، فلما رآهما المنافقون تقولوا فى ذلك . وحزن الرسول عليه السلام حزنا شديدا حتى أنزل الله وحيه ببراءة السيدة عائشة وتكذيب المنافقين « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (٣٢) وتكاد تجمع كتب الاخبـــار والتفسير على أن هذه العصبة التى أشار اليها القرآن الكريم تتكون من عبد الله ابن أبى بن سلول ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش ، وحسان بن ثابت . وزادت بعض هذه الكتب أن الثلاثة الآخرين قد حدهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد كان للمسلمين موقف من هؤلاء المتقولين بحديث الافك ، سيما بعد أن ثبتت براءة السيدة عائشة من لدن رب العالمين . والذى يعنينا هنا موقفهم من حسان .

فقد هجا حسان يوما صفوان بن المعطل ، فذهب اليه صفوان واعترضه وضربه بالسيف . فوثب ثابت بن قيس بن الشماس على صفوان حين ضرب حسان فجمع يديه الى عنقه بحبل ثم انطلق به الى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟

قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ؟ والله ما أراه الا قـــد قتله ! قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ممـــا صنعت ؟ قال : لا والله . قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل . فأطلقه . ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان . فقال

صفوان : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : (أحسن يا حسان . أتشوهت على قومى أن هداهم الله للاسلام ؟) ثم قال : (أحسن يا حسان فى الذى أصابك) . قال : هى لك يا رسول الله . ومن هذا يتضح أن حسان لم ينل عطف الرسول فى هذه الحادثة .

وروى المحدث الاندلسى ابن عبد البر أن قوما ذكروا أن حسان كان ممن خاض فى الافك على عائشة رضى الله عنها ، وأنه جلد فى ذلك . ثم ان قوما آخرين أنكروا أن يكون حسان قد خاض فى الافك أو جلد فيه .

أما حسان فقد حاول أن ينفى فى شعره أنه خاض فى هذا الحديث ، وذكر أن كل ما نسب اليه فيه انما هو محض افتراء واشاعة .

يقول فى مدح السيدة عائشة :

مهذبة قد طيب الله خيمها   وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم   فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى   لآل رسول الله زين المحافل
فان الذى قد قيل ليس بلائط   ولكنه قول امرىء بى ما حل

شاعر الرسول :

ومهما يكن من أمر فان الرسول عليه السلام وضع حسان فى منزلة كبيرة من نفسه ، كما وضعت قصائد حسان صاحبها فى منزلة كبيرة من نفوس المسلمين .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن حسان : (لا يحبه الامؤمن ولا يبغضه الا منافق) ، وروى الاصفهانى وغيره : لما كان عام الاحزاب ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يحمى أعراض المسلمين ؟. فقال كعب بن مالك أنا يا رسول الله ، وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله . وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله . فقال عليه السلام : (نعم أهجهم أنت (يعنى حسان) فانه سيعينك روح القدس) . وروى أيضا : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واشتفى) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يستمع الى شعر حسان ، فقد سأل عنه مرة فى سفر قائلا : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال عليه السلام : أحد . فجعل حسان ينشد والنبى صلى الله عليه وسلم يصغى ويستمع . فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته ، فلما فرغ من انشاده ، قال صلى الله عليه وسلم : (لهذا أشد عليهم من وقع النبل) ويعنى بذلك المشركين .

لقد اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان فى الرد على شعراء المشركين ، أمثال عبد الله بن الزبعرى ، وأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وضرار بن الخطاب ، وعمرو بن العاص . واستطاع أن يكون ندا لهم وأن يتفوق عليهم .

وان اعتلاءه منصب شاعر الرسول الرسمى جعل المسلمين يصنعون له

منبرا خاصا فى مؤخرة المسجد ليقف فوقه ينشد شعره الذى يذب به عن الرسول والمسلمين .

شعره الاسلامى :

ويعتبر شعر حسان الاسلامى تسجيلا حيا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته . ولذا فقد اعتمد عليه شراح السيرة فى تفسير بعض ما غمض من تاريخ هذه الفترة ، وقد مدح الرسول بمعان كثيرة منها الجاهلى القديم ، ومنها الاسلامى المستحدث . واتخذ مدحه له صفة الفخر بالمسلمين جميعا وخاصة الانصار ، والرد على المشركين ومهاجاتهم ، وكان سلاحا خطرا فى أيدى المسلمين لا يقل عن أسلحتهم الحربية الاخرى .

وكان الرسول يدعو له قائلا : (اللهم أيده بروح القدس) .

قال من قصيدة مفتخرا بانتصار المسلمين يوم موقعة بدر الكبرى :

بكرت على بسحرة بعد الكرى ... وتقارب من حادث الايام
زعمت بأن المرء يكرب يومه ... عدم لمعتكر من الاصرام (٣٣)
ان كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فنجوت منجى الحارث بن هشام (٣٤)
وبنو أبيه ورهطه فى معرك ... نصر الاله به ذوى الاسلام

وفى معركة أحد نراه يفخر باستشهاد أخيه أوس بن ثابت فيقول :

ومنا قتيل الشعب أوس بن ثابت ... شهيدا وأسنى الذكى منه المشاهد
ومن جده الادنى أبى وابن أمه ... لأم أبى ذاك الشهيد المجاهد

ومن قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
ان كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

وقال من قصيدة يهجو فيها الوليد بن المغيرة ، من كبار مشركى قريش :

ان التى القتك من تحت رجلها ... وليدا لمجهال العشى خبوب
فمالك من كعب حصاة تعدها ... وان قلت من شجع فأنت كذوب
فمالك فى الركنين حق حجاجة ... ولا لك فى صهر النبى نصيب

وكان حسان قاسيا فى هجائه ، سيما اذا تعرض للأنساب فانه يقذع فيها ، والنسب عند العربى أهم ما يحرص عليهويدافع عنه . فكان هجاء المشركين من خلاله أشد عليهم من وقع النبل ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما فى الرثاء فاننا لا نجد خيرا من الابيات التالية فى رثائه للرسول صلى الله عليه وسلم :

بطيبة رسم للرسوم ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادى الذى كان يصعد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تجدد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد
وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد ؟

وهي قصيدة طويلة تدل على مدى حبه للرسول الكريم وللاسلام ، وعلى تأثره وتأثر المسلمين بموته صلى الله عليه وسلم .

وقد رثى حسان بعض شهداء المسلمين فى حياة الرسول ، أمثال سعد بن معاذ ، ونافع بن بديل ، وجعفر بن أبى طالب ، وحمزة وزيد بن حارثة ، وخبيب . ونجد له أبياتا فى الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد اختلف فيها ، فمن الرواة من قال : انها فى مدحه ، ومنهم من قال : انها فى رثائه :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها   بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى الصادق المحمود مشهده   وأول الناس منهم صدق الرسلا

كما انه رثى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما توفى بأبيات منها :

وفجعنا فيروز لا در دره   بأبيض يتلو المحكمات منيب
رؤوف على الادنى غليظ على العدا   أخى ثقة فى النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله   سريع الى الخيرات غير قطوب

وكان حسان ممن ذب عن عثمان قبل مقتله . وقد حفظ لنا ديوانه استصراخه المسلمين لأخذ ثأر عثمان :

شدوا السيوف بثنى فى مناطقكم   حتى يحين بها فى الموت من حانا
لعلكم أن تروا يوما بمغبطة   خليفة الله فيكم كالذى كانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لتسمعن وشيكا فى ديارهمو   الله أكبر يا ثارات عثمانا

ونلاحظ اتقاد العاطفة فى رثائه لعثمان رضى الله عنه ، على خلاف عادته فى رثائه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما . بل انه ليهجو قومه من الانصار ، وخاصة بنى النجار لأنهم لم يدافعوا عن عثمان وأيدوا القتلة ، فيقول :

أوفت بنو عوف وأوفت نذرها   وتلونت غدرا بنو النجار
وتخاذلوا يوم الحقيقة انهم   ليسوا هنالكم من الاخيار
ونسوا وصاة محمد فى صهره   وتبدلوا بالعز دار بوار

مما يدل على أن حسان كان متشيعا لعثمان ، بل ورد أنه كان واحدا ممن لعبوا دورا هاما فى حادثة مقتله ، فهو أحد الذين أقنعوا المصريين بالرجوع الى بلادهم ، كما جاء فى رواية الطبرى ، واستمر فى معارضة على بن أبى طالب كرم الله وجهه طوال فترة خلافته القصيرة . ولا نجد له بيتا واحدا فى مدح أو ذم أو رثاء الخليفة على ، اذ أن أخبار حسان تختفى بعد مقتل عثمان مما يؤكد أنه مات قبيل موت على أو بعده مباشرة .

وفاته :

كان تطاحن الاحزاب وأحداث الفتنة قد شغلت المسلمين عن كل شىء ، فلم يفطن أحد الى وفاة شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان بصره قد كف فى أواخر حياته ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاته ، مثلما اختلفوا فى تحديد سنة ولادته كما مر ، ولكن يمكننا أن نأخذ بالرواية التى تقول بوفاته فى سنة أربعين من الهجرة ، حيث أن أخباره تنقطع فى أواخر عهد الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

رحم الله شاعر الرسول .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب — مادة حسان .
(٢) الدكتور سيد حنفي حسنين : أعلام العرب — حسان بن ثابت .
(٣) أبو الفضل ابراهيم والبجاوى : أيام العرب فى الجاهلية .
(٤) أختان لحسان من أبيه ، وأمهما سخطى بنت حارثة بن عبدود (الطبقات الكبير المجلد ٨ : ٣٢٩ طبعة أوربا) .
(٥) الاغانى ٣ : ٣٣ .
(٦) المخطوطة رقم ٢٥٢٤ من الديوان بمعهد مخطوطات الجامعة العربية : الورقة — ٧٥ .
(٧) الصرم : الهجر . ابتكر : عجل . الادهان : الخضوع . الحصر : الضيق .
(٨) عمر : ترخيم عمرة .
(٩) الغمر : المجهول .
(١٠) اسلم الابطال عورات الدبر — انهزموا .
(١١) سبط الكفين : سخى وكريم . اليوم الخصر : الشديد البرد . يقول : ان أخواله كرماء فى وقت الشدة والعسر .
(١٢) الروض الانف : ٢ : ٢٨٠ .
(١٣) تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٣٤ .
(١٤) الاغانى ٤ : ١٣٥ .
(١٥) أطم : حصن .
(١٦) احتجزت : شددت ردائى على وسطى .
(١٧) الاغانى ٤ : ١٦٥—١٦٦ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٥٠ .
(١٨) الدكتور سيد حنفي حسنين : اعلام العرب : حسان بن ثابت .
(١٩) الاكحل عرق فى اليد (الفاضل للمبرد ص ١٣) .
(٢٠) الاغانى ٣ : ١٦٦ .
(٢١) تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٢٦ .
(٢٢) الدكتور سيد حنفي حسنين : اعلام العرب : حسان بن ثابت .
(٢٣) الحوذان : نبت طيب الرائحة .
(٢٤) المزنة : السحابة البيضاء ، دلوح : كثيرة الماء . تكشف ادجانها : تكشف ظلمتها . وذلك بانزالها ما تحمل من الماء .
(٢٥) أردانها : أعطافها .
(٢٦) جنبنا الحراب : حملوا حرابهم بايديهم الى جنوبهم . الصريخ : المستغيث . المران : الرماح .
(٢٧) طبقات الشعراء لابن سلام .
(٢٨) طبقات الشعراء لابن سلام .
(٢٩) جلق : دمشق او موضع قريب منها .
(٣٠) البريص وبردى : نهران بدمشق .
(٣١) سيرة ابن هشام : ٣ : ٣٠٨ ، الاغانى ٤ : ١٥٤ .
(٣٢) سورة النور : آية ١١ .
(٣٣) يكرب : يحزن من الكرب . المعتكر : الابل التى ترجع فى عدد غفير ، فلا يمكن عدها لكثرتها . والاصرام : جمع صرم ، وصرم جمع صرمة وهى القطعة من الابل ، ولعل يكرب هنا معناها يقرب ، فيكون معنى البيت زعمت بأن الرجل يقرب يومه ، اى اجله — الفقر . تامره بعدم الاسراف .
(٣٤) وكان قد فر من المعركة فى بدر .



تقويم أثر الفتاوى علمياً ومقارنتها بعمل جوستينيان في القوانين الرومانية

للأستاذ : أنور أحمد قادري

لعل من المفيد أن نلاحظ بأن الفتاوى العالمكيرية بالنسبة للفقه الاسلامي وتدوينه من حيث التفسير والتأويل والاجتهاد على أيدى العلماء والفقهاء يمكن مقارنتها بلوائح جوستنيان بالنسبة للقانون الرومانى الذى سبقها ، فنلاحظ مثلا بأن جوستنيان أصدر فى عام ٥٢٨ بعد الميلاد أوامره لأجل وضع المجموعة القانونية الجديدة التى تستند على المجموعات القانونية السابقة الموضوعة فى عام ٥٠٠ و٥٠٦ بعد الميلاد ، وقد عهد جوستنيان بهذه المهمة الى مجموعة مؤلفة من عشرة علماء قانونيين .

وبعد أن انتهى هؤلاء العلماء من عملهم فى شهر نيسان من عام ٥٢٩ م صادق الامبراطور على عملهم ، والغى جميع اللوائح القانونية السابقة ، الا أنه نظرا لمعرفة القانونيين الشاملة عن المشرعين القدامى فقد عمل الامبراطور فى شهر كانون الاول من عام ٥٣٣ م على تجميع ما يسمى مجموعة الفقه مؤلفة من خمسين كتابا . وكانت هذه العملية عبارة عن استخلاص حرفى لآراء ٣٩ مشرعا كان أشهرهم المشرعين بول واولبيان ، على أنه لما كانت هذه المجموعة كبيرة الاتساع ، وبغية وضعها بشكل يمكن من جعلها كتابا مدرسيا ، فقد عين الامبراطور بعض الاساتذة البارزين فى مدارس الحقوق فى القسطنطينية وبعض المدن الاخرى لكى يعملوا على وضع كتاب ابتدائى سمى فيما بعد (بكتاب الاحكام القانونية) ، الا أن تشريع جوستنيان كان يقصر عن الاجابة على جميع النقاط

التى كان اثارها المشرعون القدامى ، ولذلك ، ورغبة فى سد هذا الفراغ فقد تم نشر عدد من (القرارات) عن طريق تعديل مجموعة عام ٥٢٩ ، وجعل هذه القرارات جزءا متمما لها ، وعلى هذا الاساس فقد صيغت مجموعة قانونية فى شهر كانون الاول من عام ٥٣٤ م وسميت (المجموعة القانونية الثانية) ، وهى مؤلفة من ١٢ قسما ، كما هى معروفة بشكلها هذا فى الوقت الحاضر ، وقد أعلن الامبراطور فى هذه المجموعة بأنه سيعمل على ادخال اصلاحات تشريعية على شكل دساتير جديدة ، وتم نشرها ما بين ٥٣٥ و٥٦٤ م ، وكان عددها ١٦٥ دستورا ، وقد تم ترتيب مجموعات جوستنيان على أساس أن تتضمن : أولا ملاحظات عامة عن طبيعة القانون وتقسيماته ومصادره ، ثم يتبع ذلك القوانين المتعلقة بالاشخاص والاشياء والتركات والالتزامات والمعاملات (١) ، ولا شك بأن هذا العمل التشريعى جدير بالاعجاب باعتبار ان الانظمة التشريعية الحديثة للعالم الغربى تنحدر جميعها من مبادىء جوستنيان القانونية ومجموعاته القانونية على انه ليس من الخطأ أن نلاحظ أن هذه المجموعات والمبادىء القانونية قد قصرت فى التمييز بين الاجتهاد والقوانين المحلية وبين القانون والاخلاق باعتبار أنه من المتفق عليه أنها لم تبين الاسس الفلسفية التى قامت على أساسها عملية تجميع النصوص القانونية (٢) .

واذا ما قورنت الفتاوى العالمكيرية بأعمال جوستنيان ضمن الاطار التحليلى نفسه ، لوجدت أنها تتفوق عليها ، فلم تكن الفتاوى عملا علميا عظيما تميز بالجد والبحث فحسب ، بل كانت أكثر من ذلك ، واستنادا الى نظام الشريعة الاسلامية فان الموقف الاسلامى من علم الفقه لم يكن مجرد علم نظامى خال من العوامل الاخرى المتعلقة بالحياة البشرية ، فقد تناول مناقشة النظريات المتعلقة بالقانون وخصائصه العامة ، وتطبيقات هذه النظريات على تصرفات الانسان عن طريق مزاولته للحقوق والالتزامات ، مع ضبط وتصنيف المفاهيم القانونية عن طريق ادخال مبادىء (الاصول) الى علم القانون أو (الفقه) ، وقد مزجت القواعد الدينية والاخلاقية والدنيوية على أساس أن ما كان مأمورا به أو مسموحا فى الدين فهو مشروع ، وما عدا ذلك فهو غير مشروع ، وبعبارة أخرى : ان هذه الدراسة العلمية وشرح الاجتهاد تشكل جميعها ما يسمى (بأصول الفقه) التى تتصل بجذور أو مبادىء القانون ، أما الآراء الفقهية فيما يتعلق بالمظاهر المختلفة للقانون وتأثيراته التى يمكن رؤيتها فى تصرفات الفرد وحقوقه والتزاماته فانها تفرع عن علم (أصول الفقه) زمرة أخرى تدعى (علم الفروع) ، الذى يجزىء المعرفة القانونية الى فروع متعددة وفقا لأنماط التطبيقات التفصيلية (٣) .
وعلى هذا الاساس فان مجموعة عالمكير التى تم اعتمادها بالاستناد الى الخطوط العريضة المذكورة أعلاه كانت أكثر شمولا وأوسع مجالا فى التطبيق من مجموعة جوستنيان ، فمجموعة عالمكير كانت عبارة عن توطيد للآراء القانونية التى تم جمعها ضمن اطار من التدقيق والتحليل بشكل لا تعارض فيه مع فحوى القوانين السابقة ، وعلى خلاف جوستنيان فان عالمكير لم يكن لديه أية مصالح انتهازية من شأنها الافتئات على القوانين المقدسة حتى أنه ــ أى عالمكير ــ ترك غير المسلمين يتبعون قوانينهم الخاصة بهم فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية (٤) .

وقد جمعت الفتاوى العالمكيرية فى ضوء ما تقدم ، وقسمت الى مختلف أقسام الفقه من أحكام العبادات والقانون والاجتهادات وفقا للمذهب الحنفى ، وعزى فيها كل مسألة وحكمها الى المرجع الفقهى الذى أخذت منه .

هذا ، واننا بمقارنة الفتاوى العالمكيرية مع الخمسين كتابا العائدة لمجموعة جوستنيان ، والكتب الاثنى عشر الخاصة بالمجموعة الثانية لجوستنيان نرى أن مجموعة عالمكير التي شملت ميادين أكثر اتساعا لجوانب الحياة الفردية والاجتماعية لعامة المسلمين كانت مقسمة الى كتب اكثر عددا تضمنتها أجزاء عديدة ضخمة ، وتشكل عملية جمع الفتاوى أسلوبا جديدا من أساليب التطور في تدوين القانون بكل ما في هذه العبارة من معنى حديث ، اذ انها ربطت ما بين النظريات المدرسية الصرفة وتأثيرات الحياة العملية لكي يمكن التوفيق ما بين المطالب النظرية وحاجات المجتمع الاسلامي المتغيرة بشكل تدريجي . الا أنه لا يمكن أن ننكر هنا أن الذين قاموا بعملية الجمع كانوا يرون أنفسهم ملتزمين بأحكام المذاهب الاسلامية القائمة ، وبالتالي عملوا على تطوير صفات التغير الذاتية التي تقتضيها ضرورات الظروف الزمنية ضمن حدود ما تسمح به الشريعة .

فطالما أن الفتوى هي رأي قانوني رسمي صادر عن مفت رسمي أو عن عالم شرعي مشهود له بشأن مسألة عرضت عليه من قبل القاضي أو من قبل فرد ما أو حتى من قبل الدولة فان القاضي يمكنه بالاستناد الى هذا الرأي اصدار حكم في القضية المعروضة عليه كما يمكن للفرد أن ينظم حياته الخاصة بالاستناد الى الفتوى التي تلقاها ، وبما أن هذه الآراء الفقهية تتناول قضايا واقعية وهي منطبقة مع النصوص الشرعية فان نشرها له قيمة كبيرة باعتبار أنها تتعلق بأوضاع قائمة (٥) .

وهكذا نجد ما للفتاوى العالمكيرية من دور قيم في تاريخ العلوم الشرعية الاسلامية ، ونجد بالتالي أن هذه الفتاوى بوضعها الحدود والصيغ المناسبة لتطبيق القانون وفقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أغنت السلطات القضائية عن التحري في مراجع أخرى ، لأن هذه الفتاوى تتضمن أحكاما بالنسبة لأية نقطة من النقاط القانونية بلغة سهلة وواضحة .

وتتأكد أهمية الفتاوى أيضا عندما نرى كيف أنه تم اتباعها في تطبيق الشريعة الاسلامية في أرجاء العالم الاسلامي أجمع منذ أن تم جمعها في القرن السابع عشر الميلادي ، فبصرف النظر عن المذاهب الدينية المتبعة في مختلف الاقطار الاسلامية فانه من الطريف أن نلاحظ بأن الاحكام القضائية الصادرة في هذه الاقطار تستند الى المبادىء القانونية التي احتوتها هذه الفتاوى وعرضتها بشكل سهل وواضح ، كما أن هذه المبادىء قد تم تبنيها في كثير من الحالات في تشريعات السلطات القضائية في العديد من الاقطار الاسلامية ، ومن الامثلة البارزة في هذا الصدد مجلة الاحكام العدلية التي كان معمولا بها في مختلف أصقاع الامبراطورية العثمانية ، وبالاضافة الى ذلك تم طبع الفتاوى نفسها في القاهرة في سنة ١٣١٠ هـ في ستة أجزاء ضخمة ، وسميت بالفتاوى (الهندية والعالمكيرية ، كما أننا نرى أن عدة بلاد قامت بتطبيق هذه الفتاوى بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى ، فمن مراكش الى اندونيسيا ، ومن تركيا الى جنوبي افريقيا ، استخدمت مجموعة الفتاوى كمرجع جاهز لاصدار الاحكام القضائية في تطبيق نظرية الشريعة الاسلامية من حيث الشكل والموضوع (٦) .

وفي نطاق التطبيق القضائي للفتاوى نجد تطبيقها الحسي وتقليد طريقة عرضها للأحكام في كل من ميداني الجوهر والشكل لقوانين الاسلام ، ومنذ اصدارها من قبل عالمكير ، قامت الادارة القضائية المغولية باتخاذها كأداة من أدوات الادارة القضائية للمسلمين ، وبالنسبة لغير المسلمين ــ كالهندوس الذين

تركوا يمارسون قوانينهم الخاصة بهم لادارة احوالهم الشخصية المتعلقة بالارث والزواج والتبنى ونظام الطبقات وما شابه ذلك ـ فقد كانت تطبق بحقهم أحكام الشريعة بالقدر الذى يسمح به كونهم من أهل الذمة فى دولة اسلامية ، على أن أهل الذمة كانوا يخضعون لقانون العقوبات الاسلامى ، والقانون المدنى الاسلامي فى الشؤون المتعلقة بالتجارة والمقاصة والتبادل والبيع والعقود ، وبالنسبة للمنازعات كان القانون الاسلامى هو القانون المطبق فيما اذا كان الطرفان المتنازعان مسلمين (٧) .

وقد استمر هذا الوضع حتى عهد شركة الهند الشرقية ، كما أن نظام الدولة فى كالكوتا وغيرها من المناطق استمرت على تطبيق قانون العقوبات الاسلامى ، وعلى سبيل المثال قد استند على الفتاوى العالمكيرية فى قضية (سيبا) ضد (مويونولا) فى عام ١٨١٨ م ، حيث جاء فى قرار المحكمة أن **« القانون الاسلامي يقر بحق السلطة الحاكمة بانزال العقاب فى حالات الجرائم الخطيرة تحقيقا لمبادىء العدالة على الرغم من أن الطرف المتضرر قد تنازل عن حقه الخاص »** .

وبالاستناد الى الفتاوى العالمكيرية أيضا تقرر أن الصبى البالغ من العمر أربع عشرة سنة ، والذى قتل صبيا آخر عمره احدى عشرة سنة ، يجب أن يحكم عليهما بعقوبة (التعزير) الاسلامية باعتبار أن القصاص لا يجوز انزاله بحق طفل لم يبلغ سن الرشد . وحتى الآن بعد ادخال قوانين العقوبات فى كل من الهند والباكستان ما يزال قانون الجنايات الاسلامى سارى المفعول فى كثير من الدول الافريقية ، وما تزال الفتاوى العالمكيرية مقبولة ومتبعة فى هذه الدول .

— ٤ —

وبالاضافة الى ما ذكر فان المجموعة العالمكيرية يستند اليها بشكل ملحوظ فى كثير من القرارات القضائية التى تظهر قيمتها العملية : ففى الهند والباكستان يتحتم الاشارة الى الفتاوى العالمكيرية كسوابق موثوقة ، كما يتحتم الاستشهاد بها ومناقشتها واتباعها فى غالبية القضايا التى تتعلق بتطبيق القوانين الاسلامية فى مسائل الاحوال الشخصية ، وأن مؤلفى كتب النصوص القانونية الاسلامية يستشهدون بسلطة الفتاوى العالمكيرية ، ويظهرون تفوقها فى عرض نصوص القوانين (الاحكام) الاسلامية .

وفى بعض البلاد الاسلامية الاخرى تتبع الفتاوى بشكل مباشر ، وبصورة خاصة تعتبر كتب النصوص القانونية المستندة الى الفتاوى مراجع أساسية فى كل من الهند والباكستان ، وفى بلاد ماليزيا ، وبورما ، وسيلان وكينيا وأوغندا وبلاد أفريقيا الشرقية ، ويتضمن العديد من القرارات المتعلقة ببعض القضايا القضائية استشهادا بهذه الفتاوى ، وكذلك الحال فى بلاد الشرق الاوسط ، ولعل أهم مثال على اتباع الفتاوى فى هذه المنطقة هو قضية (سعدات كامل خاتم) ضد المدعى العام فى فلسطين ، اذ اعتمدت المحكمة بعض النصوص الواردة فى الجزء الثانى من الفتاوى ، وتتعلق هذه القضية بمسألة تطبيق التقادم (مرور الزمن) لأجل استرجاع أملاك العائلة المشار اليها من الحكومة التى استولت عليها . وقد أقر مجلس القضاء البريطانى الحكم الصادر عن المحكمة العليا بفلسطين بالاستناد الى الفتاوى العالمكيرية ، وقد تداولت المحكمة فى

هذه القضية مداولة واسعة فى القانون المدنى العثمانى (الكتاب الرابع عشر ، المواد من ١٦٦٠ — ١٦٦٧ من المجلة) ، وكذلك بعض كتب النصوص الفقهية ككتاب عمر حلمى افنــدى (مجمــوعة قوانين الاوقاف المترجمــة عن تايسر وديماتريادس ١٨٩٩ نيقوسيا) ، واستشهدت أيضا ببعض القضايا المماثلة فى قبرص ، ووجدت أخيرا مقطعا فى الجزء الثانى الصفحة ٤٧٤ من الفتاوى بشرح الموقف الصحيح بالنسبة لنقطة الخلاف ، واتخذت حكمها النهائى بالاستناد على المقطع المذكور (٨) .

ان القانون الانكلو — امريكى المعاصر ، وكذلك أنظمة القوانين المدنيــة الاوروبية ، تستند فيما يتعلق بنظرية القرابة الى القوانين الرومانية . وتحدد هذه النظرية درجة التحريم فى موضوع الزواج ، وقد وضع قانون نلبليون ضمن اطار مجموعة جوستنيان القانونية (٩) ونجد بالمقــارنة أن الانظمة القضائية المعاصرة فى كثير من البلاد فى العالم الاسلامى قد اقتبست أحكامها من الفتاوى العالمكيرية الا أن مدى اتباع أحكام جوستنيان يختلف كثيرا عن اتباع الفتــاوى العالمكيرية . فالانتهازية والنزعات السياسية دخلت الانظمة القضائية الغربية ، وتراث القانون الرومانى اتخذ أشكالا مختلفة والوانا متعددة ، وفى مقابل ذلك نجد أن المصدر الالهى للشريعة الاسلامية ومبدأ الاخوة البشرية فيها قد حد الى مدى كبير من ادخال المفاسد السياسية الى الانظمة القانونية ، ولو أن بعض مفاهيم القانون الغربية قد تسربت فى السنوات الاخيرة الى الانظمة القانونية فى البلاد الاسلامية ، وكان ذلك بتأثير السيطرة السياسية الغربية على البلاد الاسلامية والسياسة الاستعمارية التى اتبعتهــا الدول الغربية تجــاه البلاد الشرقية ، وفى الوقت الحاضر يلاحظ أن مبادىء الفتاوى العالمكيرية وتطبيقاتها العملية ما تزال تحظى الى درجة كبيرة بتبعية فى البلاد الاسلامية .

ونصوص الفتاوى المستندة الى نظام الشريعة الاسلامية بالرغم من انها قد وضعتها السلطة الزمنية للامبراطور المغولى فانها قد ازدادت عمقــا فى التطبيق من قبل السلطات اللاحقة فى أنظمة الادارة الاســلامية ، ولعله من الصعوبة بمكان أن نجد ما يمــاثل ذلك فى تاريخ العــالم القانونى ، والسبب الرئيسى لذلك يكمن فى أن الفتاوى قد تم جمعها من قبل هيئة مختارة من العلماء المتشرعين والقضاة الذين وحدوا الآراء المشتتة المتعلقة بالشريعة ، وجعلوا منها مرجعا يسهل الاسترشاد به ، وبمقارنة هذه الفتاوى بما قام به علماء القانون والمستشارون القانونيون من كتابات أو تعليقات فى موضوع القانون والاجتهاد الاسلاميين نجد أن الفتاوى قد تضمنت مبادىء وقواعد تم التعارف عليها ، وعمل بها فى الانظمة القضائية الاسلامية فى ظل السلطة الزمنيــة للمغول ، ولهذا السبب نجد أنه حتى فى ظل الادارة البريطانية فى الهند أقرت المحاكم بأصالة الفتاوى وصحتها .

فمن ذلك ما أورده القاضى البريطانى (بيمان) فى موضوع قضية (تجبى) ضد (مولى خان) . فان هذا القاضى العالم بشرحه لأصالة الفتاوى فى موضوع عدم شرعية زواج أخت الزوجة أثناء قيام زواج الاخت الاخرى قد قال : « أيا كان التفسير الحرفى المعاصر لآية فى القرآن الكريم فان المحاكم لا تستطيع أن تنسى أن الحكم المستخرج من هذه الآية القرآنية قد استمر قائما لفترة عشرة قرون فى ظل حكم سلاطين المسلمين وأباطرتهم ، ولذلك فان هذا القانون الذى وضع نصوصه فطاحل العلماء المتوافرين فى عصرهم وكبار المتشرعين الذين كانوا فى خدمة (أورانك زيب) يجب أن يحظى منا بأعلى مراتب الاحترام .. وقد

أوردت المحكمة فى سياق شرحها لدور هذه الفتاوى فى القوانين الاسلامية مايلى (ان الاستشهاد بوثوق كتاب ككتاب الفتاوى العالمكيرية سواء احتمل معناه تفسيرات أخرى أم لا فان ذلك لا يقدم ولا يؤخر فى الامر باعتبار أن ما جاء فيه بالنسبة للرأى الراجح لدى مؤلفى الفتاوى العالمكيرية هو القانون الصحيح) وقد رفض القاضى المذكور اتباع كتاب رد المحتار ، واشار الى (أننا لا نستطيع أن نقر بأن كتابا ككتاب رد المحتار الذى كتب فى عام ١٨١٧ م يمكن الاخذ به كمرجع له قيمة الفتاوى العالمكيرية ذاتها) .

وتجريحا لحكم صدر سابقا عن المحكمة العليا فى كالكوتا بشأن قضية (عز النساء خاتون) ضد (كريم النساء خاتون) ، وبعد استشهاد دقيق بعدد من كتب القانون الاسلامى ، كالفتاوى التتار خانية ، والهداية وشرح الوقاية ، وكنز الدقائق والعناية ، وغيرها من الكتب ، ومقارنتها بمقاطع من الفتاوى العالمكيرية التى تعطى النص المناسب بشأن الموضوع المطروح على البحث ، قررت المحكمة « بأن الامبراطورية الاسلامية فى الهند قد انقرضت منذ وقت طويل ، وأن المؤلف (الذى استند الى كتاباته بشكل مشتت وبدون أية رابطة واتخذت كملحق للحكم الصادر عن المحكمة العليا بكالكوتا) هو مؤلف كثير التصلب ، يوحى بدلائل على أنه كثير الغرور بالآراء الصادرة عنه ، واعتقادنا بأنه من دواعى الحيطة أن نقول : بأنه ليس هناك من مسلم يضع هذا المؤلف على مستوى مماثل أو مقارب لمستوى العلماء الذين قاموا بجمع الفتاوى العالمكيرية ، وليس لنا الحق بأن نقلل من شأن هذه الفتاوى العالمكيرية على أساس أن رد المحتار ألقى بعض الشك على وثوقها » .

ونعود الآن الى الفتاوى العالمكيرية نفسها لنجد أن هذه الفتاوى قد كتبت أصلا باللغة العربية ، ثم ترجمت فيما بعد الى الفارسية من قبل جلبى عبد الله ، وهو ابن مولانا عبد الحكيم من سيالكوت أثناء عهد الامبراطور ، وقد أعيدت طباعتها فى دول الشرق الاوسط عدة مرات ، وترجمت أيضا الى اللغة الاوردية ، وبعد أن أعيدت طباعتها فيها عدة مرا تتم طبعها مؤخرا (عام ١٩٦٤) فى لاهور فى الباكستان وديوباند فى الهند ، وكان نيل ب . أ . بيلى أول المستشرقين الذين ترجموا أجزاء من الفتاوى الى اللغة الانجليزية الا أن تصرفه بالترجمة قد أسقط المراجع ، وفى كثير من الاحيان أسقط مسائل على غاية من الاهمية منها التعليقات والتعليلات ، لدرجة تجعل القارىء الذى لا يستطيع الرجوع الى الاصل يجد كثيرا من عدم التكامل ، بل ويجد أحيانا اختلافات ليس لها أصل فى الطبعة العربية ، وبعبارة أخرى فان كتاب بيلى الذى سماه « مختارات من القانون الاسلامى » هو فى الحقيقة كما يستدل على ذلك من مقدمة الكتاب افتئات على الموضوع من قبل المترجم نفسه وباستثناء ما جاء فى هذا الكتاب من ترجمات صحيحة لبعض المراجع فانه ليس له أية قيمة أكثر من أى كتاب مدرسى باللغة الانجليزية ، كما أن فصول بعض الكتب المدرسية ككتاب (الاحوال الشخصية للمسلمين) لمؤلفه أمير على لا يمكن الاعتماد عليها كدليل فى هذا المضمار ، والسبب فى ذلك يعود الى أن هذه المراجع ذاتها أسىء فهمها فى بعض الاماكن من قبل بيلى عندما كان يستشهد بالنص العربى الاصلى لهذه المراجع ، وقد كان ذلك من الاسباب التى أثرت تأثيرا كبيرا فى التطبيق القضائى الصحيح لمبادىء القانون الاسلامى فى الهند ، حتى انه يمكن القول بأن الباكستان لم تسلم من ذلك فى ظل قاعدة مرور الزمن التى اعتمدت بموجب نظرية السوابق القضائية .

وأريد هنا أن أستشهد بمثال عملى لسوء الفهم الذى يتبين من قضية

(فاطمة بيبى) ضد (احمد بخش) ١٩٠٣ م ، والتى هى دليل حسى على سوء ادراك القانون الاسلامى من قبل المحاكم الانكلو ـ هندية ، ومؤلفى الكتب المدرسية فى الهند ، ففى هذه القضية أسىء فهم مبدأ جوهرى من مبادىء القانون الاسلامى ، وهو المتعلق بمرض الموت .

فقد اعتمدت المحكمة العليا فى كالكوتا على مجموعتى بيلى وأمير على بغية الاستدلال بالفتاوى العالمكيرية حول النقطة موضوع البحث ، فقد عمى على القضاة أن ما جاء فى كتاب أمير على حول هذا الموضوع لم يكن اقتباسا من الفتاوى الاصلية وانما كان اقتطافا من كتاب مجموعة بيلى . فقد ادعى أمير على خطأ بأن المقطع الوارد فى كتابه حول الموضوع كان ترجمة لمقطع كامل من الفتاوى ، واذا ما قورن هذا المقطع بما ورد حول الموضوع ذاته فى مجموعة بيلى يتبين أن ما زعم أمير على أنه ترجمة مباشرة من الفتاوى لم يكن فى الحقيقة سوى نقل من كتاب بيلى .

وبذلك يكون أمير على الذى يدعى الترجمة المباشرة من الفتاوى قد قام بالفعل بنقل ما جاء فى كتاب بيلى بكل ما تضمنه هذا الكتاب من اخطاء وأغلاط ، ومع أن بيلى كان يتظاهر بالصدق الى حد القول بأن ترجمته كانت تسير جنبا الى جنب مع ما كان يستخلصه هو نفسه من الفتاوى (كما تثبت ذلك الحواشى) فانه يمكن بسهولة رؤية جزء المقطع من « التعريف الاصح لمرض الموت » الى « يؤدى أو لا يؤدى الى جعلها عاجزة عن ممارسة الشؤون الضرورية فى الداخل » بأنه لم يكن ترجمة لأى مقطع من مقاطع الفتاوى العالمكيرية على الاطلاق ، انما كان ذلك استنتاجا منه من مقطع من الدر المختار الذى كان ذاته عديم الاساس ، وقد خدع جميع القضاة بكتاب أمير على ، وظنوا بأن المقطع جاء من أصل الفتاوى دون أن يحملوا انفسهم عناء قراءة كتاب بيلى وشروحه الذيلية ، ومع الاسف فان القضية لم تحصل على الرعاية الكافية من قبل اللجنة القضائية التى عالجت النقطة الاساسية فى دعوى الاستئناف على أنها مجرد مسألة وقائع ، وصدقت على الحكم الصادر عن المحكمة العليا فى كالكوتا .

● ● ●

وبعد ما القينا من نور على قيمة الفتاوى العالمكيرية فاننا سنأتى ببعض الملاحظات العامة الهامة ، فى يومنا هذا : ان مسألة جعل القوانين الاسلامية متوافقة ومتناسبة مع مقتضيات الحياة العصرية تشغل بال كثير من الاشخاص المهتمين بالموضوع ، كما أن مسألة التقنين الاسلامى للقوانين فى جمهورية الباكستان هى من أدق المسائل التى تطرح فى يومنا هـذا ، ولقد دل التاريخ القانونى فى الهند على أن النظام البريطانى قد الغى أحكام الاجراءات الاسلامية (أصول المحاكمات أو المرافعات) وحتى فى ميدان القوانين الموضوعية تسربت بعض المفاهيم القانونية الانجليزية أو الغربية ، وكان ذلك نتيجة طبيعية من قبل حكومة أجنبية ، وان ادخال الاساليب الاجنبية جاء سهلا فى نظام الادارة العدلية فى البلاد ، ويمكن القول الى حد ما بأن عدم امكانية تطبيق القانون الاسلامى لعدم توافقه مع متطلبات الحياة العصرية قد تسبب فقط من جراء الفصل بين قوانين الاجراءات الاسلامية وقوانين الموضوع ، ومن المتفق عليه أن الاثنين يشكلان جزءا متكاملا لنظام واحد ، وكل منهما يتأذى من عدم رعاية الآخر ، ولذا فان الحاجة ماسة للتقيد بقوانين الاجراءات الاسلامية عند تطبيق قوانين

الموضوع ويجب أن يكون هذا دليلا يهتدى به فى مجال تطبيق النظام القضائى ، وهنا تبدو القيمة العصرية العملية والمادية وتظهر المساعدة التى يمكن أن تحصل عليها الادارات العدلية من الفتاوى العالمكيرية ، فوضع تقنين اسلامى نموذجي على أساس مبادىء قانونية تشمل النواحى الاجرائية والموضوعية يمكن بسهولة استخلاصه من هذه الفتاوى ، وبالنسبة للمذاهب الاخرى ، خلاف المذهب الحنفى ، فانه من السهولة أخذها بعين الرعاية فى هذه التقنينات النموذجية عن طريق اعتبار الميزات البارزة والمبادىء القانونية عندما تختلف الآراء بين مذهب وآخر ، وهذه التشريعات النموذجية يجب أن يحتفظ بها كوسيلة لشحذ الذاكرة ، وكمرشد للمحاكم بشكل عام ، وذلك بغية تجنب كل ما من شأنه أن يفتئت على المفاهيم الاسلامية للادارة القضائية ، واذا ما أمكن عمل مثل ذلك فانه يمكن الاقرار بأن معالجة جدية صحيحة لموضوع الاجتهاد الاسلامى يتوجب البدء بها ، وبذلك تتخذ البلاد الخطوات الفعالة فى سبيل اقامة أوضاع المؤسسات القضائية وفق التعاليم الاسلامية .

---

(١) من المسلم به أن امبراطور روما كان تحت سيطرة ملكته تيودورا (وهى امرأة من أصل منحط رفعها الامبراطور) وبذلك تسرب التأثير الشخصى الى المجموعة ت. س. ساندرز : الاحكام القانونية لجوستنيان ص ٣١ (١٩٥٢ لندن) .

(٢) المصدر السابق ، راجع أيضا هـ. ف. جولوفيتش : الاسس الرومانية للقانون الحديث (١٩٥٧ أكسفورد) .

(٣) راجع أ. أ. قادرى : الفقه الاسلامى فى العالم الحديث ٤٤ ، ٨٣ ، ٨٤ (١٩٦٣ بومباى — تريباتى) .

(٤) انظر مقدمة الفتاوى العالمكيرية والكتاب الثالث عشر : كتاب السير ، شارل هاملتون ، هداية ، مجلد ١ النظرة التمهيدية ص ٨٦ (١٧٩١) .

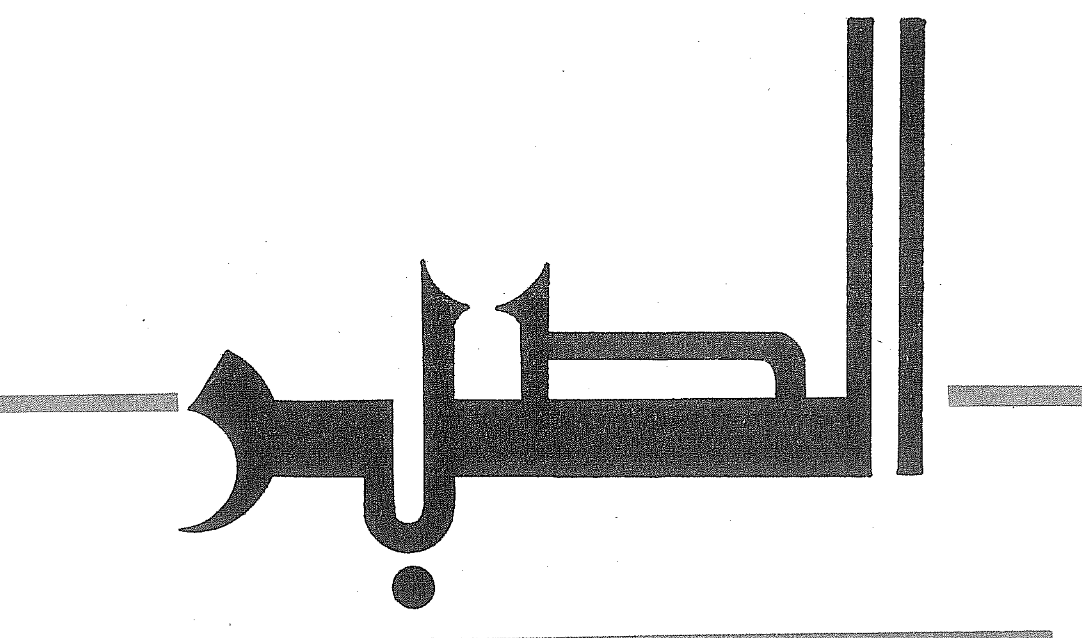
(٥) انظر دائرة المعارف الاسلامية الموجزة ١٠٢ (١٩٥٣ ليدن بريل) ، انظر أيضا المقريزى ، كتاب الخطط المجلد الرابع ١٤٣ .

(٦) انظر مثلا : لويس ميليو : مقدمة لدراسة القانون الاسلامى (١٩٥٣ باريس : سيرى) ، شكرى قرداحى الفصل ١٤ تنازع القوانين ، فى : القانون فى الشرق الاوسط (١٩٥٥ واشنطون معهد الشرق الاوسط) ، جورج يونج ، مجموعة القانون العثمانى (١٩٠٥ ، ١٩٠٦ اكسفورد) شارل أ. هوبر : القانون المدنى لفلسطين وشرق الاردن . المجلد ١ (١٩٣٣ القدس) .

(٧) انظر الهداية (الترجمة الفارسية) الكتاب ٢١ هاملتون : الترجمة الانجليزية للهداية المجلد الثانى ٦٨٤ — ٦٩٠ — ٦٩١ .

(٨) لمراجع أخرى عن (الفتاوى) والكتب الهندية ، انظر التقارير القانونية للدول التى تطبق الشريعة الاسلامية . انظر مثلا فاطمة بنت محمد ضد محمد بن سالم ١٩٥٢ أ. س ١ — ١٠ ص ٧ — ٨ ، رزيتى بنت عبد الله ضد شريفة بنت محمد بن حامد : استئناف المجلس الخاص رقم ٦٣ فى ١٩٦٠ المحكوم فيه فى ديسمبر ١٩٦٢ (دعاوى الدول الافريقية) ، انظر أيضا المراجع المذكورة فى فيتزجيرالد : القانون المحمدى (١٩٣١ اكسفورد) .

(٩) انظر مثلا سوينبون : كتاب الوصايا الطبعة الخامسة (١٧٢٨) القسم ١ الجزء ١٦ ص ٥٩ ل ٤٥—١—١٣٤ س ٥١ ، ١ الغ من جوستنيان ، هوايت ضد هوايت (١٧٧٨) ١ بر. س. س. ١٢ .



الصبر
أعظم درجات السمو العقلي والنفسي

للأستاذ : أحمد مختار قطب

لعل أخطر ما يتعرض له أى مجتمع من المجتمعات هو تشكيكه فى القيم التى يقوم بنيانه عليها ، ذلك أن مجرد النجـــاح فى ذلك ينتهى بالمجتمـــع الى الأنهيار الكامل ويصير كما قلنا فى مقال سابق فريسة لأى غزو جديد .

والى جوار الهدم الأصلى فى المجتمع الاســـلامى عن طريق اقناعه بأن الدين فى حد ذاته لم يعد صالحا لحل المشـــكلات التى يواجهها الانســـان على الارض وأن دوره يجب أن يقتصر على الغيبيات فقط وأنه أســـوة بكل الأديان لا يزيد عن كونه مرحلة معينة لابد أن يمر بها الانسان فى مراحل تطوره حتى يبلغ رشده الوجدانى ويغنيه هذا الرشد عن صوت السماء الذى كان يتخيل انه يتصل به عن طريق الرسل وأن عليه وقد وصل الى هذه المرحلة ان يعرف سبيله بنفســـه وأن يشرعه وينحته من واقع تجاربه تاركا الفروض الغيبية التى كان يغرق فيها الأقدمون .

وهم يسندون هذا الغزو العام بغزو خاص بهدم كل قيمة على حدة فاذا انهدمت القيم كلها انهار البنيان من قواعده وخر السقف على أصحاب العقيدة التى لم يتلقوا قدرا كافيا من الحماية الذهنية لها .

● يقوم على الفهم الصحيح للأمور
● ويكون في اختيار الموقف الآجل على العاجل

فهم يهدمون فكرة التوكل على الله قائلين انها فى الاسلام لاتحمل الا معنى التواكل ويهدمون فكرة الصبر قائلين انه صنو الاستسلام ، ويهدمون فكرة التوحيد قائلين انها تبعد بالانسان عن الواقع متمثلا فى الاسباب الظاهرة التى يرونها ويهدمون فكرة الايمان بالآخرة زاعمين انها حيلة الضعفاء تعزية عن ضعفهم المتمثل فى أمل فى معيشة فى عالم آخر قد يجدون فيها مايعوضهم وهكذا يمضون فى تصوراتهم حتى لا يبقى لدى المسلم الا أن يفر من هذه العقيدة التى تؤدى به الى التواكل والاستسلام وعدم الواقعية ، وخيال العاجزين فيتلقاه شياطين العقائد الأخرى وهو هش تخربت نفسيته وفراغها قابل للامتلاء بغثهم وزخرف قولهم .

— ● — ● —

ولقد تحدثنا فى مقال سابق عن معنى التوكل على الله وكيف أنه شىء مختلف تماما عن التواكل ونتكلم فى هذا المقال عن معنى الصبر قائلين أنه على العكس تماما مما يقولون فهو شىء آخر غير الاستسلام .

والواقع أن القرآن الكريم تكلم عن الصبر بمعنى الاستسلام حيث يكون الأمر متصلا بموقف من يعصى الله ثم يجازيه الله على ذنبه فهنا ليس له من سبيل ازاء أمر الله الا الاستسلام والرضوخ لا اختيارا منه ، بل لأنه لا يملك الا هذا الموقف فلا يفلح فى دفع عقاب الله عنه شىء فليس هناك بديل عن الصبر وهو هنا بمعنى الاستسلام أو الرضوخ كأمر لا ثانى له وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الطور الآية ١٦ .

« اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم . انما تجزون ما كنتم تعملون » .

وفى سورة ابراهيم الآية ٢١ .

« وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء . قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص » .

واضح أن هذه الآيات تعنى بالصبر الخضوع والرضوخ والاستسلام حيث لا سبيل ولا طريق الا هو .

أما المعنى الآخر الذى أورده القرآن الكريم للصبر وهو الذى نقول انه أحد اعمدة العقيدة وأهم دعامة للنجاح فى الحياة نجاحا يشملها ويشمل الدار الآخرة فهو عبارة عن موقف يتميز بالعزم والصدق حيث يكون على الانسان ان يختار طريقا من طريقين أحدهما فيه طاعة الله وتنفيذ ما أمر به والثانى أيسر من هذا الطريق اذ يستجيب فيه الانسان لأهوائه وميوله أو ربما مخاوفه وهو عندما يختار بين الأمرين يتعرض لضغوط كثيرة قد تؤدى به الى اختيار الطريق الأسهل ... فهو يتعرض لضغوط من داخل نفسه تتمثل فى أهوائه وميوله وضغوط خارجية كمقاومة فتنة الناس وايثاره السلامة عن طريق مسايرتهم والتفريط فى طريق الله التماسا للأمن العاجل أو المنفعة العاجلة .

والانسان دائما مواجه بعملية الاختيار هذه وفى كل لحظة من لحظات حياته عليه أن يختار بين أمرين ولكل أمر أسباب داعية لترجيحه وتفضيله وهذه الاسباب تدور بين الرغبة فى العاجل وبين ايثار الآجل فمن يستطيع أن يخدع المتعامل معه ليكسب مكسبا عاجلا يؤثر هذه الرغبة مادام قادرا عليها على كل النتائج الآجلة لاستقامة المعاملات سواء فى الدنيا أو الآخرة والذى يفر عند لقاء العدو يخضع للرغبة فى السلامة العاجلة ، ويؤثرها على كل النتائج الآجلة مهما هبط به الفرار الى أى درك .

والصبر يكون فى اختيار الموقف الآجل على العاجل وهو عندئذ وعندئذ فقط يكون فضيلة .. وهى فضيلة تقوم على الفهم الصحيح للامور فاختيار العاجل يقوم على الاستجابة غير المحسوبة لاحكام اى موقف يوجد فيه الانسان وأما اختيار الآجل فهو عبارة عن الاستجابة المحسوبة للمواقف .. فاذا فجأ الانسان أمر فهذه المفاجأة لها حكمها ولها الحل الذى توحى به كل مفاجأة من اثارات أيا كان نوعها فالذى يستجيب لعاطفة الغضب الجامح فيقتل من أغضبه انما يخضع للظروف المادية التى أحاطت به وقت انفعاله ويجعل لها عليه السلطان الكامل فهى تعميه عن ادراك غيرها وتجعل بصيرته بالنسبة للنتائج التالية فى الدرجة الثانية أو الثالثة أو مادون ذلك بكثير بالنسبة لقدرة تركيزه وتصوره للموقف الآنى الذى يواجهه فحدة البصر تكون منصرفة للمحيط المادى فقط ولاتتعداه الى غيره .. وأما الاستجابة المحسوبة فيلزمها بادىء الأمر أن يتحرر الانسان من حكم المفاجأة حتى يتمكن من الابصار وهو لايتحرر الا بالفهم والتحليل الصادق وهذا لا يكون الا باجراء عملية ضبط سريعة للانفعالات حتى لا يورطه فيما لا يستطيع التخلص منه ثم يباشر عملية ممارسة شاقة لا سباب الحل الآجل حتى تستجيب له الاحداث وهذا هو نصر الله .

فالاستجابة العاجلة تكون خضوعا غير مبصر من الشخص للاثارات المادية أو ردودا مباشرة لها . وأما اختيار الآجل فهو التحليل والتروى مع عدم الانخداع بالفوريات حتى تستجيب الأحداث فيصبح الشخص هو سيد الموقف وليس عبدا له .

والمشاهد أن الانسان اذا لم يبادر بشفاء نفسه من أى انفعال فورى فان هذه الانفعالات تنقلب الى أدواء نفسانية مزمنة ربما يصعب أو يستحيل التخلص منها وتسيطر على الانسان سيطرة كاملة فانفعال الغضب الجامح ان لم يعالجه الانسان بالفهم الصحيح والصبر على هذا الفهم انقلب مع الزمن الى رغبة فى الانتقام والفرار من العدو ينقلب مع الزمن الى استكانة متأصلة فى النفس والركون الى اللذة العاجلة ربما ينتهى بالانسان الى التحلل ووهن الشخصية وتبعثرها وهكذا الأدواء النفسية كالأدواء العضوية سواء بسواء ان لم تعالج فى البداية انقلبت الى أدواء مزمنة وربما ضاعت حياة الانسان هباء وهو خادم لرغبة خاطئة محدودة هدامة ، فالراغب فى الانتقام تكاد تشكل هذه الرغبة الاطار الذى لا يعدوه ذهنه وتفكيره مهما كان صاحب ملكات خلاقة ، وأسير شهواته ونزواته يجعل هذه الشهوات والنزوات بمثابة التكاليف التى تحمل بها ملكاته العقلية والذهنية ، وهى اما أن تستنفدها أو تبقى منها فائضا ضئيلا .

فالصبر علاج لكل هذه الأدواء النفسية وهو أعظم درجات السمو العقلى والنفسى وغاية ما يطمح اليه الانسان من تحرر . فالصابر هو الانسان الكامل القادر على التسامى فوق الاحداث وفوق الانفعالات وفوق العواطف الهدامة .

— ● — ● —

والعقيدة الاسلامية كانت وما تزال خير مخرج للصابرين فما من أحد اعتنقها عن فهم ألا وأحدثت فيه تحولات تدنيه من الكمال بقدر قدرته على هضمها وكلما ازداد هضمه ازداد كماله .

وفى مجال الصبر يرسى القرآن الكريم الدعامة العقلية الاولى له ويقرنه بها وجودا وعدما . وهذه الدعامة هى العقيدة المبنية على التحليل العقلى الذى لابد وأن ينتهى بالانسان الى التوحيد واذا ما اعتقد الانسان أن الله واحد لا شريك له وأن كل القوى التى تظهر طافية على سطح الحياة هى قوى من طبيعتها الأفول والذهاب وأنه قد تكون لهذه القوى بعض السلطان أو كل السلطان على عقول الناس وهى ان لم يكن لها سلطان على العقول فقد يكون لها سلطان على الارادات فينصرف الانسان بذلك عن الجوهر الى المظهر وعما ينفع الى الزبد وعندئذ تبرز فضيلة الصبر مستندة الى هذه الدعامة العقلية العقائدية وهى الثقة بأن وعد الله حق وان كل ما يظهر على سطح الحياة من أحداث تبدو وكأنها ذات قوى فعالة انما هى مما لا يجوز أن يربط الانسان مصيره بها وانما يربطه بما وراءها من ارادة مسيرة ومهما توهم أنه يصارع التيار فلا بد وأن ينتصر لأن الامر كله لله وليس لهذه المظاهر .

« فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

ووعد الله سبحانه وتعالى بالجزاء الحسن فى الدنيا والآخرة انما يكون للملتزمين لأوامره سواء كانت هذه الاوامر تكليفا بأداء أو بامتناع .. وهذه الأوامر تكون السنة والطريقة المثلى للوصول الأمثل ومهما أبطأ ذلك فهو لا بد واقع .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » .

(سورة الاحقاف آية ٣٥)

ويزود اللــــه المؤمنين بأن وعده الحق بتحليل عقلى عقائدى آخر يثبت به قلوبهم ويعصمهم أن ينخدعوا فى المظاهر ويخرجهم من ظلمات التشكك والارتياب الى نور اليقين .

فعندما كلف المؤمنين بالقتال فى سبيل الله دفاعا عن كيانهم أفهمهم أن القعود عن هـــذا الواجب لن يدرأ عنهم الموت أو يؤخره ... وأن الأخطر من ذلك أن المساومة على النجاة وان غلفها العدو بأى وعد معسول لا يجب أن يخفى عنهم الحقيقة وهى أن المهزوم معرض للنتائج الطبيعية لكل هزيمة وهى الخزى والمذلة ثم فتنته فى كل معتقداته .

« كيف وأن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة . يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » .

(سورة التوبة الآية ٨)

وهكذا يمضى كلام الله تعالى فى تبصرة المؤمنين وحمايتهم ذهنيا وعقائديا حتى تكون عقولهم فى خدمة ارادتهم عندما يصبرون ولا تكون ممارســـة الصبر مجرد امتناع مرهق غير مفهوم « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » .

ولن نمضى فى ضرب الأمثال فبوسع القارىء أن يختار أى مسلك فاضل يرضى عنه الله الا ويجد بدل السند أسانيد عقلية تدعمه ولن يجده تكليفا معلقا فى الهواء بغير أساس ثابت .

— ● — ● —

والتطبيق الأمثل لفضيلة الصبر نراه فى مسلك الرسول صـــلوات الله عليه ، فقد كانت حياته كلها امتحانا لتمسكه بهذه الفضيلة واثباتا للنجاح فى هذا الامتحان .

فقد منى فى حياته الخاصة بالكثير مما تنوء به عقيدة الضعفاء وتدفعهم الى البرم والتشكك .

ومنى فى حياته العامة فى سبيل الدعوة بالكثير مما تنوء به النفوس .

وما كان قوله الا أن قال مخاطبا ربه « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى »

هذا هو التطبيق الأمثل للصبر على الاعتقاد بأن وعد الله حق وما يستتبعه من تنفيذ صارم لكل ما أمر به الله ايجابا وسلبا والسمو بهذا الاعتقاد فوق كل احداث وأزمات .



الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي

انتهينا فى الاعداد السابقة من بحث وجوه الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد العالمى .

ونتناول بدءا من هذا العدد بحث وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى .

ونستعرض هذه الوجوه تباعا على النحو التالى :

١ — الحاجة الى الموسوعة لتدعيم وحدة الامة الاسلامية .

٢ — الحاجة الى الموسوعة لتيسير معرفة الفقه المنتثر فى امهات المراجع القديمة .

٣ — الحاجة الى الموسوعة من حيث انها مرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر .

٤ — الحاجة الى الموسوعة لفهم وتفسير وتطبيق بعض القوانين المعاصرة المستمدة من الشريعة الاسلامية ، سواء كانت هذه الاخيرة مصدرا تاريخيا أم رسميا لها ، أو قانونا عاما يرجع اليه فى حالة الفراغ التشريعى ، أى عند عدم وجود نص قانونى فى موضوع .

* * *

أولا — الحاجة الى الموسوعة الفقهية لتدعيم وحدة الامة الاسلامية :

— قد يبدو غريبا أن يكون عرض الخلافات المذهبية عاملا فى تدعيم وحدة المسلمين ، بل ان البعض قد أبدى مخاوفه من أن يكون فى عرض هذه الخلافات اثارة لروح التحزب المذهبى وتوسيعا لشقة الخلاف . والواقع خلاف ذلك ...

— فان الهوة القائمة بين اتباع المذاهب المختلفة انما نشأت واتسعت نتيجة لتجميد حركة الاجتهاد والنمو الفقهى ، ولتشجيع التقليد الاعمى لائمة المذاهب دون معرفة الادلة ، وحرص كل فريق

على تكثير اتباع مذهبهم ومقاومة المذاهب الاخرى والطعن فيها خلافا لما كان عليه أئمة المذاهب أنفسهم من التقدير المتبادل .

— ان الخلاف فى الرأى هو طبيعة فى البشر ، وان اباحته فى الاسلام يسر فى الدين .

— فطالما ان بعض النصوص تحتمل الاختلاف فى تفسيرها ، وان بعض الاحاديث مختلف على صحة ورودها ، وان العديد من المسائل التى تجد مع اختلاف الامكنة وتطور الازمنة وتجدد الحاجات البشرية لم يرد نص يحكمها وتختلف الانظار فى الحكم الملائم لها ، طالما ان الامر كذلك فالاختلاف بين الفقهاء فى تفسير كثير من النصوص واستنباط الاحكام منها هو الامر الطبيعى وليس العكس .

— ولقد كان أئمة المذاهب أنفسهم لا يجدون حرجا فى الرجوع عن رأى أبدوه اذا تبين لهم خلافه أو تغيرت البيئة التى يفتون فيها كما حدث للامام الشافعى عندما انتقل من العراق الى مصر كما نقل عنهم النهى عن تقليدهم تقليدا أعمى ، والامر بترك أقوالهم اذا تبين فيها مخالفة للسنة الثابتة :

فأبو حنيفة يقول :

اذا صح الحديث فهو مذهبى . لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه . حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى فاننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا ... الى آخر ما روى عنه .

ومالك يقول :

انما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . ليس أحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا ويؤخذ من قوله ويترك الا النبى صلى الله عليه وسلم .

كما رفض محاولتين للخليفة ابى جعفر المنصور ومحاولة للخليفة هارون الرشيد لحمل الناس على مذهبه ، وكان مما رد به عليهما : ان أصحاب رسول الله اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان وكل مصيب .

والشافعى يقول :

اذا صح الحديث فهو مذهبى . اذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت . كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد موتى . مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ... الى غير ذلك ... مما روى عنه .

وأحمد بن حنبل :

وهو أكثر الأئمة جمعا للسنة يقول : لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى ولا الاوزاعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا . (ينظر فى هذا المقام كلام ابن القيم رحمه الله فى اعلام الموقعين ج ٢ ص ٣٠١ / — ٣٠٢) .

وهذا مما يؤكد سماحة الأئمة واتساع صدورهم للخلاف وعدم جمودهم على الرأى أو تعصبهم له ...

— ثم خلف من بعدهم خلف تعصبوا لمذاهبهم وأئمتها ، وقلدوهم تقليدا أعمى وصار التقليد هو الاصل بعد ان كان الاجتهاد هو الاصل ، ووضعوا للتقليد قواعد وأحكاما ، وأصبح فى نظرهم ان الآراء التى فى المذاهب الاخرى خاطئة كلها ، ويرى كل فريق منهم ان كل ما قاله الامام الذى يقلده صحيح لا يحتمل الشك بل كل ما يقيسه كبار مذهبه والمخرجون فيه كذلك !! وقد وصل هذا التعصب المذهبى الى أن يقول الكرخى وكانت له رئاسة الفقه الحنفى بالعراق فى منتصف القرن الرابع الهجرى : « كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » بل وصلوا فى التحيز للأئمة السابقين الى درجة التشاحن فى جدلهم ، وأخذت العصبية تتزايد الى أن بلغت التقاتل ، وأصبح فى كثير من المساجد أربعة محاريب كل واحد لواحد من المذاهب الاربعة يصلى فيه امام باهل مذهبه فينتظرون الصلاة معه دون غيره كأنهم أصحاب أديان مختلفة ...

واذا كان ذلك قد حدث بين اتباع مذاهب السنة الاربعة ، فان ما بين السنة والشيعة أو الشيعة والاباضية أشد ويغنى فيه التلميح عن التصريح ...

— وقد ولج من باب الخلاف المذهبى كثير من اعداء الاسلام والمسلمين يوسعون شقته ويستغلونها لمآربهم الدينية والسياسية أخذا بقاعدة الاستعمار الذهبية الرهيبة « فرق تسد » . وقد نجحوا فى تأليب بعض الطوائف على البعض الآخر وناصروا فئة على فئة واستعانوا بقوم على قوم ، كل ذلك على أساس مخطط مدروس حتى أصبحوا أعلم من المسلمين بما بين المسلمين من فرق واختلافات وحزازات وعداوات مذهبية .

— وعلاج هذا الواقع المؤلم لا يكون الا بتوعية المسلمين بدينهم وتبصيرهم بأنهم أمة واحدة كتابها واحدا ، ونبيها واحد ، وان ما حدث من خلافات فى الاصول او الفروع انما مرده اسباب تتعلق بمنهج الاستنباط أو درجة الوثوق بالحديث أو الاختلاف فى تفسير النصوص .. ونحو ذلك وكله محتمل ولا يجوز أن يترتب عليه اختلاف القلوب والتعادى ، وتفرق الامة شيعا ...

— وهنا تتضح أهمية الموسوعة الفقهية اذ تعرض الحكم فى كل مسألة من مختلف وجهات النظر موضحة دليل كل رأى ، وبذلك تزول حدة الخلاف ، ويحل محله روح التسامح والتيسير ، اذ تتبين الاسباب الحقيقية لاختلاف وجهات النظر والتى نذكر منها :

١) — غفلة كثير من المتأخرين عن تحذير الاسلام من التشدد فى الدين وعن حثه على التيسير على الناس ...

٢) — عدم عناية المتأخرين بالتحرى عن ظروف كثير من أوامره صلى الله عليه وسلم وارشاداته : هل المراد منها أن تكون تشريعا عاما دائما ، أو تدبيرا خاصا ببعض الظروف دون بعض ، وقد يكون لها

قيود وملابسات اذا تخلفت لا يبقى الامر أو النهى أمرا أو نهيا .

٣) ـــ غفلة كثير من العلماء عن أنه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يجيب السائل أو يأمر الرجل بما يناسب حاله هو ، وقد لا يناسب غيره ، فيكون الجواب النبوى خاصا به فلا يعمم على غيره من الناس ممن تختلف حالهم عن حاله .

٤) ـــ اغترار كثير من المتأخرين بما نقل اليهم عمن سبقهم من دعوى الاجماع فى مسائل ليست فى الواقع ـــ عند التحرى ـــ محل اجماع .

٥) ـــ تشديد بعض العلماء فى المندوبات والمواظبة عليها حتى اعتقد بعض العامة انها واجبة يأثم الانسان بتركها ، فزال الفارق المهم بين الفرعى والاساسى من الاحكام ، وما يستتبعه ذلك من التسامح فى الاول دون الثانى ، فكان ذلك من عوامل التنفير .

٦) ـــ أن يكون العمل الذى حصل من النبى صلى الله عليه وسلم قد حضره جمع من أصحابه ، ولما تفرقوا فى البلاد روى كل واحد جانبا فقط مما حصل لانه هو المتعلق بالمقصود المبحوث عنه وأغفل غيره أو لم يتنبه له . فمن لم يتحروا الدقة فى مثل ذلك بجمع جميع الروايات لتظهر الحقيقة كاملة تتفرق بهم السبل ويختلفون ، وينكر كل منهم على صاحبه ما هو حق فى الواقع لا يصح انكاره .

٧) ـــ ان يخفى على العالم المجتهد حال راوى الحديث ، فيروى عنه مع أنه ليس بثقة فى الواقع ، وبذلك يكون الحكم الذى أخذ من الحديث غير صحيح ، فيخالفه فيه غيره ممن يعلم حقيقة حال الراوى .

(والامثلة على هذه الاسباب كثيرة فليراجعها القارىء ان شاء فى « الاحكام » لابن حزم « ورفع الملام » لابن تيمية « والموافقات » للشاطبى و « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » للشيخ عبد الجليل عيسى « وأسباب اختلاف الفقهاء » للشيخ على الخفيف ، وفى غيرها من المصادر القديمة والحديثة) .

ـــ وسيتضح أيضا نتيجة لمنهج الموسوعة فى عرض اختلاف الآراء الفقهية ـــ ان الخلافات ليست مقتصرة على المذاهب فيما بينها ، وانما حدثت الخلافات الكثيرة داخل المذهب الواحد فاختلف فى كثير من المسائل ـــ داخل المذهب الحنفى مثلا ـــ الامام أبو حنيفة نفسه مع صاحبيه ابى يوسف ومحمد ، كما اختلف ابو يوسف مع الامام ومحمد ، وكما خالف الجميع زفر . . .

وهذا نفسه أيضا قائم فى المذاهب الاخرى . . . ولم يترتب على ذلك ان انقسمت هذه المذاهب وتعادى أصحاب كل منها فيما بينهم نتيجة لهذه الخلافات الداخلية فى المذهب الواحد . وما ذلك الا لان وجود المذهب وتميزه انما يرجع الى مبادىء وأصول يبنى عليها وليس الى العصبية لاصحاب الرأى نتيجة اختلافهم مع الرأى الآخر ؟

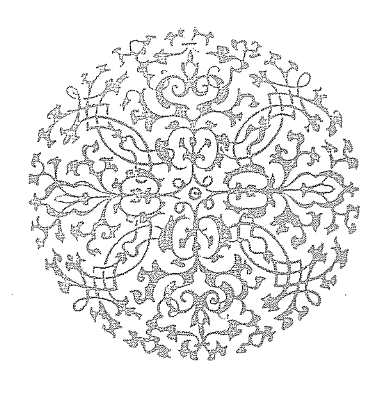
فما صلح سببا لهذا التسامح بين أصحاب المذهب الواحد وان اختلفوا يصلح سببا لتسامح مماثل مع أهل مذهب آخر لان منشأ الاختلاف واحد فى الحالين .

ـــ ويتضـــح كـــذلك من بحـــث الخلافات الفقهية ان هناك مذاهب أخرى غير التى يتبعها المســـلمون الآن اندثرت ولم يـــعد لها اتـــباع كمذهب الاوزاعى والليث والثـــورى ... ، بل ان بعضها لم تدون له كتب وانما عرفت آراؤها مبعثرة من كتب التفســـير أو كتـــب المـــذاهب الاخرى .

ـــ والمذاهب التى بقيت لا يرجع بقاؤها الى حيويتها فحســـب وانما الى نشاط اتباعها فى خدمتها وجمعها ونشرها وتعليمها ، وفرضها أحيانا بواسطة الحكـــام اما مباشـــرة أو بصورة غير مباشرة نتيجة لتعييـــن القضاة من مذهب معين . (تراجع رسالة أحمد تيمـــور عن انتشـــار المذاهب الاربعة) .

ـــ ويتضح كذلك ـــ نتيجة لمنهج الموسوعة فى عرض الخـــلافات ـــ ان مسألة معينة قد يتفق فيها رأى المذهب الحنـــفى أو أحـــد أئمته ـــ مع رأى المالكية والاباضية ، بينما يتفق المذهب الحنفى فى مسألة أخرى مع رأى الامامية والزيدية والحنابلة ، وهكذا ... أى أن تصنيف المواقف المختلفة لا يأتى على نظام رتيب واحد بأن تكون مذاهب أهل السنة مثلا على رأى واحد وتخالفها مـــذاهب غير أهل السنة ، أو أن يكون رأى الاباضية مثلا مختلفا على طول الخط مـــع رأى الشيـــعة ... ذلك لان الخلاف فى الحقيقة لا يأتى نتيجـــة التعصب والتحزب وانما للاسبـــاب التى اشرنا الى بعضها ...

نخلص مما تقدم الى ان اخـــراج موسوعة فقهية تضم آراء المذاهب الاسلامية يحقق مصلحة جوهـــرية هى تأكيد وحدة الامة الاسلامية رغم تعدد المذاهب الفقهية فيها ، وتنبيه أتباع هذه المـــذاهب الى الاســـباب الحقيقية للخلاف فى الرأى مما يخفف حدة النزاع وينشر التسامح ويحقق المبدأ الحكيم بأن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، وأن يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وهذا أول الطريق نحو الوحدة الاسلاميـــة المنشـــودة باذن الله .



الصومال

نبذة جغرافية

تقع الصومال فى الزاوية الشرقية من القارة الافريقية فتمتد على الساحل الافريقى المطل على باب المندب (بوابة البحر الاحمر الجنوبية) حتى حدود كينيا جنوبا .

وهى بمحاذاة القسم الجنوبى من شبه جزيرة العرب . وتبلغ مساحة الصومال حوالى ٠٠٠ر٢٧٠ ميل مربع . اما سكانها فكلهم مسلمون ينطقون العربية الى جانب لغتهم الافريقية وعددهم يقارب الخمسة ملايين وعاصمة الصومال مقديشيو ، وأهم موانئها بربرة وزيلع وبندر قاسم . ومعظم أراضيها صحراوية وخاصة فى الشمال حيث تكثر المراعى والثروة الحيوانية ، أما المناطق الجنوبية وهى التى استولت عليها الحبشة عنوة ففيها أخصب الأراضى الزراعية .

لمحة تاريخية

تنتسب القبائل التى يتألف منها الشعب الصومالى اليوم الى قبيلة قريش العربية التى هاجر بعض أفرادها من العرب المسلمين الى الصومال فى القرن السابع الميلادى ، وكان على رأس هؤلاء ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم عقيل بن أبى طالب .

قام هؤلاء المسلمون بنشر الاسلام فى بلاد الصومال حتى تكونت سلطنات اسلامية فى كل من زيلع ومقديشيو ولقد تأسست سلطنة زيلع فى القرن الميلادى نفسه ، وما أن جاء القرن الثالث عشر الميلادى حتى اتسعت رقعتها ، وحلت محلها امبراطورية اسلامية سميت امبراطورية العدل ، وكانت تمتد من خليج

إعداد : إدارة الشؤون الاسلامية

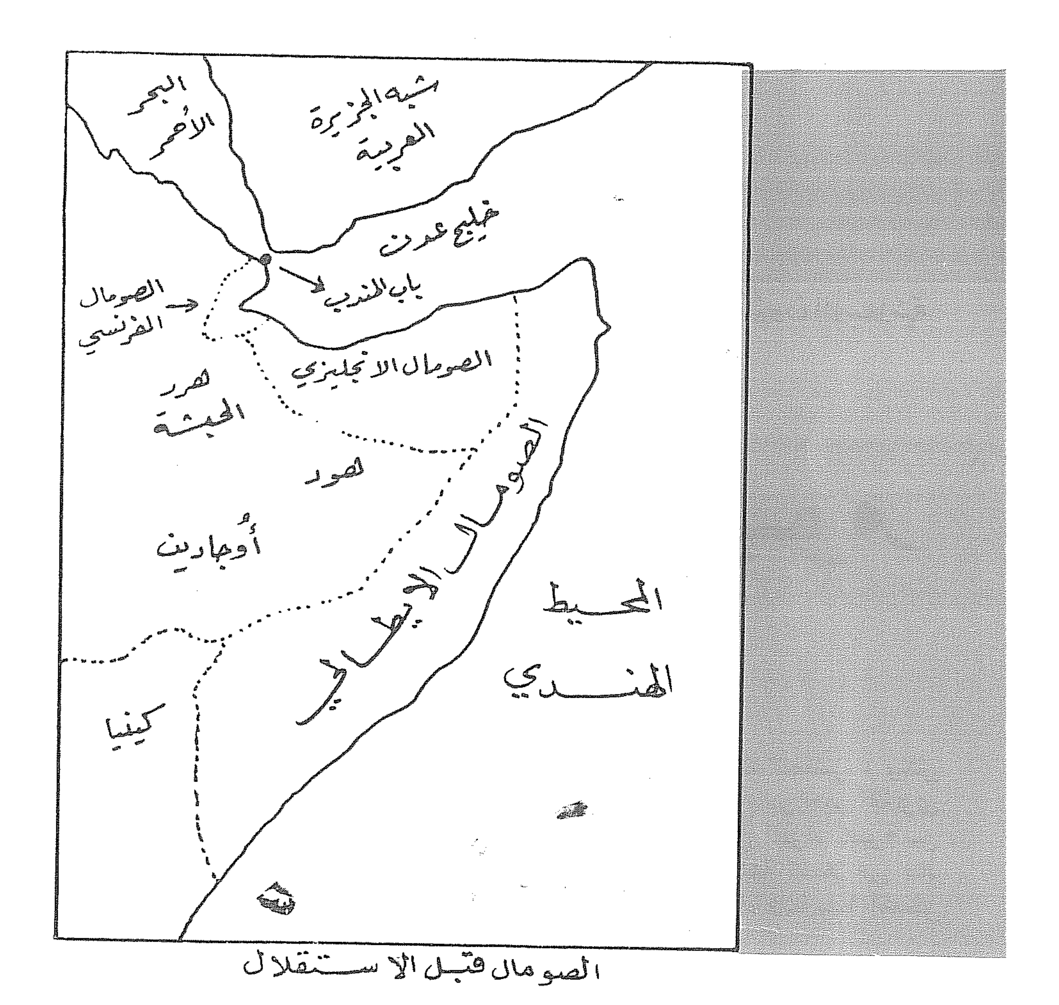
بين الأمس واليوم

عدن حتى مدينة هرر التى تقع تحت سلطان أثيوبيا فى الوقت الحاضر ، وكان أبرز حاكم لهذه الامبراطورية رجلا يدعى الامام أحمد بن ابراهيم الغازى (١٥٠٦ — ١٥٤٣) فقد استطاع هذا الحاكم الاستيلاء على أجزاء كبيرة من أثيوبيا (الحبشة) وتغلغلت قواته شمالا حتى وصلت الى منطقة كسلا فى عام ١٥٣٥ ميلادية كما نجح فى القضاء على القوات الأثيوبية قضاء تاما مما اضطر امبراطور أثيوبيا الى الهرب الى الجبال .

لكن الأثيوبين استعانوا بالبرتغال فجاءت قواتها لنجدتهم فى عام ١٥٤١ واستطاعت بمعاونة الأثيوبين الحاق الهزيمة بالامام أحمد ثم تمزقت امبراطورية العدل عند وفاته فى عام ١٥٤٣ . أما سلطنة مقديشيو فقد ظلت مزدهرة فى القرن الرابع عشر وحافظت على استقلالها حتى القرن السادس عشر ، أما فى مسقط الى عمان وزنجبار وذلك فى مطلع القرن التاسع عشر أعطيت مقديشيو الى سلطان زنجبار ، أما بقية المناطق فقد ظلت مدة طويلة تحت حكم شيوخ صوماليين .

الاطماع الاستعمارية

لم تنج الصومال من الاطماع الاستعمارية ففى نهاية القرن التاسع عشر وضعت بريطانيا قدمها فى البلاد وجعلت لنفسها منطقة نفوذ فيها ثم تلتها فرنسا التى استولت على منطقة جيبوتى فى الشمال ، وأقامت ما يسمى بالصومال الفرنسى . وبعدهما جاءت ايطاليا وأقامت لنفسها منطقة نفوذ فيما تبقى من البلاد .



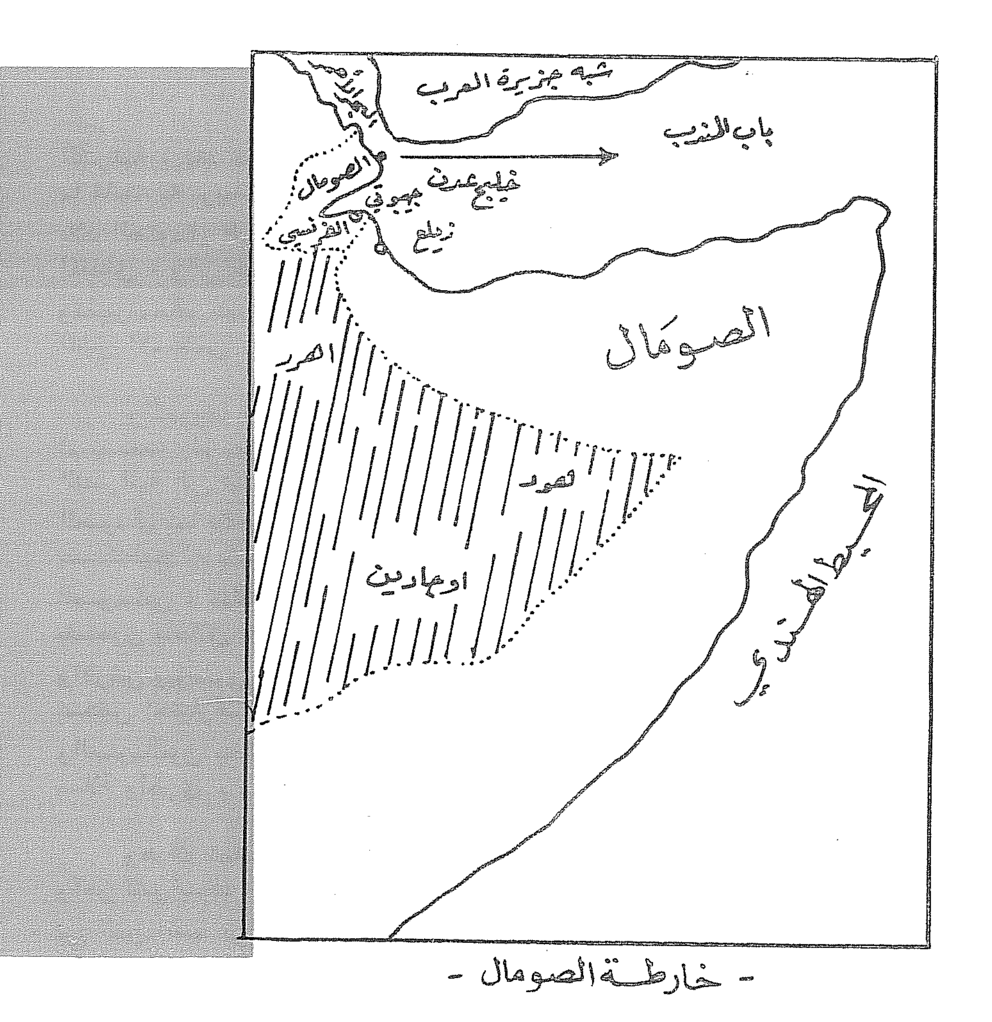
الصومال قبل الاستقلال

الاســـــتقلال

هب الشعب الصومالى المسلم لمقاومة النفوذ الاستعمارى فأخذ يناضـل من أجل الاســتقلال ، وحارب تحت قيادة الســيد محمد بن عبد الله حسن لمدة عشرين عاما ونيف قاوم خلالها كلا من الانجليز والايطاليين لكنه لم يكســب تلك الجولة .

وفى عام ١٩٤١ خرج الحلــفاء منتصرين من الحرب العالمــية الثانية ، واستولوا على ممتلكات دول المحور فاستولت بريطانيا على جميع الصــومال ومنطقة أوجادين وأخضعتها لارادتها العسكرية ، ومنحت أثيوبيا استقلالها بعد أن أخضعها الايطاليون ابان الحرب .

ثم عقدت بريطانيا معاهدة مع الحبشــة ســلمتها فيها منطقة اوجادين الصومالية وفى عام ١٩٥٠ وضعت الصومال الايطالى تحت وصاية الامم المتحدة وبعدها بقليل سلمت بريطانيا منطقتى هود والمنطقة المحايدة الى الحبشة وهكذا أصبحت ثلاث مناطق صومالية تحت نير الاحتلال الأثيوبى . ثم أعلن اســتقلال



- خارطة الصومال -

القرن السابع عشر فقد ضمها سلطان مسقط تحت لوائه ولما تم تقسيم دولة الصومال وبقيت تلك المناطق غير محررة وهاهى تناضل من أجل التحرير ، فقد قامت فيها ثورة يزداد أوارها يوما بعد يوم .

الموارد الاقتصادية

تعتبر الثروة الحيوانية أهم الموارد الاقتصادية فى الصومال فيبلغ عدد الابل فيها اكثر من مليون ونصف رأس ، هذا بالاضافة الى الماشية والأغنام ، ومن موارد البلاد الصيد اذ توجد كميات هائلة من سمك التونه فى المحيط الهندى ، هذا بالاضافة الى الثروة الزراعية فى الجنوب ، كذلك توجد ثروة معدنية فى البلاد ، ويعتبر الصومال من أهم البلاد المنتجة للبخور فى العالم .

الاسلام فى الصومال

لما كان انتشار الاسلام فى الصومال يعنى تسربه الى بقية مناطق افريقيا

الشرقية ، فقد قام أعداء الاسلام باغلاق الأبواب دونه وحصره ، ومن ذلك ما قامت به بريطانيا فى منتصف الخمسينيات من تسليم ثلاث مناطق من أخصب بلاد الصومال الى الحبشة ، وبالاضافة الى الثروات الضخمة التى تنتجها هذه المناطق ، والى جانب أسباب القوة التى تستفيدها الحبشة منها لمحاربة المسلمين وتغيير معالم حياتهم أصبحت هذه المناطق بمثابة أقفال كبيرة أوصدت الباب أمام التيار الاسلامى .

والمعروف أن الصومال لم تتأثر بحملات التبشير المتكررة والاسلام فيها لم يضعف ولم يهن ، بل ظل كيوم دخوله اليها ، بل لقد أدت حملات التبشير النصرانية الى تمسك الصوماليين بدينهم ، وقد حدثنا بعض الأخوة القادمين من الصومال بما يثلج الصدر ، فعلى سبيل المثال لاتجد فى الصومال كلها مسلما يستطيع أن يشرب الخمر علانية مهما أوتى من سلطة حتى غدا ذلك طبيعة الصوماليين ، كذلك فقد لاحظ الأخ الزائر الذى قدم من الصومال أن الصوماليين يتمتعون بأخلاق فاضلة فلا يكذبون ولا ينافقون ولا يعتقدون الا فى خالق السماء والأرض ويؤمنون بالعمل والجد ، كما أن لديهم اهتماما خاصا بالمساجد فيقومون بمحض اختيارهم ببنائها وصيانتها كما أن المساجد زاخرة بالمصاحف الشريفة ، والصوماليون يحافظون على الصلوات الخمس فى المساجد لا فرق عندهم بين صلاة وأخرى .

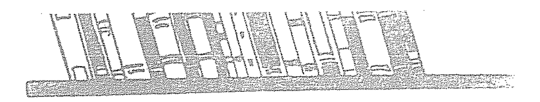
وهناك تعليم دينى خالص فى الصومال ففى العاصمة معهد دينى ضخم وآخر للدراسات الاسلامية ومدرسة للقضاء الشرعى ، كما أن أكثر المساجد فى المدن تضم دراسات مسائية دينية ، كما أن من أهم المراكز الاسلامية المركز الثقافى الاسلامى الذى يقوم بتنظيم المحاضرات الاسلامية وعرض الأفلام الدينية ، كما أنه يشتمل على ركن خاص بالخدمات الطبية المجانية وركن آخر للمكتبة .

الطرق الصوفية

وهناك اهتمام كبير بالطرق الصوفية فهناك القادرية والصالحيه والرفاعية وقد لعبت هذه الطرق دورا بارزا فى حماية المسلمين من الغزو التبشيرى النصرانى .

وبعد ، فمما هو جدير بالذكر أن الصومال تعتبر نفسها بلدا عربيا ، ومن هنا تقدمت بطلب للانضمام الى جامعة الدول العربية فهى تهتم بقضايا المسلمين ، وشاركت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فأرسلت مجاهدين ولقد آن الآوان أن يعرف العرب المسلمون اخوانهم ، وأن يشدوا على أيديهم فذلك نصف الطريق الى العزة والنصر .

والى حلقة أخرى من اعرف وطنك أيها المسلم والله الموفق .....



مكتبة المجلة

الربا ودوره فى استغلال موارد الشعوب

كتاب يتناول فيه مؤلفه **الدكتور عيسى عبده** السياسات الاقتصادية وتمويل البلاد ، وقرض الاستهلاك وتوزيع الثروات بين الشرق والغرب ، ورؤوس الأموال ، مع عرض عام لمجرى الأحداث الاقتصادية بين عام ١٩٥٣ م وعام ١٩٥٩ م . والكتاب ضمن سلسلة **مفاهيم اقتصادية** التى تصدرها دار البحوث العلمية فى بيروت ويشتمل على ٨٦ صفحة .

خصائص اجتماعية خالدة

الجزء الاول من السلسلة التى تصدر بهذا العنوان من تأليف فضيلة العلامة الشيخ عبد الوهاب الأعظمى ، وفى هذا الجزء دعوة الى الاصلاح والنهوض بالكرامة البشرية التائهة فى بيداء الضلالات واحياء العدالة الاجتماعية والرجوع الى رسالة السماء التى تهدف الى الحق ، طبع الكتاب فى مطبعة أسعد ببغداد .

بدع التفاسير فى الماضى والحاضر

كتاب يوضح اتجاهات المفسرين ويبين الانحرافات التى وردت فى كتب المفسرين على اختلاف عصورها ومذاهبها ، وقد جمع مؤلفه **الدكتور رمزى نعناعه** هذه الافكار المنحرفة والتأويلات المحرفة لكتاب الله ، وأرجعها الى أسبابها ودوافعها التى دفعت بقائليها الى أن يسودوا بها صحائف تفاسيرهم .

والكتاب يحتوى على ثمان وثمانين صفحة ، ومن منشورات وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية .

نظرية الضمان

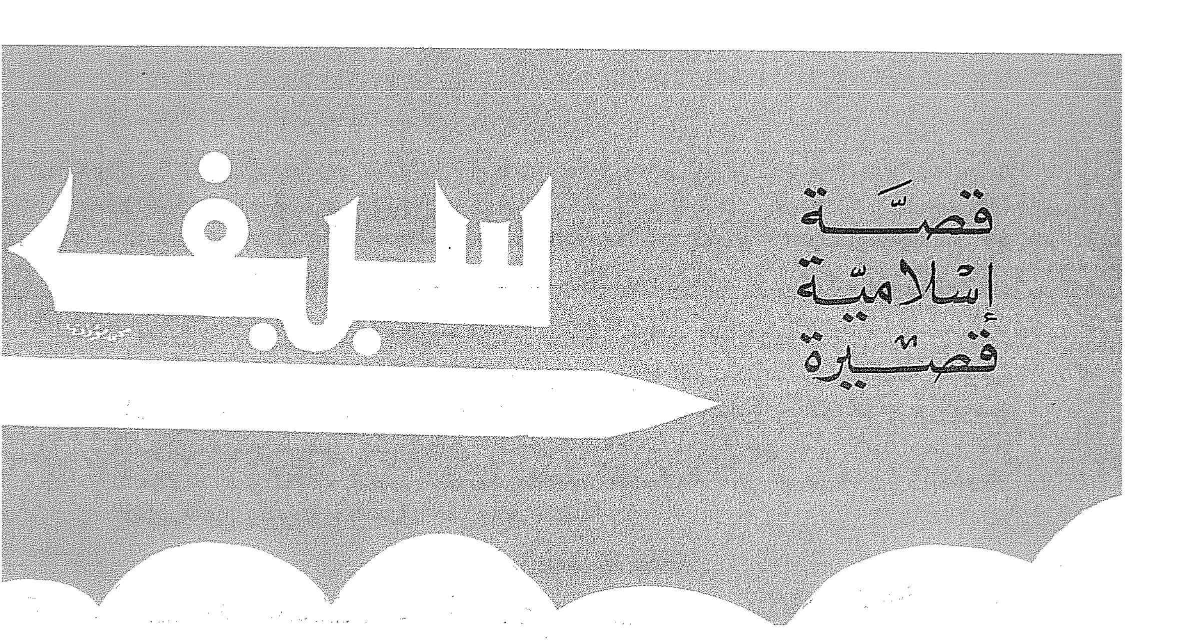
كتاب يبحث فى نظرية ضمان الأنفس والأموال بسبب الاعتداء عليها عمدا أو خطأ مع الاهتمام بالنواحى العملية والحلول الواقعية لمشكلة التضمين ، والكتاب يعتبر دراسة مقارنة فى الفقه الاسلامى لأحكام المسئولية المدنية والجنائية وهو من تأليف الدكتور وهبه الزحيلى أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة دمشق ، ومن طبع دار الفكر ويحتوى على ٣٦٦ صفحة .

عالم الفكر

مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الارشاد والأنباء فى الكويت وهى مجلة أدبية علمية تهتم بالموضوعات العصرية فى شتى مجالات الفكر والمعرفة ، وقد صدر منها حتى الآن العددان . الأول والثانى . ويحتوى كل عدد على ٢٨٠ صفحة وتطبع فى مطبعة حكومة الكويت .

المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق

كتاب من تأليف الاستاذ فهد خالد السديرى .. استعرض فيه تاريخ المملكة العربية السعودية منذ نشأتها الى وضعها الحالى ، وقد أفرد فيه فصولا عن التطور الاجتماعى والوضع الاقتصادى فى المملكة والكتاب من طبع دار الكتاب العربى فى بيروت . ويقع فى ١٢٨ صفحة .


سيف
قصة
إسلامية
قصيرة



للدكتور : نجيب الكيلاني

كلمات وداع لا ينطق بها اللسان ، ولكنها ترف فى القلوب ، وتطل من العيون الدامعة ، بل وتلمسها فى لفتات الناس وتعبيرات وجوههم ، وهم يشهدون محمدا ورجاله يرحلون عن مكة بعد الايام الثلاثة المشهودة التى زاروا فيها البيت الحرام وأدوا الشعائر ، طبقا لما قرره صلح الحديبية ، وعاد محمد والمسلمون الى الطريق الذى سيؤدى بهم الى يثرب ..

وتمتم خالد بن الوليد ، بينه وبين نفسه :

ذهبوا .. وتركونى وحدى أتمرغ فى أوحال الضلال والكبرياء الزائفة وداعا أيها الرجال لقد أحببتكم برغم الدماء والصراع الرهيب والعداء المستحكم ..

وكادت تفلت من عينيه الدموع لولا أنه عصى الدمع ، متمالك لأعصابه وعواطفه ، وتطلع خالد حواليه ، نفسه تطفح بكراهية شديدة لكل ما يراه ، انه يشعر الآن بنفور شديد من الناس والارض .. والبناء .. والجياد ، يسمع حوار القوم وصخبهم ، فتموج نفسه بضيق بالغ واشمئزاز لا حد له ، لقد أصبح يشعر بغربة قاتلة ..

أجل .. غربة .. الضجيج من حوله ، والاصدقاء يلقون عليه التحيات ، ويبتسمون له ، وأبو سفيان يبش لمقدمه ، ويحدثه عما تطورت اليه الامور ، وعكرمة بن أبى الجهل يجادله فى أمر المعارك التى لا بد أن تبدأ من جديد ، مظهرا عدم اكتراثه بالصلح المؤقت .. وخالد صامت .. زاهد فى كل شىء يكره أن يتكلم أو يأكل أو يشرب .. نومه متقطع مرهق تثقله الاحلام والافكار والحيرة .. وشعور الغربة يزداد رسوخا فى روحه وعقله .. حسنا .. فليذهب الى بيته ، لعله — بين أهله — ينسى ما يعانيه من آلام وأحزان وغربة .. ودلف الى البيت ذاهلا شارد النظرات ، يشوب وجهه شحوب خفيف ، يا للمأساة .. البيت هو الآخر يبدو لعينيه وكأنه سجن ضيق رهيب يكاد يكتم أنفاسه .. لا يتنسم فيه ريح الالفة أو يشم منه عبير الحنان والامان ..

وهتفت زوجه فى قلق :
ــ ما بك يا ابن الوليد ؟؟
تمتم فى شرود حزين :
ــ لقد رحلوا ..
ــ لا أفهم شيئا ..
أفاق الى نفسه ، وأدرك أن الكلمات تخرج منه دون وعى فاستدرك قائلا :
ــ أشعر بكرب شديد ..
لمست جبهته ، فخيل اليها أنها تلتهب ، فهتفت فى قلق :
ــ أمحموم أنت ؟؟
ابتسم وقد تندى جبينه بالعرق وقال : لا شىء من ذلك .. اننى بخير عنــدما ينشغل الفكر بأمور خطيرة ينسى كل ما حوله ، تتجسم الافكار .. تتحول الى أشباح تتحرك ، فيبدو فكرى وكأنه ميدان قتال ، وتنهد فى شىء من الارتياح بينما فغرت زوجه فاها دهشة ، ثم صرخ :
ــ أيمكن أن يكون كل ذلك زيفا وخداعا ..؟
قالت ، وقد استبد بها الخوف والحيرة :
ــ مــاذا ؟؟
قال : الماضى الطويل .. المعارك المدوية .. البطولات العريقة .. الخطب الرنانة .. آرائى التى كان يطرب لها السامعون ، ويصفق لهــا أشراف مكة .. هل هذا كله كان وهما وسرابا ؟؟ أنا لا أصدق ..
حسنا .. يجب أن أعترف .. الصمت جريمة أحيانا .. الكذب جريمة ، الكلام الزائف دعارة ، والخوف راس الرذائل ، والمعارك التى ينتصر فيهــا الشر عار أبدى .. بل هزيمة نكراء لروح الانسان .. ليس هناك أى عذر لرجل يعرف الحق ولا يعبر عن ذاته .. كان محمد وحده .. ونادى بأعلى صوته أيها الناس انى رسول الله انصرفوا عنه كذبوه سخروا منه .. طاردوه .. لكنه قالها ، أية سعادة عظمى شعر بها بعد أن نادى بتلك الكلمات وحده دون خوف أو تردد ؟؟
دقت زوجه على صدرها فى خوف وقالت :
ــ اننى لا أصدق أذنى .. انك تهذى .. الصمت جريمة ، الكلمــات دعارة .. ماذا ؟؟
أخذ يلهث ، ويجفف عرقه . ثم جلس وهو يتمتم :
ــ هل أنت هنا ؟؟
ــ واكرباه .. لقد ألم بك داء خبيث .
رفع خالد عينيه الى السماء ، وهمس فى خشوع ورقة وضراعة :
ــ لا أرى سواه ..
ــ من يا خالد ؟؟
ــ ذلك الذى أثرى وجودى ، وأنار بصرى وبصيرتى ، واستطاعت كلماته أن تهزنى من الاعماق ، وأنا الذى تتزلزل الجبال ولا أتزلزل ..
دق قلبها ، نذر العاصفة تتجمع فى أفق البيت العريق ، لم يعد الامر خافيا عليها ، لكنها برغم ذلك اقتربت منه ، وجلست الى جواره ترتجف ، ولمست كتفه فى حنان ، فسمعته يقول :
ــ لقد رحلوا .. تركونى وحدى غريبا .. تسمرت قدماى فى الارض

القذرة ، وتيبست أعضائى حاولت أن أتحرك فلم أستطع .. حاولت أن أهتف بكلمة وداع ، فتساقطت حروف الكلمات مبعثرة .. ساخرة دون معنى .. قيود خبيثة كانت تشدنى الى الارض ، وتخرس لسانى لأنى .. لأنى خائف .. أتصدقين ؟؟ خالد يخاف ؟؟ أنت فارس العرب المغوار .. كيف تخاف ؟؟

ـــ أجـــل ..

وقهقه فى سخرية مرة وقال :

ـــ بالامس كانت تلك الكمات تسكرنى ، أما اليوم فهى كلمات سخيفة تثيرنى : وتتسلل الى نفسى كسهام العار .. أية فروسية تقصدين ؟؟ البطولة الحقيقية لم أتوج بها حياتى بعد .. آه .. فى يوم ((أحد)) زحفت بخيلى أريد قتل محمد .. لو حدث ذلك .. لـــكتب التاريخ : فى عنق خالد دم نبى .. ولأصبحت سبة الاجيال ..

قالت فى دهشة :

ـــ دم نبى ؟؟!

ـــ نعـــــم ..

ـــ أتؤمن بنبوته ؟؟

ـــ نعم .. نعم .. حينما حطمت القيود وأزحت العصابة عن عينى ، وفتحت نوافذ قلبى وعقلى ، تدفق النور فرأيت الحقيقة ، لا يصح أن أقولها هنا .. سوف أخرج الى الشارع ، وأصيح بأعلى صوتى .. أيها الظمـــاء هنا النبع ، أيها الجياع الى الزاد الذى لا ينفد .. يا أبالسة الشر حطمـــوا مزاميركم ، واهرقوا الكؤوس .. وامحقوا الاناشيد اللعينة فعالمكم هباء .. واقصدوا محمدا ..

وخرج خالد الى الشارع ، وأخذ يحث الخطـــا مرفوع الهامة ، يدق الارض بقدميه وكأنه يسحق الخوف والوجوم والزيف ، فرأى جمعا من الناس فقصدهم على الفور ، ورفع عينيه عاليا ، ونادى بكلمات واضحة قوية :

ـــ أيها الناس ..

لقد استبان لكل ذى عقل أن محمدا ليس بشاعر ولا ساحر ، وأن كلامه من كلام رب العالمين ، فحق على كل ذى لب أن يتبعه ، لكأنما انقضت على الرءوس صاعقة مباغتة ، فأخرست الالسنة وجحظت العيون ، بينما أخذ خالد يشق طريقه بينهم جيئة وذهابا ، ويسدد اليهم نظرات الثقة والاصرار والتحدى ..

لكن قهقهة انطلقت وسط الصمت المثير ، وتقدم عكرمة بن أبى جهل قائلا : ـــ ((انه مزاح ثقيل)) ..

قال خالد ، وقد تصلبت ملامح وجهه :

ـــ أنظر الى جيدا .. أنت تعرف من أنا ..

اربد وجه عكرمة وقال :

ـــ لقد صبؤت يا خالد وتنكرت لدين الآباء ..

ـــ لم أصبؤ ، ولكنى أسلمت ..

ـــ والله أن كان أحق قريش ألا يتكلم بهذا الكلام لأنت .. ـــ لم ؟؟ لأن محمدا وضع شرف أبيك حين جرح ..

وقتل عمك وابن عمك ببدر ..

فوالله ما كنت لأسلم ولأتكلم بكلامك يا خالد ... أما رأيت قريشـــا يريدون قتاله ؟؟ لم تثره الضغائن القديمة ، ولم يحنقه حديث عكرمة الماكر ، بل رد فى هدوء :

ـ هذا أمر الجاهلية وحميتها لكني والله أسلمت حين تبين لى الحق .
وساد هرج ومرج ، وانطلق حملة الانباء يجرون هنا وهناك ليذيعوا النبأ الخطير ، بعضهم هرول الى أبى سفيان بن حرب ، والبعض الآخر طرق الباب الخلفى لهند زوجة أبى سفيان ، وطائفة ثالثة وقفت ، ترقب الاحداث ، أترى تسل السيوف من أغمادها ، وتندلع الفتنة ، وتغرق مكة فى بحر من الدماء .. وتنهزم مكة من داخلها قبل أن يفكر محمد فى فتحها ؟؟
وتمتم عكرمة بن أبى جهل بينه وبين نفسه : لو انقضت قواتنا على محمد وصحبه وهم يطوفون بالبيت العتيق لاستطعنا أن نخمد تلك الفتن ، ولاستطاعت الحرب بوهجها وعنفها ودمائها ، أن تسحق كل فكر متردد ، أو عابث متمرد ، لكن حماقة ((العقلاء)) المتشبثين ببنود الصلح ، قد أضاعت الفرصة .. فليجنوا جزاء تقاعسهم وحكمتهم الرعديدة .. واختلطت الكلمات وحمى الجدل ، وخالد صامد كالطود ، وساد الصمت حينما نادى المنادى :
((يا ابن الوليد ، ان أبا سفيان قد أرسلنى فى طلبك)) .. وازداد الناس شغفا بتتبع الاحداث ، ان رجلين كبيرين عاشامعا ، وحاربا معا ، قد دب الشقاق بينهما ، وكل منهما قادر على التحدى ، وهمس أحد الحاضرين فى أذن زميله : عندما يتناطح كبشان قويان أشعر بسعادة عظمى ، معركة ممتعة لاشك .. واصطدام الرؤوس له صوت جميل يأسرنى ، هيا بنا ..
لا شك أن الحادث قد أثار أبا سفيان لأبعد مدى ، حتى انه لم يجادل خالدا فى شيء من الهدوء والاناة والذكاء تلك الصفات التى عرف بها ، لقد صاح أبو سفيان متوعدا :
ـ أحق ما بلغنى عنك يا خالد ؟؟
ـ أجل ..
ـ واللات والعزى لو أعلم أن الذى تقول حق لبدأت بك قبل محمد ..
هتف خالد فى اصرار وتحد :
ـ والله انه لحق على رغم من رغم ..
ارتجت رأس أبى سفيان بدوى عاصف ، هم قاتل يمتزج بحقد هائل ، وماض رائع من زمالة الحرب والفكر ، وحاضر أسود يوحى بالقطيعة والفشل وشماتة الاعداء ، ومستقبل غامض تتشابك فيه الرؤى والاحداث تشـابكا مخيفا ، واندفع أبو سفيان نحو خالد يريد أن يهوى على رأسه ووجهه بقبضته المتشنجة لكن عكرمة حال بينهما ..
وقال عكرمة فى حزن عميق :
مهلا يا أبا سفيان ، فوالله لقد خفت للذى خفت ، أن أقول مثلما قال خالد ، وأكون على دينه ، أنتم تقتلون خالدا على رأى رآه ، وقريش كلهـا تبايعت عليه .. والله لقد خفت ألا يحول الحول ، حتى يتبعه أهل مكة كلهم..
ودمدم أبو سفيان فى حنق ويأس :
اذهبوا عنى ، لا أريد أن أرى وجوهكم ، انفض الناس ، ومضى خالد ، بينما بقى عكرمة ، وظل الى جوار أبى سفيان مهموما حزينا ، ثم قال :
لا تأس يا أبا حنظلة .. لن يضير المعركة أن يتخلف عنها رجل ، أطرق أبو سفيان مرتعش اليدين وغمغم :
ـ يا له من رجل ..
وعلمت يثرب باسلام خالد حينما بعث الى الرسـول بأفراس أصيلة كهدية ، وتعبيرا عن حبه وولائه وبعد أيام شهدت مشارف المدينة ، سيف الله خالد ، يدخل خاشعا الى قلعة النور والايمان ..



الصهيونية والأحقاد القديمة

من كلمة كان قد بعث بها الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب من علماء الأزهر عن احتقاد اليهود حكى فيها :

يقول التلمود (كتاب مقدس لدى اليهود) الاسرائيلى خلق من طينة سامية غير طينة البشر وجميع البشر الذين لا يعتنقون اليهودية حيوانات لا تعقل وهم خدم واتباع لليهود ، والسموات والأرض خلقت لليهود ولم تخلق لأحد سواهم وهم آلهة الأرض ولعل خير دليل نسوقه على محاربة الصهيونية للمسيحين ما كتبه الاب الامريكى « همفرى والتز » الذى أصبح صديقا للعرب ، وخرج عن الصهيونية تائبا بعد أن تابل المطران حكيم نفسه فى حيفا وقال الخبر الآتى : « الذى نزل على راسه كالصاعقة ، اذ قال له المطران (ان عدد المترددين على الكنائس للصلاة يتدهور بسرعة نتيجة للارهاب اليهودى ، وان أراضى المسيحيين العرب تصادر ، كما تصادر أراضى المسلمين وان منازلهم وأحيانا قراهم ، تهدم عن بكرة أبيها دون سبب وان قبور الكاثوليك فى حيفا قد نبشها اليهود عام ١٩٥٦ وأنهم احالوا بعض الكنائس الى اسطبلات وثكنات عسكرية وانهم لا يستطيعون الانتقال من بلدة الى اخرى ولو للعلاج الا بصعوبة بالغة ، وان الحكومة الاسرائيلية تشجع روح الاحتقار ضد المسيحيين والمسلمين على السواء) وما نشر هذا التصريح عن الأب الامريكى والتز ، حتى أصبح هدفا لغارات عنيفة من السفارة الاسرائيلية فى واشنطن والمولين الصهيونيين فى أمريكا وان التلمود والتوراة يمتلآن بنصوص كثيرة جدا حول احتقار اليهود للأديان الأخرى ، واستباحة دمهم وحقوقهم وممتلكاتهم كما أن الانجيل يحفل بنصوص كثيرة حول وحشية اليهود وخياناتهم الفاجرة ضد الانسانية ، واليوم قد تجسد اجرام صهيون وتصعد عدوان اليهود على العرب ، وارتفعت درجة الطغيان عندهم الى قمة السفه والطيش والحمق والبطش حيث أعلنوا فى وقاحة وكبرياء ضم الأراضى العربية المحتلة الى أرض يهودا ، وانهم يتخذون الاجراءات التعسفية لامتلاك أرض فلسطين العربية ، ولتكون تلك البلاد العربية التى استولوا عليها منا خلسة واغتصابا من سيناء الى الاردن ومن فلسطين والعريش الى مرتفعات سوريا ، ومن القدس الى الضفة الغربية لنهر الأردن (اسرائيل الكبرى) وقد اذاعوا فى صفاقة تعديل مناهج التعليم العربية فى تلك البلاد المغصوبة الى مناهج اسرائيلية وقاموا بحذف بعض

آيات القرآن . التى تشهد بلعنتهم وبغيهم وهم فى سبيل تغيير اللغة العربية واستبدالها باللغة العبرية اليهودية ، كما ينشئون ادارات للجمارك ليستولوا على رسوم الصادرات والواردات باسم حكومة اسرائيل ، ويجعلون من الاحتلال المهزوز صفة الامتلاك (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) ولتعلم اسرائيل أن هذا التغيير والتبديل فى الكيان العربى ، واتخاذ الاجراءات التعسفية ، من تغيير البطاقات الشخصية العربية الى بطاقات صهيونية استعدادا لتهويد العرب ، و لتحويل هذه البلاد العربية الأصيلة الى بلاد اسرائيلية واجراءات اسرائيل هذه ، بجرة قلم أو اذاعة خبر ، أمر لا تملكه ولن تقدر عليه . وليس فى استطاعتها أن تنفذه ، لأنه سيكون وراء ذلك أحداث عظام لا تطيق مواجهتها ، فاقدام اسرائيل على هذا العمل المخزى ، وقيامهم بتلك الاجراءات السفيهة دليل على نزق عقولهم وذهاب صوابهم . وانهم يسعون الى حتفهم بأظافرهم ويحفرون قبورهم بأيديهم ، واننا نحن العرب لن نرضى عن هذا الضيم ولن نسكت عن تلك المهانة . ولن نصبر على هذه الرعونة فلا بد أن نقاومهم بكل ما نملك من أرواح ومال وأن نكافحهم حتى آخر رمق من الحياة ، ونأخذهم أخذا شديدا ، حتى نزيلهم من المحيط العربى ونطردهم من فلسطين وما حولها من الأردن الى سيناء ، وأن نخرجهم أذلاء مشردين ، ليعودوا الى حياتهم الأولى (حياة الذل والتشريد) الذى الفوه منذ التاريخ السحيق المتوغل فى القدم ، لأن البلد بلدنا . وذلك القطاع العربى المحتل ملك لنا دون غيرنا . والعروبة فيه قائمة من قبل ابراهيم واسماعيل . ومن قبل عيسى وموسى . والعروبة بتلك البلاد متأصلة وثابتة بالتاريخ الصحيح من أيام العرب البائدة التى كانت تسكن تلك البقاع من شمال المحيط الهندى واليمن الى البحر الابيض المتوسط . ولا تزال آثارهم باقية بمدائن صالح بين المدينة وسوريا . وكان الكنعانيون يسكنون تلك البلاد من قبل ولادة اسرائيل . سيدنا يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام « بأربعة آلاف من السنين ، وتزويج اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام » من قبيلة جرهم ، التى كانت من نسل يعرب بن قطحان ، وملأ الجزيرة العربية بنسله الطيب المبارك . ثم جاء الاسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النبى العربى المنزل عليه القرآن الكريم بلغة العرب فازداد العرب تمكينا وتشريفا بتلك الرسالة العربية ، وستبقى هذه العروبة قائمة وتعيش فى بلادها عزيزة مكرمة ، رغم أنف الصهاينة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ..

(الكاسيات العاريات)

تحت هذا العنوان بعث الينا الأخ عبد الخالق محمد يونس شركة الخزف والصينى بالقاهرة :

ويح النساء السافرات الوجه فى هذى العصور

العاريات الجسم فى ... برد وفى وقت الحرور
البائعات العرض فى ... أسواق دنيا بالشرور
فى النار تلقى رغمها ... هيهات تنجو من ثبور

● ● ●

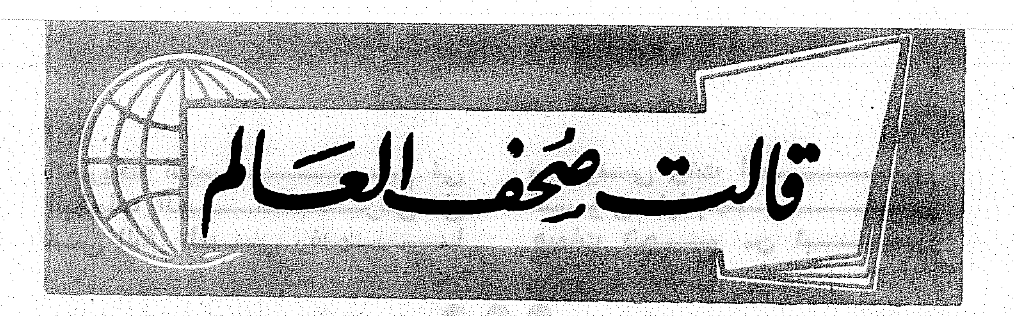
راحت تعرى بعضها ... بعضا فما أشقى الغرور
تبدو بثوب فاضح ... مخز ، ومؤذ للشعور
هانت عليها نفسها ... لم أرض تبيانا حذور
العين عفوا ان تراه ... النفس من ضعف تثور
يا كل أنثى كلها ... عارى حياء لا سفور
الله أوصى ذاكرا ... يدنين من زى ستور
جازوا النسا لا ترحموا ... ان شئتموا جازوا الذكور

● ● ●

والزوج بالصمت اكتفى ... صمت الخنا صمت القبور
يرضى لها ما قد تبرى ... ساء امرؤ ، ساء المشور
لو كان ذو عقل يعى ... أو كان ذو حس غيور
لم يرض زوجا ترتدى ... (مكرو) ولا يبدى نفور
زى السما أولى ولا ... تصميم من يدعى (ديور)
يا ليت شعرى يقتنى ... تاج الحيا غال المهور

● ● ●

يا قوم ما هذا العمى ... بعد الهدى ، فسق وبور
نسعى وراء الغرب فى ... طيش وفى حمق نسير
هذا وباء قد طغى ... اثم وبهتان وزور
قد ضل من ظن الدجى ... هديا وخسران الدهور
هل بعد شرع الله من ... شرع ، وشرع الله نور
بالذكر نحيا ليتنا ... للذكر نحيا .. للطهور



حضارة الانسان بين الاسلام والعصر الحديث

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية فى افتتاحيتها تقول :

ان نظرة الاسلام الى الانسان ، ومركزه فى الكون ، مختلفة اختلافا أساسيا عن النظرة التى تنظر بها أوروبا ، وكل مجتمعات الفكر المادى الى الانسان ، منذ اللحظة الاولى ، لحظة الولادة « **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** » واذا كان الانسان فى صورته الظاهرة كائنا ماديا بحتا ، فليس كذلك فى « **تصويره** » ، والتصوير هو الذى أوضح القرآن انه « **السمع والابصار والأفئدة** » ، « **انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** » . والانسان المسلم عندما ينظر الى الكون ، ويتحرك فيه ، ويستغله لمصلحته ، يراعى فى ذلك أنه وحدة واحدة « **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** » فيها المادة البحتة ، وفيها الروحية الانسانية ، التى سماها الله عز وجل « **تصويرا** » ، وهو بناء على هذا لا يستطيع أن ينظر الى الكون من عل ، كفكرة مجردة كما فعل العقل اليونانى ، كما لا يستطيع أن ينظر اليه كمعطى حسى محض كما فعل العقل الاوروبى ، بل لا بد أن تسود الواقعية العملية الجانب الحسى من النظرة الى العالم ، على أن تكون محكومة بالغائية الانسانية التى هى ميزة الانسان الاولى ، فانطلاقا من وحدة الانسان ، الى وحدة العالم ، ثم الى وحدانية الله ، باعتباره عز وجل غاية الغايات ، ومناط اتجاه الروحية الانسانية فى حفاظها على ميزة الانسان الأولى ، وهى « **انسانيته** » ، تتشكل نظرة الانسان المسلم الى العالم ، تلك النظرة الاخلاقية التى توقف الانسان وحده أمام الله « **وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى** » والتى تدفعه بالتالى فى اتجاه الروحية الانسانية التى هى عمل علمى جاد فى ظل الله ، والعمل فى ظل الله ضمان لعدم الانحراف عن سواء الصراط ، « **اقرا باسم ربك الذى خلق** » ،«**فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب** » ولا يعنى ذلك الا حرية الانسان وكرامته ، واستعلاءه على الميكانيكية والعضوية التى حكمت انسان العلم الحديث « **ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم** » .

كما نشرت جريدة الاهرام القاهرية مقالا للدكتور محمد ابراهيم كاظم بعنوان :

معالم تربية اسلامية لعصر حديث

قال فيه :

فى ضوء فهم للاسلام كحياة كاملة تقوم على الايمان بوحدانية الخالق ، ايمانا تظهر آثاره فيكل سلوك للفرد والمجتمع « **اياك نعبد واياك نستعين** » وفى ضوء تسليم بشمول الاسلام كرسالة لا ينظر الى جانب منها الا مرتبطا ببقية الجوانب « **أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** » وفى ضوء معرفة لظروف الحياة الحديثة وتحليل لها وربط العصرية والتقدمية بمدى الاستفادة بأقصى ما وصل اليه عقل الانسان ووضعه فى خدمة الانسانية ضمانا لانطلاق وتقدم دون لبس او تقليد أعمى لمجتمعات قصر تقدمها على نواحى المادة فتمزق انسانها المنطلق فى فراغ العدم ، حيث ذبل الايمان وذبل النور الذى يمشى به هذا الانسان ، والذى يعطى لحياته حرارة ولوجوده معنى واستمرارا لا ينتهى بالموت .

فى ضوء هذا كله لا بد ان يقوم للمجتمع المسلم نظام تربوى قادر على تخريج افراد يملأهم الايمان بالله والثقة بالنفس كما يمتلئوا بأحاسيس الحرية والكرامة مع الرحمة والمحبة.

وفى واقع الأمر فان للتربية الاسلامية عناصر محددة قد تظهر فى صور مختلفة باختلاف الامكنة والظروف ومراحل التاريخ ، ومن الضرورى أن نتنبه الى أن صيغ التربية الاسلامية فى عصر من العصور ليست بالضرورة صيغا ملزمة لعصر آخر .

فالنظام التربوى فى العصر الاموى او العباسى او قبل ذلك ليس اكثر او اقل اسلامية من أى نظام تربوى يقوم فى مجتمع اسلامى آخر إلا اذا رجعنا فى حكمنا هذا للعناصر المحددة الخاصة بالاسلام كدين وعقيدة ، وهى العناصر المشتقة من مبادىء الاسلام .

عناصر التربية الاسلامية

أ ــ اذا اعتبرنا أن المسلمين سواسية كأسنان المشط ، واذا التزمنا بأن المؤمنين اخوة يسعى بذمتهم أدناهم فلا مناص من التسليم بأن يكون مبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع هو الأساس فى أى نظام تربوى اسلامى ، لا فرق فى هذا بين غنى وفقير ولا بين ذكر وانثى .

ب ــ اذا سلمنا بأن غاية الخلق هو عبادة الخالق « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » فان مهمة التربية هى تطوير بصيرة الفرد واتاحة الفرص أمامه لكى يصل الى الايمان ، وأن يكون لهذا الايمان انعكاسات سلوكية حميدة فيكون خيرا ، شجاعا فى الحق ، قادرا على التفكير لنفسه واتباع الحق ، على أن يتم ذلك دون قهر او اكراه . « **لا اكراه فى الدين** » « **وقولوا للناس حسنا** » « **وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن** » .

ج ــ واذا كان الانسان قد استخلف فى الارض ، وسخرت لمنفعته الشمس والقمر والسموات والأرض فمهمة التربية أن تمد الفرد بكل المعارف التى يصل اليها الناس ، كما أن مهمة التعليم أن تشحذ قدرة الفرد على الوصول الى المعرفة وفك أسرار الكون وكشف مجاهله .

وباختصار فان عناصر التربية الاسلامية تتجه بالفرد والمجتمع الى مزيد من النمو والكفاية ، ولكن النمو الذى نقصده ليس نموا فى فراغ ولا الى غير وجهة ، بل نمو متكامل متوازن .

إعداد الأستاذ
عبد المعطى بيومى

التبــرج

ما هي حدود التبرج المنهى عنه فى الاسلام ؟

وماذا ترون من العلاج لهــــذه الظاهرة التى جاوزت كـــل منطق وتحدت كل خلق ؟

عائشة المسلمى ـ الخرطوم

يقول فضيلة الشيخ سيد سابق فى الرد على هــذه الرسالة :

التبرج : اظهار ما يجب اخفاوءه ، واصله الخروج من البرج وهــــو القصر ، ثم استعمل فى خروج المراة من حشمتها ، واظهار مفاتنهـــا ، وابراز محاسنها ، وقد ورد التبـــرج فى القرآن فى موضعين :

الموضع الأول فى ســـورة النور حيث يقول الله عز وجل : « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحــا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينـــة وأن يستعففن خير لهن** » .

والموضع الثانى ورد فى النهــى عنه ، والتنفير منه فى ســـــورة الأحزاب قال سبحانه : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » .

والتبرج غير التزين والتجمــل ، فالتبرج مناف للدين والمدنية ، وذلــك أن أهم ما يتميز به الانســــان عن الحيوان هو اتخاذ الملابس وأدوات الزينة ، يقول الله تعالى : « **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباســـا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلـــك من آيات اللـــه لعلهـــم يذكرون** » .

والحيـــاة وهى تسير سيرهــــا الطبيعى لا يمكن أن ترجع الى الوراء الا اذا حدثت لها نكسة تبدل آراءها وتغير افكارها ، وتجعلهـــا تعود القهقرى ناسية أو متناسية مكاسبها الحضارية ورقيها الانسانى .

واذا كان اتخاذ الملابس لازما من لوازم الانسان الراقى ، فانه بالنسبة للمراة الزم لأنه هو الحفاظ الـــــذى يحفظ عليها دينها وشرفهـــا وكرامتها وعفافهـــا وحياءها ، وهذه الصفات الزم بالمراة ، ومن أجل هــذا كانت الحشمة أولى بها واحق .

أن أعز ما تملكه المـــراة الشرف والحياء والعفاف ، والمحافظة على هذه الفضائل محافظة على انسانية المراة فى أسمى صورها ، وليس من صالح المراة ولا من صـــالح المجتمع أن تتخلى المراة عـــن الصيانــــة والاحتشام ، ولا سيما وأن الغريزة الجنسية هى أعنف الغرائز وأشدها على الاطلاق ، والتبذل مثير لهــذه الغريزة الحيوانية ومطلق لهـــا من عقالها .

ووضــع الحـــدود والســـدود

أمامها مما يخفف من حدتها ، ويطفىء من جذوتها ، ويهذبها تهذيبا جديرا بالانسان وكرامته ، ومن أجل هذا عنى الاسلام عناية خاصة بملابس المرأة ، وتناول القرآن ملابسها مفصلا لحدودها على غير عادة الكتاب الكريم فى تناوله المسائل الجزئية بالتفصيل ، فالله يقول :

« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين » .

وتوجيه الخطاب الى نساء النبى وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الامر دون استثناء واحدة منهن مهما بلغت من الطهر ، ولو كانت فى طهارة بنات النبى ونسائه ، ومهما كانت مكانتها من العلم والثقافة .

ويولى القرآن هذا الامر عناية بالغة ، ويفصل ذلك تفصيلا فيبين ما يحل كشفه وما يجب ستره ، فيقول سبحانه :

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » .

حتى ولو كانت المرأة عجوزا لا رغبة لها ولا رغبة فيها يقول الله عز وجل : « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن » .**

ويهتم الاسلام بهذه القضية ، فيحدد السن التى تبدأ بها المرأة فى الاحتشام ، فيقول عليه الصلاة والسلام « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها الا هذا وهذا .. وأشار الى وجهه وكفيه » .

وابداء المرأة مفاتنها ، وتكشفها وعريها يسلبها أخص خصائصها ، ويهبط بها عن مستواها الانسانى ، وفى عهد النبوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بعض مظاهر التبرج فيلفت نظر النساء الى أن هذا فسق عن أمر الله ، ويردهن الى الجادة المستقيمة ، ويحمل الأولياء والأزواج تبعة ذلك الانحراف ، وينذرهم بعذاب الله .

١ — عن موسى بن يسار قال : مرت بأبى هريرة امرأة ريحها تعصف فقال لها : أين تريدين يا أمة الجبار ؟ قالت الى المسجد ، قال : وتطيبت ؟ قالت : نعم . قال : فارجعى فاغتسلى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت الى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل » .

٢ — وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل فى زينة لها فى المسجد فقال النبى « يا أيها الناس : انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد فان بنى اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا فى المسجد » .

وقد بلغت ظاهرة التبرج فى عصرنا هذا مبلغا يأباه كل خلق وكل دين ، فأصبح من المعتاد أن يجد المسلم المرأة المسلمة متبذلة ، عارضة مفاتنها ، خارجة فى زينتها كاشفة عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعها وساقها وما فوق ساقها ، ولا تجد

غضاضة فى ذلك ، واصبح من المألوف أن تعقد مسابقات الجمال تبرز المرأة فيها أمام الرجال ، ويوضع تحت الاختبار كل جزء من بدنها ، ويقاس كل عضو من أعضائها على مرأى ومسمع من المتفرجين والمتفرجات والعابثين والعابثات ، وللصحف وغيرها من أدوات الاعلام مجال واسع فى تشجيع هذه السخافات ، والتغرير بالمرأة للوصول بها الى المستوى الحيوانى الرخيص .

وقد بلغ هذا الانحراف حدا لم يكن يخطر بالخاطر ولا مناص من وضع خطة حازمة للقضاء على هذه الظاهرة ونرى أن ذلك يكون باتخاذ ما يأتى :

١ — نشر الوعى الدينى وتبصير الناس بخطورة الاندفاع فى هذا التيار المدمر .

٢ — سن قانون يحمى الاخلاق والآداب ومعاقبة من يخرج عليه بشدة وحزم .

٣ — منع الصحف وجميع أدوات الاعلام من نشر الصور العارية ، ووضع رقابة على مصممى الازياء .

٤ — منع مسابقات الجمال والرقص الفاجر ، وتحقير كل ما يتصل بهذا الأمر .

٥ — إختيار ملابس مناسبة تتفق مع حكم الاسلام .

٦ — يبدأ كل انسان بنفسه ، ثم يدعو غيره مع الاشادة بالفضيلة والصيانة والتستر ، وشغل أوقات الفراغ حتى لا يبقى مجال لهذا العبث .

ادعياء الطب

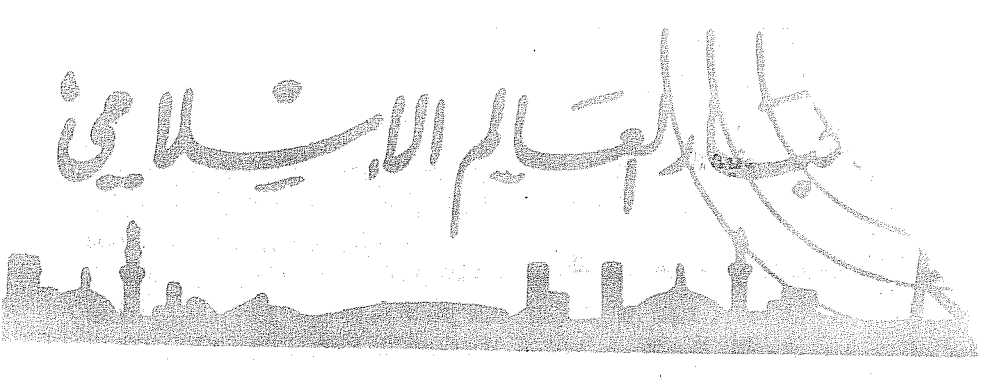
مرض ابنى ، فأشار على بعض الناس بعرضه على رجل يمارس علاج المرضى دون اجازة رسمية ، وكانت نتيجة العلاج أن فقد ابنى احدى عينيه ، فهل هناك مسئولية قانونية وشرعية على هذا الرجل المعالج .

سعيد الهاشمى — البصرة

لم يختلف العلماء فى أن الانسان اذا لم تكن له بالطب دراية فعالج مريضا فأصابته من ذلك العلاج عاهة ، فانه يكون مسئولا عن جنايته ، وضامنا بقدر ما أحدث من ضرر لأنه يعتبر بهذا متعديا ، ويكون الضمان فى ماله ، روى أبو داود والنسائى وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تطبب ، ولم يعلم منه قبل ذلك الطب فهو ضامن » .

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : حدثنى بعض الوفد الذين قدموا على أبى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له تطبب قبل ذلك فأعنت (اضر بالمريض) فهو ضامن » .

وأما المسئولية القانونية المدنية فيقع هذا الدعى تحت طائلتها ، وقبل أن تلوم هذا المشعوذ يجب أن تلوم نفسك وأنت ولا شك تتحمل أمام الله عز وجل مسئولية هذا الضرر الذى أصاب ابنك بلجوئك الى هؤلاء المشعوذين ونحن فى زمن تيسرت فيه وسائل العلاج .



إعـــداد ع.ب

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو أمير البـــلاد المعظم فى ٧٠/١٢/٥ فافتتح الاجتمـــاع الثانى للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية وحفل توزيع الشهادات على خريجى الدفعة الأولى لجامعة الكويت .

● قام سمو الأمير نواف بن عبد العزيز المستشار الخاص لجلالة الملك فيصل بزيارة للكويت وقال أن الغاية من زيارته هو زيادة توثيق الروابط الأخوية القائمة بين البلدين الشقيقين .

● صدر بيان عن التحولات فى سياسة التعليم وتطوره النوعى بالكويت بحيث أصبح يشمل أنواعا جديدة من المعاهد المهنية بحيث تتمشـــى السياســـة العلمية مع السياســـة الاقتصـــادية والاجتماعية .

● بعثت الكويت فى الشهر الماضى عشر شاحنات كبيرة تحمل ١٢٠ طنا من المواد الغذائيـــة والثياب والبطانيات الى الاردن لمساعدة منكوبى الفتنة بين الجيش والفدائيين .

● تبدأ هذا الشهر الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس الأمة الجديد .

● دعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لتشييد مدينة لاستقبال الحجاج الذين يمرون بها فى طريقهم الى الحج وقد زودت المدينة بكافة المرافق اللازمة .

● اقيمت صلاة الغائب فى الشهر الماضى على ضحايا الاعصار فى باكستان الشرقية .

القاهرة : خرجت بعثات دبلوماســـية الى مختلف دول العـــالم بعد أن أعلن الرئيس أنور السادات أن الجمهورية العربية المتحدة لا يمكن أن توافق على تجديد فترة وقف اطلاق النار مرة ثالثة الا اذا كان هناك جدول زمنى لانسحاب اسرائيل من المناطق العربية المحتلة .

● ستنشأ جامعة أزهرية جديدة خاصة للبنات .

● تقرر انشاء معهد دينى فى محافظة مطروح لا ستيعاب الطلاب الراغبين فى التعليم الدينى من محافظات طبرق ومطروح والواحات .

السعودية : أصدرت وزارة الصحة بيانا أعلنت فية سلامة الأماكن المقدسة من أى وباء وأن المملكة ستستقبل الحجاج ككل عام نفيا لاشاعة بخلاف ذلك .

● بدأت البلاد منذ الشهر الماضى تستقبل وفود الحجاج الى بيت الله الحرام ، وقـــد اتخذت الترتيبات الصحية لتجنب الحجاج أى خطر من أى مرض .

العراق : ستساهم الكويت بمبلغ ٣ ملايين دينار لتمويل مشروع المحطة الكهربائية على سد سامراء فى نطاق التعاون الاقتصادى بين البلدين .

الأردن : تجددت الاشتباكات فى أوائل الشهر الماضى ــ للمرة الثانية ــ بين الجيش الأردنى والفدائيين الا أن اللجنة العربية لمراقبة تنفيذ اتفاقية القاهرة وعمان استطاعت اخماد الاشتباكات .

● اعلن وزير شئون المهاجرين فى اسرائيل أن اسرائيل تتوقع وصول ربع مليون يهودى فى السنوات الخمس القادمة الا انها فشلت فى اقناع مائة الف يهودى هاجروا من اسرائيل بالعودة اليها .

سوريا : زار سوريا رئيس الوزراء اللبنانى فى محاولة لتوثيق الروابط واعادة التعاون بين سوريا ولبنان عقب تشكيل الحكومة السورية الجديدة .

لبنان : وجهت رابطة مشروع بيت مال المسلمين لجباية فريضـــة الزكاة وتنظيمها
المجلس الاسلامى الأعلى بشأن عقد جلســـة مفتوحة لاطلاع الرأى العام على المشروع ،
مدخوله بنحو ٥٠ مليون ليرة لبنانية .
ليبيا : بعد رحيل الايطاليين الذين كانوا فى ليبيا تحولت الكاتدرائيتان الايطاليتان الى مسج
وافتتحتا يوم عيد الفطر حيث أقيمت شعائر صلاة العيد فى كل منهما .
تونس : قرر الرئيس التونسى الاسراع فى ترميم جامعى الزيتونة والقيروان وعدد من الجوامع
التاريخية من ميزانية رئيس الجمهورية .
الجزائر : اعلن الرئيس بومدين أن عام ٧٠ شهد حل المشكلة بين الجزائر والمغرب وقال ان
اقامة المغرب الكبير لا يتعارض مع الوحدة العربية .
المغرب : افتتح فى المغرب فى الشهر الماضى سد تبلغ تكاليفه ١٢ مليون جنيه استرلينى
ساهمت ايران بنسبة ٥٥٪ بينما ساهمت الكويت بالباقى .
● أعلن جلالة الملك الحسن فى حفل اعتماد ســـفير تونس لدى المغرب اننا عازمون على
تشييد صرح المغرب العربى الكبير واننا نعول على الرئيس بورقيبة فى هذا السعى .
تركيا :
● انشئت فى استانبول وكالة انباء اسلامية باسم وكالة الأنباء الشرقية لأخبار العالم الاسلامى
وقد بدأت الوكالة عملها فى اذاعة ونشر الأخبار الاسلامية .
● أعلن معهد الاحصاء التركى أن عدد السكان فى تركيا بلغ وفق آخر احصاء سنة ١٩٧٠ م
(٣٥/٦٦٦/٥٤٩) .
باكستان : قام وفد تجارى ماليزى بزيارة الى باكستان فى نطاق تدعيم التعاون التجـــارى
والصناعى بين البلدين المسلمين .
الهند :
● عقد الطلبة الخريجون من الجامعة الاسلامية بعليكرة اجتماعا فى دلهى لبحث الوضع الناجم
عن مشروع قانون تعديل الجامعة المقدم الى البرلمان الهندى .
ماليزيا : قبلت ١١ دولة الدعوة للاشتراك فى المباراة الدولية السنوية فى تلاوة القرآن التى
ستبدأ فى ١٧ يناير ١٩٧١ وهذه الدول هى باكستان ايران ماليزيا تايلاند كمبوديا الهند اندونيسيا
سنغافورة برونى هونجكونج .
كينيا : انشأ التجمع الاسلامى فى كينيا جمعية اسلامية وطنية جعل مقرها نيروبى وهدفها
العمل على تنسيق جهود الجمعيات المختلفة فى نشر الدعوة الاسلامية بمختلف الوسائل .
غينيا : صدت غينيا عدة هجمات برتغالية للاطاحة بنظام الحكم فى البلاد وقد بعثت الامم المتحدة
بلجنة لتقصى الحقائق وأصدرت المنظمة الدولية بيانا يدين فيه البرتغال .

اخبار متفرقـــة

فرنسا: قررت عدة جامعات فرنسية تدريس اللغة العربية لطلابها كلغة ثانية وانتدبت لهذه
المهمة مدرسين عرب .
اليونسكو : أيدت اللجنة الادارية لمنظمة اليونسكـــو فى دورتها الحالية جعل اللغة العربية
لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغات الرسمية للمنظمة .
لندن : وجهت الجمعية الاسلامية فى مانشستر بيانا الى المسلمين فى العالم يناشدهم فيـــه
بالتبرع لاكمال المركز الاسلامى فى مانشستر والذى يتكلف مائـــة الف جنيه اســـترلينى وجمع منهـــا
١٨ الفا .
عقب اصدار قانون باباحة الطلاق تقدم حتى الآن حوالى ٢٧ الف طلب من راغبى الطلاق .



السنة السادسة ــ العدد ٧٢ ــ ذى الحجة ١٣٩٠ هـ ــ ٢٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧١ م

ملحق بهذا العدد :

فهرس عام للمجلة

في عامها السادس

١٣٩٠ هـ

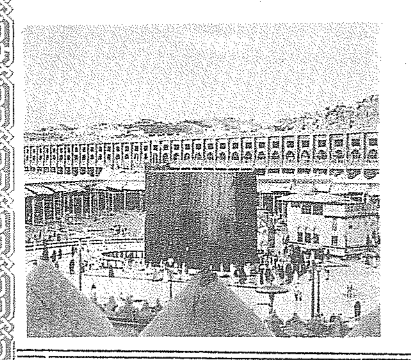
١٩٧٠ - ١٩٧١ م

يشتمل على الموضوعات والكتّاب

هديتك مع العدد القادم :

التقويم الهجري الجديد لعام ١٣٩١ هـ

ومعه صور نادرة لأشهر المساجد في العالم



منظر فريد للكعبة المشرفة عند شروق الشمس ويظهر خلفها المسعى فى فنه العربى الرفيع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثانى والسبعون

ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ

٢٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

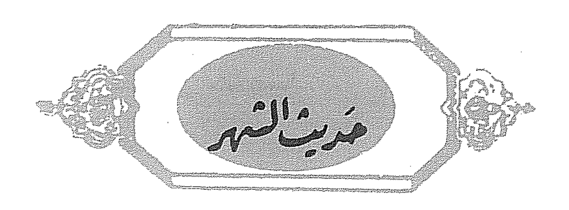
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

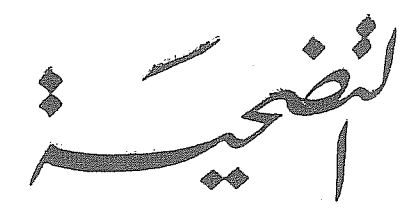
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت





التضحية هي البرهان العملي على قوة العقيدة ، والمثل الحي على انسانية الانسان ، والركيزة الاولى لحيوية الامة وقوتها .

وكل قلب فارغ من العقيدة لا يقدم على التضحية ، ولا يعرف لها معنى .

وكل انسان لا يبصر الا نفسه ، ولا يتحرك الا ليشبع انانيته حيوان شره يشقى بحيوانيته ، ويشقى به مجتمعه .

وكل أمة يدور كل فرد فيها حول نفسه ، ويضن بمقدرته وكفايته على غيره امة مفككة متعادية تأكل الانانية قواها ، وتجعلها فريسة للضياع والهوان .

والتضحية تقترن في اذهان الناس بالاقدام في مواطن الخطر ، والبطولة في ميدان القتال ، وتبلغ غايتها بالاستشهاد في ساحات الجهاد دفاعا عن حق وحفاظا على عرض ، واستنقاذا لشرف .

وهذا النوع من التضحية أسمى درجاتها ، واشرف منازلها ، وهو ليس بالامر الهين ، ولا بالمطلب السهل المنال الا على اصحاب العقيدة الراسخة .

والتضحية في هذا المجال محسوبة في ميزان الله بهبة الريح وذرة التراب وعضة الجوع ، وحرقة الظمأ ، وخفقة القلب ، وفتحة الجفن ونقطة الدم .

((ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون)) .

والحديث عن الاجزية المرصودة للمجاهد فى فترة الجهاد ، وعن النماذج الحية للبطولة ، هو ما تحتاج اليه أمتنا فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها .

ان المجاهد من حين يخرج من بيته الى أن يظفر باحدى الحسنيين ــ لا تعد حسناته ، ولا يحصى ثوابه .. فله من غبار المعركة وثيقة تأمين عند الله عز وجل يوم الفزع الاكبر ((ما من رجل يغبر وجهه فى سبيل الله الا آمنه دخان النار يوم القيامة)) ((لا يجتمعان فى جوف عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم)) ((ما من رجل تغبر قدماه فى سبيل الله الا آمن الله قدميه من النار يوم القيامة)) .

وحتى خفقات القلوب وقشعريرة الابدان وتوتر الاعصاب مما يجد المجاهد من قعقعة السلاح له ثوابه وان نجا من التهلكة ((ما خالط قلب امرىء رهج (خوف) فى سبيل الله الا حرم الله عليه النار)) .

ويقظة الحواس فى سبيل الله لمراقبة تحركات عدو الله تعدل أو تزيد عن مجافاة الجنوب للمضاجع فى جوف الليل للتعبد والتهجد : ((عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله)) .

والجروح والعاهات والاصابات فى سبيل الله شامات للمجاهدين تميزهم عن سواهم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ((من جرح جرحا فى سبيل الله ، أو نكب نكبة فانها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لون الدم وريحها ريح المسك)) .

أما الاستشهاد فهو الفرحة الكبرى والامنية العظمى والحياة المنشودة ((ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين)) ((والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فاقتل ، ثم أغزو فاقتل ، ثم أغزو فأقتل)) .

والتضحية فى ميدان القتال أغلى أنواع التضحية ــ كما قدمنا ــ فالجود بالنفس أقصى غايات الجود ، وهى ترتكز قبل كل شىء . قبل التدريب والتعليم ، قبل التسلح بأحدث معدات الحرب ــ ترتكز على العقيدة المكينة الراسخة . العقيدة التى ترى المجاهدين وهم فى ساحات الوغى فراديس الجنة ، وتحمل الى أنوفهم ريحها العطرة ، ولا يغنى عن العقيدة الالمام بأحدث فنون الحرب ، ولا الخبرة بأساليب القتال .

والامة الاسلامية كتبت فى تاريخ الدنيا أروع صفحات البطولة والتضحية ، والجيل الاول فى هذه الامة سجل بمواقفه البطولية أن العقيدة أقوى سلاح ، فهى التى تملأ قلب المجاهد بكراهيته الدنيا وحب الموت .

ان أثر العقيدة فى التضحية ليس مجالا للشك أو التردد ، فأمام المؤمنين اندحرت قوى الشر والطغيان ، وانهزمت جيوش الجبابرة والطغاة .

واننا نتجاوز الحديث الى النماذج الحية للعقيدة كيف تحمل أصحابها على ارتياد المهالك دون رهبة أو وجل .

في غزوة بدر استنهض الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الى عير قريش ، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد : انه لابد لأحدنا أن يقيم في المدينة ، فأقم أنت مع نسائنا ، ودعني أخرج للجهاد ، فأبى سعد ، وقال : لو كان غير الجنة لآثرتك ، انى لأرجو الشهادة — لم يكن هناك قانون تجنيد اجبارى ولا عقوبات بالحبس والجلد والحرمان من الوظائف العامة لمن يتخلف عن الجندية ، ولم يكن هناك سن معينة للتجنيد — لما اختلف خيثمة وابنه سعد اقترعا ، فخرجت قرعة سعد ، فخرج مع رسول الله فاستشهد بينما بقي أبوه في المدينة ، فلم يجزع ولم يرهب ، بل حرص على أن ينال وسام الشهادة ، فلما كانت غزوة احد خرج خيثمة داعيا الله أن يكتب له الشهادة ، ويلحق بابنه في الجنة ، فاستشهد وحقق له أعز امانيه .

وفي هذه الغزوة خرج أهل بيت بأجمعه الى الجهاد في سبيل الله : خرجت نسيبة بنت كعب مع زوجها زيد بن عاصم وولديهما عبد الله وخبيب ، وابلوا في المعركة بلاء حسنا ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((بارك الله فيكم أهل بيت)) وقال ((اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة)) وقال في نسيبة : ((ما التفت يوم أحد يمينا ولا شمالا الا وأراها تقاتل دوني)) وقد ضربها ابن قميئة وهي تدافع عن النبى ، فأصاب عاتقها بجرح أجوف غائر ، وجرحت في هذه الغزوة اثنى عشر جرحا من بين طعنة وضربة .

وفي هذه الغزوة استعرض الرسول غلمان الأنصار ، فمر به رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، فردهما ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل له : يا رسول الله : ان رافعا شاب يحسن الرمى ، فأجازه والحقه بالجيش فقال سمرة : يا رسول الله : لقد أجزت غلاما ، ورددتنى ولو صارعنى لصارعته ، فقال له صلى الله عليه وسلم : فصارعه ، فقال سمرة : فصارعته فصرعته ، فأجازني رسول الله .

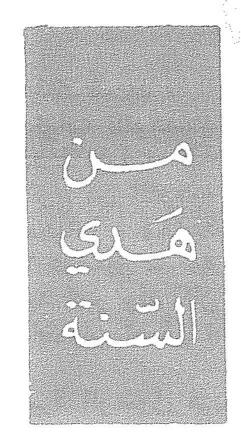
أى معهد . أىمنهج يربى لنا جيلاكهذا الجيل ، لاشيءغير العقيدة والاسلام والقدوة المؤمنة المثالية .

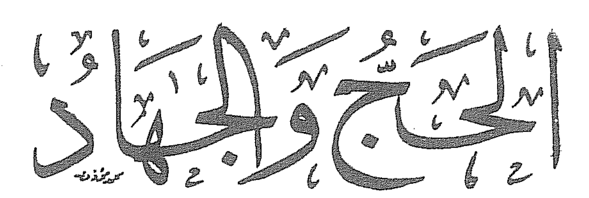
وان الانسان ليعجب اشد العجب حين يقف على هذه التضحيات البالغة ، ويرى سحر العقيدة وأثر الايمان في النفوس التى لم تعرف غير الاسلام دينا وخلقا وسلوكا .

عن شداد بن الهاد أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فآمن به ، ثم قال له : أهاجر معك — وكان من الأعراب البدو — فأوصى به النبى بعض أصحابه ، وضمه الى جيشه ، ثم كانت غزوة أنتصر فيها المسلمون ، وغنم النبى فيها شيئا ، فقسمه على من معه ، وأرسل الى الأعرابى نصيبه ، فلما وصل اليه . قال : ما هذا ؟ قال : حظك من الغنيمة قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى بسهم الى ها هنا — وأشار الى حلقه بيده — فأموت فأدخل الجنة ، فقال له الرسول : ان تصدق الله يصدقك ، ثم نهضوا في قتال العدو ، وما لبثوا الا قليلا حتى جيء بالأعرابى محمولا وقد أصابه سهم في حلقه حيث أشار بيده . قال النبى صلى الله عليه وسلم أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفنه في جبته وكان من دعائه له

اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا وانا على ذلك شهيد .
ان فى وزارات الدفاع في معظم الدول العربية ادارات للتوجيه المعنوى .. لتوجيه الجنود لتثقيفهم . لتوعيتهم ، وفي هذه الادارات أئمة يؤمونهم فى الصلوات ووعاظ يرشدونهم وان وجود هذا النوع من التوجيه ضرورى جدا لتكوين الجندى الذى يفتدى دينه ووطنه وامته بحياته ، وحاجة هؤلاء الجنود الى معرفة الأحكام الفقهية التى يصححون بها عبادتهم — مع اهميتها — امر ميسور المنال لا يحتاج الى علم غزير ولا جهد كبير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمسلمين صلوا كما رأيتمونى أصلى ، وخذوا عنى مناسككم .
ان على الموجهين وهم من خيرة العلماء ان يسيروا سيرة الرسول فى اعداد جيشه الذى حقق انتصارات اذهلت العالم .
وفى هذا المجال يقول مؤلف كتاب الرسالة المحمدية : ان الفضل فى اعداد النبى صلى الله عليه وسلم لجيشه الظافر يرجع الى قوة العقائد والتعاليم الاسلامية واثرها فى النفوس .
دعا الاسلام الى الايمان باله واحد قوى قدير سميع بصير حكيم خبير ، ومن شان هذه العقيدة ان تجمع قلوب المؤمنين وتوحدها . من شانها ان تنفخ فيهم روح العزة والكرامة ، فلا يرضوا بأن يتأله عليهم مخلوق ، .. شانها أنها تشحذ العزائم وتلهبها وتمد الجنود بقوة غلابة يستمدونها من القوى العزيز .. فيقبلون على المعارك ، ارضاء الله بروح مؤمنة لا يتسرب اليها اليأس ولا يتسلل اليها خور . مطمئنة الى ان الله معها يمدها بنصره ، ويؤيدها بجنده (وما يعلم جنود ربك الا هو) (ولله جنود السموات والارض) (وما النصر الا من عند الله) .
دعا الاسلام الى الايمان بأنه لا بقاء الا لله ، وان الموت مكتوب على كل من عداه ، والمولى وحده حدد الأجل ، فلا ينقص العمر باقتحام الحروب ولا يزيد بالفرار والهروب (لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) وكثير من الناس بالغوا فى أخذ الحيطة لأنفسهم حذر الموت فلقوا مصرعهم من حيث لا يعلمون .
هذه العقيدة اذا استقرت في قلب انسان نزعت منه الخوف والجبن وجعلته لا يبالى اوقع على الموت ام وقع الموت عليه .
يجب التركيز فى توعية الجنود على العقيدة مع عرض تاريخ الغزوات والفتوحات الاسلامية ، ودراسة الشخصيات الاسلامية المحاربة .
وهناك مظاهر اخرى للتضحية غير المعارك والحروب ، بل كل عمل من الأعمال مجال للتضحية ، يحتاج الى العطاء اكثر من الأخذ والى محاربة الأنانية والحد من الشهوات والغرائز وابسط معنى للتضحية هو أن تحب الناس كما تحب نفسك ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) . والظروف التى تمر بها الأمة الاسلامية الآن فى حاجة الى المزيد من التضحية التى تعبىء الجهود كلها لاستنقاذ الوطن المفقود والشرف السليب .

رضوان النبلي
مدير ادارة الدعوة والارشاد





للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى الامام البخاري فى صحيحه قال :
« حدثنا عبد الرحمن بن المبارك : حدثنا خالد : اخبرنا حبيب بن ابىعمرة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور » (١) .

١ ــ الباحث عن الحق المتأمل فى أصول الاسلام وقواعده يجزم عن اقتناع عقلى ــ ان كان منصفا ــ أنها بصورتها الصافية المتلقاة عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تحقق بما لا يقبل الجدل نظام الحياة المثالية ، وأسس المدنية الفاضلة التى تعطى الطمأنينة الكاملة من كل وجوهها ، والتى لا تترك ثغرة يلج منها مكدر أو مسىء قل أو جل ، وفى ظلها يشعر الانسان

(١) عبد الرحمن بن المبارك : هو العيشى بالتحتانية والشين المعجمة بصرى وليس أخا لعبد الله ابن المبارك المروزى الفقيه المشهور وشيخه خالد ، هو ابن عبد الله الواسطى ، واختلف فى ضبط (لكن) فقد رويت بضم الكاف ، قال القابسى : وهو الذى تميل اليه نفسى ، وفى رواية الحموى بكسر الكاف وزيادة ألف قبلها بلفظ الاستدراك ، وسماه جهادا لما فيه من مجاهدة النفس « .. ذكر هذا ابن حجر العسقلانى فى شرح الحديث المذكور ص ١٢٥ من الجزء الرابع من فتح البارى ــ طبع مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ .

والذى أرجحه فى ضبط (لكن) أن تكون للاستدراك ، وليست للنساء خاصة (بضم الكاف) وتعليل ذلك تجده مسطورا فى صلب الموضوع والله وحده أعلم بالصواب ، ولكل محاول خيرا نصيب من الأجر بفضل الله ذى المنة والطول .

بقيمته ، وينمى شخصيته ، ويدرك مهمته التى ندب لها من رب العالمين ، كما يتأكد دارسها المتزن المتروى المتعقل من صلاحيتها التامة لكل زمان مهما تقلب وتبدل ، ولكل مكان ولو اختلف وتنوع ، وأجزم — مع استطاعة تقديم البرهان — أن النظم الاجتماعية البشرية المختلفة ، والطرائق الاقتصادية المتنوعة والمذاهب المتعددة المتشـــعبة ، التى تخالف الاســـلام وتجافيه ، قد ظهرت على المسرح وأولاها النظارة عناية واهتماما فى وقت غاب فيه الاسلام ، وكان منزويا فى مسطورات عفى عليها الزمان ، أو مكنونة فى صـــدور خربة ، ثم ترددت فى الوجود الواقعى أصداء مختلطة لا تتبين وجهتها ولا تدرك مراميها ومقاصدها ، فشالت نعاقها ، وتقلصت حتى عن ديارها ، فى الوقت الذى داهم فيه الغريب المريب حصونها واقتحم معاقلهـــا ، وسدنتها نيام فى هياكل يقظى ، وعمى فى سمت مبصرين ، فاجأتهم الفتن ففغروا أفواههم من هول القـــارعة ، وتداعت قواهم من المفاجـــأة الفاجعة ، فألفى العدو الديار بلاقع من حماتها ، أشبـــاه الرجال ، ولا رجال على وفق تعبير سيدنا عـــلى كرم الله وجهه يوما مـــا ، واستطاب المداهمون المرعى فنمت أفكارهم وسمنت وانتشرت مبادئهم وعمت وصاياهم ، وصار باطلهم حقا وما هو بحق فى حقيقته وأضحى الحق الصراح باطلا وما هو بباطل فى واقعه .

٢ — ولما كنا نعيش فى عصر تخصص ، وعالمنا الاسلامى — كما يبدو — عامر بكثير من الذين درسوا الاسلام مبرزين فى فروعه ، ولكل دور حق عليه أن يؤديه كاملا غير منقوص وهو مسئول عنه أمام الله والناس ، دفعا للعلمانية الزاحفة مع التصنيع ، والمدرك بيسر أن الذين اتخذوا العلوم العقلية والفلسفية طريقهم الذى سلكوه ، ما فرطوا فى جنب الاســـلام ، فقد شرعـــوا أقلامهم يقدمون حقائقه جلية واضحة ، ويصرعون بها الخصوم الألداء ، ولئن كان الأثر ضئيلا فليس مرجع ذلك الى ضعف فيهم ولا لعيب فى أسلحتهم ، وانما مصدره تهافت الدولة ، وتمزق الألوية ، وتفرق الكلمة ، ومع كل العوائق هـــا هم أولاء يؤدون دورهم فى ثبات وعزم واصرار لا يصدهم وعيد ، ولا يردهم تهديد ، فهم ماضون فى طريقهم يقرعون الحجة بمثلها ، وكلما بدا للشر ناجذ حطموه بقوارع البرهان ، وبارع القول .. فلندع هؤلاء ولنعرج على طائفة أخرى من علماء الملة فللمسلمين معهم حساب يطول ، وللاســـلام عليهم عتب ولوم شـــديدين ، ولتوضيح ما اليه قصدنا نقول :

المال عدل النفس ، والنفوس به شحيحة ، وهى عليه حريصة حرصها على الحياة ، حاول الانسان تثميره وتفنن فى تنميته بكل الوسائل المشروعة ، تقابلها أضعافها غير المشروعة ، وسئل المتخصصـــون فى الفقه الاســـلامى بالمعنى الاصطلاحى أعنى المعاملات عن رأى الدين الصالح لكل تقدم حضارى كما هى الدعوى المبرهنة ، فصـــمتوا طويلا ، وترك القـــادرون على الجواب الضعفاء ينثرون الفتاوى هنا وهناك ، وقامت مجامع دينية ثم نامت والتقى علماء المعاملات ثم تفرقوا ، واختلفوا ولم يجتمعوا ولم ينتهوا الى رأى يقال فيه انه الرأى الذى يرد الحق الى نصابه ، والسيف الباتر الى قرابه ، فقامت مؤسسات وشيدت بنوك اقتضتها مصـــالح العصر ، ولكن على قـــواعد بعيدة عن الخط

الاسلامى ومالت الى نظم تدر الربح مهما كانت مصادره ، والذى أهدف اليه وأريد أن أوضحه هو أن يعطى علماء المعاملات الاسلامية الرأى صريحا فى حل أو حرمة وقبل أن يطلعوا على الناس باجماعهم القاضى بتحليل أو تحريم يجب أن يضعوا أولا الطرق السليمة الموصلة الى بديل لا يعطل المال ولا يحرمه يرسمون سبيل الاسلام الواضح المفيد للناس فى حزم وقوة باجماع كامل تام مؤيد بالبراهين العقلية التى تقنع ولا تشكك ، وتصحح ولا تلتوى وما وراء ذلك من التنفيذ أو عدمه متروك لأولى الأمر وأصحاب الشأن فى التصرف ، وبهذا يخرج علماء الملة من المسئولية أمام الله والناس ، وليشترك فى القرار النهائى كل علماء المسلمين من جميع أقطاره حتى لا يندد شاذ بما سيكون من اجماع ، وحتى لا توجد أهواء تذهب بالرأى السديد ، وتحوك حوله الشبهات التى ربما تعفى آثاره ، وتطمس معالمه ، وتطفىء أضواءه ، فيظل المسلمون فى ظلام الشك ، ومقعد الفاقد الثقة بكل ما يقال ..

٣ — ولعل الناظر فى الموضوع قد شعر بابتعاد القول عن عنوانه ، فما الربط بين الحج والجهاد وبين العلوم والفلسفات والمعاملات ، والواقع ان الارتباط واضح جلى ، فالجهاد هو المرابطة على ثغور المسلمين ، ويختار لهذا الرباط الأشداء فى دينهم الأقوياء فى الحفاظ على عقائدهم المؤمنون بالله الذين يطلبون احدى الحسنيين ، وفي ذلك من جهاد النفس ما فيه ، ولقد تعددت الثغور وتنوعت فلم تعد محددة بمكان من الأرض وكفى ، وانما تدك الحصون من الداخل الآن فى وضوح ، وقبل الآن فى تلصص ، ولهذا يجب أن يتنوع الحماة الكماة فحملة السلاح المادى لهم مكانهم المعلوم ، ورجال الأقلام أصحاب العلم بالدين المخلصون الأكفاء لهم وضعهم الأقوى والأشد ، فمن غلب على ثقافة أمة ، وملك عقلية أبنائها وحورها حسب ما يريد دك قلاعها المادية فى يسر ، حيث يجد الطريق ممهدا والأبواب مشرعة ، لأنه ملك الفكر أولا ، والأمة التى ينبرى علماؤها ، ورعاة ثقافتها ليصدوا عدوان علوم وثقافات غازية هى التى تنتصر فى المعركة الحاسمة ، والحج ركن من أركان الاسلام لم يشرع لمجرد سفر ومشقة وتعرية جسد وتحمل متاعب الطريق ووعثائها ، وانما شرع على القادرين والقادرين فقط ليتلاقى المسلمون من أطراف الأرض فى اجتماع عام كل عام ، يضم زعماءهم فى كل اتجاه حياتى (بتشديد الياء) زعماء فى العلوم الكونية والنظريات الاقتصادية فى الثقافة ، فى السياسة ، فى الفن، فى الحروب ، فى كل نواحى الحياة ، يتدارسون أمورهم ، ويبحثون فى جد واخلاص لوجه الحق كل فى اختصاصه ، واللقاءات توثق الروابط ، وتقوى العرى ، وتحقق الاتحاد ، ووحدة الاتجاه ، وتبعث فى الأمة الاسلامية القوة التى تجعلها خير أمة فى التقدم الحضارى المنشود ..

حاول الانسان العلمانى أن يوجد مثل هذا التلاقى ولكن هيهات فقد أنشأت الدول المتذنبة عصبة للأمم ، ومن بعدها البديل هيئة الأمم المتحدة اسما، المتفرقة واقعا وحقيقة ، فلم تؤت ثمارا مفيدة بل بدت فى الواقع احدى وسائل تغلب القوى على الضعيف وفقدت قيمتها واستهانت بها شعوب وضربت بقراراتها المتتالية عرض الحائط ، فلو أدرك المسلمون حقيقة الحج ومقاصده

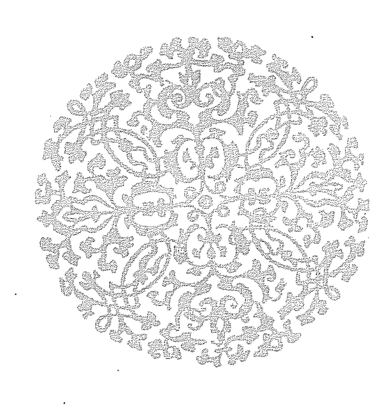
لجنوا ثمارا طيبة كل عام ، أفليس من الممكن أن يجعل المسلمون من حجهم هيئة اسلامية تقرر مصائرهم ؟ أليس من المستطاع أن يكون رجال جامعات العالم الاسلامي (يونسكو) اسلاميا يدرس كل أنواع العلوم والثقافات والفنون ويخرج بما ينميها ، ويعيد أمجاد المسلمين الذين بنوا حضارة وشادوا صروحا علميه شامخة شهد بفضلها الأعداء قبل الأصدقاء .

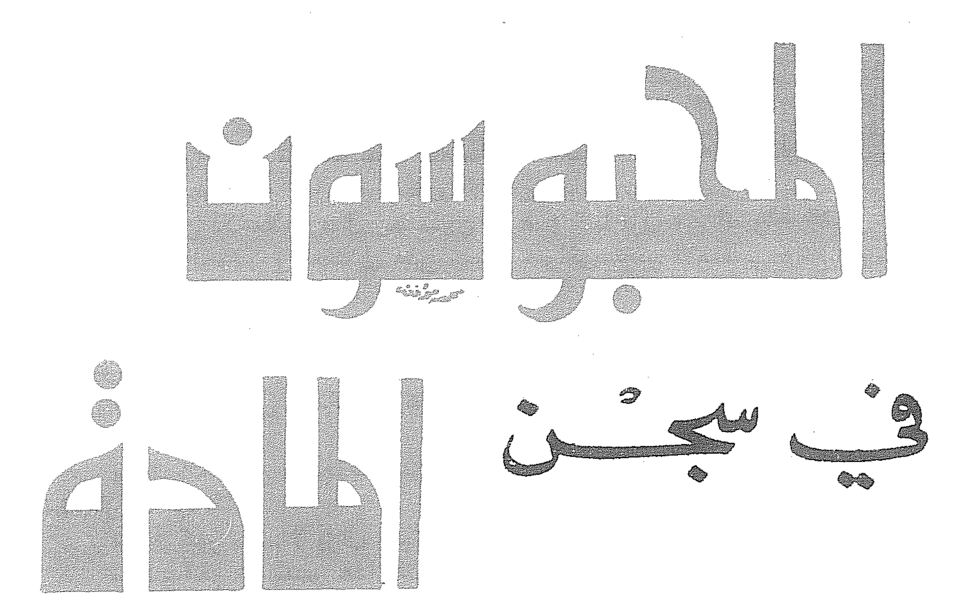
٤ ــ ولحكمة سامية لا يقبل الله الا الحج البعيد عن الرفث والفسوق والجدال « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » « الآية ١٩٧ من سورة البقرة » ، وما ذلك الا لأن لقاء المسلمين فى الحج مؤتمر عام يجب أن يبتعدوا فيه عما يسيء العلاقات بينهم ويتجنبوا كل ما مؤداه الى التباغض والعداء ويحملوا أنفسهم على أن يتبادلوا المنافع فيما بينهم ، فلا يصح مطلقا لحاج أن يأتى شيئا مما نهت عنه الآية الكريمة لأنه مقبل على الله راج رضاه محقق لدعوة ابراهيم عليه السلام ، وذلك كله لجمع كلمة المسلمين وازالة الفوارق من بينهم حيث يتساوى هناك ــ فى اللباس والهيئة ــ القوى والضعيف والحاكم والمحكوم والغنى والفقير ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فهل حقق المسلمون ما أراده الله من حجهم ؟ الجواب تمليه أحوال المسلمين وهو أنهم بعدوا عن روح الحج كما بعدوا عن روح العبادات جميعا ، فلا الفة حققوا ولا ترابط أوجدوا ، بل عادوا كما ذهبوا ، وسيظل هذا حالهم حتى يثوبوا الى رشدهم ، وينفذوا وصايا قرآنهم ، ولا يتبعوا السبل التى تفرقت بهم عن سبيل الرشد .

٥ ــ والحديث الشريف ليس خاصا بالنساء ، وأن كان من الممكن توجيهه هذا الاتجاه ، ولكن عمومه أفضل وأجدى على الأمة ، فالحج المبرور هو الذى تتحقق منه الغايات التى شرع من أجلها ومن أبرزها جمع كلمة المسلمين ودراسة أوضاعهم فى العالم دراسة دقيقة مشمولة بروحية كريمة تبعد بها عن شوائب الأنانية التى تزعزع المؤتمرات الدولية الأخرى البعيدة عن الايمان بالمثل العليا ، ففى مثل هذه المؤتمرات ، كل يود الخير لدولته ولو هلك العالم ، وكل يرى الفضل لأمته التى يمثلها مهما كانت النتائج بالنسبة للأمم الأخرى ، وهذا ما يلمس فى اجتماعات المنظمات الدولية التى تسيطر عليها القوى التى تستطيع بقانون وضعته هى شجب كل ما لا يرضيها وطرد كل من لا يدور فى فلكها بكلمة واحدة (الاعتراض) أو حق (الفيتو) . أما حجاج بيت الله فهدفهم واحد لا يتعدد وهو تداعى كل الأعضاء لألم أحدهم ، وما مس أحدهم من ضر مسهم جميعا ، وما جنى من غنم فهم شركاء فيه ، وتوحدهم الناشيء عن الايمان يشد أزرهم فى الميادين والمجتمعات الدولية ويكتلهم أمام الأعداء التقليديين ، ويضفى على قرارات يتخذونها طابعا روحيا كريما يلاشى الأنانية المقيتة ، ويذيب الشخصية المنفردة ، ومن أهم ما يعنيه وجود المسلمين كأمة هو ذيادتهم عن حماهم وحراسة ثغورهم وجهادهم فى سبيل نشر الروح

الاسلامى فى العالم ليسيطر ويمحو اختلافاته وشقاقه بعد أن — يزيلهـا من بين معتنقيه أنفسهم ، فالانطلاق الى الجهاد العام بعد الحج المبرور يعد ثمرة له وغاية ترجى منه ، وليست هذه مثاليات لا تتحقق واقعيـا وانما الذى يبديهـا مثاليات غير قابلة للتحقق هو الخور وضعف العزيمة ، وواقع المسلمين هـو الذى يسىء الى أصوله اساءة بالغة ما بعدها اساءة ، كما أن دعاة الاسـلام ليسوا خياليين أو يرددون أحلاما يعز وجودها ، وانما هم واقعيون يعرضـون فى كتاباتهم وخطبهم وأحاديثهم خطة العمل الصريحـة الصادرة من المشرع الأعلى للنهوض بالمجتمعات الانسانية وازالة ركام الفساد المفسـد لجوانبها ، وتنقيتها مما شابها ، من تضليل وافد عدا على مقدارتها ، واشـترك فى اثمه للأسف الشديد بعض المتسمين بالاسلام الناطقين بشـهادتيه ، وما كانت ولن تكون الدعوة الى الاسلام خيالية أبدا وانمـا هى الدواء الذى يطب لكل داء ، فهيا استعملوا ما حوت صيدليته ولا تدعوها مغلقة على ما فيهـا ، فلم تتنزل شريعة الاسلام لتبقى مسطورة على صحائف مهملة ، أو لتوضع فى قبو ، أو فى صرح مشيد ليطاف حولها ويطلق لها البخور ويتبرك بها ، وانما وردت للتطبيق والتنفيذ ، وعلى عارضيها أن يؤمنوا بجدواها ، وعلى أبنائها أن لا يتـأبوا عن الالتزام بها فى دولتهم وأحكامهم ، حتى تستقر فى الارض آخذة وضعها الحقيقى المراد منها ، فهل من مستجيب لنداء الله تبارك وتعالى : « **يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** .. » .

فالحق أبلج والباطل لجلج والطريق لا حب والصوى مشرعة .. « **قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسـبحان الله وما انا من المشركين** » .





المحبوسون في سجن المادة

للشيخ : محمد الغزالي

فى غضون القرن التاسع عشر للميلاد كانت نزعات الالحاد تغلب على العقل الغربى ، وبدا كأن العلم الطبيعى يتجه بالناس وجهة مادية تتنكر للدين وتضيق بتعاليمه ، ولما كان الغربيون سادة الدنيا يومئذ فقد صبغوا الفكر العالمى تقريبا بهذه الصبغة الداكنة ..

وقد تسأل : ماذا كان موقف المتدينين بازاء هذا الكفر الزاحف ؟

والاجابة : أن المسلمين كانوا فى حالة ذهول أنستهم رسالتهم المحلية والعالمية على سواء ، فهم لا يريدون من دينهم شيئا طائلا ينفعون به أنفسهم بله أن ينفعوا به غيرهم ..!!

وأما بنو اسرائيل فقد شرعوا عقب تقرر الحقوق السياسية فى الاقطار الحديثة يجمعون شملهم ، ليعيدوا ملك « يهوه » على الارض ، ويستعدوا لحكم العالم كله من « أورشليم » وما كان عليهم أن تكتسح ظلمات الشك كل ضمير ..!!

وأما النصارى فلو تفرغوا لمواجهة هذا الخطر لكانوا كالذى يرد الطوفان بالراحتين ، فكيف وهم مشغولون بالقضاء على الاسلام المريض !!

لذلك نجح الالحاد فى فرض أفكاره ، وأحكامه على أغلب ميادين النشاط الانسانى ، وربما سمح للأديان أن تبقى ميولا فردية ، واتجاهات أدبية ، وحسبها ذلك .. على أن القرن العشرين للميلاد أخذ يتجه ــ خصوصا فى أواسطه

ونهاياته ــ وجهة مغايرة ، وظهر فى كتابات كثير من العلماء الطبيعيين نزوع واضح الى الايمان بالغيب والتسليم بوجود اله حكيم قدير ، عالم خبير !!

وتدين العلم كسب انسانى جليل !!

والصورة التى تكونت لدى العلماء الطبيعيين عن الله قد تكون أدنى الى الحقيقة مما يهرف به كثير من رجال الاديان .. !!

ولو كان للاسلام رجال يحسنون عرضه كما نزل فى أصوله الاولى لكان الاسلام دين الحاضر والمستقبل على سواء ، ولكن الفكر الاسلامى وقع فى محنة رهيبة !!

ولست أزعم أن كل العلماء الكونيين نزاعون الى التدين ، فهناك من ضل الطريق !! ولكن تيار الايمان لو مضى فى طريقه بين هؤلاء دون عوائق سياسية ، ودون ارهاب خارجى ، لتغير الوضع ، فان جمهرتهم سوف تدخل فى دائرة الدين بلا ريب ..!!

والمشكلة التى نواجهها نحن فى بلادنا الاسلامية هى تأخر مثقفينـــا فى مضمار التقليد !!

فعدد كبير منهم لا يزال يعيش فى العقلية المادية للقرن التاسع عشر .

وعدد آخر قد يعدو هذا النطاق ، ليرنو ببصره الى المسجونين كرها داخل بعض المذاهب المادية الحاكمة ، وهم قوم كفروا عن ارهاب لا عن اختيار ففيم يقلدون ؟؟

والغريب أن نفرا من علماء الاسلام يزعمون أن الدين ــ كسائر القضايا الادبية ــ لا صلة له بالعقل !! أى أن التفكير الالحادى للقرن التاسع عشر مازال هو الذى يسيطر عليهم ، فأى بلاء هذا ؟؟

ونحن نناشد أحرار العقول أن يراجعوا أنواع المعرفة التى تعرض عليهم ، فان للاستعمار الثقافى دخلا فى تلويثها وغشها ..

ان أعظم شىء فى رسالة الاسلام احترامها للعقل البشرى ، وحفاوتها بالعلم الطبيعى ، وبناؤها اليقين على النظر الصائب فى ملكوت الارض والسماء .

ولا يوجد كتاب سماوى حث العقل على النظر ، وقاد العلم فى مضمار البحث كهذا القرآن الكريم .

اننا بمنطق القرآن نرفض الظنـــون ونخضع لليقين ، نرفض الاوهـــام ونستكين للحقيقة وحدها ..

ان التدين الذى تعلمناه من كتابنا ليس تحميل العقل ما لا يطيق ، ولا الهيمان فى عالم الاخيلة .. انه تدين ذكى عملى .

ثم هو يضم الى هذا الفكر الناضج قلبا سليما ، لا مكان فيه لنية خبيثـــة أو غرض صغير ، على أساس أن الانسان لا يسيره العلم النظرى قدر ما تسيره مقاصده وآماله ..

وما أكثر أن يكون الذكاء سلاحا يستعمل فى الخير والشر على سواء ، فاذا صدق الايمان صلح القلب واستقام المنهج « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » « ان فى ذلك لذكرى لمن كان قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

وفى معرفة الكون وخالقه ، والنفس وهداها يقول ابن عطـــاء الله السكندرى هذه الكلمة الحاسمة :

« لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ، ولكن ارحل من الاكوان الى المكون « وأن الى ربك

المنتهى » (١) . وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » (٢) . فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل فى هذا الامر ان كنت ذا فهم » .

يقول الله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون . والارض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين » (٣) .

هذه آيات خمس ، الثلاثة الاولى منها وصفت الاكوان علوها ، وسفلها ، وما انبتت فيها من حياة وأحياء ..

والاثنتان الاخريان انتقلتا من الاكوان الى المكون فتحدثتا عن وجوده ثم توحيده .

ولفت الناس هنا الى الله ، جاء بصيغة عجيبة « ففروا الى الله .. »

وهذا الفرار انما يكون مما يحذر ويعاب .

والحق أن الانحصار فى الكون والاحتباس بين مظاهره فواحش عقلية ونفسية لا يرضاها أريب لنفسه ، بل ينفر منها أولو الالباب .

ان من له أدنى مسكة يعرف — من العالمين — رب العالمين ، ويعرف — من الاكوان — صاحب هذه الاكوان !!

ان هذا الملكوت الضخم الفخم من ودائع ذراته الى روائع مجراته شاهد غير مكذوب على أن له خالقا أكبر وأجل ..

انها لجهالة أن يغمط هذا الاله العظيم حقه ، وانها لنذالة أن يوجد بشر ينكره ويسفه عليه .

ولكن : « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (٤) .

والعاقل ينظر فى الكون فيتعلم منه تسبيح الله وتحميده ، ويستنتج من قوانين الحياة وأحوال الاحياء ما يستحقه المولى الاعلى من أسماء حسنى ، وصفات عظمى ..

والناس صنفان ، صنف يعرف المادة وحدها ويجهل ما وراءها ، ولا نتحدث الآن مع هؤلاء .. فقد ذكرنا نبأهم فيما مضى .

وصنف مؤمن بالله مصدق بلقائه ، ولكنه هائم فى بيداء الحياة ، ذاهل وراء مطالب العيش ، مستغرق المشاعر بين شتى المظاهر ، فهو لا يكاد يتصل بسر الوجود ، أو يتمحض لرب العالمين .

ومع هذا الصنف المؤمن نقف لنرسل الحديث ..

هناك قوم لا تخلص لله معاملاتهم ، بل هى مشوبة بحظوظ النفس ورغبات العاجلة ، وهؤلاء لن يتجاوزوا أماكنهم ما بقيت نياتهم مدخولة ، حتى اذا شرعت أفئدتهم تصفو بدءوا المسير الى الامام .

وهناك قوم يعاملون الله وهم مشغولون بأجره عن وجهه أو بمطالبهم منه عن الذى ينبغى له منهم ، وهؤلاء ينتقلون عن أنفسهم من طريق ليعودوا اليها عن طريق أخرى .

انهم مقيدون بسلاسل متينة مع أنانيتهم فهم يسيرون ولكن حولها ، لو حسنت معرفتهم بالله ما حجبتهم عنه رغبات مادية ولا معنوية ، بل لطغى عليهم

الشعور به ، وبما يجب له ، وتخطوا كل شيء دونه ، فلم يهدأوا الا فى ساحته ، ولم يطمئنوا الا لما يرضيه هو جل شأنه ، على حد قول أبى فراس :

فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بيني وبينك عامر   وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذى فوق التراب تراب

وابن عطاء الله يرى أن العامة يترددون بين مآربهم ، كحركة بندول الساعة لا تتجاوز موضعها على طول السعى ، أو هم على حد تعبيره كحمار الرحى ينتقل من كون الى كون ، والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه .

والواجب على المؤمن أن يقصد وجه الله قصدا ، وأن يتفصى تفصيا عن الوف الاربطة التى تشده الى الدنيا ، وتخلد به الى الارض !!

ومن خدع الحياة أن المرء قد يعمل لنفسه وهو يحسب انه يعمل لله ، ولو وضعت بواعثه الكامنة تحت مجهر مكبر لاستبان أن كثيرا من دواعى غضبه وسروره وتعبه وراحته ، يصلها بوجه الله خيط واه ، على حين تصلها بحظوظ النفس حبال شداد.

وهنا الخطر المخوف ، ان الهجرة اذا كانت لله فقد مضت وقبلت ، والا فالامر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من هاجر الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

● ● ●

والشعور بوجود الله ليس أمرا يتكلف له الانسان شيئا ، انه شعور بالواقع !!

قد يكون لك حبيب مسافر مثلا فأنت اذا اشتقت اليه تتخيل صورته ، وتحاول الانس بالوهم عن الحقيقة .

ولكن الشعور بالله ليس تقريبا لبعيد ولا تجسيدا لوهم ، انه شعور بالواقع الذى يعد تجاهله باطلا ، كشعورك مثلا — وأنت فى البيت — بأنك فى البيت ، أو شعورك — وأنت فى القطار — بأنك فى القطار ..

انه الواقع الذى لا معدى عن الاعتراف به ، وبناء كل تصرف على أساسه .
ان الالوهية لا تفارق العباد لحظة من ليل أو نهار ، ومن ثم فان الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين .

واذا كان الاعمى يعجز عن رؤية الاشياء فان الاشياء لم تزل فى مكانها لأن عينا كليلة لم تتبينها .

واذا كان الناس مذهولين عن الحق المصاحب لهم المحيط بهم ، فذلك عمى تعود عليهم وحدهم معرته .

وقد كثر القرآن الكريم من اشعار الناس بهذه المعانى ، وصاح بهم وهم يفرون عنها ، الى أين ؟ « فأين تذهبون ؟ » أين المذهب « والله من ورائهم محيط » .

قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (٥) .

هو بصير بما نعمل ، وهو معنا حيثما كنا ! الا تعين هذه الحقائق على صدق المعرفة وحدة الشعور بوجوده واشرافه ؟

ثم الا يدل ذلك على أن ذكرك لله ليس استحضارا لغائب ؟ انما هو حضورك أنت من غيبة ، وافاقتك أنت من غفلة !!

ولا بد هنا من توكيد التفرقة بين وجود الله ووجود العالم ، فان بعض الناس يستغلون المعانى التى شرحناها للبس الحق بالباطل .

ان وجود الله مغاير لوجود سائر المخلوقات ، وهذا العالم منفصل عن ذاته جل شأنه انفصالا تاما .

وقد تسمع بعض الفلاسفة أو بعض المتصوفين يقول : انه يرى الله فى كل شىء .

وهذا التعبير صحيح ان كان يعنى أنه يرى آثاره وشواهده .

أما ان كان يعنى وحدة الخالق والمخلوق ، أو وحدة الوجود كما يهرف الكذبة ، فالتعبير باطل من الفه الى يائه ، والقول بهذا كفر بالله والمرسلين .

● ● ●

ووصف الاحاطة الالهية فى هذا المجال وسيلة لا غاية ، وسيلة لتصحيح النية والجهد والهدف ، واهابة بالانسان أن يدير نشاطه البدنى والعقلى على مرضاة الله وحده .

وليت الناس يسعون فى هذا الطريق بنصف قواهم ! لو أن امرءا حاول استرضاء الله بنصف الجهد الذى يبذله فى كسب المال ، أو التمكين فى الارض لقطع مرحلة رحبة فى طريق الارتقاء الروحى والخلقى ، ولو أن امرءا كره الشيطان ووساوسه بنصف الشعور الذى يكره به الآلام ، والخصوم لنال من طهر الملائكة حظا .

ان الله قد يقبل نصف الجهد فى سبيله ، ولكنه لا يقبل نصف النية .
اما أن يخلص القلب له ، واما أن يرفضه كله .

وقد أسلفنا القول أن الإنسان قد تحتل قلبه مقاصد شتى هى التى تبعثه على الحركة والسكون ، وعلى الرضا والسخط ، وأن هذه المقاصد تنبعث عن أنانيته لا عن ايمانه بربه ، وابتغائه ما عنده .

والعلماء المربون يطاردون هذه المقاصد المتسللة الى القلب ، ويمنعونها أن تثوى فيه ، ولا يتوانون فى مطاردتها حتى تخفى ويطهر القلب منها .

ذلك أن الاسلام دقيق جدا فى تقويم العمل بالنية الباعثة عليه والغاية المصاحبة له ، فمن لم يكن الله وجهته فى هجرته فلا عمل له ولا خير فيه .

فى الحياة الآن الوف من المدرسين والاطباء والمهندسين والضباط والعمال والتجار والموظفين .. الخ يزحمون ظهر الارض بحركة واسعة المدى ، فأما ما كان للتكاثر والتظاهر فسوف يلصق بالتراب ، وربما بقى لصاحبه طول حياته ، وربما أفتقده قبل أن يموت ، وأما ما كان لله فهو مبارك الثمر ممتد الاثر ، ان البقاء لما قصد به رب السماء « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (٦) .

● ● ●

ونعود الى الصنف المسجون بين عناصر المادة لا يعرف غيرها ، انه ينتقل من عنصر الى عنصر ، وينسب مادة الى مادة ، ويجحد ما بعد ذلك .

وقد ناقشنا هؤلاء ، ودحضنا ما ساقوا من شبه ، ونريد هنا كشف الستر عن بعض دعاوى القوم .

ان وصف الايمان بأنه حركة رجعية ، والالحاد بأنه حركة تقدمية وصف كاذب ، فالكفر قديم قدم الغرائز الخسيسة ، والافكار السفيهة ، وتاريخ الحياة يتجاور فيه الخير والشر ، والصلاح والفساد ، فمن قال : ان الايمان طبيعة أيام مضت وانتهى دورها ، وان الكفر يجب أن يفسح له الطريق فهو دجال ..

كذلك وصف الايمان بأنه حركة فكر محدود ، والالحاد بأنه حركة عقل ذكى أووصف الايمان بأنه منطق الدراسة النظرية ، والالحاد بأنه منطق الدراسة العلمية والبحوث الكونية ، هذا كلام خرافى لا حرمة له ، فان جمهرة كبرى من قادة العلم الكونى والدراسات الحيوية يؤمنون بالله ، ويرفضون الزعم بأن الكون خلق من غير شىء .

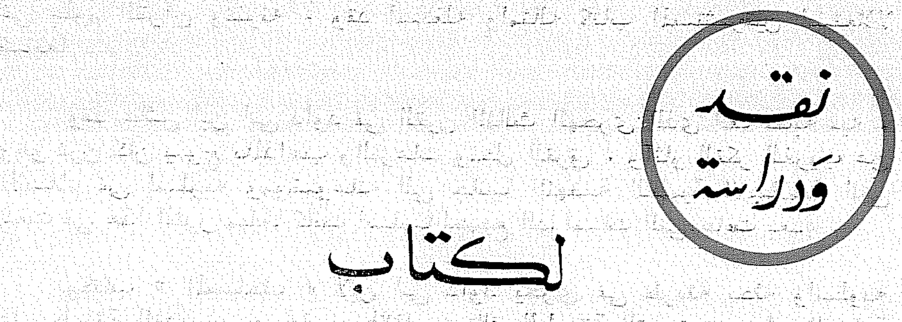
والواقع أن الالحاد يعتمد على الظنون والشائعات ، لا على اليقين والبراهين ، وانه لم يثبت فى معمل أو مختبر بأن الله غير موجود ، وكل ماهنالك أن الماديين نسبوا لغير الله من النظام والابداع ما لا تصح نسبته الا لله .

ووراء هذا النسب المنتحل ساروا ، وايديهم خالية من اى يقين ، بل هم كما وصف القرآن الكريم « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون (٧) » .

أما الدلائل التى تغرس الايمان فى القلوب ، عن طريق التفكير السليم فى هذا الكون الكبير فهى قائمة ناهضة .

---

(١) النجم : ٤٢
(٢) البخارى
(٣) الذاريات من ٤٧ الى ٥١
(٤) النحل : ٤
(٥) سورة الحديد : ٣ ، ٤
(٦) سورة الشورى ٢٠
(٧) سورة يونس : ٣٦



المصاحف

لابن أبي داود

للشيخ : محمد صادق عرجون

كتاب « المصاحف » لأبى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى أحد كتب كثيرة فى موضوعه ، وبعضها مسمى باسمه ، وقد ذكر منها الدكتور المستشرق « آرثر جفرى » فى مقدمته لكتاب ابن أبى داود أحد عشر كتابا ، وقال : ولم يصل الينا من هذه الكتب الا كتاب « المصاحف » لابن أبى داود .

وهذه الكتب كانت معروفة عند جمهور العلماء المشتغلين بالبحوث القرآنية ، وكانت متداولة بينهم ، ووصل منها كثير الى عصر « جلال الدين السيوطى » باعتبارها مراجع فى موضوعها ، وقد ذكر السيوطى بعضها فى مقدمة كتابه « الجامع » المسمى « الاتقان فى علوم القرآن » فى ضمن ما أتيح له النظر فيه حين تأليفه كتابه « المشحون » وذكر منها كتاب « المصاحف » لابن أبى داود ، وهو هذا الكتاب الذى نكتب عنه هذا البحث فى نقده ودراسته لبيان ما فيه من زيف وأباطيل .

وهو كتاب اعتبر من كتب التراث الاسلامى ، ومرجعا من مراجع المؤلفين

فى علوم القرآن وفنونه ، وقد استغله وأمثاله كتاب المستشرقين استغلالا شنيعا .

وقد عاش ابن أبى داود فى القرن الثالث الهجرى الذى الف كتابه فيه ، وهو قرن كان يموج بالمذاهب والنزعات ونحل الفرق ، وآثار الفكر الغريب عن الاسلام فى أسلوبه وموضوعاته الى جانب النهضة العلمية الاسلامية التى بلغت فى هذا القرن مبلغا كانت أساسا لجميع الدراسات التى جاءت بعده .

وكتاب « المصاحف » لابن أبى داود يجرى فى طريقة بحثه وأسلوبه على طريقة القدامى من جامعى الآثار ، تلك الطريقة التى تعتمد على الرواية والنقل أكثر مما تعتمد على التحليل والاستنباط ، فهو من هذه الناحية صورة من صور التأليف تمثل فى تاريخ « الثقافة » الاسلامية مرحلة من مراحل التأليف فيما يختص بعلوم القرآن وفنونه ، وما يتعلق به .

ومن هنا يمكن « وزن » قيمة الكتاب التاريخية ، وهو الى جانب ذلك يعطى القارىء صورة من البحث فى جمع القرآن وكتابة مصاحفه ، واختلاف مصاحف الصحابة قبل المصحف الامام ، وكذلك بالنسبة للقراءات وتاريخها ورواياتها ورواتها وخط المصحف الى جانب مسائل أخرى فرعية تتعلق بالمصحف عنى بذكرها ابن أبى داود فى كتابه مما قد يضفى عليه أهمية تاريخية .

بدأ ابن أبى داود كتابه « المصاحف » بباب جعل عنوانه **(من كتب الوحى لرسول الله)** صلى الله عليه وسلم وهو عنوان يعطى القارىء بالنظر المجرد أن المؤلف سيتحدث عن النفر الذين عرفوا فى تاريخ الوحى من بين الصحابة بكتابة الوحى ، وسموا فى السيرة النبوية (كتاب الوحى) وهم كما ذكرهم بأسمائهم وأنسابهم مؤلفو فى السيرة ومترجمو الصحابة فى كتب المناقب وغيرها — أكثر من ثلاثين رجلا ، وممن ذكر أكثرهم شمس الدين بن القيم فى كتابه العظيم (زاد المعاد) وقد زاد عليه القسطلانى فى المواهب عديدا منهم .

ولكن ابن أبى داود صاحب هذا العنوان فى كتابه « المصاحف » لم يذكر فى هذا الباب من « كتاب الوحى » المعروفين سوى زيد بن ثابت ، وروى فى شأنه حديثين ، أحدهما فى تعلمه السريانية بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، ليقرأ له كتبا تأتيه بلسانها ، وثانيهما فى اجابة نفر طلبوا منه أن يحدثهم بعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثهم زيد بأنه كان جار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا نزل الوحى أرسل اليه فكتب الوحى ، ثم حدثهم عن بعض شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته مع أصحابه يشاركهم كأحدهم فى حديثهم ، اذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، واذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم ، واذا ذكروا الطعام ذكره معهم ، فهو واحد منهم ، لا يتميز فى عشرته معهم عن أحد منهم .

— ثم ماذا ؟ ثم وثبة الى الخلف هوى بها ابن أبى داود الى ذكر قصة خرافية ، لا تعدو أن تكون اسطورة من أباطيل الوضاعين ، فهى لا تثبت أمام البحث العلمى الذى عرفه المسلمون فى أسانيد الروايات وتمحيص رجالها ،

ولا تثبت للبحث العلمى الجديد الذى اصطنعه المستشرقون من أساتذة آثر جفرى الذين زعموا أو زعم لهم أنهم أعادوا دعائمه على التنقيب والتحليل ، واعتبار المتن الملائم للزمان والمكان وظروف الاحوال ولو لم يكن له سند أو كان له سند ضعيف أو باطل ، واهدار السند ولو كان متواترا .

ــ ذلك أن هذه القصة الخرافية تذكر (رجلا) مجهولا كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكر من شأن هذا الرجل فى كتابة الوحى أنه كان يتعمد الخيانة فى الكتابة فاذا أملى عليه النبى صلى الله عليه وسلم (سميعا بصيرا) كتب سميعا عليما) ــ واذا أملى عليه النبى صلى الله عليه وسلم (سميعا عليما) كتب (سميعا بصيرا) وهذه الصيغة (كان اذا أملى عليه) تفيد أن ذلك الصنيع دأبه وديدنه عامدا متعمدا ، فهو صنيع يصدق بما فوق المرة والمرتين والثلاث وأكثر من ذلك ، وهنا يثب سؤال فى خاطر كل من يقرأ هذه القصة الخبيثة وذلك السؤال هو : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم بتلاعب هذا الكاتب الذى ــ استكتبه وحى الله اليه ؟ ــ ورواية ابن أبى داود لا تجيب على هذا السؤال بصراحة ا ولكنها تذكر من حال هذا الرجل المجهول الذى خان الله ورسوله فى أمانة الوحى أنه كان ممن طال به الزمن حتى قرأ قرآنا كثيرا ، والنبى صلى الله عليه وسلم يستكتبه الوحى وهو يتلاعب به فيكتب غير ما يمليه عليه ، فاستمرار النبى صلى الله عليه وسلم فى استكتاب هذا الرجل المجهول وائتمانه مع خيانته يحمل فى طياته احدى الكبر التى تهدم الثقة فى الوحى من أساسه ، لانه ان كان يعلم بحاله وسكت عنه ، فذلك أشنع ما ينسب الى نبى من الانبياء ، وهو ما لا يقوله مسلم ، وكيف وان صح فماذا بقى للنبوة ؟ وان لم يكن يعلم حاله فكيف يوثق بسائر الوحى وهذا حال كاتبه ؟

ويمضى ابن أبى داود فى قصته ، فيقول ان هذا الرجل المجهول فقد الثقة فى دين الاسلام ، لانه عبث أو تعابث بوحيه ، ولم يجد من يرده عن هذا العبث اللعين ، فتنصر الرجل وخرج الى الناس بنصرانيته يقول لهم : ان محمدا استكتبنى وحيه فكنت أكتب ما شئت عنده ، ولم ينكر على شيئا من ذلك على طول ما مكثت عنده فى ظل دينه أكتب له غير ما يملى على واتعابث به وبوحيه .

ولكن يظهر أن واضع هذه القصة كان حصيفا حصافة بلهاء تغلب عليه الغفلة البليدة ، فقد اكتشف أخيرا أن ذلك شىء لا يصح أن يمضى هكذا دون أن تكون له خاتمة مدهشة فى غرابتها فاخترع هذه الخاتمة : قال فمات ــ أى الرجل المجهول ــ فدفن فلفظته الارض ثم دفن فلفظته الارض ــ ثم خاف واضع هذه القصة التافهة أن أبسط العقول تأبى تصديق هذا الزعم السخيف فأراد أن يجعل من شهادة الحس مصدقا لها ــ فذكر ابن أبى داود أن أبا طلحة قال : فأنا رأيته منبوذا على وجه الارض ــ ولكن ابن أبى داود لم يذكر لقرائه عمن وصل اليه خبر أبى طلحة ؟ كما لم يذكر ، هل دفن الرجل بعد ذلك وقبلته الارض فى بطنها ؟ أو ظل منبوذا على ظهرها ؟ وهل بقى سليما معافى فى جسده كما نجى الله فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية ؟ أو تخطفته السباع الجائعة ؟

هذا عبث ما كان ينبغى أن يدون فى كتاب ، بله كتابا فى المصاحف ، وحديثا عن الوحى ولكن ابن أبى داود مؤلف كتاب « المصاحف » يبدو أنه لا يبالى بشىء أمام تكثره فى الروايات واغرابه ، ولو كانت تلك الروايات تهدم أصول النبوة ، وتنقض دعائم الرسالة ، وتقدم لأعداء الاسلام أفتك الاسلحة للتقول عليه والصد عنه ، والرجل أمام حبه للاغراب فى الروايات يخلط بين روايات من هنا وروايات من هناك ، فيعمد الى رواية جاءت على ألسنة قصاص السيرة برواية جاءت على ألسنة بعض المفسرين فى معان مختلفة ، وأشخاص متعددة ، وأزمان متباعدة ويجعل منها قصة واحدة فى رواية واحدة ، وهو هنا يجىء بقصة ذكرها الطبرى وغيره من المفسرين عن رجل يدعى « محلم بن جثامة » بعثه النبى صلى الله عليه وسلم ــ كما تقول الرواية ــ مبعثا ، فلقيهم عامر بن الاضبط ، فحياهم بتحية الاسلام ، وكانت بينهم احنة فى الجاهلية ، فرماه (محلم) بسهم فقتله ، فجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء (محلم) فى بردين ، فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (لا غفر الله لك) فقام (محلم) وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الارض ، ثم دفنوه فلفظته الارض ، فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال صلى الله عليه وسلم (ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله جل وعز أراد أن يعظكم) ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه الحجارة .

فهذه قصة الرجل الذى تقول الرواية ان الارض لفظته بعد دفنه فيها ، وليس فى رواية من رواياتها رائحة تصلها بكتابة الوحى ، والتقول على الله فى كتابه ما لم يقله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى عبث خبيث .

ومن الانصاف لابن أبى داود أن يذكر له أن موضوع قصة رجل كان قد كتب من الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات فى أطوار خلق الانسان حتى انتهى الى آخر طور منها فى ابداع الله له نطق بالفاظ أربعة فى جملة تثنى على الله بما هو أهله ، وهذه القصة مذكورة فى السيرة ، وفى بعض كتب التفسير ، وهى قصة تسند فى بعض رواياتها الى عبد الله بن أبى سرح العامرى ، أسلم واستكتبه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين (ولم يتنصر) وكان سبب ردته ــ فيما قيل انه لما نزلت آية (المؤمنون) التى يذكر فيها أطوار خلق الانسان (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فأملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هكذا أنزلت على) فشك عبد الله حينئذ ، وقال : لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه ، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ، فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ، وأنزل الله تعالى فى شأنه ــ كما يقول بعض المفسرين ــ وشأن أمثاله ممن يتشبث ببعض ما يسوق اليه معنى الكلام وجوه العام والخاص من كلمات يختم بها سياق قصة عجيبة فى بيان عظمة الله وابداعه والثناء عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزله الله) وليس

فى روايات قصة ابن أبى سرح أو قصة كاتب وحى خيط عنكبوت يصلها من قريب أو بعيد بقصة رجل لفظته الارض بعد دفنه فيها .

والحذاق من النقدة المهرة قد زيفوا الرواية التى تسند هذه القصة التى ورد فيها تكلم من سمع خلق الانسان وأطوار أبداعه بما ختمت به آيات ذلك الخلق الى عبد الله بن أبى سرح ، لانها تتكىء على الكلبى فى سندها ، والكلبى زائف عند أئمة الجرح والتعديل ، والرواية الصحيحة تسند الموافقة فى انزال قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) الى المحدث صاحب الموافقات القرآنية الثابتة فى أكثر من موضع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ففى مسند الطيالسى عن عمر رضى الله عنه قال : لما نزلت (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق جابر الجعفى ، عن عامر الشعبى عن زيد ابن ثابت أن الذى قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) أثر سماعه لآيات خلق الانسان وابداعه فى أطوار مختلفة انما هو (معاذ بن جبل) وقد زيف هذه الرواية ابن كثير فى تفسيره ونقدها نقدا فنيا فقال : قال زيد بن ثابت : أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين — الى قوله — خلقا آخر) فقال معاذ بن جبل : (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذ : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال (بها ختمت . فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن كثير : وفى اسناده جابر الجعفى ضعيف جدا ، وفى خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت انما كتب الوحى بالمدينة ، وكذلك اسلام معاذ بن جبل انما كان بالمدينة أيضا ، فالله أعلم .

وفى روايتى عمر ومعاذ لم يذكر الرواة أنهما أو أحدهما شك فى صدق الوحى وزعم أنه قال قرآنا قبل انزاله ، لانه معلوم بداهة أن أربعة الفاظ تؤلف جملة تختم بها آية سيقت فى بيان أمر عجيب فى ابداع الله وخلقه ، يسوق اليها روح الكلام وسياقه لا تبلغ أن تكون انزالا بمثل ما أنزل الله مما يوجب الشك والارتياب فى الوحى وصحة النبوة ، ولهذا لم يقع التحدى بمثل هذا القدر ، وانما وقع بسورة ، وأقصر سور القرآن ثلاث آيات ، وبهذا القدر وقع التحدى فى بيان اعجاز القرآن .

والذين يسندون ردة ابن أبى سرح وشكه الى آية خلق الانسان من سورة (المؤمنون) — على ضعفهم وتهافت رواياتهم لا يعرجون فى شأنه على هذا الخلط والخبط الذى جاء به ابن أبى داود فى غرائبه المنكرة ، وهم — بعد ذلك — محجوجون بالرواية الصحيحة التى تسند الامر فى الموافقة الى عمر ابن الخطاب ، وهو باجماع الامة صاحب موافقات قرآنية بأكثر من هذه الجملة ، وتبقى قصة ردة ابن أبى سرح المرتبطة — فى رواية الضعفاء — بآية خلق الانسان هى مخرج قصة ابن أبى داود التى ذكرها تحت عنوان (من كتب الوحى لرسول الله) وذكر فيها كاتب الوحى المجهول الذى لفظته الارض بعدما دفن

فيها ، بما زاد فيها من التهافت من نبذ الارض وتنصر الكاتب المجهول ، لا يقبلها الا من رمى بعقله وقلبه وايمانه فى أحشاش الكنائس المهجورة .

ويسوق الطبرى قصة عبد الله بن أبى سرح فى شكه وردته مساقا يقربها من قصة الرجل المجهول الذى كتب من الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبث ما شاء له العبث فى سياق ابن أبى داود فى جملتها ، وذلك فى روايتين، احداهما عن عكرمة مولى ابن عباس ، والاخرى عن السدى ، فأما التى عن عكرمة فقوله (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملى (عزيز حكيم) فيكتب (غفور رحيم) فيغيره ثم يقرأ عليه (كذا وكذا) لما حول ، فيقول (نعم سواء) فرجع عن الاسلام ، ولحق بقريش .

وأما التى عن السدى فقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء) الى قوله : (تجزون عذاب الهون) قال : نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أسلم وكان يكتب للنبى صلى اللـــه عليه وسلم ، فكان اذا أملى عليه (سميعا عليما) كتب هو (عليما حكيما) واذا قال (عليما حكيما) كتب (سميعا عليما) فشك وكفر ، وقال : ان كان محمد يوحى اليه ، فقد أوحى الى ، وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . وليس فى واحدة من الروايتين ما خلط به ابن أبى داود من قصة الرجل المجهول الذى لفظته الارض بعد دفنه .

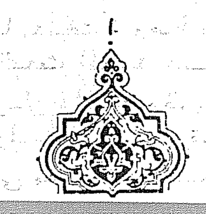
وقد ذكر الطبرى فى مقدمة تفسيره رواية عن سعيد بن المسيب موقوفة عليه فى قوله تعالى (انما يعلمه بشر) شبيهة بعض الشىء بروايـــة ابن أبى داود عن رجله المجهول الذى كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن المسيب : ان الذى قال : (انما يعلمه بشر) هو كاتب الوحى الذى افتتن (من هو ؟) وانما افتتن أنه كان يكتب الوحى ، فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سميع عليم) أو (عزيز حكيم) أو غير ذلك من خواتم الآى ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (أعزيز حكيم) أو سميـــع عليـــم) أو (عزيز عليم) ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى ذلك كتبت فهو كذلك) ففتنه ذلك ، فقال : ان محمدا وكل ذلك الى فأكتب ما شئت . وهـــذه رواية لا تقوم على ساق ، ويجب ردها وعدم قبولها لانها تسند الى النبى صلى الله عليه وسلم أمرا عظيما خطره ، وذلك فى قول الرواية على لسان النبى صلى الله عليه وسلم (أى ذلك كتبت فهو كذلك) والمتأمل فى هذه الكلمـــة يراهـــا متهافتة تهافتا يجب أن ينزه عنه مقام الوحى والنبوة ، والا فكيف يكون (عزيز حكيم) فى معناه وحقيقة وصفه الالهى هو عين (سميع عليم) فى معناه وحقيقة وصفه الالهى ، والبداهة العقلية حاكمة باختلاف معانى وحقائق النعوت الالهية .

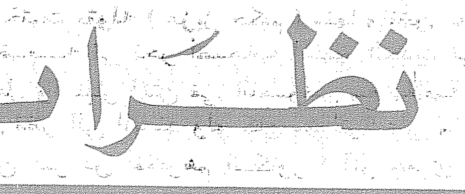
هذا . وقد ذكر السيد رشيد رضا فى تفسيره المنار روايتى الطبرى عن عكرمة والسدى ، وعلق عليهما ناقدا فقال : وهاتان الروايتان باطلتان ، فانه ليس فى شىء من السور المكية (سميعا عليما) ولا (عليما حكيما) ولا (عزيزا حكيما) الا فى سورة لقمان ، والمروى عن ابن عباس أنها نزلت بعد الانعـــام ،

وأن الآية التى ختمت بقوله (عزيز حكيم) منها وثنتين بعدها مدنيات ، وهذا نقد فنى محكم ، نضعـــه فى نحر أصحاب المنهج الجديد فى البحث المعتمد عـــلى التنقيب والتحليل واعتبار المتن فى النصوص مع ملاءمة الزمان والمكان وظروف الاحوال ، دون نظر الى السند ولو كان متواترا على ما يقولـــه المستشـــرقون وتلاميذهم الذين عبر عن أفكارهم الدكتور (آثر جفرى) فى مقدمتـــه لكتـــاب « المصاحف » .

معذرة ؟؟ لقد أطلت الوقوف مع ابن أبى داود فى أول باب من أبواب كتابه (المصاحف) بل أول صفحة من صفحات أول طبعة أخرجها الدكتور (آثر جفرى) لهذا الكتاب ، ومرة أخرى معذرة ؟؟ لانى مع اطالة هذه الوقفة لم استوف ما فى هذا الباب من مآخذ ، لان ابن أبى داود وضع لهذا الباب عنوانا ضخما ، وكان يتوقع منه أن يتحدث عن كتاب الوحى ، يستقصيهم ، ويذكر تراجمهم وأسانيدهم الصحيحة ، وما تميز به كل واحد منهم ، وما اختص به من الموضوعات ، فمنهم من كان كاتب وحى القرآن ، ومنهم من كان كاتب رسائل الملوك والرؤســـاء ، ومنهم من كان يكتب المعاهدات ووثائق الصلح ، وهم عدد غير قليل ، فقد بلغ بهم بعض المؤلفين فى السيرة الى أكثر من ثلاثين رجلا ، فيهم الخلفاء الراشدون ، روى الطبرى فى فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لمسند ظهره الى وان جبريل ليوحى اليه القرآن ، وانه ليقول (اكتب يا عثيم) وروى البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس ، جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ، وعثمـــان بين يديه ، — وكان كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لكن ابن أبى داود اكتفى بصفحـــة واحدة سود بهـــا بياض هذا الباب ، وأعطى لزيد بن ثابت ، وهو الفحل لا يجدع أنفه — نصفها ، ولكاتبه المجهول الذى لفظته الارض بعد دفنه نصفها الآخر ، فكانت قســـمة هذه الصفحة بين الرجلين ، أخص الناس بكتابة الوحى فى جميع موضوعـــاته ، وألزمهم لذلك ، وقد أثبت ابن أبى داود فى نصف هذه الصفحة أن زيدا كان جارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا نزل الوحى أرسل اليه فكتب الوحى ، وهو جامع مصحف الأمامين الصديق وذى النورين ، وبين رجل مجهول ، يقول عنه ابن أبى داود انه ارتد وتنصر ، ومات فلم تقبله الارض فى بطنها ، وانها لتقبل شر جيفة لأخس حيوان مشى عليها — كانت هذه القســـمة كقسمة مسيلمـــة الكذاب الارض بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه نصفين ، ونحن اقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده على مسيلمة قسمته بقوله (ان الله يورثها من يشاء من عباده) نقول : ان التاريخ وقضايا العلم الاسلامى بيد الله ، يلقيها على لسان وقلم من يشاء من عباده ، وحسب زيد بن ثابت شهادة الشيخين : الصديق والفاروق رضى الله عنهما فى حديث البخارى فى قولهما لزيد : (انك شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم) .





نظرات



في الأدب والعربية والقرآن

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

المدرس بجامعة دمشق

بين هـذه العناصر الثلاثة تفاعل مستمر ، ما فى ذلك شك .

فعمق الدراسة فى العربيـة ، يورث اهتماما أكثـر بالأدب العربى ومقوماته ، وكل منهما يحمل صاحبه على مزيـد من الاهتمام بالقـرآن والتقدير لـه والاستفادة منـه ، ويستتبع ذلـك الاطـلاع على مزيد من دلائل روعته واعجازه وتذوق قدر أكبر من فنونه الجمالية المختلفة .

فاذا شغف الرجل بالقـرآن هـذا الشغف ، رده شغفه الى مزيد من البحث فى العربية وآدابها ، يتلمس قيمها ويستظهر فنونها ، بما كـان قد أورثه القرآن اياه من الذوق البيانى الرفيع .. ولا يـزال هذا الباحث يستجلى فى خصائص أحد هـذين العنصرين مزيدا من خصائص العنصر الآخر ، حتى يسمو به النظر الى ذلك الشأو الباسق البعيد الـذى يمضى فيه مظاهر البيان القرآنى واعجازه الى غير نهاية ، وعندها ينقلب النظر خاسئا وهو حسير ، ليقف عند الحد الـذى وقفت عنده قدرات البشر وامكانه ، وقد أيقن ان هذا البيان الخارق ما ينبغى أن يكون الا من كلام خالق البيان ...

والضعف فى العربية وعلومها ، يورث مثل ذلك فى الأدب ومباحثه ، والضعف فى كل منهما يحمل صاحبه على مزيـد من التبـرم والجهـل بالقرآن ، اذ كان مفتاح القرآن تذوقا وفهما انما هو العربية وآدابها .

ويستتبع ذلك غموض ما يتسم به القرآن من روعة واعجاز ، فلا يفهم منه هذا الرجل البعيد عن العربية وآدابها الا أنه كلام كسائر الكلام ، ولا يلمس فى صوغه وبيانه أى دلالة تكشف عن أنه من كلام خالق البشر وليس من كلام أحد سواه ..

ليبين فى هذه الحقيقة أى خفاء ، ولا أظن أن أحدا من الباحثين يتمارى فيها ..

ومع ذلك فانها لا تحظى لدينا بأى اهتمام ، وانما هى تحظى (وهذا أمر مؤسف للغاية) باهتمام دعاة (التغريب) الذين يمارسون عداوة أصيلة للقرآن ، ومن ثم يمارسون معاداة لغته وآدابه .

أما عداوتهم للقرآن ، فلست بحاجة الى تأكيدها واعادة الحديث عن أدلتها ، ولا أظن ان أحدا من عامة المثقفين يطالبنى بأى برهان عليها ، والذين يعلمون خبر هذه العداوة يعلمون سرها واسبابها .

وأما معاداتهم للغة العربية وآدابها ، فربما اتخذت سبيلا خفيا لا يدركه من لم يستبطن الامور ويتجاوز عناوينها وشعاراتها المكشوفة .

ولعل من الخير ان نكشف عن هذه السبيل ، وان كانت فى حقيقتها سبيلا مكشوفة لا تغيب عن أى باحث اسعفه الحظ بشىء من الوعى والفهم .

ان قطع الطريق الى القرآن وتبصر قيمه يتمثل فى الكيد لكل من الأدب العربى واللغة العربية ويتجسد هذا الكيد فى المظاهر التالية :

أولا — فى ميدان الأدب :

تعتمد خطوات هذا الكيد على غاية أساسية كبرى ، هى تجريد الأدب العربى عن مضمونه الطبيعى المتفق مع طبيعة اللغة العربية ، وحشوه بمضامين أخرى لا علاقة لها بشىء من العربية أو فلسفتها أو قيمها الجمالية المختلفة .

والأدب العربى فى حقيقته انما هو تأريخ الكلمة العربية وتقويمها ، ثم السعى بها الى عرض جميع القيم الفكرية والانسانية المختلفة فى مراتبها .

والأدب بعبارة أخرى ، انما هو شحذ اللسان العربى وتقويمه ثم التعبير به عن كل ما يشيع بين الناس من أفكار وعواطف ووجدان سواء أكان ذلك على سبيل النقد أم الوصف المجرد .

ويتمثل سبيل هذا التجريد فى الخطوات التالية :

أ — سلخ الأدب العربى من اطاره الاخلاقى . والاطار الاخلاقى لادبنا العربى حقيقة قائمة لا ينكر نسجه تاريخنا الحافل الطويل مع ما نسجه من القيم الادبية ذاتها ، والحديث عن أحدهما يستلزم الحديث عن الآخر السلوكية مجتمعنا ضوابط وقيود آمن بالحديث عن فكرة ، وللافكار والقيم السلوكية فى مجتمعنا ضوابط وقيود آمن بها المجتمع ايمانا راسخا لا تبعية فيه ولا تقليد ، فلا بد أن يكون لسان الأدب ترسيخا لهذه الضوابط وتأكيدا لأهميتها .

وسبيل سلخ الأدب من هذا الاطار هو ترويج الدعوة الى ما يسمى بالأدب للادب وهى دعوة غربية تقوم على دافع الانطلاق

من كل ضابط وحد وقيد ، وهى تريد ان تستعين بالأدب تزويقا لها وتحبيبا بها وتهوينا من أمر الهمجية التى نرى فى تضاعيفها .

وليس أرباب هذه الدعوة ، فى أحقيقته من الادب فى شىء وليس لهم فيه لذاته اى مقصد أو أرب ، فهم اذا ابعد ما يكونون عن مذهب : (الأدب للادب) وهم الصق ما يكونون بعكس هذا المذهب تماما ، اذ انهم يطلبون الأدب ترويجا لدعوة أخرى لا بد لها من طلاء يستر من سوئها ويحبب الناس بها .

على ان مذهب الأدب للادب مذهب وهمى لا حقيقة له ، فالأدب فى واقعه لا بد أن يكون فى خدمة أى شىء اخر ، اذ هو لسان ينطق فى تحبيب ورشاقة ولا بد لهذا اللسان أن يختار موضوعا يتكلم عنه موجها أو ناقدا ، وهذا الموضوع لا بد أن يكون مما له أهمية وأثر فى المجتمع وتقويم علاقات الناس بعضهم ببعض ، وهو شىء يقوم على معايير وأسس مضبوطة معينة مهما كان نوع ذلك المجتمع وطابعه .

ب — سلخه عن القيم اللغوية ودراساتها والتوسع فى أبحاثها ، مع العلم بان ذلك يعتبر سلخا له عن أهم مقومات وجوده ، ومهما كان الأدب عند غير العرب من الغربيين وأمثالهم بعيدا عن التأثير والاثر فى القيم الجمالية للغاتهم ، فانه عندنا لشديد الاثر والتأثر باللغة العربية وليس له أى جوهر ولاقيمة بعد قطع هذه الصلة بها أو توهينها .
ان لغتنا العربية هى اللغة الوحيدة التى تمتاز باتساع عظيم فى متنها وافتنان عجيب فى أساليبها الدلالية انها اللغة الوحيدة التى تستطيع أن تسخر ثلاث كلمات منها لثلاثة معان مختلفة حسب تأليفك لتلك الكلمات مع بعضها وترتيبها فى النسق ، ومن ثم فقد كان ثلاثة ارباع الجهد الأدبى فى هذه اللغة منصرفا بطبعه الى نحو هذه الاساليب ودراسة ذلك البحر الزاخر من الكلمات وفقهها .

أما اللغات الاخرى فان ضمورها من هذه الناحية على تفاوت بينها فى مقدار هذا الضمور — جعل ادابها بطبيعة الامر تنصرف الى العناية بناحية أخرى وهى الموضوع ولقد كان ان تولدت عن العناية المستمرة بتلك الناحية ، مذاهبهم وابتداعاتهم فيها من واقعية وخيالية ورمزى ومكشوف وغير ذلك .

ولقد كان من نتيجة هذا السلخ البطىء الذى يمكننا أن نقول عنه انه كاد أن يتم بنجاح ودون أى ضجيج ان الالفاظ العربية أصبحت على السنة كثير من الادباء مسخرة لمعان واصطلاحات أوربية ليس لها أى ارتباط بجوهر الأدب العربى فى أى عصر من تاريخه .

ومن تتمة الخزى المخجل انك ترى الاديب فى كثير من الاحيان غائصا الى قمة رأسه فى تحليل تلك الاصطلاحات والمذاهب الغربية فى نشوة وطرب ، بينما العفونة اللغوية الظاهرة تتصاعد من المادة الأدبية التى يتناول بها نقده وتحليله .

بل الأدب العربى عند كثير من أهله اليوم ليس الا تراجم للأدب الغربى يساق الى العربية كما هو ، أو يقتبس منه الهيكل الكامل ويرمم بعد ذلك بكسوة ممزقة من الافكار الأخرى .

ويعلم كل باحث له نصيب من الوعى ، ان أدب كل أمة انما هو المرآه التى تنعكس اليها ثقافتها وطبيعتها ، الفكريه والاجتماعيه ، لكل أمة من ذلك مالا تجده عند الامم الاخرى ، والفرق بين الثقافة والعلم ان الثقافة هى مجموعة الافكار التى نسجتها طبيعه البيئة المعينة ، اما العلم فهو الحقيقه الذاتية للأشياء من حيث هى اينما وجدت .

ولذلك فقد كان العلم هو وحده الغاذء القابلة للتصدير والاستيراد والاقتباس .

اما الثقافة فلا معنى لاقتباسها أو استيرادها كما هى ، الا استيراد الاستعمار والاستعباد الفكرى والاجتماعى بابشع أشكالها ، وعندما تعمد أمة من الامم الى أدبها فتفرغه من محتواه الذى انعكس اليه من واقعها وتاريخها ثم تتخذ منه كيسا تملأ به ثقافات الامم الأخرى وأفكارها ، فانها بذلك لا تمد عنقها ذليلة الى طوق الاستعباد الفكرى فقط بل هى تقضى بالاعدام على نفسها بمقصلة الاستعمار ...

جـ ـ القفز به الى خارج الدائرة العربية التى هى قاعدة الأدب العربى وروحه عن طريق الدعوة الى ما يسمى (بالادب العالمى) ، وكلمة الادب العالمى قبة كبرى قائمة على سحابة من الوهم الكثيف ، وليس من وراء هذه السحابة الا حقيقة واحدة مخبوءة قلما تظهر ، الا وهى الترويج لشخصيات غربية معينة ، اقحاما لما عرفوا به من أفكار واتجاهات واعتقادات فى مجتمعنا وفرضه على واقعنا من أيسر طريق .

لا معنى للادب العالمى ، مادام الادب كما قلنا ، ليس الا مرآة صقيلة تنعكس اليها أفكار أمة معينة من الناس ، ومهما كان لاقطاب الادب العالمى من شهرة عالمية طبقت الآفاق فان ذلك لا يعنى أن أفكارهم الادبية غدت بذلك أفكارا عالمية ، لست أقصد بهذا ان الادب العربى ينبغى ان يعيش فى عزلة لا يحس غيها مما يجرى حوله ولكنى اقصد ان الادب الغربى وغيره ، فى أى مظهر من مظاهره ، ما ينبغى ان يفرض نفسه على الاخرين بامتياز (العالمية) وليس له الى أدب اى أمه من سبيل تحت هذا الشعار الوهمى الكبير .

انما هو فكر أدبى كغيره ينبغى أن يخضع للبحث والنقد ثم هو قد يكون بعد ذلك مجال استفادة أو محل تحذير .

د ـ فصله وابعاده عن الشعر العربى الرصين ، وسبيل ذلك عندهم اقامة حواجز اصطناعية بينها من الكلام المسمى بالشعر الحر .. أو الشعر الحديث .. أو الشعر المنثور ..

وللشعر العربى الرصين أهمية كبرى فى دعم كل من الادب واللغة ذلك أنه اشهى ثمار كل منها وابقاها على مر الزمان وانما قيمة الشجرة ومدى أهميتها عندما تذوق من ثمارها وتجد لذة مذاقها ، وللشعر الرصين اثر كبير فى الافئدة والنفوس ، ذلك أعظم داع الى محبة اللغة العربية وادبها والى اقتحام السبل المختلفة لدراستها ، واتقانها والمحافظة عليها والدفاع عنها .

وليس أدل على ذلك من ان الحملة التى قادها كل من سبيتا وويلكلكس وكارل فورلروس ومجلة المقتطف ، على اللغة العربية الفصحى ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٨٩٠ داعين الى

استبدال العامية المصرية بها ، قام لها سوق كبير فى مصر وظهرت لها اصداء هنا وهناك ، ولكنها انما اختفت رغم ذلك كله بسبب ظهور شعراء فطاحل من أمثال اسماعيل صبرى ومحمود سامى البارودى ثم أحمد شوقى وحافظ ابراهيم فقد كان لشعر هؤلاء أبعد الاثر فى اذكاء محبة الفصحى فى الصدور والتعلق بها من جديد ونبذ كل دعوة تعارضها مهما كانت الحيلة والاسباب ، علم هذا كله من لا يريد خيرا باللغة العربية وكتابها العظيم ... فاتخذوا السبيل الى ابعاد منبر الشعر عن المجتمع العربى والى كسر عموده ، وتحطيم موازينه وتفعيلاته .. ولكن ذلك لا يتحقق الا باتباع طريقة التعويض أى بالاسراع الى وضع منبر اخر يخلف منبر الشعر العربى السليم ويملأ مكانه فلا يشعر المجتمع بأى فراغ فكان التعويض عن ذلك كله بما يسمى الشعر الحديث .

على ان لهذا الذى سموه بالشعر الحديث فائدة أخرى عندهم فهو وحده الذى يستطيع أن يقوم بعمليات الاجهاض لدى كل من تعتلج بين جنبيه روح شاعرية قد توجد منه شاعرا مثل شوقى .

ان الزمن لا يمكن أن يصبح عقيما بحال ، ولا يعقل أن تكون العبقرية وقفا على دفعات معينة من القرون فكل زمن ينطوى على عظماء فى الفكر والادب والعلوم ، وكل جيل يحمل فى مجموعة من بذور العبقرية مالو اسعفه المجتمع بتعهده وعدم الاضرار به لفاض هذا المجتمع بالعباقرة العظام من كل صنف وفى كل ميدان واختصاص .

ولكن العوامل المختلفة الاخرى هى التى تسحق هذه البذور والقابليات فى مهدها ، فيعقم الزمن وما هو بعقيم وتركد عقلية الجيل باكمله ، وما ركدت عقليته وانما قتلت شخصيته .

ان احبولة (الشعر الحديث) واحد من هذه العوامل ، فهى تقف بالمرصاد لكل أديب ذواق يعتلج جنانه بالشعر ويسعى الى انشاده ، لتقول له دونك فهذا هو الشعر وليس وراءه من شعر يسمو عليه وليس لك من مطمع ان تتسلق عموده وتمتلك ناصيته من هناك فقد كسر عمود الشعر .... ومات ... مات موتا أبديا بموت أميره شوقى ... فينكص الرجل على عقبه ويقنع بما حمله المجتمع عليه من (الشعر الحديث) حيث يعكف على ، نثر كلمات متقطعة مدبجة بنقاط متلاحقة ، تطبع على ورق وردى ثمين بحروف وضاءة أنيقة ، واذا بها انقلبت شعرا بقدرة قادر حكيم ...

وتشيع فى المجتمع هذه الجمل المتقطعة ، وتحتل مكان الشعر الذى يهز الرؤوس ويأخذ بالالباب حتى اذا قامت من وراء ذلك دعوة الى نبذ الفصحى واهمالها لم تجد فى طريقها أى مقاومة ضارية كتلك التى انبعثت من شعر البارودى وشوقى واسماعيل صبرى ، أما الشعر الحديث فلسوف يتنحى للدعوة الهدامة عن الطريق ، ويحييها بانحناءة ذليلة وهى تجتازها الى نهاية الطريق .

تلك هى خطوات الكيد الذى يتمثل فى ميدان الادب .

ثانيا ـ فى ميدان (اللغة العربية)

ان الكيد الذى لقيته وتلقاه اللغة العربية على أيدى رسل (التغريب) ليس عجيبا فى حد ذاته فان له ما يسوغه فى نظر أهله ودعاته .

ولكن العجيب حقا أن ترى السبيل الى مقاومته فارغة ، والحركة اليه

مشلولة ، وأن تجدنا نبصر ظاهرة التدنى المطرد فى علاقتنا باللغة العربية وثقافتها ، ثم لا نحرك ساكنا، ولا نقلق أو نتعجب من شيء .

وأضعاف اللغة العربية فى ألسنة أهلها ، هو السلم الطبيعى الى القضاء عليها وعلى قواعدها ومقوماتها بحجة صعوبتها ونفارها من النطق المسترسل ، والتواء قواعدها على اللسان ، فلئن لم يسبق هذه الدعوى عكوف على أضعافها بشتى الوسائل والأساليب فان أحدا لن يصدق ما يقال عن ضعفها لأنها فى الحقيقة ليست كذلك .

ويتخذ السير الى اضعافها وتعقيد السبيل اليها المراحل التالية :

أ ـ تحوير مناهجها الدراسية على نحو يضمن اقامة العقبات المختلفة بينها وبين الناشئة وهو تحوير يستهدففى مجموعه تبديد (الموضوع) واهماله عن طريق البسط والتوسع (فى الشكل) ويستند هذا التحوير الى نظريات تربوية ظاهرها فيه الفائدة وباطنها من قبلها المحق والكيد .

على أن المشكلة الكبرى التى تواجه الطالب فى أولى مراحله الدراسية للغة العربية انما تتمثل فى عجزه عن دفع ما استحكم من سلطان العامية على لسانه ، وهذه المناهج التى يؤخذ بها فى دراسته للعربية أقل شأنا وقيمة من أن تزحزح شيئا من قوة هذا السلطان .

من أجل ذلك لا تجد لهذه المناهج أى ثمرة ذات جدوى مهما أحيطت بمزيد من الساعات الدراسية ، أو بمزيد من الدرجات المشروطة فى الامتحان .. يخوض الطالب غمار هذه المناهج ويجتازها وان لسانه لا يزال يلتوى ويترطن ، وفكره لم يتبين من فقه العربية الا غواشى مختلطة فى بعضها لم يخلص منها الى شيء ولم يقطف منها ثمرة أى تطبيق .

وقد علم الباحثون أن لا سبيل لتخليص لسان الطفل ـ فى مقتبل دراسته للعربية ـ من العامية وعوجها الا أن يؤخذ بتلاوة القرآن تلاوة سليمة ويتمرس عليها . فبذلك ينشأ الطفل وان جرس الجزالة العربية ليطن فى أذنه ، ووقع التقطيع العربى الموزون مندمج فى نفسه مهما كان سلطان العامية مسيطرا عليه فى حياته العامة بين أقرانه وأهله ، وبقدر ما يتوفق الطفل فى هذه السن الى الاكثار من تلاوة القرآن وترتيله يكون انطباع الجزالة العربية فى نفسه أتم وأمكن ، وبقدر ما يخونه التوفيق فى ذلك يكون عوج العامية ولكنتها ألصق به وأمكن .

وليس يضير بالطالب ـ لكى تتحقق لديه هذه الظاهرة ـ أن تكون تلاوته للقرآن واتقانه لترتيله فى هذه المرحلة مجرد درج للألفاظ وسرد للآيات بدون فهم للمقاصد والمعانى ، بل ولا حاجة الى أن يكون الطالب قد درس فى تلك الفترة مع تلاوة القرآن معانيه أيضا ، ووقفه معلمه على شرح لغوياته وتحليل جمله .

ذلك لأن هذه الممارسة ليست عملية تربوية تتعلق بالنفس بمقدار كونها وظيفة لغوية تتعلق بتقويم اللسان ، ومن شأن التلاوة السطحية السليمة اذ يستمر عليها الطفل حينا من الزمن أن تخزن فى نفسه قوالب التعبير العربى الصحيح ، وتنسج فى خياله الصور الجمالية لألفاظه وتراكيبه ، فيصبح بعد ذلك سبيل هضمه للقواعد العربية وفقهها

وآدابها سهلا ميسورا اذ هو يتلقى كل ذلك وكأنه توضيح لما كان قد انطبع مبهما فى نفسه ، أو كأنه تربية واستثمار للنواة الصالحة التى كانت قد غرست فى ذوقه وانك لتجده سرعان ما يتذوق قواعد الاعراب ، ويسير فى طريق تطبيقها لأنها جاءت موافقة لما يستسيغه طبعه ، ولما درج عليه لسانه الذى لينه تكرار القرآن ، بل وانك لتجده سرعان ما يتذوق روح التراكيب ، ويستشعر الفوارق الدقيقة التى بين المترادفات لما كان قد مر عليه من أمثال هذه اللغويات وانطبع فى مخيلته من معانى كثير من التراكيب .

ثم انه كان من المأمول أن يتوفر فى منهاج التربية الدينية ما يجبر هذا النقص فى مناهج العربية ، ويصلح من شأنها اذ كان كل من هاتين المادتين دعما للأخرى ، ولكن الذين يستهدفون أضعاف اللغة العربية فى ألسنة أهلها لم يفتهم أن يقطعوا الروافد التى تسرى فيما بينهما وأن يطوروا من مناهج الدين أيضا حتى يصبح ضعف كل منهما دعما لاضعف الأخرى .

ان مناهج الدين فى مدارسنا لا تكلف الطالب أنيقرأ خلال سنوات دراسته كلها سوى بضع نصوص أو سور يسيرة من القرآن ، وهو عندما يكلف بقراءتها لايحمل على تجويده لاعلى تقويم نطق وانما يدرسها كما يدرس قطعة من نصوص الأدب ، وياليتها تلقى من العناية ما تلقاه النصوص الأدبية المختارة .

وينتهى الشاب العربى المسلم من مرحلة الدراسة الثانوية ، وان صلته بالقرآن المبين اشبه ما تكون بصلة السائح الاجنبى ببلاد لم يرها ولم يسمع عنها يحتاج لكل خطوة فيها الى معرف ودليل .

ب — اقصاء مناهج قسم اللغة العربية فى المرحلة الجامعية عن معين العربية وجذورها الأصلية بقدر يضمن بقاء تلك العقبات المختلفة بين الناشئة واللغة العربية .

ووجه التنسيق بين هذا العامل الثانى والذى قبله هو ايجاد أكبر قدر من التوفيق بين كل من ضعف المناهج المرسومة وضعف المدرس المطبق لها .

فلن يغنى ضعف المناهج شيئا اذا كان القائمون بتدريسها أقوياء فى العربية متذوقين لآدابها وعلى صلة بينبوعها .

ولذلك تجد منهاج قسم اللغة العربية فى أكثر جامعاتنا العربية أمشاجا من دراسات لا صلة لها بجوهر هذا القسم ولبه ، فالأدب الحديث وأدب المهجر والفنون الجمالية وما الى ذلك هو الذى يؤلف مركز الثقل من عناية القسم .

أما قواعد العربية والأدب الجاهلى والاسلامى وفنون البلاغة فليست الا نثارا من دراسات ضائعة فى غمار تلك المقررات الأخرى ، فهى أقل من أن تعطى ملكة أو تقوم لسانا أو تمنح صاحبها أى أصالة .

ومن أجل ذلك فقد كان طبيعيا أن تبصر خريج هذا القسم وان لسانه لا يفرق فى النطق بين كل من أداة التعريف القمرية والشمسية ، وأن تجده وهو يجاهد فى تلاوة آيتين من القرآن كما لو كان يجاهد فى حل خط أثرى وجد على جدار بناء يرجع فى تاريخه الى القرون الاولى .

فهؤلاء هم الذين يكلفون بعد ذلك بتدريس اللغة العربية لطلاب مرحلة الدراسة الثانوية وتلك هى المناهج التى توضع أمامهم لالتزامها والسير عليها مقدمتان من الضعف والالتواء والتعقيد لا بد أن تتولد

منهما نتيجة من الضعف المركب يتمثل فى الثقافة العربية لــــدى النشء العربى الجديد ..

حـ ــ ترويج اللهجات العاميـــــة واشاعة الدعوات المختلفـــــة الى الدفع بها لمزاحمة الفصحى بــــل ولوضعها فى مكانهـــــا اذا وجــد السبيل .

وتأتى هـــذه الخطوة بعد الخطوتين السابقتين بمثابـــــة تكثيف وحصر للأصداء المنطلقة من وراء ظاهـــرة الضعف التى تحدثنا عنها .

فقد نجح التخطيط فى كلا مرحلتيه الاوليين ، واستشعر الناس ضعفهم فى العربية وبعدهم عنهـــا وأحسوا بأن العامية أدنى اليهم وأحنى عليهم ، فأسرعت الخطوة الثالثة تستغل هذا الشعور وتكثفه وتحصره ، ثم راحت تقطره دعوة الى استبدال العاميـــة بالفصحى ، والى احياء اللهجـــات العربيـــة على صعيد الكتاب والمذياع والمكالمات الرسمية بعد أن كـــانت حياتها مقتصرة علـــى الاســـــواق والحوانيت وفى ملاعب الاطفال .

وراحوا يسوغون ذلـــك بحجـــة أخرى من الطرافة والدجل بمكـــان فاللغة العربية الفصحى تتقاصر عن القدرة على التعبير عـــن حقيقـــــة المشاعر ، وهى انما تقف منها عند سطح العموميات فقط ، أما اللهجات العامية فهى وحدها التى تغوص فى أعماق المشاعر ثم تستل صورهـــــا الدقيقة فى تعابير رائعة دقيقة .

اللهجات العامية التى هى حصيلة الاختزالات من أصولها العربيـــة ، وحصيلـــــة ما التصق بالألسن من الكلمات الاعجمية المختلفة والتعابير المشوهة ، هــذه اللهجات هى التى تملك من الاشراق ما تنعكس اليهـــا خلجات المتكلم وأحاسيسه بدقـــــة وصفاء دون أن تملك اللغـــة العربية الفصحى ميزة أو اشراقا من هـــــذا القبيل ... أى عاقـــــل فى الناس ينطلى عليه هـــذا السخف أو يسمعه فلا يرى فيه أعجوبة الأكاذيب التى تأبى الا أن تقوم على قرون تناطح بها الحقيقة القائمة وجها لوجه .

ان الذى يبحث حقا عن اللغة التى تجسد الخلجات والمشاعر ، وتستل أعمق الأحاسيس التى فـــى النفس فتبسطها أمام فكر القارىء أو السامع فى أتم وضوح ، انما يجد غرضـــه فى لغة القرآن .. أجل لغة القرآن التى سمت باللغة العربية الى ذروة الاعجاز البيانى هى التى تملك هذه المقدرة دون أى لغة أخرى سواها .

وان دراسة يسيرة للكلمة القرآنية توضح لك كيف أن التعبير القرآنى يدل على المعنى المقصـــــود بأدق الألفاظ التى تؤدى ذلـــك المعنى ، حتى اذا استنفدت اللغـــة طاقتها ، وتقاصرت عن تكميل الصورة الدقيقة فى ذهن القارىء أو السامع جاءت الصياغة مع الجرس والايقاع لتتمم ما عجزت اللغـــة عن تتميمه ولتصور أدق ما عجزت اللغة عن تصويره .

ان الذى يبحث حقـــــا عن أدق وسائل التعبير انما يعكف عـــــلى دراسة القرآن وتحليل نهجـــه فى التعبير والصياغة ، ولسوف يعـــود بعد ذلك بثروة كبرى الى هـــــذه اللغة فى استعماله لها ، كما عـــاد بمثلها سائر علماء الأدب والبيان فى العصور المختلفة ، ولا يبحث عن ذلك بين ألسنة السوقة وعوام الناس ، التى لم تقم فى طبيعتها وأســــــباب انتشارها الا على أساس من ضرورة التفاهم بين أناس لا شأن لهم بأكثر من التفاهم حـــول المعانى والمشاعر العامة التى يعتمدون عليهـــا فـــى معاملاتهم وأسباب عيشهم ، فمن أين تأتيها أسباب الروعة البيانية ،

ومقومات الرقة والدقة فى الأحاسيس والمشاعر ، وذلك هو المحيط الذى نشأت وترعرعت فيه ؟

ولقد عمد لبنانى معروف فى تبشيره بالعامية ، وحقده على الفصحى وينبوعها ، عمد الى مقاطع من الكلام العامى اللبنانى يعرضه على الناس زاعما أن فيها من الرواء والعذوبة ودقة الدلالة والتعبير مالا يتوفر مثله فى الفصحى ، وأشهد أنى ما وقفت على أسمج ولا أسخف ولا أثقل من تلك المقاطع ، وليس الذى حببها اليه ما فيها من رواء مزعوم ، وانما هو ما خيل اليه من أنها وأشباهها قد تصلح ان تكون سلاحا يقضى به على الفصحى وآدابها ، وأنت قد تجد انسانا ينحنى على كلبه القذر بالضم والتقبيل لمجرد أنه قد أنس منه أن سيأتيه بصيد ثمين .

ومن أجلى عبر الزمن أن الذين أثاروا الحرب على العربية الفصحى وأعلنوا عن غرامهم المدنف بالعامية قديما أو حديثا فى القاهرة أو فى لبنان أو فى أى صقع عربى آخر — انما هم فلول من الأجانب الذين ليسوا من هذه اللغة ومصدرها وآدابها فى شىء ، بدءا من وليم سبيتا الى كارل فولرس الى ويلككس الى عقل ، وأشباهه ، اذا فهى دعوة أجنبية حاقدة ، تتسلل الينا فى حطة وخبث أصبح يعلم هذا أصغر طالب فى صف الكفاءة فى أى بلد من البلاد العربية .

ولكن ما الذى تهدف اليه هذه الدعوة الغربية الاجنبية الحاقدة ؟ أهى حقا لا تبغى سوى استبدال العامية بالفصحى ولا شأن لها بأى أمر من وراء ذلك ؟

ان أى متأمل فى الأمر يعلم أن الغرض الأول والاخير من هذه الدعوة انما هو حشد العقبات الكبرى بين العرب وقرآنهم الذى لا يزالون ينتمون بنسب ما اليه ، وهو نسب يظل يخيفهم على ضعفه وضآلته ، فمن المحتمل أن يقوى هذا النسب بينهم وبينه من جديد لسبب ما على حين غرة ..

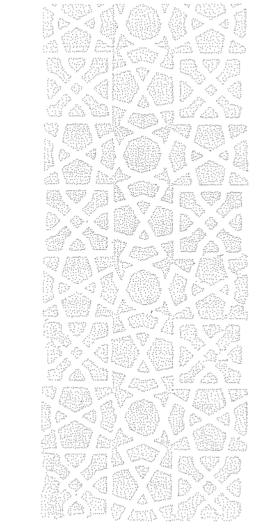
وليس من ضمانة لقطع هذا النسب واقامة الحواجز والعقبات الحصينة الا تقويض ما بين العرب والقرآن من ترجمان اللغة والبيان على غرار ما تم فى كثير من البلدان ولدى كثير من الأسر والافراد . واذا كان هذا هو الغرض فما هو وظيفة أولى الأمر فى البلاد العربية ، وما الذى يترتب على الادارة الثقافية للجامعة العربية ؟

اننا لم نسمع بعد أى جواب على هذا السؤال ، ولكن مناهج التربية فى معظم البلاد العربية تتولى اجابة مؤسفة لا يشرف الآذان أن تسمعها ولا أن تصغى اليها .

وهيهات أن يغنى عن واجب وزارات التربية أى غناء ما يذاع على العالم العربى من المصحف المرتل أو ينشر فيه من نسخه الجميلة الأنيقة على ما فى ذلك من فائدة لا تنكر فى جانب آخر غير الذى نتحدث عنه .

انما الذى يجب عليها فى هذا الصدد هو أن تقيم مناهج اللغة العربية على محور القرآن ، وأن تجعل من دعم مناهج التربية الدينية أهم مقوم لمناهج العربية وأسباب نجاحها .

أما ما ينبغى أن يتوفر من ذلك فى مناهج الجامعات لا سيما فى قسم اللغة العربية من كليات الآداب فللحديث عن ذلك مناسبة أخرى ، ولعل فى هذا الهمس واللمح ما يغنى عن البحث والشرح .



الاسلام أولا

للدكتور ..
محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

نزل الاسلام شريعة عامة خالدة ، تجدد الحياة ، وتصحح العقيدة ، وتعيد الأمن والسلام للانسانية ، وتؤثل للحضارة مجدا باذخا ، وللتطور البشرى منزلة سامقة .

وذاع الاسلام فى كل مكان ، وانتشر فى كل صقع ، واعتنقته الملايين المحرومة المضطهدة المعذبة فى الأرض ، وآمنت به الشعوب من كل قارات الدنيا المعروفة آنذاك ، وانتصر فى مواجهته الكبرى للامبراطوريتين العالميتين الكبيرتين : الامبراطورية الفارسية ، والامبراطورية الرومانية الشرقية ، وكان انتصاره حينئذ كاملا ، وعملا رائعا ، لم يشهد التاريخ البشرى له مثيلا .. وخرج هرقل الامبراطور الرومانى العظيم من الشام باكيا حزينا بعد هزيمة جيوشه الكثيفة فى معركتها الكبيرة مع جيوش المسلمين حول دمشق فى العام الرابع عشر من الهجرة — ٦٣٦م ، وهو يودع أرض سورية ويقول : — سلام عليك يا سورية ، سلاما لا لقاء بعده ، وزالت سيادة بيزنطة على الشام الى الأبد .

وامتد الاسلام فبلغ حدود الصين شرقا ، وشواطىء المحيط الاطلسى غربا ، وجنوب أوروبا شمالا ، وأواسط أفريقيا جنوبا فى زمن يسير .. مما يعد معجزة فى تاريخ الأمم والانتصارات .

وفتح العرب اسبانيا عام ٩٢ هـ : ٧١١ م ، وبسط خلفاء بنى أمية نفوذهم وسلطانهم عليها .. وتوغلوا فيها شمالا حتى غزا فرنسا الحر بن عبد الرحمن عام ٩٩ هـ : ٧١٧ م .. ، واستولى بعد ذلك السمح بن مالك بسنوات ثلاث على مدن كثيرة منها ،

وقام عبد الرحمن الغافقى عام ١١٤هـ ٧٣٢ م بهجوم كبير عليها ، ووصل بجيشه الكبير الى « بواتييه » بالقرب من باريس ، فقابله شارل مارتل بجيش كبير ، وحالفه الحظ فتمكن من هزيمة الغافقى وجيشه فى يوم الجمعة الثانى من أكتوبر ٧٣٢ م — السابع من شعبان عام ١١٤ هـ ، وقتل الغافقى ، وانسحب المسلمون ، وفى هذه الهزيمة يقول أديب ومفكر فرنسى كبير هو مسيو كلود فارير :

« فى سنة ٧٣٢ م حدثت فاجعة كانت من أشأم الاحداث التى نكبت بها الانسانية فى القرون الوسطى ، وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربى طبقة عميقة من التوحش ، لم تبدأ بالتبدد الا على عهد النهضة هذه هى الفاجعة التى أريد أن أمقت ذكراها ، وأعنى بها ذلك الانتصار البغيض الذى ظفر به أولئك المحاربون من الافرينج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين الذين كان يقودهم الغافقى . ففى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون الى الوراء ، ويكفى المرء أن يطوف بفكره فى الأندلس ومدنها وحدائقها وحضارتها الخالدة ليعرف ماذا عسى أن تكون قد بلغته فرنسا منذ ذلك العهد السحيق لو أنقذها الاسلام العمرانى الفلسفى المتسامح السلمى .

وامتد الاسلام الى سواحل ايطاليا حتى وصل الى قرب روما ، وخفقت رايته على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ومصر ، وشمل الشام والجزيرة العربية ، والعراق وفارس ، وخراسان وداغستان وأفغانستان .

وأغار الأمويون فى الشام على القسطنطينية عدة مرات ، وشنوا الغارات السنوية على الأناضول ، وعلى جزر البحر الأبيض المتوسط ، صقلية ، وسردانية ، ومالطة ، وفتحوها ، وفتحوا كذلك قبرص ، وكريت ، ورودس ، ودخلت بلاد ما وراء القوقاز فى حكمهم ، فدانت كلها لهم بالطاعة فى عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ ٧١٥ — ٧١٧ م) ودخلت كذلك بلاد النوبة فى حكم المسلمين ، وأجزاء كثيرة من سواحل افريقية الشرقية .

وفى عام ٨٧ هـ — ٧٠٦ م غزا قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر ، ففتحت بخارى ، وسمرقند ، والصغد وغيرها ، وتعمق فى بلاد الهند حتى وصل الى كاشغر ، وهى أدنى مدن الصين ، وأرسل عام ٩٦ هـ — ٧١٥م رسالة الى امبراطور الصين يدعوه فيها الى الاسلام ، وبذلك امتد الاسلام وانتشر فى أجزاء كثيرة من الصين ، وفتح محمد بن القاسم السند للأمويين عام ٩٣ هـ — ٧١٣ م فأصبحت ولاية اسلامية .

وسار الاسلام مع التجار المسلمين الى سومطره ، وجاوه ، والملايو ، وسيلان والفلبين ، ومدغشقر ، وأنحاء كثيرة من قلب أفريقيا فى مدى يسير .

ولك أن تتصور عظمة الدولة الاسلامية التى كانت لا تغيب عنها الشمس ، حينما كان الرشيد يجلس فى قصر الخلافة ببغداد ، ويتطلع الى غمامة بين السحاب ، فيقول لها : أمطرى أين شئت فسوف يأتينى خراجك .

وانتشرت فى العالم الاسلامى الثقافات الرفيعة ، وقامت فى المدن

الاسلامية الكبرى الجامعات والمدارس والمكتبات ، واستظلت هذه المدن بظلال وارفة من حضارة الاسلام ، وحسبنا ما بلغته من حضارة ومجد : قرطبة ، وطليطلة ، واشبيليه ، وغرناطة ، وفاس ، والقيروان ، وتونس وطرابلس ، والفسطاط ودمشق ، ومكة المكرمة والمدينة ، والبصرة والكوفة وبغداد ، والرى وجرجان ، وغيرها من العواصم الاسلامية الكبرى فى ابان ذلك العهد البعيد .

وبينما كان العلماء المسلمون فى قرطبة يترددون على خزائن كتبها السبع عشرة ، ويعودون الى بيوتهم فيتنعمون بالاستحمام فى حمامات بلغت الغاية فى النظافة والاناقة ، كان الاساتذة فى اكسفورد يستنكرون الاستحمام ، ويحسبونه من ملذات العيش الشهوانية التى يجب الترفع عنها . وحينما كان فلاسفة المسلمين مكبين على تآليف أرسطو فى دار الحكمة فى بغداد ، يقرأونها ويترجمونها أيام الرشيد ، كان شارلمان ورجال بطانته يحاولون جاهدين اتقان كتابة أسمائهم ، وتصوروا أن فى جوف الساعة الدقاقة التى أهداها اليه الرشيد شيطانا يتحرك .

وبينما كانت أوربا لا تعرف الطب ولا الأطباء كان فى بغداد فى عهد المقتدر بالله العباسى عام ٣١٩ هـ : ٩٣١م ، ٨٦٠ طبيبا ، وكان يفرض على الصيادلة والأطباء فيها منذ زمن المأمون والمعتصم اجتياز امتحان خاص ، وقد أجرى لهم سنان بن ثابت ابن قرة امتحانا بأمر الخليفة العباسى .

أى مجد هذا المجد الذى بلغه المسلمون الاولون فى زمن يسير ؟ وأية حضارة تلك الحضارة الوارفة التى عاشوا فى ظلالها بعد ظهور الاسلام بقليل ؟!

ذلك كله وغيره ، مما لا نستطيع أن نذكره فى هذه الصفحات انما ناله المسلمون بالاسلام أولا ، بالاسلام وحده ، بالاسلام العظيم ، فهو الذى اثل لهم الملك ، ومنحهم السيادة ، وفجر لهم كنوز الارض ، ووهبهم السلطان على أمم كثيرة ، كانت لها السيادة فى العالم كله قبل الاسلام ، وفى بدء ظهور الاسلام .

لقد تذكرت حينئذ كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فى مكة بعد نزول الوحى عليه بسنوات معدودات :

« ما جئت بما جئتكم به ، أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم .. فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تردوه على أصبر حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

وذكرت كيف بدأ الاسلام ، وأنا أقرأ حديث عفيف بن قيس الكندى قال : —

« كنت فى الجاهلية عطارا ، فقدمت مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر الى الكعبة ، وقد تحلقت الشمس فى السماء ، أقبل شاب كأن فى وجهه القمر ، حتى رمى ببصره الى السماء ، فنظر الى الشمس

ساعة ، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة ، فصف قدميه يصلي ، فخرج على أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكعا فركعا معه ، ثم أهوى الى الأرض ساجدا فسجدا معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم ، فقال : أمر — والله عظيم — أتدري : من هذا الشاب ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله أتدري : من هذا الفتى ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أخي ، هذا علي بن ابي طالب ، أتدري : من المرأة ؟ قلت لا ، قال : هذه ابنة خويلد ، هذه خديجة زوج محمد هذا . وان محمدا يذكر أن الهه — اله السماء والأرض أمره بهذا الدين ، فهو عليه ، كما ترى ، ويزعم أنه نبي ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجه خديجة هذه المرأة .

نعم صدقه علي ، ثم صدقته خديجة .

ثم صدقه العرب ، ثم صدقته المشارق والمغارب ، واهتزت الدنيا كلها ايمانا به وتصديقا له ، ولرسالة الاسلام التي نزلت عليه .

ولقد بكيت وأنا أتابع امتداد الفكر الاسلامي في عهد عمر بن الخطاب ، وما شرعه للناس من شرائع الاسلام العظيمة في العدل والحرية والمساواة وفي مراقبة الخليفة عمر لله في شعبه وأمته ، وهو يقول في آخر سنة من خلافته :

« ان عشت لأسيرن حولا ، فأقيم في الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة وغيرها ، فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني ، أما هم فلا يصلون الي ، وأما عمالهم فلا يرفعونها الي » .

رعاك الله يا عمر ، لقد كانت رعيتك عندك آثر عليك من أهلك وولدك ، وأحب اليك من مالك ونفسك ، وكنت بها برا رحيما ، تقيم العدالة بين الناس ، الضعيف عندك قوي اذا كان الحق معه ، والقوي عندك ضعيف اذا خذله الحق ، فارتكب جورا على أحد من الضعفاء المساكين من عامة الشعب .

— ٢ —

امتد الاسلام وامتد .

ومع ما تألب عليه من قوى الوثنية والعدوان فقد ظل يمتد ويمتد ، لأنه شريعة الله ودينه ورسالته الى نبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وقف في وجه الاسلام الامبراطورية الرومانية الشرقية بجيوشها وأساطيلها وقوتها وحضارتها ومن حولها اوروبا كلها ، فلم تستطع أن تطفىء نوره .

وجندت اوربا لحربه حملاتها الصليبية المشهورة ، فما استطاعت أن توقف بها سيره وامتداده .

ودمر التتار حضارة الاسلام وعواصمه وجامعاته ومدارسه ومع ذلك ذهب التتار وبقي الاسلام .

وصب الاستعمار الاوربي جام غضبه على الاسلام والمسلمين في العصر الحديث ، ومع ذلك انحسر مد الاستعمار وبقي الاسلام يدوي صوته في كل مكان .

ومع ما دمر الاستعمار وعصره من

تراث الاسلام وحضارته وكنوزه ، وما بدد من ثقافاته وخيرات بلاده وما نهب من ثروات المسلمين ، وما نشر بينهم من كل الوان الكفر والفساد والالحاد والعداء للاسلام والحرب لمبادئه ، ونقل الكثير من الأمم الاسلامية من حياتهم الاسلامية الوارفة الى الحياة الغربية بكل مظاهرها والوان العيش والحضارة والفكر فيها .. مع ذلك كله فقد بقى الاسلام .

ويجند الاوروبيون انفسهم لحرب الاسلام فى كل مكان عن طريق النفوذ والسيادة والتجارة والثقافة والحضارة الاوروبية ، ويتعاونون مع دعاة المادية وحماتها لخلع مبادىء الاسلام من النفوس ، ولغزوهم غزوا فكريا الحاديا سافرا، بل يتعاونون مع الشيطان ومع غير الشيطان من اجل القضاء على الاسلام فى بلاده ، ومع ذلك يفشلون وينتصر الاسلام .

— ٣ —

ان حاضر العالم الاسلامى اليوم ليتمثل فى حرب العالم الغربى للاسلام حربا سافرة فى بلاده وفى خارج بلاده : البعثات التبشيرية فى كل مكان ، المساعدات تنهال على كل من يقف فى وجه الاسلام ، المذاهب اللادينية فى غزوها المستمر للشرق العربى وللعالم وللعالم الاسلامى ، دعاة العنصرية يحاربون الاسلام ويطردون المسلمين من بلادهم أو يقتلونهم ويشردونهم باسم القومية — اسرائيل تقام فى قلب العالم الاسلامى وتشن ثلاث حروب ضروس على قوة صاعدة فيه ، وتعمل من قريب ومن بعيد على الدس لكل حركة اسلامية يمكن أن تقف فى وجهها فى يوم من الايام .

ومع ذلك كله فلسوف يبقى الاسلام ولسوف ينتصر الاسلام .

ان علاج جميع مشكلات العالم الاسلامى والعربى المعاصرة ، لا يمكن حلها الا بالاسلام أولا وأخيرا ، وبازدياد الوعى الاسلامى فى جميع ربوعه وأرجائه ، وبالاقبال على التراث الاسلامى فى كل جوانب الفكر والثقافة والمعرفة والعلم اقبال المتفهم المستزيد المستضىء بما فيه من طاقات خلاقة ، وحياة متجددة وروح حضارية أصيلة .

ولقد كان طاغور شاعر الهند الكبير يرى أنه لحل الأزمة الهندية يجب أن يدرس الهندوس الكتب العربية لفهم الروح الاسلامية بطموحها وتساميها فهما حسنا .. فلماذا لا ينادى المسلمون بما نادى به طاغور البوذى من نصف قرن ؟!

مشكلات العالمين الاسلامى والعربى لا يمكن أن تحل الا عن طريق الالتقاء الاسلامى بالاسلام وأفكاره ومثله وقيمه ومبادئه وحضارته .

بل ان مشكلات العالم كله لا يمكن أن تحل فى يوم من الايام الا بالاسلام الذى سوف تهرع البشرية الى الايمان به والدخول فيه فى يوم من الأيام ، قصر أمد الوصول اليه أم طال .

وما ذلك على الله بعزيز ، ولسوف تردد الدنيا والحياة والبشرية قاطبة ما نردده اليوم فى وجه الأحداث الزاحفة علينا من الشرق والغرب : الاسلام أولا ..



للأستاذ : يوسف حسن نوفل

هناك في بلدى يعيش شعبى حياة نضاله ضد قوى البغي الممثلة فى الصهيونية وهذه قصة ليلة من ليالى كفاحنا الطويل على ارضنا العربية بفلسطين ..

بلدتي نامت على النار وموجُ البحرِ أغفى

ريثما ينداحُ ليلٌ ريثما نلمحُ كفّــــا

وصباحــاً عبقريَّ الرُّوح كالزهرةِ عفّــــا

□ ■ □

وصغيري مثل فجر ناعسِ الوَمضةِ نائمْ

مقلتي عشٌ حواهُ تغزلُ الصمت تمائِـــمْ

ربما يحفظه الله ولا يجثو لظـــــالِمْ

□ ■ □

ويهزُ الباب عات طائشُ القبضةِ حاقِـــدْ

قد أتى للبيت يِتَنينا له مليون سُاعِـــدْ

جاء كَي يسرقَ زوجي ظَنّه بالباب ساجِدْ

□ ■ □

جئت كي تهدم داري .زوجى المطلوب غائِبْ

اطلبوه من ضميرِ الغيب من موجٍ وقاربْ

من شراعٍ تائه اللفتةِ يشتاقُ لصـــاحِبْ

□ ■ □

ربما تلقونه استنديَ بفم الشط ربْـــوَه

ربما تلقونه فوق جناح الموجِ جثتــــه

لن تطيقَ العيش حتى في سبات الموتِ سُخْرَه

□ ■ □

غير أن الغاصب الأحمقَ قد ساقَ رياحَـه

يتحدّى قلبيَ المهدودَ يجتاحُ جراحَــه

ويشقُّ الثوبَ عن طفلي ويستلُ صياحَه

□ ■ □

مثلما زقزق طـيرٌ مثلما غردَ بلبُــل

مثلما رفرف حلمٌ راقصُ الأطياف مخْضَل

راح طفلي يملأُ البيتَ صِياحاً وهُو يسْعَا

□ ■ □

وبعينين كعصفورين مقرورين يرنُــو

ليرَ الضابطَ مثل الليل يدنو ثم يدنُــو

ظنه يمنحُه الدفء يناغيه ويحنُــو

□ ■ □

غير أن الظّن قد ذاب على صـدرِ الحقيقـة

فإذا الكفُّ التي يحسبُها كفاً صديقَــه

غدرتْهُ وغدَتْ تمتصُ من غلٍ عروقَــه

□ ■ □

وأنا بين ضلوع الدربِ قد ذَابتْ خطـايَا

ضاع مَن جَمّلَ بالزهرِ وبالحبِ صبــايَا

وأبوه خَلفَ سرٍ مبهمٍ أورَى أسَــايَا

□ ■ □

غير أنّي أزرعُ الدربَ شرودًا غَشيــانَا

قاتلي جوعانُ لم يشبَعْ ولم يهدَأ جِنَــانَا
مُذْ رأى زوجي هذا الشهمَ لم يرضَ امْتهَانَا

□ ■ □

قاتلي قد ظنّ زوجي مُجبَرًا يتبعُ أمرَه
مثلما ساقُوا كثيرا من بني الإنسانِ غيرَه
سخّروه مثلما قد سَخّرَ الفلاحُ ثورَه

□ ■ □

غير زوجي لم يشأ أن يصبحَ الشاةَ الحَلُوبَا
لم يشأ أن يجدلَ الليّلَ ضياعًا وشحُوبَا
ويرى نجمَ الليالى مظلمَ العينِ كئيبَا

□ ■ □

مذ رأى قافلــةً تلهثُ من ذلٍ ورقٍ
كُلُّها محنيــةُ الرّأسِ على غصةِ حلقٍ
وخيوطاً راعشــاتٍ لمَّها الأفقُ برفقٍ

□ ● □

ودعاه من وراءِ الصمتِ صوتٌ كالصباحِ
أنجُ يا سعدُ فركبُ البَغْيِ قتّالُ الجِراحِ
وُحداه أخرسُ الدمعِ وصخّابُ النواحِ

□ ● □

ومضى من يومها لم أحتضِنْ غير أنيني
حيثُ أحيا في ضياعِ الليلِ في وهمِ ظُنوني
وَصَداهُ الحلْوُ يحيا بينَ طيّاتِ حنيني

□ ● □

وأمانيَّ لدى السفحِ غدَتْ أشــلاءَ حُلمِ
وتعرّى ليلَى التائهَ في ظلمــاتِ وهْمِ

حَشْرجاتٌ بينَ آلام تباريحِي وهَمِّي

□ ● □

كَمْ وكَم أرسَى على شاطِىءِ صبحي أغنياتِ
مثل رشّاتِ نسيمٍ مثل همسِ السُّنْبُلاتِ
مثل شَدْوِ الجدْوِلِ الرَّقْراقِ تهفو راجفاتِ

□ ● □

كَم مشَى فوق جبينِ الشطِّ يوماً بخطَاهْ
وهو يغدُو بشباكٍ نسجَتْهـــا ساعدَاهْ
ويــداه نبعُ حبٍ ، كَرْمَتِي ، ظِلّي يــدَاهْ

□ ● □

راحتَاه مِثْلمَا يضفرُ نورٌ طَوْقَ فُـــلِّ
عِنْدَما يعتكرُ اللّيـلُ أراهَا دفءَ ليـلِي
بعدَهُ صـــرتُ أناجي شمعةً ترسمُ ظِلّي

□ ● □

بعدَهُ عذّبنِي اللّيلُ وأضنَانِي النّهـــارُ
بَعدَهُ ضاعَ صفيرِي ضاع ذاك الاخضِرَارُ
عمرِيَ الضائعَ غطّاهُ من الدنيا غبـــارُ

□ ● □

وهنا أرخى الدُّجى السَّاجِي على (يافَا) جَنَاحَهْ
وَغدَا يبتلعُ الصمتَ ويكْسُوهُ وشَـــاحَهْ
حينذيّاك وسوطُ الظُلم يغشَى كلَّ ساحَهْ

□ ● □

بلدَتِي نامتْ على النَّارِ وموجُ البحرِ أغفَى
ريثَما ينداحُ ليلٌ ريثما نلمحُ كفّـــا
وصباحاً عبقريَّ الروحِ كالزّهرةِ عِفّــا

قُطْبة بن قتادة السدوسي

فــاتح البصرة (الخُرَيْبة)

اللواء الركن: محمود شيت خطاب

نسبه واسلامه :

هو قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي أبو الحويصلة (٣) من بني ثعلبة ابن سدوس بن ذهل بن شيبان (٤) فهو شيباني .

كان صحابيا ، فقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه . قال : « قلت يا رسول الله ابسط يدك أبايعك على نفسي وعلى ابنتي الحويصلة » (٥) .

وقتادة قريب القرابة من المثنى بن حارثة الشيباني ، وقد وفد المثنى على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع الهجرية مع وفد قومه بني شيبان (٦) ، ومن المحتمل جدا أن يكون قطبة قد أسلم مع بني شيبان ، فقد كانت وفود القبائل العربية تأتي النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعة ، فلا يذكر المؤرخون غير قسم من رؤساء القبائل ويغفلون ذكر الآخرين .

وجوز ابن الأثير أن يكون قطبة بن قتادة السدوسي هو قطبة بن قتادة العذري لان ثعلبة بن عكابة بن صعب بن وائل كان له ولد هو ضنة ، وقد دخل بنوه في بني عذرة فهم من بني شيبان أيضا . ولكن هذا التجويز فيه بعد (٧) لأن العذري شهد غزوة (مؤتة) (٨) ، التي كانت سنة ثمان الهجرية (٩) ، ولم يكن السدوسي قد أسلم بعد ، لذلك فهما اثنان .

والظاهر أن قطبة بعد اسلامه عاد مع بني قومه الى ديارهم ، لذلك نال قطبة شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهــاده :

ارتدت أكثر القبائل العربية — ومنهم ربيعة — التي كانت في منطقة

(البحرين)، فثبت قطبة مع من ثبت من قومه على الاسلام ، فكتب العلاء بن الحضرمى الى من اقـــام على اسلامه من بكر بن وائل ، أن يعينوه على قتال المرتدين حتى يعودوا الى الاسلام . فكان المثنى بن حارثة الشيبانى عـــلى رأس الذين أعانوا العلاء بن الحضرمى من بنى شيبان فى مهمته الشاقة ، اذ ضيق الخناق على المرتدين وأخذ الطريق عليهم (١٠) .

ولا نعرف هل كان قطبة مع المثنى أم مع غيره من بنى شيبان ، فقد كان اسلوب قتال القبائل العربية فى أيام الردة وأيام الفتح الاسلامى ، هو أنهـــا كانت تقاتل تحت راية رئيسها ، ولكن قد تتعدد جبهات القتال ، فتقاتل القبيلـــة تحت رايات رؤسائها ، وقد كان قطبة من رؤساء بنى شيبان ، لأن قسما منهم قاتل تحت رايته فى الأيام الاولى من أيام الفتح الاسلامى .

ولقدكان لقطبة جهاد فى حرب الردة فى منطقـــة (عمان) والخليج العربى فلما عادت للعربالوحدة تحت لواء الاسلام، كان له جهاد مع المثنى بن حارثة الشيبانى فى منطقة (الخريبة) وهى منطقة البصرة الحالية .

وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد بعد انتهاء واجبه فـــى حروب الردة الى العراق ، وكان قطبة مع رجاله فى منطقة (الأبلة) (١١) ، فحل خالد فى خيلـــه على قطبة ورجاله ، فقالوا : انا مسلمون ، فتركهم خالد ، وغـــزا قطبة على رأس رجاله مع خالـــد (الأبلة) . قال قطبة : حمل علينا خالـــد بخيله ، فقلنا : انا مسلمون ، فتركنا . وغزونا معه (الأبلة) فقسمناهـــا بأيدينـــا .

فقد كان قطبة يغير فى ناحية (الخريبة) من البصرة على العجم ، فلما قـــدم خالد بن الوليد سنة اثنتى عشرة الهجرية أعانه قطبة على غزو أهـــل (الأبلـــة) (١٢) . وحين وصل خالد الى منطقة البصرة كان بها قطبة من بكر بن وائل ومعه جماعة من قومه ، وهو يريد ان يفتح تلـــك المنطقـــة ، فقال قطبة لخالد : « ان أهل (الأبلـــة) قد جمعوا لى ، ولا أحسبهم أمتنعـــوا منى الا لمكانك » . فقال خالـــد : « فالرأى أن أخرج من البصرة نهارا ، ثم أعود ليـــلا فأدخل عسكرك بأصحابى ، فان صبحوك حاربناهم » . وفعل خالد ذلـــك ، وتوجه نحو الحيرة ، فلما جن عليه الليل انكفأ (١٣) راجعا حتى صـــار الـــى عسكر (١٤) قطبة . وأصبح أهل (الأبلـــة) وقد بلغهم انصراف خالد عن منطقة البصرة ، فأقبلوا نحو قطبة ، فلما رأوا كثرة من فى عسكره سقط فى أيديهـــم وانكسروا . فقال خالد : « احملوا عليهم ، فانى أرى هيئة قـــوم قد ألقى الله فى قلوبهم الرعب » ، فحمل المسلمون عليهم فهزموهم وكبدوهم خسائرفادحـــة بالأموال والارواح ، اذ قتل قسم منهم وغرق فى النهر قسم آخر ، ثم مر خالـــد بالخريبة ففتحها وسبى من فيها ، وكانت (الخريبة) مسلحة للأعـــاجم .

لقد كان قطبة أول من فتح (الأبـــلة) و (الخريبة) ، وقيل : ان أول من فتح (الأبلة) هو عتبة بن غزوان . ولا تناقض بين القولين ، فقد كـــان قطبة أول من فتحها سنة اثنتى عشرة الهجرية فتح غارة أو فتحا مؤقتا ، أما عتبة فقـــد فتحها سنة أربع عشرة الهجرية فتحا مستداما .

وعندما سار خالد بن الوليد الى فتح (السواد) خلف قطبة عـــلى منطقة البصرة .

وبقى قطبة مع رجاله فى جنوب العراق ، حتى بعث عمـــر بن الخطاب عتبة بن غزوان سنة أربع عشرة الهجرية الى منطقـــة البصرة ، وكـــان بها قطبة يغير على تلك الناحية ، فكتب قطبة الى عمر يعلمه مكانه ، وأنه لو كان

معه عدد يسير ظفر بمن كان قبلـــه من العجم ، فنفاهم عن مكانهم ، فكتب عمر الى قطبة يأمره بالمقام والحذر ، ووجه اليه شريح بن عامر أحـــد بنى سعد بن بكر ، فأقبل الى منطقة البصرة وترك بها قطبة ، ومضى الى (الأهـــواز) فقتل شريح هناك .

ولما وصل عتبة بن غزوان الى منطقة البصرة ، أقام فيها نحو شهر ، ثم خرج اليه أهل (الأبلـــة) فقاتلهم ، وجعل قطبة وقسامة بن زهير المازنى فى عشرة فوارس ، وقال لهما : « كونوا فى ظهرنا ، فتردان المهزوم ، وتمنعان من أرادنا من ورائنا » ولكن المعركة بين المسلمين والفرس لم تطل كثيرا حتى انهزم الفرس ، فدخل المسلمون (الأبلة) فاتحين ، وأصابوا فيها متاعـــا وسلاحـــا ومالا كثيرا .

الانسان :

لا نعرف شيئا مذكورا عن قطبة : متى ولد ، وكيف عاش ، وأى نوع من الرجال كان ، وما هى اعماله فى المجالات غير العسكرية ، ومتى توفى ؟

روى عنه مقاتل السدوسى ، وقد كان صحابيا بدون شك ، لأنهم كانوا لا يؤمرون فى الفتوح الا الصحابة (١٥) .

وبلغ من اهمال المؤرخين وأصحاب السير لقطبة ، أنهم اختلفوا فى اسمه ، فقال قسم منهم : سويد بن قطبة الذهلى ، وليس ذلك بشىء ، لأن النصوص المتيسرة بين أيدينا لا تعرف هذا الاسم ، بل تذكر قطبة بن قتادة ، وتذكر معه جهاده فى جنوب العراق ، فلا مجال للتشكيك فى اسم قطبة بن قتادة .

القائـــد :

كان قطبة قائدا يطبق مبدأ (المباغتة) فى حروبه ، وكان يبنى خطته لمباغتة أعدائه استنادا على استطلاع دقيق ، يكشف فيه نياتهم ومقدار قوتهم ، فقـــد عرف مبكرا بأن أهل (الأبلة) قد حشدوا جموعهم لقتاله ، ولكنهم أحجمـــوا عن مبادرته بالقتال لتزايد جموع المسلمين بعد قدوم خالد بن الوليد ، فكانت مجمل خطـــة المسلمين هى : انسحاب خالد ورجاله نهارا من منطقة (الأبلة) ، وعودة خالد تحت جنح الظـــلام ، ليورط أهل (الأبلة) بالالتحـــام بقوات قطبـــة ، على أمل القضاء عليها ، ظنا منهم بأن قطبة أصبح ضعيفا بعد انسحاب خالد الذى سيكون بعيدا عن الميدان فى أثناء نشوب القتال .

وهـــكذا خدع أهل (الأبلـــة) بانسحاب خالد وقواته نهارا ، ولم يقدروا أن خالدا سيعود بقواته ليلا ، ليكون مع قطبة فى قتال حماة (الأبلة) .

وحين اطمأن أهل (الأبلة) الى انسحاب خالد ، أجمعوا أمرهم على قتال قوات قطبة وحدها .

ولكنهم فوجئوا بعد أن انشبوا القتال ، بأن قطبة لم يكن وحده فى الميدان ، بل كـــان خـــالد معه ، فغلبـــوا على أمرهم ، وفتحت (الأبلـــة) أبوابهـــا للمسلمين .

وهذا يدل على أن قطبة كان متشبعا بروح مبدأ (المباغتة) ، أهم مبادىء الحرب على الاطـــلاق .

كما أن تجمع قوات قطبة وقوات خالد فى المكـــان والزمان الجازمين لمجابهـــة أهل (الأبلة) ، يدل على تطبيق قطبة لمبـــدأ (التحشد) ، وهو من مبادىء الحرب المهمة أيضا .

لقد كان قطبة قائدا عقيديا ، يتسم بالشجاعة والأقدام ، له عقلية عسكرية ، تتميز بالاستطلاع والحصول على المعلومات الدقيقة عن العدو ، يبنى خططه العسكرية استنادا على تلك المعلومات ، لذلك كان قائدا ناجحا كل النجاح .

قطبة فى التاريخ :

يذكر التاريخ لقطبة انه أول من فتح (الأبلة) .
ويذكر له أنه فاتح (الخريبة) التى هى جزء من الموضع التى ارتفعت عليه البصرة فيما بعد .
ويذكر له أنه من أوائل قادة الفتح الاسلامى .
ويذكر له انه نهض بواجبه فى حرب أهل الردة .
رضى الله عن الصحابى الجليل ، القائد الفاتح ، قطبة بن قتادة السدوسى .

---

(١) نسبة الى سدوس (بفتح السين) وكذلك فى جميع العرب حاشا فى طيء وحدهـا ، فانهم سدوس (بضم السين) . وهو سدوس بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن وائل . انظر التفاصيل فى جمهرة أنساب العرب (٣١٧) وانظر طبقات خليفة بن خياط (١/١٤٧).

(٢) الخريبة : تصغير خربة ، موضع بالبصرة ، وسميت بذلك لأن المورزبان كان قد ابتنى بها قصرا وخرب بعده ، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها : الخريبة . أنظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٤٢٦ ، ٤٢٧).

(٣) الاصابة (٤/٢٤٢)

(٤) أسد الغابة (٤/٣٠٦) ..

(٥) الاصابة ٥/٢٤٢ .

(٦) أسد الغابة (٤/٢٩٩) والاصابة (٦/٤١) والاستيعاب (٤/١٤٥) وانظر طبقات خليفة بن خياط (١/١٤٧) .

(٧) جمهرة أنساب العرب (٣١٥)

(٨) ابن الاثير (٢/٣١٤) .

(٩) طبقات ابن سعد (٢/١٢٨) والعبر (١/٩) وانظر الرسول القائد (٢٩٦) .

(١٠) الطبرى (٢/٥٢٦) وانظر التفاصيل فى قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧) .

(١١) الأبلة : مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين ، أنظر الطبرى (٣/٩٣) . وتقع جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبى الخصيب الحالية بحوالى ميلين . أنظر ما جاء عن الابلة فى معجم البلدان (١/٨٩) .

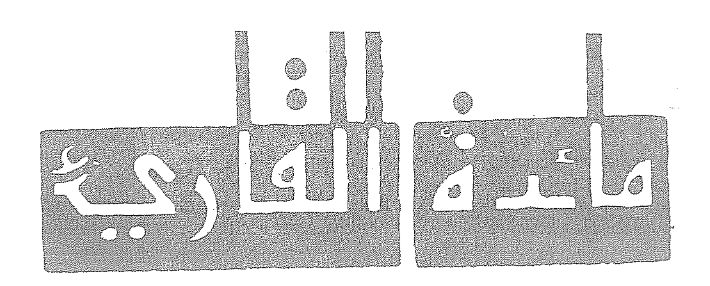
(١٢) البلاذرى (٤٧٥) .

(١٣) انكفأ على الشيء : مال . وانكفأ عنه : انصرف . وانكفأ اليه : رجع يقال : انكفأ الى وطنه .

(١٤) المسكر : الجيش ، ومجتمعه . وعسكر هنا : معسكر .

(١٥) الاصابة (٢/١٩٤) ، وقد شكك قسم من المستشرقين فيه ، فقالوا : يحتمل أنه لم يكن مسلما ، وقد ارتد عن الاسلام وتابعهم فى ذلك قسم من المستغربين ، ولا صحة لهذا الادعاء . ذلك لان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لم يسمح لمرتد بالاشتراك مع الفاتحين جنديا أو قائدا . ولان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان لا يؤمر غير الصحابة ولا يولى القيادة من ارتد عن الاسلام كما هو معروف .

فاذا شكك المستشرقون بقطبة جهلا أو دسا ، فما عذر المستغربين ، وكيف يسمحون لانفسهم تدريس ادعاءات المستغربين فى الجامعات العربية الاسلامية ؟؟ !



« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

صدق الله العظيم .

اضحية النبى

روى ابو داود عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوأين ، فلما وجههما قال : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين . ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ، ثم ذبح .

عبادة العلانية

ان معظم العبادات فى الاسلام تتم فى السر ، تتم بين المرء ونفسه ، التسبيح والصدقة والصوم يكره الاعلان عنها .

غير أن هناك عبادة ينبغى الاعلان عنها بتبديل الثياب ورفع الصوت بالتلبية ، وهى الحج والعمرة .

الناس والحق

الناس والحق اصناف ثلاثة :

قليلون جدا ينصرون الحق ، ويتشجعون فى الجهر به والدفاع عنه .

وقليلون مجرمون يقفون فى وجه الحق لصالح شخصية .

وأكثر الناس يحبون الحق ، ويحبون نصرته ، ولكن ينتظرون من يجهر به ليكونوا أتباعه .

اعتراف عالم

أعترف بأنى جبان بقدر شجاعتى فى قول الحق ... أخاف التعذيب وأخاف السجن، وأخاف الشنق ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى أفضل العلم على السياسة ، فالعلم طريق غير محفوف بالأشواك ، والسياسة طريق وعر محفوف بالأشواك ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى تخلفت عن زملائى السياسيين حيث تقدموا الى كانوارؤساء زملاء .

خــــواطر

في الايام القديمة الطيبة كان أجدادنا يقاسون أهوالا في طريقهم الى الاراضي المقدسة .

انهم كانوا يركبون الدواب الى شاطىء البحر ، ثم يركبون البحــر الى شاطىء الصحراء ثم يركبون الجمال ، وينامون أياما في الطريق ، ويتعرضون للحر والبرد والعطش والجوع والخوف .

وفي القرن العشرين قصرت الطيارات والبواخــر والسيــارات المسافات ، ولكن اجراءات السفر والجوازات وتأشيرات الدخول والخروج والمصارف والعملة الصعبة كل ذلك أطالت هذا القصر ، ولكن بأســلوب آخــر .

الطمــع

يحكى أن غنيا وعد أن يعطي فلاحــا أرضا بمقدار ما يجري ، على أن يرجع قبل غروب الشمس ، فجــرى وكلما جرى ازداد طمعــا في الارض التي بعدهــا ، حتى اذا قاربت الشمس الغروب بدأ يعــود ، واستحثــه قرب الغروب على سرعة العدو ، فمن كثرة عدوه انبت ، وفقد القدرة على الحركة فوقف مكانه ، وغربت الشمس ولم يعد للغني فــي موعده فلم يعطه شيئا من الارض فلا مال اقتنى ، ولا هــو أبقى عــلى نفسه .

في البدايــة

في البداية القديمة لم تكن هناك كعبة ، ولا مسجد ، ولا شجرة ، ولا ثمرة ولا قطــرة ماء ـ المكان واد غير ذي زرع . صحراء قاحلة تماما . فيما رواه البخــاري عــن ابن عباس : [جاء بها (هاجر أم اسماعيل) ابراهيم ، وبابنها اسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعهما عنــد البيت وليس بمكــة يومئذ أحد ، وليس بها ماء وضعهمــا هناك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفــل ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيــل ، فقالت : يا ابراهيم أين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادي الــذي ليس فيه أنس ولا شيء ، قالت ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله أمرك بهــذا ؟ قال : نعم . قالت : اذن لا يضيعنــا .ـ

ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا ربه : « ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحــرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

كل ماتراه اليوم من شعائر وطواف وسعي ومتعة روحية .. كل ما تجده من فواكه الارض وثمارها تجيء الى مكة المكرمــة في أوانها ، وتجيء في غير أوانها ولد من شفاه أبي الأنبياء . كان دعوة واستجيبت .

حياة الحجيج في الخيام



للدكتور محمد كامل الفقي

ليس في وسع هذا القلم ، ولا من هدفه ، أن يستقرىء حياة الحجيج من شتى وجوهها ، أو أن يصف كل ما في جوانبها ، فهي أشبه ما يكون بالمحيط البعيد المدى ، تمخر الجواري ولكن في بعض مسالكه ، ويصف الوصافون لكن لا يصفون الا طرفا من مقوماته .

حياة الخيام في الحج ، حياة تنم كل خاطرة فيها عن غاية ، وترمز كل لحظة فيها لمبدأ ، وما كان الله ليعذب عباده قط بشعيرة الحج ، يغدون الى عرفات ومزدلفة ومنى وجبال وقفار دون أن يكون ذلك أكثر ربحا من أية تجارة مهما درت أخلاف الرزق ، وصدق الله العظيم اذ يقول (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم) .

ولعل التعبير عن ادراك هذه المنافع بعد ايرادها بصيغة الجمع بمشاهدتها أي برؤيتها رأى العين تجسيم لهذه المنافع وأنها تحس احساسا لا ينكر .

ما سمعنا أن ملكا من جبابرة الأرض أراد أن يحج بيت الله فأقيم له في عرفات أو في مزدلفة أو في منى قصر شاهق ذو أبهاء وشرفات وحدائق وجنات وهيئت له اذ ذاك ألوان من الراحة والنعيم فهو يخلع تاجه وثيابه الذهبية بمجرد أن يحرم ويدخل في عداد الحجاج ، ويصبح على صورة لا تنم عن أدنى فرق ولا مميز بينه وبين من عاشوا في جوع وعري وحرمان وشظف عيش طول حياتهم ، وعسى القارىء أن يطير بخياله الى تراب مزدلفة الوثير ليشهد

ما يتقلب عليه من ناس هم ملـــك وسوقة ومترف ومحروم ، بل لعــل هذا الذى عاش حياته أخا فقر وصبر وجوع ، وعرى ، وحرمان ، أكثــر سعادة بالحج منه ، فهو فى حيـــاة ألفها ، وهو قد خلا من الضيق والتبرم وعلى أى شىء يأسف ، وهذا العيش الجاف الذى يعيشه فى الحج امتداد لخط حياته .

ثم انه كما ينطق الواقع أرجـــى للمغفرة من كثير من ذوى الجــاه ، وأعظم أملا من الموسرين ذوى النعمة فما حظ الاولين من الجنات الا بقــدر شكرهم ، وقليل من عبادى الشكور .

ليس مظهر المساواة فى الحج هو ما نهدف اليه فى هذه الكلمـــــات ، فمظهر المساواة فى الحج ومظهــر المساواة فى سائر الاركان التى بنى عليها الاسلام واضح مشرق يمـــــد القول بروافد غزار .

هذه الخيام المضروبة على التراب المشدودة على الحجر والصخر ، التى تحميها الشمس وتسفى عليها الرياح يحيا على أرضها الضيقة التى تعلو وتهبط أسر وفدت من القصور ومــن الأكواخ تضم كل واحدة منهن ما تضم من رجل وامرأة وشيخ وشـــيخة ، وصبى وطفل ، وما تنال شيئا مـــن متاع الحياة الا بجهد وكفاح ، حتى الماء ما يصل اليها ولا تصل اليه الا بسعى وجهاد ومثابرة ، ثم ان كل صغير وغر فى هذه الأسرة يتناوله بقدر ، ولا يلقى بالمستعمل منـــــه فوضى ، وكما يكون ، فله جيران ملاصقون ، فهو لا يؤذيهم كما لا يحب أن يؤذوه .

ان الأسرة الحاجة مهما ضخمت عدتها وقلت عدتها تحصل بالحكمة والعقل والتدبير راحتها فى هــذا الصندوق الصغير الذى لا يقبل سعة فهو بما فيه من تلاحم وتداخل اشارة الى حياة المرء كلها ما نقص منها شىء فالحاج يأكــل ويشرب ، ويــلبس ويتوضأ ، ويصلى ويفرش ، ويلتحف ويهىء النور بسراج وهاج أو غير وهاج وما تكون جزئية واحدة من هذه الحياة عفوا ولا مصادفة ، فهو قــد رسمها وأعدها وقدرها وفكر فيهـــا وذلك هو سر الحياة أن يقدر الانسان المسلم حياته من شتى وجوهها ، وأن يواجه حياة الصحراء بما يواجه بهـــا حياة الروض ، بل لعله أكثر سعادة حين يحفر لخيامه بيده ، وحين يوقد سراجه ، ويذكى ناره ، ويحمل طعامه ويجلب ماءه وحين يتوقل فى جبـــال الارض المقدسة ووهادها . متوقيا الشمس لكنه غير خائف منها متجنبا الضلال لكنه لا يكف عن المسير .

انه فى رحلة ، ولو عقل النـــاس لأدركوا أنهم فى كل لحظة من حياتهم فى رحلة ، رحلة عمل ورحلة راحة ، رحلة يقظة ورحلة نوم ، رحلة عافية ورحلة سقم ، رحلة غنى بعد رحلـــة فقر ، ورحلة ضيق بعد رحلة نعمة ، وكل هذه النقل تقوم على مقومـــات تختلف عن صاحبتها أشد الاختلاف ، وظواهر هذا الاختلاف بادية علـــى المرء أحس بها أو لم يحس ، شكى منها أو صبر عليها ، والا فما هـــذا السرور الذى يغمر الوجوه وبـــــه تشرق ، وما هذا الضيق الذى يزوى ما بيـــــن الحاجبين ، وبه تظلـــــم القسمات ؟

والحياة فى الخيام رمز الى رحلة أخرى يستوى الناس فى الافاضـــة اليها ، والنفور منها وان كانـــــوا يختلفون فيما يجدونه من جزاء .

وما يتقدم حاج من الهند أو المهجر أو روسيا أو جنوب أفريقيا أو أقصى الارض الى الحجاز الا وقد دبر كل أمره ، وفكر فى كل ما يتصور فـــى حياة حجة ، بل أكاد أزعم أن الحاج ولو كان من مكة يعد ويهىء ويستعد ويقدر .

والعمل للغد والحذر من المستقبل من أرقى الغايات فى الاســــــلام ، والتذكير الذى يزخر به القرآن يهدف الى هذه الغاية أن نعمل ، فسيرى

الله عملنا ورسوله ، وأن نتزود بخير الزاد التقوى .

تختلف أساليب التذكير بالآخرة لكنها تلح علينا الحاحا ، أن نتذكر دائما أن الدار الآخرة هى الحيوان ، وأن الحياة الدنيا ليست فى الآخرة الا متاعا ، وأنها متاع الغرور .

مبدأ النظام الذى تؤسس عليه كل دعائم الحياة الاسلامية ؛ ويحرص الدين القيم أشد الحرص عليه ، يشد اليه الحاج فى حياته شدا ، ويلتزمه التزاما لا يكاد يحيد عنه فى سمت عسكرى دقيق لا يفرضه عليه أحد انما تفرضه عليه فطرته الاسلامية حين يعود الى حياة البساطة ، ويقيم المشاعر متجردة من كذب الدنيا وغلوائها ، ولو أن الناس أخذوا أنفسهم بما فرضه الاسلام من نظام فى معاملاتهم مع غيرهم وفى معاملاتهم أنفسهم لكان آخر هذه الأمة كأولها سعادة وراحة واستقرارا .

كلمة النظام مرادفة لحياة الحج وكأن النظام فى هذه الرحلة حبات عقد يضيع العقد بقدر ما ينتثر من حباته .

هذه المناسك تؤدى فى وقتها وعلى ترتيبها ، فالاحرام قبل الطواف ، والوقوف بعرفة قبل المبيت بمزدلفة ، وطواف الافاضة بعد العودة من عرفة والحلق أو التقصير أو الذبح بعد ذلك ، والرمى فى وقته ، وبحصيات سبع يتفق عددها ، ويكاد أن يتفق حجمها والسعى بين الصفا والمروة على نظام دقيق غريب ، الكل يبدأ بالصفا والرمل بين العمودين الأخضرين والجميع يستقبل الكعبة مكبرا مرددا أن الصفا والمروة من شعائر الله .

والطواف حول الكعبة فى نظام أنيق دقيق ، تزخر أفواج الناس لكنهم يتفقون فى لباسهم وعدد طوافهم ، ولا يقابل فريق فريقا بل الكل يمشى فى اتجاه واحد .

والأحكام الشرعية التى يتقبلها الحجيج برضا وشكر أحكام عامة تؤدى مرتبة من سائر الناس . وكثير من الناس من يغفل عن صلاة الفجر فى مدنهم وقراهم ، لكن قرآن الفجر مشهود مسموع النغم بين هؤلاء ، فما ينادى المنادى به الا استجاب كل حاج وهب من نومه سعيدا قرير العين .

من حرص الناس ولو كانوا على خط ضئيل من اليسر أن يجودوا ويبذلوا ؟
من حض القوى أن يلطف بالضعيف ؟
من حث الجار على أن يرعى شعور جاره ؟
من حبب كلا فى كل وأوصى كلا بكل ..؟

هذه الميادين السحرية التى تشرق فى نفوس المؤمنين ، فاذا هم يد واحدة وروح واحد ، حياة الخيام فى الأرض المقدسة ، وفى ظل هذه المشاعر الزكية ، هى مدرسة الصبر والارادة .

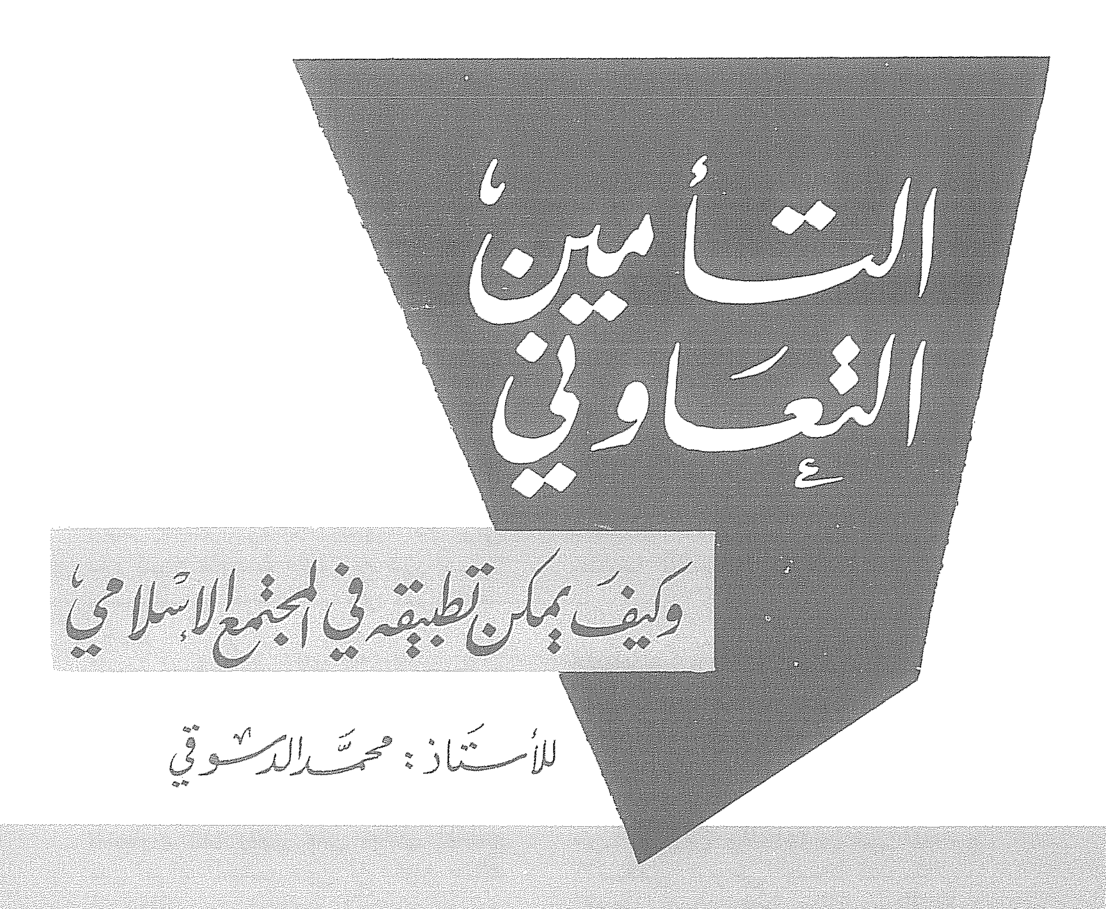
كل مترف ناعم وكل مرفهة نؤومة الضحى ، وكل شيخ فان ، أو طفل باغم يتعرض لمشقات ومتاعب لا مندوحة من الصبر عليها والرضا بها . وبقدر استعداد النفوس ولهفتها على الأجر والمثوبة يكون الاقبال على وعثاء الحج وصعبه ووعره .

كل حاج يزاحم بالمناكب وبالرمق القليل فى الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمرات وهو فيما أرى قمة المتاعب .

الاعتماد على النفس والصبر والارادة من أبرز حياة الحجيج .

وعبث أشد عبث أن يروض الناس أنفسهم على عز هذه الخلال ثم يعودوا بعد الحج للطيش والغضب والفوضى ونسيان المستقبل ، والجمود وأذى الناس .

كم فى حياة الحجاج من مغاز كريمة ، ومقاصد نبيلة ، ودلالات رفيعة ، انها والله فرصة العمر ، ولا يقل الفرح فى موسم الحج عن الفرح بما نرجوه من مغفرة والله عند حسن الظن .



التأمين التعاوني

وكيف يمكن تطبيقه في المجتمع الاسلامي

للأستاذ : محمد الدسوقي

١ ـ فى البحث الذى نشرته مجلة « الوعى الاسلامى (١) » الزهراء تحت عنوان « التأمين بين النظرية والتطبيق فى ضوء الشريعة الاسلامية » انتهيت الى أن التأمين التجارى لا يخلو فى أحسن حالاته من شبهة محرمة ، وأنه لا يقوم على التعاون ، كما أنه لا يشبه بعض صور المعاملات الفقهية المعروفة ، فضلا عن أن المجتمع الاسلامى ليس فى حاجة ماسة الى الاخذ بهذا اللون من التأمين بحيث اذا أهملنا الاخذ به وقع الناس فى عنت وحرج وتعرضوا لخطر وضرر لا قبل لهم بدفعه أو تحمل آثاره .

وقد انتهيت أيضا الى أن التأمين التعاونى نظام تبيحه الشريعة الاسلامية لانها جعلت التعاون أمرا مفروضا بين أفراد المجتمع الاسلامى وأكدت أن الفردية أو السلبية ليست من خلال المؤمن لأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والفرق بين التأمين التجارى والتعاونى أن الاول تزاوله شركات تجارية لا رغبة فى أداء رسالة اجتماعية ولكن سعيا وراء الربح والثروة ، ومن ثم يخضع عقد التأمين التجارى لقواعد ومبادىء لا تحقق التعادل الكامل بين المؤمن والمستأمن .

وأما التأمين التعاونى فان القائمين به لا يسعون الى جر مغنم مادى منه ، فكل منهم يجمع بين صفة المؤمن والمستأمن ، وهم يسهمون فيه ليدرأوا عن أنفسهم وأموالهم ما قد يتعرضون له من أخطار وأضرار فى صورة تكافلية لا تعرف الاستغلال أو الاثراء على حساب الغير .

٢ ـ والجدير بالذكر أن كلا النظامين بمفهومهما القانونى الوضعى عرف فى أوروبا وأمريكا قبل أن يعرف فى العالم الاسلامى وقد شهد القرن الماضى زحف النظام التجارى الى بلادنا تحركه بواعث السيطرة والاستغلال ، وعملت الدعاية الرأسمالية اليهودية على التمكين لهذا النظام ، والحيلولة دون انتشار النظام التعاونى غير أن هذا النظام وجد أنصارا ودعاة أثبتوا أنه أولى من غيره فأخذ يشيع فى أوروبا وأمريكا فى الوقت الذى تضاعف القول فيه بوجوب تعميم النظام التجارى فى البلاد الاسلامية ، واختلاف الفقهاء المسلمين حول شرعية هذا النظام .

واذا كان المفهوم الوضعى للتعاون (٢) يقوم على تبادل المنافع بين أفراد المجتمع دون أن يكون هناك استغلال من شخص لآخر أو من جماعة لأخرى ، فان مفهوم التعاون فى الاسلام أشمل وأكرم من هذا المفهوم ، لأن الفرد فى المجتمع الاسلامى لا تربطه بأخيه المصلحة المادية فحسب ولكن تربطه أولا صلة العقيدة التى هى أسمى وأقوى من وشائج القربى والنسب ، ولهذا لم يقف التعاون فى الاسلام عند تبادل المنافع المادية كما أنه فى الغالب كان وما يزال اعطاء دون انتظار لأخذ .

ان المجتمع الاسلامى مجتمع يؤمن كل أفراده بأنهم خلفاء على ما بأيديهم من ثروات ، فلا يعرفون الشح والأثرة ولا يكنزون الذهب والفضة ، ولكنهم ينفقون مما استخلفهم الله فيه كما أمرهم الله ، انه مجتمع شعاره الاخاء والتكافل والتعاون ولهذا كان كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٣ ـ ولهذا فان التأمين التعاونى الذى أعرض له هنا برسم صورة عامة لما يمكن أن يكون عليه من حيث التطبيق ليس هو نفس هذا التأمين بمفهومه الوضعى ، وان كان يسترشد به فى بعض القواعد ، وذلك لأن المجتمع الاسلامى يجب ألا يلجأ الى التطبيق الحرفى لكل الانظمة التى يأخذها عن غيره مهما تكن صالحة ، وانما عليه أن يصبغها بالصبغة الاسلامية ليظل دائما متميزا بطابعه الخاص الذى مازه الله به .

ولهذا فان أول ما يجب العمل على تنفيذه فى المجتمع الاسلامى لتحقيق أهداف التأمين التعاونى هو انشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها فى مصارفها المشروعة ، فالزكاة ضريبة تكافل بين القادرين والعاجزين فى المجتمع الاسلامى ، وهى ليست احسانا من المعطى ، وليست شحاذة من الآخذ ، فما قام النظام الاجتماعى فى الاسلام على التسول ولن يقوم ، ولكنها حق معلوم له وظيفة اجتماعية محددة ، والدولة مسئولة عن جمعها وتوزيعها ، حتى تؤدى رسالتها على أكمل وجه نحو من تجب عليهم ومن يستحقونها .

٤ ـ واذا كانت بعض الدول الاجنبية تتيه فى هذا العصر لأنها دعت الى الضمان الاجتماعى (٣) فاننا مع تقدير كل عمل يحفظ للانسان انسانيته وكرامته ، نلاحظ أن لجوء هذه الدول الى الأخذ بالضمان الاجتماعى لم يكن خالصا من الدوافع السياسية والرغبات الذاتية وتملق الطوائف التى يخشى ثورتها وعصيانها ، فمثلا عندما قامت الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا وأمريكا ضرورة كسب ولاء الشعوب وبخاصة طبقاتها الفقيرة المساقة الى ميادين

القتال بشىء ملموس ذى أثر فعال ، لذلك أعلنتا ميثاق الاطلسى الذى بينت مادته الخامسة رغبة الدولتين فى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الأمم لكى يتحقق للجميع خير الظروف للعمل والتقدم والرفاهية والضمان الاجتماعى ، كذلك اتهم بعض المسئولين الامريكيين الرئيس روزفلت بأنه نادى بمشروع الضمان الاجتماعى لكسب أصوات الناخبين فى المعركة الانتخابية .

أما الشريعة الاسلامية فانها نادت بالضمان الاجتماعى منذ أربعة عشر قرنا على أسس وطيدة من المبادىء الانسانية الخالدة والتكافل الاجتماعى الشامل الذى يرعى كل فرد يعيش فى المجتمع الاسلامى دون نظر الى عقيدته أو جنسيته ، والشواهد التاريخية أشهر من أن تذكر .

والزكاة ليست غير فرع من فروع التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، وهى نظام يحقق غايات التأمين التعاونى لمن هم فى أمس الحاجة اليه ولكنهم لا يقدرون على الاسهام فيه ، ومن هنا ، فان انشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها فى وجوهها المشروعة — فضلا عن أنه واجب الدولة فى الاسلام — هو خطوة على الطريق السديد للوصول بالمجتمع الاسلامى الى ما يجب أن يكون عليه من التعاون الكامل والترابط الوثيق والاخاء الصادق والايثار الكريم .

وتجدر الاشارة الى أن ضريبة الزكاة لا تغنى عنها ضريبة أخرى من الضرائب التى يفرضها ولى الأمر — عن طريق الشورى — رعاية للمصالح العامة ، لأن لها وظيفة اجتماعية لا سبيل الى القيام بها الا عن طريق أداء الزكاة ، وهى كما أشرت آنفا ليست استجداء فهى حق وضريبة تكافل بين القادرين والعاجزين فى الأمة .

٥ — على أن انشاء تلك الشركة التى تتولى جمع الزكاة وانفاقها اذا كان يحقق الضمان والامان لمن هم فى أمس الحاجة الى الرعاية والمعاونة ولكنهم لا يقدرون على الاسهام فى التأمين التعاونى ، فان الذين يقدرون على الاسهام فى هذا النظام يمكن تقسيمهم من حيث نوعية العمل (٤) وتقوم كل جماعة يضمها عمل مشترك مثل أساتذة الجامعات والقضاة والمدرسين والاطباء والعمال على اختلاف أنواعهم بانشاء جمعية تعاونية للتأمين يدفع كل فرد فيها نسبة معينة من راتبه الشهرى ، ثم تستثمر هذه الاموال بالطرق المشروعة وترصد لسد حاجات أفراد هذه الجماعة سواء فى حالات انتهاء الخدمة أو الحوادث أو العجز أو المرض أو الوفاة أو تزويج الاولاد ، طوعا لقواعد تفصيلية يمكن وضعها وفقا لحاجة الجماعة وظروفها الخاصة .

وتقوم نقابات المهن التعليمية فى مصر بلون من هذا التأمين فهى تأخذ من كل مدرس شهريا نحو ٢٥ قرشا فضلا عن ربع العلاوة السنوية ، وتدفع فى نهاية مدة الخدمة مبلغا يكاد يكون عين ما أخذته النقابة مقسطا ، واذا توفى المدرس فى أثناء الخدمة ودون أن يكون لاولاده معاش محدد فان النقابة تدفع لهم الفرق بين ما يحصلون عليه من الدولة وما يجب أن يكون عليه معاشهم حتى يستطيعوا مواجهة أعباء الحياة .

وما تقوم به هذه النقابات يمكن التوسع فى مجاله ليشمل حالات

المرض والسرقة وتزويج الاولاد حتى لا يلجأ بعض العاملين الى ما يسمى باستبدال المعاش لأن هذا الاستبدال يؤثر على رواتبهم سواء فى أثناء الخدمة أو بعد انتهائها .

٦ — وكانت وزارة الاوقاف فى مصر تؤمن على عقاراتها السكنية — وهى كثيرة — لدى الشركات التجارية للتأمين ، وبعد مرور عدة أعوام أدركت الوزارة أن أموالها ضاعت هباء ، وأن شركات التأمين قد ابتزت منها أموالا ضخمة ثم لم ترزأ الا بمبلغ تافه ، ودفعها هذا الى انشاء صندوق اعتبارى فى الوزارة للتأمين تدفع اليه الاقساط التى كانت تدفع الى شركات التأمين ، وتقوم هيئة مسئولة بالاشراف على أعمال هذا الصندوق واستثمار أمواله ، وترصد هذه الاموال لتعويض الخسائر التى تتعرض لها تلك العقارات من اصلاح أو تجديد أو غير ذلك .

والطريقة التى أخذت بها هذه الوزارة يمكن أن تأخذ بها كل المؤسسات الحكومية على أن تقوم هيئة للتأمين التعاونى على عقارات الدولة بمهمة الصندوق الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

أما العقارات الخاصة فانها تقسم من حيث تبعيتها لأقسام الشرطة أو المدن ويدفع كل مالك سنويا قسطا معينا ، وتتولى هيئة للتأمين التعاونى على العقارات الخاصة جمع الاقساط واستثمارها وتعويض الخسائر التى تتعرض لها هذه العقارات .

٧ — وبعد ما تقدم يمكن عرض هذا الاقتراح الذى يتمشى فيما أرى مع روح الشريعة ومبادئها ولا تحوم حوله الشبهات ، وهو مع ذلك يحقق معنى التعاون الكامل فى المجتمع الاسلامى :

أولا : أن تنشأ مؤسسة عامة للزكاة لها فرع فى كل اقليم ، ويقوم كل فرع بجمع الزكاة واعطائها الى من تجب لهم ، وتكون مهمة المؤسسة الاشراف على التحصيل والانفاق واستثمار ما يفيض عن الحاجة وادخاره لوقت الضرورة ، وهذا يؤدى الى تأمين حياة من هم فى حاجة الى التأمين ولكنهم لا يقدرون على دفع أقساطه .

ثانيا: أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين التعاونى تكون رسالتها الاشراف على الجمعيات التعاونية التى تكونها كل جماعة يجمعها عمل مشترك .

ثالثا : أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين على العقارات الحكومية وغيرها تقوم بتحصيل الأقساط ورصدها لترميم آثار الاخطار التى تتعرض لها تلك العقارات .

وهذا الاقتراح ليس سوى فكرة مجملة أما التفاصيل فيمكن وضعها بعد ذلك .

٨ — ورب لقائل أن يقول ان تأميم شركات التأمين قد حل المشكلة لأن الدولة هى التى تحصل على الارباح وهذه تنفق فى المصالح العامة ، ولكن المشكلة أن هذه الشركات تخضع لنفس (٥) المبادىء التى كانت تسير عليها قبل التأميم ومن ثم فان الشبه العديدة التى أثيرت حول التأمين قبل تأميمه ما زالت قائمة بعد التأميم .

وهناك نقطة هامة تتعلق بالقسط وذلك لأن الشركات التجارية مؤممة

أو غير مؤممة تريد الحصول شهريا على قسط لا يقدر عليه كل فرد ولهذا يحجم كثيرون عن التأمين لا لأنهم لا يطمئنون اليه دينيا ولكن لأنهم يعجزون عن دفع ما يطلب منهم ، أما القسط فى التأمين التعاونى فانه يكون يسيرا وبخاصة اذا كان عدد المشتركين كثيرا وبذلك يستطيع أصحاب الدخول المحدودة الاسهام والافادة منه ، ونظرا لأن التأمين التعاونى ليست غايته تحقيق ربح لمساهمين وخدمات لآخرين كالتأمين التجارى فان مرور الأعوام واستثمار الاقساط قد يؤدى الى تخفيض قيمة القسط فى التأمين التعاونى الى درجة أن يصبح قروشا زهيدة لا تؤثر على دخل الفرد مهما يكن (٦) قليلا ، وقد لا يدفع القسط فى بعض السنوات .

٩ — ويرى بعض رجال الاقتصاد (٧) ضرورة الابقاء على الشركات التجارية للتأمين حتى بعد تأميمها بحجة أننا نستفيد من اعادة (٨) التأمين لدى الشركات الاجنبية فى كسب عملات صعبة تقدم لنا منها ، ولأن هذه الشركات تضم أجهزة فنية وآلافا من الموظفين الذين اذا نقلوا الى وظائف أخرى فان هذا يؤدى الى تبديد طاقات فى غير محلها، كما أن لشركات التأمين دورا هاما فى الوقاية من حدوث الكوارث فلها أجهزتها الفنية التى تقوم بتوجيه الارشادات اللازمة لوقاية المصانع والأفراد من مختلف الاخطار .

ولكن هذا لا يسوغ استمرار التأمين التجارى لان هؤلاء الموظفين يمكن أن يعملوا فى مؤسسات التأمين التعاونى كما تقوم الاجهزة الفنية بأداء مهمتها فى هذا المجال كذلك .

وأما العملات الصعبة التى نحصل عليها من الشركات الاجنبية عندما نعيد التأمين لديها فان ما يدفع لهذه الشركات بالعملات الصعبة قد يكون أكثر مما يرد الينا ، وقد لا يرد الينا شىء مطلقا فيؤدى هذا الى خسارة تلحق بالاقتصاد القومى .

وقد كانت شركات التأمين فى مصر قبل سنة ١٩٥٦ مسرحا للفوضى والتلاعب ، وكانت اعادة التأمين لدى الشركات الاجنبية وسيلة لتهريب الأموال الى الخارج ، وكان صافى خسائر البلاد عن طريق اعادة التأمين فى الخارج يقدر بنصف مليون جنيه تخرج من مصر فى صورة عملات أجنبية ، ولهذا أنشأت الدولة فى مصر شركة لاعادة التأمين فى البلاد حتى لا تتسرب الاموال الى الخارج (٩) .

١٠ — وبعد فان الذى لا خلاف عليه أن الحياة الراهنة قد تعددت مشكلاتها وأن الناس يتوجسون كل يوم من أخطارها ، وأنهم فى حاجة الى نظام يكفل لهم الضمان والأمان ، بيد أن هذه الحاجة لا تفرض علينا أن نأخذ عن سوانا دون نظر الى علاقة ما نأخذ بأصول شريعتنا وقواعد ديننا . ان الاسلام دين صالح لكل زمان وكل مكان وهذه الصلاحية مصدرها حيوية هذا الدين واحترامه للعقل البشرى ، ولكن من الخطورة بمكان أن تستغل دعوى صلاحية الاسلام هذه استغلالا يجعلنا نتخلى عن تعاليم هذا الدين شيئا فشيئا لان ذلك سيقود هذه الأمة — لا قدر الله — الى زمن لا يبقى لها فيه من دينها الذى مكن لها فى الارض وجعلها خير أمة أخرجت للناس الا اسمه فقط .

ومن أجل الاسهام فى تقديم ما يحقق للناس ما يتطلعون اليه فى هذا

العصر من أمان وضمان عرضت هذا المنهج الذى لا أزعم أنه كامل أو صالح كل الصلاحية للتطبيق . ولكنه محاولة نطمع أن تنال من المختصين بعض العناية والاهتمام بغية الوصول الى منهج تأمينى يتفق مع أصول ديننا ويحقق للمجتمع التكافل والتضامن والأمان والاستقرار .

والذى أود الاشارة اليه أخيرا أن الاسلام كل لا يتجزأ وأن العبادات فيه لا تنفصل عن المعاملات ، وأنه بعد ذلك لا بد أن تكون له دولة تحميه وترعاه حتى لا يساء اليه أو يفرط فى أداء شعائره .

---

١) العدد الستون .

٢) أنظر التعاون من الناحيتين المذهبية والتشريعية للدكتور محمد حلمى مراد ص ١٢ .

٣) الضمان الاجتماعى تعبير لم يعرف الا فى العصر الحديث وقد ظهر لأول مرة فى عالم التشريع عام ١٩٣٥ حين أصدرت أمريكا قانون الضمان الاجتماعى ، ويقصد به ضمان قدر معين من الدخل للفرد كحد أدنى أو تقديم مساعدة له فى حالة البطالة أو المرض أو الشيخوخة (انظر مقدمة الضمان الاجتماعى للدكتور مهدى السعيد) .

٤) كان المرحوم الاستاذ محب الدين الخطيب من الداعين الى هذا النظام من التأمين بدلا من النظام التجارى الذى حكم عليه بأنه غير جائز شرعا .

(انظر مجلة الأزهر المجلد السادس والعشرون العدد ٥ ، ٦) .

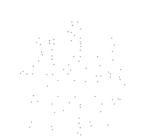
٥) الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد للدكتور السنهورى جـ ٧ ص ١١٠٩

٦) أنظر فلسفة النظام التعاونى ص ١٧٩

٧) أنظر لمحات فى اقتصادنا المعاصر للدكتور مظلوم حمدى ص ٢٣١

٨) اعادة التأمين : عقد بمقتضاه تلتزم احدى شركات التأمين بالمساهمة فى تحمل أعباء المخاطر المؤمن منها لدى شركة أخرى .
(راجع شرح القانون المدنى الجديد فى التأمين للدكتور محمد على عرفه ص ١٧٥)

٩) أنظر مجلة الاهرام الاقتصادى العدد ١٨٨



موقعة عين جالوت

الموقعة التي قضت على أطماع التتار وخلصت العالم من شر مستطير

للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

« ولينصرن اللـــه من ينصره ان الله لقوى عزيز » (صدق الله العظيم)
آية (٤٠) من سورة الحج .

عاش « التتار » فى الهضبة الآسيوية الشاسعة المترامية الاطراف ، والتى تمتد من أطراف « الصين » الى أواسط « آســيا » ، واشتغلوا بالرعى ، والانتقال السريع على ظهور الخيل ، حتى تبدو حركاتهم وراء الرزق زحفا حربيا سريعا .

وفى ظل هذه الحياة القاسية نشأت قبائل « التتار » ، وترعرعت على أعمال العنف ، وتحايلت فى الحصول على أسباب العيش ، وأصبحت مظاهر حياتهم متميزة بالخشونة .

ولم يبدأ التاريخ الاسود لهذه القبائل الا بعد ظهور زعيمهم « جنكيزخان » الذى لم شملهم وجمعهم تحت شعار تميز به ، وعرف عنه ، وهو : أن الحيـــاة للقوى وحده ولا مكان للضعيف فيها .

ومعنى كلمة (جنكيزخان) فى لغة « التتار » أعظم الحكام ، أو امبراطور البشر كله . وقد صار هذا اللقب عنوانا على الظلم ، والجبروت ، والتدمير ، والتخريب ، وعلى كل ما اقترفه « التتار » فى تحركاتهم التوسعية ، كما أصبح اسم « جنكيزخان » دلالة على غضب الله عز وجل ، ونذيرا بنقمتــه اذا نزل « التتار » بأى أرض أو حلوا بأى قطر .

وقد تميزت خططهم الحربية بالدقة والعنف ، وحسن تنفيذ القائمين عليها ، وذلك لأنها درست دراسة وافية مستفيضة ، واستغرقت وقتا كافيا لاعدادها ، وقد جرت عادة « التتار » على أن يحكموا خططهم احكاما دقيقا حتى يفاجئوا عدوهم ، ولا يتيحوا له أية فرصة ينجو بها من خطرهم ، ويفلت من شباك الدمار والخراب والموت التى ينصبونها له ، ويضاف الى ذلك أن خطط « التتار » بنيت على أساس متين من المعلومات الدقيقة .

وهذه المعلومات كان ينقلها اليهم جواسيسهم المدربون تدريبا كاملا ، والذين كانوا منتشرين فى الاقطار المجاورة لبلادهم .

جنكيز خان والشرق العربى :

بعد أن تمكن (جنكيز خان) من اخضاع معظم « التتار » لسلطانه ونفوذه ، اتجه ناحية الغرب ، فاصطدم بالسور الامامى الذى يحمى بلاد الشرق العربى ، من خطر قبائل البدو فى وسط آسيا وكان هذا السور ممتدا فى أرض خراسان بالشمال الشرقى من فارس ، وفى بلاد ما وراء النهر التى يجرى فيهـــا نهرا سيحون وجيحون ، وقد انتشرت فى تلك المنطقـــة المدن العـــامرة ، والمواقع الاستراتيجية الهامة ، التى تؤدى مباشرة الى اقليم العراق من أرض الشرق العربى ، ومن هذه المدن (بخارى) التى علا صيتها ، وذاع اسمها بعلمائهـــا المشهورين فى الحديث الشريف والفقه الاسلامى ، ومدينة (سمرقند) التى اشتهرت بأسوارها الحصينة المنيعة ، وحدائقها الغناء النضرة .

وقد حل بتلك المدن وغيرها الدمار والخراب على أيدى (التتار) الذين قتلوا أهلها ، وذبحوا علماءها وفقهاءها ، واحتلوا رقعتها الواسعة .

غزو العراق وسقوط بغداد :

تحرك « هولاكو » بعد أن قضى على الدولة الاسماعيلية وســـار مباشرة صوب « بغداد » ، وبعث فى الوقت نفسه جيشا آخر للزحف على « بغداد » عن طريق « تكريت » و « الموصل » ، تحت قيادة « بايجونوين » ، وكان عدد القوات المقاتلة التى تحت امرة « هولاكو » وحده ثلاثين ألف مقاتل .

وزحفت جيوش « التتار » زحفا سريعا نحو « بغداد » وأصبحت قوات « بايجونوين » على مقربة من « بغداد » واشتبكت مع جيوش الخليفة العباسى فى قتال عنيف ، على الضفة الغربية من نهر « دجلة » وهزمتهم هزيمة فادحة ، حيث غرق عدد كبير وانسحبت القوات الباقية ، ثم أخذ القائد التتارى يوالى

زحفه حتى اقترب من دار الخلافة نفسها ، وصار لا يفصله عنها سوى نهـر « دجلة » .

وفى نفس الوقت هاجم « هولاكو » مدينة « بغداد » من الضفة الشرقية وأحاط بها ، وأصبحت (بغداد) أسيرة الحصار التتارى ، وسرعان ما سقطت حاضرة الخلافة الاسلامية فى أيدى (التتار) ، فقتلوا الخليفة أشنع قتلة ، ثم مضوا ينتهبون المنازل ويعتدون على الاعراض ، ويريقون الدماء ، ويخربون المساجد ، والجوامع ، وعمدوا الى المكتبات فألقوا بما فيها فى نهر (دجلة) ، واتخذوا منها جسرا تمر عليه خيولهم ، وظلوا فى عدوانهم الاثيم مدة أربعين يوما قتل خلالها قرابة مليونى نفس من المسلمين ، وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٦٥٦ من الهجرة ، التى تعتبر أسوأ سنة مرت بالشرق العربى ، وقد وصفها خطيب بغداد فى الجمعة الاخيرة بقوله : « اللهم أجرنا فى مصيبتنا التى لم يصب الاسلام وأهله بمثلها وانا لله وانا اليه راجعون » .

المـماليك :

صاحب قيام دولة المماليك فى مصر تطورات داخلية سريعـة ، ذلك أن شجرة الدر قد تآمرت على زوجها عز الدين أيبك ودبرت خطة لقتله ، فأثار قتله غضب المماليك ، فولوا مكانه ابنه المنصور نور الدين الذى كان طفلا لا يتجاوز الخامسة من عمره ، وقتلوا شجرة الدر انتقاما لرئيسهم ، غير أن مدة حـكم المنصور لم تطل ، فسرعان ما ظهر خطر التتار على البلاد الاسلامية ، وسقطت بغداد فى أيديهم وقضوا على الخلافة العباسية ، ثم ابتدأوا يتحركون صـوب بلاد « الشام » ، وحينئذ أدرك المماليك أن هذا الخطر يتطلب سلطانا قويا ، قاهرا يوقفه عند حده ويقضى عليه ، والملك المنصور طفل لا يقدر على القيـام بأعباء الحكم وتدبير شئون المملكة .

وتم عزل المنصور ، ونصب سيف الدين قطز نفسه سلطانا على « مصر » ، وفى ذلك الحين كانت بلاد « الشام » الاسلامية قد وقعت فى قبضة « التتار » ودانت لسلطانهم ، ولم يبق خارج نطاق نفوذهم غير الحجاز ، ومصر ، واليمن .

انذار من التتار :

رسالة هولاكو الى قطز :

بعث هولاكو أثناء وجوده فى بلاد الشام بانذار الى سيف الدين قطز ، يطالبه فيه بالاستسلام ، ويذكر له أن التتار قد غزوا جميع البلاد ، ولم تستطع أى قوة أن تردهم أو تقف فى طريقهم .

« انا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، ومن عزمنا مزدجر ، فاتعظـوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ، ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى

أرض تؤويكم ؟ وأى طريق تنجيكم ؟ وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص » .

وكان الوفد الذى حمل رسالة « هولاكو » الى قطز يتألف من بضعة عشر رجلا يرأسهم خمسة من كبار « التتار » الذين يجيدون التحدث باللغة العربية اجادة تامة . وكان بصحبة الوفد صبى تترى .

وعندما قرأ قطز رسالة « هولاكو » جمع أمراء المماليك لأخذ مشورتهم فيما يجب أن يفعله ، فكان رأى أكثرهم التلطف فى الرد على رسالة « هولاكو » دفعا لشره ، ثم يتفقون معه على قدر معين من المال يدفعونه اليه كل عام بصفة جزية ، وبذلك يتحاشون هجومه على البلاد واهلاك الحرث ، والنسل ، وكاد اجماعهم يكون عاما ، على أنه لا فائدة من محاربة « التتار » ، واللين فى مثل هذا الموقف أفضل من الشدة ، فانه لا طاقة لهم بهم .

أثار هذا الرأى غضب قطز عقب سماعه ، وبدت آثار الغضب على وجهه ، وتغير لونه حتى كاد يقطر دما من شدة احمراره ، ثم عمد الى رئيس الجماعة الذى يمثلهم ويتحدث بلسانهم وانتزع منه سيفه وحطمه على ركبته ، ثم ألقاه على الارض فى وجهه وصاح فيه قائلا : « ان السيف الذى يجبن حامله على القتال لخليق به أن يكسر هكذا ويلقى فى وجه صاحبه » .

تصرف حاسم :

أمر قطز باحضار أعضاء الوفد للمثول بين يديه ، فأحضروا ، فقال لرجاله : « اصنعوا بهم ما أمرتكم به » فخرجوا بهم من مجلسه ما عدا أحد الرسل فقد استبقاه عنده ، ونودى فى الناس ليخرجوا ويشاهدوا أعضاء وفد هولاكو فخرج الرجال ، والنساء ، والاطفال لرؤيتهم ، وقد أركبوا على ابل وقد شد وثاقهم ، ووجوههم متجهة نحو ذيول الابل ، وسارت جموع الناس تحيط بهم ، وأخذوا يهتفون ، ويصيحون ، ويشيرون بأيديهم فرحا ، وبعد وصول الموكب الى سوق الخيل قتلوا أحد الرسل وعلقوا رأسه بالسوق ، وعندما بلغوا باب زويلة قتلوا الثانى وعلقوا رأسه بالباب ، وعلقوا رأس الثالث على باب النصر ، والرابع بصحراء الريدانية ، ثم أنزل الباقون وقتلوا دفعة واحدة .

وأمام باب القلعة أمر قطز باحضار الرسول الذى كان قد استبقاه واستثناه من القتل ، ليجعله يرى ما يحل باخوانه ، ويشاهد أيضا استعراضا للجيش الاسلامى ، ثم قال له : « أخبر مولاك اللعين بما شاهدته من بعض قواتنا ، وقل له ان رجالنا ليسوا كمن شاهدهم من الرجال قبلنا ، وقل لمولاك اننا استبقينا الصبى التترى لنملكه فى بلادكم عندما نكسركم ونمزقكم كل ممزق » ثم كلف فرقة من جنوده بحراسته والمحافظة على حياته ، وتوصيله الى حدود البلاد حتى يعود الى « هولاكو » سالما .

وهنا قد يسأل سائل فيقول : كيف يتأتى لحاكم مسلم يفهم الشريعة الاسلامية ويفقهها أن يأمر بقتل رسل أعدائه ، وهو يعلم تمام العلم أن الاسلام يحرم ارتكاب مثل هذا العمل ؟

فيكون الجواب : ان التتار لم يكونوا فى يوم ما أهلا للتعامل بقوانين

الشريعة الاسلامية ، أو بأى قانون آخر من القوانين ، فعوملوا بمثل معاملتهم ، فقد كانوا يقتلون الرسل .

الاستعداد للمعركة :

لم يكتف سيف الدين قطز بتجهيز جيش ضخم قوى لمواجهة « التتار » ، بل صمم على أن يقيم أمامهم جبهة قوية موحدة من ملوك « الشام » وكان يعلم مقدار خوفهم من « التتار » وميلهم الى مسالمتهم وموادعتهم ، فأرسل الى كل ملك من ملوك الشام رسالة يبين له فيها صدق عزمه على مقاتلة التتار ، وانه قد أعد لهم جيشا لا طاقة لهم به ، وأنه يعتبر بلاد الشام قلاعا وحصونا أمامية لـ « مصر » ، وأن سقوطها فى أيدى التتار يعد خطرا على بقية الدول الاسلامية ويهدد سلامتها ، ويؤكد لهم قطز فى رسالته أنه لا يطمع فى ملك الشام ، وانما هدفه هو صد ووقف هذا الزحف التترى الجارف الذى يكتسح كل شىء فى طريقه ويدمر ويهلك كل من يقف فى طريقه .

بيد أن هجمات التتار كانت قد اشتدت على بلاد الشام ووقعت غالبية البلاد فى قبضتهم فلجأ ملوكها الى قطز فأكرم وفادتهم ، وجعلهم يشتركون معه فى تحمل تبعة الجهاد فى سبيل الله .

وكان قطز يريد تأجيل التحرك بجنوده الى ما بعد انقضاء شهر رمضان الذى حل ، الا أن تحركات التتار صوب مصر كانت أسرع من أن تدع له فرصة الانتظار حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أتت اليه الانباء بأن طلائع التتار قد وصلت الى مدينة غزة ، وبلدة الخليل ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، والصبيان ، ونهبوا الاسواق ، وارتكبوا من الجرائم ما تتفتت له الاكباد ، وتقشعر منه الابدان ، فلم يعد أمام قطز الا أن يسرع لمجابهتهم ، والتعجيل بالخروج لمناجزتهم ، فنودى فى الناس بالاستعداد للخروج جهادا فى سبيل الله .

وأمر قطز قواته بالتحرك الى « الصالحية » ، وفى الصالحية انتظر قطز حتى تكاملت عدة الجيش وعتاده ، وانتظر أيضا تكامل الامراء .

وعندما تكامل جميع الامراء عقد مجلسا عسكريا للمشاورة وتبادل الآراء ، وتحدث قطز عن المسير لمواجهة التتار ، وعن ضرورة تحركهم لملاقاتهم ، فأبى عليه ذلك عدد كبير من الامراء ، وتمسكوا بعدم مغادرتهم الصالحية ، حتى تأتى جيوش التتار فيصدوها عن البلاد

استشاط قطز غضبا عند سماعه لكلامهم هذا ، وتأثر تأثرا شديدا لدرجة أن لسانه انعقد فلم يستطع النطق لبضع لحظات ، ثم ما لبث أن انفجر فيهم صائحا وهو يقول : « بئس الرأى الضعيف رأيكم ، أما والله ما حملكم على هذا الا الجبن ، والهلع من سيوف التتار أن تقطع رقابكم هذه « ألم تعلموا أنه ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا » . ثم استطرد فى كلامه قائلا : والله لأتوجهن بمن معى لقتال أعداء الله ، فمن اختار الجهاد منكم فليصحبنى ، ومن لم يشأ فليرجع غير مأسوف عليه ، فان الله مطلع عليه » .

ولم يكد قطز يتم حديثه حتى أسرع بالاشارة الى الامراء الذين أيدوا رأيه

بالزحف أن ينعزلوا فى ناحية ، ثم طلب منهم أن يبايعوه على المسير لقتال أعداء الله والاسلام ، فبايعوه على النضال ، والقتال ، حتى الموت ، فلم يجد بقيـــة الامراء الذين خالفوه فى الرأى مناصا من الموافقة على المسير ، وهكذا وحد قطز الرأى فى جيشه وجمعه على كلمة واحدة .

زحف ومناوشات :

أمر قطز جيشه بأن يأخذ نصيبا من الراحة استعدادا للمهمة الخطرة التى ستواجهه ، ورتب فرقا من الجنود لتسهر على حراسة الحدود وبخاصة الجهات الامامية نحو الشام حتى لا تأتى طلائع التتار فتفاجئهم وتأخذهم على غرة .

وفى الربع الاخير من الليل قام قطز من نومه وأيقظ قواده ، وطلب منهم اصدار الاوامر للجنود بالتحرك ، وكلف ركن الدين بيبرس أن يستطلع أخبار التتار ، وكانت استطلاعاته على درجة ممتازة من الكفاءة ، وجعله قائدا على القوات الطليعية للجيش .

وقد دلت هذه الخطة العسكرية التى رسمها قطز على مدى ما كان يتمتع به من ذكاء ، وخبرة ودراية واسعة بالفنون الحربية ، فقد كان يرى أن الهجوم خير من انتظار الاعداء حتى يصلوا اليه ، وأن عنصر المباغتة والمفاجأة من أعظم الاسلحة الحربية .

وبقدر ما كان قطز قائدا حربيا كان سياسيا محنكا يدرك الاثر القوى الذى تحدثه العوامل النفسية فى رفع الروح المعنوية فى نفوس الجند ، ولذلك فقد وفق تمام التوفيق فى اختياره لركن الدين بيبرس ليكون قائدا للجيش الاستطلاعى ويعتبر هذا الاختيار بمثابة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فبيبرس صاحب انتصارات باهرة فى كل معركة خاضها .

ونجح قطز فى أولى مراحل زحفه ، فبمجرد وصول بيبرس الى أطراف الحدود المصرية علم أن طلائع جيش التتار موجودة فى مدينة غزة فأسرع الى مجابهتها غير هياب ولا وجل ، وسرعان ما دب الوهن فى نفوس التتار الذين فوجئوا بالجيش الاسلامى يزحف عليهم زحفا لم يكن فى حســبانهم فهــربوا من غزة مسجلين أول انسحاب لهم فى تاريخهم الحربى ، ودخل بيبرس « غزة » ، ومهد الطرق المؤدية اليها لتستقبل القوات الرئيسية .

ووصل قطز الى مدينة غزة ، فمكث بها ليلة ، ثم تابع زحفه لمواجهة التتار ، واختار طريق الساحل حتى وصل الى مدينة عكا ، التى كانت معقلا وملاذا للبقية الباقية من الصليبيين ببلاد الشام ، بعد أن فقدوا كل ما كانــوا يحتلونه من أراضى تلك البلاد على يد صلاح الدين البطل المسلم .

ولقد أظهر قطز مهارة سياسية وبعد نظر ، وانتفاعا بكل ما مر بــه من التجارب ، فلم ينس محاولات الصليبيين عقد محالفات مع التتار ضد المسلمين ، لذلك لم يغتر بمظاهر ترحيبهم به ، بل كان يشعر ازاءهم بشعور الحذر المرتاب عندما أبدوا له استعدادهم لمعاونته بكل ما يحتاج اليه فى حربه مع عدوه .

ولم يبين لهم قطز أنه مرتاب فى أمرهم ، بل وضح لهم أن كل ما يطلبه

ويبتغيه منهم هو أن يقفوا موقفا حياديا فلا يكونون معه أو ضده ، وأقسم لهم أنه لو تبعه فارس منهم أو راجل بغية الحاق أذى أو ضرر بجيش المسلمين ، لرجع اليهم وحاربهم قبل أن يواجه التتار .

واستمر قطز فى تنفيذ خطته التى تعتمد على المبادأة أو المبادرة بالهجوم ، فأصدر أمره الى بيبرس بأن يتابع هجماته وغاراته الجريئة على قوات التتار المتفرقة فى نواحى بلاد الشام ، والتصدى لطلائعهم التى كانت توالى ارهاب الاهالى وتشيع الفزع والرعب بينهم ، فقام بيبرس بتنفيذ هذا الامر وأظهر مهارة حربية جبارة فى مناوشة التتار ، وفى الكر والفر ، حتى وقف على أخبارهم ، وعرف مدى امكانياتهم ، وقوتهم وأماكن تجمعهم ، وصار على علم تام بكل خططهم وتكتيكاتهم ، ثم بعث بكل هذه المعلومات الى قطز .

موقعة عين جالوت :

وظل قطز يتابع سيره حتى انضم الى بيبرس عند « عين جالوت » ، وهناك نظم قواته وجعلها فى حالة استعداد وتأهب ، ثم عقد مجلسا عسكريا لرسم خطة المعركة ودراستها ، وقد اشترك فى هذا المجلس الامراء ، وقواد الفرق ، وألقى قطز فى المجلس كلمة بليغة مؤثرة ملأت صدور الحاضرين حماسة ، وتعطشا للجهاد ، فذكرهم بأنهم فى معركة الهدف منها نصر الاسلام ، وانقاذ المسلمين ، فهى معركة جهاد ، ونضال فى سبيل الله ، وحذرهم من غضب الله سبحانه وعقابه اذا هم وهنوا ، أو تقاعدوا ، أو تهاونوا فى المعركة ، فلا مفر من الاقدام والتضحية ، والثبات ، حتى لا ينزل بهم التتار ما أنزلوه بغيرهم من قتل ، وأسر وخراب ، وتدمير .

ومضى قطز فى كلمته يزيد من حماستهم بذكر العديد من مساوىء التتار ، حتى تأثر الامراء ، وقواد الفرق الحربية وأجهشوا بالبكاء من شدة تأثرهم ، وصمموا على القتال حتى يتم لهم احراز النصر ، أو يموتوا شهداء فى سبيل الله والوطن .

وفى صبيحة يوم الجمعة ١٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، التقت طلائع الجيش الاسلامى بطلائع التتار فهزمتها هزيمة ساحقة ، بيد أن التتار تمكنوا فى صباح اليوم التالى من اعادة تنظيم قواتهم ، واحتلوا المنطقة الجبلية من أرض المعركة ، وأصبح منظرهم يثير الرهبة والرعب ، خاصة وأنهم كانوا يستعدون للانتقام للضربة التى لحقت بهم ، متأهبين للدخول فى معركة فاصلة وحاسمة ، ومما زاد من خطورة الموقف كثرة الضوضاء والرعب الذى حل بأهالى القرى المجاورة .

المعـــركة :

وحلت ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وقطز مخيم بجنوده فى « عين جالوت » ، وفى مواجهته معسكر التتار الذى تتوافد عليه جماعاتهم

طوال الليل ، وكلا الفريقين ينتظر بفارغ الصبر طلوع النهار ، وهو على يقين من أن الغد سيكون هو اليوم الفاصل الحاسم .

وطوال تلك الليلة لم يأو قطز الى فراشه ، وانما ظل ساهرا مسهدا ، وعندما غلبه النعاس من شدة التعب نام على مقعده ، ولم يضع جنبه على الارض .

وكان « هولاكو » قد رحل عن بلاد الشام راجعا الى بلاده عندما وصلته الانباء بوفاة أخيه « منكوخان » ملك التتار ، فأناب عنه فى قيادة الجيش «كتبغا» وأمره بمواصلة القتال والزحف حتى يصل الى مصر .

وفى الصباح وقف الجيشان وجها لوجه ، وخشى كل منهما لقاء الآخر ، فقد كانت هذه المعركة بالنسبة لكل منهما معركة مصيرية ، وعاق كل منهما أمر أخر دخوله فى المعركة ، فالتتار وقفوا ينتظرون وصول قائدهم « كتبغا » الذى لم يكن موجودا وقتئذ ، والمسلمون ينتظرون موعد حلول صلاة الجمعة ليبدأوا فى قتال عدوهم .

ولم تطل مدة المواجهة بين الجيشين ، فقد وصل « كتبغا » ، ونظم جنوده ، وسرعان ما تقارب الفريقان ، فأخذت سهام التتار تمرق بين صفوف المسلمين ، وعندما اشتد الامر أمر قطز جنوده بالهجوم ، فتقدموا الى الامام حتى تلاحمت الصفوف وتصافحت السيوف ، ودارت رحى الحرب واشتعلت نيرانها ، وأظهر كل من الفريقين استبسالا عظيما ، غير أن كفة المسلمين كانت هى الراجحة على كفة عدوهم .

وكان قطز فى قلب الجيش الاسلامى يتابع القتال بصدر منشرح ، والفرحة تطل من عينيه ، فقد سره أن يرى جنوده يهاجمون التتار بعد أن كانوا يتهيبون لقاءهم ، ويظنون أنهم قوم لا يقهرون .

وكان الصبى التترى الذى أبقى قطز على حياته ليكون ملكا على التتار واقفا على فرسه بين مماليك قطز ، فقال له قطز : « تقدم يا ملك التتار » ، فشق الصبى صفوف المسلمين أمامه ، ثم اقتحم صفوف التتار وراح يضرب فيهم بسيفه يمينا ويسارا ثم يتخلص منهم ويعود الى صفوف المسلمين ، ويقف فى نفس مكانه الاول على يسار قطز الذى يشجعه قائلا : « مرحى يا ملك التتار » .

وقد حدث هذا الفعل من الصبى مرارا ، فصار المسلمون يفسحون له الطريق اذا ذهب منطلقا كالسهم الى صفوف التتار ، أو اذا قفل عائدا اليهم ، وهم مندهشون من بطولته وشجاعته ، ويقولون له : « احمل يا ملك التتار ، مرحى يا ملك التتار » .

بيد أن الصبى التترى لم يكن يقوم بهذا العمل الا بدافع حبه لبنى جنسه ، فقد كان يبلغهم كل ما يريدون معرفته من معلومات عن الجيش الاسلامى فى كل مرة من مرات ذهابه اليهم ، ودلهم على المكان الذى به قطز ، وقد تم وضع خطة مؤداها أن يتبع فرسان من التتار الصبى أثناء رجوعه الى جيش المسلمين ، فيتمكنوا من قتل قطز قائد الجيش ، فتتحطم بذلك معنويات الجنود ويسهل عليهم الحاق الهزيمة بالمسلمين .

وقد لاحظت « جلنار » زوجة قطز ذلك ، اذ كانت ممتطية صهوة جوادها تلاحظ ما يدور فى المعركة ، وانها لكذلك اذ رأت الصبى التترى يهجم على التتار كعادته ، ثم يرجع مسرعا ووراءه خمسة جنـــود تتاريين مندفعين نحو قطز ، ففوجىء قطز ودهش ، وبهت الرجال من حوله واضطربوا ، ولكن قطز واجههم بسيفه فقتل منهم ثلاثة ، وأصيب فرسه فترجل ، وعند ذلك قصده الفارســـان التتاريان فأخذ يقاتلهما ، ثم قصد أحدهما وضرب قوائم فرســـه فوقعت به ، وأوشك الفارس التترى الآخر أن يعلو ظهر قطز بسيفه الا أن فارسا ملثما برز له شغله عن قطز ، فتبادلا ضربتين بالسيف سقطا صريعين على أثرهما ، وصاح الفارس الملثم قائلا : « يا سلطان المسلمين ، ها قد سبقتك الى الجنة » ، وكان هذا الفارس قد قتل الصبى التترى .

وتنبه فرسان الحرس لمـــا يرمى اليه التتار فالتفوا حول قطز ، وقتلوا الفارس الذى ضرب قطز فرسه ، وضموا الصفوف الامامية ، ووقفوا ســـدا منيعا لحماية قطز ، فلم يتركوا لأحد فرصة الوصول الى قطز أو الاقتراب منه .

وتذكر قطز صوت الفارس الملثم الذى كان السبب فى نجاته ، وشك فى أمره ، فذهب اليه وكشف عنه نقابه ، فاذا هو زوجته « جلنار » التى كانت تلفظ أنفاسها الاخيرة ، فراعه الامر وحملها بين يديه وهو لا يدرى ماذا يفعل ، وأرسل الى بيبرس الذى كان يتولى قيادة ميسرة الجيش أن يتولى مكانه ، وحمل زوجته الجريحة الى خيمته وأرقدها على فراشه ، وأخذ يقبل جبينها والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول لها : « وازوجتاه ، واحبيبتاه » ففتحت عينيها على صوته ، وظهرت ابتسامة على شفتيها عندما رأت وجهه ، وقالت له فى صوت خافت واهن : « لا تقل واحبيبتاه .. قل واإسلاماه » ، وما لبثت أن لفظت آخر أنفاسها بين يديه ، فطبع على جبينها قبلة الوداع ، وجفف دموعه ، وقلبه يكاد ينفطر من الالم ، وقام من فوره وخرج من خيمته وركب فرســـا أسرع به الى ميـــدان الجهاد .

وعندما رآه جنوده يأخذ مكانه فى قلب المعركة هتفوا جميعا فى صـــوت واحد : « الله أكبر » ، وتمثلت لهم بطولة السلطانة الشهيدة فهانت عليهم أنفسهم وتحمسوا للقتال ، وقاتلوا فى بسالة قتال المستميت ، ولمـــا رأى « التتار » ذلك هجموا على المسلمين واستبسلوا فى القتـــال ، فحدث اضطراب فى ميمنـــة المسلمين ، وواجه قلب الجيش حملات شديدة من التتاريين ، فاضـــطر تحت الضغط الى أن يتقهقر قليلا الى الوراء ، وعندما رأى قطز ذلك تقدم الى الامام وكشف عنه خوذته وألقاها على الارض ، وصاح بأعلى صوته : « واإسلاماه ، واإسلاماه ، وإسلاماه . يا الله ، انصر عبدك قطز على التتار » ، وهجم بعزم وشدة وصلابة بمن معه هجمة صادقة ، وراح صوته يدوى فى أنحاء غور « عين جالوت » ، فردد جنوده النداء معه ، وهجموا معه هجوما عنيفا قويت به الميمنة ، فتقدمت ببطء شديد من جموع « التتار » الذين حاولوا منهـــا تطويق الجيش الاسلامى ورأى قطز « كتبغا » قائد التتار يصول ويجول ويضرب بسيفين ، وكلما أصيب فرسه استبدله بآخر ، وهو يتحين الفرصة ليشق لبعض رجاله طريقـــا يصلون منه الى قطز .

وأبصر قطز وهو يحارب عارى الرأس سهما مسددا نحوه ، فشد عنـــان

جواده ، فوثب الجواد قائما على رجليه ، فنفذ السهم فى صدره وتداعى ، فنزل من فوقه قطز وظل يقاتل وهو مترجل ويقول : « الى بجواد » ، فأراد أحد جنوده أن يتنازل له عن فرسه فرفض وأبى وقال له : « اثبت مكانك . ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك فى هذا الوقت » . وأخذ يحث جنوده على أن يوسعوا الطريق الذى شقوه فى صفوف العدو ليصنع بذلك حاجزا قويا بين ميسرة العدو وسائر جيشه ، ولم يزل هذا الحاجز يتسع بصفوف جيش المسلمين التى تندفع فيه حتى انكشف المكان الذى به « كتبغا » قائد التتار ، وأراد قطز أن يلقاه ولكن جنوده تقدموه محاولين صده ، غير أن قطز زجرهم قائلا : « دعونى له ، ليس له قاتل غيرى ، أريد أن أقتله بيدى » .

ولم يتحقق أمل قطز ، فقد قتل قائد التتار أحد الامراء ، وعلم المسلمون بمصرع قائد الاعداء الذى لا يقهر ، فصاحوا جميعا مكبرين تكبيرة ألقت الذعر والرعب ، فى نفوس التتار ، فازداد هلعهم ، واختلت صفوفهم ، وتزعزعت ، وابتدأوا يتقهقرون .

وعندما رأى قطز ذلك أمر جنوده الذين كونوا حاجزا بمساعدة صفوف الميمنة على أن يطوقوا ميسرة العدو تطويقا كاملا ، ثم اندفع بالقلب لمساعدة ميسرة المسلمين التى عليها بيبرس فى تطويق من لم يستطع الهرب من قلب العدو وميمنته ، فحوصر معظم جيش التتار فى هاتين الدائرتين ، ولم يتمكنوا من الفرار ، فأعمل فيهم المسلمون القتل ، ولم ينج منهم سوى عدد قليل استطاعوا أن يفروا .

وتحصنت فرقة من التتار بتل مجاور لميدان المعركة ، وأخذوا يمطرون المسلمين وابلا من سهامهم ، فأحاط بهم المسلمون وجالدوهم على القتال حتى أوقعوا بهم الهزيمة وسحقوهم سحقا .

وانتهت الموقعة بانتصار المسلمين واندحار المعتدين ، واستجاب الله عز وجل لدعاء قطز ، وتهللت وجوه المسلمين بالبشر والسرور بما أنعم الله عليهم من نصر مؤزر كريم .

ونزل قطز من على فرسه وقبل الارض ، ومرغ وجهه فى ترابها ، وصلى ركعتين شكرا لله عز وجل ، ثم أخذ يتلو قوله تعالى : « وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (١٠ — الأنفال) .

هذه هى موقعة « عين جالوت » ، التى تعد من أهم المواقع الحاسمة فى تاريخ الاسلام ، وفى تاريخ العالم كله ، فالتتار منذ خروجهم من موطنهم الاصلى لم يذوقوا طعم الهزيمة والانكسار أبدا ، ولهذا أشاعوا الرعب وأثاروا الذعر فى العالم الاسلامى كله .

ويعترف المؤرخون الاوربيون عند التأريخ لهذه الموقعة ، بأنها لم تنقذ العالم الاسلامى من خطر التتار المخرب المدمر فحسب ، بل أنقذت العالم المسيحى كذلك ، لأنه لم يكن فى أوروبا المسيحية وقتذاك ملك قوى يستطيع مقاومة التتار ومحاربتهم لو ظلوا على انتصاراتهم المتوالية وتقدموا فى اتجاههم الطبيعى نحو أوروبا .

الرؤى والأحلام

الرؤيا الصالحة جزء من النبوة

• هدف هذه الدراسة • الأنبياء والرسل والرؤى

• رسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤيا وتعبيرها •

نماذج من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيرها وتأويلها

للأستاذ : عاصم الأدفوي

> روى أبو قتادة بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
> « الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السوء من الشيطان ، فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان لا تضره ولا يخبر بها أحدا ، فان رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر الا من يحب » ..
>
> (صحيح مسلم)

أولا — هدف هذه الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى لفت أنظار المسلمين الى موضوع يمس حياة كل منا .. يؤثر فينا .. يتأثر بنا .. وهو الرؤى والاحلام التى يراها كل منا فى رحلة النوم كل يوم .. فالانسان منا يقضى ثلث عمره نائما .. وعند النوم تتحرر الروح بعض التحرر من اسار الجسم الانسانى وتنطلق الى عوالم مختلفة ومتباينة .

وأن ما نراه فى ساعات نومنا من رؤى خيرة أو أحلام سيئة هو نتاج أو انعكاس لحياتنا .. وما قابلناه فى نهارنا .. وخلال ساعات العمل .. أو الفراغ ، كما أن الرؤى والاحلام ترهص بما يصيب الفرد فى المستقبل القريب أو البعيد ، ولكن باختلاف بين فرد وآخر .

ولدراسة الرؤى والاحلام فى بلاد الشرق والغرب المتقدمة مكانتها واحترامها .. وقوانينها العلمية .. وقواعدها .. ومناهجها .. وأساليبها ، فعلى سبيل المثال فى العيادات النفسية (السيكولوجية) والاكلينيكية يلجأ أخصائيو العلاج النفسى الى دراسة أحلام الافراد وذلك من أجل الوصول الى المرض النفسى .. جذوره .. أسبابه .. متى بدأ ..؟ كيف تطور ..؟ ما هى الخبرات المختلفة التى أدت الى اصابة المريض نفسيا حتى يصف العلاج المناسب .

وكما حملت الانباء أخيرا أن بعضا من علماء الطب فى الغرب والشرق يستطيعون التنبؤ بالامراض التى تصيب جسم انسان ما فى أيامه المقبلة ، وذلك عن طريق دراسة أحلامه ورؤاه .

واذا فالهدف الرئيسى من هذه الدراسة هو محاولة توجيه والقاء بعض الاضواء الكاشفة الى هذا الموضوع الروحى .. وأثره فى حياة كل منا .. وكيف تؤثر الروح فى الجسم .. وكيف تتأثر به ، فالانسان مكون من روح وجسم .. وليست الحياة مادة فقط .

وقد اختلفت النظريات .. وتعددت وجهات النظر فى موضوع الرؤى والاحلام .. وفى تعبيرها وتأويلها وتفسيرها ..

فهناك التفسير الجنسى أو التفسير الفرويدى الذى قال به عالم النفس « سيجموند فرويد » فى كتابه عن تفسير الاحلام ، فمن المعروف أن سيجموند فرويد يصدر فى كل آرائه ونظرياته عن عامل أساسى لديه هو غريزة الجنس ودورها فى صياغة حياة الفرد ، ولا ينكر انسان ما دور الغريزة الجنسية فى حياة الفرد ، لكنها مع غيرها من غرائز ومكونات للشخصية تساهم فى صياغة الفرد والمجتمع .

وقد وجهت الى فرويد وآرائه نقاط نقد من علماء النفس الآخرين وأهمهم أدلر ويونج اللذان اهتما بباقى العناصر والمكونات التى تصوغ حياة الافراد فى غير الجنس .. أو فى غير الغريزة الجنسية .

والا فأين يتلمس تلاميذ سيجموند فرويد ومعتنقو آرائه ونظريته فى رؤيا وحلم يمكن أن يراها شاب عربى رأى فى نومه السماء وهى تمتلىء بالطائرات ، طائرات العرب وطائرات اسرائيل وهى تشتبك مع بعضها .. هل يمكن أن يفسر هذا الحلم لهذا الشاب العربى — الذى يعايش يوميا أخبار حرب الطيران بين العرب واسرائيل — بالتعبير الجنسى أو بالتفسير الفرويدى ؟

أم أنه يعبر ببساطة شديدة على أنه قلق ومعاناة للصراع بين العرب واسرائيل ؟!

ثم هناك التفسير الشعبى للرؤى والاحلام ، والذى يعتمد على كل التراث الفولكلورى لشعب من الشعوب من حيث لغته اليومية وألفاظه .. عاداته وتقاليده .. أعرافه الشائعة .. أمثاله الشعبية (الجوعان يحلم بسوق العيش) .

وأيضا هناك التفسير الدينى الذى يعتمد على الكتب السماوية والاحاديث النبوية .. والقصص والحكايات والامثال الدينية .

.. هذه هى بايجاز بعض وجهات النظر والتى تقف وراء تعبير وتأويل الرؤى والاحلام ، ولكن ليس فى هذا المقال مجال لمناقشتها .. وانما نقطة البدء — كما نظن — ستكون عن رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتباره معلم الانسانية .. ورسول الله الى الناس .. وهادى الخلق أجمعين .

ولكن قبل أن نحيا بين هذه الصور عن رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن أن نذكر طرفا من أشهر الرؤى التى وردت عن الرسل والانبياء الذين اختتموا بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

الانبياء والرؤى :

ذكر القرآن عددا من الرؤى التى رآها الرسل والانبياء .. ولقد عظمت قيمة الرؤيا بأنها جزء من النبوة (١) ففى الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » .

ومن أشهر الرؤى : رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام ، والرؤى الثلاث التى وردت فى سورة يوسف عليه السلام .

رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام :

وهى التى رأى فيها سيدنا ابراهيم عليـه السلام أمرا الهيا بذبح ابنـه اسماعيل عليه السلام (٢) : « رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

يقول أستاذنا الشيخ محمد فريد وجدى — رحمه الله تعالى — فى تفسيره المختصر عن رؤيا ابراهيم عليه السلام فى ذبح اسماعيل عليه السلام (٣) « فلما بلغ ابنه السن الذى يسعى فيها معه فى أعماله قال له : يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك قربانا لله ، فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما يأمرك الله به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما استسلما لأمر الله وصرفه على وجهه ، ليذبحه ، وناديناه قائلين قد حققت الرؤيا فكان ما كان من سرورهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما » .

الى أن يقول (٤) « انا كذلك نكافىء المحسنين . وفديناه بكبش يذبح بدله عظيم » .

سيدنا يوسف عليه السلام :

وكما كان لكل نبى ورسول معجزة يهبهـا الله له ، خص — سـبحانه وتعالى — سيدنا يوسف عليه السلام بتأويل الرؤيا وتعبيرها وتفسيرها (٥) : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

وفى سورة يوسف عليه السلام ثلاث رؤى :

الاولى : خاصة به .

والثانية : كانت لرفيقيه فى السجن : الخباز والساقى .

والثالثة : كانت لملك مصر وحاكمها .

فأما الرؤيا الاولى الخاصة به فقد كانت رؤيا رآها وقصها على أبيه (٦) :

« اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

ومرت سنوات وسنوات امتلأت بالاحداث حتى عبرت هذه الرؤيا (٧) :

« فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

وفى السجن قضى يوسف عليه السلام بضع سنين كان معه فيها خباز الملك وساقيه : « وعرضا عليه رؤياهما (٨) :

« ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين » وقد عبره لهما يوسف (٩) :

« يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان » .

وقد كان الامر كما عبره يوسف وبقى ساقى الملك حيا .

ثم كانت الرؤيا الثالثة التى رآها حاكم مصر (١٠) : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين . وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون » .

وقد عبرها يوسف : ثم ليعلو بعدها شأنه فى مصر (١١) : « قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

ثالثا ــ الرسول الكريم والرؤى وتأويلها :

تلك كانت بعضا من رؤى الانبياء والرسل عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام .. فالعلاقة اذا وثيقة بين النبوة والرؤيا ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (١٢) « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة » .

وتعددت روايات الاحاديث النبوية الشريفة عن نسبة الرؤيا الى النبوة : فقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة ، وقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة وقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة .

وأيا كان الامر .. وأيا كانت النسبة فلقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يطلب من أصحابه أن يقصوا رؤاهم ليتأولها (١٣) : « عن ابن عباس بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان مما يقول لأصحابه من رأى منكم رؤيا فليقصها اعبرها له » .

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد تعبير الرؤيا والاحلام الصالحة (١٤) :

١ ــ هناك نوعان من الرؤى : رؤى صالحة وأخرى سيئة .
٢ ــ اذا رأى المسلم أو المسلمة رؤيا سيئة فلينفث عن يساره ثم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يخبر بها أحدا أبدا .
٣ ــ اذا رأى المسلم رؤيا حسنة فليخبر بها كل من يحب من الاهل والاصدقاء والمعارف والجيران .

رابعا ــ نماذج من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويلها وتعبيرها :

١ ــ رؤيا الرفعة فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة (١٥) : « عن أنس بن مالك بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنى فى دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة وان ديننا قد طاب » .

٢ ــ رؤيا السواك (١٦) :

حدث عبد الله بن عمران بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرانى فى المنام أتسوك بسواك فجذبنى رجلان : أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الاصغر منهما فقيل لى كبر فدفعته الى الاكبر » .

٣ ــ رؤيا الهجرة الى يثرب .. وغزوة أحد (١٧) :

عن أبى موسى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد . ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها أيضا بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد يوم بدر » .

٤ ــ رؤيا ليلة القدر وسوارا الذهب (١٨) :

عن أبى سعيد الخدرى بسنده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول « أيها الناس ، انى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة » .

وفى صحيح مسلم أنهما مسيلمة الكذاب والاسود العنسى المتنبئان المشهوران .. فى حديث قريب من هذا فى روايته .

٥ ــ رؤيا غزوة أحد (١٩) :

قبيل غزوة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين :

« انى قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقرا (تذبح) ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة » قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رأيت بقرا لى تذبح ، قال فأما البقر فهى ناس . من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى : فهو رجل من أهل بيتى يقتل . وفى غزوة أحد قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦ ـ رؤيا ما حدث فى بنى جذيمة بعد اسلامهم من قتل (٢٠) :

وكان خالد بن الوليد قد قتلهم بعد أن أسلموا وتبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من فعلته .

« قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه حدث : عن ابراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت كأنى لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها فأدخل على يدى فنزعه » . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « يا رسول الله ، هذه سرية من سراياك ، تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله » .

وقد حدث أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طـــالب للذهاب الى بنى جذيمة ودفع دياتهم .

ويورد كمال الدين محمد بن موسى الدميرى فى معجمه عن حياة الحيوان الكبرى ثلاثا من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان للدميرى فى معجمه هذا اهتمام خاص بالرؤى وتعبيرها .

٧ ـ رؤيا الغنم البيض والغنم السود (٢١) :

يقول الدميرى : « روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت غنما سوداء دخلت فيها غنم كثير بيض » قالوا : فما أولته يا رســـول الله ؟ قال : العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم ، قالوا : العجم يا رسول الله ، قال : لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم » !!

وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام غنما سوداء يتبعها غنم عفر : يا أبا بكر عبرها ، قال : هى العرب تتبعك ثم يتبعها العجم ، فقـــال صلى الله عليه وسلم : هكذا عبرها الملك سحرا » .

٨ ـ رؤيا النبى ينزع فى قليب :

وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه ينزع فى قليب وحوله أغنام سود وغنم عفر . ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر فأستحالت غربا (يعنى الدلو) فلم أر عبقريا يفرى فريه . فأولها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما . ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية .

اذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم.

وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث وذكره الامام أحمد والبزار فى مسنديهما وبه يصح المعنى .

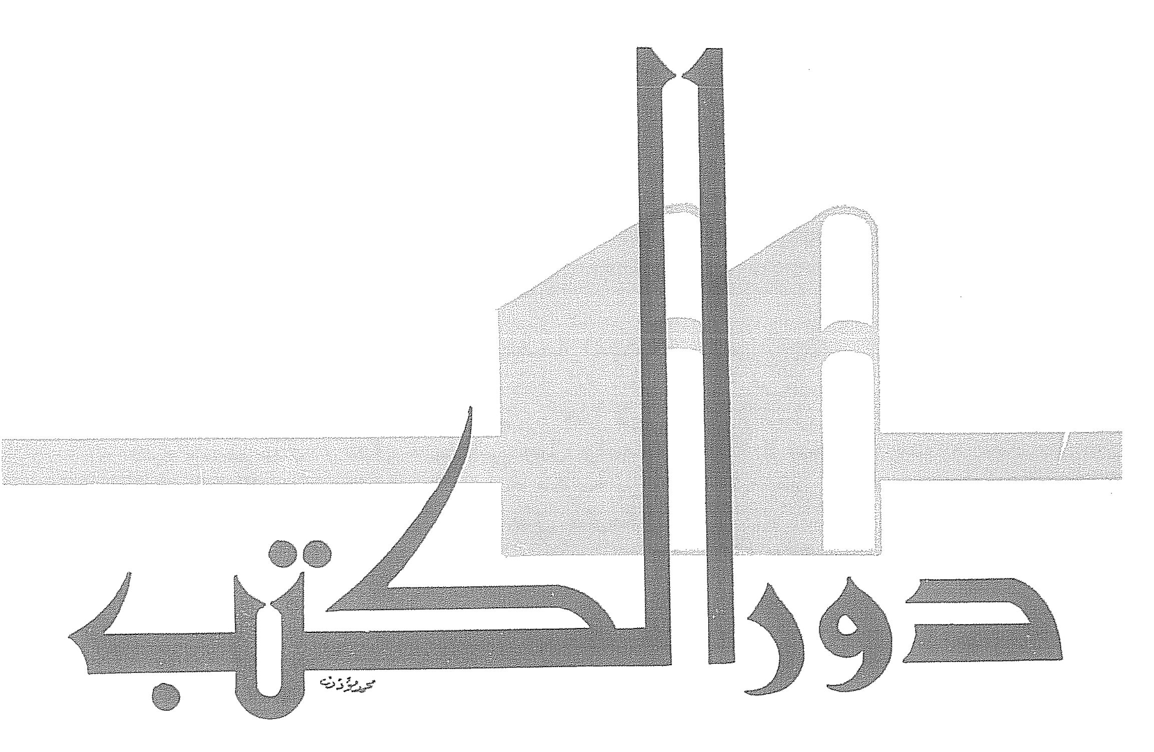
٩ ــ رؤيا العذق المدلى فى الجنة :

وينقل الدميرى عن كتاب بهجـــة المجالس وأنس المجالس : « ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أنه دخل الجنة فرأى فيها عـــذقا مدلى فأعجبه ، فقال : لمن هـــذا : فقيل : هذا لأبى جهل ، فشق عليه صلى اللـــه عليه وسلم ذلك ، فقال : ما لأبى جهل والجنة ، والله لا يدخلهـــا أبدا ، فانه لا يدخلها الا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مسلما ، فرح به وقام اليه ، وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه .

كل هذه الرؤى التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تدور حول الايمان والاسلام وانتشاره بين العرب والعجم والحرب والهجرة أى كل ما كرس له الرسول الأعظم حياته وتترجم قصص جهاده لانقاذ أمته .. وانقـــاذ الانسانية .. كما عاشها فى يقظته .. وكما انعكست وبدت فى منامه ورؤياه .. فقد قال الرسول عليه أفضل الصـــلاة وأزكى السلام : (ان عينى تنامـــان ولا ينام قلبى) ..

---

(١) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا ــ
(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات من الآية ١٠٠ ــ ١٠٧ .
(٣) المصحف المفسر محمد فريد وجدى مطابع الشعب ١٣٧٧ صفحة ٥٩٣ .
(٤) نفس المصدر السابق ص ٥٩٣
(٥) القرآن الكريم سورة يوسف الآية رقم ١٠١ .
(٦) سورة يوسف الآية (٤) .
(٧) سورة يوسف رقم ٩٩ ، ١٠٠ .
(٨) سورة يوسف الآيـــة ٣٦ .
(٩) سورة يوسف الآية ٤١ .
(١٠) سورة يوسف الآية ٤٣ ــ ٤٦ .
(١١) سورة يوسف ٤٧ ــ ٤٩
(١٢) صحيح البخـــارى
(١٣) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٤) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٥) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٦) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٧) صحيح مسلم ــ كتاب الرؤيا
(١٨) سيرة ابن هشام الجزء الرابع ص ٢٠٩
(١٩) سيرة ابن هشام الجزء الثالث ص ٦
(٢٠) سيرة ابن هشام الجزء الرابع ص ٤٤
(٢١) حياة الحيوان الكبرى ــ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الثانى ص ٣٣٦ .
(٢٢) حياة الحيوان الجزء الثانى ص ٣٣٦
(٢٣) حياة الحيوان ــ الجزء الثانى صفحة ٤٩٤



اذا نحن أخذنا أنفســـنا بالحديث عن دور الكتب ، فى نشأتها وتاريخها قبل أن تبلغ ما وصلت اليه اليوم ، من التقدم والتنظيم والتنســـيق . فلا بد لنا من الرجوع الى الأعصر الأولى لبداية الحضارة الانسانية بمفهومها العلمى ، كى نلقى نظرة سريعة على الدوافع النفسية التى تختلج فطريا فى صدور الأفراد والجماعات ، وتثير فيها الشوق التلقائى الى تجميع الكتب وحيازتها والحفاظ عليها .

وليس من شك فى أن هذه الدوافع ، لا تعدو أن تكون أثرا طبيعيا لغريزة الفضول التى جبل عليها الانسان مع باقى طبائعه الأصلية .

ونحن نلاحظ ، من خلال معطياتنا العفوية ، أن كل واحد منا ، يحس فى أعماقه ميلا لا شـــعوريا ، للاطلاع على ما يختلج فى صدر الآخرين من الآراء والأفكار ، وذلك حتى تتم له القدرة على الموازنة بين هذه الآراء والأفكار ، وبين ما يحمله هو بالذات منها فى نفسه .

ومن هنا بدأت الخطوات الأولى فى طريق المعرفة التى هى ، فى الواقع ، قوام الحضارة وأساس التمدن .

وعلى هذا يكون الكتاب ، وهو مستودع الرأى وحصيلة المخاض الفكرى ، الوسيلة الأولى التى تذرع بها الانسان ليعرب عن ذات نفسه ، ويتبين فى ذات الوقت ، ما فى نفس غيره ، على حد سواء .

ولســـنا الآن بصـــدد الامعان فى تقصى مجاهل التاريخ البشرى ، لندرك البداية فى هذا الصدد ، ونسير معها الى غايتنا من هذا الحديث ، فهذا أمر ليس لنا فيما نحن فيه مكان ولا متسع من زمان . بل نحن نؤثر أن نكتفى الآن بما أثبته ثقـــاة المؤرخين ، عن أقـــدم ما عرف من المكتبـــات وتنظيمهـــــا فى العهود التى لم تعد مجهولة من التاريخ القديم .

يقول المؤرخون : ـــ ان أقدم من أنشأ المكتبات فى العالم هم البابليون . وذلك حـــوالى سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد . فقد عثر علماء الآثار فى حفـــرياتهم

نشأتها وتاريخها عند الأقدمين

للشيخ : طه الولي

بوادى الفرات على آجـــرة بابلية ، فيها كتابة بالقلم المســـمارى تتضمن قائمة بأسماء ملوك بابل . ومن جملتهم ملك اسمه « شرجينا » (سرجون) ويظهر أن هذا الملك كان ســـامى الأصل ، عربى العنصر ، وكان محبا للعلم والعمارة ، مولعا بالكتب ، فأنشأ فى مدينة « ورفة » ما سماه « مدينة الكتب » ، وعهـــد الى رجل من خاصـــته بجمع الكتب لها من كل مكان ، وانتدب فى هذه المكتبة ثلة من العـــلماء للانصراف الى التـــدوين ، والتأليف والشرح ، والتعليق ، كما استعان بأهل الفكر من سائر الأمصار لينقلوا ويترجموا ما عندهم من المعارف والفنون الى اللغة البابلية .

وعلى هذا يمكننا القول بأن الملك البابلى (شرجينا) هـــو أول من اهتم بتدوين العلوم وألوان الثقافة بشكل منسق وشامل ، كما يمكننا اعتبار « مدينة الكتب » فى ورفة من اعمال العراق ، أول مكتبة فى التاريخ .

ومن حسن الحظ ، أن بقايا هذه المؤسسة الثقافية وجدت فى حالة لا بأس بها ، فنقلت الى المتحف البريطانى حيث ما تزال حتى اليوم ، وهى عبارة عن الواح من الطين المشوى منقوش عليها بالحرف المسمارى باللغة الســـامية البابلية .

وكذلك ، فقد اكتشـــف الرائد الأثرى الانجـــليزى « لايارد مفيل » أثناء حفرياته فى مدينة « نينوى » بالعراق ، مقر الملك « آشـــوربنى بال » ، وفى أحد أقبيته مكتبة ، وتتألف هذه المكتبة من ألواح نظمت بعناية فائقة ، ورتبت بانتظام دقيق ، وبلغ عددها عشرة آلاف لوحة من الآجـــر ، وفى هذه الألواح ما يفيد بأن الملك (آشور بنى بال) المذكور أباح لرعاياه أن يرتادوا هذه المكتبة للمطالعة والدراسة ، وأنه كان يحرضهم على الكتابة والتأليف بقوله : ـــ

« من يتفوق فى الكتابة على الآجر فانه يتألق كالشمس .... » .

ويبدو أن القدماء كانوا يختارون لكتباتهم أماكن ملحقة بالمراكز الدينية ، أى بالمعابد والهياكل والأضرحة القديمة . فلقد عثر المنقبون فى مدينة ، طيبة ، بمصر على مقبرتين تدل كتابتهما على أن صاحبيهما ـــ أبا وابنه ـــ كانا يحملان

لقب « مكتبى » ، ولا ريب أن المذكورين كانا ينتسبان الى أكبر هيئة للعلماء فى زمانهما ، وهى طبقة رجال الدين .

ولقد ترك لنا المؤرخ « ديود وروس » وصف مكتبة عثر عليها فى جملة مخلفات الملك « أوسيمند ياس » فى مقبرته على نحو ما كان يفعل الفراعنة فى جمع ما يتوسمون الافادة منه ، بعد انتقالهم الى الدار الآخرة فى المعابد التى تضم أضرحتهم الملكية .

ولقد ذكر « ابن النديم » فى كتابه المعروف (بالفهرست) « ان ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم ، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر ، واشفاقهم عليها من أحداث الجو ، وآفات الأرض ، أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها وأبقاها ، وأبعدها عن التعفن ، والدرس ،وهو لحاء شجر الخدنك ، ويسمى « التوز » ، وبهم اقتدى أهل الهند والصين ، ومن يليهم من الامم . . . فلما حصلوا لمستودع علومهم أجود ما وجدوه فى العالم من المكاتب ، طلبوا لها من بقاع الأرض ، وبلدان الأقاليم ، أصحها تربة ، وأقلها عفونة ، وأبعدها من الزلازل والخسوف ، وأهلكها طينا ، وأبقاها على الدهر بناء ، فأودعوه علومهم ، وقد بقى الى زماننا هذا ، ويسمى « ساوويه » (أى القصر المنيف) ، ويتابع ابن النديم قوله : ؟ . . ولما كان قبل زماننا تهدمت من هذه المصنعة ناحية ، فظهرت فيها على أزج معقود من طين الشقيق ، فوجدوا فيه كتبا كثيرة من كتب الأوائل مكتوبة كلها فى لحاء التوز ، مودعة أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة . وكان فيها كتاب منسوب الى بعض الحكماء المتقدمين » . . الخ . .

والذى يبدو لنا من كلام المؤرخين اجمالا عن أمثال هذه المكتبات أنها كانت فى جملة الممتلكات الخاصة للملوك ، ومن هم فى حكمهم ، من الامراء وأصحاب الجاه والنفوذ والسلطان ، وأنها لم تكن توضع تحت تصرف الجمهور للمطالعة الحرة والافادة العامة .

اما المكتبات العمومية التى يلحظ فيها أن تيسر اشاعة المعرفة بين أفراد الأمة وسائر الأوساط الشعبية ، وفق المفهوم الحديث للمكتبات العصرية الراهنة ، فانه يمكن القول بأن اليونان ، كانوا بلا شك ، أول من عنى بهذا النوع من المؤسسات الثقافية ، وأنشأوها لتكون منهلا عذبا يرتادها الناس للقراءة والمطالعة ، من كل فئة أو طبقة دون أى حجاب أو قيد .

من ذلك المكتبة التى أنشأها البطالسة بالاسكندرية ، وهى المكتبة التى أحرقها البطريرك كيرللس فى القرن الخمس للميلاد ، وجعل محتوياتها التى بلغت ٧٠٠ الف كتاب طعمة للنيران التى أججتها الاختلافات الكنيسية فى ذلك الحين .

ولما بزغت شمس الرومان ، وازدهرت امبراطوريتهم بعد اليونان ، اكتفوا بالاستيلاء على ما كان هؤلاء الأخيرون قد أنشأوه من المكتبات فى مختلف البلدان ، ومن أشهرها مكتبة « برغاموس » التى نقلوها من مكدونية الى حاضرة ملكهم روما . ومحتويات هذه المكتبة لم تكن تقل على ما يروى المؤرخون عن ٢٠٠ الف مجلد فى سنة ١٦٧ قبل الميلاد ، عندما أهداها « مرك انطونيو » لصديقته « كليوباترا » ملكة مصر ، كما نقل الرومان كذلك مكتبة أثينا الى بلادهم فى سنة ٨٦ قبل الميلاد ، حتى اذا وسد الأمر فى روما الى قسطنطين الاكبر ، صرف هذا الامبراطور اهتمامه الى شؤون العلم والمعرفة ، وأسس مكتبته الكبرى فى عاصمة الامبراطورية سنة ٣٥٥ بعد الميلاد .

على أن العرب على خلاف من سبق ذكرهم من سائر الأمم ، فانهم لم يتركوا لنا فيما تقدم من جاهليتهم — ويا للأسف — أى أثر يساعدنا على التعرف الى تراثهم المكتبى .

وان المعلومات اليسيرة والمتفرقة عن آثارهم المكتوبة قبل الاسلام ، لا تستهوينا للوقوف عندها كثيرا .

ومن الجائز أن من عاش من مفكريهم فى غمرة الجاهلية ، ونعت بالكاتب ، من الجائز أن يكون هؤلاء قد سجلوا أحوالهم مجتمعة ، وتابعوا أنساب قبائلهم ، ودونوا أخبار العرب وأشعارهم فى الكتب ، غير أن هذه المصنفات لم تصمد أمام تقلبات الزمن ، أو لم تحفظ فى أمكنة معينة ، فلم يصل الينا منها شىء يفيدنا عنها .

والظاهر أن أمر هذه الكتب العربية ومجامعها قد أهمل بسبب انشغال الناس بالحركة الاسلامية التى انبثقت بمكة المكرمة فى أوائل القرن السابع للميلاد ، فضاعت الكتب ، وعفى أثر المكتبات ووجد الناس فى البعث الفكرى الجديد ما يغنيهم عن تراث الماضى وآثاره .
ولم تكن مثل هذه الظاهرة غريبة لأن المواد التى كانت تستعمل فى حينها للتدوين والكتابة كانت بدائية وسريعة التلف .

غير أنه بالرغم من سحابة الغموض والابهام التى ضربت رواقها على الحياة العربية فى العصر الجاهلى ، وحجبت كثيرا من مظاهر نشاطاتهم الفكرية يومئذ فى ذلك العصر ، وعلى الرغم من وصف القرآن الكريم العرب بالأميين ، الذين أرسل الله اليهم واحدا منهم ، أى أميا مثلهم ، وعلى الرغم من تحدث النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن أمته (الأمية) التى لا تقرأ ولا تكتب ، على الرغم من كل ذلك فقد وردت فى الكتاب والسنة أكثر من اشارة الى أن العرب كانوا يقرأون ويكتبون ، وهذا أمر طبيعى اذ لا يعقل أن يخاطب كل من القرآن الكريم ، والذى أنزل عليه ، قوما ببلاغة القرآن ، وعمق الحديث ، لو لم يكونوا على علم وبصيرة بالقراءة والكتابة ، وذلك مع العلم بأن المصادر القديمة التى تحدثت عن أيام الجاهلية حملت الينا قصصا عن « مجلة لقمان » « والزبر » « وصحيفة لقيط » وغيرها ، وكل ذلك يوحى بالطبع الى أن العرب كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة ، وأنهم بلغوا فيها الشأو الذى يمكنهم من التجاوب مع الدعوة الاسلامية الجديدة التى جعلت من الأسلوب القرآنى أداة لتحدى هذه الأمة فى ادعائها للبلاغة والفصاحة والبيان .

وما دمنا قد تواضعنا على صحة ما نسب للعرب من احاطة معقولة بالقراءة والكتابة ، فليس يضيرنا بعد هذا أن نشير الى اهتمامهم بما يشبع فضولهم الى الاستمتاع بألوان المعرفة ، وضروب الثقافة من خلال الكتاب المسطور . فقد ورد فى الأخبار أن النسابة الراوية هشام بن محمد بن السائب الكلبى كان يقول : —

« كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولى منهم لآل كسرى ، وتاريخ نسبهم من كتبهم » بالحيرة . . .
كما ذكر المؤرخون أن النعمان ملك الحيرة ، أمر فنسخت له أشعار العرب فى (الطنوج) (أى الكراريس) فكتبت له ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان

المختار بن عبيد الله ، قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار ، قالوا . . .

فمن ثم ، كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة .

وكذلك قيل ان النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بنى مروان من خلائف الأمويين بالشام .

وننتقل بعد هذا الى الحديث عن الكتب والمكتبات بين الجاهلية وصدر الاسلام

يقول شيخ العروبة أحمد زكى باشا فى دراسة له عن الحفظ والتدوين عند العرب : « قد علمنا أن الأمة العربية فى زمن الجاهلية لم تكن من الكتابة فى شىء ، ونزيد الآن أنها لم تكن منذ برأها الله حتى منبثق فجر الاسلام تعرف من العلوم الا ما تقتضيه أدنى معيشة ، كتربية بعض الدواب ، وانتجاع منازل الغيث ، والعلم بالأنساب ، وبرمى السهام ، وغير ذلك من المبادىء التى لا يسع البدوى جهلها .. غير أن نصيبهم من العلوم كان قليلا فلم يبلغوا فيها اذ ذاك مبلغا يضطرهم الى التدوين ، فكانوا يكتفون بالحفظ ولم يفطنوا للتدوين لقلة حاجتهم اليه . . .

ويتابع شيخ العروبة رحمه الله قوله : — « وما كانوا — أى العرب — يعرفون الكتب ، بل كانوا ينهون الطلبة عن النظر فيها ، والاعتماد عليها ، لئلا تتناولها أيدى التصحيف والتحريف والتزوير المقصود ، فيقعوا فى شر أعمال المفسدين ، أو خوفا من أن يقصروا همتهم على اللفظ دون المعنى ، أو يعتمدوا على الكتب فيهملوا الرواية التى هى عندهم قوام العلوم ، لاسيما الأدبية والنقلية منها ، ولقد كان العلماء وقتئذ يفاخر بعضهم بعضا بالحفظ ، وقلما يكون لأحدهم كتاب واحد يعتمد عليه فيما يزاول ، وكان بعضهم يهلك كتبه خوفا من الاتكال عليها » . . ا هـ .

غير أننا نجد فى كلام زكى باشا عن موقف العرب فى جاهليتهم من الكتابة والتدوين جنوحا الى الاطلاق والتعميم ، دون أى مبرر ، فجاء حكمه على أسلافنا قبل اسلامهم قاسيا ومتزمتا . لا يخلو فى الواقع من التطرف والغلو والمبالغة .

ولو أننا رجعنا الى غيره من المؤلفين والمؤرخين لوجدناهم فى حديثهم عن أوائل عهد العرب بتدوين المعارف والعلوم ، وجمعها فى صفحات ، أكثر اعتدالا ، وأدنى الى الحق والانصاف . فقد نقل الأديب المصرى احمد امين عن ابن خلدون فى مقدمته قوله : —

« . . . كان عرب الحيرة أرقى من عرب الجزيرة ، كان منهم من يعرف الفارسية ويجيدها ،وان عدى بن زيد الحميرى كان من تراجمة ابرويز ملك الفرس ، وأبو زيد ، كان شاعرا وخطيبا وقارئا كتاب العرب والفرس .

كما نجد العلامة العراقى جواد على ، فى كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » يقول : « انه كان بين سكان الحيرة أناس يحسنون الكتابة والقراءة واللغات الأعجمية كالفارسية والسريانية واليونانية وقد ظهر فيهم من ألف فى الموضوعات اللاهوتية ومباحث فى الكتاب المقدس ، وفى الشؤون الطبية واللغوية والتاريخية » .

وفى كتاب « الفهرست » لابن النديم ، أن أول من وضع الكتاب العربى :

نفيس ، ونضر ، وتميم ، ودومة ، من ولد اسماعيل ، وأنه لما هدمت قريش الكعبة ، وجد فى ركن من أركانها حجر مكتوب فيه : السلف ابن عبقر ، يقرأ على ربه السلام . ويقول ابن النديم : انه كان فى خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم فى جلد أدم ، ذكر فيه : حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة ، على فلان بن فلان الحميرى من أهل وزل صنعا ، عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديد ، ومتى دعاه بها أجابه ، شهد الله والملكان .

واذا صح ما يزعمه بعض المؤرخين من أن حمورابى ، الذى عاش قبل أربعة آلاف سنة . كان عربيا فانه يمكننا القول بأن كتابه المعروف بشريعة حمورابى يمكن اعتباره أقدم كتاب عربى فى التاريخ حتى الآن ، ولقد عثر على هذا الأثر العلمى سنة ١٩٠١ ميلادية فى السوس من بلاد فارس ، وجد منقوشا على مسلة طولها سبعة أقدام من الحجر الصلد ، كتب بالحرف المسمارى ، الذى كان معروفا عند البابليين ، والمعدود أصلا من أصول الخط العربى ، ولغته بابلية قريبة من اللغة العربية .

واذا نحن تجاوزنا ظلام الجاهلية ، وأقبلنا على ضياء فجر الاسلام ، فاننا سنجد أنفسنا حيث كنا من قبل فيما يتصل بالكتابة والتدوين ، كما سنجد حرجا كبيرا ، بل عجزا مطبقا اذا طمعنا فى العثور على كتاب آخر الى جانب كتاب الله ، القرآن الكريم ، ذلك أن الرسول الأعظم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدخر وسعا الا وبذله فى سبيل الحفاظ على امتياز هذا الكتاب المقدس ، ومستواه السامى ، لما يضم بين دفتيه من تعاليم دينية تنزلت بها العناية الالهية على بنى الانسان من سكان هذه الأرض .

ولقد آزر التوفيق النبى عليه السلام فى بلوغ اربه الى أبعد الحدود ، واستطاع بما أوتى من دراية ومرونة ولباقة أن يحبط كل محاولة لتدوين كلام غير « كلام الله » حتى ولو كان هذا الكلام مما كان يحدث به هو نفسه فى المناسبات المختلفة التى لم يكن لها صلة بالوحى المنزل .

ولسنا نملك الا اعتماد الرأى التقليدى فيما يتصل بانفراد القرآن الكريم بالتدوين دون غيره فى عهد النبوة ، وهو رأى يوحى بتحديد غاية النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحتراز من الخلط بين الدستور الاساسى للدين الاسلامى ، وبين ما يتصل بهذا الدستور من شروح وتفاسير توضيحية ، ولعلنا نستطيع أن نبيح لأنفسنا تفسير هذا الموقف الحازم ، من خلال رغبة صاحب الرسالة الجديدة فى أن يحيط كتاب دعوته السماوية باطار من الفراغ الزمنى والفكرى ، يحول دون اضطراب هذا الكتاب مع المدونات الأخرى التى يجب أن تبقى دونه فى الزمان والمكان والقيمة .

واذا كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فانه اتخذ لنفسه نفرا من صحابته الذين كانوا على علم بالقراءة والكتابة ليكونوا « كتبة الوحى » وبالفعل فان هؤلاء الكتبة وقفوا أنفسهم على تدوين ما كان يوحى به الى النبى صلى الله عليه وسلم من الآيات القرآنية ، واثباته على ما كان يقوم يومئذ مقام الورق اليوم من العسب واللخاف والرقاع وأحيانا من الحرير وقطع الأديم ، والأكتاف (عظام الابل) وذلك على عادة العرب ، حينها ، بالكتابة على هذه المواد التى كانت تطلق عليها اسم : الصحف .

وبلغ من اهتمام النبى محمد صلى الله عليه وسلم وحرصه على تدوين القرآن وجمعه وتأليفه فى كتاب واحد ، أنه جعل يوصى ابن عمه على بن أبى

طالب رضى الله عنه اذا أزفت ساعته الأخيرة فى هذه الدنيا وواراه فى حفرته ألا يخرج من بيته حتى يجمع كلام الله من جرائد النخل وأكتاف الابل ويؤلفه (أى يجمعه) فى كتاب واحد .

وهذا الاهتمام الايجابى بتدوين القرآن الكريم ، وجمع آياته ، وسوره ، بين دفتى كتاب واحد كان يقابله من قبل النبى صلى الله عليه وسلم اهتمام سلبى بعدم السماح بكتابة ما يحدث به من غير الوحى الرسمى ، فلقد نقل الينا الثقاة من الرواة أحاديث كثيرة بصرف الناس عن تسجيل الحديث الشريف بالكتابة والتدوين ، منها ما روى مسلم فى صحيحه عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

« لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ولقد التزم الصحابة الكرام رضى الله عنهم بما أوصاهم به النبى صلى الله عليه وسلم ، سواء فى حياته أو بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، فلم ينقل عنهم أنهم تسامحوا بوجود كتاب آخر الى جانب كتاب الله الوحيد ، فى شؤونهم الدينية ، حتى ولو كان هذا الكتاب وصاة نبوية أخيرة لصلاح أمور المسلمين ، وعدم انحرافهم الى الغى والضلال ، فلقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : — ايتونى بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . قال عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا .

وحين يتصدى عمر بن الخطاب لهذا ، فانما هو يتجاوب مع ما كان النبى نفسه يدعو اليه ، ويلح عليه فى كل مناسبة من ضرورة الابقاء على القرآن الكريم مدونا وحده ، كيلا يتداخل فيه كلام ليس منه من جهة ، ولا يلتبس موضوعه ، وهو بعد غض طرى فى غيره مما هو مدون من جهة ، يؤيد ذلك ما ذكره صاحب « مختصر جامع بيان العلم وفضله » ابن عبد البر النمرى عن عروة : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن ، وهو على امرة المؤمنين فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : انى كنت أريد أن اكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا يكتبون قبلكم كتبا ، فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا أشوب (وفى نسخة لا أنسى) كتاب الله بشىء أبدا .

ومثل عمر ابن مسعود الذى صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وفقه رسالته ، ثم أصبح بعد وفاته عليه السلام واحدا من المراجع الموثوقة فى التشريع والسنة ، فلقد ذكر أنه أخذ من بعض زائريه صحيفة عليها كتابة من غير القرآن ، وطلب الى جاريته أن تسكب عليها الماء ، ومحاها بيده قائلا : — ان هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره .

بيد أن هذا الحظر الذى أحكم طوقه على الكتاب فترة النبوة ، وما بعدها زمن الخلفاء الراشدين ، لم يدم طويلا ، فطبيعة الأمور ، وتطور الحياة ، وتداخل العناصر الانسانية المتباينة ، التى آلف بينها الدين الجديد ، كل ذلك أدى فى النهاية الى انفراج الأفكار بعد تزمتها ، واتساع الصدور بعد تحرجها ،

واستعادت الكلمة المكتوبة سبيلها الى الصحف ، وان لم تكن وحيا منزلا فى قرآن كريم .

وها هو ابن النديم ، فى كتابه الفهرست ، يذكر لنا أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ما ان اطمأن الى استقرار الخلافة فى سلطانه وآل بيته ، حتى أرسل الى عبيد بن شرية الجرهمى أن يقبل عليه من صنعاء اليمن ، ليروى بين يديه الأخبار المتقدمة ، وما يتصل بملوك العجم والعرب ، وسبب تبلبل الألسنة ، وأمر افتراق الناس فى البلاد ، وأمر موظفيه بأن يدونوا ما يرويه عبيد ، وينسب اليه . ثم ان ابن النديم يضيف الى ذلك قوله : — ان لعبيد هذا مؤلفات كثيرة منها (كتاب الأمثال) فى نحو خمسين ورقة رآها هو بنفسه .

والذى حكاه لنا ابن النديم من أمر معاوية رضى الله عنه مع صاحبه اليمانى ، يدلنا بما لا يقبل المناقشة والشك ، أن الكتاب العربى وجد له مكانا كريما فى رحاب الحاكمين من العرب ، الذين أولوه اهتمامهم ، وأقبلوا عليه يلتمسونه من صدور الرجال ليثبتوه فى متون الصحف ، ويتخذوا منه مرجعا أمينا فى معرفة مصادر التاريخ ، وألوان العلوم المختلفة .

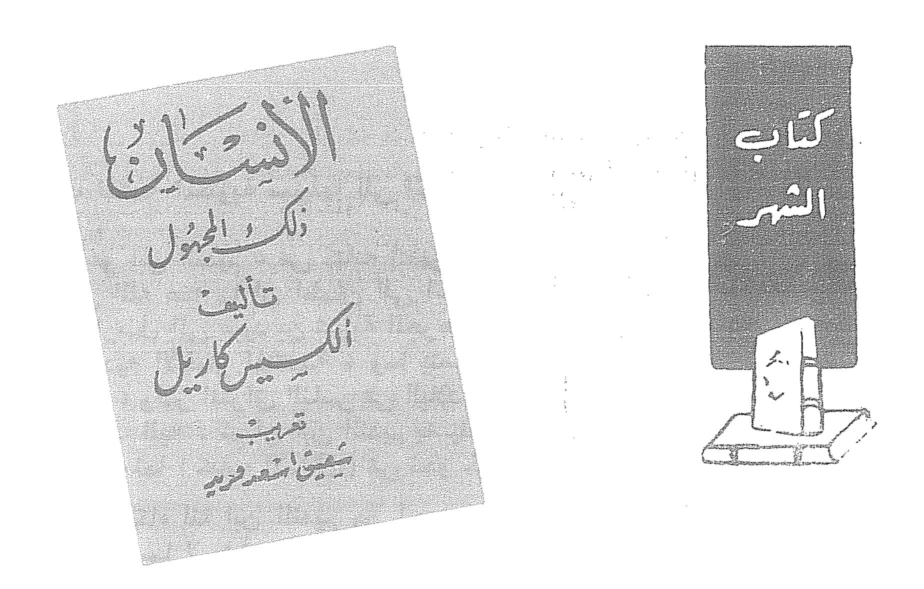
والناس ، شأنهم فى كل مكان وزمان ، على دين ملوكهم ، وأهواء هؤلاء الملوك ، يتنافسون فى محاكاتهم وتقليدهم فى تقاليدهم ، محبة لهم ، أوزلفى اليهم ، أو تساميا الى ادراك سويتهم فى الجاه والمقام .

فاذا كان أمير المؤمنين قد أفرد للكتب فى مقره مكانا يعوذ به كلما آنس من نفسه رغبة بالانصراف عن شؤون الحكم وشجونه ، فانه جدير بواحد من رعاياه أن يتخذ من داره ناديا ، يتداعى اليه الناس لازجاء أوقات فراغهم بالمطالعة فى الكتب ، أو فى محاورة أحجار الشطرنج ، وما الى ذلك مما يكون فى النوادى عادة ، فقد حدثنا أبو الفرج الاصبهانى فى أغانيه قال : — كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحى ، قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجين وزادت وقرقات (من ألعاب الصبيان) ودفاتر (كتب) فيها من كل علم . وجعل فى الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم .. الخ .

.. أجل ، كان للعرب فى أيام مؤسس الدولة الأموية ، دار مستقلة ، فيها غرف متعددة خصص بعضها للكتب يطالع بها من يشاء ، وأخرى لألعاب التسلية يقصدها من يشاء ، وقاعة للاستراحة ، وعلى الجدران مشاجب ، وما اليها ، تعلق عليها المعاطف ، وما يثقل كاهل الرواد من رداء أو قباء ، والذين يطلبون العلم من كل طبقة ، ومن كل لون ، يتوافدون عليها ، ويتداولون على رفوفها ، ليتنا ولوا الكتاب الذى يطلبونه من المكان المخصص له ، بحسب مادته ومؤلفه ، وموضعه ، حتى اذا استوفوا حاجتهم من القراءة ردوه حيث كان من قبل ..

صورة من الماضى طويت دونها مئات السنين ، ليس فى حاضرنا ما يختلف عنها فيما أعتقد الا بعض الفروق والتفاصيل التى فرضتها ظروف الحياة المتطورة ، خلال أربعة عشر قرنا من الزمان .

وبعد ، فلعلنا نستطيع بعد الذى قدمناه أن نزعم بأن العرب كان لهم فى جاهليتهم ، وعند انبثاق الاسلام فى ربوعهم صلة رحم موصولة مع الكتاب والمكتبات جديرة بأن تقنع المؤرخين بأن هذه الأمة لها فى تاريخ الفكر نصيب من التقدير والاحترام .



الانسان ذلك المجهول

تأليف الدكتور : الكسيس كاريل
تقديم الأستاذ : رمضان لاوند

لم يحدث فى تاريخ الكتاب المعاصر لجيل الحرب العالمية الثانية أن الرأى العام المثقف والدوائر العلمية ذات العلاقة ، قد تأثرت بكتاب معين بين مؤيد ومعارض كما تأثرت بكتاب الدكتور الكسيس كاريل الذى قدمه بعنوان « الانسان ذلك المجهول » .

فمن هو الدكتور المؤلف لهذا الكتاب أولا ؟ ولماذا كانت الشهرة الخاصة لهذا الكتاب ثانيا ؟ وما هى المواقف الرئيسة التى تميزت بها مادة الكتاب ثالثا ؟ وهل استطاع المؤلف أن يسلط بمادته العلمية فى هذا الكتاب ضوءا على الحقائق النهائية التى يسعى اليها الانسان منذ عرف نعمة القراءة وقيمة تقليب النظر فى خلق السموات والأرض والحياة ؟ .

الاجابة عن هذه التساؤلات تفرض علينا أن نقسم موضوع هذه المقالة الى أربعة اقسام .

من هو الكسيس كاريل ؟

الدكتور الكسيس كاريل من مواليد قرية قريبة من مدينة ليون الفرنسية

لعام ۱۸۷۳ . تابع مراحل دراسته كلها حتى بلغ نهاية المرحلة الجـامعية فى هذه المدينة وحصل على اجازة الطب من جامعتها . ثم انتقل الى مدينة ديجون الفرنسية أيضا فحصل من جامعتها على اجازة فى العلوم .

وبعد سنوات انتقل الدكتور كاريل الى الولايات المتحدة حيث شارك فى نشاط العلماء فى معهد روكفلر للابحاث العلمية فى نيويورك .

ومنح عام ۱۹۱۲ م جائزة نوبل تقديرا لابحاثه الطبية الفريدة . وفى عام ۱۹۳۹ وكان قد أمضى ثلاثين عاما فى معهد روكفلر اعتزل العمل الوظيفى الرسـمى وانصرف الى تعميق أبحاثه المتعلقة (بالقلب الميكانيكى) الذى يقـال ان فى امكانه توفير اسباب الحياة للمريض بدلا من القلب الاصلى لمدة غير محدودة .

فى اثناء الحرب العالمية الثانية اشترك مع أطباء آخرين فى القيام بمهمات خاصة عهدت اليه من قبل وزارة الصحة فى بلاده . وتوفى عـام ١٩٤٤ عن عمر ناهز الواحد والسبعين من أعوام قضى اكثرها عاملا من أجل المعرفة .

وقبل وفاته بسنوات أصدر كتابه « الانسان ذلك المجهول » فأحدث بما ضمنه من النظرات النفاذة والأصيلة ضجة واسعة فى الرأى العام المثقف وفى عدد من الدوائر العلمية ذات العلاقة .

اسباب شهرة الكتاب :

يبدو لنا أن شهرة كتاب « الانسان ذلك المجهول » تعود أولا الى طبيعة الموضوع نفسه. فالملاحظ أن منجزات العلم الغربى منذ بداية النهضة بعد القرون الوسطى حتى اليوم هى منجزات تتصـل بالجانب المادى البحت بسبب من سهولة البحث فيه وملاحظة وقائعه واكتشـاف القوانين والسنن الثابتة التى تنظم وجوده . من أجل ذلك ابتعد العلم الغربى عن الابحـاث البيولوجية فى بداية الامر واهتم بالابعاد المادية الجـامدة للموجودات . وبعد أن حقق العلم الحديث قفزات واسعة فى ميدان الفيزياء والكيمياء المعدنية وما يتصـل بهما من موضوعات وحقق اكواما من الاختراعات التكنيكية المدهشة وجد نفسه أمام معميات « الحياة والأحياء » فاضطر لتعبئة جهوده من أجل التعرف الى أسرارهم واكتشاف القوانين التى تنتظم بها تحركاتهم . ولما كان الانسان هو فى طليعة الكائنات الحية من حيث الاهمية ومن أكثرهـا تعقيدا واثارة للاهتمام فقد جاء كتاب « الانسان ذلك المجهول » بمثـابة الخطوة الكبرى التى حققتهـا موجة البحوث الانسانية المعاصرة .

وتعود شهرة الكتـاب ثانيا الى ما يتميز به من الشـمول . فالواقع أن المؤلف لم يصدر فيما حققه وناقشه عن تجـاربه الخاصة وحسب بل لجأ الى مجموعة الابحاث والدراسات التى قام بها زملاؤه فى المعهد المذكور وهم فئات متخصصة فى جملة من العلوم المادية والانسانية . وقد جاء فى مقدمة المؤلف بهذا المعنى ما يلى : « من حسن حظى أن سمح لى مركزى بأن أدرس دون بذل أى مجهود أو الطمع فى أى ثناء ظواهر الحياة فى تعقيدها المخيف .. فلاحظت كل وجه من وجوه النشاط البشرى بصفة عملية . كما أننى عليم بكل ما يكتنف الفقير والغنى ، الصحيح والسقيم ، المتعلم والجاهل ، ضعيف العقل والمجنون ، الذكى والمجرم الخ » ثم يقول : « لقد القت بى الظروف فى طريق الفلاسفـة والفنانين والشعراء والعلماء ، والعباقرة والقديسين .. كما درست فى الوقت

نفسه التركيب الميكانيكي الفائر في أعماق الأنسجة كتلافيف المخ الذى هو فى الحقيقة الأساس العميق للظواهر العضوية والعقلية » . وأما عن نشاطه فى المعهد بخاصة فيقول : « هناك أفكر فى ظواهر الحياة حينما يحللها الخبراء الذين لا يبارون أمثال ملتزر وجاك لويب ونجيوشي وكثيرون غيرهم الخ » .

ولو أتيحت لنا فرصة لنقل كل ما ذكره عن المعلومات التى توفرت بفضل جهوده وجهود عشرات من المتخصصين فى مختلف فروع المعرفة لاتضحت لنا ظاهرة الشمول التى تميز بها كتابه . فهو اذن لم يعتمد الأبحاث المخبرية وحسب فى هذا الكتاب بل لجأ الى كل الدراسات الانسانية من تاريخ وعلم نفس وتربية واجتماع وأخلاق ودين وفلسفة الخ ..

أما السبب الثالث لشهرة كتاب « الانسان ذلك المجهول » فهو فى أنه لم يرتفع فى تعقيده الى مستوى الخبراء المتخصصين ولم يهبط فى تبسيطه الى تعميمات السطحية الابتدائية . لقد جعل من موضوعاته مادة لا يرفضها المتخصص بل لعلها تثير اهتمامه ولا تستعصى على القارىء المثقف العادى بحيث يعجز عن متابعة قراءته ويقول فى تبرير المحاولة التى قام بها لتأليف الكتاب « أننى عالم تماما بالصعوبات التى تقترن بالاقدام على هذا العمل .. ومع ذلك فقد حاولت أن أودع جميع المعلومات التى تتصل بالانسان صفحات كتاب صغير . اننى لا أرضى الاخصائيين لأنهم يعرفون أكثر مما أعرف ولن اسر الجمهور لأن هذا الكتاب يشتمل على كثير من التفصيلات الفنية ومع ذلك فانه لم يكن لى مفر من تلخيص معلومات عدة علوم » .

وأما السبب الرابع لشهرة الكتاب فيعود الى جدة الموضوع وطبيعته اللتين فرضتا نفسيهما أمام الاحتمالات الشديدة للتدهور والانحطاط فى حضارة اليوم .

المؤلف يعلن فى مقدمة الكتاب قوله « لقد فتنهم « أى ناس اليوم » جمال علوم الجماد .. انهم لم يدركوا ان أجسامهم ومشاعرهم تتعرض للقوانين الطبيعية وهى قوانين أكثر غموضا ، وان كانت تتساوى فى الصلابة ، مع قوانين الدنيا .. كذلك فهم لم يدركوا انهم لا يستطيعون أن يعتدوا على هذه القوانين دون أن يلاقوا جزاءهم » ثم يقول بعد قليل « ان الانسان يعلو كل شىء فى الدنيا فاذا انحط وتدهور ، فان جمال الحضارة ، بل حتى عظمة الدنيا المادية ، لن تلبث أن تزول وتتلاشى » ..

مادة الكتاب :

وهنا نجد أنفسنا أمام السؤال الثالث الذى طرحناه مع غيره فى بداية هذا الحديث « ما هى المواقف الرئيسية التى تميزت بها مادة الكتاب ؟ » .

من الممكن أن نجيب عن هذا السؤال بكلمة واحدة مقتبسة من العنوان نفسه :

ان مادة الكتاب التى تميزه من سواه هى « الانسان » . ومما يؤكد هذه الحقيقة العناوين التى قدمت بها الفصول الثمانية لكتابنا هذا . انها كلها تدور حول الانسان نفسه « الحاجة الى معرفة الانسان معرفة أفضل ــ علم الانسان الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجى ــ النشا طالعقلى ــ الزمن الداخلى ــ الوظائف التنسقية ــ الفرد ــ اعادة صياغة الانسان » ..

ولما كانت هذه العناوين اطارات واسعة لجملة كبيرة من المعانى والحقائق التى تتجاوز الآلاف عدا فان أى محاولة لتلخيص الكتاب تبقى محاولة عاجزة عن استيعاب الحقائق الرئيسية فيه ولكن هذا لا يمنعنا من تقديم صورة تقريبية لما يحتويه لا لتغنى القارىء عن متابعة الحقائق فى صفحاته بل لتكون بمثابة الحافز الذى يدفع القارىء الى البحث عنه والتأمل فيما ورد فيه .

معرفة افضل بالانسان :

المؤلف الدكتور الكسيس كاريل يؤكد الحقيقة المتفق عليها وهى أن علوم الطبيعة الجامدة قد سبقت علم الحياة باشواط كثيرة مما سبب جهلنا الفاضح بحقيقة تكويننا الجسدى والنفسى . وهو يرى أن المنجزات الضخمة التى حققها الانسان فى الفيزياء والكيمياء والتى بلغ بها قمة التكنولوجيا الحديثة ان فى ميدان غزو الفضاء او تحليل معادن الارض وفلذاتها المختلفة وصنع مركبات جديدة منها أو فى ميدان العقول أو الآلات الحاسبة .

ويرى أن السبب فى ارتفاع الاكوام العظيمة من المعلومات المادية فقط مع جهلنا التام نسبيا بحقيقتنا الانسانية راجع الى طريقة وجود اسلافنا والى تعقد التركيب الانسانى من الناحيتين الجسدية والعقلية .

ثم يطرح المؤلف عددا غير قليل من الأسئلة الاساسية المتعلقة بالانسان ويقول انها لم تجد الاجابات الصحيحة لها فى الدوائر العلمية المختصة من مثل .

١ ــ كيف تتحد جزئيات المواد الكيماوية لكى تكون المركب والاعضاء المؤقتة للخلية ؟

٢ ــ ما هى ، طبيعة تكويننا النفسانى والفسيولوجى ؟

٣ ــ كيف تقرر الجينس (١) الموجودة فى نواة البويضة الملقحة صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة . ؟

٤ ــ ما هى طبيعة العلاقات بين الشعور والمخ ؟

٥ ــ كيف تنتظم الخلايا فى جماعات من تلقاء نفسها مثل الأنسجة والأعضاء ؟

٦ ــ ما هى مصادر وطبيعة العمليات الميكانيكية الخفية التى تبنى الجسم البسيط والمعقد فى الوقت ذاته الخ . .

وهناك أسئلة أخرى كثيرة منها ما ورد فى الفصل الأول من الكتاب وفى الصفحة ١٨ منه بصورة خاصة ومنها ما لم يرد وهى كلها تشكل علامات استفهام يقف العلم الحديث أمامها عاجزا حتى اليوم . ولعل أهم سؤال معجز يهمنا نحن البشر هو « كيف نستطيع أن نحول دون تدهور الأنسان وانحطاطه فى المدنية العصرية ؟ » .

والمؤلف يرى أن حياتنا الصناعية الحديثة قد حققت تغييرات شديدة فى بيئتنا المادية وفى أنواع أغذيتنا وفى ظروفنا العقلية والنفسية . وقد انهارت بسبب ذلك كل الثقافات القديمة بما فيها المعتقدات الدينية فى الغرب بخاصة .

---

(١) الجينس وتسمى الناسلة وهى المركب الحيوى الذى تتقرر به وباعداده ذكورة الانسان وانوثته وخصائصه المختلفة .

المجهود أصبح أقل .. والمتعة أصبحت أوفر .. والتلهف على السلع تزايد بصـــورة تلفت النظر والرغبة في الثراء قد بدأت تتجـــاهل القيم الاخلاقية .. والاحساس بالنهم يزيد بصورة مخيفة .

أما التقدم الصحى فقد أصبح قادرا على انقاذ الضـــعفاء والاقويـــاء من المرضى وبالتالى أصبح قادرا على تمديد حياة الانسان لفترة تتفاوت طولا وقصرا وهى ظاهرة تحول دون أن يلعب قانون بقاء الأصلح دوره فى صـــنع المجتمع الصحى القوى .

ويعلن المؤلف بعد عرض مطول للظروف العصرية الجديدة أن الحضارة اليوم « تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتها الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس واوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » .

ثم ينهى المؤلف مناقشته لهذا الموضوع فيؤكد فى ص — ٤١ — وجوب أن يكون الانسان مقياسا لكل شىء . ولما كان غريبا فى واقع أمره عن العالم الذى ابدعه بفضل التقدم الاعتباطى للعلوم المادية فقد وجب أن يعاد النظر فى خطة الدراسة القائمة .

ما هو علم الأنســـان : ؟

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى ليقول لنا الحقـــائق التالية التى نوردها على صورة عناوين سريعة لا تفى بالغرض المطلوب .

يقول :

١ — معلوماتنا عن الانسان كثيرة ولكنها مشوشـــة غير متجانسة .

٢ — يجب أن نحقق توازنا فى الجهود المبذولة لدراسة نواحى الانسان المختلفة والاهتمام بالظواهر المعقدة تماما كالاهتمام بالمظاهر البسيطة .

٣ — علم الانسان يجب أن يجزأ الى علوم فرعية كثيرة وهو فى حاجة الى فنون متعددة . ومن الممكن اعطاء صورة عددية تقريبية لهذه الفنون التى منها بالاضافة الى الالكترونات والذرات والخلايا والانسجة والاخـــلاط ووظـــائف الاعضاء — علوم النفس والاجتماع والتربية والاخلاق والاقتصاد والدين وفلسفة الفنون الجميلة الخ ..

كما يقرر فى ص ٤٨ أن « علماء الفسيولوجيا فى القرن التاســـع عشر وتلاميذهم الذين لا يزالون يتسكعون حولنا ارتكبوا مثل هذا الخطأ حينما حاولوا ان يختزلوا الانسان اختزالا تاما الى كمياء مادية » .

ولا ينسى المؤلف تسليط الضوء على ظاهرة لافتة للنظر عند العلماء . انه يقرر أن هؤلاء العلماء يختارون من بين الوقائع ما يساعدهم على اثبات فرضية لهم خاضعين فى ذلك لاحساساتهم الخاصة وتكوينهم العلمى والفلسفى . انهم يهملون الموضوع الصعب أو الغامض أو يخفون جزءا من الحقيقة فى الجداول التى ينظمونها ذلـــك لأن العقل الانسانى بطبيعته يميل الى الحلول الدقيقـــة الواضحة والمتميزة بالسهولة البالغة .

والمثل على ذلك أن علماء وظائف الاعضـــاء العصريين هم أشد اهتماما

بالظاهرات الطبيعية الكيمائية عند الحيوانات الحية منهم بالتركيبات الوظيفية المعقدة للاعضاء . يضاف الى ما سبق أن كثيرا من العلماء المتخصصين في علم الانسان يتجاهلون الحقائق التى لا تتفق مع معتقداتهم العلمية أو الفلسفية كما هو شأن جان روستان الذى توفى منذ عام ونيف فى فرنسا والذى كانت ابحاثه العلمية وطريقة اختياره للوقائع خاضعة لفلسفته المادية ولالحـاده بالحقيقة الالهية .

ان جان روستان بالرغم من معرفته وخبرته الكبيرة باسرار علوم الحياة يبدو متحيزا فى تقرير الحقائق لأنه لا يقبل منها بوعى أو بغير وعى منه غير تلك التى تثبت نظرياته الفلسفية السائدة أو المسبقة التى تبناها لنفسه .

ومع ذلك فان صاحب كتاب « الانســان ذلك المجهول » لا يلبث أن يقرر حقيقة علمية هامة فى قوله ص ٥٤ « تبدو الوسيلة العلمية للنظرة الأولى غير قابلة للتطبيق على تحليل جميع وجوه نشاطنا » .

يقصد بذلك أن الحقائق التى لا بعد لها فى المكان والزمان لا يمكن أن تقاس بالاجهـزة العلمية . فهذه الاجهزة مثلا لا تســتطيع أن تقيس الغرور والحقد والحب والجمال أو الأحلام والالهام ولكنها تسجل بسهولة بالغة الانعكاسات المادية الوظيفية لهذه الحالات النفسية على الأعضاء البشرية .

الدكتور الكسيس يعتقد أن فى وسع العلم أن يغزو مملكة النفس وميدان الوظائف الاخلاقية والادبية الغامضة ولكن هذا الغزو يتم بطريقة غير مباشرة .

هكذا تتوفر للعلماء معرفة متكاملة بالانسان وبالتالى يتحقق التوازن بين الجانبين المادى والروحى . والخلاصة أن صاحب الكتاب الدكتور كاريل يعلن فى نهاية هذا الفصل المهم من كتابه ص ٥٩ « أن علم الانسان يستخدم جميع العلوم الأخرى . وهذا سبب من أسباب بطئه وصعوبته » .

الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجى :

وفى فصل آخر ناقش الدكتور موضوع الجسم البشرى من خلال نشاطه الوظيفى ، فلاحظ حقيقة أساسية هى احساس الانسان باصالة شخصيته . قال ص ٧٥ « اننا شاعرون بوجودنا ، وبأننا نملك نشاطـا خاصا بنـا ، أى بشخصيتنا .. ونعلم ايضا أننا نختلف عن الأفراد الآخرين ، ونعتقد أن ارادتنا حرة ، ونشعر بالسعادة أو التعاسة .. وهذه البديهيات تعين لكل منا الحقيقة النهائية » .

وفى فقرة أخرى من هذا الفصل يلاحظ وجود علاقة بين طبائع الانسان وشكله وطريقة شد قامته بل وشكل وجهه الخ .. ثم ينتقل الى التفصيل فيبدأ بالحديث عن الجلد الذى يغطى السطح الخارجي للجسم فاذا به يسلط الضوء على وقائع مدهشة معجبة فى مميزات الجلد وخصائصه لا يســعنا أن ننقلها الى القارىء بسبب من ضخامة المادة وتنوعها . فاذا انتهى من التعرض للجلد أعلن حقيقة أخرى هى أن « جســمنا الداخلى لا يشــبه تعاريف التشريــح الكلاسيكى . فعلم التشريح فى نظره هو اعجز مــا يكون عن اعطاء صــورة حقيقية للجسد البشرى . ولا ينسى فى اثناء العرض الدقيق والمكثف فى الوقت نفسه لأسرار الجسم البشري ، أن يحدثنــا عن الاخلاط التى تلعب دورا بالغ

الأهمية فى جعل الحياة مستمرة وفى تحقيق التوازن المطلوب . ثم ينتقل بعد ذلك الى جملة من الموضوعات يأتى فى مقدمتها دور الغدد الجنسية ووظائفها التى تتجاوز حفظ الجنس . انه يقرر انها تزيد من قوة النشاط الفسيولوجى والعقلى والروحى ويعقب على هذا قائلا فى ص ١٠٨ « فليس هناك خصى أصبح فيلسوفا عظيما أو عالما خطير الشأن أو حتى مجرما عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية » .

وتبلغ دهشة الدكتور مبلغا شديدا حين يتعرض لرأى القائلين بتساوى المرأة والرجل . انه يؤكد ان أهمية الجنسين غير متساوية فيما يتعلق بتكاثر الجنس « وأن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ومن وجود الرحم والحمل أو من طريقة التعليم . اذ أنها ذات طبيعة اكثر أهمية من ذلك . أنها تنشأ من تكوين الانسجة ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض » ص ١٠٨ — أما الأعصاب وما فيها من عوالم غريبة ومدهشات وتعقيدات فى كل جزء من اجزاء الجسم البشرى وبصورة خاصة فى الدماغ فقد تحدث عنها المؤلف حديثا مطولا قرر فيه عجز العلم عن التعرف للكثرة الساحقة من اسراره الخفية .

النشاط العقلى :

وبعد أن يلخص الدكتور المؤلف قصة الجسم البشرى فى فصل يشغل ستين صفحة من الكتاب ينتقل الى موضوع النشاط العقلى فيناقش فيه الموضوعات التالية :

١ — النشاط العقلى وعلاقته بجميع وجوه النشاط الجسدى .

٢ — قياس النشاط العقلى وشروط نموه والعقول المنطقية والسريعة الادراك والبصر المغناطيسى وتراسل الأفكار .

٣ — النشاط الأدبى مع ما يرافقه من التغييرات الكيماوية .

٤ نشاط علم الجمال . الجمال واهميته العملية .

٥ — رأى فى تجارب ما لا يدركه العقل .

٦ — التناسق بين الاحساسات العقلية والاخلاقية والذوقية .

٧ — العلاقة بين وظائف الاعضاء والنشاط الذهنى .

٨ — التفكير والعمل والصلاة والمعجزات .

٩ — تأثير البيئة الاجتماعية على وجوه النشاط العقلى .

١٠ — الأمراض العقلية والبيئة الاجتماعية .

والملاحظ أن هذه الموضوعات ليست مما يسهل تقديم صورة عنه الى القارىء .

أن كلا منها فى حاجة الى عدد من الصفحات فى أقل تقدير . ولذلك فاننا نقصر عرضنا هنا على تقرير الحقيقة التالية التى قررها المؤلف فى اثناء تعرضه لظاهرة الصلاة وتأثيرها فى تحقيق تغيرات أساسية فى بناء الجسم . وبعد أن يستعرض عددا من هذه التغيرات التى حصلت بالفعل يقول ص ١٧٣ « ان لمثل هذه الحقائق مغزى عظيما فانهما تدل على حقيقة علاقات معينة ذات طبيعة ما زالت غير معروفة ، بين العمليات السيكولوجية والعضوية .. وتبرهن على

الأهمية الواضحة للنشاط الروحي الذي أهمل علماء الصحة والمربون ورجال الاجتماع دراسته اهمالا يكاد يكون تاما .. هذه الدراسة تفتح للانسان عالما جديدا » .

الزمن الداخلي :

وهنا نبلغ أعقد الفصول في الكتاب واكثرها اثارة للاهتمام . ذلك أنه يحاول فيه أن يدرس علاقة الزمن بالحياة البشرية . أنه يعرف الزمن الداخلي في ص ١٨٩ كما يلي : « ان الزمن الداخلي هو تعبير عن تغييرات الجسم ونشاطه ابان الحياة .. وهو مساو لذلك التتابع المستمر لحالاتنا التركيبية والأخلاطية والفسيولوجية والعقلية التي تكون شخصيتنا » .

ثم يستشهد المؤلف بفقرة مما كتبه ويلز في كتابه « آلة الزمن » فيقول نقلا عنه « ان صورة الانسان في سن الثامنة والخامسة عشرة والسابعة عشرة والثالثة والعشرين وهلم جرا هي أجزاء ، أو بالأحرى صورة في ثلاثة أبعاد لمخلوق ثابت غير قابل للتعديل ومكون من اربعة ابعاد . والبعد الرابع هنا هو الزمن » .

ولننقل رأيا آخر لبرغسون الفيلسوف الفرنسي استشهد به المؤلف أيضا في ص ١٩٠ قال : « ان العمر ليس لحظة تأخذ مكان أخرى .. فالعمر هو التقدم المستمر للماضي الذي ينهش المستقبل ويتورم كلما تقدم .. وتكدس الماضي فوق الماضي يستمر دون تراخ . وفي الحقيقة أن الماضي يحفظ نفسه آليا ومن المحتمل أن يتبعنا بكليته في كل لحظة .. ولا شك في أننا نفكر بقسم صغير فقط من ماضينا . بيد أننا نرغب ونصمم ونعمل بكل ماضينا بما في ذلك الميل الأصلي لروحنا » .

ويعقب المؤلف على كلام برغسون فيقول في الصفحة نفسها :

« اننا تاريخ .. وطول هذا التاريخ ، يعبر عن غنى حياتنا الداخلية أكثر مما يعبر عنه عدد سنوات حياتنا . ونحن نشعر بشكل غامض اننا لسنا اليوم مثلما كنا بالأمس .

اذ يبدو كأن الأيام تطير بسرعة اكثر فاكثر . الا انه لا يوجد بين هذه التغييرات ما هو دقيق أو مستمر الى درجة كافية بحيث يمكن قياسه » .

مما سبق يتبين لنا ان الانسان يحتفظ بوحدته لا في فترة معينة ثابتة بل عبر حياته كلها . انه يحس بهذه الوحدة مهما تغير في مظهره الخارجي رغم احساسه بوجود تطورات نفسية في اعماق ذاته . هذه الوحدة المستمرة تتمثل في حركة أعضائه من ناحية وفي تتابع مشاعره واحساساته من ناحية اخرى . وفي كلتا الحركتين تبرز حقيقة الزمن الداخلي عنده .

الوظائف التنسيقية :

هل يعلم الكثيرون بأن العمر مشروط بوظائف التنسيق في داخل الجسم البشري ؟ وهل يعلمون أن التكيف مع الاحداث والوقائع في كل عضو من الأعضاء هو الذي يرمز الى وجود الوظائف التنسيقية ؟ وهل يعلمون أن عملية

التنســـيق هذه يجب أن تواجه كل تغيير وكل طارىء بحيث تخلق المناعة فى الجسم ضد كل الاخطار ؟ وهل يعلمون أخيرا بأن الحضارة الحديثة بما حققته من التغييرات العنيفة فى نظـــام العيش فى التنقل وطبيعة الســـكن والعمل والأغذية والتعليم وغيرها قد أحدثت عجزا ظاهرا فى قدرة الوظائف التنسيقية على النهوض لمسؤولياتها التى تحتفظ معها باستمرار الحياة ؟

كل هذه الأسئلة يجد القارىء اجابات واضحة عنها فى الفصل السادس من الكتاب تحت عنوان « الوظائف التنسيقية » .

الفرد واعادة صياغته :

كيف نظر الدكتور الكسيس كاريل الى الفرد ؟ ما هى حقيقة الدور الذى يقوم به ؟ وما علاقته بالبيئة الاجتماعية أو الطبيعية ؟ هل نجح المجتمع الحديث فى بناء هذا الفرد واعداده الاعداد الذى يتيح له فرصة ممارسته لحياة قوية سعيدة ؟ واذا لم ينجح فما الذى يجب أن يفعله العلم المعاصر ؟

يجيب المؤلف عن هذه التساؤلات بتقرير الوقائع والملاحظات التالية :

١ ــ الأنسان نتيجة الوراثة والبيئة وعادات الحياة والتفكير .
٢ ــ انه عاجز عن تكييف نفسه مع البيئة التى خلقتها التكنولوجيا .
٣ ــ مصيره هو الانحلال فيما اذا استمرت هذه البيئة بظروفها القائمة .
٤ ــ نحن مسؤولون عن هذا المصير لا الميكانيكا ولا العلم .
٥ ــ الانســـــان المعـــاصر نقض القوانين الطبيعية فاســـتحق العقوبة الحتمية .

٦ ــ ان مبادىء الدين العلمى والآداب الصناعية سقطت تحت وطـــأة غزو الحقيقة البيولوجية .

٧ ــ الحضارة آخذة فى الأنهيار لأن علوم الجمـــاد قادتنا الى ميادين ليست لنا . فاصبح الفرد بها ضيقا متخصصا فاجرا غبيا غير قادر على التحكم فى نفسه وفى مؤسساته .

٨ ــ هناك أمل فى بعث قوة الأجداد وجرأتهم فى ارادة الانسان العصرى الخ ..

ويتساءل المؤلف بعد ذلك قائلا : ترى هل ما يزال هذا الانسان قادرا على تحقيق مثل هذا البعث ؟ ويجيب عن هذا السؤال فى فصل أخير وطويل بعنوان « اعادة صياغة الانسان » خلاصته المطالب التالية التى يعتبرها المؤلف ضرورية التحقيق . أنها :

١ ــ ضرورة تغيير مظهرنـــا العقلى بحيث نتخلص من تفوق الكم على النوع والمادة على الروح .
٢ ــ اعداد نوع من العلماء قادر على استيعاب أحدث النتائج التى تم الحصول عليها فى كل العلوم الانسانية .

٣ ــ انشـــاء معاهد جديدة قادرة على تحـــرير الانســـان من مذاهب الحضارة الصناعية والمبادىء التى يرتكز عليها كيان المجتمع العصرى .
٤ ــ يجب تكوين ثقافة بغير راحة وجمال بغير ترف وآلات بغير مصانع

مستعبدة للانسان وعلم بغير عبادة للمادة .. وهذه كلها تعيد الى الانسان ذكاءه واحساسه الأدبى وحيويته .

ويحاول المؤلف من بعد أن يكشف عن مواطن الضعف فى مختلف فئات المجتمع وينتهى الى تقرير الصورة التى يتخيلها لانسان المستقبل القادر على تحمل المتاعب والارتفاع الى مستوى المسؤولية ومواجهة الهزيمة والنصر يقول فى ص ٣٤٤ « فالعدو فوق أرض خشنة ، وتسلق الجبال ، والمصارعة ، والسباحة والعمل فى الغابات والحقول ، والتعرض لتقلبات الطقس ، والمسؤولية الأدبية المبكرة ، وقسوة الحياة بصفة عامة تؤدى الى تناسق العضلات والعظام والاعضاء والشعور » .

وبعد أن يقرر سلسلة من الوقائع والملاحظات يعلن فى الفقرة الأخيرة من الصفحة الأخيرة ما يلى :

« لأول مرة فى تاريخ الانسانية ، تستطيع حضارة متداعية أن تميز اسباب انحلالها ولأول مرة تجد مثل هذه الحضارة قوة العلم الهائلة تحت تصرفها .. ترى هل ستستخدم هذه المعرفة وتلك القوة ؟ انها أملنا الوحيد فى الفرار من المصير المشترك لجميع حضارات الماضى العظمى .. ان مصيرنا بين ايدينا .. فيجب ان نسير قدما فى الطريق الجديد » .

هل نجح المؤلف في التشخيص ووصف الدواء ؟

الواقع أن الحقائق التى سجلها المؤلف فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » هى من الأصالة والقوة بحيث أنها تفرض علينا اعادة النظر فيها وتدبر ما فيها من الوضوح والواقعية . ولكن هذا كله لا يمنعنا من أن نقرر بعض الملاحظات الخاصة بمنهجه فى عرض الموضوع ومناقشته .

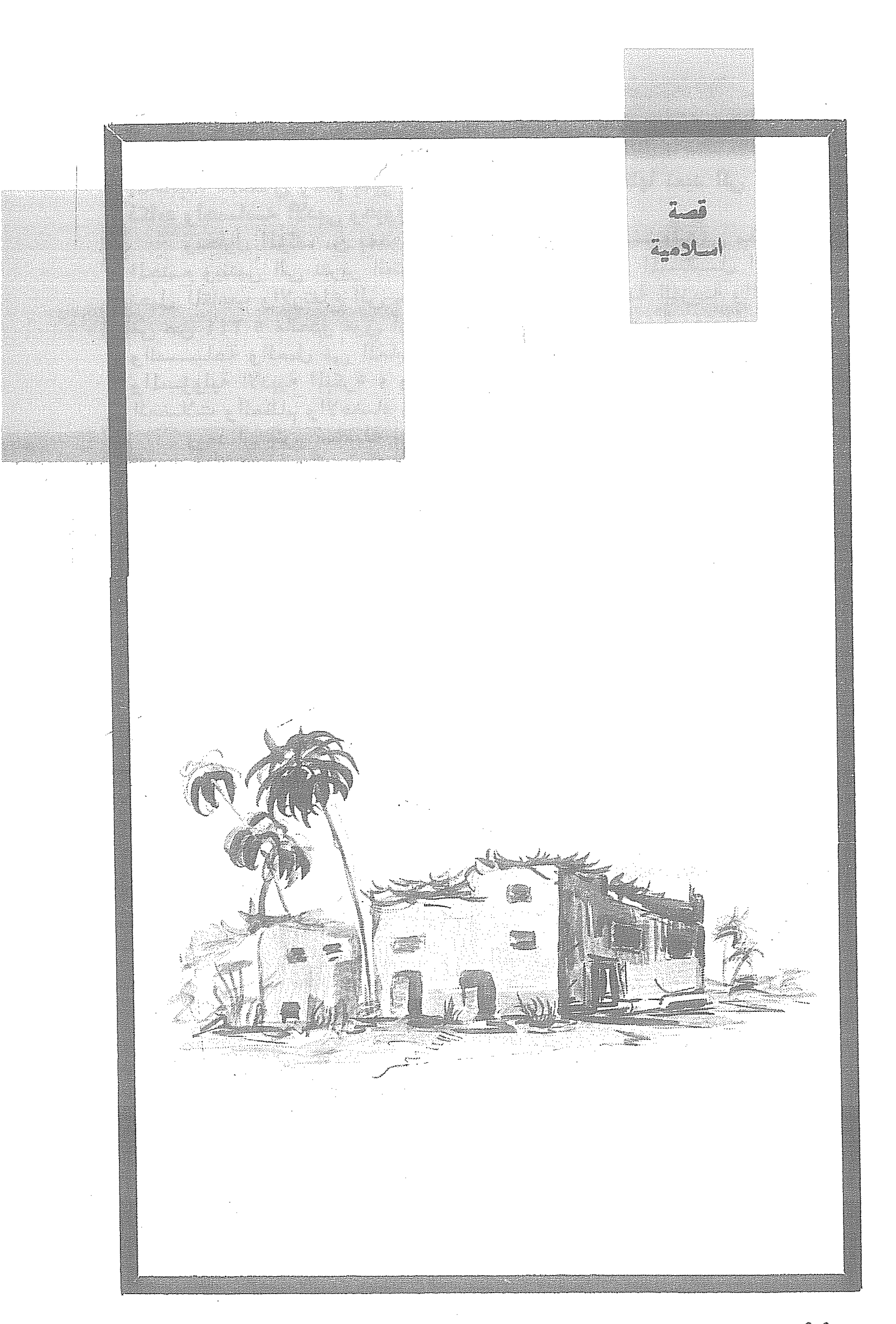
١ ـ اعلن المؤلف أن المنهج العلمى المتبع حتى اليوم قد فشل فى فهم الانسان وبالتالى فى انقاذه .

٢ ـ الاقتراحات التى يقدمها لتحرير الانسان من المخاطر نابعة من المنهج العلمى نفسه .

٣ ـ انه بالرغم من اهتمامه بالجوانب الأخلاقية والأدبية واعتباره اياها ذات اهمية اساسية يجهل المصدر الأساسى للوعى الاخلاقى والادبى الذى لم يعترف به العلم الغربى وهو الدين .

٤ ـ اهمال الكسيس كاريل للجانب الدينى نابع من فشل الكنيسة الغربية فى مواجهة اخلاقيات الحضارة الجديدة واستيعاب مشكلاتها الانسانية .

٥ ـ اننا بالرغم من موافقتنا على جوانب التشخيص فى كتابه واستفادتنا البالغة من الوقائع العلمية التى اوردها ما نزال نؤمن بأن الحس الاخلاقى الذى يحقق التوازن فى الحياة الانسانية مع النمو العلمى المادى فى حاجة الى الاسلام الذى هو وحده من دون كل الاديان قد اعتبر حركة الحياة فى ضوء قوانينها الطبيعية الميدان الأساسى لمسيرة الوعى الدينى . وقد اعلن عن جوهره هذا حين رفض الكهانة وجعل من تشريعاته وآدابه واخلاقياته توكيدا لقوانين الطبيعة والحياة .


قصة
اسلامية



للأستاذ : عبداللطيف فايد

جلس امير المؤمنين « عمر بن الخطاب » يفكر بعد ان فتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، ودخل اهلها فى دين الله افواجـا .. فمن قبل ، وعلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، دانت جزيرة العرب كلها للدين الحق .. وايام خلافة ابى بكر ، دكت جيوش المسلمين حصون الفرس والروم فى العراق وفى الشام ، وانضمت جموع جديدة تحت راية الايمان ، كلها تعلن اعتناقها لدين التوحيد .. والآن ، وخلال الأعوام الزاهرة التى انقضت من خلافة عمر ، تم القضاء على سلطان الاكاسرة ودخل الفرس فى الاسلام افواجا .. وها هو ذا عمر يفكر فى اجابة « عمرو بن العاص » على رايه فى فتح مصر ، وما هى الا فترة قد تطول قليلا او تقصر حتى تحرر جيوش المسلمين مصر من ظلم الروم وعسفهم وجبروتهم ، وسيجد اهلها من سماحة دين الاسلام ما يدفعهـم الى الـدخول فيه مؤمنين به معتنقين له ..

مرت هذه الخواطر بفكر عمر بعد ان فرغ من صلاة الجمعة بالمسلمين ذات يوم من ايام العام السابع عشر للهجرة ، وقد ازدحم مسجد الرسول بالمؤمنين حتى ضاق بهم على سعته .. وتساءل : كيف يتسع هذا المسجد للوفود الجديدة التى آمنت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا ، ولمن سيشرح الله صدورهم بعد ذلك ، وبخاصة فى موسم الحج ، والمسجد ليس مكانا للصلاة فحسب ، ولكنه منتدى المسلمين يتحلقون فيه فيقراون القرآن ويتدارسون آياته ويفقهون حديث رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، وهو مكان المشورة فى الراى بين المسلمين ومقر الحكومة !!

وسرعان ما وجد امير المؤمنين المخرج .. لقد زاد النبى فى المسجد ايام حياته ، فقد مكث هذا المسجد على حاله منذ اقام جـدرانه رسول الله

والمسلمون لأول مرة ست سنوات كاملة .. ولما فتح الله على المسلمين « خيبر » فى السنة السابعة من الهجرة ، واصبحت مدينة الرسول كلها خالصة للمسلمين ، ووفد عليها كثير ممن هداهم الله للاسلام واعتنقوه دينا ، يتخذونها سكنا ومقاما وظهرت الحاجة الى توسعة المسجد حتى يجد فيه هذا العدد الكثير من المسلمين مكانا حينما يؤدون فرائضهم او يسمعون من النبى او يتشاورون فى امر من امور دينهم ودنياهم ، فوسع النبى لهم مسجده بمقدار نصف مساحته الاولى او اقل قليلا .. وعمر يذكر عنه انه قال بعد ان دانت له جزيرة العرب كلها : « ينبغى ان نزيد فى المسجد » .. وقطع هذا القول حين ذكره عمر ، ما كان قد راوده من تردد قبل ذلك : هل يترك مسجد الرسول كما تركه الرسول ؟ ام يزيد فيه ليتسع للجموع التى تفد الى ارض النبى وتقبل على هذه البقعة الطاهرة من الديار ، تحج البيت العتيق ، وتؤدى المناسك ، وتزور المسجد النبوى وتصلى فى الروضة الشريفة .

* * *

لكن كيف له ان يوسع رقعة المسجد ويخرج بجدرانه الى ما وراءها ، ودور جماعة من المسلمين تتحلق المسجد من عدة جوانب . الا ان هذه الدور لم تكن عائقا امام فكر عمر ورايه وعزمه ، فجمع اصحابها واعلن فيهم قراره ، وانه ليس هناك بد من ازالة دورهم ليتسع مسجد الرسول للمسلمين .. ولكل منهم الخيار بين ثلاث : اما ان يبيعه داره فيرسل اليه من يقدر قيمتها ويعطيه الثمن من بيت مال المسلمين ، واما ان يقدمها هدية فله الشكر على ما اهدى ، واما ان يتصدق بها على مسجد رسول الله ، ومثل هذه الصدقة عند الله جزاؤها ..

وارتفعت الاصوات بالموافقة .. هذا فى عسر من امره ويحتاج الى المال يبنى به دارا اخرى ياوى اليها ويظل تحت سقفها عياله ، وهذا فى بسطة من الرزق ، وسيجد عند الله ثواب ما يبذل من دار لمسجد النبى .

صوت واحد ارتفع يرفض ما عرض عمر من خيار .. لم يكن صوت شخص بعيد القرابة من النبى ، او مسلما تاخذه الشبهة فى دينه او فى بلائه عن هذا الدين بالنفس والمال ، وانما كان قريبا من النبى قرابة تجعله اول من يقدمون دورهم لمسجد الرسول عن نفس طيبة ، وقلب مطمئن وحب لأن تتسع رقعة المسجد كثيرا وكثيرا على حساب دورهم وما يملكون .. انه « العباس بن عبد المطلب » عم النبى .. ان داره تقع على يمين المسجد ، ولا بد منها لتضم الجدران الجديدة الرقعة الفسيحة ، التى رسمها عمر فى ذهنه لواحد من المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها ..

وعلى عادة عمر فيما يصدر من قرارات واجه هذا الرفض فورا بما يستحق . قال للعباس : « اذا اهدمها » .. وظن عمر انه بهذا القرار

واصل الى بغيته ، فالمسجد للمسلمين جميعا ، ليس حكرا على عمر ، ولا على من سيلي شئون المسلمين بعده ، ولا على واحد من هذه الامة التى وصفها الله بانها خير أمة أخرجت للناس .. وهو حينما يقضى بهدم دار ((العباس بن عبد المطلب)) ، لن يجد احدا يطعن فى قضائه ، أو ينكر عليه ما يفعل .. لكن ((العبـــاس بن عبد المطلب)) واجــه قرار عمر ، واصراره علي تنفيذه ، باصرار علي الاعتراض يصل الى حد الرفض ، قائلا له : انها داري ، اشتريتها من مالي ، ولا حق لك فى اخراج اهلي منها ، وهدمها على كره مني ، ولو كان ذلك لتوسعة مسجد الرسول ..

☆ ☆ ☆

واخذ العجب من منطق العباس على عمر كل جوانب نفسه .. كيف يحدث هذا من عم النبى ! .. وكيف يضن بداره على المسلمين ، يوسع بها عليهم مسجدهم ! ان عمر والمســـلمين يذكرون له مواقفــه الطيبة من النبى واتباعه وهو لا يزال على دين آبائه واجداده :

يذكرون له حمايته لابن اخيه من ايذاء قريش له ولصحبه ..

ويذكرون له انه شهد مع النبى بيعة العقبة الكبـــرى ، حين اقبل الحجيج من يثرب فى عام البيعة ، وفيهم من المسلمين ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان ، ودبر النبى امر اللقاء بهم عند العقبة ، ليبـــايعوه على التأييد والنصرة ان هو قدم اليهم مهاجرا ، فذهب اليهم مع عمه هذا ((العباس ابن عبد المطلب)) ، وقبل أن يتكلم النبى او يتكلم احد من اهل يثرب ، تكلم هو .. فقال : ((يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وقد ابى الا الانحياز اليكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له فيما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه اليكم فمن الآن فدعوه)) ..

ويذكرون له بعد ان منيت قريش بالهزيمة فى غزوة بدر واعتزامها الانتقام من المسلمين فيما سمى بعد ذلك بغزوة أحد ـ انه بعث فى سر الى النبى بكتاب مع رجل من قبله يطلب اليه فيه ان ياخذ حذره ، فقد تهيات له قريش تطلب الثار ، وخرجت اليه فى ثلاثة الوية ، كل لواء من الف رجل ، وعلى راسهم سادتهـــا ونقباؤها يستحـــثون مائتي فارس ، ويستعينون فى القتال والرمى بثلاثة آلاف بعير ، ومعهم من العدة والسلاح كثير وكثير ، وقد صحبوا نساءهم يدفعنهم الى القتال ، ويهددنهم بالعار ان فروا مهزومين ..

ويذكرون له انه كان صاحب المشورة على النبى فى زواجه من ميمونة شقيقة زوجه ((أم الفضل)) ، بعد أن شرح الله صدرها للاسلام حينما شاهدت عظمة المسلمين في عمرة القضاء .. لم ينكر عليها اسلامها ، وانما اغتبط لها ، ودفعها الى هذا الشرف العظيم الذى اصبحت به من

امهات المؤمنين ، وهذه من خصوصيات حياة النبى لا يشير بها الا صاحب مكانة من قلب النبى ..

ويذكرون له ان النبى قبل جواره لابى سفيان ليلة فتح مكة وكانت سيوف المسلمين توشك ان تضرب عنقه ، بل ان النبى زاد لابى سفيان بعد اسلامه وبناء على راى العباس ، فوضع على صدره شارة الفخر حينما قال : « من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ..

يذكرون له ذلك كله . وغير ذلـــك كله ، وهو لم يدخل بعد فى دين الاسلام ، ويذكرون له الاخيرة وهو فى ساعات اسلامه الاولى ..

ويذكرون له بعد اسلامه ان النبى ولاه من مناصب البيت الحرام سقاية الحجيج من زمزم ..

ويذكرون له صيحته المدوية فى جيش الاسلام يوم حنين حين تفرقت جموعه فى اول المعركة وكادت الهزيمة ان تلحق بهم بعد انصرافهم عن النبى .. لقد صاح العباس يومها فى المســـلمين : « يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا ! .. يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ! .. ان محمدا حى فهلموا ! » وكرر هذه الصيحة حتى سمعتها جنبات الوادى ، واستعاد المسلمون فى لحظات ذكريات امجـــادهم وشرفهم ، فاجتمعوا بعد تفرق ، وكانت هذه الصيحة هى صيحة النصر ، وكروا على العدو ، فاعزهم الله بنصره بعد ان كان الخذلان سيلحق بهم عقب الجولة الاولى ..

ويذكرون له مكان الشرف والصدارة بين الصحابة المستشارين فى عهد الخليفة الاول « ابى بكر الصديق » وفى عهد الخليفة الثانى « عمر بن الخطاب » الذى يرفض الآن خياره فى اعطائه داره لتدخل ارضها فى ساحة مسجد الرسول بعد توسيعه ..

★ ★ ★

ماذا فى نفس « العباس بن عبد المطلب » من وراء هذا الرفض .. ان المسلمين لا يزالون يذكرون مع ما يذكرون من المواقف الطيبة للعباس ابن عبد المطلب ، ان النبى اعلن حمايته للعباس يوم بدر ، فاصدر امرا بالا يتعرض له واحد من اصحابه وان لقيه احدهم فلا يقتله .. وهم يذكرون كذلك ان النبى صعد على منبره ذات يوم حين علم ان بين بعض الناس وبين العباس شيئا ، وهم يريدون ايذاءه ، فقال يا ايها الناس : اى اهل الارض اكرم على الله ؟ .. قالوا : انت .. قال : فان العباس منى وانا منه ، لا تؤذوا العباس فتؤذونى ، ومن سب العبـــاس فقد سبنى » .. ان هذه القرابة للعباس من النبى ، وهذه الحمـــاية من النبـــى له حتى لا يتعرض له احد بفعل يؤذيه او قول يسىء اليه من شانهما ان يدفعا العباس الى ان يكون من السابقين الى وضع دورهم بين يدى عمر امير

المؤمنين ، ليوسع بها مسجد الرسول ، حتى يتسع للمسلمين بعد ان فتح الله عليهم بلادا كثيرة .. ولكن العباس اتخذ موقف الرفض !!

* * *

عمر لا يرضى بان يكون هذا الموقف من العباس خاتمة لفكرته فى توسيع مسجد الرسول ، فاختصم العباس وابى أن يتـــركه حتى يجعل بينهما واحدا من أصحاب رسول الله يحكم بينهما ، فاختار العباس صحابيا جليلا هو « ابى بن كعب » ليقول رايه فى القضية .. وما كان عمر ليرفض

اختيار « ابى بن كعب » حكما ، وما كان ليرفض له قضاء ، فابى بن كعب هو الملقب بسيد المسلمين ، وهو واحد من اصحاب بيعة العقبة الكبرى وهو كاتب وحى النبى ، وهو الذى امر الله رسوله ان يقرا عليه القرآن ، وهو الذى وصفه النبى بانه اقرا امته للقرآن ، وهو الذى شهد مع النبى بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها ، وهو صاحب اكبر حلقة فى مسجد الرسول لتعليم القرآن وتفقيه المسلمين فى دينهم .. لقد رحب عمر بتحكيم هذا الصحابى الجليل بينه وبين عم النبى ، واثقا من ان الحكم سيكون فى جانب رايه بهدم دار العباس لادخال ارضها فى المسجد ..

غير بعيد تقع دار « ابى بن كعب » .. وما هى الا لحظات حتى كان عمر والعباس يطرقان باب الدار .. ويلقاهما سـيد المسلميـن بالبشر والترحاب ، ويقص عليه عمر قصة موقف العباس ، فيقول ابى : ان شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. واخذ يقول : « ان الله أوحى الى داود ان ابن لى بيتا اذكر فيه . فخط داود خطة بيت المقدس ، فاذا تربيعه ببيت رجل من بنى اسرائيل ، فساله داود ان يبيعه اياه فابى . فحدثت داود نفسه ان ياخذه فاوحى الله اليه ان يا داود امرتك ان تبنى لى بيتا اذكر فيه فاردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شأنى الغصب . ان عقوبتك الا تبنيه . قال : يا رب فمن ولدى؟ ، قال : فمن ولدك ، وبناه سليمان بن داود » فاخذت الدهشة بكل قسمات وجه عمر بينما ارتسمت على وجه العباس ابتسامة ساخرة .. لقد اراد خليفة المسلمين ان يرغم العباس على امر ليس من حقه ان يفعله دون ان يدرى ، فابى عليه العباس ، ليس كعم للنبى ، وانما كواحد من عامة المسلمين ، جادله فيما يريد ، ومن حقه ان يجادل ، وان يرفع صوته بكلمة الرفض ما دام على حق ، حتى ولو كانت تتعلق بادخال دار فى مسجد الرسول .. وقال « ابى بن كعب » كلمة الحق فى القضية ، ومن واجبه ان يقول كلمة الحق لا يخشى فيها امير المؤمنين حتى ولو كان هذا الامير « عمر بن الخطاب » نفسه ، فقد كان المسلمون وقتئـذ يؤمنون بالحق وحده ، يلقون كلمته فى وجه من يحيد عنه او يتحيف فيه ، ولا يخشون سطوة خليفة او وال عليهم ، فالخلفاء والولاة انفسهم كانوا يعترفون بالحق لأصحابه حتى ولو خالف هوى فى نفوسهم او رايا سبق لهم ان اعلنوه بين عامة المسلمين أو خاصتهم ، مؤمنين بان الرجوع الى الحق فضيلة ، وانه

أساس لاستمرار عزة الامة ، وقد أعلن هذا المبدا عمر نفسه ذات يوم حينما قال باعلى صوته من فوق منبر الرسول « اصابت المراة واخطا عمر » ..

وبقى العباس وابى بن كعب فى جانب ، بينما امير المؤمنين فى الجانب الآخر لا يستطيع ان يفعل شيئا ، لكنه اخذ بمجامع ثياب « أبى بن كعب » ، وابى رجل ضعيف البنية ، هزيل الجسم ، لا يقوى على مقاومة جذبة من يد عمر .. وقال له : « يا صاحب رسول الله ، ويا سيد المسلمين ، جئتك بشىء فجئتنى بما هو اشد منه » . وجعل يقوده حتى ادخله المسجد ، فأوقفه على حلقة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهد عليه الناس .. ونادى عمر فى اصحاب النبى ان يذكر منهم

من سمع حديث بيت المقدس عن رسول الله، فاجابه عدد منهم بانهم سمعوه عن رسول الله نفسه .. فانفكت على الفور قبضة عمر عن مجامع ثياب « ابى بن كعب » ، فالتفت اليه وقال : يا عمر ! اتتهمنى على حديث رسول الله ! .. قال عمر : والله يا ابا المنذر ما اتهمتك ، ولكنى اردت أن يكون الحديث عن رسول الله ظاهرا .. ثم قال للعباس : اذهب فلا اعرض لك فى دارك ..

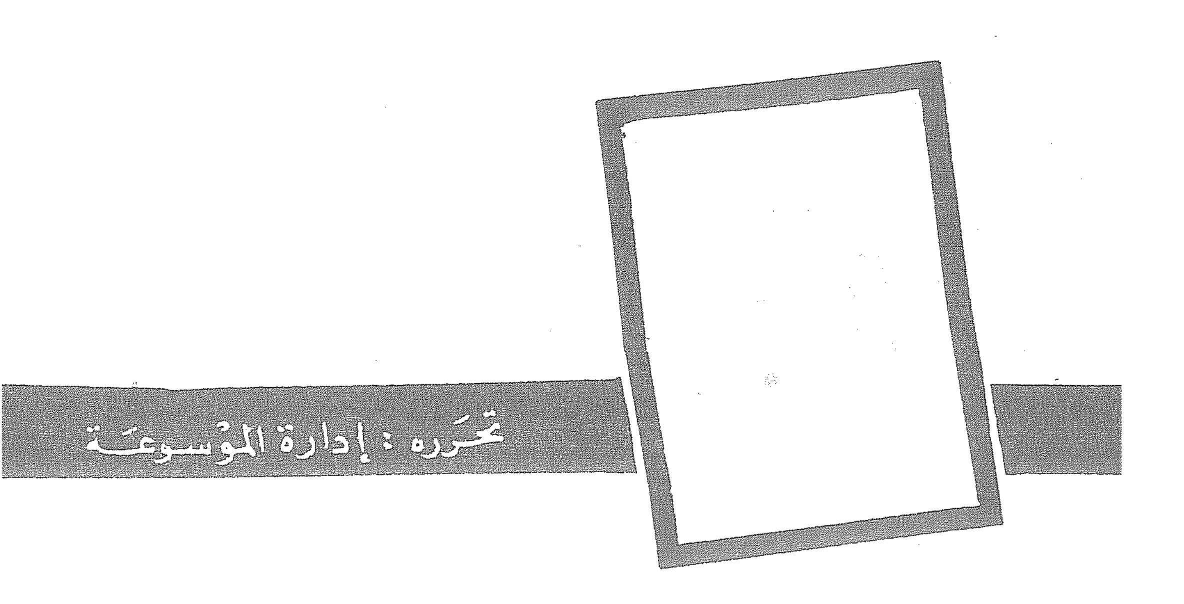
« العباس بن عبد المطلب » واقف الى جوارهما كالعملاق ، ليس بالقامة الطويلة التى اشتهر بها فى أوصافه الجسدية ، ولا بعرض منكبيه اللذين يتميز بهما فى زحام لا يبين فيه وجهه ، ولا بقرابته من النبى ، وانما بالحق الذى رفض به راى امير المؤمنين ..

* * *

مشكلة توسعه مسجد الرسول لا تزال قائمة .. وما كان العباس ليقف هذا الموقف ويضن بداره لتبقى المشكلة قائمة ، فهو يعلم كما يعلم جميع المسلمين ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، وانه وداره الى زوال ، وان مكانا فى مسجد الرسول بعد توسعته لواحد من عامة المسلمين ، خير من داره بما شملت من ارض وسقف وجدران ، وبما ضمت من اهل ومال .. وحنا على عمر مربتا على كتفه ، وقال له : فى وقت الخصومة لا تستطيع بسلطانك أن ترغمنى ما دام الحق فى يدى ، ولقد اردت برفضى تاكيد ذلك بين المسلمين فى امر من اهم امورهم وهو توسعة مسجد رسولهم .. اما الآن فدارى صدقة للمسلمين ، اوسع بها عليهم فى مسجدهم ..

وانطلق المسلمون يهدمون الدور التى تحلقت المسجد وعمر بينهم يعفره تراب انقاضها ، وكان اول معول يضرب فى جدار دار عم النبى يحمله بنفسه « العباس بن عبد المطلب » ..





الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى

تناولنا فى العدد الماضى فكرة تدعيم وحدة الأمة الاسلامية كوجه من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى .

ونبحث اليوم وجها آخر من وجوه الحاجة الى الموسوعة ، وهو تيسير معرفة الفقه المنتشر فى أمهات الكتب القديمة .

* * *

يمكننا أن نعدد الصعوبات الرئيسية التى يجدها الباحث فى أمهات كتب الفقه فى النواحى التالية :

أولا — لم يكن الكتاب الأقدمون يعرفون طريقة الفهارس التحليلية التى تعين القارىء على سرعة الوصول الى ما يبتغيه فى لحظات قليلة ، وقد خلت أمهات الكتب الفقهية من هذه الفهارس .

— كذلك تحرص ادارة الموسوعة على فهرسة أمهات هذه المراجع فى كل مذهب تسهيلا للباحثين ، وقد أتمت عمل معجم لكتاب « المغنى لابن قدامة » فى الفقه الحنبلى والمقارن ، كما سبق لموسوعة كلية الشريعة فى جامعة دمشق أن أنجزت معجم كتاب « المحلى لابن حزم » فى الفقه الظاهرى والمقارن . وفهرس «حاشية ابن عابدين » فى الفقه الحنفى ، والفرق بين التعجيم والفهرسة أن الفهرست يقتصر على بيان موضع الحكم المبحوث عنه فى كتابه الأصلى، بينما يزيد المعجم بالاضافة الى ذلك ببيان موجز الحكم لمن أراد الاكتفاء بالمعجم عن الرجوع الى الكتاب الأصلى .

فالفهرسة ، وهى الخدمة المشتركة فى النظامين ، ضرورة أساسية لكتب الفقه الكبيرة التى تبلغ عدة مجلدات ، خاصة وان كثيرا من أبحاثها تقع فى غير المظان التى تخطر على بال الباحثين ، مما يعجزون معه عن معرفة حكم المسألة التى يبحثون عنها .

ثانيا — كثير من كتب الفقه الكبيرة هى شروح وحواش على متون ومختصرات ، وكان أصحاب الحواشى يكتفون ببيان أول الجملة التى يريدون

الكلام عنها من الشرح ثم ينصرفون الى شرحه أو التعليق عليه ، ولم يهتم الناشرون لهذه الشروح والحواشي بربط تعليقات الحواشي بما تتصل به من المتن أو الشرح بالاستعانة بالأرقام التى تربط أول كل تعليقة بما يتصل بها من النص الأصلى ، وبدون هذا يجد الباحث نفسه أمام نصوص متفرقة لا يجمعها سياق واحد ، ويصعب على معظمهم العثور على الحكم الذى يبحثون عنه ، هذا على فرض توافر العزيمة والمثابرة على البحث .

ونورد على سبيل المثال نصا من حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير ، وهو أحد المراجع الأساسية للفقه المالكى : (والمثال من باب الدماء ص ٢٥٢ جزء ٤) بصدد عدم القصاص اذا لم يتماثل محل الجناية ومحل الاقتصاص ، فينتقل الى العوض المالى . قال : (كذى شلاء عدمت النفع) فجنى عليها فيؤخذ عقلها (بصحيحة) أى من ذى صحيحة جنى عليها (وبالعكس) أى جنى صاحب الشلاء عادمة النفع على الصحيحة فلا قصاص ويتعين العقل ، ويجوز أن يكون المعنى كذى شلاء عدمت النفع جنى على صحيحة فلا يقتص منها بالصحيحة ، وظاهره ولو رضى .

ــ أضاف هنا الدسوقى : (قوله ويجوز أن يكون الخ) حاصل هذا الاحتمال جعل الباء فى قوله بصحيحة بمعنى على . وحاصل الاول جعلها بمعنى من ، وفى الكلام حذف مضاف (قوله وظاهره ولو رضى الخ) أى ظاهره أنه لا يقتص من الشلاء بالصحيحة ولو رضى الخ .. والكتاب كله على هذه الوتيرة ..

ثالثا ــ غالبية الكتب القديمة طابع أسلوبها التركيز الشديد (وهذا واضح من المثال السابق) ، وهى بهذه الصورة لا يفهمها الا من اعتاد قراءة هذه الكتب ، ولا يخلو الامر مع ذلك بالنسبة للعلماء الدارسين من الاختلاف فى فهم النصوص المركزة .

رابعا ــ بعض الكتب القديمة تعتمد على اصطلاحات ورموز يتعذر معها فهم المقصود ولا بد من الرجوع الى قائمة المصطلحات والرموز ــ أن وجدت ــ وان لم توجد بقى الكتاب لغزا مستعصى الفهم على غير العلماء . والأمثلة على ذلك متوافرة عند مراجعة أى نص فقهى ، فلا يكاد القارىء يجاوز جملة أو اثنتين حتى يتعثر بكلمات مختزلة أشير بها الى أسماء المراجع أو المؤلفين مثل (در ، بحر ، قنية ، هندية) وأحيانا بحروف (ط ، سم ، ز ، ح) ويريدون بالكلمات المفردة تلك أسماء مراجع من العسير على الأكثرين أن يدركوا ذواتها ، أما الحروف فلها دلالات ، ربما بينها المؤلفون فى أول كتبهم وربما أغفلوا ذلك . وأحيانا يرمزون بحروف مثل (ط ، سم ، ز ، ح) والمراد بتلك الحروف على التتالى (الطحاوى ، أبو يوسف ومحمد ، زفر ، الحلبى الدارى وللحاء اصطلاح آخر عند المالكية فهى للحطاب ، ولهم (بن) للبنانى ، كما للشافعية (ع ش) على الشبراملسى (شب) للشبرخيتى وهكذا .

ونضرب لذلك مثالا آخر منفصلا من كتاب البحر الزخار من كتب الفقه الزيدى والمقارن (الجزء ٥ ص ٥٦ فى الوكالة) : « مسألة » (ى ه قين) ولا تصح فيما عظمت جهالته ، كوكلتك فى كل قليل وكثير ، وصامت وناطق ، ومنقول وغيره لما مر (لى) تصح .

قلت : وهو قريب (لهب) كما مر وتناول الحفظ الا حيث عين العمل ، كوكلتك ببيع كل كثير وقليل من مالى ونحوه ...

ولا بد من الرجوع الى قائمة الرموز فى أول الجزء الاول لتعرف ان ى ه تعنى « حكى يحيى القول عن صاحب الرمز (العترة) » وان قين تعنى « للفريقين الحنفية والشافعية » وان لى تعنى « عبد الرحمن بن أبى ليلى » وان لهب تعنى « نسبة أحدهم للمذهب » .. وهكذا .

* * *

اما المصطلحات فأقرب امثلتها من كتب الحنفية : الامامان أو الشيخان وهما أبو حنيفة وأبو يوسف والصاحبان وهما أبو يوسف ومحمد والطرفان وهما أبو حنيفة ومحمد ، والثانى : أبو يوسف ، والأئمة الاربعة المعروفون ، والأئمة الثلاثة أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد . والامام الاعظم أبو حنيفة ، وعند الشافعية يراد بالامام امام الحرمين ابن الجوينى . اما فى كتب التفسير والاصول فالامام هو الرازى ، وغير ذلك كثير ...

خامسا — وهناك نوع آخر من المصطلحات يؤدى عدم المام القارىء به ، وبالاختلاف بين المذاهب فى مضمونه الى الخطأ فى فهم الحكم نفسه ، مثال ذلك اصطلاح الفساد والبطلان عند الحنفية اذ يميزون بين الفاسد والباطل فالأول يقابله الصحة والثانى يقابله عدم الانعقاد — وغير الحنفية يجعل الفاسد كالباطل ، وكالوجوب عند الحنفية فهو بين الفرض والسنة أما غيرهم فهو والفرض شىء واحد . وكذلك الكراهة

فهى حيث تطلق عند الحنفية تحمل على المكروه تحريما القريب للحرام . ومثل عبارة (لا بأس به) عندهم فهى لخلاف الأولى غالبا ، وليس لغيرهم هذا التمييز . وبالمقابل نجد للمذاهب الاخرى مصطلحات ينفرد بها كل مذهب .

سادسا — كثير من أمهات الكتب لم يصنف على منهج الكتب وانما صدر من مؤلفيها على صورة فتاوى أفتوا بها فى وقائع عرضت عليهم ، ثم جمعت هذه الفتاوى فى عصرهم أو بعد وفاتهم . ومن أوضح الامثلة على ذلك « الفتاوى المهدية » حيث يجرى الكتاب فى سبعة مجلدات كبار على نسق واحد : سئل فى كذا فأجاب بكذا ...

سابعا — كما ان غالبية الكتب الفقهية القديمة — عدا كتب الفتاوى المشار اليها — تعرض أحكام الفقه فى صورة فروع ومسائل تطبيقية ، لا فى صورة أبحاث ومبادىء تأتى المسائل تطبيقا لها أو مثالا عليها .

ولا يخرج عن هذا الاتجاه سوى كتب قليلة لعل أروعها كتاب « بدائع الصنائع » للكاسانى حيث جرى على سنن التأليف الحديثة من تجريد الأحكام عن الفروع والامثلة ، وعرضها فى صورة تحليلية توضح فيها الأركان والشرائط والعلل والأدلة ...

ثامنا — جمع معظم الناشرين لهذه الكتب القديمة من عدة كتب فى آن واحد بوضع أحدها فى داخل اطار ، والكتاب أو الكتب الأخرى فى الحواشى خارج هذا الاطار . بل ان بعضهم وصل به الامر الى جمع

خمسة كتب فى الصفحة الواحدة ثلاثة داخل الاطار يفصل بينها خطان واثنان فى الحاشية خارج الاطار يفصل بينهما خط آخر ، كما حدث فى طبعة الحلبى لشرح فتح القدير لابن الهمام ، مع تكملته نتائج الأفكار لقاضى زاده على الهداية للمرغينانى مع الكفاية للكرلانى وذلك فى صلب الصفحة مفصولا بينهما بجدولين ، وبهامشها شرح العناية على الهداية للبابرتى ، وحاشية سعدى حلبى مفصولا بينهما كذلك بجدول .

تاسعا — معظم الفقهاء الأقدمين لا يعزون الآراء التى يوردونها الى الكتب السابقة عليهم التى نقلوا عنها هذه الآراء ، فيجد الناظر فيها مادة فقهية جمة لا يدرى من أين أخذت مسائلها لكى يتاح له استئناف النظر فيها من خلال مراجعها الأصلية . وهذا الملحظ هو الطابع الغالب فى الكتب القديمة ، وقد شذ عنه صنيع بعض المتأخرين فى حدود لا تخرج عن الندرة .

عاشرا — لا يعتنى المؤلفون فى الفقه — من أصحاب المذاهب — بذكر الأدلة — فيما عدا صدور الابواب الفقهية — ثم انهم اذا أوردوا الدليل لم يحاولوا أن يمحصوا أمره ، وخاصة الأدلة من الحديث ، فيسردون عديدا من الاحاديث بعضها لم يستجمع شروط الصحة أو الثبوت ، بل يقع عندهم أحيانا بعض الاخبار الموضوعة أو التى لا أصل لها ، (ومن أجل هذا نشط المحدثون فى تأليف كتب التخاريج لتمحيص الأخبار الواردة فى المراجع الفقهية ، كنصب الراية لأحاديث الهداية ، والتلخيص الحبير وغيرهما) .

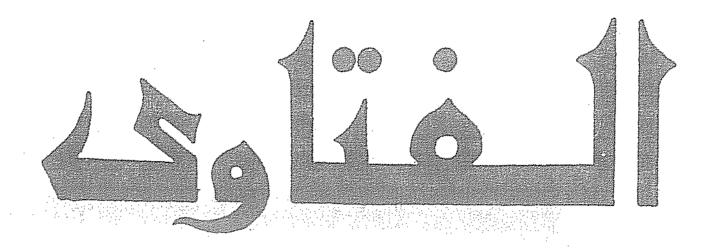
حادى عشر — بالاضافة الى المصطلحات والاختزالات الكلمية لدى فقهاء كل مذهب للدلالة على المراجع أو المؤلفين ، قد تكونت مصطلحات فى القيمة الاعتبارية لفئة من الكتب أو لون من المؤلفات ، بسبب أسلوبها الموغل فى الاختصار (كالمتون ، فهى لا يفتى بما فيها الا بعد مراجعة شروحها وحواشيها) أو تبعا لاعتماد مؤلفيها وطبقتهم فى الترتيب المذهبى لفقهاء المذهب (اجتهاد فى المذهب ، أو تخريج ، أو ترجيح ، أو اختيار الخ ...) وهذه المصطلحات توجد متناثرة ومتداخلة بالمادة الفقهية غالبا وربما عنى بعض الفقهاء بافرادها فى كتب تحت اسم (مدخل الى مذهب كذا) أو (رسم المفتى) ونحو هذه العناوين .



هذه هى أهم الصعوبات التى يجدها الباحث فى كتب الفقه القديمة ، والتى تكون حائلا بينها وبين استفادة الباحثين منها .

لذلك تقوم الموسوعة الفقهية على أساس علاج هذا الموقف وتفادى هذه الصعوبات حتى يمكن للشخص العادى فضلا عن المتخصص ان يعرف الآراء الفقهية — فى المسائل المختلفة التى تعرض له — ببساطة ويسر ، ودون حاجة الى وسيط يقوم « بترجمة » هذه الكنوز القديمة الى أسلوب حديث .

أما كيف تقوم الموسوعة بهذه المهمة ، فمحل تفصيل ذلك عند الكلام على منهج الموسوعة وخطة الكتابة فيها فى مقالات قادمة باذن الله .



الطبيب الشرعى

السؤال :

توفيت امرأة ، واشتبه فى وفاتها أهى بسبب جنائى أم بغيره ، ولا تعرف الحقيقة الا بوساطة كشف الطبيب عليها ، فهل يجوز الكشف عليها من طبيب أجنبى ؟

نرجو بيان حكم الشرع .

على خالد — القاهرة .

الجواب :

من القواعد المقررة فى الشريعة الاسلامية ان الضرورات تبيح المحظورات ومعرفة سبب الوفاة فى هذه الحالة شأن ضرورى تهتم به الشريعة ، وبناء على ذلك يجوز للطبيب أن يرى المتوفاة ويكشف عليها فى هذه الحالة لمعرفة سبب الوفاة .

فى الميراث

سؤال :

رجل توفى وترك أخا لأب وأختين شقيقتين وبنتين وزوجة ، فما نصيب كل مع أن المرأة لها مؤخر صداق ؟

حسين جاسم — البصره .

الجواب :

اولا يخرج مؤخر الصداق من التركة ويعطى للزوجة ثم يقسم الباقى على النحو التالى الثلثان للبنتين ، والثمن للزوجة ، والباقى للأختين الشقيقتين ، ولا شىء للأخ الأب .

التبرج

السؤال :

يجوز للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها ، فهل يبقى هذا الجواز اذا كان الوجه والكفان مصبوغان بالأصباغ المعروفة .

هند العزيزى — عمان

الجواب :

كشف الوجه واليدين مزينة بالأصباغ المعروفة نوع من التبرج الذى يمقته الشرع ، ويشدد فى النكير عليه ، والكشف المباح انما هو للوجه واليدين على طبيعتهما التى خلقها الله عليها خالية من الأصباغ والألوان .

تركة اليهودى

السؤال :

توفى يهودى فى بلد اسلامى ، ولم يترك من يرثه ، وترك مالا كثيرا ، فهل يحل بناء مسجد فى هذه البلد من تركة هذا اليهودى ؟

اسماعيل بكداش — الجزائر .

الاجابة :

تركة هذا اليهودى تؤول الى الخزانة العامة للدولة ، ولا يجوز لاهل البلد التصرف فيها ولو ببناء مسجد .

فى الزكاة

السؤال :

عندى مائة جنيه أدخرها لعواقب الأيام ، فهل تلزمنى زكاتها كل عام ؟

سيد بكر — ج . ع . م

الاجابة

هذا المبلغ كما يبدو من السؤال فاضل عن حاجات السائل الأصلية ، واذا كان كذلك وجب على مالكه أن يخرج زكاته عن كل سنة وهى ربع العشر .

الاكتحال فى الاحرام

السؤال :

هل يجوز لى فى حال الاحرام بالحج أو العمرة أن اكتحل ؟

سعيد جلول — طرابلس

الاجابة :

روى عن ابن عمر انه قال — يكتحل المحرم باى كحل شاء ما لم يكن فيه طيب ، وقالت عائشة لا مراة سألتها — اكتحلى بأى كحل شئت غير الاثمد ، اما انه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه .

وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لعلاج العيون ، وليس عليه شىء فى ذلك ما دامت جميعها ليس طيبا ولا زينة والله أعلم .

بأقلام القراء

فى رحــــاب الحرم

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ حسين ابو هاشم يقول :

« والله انك لخير ارض الله ، واحب ارض الله الى الله،ولولا انى اخرجت منك لمــا خرجت » بهذا الحديث الذى أودعه الرسول صلى الله عليه وســـلم شوقه وحبه لهذا البلد الطيب التى اختصها الله بأول بيت وضع للناس ، وكرمها بأن جعلها مجالا لأداء فريضة الحج ، ذلك الركن الأساسى من اسس الاسلام الثابتة ، والذى اشترط الله لتحققه أداء مناســكه فى هذا البلد الأمين مع ان سائر الفروض لا يشترط لها مكان معين ، وبذلك يظهر فضل هذا البلد ، اذ انه تتم فيه كل أركان الاسلام بخلاف غيره من أرجاء الدنيا .. ولهذا الشرف العظيم والقدر الكبير أقسم الله عز وجل به فى موضعين من كتـــابه الكريم اذ يقول جل شأنه « لا اقسم بهذا البلد » « وهذا البلد الأمين » .

ولا يوجد فى غير مكة من هذا العالم موضع يشرع اســـتلامه وتقبيله ، وتغفر الذنوب عنده الا الحجر الأسود والركن اليمانى ، ولا يوجد بلد اشترط الله لدخوله الاحرام الا هذا البلد ، كما أن هذا البلد يضم المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا والذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وســـلم « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام .. وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وفى كل مكان .. فان من هم بسيئة ولم يفعلها لم يحاسب عليها ، ولكن فى الحرم — لقداسته وعظمته — فان الله تعالى يعاقب من يهم بفعل ســيئة فيه على مجرد الهم بقوله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظـــلم نذقه من عــــذاب اليم » .

ولا ادل على فضل هذا البيت من اضافته اليه سبحانه فى قوله « وطهر بيتـــى » ومبالغة فى تعظيم هذا المكان جعلت له حدود فى أطرافه البعيدة لا يتجاوزها الا مسلم .. وهذه الحدود تحيط به من جميع جهاته فمن الشرق نجد الجعرانة التى تبعد عن مكة ١٢ كم ، ومن الشمال الشرقى وادى نخلة ويبعد مسافة ١٤ كم وتقع اجناء فى حدهـــا الجنوبى وينفصـــلها عن مكة ١٢ م ، اما شمالى مكة فحد الحرم التنعيم وبينه وبين مكة ٦ كم والحد الخامس الشميسى وهى بمكان قريب من الحديبية التى تم عندها الصـــلح الذى عقد بين الرســـول صلى الله عليه وسلم وقريش وهو صلح الحديبية .

وبذلك كان المسجد أفضل مكان فى الأرض على الاطلاق .

الأستاذ والد

وكتب الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

ذكر الأبشيهي المولود عام ٧٩٠ والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ فى كتابه « المستطرف من كل فن مستظرف » أنه تتلمذ على شيخة أبى بكر بن عمر الطرينى المالكى خمسة عشر عاما ، فلم يقطع بره يوما واحدا عنه فى هذه المدة حتى ظن أنه أخص تلاميذه ، ثم اكتشف أنها عادته مع جميع تلامذته ، وقد عاش هذا المدرس نيفا وستين سنة ، وتوفى ليلة الجمعة الحادى عشر من ذى الحجة عام ٨٢٧ هـ ، فحضر غسله والصلاة عليه بجامع الخطبة بالمحلة ، ودفن بزاويته التى انشأها بسندفا مع والده عمر الطرينى (١) .

فليقارن القارىء المنصف بين عمل هذا الشيخ طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، وبين غيره من المدرسين والمعلمين الذين يغالون فى أجور الدروس الخصوصية ، ويتخذونها مغنما ، والذين يرفعون أثمان الكتب الدراسية ، ويتخذونها متجرا ، ويؤدون أعمالهم فى المدارس والمعاهد والجامعات أداء شكليا يرفع اللوم والعتاب والمؤاخذة فقط امام المدرس الاول والناظر والمفتش والعميد وان وجد المدرس ظهرا من هؤلاء أو من غيرهم ترك عمله ، واكتفى بالجلوس فى غرفة المدرسين والثرثرة مع الزملاء بعيدا عن الفصل ، واجتهد فى تحويل التلاميذ اليه فى البيت ليزيد الاجر الذى يقبضه من كل تلميذ عن الحصة التى يأخذها مع زملائه .

أما الصلة الروحية بين الأجيال التى تلقن العلم والتى تتلقاه فهى شىء فى حكم العدم ، والتلميذ أو الطالب يرى نفسه شيئا ضائعا وكما مهملا كقطرة الماء فى البحر ان التقط المعلومات التقاطا فبها ونعمت ، وان لم يستطع فشل وخاب وسلك طريقا آخر فى زحمة الدنيا .

أما الشيخ أبو بكر فلم يكتف بالتعليم المجانى طوال خمسة عشر عاما ، وانما كان ينفق على طلاب العلم ، فأى فرق ضخم بين أداء العمل كعبادة ، وبين أدائه كأكل عيش وتجارة ، الفرق شاسع بينه وبين آلاف المدرسين والمعلمين الذين يحرصون على الثلاجة والغسالة والسيارة والمذياع والتلفاز والهاتف والمروحة أكثر من حرصهم على المعانى الكبيرة الخالدة فى صدور الأجيال الغضة التى ينقلون اليها العلم ومسطور المؤلفين الذين يقتبسون عنهم ، وما داموا سيحققون ربحا ماديا مجزيا فلتذهب الأجيال التى تتلقى العلم ولتذهب المعانى الى الجحيم ، ولو جعلوا فى مركبهم شيئا لله وحشدوا فيها اليتيم والفقير الذى أوتى الفطنة ، ولكن يده قصيرة لا تستطيع أن تسابق زملاءه فى دفع الأجر لأدوا زكاة العلم .

ولو كانت العلة هى القوت لهان الامر ولوسعهم العذر ، ولكن العلة هى النعيم الموقوت والمستوى العالى والغنى المفرط والتسابق مع الظل ، ولا بد من حمد الحسن وذم القبيح ..

جعل الله للشيخ أبى بكر بن عمر الطرينى المالكى لسان صدق فى الآخرين فأصبح من النماذج البشرية .

---

(١) ج ١ ص ١٤٥ ط ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ القاهرة .

بريد

« عبد المعطى بيومى »

التكرار .. فى القرآن الكريم

لماذا اشتمل القرآن الكريم على تشابه كثير من الآى المسوقة لمعنى واحد ، وعلى تكرار كثير من القصص فى كثير من السور ؟

فتحى عبد العظيم — ج . ع . م

ليس كل تكرار يؤدى الى الملل اذ قد يكون التكرار صورة بلاغية يحسن بها الكلام وتأخذ به المعانى زينتها ، بل قد يكون التكرار ضرورة يفرضها المقام حيث يتأكد به المعنى ولا يتأكد حينئذ بغيره . وفيما يتعلق بالتكرار الذى وقع فى القرآن الكريم .

أ) فى مجال القصة فقد كان التكرار فيها من أجمل المظاهر فى بلاغة التكرار وأرقاها على الاطلاق ، فالقصة الواحدة تكرر عرضها فى صور متنوعة بعضها موجز وبعضها شارح وبعضها يركز على جانب معين من جوانب العبرة ليترك بعضها هذا الجانب الى جانب غيره يلائم السياق ويضيف الى القصة معنى جديدا أو صورة جديدة مع ايراد لفظ بعينه أو مع تغيير طفيف ليعيد الى نفس السامع أو القارىء جو المناسبة السابق وملابساته ليظهر المعنى الجديد ظهورا بينا أو لتتأكد بعض التفاصيل الهامة مع ملاحظة أن القصة لا تتكرر كلها .. بجميع ألفاظها ومعانيها .

فعلى سبيل المثال والتمثيل لما نقول فان قصة آدم تعرض لأول مرة فى سورة البقرة فنرى تركيز هذا العرض على استخلاف الله لآدم وتعليمه الأسماء كلها ، ثم تعقب على عصيان ابليس لله وخروجه من الجنة وتوبته دون أن تعرض السورة للشبهة التى تعلل بها ابليس فى رفضه السجود أو تعرض للخطة التى عزم ابليس على تنفيذها فى المستقبل لتأتى بعد ذلك القصة فى سورة الاعراف لتسكت عن موضوع الاستخلاف والتعليم اللذين ذكرا فى سورة البقرة لتركز على معصية ابليس لربه .

وتذكر الشبهة التى تعلل بها « **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » ثم تبين السورة زيادة على ما سبق ذكره فى سورة البقرة — الخطة التى أعلن الشيطان عن محاولة تنفيذها « **لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** » كما بينت طرد الله ولعنته لابليس « **قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** » .

ولكن سورة الاعراف لم تبين بعد المادة التى خلق منها آدم غير اشارة جاءت عرضا لا قصدا وفى خلال شبهة ابليس لتأتى سورة الحجر لتبين هذه المادة وكيفية تكونها فى مراحلها المتقدمة « **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون** » ثم تضيف هذه السورة معنى جديدا لم يسبق اليه من قبل

وهو اعلان عجز الشيطان عن اغواء المخلصين من عباد الله « **ولأغـويئهـم اجمعين .. الا عبادك منهم المخلصين** » « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان** » ولكن مادة الخلق فى مراحلها الأولى لم تبين بعد حتى تأتى سورة « المؤمنون » لتبين المراحل الأولية للخلق حيث يقول الله « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** » .

اما سورة طه — وهى تسبق سورة « المؤمنون » فانها تركز على جانب آخر غير ما سبق فتذكر أن الله عهد الى آدم ولكن آدم نسى عهد الله « **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** » وتلقى السورة بعض الضوء على هذا العهد « **أن لك الا تجـوع فيها ولا تعرى . وأنـك لا تظمؤ فيها ولا تضحى** » .

وهكذا كل قصص القرآن بلا استثناء تبدو للنظرة المجلى كانها مكررة بكل تفاصيلها ، ولكن الواقع أنها لا يتكرر فيها الا المشاهد التى تعيد الى الذهن الصورة العامة لتضيف كل سورة معنى جديدا لم يسبق اليه فى السور السابقة بما يتلاءم مع السياق والغرض الذى سيقت من أجله القصة .

فهو تكرار اذن من نوع خاص يبرز اعجاز القرآن وبلاغة فى عرض الصور بأشكال متنوعة لا يستطيعها الا الله وحده سبحانه .

.. أما التكرار فى بعض الآيات أو الالفاظ فهو تكرار اتى به فى كل الأحيان لتضيف وقعا خاصا وقد ذكر الألوسى أنه تكرار فى المعنى وان تكررت الألفاظ فى مثل قوله تعالى « **فبـأى آلاء ربكمـا تكذبان** » وقوله تعالى « **ويل يومئذ للمشركين** » لا ختلاف المتعلق فى كل واحدة عن الأخرى .

ففى سورة الرحمن مثلا يركز الله عز وجل خلق الانسان وتعليمه القرآن والشمس والقمر والنجم الخ ثم تذكر اللازمة التى تتكرر بعد ذلك « **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » أى فبأى نعم الخلق أو التعليم أو الشمس الخ تكذبان ثم يقول الله بعد ذلك « **خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار . فبأى آلاء ربكما تكذبـان** » أى فبأى النعم تكذبان خلق الانسـان مـن صلصال أو خلق الجان من مايع من نار فالمتعلق فى الآيتين هنا مختلف وهكذا فى كل آيات السورة فلا تكرار اذن الا فى اللفظ .

ومن صور البديع تكرار اللفظ دون المعنى — كما يقول الامـام الباقلانى — كقول الشاعر — .

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا .

فاذا كان الكلام على هذه الصورة من صور البديع — تكرار اللفظ دون المعنى مكررا للتأكيد والتقرير — كما يقول الامام الفخر الرازى — كان الكلام حينئذ بديعا ومؤكدا .

وقد جرى ذلك كثيرا فى كلام العرب — دون مستوى القرآن طبعا — ومن ذلك قصيدة طويلة للمهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبا .

علـى أن ليـس عـدلا من كليـب	اذا مـا ضـيم جـيران المجـير
علـى أن ليـس عـدلا من كليـب	اذا خـرجـت مخبـأة الخـدور
علـى أن ليـس عـدلا من كليـب	اذا خـيف المخـوف من الثـغور

قالت صحف العالم

امتنا بخير

نشرت صحيفة جوهر الاسلام التونسية كلمة تقول فيها ..

ما تزال هذه الأمة بخير تتحاماها الخطوب وتتحطم على صخورها النوائب ما تمسكت بكتاب الله وأحيت سنة رسوله ، تلتفت اليهما كلما احلولكت الأجواء ، وتلبدت الغيوم لتجد منهما المشاعل التى تنير الطريق ، وتمزق الغيهب ، وتحقق المغنم والسلامة ، فخليق بها أن توليهما من الاهتمام والعناية ما يناسب مقامهما الرفيع ، ويليق بأمة وعت رسالتها الانسانية ، وقدرت دورها الحضارى الذى اناطته الأقدار السماوية بعنقها .

ولقد مرت بالأمة الاسلامية حقب رأت فيها كثيرا من الهزات العنيفة واللطيفة ، مرت كلها دون أن تصيب منها العظم أو تهشم الرأس لأن بقية صالحة من أبنائها ما تزال ممسكة بحبل الله المتين وآخذة بحظها من الآيات والذكر الحكيم .

وانه لمن المسلم به لدى ذوى الانصاف من أهل البحث العلمى الذين عنوا بتاريخ الشعوب ، أن النافذة الوحيدة التى تطل منها النوائب على المسلمين لم تكن غير نافذة الابتعاد عن الهدى القرآنى والارشاد المحمدى أو محاولة الاستغناء عنهما بما لا يسد الفراغ ولا يحقق المرغوب ، ولقد أعطت التجارب المتكررة عبر العصور أن أمتنا الاسلامية كلما حاولت الخلاص مما حل بها أو حلت به من ضيق ومكروه لم يكن خلاصها أبدا الا عن طريق العودة الى القرآن ولغته وعلومه وأحكامه ، ففيه وفى السنة النبوية الطاهرة تجمعت جميع عناصر المنعة والخلود بما حققاه من مزج والتئام بين القوتين المتحكمتين فى مصائر الأكوان والانسان ، قوة المادة بجميع ما فى الكلمة من معنى ، وقوة الروح بما فيها من ملائكية وعفاف وطهر .

وانه لمن العته والجنون أن يقوم غير المتبصرين من أبناء هذه الأمة بحملات تشكيكية سافرة على صلاحية القرآن ولغة القرآن ونجاعة اسلوبهما فى مواجهة مشكلات الحياة ، لكن الذى يثلج الصدر ، ويبعث على الاطمئنان هو أن نرى جمهرة طيبة من الراسخين فى العلم . من أبناء الاسلام ومن غير أبنائه أوقفتهم حقائق العلوم والمخترعات على مدى سبق القرآن واعجازه التى لا تحد ولا تعد ، واعلنوا على رؤوس الأشهاد ايمانهم بالقرآن وبمن جاء به من عند الله وبأنه « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » فهو الذى قال منزله يخاطب البشرية قاطبة « **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا** » ..

سر الانتصار

وتحت هذا العنوان تقول مجلة التربية الاسلامية البغدادية ..

لكل أمة فى تاريخها انتصارات وهزائم ولكل عواملها ، والأمة الاسلامية قد حققت انتصارات عظيمة فى تاريخها الطويل ، هذا التاريخ الذى اختطه القائد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، ووقف ليبرهن للعالم أن الايمان يصرع الالحاد ، وأن القيم ستنتصر مهما صال الباطل وجال فى الميدان ..

والتفاتة قصيرة الى الحروب الصليبية تكشف لنا عن مدى انتصار الايمان متى ما رجعنا اليه .. تلك الحروب التى دامت زهاء قرن واحد ، والتى كانت رحاها تدور على نفس الأرض التى تدور عليها الآن رحا حرب أخرى بين الكفر والايمان .. تلك الحروب الصليبية التى هيأ الله فيها للمعسكر الاسلامى يومذاك قيادة مؤمنة واعية شديدة الصلة بربها وبدينها استعاد المسلمون بها عزتهم ومجدهم وغيروا وجه التاريخ .

وكانت معركة حطين والمسلمون قد عادوا لا جئين الى ربهم ، فالقائد يقضى ليلته قبل يوم حطين فى تبتل وخشوع وابتهال الى الله ، ويصبح يوم المعركة صائما وقد تلا من القرآن ما تلا والجنود بين قائم يصلى وآخر يدعو الله وثالث يقرأ القرآن .

وهكذا كان الجنود والقائد فى تلك العبق الروحى والصلة الربانية .

وبذلك جعلوا روابى حطين يومها تشهد انتصارا نفسيا دقيقا فى معانيه ومقاصده قبل الانتصار الساحق الذى ذهب مثلا فى التاريخ .. تلك كانت سر الانتصار فى حطين سر انهاء التمرد على الله والرجوع اليه مع اعداد القوة المتكافئة روحيا .. ويمضى الزمن .. ويأتى على المسلمين نتيجة تفككهم وتمردهم على الله ، يأتى عليهم داهية أعظم حين وقعت معركة التتار التى احتلت الشرق الاسلامى الا ما شاء الله ويصحو المسلمون وهم فى وسط النكبة وكأن صحوتهم جاءت على دوى الآية الكريمة .. « وان عدتم عدنا » .. وتأتى معركة عين جالوت تلك المعركة التى تحالفت فيها الوثنية المتقدمة مع الصليبية المهزومة للاغارة على العالم الاسلامى والقضاء على الاسلام .. فالحملة المغولية تتقدم بعد أن قضت وطرها من الدولة العباسية الى أن أتت مشارف البحر الابيض المتوسط فى بلاد الشام غير متعرضة للمناطق التى كانت فى حوزة الصليبين آنذاك بل متواطئة معهم على المسلمين فالوضع الداخلى كان فى العالم الاسلامى آنذاك وضعا متفككا انهكته الحروب مع التتار والصليبين وضع كله ضعف وهوان وتفكك يدمى لها القلب .. ويشاء الله ان قيض للمسلمين فى وسط هذه الظروف قيادة مؤمنة .. بقيادة « قطز » الذى أدرك تبعة الدور الذى أهله الله تبارك وتعالى للقيام به خاصة بعد أن أشبعت روحه بنفحات الايمان والجهاد التى كانت تشع من أعماق شيخ الاسلام فى مصر فى تلك الأيام العز بن عبد السلام .. وأخيرا يأتى النداء الا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليخرج لملاقاة الأعداء .. وتنطلق الحملة لتقضى على مهزلة التحالف الوثنى الصليبى .

وهكذا تأتى قيادة عين جالوت صدى لقيادة حطين .. سر الانتصار فيها واحد الهدف من المعركة واحد .. ولكن هل للتاريخ أن يعيد نفسه حيث الادوار اليوم تمثل على المسرح مع اختلاف بسيط حيث تحالف الصليبى الحاقد مع اليهودية المجرمة الحاقدة محل التحالف مع الصليبى — الوثنى .. ولنا فى الله الأمل القوى فى انهاء مهزلة الالحاد على الايمان .

اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تناولت المباحثات التى أجراها الرئيس السودانى مع المسؤولين قضية الشرق الأوسط، والعلاقات الثنائية بين البلدين ، وذلك أثناء الزيارة الرسمية التى قام بها سيادته للبلاد بدعوة من صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، واستغرقت أربعة أيام .

● قررت وزارة التربية دعم مادة التربية الدينية ، وتنظيم مسابقة لحفظ القرآن الكريم ، وقد خصصت جوائز للفائزين .

● أجرى وزير الشئون الاسلامية في موريتانيا مباحثات مع المسئولين تناولت وسائل تدعيم الدعوة الاسلامية فى موريتانيا وذلك أثناء زيارته للبلاد بدعوة من معالى وزير الخارجية الكويتى .

● صرح معالى وزير التجارة والصناعة الشيخ عبد الله الجابر الصباح بأن أهم قرارات المجلس الاقتصادى العربى الذى عقد مؤخرا بالقاهرة هى انشاء صندوق انماء عربى برأسمال قدره مائة مليون دينار تساهم الكويت فيها بحوالى الثلث .

● أعربت وفود البلاد الاسلامية التى مرت بالكويت في طريقها الى الحج عن شكرها لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على سبل الراحة التى هيأتها لهم فى مدينة الحجاج .

● قررت لجنة المساعدات الاسلامية الخارجية رفع توصياتها الى مجلس الوزراء لاتخاذ قرار بامداد بعض الجهات الاسلامية بالمعونة اللازمة لها .

● ستقوم وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بطرح مناقصة لبناء ١٠ مساجد جديدة فى الجهات التى تفتقر الى المساجد .

● تجرى المباحثات بين الكويت والمعهد الألمانى الغربى للأبحاث الشرقية حول تبادل التراث الاسلامى الذى تنوى الوزارة احياءه .

● تلقت الاوقاف والشئون الاسلامية عن طريق وزارة الخارجية النص الحرفى لقرارات مؤتمر رابطة العالم الاسلامى الذى انعقد فى شهر ١٠/ ٧٠

القاهرة : استقبل الرئيس السادات فى الشهر الماضى رئيس اتحاد المسلمين فى توجو ، وقد أجرى المسئول التوجى مباحثات فى القاهرة لتدعيم الدعوة الاسلامية فى توجو .

● قام رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزى بزيارة شيخ الأزهر حيث تم التشاور فى عدة أمور اسلامية هامة .

● قام وفد اسلامى مصرى بحضور مؤتمر الدعوة الاسلامية فى ليبيا كما قام بجولة فى الفلبين والباكستان وبعض الدول الاسلامية .

● يقوم وفد من علماء الأزهر برياسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة الى تسع دول افريقية . هى : تشاد ، مالى ، موريتانيا ، داهومى ، توجو ، السنغال ، سيراليون ، النيجر ، فولتا العليا ، .

● أجرى فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية اتصالات مع الهيئات الاسلامية العالمية لتحديد بدايات الشهور العربية وخاصة ما يتعلق منها بالعبادة .

● تم بحث تعديل قانون تطوير الأزهر وسوف تعدل خطط الدراسة فى بعض كليات الجامعة .

السعودية : أصدر معالى وزير الاعلام قرارا يمنع ظهور المغنيات فى التلفزيون السعودى ، وشكلت لجنة لفحص الأغانى لمنع اذاعة أى أغنية تتعارض مع الدين أو الأخلاق .

● وضعت عدة عقوبات مشددة على الشباب الذين يقلدون الخنافس .

● أصدر أمير منطقة مكة المكرمة أمرا بتشكيل لجنة لمراقبة الحرم الشريف ورعايته من جميع النواحى ، وسيشرف الأمير بنفسه على أعمال اللجنة .

● قام الأمير تنكو عبد الرحمن أمين عام منظمة الدول الاسلامية بزيارة المملكة بعد انتهاء جلسات مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الذى انعقد فى كراتشى فى الشهر الماضى .

الاردن : صرح السيد حسين الشافعى نائب رئيس هيئة الاغاثة العربية للاردن بأن ما جمعته الهيئة حتى الآن ١٢ مليون دولار بينما الحد الأدنى للاغاثة هو (٢٠) مليونا .

● أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بالاعتراف — لأول مرة — بحقوق الشعب الفلسطينى وخاصة فى تقرير مصيره .

● صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لمجلة « المجتمع » الاسلامية الكويتية أنه لم يدع الى دولة علمانية كما نسب اليه ، وقال اننا سائرون فى طريقنا ولن يثنينا أى شىء عن الجهاد حتى النصر .

العراق : قال الرئيس العراقى فى الذكرى الخمسين لتأسيس الجيش العراقى ان تحسينات اقتصادية وتعليمية وصناعية وزراعية ستتم بالبلاد عن قريب .

سوريا : صرح نائب رئيس الوزراء بأن اقامة جبهة وطنية يعد من المهام الرئيسية فى هذه المرحلة ، وقال ليس من شك فى أن قيام الحكم الجديد فى سوريا سيقرب اليوم الذى يتحقق فيه قيام الجبهة الشرقية لتؤدى دورها فى خدمة المعركة .

لبنان : عقد فى يناير الماضى فى بيروت المؤتمر العربى الأول لمحو الأمية تحت رعاية جامعة الدول العربية ومنظمات محو الأمية فى الدول العربية .

اليمن : تم فى الشهر الماضى تأسيس جمعية يمنية ألمانية لتنشيط التعاون وابداء المشورة لليمن اقتصاديا وثقافيا وعلميا وأثريا ، وقد بعث القاضى الأيريانى الى الجمعية يعدها بأن يقدم مزيدا من تشجيعه الشخصى .

ليبيا : عقد فى الشهر الماضى فى طرابلس مؤتمر للدعوة الاسلامية ، وقد حضره مندوبون عن معظم الدول الاسلامية حيث ناقشوا مشكلات الدعوة ووسائل تعزيزها .

● وجه سفير ليبيا فى المتحدة الدعوة الى فضيلة شيخ الأزهر لزيارة ليبيا ، وقد قبل فضيلته الدعوة التى سيحدد موعدها قريبا .

تونس : وجه مجلس الوزراء التونسى فى الشهر الماضى نداء يناشد فيه الفدائيين والجيش الأردنى الالتزام باتفاقيتى القاهرة وعمان حرصا على الأخوة والدم العربى .

المغرب :

● قامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية باعادة بناء وتجديد عشرة مساجد فى مدينة مراكش وبناء مسجدين بضواحيها .

● افتتح المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط مكتبة للعلوم تضم اكثر من أربعة آلاف كتاب باللغة العربية فى مختلف العلوم .

تركيا : أجرى وزير التعليم التركى مباحثات فى مصر تناولت موقف تركيا من قضية فلسطين .

باكستان : اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى قرارات هامة منها : المطالبة بانسحاب اسرائيل فورا من الاراضى العربية المحتلة ومساعدة شعب فلسطين ، وانشاء وكالة أنباء اسلامية فى طهران ، وعهد المؤتمر الى مصر باعداد مشروع بنك اسلامى .

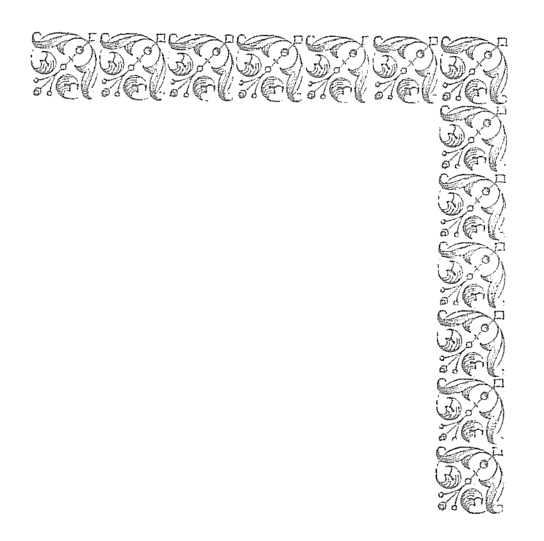
الهند : قرر بعض كبار الزعماء المسلمين فى ولاية بيهار الهندية تشكيل منظمة اسلامية تحت اسم (عوامى تنظيم) تكون مهمتها رعاية شئون المسلمين التعليمية والاقتصادية .

أفغانستان : سينعقد المؤتمر الاسلامى القادم فى كابول فى سبتمبر القادم ١٩٧١ م .

اخبار متفرقة :

لوس انجلوس : دعا الدكتور صبرى الفرا رئيس المؤسسة الاسلامية فى نورث كاليفورنيا الى تعزيز الدعوة الاسلامية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وأعلن أن مؤتمر الجاليات الاسلامية سيعقد فى لوس انجلوس فى ٢ — ٥ يوليو القادم .

سان باولو : تم التباحث بين وفد الجمعية الخيرية الاسلامية فى بارناجدا وبين مدير المركز الاسلامى بالبرازيل والمشرف على الدعوة الاسلامية فى أمريكا الجنوبية بشأن وضع حجر الأساس للجامع والمدرسة فى بارناجدا .

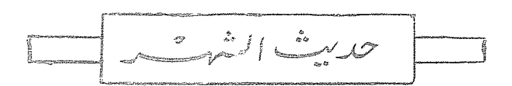


فهرس عام للمجلة

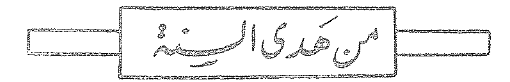
في عامها السادس

١٣٩٠ هـ ١٩٧١/٧٠ م

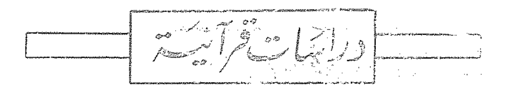
يشتمل على الموضوعات والأعلام

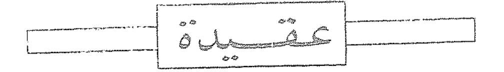


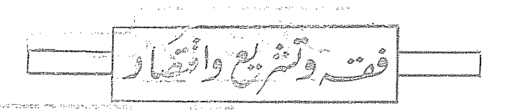
للشيخ رضوان رجب البيلى



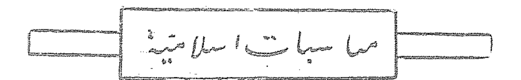
للدكتور على عبد المنعم عبدالحميد


دراسات قرآنية


عقيدة

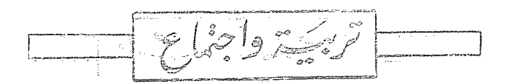


تاريخ وحضارة

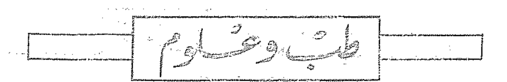




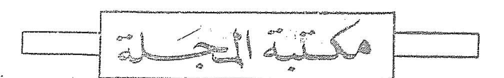
تحرره ادارة الموسوعة



أدب

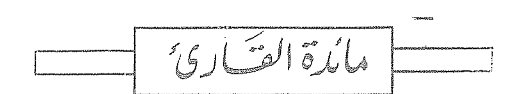


الفتاوى



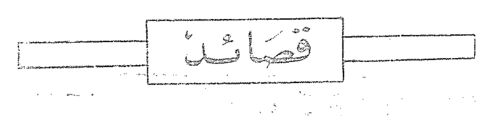
اعداد : الاستاذ عبد الستارمحمد فيض

اسم الكتاب	المؤلف	العدد/الصفحة
الابحاث النافعة فى التربية والأخلاق	الاستاذ محمد سعيد أحمد الشبيب	٥١/٦٣
أبو ذر الزاهد	الاستاذ محمد سعيد ريه	٥١/٦٢
أوراق من دفتر مسافرة	الاستاذة هداية سلطان السالم	٥١/٦٣
بدع التفسير فى الماضى والحاضر	الدكتور رمزى نعنانة	٩٣/٧١
خصائص اجتماعية	الشيخ عبد الوهاب الأعظمى	٩٣/٧١
الديوان	الاستاذ العوضى الوكيل	٨٢/٦٧
الربا ودوره	الدكتور عيسى عبده	٩٣/٧١
الرسالة المحمدية وشواهدها	الشيخ محمد عبد الوهاب فايد	٥١/٦٢
عالم الفكر	مجلة وزارة الارشاد والانباء الكويت .	٩٣/٧١
عبير من دمشق	الشاعر عدنان مردم بك	٨٢/٦٧
الفكر الاسلامى	مجلة لجنة الفتوى بلبنان	٥١/٦٢
قطرات من نور الهداية	الاستاذ محمد أبو عجوة عبد المطلب	٨٢/٦٧
من أعلام العارفين	الاستاذ صادق محمود الجميلى	٥١/٦٣
من الفكر والقلب	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٥١/٦٣
المملكة العربية السعودية	الاستاذ فهد خالد السديرى	٩٣/٧١
المؤتمر والمهرجان	الاستاذ العوضى الوكيل	٨٢/٦٧
نظرية الضمان	الدكتور وهبة الزحيلى	٩٣/٧١



العدد/الصفحة — أعدها : أبو نزار

٣٨/٦١	٩٢/٦٥	٧٠/٦٩
٦٤/٦٢	٦٤/٦٦	٧٦/٧٠
٦٠/٦٣	٨٨/٦٧	١٠٠/٧١
٥٢/٦٤	٩٥/٦٨	٤٨/٧٢



قصص

بريد الوعي

الأعلام

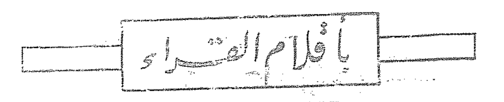
الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن باديس	الاستاذ عبد الحليم عويس	٨٣/٦٧
ابن رشد	الدكتور محمد عاطف البرقوقى	٥٢/٦٣
أبو حنيفة	الدكتور محمد محمد ابو شهبة	٧٠/٧٠
ابو الريحان البيرونى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	١٠٠/٦٤
ابو العباس المبرد	الاستاذ العوضى الوكيل	١١٦/٦٦
أحمد بن حنبل	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٩٩/٧١
جادالله الزمخشرى	الاستاذ العوضى الوكيل	١٠٠/٦٢
حسان بن ثابت	الاستاذ أحمد حسن قضاة	٥٩/٧١
صلاح الدين الايوبى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٩٩/٦٨
عبدالله بن عتيك	التحرير	٣٥/٦٤
عمر بن عبدالعزيز	الدكتور عماد الدين خليل	٧٠/٦٨
الفاضل بن عاشور	الاستاذ أنور الجندى	٦٨/٦٥
قطبة بن قتادة السدوسى	اللواء محمود شيت خطاب	٤٤/٧٢
محب الدين الخطيب	الاستاذ أنور الجندى	٨٣/٦١
محمد اقبال	الاستاذ أنور العطار	٨٤/٦٦
محمد عبدالله العربى	الاستاذ أنور الجندى	٦٥/٦٤
محمد فريد وجدى	الاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم	٦٠/٦٢

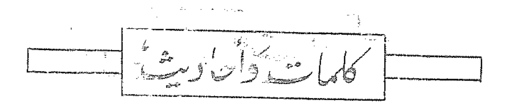
كتاب الشهر

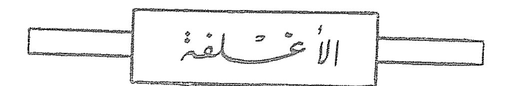
الكتاب	المؤلف	الناقد	العدد/ الصفحة
الاسلام الصراط المستقيم	مجموعة من الأساتذة	الاستاذ عبد العزيز شرف	٧٢/٦٢
الانسان ذلك المجهول	الكسيس كاريل	الاستاذ رمضان لاوند	٨٤/٧٢
الخليج العربى .	سيرارنولدت . ويلسون	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٦٢/٦٣
دائرة المعارف الاسلامية	مؤسسة الشعب	الشيخ كمال أحمد عون	٥٤/٦٤
الدين بحوث ممهدة	الدكتور محمد عبد الله دراز	الاستاذ حمدى متولى مصطفى	٨٩/٦١
الفتاوى العالمكيرية (١)	مجموعة من علماء الهند	الاستاذ أنور أحمد قادرى	٨٧/٧٠
الفتاوى العالمكيرية (٢)			٧٠/٧١
المطالب العالية	الحافظ بن حجر	الاستاذ عبد الحميد محمد البسيونى	٧٢/٦٩
الوحدة العسكرية العربية	اللواء محمود شيت خطاب	الدكتور محمد بديع شرف	٨٥/٦٨

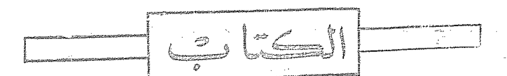
قالت صحف العالم

الموضوع	الصحيفة	العدد/الصفحة
الأثرياء عندنا وعندهم	مجلة الهدف الكويتية	٩٣/٦٣
الاسلام والعالم	جريدة الاهرام المصرية	١١٢/٧٠
أعظم ثروة	مجلة هدى الاسلام الاردنية	١١٠/٦٦
أمتنا بخير	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١١/٧٢
أوليات العصر	مجلة هدى الاسلام الاردنية	٩٢/٦٣
بشائر معركة المصير	مجلة جوهر الاسلام التونسية	٩٥/٦٤
بيان	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	٩٥/٦٢
الثورة الفكرية	مجلة هدى الاسلام الاردنية	١٠٠/٦٦
حضارة الانسان	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	١٠٨/٧١
الحلال والحرام (رد من الازهر)	مجلة صباح الخير المصرية	١٢٥/٦١
الدين والشباب	مجلة دعوة الحق المغربية	١١١/٦٧
سر الانتصار	مجلة التربية الاسلامية العراقية	١١٢/٧٢
شبهات فى وجه الفكر الاسلامى	مجلة الدراسات الاسلامية العراقية	١١١/٦٨
الصحافة سلاح	مجلة الرائد الهندية	١١٢/٦٨
الغارة الصهيونية	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	١١٢/٦٧
فى مرضاة الله	مجلة حضارة الاسلام السورية	١١١/٦٦
القرآن هو كل شىء	مجلة المجتمع الكويتية	١١١/٦٧
كيف دخل الاسلام الصين	جريدة الاخبار المصرية	١١١/٧٠
لبنان	جريدة الرأى العام الكويتية	٩٤/٦٤
ليس بالأمانى	مجلة حضارة الاسلام السورية .	١١٢/٦٩
معالم تربية اسلامية	جريدة الاهرام المصرية	١٠٨/٧١
مهمة الصحافة الاسلامية	مجلة البلاغ الكويتية	١١١/٦٩
يقظة اسلامية رائعة	مجلة دعوة الحق المغربية	٩٤/٦٥
يوم النكسة	مجلة البيان الكويتية	٩٥/٦٥


بأقلام القراء


كلمات وأحاديث


الأغلفة



الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
ابراهيم الحسنات	حاجتنا الى التدين	١١٠/٦٩
ابراهيم حمد ابراهيم هندى	صرخة	٩٢/٦٢
ابراهيم عبد الرحمن البليهى	تعقيب على مقال (الاسلام الصراط المستقيم)	٨٨/٦٤
أحمد حسن الباقورى	حديث عن رمضان	٣٥/٦٩
أحمد حسن قضاة	ثم نسفوا البيت (قصة)	١٠٠/٦٩
	حسان بن ثابت	٥٩/٧١
أحمد الحوفى	الضمير	١٢/٧١
أحمد الشرباصى	العقل فى تفسير المنار	٤٥/٦٦
	آراء لرشيد رضا	٦١/٧٠
أحمد شلبى	اليهود فى فلسطين وخارجها	٣٤/٦١
أحمد عبد المنعم البهى	المحاماة	٩٣/٦٢
	زواجك أفضل	٩٤/٦٣
أحمد العنانى	يا شباب الاسلام	١٠٤/٦١
	الصامدون فى الارض (قصة)	٨٠/٦٣
أحمد فتحى بهنسى	التشديد فى العقوبة على الخطرين	٤٦/٦٣
أحمد محمد جمال	ما هى ثقافتكم يا شباب	٤٢/٦٢
	ما هى ثقافتكم يا شباب	٢٤/٦٥
	حوار حول الجهاد الاكبر	٣٦/٦٨
أحمد محمد مصطفى السفارينى	أجنادين (قصة)	٩٤/٦٧
أحمد مختار قطب	التوكل على الله	٧٨/٦١
	الصبر	٧٨/٧١
أحمد مخيمر	عيد المولد النبوى (قصيدة)	٦٦/٦٣
أنور أحمد قادرى	الفتاوى العالمكيرية (١) كتاب الشهر	٨٧/٧٠
	الفتاوى العالمكيرية (٢) كتاب الشهر	٧٠/٧١
أنور الجندى	محب الدين الخطيب	٧٣/٦١
	محمد عبد الله العربى	٦٥/٦٤
	الفاضل بن عاشور	٦٨/٦٥
أنور العطار	علمتنى الحياة (قصيدة)	٤٨/٦١
	شاعر الاسلام أقبال (قصيدة)	٦٨/٦٦
أورخان محمد على (ابو ليلى)	العقاب (قصة)	٨٠/٦٥
بكر موسى	نداء (قصيدة)	٣٠/٧١

الكـــاتب	الموضـــوع	العدد/الصفحة
عبد الحميد السائح	فى هجرة الرسول	٦١/١٩
	الحقوق المزعومة لليهـود فى فلسطين	٦٧/٥١
عبد الحميد محمد البسيونى	المطالب العالية (كتاب الشهر)	٦٩/٧٢
عبد الخالق محمد يونس	الكاسيات العاريات (قصيدة)	٧١/١٠٦
عبد الرحمن أحمد شادى	عادات ومخترعات شرقية	٦١/١٢٨
	الهـدايا	٦٣/٩٠
	ابواق شرقية	٦٤/٩٣
	كلمـة المسلم	٦٩/١٠٩
	اخوان شقيقان	٧٠/١٠٧
	الاستاذ الوالـد	٧٢/١٠٧
عبد الستار محمد فيض	مـع الأسرة	٦٨/١٠٠
	مكتبة المجلة	جميع الاعداد
	أحمد بن حنبل	٧١/٩٩
عبد العال سالم مكـرم	من دراسات المستشرقين حول القرآن الكريم	٦٤/٤٢
	جوانب من أخطاء المستشرقين	٦٩/٥٦
عبد العزيز بن باز	شهر رمضان	٦٩/٤٨
عبد العزيز شرف	الاسلام الصراط المستقيم (كتاب الشهر)	٦٢/٧٢
عبد الفتاح ابو غدة	دليل نجاسة الخمر من السنة المطهرة	٦٦/٩٢
عبد الفتاح عزت سالم	حول تحضير الارواح	٦٦/١٠٥
عبد الكريم الخطيب	الشورى فى الاسلام	٦٩/٤٠
عبد اللطيف فايـد	الدار والمسجد (قصة)	٧٢/٩٤
عبد الله التـل	تجار الحروب	٦٧/٦٧
عبد الله المشارى الروضـان	أبعاد الهجرة	٦٢/٤
عبد المعطى بيومى	مؤتمر علماء المسلمين	٦٢/٧٩
	الخليج العربى (كتاب الشهر)	٦٣/٦٢
	حديث مع الشيخ الباقورى	٦٤/٧٠
	صلاح الدين الايوبى	٦٨/٩٩
عبد المقصود حبيب	كرسى المتفجرات (قصة)	٦٢/٨٢
عثمان خليل	حول تحضير الارواح	٦٤/٨٦
عماد الدين خليل	عمر بن عبد العزيز	٦٨/٧٠
على أحمد باكثير	يوم الوشاح (قصة)	٦١/١١٢
على البولاقـى	فتوى فى الوكالة	٦٢/٨٩
	وقت العمـل	٦٢/٨٩
	حد السرقـة	٦٣/٨٩
	لمس المـرأة	٦٤/٩٠

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
محمد سليمان الاشقر	النذر	٩٠/٦٢
	المادة الشهرية	٩٠/٦٤
	حديث باطل	١٠٤/٦٦
	الخطبة بغير العربية	١٠٧/٦٧
	حديثان موضوعان	١٠٤/٦٧
	طلب العلم	١٠٦/٦٧
	تنظيم النسل	١٠٥/٦٧
	منزلة العبادة فى المسجد الحرام	٤٨/٧١
محمد سيد أحمد المسير	واجب الدعاة فى مجتمع اليوم	٩١/٦٢
	هذا هو حمانا	٨٩/٦٥
محمد شعبان	العلماء فى المعركة	١٢٤/٦١
محمد صادق عرجون	كتاب المصاحف	١٩/٧٢
محمد الصالح آل ابراهيم	محمد فريد وجدى	٦٠/٦٢
محمد صبيح	نظرة فاحصة فى داخل التوراة	٤٢/٦٣
محمد عاطف العراقى	ابن رشد	٥٢/٦٣
محمد عبد الغنى حسن	السيرة النبوية فى الادب الحديث	٣٢/٦٣
محمد العبد المصرى	التلمود دستور الصهيونية	١٠٩/٦٦
محمد عبد المنعم خفاجي	الاسلام اولا	٣٥/٧٢
محمد عزة دروزة	تخرصات بعض سفهاء المبشرين	٨/٦١
محمد على مكى	نبى الاسلام (قصيدة)	٢٦/٦٢
محمد الغزالى	ضوء على بعض المشكلات	٢٢/٦١
	محنة الضمير الدينى هناك	٤٦/٦٢
	حوار	٣٥/٦٥
	التربية الدينية أولا	٥٦/٦٧
محمد غلاب	مشكلة التربية والثقافة (٣)	٥٢/٦٥
	المحبوسون فى سجن المادة	١٣/٧٢
محمد كامل حتة	قضية الايمان بالغيب	٣٦/٦٤
محمد كامل الفقى	حياة الحجيج	٥٠/٧٢
محمد لبيب البوهى	مخاوف ابليس (قصة)	٩٦/٧٠
محمد محمد أبو شوك	الوهم القاتل	٩٩/٦١
	أمراض الصيف	٧٦/٦٥
محمد محمد أبو شهبة	أبو حنيفة	٧٠/٧٠
محمد محمد خليفة	أثر القرآن والحديث فى الخطابة	٥٢/٦٢
محمد ناصر الدين الالبانى	الاحاديث الضعيفة والقوية	١٩/٧١
محمد نعيم	هؤلاء ابتغوا الاسلام دينا	٧٨/٦٨
محمد هارون الحلو	ابراهيم خليل الله (قصيدة)	٦٨/٦٨



مؤسسة فهد المرزوق الصحفية

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى [illegible] ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول [illegible]ستراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـــ المنامة ـــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ـــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت ـــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

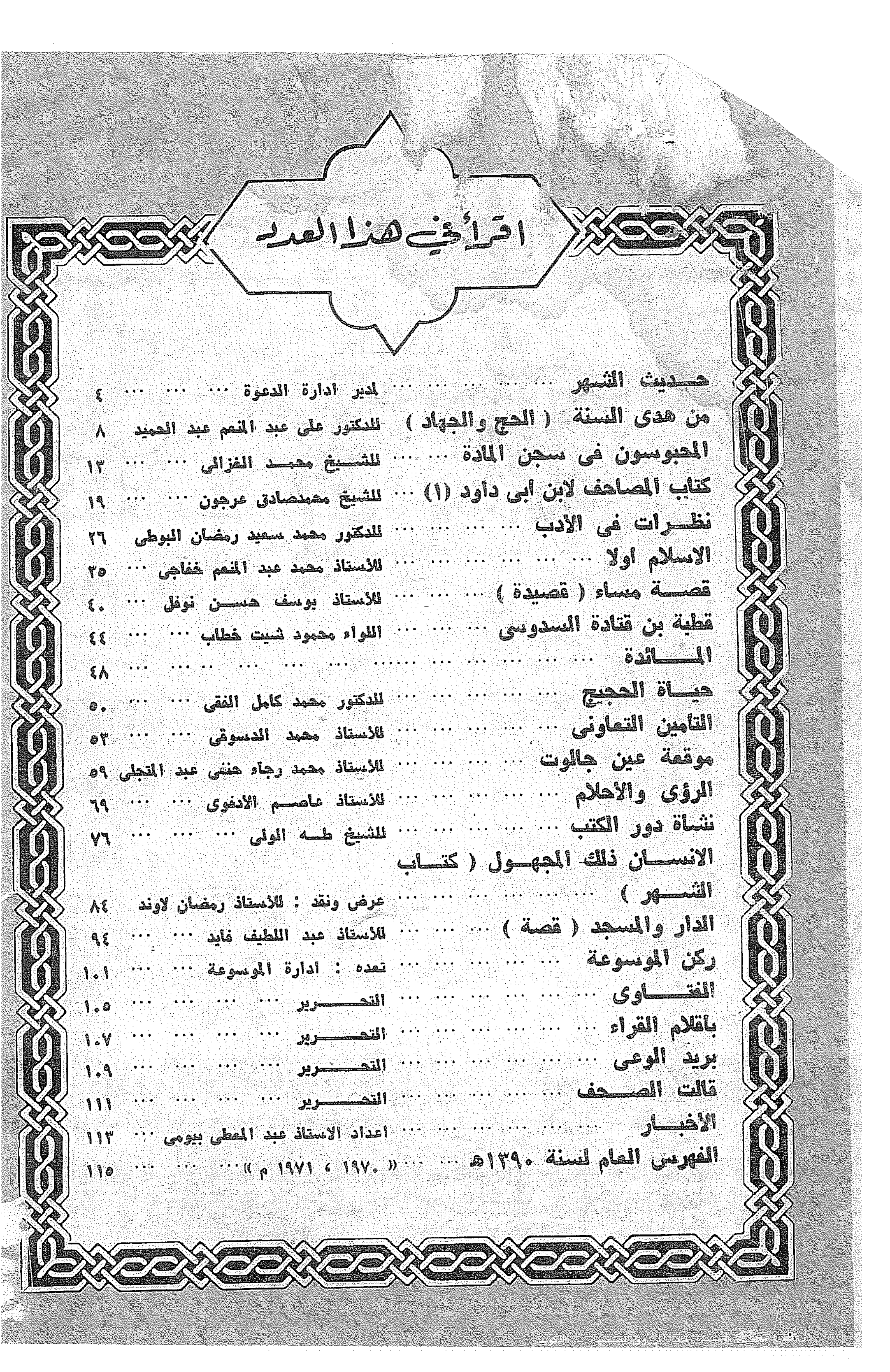
م[illegible] : الدار البيضاء ـــ مكتبة الوحدة الوطنية ـــ السيد أحمد عيسى .

[illegible] [illegible]ن الغرب ـــ ص.ب (١٣٢) ـــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب (٢٨٠) ـــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



اقرأ في هذا العدد

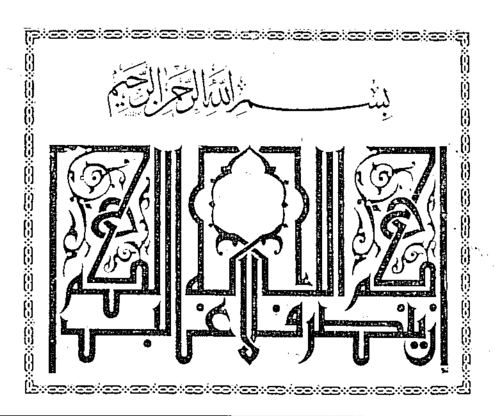
ـ هذا العدد هدية تقويم ١٣٩١ هـ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة العدد ٧٣ غرة محرم ١٣٩١ هـ ــ ٢٧ فبراير (شباط ١٩٧١ م)





بسم الله الرحمن الرحيم

ان ينصركم الله فلا غالب لكم

(صدق الله العظيم)

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السابعة

العدد الثالث والسبعون

غرة محرم سنة ١٣٩١ هـ

٢٧ فبراير (شباط) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الأفراد فيشتركون رأسا

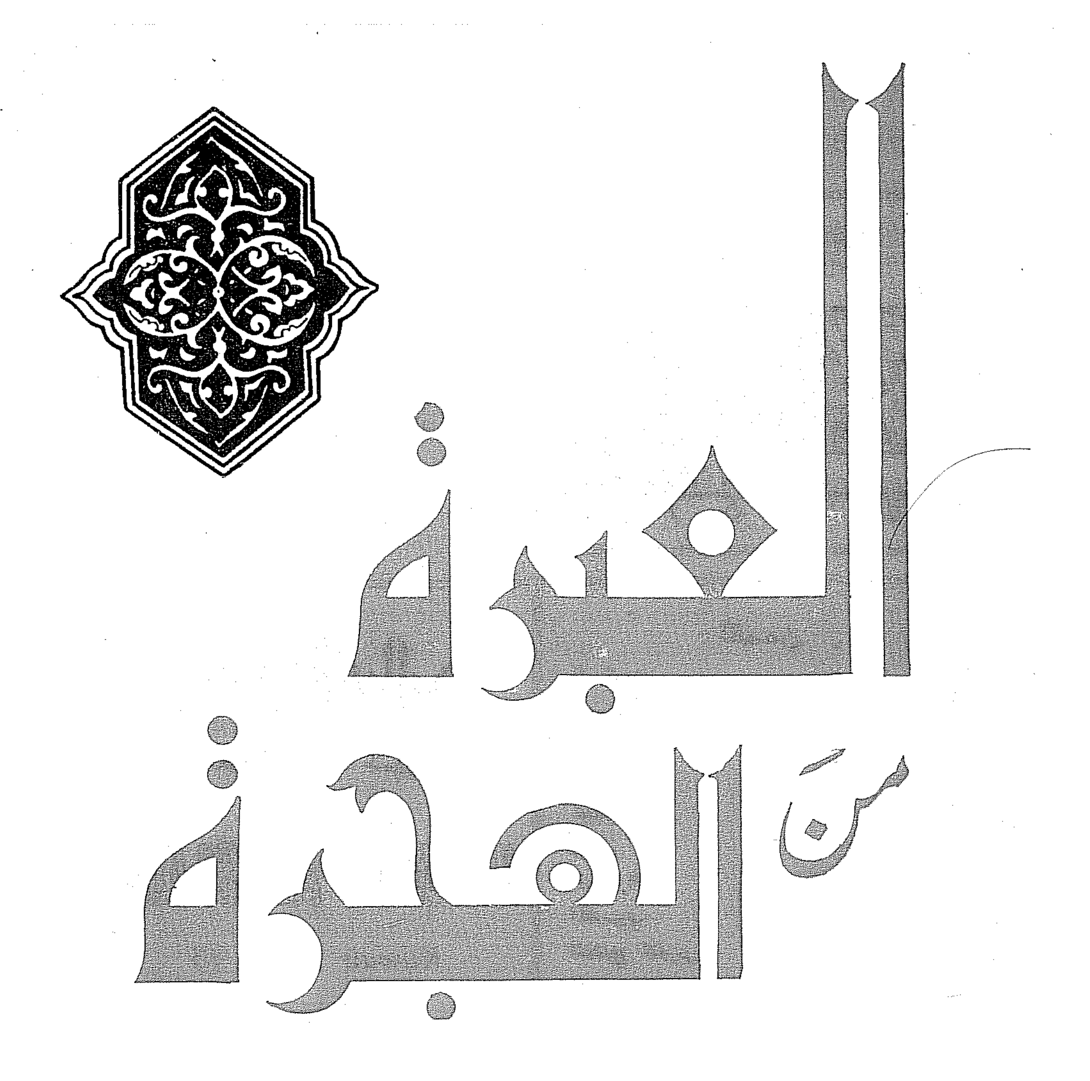
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



للدكتور : محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

يشرق على الوجود هلال المحرم فيجدد فى دنيا الاسلام ذكرى من أروع الذكريات وأجلها خطرا وأعظمها أثرا فى مسيرة الانسانية ، ذكرى حادث لم يعرف له التاريخ نظيرا فى أمة من أمم الارض ولا فى حياة زعيم من زعماء الدنيا ذلك هو هجرة المختار صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة المنورة ، تلك الهجرة التى تجلى فيها صدق الارادة وكمال البطولة وقوة الايمان وشرف الفداء والتضحية والتى فرقت بين الحق والباطل والخير والشر وفصلت بين الهدى والضلال والنور والظلام ، وأرست دعائم العدالة وأعلت صروح الفضيلة فنضرت وجه الارض وعدلت مجرى الحياة .

وكل خير أصابه المسلمون وكل رشاد ظفرت به البشرية منذ هاجرت رسالة التوحيد الى يثرب انما كان ثمرة طيبة من ثمار هذه الهجرة المباركة .

فما كانت الهجرة الا تحريرا للانسان من رق الطواغيت وانقاذا للبشرية المعذبة من ضلال الجاهلية وحماقة الطغيان والا حفاظا على صرح الاخلاق الفاضلة الذى شاده الأنبياء من قبل محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وجاء هو ليكمل دين الله ويتم البناء « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

فقد كانت الهجرة انتصارا للحق الأعزل الا من الايمان فى مواجهة الباطل المدجج بأسلحة البغى يريد أن يفتك به ويكتم أنفاسه ويعطل موكبه عن المسير .

ولم يكن انتصار الحق بالهجرة الكريمة سهلا لينا وانما كان موضع ابتلاء ومحنة تعرض فيها لأقذر مؤامرة وأبشع جريمة ، ولكن الحق كان مؤيدا بالجهاد والصبر والثبات والتضحية والايثار والفداء والشجاعة والايمان والثقة بنصر الله « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

فقد ظل الرسول العربى صلوات الله وسلامه عليه فى مكة ثلاثة عشر عاما من عمر نبوته يدعو الى توحيد الله وشرف الانسان وكرامته ، ويفتح القلوب على الحق والنور والسيادة والعزة ، قال للعرب حطموا هذه الأصنام وتعالوا الى كلمة سواء ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ودعا قريشا سادة العرب ان اتركوا هذه السيادة فما كان بعض الناس أربابا لبعض وانما الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهتف بكسرى وقيصر أن دعا هذا الجبروت الظالم وتلك الربوبية الكاذبة واتبعانى اهدكما سبيل الرشاد ، ولكن صادفته قلوب عليها أقفالها ونفوس أوصدت عن قبول الحق وانصرفت عن الهدى الى متابعة الهوى والشيطان ولم يستجب له غير قلة قليلة تحملت لأواء دعوته وخلاف قومه وعشيرته فاستمرأت العذاب فى سبيل الحق واستعذبت الألم فى سبيل الله واشتد الأذى به وبالنفر الذين استجابوا لدعوته ، وتنوعت مواقف المشركين ضده من السخرية والاستهزاء الى العنف والاضطهاد الى اللين والاغراء ، ولكنه ثبت على الحق وصبر على الأذى فما ضعف ولا تخور ولا لانت له قناة فراحوا يعرضون عليه المال والسلطان ولكنه أبى الا أن يكون داعيا الى الله وأعلنها قوية مدوية ما زالت تتردد فى أسماع الزمان « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وأزعج هؤلاء الطغاة أن ركب الهدى يتقدم وأن قائده لا يثنيه عن هدفه عنف ولا يغريه لين وأعيتهم الحيل ولم يجدوا وسيلة تريحهم من الدعوة الجديدة الا بالقضاء على محمد فقد تشاوروا فيما بينهم وانتهى رأيهم الى أن يختاروا فتيانا أشداء من كل القبائل يرصدونه أمام بيته حين يهدأ الليل ثم ينقضون عليه ضربة رجل واحد فيستريحون منه ويتفرق دمه بين القبائل فتنوء بنو عبد مناف

بثأره وترضى بديته ، ولكن الله من ورائهم محيط فأطلع رسوله على مكرهم وأذن له بالهجرة الى يثرب « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وفى الليلة الموعودة فيما بينهم لسفك الدم الزكى وازهاق روح الدعوة أحاط النفر الأشقياء بدار النبوة وكان فيهم أبو جهل وعقبة بن أبى معيط وأمية ابن خلف والنضر بن الحارث وطعمة بن عدى وزمعة بن الأسود وغير هؤلاء الصناديد ممن بلغوا مائة عدا .

وما كان بيت النبوة مدينة محصنة ولا قلعة محكمة ولم يكن بداخله عدد غفير حتى تواجهه قريش بهذا الحشد الجلد بعد تشاور وتحاور وانما كان بيتا متواضعا لا يعز على مقتحم ولا يستعصى على متسلق ، وانما كان فى داخله مع محمد شاب تحدى وحده جموع الشباب المتربص فى شجاعة مؤمنة وفدائية جريئة .

ورقد على بن أبى طالب فى فراش النبى وغطاه صلوات الله عليه بردائه الحضرمى ، وخرج يخطو على اطمئنان الواثق بنصر الله فى مواجهة الموقف الحاسم الذى صمم الكفر فيه على تنفيذ مؤامرته التى أعد لها هذا الحشد الفتى المسلح ، خرج على الجمع المتربص به فى عتمة الليل وهو يحثو التراب على رؤوسهم يتلو قرآنه « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فاذا الشباب المتحفز مغشى على بصره مطموس على بصيرته فقد طلعت عليهم شمس الوجود ونور الحق فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا .

ومضى الرسول الى بيت صاحبه أبى بكر على موعد معه ، ومن هناك خرجا الى غار ثور ثم يواصلان الرحلة الى يثرب .

وبقى القوم يترقبون النبى مطمئنين الى أنهم سيقضون به أمرا يؤمنهم على ما هم عليه ويبقى على آلهتهم وضلالهم .

وشربت قريش كئوس الندامة عندما عرفت أن فتيانها باتوا ليلتهم حراسا لعلى لا متربصين بمحمد وفشلت المؤامرة وسقط التدبير وفسد المكر وأفلت الزمام ولم يعد أمامهم من أمل الا أن يدركوه فيحبسوه أو يقتلوه فأغلوا الجعل لمن يرشد اليه وراحوا ينشرون العيون حول مكة ويقتفون الأثر وانتهى المسير بالقصاص الى ذلك الغار فاذا حمامات مستكنة فى عشها واذا شجرة تمتد فروعها وتتصافح أغصانها واذا عناكب تتشابك خيوطها ويتكاثف نسجها فيحلف أحدهم أن نسج هذا العنكبوت أقدم من ميلاد محمد ، ويتجمع القوم ويتفرقون ويتناقشون ويتجاولون والرسول فى الغار وقد احيط به من كل جانب والقفاة وقريش كلها تملأ الفجاج وتقذف بلهب الغيظ والحقد فلا يهن عزمه ولا يرجف فؤاده ولا يفقد ثقته بنصر ربه ويخفق قلب الصديق خوفا على الرسول فيثبته قائلا له « لا تحزن ان الله معنا » وبعد ليال ثلاث اذ خمدت نار الطلب مضى

الركب المهاجر فى طريقه تحوطه عناية الله تلحظه فى كل خطوة وتدركه عند كل عقبة وتدفع عنه السوء وترد عنه الكيد حتى القى رحله فى يثرب لتتخذ اسم المدينة المنورة علما جديدا لها فكانت ردء الدعوة وسند الحق ومصـــدر النور والعزة وكانت وطن المجتمع الجديد مجتمع الوحدة والايثار والعدالة والمساواة والعلم والحضارة .

وهناك صنع الرسول القادة وراسل الملـــوك وبعث البعوث وملأ الدنيا بالنظم والمثل التى فتحت القلوب بالعدل والعقول بالعلم والبصائر بالنور .

ومن هناك بدأ الزحف المجيد للحملة الآلهية التى جردها الله على الكفر والبغى والجهل وجعل قائدها محمد بن عبد الله ولم يقف الزحف النبوى ولم يتباطأ فلم يمض شـــهر بدون معركة ينتصر فيهـــا الحق وبدون تشريع وتجديد وعـادت الدعوة الطريدة الى مكة بالفتح الأكبر تملك الزمام وتنشر السلام وتؤثر العفو والصـــفح وأكمـــل الله الدين وأتم النعمة ودخل النـــاس فى دين الله أفواجا .

وهكذا لم تكن الهجرة فرارا من الميدان ولا مجرد انتقال من بلد الى بلد وانما كانت هجرة من أرض جثم فيها الشرك وحكمها الجهل وسادها البغى الى أرض سطع فيها نور الحق وأشرق منها ضياء التوحيد .

وكانت ثورة على الظلم : ظلم النفس بالشرك والرذيلـــة وظلم المجتمع بالطغيان والفوضى .

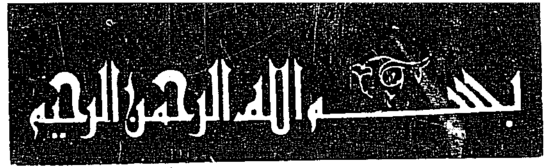
وكانت حربا على الضعف الانسانى فى شتى صوره وألوانه وانتصـــارا للحق مهما بطشت به قوة الباطل وكانت تأسيسا لأول دولة دعائمهـــا العدل والعلم والحرية والحضارة والأخاء والمساواة فى ظل وحدة الأمة التى رضيها الله لعباده « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

وما أشبه الليلة بالبارحة فذكرى الهجرة تطالعنا اليوم ونحن نواجه قوى الشر والعدوان وهى أشد ضراوة تريد أن تقضى من جديد على دعوة التوحيد وتغتصب ديارها وتذل أهلها وترد العالم الى عهود الجاهلية الأولى .

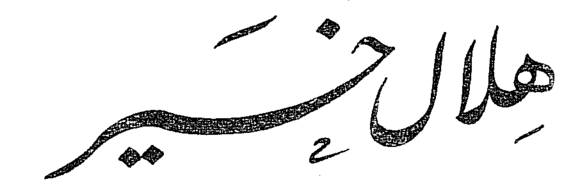
والعبرة الواضحة من الهجرة أن الايمان بالله والثبات على الحق والصبر على المكاره والكفاح فى سبيله كل ذلك يستلزم النصر بأذن الله .

فليكن لنا فى رحاب الذكرى مدد يوثق صلتنا بالله ويربط على قلوبنا فى معركة المصير حتى نصون الحق ونسترد الارض ونطهر القدس وترفرف أعلام السلام على أرض السلام .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .





أطل على العالم اليوم هلال شهر جديد وعام جديد .. وهلال المحرم من كل عام يجدد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم ، ويفتح أعينهم على يوم مأمول وغد مرتقب ...

ويومنا فى هذا العام مشحون بالجهود التى تبذل لجمع الشمل ، واعداد العدة لملاقاة العدو فى يوم الفصل .

وغدنا القريب تتطاول نحوه الاعناق ، وتتطلع اليه العيون لترى أعلام النصر وألوية العدل وهى ترفرف فوق أرض المقدسات ومهد النبوات .. غد يعود فيه المسلمون المبعدون الى دورهم وبلادهم ، ويدخلون المسجد الأقصى مهللين مكبرين فرحين بنصر الله .

وهذا الغد قد يتراءى فى نظر ضعفاء الايمان ، ومن انحلت عرى عزائمهم سرابا خادعا أو حلما كاذبا ، ولكنه ليس كذلك عند أقوياء الايمان وذوى العقيدة المكينة ، بل هو حقيقة آتية لا ريب فيها .

قبل صلاح الدين كان المحتلون للاراضى المقدسة يظنون الدنيا دانت لهم ، وأنهم باقون الى الأبد لأن قوى الأرض تناصرهم وتظاهرهم ، وكان ضعفاء الايمان يجبنون أمام الواقع الزائف ، أما صلاح الدين ومن استجاب لصيحته فقد كانوا أقوى من الواقع ، وفوق مستوى الاحداث كانوا أوثق بوعد الله مما يمليه الواقع ، وتصدقه عقول الجبناء الفارغين والخشب المسندة .

ان حق الفرد يمكن أن يؤكل ويهضم ويضيع فى هذه الدنيا .. أمانة يغتالها خائن ، دار يستولى عليها غاصب ، دم يراق بغير حق ، ويبوء باثمه مجهول — الى أن تسترد الامانات وتعود المظالم الى أربابها فى يوم ينفرد فيه بالحكم أحكم الحاكمين .

أما حقوق الشعوب والأمم فلن تموت ، ولن تضيع على هذه الارض مهما طال الزمن واختلت الموازين ، ستعود الارض المغصوبة والحقوق المنهوبة ..

بهذا جرت سنة الله فى خلقه .. لن يدوم الظلم الجماعى ما دامت الأمة قائمة على حقها متجمعة حوله . محتشدة للموت دونه : « وكأى من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

وكيف تضيع حقوق أمة وهى تؤمن بأن المعركة الناشبة مع الصهيونية حول الأرض الاسلامية المحتلة ليست معركة ثلاثة ملايين فلسطينى ، ولا مائة مليون عربى من سكان الشرق الاوسط ، بل هى معركة سبعمائة مليون مسلم يشغلون مساحات شاسعة من المعمورة ، ويمثلون جزءا كبيرا وعددا ضخما من المجموعة الدولية .. سبعمائة مليون مسلم لن يظلوا غثاء كغثاء السيل ، بل سيتحولوا فى المدى القريب ، بله المدى البعيد الى سيل مدمر ، يكتسح الظالمين ، ويغسل الارض من رجس الغادرين .

كيف لا تثبت هذه الأمة وجودها ، وتسترد حقوقها وتنتصر على البغاة العادين ، وهى أمة ما عرفت فى تاريخها الطويل الاستكانة لظالم ، ولا الرضوخ لقاهر ، بل تمردت على كل طغيان ، وقهرت كل عدوان ، وخاضت كل شدة ، ثابتة القلب ، شديدة العزم ، واثقة بربها ، معتزة بايمانها حتى كتب لها النصر .

ان اليأس من النصر لم يعرف طريقه الى قلب هذه الأمة يوم كانت فى بداية أمرها أفرادا قلائل يعدون على الاصابع ، وان الاضطهاد والعسف والتعذيب لم يزحزح هذه القلة المؤمنة عن ايمانها ، ولم يفت فى عضدها ، وان تكالب قوى الشر والكفر من أهل مكة وممن حولها على هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم ايمانا واصرارا ، ومنحهم قوة واقتدارا ، وان رجحان ميزان القوى المادية فى جانب أعدائهم لم يرهبهم ولم يثنهم عن عزمهم ..

لقد كانت مكة مولد النبوة، ومنشأ الأمة ، كانت كلها عيونا عليهم ترقب خطواتهم ، وآذانا تتسمع همساتهم ، وأيديا تبطش بهم ، ومع هذا فما استسلموا ولا وهنوا ، بل صبروا وصابروا ، وضحوا وحاربوا وانتصروا ..

فكيف يعرف اليأس طريقه الى قلوب الملايين من أبناء هذه الأمة بعد أن بسطت جناحيها على المشرق

والمغرب ، وخفقت راياتها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، وارتفعت مآذنها سامقة فى أكناف الارض ، وتجاوبت الاصداء بأذانها فى آفاق السماء .

ان الذين يحاولون توهين العزائم ويخافون من مغارم العزة والسيادة ويستطيبون الذلة والدنية ليسوا من هذه الأمة فى شىء ، وقد ابتليت بأمثالهم من الخوالف والمعوقين ، والحراص على الحياة ، ففضحتهم ونبذتهم ، ومضت فى طريقها الى قدرها المنتصر .

وقد ندد الله بأولئك المعوقين الانهزاميين الذين ظهروا فى عهد الرسالة فقال سبحانه : « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا »

كما أشاد الحق تبارك وتعالى بثبات أقوياء الايمان ، وأصحاب العزائم الصادقة أمام الاهوال والمخاوف ، فقال جل شأنه : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

ان الهجرة النبوية التى يحتفل العالم الاسلامى بذكراها مع مطلع العام لتعتبر أكبر معلم من معالم التاريخ يضىء للمجاهدين طريقهم ، ويثبت أقدامهم على درب الكفاح والنضال ، ويلوح لهم من خلال حجب الظلام الكثيف بالفجر الصادق .. فجر الحرية الذى لا يبصره الا أولو الايمان المتين والعزم الحديد .

وما كان هذا الحدث التاريخى الفريد يبلغ هذا المدى من الخلود ، ويحقق ما حققه من انتصارات وأمجاد باقية على وجه الدهر الى يوم الدين لولا ما سبقه من ألوان الشدائد والمحن التى مرت بالرسول وصحبه المهاجرين خلال ثلاث عشرة سنة . كانت تربية واعدادا للجولة التالية ، واستعدادا للصراع العنيف الحاد الذى وقع بعد الهجرة .

لقد بلغت الشدة على المؤمنين منتهاها قبل هجرة النصر ، وكان أعظم الناس سياسة وأشدهم كياسة يتوقع للدعوة الفشل ، وللمؤمنين بها الهزيمة ، وما كان يدور بخلد مخلوق مهما أوتى من فسحة الأمل ، وسعة الخيال أن هؤلاء العزل الذين نفضت الدنيا يدها منهم سيصبحون عما قريب سادة العالم وأمراء الارض ، وكيف يسودون وينتصرون وهم لا يملكون شيئا قط من أسباب النصر المادية ، لا مال ولا رجال ولا سلاح ، ولا حكم ، ولا قوة تناصرهم ولا مجتمع يساندهم ، ولكن القيادة النبوية كانت فوق المحن والارزاء ، فوق الشدائد والابتلاء ، كان الايمان أصدق من السياسة وأعظم من الكياسة ، كان الحق فوق المال والرجال والسلاح ، كان الأمل فى عون الله ونصر الله يملأ قلب

الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقف من أصحابه يداوى جراح نفوسهم ، ويربط على قلوبهم ، ويخفف عنهم ما يلقون من عنت واضطهاد ، ويبشرهم بنصر مؤزر وفتح عظيم .

روى البخارى عن قيس قال : سمعت خبابا يقول : أتيت النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو متوسد ببرده ، وهو فى ظل الكعبة — وقد لقينا من المشركين شدة — فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر الوجه فقال : « قد كان من كان قبلكم لتمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ... ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه .. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو اهتز الايمان فى قلوب المؤمنين فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة تحت تأثير الضغوط والمؤثرات الجائرة ؟

ماذا كان يمكن أن يحدث لو نظر هؤلاء الى ميزان القوى وهو مع الاعداء ؟

ماذا يكون لو نظر هؤلاء الى الرأى العالمى وهو فى هذا الحين كافر من كافر ؟

لو كان لهذا كله حساب ووزن فى نفوس المؤمنين لنفد صبرهم،وانهارت عزائمهم وخمدت دعوتهم ، وكان ما لا يمكن أن يكون الا فى خيال من أفئدتهم وقلوبهم هواء ، لأن الايمان بالحق حين يتخلخل فى قلوب أصحابه يتبدد الأمل وتخور العزائم ويوقع صك الاستسلام والهزيمة .. أما حين يقوى الايمان فانه يملأ القلب بالأمل فى الوصول الى الحق المفقود ، ويساند هذا الأمل السعى الجاد لبلوغه ، واحتمال التضحيات والمغارم فى سبيله .

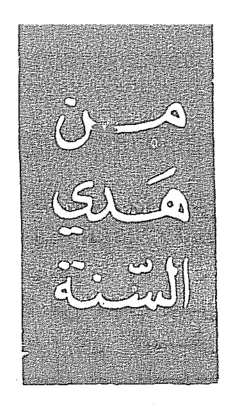
ان الهجرة النبوية التى نحتفل بذكراها اليوم لو استعرضنا ما سبقها من شدة وبلاء ، وما صاحبها من كيد ومكر ، وما أعقبها من تكتل جبهات الكفر ، وتألب معسكرات البغى ، ثم ما كان من أثر العقيدة فى الصمود للبلاء ، واحباط الكيد والمكر ، والوقوف فى وجه القوى الغاشمة ، لو وعينا هذا كله ، واجتزنا مرحلة الوعى الى مرحلة العمل والتنفيذ لأحطنا بالعدو ، وملأنا الفجاج المؤدية اليه بالجيوش الزاحفة المؤمنة ، وتحقق لنا ما وعد الله به المؤمنين : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

أيها العام الهجرى :

باسم الله نستقبلك ، وباسم الله نرجو أن تكون خيرا من سلفك وأن تصبح أيامك صفحات عز ونصر للمسلمين .

رضوان النبلى

مدير ادارة الدعوة والارشاد



قمة الانسانية

للدكتور: علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :
((كأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء ضربه قومه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : ((اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون)) رواه الامام مسلم .

١ ــ فى ظواهر الوجود ، وما يبدو منه محسا ، وما يدرك واقعا ، مفارقات تثير العجب ، ولا تخضع لميزان ثابت ولا تدخل تحت تصنيف علمى لا يقبل النقض ، وقد تكون لشدة جلائها ووضوحها من المعميات وان حاول ناس بحثها وتعميق القول فيها فهم على أدنى درجات الادراك لم يتفقوا على استنتاج ماهيتها ولا مصدرها ولا مدى فعاليتها لو اخذت كما بدت ، فكثير ممن سما ادراكهم ، وتوطدت بمدبر الكون صلاتهم ، بدوا فى مسوح العازفين عن مهاوى العامة ومنازل الدون ، وللعامة والدون تفسير خاص فى عرفهم لم يستقوه من مظهر مادى بل قديكون هذا المظهر فى شرعتهم دون الدون، يمرون بالحياة مرور النسائم المنعشة ويلتقون بالاحياء التقاء النمير الصافى الزلال بعابر الصحراء الفاقد حبالته وأشطان بئره ، يبذلون دائما ولا يبسطون أيديهم طالبين أبدا مهما عز عليهم الكن أو ضاق بهم المأوى ، وقد كانوا ضياء دياجير النفس الانسانية المظلمة ، ورواد دروبها المتشعبة ، وحلالى عقدها المستعصية عاشوا لغيرهم رغم عدوان الغير عليهم ، وتجريده كل سلاح لحربهم، واعداده ما استطاع لازاحتهم من طريقه ، زاعما ان ما يفعل هو

الاجدى نفعا على الانسانية . ولو أدرك أو حاول ولم يصمه ما أصمه للوى عنان مطيته نحـوهم ، وكبح جماح أدهمه للاقتراب منهم ولـمـا تركهم يرددون مقالة اتسمت بهـا طرائقهم ، وتنـاقلتها الأعصر عنهم : **((رب أغفر لقومى فانهم لا يعلمون))**

٢ ـــ من دراسة واقع عاشـه من دلفوا الى بواطن الامـور ، **ورأوا** بعين الحقيقة ماهية الاشياء كما يجب أن تكون وكما يصـح أن تؤخذ ، وأيقنوا أن لا خلود لمخلوق ، ولا بقاء لعالم ، وبدت لبصائرهم التى لم يصبها العمى ان وراء الأكمـة ما وراءها ، فلكل كائن نهاية ، وله من ايجاده غاية . هؤلاء آمنوا بحقهم فى **الذى أعد** بعد هذه المرحـلة الزائلة فأعدوا أنفسهم للسير على نهج غير ذى عوج وان ظهر لبـادى الرأى أنه خروج على طبيعة البشر، فكان فى فعلهم خلودهم،وفى سلوكهم بقاؤهم ، واستعصى على الزمـان الذى لا يرحم ان يعفى أثارهم ، بل طأطأ الرأس اجلالا لهم ومضى يسجل فى اضبارة أخبارهم نمـاذج انسانية رائعة وحقائق الهية ظهـرت فى أقوالهم ونفذوها فى فعالهم ، فهـذا رجل يضر بماله ويؤذى دنيـاه ، ويعطى ما لم يطلب منه ظاهـرا خضوعا لايمانه وعرفانا بما يدخر له فى غده : قال جرير بن عبـد الله

رضى الله عنه : **((بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم))**

وقد روى الحافظ أبو القاسـم الطبرانى مكرمة من أخلاق هـذا الصحابى وحرصه على الوفاء بمـا عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو نال ذلك من ماله ـــ والمال عدل النفس ـــ روى الطبرانى أن جريرا هذا كان على جانب من الثراء وقد أمر مولاه يوما أن يؤم السوق ليشترى له فرسا ، فاشترى لـه فرسا بثلاثمائة درهم وجاء بالفرس وصاحبه الى جرير لينقـده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس :**((فرسك خير من ثلاثمائة درهم !! أتبيعـه بأربعمـائة درهم ؟))** قال : ذلـك اليك يا أبا عبد الله ، فقال : **((فرسك خير من ذلك !!** ـــ اتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائـة وصاحبه يرضى ، وجرير يقـول : **((فرسك خير))** الى ان بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها ، فقيل له فى ذلك، فقال : **((انى بايعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم على النصـح لكل مسلم))** .

٣ ـــ ابتعد الموجه الاسلامى عن المسرح الحقيقى الذى كان يجب أن يلعب عليـه دوره ، واختفى وراء الكواليس يقوم بدور لم يندب لـه وليس هو الوضع الطبيعى لـه ولأضرابه ، ولنعد مستعرضين بعض وقائع الزمان الذى مـر من قبـل حيث نرى القدوة هو من بيـده السلطة ، ومن له الامر والنهى ،وان الاسلام ليس قبوعا فى صومعة ،ولا حديثا عابرا يتلاشى مع الريح ، ولا كتابا ينمق ثم يوضـع على الرف لا تحس به الا الأرضة محاولة نيـل غذائها من أوراقه وشرابها من مداده، تعال معى الى القمة قمة الاسـلام رواده الاول : هذا ابو بكر رضى الله عنه كان يعمل قبل خلافته تاجرا ، فما أفضت اليه الخلافة أخذ يغـدو ويروح الى السوق ليحصل على طعامه وطعام أسرته ولولا حمل المسلمين له على التفرغ لامورهم ما تـرك التجارة أبدا ، وكان يوزع ما يصـل الى يده من حصيلة بيت المـال بين المسلمين جميعا لا يفرق فى ذلـك بين أحد منهم ، وقد قيل له يوما : لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم ،

فكان جوابه رضى الله عنه : انما أسلموا لله ، فوجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما الدار الدنيا بلاغ .

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوم بخدمة عجوز أخنى الدهر عليها فأفقدها المال والولد وسلبها نور العين حتى اصبحت مسخا لا تقدر على شىء حتى رفع اللقمة الى فيها ، وكثيرا ما جاء اليها فوجد غيره قد سبقه اليها قائما بكل حاجياتها ، فتربص يوما مستخفيا ليعلم من هو ؟ فاذا هو أبو بكر رضى الله عنه ، فصاح : أنت هو لعمرى ما سابقناك الى خير الا وسبقتنا اليه وأبو بكر يومئذ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

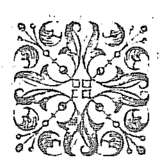
وهذا على بى أبى طالب كرم الله وجهه يذهب الى تاجر ليشترى منه ثوبا فيستصحب معه غلامه وبعد أن يشترى ثوبين متماثلين يقول لغلامه : اختر أيهما شئت فيأخذ الغلام أحدهما ويلبس سيدنا على الآخر منهما . .

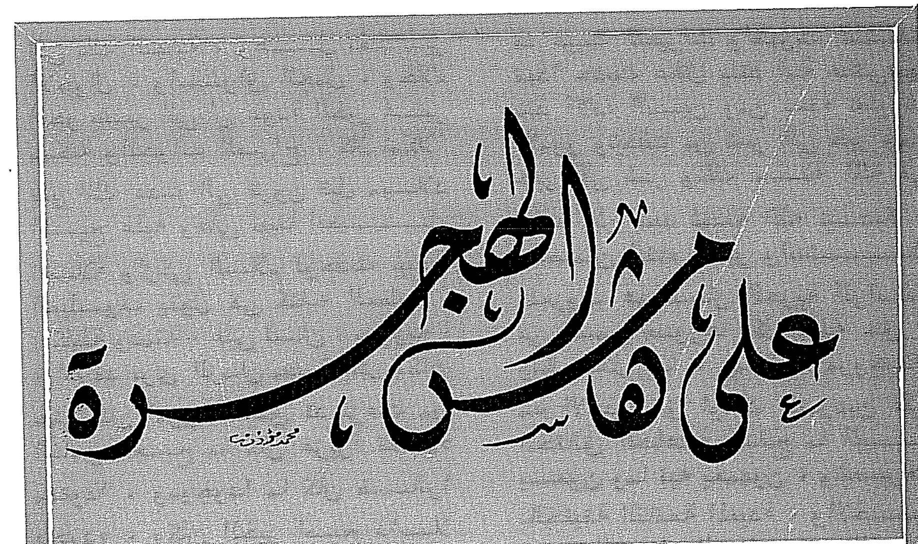
وهكذا كان الموجه هو من يسمع له ويطاع قوله فلما مضى الزمان الذى استضاء بنور النبوة ، وأظلته هداية الرسالة المباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حملة الشريعة بالدخول فى المجتمعات وفى قمتها مجالس الخلفاء يولونهم النصح ويتحملون فى سبيل ذلك كل أنواع الابتلاء ضربا واضطهادا وقتلا أحيانا، دخل يوما مالك بن أنس وابن طاوس على أبى جعفر المنصور وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الاعناق فأومأ اليهما بالجلوس ، فجلسا ، فأطرق زمنا طويلا ، ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثنى عن أبيك قال: سمعت أبى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى ملكه فأدخل عليه الجور فى حكمه**)) فأمسك أبو جعفر ساعة . يقول مالك ، فاسود مابيننا وبينه وأمسكت ثيابى مخافة أن ينالها شىء من دم ابن طاوس ، ثم قال أبو جعفر : يا ابن طاوس : ناولنى هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ، قال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها ، فلما سمع ذلك قال : قوما عنى ، فقال ابن طاوس : ذلك ماكنا نبغى ، قال مالك : فما زلت اعرف لابن طاوس فضله منذ ذلك اليوم .

ودار الفلك وهو دائب فى سيره لا يتوقف وقسا الخليفة وخاف الموجه الاسلامى أن يغشى مجلسه ناصحا أو موجها ، فغاب عن ذلك المجلس الناصح الامين وولج اليه المنافق الاثيم ، ونشأ مجلس آخر لواحسن استغلاله فى تلك الاعصر دون مهابة ولا وجل لأدى الرسالة وأغنى ،ولكن مادت به الارض وساخت قوائمه فيها وأصبح ظلالا خفيفة وعادة لا عقيدة، فالتوى الامر وضاعت الفائدة المرجوة وانحسرت قوة الاسلام عن البيت واختفت من الشارع ، وومضت فى بعض دور التثقيف ، واخيرا عصفت بها الريح الهوج ، فأرزت الى الزوايا كما تأرز الحية الى جحرها منتظرة من يتحمل الضرب والموت فىسبيلها وهو يقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

٤ — يعود معذب القلب فيتساءل: أحقا استدار الزمان واشرف على نهايته ، أم أن الطريق لا زال طويلا

الى تلك النهاية ، وهـــل تغــــير الاحوال ، واستنواق الجمل ، وخلاء الجو يشير الى أن عودة الخير غــير ممكنة والجواب الصراح : كلا ثمكلا:
فلو انك عدت الى قرون قبل ميــلاد المسيح عليه وعلى نبينا أفضـــــل الصلاة وأزكى السلام لوجدت بيبديا الفيلسوف يقول فى كتابه العظيم : (كليلة ودمنة) على لسان (برزويه) (أنا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان حتى كان أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقـده مفقودا ، وموجودا ما كان ضــائرا وجوده ، وكأن الخير اصبح ذابــلا والشر ناضرا ، وكأن الفهم قد زالت سبله ، وكأن الحق قـــد ولى كبرا وأقبل الباطل من بعده ، وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم اصبحبالحكام موكلا ، واصبح المظلوم بالحيف مقرا، والظالم بنفسه مستطيلا ، وكـــأن الحرص اصبح فاغرا فاه من كـل جهة ، يتلقف ما قرب منه وما بعد، وكأن الرضا اصبح مجهولا ، وكأن الاخيار يريدون بطن الارض نــزولا وكأن الاشراريقصدون السماءصعودا فأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك ، وأصــبحت الدناءة ممكنة « بتشديد الكـــــاف المكسورة » واصبح السلطان منتقلا من أهل الفضل الى أهل النقص ، وكأن أم **دفر مسرورة جذلة** تقــول : قد غيبت الخيرات وأظهرت السيئات
فهذا حديث عاقل ينقد أمة عاشفيها منذ آلاف السنين ومن بعده تطورت الامور وتبدلت من شر الى خير ومن خير الى شر وتلك ســنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبــديلا ، والضمان لبقاء الخير وانتشـــــار المعروف هو ضمان الحرية الواسعة فى اسمى صورها لكل كلمة حق ، ولكل قائل بها ، ومعاونة مروجيها، مع الاخذ برفق اولئك المتمردين على الحقائق الجاهلين بنتائج ما اليـــه يسعون وما فيه يعمهون ، وتبصيرهم بالحقيقة النافعة المفيدة ، والاخـــذ بيدهم الى دار السلام ونور الاسلام فى رفق وهوادة ، وان لله رجــالا — وانلم يعرفوا — عندينه يكافحون وهم فى كل مكان بالحق قائمون وعلى شرعة رسوله ســائرون ، وان بلدا تنمو فيه الحرية لا بد وان ينمــو فيه الخير ، وينجاب عنه الظلام ، ولما كان الضغط يولد الانفجار ، واعتمال المواد المتعاكسة فى بطن الارض ينتج الزلازل والبراكين ، وربمـــا ثارت الطبيعة على البشر فابتلعتهم الارض أو أغرقتهم بمائها ، أو أخذتهم ريــح صرصر عاتية ، أقوال تضرب للعبرة ليتذكر من يتذكر ، وليقوى على دعوة الحق القائمون بها وليقولوا فى هدوء لمخالفيهم وقائليهم : **« رب اغفـــر لقومى فانهم لا يعلمون »** .





للشيخ أحمد حسن الباقوري

لم تكن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يثرب من بلد الله الحرام هربانا من عداوة ولا رحمة بضـــعيف ، ولا ايثارا لحياة وادعة ناعمة يعبد المســـلم فيها ربه عبادة الصـــوفى الذى استلان خشونة الضيم فأصـــبح يجد فى عبادته هذه من اللذاذة ما يجده الشاب فى ريعان شبابه وقد واتته وطأة العيش وأحاطت به أطايب المتارف ، وتهيأت له أسباب النعيم .

ولكن هجرته صلى الله عليه وسلم كانت من أجل اقامة دولة المتقين أول دولة للاسلام فى مدينة رســـول الله عليه الصـــلاة والســـلام .

وهذه الدولة التى أقامتها الهجرة النبوية الشريفة هى التى أخرجت الانسانية كلها من الظلمات الى النور ، ومن تسلط الهوى الى رشد العقل ، ومن عبودية البشر الى عبودية الله رب العالمين ، ثم هى الدولة التى تقوم شامخة فى دنيا النظريات كما قامت شامخة فى دنيا الواقع حينا من الدهر على أصول من الحق والعدل ينكر الشمس فى رائعة النهار من ينكرها أو يتنكر لها .

ومن هذه الأصول التى قامت عليها هذه الدولة ، وتقوم عليها كل دولة خليقة بالانتساب الى الاســـلام « الحرية » « العدالة » « العلم » القوة والسلام » .

فأما الحرية ، فلا يعرف الناس مبدأ أو مذهبا احترم الحرية ورفع من قدرها كما يعرفون ذلك فى الاسلام الذى جاء به محمد رسول الله ، شرفا للعروبية ورحمة للانســـانية . ذلك أن الباب الذى يدخل منه الناس الى الاســـلام ليس الا تلك الكلمة الشريفة « لا اله الا الله » . !

وربما كان الفنا لهذه الكلمة وتكرارنا اياهـــا قد صرفنا عما ينبغى من التـــدبر الواجب لهـــا فان الف الشىء موجب للغفلة عما ينطوى عليه من معان جليلة لولا هذا الالف لكانت هذه المعانى ملء الأسماع والأبصار .. والمعنى لهذا الشعار الاســـلامى الذى لا سبيل للاسلام الا من طريقه هو أنه لا موجود يستحق الخضوع له والتذلل بين يديه الا الله رب العالمين ، الذى أعطى النعمة ومنح الخير وسخر للانسان ما فى الســـموات وما فى الارض ينتفع به حيث شاء متى شاء . فالا قرار بهذه الكلمة واعتقاد معناها وتحقق المسلم بها هو أسمى ما تتطلع اليه حرية الأحرار .

وعن فقه أسلافنا لمعنى هذه الكلمة وحرصـــهم على تحقيق معناها نبذوا العنصرية وكانوا فى مجتمعهم سواسية كأسنان المشط لا فضـــل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، فكان أمير المؤمنين عمر حين يرى بلالا الحبشى مقبلا عليه يرحب به قائلا له مرحبا بسيدنا ومولى سيدنا . وعن هذا الفقه نفسه ــ خرج بلال هذا مع أخيه الى قوم من بنى ليث يخطب اليهم من نسائهم لنفسه ولأخيه ، فلما بلغ ندى القوم . قال : أنا بلال وهذا أخى . كنـــا ضالين فهدانا الله ، وكنـــا عبدين فاعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ، فان تزوجونا فالحمد لله ، وان تردونا فالمستعان الله ، فلما سمع القوم . قالوا نعم وكرامة وزوجوهما .

وأما العناية بالعدالة فى مجتمع المسلمين فانها تأخذ صورا عدة : ــ

أولاها ــ العدالة فى الحكم للناس أو عليهم « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين النـــاس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا » والمسلم لايجوز له ولا يجمل به ملتزما حدود ربه أن يحكم هواه أو يستجيب لنزواته وشهواته واثراته فى التعامل مع النـــاس « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى .. » .

فاذا جاوز المسلم العدل فى هذا الاطار الى تلمس العدل فى

اطار الاقتصاد والمال وجد القرآن يقرر أن المال مال الله عند الناس ، وأن الذى لا مال عنده له حق معلوم يقتضيه ممن له مال ، وعلى الدولة أن تأخذه من الأغنياء لترده على الفقراء بسلطان الله وقوة الدولة مع فارق واحد ينبغى أن يلاحظه المسلم فى هذا المجال الاقتصادى ان الاسلام لا يثير طبقة على طبقة ولا يستنبت الأحقاد أو يستغلها ضد اصحاب المال ممن لا مال لهم ، فالجميع اخوة والجميع يجب أن يكونوا خاضعين لاحكام الله .

وأما العلم فاننا لا نعرف دينا حرض على تحصيله كما نعرف ذلك للاسلام سواء فى ذلك ما يسمى العلوم الانسانية وما يسمى العلوم المعملية ، ومن الأول الاشارة بقول الله « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب » .

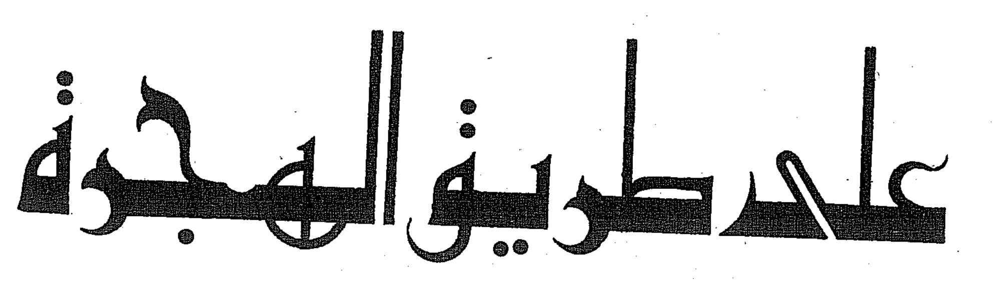
والى العلوم المعملية من الجماد والنبات والحيوان يشير قول الله تعالى « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » .

فليس يسع المتأمل لكتاب الله متدبرا له على بصيرة أن يتغاضى عن تذييل الآية الشريفة بخشية العلماء لله أو توقيره تعالى لأهل العلم فان العلم فى هذه الآية ليس من العلوم التى تسمى علوما انسانية بل هو علم طبقات الارض ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات وليس فى دين أو مذهب سبق القرآن تكريم للعلم والعلماء بمثل هذه الصورة التى ذكرتها الآية الكريمة .

وأما القوة فما أكثر ما يجد المسلم تحريض الاسلام على اعداد القوة وتوفيرها للدفاع عن الحرمات وصيانة المقدسات مع فرق جليل هو أن القوة فى الاسلام للتخويف والارهاب ، وليست للتخريب والتدمير على ما يقول تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

واما السلام فحسب أهل العلم من ذلك أن يعرفوا أن المادة اللغوية التى يتكون منها السلام هى المادة اللغوية نفسها التى يتكون منها الاسلام .

ان الحديث عن الهجرة النبوية الشريفة لا ينبغى أن يكون قولا يردد يتشدق به متشدق أو يتفاصح متفاصح وانما ينبغى أن يكون هذا الحديث منطويا على ما يذكر المسلمين بأمجادهم ويستحث هممهم الى الاعتزاز بها حتى لا يفنوا فى شرق أو غرب لأنهم أعظم وأجل عند الله وعند أنفسهم وعند الناس من أن يكونوا خاضعين الا لسلطان واحد هو سلطان رب العالمين .



للدكتور : محمد عبد الرحمن بيصار
الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ــ الأزهر

يجيء هلال المحرم من كل عام ، ومع شعاعه الفضى يذكر المسلمون ساعة الشدة والعسر ، ساعة النضال والنصر ، والافلات من الاسر ، تلك الساعة التى بلغ فيها الشرك غايته فى ايذاء المسلمين وايذاء الرسول الأمين ، الذى خرج بأمر ربه فرارا الى الله بدينه ،وكتابه، ولحاقا بالمهاجرين قبله من أصحابه ، انها لحظات حاسمة فى تاريخ الدعوة المحمدية وفى عمر الانسانية ، حددت المسار ، واقالت العثار ، ومضت بالدعوة الى الغاية المرجوة . وان ملامح النصر فيها كانت شعاعا كشعاع هلال المحرم فضى اللون ، هادىء المصافحة تراه العين ولا يضيرها ، يبصرها ولا تعشى به .

ان ساعات الشدة هى محك الرجال .

ولقد كانت الهجرة شدة ظهرت فيها رجولة محمد عليه السلام ،وتجلت أصالته ، فما ضعف وما استكان وما لان ، ومضى ينفذ أمر ربه تحف به الملائكة ، وتسعده عناية الله .

حدث ابن اسحاق قال :

« ان مدة ما أخفى محمد صلى الله عليه وسلم أمره بعد نزول « يأيها المدثر » ثلاث سنوات فكان من أسلم اذا أراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين .

وكان استخفاء النبى عليه السلام فى دار الأرقم المخزومي وهى المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا على ما تقرره كتب السيرة .

وحين جاء الامر الالهى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » والامر الالهى الآخر « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » جمع النبى عليه السلام قومه وخطبهم وكان مما قال :
« ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا

وبالسوء سوءا ، وانها لجنة أبدا أو النار أبدا ، والله يا بنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

وكان لهذه الكلمات التى قرعت آذانهم صدى عميق فى نفوسهم .. ان الرجل أمين بينهم ، ألفوا فيه الأمانة ، وعرفوا فيه الصدق ، وسرعان ما انفجر أتون الحقد فى نفس أبى لهب ، وعلى لسانه ، فقال موجها خطابه الى النبى عليه السلام : « تبا لك ألهذا جمعتنا » ؟ وتولى ربك الرد فى أبلغ عبارة « تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب » الخ السورة .

وتحدث أبا لهب نفسه بأن ماضى محمد ، وما ألفه الناس منه ، أو عرفوه عنه يوشك أن ينشر مبادئه ، وأن يجلب اليه المزيد من الانصار ، فيلتفت وكله خيفة من محمد ويقول « يابنى عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل ان يأخذ على يديه غيركم ، فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم » .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الألسن العادية والعقول الغاوية والنفوس الحاقدة تنال من النبى الكريم وتتعرض له بالايذاء والكيد والاعراض والصد .

واشتد الايذاء على المسلمين فأذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة فخرج الناس ارسالا متتابعين .. واشتد البلاء على الباقين من المستضعفين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه يقلب نظره فى الكون ضراعة الى ربه ، وربطا لتصرفاته فى الارض بارشاد السماء وكأنه يقول : رب أمرتنى بالبلاغ وبلغت ، وأمرتنى بالجهر بدعوتى فصدعت ، وها هم أولاء أصحابى الذين آمنوا بك وبى يصيبهم ما ترى من قسوة العذاب ، وجفوة الطباع ، وخشونة الايام ، وهم يصبرون ، ولك يضرعون ، ومنك ينتظرون العفو والعافية .

وبقى محمد عليه السلام ينتظر الاذن بالهجرة وتخلف معه صاحبه أبو بكر ، وابن عمه على بن أبى طالب ، ومن كان مستضعفا محبوسا عند قريش .

وكثيرا ما كان أبو بكر يستأذن رسول الله فى الهجرة الى المدينة فيقول له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا .. ورجا أبو بكر أن يكون الصاحب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حقق الله رجاء أبى بكر ، ونزل الوحى كخيوط الفضة فى هلال المحرم يكشف ظلمات القوم ، ويفضح نواياهم . أن قريشا تبيت لقتل محمد مخافة أن يهاجر الى المدينة فيكون هو وقومه وأتباعه قذى فى عيونهم ، وشجى فى حلوقهم ، وخطرا على تجاراتهم مع الشام .

وأوحى ربك اليه أن هاجر ...

فذهب الى الصديق فى بيته وأخبره بأن الله قد أذن له فى الهجرة وانفرجت أسارير الصديق وطلب على التو أن يصحبه فى رحلته فأجيب الى طلبته .

ولست هنا بصدد الحديث عن القصة سردا لتاريخها . فان الدنيا جميعا على امتداد العصور وكر الدهور تعرف كل شىء وتعى الصفحات الوضاءة فى حادث الهجرة .

ان الهجرة لم تكن مغامرة فى سبيل الحق والعقيدة والايمان فحسب ، بل كانت اكثر من ذلك وفاء للمبدأ ، واخلاصا للرسالة ، وفداء من أجلها، وتضحية فى سبيلها . وما كان محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه يشكان ادنى شك فى أن قريشا ستتبعهما بشرها فى محاولة لضرب الدعوة الاسلامية والقضاء على الدين الجديد .

وسلك محمد عليه السلام ومعه صاحبه طرقا غير مألوفة ،ومسالك غير مأنوسة ، أشجع ما يكون ، وأحكم ما يكون ، وفى الجنوب بعيدا عن أعين الرقباء قبعا فى غار ثور ، وكان المفروض ان يتجها نحو اليمين ، وابن أبى طالب فى فراش المصطفى عليه السلام يتسجى ببرده الحضرمى الاخضر لايهام الشرك أنه نائم ، وليؤدى عنه ودائع الناس التى أمنوه عليها .

ومضت الرحلة الى غايتها تجوب القفار على نحو ما سردت كتب السيرة ، واستقبل محمد وصاحبه فى المدينة استقبالا أصبح حديث الدنيا ، عوضه أساه ولوعته حين قال : وهو يلتفت الى مكة :

« الله يعلم أنك أحب بقاع الارض الى ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » .

ولم تنقطع عن الرحلة أخبار الدنيا فقد كان عبد الله بن أبى بكر يسمع الاخبار نهارا ويقصها عليهما ليلا ، وعامر بن فهيرة مولى الصديق يعفى آثار الاقدام بما يرعى من أغنام ، ولا يعرف أحد غير عائشة وأسماء بنتى الصديق أنباء أخطر رحلة ، وأعز رجلين على الله والناس .

ومع تمادى الشرك فى الكيد والمكر والتبييت فان الله أقوى تدبيرا وأحكم أمرا .

« واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر والله والله خير الماكرين »

« الا تنصروه فقد نصره الله » .

ولشد مادهش الشرك لوصول الموكب الأسنى الى يثرب واستقباله الضخم بالحب والتضحية .

وفى يثرب بدأ الرسول يضع الاسس القوية لبناء الدولة الجديدة ، فبنى المسجد ليكون مقرا لدعوته ، ومنطلقا لكل تنظيمات دولته ففكر عليه الصلاة والسلام لذلك فى كفالة حرية العقيدة لاهل يثرب جميعا ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وعقد مع اليهود معاهدة وتم له الامر فى يسر ورفق ومحبة واعزاز ، واخذ يرسل السرايا الصغيرة لمناوأة الاعداء، ولتدريب رجاله من حين لآخر على وسائل الهجوم ، والدفاع ، حتى يضمن رفع مستواهم العسكرى ، والارتقاء بكفائتهم التدريبية ، تمهيدا للمعارك الفاصلة التى سيخوضها مع أعدائه ، مما برهن بصدق ويقين على أن هذا النبى الأمى كان يتلقى عن ربه خطط كفاحه ، وكان يستهدى العناية الالهية فى أهم معاركه ، وكان يحسن ما يسمى فى علوم الحرب: التكتيك والاستراتيجية ، وما يسمى بالفدائية والاستخبارات وتعمية العدو .

بين ماضينا وحاضرنا :

فما أحرى شباب الامة ، وقادتها ، وجندها ، ورجالها ، ونساءها ، أن يتأسوا بالهجرة ، ودور أبى بكر فى وفائه ، وعلى فى شجاعته وبلائه ، وبعبد الله بن أبى بكر فى دهائه ، وعامر بن فهيرة فى كتمانه ، وعائشة وأسماء فى ثباتهما ، ان عدو الاسلام لا ينام وما أشبه الليلة بالبارحة ، فالعيون التى راقبت محمدا عليه الصلاة والسلام وبيتت له هى نفسها العيون التى تكيد لأتباع محمد فى هذا الزمان ، وهى نفسها التى تشرد المواطنين وترغمهم على الهجرة .

ان محمدا عليه السلام بهجرته الى المدينة قد فتح الطريق لآفاقجديدة نحو حياة مستقرة ، وضع عليه الصلاة والسلام بنفسه أساسها بخطته المحكمة وتدبيره الواعى .

فمامن هجرة الا وسببت مشكلات اقتصادية ، واجتماعية ، وسكنية ، ولقد تجلت الحكمة والحزم فى ادارة شئون أولئك وهؤلاء بما يضمن للجميع استقرارا وانتاجا فى جو المدينة التى استقروا بها ، وتغلبوا على صعابها .

فلقد انصرف الى التجارة من كانوا يشتغلون بها ، وانصرف الى الزراعة فى أرض الانصار بالمزارعة من لم يكونوا على دراية بالتجارة ، ومنهم أبو بكر وعمر وعلى وأسرهم .

ولئن كان غير هؤلاء وأولئك يلقون من الحياة عسرا وقسرا ورهقا وعنتا الا انهم لم يقبلوا أن يعيشوا عالة على غيرهم ، فجهدوا ، وكدوا ، فى العمل شعورا باللذة وكسبا للقوت من عرق الجبين .

وكان هناك جماعة وفدوا على المدينة وأسلموا ، أحنت الايام ظهورهم ونال الزمن منهم ، فأصبحوا فى متربة ومسغبة ، دون ملجأ يلوذون به أو سكن يقيمون فيه ، وهؤلاء أفرد لهم النبى الاجتماعى العظيم صلوات الله وسلامه عليه صفة فى المسجد ، وأجرى عليهم الأرزاق مما آتاه الله للمسلمين من المهاجرين والانصار ، وتلك عبقرية كبرى فى زمان لم يكن يعرف تنظيمات الحضارة .

ان مجتمع المدينة على عهد محمد صلى الله عليه وسلم كان مجتمع الوحدة والاخاء وهى حجر الاساس فى كل نهضة ، وسلاح الدفاع ضد كل عدو .

ولأمر ما كان فى خطبته عليه السلام الاولى لاهل المدينة .

« من استطاع أن يقى وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة بعشر أمثالها » .

وفى خطبته عليه الصلاة والسلام الثانية .

« اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوا الله حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون ، وتحابوا بروح الله بينكم ، ان الله يغضب أن ينكث عهده » .

تلك ومضات من هدى الهجرة النبوية ، وهذا هو طريقها المرسوم، فليست الهجرة قصة تروى ، أو أحداثا يتسلى بها ، أو مجدا يفاخر به ، وانما هى قبل كل شىء وبعد كل شىء عرق وكفاح ، وتضحية وفداء ، وتماسك واخاء ، واستعذاب للموت من أجل المبدأ ، وطلب للنصر بأسباب النصر، وللحياة وللخلود بأغلى أثمان الخلود .



للشيخ حسن خالد
مفتي الجمهورية اللبنانية

السلام حديث اليوم فى الشرق والغرب تتناوله أقلام المفكرين والأدباء والسياسيين فى أعمدة الصحف اليومية والاسبوعية ، كما يعالجــونه فى أبحاث مفردة مستفيضة .

وتهتم بالسلام فى هذه الايام الدول الكبرى والصغرى ، ويغلب على الظن أن هذا الاهتمام هو لدى البعض منها بنسبة ما لها من مصلحة . ولذلك فان خوضهم فيه يأتى بأساليب منوعة ، فمنهم من يعقد له المؤتمرات المختلفة هنا وهناك يدعون اليها مختلف الجهات العلمية والدينية والفكرية والسياسية ، وكثيرا ما يخفى البعض منهم وراء ذلك ما يهـــدم السـلام .

ومنهم من يتحرك لذلك ويستخدم طاقاتها كلها فكريا وماديا وعسكريا ،

مقدما على ذلك نشر قرارات وبيانات يخرج بها على الشعوب لابسا مسوح الرهبان ومدافعا عن السلام وداعيا اليه ، ومبررا تحركه بأنه للسلام وحده ، ولمصلحة الشعوب المتخلفة ، ودون أن يكون له مأرب آخر . والله يعلم وهو يعلم وأذكياء الناس يعلمون انه براء مما يقول ، وأن مفهوم السلام لديه هو الاعتداء على أمن البلاد المتخلفة واستغلال ثرواتها وخاماتها ثم المحاولات الواضحة لايجاد التوازن فى المناطق عن طريق الضغط على هذه البلاد او تلك لتسير فى ركب سياسته او تبقى فى ظلاله .

ولقد كان لنا نصيب فى المساهمة فى عقد بعض هذه المؤتمرات على اختلاف الداعين اليها وتباعد مبادئهم الاجتماعية ومناهجهم السياسية . ولا يساورنا الشك لحظة فى أنه كانت تتخللها نوايا صادقة ونشاطات مخلصة وجهود بارة . بيد أنه تبين لنا من خلال الاجتماعات ومناقشات المدعوين اليها والمشرفين عليها أن ثمة سياسات خاصة تعمل فى الخفاء فى توجيه المؤتمرين وتحرص على أن يظلوا فى قراراتهم وتوصياتهم ومطالبهم وتمنياتهم ضمن اطار محدود كما ثبت لنا أيضا أن هذه المؤتمرات وأن كان ينفق عليها الملايين من الدولارات تقتصر على تحصيل مكاسب آنية ، تتناول الشكل والمظهر ، متجاهلة الجوهر والحقيقة .

وكأننا بالغالبية من هؤلاء العاملين فى هذه المؤتمرات أو على رأسها كأننا بهم لا يهمهم أمر السلام فى الواقع ونفس الأمر .
بل انا لنعتقد أنهم حتى ولو رغبوا فيه واهتموا وأخلصوا فى القصد اليه ، لا يملكون فى ذواتهم ولا فى مجتمعاتهم المادة التى تمكنهم من الوصول الى تحقيق ذلك .

ذلك أن السلام ليس شعارات تطلق ولا مقالات تدبج ، ولا أفكارا ومناهج ترسل . كما أنه لا يكون بالمال الغزير يغدق على طالبيه والراغبين فيه والعاملين فى الاجهزة المختلفة ، ولا فى أسلحة قوية من مختلف الاوزان والاحجام والطاقات الفاعلة ، تمنح الى هؤلاء وأولئك ، وليس بالعلم المجرد يحصل ويستوعب ويستخدم لتحقيق منجزات وكشوفات رائعة فى مختلف الحقول البشرية يفيد منها الناس أو يتضررون ، ولا بالرجال الاشداء الموهوبين ، الذين يحسنون العمل فى مراكز الادارة والسياسة والاقتصاد والتوجيه حتى ولا بالانظمة التى توضع ، والتشريعات والقوانين التى تنشأ . نقول انها ليست بهذه الامور وحدها بل لا بد قبل ذلك من ضمان وجود الشخصية الانسانية الصالحة ، القادرة على تحمل مسؤوليات الحياة بأمانة واخلاص ، وصبر وتضحية ، واستيعاب لمقاصد الحياة وما بعدها ، التى تستطيع وحدها بالاستعانة بما سبق أن تعمل بجد وحرص وغيرة وحماس لبناء مجتمع السلام المنشود .

◆ ◆ ◆

لقد شاء جميع المشرعين السابقين من وراء قوانينهم التى وضعوها تنظيم المجتمعات البشرية وتحديد تحركات افرادها بحيث لا يطغى منهم احد على أحد ويبقى لكل واحد منهم كامل حريته مع كامل حرية الآخرين وبحيث يضمن بالتالى الحياة الفاضلة والعيش الرغيد فى ظل المحبة والطمأنينة والسلام .

ولكنهم مع ذلك كانوا فى غالب الامر يقعون فى الاخطاء والمزايدات اذ يضفون على الانظمة كثيرا من هوياتهم وذاتياتهم ويصيغونها بالاسلوب الذى يكفل لهم وللمقربين منهم مصالحهم وبذلك انحرفوا عند الخط القيم الذى شاءوه لانفسهم وللناس ودفعوا بالمجتمعات لتعيش فى ظل ورحمة مصالح بعض الافراد ، فاختلط الحابل بالنابل وانقلب السحر على الساحر وتصادم الناس وكانت الثورات فالحروب ، وتبخرت فكرة العدالة وهيمن على الارض مكانها الرعب والخوف بدل أن يخيم عليها الرخاء والسلام .

◆ ◆ ◆

من اجل ذلك سبقت مشيئة الله تعالى أن لا يترك الانسان وحده فى متاهات الدنيا ومسبعاتها فأرسل الرسل وأنزل معهم الكتب ليقوم الناس بالقسط ويعيشوا بسلام . قال تعالى « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز »

وكان الاسلام هذا الدين الذى ارتضاه الله للناس أجمعين فى قوله : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا . » أجل كان فى أكمل ثوب وأدق صيغة وأصلحها لمعاشهم فى الدنيا ولاعدادهم لليوم العصيب ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » . ويقول تعالى « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

بل كان هذا الدين الذى لم يرض سبحانه وتعالى من أى كان أن يتعبده الا بواسطته فقال « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . » ذلك أن هذا الدين هو وحده بين أديان السماء الذى استوفى كل عناصر الخير الدنيوى والاخروى ، حوى العقيدة السليمة التى تناسب الفطرة لامتيازها بالوضوح والبساطة وخلوها من التعقيد ، وضم الشريعة الغراء التى ضبطت سلوك الفرد وكبحت جماحه فنظمت له علاقته مع الله بواسطة عبادات « الصلاة والصوم والزكاة والحج » ومن قبل بواسطة الايمان به وبالملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر والقدر ، ونظمت له علاقته مع أخيه الانسان ضمن دائرة الاسرة أبا وأما وأخا وأختا وابنا وبنتا ، ثم المجتمع الكبير فالمجتمع

الاكبر ، وبنيت له فى كل منها حقوقه وواجباته وحدوده وكفلت له حريته الفكرية والعقيدية والعملية والحياة الآمنة المطمئنة المكتفية فى دائـــرة الحكم الاسلامى الرشيد ، وبهذا الدين الاسلامى الكامل عقيدة وشريعة وسلوكا تبرز شخصية نادرة المثال هى شخصية المسلم التى يمكنهـــا وحدها ــ لو وجدت ــ ضمان تحقيق السلام فى العالم .

ذلك ان من طبيعة هذه الشخصية أنها تتقيد بالنظام الذى آمنت بـــه ثم تعمل مخلصة على انجاح التقيد به من الذين آمنوا فى حال الانحراف ومن الناس اجمعين . فهى وان كانت مأمورة بتنفيذ بنوده وتطبيقها على ذاتها أولا « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ، « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

غير انها تعتبر ذاتها فى الوقت نفسه صاحبة هذا النظام وترى ذلك واجبا عليها فترتفع فى نفسها الحرارة الغيورة التى تدفعها للسهر على تطبيق الآخرين له والتعبد به بل انها لتنظر الى نفسها نظرة الاثـــم اذا هى لم تقم بهذا الواجب ، وتنتظر من الله فى اليوم الآخر سوء الحساب ، وبتعبير آخر ان الشخصية المسلمة هى فى الواقع والدولة الحـــاكمة سيان : تشاركها فى الحكم وتنقاد لها وتسلم لانجاح مقاصدها فيه وتأتمر بأمرهـــا .

ان المسلم فى الدولة الاسلامية ركن ايجابى مسؤول ، يســـهر على مصالحها ، ويتحمل معها مسؤولية الحكم . قال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ». وقوله : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ، وقوله : « أنت على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يأتين من قبلك » .

◆ ◆ ◆

وفضلا عن هذا فان شخصية المسلم مزودة بأجمل الاخلاق وأحلى الشمائل وارق الصفات ، وكلها تحدوه برفق وبصدق وعزيمة لتعـــزيز نزعة السلام والامان فى نفسه وفى من حوله ، فالمسلم فى عرف الاسلام هو « من سلم الناس من لسانه ويده » ، وشعار المسلم فى لقائه مـــع الناس ومنصرفه عنهم افشاء السلام والامان فى نفسه وفيمن حوله . فالمسلم فى عرف الاسلام يسن له السلام على من عرف ومن لايعرف .

والمسلم فى صلواته يتعهد باستمرار بضمان اشاعة السلام بـــين العباد الخيرين وتجافى الكبر واسباب الخصام والنفرة مع النـــاس فهو يقول فى جلوسه للتشهد من كل صلاة « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » كما يجتهد بأن يعفو عن السيئات ويتجاوز عن الهفوات ،

واذا خاطبه الجاهلون قال حسنا وسلاما . يقول تعالى « وعباد الرحمن الذين يَمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

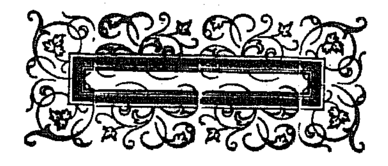
* * *

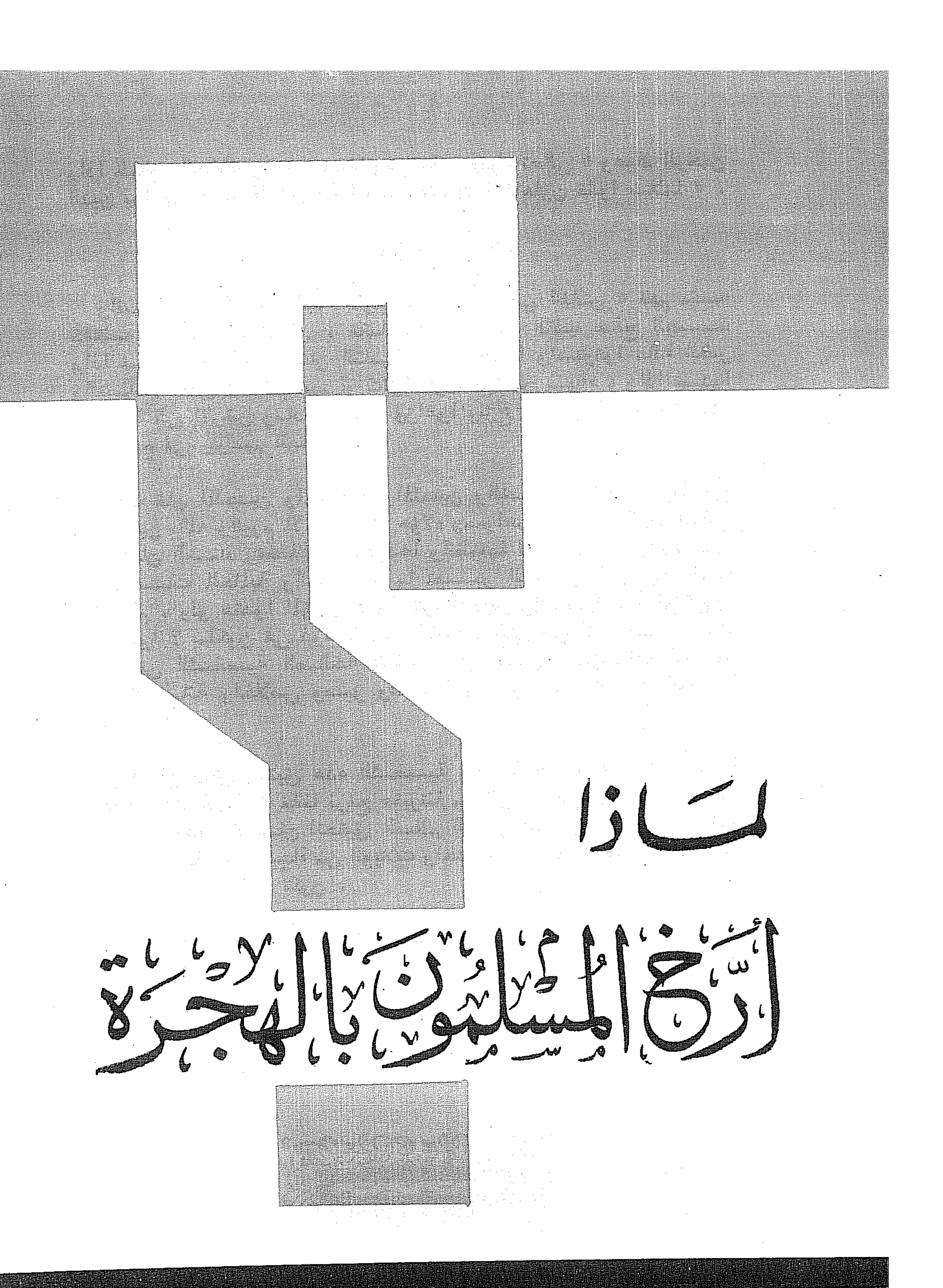
والسلام فى العالم مادته الاولى كما نعتقد هى الناس ، فهم منه كالقلب من جسم الانسان . فكما انه اذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد فسد الجسد فان الناس اذا صلحوا واستوفوا مادة الخير والتسامح تحقق السلام فيهم أو كانوا اقرب اليه من سواه ، واذا فسدوا واخلدوا الى الارض ومادتها ضلوا وزاغوا ونزغ الشيطان بينهم وتعذر أن يشيع فى ربوعهم السلام .

لذلك فان الملحدين والمهرجيَن والماجنين والفسقة والمنافقين والماديين والكافرين بالله واليوم الآخر . كل هؤلاء وسواهم ممن يشاركونهم التخلى عن أديان السماء وفضائلها وحدودها وأنظمتها لا يمكنهم أن يؤمنوا للمجتمعات العالمية والخاصة ما تصبو اليه من الامن والرخاء والسلام . ولو عقدوا المؤتمرات وانفقوا الملايين وأتعبوا أدمغة المفكرين، ما برحوا لا يملكون فى ذواتهم مادة الاسلام التى هى كما قلت سابقا تكون فى الشخصية الصالحة القادرة على تحمل مسؤوليات الحكم والحياة بأمانة واخلاص وصبر وتضحية واستيعاب لمقاصد الحياة وما بعدها .

ولما كان يمكن تحقيق هذه الشخصية العاملة الساهرة المنتجة بالتعاليم الاسلامية ، فاننا نرفع عقيرتنا موقنين أن فى وجود الشخصية المسلمة وحدها الضمان لتحقيق السلام العالمى الصحيح ، واشاعة الامان والطمأنينة والنجاة من الويلات واحداث الرعب والدمار التىتزرعها الحروب فى أى مكان تكون .

حفظ الله العالم من كل كرب وهدى الناس جميعا لمادة الاسلام ولما يحب ويرضى « هذا نذير من النذر الاولى . أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » .




لماذا
أرخ المسلمون بالهجرة

للشيخ عبد الحميد السائح

حينما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته كان العرب يؤرخون بعام الفيل واستمروا على ذلك الى أن حان الوقت فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ليؤرخوا بأحداث الاسلام ، ولم يؤرخوا ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بوفاته ، وانما أرخوا بالهجرة (١) ، لماذا ؟

الهجرة لم تكن هروبا من العمل ، وانما كانت اعداد لخطة محكمة منتجة .

الهجرة لم تكن ترويحا للنفس ، وانما كانت ترويضا للنفس على هجرة المعوقات والمخذلات

الهجرة لم تكن هجرا للاوطان ، وانما كانت تهيئة لاستعادة الاوطان .

الهجرة لم تكن استهانة بالمقدسات ، وانما كانت حافزا لحوزة المقدسات .

الهجرة لم تكن تخليا عن الرسالات ، وانما كانت حافزا لحماية المبادىء والرسالات .

الهجرة لم تكن زهدا فى الكيان ، وانما كانت سبيلا لايجاد الكيان .

الهجرة لم تكن طريقا للمفاخرة والمباهاة ، وانما كانت مجالا للنفوس الصافية المؤمنة التى تستجيب لامر الله .

الهجرة لم تكن سبيل المنافع المادية ، وانما كانت سبيل التخلى عنها والتحلى بالاهداف السامية والايثار .

الهجرة لم تكن لنصرة العصبيات والقبليات ، وانما كانت نصرا لدين الله ، وهدما لجميع الاهواء والمنعنات .

الهجرة لم تكن لمصلحة جماعات أو فئات ، وانما كانت درب الوحدة والالتحام والاخاء والانسجام .

فالهجرة كانت القمة فى أحداث الاسلام نظرا لاهدافها ونتائجها وأبعادها

قبـــل الهجرة :

وقبل أن يبدأ الرسول وأصحابه بالهجرة هيأ لها بالاتصال بالقبـــائل والجماعات العربية وعرض نفسه عليهم ، حتى يذيع دعوته وينشر رسالته ويتعرف القوم أهدافه ، وتتهيأ النفوس لقبول الحق والاذعان اليه ،واقامة الحجة على المكابرين فى اصرارهم وعنادهم على الباطل والضلال .

وفى أحد المجالس العربية ، التى هى من حلقات الاتصالات جـــرى حوار بينه وبين شيوخ شيبان بن ثعلبة بحضور أبى بكر وعلى رضى الله عنهما . منهم مفروق قال لرسول الله إلام تدعو يا أخا قريش : فقـــال الرسول : أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله والى أن تؤونى وتنصرونى .

فان قريشا تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق فقال مفروق — وإلام تدعو اليه أيضا يا أخا قريش ؟ فقـــال رسول الله : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شـــيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق : وإلام تدعو أيضـــا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » الآية .

فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك . وكأنه اراد أن يشرك فى الكلام هانىء بن قبيصة ، فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنـــــا وصاحب ديننا . فقال هانىء سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وانى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك لمجلس جلسته الينا لوهن فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة ، وانما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظـــر ، وكأنه احب أن يشرك فى الكلام المثنى بن حارثة ، فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، والجواب هو ما قاله هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنـــا اياك .. الى أن قال المثنى انما نزلت على عهد اخذه علينا كسرى ، لا نحـــدث حدثا ولا نؤوى محدثا . وانى ارى أن هذا الامر تكرهـــه الملوك ، فان احببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أســـأتم فى الرد ، اذ افصحتم بالصدق ، **فان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه**، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ايها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ثم نهض النبى فأخذ بيدى أبى بكر فقال يا أبا بكر ، يا أبا حسن ، أية أخلاق فى الجاهلية؟ ما أشرفها ، فيها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجـــزون فيما بينهم .

قال على ، ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صدقا صبرا .

فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شـــيوخ على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح ، وكان ابنه معاذ ممن شهد

العقبة وتابع الرسول ، وكان عمرو سيدا من سادات بنى سلمة وشريفا من أشرافهم وقد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له « مناة » كماكانت الاشراف يصنعون ، يتخذه إلها يعظمه ويظهره .

ولما أسلم معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو وآخرون من شباب بنى سلمة، شعروا بواجبهم نحو الدعوة ، ومحاربة من يقف فى سبيلها ، ولو كان ابا او أخا ، ومهما كانت درجته من الزعامة والرياسة .

وأخذوا يتسللون بالليل على صنم عمرو فيحملونه ويطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة منكسا على رأسه .

فاذا أصبح عمرو قصد ذلك الصنم فغسله وطيبه وأعاده مكانه ، وتكرر العمل من الشبان عدة مرات ، وعمرو يعيده كل مرة ، ثم جاء عمرو بسيفه وعلقه عليه ، وقال للصنم : ان كان فيك خير فامتنع ، والسيف معك ، فلما عاود الشبان خطتهم أدرك عمرو أن ذلك الصنم أعجز من أن يحمى نفسه فضلا عن أن يحمى غيره ، فأسلم وحسن اسلامه .

وأمر رسول الله أصحابه فى مكة بالخروج الى المدينة والهجرة اليها ، واللحوق باخوانهم الانصار ، وقال : ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا .

وقال البراء : أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ، مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرآن الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا ، ثم جاء رسول الله ، فما رأيت الناس فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت النساء والاطفال والآباء يقولون : هذا رسول الله ، قد جاء رسول الله .

التضحية بالأموال فى سبيل انقاذ دين الله :

قال ابن هشام : وبلغنى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: اتيتنا صعلوكا حقيرا ، وكل مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تذهب بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب ، أن جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال صهيب : انى قد جعلت لكم مالى ، ولحق برسول الله وأصحابه فى المدينة ، ولما بلغ ذلك رسول الله قال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

الانجازات بعد الهجرة :

وأول ما شرع به بناء المسجد فى المدينة حتى يكون مستقر الدعوة ومنطلق الهداية والاصلاح ، ثم آخى بين الانصار والمهاجرين ، حتى تكون القاعدة الداخلية صلبة متينة .

ثم تكونت الدولة الاسلامية ليعم العالم بعد ذلك خيرها ، وينشر هديها ويوضع بعد تلك الهجرة الاساس السليم للاصلاح البشرى ، والاخاء الانسانى ، : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله »

ولما استقر رسول الله بالمدينة وأيده الله بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم ، وكان أعداؤهم يدبرون المكايد ويعدون الخطط لمحاربة الاسلام ومنع انتشاره ، اذن الله لهم حينئذ بالقتال « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

فكانت الهجرة نتيجة الظلم والعدوان ، والخطر على كيان الدعوة الاسلامية ووجودها ، وكان الجهاد بعد الهجرة لرد العدوان وحماية الكيان، وتثبيت قواعد الايمان والامان .

عبرة الهجرة :

وان العرب والمسلمين فى فلسطين قد اعتدى على ديارهم، التى هى ديار الاسلام ، واغتصبت قدسهم التى هى قدس الاسلام ، وانتهكت حرماتهم ومقدساتهم التى هى حرمات ومقدسات الاسلام ، وأكره الكثير منهم على هجرة الاوطان تمهيدا لتمكن اعدائهم بالديار والمقدسات ، وتحدتهم الصهيونية العالمية ، وسخرت منهم الامبريالية والاستعمار ، وانحازت الى خصومهم المعتدين ، وامدتهم بالسلاح والمال والمعدات ، لتهيىء لهم فرص الاستقرار فى الديار ، وليملكوا حريتهم فى تغيير معالم القدس وتهويدها ، والقضاء على حضارتنا الاسلامية ، واقامة الهيكل مكان الاقصى ، مسرى الرسول وموطن معراجه .

والمسلمون الان اينما كانوا وحيثما وجدوا ، امام تحد صارخ يشمل عقائدهم وديارهم ومقدساتهم ، فاما أن يكونوا على درب رسولهم سائرين، ولدينهم مخلصين ، وعلى مقدساتهم حريصين ، وحينئذ عليهم أن يقفوا صفا واحدا متراصا ، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم وجميع طاقاتهم وامكاناتهم ، وهى قادرة على مجابهة التحدى وايقاف المعتدى ، وانقاذ الكرامة المسلوبة والشرف المهان ، واستعادة الاوطان والمقدسات ، واما ان يبقوا متخاذلين متفككين متفلتين ، وحينئذ عليهم أن ينتظروا عدوانا أثر عدوان يقضى على كيانهم ، وينتزع منهم مصادر ثرواتهم ، ومقومات حياتهم ووجودهم ، نتيجة توليهم عن الاذعان لامر الله والاستجابة لله ولرسوله : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

وأملى بالله العظيم ، أن يتحرك المخلصون المؤمنون فى ديار الاسلام لتقدير الاخطار ودفع الاضرار ، والمبادرة الى هجرة الاهواء ، والقيام بالجهاد المتواصل حتى يحققوا الهدف الذى ينجيهم أمام الله ، وامام الاجيال فى انقاذ الديار والمقدسات والشرف والكرامات ، وحينئذ تعود لنا عزتنا ، كما عادت للمؤمنين الاولين عزتهم بعد الهجرة بالجهاد ، ونتلو قول الله سبحانه بفخر واعتزاز : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

---

(١) انظر البخارى ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٥٤



للدكتور
عماد الدين خليل
جامعة الموصل

- ١ -

وضع رسولنا العظيم (صلى الله عليه وسلم) خطواته الأولى فى الدرب صوب المدينة ، وقلبه يخفق بهذا الدعاء (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) . وكان يعلم جيدا أن حركة الانسان فى التاريخ لا تستقيم وتصل الى هدفها الا بان يرفع الانسان بصره وفؤاده وعقله وسمعه وحسه الى السماء يتلقى عنها الصدق والنصر .. صدق الحركة وانتصار قيمها .. لكنه لم ينس لحظة ، أن هذا التوجه الى السماء يجب أن يقترن بثبات الخطى على الارض ، وبتحمل مسؤولية البصر والسمع والفؤاد بامانة كاملة .. وبصياغة الحرية الانسانية بما ينسجم ، فى المدى القريب والبعيد ، مع قدر الله ونواميسه وسننه . وبدون هذا التناغم بين مشيئة الله وحرية الانسان .. بين نور

السماء وشفافيتها .. وبين كثافة الارض ووعورة الطريق .. بدون هذا الحوار الدائم الفعال بين الانسان وخالق الانسان .. بين انطلاق الروح وشد الجسد .. بدون هذا التواصل الدائم بين الحضور والغياب .. بين عالم المشاهدة المباشرة والغيب البعيد .. بدون هذا وذاك لن تكون هناك حركة جادة .. ولا مصير عظيم .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم ظل قلبه يخفق بدعاء الله .. وهو يرسم الخطط ، ويضع الضمانات ، ويهيىء المواد والامكانات والدفوع الكفيلة بايصاله الى هدفه .. لم يجىء هذا الدعاء قبل التخطيط فحسب ، ولا جاء بعده فحسب ، فليس فى علاقة الارادة البشرية بالمشيئة الالهية — خلال الحدث — قبلية ولا بعدية .. وانما تسير الاثنتان بانسجام رائع .. لأن هذه من تلك ، ولأن الانسان فى أصغر جزئيات حركته وفى اكبرها انما ينفذ قدر الله وناموسه فى الارض ، فى مدى الحرية التى أتيحت له . أما أن يجىء الدعاء والتوجه قبل التخطيط فحسب ، أو بعد التنفيذ فحسب ، فهو من قبيل الثنائيات التى ترفضها مبادىء السماء أشد الرفض لأنها تفصل بين الله والانسان ، وتقسم حظ الطرفين فى حركة التاريخ ، بما لا يتفق أساسا والسنن الكبرى .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم هيأ الأسباب (الارادية) الكاملة لنجاح الحركة وهو ينظر الى الله .. ووضع خطواته الأولى على الدرب وهو يدعو الله .. وما لبثت الأسباب أن آتت أكلها ، والخطوات أن انتهت الى هدفها .. وظل الرسول ينظر الى الله ويدعوه .. وما أحرانا فى يوم هجرته أن نتمعن فى هذه التعاليم ، فى زمن طفت فيه التفاسير والأهواء ، وكل قال ما عنده ، شرقيا كان أو غربيا ، لكن المسلمين لم يقولوا — بعد — كل ما عندهم ..

— ٢ —

استغرق (هيكل) الهجرة زمنا طويلا .. حمل الرسول وأصحابه معاولهم وبدأوا يحفرون الأسس من أجل أن يستقيم البناء . ان الاسلام جاء لكى يعبر عن وجوده فى عالمنا من خلال دوائر ثلاث ، يتداخل بعضها فى بعض ، وتتسع صوب الخارج لكى تشمل مزيدا من المساحات : دائرة الانسان ، فالدولة ، فالحضارة . ولقد اجتاز الاسلام فى مكة دائرة الانسان ، ثم ما لبثت العوائق السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية أن صدته عن المضى فى الطريق صوب الدائرة الثانية حيث الدولة .. لأنه بلا دولة ستظل دائرة الانسان ، التى هى أشبه بنواة لا يحميها جدار ، ستظل مفتوحة على الخارج المضاد بكل أثقاله وضغوطه ، وامكاناته المادية والروحية . ولن يستطيع الانسان (الفرد) أو (الجماعة) التى لا تحميها (دولة) أن تمارس مهمتها حتى النهاية ، سيما اذا كانت قيمها وأخلاقياتها تمثل رفضا حاسما لقيم الواقع الخارجى والتجربة المعاشة . ولا بد اذن من ايجاد الأرضية الصالحة التى يتحرك عليها الانسان المسلم قبل أن تسحقه الظروف الخارجية أو تنحرف به عن الطريق . وليست هذه الأرضية سوى الدائرة الثانية ، وليست هذه الدائرة سوى الدولة التى كان على المسلمين أن يقيموها والا ضاعوا .

وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم تبدأ منذ اللحظات التى أدرك فيها أن (مكة) لا يمكن أن تكون الدولة ، وأن واديهـا الذى تحاصره الجبـال ، وكعبتها التى تعج بالأوثان ، لا يمكن أن تكون الوطن . ومن ثم راح الرسول يجاهد من أجل الهجرة التى تمنح المسلمين دولة ووطنا ، وتحيط كيانهم الغض بسياج من امكانيات القوة والتنظيم والارض !!! .

— ٣ —

ولن نستطيع أن نحدد بالضـبط تلك البدايـات .. لكنا نعلم جميعا أن رسولنا صلى الله عليه وسلم بدأ نشاطا واسعا ومشهودا اثر خروج المسلمين من حصارهم القاسى فى (شعب أبى طالب) ذلك الذى استغرق سنتين طوالا ، وجاء اشارة حاسمة على أن المشركين عامة ، والقيادة الوثنية القرشية على وجه الخصوص ، لا يمكن بحال أن تتهاون مع المبدأ الجديد الذى جاء يمثل رفضا حاسما لكل قيم الوثنية وأهدافها وتقاليدها ومصـالحها .. وأنهم سـيظلون يدفعون حتى النهاية الأخطـار التى يمثلها الاسـلام بوجه أهدافهم وتقاليدهم ومصالحهم .

والرسول عليه الصلاة والسلام — الذى علمتنا سـيرته مدى الواقعية الايجابية التى كان يتمتع بها ، والحرص على الطاقة الانسانية أن تتبدد فى غير مواضعها — سرعان ما نجده يتحرك صـوب الخروج الى مكان جديد يصلح لصياغة الطاقات الاسلامية فى اطار دولة تأخذ على عاتقها الاسـتمرار فى المهمة بخطى أوسع ، وامكانات أعظم بكثير من امكانات افراد تتناهبهم شرور الوثنية من الداخل ، وتضغط عليهم قيم الوثنية من الخارج ، وتصرف طاقاتهم البناءة اضطهـادات قريش ، بدلا من أن تمضى هذه الطـاقات فى طريقهـا المرسوم .

ان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بدأت يوم خرج الى الطـائف ، فصد صدا قاسيا ، لكنه لم ييأس ، لأنه يعلم يقينا أن الخاتمة ستكون له ، فقط اذا اسـتمر على بذل جهده البشرى الكامل فى البحث والتخطيط للهجرة التى ستعقب دولة .. وللدولة التى ستعقب انصارا .. ووقف عند اسـفل جدار لبستان فى الطائف ، ريثما يستريح ، ونادى ربه (ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى) !! ثم واصل الطريق وراح يتصل دون كلل بوفود القبائل التى كانت تنهال على مكة فى مواسم الحج ، يعرض عليهم الدين الجديد ، ويعرض مع الدين الجديد طلبا بأن يمنحوه أرضهم ويحموه ، لكى يتمكن من (الاسراع) فى أداء مهمته الصعبة قبل أن يجىء البين ويضطرب المصير .

ان الهجرة كان يمكن أن تكون الى الطائف ، أو الى ديار أية قبيلة عربية قوية الجانب عزيزة المنال ، سواء كانت بلادها فى الشرق أم فى الغرب .. لكن أيا من هذه القبائل (بنو كندة ، بنو عامر بن صعصعة ، بنو حنيفة ... الخ) لم تمد يدها مبايعة الرسول ومرحبة بهجرته الى أرضها وديارها .. فقد أعمت الوثنية الجاهلية قلوبهم وأبصارهم عن الشرف الذى كان يمكن أن يحظوا به لو قالوا للرسول : بايعنا .. ونصرنا !! .

— ٤ —

ويمضى الرسول فى بحثه عن الطريق الذى سيهاجر عليه وأصحابه صوب هدفهم المحتوم . وكان أن بعث الله نفرا من يثرب .. ساقتهم ارادته التى لا تغلب الى الرسول فى السنة الحادية عشرة للبعثة .. فالتقوا به عند العقبة ، المنفذ الذى لا بد من اجتيازه للقادمين من يثرب صوب أم القرى .. وعرض عليهم الرسول مبادىء الاسلام ، غاية فى الوضوح والسماحة والعدل والمساواة والانسجام مع تكوين الانسان ونشاطه وأهدافه .. فما كان منهم الا أن يلبوا الطلب ، ويعلنوا اسلامهم ، ويعدوا الرسول بأنهم سيرجعون الى يثرب ويبشرون بدعوته العادلة هناك . وما لبثت السنة التالية أن جاءت الى الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفس المكان بوفد ثان من أوس يثرب وخزرجها : اثنا عشر رجلا ، بضمنهم الستة الذين أسلموا من قبل .. جاءوا لا ليعلنوا اسلامهم هذه المرة بل ليبايعوا الرسول على الاسلام ، تمسكا بأهدافه ، والتزاما بقيمه وأخلاقياته . ولم يشأ الرسول أن يتسرع الخطوة التالية ويعرض عليهم طلبه القديم : أن يمنحوه أرضهم وبلدهم وأن يحموه .. انه بذكائه العجيب وبالهدى الالهى الذى يمده بنوره ، كان ينتظر نتيجة مساعى أصحابه الجدد ، ويجس النبض ويختبر الامكانات . انه فى المرة الاولى اكتفى بأن يعرض الاسلام ، وان يودع الستة الذين أسلموا دون أية مبايعة ، وفى المرة الثانية بايعهم على الجانب السلمى — اذا صح التعبير — من برنامج الاسلام ، وارسل معهم داعيته الشاب مصعب بن عمير — الذى لم يشأ أن يجازف به فى المرة الأولى — ارسله هذه المرة بعد أن استبانت ملامح المستقبل ، لكى يتولى شئون الدعوة والتثقيف العقائدى هناك .

ومرت اشهر واشهر ، ومصعب يعمل فى المدينة بهمة لا تعرف كللا ولا فتورا .. يتحرك بالقرآن ، ويحرك أفئدة الناس هناك وعقولهم بالقرآن .. كانت آيات الله تملك فى بنيتها المعجزة سحر الاقناع ، وكان مصعب يزيدها سحرا فى تلاوته اياها وسط حشود الناس التى كانت تجتمع مبهورة الأنفاس من حوالى مصعب فى أزقة المدينة وطرقاتها ، وهو يتلو آيات من القرآن الكريم .. وعندما اقترب موسم الحج من السنة الثالثة عشرة للبعثة ، غادر مصعب يثرب ، يطير به الشوق للقاء رسوله وقائده .. وفى مكة اجتمع به وعرض عليه نتائج مساعيه فى يثرب .. وأنه عما قريب سيلتقى الرسول بوفد كبير منهم تقر له عينه ويطمئن به باله !!

وعند العقبة أيضا .. اجتمع الرسول (عليه الصلاة والسلام) بأعضاء الوفد الموسع الجديد .. كان يضم هذه المرة ثلاثا وسبعين رجلا وامرأتين .. اتفق معهم سرا على أن يوافوه فى الثلث الثانى من الليل ، حيث ينام الناس وتغفل العيون .. يتسللون اليه واحدا واحدا واثنين اثنين .. وتمت البيعة الثانية .. البيعة الكبرى .. هذه المرة صريحة واضحة مكتملة ، على كل جوانب الاسلام ، سلما كان أو قتالا ، ومدوا اليه أيديهم مصافحين ، ومقسمين بالله الواحد الذى آمنوا به ، انهم سيحمون الرسول وينصرونه ، وانهم سيرفعون السلاح فى وجه أية قوة فى الارض ، سوداء كانت أو حمراء ،

تسعى الى الفتك به وبدعوته وأصحابه . وقبل أن يرجعوا اختار الرسول من بينهم اثنى عشر نقيبا ، ليشرفوا بأنفسهم على سير الدعوة فى يثرب ، حيث استقام عود الاسلام هناك وكثر مثقفوه ، وحيث أراد الرسول بفقهه العميق لأساليب الدعوة ، أن يشعرهم انهم لم يعودوا غرباء لكى يبعث اليهم أحدا من غيرهم ، وأنهم غدوا أهل الاسلام وحماته وأنصاره .

خطوات محكمة ، واستخدام حصيف للامكانات ، وفقه عميق لخطوات الحركة .. يرافق هذا كله هدى السماء الذى لم يفارق خطى الرسول لحظة ، والذى ساق اليه — بما أوجده من ظروف صعبة فى يثرب — هذه الوفود التى جاءت تحمل اليه ما كان يرجوه ويعمل على تحقيقه جاهدا .

— ٥ —

أصدر الرسول أوامره الى أصحابه بأن يبدأوا هجرتهم ، مختفين ، متفرقين قدر الامكان .. وبدأت طرقات مكة وبيوتها وأزقتها ونواديها تشهد يوما بعد يوم غيابا مستمرا لأصحاب الرسول .. أما هو صلى الله عليه وسلم فكان ينتظر تأمين هجرة أصحابه .. ثم يبدأ هو ومن سيختارهم للبقاء معه خطواته صوب المدينة ريثما يتلقى اشارة الوحى الكريم بالتحرك .

وفتح القرشيون يوما أعينهم على مكة وقد أقفرت من المسلمين !! لقد غادروها صوب المهمة التى تنتظرهم مخلفين وراءهم أموالا وبيوتا ونساء وأطفالا وشيوخا ومتاعا كثيرا .. ان الهدف الذى تحركوا من اجله أغلى وأثمن من الأموال والبيوت والمتاع ، وأكثر الحاحا من تلبية مطالب جسدية أو حيوية أو اجتماعية .. انهم مستعدون لأن يبذلوا أرواحهم ودماءهم فى سبيل هذا الهدف الذى ينتظرهم هناك فى نهاية الهجرة .. فكيف لا يتخلون عن الاموال والنساء والمتاع ؟ ! .

وها هم رءوس قريش يجتمعون فى (دار الندوة) قبل أن تفلت الفرصة من أيديهم ولات حين مندم .. وطرحت آراء باعتقال الرسول عليه السلام وتكبيله بالأغلال ، أو بنفيه بعيدا فى منقطع الصحراء . ولكن رأيا بقتله وتفريق دمه بين القبائل هو الذى حاز الموافقة والاعجاب .. انهم ان استطاعوا قتل الرسول عليه السلام فقد استطاعوا قتل الدعوة التى لم تستكمل أسبابها بعد .. وان طالبتهم بنو هاشم بدمه فسيشيرون الى العشائر جميعا والى سيوف أبنائها حيث تقطر دماء الرسول .

— ٦ —

ويجىء أمر الله يحمله الوحى الى الرسول : تحرك يا محمد .. كانت تلك هى الاشارة التى ينتظرها الرسول بفارغ الصبر . لكن شوقه للهجرة ، وتحرقه لأن يضع خطواته على الارض الموعودة حيث أصحابه القدامى والجدد ينتظرونه على أحر من الجمر .. ورغم يقينه الكامل بأن الله معه يرعاه ويسدد خطاه .. فانه لم يتعجل الحركة ، ولم يرتجل الخطوات .. كان عليه أن يخطط للهجرة مستخدما كل ما وهب من امكانات الفكر والبصيرة والارادة .. لأنه بهذا وحده يستحق نصر الله ووعده .. والا فلأى شىء منحنا الله بصائر

وعقولا وحرية وقدرة على التحرك والتخطيط ؟ ! وما أبرع البرنامج الذى رسمه رسولنا عليه السلام من أجل أن يصل الى الهدف بأكبر قدر ممكن من الضمانات .

انتقى من بين أصحابه أول اثنين أسلما فى تاريخ الدعوة : أبا بكر وعليا (رضى الله عنهما) .. استبقاهما لكى يؤديا الادوار التى رسمت لهما فى حركة الهجرة . أما على فلكى يؤدى مهمة مزدوجة .. الايهام ، ورد الامانات الى أهلها .. ورب قائل يقول : ان وراء الهجرة هدف أكبر بكثير من التمسك بجزئيات أخلاقية قد يسمح الظرف الخطير بتجاوزها . لكن منطق رسول الاسلام شىء آخر .. ما الفرق بين الاسلام وبين المبادىء الاخرى اذا كان هو متأسيا بها فى تخليه عن أخلاقياته فى ساعات المحنة والخطر ؟ وماذا سيقول المشركون لو غادر الامين مكة دون أن يرد عليهم أماناتهم .. ما أسرع ما يمكن أن يتهموه حيث يأكلهم الغيظ : الامين تحول الى سارق ، وضاعت الامانة .. وحاشاه !!

أما أبو بكر فقد اختير ليكون رفيق النبى وأخاه فى هجرته .. فما أعظم حظك يا أبابكر .. تسلل اليه الرسول فى ضحى أحد الايام ، على غير عادته فى التردد على داره صباحا أو مساء .. خطوة من خطوات الايهام والتدبير بأولئك الذين يريدون أن يمكروا به .. ودهش أهل الدار لمجىء الرسول فى وقت غير ما اعتادوه ، لكن الرسول عليه السلام لا يلتفت الى دهشتهم ، بل يتجه الى رفيقه فورا ويطلب منه أن يخرج ابنتيه من المكان .. فيطمئن أبو بكر رسوله بأنه ليس ثمة ما يخشى .. ويتكلم الرسول (ان الله أذن لى فى الخروج والهجرة) ، فيرد عليه الصديق وهو يهتز انفعالا : (الصحبة يا رسول الله) ؟! فيجيبه الرسول : (الصحبة) . وتقول عائشة : (فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ) !!

— ٧ —

ومعا استكملا الخطة ووضعا الاسباب ، وتركا — من ثم — مصيرهما ومصير الدعوة لله .. صانع المصائر ومقدر النهايات . التسلل من شباك خلفى على غفلة من قريش .. التوجه جنوبا على طريق اليمن واللجوء الى احدى مغارات جبل الثور هناك .. التوقف عن الحركة ثلاثة أيام ريثما تخف محاولات القرشيين المستميتة فى البحث عن الرسول . ثم الانطلاق — بعد ذلك — صوب المدينة فى طريق وعر غير مطروق ، يعينهما فى ذلك دليل ماهر من المشركين انفسهم !! اختير اعتمادا على كفاءته العالية كدليل ، وعلى أمانته التى لا بد وأن يكون الرسول قد سبر اغوارها . أما انباء تحركات القرشيين ومطارداتهم فسيأتيهما بها عبد الله بن أبى بكر ، وأما الطعام فسيقوم به راعى أبى بكر ، عبد الله بن أرقط ، الذى كلف باراحة الاغنام عند الغار مساء كل يوم كى يحتلبها المهاجران ويشربا من لبنها .. كما كلفت أسماء بتوفير الطعام فى المرحلة التالية من الهجرة . وأما آثار الاقدام التى سيخلفها عبد الله بن أبى بكر لدى ذهابه وايابه والتى تقود الى الغار مباشرة فان هناك راعى أبى بكر ، ابن أرقط ، يعود فى الامسيات فى أعقاب عبد الله لكى تطمس حوافر الاغنام على خطوات الرجال !!

خطة محكمة ورائعة .. ولا يبقى الا أن يتنزل نصر الله على قادة استكملوا

كل الاسباب التى منحهم الله اياها .. انه التوافق المنغم الرائع ، الذى تحدثنا عنه ، بين مشيئة الله ، وارادة الانسان ، وبين هدى الله وخطوات عباده الابرار ..

— ٨ —

وفى تجربة الهجرة يتنزل نصر الله ، فعلا مباشرا مرئيا ، ثلاث مرات .. فيما عدا خط الهجرة والتاريخ كله حيث ارادة الله التى لا راد لها .. لكننا هنا نريد أن نشير الى أفعال الله المباشرة فى هجرة رسوله عليه الصلاة والسلام . مرة لدى مغادرته داره ، فى أعقاب ليل مريع أحاط أبناء القبائل المسلحون طيلة ساعاته بدار الرسول ينتظرون اللحظة التى سيطيحون فيها برأسه ويفرقون دمه بين القبائل .. الا أن هذه اللحظة السوداء لم تجىء ولن تجىء .. لقد فتح الرسول الباب على مصراعيه وراح يقرأ آيات من سورة يس : « يس . والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون .. » !! وعبر هذا السد الذى أغشى به الله أبصار المشركين انطلق الرسول ورفيقه الى الهدف على الصراط المستقيم .

ومرة اخرى عند الغار .. وما اخطر ساعات الغار بأيامها ولياليها .. لقد رأى أبو بكر بأم عينيه نعال المشركين المطاردين المحنقين تخفق عند أسفل الغار .. فارتعد فرقا .. ليس على نفسه ، فما أهون النفس على أصحاب رسول الله وعلى رفيقه وصديقه بالذات .. لكن على الرسول نفسه وعلى ما يمثله الرسول . فيهمس فى أذنه : (لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا) !! ويجىء رد الرسول منبثقا عن تلك اللحظات العليا حيث يقف الله مع عباده يدفع عنهم .. (يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ !) .. وتطيش الباب المشركين ، وعبثا يرهق مقتفو الآثار أنفسهم .. ان الرسول ورفيقه فى حماية الله .. وكفى .. ودون الوصول اليهما المستحيل .. ولو أجتمعت جنود الارض كلها عند الغار تطالب برأسه .. وما أروع كلمات الله وهو يعلن هذه الحماية التى لا حماية بعدها : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) !!

ومرة ثالثة فى الطريق الى يثرب .. ان (سراقة بن مالك) الذى خلبت لبه الجائزة التى رصدتها قريش لمن يأتى بالرسول حيا أو ميتا ، يلهث الآن ركضا وراءها ، بفرسه المنطلقة ورمحه المصوب الى هدفه .. ان سراقة كألوف من الأعراب ، بل كألوف من الناس .. نلتقى بهم فى كل مكان وزمان .. أولئك الذين ما أن تبرق أمام أعينهم قطع النقود ، وتطرق أسماعهم أصوات الذهب والفضة وهى ترن ، حتى يصبحوا على استعداد لأن يبيعوا مبادئهم وضمائرهم وشرفهم وعرضهم ، من أجل أن يصلوا الى قطع النقود ، ويضعوا

أيديهم على أكوام الذهب والفضة .. انهم موجودون فى كل مكان وزمان .. ولذا كانت خير وسيلة للاتيان بالزعماء الهاربين من وجه الظلم والطغيان هو أن يعلن عن جائزة قدرها (....) لمن يأتى بالهارب حيا أو ميتا .. لكن ارادة الله لن تدع الرغائب السافلة تطغى على الأهداف العليا .. ان هذا الطغيان يحدث — يوم يحدث — عندما يتخلى أصحاب الأهداف الكبيرة عن حشد طاقاتهم والتخطيط العاقل لخطواتهم والتلقى الكامل عن خالقهم .. حينذاك تغدو كل آمالهم وتمنياتهم كالزبد الذى يذهب جفاء .. تكنسه الاقذار وتعجنه فى تيارات الماء عجنا .. اما والرسول قد استكمل الأسباب ، فان سراقة تعثر به فرسه وتمرغه فى التراب ، كلما اقترب من هدفه .. مرة ومرتين .. فيطلب الأمان .. انه الآن لا يطارد رجلين مرهقين قد عصرهما الجوع ، وأرهقهما السفر الطويل ، والتشرد .. لكنه يقف بازاء جند الله التى لا ترى ، فأنى له ما يريد ؟ انه بعد دقائق يلوى زمام فرسه ويقفل عائدا ، وكلما رأى أحدا من اللاهثين كالكلاب الجائعة ، رده قائلا : كفيت هذا الوجه .. وذلك ما طلبه منه الرسول !!

— ٩ —

وفى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة للبعثة ، وصل الرسول وصاحبه مشارف يثرب ، حيث جرى استقبال حافل من قبل أولئك الذين انتظروا رسولهم طويلا .. وها هى تكبيراتهم تشق أجواز الفضاء .. انهم سيبدأون معه ، وبه ، ومن أجله وأجل دعوته ، عهدا جديدا كتب عليهم شرف وضع أسسه التى سيقوم عليها البناء .. الدائرة الثانية من دوائر الدعوة ، دائرة الدولة التى ستحمى المسلمين أفرادا وجماعات ، وستمنح الاسلام خطوات حاسمة وسريعة فى طريق النصر . فلا عجب ان يخرج الأنصار بأسلحتهم يستقبلون الرسول ، فها هم أولاء الجنود الذين سينضمون الى اخوانهم المهاجرين ، وسيبنون معا ، بقوة العقيدة والسلاح الدولة التى ستصنع حضارة تشرف الانسان ، فى كل مكان ، وتباركه ، وتضعه موضعه الحق الذى أراده له الله عندما استخلفه ومنحه السيادة على العالمين .

ان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول هو نهاية حركة حاسمة من أجل اقامة (الدولة) لكنه فى الوقت نفسه بدء حركة حاسمة أخرى من أجل تعزيز الدولة واقامة (الحضارة) .. تماما كما كانت بعثة الرسول — فى البدء — حركة صوب اقامة (الانسان) ، صانع الدول والحضارات !!

— ١٠ —

ولن نغادر حركة الهجرة قبل أن نستمد منها تعاليم أخرى قد تعيننا على فهم وتفسير تاريخ البشرية عامة وتاريخنا الاسلامى على وجه الخصوص .. ان أى حدث تاريخى — كما يتضح من خطوط الهجرة — انما يجىء تعبيرا عن ارادة الله التى تصوغه من خلال ارادة الانسان .. أو مباشرة عن طريق اتصالها بالزمن والتراب . ولا يمكن دراسة تاريخ الكون ، وتاريخ البشرية ، وتاريخ الأحياء الا من هذا المنطلق . ان الفعل الالهى يتخذ اشكالا ثلاثة لخلق

الحدث وصياغته ، أحدهما مباشرة الفعل التاريخى (كما حدث فى تجربة الهجرة ، فى تلك اللحظات التى كان الرسول يجابه فيها موقفا يتعدى حدود قدراته وارادته وتخطيطه) والشكل الثانى : يتم عن طريق ما يمكن تسميته بالسببية التاريخية ، أى تهيئة الأسباب لتوجيه الأحداث هذه الوجهة أو تلك . وقد تكون هذه الأسباب مادية طبيعية أو حيوية انسانية ، وقد تجىء على شكل مجموعة من السنن التى تنظم حركة الكون والحياة والانسان ، والتى تفرض حتمية قانونية على بعض أحداث التاريخ ، (وقد رأينا فى تجربة الهجرة كيف هيأ الله سبحانه الأسباب لأن تكون يثرب الأرضية التى تقوم عليها دولة الاسلام ، ولأن يكون أبناؤها الطاقات البشرية التى تنصر هذه الدولة وتحميها ريثما يتم البناء) . أما الشكل الثالث للفعل الالهى فيجىء عن طريق الحرية الانسانية ذاتها ، والتى هى فى مداها البعيد جزء من ارادة الله فى خلق الافعال والاحداث .. لقد منح الله الحرية للانسان ابتداء فى أن يصنع تاريخه الفردى والجماعى ، وفى أن يشكل مصيره فردا وجماعة ، اعتمادا على ما ركب فى وجوده من قوى العقل والارادة والانفعال والحس والحركة (وهذا يبدو فى تجربة الهجرة من خلال تلك الخطط الاجتهادية التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى قدمت لحركته صوب اقامة الدولة ، ضمانات حاسمة فى طريق النصر) . والانسان بدوره ، عندما يستخدم حريته لصناعة الحدث وتوجيه المصير ، انما يعتمد على مقومات لا يمكنه بحال الاستغناء عنها : الزمن ، التراب ، ثم التعاليم والقيم والاعراف والتقاليد ، وضعية كانت أو دينية .. وها هو الرسول فى هجرته ينسق خطواته صوب هدفه ، مستخدما هذه العناصر الثلاث ، متخذا منها عجينته فى صياغة الحركة وضمان الأهداف ..

— ١١ —

ان معظم مذاهب التفسير التاريخى ، وضعية كانت أو دينية قدمت معطياتها متخطية الاجابة عن هذا السؤال المهم : ما هى العلاقة بين الله سبحانه وبين الطبيعة ، بما فيها القوى المادية ، والانسان ، بما أنه روح ومادة فى صنع التاريخ واقامة الحضارات ؟ وهل من المحتم أن تتكىء أحداث التاريخ على عامل واحد من هذه العوامل الثلاث ، ويلغى العاملان الآخران ، أو على الأقل يغدوان ظلالا باهتة لفاعلية العامل الرئيسى ؟ ولماذا هذه الجدران التى أقيمت بين الله والطبيعة والانسان ؟ .

ان معظم مذاهب التفسير تخطت الاجابة عن هذا السؤال ، تاركة فى طريقها ثغرة عميقة ، ومنغلقة فى بحثها عن الفرضية الخاطئة التى تمنح صفة الفاعلية لعامل واحد وتلغى العوامل الاخرى الغاء .. ومن ثم برز التفسير السحرى (الميتافيزيقى) للتاريخ وتطور ليعبر عن نفسه بالتفسير اللاهوتى الذى ساد تفكير مثقفى العصور الوسطى الأوروبية ، كما برز التفسير الفردى (البطولى) للتاريخ ، والتفسيرات الطبيعية التى بلغت أقصى حدتها بالمادية التاريخية التى يصفونها (بالعلمية) ! .

ولقد أدرك بعض فلاسفة التاريخ المعاصرين ، وعلى رأسهم شبنجلر ،

وتوينبي ، وكيرالنج ، والناقد كولن ولسون ، أبعاد هذا الخطأ ، فعادوا خطوة متمعنة الى الوراء لكي يجيبوا على السؤال الأول ، ويجتازوا — من ثم — طريقا مرصوفا لا ثغرات فيه . والحق أن التفسير الحضارى ، تقدم خطوات فى هذا المجال ، خطوات تتسم — الى حد ما — بالاتزان والتعقل والموضوعية والشمول الذى يستند الى نظرة كلية وادراك عميق لمقومات الحدث التاريخى . ولكن الموقع الذى رصـــد منه هؤلاء التاريخ وفلســـفوا حركته ، تقف أمامه كثير من المرتفعات كسدود وحواجز تمنع الرؤية الكاملة والحكم الشامل الصحيح . كما ان التجربة النفسية التى لامسوا بها أحداث التاريخ تحمل الكثير من عنـــــاصر الذاتية المزدوجة والتأثيرات العلمانية . لذا فانهم لم يقدروا على اعادة الالتئام الكامل بين فاعلية العوامل الثلاث ، وأبقوا بعض الجدران المزيفة ، مرئية وغير مرئية ، بين الحضور والغياب ، والله والانسان والمادة والروح ، والطبيعة وما وراء الطبيعة .

صحيح انهم أعلنوا أن الحدث التاريخى لا يمكن أن تصنعه قوة واحدة ، لأن أية (حركة) تاريخية انما هى نتاج لقاء خلاق بين الله والانسان والطبيعة — بما فيها الزمن — وأن اغفال أى عنصر منها انما هو جهل بالأسس الحقيقية لحركات التاريخ .. لكنهم لم ينجوا من الوقـــوع فى أسر المذهبية المحدودة ، والنظرة الذاتية القاصرة ، واضطراب التجربة النفسية فى عملية الاستشراف والاستقراء التاريخى ، الامر الذى أدى الى تأرجح مواقع رؤياهم ، والوقوع بالتالى فى كثير من الأخطاء ، ليس هذا بطبيعة الحال مجال سردها وتحليلها .

— ١٢ —

ثم أن هجرة الرسول — عليه الصلاة والسلام — تعلمنا كيف يرتبط تاريخ الدعوات بالحركة .. حركة الانسان الفرد ، وحركة الجماعة . كما تعلمنا أنـــه ليس من المحتم أبدا أن تكون (الحركة) صدورا عن صراع النقيضين كما أكد هيجل وماركس وغيرهما ، بل انها فى كثير من الأحيان تجىء بمثابة استجابة داخلية ، مقرونة بعمل خارجى ، لنداء من فوق .. ان هذا الحوار بين القيم العليا والوجود السفلى ، هو الذى يحرك — فى أحيان كثيرة — أحداث التاريخ على خط صـــاعد . ان المثل الأعلى كان دائما بمثابة هدف يتحرك اليه الذين يتخبطون تحت ، أو الذين يتقلبون فى الظلمات ، أو الذين يتعذبون بشتى صنوف العذاب وتمنعهم القوى العقائدية المضادة من تحقيق أهدافهم (والهجرة تمثل حركة هذه الجمـــاعة الأخيرة) .. ان بحث الضـــائعين والحائرين والمعذبين والمأسورين عن الخلاص ، عن مثل أعلى ، عن هدف يطمحون للوصول اليه .. هذا البحث الجاد كان فى معظم الأحيان المحرك الذى يسوق الأفراد والجماعات الى مصائرهم ، ويصنع تاريخهم .. واذن فان من الخطأ والتزييف أن نصدر حكما على كل حركات التاريخ بأنها جاءت نتيجة لصراع النقيضين ..

ان (الصراع) نفسه يتخذ اشـــكالا عديدة لا تقتصر على تقابل الضدين وتغلب أحدهما على الآخر .. انه يبدو — أحيانا — ارادة ذاتية تســـعى الى التوحد والائتمان الذاتى فى وجدان الانســـان ومع المحيط الخارجى ، ويبدو أحيـــانا أخرى رغبة فعالة فى تحقيق تفاهم متبادل وســـلم عام بين الانسان

والوجود .. وهو يبدو أحيانا ثالثة عملية استقطاب للقوى والطاقات ، وتنظيم لها ، وحماية لمقدراتها من اجل أن تصب جميعا فى مجرى المبادىء الجديدة والدعوات الكبرى (كما حدث فى تجربة الهجرة) . وكل هذه الأشكال من الصراع لا نجد فيها تقابل نقيضين بقدر ما نجد محاولة للالتئام والتوحد والاستقطاب والتجمع .. وبعد هذا — وخلاله أيضا — لا بد للحركات أن تجتاز صراعا بين النقائض ، لكنها نقائض من مستويات شتى : نفسية وفكرية وعقيدية ووجدانية وعرفية واجتماعية وسياسية واقتصادية .. الخ .. بمعنى آخر أنها نقائض بشرية ، فيها كل ما فى الانسان من مكونات روحية ونفسية ومادية .. ومن التزييف لتاريخ الحركات أن نقصر النقائض على جانب فحسب ، هو الجانب العقلى (كما عند هيجل) أو المادى الاقتصادى (كما عند ماركس) ، لأن هذين الجانبين لا يغطيان كل مساحة الفاعلية الانسانية التى تنبثق عن رغبة ارادية شاملة فى مصارعة كل ما يتعارض مع ارادتها ووجودها وأهدافها ، روحية كانت أو مادية .

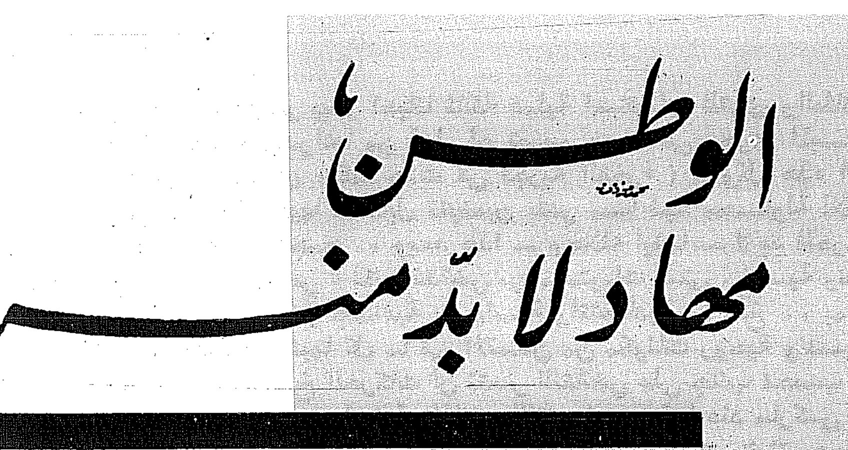
— ١٣ —

ومهما قلنا .. ومهما كتبنا .. فسيظل فى هجرتك يا رسول الله (بعدا) لن نبلغه ابدا .. لأن احدا منا لم يكن معك .. رفيقا وصديقا .. ليرى بأم عينيه بصرك وهو يمتد الى الدولة التى ستقوم عما قريب .. فى نهاية خطواتك صوب المدينة .. ولأن احدا منا لم يكن الى جوارك ، مهاجرا وغريبا .. ليسمع قلبك الكبير وهو ينبض بآمال وأمان لا يحتملها قلب انسان ، وينوء بها كل وجد الا وجدك يا رسول الله ، ذلك الذى وسع كل أمنية وكل امل ، وخفق بانتظار الزمان الذى ستطا فيه سنابك خيول اصحابك واتباعك امكنة المشارق والمغارب ، ممرغة فى الوحل والتراب كل الأنوف التى استعلت زيفا وخديعة وكذبا على قيم الله وتوحده المطلق !!

إن بعدا (غيبيا — روحيا) يكمن دائما فى كل خطوة خطوتها يا رسول الله . لانك هيأت كل الممكنات الارادية ، وتركت الباقى على الله ، وهو ما لم ندرك منه الا صور المشيئة الالهية المباشرة تتنزل نصرا حاسما ، وحماية دائمة ، وايصالا الى الأهداف البعيدة .. لكن حسك الخفى ، وصلتك الروحية بالله ، ومناجاتك له ، وحوارك العميق معه فى ساعات الرعب والتغرب والمطاردة ، ستظل ابعادها خافية علينا . وانت القائل (لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) !! ..

فعفوا ، رسول الله ، ان قصرنا او اخطانا ، ونحن نتحدث عنك فى يوم هجرتك .. حديث المحبين الذين تحاصرهم القيود من كل مكان ، وتسعى الى سحق مطامحهم ظلمات بعضها فوق بعض ، فيلجاون اليك ، مؤملين ان تمنحهم المزيد من التعاليم .. كسرا ثوريا للقيد ، واستعلاء روحيا على الظلمات ، وحركة ايجابية صوب المصير الفذ المتفرد .

وما احرى (الهجرة) أن تكون هذا الدرس ..
والف سلام على (المهاجر) ..
معلمنا العظيم !!



اجل ، فما من الوطن بدّ ، وما للانسان عنه من منصرف او غنى .

فى ظله يأتلف الناس ، وعلى أرضه يعيش الفكر ، وفى حماه تتجمع اسباب الحياة .

وما من ريب أن ائتلاف الناس هو الأصل ، وسيادة العقل فيهم هى الغاية .

ووفرة اسباب العيش هو القصد مما يسعون ويكدحون ولكن الوطن هو المهد الذى يترعرع فيه ذلك كله ، كالأرض — هى المنبت الذى لا بدّ منه للقوت والزرع والثمار .

ولكن العقيدة وحدها هي المعتصم والأتباس

٥

وكما لا قيمة للأرض اذا غدت قيعانا لا تمسك ماء ، ولا تنبت زرعا ، فانه لا قيمة للوطن اذا لم تقم من فوقه روح جامعة ، ولم يترعرع فى حناياه فكر متبصر حرّ ، ولم تتجمع فيه أسباب العيش الكريم . بل قل : انه لا يبقى للوطن من وجود ان لم يتوفر فيه هذا كله ، فانه انما يتخذ حصنه وملاذه من هذه الثمرات ذاتها ، وقد علم التاريخ ورجاله انه ما حافظت أمة على وطنها بوقاية خير من العقل الحر ، تخلص فى اتباعه ، والمبدأ الواحد المستقيم تجمع شملها عليه . وما ضيعت أمة أوطانها بشر من الأهواء الجانحة اذ تمعن فى اتباعها ، والسبل المنحرفة اذ تمضى أوزاعا فى متاهاتها ..!

والرقيب الذى اليه تدبير هذا الأمر كله انما هو الاسلام ..

فقد علم الاسلام أهله الذين مارسوه عقيدة وعملا ، أن يجعلوا من أوطانهم سلاحا للدفاع عن القيم والمبادىء التى لا تستقيم الحياة بدونها . وبيَّن لهم أنهم ان فعلوا ذلك تحولت هذه القيم فى أيديهم الى أعظم سلاح يحمى لهم تلك الأوطان ، ويقيها من كل عادية وسوء . أما ان جعلوها مرتعا للأهواء ، ومصطرعا للسبل المهزوزة المنحرفة ، فان ذلك سرعان ما ينقلب سلاحا للقضاء عليها وبابا يتسلل منه الأعداء اليها .

لقد ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ، وكانت مكة وطنا حبيبا اليه ، ولكن الله عز وجل أراد له أن يتخذ من هذا الوطن الحبيب أرضا لغراسة القيم والمبادىء . حتى اذا أينع الغرس ، جعل من وشائجه وأغصانه سياجا وحماية له .

ولما استعصت الأرض على الغراس ، وضاعت فيها جهود الزراعة والاستنبات أراد له الله عز وجل أن يتحول عن ذلك الوطن الى غيره . فان الوطن الذى لاخير فيه لحماية عقيدة ولا مبدأ ، لا يبقى على نفسه ولا على

أصحابه . فتحول عنه رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وإن فى قلبه من مفارقته لحسرة وألما .. وقال له وهو مهاجر عنه ــ والله انك لأحب بلاد الله الىّ ولو أن أهلك أخرجونى لما خرجت .

لقد فارق وطنه الحبيب ، لأن حق الله تعالى أحب الى قلبه منه . ولم يكن فى شأنه ذاك الا كشأن ابراهيم من قبله ، اذ اعتزل أباه على حبه له وشدة فراقه عليه . وقال له وهو منصرف عنه (سلام عليـــك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) .

ولقد فعل أصحابه مثل ذلك . فهجروا الوطن والدار ، وفارقوا العشيرة والربع ، واستغنوا عن المال والأهل . واستبدلوا بذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقوا معه الى حيث ينتجعـــون الهدى ويبلغونه الناس . واستقبلتهم يثرب بوبائها وسوء مناخها ، فما منهم الا من أصيب منها بوباء أو علة .

واجتمع عليهم الى الفقر الذى لم يألفوه المرض الذى لم يعرفوه ، حتى فاض الحنين عليهم من ذلك فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط يديه الى السماء قائلا : اللهم حبب الينا يثرب كمـــا حببت الينا مكـــة وانقل وباءها الى مهيعـــة .

اتراهم قد ضيعوا الوطن بهذا الذى فعلوه ...؟

هكذا يبدو عملهم فى ظـــاهر الأمر . وهكذا يتصـــور من لا يستطيع أن يعالج المحسوسات الا بمثلها . ولكن الحقيقة أنهم انما دافعوا بذلك عن الوطن . بل انهم لم يكن أمامهم من سبيل لحفظه وتحصينه الا هذا الذى فعلوه . هكذا علمهم الاسلام ، وبذلك أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد علمهم الاسلام ان استبقاء الأرض والمال والأهل والسلطان ، انمـــا يكون باستبقاء أساس ذلك كله ، وانما أساسه تقويم منهج الحق واقامة صرح العقيـــدة الصادقة فى القلوب .

وقد يبدو للذى يتخلى عن هذا الأساس ، ويمضى متشبثا بمظهر الأرض وما عليها أنه محافظ على ذلك كله متمكن منه ، وانما هو فى الحقيقـــة قد يسر السبل الى انفلاته وضياعه ، ولا يغنيه أن يشتد فى التشبث به الا كما يغنى الرجل أن يحبس الماء فى داخل يديه . وقد يبـــدو للذى ينصرف عنه الى رعاية الأساس وحفظه أنه انما ضيع بذلك ما يظلّ الناس يتســـابقون الى امتلاكه ورعايتـــه والتضحية بكل شيء فى سبيله ، وانمـــا هو فى الحقيقة ممسك بينبوع ذلك كله .

ان الذى يخيره اللصـــوص بين أن يقتلعوا أشجار بستانه ، أو يستلوا الثمار التى عليها ، يعد أحمق مجنونا لو تعلق بالثمار ومكنهم من اقتلاع الأشجار وان توهم عند نفسه أنه حافظ بذلك على غاية جهده ونتيجة سعيه ..!

وهذه هى الحكمة العليا من تدرج كليـــات المصـــالح فى حكم الشريعة الاسلامية بدءا من أهمها وهو الدين ، فالحياة ، فالعقل ، فالنسل ، فالمـــال . فان أهمية السابق منها انما تأتى بسبب أنه حصن ووقاية للذى يليه . فالدين ليس أهم فى حقيقته من الحياة فى مظاهرها الجزئية الا لأنه هو الوقاية الحقيقية

لها . ولا ينافي ذلك أن يضحي الانسان بحياته من أجل سلامة الدين . اذ الشأن في ذلك كالقصاص الذي لا تنافي في أن يكون هو ذاته أقوم سبيل للمحافظة على الحياة .

اذا ، فلقد كان في هجرة رسول الله صلى الله عيه وسلم مع أصحابه عن الوطن ، في سبيل حماية الدين خير وسيلة للدفاع عن الوطن وتحصينه . ولم تكن السنوات الثمان في عمر هجرته عليه الصلاة والسلام وهجرة أصحابه ، الا منهجا بينا راسخا لتحقيق هذه الوسيلة . ولم يكن هذا خفيا الا عن أعين من خفيت عنهم حقيقة الايمان بالله ورسوله .

ولكن الأمر بعد ذلك أصبح واضحا للجميع .

بعد سنوات ثمان ... ادرك التاريخ وجميع من يؤمنون به ، أن شيئا من مظاهر البؤس والضيعة والتشتات عن الوطن لم يذهب بددا ، ولم تهدر نقطة دم لمسلم هدرا ، ولم تطف المحنة عليهم — ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — لأن رياح المصادفة ساقتها اليهم ، ولكن كل ذلك كان يجرى وفق حساب ... وكل ذلك كان اداء لأقساط من الثمن .. ثمن النصر والفتح وامتلاك الوطن السليب .

اتذكر يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه مستخفيا ، يتسلل — مهاجرا الى يثرب في بطون الشعاب والوديان ، وقد سبقه من قبله ولحقه من بعده أصحابه القلة المستضعفون .. ؟

ها هم أولاء قد رجعوا الى الوطن والأهل والمال ، وقد كثروا بعد قلة وتقووا بعد ضعف واستقبلهم أولئك الذين أخرجوهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين ..!!

وهل تذكر بلالا ، وهو الذي طالما عذب فوق رمضاء مكة على أيدي المشركين ؟ ها هو اليوم يصعد على الكعبة المشرفة ينادي بأعلى صوته : الله اكبر ... الله أكبر ..

ذلك الصوت الذي كان يهمس يوما ما تحت أسواط العذاب : أحد .. أحد .. ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى — لا اله الا الله محمد رسول الله ، والكل منصت خاشع .. !!

الا انها لحقيقة واحدة كبرى لا ثانية لها — هي الاسلام .

فما اجهل الانسان حينما يكافح أو يناضل أو يجاهد في غير سبيله .!!

انما يكافح حينئذ عن وهم لا حقيقة له ولا طائل منه .

لقد كانت العبرة التي علمها الله تعالى عباده من خلال امره للرسول عليه الصلاة والسلام بالهجرة ، هي : ان الدين الحق اذا فقد أو غلب ، لم يغن من ورائه الوطن او المال والأرض ، بل سرعان ما يذهب كل ذلك من ورائه . اما اذا قوى شانه وقامت في المجتمع دعائمه ورسخت في الأفئدة عقيدته فان كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وارض ووطن يعود .. يعود اقوى منه عندما ضحى اصحابه به ، حيث يحرسه سياج من الكرامة والقوة والبصيرة .

وتلك هي سنة الله في الكون ..! فلقد شاء أن تكون القوى المعنوية هي الحافظة للقوى والمكاسب المادية .. فمهما كانت الأمة غنية في خلقها وعقيدتها السليمة ومبادئها الاجتماعية الصحيحة ، فان سلطانها المادي يغدو أكثر تماسكا وأرسخ بقاء وأمنع جانبا .

ومهما كانت فقيرة فى خلقها مضطربة فى عقيدتها ، تائهة أو جانحة فى نظمها ومبادئها ، فان سلطانها المادى يصبح أقرب الى الاضمحلال والزوال .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وقد تصادف أن تجد أمة تائهة فى عقيـدتها عن جادة الصواب ، منحطة فى مستواها الخلقي والاجتماعى ، وهى مع ذلك واقفة على قدميها فى الحياة ، لها بسطة في القوة والمنعة والسلطان ولكنها تمضى فى الحقيقة وواقع الأمر ، بسرعة مذهلة ، نحو هاوية سحيقة .

وطبيعى أنك لا تحس بحركة هذا المضىّ السريع . وذلك لما تعلمه من قصر عمر الانسان أمام طول عمر التاريخ والأحقاب .

ان مثل هذه الحركة انما تبصرها عين التاريخ ، لا عين الانسان الغـافل الساهى ..!!

أرأيت الى الرجل يقف على ظهر سفينة عظيمة تمخر عباب البحـر الى الغرب ، ماذا عسى أن يكون من معنى لسعيه الحثيث فوقها نحو جهة الشرق ؟! ان الأمم التى تقوم حياتها على قيم جانحة ، وأخـلاق منحطة ، وعقيدة تائهة — انما تسير نحو مصيرها بدافع من هذه العوامل ، لا بدافع من هياجها أو حركة أفرادها . وربما اغتر الناظر بما قد تتمتع به من سيما النعمة ومظاهر القوة وأسباب الحياة . ولكن هيهات أن يفتر المفكر فى واقع أمرها ، المتأمل فيما أعقبته تلك العوامل من آثار خطيرة فى نفوسها .

وما رأيت أسخف ممن يضرب المثل على عكس ما نقول ، بدولة كأمريكا ، ولدت فى الوجود أول البارحة ، وتتطوح بها الأدواء الخطيرة اليوم ، لتعلن عن نهايتها بعد غد ..!! ويستدلّ على وهمه ، بما فى أيديها اليوم من أرقام الغنى وبما ينبسط تحت سلطانها من مظاهر البطش وأسباب النعيم ..!

ماذا يفيدها هذا كله اذا لم يكن شيء منه يصنع لأفرادها الا مزيدا من أسباب العقد النفسية والانحراف العقلي والضيق بالدنيا وأسبابها .؟! (١) .

ماذا يعنى ذلك كله من أسباب الحيـاة ، اذا لم يكن شيء من ذلك كله يساهم الا فى رفعة نسبة من يؤثرون الانتحار والموت على التقلب فى أسباب البذخ والنعيم ..؟

وما بال علمائهم الفكريين والنفسانيين قد شغلوا عن متعة الدنيا وأسبابها بالعكوف (فى رعب وهلع) على دراسة هذه الوقائع العجيبة المذهلة وتبين أسبابها ، وما بالهم يضربون نواقيس الخطر على أسماع القادة دون هـدوء ليكونوا على بينة من هذا البلاء الداهم العجيب ؟

ألم يتجسد هذا كله فى أروع تسمية أطلقها أحد الروائيين على واقع هذه

---

(١) نشرت دائرة أبحاث جامعة الامبسادور كتيبا بعنوان : (الهيبيون منافقون وسـعداء) وآخـر بعنوان (عالمنا الرهيب) يجد فيها القارىء الصورة الحقيقية المذهلة للعـالم الذى فتن به اليوم كثير من الأغرار .

الأمم والأيام العصيبة التى تعيش فيها دون أن تحس بخطورتها المرعبة : (الساعة الخامسة والعشرون (٢)) .

وانه لعجيب حقا أن تجد بعض الناس ينظر — مع هذا كله — الى الرجل الذى يمضى مسرعا فوق ظهر السفينة الى جهة الشرق ، دون أن يلتفت الى الدنيا العظيمة التى تشق طريقها تحت قدميه الى الغرب ..!!

ينظر الى الصاروخ الذى ارتفع فى الجو ، أو الانسان الذى طار الى القمر ، أو البذخ الذى رقصت عليه الدنيا أو خطوط (النيون) التى أضاءت لها ناطحات السحاب — ينظر الى كل ذلك على أنه جاء ناسخا لما كان يسمى بالخلق والقيم ، والعقيدة الصادقة عن الكون والانسان والحياة .

ولو كان كل شيء من هذه المظاهر كلها مغنية للانسان عن الحق ومعرفته واليقين به ، والفضيلة والتمسك بها — لما طوى التاريخ أمما كانت تصنع لنفسها عرش الربوبية فى الأرض ، ولما رفع أمما أخرى الى ذروة العزة والمجد ، كانت لا تملك الثوب الذى يكفى لستر عريها ، ولا اللقمة الكافية لسد جوعها .

لو كان ذلك صحيحا ، لما خلفت لنا ملوك بنى الأحمر فوق ربا الاندلس ، آثارا من الصولة والدولة والبذخ والمال ، يبكى عليها الغادى والرائح ، ويتساءل عن أمرها كل ذى عقل ولب ..!! ما بال قصورهم العظيمة وسلطانهم الباذخ ومالهم الوفير ، لم يغنهم عن القيم والأخلاق أى غناء ، وما بال كل ذلك لم يحرس سلطانهم اذ غابت عن حراستهم هذه القيم التى أهملوا الكثير منها ..؟

ألم تقم دولتهم ، يوم قامت ، على رجال غرباء كانوا فقراء فى كل شيء الا فى العقيدة الصادقة الراسخة فى قلوبهم ، والخلق الاسلامى العظيم المسيطر على حياتهم . ثم هل تقوضت دولتهم تلك ، يوم تقوضت الا على رجال كانوا أغنياء فى كل شيء ، الا فى تلك العقيدة الراسخة وذلك الخلق الاسلامى العظيم ...

ومع ذلك ، فان التاريخ وحده ، هو الذى كان يرصد انطلاقتهم السريعة نحو وادى الهلاك فى تلك الليالى التى كان يضج من حولهم فيها الضياء ، وتسكرهم فيها نشوة اللهو والترف ..

الأرض والوطن والمال والقوة بكل مظاهرها ، وسيلة طبيعية لتحصين الحق والذود عنه ولكنه لا يصلح وسيلة لذلك الا اذا تحصن هو نفسه ضمن حرز من العقيدة الصادقة ، والخلق المتين والمبدأ الذى يعلو ولا يعلى عليه .

فان رأيت أمة قد فقدت فى حياتها هذا الحرز ، ومع ذلك فهى تتقلب فى مظاهر القوة والبطش والنعيم ، فاعلم أنها ماضية الى حتفها ما فى ذلك شك . وقد يقصر الطريق أو يطول . ولكن النتيجة آتية لا ريب فيها .

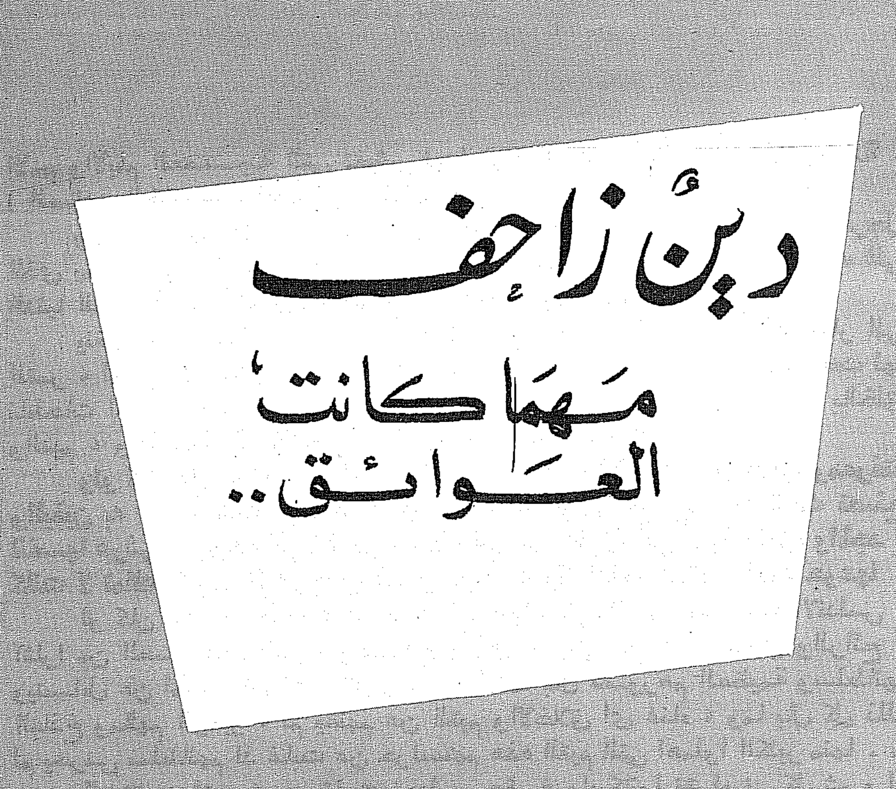
واذكر وأنت ترى ذلك قول فاطر السموات والأرض :

(ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) .

صدق الله ، وآمنت بكلامه وسننه فى العالمين ..

---

(٢) « الساعة الخامسة والعشرون » رواية كتبها أديب رومانى هو : « كونستانتان جيوروجيو يعرض فيها أخطار الحياة الآلية التى سيطرت على الانسان الأوربى والأمريكى .



للشيخ محمد الغزالي

- أحاديث الفتن لا تغري باليأس والقعود عن الجهاد.
- غربة الإسلام ليست موقفاً سلبياً إنها جهاد قائم دائم.
- سيبلغ الإسلام مواقع النور والظل في أرض الله.

كلما قرأت أبواب الفتن فى كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم ، واحسست أن الذين أشرفوا على جمع هذه الاحاديث قد أساءوا — من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون — الى حاضر الاسلام ومستقبله !

لقد صوروا الدين وكأنه يقاتل فى معركة انسحاب ، يخسر فيها على امتداد الزمن أكثر مما يربح !

ودونوا الاحاديث مقطوعة عن ملابساتها القريبة فظهرت وكأنهاتغرى المسلمين بالاستسلام للشر ، والقعود عن الجهاد ، واليأس من ترجيح كفة الخير لان الظلام المقبل قدر لا مهرب منه ..

وماذا يفعل المسلم المسكين وهو يقرأ حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى عن الزبير بن عدى قال : شكونا الى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج ، فقال : « اصبروا ، فانه لا يأتى عليكم زمان الا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم » !!

وظاهر الحديث « أن أمر المسلمين فى ادبار ، وأن بناء الامة كلها الى انهيار على اختلاف الليل والنهار » !!

وهذا الظاهر باطل لا يقبل ، وهو يخالف نصوصا أخرى ثابتة سوف نذكرها ، كما يخالف الاحداث التى وقعت فى العصر الاموى نفسه ..!

فقد جاء الوليد بن عبد الملك فمد رقعة الاسلام شرقا حتى احتوت اقطارا من الصين ، وامتدت رقعة الاسلام غربا حتى شملت اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا ..

ثم تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فنسخ المظالم السابقة ، وأشاع الرخاء حتى عز على الاغنياء أن يجدوا الفقراء الذين يأخذون صدقاتهم ..!

ولقد أتى بعد أنس بن مالك عصر الفقهاء والمحدثين الذين أحيوا الثقافة الاسلامية وخدموا الاسلام أروع وأجل خدمة ، فكيف يقال : ان الرسالة الاسلامية الخاتمة كانت تنحدر من سىء الى أسوأ ؟؟ هذا هراء !!

الواقع أن أنسا رضى الله عنه كان يقصد بحديثه منع الخروج المسلح على الدولة بالطريقة التى شاعت فى عهده ومن بعده ، فمزقت شمل الامة ، والحقت بأهل الحق خسائر جسيمة ، ولم تنل المبطلين بأذى يذكر !!

وانس بن مالك أشرف دينا من أن يمالىء الحجاج أو يقبل مظالمه ، ولكنه أرحم بالامة من أن يزج بأتقيائها وشجعانها فى مغامرات فردية تأتى عليهم ، ويبقى الحجاج بعدها راسخا مكينا .. !

وتصبيره للناس حتى يلقوا ربهم ، أى حتى ينتهوا هم ، لا أن الظلم سوف يبقى الى قيام الساعة ، وأن الاستكانة للظلمة سنة ماضية الى الأبد .. !!

ان هذا الظاهر باطل يقينا ، والقضية المحدودة التى أفتى فيها انس لا يجوز أن تتحول الى مبدأ قانونى يحكم الاجيال كلها ..

لقد سلخ الاسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرنا ، وسيبقى الاسلام على ظهر الارض ما صلحت هذه الارض للحياة والبقاء ، وما قضت حكمة الله أن يختبر سكانها بالخير والشر ..

ويوم ينتهى الاسلام من هذه الدنيا ، فلن تكون هناك دنيا ، لأن الشمس ستنطفىء ، والنجوم ستنكدر ، والحصاد الاخير سيطوى العالم أجمع .. !!

فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة وليعلموا أن الله أبر بدينه وعبـــاده مما يظنون ..

لقد ذكر لى بعضهم حديث « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » وكأنه يفهم منه أن الاسلام سينكمش ويضعف ، وأن على من يسمع هذا الحديث أن يهادن الاثم ، ويداهن الجائرين ، ويستــكين للأفول الذى لا محيص عنه !

وايراد الحديث وفهمه على هذا النحو مرض شائع قديم ..

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى صلاح الدين الأيوبى ما فكـر فى استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين القدامى !!

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى سيف الدين قطز ما نهض الى دحر التتـــار فى ((عين جالـوت)) !!

ولو سرت جرثومة هذا المرض الى زعماء الفـــكر الاسـلامى فى عصرنا الحاضر ابتداء من جمال الدين الأفغانى الى الشهداء والأحيـاء من حملة اللواء السامق ، ما فكروا أن يخطوا حرفا أو يكتبوا سطرا .. !!

وقلت فى نفسى : أيكون الاسلام غريبا وأتباعه الذين ينتســبون اليه يبلغون وفق الاحصاءات الاخيرة ثمانمائة مليون نفس ؟ يا للخذلان والعـــار !!

الواقع أن هذا الحديث وأشباهه يشير الى الازمات التى ســوف يواجهها الحق فى مسيرته الطويلة ، فان الباطل لن تلين بسهولة قناته ، بل ربما وصل فى جراته على الايمان أن يقتحم حدوده ، ويهدد حقيقته ، ويحاول الاجهاز عليه .. !

وعندئذ تنجلى الظلماء عن رجال صدقوا ما عاهـــدوا الله عليه ، يقاومون الضلال بجلد ، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذى يعيشون فيه، ولا يتخاذلون للغربة الروحية ، والفكرية التى يعانونها ، ولا يزالون يؤدون ما عليهم لله حتى تنقشع الغمة ، ويخرج الاسلام من محنته مكتمـل الصفحة ، بل لعله يستأنف زحفه الطهور ، فيضم الى أرضه أرضا والى رجاله رجالا ..

وذلك ما وقع خلال أعصار مضت ، وذلك ما سيقع خلال أعصار تجىء ، وهذا ما ينطق به حديث الغربة الآنف ، فقد جاء فى بعض رواياته (طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى) ، فليست الغربة موقفا سلبيا عاجزا ، انها جهاد قائم دائم حتى تتغـــير الظروف الرديئة ويلقى الدين حظوظا أفضل ..

وليس الغرباء هم التافهون من مسلمى زماننا ، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة وتوكلوا على الله فى مدافعتها حتى تلاشت .. !

والفتن التى لا شك فى وقوعها ، والتى طال تحذير الاسلام منها ، فتنة التهارش على الحكم والتقاتل على الامارة ، ومحاولة الاســتيلاء على السلطة بأى ثمن ، وما استتبعه ذلك من اهدار للحقوق والحدود ، وعدوان على الاموال والاعراض .. وهذا المرض كان من لوازم الطبيعة الجاهلية التى عاشت على العصبية العمياء ..

والعرب فى جاهليتهم ألفوا هذا الخصام والتعادى ، فهم كمـا قال دريد بن الصمة :

يغـــار علينا واترين فيشتفي — بنا ان اصــبنا او نغير علي وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا — فما ينقضى الا ونحن علي شطر

وقد غلبت طبيعة الاسلام في العصر الاول طبيعة العرب، واستفاضت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم لقمع هذه الغرائز الشرسة ..

وتدبر قوله للانصار : «انكم ستجدون أثرة بعدى» قالوا : فما تأمرنا؟ قال : « أدوا الذى عليكم وسلوا الله الذى لكم » وهذا القول أحكم وأشرف ما يعالج به نبى أدواء قوم ..

ماذا يصنع الرجل الكفء اذا جحدت كفايته ، وتقدم غيره بوسائل مفتعلة ؟ أيقاتل وليكن ما يكون ؟ لا ، ليؤد واجبه الذى عليه ، وليسأل الله — لا الناس — الحق الذى له ، وليرض بما يقسمه الله له فى الدنيا ويدخره له فى الأخرى .. !!

فاذا شاعت بين الناس تلك الخيانات فليحرص المؤمن على الترفع والتنزه ، وليرفض المشاركة فى معارك المال والجاه والمطامع والوجاهات، وليستمسك بعروة الايمان متجاوزا تلك الصغائر التى يهلك فيها أصحابها، وذاك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به » والحديث يوصى بنفض اليد من هذه الفتن ، ويذكر أن صاحب الجهد القليل فيها خير من الناشط المتحمس ، ثم ينصح المؤمن أن يبحث عن حصن يعوذ به من شرورها !!

هل يعنى ذلك العزلة وترك الامة دون ناصح أمين ، ورائد مخلص ؟ كلا .. ان العزلة قد تصلح للبعض ، وقتا ما ، ولكنها لا تصلح للامة كلها بداهة والا كان ذلك حكما عليها بالفناء !!

غير أن بعض العلماء للاسف تأول هذه الاحاديث ونظائرها مما ورد فى أبواب الفتن على أنها دعوة للانسحاب من المجتمع وترك بناء الاسلام ينهار على أساس أن الدنيا الى شر ، وأن الدين الى غربة وان المؤمنين الى استضعاف .. وأن النجاة أولى ! !

وذلك كله إفك ، فان الاسلام لما يكتمل بعد كيانه السياسى ، ولما يبلغ سيله — بعد — مداه الطبيعى ، وقافلة الاسلام التى تحركت من اربعة عشر قرنا ، وتعثرت حينا وهرولت حينا آخر ، لا تزال على الدرب العتيد ماضية الى وجهتها المكتوبة لها من الأزل ، تلك الوجهة التى قال القرآن فى تحديدها : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » والتى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم فى أحاديث صحيحة أولى بالنشر والترويج من أحاديث الفتن التى أولع الضعفاء بروايتها وسوء شرحها ..

ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منهـا » ..

وروى الامام أحمد فى مسنده عن تميم الدارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار!! ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر .. »

وكلمة ما بلغ الليل والنهار فى هذا الحديث الرائع كلمة جامعة من خصائص البلاغة المحمدية ، ولا أرى نظيرا لها فى الدلالة على السعة والانتشـار !!

وما رواه احمد عن تميم الداري يؤيده ما رواه عن المقداد بن الاسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا دخلته كلمة الاسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا ، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها » .

وكذلك ما رواه عن قبيضة بن مسعود : صلى هذا الحى من محارب — اسم قبيلة — الصبح ، فلما صلوا قال : شاب منهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انه ستفتح لكم مشارق الارض ومغاربها ، وان عمالها — أمراءها — فى النار الا من اتقى وأدى الامانة ».

ويقول صاحب المنار فى نهاية تفسيره لقوله تعالى : ((قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ..)) ((اعلم أن الاستدلال بما ورد من الاخبار والآثار فى تفسير هذه الآية لا يدل هو ولا غيره من احاديث الفتن على أن الامة الاسلامية قد قضى عليها بدوام ما هى عليه الان من الضعف والجهل كما يزعم الجاهلون بسنن الله ، اليائسون من روح الله ، بل توجد نصوص أخرى تدل على أن لجوادها نهضة من هذه الكبوة ، وأن لسهمها قرطة بعد هذه النبوة كالآية الناطقة باستخلافهم فى الارض — سورة النور — فان عمومها لم يتم بعد وكحديث ((لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف الا ضلال الطريق)) رواه أحمد ،والشطر الاول منه لم يتحقق بعد ،ويؤيده ويوضح معناه ما صح عند مسلم من ان مساحة المدينة المنورة سوف تبلغ الموضع الذى يقال له أهاب ، أى أن مساحتها ستكون عدة أميال . فكونوا يا قوم من المبشرين لا من المنفرين .

« ولتعلمن نبأه بعد حين »

وخطأ كثير من الشراح جاء من فهمهم أن ترك الشر هو غاية التدين، وان اعتزال الفتن هو آية الايمان .

وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الارادة ، وانى لاذكر فيه قول المتنبى :

انا لفى زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس احسان واجمال

أجل ، فان ترك الصغائر غير بلوغ الامجاد ، وتجنب التوافه والرذائل غير ادراك العظائم وتسنم القمم ، والتلميذ الذى لا سقط شىء، والذى يحرز الجوائز شىء اخر .. !!

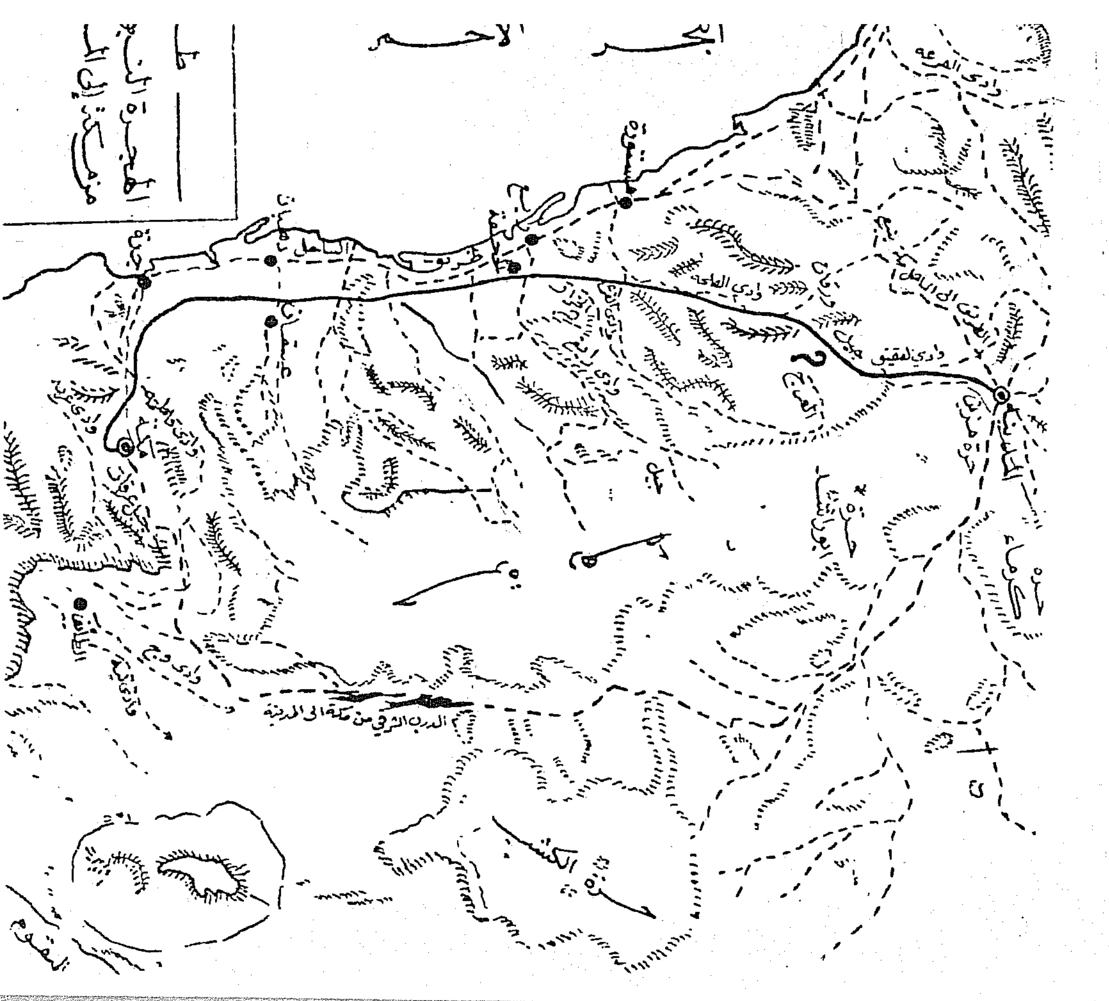
والرسول الكريم عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا ينهى واجبنا عند ذلك الحد ..

سوف يبقى بعد ذلك الاعتزال الواجب ، بناء الامة على الحق ، ومد شعاعاته طولا وعرضا حتى تنسخ كل ظلمة ..

ولا نمارى فى ان تصدعات خطيرة اصابت الكيان الاسلامى قديما وحديثا .. بيد أن الضعاف وحدهم هم الذين انزووا بعيدا يبكون ، ويتشاءمون ، وينتظرون قيام الساعة !!

أما الراسخون فى العلم فقد أقبلوا على رتق الفتوق ، وجمع الشتات ، واعادة البناء الشامخ ، حتى يدركهم الموت او القتل وهم مشتغلون بمرضاة الله ، حتى يبلغ الاسلام مواقع النور والظل من أرض الله ، أو كما قال الرسول العظيم :(ما بلغ الليل والنهار) ..

• • •



طريق الهجرة .. فى سطور

● تبعد المدينة المنورة ــ دار الهجرة ــ عن ساحل البحر الأحمر بنحو ١٦٠ كيلو مترا ، وتبعــد عن مكة ــ فى خط مستقيم ــ بنحو ٣٣٥ كيلو مترا .

● تمت الهجرة فى صيف عــام ٦٢٢ ميلادية وجو الجزيرة فى مثل هذا الوقت جفاف وقيظ ..

● لمكة ثلاثة مداخل .. طريق الغرب ، وطريق الشمال ، وطريق السفلة والطريق الاخير ابعدها الى المدينة ومع ذلك فقد سلكه الرسول متجهــا الى الجنوب ــ نحو اليمن ــ ثم سلك الطريق الساحلى متجنبا الجادة المطروقة فى اكثر الأحيان .

● غار ثور الذى لجا اليه الرسول وصاحبه يبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات شاقة وعرة حتى ان الرسول لم يصل اليه الا بعد ان نضح الدم من قدميه

● مكث الرسول فى الغار ثلاثة ايام ليتسمع على الوضع فى مكة بواسطة عبد الله بن ابى بكر الذى كان يبيت مع الرسول وصاحبه ويخرج فى القمر ، وليخرج الى الطريق بعد هداة المشاعر فى مكة .

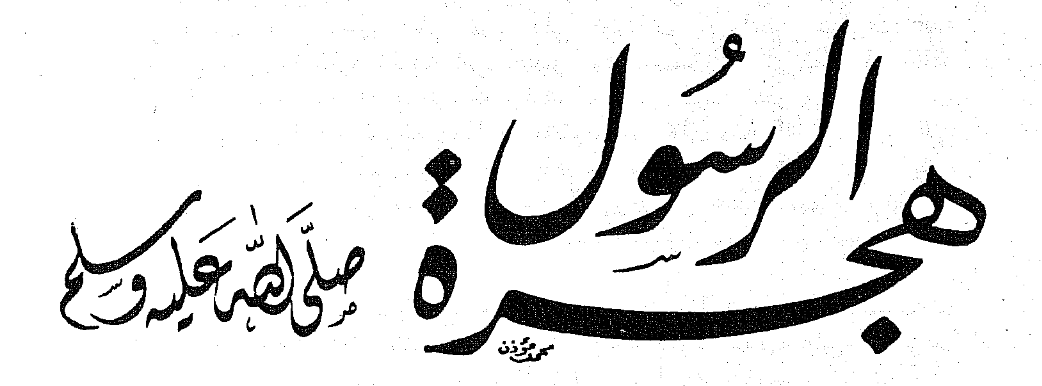
● وصل الرسول الى قباء يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول حين اشتد الضحى وبلغ المدينة يوم الجمعة الذى يليه .

صور من المعاني السامية في

• كانت هناك علاقة تربط محمد بن عبد الله صلوات الله عليه بيثرب . فله بها علاقة القربى وهم بنو النجار أخوال جده عبد المطلب ، وله بها قبر عزيز على نفسه . قبر أبيه عبد الله الذى مات ومحمد جنين لم يولد بعد ، والذى حج اليه وهو فى سن السادسة مع أمه آمنة الزوج الوفى التى ماتت فى الطريق وهى قافلة الى مكة ودفنت بالأبواء فى منتصف الطريق . فاصبح قبر أمه فى الطريق الى قبر أبيه ، وهذا مما يجعله بحكم البنوة متطلعا الى هذه البقعة ، أضف الى هذا علاقاته التجارية حينما كان يتجر فى مال السيدة خديجة .

• فلما بالغت قريش فى ايذائه والتضييق عليه فى نشر دعوته ، وبالغت أيضا فى تعذيب واضطهاد من آمن به واتبع دعوته اتجهت نفسه الى الهجرة من هذه القرية الظالم أهلها ، والقرار بيثرب والدعوة بدين الله منها وخاصة ان بها كثيرا ممن يؤمنون برسالة السماء من أهل الكتاب ، ومن تأثروا بهم بعض الشىء وعرفوا التطلع الى السماء وان كانت لهم عقائد وثنية . كما أنه صلوات الله عليه كان قد أحس بذلك القدر فى أهل يثرب حينما قدم « سويد بن الصامت » الى مكة وهو أحد كبار الأشراف بيثرب والتقى به الرسول وعرض عليه دعوة الاسلام وتلا عليه بعض ما معه من القرآن فما نفر سويد ولا ضجر ولا أعرض ولكنه أنصت وتأمل وقال : هذا حسن وانصرف يفكر فيه . كما لمس هذه

للدكتور : محمد سلام مدكور



الروح أيضا فى اياس بن معاذ ومن معه حين جاءفى وفد من أهل يثرب لقضاء حاجة بمكة وكذلك لمس فى وفد من الخزرج كان قد وفد الى مكة فى موسم الحج فلقيهم ودعاهم الى الاسلام فاطمأنوا له وآمنوا به وعادوا الى قومهم مؤمنين برسالة الاسلام فلم يجدوا منهم صدا واعراضا وانما وجدوا تشوقا وارتياحا . وما إستدار العام وجاء الحجيج الى مكة حتى بايع اثنا عشر رجلا من أهل يثرب الرسول بالعقبة على الا يشركوا بالله أحدا ولا يأتون ببهتان وآمنوا بدعوته واسلموا وجههم لله . وهكذا تزايد عدد المسلمين فى يثرب ، وتزايد عدد الذين لانت قلوبهم واستعدوا بشىء من التوجيه للاستجابة اليها .

ثم حدثت بيعة العقبة الثانية وكانت مع جمع كبير من الأوس والخزرج ، ولم تقتصر بنودها على الدعوة الى الاسلام فحسب بل تضمنت بنودها حماية الرسول ومنعته مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم .

• طابت نفس محمد صلوات الله عليه بهذه الظواهر الطيبة وازداد اطمئنانه الى أهل هذا البلد فأمر أصحابه بالهجرة اليها فهاجر كل من استطاع الهجرة تاركا المال والأهل والوطن فارا بعقيدته غير عابئين بالعراقيل التى تضعها قريش فى طريق هجرتهم ، وكان من أوائل

الراغبين فى الهجرة أبو بكر رضى الله عنه غير ان النبى اســتمهله فأرجأ هجرته استجابة لتوجيه الرسول وان لم يعلم السبب الذى أراد الرسول اخفاءه ليبقى مخططه سرا محفوظا فى صدره .

وسرعان ما أصبح جو يثرب جوا اسلاميا . فأحست قريش بأن الخطر يكمن وراء ذلك ففكروا فى قتل محمد والتخلص منه والقضــاء على دعوته التى تمثل خطرا قويا على عباداتهم . وأحس صلوات الله عليه بما عزموا عليه فاتجه الى الهجرة ودعـــا الله أن يأذن له بذلك فاستجاب الله لدعوته وحقق له رغبته . ولكن كيف المفر وقد تآمــرت عليه قريش وأحاط شبانها بداره ليقتلوه فما كان منه الا أن أسر الى على ابن عمه أن يتسجى برده وأن ينام فى فراشه حتى تنخدع به قريش وتظنه محمدا ، وحتى يتمكن هو من الخروج فى غفلة منهم . وأوصى عليا أن يبقى بمكة فترة حتى يقوم ببعض الشئون ويرد الودائع ويقضى الديون .

● خرج الرسول ليلا مع أن قريشا تحيط بداره من كل جـــانب تترقب خروجه لتظفر بقتله . لكن الله جلت قدرته جعل على أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون ، وخرج الرسول آمنا حتى وصـــل الى دار صديقه وصهره أبى بكر وأخبره بما اعتزم عليه وبأنه استمهله من قبل ليكون فى صحبته ففرح أبو بكر وأعد نفسه وخرجا معا الى غار ثــور وهو فى غير طريق يثرب بل هو فى الطريق الى اليمن . ولم يعــلم بمكانهما الا عبد الله بن أبى بكر وأختاه عائشة التى عقد عليها الرســول فى هذه الآونة ـــ وأسماء ومولاهم عامر بن فهيرة . ومكثا فى هــذا الغار نحو ثلاثة أيام . ثم استأنفا السير فى الطريق الى يثرب وتمت خطته فى الهجرة اليها بسلام كما هو معروف متداول .

◆ ◆ ◆

● واننا سوف لا نتصدى فى مقالنا هذا لمراحل الهجرة ووصــــف الطريق ووعورته ، وما الى ذلك من النواحى الجغرافية أو التاريخية ، وانما الذى نتصدى اليه هنا ما فى مواقف الهجرة كلها من المعـــــانى السامية والايثار والتضامن والتفانى فى سبيل العقيدة وايثار الله ورسوله على كل مافى الدنيا من مال واهل . وقد صور الله سبحانه مافى الهجرة من ايثار وتضامن تصويرا جامعا فى قوله جل شــأنه : « للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون .والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجـــدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

● فهذا يصور لنا ما صدر من ايثار وتضحية من أهل مـــكة الذين

هاجروا ، واهل المدينة الذين استقبلوا اخوانهم المهاجرين أما الأولون فقد ضحوا وآثروا الله ورسوله فتركوا وطنهم واهلهم وأموالهم فرارا بعقيدتهم . انفصلوا عن وطنهم انفصال الغصن من شجرته عائدا الى شجرة أخرى من الايمان واليقين تبشر بالثمار والظلال .

وأما الأنصار فقد أحبوا المهاجرين حبا صادقا دون مبالاة بما يترتب على ذلك الحب من تضحيات وفقدان بعض متع الحياة ومظاهرها المادية فأشركوهم فى أموالهم وأقواتهم ، وما اقوى فعل الدين والايمان فى نفوس المؤمنين فتسابقوا فى مد يد العون لاخوانهم فى كل ما تتطلبه حياة الاستقرار . بل وصل بهم التسابق فى مد يد العون لاخوانهم الى شيء من التشاحن فلم يك يفصل بينهم فى هذا الا الاقتراع .

• انظر الى على بن أبى طالب وقد سره أن يعرض نفسه للهلاك حين هم الرسول بالخروج من الدار ليلة الهجرة . والمشركون يحيطون الدار من كل جانب يترقبون مرقد النبى فى فراشه ويتحسسون حركاته وتقلباته ليظفروا به يقظا فيقتلوه . ومع وضوح نية الغدر فى نفوس المشركين لم يتوان على امعانا فى تضليل المشركين لتخليص الرسول واظهار كلمة الله من أن يتسجى برد الرسول وينام على فراشه . فعل على ذلك وهو يعلم سوء العاقبة وانه قد يستثير بهذا حفيظة المشركين عليه ، وانه من المحتمل أن يكون ذلك سببا فى اطاحة عنقه خطأ منهم أو عمدا لكن شيئا منذلك لم يترك فى نفسه أى اثر من خوف أو تراجع او نكوص لأن ايمانه بالله وقوة عقيدته وصدق اخلاصه يأبى عليه شيئا من ذلك بل يدفعه الى أكثر منه . بل يرى بصدق ايمانه أن كل ما يصيبهمنأذى فى سبيل تمكين الرسول من تبليغ رسالة ربه ونشر دعوته يمكنه من حياة سعيدة فى كنف الله . حياة تطيب بها نفس كل مؤمن صادق فى ايمانه .

• وهذا أبو بكر وقد صاحب الرسول فى أحرج المواقف مضحيا بتجارته وعمله وماله وولده . ويخرج مع الرسول فى هجرته لايصاحبهما الا الله فى وحشة الليل ووحشة الصحراء ووحشة الفرار من تتبع الأعداء واقتفائهم اثر الرسول وبذلهم الجوائز النفيسة لكل من يستطيع العثور عليهما . ثم يستقر معه فى غار ثور ذلك الغار الموحش الذى يزيد الوحشة تفاقما والخوف تضاعفا دون أن تهدأ نفسه ، وكان متيقظا بكل معانى التيقظ يرهف أذنيه وكل حواسه ليتعرف ما فى خارج الغار من حركات ويتبين ما عساه يسمعه من أصوات . حتى أحس بنفر من المشركين على قرب من الغار وسمعهم يسألون أحد الرعاة فيجيب بأنهما قد يكونان فى الغار . فأقبل بعض القرشيين متسلقا الى الغار لكنه قفل راجعا دون اقتحامه ، ولما سأله رفاقه قال : ان للعنكبوت على فتحتيه بيتا خاطه من

قبل مولد محمد ، وان بفم الغار حمامتين وحشيتين ، وان شجرة تدلت فروعها الى فوهة الغار لا تمكن أحدا من الدخول .

كان ابو بكر يسمع هذا الحوار فيقترب من صاحبه ويلصق نفسه به لا خوفا على نفسه ، ولكن خوفا على صاحبه . فيهمس محمد صلوات الله عليه فى أذنه قائلا : لا تخف ان الله معنا !! ولما انصرف الكفار ، اطمأن أبو بكر وازدادت نفسه ايمانا بالله ورسوله ونادى محمد : الحمد لله . الله أكبر ..

وقد صور الله هذا الموقف الرهيب بقوله سبحانه : « اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » وقد قال ابو بكر فىتصوير بعض ما كان فى هذه اللحظات : « رأيت أقدام المشركين ونحن فى الغار فقلت لرسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ؟! فقال الرسول يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

• وهذه أسماء بنت أبى بكر تأبى الا أن تخرج من مكة بالطعام والشراب لتحضره لهما فى مخبئهما المحزن البعيد فى ظلمة الليل ووحشة الطريق غير مبالية بما عساه ان يقع لها من أذى أو ينالها من هلاك ودون أن تشعر بتقلبات الجو ووعورة الطريق — لأن الايمان والتضحية والايثار اذا تملك كل منهما على نفس هان كل شيء بل هانت النفس أيضا . وكيف لا تضحى وقد رأت أباها يهاجر مع الرسول ويرافقه فارا بدينه تاركا الأهل والولد والمال والوطن .

أنظر الى أسماء وقد ذهبت لهما بالغار فى اليوم الثالث بالطعام والشراب الذى يكفى لرحلتهما ، ولما ارتحلا ولم يجدا ما يعلقان به الطعام والماء الى رحالهما شقت نطاقها وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر فسميت لذلك « ذات النطاقين » .

• وهذا عبد الله بن أبى بكر أذنهما عند قريش يقضى نهاره بينهم يتسمع ما يأتمرون وما يقولون ثم يأتيهما حينما يسدل الليلستاره فيخبرهما بما دار وما سمع ، ولما يعود الى مكة يتبع عامر بن فهيرة مولى أبى بكر أثره بالغنم حتى يعفى عليه فلا يتبينه أحد .

• وهذا سراقة بن جعشم وقد علم من أحد الافراد بأن الرسول وصاحبه فى طريقهما الى يثرب كما أخبر قريشا كلها بذلك فأسرع سراقة ليأسرهما وينفرد بالمائة ناقة الجائزة التى وعدت بها قريش . ولما اقترب منهما كبا فرسه من شدة انطلاقه وطار سلاحه من يده . فكان هذا دافعا لان يرد نفسه عما قدم اليه ، وأن يعمل على حمايتهما فأخذ يضلل من جاء من خلفه لمطاردتهما وهان المال فى نظره وضوئلت الجائزة واصبحت غير ذات قيمة أمام ما أحس به عند كبوة جواده من ايمان

يتخذ طريقه الى قلبه ونور صادق يضىء الطريق امام بصيرته .
• ولما وصل الرفيقان الى يثرب وخرجت الطلائع لاستقبالهما واستقرا فى المدينة ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأصبحت الكلمة للمسلمين، وربط الدين بين قلوب المؤمنين من المهاجرين والانصار . الا أن الرسول خشى أن تثور فى نفوسهم عصبية الجاهلية . العصبية القبلية فدعاهم الى المؤاخاة وآخى بينهم على الحق والمؤاساة وعلى أن يكون كل منهم دمه دم الآخر وهدمه هدمه وان يرث كل منهما الآخر دون ذوى رحمه .
وتمت المؤاخاة بين أبى بكر وخارجة بن زيد الانصارى وبين عمر وعثمان بن مالك الأنصارى وبين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل الأنصارى وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الأنصارى ، وبين أبى عبيدة الجراح وسعد بن معاذ الأنصارى .. وهكذا ..
وقد بلغ من كرم الأنصار واخلاصهم ان كان الواحد منهم يعرض على صاحبه أن يشاطره ماله . وأبى المهاجرون العيش كلا على غيرهم فكافحوا وعملوا فى سبيل لقمة العيش لأن العمل فى سبيل الكسب أمر يدعو اليه الدين . فالانصار يزهدون فى أموالهم لان اخوانهم أحوج اليها منهم ، والمهاجرون يشكرون لهم هذا البذل والايثار ويقدرون فيهم روح التعاون لكنهم يأبون الا العمل والكفاح . كى لا يسنوا للناس من بعدهم سنة العيش عالة على مجهود الغير وماله دون كد وعمل ...
فكلاهما سباق للبذل والعطاء : الانصارى بماله ، والمهاجر بعمله .

◆ ◆ ◆

• وبهذه الروح تمت الهجرة على خير وجه فى جو يغمره ذلك الحب والتفانى ، وبهذا الاخاء والتعاون كتب الله لهم النصر والفلاح وكانت هجرتهم معالم حدود بين طور وطور فى دعوة الاسلام وبدء تحوله من توجيه روحى وتقويم خلقى الى تكوين تشريعى وتنظيم دولى فبدأت معالم الدولة كاملة ، وكانت فكرة الهجرة بدء التوجيه لمعالم الدولة الاسلامية ذات القوانين والنظم التى يكفل اتباعها السعادة لانها كلها تقوم على التضامن والتعاون .
وهكذا يضع الله أمامنا مثلا عليا من صفات المؤمنين الاولين وصورة عملية لتطبيقهم تعاليم الدين حتى نحذو حذوهم ونسير على نهجهم ، ولو اخذنا بتعاليم ديننا وتلمسنا فى ماضى سلفنا العظات والعبر فضحينا كما ضحوا وتعاونا وتضامنا كما تعاونوا وتضامنوا وأحب كل منا لأخيه ما أحب لنفسه لصرنا جسدا واحدا يحس كل مسلم مهما بعد موطنه بآلام أخيه المسلم أينما كان . فبالتضحية والايثار نقوى ، وبذكر الله ومناصرته يكتب لنا النصر والفلاح .

مائدة القارئ

صور من النفاق

قال الشاعر محمد حمام :

ما دمت فى جنـــة النفـــاق
ولا تقــــارب ولا تباعـــــد
وضاحـــك الشـــمس فى الدياجى
ولا تحقــــق ولا تدقــــق
وقـــل كـــلاما بغيـــر معنى
ولا تصــــادق ولا تخـــاصم
فأى شـــخص كأى شـــخص
وأى كـــــأى شـــــىء

فاعـــدل بســـاق ، ومـــل بساق
ودر مـــع الثـــور فى الســـواقى
وداعب البـــدر فى المحـــاق
وانســـب شـآمـــا الـــى عـــراقى
واحـــلف عـــلى الافـــك بالطلاق
واستقبـــل الكـــل بالعنـــاق
بـــلا اختـــلاف ولا اتفـــاق
ما دمـــت فـــى جنـــة النفـــاق

الجـــواسيس

قال المأمون لأحد جلسائه : هل فى القرآن الكريم ذكر للجواسيس .

قال : نعم . الم تسمع قوله تعالى : ((يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)) هؤلاء هم الجواسيس : يسمعون ، ثم ينقلون الأحاديث ، ويرفعون الأخبار الى من استأجروهم .

ســن القاضى

لما ولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة كانت سنه عشرين سنة فاستصغره أهلها ، فقال أحدهم : كم سن القاضى ؟ فعلم أنه قد استصغره ، فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح ، وأكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه النبى قاضيا على أهل اليمن وأكبر من كعب بن سود الذى وجهه عمر بن الخطاب قاضيا عـــلى البصرة .

علـــم وتربيـــة

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده :

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة ، فانهم أسوأ الناس رغبة فى الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعـــر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم يستاكو عرضا ، ويمصوا الماء مصاولا يعبوا عبا .

واذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب وليكن ذلك فى سر لا يعلم بهم احد من الغاشية فيهونوا عليهم .

طرائف لغويـــة

لاحظ علماء اللغـــة ما بين الحرف والمعنى من مناسبـــــة ، ومما لاحظوه :

ان الحاء اذا اتت فى آخر الكلمة دلت على الاتساع والانتشار مثل ساح ، وباح ، وصاح ، وشرح ، ومرح .

وان الكلمة المبدوءة بحرف الشين تدل على التشتت والتفرق مثل : شتت ، وشطر ، وشعث ، وشع .

وان الكلمة المبدوءة بالغين تدل على الغموض مثل : اغمض . غابت الشمس . غار الماء ، غطى الشيء .

علـــم الفراسة

قال الشافعى : مررت فى طريقى برجل واقف فى فنـــاء داره ازرق العينين ناتىء الجبهـــة ، فقلت فى نفسى : هـــذا اخبث ما يكـــون فى الفراسة ، وسالته : هل منزل ؟ قال : نعم . وانزلنى ، فما رايت اكرم منه ، وبعث الى بعشاء طيب وعلف دابتى وفراش ولحاف ، فقلت علم الفراسة دل على دناءة هذا الرجل ، وانا لـــم اشاهد منه الا الخير فهذا العلم باطل، ولما اصبحت قلت للغلام اسرج الدابة فلما اردت الخروج قلت له : اذا قدمت مكة : ومررت بذى طوى فاسال عن منزل محمد بن إدريس .

فقال الرجل : اخادم ابيك انا ؟

قلت : ماذا تقصد ؟

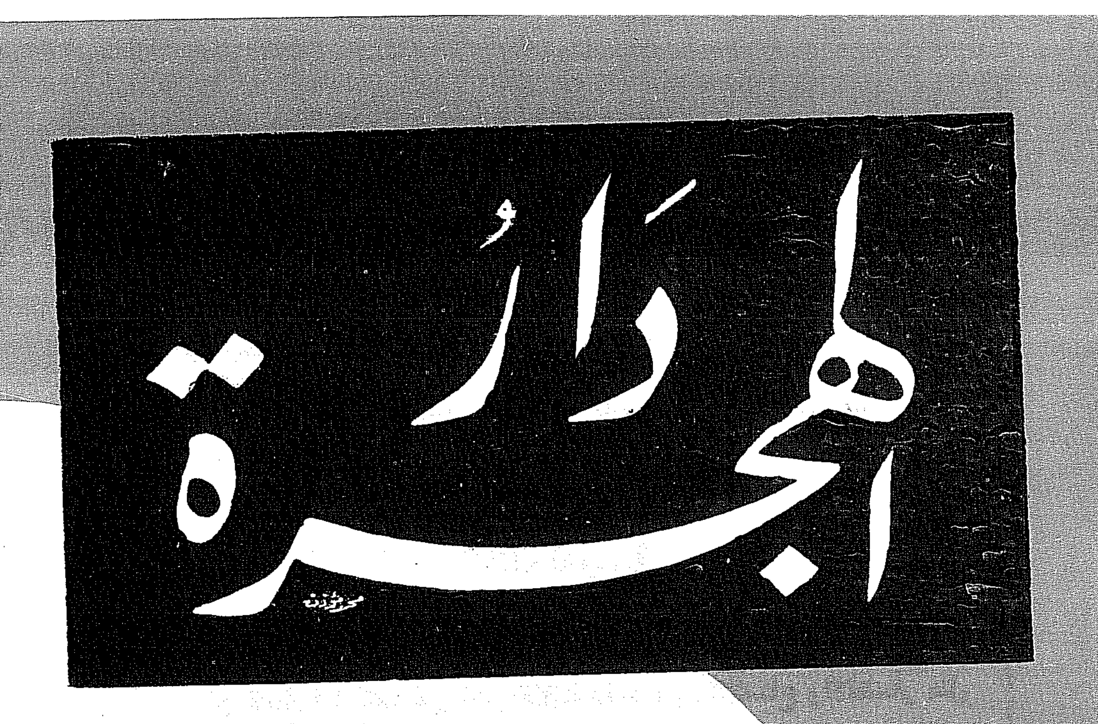
قال : فاين ثمن الذى تكلفت لـــك البارحة ؟ قلت : وما هو ؟

قـــال : اشتريت لـــك بدرهمين طعاما ، وادام بكذا ، وعلف دابتك بكذا واللحاف بكذا .

قلت : يا غلام اعطه . فهل بقى شيء ؟

قال : كراء المنزل ، فانى وسعت عليك وضيقت على نفسى .

قال الشافعى : فعظم اعتقادى فى علم الفراسة .



والمؤلّفات والمؤلِفون فيها

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

نالت مدينة الرسول من اهتمام المؤرخين ، وعناية المؤلفين ما لا يجوز اغفال الحديث عنه فى فصل خاص ، فان الكتب فى موضوع دار الهجرة متناثرة على مر العصور فى مدار التاريخ العربى الاسلامى الطويل لم يجمعها مؤلف فى مقام واحد ، الا ما كان من تلك الاشارات السريعة الوجيزة التى سجلها المؤرخ السخاوى فى كتابه المشهور : « الاعلان بالتوبيخ ، لمن ذم أهل التاريخ » والا ما كان من تلك النظرات العابرة التى سجلها المؤرخ الخبير بالتصنيف حاجى خليفة فى كتابه المعروف : « كشف الظنون » ..

والحق أن متابعة المؤلفات والكتب التى دارت حول موضوع دار الهجرة ، ومدينة الرسول عليه الصلاة والسلام تعد عملا لا يخلو من مشقة ، فان الباحث مضطر أن يجول خلال العصور ، منذ بدأ التدوين فى الأدب العربى . وأن يتعرف الى المؤلفين الذين ولوا وجههم شطر المدينة المعظمة ، يؤرخون لها ، ويترجمون لرجالها ، ويدونون ما تعاقب من الأحداث عليها ، ويذكرون فضائلها التى خصها الله بها ، بعد مكة المكرمة ، ويسطرون سير من دفن فى أرضها المباركة وفى بقيعها الطاهر من كبار الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم على مر العصور .

واذا كان التأريخ للمدن الاسلامية هو جزء من مخطط منظم لكتابة التاريخ العام للعرب والمسلمين — كما نراه فى التأريخ للاسكندرية ، واشبيلية ، والبصرة ، وبغداد ، وبيت المقدس ، وجرجان ، وحلب ، وخراسان ، ودمشق ، والرقة ، وطليطلة ، وغرناطة ، وقرطبة ، والقاهرة ، والقيروان ، ومراغة ، ومرو ، ومصر ، والموصل ، وواسط وغيرها مما لا مجال هنا لذكره — فان المدينتين المقدستين العظيمتين : مكة والمدينة قد ظفرتا من التصنيف فيهما بنصيب عظيم .

وندع الحديث عن مكة الآن جانبا الى أن تحين له فرصة ملائمة فى مجلة

(الوعى الاسلامى) ونخص المدينة ــ وهى دار هجرة الرسول ــ بالحديث اليوم ، ما دمنا تحتفل بأحياء ذكرى العام الهجرى الجديد ، الذى نرجو أن يكون مطلع سعد وخير وعزة للعرب والمسلمين .

ومن الحق ــ ونحن نكتب هذا البحث البكر لأول مرة ــ أن نذكر الرائد الاول فى كتابة تاريخ للمدينة المنورة ، وهو محمد بن الحسين بن زبالة ــ كما ذكره بروكلمان فى تأريخه الأدبى ، وان كان صاحب « معجم المؤلفين » يذكره باسم محمد بن الحسن ، أما حاجى خليفة فيذكره باسم : محمد بن حسن بدون اداة تعريف . وأيا ما كان الاسم فان معلوماتنا قليلة جدا عن هذا المؤلف الأول فى تاريخ مدينة الرسول ، وعن كتابه الذى نقل لنا بعض نصوص منه المؤرخ السمهودى المتوفى سنة ٩١١ هـ فى كتابه المشهور : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ويذكر لنا حاجى خليفة ان اسم كتاب ابن زبالة هو « أخبار المدينة » ولا نعلم شيئا عن هذا الكتاب ولا عن مكان وجوده فيما لدينا من مراجع . ولعله مما أضاعه الزمان . ولا نعرف بالضبط تاريخ وفاة ابن زبالة ، وان كان صاحب « هدية العارفين » يستظهر أنه توفى فى حدود سنة ٢٠٠ من الهجرة لأن بعض المؤرخين يقول : انه أتم كتابه فى سنة ١٩٩ هـ . ومهما يكن فان ابن زبالة ــ بفتح الزاى ــ كان من تلاميذ الامام مالك بن أنس كما يذكر صاحب « كشف الظنون » ..

ويأتى بعد ابن زبالة مؤرخ آخر هو الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ وهو من أحفاد الزبير بن العوام ، وكان راوية عالما بالأنساب والأخبار ، وقد ولد فى مدينة الرسول ، وان كان تولى قضاء مكة بعد ذلك ودفن فيها ، وبهذا جمع فى حياته بين المدينتين المقدستين . ويذكر السخاوى المؤرخ أن له كتابا فى أخبار المدينة ، وان كنا نعلم أن له كتاب « الأوس والخزرج » ولعله هو الكتاب الذى يقصده السخاوى .

ولقد كان للزبير بن بكار معاصر مؤرخ هو عمر بن شبة (ا) المتوفى سنة ٢٦٢ هـ ، وكان ابن شبة هذا شاعرا راوية مؤرخا ، كما اشتهر بحفظ الحديث ، وترك لنا كتابين حول مدينة الرسول : أولهما : كتاب « أمراء المدينة » ، وثانيهما « أخبار المدينة » وأكثر كتبه لا يزال مخطوطا ولا نعرف شيئا عن كتابه « أخبار المدينة » الا من خلال ما يحدثنا به الرواة والمؤرخون .

وهناك على مقربة من تاريخ وفاة ابن شبة نلتقى بمؤرخ آخر هو يحيى بن الحسن بن جعفر الحسينى العلوى ، ويقال له العقيقى ، وقد ترك لنا كتابا عنوانه : « أخبار المدينة » يتفق فى الاسم مع كتاب عمر بن شبة الذى سبقت الاشارة اليه . ومبلغ علمنا عن هذا الكتاب أنه ليحيى بن جعفر الحسينى ، ولكن مكان وجوده غير معلوم .

ويشير السخاوى المؤرخ الى كتاب لأبى بكر جعفر بن محمد بن الحسن ابن المستفاض الفريابى فى تاريخ مدينة الرسول ، ويذكره ابن العماد الحنبلى ــ صاحب شذرات الذهب ــ فى وفيات سنة ٣٠١ هـ ، ويصفه بأنه كان اماما

حافظا علامة من النقادين ، وهو تركى الأصل ، وقد رحل الى مصر ، وامتد عمره حتى بلغ أربعا وتسعين سنة ، وتسكت مصادرنا كلها عن هـذا الكتاب الـذى ذكره السخاوى وقال عنه ان أبا القاسم بن منده قد ذكره فى « الوصية » له .

واذا كان هؤلاء الخمسة السابقون من المؤرخين قد ألفوا فى تاريخ مدينة الرسول وأخبارها ، فاننا بعد هذا نبدأ عهدا جديدا بالتأريخ لفضائل المدينـة النبوية والحديث عن مآثرها . وأول من نلقاه فى هذا الميدان المؤرخ المفضل بن محمد الجندى ـ بفتح الجيم والنون ـ المتوفى سنة ٣٠٨ هـ .

والمفضل هذا يمانى الأصل ، وكان من أصحاب الحديث فى مكة وتوفـى بها . ويذكر بعض المؤرخين أن له كتابا فى : « فضائل مكة » ، كما أن بعضهم يضيف اليه كتابا فى « فضائل المدينة » وينص صاحب « الاعـلان بالتوبيخ » صراحة على أن له كتابا فى فضائل المدينة ، كما يذكر له كتابـا فى فضائـل مكة ...

وينقضى القرن الرابع الهجرى فلا يصادفنا ـ فيما نعلم ـ كتاب حـول مدينة الرسول ودار هجرته ، الا ما لا علم لنا به مما قد يكون ضائعا أو مطويا .. ويجىء القرن الخامس فيصادفنا فى أواخره المؤرخ المحدث القاسم بن على ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ . وهو ولد المؤرخ الكبير ابن عساكر المشهور صاحب تاريخ دمشق . وله كتاب فى « فضل المدينـة » عنوانه : « الأنباء المبينة ، فى فضل المدينة » أشار اليه السخاوى فى اعلانـه . وكثيرا ما يختصر المؤرخون اسم هذا الكتاب فيجعلونه كتاب (فضل المدينة » كما صنع خير الدين الزركلى فى اعلامه ، ويلحق هـذا الكتاب بسابقيه من الكتب الضائعة التى لا نعلم عنها شيئا ، ولعلها ضاعت فيما ضاع من تراث الاسـلام الفكرى . ولم يكتف القاسم بن عساكر بكتابه هذا عن فضل مدينة الرسول ، فألف كتابا آخر فى فضائل المسجد الأقصى ، عنوانه « الجامع المستقصى ، فى فضائل الأقصى » ..

ونلتقى على مسيرة العصور فى القرن السابع الهجرى بمؤرخ من أهـل بغداد ترك لنا كتابا فى تاريخ المدينة ، وهو محمد بن محمود بن هبة الله المشهور بمحب الدين بن النجار ، وكان مؤرخا من حفاظ الحديث ، ولد فى بغـداد ومات فيها بعد رحلة سبعة وعشرين عاما فى ديار العرب والاسلام وخاصة مكـة والمدينة . واسم كتابه الذى يهمنا فى موضوع اليوم « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » وهو مطبوع من عهد غير بعيد ، وهو من مراجعنا فيما ننوى اخراجه من كتاب عن تاريخ لمدينة الرسول . وتوفى ابن النجار سنة ٦٤٣ هـ . وليس كتاب ابن النجار فى تاريخ المدينة من المطولات أو الكتب الضخام ، ولكنه كتاب مختصر مرتب على ثمانية عشر بابا . ولا بد للمهتم بتاريخ هجرة الرسول عليه السلام ان يقرأ هذا الكتاب ، ففيه فوائد ولطائف جمعها المصنف من مصـادر تأريخية متعددة .

ويذكر حاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » كتابا عنوانه : « اتحاف

الزائر » (٢) ، ولا يخصص لنا موضوعه . ولكن السخاوى المؤرخ يقـول ان اتحاف الزائر هو لأبى اليمن بن عساكر ، ويدور موضوعه حول مدينة الرسول عليه السلام . وقد بحثنا فى أنباء عساكر عن كتاب بهذا العنوان فى هذا الموضوع فلم نهتد اليه . ولعل فاضلا من قراء « الوعى الاسلامى » يدلنا عليه .

وفى أخريات القرن السابع الهجرى نلتقى بمؤرخ لدار الهجـرة وتاريـخ الهجرة هو كما جاء فى السخاوى : محمد بن عبد الملك المرجانى . وقد جاء فى « كشف الظنون » أن اسمه أبو محمد عبد الله بن عبد الله المرجانى ، وأن اسم كتابه « تاريخ المدينة » ، ولكن مؤرخنا المعاصر عمر رضا كحالة صاحب « معجم المؤلفين » يذكر أن اسمه : عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد البكرى التونسى الاسكندرى المعروف بالمرجانى . ولم يذكر لنا السخاوى اسم الكتاب ، ولكن ذكر أنه حول المدينة النبوية . على أن حاجى خليفـة قد حسم القضية فذكر أن اسم كتاب المرجانى : « بهجة النفوس والأسرار ، فى تاريخ هجرة النبى المختار » . ومن هنا يتضح انه كتاب فى تاريـخ الهجرة ومـا لابسـها من احـداث ووقائع وليس كتـابا فى تـاريخ دار الهجرة ذاتها ، الا ما يقتضيه سرد حوادث هذا الحدث التاريخى العظيم ، وقد توفى المرجانى سنة ٦٩٩ هـ ودفن بتونس ، وان كان مولده بالاسكندرية من أصل تونسى . وبهذا ودع أبو عبد الله المرجانى القرون الهجرية السبعـة التى سجلت بعض التصانيف حول دار الهجرة لنستقبل القرن الثامن ..

وأول من نلقاه من مؤرخى دار الهجرة فى القرن الثامن الهجرى الرحالة المؤرخ محمد بن أحمد بن أمين الآقشهرى ، وهو من مواليد آقشهر بقونيـة ، وكانت له رحلات وجولات الى بلاد العرب ، والمغرب ، والحجاز ، حيث جاور فى مدينة الرسول عليه السلام ودار هجرته وتوفى بها سنـة ٧٣١ هـ كما جاء فى الدرر الكامنة لابن حجر ، أو سنة ٧٣٩ هـ كما جاء فى بعض المخطوطات للدرر وبعض المصادر ومنها كشف الظنون لحاجى خليفة . ويسمى السخاوى المؤرخ كتابه « الروضة » ، ويصفه بأن فيه أسماء من دفن بالبقيع ، كمـا يذكره حاجى خليفة فى باب الراء من كتابه باسم « الروضة » أيضا . ويقول — مؤرخنا ابن حجر انه جمع كتابا فيه اسماء من دفن بالبقيع سماه«الروضة» ولكن الاستاذ عمر رضا كحالة يذكر فى معجمه أن اسم هذا الكتاب : « روضة الفردوس » .

وفى القرن الثامن الهجرى أيضا نلتقى بمؤلف آخر فى تاريخ المدينـة المنورة ، هو محمد بن أحمد المطرى المتوفى سنة ٧٤١ هـ ، وهو منسوب الى بلدة المطرية بمصر ، وان كان من أهل المدينة المنورة وتولى القضاء فيها ، وكتابه فى تاريخ المدينة يحمل هذا العنوان : « التعريف بما أنست الهجرة من معالـم دار الهجرة » . ويصف المؤرخ السخاوى هذا الكتاب بأنه مفيد .

وكأن المطرى لم يشأ أن ينفرد وحـده بكتـاب فى تاريخ دار الهجـرة ومعالمها ، فاننا نجد ابنه المسمى العفيف عبد الله بن محمد بـن أحمد المطرى يلقى بدلوه فى الدلاء بين المصنفين حول دار الهجرة . فيخرج لنا كتابا عنوانه : « الاعلام ، فيمن دخل المدينة من الأعلام » .

ولا نعلم شيئا عن وجود هذا الكتاب أو مكان وجوده . ولـــكن المؤرخين يذكرونه ، كالسخاوى فى اعلانه ، وابن حجر فى الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨٥ . وقدترجم له هذافى «درره» ترجمةلابأس بها ذكر فيها أنه ابتلى بمحنةسنة٧٤٢هـ فنهبت داره وأخذ منها المال الكثير وحبس ثم أطلق . ونقل عن زين الدين بن رجب ان العفيف هذا كان حافظ وقته ، وكان حسن الأخـــلاق ، كثير العبادة ، حسن الملتقى للواردين من أهل العلم . وتوفى سنة ٧٦٥ هـ .

ونلتقى فى الفترة ذاتها بمؤرخ آخر ذكره السخاوى فى اعلانه ، وهو البدر عبد الله بن محمد بن أبى القاسم بن فرحون المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، وقد أسهم هذا المؤرخ فى التأريخ لدار الهجرة بكتابه « نصيحة المشاور ، وتعزية المجاور » وهو كما يقول السخاوى يشتمل على تراجم جماعة من أهل المدينة . وقد ترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٠ ، ولكنه لم يشر الى هـــذا الكتاب ، كما ترجم له الزركلى فى الأعلام ولم يذكر هذا الكتاب من بين مؤلفاته .

أما صاحب كتاب « الديباج المذهب » فقد ترجم له ترجمة طويلة جيدة ص ١٤٤ طبعة ابن شقرون — وعد بضعة من مؤلفاته ، ولكنه لم يذكر من بينهـــا الكتاب الذى أشار اليه السخاوى ، ولا ندرى ممن أخذ السخاوى ، معارفه ، وهل أتيح له الاطـــلاع على الكتاب أم اكتفى بالنقل عن غيره ؟

ويصادفنا فى القرن التاسع الهجرى مؤلفان كتبا فى تأريخ دار هجرة الرسول عليه السلام ، أما أولهما فهو الزين أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، وكان زين الدين هذا من أعيـــان المذهب الشافعى ، ولد بالقاهرة ، ورحل الى المدينة المنورة فاستوطنها قرابة نصـــف قرن ، وولى خطابتها وقضاءها وأمامتها بعض الحين ومات فيها . واسم كتابه : « تحقيق النصرة ، بتلخيص معالم دار الهجرة » وهو فى تأريخ المدينة المنورة . وقد أشار السخاوى الى هذا الكتاب فى اعلانه ، وتحدث عنه فى « الضوء اللامع » ج ١١ ص ٢٩ قائلا : « وعمل للمدينة تاريخا حسنا ، سماه تحقيـــق النصرة ، بتلخيص معالم دار الهجرة ، فرغ من تبييضه فى رجب سنة ست وستين وسبعمائة ، وسمع منه عليه البرهان الايناسى .. وقرأه عليه ابن الجزرى فى صفر سنةست وثمانين ، بسعيدالسعداء من القاهرة ، واثنى علىكل من المؤلف والمؤلف ، فقال : انه ملء العيون ، وشغف المسامع ، وجمع مؤلفه محاسن من تقدمه وزاد ، فلو قيل ما الفرق ، قلنا الفرق الجامع ، فهيج لى بذلك المغنى طربا ، وجدد الاشواق أربا ، وأدار على مسمعى مدامة توشحت حببا ، فقلت والقلب يقيم شوقا ويقعد أدبا :

أقول لصحبى عند رؤية « طيبة » وقد أطرب الحادى بأشرف مرسل
خليلى ! هـــذا ذكره ، ودياره قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقد طبع هذا الكتاب من زمن غير بعيد .

أما ثانى الكتابين فهو « المغانم المطابة ، فى فضائل طابة » وطابة هو اسم

من أسماءمدينة الرسول،أودار الهجرة،وهيطيبةبفتح الطاءوسكون الياءوالطيبة والمطيبة . ومؤلف المغانم هو المجد الفيروز ابادى صاحب « القاموس المحيط » و « بصائر ذوى التمييز ، فى لطائف الكتاب العزيز » وغيرهما وقد توفى المجد سنة ٨١٧ أى بعد وفاة الزين المراغى بسنة واحدة .

بقى من المصنفات القديمة حول تاريخ دار الهجرة المنورة كتاب ظهر فى القرن العاشر الهجرى لمؤلفه على بن عبد الله بن احمد السمهودى ، مـؤرخ المدينة المنورة ومفتيها . وهو من مواليد مصر بقرية سمهود بالصعيد ، ورحل الى المدينة وهو فى سن الثلاثين فاستوطنها وتوفى بها سنة ٨٧٣ هـ . واسم كتابه : « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » . وقد أشار اليه السخاوى فى « الاعلان بالتوبيخ » ولكنه لم يحسن الظن به حيث قال : « وللسيد نور الدين السمهودى فى تاريخ المدينة مؤلف مفتقر الى تحرير ونظر » وقد طبع الوفاء فى مصر سنة ١٣٧٤ هـ فى مجلدين ، ورجع اليه كل من يكتب فى زماننا عن تاريخ الرسول وهجرته ، ودار هجرته ، فأفاد منه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه المشهور : « فى منزل الوحى » ، ووقف بعض وقفات طوال أمـام رواياته ، وخاصة حـول « المربد » حيث المسجد النبوى اليوم ، وحول مسجد السقيا الذى كان السمهودى أول من كشفه فى القرن التاسع الهجرى . كما أفاد منه ورجع اليه الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف حين ألف كتابه الجيد « مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول » وهو من منشورات دار الفكر العربى بالقاهرة .

ولم لا نضيف هذا الكتـاب الأخير — أعنى كتاب مكة والمدينـة — الى سلسلة الكتب القديمة التى شاركت فى التأريخ لدار الهجرة ومدينة الرسول ، التى حظيت — وما تزال تحظى — من المؤرخين المسلمين بكل رعاية وعنايـة واهتمام ؟

على أننا لا يفوتنا هنا الاشارة الى كتاب طيب ألفه أديب سعودى معاصر هو الاستاذ أحمد عبد القدوس الأنصارى ، وعنوانه « آثار المدينة » ، ويتصل بمدينة الرسول ودار هجرته من ناحية معالمها وآثارها المقدسة . وقد رجع اليه الاستاذ صالح محمد جمال فى تحقيقه لكتاب « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » ، الذى سبقت الاشارة اليه ، والذى طبع فى مطبعة الرسالة بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .

---

(١) جاء فى كشف الظنون ، طبعة استنبول جـ ١ ص ٣٠ ان اسمه عمر بن شبية بزيادة ياء مثناة تحتية قبل الباء المفردة التحتية ، وهو خطأ .

(٢) يذكر حاجى خليفة أن اسم مؤلف (اتحاف الزائر) الشيخ الامام ابن عساكر ، ويذكر السخاوى أن اسمه أبو اليمن .

فى خيمة أم معبد

قال ابن القيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد : فى سياق حديثه عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ثم مر فى مسيره ذلك حتى مر بخيمتى أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقى من مر بها فسألاها هل عندها شىء فقالت والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى والشاء عازب وكانت سنة شهباء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هى أجهد من ذلك فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ فقالت نعم بأبى وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه ودرت فدعا بأناء لها بربض الرهط فحلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الاناء ثم غادره عندها فارتحلوا ، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالا ، فلما رأى اللبن عجب فقال من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة فى البيت ؟ فقالت : لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثهكيت وكيت ومن حاله كذا وكذا قال والله انى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه ، صفيه لى يا أم معبد . قالت : ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزريه صعلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى أشعاره وطف وفى صوته صحل وفى عنقه سطح أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر اذا صمت علاه الوقار وان تكلم علاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن ربعة لا تقحمه عين من قصر ولا تشنؤه من طول غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال أبو معبد والله هذا صاحب قريش الذى ذكروا من أمره ما ذكروا لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا واصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يرون القائل :

جزى الله رب العرش خير جزائه — رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به — وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم — به من فعال لا يجازى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم — ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها — فانكم ان تسألوا الشاة تشهد



ما هي التحديات التي تواجه العالم الإسلامي ؟

هذه محاولة لالقاء ضوء على أحوال الاسلام والمسلمين فى أوائل العقد الاخير من القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم تبق الا سـنوات قليلة حتى يبدأ القرن الخامس عشر الذى أرتجى كثير من دعاة الاسلام ومفكـريه أن يكون بدأ عصر التحرر الكامل فى مختلف مجالات الاقتصاد والفـكر والسياسة وبروز العالم الاسلامى كقوة عاملة فى سبيل بناء الحضـارة الجديدة التى تترقبها البشرية : ((حضارة التوحيد)) بعد أن بلغت حضارة الغرب المعاصرة مرحلة يمكن ان توصف بأنها مرحلة الانهيار والانحـلال بشهادة عشرات من الباحثين ، وليس هناك ما يمنع فى التاريخ أن تتجاور الحضارات وأن يبزغ نجم حضارة تعطى الانسانية ما تعجز عنه حضارة غاربة .

كذلك ظهرت الحضارة الاسلامية فى ابان افول حضـارة الرومان ، وكذلك ظهرت الحضارة الغربية ابان انحدار الحضـارة العربية ، ودورة

للأستاذ : أنور الجندي

التاريخ جارية بالحق ، وفق نواميس طبيعية وكل حضارة بلغت غايتها من القوة لا بد أن تتجه الى مرحلة الضعف حين يغلب عليها الترف والانحلال .

ومن حيث ضعفت الحضارة الاسلامية العربية تبدأ يقظتها ، وهى حضارة بناءة أخلاقية لا تفصل القيم الروحية عن القيم المادية ولكنها تجمع بينهما فى تناسق وتوازن ، أشبه بجناحى الطير الذى لا يحلق الا بهما معا ، فاذا توقف أحدهما اضطربت حركته وضعف عن التحليق .

ولقد بدأت يقظة العالم الاسلامى منذ وقت طويل ، وكان القرن الرابع عشر الهجرى هو قرن انبساط النفوذ الاستعمارى الى أوسع مداه ، وهو فى نفس الوقت قرن المقاومة والتحضير والمراجعة الواسعة لأسباب الضعف والتخلف ومحاولة بناء منهج أصيل للنهضة ، يدفعها الى الطريق الصحيح المفتوح على عودة العالم الاسلامى الى مكانه فى البشرية ودوره فى الحضارة ..

غير أن الاستعمار الغربى من خلال عشرات المؤسسات والحركات، قد حرص على استبقاء العالم الاسلامى فى مكان العاجز عن استثمار ثرواته وعن حرية حركته وتعاونه فى ظل مخطط مرسوم قوامه ابقاء السيطرة الاقتصادية والثقافية عليه ليظل دائرا فى فلك الغرب أطول وقت ممكن .

واذا كان الاحتلال العسكرى قد سحب وجوده من أعظم أجزاء العالم الاسلامى خلال هذا القرن فان النفوذ الاقتصادى والثقافى ما يزال قائما ومستمرا ، وما تزال الثروات الوطنية تتحرك ببطء فى سبيل الاستقلال ، وما تزال قضية الاقتصاد الاسلامى من أكبر المعضلات التى يرجى أن يجد لها المفكرون حلولا جذرية فى ضوء الاسلام وخاصة فى مجال التجارة والمصارف والربا والتأمين وغيره من قضايا مايزال النفوذ الغربى يفرض مفاهيمه ومخططاته على حركتها ..

فما تزال ثروات العالم الاسلامى معرضة للضياع ، دون أن تحقق الكثير لأصحابها ، ولعل ذلك يرجع أساسا الى ما يتطلع اليه المسلمون من تصحيح لمناهج التربية والتعليم والثقافة على النحو الذى يوجه العقل الاسلامى مرة أخرى الى خوض معركة العلم التكنولوجى وبناء نهضة اسلامية علمية لها مقوماتها وأهدافها العاملة لخدمة العالم الاسلامى نفسه ولا يتم ذلك الا بتعريب العلوم على النحو الذى عربت به العلوم فى القرن

الرابع الهجرى . فليس ما يجرى الان من تحويل أبناء المسلمين والعرب الى علماء فى داخل الفكر الغربى نفسه ومن واقع لغاته وعلومه بالطريق الصحيح أو الطريق الموصل الى قيام المؤسسة العلمية العربية الاسلامية التى لن تقوم الا بترجمة كل مراجع العلوم الى اللغة العربية وخلق حضانة عربية كاملة للعلوم الحديثة فى نطاق اللغة العربية ، وعندما يتم ذلك على نحو كامل يمكن أن يقال إن نواة الحضارة الاسلامية الجديدة من جانبها العلمى تكون قد أعدت ، فاذا أضيف اليها قيم الاسلام العقائدية والاخلاقية ومنهجه الاجتماعى والاقتصادى والقانونى ، تكامل جناحا الحضارة وبدأت تحلق لتقيم حضارة العصر الاسلامية التى يرتبط فيها العلم بالخلق ، والتى تستهدف أسعاد البشرية بعيدا عن أخطار الحضارة الغربية : « الذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » .

فالحضارة الاسلامية هى التى علمت الانسانية ارتباط العلم بالخلق، وارتباط الدنيا بالآخرة ، وارتباط الروح بالمادة ، وهى التى حررت الانسان من أخطار الانانية والظلم والتفرقة الجنسية ، وهى التى بنت الشخصية الانسانية السليمة المتحررة من الترف والفساد والانحلال ..

فبناء العلم العربى قاعدة أساسية من قواعد بناء النهضة الاسلامية العربية لا معدى عنها ، و لاسبيل لها بغير بناء هذه القاعدة ، عن طريق اعداد مناهج للتربية والتعليم والثقافة تكون « قيم الاسلام » ركنها الركين، ذلك أن الأزمة الحقيقية التى تواجه العالم الاسلامى هى أزمة الغزو الثقافى أو ما أطلق عليه الغربيون عبارة « التغريب » وهى أزمة قد استحكمت وامتدت جذورها فى تربة الفكر الاسلامى بما أدخلت اليه من شبهات وما حرفت من مفاهيم وما حاولت تغييره من قيم تستهدف عزل المسلمين عن قيمهم الأساسية المستمدة من القرآن والسنة النبوية الصحيحة ، والتى يعد « التوحيد » قاعدتها المثلى ، وذلك بتسريب قيم من الثقافات الغربية الوثنية التى تتنافى فى أصولها مع قاعدة التوحيد وخاصة فى مجال القانون والتربية والاقتصاد والفنون .

وقد بدأت محاولة « التغريب » منذ اليوم الاول للاستعمار وتمثلت فى السيطرة على التعليم والصحافة والثقافة واستحصدت من خلال معاهد الارساليات ومؤسسات التبشير ومراكز الاستشراق ، واتخذت سبيلها من خلال دعوات الماسونية والبهائية والروحية الحديثة ومن خلال مذاهب ماركس وفرويد وديوى ودوركايم ووليم جيمس فى الاقتصاد والنفس والتربية والاجتماع .

هذه الدعوات والمذاهب التى حاول التغريب مؤيدا بالنفوذ الغربى بثها وحضانتها واغراء المثقفين بها .

ومن نتائج استشراء هذه المذاهب ضعفت القيم الاساسية للفكر الاسلامى والثقافات المستمدة منه وفى مقدمتها الثقافة العربية فقد أصابها الاضطراب فى فهم مفهوم المجتمع وحل قضية المرأة ، وفى تصور العلاقة بين الحضارة والثقافة ، وفى اضطراب الرابطة بين العروبة والاسلام وفى استعلاء النظرة المادية وفى تأخر مناهج الشريعة الاسلامية وفى تحرير قضايا اللغة الفصحى والعامية والاخلاق والمجتمع ، والفرد والجماعة ، والعلاقة بين الفلسفة والعلم وبين العلم والدين ، وبين الثقافة والمعرفة .

بل لقد حاولت مخططات التغريب أن تسيء تصوير دورنا فى الحضارة البشرية ، وان تنكر العمل الايجابى الضخم الذى قام به المسلمون والعرب حين قدموا للانسانية « منهج المعرفة القائم على ترابط العقل والوجدان » والمنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه التكنولوجيا العصرية

* * *

وقد جرت محاولات التغريب عن طريق مناهج التعليم ومفاهيم الثقافة وكتابات الصحافة الى تصوير الاسلام بصورة الدين اللاهوتى الذى يقصر أمره على العلاقة بين الله والانسان ، وتجاهلت وحاربت بعنف ، الصورة الصحيحة للاسلام والمفهوم الاساسى له والقائم على أنه « دين ومجتمع ومنهج حياة » يتكامل ولا ينفصل . فاذا عجز المسلمون والعرب عن الاقتناع بهذا المفهوم والايمان به فان نهضتهم ستظل عاجزة عن أن تحقق هدفها فى بناء الحضارة الاسلامية الجديدة التى تتطلع اليها الانسانية .

ذلك لأن منطلق النظرة المادية الغربية التى تقوم عليها مذاهب فرويد وسارتر وديوى وغيره هو الانفصال الكامل بين الاديان وبين علاقات المجتمع ، وتحرر هذه العلاقات من الجزاء الأخروى ، فاذا ثبت فى أذهان المسلمين « وهو هدف رئيسى للتغريب » ان الدين علاقة بين الله والفرد ، وحجب عنهم علاقته بالمجتمع وقيامه على المسئولية الفردية ذات الجزاء الأخروى ، فقد انصهروا فى الفكر الغربى والحضارة الغربية ولم يعد للتحلل الخلقى أو الانفصال بين العقل والروح أى قيمة فى نظرهم ، ومن هنا يكون العالم الاسلامى بكيانه وفكره قد القى نفسه فى بوتقة العالمية والأممية الغربية القائمة على مفاهيم المادية والعلمانية المستمدة أصولها من الوثنية الأغريقية .

وما تزال هذه المفاهيم المستمدة من الفلسفات الوثنية سواء الافريقية أم الهندية القديمة ام الفارسية المجوسية تظلل الكثير من القيم الاسلامية التوحيدية وتحجب طابعها الحقيقى خاصة فى مجال التصوف والأخلاق والتاريخ والتربية ، وتمثل انحرافات خطيرة تؤخر النهضة الاسلامية وتحول بينها وبين تحقيق هدفها .

ذلك ان للاسلام ومنهجه الفكرى أيدلوجية لها طابعها الذاتى ولها مقوماتها المفردة ، ولها مزاجها النفسى والاجتماعى الخالص الذى لا يختلط ولا يضطرب بأى ايدلوجيات أخرى والذى يهدف أساسا تحرير الانسانية والانسان من الوثنية والقيود والاغلال التى فرضتها الحضارات الرومانية والاستعمار الغربى والتى استمدتها من فلسفة أرسطو وفلسفة افلاطون حول تقسيم المجتمعات الى سادة وعبيد ، ذلك أن الاسلام حين جاء انما أراد أن يعيد للانسان اعتباره فى المساواة والعدل والاخاء حيث لا سيادة لأبيض على أسود ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، وحيث جعل تمايز الناس بالعمل والتقوى وليس بالعناصر والألوان والأمم .

واذا كانت أكبر معضلات المجتمع العالمى المعاصر تتمثل فى دعوته الى مطالب ثلاث هى :

(١) العدل الاجتماعى (٢) رفع قيد التفرقة العنصرية (٣) الشورى « الديمقراطية » فان حلول هذه المعضلات موجودة فى الاسلام ، وفى قدرة

الحضارة الاسلامية المقبلة أن تقدمه للبشرية ، شريطــــة أن تستكمل وجودها بفرض ذاتيتها ، والاستمداد من جوهرها ، والتماس مصـــادرها الاصيلة والتحرر من القيود التى فرضها النفوذ الاستعمارى والغـــزو التغريبى الثقافى عليها .

لقد آن للعالم الاسلامى والأمة العربية فى مقدمته حاملة لواء اليقظة أن تتحرر من التبعية للنظريات الغربية والقيم الغربية وان تحرر الفكـر الاسلامى بالتماس منابعه وأن يكون القرآن مصدرا هاديا اساسيا للقانون والأدب والفكر جميعا ، وان يحمل المصلحون لواء تحرير المفاهيم من الافكار الزائفة والعقائد المنحرفة ، وأن يصححوا ما دسته الشعوبية والاستعمار والاباحية فى تاريخ الاسلام وفكره من سموم وأخطاء .

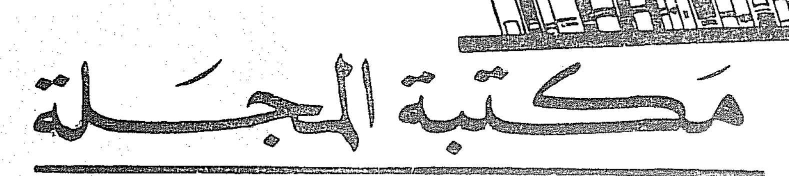
* * *

هذا ولا نستطيع أن نتجاوز الحديث عن أخطار التغريب دون أن نذكر تحديات القوى الاستعمارية العالمية وواجهته اسرائيل التى اتخذت رأس جسر فى فلسطين منذ اكثر من عشرين عاما والتى استطاعت ان تمـزق وحدة الامة العربية والعالم الاسلامى باقامة مرتكز لها عام ١٩٤٩ ، ثم استطاعت عام ١٩٦٧ أن تسيطر على القدس فضـــلا عن توسعاتها فى صحراء سيناء والجولان والضفة الغربية للاردن .

وما تزال الصهيونية العالمية وواجهتها اسرائيل تمثل أخطر نقـــاط النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى من خلال مطامعها فى التوســـع والسيطرة .

وقد ادخلت هذه « النكبة » الامة العربية فى « أزمة » من أخطـــر أزمات تاريخ العالم الاسلامى والتى تمثلت فى الحروب الصليبية وحملات التتار وغزو الفرنجة لاسبانيا الاسلامية وللمغرب العربى . وتمثل حركة الصهيونية العالمية مرحلة جديدة من مراحل النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى ، من حيث مطامع هذه الحركة التى صورتها بروتوكولات صهيون والطامعة فى السيطرة على الحضارة العالمية والشعوب والأديان ،والتى تعمل مؤسسات الماسونية والبهائية ودعوات التغريب وحملات التشكيك ومذاهب العرى والاباحة والهيبيز وموجات الجنس التى تحملها الأفـــلام السينمائية والمسرحيات ، تعمل على تمهيد الطريق لأخطر مؤامرة تواجه البشرية ، من حيث محاولة السيطرة على العالم والحضارات بعـــد أن وصلت الى قدر كبير من احتواء المذاهب والفلسفات وتيارات الحضــــارة ومؤسسات العلوم والذرة والتكنولوجيا .

غير أن يقظة الامة العربية « بحسبانها قلب العالم الاسلامى وأكبر أهداف السيطرة الاستعمارية » الى هذه المخططات وكشفها لهذه المؤامرات وتعرية هذه الدوافع ، وتحرير الفكر العربى الاسلامى ، من مخططـــات التبشير والتغريب والشعوبية وتصحيح مفاهيمه وتحريره والتمـــاس منابعه وأصوله ، من شأن هذا كله أن يحطم أهداف القوى الاستعمارية ومخططات الصهيونية العالمية ، ومن هنا تعلو كلمة « الحق » التى يشرق من خلالها ضياء فجر جديد للانسانية وتبزغ فى نوره الحضارة الاسلامية الجديدة هدى للبشرية وسلاما وأمنا للعالمين .



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

تعريف عـــام بالاســـلام

من تأليف الأستاذ على الطنطاوى وهو كتاب جديد يعرف الاسلام باسلوب سهل بدليل قوى وواقعية صادقة .

ولكى نعطى الكتاب حقه من التقدير العلمى ، ونعرف قيمته فى حقل الدعوة الى الاسلام ينبغى أن نعرف ان المؤلف وهو من كبار الدعاة واعلام الأدباء والمربين يعتبره أملا من آماله كان يراوده خلال أربعين عاما حتى بدأ بتحقيقه فكان هذا الكتاب .

وهذا الكتاب ضرورى لمن يجهل الاسلام ، وللمترددين أو الشاكين ، فهو يزيـل شكوكهم بلا تعسف ويوضح أسس الاسلام ومبادءه بلا تعقيد ، ويغنى عن عديد من الكتب فى هـذا الباب ، وهو يقع فى ٢٢٥ صفحة ، ومن منشورات مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ص ب ٤٤٧٩ بيروت — لبنان

ملحمـــة عمـــر

لأديب العروبة والاسلام الاستاذ المرحوم على أحمد باكثير وهى الملحمة التى تتناول سيرة ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتفرغ الكاتب لكتابتها سنتين قبل وفاته ، وقد صدرت طبعتها الأولى فى ثمانية عشر جزءا هى على التوالى — على أســـوار دمشق ، معركـــة الجسر ، كسرى وقيصر ، أبطال اليرموك ، تراب من أرض فارس ، رستم ، أبطـــال القادسية ، مقاليد بيت المقدس ، صلاة فى الايوان ، مكيدة من هرقل ، عمر وخالـــد ، سر المقوقس ، عـــام الرمادة ، حديث الهرمزان ، شطا وارمانوسة ، الولاة والرعية ، القـــوى الأمين ، غروب الشمس

وهذه الملحمة صيغت فى قالب مسرحى ، وتقع فى حوالى ٢٢٠٠ صفحة ، وطبعت فى مطابع دار البيان ص ب ٢٠١٧ الكويت .

العالم الاسلامى ... والاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى

قصة الاستعمار مع الاسلام والمسلمين فى هذا العصر قصة عجيبة تمتلىء بالدروس والعبر ، وتحفل بكل الوسائل والحيل التى أصطنعها الاستعمار للاستيلاء على أرض المسلمين ومقـــدراتهم الفكرية والثقافيـــة .

وللأسف الشديد فان هذه القصة ما زالت تعانى فراغا فى المكتبة العربية بينما كتاب الغرب قد نشطوا من زمن طويل للدراسات المتخصصة حـــول الاسلام وشئون المسلمين .

وكتاب الأستاذ أنور الجنـــدى « العالم الاسلامى والاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى » يملأ فراغا كبيرا فى هذه الناحية ، وقد تعرض فيه الأستاذ الجنـــدى الى مختلف احابيل الاستعمار وطرقه فى السيطرة على المسلمين ، وتغيير مجرى ثقافتهم وتغريب حياتهم الاجتماعية فى أسلوب سهل وعرض أمين ، والكتاب يقع فى ٤٩٩ صحيفة من القطع الكبير ، وقامت بنشره دار المعرفة بالقاهرة .

عبد العزيز الرشـــيد

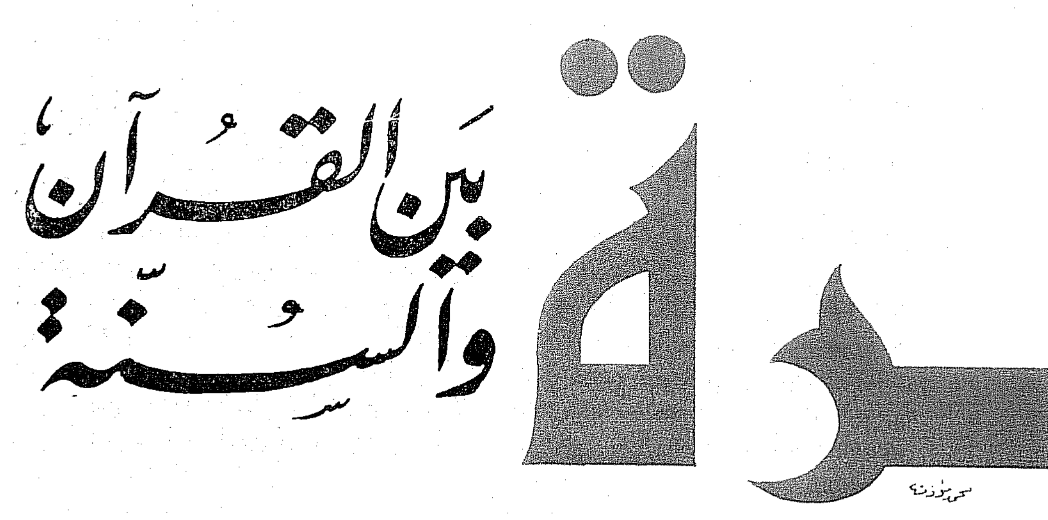
ترجمة لمصلح كبير وعالم جليل برز فى الكويت فى أواخر القرن الماضى ومطلـــع هـــذا القـــرن وامتد أثره الى العالمين العربى والاسلامى وهو المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد . وقد لخص مؤلف الكتاب الأستاذ يعقوب العودات (البدوى الملثم) حياة المترجم لـــه أحسن تلخيص ، وجاء الكتاب دالا بايجاز على تاريخ الكويت الحديث ، وعلى صورة الفترة التى عاشها .

وقد اعتمد المؤلف فيما كتب على علمه الخاص ، وعلى دراسته للمؤلفات العديدة التى أصدرها المترجم له ، والشعر الذى خلفه ، والمقالات التى حررها ، وجاء ذلك كله فى سرد مسلسل وأسلوب أدبى تاريخى . والكتاب يحتوى على ٧٠ صفحة ومن طبع دار المعارف بمصر .


للدكتور
أحمد الشرباصي
٧٨

جاء فى « معجم مقاييس اللغة » ، أن مادة « هجر » لها أصلان ، أحدهما يدل على قطع أو قطيعة ، والآخر يدل على شد شيء أو ربطه ، وهاجر القوم من دار الى دار : تركوا الأولى للثانية ، واذا كانت الهجرة فى الأصل مشتقة من الهجر ، وهو ضد الوصل ، فان الكلمة قد غلبت على الخروج من أرض الى أرض ، والمهاجر — بفتح الجيم — هو موضع الهجرة ، والتهجير : التبكير الى الشيء ، وفى الحديث : « لو يعلم الناس ما فى التهجير لاستبقوا اليه » والهجر — بضم فسكون — هو الفحش فى الكلام .

هذا بعض حديث اللغة عن مادة « الهجرة » فما حديث القرآن الكريم عنهـا ؟



لقد وردت هذه المادة فى التنزيل المجيد فى ثلاثين موضعا ، وقد وردت بمعنى الترك والبعد والقطع فى قوله تعالى فى سورة المدثر : « والرجز فاهجر » وفى سورة مريم : « لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » وفى سورة المزمل : « واصبر على ما يقـولون واهجرهم هجرا جميلا » ، وفى سـورة النساء : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع » وفى سورة الفرقان : « وقال الرسـول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا .. »

وجاءت المادة فى موضع واحد بمعنى الهذيان والقول الفاحش ، فذلك فى « سورة المؤمنون » : « مستكبرين به سامرا تهجرون » أى تهـذون بالطعن فى الآيـات .

ولكن الأغلب فى استعمال القرآن الكريم لمادة الهجرة هو أن يراد بها معنى الارتحال والانتقال من مكان الى مكان ، أو من بلد الى بلد ، فرارا من ضلال أو أذى ، وطلبا لموطن سكينة وطمأنينة ، وهذه الهجرة هى التى نوه بها القرآن ودعا اليها ، وزكى سيرتها ، ومدح أهلها ، وذم المتقاعسين عنها بعد لزومها ووجوبها ، ففى سورة النساء نجد هذه الآيات :

« ان الذين توفـاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قـالوا فيم كنتم قالـوا كنـا

مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا . ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما .. » .

وهذه الآيات تجلو لنا عدة أمور منها :

١ ــ الاسلام يطالب بالهجرة عند التعرض للذل ، أو تعرض العقيدة للضياع .

٢ ــ من يقدر على الهجرة عند وجوبها ولا يهاجر يعرض نفسه للعذاب الالهى الأليم .

٣ ــ العاجزون عن الهجرة لضعف أو قلة حيلة أو مانع قهرى ، يعفو الله عنهم ولا يؤاخذهم .

٤ ــ أرض الله تعالى رحيبة فسيحة ، فيها متسع لمن ضاق به جانب من جوانبها أو طغى عليه .

٥ ــ الهجرة لله كالجهاد فى سبيله ، فمن مات وهو على طريقها ضمن له ربه أجر المجاهدين .

وما دام للهجرة فى سبيل الله تعالى هذه المكانة فلا غرابة أن يعطر القرآن الحكيم حديثها وأن يكرر ذكرها وأن يمجد أهلها ، فنجد فى سورة البقرة : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » . وفى سورة آل عمران : « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب . » وفى سورة التوبة : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » ، وفى سورة النحل : « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » وفى السورة نفسها : « ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » وفى سورة الحج : « والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين . ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ..

* * * * * *

وقد فهمنا من آية النساء التى سبقت ، وهى قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن الأرض واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » . ان الممتنع عن الهجرة المطلوبة مع القدرة عليها يكون آثما لأن الهجرة حينئذ تكون واجبة مفروضة ، وقد قال الامام مالك بوجوبها .

وحينما تعرض جار الله الزمخشرى لتفسير الآية قال فيما قال : « وهذا

دليل على أن الرجل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من اقامة أمر دينه كما يجب ، لبعض الأسباب — والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر — أو علم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة ، حقت عليه المهاجرة ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « من فر بدينه من أرض الى أرض — وان كان شبرا من الأرض — استوجبت له الجنة ، وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد » عليهما الصلاة والسلام (١) « اللهم ان كنت تعلم أن هجرتى اليك لم تكن الا للفرار بدينى ، فاجعلها سببا فى خاتمة الخير ، ودرك المرجو من فضلك ، والمبتغى من رحمتك ، وصل جوارى لك بعكوفى عند بيتك بجوارك فى دار الكرامة ، يا واسع المغفرة » .

واذا كانت الهجرة تقع فرارا من شيء ، أو طلبا لشيء ، فان كلا منهما أقسام ، فهجرة الفرار من شيء — كما ذكر ابن العربى — ستة أقسام :

الأول : الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام ، وقد كانت فرضا فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه الهجرة مفروضة باقية الى يوم القيامة ، والتى انقطعت بفتح مكة هى القصد الى النبى حيثما كان .

الثانى : الخروج من أرض البدعة ، كأن يكون فيها من يسبون السلف أو يأتون المنكر ، لقول الله تعالى فى سورة الأنعام : « واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

الثالث : الخروج من أرض يغلب عليها الحرام ، لأن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

الرابع : الفرار من الأذية فى البدن ، وهذه رخصة من فضل الله تعالى ، وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام فانه لما خاف من قومه قال : « انى مهاجر الى ربى » وقال : « انى ذاهب الى ربى سيهدين » وقال القرآن عن موسى : « فخرج منها خائفا يترقب » .

الخامس : الخروج لخوف المرض فى البلاد الوخمة ، والانتقال الى الأرض الطيبة .

السادس : الفرار خوف الأذية فى المال ، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله وأوكد .

والخروج لطلب الشيء قسمان : طلب دين ، وطلب دنيا ، وطلب الدين يتعدد بتعدد أنواعه ، فقد يكون سفرا للعبرة ، لقوله تعالى : « أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » ، وقد يكون سفرا للحج وهو فرض على من استطاع اليه سبيلا ، وقد يكون الخروج للجهاد وهذا له أحكامه المقررة ، فقد يكون فرض كفاية وقد يكون فرض عين ، وقد يكون السفر لطلب الضرورى من أمور المعاش وهذا مفروض عليه شرعا ، ويجوز السفر لهذا الغرض اذا كان يريد التجارة وكسب الزائد عن القوت ، لقوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » . وقد يكون الخروج لطلب العلم ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ، وقد يكون الخروج بنية العبادة فى أماكن نص عليها الشارع ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ، ومسجدى بالمدينة ، والمسجد الأقصى » ، وقد يكون الخروج للمرابطة فى الثغور ، وقد يكون لزيارة الأخوة فى الله بنية الحب فى الله .

وأما الخروج لطلب الدنيا فأنواعه كثيرة تختلف باختلاف مقاصد العباد وتنوع البلاد .

ولقد أورد « تفسير المنار » رأى الامام محمد عبده فى الهجرة بعد أن ذكر خلاف الفقهاء فى وجوبها وبقائه أو عدم بقائه ، ونص على أن المالكية يقولون بالوجوب ، ثم قال : « ولا معنى عندى للخلاف فى وجوب الهجرة من الأرض التى يمنع فيها المؤمن من العمل بدينه ، أو يؤذى فيه ايذاء لا يقدر على احتماله وأما المقيم فى دار الكافرين ، ولكنه لا يمنع ولا يؤذى اذا هو عمل بدينه ، بل يمكنه أن يقيم جميع أحكامه بلا نكير ، فلا يجب عليه أن يهاجر ، وذلك كالمسلمين فى بلاد الانكليز لهـذا العهد ، بل ربما كانت الاقامة فى دار الكفر سببا لظهور محاسن الاسلام واقبال الناس عليه » .

★ ★ ★

واذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن الهجرة مصرحا بمادتها فى عدة مواطن منه ، فانه قد تحدث عنها فى مواطن أخرى بمادة « الاخراج » فقال فى سورة البقرة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله » وقال فى سورة التوبة : « ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسـول » وقال فى سورة محمد : « وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » وقال فى سـورة الممتحنة : « يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقـد كفروا بما جاءكم مـن الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهـادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى » وفى سورة الأنفال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وليس المراد من اخراج المشركين للرسول والمؤمنين المهاجرين من ديارهم بغير حق ، ان المشركين تولوا طـردهم واخراجهم بالفعـل ، مجتمعين أو متفرقين ، فان كثيرا من المهاجرين قد خرج مستخفيا ، كمـا خرج النبى عليه الصلاة والسلام مع صاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وانما المراد أنهم كانوا سببا فى هجرة هؤلاء المؤمنين بالكفران الذى كان من المشركين وعنادهم واضطهادهم للمؤمنين وايذائهم للمستضعفين منهم .

ولا شك أن أفضل أنواع الهجرة التى تحدث عنها القرآن الكريم هى هجرة سيد البشرية وامام الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ولقد تجلت فى حـادث الهجرة عناية الله تعالى برسوله وحفظه له ، وحسبنا أن نسمع فى ذلك قول الحق جل جلاله : « ألا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السـفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

لو عرفنا الظرف الدقيق الحرج الذى كانت عنده الهجـرة لأدركنا مبلـغ عناية الله بنبيه ، ولرأينا مبلـغ المكر الأثيم الذى أراده المشركون برسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فقد روى ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفاسيرهم ، وأبو نعيم والبيهقى فى دلائل النبوة عن ابن عباس رضى

الله عنه ، روايات منها هذه الرواية التى نقلها السيوطى فى « الدر المنثور » عن ابن عباس قال : « ان نفرا من قريش ، ومن اشراف كل قبيلة ، اجتمعـوا ليدخلوا دار الندوة ، واعترضهم ابليس فى صـورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمعت بما اجتمعتم له ، فأردت أن احضركم ، ولن يعدمكم منى رأى ونصح . قالوا : أجل فادخل ، فدخل معهم فقال : ـ انظروا فى شأن هذا الرجل ، فوالله ليوشكن أن يواثبكم فى أمركم بأمره ، فقال قائل : احبسوه فى وثائق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير ونابغة ، فانما هو كأحدهم .

فقال عدو الله الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله ليخرجن رائد من محبسه لأصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ، ثم يمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ، فانظر فى غير هذا الـرأى .

فقال قائل : فأخرجوه من بين أظهركم فاستريحوا منه ، فانه اذا خرج لم يضركم ما صنع وأين وقـع ، واذا غـاب عنكم أذاه استرحتم منـه ، فانه اذا خرج لم يضركم ما صنع ، وكان أمره فى غيركم .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، الم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذه للقلوب بما تسـمع من حديثـه ، والله لئن فعلتـم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليه ، ثم ليسيرن ، اليكم حتى يخركم من بـلادكم ويقتل أشرافكم .

قالوا : صدق والله ، فانظروا رأيا غير هـذا .

فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأى لا رأى غيره .

قالوا : ما هـذا ؟

قال : نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهدا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ، ثم يضربونه به ضربة رجل واحد ، فاذا قتلتموه تفرق دمـه فى القبائل كلها ، فلا أظن هـذا الحى من بنى هاشم يقـدرون على حرب قريش كلهم ، وانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل (الدية) واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه .

فقال الشيخ النجدى : هـذا والله هو الرأى ، القـول ما قال الفتى لا أرى غيره .

وتفرقوا على ذلك وهم مجتمعون له ، فأتى جبريل عليـه السـلام النبى صلى الله عليه وسلم فأمره الا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم ، فلم يبت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فى بيته تلـك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك فى الخروج ، وأمرهم بالهجرة ، وافترض عليهم القتال ، فأنزل الله : « واذ يمكر بك الذين كفـروا ليثبتوك أو يقتلـوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

ومن الملامح التى نلحظها فى حديث القرآن عن الهجرة أنه يقرنها بالايمان فى كثير من المواطن ، وكأنه يشير بذلك الى أن الهجرة ثمرة من ثمرات الايمان ، لأن من آمن بالله واستجاب لـه ، يخرج مهاجرا فى سبيل ربـه اذا رأى أن فى هـذه الهجرة نصرا لدينه أو حماية لعقيدته ، ولذلك نجد القرآن فى سورة البقرة يقول : « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئـك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم) . ويقول فى سورة التوبة « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سـبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجـة عند الله

واولئك هم الفائزون » وفى سورة الممتحنة « يا أيهـا الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهم فان علمتوهن مؤمنـات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

وأحيانا يشير القرآن الكريم الى الايمان المطلوب مـع الهجرة ، فيذكره بغير لفظه كما اذا وصف الهجرة بأنها فى الله أو فى سبيـل الله ، لأن ذلـك يقتضى الايمان ، ففى سورة النساء : « ومن يهاجر فى سبيل الله » وفى سورة النحل « والذين هاجروا فى الله » وفى سورة الحج « والذين هاجروا فى سبيل الله » ... وفى سورة النور « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسـعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله » وفى سـورة العنكبـوت « فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم » .

ولأن الهجرة تستلزم الايمان جاء فى حديث عمر رضى الله عنه ــ كما فى النهاية ــ أنه قال : « هاجروا ولا تهجروا » أى أخلصوا الهجرة لله تعـالى ، ولا تتشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم أو ايمان عندكم .

والقرآن يرينا مـدى الارتباط بين الايمان والهجرة ، حين يحدثنا فى أواخر سورة الأنفال عن أقسام المؤمنين الموجودين على عهد الرسول صـلى الله عليه وسلم ، فيشير الى أنهم أربعة أصناف :

الصنف الأول : صنف المؤمنين المهاجرين المجاهدين ، وهم الذين هاجروا من مكة الى المدينة قبل غـزوة بدر ، وهؤلاء هم أفضل الأصناف .

الصنف الثانى : هم الأنصار الذين آووا المهـاجرين ونصروهم ، وهـذا الصنف يرتبط بالصنف السابق برابطة التعاون والتناصر وتبادل الولايـة فيمـا بينهم ، فكل مناصر لأخيه ، فهم يتشاركون ويتكافلون .

الصنف الثالث : صنف المسلمين الذين لم يهاجروا ، بل ظلوا باختيارهم بين المشركين فى دار الحرب ، وهؤلاء لا يثبت لهم شىء من ولايـة المسلمين المستقرين فى دار الاسلام ، اللهم الا اذا كان هناك اضطهاد لهم بسـبب دينهم من المشركين .

الصنف الرابع : هم الذين تأخر ايمانهم وهجرتهم عن الهجرة الأولى ، وهذا الصنف يلحق بمن سبقه من المهاجرين والانصار .

يقول الله تعالى فى تلك الأصناف :

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل اللـه . والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجـروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجـروا . وان استنصروكم فى الدين فعليكـم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصيـر . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير . والذين آمنـوا وهاجروا وجاهـدوا فى سبيل الله والـذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معـكم فأولئك منكم والوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتـاب الله ان الله بـكل شىء عليم » .

ويقرب من هـذا ما ذكره الله تعالى فى سورة الحشر ، حيث يقول عن طوائف من المؤمنين السابقين واللاحقين : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ،

ولا يجــدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولـــو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئـــك هم المفلحـــون . والـــذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمـــان ولا تجعـــل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . »

هذا بعض حديث الهجرة فى القرآن الكريم .

ثم يأتى حديث الهجرة فى السنة المطهرة :ـــ

لعل أول ما يشد أفكارنا وأبصارنا هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى اللـــه ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ماهاجر اليه » .

فهذا الحديث صريح فى الدلالة على أن الهجرة الشرعية المحمودة عند الله تعالى هى الهجرة الخاصة القائمة على الايمان وصدق الاستجابة لله وللرسول ، وكأن هذا تأكيد لما لمحناه من قرن التنزيل المجيد بالايمان فى مواطن كثيرة .

ولقد تعرض شبهة التعارض بين قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهـــاد ونية » وقوله فى حديث آخر « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » ولكن ابن الأثـــير يجمع بين الحـــديثين بقوله : « الهجرة هجرتان : احداهما التى وعد الله عليها الجنـــة فى قوله « ان اللـــه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فكان الرجل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدع أهله وماله لا يرجع فى شىء منه ، وينقطع بنفسه الى مهاجرة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يموت الرجل بالأرض التى هاجر منها ، فمن ثم قال : « لكن البائس سعد بن خولة » يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة وقـــال حين قدم مكة « اللهم لا تجعل منايانا بها » فلما فتحت مكة صارت دار سلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة .

والهجرة الثانية : من هاجر من الأعراب وغزا مع المســـلمين ، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر ، وليس بداخـــل فى فضل من هاجر تلك الهجرة ، وهو المراد بقوله : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » .

فهذا وجه الجمع بين الحديثين ، واذا أطلق فى الحديث ذكر الهجرتين فانما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة .

ويظهر لنا من السنة كذلك أن التوجيه الالهى الى الهجرة كان سابقا على تنفيذها بمدة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنـــام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل ، فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر ، فاذا هى المدينة « يثرب » واليمامـــة هنا مدينة من اليمـــن على مرحلتين من الطائف ، وهجر بلد من البحرين ، كان فيها مساكن عبد القيس .

وقال النبى فى حـــديث آخر : « انى أريت دار هجرتـــكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان » فهاجـــر من هاجر الى المدينة ، وعاد المهاجرون الى الحبشة منها الى المدينة « والحرة » هى الحجارة ذات اللون الأسود واذا كانت الهجرة من مكة الى المدينة ، ذات شأن وجلال ، فان السنة المطهرة تحدثنا بأن هناك هجرة أخرى ذات شأن وجلال ، فقد جاء فى الصحيحين عن أبى موسى رضى الله عنه قال :

بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين اليه ، أنا واخوان لى ، أنا أصغرهما ، أحدهما أبو بردة ، والآخر أبو رهم ، فى بضع وخمسين رجلا من قومى ، فركبنا سفينة ، فألقتنا الى النجاشى

بالحبشة ، فوجدنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : ان النبى صلى الله عليه وسلم بعثنا ههنا ، وأمرنا بالاقامة ، فأقيموا معنا .

فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا ، فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا ، الا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم ، فقال بعض النساس لنا : نحن سبقناكم بالهجرة .

فدخلت أسماء بنت عميس ، على حفصة رضى الله عنها تزورها ، فدخل عمر عليهما فقال : من هذه ؟ فقالت : أسماء بنت عميس . فقال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم . فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، فنحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم .

فغضبت وقالت : كذبت ياعمر ، كلا والله ، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا فى أرض البعداء البغضاء فى الحبشة ، وذلك فى الله وفى رسوله ، وايم الله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ماقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك .

فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم قالت : يا نبى الله ، ان عمر قال كذا وكذا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأحق بى منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان .

قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوننى ارسالا ، يسألوننى عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت : فكان أبو موسى يستعيد هذا الحديث منى .

وبعد ، فاذا كان هناك خلاف فى فرضية الهجرة الحسية من مكان الى مكان على توالى الزمان ، فانه لا خلاف هناك على الهجرة المعنوية الروحية فانها واجبة على المؤمن دائما ، وهجرة الروح هى أن يولى الانسان وجهه وقلبه دائما الى طاعة ربه واتباع رسوله ، ولذلك يقول الامام ابن القيم فى كتابه « طريق الهجرتين » ان المسلم له فى كل وقت هجرتان : هجرة الى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والانابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء ، والاقبال عليه ، وصدق اللجوء والافتقار فى كل نفس اليه وهجرة الى رسوله ، فى حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ، بحيث تكون موافقة لشرعه الذى هو تفصيل محاب الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحد دينا سواه ، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زادا لمعاد .

وقد قال شيخ الطريقة وامام الطائفة الجنيد بن محمد قدس الله روحه : الطرق كلها مسدودة الا طريق من اقتفى آثار النبى صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل يقول : « وعزتى وجلالى ، لو أتونى من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك » ...

صلاة وسلاما على صاحب الهجرة رحمة الله للعالمين .

---

(١) استشهد الزمخشرى بهذا الحديث ، وقد علق عليه ابن حجر العسقلانى بقوله : أخرجه الثعلبى فى تفسير العنكبوت ، من رواية عباد بن منصور الناجى عن الحسن مرسلا .

تقرير مفـزع عن التدخين

اذاعت كلية الأطباء الملكية البريطانية تقريرا من ١٥٠ صفحة عن أضرار التدخين قالت فيه ان ٢٧٥٠٠ بريطانى تتراوح اعمارهم بين ٣٤ و ٦٥ يموتون سنويا نتيجة تدخين السجائر الذى اصبح من العوامل الكبرى للفتك بالأرواح ، تماما كما كـان حال مرض التيفود والكوليرا والسل خـلال الأجيال السابقة .

وحذرت الكلية من أنه اذا استمر الحال على ما هـو عليه ، فان أكثر من ١٥٥ الف بريطانى سيموتون سنويا بسرطان الرئة خـلال الثمانينات .

واكدت هذه الكلية الشهيرة أن ٩٠ فى المائة من حالات الوفاة بسرطـان الرئـة تحدث نتيجة التدخين . وأن مدخنى السجائر اكثر عرضة للوفاة فى الأعمار المتوسطة بنسبة الضعف عن غيـر المدخنين ، كما أن شخصين من كل خمسة مدخنين يموتون قبل أن يبلغوا الخامسة والستين مـن اعمارهم

وذكر التقرير ايضا أن من بين الأسباب الرئيسية لحدوث الوفـاة بين المدخنين الاصابـة بسرطـان الرئة والنزلات الشعبية المزمنة . وتليف الكبد . والسل وامراض الشريـان التاجى والذبحة الصدرية ، وانتفاخ الرئة ، وسرطان الفم والبلعوم والحنجرة والمثانة والبنكرياس . يضاف الى ذلك ان الأطفال الذين تلدهن نساء يدخن السجائر يولدون اقل فى الوزن الطبيعى بما يتراوح بين ١٥٠ الى ٢٤٠ جراما ، كما ان هؤلاء الأمهات اكثر عرضة « للسقط » والولادة قبل الاوان .

واوصى التقرير بمنع جميع اعلانات السجائر ومنح جوائز مجزية لغير المدخنين عن طريق شركات التامين والزام الشركات المنتجة بوضع تحذير من التدخين على علب السجائر كما يحدث حاليا فى الولايات المتحدة الاميركية .

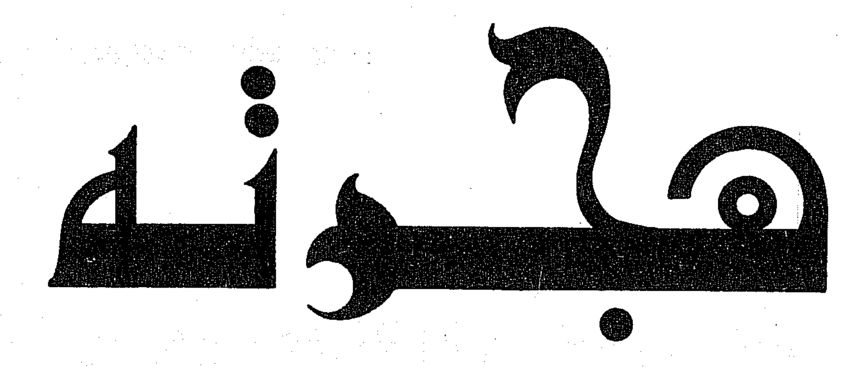
واختتمت الكلية البريطانية تقريرها بان ذكرت انه ينبغى على الحكومة والبرلمان أن يختـارا ما بين مصدر سهل للدخل القومى « يقصد السجائر » وبين الحفاظ على الارواح والقدرة الانتاجيـة للمواطنين .

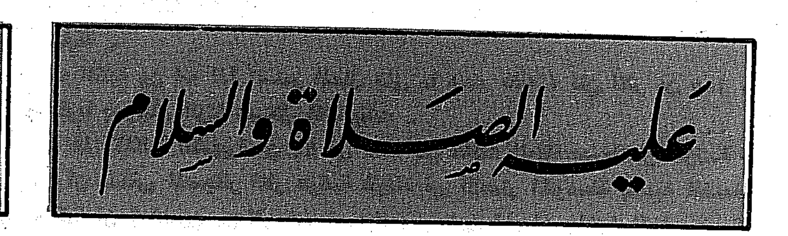
وقد اسـتغرق ملايين من البريـطانيين فى تفكير عميـق واسـتبد بهم التردد قبـل ان يشعلوا سجائرهـم الاولى ، وذلك بعد أن قرأوا فى ذهـول التقرير الـذى اذاعته كليـة الأطباء الملكية البريطانية وقالت فيه بايجاز « أقلعوا عن التدخين .. والا عاجلتكم المنية » .

وقد أوصت الكلية باتخاذ أربعة اجراءات للحيلولة دون وفاة ٣٠ الف شخص سنويا تتراوح اعمارهم بين الخامسة والثلاثين والرابعة والستين بسبب التدخين . وهذه الإجراءات هى : —

١ — منع الاعلان عن السجائر فى كل وسائل الاعلام . ٢ — طبع تحذيرات شديدة من التدخين على كل علبة سجائر . ٣ — اقـلاع جميع الأطباء عن التدخين فورا . ٤ — منع التدخين فى كـل الأماكن العامـة .

وقد أعلنت الكلية على اثر اذاعة تقريرها ، انها أعدت حملات ضد التدخين فى كل انحـاء بريطانيا وانها ترجو ان تجمع تبرعات تصل الى مليون جنيه استرلينى سنويا للانفاق على الملصقات والمنشورات واعلانات التلفزيون .





نحن مع عام جديد من أعوام الهجرة التى ارتضيناها تاريخا لمسيرتنا وقيدا نقيد به أعمالنا .

وقد اخترنا هذا التاريخ بالذات لأنه يهدى الينا خطة العمل ، ويفتح أمامنا طريق الأمل ، ويذكرنا فى كل موقف من مواقفنا باليقين المنتصر على الكفر .. وبالثقة المتغلبة على التردد والقلق والخوف .

واذا كانت كل خطوة من خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم عملا محسوبا فى صميم بناء الدعوة الاسلامية ، وخطة محكمة لتربية المؤمنين وتعليمهم أساليب الكفاح والجهاد واعدادهم لمواجهة أخطاء الفتن ، فقد وجب أن نجد فى الهجرة ، التى بدأت بها مرحلة تغير فى موازين القوة والتقدم آية من آيات التربية الاسلامية وشاهدا من شواهد طريق الايمان.

لقد كان هينا على الله سبحانه وتعالى أن ينصر رسوله والمؤمنين دون أن يكلفهم مؤونة الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس .

وكان هينا على الله جل شأنه أن يجنب رسوله والمؤمنين مؤونةالهجرة الى المدينة المنورة ، وهو القاهر فوق عباده .

وكان هينا على الله عز وجل أن يزيل الجبارين من زعماء قريش الذين آذوا رسوله والمؤمنين ، ويكفى عباده شر القتال والمعاناة .

ولكنه لم يفعل ذلك لأن الابتلاء بالخير والشر سنة من سننه الخالدة ، ولأن الفتنة التى يواجهها المؤمن هى وحدها التى تثبت الايمان الصادق وتكشف الزيف فى نفوس المنافقين .

هكذا كان الصبر على عداوة المشركين من قريش قبل الهجرة امتحانا للايمان . .وكانت الوحدة والعزلة وما تسببانه من الاحساس بالضعف والهوان وسيلة للكشف عن صدق الصلة بين العبد المؤمن وربه.

للأستاذ : رمضان لاوند

والمسرفون على أنفسهم

ثم جاءت الهجرة خطة عمل كبرى لتأهيل المؤمنين واعدادهم لمواجهة الموقف الأكبر من مواقف الخطر الداهم .

◆ ◆ ◆

ثلاثة عشر عاما مضت على ابتداء الدعوة الى الله .. وقد انقضت هذه الأعوام كلها ، ولما تتجمع تحت راية الايمان غير قلة من المؤمنين .

ثلاثة عشر عاما توالت كلها وتعاقبت فيها الأحداث التى سقيت بها القلوب فتفجرت عند كل موقف من مواقف الخطر فيها ينابيع قوة وركائز يقين وقواعد ثقة بالله عز وجل .

كانت هناك قلة من المؤمنين ولكنها القلة التى تعدل فى قوتها المستمدة من الايمان الكثرة من أصحاب الشرك والعناد .

وقد كتب لهذه القلة أن تواجه الامتحان الأكبر ليؤذن لهـا من بعد بالخروج من مرحلة الصبر والمصابرة الى مرحلة القتال والمجاهدة فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد .

واختار الله لامتحانه العظيم أحب عباده اليه ، فكان فراش الرسول صلى الله عليه وسلم مكانا لهذا الخطر حين تخلف فيه الامام على رضى الله عنه بأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام فى محاولة لتضليل المشركين المتآمرين ، وكانت الرحلة التى جمعت رسول الدعوة محمد بن عبد الله وصاحبه أبا بكر .

وتنكشف خطته صلى الله عليه وسلم لأن المتآمرين حين وجدوا بعد فوات الأوان فى شخص الامام الشاب على بن أبى طالب ممددا فوق فراشه عليه الصلاة والسلام ، ما أخلف ظنهم وحطم خطتهم وعرقل سعيهم الى تحقيق جريمتهم النكراء .

ثم يمضى المتآمرون وعبيدهم والطامعون فى الجائزة التى وضعتها قريش لمن يقبض على الرسول المهاجر وصاحبه . وتكون المعركة بين الطرفين معركة بين الغوغاء التى يحركها الطمع فى الجائزة والعناد فى الكفر والعمى فى البصيرة والاصرار على ايقاف مسيرة الهداية ، وبين الرسالة الجديدة التى تتفتح بها أبواب اليقين والرحمة ، وتتغير بها مصائر البشرية جمعاء .

ويكاد المطاردون أن يقفوا على آثار الرجلين المهاجرين اللذين لجآ الى غار فى طريقهما إلى المدينة، ومن الحق أن تبلغ القلوب الحناجر فى مثل هذا الموقف من الخوف والهلع ، ولكن النبى وصاحبه يسكنان فى الغار آمنين مطمئنين ، ويظن النبى عليه الصلاة والسلام أن الخوف والحزن قد دخلا قلب صاحبه فيردد قوله تعالى أمامه : **((لا تحزن ان الله معنا))** .

وتمضى دقائق من العمر هى فى حساب الدعوة الالهية الجديدة عمر مديد ، ثم ينجلى الموقف بأن يعود المطاردون وقد يئسوا من العثور على ضالتهم ، يغشى الحقد قلوبهم ، وتعمى نفوسهم بالأسف والأسى على فشلهم فى المطاردة .

ويتابع المهاجران طريقهما التى رسمت لهما من قبل الله عز وجل ، ويتم النصر للايمان ،وتنتهى مرحلة الصبر والمصابرة والاحساس بالوحدة والعزلة لتبدأ مرحلة المجاهدة ببناء المجتمع الاسلامى العتيد .

◆ ◆ ◆

ولعل من الحق أن نتساءل هنا عن طبيعة هذا الانتصار الذى سجلته الهجرة الناجحة الى الله وباسم الله .

هل هو انتصار السلاح والجيوش المعباة ؟

او هو انتصار الايمان العظيم حين تتفجر ينابيعه فى مواقف الخطر ؟

المهاجرون قلة فى العدد كما نعلم ، فهم لم يخوضوا حرب ميدان ، ولم يشهروا سلاحا على العدو ، ولكنهم استعانوا بالقوة الخفية الوحيدة التى تفسر طبيعة انتشار الرسالات ، وتسلط الضوء على مواطن الانتصارات الحقيقية ومصادرها .

لقد كانت الهجرة وكان ما قبل الهجرة عنوانا على التربية الدينية التى يحددها قوله تعالى فى محكم كتابه :

((ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه

راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

وهل هناك ما هو أشد امتحانا للمرء من أن يجد نفسه في موقف الخطر وهو أعزل من كل سلاح غير سلاح الايمان واليقين برحمة الله عز وجل ؟

واين يكون الخطر حين لا تبدو نواجذه قبيحة رهيبة فى الموقف الذى وجد الرسول وصاحبه نفسيهما فيه وهما فى الغار لاجئان ينتظران أن يمضى المطاردون عنهما ، وقد أحاطوا بهما من كل جانب ؟

ويسقط الخطر امام اليقين ..

وتمر جائحة الخوف دون أن تصيب بالوهن والضعف قلبى الرجلين اللذين أسلما أمرهما الله عز وجل فلم يداخلهما الحزن اعتقادا منهما بأن الله معهما .

بل اين يكون الخطر حين لا نجده من وراء الرجال الذين تركوا ديارهم واموالهم وعيالهم فى مكة فى سبيل الله ، نجاة بايمانهم وطاعة منهم لأمر الله ؟

الجميع ينجحون فى الامتحان ، والجميع يصدرون فى تحركهم عن قوس واحدة ، وينطلقون انطلاقة السهم الواحد تدفع به يد واحدة فقط .

وتتضح الصورة بكل ابعادها لمن يريدون أن يشهدوا وجه الحقيقة فى العملية التربوية الاسلامية متبدية فى الآية الكريمة التى سبق أن استشهدنا بها قبل قليل .

الخوف والجوع وفقدان النسب والمال والتضحية بالدم والنفس كلها مراحل أساسية فى مسيرة الكفاح للأمة التى ربطت مصيرها بارادة الخالق عز وجل ، وكلها بالتالى مصادر الطاقة الحقيقية التى تم بفضلها بناء المجتمع الاسلامى فى المدينة المنورة من بعد .

◆ ◆ ◆

وتسرب المسلمون الى موطن هجرتهم وراح الرسول عليه الصلاة والسلام يستعين بهذا الرصيد الأخلاقى العظيم الذى جمعته العقيدة ، ووفرته اختبارات الكفاح الصامت فى مكة المكرمة ، فكان أول ما كشف عن روعة الايمان وجلال قدر العقيدة نجاحه عليه الصلاة والسلام فى مؤاخاة المهاجرين والأنصار ، فاقبل هؤلاء على مواساة أولئك بأموالهم ، وأشركوهم فى الافادة من كل أسباب المعاش فى حياتهم ، ونجح الأمر النبوى كما لم يعرف تاريخ الدعوات الدينية نجاحا مثله ، وفى أحداث هذه المواساة ووقائعها آيات وعلامات باهرة على عظمة الايمان وروعة الرسالة .

◆ ◆ ◆

قلنا انه قد كان هينا على الله ان ينتصر لمن آمن به ، وأن يزيل الجبارين من قريش دون مؤونة تصيب المؤمن فى ماله أو فى دمه ، ولكنه سبحانه وتعالى لم يفعل ، لأن ما قدره من نظام الخلق والعمل وأساليب التربية لعباده هو سنة من سننه الخالدة .

ونتساءل هنا : لماذا كانت هذه السنن ؟

ويأتينا الجواب فى طبيعة الدعوة الجديدة حين ينفى صاحبها أن يكون العبث صفة من صفاتها .

فالاسلام دين نزل على صورة الفطرة التى خلق الله الناس عليها . فمن وفق الى الاحتفاظ بهذه الفطرة فقد وفق حتما الى اكتشاف مافى الاسلام من الحق ومافى تعاليمه من الهداية .. واستحق المثوبة من الله وجاز الطريق الى ميدان الفوز المبين .

واذا كان الاسلام هو دين الفطرة فقد وجب أن يكون نظاما ذا طابع تربوى وأغراض انسانية خالصة ، الحكمة منه أن يكون فيه علم للانسان . وأسلوب لابتلاء الانسان .. وخطة لامتحان الصبر فى نفسه. وطريقة عملية صالحة لاستيعاب هذا الانسان فى عقله ووعيه الاعتقادى وقدرته على الايمان بالغيب مستعينا بما فى روحه من الشفوف وبما فى وعيه من القدرة على استشعار الحضور الالهى العظيم .

كل موقف من مواقف المؤمنين هو عملية تربوية لأنه تحد لمادة الوعى فى نفوسهم .

أول ما نزل الوحى فى غار حراء كان تحديا لمادة هذا الوعى فى نفسه عليه الصلاة والسلام ..وحينما فتر الوحى كان تحديا من نوع آخر .. ثم تتابع بعد ذلك ، وفى كل طائفة منه أمر موجه أو علم مرسل أو خطة مبسوطة أو محاكمة مطروحة أمام العقول .. وفى هذه كلها تحديات لمادة الوعى عند الرسول وأصحابه الذين استجابوا لدعوته .

والتربية عملية مستمرة استمرار الحياة لا تتوقف الا بتوقف الحياة نفسها .. وهى تطالب من حولها باليقظة والاستعداد الدائمين للتحرك فى ضوء أغراضها الخاصة ، فاذا كان الأمر بالهجرة من مكة الى المدينة، كانت العملية التربوية قد بلغت أقصى غاياتها وحققت صناعة النموذج الاسلامى ، وبنجاح الهجرة تغيرت المواقف وتبدلت طرائق العمل ، فكان

كل ما بعد الهجرة إعلانا عن قدرة الانسان المسلم على الخروج من مرحلة السلب الى مرحلة الايجاب .. أو على الخروج من مرحلة الصبر الى مرحلة الجهاد .. أو على الخروج من مرحلة الترقب فى ثبات الى مرحلة الهجوم فى نشر الدعوة الى الله .

واذا فالهجرة شىء فى صميم التربية الاسلامية للانسان المسلم ، انها الفتنة الكبرى التى يمتحن بها فى ماله ورغبته فى القعود عن القتال ، وحبه لأهله ، وركضه الى شهوات الدنيا من حوله .

ولئن كانت الهجرة فى مظاهرها المادية نقلة من ارض قريش المشركة الى ارض الأنصار المؤمنين فهى تمام التعبير عن هجرة النفس من الظلمات الى النور .

◆ ◆ ◆

١٣٩٠ عاما مضت على يوم الهجرة ، اى ١٣٩٠ ذكرى تجدد الاحتفال بها فى ضمائر الأجيال الاسلامية المتعاقبة . تكررت العودة الى معناها فى كل مرة ، أفلا نتساءل بعد ذلك فى نفوسنا هامسين او صارخين عن جدوى هذه الذكريات ، ونحن الذين نحمل اليوم على ظهورنا عار الهزيمة أمام أبواب بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ؟

وماذا يبقى من معانى الهجرة فى نفوس المسلمين حين يرضون الدنية فى دينهم ، والهوان فى قدس من أقداسهم ؟

هل انتهت قصة الايمان فى نفوس المسلمين كما تنتهى قصة الحياة فى جانب من الأرض بعد مرور العاصفة المدمرة ؟ أو هى اعلان عن بداية قصة جديدة تعود فيها الحياة الى الدين بعد أن سجلت هزيمتها من قبل وهى منفصلة عنه ؟

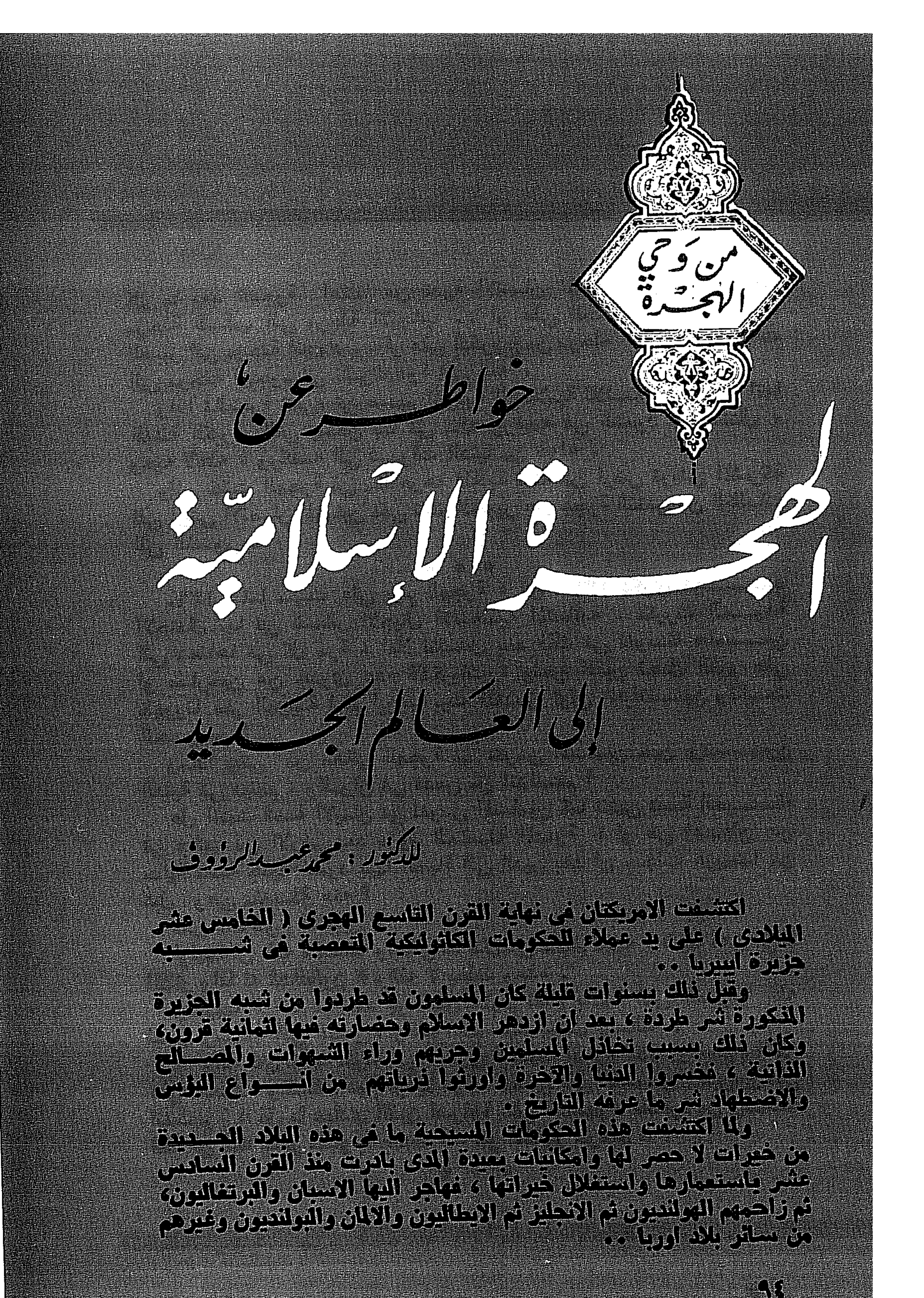
نحن متفائلون لسببين :

أولهما أن الله سبحانه وتعالى قد قال فى محكم كتابه : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) والله لا يخلف وعده .

وثانيهما : اننا لم نفتقد يوما من الأيام ثقتنا بالأمة التى اختارها الله لحمل رسالته الى البشر ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

واذا كان لنا ما نقوله فى الذكرى الجديدة لهجرة القائد والمعلم والنبى عليه الصلاة والسلام فهو ترديد قوله تعالى الى البائسين المسرفين على انفسهم : ((**قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**)) .

◆ ◆ ◆



خواطر عن الهجرة الإسلامية إلى العالم الجديد

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

اكتشفت الامريكتان في نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) على يد عملاء للحكومات الكاثوليكية المتعصبة في شبه جزيرة ايبيريا ..

وقبل ذلك بسنوات قليلة كان المسلمون قد طردوا من شبه الجزيرة المذكورة شر طردة ، بعد ان ازدهر الاسلام وحضارته فيها لثمانية قرون، وكان ذلك بسبب تخاذل المسلمين وجريهم وراء الشهوات والمصالح الذاتية ، فخسروا الدنيا والآخرة واورثوا ذرياتهم من انواع البؤس والاضطهاد شر ما عرفه التاريخ .

ولما اكتشفت هذه الحكومات المسيحية ما في هذه البلاد الجديدة من خيرات لا حصر لها وامكانيات بعيدة المدى بادرت منذ القرن السادس عشر باستعمارها واستغلال خيراتها ، فهاجر اليها الاسبان والبرتغاليون، ثم زاحمهم الهولنديون ثم الانجليز ثم الايطاليون والالمان والبولنديون وغيرهم من سائر بلاد اوربا ..

اقام هؤلاء المهاجرون الذين يعرفون بالشعب الابيض مستعمرات ودولا فى كل من امريكا الجنوبية وامريكا الشمالية وكانت هذه المستعمرات تحكم من قبل الحكومات التى أسست هذه المستعمرات ، ثم أضحت هذه البلاد تستقل بطريقة أو بأخرى ، واكتسب بعضها قوة وسيطرة ونفوذا دوليا كبيرا ، وكان أهمها الولايات المتحدة الامريكية .

وقد قضى الشعب الابيض على سكان امريكا الاصليين من الهنود الحمر ليستأثر بالسلطان وبخيرات البلاد ، واوشك على ابادتهم ابادة تامة ..

وهكذا ظهرت البلاد الامريكية على مسرح الحياة كدول بيضاء مسيحية تربطها بشعوب أوربا علاقات تاريخية واواصر عنصرية ودينية ..

ونتساءل هنا : وماذا كان دور الاسلام والمسلمين فى تعمير هذه البلاد وتنميتها فى المراحل الاولى من تاريخ استعمارها ؟ وماذا نأمل ان يكون للاسلام واهله من شأن فى هذا النصف الغربى من العالم ؟

يقف التاريخ مكتوف اليدين ازاء الشطر الاول من هذا السؤال ، حتى انه ليسود الاعتقاد بأن مجد البلاد الامريكية بنى بسواعد أجيال الشعب الابيض المسيحى وحدهم الذين هاجروا اليها فى القرن السادس عشر الميلادى وما تلاه ..

الحقيقة غير ذلك ، لقد ساهم المسلمون مساهمة فعالة فى بناء المجد الشامخ لهذه البلاد ولولا جهودهم ما وصلت الى ماهى عليه اليوم ، ولكن الظلم والتعسف والطمع والضلال والكفر ، كل ذلك جحد على المسلمين فضلهم وطمس ما كان لهم واضاع عليهم حقوقهم ، بل حرمهم حتى من المعاملة الانسانية التى هى حق مكتسب لكل وليد من البشر !

لقد عجز الاوروبيون عن تعمير البلاد وفلاحة الاراضى بأيديهم ، فلجأوا — كما هو معروف — الى العدوان على بلاد غرب افريقيا ودولها التى كانت قد بدأت تضمحل وتتفكك وتقع فريسة للاستعمار الاوربى الغربى الغاشم ، فاختطف المستعمرون لامريكا الاشداء من أبناء غرب افريقيا مستخدمين فى ذلك كل مابيدهم من وسائل الظلم والتعسف والفساد ، وشحنوا الآلاف المؤلفة من هؤلاء المساكين مشدودة أيديهم مكبلة بالحديد الى ضياعهم وحقولهم عبر المحيط الاطلنطى ، ليعيشوا عيشة لم يعرف التاريخ لها نظيرا من البؤس والغبن والحمق ، وقد بلغ عدد من جلب منهم الى امريكا فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، ما بين عشرة ملايين الى خمسة عشر مليونا ضرب عليهم الذل والاسترقاق !

ولقد كان رجال الكنيسة انفسهم أصحاب فكرة هذا الاسترقاق الافريقى ، وادخلوا فى روع الاوروبيين أن الله تعالى خلق هؤلاء ليكونوا عبيدا لهم ليخدموهم فى ضياعهم ومساكنهم كما خلق الله تعالى الانعام ليركبوا على ظهورها وليعيشوا على البانها ولحومها !

كما قطع الاوربيون الصلة تماما بين هؤلاء المغلوب على أمرهم وبين ثقافة آبائهم ودينهم ولغتهم وحضارتهم ، كانوا يسكنونهم فى زرائب كقطعان البقر ، ويبعدون الاطفال منذ مهدهم عن آبائهم وامهاتهم حتى لا يتعلموا لغة كبارهم او يسمعوا قصصهم او احاديثهم أو ينقلوا عنهم عادة أو

تقليدا ، فنطقت الاجيال البائسة بلغة سادتهم وتبعوهم الى كنائسهم .

والآن نسأل : ماذا كان دين هؤلاء الملايين من المغتصبين المسترقين من الافريقيين الذين كافحوا وكدوا وعاشوا وماتوا فى تشييد هذه البلاد الامريكية واستغلال ثرواتها ؟ هلم بنا لنقتبس بعض الحقائق التاريخية عن البلاد الواقعة فى غرب افريقيا فى القرون السابقة مباشرة على اختطاف هذه الملايين البشرية منها ولنلتمس منها قبسا يساعدنا على الاجابة على هذا الاستفسار ..

اننا لنعلم أن القارة الافريقية أوت الاسلام منذ مهده ، ورحبت بأول فئة هاجرت من أتباعه عند بدء الدعوة ولجأت الى رحاب احد ملوكها ، كان من بينهم ذو النورين وذو الجناحين وكريمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى القرن الاول من حياة الاسلام انتشر نوره حتى شمل الساحل الشمالي الافريقى كله ووصل الى المحيط الاطلنطي ثم بدأ يتسرب للشعوب الافريقية جنوبا عبر الصحراء وعلى السواحل الغربية للقارة ، ثم قامت دول وحضارات افريقية كان الاسلام عنصرا هاما فيها ، يعتنقه الكثير او الاكثر من أهلها وحكامها ، كان من بين هذه الدول امبراطورية « غانا » القديمة التى قامت فى غرب افريقيا وبلغت أوج مجدها فى الحقبة مابين القرن التاسع الى منتصف القرن الثانى عشر الميلاديين ، يقول المؤرخون ان عاصمة غانا القديمة « كومبى » كانت تنقسم الى حيين وكان اغلب السكان فى احد الحيين مسلمين كثر بينهم العلماء والفقهاء ، وبفضل علمهم وعلو كعبهم قلدوا المناصب الوزارية ونحوها من المراتب الراقية فى الدولة .

ومن بين هذه الدول التى نهضت فى غرب افريقيا واصطبغت بصبغة الاسلام ، امبراطورية « مالى » العظيمة التى قامت فى القرن الثالث عشر ووسعت ملكها فى جميع النواحى ، وكان من حكامها الامبراطور (منسا) المعروف فى المراجع الاسلامية باسم « موسى » وقد حكم منذ ١٣٠٧ الى ١٣٣٢ م ، وقد قام برحلة الى الحجاز عام ١٣٢٤ م يرافقه خمسمائة من الخدم والحشم وحمل معه ثروة كبيرة من الذهب وزع منها بسخاء فى البلاد التى مر بها فى طريقه الى الحجاز وفى عودته منه ويحدثنا مؤرخ مسيحي زار هذه البلاد عام ١٥١٠ عن ثروة هذه البلاد العظيمة وحضارتها وعما شاهد من مساجدها ومن لقيه من الكثير من علمائها وفقهائها ..

كما يحدثنا التاريخ أيضا عن مملكة « سونجى » الاسلامية التى نالت حظا عظيما من الحضارة والمجد فى القرن الخامس عشر ، ومما يذكر انها كانت اعظم دولة افريقية عرفها التاريخ فى العصور الغابرة بعد مصر القديمة ، ولقد كان احد ملوكها يسمى « محمد الأول » .

والآن وقد ذكرنا طرفا عن هذه الدول على سبيل المثال لنرسم صورة لما كان عليه الاسلام فى بلاد غرب أفريقيا عندما بدأ الاوروبيون يستعمرون البلاد الامريكية ويجلبون اليها اليد العاملة من هذه المنطقة ، نقطع جازمين بأن الكثير من هؤلاء الملايين التعساء كانوا من المسلمين ، بل لقد كان

سائرهم على وشك أن يسلموا أو تسلم ذرياتهم لولا تدخل الاوربيين وقضاؤهم على الحكومات الوطنية واستعمارها لصالحهم ، وبيع سكانهم ليعيشوا عبيدا أذلاء فى أمريكا .

لذلك لما الغى الرق عام ١٨٦١ واسترد أحفاد هؤلاء حريتهم أدرك الاذكياء منهم صلة آبائهم بالاسلام وصلتهم بالعروبة لحما ودما ، ولنقتبس هنا ما ذكره « ادوارد بلايدين » وهو أمريكى افريقى الاصل عاش فى القرن الماضى والتحق بأعمال التبشير المسيحى ، كتب يقول :

« ان الحضارة العربية والدين الاسلامى أنسب للأفارقة » ، كما تنبأ بأن الاسلام لا المسيحية سوف يتفشى بين الافريقيين نظرا لروحه الباعثة على التقدم . ومما قال : « ان الافريقى عرف المسيحية كرقيق مستغل مستعبد ومهان ، وعرف الاسلام كانسان دائما وكقائد غالبا » .

ولما قامت بعد ذلك حركات بين الافريقيين الامريكيين (١) تنادى بحقوقهم السياسية والمدنية ارتبط كثير من هذه الحركات باسم الاسلام ، وباتجاه نحو تعلم اللغة العربية ، ويسود التفكير بين الكثير منهم بأن اعتناق الافريقى الامريكى للاسلام عودة الى دين آبائه الذى سلبه منهم الابيض المستعبد ، وان نطقه بالعربية استئناف للغة قومه الاصلية التى أنساهم اياها هؤلاء المستبدون ..

والحديث عن الحركات الاسلامية بين الافريقيين فى أمريكا حديث شيق ولكنه يطول وربما يخرج بنا عن أصل الموضوع ، لذلك نقتصر على هذه الاشارة داعين الله تعالى أن يبارك هذه الحركات وينقيها من المزيفات ويحفظها من المكايد الظاهرة والباطنة ويجعلها لصالح الاسلام والمسلمين ..

• • •

والى جانب هذا الاتجاه لدى الاخوان الأفارقة الامريكيين نحو احياء ما يعتقد انه كان دين أسلافهم الذى محى ظلما وعدوانا ، جاء الاسلام الى العالم الجديد على يد المهاجرين من البلاد العربية وغيرها من البلاد الاسلامية منذ بداية هذا القرن .

كان المهاجرون المسلمون الاوائل قلة ، أغراهم ما سمعوا عن خيرات البلاد فضربوا فى الارض يبتغون من فضل الله مراغما كثيرا وسعة ، وقد كان لبعضهم حظ موفور من الرزق بعد كدح وكفاح ، والمعروف ان هذه البلاد بلاد كفاح وعمل ولا يربح فيها المتواكل . ثم جاء بعد هؤلاء أفواج أخرى من المهاجرين من شتى البلاد ، ثم تكاثر عددهم فى الاعوام الاخيرة حيث حضر عشرات الالوف من بينهم الكثير من الجمهورية العربية وغيرها من البلاد العربية ..

---

(١) ان كلمة « زنجى » ومقابلها بالانجليزية « نجرو NEGRO » كلمة مبغضة لدى الملونين فى أمريكا لذلك نؤثر اللقب الذى يطلقونه على انفسهم وهو ، الافريقى الامريكى AFRO - AMERICAN

وان الأمل لكبير ان يكون فى هذه الظاهرة كسب للاسلام بعد أن يستقر هؤلاء النازحون ، ويتغلبوا على متاعب المراحل الاولى للهجرة ، ويكتسبوا الثقة والامن ، فينظموا جهودهم ويوحدوا كلمتهم ، ويستخدموا ما يكسبون من نفوذ لصالح الاسلام ووطنه كما تعمل الجاليات الاوربية المختلفة على خدمة شعوبها وبلادها ومجدها عن طريق نفوذ هذه البلاد .

على أن لنا بعض الملاحظات نود ان نبديها بهذا الصدد .

لقد نزح منذ قرون عدد من المسلمين أيام غارات المغول والتتار على قلب البلاد الاسلامية الى أطراف الارض شرقا فرارا من أهوال الحرب ، وقد استطاع هؤلاء المهاجرون أن يؤثروا على الشعوب التى هاجروا اليها بفضل خلقهم واعتزازهم بدينهم وثقتهم بأن ما بيدهم أسمى وأرقى مما بيد من هاجروا اليهم ، فانعكست هذه الثقة على من جاورهم فأحبوهم وخالطوهم وصاهروهم وقلدوهم حتى تبعوا دينهم ، ونرى الآن من أحفاد هؤلاء دولا اسلامية شرقية لها مكانتها ومهابتها ، فليكن لنا اليوم مثل طيب فيما صنع هؤلاء الاسلاف وما حققوا لدينهم الكريم والخدمات الانسانية العظيمة التي نشأت عن هذا النصر الاسلامى العظيم .

فينبغى لنا اذ ننزح فى هذا العصر أن نعتز بثقافتنا وتراثنا ، والا نسمح لانفسنا بأن نذوب فى المجتمع الذى نعيش فيه ونقلده تقليدا أعمى بدعوى التقدمية الكاذبة ، ليس فى هذا التقليد خير لأنفسنا ماديا أو ادبيا ، وانه لو أخذنا به لا سمح الله ، سيضيع علينا وعلى ديننا فرصا ذهبية ، ونظلم بذلك أهلنا واسلافنا وذرياتنا من بعدنا .

انه لينبغى أن نلقى جانبا بالعنصرية والشعبية الوطنية والخلافات المذهبية والمنهجية الكاذبة ، وأن تكون الصلة الاسلامية الاساس الاول والاخير والرابطة التى تجمع بيننا وتبعث على تعاوننا الاسلامى فى هذا البلد الغريب .

ان من العبث أن نسمع المسنين من العرب المهاجرين القدماء يشيرون الى الأفارقة من اخواننا المسلمين بكلمة « العبيد » ولقد ساء هذا الكاتب ما سمع فى بدء عهده بالعمل بهذه البلاد من عائلة عربية قدمت لزيارته بمكتبه فذكروا أنهم يضنون بارسال أولادهم الى المدرسة الاسلامية حتى لا يكونون بجانب أولاد « العبيد » ولقد نفرت أذنه من هذا الاستعمال ويعلم الله أن هؤلاء ليسوا عبيدا ولم يخلقوا عبيدا ، وانهم لأحرص على دين الله واكثر جودا واسخى بما فى أيديهم من أجل الله واخلص قلبا وطبعا من الكثير منا ممن نشىء على الاسلام وولد فى أحضانه ، وصدقنى أيها القارىء اذا ذكرت أن الكثير من هؤلاء المسلمين من اخواننا الافريقيين الامريكيين شعروا بهذا الجانب من المعاملة السيئة من اخواننا الذين سبقونا عندما خالطوهم فى الأربعينيات والخمسينيات ، آملين أن يكتسبوا منهم دينا وعلما ولكن آمالهم تحطمت على صخور هذا الكبرياء ففقدوا ثقتهم وانسحبوا وكونوا لأنفسهم جمعياتهم مؤثرين القناعة بالقشور فى عزة على المزيد فى ذل ومهانة .

وعلينا أن نكون فى مهجرنا مثلا لما نزعم أنه أدب ديننـــا وتكاليف شرعنا ، فلا يليق بمهاجر مسلم ، أو مبعوث من قبل دولة اسلامية أن يجهر بتناول المسكر فى الاجتماعات أو يدخن أو يتناول الطعام فى نهـار شهر رمضان ، كما ينبغى لهؤلاء أن يأخذوا أنفسهم — مهما كانت المعاذير والمشاغل — بأن يشتركوا ولو أحيانا نادرة فى اقامة الشعائر والواجبات الدينية ، وان المرء ليخجل من تعليق بعض المسلمين هنا فى حياء وخجل على موقف هؤلاء : « اليس قوله تعالى — أقم الصلاة — موجها اليهم ؟ اولا يصل النداء — حى على الصلاة — الى آذانهم ولو مرة واحدة ؟ »

أما التشدق بما يسمى التقدمية والنعى على ما يسمونه بالرجعية فهو مغالطة ومكابرة ومجاراة من الجاهلين المغمورين لذوى النوايا السيئة من أعداء الله ورسول رب العالمين .

أهناك دين يحض على التغيير والتجديد والاخذ بأنسب الاساليب من ديننا ؟

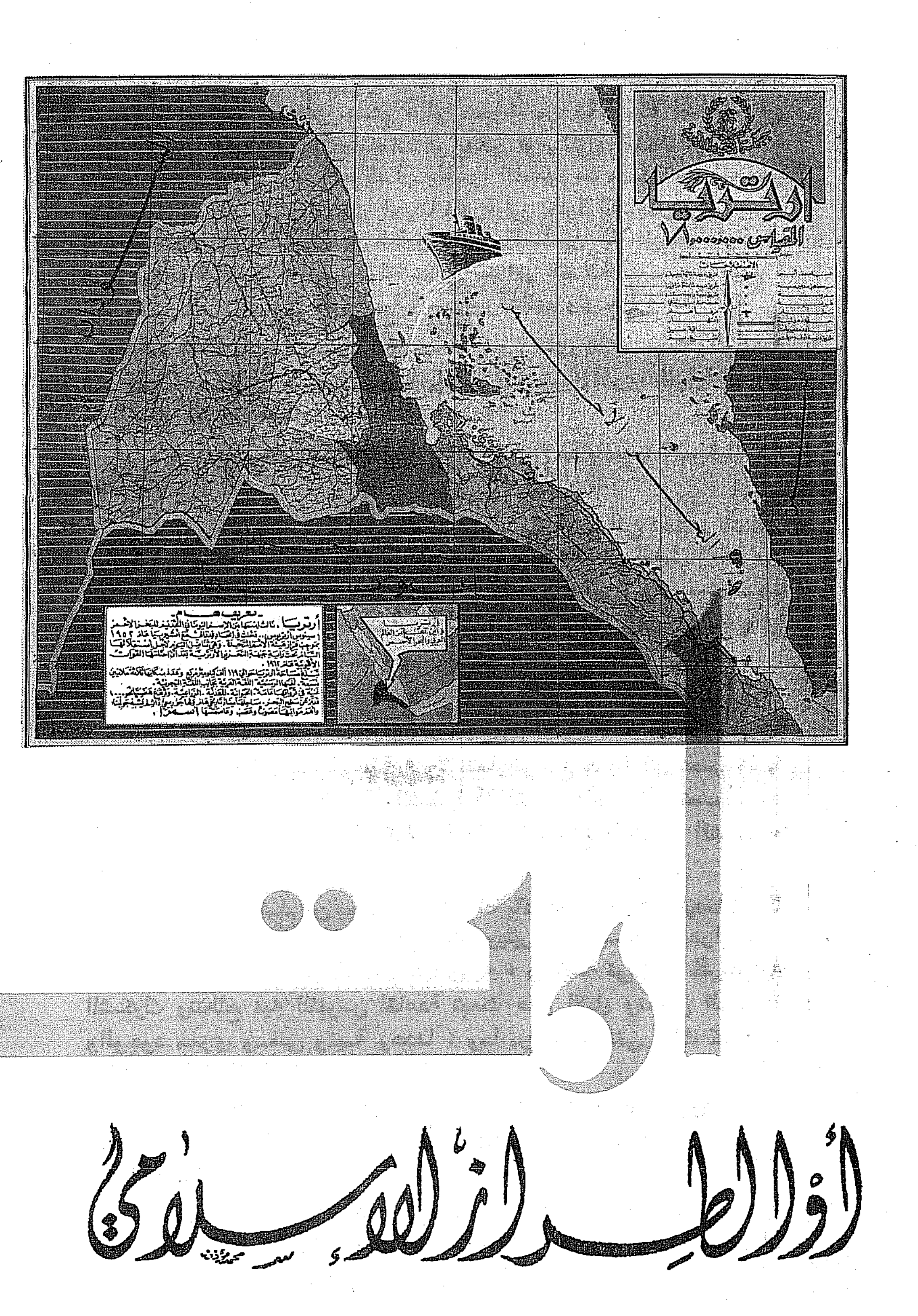
ان الاسلام جاء ثورة على التقليد الاعمى ، ودعا الى تحطيم التقاليد البالية ، وأى بأس هناك فى تقليد الغربيين فى جهدهم فى العمل والحرص على الوقت ، والصدق فى القول ومراعاة شعور الغير ؟ وأى مسـلم يعارض فى الاخذ بالعلوم النافعة والاساليب الدراسية الحـديثة ؟ وأى مبدأ اسلامى لا يتفق مع الانتفاع بما أنتجته العلوم والفنون فى العصـر الحديث ؟

ان الاسلام قديم وحديث وعتيق وجديد ، ومبادئه الاســاسية بسيطة سليمة تتلاءم مع كل بيئة ، ولا تتعارض مع حاجة أى عصر ،انما ينفر الاسلام من المادية الجافة والشذوذ الخلقى مما أدى الى تصـدع المجتمع الغربى وثورة الاجيال الناشئة على الاوضاع الباليـة المشحونة بالنفاق والبهتان ..

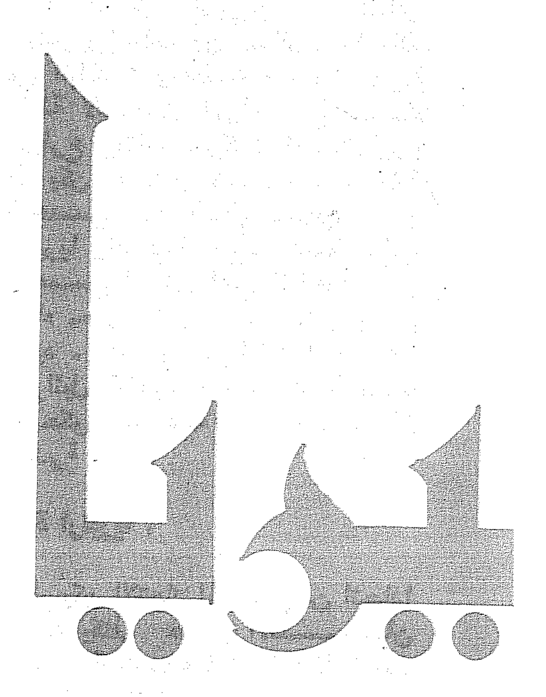
وان ظهورنا أمام من يجاورنا بالتمسك بآدابنا ومراعاة تقاليدنا لمـا يبعث الثقة فينا ويعمل على احترام تراثنا ويثير الرغبـة فى دراسـته والتعرف عليه ، وبالتالى لاحتمال الهدى به ، وخاصة فى زمن كثرت فيه الشكوك وتتطلع فيه النفوس لقاعدة تبعث على الامل وتعطى الحيـاة والوجود مغزى ومعنى وقيمة وهدفا ، وما من قاعدة تفى بذلك كـله كما يزود به ديننا المجيد .

اننا بهجرتنا فى طلب العلم أو السعى الى الرزق نتبع سنة رسول الله ونطيع هدى الكتاب الذى يرشدنا ويقول : « فامشوا فى مناكبهـا وكلوا من رزقه » .

فلتكن هجرتنا للدنيا وللدين معا ، « فمن كانت هجـرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .


تعريف هام
أو الطراز الإسلامي

اخى القارىء
هل تعلم ...
.. ان ارتيريا هى عتبة العالم العربى ..وان اهلها عرب مسلمون؟
.. وان مناخ ارتيريا شبيه بمناخ لبنان .
.. وان الاسلام قد ظهر فى ارتيريا منذ القرن الاول للهجرة
.. وان الاستعمار الاوروبى يقول : الحبشة جزيرة يجب حمايتها وسط بحر اسلامى ..
.. وان ثورة ارتيريا تسيطر الان على معظم مناطق الريف ..
اذا اردت يا اخى ان تعرف



اعداد
عرفات كامل العشي
بادارة الشؤون الإسلامية

ذلك وغيره فاليك هذه الكلمات عن ارتيريا :

الموقع والسكان :

تقع ارتيريا على الشاطىء الغربى الجنوبى للبحر الاحمر ، فهى تمتد مسافة ٦٧٠ ميلا على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ولا يفصلها عن الجزيرة العربية الا مضيق باب المندب . وتشتق اسمها من الاسم اليونانى القديم للبحر الاحمر وهو (سينوس ارتريوس) وتبلغ مساحتها ١٢٠٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها يقارب الثلاثة ملايين نسبة ٧٥ ٪ منهم مسلمون ، وعاصمتها أسمرا وتحدها السودان من الغرب واثيوبيا من الجنوب والصومال من الجنوب الشرقى (انظر الخارطة) .

التضاريس :

ارتيريا بلاد متنوعة التضاريس ، ففيها جزء يشبه مرتفعات وسط افريقيا وصحارى شمال السودان ، وبها غابات كغابات افريقيا الاستوائية وقفار بركانية شبيهة بتلك القفار المطلة على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وقلبها يتكون من هضبة تتخللها جبال شاهقة من الصخور الصلدة تشقها أودية خصبة ومرتفعات تتراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ومناخها ربيعي دائما . وتتبعها حوالى ثلاثمائة جزيرة متناثرة فى البحر الاحمر .

مصادر الثروة :

تعيش اكثرية السكان فى الريف ، فهم فلاحون ورعاة اذ تبلغ الثروة الحيوانية فى البلاد حوالي ثمانية ملايين رأس من الابل والاغنام

والابقار والماعز ، وبها ثروة معدنية لا يستهان بها كما ان البحر الاحمر يعتبر مصدرا رئيسيا للثروة السمكية

نبذة تاريخية :

ظهر الاسلام فى ارتيريا منذ نهاية القرن الاول للهجرة وقامت فيها ممالك اسلامية سميت بالممالك السبع او الطراز الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى ، وانتشرت اللغة العربية فى ارتيريا حتى اصبحت اللغة الرسمية الى يومنا هذا ، ويفتخر السكان بأنهم عرب مسلمون وكانت ارتيريا جزءا من بلاد الخلافة الاسلامية منذ عهد الدولة الاموية ، وفى عام ١٥٥٧ميلادية احتلتها الدولة العثمانية وفي عام ١٨٦٦ م تنازلت عنها للحكومة الخديوية فى مصر ، ثم احتلتها ايطاليا فى عام ١٨٨٥ م حتي هزمت فى الحرب العالمية الثانية فتنازلت عنها لبريطانيافى عام ١٩٤١ م ، وفى عام ١٩٥٠ مأصدرت الامم المتحدة قرارا نص على جعل ارتيريا جزءا من اتحاد فيدرالى مع الحبشة ..

ارتيريا والحبشة :

لم تكن أرتيريا قط فى أى فترة من تاريخها جزءا من الحبشة ولكن قرار الاتحاد جاء دون استفتاء شعب ارتيريا ، وتعلل بحجة العمل على فتح نافذة للحبشة على البحر الاحمر وكان القرار ينص على اقامة كيان ذاتي مستقل فى ارتيريا وحكم برلمانى حر نزيه .

ولكن الحبشة لم تحقق ذلك ، فبدأت الحكومة الاثيوبية بمنع تدريس اللغة العربية فى المدارس وفرضت اللغة الامهرية بدلا منها كما منعت صدور الصحف باللغة العربية وحظرت دخول الصحف العربية الى البلاد وطردت بعثات التعليم العربية ،واخيرا ألغت الاتحاد المزعوم وضمت ارتيريا عنوة الى أراضيها وعينت عليها حاكما عاما من أثيوبيا ..

ارتيريا بين التبشير والاستعمار :

لم تكن الاجراءات التى اتخذتها الحبشة نابعة من حكومتها ابتداء . فالاستعمار الصليبى هو الذى وضع الخطة لطمس معالم الاسلام لا فى ارتيريا وحدها بل فى منطقة شرق افريقيا كلها ، ووكل أمر التنفيذ لحكومة اثيوبيا واسرائيل ..

لقد فرضت امريكا الاتحاد الفيدرالى على ارتيريا لتجعل منها قاعدة عسكرية اميريكية ، وانطلق المبشرون يطمسون معالم الاسلام فى البلاد ، واعطيت اسرائيل حرية كاملة لاستغلال الاراضى وانشاء المزارع واقامة شركات الاستثمار ، فلم يكن غريبا ان تنشط شبكات التجسس ضد الدول العربية من ارتيريا والحبشة ، وما قصة باخرة التجسس ليبرتى التى انطلقت من ميناء مصوع فى حرب حزيران منا ببعيد . ولم يكن غريبا ايضا ان تتلقى اسرائيل اللحوم والمعونات الغذائية من حكومة الحبشة بعد حرب حزيران مباشرة .

ثورة ارتيريا :

لم يكن الاتحاد المصطنع اذن اتحادا حقيقيا يكفل حقوق الانسان الاساسية لشعب ارتيريا ، لذلك هب الشعب الارتيرى كله مسلمون ومسيحيون واعلنوا الثورة على الظلم والاستبداد وامتصاص الدماء فقامت جبهة تحرير ارتيريا لترفع صوت الشعب الارتيرى عاليا ضد هذا الجبروت ، فبدأت بعدد محدود

من الرجال وقليل من البنادق الايطالية القديمة واخذت تقاوم القوات الاثيوبية الغازية .. وتقدمت الجبهة بطلب الى الامم المتحدة تدعوها فيه الى ارسال لجنة دولية للتحقيق ولكن ذلك لم يجد فتيلا .

الحبشة تشرد الشعب الارتيرى :

لكن الحكومة الاثيوبية لم ترعو ، بل زادت من ظلمها وجبروتها ، واخذت ترتكب جرائم القتل بالجملة ولما حمل الشعب الارتيرى السلاح ووقف الى جانب الجبهة للدفاع عن حريته واستردادها من الغاصبين قامت الحكومة الاثيوبية بمحاولة وحشية لقمع الثورة ، فقصفت طائراتها الحربية القرى الارتيرية واشعلت فيها النيران فراح ضحيتها آلاف النساء والشيوخ والاطفال ، وتحول آلاف من الارتيريين الى شعب من اللاجئين حتى بلغ عددهم فى السودان وحده حوالى اربعين الفا يعيشون فى أوضاع سيئة للغاية .

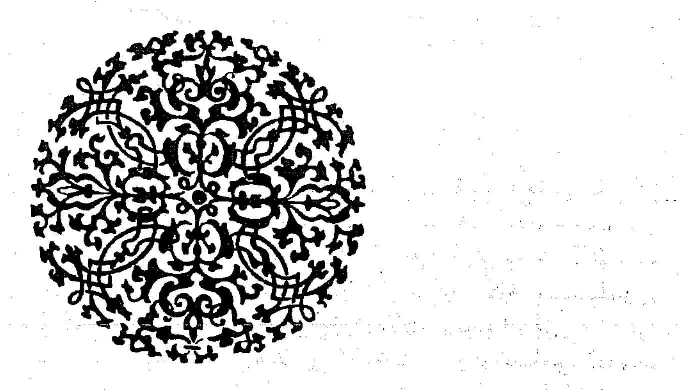
ولكن هل تزعزع ايمان شعب ارتيريا بعدالة قضيته ؟ هل اثناه ذلك عن المقاومة ؟ ابدا .. بل لقد تضاعف عدد المقاتلين فى صفوف الجبهة حتى زاد على عشرة آلاف مقاتل ، وهم الان يسيطرون على معظم انحاء الريف فى ارتيريا .

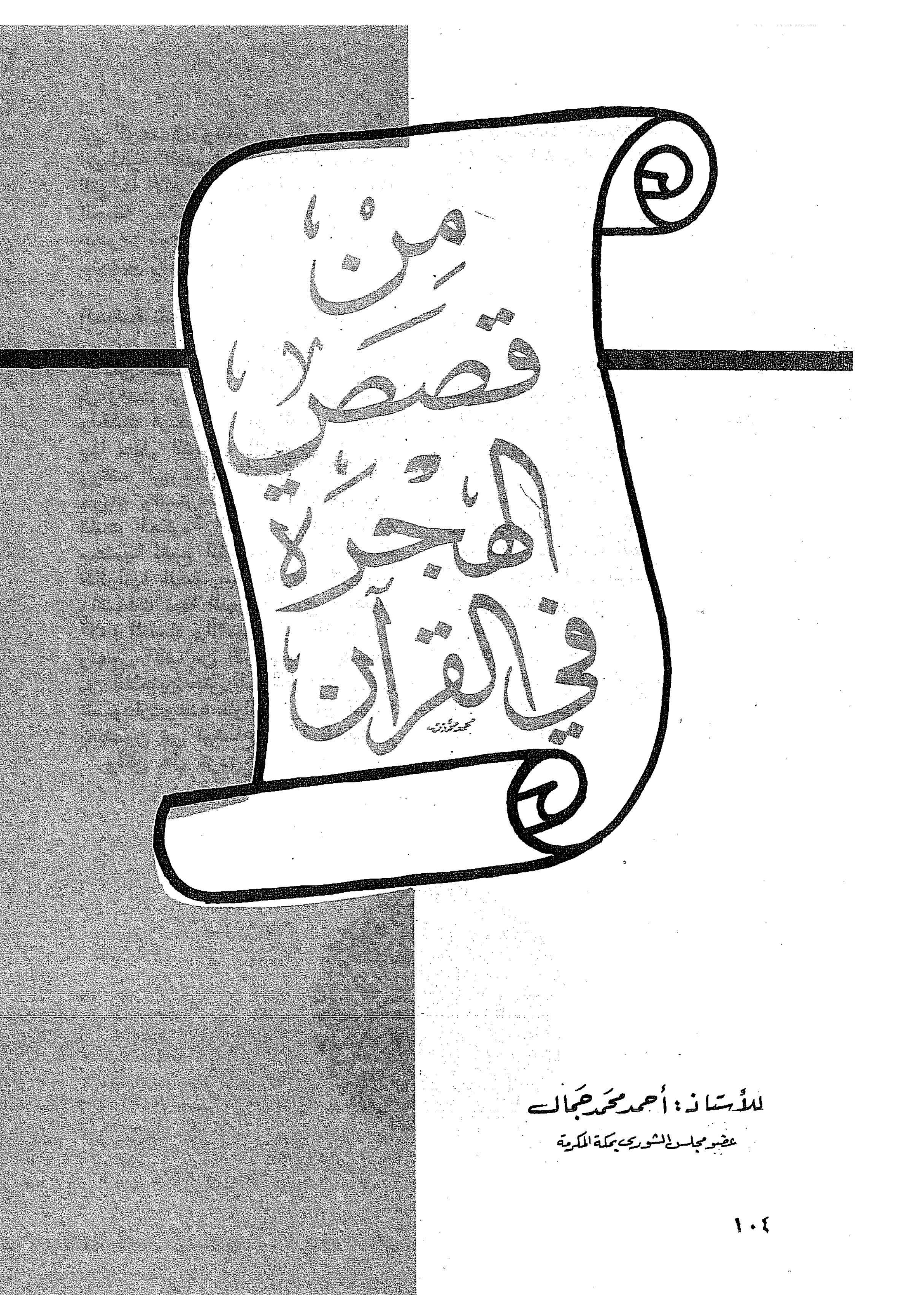
واجب العرب والمسلمين :

ان شعب ارتيريا العربى المسلم يشعر بخيبة أمل تجاه موقف العرب والمسلمين منه ، فهو يشعر بوحدة المصير والعقيدة مع اخوانه فى العالم العربى والاسلامى ، وشعب ارتيريا يقاوم بضراوة نفوذ اسرائيل فى بلاده ، ويضرب بشدة على اليد التى تساند اسرائيل فقد قامت الجبهة باحراق شركة سيناء الاسرائيلية وهى شركة استثمارات زراعية فى ارتيريا .

فاذا كانت اسرائيل هى العدو المشترك فما احرى بالعرب ان يقفوا صفا واحدا مع اخوانهم فى ارتيريا .

واذا كانت اخوة الاسلام هى الاساس فهل ينصر المسلمون اخوتهم المظلومين فى ارتيريا ؟





للأستاذ: أحمد محمد جمال

عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة

عندما بدأ الاسلام كدعوة الى الله الواحد الأحد ، كان من البديهى : أن يستفز المشركين والوثنيين لجدال أهاعه ونضالهم ، وأن يتصدى أهل الرياسات والزعامات والاختصاصات الروحية والمادية ، لمكافحة هذا الدين الجديد الرشيد : دين التوحيد والأخوة والمساواة والعدالة ، دين الاتصال المباشر بالله الخالق الرزاق ، الخافض الرافع ، المحيى المميت ، بلا حاجة الى شفاعة شافع ، أو وساطة وسيط .

وحينما ضاق المسلمون القلائل ، بايذاء المشركين والوثنيين صدرا ، واستنفدوا صبرا — اذن لهم نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة ، فاتخذوها مهجرا فى فترتين متقاربتين فارين اليها بدينهم الجديد الرشيد ، راجين أن يمكنه الله لهم ، وأن يثبتهم عليه ، وقد لقاهم الله عز وجل عطف نجاشى الحبشة ولطفه ، وترحيبه وتوسعته عليهم فى بلاده .

وانتظر النبى فى مكة ، بعدهم ، ولم يهاجر معهم ، انتظر صابرا على ايذاء الجاحدين وكيد الحاسدين أجمل صبر ، مدافعا عن رسالته الفضلى ودينه الأمثل أصدق دفاع ، مرتقبا وعد الله الذى لا يخلف وعده ، بالهجرة الى المدينة التي نورها عليه الصلاة والسلام حين قدمها بأنواره ، واتخذ من أهلها بعض أنصاره .

واقترب الوعد الحق بهجرة النبى الى المدينة ، وعرف المشركون عزمه عليها ، وبدأت مجتمعاتهم تهمس حولها ، والشيطان يوسوس لهم : ألا يدعوا محمدا يهاجر ، والا يمنعوه من الهجرة يكن حربا عوانا عليهم بما يؤلب أعداءهم ثم يقودهم اليهم . .

واختلفت الآراء المهموسة فى ندوة المشركين بين مقترح : أن يسجن محمد فى حجرة ضيقة لا نافذة لها ولا باب — وآخر يرى أن يحمل محمد وينفى خارج مكة — وثالث يقترح أن يختار فتيان أشداء من شتى القبائل ، ليضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، ويتعذر على بنى هاشم المطالبة بدمه من هؤلاء جميعا ، فيرضوا بديته مكرهين !

وصدق أبليس الرجيم عليهم ظنه ، فاتبعوه على تأييد المقترح الثالث

باغتيال أكرم حياة لأعظم رسول ! وتراص الفتيان الأشداء عند باب داره ليلة سفره عليه الصلاة والسلام الى المدينة مشهورة سيوفهم ، مفتحة عيونهم وسمعها على مخرج النبي — حتى اذا أراد الله لنبيه النجـاة والعافية أوحى اليه أن يتخذ من ابن عمه (على بن أبى طالب) كرم اللـه وجهه ضجيعا يرقد فى فراشه ويلتحف بردته ، ويخرج عليه الصلاة والسلام حاثيا التراب على رءوسهم ، تاليا على وجوههم قول الله عـز وجل : « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) .

كذلك أتم الله نعمته على نبيه بالهجرة الى المدينة مع الصديق أبى بكر رضى الله عنه — على النحو المفصل فى كتب السيرة النبوية .

• وكذلك باء المشركون بالخيبة المرة ، والخسران المبين ، فلم ينالوا خيرا ، ولم يقضوا من الرسول وطرا .

وكذلك قدر (للمدينـة) أن تحظى بهجرة النبى صلى الله عليـه وسلم اليها ، وبجهاده هو وأصحابه فيها ، ونشرهم نور الاسلام منها الى العـالمين .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (٢) .

• • •

والحديث عن مكر الله لأنبيائه وعباده الصالحين معجب مطرب — فكما مكر عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى حادث الهجرة .. مكر تبارك وتعالى من قبل ليوسف عليه السلام حين أراد أن يستبقى أخاه عنده ، فحاكم إخوته الى شريعة أبيهم يعقوب عليه السلام التى تتيح لـه أن يحتجز أخاه بنيامين جزاء على التهمة المصطنعة عليه — ومكر سبحانه لموسى عليه السلام ، فضرب له فى البحر طريقا يبسا لينجو عبره ببنى اسرائيل ، وينخدع فرعون فيتبعهم بقومه فيغرق ويغرقون — ومكر كذلك لابراهيم عليه السلام فأحال تبارك وتعالى نار النمرود التى القاه فيهـا بردا وسلاما . الا انها (معية) الله الحاضرة الناصرة لأنبيائه واوليائه : ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون — ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز — الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

لقد كان أبو بكر رضى الله عنه رفيقه فى الهجرة ، وصـاحبه فى الغار — يقول للرسول صلى الله عليه وسلم : لو نظر أحدهم — يعنى المشركين الذين تعقبوهما — تحت قدمه لأبصرنا ! فيرد الرسول عليه : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟

• • •

تلكم احدى قصص الهجرة فى القرآن الكريم .

وهذه قصة أخرى :

كان (جندب بن ضمرة) أحد مسلمى مكة المكرمة ، الذين لم يغادروها مع المهاجرين الى المدينة ، وقد انتظر حتى سمع بآية نزلت ، مع القرآن الكريم ، واوعدت اشد ايعاد من أخلد الى مكة ، وهو قادر على الهجرة مع المسلمين الى المدينة . سمع جندب بهذه الآية : (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) (٣) .

عندئذ ضاق صدر جندب بالبقاء فى مكة ، ونظر فى نفسه وبين يديه فألفاه موسرا وان كان شيخا كبيرا : فقال لأهله : احملونى على سرير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا ببائت ليلتى هذه بمكة !!

وصدقت عزيمة جندب ، فلم يبت ليلته بمكة . ولكنه أيضا لم يبت أية ليلة بالمدينة فقد كان له الموت السعيد بالمرصاد .. ينتظره فى الطريق قريبا من مكة فى موقع يقال له حتى اليوم (التنعيم) (٤) .

وكان جندب وهو يحتضر .. يصفق بيمينه على شماله ، ويقول : اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك !! ومات جندب قبل أن يدرك أربه ظاهرا — فكان ذلك مثار سخرية عليه من قومه الهازئين الذين قالوا عندما بلغهم نبؤه : (ويح جندب لا هو بلغ الذى يريد ، ولا هو أقام فى أهله فمات بينهم فجهزوه ودفنوه) .

ولكنه — رضى الله عنه — أدرك أربه وحقق رغبته حقيقة وواقعا . لقد جهل هؤلاء الهازئون من قومه أن الاعمال فى ثواب الله بالنيات ، وان كان الله عز وجل لا يرضاها دائما وحدها دون عمل ، ما لم تحل دون الاعمال حوائل لا تطاق . فقد تقبل الله تبارك وتعالى هجرة جندب وان لم تتم ، وكتب الله له ثوابها كاملا وان لم تتحقق ، وانزل سبحانه من قرآنه ما يغيظ الهازئين من جندب : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » (٥) .

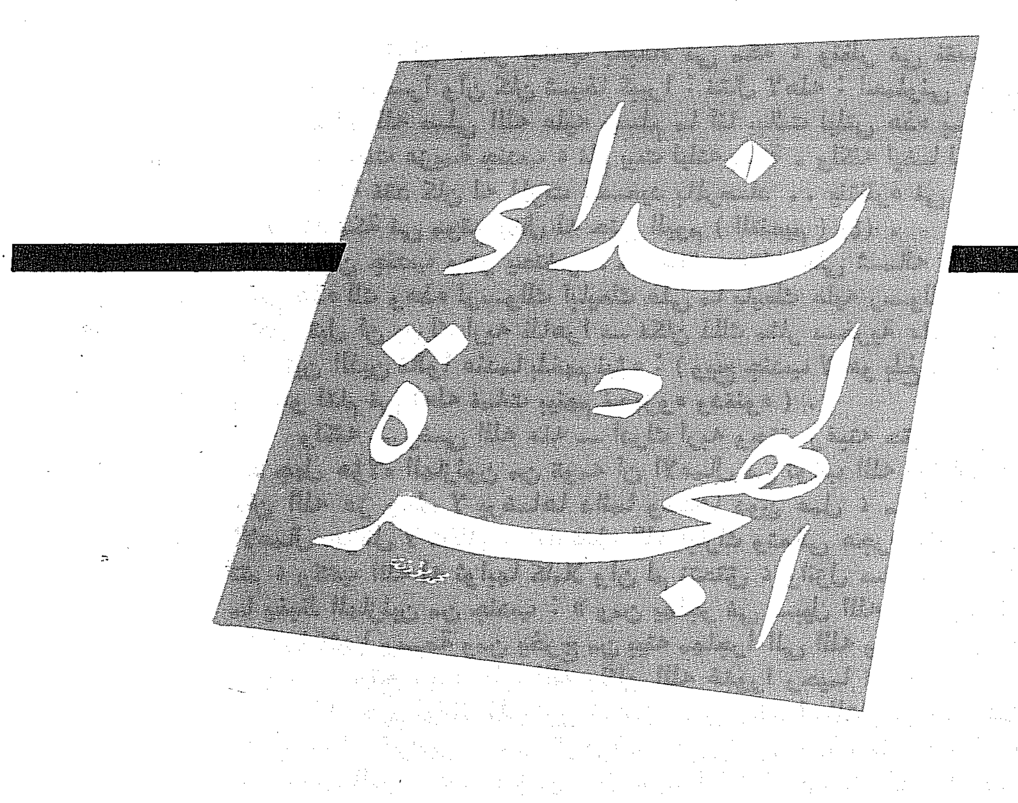
ولقد حرم اولئك المؤمنون القلائل الذين رضوا بالمقام فى دار الكفرة، ولم يلحقوا باخوانهم فى دار الهجرة — حرموا من نعمة المناصرة والمساعفة التي تجب للمؤمن على المؤمن ، بل حرموا أيضا من كرامة المؤاخاة والموارثة التى سنها القرآن بادى الرأى بين المهاجرين والانصار ، ثم نسخها بعد ذلك ، ومن حق الارث بين المؤمن المهاجر والمؤمن المتخلف . بل حرموا كذلك من نصر اخوانهم المؤمنين المهاجرين فى حربهم مع اعدائهم ، ولو كانت الحرب دينية ، اذا كان بين هؤلاء الاعداء واولئك الاخوان المهاجرين ميثاق بالسلام قال الله عز وجل فى شأن هؤلاء المتخلفين عن الهجرة : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير » (٦) .

• • •

هذا بعض القصص القرآنى عن (الهجرة) التى هى سنة كثير من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم . فقد هاجر موسى الى مدين ، وهاجر عيسى الى الجليل فالى بيت المقدس ، وكان قبل ذلك بالناصرة .. وكذلك هاجر أبو الأنبياء ابراهيم الى آشور فالى بيت المقدس . وحيثما هاجر النبى وجد النصر والتأييد ، من حيث افتقدهما عند قومه ، وفى بلده .

واحسب ان المثل العربى القديم : (زامر الحى لا يطرب) ، والمثل الآخر : (أزهد الناس فى الرجل أهل بيته) والثالث : (لا كرامة لنبى فى

البقية على ص ١١٩



— ١ —

صلوات الله على الذي خلى وراءه الدار وأمان الاستقرار ، واختار الهجرة ضمن خطة محكمة ، ورسم بها المعلم الأول لدولة التاريخ المثلى ، وجعل منها الخطوة الاولى للنصر والمودة .

ورضوان الله على صاحبه فى الغار ، من لو شاء شهوات الدنيا لكان فى غير موضعه مع الرسول فى مختبأ ، ولشهدته مكة وجيها غنيا مقربا ، ولكان له فيها غير الغار منزلا وغير الحجارة والتراب فراشا ، وغير العناكب ستارا .

— ٢ —

هذه رسالة من الكويت الى عمان ، تستكتبنى فى وقت مبكر قبل موعد الهجرة عن الهجرة ، وفى ذلك احترام للعمل ، وتكريم لروح التخطيط والنظام ، والمجلة أخذت على عاتقها تحقيق مستوى فى العمل اقرب الى روح الاسلام ، وأدعى الى احترام العقل فى التنظيم والاعداد .. وهى بذلك لا تترك لى مجالا لحجة أحتج بها أو اعتذار ..

لكن الليلة شديدة القر ، حرارة الجو فيها دون الصفر ، ومع ذلك

للأستاذ أحمد العناني

فالآفاق التى كساها الثلج غلالة بيضاء من أروع علامات القدرة محمرة جنباتها بالرصاص ينطلق من كل ناحية ، وبقذائف متفجرة تهتك صمت الجو المقرور ، ومن الذين يطلقون ومن يطلق عليهم ؟ .. كلهم واحسرتاه مسلمون ، وماذا على الحدود من قريب ؟ أرتال تتلوا أرتالا من المعتقلين في سجون الاسرائيليين .

فمن أية نبعة يغرف الكاتب ، وأية ايجابية وآمال يصطنعها ويبشر بها ؟ .

ومع ذلك فالقلم أمانة ، والكلمة مسئولية ، وقد تتضح تحت وهج أفدح الحرائق حقائق تظل تحت بنود السلام خافية منزوية .

— ٣ —

سيل الرصاص المنهمر بقسوة متواصلة ، وغزارة كثيفة لا يكف عن ثرثرته الأليمة ..

وأنا ساهر مع الحبيب النبى أرتفع بذكرى الود الذى يربط قلوبا أصبحت فى يثرب ، وأخرى منثورة على الطريق اليها ، بقلوب ما زالت تحيا فى ظلال الخطر ، لا تستطيع منه فكاكا فى مكة .. ثم أهبط على سبخ الواقع فى وحل تتكسر فيه أجنحة الخيال ، وتتحطم قوادم الفكر وخوافيه . واذا بى بين القاع والأوج لا أملك الا دموعا حائرة لا تدرى أهى لفرح تهمى أم لعار جلل الحياة بالسواد ..

لقد كنت أحسب الأخطار الكبيرة فى حياتنا تناهت الى أبعد أبعاد انحداراتها السفلية ، فاذا وراء ذلك أبعاد ما تزال باقية ، مالها وا اسفاه من قرار ..

ان فى قلبى لصرخات رهيبة ، حبيسة كانت مفجرها هذا القتال المفجع ، وبدا لى وجود المسلمين صغيرا؟ .. رايته وجودا صغيرا متطامنا ، غارقا فى أطمار وأسمال ، مسكينا مهزوزا يتوارى من الناس فى زاوية ذل واهمال ..

لكن حياة محمد عليه السلام لم تكن عبثا ، وقدوته لا يمكن أن تضيع سدى ، وانواره ليست مما يخفى بين اطباق الظلام المتراكبة ، وصوت محمد أعلى من صوت البارود والمتفجرات .. ولا يمكن أن نيأس من روح الله ، مهما مالت موازين الأحياء فى هذه الحياة ..

مالى لا ابلور افكارى واجمعها .. ؟ مالى لا أرفع الصرخة وارسلها وهذه مجلة تسير على وعى وهدى .. فلأنظر هذا الذى يتفجر لهيبا فى

ضلوعى ، ولأترجم عنه مهما كانت ظروفى وشجونى .. وامسكت بقلمى ، وهو عدتى ، ورحت ، وها انا ما أزال أكتب ..

— ٤ —

ايها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ..
الى كل آمل فى رضــوان الله يوم يصنف الناس زمرا الى الجنة أو تطمانا آثمة تساق الى النار .
ايها الناظرون الى يوم تضــحى الوجــوه التى كذبت فيه على الله مسودة .
أيها الخائفون يوما يجعل الولدان شيبا .
ان هـــذا الرصاص المنهمر هــو اعلان خطأ كبير رهيب فى حياتكم ، وعلامة فشل ذريع فيما تهدهدون الضمائر به لتسكت عن الحاحها عليكم ..
آن أوان هجرة جديدة يا أتباع ممجد ، وأحفاد أصحاب محمد .
هجرة تباشرها القلوب ، صادقة تتفجر ينابيعها من صميم الروح باذلة حاسمة .ى بذلها توازن بين الدنيا والآخرة موازنة فاصلة لا رجعة بعدها ..

— ٥ —

طائفتان منا يجب أن تهاجرا تلك الهجرة الميمونة التى تضع أســاس العودة ، وترفع على الأســـاس المكين بنيان هذه الأمة ، بعد أن انحينا مع الأيام ، على البنيان القديم تقويضا وتحطيما ..
العلماء والقادرون يجب أن يهاجروا والا ضاعت مع الرياح ســـائر آهاتنا ، وتبددت بلا طائل سائر مجاهيدنا .
ان الرجلين اللذين اجتمعا بالهجرة ، مترافقين فى الغار بين فكى أروع الاخطار ، كانا الرسول العالم العامـــل محمدا ، والثرى القـــادر المضحى أبا بكر .. وبالعلم العامل ، وقدرة المال الباذلة تشكلت نواة الحركة اليثربية التى نشأت منها كل السرحة العظمى .

— ٦ —

لقد قرأ الرسول باسم الله ، حين ناداه الملاك ، وظل باسم الله يقرأ حتى نهاية الحياة !
حياته كلها جعلها لبث الهداية تماما كما علمه الوحى ، لم يشغله مال يثمره ، ولا ابنة لو سرقت يحابيها فلا يقطع يدها ، وحق يشهره باللين حين ينفع اللين وما دام ينفع ، وبالقوة المسخرة فى ركاب الحق ، الجاعلة النصر وغنيمة النصر لله ولكلمة الله ، وبالصـــمت حين يكون الصمت ســـياسة مثمرة .
ثبت كما لم يثبت أحـــد من المسلمين ، وجاع كما لم يجع أحد منهم ،

واحبهم جميعا ، وما عاب الا النقص فى أعمالهم دون حفيظة أو موجدة على احد منهم ، وسامحهم وعفا عنهم ، ولم يحدث أبدا أن تباعد عنهم ، ولا تخلى عن رسالته لحظة واحدة الا أن تكون لحاجة جسد مكدود من الجهد حين يطعم او يخلد لراحة تجدد الجهد ، أو نوم غرار لا يستغنى عنه أحد ..

وابو بكر كان يحمل معه الى دار الهجرة ماله الا نزرا مطففا خلاه لعياله ومن بعد ما صنع نظير ذلك وأكثر فى تبوك حين جهز مع المجهزين جيش العسرة بكل ما يملك من دنياه ، الا عباءة ربط فيها خلالا لكى تستره .

— ٧ —

لقد آن أوان اليقظة على حقيقة رسالة المعرفة ، وأخلاق طلبة العلم فى عالم المسلمين !

فما بينهم وبين القدوة المحمدية من البعد ما بين اقصى الغرب واقصى الشرق .

العالم المسلم رجل طهور تبسط الملائكة له اجنحتها .

صادع بالحق ، ناطق بالصدق ، كلمته تخرق أعتى الأسوار ، وتزلزل كل جبار ، صانع قوة لا يحيا على زاد سواه ، فرار من لقمة الحرام والزاد السحت ، راع أمين للامة يرد القطعان الضالة منها بصليل الكلمة الصادقة الهادية ، ودليل القدوة النيرة الصالحة قبل أن تسيخ أقدامها فى سيخ الضلالة .. مساهم بعقله ويده فى الانتاج ، عزوف عن التمسح بالأعتاب .

والعلم الذى يريده الاسلام علم نافع يبنى الأمة ، ويرفع مستوى القوة ويوفر القيادة الصالحة والقدوة ..

ديدبان رقيب على تطبيق روح العدل فى المجتمع ، ساهر على حرمات الله ان تنتهك ، مرمم لرباط المحبة بين المسلمين كلما رث أو فتر . مؤكد لذاتية هذه الأمة فى ثقافتها الخاصة ، وحدودها الواضحة ، وشاراتها فى ملبس وطعام وجد ولهو ، ومعاملة وسلوك .

لكن ما نراه يحطم القلب ويسفر عن مثل ما يئن منه الجو المقرور البهيم من تراشق بالرصاص ..

ولكن اين هى مؤسسات المعرفة التى تخرج أمثال هؤلاء المصلحين الربانيين ؟

يريد الوطن الاسلامى الآن نثة طلائعيين من العلماء المهاجرين .

مهاجرين يضعون أيديهم بأيدى اخوان لهم هاجروا من دنيا أموالهم الى دنيا الايمان المتجرد من حطام الرغائب .

ان القيادات العلمانية فى دنيا ثقافاتنا المختلطة المتنافرة تفخر بشىء غير الاسلام ، وتتباهى بأهداف غير أهداف الاسلام ، وهى مصابة الى جانب الانفصال عن ضمير الأمة بأقبح أشكال الأنانية ، وعبادة الشهوات ، وتفريق كلمة الناس ، ناهيك عما يعيبها من انتهازية وتلون ، وهروب ورفض .

ان هؤلاء لا يكيدون عدوا ، ولا ينصرون صديقا ، ولا يتحدثون بلغة الامة التى لا تفهم عن سواها ، وهم مشتتون مذبذبون فى الارض لا الى هؤلاء ولا الى أولئك .. دينهم المنفعة واللذة ، وولاؤهم قطعا لغير القرآن والسنة ،

وعندهم معين لا ينضب من أعذار الكسل وترك كل التزام ، ناهيك عن حب الحمد بغير حق ، والمال بغير كسب ، والشهرة ولو بالاثم .

هؤلاء الذين عن غير الرتب والألقاب والعلاوات لا يكادون يسألون ، ومع كل هبة ريح ينحنون ويخضعون ، ولكل غالب يصفقون .

ولكن محاضن المعرفة الجديدة ، ومدارسها وجامعاتها لا تنهض بالكلام وانما تقوم ببذل غزير ، وهجرة حقيقية كهجرة أبى بكر .

فهل يدرك القادرون على البذل من المسلمين أنه لا بقاء لهم ولا لشعوبهم الا بقيام الثقافة التى تحفظ للأمة كيانها وذاتيتها وشرفها ، وتوجد رجالا لهم مواقف واضحة صارمة حاسمة فى الدفاع عن النسيج الداخلى للأمة فى وقت السلم ، والوقوف على أسوارها الخارجية فى الحرب .

— ٨ —

اننى أومن بالعذاب والآلام والأزمات سبلا لا تخيب فى ايقاظ الوجدان النائم ، وتفتيح العيون الغافلة وابراز أبعاد الخطر .

لقد سقطت أمشاج الثقافات العلمانية الواهنة المتراخية ، وباءت بالفشل سائر المعارف السفسطائية البيزنطية المتباهية بالالفاظ الجوفاء الفارغة ، بل هى أثبتت بما لا يدع للشك مجالا انها تهدم ولا تبنى وتفرق ولا تجمع ،وسقطت أيضا كل هجرة لا تفلغل فى الصحراء مدى المسافة كلها من مكة الى يثرب .

ان المسلمين يقفون موقف حياة أو موت كما وقفوا لأول مرة فى الخندق وما لم يتقدم القادرون بكل قواهم ، وكل امكانهم ، وكل عزائمهم .

وما لم يوقفوا تيار الافساد الموغل فى تحطيم فلذات أكبادهم بتحريف رسالة المعرفة فى أبنائهم ، وغزو عقولهم فى عقر ديارهم .

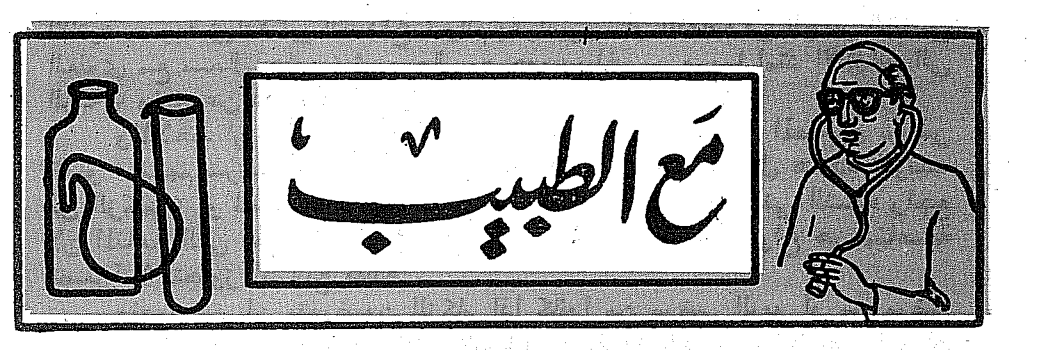
وما لم ينهضوا بصروح العلم الحق ، الذى ينشىء المقدرة والخلق ، تحت راية القرآن وقدوة الرسول ، ومخطط واضح لبناء القوة بالبحث العلمى وفنون الصناعة التطبيقية وفق حاجات كل بيئة بذاتها ، وعلى أساس استغلال ثرواتها ، فى ظلال التراحم والتكافل التى ضمنتها مبادىء الاسلام .

انهم ما لم يفعلوا فالفتن السود ، وهذه الانهيارات الداوية التى يلعلع فى ظلماتها الرصاص بين أهل البلد الواحد ، قد تستمر وتستشرى وتصبح لا سمح الله قدر العذاب لهذه الامة فى الارض ..

وصلى الله على محمد الذى هاجر من مكة الى يثرب ما فى يقينه من وراء الهجرة الا نصرة الحق ، ورفع راية الله فى الارض .

ورضوان الله على أبى بكر فهو قدوة المهاجرين من الجاه والمال فى سبيل انتصار كلمة العدل والحق ..

واللهم أهد هذه الامة ، اللهم اكشف عن أبصارها الغشاوة ، اللهم هىء لها أسباب تبلور الفئة المهاجرة الطلائعية التى ينتظرها تخليص هذه الأمة من طرف الهاوية الرهيبة .



أمراض الشتاء

للدكتور : محمد محمد أبو شوك

ما ان يهل علينا فصل الشتاء ، وما يحمل بين طياته من برد قاس ، إلا وتكون معه أمراضه التى تكثر فى أيامه ، وكما نهرب من فصل الصيف الى جبل مرتفع ، أو شاطىء جميل ، فاننا نهرب من هذا الفصل ونحمي أنفسنا بجوار المدافىء الكهربائية ، أو حول نار متأججة ، أو في الغرف المكيفة ، وبينما يحس الانسان بسعادة الدفء ، اذا هو يعرض نفسه لأخطار وأمراض الشتاء ، لأن سرعة تغير الجو المفاجىء عند خروجه من مكان دافىء الى آخر بارد ، يساعد كثيرا على حدوث مثل هذه الامراض ، وهذه بعض الامراض التى يشيع انتشارها فى الشتاء :

اولا : الزكام .. نزلة البرد .. الرشح .. النشلة :

وهو مرض سرعان ما ينتشر بين الناس ، لأنه ينتقل بواسطة الرذاذ الذى يخرج من أنف المصاب عندما يعطس ، وهذا الرذاذ المحمل بفيروسات — سرعان ما تذهب الى الغشاء المخاطى المبطن للأنف ، مسببا التهابا له مع الاحساس باحساس غريب — يسبب حكة فى الأنف مع العطس الشديد — ودموع تنزل من العينين — وصداع بالراس ، ثم سعلة جافة مع الاحساس بالالتهاب فى الحلق — كل هذا يكون مصحوبا بارتفاع بسيط فى درجة الحرارة — وكل هذه الاعراض تستمر يومين أو ثلاثة سرعان ما تنقشع . وفى بعض الحالات تحدث بعض المضاعفات ربما تكون خفيفة أو شديدة كالتهاب الجيوب

الانفية مسببة زيادة فى الصداع ، والم بالرأس — أو التهاب فى الجهاز التنفسى العلوى مع سعال جاف ، ثم سعال مصحوب ببلغم — وربما امتد الالتهاب الى الرئة ، ونتج عن ذلك التهاب رئوى .

والملاحظ أن هذه المضاعفات تكثر خصوصا عند المرضى المصابين بمرض الربو ، فانهم سرعان ما يتعرضون لنزلات حادة بعد تعرضهم لمثل هـذه النوبات من الزكام ، أو لعل مما يجعل الفرد منا يتعرض لعدة نوبات فى الشتاء راجع لأن المناعة التى تحدث من فيروسات هذا المرض المختلفة الانواع هى مناعـة قصيرة لا تتجاوز أسابيع قليلة .

ونصيحتى لمن يتعرضون للزكام اذا كانوا من مرضى الربو أو من مرضى القلب أو غيرها من الأمراض التى تضعف من مناعة الجسم ، نصيحتى لهم أن يخلدوا للراحة عند حدوث النوبة والا تعرضوا لهذه المضاعفات .

والوقاية فى هذا المرض خير من العلاج ، خصوصا عند الذين يتعرضون للمضاعفات ، فالابتعاد عن الأماكن المزدحمة قدر المستطاع واستعمال (مناديل) الورق عند الاصـابة بالزكام ثم حرقها تكون عاملا أساسيا فى عـدم انتشار العـدوى .

واذا ارتفعت درجـة الحرارة وجب على المريض الراحـة فى الفراش ، واخذ أقراص الاسبرين ثم شراب الكودايين واستنشاق صبغة الجاوة يسـاعد على تخفيف حدة السعال — ثم تناول المركبات الحيوية التى تقتل الميكروبات التى تصيب الجهاز التنفسى اذا دعت الضرورة لذلك .

ثانيـا — ((الانفلونزا)) :

وهى مرض معد ، أشد وطأة من الزكام — يسببها فيروس كذلك ، وربما تجىء على هيئة حالات فردية — أو تجتاح أجزاء كثيرة من العالم وتتخذ شكـلا وبائيا — كما يحدث من آن لآخر .

وأعراضها تظهر فجأة بعد حضـانة لفيروس المرض ، مدة يوم أو يومين والذى ينتقل بواسطة الرذاذ الذى ينتقل فى الهواء .. ويشعر المصـاب باعياء شديد ، مع صداع وآلام فى جميع العظام والمفاصل خصوصا فى الظهر — ثم ارتفاع فى درجة الحرارة مع قشعريرة وشعور ببرودة ثم غثيان ، وربما قىء — كل هذا مصحوب باحتقان فى الحلق وسعال وفقدان للشهية وفى معظم الأحوال تستمر هذه الأعراض لمدة ثلاثة الى خمسة أيام تتحسن حالة المريض بعـدها وتذهب عنه كل الأعراض .

وفى بعض الحالات تحدث بعض المضاعفات مثل الالتهاب الرئوى — أو الاحساس بضعف عام مع اسهال شديد وكآبة لمدة أسبوعين بعد المرض — وفى الحالات الشديدة كما حدث فى وباء سنة ١٩٥٢ يلتهب المخ ويحدث ما يسمى مرض الرعاش أو أعراض اخرى نتيجة لاصابة المخ .

والوقاية هنا هامة خصوصا فى زمن الوباء بهذا المرض فالبعد عن الأماكن المزدحمة ، واستعمال (مناديل) الورق عنـد العطس واخراج افرازات الأنف والفم ثم حرق هذه المناديل . ولقد اكتشف مصل لهذا المرض ، ولكنه ما زال يستعمل على نطاق ضيق ويعطى للعاملين فى حقل التمريض والطب ، والمخالطين للمرضى والعاملين فى حقل الخدمات المختلفة ، وذلك عند حدوث وباء .

وما زال الطب قاصرا من أن يجـد علاجا لقتل الفيروس — والعلاج الذى يعطى هو علاج الأعراض كالاسبرين للصداع وآلام الظهر — ومنوم عند الأرق — وشراب الكودايين للسعال ، ثم علاج المضاعفات عند حدوثها ، كعلاج الالتهاب الرئوى بالمركبات الحيوية كالبنسلين وغيرها من الأدوية المماثلة .

ثالثـا — النزلات الشعبية :

وهى التى تصيب الشعب الهوائية وتبدأ فى معظم الحالات بالحنجرة — ثم القصبة الهوائية . نتيجة للاصابة بالمكروبات التى تملأ الجو — من رذاذ خارج من مريض — ويساعد على ذلك اذا كان الجو مليئا بالضباب ، أو الدخان — أو الأتربة — ويكثر المرض بين المدخنين — ومدمنى المشروبات الكحولية ، والذين يتعرضون للغبار — وتكثر هذه النزلات فى الشـتاء خصوصـا اذا كان تغيير الجو مفاجئا .

وتكون النوبة حادة سرعان ما تزول اذا ما عولجت العـلاج الناجع وفى اسرع وقت ممكن والابتعاد عن المسببات — أما اذا أهمل العلاج واستمر التعرض للسبب فان المرض يطول — ويطول — وتكون النزلات الشعبية المزمنة — والربو وغير ذلك من أمراض الرئة المزمنة ، لذا كانت أهمية العـلاج المبكر والابتعاد عن السبب ، وتبدأ الاعراض بسعال جاف يتضايق منه المريض ، مع الاحسـاس بألم وشرخ ملتهب خلف عظم القفص مع ضيق فى الصـدر — وعدم سـهولة التنفس — مع حدوث صوت مسموع عند التنفس . ويجد المريض صعوبة فى إخراج بصاق لزج فى بادىء الأمر ، الا أنه بعد يومين يصير البصاق صديديا ، وترتفع درجة الحرارة .

وفى معظم الحالات تتحسن حالة المريض فى ظرف أربعة أيام الى ثمانية أيام — الا اذا حدثت المضاعفات ، وهى تنتج من امتداد الالتهاب الى الشعيبات الصغيرة او انسجة الرئة نفسها .

والعلاج كما أوضحت يجب أن يكون مبكرا ، مع التزام الراحة بالفراش على أن تستمر الراحة بعد رجوع الحرارة الى طبيعتها بيومين خوف النكسة أو المضاعفات .

والعلاج بالمضادات الحيوية كالبنسلين وغيره بعد عمل فحص للبصـاق ومعرفة الميكروب المسبب للمرض ومدى استجابته للعلاج — حتى يمكن القضاء عليه وعدم تركه ليحدث المضاعفات أو يسبب أزمات المرض .

وعندما يكون البصاق لزجا فى بادىء الأمر ويستحال خروجه الا بمشقة فصبغة الجـاوة بوضعها على ماء مغلى واستنشاق بخارهـا يسهل خروج البصاق .

وشراب الكودايين يهدىء من شدة السعال فى الليـل لكى ينعم المريض بقسط من الراحة فيمكنه التغلب على مرضه .

رابعـا — الألتهاب الرئوى :

وهو كثيرا ما يحدث فى الشتاء اذ أن الطريق يكون ممهدا أمام المكروبات

المختلفة لتذهب الى الرئة وتسبب التهابا ، وذلك نتيجة لتعدد حدوث نوبات الزكام ، والعدوى بالفيروسات المختلفة .

وتظهر الأعراض فجأة مع قشعريرة فى الجسم ، مع اعياء شديد — وفقدان فى الشهية وآلام فى الرأس والمفاصل والظهر ، ومن هنا تظهر أن الأعراض لا تختلف كثيرا عن أعراض الانفلونزا فى بدايتها — ثم ترتفع درجة الحرارة . ويحس المريض بألم فى الصدر يكون من النوع الوخزى يزداد عندما يسعل المريض او يأخذ نفسا طويلا — ونرى المريض يسعل كثيرا ، وربما أرقه هذا السعال وانهك قواه — وفى أول الأمر يكون السعال جافا غير مصحوب ببلغم ، ثم بعد يومين أو ثلاثة يخرج بلغم قاتم سرعان ما يتحول الى بلغم مصفر أو مخضر تبعا لنوع الميكروب المسبب للمرض .

والذى يساعد على حدوث مثل هذه المضاعفات هو عدم خلود المريض الى الراحة والعلاج ، واجهاده نفسه رغم ما يقاسى من آلام ومن ارتفاع فى درجة الحرارة .

وتدريجيا تنخفض درجة الحرارة مع استعمال العلاج اللازم فى مثل هذه الحالات .

والعلاج يتلخص فى راحة المريض بالفراش مع اخذ وجبات خفيفة من الاغذية سهلة الهضم كشربة الخضار — أو خضار مسلوق أو لحم دجاج مسلوق — ثم الاكثار من عصير الفواكه الطازجة ، والماء لتعويض ما يفقد الجسم من سوائل وذلك فى العرق الذى يكون غزيرا فى مثل هذه الحالات .

ثم استعمال الأدوية الحيوية المضادة للميكروبات وعلى راسها البنسلين ، وغيرها من مثل هذه المركبات . وكلما كان العلاج مبكرا فى بادىء الأمر ، كان الشفاء العاجل دون حدوث مضاعفات ، لذا كان من اللازم استشارة الطبيب فى وقت مبكر ، وليس بعد فوات الأوان . واذا احتاج المريض الى مسكن كالاسبرين — أو مسكنات السعال كشراب الكوداايين او منوم — أو لزقة ساخنة على آلام الصدر كل هذا يساعد المريض على التغلب على مثل هذه الأعراض .

خامسا — التهاب اللوزتين :

وهذا كثير الحدوث فى الشتاء لكثرة حدوث نوبات الزكام — فتلتهب اللوزتان وتتضخم — ويحدث تقيح فيهما مع ارتفا عفى درجة الحرارة ، ويخاف على المريض فى بعض هذه الحالات من أن يصاب بعد ذلك بالتهاب فى المفاصل ، وبما يسمى الحمى الروماتيزمية — أو التهاب الكلى الحاد .

والحمى الروماتيزمية تصيب المفاصل الكبيرة ، فتلتهب المفصل وتتورم ، وتؤلم مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وسرعان ما تتحسن الحالة فى هذا المفصل — ليتأثر المفصل الآخر ويلتهب وتتحسن حالة المفاصل باستعمال الاسبرين أو مركبات الكورتيزون — ولكن الخوف كل الخوف أن يصاب القلب بالروماتيزم ، وما يترك من أثر على صمامات القلب ، فاما أن تضيق أو تتسع — لذا كان من الواجب اذا أصيب الطفل أو الشاب بالحمى الروماتيزمية أن يعرض

نفسه على طبيبه ، ويتبع تعاليمه بدقة فى الراحة والعلاج ، حتى لا يتعرض لمثل هذه المضاعفات .

واذا تكرر التهاب اللوزتين ، وتكررت معه آلام المفاصل . كان من الواجب اخذ البنسلين طول مدة الشتاء حتى لا يتعرض المريض لحدوث مثل هذه الالتهابات فى المفاصل . وفى حالة ما

اذا كانت اللوزتان قد أصبحتا مصدرا للالتهاب المزمن ، وبالتالى مرتعا خصبا للميكروبات التى طالما تؤدى بما تفرزه من سموم تؤثر على أجزاء عدة من الجسم فان ازالتهما يكون مستحسنا ، ويكون ذلك بعد استشارة الطبيب .

سادسا ـ الآلام العضلية والمفصلية :

ومع الشتاء تكثر الشكوى من الآلام التى تكون فى العضلات والمفاصل وذلك ان البرد يؤثر على بؤر حساسة فى العضلات فتبعث هذه بدورها الى كل أجزاء العضلة والعضلات المجاورة باحساس بالألم ، كما يحدث ذلك فى عضلة الظهر ـ والمرض المعروف (باللمباجو) وكذلك الآلام التى تصيب عضلات الرقبة ، والعضلات حول المفاصل ، ويلاحظ من يعانون من الآلام المفصلية المزمنة بالركبتين مثلا ، ان هذا يزداد فى الشتاء لا لشىء الا أن العضلات حول المفاصل تزداد تيبسا ، وتزداد أوقات الجلسات حول المدافىء فتتيبس المفاصل اكثر فأكثر ، ويجد المصاب صعوبة فى بدء الحركة حتى تتفكك المفاصل عند القيام وتبدأ الحركة .

ونصيحتى لهؤلاء أن لا يعرضوا انفسهم للبرد القارس وان يحافظوا على عضلاتهم ومفاصلهم بارتداء الثياب الصوفية ، واذا جلسوا بجوار المدافىء فلا يطيلوا واذا أطالوا يجب أن يحركوا مفاصلهم حتى لا تتيبس ـ بل واذا أحسوا بالدفء ، أن يمرنوا العضلات حول المفاصل التى طالما تكون ضعيفة وذلك بتحريك المفصل عدة مرات ، وهو أمام المدفأة ، فيستفيدوا من الدفء ، ولا يعرضوا انفسهم للآلام الشديدة التى تحدث من تيبس المفصل . ومع آلام العضلات التى فى الصدر والوخزات التى تحدث تبعا لذلك يكون الخوف على القلب ، ومن أمراض القلب ـ ولكن عندما يكون الألم وخزيا ينتقل من مكان الى مكان ، بل وفى بعض الأحيان يذهب الى عضلات أخرى فى الاطراف فاحتمال مرض القلب بعيد ـ وكل هذا ناتج من الآلام الشبه روماتيزمية التى تصيب تلك العضلات شأنها فى ذلك شأن العضلات الاخرى .

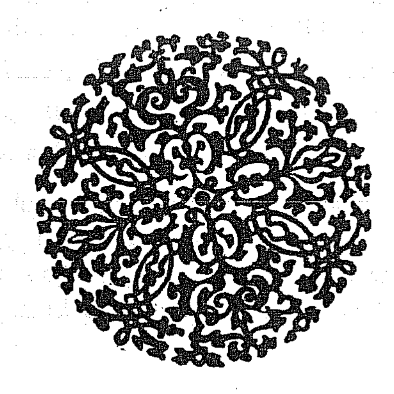
واذا زاد الألم فى العضلات والمفاصل رغم التدليك والتدفئة والتمرينات ـ فأخذ أقراص الاسبرين لمن ليسوا عندهم حساسية له ـ أو اقراص البارا ستامول وفى الحالات الشديدة البيوتازولدين تساعد على تخفيض حدة الألم ويمكن للانسان مزاولة عمله فى همة ونشاط بدلا من أن يركن الى الخمول وعدم الحركة ، أو يصبح قعيدا عالة على أهله .

سابعا ـ التسمم بغاز الفحم :

ولكى اوفى الموضوع حقه لا بد وأن القى الضوء على حالات التسمم بغاز الفحم ، أى أول أوكسيد الكربون ، فبعض الناس ما زال يستعمل الفحم كوسيلة للتدفئة ، رغم ما يحيطها من أخطار ولعل اكثرها خطرا هو أن يؤخذ الفحم فى الحجرة ، وتقفل نوافذ وأبواب الحجرة ، باحكام ـ وينام الناس ، والفحم ما يزال مشتعلا ـ فيستولى على أوكسجين الغرفة ، ويتنفس النائمون غاز الفحم ، أول أكسيد الكربون فسرعان ما يحسون بدوار ، ثم غثيان وفى بعض الحالات قىء ـ واذا لم يسعف المريض واستمر تحت تأثير الغاز ، فانه يصاب بغيبوبة ـ لو طالت أدت الى الموت ، والوقاية هنا هامة ، ويا حبذا لو استبدل الفحم بالمدافىء الكهربائية ـ وان كان ولا بد من الفحم ـ فليستعمل خارج الغرفة ثم اذا أدخل الغرفة ، فلا تقفل كل نوافذها واذا حدث أن أصيب بعض الأشخاص بتسمم هذا الغاز ، فيجب أن يخرجوه بسرعة إلى الهواء الطلق ، وتزال كل اشياء حول الرقبة ليسهل التنفس ، ثم يلف المصاب حتى لا يبرد جسده ، ويساعد ذلك على سوء حالته واذا حدث وتوقف نفسه ، فلنعمل له تنفسا صناعيا ، وأحسن طريقة ـ هى من الفم الى الفم ، وذلك الى أن تحضرسيارة الاسعاف ، وينقل المريض الى المستشفى لتكملة علاجه ، خصوصا اذا كان فى غيبوبة ، لأن ضياع الوقت يؤثر على المريض ، فربما طالت الغيبوبة ، وهذا يؤثر على المخ ، وحتى لو فاق المريض من غيبوبته فانه يترك اثرا بالمخ مما يسبب شللا فى بعض العضلات أو تيبسا فى الجهاز العضلى أو خللا فى التوازن وغير ذلك من الاضطرابات التى تصيب المخ .

لذا اكرر اهمية نقل المصاب بالتسمم بالغاز الى المستشفى ليعطى الأوكسجين بأسرع وقت ممكن حتى نقيه من المضاعفات ويفيق من غيبوبته تحت الملاحظة الدقيقة وعلاج أى طارىء يجد فى حالته .

هذه بعض امراض الشتاء أحببت أن القى الضوء عليها ، كما القيت الضوء على امراض الصيف لعل فى ذلك ما يجعلنا نتقى شرها ونحافظ على أنفسنا منها لنتمتع بفصل الشتاء شهر الجد والاجتهاد ، شهر العمل والانتاج فنسعد به ونجنى ثمار جدنا واجتهادنا .



وطنه) .. من مسلمات الواقع ومصدقا تالتاريخ الانسانى ، بالنسبة لحملة رسالات الاصلاح جميعا بلا اختلاف .

• • •

وبعد .. فعسى أن تكون لنا فى مناسبة الهجرة النبوية نحن مسلمى اليوم : موعظة وذكرى .. اعتبار بأحداثها وتجاربها الحلوة والمرة ، واستنارة بأضوائها ، وتحليق فى أجوائها .

لعلنا نرتفع من حضيض ، ونخرج من ظلمة ، ونجتمع بعد افتراق .

وان لنا — نحن مسلمى اليوم — لهجرة عجيبة غريبة .. هاجرناها — ونحن فى أوطاننا — وهجرنا فيها تعاليم الاسلام وآدابه ، الى تقاليد الحضارة الغربية التى سنها اهلها للهو واللغو والمجون ، وليست تقاليدهم الاخرى التى امسكوا بها لتقدير الاعمال والعلوم والفنون .

فكل حياتنا اليوم (مظاهر) ذات زخارف ومتع وزينات . استنفذت حظ (مخابرنا) من الشعور الطاهر والفكر النائر ، وابدلتهما شعورا ضعيفا ، وفكرا سخيفا .. لا حول لهما ولا طول فى انكار منكر ، أو اقرار معروف .

اجل نحن مهاجرون — منذ قرون عديدة — الى المتع والملذات ، مخلدون الى الدعة والسلامة ، حريصون على جمع المال من اية سبيل ، والتباهى بالقصور المشيدة ، والمزارع المديدة ، والنزه والرحلات ، والاغراق فى المآكل والمشارب والمسامر .. لا نريد أن نبذل مالا ، ولا أن نريق دما ، ولا أن ننفق جهدا لاحقاق حق ، أو ازهاق باطل ، أو زجر ظالم ، أو اعانة مظلوم .

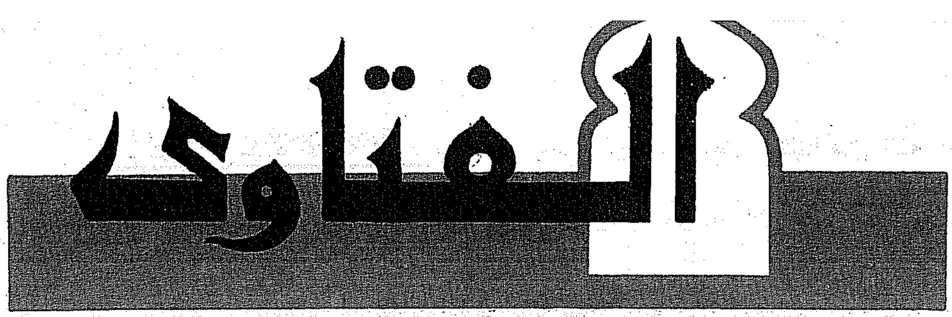
ومن هنا حقرتنا الامم القوية ، وتقاسمتنا الدول الكبيرة ، وأصبحت مصائرنا فى ايديهم ، وثرواتنا فى خزائنهم ، وقضايانا تحل بقوانينهم ، ونحن — فوق ذلك — فيما بيننا مختلفون متشاكسون !

لقد كانت هجرة الأولين فى سبيل نشر دعوة الخير والحق والنور . وجاءت هجرتنا نحن مسلمى اليوم فى السبيل الاخرى . . التى تغرى عابريها بلذائذها وزخارفها بنسيان تلك القيم الرفيعات .. وصدق الرسول الكريم : (.. ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) .

- **فمتى نعود الى الصراط السوى ، ومتى نهتدى ؟**
- **ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا ..**
- **ربنا ظلمنا انفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**

---

(١) سورة يس ٨ ، ٩ .
(٢) سورة الانفال ٣٠ .
(٣) سورة النساء ٩٠ .
(٤) موضع خارج الحل اعتمرت منه عائشة رضى الله عنها ، وكذلك يفعل العمار اليوم .
(٥) سورة النساء ١٠٠ .
(٦) سورة الانفال ٧٢ .



نقل الدم لا يحرم

السؤال :

هل يترتب على نقل الدم من الرجل الى المراة وبالعكس من الحرمة ما يترتب على الرضاع بداعى نقل الجزئية من جسم الى آخر فى كل منهما ؟ .
وجه هذا السؤال الى الدكتور حسن هويدى ، فتفضل بالاجابة التالية نقلا عن مجلة حضارة الاسلام الدمشقية .

الاجابة :

اذا نظرنا الى شروط الرضاع المحرم من كونه من امرأة ، وخلال الحولين باستثناء حديث سالم مولى أبى حذيفة الذى عده الجمهور شاذا ولم يأخذ به انتفى التحريم بالدم فى كل الحوادث التى ينقل فيهـا بعد الحولين ، والتى ينقل فيها من ذكر الى ذكر أو من ذكر الى أنثى مطلقا (لأن القول بتحريم لبن الرجل اذا در لبنه شاذ جدا لم يرد عن السلف ولم يأخذ به الخلف) ، ويبقى البحث دائرا فى صورة واحدة هى نقل الدم من امرأة الى طفل لم يتجاوز الحولين .

واذا تبين لنا ذلك أمكننا أن نقـول : ـــ

لا يحرم الدم المنقول كما يحرم الرضاع للأسباب التالية ..

١ ـــ لأن الرضاع أمر تعبدى ورد به صريح الكتاب والسنة ، وأن أصل الاشياء الاباحة فلو لم يرد النص بالتحريم من الرضاع لبقى الأمر على الأصل من حل النكاح ، فمن قال بالتحريم من الدم فكأنما يدعى نصا أو توقيفا وانى له ذلك ؟

٢ ـــ لا يحرم الدم كما يحرم اللبن ، لأن الدم ليس بغذاء فى حد ذاته يمتصه الجسد ويغتذى به كما يمتص اللبن ويغتذى به ، وانما ينقل المـواد الغذائية والاكسجين ويطرح ثانى أكسيد الفحم فهو خادم غريزى وناقل للغـذاء وموفر للهواء (الأكسجين) فلا ينبت اللحم بذاته ولا ينشز العظم ، وانك لترى انسانا يموت فى الصحراء جوعا وفى عروقه ما يقارب خمس ليترات من الدم فهـلا اغتـذى به ؟ كما يلفت النظر الى أن الدم المنقول لا تلبث كرياته الحمر أن تموت بعد بضعة أيام ، ولا يبقى منه فى الجسم الا الماء والأملاح .

٣ ـــ يشترط فى صحة القياس كثرة أوجه الشبه بين المقيس والمقيس عليه وما ثمة شبه بين اللبن والدم حيث ان الدم يوفر الحرارة والهـواء (الأكسجين ـــ وغاز الفحم) بينما اللبن محض غذاء فكيف يسوغ القياس ؟ ومن هنا يبطل الاحتجاج بنقل الجزئية من جسم الى آخر لعـدم الشبه والا لكان تطعيم الجلد وتطعيم القرنية من انسان الى آخر محرما بداعى نقل الجزئية ، فهل يقـول بذلك أحد ؟

٤ ـــ ليس من ضابط توقيفى فى نوع النسب الحاصل ـــ زعما ـــ من نقل

الدم فان الرضيع نسبه الى المرضعة البنوه من الرضاعة توقيفا قال الله تعالى « وامهاتكم اللاتى ارضعنكم » .

وشهودا صوريا اشبه فيه ابنها الحقيقى بايوائه الى حجرها والقامه ثديها واغتذائه بلبنها وفوزه بحنانها ، أما المنقول اليه الدم فلم يكن له نصيب فى هذا المشهد ، ولم ينل هذا النصيب من الغذاء ، ولم يرد فى نسبه توقيف فهل هو ابن لمن أعطاه الدم أو أخ أو ماذا .. ؟

لا شك أن ذلك يحتاج الى توقيف وماثمة من توقيف وأن الصورة الحسية اختلفت فلم يعد بالامكان القول (بالبنوة) قياسا على الرضاع ، وليس بعدالتوقيف والقياس الصحيح والاجماع الا الابتداع اجارنا الله تعالى ..

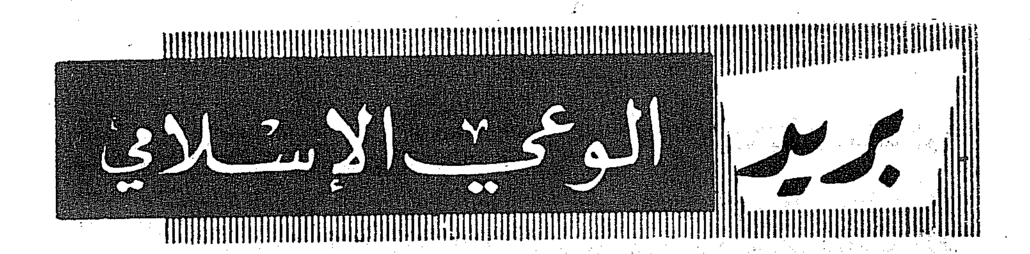
من مسائل الربا

بعث الينا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الفتوى التالية ..

أما بعد فقد سالنى غير واحد عن معاملة يتعاطاها كثير من الناس ، وهى أن بعضهم يدفع الى البنك أو غيره مالا معلوما على سبيل الأمانة ، أو ليتجر به القابض على أن يدفع القابض الى الدافع ربحا معلوما كل شهر أو كل سنة مثال ذلك أن يدفع شخص الى البنك أو غيره عشرة آلاف ريال أو أكثر ، على أن يدفع اليه القابض مائة ريال أو اكثر أو أقل كل شهر أو كل سنة ، وهذه المعاملة لا شك أنها من مسائل الربا المحرم بالنص والاجماع ، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن أكل الربا من كبائر الذنوب ومن الجرائم المتوعد عليها بالنار واللعنة قال الله سبحانه « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ..

ففى هذه الآيات الكريمات الدلالة الصريحة على غلظ تحريم الربا وأنه من الكبائر الموجبة للنار ، كما أن فيها الدلالة على أن الله سبحانه يمحق كسب المرابى ويربى الصدقات أى يربيها لأهلها وينميها حتى يكون القليل كثيرا اذا كان من كسب طيب ، وفى الآية الأخيرة التصريح بأن المرابى محارب لله ورسوله وأن الواجب عليه التوبة الى الله سبحانه وأخذ رأس ماله من غير زيادة ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء .

فالواجب على كل مسلم أن يتقى الله سبحانه ويراقبه فى جميع الأمور وأن يحذر ما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال والمكاسب الخبيثة ، ومن أعظمها وأخطرها مكاسب الربا الذى أنزل الله فيه ما يوجب الحذر منه والتواصى بتركه ، وقد نقل أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة رحمه الله فى كتابه المغنى عن الحافظ بن المنذر اجماع العلماء على تحريم مثل هذه المعاملة ، وفى ذلك كفاية ومقنع لطالب الحق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ..



حق القراءة

رزقني الله زوجة صالحة احمد فيها كل شيء الا انها لا تريد ان تترك لي وقتا افرغ فيه الي القراءة التي تعودتها منذ صغرى فهل من حقوقى عليها شرعا ان تتيح لى فرصة المطالعة .

ع ـ س ـ الكويت

من حقوق الزوج على الزوجة أن تسارع الى هواه وان تعمل على مرضاته فيما يرضى الله ورسوله ، ومن ذلك أن تترك لــه وقتا يفرغ فيه الى عبادة الله ، ووقتا يقرأ فيه ويكتب ويؤلف ، وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ترى ميل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العبادة ، فتسارع الى هواه وتقول له اوثر هواك على هواى .

والزوجة لا تشعر باللذة التي يجدها زوجها فى اشباع هوايته فى القراءة وقد تؤولها على معنى الكراهية لها والبعد عنها ، وهى فى ذلــك متجنية على زوجها ، واذا أصرت على هذا فقد تحمله على أن يترك البيت وان يفر الى مكان ينجو فيه من مضايقاتها ، وقد تمتد الكراهية الى معاشرتها بغير المعروف وعندئذ تكون الكارثة التى تهدد الأسرة .

ومن واجب الزوجة أن تكون عونا لزوجها في كل خير ، والاعتدال فى كل شيء خير وفى الحديث (ان لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولربــك عليك حقا) .

• • • •

حق التاليف والنشر

ظهر اخيرا كتاب لأحد المؤلفين وباطلاعي عليه تبين ان هذا الكتاب منقول بنصه من كتاب لي سبق نشره ، ولا ادرى كيف ساغ لهذا الانسان ان يســطو على جهد غيره ، وان ينسب لنفسه ما ليس له ، والذى اريد الاستفسار عنــه هو موقف القانون من هذا العدوان .

سيد الهابع ـ ج . ع . م

من الحقوق المعترف بها قانونا حق ملكية الاعمال الأدبية والفنية ، وقد نشأ هذا الحق ليفيد كل شخص من ثمرة فكــره وفنه .

ولحق التأليف جانبان متميزان :

أولهما أدبى يتركز فى حق الشخص أن تنسب اليه أفكاره ، وان يكــون له وحده حق نشرها أو عدم نشرها ، وحق تعديلها والاضافة عليها ، وهــذا الجانب يعد من الحقوق الشخصية .

والثانى : مادى ويتمثل فى حق الشخص فى الافادة ماليا من اعماله ،

ويجوز له التصرف فيه ، وينتقل من شخص الى آخر ، كما ينتقل بعـد موته الى ورثته .

ويختلف هذا الحق باختلاف الدول ، وهو فى القانـون المصرى ٥٠ عاما بصفة عامة تبدأ من تاريخ وفاة المؤلف ، وبعد هذه المدة يسقط الجانب المالى لحق التأليف أى الحق فى استغلاله ، وهذا الأجل تقضى به المعاهدات الدولية وتأخذ به اغلب تشريعات الدول الاوروبية ، وقد قبلت كثير من الدول معاهدة برن (١٨٨٧) لتبادل حقوق النشر ، واجتمعت ٤٥ دولة فى جنيف ١٩٥٢ واقرت معاهدة عالمية لحقوق النشر وقد استقينا هـذه المعلـومات من الموسوعـة الميسرة .

هذا من الناحية القانونية ، أما من الناحية الأدبية فما اعتقد أن انسانا ما يقر هذا العمل أو يرضاه لنفسه ، فضلا عن أن ينتسب للعلم .

النقـود

كيف كان الناس يتعاملون قبل اسـتعمال النقـود ؟ وما هو الغرض من اختلاف العملة بين نحاس ورصاص وفضة وذهب ؟ وهل قيمتها التجارية تعادل قيمتها المعدنية ، والعملة الورقية المسـتعملة الآن هل لها غطاء ذهبى يعـادل قيمتها ؟

هاشم عبيد ـ عدن

كان التبادل يتم فى المجتمعات الفطرية عن طريق المقايضة ، اى مبادلة السلع بالسلع ، غير انه مع اتساع نطاق المبادلة ، وظهور تقييم العمل ، لم تعد المقايضة تفى بحاجات المجتمع الذى جاوز مرحلة البداوة ، ومن هنا ظهرت الحاجة الى واسطة تقـوم بها الأشياء ، وتتمتع بقبول عام ، بحيث تستخدم فى التبادل . وكانت النقـود فى بداية عهدها سلعة من السـلع الشائعـة الاستعمال ، فهى فى بعض المجتمعات ماشية أو نوع من الاحجار والأصداف ، بحسب ظروف كل مجتمع . ثم ظهرت النقود المعدنية تدريجيا ، من النحاس أو الرصاص فالذهب والفضة . وبقيت النقود المعدنية أداة التبادل ومقياسا للقيمة ردحاطويلا من الزمان، نظرا لما تتمتع به من دوام وقابلية للتجزئة الى قطع مختلفة الأحجام والأوزان . كان الاصل فيها التعادل بين قيمتها التجارية وقيمتها النقدية ، بمعنى انه يستوى أن تباع كقطعة معدنية أو كقطعة من النقود ، غير أن حاجة الحاكم الى ايراد ، مع عدم استقرار نظام الضرائب ، دفعته الى السيطرة على المضمون المعدنى للنقود . ومنذ ذلك التاريخ افترقت القيمة التجارية عن القيمة النقدية للعملة ، واحتكر الحاكم لنفسه سلطة ضرب النقود ، واجبر الأفراد على قبولها . ولم يلبث أن انتهى ذلك الى ظهور العملة الورقية ، وتطورت هـذه بدورها تطورا كبيرا ، فقد بدأت صكوكا تخول حاملها الحق فى أن يبادلها بالذهب على أساس القيمة المثبتة عليها . وساعد فى ذلك ان العملة الورقية كانت فى بداية أمرها تستند الى غطاء ذهبى بنسبة ١٠٠٪ ، ثم تلاشى هذا الحق وأصبح الأفراد ملزمين قانونا بقبولها فى التعامل . وليس معنى ذلك أن الدولة تصدر العملة الورقية دون قيد أو شرط ، فأن الاسراف فى استعمال هـذه السلطة يعرض النظام الاقتصادى لأخطار فادحة ، تتمثل فى التضخم النقدى ، والارتفاع الشديد فى الأسعار ، وزعزعة الثقـة فى النقود ، ولا توجد حكومـة تقدر

مسئوليتها تقدم بسهولة على هذه المخاطر . لذلك كان أصدار العملة الورقية ، سواء قامت به الدولة أو البنك المركزى يخضع لتنظيم دقيق ولم يقف تطـــور النقود عند حد ظهور العملة الورقية وشيوع استعمالها ، فان نمـــو النظـــام الائتمانى اقترن بظهور الودائع المصرفية ، واستخدامها عن طريق الشيكات فى تسوية كثير من المعاملات ، وهى تؤدى ما تؤديه النقود تماما من وظائف .

(الموسوعة الميسرة)

تعقيب
حول مقال الأحاديث الضعيفة والقوية

جاءنا من الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير موسوعة الفقـــه الاسلامى التعقيب الآتى :

نشرتم فى العدد الماضى (٧١/من السنة السادسة) كلمة للأستاذ المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى تحت عنوان (الأحاديث الضعيفة والقويـــة) وذكر فيها اننى اوردت فى كتابى (المدخل الفقهى العام) حديثا بنص : (الشفعة كحل العقال) ثم نقل عن ائمة الحديث ما يفيد انه غير ثابت .

فاود ان اقول : اننى اوردت هذا الحديث نقلا عن كتاب (بداية المجتهد) لابن رشد الذى بين اعتماد فريق من فقهاء الشريعة عليه فى ايجاب الفورية فى طلب الشفعة واننى بينت فى الحاشية ضعفه فقلت ما نصه : « وهذا الحديث لم يبلغ سنده رتبة الصحة » ..

وقد كان على الفاضل المذكور ان يبين انى نبهت على ضعفه وان يذكر ايضا اننى نقلته عن بداية المجتهد .

هذا ما تقتضيه أمانة النقد فارجو نشر هذا الايضاح لبيان الواقع .

وبهذه المناسبة اقول : اننى اقدر للأستاذ الألبانى غيرته على تنقية الحديث النبوى مما لحق به من دخيل ــ شكر الله له ذلك ــ واننى متفق معه فى انه لا يجوز الاعتماد على الأحاديث الضعيفة الثبوت حتى فى فضائل الأعمال ، فان فضائل الاعمال ايضا من الشريعة فلا يعتمد فى تقريرها الا النصوص الصحيحة الثبوت خلافا لمن يقولون بجواز اعتماد الحديث الضعيف فى فضائل الأعمال . كما انى معه ايضا فى ضرورة التعاون بين العلماء من مختلف الاختصاصات بحيث يرجع غير المختصين بعلم الحديث النبوى الى المختصين فيه ، او مصادره الموثوقة لمعرفة رتبة كل حديث . واننى شخصيا كنت فى كثير من الأحيان اطلب اليـــه نفسه ان يفيدنى عن رتبة بعض الأحاديث التى تمر بى وما قرره علماء الحديث فى رتبتها .

الهدى فى الحج

وحول هذا الموضوع بعث الأخ حمد العبد القاضى من الكويت برسالة جاء فيها : انه سبق له ان كتب فى هذا الموضوع منذ عشر سنوات وانه اقترح تعليب لحوم الهدى بطريقة صحية ومساعدة المحتاجين بها ، كما اقترح الانتفاع بالجلود والقرون والمخلفات وانفاق ثمنها فى مد خطوط السكك الحديدية وربط المدينة ومكة وجدة بها .



الايمان فضيلة وحضــارة

كتب الاستاذ محمد سيد احمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

يمكن تصور اشراقات الايمان على الجنبي الانساني واثره في قيــادة القافلة البشرية الى حيث القيمــة والقمة من ثلاثة مواقع ...

اولا ــ الفــرد :

فالمؤمن كما اراده الله ــ تجسيد لكل معــانى الشرف والنبل والعزة والكرامة والرجــولة والشهامة ، وهو مثل حى يمتزج فيه السمو الروحى بالشعور الانســانى فهو يستروح بقدس الله ويتصل بمصــدر الخير الاكمل والفضل الأسنى فى اطار قوى وسياج منيع مؤسس على تقوى من الله ورضوان .. وعلى العكس من ذلك الرجل الذى يهوى الى الأرض يستلهم وجهته ممن عليها بما ينطوى عليــه من ضعف فى الادراك والسعى ، وضعف فى العلم والاحــاطة ، وضعف فى القدرة والارادة . « وخلق الانسان ضعيفا » .

ثم ان المؤمن عصى على القلق ، بعيد عن امراض النفس ، تستشعر نفسه روعة الحق ونضارة الصدق ، ويعيش مع من حوله فى جو تسوده نسمات السعادة ، وتحوطه بسمات العزة بلا نفاق او رياء ، وبلا كيــد او دهاء كما قال تعالى :

« الذين آمنــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » ..

كذلك يسيطر الايمــان على نفسية المؤمن فيسمو به على كل المعوقات وينطلق به من فوق كل المثبطات فيصل الى هدفه قويا عزيزا ...

ثانيا ــ الحس الاجتماعى :

ونعنى به ذلك الشعور المستبطن لذات الانسان تجاه ما يموج فى مجتمعه وصــدى ذلك فى نفسه وما يصــدر عنه من احاسيس واعمال تتصل ببنى المجتمــع وتتعلق بمختلف مناحى الحياة فيه .. ويتحقق خير المجتمع بمدى ما يتاصل فيه من معانى الأخــوة وقرابة الرحم ، وكرامة الانسان والتعاون القــائم على تلاحم حقيقى ووحدة متماسكة ..

والايمان وحده هو الذى ينتظم كل هذه المعانى ، وينسق بينها ، ويقدمها فى احسن صــورة واجلاها ، فهو يسعى الى تربية النفس ، وتاصيل مبادىء الخير والبر فيها ، واستحثاثها غيرة على الحق لا تعرف الملق ، وخدمة للآخرين فى السر والعلن لا يشوبها من ولا اذى ، ونصرة للضعفاء وذوى الحاجات لا تعرف خورا او تفريطا .

ثم ان الحس الاجتماعى المؤمن غير متاثر بالعاجل من المنافع بل هــو يولى وجهه شطر غايات ارحب ، الا وهى ما يفهم من قول الله تعالى : « انمــا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جــزاء ولا شكورا » .

وهذه الخاصية المؤمنة هى التى تخلق انبل النفوس واكرمها ، وادخلها فى الرفعة والسمو

الانسانى ، فالمؤمن يعتقد أن الله تعالى يجب أن يطاع بلا قيد ولا شرط ، وبلا علة خاصة او غرض شخصى ، لانه هو الحق والعدل ، والجدير بكل حب وطاعة « هو اهل التقوى واهل المغفرة » ..

ثالثا ــ حضارة الأمــة :

ان امــة تتكون لبناتهــا من افراد يمثلون الفضيلة فى ارقى صــورها ويســود مجتمعها هدى اجتماعى مؤمن ، ويقودها منهج للاصلاح « يهدى للتى هى أقوم » ، وتسير بخطى ثابتة فى كفــالة العقل الراشد ، هى بلا ريب من الانسانية ذروتها ومن الحضارة قمتها .

ان الحضارة فى غير الاطــار المؤمن تشبع جوانب الانســان الحيوانية من غرائز البطش والجبروت ، وغرائز اللذة الشره .. وغرائز المتاع الحسى الرخيص .

أما الحضارة بمعنى قيم الانســـــان النبيلة ، وارساء قواعد العـــــدل المطلق ، والتعمق فى ملكوت السموات والارض وصولا لعمارة الارض ، وسعــادة السماء ، فهذا هو دور الايمان صــانع المعجزات .

ان النفس المؤمنة تسارع الى الخير بمقتضى فطرتها ، وان النفس الملحــدة تســاق من ظاهرها برهبة السوط ، وعين القانون ، ومتى اخطا السوط ، او غفل القــانون ، فهناك مجالات رحبة من فوضى الأخلاق والمعاملات ، وصراع الطبقــات ، وغلبة الاقوياء ، وسريان قانون الغاب .. فلنسر فى ظلال الايمــان وتحت اطياف الوحى ، ولنتــابع الخطى بعزم المؤمنين ، وصدق المتقين وصولا لأشرف الغايات وانبلها .

علمـــــاء الاســـلام

وكتب الأستاذ مصطفى يوسف راجع بكلية الحقوق جامعة الاسكندرية تحت هذا العنوان يقول :

الاسلام هو دين العلم ، دين الحقيقــة ، دين الايضاح ، غايتــه التبصرة ، هو الدين الذى يهتم كثيرا بالمؤمنين به ان يؤمنوا عن عقيــدة وبصيرة واقتناع ، وقد سلك للوصول الى هذا الغرض سبلا شتى ، وجعـــل من العلماء ائمة وقادة وهداة مهدين ، ولهم الدرجات العلا ، وقــد اثنى عليهم رب العزة ثناء كثيرا فى القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ، ويقول عز من قائل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

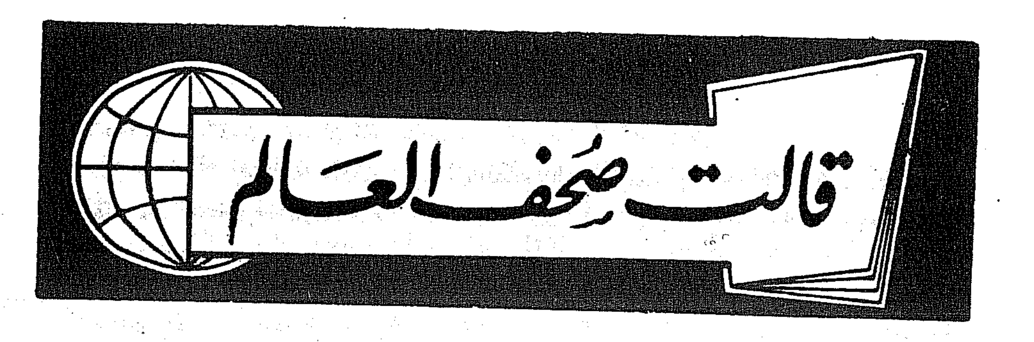
والعلم أساس متين وراسخ تقوى به الأمم والأفراد ، وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، وذهب بعيــدا فجعله صلوات الله وسلامه عليه فريضة على كل مسلم ومسلمة .

والايمان يقوى فى النفس ويرسخ بحسب معرفة المسلم بربه وبقرآنه ، وبهدى النبى صلــى الله عليه وسلم ، ولا ريب أن العــــالم مقدم على العبادة ، فبواسطته يتقن العبــد مناجاة ربه ، والله سبحانه وتعــالى يقول فى محكم آياته (انمــا يخشى الله من عبــاده العلمــاء ...) لان معرفتهم بالله جل وعلا تجعلهم يخشونه اكثر من غيرهم .

وبقدر ثواب العلماء والدرجــات التى أعدهــا الله لهم فى الآخــرة ، وبقــدر الارث الذى ورثوه عن الانبيــاء ، ان هم أحسنوا القدوة ، واجــادوا الريادة ، بقــدر ذلك كله فمسئوليتهم عظيمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صنفان من امتى اذا صلحوا صلح النــاس ، واذا فسدوا فسد الناس : الامراء والفقهاء) .

نخلص من ذلك كله الى أن هناك واجبــا كبيرا ملقى على عاتق العلمــاء من امة الاسلام ، هذا الواجب هو الاستزادة من العــلم ، والجهاد فى نشر تعاليم الاســلام على اسس حديثة ، وكتاب الله هو الرائد وهو أصل المعرفة .

وعلماء الاسلام هم النور والنبراس الذى به يقتــدى المسلمون ، وهم الأعلام التى ترفرف عالية خفاقة ترفع كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ...



التغلغل الاسرائيلى فى أفريقيا

عن مجلة حضارة الاسلام الدمشقية :

بلغ عدد الدول الافريقية حتى عام ٦٨ — ٣٨ دولة منها (٣١) دولة لها علاقات مع اسرائيل وتقوم أوثق هذه العلاقات مع :

الحبشة (اثيوبيا) وغانا وساحل العاج والسنغال ونيجيريا ، أما الصومال وموريتانيا فلا يعترفان باسرائيل .

من بين الـ (٣١) دولة التى لها علاقات مع اسرائيل هناك ٢٩ دولة منهـا على درجة سفارة وبلغ تعداد الجالية اليهودية فى أفريقيا حتى عام ١٩٦٥ ٦٨٠ر٥٠١ يهوديا .

من أقوال ابن غوريون عام ١٩٦٠ : « اننا لا نستطيع أن نكره جيراننا على عقد السلام معنا . ولكن ما من شىء يمكن أن يؤدى الى تخفيف حدة البغضاء لدى العرب نحونا ، وبالتالى يؤدى الى السلام بيننا وبينهم أفضل من أن نكسب مزيدا من الأصدقاء من دول افريقيا وآسيا » .

ويقول آموس بن مزيد عن التعاون الاسرائيلى الافريقى : « **بان هذه الروابط انما هى المرتكز الرئيسى لاسرائيل مع العالم الخارجى — ما وراء وفوق السور — العدائى الذى أقامه العرب حولها ، هذه الروابط هى الطريق غير المباشر الى السلام مع اسرائيل** » .

غانا : انشأت اسرائيل شركة النجمة السوداء للنقل البحرى برأسمال (١٥٠) الف جنيه اسرائيلى منها ٤٠٪ لاسرائيل ٦٠٪ لغانا . ثم أشرفت على معهد البحرية الغانى ، وفى سنة ١٩٥٧ وقعت الدولتان اتفاقية منحت غانا بموجبها ٢٠ مليون دولار ، وفى الفترة ما بين ١٩٥٨ — ١٩٦٠ م ساهمت اسرائيل فى انشاء مدرسة الطيران الحربية الغانية ، كما قامت اسرائيل بانشاء منظمة على غرار الناحال عام ١٩٦٣ .

الحبشة : بعد فشل الجيش الأثيوبى فى حرب الحدود مع الصومال عام ١٩٦٥ تولت اسرائيل تدريب وحدات الفدائيين التابعة لجيش الحبشة .

تكونت شركة انكوده الاسرائيلية لاستغلال الثروة الحيوانية ، تنتج هذه الشركة يوميا ٣٥ الف علبة ، ٣٠٠ طنا من اللحم المثلج ٣٥٠٠ قطعة من الجلود .

لها مصانع لتحويل فضلات اللحوم والعظام والشحم لمواد أخرى .

المركز الرئيسى للشركة فى أسمرة (**ارتيريا الجزء المغتصب من وطننا**

الكبير) ولها فروع في أديس أبابا والصومال الفرنسي ((**جيبوتي**)) . وفى عام ١٩٦٤ م تمكنت شركة انكوده من شراء مزرعة تبلغ مساحتها ٥٠ الف فدان تقع بالقرب من السودان ويتم ريها من نهر القاش الذى يعتمد عليه السودان فى تزويد مشاريعه الزراعية .

نيجيريا : انشأت شركة سوليل بونيه التابعة للهستدروت شركة تستخدم (٤٠٠٠) عامل نيجيرى ، ٦٠ موظفا اسرائيليا برأسمال مشترك مع حكومة لاغوس . بلغ ما استثمرته اسرائيل خلال خمسة أعوام من افريقيا ١٥٠ مليون دولار عادت بمردود لا يقل عن (٥٠) مليون دولار .

السنغال : قامت اسرائيل عام ١٩٦٣ بانشاء منظمة للشبيبة السنغالية على غرار منظمة الناحال ، يديرها ضباط اسرائيليون وفى عام ١٩٦٥ م زار المشرفون على المدارس الزراعية الستة فى السنغال اسرائيل وذلك لحضور دورات تدريبية خاصة استمرت لمدة ستة أشهر ، وقد أمضى هؤلاء المشرفون معظم هذه الفترة عند الجادنا والناحال .

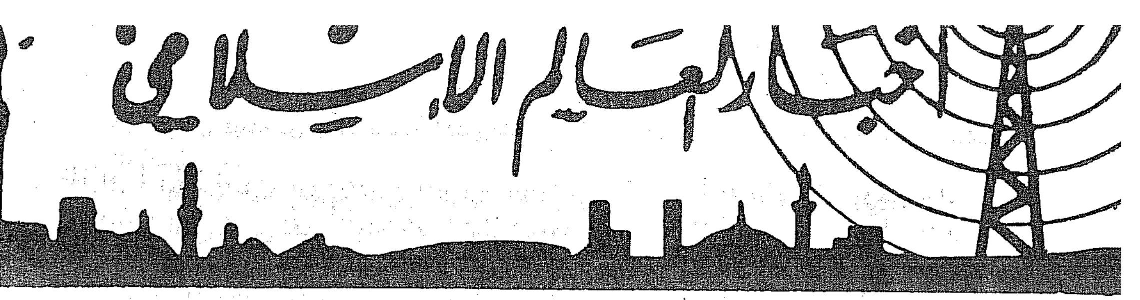
ساحل العاج : فى عام ١٩٦٢ قام سبعة ضباط اسرائيليين بتدريب مرشدين من ساحل العاج على انشاء مستعمرات زراعية فى ادغال ساحل العاج وقد تم فعلا تدريب أول فريق من المرشدين وهو مؤلف من ١٢٨ نفرا وضابطا احتياطيا .

وفى عام ١٩٦٣ أسس ضباط اسرائيليون مدرسة عسكرية فى ساحل العاج كما قاموا بارشاد جيش البلاد على تسيير ٦ مزارع ، وفى تموز من السنة نفسها أعلنت حكومة ساحل العاج أن ضباطا اسرائيليين سيقومون بتنظيم فرقة نسائية فى الجيش كما تم فى تلك السنة انشاء منظمة مماثلة للناحال بادارة ضباط اسرائيليين .

تانزانيا : درب ١٥ ضابطا وخمسة طيارين حربيين فى اسرائيل عام ١٩٦٣ ساهمت بعثات اسرائيلية مختلفة مؤلفة من الضباط والمزارعين فى انشاء تنظيمات الشبيبة وفى تدريب أعضائها على غرار منظمات الناحال والجادنا .

كينيا : تدرب ثلاثون ضابطا من الجيش الكينى وخمسة طيارين وعسكريين فى اسرائيل وذلك فى عام ١٩٦٣ م أى قبل حصولها على الاستقلال السياسى .

يوغندا : دربت اسرائيل عام ١٩٦٣ م خمسة عشر ضابطا وخمسة طيارين حربيين ، وقد تم تدريب كتيبة من كتائب الجيش اليوغندى فى اسرائيل ، كما أخذت اسرائيل على عاتقها مسؤولية تدريب السلاح الجوى اليوغندى وقد ساهم عالم ذرة اسرائيلى فى انشاء مختبر للنظائر المشعة فى يوغندا وما ذكرناه هنا عبارة عن غيض من فيض هو عبارة عن نماذج فقط لتدل على مقدار التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا ويكفى لمعرفة مقدار الفائدة التى تجنيها اسرائيل من وراء ذلك أن نعلم انها أقامت فى حيفا معهدا للدراسات الافريقية استفاد منه ٥٥ طالبا كونغوليا حتى الآن ..



إعـــداد : الاستاذ عبد المعطي بيومي

الكويت : تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الأول للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة وقد القى سموه توجيها أشار فيه الى الفترة الحرجة التى تمر بها الامة العربية والتطورات المنتظرة من منطقة الخليج العربى ..

● انتخب أعضاء مجلس الأمة الجديد وعددهم خمسون عضوا فى الشهر الماضى ، وقـد شكلت وزارة جديدة برئاسة سـمو ولى العهد الشيخ جـابر الأحمد الصباح ، وقد أسـندت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الى معالى الوزير راشد الفرحان ..

● عقدت فى الشهر الماضى بمقر جمعية الخريجين الكويتية ندوة فلسطين العالمية ، وقـد حضرها مفكرون وسـياسيون من شتى أنحاء العالم ، وقـد افتتح سـمو ولى العهد الجلسة الافتتاحية للندوة ..

● وافقت الجهات المختصة على اتفاق تجارى بين الكويت وتركيا فى سبيل تدعيم الصـلات الاقتصادية بين البلدين ، والمعروف أن تركيا تعمل على تقوية الصـلات مع الدول العربية بـدل اسرائيـل ..

● أصدرت وزارة الصحة قرارا بمنع تداول مادة القات ..

● تقرر انعقاد مؤتمر اتحاد المعلمين العرب السابع فى الكويت فى ١٩٧١/٣/٦ م ..

القاهرة : صرح مسئول كبير بأن حربا ضارية ستقع فى الشرق الأوسط اذا لم يتم الاتفاق على جدول زمنى لجـلاء قوات الاحتلال الاسرائيلى قبل السابع من شهر مارس القادم ..

● قـدم مندوب ج ع م لدى هيئة الأمم المتحدة الى سكرتير عـام المنظمة مذكرة عن الأعمال الوحشية التى ترتكبها سـلطات الإحتلال ضـد المدنيين فى سيناء وغـزة ..

● وجـه فضيلة شيخ الأزهر من جبل الرحمة فى عرفات يوم وقفة عيـد الأضحى بيانا الى المسلمين فى العالم أهـاب بهم فيه أن يعملوا متضامنين لصالح قضاياهم وفى مقدمتها قضـية فلسـطين ..

● ستهدى الجمهورية العربية المتحدة الى « الوفاق العالمى للدعوة الاسلامية بكراتشى » خمسمائة كتاب اسـلامى ومنحتين دراسيتين لخريجى الجامعة العلمية الاسلامية التابعة للدعـوة الاسـلامية فى كراتشى ..

السعودية : ناشد جلالة الملك فيصل العرب والمسلمين التضامن والتعاون والتمسك بالعقيدة حتى يخرجوا من هذه المحنة القاسية ..

● عقد بمكة المكرمة بعد الحج مباشرة مؤتمر للمنظمات الاسلامية لبحث القضايا الاسـلامية العـامة ..

● بلـغ عـدد الحجاج هـذا العـام مليونا و ٧٩ ألفـا بمـا فيهم الحجاج السعوديون ..

● صرح أمين عـام الأمانة الاسلامية فى جـدة بأن أحداث الشرق الاوسط كانت وبالا على الأمـة الاسلامية وتتطلع الأمانة الى أن يشـكل المسلمون مستقبلهم بكل ثقـة ..

● انشئت وكالة أنبـاء سعودية بدأت نشاطها بتغطية أنبـاء موسم الحج هـذا العـام ..

● صرح معالى وزير الدولة للشئون الخارجية أن المؤتمر الثانى لوزراء الخارجية المسلمين قـد نجح نجاحا كبيرا بحيث أصبحت هناك أمانة اسلامية ومشروع لبنك اسلامى ، واتفاق على مساعدة المراكز الاسلامية فى العـالم ..

الأردن : أصدر المجلس الاسلامى بمدينة القدس بيانا يقاوم فيه مشروعات التهويد للمدينة معلنا

أن اسرائيل تهدف من وراء هــذه المشروعات تمكين سيطرتها على القدس العربية ومحو طـــابعها العــــربى ..

● تعد لجنة الرقابة العربية العليا مذكرة بالوضع فى الأردن لرفعها الى الملوك والرؤســـاء الذين اشتركوا فى مؤتمر القاهرة فى سبتمبر ١٩٧٠ م ..

● أصدرت هيئة الصليب الأحمر الدولية تقريرا يدين فيه اسرائيل بانتهاك الحقوق الانسانية ، وهــدم الممتلكات والقرى ، ونفى الأهالى فى الأرض العربية المحتلة ..

العراق : اتخذت الاجراءات لتحويل مبلغ ربع مليون دولار للهيئة العربية العليا لاغاثة المنكوبين فى حوادث الاردن فى سبتمبر الماضى ..

سوريا : عقدت المباحثات فى دمشق فى الشهر الماضى بين وزيرى النقل الاردنى والسورى حــول تسيير خط حديد الحجاز والاعداد لاجتماع الهيئة العليا لهذا الخط ، والتى تضم وزراء النقل فى السعودية والأردن وسوريا ..

البحرين : صرحت مصادر وزارة التربية فى البحرين أن حوالى الف طالب بحرينى يدرسون الآن فى الجامعات العربية والأجنبية ..

اليمــن : أعلن الرئيس الايريانى الدستور الدائم للبلاد والذى يجعل المسئـــــولية بين مجلس الشورى والمجلس الجمهورى ومجلس الوزراء والسلطة القضائية ، كما يجعل الملكية الخاصة مضمونة ولا تنزع الا للمصلحة العامة ..

قطر : بلغت التبرعات التى جمعها الهلال الاحمر الفلسطينى من قطر مليون وربع مليون ريال قطـــــرى ..

الجزائر : بذلت وزارة الاوقاف مع جبهة التحرير الوطنى جهدا أسفر عن جمع مبلغ ثلاثمائة وخمسة عشر ألف جنيه استرلينى ضمن حملة للتضامن مع الشعب الفلسطينى ..

● عقدت أثنـــاء عطلة الشتاء الماضية بمدينة قسنطينة دورة لمؤتمر الفكر الاسلامى حضره مفكرون مسلمون حيث بحثوا المراحل الراهنة التى يمر بها الفكر الاسلامى ..

المغرب : زار البلاد وفد تعليمى من المملكة العربية السعودية مثل قطاعات التعليم العـــام والتعليم العـــالى والتعليم الفنى والبعثات الخارجية لاتخاذ الطرق الكفيلة بتنفيذ الاتفاق الثقافى بين البلدين الذى عقد فى ١٣٨٧ هـ ..

تركيا : أجرى وفد عراقى مع المسئولين الاتراك مباحثات حول تطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والتجارى بين العراق وتركيا ..

باكستان : أقيم فى مكتبة البنك المركزى الاسلامى معرض للقرآن الكريم عرضت فيه نفائس خطية من الخطوط الجميلة التى كتبت بهـــا المصاحف من كثير من بلدان الاسلام ، كما عرض فيه المصحف الذى كان أصـــلا للنسخ المتداولة من مصحف عثمـــان ..

● نظمت مظاهرات الحتت أضرارا بالقنصلية البريطانية من أجل كتاب نشر فى لنـــــدن تناول شبها غير لائقة بشخص رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ..

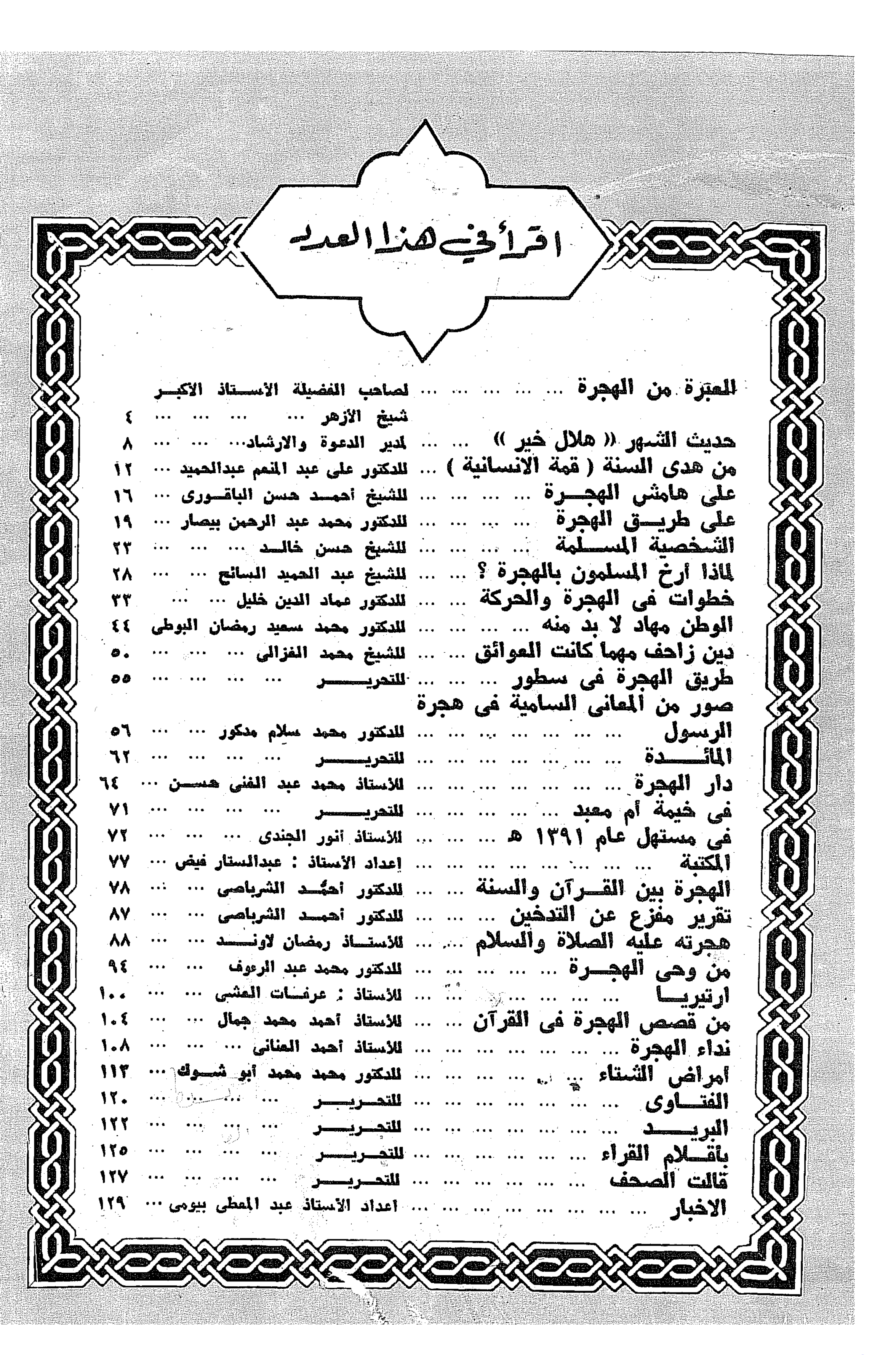
ماليزيا : اتهم الأمين العام للأمانة الاسلامية وكالات الانباء الغربية بأنها تشن حربـــا نفسية لتشويه الأمانة الاسلامية ، وأنه سيحاول انشاء وكالة أنباء اسلامية سريعا وسيدير مكتبـــا للمعلومـــــات ..

أندونيسيا : وجهت ٥ منظمات اسلامية فى أندونيسيا نـداء الى الأمم المتحدة لدراسة أوضاع المسلمين فى الصين والاتحاد السوفيتى ..

أخبـــار متفـــرقة

الدانمارك : شيد لأول مرة فى دول اسكندنافيا مسجد فى احدى ضواحى كوبنهاجن حيث يبلغ عدد المسلمين فى الدانمارك أربعة آلاف ..

سيلان : ستبدأ فى كولمبو برامج تدريبية تنظمها جمعية الشبان المسلمين فى سيلان للشباب الاسلامى لاكتساب المهارة العلمية ..



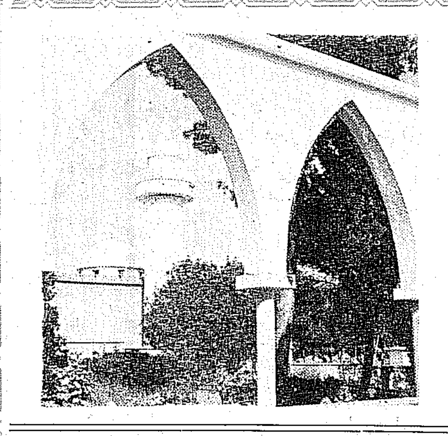
اقرأ في هذا العدد



السنة السابعة العدد ٧٤ ــ غرة صفر ١٣٩١ هـ ــ ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧١ م



سمـــو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجـــابر وبعض كبار المسئـــولين والسادة المشتركين فى ندوة فلسطين العالمية الثانية وذلك فى حفل افتتاح الندوة .



مسجد سيدى رويفع الانصارى الصحابى بمدينة البيضاء بليبيا ، وتظهر فى الصورة قبة المسجد ومنارته الجميلة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الرابع والسبعون

غرة صفر سنة ١٣٩١ هـ

٢٨ مارس (آذار) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

الهجرة عبرة من الماضي وعظة للحاضر

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مساء الجمعة ٣٠ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ فى مسجد السوق الكبير ، ونقلت وقائع الحفل بالتليفزيون والاذاعة وقد تفضل معالى الوزير الاستاذ راشد عبد الله الفرحان بالقاء الكلمة التالية :

يطل علينا هلال المحرم ، فيذكرنا بيوم الهجرة ، هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة .. ففى مثل هذا اليوم كان انبثاق نور الاسلام ، مؤذنا بتغير وجه التاريخ .. وفى مثل هذا اليوم صدع محمد بأمر ربه ، داعيا الى الوحدة والتوحيد ، ونبذ عبادة الافراد والاصنام ، مناديا بانصاف الضعفاء والفقراء من ظلم الاقوياء .

ولكن الغيث الذى نزل ، والنور الذى سطع ، صادف قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، ولم يؤمن به الا نفر قليل ، وآذاه قومه ، وتآمروا لقتله ، وهو يقول : ((اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون)) .. وأمر بالهجرة الى المدينة وهاجر معه صحبه ، ولم يزده ذلك الا اصرارا على دعوته ، وايمانا بمبدئه وهناك استقبله أهل المدينة وآووه ونصروه ، فأسس الدولة ، وأقام الوحدة ، فكانت الاخوة والالفة بين الاوس والخزرج ، بعد أن كانوا يقتتلون على بعير ضال ، أو كلمة قيلت فى بيت من الشعر ((واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم)) ..

وكانت المشاركة والمساواة بين المهاجرين والانصار ، فقد أشرك الانصار المهاجرين فى أموالهم وحقوقهم وبيوتهم . وتقاسموا لقمة العيش



معهم ، وساوى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم فى الحقوق والواجبات ((الناس سواسية كأسنان المشط)) .

حقا .. لقد أرسى محمد صلى الله عليه وسلم قواعد العدل فـــى المجتمع .. فأسس مبدأ الشورى فى كل الامور ((وأمرهم شورى بينهم)) وأعطى للفرد حرية التعبير وابداء الرأى والنقد وحرية الكلام والتفكير ، حتى المرأة التى بلغ من هوانها على أهلها أنهم كانوا يدسونها فى التراب وهى حية .. صارت بعد الهجرة ذات رأى تعبر عنه ، لها مال تمتلكه واحساس ووجود فى الأمة ((ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)) ، ((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)) .

أيها الأخوة :

اننا حين نحتفل بذكرى الهجرة كل عام ، انما نأخذ منها العظة والعبرة نأخذ العبرة من الماضى ، والعظة للحاضر .

ومن ذكرى الهجرة نعلم أن كل صاحب دعوة ، وكل قائد ، أو زعيم لا بد وأن يلاقى من خصوم دعوته صنوفا من النقد الكاذب ، وزيفا من أنواع الأذى ليثبطوا همته ، ويصرفوه عن دعوته ، ولكن من كان مع الله كان الله معه ، فيا دعاة الحق وورثة الانبياء والرسل ، ان لـــكم فى رسول اللـــه الأسوة الحسنة اذ يقول : ((والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونـــه)) .

ومن ذكرى الهجرة ، نتعلم الثبات على الحق عند مواجهة الاعداء ، وعدم الفرار من الميدان ، وعدم التولى يوم الزحف ، فعندما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة لم يكن ذلك فرارا من الموت ، ولا خوفا من المواجهة ، وانما كان ذلك تطبيقا لخطة عسكرية (استراتيجية) لأنه من القواعد العسكرية الاسلامية ، ان الجندى فى المعركة لا يبارحها الا فى حالتين : الاولى أن يتخذ له مكانا أمكن وأفضل من مكانه ليتسلط على العدو والثانية أن ينضم الى قوة أخرى تمكنه من العودة للعدو ، والتغلب عليه « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وبذلك استطاع الرسول وصحبه العودة الى مكة ، وفتحها بلا قتال ، ثم توالى انتصار جيوش المسلمين على الروم والفرس وغيرهم .

وأنتم ، يا من تقفون على خط النار مع العدو ، وأنتم ، يا جنود الفداء ، مطالبون بالثبات وتحرير الارض المحتلة والمقدسات الاسلامية ، وعدم التولى يوم الزحف ، فان لكم احدى الحسنيين ، فاما الشهادة ، واما النصر ، « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » .

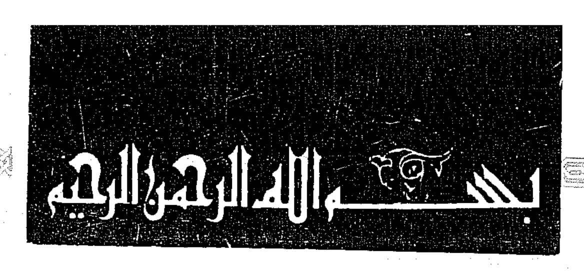
أيها الاخوة المواطنون :

ليكن لكم من ذكرى الهجرة حافز للمشاركة والتعاون والصراحة والبذل ، فكلنا شركاء فى المسئولية ، كما نحن شركاء فى الوطن ، وكلنا أصحاب حق كما نحن حراس لهذا الحق ، فأنتم مدعوون للمشاركة فى بناء وطنكم والذود والدفاع عن أمتكم .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

وفى الختام .. لا يسعنى فى هذه الذكرى الا أن أتقدم بالصلاة والسلام على صاحب هذه الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والى صاحب السمو الامير المعظم وولى العهد وسائر الشعوب الاسلامية بالتحية والاحترام ، سائلا المولى عز وجل أن يعيدها على المسلمين ، وقد تحررت أوطانهم ونصرهم الله على عدوهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





المسئولية

كل فرد فى الأمة الاسلامية ، فى أى موقع من مواقع عمله مسئول أمام الله ، وأمام ضميره ، وأمام الأجيال المسلمة المقبلة عن الواجب عليه للاسلام والمسلمين فى هذه الظروف القاسية التى تمر بها أمتنا ، وستجنى الأمة فى مستقبلها نتيجة النهوض بهذا الواجب ، او التقاعس عن أدائه ، وسيكون الحكم العادل فى الدنيا قبل الآخرة لنا أو علينا للتاريخ الذى لا يجامل فى قضائه ولا يحابى فى حكمه . والنهوض بالواجب شرف وعزة ، والتفريط فيه دناءة وخسة .

والنهوض بالواجب كاملا ينبع من الشعور بالمسئولية كاملا ، وهذا الشعور لا يفرض على الانسان من خارج نفسه ، فلا يأتى نتيجه لأمر يصدر ، أو قانون يفرض أو ضغط يمارس ، وانما يتولد من ايمان المرء بربه ، وثقته بنفسه ، وتقديره لوجوده واحساسه بأنه عضو كريم فى مجتمع كريم ومجتمعه الكريم لبنة فى أمة عزيزة وأمته جزء من الانسانية التى كرمها الخالق جل علاه : ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)) ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم)) فالشعور الكامل بالمسئولية يأتى ثمرة للعقيدة التى تشعر الفرد بكرامته وكرامة أمته وكرامة البشرية .. العقيدة التى تأبى الضيم ، وترفض الدنية ، وتمقت الظلم ، وتواجه الظالمين ، وتشترى العزة والكرامة بأغلى التضحيات ، وأفدح المشقات .. العقيدة التى تصهر هذا الشعور وتحوله الى أعمال وواجبات تسترخص فيها الأرواح وتبذل الدماء ((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم

الذى بايعتم به وذلـك هـو الفوز العظيم » .

والواجبات التى تفرضـها علينا ظروف المعركة التى تخوضها أمتنا مع الصهيونية الشرسة المتبجحة تبدأ من العـامل فى المصـنع والزارع فى الحقل والطالب فى المعهد والمدرس فى حجرة الدراسة ، وتتـدرج الى المهندس فى الموقـع والعـالم فى المختبر والطبيب فى المسـتشفى ، وتنتهى بالجنود والقادة فى ميادين التدريب وعلى خطوط المواجهة مع العدو .

كل فرد فى الأمة جندى فى مكانه . فارس فى موقعه ، محارب بسلاحه الذى فى يده ، مسئول عمـا قـدم وأخر ، محاسب على ما أنجز وفرط ، وبمقدار التعاون والتكامل والاخلاص فى أداء كل لواجبه يكون عون اللـه ونصر الله .

ان الشراسة التى تسرى فى دماء العدو ، والصلف الذى يدل به يجعل الرؤية واضحة أمام أعيننا ، فالمعركة طويلة الأمد ، فادحة التضحيات .. هذا قدرنا الذى لا مفر منـه ، ولا خيار فيه ، فاما حياة عزيزة كريمة ، واما ممات لعمرى لم يقس بممات .

بهذا يجب أن نتصارح ، وعلى هذا يجب أن نوطد العزم ونحمل النفس ونبذل العرق والدم ، ونشد الأحزمة على البطون ، ونبنى جسـورا من الصبر والاحتمال والأقدام نعبر عليها الـى أرضـنا المفقـودة وكرامتنـا الموعودة ، وعلى هذا يجب أن نعاهد الله ، ونصدق فى العهد ، كما عاهده آباؤنا الصادقون : « من المـؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وهناك أوليات لا بد منها جميعـا لكسب المعركة :

- العقيدة الراسخة .
- الوحدة الكاملة .
- الانفاق الذى يبلغ حد الايثار والمشاركة فى الكسرة الواحدة .
- الاعداد الذى يبذل فيه أقصى حدود الطاقة .
- الاقدام الذى يجعل الموت أحب من الحياة .

هـذه أضـواء على واجبـاتنا ومسئولياتنا ، ولا يتحلل من هـذه المسـئولية الا الفـارغون الهازلون الذين لا يدركون سر وجودهم ولا قيمة حياتهم ، ولا ينفعون أنفسهم ، ولا تنتفع بهم أمتهم ، لا يسدون كريهة ، ولا يشاركون فى محمـدة ، يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام ، والنار مثوى لهم .

ان بعض الذين لم يجاوز الايمان حناجرهم يتوهم أن حدود مسئوليته انما تنحصر فى تدبير شئون نفسه وشئون أسرته ، وما يقتضـيه هذا التدبير من توفير المـأكل والمشرب والملبس والمسكن والدواء والتعليـم والمتع قدر المستطاع ، وما عليه بعد ذلك أن يشقى جـاره ، أو يمرض مجتمعه ، أو يحتل وطنه ، أو تستذل أمته .. هذا فهم خـاطىء لحـدود المسئولية : فمن بات شبعان وجاره جائع مسئول ، ومن اسـتيقظ آمنا وأخوه خائف مسئول ، ومن شـيد داره وحدود وطنه مكشوفة العدو مسئول ، ومن صلى فى بيته وبيوت اللـه تتعرض للتخريب والتـدمير مسئول ، ومن انطوى على نفسـه يعبد ربه ودين الله تنتهك محارمه

مسئول . فكلكم راع . وكل مسلم حارس على ثغور الاسلام والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، والمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .

وقد ابتليت الأمة الاسلامية فى عصرها الأول بجماعة رضوا بالدون من الحياة ، وتحللوا من مسئولياتهم عن الدفاع عن دينهم ، فأخلدوا الى الأرض ، وقعدوا عن الجهاد ، وآثروا الراحة والدعة ، فذمهم الله وعاب عليهم مسلكهم ، وجعلهم مثار العجب للأجيال من بعدهم .. يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة النساء ((ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا.أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)) .

وتناول القرآن الكريم جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا المال وضنوا به عن النفقة فى سبيل الله ، فندد بهم وبين أنهم أول من يتضرر بهذا البخل والشح يقول الله سبحانه فى سورة محمد ((هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) .

والحديث عن مسئولياتنا يقودنا الى الحديث عن مسئولية من نوع آخر .. مسئولية مزورة حرفها المغرضون عن مواضعها .

ان مفهوم المسئولية ظاهر واضح فهو يتمثل فى القيام بحق الله ، والعمل على رقى الفرد والسعى لخير الامه والمشاركه فى سعاده الانسانيه ، ودفع الغوائل عنها ، ومع هذا الجلاء والظهور لمفهوم المسئوليه فان كثيرا من الناس يعمى ، ويضل عن طريقها ويتناولها على النقيض من مفهومها ، فيتصرف بحمق ، وهو يحسب انه يقوم بواجب ، وينهض بمسئوليه ، ويحسن صنعا .

ان الذين تخدعهم مطامعهم الاستعماريه ، فتلون لهم معنى المسئولية ، وتعكس مفهومها فى عقولهم وتفكيرهم هم جد مخطئون واهمون . ان تسليح المجرم اجرام ، ومساندة الظالم ظلم وحماية الباغى افساد وتحريض المعتدى اذكاء للحرب لا اقرار للسلام .

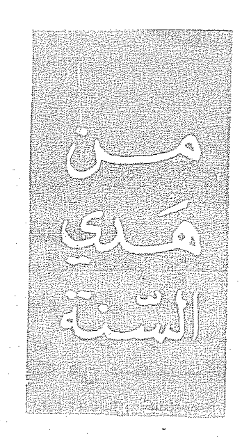
ما هى المسئولية التى يجب أن تتحملها الانسانية لمواجهة رعاع برابرة سفاحين روعوا الآمنين وقتلوا الأطفال والنساء ، واغتصبوا أرضهم ونهبوا أموالهم ؟

ما هى المسئولية التى يجب أن تتحملها الانسانية لمن تنكر للمقدسات الدينية فاستباح حرمتها وانتهك قداستها ، وخربها وأشعل النار فيها .

أهى تزويده بالسلاح ، ومده بالخبرة ، واعانته على المظلوم ..

انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى



منهج الحياة في الإسلام

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى (١) فقال :« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٢)

رواه البخارى

١ ــ دار اقامتنا فيها محدودة بزمن معين ، وكل لحظة تمر تقربنا خطوة نحو النهاية مجتازين طريقا وعرة المسالك ، تحيط بها الأهوال من كل صوب ، ولا بد لعابرها من أن ياخذ حذره ، ويعد لكل بادرة ما يناسبها ، حتى لا تفجأه الحوادث فيهن أمامها ، ولا يستطيع الافلات من مآزقها ، وقد حرص الاسلام كل الحرص على أن يبين فى جلاء ووضوح معالم العيش فى هذه الدار العاجلة ، وجرت سنته فى تعاليمه أن يفهم الانسان أن سلامته فى سلامة غيره ، وأن أمنه وراحته فى أمن الجماعة وراحتها ، وأن الطمأنينة النفسية التى هى مصدر السعادة الحقة لا تتحقق له الا بسعيه لتمكين الغير منها ، فهو لا يعيش فردا ، ولا

---

(١) المنكب ، بكسر الكاف مجمع العضدو الكتف .

(٢) قال ابن حجر العسقلانى : قال الطيبى : ليست (أو) للشك بل للتخيير والاباحة ، والاحسن أن تكون بمعنى بل ،فشبه السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يؤويه ، ثم ترقى وأضرب عنه الى عابر السبيل ، لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق ، فان من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يهدأ لمحة .

يمكن أن يصل الى أهدافه بفرديته وتطور الوجود الذى نلمسه كل يوم هو خلاصة مجهود بشرى عبر قرون ، وعصارة عقول من وادى عبقر تضافرت وتكاثفت فكان هذا نتاجها ، وكل متاخر يرقى السلم الذى وضع أسسه المتقدم مضيفا درجة جديدة ، ومن ونى وتقاعس لفظته الأيام ، ونأت به عن مركز الصدارة ، ومضى لم يحس به أحد ، بعد أن يقطع أيامه عبثا على غيره ، وكلا على مولاه ، يشار اليه — ان أشير — بازدراء ، فينزوى فى ظلام يلفه ، وديجور يعفى آثاره ، والمسلم الذى فقه وعرف ما هو الاسلام ، وأدرك ، لماذا أرسل خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحب مختارا متعقلا متفهما أن ينضوى تحت اللواء ويسير مع الركب الالهى لا يرضى بالدنية ، ولا يقبل محقرات الأمور ، ولا يستكين أمام عداته ، ولا يضعف عزمه مهما أحيط به ، فلا تخضد شوكته ولا تلين قناته ، ولا تنكس رايته ، ما دام به عرق ينبض بالحياة ونفس يتردد معلنا أنه موجود ، فما الموت الزؤام الا لمسة رقيقة من يد القدر تصله بالبقاء الدائم ، وترقى به الى الخلود السرمدى ، وهو فى الوقت نفسه حذر يعرف موضع قدمه ومنطلق سيره ، يقلب الأمور على جميع وجوهها ، ويلبس لكل حالة لبوسها ، ويلج الى كل ميدان بسلاحه ، فلا تسيل منه قطرة دم الا حيث يجب أن تسيل ، ولا يترك لعدوه فرصة لينال منه ، نومه لماما ، ويقظته دفع لعجلة الحياة نحو الأفضل والأكمل ، ان طعم فلكى يعيش ويحيا ، وان صام فلتنفيذ أمر علوى ، مكانه الصدارة فى كل مسلك والقيادة فى قوافل الخير ، خير الانسانية للانسان الذى يتابع نفس الطريق ، والابادة للعنيد العاتى المتصدى لعداوته ، غير هياب مهما ادلهم الأمر ، وتتابعت الخطوب ثقة منه بقدرة مبدعه على نصره ، وسيرا على سنن الذين قالوا للجبار العنيد الخائب القصد : « فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا » .

٢ — وهنا تتردد أصداء أصوات تتلاحق آتية من بعيد أو قريب صائحة وكيف الخلوص من علائق الحياة ، وهى حلوة خضرة ، تتجاذب هذا الانسان الذى خلق ضعيفا من كل جانب ، وتلوح له بشهواتها ومتعها من كل طاق وباب ، وتهيب به أن هلم ولا تقاعس ، فتعميه وتصمه عن الحقيقة الماثلة ، ويخيم بخار أنفاسها المتصاعد على عينيه فيحجب الشمس عنهما ، ويرده الى ليل وأحلام ورؤى ، يغرق فى بحارها ليالى وأياما ، متوهما أنه أصاب المأرب ، ووقع على الخبير وأدرك كل مطلب ، وتلك لعمر الحق شراك الهوى ، ومدرج السقوط ، وحبائل السوء ، فكيف بربك يصل الى وسيلة النجاة وأين طريق الخلاص ؟! ولن يطول التساؤل كثيرا ، فالجواب قد أعد منذ قرون ، والخطة رسمت بعناية ، وما بقى الا عقل يتدبر لينجو ويعمل ليسعد ، بعد أن يدرك دقة التعبير وبلاغة القول ولطائف الحكمة فى عبير الكلم الطيب : « كن فى الدنيا كأنك غريب » .. حقا غريب ناء عن الديار فالاقامة التى لا نهاية لها ليست هنا ، والخلود المستمر ما هذا مكانه ، فانت فى دنياك (غريب) حل بلدا لهدف يقصده ، وعمل يريده ، وواجب يقوم به سحابة نهار ثم ينطلق مع الامساء الى مقره ومرده ، والغريب لا سند له الا شجاعته وخلقه ، وحكمته وحسن تأتيه للأمور والحرص على جيد القول ، وكريم المعاملة واسداء النصح والمعروف لكل من يلاقى ، والبعد ما استطاع عن

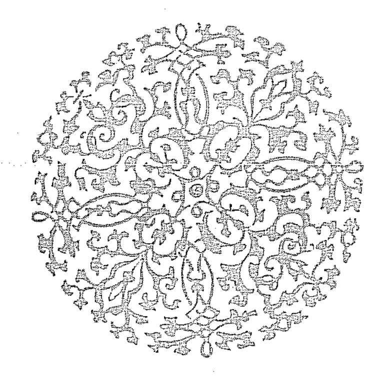
مواطن الشكوك والفتن ، لا يدخل أنفه فى أمور البلد الذى حل به ضيفا وأقام به ليرتحل عنه ، فسيرته محمودة ، وخيره مرجو ، وشره مأمون ، وبهذا تدوم له العافية ، ويلقى اكراما ، ويقيم على الرحب والسعة ، فلا يضيق به الناس ولا يتذمرون من وجوده بينهم ، ولا يحاولون به شرا ، وما ذاك الا لثقته هو بأن بقاءه معهم لن يطول فيحمله هذا على طهارة اليد واللسان ، وان أراد الخير لنفسه زاد فى المعروف ، والعاقل لا يعبر دون أن يترك أثرا كريما ، فيجب أن يتفحص ويدرس ، ويراقب ويتفقد ويكتسب الاصدقاء والخلان ، ويأخذ ما استطاع من جنى الخير وثمار الفضائل حتى اذا بارح البلد الذى حل به غريبا خرج منه وجعبته ملأى بالتجارب النافعة وتزود منها بالتقوى التى تحفظ عليه ذماءه ، وتعينه على الوصول الى مستقره فى أمن وعافية وسعادة وايناس ، فكل ما يدخر محفوظ له ، وكل ما يقدم من خير سيجده عند الشدة ، وتجىء نهايته على أحسن حال ، وتحمد اقامته ورحيله .

٣ — وحال أخرى تلف فى طياتها معان ومعان ، وتذكر بأمور واقعة ووقعت ، وتدق بشدة أبواب المسلمين فى كل مكان ، وتهيب بهم لم لم تعوا بعد أن طرقت أسماعكم منذ قرون وقرون ، أنى لم آت عبثا ، ولم أسجل دون غاية ، وانما لأمر خطير أشار الى راعى الانسانية وهاديها ، وجئت على لسانه الشريف كلمة طيبة فهل من مدكر : « أو عابر سبيل » القوا الى عقولكم لتدركوا ما يرمى اليه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائلوا أنفسكم : ماذا يجب أن يفعل عابر السبيل وأية عدة بها يعتد ، وأى سلاح يحمل ، وبأى زاد يتزود ، ان عبور السبيل ليس بالأمر الهين ولا سيما اذا كان مجهولا لم يطرقه السالك من قبل ، لا بد اذن من تحسس كل خطوة فى هذا الطريق ، وفرض أسوأ الفروض التى قد تصادف السارى فيه ، فوجود قطاع الطرق محتمل ، وعوادى الضاريات متوقعة ، والتواء السبيل وتعدد دوربه ومعمياته من طبيعته ، فالسالك الواعى يحمل زاده ويريش سهامه ، ويشحذ سيفه ، ويملأ كنانته ، ثم يمضى لطيته معتمدا على قيوم السموات والأرض بعد أن يتهيأ لملاقاة جميع الأخطار ، وبهذا يسير بخطى ثابتة ، وقلب حديد ، وايمان أكيد بالوصول الى غايته دون تعثر أو ابطاء ، فلو عرض له عدو ، أو التقى به فاتك ألوى ، أو مضى ولم يلق ماء ولا طعاما ، لا يضيره كل أولئك فلديه وسائل الدفاع عن نفسه ، وما يرد به غائلة الجوع والظمأ ، وما يدحر به كل معترض ، وما يقوى به على كل من أراد به سوءا ، وهذا ما أراده الحديث الشريف حتى يقتلع حب البقاء فى هذه الآجلة من قلوب قوم آمنوا بالله ورسوله ومع ذلك تمر أيامهم فيها فى أسمى ما يتصور انسان من القيادة والريادة ، فلا يعيشون امعات ولا جبناء ، ولا يتكلون ولا يتواكلون ، يعرفون مكانهم فى الوجود فيتسنموه وحماهم فيذودون عنه ، وحياضهم فيحمونها ، ويحيون مستعدين للنهاية الكريمة المرجوة فى ايمان بنعيم دائم وخير مقيم ، ودائما تشير الاحاديث الى تقلب الأمور وعدم ثباتها ، وتحث على اقتناص الفرص وعدم تركها تفلت ، فهى ان أفلتت فلن تعود ، ويضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال بالمحسات لنرقى منها الى معان أسمى وأفضل ولا نحصرها فى دائرة لفظها الذى صيغت به ، وكل لبيب بالاشارة يدرك ما ترمى اليه ، وما تهدف الى نيله ، واستمع

معى الى قوله عليه أفضل الصلاة والسلام مما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أخرجه الحاكم أن النبى صلى الله عليم وسلم قال لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

٤ ــ بعد أن أدركت ما استطعت مما مر بك من حديث سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعال معى نتأمل يوم المسلمين أتباع معلم الانسانية وهادى الثقلين ، كيف نجدهم ؟ هل فكروا منذ قرون فى يومهم هذا الذى يعيشونه الآن ؟ وهل تنبهوا الى وجود عدو تقليدى معتد أثيم صاحب الاسلام منذ بدا فجره ولاح نوره فى الأفق محاولا طمس معالمه واقصاء رواده عنه ، وهل أدركوا أنه يعمل جاهدا على محوهم وان قائدهم الاول لم يسترح من شر هذا العدو أبدا ، ان غفلة الآباء والأجداد هى التى يجنى الجيل المعاصر ثمارها المرة القاتلة ، فليس ما يجرى على المسرح الآن وليد يومه أو أمسه القريب وانما هو شىء خطط له منذ قرون متباعدة ضاربة فى أغوار الماضى ، ولا أدرى ــ وان كانت الأمور جلية ــ كيف لم يحرص الآباء والأجداد على وحدتهم ، وجديتهم ، وتعاضدهم ، ويعملوا ليوم أسود يثب فيه العدو على الأبناء والأحفاد ، لقد استناموا الى ما انغمسوا فيه من متع فانية زالت عنهم وتركوا البغاث بأرضهم يستنسر ولعل هذه الصدمات المتوالية تفيق المعاصرين الى الأخطار اللاحقة بهم ، فيحاولوا النظر فى آثار قائدهم وهاديهم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخلصوا ولو على المدى البعيد من آثار عدوان عدوهم ، وليكن المسلمون فى دنياهم غرباء وعابرى سبيل لا يهتمون الا بما يمكن لهم من رقاب الفجرة الكفرة رجس هذا الزمان وكل زمان ..

يا قومنا أجيبوا داعى الله ، وتوحدوا ، ابدأوا العمل الجاد ودعوا الاحلام والرؤى فلن تدوم ، احزموا أمركم جماعة لئلا تؤكلوا فرادى ، وأعلموا أنه ما أفاد قول لا يتوج بعمل ، ولا تنفع دعوة ليس وراءها سلاح وصوارم وامة أمرها جميع ، وأردد : « لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ..



الصلاة في مجال الإيمان
بالله وحده هي السبيل الى :
١ ـ نقل الايمان بوحدة
الألوهية إلى الحقيقة
النفسية المستمرة
٢ ـ وإلى نصر الله للمؤمنين
أفراداً وجماعة .
٣ ـ وإلى ذكر الله كثيراً . يجب
ألا يذكر في بيت الله سوى اسم الله

محمد مؤذن

للدكتور : محمد البهي

الايمان بأن الله واحد ـ اذا عبر عنه من يعلن الايمان به بشهادة : أن لا اله الا الله ـ هو فى ذاته حقيقة نفسية ، أو يجب أن يصبح حقيقة نفسية تستقر فى قلب المؤمن أو فى أعماق نفسه . والا بقى قولا : لا مدلول له فى واقع النفس وفى واقع حياتها .

وبتحليل عبادة (الصلاة) ـ كما جاءت فى الاسلام ـ وتحليل علاقتها بتلك الحقيقة النفسية للايمان بوحدة الله يتضح :

أولا : أن الصلاة هى العبادة التى تؤدى فى : الصحة والمرض ، وفى السفر والاقامة ، وفى الحرب والسلام ، وفى الصغر والكبر ..

أى تؤدى فى كل وضع للانسان ، ويطلب أداؤها فى كل حال من أحواله على نحو ما . فيترخص فى أدائها فى السفر فتقصر الصلاة الى ركعتين :

« واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » (١) .

وبالاضافة الى قصر الصلاة وقت القتال مع الاعداء ، يترخص فى أدائها جماعة على نحو لا يمكن العدو من المؤمنين ، كما جاء فى قوله تعالى ، بعد ذلك :

« واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا . فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٢) .

● وهى العبادة التى تعد لها الأرض جميعها مسجدا تقام فيه . فليس أداؤها مرتبطا بمكان معين أو ببيت خاص تقام فيه : « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .

● وكذلك هى العبادة التى تؤدى من فرد على حدة ، أو من أفراد مجتمعين .

● هى العبادة اليومية كذلك : يفتح بها يوم السعى والعمل ، وتتخلل أوقاته ، ويختتم بها نهاره : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل » (٣) « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل » (٤) « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (٥) .

● وهى العبادة التى :
يؤذن لها باعلان الشهادة بأنه : لا اله الا الله ، ويتكرر النداء بهذه الشهادة فى أدائها فى اليوم الواحد ، وتصطحب كل حركة من حركاتها : فى القيام فيها ، والركوع ، والسجود : بالاقرار بأنه سبحانه وتعالى : « الله أكبر » .
● وهى العبادة التى يدعو فيها المصلى فى كل ركعة من ركعاتها — عندما يقرأ الفاتحة الواجب قراءتها — : بأن يمنحه الله العون فى أن يجنبه اتجاه « المادية » فى شرورها وآثامها ، وأن يبقيه على « روحية الاسلام » :
فى الايمان بوحدة الألوهية ، عندما يناجى المولى جل وعلا : « اياك نعبد واياك نستعين » ، وفى الايمان باليوم الآخر ، عندما يقر بأنه : « مالك يوم الدين » وفى اتباع الصراط المستقيم الذى لا انحراف فيه ، عندما يتوسل اليه سبحانه فى مناجاته بقوله : « اهدنا الصراط المستقيم » .
واضداد هذه الامور الثلاثة وهى :
انكار اليوم الآخر ، والشرك بالله ، والضلال فى السبيل . هى نتائج اتجاه المادية فى الحياة .
وسورة الفاتحة التى تتكرر فى كل ركعة من ركعات الصلاة اليومية، سواء منها الفريضة أو النافلة ، والتى يتوسل الانسان بما جاء فيها من دعاء الله بأن يقيه من الشرك ، وانكار البعث واليوم الآخر ، والضلال فى فى السلوك ، ويؤمنه البقاء على الايمان بالله وحده وعبادته اياه لا غيره، وبالبعث واليوم الآخر ، وبالهداية فى طريق العمل والسلوك .. هذه السورة القصيرة — وهى أم الكتاب — تحمل الدور الأول فى عبادة الصلاة فى نقل الايمان بوحدة الالوهية ونتائجه من « المفهوم » الذى يتحدث به اللسان الى « الحقيقة النفسية » المستقرة فى القلب ، والتى هى فى الواقع العامل الدافع الى التطبيق العملى للنظرة الاسلامية الى « المادية » والتبعية لها .
وثانيا : ان الصلاة — بما لهامن عناصر التأثير ، سواء بفعل صيغة الدعاء فيها ، أو بلحظة اللقاء النفسى والتصورى فيها مع الله سبحانه وتعالى ، أو بتكرار وقوعها وتقارب زمن الوقوع — تكاد تكون العبادة الاصيلة التى تقرب المؤمن من الله ، وبالتالى التى «ترسب» مفهوم الايمان بوحدة الألوهية فى نفس المؤمن ، وتجعله مدلولا واقعيا وحقيقة مستقرة فيها .
فالصلاة فى روحياتها ، وفى سعة الفرصة فى حياة المؤمن لادائها ، بعدم العوائق التى تحول دون هذا الأداء ، وفى تركيز الروحية فيها على « وحدة الالوهية » — التى هى فى مقابل المادية والشرك فيها — ضرورة لازمة للمؤمن ، الذى يريد أن يكون لايمانه فاعلية فى سلوكه ، وعلاقاته، وحياته على العموم ، وضرورة لازمة كذلك فى تحول ايمان الامة والجماعة الى سلوك مستقيم وعلاقات طيبة فيما بين الافراد بعضهم مع بعض .
وصلاة الجماعة ان قصد منها اخراج الفرد من عزلته الروحية التى ربما يوحى بها تصوره الضعيف لوحدة الالوهية فى عبادته لله وحده ،

فيقصد بها قبل ذلك نقل روحية الصلاة من مستوى الفرد الى مستوى « روحية الجماعة » حتى يكون أثرها مضاعفا فى نفس الفرد ، وحتى ينقل كذلك « مفهوم » الجماعة الى « حقيقة نفسية للجماعة » تستقر فى النفس ، بجانب حقيقة الايمان بالله وحده .

واذا اقترنت الحقيقتان النفسيتان : حقيقة الايمان بالله وحده ، وحقيقة الجماعة ، فى نفس المؤمن وترسبت كلتاهما فى أعماق النفس، فان هذا الترسب ذاته للحقيقتين معا سيكون فى أثره مزدوجا : على تجنب « المادية » التى هى سبيل الشرك ، وعلى عدم خضوع الذات للشهوة والهوى ، ذلك الخضوع الذى يمثل أنانية الذات من جهة ، والبعد عن الروح الجماعية من جهة أخرى ، كما يمثل التبعية للالتجاء المادى فى الحياة والبعد عن التأثر بالايمان بوحدة الالوهية كذلك .

• • • • • • •

● ولأهمية الصلاة فى حياة المؤمن — عن طريق فاعليتها فى ترسيب حقيقة نفسية لمفهوم الايمان بالله وحده — جاء فى القرآن الكريم اقتران أدائها بالانتهاء من الفحشاء والمنكر ، واقتران عدم أدائها باتباع الشهوات والاسترسال فى انحرافات الاتجاه المادى فى الحياة :

فاقتران الانتهاء من الفحشاء والمنكر بأداء الصلاة جاء قول الله تعالى :

« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٦) .

... فالصلاة التى ترسب فى النفس حقيقة الايمان بالله وحده لا بد أن تنتهى معها الفحشاء والمنكر فى مباشرتهما ، وكذا فى الاندفاع تحت تأثير الهوى والشهوة ، فى الرغبة فيهما .

واقتران عدم أدائها باتباع الشهوات والمنكر تقصه الآية القرآنية الاخرى فى الحديث عن الاجيال التى خلفت الانبياء منذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، نبيا بعد آخر ، فيما يقول الله تعالى :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا .

« الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا » . (٧)

... فالخلف الذى كان يأتى بعد جيل الرسالة لاى رسول من الرسل على عهد ابراهيم حتى رسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، كان يهمل فى أداء الصلاة حتى يضيعها ، وبالتالى كان يسقط فى التبعية الى الشهوات وانحرافاتها ، حتى يأتى رسول آخر يحذر من الاستمرار فى انحرافات الشهوات ، وينذر بتغيير المجتمع كله وسقوطه، فيؤمن به البعض ويكفر برسالته البعض الآخر . وهو ذلك البعض الذى أعماه ترف الحياة ، وطغيان اتجاه المادية عن أن يرى الصواب فى السلوك والهداية فى طريق الحياة .

فضياع الصلاة اقترن به هنا فى الآية اتباع الشهوات والعمل السيء ، كما اقترن به الشرك بالله . ولذا ترشد الآية الثانية الى الوضع السليم الذى يجلب من جديد الرضا ، ويبعد عن الشقاء . وهو وضع

العودة الى الصلاة ، ومن ثم الى العمل الصالح والايمان بالله وحده :
« الا من تاب (وعاد الى الصلاة) وآمن (بالله وحده ولم يشرك معه شريكا آخر) وعمل صالحا (بالابتعاد عن الشهوات) .

واذا كان هدف الصلاة ، وشأنها أيضا ، ان تنقل مفهوم الايمان بالله وحده الى حقيقة نفسية واقعية فى ذات من يعلن الايمان به ، فانها العبادة « الأم » وعليها يقع الاعداد السليم والنافذ لتطبيق النظرة الاسلامية كلها فى حياة الانسان ، سواء تعلقت بالمادية ، أو بملكية المال ومنفعته . والعبادتان الأخريان بعدها — وهما عبادتا الصوم والزكاة — تضيفان اليها فقط فاعلية ثانوية .

والصلاة لهذا كله تعتبر « عماد الدين » . ولهذه الاهمية الكبرى لها اذ ينصح القرآن الكريم فى كثير من المواطن بأمر أو بعبادة أخرى فى مقام يتطلب النصح بهذا الامر أو بهذه العبادة لوجود علاقة مباشرة بين مقام الحال وهذا الامر أو هذه العبادة . فانه كثيرا ما يضيف الصلاة فى النصح الى الامر الخاص أو العبادة الخاصة .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ، ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله ، وانا اليه راجعون » (٨) .

... فالمجال هنا هو مجال العرض لموقف الكافرين : فى عنادهم ، وفى تآمرهم على الدعوة ضد المؤمنين . ووضع المؤمنين يتطلب الآن التحمل والصبر ، سواء على ايذاء الكافرين لهم ، أو على رفضهم لنداء الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو للشدائد التى يلاقونها فى القتال مما يترتب عليها : النقص فى الاموال والثمرات والانفس ، كما يترتب عليها : الخوف والقلق .

ولكن مع النصح بالصبر هنا فى قوله تعالى : « استعينوا بالصبر » وتأكيد هذا النصح فى تعقيب الآية : « ان الله مع الصابرين » .. فان القرآن عندما طلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر ، أضاف الى الاستعانة به الاستعانة بالصلاة أيضا وكانت الآية : « يا أيها الذين آمنوا : استعينوا بالصبر ، والصلاة » .

وكذلك فى مقام آخر حددت جو هذه الآيات :

« يا بنى اسرائيل !

« اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون . ؟

« واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون . » (٩) .

... والجو القائم فى هذه الآيات هو أن بنى اسرائيل ، رغم نعمة

الله عليهم بانقاذهم من الذل والاستضعاف الذى ذاقوا بسببه ألوانا عديدة من العذاب واهدار الآدمية ، ورغم ما فى التوراة من عهد ووصية من الله لبنى اسرائيل بالايمان بكل رسول يأتى ، بما فى الرسل : محمد صلى الله عليه وسلم ، فان بنى اسرائيل تحت :

التأثر بحب الرياسة والاستمتاع بمتع الحياة وزخرفها ، من كبرائها ، .. اعلنوا الكفر برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وفى سبيل الحرص على الزعامة والرياسة ، والبقاء فى التبعية للاتجاه المادى فى الحياة كانوا يخلطون الحق بالباطل ، مع العلم بالحق فى ذاته، كما كانوا يستخدمون التأويل التعسفى فيما جاء بالتوراة لتبرير كفرهم ، رغم نصح الاحبار منهم لاتباعهم بطاعة ما جاء فيها . فكان تنديد القرآن بصنعهم ، وبموقفهم ، وبعدم وفائهم للعهد ولما جاء فى الكتاب المنزل اليهم، كما جاء طلبه اليهم فى :

أن يوفوا بالعهد ، ويؤمنوا بالقرآن ويطرحوا التزييف وخلط الحق بالباطل جانبا .

وبأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويدخلوا فى صفوف المؤمنين (واركعوا مع الراكعين) ويتخلوا بذلك عن الكبرياء والرياسات واتباع ما أترفوا فيه .

وبأن يستعينوا على التغلب على الوقوع فى اتجاه المادية فى الحياة، وفى اتباعهم لاهواء النفس فى الزعامة ولشهواتها فى الاستغراق فى الملذات ، ثم فى نقلتهم الى خط الايمان بالله وحده ، والتحرر من سيطرة الانانية وطغيان المادية .. أن يستعينوا بالصبر ، وبالصلاة معا .

وأضاف الى الصبر الصلاة ، رغم أنه طلبها من قبل مع الزكاة ، والاندماج عن طريقهما فى صفوف المؤمنين .

فالوضع لبنى اسرائيل الكافرين والطغاة الآن عن طريق المادية وضع يتطلب الاحتمال والصبر منهم فى التحول من وضع التبعية الى المادية ، الى السيطرة على النفس وأهوائها وشهواتها . فهو وضع تسود فيه المشقة النفسية ، لانه انتقال من النقيض الى النقيض .

ولكن القرآن — لما لمنزلة الصلاة من أثر فى ابعاد السيطرة المادية ، وبالتالى فى تحرير النفس من طغيانها الذى يتمثل : مرة فى الميل الى الرياسة ، وأخرى فى الاستغراق فى الملذات الحسية ، يضيف الصلاة الى الصبر هنا لمضاعفة شأن التغلب على المشقة النفسية القائمة فى الوضع الموجود حينئذ بين الاسرائيليين .

وفيما جاء فى تقرير عظم الصلاة هنا فى قوله : « .. وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .. لينبىء عن أن مباشرة الصلاة وهى العامل الاساسى فى التحول النفسى من ترك النفس فى التبعية المادية الى رفع النفس فوق مستوى هذه التبعية أمر يشق كثيرا على النفس الطاغية والمستغرقة فى التبعية المادية . فهى أشبه بنفس « مدمنة » ليست لها ارادة على ممارسة ما يخرجها من ادمانها، وهى لا تقبل على هذه الممارسة الا بشق الانفس وكارهة غير راضية .

أما النفوس الاخرى — وهى عادة نفوس الضعفاء من الفقراء والرعايا والاتباع للاثرياء الذين لا يملكون من المتع المادية ما يجعلهم طغاة

أو يجعلهم أشبه بالمدمنين — فلا تشق عليهم مباشرة الصلاة . لان ضعفهم فى الاقتناء والترف والوجاهة والجاه يجعلهم أقرب الى المصدقين باليوم الآخر وبلقاء الله فيه . أى يجعلهم قريبين الىالعودة الى الايمان بالله والخلاص من التبعية المادية فيؤمنون بالآخرة كما آمنوا بالله وحده .

والفريقان : — من تشق عليه الصلاة ، ومن لا تشق عليه — هما من بنى اسرائيل : كبراؤهم وزعماؤهم والمترفون فيهم وأصحاب الجاه منهم يمثلون الفريق الاول . والفقراء الضعفاء ، غير أصحاب الحظ الموفور فى المتع واقتنائها ومباشرتها ، والبعيدون عن الحكم والرياسة ، يمثلون الفريق الثانى .

والآية اذن فيما تقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة » .. تطلب الى جميع بنى اسرائيل عامة فى انتقالهم من الكفر برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام الى الايمان بها ، ومن العنجهية المادية فى الزعامة ومتع الحياة وزخرفها الى الاسلام ، حتى يكونوا فى صفوف المؤمنين : « واركعوا مع الراكعين » وليسوا فوقهم ، أو فى عزلة ونفرة منهم .. تطلب اليهم ، ان يستعينوا بالصلاة بجانب الصبر والاحتمال .

... ثم فيما تقوله بعد ذلك : « وانها لكبيرة » فى وصف مباشرتها . تقوله بالنسبة للمتكبرين والمتعجرفين من أصحاب الترف والرياسات فى اسرائيل على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

... وفيما تستطرد فيه بعد هذا من قولها فى صورة الاستثناء : « ... الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » .. تقصد به الفريق الآخر من بنى اسرائيل الذى لم يكن تأثره بالمادية وبالاتجاه المادى فى الحياة من القوة ، على نحو تأثر الكبراء والسادة والأحبار منهم ، وهو ذلك الفريق الضعيف عادة فى المجتمع بسبب قلة حظه فى الحياة المادية ، وبعده عن الرياسات ، وشرف الاسرة أو القبيلة ، وهو مع ذلك كافر أيضا بالرسول ورسالته تبعا للوجهاء فى كفرهم .

وليس بسليم — فى التفسير لهذا الاستثناء — اذن ان يقصد به المؤمنون من أمة الرسول عليه الصلاة والسلام . لانهم بايمانهم بالله وحده وباليوم الآخر يؤمنون ويوقنون — ولا يظنون فقط — بلقاء الله فى الآخرة وبالرجوع اليه بعد البعث .

فالوصف لهذا الفريق بأنهم : « .. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وانهم اليه راجعون » وهو كناية عن تخلخل الاتجاه المادى فى حياتهم وعدم سيطرته عليهم ، منهم أقرب الى الايمان باليوم الآخر وبلقاء الله .. يشير فقط الى أنهم من الكافرين غير المتعنتين . ولذلك يسهل عليهم التحول .

و « الصلاة » اذن هنا — فى توجيه القرآن لبنى اسرائيل — هى كبيرة وشاقة على المتعنتين ، من الوجهة النفسية وحدها . وهى كذلك من الوجهة النفسية وحدها يسيرة ومذللة على غير المتعنت من الكافرين الاسرائيليين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام . والصلاة اذن من حيث الركوع والسجود والأداء البدنى لا تنطوى على مشقة . والمشقة

أو عدمها هى فى الاقدام عليها . اذ الاقدام عليها معناه التنازل عن وضع، والنقلة الى وضع آخر : اجتماعى ، واقتصادى مادى .

• • • • • • • •

● وعن طريق الصلاة — لاهميتها فى تخطيط اتجاه حياة الانسان — لا يتميز بها المؤمن عن المنافق والكافر فقط ، وانما نتيجة أدائها فى وعى هى النصر الابدى للفرد والمجتمع . بينما أداؤهـا فى رياء لا يأتى الا بالضلال والحيرة فى سبيل الحياة .

والذى يؤديها فى وعى تام هو المؤمن .

والآخر الذى يباشرها فى رياء هو المنافق .

أما الكافر فهو لا يؤديها ، وانما يستهزىء ويسخر بمن يؤديها ، وهو ليس الا ذلك المادى فى حياته الذى تخلى عن ارادته وحريته ليقع تحت الاغراء والفتنة بالمتع الحسية . ونهاية أمره — سواء أكان فـردا أم مجتمعا — هو القضاء على ذاته بفعل نفسه .

١ — يعد الله المؤمنين بالدفاع عنهم والوقوف بجانبهم ونصرهم حتما، وهم أولئكم الذين ان تمكنوا فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .

« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومسـاجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقـوى عـزيز » .

« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (١٠) .

ويعدهم كذلك بسعة الرزق وزيادة الفضل ، ان لم تصرفهم التجارة والبيع والشراء عن مباشرة الصلاة فى وقتها ، وايتاء الزكاة فى حينها :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيهـا بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغـير حساب » (١١) .

... فيعد الله المؤمنين هنـا بالنصر مرة ، كما يعدهم بزيادة الفضل وسعة الرزق مرة أخرى ، وهم اولئكم الذين يرسبون فى أعماق نفوسهم حقيقة الالوهية فى وحدتها ، وفى جلالها وفى كمالها ، بحيث لا يستطيع الاتجاه المادى — ان تمثل فى الجاه والسلطان مرة ، أو فى كسب المال عن طريق التجارة مرة أخرى — أن يخفف باغرائه وفتنته فاعلية ما ترسب فى نفس المؤمن عن تلك الحقيقة الالوهية . فـلا التمكن فى الارض بمغر لهم ، ولا التجارة والبيع والشراء بملهية لهم عن ذكر الله وجلاله فى الصلاة حين يؤدونها فى وقتها دون تأخير او كسل .

٢ — كمايصف المنافقين ويعرفهم عن طريق الصلاة وحدها، فيماتذكره الآية القرآنية الكريمة :

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ،
« واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يرأءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا .
« مذبذبين بين ذلك ، لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ،
« ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٢) .

... فالمنافقون ليسوا فقط مذبذبين بين الكافرين صراحة والمؤمنين حقا ، ولا ينتمون فى واقع الامر الى اى من الفريقين ، بل يتجهون الى هؤلاء ان كانت لهم منفعة مادية . والى أولئكم ان كانت لديهم منفعة مادية اخرى : « الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا : ألم نكن معكم ؟ وان كان للكافرين نصيب قالوا : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟ » . بل امارتهم الحقيقية الواضحة أنهم اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى .

ذلك لان الصلاة فى حقيقة امرها وصحة أدائها الفصل بين الايمان وما عداه من نفاق أو كفر .. فالمؤمن فى حقيقته يقبل فى مسرة وفى شوق الى لقاء المولى عز وجل على الصلاة لانها هى مجال اللقاء النفسى .

أما الكافر فلا يقبل اطلاقا بل يرفض ويستهزىء بمن يؤديها .

والمنافق اذا — لانه يريد أن ينتفع انتفاعا ماديا من المؤمنين والكافرين معا — ليس لديه الدافع النفسى للاقبال على الصلاة ، ولكنه لا بد أن يصلى حتى يستمر فى منفعته من المؤمنين كواحد منهم فى ظاهر الأمر ، فيقبل عليها فى كسل وتراخ .

٣ — وبالاضافة الى هذا وذاك فان القرآن لا يحدد الكافرين من موقفهم من الصلاة . فأمرهم واضح تجاه الايمان بالله وحده ، وهو الرفض . ولذا كل ما يخص الايمان بالله وحده فهم يستخفون به تقليلا لشأنه ، وخداعا لانفسهم بصحة مسلكهم . وانما يطلب من المؤمنين عدم اقامة علاقة ولاء ومودة بينهم وبين الكافرين ، ويبرر ذلك بأن هؤلاء يستهزئون بدين المؤمنين ، وبوجه خاص يسخرون من الصلاة عند أدائها والنداء اليها :

« يا أيها الذين آمنوا ! :
« لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين .
« واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (١٣) .

... والكافرون يسخرون بوجه خاص من الصلاة ، لانها تكاد تكون كل شىء يميز بين صحيح الاتجاه فى الحياة : فى النظرة والسلوك ، وخاطىء السبيل فيها ، فى النظرة والسلوك كذلك .

ولا ريب بعد ذلك ان نداء القرآن الى المؤمنين فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا :
« اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون .
« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ،

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٤) .
... هو نداء يرتكز على قيمة الصلاة فى الفصل بين الاتجـــــاه الصحيح والاتجاه الآخر الخاطىء فى النظرة والسلوك معا فى الحياة . ولذا كان تقرير الآية الاولى من هاتين الآيتين بأن الاستجابة الى هـــذا النداء « خـــير » : « ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » كما كان ربط الامل فى الفلاح ، فى السعى ومباشرته بعد أداء الصلاة فى الآية الثانية ... وهذا وذاك من النتائج المتوقعة للمسلك الصحيح وهو مسلك الايمـــان بالله وحده .. مسلك الصلاة والالتقاء فيها مع الله جل جلاله ، والحرص على استحضار جلاله دوما ، فى كل صلاة لا يتأخر بها عن وقتها أبدا .

• • • • • • •

● ولكى لاتفتر حيوية الفاعلية للصلاةفى حياة المؤمنبالله وحدهينصح القرآن الكريم ــ بجانب ما تنصح به السنة النبوية من الصلاة النـــافلة وراء الصلاة المفروضة ــ بذكر الله فى كل وضع وحال للانســـان . فهو يوجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام قوله :
« واذكر ربك فى نفسك ، تضرعا وخيفة ودون الجهر من القـــول ، بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين » (١٥) .
... ويطلب اليه عليه الصلاة والسلام أن يكون قدوة للمؤمنين فى ذكر الله ، فى غير الصلاة الفريضة والنافلة ، فى غير جهر وعـــلانية ، وفى بداية النهار وآخره ، غير غافل لشأن هذا الذكر وأثره على الايمان بالله وحده وحيوية فاعليته فى حياة المؤمن .
كما يوجه الى المؤمنين النداء :
« يا أيها الذين آمنوا !
« اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا .
« هو الذى يصلى عليكم وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم ، يوم يلقونه ، : سلام ، وأعد لهم أجرا كـــــريما » (١٦) .
... وهو نداء يوصى فيه بذكر الله كثيرا ، دون تقيد بوقت اوبوضع للانسان ، كما يوصى بتسبيح الله وتنزيهه عن الشرك فى بداية السعى ونهايته ، وهو أول النهار وآخره . حتى يكون السعى مثمرا ، وبعيدا عن انحرافات الشرك والمادية .
وهذه الغاية التى تترتب على ذكر الله كثيرا ، هى التى تذكرها الآية الاخرى بعد آية النداء : « هو الذى يصلى عليكم ، وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيمـــا » . فصــــلاة اللــــه على المؤمنين هى رحمته بهم فى أن صاروا مؤمنين به وحده ، وغير ضالين فى طريق المادية واغرائها ، وما لهم من عمل او سعى لا ظلم فيه لاحد حتى لأنفسهم . وبذلك لا تمسهم ظلمات المادية فيتخبطون فى الســـــير والحركة ، او ينحرفون فى تحصيل ما يحصلونه من رزق الله وفضله فى نهارهم .
واذ يطلب القرآن هنا فيما قبل من رسول الله عليه الصلاة والسلام من ذكر الله فى أول النهار وآخره ، ويطلب الآن من المؤمنين ان يذكروا الله كثيرا دون تحديد لوقت معين ، على أن يسبحوه فى أول النهــــار

وآخره .. فان التسبيح ، أولا : هو ذكر الله جل شأنه ، وذكر له بالصفة المميزة له تماما عن كل موجود سواه ، وهى صفة « الوحدة » : وثانيا : تخصيص اول النهار وآخره ، كى يستعين الانسان بالله — عن طريق ذكراه على عمله فى بدايته ، وكى يشكره عن هذا الطريق كذلك على توفيقه اياه فى نهاية العمل .

ولا يقصد القرآن اطلاقا من ذكر اول النهار وآخره هنا وهناك تحديد وقت لذكر الله ، كأوقات الصلاة الفريضة مثلا . اذ ذكر الله مطلوب فى غير زمان ومكان وفى أى وضع للانسان ، كى يبقى المؤمن فى حيوية ايمانه بالله وحده .

وفى آيات أخرى من القرآن الكريم نجد هذا واضحا فى قوله تعالى :

« ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما ، وقعودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك ! فقنا عذاب النار » (١٨) .

وفى قوله أيضا :

« فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (١٩) .

... فيصف فى قوله الاول الذين يذكرون الله فى أى وضع لهم وفى أى وقت بأنهم : أولو ألباب ، مما يدل على العناية بذكر الله فيما وراء الصلاة كذلك . كما يوضح القول الثانى مطلوب القرآن من المؤمنين فى أن يذكروا الله فى كل وقت ووضع . ولا يغير هذا المطلوب ان الذين يوجه اليهم من المؤمنين كانوا فى شدة ، هى شدة الاشتباك فى قتال مع الاعداء . لان الشدة اذا استدعت ذكر الله كثيرا فمعنى ذلك : ان ذكر الله له أثر فى حياة الانسان ، على نحو ما للصلاة من اثر فى هذه الحياة . وهنا يكون النداء للمؤمنين — مقيدا أو مطلقا عن الوقت — بذكر الله ، بجانب الصلاة ، هو لاستمرار « حيوية » الحقيقة النفسية ، وهى حقيقة الايمان بالله وحده التى تترسب فى نفس المؤمن عن طريق الصلاة . اذ ليست الصلاة الا ذكرا لله جل شأنه فى وحدانيته ، وفيما له من صفات تدفع المؤمن به الى القربى منه والتوجه اليه فى كل عمل ، لصالح نفسه ومجتمعه .

وصورة ذكر الله هى كما جاء فى القرآن الكريم عندما يطلبه من الرسول عليه الصلاة والسلام فى غير جهر وعلانية ، وهى ما يجب أن ينهج المؤمنون نهجها : اذ المطلوب تأثر النفس بالمولى سبحانه وتعالى عندما يذكر جل جلاله على نحو ما تصور الآية : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (٢٠) .

ولا شك أن تلاوة القرآن صورة واضحة لذكر الله ، ولكن من غير

أن يصحبها ما يخرجها عن أن تكون ذات فعالية .

• • • • • • •

● والمسجد لكى تبقى للصلاة أثرها ولذكر الله فعله يجب أن ينحى فيه ذكر أى موجود سوى الله تعالى . يجب ألا يشرك فيه غير الله من انسان ، مهما كان وضعه ومهما كانت صلاحيته . اذ ذكر اى انسان بجانب الله فى بيت الله من شأنه أن يصرف قليلا او كثيرا التركيز على تصور الحقيقة النفسية لوحدة الله سبحانه وترسيبها فى نفوس المؤمنين .

والشرك بالله ليس الا رفع ما عدا الله فى مستوى جلال الله وقدسيته ، والا صرف القلوب وأعماق النفوس عن أن تعى الحقيقة الالهية وعيا كاملا وواضحا : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذا وضع بيت الله ، وهؤلاء : هم المؤمنون الذين وعدوا بالنصر أبدا ، على شهواتهم وأهوائهم وعلى أعدائهم . وهذه هى الصلاة التى أعدتهم للنصر . وهذا هو ذكر الله الذى زاد فى طاقتهم على التغلب على صعاب الحياة ومشاقها .

وبهذا تكون الصلاة ذات صلاحية فعالة وعميقة فى تجربة المصلى فى صلته بالله وعبادته اياه وحده . وبالتالى ذات اثر قوى فى تحويل النظرة الاسلامية الى المادية والشرك الى حقيقة نفسية يصدر عنها المؤمن فى الابتعاد عن المادية والركون الى الله وحده فوق المتع الحسية ومغرياتها .

« الصلاة الصلاة ، وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون » . تلك وصية الرسول عليه الصلاة والسلام فى مرض موته للمؤمنين ، أراد أن يدلهم فى اختصار ما به وجودهم ، وعزتهم فى حياتهم .

---

(١) النساء : ١٠١

(٢) النساء : ١٠٢ ، ١٠٣

(٣) وعن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت الارض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا ، فاينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره» رواية أحمد فى مسنده .

(٤) هود ١١٤ (٥) الاسراء ٧٨ (٦) البقرة ٢٣٨

(٧) العنكبوت ٤٥ (٨) مريم ٥٩ ، ٦٠

(٩) البقرة ١٥٣ — ١٥٦

(١٠) البقرة ٤٠ — ٤٦

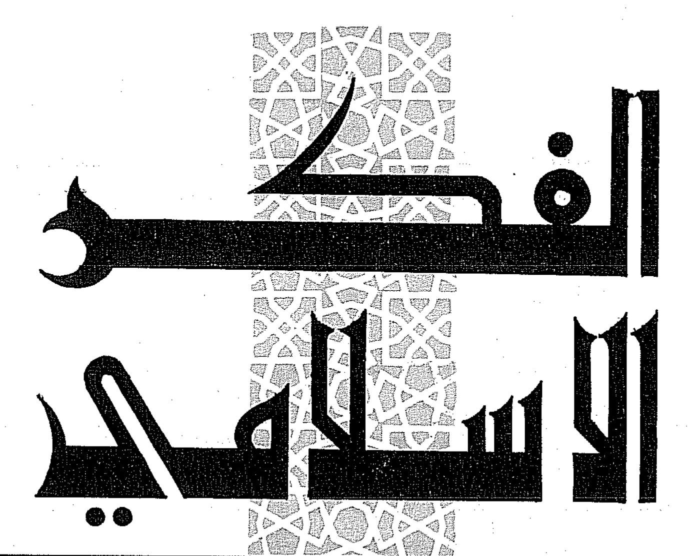
(١١) الحج ٣٨ — ٤١ (١٢) النور ٣٦،٣٧،٣٨ (١٣) النساء ١٤٢ ، ١٤٣

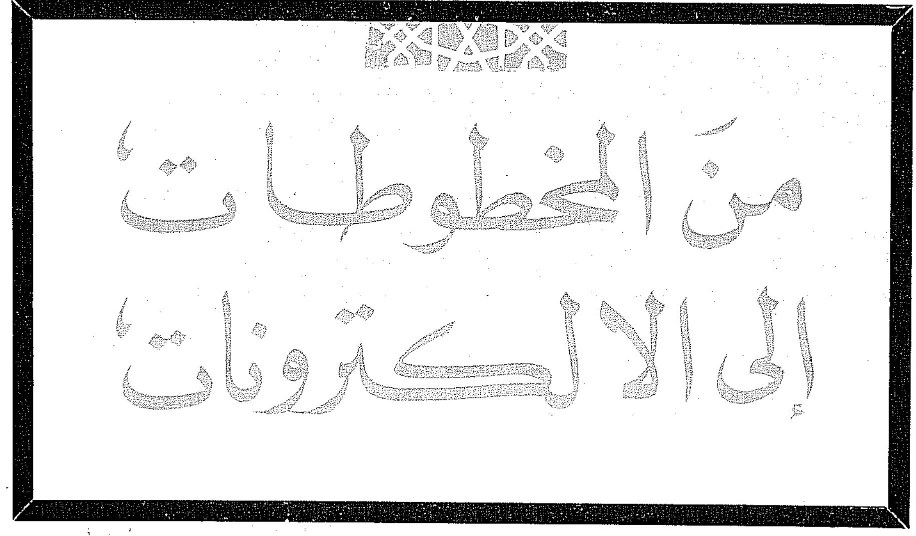
(١٤) المائدة ٥٧ ، ٥٨ (١٥) الجمعة ١٠

(١٦) الاعراف ٢٠٥ (١٧) الاحزاب ٤١ — ٤٤

(١٨) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ (١٩) النساء ١٠٣

(٢٠) الانفال ٢ — ٤





للأستاذ : فاروق منصور

لن نحاول هنا تقديم دراسة تاريخية ، ولن نتابع الفكر الاسلامى فى مسار انتشاره ، أو عصور ازدهاره وانكماشه ، ولا متابعة مراحل حركته وجموده .

ان مثل هذه الدراسة أمر بالغ الأهمية ، ونقصها يعد تفريطا فيما يجب ألا نفرط فيه ، أو نقصر عنه ، تفهما لحياتنا ووعيا لاحتياجاتها ، وحفاظا على وجودنا وادراكا لمتطلبات هذا الوجود .

ولكن هذه الدراسة التى تنقص حياتنا الفكرية ، برغم ما لها من أهمية ، وما يمكن أن تحققه من فوائد ، يجب أن تؤجل مؤقتا لنوجه العناية الى ما يحتاج الى العناية فعلا ، ويتطلب الدراسة السريعة ، حفاظا على ما هو موجود ، واحتياطا لما قد يقع ، واستعدادا لما يمكن أن يكون .

فالفكر الاسلامى اليوم لا يحتاج الى التأريخ له ، أو الكتابة عنه قدر ما يحتاج الى تفهم واقعه ، وادراك حقيقته ، وهو لا يحتاج الى بحوث فيه ، ولكنه يحتاج الى بحوث له عن مخرج من أزماته ، ومحاولات لتعديل الفهم له والمعرفة بقضاياه ، والعناية بتشعب مشاكله ، حتى يمكن أن ينطلق الى حيث يكون أكثر فائدة ، وأجدى نفعا ، الى حيث نستطيع أن نستلهمه فنلهم به ونلهم ، نتطور بمبادئه ونغير ونطور الحياة حولنا بضوئه ومعطياته حين ذاك يكون قد خرج من أزمته ، ووضع فى موضعه ، متمشيا مع طبيعته ، صالحا لاثراء الحياة كما كان ، وكما يجب أن يكون :

[عربى الدعوة والسمات فليكن عربى الجند والدعاة !]

وأول علامة على الطريق ، أن نحدد : **أن قيمة هذا الفكر فيمن يحمله** وأنه لا قيمة له ما لم يحمله قوم توافق طبيعتهم خصائصه ، وتتمشى **غرائزهم مع ما يندو اليه ، وتتسق قيمه مع مفاهيمهم** . قوم يؤمنون بأن هذا الفكر صورتهم ومزاجهم ونفسيتهم ، وانه انعكاس ايمانهم واسهام عقولهم فى أوج خصوبتها ، وهو حياتهم يوم يكون لهم حياة ، ووجودهم اذا أرادوا لهم وجودا ، فمن هؤلاء ؟ وأين هم ؟

ان أقدر الجماعات على حمل تلك الأمانة أولئك الذين حملوها يوما عندما آمنوا بالاسلام دينا ، وبالعروبة وعاء لهذا الدين ، وبهذا الفكر الاسلامى طريقا للتفاهم مع البشر والالتقاء الحضارى بالبشرية .

ان أجدر الناس بحمل أمانة الفكر الاسلامى واحيائه بعد سكونه : وتحريكه بعد جموده هم العرب ، الذين بشروا به فنجحوا ونجح ، وفكروا فى اطاره فأعطوا الانسانية من خلاله ما أخرجها من ظلام عصورها المظلمة وكان دواء للكثير من أمراضها ، استطاع أن يجنبها الزلل ، ويزيل القلق ، ويوفر لها الأمن والرعاية ، ويحقق الرشد والهداية .

واذا قلنا ان العرب الذين حملوا الاسلام ، وأسهموا بفكرهم فى تكوين الفكر الاسلامى مهتدين بالقرآن والسنة ، ومقدمين خلاصة ايمانهم والتزامهم فكرا وفنا وعملا ، هم اليوم أجدر الناس بحمله وتقديمه وتطويره فاننا لا نرشحهم بحق الميراث ، ولا نسلم لهم بحق الارث ، وان كان هو حقهم وهم أصحابه ، ولا بعصبية الدم ، وان كانوا قد بذلوا دماءهم رخيصة فى سبيله ، ولكن نرشحهم بخاصية الصلاحية ، وميزة التلاؤم مع هذا الفكر الاسلامى ، والقدرة على التوافق معه ، والتوفيق فى رعايته وحمله وتقديمه للآخرين .

نرشحهم لأهليتهم فى القيام بهذا العمل ، ولأنهم أصحاب تجربة وأصحاب تراث .

ان الفكر الاسلامى عربى الدعوة ، أساسه القرآن تنزل بلسان عربى والشريعة عيون الفكر الاسلامى فى كل علومها ، وهى أيضا عربية المعنى واللفظ ، وعربية الفكرة والروح ، لأن كل تشريع مصدره كيان بشرى أو تجمع جاء ليصوغ قيمه ، وينظم علاقاته .

ولقد نزل القرآن عربيا ، وفى بيئة عربيـــة ، وبين قوم هم ذروة العروبة جنسا ولغة وتقاليد .

واذا سلمنا بهذا وارتضيناه ، فاننا نمضى قدما نتحسس الـــداء ونشخصه ، ونحدد الدواء ونستخدمه ، نحدد واقعا ، ونرسم مســـاره ونتوخى غايته .

نعم .. ولكنهم عاشوا عربا .

ويقول قائل أليس فى ذلك اجحاف بالبعض ، وظلم لهم ؟ ألم يكن لكثير من الاعلام المسلمين جهود فى مجال الفكر الاسلامى ولم يكونوا عربا ؟ أليست هذه نعرة عنصرية ؟ وتعصبا لجنس ؟ ودينـــا يمقت العصبيـــة ورسولنا يقول : « ليس منا من دعا الى عصبية » ؟

نعم : لقد أسهم المسلمون من جنسيات كثيـــرة فى تطوير الفـــكر الاسلامى حتى كان لنا هذا التراث الضخم العظيم ، وفى امكاننا أن نحصى المئات من الأفذاذ الذين قدموا روائع الفكر الاسلامى ولم يكونوا عربا وأن ايمانهم بالدين كان الدافع لهم ولولا هذا الايمان لما قدموا شيئا ..

نعم : **ان ديننا لا يعرف العصبية وليس من ديننا بغض العروبـــة ، ولكن من ديننا حبها ، وليس من ديننا ذل العرب ولكن عزهم .**

نزل القرآن عربيا ، وفصله الله عربيا لقوم يعقلونه ، والمسلـــم به أننا لا نستطيع أن نعقل شيئا لا نعقل لغته ، أو نفهم علما لا نفهم الكلمات التى صيغت بها قوانينه وقضاياه ، وكتبت بها بحوثه ودراساته .. فالمفكر الذى أنتج فكرا اسلاميا لم يفعل ذلك الا فى ضوء ثقافة عربيـــة تلقاهـــا ، وكتابا عربيا تفقه منه وبه ، ومجتمعا عربيـــا عايشه أو عايش قيمـــه وأنظمته ..

فلقد كانت الدولة الاسلامية فى واقعها وفى صورتها العامة والخاصة تمثل حضارة عربية ، وذوقا عربيا ، وكانت العروبـــة هى البوتقة التـــى انصهرت بداخلها ثقافات وعلوم ، وكانت العربية هى الوعاء الذى ضـــم بداخله لبا اسمه الاسلام أو الفكر الاسلامى ، فكان العالم المسلم عربى التفكير والقيم ، وكلما زادت معايشته للعروبة لغة وناسا زاد توفيقـــه ، وتمكن من التعبير فى دقة واقتدار ، لا من حيث اللفظ أو الاسلوب الكتابى فحسب ، ولكن من حيث المنهج العلمى أيضا ، فان أفذاذ العلماء المسلمين قد أدركوا جوهر فكرهم ، وأدركوا الطريق الى بلوغ غايتهم ، فآمنوا بأنه لا حصيلة فكرية لهم ، ولا نتاج فكرى لعقولهم ، ما لم تكن هذه العقول عربية التلقى عربية العطاء ، عربية فيما تستقبله فترفض منه ما خالف المـــزاج العربى ، أو تخضعه لهذا المزاج ، وكانت عربية فيما ترسله ، حتى اننـــا

نستطيع أن نحس بالعقلية العربية واضحة ومتميزة لو قرأنا لبعض هؤلاء الأفذاذ مؤلفات بلغة غير العربية .

تلك قضية يجب أن تصفى فى البدء ، وأن نسلم بأنه لا عصبية ولا عنصرية بيننا ، فالاسلام يعز العروبة ، والعروبة حصن الاسلام ، والعرب هم أصلح وأجدر من يحمل هذا الدين ، ويتفهم هذا الفكر وينقله ، والمجتمع العربى هو أيضا البيئة الصالحة لهذا الفكر القادر على انمائه واثرائه ، والدليل على ذلك أن الفكر الاسلامى قد عاش عربى المناحى والأساليب والسمات فى بيئات غير عربية ، وفى نفس الوقت مات الكثير من الدعوات والفلسفات التى حاولت أن تقوم فى العالم العربى ولم تعش طويلا لأنها لا ترتبط بواقع ولا تماشى بيئة وخصائصها عربية ، ولذلك نجح الاسلام وفشل ما عداه فى تحقيق وجود كامل بدون قوة تسنده .

الفكر الاسلامى وتحديات العصر :

فالفكر الاسلامى فى ضوء فهمنا العربى له يمثل حضارة وتراثا وقيما وبمقدوره أن يقدم اسهاما ايجابيا لرقى البشرية وتقدمها ، كما أنه فى مقدورنا فى ضوء ايماننا بالاسلام ، وتفهمنا له ، والتزامنا به أن نأثر فى مسار البشرية اليوم .

والأمر يتوقف علينا فى أن ندرك حقيقتنا فنعى من نحن ؟ وماذا نريد ؟ وماذا يمكن أن نقدم ؟ وكيف نقدم ما نستطيع ؟

والأمر يتوقف ثانيا على معرفة ديننا وتراثنا وفكرنا فى ضوء ظروفه التاريخية والبيئية .

والأمر يتوقف ثالثا : على معرفة عالمنا المعاصر ، واكتشاف حاضره ، ومحاولة تفهم مستقبله ، ليس على أساس التخمين والحدس ، ولكن على أساس البصر العلمى ، والبصيرة التجريبية .

تلك أمور ثلاثة يتوقف عليها نجاحنا ، أن نعرف امكانياتنا ، وطبيعتنا ، ومجال تأثيرنا لنحدد نوع العطاء وحجمه ولنحدد له المعيار الكمى والقيمى ، بهذا نسترد مكانتنا ، ونقوم بدورنا الذى نصلح له ، والذى اختارنا الله له ، وحملنا أمانته فى قوله تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) وقوله جل جلاله : ((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) . وقوله تبارك وتعالى : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .))

هذا هو ديننا ، وتلك هى رسالتنا فى الحياة ، ارتضاها لنا الله ، وآمنا بالقيام بها ، واذا كنا نريد حقا أن نقوم بدور فعلينا أن نبحث أولا ما يواجه فكرنا الاسلامى اليوم من تحديات عصرية ، وما يوجه اليه من أسئلة كثيرة ، تحاول امتحان قدرته الحضارية ، وتفهم مقدرته على العطاء اليوم وغدا .

مع ملاحظة أن هناك كثيرا من الشكوك عند موجهى الأسئلة بل ربما كان من الأصوب أن نقول ان هناك رغبات أو أمنيات سوء بالنسبة لدورنا أكثر من الاهتمام بالحصول على المعرفة .

ان أصحاب الأسئلة فى الغالب — وهم من أعدائنا — لا يهمهم المعرفة المجردة ولكنهم يسعون لنتيجة يريدون فرضها هى قولهم بافلاس الحضارة الاسلامية ، وعجز الاسلام عن القيام بدور حضارى جديد وهم يعلمون بكل تأكيد ، خطأ هذا القول ، ولكنهم يبذلون الجهد لاقراره كبديهية ، ويريدوننا أن نرتضى أنها من المسلمات .

انهم لا يريدون أن يؤكدوا لأنفسهم عجز الاسلام كدين وفكر وتراث عن اثراء الحياة ، وخلق الحضارة ، وتغذية ثورية الانسان ، وخدمة نضاله وحفز جهده ، فهم يعلمون أن الاسلام يملك قوته فى ذاته ، ويملك تأثيره من داخله ، وهم أذكى من أن يكرروا ، جهل النعامة ، وهى تخفى نفسها من الصياد .

ان ما يريدونه تقوية الشعور لدينا بالعجز ، وتعميق ما فى نفوسنا من احساس بالنقص والتخلف ، فنسلم — فى وجود الشعور بالعجز والنقص — بافلاسنا حضاريا ونؤمن بعجز فكرنا الاسلامى عن تقديم أى شىء ذى قيمة ، فى عصر أزدهار العلوم والفنون ، وفى عصر تصنع الالكترونات حضارته ، وتبنى مجده فنلقى بثوبنا عنا ، ونرمى قيمنا بعيدا ، ما دمنا نسلم بأنه لا جدوى من ورائها ، ثم نجرى وراء بريق القوى الذى يخطف أبصارنا ، ويهز عقولنا فى عنف ، وحينئذ يتم لهم عمليا القضاء علينا لأنه فى غيبة الاسلام دينا وشريعة وفكرا وأسلوب حياة يموت المسلمون . وفى غيبة الاسلام عقيدة وفكرا وسلوكا يموت العرب ، وتموت العروبة ، كما أن فى ابعاد العرب عن الاسلام ضعف الاسلام وتوقفه المؤقت عن القيام بأى اسهام حضارى ، فمعركة القضاء على العروبة والاسلام تتمثل أساسا فى احراز نصر فعال لا يمكن أن يتحقق الا فى فصل العرب عن الاسلام وابعاد الاسلام عن الجماهير العربية والمزاج العربى والبيئة العربية ، ونحن هنا لا نحاول فلسفة الأمور ، ولا نزعم أننا أتينا بجديد ، ولكننا نقرر واقعا ونقوم بعملية استقراء لتاريخ هذه المنطقة التى نعيش فيها ، واستقراء تاريخ الغزو والاستعمار الذى تعرض له الوطن الاسلامى وتعرضت له البلاد العربية .

ان دراسة التاريخ والمخططات الاستعمارية سواء ما كان منها دوليا أو عن طريق الارساليات يعطينا ما يؤكد سلامة هذا القول ، انك لكى تقتل العروبة والاسلام فعليك أن تنجح فى الفصل بينهما ، فكل منهما لا شىء فى غيبة الآخر ، وهما كل شىء اذا التقيا .

انها تذكرة .. فهل من مدكر ؟

إن هذه الحقيقة ثابتة ، والمعركة التى يواجهها الاسلام أيضا واحدة تختلف باختلاف الأزمان ، والظروف ، والأشخاص ، وتتكرر هى بنفس الدوافع ونفس الأهداف مع اختلاف الوسائل أحيانا ، وفى أحيان أخرى

بالوسائل نفسها ، ومكان المعركة أيضا لا يتغير ، وهو الميدان الذى لو تم فيه النصر لتوفرت ضمانات استمراره ، ان المكان دائما هو الأرض العربية إن الأرض العربية تعيش فى عقول أعدائنا ، وتلهب خيالهم ، لا لفـــراغ عقولهم ، أو ارتمائهم فى خيالات مريضة ، أو لأن الرومانسية قد صرعتهم ، ولكن لأنهم يتفهمون واقعا ويدركون حقيقة : أن معركة تصفية الحضـــارة العربية لا بد أن تتم على الارض العربية وان نـــزول الستار عن الفكـــر الاسلامى لا بد أن يتم هنافى الشرق العربى .

اننا نكتب دائما فى سذاجة أن « ألف ليلة وليلة » تغزو عقول الأجانب وأنهم لا يعرفون الشرق الا بها ، وبالأساطير التى تسحرهم عن لياليه ، وعن الطرب والترف والقيان والنساء ، ونقول فى سذاجة إن « كتاب الأغانى » للأصبهانى يمثل الحياة العربية ، وهو قول ساذج أيضا ومدمر فلا هذا ولا ذاك من صادق القول وسليم الرأى .

فى البناء والهدم .. أهداف :

إن كتاب « ألف ليلة وليلة » لا يقدم نموذجا صحيحا للانسان العربى ، فالأسطورة ليست مقياس العقل العربى وليست خاصيته لكن الانســـان العربى يتمثل فى الكلمة الواضحة والعبارة المحددة ، واذا كانت اللغـــة العربية تتميز بكثرة المترادفات وأن للمعنى الواحد أكثر من كلمة تعبر عنه ، فليس معناه أن تظل العبارة العربية فضفاضة أو متأنقة .. ولكن معنـــاه الثراء المعنوى بحيث يكون للكلمة معنى دقيق محدد فى كل حالة وتأخـــذ الكلمة الطابع النفسى عند السياق ، ونستطيع أن نقول أن العربى يستخدم الكلمة فى قالب صحيح ، وفى جو صحيـــح أيضا . أى أنه ينقل المعنـــى والجو النفسى له فى آن واحد ، وهذا من شأنه احداث تأثير أكبر عنـــد السامع أو القارىء ، وهذا يعبر أيضا عن طبيعة العربى ، ومزاجه فـــى تمسكه بالقوة ، وحرصه على بلوغ الكمال ، وتحقيق قدر أكبر من الوضـوح وإصراره على ازالة كل لبس .

حتى أننا نجد أن التورية والكناية والمدح الذى يراد بالذم فى اللغـــة العربية يخضع لقانون وضوابط محددة وليس عفويا .

كما أن كتاب الأغانى لا يمثل واقعا عربيا ، فالأمة العربية لم ولـــن تكن سهرات ماجنة ، وقيانا وخمرا ونساء .

والفكر العربى ليس المدح والذم والغزل فى المذكر ، انها صور تمثل واقعا مريضا ، وتمثل مزاجا غير عربى ، والانسان العربى سليم المزاج ، سليم الواقع ، فكتاب الأغانى ليس تعبيرا سليما عن العربى وليس عملا عربيا خارقا لأنه يصور أمراض النفس أكثر مما يظهر سلامتها . فلماذا اذا يقبل الأجانب على (الف ليلة وليلة) ؟ ولماذا يمجدون كتابا كالاغانى ؟ ان « ألف ليلة وليلة » تجذب خيال الطفل الى حياة ، وتوجه ذهنه الى منطقة اسمها الشرق العربى ، أو تلك البيئة التى يعيش أهلها حياة حالمة ويجد من يرتادها الكنوز التى تفتح له عندما يملك القوة ، وان هذه الأرض المليئـــة بالكنوز تنتظر الفاتح القادم من خارج الأرض العربية ، وعندما يتذكر هذه

الأرض ويتعلق بها ، سيحاول أن يفهم كل شيء عنها .. ويتصرف عليها ويعى تاريخ هذه المنطقة من خلال أدلاء يغذونه بفكر معين ، ومن خلال مربين يربونه تربية معينة ، ويعدونه اعدادا خاصا ، لكى يكون غازيا لهذه المنطقة ، ولكى يدرك أن هناك حربا فاصلة لا بد أن تكون فى ذلك الميدان ، هنا بناء الطفل الذى سيكون رجل الغد ، سواء فى الناحية الحربية أو المدنية ، انه يربط الطفل بالمعركة وبأرضها عن طريق ما يمكن أن يخاطب عقلية الطفل ، ويثير شجونه ، ويولد أحاسيسه ، وينمى مشاعره . وهذا هو الجانب الايجابى الهام فى الاعداد لمعركة تصفية الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى والعقيدة الاسلامية ، معركة القضاء على العروبة والاسلام .

أما الجانب الايجابى الآخر فى المعركة فهو تصفية العرب ، بالقضاء على خصائص الانسان العربى .. وذلك بوضعه فى حياة غير عربية ، واقناعه بسلوك غير عربى ، والعروبة ليست رداء ولكنها واقع وحقيقة ، فالعربى هو عربى اللغة والفكر والمزاج والسلوك ، عربى القيم والمبادىء والمشاعر والارادة ، عربى الفهم والتصرف ، ومع محاولة تصفية العرب بسلبهم خصائصهم يتم أيضا تحطيمهم معنويا بغرس الشعور بالعجز فى نفوسهم عندما يعطيهم صورة مزركشة عن ماضيهم ، ويلقى أمام بصرهم بواقع متخلف فاما اغراقهم فى أحلام رومانسية وربطهم سطحيا بماضى خيالى يكتفى معه بالعزاء واما صدمه عن طريق واقع يحطمهم ويجبرهم على التسليم بأن ما يتمسكون به لا قيمة له ولا جدوى فيهربون منه ، وبذلك ينسلخون عن حضارتهم وقيمهم وفكرهم وهو المطلوب .

كان بمقدورهم وعى الحقيقة !!

ان الفكر الاسلامى مطالب اليوم بأن يبرهن عمليا وفى ضوء تأثير حقيقى ملموس على أصالته ، وأن يثبت قدرته على الاسهام فى حركة الجماهير ، وتطوير هذه الحركة وأثرائها بما يصنعه من قيم ، وما يمكن أن يجمع الناس حوله من أهداف ، وما يمدهم به من الهام .. لأن فى قدرة هذا الفكر على الاشعاع والتأثير والتوجيه ، ومقدرته على التجميع والايقاظ والبعث ، يتحقق وجوده ، ويتضح كماله ، وتفهم صلاحيته ولقد أدرك المفكرون المسلمون ذلك منذ البدء ، والقراءة المتأنية لما بين أيدينا من تراث عربى تعطينا الدليل على ذلك ، فمنذ عرف المسلمون التدوين نرى أن الحقيقة واضحة أمامهم والطريق محدد ..

فالمفكر المسلم لم يكن يسود الصفحات لازجاء الفراغ ، أو للظهور بمظهر العالم ، ولكنه كان يعرف قيمة الكلمة ويدرك قيمته وهو يستخدمها ، لذلك استخدموا كلماتهم فى التعبير عن رسالاتهم ، ونقل قيم آمنوا بها ، وآراء التزموا بها ، وضحى الانسان منهم بحياته دفاعا عن كلمته .

بل يمكن القول أن غير الملتزمين منهم بالمبدأ أو الرسالة قد التزموا بأهداف وضعوها لأنفسهم ، حتى المتكسبين بالقول منهم كانت لهم غاية هى ارضاء السلطان أو الحصول على الجاه ، فكانوا كمندوبى الدعاية فى

العصر الحديث ، أو مؤلفى الاعلانات وقد تغير شكل المعلن من صاحب سلعة الى صاحب سلطة أو صاحب جاه .

لقد كانت بداية التفكير الاسلامى التزام بالهدف والرسالة ، وايمان بقيمة الكلمة وجدواها ، وكان رجل الكلمة يفهم دوره ، ويعرف طريقه ، ويعطى التعبير الصادق عن ايمان صادق ، فعاش فكرهم ، وبقيت كلماتهم منارات هدى ونجحت فى تقديم عطاء سخى للبشرية .

كان الصدق والايمان سمات الفكر الاسلامى وكان الصدق والايمان يميز فكر الانسان العربى منذ عرف التدوين وكتب المخطوطات ، وكان الالتزام بالهدف والرسالة واضحا ومتمثلا فيما كتب ، وظل الفكر الاسلامى على هذه الصورة فى كل عصور ازدهاره ، وكان فى عصور انكماشه يعمد الى التقوقع ، ويختفى تحت ستار التقليد ، كى لا يخضع أو يذل ، بل اننا نظام أحيانا عصور التقليد عندما نصمها بالتخلف دون دراسة وتحليل واقعها لكشف سر تخلفها .

الفكر الاسلامى فى عصر الألكترونات : الى أين ؟

فاذا ما أدركنا أن سلامتنا تتمثل فى حاضر يرتبط بالماضى ، ويأخذ من قيمه وتراثه ما ينير له الطريق ، واذا سلمنا بأن الاسلام عقيدتنا ، وحياتنا وسلوكنا ، وان الفكر الاسلامى فى عصوره المزدهرة يجب أن يكون منبع فكرنا ومنهل عرفاتنا ، فاننا نمضى لمعرفة مدى اتصالنا بهذا الفكر ، وما مدى ارتباطنا به ؟ وما مدى فهمنا له ؟ وما مدى ما نقترب منه أو نبتعد عنه ؟

نجد أننا نقترب اسما ونتخلف فعلا ، نقترب وهما ، ونبتعد حقيقة ، نقترب أملا ، ونبتعد غاية وأسلوبا .

ان ما نكتبه فى أغلبه بعيد عن واقعنا ، بعيد عن تفهم حقيقتنا وادراك دورنا فى الحياة ، وهو بالتالى بعيد عن التأثير فى هذه الحياة واقناع الآخرين بجدوى ما نملكه ، أو اقناعهم بأن لنا دورا حضاريا يمكن أن ننهض بـه .

ان فكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات ينقصه الجدية ويفتقر الى الموضوعية ، لا يمثل قيمة ولا يعبر عن هدف ولا يوصل لغاية ، ان فكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات منفصل عن جوهر ديننا وجوهر حضارتنا ، ومنسلخ عن جوهر تراثنا .

وفكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات فكر ممسوخ لا صورة له ولا سمات واضحة تميزه .. وفكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات فكر مريض لا يلائم الواقع ولا يتمشى مع الحياة .

انه فى أغلبه ترجية فراغ وطيش أقلام وتسويد أوراق،انه لمن الغريب أن يكون هذا النتاج هو ثمرة الفكر الاسلامى المزهر والعقلية الاسلامية ذات التراث الفكرى الأصيل ، ان فكرنا يدور فى نطاق ضيق لا يخرج عن الحلال والحرام ، والحلال بين والحرام بين كما يقول نبينا الصادق المصدوق .

إننا نشغل أنفسنا فى قضايا لا يحتاجها عصرنا ونشغل بأمور ليست معروضة للمناقشة أصلا ، ولسنا فى حاجة الى مناقشتها ولكن الافلاس يجعلنا نناقشها ونجادل حولها .

إن الفكر الاسلامى المعاصر يجب أن يخرج من المتاهة التى دخلهـــا يجب أن ينطلق متسلحا بالايمان والقيم وملتزما بالكتاب والسنة والتراث ليرتاد آفاقا أرحب ، وليمهد الطريق أمام نهضة عربية جديدة ، وليفتح الباب لاسهام حضارى اسلامى تحتاجه البشرية ، ويستطيع جيلنا أن يقدمه ، وأن يصنعه ، لوعدنا الى هذا الدين الذى تنزل علينا بالحق ، وحملنا أمانته فى صدق واخلاص .

انه عصر النظريات ، والتحليل ، والبحث !!!

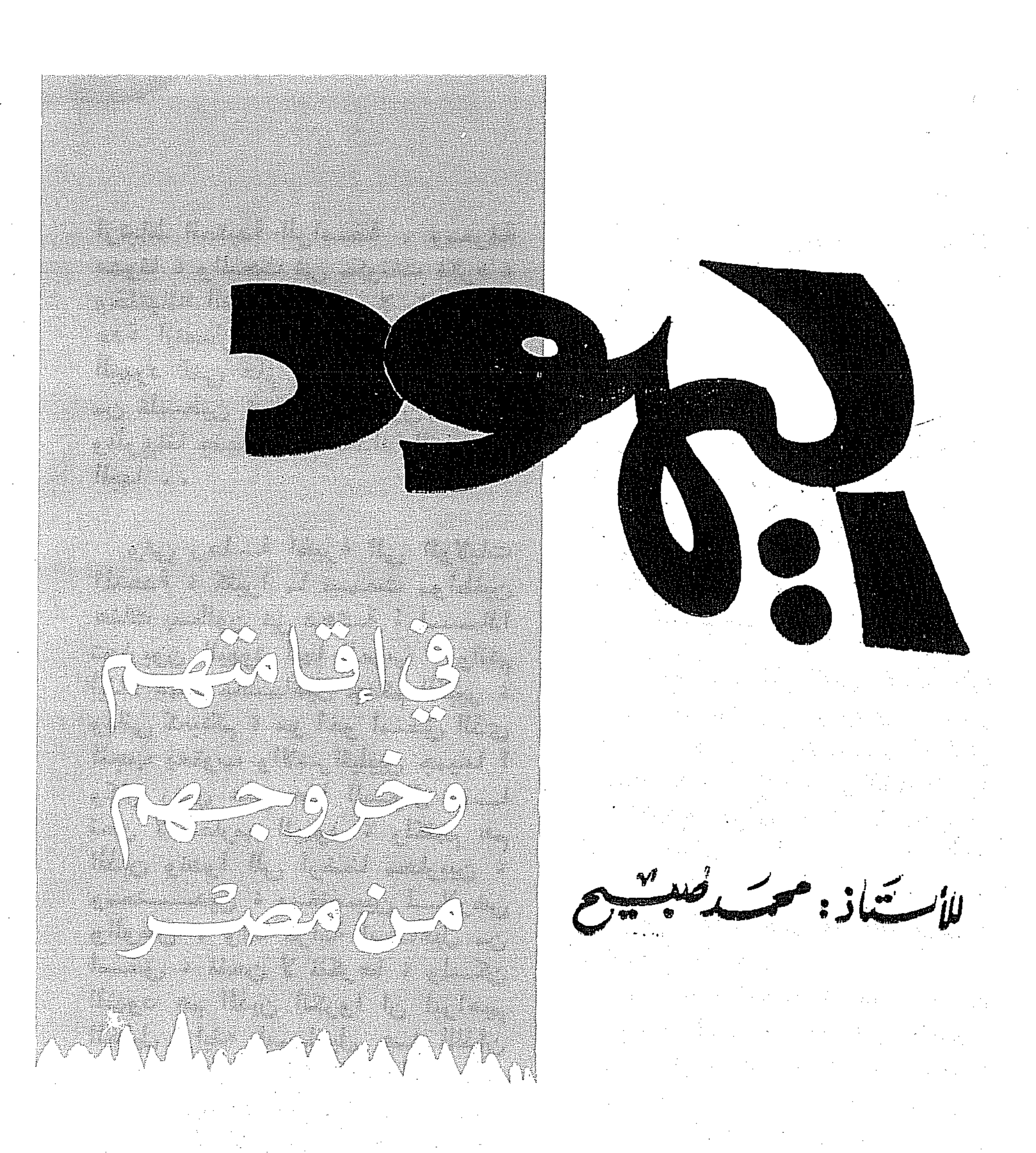
أن عصر الالكترونات هو عصر النظريات العلمية ، والدراســـات الجادة القائمة على التحليل والفهم والمناقشة والبحث الجاد الهادف ، وهذا العصر ليس عصر الكتابات الانشـــائية ، وليس عصر تجميع النقــول والنصوص ، انه عصر تفهم النصوص للاستفادة منها ، وليس عرضهـا للمباهاة بحفظها ، فالعقل الالكترونى أكثر من ذاكرة الانسان ، وليس المهم اليوم أن نردد كم كتابا قرأنا ، أو كم من النصوص نحفظ ، ولكن أن نثبت مدى فهمنا لما قرأناه ، ومدى استفادتنا مما بين أيدينا من نصوص لخدمــة قضايانا ولتنمية قدرات الانسان والعمل على ما فيه خيره ، ان مراعـــاة المصلحة أساس فى الشريعة الاسلامية وخدمة الصالح العام هـــدف اسلامى .

ان الانسان يعيش اليوم فى كل مكان محاصرا بنظريات ، وتحـــدد الفلسفات له سلوكه ومساره ، فهو ملتزم بالقضايا ، وملتزم بالمناهــــج والاهداف سواء فى جده أو مجونه ، فى عمله أو عبثه ، فى حربه أو سلمه فى ايمانه أو يأسه .

إننا نعيش عصرا لكل شىء فيه فلسفة ، حتى الجريمة قد أصبح لها فلسفتها ، فلقد كان اللص فى الماضى لا يعلل اقدامه على السرقة ويجرى هاربا من وجه العدالة ويدارى خجله من الناس عند اكتشافه ، فأصبـــح اليوم يفلسف السرقة ويرجع جريمته الى احساسه بالضياع أو القلق أو الى شعوره بالظلم والاضطهاد .

وكانت الحروب لا تعلل ، فالغازى يحرك جيوشه متى أراد ، وحيثما أراد ، فأصبح اليوم يفلسف خطواته ، ويبنيها على أسس عقائدية ، حتى أضحى كل شىء فى عالمنا عقائديا حتى ما هو قائم على هدم العقـــائد ، وما هو ثائر على النظم والقيود والنظريات يقوم أصلا على أساس عقائدى ، لذلك فان فكرنا الاسلامى يجب أن يلتزم عقائديا ، وأن يلتزم تعبيرنا بهدف ورسالة ، والا انعزل عن الحياة ، وسقط فيما يريده له الأعداء .

وعلينا أن ندرك أن كثيرا من أصحاب الفلسفات فى عالمنا يختلفون فيما بينهم ، وتتعارض مصالحهم ، ووجهات نظرهم ، ولكنهم — وهـــذا هو المهم — يتفقون على موقف تجاه الاسلام ، أساسه الاحساس بقـــدرة هذا الدين ، ومقدرته الفكرية على احياء النفوس ، ويدركون أن الفكـــر الاسلامى قادر على اصلاح المجتمعات ، وتغيير الكثير فيها .. وهم يتفقون أيضا فى الرغبة الأكيدة فى أن يظل هذا الدين مجمدا ، أو محصورا فى قوالب صماء ، وأن يظل أتباعه فى عزلة عن الحياة ، وتظل الحيـــاة بعيدة عن مجال تأثيرهم ، لأن فى تأثير الاسلام كدين وفكر على الحيـــاة ما يغيرها ويفيد العرب ويعز المسلمين وهو كره لهم « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .



سال القارىء الفاضل السيد عبد العزيز ابراهيم الميمان ــ الدمام ــ السعودية ــ عن فترة اقامة اليهود فى مصر ، منذ دعاهم اليهـا سيدنا يوسف الصديق ، وعن تعدادهم عند خروجهم منها واشار فى رسالته الى ما ذكره المسعودى فى هذا الصـدد ، وشك ابن خلدون فى تقديـرات المسعودى وعقب القـارىء الفاضل بقوله ... من هذا اختلط علينا الامر فنرجو الايضاح .

* * *

وقد يحسب البعض أن ظـروف المعركة تستدعى أن نخصص لهـا جهدنا كله ، فكرا ، وعمـلا ، ولكنى أرى انها ظـاهرة صـحية ان نقلب أوراق الماضى ، وننبش تاريخ اليهود

بعد ان تأكـدت صلة الحاضر بهذا التاريخ ، وان الاسرائيليين الـذين يحاربوننا اليوم ، انما يعيشون فـى صفحـات التـوراة ، والتلمود ، والبروتوكولات ، ويرتبطون بهـا

ارتباط العقيدة الراسخة . ومعرفة عدونا ، والبحث فى مكونات فكره ، وخلفياته التاريخية جزء لا يتجزأ من عدة انتصارنا عليه ، ولقد انفق اليهود الفى عام الا قليلا منذ طردوا من فلسطين ، وهم يدرسون عقائدنا وظروفنا جميعا ، استعدادا للعودة اليها ..

وفى رحلة أخيرة الى الولايات المتحدة ، كثيرا ما سمعت مواطنين هناك يسألون فى دهشة : لماذا تحاربون اليهود أيها العرب ، وانتم أبناء عمهم فاسماعيل جدكم الكبير ، وبانى كعبتكم ، هو اخو اسحق الذى أنجب يعقوب والاسرائيليين جميعا ؟ وكان ردى على هذا السؤال اننا نحن لا نحارب اليهود ، ولكنهم هم الذين وفدوا الى أرضنا محاربين ، ومعتدين ، ومغتصبين للارض والوطن . وأما قرابة اسماعيل من اسحق ، فنحن لا ننكرها ، ولكن اليهود هم الذين انكروا ان ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل هما اللذان اشتركا فى بناء الكعبة ، بأمر من الله تعالى حيث توجد الآن ، وكأن هذا الاثر الباقى من أقدم العصور فى مكانه لا يوجد قط !! حتى لقد أضاع مؤلفو التوراة كل اثر لاسماعيل ، وسلالته ، وكأنه لم يوجد الا بالاسم فقط ، بل أضاعوا أيضا اثر عيسو الاخ الكبير والوارث الطبيعى لعهد اسحق ، وكأنه لم تكن له سلالة ، وكل العهد ، وكل السلالة هى ليعقوب الذى سمى اسرائيل .

بل لقد بلغ من جهل العالم الغربى ، ولا سيما الامريكان ، انى سمعت من كثيرين منهم ، ان كل ما تفعله الولايات المتحدة ، هو ازالة اثر من آثار هتلر ، الذى طرد اليهود من فلسطين ، وزرع العرب مكانهم ..

أجل : ان كثيرين يظنون — بفعل الدعاية الصهيونية المضللة — ان هتلر هو الذى اسكن العرب فى فلسطين فى عام ١٩٣٣ بعد الميلاد !!

اذن فنحن فى حاجة الى كثير من الجهد للوصول الى الحقائق وايصالها الى اذهان الرأى العام العالمى .. ولنعد الآن الى موضوعنا .

علامات فى الطريق

المرجع الاساسى الذى نعتمد عليه فى معرفة التاريخ اليهودى ، هو القرآن الكريم ، والاشارات التى وردت فيه عن مراحله ، وكذلك ما ورد فى الانجيل عن هذا التاريخ : ثم الحفريات الكثيرة التى تمت فى أواخر القرن الماضى وهذا القرن ، وفكت رموزها واهمها حفريات العراق ، وفلسطين ، ومصر .

وقد تحدثت كتب السماء عن الانبياء ، والرسل : نوح ، وابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وأخيه هارون ، وخليفته يشوع بن نون .. ثم داود ، وسليمان .

وبقى على الحفريات ان تدلنا على مواقيت ظهورهم ، وما اقترن بحياتهم من أحداث . وحتى نقدم خلاصة ما وصلت اليه الحفريات ، فاننا سنذكرها ، ومن أراد توسعا فى البحث والدراسة ، فما عليه الا أن يسأل عن طريق الوعى الاسلامى ، ونحن نجيب بما يسر الله لنا من معرفة ومراجع .

* ولد ابراهيم الخليل فى بلدة « أور » بجنوب العراق فى عهد الملك البابلى زابوم عام ٢١١٩ ق.م (تاريخ التوراة ٢١٦٠ ق.م) وهاجر الى

فلسطين ، التى هى ارض كنعان ، وكان فى الخامسة والسبعين من عمره كما تقول التوراة ، وكانت هذه الهجرة فى الرأى الارجح قبيل عصر حمورابى فى بابل وفى وقت معاصر تقريبا لنهاية الاسرة السادسة عشرة المصرية : وفى عودته من مصر مع هاجر المصرية ولد له اسماعيل ، وبعد احدى عشرة سنة ولد له اسحاق من زوجته العراقية سارة .

انجب اسحق ابنيه عيسو ثم يعقوب حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م ، وبعد ١٣٠ سنة دعاه يوسف الصديق الى مصر ، وكان بصره قد كف ، وارتد اليه على نحو ما روت لنا السيرة المشهورة : وكانت قبيلة يعقوب أول قدومها الى مصر مكونة من سبعين شخصا فى « رواية التوراة » وقد اقاموا فى اقليم الشرقية ، وحثهم يوسف على الا يتخذوا لهم صناعة الا رعى الاغنام حتى لا يختلطوا بالمصريين . وكان المصريون يكرهون رائحة الرعاة ، وكان اليهود لا يستحمون ، فتظل رائحة الاغنام عالقة بهم . وبهذا فرض هؤلاء الوافدين الى مصر على نفسهم عزلة تجنبهم مشاق العمل مع المصريين فى زراعة أو صناعة أو بناء . والرأى الارجح انهم تركزوا حول مركز « فاقوس » المعروف الى الآن بأرض الشرقية .

* طالت فترة اقامة اليهود فى مصر خلال حكم الهكسوس لها . وهناك رأى يقول ان الهكسوس هم اليهود ، بل ألفت رسالة دكتوراه تؤيد هذا الرأي ! ولكنه رأي غير ناضج ، اذ كيف يتاح لآلاف قليلة من البشر ان تحكم شعبا كالشعب المصري ، ويستمر حكمهم قرونا . مع اختلاف الطبائع ، والعقائد ، والحضارات (لم تكن لليهود حضارة على الاطلاق) .

وكان وفود اليهود الى مصر مع يعقوب حوالى عام ١٨٧٠ ق.م وكان احمس قد بدأ حرب التحرير بعد ٣٠٠ سنة تقريبا من وجودهم . وبه يبدأ حكم الاسرة الثامنة عشرة فى مصر . وهى أعظم أسر التاريخ المصرى القديم .

ولد موسى الكليم فى مصر . وتقول التوراة انه من اسرة ليفى ، أو لاوى اليهودية . وتقول مصادر أخرى انه من أسرة مصرية ولكنه فى جميع الاحوال يحمل اسما مصريا ، والرأى الارجح انه تحريف لاسم مصرى شائع جدا هو احموس الذى كان بطل التحرير . وان كان برستد ، وهو مؤرخ عظيم ولا شك يفسره بأنه طفل امون أو بتاح أحد الهين مصريين قديمين ، اذ ان كلمة (موسى) فى الهيروغرافية تفسر بكلمة طفل .

وكان ميلاد موسى عام ١٥٢٠ ق.م فى حياة الامير ثم الملكة حتشبسوت ، وهى التى انقذته من الغرق ، وتولت تربيته ، وعمل ضابطا فى الحرس الفرعوني ، ثم سافر الى السودان فى بعثة عسكرية ، ولما نشب نزاع خطير بين الملكة وأخيها تحتمس الثالث انحاز موسى الى الملكة التى ربته ، وهرب الى أرض مدين « شمال الحجاز » وكان سنه أربعين سنة فلما عاد تولى زعامة القبيلة اليهودية ويبدو ان هذه القبيلة شاركت فى النزاع على العرش مؤيدة حتشبسوت ضد أخيها تحتمس الثالث ، فحل بها اضطهاد فرعون والزمها بالعمل فى بناء المعابد وغيرها .

وهنا نأتى لفترة الخروج من مصر ، والتى يرجح جدا انها كانت عام ١٤٤٠ ق.م.

ولا يوجد لدينا فرعون فى هذه الفترة مات فى العام المذكور فان حكم اعظم فراعنة مصر تحتمس الثالث بدأ عام ١٥٠١ ق.م ، وانتهى عام ١٤٤٧ ق.م ليليه حكم أمونحتب الثانى الذى مات عام ١٤٢٣ ق.م .. وقد وجدت جثث هذين الفرعونين وهى محفوظة فى المتاحف.

وعلى هذا فنحن فى قصة الخروج أمام فرضين :

أولهما أن قائد جيش المطاردة الفرعونى كان احد امراء البيت المالك من الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب فرعون (وهذا اللقب أقرب الى لقب الباب العالى فى تركيا العثمانية) وهو الذى غرق .

وثانيهما ان فرعون قائد المطاردة كان احد هذه الاسماء من ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، وانقذت جثته، وعلينا ان نصحح تاريخ الخروج أو تاريخ وفاة الفراعنة . وفى القرآن الكريم اشارة صريحة الى ان جثة فرعون أنقذت وعلى هذا فنحن نعتمد هذه الرواية .

وردت بعد ذلك فى رسائل تل العمارنة اشارات الى حروب اليهود فى فلسطين . اذ طلب حكامها من اخناتون نجدات تقمع هذه الحروب . وكان اخناتون قد تولى الحكم عام ١٣٧٧ ق.م وهذه الرسائل تؤيد ان الخروج والتيه كانا فى وقت سابق لاخناتون ،كما وردت اشارات فى عهد منفتاح بن رمسيس الثانى ، بانه حارب اليهود ، وسرى وهم لدى بعض المؤرخين ان منفتاح ــ بناء على هذه الاشارة ــ هو فرعون الخروج ولكن النصوص تؤيد الآن ان الخروج تم قبل عهده بأكثر من مائتى سنة .

اقامتهم فى مصر وعددهم

وعلى ضوء هذه التواريخ التى أيدتها الحفريات ، ولا سيما حفريات أريحا بفلسطين ، قد أكدت ميقات مذبحة اليهود لاهلها جميعا وحيوانها وشجرها ، بانه كان عام ١٤٠٠ ق.م وقد تمت هذه الحفريات عام ١٩٣٦ م ونشر خلاصة البحث العلمى الذى اسفرت عنه ، فى جريدة التايمز اللندنية ، كل من (جون جارستاج) رئيس بعثة اريحا و الان رو) رئيس بعثة حفريات بيسان .

وفى أواخر القرن الماضى ، وبتأييد من حكومة مصر قام قنصل الولايات المتحدة فى القاهرة بدراسة على الطبيعة لخط سير موسى واليهود الهاربين ، وفى تقديره ان بحيرة المنزلة كانت تمتد الى جنوب شواطئها الحالية وربما كانت اقرب الى البحيرات المرة وكانت اعشاب البوص تملأ المنطقة والرياح فى مواسم معينة كانت تدفع مياه البحيرة حتى لتشبه موج البحر ثم تدفعها مرتدة حتى يظهر قاع البحيرة ، وما بين فترتى جزر ومد كان العبور الى سيناء ، ثم مطاردة فرعون الهاربين الذين ما لبث المد أن اغرقهم من يمين ويسار ، وبحر (سوف) الذى وردت اشارات كثيرة له ، هو بحر « البوص » الذى ينمو فى المياه الضحلة ، وهو ما تعنيه كلمة سوف العبرية : وفى تقدير هذا الباحث الامريكى ان العبور لم يكن من خليج السويس ، أو من البحر الاحمر : وعلى كل حال هذه فروض لها بعض الابعاد العلمية ولكنها ليست كلها علما .

أما النقطة الهامة التى دلت عليها هذه الرحلة فهي المكان الذي صعد

اليه موسى فوق قمة الجبل (مارا بدير سنت كاترين الحالى) والسفح ثم السهل الذى استقر فيه اليهود فترة السنين الاربعين التى قضى عليهم بالبقاء فيها تائهين ومن حولهم جبال سينا وصحاريها هذا السهل كما رآه وقدر ابعاده القنصل الامريكى ، لا يمكن بحال ان يتسع لحوالى ثلاثة ارباع مليون نسمة . واذا كان المن والسلوى معجزة السماء التى ساقتها الى هؤلاء القوم ، فان الماء هو الذى أعوزهم ، وأى مياه تتفجر من الصخر معجزة لموسى ، أو تحويه الآبار بحكم الوجود الطبيعى ، لا يمكن أن تكفى هذا العدد الضخم من البشر ، ومعهم حيواناتهم ، هذه السنوات التى عرف انها اربعون سنة هلك فيها جيل المعاندين والكافرين من يهود العبور ، وظهر من بعدهم خلف أقرب الى الطاعة ولم يتشبع بعبادة الاوثان التى خرج بها اليهود من مصر ، ورفضوا من أجلها رسالة التوحيد التى جاء بها موسى ، ووصاياه العشر . ساحة الاقامة بحسب ابعادها التى لم تتغير خلال خمسة وعشرين قرنا ، قد تكفى لعشر العدد من اليهود الذى ورد فى التوراة أى تكفى لسبعين الفا فقط ، وهو رقم متفائل ، اطمأن اليه الصهيونى بن جوريون ثم عدل عنه ، بعد ان هدده الحاخام بالكفران والعصيان ..

ان سبعين شخصا ، اذا تكاثروا وغالبوا الامراض والاوبئة التى عاش فيها اليهود بسبب قذارتهم البدنية ، فانهم يزيدون الف مثل في أربعة قرون وبعض قرن ، أى بنسبة ٢ر٥ ٪ تقريبا ..

وهكذا يمكننا أن نرفض الارقام التي وردت في التوراة الحالية عن عدد اليهود الخارجين من مصر ، وعن تعداد قوتهم المحاربة التى قادها خليفة موسى وخادمه يشوع بن نون ، والتى بالغت فى كل شىء ، والقت القول على عواهنه .

اما كيف انتصر اليهود فى معاركهم الحربية فى فلسطين ، فان هذا البحث يحتاج الى مقال خاص به ، ولكنا نسرع فنقول ان اليهود لم يسيطروا على أكثر من ١٥ ٪ من أرض فلسطين ، وان فلسطين فى ذلك العهد لم تكن محكومة بحكومة مركزية مثل مصر أو بابل ، ولكن مدنها وقراها كانت تحت سيطرة رؤساء قبائل ، وتوجد لمصر سيطرة اسمية ، ما لبثت أن تفككت بعد عهد تحتمس الثالث ، وعهد اخناتون . ورسائل تل العمارنة تشهد بذلك .. ومع ذلك فما اكثر الهزائم التى منى بها اليهود فى حروبهم للكنعانيين — عرب فلسطين فى ذلك الوقت — أو اهل الساحل الفلسطينيين الذين حملت هذه الارض اسمهم بعد ذلك . ومن هنا نستطيع أن نقول ان ابن خلدون عندما شكك فى أرقام المسعودى كان على حق ، وكذلك فعل كثير من الباحثين فى أكثر ما اشتملته التوراة من اخبار ووقائع حتى المزامير وقصص الانبياء وجدت لها اصول فى آداب مصر وبابل القديمة .

وعندما نسب القرآن الكريم للتوراة المتداولة وقت نزوله ، الزيف الزور ، والبهتان ، فقد فتح الباب على مصراعيه لكثير من الدراسات تلت بعد ذلك لتكشف هذا الزيف ومن الخير ان يكون لنا نصيب أوفى من هذه الدراسات .

* * *

غزو الفضاء

يا أبناء الفناء : مهما بلغتم من المضاء والذكاء ، ومهما هيمنتم على الأرض والفضاء ، فأنتم في قبضة القضاء ، « وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء »

جاوزْتَ منطقةَ الهواءِ ... وبلغْتَ أسبابَ السَّماءِ
ومشَيْتَ يا ابنَ الأرضِ فَوْ ... قَ الهدرِ مرفوعَ اللواءِ
من كوكبٍ نَاءٍ قفَزْ ... تَ لكوكبٍ في الأفقِ نائي
وأرَدْتَ تحقيقَ الرَّجا ... ءِ ، فنِلْتَ مافوقَ الرَّجاءِ
فاخْلَعْ ثيابَ العُجْبِ واحـ ... ـذرْ مِنْ دُوارِ الكِبْرِياءِ
ما فُزْتَ إلاَّ بعد أنْ ... سبقتْكَ (لايْكَا) في الفضاءِ
فَمضيْتَ أنتَ وراءَها ... مُتهيِّباً وقعَ القضاءِ
فاعرِفْ لنفسِكَ قَدْرَها ... ومصيرَها يا ابنَ الفناءِ

* * *

حُلْمٌ تحقق بالعُلو ... مِ وبالعزيمةِ والمَضاءِ
وشَجاعةٍ قامَتْ على ... أُسسِ التَّضحيةِ والفِداءِ
ومَعونةِ اللهِ الذي ... أعطَى فأجزلَ في العطاءِ



فاخْشَعْ لَهُ ، واضْرَعْ إليـ ـــ ـهِ بالتحيَّةِ والثَّناءِ

لَولا العِنايَةُ ما مَشيْـ ـــ ـتَ على الثَّرَى بَلْهَ السماءِ

⋆ ⋆ ⋆

يا ابنَ الثَّرَى فِيمَ التَّطَلُّـ ـــ ـعُ نَحوَ آفاقِ الفَضَاءِ ؟

أتريد تلويثَ الكَوا ـــ كِبِ بالتعاسَةِ والشَّقاءِ ؟

أتريدُ فوق أديمها ـــ سَكْبَ الدِّماءِ على الدِّماءِ ؟

أتُحِبُّ نشرَ الحربِ فيـ ـــ ـها والضغينَةِ والعَداءِ ؟

أتريد تَسْخِيرَ العُلُو ـــ مِ لِبَثِّ ألوانَ البَلاءِ ؟

أمْ باسْتِراقِ السمْعِ تَرْ ـــ جو كَشْفَ أستارِ الخَفَاءِ ؟

الغَيْبُ ـ يا ابنَ الأرضِ ـ أسْـ ـــ ـمَى من ذكاءِ الأذْكِياءِ

⋆ ⋆ ⋆

يا ابنَ الثَّرَى مهما سَمَوْ ـــ تَ فأنتَ من طينٍ وماءِ

مهما بَلغْتَ مِنَ الذكا ـــ ءِ فأنتَ مَحْدودُ الذَّكاءِ

مهما قَضَيْتَ من الأُمو ـــ رِ فأنتَ في أسْرِ القضاءِ

مهما كشفتَ مِنَ العَمـــا ءِ فأنتَ تَخبَّطُ فى العمـــاءِ
مهما حشدتَ من المضـــا ءِ فأَنتَ مفلولُ المضـــاءِ
مهما عَلِمتَ فلسْـــت تَعْـ ـلَمُ غيرَ ومْض ٍمن سَـناءِ
بالروحِ ـ لا بالجســـم ـ تَحْـ ـظَي بالسُّمـــوّ والارْتِقاءِ
وَبِفَضْلِ مَنْ ســوّاكَ مُعْـ ـجِزَةً وخَصَّـــكَ بالوَلاءِ

☆ ☆ ☆

أَعلِمْتَ سِرَّ الأرض ـ يا ابنَ الأرْ ضِ ـ من أَلِـفٍ لِيـــاءِ ؟
أَسبرْتَ أعمـــاقَ الثرَى؟ أَكَشَفْتَ أَبْعـــادَ الفضاءِ ؟
أَتراهُ مُمْتـــدَّ المجـــا لِ بِلاَ أَمَـــامٍ أَوْ وَراءِ ؟
وإذا انتهى فَبِـــأَيّ حَـ ـدٍّ لابتدَاءِ وانْتِهَـــاءِ ؟
أَعَلِمْتَ مايَطْـــوِيهِ جِسْـ ـمُكَ مِنْ غُموضٍ أو خفاءِ ؟
أَعَلِمْتَ أَسْرارَ الخَـــلا يا والتَّكـــاثُرِ والنَّمـــاءِ ؟
أَعرفْتَ كيف تفاعلُ الطّـــ ـاقاتِ فى هذا البنـــاءِ ؟
أَفَقِهْتَ كُنْـــهَ الروح أَمْ أَدْرَكْتَ أَســـرارَ الذّكاءِ ؟
أَعلِمْتَ سِـــرَّ الجاذِبِيَّـــ ـــةِ والحَرارةِ والضِّيــاءِ ؟
تلك الطلاسمُ يسْـــتَوِى فيها الذَّكاءُ مع الغَبـــاءِ
مَهما عَلِمْتَ فأَنتَ تَضْـــ ـرِبُ مِنْ خَواءٍ فى خَـــواءِ

☆ ☆ ☆

الـــكونُ قام على مَـــلا يينِ المَجَرّاتِ الوِضـــاءِ
فِي كُلِّ واحـدةٍ بَـــلا يينُ الشموسِ عَلَى اسْـتِواءِ
كلٌّ يســيرُ بأُفقــهِ دونَ انْحِرافٍ والْتِـــواءِ
هُـــوَ عالَمٌ ضخـــمٌ يعـ ـــزُّ على المَراقبِ والمَرائى

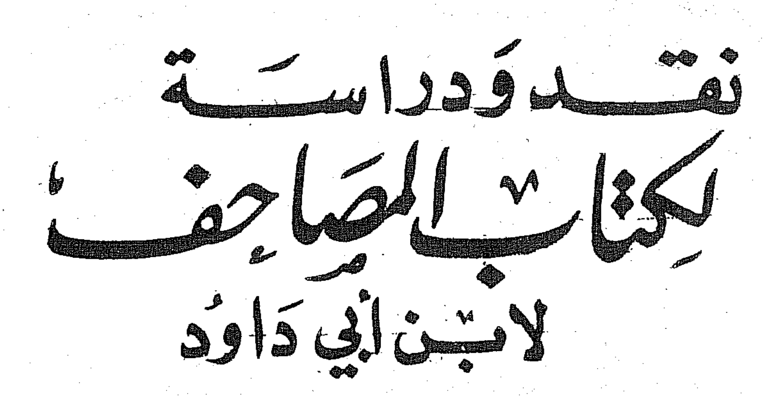
والأرضُ فيـــــه ذَرَّةٌ صُغْرَى تطـــوفُ على ذكاء
والناسُ فوقَ أَديمِهـــــا أَشْبـــاه ذَرَّات الهبـــاء
والـكُلُّ جاء مِنَ الفنـــا ء، وسوفَ يَمْضِي للِفنَـــاء
سُبحـــانَ مَنْ حاز الـكما لَ وَمَنْ تَفَـــرَّدَ بالبَقاءِ !!!

☆ ☆ ☆

يا ابنَ الرَّدَى لُــذْ بالْمُهَيْـــــمِنِ واعْتَصِمْ بالأَنـبياءِ
واسلُكْ سبيلَ الدِّينِ تَظْـــفرْ بالسَّعادةِ والرِّضـــاءِ
سَـــبِّحْ بِحَمْــدِ اللهِ في فَلَقِ الصباحِ وَفي المَســاءِ
وانْظُرْ بعينِـــكَ أو بِقلْـــبِكَ ما يحفُّكَ من بَهــاءِ
آياتُ رَبِّكَ أسْـــفَرتْ فَدَعتْ إليهِ بلا امْـــتراءِ
آلاؤهُ العظمى تلـــو حُ لِكُلِّ مُسْتَمِعٍ ورائِي
تدعو إلى نَشْرِ المحبـــــةِ والمَوَدَّةِ والإخـــاءِ
فيها الخلاصُ مِنَ الشـــدا ئِدِ والشِّـــفاءُ لِكُلِّ داءِ
فالنـــاسُ ـ لولا الدِّينُ ـ كـــالأنعامِ ، من إبلٍ وشـــاءِ

☆ ☆ ☆

يا ابنَ الثَّـــرَى ناداك رَبُّـــــكَ فاستَمِعْ قُدسَ النِّداءِ
وأَعِـــدَّ رَكْبَكَ للِرَّحِيـــــلِ غدًا الى دارِ البقـــاءِ
فَاهبط أَو اصعد ما استطَعْـــتَ فأَنتَ في شَرك الفَناءِ
مَهْمـــا نأَيتَ فأَنتَ عَنْ كَفِّ المَنِيَّـــةِ غير نائي
لَكَ ضَجْعَـــةٌ تحتَ الثَّرَى تَبْقَى إلى يومِ الجـــزاءِ
ما أنتَ قـــطُّ بمُعْجِزٍ في الأرضِ أَو فـوقَ السَّماءِ



نقد ودراسة لكتاب المصاحف لابن أبي داود

للشيخ : محمد صادق عرجون

أطلنا رشاء القول فى مقالنا السابق فى نقد أول باب من أبواب كتاب (المصاحف) الذى طبعه وقدم له الدكتور المستشرق (آرثر جفرى) ، وهو باب (من كتب الوحى لرسول الله) على وجازته ، وقلة ما أورد فيه المؤلف من بحث ، لأنه وجه الكتاب ، وطليعة البحث ، وقد روى فيه ـــ مع اجحافه بحق زيد بن ثابت هذه الرواية الساقطة التى يتشبث بها وبأمثالها من الأباطيل المستشرقون وتلاميذهم ، لأنها تعطى الناظر فيها أن القرآن الكريم كان يكتب بالهوى والتشهى ، وعبث العابثين ، من أضراب الرجل المجهول ، الذى لم يجد مؤلف كتاب «المصاحف» كتابا للوحى غيره يضعه معه ، يسود بالحديث عنه بابه الأول فى كتابه ، كما تعطى أن كتاب الوحى كانوا يكتبون ما يشاءون غير ما يملى عليهم ، وما كان النبى صلى الله عليه وسلم يغير عليهم ، فيردهم الى الحق الذى أنزل عليه ، بل ان الرواية تمعن فى هذا العبث الخبيث فتقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفهم عن المكتوب أو الذى يكتب فيقول : ـــ كما تقول الرواية الساقطة ـــ أى ذلك كتبت فهو كذلك ، وليس هناك طريق لزعزعة الثقة بالنص القرآنى ، بل لنسفها من أساسها أفحش ولا أخبث من هذا الطريق .

واذا كان الكتاب يطالعك فى أول ما يطالعك به هذا النحو من البحث فهو يريد أن يعطيك أنموذجا لما سيجرى عليه فى سائر أبوابه وفصوله ، وهكذا كان كتاب (المصاحف) لابن أبي داود .

وكان من الممكن أن يستغنى بتفاهة ما فى هذه الرواية ومخالفتها نصا وموضوعا لأصول الروايات الكثيرة فى موضوعها عن اطالة الوقوف عندها بالنقد والتمحيص ، ذلك أن هذه الرواية التالفة سندا وموضوعا لم تذكر تغييرا أو تحويرا فى آية أو جملة لها قدر من آية ، وانما كل ما ذكرته ، وطنطن له وبه المستشرقون وتلاميذهم استبدال اسم من أسماء الله تعالى التى تختم بها بعض الآيات باسم آخر من أسمائه تعالى ، وهذا لا يمكن ان يكون آتيا من اختلاف الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن ، كما فى الحديث الصحيح ، للتيسير على الناس فى اول أمر البعثة ومبادىء الرسالة ، حتى يمكن ان يكون وجها من وجوه الاختلاف فى فهم معنى الحديث .

وفى هذه الطريقة التى سلكها مؤلف كتاب (المصاحف) خبيئة سوداء ، ذلك انها تهدم بناء الاسناد المتواتر فى تلقى القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقله الى الأمة من بعده .

واذا جاوزنا باب (من كتب الوحى لرسول الله) الى باب « جمع القرآن » وجدنا ابن أبى داود يذكر فى هذا الباب سبع روايات لحديث واحد لم يختلف سنده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى غير شيخ ابن أبى داود أو شيخ شيخه مع اتفاق متن الحديث الذى يثبت أن أبا بكر الصديق بشهادة على بن أبى طالب رضى الله عنهما خاف على القرآن الضياع ، فأمر عمر وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد ، فمن جاءهما بشاهدين على شىء من كتاب الله كتباه ، وهذا رواية غريبة جدا، ولكنها مروية، ثم اتبع ابن أبى داود هذه الرواية بالرواية المتعارفة المشهورة التى رواها البخارى وغيره ، وهى التى تفيد أن عمر هو الذى فزع الى أبى بكر فى جمع القرآن بعد مقتل أهل اليمامه ، والاختلاف بين الروايتين وسيلة من وسائل القاء الريب فى جمع القرآن — وهذا ما أسرع الى التقاطه آرثر جفرى مقدم كتاب (المصاحف) الى قرائه — ، فأبدى شكا مريبا فى هذه الرواية المتفق على صحتها ، ثم راح ابن أبى داود يبدى ويعيد متكثرا برواياته وغرائبه حتى جاء بغريبة الغرائب ، وختم بها الحديث عن جمع أبى بكر القرآن ، وروى من طريق ابن وهب عن مالك بن انس عن ابن شهاب عن سالم ، وخارجة أن أبا بكر جمع القرآن فى قراطيس ، وكان سأل زيد بن ثابت النظر فيها فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل ؟ ! أرأيتم أيها المسلمون كيف كان يكتب عن القرآن ، وكيف يتصيد هذه الكتابات الخبيئة المستشرقون وتلاميذهم ؟ .

ويمضى ابن أبى داود فى غرائبه المتضاربة ، فمرة يكون المملى لجمع القرآن زيد بن ثابت ، ومرة أبى بن كعب ، ومرة يجعل صاحب فكرة الجمع عمر ، ومرة يجعله أبا بكر ، ومرة كان الجمع على يد عمر وزيد ، وهكذا مما يوقع البلبلة والاضطراب ، وهو يأبى أن يقبل فكرة جمع على بن أبى طالب للقرآن فى مصحف ، ويطعن فى سند الرواية بأن أحد رواتها لين الحديث ، وأن الرواة غيره رووا حتما جمع القرآن دون ذكر فى (مصحف) ثم فسر ذلك باتمام الحفظ ، ثم يقول فى الجمع الذى نسبه الى عمر انه قتل وهو يجمع القرآن فقام عثمان بعده باتمام ما بدأه ، وهذا متضارب مع ما قدمه فى جمع عمر ، وماذا يفهم من الرواية التى تقول (لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرا من

اصحابه وقال لهم : اذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فان القرآن نزل على رجل من مضر) سوى اغراء الشك بالقلوب ؟؟

وانظر الى سياقه لجمع عثمان ، وهو الجمع الذى اتفقت عليه الأمة ، واصبح اماما للناس فى جميع أمصار الاسلام ، فانه يسوقه مساقا غريبا ويذكر فى سنده (يزيد بن معاوية) !! ثم ذكر بعد ذلك قصة كراهة عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصحف مع ما قدمه عن مصعب بن سعد انه قال : ادركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم أحد ، وقد أطال واكثر من الروايات المتضاربة فى هذا الفصل ، ثم أعقب ذلك بعنوان : رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصاحف ، ثم ذكر جمع عثمان فى روايته المشهورة المعروفة ، وهى تقضي على سائر ما قدمه مما يخالفها ، واطال في ايراد الروايات الباطلة حتى روى عن ابن شهاب انه قال : بلغنا انه كان انزل قرآن كثير فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يعلم بعدهم ولم يكتب . اريتم الى هذه الشنشنة الرافضية يقحمها صاحب كتاب (المصاحف) بين الروايات ليوقع الشك فى أن ما بين الدفتين لم يكن هو جميع القرآن الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقلته عنه الأمة نقلا متواترا يقطع شك كل مرتاب ، وقد ورد فى بعض الروايات الرافضية التى لا يعرج عليها ثقاة المحدثين أن قرآنا كثيرا قد ضاع ، وأن سورة كذا كانت حجم سورة كذا ، وقد ضاعت ، وهذا شىء ينشره أعداء الاسلام واعداء القرآن وينسبونه الى الشيعة ، وعلماء الشيعة يبرؤون الى الله من اسناد هذه الأباطيل اليهم . يقول الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه — وهو من اكبر ائمة الامامية الاثنى عشرية — فى رسالته الاعتقادية : (اعتقادنا فى القرآن أن القرآن أنزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين ، وهو الذى بأيدى الناس ، ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ، عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرتبا غير منثور وعندنا والضحى ، والشرح سورة واحدة ، والفيل وقريش سورة واحدة ، من نسب الينا انا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب) .

وفى تفسير مجمع البيان الذى يعتبر من اصول التفاسير عند الشيعة : (ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد ابو القاسم على بن الحسين الموسوى : أن القرآن كله كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلى اللهعليه وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا غير منثور ولا مبثوث . وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها ، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) .

وقال السيد المرتضى أيضا : (أن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبرى ، والوقائع العظام المشهورة ، واشعار العرب المسطورة ، فان العناية اشتدت والدواعي توافرت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما

ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شـــىء من اعرابه وقراءاته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصـــا مع العناية الصادقة والضبط الشديد) .

فهل بعد هذه النصوص القاطعة من اكبر ائمة علماء الشيعة وأساطينهم ، وهى مدونة فى اشـــهر كتبهم واكبر داواوينهم المعتبرة عندهم ، يمكن أن تقوم لروايات الملاحدة من أعداء القرآن والاسلام قائمة تمس قدســـية هذا الكتاب الكريم . ؟

ثم تحدث ابن أبى داود فى الجزء الثانى من كتابه (المصاحف) عن اختلاف الحان العرب فى المصاحف ، وقد أحسن ففسر الالحان باللغات ، ولكنه نسى نفسه ونسى تفسيره للألحان باللغات ، وراح يروى آثارا ، تفيد أن اللحن الذى وقع فى القرآن هو لحن الاعراب النحوى ، وأنه جاء من طريق الكتاب ، وذلك كأثر عن سعيد بن جبير ، وأثر عن ابان بن عثمان ، وأثر عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وهذه الآثار كلها باطلة موضوعة ، وقد ذكر المفسرون وجوه الاعراب تلك فى الآيات بما يكفى ويشفى ، فلا حاجة الى نقل ذلك هنا ، وهى بين يدى من يريد فى كتبها .

ثم عقد ابن‌أبى داود بابا بعنوان (اختلاف مصاحف الأمصار التى نسخت من الامام) وأطال الحديث فى آيات قرأها قراء الأمصـــار بقراءات مختلفة ، وآيات أدرجت فيها على السنة المفسرين القدامى كلمات على سبيل التفسير كما أوضحه وتتبعه ابن الأنبارى فى كتابه « الرد على كتاب المصاحف » ، وابن الأنبارى معاصر لابن أبى داود متأخر الوفاة عنه .

وخلص ابن أبى داود من هذا الباب الى بـــاب عجيب ذكر فيه شـــنيعة الشنائع ذلك هو باب (ما كتب الحجاج بن يوسف فى المصـــاحف) وفى غير خشية من الله أو خجل من أهل العلم يروى ابن أبى داود هذه الأكذوبة المفضوحة فى هذا الباب ، ولا يذكر معها شيئا آخر يدل على توقفه فى قبولها ، ذلك أن الرواية تقول بسند ابن داود الى عوف بن أبى جميلة : أن الحجاج بن يوسف غير فى مصحف عثمان أحد عشر حرفا . اى والله هكذا تقـــول رواية كتـــاب (المصاحف) الحجاج غير مصحف عثمان الذى اجمعت عليه الأمة اجماعا لم يعرف له نكير ، وبقى هذا التغيير الحجاجى هو القرآن الذى تقرؤه الأمة وتتعبد بتلاوته ، ويشتغل علماؤها بتفسيره ، وذهب القرآن الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلته الأمة نقلا متواترا قاطعا الى مصحف عثمان الذى صار اماما فى جميع الأمصار ، أليس هذا من أشنع ما كتب الكاتبون ؟ ليس من العلم فى شىء أن يناقش ابن ابى داود فى ايراده لهذه الرواية الساقطة ، ولكنا نقول : ما كان أعلم والده به حين دمغه بالكذب ، وبقى أن يقال : ان من يذكـــر هذا الكلام فى كتاب يؤثر عنه لا بد أنه مصاب بلوثة فى عقله .

ثم راح ابن أبى داود يذكر اختلاف مصاحف الصحابة ـــ فى زعمه ـــ فى الخط أو الزيادة أو النقصان ، مسندا ذلك الى أبيه الامام ابى داود ، وأبوه من ذلك برىء ، وقد سقنا الرد من علماء الشيعة على ما زعمه بعض الناس من

مقالة تنسب اليهم انهم يقولون بشيء من ذلك ، اليس من العجيب أن ينقل ابن أبى داود عن عمر بن الخطاب انه قرأ فى الصلاة وهو امام المسلمين (صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) فليتأمل أولو الألباب : ان عمر قرأ فاتحة الكتاب ، وهى السورة التي يحفظها جميع من على أرض الله من ملايين المسلمين ، ويقرؤها عمر اماما بالمسلمين في الصلاة ، وعهد عمر أن صلاة الجماعة كانت تجمع الجم الغفير من المسلمين لا يتخلف عنها الا من بعدت داره فلا يدركها أو بعد قلبه عن الايمان من المنافقين ، ثم يغير فيها هذا التغيير الجوهرى ، ولا ينقله عن عمر من هذا الجمع الذى صلى خلفه وسمعه يقرأ بها الا رجلان ، هذا من أعجب العجب ، ومن مضحكات هذه الروايات ما يرويه ابن أبى داود عن ابن الزبير أنه سمع يقرأ (فى جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك فى سقر) وأن ابن الزبير سمع عمر بن الخطاب يقرؤها كذلك فهل هذا اسلوب عربى ، بله أسلوبا فصيحا ، بله أسلوبا قرآنيا ؟! ومثل هذا السخف رواية (آمن الرسول بما انزل اليه وآمن المؤمنون) هذا كلام لا يقع من الأطفال البله ، وهذا كثير فيما ذكر صاحب كتاب (المصاحف) .

اما ما ذكره من الروايات عن زيادة كلمات فى بعض الآيات فى مصحف ابن مسعود ، فقد ذكر العلماء ان ذلك من باب التفسير ولم يكن قرآنا قط ، ويجرى هذا المجرى ما ذكره فى مصاحف الصحابة والتابعين مما أطال به ابن أبى داود اذا صح عنهم — وكثير منه دخيل مدخول .

واعجب عجائب هذا الكتاب — وكله عجائب وغرائب — أنه يشتمل على باب بعنوان : (باب : ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فهو كمصحفه) وى وهل فى دنيا الاسلام قرآن لم يرو متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أى شىء هذا الذى يقوله ابن أبى داود ؟ وأى شىء هذا الذى يكتب عن القرآن وعن رسول القرآن صلى الله عليه وسلم فى كتب يتداولها المسلمون فى تاريخهم الفكرى ؟ ولكن هكذا كان الاسلام فى دستوره وشريعته وتاريخه يلقى من أعدائه الذين عجزوا عن مواجهته بقوة السلاح أو قوة الحجة فتواروا وراء البحث ، ووضعوا على السنة البله والضعفاء ، ولقنوهم طامات مدمرة ، حدثوهم بها على أنها حديث وسنة مأثورة ، وتناقلها هؤلاء وأثرت عنهم حتى حوتها كتب تلقفها المستشرقون وهللوا لها وكبروا ، وقد آن لليقظة الفكرية الاسلامية أن تشهر أسلحة النقد العلمى فى وجه هذه الملفقات لتكشف عنها القناع حتى يبدو باطلها فلا يغتر بها أحد من عامة مثقفى المسلمين .

ومؤلف كتاب (المصاحف) اذ يروى تحت هذا العنوان ما يروى لم يكن مختلفا مع نفسه ، ولكنه كان هو هو الذى روى ورأى أن سنده فى كتابه (المصاحف) يجب أن يتشرف بادخال (يزيد بن معاوية) فيه ، وهو هو الذى روى ورأى أن الحجاج بن يوسف الثقفى أدخل على الناس (قرآنا) لم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقل عنه ولو بطريق آحادى أو شاذ ، وتحسب أن الحجاج على ما كان عليه من فجور الدماء وتعطشه لسفكها ، لو عرض عليه هذا الذى نسب اليه لنفر عنه وتأبى أن ينسب اليه .

ويمضى ابن أبى داود فى غرائبه وأباطيله فيقول : ان مروان بن الحكم

هو أول من قرأ (ملك يوم الدين) وأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرءونها (مالك يوم الدين) ولا شك أن هذا عين المحال والباطل ، فليس لمروان ، ولا من هو أكبر من مروان ، من التابعين والصحابة وسائر افراد الأمة أن يقرأ بما لم يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا صح من جهة السند أن يقرأ مروان أو غيره من التابعين أو غيرهم من أئمة الصدر الأول بقراءة دون غيرها ، فليس هذا قراءة لم يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والا كانت قراءات القرآن من قبيل الهوى والتشهى الذى لا يعتمد على التلقى والنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر القطعي كما هو اجماع المسلمين ، وانما مخرج ما ينسب الى بعض التابعين من أنه قرأ كذا على ترجيح قراءة على قراءة أخرى مما ثبت قطعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ به ، ونزل عليه به جبريل عليه السلام ، وللترجيح وجوه كثيرة ذكرها أئمة القراءات والتفسير ، فقد يكون الترجيح من جهة الأبلغية وزيادة الروعة البيانية ، وقد يكون أساس الترجيح افادة احدى القرائتين معنى أكثر من معنى القراءة الأخرى ، وهذا ما يفيده صنيع امام المفسرين أبو جعفر الطبرى ، فانه بعد أن ذكر القراءتين (ملك ومالك) رجح قراءة (ملك) وبين أنها أكثر معنى ، فقال من كلام طويل مسهب ، نلخص بعضه بما يبين مقصودنا منه : ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغة العرب أن (الملك) من (المُلك) مشتق ، وأن (المالك) من (المِلك) مأخوذ ، فتأويل قراءة من قرأ ذلك (ملك يوم الدين) أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك ملوكا جبابرة ينازعونه الملك فى الدنيا ، فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا ..

وأما تأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) فهو كما روى عن عبد الله بن عباس (مالك يوم الدين) يقول : لا يملك أحد فى ذلك اليوم معه حكما كملكهم فى الدنيا . ثم قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى التأويلين بالآية ، وأصح القراءتين فى التلاوة عند التأويل الاول ، وهى قراءة من قرأ (مَلِك) بمعنى (المُلك) لأن فى الاقرار له بالانفراد بالمُلك ايجابا لانفراده بالمِلك وفضيلة زيادة الملك على المالك اذا معلوما أن ما من ملك الا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا ملكا.

ثم ذكر أبو جعفر أن قراءة (ملك) تفيد معنى تأسيسيا زائدا على ما يفيده وصف الله تعالى بأنه (رب العالمين) الذى تقدم بقرب منه ، ووصفه تعالى بأنه رب العالمين يفيد أنه مالك العالمين فى الدنيا والآخرة ، فمجيء (مالك يوم الدين) عقبه يكون من باب تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة ، أما مجيء قوله تعالى (ملك يوم الدين) فانه يفيد بأنه تعالى مالكهم ومَلِكهم ، وهو ما لا تفيد قراءة (مالك يوم الدين) .

ثم قال أبو جعفر ملخصا زبدة رأيه : فبين اذا أن أولى القراءتين بالصواب ، وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأ (ملك يوم الدين) بمعنى اخلاص الملك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) الذى بمعنى انه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه .

على انه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالقراءتين ، روى

الترمذى من حديث ام سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها (ملك يوم الدين) ، وفى حديث انس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها (مالك يوم الدين) .

لكن ابن أبى داود صاحب كتاب (المصاحف) لا يتقبل كما تقبل اجماع المسلمين أن النبى صلى الله وعليه وسلم ثبت عنه أنه كان يقرأ بالقراءتين المنزلتين عليه من رب العالمين (ملك — مالك) ويذهب ابن أبى داود الى أن قراءة (مالك يوم الدين) هى القراءة المأثورة ، لأن فيمن قرأ بها ، (يزيد بن معاوية) ، وأن قراءة (ملك يوم الدين) مستحدثة ، وأول من احدثها وقرأ بها مروان بن الحكم ، وابن أبى داود لا يغفل عن حديث الترمذى الذى يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (ملك يوم الدين) ، ولكنه يتأوله ويتعسف فى تأويله ليثبت أن فى قراءات القرآن ما لم يقرأ به النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه مستحدث بالهوى والتشهى على لسان مروان بن الحكم والحجاج بن يوسف الثقفى وغيرهما كثير وكثير ، وهذا ما تتصيده شباك المستشرقين وتلاميذهم من زمر هذه الكتب ومستنقعاتها ، وينشرونه على الناس (علما وبحثا) والله من ورائهم محيط .

يتأول ابن أبى داود حديث الترمذى المثبت بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ (ملك يوم الدين) بأن هذا ليس من قبيل القراءة المنزلة ، وانما هو وارد فى تقطيع النبى صلى الله عليه وسلم قراءته ؟؟

فليحاول المغنون والمطربون والحداة أن يقطعوا (مالك يوم الدين) ليصلوا بها الى (ملك يوم الدين) حتى نعلم كيف أن التقطيع يبلغ بالكلمات هذا المبلغ ، والمروى أن تقطيع النبى صلى الله عليه وسلم المعبر عنه فى القرآن الكريم (بالترتيل) وفى اصطلاحات القراء (بالترسل والترسيل) أى نظم الكلمات متتابعة فى أناة وتلبث حتى تكون كل كلمة بينة النطق لا تشتبه بغيرها ، حتى انه ورد فى بعض الروايات (وأن كلماته لتعد) فكيف يبلغ التقطيع فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل من كلمة (مالك) (ملك) وفى الأولى ميم ممدودة ، والمذكور فى وصف قراءة النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت (مدا) لا قصرا ؟؟ وقد عقد ابن أبى داود بعد ذلك فى كتابه فصولا فى اختلاف خطوط المصاحف ، وأعاد شنشنة ما نسبه الى الحجاج من أنه غير فى مصحف عثمان فى أحد عشر موضعا .

وبعد . فان كتاب (المصاحف) لابن أبى داود كتاب اعتبره التاريخ من كتب التراث الثقافى فى الاسلامى ، وهو صورة من صور البحث فى أسلوبه ، وطريقة من طرائق التأليف فى موضوعه ، يعطينا فكرة عما كان يجول فى عصر المؤلف من الآراء والمذاهب والأفكار حول القرآن ، وهو كتاب يجمع الغث الى السمين ، والرخيص الى الثمين ، والصحيح الى السقيم ، والقوى الى الضعيف ، والحق الى الباطل ، والصواب الى الخطأ ، يوجز حتى يخل ، ويسهب حتى يمل ، يذكر الرأى وينقضه ، ويروى الرواية ثم يهدمها ، فهو لا يكاد يربط حتى يحل ، ولا يكاد يجمع حتى يفرق ، وهو من دعائم البحث الاستشراقى حول القرآن ، فليحذر قارئوه أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب الله . والمستعان الله .

السيرة النبوية في الأدب القديم

للاستاذ
محمد عبد الغني حسن

في العدد الثالث والستين من مجلة « الوعي الاسلامي » تحدثت عن «السيرة النبوية في الادب الحديث» ، ولم تكن متابعتي لما كتب في العصر الحديث عن النبي عليه السلام على سبيل الحصر ، والا فان هناك جوانب أخرى من سيرة الرسول تناولها مؤلفون معاصرون فأحسنوا تناولها ، كما فعل اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه « الرسول القائد » . وكما فعل الاساتذة محمد عطية الأبراشي في « عظمة الرسول » وخالد محمد خالد في « انسانيات محمد » وعبد الوهاب حمودة في « الرسول في بيته » وفي « ساعات حرجة في حياة الرسول » ومحمد شوكت التوني في « محمد محرر العبيد » . والدكتور عبد الحليم محمود في كتابه « الرسول : لمحات من حياته ، ونفحات من هديه » وأنور الجندي في كتابه (محمد الرسول) ومحمد حلمي محمود في « ديمقراطية محمد » .

واليوم أود أن التقي مع القارىء الكريم في موضوع محمد عليه السلام والسيرة النبوية في الادب القديم ، وهو موضوع يطول مداه خلال التاريخ العربي الاسلامي منذ القرن الاول الهجري — حيث بدأ الرواة والمؤرخون يتناولون سيرة محمد — الى أخريات القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر .

ولقد كانت السيرة النبوية في بدء عهدها بابا من أبواب الحديث النبوي ، فيرى القارىء في كتب الصحاح من الحديث كتابا في « الجهاد والسير » ، وكتابا آخر في « المغازي » بجانب الكتب الاخرى في الحديث .

واختص جماعة من رجال الحديث

بالتأريخ للسيرة النبوية والاهتمام بجمع أخبارها ورواية وقائعها ، فاشتهروا بأنهم من رجال السيرة أكثر من اشتهارهم بالتاريخ والحديث .

وتصادفنا من مؤرخي السيرة النبوية اسماء كثيرة يزدحم بهم القرنان الثاني وأوائل القرن الثالث وينتمون بالنسب الى اكثر من أرض عربية حيث بدات الرقعة الاسلامية في الاتساع . فهناك مؤرخون لسيرة النبي من المدينة ، وهناك مؤرخون لها من مكة ، ومن البصرة والكوفة ، واليمن ، والعراق ، ومن مؤرخي السيرة في مدينة الرسول عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٢ هـ ، وعاصم ابن قتادة المتوفى سنة ١٢٠ هـ ، وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ هـ ، وعبد الله بن حزم المتوفى سنة ١٣٥ هـ ، وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ ، ومحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٢ هـ ، والواقدي مؤلف المغازي والفتوح المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

ويمثل المؤرخين المكيين للسيرة النبوية ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، أما البصريون فنجد منهم معمر بن راشد ، ومحمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى ، وابن هشام الذي اشتهر بكتابه « السيرة النبوية » التي اخذها عن شيخه ابن اسحاق ، وقد توفي ابن هشام سنة ٢١٨، فكان آخر من انتهت اليهم كتابة السيرة في القرن الثالث .
ويمثل اليمن في كتابة السيرة النبوية بضعة من المؤرخين منهم وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ ، وابو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني المتوفى سنة ٢١١ هـ .
واشهر ما بقي لنا من كتب السيرة النبوية حتى القرن الثالث الهجري كتاب ابن هشام الذي جمع ما رواه عن أستاذه ابن اسحاق واختصر منه، وعلق عليه واضاف اليه ، وحذف منه، وصحح رواية الكثير من اشعاره .

وقد استطاع كثير من مؤرخي السيرة الاولين أن يتحرروا من بعض القيود التي وضعها المحدثون لرواية الحديث : فأسقطوا الاسانيد ، وتخلصوا من عبارة « حدثنا فلان عن فلان » وأمثالها ، مراعاة للاختصار وفسح المجال لسرد الاخبار من ناحية ، ووصلا لسلسلة الحوادث من ناحية أخرى .. وممن صنع هذا ابن اسحاق شيخ ابن هشام ، والواقدي صاحب المغازي والفتوح ، وتبعهما ابن هشام ، الذي انتهى اليه تاريخ السيرة النبوية في أجمع وأوثق رواياتها .
وبالطبع لم يجرد هؤلاء المؤرخون سيرة الرسول عليه السلام من كل اسانيدها ، بل أبقوا على بعضها ، كما نراه عند ابن اسحاق حين يروي عنه ابن هشام . ويذكر ابن اسحاق اسماء أصحاب الأسانيد معنعنة بقوله : حدثنا فلان عن فلان . وان كان في قلة من الأحيان يقول (حدثني من لا أتهم) ولا يعين اسمه .
وقد تعرض مؤرخو السيرة — بإسقاطهم للأسانيد — لحملات النقد من رجال الحديث الذين لم يعجبهم هذا المسلك . ولم ينج ابن اسحاق من هذه الحملات ، وان كان قد تصدى للدفاع عنه بعض المؤرخين وردوا على ما وجه اليه من طعون . ومن الذين دافعوا عنه بعد وفاته بسبعة قرون المؤرخ الاندلسي ابن سيد الناس اليعمري صاحب كتاب « عيون الأثر » ومن مؤلفي السيرة النبوية في القرن الثامن الهجري .
والحق ان ابن اسحاق كان مهتما الى حد كبير بجمع اكبر قدر من

الأخبار حول السيرة ومقدماتها ومقدمات عصر النبوة كله ، فلم يشغل نفسه بتحقيق رجال السند ولا بتعديلهم وجرحهم كما كان يفعل رجال الحديث ، بل قبل كل ما كان يصل الى علمه سماعا أو قراءة — دون تنخل أو تحقيق — ، وهو معذور لأن التاريخ كان فى ذلك العهد علما فى بدايته .

والحق ان ابن اسحاق كان فوق هذا يعتمد على الكتب المدونة يأخذ منها ، ولم يعتمد على السماع مثل اعتماده على النقل من الكتب المدونة قبله . وقد غلبت خاصة الجمع على ابن اسحاق فيما كان يدونه ويرويه ، وخصوصا انه ادخل نفسه فيما لا يحسنه من أبواب العلم والأدب ، ولم يكن له بالشعر بصر ولا تذوق ولا معرفة بالأوزان والقوافى . ومن هنا دخل الضعف الى أكثر ما رواه من شعر جاهلى واسلامى . فقد كان يجمع كل شعر قيل انه نظم حول السيرة ويدخله فيها دون تحقيق ودون تفريق بين المنحول وغير المنحول ، وقد لاحظ المؤرخون والأدباء والنقاد عليه هذا منذ اطلعوا على السيرة النبوية التى كتبها عنه ابن هشام ، فنرى ابن النديم صاحب «الفهرست» يقول عنه : (انه كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل ان يدخلها فى كتابه فيفعل ، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ..) والحق اننا نجد ابن اسحاق ينسب شعرا لأناس لم يقولوه ، ويجوز عليه هذا الخلط فلا ينتبه له ولا ينخله ولا يصحح نسبته ، الى أن يجىء تلميذه ابن هشام — وكان عالما بالشعر وغريب اللغة والأدب — فيصحح ما وقع فى شعر السيرة من أوهام ، بل يزيد أكثر من هذا فيعلق على ما روى من شعر السيرة من حيث الجودة والرداءة ، أو يذكر اسم الشاعر اذا كان ابن اسحاق قد أغفله ، أو يشير الى عيوب الشعر والقافية ، أو يحقق نسب الشاعر ، أو يسقط بعض الشعر الذى رواه ابن اسحاق لبعض الاعتبارات والأسباب ، كالاقذاع أو الفحش ، أو مخافة الاكثار ، ولا يقف ابن هشام عند هذا الحد ، بل قد يصحح المناسبة التى قيل فيها الشعر .

ولم يكن ضعف ابن اسحاق فى الشعر الذى ورد فى السيرة وعدم معرفته بالشعر العربى على العموم موضع النقد عند القدماء وحسب كما نجده عند ابن النديم فيما سلف من القول ، ولكن المؤرخين والعلماء المحدثين لم يغفروا للرجل ما وقع فيه من وهم ، كما فعل جرجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية » ، والشيخ محيي الدين عبد الحميد فى مقدمته لسيرة ابن هشام ، والدكتور عبد العزيز الدورى فى كتابه « نشأة علم التاريخ عند العرب » وقد اشترك المستشرقون فى حملة النقد على ابن اسحاق من حيث الأشعار التى وردت فى السيرة ، ومن هؤلاء « بروكلمان » فى كتابه المشهور ، « وديلافيدا » فى دائرة المعارف الاسلامية ، وهوروفتس فى كتابه عن « المغازى الاولى ومؤلفوها » وان كان هذا الأخير قد حاول أن يلطف من حدة الحملة عليه ، وان يلتمس له بعض العذر فيما وقع فيه ..

وتتجلى عدالة ابن هشام فى نظره للشعر الهجائى المقذع فى السيرة فيما قام به من اسقاط لهذا الشعر فى كتابه الذى أخذه عن شيخه محمد ابن اسحاق . فقد كان الميزان مستويا بين يديه فى نظرته لشعر المسلمين

والمشركين على السواء . فحذف الاقذاع والمفحش من الهجاء سواء أكان لشاعر مسلم أم لشاعر مشرك. وكثيرا ما نراه يحذف شعرا لحسان ابن ثابت رضى الله عنه لأنه أقذع فيه فى هجاء المشركين .

واشعار حسان التى وردت فى سيرة ابن هشام هى غير ما نجدها عليه فى ديوانه . فجامع ديوانه جمع فيه كل شىء بقضه وقضيضه .. أما ابن هشام فكان يقف موقف الرقيب ، فلم يسمح بأن يشتمل كتابه فى سيرة الرسول على شعر فيه هجر واقذاع.

وقد يقال ان هذا قد يتنافى مع أمانة التاريخ ، ولكن ابن هشام كان اكثر من أن يكون مؤرخا وجماعا .. انه كان رجلا يربأ بسيرة الرسول أن يدخلها ما لا يليق أن تشتمل عليه .
ولقد قوبلت سيرة ابن هشام بما هى جديرة به من حسن التلقى والقبول عند العرب والمسلمين فى كل عصر وكل مصر . فترجمت الى الفارسية كما يذكر المستشرق الألمانى بروكلمان ، كما ترجمها المستشرق « فيل » الى الالمانية سنة ١٨٦٤ ، ونشرها المستشرق وستنفيلد محققة مفهرسة فى ليبزج سنة ١٨٩٩ .

ولم يسكت المسلمون على تتابع العصور منذ سيرة ابن هشام عن التأليف فى السيرة النبوية وفى تاريخ محمد عليه السلام ، وأن كنا نلاحظ أن حركة التأليف فى حياة النبى محمد وسيرته بدأت تستعيد كثرتها فى القرن الخامس الهجرى ، فنرى ابن فارس اللغوى المشهور وصاحب « المجمل » و « معجم مقاييس اللغة » يؤلف كتابا فى سيرة النبى عليه السلام عنوانه « أوجز السير لخير البشر » وهو من مطبوعات الهند والجزائر ، ونرى ابن حزم الأندلسى يؤلف كتابه « جوامع السيرة » الذى حققه الدكتور ناصر الدين الأسد وزميله ، ونرى ابن عبد البر القرطبى صاحب كتاب (الاستيعاب) المشهور فى تاريخ الصحابة يؤلف كتابا فى سيرة الرسول عنوانه « الدرر فى اختصار المغازى والسير » .

واكثر المؤلفين فى تاريخ محمد عليه السلام وسيرته كانوا يفردون سيرة الرسول بكتاب خاص قائم بذاته ، كما صنع القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ فى كتابه المشهور « الشفا فى تعريف حقوق المصطفى » وكما صنع عبد المؤمن شرف الدين الدمياطى المؤرخ المصرى المعروف والمتوفى سنة ٧٠٥ هـ فى كتابه « المختصر فى سيرة سيد البشر » ، وكما صنع ابن سيد الناس اليعمرى المتوفى سنة ٧٣٤ فى كتابه « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » ، وكما صنع المؤرخ مغلطاى المتوفى سنة ٧٦٢ فى كتابه « الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم » وكما فعل المؤرخ المقريزى صاحب (السلوك) و (الخطط) وغيرهما فى كتابه «امتاع الأسماع » الذى ذكر فيه طائفة كبيرة من اخبار الرسول عليه السلام لا نجدها فى كتاب غيره ، وان كان مؤرخنا المصرى الامام السخاوى صاحب « الضوء اللامع » و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » يقول عنه ان فيه الكثير مما ينتقد . وكما صنع شهاب الدين القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ فى كتابه « المواهب اللدنية ، فى المنح المحمدية » وكما صنع نور الدين الحلبى من رجال القرن الحادى عشر الهجرى فى كتابه « انسان العيون ، فى سيرة **الأمين والمأمون** » وهو المعروف فى المكتبة العربية وبين

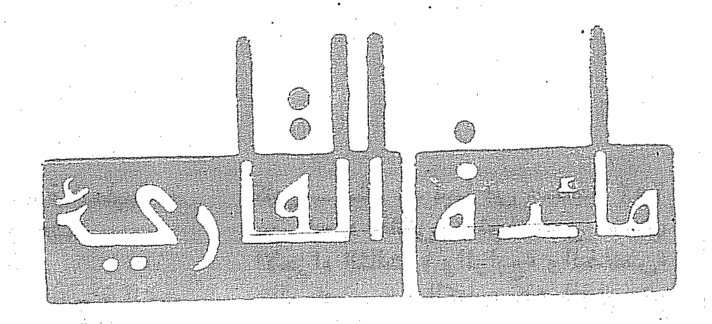
العلماء والباحثين بالسيرة الحلبية ، فرقا لها من سيرة ابن هشام .

على أن من المؤرخين لسيرة النبى عليه السلام من لم يفردها بكتاب خاص مستقل بنفسه ، بل جعلها قسما من كتابه فى التاريخ العام أو فى تراجم الرجال ، ونجد هذا عند الطبرى المؤرخ المتوفى سنة ٣١٠ هـ فى كتابه المشهور ، وعند ابن الجوزى المؤرخ المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وعند ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فى كتابه « الكامل » وعند الامام الذهبى المؤرخ الحافظ المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى موسوعته التاريخية الكبرى المسماة « تاريخ الاسلام » ، وعند ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى كتابه الضخم « البداية والنهاية » ، وعند الامام أبى زكريا النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى كتابه المشهور « تهذيب الأسماء واللغات » ، وعند أبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فى كتابه « تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » وعند الديار بكرى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ فى كتابه « الخميس فى أحوال أنفس نفيس » ولسنا هنا بسبيل احصاء هذا الكون من سيرة الرسول الذى لم يفرده كاتبوه بمؤلف خاص ، بل جعلوه قسما من مؤلفاتهم .

وقد أفاد الناشرون المعاصرون من هذه السيرة النبوية غير القائمة بذاتها ، ففصلوها من كتبها الأصلية ، ونشروها على حدة ، وبهذا أضافت ثروة جديدة الى حصيلة المكتبة العربية فى السيرة النبوية .
ولقد بلغ من طول هذه السيرة الملحقة للرسول عليه السلام فى بعض المصنفات أنها بلغت من الضخامة وعدد الصفحات حدا يجعلها كتبا مستقلة . فسيرة الرسول فى كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ــ مثلا ــ تبدأ فى صفحة ٢٥٢ من الجزء الثانى ، ثم تمضى فتحتل الأجزاء الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس من الكتاب كله الذى يقع فى أربعة عشر جزءا . وسيرة الرسول فى كتاب « الكامل » لابن الأثير تحتل قرابة أربعمائة صفحة من الجزاين الاول والثانى من هذا الكتاب ، وقس على هذا سيرة الرسول فى كتاب تاريخ الطبرى .

على أن الذى يلاحظ أن كثيرا من أخبار السيرة النبوية فى كتب السيرة المفردة والملحقة تكاد تتشابه وتتفق الفاظها وعباراتها ورواياتها لانها جميعا تأخذ من معين واحد او ينقل بعضها عن بعض . وهى كلها تتشابه فى الحرص الشديد على جمع الأخبار النادرة والشاردة أكثر من حرصها على التحقيق والتمحيص ، الا ما نجده من تحقيقات ابن هشام لأشعار السيرة وشعرائها ، والا ما نجده عند السهيلى فى كتابه « الروض الأنف » من بعض الزيادات والتعليقات المفيدة . أما تحليل المواقف ، وتعليل الاحداث ، وتفسيرها ، والمقابلة بين الروايات ، والدراسات المتكاملة للظروف والملابسات ، والمقارنات بين المواقف ، والكشف عن الجوانب المتعددة من حياة الرسول ، ودراسة الرجال والأحداث على ضوء العلم الحديث فلا نجده الا فى كتب السيرة النبوية فى العصر الحديث التى كانت موضوع دراستنا فى مقال خاص نشر فى عدد سابق من هذه المجلة .

والمرجو أن نلتقى ان شاء الله فى بحث قادم بجوانب أخرى طريفة من سيرة الرسول جمعناها ولمنا أطرافها من قراءات متعددة فى هذا الحقل الخصيب ..



غـــــيروا

اوحى الله عز وجل الى نبى من الأنبياء : انه ليس من أهــل بيت ولا اهل دار ولا اهل قرية يكونون لى على ما احب فيتحولون عن ذلك الى ما اكره الا تحولت لهم مما يحبون الى ما يكرهون ، وليس من أهل بيت ولا اهل دار ولا اهل قرية يكونون لى على مــا اكره فيتحولون من ذلــك الى ما احب الا تحولت لهم مما يكرهون الى ما يحبون .

الشافعى والعــلم

قيل للشـافعى : كيف شـهوتك للعلم ؟ قال : اسمع بالحرف ممــا لم اسمعه ، فتود أعضائى أن لها أسماعا تتنعم به مثلما تنعمت أذناى .

قيل له : فكيف حرصك عليه ؟ قــال : حرص الجمــوع المنوع فى بلوغ لذته للمال .

قيل له : فكيف طلبك له ؟ قال : طلب المراة المضلة ولدها ليس لها غــيره .

مبــــدع الجسم

اجرى احد الجراحين عملية لسيدة ، وجاءت السيدة لتشكره ، فقال لها : يا سيدتى ما أنا الا كحائك الثياب ، والفضل كله يرجع الى مبــدع الجسم (الثوب) الذى جعل فيه حيوية يتجدد بها كل يوم ، فجسمك يعمل ليل نهار بغير توقف على تجديد خلاياه ويرتق ما به من خدوش وجراح ، ويسد ما فيه من ثغرات وقرح ، وان كل ما يعمله الجراح هو قص شىء من الجسم أو خياطته :

فالفضل والشكر لله مبدع الجسم .

الصـــــداقـة

يروى أن هذيلا أصابت دما فى بعض العرب ، فأسر أصحاب الدم رجلين من هذيل متصادقين ، فقالوا لهما : أيكما أشرف ، فنقتله بصاحبنا ؟ فقال كل واحد منهما : انا ابن فلان الحسيب النســيب فاقتلونى ، وخلوا صاحبى : فكل بذل نفسه للقتل دون صاحبه ، فلما عيوا بــأمرهم . صفحوا عنهما ، وقالوا : « هذا التصافى لا تصافى المحلب » مثل عربى ومعناه هذه هى الصداقة لا صداقة المنادمة على الشراب .

شمع الفتلة

هذا تعبير عامي طريف ، ومعناه (هرب فى نصب واحتيال) وله حكاية لطيفة :

يروى أن سلطانا سمع بمهارة نصاب محتال ، فاستدعاه وقال له : انى اجزل لك العطاء ان امكنك ان تنصب على ، فقال له : اعطنى الفا اشترى بها (عدة النصب) : فأعطاه ، وأمر من يلازمه حتى لا يهرب ، ثم حضر بعد مدة بعدته وادواته ، ونصب السلطان سرادقا دعا اليه من شاهد نصب النصاب .

وكان مما احضره النصاب بكرة خيط كبيرة ، فتقدم الى السلطان وقال له : امسك هذا الطرف ، وانا اشمع الفتلة لألعب بها لعبتى ، فأمسك السلطان طرفها ، واخذ النصاب يشمع الفتلة ويتراجع رويدا رويدا حتى اختفى عن الأنظار وبحثوا عنه فلم يجدوه وبذلك تمت لعبته .

ما قل ودل

- لا يؤمن بربوبية القوة الا شبح الضعفاء .
- الف قول لا يساوى فى الميزان عملا واحدا .
- بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة .

حلال المشكلات

كان فى القرية رجل يدعى عم على يلجا اليه اهلها فى حل مشكلاتهم .

وحدث ان ثورا ادخل راسه بقرونها فى (زير) فذهب الناس الى عم على يطلبون حل هذه المشكلة ، فأشار عليهم اولا بقطع رقبة الثور فقطعوها ، وبقيت المشكلة كما هى اذ بقيت الراس بقرونها فى الزير ، فذهبوا اليه مرة ثانية يستشيرونه ، فاشار عليهم بكسر الزير .

وما اكثر الذين على شاكلة عم على فى حل المشكلات .

دابة عمرو

ركب عمرو بن العاص بغلة مسنة واجتاز بها منازل امراء الصحابة وكبار القواد فى الفسطاط ، فقال له أحدهم :

اتركب هذه البغلة ايها الأمير وانت من اقدر الناس على امتطاء اكرم ناقة بمصر .

فقال : لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ، ولا لامراتى ما احسنت عشرتى ، ولا لصديق ما حفظ سرى ، فان الملل من كواذب الأخلاق .

اصطناع الرجال

استدعى يحيى بن خالد البرمكى ابنه ابراهيم يوما ، ودعا مؤدبه ، فسأله عن حاله فقال :

بلغ من الأدب كذا ، وحفظ من العلوم كذا ، قال ليس عن هذا سألت ، قال : قد اتخذنا له من الضياع كذا وغلته كذا ، قال : ولا عن هذا سألت .. انما سألت عن سيادته وبعد همته . وهل اتخذتم له فى اعناق الرجال مننا ، وحببتموه الى الناس ؟ قال : لا . قال : فبئس الشركاء انتم والأصحاب . هو والله احوج منه الى ما قلتم ، ثم امر بحمل خمسمائة الف درهم اليه ، ففرقت على قوم لا يدرى من هم .



الألم يولد الحركة والعمل ، والحركة تنتج الخير وتحقق التقدم ..

والحرمان يؤدى الى التمرد والنقمة ، والتمرد قد يصحح الأوضاع .

والقسوة فى الحياة المعيشية قد تسبب الانفجار ، والانفجار قد يحطم الحواجز ..

وشظف العيش وخشونة الفراش ينبتان هامات الرجال العظام الذين لا تلين لهم قناة .

والانغماس فى المتع واللذات آفة التخلف والضياع ، والتخلف داء وبيل لافناء الأمم كالموت البطىء .

هذه ومضات فكرية مرت بخاطرى مستقاة من الواقع الملموس قبل الكتابة فى الموضوع ، وهى فى الحقيقة تصور عواقب الترف الوخيمة وغوائل الاسراف فى اجتناء اللذات واهواء المادة وشهوات المال ، مما يكون له اسوا الأثر فى تربية الجيل الصلبة ، ولا سيما جيلنا العربى أو المسلم الذى يعيش الآن ضجيج التأخر والتخلف ، ثم يروح سادر الخيال يتأمل تحقيق العدل ، والانصاف والرحمة والاستقلال المادى والمعنوى من عدو ماكر يخطط لاضعاف أمتنا وابقائنا فى ظلمات الماضى ولكن هل يرجى الخير من الأفاعى ، أو ينتظر الدواء الشافى من عقارب السوء ، وذئاب البشرية الضارية ؟ !

لقد تقدمت البشرية فى هذا العصر تقدما سريعا ، وقامت المدنية الحاضرة كما هو مشاهد على دعائم أربعة : العلم والمال والنظام والأخلاق القويمة فى المعاملات ، فكلما توفرت هذه الأركان فى شعب تحقق له

في إفساد التربية والأخلاق والمجتمع

للدكتور : وهبة الزحيلي

العزة والرقي والنهوض ، وكلما تجردت أمة عن هذه الدعائم أصابها الوهن والضعف والانحطاط والتأخر ، بل انه اذا حدث خلل او نقص أو تقصير فى هذه الأسس الراسخة تعثرت الأمة فى طريقها ، وضلت الهدف فى مسيرتها ، وتعقدت سبل النجاة أمامها .

ونحن العرب والمسلمين فى هذه الأيام لم يكن سبب تأخرنا هو الجهل التام ، والفقر ، والفوضى ، وانعدام الأخلاق ، وانما داؤنا فى نقص العلم والمعرفة ، وسوء التدبير ، وضعف الارادة ، وانحراف الخلق ، والاهتمام بالمظاهر ، والحرص على ترف الحياة والشح بالمال فى سبيل الخير العام .

ويهمنى الآن بحث الداء الأخير الذى هو الانغماس فى الترف والتقلب فى أعطاف النعيم والتزاحم على مطالب الدنيا الخاصة وعدم الالتفات الى المصالح العامة ، وهذا لأن ترف الأغنياء العرب والمسلمين واضطرار الناس الى تقليدهم ، والاهتمام بالمظاهر الجوفاء ، والكماليات الظاهرة ، والأوضاع السطحية البراقة ، أدى كل ذلك الى اهمال واجبات الحياة الحرة الأساسية فى توطين النفس على الدفاع بحق عن حرمات البلاد ، واعداد المواطن اعدادا صحيحا لمجابهة العدو ، وتهيئة الامكانيات المادية والمعنوية التى تتطلبها الظروف والحاجيات الحاضرة .

وهذا بعينه كان من أسباب سقوط دول عظمى فى تاريخنا المجيد ، فقد كان تفاقم المفاسد الاجتماعية من تسرى واقتناء جوارى واستهتار بعض الخلفاء ، وانغماسهم فى اللهو ، وشيوع حياة البسطة فى اللذاذات والترف والمجون فى أوساط الناس ، هو السبب فى سقوط الدولة العباسية ، كما أن اضاعة الأندلس — الفردوس المفقود — وذهاب عظمة الدولة الأموية عنها كان ضحية الغطرسة والترف والوقوع فى حمأة المادية الطاغية والأنانية الشخصية عند الأمراء وأتباعهم .

وتجنبا لهذه الآفات والأمراض الاجتماعية الفتاكة حض الاسلام

على الاعتدال فى المعيشة والقناعة والاقتصاد ، ونهى على الاسراف والتبذير ، كما نهى على الشح والتقتير ، فالمسلم الصادق الايمان هو من اعتدل فى شئون معيشته ، والتزم القصد ، وابتعد عن الحرام ، ولم يغتر بالجاه ولا بالمال ولا بالثروة ، ولم ينغمس فى الترف ولم يتجاوز حدود الشرع والعرف الصحيح فى طعامه وشرابه ومسكنه وأثاثه وأفراحه وأحزانه .

ففى القرآن الكريم نهى صريح عن الطمع فى الدنيا والغرور بها بعد أن يكون الانسان قد بذل وسعه ، وعمل واجبه ، ووصل الى ما تيسر له ، فقال سبحانه : « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » « ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » « انما أموالكم وأولادكم فتنة » وفى آية أخرى يمدح الله من قنع فى الدنيا وعف فيها : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا » .

وهناك آى تحض على التزام الاعتدال فى الانفاق منها : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » « وأن المسرفين هم أصحاب النار » ووردت احاديث نبوية كثيرة فى شأن الاقتصاد فى المعيشة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « ما عال من أقتصد » « التدبير نصف العيش » « ثلاث منجيات : خشية الله تعالى فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب » « ليس الغنى عن كثرة العرض — المال — ولكن الغنى غنى النفس » « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه » .

وليس القصد من مدح القناعة الترغيب فى البطالة والكسل والخلود الى الراحة ، وانما المطلوب توفر الرضا بالرزق الذى يؤتيه الله للانسان بعد الكسب وبذل الجهد والبحث عما خبأه الله للبشرية فى هذا الكون ، وهذا مما يجعل الشخص بعدئذ مطمئنا مرتاح النفس هادىء البال غير ساخط ، ولا متبرم ، وانما يعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، قال أبو حازم : « ثلاث من كن فيه كمل عقله : من عرف نفسه ، وحفظ لسانه ، وقنع بما رزقه الله عز وجل » ..

ويؤكد الاسلام حرصه على تنبيه المسلم الى حساب الله له على كل حال فى السراء والضراء ، كيلا تكون قلة المورد سبيلا الى الكفر ، أو كثرة المال والاستغناء طريقا الى البطر والأشر والطغيان ، فقال تعالى محذرا من عاقبة المصير المحتوم والحساب على المال ايرادا وانفاقا : « كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى . ان الى ربك الرجعى » قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما : « منهومان لا يشبعان : صاحب العلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان . ثم قرأ عبد الله : « كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى » وقال للآخر : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . وقد روى هذا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا » وفي حديث قدسي : « عبدي خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، فان أنت رضيت بما قسمت لك أرحت نفسك وكنت عندي محمودا ، وان لم ترض بما قسمت لك ، فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا ، فتركض فيها كما يركض الوحش في البرية ، ولا ينالك الا ما كتبت لك ، وكنت عندي مذموما » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان روح القدس نفث في روعي أن لا تموت نفس الا بعد أن تستوفي رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .

فهذه النصوص التشريعية أو الأخلاقية تنبىء عن واقع صحيح يتطابق مع أحداث الزمان ، ونوازع الناس وأهوائهم ، وحبهم المنافسة والمفاخرة،والمكاثرة بالأموال والأولاد،وأطايب الحياة،مما يضر بدين الانسان وعلاقاته مع أبناء مجتمعه ، لذا قرر العلماء أن « أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء » ، وقال الامام الغزالي وابن قدامة المقدسي : « غوائل المال وآفاته دينية ودنيوية ، أما الدينية فثلاث :

الأولى : انه يجر الى المعاصي غالبا ، لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت داعيته اليها . والمال نوع من القدرة يحرك داعيته الى المعاصي ، ومتى يئس الانسان من المعصية لم تتحرك داعيته اليها .

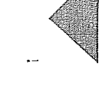
الثانية : أنه يحرك الى التنعم في المباحات ، حتى تصير له عادة والفا ، فلا يصبر عنها ، وربما لم يقدر على استدامتها الا بكسب فيه شبهة ، فيقتحم الشبهات ، ويترقى الى آفات من المداهنة والنفاق .

الثالثة : وهي التي لا ينفك عنها أحد ، وهو أنه يلهيه ماله عن ذكر الله ، وهذا هو الداء العضال ، فكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران .

ومن جملة الآفات الدنيوية : ما يقاسيه أرباب الأموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه » .

هذه بعض الآثار الظاهرة التي يعانيها أصحاب المال ، وهناك آثار أعمق وأخطر لما لها من مفعول جسيم وبعيد الاثر في حياة الفرد والجماعة .

فالترف أو تنعم رب المال يؤثر في صحة صاحبه وصحة أولاده ، حتى ليجد المرء أمراضا جسدية مستعصية احيانا يقال لها : «أمراض الأغنياء» . أما التأثيرات الخلقية والفكرية الأخرى بالنسبة للأبناء والأسرة فلا علاج لها في مستقبل الايام ، اذ ينشأ الولد في كنف المال مترع النفس ممتلىء اللذات ، فلا يندفع الى تكوين شخصيته تكوينا علميا وواقعيا صحيحا ، وانما نجد عنده غالبا الخوف والهلع ، والضعف والجبن والفتور ، والميوعة واللين ، وسطحية المحاكمة والتفكير ، وبطء الحركة والانتاج ، قال الامام ابن الجوزي : « أعلم أن الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة ساذجة ، وهي قابلة لكل نقش ، فان عود الخير نشأ عليه ، وان عود الشر نشأ عليه ، وكان الوزر في عنق وليه ، فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ،



ولا يحبب اليه الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره فيعوده الأخلاق الطيبة ، وذلك علامة النجاح ، وهي مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، وهذا يستعان به على تأديبه بحيائه .

ولدك جزء منك ، اختر لجزئك ما تشاء ، الولد نعمة وفخار ، أو نقمة وعار ، والخيار اليك ما دام زمامه بيديك . ويظل يربيه ويفهمه الأخلاق من الثالثة من عمره حتى العاشرة ، ويصونه من قرناء السوء حتى العشرين وبعدها يتركه حرا . »

فالتعود على التنعم مجلبة النقائص والقبائح ، ودليل العجز والقصور ، اذ أن الغنى لا يدوم ، والشخصية القوية هي التي تثبت وجودها بنفسها وبمقوماتها ، قال تعالى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ، وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ، وفي الآخر عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » أي ما الدنيا الا عرض زائل يتمتع ويغتر بـه كـل من زين له الشيطان الأماني الكاذبة والمفاتن الزائلة . ويرشد الى ذلك ما هو مشهور على الألسنة : « اخشوشنوا فان النعم لا تدوم » واصله حـديث رواه الطبراني في الكبير وغيره عن القعقاع بن أبي حدرد مرفوعا : « تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة » . ومعنى « تمعددوا » : تشبهوا بمعد بن عدنان لكونه كان لا يبالي بأكل ولا لباس «اخشوشنوا» : أي الزموا خشونة اللباس « اخلولقوا » : البسوا الثياب الخلقة البالية ، « انتضلوا » : ارموا السهام للسبق « امشوا حفاة » حث على التواضع ونهى عن الافراط في الترفه والتنعم » .

وليس القصد من هذا الحديث ـــ علما بأنه ضعيف ـــ سوى ضرورة التدرب أحيانا على قسوة الحياة وخشونة العيش وتربية الناس تربية قوية للصمود في وجه العدو ، عن معاذ رفعه : « اياكم والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين » فليس معنى الحديث اذا اهمال متطلبات الحياة الضرورية المعتادة : لأن التغذية وانتعال الاحذية مثلا أساس في درء الأخطار عن الجسد والصحة ، بل ان الغذاء اللازم عماد قوة البدن والعقل سواء في أثناء السلم أم في الحرب والاستمتاع بالطيبات في حدود القدر المعتاد مما أباحه الله واحله في قرآنه : « يأيها الناس كلوا من طيبات مارزقناكم .. » « قل من حـرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » « ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفسـاد فـي الأرض ، ان اللـه لا يحب المفسدين » .

واذا كان من اهم ما يحتاجه الاسلام والعـرب في الماضي والحاضر هو اعداد الرجال الأشداء المحاربين وتهيئة كل الامكانيات والوسائل اللازمة لمواكبة سير المدنية والتطور ومتطلبات الحرب الحديثة فقـد ندد الرسول صلى الله عليه وسلم بالاقبال على الحياة الناعمة في زمن يتعين فيه الجهاد ، روى ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا ضن

الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة (١) واتبعوا اذناب البقر (٢) ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، انزل الله بهم بلاء فلا يرفعه ، حتى يراجعوا دينهم » رواه أحمد وابو داود ، ولفظه : « اذا تبايعتم بالعينة ، واخذتم اذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم » .

وبهذا يظهر أن الاسراف والترف يفسدان أخلاق الرجال ، اذ بهما تضيع الحقوق ، وتزول الدول ، وتفقد البلاد ، وتقسو القلوب ، وينضب الخير من المجتمع ، وتذوب مصالح الناس الاجتماعية فلا يعطف أحد على بائس ، ولا يظهر تعاون فى بناء المساجد والمدارس والمشافي ومؤسسات الدفاع ومصانع الحرب مثلا ، ولا تستقر أوضاع سليمة ، ولا تسود أخلاق قويمة بسبب حرص كل شخص على ارضاء أهوائه ، واشباع لذاته ، وترفهه فى الحياة ، ومن هنا يمكننا تفسير ما آلت اليه أوساط شبابنا من ضعف وتخنث ، وميوعة ومجون ، واستهتار وتراخ ، قال معاوية رضي الله عنه : « لم ار اسرافا الا وفى جانبه حق مضيع » وبذلك أيضا يمكننا فهم شيوع عادة تختم الرجال بالذهب ولبس الحرير ، مع أن الاسلام — كما هو معروف — حرمهما على الرجال تحريما ابديا غير مؤقت ولا معلل بزمن لمنافاتهما طبيعة الرجولة الحقة ولأنهما مظهر الترف ، ومبعث الخيلاء والعجب والكبرياء ، فضلا عما فى ذلك من تشبه بالأعاجم غير المؤمنين ، قال بعض الحكماء : « ليست العزة فى حسن البزة ، فان التنعم بلبس الثياب ، والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميلا لدنياه ، وقلما يخلو صاحبه من العجب » ..

فعلى العرب والمسلمين حكاما ومحكومين ، دولا وافرادا أن يوجهوا طاقاتهم وميزانياتهم فى اعداد الجيل اعدادا قويا حسب متطلبات الحرب المفروضة علينا فرضا ، بحيث لا يكون هناك اثر لترف أو مظهر فارغ أو كماليات وزخارف خادعة . وهنا يمكن أن اتساءل : لماذا ندعى الفقر الحربى ثم لا نحسن معالجته بالاختراع والتصنيع والزراعة الحديثة ؟ وذلك مثلما فعلت اليابان التى أقامت نهضة شامخة فى غضون خمسين سنة ، حتى أنها نافست بصناعاتها ومنتجاتها فى أسواق العالم الاقتصادية أحسن ما أنتجه الاوروبيون . وعندنا بحمد الله الموارد الطبيعية الضخمة والأدمغة الصالحة والبيئة الممتازة والاصالة المدنية التى ورثناها من تاريخنا العريق الذى تمكن فيه المسلمون من تأسيس مدنية رائعة بين العرب وغيرهم ، وهذا نداء القرآن عام فى كل شيء من أنواع الجهاد الحربى والاقتصادى : « يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير » .

---

(١) وهو ان يبيع الشخص شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه الى المشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد اقل من ذلك القدر تحايلا على اكل الربا .

(٢) المراد الاشتغال بالحرث والزرع .



بين اللهجة القرشية واللهجات العربية

١ ــ اللهجة القرشية

من المكرر المعاد القول بأن القرآن الكريم نزل بلســـان عربى مبين فهذه حقيقة لا يختلف فيها أحد ، اللهم الا من أعمى الله ابصارهم وطمس على قلوبهم .

وقد أكد الله سبحانه هذه الحقيقة حيث أعادها أكثر من مرة فى كتابه العظيم حيث يقول ــ « وهذا لسان عربى مبين (١) » .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (٢)

« انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٣)

« وكذلك أنزلناه حكما عربيا » (٤)

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا » (٥)

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا » (٦)

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا » (٧)

« انا جعلناه قرآنا عربيا » (٨)

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » (٩)

ويذكر الرواة والعلماء أنه نزل بلهجة قريش ، ولهجة قريش ، هى اللهجة النموذجية الأدبية ، وقد نضجت حتى وصلت الى الــــذروة فى فصاحتها وبلاغتها .

وقد شاع بين العلماء هذا القول ، وسجلته كتب الرواية والتاريخ حتى أوشك أن يكون حقيقة مؤكدة .

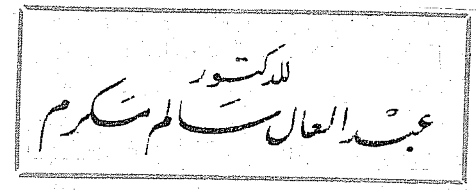
وقد أرجع بعض العلماء المحدثين هذا الانتصار الكبير للهجة القرشية فى مجال الفصاحة والبلاغة الى عدة عوامل أجملها فيما يأتى :

١ ـ العامل الجغرافى

لأن قريشا تسكن منطقة مستقلة تسمى حجازا لها يحفظها من التأثر البعيد المدى بالمؤثرات الخارجية ، ولذلك احتفظت بخصـــائصها اللغــوية .

٢ ـ العامل الدينى

فقد كانت قريش سدنة البيت ، والبيت محجة العرب فى الجاهلية



للدكتور عبد العال سالم مكرم

٣ ـ العامل الاقتصادى

فمعظم تجارة العرب كانت فى أيدى قريش يجوبون بها طـــرف الجزيرة شمالا ، وجنوبا ومجامع العرب وأسواقها بعد الحجيج كـــانت تعقد على مقربة من مكة .

٤ ـ العامل السياسى

وهو مرتب على العوامل السابقة ، وقد يسر ذلك كله أســـباب النفوذ لقريش فى أنحاء الجزيرة (١٠) .

ومن القدماء الذين أثر عنهم هذا القول « أبو نصر الفارابى » فقد قال فى كتابه المسمى بـ « الألفاظ والحروف » كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق (١١)

من هذا الذى قدمت تبين لنا فى وضوح السر الذى من أجله نزل القرآن الكريم بهذه اللهجة القرشية ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر به قومه « أفصح العرب » ، وهو من قريش ، وقريش من ولد اسماعيل وولد اسماعيل أفصح من اليمن

الذين هم من ولد يعرب بن قحطان » (١٢) .
وحينما كتب المصحف قال عثمان رضى الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة « اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم » (١٣) .
قال الزهرى : فاختلفوا فى « التابوت » فقال زيد : هو « التابوه » وقال النفر القرشيون هو « التابوت » فرفع الأمر الى عثمان فقال : اكتبوه بلسان قريش ، فان القرآن نزل بلسانهم . (١٤)
وفى رأيى أن نزول القرآن الكريم باللهجة القرشية دون غيرها من اللهجات العربية أمر فيه نظر ، فان القرآن الكريم اشتمل على كثير من لهجات العرب التى انتشرت فى الجزيرة العربية ، ولو كان الأمر كما يقول هؤلاء المؤرخون — لما رأينا بعض الصحابة يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ليفسر له بعض كلمات القرآن التى غمض عليه معناها ، فقد سأله السائل فى قوله تعالى : « ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » (١٥) .
قائلا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فيفسر له النبى صلى الله عليه وسلم هذا الظلم بالشرك مستشهدا بقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (١٦)
وايمانى بهذا الرأى يبعد ما يدعيه بعض المحدثين من أن الاسلام فرض على العرب جميعا لغة عامة هى لغة قريش ، مع أن الاسلام برىء من هذا الادعاء ، فقد نزل القرآن بسبعة أحرف لييسر للعرب جميعا الانتفاع به والالتصاق بأحكامه وآدابه .
وقد بينت ذلك فى بحث سابق نشر فى « مجلة الفكر الاسلامى »(١٧)
ومالى أذهب بعيدا ، فقد وضع الأمر فى نصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رد على بعض أصحابه الذين سألوه : يا رسول الله : انك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقا فقال : ان ربى علمنى فتعلمت (١٨) أليس يدل هذا على أن النبى عليه السلام الذى تربى فى قريش ، ونشأ بين أحضانها علمه ربه كلام العرب ، لأنه أرسل اليهم خاصة والى الناس عامة ؟ وكيف يتحدى العرب بهذه المعجزة الخالدة ولغة القرآن بلسان قبيلة واحدة ؟
ان القول بأن القرآن الكريم انما نزل بلسان قريش وحدها يتعارض مع النصوص القرآنية ذاتها فالنصوص السابقة التى سجلتها فى مقدمة هذا البحث تؤكد أن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، فكيف أتحكم فى تفسير اللسان العربى بأنه اللسان القرشى ؟ وهل قريش وحدها العرب ؟ ذلك أمر لا يقبله المنطق .
وكيف نفسر قول أبى بكر حينما سأله سائل عن قوله تعالى : « وكان الله على كل شىء مقيتا » (١٩) فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، ان قلت فى كتاب الله ما لا أعلم (٢٠) وقول عمر رضى الله عنه حينما قرأ على المنبر « وفاكهة وأبا » (٢١) فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال — لعمرك ان هذا هو التكلف يا عمر(٢٢) فلو كان أبو بكر رضى الله عنه يعلم معنى « مقيتا » لما وقف حائرا أمامها ولاذ بالصمت فى مجالها ، ولو كان عمر رضى الله عنه يعرف معنى «أبا» لما تساءل هذا التساؤل .
كل ذلك يفسر أن القرآن الكريم (اختص بدقيق المعانى ، وكنوز

الأسرار ، وعلو مرتبته فى الفصاحة ، ومباينته لكلام فصحاء العرب ، وكل ذلك فيه دلالة على شرفه ، وانه فائق على غيره من سائر الكلام كله بحيث لا يدانيه كلام (٢٣) وأحب أن أبين فى هذا المقام أن العرب يختلف بعضهم عن بعض فى الالمام بهذه اللغة الواسعة التى انتشرت فى أرجاء الجزيرة العربية ، وتعددت الى لهجات ، ولا أبالغ اذا قلت : ان القبيلة الواحدة قد يعز على بعض أفرادها أن يحيطوا بقاموس لهجتها ومن هنا نعرض الى قضية أخرى ، وهى قضية غريب القرآن .

٢ ـ غريب القرآن :

يوضح لنا « الرافعى » فى كتابه « اعجاز القرآن » معنى الغريب فيقـــــول :

فى القرآن الكريم الفاظ أصطلح على تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة ، فان القرآن منزه عن هذا جميعه ، وانما اللفظة العربية ها هنا هى التى تكون حسنة مستفربة فى التأويل ، بحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها ، وسائر الناس » (٢٤)

وفى مجال الغريب ظهر ابن عباس رضى الله عنهما ـ مفسرا ومبينا، وكما يحدثنا التاريخ أنه أول صحابى خاض فى معمعة هذا الغريب ، وأنه وضع الأسس الأولى لكل من جاء بعده من أصحاب الغريب ، وأسئلة نافع بن الأزرق له تدل على قدم راسخة فى معرفة لغات العرب ، والعلم بمواقع كلامها ، ومدلولات الفاظها ، واليك أيها القارىء هذه الأمثلة :

١ ـ سأله نافع عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشـــــمال عزين » (٢٥) .

قال ابن عباس : حلق الرفاق ، قال نافع ، وهل تعرف العرب ذلك؟

قال نعم ، اما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجـــاءوا يهرعـــــون اليه حتى
يكونوا حـــول منبره عـــزينا .

٢ ـ وسأله عن قوله تعالى : « وابتغوا اليه الوسيلة » (٢٦) قال : الوسيلة ، الحاجة أما سمعت قول عنترة :

ان الرجـــال لهم اليك وســـيلة
ان ياخذوك تـــكحلى وتخضبى .

٣ ـ وسأله عن قوله تعالى : « اذا أثمر وينعه » (٢٧) قال : نضجه وبلاغه .

أما سمعت قول القائل :

اذا ما مشت وسط النســاء تأودت
كما اهتز غصن ناعم النبت يانـــع

وسأله عن قوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » (٢٨) قال : أفلم يعلم .

٤ ـ أما سمعت قول مالك بن عوف :

لقد يئس الأقـــوام انى انا ابنـــه
وان كنت عن ارض العشـــيرة نائيا

٥ ـ وسأله عن قوله تعالى : « ولا تضحى » (٢٩) قال : لا تعرق من شدة حر الشمس .

أما سمعت قول القائل :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشى فيخصر

ويعلق الامام السيوطى على هذه المسائل العديدة فى الغريب ، والتى ذكرت طرفا منها فى هذا البحث بقوله :

« هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق ، وقد حذفت منها يسيرا نحو بضعة عشر سؤالا ، وهى أسئلة مشهورة أخرج الأئمة افرادا منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس .

وأخرج أبو بكر بن الانبارى فى كتاب « الوقف والابتداء » منها قطعة « وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبير منها قطعة » (٣٠)

وعلى الرغم من انكار الدكتور طه حسين فى كتابه «الأدب الجاهلى» قصة استدلال ابن عباس على الكلمات القرآنية الغريبة بالشعر العربى ، فاننا لا نوافقه على هذا الانكار ، ذلك لأن الدكتور يعتمد على انكاره هذا بأن هذه القصة قد وضعت فى تكلف وتصنع لتثبت أن الفاظ القرآن الكريم كلها مطابقة للفصيح من لغة العرب ، أو أن هذه القصة مدسوسة عليه فقد كان له مولى وهو « عكرمة » يدس عليه كثيرا من الأخبار (٣١) والواقع أنه لا داعى لهذه الاحتمالات أو هذه الافتراضات فعبد الله بن عباس يعلم أن الشعر ديوان العرب ، وهو المصدر الوحيد الذى يلجأ اليه فى تفسير هذا الغريب ولعله كان متأسيا فى منهجه هذا بما رواه : أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى علم القرآن أفضل ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم عربيته فالتمسوها فى الشعر (٣٢) .

هذا فضلا عن أن ابن عباس رضى الله عنه تميز عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بميزة التأويل ، وهى ميزة لا تتأتى بالممارسة ، أو تكتسب بالتجربة ، ولكنها الهام من السماء يتفتح له العقل، فيعى ، ويحفظ ما وعاه ، ويتفتح له القلب فيدرك من الأسرار ما لا يدرك غيره ، وكان كذلك ابن عباس ، لأن النبى عليه السلام بشره ، فقال : اللهم علمه التأويل .. (٣٣)

ومن حق القارىء بعد هذا الذى قدمت أن يقول : وما دليلك على أن القرآن الكريم اشتمل على لغات أو لهجات غير اللهجة القرشية ؟ فأقول له ان المحققين من العلماء بينوا لنا كثيرا من هذه اللهجات ، وقد الف فى ذلك اسماعيل بن عمرو المقرىء كتابه « اللغات فى القرآن » وانى اكتفى بذكر طائفة منها فى سورة واحدة هى سورة البقرة ، لتكون دليلا على ما أقول .

من سورة البقرة :

(رغدا) آية ٣٥ = الخصب بلغة طىء .
(فأخذتكم الصاعقة) آية ٥٥ = الموت بلغة عمان .
(رجزا) آية ٥٩ = العذاب بلغة طىء .
(خاسئين) آية ٦٥ = صاغرين بلغة كنانة .
(فباءوا بغضب) آية ٩٠ = استوجبوا بلغة جرهم
(واشتروا) آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل
(سفه نفسه) آية ١٣٠ = خسر بلغة طىء
(فلا رفث) آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج

(ثم أفيضوا) آية ١٩٩ = انفروا بلغة خزاعة
(بغيا بينهم) آية ٢١٣ = الحسد بلغة تميم
(وان عزموا الطلاق) آية ٢٢٧ = حققوا بلغة هذيل
(فلا تعضلوهن) آية ٢٣٢ = لا تحبسوهن بلغة أزد شنوءة
(فتركه صلدا) آية ٢٦٤ = أجرد بلغة هذيل (٣٤)

على أن هذه الكلمات عدت غريبة بالنسبة لغير القبائل التى لم تحتو لهجاتها مثل هذه الكلمات أما القبائل التى وردت هذه الكلمات وفق لغاتها فليست بالنسبة لهم غريبة .

ومن هنا كان واجب العلماء أن يتقصوا هذه الكلمات ، وينسبوها الى أصحابها وقد فعلوا تيسيرا لمعانى القرآن الكريم ، وكشفا للدلالات التى تدل عليها هذه الكلمات ، والحق نجد أن العلماء لم يقصروا فى هذا المضمار ، شمروا عن ساعد جدهم وبذلوا كل جهدهم ليذللوا مصاعب هذا الغريب خدمة لكتاب الله وتوضيحا لمعانيه .

ولعنا اذا بحثنا مدققين عن أول مصنف يطالعنا فى هذا المجال نجده كتاب « مجاز القرآن » لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، فقد نص السيوطى فى كتابه « الوسائل » أن أول من صنف فى غريب القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى لأنه جاء بعد قتادة بن دعامة السدوسى المتوفى ١١٧ ﻫ وابى عمرو بن العلاء المتوفى ١٥٤ ﻫ ، وهما لم يخلفا لنا أثرا مكتوبا ، وانما كانت الأخبار تنقل عنهما مشافهة (٣٥) .

وهذا الكتاب وان كان يحمل اسم المجاز ، فهو فى حقيقة أمره كتاب يدور حول الغريب من الكلمات القرآنية ، وتفسير هذا الغريب بالشعر وكلام العرب .

وبعد هذا الكتاب ظهرت كتب أخرى فى الغريب مثل « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة (٣٦) وكتاب « لغات القرآن » (٣٧) لابى حيان الأندلسى ، وككتاب « اللغات فى القرآن » لاسماعيل بن عمرو (٣٨) وانظر كتب غريب القرآن فى الفهرست لابن النديم تجدها عديدة .

ومن الحق أن أقرر فى هذا البحث أن هذه اللهجات العربية التى وردت فى القرآن الكريم لم تطغ على لهجة قريش ، فمعظم كلمات القرآن الكريم قرشية ، ولكنى أظلم الحقيقة حينما أقول : ان القرآن الكريم فرض لهجة قريش على قبائل العرب والزمهم القراءة بها ، ذلك أمر يخالف منطوق الحديث : انما أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وأظلم الحقيقة مرة أخرى لو قلت ان جميع الكلمات القرآنية قرشية بدليل ما قدمت من كلمات وردت فى هذا الكتاب العزيز غير قرشية على أنه من ظلم الحقيقة مرة ثالثة أن أدعى أن اللهجة القرشية تختلف اختلافا كبيرا عن غيرها من لهجة العرب ذلك أمر لا نقبله للأمور الآتية :

١ — معرفتنا باللهجة القرشية غير كاملة ، فليس لنا معجم يوضح رصيدها من الكلمات ، حقا ان هناك دراسات دارت حول خصائص اللهجات ، ولكنها محاولات تخطىء وتصيب ، وليس لها من المراجع التى تعتمد عليها غير المعاجم ، وجمعها لم يكن على منهج علمى سليم ، فلم تحاول أن تصنف القبائل ، وتنسب كل لفظ الى مصدره اللهم الا اشارات معدودة لا تغنى شيئا فى مجال الدراسات على أن السيوطى فى «المزهر» يؤكد أن « الذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ

اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس ، وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانه » (٣٩) .

ومن حقى بناء على هذا أن أقرر : أن لهجة قريش مختلطة بغيرها من اللهجات الأخرى العربية . وان ميزان الفصل للتحكم فى هذه القضية لم يصنع بعد .

٢ — من قال : ان قريشا أغلقت على نفسها باب الهجرة أو الرحلة من مكان الى آخر وذلك ببعدها عن الاحتكاك بغيرها من اللهجات الأخرى، فتسلم لها فصاحتها ، ويصان لها لسانها .. ؟

ان هذا القول مخالف لمنطق القرآن الكريم الذى ينص على أن لقريش رحلتين ، رحلة الشتاء والصيف ، وناهيك بهذه الرحلات ، أليس فيها كلمات تتبادل ؛ أليس فيها مسميات جديدة لم تعهدها قريش فى لهجتها ؟ الا يؤثر الكلام بعضه فى بعض ؟ ان قوانين تصارع اللهجات تثبت هذه الحقيقة ، وهى انه ما دام هناك اختلاط فهناك احتكاك لغة بلغة ، ولهجة بلهجة ، وأسلوب بأسلوب مما لا يجعل القول بصيانة هذه اللهجة فى هذه الحالة قولا صائبا .

هذا فضلا عن الاحتكاك اللغوى والأدبى فى أسواق العرب التى كانت تقام فى الجاهلية ولا تنسى ما يفعله موسم الحج من تأثير لغوى كبير ، يقولون : ان قريشا كانت تأخذ من هذه القبائل الموفدة أو التى تختلط بها فى رحلاتهم ما خف وقعه على مسامعهم من الألفاظ الرقيقة والكلمات العذبة الموسيقية ، وعلى مدى السنين تكونت لهجتهم ، ان صح ذلك فهو دليل على أن لهجة قريش خليط من لهجات عديدة تمثل اللهجات العربية فى الجزيرة العربية ، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ، لانها اللهجة التى تتمثل فيها لهجات العرب ولا غرو حينئذ أن تكون اللهجة القرشية التى نزل بها الصورة الحية فى مجال تحدى العرب جميعا أن يأتوا بمثله .

وهذا القول فى نظرى قريب الى الصواب ، لأن لهجة قريش انتخبت من جميع اللهجات ، ولكن حينما نقول : ان لقريش لهجة خاصة فى ألفاظها ، وتراكيبها تختلف عن لهجات العرب المنتشرة فى الجزيرة ، وأن القرآن الكريم نزل بها وحدها فذلك أمر لا يقبله العقل ، لأن فى القرآن الكريم كما قدمت سابقا كلمات كثيرة ليست قرشية الأصول كما نصت على ذلك كتب الغريب ، وكتب المعاجم .

٣ — القبائل العربية قبل الاسلام لم تكن تعيش فى عزلة ، ومن ثم كانت لهجاتهم جميعا متقاربة ، يفهم بعضهم بعضا حتى القبائل التى كانت تعيش فى شمال الجزيرة لم تبتعد فى لهجاتها كثيرا عن القبائل التى كانت تعيش فى جنوب الجزيرة ، بل لا أتجاوز الحقيقة اذا قلت : انها لغة واحدة فى صميمها ، ولا يعدو الاختلاف أن يكون الا اختلافا يسيرا فى صفات الحروف من جهر وهمس ، وتفخيم وترقيق وهمز وتسهيل ، وهذا أمر طبيعى يقتضيه التطور اللغوى .

ومما يؤيد ذلك وفد الحجاز عند سيف بن ذى يزن ملك اليمن ، فقد اتجه هذا الوفد وعلى رأسه سيد قريش عبد المطلب بن هاشم ، الى ملك اليمن يخطب ببيانه القرشى ، وسيد اليمن يصغى اليه ، ويستمع

الى شاعر الوفد أمية بن أبى الصلت ، ويفهم ما يقول فى غير غرابة أو غموض (٤٠) .

ومالى أذهب بعيدا ونحن فى عالمنا العربى نتكلم بلهجات عديدة لا شك هى من أم واحدة هى العربية التى تطورت الى هذه اللهجات ، ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الأشكال .

ويعجبنى فى هذا الموقف كلمة الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » حيث يقول : « واللغة العربية من أكثر اللغات انسجاما وهى مختلفة اللهجات لا ريب فى سوريا وجزيرة » العرب ، ومصروالجزائر وغيرهـــــا .

ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الاشكال ، فترى المـــراكشى يفهم بسهولة لهجة المصريين ، أو لهجة سكان جزيرة العرب مثلا ، مع أن سكان القرى الشمالية الفرنسية لا يفهمون كلمة من لهجات ســـــكان القرى الجنوبية فى فرنسا » .

وقد نقل « لوبون » كلمة الرحالة « بركهارد » الذى يعد حجة فى هذا الموضوع فقال : « نجد اختلافا كبيرا لا ريب فى لهجات اللغـــــة العربية العامية اكثر من أية لغة اخرى على ما يحتمل ، ولكنه لا يصعب عليك أن تفهمها جميعا اذا ما تعلمت احداها ، وذلك على الرغم مناتساع البلدان التى يتكلم أهلوها بها » (٤١) .

أما كلمة أبى عمرو بن العلاء : « وما لسان حمير بلساننا ، ولا لغتهم بلغتنا » تلك الكلمة المأثورة عن أبى عمرو ، والتى ترددت فى كتب الرواة ـــ فأحسن تفسير لاشكالها تفسير الدكتور الحوفى فى كتابه « الحيـــاة العربية من الشعر الجاهلى » (٤٢) حيث يقول : « أن اللغتين عربيتان ، ولكن التطور ، والمكان ، والزمان ، والأحداث ، والألسنة الخ قد شققت من اللغة الواحدة لهجتين ، بدليل قوله (فى رواية أخرى) ولا عربيتهم بعربيتنا ، والعرب يطلقون على اللهجة اللسان » .

٤ ـــ على أن مقياس الفصاحة وقف أمامه العلماء حيارى ، فابن فارس يشيد بلهجة قريش أو بلغتها حيث يقول : « ان قريشا أفصــــح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ، ذلك أن الله تعـــالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا قطان حرمه، وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش فى دارهم ، وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العـــرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعـــوا عليها ، فصاروا بذلك أفصـــــح العرب » (٤٣) والبصريون يشترطون فى الفصاحة أن تصدر من العرب الخلص الذين لم تؤثر فيهم الحضارة ، واعتصموا بالبادية عن الاختلاط بغيرهم .

ومن ثم كانوا « يفتخرون على الكوفيين بأنهم يأخذون اللغــــة عن حرشة الضباب ، وأكلة اليرابيع ، على حين يأخذها الكوفيون من اكلة الشواريز وباعة الكواميخ (٤٤) .

مع أن لغتنا العربية التى تتمثل فى المعاجم جمعت فى معظمهـــا بروايات البصريين وحسبنا أن نذكر فى هذا المجال أن أول عمل معجمى

قام به الخليل بن احمد عميد مدرسة البصرة هو معجم العين .

ومن الحق أن نذكر بجانب ذلك أننا لو طبقنا منهج البصريين فى أخذ اللغة لتجنبنا لغة قريش ، لأنها خليط من اللهجات كما قلت سابقا ، ولأن أصحابها كانوا يقومون برحلات عديدة صيفا وشتاء الى أطراف الجزيرة العربية فى اليمن ، وفى الشام ، ولكن الحق يفرض علينا سلطانه فى هذه القضية ، وهو أن لغة القرآن الكريم — كما يقول الفراء — أفصح أساليب العربية على الاطلاق (٤٥) .

من أجل ذلك أحب أن أبين هنا أن لغة القرآن الكريم لم تكن لغة لهجة واحدة ولكن من كمالها أن تكون مشتملة على كثير من لغات العرب الأخرى ليكون التحدى أتم والمعجزة أبلغ .

وقد لمس هذا المعنى الامام ابن الجزرى فأصاب المحز حينما قال : « لو جاء القرآن الكريم كله بالأفصح لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح ، فلا تتم الحجة من الاعجاز اذ يقال مثلا : انه جاء بما لا قدرة للعرب على جنسه ، كما لا يصح أن يقول البصير للأعمى : قد غلبتك بنظرى ، لأن الأعمى يقول له : انما تتم لك الغلبة اذا كنت قادرا على النظر ، وكان نظرك أقوى من نظرى ، أما اذا فقد أصل النظر فكيف تصح المعارضة ؟ » (٤٦) .

ولعلى بعد هذا العرض أكون قد وفيت الموضوع حقه فى قضية غريب القرآن الكريم وآمل أن اكمل هذا البحث بقضية أخرى تعالج ما ورد فى القرآن الكريم من كلمات أعجمية فالى اللقاء فى مقال آخر ان شاء الله .

---

(١) النحل ١٠٣ (٢) الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ (٣) يوسف ٢ (٤) الرعد ٣٧ (٥) طه١١٣
(٦) فصلت ٣ (٧) الشورى ٧ (٨) الزخرف ٣ (٩) الاحقاف ١٢ .

(١٠) من مقال للمرحوم الدكتور النجار : مجلة الازهر مجلد ٢٣ ص ٤٩ (١١) المزهر جـ ١ ص ١٢٨ مطبعة السعادة (١٢) الزينة ج١ ص ١٤٦ (١٣) الاتقان جـ١ ص٥٩ (١٤) الزينة جـ ١ ص ١٤٦ .

(١٥) الأنعام ٨٢ (١٦) لقمان ١٣ (١٧) مجلة الفكر الاسلامى ، العدد التاسع (١٨) المسائل لابن قتيبة : ورقه — ٤ : مخطوط (١٩) النساء ٨٥ (٢٠) مقدمتان فى علوم القرآن ص ١٨٣ .

(٢١) عبس ٣١ (٢٢)مقدمتان فى علوم القرآن ص١٨٣(٢٣) الطرز جـ ٣ ص ٢١٩(٢٤) اعجاز القرآن ص ٧٤ (٢٥) المارج ٣٧ .

(٢٦) المائدة ٣٥ (٢٧) الانعام ٩٩ (٢٨) الرعد ٣١ (٢٩) طه ١١٩ (٣٠) الاتقان جـ ١ ص١٣٣
(٣١) الأدب الجاهلى ص ١٠٩ (٣٢) مقدمتان فى علوم القرآن ص ٢٦١ .

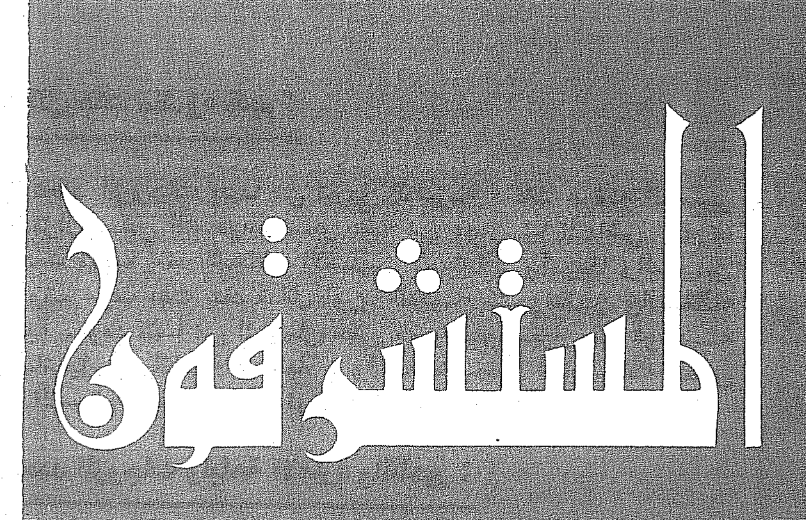
(٣٣) مفتاح السعادة جـ٢ ص ٤١٥ (٣٤) اللغات فى القرآن ص ٢٠ ، ص ٢١ .

(٣٥) الوسائل فى مسامرة الأوائل ص ٦١٢ (٣٦) مطبوع بتحقيق الاستاذ سيد صقر
(٣٧) مخطوط التيمورية ٧٤ لغة (٣٨) مطبوع (٣٩) المزهر جـ ١ ص ١٢٨ ، الاقتراح:ص٢٤ .

(٤٠) انظر قصة هذا الوفد والتعليق عليه فى كتاب «مولد اللغة» لاحمد رضا العاملى ص٥٦

(٤١) حضارة العرب ص ٥٣٢ (٤٢) جـ١ ص ٤١ (٤٣) المزهر جـ ١ ص ٢١٠ .

(٤٤) حرشة الضباب = الصيادون — اليرابيع = جمع يربوع وهى دويبة . الشواريز الالبان الثخينة الكوامخ = المحللات تشهى بها الطعام (٤٥) العربية يوهان فك ص ٥(٤٦) نقل هذا النص من مقال للمرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان نشر بمجلة الأزهر المجلد ٢٢ ص ٦٠٠



المستشرقون

وتعدد الزوجات

للأستاذ عبد القادر السبسبي

ان المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكة) تحكى فى كتابها ((شمس العرب تسطع على الغرب)) صفحة (٤٧) (وكان تعدد الزوجات فى الجاهلية ضرورة اقتضتها ظروف المعيشة والرغبة فى العدد الكبير من الاولاد لتقوية مركز القبيلة ولتوطيد العلاقات بين مختلف القبائل بالمصاهرة . وبظهور الاسلام استمرت تلك الضرورة نتيجة لبدء الفتوح.الى ان قالت..فالاسلام قدس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجتين او الثلاث او الأربع فى المعاملة ((فان خفتم الا تعدلوا فواحدة)) اليس هذا نصا صريحا يطلب فيه من المؤمنين ان يتزوجوا بواحدة فقط ، ومن ذا الذى يستطيع ان يعدل بين النساء) .

اقول : ان الكاتبة المستشرقة تريد ان تقول فى الأصل لا يوجد تعدد زوجات وان الكتب السماوية لم تبح ذلك . بل هذا التعدد نشأ فى زمن الجاهلية لضرورة اقتضتها الظروف ، وقد استمرت تلك الضرورة بظهور الاسلام نتيجة لبدء الفتوح وتزعم ان الاسلام قد منع هذا التعدد وامر بالرجوع الى التزوج بواحدة فحسب لعدم استطاعة العدل بين النساء مستدلة بقوله تعالى : (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) . ولما كان كلام هذه المستشرقة ومن كان على شاكلتها بان فكرة تعدد الزوجات منشؤها العرب وانها حاجة اقتضتها الضرورة الزمنية هو خلط كمن يخبط خبط عشواء . ولذلك فقد رايت ان الرد عليها وعلى امثالها ضرورى فبدات بما يلى :

١ ــ تعدد الزوجات منشؤه قديم :

ليس تعدد الزوجات بدعا فى تاريخ البشرية ، فقد عرفته العصور القديمة ولا تزال بعض الشعوب تسير عليه فى عصرنـــا الحاضر ، عرف تعدد الزوجات قديما عند السكان الاصليين لأستراليا وأمريكا والصيـــن وغيرهم ، وقد عرف ذلك عند قبائل أوربا القديمة كالجرمانيين والصقالبة قبل المسيحية . وقد نشأ في الرومان حتى حظره جوستنيان فى قوانينـــه ولكنه ظل ماشيا من الناحية العملية . وأباحـــه بعض البابـــوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسا كما يأتى بيانه .

٢ ــ منع تعدد الزوجات واباحة الاعارة والتاجير :

وانتشر تعدد الزوجات عند العرب فكان الواحد منهم يجمع بين عشر نسوة حتى جاء الاسلام وقيد هذا الاطلاق وحصرها بأربع نسوة فقط ، حيث ورد فى القرآن العظيم « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (١) .

واما أوروبا المسيحية فقد منعت تعدد الزوجات الشرعيات ، وقام مقامه السفاح واتخاذ الأخدان ، وجعلت المرأة سلعة تتاجر ببضعهـــا ، وسمحت للرجل فى أن يعير زوجه لذوى الشأن للنجابة والتبريك (٢) .

يقول الفيلسوف هربت سبنسر الانكليزى فى كتابه (علم وصـــف الاجتماع) أن الزوجة كانت تباع فى انجلترا **خلال القرن الحادى عشـــر** وأنه حدث أخيرا فى القرن الحادى عشر أن المحاكم الكنيسية سنت قانونا ينص على أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة (٣).

٣ ــ الأديان كلها اباحت تعدد الزوجات :

فليس الاسلا مهو الدين الوحيد الذى أباح تعدد الزوجات أو أنه أول دين أباحه بعد الموسوية والمسيحية ، وانما أباحت الشرائع القديمة تعدد الزوجات فقد كان لابراهيم الخليل عليه السلام زوجتان ، كما أن الديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، وأنبياء التوراة كان لهم زوجات كثيرة كيعقوب وداود وسليمان . ولم يأت فى الانجيل نص يدل على التحريـــم وانما ورد على سبيل الموعظة لأن الله خلق لكل رجل زوجه ، وهذا لا يفيد على أبعد الاحتمالات الا الترغيب بأن يقتصر الرجل فى الاحوال المادية على زوجة واحدة . ولكن أين الدليل على أن زواج الرجل ــ بزوجة ثانية مـــع بقاء زوجته الاولى فى عصمته يعتبر زنى ويكون العقد باطلا . ليس فـــى الأناجيل نص على ذلك بل ورد فى رسالة بولص الاولى المرسلة الى دتيو شاوس ما يفيد أن التعدد جائز . وهذا ما كان عليه الأقدمون كما ثبت ذلك (٤) .

٤ ـ ما يؤيد تعدد الزوجات عند الأمم الغابرة :

قال وستريماك العالم الثقة فى تاريخ الزواج : ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى الى القرن السابع عشر . وكان يتكرر كثيرا فى الحالات التى تحصيها الكنيسة والدولة . ويقول أيضا : ان (ديار ما سدت ملك آرلندا) كان له زوجتان وسريتان ، وتعددت زوجات الميروفنجيين غير مرة فى القرون الوسطى وكان لشارلمان ملك فرنسا الذى كان معاصرا للخليفتين المهدى والرشيد من العباسيين زوجتان وكثير من السرارى . فكما يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين أنفسهم . وكان فيليب أوفاهيس ، وفرودريك ، وليام الثانى البروسى يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين .

٥ ـ اباحة تعدد الزوجات عند غير المسلمين :

وفى سنة ١٦٥٠ ميلادية بعد صلح وسنفاليا وبعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء حروب الثلاثين أصدر مجلس الفرنكيين (نيور مبرج) قرارا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى (مونستر) صراحة بأن المسيحى ينبغى أن تكون له عدة زوجات ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام الهى مقدس .

وقال جرجى زيدان : فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج من امرأتين فأكثر ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها ـ وكان ذلك شائعا فى الدولة الرومانية ـ فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حراما كما هو مشهور .

٦ ـ اباحة التعدد فى افريقيا :

ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بتعدد الزوجات فى افريقيا السوداء فقد وجدت الارسالات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعى ، فأعلنت الكنيسة رسميا السماح للافريقيين النصارى بتعدد الزوجات الى غير حد . والشعوب الغربية المسيحية تتخبط بنفس المشكلة ، وخاصة بعد الحربين العالميتين .

٧ ـ المانيا تطالب بوجوب اباحة التعدد :

فقد حدث أن مؤتمرا للشباب العالمى عقد فى ميونيخ بألمانيا عام ١٩٤٨ وكان من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء فى المانيا عن عدد الرجال فأقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة باباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

وفى عام ١٩٤٩ تقدم أهالى بون عاصمة ألمانيا بطلب الى السلطة المختصة يطالبون فيه أن ينص فى الدستور الالمانى على اباحة تعدد الزوجات تأكيدا لطلبهم السابق أيام هتلر . علما أن المفكرين الغربيين الاحرار أثنوا على تعدد الزوجات منهم جرونيوس العالم القانونى المشهور والفيلسوف الالمانى الشهير (شوبنهور) وخاصة غوستاف لوبون فإنه يتحدث فى كتابه حضارة العرب عن تعدد الزوجات ومحسناته عند المسلمين (٥) .

ولقد اختارت المانيا النصرانية التى تحرم التعدد ، ما اختاره الاسلام وهى لا تدين بالاسلام ، فقادة الفكر فى المانيا وفى غيرها قد خرجوا عن قانون وحدة الزوجة فى بلادهم .

لقد آن للعالم الحائر المتخبط فى دياجير المادة أن يستفيق من غفلته بعد أن أدت به المدنية الحديثة الى الهلاك والدمار ، وأصبحت الانسانية معذبة يرفض ضميرها فساد الاخلاق وقلق النفس واضطراب المجتمع .

٨ ــ حكمة التشريع فى تعدد الزوجات :

ومن يتأمل فى حكمة التشريع يعلم بأنه ليس اباحة تعدد الزوجات فى الشريعة الاسلامية لارضاء الشهوات الجامحات كما يزعمون ، ولكن هى للضرورات الاجتماعية التى تعرض المجتمع للاخطار . علما بأن الاسلام قد قيد الاطلاق الذى كان فى العصور الغابرة وحصرها فى أربع نسوة فقط ومنع الزوجات فيما زاد على ذلك .

ولقد صدمت تلك الضرورات ــ أخيرا ــ الباحثين من علماء الاجتماع ورأوا بأعينهم ما يستهدف له بعض المجتمعات فى أوروبا من أخطار النساء واباحة الاختلاط وتضييق حدود الزواج ، رأوا رأى العين ، فكتبت احدى الكاتبات الاجتماعيات كلمات مؤثرة ، نشير الى بعضها ، وليرجع اليها من شاء ، فى تاريخ الاستاذ العلامة (محمد عبده) المعروف بالمنشآت . قالت تلك الكاتبة الانجليزية :

(لقد كثرت الشاردات من بناتنا ، وعم البلاء ، وقل الباحثون عن أسباب ذلك وان كنت امرأة ، فأنى أنظر الى هاتيك البنات ، وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا لهن ، وماذا عسى يفيدهن حزنى وتوجعى ، وان شاركنى فيه الناس جميعا لا فائدة الا فى العمل على ما يمنع هذه الحالة الرجسة ، ولله در العالم (توماس) فإنه رأى الداء ووصف الدواء ، وهو : الاباحة للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة بذلك يزول البلاء وتصبح بناتنا ربات بيوت ، وأمهات أولاد شرعيين ، اننا نعانى تحريم زواج اثنتين فقد ألقى ببناتنا شوارد ، وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال فكثر الاختلاط وتفاقم الشر) .

وهكذا ، يرجع الباحثون الى تعرف الحقائق الاجتماعية ، التى لم يغفلها المشرع الاسلامى من قبل أربعة عشر قرنا .

٩ ــ وجوب اقامة العدل بين الزوجات :

جاء فى سورة النساء آية (٣) قول الله تعالى : « فانكحوا ما طاب

لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .. الخ »
وجاء فى آية ١٢٩ « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » .

أى ولن تستطيعوا العدل بين النساء ولو كنتم حريصين على ذلك فان فى المعاملة أمورا مادية وأخرى غير مادية ، أما المادية فتستطيعون فعلها والعدل فيها كالبيت والنفقة والكسوة والتطبيب الخ .. أما الأمور القلبية كالميل والحب وغير ذلك بما يكون الباعث عليه الوجدان والشعور النفسى فهذا مما لا تملكونه ولهذا خفف الله عنكم ورفع الحرج فيه . كما قال ابن عباس وغيره رضى الله عنهم فى قوله تعالى : (ولو حرصتم) أى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك لأن الميل يقع بلا اختيار فى القلب .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ، فيعدل ثم يقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك . يعنى القلب (٦) .

ثم نهى الله تعالى فقال : (فلا تميلوا كل الميل) قال مجاهد : لا تتعمدوا الاساءة بل الزموا التسوية فى القسم والنفقة لأن هذا مما يستطاع وروى قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) (٧) .

هذا ما ورد فى الاحاديث الشريفة وما قاله المفسرون والعلماء . وعلى هذا يكون قول المستشرقة (زيغريد هونكه) ومن كان على شاكلتها لغوا لأن القول المعتمد هو ما قاله رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وما عداه هباء .

١٠ ــ العوامل الطبيعية :

على أن تعدد الزوجات أو الطلاق كحق للزوج لا غبار عليهما أبدا ، بل لعلهما من الضرورات اللازمة للطبيعة البشرية ، ولكن الخطأ الأكبر يجيىء من سوء الاستعمال . أما القول بمنعهما ففيه مخالفة لصريح القرآن ومخالفة لمصلحة الرجل والمرأة على السواء .

ماذا نفعل برجل تزوج بأمرأة لا تلد ؟ وهو غنى يريد الولد وعنده القدرة على كفاية اثنتين من النساء .

ورجل عنده نهم على النساء وعنده امرأة بها مانع أو مرض أو عزوف عن الرجال فهل يرتكب الفاحشة فيضيع بذلك الدين والمال والصحة والشرف أو يتزوج بامرأة اذا التزم العدل فى معاملة الاثنتين .

١١ ــ العوامل الاجتماعية :

وماذا نعمل فى الأمة عقب الحروب التى تبيد أكثر رجالها فتبقى النساء كثيرات مع قلة الرجال ، أمن الخير أن يتمتع بعض النساء بالزوج ويبقى قسم كبير منهن محرومات من عطف الرجل والعائل ، وقد تضطرها الظروف الى ارتكاب الاثم والفواحش .

اذا الخير فى علاج المسألة بعلاج الدين ، فنحافظ على المراة محافظة تامة ونعتنى بها عناية كاملة فى الحرب والسلم .

١٢ ــ اخى الشاب العربى :

ان الاسلام يجمع بين المادة والروح ، على ان هذا لا يدركه الا من اطمان قلبه بالايمان ، بل لا يدركه الا الراسخون فى العلم واما تاويله فلا يعلمه الا الله . (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله) (٨) .

فمن اين لهذه المراة وامثالها من المستشرقين او المستشرقات ومن كان على شاكلتهم ان يفهموا القرآن الكريم وروحه او تاويله ، وانى لهم ان يؤولوا القرآن حسب فهمهم ، علما أن فاقد الشىء لا يعطيه .

١٣ ــ تقديس الأديان واجب :

على أن الغريب فى الأمر أن المسلمين لا يهاجمون غيرهم فى دياناتهم ومعتقداتهم بل يحترمونها على أنه لو تعرض أحد منهم لشىء من ذلك لقامت عليه الطامة الكبرى فيعتبرون هذا تحديا لهم وتحقيرا للاديان وتدخلا فى ما لا يعنيه .

أما اذا جاء التعرض من قبلهم كما صدر من المستشرقة (زيغريد هونكه) بتعرضها للقرآن بقولها ان سورة (اذا السماء انفطرت) من نثر محمد ورددت عليها فى مقال سابق وما تعرضت اليه هنا من تفسيرات عقلية لا أصل لها لقيل إنه يجب غض الطرف عنها لأنها مستشرقة ولها ملء الحرية فى التكلم والبحث ولو كان متعلقا فى الاديان .

لقد تحقق عند الكافة من الشرقيين أن جل الغربيين لهم فى كل مصلحة مفسدة وفى كل حسنة سيئات ، وفى كل اخلاص دغل وفى كل صفاء دخل . وللمستزيد أن يرجع الى (كتاب الغارة على الاسلام) وكتاب (استعباد الاسلام وغيرهما) .

هذه ملاحظاتى على كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) والله من وراء القصد .

---

(١) سورة النساء .
(٢) كتاب نظام الاسرة فى الاسلام (مناع قطان المدرس بكلية الشريعة بالرياض) .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) كتاب المراة بين الفقه والقانون .
(٥) كتاب المراة بين الفقه والقانون .
(٦) رواه الامام أحمد فى المسند ص ١٤٤ من الجزء السادس (انظر تفسير القاسمى)
(٧) تفسير القرطبى سورة النساء / ١٢٩ ج ٥ .
(٨) سورة آل عمران .

نـــداء موجه الى جميع الدول والهيئات الاسلامية فى العالم ٠

لا تزال سلطات الاحتلال الصهيونية تعيث فســـادا فى جميع الارض المحتلة وتعمل جاهدة على تغيير معالم القدس والخليل وغيرهما من الديار المقدسة ، بالحفريات والمستوطنات ٠ وقد بلغ الاستهتار حدا لا يجـــوز السكوت عنه أو التساهل فيه ، نظرا لما ينطوى عليه من اخطار بعيـــدة المدى ، وتحد لمشاعر المسلمين فى أعز مقدساتهم فى الديار الفلسطينيـــة المقدسة ، ذلك أن السلطات المحتلة قامت بتقديم مشروع قانون للكنيست (البرلمان الاسرائيلى) يقضى بأن الاماكن الاسلامية المقدسة فى القدس هى بناية المسجد الاقصى ومسجد الصخرة المشرفة فقط ، أما الســـاحات والاراضى التى تقع ضمن سور الحرم فليست من المقدسات ، وانه يجوز لتلك السلطات اجراء اية حفريات أو تنظيمات فى تلك الساحات والاراضى ٠٠٠ الخ ، كما اشارت الى ذلك جريدة الدفاع الاردنية تاريخ ٨ ذى الحجة سنة ١٣٩٠ الموافق ٤ شباط سنة ١٩٧١ ، العدد ١٠٧١١ ٠

وبما انه بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٥ اقدم حاخام جيش الدفاع الاسرائيلى ، بريجادير شلومو غورين على الصلاة مع جماعة مـــن تابعيه فى ســـاحة المسجد الاقصى المبارك ، وأعلن عن عزمه على اقامة صلوات اخرى فى مكان آخر من تلك الساحة ، وعلى اقامة كنيس فيها ، بزعم أن الساحـــة ليست من المسجد الاقصى ، كمـــا ذكرته جريدة هـــا أرتس الاسرائيليـــة بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٦ ٠

وبما أن ذلك العمل أثار مشاعر المسلمين حينئذ وادى الى اصدار فتوى دينية من جميع علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بتاريخ ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ الموافق ٨/٢٢ سنة ١٩٦٧ ،تضمنت أن المسجد الاقصى المبارك ، الذى هو مسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وموطن معراجه ، هو جميع ما دار عليه السور ، ويشمل عمـــارة المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، كما يشمل جميع الساحات والاراضى التى هى داخل الســـور ، ونظرا لصحـــة تلـــك الفتوى وسلامتهـــا من الناحيتين الدينية والتاريخية ، فقد أيدها المؤتمر الرابع لمجمع البحـــوث الاسلامية فى الازهر الشريف المنعقد فى أواخر سنة ١٩٦٨ ، كما اكـــد تأييدها المؤتمر الخامس للمجمع الذى عقد بتاريخ مارس سنة ١٩٧٠ ، وقد حضر المؤتمرين علماء يمثلون العالم الاسلامى ٠

ويؤيد ذلك كله ما جاء فى كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب ا٠ س٠ من أن الاقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور ، وأن هذا البناء الموجود فى صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والاروقة وغيرهـــا هى مكملة له ٠

ان لجنة انقاذ القدس تستصرخكم للوقوف فى وجه هذه المحاولـــة الاجرامية ، وتعبئة جميع القوى والجهود ، وعلى جميع المستويـــات ، لاحباطها ٠

سليمان النابلسى
رئيس لجنـــة انقـــاذ القـــدس



مجالس العلم الزاهرة في عصر الدولة الاسلامية

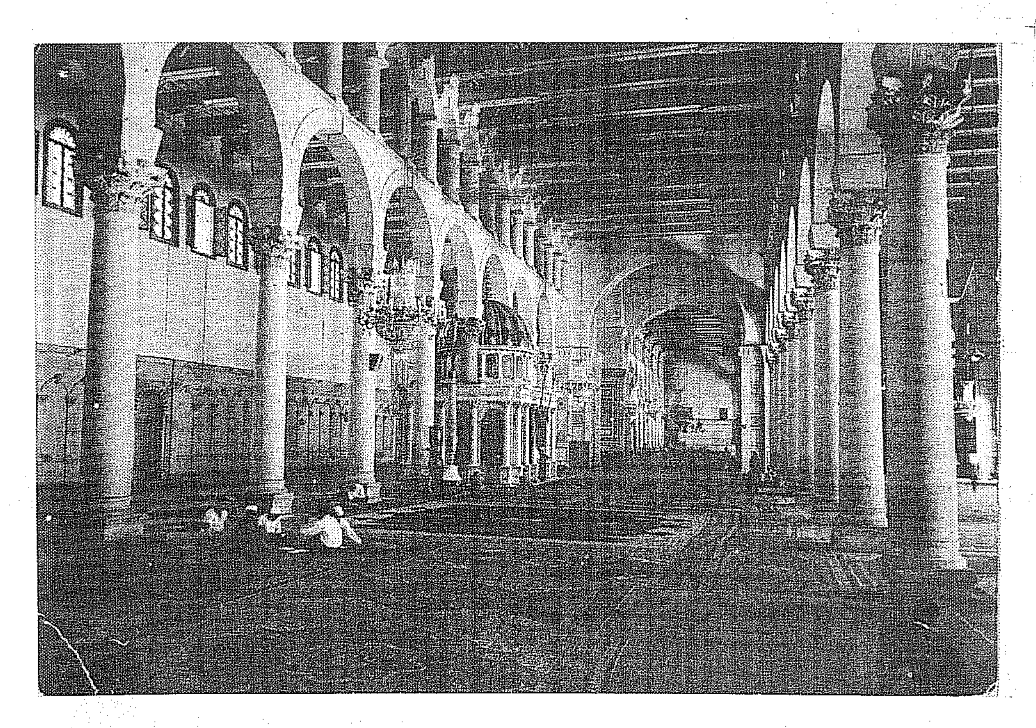
للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

كان للمجالس العلمية اثرها فى تقدم العلم وتطوره ، اذ كان العلم من اهم مظاهر الحياة العقلية والانسانية لأنه كان سمة العصر وطابعه ، ولن يقل أثره فى حياة الانسان عن الفن أو الفلسفة أو الدين .

واستطاع العلماء بفضل تشجيع الخلفاء وبما اكتسبوا من خبرات ومران أن يصنفوا المعارف العلمية ، أن يستنبطوا القوانين والمشاهدات والتجارب والملاحظات التى تسجل بعناية ودقة ، وسميت طريقة استقراء النظريات والفروض والقوانين بالطريقة العلمية أو التجريبية وهذه دفعت الابحاث العلمية الى الامام وجعلت العلم ينمو ويتقدم ويتفرع ليشمل آفاقا جديدة .

ولما كان العلم يصنع المعرفة عن طريق البحث المنظم والدراسة المنطقية لنتائج البحث العلمى وأصبح للمعرفة العلمية تقاليدها وطرائقها التى تقتضى من الباحث أن يحصر جهده فى تجربة معينة يستوحى منها آراءه وآراء من سبقوه ، ويعنى العلم بدراسة ظواهر الحياة والاحياء عن طريق التجربة والاختبار والمشاهدة ، ويعتبر العالم العربى ابن الهيثم مبتكر الطريقة العلمية التى تجمع الحقائق وفق خطة محددة ودراستها منطقيا لتتمشى مع الواقع ولا ريب أن العلماء الذين يتابعون تطور المسائل العلمية يكتب لهم التوفيق فى دراساتهم وأبحاثهم ، وعندما يمارس العلماء أبحاثهم لكشف الظواهر ويستخدمون ملكاتهم العقلية في جمع المشاهدات وافتراض الفروض للربط بين المشاهدات ليختبروا حقيقة الفروض أو خطأها ولهذا فالعلم لا يتعلمه الانسان من الكتب لكن يصل اليه بالممارسة الفعلية للتجارب والمشاهدات .

ولقد رفع الدين الاسلامى من قدر العلماء ، وشحذ هممهم وحث على طلب العلم ، وكانت المساجد معاهد علمية تعقد بها الندوات هى فى ذلك

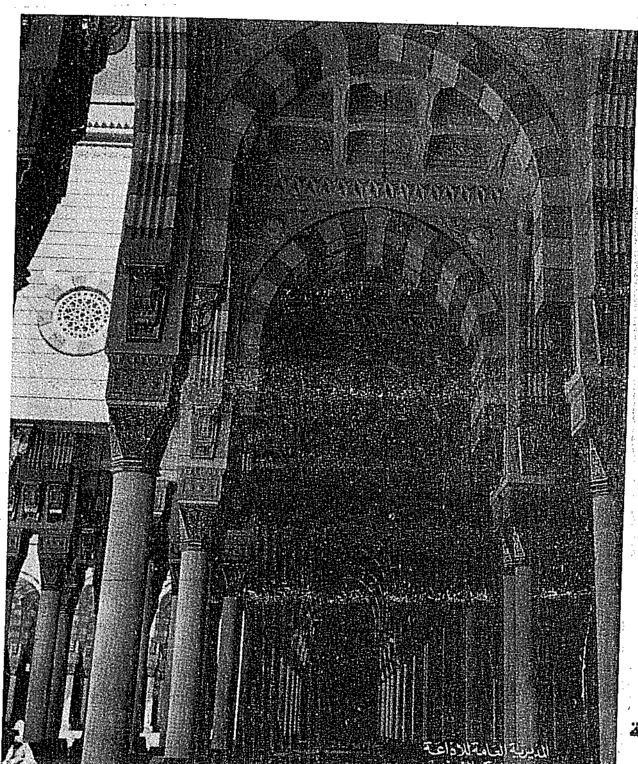


الجامع الاموى من الداخل

مثل قصور الخلفاء والامراء والعلماء وفى داخل المكتبات ، وكان خلفاء بنى العباس يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم مراكز تشع منها الثقافة والمعرفة وقبلة يلتقى فيها العلماء والأدباء وكان المعتضد بالله العباسى قد خصص فى قصره أماكن ومساكن يجلس فى كل واحد منها رئيس كل صناعة علمية وصاحب أى نظرية ويمنحهم العطايا ويغدق عليهم الأموال ، وارتبطت قصور الخلفاء منذ العصر الأموى بالندوات والمجالس العلمية التى بدأت تنمو وتزدهر بوضوح فى عصر عبد الملك ابن مروان والوليد ابنه .

لكنها بلغت الذروة أيام بنى العباس اذ اتخذت هذه القصور والمجالس أهمية خاصة لتناسب تقدم العصر ورخاء الدولة ، ويشيد (هوجز) بعصر المأمون ويعتبره أزهى عصور النهضة فى العالم الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من جهابذة العلماء واختار رجال دولته من صفوة العلماء وجهابذتهم هذا الى جانب الأساتذة والمترجمين والمفكرين الذين زخر بهم بلاط المأمون ، ولقد أطنب المؤرخ سيد أمير على فى وصف بلاط المأمون فقال : (ان بلاطه كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم الخليفة من كل صوب وشملهم برعايته على اختلاف جنسياتهم) .

ولما ضعفت الخلافة العباسية وانتقلت المراكز العلمية الى الولايات والامصار الاسلامية فى مصر والشام حيث استقلت هذه الدويلات عن الدولة الأم عقدت مجلس العلم فى قصور حكام هذه الدويلات التى لم تعد تقتصر على المسائل



ايوان مسجد الرسول بالمدينة

الدينية بل تعدتها الى علوم اللغة والمنطق والطب والفلك فقد شملت الدروس التى ألقيت بالمسجد الطولونى بالقطائع دروس فى التفسير والحديث والفقه والطب والفلك وغيرها .

وهكذا نشأت المدارس التى كانت أول الأمر تقوم بتعليم العلوم الدينية ثم عرفت العلوم الدنيوية « كما كانت تعرف آنذاك » وهى الطب والفلك والكيمياء والصيدلة وقد أمر الخليفة المستنصر أن يعين طبيب حاذق بمدرسة المستنصرية يتعلم على يديه بعض الطلبة وكان بالمدرسة المستنصرية ايوان بوسطه قاعة للمحاضرات وبه مساكن الطلبة والاساتذة وهذه أشبه بالمدينة الجامعية فى العصر الحديث وعلى هذا النحو بدا ظهور المدارس النظامية وفى سوريا أنشأ نور الدين زنكى المدرسة النورية ونشأت فى بغداد وبعض المدن العراقية مدارس على الاساليب الحديثة أما مدارس الطب فقد أقيمت فى المستشفيات ليمكن التطبيق العملى والنظرى للنظريات العلمية فى مكان واحد حيث يتجمع الدارسون ويجرون التجارب ويشاهدون عمليا الامراض والعمليات الجراحية التى تقع وتحدث كل يوم بين أيديهم .

وجاءت الخطوة التالية بانشاء المكتبات العامة التى كانت تمد لاستقبال أفراد الشعب وكانت المكتبات موضع اهتمام المسلمين لادراكهم فوائدها فخصصوا لها الغرف المتعددة والاروقة الفسيحة وأقاموا بها الرفوف لوضع الكتب بينما اتخذوا الاروقة مكانا للمطالعة وبعض الغرف الاخرى لنسخ الكتب والبعض للدراسة والبحث .

وروى المؤرخ المقريزى أن دار الحكمة فى القاهرة لم تفتح أبوابها الا بعد أن تم فرشها وعلقت على جدرانها وجميع أبوابها الستائر وعين لها الخدم الذين



المدرسة المستنصرية ببغداد منظر عام من الداخل يبين المدخل الاصلى للمدرسة بعد صيانتها .

اختصوا بخدمة القراء وتلبية طلباتهم وكانت تضم نحو ثمانية عشر ألف مجلد وهى فى متناول كل قارىء ويستطيع أى انسان أن يحصل بنفسه على الكتاب الذي يريد ، واذا وكان للمكتبة فهارس منظمة يشرف على هذه المكتبات علماء ممتازون مثل سهل بن هارون أمين مكتبة بيت الحكمة فى بغداد وعلى بن محمد الشابشتى أمين دار الحكمة بالقاهرة.

وكان بالمكتبات العامة والخاصة المترجمون والنساخ وقد عين فى دار الحكمة بالقاهرة عدد من النساخ ليزودوا خزانة الكتب بما عساه الا يكون موجودا فيها ، كما كان بمكتبة بنى عامر بطرابلس بالشام نساخ لا ينقطعون عن العمل ليل نهار وكانت منزلة العلماء ومكانتهم رفيعة وفى رسالة أحد الخلفاء قوله : « اعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء ، وتجلو بنورها صور الأشياء » .

وكان العلماء مراتب يعين كبيرهم صغيرهم يأخذ بيده ويعاونه حتى يغدو من العلماء وهناك الشيوخ « الأساتذة الجامعيون » وهناك المدرسون والمعيدون ومهمتهم اعادة الدرس بعد انتهاء الشيخ من القائه فالمعيد يجلس مع الطلاب لسماع المحاضرة ثم يقوم بشرح النقط الصعبة على محدودى الذكاء ، وكان المعيدون يصحبون الأساتذة ويعملون معهم ، وكان للعلماء زى خاص يميزهم عن غيرهم

ويروى ليد بول عن الأزهر قوله : انه كان يجتمع فيه الطلاب من مختلف البلاد الاسلامية من ساحل الذهب حتى الملايو وحدد رواق خاص لكل قطر من الاقطار ويتلقى الطلاب دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين وهكذا كان الأزهر نموذجا لمجانية

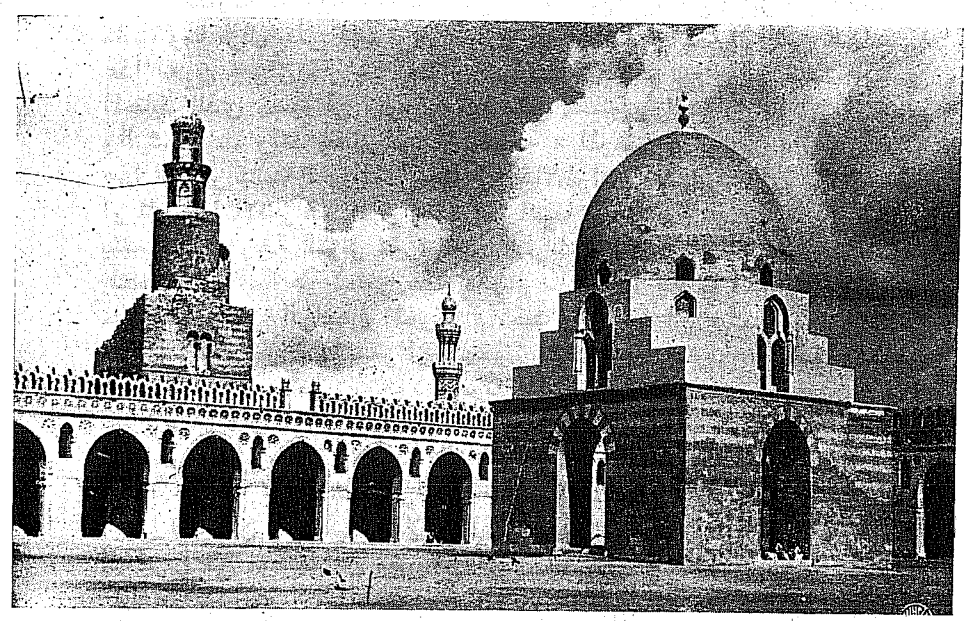
التعليم للطلبة على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب .

وقد تعددت المراكز العلمية فـــي المدينة والكوفة والبصرة والقاهـــرة واليمن وأصبح لكل مدرسة طابعهـــا المميز وكان الطلبة يسعون الـــى حلقات الدرس لينتفعوا بعلم الاساتذة كما كانوا يرحلون فى حماس بالــغ عبرآسيا وافريقيا وأوروبا ثم يعودون الى بلادهم ويعكفون على التـــدوين ويؤلفون كتبا أشبه بدوائر المعارف وهذه الكتب كانت مصادر العلـــوم الحديثة .

ومن اشهر العلما الرحالة ياقوت الحموى وابن جبيـــر وابن بطوطة والمقدسى وغيرهم وهؤلاء كانـــوا رواد البحث والتأليف فى العصـــور الاسلامية .



الجامع الازهر فى القـــاهرة



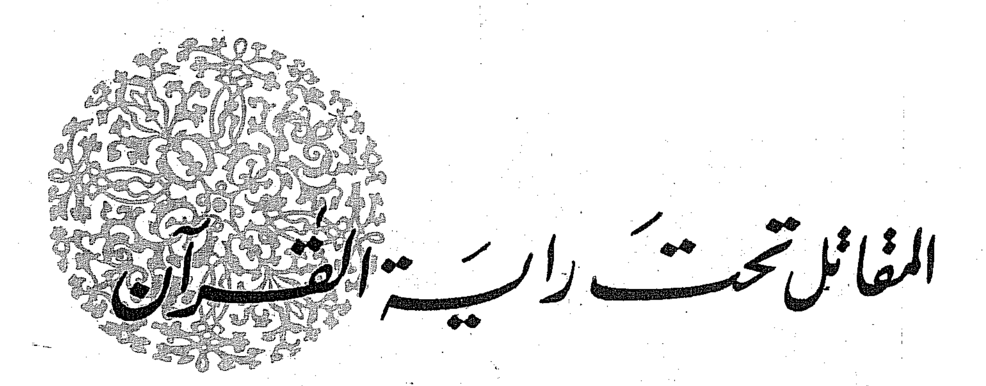
صحن جامع ابن طولون وبه قبة ومنارة المنصور

وهكـــذا ســـطعت الحضـــارة الاسلامية فى هذه العصور الزاهرة لتشجيع الخلفاء للعلماء وكيف هيأوا الاسباب لنشر العلم والمعرفة فـــى ارجاء الدولة الاسلامية مما جعل هذه الحقبة خاصـــة القـــرن الخامس الهجرى أزهى عصور البحث العلمى عبر العصور الاسلامية .



المعارك الفكرية اللافحة التي نشبت بين الرافعي وغيره من الأدباء ، كانت وما تزال على المستوى الفكرى من أخصب المعارك التي شهدها هذا القرن ، وان كان قد تخللها كثير مما لا يتلاءم مع روح البحث العلمى المحايد الذى يجب أن يكون دائما على مستوى الحوار الثرى والعف والرشيد .. ولقد يخيل الى أن طبيعة « الموضوع » الذى دار من حوله هذا الحوار كانت السبب فى جنوح كل الأطراف المتصارعة الى هذا الشطط أو قل هذا الاسراف .. واعتقد أننا لسنا فى حاجة الى تأكيد أن الحوار ينفعل الى درجة التوتر حين يكون التراث أو الدين أو اللغة أو الموقف الحضارى للأمة هو محور هذا الحوار .. وهذا هو ما حدث بالفعل ـ حتى لقد خاض الرافعى المعركة « تحت راية القرآن » ـ اسم واحد من كتبه ـ لأنه كان يستشعر أن الهجوم على الأدب العربى أو اللغة العربية هجوم على خصائص الوجود العربى المسلم فى الصميم ، وليس مجرد ثورة عارمة تريد أن تضع الأدب واللغة فى مهب الرياحات النقدية المعاصرة حتي يأخذا وجههما المعاصر والحضورى ، ويكتسبا من خلال هذا اللقاء حصانة أقوى ضد عوامل التفتت أو التخلف أو الجمود !!

لقد كان الرافعى رجلا يقاتل وهو يكتب .. حتى حين يتصدى للغابرين فى موقفهم من قضية الاعجاز القرآنى تراه ثائرا ومقاتلا بسلاحه المألوف الذى هو « العاطفة » وهذا وحده يؤكد أن موقفه من المجددين وعلى رأسهم طه حسين لم يكن تعصبا منه ضد فرد معين أو جماعة معينة أو مرحلة بذاتها .. بقدر ما هو تعصب لفكرة .. أو عقيدة .. أو قضية آمن بها ايمانه بالحياة !!! وحتى لا نرسل الكلام عاريا من الدليل فسنسوق هنا مثالين من كتابه (اعجاز القرآن) لنرى الى أي حد كان الرافعي « عاطفيا »



المقاتل تحت راية القرآن

للأستاذ : محمد أحمد العزب

فى حواره الفكرى ، وغير متعصب ضد « واحد » بعينه من الناس ، وانما هو غاضب لدينه ولغته وقرآنه ..

فى صفحة ٤٧ وفى معرض التعليل لنزول القرآن بلغة قريش يقول الرافعى : « ان طائفة من الناس يذهبون الى أن القرآن لو هو قد نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير القرشية لكان ذلك وجها من اعجـــازه تلتمس به الحجة ويستبين الظفر ، ولخلى عنه العرب فترة وعجزا ، وهو زعم لا يقول به الا احد رجلين : من لا يدرى كيف يقول .. أو من يقول ولا يبالى أن يدرى أنك مطلع منه على جهل وسفه » !!

حقيقى .. أن الرافعى بعد هذا التوتر العاطفى فى رده على زعم من زعم أو قول من قال ، دافع دفاعا رائعا عن نزول القرآن الكريم بلغة قريش .. ولكن ذلك لا يعفيه ــ وهو الكاتب المسلم الملتزم ــ من لوم يوجه اليه على ما أسلف من تجهيل وتسفيه ولا أدرية لرأى المعارضة مهما كان هذا الرأى باطلا ومرفوضا .. وهو بالتأكيد باطل ومرفوض !!

وفى فصل « تأثير القرآن فى اللغة » من كتاب الاعجاز أيضا يعرض الرافعى لآيات من القرآن الكريم كوثيقة من أروع ما يمكن أن نواجه بـــه مطاعن الحاقدين على هذا الدين السوى ، الا أنه كشأنه دائما يقف مـــن الآيات موقفا يحدده اطار من التوتر والانبهار العاطفى الذى يلون كتاباته أبدا .. ولقد كان فى استطاعته أن يعرض هذا الموقف فى اطار من الحوار العقلى العميق الذى يتناول القضايا تناولا مقارنا ذكيا يهدف الى مقابلة كل شىء بكل شىء ، ثم ينتهى الى « حقيقة علمية » تؤكد أن مشارق الضوء فى تراثنا اغنى من مشارق الضوء فى كل التراثات .. الا أنه لم يفعل بل لجأ الي التحديق العاطفي المبهور فى النص .. ونسى أو كاد أن قضيتــه

الاولى هى أن يقنع بالدليل لا بالسوط .. وأن يكتب بالقلم لا بالخنجر !!!
لقد كان الرافعى كما أسلفت قضية عاطفية صادقة ، وقد نضح ذلك على أسلوبه فى معالجة الأشياء ..

وكان رجلا يغار على شرقه العربى المسلم ، ويرى فى مجرد ارتباط رجل شرقى بامرأة أوربية — مهما كان هذا الارتباط على مستوى الفردية وليس على مستوى الظاهرة — شيئا يدمر مملكة العرف ، ويهز قواعد الأخلاق !!

فى فصل « الربيطة » من كتابه الرائع « السحاب الاحمر » يشهر الرافعى الغيور قلمه المقتدر سلاحا على واحد ممن ارتبط بأوربية على هذا النسق فيصفه مثلا بهذه الكلمات : « وكان من هؤلاء الفتيان الذين اذا تعلموا فى اوربا نفوا جهلهم بالعلم ، ثم نفوا علمهم بجهل آخر ، ثم جاءونا كحرفى النفى : ما .. ولا .. فليس منهم الا التكذيب والانكار والشك .. وتراهم أظرف واجمل وأزهى من فراشة الربيع ، لا يريدون الحياة الا ازهارا ، ولا يطيقونها الا ربيعا ، وعلى أزهارهم وربيعهم فليس لنا منهم الا نقط من الالوان ، وأصوات من الطنين ، وأجسام ليس فيها رجالها » !!

هكذا يصور الرافعى واحدا من هؤلاء .. فاذا سلمنا بكل مضمون ما قال فنحن لا نستطيع من خلال منظور اسلامى قاصد منضبط أن نسلم باطار ما قال .. ولو أنه خلص هذا الفصل الرائع بحق « الربيطة » مما فيه من عرامة وتجهيل للآخرين .. لتبقى لنا منه بعد ذلك واحد من أروع ما كتب فى هذا الصدد .. بعيدا عن كل اسراف فى الحكم أو مغالاة فى التقدير .. فالرافعى لا يقف من المسألة موقفا دائريا يغلق الحديث فيها حول نقطة واحدة لا يتعداها الى غيرها كما يفعل الكثيرون .. ولكنه يتنقل بفكره الطائر .. وحساسيته المرهفة .. فى كل زاوية من زواياها .. قادرا فى كل سطر من سطورها على طرح الاسئلة وعلى بذل الاجابات

ان غيرة الرافعى على شرقه .. وعروبته .. واسلامه .. مرتبطة فى ذهنه بمواريث كثيرة .. بالخوف من تتارية أخرى تولد على أرض المنطقة .. يمهد لها فكر منحل .. وعرى مفكوكة .. وعزم شليل !!! وبالخوف من هولاكو آخر يدمر فى زحفه وجه حضارة الشرق !!! وبالخوف من شعوبية من لون جديد تسدل بظلام قلبها الواغر آلاف الأقنعة السوداء على روح تاريخنا كله .. فى القديم والحديث !!!

ولندع هذا التجريد الذى ربما تحيفنا فيه الرافعى أكثر مما انصفناه .. الى نوع من التحديد المسئول فيه للرافعى منطلقات تحدد مساره الفكرى والعاطفى جميعا فى تصديه للدفاع عن الدين واللغة ..

أول هذه المنطلقات : ابراز الحقائق الموضوعية الكبيرة التى ينطوى عليها الاسلام كدين شمولى ابرازا مجردا وفاهما وعميقا ، وربما استبان ذلك أكثر فأكثر فى كتابه « اعجاز القرآن » فهو فى هذا الكتاب يحرك القضايا تحريكا موضوعيا عميقا ، وان لونته فى بعض اللحظات أو كثير منها انفعالات عاطفية صاخبة كم كان يكون رائعا لو انه تحاماها عبر كل السطور !!

وثانى هذه المنطلقات : الدفاع البطولى عن الاسلام ضد كل المفتريات التى تستضرى دائما من حوله ، ويستبين ذلك أوضح فأوضح فى كتابيه

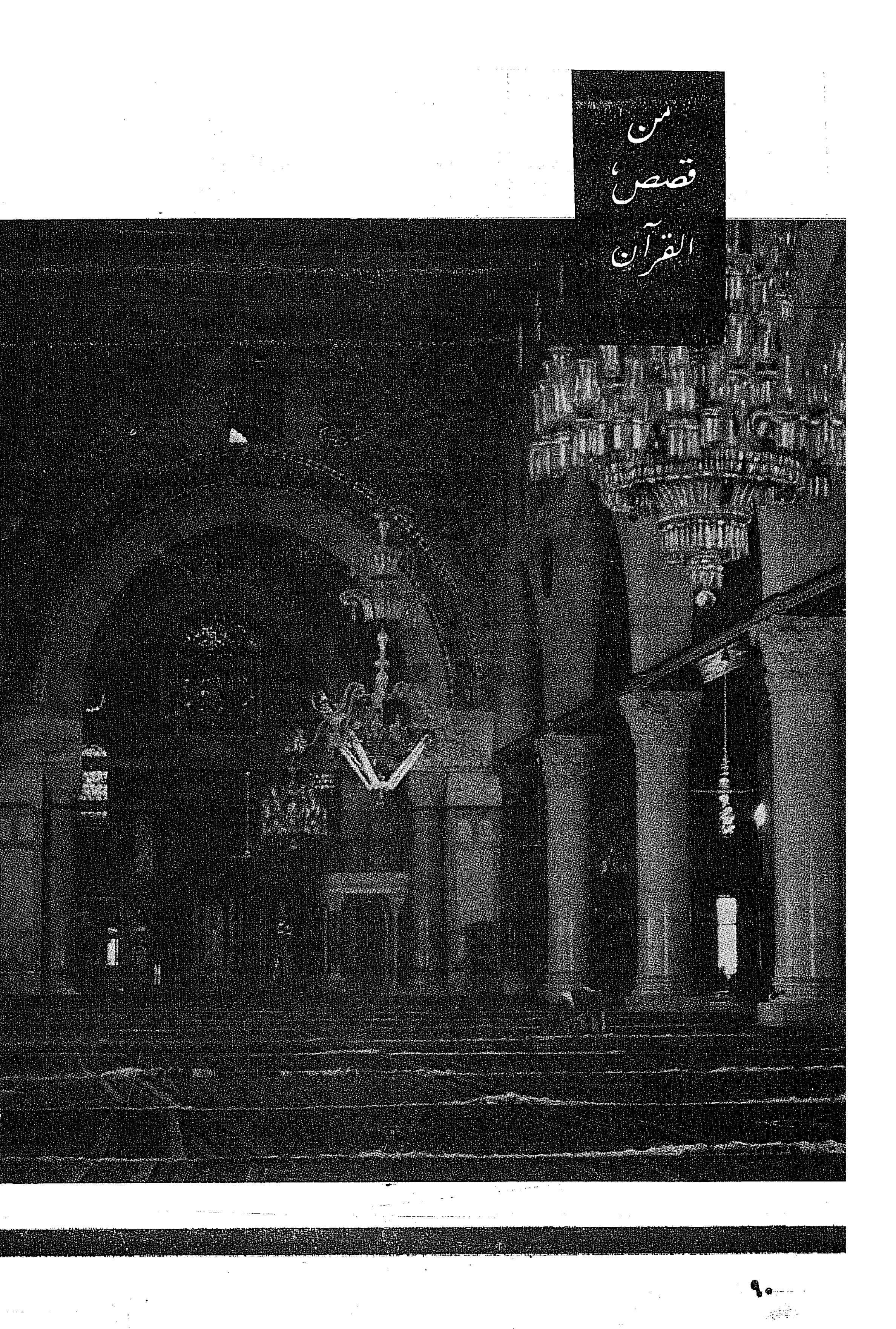
« تحت راية القرآن » و « وحي القلم » فلقد خاض الرجل معركة فكرية وعقائدية معا .. واجه فيها كل أنماط القوى وكل أشكال الصراعات ، ولم يكن منازلوه ناسا من الناس الذين يمكن أن يظفر بهم فى جولة أو جولات .. وانما كانوا طلائع فكرية مثقفة ومدربة على الحوار .. سلحتها الثقافة الهائلة بكل ألوان القدرة على مواصلة الجدل .. مما يصعب معه أن يتصدى لدفع تيارهم جيل بأكمله لم تتح له المكونات الثقافية التى أتيحت لهم .. فضلاً عن واحد فقط من الناس .. ولكن الرافعى والحق يقال صمد فى معركته حتى النهاية وهو وان يكن قد كبا فى بعض جولاته الا أنه انتصر كذلك فى كثير منها ، وحسبك من رجل أن يجابه طوفانا ويظل صامدا شامخا لا يحنى له رأسا !!

وثالث هذه المنطلقات : التسلق الى آفاق النضال عن الدين واللغة من خلال التأمل الكوني ، والتصوف العاكف فى رحاب الطبيعة ومجاليها الفساح .. ويتضح ذلك أشمل فأشمل فى كل كتبه الأخرى اذا استثنينا منها ما وقفه على فلسفة الجمال والحب « كرسائل الاحزان » و « أوراق الورد » .. حتى هذه أيضا لم تكن تخلو من الحوار الهادف الى تجلية غوامض الاسرار فى الكون ، وسيطرة القوى الخالقة على نمط الاعجاز فى تدافع سيرها المنتظم المجلان فى آن !!

هذا التقسيم .. لا يعنى أن كل طائفة من الكتب تنهض بمضمون محدد يشكل فى النهاية منطلقا معينا لا يتعداه الى غيره من المضامين .. فقد تتشابك المضامين وتختلط .. ربما أكثر فى كتبه التى لا تقوم على منهج مسبق .. فهذه فى مجموعها تضم مقالات متعددة ، ان دار أكثرها حول محور واحد فلا يلبث باقيها أن يدور حول محاور مختلفة .. نستطيع أن نرى ذلك مثلا فى كتابه الرائع « وحى القلم » ومثله فى كتابه « المساكين » الا أن ذلك لا ينفى أن كتبا بكاملها تنهض على محور واحد تدور حوله ولا تخرج عليه .. ككتابه الفذ « اعجاز القرآن » فلقد محضه الرافعي من بدئه لختامه .. لفكرة الاعجاز لا يتعداها الى غيرها ابدا !!

وبعد ..

فان أقلاما ضارية ومتسرعة قد حاولت أن تهدم فى الرافعى قلعة من قلاعنا الشاهقة .. ولكنها لم تفلح فى ذلك على ما يخيل الى .. وان كانت قد أفلحت فى شىء قريب منه .. هو أنها استطاعت أن تعطى للجماهير القارئة عن الرافعى انطباعا صرف عنه كتلا هائلة من الجماهير تحت زعم أنه كاتب « متحفى » يعيش فى عصر غير هذا العصر .. أو أنه كاتب ضحل المفاهيم لا شىء عنده يقوله وانما هو يلجأ الى تعمية الاشياء حتى يقال انه فيلسوف .. الى آخر هذه المطاعن الراعنة التى يجب أن نواجهها على مستوى التحرر الكامل ، فنقول فى الرافعى ما له .. وما عليه .. دون أن يجذبنا عدم الفهم الى مناطق الرجم بالحجارة لواحد من أخصب كتابنا الغيورين فى هذه الحقبة .. وآمل أن أكون قد أضأت بصيصا من هذا الذي أرجوه عبر هذه المحاولة في هذه السطور !!


من
قصص
القرآن

مريم العذراء والمسيح

عليهما السلام ..

للدكتور : مصطفى عبد الواحد

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » .

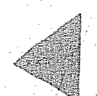
سورة آل عمران سورة مدنية نزلت بعد سورة الأنفال وفيها مائتا آية، وسميت بآل عمران لأنه ورد فيها قصة مريم بنت عمران وابنها عيسى عليه السلام ..

. . . .

حنة بنت فاقود : انظر يا عمران الى هذا الطائر الذى يزق فراخه .. يا له من حنان يحرك القلوب !

عمران : لماذا تذكرين هذا يا حنة .. أولست راضية بحكم الله ؟ إنه يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور .. وهو كذلك يجعل من يشاء عقيما ..

حنة : لست ساخطة على حكم الله يا عمران .. ولكن رحمته وسعت كل شيء .. ولا حرج على فضله ، فماذا لو تمنيت أن يمن عليّ بوليد ..؟!



. . . .

عمـــــران : أنت وذاك يا حنة .. ولا أملك الا أن ادعـــو الله أن يحقق رجاءك ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار .
(واستجاب الله لدعاء حنة وزوجها عمران ، وحملت حنة بعد أن كانت عقيما) .

حنة (فى فرح) : إنك لمبارك يا عمران .. ما أسرع مـــا استجاب الله لدعائك ..

عمـــــران : فلتقرى عينـــا يا حنة .. وليكن لك فى هـــذا المولود المنتظر خير وبركة .

حنـــــــة : إننى لا أجد ما أشكر به ربى وأستزيد من نعمته إلا أن أجعل ما فى بطنى نذرا لله .. حبيسا للعبادة والخدمة فى بيت المقدس ..

عمـــــران : ذلك بعض ما يجب علينا من الشكر لنعمة الله ..
(وجاء حنة المخاض ، ووضعت مريم عليها السلام) .

حنـــــــة : « رب .. إنى وضعتها أنثى » .

عمـــــران : ما هذا يا حنة ؟ أوليس الله اعلم بما وضعت ؟

حنـــــــة : بلى يا عمــــران .. ولكنى نذرت مـــا فى بطنى محررا لخدمة بيت المقدس وهـــذه أنثى .. « وليس الذكـــر كالأنثى وانى سميتها مريم (رباه) .. وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

عمـــــران : ما أرى الا قد استجيب لك يا حنة .. فما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا ، أما مولودتك هذه فقد ولدت هادئة مبتسمة ، وتلك بشارة القبول .

حنـــــــة : إنها نبتة مباركة ، نذرتها لله قبل أن تولد ، ولا بد أن أغرسها فى مهد العبادة ، وأجعل كفالتها بيد الرهبان خدام بيت المقدس .
« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نبـــاتا حسنا وكفلها زكريا » .

قـــال زكريـــا : أيها العباد القانتون .. تلك مريم بنت عمران جاءت بها أمها بعد أن وضعتها الى المسجد ، تريد أن يقوم على كفالتها عباد الله ..

الرهبــــــان : أهلا بها فرعا مباركا من شجرة مباركة .. ابنة شيخنا وإمامنا عمران ..

زكـــــريا : أتأذنون لى بكفالتها أيها الرهبان ؟

الرهبــــــان : كلنا نريد ذلك الشرف يا نبى الله ..

قـــال زكريـــا : فلنقترع على هذا الأمر ، فأينما خرجت قرعته رضينـــا به كفيلا لمريم ..

الرهبـــان : نعم .. نعم .. ذلك فصل الخطاب ..

قـال زكريـا : ليلق كل منا قلمه فى النهر .. فأينا جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ..
« وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون » .
(فكان زكريا عليه السلام هو الغالب لهم ، فكفلها اذ كان احق بذلك شرعا وقدرا .. وكان ذلك تشريفا لمريم وتكريما ..)

قـال زكريـا : ليس لك من عمل يا مريم إلا العبادة .. وليس لك من دار الا المسجد .. وقد جعلت لك فيه مكانا لا يدخله سواك تعبدين فيه ربك .. وتقومين بما يجب عليك من سدانة بيته .

• • • • • • •

راهـب : اى بركة تلك التى أصابت تلك الفتاة .. لقد أصبحت مريم ابنة عمران مثلا فى العبادة لبنى اسرائيل ..

قـال زكريـا : إنى لأعجب من أحوالك الكريمة يا مريم .. كلما دخلت عليك المحراب وجدت عندك رزقا غريبا .. فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فأنى لك هذا ؟!

مريـم : « هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

قـال زكريـا : ما أوسع رحمتك على عبادك يا رب .. وما أسبغ نعمتك على من يخلصون فى عبادتك ، فلا حرج على إن طمعت فى فضلك .. يا من يرزق مريم الثمر فى غير أوانه هب لى ولدا ، وان كان فى غير أوانه ..
« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » .

• • • • • • •

مريـم : رباه .. لقد أخلصت فى عبادتك .. فهل أطمع فى قبولك .. واستشرفت الى رضاك فهل انال رحمتك يوم القاك .. لو أعلم عملا يقربنى اليك اكثر مما اعلم لسارعت إليه .
« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » .

مريـم : ما أبهى طاعتك يا مولاى .. وما أشرف السجود لك .. وما أكرم الوقوف بين يديك .. ان لطاعتك لذة أحلى من الدنيا وما فيها ..

• • • • • • •

« اذ قالت الملائكة يـا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكـلم الناس فى المهـد وكهـلا ومن الصالحين » .

مريـــــم : رباه .. ماذا أسمع « انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » ماذا يقول عنى قومى ..؟
« قال كذلك الله يخلق ما يشـاء اذا قضى أمرا فانمـا يقول له كن فيكون » .
« واذكـر فى الكتاب مريم إذ انتبـذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » .

مريـــــم : ماذا يقـول عنى بنو اسرائيـل حين يعلمون اننى قد حملت .. هل يصدقون بآية الله ..؟ أم تنطلق منهم السنة السوء .. رباه فاجعل لى من هذا الهم مخرجا .

• • • • • • •

يوسف النجار : ماذا بك يا مريم ؟..
مريـــــم : لا شيء يابن الخال ، فماذا ترى بى ؟
يوســـف : هل يكون زرع من غير بذر ..؟
مريـــــم : نعم يا يوسف .. والا فمن خلق الزرع الأول ؟
يوسف النجار : ما أعجب أمرك .. هل يكون ولد من غير ذكر ؟
مريـــــم : نعم يا يوسف .. ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
يوســـف : فأخبرينى خبرك يا مريم ..
مريـــــم : ان الله بشرنى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم النـاس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ..
يوســـف : ما أعظم المعجـزة .. ولكنى أخاف عليـك السنة بنى اسرائيل وانت القانتة الطاهرة .
مريـــــم : حسبى علم الله .. وانه لقادر أن يبرئنى ويظهر طهارتى من كل دنس ..
يوســـف : فلتكن إرادة الله ..

• • • • • • •

« فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » .

مريـــــم : إلهى .. هكذا شاءت إرادتك أن تبتلينى .. وان تجعل منى آية للعالمين .. ولكنى حملت من الهم ما تنوء بـه الجبال .. فماذا يقول عنى بنو اسرائيل حين أدخـل

عليهم بغلام احمله على يدى .. وأنا من بيت النبـوة والديانة ..

« فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى ؛ إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا » .

ومضت أربعون يوما .. ورجعت مريم الى قومها بعد أن افتقدوها .. وهى تحمل ولدها ..

الرهبـان : ما هذا يا مريم .. من اين لك هذا الغلام ؟..

صـوت : « لقد جئت شيئا فريا » .

صـوت : « يا أخت هـارون ما كان ابوك أمرا سوء وما كانت امك بغيا » .

« فأشارت اليه .. » .

الرهبـان : « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » ..

تـلاوة : « قال انى عبد الله آتانى الكتـاب وجعلنى نبيـا . وجعلنى مباركا اينما كنت وأوصانى بالصـلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

. . . .

راهـب : ما أعجب تلك الآية التى ظهرت فى مريم وابنها عيسى .. لقد تكلم فى المهد وبرأها من كل فرية ..

راهب آخـر : أو ما علمت برسل ملك الفرس ؟.. لقـد ظهر نجم عظيم فى السـماء ، فأشـفق ملك الفرس من ظهوره وسأل كهنته عنه فقالوا هذا لمولد عظيم فى بيت المقدس .. فبعث رسله الى الشام .. حتى قدموا بيت المقدس بهداياهم الى مريم ..

الـراهب : لقد علمت بهذا الوفد .. وعلمت أن ملك الفرس بعث مع هذا الوفد من يقتل عيسى بعد أن يخرج رسل الملك الذين يحملون الهدايا اليه ..

(وخرجت مريم هاربة بابنها عيسى ، فذهبت به الى مصر وأقامت به حتى بلغ اثنتى عشرة سنة .. ثم أمر الله عيسى وأمه أن يخرجـا من مصر ويرجع الى بيت المقدس ، فأقام بها حتى علمه الله التوراة وأوحى اليه الانجيل ، وأظهر على يديه الآيات ..)

« واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس » .

. . . .

(وبينما كان عيسى عليه السلام يتعبد فى رأس جبـل إذ جاءه ابليس .)

ابليـــــس : يا عيسى .. انت الذى تزعم أن كل شىء بقضاء وقدر ؟
قـال عيسى : نعم .. يا عدو الله ..
ابليـــــس : فالق بنفسك من هذا الجبل وقل قدر علىّ ..
قـال عيسى : يا لعين ، ان الله هو الذى يختبر العباد وليس العباد هم الذين يختبرون ربهم ..
ابليـــــس : يا عيسى .. أنت الذى بلغ من عظـم ربوبيتك انـك تكلمت فى المهد صبيا .. ولم يتكلم فيه أحد من قبلك !
قـال عيسى : بل الربوبية للاله الذى أنطقنى ثم يميتنى ثم يحيينى .
ابليـــــس : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تحيى الموتى .
قـال عيسى : بل الربوبية لله الذى يحيي ويميت من أحييت ثم يحييه .
ابليـــــس : لا يا عيسى .. إنك لإله فى السماء وإله فى الأرض ..
قـال عيسى : أمض عنى يا لعين . اللهم انصرنى عليه ..

(وجاء جبريل فصك ابليس بجناحه صكة خسفت به الأرض .. فخرج وهو يقول :)

ابليـــــس : ما لقيت من أحد مثلما لقيت من عيسى ابن مريم .. انه لعبد معصوم ليس لى عليه من سبيل .. وسأضل به بشرا كثيرا .. وأبث فيهم أهواء مختلفة .. وأجعلهم شيعا يجعلونه وأمه إلهين من دون الله ..

. . . .

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل » .

قـال عيسى : يا بنى اسرائيل .. إنى رسول الله إليكم .. لاقيم لكم التوراة ولأجدد فيكم التوحيد والايمان ..
اصـــوات : رسول جديد ..؟ ما لنا وله..ان فى أيدينا توراة موسى
صـــوت : أتستطيع يا عيسى أن تخبرنى بما خبأت فى بيتى ؟..

(ضحك واصوات استهزاء ...)

قـال عيسى : لا تعجبوا ولا تهـزأوا يا بنى اسرائيـل ، فان الله قد أيدنى بروح القدس .
تـــلاوة : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخـرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .

(ومضى عيسى فى دعوته لبنى اسرائيل وآيـات الله تؤيده بالمعجزات ، وكان أعظم معجزاته احياء الموتى باذن الله .. وكان أول ما أحيا من الموتى انه مر ذات يوم على امرأة تبكى عند قبر :)

قـال عيسى : مالك ايتها المرأة ؟
المـــرأة : ماتت ابنتى ، وليس لى ولد غيرها ، ولقد عاهـدت ربى أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله فأنظر اليها ..
قـال عيسى : فان نظرت اليها .. أترجعين وتتركين هذا المكان ؟
المـــرأة : نعم .. فكيف لى بذلك ..؟

قـال عيسـى : صبرا .. سترين الآن .. قومى أيتهـا الفتـاة باذن الرحمن فاخرجى ..

(وخرجت الفتاة من القبر ، ثم اقبلت على امها فقالت :)

ـ يا أماه .. ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين .. يا أماه اصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا .. وانت يا روح الله وكلمته سل ربى أن يردنى الى الآخرة وأن تهون على كرب الموت .

المـراة لعيسى : يا لك من مبارك أيها الرجـل .. ما كنت أدرى انك عيسى بن مريم .. اشهد انك رسول الله ..

* * * * * *

(وبلغت اليهود تلك المعجزات فكانوا يزدادون عليـه غضـبا .. وكان الكافرون والمنافقون يزدادون شـكا وكفرانا .. فوشوا به الى الحاكم الرومانى بيلاطس .)

« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ..

يقـول عيسى : يا معشر الحواريين .. احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة .. هـا قد فرغتم من طعامكم فدعـونى أغسل أيديكم واوضئكم بيدى ..

الحـــواريون : معاذ الله يا روح الله وكلمته ..

يقـول عيسى : من رد علىّ شيئا الليـلة مما أصـنع فليس منى ولا أنا منه ..

الحـــواريون : ماذا أردت بذلك الذى صنعت بنا ..؟

قـال عيسـى : اما ما صنعت بكم الليلة فليكن لكم بى اسوة ، فلا يتعظم بعضكم على بعض .. وليبذل بعضكم لبعض نفسـه كما بذلت نفسى لكم ..

الحـــواريون : سمعا وطاعة يا نبى الله ..

قـال عيسـى : ثم ان لى اليكم حاجة أستعينكم عليها .. تدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى ..

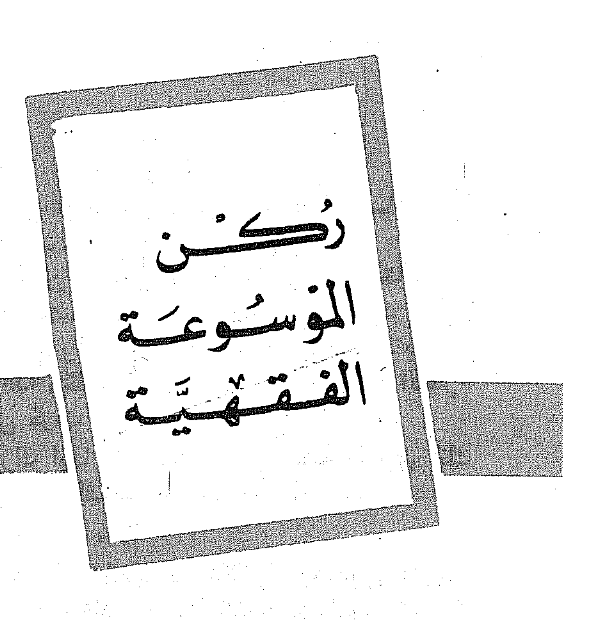
وقام الحواريون يدعون فأخذهم النـوم فلم يستطيعوا الدعاء وكأنما حيل بينهم وبينه ..

قـال عيسـى : سوف يذهب بالراعى وتتفرق الغنم ـ أيها الحواريون ، الحق أقول لكم .. ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصـيح الديك ثلاث مرات .. وليبيعنى أحـدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى ..

الحـــواريون : ويل لنا ان فعلنا ذلك ..

« وإذ قال الله يـا عيسى إنى متوفيك ورافعـك الىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فـوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

* * * * * *



تحرره : إدارة الموسوعة

الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي (1)

نتناول في هذا العدد بحث وجه ثالث من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي ،وهو كونها مرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر ..

***

ويخطىء من يظن ان الموسوعة نفسها تصلح تشريعا يسد حاجة العصر ، فحاجات العصور متجددة ولا بد لسدها من نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية وتشريعية متطورةمع الزمن ،مرنة مع الحاجات متغيرة بطبيعة الحال من بلد الى بلد ومن زمن الى زمن ، ضمن اطار القواعد العامة والمقاصد الاساسية للشريعة الاسلامية ..

والفقه الاسلامي — الذى تعنى الموسوعة بجمعه وتنسيقه وحسن عرضه بمختلف مذاهبه — جاء نتيجة اجتهاد الفقهاء على مر العصور سدا لحاجات بيئاتهم وازمانهم التى تختلف بطبيعة الحال عن بيئتنا اليوم، لذلك يكون من الجمود ان نعتبر اجتهادات الفقهاء الاقدمين اجتهادا ملزما لنا بكل جزئياته وفرعياته نقف عنده ولا نتعداه ، دون تمييز بين ما هو من المراكز الشرعية الثابتة ، وما هو مرتبط بظروف الزمان والمكان المتحولة ، فسنة الحياة وتطور الحاجات يقتضيان منا تطورا ومرونة فى التشريع ..

ولا يعنى هذا التطور وهذه المرونة ان يصبح التشريع تابعا يسير فى ركاب الحياة ويخضع لتياراتها ..

بل لم يقل بذلك احد من علماء

---

(1) ورد فى المقال السابق بعدد ذى الحجة خطا يلزم التنبيه اليه بصفحة ١٠٣ سطر ٣٢ تحت « خامسا » اذ ورد ان « الثاني يقابلهعدم الانعقاد » والصحيح ان « الثانى يقابله الانعقاد » .

التشريع الوضعى انفسهم ، لان للقانون وظيفة اجتماعية لا بد — كى يؤديها على وجهها — ان يكون هادفا تحقيق اغراض معينة ، تضيق وتتسع بحسب حاجة الناس والحياة ولكن يبقى للقانون ، وظيفة تجعله يضع للحياة — مع تطورها ورغم تياراتها — معالم توجهها وقواعد ترتكز عليها وخطوطا عريضة تسير فى حدودها ولا تخرج عنها لانها تمثل حدود النظام العام للحياة الاجتماعية فى نظر الشارع . هذه المعالم والقواعد والخطوط العريضة هى الجزء الثابت من القانون الذى يعلو به على تطورات الازمان وتغيرات البيئات .

فكذلك يلزم التفريق — فى ظل الاسلام — بين نصوص الشريعة الاصلية التى تتضمن هذه المعالم والقواعد والخطوط العريضة التشريعية ، فى الكتاب العظيم ، وسنة الرسول الكريم صلى اللهعليه وسلم وتضع للحياة قيمها العليا ، وبين اجتهادات الفقهاء التى حاولوا بها تطبيق هذه القيم والقواعد على بيئاتهم وعصورهم سواء فيما هو ثابت الاعتبار ، وما هو مرتبط بالبيئة والعصر .

ومن هنا كان قولنا ان الموسوعة — بما تجمعه من اجتهادات الفقهاء — لا تصلح تشريعا يسد حاجة العصر، لا من وجهة النظر الاجتماعية ولامن وجهة النظر الاسلامية نفسها ،وانما تقدم الموسوعة الفقهية للمجتمعات الاسلامية المادة التى تستمد منها المجتمعات التقنين الاسلامي المناسب لها فى عصرها وبيئتها ..

وهنا يرد تساءل لا بد منه ..

لماذا لا تنصرف الموسوعة اذن عن جمع هذا التراث من اجتهادات الفقهاء السابقين الى وضع اجتهادات جديدة لمجتمعنا المعاصر ، والحاجة داعية الى هذه الاجتهادات التى تكون فى مجموعها التشريع الاسلامى للعصر الذى نحياه ..

وهو تساؤل فى محله ، من حيث الدافع اليه ومن حيث منطق التفكير نفسه ..

بيد ان النظر الفاحص الى ما تستهدفه الموسوعة من جمع الفقه القديم وتصنيفه ، يظهر لنا ان الموسوعة لم تنصرف عن ذلك الواجبمن وضع الاجتهادات الجديدة للحياة المعاصرة ، وانما هى تسير فى طريق التهيئة الى اداء ذلك الواجب من نقطة الانطلاق السليمة التى تعتبر عملية جمع الفقه القديم وتصنيفه اولى مراحلها ، وليست بحال من الاحوال هدفها النهائى ولا مقصودها الاساسى ..

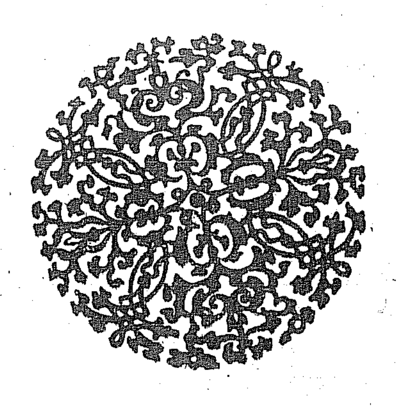
ولبيان اهمية هذه المرحلةالتمهيدية بل وضرورتها ، ينبغى أن نشير الى أنه يلزم المجتهد أن يعرف النصوص الشرعية — فى الكتاب والسنة — التى تحكم المسألة التى هو بصدد الاجتهاد فيها ، كما يلزمه أن يعرف مختلف الآراء التى ذهب اليهاالفقهاء من قبله — لا على أساس التقييد بما ذهبوا اليه — ولكن لمعرفة دليل كل منهم وما احتج به لرأيه ، لان ذلك مما يعين المجتهد فى فهم النص الشرعى الذى يحكم المسألة ..

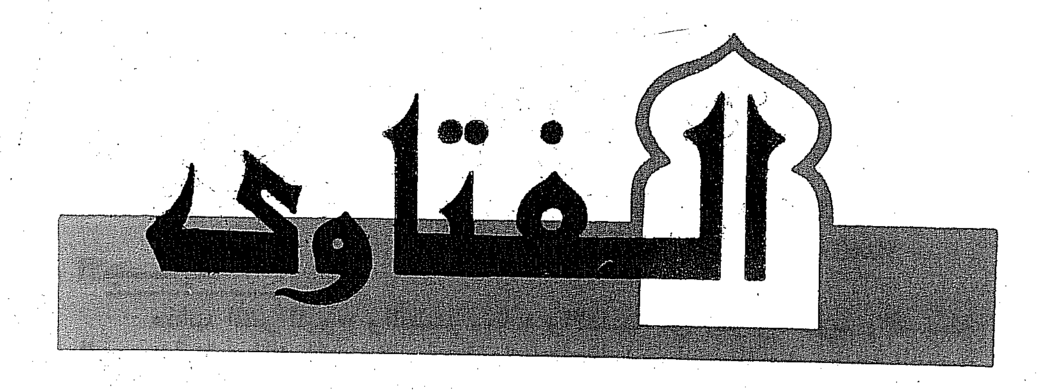
ولا شك فى أهمية عمل الموسوعة في هذا المجال اذ تجمع فى موضع واحد ، وبصورة منسقة مقارنة ، ما تشتت فى عشرات الكتب من آراء المذاهب المختلفة .

وإذا كان عمل الموسوعة مهما ومفيدا بالنسبة الى علماء الشريعة، فهو ضرورة لغيرهم من العلماء المختصين في غير المسائل الشرعية كعلماء القانون والاقتصاد والاجتماع والسياسة والطب والتربية وغير ذلك من العلوم الحديثة التي يحتاج الاجتهاد في عصرنا الحاضر الى تعاون العلماء المختصين فيها مع العلماء الشرعيين على تحقيق مقاصد الشريعة وتطبيق نصوصها فيما يستجد من المشكلات التي يحيط أولئك الخبراء المختصون بمعرفة ابعادها وحلولها ..

ثم ان الاجتهاد المعاصر لا يجوز أن يكون منقطع الصلة بالماضي وخبراته، فان الحلول التي وضعها الفقهاء الاقدمون لم تقتصر فائدتها على الناحية العلمية، بل وضع الكثير منها موضع التطبيق في حياة الناس سواء في صورة فتاوى عمل بها الافراد أم أحكام تضى بها القضاة أم نظم أمر بها الحكام، ولا شك في فائدة وضع هذه الخبرات الماضية تحت نظر المجتهد المعاصر حتى يكون على بصيرة من تجارب القرون الماضية في مختلف بلاد الاسلام

ليس الاجتهاد والتشريع مجرد راى يطلق او مادة تكتب، وانما هو عملية معقدة يتفاعل فيها ادراك مرمى النص وحكمته مع وعي لواقع الحياة المتشابك، في ضوء خبرات أسلافنا من المسلمين ومعاصرينا من غير المسلمين .. ولا يجوز أن نكون اقل حرصا على اتقان العمل التشريعي من السويد مثلا التي ظلت تعد لتعديل قانونها الجنائي الصادر سنة ١٨٦٤ منذ الحرب العالمية الاولى حتى صدر التعديل في سنة ١٩٦٢ . ولا ان نكون أقل تقديرا لميراثنا الشرعي من اسرائيل التي ما زالت مجلة الاحكام العدلية فيها قانونا مدنيا عاما امتدادا من عهد الحكم الانكليزي، وقبله العهد العثماني، وهي في عهد الاغتصاب والحكم الاسرائيلي لا تزال نافذة الاحكام في جميع الاراضي التي تحكمها من تل أبيب الى سائر المجتمعات العربية فيها وتطبيق احكامها على اليهود والعرب، بانتظار تمخض العمل التشريعي عندهم عن بديل مناسب لهم ..





التيـــمم

الســـؤال :

انا سيدة شافعية المذهب ، اصبت بمرض شديد ، ويزداد هذا المرض اذا اغتسلت فما حكم الشرع فى التطهر من الجنابة ؟

ع ـ س ـ بغـــداد

الاجـــابـــة :

مذهب الشافعية ان تتيممى للجنابة ، وان تغسلى مع التيمم مالا يضر غسله من البدن ، ولا تصلى بهذا التيمم الا فرضا واحدا ، ولك أن تصلى ما تشائين من النوافل ، فاذا أردت أن تصلى فرضا آخر وجب عليك اعادة التيمم .

ومذهب المالكية أيسر لك وهو ان تتيممى لكل فرض متى كنتِ غير قادرة على الاغتسال ولا يجب عليك غسل شىء من بدنك .

صلاة الجمعة

الســـؤال :

نحن اهل قرية صغيرة ومذهبنا مالكى ، وشرط صحة صلاة الجمعة عند المالكية حضور اثنى عشر رجلا غير الامام على الأقل ، وفى بعض الجمع لا يحضر هذا العدد الى المسجد مع حضور الامام فهل نصلى الجمعة باى عدد او ننتظر الى صلاة العصر رجاء ان يحضر العدد المطلوب ، او نصلى ظهرا ؟ .

عامر السيد ـ مسقط

الاجـــابـــة :

مذهب المالكية كما جاء فى السؤال أن الجمعة لا تصح بأقل من اثنى عشر رجلا غير الامام ، فليس لأهل القرية أن يصلوا الجمعة بأقل من هــذا العدد ، وليس لهم ان يصلوا ظهرا ما داموا يرجون تمام العدد ، وانمــا ينتظرون الا أن يخافوا دخول وقت العصر ، فان خافوا دخول وقت العصر صلوا ظهرا .

ولكن مذهب أبى حنيفة وابن حنبل وقول للشافعى فى مذهبه القديم أن الجمعة تصح بأربعة احدهم الامام ولأهل البلد أن يعملوا بهذا ، ولا يتركوا اقامة الجمعة .

عذاب القبر

السؤال :

هل يوجد عذاب فى القبر ، وهل يكون للروح فقط ام للجسم والروح .

علي الهاشمي — بيروت

الاجابة :

عذاب القبر للروح والجسم معا ، والأدلة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة تؤيد ذلك قال تعالى : (أغرقوا فأدخلوا نارا) والفاء فى اللغة العربية تفيد التعقيب والترتيب ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان العبد اذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه حتي انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل (محمد) فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد بدلك الله به مقعدا من الجنة — قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا ، وأما الكافر والمنافق ، فيقول : لا أدرى كنت اقول ما يقول الناس فيه ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين) .

هذه النصوص تدل على أن من فى القبر هو المعذب ، والموجود فى القبر هو الجسم والجسم لا يعذب بدون روح تدرك الألم واللذة .

وليس يلزم فى الحياة البرزخية ، ما هو لازم فى الحياة الدنيا من مشاهدة تحرك الجسم مثلا . والله أعلم .

تربية الكلاب

السؤال :

هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار مثلا او لا يجوز ؟

محمد الرشيد — الكويت

الاجابة :

تربية الكلاب ، واقتناؤها لمصلحة مشروعة كالصيد والحراسة جائز شرعا ، فقد جاء فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى كلب الغنم والصيد والزرع .

علاج الزوجة

السؤال :

هل يجب شرعا على الزوج اذا مرضت زوجته ان ينفق عليها للعلاج كاجرة الطبيب وثمن الدواء .

عائشة الحسيني — حماة

الاجابة :

نقل عن الامام ابن عبد الحكم من فقهاء المالكية أن على الزوج أجرة علاج زوجته وثمن دوائها ، ونرى أن هذا من النفقات الضرورية التى يلزم بها الزوج ، فضلا عما توجبه المروءة ويقتضيه العرف .

ميراث

الســـــؤال :

توفى رجل وترك شقيقين وثلاث شقيقات ، وزوجة مطلقة طلاقا رجعيا ، ولا تزال فى العدة فمن يرث من هؤلاء وما نصيب كل وارث ؟

مراد العبد ــ عمان

الاجــــابــة :

أولا المطلقة طلاقا رجعيا اذا مات عنها زوجها وهى فى العدة ترث زوجها ، ولها الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى لاخوته الاشـــقاء ذكورا واناثا للذكر مثل حظ الانثيين .

معاشرة الزوجة بعد الطلاق دون علمها

الســـــؤال :

رجل طلق زوجته ولم يخبرها بالطلاق ، وظل يعاشرها معاشرة الأزواج مع وقوع الطلاق الذى لا تعلم به ، فما حكم الشرع فى هذه المعاشرة ؟

آدم اسماعيل ــ الخرطوم

الاجــــابــة :

الطلاق الذى أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، وعاشرها الزوج قبل انقضاء عدتها ، كانت هذه المعاشرة رجعة ولو لم تعلم بالطلاق ، أما اذا كان الطـــلاق بائنا أو كان رجعيا وعاشرها بعد انقضاء عدتها فهذه المعاشرة محرمة شرعـــا ، ويجب التفريق بينهما .

التيمم لخروج وقت الصلاة

الســـــؤال :

استيقظت من نومى قبل طلوع الشمس بزمن يسير ووجدت نفسى محتلما ، واذا اغتسلت خرج وقت الصلاة بطلوع الشمس فهل يجوز لى ان اتيمم لأؤدى الصلاة فى وقتها أو اغتسل ولو خرج وقت الصلاة .

م ــ د ــ القاهــرة

الاجــــابــة :

فى فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية أن للعلماء فى ذلـــك قولين ، فالأكثر كأبى حنيفة والشافعى وأحمد يأمرونه بالاغتسال وان صلى بعد طلوع الشمس .
ومالك يرى أن يتيمم ويصلى قبل خروج الوقت .
والأحوط أن يتيمم ويصلى ، ثم يغتسل ويعيد الصلاة بعد خروج الوقت .



موازنــة
بين صحافــة الراى والخبــر

كتب الأستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول : ـــ

ذاع وشـاع بين الناس أن صحافة الراى تضاءلت مكانتها ، وأخلت الطريق لصحافة الخبر ، ولست ممن يؤمنون بهذا الراى ، وتكونت على هـــذا الأساس صحف كثيرة همها الاكبر ، وعملها الأوحد ، نقل الأخبار الى القراء ، أو كانت من صحافة الراى أولا ، ثم غيرت من هيئتها وصورتها وتحولت الى صحافة خبر ، ميلا مع الريح حيث تميل ، وسيرا مع الاتجاه السائد ، وظنا انها لن تعيش اذا ظلت على صبغتها الاولى ، واستكثرت من مستطلعى الأخبار والوصـــــافين ، واستغنت عن الكتاب . ومهما فعلت فلن تستطيع أن تحوز قصب السبق ، لأن الاذاعات لها بالمرصاد ، تنافسها فى هذا المجال وتتفوق عليها ، والوليد الجديد التلفاز يشق طريقه بقدم ثابتة ويقدم الأخبار هو الآخر ، فما تفعل صحافة الخبر أمام هذين المنافسين !! لقد أصبحت عرجاء أمامهما فى السباق .. فهل تسبق العرجاء ؟

ومن الصحف من زاوجت بين المنهجين ، وظهرت فى الصورتين ، الا أن قلة الصفحات التى خصصتها للراى تجعلها من صحف الأخبار ، وندرة الصفحات التى تشغلها بالأخبار تجعلها من صحافة الراى ، وخير نموذج للصحافة فى رأيى هو النوع الأخير ، لأن الأخبار لا يستغنى عنها من يريد أن يكون على صلـــة بالعالم ، ولكن الأخبار ليست هى كل شيء ، ومن المعروف أنها تبلى بسرعة كلما مر عليها الزمن ، أما الأفكار والعقائد والآراء فهى أبقى واخلـــد على ظهر الارض واعتقد أن أى مجتمع لا يستغنى عن صحافة الراى ، لأن الواقع متخلف باستمرار عن عالم المثل بحكم النقص البشرى ، ونزوع الانسان نحو الكمال ، وعمـــل المصلحين والدعاة والرواد يتمثل فى نقل المجتمع الى مبادىء أفضـــل ، ونظم أحسن ، ولا يصلح لهذه المهمة الا صحافة الراى التى تهتم بتنظيف المجتمع من الآراء الفاسدة ، واحلال الآراء الجديدة محلها ، فهى معرض للآراء الحكيمة ، والتوجيهات السديدة ، والنصائح الرشيدة ، ومجال أمام تبادل وجهات النظــر والشورى الفكرية ، وتقوم بالرقابة والتوجيه لبيئات المجتمع التى استشرى فيها الفساد ، وتعلم الجهال ، وتشغل أوقات الفراغ بالمفيد النافـــع ، ثم يأتى دور العمل النافع بعد الاعتقاد والايمان ، فهي سابقة باستمرار لصحافة الخبر التى لا هم لها الا وصف الأعمال التى ظهرت نتيجـــة الايمان والاقتنـــاع ،

صحافة الراى عليها أن تزرع الارض وترويها وتحرسها من الآفـــات ، وتتعهدها بالعناية والرعاية ، ثم تأتي صحافة الخبر لتصف حياة النبات ، والأعمال

التى قام بها الفلاح ، حتى جاء الزرع فى النهاية بخير الجنى وأطيب الثمر ، واذا مثلنا بمحنة فلسطين وجدنا أن صحافة الرأى هى التى تقوم بالعبء الأكبر والنصيب الأعظم فى غرس عقيدة الفداء ، ومبدأ التضحية والنضال ، من أجل الحق المغتصب ، ثم تأتى صحافة الخبر لتنقل الى العالم ما فعلته الأجيال التى تغذت عقولها على موائد صحافة الرأى ، فعملها بناء وتأسيس وتشييد ، أما صحافة الخبر فلا هم لها الا وصف هذا البناء وتصويره دون المشاركة فى أعباء التأسيس ، ومتاعب البناء ، ومشتقات زرع البذور ، ولولا صحافة الرأى ، وقيامها بدورها الفعال ، وجهدها الكبير ، ما وجدت صحافة الخبر مجالا للعمل ، وميدانا للحديث .

وتنزل صحافة يتسلى بها ، ثم يكون مصيرها الضياع والاهمال والهوان .

رعاية الاسلام للعقل

ومن كلمة للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى : —

القرآن الكريم لا يذكر العقل الا فى موضع الاكبار والتعظيم ، وينبه الى وجوب العمل به ، والركون اليه ، والذى يستقرىء القرآن الكريم يرى أن كثيرا من الآيات تأتى مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى مختلف معارض الصور فى الأمر والنهى التى تحث المسلم على أن يحكم عقله ، وأن يزن الأمور بالقسطاس المستقيم ، ولم يأت تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أرباب العلوم الحديثة ، بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها ، وخصائصها ، وكثيرا ما نجد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخطاب ومناسباته .

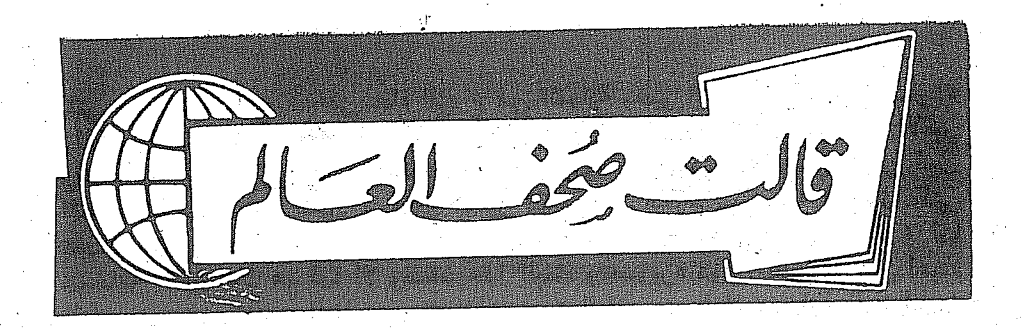
ان الخطاب فى القرآن الكريم يعم بحيث يتسع له الذهن الانسانى ، ولا شك أن العقل المدرك هو العقل المفكر الذى يولى الموازنة حق قدرها للحكم على ما تتضمنه من المعانى .

ومن خصائص العقل التأمل فيما يدرك الانسان ليقلب الأمور على أوجهها المختلفة ، ويسبر غورها ، ويستخرج أسرارها ، ليتبين نتائج الأحكام على أساس متين من العقل .

والقرآن الكريم يشمل العقل الانسانى بكل ما يحتوى من وظائف مختلفة الخصائص ، متشعبة الميادين ، وما ينوء بحمله من واجبات .

فمما جاء فى القرآن الكريم يدل على عظمة العقل والركون اليه فى ما خلق الله فى الكون من نظام دقيق ما جاء فى سورة آل عمران « **ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » ..

هذه صورة فنية رائعة ترينا خلق السماوات والأرض ، وارتباط ذلك باختلاف الليل والنهار ، وتدلنا على التفكير في هذا الكون البديع الصنع المنسق ، وأن نذكر صانعه جلت قدرته .



دخل الحجاج عصر النصف مليــون

احصائية عن عدد الحجاج من جميع البلاد الاسلامية

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة المجتمع الكويتية الاحصائية التالية :
أعداد وأجناس الحجاج الوافدين من خارج المملكة والذين وقفوا بعرفات يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة ١٣٩٠ هـ الموافق ٥ فبراير ١٩٧١ م

الحجاج القادمون من البلاد العربية

عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد
٤٢٢٣٩	سوريا	٢١٠٣	الجنوبى العربى	٤٢٠٧	تونس
١١٤٩٠	مصر	٨١٥	ابو ظبى	١٣٩٢	قطر
١٩٤٨٢	العراق	١٠٦٤٠	المملكة المغربية	٢٤١٨	البحرين
١٤٨٦٥	السودان	٨٣٨	فلسطين	١٢٦	الشارقة ورأس الخيمة
١١٨٣٥	ليبيـــا	٨٠٧٢	الكويت	٨٨	عجمان وامارات أخرى
٣٩٦٠	الجزائر	٦٧١٢	لبنـــان	٢٥٥	دبـــى
١٠٩٠٩	الأردن	٥٠٢٦٩	اليمن		
١٥٦٩	عمـــان				

مجموع حجاج الجامعة العربية ١٩٥٥٩٤ — مجموع حجاج الخليج العربى ٦٧٨٦

مجموع حجاج البلاد العربية ذكور ١٣٥٦٩٩ — اناث ٧٢٧٨٤ المجموع ٢٠٩٤٨٣

الحجاج القادمون من بقية دول آسيا

عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد
١٣٢٦٩	تركيا	١٠٣٦١	ماليزيا	١١	الصين الوطنية
٤٨٣٦٧	ايران	٤٩٨١	تايلاند	٤٠٤	سنغافورة
١٦٤٧٠	الهند	١٥٢	سيلان	١٥٠	فلبين
٢٨٢٥٦	باكستان	١	كمبوديا		
١٤٦٣٣	اندونيسيا	٧١	فيتنام الجنوبية		
١٣٦٦٣	افغانستان				

المجموع ذكور ١٠٧٣٥٣ — اناث ٥٣٦٩٢ — الجميع ١٦١٠٤٥

الحجاج القادمون من بقية دول افريقيـــا

عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد
٢٥١٨٧	نيجيريا	٣٣١	تنزانيا	٤٠٢	غانــا
٢٤٢٢	السنيغال	٤٦٧	كينيــا	١١١	توجو
١٨٢٧	النيجر	٤٦٨	داهومي	١٢١	جنوب وسط افريقيا
٢٩٥٥	الحبشة	٨٥	ليبريا	٥٦٧	ساحل العاج
١١٢٣	مالى	٣٦٣	زامبيا	٣٥٣	سيراليون
٥٤٠	فولتا العليا	٢٠٣٤	تشاد	١١١	جزيرة موريس
٧٢٤	موريتانيا	٢٦٣١	غينيا	٣١	مالاقاسى
٨٠٨	الكمرون	١٩٠	الصومال	٧	الكونغو كينشاسا
٩٤٠	اوغندا	١٩٥١	جنوب افريقيا	١٣٦	دول إفريقية اخرى

المجموع ذكور ٣٥٥٣٦ — اناث ٢١٣٧٨ — الجميع ٥٦٩١٤

الحجاج القادمون من اوروبا وامريكا

عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد	عـــدد	اسم البلد
٧٨٦	بريطانيا	٧٩	البرتغال		
٢٢٣	اليونان	٨٤	الولايات المتحدة		
٢٢١١	يوغوسلافيا	٣٢	اسبانيا ، دول اوروبية		
٣٧٢	فرنسا	٤١	دول اخرى		

مجموع الحجاج القادمين من اوروبا وامريكا ٣٨٢٨

المجموع الكلى لعام ١٣٩٠ هـ ٤٣١٢٧٠
مجموع حجاج عام ١٣٨٩ هـ ٤٠٦٢٩٥
الزيادة عام ١٣٩٠ هـ ٢٤٩٧٥

• • • • • • • •

وراء السوالف الطويلة تقف الصهيونية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (الأزهر) هذا المقال للواء الركن محمود شيت خطاب :

— ١ —

فجأة انتشرت بين شباب العالم هذه (السوالف) التى هى امتداد لشعر الرأس الموازى للأذنين ليتصل بشعر اللحية فوق العارضين ، بحيث تغطى هذه السوالف نصف الوجه تنقص أو تزيد قليلا .

والسوالف : جمع (سلف باللهجة العامية المصرية ، وهى ما يطلق عليها : اسم (الزلف) فى بعض الأقطار العربية ومنها العراق .

والزلف : جمعها (زلوف) وهي بمعني (العلف) في اللهجة العامية المصرية

وربما يكون لكلمة (الزلف) سند لغوى ، فيقال : زلف فى حديثه : زاد فيه ، وزلف الشيء : زاد فيه . فاذا امتد شعر الرأس الى أسفل شحمتي

الأذنين ، فقد زاد مقداره عن المعتاد .

ولست بصدد اللغة الآن ، ولكني بصدد الظاهرة التي اجتاحت اكثر شبابنا تقليدا لممثلى السينما الأجانب ، واتباعا للشباب الأجانب الذين تحرروا من كل فضيلة فأصبحوا عبيدا لكل رذيلة .

واذا كان الشباب الأجنبى يشكو (الضياع) ، لتفسخ الأسرة ، واهتمام الآباء والأمهات بالجنس ، وتكالب الناس على (المادة) وحدها ، دون الاهتمام (بالروح) ومتطلباتها .

واذا كان عقلاء الأجانب يشكون مر الشكوى من تردى شبابهم تميعا وانهيارا ، دون أن تقدم لهم الحضارة الغربية التي ثبت اخفاقها فى توجيه (القلوب) الى الصراط المستقيم ، والى المثل العليا ، وثبت تقصيرها عن الحلول الناجعة السليمة للأرواح الحائرة الضائعة .

فما المسوغ لشبابنا أن يقتفوا آثار الشباب الأجنبى ، والحضارة الاسلامية العربية حضارة (الروح) . و (المادة) ، تقدم الدواء الشافى للعقول والقلوب معا ، وتهدى للتى هى أقوم ، وتقود الى سبيل الحق والخير والنور ؟؟ !!

— ٢ —

فما هي حقيقة هذه السوالف ؟

هذه السوالف هى سمة من سمات يهود ..

لقد عملت الصهيونية العالمية على اشاعتها بين الشباب ، حتى تجرب مدى قدرتها على بث التقليعات القبيحة الشاذة ، ومدى تأثيرها فى الشباب بخاصة وفي الشعوب بعامة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية نشر رذائل كثيرة ، كلها معاول هدم للبشرية ولمثلها العليا ، اذ من المعروف انها تهدف الي اشاعة الفحشاء والتحلل الخلقي والتفسخ فى العالم ، لكى تستطيع السيطرة على مصالح الأمم والشعوب غير اليهودية ، لأن الأمم والشعوب والجماعات والأفراد المتمسكة بالايمان والأخلاق القويمة ، لا يمكن أن تخضع لغيرها أبدا ، وليس من السهل السيطرة عليها .

« الخمر .. والمجون المبكر .. اعمال الرشوة والخديعة والخيانة .. » ، تلك هى وسائل الصهيونية لتحطيم المثل العليا فى غير يهود ، كما تنص عليها بروتوكولات حكماء صهيون ، وهذا ما نلمسه تطبيقا عمليا على غير يهود ، بحرص يهود على نشره بشتى الطرق والوسائل وبمختلف الأشكال والأساليب .

وقد طغى مد النشاط الصهيونى لنشر الفساد فى الأمم الأخرى بعد عام ١٩٤٨ ، اي بعد خلق اسرائيل فى الأرض المقدسة .

وكلما اشتد ساعد اسرائيل وتوسعت ، ازداد مد نشاطها التخريبى فى العالم ، حسب مخططات موقوتة لها أهداف واضحة : هى تدمير المثل العليا فى العالم ، والقضاء على الأديان عدا اليهودية ـــ خاصة المسيحية والاسلام .

— ٣ —

ان الذين يشكون فى نشاط الصهيونية التخريبى الذى يستهدف تحطيم المثل العليا فى الأمم غير اليهودية ، واهمون كل الوهم ، أو مغرر بهم كل التغرير ، او عملاء كل العمالة .

واذا احصينا شركات السينما ودور اللهو والنوادى الليلية والحانات والمقاصف وملاعب القمار ومحلات الجنس ومصدري التصاوير الخليعة ومؤلفي

الكتب الجنسية ، الى غير ذلك من معاول الهدم والتدمير ، لوجدنا أن اكثر من تسعين بالمائة منها تابعة لمؤسسات صهيونية ، والمؤسسات غير الصهيونية القليلة التى هى وراء تلك المباذل تمول بصورة مباشرة أو غير مباشرة برأس المال الصهيونى ، كما تشجع الى أبعد الحدود من أجهزة الاعلام الصهيونية ، ومن المصارف الصهيونية .

فهل كل هذا صدفة وبدون تخطيط ، أم وراء الأكمة ما وراءها !

أما المؤسسات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتكافح الرذيلة وتدعو الى التمسك بالدين والأخلاق ، فتقاوم من رأس المال الصهيونى ، وأجهزة الاعلام الصهيونية سرا وعلانية ، حتى تتلاشى وتذهب مع الريح .

وليس سرا ، أن أول من أنشأ شركات السينما فى مصر بالذات هم اليهود ، ثم تلاقف انتاج تلك الشركات موزعون من يهود فى بيروت والبلدان الأخرى .

لهذا ليس عجبا أن تكون ثمرات السينما العربية فجة فيها السم الزعاف !

— ٤ —

حدثني استاذ جليل كان منتدبا للتدريس فى الولايات المتحدة الامريكية عاما دراسيا كاملا ، عن مظاهر التفسخ فى المجتمع الامريكى المعاصر .

وقد ذكر هذا الأستاذ الجليل انه صادف مقصورة لبيع الصور العارية الفاضحة والمجلات الجنسية الداعرة ، فسأل صاحبها عنها ، فعلم منه انه يهودى ، وانه مستعد لاستصحابه الى المحلات الصهيونية التى تنتج الرذائل وتصدرها .

ويهود وراء التحلل الخلقى فى انكلترا وهولندا والسويد وفرنسا ، وهم الذين افسدوا الشباب والمجتمع ، واباحوا الجنس ، وسنوا القوانين لدعمه واباحته .

— ٥ —

وحين وجد غير يهود فى تلك الدول وفى غيرها أيضا ، من الذين لا خلاق لهم ولا ضمير ، ما تغدقه تجارة الجنس من أرباح ضخمة ، سال لعابهم جشعا، وقلدوا الصهاينة ، فنالوا تشجيع الصهيونية العالمية وتأييدها ، لأنهم اصبحوا آلات طيعة لتنفيذ مخططات الصهيونية فى التخريب .

والأمل وطيد فى أن يكتشف العالم قريبا حقيقة الصهيونية العالمية ، وحقيقة نشاطها التخريبى فى اشاعة الفحشاء والمنكر والثقافة الرخيصة بين الناس .

واخشى ما أخشاه ان يفوت الوقت قبل أن يكتشف العالم ذلك ، فيفوت الوقت المناسب لاتخاذ التدابير اللازمة للحد من هذا الوباء .

والسوالف .. !

هذه السوالف جزء لا يتجزأ من محاولة الصهيونية العالمية للضحك على القطعان الضالة الضائعة ، والتلاعب بأهوائها وتوجيهها الى التيه والضياع .

لقد كنا نقول عن اليهودي : **« يهودي أبو سوالف .. أو يهودى أبو الزلوف »** .

ذلك لأن الذكور من يهود — خاصة المتدينين منهم — كانوا يطيلون سوالفهم ، كما يفعل الشباب اليوم تطوعا وعن طيب خاطر !

وقصة سوالف يهود معروفة .. فقد سبى بختنصر ملك بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد بنى اسرائيل ، وأخذهم أسرى الى بابل فى أرض الرافدين ، حيث انتشروا فى العراق وفى الأقطار المجاورة .

وأراد بختنصر أن يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها النـــاس ، ليتجنبوا شرهم ويأمنوا مكرهم ، فأمرهم أن يطيلوا سوالفهم وألزمهم بهذا التقليد .

وبدأ حاخامـــات يهود يكتبون (التلمود) وهو الكتـــاب الدينى ليهود بعد التوراة ، فسجلوا فى التلمود عادة اطالة الســـوالف ، وجعلوها شـــعيرة من شعائرهم الدينية ، لتبرئة ســـاحة بختنصر من الزامهم بهـــا من جهة ، ولرفع معنويات يهود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية .

واخذ يهود انفسهم بهذه العادة منذ ذلك التاريخ ، فلما تفرقوا شرقا وغربا بعد اضمحلال الدولة البابلية ، حملوا معهم هذه العادة ، وأصـــبحت جزءا من تعاليمهم الدينية .

وهكذا نجد اليهودى فى سورية ومصر وشمال افريقية واوروبا وامريكا واستراليا وفى جميع أصقاع الدنيا ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، يطيل سوالفه اذا كان متمسكا بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك سمة من سماته وميزة من مميزاته .

وفجأة ظهر قبل ثلاث سنوات ممثل يهودى اسمه (دافيد) فى رواية من روايات الشركات الصهيونية التى تنتجها مدينة السينما (هوليوود) فى الولايات المتحدة الامريكية مركز تجارة السينما اليهودية ، وهو بسوالف طويلة ، لأنه كان يمثل دور يهودى متدين .. فما كان من الشباب فى العالم الا ان قلدوا هذا الممثل اليهودى الصهيونى .. !!

— ٦ —

وليس غريبا انتشـــار السوالف المسبلة بين شباب العالم للتميـــع ، ولكن الغريب انتشـــارها بين شباب العرب والمسلمين . وبالطبـــع بدأ شـــباب يهود بتقليده ، ثم انتشر هذا التقليد بالعدوى كما تنتشر الأوبئة .

ان شباب العرب والمسلمين فى معركة مصيرية على الصهيونية العالمية ..

والمتوقع منهم ان يخالفوا الصهاينة ، تنفيذا لسنة النبى صلى اللـــه عليه وسلم فى مخالفة يهود ، وحرصا على شخصيتهم العربية الاسلامية .

ان الصهاينة ليسوا أقل عداوة للمسيحية من عداوتهم للاسلام ، فهم أعداء كل دين وكل فضيلة وكل خلق كريم .. لقد رأيت شبابا عربا مسلمين يرتادون المساجد ويؤدون فرائض الله ، ولكنهم اسبلوا سوالفهم وقلدوا الصهاينة .

وقلت لنفسى : ترى ! هل يعرف هؤلاء حقيقة أمر السوالف ؟ ! هل يعرفون انهم ضحية (تقليعة) صهيونية ! أما وقد انكشف أمر السوالف ، فهل يتخلون عن هذه التقليعة السخيفة ؟ !

ان اليهودى الصهيونى هو الذى يطيل وحده سوالفه اتباعا لآثار تقاليده الدينية .

وهو وحده يرغب فى أن يفرض اتباع هذه التقليعة على شـــباب العالم بوسيلة أو بأخرى ..

فاذا كانت السوالف من سمات الصهاينة ، تهافت عليها الامعات والتافهون من شباب العالم ، فلمصلحة من يقتفى آثار الصهاينة الشباب العربى المسلم !!

اقلعوا يا شباب العرب والمسلمين عن اسبال السوالف ، حرصـــا على تاكيد ذاتكم ، وحفاظا على رجولتكم ، وتطبيقا لتعاليم دينكم الحنيف ..

تجنبوا تقاليد يهود ، وكونوا من مخططاتهم على حذر .



اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

يهود يثرب

من الأسئلة التى وجهها كثير من القراء سؤال حول جنسية اليهود الذين سكنوا المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اهم عرب اعتنقوا اليهودية ام هم اسرائيليون ساكنوا العرب ..؟

والجواب : أن المؤرخين اختلفوا فى هذه المسألة فعلا الى رأيين :
راى عامة مؤرخى العرب وهو أن هؤلاء اليهود هم من جنس اسرائيلى .

راى بعض المؤرخين من أشهرهم « اليعقوبى » وهو أنهم عرب اتخذوا اليهودية دينا لهم ، ويرى هؤلاء أن بنى النضير وبنى قريظة فرعان من قبيلة جذام العربية تهودوا وسموا باسم المكان الذي نزلوا فيه ، فبنو النضير كما يقول اليعقوبى فخذ من جذام الا انهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير ، فسموا به ، و (وبنو قريظة) فخذ من جذام اخوة النضير ، ويقال ان تهودهم كان فى أيام السموأل ، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه .
ولا نستطيع أن نختار مرجح أحد الرأيين الا بعد أن نقف عند الاسس والادلة التي بنى كل من الفريقين رأيه عليها :

فاصحاب الراى الاول يقولون : ـــ

١) انه باستقراء عادات وأخلاق يهود بنى قريظة ، وبنى قينقاع ، ومطابقة خط التفكير الذى سار فيه هؤلاء اليهود مع تفكير اليهود القدامى ـــ الاسرائيليين ـــ كما وصفهم القرآن فاننا نجد أن خط التفكير واحد ، وأن العادات والاخلاق التى سجلها القرآن الكريم على الاسرائيليين هى نفسها عادات يهود المدينة وأخلاقهم ، مما يفيد بأن هؤلاء من أولئك وأن يهود المدينة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم من الجنس الاسرائيلى .
٢) ومما يزيد هذا الدليل ايضاحا ، ويضيف دليلا جديدا فى الوقت ذاته ، أن الاسرائيليين قوم مغلقون مغرورون بوهم أنهم شعب الله المختار ، فلا يسمحون بأن ينضم اليهم أحد حتي لا يتمتع بنعمة الاختيار الآلهى ، وقد تعاقب هذا الوهم في أجيالهم دون أن يتخلى جيل عنه ، مما يقطع بأن قبائل بنى النضير ، وبني قينقاع ، وبنى قريظة ، هى قبائل اسرائيلية ، ويستبعد جدا أن تكون قبائل عربية ، اذ يستبعد أن تدخل هذه القبائل هكذا بالجملة فى شعب الله المختار دون أن يشتهر هذا بين الناس كما حدث مع قبائل اليمن التي تهودت أو تنصرت .

صحيح انه قد ورد في الأخبار أن بعض اليهود من جنس عربي ، لكن هذا البعض لا يعدو افرادا محدودين من قبائل مختلفة وكانوا معروفي النسبة ، ولم يرد في كتب الانساب العربية أن بني النضير وبني قريظة ، وبني قينقاع من أصل عربي .

٣) وبالاضافة الى هذه الأدلة فقد كانت القبائل اليهودية في المدينة تحرص على نسبتها الاسرائيلية فقد كان بنو قينقاع يزعمون أنهم من ذرية يوسف الصديق وكان بنو النضير وقريظة يسمون «الكاهنين» وكانت القبائل العربية كذلك — حتى المتهودة منها او المتنصرة في اليمن — شديدة الحرص على نسبتها العربية .

٤) حتى الحصون والقلاع التي شيدها يهود المدينة تدل دلالة قوية على غربتهم وسط الخضم العربي ، وعلى سوء العلاقة بينهم وبين العرب مما اضطرهم الى بناء القلاع والقرى المحصنة ، وقد برزت هذه بشكل واضح عندما حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم وطردهم من المدينة ، وعندما اجلاهم عمر حيث لم يلجأوا الى قبيلة عربية تربطهم بها قربى ، بل نزحوا مباشرة على غير رجعة ، ومن غير أن يتوددوا الى أحد ، أو يتودد اليهم أحد .

أما أصحاب الرأى الثاني : الذين يذهبون الى أن هذه القبائل اليهودية هي قبائل عربية اعتنقت اليهودية ، ولكنها ليست باسرائيلية فيجعلون للعامل اللغوى اهمية في الاستدلال على جنسية يهود المدينة ، ويقولون ان أسماء الاماكن التي نزلت بها هذه القبائل عربية ، فتكون جنسيتها بالتالي عربية ، بينما تحاول طائفة من المؤرخين الفرنجة أن تجد اشتقاقا عبريا لأسماء بعض القبائل اليهودية .

لكن الحقيقة أن الاستدلال باللغة على الجنس استدلال لا يمتد به كثيرا ، فالافراد الذين تسموا بأسماء عربية كانت أسماء آبائهم تظل عبرية ، منهم على سبيل المثال عبد الله بن صوريا ، ووهب بن يهوذا ، وبالعكس مثل شمويل بن زيد ، وكروم بن قيس .

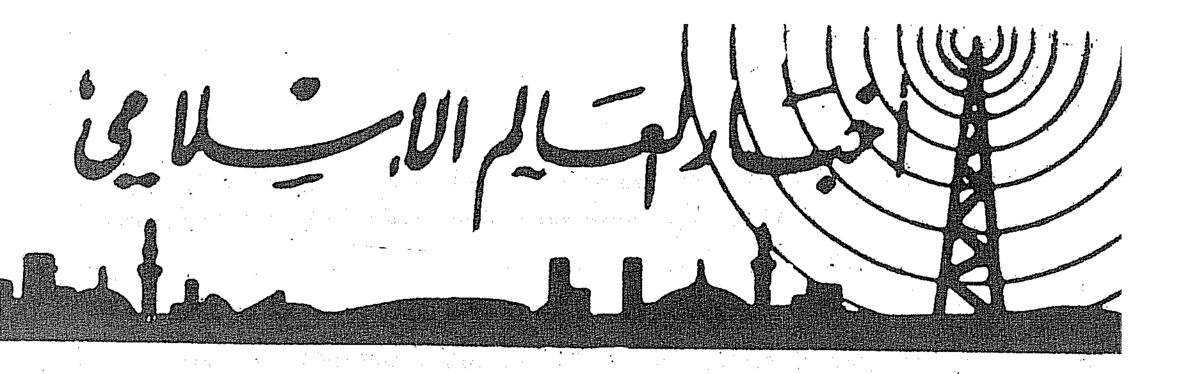
ومن هنا فاننا نتوصل الى القناعة بأن القبائل اليهودية الثلاث التي سكنت المدينة — بني النضير ، وبني قريظة ، وبني قينقاع — هي قبائل من جنس اسرائيلي .

الأحوال الشخصية

تذكر كلمة الاحوال الشخصية كثيرا ، فيقال لجنة الأحوال الشخصية ، وقانون الأحوال الشخصية ، ومحكمة الاحوال الشخصية ، فما المقصود بهذه الأحوال ؟ وهل هي قاصرة على الزواج والطلاق ؟

المهند عز الدين — الأبيض

الجواب : الأحوال الشخصية هي مجموعة ما يتميز به الانسان عن غيره من الصفات الطبيعية أو العائلية التي رتب عليها القانون أثرا قانونيا في حياته الاجتماعية مثل كونه ذكرا أو انثى ، وكونه زوجا أو أرمل أو مطلقا ، أو ابا أو ابنا شرعيا ، أو كونه تام الأهلية أو ناقصها لصغر سن أو عته أو جنون ، أو كونه مطلق الأهلية أو مقيدها بسبب من أسبابها القانونية ،



اعـداد : ع.ب

الكويت : صرح سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس الوزراء ان الكويت تشعر بعـدم جدوى الحلول السلمية ولن توافق الكويت على آى حل لا يرضى عنه الشعب الفلسطيني .

● عقد فى الكويت الشهر الماضى مؤتمر اتحاد المعلمين العرب وقد بحث المؤتمر أوضاع التعليم ووسائل الرقى به وتوحيده فى الدول العربية .

● تبرعت الكويت بمبلغ ٤٠٠ الف دولار لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين الدولية وسيستخدم هذا المبلغ فى الاغراض التعليمية للفلسطينيين .

● تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مذكرة من وكالة الانباء الاسلامية الجـديدة فى نيجيريا تطلب من الوزارة التعاون الاعلامى الاسلامى .

● تقوم وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدراسات لانشاء عدة مساجد فى السودان خاصة فى المناطق النائية وقد سافر وفد من الوزارة الى السودان لهذا الغرض .

● صرح سعادة وكيل الأوقاف والشئون الاسلامية بان الوزارة ستنشىء مجموعة من المساجـد فى الكويت كما تقوم الوزارة بتحديد الاتصال برجال الفكر الاسلامى لمعرفة واقع المسلمين .

القاهـرة : أعلن السيد رئيس الجمهورية انه لا يوافق على تمديد وقف اطلاق النار مع العدو وان الحرب القادمة طويلة الأمـد .

● يعقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمرا لعلماء المسلمين وقد صرح فضيلـة شيخ الأزهـر بان علماء المسلمين فى العالم سيبحثون وسائل الانتفاع باضحيات الحجاج ووسائل تنسيق شعائر الحج ومسائل أخرى .

● قام فضيلة شيخ الاسلام فى السنغال وغرب أفريقيا باجراء محادثات مع شيخ الأزهـر والمسئولين لتنسيق الدعوة الاسلامية .

● ناقش مؤتمر المجمع اللغوى الذى انعقد فى الشهر الماضى ٢٠٠٠ مصطلح علمى تمهيدا لتقريب التعليم الجامعى وتوحيد المصطلحات العلمية فى اللغة العربية وقد ابقى المجمع اسمـاء الاماكن التاريخية كما هى .

السعودية : صرح الامير فهد بن عبد العزيز ان الحاجة كانت ماسة الى وكالة انباء اسلاميـة تغطى انباء المنطقة والدول الاسلامية بحيث تتيح للراى العام العالمي الاطلاع على الاحداث بنزاهـة وصدق .

● عقد بعد موسم الحج مؤتمر المنظمات الاسلامية وقد بحث المؤتمر انشاء الصندوق العالمى الاسلامى ومركز الدراسات الاسلامية وميزانية الامانة العامة للمنظمات الاسلامية .

الأردن : ستقيم جامعة الدول العربية بالاشتراك مع منظمة التحرير الفلسطينية أسبوعا عالميا لقضية فلسطين فى دول العالم الكبرى وذلك فى يوم ١٢ ابريل الجارى .

● عقد مؤتمر المجلس الوطنى الفلسطينى فى الشهر الماضى بالقاهرة وقد اتخذ عدة قرارات هامة لتوحيد العمل الفدائى ورسم خطة الكفاح الفلسطينى فى المرحلة القادمة .

● قال كريستور مايهيو النائب العمالى البريطانى ان مئات الألوف من غير اليهود يطردون من فلسطين فى عملية قمع عنصرية لا مثيل لها .

العـراق : عقدت فى الشهر الماضى فى بغـداد اجتماعات اتحاد الاذاعات العربية واشتركت فيها الوفـود العربية ومندوبون من منظمة اليونسكو والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية .

سوريا : صدر قرار بالعفو عن جميع السوريين الذين أخرجوا أموالهم خارج البلاد وحثهم على العودة للمشاركة فى بناء بلادهم .

السودان : قال الرئيس نميرى ان الشعب السودانى لم يرث عن الاستعمار غير الفقر والجهل والمرض وورث عن الاحزاب الاذلال والتنافر الحزبى .

ليبيـا : كذب السيد صالح بويصير الانباء التى اذاعها راديو لنـدن وبعض الصحف اللبنانية عن اضطهاد للمسيحين فى ليبيا وقال انه لم يتم تحويل أى كنيسة الى مسجد .

● بعثت ليبيا الى الدول العربية مشروعا يدعو الى قومية المعركة ضد اسرائيل وقد بعثت الكويت بردها على المشروع وهى ان الكويت تؤمن بقومية المعركة وضرورة تبادل الرأى لتنفيذ ذلك .

تونس : عقدت الجمعية التونسية لحماية القرآن مؤتمرا وطنيا استمر يومين فى الشهر الماضى وحضره مندوبون من الجزائر والمغرب وقد نادى المؤتمر بوجوب تدريس القرآن فى جميع مدارس تونس كما طالب بجعل يوم الجمعة هو يوم العطلة الاسبوعية ليتمكن المسلمون من صلاة الجمعة .

تركيـا : أهاب رئيس بعثة الحج التركية بالمسلمين جميعا بتوثيق التعاون فى المجالين الاقتصادى والثقافى .

اندونيسيا : صرح الجنرال نابتيون رئيس المجلس الاستشارى الاندونيسى ان بـلاده تحس باحساس كل مسلم وعربى نحو القضية العربية وفى مقدمتها تخليص المسجد الاقصى .

ماليزيا : صرح الامير تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة الاسلامية بأن الامانة لن تبدأ فى تنفيذ برامجها الا بعد ان تنقل الى مقرها فى جـدة .

الهنـد : اجتاحت الاضطرابات ولايات الهند على اثر خطف كشميريين لطائرة هندية وقد أعربت الاحزاب الاسلامية فى الهند عن قلقها من توجيه الاتهامات الى اتباع دين معين فى الهند .

افغانستان : اكـد رئيس الوزراء مجددا تاييد افغانستان التام للقضية العربية .

نيجيريا : انشئت وكالة عالمية اسلامية جعل مقرها لاجوس .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



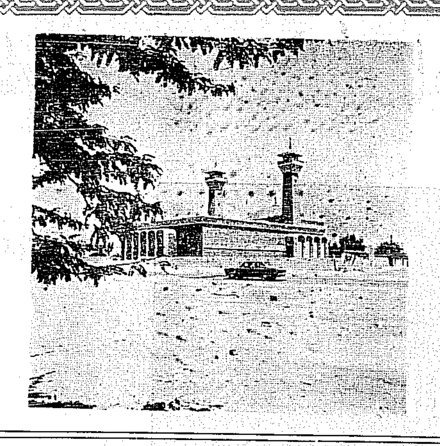
اقرأ في هذا العدد



سنة السابعة ـ العدد ـ ٧٥ ـ غرة ربيع الأول ـ ١٣٩١ هـ ـ ٢٦ أبريل « نيسان » ١٩٧١ م



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائدالاعلى للقوات المسلحة وهو يصافح أحد الجنودالبواسل الذين اشتركوا فى المناورة العسكريةبالذخيرة الحية التى قامت بها مجموعة من اللواءالسادس فى الجيش الكويتى .



مسجد الشيخ فهد السالم أحدث المساجد بالكويت وأفخمها وله منارتان سامقتان تتوسطهما قبة من البلاستك ، فريدة فى صنعها ، وبه مصلى للسيدات .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السابعة

العدد الخامس والسبعون

غرة ربيع الأول سنة ١٣٩١ هـ

٢٦ ابريل « نيسان » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

خطاب معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية



ألقى معالى الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الخطاب التالى فى حفل افتتاح المؤتمر السادس لعلماء المسلمين الذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة وقد ترأس معاليه وفد الكويت وكان برفقته الاستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس وكيل الوزارة المساعد .

فضيلة شيخ الأزهر ، السادة العلماء :

أحييكم بتحية الاسلام وأحمل لكم تحيات وتقدير الكويت البلد العربى المسلم الذى تعرفونه مادا يد العون والمساعدة لاخوانه المسلمين تطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم) ، آملا لكم بالتوفيق والسداد فى هذا اللقاء الاسلامى الكبير الذى ينتظره المسلمون ويتطلعون الى ما يعرض فيه من بحوث ، وما يصدر عنه من مقررات ، تؤكد للعالم غنى الاسلام بكل مقومات الحياة . ومقدرته على معالجة المشاكل وايجاد الحلول العلمية لكل ما يحدث من أقضية الحياة وحتمية التطور .

أيها الاخوة :

اننا نلتقى هنا على المحجة البيضاء استجابة لداعى الله حماية لدينه وتفقها فى شريعته . وان خدمة الاسلام هى الهدف الاصيل لهذه المؤتمرات المباركة ، المنبثقة من مجمع البحوث الاسلامية ، وان ميدان العمل هو المجتمع الاسلامى الكبير وحدود هذا العمل هى النظر فى كتاب الله والفهم لسنة رسوله وحمل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم للعالم بوجهها المشرق ونظامها الخالد ، الذى كفل للانسانية العدل والمساواة والكرامة وأعطاها حرية التفكير والتعبير وابداء الرأى ، فكان بذلك أن كفل مصلحة الجماعة والافراد (العدالة الاجتماعية والشورى) .

ان تبعاتكم — يا علماء المسلمين — فى هذا العصر جسيمة ومسئولياتكم عظيمة . فشريعة الله بين أيديكم وأنتم سدنتها وحماتها ، وفيها الحل لكل مشكل والحكم لكل جديد ، والبديل عن كل مستورد محرم ، وهنا كان لزاما علينا أن

في مؤتمر علماء المسلمين

نكون على تقدير كامل لواقعنا ، وفهم واسع لشريعتنا ، وعمل مشترك يجلى حقيقة هذا الدين ويبرز فضائله ومزاياه وحيويته وقدرته على استيعاب جوانب الحياة .

أيها الاخوة :

ان الاسلام يواجه اليوم هجوما عنيفا على مبادئه ومعتقداته ومعتنقيه ومواطنه ، وها هى الصهيونية العالمية بتأييد من الكفر والاستعمار قد ركزت جهودها الخبيثة فى أرض فلسطين لتكون لها منطلقا الى سائر البلاد العربية والاسلامية ، وانكم أيها الاخوة تحملون أمانة الدفاع عن الاسلام والحفاظ على مقدساته وتحرير أرضه وانقاذ المستضعفين من المؤمنين ، وعلى عاتقكم يقع عبء ايقاظ الوعى وتعبئة الجهود للوقوف فى وجه هذا الزحف الوحشى على بلاد المسلمين .

وهنا اسمحوا لى أيها الاخوان أن أسجل بعض الملاحظات :

١) جميل بنا أن نكثر من البحث والتأليف واحياء التراث ونقوم بعقد اللقاءات والمؤتمرات ولكن مع هذا يجب أن يكون أول بند فى جدول الاعمال هو النظر فى اعداد التخطيط للمنهج والاسلوب الذى يجب أن يتبع ليقوى بناء جسر العمل والتطبيق والتنفيذ مع السلطات والشعوب . ان الاسلام لا يتغير ولكن الناس تغيروا فوجب أن يتغير الاسلوب ليفهم الناس الاسلام .

٢) انه لا تعارض بين الوحدة العربية والاخوة الاسلامية التى نادى بها الاسلام فأول ما بدأ به محمد صلى الله عليه وسلم هو اقامة الوحدة ثم دخل الناس فى دين الله أفواجا . لذلك فاننا نبارك قيام الوحدة ونحذر من أية فرقة عربية أو اسلامية (ان فى الوحدة قوة وفى التفرق ضعفا) ، (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) .

٣) ان اخوانكم الفدائيين فى فلسطين يقاتلون فى سبيل الله وعملهم جهاد فى سبيل الله تجب مؤازرته ومده بالمال والرجال حتى التحرير والنصر ان شاء الله .

٤) ان الحرب الدائرة فى فلسطين هى قضية اسلامية كما هى قضية عربية وعلى المسلمين أن يهبوا للدفاع عنها وألا تقف الحكومات المعنية وحدها فى الميدان فى حرب أصبحت واضحة أنها موجهة ضد الاسلام والمسلمين (وأن من نغدى بأخيك اليوم تعشى بك غدا) .



العقيدة

الذكريات النبوية المحمدية التي يحتفل المسلمون بها على مدار العام كذكرى الهجرة ، والاسراء والمعراج ، والمولد تعتبر بلغة العصر مواسم توعية اسلامية ، تتيقظ فيها المشاعر ، وتتفتح القلوب ، وتتجه الانظار الى صاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام تنشد القوة في عقيدته ، والحق في شريعته ، والخلق في سيرته وتتلمس الطريق في خطاه ، والخير في هداه .

ومجالات التوعية في الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف فسيحة الآفاق ، ومظاهر العظمة والقدوة في حياة صاحب السيرة العطرة متعددة الجوانب ، وكل مجال من هذه المجالات الفسيحة ، وكل مظهر من مظاهر هذه العظمة جدير بالتنويه والتذكير ، ولعل أروعها وأولاها بالحديث ما جاء به من عقيدة كانت مركز التحول في حياة الانسانية ، والاساس المتين لتكوين الامة الاسلامية ، وحسبك أن تدرك أن غرس العقيدة في القلوب ، وتنشئة الرعيل الأول من المسلمين عليها استغرق من مدة دعوته صلى الله عليه وسلم أكثر من نصفها ، ومن القرآن الكريم كل ما نزل منه بمكة ، فقبل العقيدة الحية النابضة المتدفقة لم تكن هناك جدوى من التشريع العبادى ، ولا التقنين المالى ، ولا التنظيم الاجتماعى ، ولا التوجيه الخلقى ، ولا التخطيط العسكرى .

ما قيمة الآراء والأفكار والنظريات ، ما قيمة التشريعات والقوانين والتنظيمات ان لم تكن وراءها عقيدة تؤمن بها ، وتدفع الى العمل بمقتضاها ، وتحولها من معان مجردة ومواد وبنود مسطورة الى حقيقة حية ، وسلوك جاد . فالرأى لا يستلزم العمل ، أما العقيدة فانها تبعث على التطبيق والتنفيذ .

ان الرأى مهما بلغ من الصدق والوضوح لا قيمة له ما لم يتحول الى عقيدة تملأ القلب ، وتجرى فى الدم ، وتوجه السلوك ، وأقرب مثل لبيان هذه الحقيقة التى لا تحتمل الجدل والمناقشة ما يراه الآن سبعمائة مليون مسلم ، من أن الجهاد هو الحل الوحيد لحمل اسرائيل على الارتحال من أرض المسلمين ، وأن التضحية بالنفس والمال لا بديل عنها ، وقد ملأ هذا الرأى صفحات الكتب ، وأنهار الصحف ، وصدرت به قرارات وتوصيات ، وردده شعارات ، وعلقت به لافتات ، فهل حشد هذا الرأى المسلمين فى كتائب زاحفة ، وهل أخرج هذا الرأى ما فى الخزائن من أموال طائلة ، وهل بدا لهذا الاجماع فى الرأى مظاهر جادة فى سلوك الافراد والجماعات ، فى الأسرة ، والمعهد ، والسوق ، والمصنع ، ودوائر العمل .. الجواب هو ما نرى ونحس ((لا)) بكل ما فى كلمة لا ، من سلبية وخمود ،

وتوقف عن الحركة ، فلا المسلمون تجمعوا ، ولا الكتائب زحفت ، ولا الأموال خرجت ، ولا مجرد السلوك تغير ، لأن الجهاد مجرد رأى لا عقيدة ، والرأى يسهل التحول عنه ، والتنصل منه ، والاعتذار عن العمل بمقتضاه ..

أما حين يتحول الجهاد الى عقيدة ، والبذل الى ايمان ، فانك تجد المسلمين من أقصى الارض يشمون رائحة الجنة ، فى أرض فلسطين ، فيسرعون ولا يقعدون ، ويرون الله ورسوله أبقى لأولادهم من الدرهم والدينار ، فيبذلون ولا يبخلون .

ان الفصل فى معركتنا مع الصهيونية الباغية ليس فى حاجة الى مزيد من الآراء ، ولا كثير من الدراسات ، ولا عدد من الحلول ، فقد تنوعت الآراء حتى تضاربت وكثرت الدراسات حتى تعارضت ، وتعددت الحلول حتى تعقدت ، وكثرت العروض حتى رخصت .. لسنا بحاجة الى رأى جديد ، ولا فكر جديد ، وانما نحن فى حاجة الى عقيدة تجعل الجبان شجاعا ، والشحيح كريما ، والمتردد مقداما .. عقيدة تسوق المؤمنين الى ميدان الحديد والنار .. عقيدة تقتحم الاسوار ، وتدك الخطوط ، وتزلزل الجبال ، وتفرض على التاريخ مسيرتها .

ان القرآن الكريم يصف الفارغين من العقيدة بصفات تجعل الركون اليهم خيبة ، والاعتماد عليهم هزيمة « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم » و « اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » « يحسبون كل صيحة عليهم » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يدمغهم بالغدر والخيانة ، « ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الذئاب » والعرب قديما قالت فيهم : « ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل » .

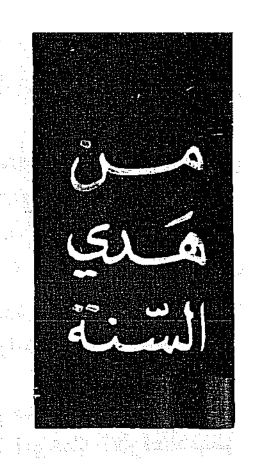
الرأى صورة وشكل : والعقيدة حقيقة وجوهر .
الرأى جثة هامدة : والعقيدة حياة وحركة .
الرأى ألفاظ وكلمات : والعقيدة عمل وتنفيذ .
الرأى قذيفة فارغة : والعقيدة متفجرات مشتعلة .

جدير بالمسلمين أن يجعلوا العقيدة مجالا للتوعية فى الاحتفال بيوم الذكرى الخالدة ، فاننا فى أشد حالات الضرورة الى عقيدة صاحب الذكرى — صلوات الله وسلامه عليه — فى صدقها وثباتها .. عقيدة لا تهاب قوة الصاعدين الى القمر ، ولا بأسهم وعلمهم ، ولا « تكنولوجيتهم » بل ولو استطاعوا أن يمسكوا بالشمس والقمر ، ويضعوها فى أيدينا « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الأمر الذى جئت به ما تركته » .

اننا فى حاجة الى عقيدة الذين رأوا أعداءهم رأى العين فى بدر ثلاثة أضعافهم مدججين بأسلحة أضعاف أضعاف ما معهم ، فما زحزحهم ذلك من موقفهم ، ولا أخرهم عن زحفهم ، بل قالوا لقائدهم : « أمض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وانا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء لعل الله يريك ما تقر به عيناك ، فسر على بركة الله » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان النبلى



قيم المجتمع الفاضل

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ : بجامعة الكويت

حدث البخارى قال : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الناس كالابل المائة (١) لا تكاد تجد فيها راحلة » : رواه الامام مسلم (٢) والامام أحمد (٣) .

١ — عرفته منذ أزمان باحثا منقبا غائصا على الدر فى كل لج ، متابعا لمثل الكريمة فى أى منعطف وفج تحرى اللفظ وينتقى المعنى ، واصلا ليله بنهاره ، وصباحه بامسائه ، دارسا فى عزم وجد يجرى وراء سيوده فى مظان وجودها فيحظى الكثير من تراث الآباء قائلا : « كل الصيد فى جوف الفرا » موقنا بأن هذا التراث هو الذى خلدوا به وخلد بهم ، لن يعيه الا من سار على دربهم سلك طريقهم ، متجافيا عن راحته مجانفا لمطالب البدن الا بقدر ، والتقيت به — ذات مساء — فى رحلة خارج البلاد ساعيا وراء الدر النادر فى محيط متلاطم الأمواج من العالم الرحب الفسيح ، حيث ثوى على يدى نقلته من مكامنه فى غفلة من عقل أصحابه وورثته ، ولم تقعد به سن تقدمت ، ولا سنون بدا أثرها فى شعر أبيض ، وعظم قد وهن ، وتجاذبنا أطراف الحديث ، والحديث ذو شجون ، بدأته مداعبا وكنت أعلم من أمره أنه حليف فلسفة وصنو حكمة ،

---

١ — قال الخطابى العرب تقول للمائة من الابل — ابل ، يقولون لفلان ابل أى مائة بعير ، ولفلان ابلان أى مائتان فقوله مائة تفسير للابل ، وقال ابن الأثير الراحلة من الابل البعير القوى على الأحمال والأسفار والذكر والأنثى فيه سواء ، وهى التى يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخلق (بسكون اللام)وحسن المنظر ، فان كانت فى جماعة من الابل عرفت ، وقال القرطبى الذى يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذى يحمل أثقال الناس والحمالات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود ، كالراحلة فى الابل الكثيرة ، وقال ابن بطال — معنى الحديث أن الناس كثير والمرضى (بضم الميم وفتحها) منهم قليل .

٢ — فى رواية الامام مسلم عن طريق معمر عن الزهرى « تجدون كابل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة » .

٣ — وفى رواية الامام أحمد عن سالم عن أبيه قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة » ورواه الترمذى وابن ماجة بلفظ مقارب .

ومدمن صداقة الأقدمين من بناة الانسانية الفاقهة .

قلت سيدى .. هل وصل الى علمك أن « ديوجين » عثر على ضالته قبل أن يلقى عصا سيره ويرقد بين الصفائح والجنادل ؟ أم أن البحث اعياه وعجل به الى مثواه أسفا حزينا كاسف البال مقطوع الرجاء خائب الأمل ؟ فأجاب صاحبى هون عليك ، ولا تلق بالا لمن ذهب ، ومصباحه أحاديث فى الغابرين بعد فلسفة تبدو للبعض عرجاء ولغير مدركها بلهاء ، وعرج مسرعا على الوادى الخصيب ، حيث الجنى الطيب والثمر الشهى فهناك مصدر الخير الخالص ، ومشرق النور الساطع ، ومورد العلوم الهادفة ، وينابيع الحكمة الصافية ، التى علت فى مصدرها حتى ما تطاول وسمقت فلا تدرك قننها ودنت قطوفها وتدلت ، فكانت قاب قوسين أو أدنى من راغبيها وقصادها ، وذهبت مثلا فريدا فى بابها ، باب التوجيه الانسانى الحق الى الأهداف السامية التى تضرب اليها آباط الابل ، وتشد الى رحابها الرحال ، وتطهم الجياد ، حيث الهادى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستمع اليه بقلب واع ، وألق السمع وأنت شهيد ، تجمع أطراف الفضائل ، وتصل الى قوام الحياة الحرة العزيزة الشديدة على أسس ثابتة ، من بناء مجتمع متماسك ، من كل جوانبه عياف للنقص ، ساع فى سبيل الكمال ، وان ندر فى غيره الرجال ، فقد حوى هو وسيلة للسيادة والريادة المسعدة فى العاجلة والآجلة .

٢ — يحذر سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاندفاع وراء المظهر قبل ابتلاء المخبر ، فالنظرة العابرة تريك فى سوق الابل أنواعا وجمالا ذات جمال ، ولدى الفحص تخرج من الابل بواحدة تصلح راحلة ان وفقت ، وقد لا تجدها ان تسرعت ، ولذا رسم للمجتمع الفاضل خطوطه وأوضح معالمه وحض على انتهاجها فى حزم وعزم وثبات ودءوب ، فقال عليه الصلاة والسلام « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت محبته ، فمن صفات العائش فى حمى الاسلام حبه لغيره من البشر ، والمسارعة الى معونة من استعان به ، وكف أذاه عن قومه والاحسان الى من أساء اليه فوصل من قطعه ، وأعطى من حرمه ، وصفح عمن ظلمه ، ولم يقف موقف الخصومة أبدا من عشرائه واخوانه ، وجعل أساس تعاطفه مع الآخرين الحب فى الله والبغض فيه ، فقد روى البخارى عن أنس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف الى من هو أهله والى غير أهله ، فان أصبت أهله أصبت أهله ، وان لم تصب أهله كنت أنت أهله » وروى الديلمى : « أن الله يحب اغاثة اللهفان » وروى ابن عساكر عن أبى هريرة « ان الله يحب المداومة على الاخاء القديم فداوموا عليه » وروى مسلم عن قتادة والبخارى عن أنس « من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، واثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة » .

ويقول الله تبارك وتعالى : — ومن أصدق من الله قيلا — « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومن جميل ما يروى ما جاء عن البيهقى أنه قال : « شتم رجل ابن عباس رضى الله عنهما فأجابه أتسبنى وفى ثلاث خصال ؟ انى

لأسمع بالحاكم يعدل فى رعيته فأحبه ولعلى لا أقاضى اليه أبدا ، وانى لأسمع بالغيث يصيب بلدا فأفرح وما لى به فيه سائمة ولا راعية ، وانى لآتى على آية من كتاب الله فأود أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم » .

ولعل أبا العلاء فطن الى معنى ما قصد اليه ابن عباس فأنشد شعرا :

ولو أنى حبيت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

٣ ـ يعنى الاسلام بالمجتمع كثيرا ، كى يقوى ويشتد وتنمو روابطه الكريمة ، ويكثر فيه الرجال الصالحون والنساء الصالحات ، فاذا به يثمر رواحل عديدة فيزيد حيزه وتتضاءل شروره ، وتتلاشى فيه الأنانية والأثرة وحتى يصل الى هذا الهدف ، يولى الأسرة اهتماما عظيما فينظر الى عمدها المتمثلة فى الرجل والمرأة معا فصار للمنزل المقام الأول، لأنه أساس لنظام المجتمع كله ، فالمقر الأول للذرية والأولاد بنين وبنات ، هو المكان الذى استنشقوا لأول وجودهم فى هذه الحياة هواءه فاذا زكت بهم التربة الأولى طابت ثمارهم وحلا جناهم ، ولما كان الرجل هو الذى يبحث عن شريكة حياته ، وجهه الاسلام الى القرينة القويمة الخلق ، العارفة بربها ، المؤمنة بأسرتها ، البعيدة عن مظان الشبه ومصادر الزلل ، فقد روى ابن عدى عن أنس مرفوعا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس » . وحث على مداومة الاحسان الى الزوجة والأولاد وتعهدهم بما يديم استقامتهم ، ويمضى بهم فى مدارج الكمال ، روى البخارى قول سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارجعوا الى أهليكم فكونوا فيهم ، وعلموهم وبروهم » وروى ابن عساكر عن على كرم الله وجهه ، أن رسول الله قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » ويستفاد من تتبع الأحاديث الشريفة فى هذا المجال أن البيت العامر بالذرية خير وأجدى على الانسانية من بيت خلا منها،ومما جاء فى هذا الباب ما رواه ابن حبان قال : ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه » وروى الترمذى : « الولد من ريحان الجنة » وواضح ان صقال الرجال والنساء لا يكون الا فى الأسرة القويمة السلوك التى يسهر فيها الوالدان على الاهتمام بأولادها واعطائها صورة السلوك الصالح فى سلوكها عمليا ، فالنموذج العملى له تأثيره السحرى فى الناشئة خصوصا ، والصغار يقلدون الكبار فى كل ما تقع عليه أعينهم منهم ، ففى الحديث الذى رواه البخارى « أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم فان أولادكم هدية اليكم » ومعلوم أن التفريط فى الهدية كفران لحق من أهداها ، وباعث على غضبه وسخطه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة الراعية لأولادها المنزلة الكريمة يوم القيامة فضلا عن الحياة السعيدة فى الدنيا فقال : « أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهى معى فى الجنة » .

وحث عليه الصلاة والسلام على العدل بين الأولاد فى كل شىء ففى الحديث الذى رواه الطبرانى يقول صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء » معارضا بذلك موقف بعض الجاهلين من البنات وكرههم لهن ، وفى مسند أحمد وصحيح الطبرانى قوله عليه السلام

« لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات » وكره رسول الله فعل من لا يعطف على أولاده ، ففى مسند أحمد أن الأقرع بن حابس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال له : ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » من لا يرحم لا يرحم » .

٤ — وينتقل الاسلام بتوجيهاته الكريمة من الأسرة الى المجتمع العام حاثا على ترابطه محذرا من الفرقة والانقسام فيقول صلى الله عليه وسلم « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » رواه عبد الله بن أحمد وفى الطبرانى من فرق « بتشديد الراء » فليس منا » وروى الترمذى : « يد الله على الجماعة وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » وفى البخارى « لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » وعن أبى ذر الغفارى فيما رواه أحمد « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فان الله لن يجمع أمتى الا على هدى » ومما يزرع المحبة ويمكن لها من الجماعة هو التراحم والتواد ، وبذل المعروف لكل من عرفت ومن لم تعرف ، والاحسان فى المقال والأعمال ، وأحق ما يورد فى هذا الموضع للاقتداء والتأسى ما كان عليه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلق كريم استحق ثناء الله تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ووصفه ربه فقال « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وحض عليه السلام على الرحمة حضا عاما فقال « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » رواه البخارى ، وروى أن الامام الشعبى ألقى السلام على وثنى قائلا « السلام عليكم ورحمة الله » فقيل له أتدعو له بالرحمة والرحمة استغفار ؟ فأجاب أليس فى رحمة الله يعيش ؟ وهذا ضرب من الاحسان الى الناس جميعا وبه تسود المحبة بينهم .

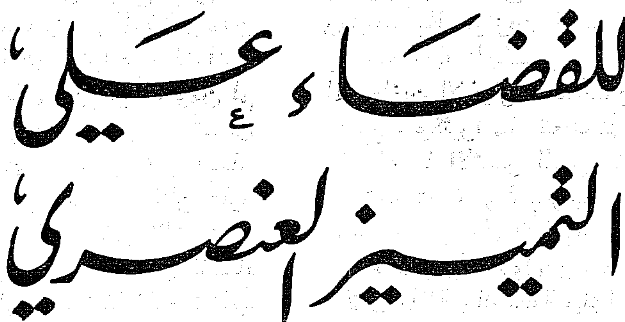
أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

والقول فى هذا يطول وقد عمرت به مجتمعات اتخذته سننا وطريقة فسادت .

وتطورت الى الافضل دائما وغفلت عنه أخرى فهوت وتمزقت أيدى سبا ، وصارت أثرا بعد عين ، وجرت مثلا سيئا فى الغابرين .

٥ — والخلاصة أننا لا نجد مصدرا ولا موردا لكل أصول الانسانية الفاضلة استوعب جميع مقوماتها الخيرة كهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الحديث موضوع البحث يحذر من الاندفاع وراء المظاهر الخلابة ويحث على حسن الاختيار والتروى والأناة فى اصطفاء العشراء ، ووزنهم بالموازين الصادقة التى رسمها رب العالمين وأوحاها الى المصطفين الأخيار ، فالظواهر قد تخدع ، وكثيرا ماأوقعت فى مشكلات كان لها الأثر السيء فى حياة المجتمعات ، والتجارب هى مفاتيح القلوب ، وطول الاختبار قد يبين عن خبيء لا يدرك لأول وهلة والناس كالابل المائة والراحلة بينها قليل ، ولا استقامة لأمورهم الا بالسعى الحثيث الى اقتفاء آثار المبشرين والمنذرين من صفوة خلق الله ، أولئك هم رسله وأنبياؤه وعلى قمتهم وفى مقدمتهم خاتمهم سيدى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاللهم وفقنا لانتهاج طريقه واتباع سبيله ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير .. » .

الكويت تحتفل باليوم الدولي



احتفلت الكويت مع سائر دول العالم باليوم الدولى للقضاء على التمييز العنصرى . وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اتخذت قرارا بتسمية عام ١٩٧١ م عاما دوليا للعمل على مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى ، وانه يجب الاحتفال بها باسم الكفاح المتزايد ضد التمييز العنصرى بكافة أشكاله ومظاهره ، وبأسم التضامن الدولى مع هؤلاء الذين يكافحون ضد العنصرية ، وناشدت الجمعية العامة بالحاح كافة الدول تشديد وتوسيع جهودها على المستويين الوطنى والدولى من أجل ضمان القضاء السريع والكامل على التمييز العنصرى بما فى ذلك سياسة الفصل بين الأعراق ، والمظاهر الأخرى للعنصرية وقد خصصت دولة

الكويت الأسبوع الأخير من الشهر الماضى للاحتفال بهذه المناسبة بناء على اقتراح من جامعة الدول العربية بأن تحتفل الدول العربية محليا بهذه المناسبة .

وقد عقد مجلس الأمة جلسة استثنائية مساء ٢١ مارس الماضى شجب فيها سياسة التفرقة العنصرية والصهيونية العالمية ، ودعا الى دعم حركات التحرير فى العالم ، وخاصة حركة التحرير الوطنى الفلسطينى .

وقد ألقى سعادة خالد الغنيم رئيس المجلس الكلمة التالية : —

حضرات الزملاء المحترمين ... ،

تعلمون حضراتكم أننا نجتمع اليوم فى عام سمى — السنة الدولية من أجل مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى — وفى الحادى والعشرين من شهر مارس ١٩٧١ المعتبر (اليوم الدولى للقضاء على التمييز العنصرى) نجتمع استجابة لهذين المعنيين فى عامنا هذا ، وفى يومنا هذا بل واستجابة كذلك وقبل ذلك لما أكده ديننا الاسلام منذ أربعة عشر قرنا عندما كرس هذه المعانى على أوسع نطاق يتصوره العقل ، والى أبعد مدى يمكن أن تبلغه المساواة بين بنى البشر ، وذلك فى العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال السلف الصالح وأفعالهم .

فمن القرآن الكريم وعلى سبيل المثال نذكر قوله تعالى **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** .

ومن الأحاديث الشريفة أخص بالذكر قول الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام **(الناس سواسية كأسنان المشط)** وقوله فى خطبة الوداع **(يأيها الناس ، ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب .. ألا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى)** .

وعن السلف الصالح أخص بالذكر قول سيدنا عمر بن الخطاب لواليه على مصر عمرو بن العاص عندما آذى ابنه قبطيا مصريا (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) .

من أجل هذه المعانى الاسلامية العظيمة التى اعتنق جانبا هاما منها ميثاق الأمم المتحدة ، والاعلان العالمى لحقوق الانسان ، والتى تكافح منظمة الأمم المتحدة كفاحا عظيما من أجلها ، وتعاونها فى ذلك الأمانة العامة واللجان والوكالات والهيئات والمؤتمرات المتعددة معاونة أوضحت أن التفرقة العنصرية التى لا تزال قائمة فى قلة من الدول حتى اليوم تعتبر وصمة وعارا فى جبين القرن العشرين .

فلنعلن من هذا المكان أننا نشارك الأمم المتحدة مثلها هذه ، ونساندها فكريا وقلبيا وماديا فى كفاحها المذكور ، ونندد أيما تنديد باصرار دولة جنوب افريقيا خاصة على التفرقة العنصرية ، مهدرة بذلك أبرز الحقوق الأساسية والحريات الفردية والاجتماعية التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وأكدها الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، كذلك نوجه الأنظار بأعلى صوت وبكل أسف وألم الى ما استحدثته اسرائيل فى قلب العالم العربى من تفرقة عنصرية نازية مريرة ضد العرب وما استحدثته بذلك

فى العالم من عنصرية جديدة أشد ضراوة وقسوة ووحشـــية فى عصرنا الحاضر ، عصر الأمم المتحدة والمساواة ، وحق تقرير المصير .. والتعاون الدولى للقضاء على بقايا التمييز العنصرى فى العالم .

فالى المكافحين من أجل القضاء على التمييز العنصرى أبعث من هذا المكان بتحية مجلس الأمة وتأييده لهم أينما كان مكانهم فى العالم .
والى الممارسين للتمييز العنصرى أينما ثقفوا أبعث باستنكارنا ، وأندد باصرارهم على طريقهم الوعر ، وتمييزهم العنصرى البغيض .
وفى الختام أستأذنكم فى أن أبعث الى الســـيد الأمين العام للأمم المتحدة بتقديرنا لجهود المنظمة الدولية وأجهزتها ، وجهوده الشخصـــية من أجل القضاء على التفرقة العنصرية فى العالم بأسره ، وتنديدنا بما عاق ويعوق تلك الجهود المخلصة من معوقات مغرضة ومحاولات آثمة للاستمرار فى تلك التفرقة .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وألقى بعد ذلك الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية كلمة هذا نصها : ـــ

سعادة الرئيس :

أيها الأخوة أعضاء مجلس الأمة يسعدنى أن أتحـــدث اليكم اليوم نيابة عن زملائى أعضاء الحكومة بمناسبة الاحتفال هذا العام بالعام الدولى للعمل من أجل مكافحة العنصرية والتمييز العنصرى ، ونحن اذ نحتفـــل بهذه المناسبة فاننا نعرب عن تضامننا مع جميع الشـــعوب التى تعـــانى من ويلات التفرقة العنصرية ، فميثاق الأمم المتحدة يؤكد ايمانه بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية .

وانه لما هو جدير بالذكر حقا فى مثل هذا اليوم هو أن ديننا الاسلامى الحنيف سطر منذ بزوغه مبادىء أساسية فى العلاقات الانســـانية ، اذ يقول الله جل جلاله فى كتابه العزيز **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعـــارفوا ان أكرمكم عند اللـــه أتقاكم)** صدق الله العظيم .

وبذلك يكون الاسلام الحنيف الذى نعمل بهديه أول من عمق مفهوم المساواة ، ومبادىء العدالة ، ومعانى الكرامة الانسانية .

وانه لمن المؤلم حقا ونحن نشارك جميع شعوب العالم وحكومـــاته بهذه الذكرى أن نرى قضيتنا العربية ـــ قضية فلسطين ـــ لا تزال تتخبط فى أروقة الأمم المتحدة منذ ثلاثة وعشرين عاما بدون حل ليكون ضحيتها شعب آمن اغتصبت الصهيونية أرض آبائه وأجداده ، وجعلته شعبا من اللاجئين ، ذلك لأن اسرائيل بتكوينها الحالى ما هى الا دولة عنصرية فى تركيبها ، ونرى اخواننا العرب تحت الاحتلال يتعرضون لأقسى أنواع التفرقة العنصرية الأمر الذى يشكل خرقا فاضحا لجميع المواثيق الدولية الخاصة بمحاربة التمييز العنصرى بكافة أشكاله وصوره .

أيها الأخوان .

لقد سبق لدولة الكويت ايمانا منها بمبدأ محاربة التفرقة العنصرية أن أقرت الاتفاقيات الدولية الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية بكافة صورها وأشكالها بموجب القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٨ ، وقد أودعت الدولة وثيقة انضمامها الى تلك الاتفاقية المهمة بتاريخ ١٥ اكتوبر عام ١٩٦٨ ، ولقد جاءت الاتفاقية المذكورة لتتمشى الى حد بعيد مع دستور دولة الكويت الذى نصت المادة ٢٩ منه على (الناس سواسية فى الكرامة الانسانية وهم متساوون لدى القانون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين) وجاءت خطوة دولة الكويت منسجمة أيضا مع قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٢٣١٦ بتاريخ ١٩٦٧/٣/١٨ حيث أوصى الدول العربية الأعضاء بالانضمام الى تلك الاتفاقية التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٦٥/١٢/٢١ وانسجاما مع هذا المبدأ الذى تؤمن به دولة الكويت ، فقد صادقت الدولة على الاتفاقية رقم ١١١ التى تحارب التمييز فى الاستخدام أو المهنة ، كما صادقت على اتفاقية اليونسكو لعام ٦٢ ، والخاصة بمكافحة التمييز فى التعليم ، وكذلك الاتفاقية الخاصة بالقضاء على الرق ، وتلك التى تتعلق بتحريم السخرة والعمل الأجبارى، وانسجمت دولة الكويت فى سياستها الخارجية مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمقاطعة جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا ، واتخذت اجراءات لأحكام تطبيق المقاطعة ، وعدم التعامل مع حكومات تلك الأقطار .

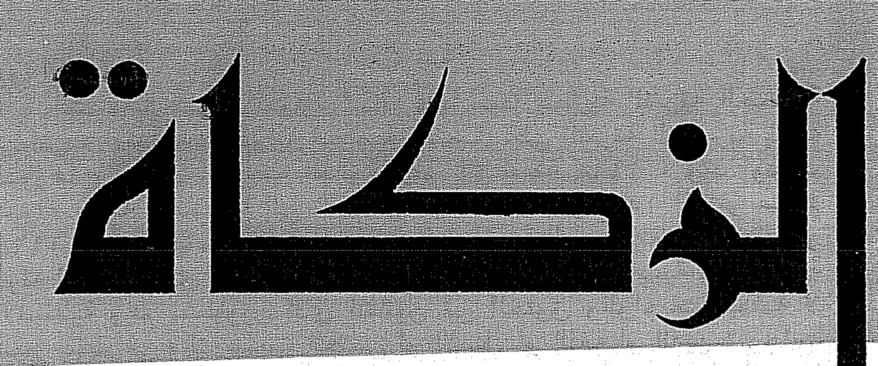
أيها الأخوان :

أن ما يسود عالمنا اليوم من أزمات وصراع تعود أسبابه الى قيام بعض الفئات بممارسة هذه السياسة البغيضة سياسة التفرقة والتمييز بين أبناء البشر .

ولعله من أولى واجبات المجتمع العالمى فى عصرنا الحاضر أن يتكاتف ويعمل بجد واخلاص ضمن اطار الأمم المتحدة من أجل القضاء على هذه الآفة التى تواجه البشرية ،لكى ينعم العالم بما يصبوا اليه من أمن وسلام وطمأنينة والله ولى التوفيق .

هذا وقد تكلم فى الجلسة بعض السادة النواب .

وأشاروا فى كلماتهم الى أن التفرقة العنصرية تمارس بأبشع صورها فى فلسطين المحتلة وكمبوديا ، والمستعمرات البرتغالية ، وأن الولايات المتحدة تغذى هذه التفرقة ، والى أن اسرائيل دولة عنصرية تقوم على أساس التفرقة بين المواطنين العرب وغيرهم ، وقالوا ان الأمم المتحدة التى طالبت بالاحتفال بهذا اليوم كان الأجدر بها أن تنفذ مقراراتها بشأن حقوق الانسان ، والقضاء على التمييز العنصرى ، وفى نهاية الجلسة التى استغرقت زهاء ساعتين أعلن الرئيس أن المجلس قرر ارسال برقية الى المستر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ، يعلن فيها أن الكويت تدين التفرقة العنصرية بشتى الوسائل ، وتؤكد وجوب دعم حركات التحرير الوطنية فى العالم ، وخاصة حركة التحرير الفلسطينى ضد العدو الاسرائيلى .



١ الزكاة العبادة هي اخراج المال عن التزام ذاتي، في حريّة واختيار



صلتها في فاعليتها بالصلاة

الانفاق في سبيل الله صنو الزكاة في الالتزام الذاتي



مدى التطبيق العملي للالتزام الذاتي في شأن المال في المجتمع الاسلامي

في مجال الاعطاء الحر للمال :

للدكتور محمد البهي

الزكاة ((العبادة)) ليست هى اخراج نسبة معينة من أربـــاح رأس المال فى التجارة ، أو الصناعة ، أو الزراعة أو مما يكتنز ويدخر من مال ، وليست هى أيضا اخراج نسبة خاصة مما يكتشف أو يستغل من معـــادن الارض ، أو مما يعثر عليه من ذهب أو فضة مدفون فى باطن الارض ، أو من رأس المال نفسه أن بلغ نصاب الزكاة ولم يتغير بنقص فى آخر العـــام .. ليست هذا كله فحسب .. وليست هى كذلك صرف ما يخرج من المال باسم الزكاة فى مصارف الزكاة التى جاء القرآن الكريم بتحديدها . وانما بالاضافة الى اخراج النسبة المعينة من الارباح أو من المال نفسه ، والى صرفها فى المصارف المحددة لها ، ان اخراجها وصرفها لم يكن واحد منهما عن طريق ((الالزام)) . والا كان شأنها شأن الضريبة يلزم بها قانون الدولة تلك الدولة التى هى من صنع الانسان وثمرة فلسفته .

وانما « العبادة » فى الزكاة أن يكون اخراج المال وصرفه ناشئا عن « التزام » المؤمن بالله نفسه للاخراج والصرف معا . وهو التزام ليست فيه شائبة اكراه ، لأنه نتيجة الايمان .

والمؤمن لا يدخل الايمان مكرها . بل ايمانه يتم بفعل مشيئته ومحض اختياره . اذ لا يقبل ايمان المكره عند اللــــه ، ولا يترتـــب عليه أثر ما فى حياته .

ولذا : « التزام » المؤمن هو قربى منه الى الله ، هو عبـــادة . اذ العبادة « التزام » حر بأداء ما يترتب على الايمان ذاته :

فالايمان اذ يوجب الصلاة والزكاة مثلا على المؤمن بالاسلام يلتـــزم المؤمن به عن مشيئته بأداء الصلاة والزكاة . والصلاة أو الزكاة من جانب آخر فى أداء أى منهما تزكى ايمان المؤمن وتتفاعل معه تفاعلا ايجابيا . واذا زاد ايمان المؤمن وقوى كان « التزامـــــه » بالاداء عندئذ أيسر وأنشــط وأدوم .

ولأن الزكاة عبادة والتزام ذاتى ، وليست قهرا ، ولا الزاما من خارج الذات عن طريق القانون أو السلطة التنفيذية ، على نحو ما فى الدولة المعاصرة — لا تكون الضريبة بديلا عنها ، ولا هى بديلة عن الضريبة ، لأن معنى العبادة والالتزام الحر ليس موجودا فى الضريبة ، فضلا عن اختلاف المصارف بين الاثنتين .

وما يذكر عن « ديمقراطية » التشريع فى الضريبة فانه لا يوفر فيها اطلاقا عنصر المشيئة والرغبة الفردية والقربى فى غير مقابل ، الذى هو متوفر فى الزكاة .

شتان بين « العبادة » فى أداء الزكاة لله وبين « الواجب » فى أداء الضريبة للدولة .

شتان بين « جلال الله » الذى يتقرب اليه المزكى بزكاته ، و « معنى الدولة » الذى يوجب على دافع الضريبة طاعته فيما يدفع من ضرائب .

ان قلب المؤمن لا يعمر الا بالمحبة لله ، ولكن قلب الفرد فى المجتمع المعاصر قلما ينطوى على رضا بالدولة أو بنظام الحكم القائم . ومن هنا تعبر الدولة المعاصرة عن افلاسها فى كسب طاعة الافراد طاعة نفسية لنظامها ، عندما يكثر فى اصدار التشريعات وتزيد فى قوى « الأمن » الداخلية التى تؤلفها لصيانة النظام والأمن فيها .

ولأن العبادة التزام حر بقربى الى الله ، يترتب على الايمان به ، ليس لتركها — اذا ما تركت — « حد » فى الاسلام وان كان تاركها عاصيا . أى ليس لتركها « عقوبة » معينة جاء بها الاسلام ، كعقوبة القتل أو السرقة أو مباشرة الزنا مثلا (١) . اذ من غير المعقول أن يجتمع ايمان بالله على سبيل الحقيقة مع ترك الصلاة ، أو ترك الزكاة ، أو ترك الصوم . فالأمر فى حقيقته يدور بين « وجود » الايمان بالله أو « عدم وجوده » . فان وجد الالتزام الحر بنتائجه قائم . والعبادات من بين ما يتلزم بأدائه أداء حرا ، تبعا للمشيئة فى الايمان .

وان لم يوجد الايمان فليس هناك التزام يؤدى ، عبادة أو غير عبادة .

ومن هنا تارك الصلاة أو تارك أية عبادة أخرى ان أريد محاسبته ، فيجب أن يحاسب على الايمان أو الارتداد فيه ولو بالعمل ، وليس على ترك العبادة فى ذاتها . ولذا الحرب التى واجه بها الحقيقة أبو بكر — رضى الله عنه — مانعى الزكاة كانت فى حقيقة أمرها بسبب ارتدادهم عن الايمان ، وليست بسبب تركهم عبادة الزكاة .

. . .

هذا الالتزام الحر لمعنى العبادة فى الزكاة هو الذى يجعل من الزكاة عطاء حرا للمال ، أى عطاء غير مشروط بمبادلة منفعة أخرى ، وغير مكره عليه من أحد ، وغير متعثر أو متردد فيه .

ليست هناك عقبات نفسية دونه ، ولا هناك محاولات للهرب منه . وهنا تحقق المنفعة العامة للمال لأنها عطاء المال ، بدون مقابل .

ولأن أداء أية عبادة يرتبط بالايمان بالله كانت صلة الزكاة صلة وثيقة بالصلاة خاصة التى هى كمصدر لنمو فاعلية الايمان ، وكعبادة يلتزم فيها بتحويل مفهوم « وحدة الالوهية » الى « حقيقة نفسية » مترسبة فى أعماق النفس .

فالصلاة كعبادة تترتب هى أيضا على الايمان بالله فيلتزم المؤمن

بأدائها التزاما التزاما حرا مطلقا خالصا ولكن طبيعتها ، وهى دعاء لله ومناجاة اياه ، وتوسل اليه فى ان يعينه على الصراط السوى ، وفى ان يحمى من الانحرافات والنزوات التى يدفع اليها الاتجاه المادى فى الحياة ، تتصل بذات الله فتكون له فى ذات المصلى خشية ، وفيه أمل فى النجاح والانقاذ .

وهذا الأمل وتلك الخشية هما العاملان فى زيادة الايمان نفسه بالله . وكلما زاد الايمان وقوى كلما كانت القدرة على اجتياز العقبات النفسية — سواء بحكم العادة والالف ، أو بحكم التوجيه السىء السابق ، أو بحكم سيطرة الانانية — فى سبيل أداء الالتزامات التى تترتب أساسيا على الايمان بالله .

والزكاة وان كانت عبادة يلتزم بها المؤمن نتيجة ايمانه بالله ، الا أنها ترتبط بالمال والملك والاقتناء ، أى ترتبط بما تحرص الذات عليه بحكم الغريزة وبحكم الانانية فى سبيل « حفظ البقاء » للذات . حتى يتخيل للبعض أن خلود البقاء هو فى جمع المال وادخاره : « ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده » (٢) .

وقد تمضى الحياة كلها على البعض الآخر فى سبيل تكاثر المال والأولاد : « ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر (٣) . بحيث يكون الهدف لأى منهما هو ذات المال ، سواء نظر من خلاله الى خلود النفس فى بقائها أو الى القوة التى يحفظ بها وجوده وكيانه .

والحرص على المال المقتنى ، والسعى لاقتنائه طبيعة فى النفس البشرية لا تتخلى النفس عنها بحال . واذا وجدت الظروف معدة لتحقيق هدف الاقتناء فان الشح سيكون لازما لها . وعندئذ يشتد الحرص على المال فى اقتنائه ، ويزداد الأمر صعوبة فى انفاقه .

ولارتباط الزكاة بالمال كانت عبادة الزكاة فى قوتها نحو التحويل من الشح والامساك الى الاعطاء الحر بحاجة الى فاعلية أكثر من طريق الايمان بالله فى قوته وفى حيويته . ومن هنا كان اقتران أداء الزكاة بأداء الصلاة فى كثير من آيات القرآن الكريم ، عندما يتحدث عن شأن العبادة أو يوصى بها ، أو يلخص قوام الروحية فى الدين . فيقول الله تعالى :

١ — « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة .

٢ — « وما أمروا :

« الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، حنفاء ،

« ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ،

« وذلك دين القيمة » (٤) .

... فالآية الاولى من هاتين الآيتين تشير الى أن أهل الكتاب السابقين لم يختلفوا على بعضهم بعضا فيتجه بعضهم الى الوثنية والشرك ويقع تحت طغيان المادية ، ويبقى البعض الآخر فى دائرة الايمان الصحيح ، ولم تقم بينهم فرقة على هذا النحو فى الدين — دين الله — الا بعد ان جاءتهم الحجة برسالة رسول منهم اليهم ، توضح لهم الحق فى ذاته . بينما الآية الثانية تلخص قوام هذا الحق الذى ينحصر :

فى وحدة الألوهية : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين (فى عبادتهم اياه) له الدين (وحده لا شريك له) ،

وفى الاستقامة الناشئة عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة : « حنفاء (مستقيمن) ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » .

... ثم يصف القرآن الكريم ما جاء فى الآية الثانية من مجموع عبادة الله وحده ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة بأنه : « دين القيمة » أى دين الجماعة المستقيمة .

فعماد الدين اذن :

وحدة فى الالوهية تحول دون الشرك وبالتالى دون طغيان المادية ،

وروحية تتمثل فى الصلاة والزكاة ، وهى الروحية التى تدخل للمؤمن النهج المستقيم فى الحياة .

فاقتران الصلاة هنا بالزكاة لتيسير أمر الزكاة على النفس الانسانية ،

واقتران الزكاة هنا أيضا بالصلاة لاضعاف الأنانية وسيطرة الاتجاه المادى فى الحياة .

وقد أوصى القرآن المؤمنين — فى معرض ما يتمناه لهم أهل الكتاب من عودتهم الى الكفر — بالثبات على أمرين :

على اقامة الصلاة ،

وعلى ايتاء الزكاة ، تاركين لهم حقدهم وحسدهم . الأمر الذى يدل على أن أداء هاتين العبادتين فى ارتباط بينهما من شأنه أن يبقى المؤمنين على تميزهم عما عداهم . يقول الله تعالى :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ،

« حسدا من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق ،

« فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، ان الله على كل شىء قدير .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير (أى بالانفاق فيما عدا الزكاة) .

« تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير » (٥) .

... فالصلاة وحدها أو الزكاة وحدها اذن لا تبقى فى نظر القرآن على ما يتميز به المؤمنون من الايمان بالله وحده ، وعدم التبعية للاتجاه المادى وطغيانه فى حياتهم وفى مواقفهم . والاقتران بينهما هو الامارة المميزة .

وكذلك فيما وعد به المؤمنين من الاستخلاف فى الارض فى قول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ،

« يعبدوننى ، لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .

« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،

« واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » (٦) .

... فقد طلب منهم — لبقاء هذا الاستخلاف — اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مقترنتين لا انفصال لأحداهما عن الأخرى . وبأدائهما معا يكون هناك ضمان لوجودهم فى العبادة فى دائرة الله وحده ، لا يخرجون عنها الى ما تدفعهم اليه المادية من شرك ووثنية .

واذ يوجه القرآن قوله تعالى :
« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ، ونصفه وثلثه ، وطائفة من الذين معك ،
« والله يقدر الليل والنهار ،
« علم ان لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرءوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى ،
« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ،
« فاقرءوا ما تيسر منه ،
« وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير .
« تجدوه عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا ،
« واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم » (٧) .

... الى الرسول — عليه الصلاة والسلام — والمؤمنين معه فيخفف الأمر عليهم فى شغل الليل بالدعاء والتوجه الى المولى سبحانه لأسباب متنوعة اقتضتها حكمته جل وعلا ، ويطلب منهم أن يواظبوا على أداء الصلاة والزكاة والانفاق فى سبيل الله .. اذ يوجه القرآن قوله هذا الى الرسول والمؤمنين معه يوجهه لأمرين :

أولا : انه فى أداء الصلاة وأداء الزكاة وما بعدها من الانفاق فى سبيل الله ما يكفى لبقاء المؤمن بالله مؤمنا بالله ، لا تقربه المادية ، ولا يحوله طغيانها الى الشرك .

وثانيا : أن السعى فى الارض ابتغاء من فضل الله هو ظاهرة طبيعية للحياة الانسانية ، كالمرض الذى يطرأ على صحة الانسان سواء بسواء .

ولولا السعى فى الأرض وتحصيل رزق الله لما كان هناك ما يقتنى من مال ، ولما كانت هناك بالتالى زكاة أو انفاق فى سبيل الله . واذن لا بد أن يشغل الانسان بالسعى لابتغاء فضل الله فيعوقه عن التفرغ للعبادة ، كما قد تشغل صحة الانسان بالمرض فلا يتمكن من أن يؤدى العبادة على الوجه المطلوب .

واذ يكتفى توجيه القرآن هنا بقراءة ما تيسر من القرآن ، بجانب المداومة على الصلاة وايتاء الزكاة فلكى يجمع بين ما هو من خصيصة الطبيعة البشرية فى حياتها ، وما هو واجب الله من عبادة لصالح المجتمع الانسانى .

وآيات عديدة أخرى فى مناسبات عديدة وفى مجالات مختلفة تطلب الى المؤمنين — كى يستمروا على ايمانهم — اقامة الصلاة وايتاء الزكاة معا كعبادتين فيهما الضمان لتحقيق الهدف المقصود ، وفيهما العون لبعضهما البعض على انجاز كل منهما فى يسر .

أما الانفاق فى سبيل الله أو اقراض الله قرضا حسنا فهو يتبع أداء الزكاة كعبادة يتقرب بها المزكى الى الله ، كما يتبع الصلاة كعبادة يتقرب بها المصلى الى الله الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

• • •

ولأن الانفاق فى سبيل الله — وراء أداء الزكاة — أمر يقوى الروابط فى المجتمع ، وعامل يزيد فى صفاء النفس ، ويحول باستمرار دون أن

تطغى بكنز المال وجمعه ، ومن ثم تتبع المادية فى اتجاهها ، كان أشبه بالزكاة فى الالتزام به . فهو قربى وعبادة ، ولكن ترك أداؤه لطواعية الذات لأداء الزكاة . أى ترك أداؤه للتأثر بفاعلية الزكاة . فالمزكى وقد سهل لديه الآن اخراج الزكاة لما فيها من قربى وعبادة الى الله يسهل عليه بعد ذلك أن يزيد فيما يخرجه ، حتى يصل الى ما هو فى حاجة اليه فقط ، وبذلك يغطى « العفو » كله .

ومن غير شك أن ما يشير اليه القرآن الكريم فى نداءاته العديدة الى المؤمنين من الانفاق فى سبيل الله لا يدخل فى معطى الزكاة الواجبة . وآية « المزمل » السابقة تقول : « فاقرأوا ما تيسر منه ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير (وهو هذا القرض الحسن) تجده عند الله ، هو خيرا وأعظم أجرا » .. توضح أنه الزيادة فى الاخراج من المال يعد أداء الزكاة . اذ قد أطلقت عليه قرضا حسنا ثم جعلته فى أدائه تقديم خير لمن يفعله ، لن يترك جزاؤه عند الله ، وهو أجر عظيم .

ولأنه غير الزكاة ووراءها فهو لا يتقيد بالنسب والمقادير ، ولا بأنواع المال وأصنافه التى ترتبط بها الزكاة . وتقييده فقط بدائرة تبعده عن الاكراه أو عدم الرضا ، وتقربه الى معنى المحبة وراحة النفس واطمئنانها الى مباشرته . فهو :

أولا : لا يتحدد مقداره بنسبة ولا كمية معينة : « ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : العفو ! كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة » (٨) . فالآية تنصح بالانفاق من المال ... الى العفو . فهناك مسافة بين المال فى كميته وما يزيد منه عن حاجة المالك له ولأسرته .

ثانيا : أنه يتحدد فى نوعه بأنه من طيبات وأحب ما يقتنى المالك فى ماله : « يا أيها الذين آمنوا : انفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه ، الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » (٩) . « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم » (١٠) .

ثالثا : أن يكون هناك اخلاص فى انفاقه ، أى يبتغى به المنفق وجه الله وحده : « ليس عليك هداهم ، ولكن يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (١١) . فالآية تخبر عما ينبغى فى الانفاق وهو ان يقصد به وجه الله .

رابعا : ان يبتعد فيه عن الايذاء المعنوى لمن يعطاه وعن الامتنان به عليه : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم . يا أيها الذين آمنوا : لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان (أى حجر صلد) عليه تراب فأصابه وأبل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٢) .

خامسا : ان مصرفه ليس هو مصرف الزكاة على وجه التحديد : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين ،

واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله بـــه عليم » (١٣) . فهنا اذا كان اليتامى والمساكين وابن السبيل قد نصت عليهم الآية وتشارك بذلك آية الزكاة ، فقد نصت على غيرهم مما لم تجعلهم آية الزكاة من مصارفها ، وهم : الوالدان والأقربون . وهذا يفيد أن الانفاق فى سبيل الله أريد به أن يكمل فاعلية الزكاة فى الأمة ويقوى الروابط فيها .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله من أصحاب الاموال فى الأمة يعتبره القرآن الكريم قرضا حسنا لله — وهو فى واقع الأمر من مال الله الــذى استخلف عليه الانسان — يجازى عليه جزاء كريما فى كمه ونوعه ، كمــا تنطق هذه الآية : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم » (١٤) .. فالقرآن الكريم ذاته يطلب الى الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينذر المؤمنين بالمبادرة بالانفاق وعدم التراخى فيه ، فيما تقوله الآية : « قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة ، وينفقوا مما رزقناهــم سرا وعلانية ، من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »(١٥). ويقرن طلب الانفاق سرا وعلانية . باقامة الصلاة ليؤكد أهمية الانفاق فى حياة المؤمنين — على نحو أهمية الصلاة فيها — وأنه جزء لا يتجزأ من سبيل النجـــاة والنجاح .

ثم بالاضافة الى ذلك يشدد القرآن فى الانذار ، اذ يرى فى التخلف عن الانفاق دفعا بالأنفس — من ذواتها وليس مـــن أجنبى عنها — الـــى الضعف والهلاك . وهو ضعف الأمة فى روابطها ، وهلاكها فى خصومـــة بعض أفرادها لبعض : « وانفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الـــى التهلكة (أى بمنع الانفاق فى سبيل الله ، لما يؤدى اليه من ضعف وغلبة للعدو) وأحسنوا (أى الى أنفسكم بالانفاق فى سبيل الله) ان الله يحب المحسنين » (١٦) .

... فتطلب الآية من جميع المؤمنين القادرين على الانفاق أن ينفقوا فى سبيل الله ، فى صيغة الأمر والوجوب — ولم تذكر سبيل الترغيب فى هذا الانفاق ، على نحو ما تذكر الآية الأخرى السابقة : « من ذا الــذى يقرض الله قرضا حسنا ؟ » — ثم تذكر : انه ليس وراء التخلف عن الانفاق الا التهلكة ، ليس للذين لم ينفقوا وحدهم ، وانما للجميـــع : « ولا تلقـــوا بأيديكم الى التهلكة » . وكأنه ليس هناك خيار ولا وضع آخر بعد التخلف والامتناع عن الانفاق ، الا الهلاك ، والهلاك بأيدى الهالكين أنفسهم وليس بأيدى أعدائهم .

ومع ذلك فهى بعد هذا التحذير تطلب اليهم أن يحسنوا الى أنفسهم بالانفاق فى سبيل الله ، وفى الوقت نفسه اذا صنعوا ذلك أرضوا اللـــه سبحانه وتعالى : « ان الله يحب المحسنين » .

. . .

والمؤمنون اذن من خصائص صفاتهم : أن ينفقوا فى سبيل اللـــه ، بجانب صفات أخرى تقتضيها نتائج الايمان بالله ، وتنص عليها آيات قرآنية عديدة بما يفيد : ان المؤمنين فى واقع أمرهم هم ما على هذه الصفات . فان تخلوا عنها أو عن بعضها فأمرهم عندئذ يدور بين النفاق والكفر .

تبتدىء سورة البقرة بقول الله تعالى :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ،

« هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وممـــا

رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »(١٧) .

... ففى وصف المتقين — وهم المؤمنون صدقا — كان الانفاق فى سبل الله ركنا أساسيا من أركان التقوى : « ومما رزقناهم ينفقون » . واكتفى هنا بالانفاق فى سبيل الله ما يدفع بالاولى على اخراج الزكاة . اذ قلما يكون هناك انفاق من منفق فى سبيل الله ، ولا يكون هناك اخراج زكاة منه . ولكن على العكس قد يكون هناك المزكى فى ماله الذى يقف بالاخراج من المال عند حد الزكاة .

وشرط أولى اذن لمن يوصف بالايمان صدقا أن يتناول ايمانه الماضى فيؤمن بما أنزل من الله قبل رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما يتناول المستقبل فيؤمن بالآخرة ، وكما يتناول الحاضر فى شهادته يتناول الغيب وهو فى حيز عدم الرؤية . وفى تطبيقه لما يؤمن به يكون مؤديا للصلاة محافظا على أدائها ، كما يكون قد بلغ فى صلته بالمال أنه ينفق طواعية من ماله فى سبيل الله ، عدا ما يتقرب به كعبادة من اخراج الزكاة .

ويزداد المؤمنون وضوحا فى صفاتهم عندما توضع صفاتهم فى مواجهة صفات الآخرين من غير المؤمنين ، مما بقوا على كفرهم وماديتهم أو تستروا وراء اعتراف ظاهر بالايمان .

وقد جاء فى سورة الفرقان ما يتلى من صفات المؤمنين فى مقابلة صفات من عداهم ، فى قوله تعالى :

١ — « وعباد الرحمن :

أ — « الذين يمشون على الارض هونا (أى فى غير كبرياء أو طغيان الماديين) ،

« واذا خاطبهم الجاهلون (وهم الكافرون الماديون) قالوا : سلاما (أى كانوا متسامحين : اذ لا جدوى من مناقشتهم) .

ب — « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما (أى مصلين) .

« والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما .

« انها ساءت مستقرا ومقاما .

جـ — « والذين اذا أنفقوا (أى على أنفسهم وأهليهم) لم يسرفوا « أى لم يكونوا كأولئكم الماديين الكافرين الذين يتبعون ما أترفوا فيه) ،

« ولم يقتروا (أى لم يمسكوا ويبخلوا على أنفسهم وعلى من عداهم) وكان بين ذلك قواما .

أ — « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ،

ب — « ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ،

« ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ،

« ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا .

« والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما .

جـ «والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » (١٨) .

... فهذه الآيات جمعت ثلاثة أنواع من الصفات للمؤمنين هى :

عدم الطغيان بالمادية : « الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما » .

وقيام الصلاة : « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » .

والانفاق فى سبيل الله : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما » . لأن عدم مجاراة الماديين فى البذخ والترف يدل على عدم الخضوع للمادية ، وعدم التقيد فى الانفاق يزيد فى تأكيد عدم الخضوع لها . ومن لم يخضع للمادية فى اتجاهها فهو فى جانب روحية الدين . وعندئذ يزكى وينفق فى سبيل الله .

... كما جمعت هذه الآيات أيضا ثلاثة أنواع أخرى من الصفات يوصف بها الماديون الكافرون ، وبأضدادها المؤمنون بالطبع والضرورة .

الشرك بالله يوصف به الكافر المادى ، وبعدمه يوصف به المؤمن بالله : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر » .

وارتكاب الجرائم الاجتماعية من الزنا ، والسرقة والقتل يوصف بها الكافر المادى ، وبعدم ارتكابها يوصف المؤمن : « ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون ... والذين لا يشهدون الزور .. » .

والاعراض عن كتاب الله ودعوة الرسول عليه الصلاة والسلام يوصف به الكافر المادى وبعدمه يوصف المؤمن : « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

أما من يتستر وراء اعلان الايمان ظاهرا فأهم أمر يكشف عن طبيعته المختبئة هو مطالبته بانفاق المال أو بالخروج الى ميدان القتال . اذ أنه لا يستطيع أن ينافق هنا فى مجال التطبيق العملى ، لو استطاع فى أداء الصلاة أو الصوم .

ففى مجال طلب القتال تقول الآية الكريمة :

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ! (أى هلا أنزلت سورة) :

« فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض (وهم المنافقون) ،

« ينظرون اليك نظر المغشى عليه من « الموت » (١٩) . فهنا يبدو عليهم أثر الرعب والخوف الذى يكشف عن ايمانهم بأنه كان ايمان احتراف ومنفعة مادية ، ولم يكن ايمان تقوى ورسالة .

وفى مجال الانفاق لكشف المنافقين يقول الله تعالى فى مواجهتهم صراحة :

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم (أى ولم يختبركم بعد بسؤالكم انفاق الاموال فى سبيل الله) . ان يسألكموها فيحفكم ، تبخلوا ويخرج أضغانكم . ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٢٠) ..

... فهو يطالبهم بالايمان والتقوى أولا ـــ مع أنهم أعلنوا الايمان من قبل ـــ ليوجه الى حقيقة أمرهم ، مع أن هذه الحقيقة لم يكشف عنها النقاب عيانا بعد امام المؤمنين ، عن طريق سؤالهم الانفاق فى سبيل الله والالحاح

فيه واقتران هذا السؤال والالحاح فيه بالامساك منهم والبخل واثـــارة الضغينة الكامنة فى النفس والتعبير عنها : « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكـم أجوركم ، ولا يسألكم أموالكم . ان يسألكموها فيحفكم ، تبخلوا ويخرج اضغانكم » . ثم يرفع النقاب عن هذه الحقيقة التى تبتعد عن الايمان بمقدار ما تقترب من الكفر ، عن توجيه طلب الانفاق فعلا فى سبيل الله اليهم لتظهر عاقبة هذا الطلب جلية واضحة ، وهى الشح الذى يدل على عدم التأثـر بالايمان بالله : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

. . .

وهكذا : اذا كانت الزكاة عبادة وقربى ، وكان الانفاق بعدها فـى سبيل الله عبادة وقربى ، فانه فى وقوعه يتأثر باخـراج الزكاة ومـدى فاعليتها فى نفس المزكى ، وكلاهما يدلان على حقيقة الايمان بالله ووزنه فى نفس من يعلنون الايمان به ، كما يدلان على التفاعل بالايمان فى نفس المزكى والمنفق .

ومن هنا كان الانفاق فى سبيل الله أمارة قاطعة على حقيقة الايمان ، كما يكون رفضه ، ورفض الزكاة قبله ، أمارة على الكفر وطغيان الاتجـاه المادى فى الحياة ، بينما أمارة النفاق فى الايمان تنصـح فى الشح فـى الانفاق فى سبيل الله بعد المطالبة به . ولا يختلف المنافق فى الايمان عن الكافر به الا فى المعارضة المختبئة وراء الشح عند المنافق ، والمعارضـة الصريحة والانكار العلنى لدى الكافر .

وفى حياة المسلمين فى تاريخهم لم يبق النداء للانفاق فى سبيل الله — وراء اخراج الزكاة — دعوة من القرآن الكريم لم تجد صداها فـى التطبيق العملى . وانما اقبال المؤمنين على « الحبوس » فى سبيل الخيرات العامة التى تشمل منفعتها الكافة فى الامة يصور : أى مدى تعمق هـذا النداء وترسبت حقيقته النفسية فيهم ، بحيث أصبحوا يتنافسون فيما بينهم على « وقف » الاموال فى صورها المختلفة ، وحبس منفعتها عـلى ضرب من ضروب « البر » والخير : ان فى سبيل التعليم والدعوة الى الله ، أو فى سبيل المرضى ورعايتهم الصحية ، أو فى سبيل أصحاب الحاجة ممـن لا يملكون الوسيلة لسد حاجاتهم بأنفسهم ، أو فى سبيل قوة الامة واعدادها فى مواجهة العدو ، أو فى سبيل رعاية حجاج بيت الله فى حرمه الآمن ، بل قد تجاوزت منفعة ما حبسوه الانسان فى تعلمه وتثقيفه وصحته وسـد حاجته الى الحيوان فى عدم اضطهاده وتعذيبه .

وقد بلغت رعاية الواقفين حدا لم يقفوا به عند الجانـب المادى أو الثقافى والتعليمى والصحى فحسب ، بل كان مما شملوه بمنفعة ما حبسوا من أموال أولئكم الذين يقومون بخدماتهم فى العمل المنزلى أو الخارجـى لغيرهم ، لو اتلفوا — أو تلف منهم — ما هو أمانة لديهم بالكسر أو بعلـة أخرى لم يتنبهوا اليها فيعرضون عما تلف لديهم حتى لا يكون هنا حرج فى علاقتهم بمن يقومون بخدمتهم ، وكذلك اللاتى لا يستطعن فى اقراضهن لفقر أيديهم اسعاد أنفسهم بلبس أثواب الزفاف أو التزين فى الاعناق والآذان بما يتزين به القادرات فى تلك المناسبة فتقدم لهن الفرصة من المنفعة العامة لما حبس من أموال ، كى لا يعدمون الفرحة فى المناسبة السارة . فراعوا

الاحاسيس الانسانية وحافظوا على الاعتبارات البشرية ، كما حافظوا على الوقاية من الجوع ، والمرض ، والجهل ، والتشرد .

وبهذا لم يبق الاسلام دعوة تجوب الخيال وتناجي من لم يسمعها في الصحراء . وانما هو نظام لحياة الانسان يأخذ طريقه العملي فيها في يسر، لو توفرت في الانسان حقيقة الايمان بالله . ومعجزة القرآن هي في امكان الأخذ به في كل وقت وعهد ، وفي امكان النجاح به عند اتباعه في أي طور من أطوار البشرية .

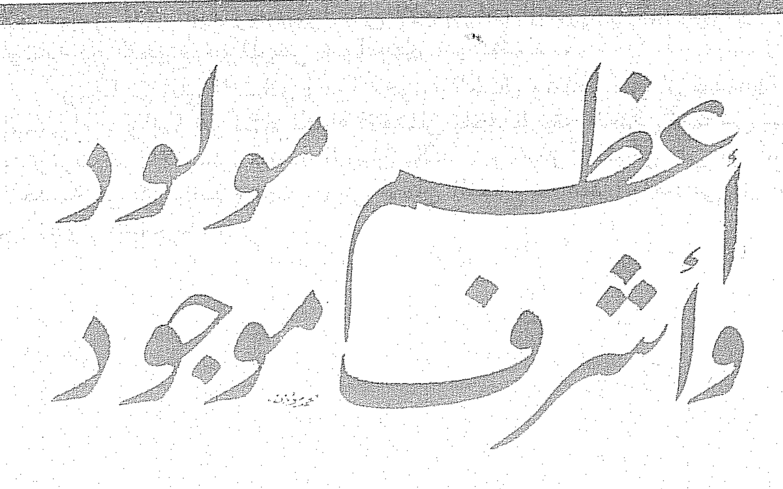
---

(١) يحاول بعض العلماء أن يحددوا لتارك الصلاة عقوبة من قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، في رواية ابن عمر رضي الله عنه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا ما فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، « وحسابهم على الله عز وجل » نيل الاوطار ح ١ ص ٣١١ .

وهذه العقوبة هي المقاتلة . ولكن ظاهر الحديث : أنه في مواجهة الذين لم يؤمنوا بعد برسالته عليه الصلاة والسلام . أما من آمن وترك الصلاة أو الزكاة بعد ذلك فهو قطعا آثم ، ولكن هل عقوبته هي المقاتلة أيضا مع بقائه على الايمان وترك الصلاة أو الزكاة ؟. أليس عندئذ يكون الوضع هو وضع مؤمن يقاتل مؤمنا ؟ وقد ورد في هذا الشأن قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين » (الحجرات ٩) ..

.. فجعلت الآية البغي والظلم من بعض المؤمنين للآخرين منهم سببا لمقاتلتهم من اخوانهم في الايمان . واذن ليس ترك واجب من الواجبات في نظر القرآن ما يبعث على مقاتلة تاركه .

(٢) الهمزة ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) التكاثر ١ ، ٢ .
(٤) البينة ٤ ، ٥ .
(٥) البقرة ١٠٩ ، ١١٠ .
(٦) النور ٥٥ ، ٥٦ .
(٧) المزمل ٢٠ .
(٨) البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٩) البقرة ٢٦٧ .
(١٠) آل عمران ٩٢ .
(١١) البقرة ٢٧٢ .
(١٢) البقرة ٢٦٢ — ٢٦٤ .
(١٣) البقرة ٢١٥ .
(١٤) سورة الحديد ١١ .
(١٥) ابراهيم ٣١ .
(١٦) البقرة ١٩٥ .
(١٧) البقرة ٢ — ٦ .
(١٨) الفرقان ٦٣ — ٧٣ .
(١٩) محمد ٢٠ .
(٢٠) محمد ٣٦ — ٣٨ .



أعظم مولود وأشرف موجود

للشيخ عبد الحميد السائح

اعتاد المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها أن يحتفوا بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوة بعض فصول سيرته ، واقامة الزينات والاحتفالات ..

ومع أن المسلمين فى عهد السلف الصالح لم يكونوا يحتفون بهذه الذكرى على النحو المعروف الآن فانهم كانوا أبدا يقتدون بهدى الرسول ، ويأنسون بسيرة الرسول ، ومناقب الرسول ، وأخلاق الرسول ، فكان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لهم فى سيرتهم وتصرفاتهم ، اهتداء بقول الله سبحانه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (١) وقوله : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٢) ومن ثم كان المسلمون يتسابقون فى ميادين التضحية بالأنفس والأموال اقتداء بسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكانوا يتقربون الى الله بالجهاد فى سبيل الله اسوة برسول الله ..

ولذلك لم يكن عجبا أن يسارع أبو بكر رضى الله عنه الى بذل كل ماله ، وان يبادر عمر رضى الله عنه الى بذل نصف ماله ، وان يتقدم عثمان رضى الله عنه بتجهيز جيش العسرة ، يوم تبوك ..

وأن ترى بين صفوف المسلمين أولئك الاخيار الابرار ، الذين كانوا يتنافسون على دخول المعارك ، امثال على بن ابى طالب وخالد بن الوليد ، وابى عبيدة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ومن سار على

دربهم الى يومنا هذا ، مبادرة منهم للجنة التى أعدها الله للمجـــاهدين والشهداء والصالحين ..

ولم يكن غريبا أن يستجيب الخليفة المعتصم لاستغاثة امرأة مسلمة، تعرضت للهوان والمذلة ، يوم عمورية ، فيقود جيشه ، انقاذا لشرفهـــا وكرامتها ، عملا بقول الله سبحانه : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان» (٣)

ولم يكن مستهجنا ان يخطط صلاح الدين ، ويدبر ويهيىء لمعركـــة حطين ، حتى ينقذ القدس وباقى فلسطين ، من حرب جهنمية ، انتزعت الديار المقدسة والقدس الشريف من سلطان المسلمين ، وكادت تعصف بهـــا الأهـــواء ، وتقضى عليها الفرقة والشحناء والبغضاء ، وتصبـــح كلها فى خبر كان ، يلفها النسيان ، وتطويها المظالم ، وعنجهية الجبروت والطغيان ، لولا اشعاع نور الايمان ، الذى استولى على قلب صـــلاح الدين ، وهداه الى طريق النجاة والنجاح فكل ذلك قبس من ســـــيرة الرسول ، ونابع من تبجيل وتعظيم الرسول ، واستجابة لله والرسول ..

الا أن الغريب العجيب المستهجن ، ان نرى المسلمين الان فى مختلف ديارهم وامصارهم يسمعون فى كل يوم دفعة من دفعات المظالم ، تحل على اخوانهم فى فلسطين وغير فلسطين ، ودفقة من دفقات التحـــديات للمشاعر والعواطف ، يقذف بها فى مقدساتهم ، فتنتهك حرمتها ، ويعتدى على طهرها ، مع ما يربط هذه المقدسات من روابط وثيقـــــة بصاحب الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى مسراه الكريم ، وموطن معراجه الشريف ، ومع هذا نزعم أننا نحتفى بذكرى مولد الرســـــول ارضاء للرسول ، ونرنم القصائد ، وندبج المقالات ونوزع الحـــلويات اطاعة للرسول !!!

أيها المسلمون فى المشارق والمغارب :

ان تبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب مقدس مطلوب من كل مسلم وتعظيم هذا الرسول الأكرم فريضة لازمة ، لا مناص منها ونصرة هذا الرسول الأعظم أمانة فى أعناقكم جميعا ، قال تعالى : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الـــذى أنزل معه أولئك هم المفلحـــون » (٤) ..

لكن ما سبيل التعظيم والتبجيل ؟

هل سبيله القيام بتظاهرات عاطفية لا تلبث أن تخبو بعد هـــدوء العاصفة ، كما هو الحاصل فى المجتمعات الاسلامية ؟

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . (٥)

اذن فهذه التظاهرات ليست الدليل على قوة الايمان ، وتمـــكن احترام وتوقير الرسول فى النفوس ، وانما سبيل ذلك نصرة الرسول

فى حياته ، والجهاد معه فى غزواته ، وامتثال أوامره وتوجيهاته ، أما بعد انتقاله للرفيق الأعلى فسبيل ذلك اتباع النور الذى انزل معه ، بالعمل بشريعته ، وتنفيذ سنته ، والتأسى بسيرته ، وتوفير ما يرضيه ، من اعزاز المسلمين ورفع شأنهم ، والحفاظ على كرامتهم ، وصيانة مقدساتهم وديارهم ، واعراضهم وأموالهم ، والجهاد فى سبيل المستضعفين والمعذبين والمشردين ، من الرجال والنساء والولدان ان الديار المقدسة — فلسطين — وغيرها من ديار العروبة والاسلام ، ابتليت باحتلال الصهاينة ، وعبثهم وفسادهم ، كما تعرضت فيها الاعراض لانتهاك حرماتها والعدوان على طهرها ، وتعرضت فيها المقدسات ، ومنها المسجد الاقصى المبارك — لعدوان ماحق ، ومخطط خطير ، يقضى على مسرى الرسول ومركز معراجه الشريف ..

وقد اختبرت الصهيونية حرصكم على مقدساتكم ، ومدى تأثيرها فى نفوسكم ، يوم أقدمت على احراق المسجد الاقصى المبارك ، فلم تر منكم الا اقوالا جوفاء ، ودعوات صماء ، او انهمار العيون بالدموع والبكاء ..

لكنها لم تر كتائب التحرير تتسابق ، ولا مراكب الذخائر والمعدات تسير ، تدق أبواب القدس ، والديار المغصوبة ، لانقاذها وتحريرها ، مما ادى بها الى أن تعد خطة جهنمية جديدة ، امعانا فى التحدى ، وزيادة فى الاستهتار ، وذلك لشروعها فى وضع قانون يخولها حق الحفر والتصرف ووضع اليد ، فى ساحات المسجد الاقصى المبارك — وهى جزء منه — تمهيدا لاقامة الهيكل هناك ، فهل من مدكر ؟ وهل من معتبر ؟

أيها المسلمون :

ان تبجيل الرسول فى ذكرى مولده الشريف يكون فى الاعداد والتخطيط لعمل حاسم يغسل العار ، ويسترد الشرف والكرامة ، وفى استرخاص الانفس والاموال فى سبيل ذلك كله ، وان يتقدم الحاكم والمحكوم ، والراعى والرعية والرئيس والمرءوس ، وان نضع جميعا نصب أعيننا :

قول الله سبحانه : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهمالجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » (٦) ..

وقوله سبحانه : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » (٧)

وقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : تكفل الله لمن جاهد فى سبيله ، لايخرجه الا الجهاد فى سبيله ، وتصديق كلماته ، بأن يدخله الجنة ، أو يرجعه الى مسكنه مع أجر أو غنيمة . (٨)

وقوله أيضا : لولا أن اشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت

ان اقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم اقتل ، ثم أحيا ، ثم اقتل . (٩)
وان المشردين من أخوانكم فى المخيمات والكهوف يستنجدونكم ، والنساء والاطفال والشيوخ فى المناطق المحتلة يستغيثونكم ، والمسجد الأقصى يناشدكم ، ويطلبون الحركة والانتصار ..

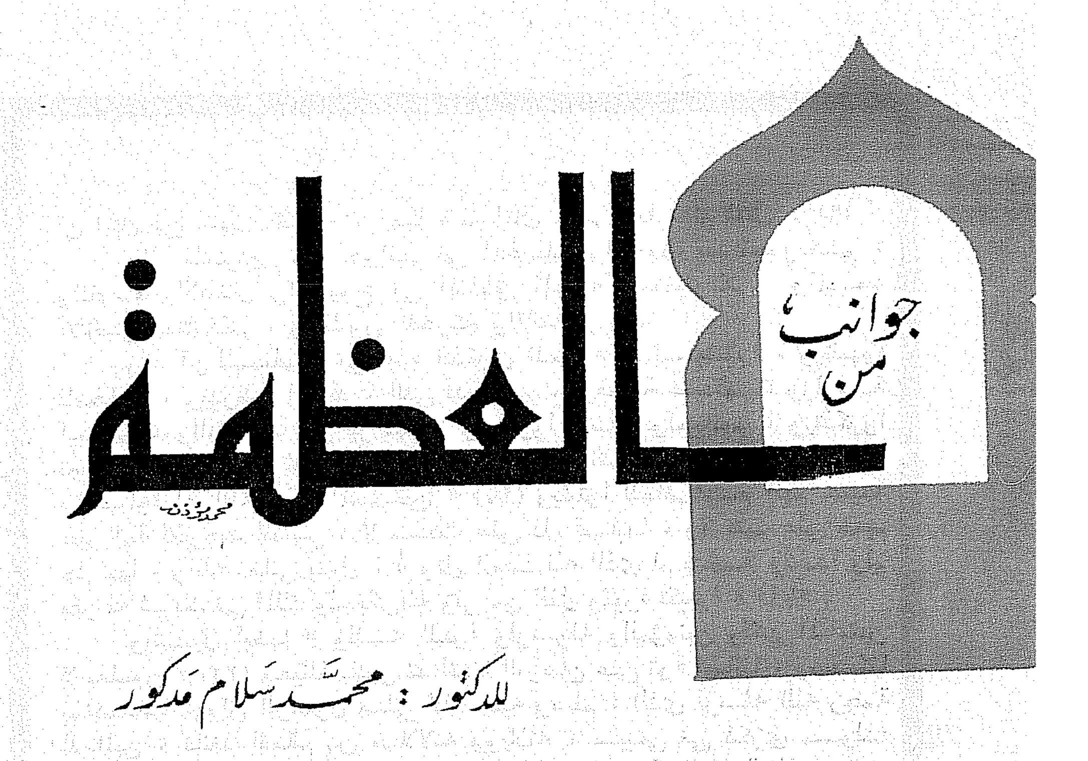
وقد آن للمسلمين فى هذه الذكرى العطرة أن يستيقظوا ، ويتنبهوا للمخاطر ، ويدركوا المكائد ، التى تدبر لهم ، لزعزعة عقيدتهم ، وزلزلة ايمانهم ، والتشكيك فى قرآنهم ، ويبادروا للقيام بواجباتهم ، ويتذكروا قول الله تعالى : وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، واحسنوا ان الله يحب المحسنين » (١٠) ويثبتوا للعالم أجمع انهم حقيقة خير أمة اخرجت للناس ، لا تسكت على ذل أصابها ، ولا تقيم على ضيم حل بها ، والله تعالى يقول : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » (١١) .

ويقول أيضا « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (١٢) وحينئذ نكون قد أقمنا البرهان على قوة ايماننا ، وتمسكنا بمقدساتنا ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى ارسله الله رحمة للعالمين ، فأنقذ العالم من ضلالاته وويلاته ، سيبقى فى ذكرى مولده منبع الهداية والارشاد للانقاذ المستمر ، والحماية الدائمة للديار والمقدسات والعقائد والمبادىء ..

اللهم ألهم ولاة أمور المسلمين وشعوبهم رشدهم ، والرجوع الى صوابهم ، وهيىء للجميع سبيل العودة الى ما يرضى الرسول ، بطرق أبواب الجنة ، والعمل معا على الوصول الى احدى الحسنيين ، النصر او الشهادة ، وذلك هو الطريق الصحيح ، لارضاء الرسول ، واحياء ذكرى مولده الشريف صلوات الله وسلامه عليه ..

---

(١) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٢) الآية ٢١ من سورة الاحزاب .
(٣) الآية ٧٥ من سورة النساء .
(٤) الآية ١٥٧ من سورة الاعراف
(٥) اخرجه الامام مسلم .
(٦) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(٧) الآية ١٥ من سورة الحجرات .
(٨) رواه الامام البخارى .
(٩) رواه الامام البخارى .
(١٠) الآية ١٩٥ من سورة البقرة .
(١١) الآية ١١١ من سورة الاسراء .
(١٢) الآية ٨ من سورة المنافقون .

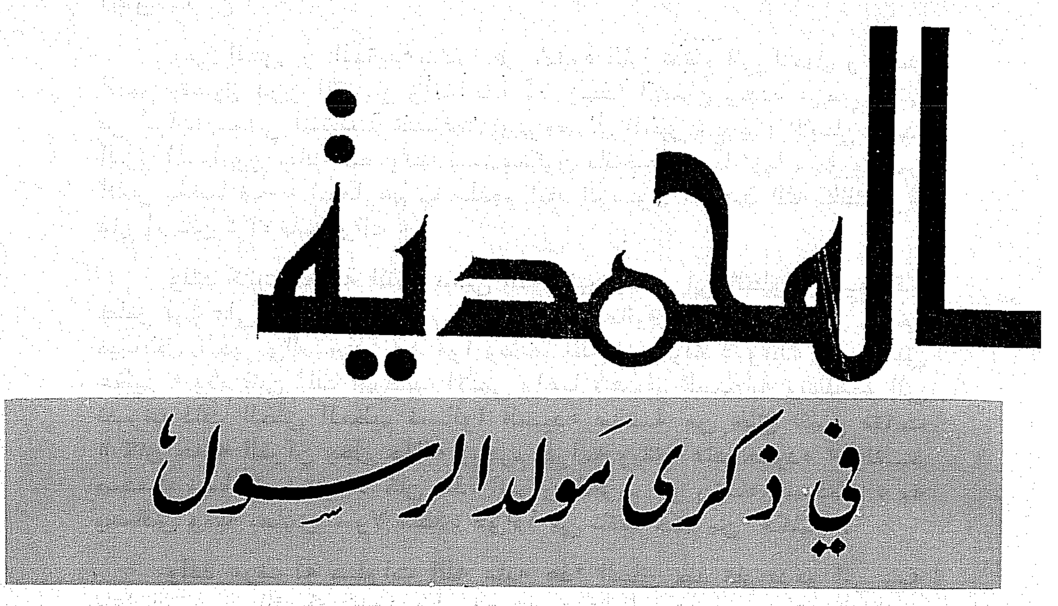


للدكتور : محمد سلام مدكور

باسم الله كتب لنفسه العزة ولرسوله والمؤمنين ، وصلوات الله وسلامه على نبى الكرامة وقائد الأحرار الى النصر المبين ، ورضوان الله على أصحابه الذين سجلوا على جبين التاريخ صفحات تتلألأ بنور البطولة والفداء وآيات الايمان واليقين ، حين أن كانت البشرية غارقة فى ظلام كثيف صفيق وظلم غليظ راسخ تتخبط فى عقائدها ، تزيف فى أفكارها ، تصطنع للظلم فلسفة وللضلال شريعة ومبادىء ، وفى وسط هذا الجو الخانق منذ أربعة عشر قرنا انبثق النور من أعماق هذه الجزيرة بمولد محمد ابن عبد الله الذى أعده الله للبشرية ليبشرهم بالحق ويهديهم الى الصراط المستقيم ، انبثق النور من أعماق الجزيرة العربية رحمة لا تعرف التفرقة بين جنس وجنس . وهدى لا يدين الا بالحق ، ولا يتعصب الا له وكانت كلمة الله هى العليا ، وكانت رسالة محمد بحق رحمة للعالمين ، « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

جاء محمد صلوات الله عليه يدعو الى الايمان باله واحد ويتخذ من هذا الايمان حجر الأساس للشريعة الجديدة حتى لا تتجه القلوب الا اليه ولا ترعى فى حياتها غيره ولا تبتغى المثوبة الا منه ولا تخشى فى سبيله لومة لائم .

كانت أولى خطواته الاصلاحية الدعوة الى اله واحد لا شريك له ، وذلك هو أساس دعوة الانبياء والرسل من قبله . يقول الله سبحانه — « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »



ويقول سبحانه « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » ..

لقد اصطفاه الله من بين خلقه ليكون خاتم النبيين ، يوجه البشرية كلها الى الصراط المستقيم وشاءت حكمته جل شأنه أن يكون نبيه المصطفى قد نشأ يتيما فقيرا بعيدا عن الجاه والسلطان ، لم يعلمه بشر ، ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه انسان وانما أدبه ربه فأحسن تأديبه وقـوم خلقه فأحسن تقويمه ورعاه فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادىء الخير والبـر والتعاون واستأصل من نفسه كل معانى الشر وصدق الله اذ يقـول : « ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » ..

اصطفاه ربه وطهر نفسه وعلمه وأدبه ، فكان خير تلميذ لأفضل أستاذ ، وكانت رسالته أساسها التوجيه الى العلم والخلق والكفاح فى سبيل العمل النافع ، والجهاد فى سبيل الحق ومقاومـة البغى والطغيان .

وكان المثل الأول فى مظاهر التحرر الاسلامى فهو عبد الله ورسوله القائل « لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكها » وقد تبرأ أن يكون شفيعا فى تغيير منزلة فيقـول « يا فاطمة يا بنت محمد اعملى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس يا عم محمد اعمل لا أغنى عنك من الله شيئا » . وكان لذلك أثره فى نفوس صحابته والمسلمين فقويت عقيدتهم ، وازدادوا ايمانا

على ايمانهم . فكان لهم شأن وجاه لا بالمال ولا بالسلاح ولا بكثرة الأفراد وانما بما غرسته العقيدة الصادقة فى نفوسهم من قوة وصلابة فى الحق .

وفى الحق أن العقيدة دائما هى القوة التى تدفع الى العمل وتشحذ الهمم وتحول دون الانهيار والضعف .. وبهذا الايمان وحده غرس النبى فى أتباعه معانى الفضيلة فشاعت فيهم خصال الخير ، وبهذا الايمان وحده التزم المسلمون جادة الصواب يستمسكون بالفضيلة حبا فيها ويهربون من الشر بغضا فيه ، شعارهم ما علمهم اياه الرسول « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ..

ولقد كانت مثالية النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لهم على أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة بعد أن لمسوا فيها كل الخير والسعادة وعرفوا وصف الله له بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » وقد كان ذلك الوصف الآلهى داعيا لاهتمام الصحابة وتطلعهم الى تصرف ذلك الخلق العظيم فسألوا السيدة عائشة عن خلق النبى فقالت « كان خلقه القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند حدوده » ولقد صدقت فيما وصفت فقد كان هذا القرآن الكريم هو رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعادى ، ولا تأخذه هوادة فى تنفيذ حكم من أحكامه .

ولقد عرف له صلوات الله عليه هذا الخلق منذ قام يدعو الى ربه وقامت رءوس الشرك تناهضه فى دعوته وتحتال لصرفه عن وجهته بالترغيب تارة والترهيب أخرى . فما أغراه ما عرضوا وما أثناه ما فعلوا ووقف فى فم الدنيا يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ومن أجل استمساكه بالحق ألغى الفوارق وحاربها وجعل معيار التفاضل التقوى والعمل النافع ، وكان يحرص على غرس هذا المعنى فى نفوس أصحابه والناس جميعا ، فغضب لما استشفع أحد صحابته فى حد من حدود الله استجابة لرجاء كبار قريش وقال أيها الناس : « انما أهلك من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفسى بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ولما حرم الله الربا بأثر رجعى فكان أول من نفذ عليه ذلك هو عمه العباس اذ يقول : « ان أول ربا أضعه فى الجاهلية هو ربا عمى العباس » ..

وفى هذا أعظم توجيه الى تقديس خلق المساواة فى الحقوق ، وقد ترك هذا التوجيه آثارا كريمة فى نفوس أصحابه حتى أقام عمر الحد على ابنه ، ولما اعتدى ابن أحد الولاة على أحد أفراد الرعية بغير حق معتزا بأنه ابن الأكرمين . أمر عمر بن الخطاب المعتدى عليه أن يقتص لنفسه قائلا : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

وكان من أثر هذا الخلق الذى غرسه الرسول فى نفوس صحابته أن قوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الأمم المعادية واستولى على

نواصي الجبابرة حتى فتحت لهم الآفاق وانساحوا فى الأرض يبشرون بدعوة الحق فتلوذ الناس بهم وتعتصم بعدالتهم ويتسابقون الى الدخول فى دين الحق .

ولئن كانت العقيدة المحمدية تكفل للمسلمين سلامة الخلق وصدق الاخاء والجنوح الى السلم والعفو عند المقدرة ، فانها لكذلك تحيلهم الى أسود الشرى وعشاق الشهادة اذا مس حقهم بظلم أو تهددهم عدوان .

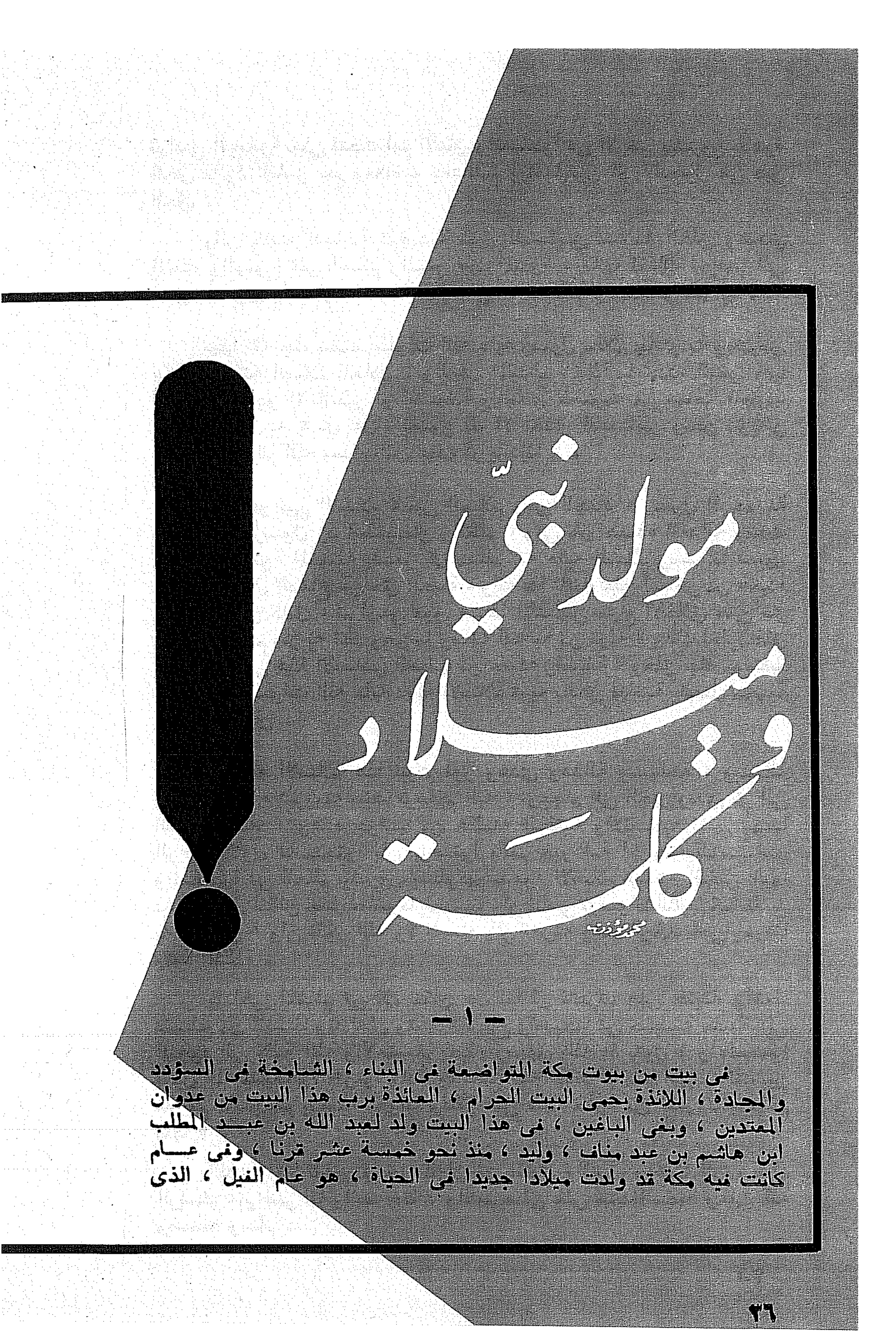
بهذا كله جاء محمد صلوات الله عليه رسول سلام ينادى به ويحرص عليه . ولكنه السلام العادل . والعدل المسالم ، فاذا ما تهدده البغى هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ويتحدى خصومه فى ساحة الحرب قائلا : قول ربه « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » .

هذا هو نبى الاسلام ، نبى السلام ونبى الجهاد ، رسول الرحمة والعدل ، ورسول رد الطغيان والظلم ، وفى ظل هذه العدالة وتحت لواء هذه القوة المنصفة يشعر كل مسلم أنه عليه السلام رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، وأنه بدأ البناء على أساس من عقيدة صلبة وايمان كامل ، ثم أرسى فوق هذا الأساس صرح الأخلاق حتى فاز من ربه بما لم يفز به أحد وهو ما وصفه الله به من قوله « وانك لعلى خلق عظيم » وعلى هذا الأساس الصلب من عقيدة راسخة ، وخلق جاد مستقيم أقام محمد صلوات الله عليه دولة الاسلام قوية بالحق فياضة بالعدل محمية بسلاح الايمان .

فيا أمة الاسلام هذا نبيكم نور وهدى وعدالة وسماحة ، وبسالة وفداء ، وهذه شريعته بينكم تربطكم اليه ، توجهكم الى الخير وتدعوكم الى الكد والكفاح ، وهذه جوانب من عظمته الخلقية والانسانية تأسى بها الرعيل الأول فاستحقوا بأن يوصفوا بأنهم خير أمة أخرجت للناس وانساحوا فى العالم يبشرون بسلوكهم بدعوة الاسلام فيندفع الناس اليها دفعا ، فهل لنا أن نصل حاضرنا بماضينا وأن نتأسى برسولنا الكريم كما تأسى به الأولون ، وأن نذكر الله ولا ننساه وان نعرفه وقت الرخاء حتى يعرفنا وقت الشدة .

يا أخى المسلم فى كل مكان هل لنا أن نتعرف على حقيقة واقعنا فنصلح من أنفسنا وقد حان وقت الاصلاح وأصبحنا فى حاجة ماسة الى اللجوء الى كلمة الله والاعتصام بحبله وصدق الله اذ يقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

اللهم وفقنا للخير وجنبنا الزلل فى القول والعمل واهدنا الى سبيل الرشاد ، واغفر لنا واعف عنا . واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



مولد نبيّ وميلاد كلمة

محمود فوزي

— ١ —

في بيت من بيوت مكة المتواضعة في البناء ، الشامخة في السؤدد والمجادة ، اللائذة بحمى البيت الحرام ، العائذة برب هذا البيت من عدوان المعتدين ، وبغى الباغين ، في هذا البيت ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وليد ، منذ نحو خمسة عشر قرنا ، وفي عام كانت فيه مكة قد ولدت ميلادا جديدا في الحياة ، هو عام الفيل ، الذي

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

نجى فيه الله هذا البلد الحرام من هذا الكيد الذى رماها به أبرهة ، وقد جاءها بجيش كثيف ، ممتطيا صهوة فيل ضخم ، يريد أن يهدم البيت الحرام، ويشتت اللائذين بحماه !!

وكما كان عبد المطلب ــ جد هذا الوليد ــ هو الذى استقبل بالبيت الحرام طغيان هذا الطاغية فأراه الله فيه ، وأرى أهل مكة والعرب جميعا ، كيف تنهزم جحافل الباطل الهادرة المزمجرة ، أمام أنفاس الحق الوادعة الساكنة ــ كذلك كان جد هذا الوليد ، هو الذى استقبل بهذا اليتيم الذى فارق أبوه الدنيا ، وهو لا يزال جنينا فى بطن أمه ، فأرى أهل مكة ، والعرب قاطبة ، وأشهد الدنيا جميعا ــ أراهم وأشهدهم من هذا الوليد اليتيم الفقير كيف يصطنعه الله لدينه ، ويصنعه على عينه ، فيجعل منه شمسا لا تغيب ، ويجعل نور تلك الشمس هدى للبصائر ، وشفاء لما فى الصدور ، ونورا ورحمة للعالمين ..

وما أن تبزغ شمس هذا الوليد ، حتى يخلع الله تعالى عليه من خلع أفضاله وإحسانه ، اسم (محمد) ليكون سمة له ، وشارة دالة عليه ..

ولأول مرة تتحرك الشفاه فى قريش بكلمة (محمد) ولأول مرة يطرق أسماعها أن من أبنائها من يسمى (محمدا) ..

ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة ، كانت تدور فى محاوراتها ، ومساجلاتها ، وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والمحامد ، والحامد ، والمحمود ، وغيرها ــ فانها لم تتخذ اسم (محمد) علما تطلقه على غلمانها ، من أحرار أو عبيد !!

وما كان لأحد يومئذ أن يسأل جد هذا الوليد ، أو يسأل أمه آمنة ، لم اختارا لوليدهما هذا الاسم (اليتيم) الغريب فى عالم الأسماء التى تعرفها العرب ، وتتنادى بها ؟ ما كان لاحد يومئذ أن يسأل هذا السؤال ، وأن تردد فى خاطره ، وجمجم به صدره ، فما أكثر ما تلد الحياة من غرائب الاسماء ، وما أكثر ما يطلق الآباء على أبنائهم من الأسماء ما يبدو معه وكأن دنيا الاسماء قد أقفرت ، فلم يبق منها غير هذا الاسم !!

ـــ ٢ ـــ

وندع هذا ، لنسأل :

أهنالك علاقة بين الاسم وصاحبه ، بمعني أن دلالة الاسم تتحقق فى المسمي ، وتتفسر فى صفاته ، وتظهر فى سلوكه فى الحياة ؟

والذى يطلب الجواب عن هذا السؤال ، لا يمكن ان يقع عليه فى مقررات علمية ثابتة ، اذ لم تخضع هذه الظاهرة لدراسة علمية منظمة بعد ، وغاية ما استدل عليه الناس من وشائج القربى بين الاسم والمسمى ، انما كان عن ملاحظات شخصية ، لاحوال فردية ، تصدق أحيانا ، ولا تصدق فى كل حين ..

على أن الذى يعنى بالتعمق فى دراسة هذه الظاهرة ، ويحفل برصد النتائج التى تلوح له من خلال هذه الدراسة — يقع على كثير من عجائب الموافقات بين المسميات ، والاسماء ، وقل ألا ينكشف للمتوسم فى اسم ومسماه شىء من التوافق والتطابق بينهما ، حتى ليكاد يعد ذلك من قبيل الخطأ فى التأويل لتلك الحالات التى لا تتضح فيها علاقة بين الاسم وصاحبه ، استنادا الى تلك الحالات الكثيرة التى تبدو فيها تلك العلاقة واضحة أشد الوضوح ، بحيث لا تحتاج الى كثير من النظر والتأمل !!

ومن عجب أن نرى أن هذه الظاهرة كانت موضع دراسة ذكية واعية ، عند كثير من علمائنا السابقين ، زمانا ، وفضلا ، واحسانا .. فرضوان الله عليهم ..

يقول ابن قيم الجوزية فى هذا المقام :

(لما كانت الاسماء قوالب للمعانى ، ودالة عليها ، اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب ، وألا يكون المعنى معها بمنزلة الاجنبى المحض ، الذى لا تعلق له بها .. فان حكمة الحكيم تأبى ذلك ، والواقع يشهد بخلافه .. بل للاسماء تأثير فى المسميات ، وللمسميات تأثر بأسمائها ، فى الحسن والقبح ، والخفة والثقل ، واللطافة والكثافة ..

ثم يأتى ابن القيم بشواهد من أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن أفعاله ، تؤيد ما ذهب اليه من وجود هذا التوافق بين الاسماء والمسميات .. فيقول :

(وكان صلى الله عليه وسلم ، يأخذ المعانى من أسمائها ، فى اليقظة والمنام ..

(فقد رأى — صلى الله عليه وسلم — فى منامه ، انه فى دار عقبة بن رافع ، فأتوا برطب من رطب طاب) — فأوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن لهم العاقبة فى الدنيا ، والرفعة فى الآخرة ، وأن الدين الذى اختاره الله تعالى لهم ، قد أرطب ، وطاب) (١) ..

ثم يقول ابن القيم :

(وتأول — صلى الله عليه وسلم — سهولة أمرهم يوم الحديبية (٢) من مجىء سهيل بن عمرو(٣) اليه ، فقال لأصحابه يومئذ : (سهل الله أمركم) (٤) ..

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم ، غير اسم (عاصية) وقال : (أنت جميلة) (٥) ..

كما ثبت أنه — صلوات الله وسلامه عليه — غير اسم (حزن) — وهو جد سعيد بن المسيب — وجعله (سهلا) فأبى صاحب الاسم ، وقال: السهل يوطأ ، ويمتهن ! (٦) ..

وكما غير النبي (صلوات الله وسلامه عليه — الاسماء المنكرة للاشخاص ، غير كذلك الاسماء الكريهة ، للاماكن ، فهو اذ يسمي

(حربا) (سلما) و (المضطجع) (المنبعث) ويسمى (عفرة) من الارض (خضرة) ويسمى (شعب الضلالة) (شعب الهدى) (٧) ..

ولما قدم — صلوات الله وسلامه عليه — المدينة ، وكان اسمها (يثرب) سماها (طيبة) ..

ويلفتنا ابن القيم الى شاهد من واقع الحياة ، لما بين الاسماء والمسميات من تطابق وتوافق ، فيعرض مشهدا من مشاهد القتال بين المسلمين والمشركين فى (بدر) فيقول :

(وتأمل أسماء الستة المتبارزين يوم (بدر) كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لاحوالهم يومئذ : (فكان الكفار : شيبة ، وعتبة ، والوليد . ثلاثة أسماء من الضعف .. فالوليد ، له بداية الضعف ، وشيبة ، له نهايته ، كما قال تعالى : (الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) (٨) . وعتبة ، من العتب ، اى اللوم ، فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم ، وضعف ينالهم !!

وكان أقرانهم — من المسلمين : (عليا) و (عبيدة) و (الحارث) — رضى الله عنهم — ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم ، وهى العلو (فى على) والعبودية لله (فى عبيدة) والسعى الذى هو الحرث (فى الحارث) — فعلوا عليهم بعبوديتهم ، وسعيهم فى حرث الآخرة) (٩) ..

وسواء أكان هناك توافق خفى او ظاهر ، بين الاسم ومسماه ، بحيث يمثلان حقيقة واحدة ، أم لم يكن — فان الذى لا شك فيه هو ان للاسم موحيات تقع فى النفس عند ذكره ، أو سماعه .. فكلمات : النجاح ، والنصر ، والعزة ، والغنى ، والسعادة ، والشباب ، تبعث فى النفس رضا ، وتشيع فى القلب غبطة وروحا ، على خلاف أضدادها ، من : الاخفاق ، والهزيمة ، والذلة ، والفقر ، والشقاء ، والشيخوخة ، فانها تشيع فى النفس انقباضا ، وتبعث فى الصدر وحشة وكآبة !

— ٣ —

وننظر فيما كان لرسول الله — صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه — من حظ موفور فى اختيار الاسم اللائق به ، وبالرسالة التى ندبته السماء لها — فنجد فى ذلك أننا بين يدى آية من آيات الله ، وفى أضواء معجزة قاهرة متحدية ..

فلقد أعلن الله تعالى اسم هذا النبى — صلوات الله وسلامه عليه ، وبشر به فى الانجيل ، على لسان عيسى عليه السلام ، كما ينطق بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) (١٠) ، هكذا ينطق المسيح باسم الرسول الذى يأتى من بعده ، وانه يولد عربيا ، أميا ، يسمى (أحمد) وذلك قبل مولده بنحو ستة قرون — ومع هذا يظل هذا الاسم مرددا فى أفواه الحواريين ، وعلى ألسنة الأحبار والرهبان ، وفى صحف الانجيل ، وبين كثير من قبائل العرب التى دخلت فى النصرانية — من غير أن يخطر ببال أحد — على مدى هذا الزمن المتطاول — أن يسمى به ابنا من أبنائه ، خلافا لما جرت به عادة الناس ، من تهالكهم على تسمية أبنائهم بأسماء النبيين ، والقديسين ، وأهل الفضل والخير من الناس ،

عسى أن يصيبوا من بركة أصحابها شيئا ، أو أن يكون لهم من أسمهم الطيب نصيب !

واسم (أحمد) فى ذاته ، اسم جميل ، سمح ، حلو النغم ، عذب الجرس ، يغرى بالتسمى به ، فكيف يظل هذه القرون ، دون أن يتفق لانسان أن يقع عليه ، أو ينتفع به ؟ ان ذلك ان دل على شىء ، فانما يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد آثر نبيه الكريم ، بهذا الاسم الكريم ، واختصه به ، وجعله على أفواه الناس ، ارهاصا بمولد النبى الذى يحمل هذا الاسم ، دون ان يطوف أحد بحماه ، أو أن يتخذه ثوبا يتزيا به ، الا أن يكون ذلك على سبيل الاقتداء ، والتبرك بعد أن تزيا به النبى ! وأما (محمد) فهو اسم علم ، منقول من صفة .. من قولهم رجل محمد ، وهو الكثير الخصال المحمودة ، والمحمد فى لغة العرب ، من حمد حمدا بعد حمد ، مرة ، بعد مرة ..

يقول القاضى عياض :

(فهو — أى النبى — أحمد الحامدين ، وأحمد المحمودين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ، ويبعثه ربه مقاما محمودا كما وعده ، ويحمده الأولون والآخرون بشفاعته لهم ، وسمى أمته فى كتاب أنبيائه بالحمادين .. فحقيق أن يسمى (محمدا) و (أحمد) ..

(ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائع آياته فن آخر ، هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه) (١١).

وقال السهيلى : (لم يكن — أى النبى — (محمدا) حتى كان (أحمد) حمد ربه ، فنبأه — أى جعله نبيا — وشرفه ، فلذلك تقدم اسم (أحمد) على الاسم الذى هو (محمد) فذكره عيسى ابن مريم باسمه (أحمد) (١٢) ..

ونعم ، فقد سمى الله عبده ورسوله (أحمد) قبل أن يولد ، وسماه (محمدا) بعد ان ولد ، فهو الحامد لربه ، المحمود من ربه ومن خلقه .. حمد ربه على ما أفاء عليه من فضل ، وما أسبغ عليه من نعم ، وحمده ربه والناس لما جاء به من الحق ، وما هدى اليه من الايمان .. فهو حامد لله محمود ومحمد ، من الله ومن الناس ، سماه الله تعالى فى الانجيل (أحمد) وسماه فى القرآن (محمدا) ..

— ٤ —

وننظر فى ذات (محمد) نفسه ، وكيف كانت المحامد كلها مجتمعة اليه فى أكمل كمالاتها ، وأعدل أوضاعها ، فما كان من خلق كريم محمود فهو فى (محمد) على أوفى صورة وأتمها ، وما كان من فعل طيب جميل فهو فى (محمد) على أكمل حالة وأجملها ..

وانه ليس يجمع هذه الصفات الكريمة ، ويستولى على غاياتها اسم أتم ، ولا أعدل من اسم (محمد) .. فقد يكون فى اسم : أمين ، أو صادق ، أو نبيل ، أو كريم ، أو طيب ، ونحوها — قد يكون فى كل اسم من هذه الاسماء وما شاكلها، ما ينبىء عن صفة أو أكثر من الصفات الطيبة ، التى ان صدقها مسماها ، أو صدقت هى فى مسماها — كان ذلك دلالة على اتصاف صاحبها بالصفة التي يدل عليه لفظها ومنطوقها ، دون أن ينسحب ذلك الى غيرها من الصفات .. فالمسمي بالأمين — مثلا — ، ان طابق فيه الاسم المسمي ، كان نصيبه من الصفات الطيبة ، صفة

الأمانة ، وقد يكون الى جانبها صفات أخرى لا تحمد ، كالجبن ، أو البخل، ونحو هذا .. وكذلك يقال فيمن يتصف بالصدق ، أو النبل ، أو الكرم ، وما شابه ذلك من صفات محمودة .. فقد ينال المرء منزلة الاتصاف بواحدة من تلك الصفات ، دون أن يكون من لوازم ذلك أن يتصف بصفة محمودة غيرها ، ودون أن يكون من لوازم ذلك أيضا ما يمنع من أن تعلق بـه صفة مذمومة أو أكثر من صفة ..

أما (المحمد) فلا يكون مستأهلا تلك الصفة ، حتى يجمع المحامد كلها ، وحتى يسلم من كل ما يعيب او يشين ، فتكون كل أقواله وأفعاله على الوجه الذى يحمده الناس ، كل الناس ، وفي جميع الاحوال ، وانه لن يكون جديرا باسم (محمد) من جمع أكثر المحامد ، ثم فاته كثير أو قليل منها ..

فماذا نقول بعد هذا فى هذا التوافق التام ، وذلك التطابق المحكم بين (محمد) الذات ، رسول الله ، و (محمد) الاسم عبد الله ، ورسول الله ؟ ..

قد يقول قائل : وماذا فى هذا التوافق وذلك التطابق ؟ ولم لا تكون الصدفة وحدها هى التى جمعت بين هذا الوليد اليتيم ، وبين هذا الاسم (محمد) حتى اذا تألق محمد ، وعلا ذكره فى الوجود ، كان كل شيء فيه ، وكل حدث منه ، ذا شأن أى شأن ، له تقدير وحساب ، تكثر دلالاته وتعود مفاهيمه ، ما دام قد اتصل بالنبى ، ولابس حياته ؟ اليس ذلك هو حساب الاشياء ، تتغير وجوهها ، وتثقل أو تخف موازينها ، حسب من تضاف اليه ، وتنتسب له ؟ فالكلمة مثلا ينطق بها انسان من الناس فتهتز لها الدنيا ، وتخفق أو ترجف منها المشارق والمغارب ، والكلمة ذاتها ينطق بها الناطقون هنا وهناك ، فلا يستمع اليها أحد ، ولا يحفل بها انسان .. اليس هذا من ذاك سواء بسواء ؟

ونقول ، ان فى ظاهر هذا القول شيئا من الحق .. ولكن ذلك ليس على اطلاقه ، فيما هو من شأن النبى ، وفيما يتصل به من قريب الامور وبعيدها ..

وحقا ان عظمة العظيم تلقى على كل شيء اتصل به ، من أقوال وأفعال ، الوانا وظلالا تجعل له فى مشاعر الناس ، وفى تصوراتهم مكانا غير مكانه الذى له عند عامة الناس ، فيبدو صغير أمره كبيرا ، وقليله كثيرا ، وقريبه بعيدا .. ولكن ذلك ليس على اطلاقه — كما قلنا — اذ أن هناك فى حياة العظماء الموهوبين أمورا هى فى ذاتها عظيمة ، رائعة ، معجبة ، مذهلة ، سواء نظر اليها من خلال أربابها ، أو بمنقطع عن النظر اليهم !!

ونحن هنا اذ ننظر فى تسمية (محمد) باسم محمد ، بعيدا عن جلال النبوة وعظمة النبى ، نجد أن هذه التسمية لا يمكن أبدا أن تكون وليدة الصدفة ، وانما كانت نعمة من نعم الله ، وفضلا عظيما منه سبحانه باصطفاء هذا الوليد اليتيم لهذا الاسم المبارك ، كما اصطفاه ربه بعد ذلك للنبوة ، واختصه بالرسالة الخاتمة ..

وقد أشرنا من قبل الى أن هذا الاسم المبارك لم يتسم به أحد قبل رسول الله .. فمن أين اذن لجده عبد المطلب أو لأمه آمنة ، النظر الى هذا الاسم ، واختياره لهذا الوليد ؟

ثم انه لو فرض ان اسم (محمد) كان من الاسماء المعروفة الشائعة فى العرب يومئذ ، فان الاتجاه اليه لم يكن من الامور المنتظرة فى شأن هذا الوليد الهاشمى ، القرشى .. اذ أن ضخامة الاسماء فى لفظها ، وفى مدلولها ، كان لها الشأن الغالب فى تسمية المولودين من أشراف قريش ، مثل حنظلة ، ومرة ، وأسد ، وفهر ، وغالب ، وعبد العزى ، وعبد الدار ، وعبد اللات ، وعبد مناة ، وما أشبه ذلك مما كان يتسمى به أجداد هذا الوليد ، وآباؤه ، وعمومته ، وأبناء عمومته ، وخئولته ..

فكيف تنفذ الصدفة من هذه الحوائل جميعها ، ثم تحمل الى هذا الوليد اليتيم هذا الاسم الفريد اليتيم ، من بين العديد من الاسماء المنصوبة فى قائمة أشراف العرب وأبطالها ؟

ثم كيف تظل الصدفة هذا الزمن الطويل ــ والصدفة لحظة عابرة ، تجىء خلسة وتذهب خلسة ــ كيف تظل هذا الزمن الطويل محتفظة للنبى بهذا الاسم الذى سمى به ، دون ان يزحزحه عن مكانه لقب أو كنية؟ وما أكثر ما هناك من ألقاب وكنى ، وانه قل أن يكون فى العرب من لا يكون له لقب أو كنية ، أو لقب وكنية معا ، أو عدة ألقاب وكنى ، تغلب على اسمه ، فلا يكاد يذكر به ، أو لا يكاد يعرفه أحد ؟!

كيف يظل (محمد) هو (محمد) ، لا لقب ، ولا كنية ، حتى يكون هو ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ الذى يكنى نفسه (أبا القاسم) بعد أن ولد له مولوده (القاسم) .. والقاسم ــ كما نعلم ــ صفة من صفات النبى ، لانه قاسم فى الناس هذا الرزق العظيم من الهدى والرحمة ، فيما تلقى من آيات الله ، فكان لكل من آمن بالله حظه المقدور ، والمقسوم له من هذا الرزق الطيب المبارك ؟

كيف يكون للصدفة هذا التصرف المتمكن من الاحداث ، الممتد مع الزمن ، الجارى على الحكمة والمنطق ؟ كيف وشأن الصدفة أن تكون خلسة خاطفة ، وأن تجىء على غير حساب وتقدير .. هكذا .. خبط عشواء .. ؟

ان يكن ذلك شأن الصدفة ، فماذا تركت للحكمة والتدبير ؟ وأين تكون مواقع أفضال الله ، ومنازل رحمته ؟ وأين تتجلى آيات تدبيره ، وحكمته فيمن يصطفى ويختار من عباده ؟

وأكثر من هذا .. فان الفرعين الزكيين اللذين ولدا (محمدا) قد أراد الله تعالى لهما اسمين كريمين ، يليقان بهذا النبى العظيم الذى سينسب اليهما !!

فأبوه عبد الله ، وقليل جدا فى العرب ــ قبل الاسلام ــ من تسمى به ، فما عرف العرب لأجيال متعاقبة ــ قبل البعثة النبوية ــ هذه العبودية الخالصة لله ، حتى عند من عرف منهم أن لهذا الوجود الها واحدا ، هو الله ، بل كانت عبوديتهم هى لتلك الاصنام التى عبدوها من دون الله ، فأضافوا أنفسهم اليها ، وسموا : عبد العزى ، وعبد اللات ، وعبد ود ، وعبد مناة .. وقد كان أقرب شىء الى عبد المطلب اذا أضاف ابنه (عبد الله) هذا ، الى معبود ، أن يضيفه الى صنم من تلك الاصنام المعبودة .. أما أن يضيفه الى (الله) فذلك أمر لا يعلم تأويله الا الله !!

أفهذا من قبيل الصدفة أيضا ؟

وأكثر من هذا أيضا .. آمنة بنت وهب ، هى أم هذا الوليد ..

فلم تكن عفراء ، أو خنساء ، أو سودة ، أو أم الهيثم مثلا ، كما كان ذلك وما أشبهه من الاسماء الشائعة في نساء العرب ..

ولا يقف الامر عند هذا ، فهناك سلسلة طويلة لا تنتهي من هذه الموافقات التي احتشدت بين يدي النبي ومن خلفه ، في هذا الامر العرضي ، أو كالعرضي في حياة الرسول ..

فالمرضعة التي أرضعت هذا الوليد ، هي (حليمة) والقبيلة التي شهدت مطالع طفولته هي قبيلة (بني سعد) !!

ومن عجب — ولا عجب في مقام النبوة — أن تكون هذه الاسماء : عبد الله ، وآمنة ، وحليمة ، وبنو سعد — أن تكون غير شائعة ، ولا غالبة ، ثم يجتمعن جميعا على نسق ، كما تنتظم حبات الجوهر الكريم في عقد !!

فالعبودية لله من (عبد الله) والأمن للناس من (آمنة بنت وهب) والهبة للانسانية ، من (وهب) والحلم في التربية ، من (حليمة) ، والسعد للمؤمنين ، من بني سعد — كل اولئك مما تدثر به هذا الوليد ، ظاهرا وباطنا ، صفة وذاتا ، اسما ومسمى ، فكانت جميعها ينابيع هدى ورحمة ، وغيوث خير وبركة ، أقامت وجوه الناس على عبودية خالصة لله ، وملأت قلوب المؤمنين طمأنينة وأمنا ، عطاء من غير من ولا أذى ، واحسانا لا يغيض ، ولا ينقطع ، فمن اتصل به ، وأخذ بحظه منه ، فهو من أهل السعد والسعادة ، في الدنيا والآخرة جميعا !!

— ٥ —

نحن الى هنا ، ما زلنا بعيدين عن مواقع النبوة ، وعن النظر اليها في فلكها الذي تتحرك فيه على طريق الدعوة الى الله ، وان كنا نشيم بروقها ، وننسم أرواح نفحاتها الزكية ، ونتنشق أنسام ريحها العطر .. فكيف بنا نحن اذا قاربنا حمى النبوة ، أو نزلنا بساحة أنوارها وجلالها ؟ تلك سماء تتملاها الانظار ، ولا تطول نجومها الاقدار . واذن فمن بعيد — مرة أخرى — نقف موقف الطائفين حول هذا الحمى الجليل المهيب ، لا نجاوزه الى حيث تسطع أنوار النبوة ، وحيث تتنزل آيات الله على النبي ، وحيث يشهد الوجود هذه المعجزات تتحدى الانس والجن ، وتبهر الصديق والعدو ، فتعنو لها الجباه ، وتذل بين يدي جلالها وجوه المعاندين والمتكبرين ..

فهذا داعية أمي .. ما قرأ كتابا ، ولا خط بيمينه سطرا !

وهؤلاء قوم أميون .. اعراب بادية ، ورعاة ابل وشاء ..

وهذا موطن قفر جديب ، لا يمسك ماء . ولا يخرج حبا ولا ثمرا ..

فماذا يقع في حسابك من دعوة هذا الداعي الأمي ، في هذا الموطن الجديب ، مع هؤلاء البدو الجفاة ؟ ولا تنظر في حسابك هذا ، الى أن الداعي هو (محمد) ولا أن الموطن هو الجزيرة العربية ، ولا أن القوم هم أمة العرب .. وأقم نظرك هنا الى أية داعية أمي ، في أي بلد قفر ، في أي مجتمع يعيش عيش البداوة ، ويحيا حياة الصحراء ..

ثم ارجع البصر كرتين ، وقدر لهذه الدعوة أقصى ما يمكن أن يكون لها من ثمر ، وما تؤتيه من اكل .. أفيخرج بك هذا التقدير لهذه الدعوة — في أحسن أحوالها — عن أن تكون نسمة بليلة هبت في أعقاب يوم طويل من أيام السموم ، فاستروحت بها النفوس ساعة ، ثم ذهبت

وذهب ريحها ، ليستقبل الناس بعدها ما ألفوا من أنفاس الصحراء الملتهبة ، وما يشوى الوجوه من شهيقها وزفيرها !!

أو أيجاوز بك التقدير لهذه الدعوة عن أن تكون نغما شجيا ، أو حداء عبقريا يسرى فى وحشة الليل ، ثم لا يلبث أن يذوب ويغرق فى هذا السكون المطبق العميق ؟ أو أن يكون دوحة ظلية ، ينـزل بها السفر المتعبون ساعة من نهار ، يتقون بها لفح الهاجرة ، ووهج الهجير ، ثم يتركونها ليواصلوا مسيرتهم تحت ضربات الشمس ، ولفحات السموم ؟

انه لا يكون لهذا الداعي فى هذه الاحوال ، وفى تلك المواطن ، الا هذا الاثر المحدود الموقوت ، الذى يلمع كما يلمع البرق ، فى سواد ليل حالك ثم ينطفىء فى فحمة هذا الليل ، ويغيب فى ظلامه المتراكم !!

أرأيت الى الشعراء ، والخطباء ، والحكماء ، والابطال ، وكل ما أخرجت البوادى والصحارى من رجال وأعمال .. فماذا بقى فى هذه المواطن من آثارهم ؟ وماذا خلد فى الحياة من أعمالهم ؟ انها مجرد ذكريات عابرة ، لا تلبث أن تبهت الوانها الصارخة ، ويذهب بريقها الذى خطف الابصار فى يومها الذى ليس له غد !

— ٦ —

ولكن الامر يختلف أشد الاختلاف ، ومحصل النظر يجىء بما لم يقع فى التقدير والحسبان ، حين يستقبل الانسان بنظره مطلع النبى العربى ، فى الامة العربية ، فى الصحراء العربية ..

هنالك نجد الداعى الأمى على غير ما عرفت الحياة من دعاة أميين ، وفلاسفة ، وحكماء ومصلحين ..

وهنالك نجد الصحراء ، وساكنى الصحراء ، على غير مألوف الحياة فى الصحارى ، وفى ساكنى الصحارى .. فى قديم الزمن وحديثه على السـواء ..

ومن هنا كان هذا (المحصول) الموفور من معطيات الخير وثمراته ، فيما غرس الداعى من غراس ، وفيما أخرجت الارض من طيبات ، وفيما حصل الناس من رزق ، وفيما بلغوا من كمال فى منازل الانسانية ، كانوا به ، كما وصفهم الله تعالى : (خير أمة أخرجت للناس) ..

اننا هنا بين يدى آيات بينات ، ومعجزات قاهرات ، وفى مواجهة أحداث خطيرة مثيرة ، وانقلاب شامل فى ماديات الحياة ومعنوياتها ، يعتدل به ميزان الوجود الانسانى على هذا الكوكب ، الذى كان قد اختل ميزانه ، واضطربت سفينته ، وكادت تغرق فى متلاطم الامواج ..

نبى أمى ، وقوم أميون ، وأرض جديب ، وحياة غليظة جافية متجهمة .. ثم مع هذا فانه من كل هذه (الأميات) ، مجتمعـات ، تلد الحياة أكرم مواليدها ، وتخرج الارض اطيب ثمراتها ، فتتفجر ينابيع الحكمة من فم هذا النبى الأمى ، ثم تقع هذه الحكمة فى عقول هؤلاء الاميين وفى قلوبهم موقع الماء الغدق فى الارض القفر ، فاذا الناس غير الناس ، واذا الحياة غير الحياة ، واذا أعراب البادية ، ورعاة الابل ، شامة فى الناس ، وأساتذة فى العلم ، وساسة فى الحكم وفى تربية الامم ، وقيادة الشعوب ، واذا هذا البلد القفر مطلع النور ، ومشرق الهدى ، ومهوى الافئدة ، وقبلة أنظار العالم من عدو وصديق ..

لقد كان التقاء هذا النبي الامي بقومه الاميين ، وفي موطنهم (الأمي)

ــ كان هذا اللقاء مقدورا بقدر ، موقوتا بميقات ، لتتجلى منه آيات الله، ولتستبين به حكمته ، ولتكون منه للمتوسمين عبرة وعظة ، فيما يقضى به فى خلقه ، وفيما يختص به من يشاء من فضله ، من أفراد وأمم ، ومن ديار وأوطان ، وعز وصدق من قائل : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ..

ــ ٧ ــ

ولا أحسب أن هذا الحديث عن النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يرضى كثيرا من هؤلاء الذين قرءوا كتب السيرة النبوية ، وماتحدث به من عجائب الاحاديث وغرائبها ، ومن تروى من تلك الاحداث والمعجزات التى سايرت موكب المولد النبوى ، واحتشدت من بين يديه ومن خلفه ــ لا أحسب أن أحدا ممن اعتاد أن يغذى عاطفته الدينية من تلك الاحاديث وهذه الاخبار ــ لا أحسبه يقيم وزنا لهذه اللمحات التى قبسناها من أضواء النبوة الى جانب هذه البروق اللامعة الخاطفة التى تعج بها كتب السيرة ، وقد حملت من كل عجيب وغريب !

ولا بأس من أن نعرض هنا بعضا مما تحدث به كتب السيرة فى هذا المقام ، وهو قليل من كثير ، لتكون موضع نظر أولى النظر ..

فقد روى ابن هشام ــ صاحب السيرة ــ عن ابن اسحق ، ان آمنة حين حملت بوليدها ، رأت أنه خرج منها نور رأت به قصورى بصرى من أرض الشام ..

ثم يعلق على هذا الخبر بقوله : (قد تواترت الاخبار الصحيحة بذلك !!) (١٣) ..

ويروى (شهاب الدين الدينورى) فى كتابه (نهاية الأرب) فيقول : (وحكى الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبى فى كتابه (الاعلام) عن ابن عباس ، رضى الله عنهما انه قال : (كان من دلائل حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان كل دابة نطقت تلك الليلة ، وقالت : حمل بمحمد ورب الكعبة ، وهو امام الدنيا وسراج أهلها، ولم تبق كاهنة فى قريش ، ولا فى قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبها ، وانتزع علم الكهنة منهم (!!) ولم يبق سرير الملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا .. وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يوم ذاك ، وفرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار (!!) صار يبشر بعضهم بعضا .. وله ــ أى للنبى ــ فى كل شهر من شهوره ــ أى شهور حمله ــ نداء فى الارض ، ونداء فى السماء: أن أبشروا ، فقد آن لأبى القاسم أن يخرج الى الارض ميمونا مباركا ..) !! (١٤)

وفى السيرة الحلبية ، عن آمنة ، قالت : لما ولدت محمدا ، ثم خرج من بطنى ، نظرت اليه ، فاذا هو ساجد لله عز وجل ، رافع يديه الى السماء ، كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته ، فغيبته عن عينى برهة ، فسمعت قائلا يقول : طوفوا بمحمد مشارق الارض ومغاربها ، وأدخلوه البحار كلها ليعرفه جميع الخلائق كلها باسمه وصفته ، ويعرفوا بركته ، انه حبيب لى ، لا يبقى شىء من الشرك الا ذهب به (!!) .. قالت آمنة : ثم انجلت عنى فى أسرع من طرفة عين ، فاذا أنا به مدرج فى ثوب أبيض أشد بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ

الرطب الابيض ، واذا قائل يقول : قد قبض محمد مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوة) (١٥) ..

ولا نستكثر من عرض مثل هذه المقولات التى خلطت الحق بالباطل، وجمعت بين اللباب والقشر ، ونظمت عقد السيرة النبوية من جواهر وحصى حتى لقد خرج الامر عن حدود العقل ، وجاوز موازين المنطق ، بهذا الجمع بين التناقضات ، حيث تلتقى الحكمة مع السذاجة ، والجلال المهيب، مع التهريج الغبى ، وحيث اتسعت من ذلك مداخل الذين يتربصون بالاسلام ويكيدون له ، فاستكثروا من هذه المبالغات الساذجة المفضوحة ، يلقون بها فى حمى النبوة ، وبين آياتها البينة ، فلا يدرى الناس ماذا يأخذون من السيرة النبوية الكريمة ، أو يدعون ، بل ان هذا الزيف من تلك الاخبار قد خدع العامة ببريقه ، فأقاموا أبصارهم عليه ، دون أن يلتفتوا الى ما بين أيديهم من آيات النبوة ، فى جلالها ووقارها .. وهكذا يروج النقد الزائف ، ويكثر تداوله .. حتى اذا استقبل المسلمون مولد النبى ، محتفين بهذا اليوم العظيم ، ومستقبلين مواطر النفحات والرحمات من تلقائه ، كان أكثر زادهم فى هذا المقام الكريم ، هو معاطاة هذه المقولات الساذجة الزائفة ، وادارة كئوس شرابها الآسن بغير حساب فى حلقات الذكر ، ومجامع الذاكرين ، وسرعان ما تغيب عقول القوم ، فى (الحضرة) فلا يدرون ما يدار عليهم فى الكئوس ، وقد دارت من القوم الرء وس !!

والذى نريد أن نقرره هنا ، هو أن معجزة النبى الخالدة خلود الزمن، الباقية بقاء الابد ، الثابتة ثبات النجوم فى ابراجها ، المشرقة اشراق الشمس فى ضحاها ــ هذه المعجزة هى القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين على قلب النبى صلوات الله وسلامه عليه ــ وبهذه المعجزة أعجز العالمين ، وبهذه المعجزة أخرج فى الوجود خير أمة أخرجت للناس !

فليقل القائلون فى النبى ما شاءوا من قصيد المدح والثناء ، ولينظموا له ما وسعهم الخيال من غرائب الاحداث ، وعجائب الاساطير ــ فان ذلك كله ومثله معه ، اذا وضع فى ميزان النبوة ، لن يتأثر به هذا الميزان ، ولن يتحرك (مؤشره) قيد أنملة . صعودا أو هبوطا .. فمقام الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ جل عن أن يتأثر بشىء من هذا ، فقد رفعه ربه فوق كل مقام ، وأعلى منزلته فوق كل منزلة ، اذ يخاطبه ربه بقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فبهذا العطاء الموعود من رب العالمين لم يبق للنبى شىء يعطاه من أفواه المحبين المادحين ، فضلا عن أفواه الاغرار المفترين ..

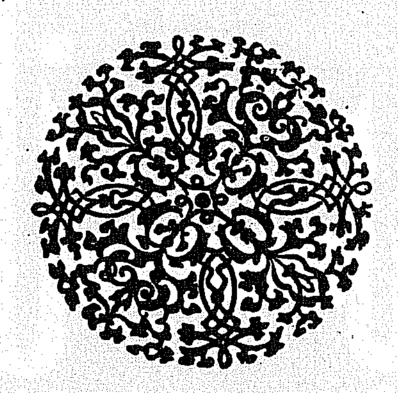
فلنقتصد اذن قدر ما نستطيع من ادارة مثل هذه المقولات ، والمرويات ومن تعطير سيرة النبى بها ــ كما يقال ــ فان من الجور على جلال النبوة وعظمتها ، أن يطلق فى سمائها القدسى مثل هذا (البخور) الذى لا يجاوز مواقع مطلقيه .. ان ذلك أشبه بمن يضىء شمعة ، يمد بها يده الى الشمس المتألقة فى كبد السماء ليزيدها ضياء الى ضياء ، ونورا الى نور ..

وحسبنا فى هذا المقام ، مقام ذكرى المولد العظيم ــ أن نطالع وجه النبى فى كتاب الله ، وأن نتذاكر ذكره فى آيات الله .. فالقرآن الكريم هو سيرة الرسول ، وآيات القرآن الكريم هو آيات الرسول ومعجزاته.

فمن أراد أن يشهد النبى فى أعلى مقام ، وأكمل كمال ، فليقف بين يدى آيات الله وقوف متأمل فيها ، دارس لها ، قاطف من جناها ، طاعم من ثمرها ، مهتد بهديها ، مستقيم على طريقها .. فذلك هو الطريق القاصد الى الله ، والموصول بأنوار رسول الله .. (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) (١٦) ..

فيا أمة محمد ، ويا أحباب محمد ، أحيوا ذكرى محمد ، ومولد محمد ، وسيرة محمد ، بالحياة مع الكتاب المنزل على محمد ، كلمات متلوة فى آيات الله ، وآيات مشهودة فى رسول الله ، الذى تحدث السيدة عائشة رضى الله عنها ، وقد سئلت عنه ، فتقول : (كان خلقه القرآن) ..

فما أصفى القرآن موردا نرد منه على رسول الله ، وما أصدق القرآن حديثا يحدثنا به الله ، عن رسول الله .. (ان هذا لهو القصص الحق ، وما من اله الا الله ، وان الله لهو العزيز الحكيم) (١٧) ..



---

(١) تأول الرسول الكريم ، (عقبة) بالعاقبة ، و (رافع) بالرفعة ، وجعل العاقبة فى الدنيا ، والرفعة فى الآخرة ، لأن عقبة جاء لفظه قبل رافع ، وكذلك الدنيا ، فانها تجىء بعد الآخرة .

(٢) الحديبية .

(٣) سهيل بن عمرو ، هو الذى ندبته قريش ليلقى النبى ، وهو على رأس جيش المسلمين فى الحديبية ، وهو الذى أمضى صلح الحديبية مع النبى ، ممثلا لقريش ..

(٤) لقد كان صلح الحديبية فتحا ونصرا لرسول الله وللمؤمنين ، وان كان قد بدا فى ظاهره يومئذ غلبة لقريش ، التى صدت النبى والمؤمنين عن دخول مكة ، والطواف بالبيت الحرام ، وفى أعقاب هذا الصلح تنزلت على رسول الله (سورة الفتح) ومفتتحها :

(انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) .

(٥) صحيح مسلم (٦) صحيح البخارى ، وسنن أبى داود (٧) سنن أبى داود

(٨) سورة الروم : آية / ٥٤ (٩) زاد المعاد ، لابن القيم جزء ٢ ص ١٩ (١٠) سورة الصف : آية / ٦ (١١) الشفاء للقاضى عياض جزء / ١ ص / ١٩٠ (١٢) الروض الأنف للسهيلى جزء / ١ ص ١٥٦ (١٣) السيرة ، لابن هشام ، جزء / ١ ص/ ٦٢

(١٤) نهاية الأرب جزء / ٦ ص / ٦١ (١٥) السيرة الحلبية جزء / ١ ص / ٤٤

(١٦) سورة الروم : آية / ٤١ (١٧) سورة آل عمران : آية / ٦٢ .



— ١ —

ما احوج العرب والمسلمين اليوم ، الى الاقتداء بشجاعة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، والارض المقدسة والقدس الشريف والضفة الغربية وقطاع (غـزة) وسـيناء والهضبة السورية تئن تحت وطـأة الاحتلال الاسرائيلى ، وبلادهم من النيل الى الفرات مهددة بالتوسع الصهيوني الاستيطاني ، حتى يخاطبوا اسرائيل باللغة الوحيدة التي تفهمها وترضخ لها ، وحتى يستعيدوا حقوقهم المغتصبة ويفرضوا السلام في ارض السلام ..

وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم العطرة ، تقدم نماذج رائعـة فذة ، تبرز بها شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أيام السلام والحرب على حـد سـواء ..

كانت رجولته النادرة تملأ الأعين قدرا وجلالا ، وكان في السـلم

(رجـــــلا) يوحد من أجل الجهاد ، وكان فى الحرب (رجـــــلا) يجاهد من أجل التوحيد ، وكانت حياته المباركة منذ مبعثه الى التحاقه بالرفيق الأعلى توحيدا من أجل الجهاد وجهادا من أجل التوحيد ، وكان بعض آثار جهاده وتوحيده جمع شتات العرب فى شبه الجزيرة العربية تحت لـــــواء الاسلام ..

ولست بصدد ذكر أمثلة من شجاعته فى أيام السلام ، لانني أحب أن يقتصر حديثي على شجاعته فى أيام الحرب ، لان العرب والمسلمين يعانون فى هذه الايام العصيبة من حرب فرضت عليهم فرضا ، فهم أحوج ما يكونون الى تدارس شجاعته العسكرية ، لتكون أسوتهم الحســـنة

صلى الله عليه وسلم

للواء الركن : محمود شيت خطاب

فى حاضرهم ومستقبلهم ، وليقتنوا أعماله البطولية فى ميدان القتال ..

ولكنني أستأذن القراء بذكر مثال واحد دليلا على شجاعته فى أيام السلام ، ما قرأته فى السيرة النبوية العطرة الا وهتفت من صـــميم قلبى : ما أعظم شجاعتك يا رسول الله عليك أفضل الصلاة وأزكى الســـــلام !!

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : (حضرتهم (١)، وقد اجتمع أشرافهم يوما بالحجر (٢) ، فذكروا رســـول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا — لقد صبرنا منه على أمر عظيم . فبينما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت . فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ! أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح (٤) ! .. فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى ان أشـــــدهم فيه وصاة (٥) قبل ذلك ليرفؤه (٦) بأحسن ما يجد من القول ، حتى انه

ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا !! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى (الحجر) وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا الذى أقول ذلك ! . . . (٧)

كان ذلك أيام ضعف المسلمين ، قبل الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وقبل اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم . .

وهذا يدل على تحد شديد لقريش ، وعلى شجاعة مذهلة حقا . .

— ٢ —

ولكن ما نحتاج اليه اليوم ، هو التذكير بشجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أيام الحرب ، حتى تكون نبراسا للعرب والمسلمين قادة وجنودا وحكاما ومحكومين وحكومات وشعوبا . .

ان من أهم صفات القائد بخاصة والجندى بعامة ، هو التحلى بالشجاعة الشخصية . .

والقائد الذى لا يتحلى بالشجاعة لا ينتصر ابدا ، لان جنوده لا يثقون به ، ولانه لا يستطيع أن يكون مثالا شخصيا لرجاله فى الاقدام والتضحية ، ولانه لا يخاطر بروحه فلا يخاطر اتباعه بأرواحهم . .

والقائد الشجاع يتبعه رجاله الى الموت ، والقائد الجبان يسبقه جنوده الى النجاة . .

والشجاع يربى الشجعان ، وخصلة الشجاعة تنتقل منه الى اتباعه بالعدوى ، وفاقد الشىء لا يعطيه . .

لقد برزت شجاعة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام فى غزواته كلها بشكل يبهر العقول والقلوب معا ، ويدعو الى أعظم الاعجاب والتقدير . .

ان (قراره) بقبول خوض غزوة (بدر) الكبرى ، وهى اول غزوة خاضها المسلمون ، شجاعة نادرة فذة ، لان تعداد المسلمين يبلغ ثلث تعداد المشركين ، ولان المشركين كانوا متفوقين على المسلمين بالتسليح والقضايا الادارية . .

فقد بلغت قوة المسلمين فى (بدر) ثلاثمائة وخمسة رجال من المهاجرين والانصار (٨) ، وبلغت قوة المشركين تسعمائة وخمسين رجلا . .

وكان مع المسلمين فرسان فقط وسبعون بعيرا ، وكان مع المشركين مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم . .

وكان المسلمون فقراء يفتقرون الى الطعام ، وكان المشركون أغنياء ينحرون كل يوم تسعة من الابل أو عشرة لطعامهم ، بينما يكتفى المسلمون غالبا بالتمر والسويق (٩) . .

وكان الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام يدرك كل الادراك خطورة الاشتباك بالمشركين ، لان اندحار المسلمين فى هذه الغزوة الحاسمة قد يؤدى الى القضاء المبرم على مستقبل الاسلام . لذلك ابتهل

الى الله سبحانه وتعالى فى دعائه قبل نشوب القتال وفى أثنائه قائلا : (اللهم هذه قريش ، قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم ، فنصرك الذى وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) ..

وحين اشتد أوار القتال ، نزل الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بنفسه ليقود صفوف المسلمين ويباشر القتال ، فلم يكن أحد من المسلمين أقرب منه الى العدو . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (لما كان يوم (بدر) ، اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس بأسا ، وما كان أحد أقرب الى المشركين منه) (١٠) ..

وقال الامام على رضى الله عنه : (انا كنا اذا اشتد الخطب (١١) واحمرت الحدق (١٢) ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رايتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا الى العدو) (١٣) ..

— ٣ —

وكانت قوة المسلمين فى (أحد) ستمائة وخمسين راجلا وخمسين فارسا ، وكانت قوة المشركين ثلاثة آلاف راجل وفارس ..

وقد أعد الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام خطة تعبوية لخوض غزوة (أحد) ، قادت المسلمين الى النصر فى المرحلة الأولى من المعركة ، حتى انهزم المشركون وتكبدوا خسائر فادحة ..

ولكن (الرماة) الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا يبرحوا أماكنهم ولو رأوه وأصحابه يقتلون ، اختلفوا فيما بينهم ، فانطلق أكثرهم لجمع الغنائم من معسكر المشركين ظنا منهم بأن المعركة قد انتهت بنصر المسلمين ..

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ، فهاجم مواضع رماة المسلمين ، وضرب المسلمين من الخلف ، وطوقهم . فلما رأى المشركون ذلك ، قاموا بهجوم مضاد على المسلمين ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب ، وأصبح مصيرهم مهددا بالفناء ..

ولجأ أكثر المسلمين الى جبل (أحد) ، وثبت مع الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة عشر رجلا : سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار (١٤) يقاتلون ليشقوا لهم طريقا من بين قوات المشركين التى أطبقت عليهم من كل جانب . واستطاع المشركون أن يصلوا قريبا من موضع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرماه أحدهم بحجر أصاب أنفه وكسر رباعيته (١٥) . وتمالك النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، وسار مع البقية الباقية من أصحابه مقاتلا ، فاذا به يقع فى حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأسرع اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بيده . ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى ..

وأخذ المشركون يديمون زخم هجومهم المضاد للقضاء على المسلمين وعلى النبى صلى الله عليه وسلم بالذات ، وصاح أحدهم بأعلى صوته : (قتلت محمدا ..) ..

وقاد الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه رجاله ، ورمى بنفسه عن قوسه ، حتى تحطمت القوس .. وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الآخر ، حتى استطاعوا بقيادته الفذة شـق طريقهم عبر صفوف المشركين ، ولجأوا الى رابية مشرفة من روابى جبل (أحـد) ..

وتركت هذه الشجاعة المذهلة أثرها فى قريش ، فتوقف زخـم هجومها ، وذهبت محاولات قريش كافة للقضاء على النبى صلى الله عليه وسلم أدراج الرياح ..

وصدق الله العظيم : (ولقد صدقكم الله وعده ، اذ تحسونهم (١٦) بأذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعـد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين) (١٧) ..

وعاد المشركون أدراجهم الى مكة ، وعاد المسلمون الى المدينة ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قرر القيام بحركة جـريئة ترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع يهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بالمدينة المنورة قويا كما كان ..

لذلك خرج بأصحابه الذين شهدوا غزوة (أحـد) فقط ، فى اليوم الثانى من يوم (أحـد) لمطاردة المشركين . فلما وصل موضـع (حمراء الاسد) (١٨) ، جاءه من يخبره أن قريشا قررت السير اليه ..

وقرر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لقاء قريش ، وبقى ينتظرهم هناك ثلاثة أيام ، ولكن المشركين المنتصرين خافوا لقاءه وحرصوا على الاحتفاظ بمكاسبهم ..

ان شجاعة النبى صلى الله عليـه وسلم فى (أحـد) تجل عن الوصف ، فقد استطاع أن يسيطر على الموقف الحربى تجاه تفـوق ساحق للمشركين فى معركة يائسة الى أبعد الحدود ، ثم يعيد تنظيم رجاله ويعيد اليهم معنوياتهم ويصد هجمات مضادة للمشركين ، فيحيل الهزيمة النكراء الى نصر ، لانه اضطر قريشا الى اليأس من القضـاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين أمرا حتميا ، ثم اضطرهم الى الانسحاب من ساحة المعركة بعد اليأس من ابادة المسلمين ..

ولم يكتف بذلك ، بل خرج فى اليوم الثانى من المعركة ، لمطاردة المشركين ، حتى اضطرهم الى اتخاذ (الحيلة) بارسال معلومات كاذبة للمسلمين حول اعتزامهم على اعادة الكرة على المسلمين ، فلم يكترث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التهديد والوعيد ، وانما أعد العدة لمجابهة المشركين ، وقرر لقاءهم مهما تكن الظروف والاحوال ..

اننى لم أقرأ فى تاريخ الحرب ، قائدا تميز بمثل هـذه الشجاعة الخارقة ، ولعل موقف النبى صلى الله عليه وسلم فى (أحـد) هو من أعظم مواقفه العظيمة فى الحرب التى تدل على شجاعته التى لا تتكرر أبـدا ..

— ٤ —

أ) . وكان تعداد جيش المسلمين فى غزوة (الخندق) ثلاثة آلاف رجل، وكان تعداد الاحزاب عشرة آلاف مقاتل ، أربعة آلاف من قريش وستة آلاف من سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان ..

وحاصر المشركون المدينة المنورة ، واشتد القتال ، وكان رجحان كفة المشركين على المسلمين ظاهرا للعيان ، لذلك نكث يهود قريظة وانضموا الى المشركين ..

وتحرج موقف المسلمين كثيرا ، اذ أصبح الخطر يتهددهم من داخل المدينة بيهود ومن خارجها بالمشركين ..

فى ذلك الموقف العصيب ، الذى يفتت أصلب النفوس وأشجعها ، والذى وصفه القرآن الكريم وصفا أبلغ وصف وأصدق وصف ، فقال تعالى : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) (١٩) . واشهد اننى لا أكاد أقرأ هذه الآية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، الا وتكاد اعصابى تتمزق ويتملكنى الشعور بالخوف الشديد والاشفاق على المسلمين من الموقف الرهيب الذى عاشوه يومذاك وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الأحزاب ..

ومع ذلك ثبت الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ثبات الجبال الشم الراسيات لا يتزعزع ولا يريم ، واثقا بالله معتمدا عليه معتدا به . يقاتل كما يقاتل أصحابه ، ويحفر كما يحفرون (٢٠) ، ويحرس كما يحرسون ، ويسهر كما يسهرون ، بل كن يستأثر بالخطر ويؤثرهم بالامن ، ثم يحرضهم على القتال ويبشرهم بالنصر أو الجنة ، وانما هى احدى الحسنيين : انتصار أو شهادة ..

ب) . ويوم (حنين) كان خالد بن الوليد رضى الله عنه على مقدمة المسلمين فى مائة فرس هى خيل بنى سليم عند التقدم من مكة المكرمة الى الطائف لقتال هوازن وثقيف الذين أجمعوا على حرب المسلمين (٢١).

وكان مالك بن عوف النصرى قائد المشركين قد عبأ رجاله فى وادى (حنين) ليلا وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة ..

وانحدر المسلمون فى عماية الصبح فى وادى (حنين) على تعبية، وهو واد من أودية (تهامة) أجوف خطوط (٢٢) ينحدر انحدارا . وهاجم المشركون المسلمين من كل جانب ، فانكشفت خيل بنى سليم مولية وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ..

ولكن الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبت وثبت معه نفر قليل من أصحابه وأهل بيته لا يزيدون على العشرة رجال (٢٣) ..

وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم ينادى الناس اذ يمرون به منهزمين: (أين أيها الناس ؟ أين ؟ .. هلموا الى ! أنا رسول الله ! أنا محمد بن عبد الله .. !) ..

وتقدم عليه أفضل الصلاة والسلام وهو راكب بغلته البيضاء يركضها نحو العدو وهو يقول :

(أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب)

وأمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه أن ينادى : (يا معشر الانصار ! يا أصحاب البيعة يوم الحديبية) ..

وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادى .. وسمع المهاجرون والانصار النداء ، فكافحوا ليبلغوا مصدر الصوت ،

ورمى أكثرهم درعه وترك بعيره واستصحب معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة ..

واجتمع حول الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام نحو مائة مسلم وهم يتصايحون : (لبيك .. لبيك ..) فاستقبل بهم صلى الله عليه وسلم المشركين ..

واشتد القتال ، وتقدم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام برجاله ، ففر المشركون .. واستسلم كثير منهم أسرى ، فلما عاد المسلمون وجدوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالاغلال ..

ولولا ثبات النبى صلى الله عليه وسلم ، لاصيب المسلمون بكارثة عسكرية ، ولصدق القائل حين رأى انهزام المسلمين : (لا تنتهى هزيمتهم دون البحر) (٢٤) ..

ولكن شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم غيرت الموقف من حال الى حال ..

قال البراء بن عازب رضى الله عنه : (كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله وسلم ، وان الشجاع الذى يحاذى به) (٢٥) ..

وأخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة رضى الله عنه عرى ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا .. لم تراعوا ..)

لقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام ، يقود رجاله من (الامام) ، يقول لهم : (اتبعونى .. اتبعونى ..) ..

لم يكن يقودهم من الخلف ، يقول لهم : (تقدموا .. تقدموا ..) ثم يأوى الى مقر آمن مريح ..

لذلك استحوذ بشجاعته واقدامه .. بمثاله الشخصى الذى يضربه لرجاله فى الشجاعة والاقدام .. ببذله وتضحيته واستئثاره بالاخطار وايثار أصحابه بالامن .. يستحوذ على (ثقة) رجاله ، فقادهم من نصر الى نصر ، ومن فتح الى فتح ، حتى شمل الاسلام أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فوحد العرب تحت لواء الاسلام ..

ذلك هو الدرس العظيم الذى يعلمه الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام لاتباعه المسلمين ولقومه العرب .. فى هذه الايام بالذات ..

فما أحرج العرب والمسلمين ان يتلقوا هذا الدرس ، عن سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين وقدوة المؤمنين وخاتم النبيين ..

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

---

(١) يريد : حضرت قريشا .

(٢) . الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما تركته قريش فى بنائها من أساس ابراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم أنه من الكعبة ، فسمى حجرا لذلك لكن فيه زيادة

على مافى البيت ، وكان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده على ما كان عليه فىالجاهلية. (راجع معجم البلدان) .

(٣) غمزوه : طعنوا فيه .

(٤) . الذبح : مجاز عن الهلاك ، ومنه فى حديث القضاء : (من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح ، فليحذره) .

(٥) الوصاة : الوصية .

(٦) يرفؤه : يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له .

(٧) انظر التفاصيل فى : سيرة ابن هشام (١ / ٣٠٩ — ٣١٠) — تحقيق مصطفى السقا ورفاقه — القاهرة — ١٣٥٥ هـ .

(٨) كان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا وسائرهم من الانصار . انظر طبقات ابن سعد (٢ / ١٢) ، مع اختلاف طفيف فى عددهم بالمصادر الاخرى . انظر جوامع السيرة لابن حزم (١١٤ — ١٤٦) وسيرة ابن هشام (٢ / ٣٢٤ — ٣٥٤) .

(٩) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه فى الحلق ، جمعها : أسوقة .

(١٠) أنظر : دلائل النبوة للبيهقى (١ / ٢٧٨) — القاهرة — ١٣٨٩ هـ .

(١١) الخطب : الحال والشأن . وفى القرآن الكريم : (قال : فما خطبكم أيها المرسلون ؟! .. والامر الشديد يكثر فيه التخاطب جمعها : خطوب . وهنا يريد : الامر الشديد ، والخطر المحدق .

(١٢) الحدق : جمع حدقة . والحدقة : السواد المستدير وسط العين . واحمرت الحدق : اشتد الخطر وتفاقم الامر ، حتى احمرت الحدق من جراء ذلك . وهذا التعبير : احمرت الحدق ، كناية عن تفاقم الخطر واشتداده .

(١٣) انظر الرسول القائد (٤٣١) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٤٢) .

(١٥) الرباعية : السن بين الثنية والناب ، وهى أربع : رباعيتان فى الفك الاعلى ، ورباعيتان فى الفك الاسفل .

(١٦) تحسونهم : تستأصلونهم بالقتل . قال ابن هشام : الحس : الاستئصال . يقال : حسست الشىء : أى استأصلته بالسيف وغيره . انظر سيرة ابن هشام (٣/٦٦) .

(١٧) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٢) .

(١٨) حمراء الاسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، على طريق المدينة — مكة . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣ / ٣٣٧) .

(١٩) الآيات الكريمات من سورة الاحزاب (٣٣ : ١٠ — ١٢) .

(٢٠) عمل النبى صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق كأى فرد من المسلمين ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض المعقبات والصعاب فى اثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر هو بنفسه لتفتيتها ..

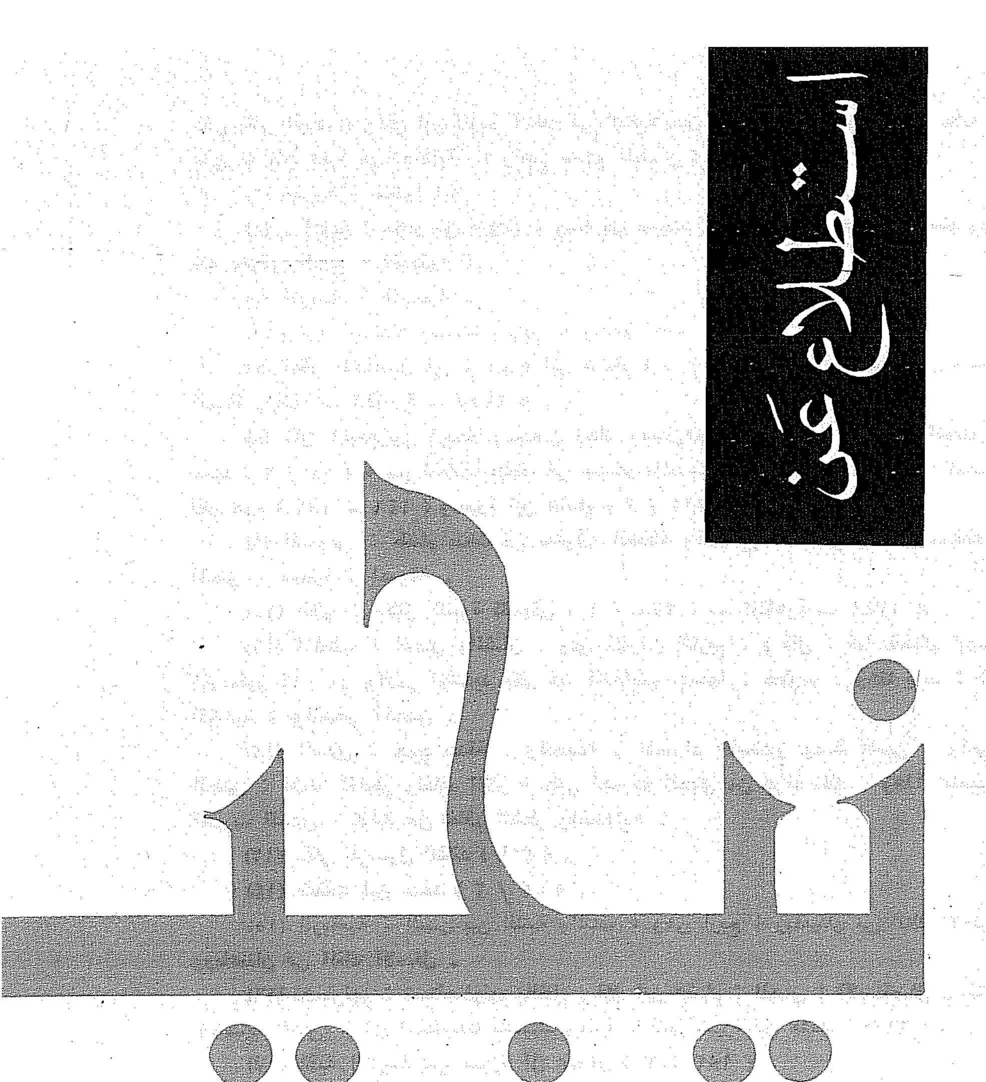
(٢١) انظر طبقات ابن سعد (١ / ١٤٩) والطبرى (٢ / ٣٤٤) وسيرة ابن هشام (٣ / ٦٨) .

(٢٢) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . واجوف : متسع . وحطوط : منحدر .

(٢٣) هم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب والعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد الذى قتل يومئذ .

(٢٤) انظر التفاصيل فى : الرسول القائد (٣٥٧ — ٣٦١) وخالد بن الوليد المخزومى (٨٠ — ٨٢) .

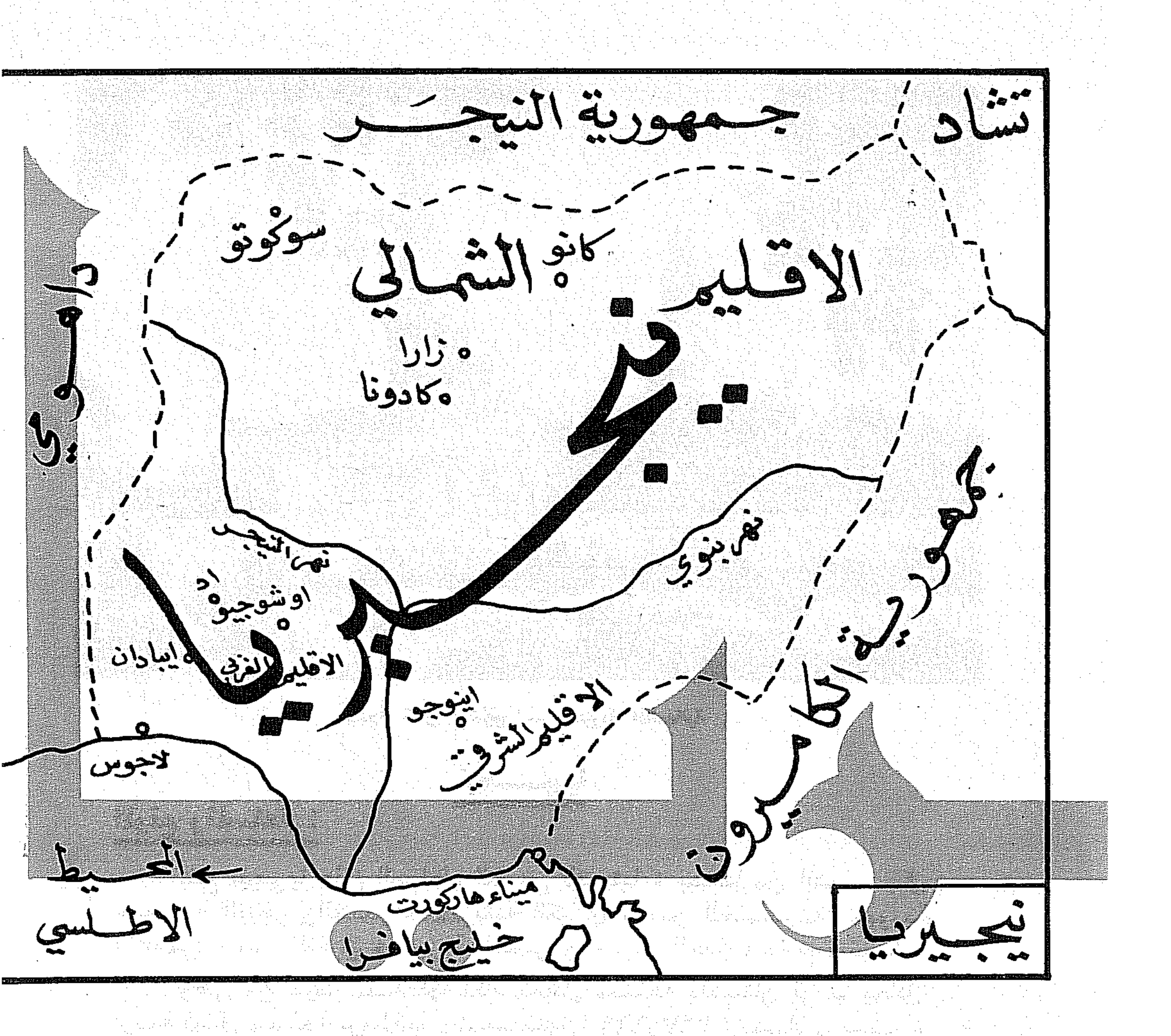
(٢٥) رواه البخارى .



أخي القارىء

هل تعلم :

- أن نيجيريا هي اكبر بلد افريقي من ناحية عدد السكان .
- وان نيجيريا اشتق اسمها من كلمة نيجرو اى الزنجي

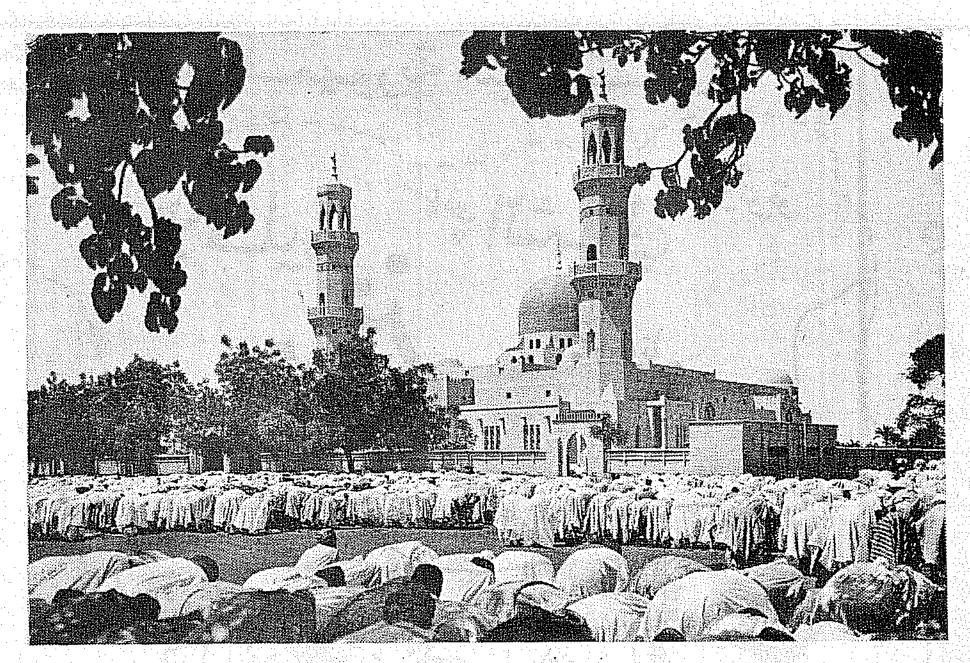


اعداد : الأستاذ عرفات كامل العشي

الأسود ثم أطلق الاسم على النهر الكبير الذي يشقها ، ثم على البلاد نفسها .

● وان امبراطورية اسلامية كبيرة قامت فى نيجيريا فى القـــرن التاسع عشر .

● وان نيجيريا من البلاد التى انتشر فيها الاسلام بقوته الروحية تماما كاندونيسيا وغيرها من الأقطار .



مسجد كانو الشهير ــ نيجيريا الشمالية ..

نيجـــيريا

الموقع والمساحة :

تقع نيجيريا على الساحل الغربي لأفريقيا ، يحدها من الشـــمال جمهورية النيجر والصحراء الافريقية الكبرى ، ومن الغـــرب جمهورية داهومى ، ومن الشرق جمهورية الكاميرون ، ومن الجنوب خليج غينيـــا .

وهي من حيث مساحتها تكاد تعادل مساحة باكستان أو ما يعادل أربعة أمثال مساحة بريطانيا ، فمساحتها (٣٦٧ر٦٦٩) ميـــلا مربعـــا ، وتعطى هذه المساحة الهائلة من الأراضي أنواعا شتى من النبات ، فهناك نباتات استوائية ، وأعشاب سافانا ، وهناك أراض شبه صحراوية .

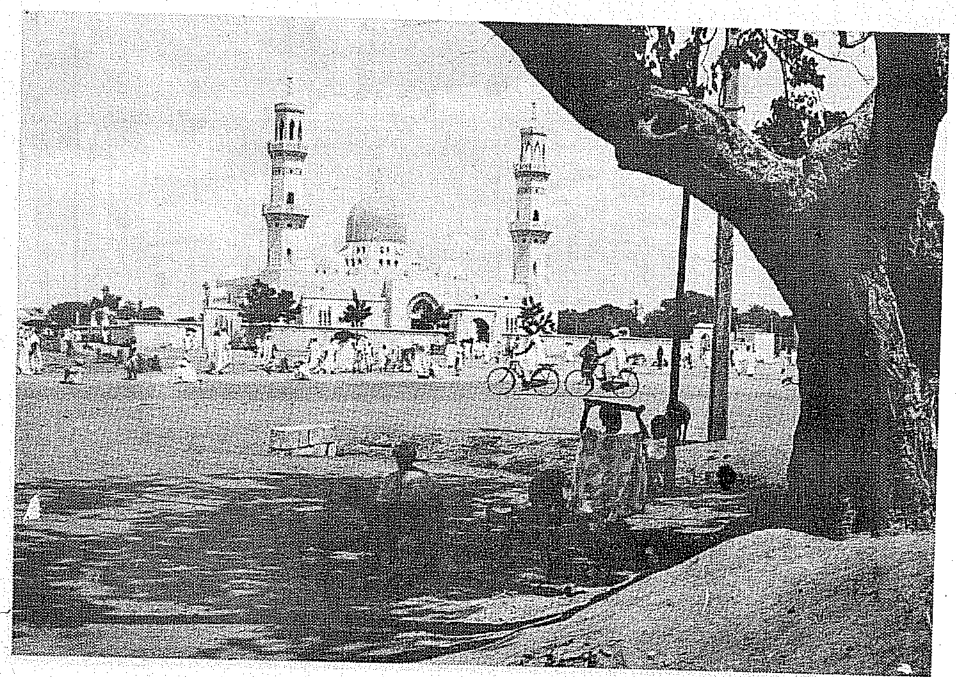
التضاريس والمناخ :

المنطقة الساحلية من نيجيريا مكسوة بالغابات والمستنقعات تتلوها في الداخل المنطقة الاستوائية وهى غنية بالأخشاب ثم تأتى الاراضى المنبسطة المكسوة بالشجيرات والحشائش وتكثر فيها المرتفعات والتلال .

أما مناخ نيجيريا فيغلب عليه الطابع الاستوائى وهنـــاك فصلان رئيسيان فى البلاد :

الأول فصل جاف ويمتد من شهر نوفمبر الى شهر مارس .

والثانى فصل الشتاء المطير ويشمل بقية أيام السنة ، وتسقط أمطار



مسجد كانو المركزى ــ الواجهة الثانية ..

غزيرة فى المناطق الجنوبية ، وتقل الامطار بالتدريج كلما اتجهنا شمالا ، الا أن الامطار تكفى فى البلاد كلها للاغراض الزراعية .

الانهـــار :

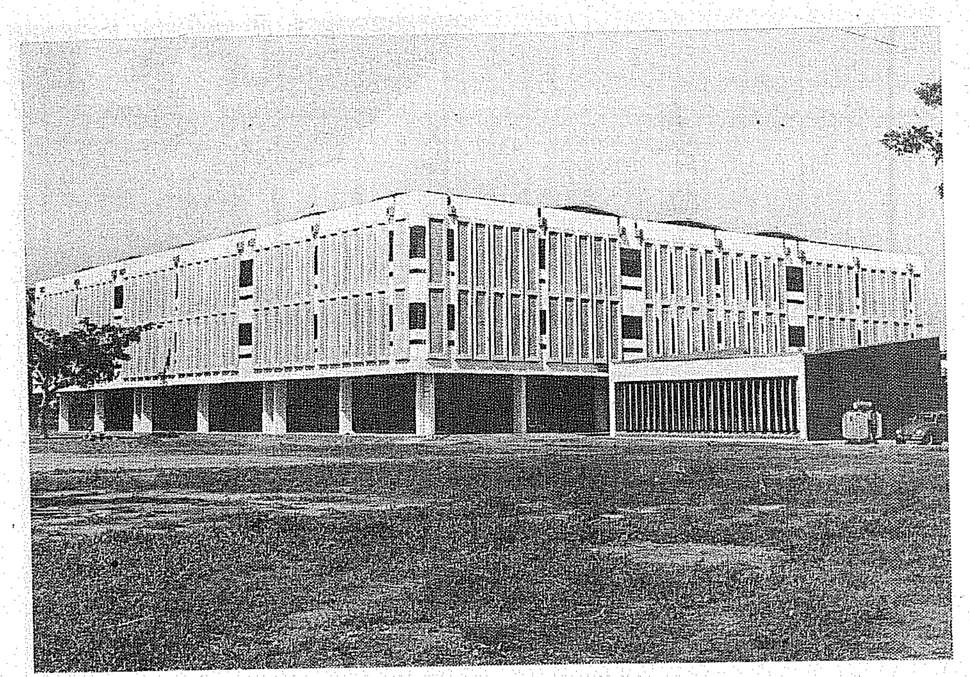
فى نيجيريا نهران عظيمان هما نهر النيجر ، ونهر بنوى . وينبع الاول من جبال فوتا فى غينيـــا ، ويأتى الثانى من الكاميرون . ويلتقى النهران فى منتصف أراضى نيجيريا فيتحدان وتتفرع عنهما عدة فروع ثم يصب الجميع فى خليج غينيا .

درجات الحرارة :

أما درجات الحرارة فنادرا ما ترتفع فى المنطقة الساحلية عن ٩٠ درجة فهرنهايت أى حوالى (٣٣ درجة مئوية) الا أن نسبة الرطوبة عالية بها ، وكلما انتقلنا الى الشمال كلما كان الطقس أكثر جفافا .

ثروات البلاد ومنتجاتها :

تعتبر نيجيريا أغنى بلد أفريقى من حيث مقدراتها . ففى عام ١٩٦٦م كانت تضخ ١٩ مليون طن من النفط وقد ارتفع ذلك الى أكثر من سبعين مليون طن مؤخرا (اللهم الا أثناء حرب الانفصال فى بيافرا) .



كلية عبد الله بايرو ــ كانو ــ نيجيريا الشمالية

ونيجيريا أكبر بلد منتج لجوز الهند فى العالم ، فيبلغ انتاجها منه حوالى (٧٠٠.٠٠٠) (سبعمائة ألف طن) سنويا ، وتعتبر الثانية بين دول العالم المنتجة للكاكاو بعد غانا ، وهى أكبر رابع دولة منتجة للصفيح ، وهى مسئولة عن نصف انتاج العالم تقريبا من بذرة النخيل وعن ٧٠ ٪ من زيت النخيل . وهناك (١٢٠.٠٠٠) ميل مربع من أراضي نيجيريا مكسوة بالغابات وتزرع نيجيريا ٢٤ صنفا من الأخشاب ، وبها مزارع للمطاط فى الاقليم الغربى الأوسط والاقليم الشرقى ، أما الشمال فغنى بالثروة الحيوانية .

السكان وتوزيعهم :

تعتبر نيجيريا أكبر بلد فى أفريقيا من حيث عدد السكان ، فقد بلغ عدد سكان نيجيريا حسب احصاء عام ١٩٦٣ حوالى ٥٥ مليون نسمة ، وبديهى أن هذا الرقم قد تضاعف كثيرا خلال السنوات السبع الماضية ، فيقدر عدد السكان حاليا بأكثر من ستين مليونا . و ٧٥٪ من السكان مسلمون .

أما توزيع السكان فى الاقاليم الاربعة التي يتكون منها اتحاد نيجيريا فهو كما يلي : الاقليم الشمالى : ٣٥ مليون نسمة ٩٩ ٪ منهم مسلمون ، والاقليم الشرقي : ١٣ مليون نسمة اغلبيتهم من النصاري وبه قليل من

المسلمين وبقية السكان فى الاقليمين الغربى الاوسط والغربى من الوثنيين والنصارى والمسلمين . هذا بالاضافة الى منطقة العاصمة الاتحادية لاغوس .

القبائل :

وفى نيجيريا يسود النظام القبلى فيها حوالى ٢٥٠ قبيلة لكل منها لغتها الخاصة بها ، الا أن هناك أربعة تجمعات قبلية رئيسية هى الهاوسا والفولانى واليوروبا والايبو ، وتتركز قبائل الهاوسا والفولانى فى الشمال، وتتركز قبائل الأيبو فى الاقليم الشرقى ، أما قبائل اليوروبا فأكثر أفرادها فى الاقليم الغربى .

اللغات :

ولغة الهاوسا تعتبر أكثر اللغات انتشارا فى نيجيريا ، فثمانون فى المئة من السكان يفهمون الهاوسا وتكتب بالأبجدية اللاتينية والعربية ، أما اللغة الرسمية للبلاد فهى اللغة الانجليزية .

أهم المدن :

يعيش حوالى ١٠ ٪ من السكان فى المدن الرئيسية فى نيجيريا ، ومعظم المدن الكبرى توجد فى بلاد اليوروبا وهى تشتمل على لاغوس (أو لاجوس) العاصمة الاتحادية ، ومدينة ايبادان ، عاصمة الاقليم الغربى ، ولا يضم الاقليم الشرقى سوى عدد ضئيل من المدن الكبرى أهمها اينوجو عاصمة الاقليم وميناء هاركورت ، وأهم المدن فى الاقليم الشمالى هى كانو ، الورين ، زاريا ، كادونا عاصمة الاقليم .

دخول الاسلام :

انبثق فجر الاسلام فى نيجيريا فى أواخر القرن الأول الهجرى (القرن الثامن الميلادى) عندما فتح المسلمون العرب شمال أفريقيا وجزءا من غربها ، واندفع تيار الاسلام الى نيجيريا من مصر وشمال أفريقيا .

وقد تميز دخول الاسلام الى هذه البلاد بالتسامح ، فقد غزاها هذا الدين بقوته الروحية وليس بقوته المادية ، وكانت النفوس ولا زالت تنجذب اليه بفطرتها لا بدعاية الأموال أو قوة السلاح ، وللتجار المسلمين فضل كبير بعد الله فى ذلك .

ولقد ازدهرت الثقافة العربية مع الدين الاسلامى قرونا عديدة فى نيجيريا قبل أن تتسرب اليها الديانة النصرانية والثقافة الاوروبية الحاضرة .

امبراطورية اسلامية :

ولقد قامت فى نيجيريا عدة ممالك اسلامية على مر القرون ، الا أن

أهم هذه الممالك الامبراطورية المسماة بالامبراطورية الفولانية . ففي عام ١٨٠٤ ميلادية قام رجل يدعى عثمان دان فوديو ، وكان عالما مسلما من قبائل الفولاني ودعا الى حركة بعث اسلامى ، ولقد بايعه الناس على الامارة فاستطاع أن يوحد البلاد تحت ادارة قوية وأصبح هو السلطان واتخذ لقب أمير المؤمنين ، وأصبح نوابه أمراء للأقاليم ولا يزال لقب أمير متوارثا الى يومنا هذا ، والجدير بالذكر أن أحمدو بلو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية الأسبق هو من أحفاد السلطان عثمان ، وهكذا قامت في القرن التاسع عشر مملكة اسلامية قوية ادت الى نهضة اسلامية .

التبشير والاستعمار :

لكن الحال لم يدم فالأيام دول ، وهكذا بدأ الضعف يدب فى المسلمين ، وعم الجهل والتخلف ، وبدأ المكتشفون الأوروبيون يصلون الى أفريقيا ، وتلاهم المبشرون النصارى والمستعمرون .

وقد بدأ النشاط التبشيرى النصرانى فى نيجيريا مبكرا على يد المبشرين البرتغاليين فى العقد الثامن من القرن الخامس عشر للميلاد ، واتخذ التبشير مدارس كثيرة مرصادا لاقتناص ابناء المسلمين ، ولما استولى الاستعمار البريطانى على البلاد اخذ يعمل على احلال اللغة الانجليزية محل اللغة العربية حتى غدت اللغة الرسمية .

ولقد كادت اللغة العربية تندثر لولا جهود وفق الله اليها بعض الجمعيات الاسلامية التى انشأت مدارس اللغة العربية لكافة المراحل ، من ذلك مدرسة اللغة العربية فى كانو والمعهد العربى النيجيرى فى ايبادان وجامعة عبد الله بايرو .. وغيرها كثير .. وأهمها كلية عبد الله بايرو التى يجيد طلابها العربية اجادة تامة .

لكن التبشير النصرانى قد بلغ درجة من التغلغل فى نيجيريا بحيث اصبح له فى كل قرية مدرسة أو مستشفى أو مركز تبشيرى خاص به ، وتدفقت عليه الأموال الطائلة من كل فج ، لذلك لم يكن غريبا أن يبلغ عدد النصارى فى الاقليم الشرقي وحده حوالى عشرة ملايين ونيف . ويعمل المبشرون على تنصير المسلمين حتى أن احدي الاحصائيات الاخيرة تقول بأن احد عشر طالبا مسلما من طلاب المدارس يدخلون كل يوم في الديانة النصرانية .

مأساة نيجيريا :

فى مطلع الستينات برزت نيجيريا كدولة مستقلة قوية ، عبارة عن اتحاد مؤلف من أربعة أقاليم تسيطر عليه أكثرية من المسلمين ، فرئيس وزراء نيجيريا الشمالية رجل مسلم مجاهد هو أحمدو بلو ، ورئيس وزراء الحكومة الاتحادية مسلم وسياسى محنك هو أبو بكر تفاوا بليوا ، وأخذت البلاد تسير سيرا حثيثا نحو اشاعة الاسلام فى كافة مناطقها ، فقد هدى الله الي الاسلام في يوم واحد على يد أحمدو بلو حوالى ستين الف شخص ، وأخذت البلاد تتجه لمحاربة النفوذ الاسرائيلي فى بعض أقاليمها ، وأخذ المد النصراني ينحسر ويتراجع شيئا فشيئا .

ومن هنا جن جنون المبشرين والمستعمرين وخافوا أن يشتد عود العملاق الناشيء فدبروا له ضربة قاصمة فى شهر يناير عام ١٩٦٦ م فحدث عصيان عسكرى قاده مجموعة من الضباط النصارى من قبائل الايبو فقتلوا أحمدو بلو وزوجته وأحرقوا بيته ، كما قتلوا رئيس وزراء الاتحاد أبو بكر تفاوا بليوا ، وهكذا أطاحوا بالحكومة المدنية الديمقراطية، وانشئت حكومة عسكرية بقيادة الجنرال جون أيرونزى ، فسعت الى الغاء نظام الأقاليم، واقامة حكم دكتاتورى تعسفى .

لكن الحال لم يدم لها اذ قام انقلاب آخر فى شهر يوليو ١٩٦٦ قاده بعض الضباط من قبائل الهاوسا فأدى الى مقتل الجنرال ايرونزى ، وانشاء حكومة عسكرية جديدة بقيادة الكولونيل يعقوب جوون ، وهو نصرانى من الشمال .

بيافرا :

ولما لم تفلح مؤامرة أعداء الاسلام لسحق الاتحاد وضرب الحركة الاسلامية الناشئة فى نيجيريا ، أعلن الاقليم الشرقى انفصاله عن الاتحاد فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ وكون جمهورية بيافرا ، وهنا هبت اسرائيل والبابا والدول الاستعمارية وعلى رأسها فرنسا فمدت يد العون المادى والعسكرى لحكومة بيافرا الانفصالية ، وقامت حرب أهلية طاحنة استمرت عدة سنوات انتهت بفشل الانفصال وضم بيافرا نهائيا الى الاتحاد من جديد .

وبعد ، فلئن هزم أعداء الدعوة الاسلامية فى معركتين فى نيجيريا، فليس معنى ذلك أنهم استكانوا وقعدوا عن التآمر ، فلا تزال الأموال الطائلة تتدفق لدعم التبشير النصرانى تحت ستار المساعدات الخيرية .

ولا يزال كثير من النصارى يسيطرون على مراكز رئيسية حساسة فى الحكومة الاتحادية ، ولا يزال المسلمون يتجمعون على أساس واه هو التجمع القبلى لا العقائدى . ومن الطريف أن يعقوب جوون النصرانى قام بانقلابه ضد الجنرال ايرونزى النصرانى أيضا بدافع من الثأر للقتلى من أبناء قبيلته رغم كونهم مسلمين .

وقبل أن نختم يرد تساؤل مؤلم : فالى متى تتحكم أقلية نصرانية بأكثرية مسلمة فى كثير من البلاد المسلمة فى أفريقيا .

الم يأن للمسلمين أن يستيقظوا ويتشبثوا بدعوتهم الربانية ويتركوا دعاوى الجاهلية ؟ فصدق الله العظيم اذ يقول :

(لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون)

المراجع :

١ ــ كتاب افريقيا ــ دراسة لمقومات القارة تاليف الدكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول

٢ ــ كتاب تقويم العالم الاسلامى باللغة الانجليزية اصدار مؤتمر العالم الاسلامى ــ باكستان

٣ ــ الانسيكلوبيديا بريتانيكا (الموسوعة البريطانية ــ المجلد ١٦ .

٤ ــ موجز تاريخ نيجيريا للأستاذ آدم عبد الله الإلورى .

وما أحلى الغد

محمد يوسف ... [illegible]

في حاضري أبنِي الْغَـدَا — وَتَخِـذْتُهُ لِي مَوْعِـدَا
وَذَكرتُ أيامِي وأحـ — ـلامِي الَّتِي ذَهَبتْ سُدَى
ونفضتُ آلامي تُـوِّرُ — قنِي ، وَضِقْتُ بِهَا يدَا
وملَلْتُهـا ، ومللتُ كُلَّ — حَدِيثِهَـا لِي وَالصـدَى
وغدِي وليس الأَمْـسُ كَا — ن - كَمَا أَرَى - لِي مَوْلِـدَا
وَاهًـا لِأَمسِ مُشَـرَّدًا — وَاهًـا لِأَمْسِ مُبَـدَّدَا
مَا أمس مِنْ عُمْرِ الزَّمَـا — ن ، ولَم يَدَعْ عِنْدِي يَدَا
لِمَ لَمْ أعِشْ فِي عَصْرِ أَجْ — ـدَادِي الْقُدَامَى سَرْمَدَا ؟
لِمَ لَمْ أعِشْ فِي دَارِ آ — بَـائِي ، لِأُمْطِـرَهَا نَدَى ؟
جِئْتُ الزَّمَـانَ مولِّيـا — هـرِمًا ، وَقَدْ بَلَغَ الْمَدَى
جِئْتُ الْحَيَـاةَ وَوَجْهُهَا — أَمْسِي كَئِيبًا أَرْبَـدَا
وكَأَمْسِ يَـوْمِي عِشْتُهُ — عِشْتُ الزَمَـانَ الأَنْكَدَا
فَاليَوْمُ كَالأَمْسِ الْغَرِيـ — ـبِ ، وَعِشْتُ فِيه مُفرَدَا
أَنَا عِشْتُ الاثْنَيْنِ الْحَـزِيـ — ـنَ ، الساهم ، المُتَمَرِّدَا
لَوْلَا الْغَـدُ المَرْموقُ سر — تُ كَمَنْ يَسيرُ الى الرَّدَى

للأستاذ : محمد عبد المنعم خفاجي

لَوْلَاهُ عِشْتُ عَلَى الْأَسَى ... أَسِفَ الْفُؤَاد مسهَّدَا

جُمعَ الزمانُ ، فَكَانَ ، كَا ... نَ غدَا ، ومَا أَحلَى غَدَا

لِلدِّين ، لِلْإِسْلَام ، سَوْ ... فَ يَجِيءُ ، يَقْبل ، لِلْهُدَى

لِلْمَجْدِ ، لِلْحِلْم الْكَبِيرِ ... وَمَا أجلَّ وَأَحْمَدَا

لِلنَّصْرِ ، لِلْآمَالِ أحْـ ... ـيَا فِيه ، أَحْيَا مُسْعدَا

لِحَيَاتِنَا الْمُثْلَى يجيءُ ... غَدٌ ، وَيَخطر سُؤْدَدَا

وَتكَادُ تَنْدَى أرْضُنَا ... مِنْه ، وَتُنْبِتُ عَسْجَدَا

وَتَكَادُ تُورِقُ مِنْهُ أَز ... هَارُ الرَّبِيعِ زَبَرْجَدَا

أَعْلَامُنَا تَخِذَتْ بِهِ ... فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَقْصَدَا

يَعْنو له وَجه الْجَلا ... لِ ، وَهَام دَهْرِي ، سُجَّدَا

وَنصُوغُ فِيه لِدِينِنَا ... عِقْدَ الْفَخَارِ مُنَضَّدَا

وَيعُودُ فيه الْمَجْدُ ، بالـ ... ـهمم الْكبَار مُخَلَّدَا

كَرُمَ الْغَدُ الْمَأْمُول نَحْـ ... ـيَاهُ وَمَا أَحلَى الْغَدَا

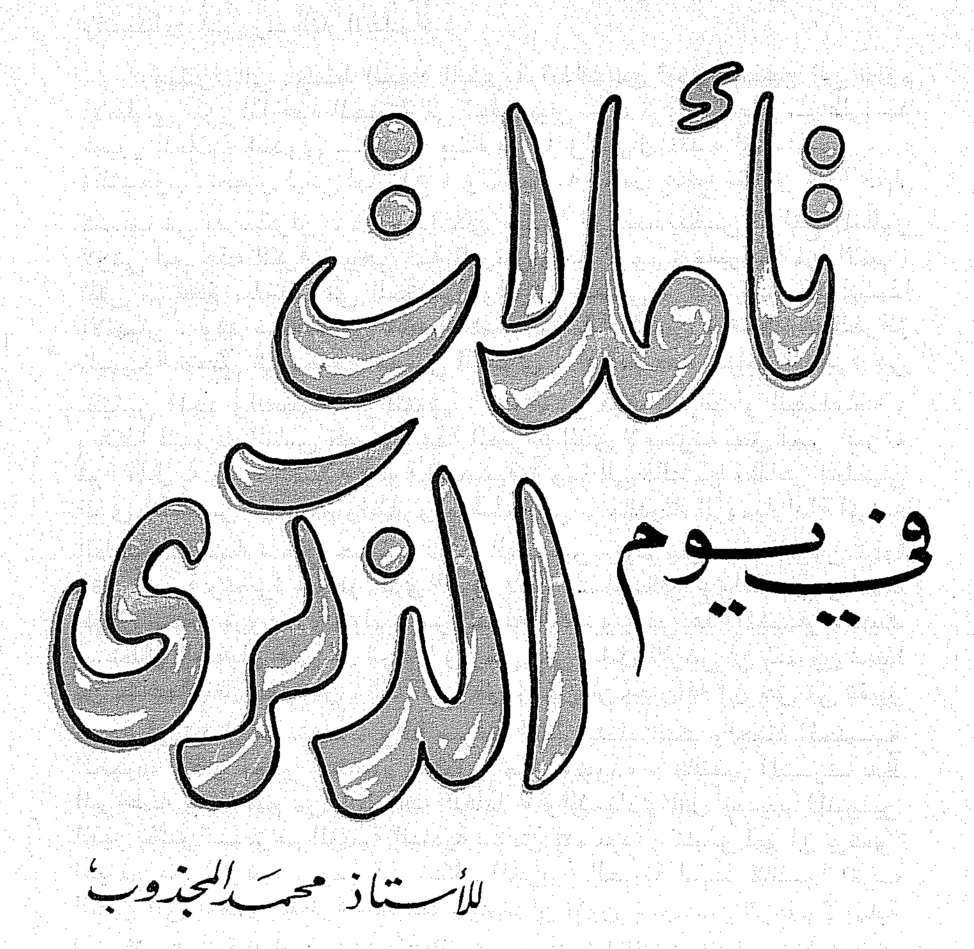
الْمُسلمُون بِهِ يَطُو ... لون السُّهَا ، والْفَرْقَدَا

وَبِهِ يَنَالُونَ الْفَخَا ... رَ ، طَرِيفه ، وَالْمتلدَا

فِيــه وَفِي أَبْــــرادِه نسمو ونكـرَمُ محتِّــــدَا
نَخْتَالُ فِيـه وَفِي ضُحَـا ه عَلَى الخطُوبِ ، عَلَى الْعِدَا
لاَ نَحْذَرُ الْمَوتَ الرهيـ ـبَ ، ولَا نَخَافُ بِهِ الرَّدَى
ونَمُدُّ فِيـهِ ، نَمُدُّ أَيـ ـدِينَـا ، تُصَافِحُ (أَحْمَدَا)
وَنقُولُ : عَادَ لَنَـا الزمـا ن ، ومَا أَعَـــزَّ وأَمْجَدَا

* * *

سَيَجِيءُ ، لِلْبَعْثِ الْعَظِيـ ـمِ غَـدٌ ، ويوقِظُ رُقَّدَا
يَمْشِي سَعِيـدًا بَيْنَنَـــا وَيَطِيبُ فِينَـــا مَوْرِدَا
وَيَروح ، يغدو فِي رَوا بِينَـا جَلِيـــلاً ، سَيِّدَا
وَيَجِيءُ لِلْأَمَـلِ النَّبِيـــــلِ ، وللرَّجاء مُؤَكِّدَا
وَيَجِيءُ للزَّحْفِ الكَبِيـــر ، وللبنَـــاء مُوَطِّـدَا
وَيَجِيءُ لِلْعِــزِّ التَّلِيـــدِ ، وللسـلام مُؤَيِّـدَا
لِفَضَائِل الاســلام ، لِلـ ـخُلق الزَّكِيِّ مُمَجِّـدَا
وَتَنِيَّـــة العصـر الذى نحيَـاه يَصرَعُهَا الرَّدَى
ولـكل بهتَــــان وَمَسْـ ـوأَةٍ يَجِيءُ مُشَــرِدَا
يَبْنِي لـهُ القُرآن مَجـ ـدًا بالقـــــديم مُشَيَّدَا
ولَـهُ ، لـه ، عَزَمَاتُنَـــا تَبْنِي وتَرفَعُ أَعْمُـــدَا
هَـذَا سَنَاه وذَاكَ مش ـرقه يَجِيء مُجَــــدِّدَا
هَذِي رُؤَاه وَذَاكَ مَـــو كِبُه يَسِيرُ ، لَقَدْ بَدَا
كَرُم الغَـــد المَنْشُود نحـ ـيَاه ومَا أَحْــــلَى الغَدَا
ونَمُدُّ فِيـه ، نَمُدُّ أَيـ ـدِينَا ، تُصَافِحُ (أَحْمَـدَا)
إِنْ قيل : من لمآثر الـ إِسْلام ؟ قَـال : (محمدًا)



للأستاذ محمد المجذوب

روى مسلم فى صحيحه من حديث طويل ان رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم وقال « ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهـــم الا بقايا من أهل الكتاب » (١) .

فى هذا التعبير النبوى صورة رهيبة ودقيقة لحالة العالم أيام مبعثه ، اختصرت التاريخ البشرى فى كلمات يسيرة ، ولو شئنا تتبع ظلالهـــا فى واقع ذلك العالم لرأيناه أشبه بتفسير مفصل لهذا الوصف البليغ المكثف ..

فالتصريح النبوى يستوعب أهل الارض جميعهم على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ومواطنهم فيعرضهم فى وضع لا يستحق من خالقهم الا المقت ، ولا يستثنى من هذا المقت الا بقايا من أهل الكتاب .. وطبيعى ان هـــذه البقايا لا تشمل سوى النزر اليسير من مجموع الأمم الكتابية ، وهم دون ريب طائفة من حملة العلم الالهى ، الذين احتفظوا بأمانة الوحى نقية كما

أراد الله ، وشاء الله حمايتهم واستبقاءهم ليكونوا حجته على عبـــاده . وشـهداءه على رسالته الخاتمة ..

ونظرة الى مخطط الحياة البشرية آنذاك من أقصى الصين الى تخوم الاطلسى تبرز لنا هذه الحقيقة فى أجلى بيان ، اذ نرى (العالم — على حد تعبير العلامة الندوى — أشبه ببناء ضربه زلـــزال فقلب أوضاعـــه ... فالشـعوب قطعان ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج منطلق ، والحكام كسيف فى يد سكران ..) واذا كان هـــذا الوصف يلخص الواقع المنظور لأرقى أمم هذه الكرة ، وهى أمة الفرس وأمة الروم ، فغيرهما من الامم ، التى لم تبلغ مبلغهما فى الحضارة والرقى العلمى ، أشد تمثيـــلا لهـــذا الانهيار . وقد ضاعت فى هذه الظلمات رسالة النبيين ، فانطلقت الغرائز البهيمية تتحكم فى مصير الجنس البشرى ، اذ أصبحت المنافع العابرة هى مقياس المجد والعظمة ، والتفوق ، سواء فى ذلك الافراد أو الجماعات . وهكذا اشترك الناس كلهم فى هذا الصراع الذى لا يعترف بحق لغير القوة، قوة المال ، وقوة السلاح وقوة العصبية ، وما الى ذلك من مظاهر الطغيان الذى أفلت من كل زمام ونظام ورباط أخلاقى . فالدولة الرومية أداة لترفيه الطبقة الحاكمة ، على حساب شقاء الجماهير ، ولم يكن حكم اليونان قبلها بأقل قسوة وتحيزا ، وهو الذى أغرق ديار الشام بالنزاع والشقاق والدماء طوال سبعة قرون ... ولم تقصر الدولة الكسروية فى هذا المضمار ، حيث استطال الطغيان على كل شىء ، وفرض على عامل الارض ان يكـــون شيئا من متاعها ينقل معها من مالك الى آخر ، دون أن يكون له أى حق فى تغيير سيده أو تبديل حرفته .. واذا صرفنا النظر تلقاء الهند واجهنا المجتمـــع العجيب الذى يعتبر التقسيم الطبقى أصل وجوده ، فالنعيم المتـــرف حظ البراهمة وحلفائهم من الطبقات العليا ، والشقاء والذل نصيب المنبوذين الذين خلقوا — بزعم الوثنية الهندية — من قدم بوذا ، فليس لهم ان يرفعوا أعينهم عن التراب . ومع أن سكان الجزيرة العربية أيامئذ كانـــوا أقرب الخلق الى سلامة الفطرة ، لم تعد حياتهم ان تكون جحيما من الرعب لا نهاية له ، لان قسوة البادية ، وضنك العيش ، وضغط النظام القبلى ، كل أولئك كان يزج بهم فى حروب مستأصلة يقتل فيها الاخ أخاه والقريب قريبه ، فما تكاد دماء الضحايا تجف ولا حملات الثأر تفتر ... وقد أناخ الشقـــاء بكلكله على الجميع فلا منفذ ولا أمل ، ولا شعاع من هداية ، الا لمعا هزيلة مثل أضواء الحباحب يرسلها بعض الشعراء أو الخطباء أو الحنفاء ، فى حكم بتراء لا تعدو كونها تعبيرا عن حاجة الفطرة الى نور لا تعلم من أين ينبثق ! .. وقد زاد البلاء عمقا انسياق رجال الدين فى هاتيك التيارات الجارفة ، فبدلا من ان يتجردوا للنهوض باعباء الاصلاح تذكيرا وارشادا ، وتحذيرا واجتهادا ، اذا هم — أو معظمهم — يقتلون طاقاتهم فى تأييـــد الطواغيت من جانب وخوض معارك الجدل العقيم من جانب آخر .. وذلك ما سبب العديد من المذابح الطائفية ، ولا سيما فى مصر والشام ، حيث طورد دعاة التوحيد ، وفرضت الدولة فلسفتها الوثنية على رعيتها المسيحية بقوة الارهاب وفنون النكال .. وهكذا شمل الضياع كل مكان ، اذ بات

الناس مقطوعى الصلة بهداية السماء ، فكل خطوة ينقلونها تزيدهم بعـــدا عن ساحل النجاة وغوصا فى النائبات . وقد أثبت العقل افلاسه فى هذه الظلمات الطاغية ، فلا سبيل للخلاص عن طريقه ، بل لا أمل بالخـــــلاص الا عن طريق معجزة الهية توقظ ضمير البشرية النائم ، وتضىء للعقـــل الحائر طريق الحق ليسلكه على بصيرة . ومهما أوتى الانسان من بلاغــة الوصف ، فهو سيظل عاجزا عن الاحاطة بما يصوره القرآن العظيم من هذا الواقع الأليم ، وذلك فى قوله الكريم : (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا ... » فالفساد قـــد شمل الكرة كلها لم يستثن منها برا ولا بحرا ، وهو نتيجة زيغ الانسان عن سبيل الهدى الحق ، الذى أخذ الله عليه العهد باتباعه ، منذ أخرج طلائعه الى هذه الدنيا ، مزودة بوصيته تعالى ، التى تقول للجنس البشرى ممثلا بأصوله الأولى « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا .. » .. تلك الوصيـــــة الرحيمة التى تؤكد وقائع التاريخ كل حين أنها العاصمة من كـــل قاصمة . فالحياة التى كتب للانسان أن يعيشها على هذه الارض قد شاء خالقها ان تبلغ من التعقيد الحكيم حدا لا تستكشفه العقول كلها ولو كان بعضها لبعض ظهيرا ، فهى كالمفازة المهلكة ، لا بد فيها من الدليل الخريت ، والا ضاع الركب ، وفنى الزاد ، وهلك الرائد ... ولا دليل يصلح فى حياة الانسان الا رعاية الله الذى لم يقطع عنه مدده طوال العصور .. فلم يخل أمة من نذير يوحى اليه بما يكفل لها الهدى الذى يدفع عنها كل ضلال وشقاء ... والويل للمعرض عن ذلك النور اذ لا مصير له سوى الضنك ، والضياع ، وما يعانيه البشر الزائغون عنه من العمى المفسد للحياة المدمر للطمأنينة والأمن فى الدنيا والآخرة .

وعلى ضوء هذه الحقائق المشهودة نفقه دلائل قول الله للذين خاطبهم بوحيه على لسان رسوله « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النـــار فأنقذكم منها » .. فالعداوة أساس علاقاتهم فيما بينهم ، وقد وضعتهم هذه العداوة على شفا النار .. فلما اتبعوا ما أنزل اللـــه على نبيه أبدلهم بالعداوة أخوة ، وبالجحيم الذى كانوا متهافتين عليه رحمة وسعادة ، أظلتا دنياهم وآخرتهم على السواء . ولو هم أعرضوا عن دعوة الله لاستمروا فى صراعهم الشقى حتى يخوضوا به نار جهنم ، لا ينقذهم من ذلك فكر ولا ذكر ، لان المفازة مهلكة ، ولا مندوحة فيها عن الدليل ، ولا دليل يصلح لها الا هداية خالقها المحيط علما بكل خصائصها ، الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .

— ٢ —

ومرت البشرية فى مراحل متآلفة مع تدرجها الفكرى ... وكانت هداية الله مساوقة لذلك التدرج ، ففى مطلع وجودها على الارض تلقت أشارات السماء عن طريق أبيها آدم عليه السلام ملائمة لاستـــعدادها ، لا تكلفها فوق ما تطيق ، ثم تكاثرت وتباعدت بها المنازل ، فكانت قبائل وعشائر

ثم شعوبا وأمما ، وظل الرباط القصير هو الذى يشد كلا من أجزائها بعضا الى بعض ، وكان الوحى الالهى تبعا لذلك يخص كل فريق من الاسرة البشرية الكبيرة بمعلم يهديها سواء السبيل . ولكن الله جلت حكمته لم يشأ أن يكون هذا الوضع هو الخط النهائى لمستقبل الانسانية ، بل كان التدبير الأعلى قد قضى بان يمهد هؤلاء المنذرون لعودة القطعان المتفرقة الى الحظيرة الجامعة وهكذا أخذ العهد على كل نبى ان يذكر بأخيه ، وأخذ الميثاق على كلهم ان يبشروا أقوامهم بخاتمهم ، ويأخذوا بدورهم العهد عليهم بأن ينقلوا ذلك البلاغ الى الأجيال المتوالية ، لكيلا يكون للمخالفين عن سبيل الله حجة أو عذر فى انفصالهم عن الركب الذى ستظله راية خاتم النبيين ..

ثم هيأ الله للرسالة الخاتمة سبيل التجميع البشرى بما هدى اليه الانسان من الكشوف ، التى قربت البعيد ، وذللت العسير ، ولاقحت بين الافكار ومازجت بين المشاعر ، فاستعدت البشرية بذلك لفهم الدعوة الجامعة .. حتى اذا اقترب موعد الفجر الصادق انطلقت النذر والمبشرات تهز قلوب البقية الثابتة على عهد الله من أهل الكتاب ، فتجدد التذكير بالبشير النذير ، وتهيء الأذهان لاستقبال المنقذ العالمى ، ولم يكتف كثير منهم بالكلام ، فغادر وطنه ونعيم بيته ، ليضرب فى أكناف الارض يتوكف ظهور ذلك النور الموعود ..

ومن هنا كانت النذر تتوالى على السنة القسس والحنفاء وبقية الصالحين من أهل الكتاب وحملة العلم المستضىء بمشكاة الوحى ، تلفت الافكار الى المبعوث الذى بشر به موسى وأشعياء وداود وعيسى ، والذى تحدثت عنه أسفار الهند وفارس وتتبع مطالع فجره العديد من رواد ذلك العهد ، الذين تحملوا أقسى العنت نشدانا لذلك الخير .. فكانوا بذلك كله ترجمة حية لحاجة البشرية الى المنقذ الذى اصطفاه الله رحمة للعالمين ، وضياء للمدلجين ، وتصحيحا للادراك الانسانى حتى تتم له الرؤية الواضحة لطريقه الأمين ..

فتطلعا لميلاد هذا الفجر السعيد رابط بحيرا على سيف البادية ، يرصد مسيرة القوافل الزاحفة من أرض المبعث ، يتنسم أخباره ، ويتطلب آثاره .. (٢) ..

وشوقا الى لقاء الحبيب غامر ابن دهقان جى — سلمان — بحياته ففارق الأرائك ، وخاض المهالك ، وأسلم عنقه راضيا للرق ، رجاء الوصول الى مطلع ذلك الرسول .. (٣)

وتلهفا الى أنباء ذلك النبى المكتوب فى التوراة والانجيل ، زحف الحبر الاسرائيلى الصالح ابن الهيبان ، يجر شيخوخته الفانية ، الى قريظة والنضير وقينقاع ، يثير تطلعاتهم الى السعادة التى أوشكت ان تظلل يثرب باجنحتها الملائكية ، لئلا يسبقهم الى نصرة صاحبها المبعوث بالرحمة والحرية سابق (٤) ..

وقبل ذلك سجلت أسفار الهند أنباء تلك الرسالة ، وحددت معالمها ومواطنها ، فقرأ الهنود فى كتابهم المقدس (بهو شيا بران) قوله فى نعت

تلك الرحمة المهداة « ان رجلا جاء فى المنام الى الملك بهوج ــ ملك السند ــ فقال له : عليك أن تلحق بدين رجل ظهر فى الصحراء ، وهو مختون ، له كلام يسمع (٥) اصطفاه برهما ، يأكل الكيبات من اللحوم ، تظهر على يديه معجزات كثيرة ، وهو محفوظ من أعدائه ، اسمه محامد يعنى كثير الحمد » وقد طالما طالعهم هذا الاسم المكرم أحمد وأحامد ومحامد فى كتابيهم الآخرين (اثارويد) و (سام ويد) (٦) حتى بات مألوفا عند أولى الحكمة من فضلائهم على مر الازمان ..

وعلى هذا القائد الرحيم ركز المسيح (عليه السلام) انظار حوارييه بهذه الصفات التى لا تدع مجالا لتطلبها فى غيره من المصلحين والمرسلين « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم (بار قليط) آخر ليثبت معكم الى الأبد .. وهو يعلمكم كل شىء ... وهو يذكركم كل ما قلته لكم .. يشهد لاجلى ، يوبخ العالم لانهم لم يؤمنوا بى .. وان لى كلاما كثيرا وانكم لستم تطيقون حمله .. واذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق .. لانه ليس يتكلم من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما سيأتى » (٧) .

فالمسيح هنا يبشر أنصاره برسول مثله ، يمتاز على جميع الرسل بان شريعته ثابتة الى الأبد لانه خاتمهم ، وانها تستوعب كل الحقائق ، وموضحة لحقيقة المسيح التى طمسها غلو النصارى وبهتان اليهود .. وفى ذلك توبيخ لكلهم أى توبيخ .. وهو روح الحق ، لانه صفوة رسل الله ، والجامع بين أتباعهم جميعا ، وهو يبلغ الحق الذى يوحى اليه مما يصحح الماضى ويوضح طريق المستقبل ..

وقبل المسيح كانت بشرى داود شاهدا لا يدفع عند كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، اذ يثير اهتمام قراء مزاميره بمثل هذه المشوقات الملهبات « غنوا لله ... أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسمه .. أبو اليتامى ، وقاضى الارامل ... يقضى لمساكين الشعب ... يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم ... ينجى الفقير المستغيث والمسكين ، ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف » (٨) ..

ومن حق الخليقة كلها أن تفرح وتنشد ترانيم الشكر لله على ارساله هذا الرءوف الرحيم ، الذى سيرد باسمه الى قلوبهم الهالعة ما فقدته من روح الأمن والحرية والعدالة .. وهيهات أن يجد الباحث فى تاريخ العالم انسانا يمكن ان تنطبق عليه كل هذه الصفات غير محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه ، مكرم اليتامى ومنصف المساكين ، ومنقذ البائسين وقاهر الجبارين ، ومحطم الظالمين والمستعبدين ... ومحقق الخير والعدالة للفقراء والمحرومين .

والى هذه الثمرات المباركات يشير أشعياء أيضا اذ يقول فى وصف أثر بعثته صلى الله عليه وسلم فى عالم المظلومين والمعذبين « تفرح البرية ، والارض اليابسة ، ويبتهج القفر ويزهر النرجس ... شددوا الأيدى المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هو ذا الهكم . الانتقام يأتى . جزاء الله . هو يأتى يخلصكم » .

ثم ماذا ؟ ...

(حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم .. يقفز الأعرج كالايل ، ويترنم لسان الأخرس ، لانه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهار فى القفر ..) ..

انه انقلاب يتناول كل شيء فى تلك البوادى يهز سكانها فيطلق طاقاتهم ، ويفجر مواهبهم ، حتى يصبح رعاة الابل والغنم أهلا لسياسة الأمم ...

ثم ماذا ..

« فى مسكن الذئاب ، فى مربضها دار للقصب والبردى .. (٩) » .

أجل .. فى تلك الصحراء التى كانت حتى قبيل البعثة مرتعا لذئاب البشر ، التى لم تألف غير الفتك والبطش والخطف ، حتى لتغير على أخيها ، اذا ما لم تجد الا أخاها ، هناك تنهض منائر العلم سامقة ترسل أشعتها الى أنحاء الدنيا ، بأقلام الأمة التى لم تنطلق من ربقة الأمية الا بالاسلام ..

ثم ماذا ؟..

« وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة ، لا يعبر فيها نجس ، بل هى لهم ... لا يكون هناك أسد . وحش مفترس لا يصعد اليها .. »

انها حدود الحرمين التى حرمت على الشرك وأهله ، فهى للمؤمنين خاصة ، وكل من عداهم فهو نجس لأنه حامل لقذارة الشرك . وهناك الأمن الذى خصت به هذه الارض دون بقاع الدنيا ، فلا خوف ولا قلق ، بل من دخلها كان آمنا !! ..

ثم ماذا ؟ ما شأن هذه الطريق المقدسة ؟

« يسلك المفديون فيها . ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون — فلسطين — بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم .. ابتهاج وفرح يدركانهم ، ويهرب الحزن والتنهد .. » (١٠) ..

ومن المفديون هؤلاء ؟ .. انهم الحجاج وفود الرحمن القادمون من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات .. وأى وصف أليق بهم من أنهم المفديون ؟ .. أليس لكل هفوة يأتونها فدية يقدمونها طلبا لمرضاة الله .. ذبائح وصدقات وضراعات ! .. ومن ظفر بكل هذا الخير كان حقيقا بأن يعود الى أهله بترنم وفرح .. ترنم السعيد بأداء المناسك، وفرح الواثق برضوان الله ، الذى يرجو أن يكون ممن شملهم التجلى الاعلى يوم عرفة ، فرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم ! .. وأشعياء عليه السلام لم يخص صهيون بالذكر لمجرد الحصر ، ولكن لينذر قومه بسلطان الرسالة الخاتمة التى ستحول جميع المؤمنين الى البيت الحرام ..

— ٣ —

ذلك الضياع الذى عانته البشرية حتى البعثة المحمدية ، والذى يمثله الحديث الصحيح الذى صدرنا به هذا البحث وتؤكده النبوات السابقة ، قد أعطى الدليل القاطع على أن طريق الانسان الى الأمن والاستقرار لن يتوفر الا فى ظل القيادات النبوية . فلا الفلسفات اليونانية ،

ولا الرياضيات الهندية ، ولا الحكمة العربية والفارسية ، كانت قادرة على ان تخفف من هول المأساة ، أو توقف التدهور العام ، اذا لم نقل انها زادت الواقع الشقى عمقا وتعقيدا . ذلك لأن العقل البشرى ليس فى طوقه ان يتحرر من عوامل البيئة وقوانين الوراثة الاجتماعية ، وبسبب من ذلك كانت تجاربه فى ميدان الاصلاح البشرى ولا تزال مجموعة من التناقضات التى تمثل تضارب المصالح . وانما تستقيم هذه الطاقة المفكرة فى طريقها الصحيح حين تسلك الى غاياتها الجادة التى تضيئها مشكاة الوحى ، الذى لا تؤثر فيه أهواء البشر ، ولا تفوته شاردة ولا واردة من اسرارهم ومؤثراتهم فاذا أصدر حكما أو قرر أمرا أو نهيا ، كان ذلك لمصلحة الانسان فردا وجماعة . فكل زيغ عن سبيله انما هو دفعة نحو الهاوية ، التى لا مخلص له منها الا بالتزام سبيله والاستعانة بدليله ..

ومن كمال حجة الله على خلقه تزويد مرسليه بصفات الكمال الذى به يحققون معانى الرسالة المنزلة ، فيكونون بذلك الأسوة الصالحة للاقتداء والانموذج المنظور للربانية فى الارض . واذ كان محمد صلى الله عليه وسلم هو امام هؤلاء المصطفين الأخيار ، الذى به وعلى يديه وبرسالته الخاتمة قدر الله ولادة الوحدة العالمية ، اذ بعثه كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ورحمة مهداة للعالمين ، لذلك ميزه بالكمالات العليا التى تؤهله لهذه الامامة ، فكان (الإنسان) الأعلى الذى يحمل بتصرفاته الممتازة دلائل نبوته . وحسبه من ذلك شهادة ربه فى قوله الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » ثم أثره العجيب فى تأليف تلك الطبائع المتنافرة ، التى تولى تربيتها وتهذيبها ، فجعل من أصحابها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وتنسخ بضياء المعرفة ظلمات الجاهلية العالمية ، فأعطيت بذلك امامة الدنيا فى العلم والعدل والاحسان ، ورد الخلق الى ما أضاعوا من روابط الانسانية ، حتى لم تبق زاوية من العالم المعروف لم تستنر بشىء من أشعتهم ، بعد ان كانوا من الفرقة بحيث لا يستحقون اسم الشعب — كما أشار اليهم موسى (١١) — ومن الجاهلية المدمرة بحيث لا يرتفعون عن مستوى الذئاب الضارية — كما وصفهم أشعياء — ولا جرم أن مجرد نجاحه صلى الله عليه وسلم فى هذا الوسط الفوضوى كاف للدلالة على انه فى القمة من الحكمة ، وفى الذروة من الكمال النفسى والعقلى ، اذ استطاع بهذه المواهب اللدنية أن يملك قلوب أصحابه حتى ليؤثرونه على أنفسهم وأبنائهم ، فيتسابقون الى الموت ذيادا عن دعوته وحرصا على سلامته ، ويمتد حبه الى اتباعه على مدى الزمن ، حتى يود أحدهم لو فداه بأهله وماله (٢) وهو نوع من الحب لا تعرفه البشرية لغير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صادر من منطق الحقيقة التى عليها قام تاريخه كله ، فلا دعاية ولا طنطنة ، ولا أضاليل اعلامية تجعل من الحبة قبة ، ومن الأقزام عمالقة !! ..

— ٤ —

واليوم ، وقد تهيأ العالم الاسلامى لاستقبال ذكرى ميلاد ذلك الحبيب الاعظم ، لا بد للمفكر المؤمن من التأمل فى واقع هذه الامة وما صارت

اليه من جاهلية جديدة انقلبت فيها الاوضاع ، فضاعت فى غمارهـــا معالم الشخصية الاسلامية التى أنشأتها تربيته المثلى لتكون الانموذج الـــذى لا مندوحة للامة كلها وفى تاريخها كله من اقتفاء أثره ، لتستحق ما استحقته من العزة والكرامة والعناية الالهية .

انه ينظر الى المسلمين فيراهم قد عادوا الى أسوأ ما كان عليـــــه الجاهليون من التفكك والتنابز والتخاذل ، الا من رحم الله .. وقد انسلخ معظمهم من طابعه الأصيل ، فهو يستبدل به راضيا مزقا يستعيرها من هنا وهناك ، ليؤلف منها ما يظنه شيئا مذكورا ، وليس هو الا وهما وزورا .. حتى لكأنه صورة مجسمة لأولئك (الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) .

وانه لينظر الى العالم البشرى من حوله فيراه نسخة من ذلـــك الماضى الرهيب الذى سبق فجر الاسلام . بغى فتاك يستذل به الاقوياء أعنـــاق الضعفاء . وانحدار بالانسان الى أهول ما سجله التاريخ من مهاوى القلق والشقاء ، حتى ليقتل الاخ أخاه ، وتسحق الغوغائية العمياء أحق الخلق بمودتها ورحمتها !! ..

ويتساءل عن آثار الرسالة المنقذة فى هذا الخضم الطاغى ، فلا يكاد يسمع جوابا ، لأن اضطراب المقاييس يحول دون وضوح الرؤية . فهناك طائفة من أهل الحق لم تزلزلها الأحداث ، تهيب بالناس ليسلكوا طريق الرب ، ولكن آلافا من وسائل التضليل تحول بين صوتها وآذانهم . ثم الى جانب هذه الطائفة المجاهدة طوائف وطوائف يزعمون انهم دون غيرهم حملـــــة الدعوة الهادية ، مع أن كل ما يملكون من فكرة عن الاسلام لا يعدو مجموعة من الاوهام ، فكأنهم لم يقرءوا كتاب الله ، ولم يسمعوا قط بسنة رسوله ، فهم من أجل ذلك لا يستطيعون أن يتصوروا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بشرا من الناس ، ولا يكادون يصدقون انه مبعوث بالشريعة التى يجب على المؤمنين بها أن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم ليقوموا بها عــــوج الانسانية ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ! ..

وهكذا يرسل بصره فى اكناف الارض فلا يلمح الا ظلمات بعضهـــا فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، فيتردد بين يأس يقطع صلته بكل أمل وأمل يرفع قلبه فوق كل يأس . ثم لا يلبث أن يغلب ايمانه تردده ، فيزداد ثقة بدين الله الذى لا سبيل سواه الى الخلاص ، وقد امتلأ جنانه يقينا بان البشرية لم تكن قط أحوج الى قيادة محمد ورسالته منها فى هـــذه المرحلة الكالحة من تاريخ الانسان .

انه يتذكر ــ فى هذا الموقف المتأمل ــ كلمة رسول الله وهـــو يقدمها الى جبابرة قريش ، الذين أقبلوا يفاوضون عمه وهو على فراش الموت ، ليضع حدا بينه وبينهم ، فيقول « نعم .. كلمة واحدة تعطونيها تملكـــون بها العرب وتدين لكم بها العجم .. تقولون : لا اله الا الله وتخلعـــون ما تعبدون من دونه » (١٢) .. وعلى الرغم من رفضهم يومئذ لتلك الكلمة ، سرعان ما جاءت الاحداث تترى بتوكيدها ، اذ لم تنقض سوى سنوات

قصيرة حتى حقق الله وعد نبيه ، فقال العرب هذه الكلمة ، مخلصين دينهم لله ، ثم انطلقوا يحملونها الى أمم الدنيا ، فاذا الارض مشرقة بنور ربهـا ، واذا الجميع أخوة فى ظل لا اله الا الله ، وبذلك ملك دعاة هذه القضيـة الالهية قلوب العرب بانقاذ الله اياهم من فوضى الفتك والبغى ، اذ كانوا اعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ودانت لهم أمم العجم اعترافا بفضلهم فى هدايتهم الى طريق ربهم فهم أحب اليهم من الصق الناس بهم ..

أجل .. انه ليتذكر هذا كله ، فلا يتمالك ان يهتف بالطائفة الظاهرة على الحق : أيها المؤمنون .. ان الزمان قد استدار كهيئته يوم بعث اللـه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فالظلمات المتكاثفة فى حياة البشرية انما هى تعبير عن حاجتها الماسة الى كلمة التوحيد .. وتلك هى سنة الله فى بعثة الرسل وانبثاق المصلحين ، لا يظهرون الا عندما تنطمس السبل فى أعين المدلجين ، فيكون وجودهم آنذاك كاقبال الصالحين من الاطباء على البلد الذى اكتسحته الاوباء ..

أيها الهداة الثابتون على الحق ، الحافظون لأمانة الله .. تذكروا انكم الطوف الأخير فى خضم المهالك التى تحيط بالكرة الارضية .. وانكم شـهداء الله على خلقه ، والمسئولون الوحيدون عن عملية الانقاذ التى تتطلع اليها أعين المكروبين .

وأخيرا لا تنسوا ان الله وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ... فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

---

(١) من حديث طويل رواه مسلم ج ١٧ ص ١٩٧ ط المطبعة المصرية ١٩٢٤ .

(٢) سيرة ابن هشام طبعة الحلبى ١٣٧٥ ج ١ ص ١٨٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) نفس المصدر .

(٤) يشير بذلك الى تاثير كلامه فى نفوس المؤمنين واسراعهم الى طاعته صلى اللـه عليه وسلم .

(٥) عن مجلة كانتى الصادرة من دلهى عدد يوليو ١٩٦٩ بقلم ويد بركاش .

(٦) انجيل يوحنا .

(٧) مزامير ٦٨ — ٧٢ .

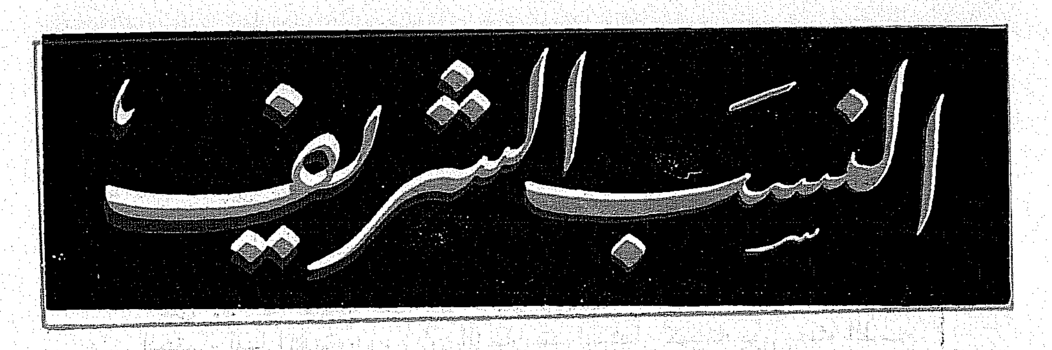
(٨) يريد بالقصب الاقلام ، والبردى ما يكتب عليه ..

(٩) أنظر أشعياء صح ٣٥ ..

(١٠) من كلام موسى عليه السلام فى سفر التثنية حيث يعرف العرب الذين اليهم ينتقل ارث النبوات بقوله عن ربه « أغيرهم بما ليس شعبا » ..

(١١) مضمون حديث شريف رواه مسلم عن أبى هريرة فى « كتاب الفضائل » ..

(١٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٧ ط الحلبى ١٣٧٥ هـ .



عدنان

معد

إياد نزار أنمار

ربيعة مضر

أسد ضبيعة إلياس قيس عيلان

خندف

جديلة عنزة طابخة مدركة قمعة

عبد القيس وائل النمر مزينة ضبة تميم هذيل خزيمة باهلة هوازن مازن سليم غطفان عدوان

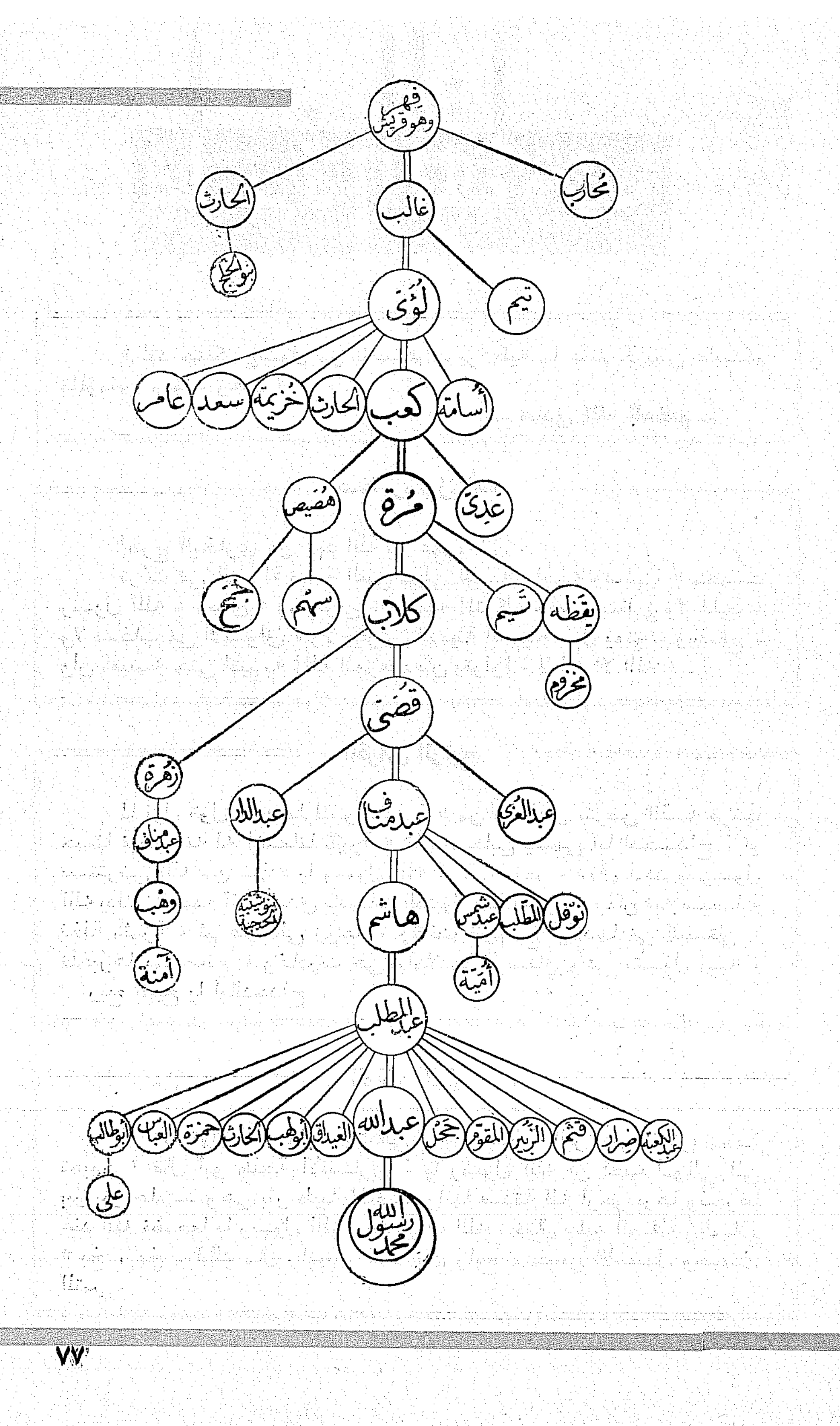
بكر تغلب بنو العنبر حنظلة الهون كنانة أسد بنو سعد عامر بن صعصعة جشم ثقيف ذبيان عبس أشجع

عجل شيبان حنيفة يربوع الدئل عطارد النضر وهو قريش على رأي كاهل دودان كلاب هلال عقيل نمير فزارة

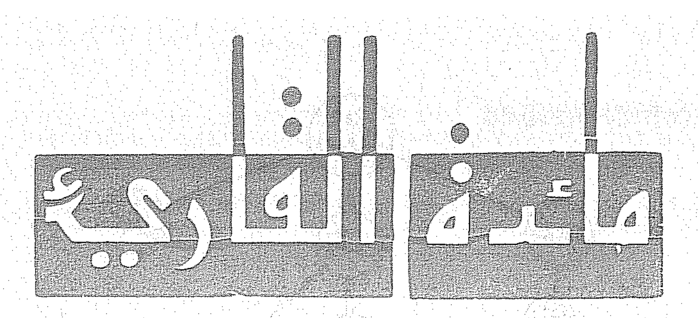
سدوس عبد مناة مالك ملكان مالك عمرو عامر بدر مازن

غفار الحارث بنو بكر مدلج فهر قريش

بنو ليث الدئل ضمرة



فهر
وهو قريش
الحارث
غالب
محارب
تيم
لؤى
عامر
سعد
خزيمة
الحارث
كعب
أسامة
هصيص
مرة
عدى
جمح
سهم
كلاب
تيم
يقظه
مخزوم
قصى
زهرة
عبد الدار
عبد مناف
عبد العزى
عبد مناف
وهب
آمنة
هاشم
عبد شمس
المطلب
نوفل
أمية
عبد المطلب
أبو طالب
العباس
حمزة
الحارث
أبو لهب
الغيداق
عبد الله
حجل
المقوم
الزبير
قثم
ضرار
عبد الكعبة
على
رسول الله
محمد



« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ــ صدق الله العظيم ــ

صفة رسول الله

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو قال :

قرأت فى التوراة صفة النبى صلى الله عليه وسلم : « محمد رسول الله ، عبدى ، ورسولى ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، بل يعفو ، ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العرجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله » . .

القرض الرابح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة » قال صحابى يسمى أبا لدحداح : أو يستقرض الله من عباده يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال أمدد يا رسول الله يدك فأشهده انه تصدق ببستانه الذى لا يملك غيره ، وكان فيه سبعمائة نخلة مثمرة ، ثم عاد الى زوجه ، وكانت تقيم مع أولادها فى البستان ، فأخبرها بما صنع ، وغادرت هى وأولادها البستان وهى تقول له : ربح البيع يا أبالدحداح .

الوقف الأول

لما نزل قول الله تبارك وتعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » قال أبو طلحة الأنصارى : يا رسول الله ان أحب أموالى الى بير بير جاء ــ وهى بئر طيبة الماء ــ وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال عليه الصلاة والسلام « بخ . بخ . ذاك مال رابح . ذاك مال رابح . حبس الأصل وسبل التمر .

مريض يختبر الأطباء

زار دمشق عام ٨٣١ هـ رجل أعجمى من أهل الفضل والذوق ، فلما دخل المستشفى النورى ، ونظر الى كثرة أطبائه أراد أن يختبرهم فتمارض ، وأقام به ثلاثة أيام ، ورئيس الأطباء يتردد عليه ليختبر مرضه ، فلما جس نبضه علم أنه غير مريض ، وانما أراد اختيار الأطباء فوصف له الأطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلوى والأشربة والفواكه : ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة يقول فيها : ان الضيافة عندنا ثلاثة أيام فعرف الأعجمى أنهم فطنوا لحيلته .

فيلسوف المجانين

كانت حركات البهلول ومنظره يغرى الأطفال بالضحك عليه والصياح وراءه ، ورميه بالحجارة ، وكان يقابل ذلك منهم بالعطف والشفقة ، وقد رموه مرة فأدموه فقال :

حسبى الله توكلت عليه ... ونواصى الخلق طرا بيديه
ليس للهارب فى مهربه ... أبدا من روحة الا اليه
رب رام لى بأحجار الأذى ... لم أجد بدا من العطف عليه

حب الدنانير

طلب الرشيد من البهلول أن يدعو له ، فقال :
يا أمير المؤمنين اسأل الله ان يرزقك ، ويوسع رزقك ، فضحك الرشيد ، وقال : آمين ، فلما مر بهلول بالحاجب صفعه ، وقال أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون ؟ ، فقال بهلول له : اسكت يا مجنون ، فما فى الدنيا أحب الى أمير المؤمنين من الدنانير ، فبلغ ذلك الرشيد ، فضحك ، وقال ، والله ما كذب .

مستشفيات متنقلة

كتب الوزير عيسى بن على الجراح الى سنان بن ثابت ، وكان يتولى النظر على مستشفيات بغداد وغيرها :
فكرت فيمن بالسواد (القرى) وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء فتقدم بايفاد متطببين (أطباء) وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة الى مقامهم . ويعالجون من فيه ثم ينتقلون الى غيره . وقد بلغ بعض المستشفيات المتنقلة فى أيام السلطان محمود السلجوقى حدا من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملا .



مع دليلها الأمين محمد

للدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

لا يعنينى أن أتحدث ، فى هذه الكلمة ، عن مظاهر العظمة فى حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن ألفت النظر الى نواحى بطولته ، ولا أن أفيض فى مقومات عبقريته . فقد تجرد للبحث فى كل ذلك كثير من الكاتبين ، حتى أنساهم الخوض فيه ذكر ما يتعلق بنبوته ورسالته

والكثير من هؤلاء الكاتبين أجانب أو اشياع لهم ، فعلوا ذلك عن عمد وسابق تخطيط ، ابتغوا منه إقامة ستر كثيف يحجب عن الناس أبرز سماته وأخطر ما ينبغى أن يفهموه من حياته ، وهو أنه رسول أوحى اليه بشرع من قبل الله عز وجل ليبلغه الناس جميعا .

والبعض القليل منهم فعلوا ذلك بسائق من حب المدح والثناء ، وبتأثير من بساطة فى الفكر وطيب فى القلب . فقد غاب عنهم أن دعاة الغزو الفكرى لا يبالون أن تحشى أدمغة الناس بمظاهر بطولة النبى عليه الصلاة والسلام ، ودلائل عظمته وعبقريته ، على أن يشغلهم ذلك عما بينه وبين الله تعالى من صفة النبوة ، وعما بينه وبين الناس من صفة الرسالة ، وعلى أن يقصيهم ذلك عن التنبه الى المسؤولية الخطيرة العظمى التى تركها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم بعد أن بلغهم الرسالة وأدى اليهم الأمانة .. !!

وغاب عن هؤلاء البعض ، أن التاريخ قد أحصى أسماء كثيرة من العباقرة والأبطال والعظماء . طويت عبقريتهم وبطولاتهم بطى الزمن ومروره . اذ كان كل ذلك ثمرة عصورهم التى كانوا فيها ، فلما ولت تلك العصور ولت معها جميع ثمارها وأعراضها ، وانما عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصبح فى حسابهم من هذا القبيل : كان أعظم مخلوق .. وأذكى انسان .. وأروع قائد .. فلما أدبر العصر الذى كان فيه أدبر كل ذلك معه ، ولم يبق من واجب الناس نحوه بعد ذلك الا أن يكونوا أمناء على ذكرى تلك الخصائص والصفات ، يتحدثون عنها بألسنتهم ثم يدونونها فى كتاباتهم ، لا تربطهم — وراء ذلك — برسول الله عليه الصلاة والسلام أى رابطة ولا ينهضون بأى مسؤولية !! ..

فمن أجل ذلك لا يعنينى أن أتحدث عن شيء من هذا كله رغم ايمانى الكامل به .



ولكن الذى يعنينى ، وينبغى أن يعنى القراء جميعا ، هو التنبه الى مصدر ذلك كله وأساسه ... ان الذى يعنينى هو أن أتساءل مع القارىء :

أرأيت الى قافلة تقطع طريقا فى مفازة لم ترها من قبل ، ولا علم لها بطبيعتها وموقعها ، وفيما هى حائرة فى السبيل ، اذ طلع عليها رجل أخبرها أنها ان سلكت ذات اليمين انتهت بسلام الى غايتها التى تبحث عنها، وان سلكت ذات الشمال وقعت فى مهلكة لا نجاة منها ، وقدم الرجل بين يدى بيانه هذا براهين العلم والأمانة والصدق .. أرأيت لو أنها تشاغلت عن اتباع نصيحته ودلالته ، بالحديث عن ألمعيته وذكائه ووصف علمه وبالغ وفائه ، ثم ركبت رأسها — وهى تتغنى بذلك كله — وراحت تخوض فى طريق الضلال والهلاك ؟ !! ..

تلك هى قصة القافلة الانسانية التائهة ، مع دليلها الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، اذ أرسله الله تعالى اليها على فترة من الرسل ، يبشر وينذر ، ويعرف الانسان على هويته وسر وجوده ومنتهى أمره ، واضعا أمامه الشرعة التى ارتضاها له قيوم السموات والارض ، محذرا اياه من التحول عنها ذات اليمين أو ذات الشمال ، مبلغا اياه خطاب الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

فأما صفوة من عباده فقد استمعوا الى هذا البيان بعقول حرة ، واستقبلوه بنفوس متفتحة لم تعقدها العصبية ولم تؤثر فيها العقد والأهواء فأدركوا الحق واستيقنوه ، وعلموا قيمة الدنيا التى من حولهم وحقيقة الآخرة التى تنتظرهم .. ثم اتجهوا بسلوكهم الى السبيل التى خطها لهم

القرآن ، وشرحها لهم نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام ، وباعوا فى سبيل ذلك النفس والنفيس .

سخر منهم المارقون ، واستحمقهم الجاهلون ، فكان جوابهم : سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين طاف بهم الضر ، وانحط فيهم الأذى ، وأصابتهم المحنة ، فكان ردهم على ذلك كله — مع الصبر الجميل — « ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » . .

تألبت عليهم جيوش البغى ، وأحدقت بهم قوى الطغيان ، وقيل لهم : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا اللـــه ونعم الوكيل .

لم يبالوا أن رأوا أنفسهم غرباء فى الطريق التى يقتفون فيها خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد تفرق الناس عنهـــم الى متاهـــات متعرجة ، وارتضوا أن يعيشوا غرباء . . لأنها من غربة التبر ، بين التراب الأغبر ، وندرة الماس وسط الفحم الأسود !! . .

فماذا كانت عاقبة الأذى الذى تحملوه ، والمحنة التى عاشوا فى أوارها ، والغربة التى خاضوا غمارها ؟ لقد ملكهم الله عز وجل ناصية الدهر ، وأورثهم عز الدنيا ، وأخضع لهم تيجان الملوك ، وصدق فيهم قوله جل جلاله « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

وأما طائفة أخرى جاءت على أعقابهم ، فقد طاب لهم أن يستغنوا عن الاتباع ، بالتقريظ والثناء . سمعوا آيات الله عز وجل فقالوا : ما أجل وأروع . . ! ثم راحوا يجملون به حديثهم ، ويدبجون به محافلهم ويزينون بفقرات منه جدرانهم . . . !

وسمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وحياتـــه وأخلاقه ، فقالوا : عبقرى فذ . . ! وعظيم مدهش . . ! ومصلح قل نظيره . ! ثم انحطوا ينحدرون فى الطريق التى حذرهم منها وأنذرهم عقباها ، وهم يواصلون التغنى بعظمته والتفنن فى وصف عبقريته .

وانتهى بهم المنحدر الى طرائق تائهة متباعدة ، تفرقت فى شعابهـــا جماعات كانت بالأمس أمة واحدة فاستذلها البغى ، وأحاط بها الهوان ، وقد كانت فيما مضى تؤدب البغى وأهله ، وتنشر العدل فى الناس ، وتفرق منها أمم الأرض . . !!

والعجيب أنها — مع ذلك كله — لا تعالج هذا البلاء الا بمزيـــد من بضاعة التقريظ والكلام ، الى مزيد من الانغماس فى بضاعة اللهو وفنون الأهـــواء . . !!

فاذا قام فيها من ينصح أو يحذر كان جواب أحسنهم حالا : سيغفر الله لنا !! وسبحان من وصف حـــال هؤلاء بقوله « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » .

يا قارئ الكريم :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلب يوما ما الى أحـــد من

أصحابه أن يبايعه على التنويه بعظمته ، والاشادة بعبقريته ، والحديث عن بطولاته وسياسته . ولو قصد الى ذلك لنسج حول نفسه مظاهر ذلك كله أثناء حياته .

ولكنه بايع الناس على أن يؤمنوا بالله وحده ، فيرفعوا دعائم أحكامه ، وينهجوا منهج العبودية لسلطانه ، ويسيروا الى ذلك كله فى طريق من المحنة والابتلاء والمشقة والعناء .

ولم يقم من واسطة فيما بينه وبينهم لتحقيق ذلك كله الا ايمانهم برسالته ، وبأنه نبى يوحى اليه بحكم وشرع من الله عز وجل فهو يبلغهم اياه فى أمانة ودقة وصدق .

فأى نسب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن نطوى عنا مبادىء هذه البيعة ، ونبعد عن حياتنا ما تنطوى عليه من شرعة ومبادىء وأخلاق ، ثم نقتفى خطى أولئك المنهجيين من أرباب الغزو الفكرى فى اختلاق نسب آخر بيننا وبينه من مجرد التقريظ لسيرته والثناء على خلقه ؟ !

ألعل لوثة الغرب ، من الكفران بنبوته ، قد أصابت أفئدتنا أيضا ، فمن أجل ذلك ننهج نهجهم ونردد كلامهم ؟ !

ولكن الذى ساق الغرب الى ذلك الكفران انما هو دوافع من العصبية وعوامل من ردود الفعل ، لها أسبابها التاريخية فى نفوسهم ، فما هو سائق ذلك فى عقولنا أو فى نفوسنا نحن المسلمين ؟ !

لقد قالوا : ان ظاهرة الوحى فى حياته صلى الله عليه وسلم لم تكن أكثر من اشراق والهام انبثق من داخل نفسه ، ولم تكن خبرا الهيا جاءه من خارج كيانه . !!

وقد علموا أن الالهامات النفسية لا تسبب اصفرارا فى الوجه ، ولا ارتعادا فى الفرائص ، ولا تشعريرة فى الجسد ولا كائنا تنسبه اليه ولا بحثا عن الالهام الداخلى فى شواهق الجبال .

فان أنكروا تلبس النبى صلى الله عليه وسلم بكل ذلك ، فينبغى أن ينكروا ظاهرة الوحى من أساسها ، ولا يتعبوا أنفسهم بأى تفسير لها ، فان الوثيقة التاريخية التى أثبتت لهم هذه الظاهرة فى حياته ، هى نفسها التى تحدث عن تلبسه بذلك كله .

وقالوا : انها فكرة انعكست الى شعوره من واقع ما كان يتطلع اليه قومه من ارادة التغيير والثورة على الوثنية والشرك والنزوع الى التوحيد . !!!

ولقد علموا أن الوثنية ، بكل ما معها وما يتبعها ، لم تعم فى عصر من عصور الجزيرة العربية . كما عمت فى الفترة التى بعث فيها محمد عليه الصلاة والسلام .

ولم يكن ذلك الذى يظهر على السنة بعضهم من كلمات التوحيد والسخرية بالأوثان وعبادتها ، الا بقايا لمع خاطفة من الحنيفية الحقة التى

كان قد بعث بها أبو الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكانت هذه البقايا تذوى وتضعف مع الزمن . ويقل أنصارها ما بين سنة وأخرى ، منذ أن أدخل عمرو بن لحى الخزاعي الأوثان وعبادتها فى الجزيرة العربية .

وقد كان المقتضى اذا — حسب تصور هؤلاء — أن تكون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم قبل العصر الذى بعث فيه بعدة قرون وأجيال ، اذ كانت نزعة التوحيد حينئذ أتم وأقوى ، وكانت دلائل الثورة على الشرك والوثنية أشد وأبين .

ثم أين هؤلاء الذين انسجمت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مطامحهم وآمالهم وما كان يعتلج فى نفوسهم من دواعى الثورة على الوثنية والشرك ؟ ! ألعلهم أولئك الذين لم يألوا جهدا فى تسفيهه وايذائه والسخرية منه ومن دعوته ، حتى اضطر أن يهاجر من بينهم بعد محاولة طويلة دامت ثلاثة عشر عاما لم يأت وراءها بأى ثمرة من أصحاب هذه المطامح والأمال المتفقة — فيما زعموا — مع دعوته .

وقالوا أيضا : انما كان محمد « صلى الله عليه وسلم » رجلا ينبض فى عرقه دم الزعامة ، فهو يبتغى من وراء دعوته السمى اليها !! ..

ونحن نبحث طويلا ، فلا ندرى متى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعيه الى تلك الزعامة التى كان ينشدها !! ...

ألعله انتهى اليها يوم أن جاءه عتبة بن ربيعة مفاوضا من قبل قريش ، فعرض عليه المال والزعامة والملك والنساء .. على أن يتخلى عن تسفيه أفكارهم ودعوتهم الى التوحيد والايمان بالله وحكمه ، فأبى ذلك كله ، وقال لهم أخيرا « ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا ، وانزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم .

أم لعله انتهى الى هذه الزعامة يوم كان يشترك مع المئات من أصحابه فى حفر الخندق ، وقد تكاثف التراب على جلدة بطنه وانحاء جسمه، حتى ما يعرف شكله ، ورآه جابر — فيما يرويه الشيخان — يهوى بمطرقته على صخرة عاتية فى الخندق ، وقد شد صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع ، وكان قد مرت ثلاثة أيام لم يذق هو وأكثر أصحابه مذاقا .. !!

أم لعله انتهى الى الزعامة يوم أن اكتشفها عدى بن حاتم ، عندما أقبل اليه من الشام ، وهو يقول فى نفسه : ان كان ملكا أو كاذبا لم يخف على ، وان كان صادقا اتبعته ، فانطلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته ، فلقيته فى الطريق امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ، فقال فى نفسه والله ما هذا بملك ، ثم مضى به الى بيته ، واذا هو أرض مترية خالية عن أي شيء يستند اليه الجنب ،

الا وسادة من جلد محشوة ليفا فقذفها صلى الله عليه وسلم اليه ليجلس عليها ، وقعد هو متربعا على الأرض ، فقال فى نفسه ، والله ما هذا بأمر ملك .

أم لعله وصل الى هذه الزعامة يوم أن احتشد من حوله الآلاف فى حجة الوداع فاتجه اليهم قائلا : لا ادرى لعلى لا التاكم بعد عامى هذا فى مثل هذا الموقف أبدا ، ثم راح يلخص لهم مبادىء الاسلام وأحكامه ، وينهى اليهم توصياته الأخيرة ، وختم خطابه قائلا : —

وانكم ستسالون عنى ، فما انتم قائلون ؟

قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت .. فاطمأن الحبيب الأعظم، وشعشع الرضا فى عينيه ونظر بهما الى الأعلى مشيرا بسبابته الى السماء ثم يشير بها الى الناس قائلا : اللهم اشهد .. اللهم اشهد .

أم لعله قد وصل الى الزعامة يوم أن نزل به مرض الموت ، فوقف فى أصحابه يقول : عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، ثم انقلب الى بيته يعانى من برحاء الموت على حشية من الجلد والليف ، لا يعثر الجنب منه على راحة أو نعيم ، وليس من القوت المدخر فيه الا شطر من الشعير قد وضع على رف .. !!

وغشيته سكرة الموت وهو يرفع الستر ينظر الى صفوف المصلين من أصحابه فى المسجد ، يطمئن بذلك الى أنه يتركهم وهو متلبسون بالحق الذى أرشدهم اليه ، وغالب ذلك المشهد الذى رآه آلام الموت السارية فى جسده حتى غلبها ، فاستغرق فى ابتسامة راضية أغمض عينيه على أثرها ، ولحق بالرفيق الأعلى .

تلك هى مراحل حياته عليه الصلاة والسلام ، فعند أى مرحلة منها وصل أودنا الى الزعامة التى كان يبتغيها ؟!!

الجواب: ان العصبية العمياء لا تعرف منطق هذه الأسئلة ولا الجواب عليها ، وانما هى تعرف شيئا واحدا ، هو ضرورة الوصول الى الغاية المرسومة من اى طريق .. !!

وللعصبية والعقد النفسية وردود الفعل أسبابها التاريخية القديمة — كما قلنا — عند هؤلاء الغربيين ومن لف لفهم ، فالكيدللحق الذى بعث به محمد عليه الصلاة والسلام ، داخل فى تركيبهم النفسى وجوهر كيانهم ، ولكن ما هى عوامل هذه العصبية ذاتها عند طائفة من المسلمين أنفسهم ؟!
أى خير تتوقع — وأنت مسلم حر التأمل والتفكير — من التلبيس فى حقائق هذا الدين واخفاء غاشية من اللبس والغموض المصطنعين على شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

بل ما الذى تخشى أن يستفيده رسول الله من ايمانك بنبوته ، وبأنه ، ليس الا أمينا على شرع كلفه الله بابلاغه الناس جميعا ، حتى لا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ثم من سعيك لتطبيق هذا الشرع ؟ !

أتريد أن تعلم الجواب ؟

أبعد عن نفسك قليلا ضجيج الشهوات والأهواء ، ونداء البيئة والتقاليد ، وتشويش العقد النفسية وصراخ الكبر والعصبية ، ثم أصغ جيدا الى صوت العقل وحده ، وهو ينبعث من أعماق كيانك حرا متجردا فتسمع منه الجواب المقلق الخطير .. !!

ان الذى يستفيد أو يتضرر انما هو أنت وحدك ، وان بعثة الأنبياء ما كانت الا لتعرف هويتك وتنتبه الى مصيرك .. ! مصير مذهل عجيب ، شاءت ارادة الله أن يكون الآن محجوبا عنك فى غيبة المكنون ، لا تبصره عيناك ولا يقع تحت حسك الا عندما تحيق بك سكرة الموت ، وترتد متفرقة عنك جميع وساوسك النفسية ودوافعك العصبية . عندئذ تتجرد الحقيقة وحدها ماثلة أمام عينيك ، ويغدو بصرك حديدا فى رؤيتها والايمان بها ولكن الايمان عندئذ لا يغنى ولا يفيد ..

فمن أجل التهيوء لذلك المصير والتصديق بتلك الحقيقة ، أرسل الله أنبياءه الى الأمم تترى ، يبلغون .. وينذرون ويحذرون ... وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة هؤلاء المبلغين والمنذرين من قبل الله عز وجل .

فأى فائدة تجنيها العصبية ، أو اضمار التحايل والكيد ، والمصير واحد ومحتوم ، والسفينة تجرى ، والنهاية موشكة .. ؟ ! ..

يا من تقومون وتقعدون بالحديث عن ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتريدون أن تعلنوا بذلك أن بينكم وبينه نسبا موصولا ؟ .. اذا فانظروا الى الطريق التى سار فيها ، يعانى المحنة ويستعذب المر . !!

انه اليوم طريق غريب موحش ! .. قلماتجد فيه غاديا أو رائحا ..!

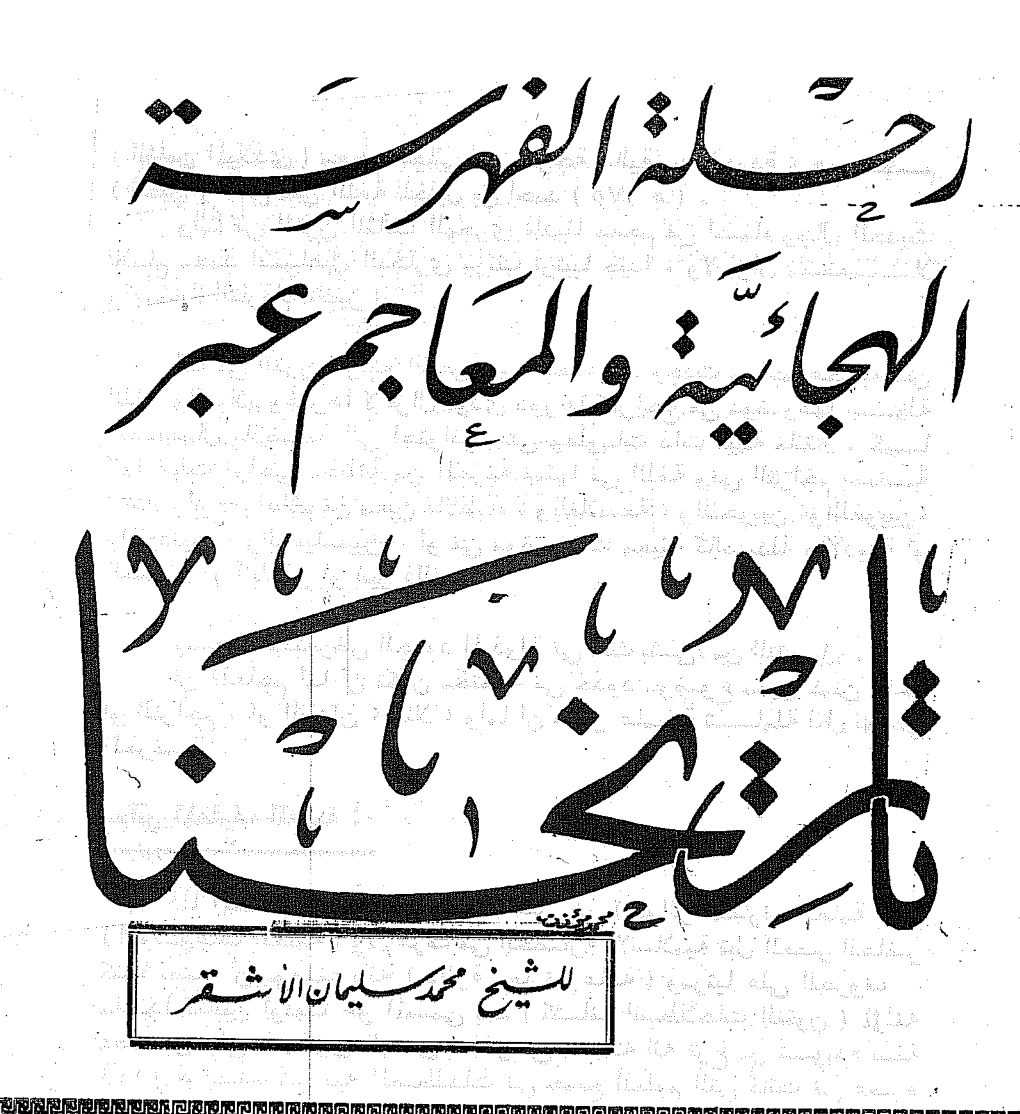
اذا كنتم تفتخرون بهذا النسب ، فعفروا أقدامكم قليلا فى الطريق التى دميت فيها قدما رسول الله .. اصبروا على شيء من المحنة التى عاش فى غمارها رسول الله .. تحملوا بعض الغربة التى ارتدى جلبابها راضيا رسول الله ..

أعيدوا صرح المجتمع الذى شاده لكم رسول الله عقيدة وخلقا وتشريعا ، فقوضته المعاول تحللا وميوعة وكفرانا .. !!

ان فعلتم ذلك ، فبينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب موصول ، وأنتم اخوانه الذين تشوق الى رؤيتهم يوم أن قال وقد توسط البقيع ، وددت أنى قد رأيت اخواننا ، فقال بعض من كان معه ، ألسنا اخوانك يا رسول الله ؟ ! قال بل أنتم أصحابى ، واخوانى الذين لم يلحقوا بعد . وأنا فرط لهم على الحوض ...

أما أولئك الذين يمعنون فى التبديل والتغيير ، فقد قال عنهم عليه الصلاة والسلام فى آخر هذا الحديث الصحيح نفسه ؟

الا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال ، أناديهم الا هلم الا هلم . فيقال : انهم قد بدلوا بعدك فأقول : فسحقا ، فسحقا ، فسحقا .



جانب مشرق من جوانب تاريخنا الاسلامي وحضارتنا العتيدة يبرز عند الكشف عما صنعه الاجداد في مجال التعجيم والفهرسة . لقد استخدمت الفهارس والمعاجم على نطاق واسع في شتى أنواع المعرفة . واستغلت كوسائل فعالة في تسهيل الوصول الى المعلومات المطلوبة . استغلالا أدى الى نشر الثقافة وتنميتها .

أولا ــ المعاجم الهجائية

المعاجم :

أما المعاجم فنستطيع أن نفخر بأنه كان لدينا في القرن الثاني الهجري

(الثامن الميلادى) معجم هجائى على درجة عالية من الجودة ، هو معجم (العين) ، فى متن اللغة للخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) .
وأما فى القرن الثالث الهجرى فلدينا معجم فى أسماء رجال الحديث للامام محمد اسماعيل البخارى مرتب ترتيبا جيدا ، ولا يزال مستعملا واسمه (التاريخ الكبير) .

أما فى القرن الرابع الهجرى وما بعده فقد وجدت معاجم هجائية لمتن اللغة والاعلام وغيرها لا تزال تؤدى دورها كمراجع فى موضوعها سهلة الاستعمال بالاضافة الى احتوائها على معلومات ذات قيمة فائقة . كما أنها غطت نواحى مختلفة من المعرفة فمنها فى اللغة وفى التراجم بصفة عامة ، أو فى أعلام فن معين كالاطباء ، والفلاسفة ، والنحويين ، واللغويين ، والمحدثين ، والسياسيين ، أو فى موضوعات معينة كالصيدلة والأدوية أو الحيوان أو البلدان أو غير ذلك .

وسوف نستعرض الجهود المبذولة فى ذلك بشىء من التفصيل .
ان المعاجم أما أن تكون مختصة فى حدود موضوع معين كمتن اللغة أو التراجم ، أو البلدان ، مثلا ، وأما أن تكون عامة شاملة لكل نواحى المعرفة .

دوائر المعارف العامة :

أما المعاجم العامة فلها اسم خاص هو (دوائر المعارف العامة) أو (الموسوعات العامة) ولا أعرف فى الحضارة الاسلامية قبل العصر الحاضر كتابا يصح أن يوصف بأنه (دائرة معارف عامة) ومرتبا على الحروف ما عدا كتابين أولهما هو المسمى بـ (كشاف اصطلاحات الفنون) لمؤلفه محمد بن على التهانوى الهندى ، ذكر فى مقدمته أنه فرغ من تسويده سنة ١١٥٨ هـ استعرض فيه المصطلحات فى جميع العلوم التى كانت فى عصره وذكر معنى كل مصطلح وشيئا قليلا من المعلومات عنه . الا ان جل غايته كانت منصرفة الى تعريف المصطلح وقد نشر كتابه بعنوان (كشاف اصطلاحات العلوم الاسلامية) .

والثانى (الكليات) تأليف أبى البقاء أيوب بن موسى الكفوى (١٠٩٥ هـ) وقد جمع فيه معلومات كثيرة متنوعة تحت عناوين ، ثم رتب المعلومات بحسب الترتيب الهجائى لتلك العناوين الا أن ترتيبه جاء قاصرا ومعلوماته مبتسرة .
أما فى العصر الحاضر فقد جرت محاولات لتأليف دوائر معارف عامة منها ما عمله محمد فريد وجدى وسماه (دائرة معارف القرن الرابع عشر — العشرين) فى عشرة مجلدات .
ومنها دائرة معارف البستانى ، باشر اعدادها المعلم بطرس البستانى وأصدر منها ستة مجلدات من ١٨٧٦ الى ١٨٨٢ م ثم تابع أبناؤه نشرها الى أن صدر الجزء الحادى عشر منها منتهيا بلفظ (عثمانية) ويعاد الآن

نشرها بادارة فؤاد أفرام البستانى بصورة متقنة وممتازة وصدر منها المجلد السابع منتهيا بلفظ (أخيليا) من حرف الهمزة .

المعاجم المتخصصة :

أما المعاجم المتخصصة فهى التى تختص بنوع معين من المعرفة كالتراجم مثلا . ثم ان بعضها قد يكون اكثر تخصصا من الآخر فبينما نجد معاجم للتراجم بصفة اذ بنا نجد معاجم لتراجم اللغويين ، أو لتراجم النحويين من اللغويين ، أو لتراجم البصريين من النحويين من اللغويين . فتفاوت درجات التخصص بحسب هدف واضع المعجم .

ولا يمكننا أن نحصر عدد المعاجم المختصة المؤلفة بالعربية ، ولكن نذكر أمثلة مما اطلعنا عليه منها على سبيل الايجاز مع محاولة حصر اتجاهاتها العامة ضمن البنود التالية :

(١) معاجم اسماء الكتب والمؤلفات والفنون : منها

أ ـ « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » لمؤلفه الحاج خليفة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى ، المتوفى ١٠٦٧ هـ استعرض فيه أسماء الفنون فى الحضارة الاسلامية واسماء الكتب المؤلفة فى ذلك بتسلسل هجائى واحد شامل للفنون والكتب جميعا . وهو كتاب واف فى موضوعه وترتيبه جيد . وذيل عليه اسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادى (ـ ١٣٣٩ هـ) بمجلد ضخم وقد تم طبعهما سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م فى ثلاثة مجلدات .

٢ ـ المعاجم الاسلامية العامة :

لم يؤلف فى هذا الموضوع قديما فى ما أعلم ، وقد قام لفيف من المستشرقين فى هذا القرن بتأليف (دائرة المعارف الاسلامية) شاملة لموجزات عن المعلومات التى كانت متوفرة لهم عن كل نواحى الحضارة الاسلامية . ونشرت باللغات الالمانية والانجليزية والفرنسية . وصدر من ترجمتها العربية بمصر الى حرف (الطاء) بتعليقات من المختصين بالشؤون الاسلامية كشفت عن مدى جهل بعض كتابها أو تجنبهم لذكر الحقائق قصدا مع انه لا يسعنا الا الاعتراف بعظمة العمل فى ذاته .

والآن يعاد اصدار الطبعات الأوروبية بمزيد من التوسع .

وصدر بمصر من (القاموس الاسلامى) ، للأستاذ أحمد عطية ، مجلدان . وهو مختصر يقتصر على التعريف بمصطلحات الفكر الاسلامى ومعالم الحضارة الاسلامية وتراجم المشهورين انتهى فيهما الى حرف الراء .

٣ ـ معاجم القرآن وعلومه :

لم تؤلف معاجم لفظية أو معنوية للقرآن فى ما أعلم قبل العصر الحديث اما فى هذا العصر فقد صدر (تفصيل آيات القرآن) للمستشرق جول لا بوم وقد ترجمه الى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله . وهو جمع حسن غير أنه قاصر فى التفاصيل . ولسنا بحاجة الى أن نشير الى بعض الاعمال الجامعة فى هذا الميدان التى أخرجت مرتبة على الابواب

لأن بحثنا منصب على المعاجم (المرتبة على حروف المعجم) .
فعلى هذا يكون هذا الميدان بكرا . ولعل الله يوفق احدى المؤسسات أو الافراد للقيام بعمل (معجم قرآني) شامل لكل المعلومات القرآنية .

٤ — معاجم الحديث النبوى

لقد كان نشاط المحدثين فى دراسة الحديث وتدوينه وترتيبه نشاطا قويا وواسعا فبالاضافة الى منجزاتهم فى ترتيب الأعلام سلكوا فى ترتيب الاحاديث سبلا كثيرة اذ رتبوا الاحاديث على أنواع مختلفة من الترتيب ، فمنهم من رتبها على أبواب الفقه ، ومنهم من رتبها على أسماء الـــراوة ورتب اسماء الـــرواة حسب الافضليـــة أو حسب حـــروف الهجـــاء ، ومنهم من رتبها على أوائل حروفها ، أو على مواضيعها ، وجعل المواضيع بترتيب معجمى .

والذي يعنينا من ذلك هو الانواع الثلاثة الاخيرة .

أ) فمما رتبت فيه الاحاديث بترتيب « الفبائى » باعتبار اسماء الرواة (المعجم الكبير) للطبرانى سليمان بن أحمد (٣٦٠ هـ) .

ب) ومما رتبت فيه الاحاديث بحسب أوائل حروفها (جمع الجوامع) للسيوطى قصد فيه جمع الاحاديث النبوية القولية بأسرهــا على حروف المعجم . وله أيضا (الجامع الصغير) وهو مطبوع متداول ويحسن أن لا تخلو منه مكتبة أى دارس للاسلام .

ج) ومما رتبت فيه الاحاديث بحسب أحرف الهجاء لموضوعاتهـا . كتاب (كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال) للشيخ علاء الدين على المتقى (٨٨٨ — ٩٧٥ هـ) ثم عاد فاختصر كتابه مع المحافظة على ترتيبه وسماه (منتخب كنز العمال) . وهو متداول حسن [illegible]

وهو أكثر تفصيلا وأحسن ترتيبا من سابقه (جامع الاصول من احاديـــث الرسول) لابن الأثير الجـــزرى . الا ان الميدان لا يزال مفتوحا ولا يزال الحديث النبوى بحاجة الى معجم تفصيلى . فالى المهتمين بتيسير الســـنة النبوية للمؤمنين والدارسين أسوق هذه الرغبة راجيا أن يوفق منهم مـــن ينهض لاداء هذه المهمة .

٥ — المعاجم الفقهية :

لا أعرف أن معجما للفقه الاسلامى برز الى عالم الوجود قبل صدور (معجم فقه ابن حزم الظاهرى) الذى أصدرته سنة ١٣٨٥ هـ لجنة موسوعة الفقه الإسلامى بجامعة دمشق . فكان بداية حسنة يرجى أن تتلوها خطوات أكثر تقدما فى هذا الميدان الفسيح .

وقد صدرت أيضا بمصر مؤخرا ستة أجزاء من (موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى) من حرف الألف ، مرتبة للموضوعات الفقهية على حروف الهجاء . وترتيبها حسن الا انه يظهر أنه سيكون فيها تـــكرار كثير يضخم محتوياتها نظرا لتكرار الموضوع الواحد فى مواضع مختلفـــة بحسب أوجهه المختلفة (أنظر موضوعي ابن ، وأب ، لترى كيف تكررت

بعض الاحكام كعصمة الابن باسلام أبيه جـ٢ ص ١٤٩ ، ٢٣١ ، وكذلك وجوب انفاق الأب على أبنائه) ويظهر انه ينبغى للقائمين عليها اعادة النظر فى منهج الترتيب فيها . ولديهم امكانية استخدام نظام الاحالات .

وتقوم لجنة (الموسوعة الفقهية) بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت بالتحضير لاصدار موسوعة فقهية وقد أصدرت (موضوعين) فى طبعة تمهيدية يراد بها تلقى ملاحظات القراء المختصين وتوجيهاتهم للخروج بموسوعة مستكملة من حيث الشكل والمضمون . وليت القائمين على الموسوعتين يوفقون لتنسيق العمل بينهما بطريقة تؤدى الى تيسير الفقه الاسلامى تيسيرا كاملا باستخدام الأساليب العلمية المتطورة فى هذا المجال .

وقد قامت لجنة موسوعة الفقه الاسلامى بتهيئة معجم للفقه الحنبلى كان لى مشاركة فى مراجعة مادته وترتيبه ويرجى أن يصدر قريبا ان شاء الله .

٦ ـ معاجم الأدب واللغة :

أما المعاجم الأدبية المتخصصة فلا أعرف منها شيئا يستحق الذكر وأما معاجم اللغة فانها من مفاخرنا . والبحث فيها له مكان آخر

٧ ـ المعاجم العلمية :

فى تراثنا من معاجم العلوم بأنواعها الشىء الكثير ، فمنها :

أ) فى علم الحيوان كتاب (حياة الحيوان) لكمال الدين الدميرى محمد بن موسى (ـ ٨٠٨ هـ) يذكر فيه كل حيوان باسمه الخاص ثم يبحث فى الاسم بحثا لغويا ثم يذكر أوصاف الحيوان وطباعه وخواصه وخواص أجزائه وكثيرا من الحكايات والأمثال والأشعار وبعض الأخبار الأدبية التى لها صلة بذلك الحيوان . والمؤلف يراعى فى الترتيب غير الحرف الأول وهو مطبوع متداول .

ب) فى الاغذية والادوية والعقاقير ونحوها ألف ابن البيطار عبد الله بن أحمد الاندلسى كتابه (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) بأمر الملك الصالح نجم الدين أيوب استوعب فيه ذكر الادوية والاغذية المفردة التى كانت مستعملة لزمانه . وذكر أقوال الاطباء فيها ورتبه على حروف المعجم مراعيا الحرفين الاول والثانى فقط .

٨ ـ معاجم البلدان والامكنة والبقاع :

ألف فى هذا النوع أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الاندلسى (ـ ٤٨٧ هـ) كتابه (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع) ومعجمه مرتب على حروف الهجاء على طريقة المغاربة ، وراعى فى الترتيب الحرف الاول والثانى فقط ، ولذلك أعاد ناشره (مصطفى السقا) ترتيبه . وليته تركه على وضعه الاول ليكون نموذجا لذلك النوع من الترتيب . والذى أفضله لكل كتاب من الكتب القديمة التى تنشر أن لا يخل ناشره بترتيبه الذى وضعه عليه مؤلفه وان يكتفى بالفهرسة المتقنة ما لم يقصد ان يضع الكتاب وضعا جديدا بتهذيبه أو ضم معلومات أخرى اليه .

وألف فى هذا النوع أيضا ياقوت الحموى الرومى كتابه (معجم البلدان) وهو كتاب قيم فى بابه . لم يؤلف بعده ما يوازيه .

٩ ــ معاجم الاعلام :

لقد كان نشاط العلماء المسلمين فى مجال معاجم الاعلام نشاطا واسعا ومنوعا ، فمن معاجم لاعلام طائفة معينة كالصحابة ، أو المحدثين أو الاطباء أو الادباء أو الشعراء أو اللغويين ، أو النحاة ، أو المؤلفين ، أو النساء الى معاجم لاعلام مدينة معينة كاعلام بغداد ، أو دمشق ، الى معاجم لاعلام قرن معين ، أو عهد معين ، الى معاجم عامة شاملة لكل نوع وكثير من ذلك مشهور ونكتفى بذكر معجم عام للاعلام هو (الوافى بالوفيات) لخليل بن ايبك الصفدى (ــ ٧٦٤ هـ) ويشتمل على ١٤٠٠٠ ترجمة . وآخر حديث هو كتاب (الاعلام) لخير الدين الزركلى وهو من خير ما ألف فى موضوعه .

ان حاجتنا الى متابعة خطا أسلافنا فى هذا المجال حاجة حقيقية وعلينا أن نهىء لكل صنف من أصناف العلوم معجما ينبع من القديم ويستمد من الحديث ويواكب التطور الفنى والعلمى .

وان من المؤسف أن تعتمد جامعاتنا الاسلامية فى معلوماتها الاسلامية على دائرة معارف (اسلامية) وضعها غير المسلمين ممن لم يفقه الاسلام حق فقهه . وان لذلك تأثيره الذى تبين فى النتاج الفكرى لناشئتنا الاسلامية فليت احدى وزارات الشؤون الدينية التربيوية أو الجامعات الاسلامية فى أقطارنا الكثيرة تتولى وضع دائرة معارف اسلامية لتكون روحها اسلامية .

واننا بحاجة الى دائرة معارف متخصصة فى كل فن ، فى اللغة ، وفى الأدب ، وفى التاريخ ، وفى الطب والكيمياء والطبيعة والحيوان والنبات والجيولوجيا . وان دوائر المعارف المتخصصة هذه تخدم دائرة معارف عامة بلادنا بأشد الحاجة اليها لتسهيل الطريق على المشتغلين بصناعة المعرفة للوصول الى المعلومات عن (كل شىء) .

ثانيا ــ الفهارس الهجائية

أما فى مجال الفهرسة الهجائية فاننا نجد فى تراثنا نماذج قليلة من ذلك . ولعل السبب فى قلتها أن الشأن فى الفهرسة أن تعزى المسألة المعينة الى صفحة ذات رقم معين من الكتاب . ولا يكون لهذا فائدة ذات قيمة للجمهور ما لم تكن نسخ الكتاب موحدة فى أرقام صفحاتها . ولذلك كانت نهضة صناعة الفهرسة لاحقة لنهوض الطباعة اذ أن الطباعة تخرج مجموعة كبيرة من نسخ الكتاب موحدة الصفحات بخلاف الكتابة اليدوية .

ولكن مع ذلك فقد ذكر الشيخ أحمد محمد شاكر (مفتاح كنوز السنة ــ المقدمة) أنه يمكن اعتبار كتب أطراف الحديث فهارس . وأطراف الحديث كتب تجمع أحاديث كل صحابي وحده وترتب أسماء الصحابة على الحروف ثم يبين موضع كل حديث بـ (عزوه) الى أبواب كل كتاب من كتب الحديث . وفى المكتبة الاسلامية عدد لا بأس به من كتب هذا الفن . وقد طبع

منها مؤخرا كتاب (الاطراف) للمزى يوسف بن عبد الرحمن (ـــ ٧٤٢ هـ) .
كما أن هناك فهارس (مصنفة) أى على الابواب ، نجدها لعلمائنا فى كثير من كتبهم .
أما بعد انتشار الطباعة فى البلاد الاسلامية فقد زودت كثير من الكتب والمجلات بفهارس الا أن هذا الفن عندنا لا يزال قاصرا عن بلوغ المستوى الكافى ليكون مفاتيح لكنوز الثقافة الاسلامية .
واشير هنا الى فهارس ذات قيمة للباحثين لا أقصد بذكرها الحصر ولكن اقصد ذكرها كنماذج .

١ ـــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : وضعه محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله وهو أفضل ما الف من فهارس القرآن اللفظية .
وما زلنا بحاجة الي فهرس هجائى مستوف (لموضوعات) القرآن .
واني لانتظر أيضا الى الوقت الذى يلحق فيه بكل نسخة من نسخ الكتاب الكريم فهرس موضوعى هجائى موجز يعين القارئين لكتاب الله .
٢ ـــ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى : وهو فهرس هجائى لفظى من مستوى رفيع ذو قيمة لا تحد لكل من له صلة بالحديث النبوى . وهو ذو قيمة للمعتنين بتاريخ دلالة الالفاظ . وقد فهرست فيه الكتب التسعة الرئيسية من كتب السنة رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين باشراف المستشرق (فنسنك) بجامعة ليدن . وقد تم اصداره حديثا فى سبعة مجلدات ضخمة .
وقد وضع المستشرق فنسنك نفسه فهرسا (موضوعيا) مختصرا لكتب الحديث ترجمه محمد فؤاد عبد الباقي بعنوان (مفتاح كنوز السنة) وهو مطبوع متداول .
٣ ـــ فى مجال فهرسة كتب الفقه الاسلامى صدر حديثا فهرس هجائى لحاشية ابن عابدين لأحمد مهدى الخضر .
وصدر حديثا أيضا فهرس لكتاب المغنى فى فقه الحنابلة تمت بتحضيره وأعاننى الله على اكماله ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت .
٤ ـــ فهرس كتاب (الاغانى) لأبى الفرج الاصبهانى صنعه أحد المستشرقين وترجمه محمد مسعود وطبعه الحاج محمد الساسى بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

٥ ـــ فى مجال فهرسة المجلات والصحافة دأبت بعض المجلات العربية على الحاق فهارس هجائية موضوعية بآخر مجلداتها السنوية كما صنعت ذلك مجلة المنار ومجلة الازهر غير انى لا أعلم مجلة عربية أصدرت فهرسا هجائيا يغطى اكثر من سنة واحدة ، فى حين أنه مما ييسر على الباحثين أن تصدر المجلة فهرسا لها كل خمس سنوات أو عشر سنوات وأيسر منه أن تصدر المجلة فهرسا لعدد اكبر من السنوات . بل ان بالامكان اصدار فهرس عام موحد لمجموعة من المجلات التى تشترك فى اتجاه معين .
وهنا أثني عنان القلم وكلي رجاء الي الله سبحانه أن يأخذ بأيدى العاملين لنفع الأمة الاسلامية وسائر البشرية فيما يوسع ميدان المعرفة وينير آفاقها انه العليم الحكيم .

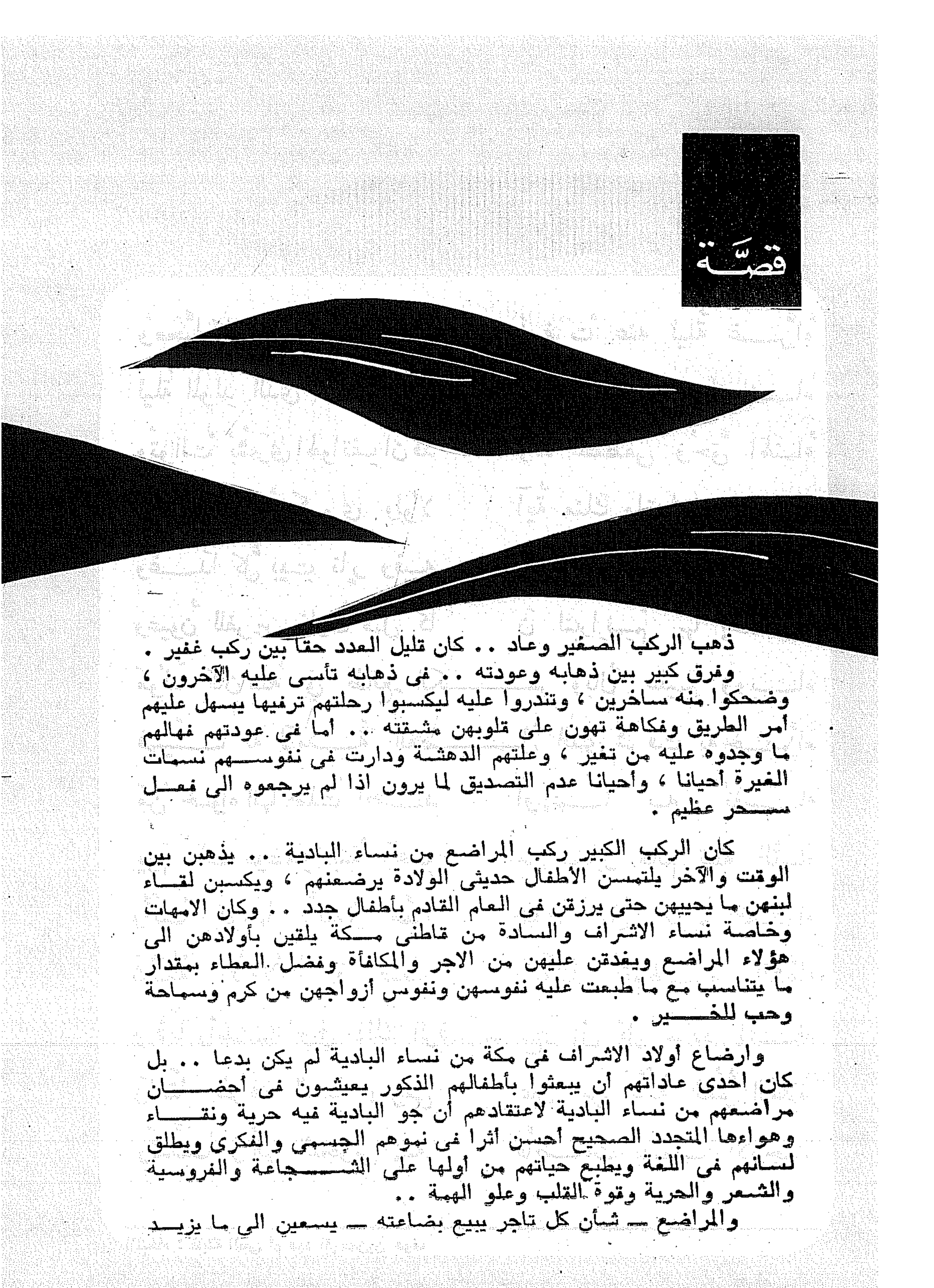
كيف ترقى رقيك الأنبياء

كيف ترقى رُقيّك الأنبياءُ ... يا سماءً ما طاولتها سماءُ
لم يُساوُوك في علاك وقد حا ... لَ سنًا منك دونهم وسناءُ
انما مثّلوا صفاتِك للنا ... س كما مثَّل النجومَ الماءُ
أنتَ مصباح كلِّ فضلٍ فما تصـ ... ـدُرُ الا عن ضوئِكَ الأضواءُ
لكَ ذاتُ العلوم من عالِمِ الغيـ ... ـبِ ومنها لآدمَ الأسماءُ
لم تزلْ في ضمائر الكون تُختا ... رُ لكَ الأمهاتُ والآباءُ
ما مضتْ فترةٌ من الرُسْلِ الا ... بَشَّرتَ قومَها بكَ الأنبياءُ
تتباهى بكَ العصورُ وتسمو ... بكَ علياءُ بعدَها علياء
وبَدا لِلْوجودِ منك كريمٌ ... من كريمٍ آباؤه كُرُمَاءُ
نسبٌ تحسبُ العُلاَ بحُلاَهُ ... قَلَدَتْهَا نجومَها الجوزاء
حبذا عِقدُ سُؤْددٍ وفخارٍ ... أنتَ فيه اليتيمة العصماءُ

للإمام البوصيري

وُمحيَّا كالشمسِ منكَ مضيءٌ | أسفرَتْ عنه ليلةٌ غــرَّاءُ
ليلةُ المولدِ الذى كان للدِّين سـ | ـرورٌ بيومِهِ وازدِهـاءُ
وتوالتْ بُشْرَى الهواتفِ ان قدْ | وُلدَ المصطفى وحُقَّ الهنَاءُ
وتَدَاعى ايوانُ كِسرى ولولا | آيةٌ منكَ ماتداعى البنـاء
وغَــدَا كلُّ بيتِ نارٍ وفيـهِ | كُربةٌ مِن خمودِها وبـلاءُ
وعيونٌ للفرسِ غارتْ فهل كا | نَ لنيرانِهم بها إطفـاء
مَولدٌ كان منهُ فِي طَالعِ الكـ | ـفرِ وبالٌ عليهمُ ووبـاء
فهنيئًـا له لآمنـةَ الفضـ | ـلُ الذى شُرِّفتْ به حـوَّاء
مَنْ لحواء انها حملتْ أحمـ | ـد أو إنهـا بـه نُفَسـاء
يومَ نالت بوضعهِ ابنةُ وَهْبٍ | من فَخَارٍ مالم تنله النِّساء
وأَتتْ قَومَها بأَفضلَ مِمَّا | حملتْ قبلُ مريمُ العذراء
شَمَّتَتْهُ الأَملاكُ إذ وضعتْه | وشفَتْنَا بقولهـا الشَّفَّاء
رافعًا رأسـه وفي ذلك الرفـ | ـعِ الى كل سُؤْدُدٍ إيمـاء
رَامقًا طرْفُه السماءَ ومرمَى | عين من شَأْنُهُ العلُوُّ العَلاَءُ
وتَدلَّتْ زهْر النجومِ إليهِ | فَأَضَـاءتْ بضوئِها الأرجاء

الشفاء : قابلة النبي أم عبد الرحمن بن عوف



ذهب الركب الصغير وعاد .. كان قليل العدد حقا بين ركب غفير .

وفرق كبير بين ذهابه وعودته .. فى ذهابه تأسى عليه الآخرون ، وضحكوا منه ساخرين ، وتندروا عليه ليكسبوا رحلتهم ترفيها يسهل عليهم أمر الطريق وفكاهة تهون على قلوبهن مشقته .. أما فى عودتهم فهالهم ما وجدوه عليه من تغير ، وعلتهم الدهشة ودارت فى نفوسهم نسمات الغيرة أحيانا ، وأحيانا عدم التصديق لما يرون اذا لم يرجعوه الى فعل سحر عظيم .

كان الركب الكبير ركب المراضع من نساء البادية .. يذهبن بين الوقت والآخر يلتمسن الأطفال حديثى الولادة يرضعنهم ، ويكسبن لقاء لبنهن ما يحييهن حتى يرزقن فى العام القادم بأطفال جدد .. وكان الامهات وخاصة نساء الاشراف والسادة من قاطنى مكة يلقين بأولادهن الى هؤلاء المراضع ويغدقن عليهن من الاجر والمكافأة وفضل العطاء بمقدار ما يتناسب مع ما طبعت عليه نفوسهن ونفوس أزواجهن من كرم وسماحة وحب للخير .

وارضاع أولاد الاشراف فى مكة من نساء البادية لم يكن بدعا .. بل كان احدى عاداتهم أن يبعثوا بأطفالهم الذكور يعيشون فى أحضان مراضعهم من نساء البادية لاعتقادهم أن جو البادية فيه حرية ونقاء وهواءها المتجدد الصحيح أحسن أثرا فى نموهم الجسمي والفكري ويطلق لسانهم فى اللغة ويطبع حياتهم من أولها على الشجاعة والفروسية والشعر والحرية وقوة القلب وعلو الهمة ..

والمراضع ـ شأن كل تاجر يبيع بضاعته ـ يسعين الي ما يزيد



كسبهن .. فكن يحثن أول ما يحثثن على ذوى الغنى واليسار ... طمعا فيما يمكن أن يجرى عليهن من بر واعطيات ..

• • •

جـد ركب المراضع فى سيره .. وكل منهن تطمع أن يكون فى المجهول خير لها .. فترزق رضيعا ثرى الأب غنى الاهل .. ممـا يضفى عليها الوفير من الخير والنعمة وكل منهن تضحك .. وفى ذهنهـا أن تقضى رحلتها ضاحكة حتى تواجه رزقها المرجو وهى مستبشرة فيكون من السعة بما يرضى خاطرها ويريح نفسها .

وناهيك عن ركب من نساء يسافرن الى مكة كى يرضعن ابناءها .. كيف يكون ؟ مهما تكن حالة بؤسه .. فقد زاد هذا البؤس على ركب صغير بينهم مكون من امرأة هى حليمـة بنت الحارث ، وزوجها وطفل لهمـا رضيع .. قدموا مع الآخرين الى مكة من بادية بنى سعد .. وحالتهم من دون الركب تدل على شدة الفقر والجدب .. حليمة بادية الضـعف والهزال ، وزوجها ظاهر البؤس والفاقة وطفلهما لا يكف عن الصراخ ولا ينقطع عن أنين الجوع .. لا تكاد حمارتها الهزيلة تحملها من شدة ضعفها ، ولا فرق بين ضعفها وهزال ناقة زوجها .

• • •

بينما ذلك الركب يسير فى فيافى الصحراء كانت مكة ما تزال تحتفل بفرحة نصرها على أصحاب الفيل وقائدهم أبرهة .. ويردد أهلها صيحات الفرح والسرور لذلك النصر الحاسم الذى حفظ أم القرى من دمار أكيد .. وينشد شعراء القوم أشعارهم ويحدون بها الناس فى أرجاء مكة :

فتنكلوا عن بطن مكة انهـا	كانت قديما لا يرام حريمهـا
سائل امير الجيش عنها ما رأى	ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون الفا لم يؤوبوا أرضهم	بل لم يعش بعد الاياب سقيمها

وكان فى بيت من بيوت مكة .. يجلس هناك عبد المطلب بن عبد مناف .. ينتظر ما ستلده زوجة ابنه الفقيد عبد الله .. ويفكر فيما سترزقه به الاقدار من هذا الجمل الذى أوشك أن يلمس الارض بين لحظة وأخرى .

واخذت تدور برأسه أفكار كثيرة .. وتزدحم فيه بشارات لخير قادم اليه رآها فى أشياء كثيرة وبشارات رواها له ناس من قبل .. والحت عليه ذكرى ذلك اللقاء بينه وبين (سيف بن ذى يزن) عندما ذهب اليه عبد المطلب فى صنعاء على رأس وفد من قريش لتهنئته بانتصاره على الحبشة واحتفى به سيف بن ذى يزن وقربه فى مجلسه وادناه اليه ثم اختلى به وقال له :

ــ يا عبد المطلب .. انى مفض اليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به ، ولكنى رايتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره .. انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خيرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فاهتز قلب عبد المطلب ورد عليه فى تساؤل ملكته الدهشة :
ــ أيها الملك .. مثلك سر وبر فما هو ؟ فداؤك أهل الوبر زمرا بعد زمر ..
قال له الملك وأنظاره الى السماء كأنما يقرأ فى كتاب يراه فى أجواز الفضاء :

ــ اذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة ..

فمرر عبد المطلب أصابعه فى لحيته وتفكر برهة ثم قال للملك سيف ابن ذى يزن :
أبيت اللعن .. لقد أبت بخير ما آب به وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وأعظامه لسألته من بشارته اياى ما أزداد به سرورا .
فرد عليه الملك وهو لا يزال محلقا فى سماء الخيال :

ــ هذا حينه الذى يولد فيه .. اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم

الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران بعبد الرحمن ويدمر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله ..

وما ان انتهى شريط هذه الذكرى من رأس عبد المطلب حتى دخلت عليه من تبشره بمولود جديد .. وتستدعيه الى (الوالدة) آمنة بنت وهب .. فلما جاءها رأى سحابة قد اظلت حجرتها فجعل يمسح عينيه ويقول :

أنا نائم أم يقظان ؟
وفتحوا له الباب .. فاذا المسك يعبق المكان وتفوح رائحته العطرة من أركان الحجرة فاستخبرها فقالت :

ــ يا أبا الحارث ولد لك مولود له أمر عجيب ..
فذعر عبد المطلب وقال :
ــ أليس بشرا سويا ؟
فقالت :
ــ نعم .. ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وسبابته الى السماء فقال :
ــ دعيني أنظر اليه ..

وحمله بين يديه ، وذهب به الى الكعبة ، وشكر الله على انعامه ، وعوذه ودعا له وأخذ يطوف بالكعبة وهو ينشد :

الحمد لله الذى أعطانى	**هذا الغلام الطيب الأردان**
قد ساد فى المهد على الغلمان	**أعيذه بالبيت ذى الأركان**
من فاسد مضطرب العيان	**حتى أراه بالغ البنيان**

كان مولودا عظيما .. تنبأ لمولده العارفون .. وجاءت بشارات مولده العظيم نورا وسرورا لجده وأمه .. ونصرا لقومه على أصحاب الفيل وللعالم كله خيرا فى خير .. هو من دون الآخرين للحياة فتح مبين ..

ولدته أمه آمنة بنت وهب فى عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول .. وكان حملها له غير حمل النساء لابنائهن .. كان يسرا وسهولة ونورا مشرقا .. قالت آمنة :

ــ لقد حملت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ..

وكانت تحضر ولادته زوجة أبى العاص فقالت :
ــ لقد شهدت ولادة آمنة ليلة ولدته فما شىء انظره فى البيت الا نور .. ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو حتى لقد خشيت أن يقضى على .

• • •

فرحت به أسرته رغم عدم وجود أبيه .. وظل فى حجر أمه بضعة أيام .. كان ركب المرضعات خلالها وصل الى مكة .. وأخذت نساؤه يجبن الطرقات وتدق أيديهن بيت الوالدات ومروا جميعا ببيت آمنة ولم

يفرحهم ما سمعوه عن نور مولده .. فهم يريدون أهل الغنى حتى يأخـذوا من غناهم مالا وفيرا وأجرا كبيرا ..

وحليمة .. مرت بذلك البيت هى الاخرى .. وكانت نظرتها نحـو الوليد وفقر أهله ويتمه مثل صاحباتها : فمالت عنه مثلهن ، وأخذت تدور على البيوت الاخرى وراءهن ..

وانتهت الدورة .. وخرجت كل مرضعة بما أثلج صدرها وأرضى شوقها فيما تمنت وأرادت .. الا حليمة لم تجد من ذلك شـيئا فعادت لزوجها عند أطراف مكة وحيدة خفيفة من أى شىء تحمله .. فقال لها :

ــ ما بالك يا حليمة قد عدت من دون الصاحبات صفر اليدين ؟

قالت فى أسى :

ــ حظى اليوم كان نكدا ..

ــ وكيف ذلك ؟

ــ ما وجدت سوى طفل فقير يتيم ، وليس له الا جده وأمه ..

ــ ورغبت عنه ؟

ــ ما عسى أن يصنع لنا جده وأمه وحالنا كما تعلم فى هذه السنة القاحلة ..

فأصاب الرجل صمت ، ودارت فى خاطره شدة عيشهم . وزوجته بجانبه صامتة أيضا لكنها تفكر فى شىء غير حالهما .. انها تفكر فى الوليد اليتيم الذى زهدت فيه وتركته ، ووجدت فى نفسها شيئا مبهما يدفع بها لان تعود اليه فربما لا يكون أخذه أحـد .. فنهضت وقالت لزوجهـا :

ــ اننى والله ما زلت مشفقة على هذا اليتيم مذ رأيته ، وما زالـت نفسى تراودنى أن أعود اليه فآخذه ..

ــ هكذا ؟

ــ أى والله .. هكذا

فنظر الزوج حواليه .. ثم رد الطرف الى ناقته وحماره وزوجته ثم طفلهما .. وقال لزوجته فى هدوء واستسلام :

ــ وما علينا اذا أخذناه يا حليمة .. فلأن ترجعى ومعك هذا اليتيم خير من أن ترجعى من دون الرفيقات صفر اليدين ..

فقالت وهى من تفكيرها شبه حالمة :

ــ انى والله به عالقة ..

وأشرق فى قلب الرجل نور وقال :

ــ اذهبى اليه فخذيه لعله يكون لنا بركة ..

• • •

غذت حليمة سيرها وأجنحة من الشوق تحملهـا فوق الثـرى .. حتى جاءت بيت آمنة ، واستقبلها عبد المطلب باسما وقال لها :

ــ من أنت ؟

فقالت :

ــ امرأة من بني سعد ..

فسألها من جديد :
ــ وما اسمك ؟
فقالت :
ــ حليمة ..
فزادت بسمته اتساعا ، وتلألأ الاستبشار على وجهه وقال :
ــ بخ بخ .. سعد وحلم .. خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبـــد ..
ولم تكد حليمة تتناول محمدا حتى وضعته فى حجرها وضمته الى صدرها ضم الظامىء الملهوف ووضعت يدها على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ونظر اليها وخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء .. ولكنها بهتت وزادت دهشتها عندما وجدت ثدييها يحفلان بلبن كثير بعد جدب واعسار .. فرضع حتى امتلأ .. وكذلك ابنها رضع هو الآخر حتى امتلأ ..
وعادت بالوليد اليتيم الى موقع اقامتها فى حدود مكة وهى فرحة لما فاض عليها من رزق فى ثدييها بعد وشك الجفاف ، وحكت لزوجها مالا يمكن أن يتصوره : أن رضع اليتيم حتى شبع ، ورضع ابنهما حتى شبع .. وما زال ثدياها مثقلين بما يحملان والرجل يعجب لما يسمع وتتملكه الحيرة فى ارجاع ما تقول حليمة الى سبب ..

• • •

ظل هذا الركب الصغير تحت خيمته يستظل بها حتى يحين موعد العودة .. واشتد الجوع بحليمة وزوجها .. وأرهقهما العطش . . . وضيق الحر انفاسهما وليس هناك ما يطعمانه .. فالناقة جافة الضرع كمهدهما بها .. لا تلين الا كل وقت ووقت وبين الوقتين مدى طويل .. لكن الأمل فى استمرار الحياة دفع به أن يضع يده على ضرع الناقة .. ربما .. وما مسه بيده الا ودر اللبن منه درا غزيرا .. فشرب هو وزوجته ما شاء لهما الرى حتى شبعا ولم يعد عندهما مكان لزيادة ..
نظرت حليمة لزوجها ونظر زوجها اليها .. كلتا النظرتين كانت واحدة .. تقول من الدهشة والتعجب :
ــ ما هذا ؟
وقال الزوج سريعا يرد على قلبه المتسائل وعلى نظرة زوجته التى تحمل نفس السؤال المندهش :
ــ يا حليمة .. لقد ــ والله ــ حصلنا على نسمة مباركة .. الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه .. فلم يزل الله يزيدنا خـــيرا ..
واقبــلا على (محمد) يقبلانه ويضمانه فى حنانهما الغامر وينظران الى وجهه فيشرق نوره الوضىء فى قلبيهما .. ويضفى على فؤاديهما راحة كبيرة وطمأنينة فياضة .. وأخـــذت هى ترقب ذلك الوليـد الذى باركها وتقول :

يا رب اذ اعطيتـــه فابقـــه واعله الى العـــلا وارقـــه
وادحض اباطيل العـــدا بحقه

• • •

غادر الركب حدود مكة .. وسار عائدا برضيعه الى مقامه فى بادية بنى سعد وقامت حليمة الى حمارتها البيضاء فركبتها ومحمد على صدرها .. وقام زوجها الى ناقته فامتطى فوق سنامها وابنه الرضيع معه .. واندفعا بالراحلتين الهزيلتين ليلحقا بالركب الذى سبق وأمعن فى السير على طريق العودة ..

قنع هذا الركب الصغير المتخلف براحلتيه الهزيلتين وآمن أنه سيعود وحيدا بعد أن يكون الركب الكبير قد وصل الى أرضه وقضى وقتا طويلا من الراحة والاستقرار ..

ولكن — ويا للعجب — فهذا الركب قد حصل على نسمة مباركة .. فما هو الا أن وجد الركب راحلتيه وقد استبدلتا بالضعف قوة وبالهزال عافية ونضارة وبالتأخر فى المسير تقدما وبالتريث فى الخطو اسراعا .. حتى لحقا بالرواحل السابقة وأصبحت حليمة تزاحم سابقاتها حتى خلفتهن وراءها .. فأخذن يتضاحكن ولا يصدقن ما رأين فقلن :

— ارفقى بنا يا ابنة أبى ذؤيب .. أهذه أتانك العرجاء التى كنت تركبينها فى الغدو ..

فترد عليهن حليمة ضاحكة مستبشرة :

— هى العرجاء .. انها والله هى ..

فيملؤهن العجب .. وينبو الامر بهن عن التصديق الا لو ارجعنه الى سحر عظيم .. ويقلن فى نفوسهن :

— حقا .. انه لشىء عجيب ..

— لا والله .. ان لها لشأنا ..

* * *

عادت حليمة الى أرضها بكسب كبير — كانت رفضته أول الامر .. ولكن رفق الله بها وبمن أراد أن يصنعه على عينه ، وان يحمله رسالته لهداية الخلق — من عليها وأشفق به .. فعادت وحملته فى ذراعيها .. فكثر لبنها بعد اقلال واشبعه مع ابنها بعد أن لم يكن يكفى ابنها .. وامتلأ ضرع ناقتها بالغذاء بعد أن كانت وزوجها يتضوران من الجوع أوقاتا طويلة حتى تحن الناقة .. ويكرمهما ضرعها بجرعات ممعنة من القلة ..

ونظرت حليمة .. فوجدت أن الخير أقبل عليها من كل ناحية .. والبركة تحل عندها فى كل شىء .. حتى أغنامها تخرج الى المراعى مع أغنام غيرها فتعود أغنامها ممتلئات الضروع ريانة العود .. ويظن الناس أن أغنامها ترعى فى المراعى الخصيبة وأغنامهم ترعى فى المراعى القاحلة ..

ولكن .. لم يظن أحد منهم مطلقا .. أنها عادت من رحلتها الى مكة بالبركة .. تحمل رسول الخير والبر .. الى الوجود كله ..

* * *



حكم الصلاة فى النعال

هل يجوز للمسلم دخول المسجد ونعلاه فى قدميه والصلاة بهما فى كل وقت ؟

يجيب على هذا السؤال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

فى صحيح البخارى عن سعيد بن زيد الأزدى قال : سألت أنس بن مالك : « اكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ؟ قال : نعم » وقال الحافظ فى الفتح : هو محمول كما قال ابن بطال على ما اذا لم يكن فيهما نجاسة والصلاة فى النعال من الرخص لا من المستحبات كما ذكره ابن دقيق العيد لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة .

وعن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم : « انه صلى فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف (أى من الصلاة) قال لهم : لم خلعتم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا ، فقال : ان جبريل اتانى فأخبرنى أن بهما خبثا بولا أو غائطا ، فاذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما ، فان رأى خبثا فليمسحه بالارض ثم ليصل فيهما » (رواه أحمد وأبو داود) .

وقال النووى فى المجموع بعد أن أورد هذا الحديث : انه يؤخذ منه جواز المشى فى المسجد بالنعل ، وان الصلاة فى النعال الطاهرة جائزة أهـ.

ونقل الشوكانى عن صاحب منتقى الأخبار انه يؤخذ من هذا الحديث أن ذلك النعال يجزىء ، وأن الصلاة فى النعلين لا تكره ـ ا هـ .

وقال انه يؤخذ منه أيضا جواز المشى فى المسجد بالنعل ـ اهـ .

وقد ورد مرفوعا : خالفوا اليهود فانهم لا يصلون فى نعالهم ولا خفافهم فيفيد استحباب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة ، فاذا كان أهل الكتاب اليوم يصلون فى النعال فلا استحباب فى صلاتنا بالنعال ، ويبقى انها رخصة فقط مقيدة بالطهارة من النجاسة ، فيجوز لمن تحقق خلو نعليه منها ان يصلى بهما فى المسجد وغيره ما شاء من الفرائض والنوافل .

ولا يصح اعتقاد عدم جواز الصلاة فى النعال بعد ثبوت الجواز عن الشارع ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى مرة بغير نعال وأخرى بنعال طاهرة .

غير ان الجائز شرعا يستوى فيه طرفا الفعل والترك ، ورخصة الجواز يجوز العمل بها ويجوز تركها ، ولنا مع اعتقاد الجواز وبيانه ان نرجح احد

الجائزين على الآخر بما يقتضيه ظرف الزمان وظرف المكان . وأهل الكتاب عامة يصلون الآن فى معابدهم بالنعال والأحذية فنخالفهم فى ذلك .

ولا شك أن المساجد اليوم من حيث الفرش والنظافة غيرها فى العهود السابقة ، والطرق غير الطرق ، فاذا رجعنا للعامة الذين لا يقفون عند الحدود ولا يفقهون مواقع القيود الدخول فى المساجد والصلاة فيها بغير النعال لم نجاوز فى ذلك أصلا شرعيا ، والله اعلم .

فى التسمية

هل يجوز شرعا التسمية بعبد النبى ؟

عيسى المطيرى — الكويت

الاجابة :

لا يجوز شرعا التسمية بعبد النبى خشية اعتقاد العبودية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أن بعض الصحابة كان اسمه قبل الاسلام عبد العزى فسماه الرسول بعد الاسلام عبد الرحمن ، وتكرر ذلك لعدد منهم .

الوضوء فى المسبح

هل يجوز أن اتوضأ فى المسبح (الحمام) مع العلم بأن فيه المحل المعد لقضاء الحاجة ، ولا يتيسر لى الوضوء فى غيره .

داود الشاغورى — الكويت

الاجابة :

يجوز الوضوء فى هذا المسبح مع وجوب التحرز عن النجاسة ، ومن الأدب الذى يجب الأخذ به تعظيم ذكر الله تعالى وأسمائه فلا تذكر فى مواضع قضاء الحاجة .

فى الميراث

توفيت امرأة عن أختين شقيقتين ، وعن أولاد بنت ، وعن أولاد عم أشقاء ذكور وإناث فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

عيسى حمدان — بيروت

الاجابة :

للأختين الشقيقتين الثلثان فرضا ، والباقى للذكور من أولاد العم تعصيبا ، وأما أولاد البنت فلا شيء لهم .

في الوضوء

سافر جماعة فى الصحراء وعندهم بعض الماء للشرب ، فأراد أحد المسافرين أن يتوضأ من هذا الماء فمنعه اخوانه من ذلك فما الحكم الشرعى

مطير الصداوى ــ الكويت

الاجابة :

اذا كان الماء محتاجا اليه فى أمر ضرورى كشرب حيوان محترم ، فلا يجوز استعماله فى الوضوء ، والواجب التيمم .

صلاة المراة فى المسجد

ما هو الأفضل للمراة أتصلى فى المسجد أم فى بيتها ؟

س.أ ــ البصرة

الاجابة : يجوز للمراة أن تصلى فى المسجد بشرط أن تكون مستورة العورة مأمونة الفتنة وصلاتها فى بيتها أفضل .

تكرار الفاتحة

ما حكم صلاة من يكرر قراءة الفاتحة فى الركعة الواحدة وهل هذا مبطل للصلاة .

عز الدين اسماعيل ــ البحرين

الاجابة : لا تبطل الصلاة بتكرار قراءة الفاتحة فى الركعة ولكنه خلاف السنة .

التماثيل

جاء فى القرآن الكريم ان سيدنا سليمان كانت الجن تصنع له التماثيل ، فهل يجوز ذلك عند المسلمين ؟

هشام الدباغ ــ سوريا

الاجابة : تمثيل غير ذى الروح لا يمنع منه الشرع ، أما تمثيل ذى الروح فهو حرام ، وعلى فرض ان تمثيل ذى الروح كان جائزا فى شرع سليمان عليه السلام ، فان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا .

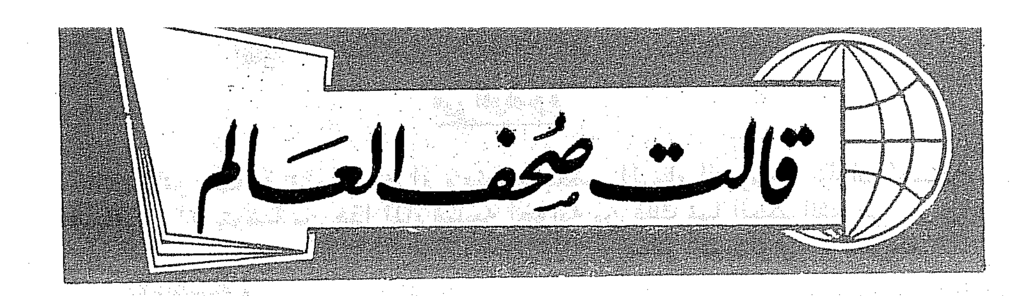
حكم الاجهاض

هل يجوز شرعا اجهاض من حملت سفاحا ؟

زايد ن.ع ــ دبى

الاجابة :

الجنين فى نظر الشارع محترم يحافظ عليه ولو كان من زنا بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم الحد على من زنت وكانت حاملا حتى وضعت ، وفى رواية حتى مضى زمن بعد الوضع ترعى فيه الجنين ، فلا يكون مجرد كونه من زنا موجبا لاسقاطه .



من صـفات الرسـول

نشرت مجلة لواء الاسلام القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

جاء فى الحديث القدسى ان الله تبارك وتعالى قد قال فى التوراة عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : »

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحـرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سـميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليـظ ، ولا سـخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه اللـه حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا اله الا الله ، فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » .

رواه البخارى .

يروى فى مناسبة هذا الحديث أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قرأ قوله تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. » ثم ذكر أن هذه الآية التى وردت فى القرآن الكريم قد جاء مثلهـا فى التوراة ، ثم ذكر الحديث كما سبق .

ويروى أن عطاء بن يسار لقى عبد الله بن عمرو فقال له : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فقال عبد الله : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ، ثم ذكر الحديث . وكان عبد الله بن عمرو قد قرأ التوراة وعرف ما فيها ، ولذلك أتجه اليه عطاء بالسؤال .

« شاهدا » : الشاهد هو الحاضر ، والشهيد صيغة مبالغة من المدة ، وجاء فى حديث على عن النبى « وشهيدك يوم الدين » أى شاهدك على أمتك يوم القيامة » . والمعنى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام يشهد يوم القيامة عند الله تعالى لأمته التى تابعته بأنها صدقته ، وعملت بدعوته ، ويشـهد على الكافرين بأنهم كذبوا وأعرضوا .

ولقد ورد فى سورة الأحزاب قوله تعالى : « يا أيها النبى انا أرسـلناك شاهدا » وجاء فى سورة الفتح : « انا أرسلناك شاهدا » وفى سورة المزمل : « انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا » .

« ومبشرا » : البشرى هى الخبر السار الذى تنبسط له بشرة الانسان ، والمعنى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشر المؤمنين بالجنة . والمبشر والبشير بمعنى .

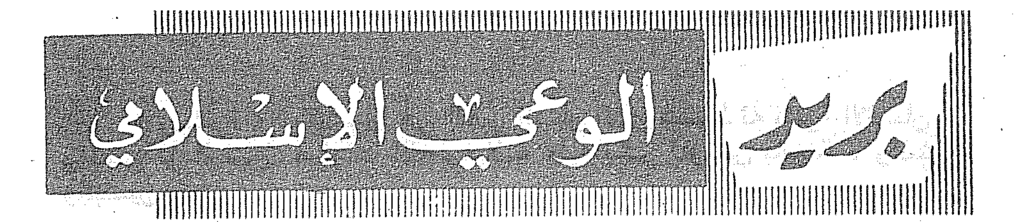
« ونذيرا » : الانذار هو الاعلام مع تخويف وتحذير ، يقال : أنذرته انذارا اذا أعلمته وحذرته ، والمنذر أو النذير هو المخوف والمحذر ، والذى يخبر القوم بما يكون قد دهمهم من عدو أو غيره . وفى صفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه : « كان اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش ، يقول : صبحكم ومساكم » وفى شأن صفتى « المبشر والنذير » جاء قوله تعالى فى سورة البقرة : « انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » وفى سورة الأعراف : « ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . وفى سورة هود : « الا تعبدوا الا اياه انني لكم منه نذير وبشير » . وفى سورة الأسراء : « وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا » . وفى سورة سبأ : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« وحرزا » : الحرز هو الحصن ، وتقول : احرزت الشىء اذا حفظته وضممته اليك وصنته عن الأخذ ، وفى حديث الدعاء : « اللهم اجعلنا فى حرز حارز » أى كهف منيع .

« للأميين » : الأميون جمع أمى ، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وقيل انه الذى لا يكتب وان قرأ ، والمراد هنا بالأميين هم العرب ، لأنهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون وفى الحديث : « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وفيه أيضا : « بعثت الى أمة أمية » أى على أصل ولادة أمهم ، لم يتعلموا الكتابة ولا الحساب ، فهم على جبلتهم الاولى ، وقد جاءت كلمة « الأمى » وكلمة « الأميين » فى مواطن من القرآن الكريم .

ففى سورة الأعراف : « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . وفى سورة البقرة : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون » . وفى سورة آل عمران : « فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » . وفى السورة نفسها : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ، الا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . وفى سورة الجمعة : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

« سميتك المتوكل » : أى المتوكل على ربه المعتمد عليه فى الرزق والنصر والتوفيق الواثق بتمام وعده ، الصابر على انتظار ثوابه . والله تعالى يقول لرسوله فى القرآن المجيد : « فاذا عزمت فتوكل على الله » .



المسجد الأقصى

المسجد الأقصى ــ أعاده الله ــ كان وقت الاسراء والمعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم خرابا ، ودعــوة الاسلام فى هذا الحين لم تكن قد وصلت الى فلسطين حتى يمكن أن يقال انه كان يوجد فى القدس مسلمون يــؤدون الصلاة فى مكانه ، فكيف سماه القرآن مسجدا حيث يقول الله سبحانــه : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » ؟**

اسماعيل الدفتردار ــ تركيا

ما ذكره السائل عن المسجد الاقصى يمكن أن يقــال عن المسجد الحرام ، فقد سماه الله مسجدا مع أنه كــان فى ذلك الحين بيتا للأصنام ، وقد سمى الله كلا منهما مسجدا بالنظر الى ما كان عليه وما بني من أجله ، فقد أنشىء كل منهما للعبادة الصحيحة ، ويمكن أن يقال فى صحة هــذه التسمية إنه أخبار من الله تبارك وتعالى واعلام لنبيه وللناس كافة ان كلا من هذين المكانين سيصبح عما قريب مسجدا مطهرا للمسلمين .

اهانــة العلماء

كثر فى هذه الايام الاستخفاف بالعلماء ، والتهجم على كتب العلم القديمة والتهوين من أمرها ، كما كثر اتهام العلماء بالجمود والتشنيع على تراثنا بعــدم ملاءمته للعصر الحاضر ، فلماذا لا يقوم العلماء برد هذه التهم عنهم ؟

عبد الله الواحدى ــ الكويت

هذه حملة مدبرة يراد بها النيل من الاسلام وصرف الناس عنه ، حملة للهدم لا للبناء ، وللفسوق لا للايمان ، وكثير من المسلمين قد ينساقون فى هذا التيار بدافع الغرور بأنفسهم مع أنهم يعيشون عالة على أسلافهم وكتبهم ، وقد تعرض الاسلام وعلماؤه لمثل هذه الحملات فى عصور كثيرة ، وانتهت هذه الحملات بالفشل ، وبأصحابها بالخزى ، وبقى الاسلام صرحا منيعــا ، وبقى علمــاؤه مصابيح هادية ، ترمقهم الأجيال بعين الاكبار والاجلال .

وقد وجهت مثل هذه الرسالة الى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا فقال فى رده عليها : وأما سب العلماء واهانة الكتب الدينية فهو من أكبر المعاصى لأنه يسقط احترام العلم والدين من نفوس الجاهلين ، ويجرىء السفهاء على الفضلاء ، حتى تكون الأمــة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله ، ولا عالم يقدر لعلمه .

ولا يضير الشمس من بعينــه رمق ، ولا يغض من حلاوة المــاء مرارة الفم .

والشاعر العربى يقــول :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل

النقـــوط

عادة بلادنا فى الأفراح والمناسبات السارة كالميلاد وعيد الزواج أن يقدم الأهل والأصدقاء الى أصحاب المناسبة هدايا نقدية أو عينية ، ويقضى العرف بأن ترد هذه الهدايا أو أكثر منها الى أصحابها عند المناسبات ، فهل هذا حلال أو حرام ؟

درويش الطهطاوى

كل ما يبذل من المال بالرضا والاختيار تبرعا ، فلا حرج على باذله ، ولا على المبذول له الا أن يقصد به الاعانة على محرم ، والنقوط عادة يقصد به المساعدة ، ولا يقصد به شيء من المحرمات ، وانما هو اكرام وهدية تؤكد الود وتقوى الأخـوة ، والأصل فى جميع التبرعات الاباحة .

المـولى

كثيرا ما نسمع هـذه الكلمة يقولها بعض الناس للعلماء أو للرؤساء ، تعظيما لهم فيقولون مولانا لفلان من الناس ، مع اننا نعلم أن المـولى هو الله ، وقد جاء فى القرآن الكريم ، « **بل الله مولاكم** » فما رأيكم فى هذا ؟

ابو اياد ـ سوريا

لا بأس باطلاق لفظ المولى على الانسان للتكريم أو التعظيم ، وقد بين الله تبارك وتعالى أن المؤمنين يعظم بعضهم بعضا ، وليس كل ما أطلق على اللـه عز وجل يحرم اطلاقه على المخلوق كما هو معلوم من لفظ رءوف ورحيم ، ومن تسمية بعض المسلمين أولادهم بالحكيم والرشيد ، وقد استعمل المسلمون لفظ المولى من عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا العهـد وهو بمعنى السيد ، وشاع عندهم اطلاقه على المعتوق ، فكانوا يقولون : زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنه ، ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء فى أخيها صخر :

وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتوا لنحـار

البتـــول

تلقب السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بالبتول فما معنى هذا اللقب ؟

قيس الهمذانى ـ بغداد

البتول : لغة النبت الأملود الذى يقطع عن أصله ، والبتول مـن النساء العذراء المنقطعة من الأزواج ، وقيل هى المنقطعة الى الله تعالى عن الدنيا ، والتبتل الانقطاع عن الدنيا .

والبتول لقب أطلق على :

١) السيدة فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم من زوجته خديجة بنت خويلد ، وزوج على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولقبت بالبتـول لأنها انقطعت عن لداتها فى السن لما كانت عليه من طيب الشمائل .

٢) مريم بنت عمران وأم المسيح عليه السلام ، ولم يرد هذا اللفظ فـى القرآن الكريم نصا ، ولكن تشير اليه الآية :

« **يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** » .



ذكرى مولد رسول الله صلى اللــه عليه وسلم وشيء من سيرته

يقول الشيخ عبد الله السند تحت هذا العنوان :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى الخلق جميل الصورة صحيح الجسم ، وكانت ولادته فى عام الفيل فى الليلة الثانية عشرة أو التاسعة من شهر ربيع الاول الموافقة للعشرين من شهر ابريل ، وكان العام هو الحادى والسبعين بعد الخمسمائة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفى والده وهو حمل فكفله جده شيبة الحمد فأرضعته أمه ثلاثة أيام وكذا ثويبة مولاة أبى لهب عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده بارضاعه لحليمة السعدية وجعله فى قبيلتها بالبادية لينشأ فى العيشة الخلوية ، ثم ردته حليمة الى أمه بعد أربع سنين فحضنته الى أن توفيت وله ست سنين فأصبح صلى الله عليه وسلم يتيم الأبوين فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ثم توفى بعد أن أوصى به أبا طالب عمه فحاطه بعنايته كما يحوط ولده واهله الا أنه كان لفقره يعيش عيشة القشف فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم الترف وذلك فى عنايته تعالى بتربية هذا الرسول الكريم عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم .

ولد صلى الله عليه وسلم يتيما ، ونشأ فى قومه فقيرا ومات والده فى سن الشباب ولم يترك له مالا الا خمسة جمال وبضع نعاج ، وكان قد الف رعى الغنم مع اخوته فى الرضاع فصار يرعى لأهل مكة فيوفر على كافله أبى طالب بما يأخذ على ذلك من الأجرة ثم سافر مع عمه أبى طالب فى تجارته الى الشام وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ، وهنالك رآه بحيرا الراهب وبشر به عمه أبا طالب وحذره من اليهود عليه بعدما رأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم أنه سافر الى الشام مرة ثانية متجرا بمال خديجة تجارة المضاربة فأعطته أفضل ما كانت تعطى غيره اذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة .

كانت خديجة بنت خويلد اعقل وأكمل امرأة فى قريش حتى كانت تدعى فى الجاهلية « الطاهرة » لما لها من الصيانة والفضائل الظاهرة ، ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأى منه عليه الصلاة والسلام فى رحلته معه الى الشام من الاخلاق العالية والفضائل السامية وما قاله بحيرا الراهب لعمه أبى طالب تعلقت رغبتها بأن تتخذه بعلا بل سمت أفكارها الى ما هو أعلى ، فتم ذلك الزواج الميمون ، وكان هو ابن خمس وعشرين وهى ابنة أربعين ، وتوفيت رضى الله عنها بعد البعثة بعشر سنين ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها ، ولا أحب أحدا مثلها ، وكان طول عمره يذكرها .

نشأ يتيما شريفا وشب فقيرا عفيفا ، لم يصبه شيء من رجس الجاهلية فلم يعبد عبادتهم ولم يحضر سامرهم ولا ندوتهم ولم ينظم الشعر كما كانوا ينظمون

ولا عنى بالخطابة كما كانوا يعتنون ، ولم يؤثر عنه قول ولا عمل يدل على حب الرياسة أو البحث فى شؤون السياسة ، ولم يشاركهم فى شىء من خرافات الجاهلية وضلالات الشرك ولا من المفاخرة الكلامية وشؤون الغزو والحرب ، بل كان يحب العزلة ويألف الوحدة ، وروى أنه فى حداثته حضر سمرهم مرتين ألقى الله فيهما عليه النوم .

ولد من اصطفاه الله لرسالته واختاره لاخراج الناس من الظلمات الى النور من الباطل الزهوق الى الحق الذى هو أحق أن يتبع من عبادة الاوثان والتمسك بالاوهام الى توحيد الله العلى الكبير من تعاظم الانسان على أخيه الانسان الى الحب فى الله والأخوة فى الدين ، من تنافر الآراء وتعدد الأهواء وفوضى النظم وتباين المشاعر وتشتت السبل والاهداف الى الوحدة فى المعتقد والوحدة فى الاتجاه من تحين الفرص للسلب والنهب وغزو الآمنين والافتخار بالظلم والانتقام الى الدأب على نشر الهدى والايمان والمسارعة الى اعلاء كلمة الله .

وهكذا كانت الرسالة تحمل الهدى للارواح بعد ضلالها ، وتشيع الثقة فى النفوس بعد حيرتها واضطرابها ، وتنشر الأمن والسلام فى الناس بعد ذلك الشقاق القاتل ، وبعد تلك الحروب المبيدة ، وكانت تبدل الشحنات والبغضاء بالمودة والألفة والايثار والمشاركة فى الشعور بالآلام والمسرات بحيث يكونون كالجسد الواحد يتألم بعضه للبعض الآخر ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبعد أن طهرت القلوب من فاسد الاعتقاد ودنس الاباطيل ملأتها هدى ويقينا ، وعفة وايمانا ، وجرى فى عروقها الاعتزاز بالله سبحانه وحب العمل الصالح الخالص فى سبيل الله فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس قال الله عز وجل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » .

وقد علمتهم آيات الله وسيرة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يتواصوا بالصبر ويتواصوا بالرحمة بعد أن — أوجبت على كل مؤمن أن يصبر ويثبت ، أمرتهم مجتمعين أن يوصى بعضهم بعضا بذلك ففرضت عليهم أن يكونوا مثبتين لا مثبطين ، ومناصرين لا مخاذلين ، أوجبت عليهم وجوبا حتميا أن يتعاونوا على دفع ما يحل بهم من المصائب والنوازل ويكونوا يدا واحدة عندما تقع على الأمة الكوارث وتشتد الأزمات ، وتدلهم الخطوب ، وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قد أقرت فى نفوس المسلمين أن رأس الحكمة مخافة الله تعالى وبمخافة الله عز وجل استطاعوا أن يسيطروا على نزعات النفوس وهواها الذى استولى على العصاة فأوردهم النار وبئس الورد المورود .

أما المؤمنون الصادقون فقد نهوا أنفسهم عن هواها واستعانوا بالخوف من الله فأنجاهم جل شأنه وأدخلهم فى رحمته .

لقد تجمعت الفضائل البشرية ومكارم الاخلاق فى خلق الرسول محمد وفى سيرته صلى الله عليه وسلم ، فكان المثل الأعلى فى كل فضيلة ، وكان العبقرى الفذ فى كل معرفة ، وكان أفضل البشر فى كل مكرمة وسبحان من قال له : « وانك لعلى خلق عظيم » فكان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ، وأفصح الناس وأعلم الناس ، وأسخى الناس ، وأعدل الناس وأعف الناس غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، فزاد فى عبادته ، وكان يقوم من الليل ما شاء الله ، ولما قيل له فى ذلك قال : أفلا أكون عبدا شكورا ، وكان صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء والمساكين ، ويبدأ أصحابه بالسلام وكان كواحد من سائر المسلمين وتراه يساعد أهله فى شؤون بيته كان يفعل ذلك وأكثر من ذلك ليضرب للمؤمنين

أمثلة عملية فى الابتعاد عن الكبر وعن التعاظم ، ويعلمهم أن الطيب من الناس من كان طيبا بأفعاله وأخلاقه لا بمنصبه وجاهه .

فصلوات الله وسلامه عليه فى الأولين والآخرين .

. . . .

دعـــاوى المبطلين

وكتب الأستاذ محمد سيد احمد المسير تحت هذا العنوان يقول :

ذات مساء قابلنى شـــــاب تجاذبت معه الحديث حول مشكلات العالـــم الاسلامى .. واذا بآخر يقتحم نفســــه بيننا ويقول : ـــ فيم تتناقشون ؟ وعـــم تتساءلون ؟ دعونا من الاسلام ودعاوى الايمان .. لقد سحق المسلمون واستبيح دمهم وديست مقدساتهم .. فأين الهكم يحول بينكم وبين ما أنتم فيه من ضيــاع وتشرد ومذلة وهوان .. دعونا نواجه المعتدى بالصواريخ وتكنولوجيا العلم ...

يا سبحان الله !!..

أنطلب ايمانا يهدر السنن الكونية ويتكفل عنا بأعباء الحياة كما قال بنـــو اسرائيل لموسى عليه السلام « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ؟ !!

ان مسلمى مدرسة النبوة حين خالفوا أمرا من الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى غزوة أحد حاقت بهم هزيمة مروعة .. أفنبغى ـــ نحن ـــ نصرا ملائكيا ـــ ان صح التعبير ـــ ونحن ننأى عن هدى الله ونتنكب صرطه المستقيم ؟ !!

ان الكعبة ـــ فى عهد الاسلام ـــ رميت بالمنجنيق وهدمت أكثر من مرة ولم ينزل الله تعالى على مرتكبى هذا الجرم « طيرا أبابيل » كما فعل بأبرهة الحبشة .. لماذا ؟ لأنه فى العهد الأول لم يكن للايمان جند فتكفل الله تعالى بحماية بيتـــه ليظل مثابة للناس وأمنا .. وحين فتح المسلمون مكة استودع الله سبحانه بيتـــه الحرام أيدى المسلمين ليبتليهم « وليمحص الله الذين آمنوا » ...

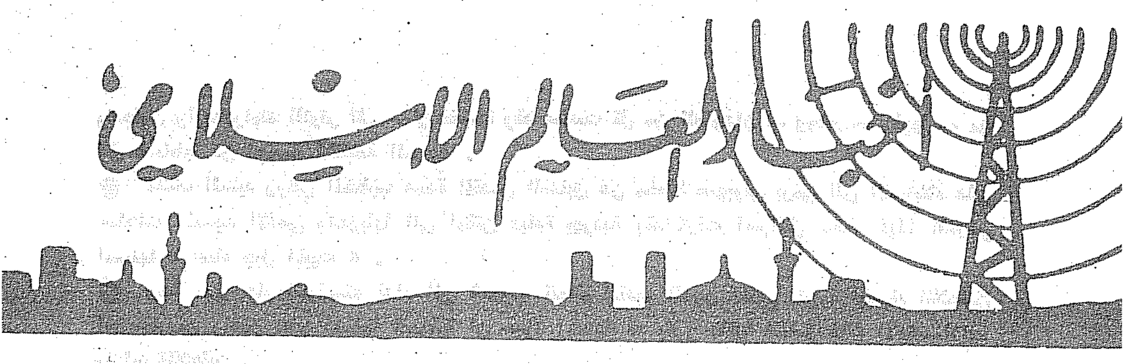
ثم ان الايمان ليس تقاعسا عن الحياة ونضالها انتظارا لخوارق العادات فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الذين يزعمون ذلك انما يريدون ان يسلبوا الانسان خصائصه النوعية ويهـــووا به الى مكان سحيق يلتقى فيه بالقـــردة والخنازير وهوام الارض ..

وان المسلمين يوم عرفوا طريقهم الى كتــــاب الله واستلهموه رشـــــدهم وصبروا وصابروا وأوذوا وقتلوا ـــ جاءهم نصر الله وقادهم الى أمة هى مـــن التاريخ غرته ، ومن الزمان ربيعه ، ووصلوا الى حضـــــارة الارض وسعـــادة السماء ..

وان دعاوى العلم والتقدم التكنولوجى كلمة حق أريد بها باطل ... فهل الايمان عاق المسلمين عن تقدمهم الحضارى أم أن تخليهم عنه هو سبب ترديهم الحيوانى ؟!

ان المسلمين يوم رغبوا عن دينهم تناهشتهم ذئـــاب الأرض ، وأضحـــت مصائرهم بيدى المستعمر الدخيل ...

واذا كان البحث العلمى قد صودر يوما ما بقانون كنسي.. فان التهمة لا يمكن بحال من الأحوال أن يتناقلها غر ليلصقها بالاسلام الذى أتاح للفكر مناخه الصحى بتلك الاشراقة الأولى للوحى الآلهى .. « اقرأ باسم ربك الـــذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .. » ..



اعداد : الاستاذ عبد المعطي بيومي

الكويت : رفع معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية تقريرا الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم عن مؤتمر علماء المسلمين السادس الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى .

● مثل الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين الذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية وسعادة وكيل الوزارة المساعد .

● وافق مجلس الامة على مشروع قانون الوصية الواجبة وأعلن المجلس استنكاره للمحاولات التى ترمى لضرب المقاومة الفلسطينية .

● قام وفد صومالى برئاسة وزير الخارجية بزيارة البلاد وقد أجرى مباحثات مع المسئولين استهدفت تدعيم التعاون الاسلامى .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بان الحرب الدائرة بين العرب والصهيونية جهاد فى سبيل الله . وقال ان الاسلام كل لا يتجزأ ، وان انحراف البعض لا يجيز للآخرين أن يتأخروا عن واجبهم .

● شكلت لجنتان فى وزارة التربية لمقابلة المتقدمين محليا لوظائف التدريس فى العام القادم .

القاهرة : عقد مؤتمر علماء المسلمين السادس فى القاهرة وقد ألقى الرئيس أنور السادات كلمة فى العلماء قال فيها : نحن مقبلون على أكثر المعارك شراسة فى تاريخ الأمة الاسلامية وسنخوضها مهما كانت ضراوتها ومهما كان الثمن وقال الرئيس السادات : على أرضنا كان الصمود دائما دفاعا عن الاسلام ومقدساته ..

● قرر المؤتمر العالمى للجمعيات والمنظمات الاسلامية الذى انعقد فى الشهر الماضى انشاء بنك اسلامى واتخذت الاجراءات لجمع أسهمه من الدول الاسلامية كما قرر تنشيط الفكر الاسلامى وانشاء اتحاد عالمى للشباب المسلم .

● قام وفد أزهرى برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر بجولة فى امارات الخليج العربى لتدعيم التعاون الاسلامى بين الازهر وامارات الخليج .

● سيفتتح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الازهر ٣ معاهد دينية فى محافظة الشرقية وستبدأ الدراسة بها أول العام القادم .

● وافق مجلس الامة بالاجماع على اصدار سندات الجهاد على الخزانة العامة لمدة عشر سنوات .

السعودية : قام السيد عمر السقاف باجراء مباحثات مع المسئولين فى القاهرة حول الاستعانة بعدد كبير من المعلمين فى مدارس وجامعات المملكة .

● تقوم رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بدعم جهود المراكز الاسلامية فى العالم بالمكتبات الثقافية والاسلامية .

● قدمت المملكة دفعة كبيرة من المعونة التعليمية لليمن وسيتم ارسال دفعات أخرى قريبا .

● قام وفد ثقافى سعودى حيث اتفق مع المسئولين عن التعليم فى المغرب على أمور تهم البلدين فى مجال التربية والتعليم .

الاردن : اشتعلت المعارك فى الشهر الماضى بين الجيش الاردنى والفدائيين خاصة فى جرش

وعجلون واربد وامتد التوتر الى عمان نفسها وقد سحبت كل من السودان – ومصر – وليبيا – من قبل ضباطها من لجنـــة المتابعة العربية .

● كشف السيد روحى الخطيب عمدة القدس السابق عن مخطط صهيونى يرمى الى الاستيلاء على ساحات المسجد الاقصى وتحويلها الى أماكن عبادة يهودية وقد كونت اسرائيل منظمة لهذا الغرض أسمتها « أمناء جبل المبيت » .

● وجه مدير عام اليونسكو نداء الى شعوب العالم لتقديم العون اللازم لتربية ابنـــاء اللاجئين الفلسطينيين واعلن مدير المنظمة المالية أن جهود المنظمة قد يكون مآلها الفشل لقلة الاعتمــادات وتزايد اللاجئين .

● قامت القوات الاسرائيلية بهدم مسجد فى منطقة الجليل وعشرة بيوت عربية واعتقلت أصحابها .

● قامت شرطة الامن فى عمان بحملة على الشباب الذين يقلدون « الهيبز » حيث كانت تقتــادهم لتقص شعورهم حفاظا على الاخلاق .

العـــراق : تبحث المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس استبدال الارقام العربية المستعملة حاليـــا فى العالم وفى دول المغرب العربى بدلا من الارقام الهندية المستعملة الآن فى المشرق العربى .

● بدأت محافظة السليمانية باستعمال اللغة الكردية الى جانب اللغة العربية فـــى المراسلات والمكاتبات الرسمية داخل المحافظة .

سوريا : وقعت اتفاقية بين سوريا وتركيا لحل مشكلة املاك كل منهما الموجودة فى البلد الآخر .

لبنـــان : قام رئيس الوزراء اللبنانى بجولة فى كل من دمشق وبغداد والسعودية لتوطيـــد العلاقات بين البلدان الثلاثة ولبنـــان .

الســـودان : أجرى وزير الارشاد القومى السودانى مباحثات مع المسئولين فى العربية المتحـــدة استهدفت تدعيم التعاون الثقافى الاسلامى بين البلدين وتم الاتفاق على تزويد السودان بالمصاحف المرتلة والمجودة والمكتبات الاسلامية .

ليبيـــا : يعد قريبا مشروع لانشاء مركز للبحوث والدعوة الاسلامية بمدينة طرابلس .

● عقدت ليبيا اتفاقات لتبادل اليد العاملة مع كل من العربية المتحدة وتونس .

تونـــس : تنظم اللجنة الثقافية للجهوية بسدسة مسابقتها السنوية الرابعة بين الشبان لحـــفظ القرآن الكريم بجوائز مالية للفائزين .

الجـــزائر : أسفرت حملة التضامن من أجل الشعب الفلسطينى التى نظمها حزب جبهـــة التحرير مع وزارة الاوقاف الجزائرية عن جمع مبلغ ٣١٥ الف جنيه استرلينى .

المغـــرب : سيقوم عدد من المهندسين الأوزبكيون بترميم منارة جامع الكتبية بالمغرب والذى يرجـــع تاريخه الى القرن الثانى عشر .

● تلبية لطلب المؤتمر التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى من المغرب قامت المغرب باهداء عـــدد ضخم من المصاحف بخط مغربى الى نيجيريا .

تركيـــا : أسس جماعة من الاساتذة الجامعيين وكبار الاسلاميين المتخصصين جمعية على مستوى علمى عال لبحث المسائل الاجتماعية والاقتصادية على ضوء الاسلام .

باكستان : اشتعلت الحرب الاهلية فى باكستان الشرقية لقمع الحركة الانفصالية التى دعا اليهـــا مجيب الرحمن لكن الامور سرعان ما هدأت وعادت الى طبيعتها فى باكستان .

الهنـــد : يقوم وفد من علماء الهند فى جامعة بنارس الاسلامية بجولة فى بعض الدول الاسلامية وامارات الخليج العربى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا، عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عــــدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكــــلا : مكتبـــة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

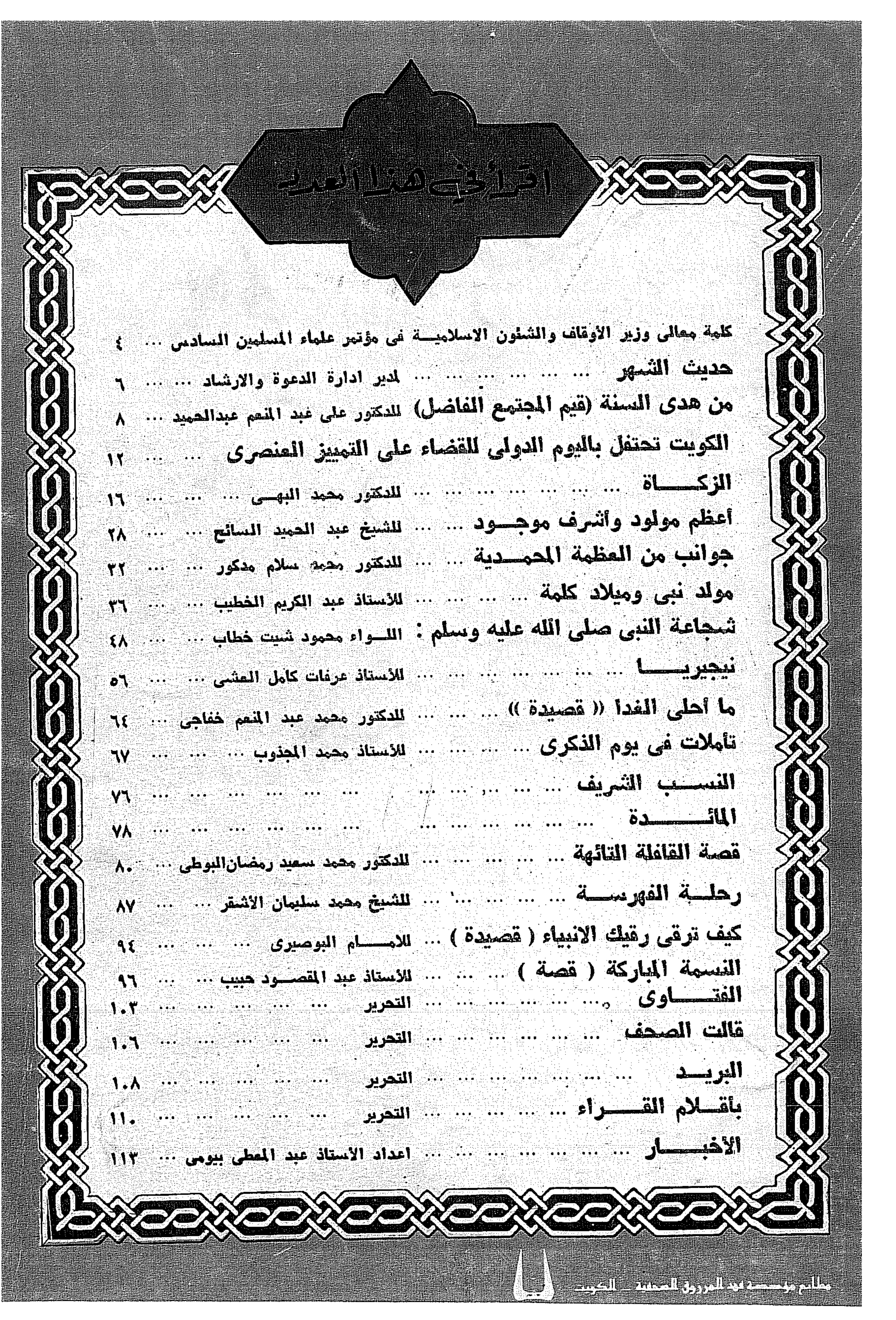
دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

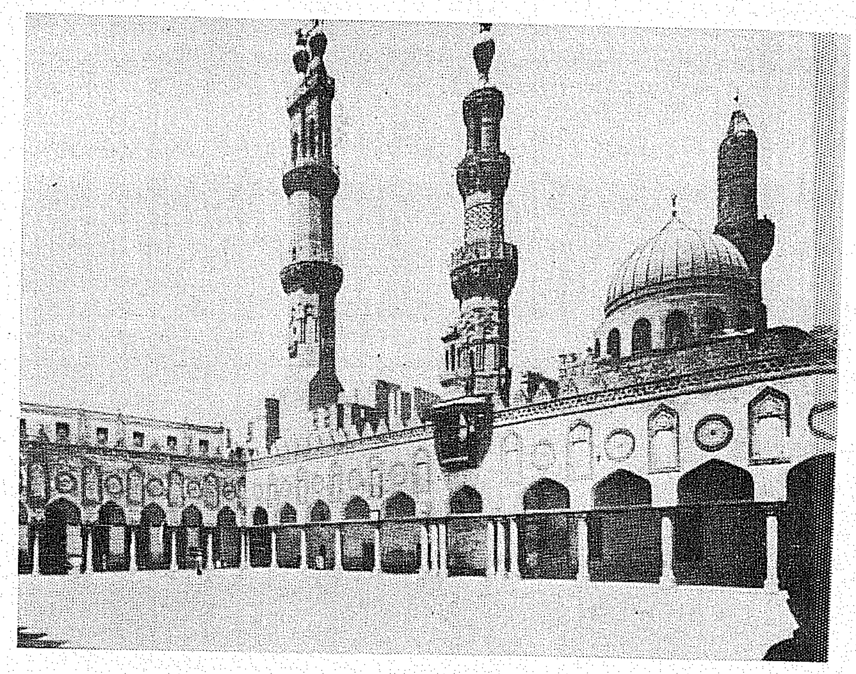


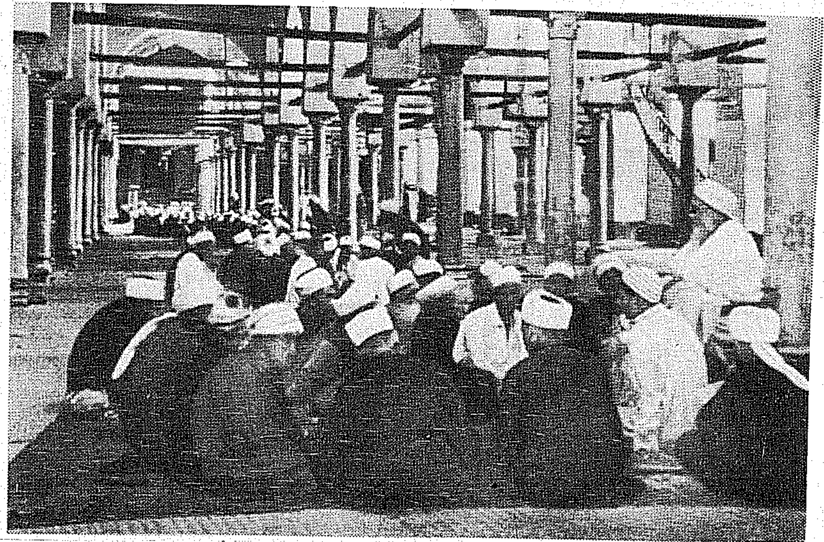
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت

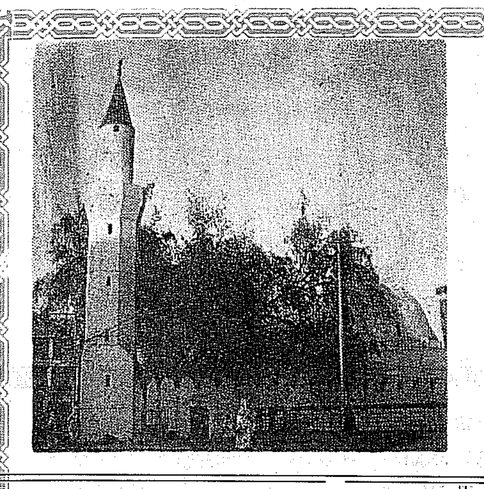


السنة السابعة ـ العدد ٧٦ ـ غرة ربيع الآخر ـ ١٣٩٠ هـ ـ ٢٥ مايو « ايار » ١٩٧١ م





١) الجامع الازهر من الداخل
٢) حلقات الدرس القديمة فى الازهر الشريف



أحد مساجد المدينة المنورة ، وينسب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو مع بساطة بنائه ترتفع منارته البيضاء مشرقة وضيئة ، وتلوح قبته من خلال الأغصان المورقة ..

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد السادس والسبعون

غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩١ هـ

٢٥ مايو « أيار » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

ذكرى المولد النبوي الشريف

رسول الخير والبر

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف فى مسجد السوق الكبير بعد صلاة العشاء يوم الخميس ١١ من ربيـع الأول ، وتولت الاذاعة والتليفزيون نقل وقائع الاحتفال وفى مستهل الحفل ألقى معالى الاستاذ الوزير الكلمـة التالية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كل أمـة تعتز بميلاد زعمائها الذين أشاعوا النور فى بلادهـا ، وكـل شعب يحتفى بذكرى أبطاله الذين انقذوه من وهدته ، وأقالوه من عثرته ، وكل ملة تحيى أيام الانبياء الذين جاءوا لسعادة البشر ، ومحو الشقاء ، والعـالم الاسلامى اليوم من أقصاه الى أقصاه يحتفل بخير أنبياء الله .

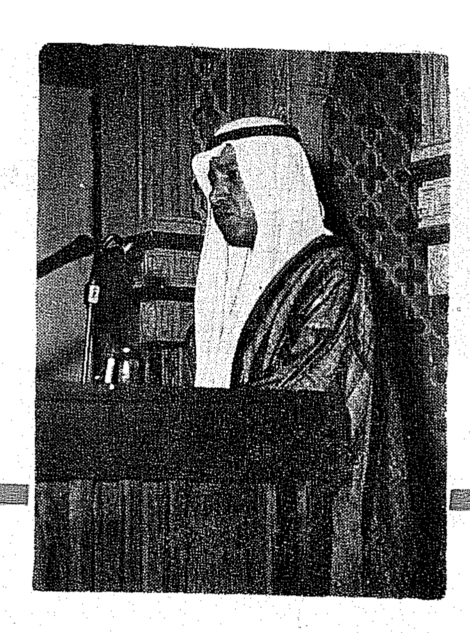
فى مثل هذا الشهر أشرقت الأرض بنور ربها ، وظهر قمـر الهـداية فيها . وفى مثل هذا الشهر اهتز الكون لميلاد محمد بن عبد الله ، واستبشرت آمنة بولدها ، وقرت عينا بثمرة فؤادها وفلذة كبدها ، وسمعت الهواتف والكون يردد يوم الميلاد (جـاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا) وهتفت البشائر وحدثت الكائنات أن قد ولد خير البريات .

ولد الهدى فالكائنات ضـياء — وفم الزمـان تبسـم وثناء
الروح والملأ الملائك حـوله — للدين والدنيا بـه بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهى — والمنتهـى والسدرة العصمـاء

أيها السادة : يحتفل كثير من الناس بيوم ميلادهم ، ويحتفى بهـم فى حياتهم ، ولكن سرعان ما ينساهم العالم بعد موتهم ، وتغيب أخبارهم بدفن أجسادهم . فلا يبقى لهم ذاكر ولا يحتفل بهم حافل . ذلك أن حقيقة الاحتفال وأحياء الذكرى انما هى احتفال بالأعمال الجليلة واحتفال بالمبادىء الساميـة والمثل العليا . احتفال بالبر والخير والتعاون والاحسان . احتفال بشعـور الانسان بأخيه الانسان ..

وصاحب هذه الذكرى صلى الله عليه وسلم يذكرنا فيقول : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ..

وفى هذه المناسبة الكريمة وهذه الذكرى العظيمة لا بد لى من أن أشيد



معالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أثناء القائه كلمته فى الحفل ..

باولئك الصالحين من الرجال والنساء المحسنين الذين لم ينسوا المجتمع من بعدهم فأوصوا بأثلاث أملاكهم ، وأوقفوا عقارات من فضول أموالهم ، تصرف فى وجوه البر والخير صدقة جارية يذكرون فيها كلما نال منها بائس أو فقير . وأحيي اولئك الذين عمروا ويعمرون مساجد الله ، والذين أنفقوا أموالهم سرا وعلانية ابتغاء مرضاة الله : اللهم عمر قلوبهم وأصلح ذريتهم وأدخلهم فى عبادك الصالحين انك سميع مجيب .

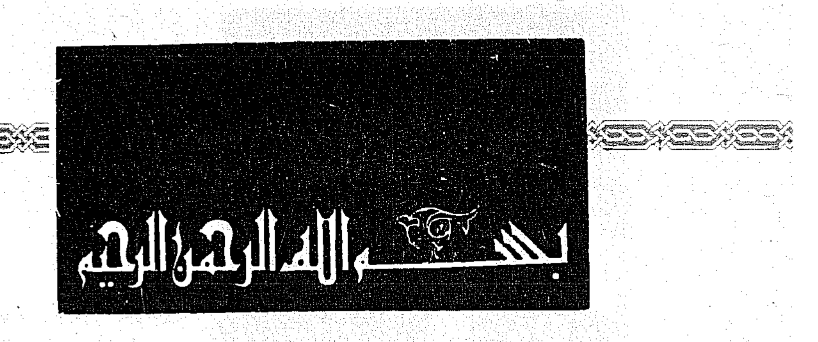
أيها السادة :

وما دمنا نذكر أهل الفضل بما قدموا لمجتمعهم وما خلفوه لغيرهم فاننا نذكر أصحاب رءوس الاموال بأن عليهم واجبا نحو ربهم ومواطنيهم وأخوانهم وأن يؤدوا ضريبة المال زكاة واجبة وصدقة ضرورية ، وان يسهموا بقسط من أموالهم الفائضة ويشاركوا فى تخفيف العبء على أموال الدولة العامة ويساعدوا الفقراء والمساكين ، فقد زادت متطلبات الناس الضرورية على دخولهم واحتاج الكثير منهم الى سلف عقارية واجتماعية وان هناك أناسا فى أمس الحاجة تحسبهم أغنياء من التعفف لا يسألون الناس الحافا ، وهناك الكثير الكثير من أوجه البر والخير فى الداخل والخارج ولا سيما البلاد الاسلامية التى غزاها الكفر والاستعمار والصهيونية تقف عاجزة عن بناء مساجدها ومدارسها ومراكز الثقافة فيها ازاء المعونات الاجنبية التى تصرف لصد الدعوة الاسلامية ..

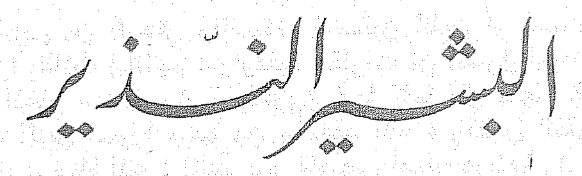
ان للمال وظيفة اجتماعية ونفعا عاما فى المجتمع يجب أن يتحقق فينتفع به صاحبه وينفع به فيكون عليه بركة وخيرا ..

واعلموا أيها الاخوة أن المال ظل زائل لا يبقى للانسان منه الا العمل الصالح والذكر الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم (يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) ..

وفى الختام لا يسعنى الا أن أتقدم الى حضرة صاحب السمو الامير المعظم وولى العهد والى الشعوب الاسلامية بالتحية والتهنئة بهذه المناسبة الكريمة ، أعادها الله علينا وعلى الناس بالخير والأمن والسلام ..







مع الذكريات النبوية المحمدية تهب على المسلمين نسمات روحيــة ندية تنعش نفوسـهم ، وتحيى قلوبهم ، وتجدد آمالهم فى حياة أرقى ، ومستوى أعلى يواكب الخيرية التى أهلوا لها والأفضلية التى توجوا بها ، والرسالة التى حملوا اعباءها والشهادة التى سبقت لهم فى علم الله القديم ، وتنزلت بها آيات الذكر الحكيم : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـر وتؤمنون بالله) ..**

وقد عاش المسلمون مع ذكرى المولد النبوى الشريف مرحلة توعية شاملة. انتظمتهم أفرادا وجماعات ، واستوعبتهم رجالا ونساء ، وملأت أسـماعهم وقلوبهم فيها وسائل الاعلام المتعددة ، فتفتحت أمامهم آفاق الأمل والرجـاء ، وتبددت من سمائهم سحائب اليأس والقنوط ، وأدركوا بما تعلموا من سـيرة صاحب الذكرى أن محنتهم عارضة ، وليست دائمة ، وان غـربتهم زائلة ، وليست لازمة ، وأن الله عز وجـل أبر بدينه وعباده مما يتشاءم المتشائمـون ، وان الاسلام سيخرج من هذه الفتنة القاسية ظاهرا منتصرا : **(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .**

ان الذين ينظرون الى الاسلام والمسلمين من خلال الغيوم المتراكمـة التى تمر بسمائهم ، ويحكمون على مستقبل الاسلام والمسلمين تحت تأثير هذه الرؤية ، فاتهم أن هذا الدين بمـا أودع الله فيه من عوامل البقاء والنماء ، وبما دبر له من — استمرار وجود طائفة من أهله قائمة على الحق مستمسكة به — لن يتقلص ظله ، ولن تنكس رايته وأنه سيبقى ما بقى الليل والنهار ، وسيبلغ ما بلغ الليل والنهار . روى الامام أحمد فى سنده عن تميم الدارى قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين . يعز عزيزا ، ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر .

ان الجهل بطبيعة هذا الدين جعل الأولياء يتخوفون عليه أشد التخوف ، وأغرى الأعداء بأن يطمعوا فيه أشد الطمع ، ولو كان هؤلاء وهؤلاء على علم بقوة هذه الدعوة ومسيرة هذه الرسالة لاطمأن المتخوفون ، واستيأس الطامعون .

لقد امتحن الاسلام وهو غض طرى عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشد أنواع الفتن ، وأقسى ضروب الابتلاء ، ولو عهد بالحكم على الاسلام والمسلمين فى هذه النكسة الى أكبر علماء الاجتماع وأكثرهم تفاؤلا — ما توقع لهذا الدين بقاء ولا امتدادا ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ، والنور أقوى من الظلام ، والحق أبقى من الباطل . ان الباطل كان زهوقا .

ويتحدث الأستاذ العقاد عن الفتن التى أدركت المسلمين بعد عصر النبوة فيقول : لقد كان النبى مناط الاستقرار فى الجزيرة العربية بعد نجاح دعوته ودخول العامة والخاصة فى دينه ، أو كان كما قال الشاعر :

فانك موضع القسطاس منها فتمنع جانبيها أن يميلا

واذا غاب مناط الاستقرار او موضع القسطاس ، فماذا يكون ؟ بل ماذا يمكن أن يكون ؟

يكون نقيض الاستقرار لا جرم .

أو يكون الميل هنا والميل هناك ، ولو كان كل العارض الذى طرأ قد عرض لأجسام من المادة لا تعرف الدين باختيار ، ولا تعرفه باضطرار ، فلما غاب مناط الاستقرار أول مرة حدث مالا بد أن يحدث ، وطرأ التقلقل الذى لا مناص منه فى كل بيئة ريثما يزول الأمر الطارىء ، وترجع الأمور الى نصابها .

فعرض لكل طائفة من الناس تقلقل يناسبها ، ويجرى فى مجراها .

تقلقل الأنصار وهم مسلمون حق مسلمين ، واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة يبتون بتهم فى مصير الخلافة ، لأنه مصير لا بد لهم من البت فيه .

وتقلقل المهاجرون من بايع منهم أبا بكر ومن لم يبايعوه ، ومنهم عترة النبى ، وأقربهم اليه وأعظمهم ايمانا بدينه والغيرة عليه .

وتقلقل فى مكة أناس قريبو عهد بالنفاق ، فهموا بالعصيان لولا نذير من ولى السلطان .

أما القبائل فيما وراء ذلك فكان لكل منها نصيب من التقلقل يناسب نصيبها من القرب والبعد والمودة والجفاء . فأقربهم الى عهد الاسلام كانوا يخلصون للنبى ، ويخرجون على من ولى الحكم بعده :

أطعنا رسول الله مذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبى بكر ؟

وأناس منهم آمنوا بالزكاة ولم يؤمنوا بمن يؤدونها اليه ، واحتجوا بآيات من القرآن حرفوها الى المعنى الذى أرادوه ، ومنها (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم**) قالوا : (**فلسنا ندفع زكاتنا الا الى من صلاته سكن لنا ، وأبوا أن يدفعوها وأن علموا آن دفعها فريضة من فرائض الدين ، فهم لم ينكروا الفريضة ، ولكنهم أنكروا الجباة**) .

وهكذا تجمعت الفتن وأحدق الخطر وامتحن الاسلام أشد امتحان ، وهو بعد قليل الاتباع لم يتجاوز حدود الجزيرة ، فلم تكن له حواضر فى الشرق والغرب ، ولا علوم مدونة ، ولا حضارة مشرقة مغربة ، ولا ثمانمائة مليون قلب يؤمن به ويدين الله عليه ، ومع هذا فلم يخالط قلب الخليفة الأول ولا القلة المؤمنة من حوله أدنى شك فى أن الاسلام سينتصر على الدين كله :
(ولا ريب أن يقين الصديق بنصرة الاسلام على الدين كله فى يوم من الأيام كان أقوى يقين سكن فى قلب انسان ، او سكن اليه قلب انسان ، فكل وعد من وعود القرآن كان عنده حقيقة عيان ، بل امكن من حقيقة العيان ، وكل كلمة سمعها من النبى بخبر من أخبار الغيب المجهول ، فهى عنده شاهد من شواهد الحاضر الملموس باليدين) .

ونحن المسلمين الذين جئنا من بعدهم لا يخالطنا شك فى أى وعد من وعود الله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ، (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) (**كتب الله لأغلبن انا ورسلى ان الله لقوى عزيز**) وكل خبر من أخبار الغد المغيب جاء على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه ونسلم نؤمن بوقوعه وتحققه : (**ان الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها**) (**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**) .

ان امام الاسلام آفاقا فسيحة سيفتحها ، وأجيالا ممتدة سيغزوها ، ولئن توقف زحف الاسلام حينا ، أو تقلص ظله قليلا فليس التوقف ، والتقلص الى جمود ، أو مزيد من التراجع والانحسار بل الى امتداد ووثوب .

ألسنا نؤمن بأن الاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده ، وان القرآن هو كلمة الله الأخيرة الى خلقه ، وانه لا رسول بعد محمد ، ولا كتاب بعد القرآن ، ولا دين بعد الاسلام ، وان النتيجة الحتمية لزوال الاسلام هى زوال الدنيا ، وأنه يوم يطوى كتاب الله من الأرض تطوى صحائف الليل والنهار ، فتنطفىء الشمس ، ويأفل القمر ، وتنطمس النجوم ، وتتشقق السماء وتسير الجبال ، وتسجر البحار ، وتنتهى الحياة على هذا الكوكب .

من العالم الذى أوتى علم الغيب ؟ من الكاهن المتنبىء الذى يحدس أو يتنبأ بأن ذلك الخراب والدمار قد آن أوانه وحان حينه ؟ (**ان الله عنده علم الساعة**) (**يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها**) .

ان بعض المسلمين اليوم هزتهم الأحداث التى أحاطت بهم هزا عنيفا وأثرت فيهم الانحرافات التى ظهرت فى مجتمعهم تأثيرا عميقا ، وتحولت هذه الاهتزازات وتلك التأثيرات الى موجة عارمة من الغضب على المسلمين .
والى يأس قاتل من استقامة أمورهم وصلاح أحوالهم ، أعان عليه وبالغ فيه الجقد الخبيث الخفى من جانب أعداء الله وأعداء المسلمين .. فالمسلمون فى ضلال ، والاسلام فى زوال ، والغضب الالهى نازل ، وما يقام من صلاة نفاق ، وما يؤدى من زكاة من ورياء ، وما يكون من حج تجارة ومن صوم جلادة ، وليس شىء من هذه العبادات خالصا لوجه الله ، والفضيلة مفقودة، والغيرة على محارم الله موعودة ، والطريق المؤدى الى الله مقفرة من السالكين ، وسبل الشيطان مزدحمة بالراغبين ، ولا شىء مما يرضى الله موجود ، ولا شىء مما يرضى الشيطان مفقود ، والناس سائرون الى الهاوية ، وأبواب جهنم فتحت للوافدين ، وأبواب الجنة غلقت لعدم العاملين ، وليس فى قاموس التأنيب والتوبيخ والانذار والوعيد لفظ غاب عن ألسنة المنذرين المتوعدين .

وما أظن أن أسلوبا كهذا الأسلوب يقوم على الزجر والتنديد ، والترهيب والوعيد يصلح لهداية ضال ، أو تقويم منحرف أو اصلاح خطأ ، وما أظن أن العصا أو السوط ينفع فى غزو القلوب والتأثير فى النفوس والتمكين للعقيدة .

انه كما لا يوجد خير محض ولا شر محض كذلك لا يوجد فرد متجرد للشر ، وفرد لا يفعل الا الخير ، وكذلك شأن الأمم والجماعات . فيها الحسن وفيها القبيح ، فيها الفضيلة وفيها الرذيلة ، والدعوة الى التخلص من الرذائل لا تستلزم أهمال الاشادة بالفضائل ، ولهذا كانت الأمم فى نهضتها فى حاجة الى صوتين يرتفعان صوت التنديد بالمساوىء والحث على التخلص منها ، وصوت الاشادة بالفضائل والترغيب فى الاستكثار منها ، صوت التبشير وصوت الانذار .

ولهذا كان من أهم صفات المرسلين وهم قمة المصلحين أنهم كانوا مبشرين ومنذرين ، وصاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام لم يبعثه الله جبارا ، ولا متسلطا ، ولا فظا ولا غليظا ، وانما بعثه رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويأمر بالمعروف بالمعروف ، وينهى عن المنكر بالمعروف ، ويبشر المحسنين بالثواب ، وينذر المسيئين بالعقاب **(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين) .**

مدير ادارة الدعوة

صفوان النبلى



السبع الموبقات

للدكتور : علي عبدالمنعم عبدالحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .

« متفق عليه »

منذ عدة قرون لاح ضوء الدعوة ، وأخذ يرسل خيوطه النيرة ، توقظ سكان (بكة) ليأخذوا أهبتهم لعمل جاء يتعدى حاجات البطن ، وارضاء ما يقاربها من شهوات ، وما يقوى غرائز حيوانية أصيلة ، تنمو فتهلك حين تثور ، ولا ترضى العقل حتى حين تهدأ ، تحكم أشباحا تغدو وتروح سحابة صيف ثم تمضى دون أثر يدل عليها ، أو يشير الى وجودها ، وشاء الله أن يجتمع المتفرقون ، وأن يلتقوا فى ظل عقيدة تقيهم حمارة الشقاق ، وصبارة النفار ، وتملأ ما بين جوانحهم تراحما ، وتعاطفا فيما بينهم وشدة وعزة على أعدائهم ، وما أعداؤهم الا جاهل بما تشتمل عليه حقائق الدعوة من سلم وأمن ورفعة ، وحرية وقوة وسيادة ، ومعرفة الهية انسانية حافلة بالعلم والدراية ، ومن عادى تلك الفضائل فهو عدو نفسه التى بين جنبيه يريدها أن تقيم على ضعة وضعف ، وجهل وبهيمية شنعاء ، جاهر المصطفى بما أمر أن يبلغه لعشيرته الأقربين ثم الأبعدين ثم الناس كافة ، وزال الكابوس عن الديار التى بوركت وفتحت عيونها على مثل انسانية تسنمت غارب المسئوليات الجسام فى

حرب وسلم ، وجال البدوى فى الجزيرة وصال وفى يمينه هدى الله متمثلا فى قرآنه ، ونور ايمانه يسعى بين يديه ، وتعددت الشعلات وأرز (١) الى ساحتها حداة الابل ، ومن تسامع الى حدائهم ، وكانت دولة لها الأصول والأسس التى تضمن سيادتها وتحفظ بقاءها ، وتعددت تلك المبادىء والقواعد ، لتشمل كل جانب من جوانب الحياة تقوم المعوج ، وتشجع المستقيم وتنشر الحب والخير ، وتولى المصطفى التعليم بنفسه والشرح والايضاح والتطبيق لا ينازعه فى ذلك منازع ، فهو مبلغ ، وهو قدوة فى العمل ولأتباعه أسوة حسنة فيه لأنهم يرجون الله واليوم الآخر ، وكان صلى الله عليه وسلم يقتلع جذور المفسدات قبل أن تنمو ، بل يدل على بذورها لتباد قبل أن تنبت ، فيظل لجو الجماعة صفاؤه ونقاوته من أغيار نشاز وبعده عن أنفاس حقد محرقة ، ولما كان لا ينطق عن هوى ، وانما يصدر ويورد عن وحى يوحى ، كان العليم بالسر وأخفى ، والبارىء للجسد والروح يوحى اليه عليه الصلاة والسلام الخطط التى لا تحتاج اذا طبقت واقعيا الى برهان على نجاحها وكفاءتها وكفايتها لانشاء مجتمع متكافل واع متماسك من كل طرف ، ونظرة فى الحديث الشريف موضوع البحث ترى المتأمل الواعى مدى ضرر المهلكات التى أشار اليها لو بقيت ، ومقدار النضوج العقلى والفكرى الذى يقوم برهانا عليه حال مجتمع خلافها ، ويكشف النقاب عن شرورها ، وبالتالى بيان الأثر الطيب على اختفائها نعرض لها واحدة تلو الأخرى .

١) **الشرك بالله :** وهو رأس الموبقات وأول المهلكات ، فهو الظلم العظيم الذى نهى عنه لقمان ابنه فيما حكاه القرآن الكريم حيث قال : (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وهو كفر لا يغتفر ، فالمشرك لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والتوحيد هو أول ما طالب به الله عباده على لسان جميع أنبيائه ورسله يقول صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله الا الله) وقد حطم رسول الله الأصنام يوم فتح مكة وكان هذا آخر العهد بها فى جزيرة العرب ، ومن خلا قلبه من الشرك فقد استحق رضوان الله ، والدخول فى رحمته ، ولو عصى بعد ذلك فلكل معصية توبة ، ومآل الموحدين جميعا الجنة كما نص عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وهو متفق عليه : عن أبى ذر قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : (ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة) قلت : وأن زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر) وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رغم أنف أبى ذر .

---

(١) فى الحديث الشريف « أن الاسلام (ليارز) الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها أى ينضم ويتجمع بعضه الى بعض فيها » .

٢ ـ **السحر** : وهو لغة : كل ما لطف مأخذه وخفى سببه ، وسحره أى خدعه ، وجاء فى كلام العرب عين ساحرة وعيون سواحر وفى الحديث الشريف (أن من البيان لسحرا) وهو اما حيلة وشعوذة ، واما صناعة وعلم خفى ، يعرفه **بعض الناس** ويجهله الكثيرون ، ومن **هنا يسمون العمل به سحرا لخفاء** سببه ،وقد ورد ذكر السحر فى القرآن كثيرا وخاصة فى قصص **موسى وفرعون** ، ووصفه القرآن بأنه خداع وتخييل للأعين حتى ترى ما ليس بكائن كائنا قال تعالى : (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وقال جل شأنه (فسحروا أعين الناس واسترهبوهم) وفى آية سورة البقرة نص صريح على أن السحر كان يعلم ويلقن قال تعالى : (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) ومهما يكن من أمر السحر فهو حرام لأنه تدجيل وتخييل وقد يكون تأثيره من باب الايحاء والتأثير فى الحواس والأفكار بأقوال وأفعال تبلبل العقل ولا ترتكز على حقيقة ثابتة ، وفى القيام به ضياع للوقت وافساد للعلاقات بين الناس ، والاسلام عد السحر كفرا فقال تعالى فى آية سورة البقرة (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) روى أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس قال : فاذا أتاهما الآتى يريد تعلم السحر نهياه أشد النهى وقالا له : انما نحن فتنة فلا تكفر وذلك لانهما علما أن السحر من الكفر ، وقال ابن جريج : لا يجترىء على السحر الا كافر ، وروى الحافظ أبو بكر البزار قال : (من آتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) واسناده صحيح ، والنهى عن السحر دعوة الى الجد والعمل النافع والاشتغال بما يفيد وترك كل ما يضر المجتمع وما يؤذى العباد ، وما يسبب الشقاق والفرقة بينهم ويؤرث نار العداوة بينهم من الوسوسة والشعوذة والخنس (قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس) فقد أمرنا الله أن نلجأ اليه أن ينجينا من شرور شياطين الانس والجن الموسوسين المختفين الذين يلقون الينا بشرورهم وايحاءاتهم المشككة المفسدة ، وما السحر الا نوع من الوسوسة المهلكة ، فليتجه المسلمون الى ما يجدى وينهض بهم وليبتعدوا عن الترهات والخيالات الضارة ، ولتقم العلاقات والصلات بينهم على أسس خيرة واضحة بعيدة عن الالتواء والخرافة .

٣) **وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق** : معلوم من أصول الشريعة السمحاء أن دم المسلم لا تحل أراقته الا بواحد من ثلاثة أمور : كفر بعد ايمان ، وزنى بعد أحصان ، وقتل نفس بغير حق ، **والآية الكريمة من سورة النساء رقم** (٩٣) توعد القاتل المتعمد بغضب الله ولعنته ، والعذاب الطويل فى نار جهنم قال تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وأخرج أحمد والنسائى عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل ذنب عسى الله أن يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا) وأخرج البهيقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من أعان** على دم أمرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة

الله تعالى) وروى عن البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله من قتل مؤمن ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار) ولهذا كله كان الاقدام على قتل النفس التى حرم الله بغير حق جرما شنيعا وعملا مغضبا لله ولرسوله ولكان الخلود فى النار ، ومجتمع لا يأمن فيه الانسان على نفسه لا يستقر أمره ولا تقوم له قائمة ولا يمكن أن يكون مجتمعا فاضلا بحال ، فأول أركان المجتمعات الفاضلة أمن الناس على أرواحهم وأموالهم ووجود الحرية الكاملة فى القول والعمل فى حدود الشريعة وتعاليمها .

٤ ــ **وأكل الربا** : والربا مما أجمعت الأديان السماوية على تحريمه ، ودواعى تحريمه كثيرة فهو عائق عن الاشتغال بما ينفع الناس ، فرب المال اذا يمكن بالربا من أنماء ماله تسهل لديه أسباب العيش فيألف الكسل والبطالة ،وتزيد شراهته فى الاستيلاء على أموال الناس بغير حق فلا يرحم فقيرا ولا يشفق على بائس ، والربا يؤدى الى انتشار العداوة والمشاحنات والخصومات بين الناس وينمى المشاكل الاجتماعية ، والطريق الشرعى المستقيم للتعامل بين الناس هو ما يؤدى الى استفادة كل منهم من الآخر فى نظير عوض ، لكن الربا أخذ مال بلا عوض وهو نوع من الظلم الذى حرمه الله إذ هو استيلاء على المال بغير طريق مشروع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (حرمة مال الانسان كحرمة دمه) وزد على ذلك أن عاقبة الربا الخراب والدمار ، روى أحمد وابن ماجة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلمقال: (ان الربا وان كثر فعاقبته قل) (بضم القاف وتشديد اللام) وقال تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وقال عز شأنه (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقد تناول القرآن الكريم حديث الربا فى أربعة مواضع ، جاء فى المرحلة الرابعة منها التحريم الحاسم لكل ما يزيد على رأس المال الدائن، وقال ابن عباس رضى الله عنهما أن الطور الرابع من النص القرآنى على تحريم الربا كان ختاما لكل تشريع قرآنى وتحقق ذلك فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) الآيات ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من سورة البقرة (٢) فأولى بالمسلمين ان يبحثوا عن مصادر تنمية أموالهم تحت ظلال تعاليم الشريعة الشريفة ، ليكون اقتصادهم متميزا بطابعه الخاص الذى لا التواء فيه ، ولا بغى ، ولا استغلال بغير حق ، وهم واجدون للطريقة المثلى لو أرادوا ، ولكن انسياقهم وراء التقليد دون وعى ، وتقصير المليئين منهم فى تطبيق الاحكام الشرعية هو سبب كل انحراف عن الجادة المستقيمة وهو الذى أوقعهم فى براثن المرابين منهم ومن أمم أخرى تستغل أموالهم فيما ينفعها وهم يرضون بالقليل ويقفون متفرجين يتثاءبون كسلا ويعوون ضعفا ..

---

(٢) من أفضل ما قرأت فى هذا الموضوع ما جاء فى محاضرة القاها المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى مؤتمر القانون الاسلامى فى شهر يوليو سنة ١٩٥١ رحمه الله رحمة واسعة

٥ ــ **وأكل مال اليتيم** : قد أوضحت الآيتان الثانية والسادسة من سورة النساء الموقف السليم من أموال اليتامى قال تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا) وقال عز وجل (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) .

وروى أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس لى مال وانى ولى يتيم فقال : (كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالا ومن غير أن تقى مالك بماله) والواجب شرعا أن يرعى الوصى مال اليتيم ولا يبيح لنفسه شيئا منه الا عند الضرورة القصوى ، فالاجماع على أن مال اليتيم ليس مالا للوصى فليس له أن يأكل منه شيئا الا بحق شرعى وضحته الآية الكريمة ، وفى ذلك ابقاء على صلات المودة بين الناس ، وكما تدين تدان قال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) الآية ٩ من سورة النساء .

٦ ــ **والتولى يوم الزحف** : قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الأنفال ، وقال الامام الشافعى رضى الله عنه فى شرح هذا النص القرآنى الكريم : إذا غزا المسلمون حرم عليهم أن يولوا الأدبار الا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة ، والمؤمن أولى بالصبر فى القتال ، فالصبر من أكبر عوامل النصر والمفروض أن المؤمن أقل حرصا على متاع الدنيا وأعظم رجاء فى ثواب الآخرة يقول العزيز العليم (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) الآية ١٠٤ من سورة النساء ، وحرم الله التولى يوم الزحف لأن فيه اضعافا لصفوف المسلمين ، وتثبيطا لعزائم المقاتلين ، وبالتالى صد عن سبيل الله ، وتقوية للعدو ، وتشجيع له على الغلبة والسيطرة على بلاد المسلمين وكفى بذلك اثما مبينا .

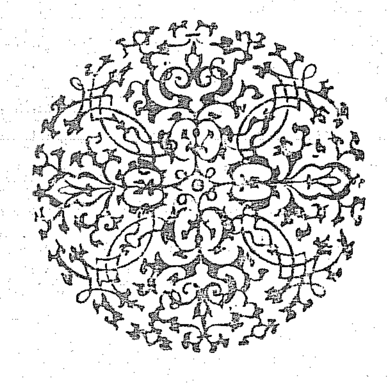
٧ ــ **وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** : نهى القرآن الكريم عن رمى المحصنات بالزنى وشدد فى عقوبته فى الدنيا والآخرة ، فجعل عقوبته فى الدنيا الجلد بفتح الجيم المنقوطة من تحت وسكون اللام) وألا نقبل ممن أقدم على ذلك شهادة أبدا ، وجعله ساقط الاعتبار فى نظر المجتمع لا تسمع له كلمة ، وأما عقوبته فى الآخرة فهى العذاب الأليم قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) الآية ٤ من سورة النور فسماه القرآن الكريم فاسقا

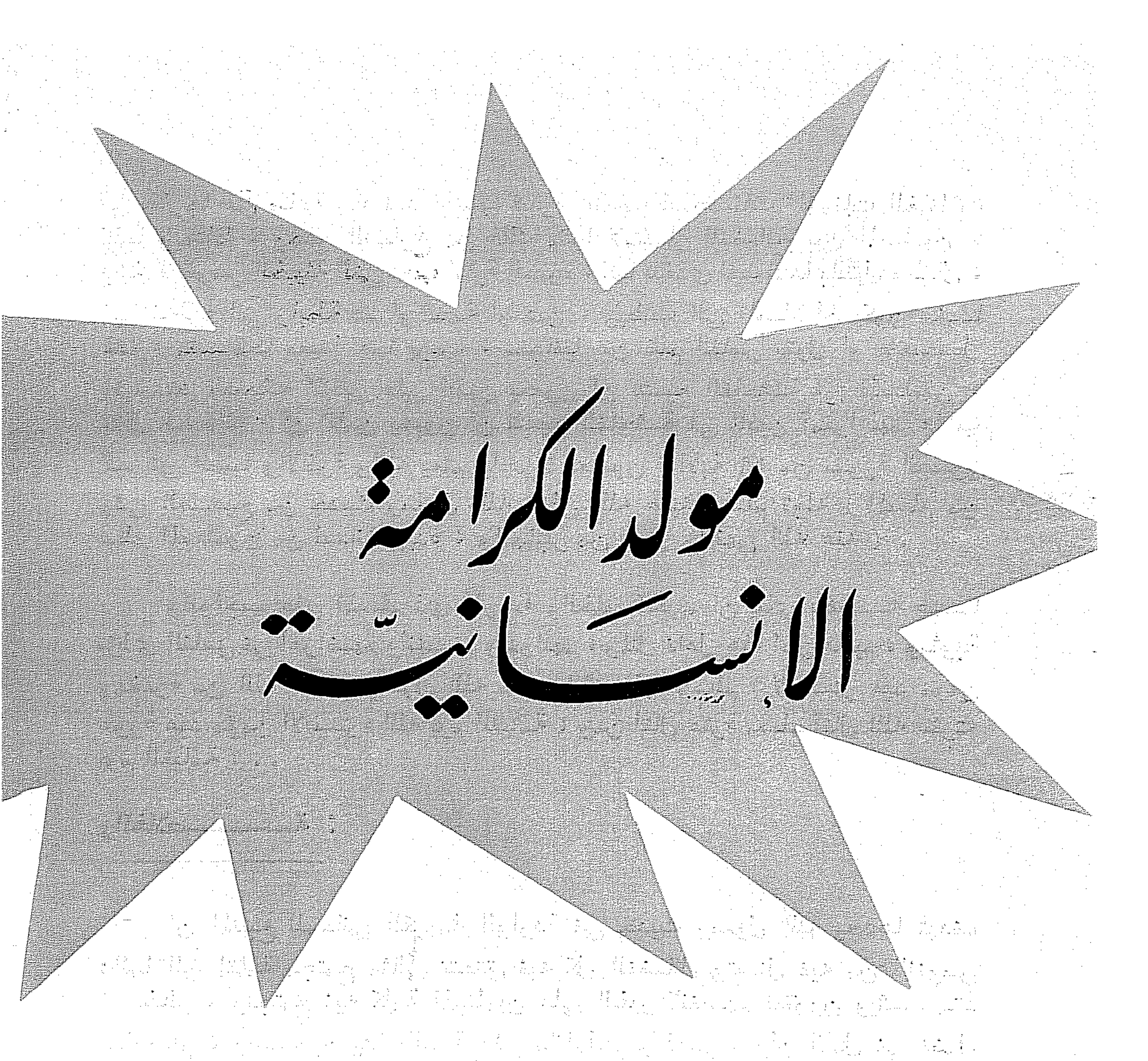
أى خارجا عن طاعة ربه فقد ارتكب كبيرة باتهامه للمحصنات المؤمنات الغافلات كذبا وبهتانا ، وحذر الشارع من ذلك منعا لانتشار الفضائح بين المسلمين ، وقتلا للنفوس الخبيثة التى تحب اثارة السوء ، كما تتغذى لفسادها بالقيل والقال ، غير ناظرة الى رابطة دم أو لحمة أو دين ، ويطلب الى المسلم أن يكون عفا غفارا متسامحا بعيدا عما يريب ، متجافيا عن ظلم الناس بقول أو بفعل وشدد سبحانه النكير على الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المسلمين ، فقال سبحانه (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) الآية ١٩ من سورة النور وفى الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

والواجب على المسلم ذى المروءة والخلق الكريم أن ينأى بنفسه عما يؤذى الناس فى أعراضهم وأنفسهم وأموالهم ، ولمثل فاعل هذا أجر عظيم ، ومثوبة ومغفرة من الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يستر عبد مؤمن عورة عبد مؤمن الا ستره الله يوم القيامة ، ومن أقال عثرة مسلم أقال الله عثرته يوم القيامة) ..

والخلاصة :

ان المتتبع للمعانى الكريمة الواردة فى حديث رسول الله يجدها تهدف دائما الى اقامة مجتمع مثالى تتحقق فيه كل الفضائل وتستل فيه من النفوس السخائم ، وتجتمع فيه كلمة المسلمين على الخير لأنفسهم فيقوون ويشتد ساعدهم ، ويصبحون يدا واحدة على ماناوأهم وآذاهم ، وأن الأمل فى فضل الله ورحمته لا تنقطع ، فلعل الله أن يهدى الضال ويرشد الحائر ويعين المسلمين على أنفسهم ليتخلصوا مما هم فيه من عبودية لها ، حتى يمضوا قدما للنضال الشريف فى ميدان الحياة ويدركوا مكانهم الاسمى الذى يريده الله لهم فيقودوا الدنيا الى الرشاد لكن بعد أن يطبقوا أحكام الله فيما بينهم وأن يكون فى سلوكهم حقائق اسلامية تتحرك على الارض وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .





لن يجد من يريد الكتابة فى ذكرى مولد رسول الله عنوانا ألصــق بروح الحق ، ولا أليق بمنطق القرآن الكريم من هذا العنوان فيعتبر مولده صلى الله عليه وسلم مولدا لكرامة الانسان . ولن يسلم بهذا المعنى تسليما يقوم على حجة نيرة ، ويستند الى برهان ساطع الا من يدير فكره متأملا الناس فى الفترة التى كان فيها ميلاده الشريف . وسوف يراهم أصناما عاكفة على أصنام ، فالناس آنئذ بين صنم هائم فى صنم ، وبشر مستعبد لبشر ، سواء فى ذلك الناس فى الشرق والغرب ، لا نستثنى منهم أحدا الا أن يكون هذا الاستثناء قائما على الاستغراق الكامل فى الوثنية والاعراض الكامل عن الله رب العالمين أو أن يكون قائما على نوع من التأول يجعل الاستغراق الوثنى غير تام ، والاعراض عن الله رب العالمين غير كامل ، فهذه الصورة من الوثنية غير المستغرقة ، انما كانت للشعب العربى ، على مــا يقول الله تعالى : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » فهؤلاء الذين مستهــم طيوف من أوهام الوثنية كانوا يتقربون الى الله بعبادة التماثيل والأوثان والأصنام التى نحتوها أو صنعوها تكريما لأبطال يحمون الذمار أو وفاء لذكريات طيبـــات موصولة بمن آثروا غيرهم على أنفسهم طلبا لحسن الاحدوثة فأطعموا الجياع وأغاثوا الملهوفين ، وأمنوا الخائفين .

للشيخ أحمد حسن الباقوري

فى هذا الجو المفعم بالمذلة فى كل مكان ، ولد محمد رسول الله شرفا للعرب ورحمة للعالمين وقد استشرفت الانسانية الى الحرية ومضت تنشد الكرامة التى كرمها بها رب العالمين ، وقد سخر سبحانه للانسان ما فى السموات وما فى الأرض ، وسخره هو فى عبودية رب السموات والأرض وهى العبودية التى ينتهى اليها أقصى ما تبلغه حرية الأحرار .

ومن أعز مواطن هذه الكرامة أن كانت الآية التى أيد الله بها محمدا فى دعوته الى هداية الناس بعد أربعين عاما من مولده هى كتاب الله العزيز مصدقا لما بين يديه هاديا الى الحق والى طريق مستقيم ، ومخاطبا فى الناس عقولهم بعد أن أدركوا تمام الرشد ، وبلغوا غاية النضوج ، وصاروا قادرين على الموازنة والمقارنة والاستنتاج بما أيقظ القرآن عقولهم من الغفوة التى طال عليها الأمد ، وبما ساقهم فى غير هوادة الى تدبر القرآن ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

ومع هذا التنبيه الى وجوب العمل بما يقتضيه العقل فى هذه الآية وفى أمثالها من كتاب الله ، نرى كثيرا من المسلمين فى مقام الاحتفال بالذكريات العظيمة الموصولة بحياته صلى الله عليه فى ميلاده وغزواته يتركون العقل والاحتكام اليه جانحين الى الخيال والتحليق فى أجوائه ، فتراهم يتركون فى الاحتفال بمولده المعانى الكبار الموصولة بخلقه ، أو خلقه ، أو رسالته ، ويلوذون فى تكريمه بما لا يسيغه منطق ولا يقوم عليه دليل ، من قولهم ان شرفات القصور قد انهدمت ، وان نار المجوس قد خمدت وأن البحيرات المقدسة قد غاضت ، وأن الوحوش فى البرارى مضى بعضها الى بعض مهنئا ، وأن الاسماك فى البحار سبح بعضها الى بعض مبشرا بميلاد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ونحن حين ننكر هذا الكلام وأمثاله مما يستند الى الخيالات المريضة فاننا لا نفعل ذلك الا ايثارا للمضى مع الدعوة المحمدية التى أنكرت الجهالات ، وسفهت الجرى وراء الخيالات ، ماضية الى الحق ترفع بنيانه وتشد أركانه لأن فى الحق وحده عزة الحياة وطمأنينة القلب وكرامة الانسان ، والا فانه عليه السلام بدعوته الى الاسلام قد صنع ما هو أكبر وأعظم وأبقى على وجه الزمن من سقوط شرفة فى قصر ، أو خمود جذوة من نار أو غيض ماء فى بحيرة أو بحر ، لأن تحرير الانسان من عبوديته لحجر ينحته أو لبشر يعبده ، ودعوته جميع الناس أن يكونوا سواء فى الحقوق والواجبات ، لا ينبغى أن يقل فى موازين طلاب الاصلاح ورواد الحق عن كل ما ألصقته الجهات أو الخيالات بميلاده الشريف .

اننا حين نحتفل مع مجلة الوعى الاسلامى بذكرى مولده الشريف ، انما نخضع لما جرى به العرف فى العصور الحديثة من اقامة احفال يذكر فيها بالخير والثناء قادة أبطال ورواد مصلحون عرفهم التاريخ ، وأسبغ عليهم من تقديره وتكريمه ما جعلهم موطن اعزاز ومتلفت أعناق .

ولو قد كان لنا أن نتحرر من هذا العرف المستحدث ، لكان لنا أن نقول : ان النبى غنى عن كل احتفال به ، وكل ثناء عليه ، بما ضمن الله تعالى له من علو القدر وشرف الذكر ، وبما أسبغ عليه من التعظيم والتشريف كتاب الله العظيم .

ومصداق ذلك قول الله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذى أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك » .

فقد امتن الله عليه فى هذه الآيات :

أولا : قد أفسح له صدره حتى اتسع لهموم النبوة ، غير ضائق بكيد الكائدين ولا جحود الجاحدين .. ومن يؤت سعة الصدر وطيب النفس ، على ترادف الهموم وتذاؤب الاحداث فقد أوتى خيرا كثيرا ... وهذا المعنى لشرح الصدر يظاهره قول الله فى آية أخرى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » .

وثانيا : أنه وضع عنه الوزر الثقيل ، يعنى طهر نفسه من الغم الذى يجده لشدة أعراض المعاندين عنه ، مع شدة حرصه على أن يستجيبوا لدعوته ، منقادين للحق الذى يدعوهم اليه والخير الذى يعدهم به .. وكذلك كان شأنه عليه السلام ، كان لشدة حرصه على ايمان الناس بدعوته ، يرى نفسه كأنه مسئول عن هدايتهم ، أو قادر على تحصيل الايمان لهم ، وكان ذلك يقع به على أسى بالغ وألم شديد ، على ما تقرره الآية الكريمة « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » . كذلك كان شأنه عليه السلام ، وكذلك يقول الله له « ان أنت الا نذير » ويقول له « ليس لك من الأمر شىء » ويقول له « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » .

وثالثا : أنه سبحانه قد رفع له ذكره . وأى رفع لذكره أرفع من أن يكون الله جل جلاله معاهدا من يعاهده على ما تقرره الآية « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله » . ثم أى رفع لذكره أرفع من أن يقرن الله تعالى طاعته الى طاعته فيقول سبحانه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وأى رفع لذكره أرفع من أن يقسم الله تعالى بمدة عمره فيقول : « لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمون » ، وأن يقسم بالزمن الذى كان يعيش فيه عليه السلام فيقول : «والعصر .

ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وأن يقسم بالمكان الذى يحل فيه فيقول : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » ، وأن يقسم للجاحدين على أنه صلوات الله عليه صادق رشيد لا تستميله الأهواء ولا تضله الشهوات فيقول : « والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى » . . ثم يقسم له هو على أن عناية الله لم تتخل ولن تتخلى عنه فيقول : « والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم يقول الله له بعد ذلك كن حريصا على هذا الذكر الكريم ، وهذا الشرف العظيم فيقول : « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم . وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

ذلك بعض ما فى كتاب الله مما يعلو به قدره الشريف ويرتفع به ذكره ، فاذا أحب المسلم أن يلتمس علو قدره ورفعة ذكره صلى الله عليه وسلم فى مجال التطبيق ، فانه يرى حقيقة الاسلام خفية حتى تعلنها كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ، ثم يرى المؤذن للصلاة لا يصح له أذان حتى يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله . وكل مسلم فى كل شؤون حياته لا يكاد يتناول عملا من أعمال نهاره وليله الا ولرسول الله فيه قضاء ، وله فيه ارشاد . فهو صلوات الله وسلامه عليه فى الأحلام رؤيا سعيدة ، وفى القلوب خاطرة حميدة ، وعلى الألسن حديث جليل .

وغير المسلمين فى كل أقطار الأرض يبذلون غاية وسعهم فى تقصى سيرته ودراسة أحواله ، ثم يضعونه فى موازين النبوة أنجح نبى ، وفى موازين الاصلاح الاجتماعى أعظم مصلح .

ذلك قليل من كثير تشير اليه آية الانشراح من رفع الله ذكره وتعظيمه قدره . . فأين نحن من ذلك أو من بعض ذلك !! أين قول مصنوع يخبط به لسان عاجز ، من ذكر لا يبلى ومجد خالد لا يزول .

ولعله من أجل هذه المعانى لم يؤثر عن أسلافنا أنهم أقاموا أحفالا لمولده أو هجرته أو غزواته ، لأنهم نظروا اليه كما ينظر اليه كل فاقه بصير ، على أنه فوق كل احتفال ، وأجل من كل تكريم .

غير أننا حين نحتفل به أو بشأن من شئونه عليه السلام ، لا يقع فى أوهامنا أننا نشرفه بحديث عنه ، وانما نعتقد أننا نشرف بكل حديث نصف به حالا من أحواله أو شأنا من شئونه ، وثواب الله بعد ذلك للمؤمنين الصادقين .

والقادة المصلحون حيال الاحتفال بهم واحياء ذكراهم أحد رجلين : رجل خرج الى الدنيا ثم خرج عنها وقد عمل عملا صلحت به دنيا قومه . فهو مقدور مذكور ما دام الشعور به قائما والحاجة اليه بينة . فاذا زال ذلك عنه عاد ذكرى باهتة وحديثا مملولا . وأصبح على ما يقول أمير الشعراء :

لدى منزل كبيوت الكراء مرارا خلا ومرارا عمر
يزار كثيرا فدون الكثير فغبا فينسى كأن لهم يزر

ورجل خرج الى الدنيا ثم خرج عنها ، وقد وضع للحياة الانسانية نماذج خيرة ومقاييس عادلة ، فهو باق بقاء الحياة الانسانية نفسها ، ومهما جد فى اللحاق بالرفيق الأعلى فلا يبعد بالموت الا جسمه ، ولا يغيب عن الأبصار الا رسمه ، لأنه فى الضمائر ذكرى لا تغفو ، وعلى الألسن حديث لا يمل ، وكلما زاده

الموت قدم عهد زادته الحياة جدة حديث ، فمثله كمثل الشجرة العظيمة كلما ضربت جذورها فى ظلام الأرض شمخت فروعها فى أجواز الفضاء . وأنبياء الله ورسله هم أحياء على الموت ، شهود على المغيب . والفطرة الانسانية سوف تظل متلفتة اليهم كما يتلفت الى الواحة الخضراء ضارب فى ضلال الصحراء ، وقد جهده سعار الظمأ وأحرق كبده لفح الهجير .

ومولانا محمد رسول الله هو بين اخوانه من النبيين واسطة عقد ، وبين أمته من المؤمنين مهفى روح ، وبين الناس كافة سيد من ينتسب اليه طالب حق وخير من تناخ ببابه نجائب اصلاح ، ولهذا يكون من الظلم للحق وللخير معا أن يحتفل المسلمون وحدهم بمولده الشريف ، فانه عليه السلام قد رفع من خسيسة الانسانية كلها فى كل مكان ، وكل اصلاح استهدف للناس خيرا فانه ومضة من دعوته وقبس من رسالته صلى الله عليه وسلم .

ان أسمى ما تتطلع اليه البشرية اليوم من خلال المذاهب المعاصرة لا تكاد تجاوز ثلاثة أمور : أحدها : طلب المساواة بين الناس بغير نظر الى جنس أو لون . وثانيها : مطاردة الجوع فى المجتمع الانسانى . وثالثها : اقرار الأمن وصيانة السلام .

فأما المساواة بين الناس فان الرسالة المحمدية منذ بدأت خطواتها الأولى وضعت هذه المساواة وضعا يقوم الاقناع فيه مقاما لا يتأتى معه التمييز العنصرى فى حال من الاحوال . وهى مع ذلك لم تمنع التفاضل فيما بينهم ، بل تخيرت له صورة تجعله يعود بالخير على المجتمع كلما أراد مريد أن يظفر بفضل فيه . فذلك قول الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

وليس الأمر فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أمر نصوص خادعة ، ولكنه أمر تطبيق صادق ، وآية ذلك أن المجتمع الاسلامى لم يعتز بالالوان والاجناس ، ولم ينظر الى القضية القائمة عليها نظرة اعتبار أو احترام . بل ان التاريخ الذى دونه المسلمون ليتهكم أشد التهكم بأولئك الذين لم تصدهم سماحة الاسلام عن الاعتزاز بمبادىء التمييز العنصرى .

وأما ما يتصل بحلم البشرية فى مطاردة الجوع عن البشر ، وفى اسباغ ظلال الأمن عليهم ، فحسب الفاقه البصير أن يقف وقفة تأمل أمام قول الله تعالى « فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ». فقد طلب الله تعالى من خلقه أن يعبدوه لقاء ما أنعم عليهم بنعمتى الطعام والأمن ، مع أن نعم الله جل شأنه على خلقه لا يحصيها محص ، ولا يعدها عاد . وقد اعتبر القرآن الجوع والخوف من أشد البلايا التى تخف بها عقوبة الله الى الجاحدين ، فذلك حيث يقول جل شأنه « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .. وعلى قدر ما اعتبر القرآن الجوع والخوف نقمة شديدة جعل بذل الطعام للمحتاجين اليه عملا تتفتح به أبواب الجنة للمطعمين ، فذلك حيث يقول الله جل شأنه « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينايشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

وكذلك جعل الله تبارك وتعالى الأمن جزاء طيبا للذين يؤمنون ايمانا صحيحا ويعملون عملا صالحا ، والى هذا المعنى تشير الآية الكريمة « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وهكذا تتضح عناية القرآن بقضيتى الطعام والأمن فى المجتمعات التى ترعى شئونها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا كانت الدعوات المعاصرة قد اتخذت لدعوتها المقدورة شعارا حبيبا الى النفوس ، وهو ما أسمته السلام العالمى ، فان دعوة محمد ليس لها عنوان الا هذا السلام ، وهذا العنوان هو « الاسلام » . ولفظ الاسلام مع لفظ السلام يعودان الى أصل واحد فى اللغة التى نبت بين أهلها محمد ، وتنزل على أساليبها القرآن . فالسلام جزء من طبيعة الاسلام ، وحقيقة من الحقائق التى يحيا عليها المسلم ، وعليها يموت . وذلك كله مع الفرق الواضح بين المجال الذى يعمل فيه السلام العالمى والمجالات التى يعمل فيها سلام الاسلام .

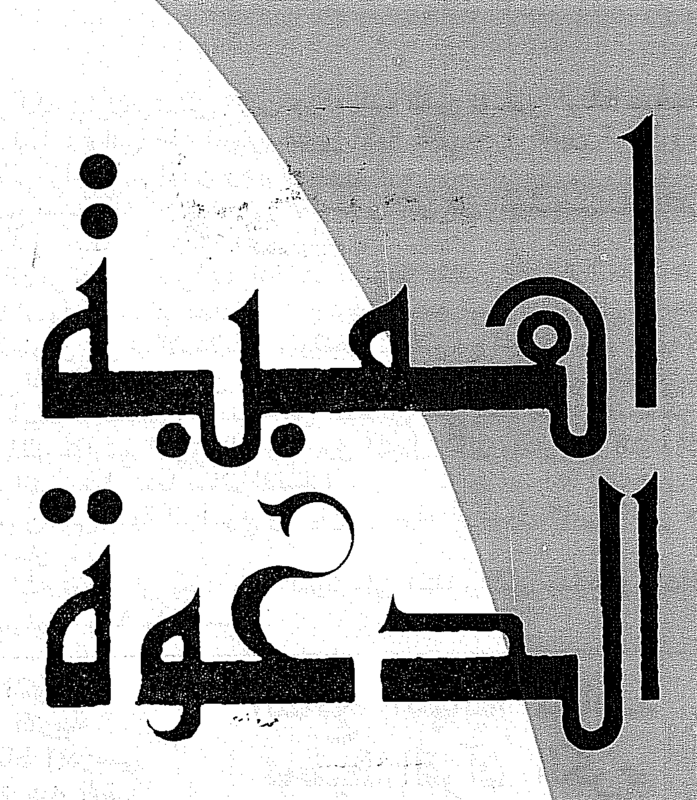
وهكذا يستبين على غاية الوضوح والبيان أن مولد الرسول النبى الأمى هو ميلاد لكرامة الانسان .

نضرع الى الله تعالى أن يعيد هذا العيد على أمتنا والأمن سابغ والعدالة سائدة والحرية موفورة والشمل جميع .

دولة الكويت
وزارة التربية
ادارة النشاط المدرسى
مكتب التوجيه الفنى

النتائج النهائية لمسابقة تحفيظ القرآن الكريم

الرقم	الاسم	المرحلة	المدرسة	الدرجة	الترتيب
١	محمد جدو ولد مبارك	الثانوية بنين	معهد المعلمين	٩٠	الاول
٢	اسامه محمد حسن	الثانوية بنين	الشويخ	٨٥	الثانى
٣	خالد عبد الرحيم اسماعيل	الثانوية بنات	الرميثية	٨٠	الثالث
٤	ايمان عماد الدين راضى	الثانوية بنين	عبد الله السالم	٩٥	الاولى
٥	ايمان مبارك العنيزى	الثانوية بنات	الجزائر	٩٣	الثانية
٦	نوال مصطفى احمد	الثانوية بنات	طليطلة	٩٢	الثالثة
٧	معتصم تاج الدين الدرينى	المتوسطة بنين	ابن ماجد	٩٠	الاول
٨	ايمن حسن الاردنلى	المتوسطة بنين	الجهراء	٨٩	الثانى
٩	مصطفى ابو الفتوح عبد المجيد	المتوسطة بنين	المتنبى	٨٨	الثالث
١٠	هبه احمد عبد الحكيم مرعى	المتوسطة بنات	خولة	٩٦	الاولى
١١	مها عبد الحميد حبشى	المتوسطة بنات	خولة	٩٥	الثانية
١٢	عبير محمد بكر الطباع	المتوسطة بنات	خولة	٩٢	الثالثة
١٣	حسام عبد اللطيف على الحبشى	الابتدائية بنين	خالد بن الوليد	٩٦	الاول
١٤	صالح قاسم عبد الرب علوى	الابتدائية بنين	المقوع	٩٥	الثانى
١٥	داود السيد ابراهيم محمد	الابتدائية بنين	الرازى	٩٤	الثالث
١٦	أمل يحيى محمد البنا	الابتدائية بنات	المعاهد الخاصة	٩٢	الاولى
١٧	رولا رشدى بيدس	الابتدائية بنات	عائشة	٩١	الثانية
١٨	شاهة احمد عبد الله	الابتدائية بنات	آمنة	٩٠	الثالثة



أهمية الدعوة

للواء الركن: محمود شيت خطاب

— ١ —

زار أحد الدعاة قطرا من أقطار غرب أفريقية ، فسأل شيخا من رجال الدين الاسلامى فيه عن مصير ولده الذى كان يلقاه حين يحل فى بيت أبيه الشيخ ضيفا ، فقال له الشيخ وهو يتنهد ((لقد تمدن)) (١) . وتعبير : ((تمدن فلان)) .. أصبح من التعابير الشائعة فى كثير من أقطار القارة السوداء ، ومعناه : تنصر فلان ، وهو يطلق على المسلم الذى ارتد عن دينه فأصبح نصرانيا ، وعلى غير المسلم الذى اعتنق النصرانية أيضا .

وسبب اقتران التنصر بالتمدن فى هذا التعبير ، هو أن الارساليات التبشيرية فى افريقية التى تعتمد على المؤسسات الدينية والمسيحية فى تمويلها وعلى الدول الاستعمارية وعلى شبكات المخابرات وشركـات النفط والبيوت المالية الكبرى والقـوى الاحتكارية العالمية ، قد أقامت مدارس ومعاهد وجامعات فى المناطق الحيوية من افريقية ، وحرمت على غير المسيحيين الانتماء اليها والتعلم فيها ، فأصبح لزاما على غير المسيحيين مــن

مسلمين وغير مسلمين أن يعتنقوا المسيحية أولا ، ويثبتوا تمسكهم بها ثانيا ، من أجل اتاحة الفرصة لهم للانتساب الى تلك المدارس والمعاهد والجامعات التبشيرية ، حتى ينالوا شهاداتها العلمية فى النهاية ، تلك الشـــهادات التى تؤهلهم لتسلم الوظائف الحكومية فى المجتمع ، وتفتح أمامهم مجال العيش الرغيد .

من هنا اقترن التنصر بالتمدن ، فلا عجب أن يكون أحد رؤساء جمهوريات افريقية حاليا يدين — بالنصرانية وهو من عائلة اسلامية ولا يزال أهله يدينون بالاسلام .

— ٣ —

لقد تطورت أساليب المبشرين فى نشر المسيحية ، فلم يعودوا ينفرون من تعميد السود ، ولم يعودوا يتخوفون من الحقوق التى ينالها الملون الذى يعمد ، كما أصبح التبشير وثيق الصلة بالاستعمار وبالشركات الاحتكارية وبدوائر المخابرات ، لهذا لم يبق المبشرون جامدين على أساليبهم القديمة التى طبقوها فى أواخر القرن العشرين ، ولم يعد بامكان الداعية المسلم أن يحول جموعا أكبر بمجهود أقل من مجهود المبشرين . ومن المذهل حقا أن المسلمين لا يزالون يرددون ما زعمه قسم من المستشرقين فى مؤلفاتهم عن (الدعوة الى الاسلام) ، « **وانتشار الاسلام** » من هذه المزاعم : « **أن الاسلام ينتشر انتشارا سريعا فى افريقية ، بالرغم من وسائل الدعـــاة المسلمين البدائية المرتجلة وعلى الرغم من أساليب المبشرين المتطـــورة** » .... الخ ..

ان هؤلاء يهدفون من أقوالهم هذه أمرين : الأول تخدير المسلمين حتى لا يقوموا بواجباتهم فى الدعوة الى الله كما ينبغى ، والثانى استدرار عطف ممولى المبشرين لزيادة معوناتهم ودعمهم . والواقع هو ان الاسلام ينحسر أمام التبشير المسيحى ، خاصة فى افريقية وأندونيسيا ..

واستنام المسلمون واستسلموا لسبات عميق بفعل هـــذه المزاعم المخدرة ، ولكن الواقع المرير يكذب هذه المزاعم ، وأجراس الخطـــر تدق بشدة ، لعلها توقظ الغيورين من المسلمين على ما يتهدد الاسلام — من أخطـــار جسيمة داخل بلادهم وخارجها على حد سواء ..

وقد انتبه أحد سفراء الدول العربية الى تزايد نشاط المبشرين فى افريقية ، فكتب الى دولته تقريرا يؤكد فيه : « **انه لا اسلام فى افريقية بعد عشرين عاما ، اذا لم يتدارك المسلمون أمرهم** » ..

لقد أصبح الفكر الاسلامى غير واضح المعالم فى البلاد الاسلامية ذاتها ، بل أصبح هذا الفكر مشوها الى أبعد الحدود بفعل العصور المظلمة

وتأثير الاسرائيليات التى أقتحمت حرمه ، وبترسبات الاستعمار الفكـــرى البغيض الذى هو أخطر أنواع الاستعمار على الاطلاق ..

فما أحوج المسلمين اليوم الى دعاة من الطراز الرفيع ، يفهمون الفكر الاسلامى ويجلون عنه الصدأ والغبار ويعيدونه كما كان منهجـــا مثاليا للحياة الدنيا وسبيلا هاديا الى الآخرة ..

واذا كانت حصون المسلمين تنهار من الداخل ، فكيف تقـــوى على مصاولة العدو الخارجى ؟ ..

كما أن الفكر الاسلامى يعانى من هجمات خارجية خطيرة يخطط لها الاستعمار الجديد معتمدا على المبشرين والمستشرقين والصهيونية العالمية ودعاة التحلل والالحاد .

ولعل آثار المستشرقين التى تزجى المديح والثناء للتراث الاسلامى هى أكثر خطورة وضررا من آثارهم التى تكيل القدح والنقد ، لأن المدح والثناء يخدر الرأى العام الاسلامى ويلفته عن حاضره ومستقبله ، وشفاء أمراض مجتمع ما لا يمكن أن يتم بذكر أمجاد ماضيه فحسب ، بل بالعمل الجاد الدائب فى الحاضر والمستقبل .

لقد بهر الغرب المسلمين بتفوقه فى العلوم التطبيقية ، فأراد قسم من علماء المسلمين أن يقحموا آيات من الذكر الحكيم فى المجال العلمى ليزعموا أن القرآن الكريم سبق علماء العصر فى نطاق العلوم التطبيقية وغير التطبيقية أيضا .

ولست أشك فى وجود آيات بينات تدل بوضوح على السبق العلمى للقرآن الكريم ، ولكن اقحام بعض الآيات اقحاما ، لا يشرف القرآن بقـــدر ما يشرف العلم ، لأن القرآن ((**رأس**)) فلا ينبغى أن نجعله فى غير مكانته بحجة أو بأخرى ..

ان هذا التشبث يضطرنا الى طرح مشكلة الاسلام والعلم بشكـــل جديد يناسب سمو الدين ومنطق العلم ، بحيث لا نبحث فى الآيات الكريمة : هل ذكر فيها شىء عن غزو الفضاء أو تحليل الذرة مثلا ، وانما نتساءل : هل فى روحها ما يعطل حركة العلم أو فى روحها ما يحث عليه ويشجعه وينميـــه ؟

يجب أن نتساءل : هل يستطيع القرآن أن يخلق فى المجتمع الاسلامى المناخ المناسب للروح العلمى وأن يطلق الأجهزة النفسية الضرورية لتقدم العلم من ناحية وتبليغه من ناحية أخرى ؟ (٢) ..

ولست أعرف كتابا مقدسا كرم العلم والعلماء كما كرمها القرآن الكريم ، وصدق الله العظيم :

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

كما أن المناخ العلمى الذى هيأه القرآن للمسلمين ، هو الــذى جعلهم يقودون الحضارة العالمية قرونا طويلة .

– ٣ –

ان المواد الأولية لبناء أفكار « **حية** » متيسرة فى : « **القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والتراث العربى الاسلامى العظيم** » ..

وهذه الأفكار كفيلة باظهار الشخصية الاسلامية على حقيقتها : قوية لا تضعف ، متماسكة لا تتخاذل ، أخلاقية لا تنحل ، عزيزة لا تهون ، وهى كفيلة بأن تصمد أمام تيار الصراع الفكرى الجــارف ، لأنها تعنى بالمادة والروح ، والعقل والوجدان ، ولا تقتصر على المادة والعقل .

انها مادة وروح ، وليست مادة فقط ، وهى عقل وقلب ، وليست عقلا فقط ، والمادة تفنى والروح باقية ، والعقل يتبدل ، والقلب سر المحبــة والعطف والاخاء ..

ان العالم الاسلامى تخلص أو أوشك أن يتخلص من الاستعمــــار العسكرى والاستعمار السياسى والاستعمار الاقتصادى .
ولكنه لا يزال يرزح تحت اثقال الحضارة الغربية بما فيها من خير وشر وهى حضارة مسيحية كما هو معروف .

واذا كان هناك ما يسوغ استيراد ما فى الحضارة الغربية مــن « **خير** » فما المسوغ لاستيراد ما فيها من « **شر** » ؟

لقد ضاعت معالم الشخصية الاسلامية فى خضم مد الشخصيــــة الغربية المسيحية ، لأن المسلمين عانوا من الفراغ الفكــرى ردحا طويلا ، فتسربت اليهم حضارة الغرب بشتى الوسائل لملء هذا الفراغ .

والأفكار « **الحية** » الاسلامية ، هى التى تعيد للمجتمع الاســلامى مكانته المرموقة ، فما يصيب أى مجتمع يكون من جراء ضحالــة أفكاره لا من جراء قلة أشيائه ..

لا بد من وضع الأسس الاسلامية الرصينة للمجتمع الاسلامى ، بحيث تكون هذه الأسس منهجا كاملا للحياة ، باستطاعتــه مواصلــة الصراع الفكرى الرهيب ..

ولا بد من تقنين الشريعة الاسلامية الغراء بحيث تبرز القــوانين الوضعية الحديثة وتنقذ المسلمين من فجور القانون .

ولا بد من ترجمة تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتراث الاسلامى الى اللغات الأجنبية المختلفة ، ليعود الاسلام من جديد الى قيادة الفكر البشرى نحو النور والحق والسلام .

والسبيل الى ذلك هو تعاون السلطات الحاكمة مع العلماء .

ان السلطات الحاكمة مطالبة اليوم بتدارك المجتمع الاسلامى من التميع والانهيار ، وقد سجل التاريخ صفحات باهرة للذين وحدوا من أجل الجهاد ، وجاهدوا من أجل التوحيد ، حين نسيت ((**السلطات**)) التى فكرت بمصالحها الذاتية وتنكرت لمصالح شعوبها ، وما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى .

والعلماء مطالبون اليوم أن يتخذوا من العلم ((**عبادة**)) كما فعل السلف الصالح من علماء المسلمين وألا يتخذوه ((**تجارة**)) كما فعل الذين نسوا الله فنسيهم وأنساهم أنفسهم .

— ٤ —

ان التاريخ يذكر بمزيد من التقدير والاعجاب جهود الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى نشر الاسلام .

فقد نقص خراج مصر فى عهده لدخول الاقباط أفواجا فى دين الله ، فاقترح ((**والى**)) مصر على الخليفة ألا يعفى الذين يدخلون الاسلام من الجزية ، ولكن الخليفة الورع أبى أن يجيب هذا ((**الوالى**)) الى طلبه قائلا : ((**ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا**)) ولا تزال قولته هذه ترن فى أذن الزمن وستبقى .

وعين عمر بن عبد العزيز سنة مائة الهجرية ((٧١٨ م)) اسماعيل بن عبد الله واليا على شمال افريقية ، وبعث معه عشرة علماء ليفقهوا البربر فى أمور دينهم ، ولا يزال التاريخ يذكر هذا العمل الدينى الحضارى بأعظم التقدير والاعجاب .

وقد أوفد الدعاة الى ((**السند**)) التى فتحها محمد بن القاسم ، فأستجاب كثير من زعماء السند لدعوة الخليفة التقى ، ودخلوا فى دين الله أفواجا .

وما يقال عن ((**السند**)) يقال عن بلاد((**ماوراء النهر**)) فقد استجاب كثير من أهلها لدعوة الحق التى أطلقها عمر بن عبد العزيز .

وقد امتاز عهده بحركة تحول واسعة النطاق الى الاسلام ، فنظم حركة ملؤها الحماسة فى نشر الدعوة ، وقدم للشعوب لونا من ألوان التشجيع لقبول الاسلام . فقد أعطى فى احدى المناسبات ألف دينار لقائد نصرانى ((**بطريق**)) تألفه بها على الاسلام وقد كتب الى ملك الروم ((**لاون الثالث**)) يدعوه الى الاسلام ، وألغى بعض الضرائب التعسفية المفروضة على المسلمين وغير المسلمين .

ولم يقتصر تقدير خدمات عمر بن عبد العزيز للاسلام على المؤرخين المسلمين فى مختلف العصور ، بل حاز تقدير المؤرخين غير المسلمين أيضا ، وكمثل على ذلك فان أحد المؤرخين المسيحين يضيف الى اسم عمر كلما ذكره قوله : ((**رضى الله عنه**)) .

أما العلماء الذين نهضوا بالدعوة أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله

عنه ، فلا يزالون مفخرة تاريخ العلماء العرب المسلمين ، وسيبقون كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها .

لقد أمضى عمر بن عبد العزيز فى الحكم ثلاث سنوات فقط ، ولكنه شغل المؤرخين ولا يزال يشغلهم حتى — اليوم — لأنه كان مؤمنا حقا ، وكان ايمانه ايجابيا ، فرفع ذكر الله شرقا وغربا ، فرفع الله ذكره فى كل مكان وبكل زمان .

وعاش فى عهده علماء كثيرون من التابعين ، ولكن الذين نذروا حياتهم للدعوة لا يزالون يذكرون وحدهم بالاجـــلال والاكبار ، ولا تزال آثارهم باقية حتى اليوم .

فهل يكفى عمر بن عبد العزيز مثالا يحتذى به أصحاب السلطة من العرب والمسلمين اليوم وغدا ؟ وهل يكفى دعاته من العلماء مثالا يحتذى بهم علماء المسلمين اليوم وغدا ؟

— ٥ —

ان الطريق أمام العاملين المخلصين للعودة الى الاسلام فى الداخل ونشره بين الناس فى الخارج مفتوح ، والعرب والمسلمون مطالبون بأداء حق الله عليهم فى الدعوة الى دين الحق والخير والسلام وصد غارات أعدائه الكثيرين عنه ، وما أكثر هؤلاء الاعداء .

ان الدعوة الى الاسلام واجب دينى يقع على عاتق المسلمين حكامــا ومحكومين ، وواجب وطنى دفاعا عن وجودهم ومقوماتهم فى الحياة لأن بقاءهم ببقاء عقيدتهم ، وقوتهم بقوتها ، فاذا ضعفت ضعفوا واذا انهارت انهاروا .

والدعوة الى الاسلام واجب انسانى ، لأنه يهدى للتى هى أقوم ، ويقتلع الشر من جذوره وينشر الفضيلة والطهر والمحبة ، ويقضى على عوامل الفساد ويكرم بنى آدم فى الدنيا والآخرة . فمن سيكون خليفـــة عمر بن عبد العزيز من المسئولين العرب والمسلمين فى القرن العشرين ؟ ومن سيكون خليفة دعاة عمر بن عبد العزيز من علماء المسلمين فى القرن العشرين ؟ — وصدق الله العظيم : « **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** » .

---

(١) نص ما قاله بالانكليزية He Became Sivilized

(٢) مالك بن نبى — انتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الاسلامى الحديث — ص ٣٤ — القاهرة — ١٩٧٠ م ..



— ١ —

شغل الناس عن بحث البلاغة النبوية أمران ، أحدهما يتعلق بالقرآن والآخر يتصل بالحديث .

أما القرآن فشغل الناس حديثهم عن اعجازه ، حتى أخذ بعضهم بالصرفة ، وزعموا أن الله صرف الناس عن الاتيان بمثل هذا القرآن .

وأما الحديث فحالت مكانته التشريعية دون اسهاب البحث فى مكانته الأدبية . بل تجرأ نفر من العلماء على أن ينكروا الاحتجاج بالحديث فى اللغة والنحو — كما سنرى فى حلقة أخرى من هذا البحث ، وتجرأ آخرون فأنكروا الاحتجاج بالحديث الآحادى حتى فى التشريع كما سنوضح ذلك بعد قليل .

ولئن عذرنا القوم على انصرافهم باعجاز القرآن عن بلاغة الرسول ، فأنى لهم العذر وقد صرفهم فقه الحديث عن أدب الحديث ؟

ان البلاغة النبوية تدور حول محور الحديث ، وكما اشتمل الحديث على مواد غنية صلحت لاستنباط التشريع احتوى مواد أخرى لا تقل عنها

غنى تصلح أطرا لبيان الرسول أفصح من نطق بالضاد . بل المواد التى صلحت أصولا للفقه من وجه صلحت بنفسها صورا للفصاحة من وجه آخر . !

وبلاغة أهل البيان اما شعر واما نثر ، ولكن البلاغة النبوية برئت لاسباب دينية — من الشعر ، وخلصت للنثر ، فكان نطاقها الأساسى الحديث المنثور . بيد أن أطر هذا الحديث تعددت تبعا لتعدد مدلوله الاصطلاحى ، فكان فى كمه وكيفه مغنيا برائع نثره عن جمال الشعر وسحره ..

ولا بد أن ننبه هنا الى ضرب من التشابه آنسناه بين مصطلحات المحدثين وما نود أن نقترحه من مصطلحات أدبية تعيننا على اماطة اللثام عن وجوه البلاغة النبوية . فالنثر البيانى النبوى هو ما يسمى عند المحدثين « بالحديث » و « السنة » على مذهب من يقول بترادف هذين اللفظين (١) وهو على كل حال أما حديث شفوى ، واما خطة مرتجلة واما كتاب مدون . وحتى على الرأى القائل بانتفاء الترادف بين ذينك المصطلحين ، ليس ضروريا حصر نطاق دراستنا البلاغية فيما أطلق عليه لفظ « الحديث » بوجه خاص ، ابتغاء التأكيد أنه وحده يشتمل على فنون قولية ، مرتجلة أو مكتوبة ، لأنا لو تناسينا موارد التسمية الاصطلاحية فيما عزى الى النبى من روايات لوجدناها جميعا ترتد الى « الأخبار (٢) ونحن فى بحثنا بلاغة الرسول ندور حول محور واحد : هو ما نقل من قول الرسول وأيدته أعماله .

وانما الحنا كرة أخرى على المادة القولية ، لأنها تشتمل على الصياغة الأدبية اشتمالها على الفكرة التى أراد الرسول بيانها . لكنا — من غير أن نخوض فى النزاع بين الشكل والمحتوى — لا يسعنا أن نحصر بحثنا — ولو بلاغيا — فى المادة القولية ، اذ نحتاج الى المحتوى الفكرى الذى حكى عن الرسول مستلهما من قوله وفعله وسيرته المطهرة ، وان لم يثبت أنه نطق بالذات بما رووا من الفاظه وتراكيبه .

والحق أن موضوع « الحديث » لا يغاير موضوع « السنة » ، وبالرغم من أن كلامنهما أطلق فى كثير من المواطن على غير ما أطلق عليه الآخر ، وبالرغم من أن رد لفظيهما الى أصولهما التاريخية يؤكد وجود بعض الفروق الدقيقة بينهما لغة واصطلاحا (٣) نستنتج من الرأى السائد بين المحدثين ، ولا سيما المتأخرين منهم ، أن لا مانع من وضع أحدهما مكان الآخر ، ففى كل منهما اضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة الى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم (٤) .

على أنا — وان لم نحصر نطاق دراستنا البلاغية فيما أطلق عليه لفظ « الحديث » — نؤثر أن نلتزم غالبا فى جونا الأدبى هذا اللفظ الأشيع

أدبيا ، حتى نفىء الى ظلاله الموحية ، اذ لو استخدمنا لفظ « السنة » عوضا عن لفظ « الحديث » لاصطبغ بحثنا — عن غير قصد منا — بلون فقهى أو شرعى ، أبعد ما يكون عما تصدينا لابرازه من أدب الرسول .

وان ذلك ليملى علينا — فيما نستشهد به من نصوص وأمثلة — أن نعرض الأحكام الشرعية التى قد نضطر الى شرحها عرضا موجزا لا نفصله الا بالقدر الضرورى لالقاء الضوء على أصل الفكرة ، باعتبار هذا الأصل أحد العنصرين المقومين لكل عمل أدبى ، ولكل فن قولى . ولكى يصح هذا الاعتبار نحسب القارىء أكثر ارتياحا اذا عبرنا له « ببلاغة الحديث » لا « بأدب السنة » وكذلك اذا عبرنا له « ببلاغة الحديث » لا « ببلاغة السنة » .

ومع ذلك عنونا بحثنا « البلاغة النبوية » لا « أدب الحديث » . وان هذه التسمية لتشى بشىء آخر : وهو أن الأدب الخلقى الاجتماعى الذى حفل به الحديث حتى عنونت به بعض المصنفات — قد يظن أنه ما نرمى الى تبيانه بوجه عام ، مع أن مرادنا محصور فى الجانب الفنى تصويرا وتعبيرا لا الجانب الاجتماعى فضيلة وخلقا .

وذلك لا يمنع أمرين : أحدهما أنا بعد هذا الاحتراز — قد نستعمل — ان شئنا — عبارة « الأدب النبوى » أو « أدب الحديث » ما دام السياق يعين أن الغرض بيانى أو بلاغى محض . والآخر أنا بعد هذا الاحتراز أيضا قد نبرز ما يطيب لنا ابرازه من شمائل الرسول ومكارمه ، لا على أنها دراسة تفصيلية لفلسفته الخلقية بل على أنها أنماط من نظرته الى جانب من جوانب الحياة ، وتلك النظرة تشكل حينئذ جزءا لا يتجزأ من عنصر الفكرة فى العمل البيانى الرفيع .

نخلص من ذلك كله الى أن قطب دراستنا هو الحديث المنثور الذى يشمل فنون الأدب النبوى مرتجلة ومكتوبة ، كأنها انعكاسات لصوت الرسول على شريط مسجل ، اذ ارتسمت فيها حركات روحه وخفقات قلبه ، وتجلت عليها أصالة تفكيره ، وألوان تصويره ، ونغمات تعبيره .

ولكى نظل فى نطاق هذا الحديث المنثور مفترضين أنه غالبا نتاج الرسول الأدبى فكرة وأسلوبا ، ينبغى لنا — اصطلاحا — أن نشترط فى الحديث الذى ندرسه أن يكون مرفوعا بوجه صريح . والمشهور فى المرفوع أنه ما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم خاصة من قول أو فعل أو تقرير ، سواء أأضافه اليه صحابى أم تابعى أم من بعدهما ، وسواء أتصل اسناده أم لا (٥) .

ومن الواضح أنا — بتعريف المرفوع على هذا النحو — انما لاحظنا انتهاء متن الحديث الى النبى الكريم بقطع النظر عن اسناده متصلا أو غير متصل ، محكوما بصحته أو ضعفه : ذلك بأن القول والفعل والتقرير صالحة

لأن تسمى « متن الحديث » من غير التفات الى حال اسنادهـا حين ينظر اليها لذاتها (٦) .

ومن الواضح أيضا أنا ــ باشتراطنا المرفوع « الصريح » ــ احترزنا عن المرفوع حكما الى النبى من قول أو فعل أو تقرير ، وهو الذى يقال لـه « ما فى حكم المرفوع » (٧) ، لأن أمثلته وتعريفاته ترد الى « الموقوف » الذى ينتهى متنه الى الصحابى لا الى الرسول ، ومثله اذا قبل فى الأحكام الشرعية فلفرط حاجتنا الى الاحتجاج بالسنة العملية التى حكيت سندا عن الرسول وان كانت متنا من الفاظ الصحابى (٨) .

وحصر الحديث المنثور فى نطاق « الرفع الصريح » يظل « احتماليا » أو « افتراضيا » لا يلحظ فيه ــ كما أوضحنا ــ الا انتهاء متنـه غالبا الى النبى ، وذلك لا يكفى للاستيقان من صحته سندا ، بل ولا متنا ، وذلـك لا يكفى أيضا ــ من زاوية أخرى ــ لادارة بحثنـا التحليلى الأدبى حـول فكرته وأسلوبه ، وألفاظه وتراكيبه ، فلنخط خطـوة أخرى ، ولنضف الى شرط الرفع شرط الاتصال ، ليكون كل واحد من رواة الحديث سمعه ممن فوقه حتى انتهى ذلك الى آخره وحينئذ نسمى الحديث مسندا .

لكن المسند ــ رغم غلبة اسـتعماله فى المـرفوع المتصـل ، على الأرجح ــ لا يجعل منه مجرد اسناده حديثا « صحيحـا » : لأن المسـند ــ ومثله المرفوع والمتصل ــ مصطلحات مشتركة بين الصحيـح والحسن والضعيف فلا بد ــ ليكون الحديث « المسند » الذى ندرسه مقبولا ــ من أن يكـون على الأقل « حسنا » ونفضـل عليه ما يكون « صحيحـا » ، ولو « آحاديا » أمـا ما اصطلح على تسميته « بالضعف » فـلا مكان له فى دراستنا ، لأن المفروض فى مثله أنه مردود وأنه لم يرد الا لغلبة الظن بأنه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، ونحن انما نتناول بدراسـتنا الأدبية التحليلية ما رجحنا أنه تعبير النبى أو ما يمكن أن يكون نظيره صادرا عن النبى الكريم . والا فكيف نتقصى خصائص البلاغة النبويـة من ألفاظ وتراكيب لم نكد نستيقن من صحة عزوها الى أفصح من نطق بالضاد !

---

١ ــ أنظر الملل والنحل للشهرستانى ، هامش الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ص ٦٤ .

(٢) كليات أبى البقاء ص ١٥٢ .

(٣) قارن بكتابنا علوم الحديث ومصطلحه ص ٩ الطبعة الخامسة (دار العلم للملايين ــ بيروت)

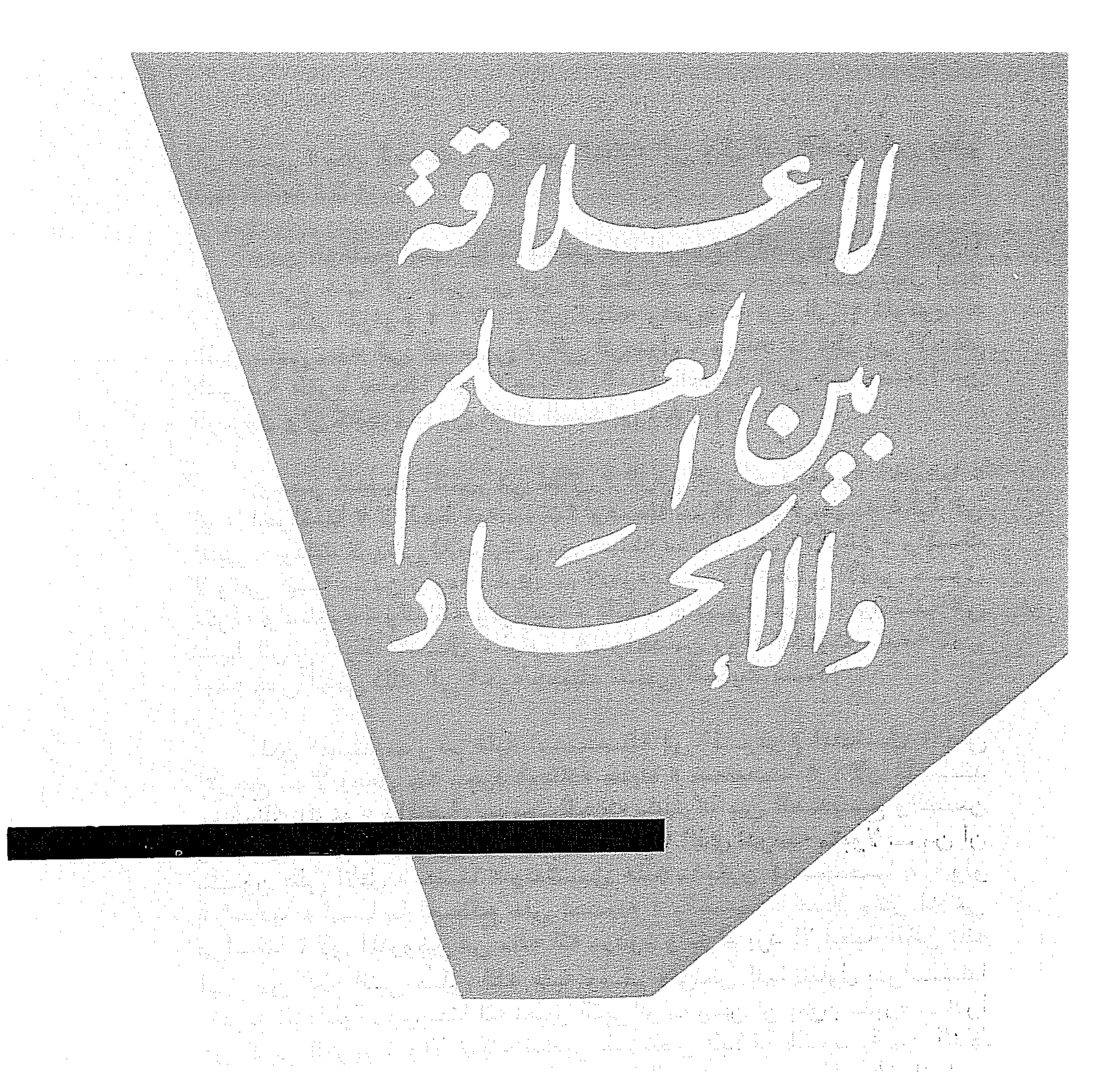
(٤) المرجع السابق ص ٣ .

٥ ــ توضيح الأفكار (الصنعانى) ٢٥٤/١ وقارن بشرح النخبة « لابن حجر » ٢٦ .

٦ ــ قارن بكتابنا « علوم الحديث » ٢١٧ .

٧ ــ شرح النخبة ٢٧ ــ ٢٨ .

٨ ــ قارن بتوضيح الأفكار ٢٦٢/١ .



فى أرجاء الأمة الاسلامية ناس أشباه متعلمين يعلنون الحادهم دون حياء ، ويزعمون أنهم ثوار على الرجعية ، عشاق للمعرفة ، ضائقون بالأفكار القديمة ، معتنقون للأفكار الحديثة !!

وكثيرا ما لقيت فى طريقى صورا من هؤلاء الناس ، فأتفرس فى مسالكهم ، وأتأمل فى أقوالهم وأحوالهم ، ثم أذكر كلمة العقاد رحمه الله : هناك مقلدون فى كراهية التقليد !!

ان هذا النفر المعوج من الشباب ضحل الثقافة ، قصير الباع فى ميادين العلم ، ولكنه يريد الظهور فى ثياب العلماء فيثرثر بكلمات ضخمة يحسبها تنظمه فى سلكهم وهيهات !! انهم لم يكفروا بعد دراسات عميقة فى علوم الكون والحياة ، فان أنصبتهم من هذه العلوم فوق الصفر بقليل ، ولكنهم كفروا لعلل نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية نمت فى نفوسهم وأصابتهم بهذا الدوار أو هذا السعار فقالوا ما قالوا دون وعى حق .. !

أما حديث العلم وتقدمه ، والكون وكشوفه ، فهو تعلة خادعة ينكرها العلم والعلماء ..

وأول ما نلحظه على أولئك الناس نقلهم لكلمـــات أوحت بها بيئات أخرى ، وترديدها فى بلادنا دون أى حســـاب لاختلاف الزمان والمكـــان والباعث والنتيجة . !!

لقد كان الفيلسوف الألمانى « نتشة » ملحدا ، وكـــان كفره باللـــه شديدا . ومما يؤثر عنه قوله فى الهجوم على الدين « عندما نستمع فى صباح الأحد الى دقات الأجراس القديمة نتساءل : أهذا ممكن ؟ ان هذا كله من أجل يهودى صلب منذ ألفى عام كان يقول انه ابن الله !! وهو زعم يفتقر الى برهان ..

لا جدال أن العقيدة المسيحية ــ هكذا يقول « نتشة » ــ هى بالنسبة الى عصرنا أثر قديم نابع من الماضى السحيق ، وربما كان ايماننا بها فى الوقت الذى نحرص فيه على الاتيان ببراهين دقيقة لكـــل رأى نعتنقـــه ، شيئا غير مفهوم فلنتصور الها أنجب أطفالا من زوجة فانية ، وخطايا ترجع الى الله ثم يحاسب هو نفسه عليها خوفا من عالم آخر يكون الموت هـــو المدخل اليه ! لكم يبدو كل ذلك مخيفا ، وكأنه شـــبح قد بعث من المـــاضى السحيق ! أيصدق أحد أن شيئا من ذلك لا يزال يصدق ؟؟؟

للشيخ محمد الغزالي

وهذا الطراز من الالحاد هو الذى يحمل جرثومتـــه بعض الناس ، يحسبون أنهم يفتنوننا به نحن المسلمين عن ديننا ويصرفوننا عن رسالتنا ..

وهو طراز يختلط فيه التقليد الأعمى بالنقص المركب ، أو حب الظهور بالحقد على المجتمع .. أما الزعم بأن العلم المادى ضد الدين ، وأن بحوثه المؤكدة وكشوفه الرائعة تنتهى بانكار الألوهية فهذا هو الكذب الصراح .. !

بل ان أساطين العلم والفلسفة تشابهت مقالاتهم فى اثبات الوجود الأعلى ، وتكاد فى وصفها لله تنتهى الى ما انتهى اليـــه القرآن الكريم من توحيد وتمجيد ..

نحن لا ننكر أن خصاما شديدا قد وقع بين العلم والدين فى أوروبا حيث كان القول بكروية الأرض كفرا ، والقول بدورانها حـــول الشمس الحادا !!

ولا ريب أن تلك الجفوة المفتعلة بين حقيقة الدين وطبيعة العلم تركت آثارا سيئة هنا وهناك ، بيد أن الاعتماد على هذا فى التجهم للايمان الحق لا يسوغ ، فان تجريد الدين من الشوائب التى لحقت به ، والتزام العلم للنهج السوى فى البحث عن الحقيقة قد انتهى بصلح شريف يذكرنا بقوله جل شأنه : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

كانت المادية بدعة القرن الماضى ، وكان الزعم السائد أنه لا وجود

الا للمادة وأن ما وراء المادة عدم محض ، وان المادة لا تفنى ولا تستحدث ، وأن الدين بعد هذا كله أمسى لا مكان له . !!

ثم مضت الحقائق العلمية تكشف عن وجهها فاذا مقررات الماضى تنسف من أصولها ، يقول الدكتور أبو الوفا التفتازانى : كان العلم يتصور الأمور تصورا ماديا بحتا الى أن جاء العالم الشهير « البرت انشتين » فغير ببحوثه الطبيعية النظرة الى المادة تغييرا حاسما ، وقد صور الفيلسوف الانكليزى « رسل » ذلك قائلا : درسنا العالم الطبيعى فوجدنا المادة عند العلم الحديث قد فقدت صلابتها وعنصريتها ، اذ حللها العلماء الى مجموعات ذرية كل مجموعة منها تنحل الى ذرات ، وكل ذرة تعود بدورها فتنحل الى كهارب موجبة وأخرى سالبة ، ثم مضى العلماء فى التحليل ، فاذا هذه الكهارب نفسها تتحول الى اشعاعات !!

وختم « رسل » كلامه بهذه العبارة « ليس فى علم الطبيعة ما يبرهن على أن الخصائص الذاتية للعالم الطبيعى تختلف عن خصائص العالم العقلى » .

ونحن نقول : انتساب ذلك الكون الضخم الى أصول من الأشعة شىء مثير حقا !! ترى ما الذى كثف النور ، وجمد حركته ووزعه على ألوف الأشكال التى نراها ؟

انك لن تعدم سفيها يقول لك : تم ذلك من تلقاء نفسه !!

وهذا القائل مستعد أن يقول لك أيضا : ان الصحف فى عواصم العالم تصدر عن دورها مليئة بالأخبار والتعليقات والصور ، متسقة الحروف والأرقام تلقائيا من غير ما اشراف ولا اعداد ولا تبويب ولا ترتيب !!

لعمرى أن ذلك أدنى الى التصور من خلق الموت والحياة فى هذا العالم الفخم الضخم تلقائيا كما يأفك الأفاكون !!

لكن أى عاقل يحترم نفسه ويقدر علمه يأبى هذا المنزلق ، يقول الدكتور التفتازانى :

ولعل هذا ما جعل العلامة « انشتين » يؤثر الايمان بالله ويرفض الشبهات التى تختلق ضده ، وقد دار حوار بينه وبين صحفى أمريكى يدعى « فيرك » فى هذا الموضوع قال فيه الرجل العالم بحسم : اننى لست ملحدا !! ولا أدرى : هل يصح القول بأنى من أنصار وحدة الوجود ؟ (١) ان المسألة أوسع نطاقا من أن تحيط بها عقولنا المحدودة .. !!

وعاد الصحفى الى سؤاله بطريقة أخرى — يريد بها هز الايمان الذى لاذ به هذا العالم — فقال : ان الرجل الذى يكتشف ان الزمان والمكان منحنيان ، ويحبس الطاقة فى معادلة واحدة ، جدير به الا يهوله الوقوف فى وجه غير المحدود !!

فيرد « أنشتين » : اسمح لى ان أضرب لك مثلا ، ان العقل البشرى مهما بلغ من عظم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الاحاطة بالكون — فكيف بخالقه — نحن أشبه ما نكون بطفل دخل مكتبة كبيرة ارتفعت كتبها الى السقف ، فغطت جدرانها ، ثم هى مؤلفة بشتى اللغات ،

ان هذا الطفل يعلم أن شخصا ما كتب هذه الكتب ، ولكنه لا يعرف بالضبط من هو ، ولا كيف كانت كتابته لها ، ثم هو لا يفهم اللغات التى كتبت بها !!

وقد يلاحظ الطفل أن هناك طريقة معينة فى ترتيب الكتب ، ونظاما

غامضا يشمل صفوفها وأوضاعها ، نظاما يحس أثره ولا يدرى كنهه .
ان ذلك القصور هو موقف العقل الانسانى مهما بلغ من العظمة والتثقيف !!
وعاد الصحفى الأمريكى يسأل : أليس فى وسع أحد حتى أصحاب العقول العظيمة أن يحل هذا اللغز ؟
فأجاب « انشتين » مرة أخرى يعلل لماذا هو مؤمن ، ولماذا يعجز عن معرفة كنه الله فقال : نرى كونا بديع الترتيب خاضعا لنواميس معينة ، ونحن نفهم تلك النواميس فهما يشوبه الابهام فنؤمن بالله ، ولكن عقولنا المحدودة لا تدرك القوة الخفية التى تهيمن على مجاميع النجوم .. » .
لوكانت المواد التى يتكون منها هذا العالم الضخم تتراكم بعضها فوق بعض دون تبصر أو حكمة لدلت كثرتها وحدها على غنى واسع وثراء عريض .. !! فان الأبعاد الآلية لهذا الكون مذهلة .. !!
لكن الأمر أبعد ما يكون عن الجزاف والفوضى .
والبناء العقلى المتغلغل فى الكون من الذرة الى المجرة يجعلنا نكون عن هذا العالم الدقيق صورة أخرى .
ولن نأتى بهذه الصورة من عند أنفسنا بل من أقوال الفلكى الانجليزى « سير جميس جنز » الذى ينطق بهذه العبارة المثيرة « لقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة .. » .
ان الروعة لا تكمن فى ضخامة الآلة التى نراها بل فى الطريقة التى تدور بها وتؤدى وظيفتها .
ان الروعة لا تكمن فى ضخامة الآلهة التى نراها بل فى الطريقة التى حبكة الموازنة والضبط والتقدير . ومن ثم يتجه الاعجاب الى العقل الواضع الحاسب قبل أن يتجه الى أثره المحدود .
ولننظر الى عقلنا الانسانى بين ما ننظر اليه من صنوف المخلوقات ، ماذا نرى ؟ انه كائن ذكى قدير يبدو ويخفى فى أدمغة الألوف المؤلفة من سكان الأرض الأحياء والراحلين ، الذين وجدوا والذين سيوجدون ، من أين تولد هذا العقل ؟ من الماء والطين كأعشاب الحدائق ..
هذا فرض مضحك ولا ريب ، انه نفحة من الخالق الأعلى وحده .
يقول : « سير جميس جنز » يجب أن ننكر المقدمات التى يفترضها بعض النقاد من غير علم ، فالكون لا يبيح لنا أن نصوره تصويرا ماديا ، وسبب ذلك فى رأيى أنه قد أصبح من المدركات الفكرية العميقة ، اننا واجدون فى الكون دلائل على قوة مدبرة أو مسيطرة يوجد بينها وبين عقولنا الفردية شىء مشترك ، ليس هو العاطفة أو الأخلاق ، أو تقدير الجمال ، ولكنه الرغبة فى التفكير بطريقة خير ما نصفها به انها رياضية (!) لأننا لا نجد الآن أصلح من هذا التعبير » .
والعلامة الانجليزى معذور فى وصف الابداع الالهى بهذا الأسلوب .
لقد راعه وهو فلكى راسخ أن يجد فى نظام الشروق والغروب والدوران والانطلاق دقة تسجد علوم الرياضة فى محرابها ، فقال : « ان التفكير المشرف عليها تفكير علمى رياضى !! بل انه اعتبر العقل الانسانى أثرا للعقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا ، ثم انتهى أخيرا الى أن الآراء متفقة الى حد كبير فى ميدان العلم الطبيعى الى أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية » أى غير

مادية ، أى الى الله الكبير المتعال ، على هذا النحو يفكر علماء الكون الكبار ، ويحكم أئمة العلم الحديث ورواده الأكابر ولذلك شعرت بسخرية أى سخرية عندما قرأت لصحافى كبير فى بلادنا هذه الكلمة الغبية السمجة . « ان التقدم العلمى يوشك أن يجعل أخطر الوثائق العقائدية نوعا من البرديات القديمة التى حال لونها ، وبليت صفحاتها ، وعدت عليها عوامل الزمن بالتعرية والتآكل ، وأصبح من الضرورى للابقاء على أثرها أن يخصص لها مكان فى متاحف التاريخ » .

قلت ما أوسع الفرق بين منطق العلماء ومنطق الجهلاء فى تناول القضايا وارسال الأحكام . هل يمحى الايمان كله بهذه السهولة ؟

ولقد شعرت كذلك بسخرية أى سخرية عندما رأيت كتابا بعنوان « العالم ليس عقلا » ألفه شخص ولد فى نجد ، وقضى أغلب عمره على قهوات القاهرة وبيروت ، وتلقى أكثر علمه من الأوراق الشاحبة التى يسطرها بعض المعلولين والمعقدين !

هذا المسخ الذى لم يعمل يوما فى مرصد ولا مختبر للكيمياء أو الفيزياء ، ينكر الألوهية ، ويسفه النتائج التى وصل اليها أمثال « انشتين » من قادة المعارف الكونية ، طبعا لأنهم رجعيون وهو تقدمى ، ولأنهم قاصرون وهو نابغة .. !!

ولست أتهم كل ملحد بأنه صورة للملحدين الصغار ، فان هناك بعض العلماء والفلاسفة ــ وان كانوا قلة ــ تنكروا للايمان وقواعده وغاياته ، بيد أن المتتبع لأقوال هؤلاء يجزم بأن انتسابها الى العلم تزوير جرىء فهم يخمنون ويفترضون ثم يبنون قصورا على رمال . !

وقد قرأت لبعضهم كلاما عن بداية الخليقة يثير الضحك ، فهم يزعمون أن العناصر فى الأزل السحيق تفاعلت اعتباطا ، وسنحت فرصة لن تتكرر بعد أبدا (!) فتكونت جرثومة الحياة ! ثم أخذت تنمو وتتنوع على النحو الذى نرى ..

وهذا كلام لا يصدر عن عقل محترم ولا يصفه بأنه علم الا مخبول !!

وصدق الله العظيم « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » .

أذكر أنى ــ وأنا أناقش بعض الأدلة ــ سألت نفسى هذا السؤال : هل أنا كائن قديم أم مخلوق جديد ؟

فكان الجواب القاطع : لقد ولدت سنة كذا ، فأنا حادث بلا ريب . !!

ولكن شبهة ثارت تقول : انك تخلفت من مادة الذين هلكوا قبلك ، وعندما تموت فستكون أجساد أخرى منك ومن غيرك . !

فقلت اذا أسلمت بهذا فى الأجساد فلن أسلم به فى روحى أنا .. ان هذه « الأنا » المعنوية هى حقيقتى الكبرى ، وأنا مستيقن بأنى كائن جديد مستقل وجدت بعد عدم محض ، فمن أبرزنى من لا شىء . ؟

اننى لست معتوها حتى أشك فى بداية وجودى وشعورى فمن رب هذه المنحة الخطيرة ؟ فتلوت قوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (٢) انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » .

وعدت الى قصة الجسد الذى أحمله فى حياتى وأنضوه بعد مماتى هل هو قديم المادة حقا ؟ فسألت العلم : كيف يوجد ؟ وهل يمكن أن يتمثل

بشرا سويا هكـــذا عشواء ؟ فقال العلم : ان الوليد يتخلق أول أمره من التقاء الحيوان المنوى بالبويضة ! فما الحيوان المنوى ؟ كائن دقيق توجد فى الدفقة الواحدة منه قرابة مائة مليون حيوان ، كل واحد من هذه الألوف المؤلفة يمثل الخصائص المعنوية والمادية للانسان من الطول أو القصر والسواد أو البياض والذكاء أو الغباء والحدة أو الهدوء .. الـــخ ويبدأ التكـــون الانسانى بوصول واحد ــ لا غير ــ من هذه الألوف الكثيفة الى البويضة وتفنى البقية . قلت : فلأقف عند نقطة الابتداء هذه لأسأل : من الذى صنع هذه الحيوانات السابحة فى سائلها ، الحاملة لخصائص السلالة الآدمية من أجيال خلت .. ؟

قالوا غدة فى الجسم !! قلت : غدة أوتيت الذكاء والوعى والاقتدار على خلق مائة مليون كائن من طراز واحد !! مجموعة دراهـــم من اللحم تتصرف من تلقاء نفسها فى صنع الذكاء أو الغباء ، والحلم أو الغضب ؟

ما يصدق ذلك الا مغيب العقل !! وتلوت قوله تعـــالى : « أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ؟

اننا أمام أدوات القدرة العليا ، وهى تبرز مشيئة الخالق الجليل ، وكأنها تقول لنا : ان الله للعالم ليس فيه شائبة غرابة ! أليس يخلق فى كل لحظة تمر ألوفا من الناس ، وألوفا من الدواب ، وصنوفا من النبات ؟؟

ان ابداع الخليقة ليس فلتة وقعت وانتهت ، وأمست فى ذمة التاريخ بحيث يستطيع المكابرون أن يجادلوا فيها .. لا .. ان الايجاد من الصفر يقع أمام أعيننا كل يوم فى عالم الأحياء فلم هذا المراء ؟

ان بديع السموات والأرض لا يزال يخلق فى كل وقت وفى كل شبر صنوفا من الأحياء الدقيقة والجليلة لا حصر لها فكيف ينكر ما كان من خلق أول أو ما سوف يكون من بعث وجزاء ؟ « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير » .

ولنفرض جدلا أن بعض النـــاس يرى أن الفلك الدوار يجـــرى فى الفضاء ، دون ضابط ولا رابط ، وأن الوليد الخارج من ظلمات الرحم لا مع العين ، مورد الخد ، مفتر الثغر ، قد صنعه على هذا التقويم الحسن شىء ما فى بطن الأم !!

لنفرض أن بعض الناس ركب رأسه وقال هذا الكلام .

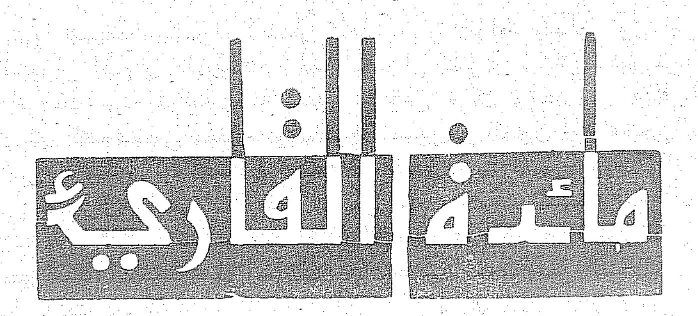
فما الذى يجعل هذا الزعم السخيف يوصف بأنه علم وتقدمية على حين يوصف منطق الايمان بأنه جمود ورجعيـــة ؟ سبحـــانك هذا بهتـــان عظيم !

لقد آن الأوان لتهتك الأستار عن أدعياء التقـــدم الذين يمثلون فى الواقع ارتكاسا انسانيا الى جاهلية عديمة الشرف والخير مبتوتة الصلة بالعقل وذكائه والعلم وكشوفه ..

---

(١) ليس هذا العالم ممن يعتنقون مذهب الوحدة على النحو الذى يعرفه الهنود ، أو النحو الذى تسرب من الهندوكية الى بعض الديانات الأخرى ، ولكنه يريد أن يقول : انه يرى الله فى كل شىء ، يلمح صفاته العظمى فى مجالى الكون كلها « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » وعذر الرجل أنه لا يعرف الاسلام فيعبر التعبير المأثور ..

(٢) الاستفهام تقريرى كما يقول العلماء ، يعنى قد أتى على كل أمرىء وقت كان فيه عدما محضا ، وهو الوقت السابق لميلادنا ، فما كنا شيئا قط قبله ، فمن استحيانا من ذلك الفناء ؟



الامـــارة

عن عطاء بن يسار قال : قال رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الامارة فقال النبى : نعم الشيء الامارة لمن أخذها بحلها وحقها وبئس الشيء الامارة لمن أخذها بغير حقها وحلها . تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة .

امارات الانصراف

كانت لكل حاكم امارة يفهم منها جلساؤه أنه يريد الانصراف .
كان (أنوشروان) يقول : قرت أعينكم و (عمر) يقول : قامت الصلاة ، (وعثمان) يقول : العزة لله ، (ومعاوية) يقول : ذهب الليل ، (وعبد الملك) يقول : اذا شئتم ، (والوليد) يلقى المخصرة ، (والرشيد) يقول : سبحان الله ، (والواثق) يمس عارضيه .

درس مالك

كان الامام مالك اذا أتاه الناس خرجت اليهم الجارية فتقول لهم :
يقول لكم الشيخ : أتريدون الحديث أم المسائل ، فان قالوا المسائل خرج اليهم ، فأفتاهم ، وان قالوا الحديث ، قال لهم اجلسوا ، ودخل مغتسله فاغتسل ، وتطيب ، ولبس ثيابا جددا وتلقى له المنصة ، فيخرج اليهم ، وعليه الخشوع ، ويوضع عود ، فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنسوة خالد

فقد خالد بن الوليد قلنسوته يوم اليرموك ، فقال : أطلبوها فبحثوا ، ونظروا فلم يجدوها ، فما زال بهم يأمرهم ، ويلح فى طلبها حتى وجدوها ، فاذا هى خلقة لا تساوى شيئا ، فسئل عن ذلك ، فقال : اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه ، فابتدر الناس شعره ، فسبقتهم الى ناصيته ، فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر .

فراسة عمر

روى أن عمر أبصر أعرابيا نازلا من جبل فقال : هذا رجل مصاب بولده ، قد نظم فيه شعرا لو شاء لأسمعكم ، ثم قال : يا أعرابى من أين أقبلت ؟ قال : من أعلى هذا الجبل . قال : وما صنعت فيه ؟ قال : أودعته وديعة لى . قال : وما وديعتك ؟ قال : بنى لى هلك ، فدفنته فيه . قال : فأسمعنا مرثيتك فيه ، فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تفوهت بذلك وانما حدثت به نفسى ، ثم أنشد :

يا غائبا ما يؤوب من سفره ... عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لى أنسا ... فى طول ليلى نعم وفى قصره
ما تقع العين حيث ما وقعت ... فى الحى منه الا على أثره
شربت كأسا أبوك شاربها ... لا بد منها له على كبره

النحوى البخيل

وقف أعرابى على نحوى معروف وهو يتغدى ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ، ثم أقبل على الأكل ، ولم يعزم عليه ، فقال له الأعرابى : انى قد مررت بأهلك ، قال : كذلك كان طريقك . قال : وامرأتك حبلى . قال : كذلك عهدى بها . قال : قد ولدت . قال : كان لا بد لها أن تلد . قال : ولدت غلامين : قال : كذلك كانت أمها . قال : مات أحدهما . قال : ما كانت لتقوى على ارضاع اثنين . قال : ثم مات الآخر . قال : ما كان ليبقى بعد موت أخيه . قال : وماتت الأم قال : حزنا على ولديها . قال : ما أطيب طعامك . قال : لأجل ذلك أكلته وحدى .

أرخص أجرة

استأجر رجل حمالا ليحمل قفصا فيه زجاج ، وجعل أجره أن يعلمه ثلاث وصايا نافعة ، فحمل الرجل القفص ، فلما بلغ ثلث الطريق ، قال : هات الوصية الأولى . فقال له : من قال لك أن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه ، فقال نعم ، فلما بلغ ثلثى الطريق قال : هات الوصية الثانية ، فقال له : من قال لك أن المشى خير من الركوب فلا تصدقه ، فقال نعم ، فلما انتهى الى باب الدار قال له : هات الوصية الثالثة ، فقال له : من قال لك انه وجد حمالا أرخص منك ، فلا تصدقه، فرمى الحمال القفص على الارض وقال له : ومن قال لك ان فى هذا القفص قارورة واحدة صحيحة ، فلا تصدقه .

الاتجاهات المنحرفة في

دوافعها ودفعها

الاتجاه المنحرف

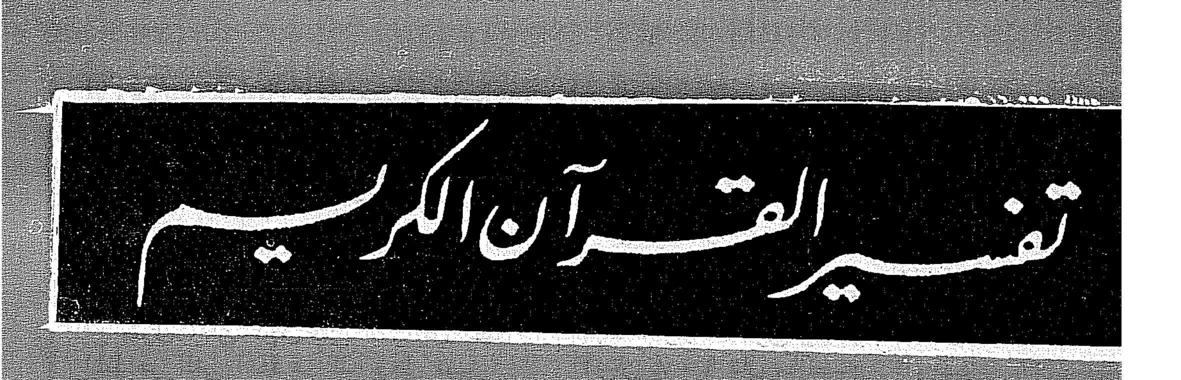
تتبع فضيلة الاستاذ كاتب المقال الانحرافات فى كتب التفسير على اختلاف عصورها ، وتباين مذاهبها واتجاهها ، وله فى هذا الموضوع بحث مستفيض فرغ من اعداده منذ سنة ١٩٦٦م ولكنه لم ينشره ، ونحن فيما يلى ننشر المقالة السابعة من هذا البحث .

* *

وجد التصوف — بمعنى الزهد والتقشف والمبالغة فى العبادة — منذ الصدر الأول للاسلام ، ولم يعرف لفظ التصوف ، وتطلق كلمة الصوفية على هؤلاء الزهاد الا فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وفى هذا القرن تولدت بعض الأبحاث الصوفية وظهرت تعاليم القوم ونظرياتهم التى تواضعوا عليها ، وأخذت هذه الأبحاث والتعاليم تنمو وتتزايد كلما تقادم العهد عليها ، وبمقدار ما يستفيده القوم ممن يتصلون بهم من الفلاسفة وغيرهم .

ولقد كان لبعض المتصوفة صلات قوية بالفلاسفة ، واهتمام ظاهر — بالنظريات الفلسفية ، حتى وجدنا من بينهم رجالا أشبه بالفلاسفة منهم بالصوفية ، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بنظريات فلسفية لا تتفق ومبادىء الشريعة ، ومن هنا كان للمتصوفة فى تصوفهم اتجاهان : اتجاه نظرى يقوم على البحث والدراسة واتجاه عملى يقوم على التقشف والزهد والتفانى فى طاعة الله .

وكان للمتصوفة — كغيرهم من طوائف المسلمين — دراسات فى القرآن الكريم ، وكان لهم فى تفسيره مؤلفات حوتها المكتبة الاسلامية ، بعضها قديم وبعضها حديث ، وكانت دراسات المتصوفة للقرآن وشروحهم له عليها طابع التصوف ، فظهر فيها بوضوح أثر التصوف النظرى الذى



للأستاذ محمد الذهبي

في التفسير للصوفية

ينبنى على مقدمات علمية تنقدح فى ذهن الصوفى أولا ، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك .

كما ظهر بوضوح — ايضا — أثر التصوف العملى الذى يرتكز على رياضة روحية ، يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل الى درجة تنكشف له فيها من سجوف العبارات اشارات قدسية ، وتنهل على قلبه من سحب الغيب معارف سبحانية ، يشرح بها كتاب الله عز وجل .

واذا ما ذهبنا نستعرض ما للقوم من تفسير صوفى نظرى ، وما لهم من تفسير اشارى فيضى ، وجدنا فى هذا وذاك اتجاها منحرفا عن النهج القويم لتفسير القرآن الحكيم ، فالتفسير الصوفى النظرى تفسير يخرج بالقرآن — فى الغالب — عن هدفه الذى يرمى اليه .. يقصد القرآن هدفا معينا بنصوصه وآياته ويقصد الصوفى هدفا معينا بأبحاثه ونظرياته ، وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد ، فيأبى الصوفى الا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده الى ما يقصده هو ويرمى اليه ، وغرضه بهذا كله أن يروج لتصوفه على حساب القرآن ، وأن يقيم نظرياته وآراءه على أساس من كتاب الله وبهذا الصنيع يكون الصوفى قد خدم فلسفته ونظرياته التصوفية ، ولم يقدم للقرآن شيئا الا هذا التأويل الذى كله شر على الدين وإلحاد فى آيات الله .

رأينا ابن عربى يميل ببعض الآيات الى ما يذهب اليه من القول بوحدة الوجود ، ورأينا غيره كأبى يزيد البسطامى والحلاج ومن على شاكلتهما يسلك هذا المسلك نفسه أو قريبا منه ، ووحدة الوجود — عندهم — معناها : أنه ليس هناك

الا وجود واحد،كل العالممظاهرومجال له ، فالله سبحانه هو الموجود بحق وكل ما عداه ظواهر وأوهام ، ولا توصف بالوجود الا بضرب من التوسع والمجاز .

هذا المذهب خول لمثل الحلاج أن يقول : أنا الله ، ولمثل ابن عربى أن يقول : ان عجل بنى اسرائيل أحد المظاهر التى اتخذها الله وحل فيها ، والذى جره فيما بعد الى القول بوحدة الأديان ، وأنه لا فرق بين سماوى وغير سماوى ، اذ الكل يعبدون الاله الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات .

ولقد وجدنا لابن عربى فى الفتوحات المكية ، وفى فصوص الحكم ، وفى كتاب التفسير المنسوب له أقوالا فى التفسير بناها على نظريته فى وحدة الوجود ، فمن ذلك أنه فسر قوله تعالى فى سورة الاسراء : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه .. » .. « الآية : ٢٣ فقال ما نصه : (.. فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الامر ، ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح ، فانهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الاشياء الا لتقربهم الى الله زلفى ، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ، وما ثم صورة الا الالوهية فنسبوها اليهم ، ولهذا يقضى الحق حوائجهم اذا توسلوا بها اليه غيرة منه على المقام أن يهتضم ، وان أخطأوا فى النسبة فما أخطأوا فى المقام ..) أ . هـ . من الفتوحات جـ ٣ ص ١١٧ .

ولما فسر قوله تعالى فى سورة البقرة : « والهكم اله واحد » الآية ١٦٣ قال ما نصه : « .. ان الله تعالى خاطب فى هذه الآية المسلمين .. والذين عبدوا غير الله قربة الى الله فما عبدوا الا الله ، فلما قالوا : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فأكدوا ذكر العلة ، فقال الله لنا : إن الهكم والاله الذى يطلب المشرك القربة اليه بعبادة هذا الذى أشرك به واحد ، كأنكم ما اختلفتم فى أحديته .. » أ . هـ . فى الفتوحات جـ ٤ ص ١٦٠ وما بعدها .

ولما فسر قوله تعالى فى سورة المزمل : « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب ... » الآيتان ٨ ، ٩ قال ما نصه : « واذكر اسم ربك الذى هو أنت ، أى اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينسك الله ، واجتهد لتحصيل كمالها ، بعد معرفة حقيقتها .. « رب المشرق والمغرب » أى الذى ظهر عليك نوره فطلع من أفق وجودك بايجادك ، والمغرب : الذى اختفى بوجودك وغرب نوره فيك واحتجب بك » أ . هـ من تفسير ابن عربى جـ ٢ ص ٣٥٢ .

ومن التفسير الذى تأثر فيه ابن عربى بنظريات الفلاسفة ، ولكنه لا يبلغ فى انحرافه مبلغ ما سبق ، تفسيره لقوله تعالى فى سورة مريم ، فى شأن ادريس عليه السلام : « ورفعناه مكانا عليا » الآية ٥٧ وذلك حيث يقول : « وأعلى الأمكنة المكان الذى تدور عليه رحى عالم الأفلاك ، وهو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية ادريس ، وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك ، وهو الخامس عشر .. » ثم ذكر الأفلاك التى تحت فلك الشمس والتى فوقه ، ثم قال : « وأما علو المكانة فهو لنا أعنى المحمديين كما قال تعالى : « وأنتم الأعلون والله معكم » أ . هـ . من الفصوص جـ ١ ص ٢٦ .

ومن ذلك أيضا تفسيره لقوله تعالى فى سورة الرحمن : « مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان » الآيتان : ١٩ ، ٢٠ حيث يقول : « مرج البحرين » بحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الأجاج ، وبحر الروح الذى هو العذب الفرات (يلتقيان) فى الوجود الانسانى

(بينهما برزخ) هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الروح المجردة ولطافتها ، ولا فى كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها (لا يبغيان) لا يتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته ، فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله فى جنسه ، ولا البدن يجسد الروح ويجعله ماديا . سبحان خالق الخلق القادر على ما يشاء » أ . هـ . من تفسير ابن عربى جـ ٢ ص ٢٨٠ .

وليس من شك فى أن التفسير الذى أقامه ابن عربى على نظرية وحدة الوجود لا يقبل بحال من الأحوال ، لانه هدم الدين من اساسه كما أن التفسير الذى اقامه على نظريات الفلاسفة فى الطبيعة وما وراء الطبيعة لا يقبل على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذى جاء القرآن من أجله .

هذه كلمة الحق أقولها فى الاتجاه النظرى للتفسير الصوفى .

أما الاتجاه الاشارى أو الفيضى ، فللقوم فيه جولات وشطحات ، واذا ما بحثنا عن مستند لهذا الاتجاه فى التفسير ، وجدنا مستندهم الأول والأهم ما ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن القرآن له ظهر وبطن . وعلماء الرسوم — فى زعم القوم — يفهمون الظاهر فقط ، أما الباطن فلا يدركه الا من صفت نفسه ، وتعلق بالله قلبه ، حتى أصبح يدرك بعين اليقين ما لا يدركه أهل الرسوم بعلم اليقين . ولا نريد أن نناقش القوم فى صحة ما ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن القرآن له ظهر وبطن ، ولكن نناقشهم فى معنى الظهر والبطن ، فهل الظهر ما يظهر من معنى النص القرآنى بادى الرأى ، والبطن ألغاز وأحاجى ومعميات لا يفهمها الا هم ؟ ... لا : فالقرآن فوق هذا ، لأن الله يقول فى شأنه : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » سورة القمر ، ويقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » سورة المائدة . ويقول : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات » سورة البقرة ٩٩ .

والذى أدين الله عليه أن ظاهر القرآن — وهو المنزل بلسان عربى مبين — هو المفهوم العربى المجرد ، وباطنه هو مراد الله تعالى ، وغرضه الذى يقصد اليه من وراء الألفاظ والتراكيب ، وعلى ذلك نقول :

ان كل ما كان من المعانى العربية التى لا ينبنى فهم القرآن الا عليها داخل تحت الظاهر ، واذا لا يشترط فى فهم ظاهر القرآن الكريم زيادة على الجريان على اللسان العربى ، وكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربى ليس من تفسير القرآن فى شىء .. لا مما يستفاد منه ، ولا مما يستفاد به ، ومن ادعى غير ذلك فهو مبطل فى دعواه

أما المعنى الباطن ، فلا يكفى فيه الجريان على اللسان العربى وحده بل لا بد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى فى قلب الانسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا : أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآنى .. ولهذا اشترط العلماء لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين :

أولهما : أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب بحيث يجرى على المقاصد العربية .

وثانيهما : أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا فى محل آخر يشهد لصحته من غير معارض .

أما الشرط الأول ، فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيا ، فانه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب ، لم يوصف بكونه عربيا باطلاق ، ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن وليس فى ألفاظه ولا فى معانيه ما يدل عليه وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب

اليه أصلا ، اذ ليست نسبته اليه على أنه مدلوله أولى من نسبة ضده اليه ، ولا مرجح يدل على أحدهما ، فاثبات أحدهما تحكم وتقول على القرآن ظاهر ، وعند ذلك يدخل قائله تحت اثم من قال فى كتاب الله بغير علم

وأما الشرط الثانى ، فلأنه ان لم يكن له شاهد فى محل آخر ، أو كان وله معارض ، صار من جملة الدعاوى التى تدعى على القرآن ، والدعوى المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء الموافقات للشاطبى ج ٣ ص ٣٩٤ .

اذا عرفنا هذا كله ، ثم ذهبنا نستعرض على ضوئه أقوال القوم فى معانى القرآن الباطنة ، وجدنا كثيرا منها من قبيل الباطن الصحيح ، ووجدنا كثيرا منها أيضا من قبيل الباطن الفاسد المرفوض .

فمن الأفهام الباطنية المنقولة عنهم فى التفسير ويمكن أن تكون من قبيل الباطن الصحيح المقبول : ما قاله سهل التسترى فى تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » ٢٢ . قال — رحمه الله — « فلا تجعلوا لله أندادا » أى أضدادا ، فأكبر الأضداد النفس الامارة بالسوء ، المتطلعة الى حظوظها ومناها بغير هدى من الله » أ. هـ. من تفسير القرآن العظيم للتسترى ص ١٤ .

فهذا القول من سهل يشير الى أن النفس الأمارة بالسوء داخلة تحت عموم الأنداد ، حتى لو فصل لكان المعنى : فلا تجعلوا لله أندادا ، لا صنما ، ولا شيطانا ، ولا النفس ، ولا كذا ، ولا كذا .. وهذا مشكل من حيث الظاهر ، لأن سياق الآية وما يحف بها من قرائن ، يدل على أن الأنداد مراد بها كل ما يعبد من دون الله ، سواء أكان صنما أم غير صنم ، أما الأنفس فلم تكن معبودة لهم ، ولم يعرف أنهم اتخذوها أربابا من دون الله ، ومع هذا فيمكن أن يكون لهذا التفسير وجه صحيح ، وبيان ذلك :

ان الناظر فى القرآن الكريم قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار ، فيجريه فيما لم تنزل فيه الآية ، لأنه يجامعه فى القصد أو يقاربه ، وسهل التسترى — رحمه الله — حين قال فى الآية ما قال لم يرد أنه تفسير للآية ، بل أتى بما هو ند فى الاعتبار الشرعى ، وذلك لأن حقيقة الند : أنه المضاد لنده ، الجارى على مناقضته ، والنفس الامارة هذا شأنها ، لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها ، لاهية أو صادرة عن مراعاة حقوق خالقها ، وهذا هو الذى يعنى به الند بالنسبة لنده ، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه ، وعلى هذا فلا غبار على قول سهل فى الآية ، بل وهناك ما يشهد له من الجهتين : جهة حمل الأنداد على الأنفس الامارة اعتبارا وجهة كون الخطاب — وان كان موجها للمشركين — فيه لأهل الاسلام نظر واعتبار ..

أما ما يشهد له من الجهة الأولى فقوله تعالى فى الآية (٣١) من سورة التوبة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وظاهر أنهم لم يعبدوهم من دون الله ، ولكنهم ائتمروا بأوامرهم ، وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان ، فما حرموا عليهم حرموه ، وما أباحوا لهم حللوه ، وفاتهم أن المحلل والمحرم هو الله ، فقال الله سبحانه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وهذا بعينه هو شأن المتبع لهوى نفسه .

وأما ما يشهد له من الجهة الثانية : فهو أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لبعض من توسع فى الدنيا من أهل الايمان : أين تذهب بكم هذه الآية ؟ « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا » وكان هو يعتبر نفسه بها ، مع أن الآية نزلت فى حق الكفار

لقوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا .. » الآية (٢٠) من سورة الأحقاف . فعمر رضى الله عنه له فى الآية نظر واعتبار ، فأخذ من معناها معنى أجرى الآية فيه وان لم تنزل فيه ، حذرا منه وخوفا أن يكون التوسع فى المباحات سببا فى الحرمان من نعيم الآخرة ومتاعها ، فاذا صح لعمر — رضى الله عنه — أن ينزل الآية على المتوسعين فى المباحات من المؤمنين ولم تنزل فيهم ، صح لسهل أيضا أن ينزل الآية على النفس الامارة وان لم تنزل فيها كذلك مثل هذا التفسير الذى قاله سهل التسترى — وهو كثير فى تفاسير الصوفية — لا نعدم له وجها نحمله عليه حتى يكون تفسيرا صحيحا مقبولا .. ولكن هناك أقوال لبعض الصوفية فى التفسير الاشارى يقف أمامها العقل حائرا وعاجزا عن تلمس محمل لها تحمل عليه حتى تبدو صحيحة وتصبح مقبولة .

فمن ذلك — وهو كثير — ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسيره (ألم) فاتحة البقرة . قال : « ألم : قيل : ان الألف ألف الوحدانية . واللام : لام اللطف . والميم : ميم الملك . معناه : من وجدنى على الحقيقة باسقاط العلائق والأغراض تلطفت له .. فأخرجته من رق العبودية الى الملأ الأعلى ، وهو الاتصال بمالك الملك ، دون الاشتغال بشىء من الملك .. وقيل : ألم : معنى الألف : أى أفرد سرك . واللام: لين جوارحك لعبادتى . والميم : أقم معى بمحو رسومك وصفاتك أزينك بصفات الأنس بى والمشاهدة اياى والقرب منى .. » أ . هـ . من حقائق التفسير للسلمى ص ٩ .

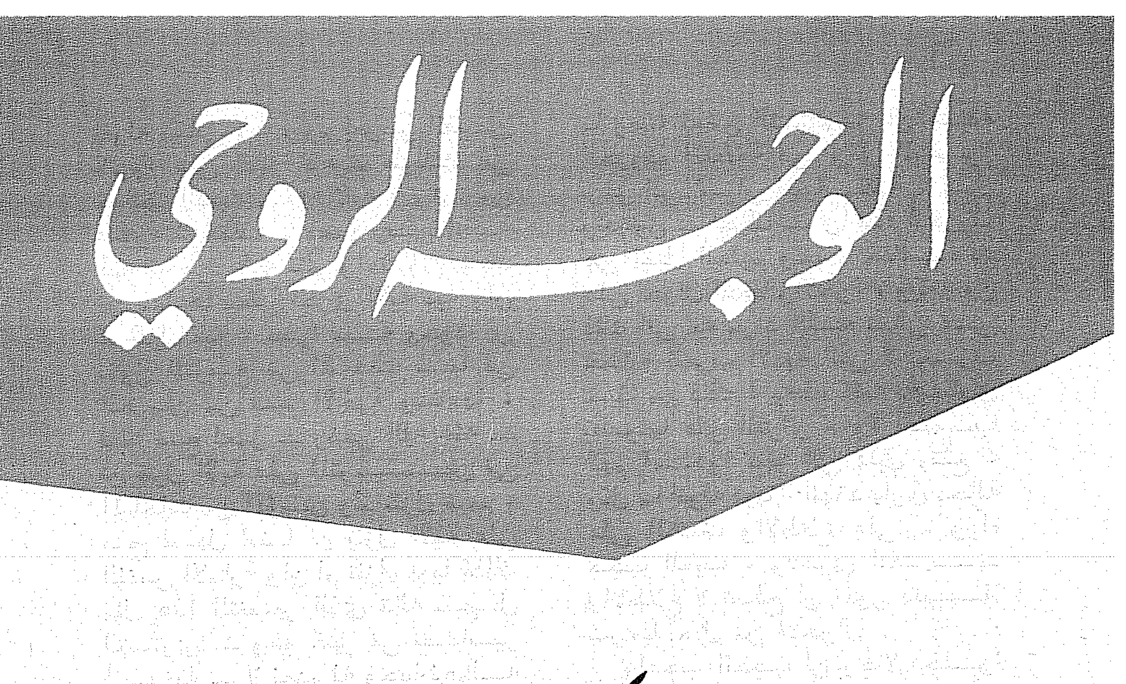
ولا شك أن مثل هذا التفسير الذى ذكره أبو عبد الرحمن السلمى ، تفسير مشكل ، وأعظم منه أشكالا ما زعمه بعض القوم من أن هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور ترمز الى أسرار غيبية مكنية ، بل ويدعون — أحيانا — أن هذه الحروف هى أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك الى أنه مراد الله تعالى فى خطابه العرب الأمية التى لا تعرف شيئا من ذلك ، وهذه كلها دعاوى يدعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم استندوا فيها الى دليل مقنع ، وكل ما أقوله فيها : أنها دعاوى محالة على الكشف والاطلاع على ما وراء حجب الغيب ، ودعوى الكشف والاطلاع لا تصلح أن تكون دليلا شرعيا بحال من الأحوال .

وأعجب العجب أن رجالا دخلوا فى التصوف وهم من غير أهله ، وتظاهروا بالورع والطاعة ، وتحلوا بالزهد الكاذب والورع المصطنع ، وكان لهؤلاء — على فرط جهلهم — محاولات فى التفسير لا يقبلها عقل ولا يقرها شرع ، ولا يمكن بأية حال أن يتحملها النص القرآنى الكريم .

فمن ذلك الهراء : ما نقله السيوطى فى الاتقان جـ ٢ ص ١٨٤ عن بعض جهلة المتصوفة أنه فسر قوله تعالى فى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » فقال : معناه : « من ذل » من الذل « ذى » اشارة الى النفس ، « يشف » من الشفاء « ع » من الوعى .

ومن ذلك أيضا ما نقل عن بعضهم أنه فسر قوله تعالى فى الآية (٦٩) من سورة العنكبوت « وان الله لمع المحسنين » فجعل (لمع) فعلا ماضيا بمعنى أضاء ، و (المحسنين) مفعوله مبادىء التفسير للخضرى ٩ .

ولا شك أن هذا التفسير وأمثاله لحاد فى آيات الله ، وقائلوه محرفون للكلم عن مواضعه ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

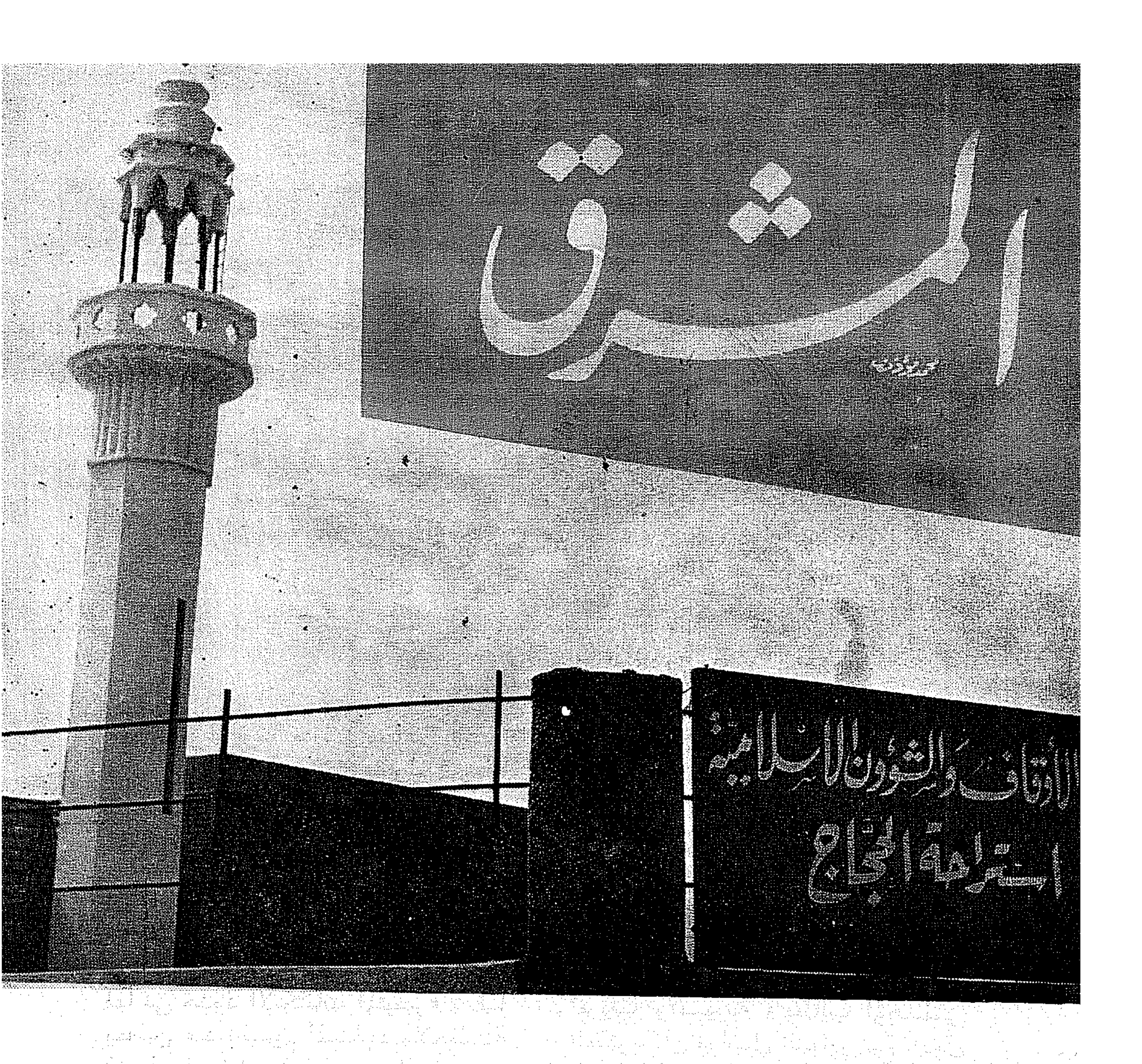


لدولة الكويت

تضمنت الصيغة المقترحة لمشروع الجواب على الخطاب الأميرى الذى ألقاه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى الجلسة الأولى لافتتاح الدور العادى الأول للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة الموقر — النص التالى الذى يعبر أصدق تعبير عن الاتجاه الاسلامى للسادة ممثلى الشعب فى دولة الكويت المسلمة الفتية ، وقد رأت المجلة أن تنشره تسجيلا له ، وابرازا لجوانب النشاط المختلفة والمسئوليات الكبيرة التى تضطلع بها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

الأئمة والخطباء :

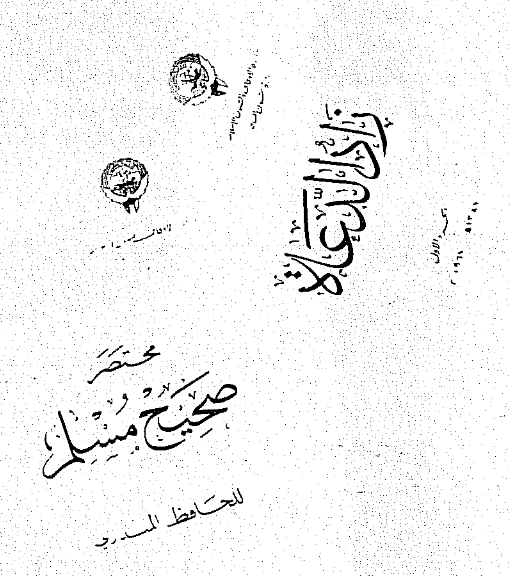
يوصى هذا المجلس مؤكدا أن يتم اختيار الأئمة والخطباء والوعاظ من المؤهلين من ذوى الدراية والمعرفة بشؤون دينهم الحنيف ومبادئه ومثله المثلى ، وممن عرفوا بالتقوى والنزاهة والامانة والصدق والكفاءة لتأدية رسالتهم السامية فى تهذيب النفوس ، وحث جماهير المسلمين على القيام بواجباتهم والجهاد فى سبيل وطنهم وأمتهم العربية ، ومناهضة الاستعمار والاستغلال والبغى ، وتبصيرهم بما ينصب لهم الأعداء من شراك ، ويعدون

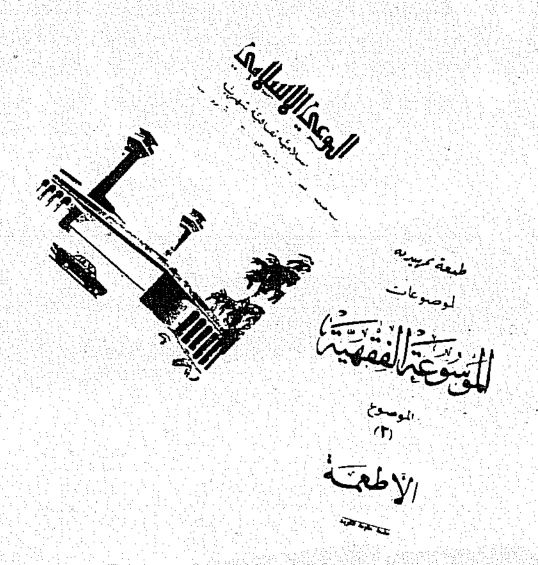


لهم من مؤامرات ومناورات للفرقة وتشتيت الشمل وتثبيط الهمم ، وتثقيفهم بما يجنبهم مزالق الفتن والضلال ، لأن المادية والانحراف عن المثل الروحية والأخلاق قد طغت ، حتى لتكاد تودى بأسس المجتمع وهى الدين والأخلاق الوطنية ، وانه ان كان من واجب الوزارة أن تراقب الخطب ، فليكن ذلك فى حدود ما ذكر من خطوط عريضة ، وترك الحرية لهم دون ما الزام الا فى هذه الحدود ، وفضلا عن ذلك يجب أن يكون مراقبو المساجد الذين يقومون بالرقابة والاشراف على حسن سير العمل بالمساجد وصيانتها ونظافتها من المشهود لهم بالتقوى والمعروفين بالمواظبة على غشيان المساجد فى كل الأوقات ، وبهذه المناسبة يطالب المجلس بتشجيع أبنائنا الكويتيين واعطائهم رواتب مجزية ليقبلوا على وظائف الأئمة والخطباء ، والوعاظ والرقباء والمؤذنين .

المساجد :

هذا ويلاحظ المجلس أن بعض المساجد فى بعض المناطق مداخلها

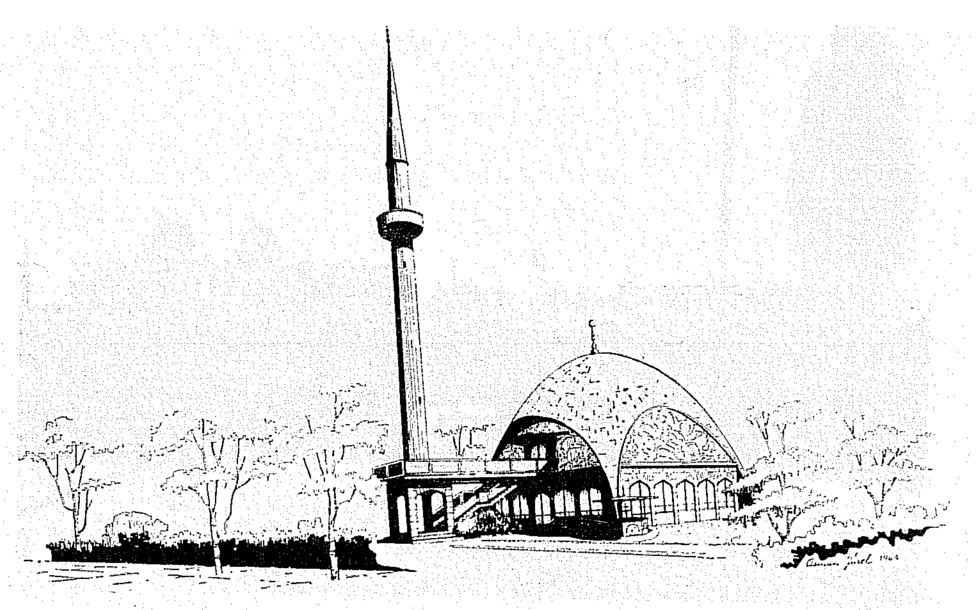




ومبانيها بل وما حولها بحاجة الى مزيد من العناية بصيانتها ونظافتها التى توفر لبيوت الله جلالها وتبعث فى نفوس من يؤمونها الاحترام والخشوع ورهبة المكان ، كما يلاحظ أن بعض المساجد تضيق بقصادها للصلاة والعبادة لصغر مساحتها ، ولذلك يحسن عمل التوسيعات اللازمة لها فى حدود الامكانات المتيسرة ، كما يحسن عند تصميم المساجد ملاحظة اتساعها وغض النظر عن الزخرف والفخامة لتفى بأغراضها الدينية النبيلة ، وكذلك يحسن عند اختيار مواقع المساجد أن تكون على أرض مناسبة وقريبة من تجمعات السكان بالمنطقة ، وأن تلحق بها بيوت للأئمة والمؤذنين ، ويطالب المجلس أن تخصص الميزانيات الأموال اللازمة لبناء مساجد فى المناطق والقرى الخالية منها أو التى بحاجة الى المزيد منها ، وأن يلاحظ عند الشروع فى انشاء منطقة جديدة أن يشرع فى الوقت نفسه فى اقامة المساجد اللازمة لها على أن تلحق بكل مسجد مكتبة عامة تزود بالمراجع الفقهية والكتب الدينية المبسطة لتشجيع الجمهور على الاقبال على مطالعتها والاستفادة منها .

وان المجلس اذ يرقب باهتمام بالغ ما تقوم به الحكومة من متابعة التعاون مع المراكز والهيئات المعنية بنشر الدعوة الاسلامية فى بلاد أفريقية وآسيوية ، يطالب المجلس الحكومة أن تواصل التعاون مع الدول الاسلامية على توحيد الجهود لنشر الدعوة الاسلامية فى البلاد الافريقية والآسيوية وغيرها التى حال المستعمر حينا من الدهر دون دخول الاسلام اليها أو انتشاره فيها وتزويدها قدر المستطاع بالمصاحف والكتب المبسطة والنشرات باللغة العربية الى جانب اللغات المحلية السائدة فى تلك البلاد .

هذا ويطالب المجلس بالعمل على وضع تفسير موحد للقرآن الكريم يتضافر على اعداده جمع من جهابذة علماء المسلمين ويوصى بوضع موسوعة للفقه الاسلامى تجمع أشتات



مسجد ميونخ بألمانيا الغربية ، وقد ساهمت الوزارة فى انشائه . .

مذاهبه احياء لهذا التراث القيم الذى يستظهر معالم الثقافة الاسلامية قديمها وحديثها ، ولكى تكون ذخرا باقيا لهذا الفقه الأصيل الذى يخشى لا قدر الله ضياعه بتناقص العلماء المتخصصين فى التشريع والفقه الاسلامى ، وفضلا عن هذا يوصى المجلس بأن تضم مجلة الوعى الاسلامى صفحات تنوه وتشيد بذكر أهل الخير من السلف الصالح الكويتيين الأبرار لقاء ما بذلوا من أموالهم فى أعمال خيرية جليلة ، ليكون ذلك قدوة حسنة لأبناء هذا الجيل وحفزا لهممهم على تأثر خطاهم ونهجهم هذا النهج الكريم .

هذا ويؤكد المجلس على العناية بالوقف واستثمار أمواله تحقيقا لمقاصد الواقفين .

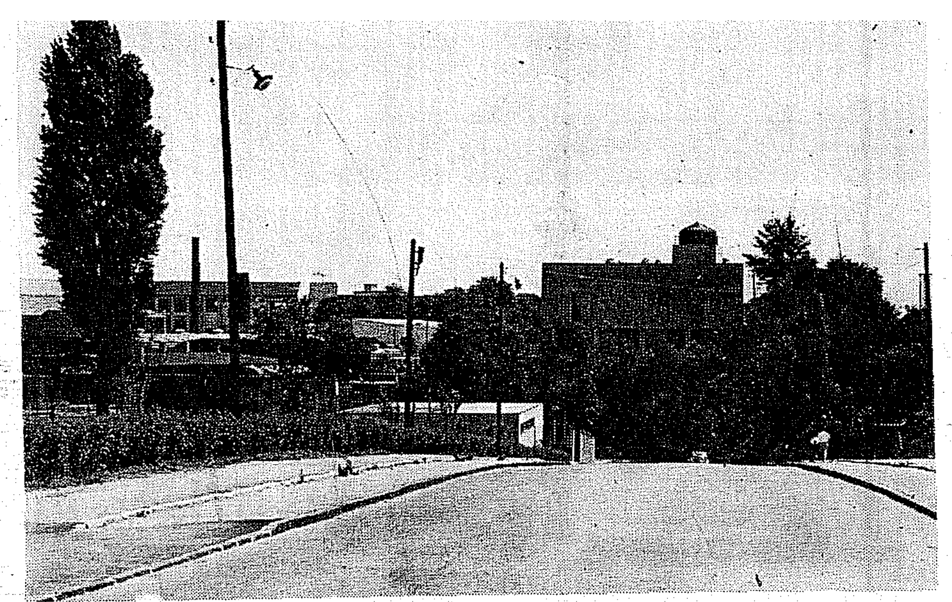
وقد أدلى الأستاذ عبد الرحمن عبد الله المحجم وكيل الوزارة بتصريح الى جريدة السياسة الكويتية تحدث فيه عن أبرز نشاطات الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية ، ومكافحة النشاط الصهيونى فى آسيا وأفريقيا جاء فيه:

أخذت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على عاتقها مهمة القيام بنشر الدعوة الاسلامية ، ومكافحة النشاط الصهيونى فى دول أفريقيا وآسيا وغيرها من شعوب العالم ، وذلك استجابة لأمرين :

الأول : ايماننا العميق بعظمة الاسلام ، وواجب الدعوة له امتثالا لأمر الله تعالى ، وتلبية لحاجة الانسانية المتعطشة الى دعوة تتوازن فيها المادة مع الروح ، وتقيم ميزان القسط والحق بين الناس .

الثانى : استجابة لقرارات مجلس الأمة الموقر ، وتوجيهات صاحب السمو أمير البلاد المعظم على ضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية فى القارة الافريقية خاصة وفى آسيا وغيرها من البلاد فى العالم عامة ، وذلك لأن نشر الاسلام فى أفريقيا وغيرها هو السلاح الفعال لمكافحة النشاط الصهيونى المتزايد ، والذى يهدف الى استمالة الشعوب الافريقية الى صفها وكسبها ضد القضية العربية الكبرى .

وتبذل المؤسسات الصهيونية والتبشيرية الأموال الطائلة والجهود



مسجد بلال فى مدينة آخن بألمانيا الغربيـــة الذى ساهمت الوزارة فى نفقات انشـــائه

الكبيرة لمنافسة النشاط الاســـلامى ومكافحته ، وكسب الدعاية لمصلحتهم وتشويه الاسلام ، والاساءة لقضاياه الكبرى .

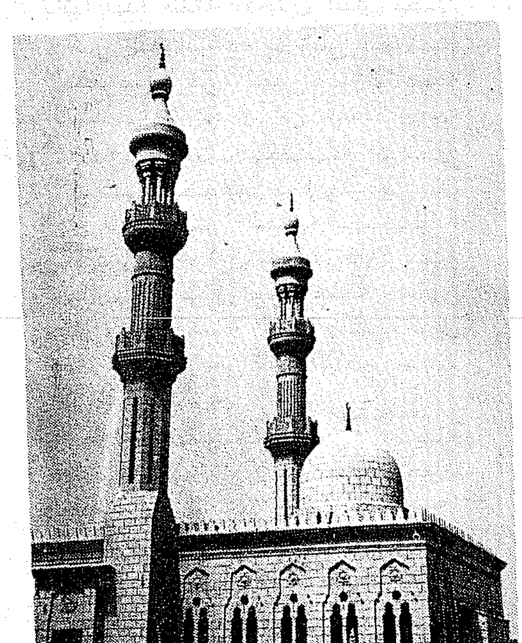
وان الكويت بايمانها العميـــق ، وتمسكها بالاسلام ، لترى القيـــام بهذا الواجب الكبير خدمة توجههـــا المصلحة العليا للأمة العربية،وخدمة لمعانى الخير والحق فى دنيا البشرية وان الوزارة تنشط فى هذا المجال بفضل تشجيع أمير البلاد المفدى ، وتنقسم المساعدات التى تقدمهـــا وزارة الأوقاف والشئون الاســـلامية الى الجمعيات الاسلامية فى العالم الى قسمين :

١ ــ المساعدات الثقافية .

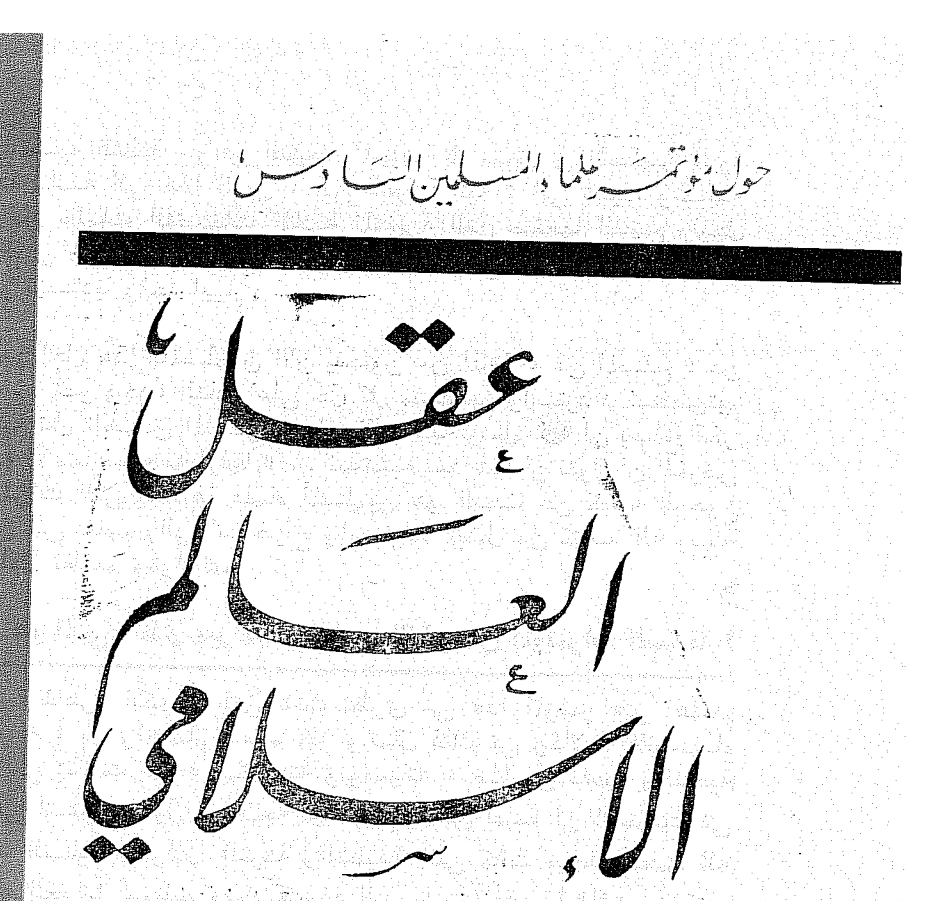
٢ ــ المساعدات المادية عنطريق مجلس الوزراء مباشرة .

أما المساعدات الثقافية فهىتقوم على ما توزعـــه الوزارة من الكتب الاسلامية المتنوعة الجيـــدة المناسبة لنشر الدعوة الاسلامية ، وبيـــان محاسن الاسلام وتجلية مفاهيمه ، ورد الأكاذيب والأباطيل والمفتريـــات التى يروجها أعداء الاســـلام من المستشرقين والمبشرين واليهـــود ،

وتوزع الوزارة سنويا مئـــــات المطبوعات الاعلامية فى العالم التى تهدف الى نشر الدعوة الاسلامية .



مسجد عبد اللطيف العثمان بضاحية عبد الله السالم بالكويت وبناؤه يوشك على التمام ..



كان المؤتمر السادس لعلماء المسلمين فى القاهرة فى الشهر الماضى يمثل عقل العالم الاسلامى المتفتح الذى يبحث واقع المسلمين ومشاكلهم وهو خطوة ناجحة مباركة فى طريق التخطيط لانقاذ المسلمين وقد مثل الكويت فى المؤتمر وفد اشترك فيه فضيلة الاستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس الوكيل المساعد لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وكان لنا معه هذا اللقاء عن المؤتمر ..

ما هو الهدف من عقد مؤتمرات لعلماء المسلمين بالازهر ؟

ـــ أحب فى فاتحة هذا اللقاء وقبل الاجابة عن أسئلتك أن أذكر أن هناك عدة قضايا متفقا عليها ومسلما بها من جميع المسلمين .

القضية الاولى : أن كل مسلم الآن فردا كان أو جماعة يؤمن بأنه يعيش غريبا عن الاسلام فى تقاليده وأعرافه وفى أخلاقه وسلوكه وفى أسرته ومجتمعه وفى نظمه وقوانينه .

والثانية : أن كل مسلم الآن يؤمن بأن هذه الغربة أو البعد عن الاسلام هى السبب الرئيسى فى كل ما أصاب المسلمين وألم بهم من ضعف وتفكك .

والقضية الثالثة : وهى النتيجة المنطقية لما سبق أن المسلمين اليوم فى حاجة ماسة الى هذا الدين ، الى العودة اليه ، الى تنفيذه وتطبيقه لينقذهم من ظلمات الفلسفات المادية المتغيرة التى صنعها الناس وليحل محل الافكار المستوردة التى طغت على حياة المجتمع الاسلامى كله عقائديا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا .

ومن أجل هذا فالمسلمون الآن يبحثون عن المنقذ ، عن المصلح ، عن الاسلام .. فهو وحده القادر على حل كل مشاكلهم واسترداد شخصيتهم والامر كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » .. نستطيع بعد هذا أن نقول أن الغرض من المؤتمرات التى يعقدها علماء المسلمين هو البحث عن كيفية الرجوع بالمسلمين الى دينهم والى استخراج واستنباط البديل من كتاب الله وسنة رسوله لكل نظمهم وقوانينهم ..

ما هو الشيء الذى ميز هذا المؤتمر بالذات عن المؤتمرات السابقة ؟

— الظاهرة الكبرى التى لفتت نظرى فى هذا المؤتمر هى اهتمام المسلمين به ، بل واهتمام العالم كله ويتمثل ذلك فى وكالات الانباء العالمية التى تناقلت أنباءه ومقرراته وتوصياته ، هذا من ناحية والناحية الثانية هى اشتراك دول اسلامية فيه لم يسبق لها أن اشتركت فى المؤتمرات السابقة لعوامل الفرقة والقطيعة التى كانت بينها والحمد لله زالت هذه العوامل ومثلت وفود هذه الدول فى هذا المؤتمر ويكفى أن تعلم أن عقل العالم الاسلامى المتمثل فى صفوة علمائه كان حاضرا فى هذا المؤتمر يفكر فى حاضر المسلمين وفى سبيل حياة أفضل لهم وفى الاجابات عن أسئلة عديدة تشغل بالهم .

ماذا كان موقف المؤتمر تجاه الازمة بين الاردن والفدائيين والازمة فى باكستان ؟

— ما وقع بين قوات المقاومة الفلسطينية والسلطات الاردنية ، وما حدث من اشتباكات بين المسلمين فى باكستان الغربية والشرقية هو الوجه المسلح لغربة المسلمين وبعدهم عن الاسلام ، وسبق أن حدث مثل هذا فى الماضى القريب ووضعت له الحلول ، وعقدت الاتفاقات وشكلت لجان ولكن كل هذه الجهود لم تؤد الى التصالح ولا الى الوحدة لأنها جهود وحلول سطحية فى رأيى ، لأنها مسكنات وقتية لم تعالج الداء من أساسه ولم تقتلع جذوره والحل الوحيد فى رأيى هو سيادة الحكم الاسلامى والنزول على قضاء الله ورسوله ((فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)) ، ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) ..

وقد شغلت هذه الاحداث علماء المسلمين فى المؤتمر واستأثرت بالكثير من جهدهم ووقتهم ، وتبلورت هذه الجهود فى صورة استنكار الفرقة بين المسلمين والدعوة الى وضع السلاح فورا واتخاذ قرارات وتوصيات فى هذا الصدد وارسال برقيات الى أولى الامر تناشدهم الكف عن اراقة الدم المسلم الغالى ، ولكن هذه الجهود هزت البرق والاسلاك ولم تهز القلوب لانه لا يهز القلوب الا الايمان الكامل الذى يتركز فى الحكم والتشريع الاسلامى ولا نستطيع أن نقول أن هذه الجهود ضاعت وتبخرت مع الهواء لانها تركت احساسا عميقا بضرورة العودة الى حكم الله ، والاحساس العميق هو أول خطوة فى طريق الاصلاح .

هناك مشكلات حياتية فى العالم الاسلامى فماذا كان موقف العلماء المسلمين منها ؟

ــ المشكلة الحياتية الاولى فى نظر كثير من الناس الآن هى التغلغل اليهودى أو مجرد الوجود اليهودى فى أرض المسلمين ، وهذه المشكلة وان كانت أخطر المشكلات وأولاها بالاهتمام الا أنها ليست فى اعتقادى المشكلة الاولى بل هى كما قلت كيفية العودة الى الاسلام وأقصد بالعودة المطلوبة ربط جميع القوانين والنظم بالشريعة الاسلامية ربطا محكما وتحكيم الاسلام فى التقاليد الاجتماعية وازالة ما يخالف الدين منها وايجاد البديل الذى يتفق مع هداية الله ، وهيمنة التربية الاسلامية على جميع مراحل التعليم . حين تتحقق العودة بهذه الصورة تحل جميع المشاكل التى تواجه المسلمين وتوجد الوحدة والقوة التى تقضى على التغلغل اليهودى والتغلغل الصليبى ، وعلماء المسلمين يفكرون بجد فى هذا المحيط ويتحركون فى هذه الدائرة والأمر يحتاج الى وقت طويل وجهد كبير وذلك ما نسأل الله العون عليه والتوفيق فيه (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) .

هناك أيضا ــ كما نرى جميعا تيارات الحادية وعلمانية هدامة تتنازع الشباب المسلم فماذا صنع المؤتمر لحماية الشباب من هذه التيارات ؟

ــ يوجد تخطيط كامل بعيد المدى تسانده وتموله منظمات كبرى لزحزحة المسلمين عن دينهم ومن ثم يسهل القضاء عليهم وقد تم هذا التخطيط فى غفلة من المسلمين . يوجد الغزو الفكرى الاجنبى لاقناع المسلمين بأن دينهم لا يصلح للحياة بل لاقناعهم بأن دينهم هو سبب تخلفهم ، هناك غزو الحادى لاقتلاع العقيدة من قلوب المؤمنين ، هناك غزو علمانى لقطع الصلة بيننا وبين السماء ولهدم القيم الروحية وسيطرة المادية وقد واجه المؤتمر هذه التيارات بتوصيات هى بداية العمل ونصها :

١ — يدعو المؤتمر الى انشاء دار للفكر الاسلامى تقوم بخدمة العالم الاسلامى فى مجال التأليف والترجمة والنشر .

٢ — يوصى المؤتمر أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية فى الدول والمجتمعات الاسلامية بمراعاة آداب الاسلام فيما تنشره وأن تضاعف رقابتها على موادها حرصا على مبادىء الاسلام ونقاليده . ومصلحة المجتمع الاسلامى .

٣ — يوصى المؤتمر المسلمين فى جميع مجتمعاتهم رجالا ونساء أن يستمسكوا بآداب الاسلام وتقاليده فى سلوكهم وأزيائهم وسائر تصرفاتهم .

٤ — يوصى المؤتمر وزارات التربية والتعليم والثقافة فى جميع البلاد الاسلامية أن تعنى عناية خاصة بالتراث الاسلامى والتعليم الدينى فى كافة المراحل .

٥ — يطالب المؤتمر جميع الحكومات والهيئات بالمحافظة على العرف الاسلامى فى حفلاتها وعدم تقديم المشروبات الروحية .

٦ — يوصى المؤتمر أن يكون فى كل معهد من معاهد التعليم فى البلاد الاسلامية مسجد أو مصلى لاقامة الصلاة ..

ما هو الانطباع الذى خرجتم به من المؤتمر ؟

— هذا السؤال تقليدى ولكنه على الرغم من هذا فانه يستحق الاجابة عنه ، ولا أكتمك أننى أحسست بفيض من السرور يغمرنى أثناء اجتماعات المؤتمر ، وما ظنك باجتماع يضم كما قلت عقل العالم الاسلامى المتفتح المتمثل فى هذه الصفوة المختارة من علماء المسلمين فى المشرق والمغرب ، انه لقاء خير ينشد الخير للمسلمين ، وقد كان الجميع يؤمنون بأن شيئا واحدا ينقص المسلمين وهو الاسلام ، ولهذا كانت أحاديث الوفود كلها تفيض بالغيرة والحماسة وتتركز على هذا الموضوع ، وفى حمية هذه الغيرة والحماسة وفى استمرارها ترتفع المشاعل على الطريق . طريق الله . طريق القرآن . طريق الاسلام .

ولا يفوتنى فى خاتمة هذا اللقاء أن أؤكد أنه من بشائر التوفيق وأمارات الخير أن ينعقد هذا المؤتمر فى رحاب الازهر الشريف ، وبدعوة من مجمع البحوث الاسلامية وفى ضيافة حكومة الجمهورية العربية التى نكرر لها الشكر على ما لقينا من حفاوة وتكريم لعلماء المسلمين .



للدكتور : تقي الدين الهلالي

وسمت هذه السلسلة التى نسأل الله اتمامها على أحسن وجه بأهل الحديث وجعلت الحلقة الاولى فى ذكر نبذة وجيزة فى فضل أهل الحديث على أن تليها تراجم أهل الحديث وذكر أخبارهم التى ينشرح لها صدر كل مؤمن وكل طالب علم منصف ، فمن هو أول أهل الحديث وأحقهم بالتقدم ؟

الجواب : هو أول المسلمين من هذه الأمة وسيد ولد آدم أجمعين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فتح له الله فتحا مبينا ، ونصره نصرا عزيزا ، وأرسله مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وجعل النصر والعزة مقرونين برايته ورايات من اتبعه الى الابد ، وجعل الذلة ، والصغار ، حليفين لمن خالف أمره ونبذ ما جاء به وراء ظهره . وان كان كالرمل فى العدد قال تعالى فى سورة المؤمن (غافر) رقم ٥١ ، ٥٢ (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) والظالمون المتعذرون يوم القيامة هم الذين عارضوا دعوته وسلكوا سبيلا غير سبيلها وتولوا فريقا غير فريقها قال تعالى فى أول سورة النمل . (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين . هدى وبشرى للمؤمنين . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون . ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون) ولما كان نسبه الشريف ، وسيرته الكريمة ، وغزواته المظفرة مشهورة ومعلومة عند القراء ومراجعتها سهلة فى كل وقت أردت أن أذكر بدلها براهين صدق دعوته ، وكمال رسالته ، واتمام نعمة الله عليه وعلى من اتبعه الى يوم القيامة ،فان كثيرا من الاغمار الجاهلين بهذه الدعوة ظنوا أن ما وعد الله لها من النصر والعلو خاص بزمان دون زمان ، ومكان دون مكان ، وقوم دون آخرين . وأول ما ابتدى به حديث ابن عباس الذى أخرجه البخارى فى صحيحه باسناد كالشمس ليس دونها غمام وهو مما شهد به أبو سفيان بن حرب مما شاهده قبل اسلامه من الآيات .

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الاعداء

فان هذا الحديث مبنى على أدق قواعد الجدل وموزون بالقسطاس المستقيم ، يجله الباحثون ، ويجهله السفهاء الجاهلون قال البخارى رحمه الله : (حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى فقال : أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نسبا فقال : ادنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثمقال لترجمانه قل لهم انى سائل هذا عن هذا الرجلفان كذبنىفكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ، قلت هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال : هذا القول منكم أحد قط قبله قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه من ملك قلت : لا ، قال: فاشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، قال : ايزيدون أم ينقصون قلت : بل يزيدون قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قلت: لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال : ولمتمكنى كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال : فهل قاتلتموه قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه قال : ماذا يأمركم قلت يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله ،وسألتك هلكان من آبائه منملك فذكرت أن لا ،قلت فلو كانمن آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك اشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركمبالصلاة، والصدق ، والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ،وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظنه أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ، ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم — من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فأنى أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابى حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن ابى كبشة،

أنه يخافه ملك بنى الاصفر فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام) .

فى هذا الحديث مباحث :

الأول هو حديث صحيح أخرجه البخارى فى عشرة مواضع من صحيحه قاله الكرمانى ، وقاله الحافظ فى الفتح ، فرواية صالح وهو ابن كيسان أخرجها المؤلف فى كتاب الجهاد بتمامها من طريق ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وفيها من الفوائد الزوائد ما أشرت اليه فى أثناء الكلام على هذا الحديث من قبل ، ولكنه انتهى حديثه عند قول ابى سفيان حتى ادخل الله على الاسلام ، زادهنا وأنا كاره ، ولم يذكر قصة ابن الناطور ، وكذا أخرجه مسلم بدونها من حديث ابراهيم المذكور ورواية يونس أيضا عن الزهرى بهذا الاسناد أخرجها المؤلف فى الجهاد مختصرة من طريق الليث وفى الاستئذان مختصرة أيضا من طريق ابن المبارك ، كلاهما عن يونس عن الزهرى بسنده بعينه ولم يسقه بتمامه ، وقد ساقه بتمامه الطبرانى من طريق عبد الله بن صالح عن الليث وذكر فيه قصة ابن الناطور ، ورواية معمر عن الزهرى كذلك ساقها المؤلف بتمامها فى التفسير أ.هـ. وقد تبين لك أيها القارىء الكريم أن اسناد هذا الحديث فى غاية الصحة اتفق على روايته البخارى ومسلم ، ولما كنت فى برلين سنة ١٩٤١ م كنت أطالع كتابا لأحد السويديين المتعصبين ألفه باللغة الجرمانية وذكر فيه هذا الحديث فكذب به واستبعده ، وقال كلاما قبيحا لا أستطيع حكايته بتمامه ، وسبب تكذيبه الحقيقى هو شدة بغضه للاسلام ونظره اليه بعين السخط التى تبدى المساوى .

أما السبب الذى أظهره فهو أن هرقل فى الوقت الذى وصله كتاب النبى صلى الله عليه وسلم كان على أشد ما يكون من القوة ، وكان يستعد لغزو كسرى عظيم الفرس ، فكيف يخاف هذا الرجل البدوى .. وهذا كلام من أعمى الله بصيرته ، وطبع التعصب على قلبه ، فليس فى الحديث أن هرقل خاف أن يغزوه النبى صلى الله عليه وسلم بجيش عرمرم ويخرجه من بلاد الشام فى ذلك الوقت بعينه ، ولكنه علم بما عنده من العلم بالكتب السماوية من ظهور خاتم النبيين ، ولوفور عقله بعد ما سمع صفات النبى صلى الله عليه وسلم علم أنه حق أرسله الله ليظهره على الدين كله ، وينسخ به الاديان المحرفة السابقة ، ونتيجة ذلك الحتمية خروج الروم من بلاد العرب وكذلك وقع ، ولما وصلت فى القراءة الى ذلك الكلام القبيح غضبت والقيت الكتاب على الارض ، وكانت عندى كاتبة جرمانية فنظرت الى نظرة استنكار وكأنها تقول هب أن المؤلف تعسف وعدل عن الحق فما ذنب الكتاب ؟ فأخذت الكتاب وفتحته وقلت لها اقرئى فلما فرغت من قراءة ذلك الكلام عذرتنى فيما فعلت ، إما مداراة وهو الظاهر أو اقتناعا بما فعلته انه صواب .

البحث الثانى فى سرد البراهين العقلية التى استدل بها هرقل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم . البرهان الأول :

المدة التى ماد فيها النبى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب هى صلح الحديبية وما بعده الى أن نقضت قريش العهد فغزاهم النبى صلى الله عليه وسلم وتم فتح مكة ، واختيار هرقل لأقربهم نسبا لا يخلو من حكمة . فان القريب سواء أكان صديقا أم عدوا يعرف من أخبار قريبه ما لا يعرفه البعيد . وكذلك أمره أن يجعل أصحابه من ورائه وان يكذبوه ان كذب ، فان هرقل كان يعلم أن العرب حتى فى

جاهليتها وخصوصا اشرافها يستقبحون الكذب ولا يرضون به أن يؤثر عنهم،وقد صرح أبو سفيان لشدة عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يمنعه من الكذب الا الخوف من أن يحدث أصحابه أهل مكة اذا رجعوا اليهم أنه كذب ، وهـــذا البرهان هو سؤال هرقل عن نسب هذا الرجل الذى يدعى أنه نبى أهو شريف أم وضيع ، فأخبره أبو سفيان أن نسبه شريف ، وانما سأل هرقل هذا الســؤال علما منه بأن الله أرحم بعباده من أن يبعث رسولا ذا نسب وضيع فى قــوم . ويكلفهم أتباعه وطاعته لأن النفوس تنفر من ذلك كل النفور ، ولذلك نرى الملوك دائما من ذوى الانساب الشريفة بخلاف الفقر فانه لا يضر النسيب الحسيب كما قال الشاعر :

ولا ترى فى غير الصرم منقصة   وما سواه فان الله يكفينى

قال الله تعالى فى قصة طالوت من سورة البقرة رقم ٢٤٧ (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلـــم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم) أ. هـ. ولم نر رسولا أرسله الله من أهل بيت وضيع ، محتقر فى قومه وبهذا احتج المهاجرون على الانصار حين قالوا ، منا أمير ومنكم أمير فقال المهاجرون : أن العرب لا تذعن الا لهذا الحى، من قريش ولذلك كانت الامامة فى قريش بنص الحديث الصحيح ، ولم يخف هذا على هرقل فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نســب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها .

البرهان الثانى : قال هرقل فى سؤاله لأبى سفيان بن حرب فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ فذكرت أن لا ، قال هرقل فى الأجوبة وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله أ . هـ .

قال كاتب هذا المقال كل من نظر بامعان فى تاريخ المقالات ، والدعوات ، والطرائق ، والمذاهب يجد أكثرها قد اتبع فيه اللاحق السابق حـذوك القــذة بالقذة حتى فى الأمم التى ينتشر فيها العلم فكيف بأمة أمية ! فلذلك سأل هرقل أبا ســفيان هل دعا أحد من العرب عموما ، ومن أهل مكة خصوصا الى دعوة مماثلة لدعوة هــذا الرجل فلم يسمع أبا سفيان الا أن أجاب بالنفى فضــم هرقل هذه الحجة الى سابقتها وأخذت نفسه تميل الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم استنادا الى هــــذه الحجج المنطقية التى هى الغاية فى الدقــــة والاستقصاء .

البرهان الثالث : قال هرقل لأبى سفيان فهل كان من آبائه من ملك ؟ قال أبو سفيان ، لا قاله هرقل : وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . أ . هـ .

ولا يخفى أن من أعظم الحوافز والدوافع للدعوات أن يقصد الرجل بهـــا استرداد ملك أبيه او امارته أو رئاســته ، أو مشيخته ، والأمثلة فى التاريخ كثيرة ، وفى الزمان الحاضر أيضا ، وهذا من طبيعة البشر التى لا يكادون ينفكون عنها فى كل زمان ومكان ، حتى أهل الثروة اذا ورثوها عن آبائهم يرون أنفسهم ، أهلا لها ، واذا رأوا رجلا غنيا حديث الثروة احتقروه وذموه واستكبــروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، حتى أن الاقرع ، والابرص ، الواردين فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى حين جاء الملك ليختبر شكرهما وذكرهما بما كانـا عليه من القرع ، والبرص مع الفقر ، قال كل واحد منهما كاذبا انما ورثت هذا

المال كابرا عن كابر فعاقبهما الله وردهما الى ما كانا عليه من العاهة ، والفقر وهذا يدل على دقة نظر ، وعلم بأحوال البشر .

البرهان الرابع : قوله فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قال أبو سفيان بل ضعفاؤهم ، قال هرقل وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل .

قال محمد تقى الدين كاتب هذا المقال كل من درس الدعوات والمبادىء يرى أن الطبقة الفقيرة تكون مهضومة الحق ، مظلومة ، مستعبدة ، موطوءةبالاقدام، فهم يتربصون الدوائر بظالميهم ومستعبديهم ليتخلصوا من نير ظلمهم ، ويفكوا من أسرهم ، فمتى رأوا دعوة الى تأسيس حكم جديد بادروا الى الاستجابة راجين أن يكون خلاصهم على يد صاحب تلك الدعوة ، وبرهان هذا فى كتاب الله عز وجل قال تعالى فى سورة هود رقم ٢٧ : (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) .

وقال تعالى فى سورة الانعام رقم ٥٢ (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين .)

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية قال الامام أحمد بسنده الى ابن مسعود قال : (مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب ، وبلال وعمار ، وخباب ، وغيرهم من ضعفاء المسلمين وفيه فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ، أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نصير تبعا لهؤلاء أطردهم ، فلعلك ان طردتهم نتبعك فنزلت الآية.) وهذا المعنىمذكور فى مواضع من كتاب الله سبحانه . أ. هـ. ودعاة الشيوعية فى هذا الزمان ينادونهم بلغاتهم العجمية بما معناه : أيها المعدمون فى جميع البلدان اتحدوا يعنون بذلك أن المعدمين أكثر عدادا من الموسرين ، والموسرون يستغلون جهودهم ويعيشون على حسابهم عيشة ترف ، وبذخ ، مع أن هؤلاء المعدمين لو اتحدت كلمتهم وامتنعوا من العمل لساءت حال الموسرين وصار الأمر بيد المعدمين يتصرفون فى الاموال التى هى ثمرة جهودهم ولكن شتان ما بين دعوة الرسل ، ودعوة الشيوعيين،فان الرسل عليهم الصلاة والسلام يعدلون بين الناس ويأخذون للضعيف حقه من القوى ، ولكنهم يتركون أمر الغنى والفقر بيد الله ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . فدعوتهم تسعد الأغنياء والفقراء ولا تحاول تغيير سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا . ا. هـ.

البرهان الخامس : قال هرقل لأبى سفيان أيزيدون أم ينقصون ؟ قال أبو سفيان : بل يزيدون ، قال هرقل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم . أ. هـ. أقول كل دعوة كتب لها النجاح . فان اتباعها يزيدون ولا ينقصون ، ومن لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ، وذلك ان المستجيبين للدعوة تتحسن أحوالهم ، وأخلاقهم فيراهم نظراؤهم من الاشقياء فيرغبون أن يصيروا مثلهم وبذلك تنتشر الدعوة وتضطرد الزيادة أ . هـ .

البرهان السادس : قال هرقل لأبى سفيان فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قال أبو سفيان : لا قال هرقل وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أقول

كل من دخل فى دين ، أو عقيدة ، على علم ، وبصيرة ، واطلاع تام ، يغتبط بـــه ويزداد له حبا على مر الايمان هذا اذا كان ذلك حقا ففى كل يوم ينكشف للداخل فيه من فضائله ما يزداد به غبطة وابتهاجا بخلاف العقائد الباطلة المظلمـــة اذا زخرفها المزخرفون فان الداخل فيها تنكشف له كل يوم ظلمة جديدة ويبدو له عيب كان خافيا عليه فيسوء ظنه ويرتد عن ذلك الدين ، أو العقيدة ، أو المـــــذهب ، فالاسلام كما قال الشاعر :

يزيـــــدك وجهــــه حســــنا اذا ما زدتـــــه نظـــرا

البرهان السابع : قال هرقل لأبى سفيان فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، قال أبو سفيان لا ، قال هرقل : وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله أ. هـ.

أقول وهذه الحجة من أقوى الحجج العقلية التى لا يرتاب فيها عاقل ، لأن الكذب رذيلة يتنزه عنها كل انسان له شرف ومروءة وقد رأينا أن أبا سفيان بن **حرب على كفره وطغيانه ورغبته فى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلــم وبذله فى ذلك كل مرتخص وغال لم يرض لنفسه أن يكذب على عدوه أمام هرقل ومن سما بنفسه وضن بشرفه ، ومروءته ، فامتنع من الـــكذب على النــــاس يستحيل أن يسمح لنفسه بالكذب على الله ولما رأى عبد اللــــه بن ســـلام الحبر الاسرائيلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما هو الا أن رايته فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب . ا هـ**

البرهان الثامن : قال هرقل لأبى سفيان فهل يغدر ؟ قال أبو ســـفيان لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال ولم تمكنى كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال هرقل وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرســـــل لا تغدر أ. هـ.

اســــــتدل هرقـــل فى جمـــلة ما استدل به على صــــدق النبى صلى الله عليه وسلم بتنزهه عن الغدر ، فالملوك ، والرؤساء ، قد يغدرون اذا وجــــدوا فرصة فى اهلاك عدوهم يخافون أن لا يجدوا مثلها .

أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فانهم منزهون عن الغدر لأن دعوتهــم الى مكارم الاخلاق تتنافى مع الغدر ولا تجتمع معه البتة ولأن الله ضمن لهم النصر وجعل لهم العاقبة فلا حاجة بهم الى الغدر لأنهم واثقون بوعد الله كما قال تعالى : (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقول أبـــى سفيان فلم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة يدلنا على شدة بغضــه للنبى وحرصه أن ينتقصه ما استطاع الى ذلك سبيلا فان اقراره بهذه الفضائل حجة عليه وعلى كل مخالف . وقوله منه ونحن فى مدة أى فى معاهدة على الهدنة لا ندرى ايفى بما عاهـــدنا عليه فى المستقبل كما فعل فى الماضى أم يغدر .

البرهان التاسع : قال هرقل لأبى سفيان فهل قاتلتموه ، قال أبو سفيان نعم، قال فكيف كان قتالكم اياه ، قال : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ا هـ.

أقول وهذا شأن رسل الله مع أعدائهم اذا اقتتلوا معهم لأن حكمة اللـــــه اقتضت أن يدعو الرسول الى الايمان بالله واقامة دين الله فاذا آمنت به جماعة من الناس قاتل بهم من كفر به ليثبت الأجر للمجاهدين ويعذب الله الكافرين بأيدى المؤمنين كما قال تعالى فى سورة التوبة رقم ١٤ ، ١٥ (قاتلوهـــم يعذبهم اللـــه

بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ولو أن الله أرسل على الكافرين صواعق فأحرقهم لكان ذلك اجبارا لمن آمن على الايمان والله لا يجبر الناس على الايمان لأن المجبر لا يستحق ثوابا وانما يستحق الثواب من اختار طاعة الله واتباع رسله بعد أن تبين صدقهم ، وعرف الحق فاتبعه والباطل فاجتنبه .

البرهان العاشر : قال هرقل لأبى سفيان ماذا يأمركم ، قال يقول أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة ، قال هرقل وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين . أ. هـ. عرف هرقل بعلمه وعقله زيادة على ما تقدم من البراهين أن الذى يأمر بهذه الامور وهو متصف بتلك الصفات هو صادق فيما ادعاه من النبوة والرسالة .

والأمور المذكورة هنا ستة أمور :

أولها عبادة الله وحده لا شريك له فلا يصلح دين ولا دنيا الا بجعل العبادة خالصة لله وحده لا يعبد معه أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، ولا صالح ، ولا طالح ، وكتاب النبى صلى الله عليه وسلم لهرقل يوضح هذه الامور كل التوضيح فانه قال فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى) . فوصف نفسه بالعبودية لله التى هى أعلا منزلة عند رسل الله والرسالة التى كلفهم بها ، وجعل فى قبولها سعادة البشر ، ووصف هرقل بعظيم الروم أى كبيرهم وسيدهم ، ثم قال على من اتبع الهدى وهذا انصاف وحزم ، والسلام هو السلامة وهى لا تكون الا لمن اتبع الهدى وهرقل يزعم أنه يتبع الهدى ولا يكون متبعا للهدى حتى يؤمن بجميع رسل الله ومنهم خاتم النبيين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان آمن به وبمن قبله فله السلامة والا فلا سلامة له ، وقوله أسلم تسلم من جوامع الكلم فى غاية البلاغة وهو مبين للذى قبله ومؤكد له فلا يسلم من عذاب الله الا من أسلم لله وآمن بما جاءت به رسله كلهم ، ويؤتك الله أجرك مرتين أجر الايمان بعيسى ، وأجر الايمان بمحمد فان توليت أى أعرضت عن قبول دعوة الاسلام فان عليك أثمك واثم الاريسيين أى الفلاحين اتباعك ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم أصل دعوته وأساسها وهو توحيد الله تعالى : يا أهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة أى أقبلوا الى كلمة مستوية بيننا وبينكم ليس فيها تحيز لجانبنا ولا لجانبكم وهى كلمة لا اله الا الله ومعناها أن نعبد الله مخلصين له الدين ، ولا نشرك به شيئا كيفما كان ذلك الشىء ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا آلهة ، من دون الله كما فعلتم أنتم معشر النصارى فانكم أتخذتم عيسى وأمه إلهين من دون الله ، ثم اتخذتم غيرهما من رهبانكم آلهة من دون الله فان تولوا أى أعرضوا فقولوا أيها المسلمون لهم أشهدوا بأنا مسلمون موحدون لا نعبد الا الله ونؤمن بكل ما جاء به رسل الله من آدم الى محمد لا نفرق بين أحد منهم ، وهذا هو الدين القيم ، والصراط المستقيم .

الأمر الثانى ترك ما كان يعبده آباؤهم وهو يقتضى ترك الشرك جملة

وتفصيلا ، فان من عبد الله وعبد معه غيره ولو شيئا قليلا لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا قال تعالى يخاطب سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فى سورة الزمر رقم ٦٥ (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) واذا تأملنا هذا الخطاب وشددته علمنا أنه موجه الينا لأن النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب كلها والادلة المحذرة من الشرك كثيرة فى كتاب الله وسنة رسوله .

الامر الثالث الصلاة وهى بعد التوحيد أعظم الفرائض وانفعها كتب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الى عماله يقول ان أهم أمركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها كان لما سواها احفظ ومن ضيعها كان لما سواها أضيع . ا. هـ.

ومن المعلوم أن العامل مكلف بحفظ الأمن واقامة العدل بين الناس وأخذ الزكاة والخراج واقامة الحدود ، والجهاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتنفيذ كل ما أمر الله به ورسوله من الشريعة الغراء وقد علمنا من كلام عمر أن صلاح الدين والدنيا يتوقفان على المحافظة على الصلاة ومتى اختلت المحافظة على الصلاة اختل كل شىء . والآيات والاحاديث التى تحث على المحافظة على الصلاة وتبين فضلها كثيرة فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الصدق فهو خلق شريف ما شاع فى أمة الا سادت وعزت وانتصرت على عدوها فى الداخل والخارج وضده الكذب والفجور ما شاع فى أمة الا هبطت الى الدرك الاسفل وذلت وتشتت أمرها وهذا مشاهد بالعيان فى كل زمان ومكان وأدلته فى الكتاب ، والسنة أكثر من أن تحصى .

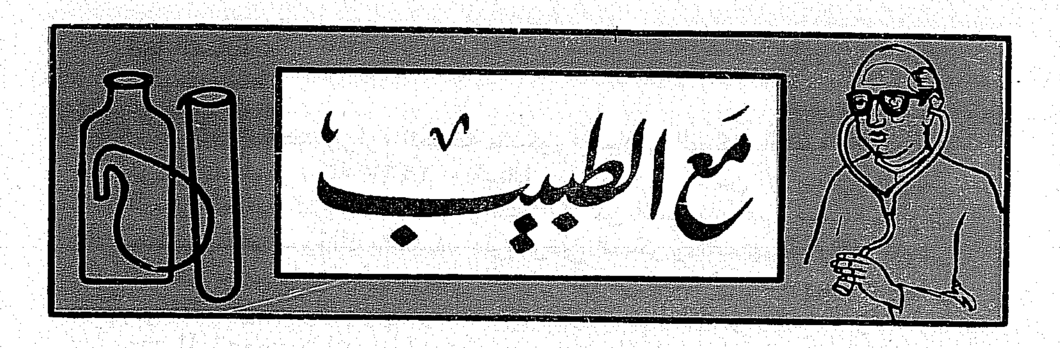
الأمر الرابع العفاف : وهو حفظ البطن ، والفرج ، واللسان ، وسائر الجوارح ، من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبه تنال سعادة المجتمع وتقع بين الناس الألفة والمحبة والتعاون وتلك هى أسباب السعادة :

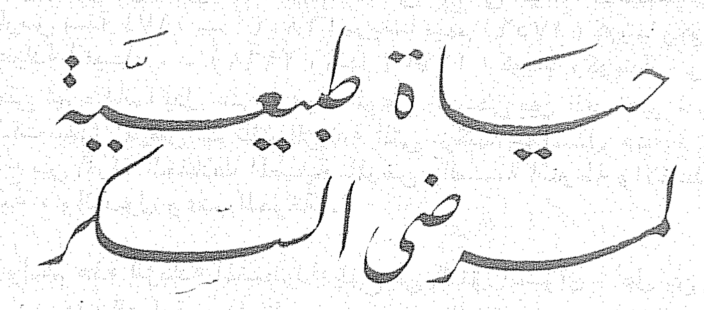
تلك السعادة أن تلم بساحتها ... فحط رحلك قد عوفيت من تعس

الأمر الخامس : الصلة وهى البر ، والاحسان الى الاقارب قال الله تعالى يخاطب سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فى سورة الاسراء ٢٦ (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) وقال تعالى فى سورة النساء رقم ٣٦ (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى — الآية) .

واخرج البخارى فى كتاب الأدب ومسلم فى كتاب البر والصلة بالاسناد المتصل الى أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللهخلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ، قالت بلى قال فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ان شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وفى رواية للبخارى قال الله تعالى : (من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) . أ هـ

وموعدنا المقال التالى بحول الله .





للدكتور : محمد أبو شوك

تأسست منظمة الصحة العالمية عام ١٩٤٨ وجرت العادة أن تختار المنظمة كل عام شعارا يمثل احدى المشكلات الصحية ، ومعالجتها واحتفال هذا العام الذى أقيم فى الشهر الماضى كان تحت شعار «**حياة طبيعية لمرضى السكر**» وقد احتفلت دولة الكويت مع سائر دول العالم بهذا اليــــوم وألقيت المحاضرات وعقدت الندوات التى تناولت شرح هذا المرض ووسائل علاجه والوقاية منه ، وقد ألقى الدكتور محمد أبو شوك رئيس الوحدة الباطنيـــة بالمستشفى الأميرى المحاضرة التالية فى احتفال الجمعية الطبية الذى أقيم بهذه المناسبة . وقد رأينا نشرها على صفحات المجلة اسهاما فى ايقاظ الوعى الصحى والدعوة الى القوة البدنية التى ينشدها الاسلام بجانب القوة الروحية ، فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفيما يلى نص المحاضرة :

انها لمناسبة طيبة تلك التى هيأت لنا هــــذا اللقاء ـــ لنتعرف سويا على مرض أخذت تزداد وطأته عاما بعد عام ، لا فى الكويت فحسب بل فى بقية أنحاء العالم حتى بلغ عدد المصابين به ما يقرب من الثلاثين مليونا مما حدا بمنظمة الصحة العالمية أن تولى هذا المرض اهتماما بالغا وجعــلت شعارها هذا العام « حياة طبيعية لمرضى السكر » ..

لقد افتتحت وزارة الصحة مشكورة عيادتي السكر بالدعية والفيحاء فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، ايمانا منها بأنه لا بد من أن يعتنى بمريض السكر العناية التى يستحقها ، وأخذت كل من العيادتين على عاتقها ما أوكل بهما من مهام — وذلك بالكشف على مرضى السكر ومتابعتهم — ونشر الوعى الصحى بينهم مؤمنة بأن مريض السكر الواعى يجب أن يحيا ويسعد كباقى بنى الانسان — ولا يكون مرضه حجر عثرة أمام أمانيه وأحلامه . ولقد أخذ عدد المراجعين يتزايد يوما بعد يوم — حتى بلغ فى عيادة الدعية الى يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٧١ — (٣٨٠٤) مريضا منهم (١٧٥٦) كويتيا وكويتية وفى عيادة الفيحاء . . (٢٩٦٨) منهم (١٩٩١) كويتيا وكويتية ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ازدياد الوعى الصحى بين الجماهير ، وزيادة الإصابات بهذا المرض — تلك الزيادة التى تزكيها عوامل عدة ، منها التزاوج بين أفراد العائلات المصابة بالمرض والسمنة المفرطة والاضطرابات النفسية ، والخمول وعدم الحركة .

وأمام هذه الزيادة المضطردة يلوح فى الأفق السؤال ، هل من سبيل للتحكم فى هذه الزيادة وهنا يظهر دور مريض السكر بل ودور كل مواطن . نريد من كل منهم أن يكون واعيا ومثقفا ، واعيا الى عدم التزاوج بين أفراد الأسرة المصابة بالمرض وبذلك نقلل من نسبة الاصابة .

وما أجملها وأبقاها من عظة رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » بهذا فقط ، يمكننا التحكم فى أكثر من نصف الزيادة المضطردة للمرض فى الكويت .

ثم نريد من مريض السكر ، ومن كل مواطن أن يكون مثقفا أمينا لأفراد أسرته « فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فيحملهم على أن يعرضوا أنفسهم على أطبائهم لعمل التحاليل اللازمة وذلك لاظهار المرض مبكرا فيمكن التحكم فيه والبعد عن مضاعفاته ، ويا حبذا لو أجريت تلك الفحوصات دوريا أو عندما يشعر الفرد بأى عرض طارىء يؤثر على حالته الصحية ، والتحليل لكل فرد بعد الاربعين اذا كان من عائلة مصابة بالمرض .

نريد من مريض السكر أن يكون أمينا على نفسه ، فيحافظ عليها بالاستمرار على العلاج ويحافظ على مراجعة طبيبه فى موعده يستشيره فيما يعن له من أعراض ، ويزيد من صلته به — لتزداد الثقة بينهما ، ولا يسمح لمدعى الطب أن يقوضوا هذه الثقة بقولهم « اسأل مجرب ولا تسأل طبيب » بل يجعل رائده قول الله تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

أيهــا السادة :

نريد أن يثق الطفل وأهله فى الطبيب حتى يسير فى طريق هــذا المرض الطويل ، هذا الطريق الشاق الذى سيجتازه يافعا ، ثم شابا ثم رجلا رب أسرة ، ثم كهلا — وفى هذه الرحلة الطويلة الشاقة المحفوفــة بالمخاطر انه فى حاجة ماسة الى من يشجعه ويعينه ومن يكون أولى من طبيبه هاديا ومشجعا ، وأن ينشأ هذا الطفل نشأة طبيعيـــة اللهــم الا الاحتراس من الاكثار من أكل الحلوى والنشويات والاهتمام بالعــــلاج والتعود عليه ..

ونحتاج لهذه الثقة الغالية من المرأة التى طالما تواجههـــا عواصف هذا المرض وهى شابة ثم وهى زوجة ، وهى حامل ، وهى مرضع ، وهى فى سن اليأس وفى الكهولة . عاصفة تلو العاصفة تحتاج الى ربان ماهر يوصلها بر الأمان ، ومن يكون ذلك الا طبيبها الذى يسهر على راحتها ، وما دامت قد وضعت ثقتها فيه وتسمع لنصحـــه ، فالله حافظهـــا وحـــافظ وليدهـــا .

أيهــا السادة :

وما دامت السمنة هى طريق السكر — فلماذا لا نحرر أنفسنا منها انها العبء الثقيل الذى يسبب تلك المضاعفات العديدة ، وعلى رأسها مرض السكر، فليتبع كل منا وبالأحرى مريض السكر التعليمات الخاصة حتى يحافظ ما أمكن على وزنه الطبيعى — ويمتثل لقوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وقول رسولنا الكريم « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

وقول أحد الحكماء « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء » « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع فاذا أكلنا لا نشبع » .

وعندما نتحدث عن السمنة — نرى أن من مقوماتها غير الاسراف فى الأكل الركود وقلة الحركة ، وعدم ممارسة الرياضة البدنية — فما أحوجنا فى عصر ركنا فيه الى الراحة والخمول أن نفسح بعض الوقت لهذه الرياضة ولا نستهين بها ، حتى ولو الى قليل من المشى — لنصلح من أجسادنا ونقلل من اصابتنا بهذا المرض .

وانها لتجربة رائدة تلك التى أظهرت الاحصائيات على القبائل فى جنوب أفريقيا وفى الهند ، فلقد وجد أن نسبة السكر بها تكون قليلة عندما تكون فى ترحال مستمر — وتزداد هذه النسبة عندما تستوطن هذه القبائل المدن وتخلد الى السكينة والكسل والخمول .

أيهـــا السادة :

ما أهون ما يكون عـــلاج السكر اذا ما اكتشف مبكرا ، واذا ما حرص المريض على علاجه ، وأبدى كل تعاون مع طبيبه ــ للتغلب على الصعوبات التى تواجهه ــ وما أصعبها من عواقب وخيمة ، اذا ما أهملنا العـــلاج وجعلنا للمضاعفات أسهل السبل الى جسم المريض ، هذه المضاعفـــات من التهابات فى الجلد ــ والتهابات فى الصدر ــ والسل الرئوى ، والتأثير على الأعصاب ، والكلى ــ وشرايين الجسم بما فى ذلك شرايين المخ والقلب وضعف أو فقدان البصر . وربما تركت فى مريض السكر عدم القدرة على العمل وأثرت على حياته ، فتفقد الاسرة عائلها ويخسر المجتمع عضوا عاملا فيه .

من هذا كان العلاج والملاحظة والمتابعة عنصرين هامين لمريض السكر، ولا يخدعن أحد نفسه أو يخدعه غيره ، بأنه شفى من مرضه ويوقف العلاج من تلقاء نفسه ، بل يجب أن يكون ذلك عند رأى طبيبه ــ ولا يجرى أحد وراء سراب دواء أو وصفة يصفها له أحد معارفه ، فيتردى فى هوة عميقة توصله لا محالة الى احدى مضاعفات المرض ، وليطمئن كل مريض أننـــا لا نألوا جهدا فى احضار أحدث الادوية التى تستعمل فى المرض عندمـــا نتأكد من فعاليتها ــ وعدم الاضرار بالمريض ، فأمل كل طبيب دائما هـــو أن يرى مريضه قد تحسن أو شفى من مرضه .

أيهـــا السادة :

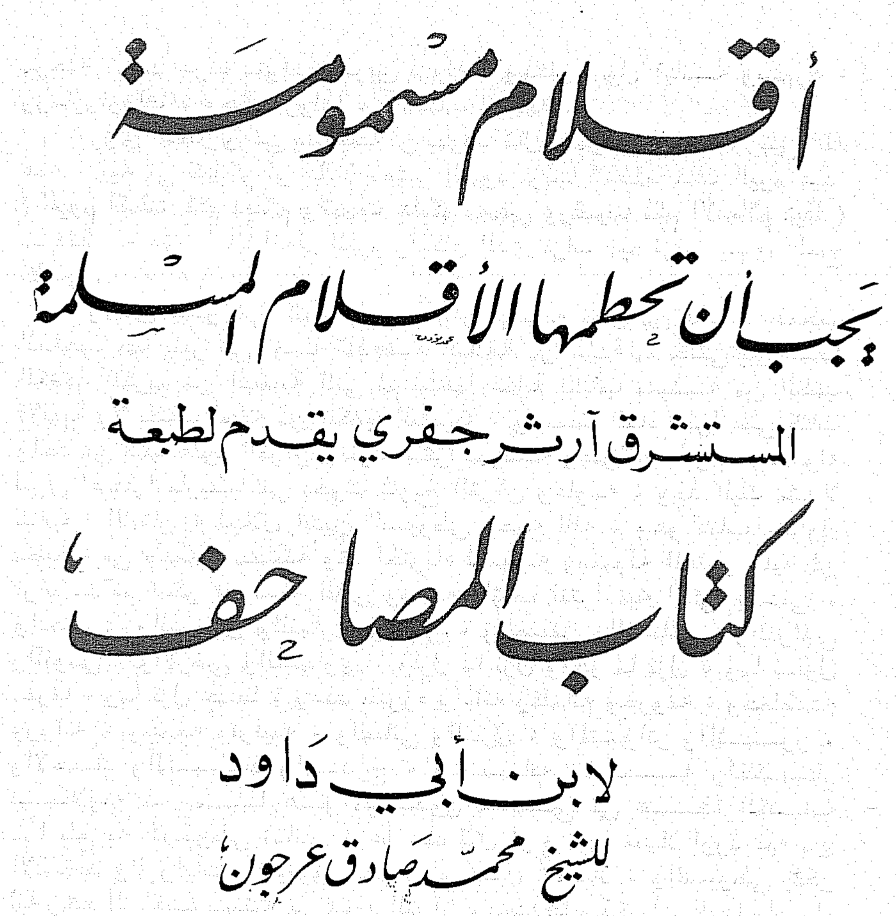
ثلاث وسائل نضيق الخناق بواسطتها على مرض السكر ، التحكم فى عامل الوراثة ــ وعدم التزواج بين المصابين ــ البعد كل البعد عن السمنة ، الحث على الحركة والرياضة والنشاط ، وبذلك نقلل من نسبة المرض .

وثلاث دعائم يقوم عليها العلاج ، الحمية ، والعـــلاج المستمـــر بالأنسيولين وغيره من العلاجات الموصوفة ــ وعلاج المضاعفات بكـــل عناية عند ظهورها ، وفى أسرع وقت ممكن .

ولمرض السكر منا البحث العلمى المتواصل ، وبذل الجهود المثمرة ، للوصول الى أعماق المرض والتغلب عليه .

بذلك نكون قد استفدنا حقا من هذا اليوم الأغرـــيوم الصحة العالمية ــ وبهذا نحقق شعارها هذا العام .

« حياة طبيعية لمرضى السكر »



أقلام مسمومة

يجب أن تحطمها الأقلام المسلمة

المستشرق آرثر جفري يقدم لطبعة

كتاب المصاحف

لابن أبي داود

للشيخ محمد صادق عرجون

لم يحظ كتاب الهى أو بشرى عرف فى حياة المجتمع البشرى وعاصر أحداث تطور الانسانية الفكرية والاجتماعية بمثل ما حظى به القرآن الكريم من العناية فى تلقيه وحفظه وضبطه ونقله وروايته جيلا عن جيل وعصرا بعد عصر . فهو الكتاب الفذ الذى حفظ فى صدور قرائـه من جماهير المسلمين فى شرق الارض وغربها وشماليها وجنوبيها ، يحفظه الوف الألوف ماهرين به فى حذق التلاوة لا يفوتهم منه حرف بله كلمة أو آية .

وهو الكتاب الفذ الذى كتب كله لم يفقد منه حرف فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الفذ الذى أجمع المسلمون بجميع فرقهم وأعصرهم وبلدانهم على شرط التواتر القاطع فى نقله سورة سورة ، وآية آية ، وكلمة كلمة ، وهو الكتاب الفذ الذى انفرد فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم بالكتابة بامره صلى الله عليه وسلم حتى ينفرد بالتعالم ويشتهر بالعرفان لدى الخاصة والعامة فلا يشتبه بغيره لأول وهلة . فقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه)** ولذلك تأخر جدا كتب الحديث وتدوينه .

والقرآن الحكيم بعد ذلك هو الكتاب الفذ الذى دون تاريخه مرحلة

مرحلة ، فقد عرف متواترا طريق نزوله ، ومكان نزول آياتـــه وسوره ، وزمان نزولها ، وحال نزولها ، وأسباب نزولها .

روى البخارى فى صحيحه أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)** — فقال له عمر : انا لنعلم اليوم والمكان الذى نزلت فيه نزلت يـــوم الحج الأكبر .

والذى ينظر فى كتب علوم القرآن وفنونه يرى من ذلـــك العجب العاجب مما يثير فى نفسه الدهشة البالغة من شدة ما حظى به هـــذا الكتاب الكريم من العناية التى لم تبلغها عناية بكتاب سبقـــه من الكتب الالهية ولا بكتاب لحقه من الكتب البشرية ، وحسبنا القاء نظرة على كتاب واحد من كتب علوم القرآن وفنونه لنقرأ فهرسته وعنوانات أبوابه وفصوله لنرى أعجازا تاريخيا فى بحوث تاريخ القرآن وعلومه ، وخذ اليك مثـــلا كتاب (الاتقان » لجلال الدين السيوطى رحمه الله ، وهو كتاب متداول مطبوع فى طبعات مختلفة وقد اخترناه لشهرته وسهولة العثور عليه لمن أراد — ثم انظر فهرسته الذى وضعه المؤلف لتقرأ فيه المكى والمدنى ، والحضرى والسفرى والنهارى والليلى ، والصيفى والشتائى ، والفراشى والنومى ، والارضى والسماوى ، وأول ما نزل وآخر ما نزل ، وما نـــزل مفرقا ، وما نزل جمعا ، وعدد سوره وآياته وكلماته وحروفه ، وحفاظـــه ورواته ، وجمعه وترتيبه ، والعالى والنازل ، والمتـــواتر والمشهـــور ، والآحـــاد والشـــــاذ والمـــدرج ، ولغـــــاته وغريبـــــه وأحكـــــام تـــــلاوته — ممـــــا هـــو مـــــدون مستقصى فى هـــــذا الكتـــاب مما بلغ به السيوطى ثمانين نوعا عقد لكل نوع منها فصلا أورد فيه من الأسانيد والروايات ما يفوق الحصر لو فصل تفصيلا ، والسيوطى يذكر أنه رجع الى كتب سبقته فى فنون القرآن ، يعددها ويذكر أسماءها وأسماء مؤلفيها .

ومن هنا نبدأ مناقشة مقدمة الدكتور آرثر جفرى لكتاب المصاحف لابن أبى داود — يقول صاحب هذه المقدمة : نتقدم بهذا الكتاب للقراء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد فى تاريخ تطور قراءات القرآن .

ونحن نتساءل أى بحث جديد يمكن أن يكون كتاب المصاحف الـــذى يتقدم به آرثر جفرى الى قرائه أساسا له فى تاريخ تطور قراءات القرآن وراء ما كتب علماء المسلمين من بحوث فى قراءات القرآن وحروفه التى نزل بها ووجوه قراءاته .. الخ ..

وكتاب المصاحف الذى يقدمه آرثر جفرى لم يكن مجهولا لدى علماء المسلمين منذ كتبه صاحبه الى يومنا هذا ، وقد اعتبره علماء القرآن لونا من التأليف الذى يؤلف فى تاريخ القرآن ، ونبهوا على سقطات الروايات التى جاءت فيه ورأوا أنها لا تتفق مع صحيح النقل لتاريخ القـــرآن ، ويعتمدون من رواياته على ما صح سنده صحة تعتمد على رواية الثقاة غير ابن أبى داود ولذلك تراهم يقولون : روى ابن أبى داود بسند على شرط الشيخين مثلا ، وهذا قد يدل على التوقف فى قبول سند ابن أبى داود اذا انفرد به أو عضده من لم يكن هنالك فى الثقة وصحة السند .

لكن آرثر جفرى يجيب عن تساؤلنا (بأن علماء المشرق فى هذه الأيام نشروا كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن واعجازه وأحكامه ، ولكنهم الى الآن لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور فى قراءاته) ..

ثم قال : (ولا ندرى على التحقيق لماذا كفوا عن هذا البحث فى عصر له نزعة خاصة فى التنقيب عن تطور الكتب المقدسة القديمة — وعن ما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها) .

وهنا ينكشف الغطاء عن خبيئة الاستشراق وبحوث المستشرقين الذين يمالهم آرثر جفرى حول القرآن الكريم وينكشف أن الهدف من وراء هذه البحوث أخضاع القرآن لمزاعم المستشرقين واخضاع القرآن لنزعة العصر من التنقيب عن تطور الكتب المقدسة (القديمة) وما حصل لها من التغيير والتحرير ، وبذلك يصبح القرآن الكريم مجموعة أناجيل أو عهود قديمة لا سند يصلها بالسماء ، ومن ثم تذهب قداسته وتنحل عرى الرابطة الاسلامية التى تجمع المسلمين فى أقطار الارض ، ويذهب الاسلام ويسود الالحاد .

ونحن نقول — على عجل لآرثر جفرى لماذا عنى علماء المشرق بتفسير القرآن واعجازه وأحكامه ولم يعنوا بما يستفاد منه التطور فى قراءاته .

ذلك أن تفسير القرآن الكريم لا يزال حاجة من حاجات الانسانية فى كل عصر ، لأن القرآن كتاب الحياة ، والحياة متجددة فتفسيره يجب أن يتجدد بما تتجدد به الحياة الفاضلة،والحياة انما تجدد بالعلم والمعرفة،وقد رفع القرآن الكريم شأن العلم والعقل،وجعلهما وسيلة تطور الحياة وتجددها فمن هنا — بايجاز — يعنى علماء الاسلام فى كل عصر بتفسير القرآن .

أما عنايتهم ببيان اعجازه ، فلأن الاعجاز خصيصة القرآن التى لا يشارك فيها ، وهو الدليل القائم بكل ما فيه من سمو وروعة وبلوغ الذروة فى بسياسة البشرية الخالدة وفوقه فى التعبير عن آيات الكون وتسخيره للانسان — واغرائه على استكشاف أسراره — على صدق النبوة الخاتمة وبرهان الاسلام النير ، فكلما جاء العلم بشىء جديد فى نظام الحياة وتقدمها وكلما جاء العقل الانسانى بكشف جديد من أسرار الكون وكلما تقدم المجتمع البشرى فى تطوره الى الصعود لحياة أفضل ، وكلما أثبتت التجارب لونا جديدا فى سياسة الأمم والشعوب يحقق بينها العدل والرحمة — كلما تحقق شىء من ذلك وجب على علماء الاسلام أن ينهضوا ببيان ما جاء به القرآن الحكيم من أصول فى نظام الحياة يدفع بها الى التقدم ، وأن ينهضوا ببيان آياته فى حقائق الوجود ، وأسرار الطبيعة وتسخير مظاهر الكون ، تأييدا لما قام به العقل الانسانى فى كشف حقائق الوجود ، وأن ينهضوا ببيان الاصول الاجتماعية والسياسية التى جاء بها القرآن الحكيم ، لتكون دعائم فى تقدم المجتمع البشرى ، ودعائم فى سياسة الأمم والشعوب فى كل عصر بما يناسبه من الحياة الفاضلة ، تحقيقا لبيان اعجاز القرآن من وجوهه المادية والمعنوية أسلوبا وفكرا ونظاما فى كل عصر من العصور ليكون برهان النبوة الخاتمة قائما ساطعا فى كل زمان ومكان بما تفهمه الانسانية كلها فى مراحل تطوراتها .

وأما عنايتهم ببيان أحكامه ، فلأن هذه الأحكام هى القانون العام الذى يجب أن يحكم أفعال الناس وتوزن بميزانه ، ويقضى فيها بما تقتضيه ، لأنها أحكام العليم الخبير أنزلها لاصلاح حال البشرية وتحقيق العدالة بين أممها وأفرادها .

والقرآن يشتمل على العقيدة وبراهينها ، وهذا أمر تجب العناية فيه بجانب الأسلوب فى البرهنة ولا سبيل الى النظر فى أصل العقيدة ، والعقل الانسانى النير تقبل ويتقبل عقيدة القرآن فى بساطتها الفطرية ، لكن العلم المتطور قد يحوج الى النظر فى أسلوب البرهنة على هذه العقيدة بما أقامه القرآن من أصول النظر فى الكون وبما أشار اليه عن طريق الاستدلال بها على وجود الخالق وعظمته وحكمته .

كما يشتمل القرآن على العبادات التى تعبد الله بها خلقه ، والقرآن جاء فيها بأصول اعتمد عليها فقهاء الاسلام فى جميع ما خلفوه من هذا التراث العظيم الذى لم يعرف مثله لأمة من الأمم .

ويبقى وراء ذلك اصول نظام الحياة الفاضلة وسياسة الأمم — والكشف عن أسرار الطبيعة واستخدامها فى منافع الانسان — وهذا قد جاء فيه القرآن باصول وضعها بين يدى العقل الانسانى لينهض بعبئها على مرور الزمن وتطور الحياة .

ومن هنا كانت عناية علماء الاسلام بأحكام القرآن كالعناية بتفسيره وبيان اعجازه .

أما عدم عنايتهم بما يستفاد من قراءاته ، فلأن هذه العناية قد قتلها العلماء المتقدمون بحثا وجاءوا فيها بما لا مزيد عليه — لكن هذه العناية لم تكن عند علماء الاسلام من جهة ما يطلبه علماء الاستشراق الذى تحدث بلسانهم آرثر جفرى نزولا على نزعة العصر الخاصة بالتنقيب عن تطور الكتب المقدسة وعن ما حصل فيها من التغيير والتحوير .

ذلك لأن القرآن الكريم منذ نزوله آية آية وسورة سورة كان له تاريخ مشهود فى تلقيه ونقله وحفظه فلم يعرف أن وقتا من الأوقات أو لحظة من اللحظات فقد فيها المسلمون آية من القرآن بله سورة — بله القرآن كله — وكانت خصيصة القرآن فى تلقيه ونقله التواتر القطعى — فهو بهذا محفوظ حفظا تاما كاملا من التغير والتحوير ، تلقته الأمة من فم نبيها صلى الله عليه وسلم لم يذهب عليها منه حرف واحد ، وهذا أمر متعالم متعارف يعرفه الصديق والعدو ، وانكاره والمماراة فيه من باب قوله تعالى : **(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)** — وقوله تعالى **(فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)** ..

والقرآن نفسه يحمل بين دفتيه برهان حفظه عن التغيير والتحوير ، فالله تعالى يقول : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** . والذين تمرسوا بأسلوب العربية وأنسوا بالقرآن يقدرون أسلوب هذه الآية فى تأكيدها المعنى المراد ، فحفظ القرآن حفظ الهى ، وهذا الحفظ قد تعددت وسائله التى كان من أهمها تيسير الأمة الى العناية به عناية تفوق كل عناية .

وليس شأن القرآن فى هذا الشأن شأن غيره من الكتب المقدسة ، لأن تلك الكتب فقدت منذ نزولها السند المتصل باصحابها ففقدت الثقة بنصوصها وجاءت عليها الاحداث وأضاعتها جملة ولم يبق منها بيد اصحابها شيء يعتمد عليه ، ولم تكن محفوظة فى الصدور كالقرآن الحكيم ، فالتوراة لم يعرف لها اثر منذ حادثة بختنصر فى تخريب بيت المقدس وتنكيله باليهود ومضى على فقدها فى بعض رواياتهم نحو خمسة قرون كما يقول دكتور « اسكندر كيدس » (١) وفى بعضها ثلاثة قرون ، ثم جاء أحد أحبارهم بما زعم أنه توراة موسى فصدقوه فى بلاهة بليدة ، ولو أنهم تدبروا ما فى توراتهم التى بين أيديهم من اختلاف وتناقض وقصص خبيثة تنسب الى الأنبياء عليهم السلام أحط الجرائم لما صدقوا ان هذا هو توراة موسى الذى أنزله الله عليه هدى ونورا — يقول الشيخ رحمة الله فى كتابه (اظهار الحق) : ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون ، والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها وقد ضاعت قبل حادثة بختنصر فى حادثة انعدام التوراة وسائر كتب العهد العتيق من صفحة العالم رأسا ، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم — ضاعت نسخها وأكثر نقولها فى حادثة انتيوكس .

وأما كتب العهد الجديد وهى المعروفة عندهم بالاناجيل — فهى كذلك لا سند لها يتصل بالمسيح عليه السلام وقد فقدت كما فقدت التوراة . يقول الشيخ رشيد فى تفسير المنار : وما ظهرت هذه الأناجيل الاربعة المعتمدة عندهم الآن الا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح .... وهى متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ بل وقع الخلاف بينهم فى مؤلفيها واللغات التى الفوا بها . وقد نقل صاحب المنار عن دائرة المعارف الفرنسية ما ذكرته من الاختلاف فى أسماء من كتب الأناجيل الاربعة وفى أى زمان كتبت ، وبأى لغة كتبت ، وكيف فقدت نسخها الاصلية — ثم نقل عن صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) — وهو من أساطين علمائهم قوله : ان أنجيل متى كتب قبل أناجيل مرقس ولوقا ويوحنا ، ومرقس ويوحنا كتبا انجيلهما قبل خراب أورشليم — ولكن لا يمكن الجزم فى أية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص لأنه ليس عندنا نص الهى على ذلك . وقال صاحب ذخيرة الألباب — وهو من المعتبرين عندهم : أن القديس متى كتب أنجيله فى سنة ٤١ للمسيح باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين ... ثم ما عتم هذا الانجيل أن ترجم الى اليونانية ، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذى لعبت به ايدى النساخ ومسخته بحيث أضحى ذلك الأصل هاملا — أى مهملا — وذلك منذ القرن الحادى عشر .

وبالتأمل فيما سقناه يظهر جليا الفرق الكبير جدا بين القرآن الكريم الذى نقلته الأمة نقلا متواترا قطعيا منذ اللحظة التى ابتدأ فيها نزوله على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبين غيره من الكتب المقدسة التى فقدت التواتر وضاعت أعيانها وفقدت من أيدى أصحابها فكانت عرضة للتغيير والتحوير والمسخ بأيدى النساخ العابثين .

ومن هنا يعلم مبلغ سرور علماء الغرب لعثورهم على بعض القطع

---

(١) نقل ذلك الشيخ رحمة الله فى كتابه اظهار الحق .

القديمة من البردى التى حفظت لهم آيات وأسفارا من التوراة والأنجيل .
وحق لهم أن يفرحوا لأنهم عثروا على شيء — ان صح — كان ضائعا مفقودا ، بيد أننا نتساءل هل هذا الذى عثروا عليه موافق لهذه التوراة والأناجيل التى بين أيديهم ، أو مغاير لها مختلف عنها ؟ — وما هو الفيصل فى الحكم على صحة — ما عثروا عليه بعد الاعتراف بضياع الاصل وفقدان سنده ؟ — وبعد أن اتخذت هذه التوراة والأناجيل صبغتها الرسمية عندهم ؟ — ومن حق علماء النصارى واليهود أن يجدوا فى طلب تحقيق تاريخ الأناجيل والتوراة ، لأنه لم يكن لهذه الكتب تاريخ موصول .

وأى أثر لهذا الجد ولهذه النتائج الباهرة التى فاز بها علماء النصارى واليهود ؟ — هل أمكن القضاء على ما فيها من التعارض والتناقض ؟ — وهل أمكن تطهيرها من رجس اتهام الأنبياء عليهم السلام بأحط الموبقات ، أليس يقرأ هؤلاء العلماء فى هذه التوراة ما تحكيه عن الأنبياء والرسل ؟

يقول الدكتور جفرى : وأما القرآن فلم نجد شيئا من هذه الأبحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجاتى ..

ونحن نحمد الله تعالى على أنه حفظ كتابه — القرآن الكريم — فلم يعرضه للضياع ، ولم يعرضه للتغيير والتحوير ، وبقى محفوظا فى صدور ألوف الألوف من المسلمين مكتوبا فى مصاحفهم مطبوعا بعد مراجعة دقيقة لكل كلمة وكل حرف وكل ضبط لكل حرف ، فلم يكن فى حاجة الى شيء من الأبحاث . وكتاب الزنجاتى قد اطلعنا عليه وقرأناه حين طبعه بمصر منذ نحو أكثر من ثلاثين سنة ، فما وجدنا فيه شيئا يبلغ به أن يسمى كتابا ، وما وجدنا فيه شيئا من البحث يحتاج اليه القرآن فى تاريخه أو تفسيره .

يقول جفرى : أدى هذا الفحص فى الغرب الى التخاصم بين أهل النقل وأصحاب هذه الأبحاث وأن أهل النقل اتهموا أصحاب الأبحاث الجديدة بعدم الايمان وارادة الزندقة والالحاد والتشكيك ، وأن آراء المفكرين أصحاب الأبحاث الجديدة تغلبت على أهل النقل حتى أن أكثر علماء اليهود والنصارى الآن يتبعون فى أبحاثهم وتدريسهم طريقة البحث التحليلى ... الذى يعتمد على جمع الآراء والظنون والأوهام والتصورات ليستنتجوا منها ما كان مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الاسناد — يجتهدون فى اقامة نص التوراة والانجيل كما أقيم نص قصائد هوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف ..

هذا هو هدف هؤلاء المستشرقين من أمثال آرثر جفرى الذى يريدون أن يصلوا اليه فى شأن القرآن الكريم ، لأنه أعياهم فى سنده المتصل اتصالا متواترا لا يقبل الطعن والتشكيك أن يجدوا فيه مغمزا ، فلا سبيل اذن الى الوصول الى خلخلة صحة سند القرآن المتصل الا بتوهين الاعتماد على الاسانيد ، ولو كانت متواترة كسند القرآن الحكيم ، وعند هؤلاء العلماء الباحثين أنه يجب الاعتماد على الآراء والظنون والأوهام والتصورات واعتبار المتن دون الاسناد — كما اعتمد عليها فى قصائد هوميروس ورسائل أرسطو . اليس هذا كلاما مضحكا ؟ — أو ليس نسبة هذا الكلام الى البحث والتحليل والى المفكرين أكثر اضحاكا ؟ — ولكن أليس الهدف هو خلخلة مكانة النصوص القرآنية المتواترة كما تخلخلت مكانة نصوص التوراة

والانجيل ؟ — ما قيمة هذا الاسناد المتواتر القاطع الذى يتصل به القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر حتى يتلقى من فم النبى صلى الله عليه وسلم غضا حين يفصم عنه الوحى اذا كان يحول بين الباحثين المفكرين من علماء الغرب وبين وضع القرآن الكريم على مشرحة التغيير والتحوير كما وضعوا كتبهم المقدسة عندهم ؟

هذا الهدف هو الذى رمى اليه نولدكه الالمانى وتلاميذه منذ قرن ، ولكنهم خسروا الجولة فلم ينالوا من القرآن مثالا ، ثم جاء آرثر جفرى ورأى هذه الخيبة تعلق بتاريخ نولدكه ففكر وقدر ورأى ان يسلك الى الهدف نفسه طريقا آخر غير طريق التأليف فى تاريخ القرآن ، لانه رأى أن تاريخ القرآن قد فرغت من كتابته بصدق وتحر موثق الحيـــاة والاجيال بمـــا لا يمكن معه خلخلة حرف منه ، لانه لا سبيل عند أى مسلم فى أرض الله الى قبول نظرية اعتبار المتن دون السند فى تأريخ القرآن ، وضبط نصوصه ، لان السند القطعى المتواتر المتصل هو الذى حفظ متن القرآن ، فارتبط به ارتباط كل آية فيه بمعناها وأسلوبها .

ثم أخذ آرثر جفرى يدخل الى غرضه الذى قدم من أجله الى قرائه كتاب (المصاحف) لابن أبى داود بهذه المقدمة المشبوهة ، فذكر فى مقدمته الرواية التى أجمع عليها المسلمون ، ورويت متواترة المعنى بأصح طرق الروايات الحديثة ، فى طريقة كتابة وحى القرآن ، وترتيبه وجمعه كله فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعرضه مرتب الآيات على ملك الوحى جبريل عليه السلام مرة فى سنة من عمر الرسالة ، ثم عرضه مرتبا كله مرتين فى سنة انتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وراح « جفرى » يشكك فيها ، ويرى قراءه أن أهل البحث والتحليـــل من المستشرقين الذين يعتمدون على الظنون والاوهام والتصورات لا يقبلون هذا الرأى ، لانه يخالف أحاديث تفيد ان النبى صلى الله عليه وسلـــم قبض ولم يجمع القرآن فى شىء .

وهذه دعوى عريضة بغير امتداد ، ثكلت دليلها ، واجتثت من جدية البحث فلم يكن لها فيه قرار ، فليست هناك أحاديث لها وزنها فى صحـــة الرواية بما يجعلها توضع فى ميزان مع أحاديث جمع القرآن وترتيب آياته بتوقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضه ما نزل عليه مرة فى كل سنة على ملك الوحى جبريل عليه السلام ، ثم عرضه ومدارسته له فى رمضان مرتين سنة انتقالـــه صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى .

ودعوى أن القرآن لم يجمع فى « شىء » فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم دعوى جريئة مشبوهة ، لا تقوم على دعائم من البحث العلمى الذى يزعمه لانفسهم أولئك المستشرقون — جفرى فمن فوقه، أو من دونه — لان الثابت فى أحاديث متواترة المعنى أن القرآن كان مكتوبا كله على أساس العرضة الاخيرة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام مرتب الآيات ، غير أن هذا المكتوب لم يكن مجموعا فى مصحف واحد يضمه، ضمه أبو بكر الصديق باشارة عمر وكتابة زيد رضى الله عنهم .

ولهذا كانت اشارة الفاروق على الصديق رضى الله عنهما بجمع ما هو مكتوب محفوظ فى الصدور فى مصحف واحد حينما كثر القتل فى القراء فى

معركة مسيلمة الكذاب ، لانهما خشيا أن يذهب كثير من القرآن بذهاب حفظته فى معارك الجهاد ، وكانوا أحرص الناس على الاستشهاد فى سبيل الله ، فأراد الفاروق والصديق — بعد اقتناع — جمعه فى مصحف موحد على حالته التى تركه عليها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر عرضة مرتب الآيات ، وهذا الجمع وسيلة من وسائل حفظه لو تعرض حفظته للشهادة فى سبيل الله .

ويقول «جفرى) ان علماء الغرب، لا يوافقون على أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم فى أيدينا من عمل النبى صلى الله عليه وسلم ونقول لجفرى واخوانه وتلاميذه فى الشرق والغرب : ومتى كانت موافقة علماء الغرب على أمر من أمور الاسلام شرطا فى صحة وجود هذا الامر فى واقع الحياة ؟ ثم نقول : وهل مجرد عدم موافقة علماء الغرب على ذلك يطمع المستشرقين وتلاميذهم فى تشكيك المسلمين فى أمر من أمور القرآن الكريم ، وخاصة اذا كان ذلك الامر مجمعا على ثبوته ثبوتا قاطعا بالتواتر المعنوى الذى لم ينكره مسلم فى أرض الله ، ذلك هو أن ترتيب آيات القرآن الحكيم فى جميع سوره توقيفى أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم كما تلقاه من جبريل عليه السلام .

وهل من البحث العلمى الجاد القاء الدعاوى هكذا مجردة عارية من كل شبهة دليل أو سند فى أمر من أخطر أمور العلم والتاريخ ؟

ثم استطرد « جفرى » الى الكلام عن مصاحف الصحابة ، فذكر أن غير واحد من الصحابة جمع القرآن فى مصحف ، وذكر أن المصحف الذى كتبه زيد بن ثابت لابى بكر مصحف خاص من هذه المصاحف ، لا مصحف رسمى ، وانتهى الى غرضه المقصود الذى استهدفه واستهدفه معه سائر من كتب من المستشرقين عن القرآن وتاريخه وعلومه فقال : وكانت هذه المصاحف — يختلف بعضها عن بعض — وكرر هذه الجملة نفسها حينما تحدث عن اتفاق أهل كل قطر على مصحف قارئهم فقال : وكانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضا . فهل القاء الكلام هكذا على عواهنه بحث علمى ؟

ونحن لا ننكر أن بعض الصحابة كتب لنفسه صحفا ، على ما كان يسمع ويتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتفظ كل من كتب لنفسه بصحفه ، والنبى صلى الله عليه وسلم يخبرنا فى الحديث الذى بلغ مبلغا يوشك ان يكون متواترا ان القرآن نزل على سبعة أحرف ، وقد اختلف العلماء قديما فى معنى الأحرف التى فى هذا الحديث اختلافا عريضا ، وقد بينا فى فصل خاص بجمع القرآن من كتابنا (عثمان بن عفان) — أن أقرب الأقوال فى معنى الأحرف أن المراد بها الاوجه من المعانى المتقاربة بالفاظ مختلفة تيسيرا على الامة فى أول الامر حتى اذا عادت السنتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدروا على الفاظه حسم الأمر على لسان قريش أفصح العرب .

وفى ذلك يقول أبو عمر بن عبد البر : ان تلك الاحرف السبعة انما كانت فى وقت خاص للضرورة التى دعت الى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد .

ومن هنا وقع اختلاف صحف الصحابة فى القراءة بهذه الاحرف ، ولما أشتد التنازع بينهم فى غزوة أذربيجان رفع ذلك حذيفة الى عثمان رضى الله عنهما خشية اتساع الخلاف اتساعا يمس جوهر القرآن ، كما اختلف اليهود والنصارى فى كتبهم فتعارضت وتناقضت ، ونهض عثمان مشمرا حتى حسم الأمر بجمع الأمة كلها على مصحف موحد وحرق ما عداه ، وأيد الله صنيع عثمان الذى صنعه تحت سمع وبصر جمهور الصحابة وفيهم على كرم الله وجهه وغيره باستجابة الأمة له ورجوع من خالف عن خلافه وأتم الله على المسلمين نعمته وحفظ لهم كتابهم تحقيقا لوعده فى قوله **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** .

فان كان آرثر جفرى صاحب المقدمة يريد باختلاف مصاحف الصحابة بعضها لبعض هذا النحو الذى بسطناه فذلك قد يكون كان ، وانتهى بحسم عثمان الامر على ما وفقه الله تعالى ولا حرج ولا ضرر .

لكن آرثر جفرى لا يرضيه — طبعا — ما يرضى المسلمين ، فهو يشك ويرتاب فى أن عثمان رضى الله عنه أخذ النص الرسمى الذى جمعه الصديق من أم المؤمنين حفصة وأمر المهرة من الكتاب وعلى رأسهم زيد بن ثابت الكاتب الأول لمصحف الصديق أن يكتبوه بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرءون بلغات مختلفة نشأ منها الخلاف الذى أفزع حذيفة وانهض عثمان الى صنيعه العظيم .

ويعلل آرثر جفرى هذا الشك بأن ما أدى اليه بحثه فى أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الأمصار كان سببا فى ان عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما فى أيدى أهل المدينة من القرآن ليكون المصحف الرسمى لجميع أمصار الاسلام .

ونحن نسأل فى أى شىء كان اختلاف مصاحف الأمصار اذا لم يكن فى الأحرف واللغات التى نزل بها القرآن تيسيرا على الناس ؟ — لا أظن أن أحدا يجرؤ أن يقول ان الاختلاف كان فى مثل الحرام والحلال والأمر والنهى والوعد والوعيد أو نحو ذلك مما يكون من صميم معانى القرآن وجوهر نصوصه — واذا كان ذلك كذلك فيكون هذا الاختلاف فى القراءات على الأحرف المسموعة رواية تواترا هو الذى حفز عثمان رضى الله عنه على جمع المصحف الرسمى واعتمد فى ذلك على صحف الصديق والفاروق بطلبها من حفصة ، وعلى أن يكتب المصحف الرسمى من كتب هذه الصحف للصديق رضى الله عنه فأى شىء فى هذا يوجب الشك والارتياب ؟؟ .

ثم عرض آرثر جفرى لمسألة خلو مصحف عثمان من النقط والشكل وراح يتصيد كلمات من هنا وهناك يزعم أنها قرئت على قراءات متعددة على حسب ما يحتمله النقط والشكل .

وفرع على ذلك قوله : فكان حينئذ لكل قارىء اختيار فى الحروف والشكل ،

وتناسى آرثر جفرى أن العبرة فى قراءة القرآن بالتلقى المتواتر عند جميع المسلمين وليس الامر بالتشهى والاختيار ، وهذا التلقى المتواتر

المشروط في جميع كلمات القرآن كان وسيظل شجا يغص به كل من رام غميزة القرآن الحكيم في نصوصه ، مستشرقا أو مستغربا .

ونتخطى بعد ذلك حديث صاحب المقدمة عن القراء واختيار بعضهم ترجيح قراءة حفص الخ — لنقف وقفة قصيرة عند خاتمة مطافه : اذ يقول :

(هذا في رأى المستشرقين تاريخ تطور قراءات القرآن ... وقد حققوا أن نتيجة بحثهم هذه أقرب فهما للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة . وأكثر موافقة لأحوال القرون الأولى وحوادثها وبنى على ذلك أنه رأى ستة أطوار في تاريخ تطور قراءات القرآن ثم ذكر هذه الأطوار وقال بعد ذلك : ولا يخفى على القارىء أن نتيجة هذه الأبحاث لا يتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن ولا يهمنا في بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا ، وانما المهم هو بيان ما وصلنا اليه بعد التحرى والتنقيب) .

ووقفتنا الأخيرة مع آرثر جفرى أن نقول له : أما أن ما انتهى اليه من البحث في مقدمته هو رأى المستشرقين ، فهم وما رأوا ، وما كان رأيهم ليغير من واقع الوجود القرآني عند المسلمين شيئا . وأما أن المستشرقين حققوا أن نتيجة بحثهم هذه أقرب فهما للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة وأكثر موافقة لأحوال القرون الاولى وحوادثها .

فنقول : اننا لم نعثر على أحاديث اختلفت أو تناقضت الا أن تكون مختلفة في ميزان الصحة والسند وعندئذ نرمى بأحاديث الكذابين والضعفاء والبله في مهب الريح ، فلا يقام لها في مجال البحث العلمى وزن ، ويبقى ما ثبتت صحته واستقام سنده لا يتعارض ولا يتناقض .

وحينئذ يبقى تحقيق المستشرقين في أيديهم أشبه بلعب الاطفال لا يجاوزها الى عقول العقلاء وأفكار المفكرين كما كان عبث أسلاف لهم من قبل وقفوا في طريق القرآن محاولين تعويق سيره فاقتحمهم وسار في طريقه شرقا وغربا يحمل الهداية والعدل والرحمة الى الناس كافة ، وقد ذهب أولئك المعوقون مع الفناء وبقى القرآن الحكيم يسير سيره حتى أحق الله الحق وأبطل الباطل ، وأظهره الله على الدين كله ، وأقام به منار الهداية والرحمة ووطد بحجته دعائم الايمان .

وأما أن نتيجة بحث المستشرقين موافقة لأحوال القرون الأولى وحوادثها ، فهو كلام لا يحمل معنى الا عند من ينظر الى القرآن أنه كتاب منزل للقرون الأولى وحوادثها ، وهذا النظر انما يتقلده من لا يؤمن بخلود القرآن وأنه الكتاب السماوى الخاتم للشرائع الالهية ، فهو للقرون الأولى وحوادثها والقرون الوسطى وأحداثها ، والقرون الأخيرة وأحوالها ، يحمل لكل قرن حاجته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

على أن هذا الكلام قد تقدم له شاهد ونظير في هذه المقدمة على أنه سبيل من سبل البحث والتنقيب ، يقصد به الى اهدار السند المتصل ، والاعتماد على الأوهام والتخيلات الملائمة للمكان والزمان . وأما اعتراف صاحب المقدمة بأن نتيجة هذه الابحاث المستشرقية لا تتفق وما عليه

المسلمون ، فهو اعتراف بواقع لا يقدم ولا يؤخر ، بيد أن المؤسف أشد الأسف أن يكبو عالم يزعم أنه يبحث بحثا حرا علميا تحليليا فيصرح بأنه لا يهمه فى بحثه أن يكون حقا أو باطلا .

وهذا كلام يغنى مجرد عرضه عن التعليق عليه .

ثم عرض آرثر جفرى لكتاب المصاحف الذى قدم له بهذه المقدمة ، وقال عنه : ان نظرة قصيرة فى كتاب المصاحف لابن أبى داود تمكننا من الوصول الى أول مراتب هذا البحث .

وسنتحدث عن كتاب المصاحف فى بحث خاص غير أننا نصل منه بحديثنا عن المقدمة بعرض آرثر جفرى لترجمة ابن أبى داود ، ونقف منها عند قوله : ومع هذا زعم بعض العلماء أنه غير ثقة (نعم ولا كرامة) — وقيل أن أباه أبا داود كذبه (ومن أعرف بالولد من أبيه) — وقال الدارقطنى هو ثقة الا أنه كثير الخطأ فى الكلام على الحديث (وماذا بقى لثقته ؟) — وقال فى المغنى : عبد الله بن سليمان السجستانى ثقة كذبه أبوه فى غير حديث ، ثم يقول آرثر جفرى : وهذه تهمة لا يرضى عنها المستشرقون ... لأنهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صادقة .

نحن بين أمرين : اما ان نقبل كلام أبيه فيه — وهو أعرف به — واما أن نقبل كلام المستشرقين الذين اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة ، وهى قاعدة أهدار السند والنظر للمتن فى « اطار الظنون والاوهام والتخيلات ليأخذوا منها ما يطابق الزمان والمكان والأحوال » .

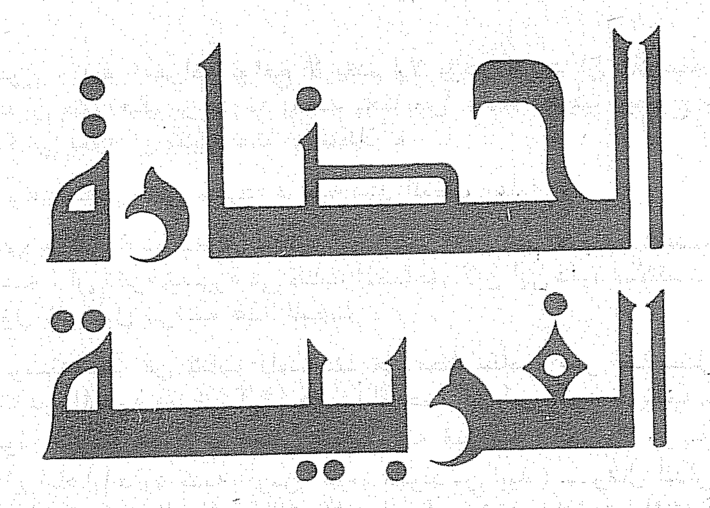
ولا يشك مسلم أن ابن أبى داود صاحب كتاب المصاحف لم يكن من الذين نجوا من التجريح ، وأبوه أبو داود صاحب السنن أحد كتب الاسلام الستة التى عليها المعول فى طليعة رجال الجرح والتعديل — وقد قال فيه ما قال وهو ولده ، ولم يعرف أنه نشأ بينهما شىء يباعده عن محبته ، ولكنه الدين والعلم والامانة فوق البنوة — فلا اعتبار لما يقول المستشرقون .

هذا ما سنح لنا أن نكتبه على عجل عن مقدمة كتاب المصاحف لابن ابى داود التى كتبها الدكتور آرثر جفرى .

وهذا بحث ننشره تنبيها للمسلمين أن تصل اليهم الآراء المنحرفة دون بيان انحرافها ولا ننشره خشية على أصل من أصول الاسلام أو القرآن الحكيم ، أو مصادمة لحرية الرأى لأن الاسلام فى حقائقه التشريعية أجل من أن يخشى عليه من نشر فكرة من الفكر مهما كان انحرافها ولأن القرآن فى حقائقه الالهية أكبر من أن تعوقه عن سيره الى القلوب والأفكار هذه الانحرافات وقد سبق له أن تخطى أمثالها وما هو أعظم منها .

وأما مصادمة حرية الرأى فيمنعنا منها الاسلام والقرآن لان حرية الرأى دعامة من دعائم هدايتهما .

والله ولى التوفيق ..



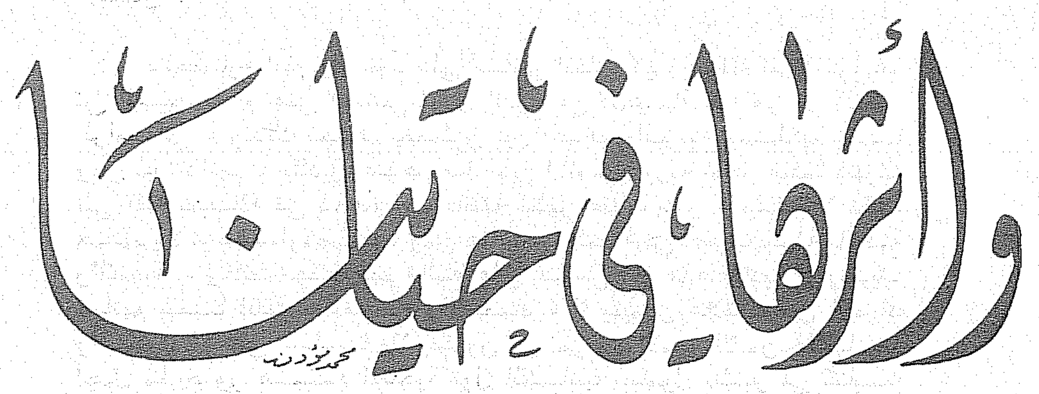
ماذا نعنى بالحضـــارة ؟

سؤال يتردد فى الأذهان ، وينطلق بـــه كل لسان ، وقد تخبط فى معناها كثيرون ، وفسرها تفسيرات شتى .

وتبعا لذلك وقف الناس منها موقفا عجيبا متناقضا ، فمنهم من جعل الحضارة هى المدنية ومنهم من جعلها الأفكار وحدها ، ومنهم من جعلها العلم وما ينتج عنه من مخترعات ، ومنهم من جعلها كلمة شاملة للمدنية والأفكار والعلم والقيم والأخلاق والصناعة ..

فغوستاف لوبون جعل الحضارة بالمعنى الواسع الأخير ، ولذلك اشتمل كتابه (حضارة العرب) على كل ما كان للعـــرب من مفاهيم عن الحياة ، وما كان لهم من نظرات فيها قبـــل الاسلام وبعد الاسلام ، كمـــا اشتمل على توضيح لأبعاد الرسالة الاسلامية ومفاهيمها ومدى ما أثرته فى العرب وكيف دفعتهم للفتح ونشر رسالتهم ، ومـــدى تقدمهم فى شتى مجالات الحياة وعلومها فى الاجتماع والسياسة والعادات والأعـــراف واللغة والجغرافية والفلك والطب والكيمياء والمخترعات والفنون ، ومدى تأثيرهم فى أوربا والشرق بما حملوا من هذه الحضارة اليهم .

غير أن أ. أرنولد ، المستشرق الانجليزى يرى تخصيص الحضارة بمعنى أضيق فهو يقصرها على وجهة نظر الانسان فى الحيـــاة ، وهذا تعريف أكثر تحديدا لمدلول لفظ الحضارة ، وأكثر اعانـــة عـــلى تعـــرف أبعـــادها ...



للدكتور عبد العزيز الخياط

ولذلك أرى أن نحـــدد معنى الحضارة بأنها طريقـــة الانسان فى الحياة ، أو مجموعة أفكاره عنها ، وأعنى بالحيـــاة الأعمال اليومية التى يمارسها المرء فى معيشته، ففكرته عنها ، ونظرته اليها يكيف سلوكه فيها ، ويحدد طريقة تصرفه فى أعماله ، وهذه هى الحضارة .

وأما المدنية والعلم والثقافة فأمور أخرى غير الحضارة ، فالعلم هو المعرفة التى تؤخذ بالملاحظة والتجربة والاستنباط والاستقراء ، كالتوصل الى أن أهم عناصر الذرة ثلاثـــة . الألـــكترون والنيوترون والبروتون أى السيار والحركة والنوية ، فهذه معرفة أخـــذت بالتجربـــة والملاحظـــة والاستنباط والاستقراء ، والثقافة هى المعرفـــة عامة ، وتشـــمل جميع المعارف النظرية وقد تكـــون خاصة اذا لونتها أمة من الأمم بوجهة نظرها فى الحياة ، فتصبح حينئذ ثقافة اســـلامية أو غربية أو شيوعية أو غير ذلك .

والمدنية هى الأشكال المادية التى تنشأ عن الحضارة أو عن العلم ، فبناء المعابد على كيفية معينة ينشأ عن حضارة ، فالمسلم يبنى للمسجد منارة ويجعل اتجاهه الى الكعبة ، والنصرانى يبنى للكنيسة برجـــا للأجراس ويجعل لها هيكلا ، والبوذى يجعل فى معبده صنما وساحة للرقص وهكذا ، واختراع الطائرة صناعة نشأت عن علم ، وعمل قطـــع الموبيليا صناعة نشأت عن علم ، وصناعات الألبان أساسها العلم ، فهذه كلها مدنية ناشئة عن حضارة أو عن علم .

وعلى هذا نجد أن هناك اختلافا بين الحضـــارة الغربية والحضارة

الغربية الاسلامية فى أساس كل منها ونظرتها للحياة ، وتكييفها سلوك الانسان .

فالحضارة الغربية تقوم على أساس انكار الايمان بالله أصلا كما هو فى الشيوعية أو على أساس فصل الدين عن الحياة كما هو فى النظام الرأسمالى ، ولذلك نجدهم يفصلون بين أعمالهم اليومية ومسلكهم فيها وبين معتقداتهم . فالدين عندهم صلة بين الانسان وربه تظهر عندما يتقرب الى الله بالصلاة فى معبده ، وعاطفة تظهر عندما تثار ، ولكنها لا تكيف حياتهم ولا توجه سلوكهم ... ومن هنا كانت الحياة فى الغرب ملونة بالمادية والنفعية ، وكانت حضارتهم قائمة على أساس من هذه المادية ، وتكييف حياتهم تبعا لذلك بالمنفعة والاقتصاد ، لا يقيمون علاقات بين الأفراد والدول الا على أساسها ولا يفكرون فى أمر من الأمور الا من خلالها وما أجمل ما يصور هذه الناحية قول الكاتب ساмول بتلر فى كتابه (GHide to modern wickeness) (نحن مشغوفون بحب المال ، وعقيدتنا ان الثورة هى المقياس الصحيح لعظمة الفرد) . والحكومة كانت سببا لظهور مبدأين لهما الأهمية التاريخية الكبرى .

أحدهما : مبدأ عدم التدخل الاقتصادى الذى كان سائدا على القرن التاسع عشر ويدعى أصحاب هذا المبدأ أن الانسان يبنى عمله على أعظم نفع يجلبه ، وان ليس الباعث على الأعمال الالتذاذ بالعواطف القلبية بل الالتذاذ بالثروة .

والمبدأ الثانى الذى يسود القرن العشرين هو مبدأ التنظيم الاقتصادى المنسوب الى ماركس ، ويقوم هذا المبدأ على أن نظام الانسان الاقتصادى انما يتأسس على حوائج الانسان المالية ، وهذا النظام هو الذى يخلق الأدب والأخلاق والدين والمنطق ونظام الحكومة ، ولم يكن هذان المبدآن لينالا القبول الذى ناله لولا شغف الناس فى بلادنا بالمال والاهتمام الزائد به ... ان نظرية الحياة التى تسود هذا العصر وتتحكم فيه هى النظرية الاقتصادية فى كل شىء . (View of life stomach and poket) وكم هو جميل أن نورد كلمة الصحفى الأمريكى (John Gunther) وقد زار أوربا وكتب كتابه داخل أوربا (Inside Europe) حين صور حياة الانجليز بقوله : (ان الانجليز انما يعبدون بنك انجلترا ستة أيام فى الاسبوع ويتوجهون فى اليوم السابع الى الكنيسة) وتلك هى حضارة الغرب قاطبة وهى التى توجه عندهم العلم والمدنية والصناعة والأخلاق والقيم والآداب والمعاملات ، وتحدد لهم سلوكهم فى كافة شئون الحياة ، ولذلك كان من مظاهر حياتهم الاندفاع فى الملذات وتطلب المزيد منها ، والاستعمار وهو استغلال الشعوب على تلون أشكاله ، واختلاف أساليبه وكان من أهم مظاهر حياتهم — طبقا لهذه الحضارة — أن جعلوا العالم على فوهة بركان مقلقل الأعصاب ، متوتر النفسية ، مرتكزا على كبسولة القنبلة الذرية ، وواضعا يده على مفتاح الصواريخ ...

وهذه الحضارة ... هى التى دخلت بلادنا باسم من التقنية (تكنولوجيا) تحمل معها مفاهيمها عن الحياة ، وعلمها وصناعتها ، وقيمها ، وعاداتها ، وأفكارها ...

ووقفنا نحن نتطلع اليها مذهولين مدهوشين أولا ،

ووقفنا بعد ذلك موقفين متناقضين (الأول) موقف المندفع المقلد الذى يأخذ بالآراء الغربية الفجة والغثة والسمينة والصحيحة ، والزائفة ، ويرى أن سبب تخلفه علميا واقتصاديا وسياسيا وفكريا هو تمسكه بحضارته أى بطريقته فى الحياة والتى تقوم على أساس من العقيدة الصحيحة من الايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، والتى تكيف حياته ، وتحدد مسلكه ، وتعيد له وجهة نظرته فى أعماله ، وتبين له الحلال والحرام .

(والثانى) موقف الجامد المتزمت الذى يرى فى كل ما جاء من الغرب اثما وفجورا ، والذى لم يفرق بين الحضارة والعلم والمدنية والثقافة ، والذى رأى أن العلم والصناعة لا تؤخذ كما لا تؤخذ الحضارة ، فحارب الاتباع ، وحرم العلم ...

وبين هذين الموقفين المتناقضين كاد العرب والمسلمون ينسحقون أمام التقنية الغربية تغزو بلادهم وديارهم وتكيف سلوكهم وحياتهم، وتوجه علمهم وثقافتهم ، وتسيطر على مناهج التربية والتعليم عندهم ، وتتخذ من وسائل العلم الحديثة مدخلا طيبا للسيطرة علينا فى كل منحى من مناحى الحياة ، وربطنا بعجلة سياستهم ، فاذا بنا بعد فترة وجيزة من عمر الزمن فى مجتمع متناقض غريب ، لا تسيطر عليه حضارة الغرب والاسلام ، ولا تسيطر عليه أفكارها ، وفى نفس الوقت لا تسيطر عليه حضارة الغرب كليا ، انما نجد عندنا ايمانا بديننا وتمسكا بكثير من مظاهره وببعض تعاليمه فى الزواج والطلاق والمعاملات والميراث ، ونبذا لحضارتنا الأصلية فى كثير من القوانين والعادات والتقاليد وأصبحنا نرى فى مجتمعنا أفكار الغرب وآراءه ، يتحمس لها منا متحمسون ، فكلما ظهر فى الغرب مفكر أيا كان لونه واتجاهه ، وكلما دعا غربى أو شرقى الى أمر من الأمور ، وجد له أتباع عندنا يتشدقون بما يقول ، ويروجون لما يدعو له . حتى فى الأزياء والملابس وطريقة قص الشعر ولوك الكلمات ...... حتى فى الخنفسة والسادومية والوجودية .... وحياة الكهوف ...

ذلك لأننا لم نستطع التمييز بين قيم وقيم ، ولم نستطع التفريق بين حضارة وحضارة ولم ندرك أن لنا مميزاتنا وخصائصنا فى حضارتنا ومفاهيمنا وأفكارنا ، وان علينا أن نتمسك بها ، وأن نكيف بها سلوكنا ، وأن نأخذ ونحن مسلمون بوجهة نظرنا الأصلية عن الحياة ... أن نأخذ بعلم الغرب وصناعته وأن نبرع فيهما كما برع ، وأن نبدع فيهما كما أبدع ، وأن نوفق بين هذا التقدم السريع فى العلم والمخترعات والأسلحة والصناعة وبين القواعد الأصلية والخطوط العريضة لنظرتنا الاسلامية عن

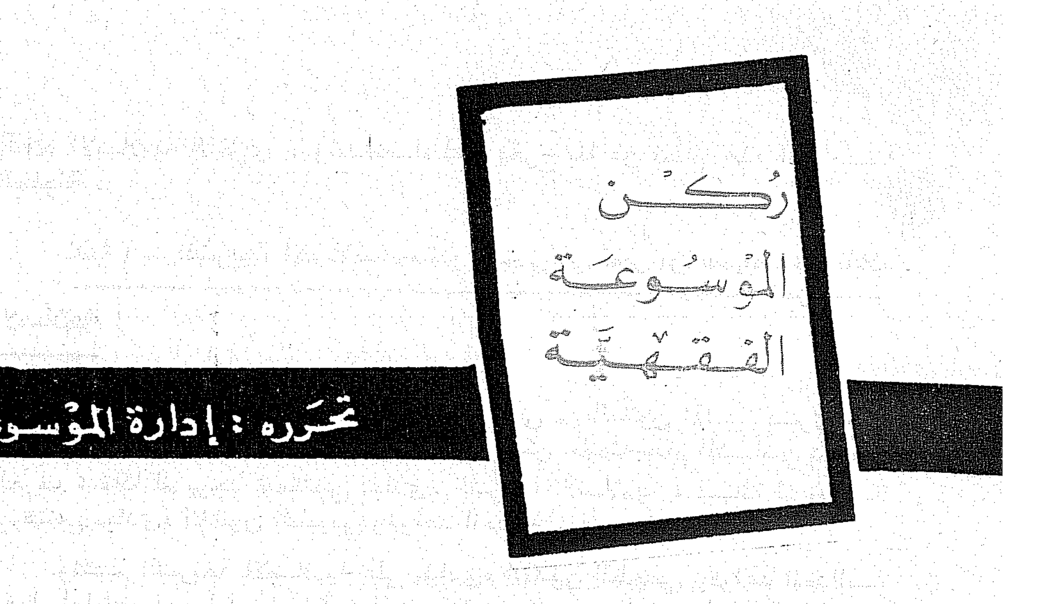
الحياة ، فنحل المشاكل الحديثة التى خلقتها التقنية الحديثة على ضوء مما نؤمن مسايرين لهذا النمو العلمى والتقدم الصناعى السريعين .

حدثنى صديق جاء من الصين أنه لم يشاهد فيها فلما سينمائيا أو مسرحية تتناقض مع أفكار الصينيين الجديدة عن الحياة ، على الرغم من حداثة سيطرة المبدأ الشيوعى على حياتهم ، وسعة الرقعة الصينية وكثرة سكانها ... بينما نندفع نحن فى تصديق الضلالات التى يبثها أناس متعمدون من الغرب عنا ونترك أقوال منصفيهم فى حضارتنا وتقاليدنا ... فمثلا يقول مورو بيرجر فى كتابه (العالم العربى اليوم) فى فصل عقده بعنوان (الشخصية والقيم) (وقد أدى توقير القرآن واللغة العربية التى نزل بها على المسلمين الى تمسك بالبناء لم يستطع المجتمع أن يتخلص منه الا حديثا ، ففى نهاية القرن التاسع عشر بدأ صغار الشعراء العرب والكتاب والفنانون والدارسون يجربون ويتخذون لهم أشكالا وأفكارا جديدة تفتحوا عليها فى أوروبا ..)

ويقول شاخت (لقد كان تناقض القوانين بين المثال الدينى والمتطلبات المتغيرة للحياة اليومية ثاويا فى القانون المحمدى منذ بدايته الأولى) وسريعا ما نجد الأصداء الفارغة التى يرددها أناس منا لهذا ويعملون على تنفيذه دون تفكير .

أما أن يقول غوستاف لوبون (ألا نرى فى التاريخ أمة ذات أثر بارز كالعرب) ويذهب الى تعداد مظاهر هذا الأثر البارز فى كتابه حضارة العرب فيجانب فريق منا هذه الحقيقة ويذهبون الى المغالطات التى لا قيمة لها .

ان حضارة الغرب قد أثرت تأثيرا سيئا فى أفكارنا وعاداتنا وتقاليدنا ولم نستطع أن نتمسك بحضارتنا ، وبهرنا العلم والصناعة ، فمن الواجب اليوم أن نميز ما يردنا من الغرب فنأخذ منه ما يرفعنا علما وصناعة ، ونبعد منها ما يؤدى بنا الى التردى فى الخلق والفكر ، ونظل متمسكين بتراثنا وحضارتنا الأصلية ، ونعود الى العمل بقوانين الاسلام وتشريعاته ، ونعمل على أن نوجد الأحكام والحلول الشرعية لكل المسائل المستجدة والمشكلات التى تواجهنا .



الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى

نتناول فى هذا العدد بحث وجه رابع من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى ، وهو كونها مرجعا للفهم والتفسير والتطبيق فى بعض القوانين المعاصرة المستمدة من الشريعة الاسلامية ، سواء كانت هذه الأخيرة مصدرا تاريخيا أم رسميا لها ، أم قانونا عاما يرجع اليه فى حالة الفراغ التشريعى ، أى عند عدم وجود نص قانونى فى موضوع ما .

● ● ●

أولا) ـ الشريعة الاسلامية مصدر تاريخى لكثير من نصوص القوانين الوضعية :

اذا أخذنا القانون المدنى المصرى مثلا ، وجدنا أنه قد استقى أحكاما كثيرة من الفقة الاسلامى بصورة كاملة أو جزئية أو معدلة . ومن أبرزها أحكام بيع المريض مرض الموت ، والأهلية ، والشفعة ، ومجلس العقد ، وايجار الوقف ، والحكر ووقوع الأبراء من الدين بارادة الدائن وحده ..

هذه الأحكام والمبادىء وغيرها استقاها المشرع المدنى المصرى كلا أو جزءا من الفقه الاسلامى ، وأصبح بذلك رجل القانون بحاجة ـ عند تفسير هذه النصوص ـ للرجوع الى الفقه الاسلامى باعتبار انه مصدر تاريخى لها (يراجع مقدمة « الوسيط فى شرح القانون المدنى » للدكتور عبد الرزاق السنهورى ج ١) .

وما ذكرناه عن القانون المدنى المصرى ليس الا على سبيل التمثيل فقط ، وامثاله كثير فى فروع القانون الأخرى ، وفى غير القانون المصرى من قوانين

البلاد الاسلامية الأخرى . واستقصاء ذلك يخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة العاجلة .

ثانيا) — الشريعة الاسلامية مصدر رسمى فى كثير من تشريعات البلاد الاسلامية :

ونضرب لذلك على سبيل المثال المادة الأولى من القانون المدنى المصرى التى نصت على أنه : « اذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم توجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة . » .

وتقديم الشريعة الاسلامية على مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة يجعل لها أهمية عملية تطبيقية ، اذ أن كلا من الفقيه والقاضى أصبح مطالبا ان يستكمل من الفقه الاسلامى احكام القانون المدنى ، فيما لم يرد فيه نص ولم يجر فيه عرف ، وذلك قبل أن يرجع الى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

— وكذلك القانون المدنى السورى ، نصت مادته الأولى على ان الشريعة هى المرجع الدائم فى كل ما لا نص فى القانون عليه ، وبذلك تكون الشريعة مقدمة على العرف فى النظام القانونى السورى لا تالية له كما فى النظام المصرى .

— كما نصت المادة / ٣٠٥ / من قانون الأحوال الشخصية السورى على أن « كل ما لم يرد عليه نص يرجع فيه الى الأرجح من آراء المذهب الحنفى » .

— والقانون المدنى فى الكويت وفى الاردن هو مجلة الاحكام العدلية المأخوذة بكاملها من أحكام الفقه الحنفى .

— كما أن مذهب مالك هو المطبق فى مسائل الأحوال الشخصية فى الكويت .

— هذا ، والمتتبع للاوضاع التشريعية فى البلاد العربية والاسلامية ، يجد فيها أن الشريعة الاسلامية — رغم تنظيم القوانين الوضعية لكثير من المسائل — ما زالت مصدرا رسميا فى بعض المجالات ، أو فى حالة عدم وجود نص ينظم المسألة فى القوانين الوضعية ، فضلا عن أن بعض أحكام الشريعة الاسلامية يعتبرها القانون الوضعى من مسائل النظام العام والآداب العامة التى يقوم بحمايتها القانون الوضعى نفسه .

● ● ●

ثالثا) — الشريعة الاسلامية مصدر التشريع فى دساتير بعض البلاد الاسلامية :

— ويلاحظ أننا لم نتعرض للكثير من النصوص الدستورية فى البلاد

الاسلامية والتى تجعل الشريعة الاسلامية « مصدرا رئيسيا » للتشريع (كما فى دستور الكويت) أو « المصدر الرئيسى » للتشريع (كما فى دستور الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٥١) أو كما نص الدستور الجديد للجمهورية العربية اليمنية على ان « الشريعة الاسلامية مصدر القوانين جميعا » ، لأن هذه النصوص تظل فى نطاق الشعارات الهادية للسلطة التشريعية ، ولا تكتسب أثرا قانونيا حتى تقوم المحكمة الدستورية التى تزن القوانين بميزان الدستور ـ شاملا هذا النص ـ وحينئذ تتعرض القوانين المخالفة للشريعة للالغاء من قبل المحاكم الدستورية . وهنا أيضا تمس حاجة هذه المحكمة لمعرفة أحكام الشريعة بوضوح حتى تؤدى مهمتها فى تقويم القوانين على ضوئها .

رابعا) ـ الحاجة الى الموسوعة الفقهية فى جميع الحالات السابقة :

وسواء أكنا بصدد تفسير نص قانونى استقيت أحكامه من الشريعة الاسلامية وأصبحت بذلك مصدرا تاريخيا له أم كنا بصدد استخلاص حكم الشريعة الاسلامية وفقهها باعتبار أنها مصدر رسمى أو أنها هى المصدر الرسمى للتقنين ، ففى جميع الحالات ينبغى الرجوع الى الفقه الاسلامى فى كتبه المعتمدة ، وهنا ترد الصعوبات التى سبق أن أشرنا اليها فى حلقة سابقة ، والتى تجعل أمر البحث فى هذه المراجع شاقا بالنسبة للقانونيين ، وبالنسبة للشرعيين أنفسهم .

ومن هنا كانت الحاجة الى الموسوعة الفقهية ، حاجة عملية تدعو اليها ضرورات العمل القانونى على مختلف مستوياته التشريعية والتنفيذية والقضائية .

● ● ●

بهذا نكون قد انتهينا من عرض وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامى ، بعد أن عرضنا قبل ذلك لوجوه الحاجة اليها على الصعيد العالمى .

وقبل أن ننتقل الى مرحلة أخرى من البحث نتناول فيها الخطوط الرئيسية للموسوعة الفقهية المطلوبة ، يثور تساؤل ينبغى الاجابة عليه ، وهو : ألا تسد المدونات والكتب الفقهية القائمة ، قديمها وحديثها ، من مذهبية وعامة هذه الحاجات حتى نفكر فى ايجاد موسوعة أخرى ؟

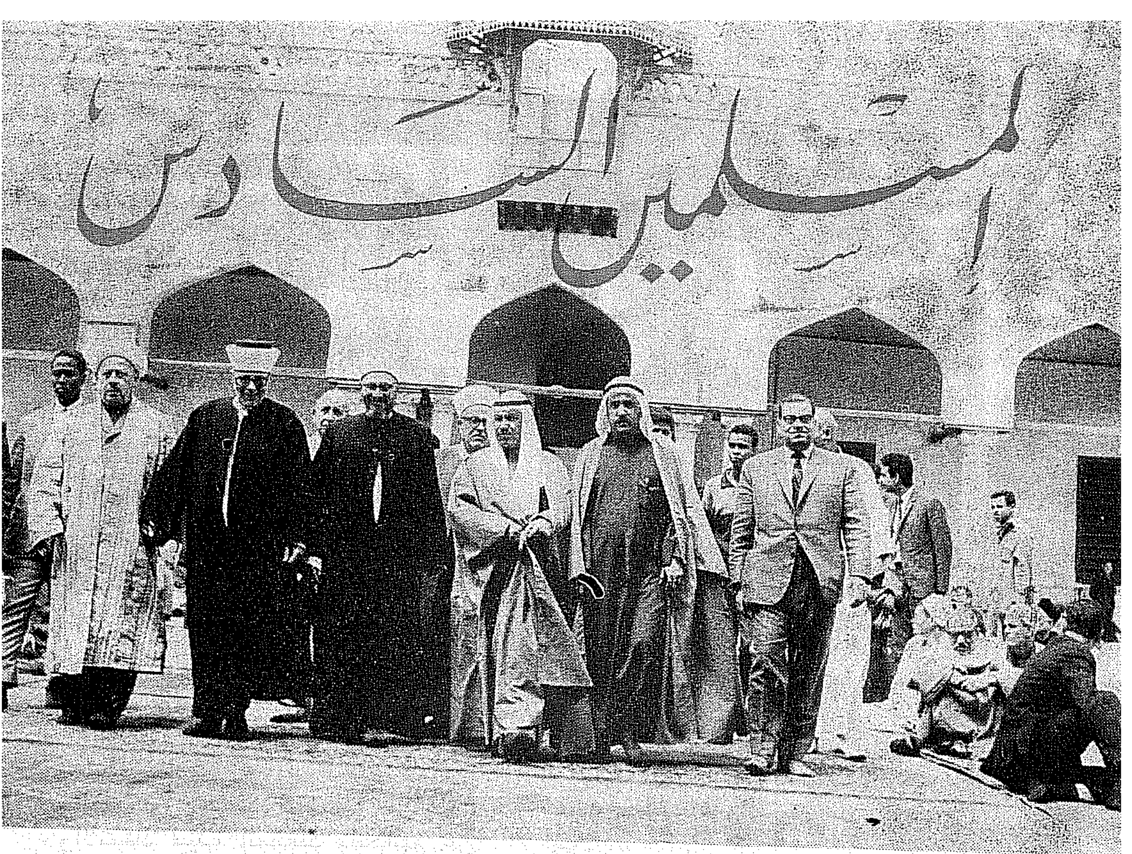
هذا ما سنتناوله بالبحث فى العدد القادم باذن الله .

● ● ●



للأستاذ صلاح عزام

- ما لم ينشر من أعمال المؤتمر
- مواقف ومطالب مشرفة لممثلي الكويت .
- كلمات صريحة من يوغسلافيا إلى علماء مسلمي العالم
- هذه أهم الكلمات ... والاقتراحات ... والتوصيات



علماء المسلمين خارج مسجد الجامع الازهر بعد آداء صلاة الجمعة .. ويظهر فى الصورة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الازهر ومعالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت والاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعد وسماحة مفتى الاردن وبعض السادة أيضا والوفود .

عقد مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة مؤتمره السنوى السادس.. وحضر الافتتاح والجلسات أكثر من ٤٠٠ من كبار العلماء فى الجمهورية العربية المتحدة والعالم الاسلامى ..

وقد عشت جلسات المؤتمر .. وأتاحت لى الظروف أن أستمع الى أحاديث الأعضاء كلها ، وأن أشترك مع بعضهم فى كثير من الآراء والمقترحات من خلال مناقشات غنية بالفكر الاسلامى البناء .

وأنا اليوم أنقل الى قراء الوعى ما لم تنشره الصحف فى القاهرة أو فى غيرها من بلدان العالم ..

نقد ذاتى :

وقد بدأت جلسات المؤتمر .. كالعادة بكلمة من شيخ الأزهر ، وتلاه الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر ..

وكان أبرز ما فى الكلمتين الوضوح .. والصراحة والنقد الذاتى للمؤتمرات عموما والتحدث الى العلماء فى صدق عما يريده منهم المسلمون خارج قاعة المؤتمر ..

ومما قاله الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور محمد الفحام : ان خدمة الاسلام والمسلمين أيها



فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الدكتور محمد الفحام عن يمينه الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وعن يساره الدكتور **محمد بيصار أمين المجمع وسماحة الشيخ عبد الله غوشة**

مصطفى الطير وعبد الفتاح القاضي والدكتور عبد الغني الراجحي والأستاذ لبيب السعيد بأبحاثهم عن التفسير والقراءات في القرآن الكريم .

والجهاد

ثالثا — ان المؤتمر قد غلب عليه طابع الحديث عن المعركة والنضال والجهاد ، والوقوف الى جانب مشاكل المسلمين في كل مكان ، فمنذ الساعة الأولى لجلسات المؤتمر بدأ حديث عما دار في الباكستان أثاره الامام الأكبر الدكتور الفحام ، كما عبرت أحداث الاردن والعمل الفدائي المؤتمر ، وتحدث عنها طويلا الشيخ غوشة ومعالي راشد الفرحان واللواء محمود شيت خطاب ..

ثم فوق ذلك فقد نوقشت أبحاث عن الجهاد والفداء وفلسطين واسرائيل بلغ عددها اثنى عشر بحثا اشترك في تقديمها اثنان من رجال الحرب ، وهما اللواء الركن محمود شيت خطاب ، والفريق عبد الرحمن أمين ..

الكلمات وموقف الكويت ..

ورابع .. هذه الظواهر المميزة هي الكلمات التي تحدث بها المشتركون في المؤتمر ، وقد أخذت طابعين رئيسيين أولهما : مسئولية المسلمين عموما في الحرب الصليبية الحالية ونشر الاسلام والدعوة له وثانيهما : فلسطين والجهاد ، وموقف مسلمي العالم من هذه الحرب ..

وهنا لا بد أن نذكر موقف الكويت في هذين المجالين اذ كان لها دور كبير على مدى أيام ثلاث من أيام الفترة الأولى ، والتي استغرقت ستة أيام ..

فقد تحدث الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف ، وفي كلمة طويلة قال فيها (**أن خدمة الاسلام هي الهدف وان ميدان العمل هو المجتمع الاسلامي**

السادة لا تأتى عن طريق رفع الشعارات ، بل فى تنفيذ تعاليم الدين الحنيف التى تقضى على الجمود الفكرى والظلم الاجتماعى ، وتدفع الى التطور والتقدم ، والعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتحريرها من الجمود ، وتنقيتها من الشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ..

وقال شيخ الأزهر (ان ملايين المسلمين فى أرجاء الدنيا تنظر اليكم فى لهفة مترقبة لما يروى ظمأها ويشفى غلتها بما تخرجون به على الوجود من بحوث تبصرهم بالحلول الحكيمة العادلة الرحيمة لما يعترض الحياة من مشاكل ومن قرارات وتوصيات بما يهم العالم من أحداث تفاقم أمرها ، وباتت تنذر بحرب لا تعرف غير الخراب والدماء ..) .

ومما قاله الدكتور عبد العزيز كامل **(فى هذه الظروف المصيرية نلتقى وليس أحد أشد احساسا بالمسئولية من أحد ، ذلك لأننا كما تعلمنا من رسولنا عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ..**

وأقف فى هذا الحديث عند كلمة واحدة تداعى ، وأحس أن هذه الكلمة قد تجسمت أمامى سؤالا يحتاج الى اجابة .. ما مظاهر هذا التداعى .. ؟ مزيد من القرارات مزيد من البحوث مزيد من النداءات .. ؟ لقد عبرنا عن هذا كله فى لقاءات سابقة ..) .

و .. هل نستطيع فى هذا العام أن نعيد النظر فى أسلوب عملنا ، وان يكون لقاؤنا فرصة لنقوم ما قمنا به من جهد وما علينا أن نقوم به محددا واضحا ..

أعتقد أننا فى أشد الحاجة الى ذلك ، وأن فى قائمة الايجابيات أشياء كثيرة ، وان فى قائمة السلبيات ما يحتاج الى مراجعة ..

وقال الدكتور عبد العزيز **(الكلمة — مع كرامتها علينا جميعا لها نصيب كبير حتى كادت أن تصبح هى العمل ان يكون عملنا أن نقول ..** والآية الكريمة واضحة فىأنهما أمران: **((أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا))** ونحن ندعو ربنا فى صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم ، والصراط طريق ونحن محتاجون الى أن يزداد السائرون فى طريق العمل عددا وقدرة بحيث يكون انتاجهم من أجل قضية المصير ملموسا محسوسا منظما هذه الترجمة من الكلمة الى العمل هى التحدى الكبير الذى يقابلنا فى هذه الظروف المصيرية ..

ظواهر جديدة

وبعد ذلك بدأت جلسات المؤتمر عملها بكلمات وابحاث وهناك عدة ظواهر تميز بها المؤتمر السادس لمجمع البحوث وهى —

أولا — ان عددا من غير خريجى الأزهر قد اشتركوا فى أبحاثه ، ومن هؤلاء الدكتور عثمان خليل عثمان ببحث عن حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية ، والدكتور مصطفى كمال وصفى ببحث عن الوظيفة الاجتماعية للحقوق فى الاسلام ، والدكتور مصطفى الرافعى ببحث عن حقوق الانسان فى اسرائيل ، والمهندس عبد السلام أحمد نظيف ببحث عن تطوير العمارة الاسلامية ..

ثانيا — اشتراك عناصر جديدة لها وزنها فى مجال البحث العلمى الاسلامى الى جانب فقهاء المسلمين الكبار المعروفين ، ومن هؤلاء المشايخ

وأن العلماء مسئولون عن عدم تطبيق أحكام شريعتنا التى فيها الغنى عن كل مستورد حرام ..) .

وقال الأستاذ راشد الفرحان أيضا (ان هناك عددا من الملاحظات وأهمها —

حرب فلسطين قضية اسلامية وعلى المسلمين ان يهبوا للدفاع عنها والا تقف الحكومة المعنية وحدها فى الميدان فى حرب موجة ضد المسلمين ..

وان اخوانكم الفلسطينيين يقاتلون فى سبيل الله فيجب مؤازرتهم حتى التحرير والنصر .

ولا تعارض بين الوحدة العربية والاخوة الاسلامية التى نادى بها الاسلام فالاسلام يبارك قيام الوحدة ويحذر من قيام الفرقة وجميل ان نكثر من البحث والتأليف واحياء التراث ونقوم بعقد المؤتمرات ومع هذا يجب أن يكون أول بند هو النظر الى اعداد التخطيط والمنهج والاسلوب الذى يتبع فى هذا العمل ومع السلطات والشعوب ..

وموضوع آخر ..

فقد وقف الاستاذ عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويتية يتحدث عن القرآن الكريم وبين للمشتركين فى المؤتمر أساليب الحرب المختلفة التى تلجأ اليها العناصر الكارهة للاسلام ..

وعدد الأمثلة وآخرها ترجمة القرآن الكريم للغة الأمهرية فى الحبشة ، وماحدثفيه من تحريفوطالب الاستاذ الفارس بدراسة تحريف القرآن فى كل مكان من العالم وانه علاجا لهذا الموقف فهو يقترح انشاء مطبعة خاصة لطبع المصحف الشريف على مستوى العالم كله ..

والموقف الثالث فى مشاركة الكويت فى المؤتمر .. البرقية التى اعلنها أمين عام مجمع البحوث والتى جاءت من الكويت .. من جمعية الاصلاح الاجتماعى وتناشد فيها المؤتمر الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف وتطلب أيضا ان يعلن المؤتمر الجهاد المقدس لتحرير فلسطين ..

وقد تقرر تشكيل لجنة خاصة بالمؤتمر مهمتها دراسة ما جاء بكلمة الاستاذ الفارس وبرقية جمعية الاصلاح الاجتماعى الكويتية ..

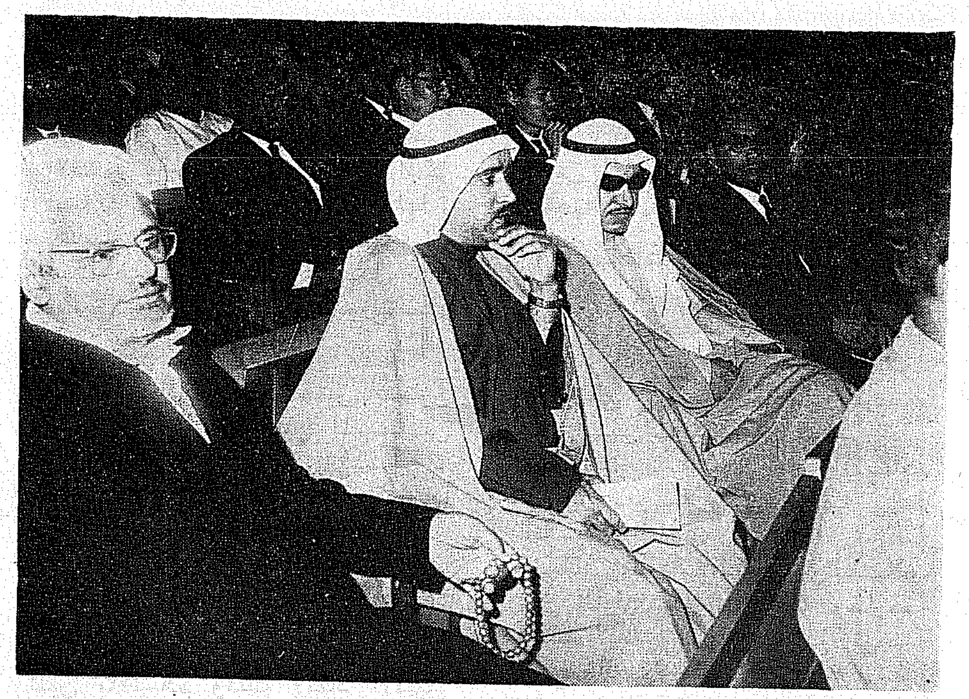
عودة للكلمات ..

وعودة للكلمات التى قيلت وهى احدى ظواهر المؤتمر الجديدة البارزة فقد تحدث فى الجلسات الاولى ٢٢ عالما ومفكرا اسلاميا من الدول المختلفة ، وبعيدا عن الابحاث ..

وأهم هذه الكلمات ما قاله الاستاذ حسين جوزو ممثل مسلمى يوغسلافيا ، ولاسباب ثلاثة أولا لأن قائلها يمثل الفكر الاوروبى ، وثانيا لأنه من دولة تأخذ بالنظام الشيوعى ، وثالثا لانها اكثر الكلمات التى قيلت تعليقا وحسن استقبال وقد جاء فيها (.. ان العالم الاسلامى أيها الاخوان يواجه اليوم مشاكل وقضايا عديدة ومختلفة مثل قضية العدوان الاسرائيلى وازالة آثار هذا العدوان وقضية مسلمى قبرص وكشمير وارتريا وتشاد وزنزبار وغيرها ..

ولكن هناك قضية هى فى الواقع أم هذه القضايا كلها ، ويتوقف على حلها حل كل قضية أخرى وتلك القضية هى قضية التخلف العام للمسلمين وابتعادهم عن الاسلام ..

و .. قال أيضا (اننا عندما نبحث



معالى الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت والاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعد أثناء جلسات المؤتمر .

وندرس أحوال المسلمين وما هم عليه نجد نوعين من الاسلام أو بتعبير ادق نوعين من ادعاء الاسلام كلاهما بعيد الصلة أو ضعيفها بكتاب الله وسنة رسوله ..

هناك اسلام مشوه محرف مأخوذ من أعمال المسلمين وسياستهم المعتلة ابان ذهاب دولتهم وانهيار حضارتهم وشيوع الخرافة والهوى فى افئدتهم ..

وهناك اسلام مفتعل يجرى على بعض المعاصرين المفتونين بحضارة الغرب الرأسمالى أو الشرق الشيوعى وهو اسلام كما يقول بعض المفكرين من علماء الاسلام لا يعدو استجلاب عنوان لجملة حقائق مدنية وأفكار بشرية خطؤها أكثر من صوابها ..

وقال الاستاذ حسين (ان الفكر الاسلامى قد تجمد وتحجر فى أقوال علماء السلف وفى أفكارهم وآرائهم وفيما استنبطوا من القرآن والسنة من أحكام ..

ولم يقم علماء الخلف بواجبهم فى متابعة دراسة الفكر الاسلامى واستخراج الاحكام والحلول للمشاكل التى تتجدد وتحدث فى كل عصر وتسيير الحياة بمقتضى المبادىء الاسلامية وانما وقفوا عندما قاله الأولون من علماء السلف ..

وطالب الاستاذ جوزو بتحقيق مطالب الجيل الجديد من المسلمين ..

وهى .. (أولا الخروج من اطارنا الضيق لكياننا والعودة من جديد الى الحياة واسترجاع ما كان للاسلام والمسلمين من المجد والحضارة والتقدم وفى مقدمة ما يجب اتخاذه

فى هذا السبيل فتح باب الاجتهاد والعمل على احياء الفكر الاسلامى ودراسته دراسة علمية وافية لتطبيقه فى حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأن الفكر الاسلامى يشمل حياة المسلمين كلها .

ثانيا — ربط الماضى بالحاضر وبناء المستقبل على ذلك والعمل على التوفيق بين القيم الروحية والتقدم المادى .

ثالثا — العمل على تحقيق التعاون والتضامن والتكاتف بين المسلمين على أساس انما المؤمنون اخوة . و .. كلمات أخرى تكشف عن قضايا اسلامية خطيرة ..

قال السيد محمد على ديما بورو عن الفلبين .. اننى أدعو الى الوحدة الاسلامية بين جميع الشعوب التى تدين بالاسلام وذلك لانقاذ الانهيار الذى يتعرض له المسلمون فى كل مكان من العالم . وكذلك يجب ان يكون هناك تنسيق بين بلادنا الاسلامية جميعها .. ومن الآن فورا ..

وقال السيد محمد رشيد مندوب اندونيسيا (اننا يجب ان نهتم بنشر الثقافة الاسلامية وتعليم لغة القرآن لكل المسلمين وتعزيز البعثات الاسلامية التعليمية والعمل على زيادتها وتدعيمها ..

ثم اننى أحب ان احذركم جميعا من نشاط التبشير المسيحى فى كل مكان وأنا أرى ان افتقارنا الى اساتذة لنشر الشريعة الاسلامية يساعد التبشير المسيحى فى عمله ..

اقتراحات :

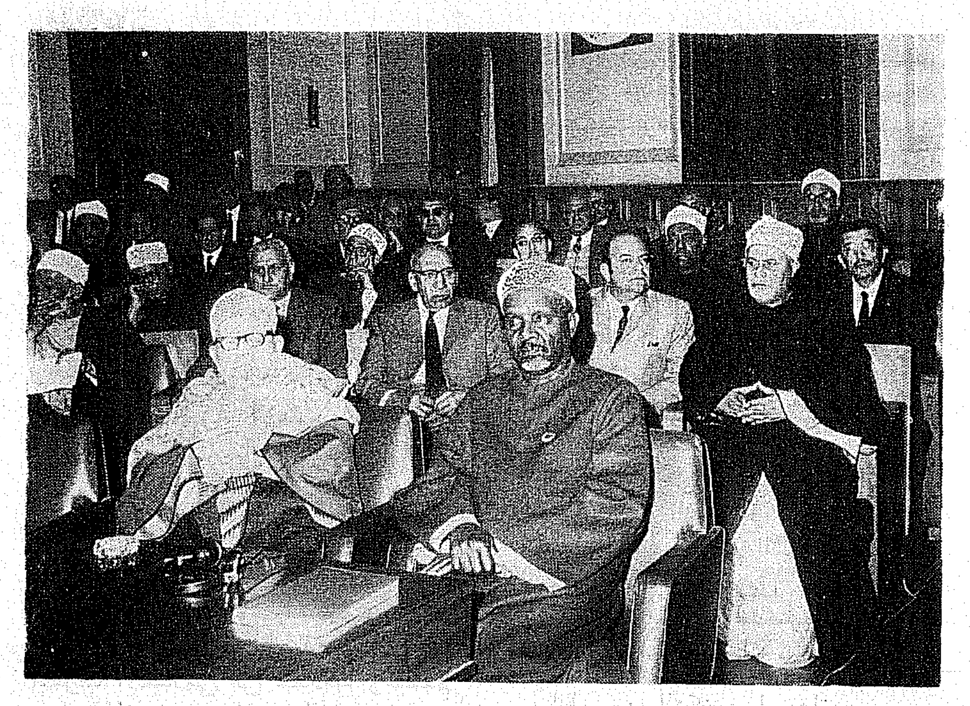
وكلمات كثيرة وبها ننهى أهم الظواهر الجديدة فى مؤتمر مجمع البحوث السادس وبعدها تأتى الاقتراحات ومنها ما عرضه كل من ..

اللواء محمود شيت خطاب اذ طالب بالآتى — يجب ان يتحمل الآباء والامهات واجباتهم كاملة فى تربية الطفل لأن كثيرا منهم أهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة .

فيجب تلقين الأطفال مبادىء الدين الحنيف وأسس الخلق القويم قبل الالتحاق بروضة الاطفال والمدرسة واعادة النظر فى تربية النشء الاسلامى ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف و .. يجب أقامة المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية وحث التلاميذ والطلاب على آداء فريضة الصلاة وقد دأب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية فلماذا لا نقوم بسفرات لاداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة فى كل قطر عربى واسلامى فى كل عام و .. على الدول العربية والاسلامية تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية وأن تمنع استيراد المجلات والأفلام الخليعة . و .. على الدول أن تختار العلماء العاملين للنهوض بواجب التوعية الدينية فى الاذاعة والصحافة واجهزة الاعلام والمساجد والنوادى وقاعات المحاضرات وقصور الثقافة .

و .. يجب حث العسكريين كافة على أقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ومن الضرورى تحريم الخمور والميسر فى الجيش تحريما صارما ومعاقبة المخالفين أشد العقوبات ..

واقتراح الدكتور ابرهيم اللبان (اصدار صحف دينية اسبوعية تكون صلة بين الشعوب الاسلامية فى الدائرة الدينية والشئون الاسلامية المشتركة ..



مفتى الجمهورية العربية المتحدة الشيخ محمد خاطر والدكتور بدوى عبد اللطيف مدير جامعة الازهر .. والشيخ على عبد الرحمن .. ولفيف من الحاضرين .

و .. ترجمة الكتب التى تتضمن الروح الاسلامية عن اللغات الكردية والفارسية والفرنسية واقترح الفريق عبد الرحمن أمين تدريس المناهج الدينية القتالية فى المدارس والجامعات .

واقترح الاستاذ عبد الله عبد الشكور حسن كامل مدير المركز الاسلامى بالبرازيل (انشاء لجنة أو ادارة خاصة بدراسة شئون الجاليات بالمهاجر ..

و .. وان تعقد المؤتمرات الاسلامية فى أماكن غير القاهرة ومكة وغيرهما وانما فى بلاد بعيدة مثل سان باولو ولويتوس ايرس حيث يعتبر انعقاد مؤتمر اسلامى هناك بمثابة دفعة قوية تمد النشاط الاسلامى فى هذه المناطق النائية .

و .. وضع مشروع للرعاية الدينية للمسلمين فى أمريكا الجنوبية ..

وأهم القرارات .

ومع كثرة المقترحات التى تقرر ان تكون موضع دراسة مجمع البحوث الاسلامية على مر الايام القادمة فقد صدرت قرارات المؤتمر وأهمها ..

مطالبة كل الدول الاسلامية بقطع علاقاتها السياسية والاقتصادية باسرائيل ..

العمل على حماية المسجد الأقصى وسائر المقدسات .

استنكار استمرار اسرائيل فى تغيير معالم القدس . —

مطالبة الدول المحبة للسلام بالوقوف الى جانب الحق العربى .

ويدعو المؤتمر الدول الاسلامية الى ارسال المتطوعين من الطيارين والفنيين الى جبهة القتال كما يدعو الشعوب الاسلامية للمساهمة بأنفسهم وأموالهم لمعاونة اخوانهم فى خطوط المواجهة الامامية ..

الدعوة الى انشاء مصرف اسلامى يخلو من المحظورات الشرعية .

الدعوة الى انشاء دار للفكر والنشر الاسلامى .

مطالبة اجهزة الاعلام بمراعاة آداب الاسلام فيما تنشره .

يوصى المؤتمر المسلمين بالاستمساك بآداب الاسلام وتقاليده فى سلوكهم وأزيائهم .

ويطالب المؤتمر الحكومات والهيئات الاسلامية بالحفاظ على العرف الاسلامى فى حفلاتها وعدم تقديم المشروبات المحرمة ..

انشاء صندوق للجهاد وللانفاق على المجاهدين وأسر الشهداء ..

و .....

وأنتهى المؤتمر السادس لمجمع البحوث الاسلامية ..

وبقى تنفيذ القرارات ..

معلومات عن المؤتمر :

الفترة الأولى بدأت من يوم الجمعة ٢٩ محرم ١٣٩١ هـ ٢٦ مارس ١٩٧١ م الى يوم الخميس ٥ صفر ١٣٩١ هـ أول ابريل ١٩٧١ م .

الفترة الثانية بدأت من يوم السبت ١٤ صفر ١٣٩١ هـ ١٠ ابريل ١٩٧١ م الى يوم الثلاثاء ٢ ربيع أول ١٣٩١ هـ — ٢٧ ابريل ١٩٧١ م .

اشتركت فى المؤتمر ٣٤ دولة مثلها ٥٩ من العلماء بينهم ٦ من الوزراء الحاليين والسابقين .

أعلن فى الجلسة الثانية ضم عضوين جديدين الى مجمع البحوث الاسلامية وهما اللواء الركن محمود شيت خطاب عن العراق — والأستاذ مالك بن نبى عن الجزائر قدمت خلال المؤتمر ٤٤ بحثا و ٢٢ كلمة ..

والأبحاث هى ٥ أبحاث عن رعاية الاسلام للقيم والمعانى الانسانية) لكل من الامام موسى الصدر — الدكتور محمد عبد الله ماضى الشيخ عبد الله غوشة الاستاذ عبد الله كنون الاستاذ عبد الحميد حسن .

٤٠ بحثا عن الشهيد فى الاسلام لكل من .. الشيخ حسن خالد الشيخ قاسم غالب الشيخ عبد الستار السيد والفريق عبد الرحمن أمين وبحثان عن العنصرية كأساس فى قيام دولة اسرائيل .

لكل من الدكتور اسحاق موسى الحسينى والدكتور حسن ظاظا .

وبحثان عن محنة حقوق الانسان فى اسرائيل للاستاذ وفيق القصار والدكتور مصطفى الرافعى وبحثان عن النظرة العالمية فى الاسلام للدكتور على حسن عبد القادر والدكتور محمد عبد الرحمن البيصار وبحثان عن حقوق الانسان فى الاسلام للدكتور عثمان خليل عثمان والاستاذ محمد خلف الله أحمد .

وبحثان عن قراءات القرآن الكريم للاستاذ لبيب السعيد والشيخ عبد الفتاح القاضى .

الاصلاح الاجتماعى لفضيلة الامام الاكبر الشيخ محمد الفحام .

الوحدة الاسلامية للشيخ محمد أبو زهرة .

الحرب النفسية فى الاسلام للدكتور عبد العزيز كامل .



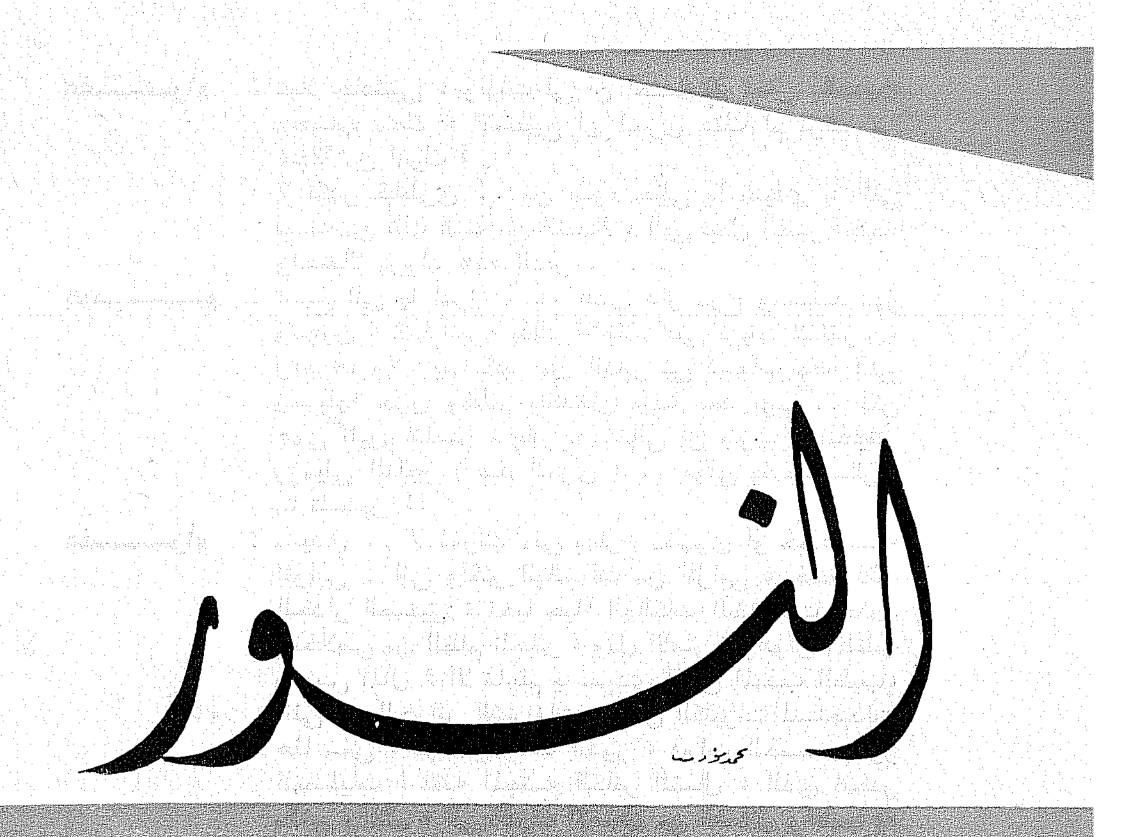
مندوبو مسلمى العالم فى المؤتمر .. وقد ظهر فى الصورة الحاج أبو بكر حمزة مدير مسجد باريس .. وأعضاء وفود السعودية وبعض الدول الافريقية .

نحو اقتصاد اسلامى للاستاذ ابراهيم الطحاوى .
نظرة الاسلام الى الفرد والجماعة فى علاقة بعضهما بعضا للدكتور محمد البهى .
الحرب النفسية للواء الركن محمود شيت خطاب .
الوظيفة الاجتماعية للحقوق فى الاسلام للدكتور مصطفى كمال وصفى
التكامل الاقتصادى فى الاسلام للدكتور عبد الواحد وافى .
مشكلة العرض والنشر فى المجال الدينى للدكتور ابراهيم اللبان .
الدولة الاسلامية دولة انسانية للاستاذ أسعد مدنى .
مسئولية الفرد تجاه الجماعة للشيخ عبد الستار السيد .
حقوق الانسان فى الاسلام للاستاذ غلام محمد .

العقيدة والقيادة فى الاسلام للواء الركن محمود شيت خطاب .
رسم المصحف للدكتور محمد محمد أبو شهبة .
الدين الاسلامى .. دين الانسانية للاستاذ عبد الله عبد الرحمن بسام .
تطور العمارة الاسلامية للمهندس عبد السلام أحمد نظيف .
الوحى .. للاستاذ البهى الخولى .
المحكم والمتشابه فى القرآن الكريم للدكتور عبد الغنى الراجحى .
الاسلام والعروبة فى امريكا اللاتينية للاستاذ عبد الله عبد الشكور حسن كامل .
وبحثان عن التفسير لكل من الشيخ مصطفى الطير والدكتور سيد جعفر شهيدى .



(مكة ، القرن السادس الميلادى .. واجهة دار منعــزلة)
(مضاءة من الداخل بشموع خابية شاحبة . تســـمع)
(أصــوات ضحكات بعيدة ، وأصداء أغنيات متقطعـــة)
(ماجنـــــة ، وايقاعات ضرب على الدفوف والصناجات)
(صادرة كلها من وراء النــوافذ شبه المغلقــة ، فــوق)
(الى اليمين شـــعاع من ضوء مشعل عال ، ولكنه ناء)
(يبدو كبريق نجم بعيد .. وفيمــا خــلا ذلك فالليل)
(حالك .. يندفع خارجا من جوف الدار شاب يرتــدى)
(ثيابا فاخــرة وقشيبة ، مما يرتديه أثرياء التجــار)
(الغــرباء ، الذين يلمون بمكة فى مواسم التجـارة اسمه)
((هيثـم) يتقـدم الــى امـام خطــوات ، لكنـــه)
(لا يـلبث أن يتـــوقف بغتـــــة . . .)



للأستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

هيثم : (ملتفتا حوله فى حيرة) ، ما أسوأ كل هاته الظلمات . ها قد خرجت ، ولكن الى أين ؟ .. لا يكاد المرء يقوى على أن يخطو فى بهمة هذا الليل خطوة واحدة الى أمام ..
(يتنهد قلقا ضجرا) و . ولم يعد صديقى (عبد العزى) بعد !!
(تقبل من ورائه ، خارجة من عين الدار ، امرأة)
(مسرعة تتشح بغلالات سود ، لا يتفق وقار)
(سوادها والثوب الفاقع الفاضح الذى يلف)
(جسمها باحكام ، ويبدو بهرجه المثير من)
(تحت الوشاح زاهيا .. هى (عفراء) ..)

عفراء : سيدى ، هلا أقلت عثرتى ، وصفحت عنى ، بحق (مناة) ؟!

هيثم : انى أصفح عنك عن طيب خاطر ، وبكل صدق ، وأقسم على ذلك بالصنم الاكبر (هبل) .. ان محنتى الخاصة ينوء بها كاهلى ، فأعفو ، اضطرارا ، أو ذهولا .. !

عفـــــراء : فهلا حادثتنى ، وأذنت لى أن أحـــادثك لعلى بالحديث وحسب معك ، أستطيع أن أسرى عنك أم تراك فى عَجلة من أمرك ؟
لا تكدر خاطرى .. من سوء حظى يا سيدى ، أننى لست من تلك القلة من النساء ، التى تبذل الكثير احتفاء واحتفالا برواد هذه الدار .

هيثـــــم : اصغ الى يا امرأة ! .. هذى دار مرح وســـــهر ومجون ، كما تنبىء بذلك الاعلام التى تزينها للناظرين، وغيرها ولا ريب كثير من الدور فى شعاب مكة التى يسربلها حزن وظلام يتكاثفان يوما بعد يوم .. لكن همى اليوم قاصم ، باتر .. فالى أن يئوب صـــديقى وزميلى التاجر (عبد العزى) .. قولى يا جـــارية ما تشائين !!

عفـــــراء : سيدى .. لا تغرنك منى بهارج مظهرى أو خلاعـــة أثوابى . انى وأكثر البائسات من أترابى ، خلف ذلك الجدار الصفيق ، نحيا حياة الهالكات الطامحات يحلمن بالخلاص من الظلم الجائر ، وذل الأسر ، وهوان المنقلب وتعس المآل ، ألا فاعلم يا سيدى الفتى المهذب الطيب، اننى من الحرائر الشريفات . وان الكثيرات المستعبدات هنا معى ، كن من ربات الدور ، ذوات الخـــــدور الفضليات ! لكنه المجتمع الكافر الضال ، الذى انحدر بالقيم والمثل ، الى الدرك الاسفل من الضلال والضياع، اعلم يا سيدى الفتى العف النبيل : اننى زوج برة وفية لتاجر فاضل كريم مثلك .. !

هيثـــــم : (يتأملها بانتباه لاول مرة) أهو الحق ما تقولين يا .. يا سيدتى ؟!

عفـــــراء : (باكية) كل الحق . ولئن كنت كاذبة فليخرس الصنم الضخم (هبل) لسانى ، ان كان مستطيعا أن يفعل ..!

هيثـــــم : (دهشا) : ماذا ؟! ألا تؤمنين بـــ (هبل) ك .. كمعظم الناس ؟!

عفـــــراء : ما عدنا نؤمن الا باشراقة النور .. النور الخالد .

هيثـــــم : أى نـــور ؟!

عفـــــراء : الذى ننتظر ، بالتفاؤل الكبير والأمل العريض ، اشراقة .. النور الغامر ، الشامل ، الذى نؤمن أنه حتمـــا سيشرق ..

هيثـــــم : حديثك فى الحق عجيب أيتها الـــ .. أقصد ، أيتهـــا السيدة ! ..
وأمرك معى الليلة أكثر عجبا .. انى أصدقك لســـت أدرى لماذا ولا كيف !!
يربت باشفاق كتفيها ، وهو يستر بطـــرف الوشاح ما تكشف من صدرها) .. بى الليلة ما يسوقنى سوقا الى أن أعطف على كل بنى البشر ، انى أنا الضـــحية

أشفق على الجلادين الفجار تجار مكة الأثرياء .. ،
أرثى لهم ، أولئك الذين ورثوا أبى ، استنادا الى نصوص
مطواعة ، من قانون نفعى ، غاشم ، صنعوه بأيديهم ،
أقصد : من صنع (أنيابهم) و (مخالبهم) ! مات أبى
هنا ، ولانه غريب أخذوا — بموجب قانونهم — ماله
وبضاعته ، وهم مطمئنون ، راضون ، وقالوا : انه
القانون !! فماذا عندك أنت من قول فى .. فى ماذا ؟
.. آه .. قلت انك الآن تؤمنين فقط بـ .. باشراقة
النور . هه ؟ ..

عفـــراء : (تتلفت حولها وخلفها فى وجل) قسماتك الوسيمة ،
يا سيدى الشاب ، وأمائر الدعة والبراءة على محياك
أوحت الى انك من صفوة أبناء جيل على موعـــد
مع مشرق النور . قانونهم ذاك الذى صنعه مهـــرة
الجلادين القساة .. ان كان قد أضر بك قليلا ، فانه
بدد هنائى ، وقوض صرح بيتى ..

هيثـــم : (باستياء) وما شأنك أنت ، ناشدتك كل الارباب كثيرة
العدد ، من هبل ومناة ، الى العزى واللات ، بـــذاك
القانون الغاشم الذى عنيته أنا ؟! ان السراة من رجالات
الاسواق .. لم يتركوا لى مما سلبوه أبى ، صديقهم ،
شروى نقير ، فأية عدالة هذه ؟!
أيتها الـــ .. السيدة ، سنرحل أنا وصديقى العشـــية
على ابلنا ، مخذى من حبة قلبى سرا دفينا .. انا ما عدت
— مثلك — أثق فى جدوى وفاعلية (هبـــل) ، ولا
الاهمية الكبيرة لبقية الارباب الحجرية التى يزعمونها ،
من هذه الليلة الفاصلة لن اتخذ ربا من تلك الاصنام
الوفيرة الصماء ، الى أن تأتينى هداية أرحب وأسمى ،
تملأ باليقين السابغ فراغات روحى ، وأطلال وجدانى .

عفـــراء : (هاتفة) سيشرق النور ، سيغمرنا ضياؤه الملوى ،
اذكر دائما قولى هذا يا سيدى التعس الحائر ، ياصفوة
جيل سعيد سعادة الابد .

هيثـــم : أنـــا ؟!

عفـــراء : أجل ، انك فى تعجلك بالانصراف عنى ، لم تصغ الى
بقية حديثى هناك ، لقد نذرت على رغم المظهـــر
التقليدى ، أن أذود عن شرفى بأى ثمن ، ولو كان
الثمن روحى ، كان زوجى تاجرا موفقا له فى أسواق
مكة سمعة طيبة ، كان اسمه الرباح .

هيثـــم : الرباح !! انه من خيرة التجار الشرفاء ، فأين هـــو
الآن ؟

عفـــراء : مات قهرا وذلا ، عوفيت من كل سوء ! .. كـــانت
تجارته قد خسرت فى رحلة الصيف الاخيرة .. ولم
يشفع له لدي غلاظ الاكباد من صحابه التجار ، شىء

من ماض ناصع ، وخلق قويم .. فلما اقتضوه دينهم ، واليدان خاويتان .. حكموا فيه عجائب قوانينهم ، أخذوني منه قسرا رهينة مهينة ، اتكسب الدراهم من بين أنياب حثالة القوم رواد اللهـــو ، حتى ينقضى الدين ..
ذلك هو ما أصابنى من عدالتهم .. لكنى أعرف كيف أصون الشرف ..
أن زوجى لم يحتمل النازلة طويلا .. رجالنا اعتادوا وأد البنات ، حتى لا يضطرهم يوم عصيب لان يواجهوا (ببناتهم ـــ مصيرا كهذا ! (تشير بألم الى وراء تجـــاه الدار) .

هيثــــــم : كم بقى من دين زوجك عليك ، يا سيدتي المسكينة ؟

عفـــــراء : ثمانية عشر مثقال فضة ، أعود بعدها للديار طليقـــة حرة كما خلقت أول مرة !

هيثــــــم : ان أصدقتنى القول ، فبحق ال .. ال .. لا ، لا ! . . .
لن أحلف ثانية بتلك الاشباح المنحوتة من الصخر ! ..
ما مس قلبى طائف ايمان بها من قبل ، أو من بعد ..
سنرى يقينا ، مسلكا مضيئا أفضل وأكثر اقناعا ..
قولى يا أختاه ..
حدثينى عن اشراقة النور المنتظرة هذه ، و .. ولسوف أقترض من صديقى الذى ذهب يحضر أمواله ، ما يفك عنك قيود الاسر ، ويخلصك من ذل الهوان والضياع ..
سيجىء بعد قليل ، فلنكمل حديثنا الى أن يجىء .

عفـــــراء : (متهللة الوجه) ، سيدى ! .. ان النور المرتقب ، وشيك أن تنبلج طلائعه ، كن على ثقة من هـــذا .
سأحدثك أيها الانسان الكريم بكل ما لدى .
(تتلفت ثانية خلفها فى ذعـــــر) .
أخشى أن ينقض على من داخل كهف الموبقات مـــن يعيدنى عنوة اليه ! ..

هيثــــــم : لا تخشى أحدا ، أنا الى جانبك ، انك الان اخت لى ، فى عذابى وحيرتى ، وتطلعى الى المنقـــذ المرتجى .

عفـــــراء : فليباركك الـــ .. الـــ .. لا ، لا ! أنا أيضا ما عدت قادرة البتة على أن أقسم بواحـــد من تلـــك النواظير الخاوية التى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، سيدى .. هل أتاك حديث فتى قريش .. عبد الله بن عبد المطلب ؟

هيثــــــم : عبد الله ، القريشى ، أصغر أبناء عبد المطلب ؟ أعرف الخبر .

عفـــــراء : أى خبر ؟

هيثــــــم : مسألة الافتداء ، ألم يكن أبوه نذر أن لو اكتمل بنوه عشرة ، ولو أنهم أصبحـــوا مانعيه ، ليذبحن أحـــدهم قربانا ، فى رحاب (هبل) كبير آلهـــة الكعبة ؟! ولمـــا

ضرب القداح ، كانت فى كل مرة تخرج على (عبد الله) أصغر عشرة الابناء ؟ .. وبتضحية من عراقة يثربية ، ضربوا القداح على الابل افتداء لعبد الله فـ (تساهل !) هبل وتنازل عن عناده فى النهاية، وقبل آخر الامرمائة بعير ، وهكذا نجا الفتى ؟

عفـــراء : هو ذاك ، ولكنى سأصلك من هذا المنتهى ، الى أروع مبتدى .. ان (عبد الله) الذى نجا من النحـــر ، هو ـ كما لعلك علمت ـ الذبيح الثانى ، بعد الذبيح الاول (اسماعيل بن ابراهيم) .. وابن الذبيحين هو نبى هذه الامة .. بهذا تنبأت كتب ، وبشر كهان .

هيثـــم : (بحماس) سيدتى العظيمة .. بأى حـــدث جلل تنبئين ؟

عفـــراء : انه لكما قلت ، فهلا سألتنى مزيدا ؟

هيثـــم : رجوت اليك أن تكملى ، لقد أرجف المرجفـــون أن (هبل) كان لطيفا حينما قبل مائة من رؤوس الابل ، افتداء لنحر عبد الله ..
لكنا هناك فى قبيلتنا سخرنا طويلا ، وتندرنا كثـــيرا بذكاء (هبل) المزعوم !

عفـــراء : اصغ الى ، بعدما خرج عبد المطلب من ساحة هبـــل ، بنجاة ولده الحبيب .. تصدت للفتى حسناء باهـــرة الجمال ، تسأله باقبال غريب قارب حد التهـــالك ، أن يتزوج منها على عجل ، وله مثل عدد الابل التى نحرت عند قدمى هبل ! .. لكنه لعراقة المنبت وكريم الاصل .. ما كان ليبرم أمرا دون اذن من أبيه ، أما أبوه فقد مال به الى دار وهب بن عبد مناف ســـيد بنى زهرة .. وخطب ابنته (آمنة) لابنه (عبد الله) .

هيثـــم : حتى هذا يا أختاه غير جديد .. بل انا علمنا أن آمنة بنت وهب .. حامل ، قاربت أن تضع حملها ، وأن هناك ارهاصات موحية بأشياء وأشياء يتردد فى البيداء صداها . (يتذكر) .
حقا .. أذكر أننا .. سمعنا عن .. عن . (ثم بتفكير أكثر استغراقا) .
سيدتى ! . هل .. هل تظنين .. ؟

عفـــراء : (باسمة فى سعادة) سأتم حديثى ، بعد ان دخـــل عبد الله بآمنة بنت وهب .. مضى يجوس فى طرقات مكة ودروبها .. فقابلته تلك الحسناء الجميلة ، التى عرضت نفسها عليه فى البدء .. لكنها ـ لدهشته ـ أعرضت عنه ، ونأت .. فلما عجب عبد الله لامرها ، وسألها ما بالها لم تعد تحفل به أو تأبه له ، وهى التى تهالكت يوما عليه .. أجابته الحسناء باباء : (فارقك النور الذي كان معك بالامس .. فليس بى لك اليوم حاجة) .

هيثم : (هاتفا) : النور ؟؟

عفراء : نعم . النور فارق عبد الله الاب الى آمنة الام ..
وسيشرق عما قريب فى اهاب الابن سيشرق ، لينير طريق الضائعين . سيهدى الحائرين ، ويرشد التائهين ..
سيأخذ بأيدينا الى الطريق السوى ، حينما يشرق النور سينشر فى الآفاق قوانين عليا ، عادلة ، رحيمة .

هيثم : (طروبا) أيتها المعذبة ، شهيدة الجور ، التى تنتظر بكل هذه الثقة مشرق الهدى .. هل تقبلين الزواج منى الآن ؟ ..
الآن بعد أن طهر صفاء روحك أو شاب الحقد من نفسى ؟

عفراء : (دامعة العينين عرفانا) سيدى ..!
(يقبل التاجر عبد العزى ، قادما يهرول)

عبد العزى : أنت هنا يا هيثم ؟ اذن فلم تقض وقتا طروبا !

هيثم : (بلهفة) بل أكثر من طروب ! .. يا عبد العزى ..
أقرضنى ثمانية عشر مثقالا من فضة ، حتى العودة الى المضارب .. وخذ هذه السيدة الفضلى الى مناخ الابل ، ولنرحل مسرعين ، لننج من جوار هذه الدار .. ولننتظر مشرق الانوار مع قومنا هناك ..

عبد العزى : مهلا أصغيا الى ، أرهفا آذانكما معى ، الا تسمعان أهازيج وأغنيات ؟ خذ المال يا هيثم .. (يناول صديقه صرر المال) .

هيثم : لك الشكر .. (يتناول الصرر منه ، مجيبا) ماذا قلت ؟
أهازيج وأغنيات ؟ طبعا انها دور اللهو والمجون ، يرعاها رجال (هبل) وصنائع (مناة) من الجشعين والبغاة .

عبد العزى : لا . الاصوات تأتى من هناك ، من قلب مكة .. أصغيا .
(يشرق نور يغمر المكان ، فتظلم الاضواء الخافتة)
(التى كانت تتسرب من الدار الخلفية ، تعلو ترانيم)
(بعيدة حافلة بالبهجة ، موحية بالتفاؤل ..)
(يمر رجل مهرولا .. يهتف بهم وهو يمضى ..)
(فى طريقه مسرعا تملؤه الفرحة الطاغية ..)

الرجل : ولد الهدى محمد بن عبد الله ، بشراك يا مكة ..
بشراكم يا عرب .. بشرى لكل بنى الانسان ..
(يطرق الثلاثة فى سعادة ، وتتشابك)
(أيديهم ، ثم ترتفع عيونهم الى السماء)
(وقد تهللت أساريرهم بشرا)
(وغبطة .. بينما النور يزداد سطوعا)
(وترنمات الفرح الجموعى تعلو كالهدير ..)

اعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

نظام الأسرة وحل مشكلاتها في الاسلام

كتاب يجمع بين دفتيه أحكام الأسرة كما وردت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وما دعت اليه الضرورة من بيان رأى المذاهب الفقهية دون تفصيل ، كما أن الكتاب يحتوى على لمحة عن الواقع العملي لنظام الأسرة في التشريعات العربية ، مع بيان التطور التاريخي لتدوين قوانين الأحوال الشخصية في الدول العربية ، وما عليه العمل قانونا وقضاء وفقها .

وهو من تأليف الدكتور عبد الرحمن الصابوني ، ومن طبع دار الفكر بيروت ويقع في ٢٤٠ صفحة .

الجريمة اليهودية النكراء
احراق المسجد الأقصى المبارك

بعد اتمام المؤامرة اليهودية باحراق المسجد الأقصى المبارك أصدرت الهيئة العربية العليا لفلسطين هذا الكتاب (جريمة اليهود النكراء — إحراق المسجد الأقصى المبارك) .

مشتملا على بيان الوقائع الخاصة لهذه الجريمة التي لم يسبق لهـا مثيل ، ورد الفعل الناجم عنها في العالم الاسلامي ، مع خلاصة عن المسجد الأقصى المبارك ، والاجراءات التي اتخذها مؤتمر العالم الاسلامي ، والهيئة العربية العليا لفلسطين في هذا الشأن ، تبصرة وذكرى للمسلمين .

والكتاب يقع في ٧٠ صفحة ، ومزود بالعديد من الصور والرسوم .

الجهـــاد
كتاب من تأليف الدكتـــور أحمـد محمد الحــوفي

وهو دراسة مستفيضة حول موضوع الجهاد ، معناه ، وحكمـه ، والحض عليه ، ووسائله ، وأهدافه ، وجزاؤه ، وعقوبة المنافقين ، وتقريع الجبناء ، وعدد النصر من شجاعة وتسلح ، واستعانة بالله ، وتوضيح كثير من القضايا المتصلة بالجهاد والمجاهدين ، ولمحات من صور الجهاد في أحقاب شتى من القديم والحديث .

ويحتوى الكتاب على ٢٨٠ صفحة ، وهو السابع والخمسون ضمن سلسلة الكتب التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة وطبع بمطابع الأهرام التجارية ..

القلائد من فرائد الفوائد

للدكتور مصطفى السباعي ، الجزء الأول من كتاب يجمع من فرائد الحكمة ، وفوائد العلم ، وطرائف الأدب ، ما تفرق في بطون أمهات المراجع التي لا تتيسر لكل مثقف وباحث ، ويقرب الينا دقائق اللغة العربية ، ويتحفنا بغرائب التاريخ الموثوق لصحيح من تاريخ أمتنا وعظمائنا بما يملأ نفوسنا روعة واكبارا وعظمة واعتبارا . .

والكتاب يقع في ٢٠٠ صفحة ،ومن مطبوعاتمكتبة الشباب المسلم وتوزيع مكتبة المثنى ببغداد . .

اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الانسانية

بحث وجيز يعطي صورة صادقة وكاملة عن اليهود من كتابهم المقدس ويبين أنهم أعداء لكل معنى انساني كريم في هذه الحياة،ويطلعنا علىمكامن الشر الأصيل في نفوس عدونا ، كما يفند من كتابهم مضافا الى حجة الواقع التاريخي الصحيح تفنيدا قاطعا ادعاءهم بملكية فلسطين ملكا أبديا .

والكتاب من تأليف الاستاذ كمال أحمد عون ، ويحتوي على ١٣٦ صفحة ، ومن مطبوعات دار الشعب بالقاهرة .

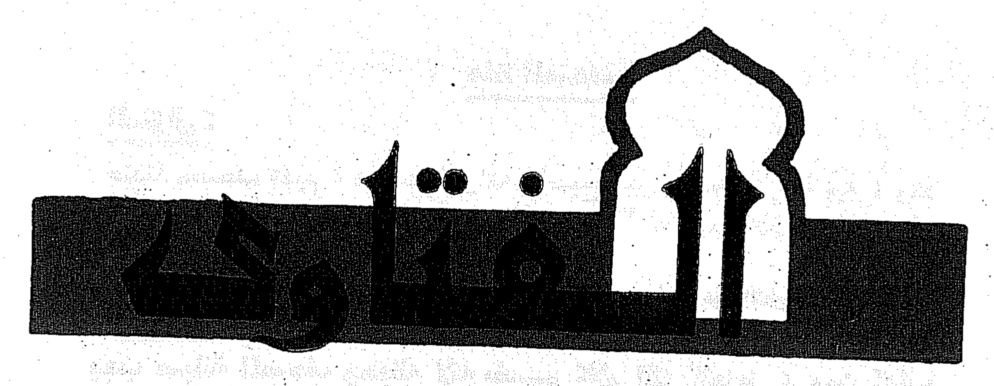
رباعيات من فلسطين

مجموعة قصائد للأستاذ يوسف العظم ، صور فيها عبر عشرين عاما كثيرا مما وقع من عدوان الدخلاء ، وعبث العابثين ، وخلجات النفس المعذبة في خط النار الصامت الرهيب ، والمجموعة في كتاب من طبع الشركة المتحدة للتوزيع/بيروت . .

بدع التفاسير في الماضي والحاضر

جاءنا من الأستاذ محمد الذهبي استاذ التفسير والحديث بجامعة الكويت ما يلي :

نشرت مجلة (الوعي الاسلامي) في العدد (٧١) عرضا لكتاب (بدع التفاسير في الماضي والحاضر) للدكتور رمزي نعناعة ، وقد اطلعت على الكتاب فوجدته نسخة طبق الأصل من مشروع بحث لي عنوانه : (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم : دوافعها ودفعها) وكنت قد أعرته للدكتور رمزي وهو يعد رسالته للدكتوراه التي كنت مشرفا عليه في تحضيرها ، فاستباح لنفسه أن ينسخه وينشره منسوبا اليه ؛ ولم ينتبه الى أن هذا المشروع قد نقلت انا معظمه حرفيا من كتابي (التفسير والمفسرون) المطبوع سنة ١٩٦٢ تمهيدا للبناء عليه وتكميله ثم نشره ، ومن يطلع على كتاب (بدع التفاسير) ويقارن مقالاته بنظيرها في كتابي (التفسير والمفسرون) يجد أن المنقول حرفيا نحو (٦٠) صفحة، والباقي — وقدره عشرون صفحة — زيادة زدتها على ما نقلته من (التفسير والمفسرون) تمهيدا للاكمال والنشر ، وارجو أن يتسع صدر المجلة لنشر التفاصيل في العدد القادم ، كما اتسع صدرها لنشر المقالة التي نسبها الدكتور رمزي لنفسه في عجلة النسخ : وهي الاتجاهات المنحرفة في تفسير الصوفية .



الربح الفاحش

السؤال :

اشتريت من أحد التجار سلعة من السلع بالثمن الذي طلبه ، ثم وجدت هذه السلعة عند غيره بسعر أقل بكثير مما أخذه ، ولما راجعته قال ان هـذه تجارة وأتاجر ، فهل هذا الربح الفاحش يعتبر حلالا .

علي بايزيـد ــ عـدن

الاجابة :

التجارة مباحة شرعا ، والربح الناتج عنها حلال ، ولكن في حدود المألوف والمتعارف الذي يحقق التعاون وينفي الغبن والظلم والاستغلال ، وللعلماء في تقدير نسبة الربح المباح آراء ، فبعضهم يرى انه في حدود الثلث ، بينما يرى آخرون انه لا يتجاوز السدس ، والذي نراه انه يخضع للعرف السائد الذي لا غبن فيه ولا ظلم .

واستغلال جهل المشتري بقيمة السلعة ، وبيعها له باغلى من سعرهـا المتاد حرام شرعا والربح الناتج عن هذا الاستغلال حرام ، والفقهاء يسمون هذا المشتري (المسترسل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايما مسلم استرسل الى مسلم ، فغبنه فهو كذا » اى فهو آثم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غبن المسترسل ربا » ومعنى الحديث ان الربح الفاحش يكون أشبه بالربا ..

في الوقف

السؤال :

اوقف أحد الاغنياء في بلدنا قطعة أرض على مسجد ولما مات الرجل أخذ ورثته هذه الارض وضموها الى التركة واقتسموها ، فما حكم الشريعة ؟

عدنان اليازجي ــ بيروت

الاجابة :

اذا كان هذا الرجل قد وقف قطعة الارض المملوكة له على هذا المسجد ، فان هذه القطعة تصبح وقفا خيريا على المسجد والوقف على جهات الخير لا يملك ، ولا يباع ، بل يظل موقوفا على هذه الجهة ، ومن ثم فلا يجوز لأحد أن يغتصبها ، فان فعل فقد ارتكب كبيرة من الكبائر ، ولا تترك لمغتصبها ، بل على ولي الأمر أن يرفع يده عنها .

حفظ المصحف

السؤال :

عندنا مصحف قديم ، تمزقت أوراقه وأصبح غير صالح للقراءة فيه ، وقد اشتريت مصحفا آخر جديدا فماذا أفعل بالمصحف الأول هل يجوز لي شرعا أن أحرقه ؟

جاسم عبد اللطيف ــ كويت

الاجابة :

يجب صيانة المصحف وحفظه لأنه يضم كلام الله العزيز ، ومن آداب الاسلام نحو هذا الكتاب الكريم الا يضع احد شيئا فوقه تكريما له واحتراما ، وعدم الدخول به الى اماكن قضاء الحاجة حفظا له وتقديرا لشأنه واذا تعذر على الانسان صيانة المصحف لتمزق أوراقه ، فانه يجوز لصاحبه أن يحرقه .

صلاة الجمعة

السؤال :

اننى أعمل مع بعض الزملاء المسلمين من باكستان وطبيعة العمل تحتم وجودنا كل أيام الاسبوع فى البحر وبذلك لا يتسنى لنا أداء صلاة الجمعة فى المسجد جماعة ، وقد سمعنا أنه يجوز لنا تأدية صلاة الجمعة بمتابعة شعائر الصلاة أثناء اذاعتها ، فهل تصح الجمعة اذا صليناها بهذه الطريقة ؟

محمد حافظ ــ شركة الخليج العربى للأعمال البحرية .

الاجابة :

الجمعة غير واجبة في حقكم حيث يشترط لوجوبها الاقامة وأن تكون فــي مدينة أو قرية كما لا تجوز بمتابعتها خلف المذياع . والله أعلم .

خطبة الجمعة

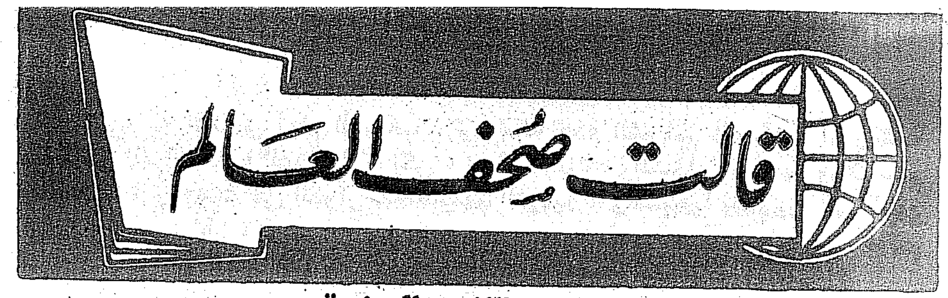
السؤال :

هل كلام المصلى فى المسجد أثناء خطبة الجمعة يبطل الصلاة ؟

عبد الرحيم زيدان ــ سوهاج

الاجابة :

يجب على المصلى الانصات والاستماع الى الخطبة ، ويحرم الكلام أثناءها ، ولو كان أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك : انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت » وقد نص الفقهاء على أن من تكلم أثناء الخطبة يحرم ثواب الصلاة ، وان سقط بها الفرض ، وعلى هذا حمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من دنا من الامام وانصت واستمع ولم يلغ كان له كفلان من الاجر ، ومن نأى عنه فاستمع وانصت ، ولم يلغ كان له كفل من الاجر ، ومن دنا من الامام فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفلان من الوزر ، ومن نأى عنه فلغا ولم ينصت ولم يستمع كان عليه كفل من الوزر ، ومن قال : صه فقد تكلم ، ومن تكلم فلا جمعة له » ..



الضياع .. بالذنوب الصغيرة

نشرت صحيفة الأخبار القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

هكذا يفكر المؤمنون وعيونهم وقلوبهم ممتلئة عجبا ، الذرة الصغيرة في تدبير الله تساوي المجرة الكبيرة ، انها لا تساويها في الوزن وانما تساويها في القيمة العلمية ، انها تساويها بميزان المشاركة في حركة الحياة دفعا وجذبا ، توافقا وجدلا ، بدءا واعادة ، دقة في التكوين وطاعة للقوانين ، فالمجرة تنحل فتكون هذه الذرة المتناهية في الصغر ، والذرة تتضاعف فتتكون هذه المجرة المتناهية في الكبر ، اليس ذلك عجيبا ، بل الاعجب هو ما يكتشفه المؤمنون بجلاء — قبل الماديين والعلميين — من أن هذا القانون للمساواة العلمية بين الصغير والكبير يترك بصماته أيضا على أعمالهم وأفكارهم كبشر ، على قرباتهم واحسانهم ، كما هو على اساءاتهم وذنوبهم .

انهم يدركون بحماس ويقين أن العمل العظيم تبنيه أعمال بارة صغيرة ، كما أن الذنوب الصغيرة — ربما غير المرئية — تصنع ذنبا أعظم ، قد يكون في حجم المجرة .. انها تصنع عائقا ناتئا في مجرى الحياة ، تصنع الضياع لكل العاثرين والغافلين ، فما هو الضياع ؟

الضياع في لغة الصناعة والمجتمعات المتقدمة هو **(الفقد) أو (العادم)** وترجمة ذلك بتلخيص المجلدات الكثيرة انه **(الاهدار غير المحس للجهد والوقت والموارد في مراكز الانتاج والادارة والتوجيه ، ينشأ عنه باتساع نطاق الصمت جريمة اجهاض (جماعية) لحيوية الأمة ، وآمالها في المستقبل) ..**

من صور الضياع البسيطة أن يتحدث عامل الى زميله أثناء العمل ووقته المحسوب وراء الآلات فيحكي عن زوجته أو يشكو من التليفزيون ، أو ينتقد الرؤساء ، ثم تقع الأخطاء الصغيرة ، وتتراكم في الانتاج ، وأن تقع مثل هذه الأخطاء والذنوب التي تقود الى الضياع في عمليات الشحن ، أو عمليات التخزين أو حفظ الوثائق ، أو قراءة شكاوى الجماهير ، أو تصحيح أوراق الامتحان ، أو دراسة أجزاء من مشروعات الدولة الهامة من خلال — دردشة — الأصحاب في المكتب أو — هيصة — الأولاد في البيت ، ففي كل ذلك من الضياع والفقد ما يمكن حسابه بمئات الملايين من الجنيهات ، الا أن أثره المعنوي المدمر على مصائر الأمم وعلى ضياع برامجها التقدمية أسوأ من ذلك .

والأمم المتقدمة تعالج الضياع وتحسبه وتطارده وتسد خرومه بنظام صارم يتحرك في ضوء علم متكامل .. ونحن هنا على أرض الايمان بالله أحوج ما نكون الى أن نستعيد هذا الايمان الملتزم فنستعيد به السبق العلمي ، ونملك به وبالعلم قدره الالتزام ، وحب النظام ، فيقل الفقد ، ويتضاءل الضياع .

لكن الايمان نفسه يصيبه الضياع عندنا ، ونحن نحاول أن نرتفع به من أغوار التخلف ، وأن ننجو به من غارات فكر وكتب ودعاية الاستعماريين والمحتلين ،

وأن نضىء به الطريق أمام الشباب ، وخاصة هذه الشرائح الصغيرة الريكية فى المدن التى أصابها الدوار الأمريكى ، فتبادل البنات والشبان ملامحهم وملابسهم وسماتهم ، واهتزت فى الدوار شخصيتهم القومية ، وأصبحوا ينظرون الى الدين كقاعدة بغير تمثال ، أو عبادة من غير معبود ، وتبدلت الحياة الجادة فى أعينهم فارتدت بحرا من جليد الضياع تزيغ فى آفاقه وبريقه الأبصار .

نعم أن الايمان يصيبه الضياع والفقد أيضا ، فالذنوب الصغيرة كثيرة ، والوساوس تتزاحم فتثقب القلوب ، ومن الثقوب التى لا تراها يتسرب الايمان ، ويضيع الطريق الصحيح الى الله ، فيضيع الانسان نفسه ، وتضيع رسالته .

ولكن اذا كانت الذنوب الصغيرة تفتح بالتآكل طرق الضياع الغائرة ، فان ذرات الأعمال البارة تبنى الرجال ، وتبنى النساء ، وتبنى الامم ، وكل هـذا حق فى قانون الله الذى لا يضيع ـ عمل عامل ـ والذى يدعونا الى المقاومة بالايمان لأنه ما كان ـ ليضيع ايمانكم ـ وذلك حتى لا نكون خلفا بعد الاحرار والأبرار ـ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ـ بل نكون من ـ الذين يستمعون القـول فيتبعون أحسنه ـ وهذه هى مسئولية الكلمة وامانتها لمن يكتبون ويتكلمون فى بلادنا .

الهند وباكستان

نشرت صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية كلمة فى موقف الهند من الحرب الأهلية فى باكستان جاء فيها :

كان لتصريح الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى لوكالة الانباء السعودية بخصوص قضية تدخل الهند السافر فى شئون باكستان الداخلية ، والذى أصبح يشكل خطرا على السلام فى ذلك الجزء من العالم .. واستنكار رابطة العـالم الاسلامى لهذا التدخل السافر ، وبالكيفية والأسلوب الذى يتم به حاليا ضد شعب باكستان ، ووحدة أراضيه ، كان لهذا التصريح صداه العميق فى نفوس المؤمنين برسالة وحدة العقيدة وأخوة المسلمين فى العالم .. خاصة وأن الهند بتدخلها السافر هـذا انما تهدف عرقلة حل المشكلة الداخلية التى تفاقمت فى باكستان الشقيقة نتيجة لوجود هذا التشجيع من قبل الهند .

ان رابطة العالم الاسلامى وهى هيئة اسلامية خاصة تعنى بشئون المسلمين فى أنحاء العالم ، وتعمل من أجل وحدتهم وتعاونهم يؤلمها أن تراق دماء هـؤلاء المسلمين فى أى مكان أو بقعة من عالمنا الفسيح هذا .. ويهمها أن تجد جميع المشاكل والازمات حلولا تقف عندها .. ويسيئها جدا أن تحاول جهات أجنبية استغلال بعض الظروف التى تحيط ببعض القضايا الاسلامية . كما يحدث اليوم فى باكستان الشرقية حيث تقوم دولة الهند بمباعدة فعالة لابقاء حالـة التمـرد وزيادة قيران الفتنة التى أوشكت أن تخمـد .

اننا كمحبين للسلام لم نكن نتصور أن تقدم دولة تعتبر جارة لأكبر دولـة اسلامية شقيقة بهذه التصرفات التى تنم عن تصميم لابقاء الأزمة الداخلية فـى باكستان تستنزف جهود المسلمين وتقلق راحتهم وأمنهم .



أسباب النصر

لماذا لا يستعين المسلمون في هذا العصر على أعدائهم بتلاوة كتاب الله ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما كان العلماء السابقون يفعلون ذلك في أيام الحروب ..

عثمان بو سعيد ـ عدن

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في الاجابة على هذا السؤال :

« انه لا يعقل أن يكون قد ورد في الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لطلب النصر أو رفع المصائب ، ولا أن يكون ذلك معروفا في الصدر الاول ، فان الأحاديث لم تكن مدونة في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وانما دونت في زمن التابعين ، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرأونها لتكون قراءتها سببا للنصر ، وانما فعل ذلك المتأخرون ، ولا أدري في أي زمن أحدثوا ذلك ، وما أظن أن أحدا من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأمور به شرعا ، ولعل أقوى ما يمكن أن يقولوه في سببه : **اننا نجتمع للدعاء ، ونقرأ** قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لما يرجى من تأثيرها في حضور القلب ، والخشوع للرب الذي يرجى أن يكون سببا لاستجابة الدعاء ، وعلى هذا يتجه السؤال الثاني وهو : (لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه) :

وما أظن أن أحدا من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن في المساجد بنية نصر المحاربين سبب لنصر المحاربين في ميدان القتال ، وقد بين الله تعالى أسباب النصر في كتابه وأمر بها ، وأهمها اعداد ما يستطاع من القوة في كل زمن ، والثبات وذكر المحاربين لله تعالى في قلوبهم عند لقاء العدو ، كذكر وعده باحدى الحسنيين وثوابه للشهداء ، وبألسنتهم كالتكبير ، فانه يعلي الهمة ويقوي الأمل والرجاء .

دشن

تردد الصحف هذه الكلمة عند الاحتفالات التي تقام بمناسبة الفراغ من انشاء المشروعات الكبرى كبناء سد من السدود ، أو ناقلة من ناقلات النفط الكبرى مثلا ، ويحضر هذه الاحتفالات كبير من الكبراء ، ويقال انه (دشن) السد أو الباخرة فما معنى هذه الكلمة وهل هي عربية أو اجنبية ؟

سعيد القماش ـ الكويت

جاء في لسان العرب في مادة (دشن) داشن معرب من الدشن وهو كلام عراقي ، وليس من كلام أهل البادية ، وكأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يلبس ، أو الدار الجديدة التي لم تسكن .

وجاء في المنجد (دشن) الثوب لبسه لأول مرة ، والمعبد صلى فيه وباركه

قبل أن يمطى فيه أحد ــ الداشن ــ من الثياب الجديدة الذى لم يلبس بعد ، ومن الدور الجديدة لم تسكن بعد ، واللفظة معربة عن دشن الفارسية .
فالكلمة ليست عربية ولكنها معربة ، واستعمالها فى هذا المعنى سائغ ولا مانع منه ..

الدهرية

ماذا يقصد بكلمة الدهريين ، والى أى دين ينتسبون ؟

ابراهيم العامودى ــ حلب

الدهرية فرقة كافرة جحدت الخالق ، وأنكرت البعث ، وأساس عقيدتهم أن الدهر قديم والعالم لم يزل موجودا بنفسه ، وبلا صانع ، والقرآن الكريم أشار الى ضلال هذه العقيدة ، وكفر معتنقيها ، قال الله سبحانه : « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » ..

وللعلامة سعد الدين التفتازانى كلام طيب فى هذا الموضوع فى كتابه شرح المقاصد . قال : « ان الكافر اسم لمن لا ايمان لـه ، فان أظهر الايمان خص باسم المنافق ، وان طرأ عليه الكفر بعد الاسلام خص باسم المرتد لرجوعه عن الاسلام ، فان قال بالهين أو أكثر خص باسم المشرك ، وان كان متدينا ببعض الأديان السماوية والكتب المنسوخة خص باسم الكتابى ، وان كان يقول بقدم الدهر واسناد الحوادث اليه خص باسم الدهرى ، وان كان لا يثبت وجود الله البارىء سبحانه خص باسم المعطل ، وان كان مع اعترافه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، واظهار عقائد الاسلام يبطن عقائد هى كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق .

مسخ بنى اسرائيل

جاء فى القرآن الكريم آيات تفيد بظاهرها أن الله عز وجل مسخ بعض بنى اسرائيل فى العصور السابقة فاصبحوا قردة وخنازير مثل قوله سبحانه : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » وقوله جل شأنه « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » والذى أستفسر عنه هو أن هذا المسخ هل كان حقيقيا كما يفيد ظاهر الآيات او انه كان غير مادى ؟..

أبـو أيـاد ــ الاردن

القرآن الكريم يتحدث فى هذه الآيات عن جماعة من اليهود كانوا فى زمن داود عليه السلام ــ تمردوا على الله ، وخالفوا أمره ، وطغى عليهم حب المال فاستباحوا ماحرم الله عليهم من الاشتغال بالصيد فى يوم السبت ابتلاء واختبارا لهم
ويذهب كثير من المفسرين الى أن هذا المسخ كان حقيقيا ماديا ، وانهم تحولوا فعلا من صورهم الآدمية الى صور وأشكال القردة والخنازير .
ويرى بعض المفسرين أن هذا المسخ كان معنويا ، وأنهم لم يخرجوا عن صورهم الآدمية ، وانما المقصود انهم بتمردهم على الله ، وولوغهم بالشهوات وخضوعهم لنزواتهم وغرائزهم البهيمية مسخت قلوبهم مع بقائهم فى الصورة الظاهرة على آدميتهم وقد جاء فى تفسير الدر المنثور للسيوطى : « مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة ، وانما هو مثل ضربه الله لهم ، وقال مجاهد « ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم ، فمثلوا بالقردة ، كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ..

بأقلام القراء

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ عبد الرحمن أحمد شادى :

منذ سنوات طويلة وأنا أتأمل وجوه البشر وأعجب لقدرة الله المطلقة وغناه الفياض الذى لا يحد ولا يحصر .. فهذه المساحة الضيقة التى جعلها الخالق وجها للانسان على اشكال تنوعت واختلفت بقدر الملايين التى تعيش على ظهر الأرض ، ولو أراد متأمل أن يتصفحها وجها وجها لضاق به العمر عن ذلك .. والملايين الأخرى التى كانت تحيا على الأرض ثم تركتها عندما جاء الأجل .. وعلى الرغم من أن هذه المساحة الضيقة فى ملايين الملايين من الناس فيها الأعضاء المعروفة الجبهة والعينان والأنف والخدان والفم .. فكل وجه منها يطالعك بسمة جديدة لا تتفق تماما مع آخر .. لا بد من وجود فرق بينهما على أى حال . بل إن الانسان الواحد يتغير وجهه بمرور الزمن ، فوجهه وهو طفل يختلف عن وجهه وهو صبى .. ووجه الشاب لنفس الشخص يقترب من وجه الرجل الناضج المكتمل .. ثم يأتى طور الكهولة فيبدو الشيخ فى سحنة غير سحنته وهو شاب ، واذا عرضت صوره فى هذه العهود والأزمان على من أردت أن تختبر ذكاءه ودقة ملاحظته فربما لم يستطع التأكد من أن هذه الصور فى مختلف العهود لرجل واحد أو امرأة واحدة ..

وهناك تغير آخر يأتى عند شدة الانفعال السرور أو الحزن الرضى أو الغضب . الألم أو الضجر بحيث يختلف كل وجه ولو قليلا عن صورته وشكله فى الحالة السابقة ..

وإن الفنان أو العبقرى أو النابغة من بنى الانسان مع أن قدرته وحيلته وذكاءه وقوته موهوبة له من الخالق عز وجل .. لو طالبت هذا الفنان أن يشغل مساحة ضيقة مثل مساحة الوجه برسم أو زخرفة فإن المساحة الضيقة أو الواسعة لن تكون الا لعدد محدود من الأشكال — عشرة .. مائة .. ألف . اكثر أو أقل ولكن فى النهاية لا بد أن يقف عند حد يعجز بعده عن امدادنا بأشكال جديدة .

من الممكن أن يسكن الناس فى نماذج محدودة من البيوت والقصور والمنازل أو يتعلمون فى نماذج محدودة من المدارس والمعاهد والجامعات . أو يجلسون على مقاعد وكراسى لا تختلف فيما بينها الا اختلافا يسيرا أو ينامون على أسرة متشابهة أو يركبون سيارات متماثلة الخ ..

ولكن النزعة الفردية ظاهرة فى كل انسان — له وجه معروف لا يشبه غيره وصوت يختلف عن سواه وبصمات أصابع كل أصبع فيها مغاير لبقية الأصابع ولسائر الناس ، وهذا من النعم الخفية التى يسرت علينا الحياة على ظهر الأرض .. هل كان من الممكن أن يعيش الناس بسهولة ويسر لو خلق الرجال على شكل واحد أو نماذج محدودة فى النهاية وخلق النساء كذلك .. كيف يعرف الأب من الابن وخصوصا اذا اكتمل جسمه ، وكيف تعرف الأم من الأخت والمدرس من الطالب والبرىء من المتهم .. والأمير من المأمور والرئيس من المرءوس ، والعامل من صاحب العمل والنشيط من الكسول ولله الفضل والمنة ..

صيحة وعتاب

وتحت هذا العنوان يقول الأخ محمود على حماية :

إن الأزهر منذ كتب له الوجود وهو حارس أمين للغة والدين من مؤامرات المستعمرين والملحدين ، وقد شـاء الله أن يتحمل رجاله مؤنة الدعـوة الى الله ، ونشر دينه ، والذياد عن حياضه .. تخرج على يديه كثير من عظماء الرجال الذين كانوا قادة للثورات ، وروادا للنهضات ، وغرة فى جبين الدهر. بما قدموا لدينهم من خير ، وما أسدوا له من فضل ، وأمثال هؤلاء كثيرون لا نحصيهم عـددا .

اذا كانت تلك رسالة الأزهر ، وهؤلاء رجاله ، فما أشد التبعة علينـا فى اختيار الذين سيقومون بها ، ويدعون اليها .. فهيهات أن يطيق أعبـاء رسالته أناس مهازيل ، أو عجزة خوارون !! أقول ذلك لأنى ألوم أولئـك الذين يفرون بأبنائهم من الأزهر ، ويفضلون عليه غيره من المدارس القومية، ولا يلجأون اليه الا اذا لم يجدوا الى غيره من المدارس سبيلا !!!

ان ذلك أدى الى فتح الباب على مصراعيه لغيرهم ممن لا تقوى سواعدهم على حمل رايته ، أو نشر رسالته !! وأنى للعقول الكليلة ، والأفئدة العليلة ، أن تعى وحى الله ؟ !!

على أننى لا أجد سببا معقولا لهذا الاحجام وذاك الفرار .. وبشىء من التؤدة والتفكير نجد حال الأزهر — الآن — يغرى بالاقبال عليه .. فمسـتقبله مشرق ، وسنواته ليست طويلة ، وامتيازاته متعددة كثيرة .. فهو يقبل أبناءه فى جامعته بمجموع متواضع ان لم يكن هناك شرط للمجموع طالما كان الطالب من الناجحين .. وأصبح المجال متسعا أمام أبنائه يدخلون من الكليـات ما يرغبون ، ويشغلون من المناصب ما يحبون ، فالطالب كما يشاء .. طبيبا أو مهندسا ، داعية أو مدرسا .. الخ ..

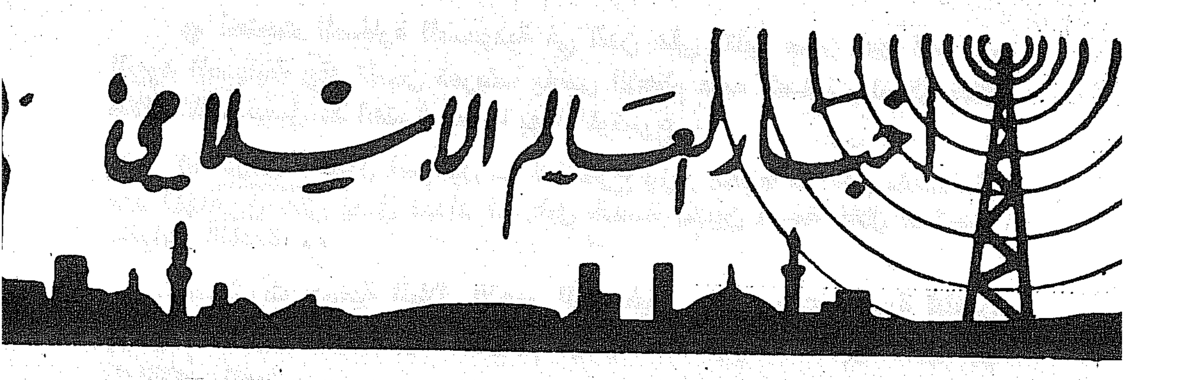
على أن ميدان الأزهر ، ميدان طهـر ، وايمـان وإشراق ، والذين يدخلونه يجب أن يكون لهم من صلتهم بالله ، وحبهم للقيم ، وعشقهم للفضيلة ما يجعلهم يضحون فى ذات الله ، فيؤثرون الباقى على الفانى .. والقيـم والمبادىء إذا وزنت بميزان المادة انطفأ اشراقها ، وذهب بريقها !!! وعندى أن المتعة التى يجدها الدارس لكتاب الله وشريعته لا تعد لها أى متعة أخرى من متـع الحياة !! .. وانصافا للحقيقة . أننى واحد من أبناء الأزهر أقـول دون تعصب — ان التحاقنا بالأزهر نعتبره فضلا من الله ونعمة تعجـز ألسنتنا عن شكره عليه ..

ولو لم أكن أزهريا ، لتمنيت أن أكون أزهريا .. !!!

إن رسالة الأزهر رسالة انسانية لا يقوى على حملها أولو قوة ، وأولو عقـل حصيف ، ودين الله أحوج ما يكون الى دعـاة عباقرة ، ذوى عقول نيرة ، وقلوب خيرة ، يدعون الى الله على بصيرة ، ويبلغون رسالات الله بأمانة وكفاية ، ويعرضون هدايات السماء بصورة ترضى الله وتشرف دينه فى عصر أصبح العالم فيه شديد الحاجة الى رحمة الدين .. وصراط الله المستقيم ..

أما بعـد :

فانا نرجو من أساتذتنا الكرام المسئولين فى الأزهر أن يعملوا ما وسعهم الجهد لاغراء أصحاب الطاقات الكبيرة أن يلجوا بابـه ، ويضيفوا له من الامتيازات المادية والأدبية ما يجعل الجماهير تنهمر عليه انهمارا .. وبذلـك يتسنى لهم أن يتخيروا من هو أصلح لرسالته وأقرب فطرة الى دعوته ..



● الكـويت : احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد القى معالى الوزير الاستاذ راشد الفرحان كلمة بهذه المناسبة كما القى بعض العلماء كلمات حول الدروس المستفادة من حياة الرسول العظيم ..

● نـدد مجلس الأمة الكويتى بالتمييز العنصرى واكد تضامن الكـويت مع كل الشعوب التى تعانى من التفرقة العنصرية ..

● قام معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجـولة تفقدية على المساجد وبعض المشروعات الاسلامية فى البلاد وقد تلقى معاليه دعـوة لزيارة باكستان ..

● تلقى معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية (كتاب الاسلام والتفرقة العنصرية) للدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وشئون الأزهر ..

● صرح سيادة وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بان الوزارة اخذت على عاتقها نشر الدعوة الاسلامية بكافة الوسائل ومكافحة الصهيونية فى آسـيا وافريقيـا ..

● القـاهرة : اعلن مشروع اتحاد مصر وسوريا وليبيا فى دولة اتحاد الجمهوريات العربية وسيجرى الاستفتاء عليها فى شهر شعبان القادم ..

● اكد الرئيس السادات فى خطابه اول مايو أن المعركة فاتحة عهـد جديد لبناء الدولة العربية الجديدة على أساس العلم والايمان وبين اثر قيـام دولة اتحاد الجمهوريات العربية ..

● اختتم مجمع البحوث الاسلامية دورته الثانية فى الشهر الماضى وقد اتخذ عدة قرارات هامة فى موضوعات اسلامية متشعبة وكان المجمع قـد اولى الجهاد عناية فى دورته الأولى ..

● السـعودية : بعث جلالة الملك فيصل برسالة خطية الى القاضى عبد الرحمن الايريانى رئيس المجلس الجمهورى فى الجمهورية العربية اليمنية وقد حمل الرسالة فضيلة الشيخ محمد الصوان عضو رابطة العالم الاسلامى ..

● وجهت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمـة نداء الى الهند لتوقف تدخلها فى شئون الباكستان الداخلية وتستنكر هذا التدخل بشدة ..

● احتجت السفارة السعودية في لندن على كتاب صدر فيها الفه احد اليهود الصهاينة وقد تضمن تعريضا بالنبى الأعظم عليه الصلاة والسلام وكان جلالة الملك فيصل قد اهتم شخصيا بهذا الموضوع ..

● الاردن : تعمل اسرائيل — كما صرح وزير ماليتها — على مضاعفة عدد المهاجرين حتى يصل تعداد اسرائيل خمسة ملايين نسمة خلال العشر سنوات القادمة ..

● باشرت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني عقد دورات تدريبية لتاهيل جرحى الفدائيين مهنيا تمهيدا لتعيينهم في وحدات مهنية انتاجية تكفل لهم ولعائلاتهم العيش ..

● بعثت اسرائيل بشكوى الى الأمين العام للامم المتحدة تتهم اسبانيا بانحيازها الى العرب لمدة ٢٠ عاما وذلك كرد من اسرائيل على مذكرة اسبانية الى الامم المتحدة نددت باسرائيل لاحتلالها القدس ..

● العراق : اقيم اسبوع فلسطين من ٣ — ١٩٧١/٥/٩ لعرض القضية الفلسطينية وتفنيد حق اليهود في اسرائيل ..

● امارات الخليج : قام الشيخ زايد بن سلطان — حاكم ابو ظبى — بزيارة الى القاهرة في الشهر الماضى حيث اجرى مباحثات مع رؤساء مصر وسوريا وليبيا والسودان استهدفت المحافظة على عروبة الخليج والعمل على تكوين اتحاد الامارات وانضمام ابو ظبى للجامعة العربية ..

● اليمن : انعقد فى الشهر الماضى اول اجتماع لمجلس الشورى الجديد وقد جدد للقاضى الايريانى فترة رئاسته للمجلس الجمهورى اليمنى ..

● السودان : اعلن الرئيس جعفر نميرى ان السودان منضم لا محالة لاتحاد الجمهوريات العربية تدعيما للصف العربى فى مقاومة الصهيونية الباغية ..

● المغرب : تمت فى الرباط مباحثات بين وزيرى الخارجية التونسى والمغرب استهدفت وحدة المغرب العربى الكبير وبعض القضايا وعلى راسها قضية فلسطين ..

● تركيا : يواصل عدد من اساتذة الجامعات والمتخصصين فى الدراسات الاسلامية بحوثهم الاقتصادية على ضوء الاسلام فى دراسة علمية تحليلية لاقتصاد اسلامى ..

● بلجيكا : اصدر مجلس الشيوخ اعترافا بالجالية الاسلامية فى بلجيكا ، ويقضي هذا الاعتراف بمنح المسلمين في بلجيكا المساعدات والنفقات لاقامة الشعائر الاسلامية ، ويوجد في بلجيكا اكثر من مائة الف مسلم ..

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شـارع الصحافـة .

جـدة : **مكتبة مكة** — السيد عوض با عامر — ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـة — شـارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين .

عـدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكـلا : مكتبـة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسـقط : المكتبـة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعـاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمـان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغـازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تـونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

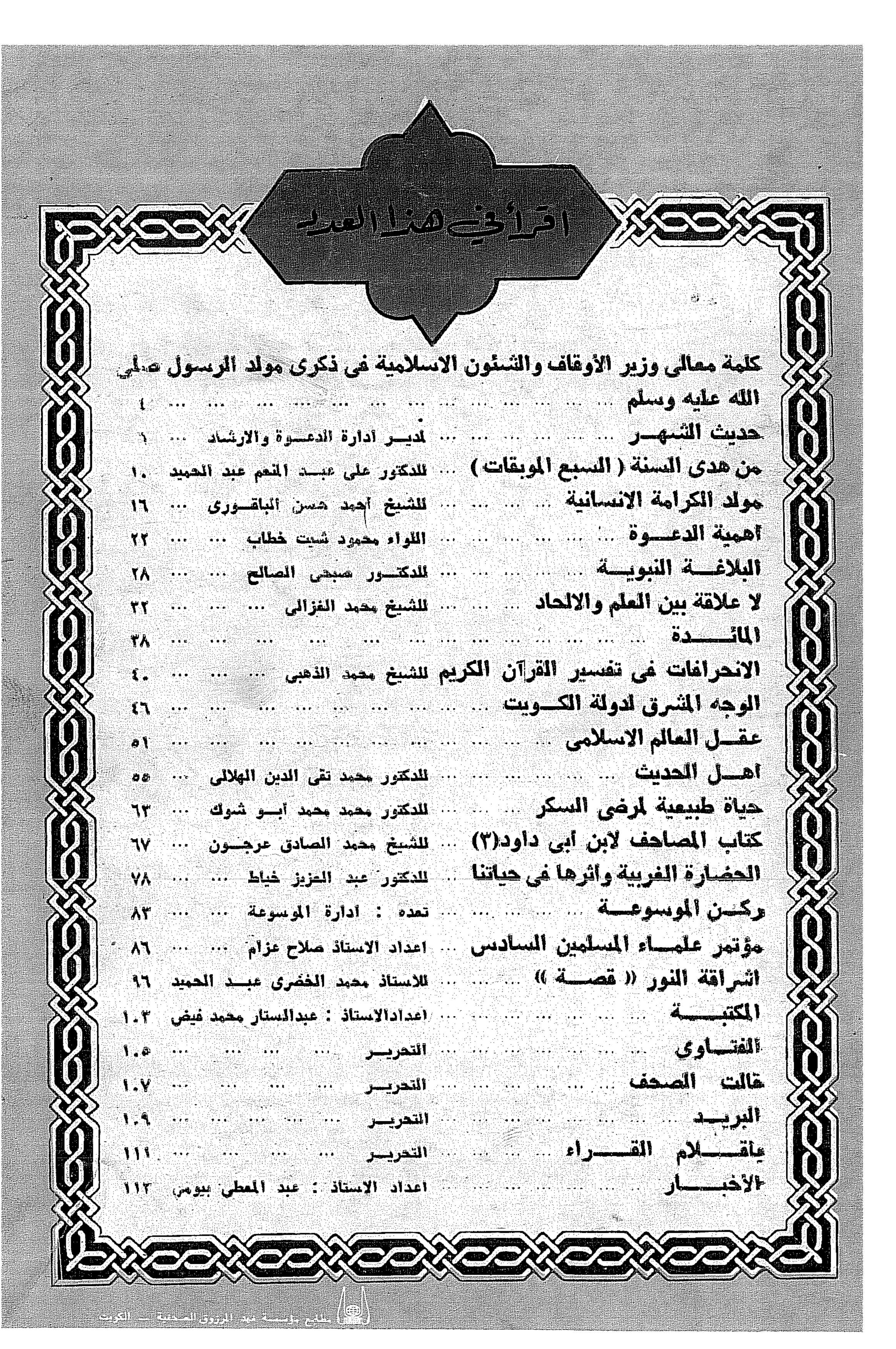
دبـى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

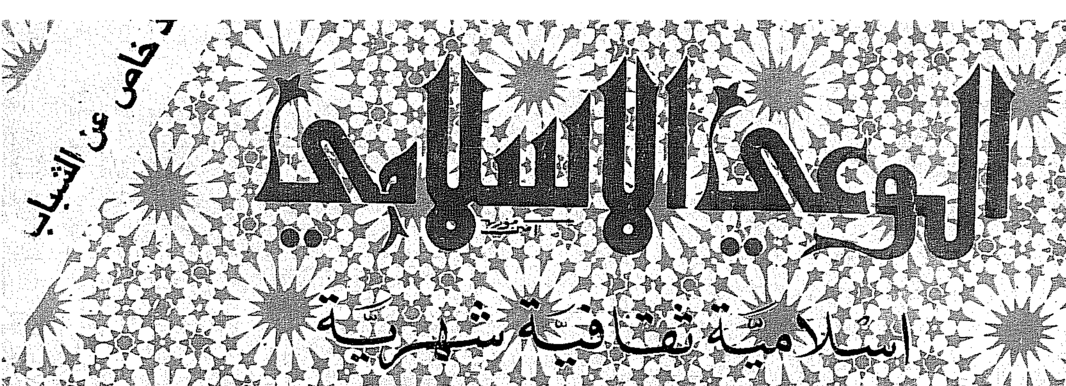
قطـر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

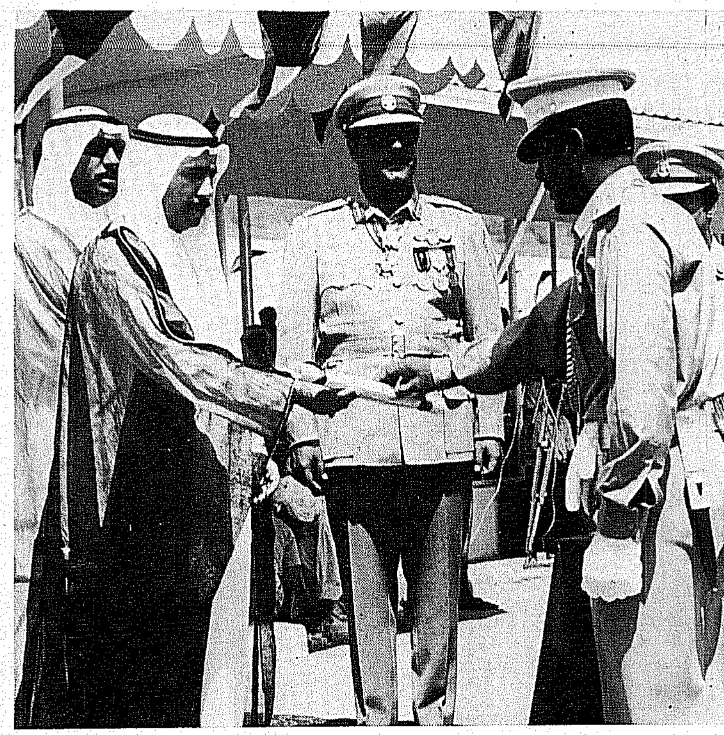


اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد الرزوق الصحفية — الكويت



السنة السابعة – العدد ٧٧ – جمادى الاولى ١٣٩١ هـ – ٢٤ يونيو « حزيران » ١٩٧١ م



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى الاحتفال الذى أقيم فى الشهر الماضى بتخريج الدورة الثانية من الطلبة الضباط فى الكلية العسكرية ويرى سموه وهو يسلم الشهادة لاحد الخريجين .



حضرة صاحب السمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى الاحتفال الذى أقيم فى الشهر الماضى بتخريج الدفعة الاولى من ضباط الحرس الوطنى ، ويرى سموه وهو يسلم الرتب للخريجين .



قـارىء يرتل القرآن الكـريم فى أحد مساجد تركيا وبجانبه مجموعة من الشـباب ينصتون فى تأمـل وخشوع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنـة السابعـة

العدد السابع والسبعون

جمادى الأولى بسنة ١٣٩١ هـ

٢٤ يونيو « خزيران » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـن

الـكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر		دينـار وربع
المغـرب		درهم وربـع
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشـتركون راسـا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص. ب ١٣! هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





شهد العالم فى النصف الأول من هذا القرن حربين عالميتين ضاريتين . انقسم فيهما العالم الى نصفين ، كل نصف يقاتل الآخر ، ويحاول تدميره والاجهاز عليه وتحولت فيهما كل القوى الى قوى مخربة ولا يستطيع كاتب مهما بلغ أن يصف ما أصاب الناس فيهما من هول وفزع وكرب وضيق .

اكتوى بنارهما الصغير والكبير ، والشاب والشيخ والفتاة والمسنّة ، ومن لم يصب بشظاياهما أصيب بلهيبهما اللافح وسمومهما الخانقة ... حتى الأجنّة فى الأرحام لم تنج من ويلات الخوف والقلق الذى أصاب الأمهات فى هذا الحين .

وليس فى هذا شىء من المبالغة والتهويل ، فلغة الأرقام ودلالات الاحصاءات كفيلة بأن تعطى للقارىء بعض الحقيقة لا كل الحقيقة للمآسى الانسانية التى نزلت بها ولم تشهد لها مثيلا فى تاريخها الطويل حتى فى عصور الهمجية والغاب .

نشبت الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٤ ، ولم تسكت نيران مدافعها الا فى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ واشتركت فيها ثلاث وثلاثون دولة ، وحشد لها من الجنود المحاربين ٧٤ مليون شاب . أما عدد القتلى فبلغ عشرة ملايين آدمى ، والمشوهون الذين فقئت أعينهم ، وقطعت أيديهم وأرجلهم أو تيبست فقارهم ، أو اهتزت أعصابهم ، وشردت عقولهم ، وأصبحوا غير قادرين على العمل ، فيقرب من ضعف عدد القتلى ، والخسارة الحضارية والمادية التى لحقت بالانسانية فى هذه الحرب أكبر من أن تقوم بمال أو تحدها أرقام .

وهذه الأرقام ــ على ضخامتها وفداحتها لم تستطع أن تجنّب العالم شر التردى فى حرب عالمية ثانية ، بل على العكس من ذلك . زادت فى ضراوة الانسان ووحشيته وولوعه بسفك الدماء وإزهاق الأرواح وحملته على التنافس والتسابق فى اختراع المهلكات والمبيدات .

لم تمض على الحرب العالمية الأولى فترة يفيق الناس فيها من هَولها ويعالجون ويلاَتهم حتى اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، فكانت أشد ضراوة وأعظم ضحايا وأكبر كارثة على الانسانية لم تشهد لها مثيلا لا فى حرب ١٤ ولا فى الحروب التى نَكبَت بها البشريــة من قديم الزمان ..

اندلعت النار سنة ١٩٣٩ ولَم تخمد إلا فى سنة ١٩٤٥ واشتركت فيها اثنتان وسبعون دولة وحشد لها من الجنود المقاتلين مائة مليون وعشرة ، وذهب طعمة نيرانها عشرات الملايين وعدد ذوى العاهات والمشوّهين يعطى أبشع صورة لأسوأ مأساة تعرضت لها الانسانية .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ان الحرب هزّت النظم الاجتماعية ، وبلبلت الآراء والأفكار فى العقائد والأخلاق ، فالحرب لا يقف عدوانها عند إزهاق الأرواح وإراقة الدماء وتدمير الحضارات ، بل يتجاوز هذا كله الى العادات والتقاليد ... الحرب يعايشها ، وينتج عنهــا تحولَ كبير فى العلاقات الانسانية والروابط الاجتماعية واستهتار بالغ بالقيَم والمثُل وتغيُّر معاكس فى المفاهيم . فمن اقتحام للحرمات واستباحة الأعراض .. الى الخيانات وفساد الذمم وانتشار الجرائم وإدمان المخدرات واختصار الطريق للغنى الفاحش بالمراباة والاحتكار والجشع وانتهاب اللذّات المحرّمة ... الى تسرب الإلحاد والإباحية ، مما يجعل مصيبة الناس فى عقولهم وأفكارهم أكبر من مصيبتهم فى الأنفس والأموال .

والدراسات الإجتماعية والإنسانية التى تعنى بتتبُّع آثار الحروب على الفكر والخُلُق والسلوك الإنسانى تكشّفَت عن أخطار وأضرار تفوق فى جسامتها الخسائر المادية التى يضبطها الإحصاء والأرقام ، فالغزاة يتركون فى الأرض التى وطئوها والديار التى جاسوا خلالها آثاراً حيوانية لا تَمتّ الى الشرف ولا الكرامة ولا الفضيلة بسبب من الأسباب ، ولا يسلم من أخطارها إلا من عَصَمَ الله ، وقليل ما هم .

ثم تأتى بعد الحرب العالمية الثانية الحروب الإقليمية التى قلّما تنجو منها حاليا قارّة من قارّات الدنيا والتى تنذر بحرب عالمية ثالثة لا يعــلم عقباها إلا الله .

فى هــذا الجو المحموم المخَضّب بالدماء والمملوء بالخوف والذعر المشحون بالقلق والإضطراب ، ووسط الأحقاد والأضغان والمظالم التى قطعت الرحِم الإنسانية وعصفت بكل القيَم والموازين وتنكّرت لجميــع الأديان والشرائع السماوية عاشت وولدت الأجيال المعاصرة الجيل القديم والجيل الوسيط والجيل الحديث .. جيل الآباء والأبناء والأحفاد .

ومع قليل من التجاوز عما اصطلح عليه أو اختلف فيه الباحثون فى

تحديد سن الشباب ومقاييسه ، فإننّا نرى أن الشباب هم الذين بلغوا سن الأبوّة وإن لم يكونوا آباءً بالفعل ، وجيل الشباب هذا ، لم يخلق مبتوت الصلة بالجيل السابق عليه ولا معزولا عن المجتمع الصغير الذى وُلد وترعرع فيه ولا عن المجتمع الإنسانى الكبير ، وما عاناه من حروب طاحنة ، وفى اعتقادى أن أصدق وصف يميّز هذا الجيل عمن سبقه من أجيال ، هو ((جيل الحرب)) .

● ● ●

تفتحت مشاعر الشباب المسلم فى هذا العصر على حياة مادية رهيبة ... حياة تقوم على التظالم والتطاحن والتحلل .. حياة تلاحقه وتطارده فيها بواعث الفتنة والرذيلة .. (فأفلام الشباك) الأفلام التجارية تتنافس فى إثارة الغرائز الدنيا وإشباع النزوات الرخيصة ومجلات الغلاف تنبعث منها رائحة العفن الخلقى التى تجتذب الحيوانات الضالة ... وروايات الجريمة تجعل من الحمَل الوديع وحشا ضاريا والأغانى المبتذلة والألحان التى تعتمد على التأوّه والتثنى تئد الرجولة وتمجد الميوعة ، والكتب الجنسية التى تسمى ثقافة جنسية تملأ واجهات المكتبات ، حتى الإعلانات التجارية تقوم وتروج على المناظر المبتذلة ، ورسائل الإلحاد والكفر تحطم القيم العقائدية ، وتحضّ على التمرد على الفضائل وتدفع الى كسر كل القيود التى تحول دون الانطلاق الحيوانى المسعور ، وحياة الهيبيين قد لا تكون آخر ما وصل اليه الانحراف .

ولو قمنا باحصائية بسيطة لرواد المسارح ورواد المساجد وحَفَظَة الأغانى وحَفَظَة كتاب الله والعارفين بتاريخ الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات والملمين بتاريخ الأعلام المسلمين والمسلمات الشهيرات ، لو قمنا بهذه الإحصائية كعلامة على القرب من الاسلام والبُعد عنه لهالتنا النتيجة .

ولو انتقلنا بالإحصائية الى المجلات الاسلامية والمجلات الشيطانية والمطبوعات الإلحادية وكتب الثقافة الدينية وعدد القراء هنا وعدد القراء هناك لكانت النتيجة معبّرة أبلغ تعبير عن قصور المصلحين مخيّبة لآمالهم .

● ● ●

تَفَتّحَت مشاعر الشباب المسلم فى هذا العصر فوجد نفسه فى متاهات من الآراء المضللة والأفكار الهدّامة ، ووجد الممرات الى مزالق الفتنة والإنحراف مفتوحة معبّدة ، فماذا صنعنا لإنقاذه من هذه المتاهات ؟ وبماذا واجهنا هذا الطوفان المدمّر الذى يكتسح أمل الامة ورجاءها ؟

التوجيه الإسلامى القائم الآن ، هو امتداد للتوجيه الإسلامى الموجود

منذ عشرات السنين لم يطرأ عليه تغيير ولا تطوير يستطيع به أن يقـاوم هذا الزحف ويحصّن الشباب من الأوبئة العقائدية والخلقية الوافدة .
المسجد هو هو تقـام فيه الصـلوات وتلقى فيه العِظات ، ثم تنفض الجماعات .
الكتب الإسلامية وهى على قلّتها راكدة السوق .

الصحف الاسلامية اليومية لم توجد بعد .

المجلات الإسلامية الاسبوعية والشهرية كم عددها ؟ وكم يطبع منها ؟ وكم يباع ؟

البرامج الدينية فى الإذاعة والتلفزيون ما نوعيتها ؟ وما عدد الدقائق التى خُصّصت لها ؟
المحاضرات الثقافية الإسلامية ، ما مـدى الإقبال عليها ؟
مناهج التربية الإسلامية فى المدارس والمعاهد يدرسها الطالب ليحصل على الحد الأدنى من درجات النجاح فى الاختبار .
البيت ليس له طابع إسلامى يُمَيّزه عن سائر البيوت .
إن أساس المشكلات التى تواجه الشباب هو عدم الفهم الحقيقى والوعى الكامل لدينه وعدم رؤيته للقدوة الصالحة التى تشده وتجذبه ، والنصائح وحدها لا تكفى ولا تشفى وإذا كانت الأمراض لا تعالج بالتعويذات والتمائم والجيش الغازى لا يُحارَب بالدعوات والتضرعات فكذلك الإنحراف والتحلل لا يعالج إلا بإزالة المتناقضات من المجتمع الإسلامى كَطِبٍّ وقائى ودراسة وتحليل الأسباب والعِلَل ووضع الدواء واستعمال هـذا الدواء كَطِبٍّ علاجى .

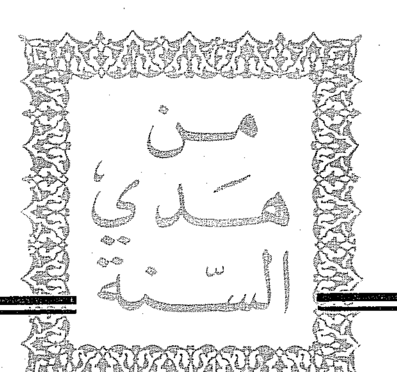
إن الانسان مهما انحرف فهو إنسان ولا يمكن بحال أن يسلبه الانحراف خصائص إنسانيته الخَيّرة وفطرته الرشيدة الى الأبد .

إن الضّال يميل دائما من حيث يشعر أو لا يشعر الى الهداية .
إن القَلِق يبحث دائما عن الطمأنينة .
إن الشّاك يقوده ألَم الشّك وعذابه الى اليقين .

والهداية فى الإسلام والطمأنينة فى القرآن واليقين فى الإيمـان ، وذلك هو ما نتوقعه لشبابنا وللإنسانية كلها عندما تتوفر لها المحـاضن الروحية الصافية فى البيت والمجتمع (يا أيها الذين آمنوا قـوا أنفسكم وأهليكم ناراً) والله مُتِمٌ نوره ولو كَرِه الكافِرون .

رضوان النبلى

مدير ادارة الدعوة والارشـاد



للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

شباب من الأنصار

« كان شباب من الأنصار ، سبعين رجلا ، يقال لهم : القراء ، قال : كانوا يكونون فى المسجد فاذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون ، يحسب أهلوهم أنهم فى المسجد ، ويحسب أهل المسجد أنهم فى أهليهم ، حتى اذا كانوا فى وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب فجاءوا به فأسندوه الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا يوم بئر معونة ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم على قتلتهم خمسة عشر يوما فى صلاة الغداة » ..

(مسند الامام أحمد)

١ ــ الشباب : الفتاء والحداثة ، وهذا شبوب لهذا ، أى يزيد فى حسنه ورونقه ، وفى الحديث عن مطرف أن النبى صلى الله عليه وسلم أئتزر ببردة سوداء فجعل سوادها يشب بياضه ، وبياضه يشب سوادها أى يحسنه ، ويوقده ، والرجل مشبوب اذا كان أبيض الوجه أسود الشعر ، وأصله من شب النار اذا أوقدها فتلألأ ضياء ونورا (١) .. ورد فى فقه اللغة : ما دام الرجل بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، والأمرد الشاب الذى طر شاربه ولما تبدو لحيته ، والمحمحم الشاب اذا أسود شعر وجهه وأخذ بعضه ببعض ، والمشارى ، اذا بلغ الأربعين (٢) ..

ومن طريف ما يروى فى هذا الصدد تلك الأسطورة التى يتوارثها الاحباش ويتداولونها فيما بينهم ، تحكى تلك الأسطورة : أنه فى يوم ما ، ألتقى ضبع وابنُ آوى فى غابة موحشة ، ملتفة الأشجار ، ضيقة المسارب، متعرجة المسالك ، قبض الضبع على ابن آوى بيد باطشة ، وقال له : اما أن تحضر لى ماء ، واما أن تهىء لى مكانا أستريح فيه ! فأجاب ابن آوى وهو يرتعد فرقا : لو كنت رجلا لما جرأت على معاملتى بهذا الشكل

السيء ، فسأله الضبع : ماذا تعنى ؟ من هو الرجل ؟ فرد مجيبا : اذا أردت معرفته فتعال معى أدلك عليه ! وبينما هما سائران مرا على شيخ قد أحنت السنون ظهره ، والجأته الى عصا عجراء ، فسأل الضبع ، أهذا هو الرجل ؟ فقال ابن آوى : لا ، هذا كان رجلا ، وانطلقا فى سيرهما حتى اذا لقيا صبيا سأل الضبع : لعل هذا هو الرجل الذى تعنى ! وأجاب ابن آوى : لا . هذا سيصير رجلا ، وتابعا سيرهما باحثين عن رجل ، فواجها شابا قويا مفتول العضل ، ثابت الخطى ، قد أمسك باحدى يديه غدارة يفوح منها البارود ، وبالأخرى صيدا يتنزى دما ، شده الضبع وتوقف كأنما قد أمسكت بقدميه قيود من حديد ، ثم صاح : لئن صدق حدسى فهذا هو الرجل الذى تعنى ! وما راعه الا قذيفة تنطلق من غدارة الشاب لتخترق أذنه ! وقال ابن آوى : نعم هذا هو الرجل حقا !! فان كنت شجاعا فاقبض عليه ! طأطأ الضبع رأسه ، وغطت سحابة من الدم القانى عنقه فلم يحر جوابا وأطلق ساقيه للريح .. فالشاب اذا ، هو الفتى المكتمل الرجولة ، والشابة هى الفتاة التامة الأنوثة ، فى عقل متزن ، وفكر رائد ، وسلوك قويم ، وخلق آسر ، وقوة قوية ، وادراك دقيق لمداخل الأمور ومخارجها ، ومعرفة تستشف الوقائع من مصادرها ومواردها مع غوص على دقائق الوجود، ودخائله ، واستكناه خصائص كل مايحيط به فى المجتمع الخاص بالدولة التى يدرج على أرضها ، وفى المجتمع العالمى الذى يلف المعمورة ، فقد وسع العلم دائرة التعارف وقرب المسافات ، مع ادراك ثاقب يصل الى اللباب النافع الطيب الثمر ، ليستفيد منه ، والمر السيء الجنى ليطرح ويترك .

٢ — والشباب هم الأمل المرجو فى حياة الشعوب للنهوض بها ، والسير قدما مع ركب الحضارات الزاحف ، وهم البسمة المشرقة ترتسم على ثغر الدولة الموفقة لاحسان تنشئة شبابها ، وتوجيههم التوجيه الصالح القويم ، اذ هم عدة جهادها فى الشدة والبأس ، وحصنها المنيع ضد التيارات التى تحاول جرف فضائلها ، وتسعى جاهدة للقضاء على مقوماتها، وسيفها البتار القاطع لكل نقيصة ومثلمة ، وهم أساتها اذا أثخنتها الجراح . وعدت عليها الايام . فالشيخ الذى طعن فى السن ، قد طوح به الزمان عن الحياة المعاصرة ، وامتزج فكره بالحوادث التى لازمت مراحل نموه ، وجال فى منعطفاتها وصال ، فخالطت جواؤها شغاف قلبه ، وتفاعل حبها أو بغضها مع دمه فلم تعد بدائه الأحداث بمستطيعة لى عنانه ، أو كبح جماحه عن مسلكه وكلما دعى الى جديد عاقته نفسه ، واجتوته جبلته ولسان حاله يقول : لن نتحول عما وجدنا عليه آباءنا ، ولن نترك ما ورثنا ولو كان ميراثه الموت الزؤام فى صورة حياة باهتة حقيرة ، فمنطلق أولئك الموتى الأحياء : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » . وقد يلتمس لهم العذر بادىء ذى بدء ، اذ كيف يتجافون عما صبحهم ومساهم

دهرا طويلا ، وما وقعت عليه أبصارهم وطرق أسماعهم ، وتردد هواؤه فى صدورهم فى الصبح المسفر والليل البهيم .

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه

ومع هذا : فلا نبخس الناس أشياءهم فمن الشيوخ من شذ ونبا ، قد صقلته التجارب ، وعركته الحياة ، فظل فتى الروح وان وهن عظمه واشتعل رأسه شيبا ، ومن أولئك القادة والمصلحون الذين يتجهون الى الشباب يوجهونهم الى الطريق المستقيم ، ويتخطون به عثرات فى فلوات مروا هم بها ، ويزودونهم بخلاصة تجاربهم ، وزبد حكمتهم ، ويبتعدون به عن مواطن الزلل ، لتستقيم حياتهم ، ويصبحون أكفاء قادرين على تحمل تبعاتهم كاملة ، ولا يحاولون التنصل من واجباتهم نحو بارئهم وأوطانهم .

وان من أدبته فى الصبا	كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا أخضرا	بعد الذى أبصرت من يبسه

٣ — والشباب تجرى به الحياة ، كما يجرى نبع الماء فى مسالكه من الارض ليكون نهرا أو غديرا أو سيلا عارما ، يصادف فى سيره الحسك والسعدان فى المنبسطة ، ويتعارك مع الصخور والجنادل فى الوعر ، يميل يمينا وشمالا ، ويرتفع وينحدر ، ولكن لا يتوقف ، بل يتجمع ويتكاثر ، وكأنه باحث عن فريسة يخرنبق لينباع ، ويتحفز ليقفز الى الجهة المقابلة أو قائد يجمع خميسه ويحشد قواه ليلقى بثقله فى المعركة حتى يجتاز العقبات ، ويتابع جريانه الى غايته ، يضعف تارة ويقوى أخرى حتى اذا وصل الى مستقره هدأ ، أو تلاشى فى الخضم الفسيح « القاموس المحيط » .

والشباب كذلك — ولا يبعد الناشئة عن هذا المدار — يشدو خير ما فى كونه الملتف به ، وسلمه الذى يرتقيه يتعدد فى درجاته ، وتتباين تلك الدرجات فى كنهها وأهدافها ، وأطوار حياته تطبع فى نفسه المتناقضات حينا والمتوافقات حينا ، فهو راضع لبان أسرته وقتا مقررا ، ثم يعدو هذا الكن الى مكان أرحب ، هناك فى مدرسته ، فى مصنعه ، فى تجارة فى مزرعة ، حيث يلتقى بعشراء لم يسبق له بهم عهد ، مزيجا من عناصر متباينة ، وبيئات مختلفة ، لم تجمعهم من قبل وشيجة رحم أو منشأ ، فاذا صعد فى الزمان وتعاوره الليل والنهار دبت فيه حياة جديدة ، وتفاعل فى كيانه ما لا خبرة له به ، وهو لا يزال غض الاهاب ، فى كن الصبا وخدر الغرارة ، ويرتطم بعوائق مضادة ، لا يمكن أجابة سؤلها حذرا من واقع المجتمع وتقاليده ، فينشأ الكبت ، وهو غير محمود العاقبة ، وفى هذه المرحلة التى ربما تكون حاسمة ، جالت عقول المعنيين بالشباب كل مجال ، متلمسة وسيلة النجاة ، فى محاولات قد تكون عقيمة ، وقد تكون مجدية، الا أنها فى مجموعها آنية (بتشديد الياء المثناة) تكون مسكنات وقتية لا يلبث أثرها أن يزول ، ومن خلال تلك المحاولات نلمح من ثقوب أبوابها

ما يشير الى غريزة خاصة يحاول ارجاع كل شىء اليها ، وما وضع لها من دواء مضاد خوفا من نتائجها ، فقال : أعلوها بالرياضة واشغلوها لتسكتوا عواءها بالفنون ، وسواء نجحوا أو أخفقوا فى علاجهم هذا ، ففى المشاهد وقائع يدركها من تتبعها دارسا أو باحثا أو مستطلعا ، ولنترك هـــذا الطور وعلاجه أسلاميا الى مجال مقولة أخرى ربما تحين قريبا ، ففى الاسلام ما يحسم الداء مقتلعا جذوره بالبلسم الشافى ، وبرد الشراب الناقع لكل غلة ، واللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون .

٤ ـــ تعالوا نتصفح أضابير المصلحين وكتاباتهم ، ونعش قليـــلا فى رحاب الأنبياء والمرسلين نغشى مجالهم ، وننخرط فى سلك حوارييهم ، فماذا نرى ، نجد الذين تجاوبوا معهم وحملوا دعوتهم ، هم الشباب ، والشباب وحده واستمع الى محكم القرآن الكريم حين يقول : « انهم فتية آمنـــوا بربهم وزدناهم هدى .. » قال واحد من المفسرين : « انهم شباب آمنـــوا بربهم ، وقد جرت العادة أن الفتيان أقبل للحق ، وأهدى للسبل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا فى الأديان الباطلـــة ، ومن ثم كان أكثر الـــذين استجابوا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبانا ، وبقى الشيوخ على دينهم ولم يسلم منهم الا القليل » (٣) ... ومن القرآن أيضا : « .. واذ قال موسى لفتاه .. » .. « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » وابراهيم هنا هو الرسول نفسه : .. وخاتمة الرسالات حملها الشباب ولم يدخل فيها أكثر الشيوخ الا مكرهين ، واقرأ تاريخ الأقدمين تجد آخرهم عمر بن الخطاب الذين لم تتجاوز سنه يوم أسلم العقد الثالث ، والذين سبقوه كانوا فى مثل سنه أو أقل أو أكثر قليلا ، وهكذا نلفى الذين شادوا دين اللـــه وارسوا أصول الخير هم الشباب فقد اجتمع يومها للاسلام قوتـــان نال بهما من الظفر والنجاح ما لم تنله دعوة من قبل : أصالة الأسس وقوتهـــا وايمان الشباب وعمق ادراكه لها ، تضافرت القوتان وسارتا كتفـــا الـــى كتف ، حتى عم الاســـلام شـــبه الجزيرة فى حياة سيدى رســـول اللـــه صلى الله عليه وآله وسلم ...

بعـــد هـــذا : نعود الى ما ورد فى مسند الامام أحمد رضى اللـــه عنه الذى يرسم صورة صادقة لا شائبة تعتريها تشوه من جمال مبناها ولا تنقص من أهداف معناها ، تلك هى صورة الشباب الواعى الذكى العبقرى الذى لا يفرى فريه أحد ، الا من نبت مثله فى رعاية النبوة وتحت ســـمع صاحب الرسالة وبصره ، انظر الى تحركاتهم وسكناتهم فـــى مغـــداهم ومراحهم : يترددون بين ثلاثة أماكن : مسجد فيه قوة الروح وضرب فـــى مناكب المدينة بحثا عما يقيم الاود ويمســـك الذمام ثم نهاية أمرهم فـــداء للعقيدة التى هى وطن المسلم ولا وطن له غيرها ، هؤلاء هم الذين اتخذوا عنوانا مميزا (القراء) شباب عدتهم سبعون ، يتدارسون القرآن غـــذاء أرواحهم ومنهج حياتهم وهدى سلوكهم ، لا يريدون دعاية ولا شهرة ولا يحبون أن يطلع على أحوالهم أحد ، ولا يشعر بهم مستخف بالليل أو سارب

بالنهار ، أهمهم أمر دينهم وليس وراء ما أهمهم ما يعنيهم يحاولون من خلاله أرضاء بارئهم ، لا يقول يذهب أدراج الرياح ، وانما بعمل يثبت ويبقى أثره ما بقى لزكاء شروق ولصنوها أفول ، أين قواؤهم ؟ لا أين ، ينقلون بين علم يثمر ، ويضربون المثل للسعى والكسب ، ليسوا عالة ، وما منهم أحد كل على أحد ، أيد تنبض بالحركة النافعة فى حدود مقومات زمانهم ، وقلوب يرعاها ايمانها بعقيدتها ، ثم فناء فى سبيل ما عند الله مما أعده لأمثالهم : « جنات عرضها السموات والأرض » لم يتمتموا بكلمات مبهمات رثاء الناس ، ولم يتظاهروا بالاتباع ثم تخونهم الوقائع ، ولم يتبجحوا بالتوافه المظهرية ويبعدوا عن اللباب ، كعهدنا بالناس فى زمان مات فيه القلب واستيقظت الشهوات المسعورة ، ولا أقصد شهوة الفواحش فقط ، فكل رغبات النفوس التى تثيرها الأنانية القاتلة شهوات مذمومة عند الله وعند من اصطفاهم من رسل وأنبياء وعقلاء ، بمثل هؤلاء الشباب المثل يقتدى للنجاح وللفداء المأمول وللغد المرتقب ، فسلوكهم هو سلوك الشاب الذى آمن ووقر الايمان فى قلبه وتجاوب مع الدعوة والقى اليها السمع وهو شهيد ، وليس بدعا فى الفطر السليمة أن يحزن عليهم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يردد ذكراهم كل صباح ، ولا أن يطلب الويل والثبور لمن عدا عليهم ، وان كان مقرهم رضوان الله ورحمته فهم مثل كريمة طيبة ، وتلك الأمثال يضربها الله للناس لعلهم يعقلون ..

٦ ــ ولا يغرب عن بال واع فاقه لسير الدعوة فى مبتدا أمرها ان أتباع الاسلام الأولين ــ كما أسلفنا ــ كانوا شبابا أشداء على عدوهم رحماء بينهم ، رجال حرب وجلاد ، مات جلهم تحت ظلال السيوف فى حومة الوغى فى ميدان الجهاد المقدس ، ونسوق طرفا من أسمائهم الكريمة لو تتبعت أصحابها فى مواطنهم لرأيت العجب العجاب الذى يعطى البرهان القاطع على مدى ما تستطيع بلوغه قوة الشباب لو أحسن توجيهها ، هؤلاء العمالقة منهم على سبيل المثال : على ، وابن العوام ، وابن مظعون ، وطلحة ، وسعد ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن الأرقم ، وصهيب ، وبلال .. الى غيرهم من درر تفاخر بها الدنيا دنيا الايمان والعزة ، ولا يقال هنا : لم انهار البناء وتصدع حتى وصل الى ما هو موسوم به الآن فالجواب طى الواقع يحكيه صادق الحال ، وكل شىء يحتاج الى صيانة ورعاية وعندما يتولى الأمر هازل مستضعف فقل على دنيا ذلك الأمر العفاء .

واذا ذكرنا أسماء رجال برزت أبان اشراق نور الدعوة الاسلامية فلا يصح بحال أن ننسى أسماء نساء شابات أدين واجبهن فى الصبر والجهاد وقمن بما سجله لهن التاريخ معجبا فى سبيل الدعوة ولهن الحظ الموفور من البلاء الحسن فى كثير من معارك المسلمين ومنهن السابقات

أمثال : أم أيمن ، وأسماء بنت أبى بكر ، وفاطمة بنت الخطاب ، وعائشة .. وغيرهن ممن وقفن جنبا الى جنب مع الشباب يقمن بما يستطعن من خدمة الجرحى فى الميدان وسقيا المجاهدين ، بل وحمل السلاح كما حدث فى احدى المعارك التى أحيط فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم .

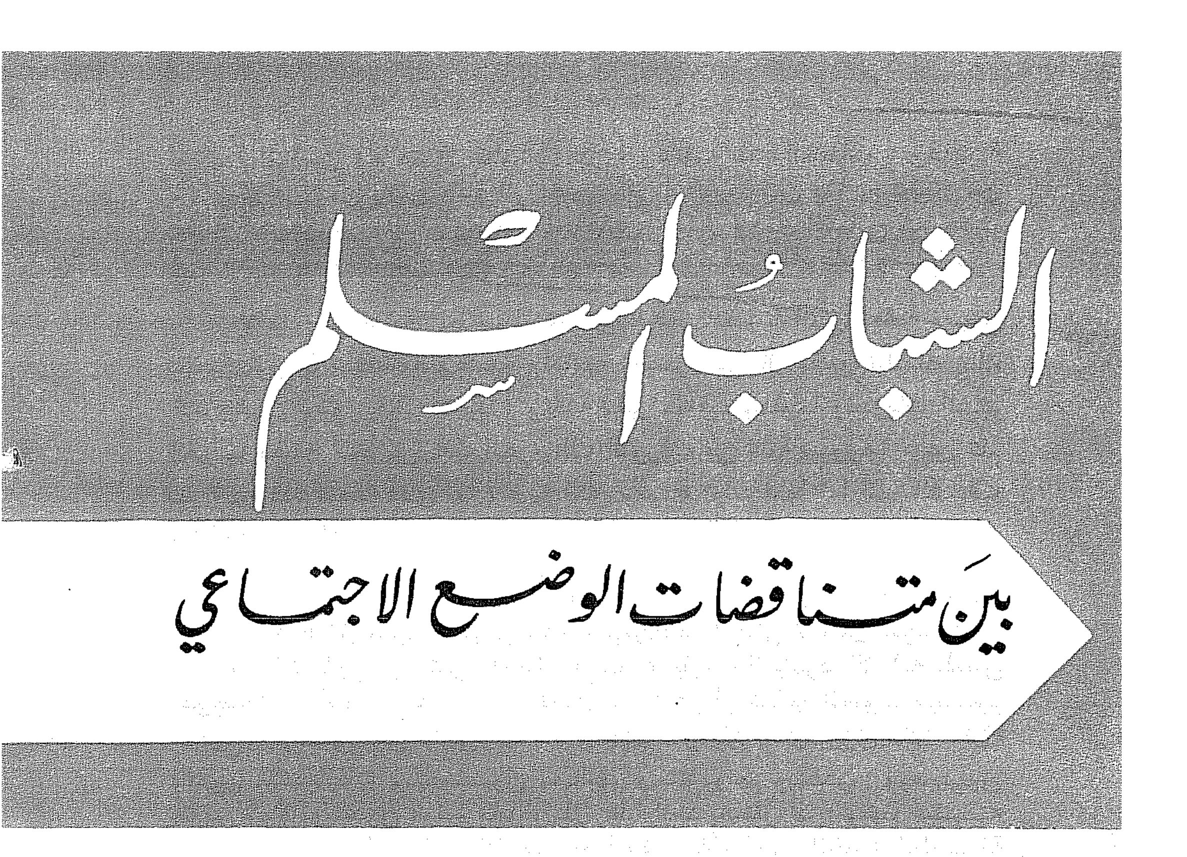
٧ — وفى نهاية المطاف نفتح عيوننا على عصرنا الذى فيه نعيش فنبصر ثورات سياسية وعلمية وثقافية تضطرم فى كل مكان فتلك تدك العروش وأختها تحطم تقاليد ، وثالثة تغير مفاهيم وعلوما ونظريات الى آخر ما يخبئه الغد من مفاجآت ، تلك الثورات فى كافة صورها ، من قام بها ؟ من قدم نفسه فدى لها ؟ ، من كان وقودها وضرامها ؟ : أنهم الشباب ولا أحد غير الشباب .

وأؤكد هنا — كالشأن دائما — أن حركات الشباب لا تبعث على الخوف ولا القلق فمن الطبيعي جدا ، ومن البدائه التى لا تقبل الجدل ، أن يثور الشباب وأن يتمرد أحيانا ، فهو لا يثور ولا يتمرد الا لأنه يلمس أعوجاجا فى أوضاع قائمة ، والأفضل دائما هو أن تعالج العيوب ويقوم المعوج ، ويقضى على داعى الفساد والهدم ، والبلد الذى يرزق قادة عقلاء يلتقون بالشباب ، ويتحسسون مطالبهم ويناقشونهم ويأخذون ويعطون معهم ، ولا يوصدون دونهم بابا ، مثل هذا البلد يستقر أمره ويهنأ عيشه وتسير أحواله على هدى الشيوخ العقلاء ذوى الخبرة الطويلة فى الحياة ففيهم المدره والعبقرى ، وتعتمد على سواعد الشباب وعقولهم المتفتحة ، ولهذا أرى أن يتلاقى الشباب وخاصة شباب الجامعات والمصانع بالمسئولين فى ندوات مفتوحة وقلوب سليمة يفرغ فيها الشباب كل ما عنده من تساؤلات ، ويبدى كل ما عنده من رأى ، وهنا تظهر عبقرية القادة من الشيوخ فى التوجيه الصالح ، والأخذ بيد المفلح من الشباب وانارة الطريق أمام المدلج الحائر ، ولو فعلنا لاتقينا شر ثورات مهلكة يحدوها غالبا طيش وأنانية وعناد يأتى على كل شىء من أمجاد السابقين ..

وختاما : لا أرى توجيها أفضل ، ولا أرشادا أسمى وأجل من توجيه وارشاد الاسلام فمقوماته ترتفع الى القمم ولا تنحدر أبدا الى السفح ، ومن درس وقارن اقتنع بتعاليم الاسلام وهدايته وأنه المنقذ الوحيد من الحيرة والاضطراب اللذين يسودان عالمنا « وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم » ..

---

(١) — لسان العرب ج ٤ ص ٤٨٢ طبعة صادر بيروت سنة ١٩٥٥ م ..
(٢) — فقه اللغة للثعالبى ص ١٤٢ طبع المطبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م
(٣) — المراغى ج ١٥ ص ١٢٥ مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٤٦ م ..



ينشأ الشاب المسلم فى بيئة لها أوضاع معينة ، وتحكمها عادات وتقاليد ، ومقاييس أخلاقية خاصة . وأهمها : ترابط الأسرة وسلطة الأب فى توجيهها ، والالتزام الأدبى الذى يلتزم به الاخوة والأخوات حيال بعضهم بعضا ، وحيال والديهم كذلك .

لم تتفكك الأسرة بعد ، فى المجتمعات الاسلامية . ولم يزل الشعور بالمسئولية عن حياة أفرادها فى معيشتهم شعورا جماعيا ، وان كان يبرز الولد الذكر فى حمل أعبائها — بعد الوالد — كوارث لقوامته وسلطته فى الأسرة . والمسئولية المتبادلة فى الأسرة وسلطة الوالدين فيها ، هما مصدرا التعاون ، وقبول النصح والتوجيه فى تحديد مواقف أفرادها ، وفى التزام ما يقومون به من تصرفات . ومن هنا كانت المشورة المتبادلة بين الوالدين والاولاد فى شئون الزواج ، ومباشرة السعى من أجل المعيشة ، وفى الاقامة فى السكن ، وفى كل ما هو أمر رئيسى من شأنه أن يؤثر على وضع حياة الأسرة ككل .

ودين المجتمعات الاسلامية — وهو الاسلام — والتقاليد السليمة القائمة عليه توصى بترابط الاسرة كوحدة أساسية فى بناء المجتمع ، وبرعاية أفرادها بعضهم لبعض : فى المعاملة ، والشورى ، والمعيشة . اذ يقول الله تعالى : **(واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ..)** .. ويقول : **(وآت ذا القربى حقه) ..** ويجعل العناية بأمر الاسرة فى قوة الترابط بين أفرادها فى مستوى عبادة الله وحده ، وطرح الوثنية المادية .

للدكتور محمد البهي

والتقدم الفني في مصادر الحضارة

والترابط والتضامن فى الاسرة ليس تخلفا فى الانسانية . لان قوة المجتمع تنبثق أولا من قوة العصبية فى الاسرة ، ولان حسن التوجيه عامة فى الامة كذلك هو نتيجة لحسن التوجيه فى الاسرة ذاتها . ولا يمكن أن يكون هناك ترابط قوى فى الاسرة ، ولا حسن توجيه فيها الا اذا كان هناك تبادل فى المشورة والرعاية فيها ، والا اذا كانت هناك مسئولية أسرية تنهض بقوة الترابط وحسن التوجيه .

وحسن التوجيه فى الاسرة المسلمة يقوم على أساس من الاسلام فى مبادئه الاخلاقية والسلوكية . وأهم هذه المبادىء : الايمان بالقيم الروحية . وهى القيم الانسانية العليا .. هى قيم : التعاون ، والتضامن ، والتكافل بين القوى والضعيف ، والثرى ومن ليس بذى ثراء ، والعالم والجاهل ، وسليم البنية وصاحب العجز أو العاهة ، والكبير والصغير ، وصاحب الجاه ومن لا جاه له .. هى القيم الانسانية التى تعلو فوق الانانية ، وتمثل مصلحة الامة بأكملها .. هى القيم التى تبعد عن ارتكاب الفحشاء ، والمنكر ، والبغى .. هى التى تدعو الى صفاء النفوس واضعاف الحقد فيها ، دعوة تؤسس على سلوك ايجابى ، وموقف ايجابى : من المتفوق لسبب من أسباب القوة .. ازاء من هو أضعف فيهـا .

والاسرة المسلمة المعاصرة لم تزل على ذكر بالايمان ببعض القيم الاسلامية . أى لم تزل تحتفظ ببقايا للروحية الاسلامية فى اتجاهها والتوجيه وان كان صراع الفكر الدخيل قد نال من هذه الروحية ، وينال

منها كل يوم باسم التقدمية مرة ، والحضارة والمدنية مرة اخرى .
ولكن لقوة هذا الصراع الفكرى الدخيل : فى دفعه وتكتل العوامل الاجنبية والمحلية على اقحامه فى المجتمعات الاسلامية من جانب ، ولضعف العرض والتوضيح للقيم الروحية الاسلامية من جانب العارضين والموضحين ، والوقوف بنماذجها عند الماضى وحده من جانب آخر .. لهذا ، وذاك : تخلخلت هذه القيم فى صلاحيتها لحياة الانسان المعاصر .
ولا ترجع قوة الفكر الدخيل فى صراعه ضد مبادىء الروحية الاسلامية ، الى قيمته فى موضوعيته . وانما الى الاغراء فى عرضه ، والى استخدام الوسائل الحضارية الفنية فى شيوعه واذاعته ، كالنقل عن طريق الارسال فى الراديو والتليفزيون ، وعن طريق النشر فى الصحف والدوريات . ثم الى استجابة أصحاب القوى المحلية المختلفة من : فكرية ، واعلامية ، وفنية .. الى الاسهام فى ترويجه بصورة أو بأخرى بأجر مغر ، بجانب العمل على اظهار الروحية الاسلامية ، واظهار الداعين لها أو المنتسبين اليها ، فى مظهر الضعيف الذى لا يقوى على الحياة ، فضلا عن المواجهة لهذا الدخيل .
وأصبحت لذلك الاسرة المسلمة المعاصرة تتأرجح بين متناقضين :
١ — بين فكر أصيل موروث ، يهتز بمزاحمة غيره له ، وهو فكر الروحية الاسلامية وقيمتها .
٢ — وفكر دخيل يطرق أبواب نفوس الشباب فى عنف ، وفى استعلاء القوى ، ومغالطة المسيطر ، وهو الفكر المادى الذى يدعو الى اشباع الذات ، وتفكيك روابط الاسرة ، وسيطرة الانانية ووسائلها فى السلوك من : الوصولية ، والمنفعية ، والانتهازية ، والنفاق ، وانكار القيم الروحية ، والتحلل مما هو دينى وأخلاقى ، بدعاوى شتى ،بجانب العمل على احلال : اللامبالاة محل المسئولية ، والفوضى محل النظام، والتنكر للسلطة فى الاسرة بدل القوامة والتوجيه فيها .
وبين رواسب الروحية الاسلامية وبقاياها فى الاسرة المسلمة المعاصرة ، وطغيان الفكر المادى الدخيل عليها فى الاغراء والتلبيس .. ينشأ الشباب المسلم فى مجتمعاتنا الحاضرة . والشباب المسلم فى مرحلة المراهقة هو تطوره متأرجح بين الطفولة السابقة ومرحلة الرشد اللاحقة . ويتسم مظهر تفكيره وسلوكه بالتردد والانجذاب : الى أدنى فى طفولته مرة ، والى أعلى نحو رشده مرة أخرى . فاذا أضيف الى هذا المظهر فى تطوره — وهو مظهر التأرجح والتردد — عامل التناقض بين تقاليد الاسرة الباقية والجديد الطارىء عليها مما له قوة الاغراء والتلبيس .. فان الشباب الذى يحيط به هذا التناقض يكون أكثر ترددا وتأرجحا ، عن شباب آخر يعيش فى جو أكثر ملاءمة، بعضه لبعض ولو كان جو المادية فى توجيهها وتأثيرها .
واذا كان للتقاليد فى ترسبها فى الاسرة المسلمة المعاصرة أثر فى الشد والجذب ، فان للفكر والتوجيه المادى الانحلالى الطارىء اثر أكثر عنفا وصلابة فى شده وجاذبيته . لانه يتصل برغبات البدن وشهوات النفس وغرائزه . وهى بحكم الجانب الحيوانى فى الانسان تمارس نشاطها مبكرة ؛ عن ادراك العقل ومصدر الروحية فيه . ومن أجل ذلك

نيط بالتربية تحقيق التوازن بين القوى الغرزية والاخرى النفسية والعقلية فى الانسان . والتربية — ومن أهم عواملها : البيئة وجو التنشئة — لا تحقق غايتها من هذا التوازن الا اذا ساد الانسجام بين عواملها من : الوراثة ، والبيئة ، والمدرسة . فاذا اختل هذا الانسجام على نحو ما هو هنا الآن بسبب التناقض بين ما يسمى بالقديم والجديد ، أو بين رواسب الروحية واتجاه المادية الانحلالية الوافدة .. فان فاعليةالتربية تكون ضعيفة أو عديمة الاثر . ويبقى الشباب فى تأرجحه وفى تناقضه. الى أن يتغلب عليه أحد الاتجاهين . وغالبا يتغلب اتجاه المادية الانحلالية. لانه الاقوى — لا بموضوعه — ولكن بدفعه ووسائل الترغيب فيه .

هل سيحول المجتمع الاسلامى المعاصر — أى مجتمع — دون طغيان التوجيه المادى بين أفراده ؟ . على معنى هل سيحول دون تلك الموجة الانحلالية ، والدافعة الى : عدم المسئولية ، واللامبالاة ، والانانية المصاحبة لهذا التوجيه المادى ؟ .

هل سيعيد المجتمع الاسلامى — أى مجتمع اسلامى — النظر فى عرض الروحية الاسلامية ، بحيث تكون أكثر فاعلية وتأثيرا على نفوس الشباب المسلم المعاصر ؟ . على معنى : هل ستجلى مبـــادىء الاسلام فى عرضها لتكون أكثر واقعية فى حلها للمشاكل التى تواجهه ؟ .

ان المجتمعات الاسلامية لم تزل موزعة على نظامى الحكم على أساس من الفكر الغربى وحده . وبذلك لم تتخل بعد عن التبعية للاجنبى ، رغم وثائق الاستقلال وممارسة بعض مظاهره : من الانتقال من شيوع الى آخر : فى نظام حكمه وايديولوجيته . وليس من بين هذه المجتمعات حتى الآن ما راجع الاسلام فى صلاحيته لسياسة المجتمع ، وضــبط سلوك الافراد فيه ، مراجعة جدية بناءة . حتى ذلك المجتمع فى آسيا الذى أعلن منذ ربع قرن تقريبا بعد جهاد مرير طال أمده : قيامه على أساس : من الفكر الاسلامى وحده .

والمجتمعات الاسلامية المعاصرة هى فى سياستها أقرب الى ترك مقاليد الامور فيها الى (**الصدفة**) و (**ما تأتى به الرياح**) منه الى أن تكون مستندة فيها الى ارادة ومنهج دقيق ، رغم كثرة الحديث فى بعضها **عن** : (**العزم**) و (**الخطة**) .. وما الى غير ذلك مما يلفت النظر ، دون أن يكون له مدلول فى تغيير مجرى الحياة ، وفى استهداف اســتقلال يعتمد على مقومات التاريخ والشخصية فى أى منها .

ومعنى : ترك مقاليد الامور فى المجتمع الى الصدفة أكثر منه الى الارادة .. هو أن طغيان الموجة المادية الانحلالية الوافدة سيستمر فى الزيادة ، وأن أجهزة الاعلام المختلفة فيه ستكون أكثر (**قدرية**) من أية أجهزة أخرى فى الدولة كالتعليم مثلا . وبهذا يزداد الضغط على انحسار الروحية الاسلامية ، فلا تستطيع ان تكون عاملا موجها بعد جين آخر من الزمن . ويبقى الشباب المسلم المعاصر فى حيرته . وحيرته هذه لا حدود لها . وليس بغريب عليه بعد ذلك : أن يكون (**فوضـــويا**) وعديم المبالاة والمسئولية ، أو يكون (**ثائرا**) ومخربا وهادما ، دون أن تكون لديه استطاعة وطاقة على البناء والتعمير من أجل مجتمـــع ســـليم .

وينادى كثير من الكتاب والمفكرين فى اصلاح الشباب المســلم

المعاصر .. بالرجوع الى الاسلام . وهذا سليم كمبدأ .
ولكن كيف الرجوع الى الاسلام والقيادة السياسية فى المجتمع تخشى ، أو لا تريد أن ترجع الى الاسلام فى نظام الحكم ؟ .
وكيف الرجوع الى الاسلام والحاملون لريادته يفهمون الاسلام من كتب تكاد صلاحيتها تكون قاصرة عن أن تعالج مشاكل المجتمعات المعاصرة ، وأحداثها ، ومواجهة فلسفاتها ؟ .
وكيف الرجوع الى الاسلام وليس هناك قوة معنوية عامة تحمل على طرق أبواب الاسلام ، وتلزم القيادة السياسية فى المجتمع بالاخذ بمبادئه فى التوجيه والسلوك ، كما تلزمها بخلق جيل يفهم الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ، قبل التعرف عليه من كتب وضعت لعهود انتهت مشاكلها واوضاعها ؟ .
ان القابلية للتبعية السياسية فى شعوب المجتمعات الاسلامية ما زالت ظاهرة واضحة فيها ، رغم وثائق الاستقلال السياسى لها . وان القابلية للتبعية الفكرية فيها تكاد تكون أمرا محببا ، وليس أصلا فقط من أصول مجرى الحياة فيها . وهذه القابلية للتبعية الفكرية ليست فقط لذلك الجيل الذى تخرج (**علمانيا**) **فى** مدارس الحكومات النظامية فى هذه المجتمعات . وانما فريق كبير من المثقفين ثقافة اسلامية تقليدية ومن الذين كانوا يحفظون القرآن يوما ما .. **ينافس** جيل العلمانية فى التودد الى **الفكر الدخيل** ، ويحرص على **الانتساب** اليه ، **قبل** الانتساب الى تلك الثقافة الاسلامية التى درسها أولا .
والقابلية للتبعية السياسية والفكرية فى أى مجتمع من شأنها أن تحول دون تحول المجتمع فى يسر الى (**الأصالة**) التى يريد أن يلتزمها فى : **منهج** التفكير ، والعمل السياسى معا .
ولكن ليس معنى ذلك : اليأس من اصلاح الشباب المسلم المعاصر على أساس من توجيه الاسلام ومبادئه . وانما هناك دون تحقيق ذلك صعوبات عديدة ، ان لم تتيسر دعوة مؤمنة رائدة ، يتهيأ لها من وسائل النشر والاعلام ، بالاضافة الى عرض قوى للاسلام : فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. ما يجعلها تأخذ طريقها فى قوة الى نفوس الشباب فى هذا الجيل الحاضر . ولا بديل عن الاسلام فى الحفاظ على استقلال هذه المجتمعات . وأى بديل الآن يظن أنه كاف فى سياسة الحكم والتوجيه فيها ، هو على سبيل القطع والتأكيد بداية لتبعية .. تنتهى حتما الى ذوبان لشخصيات هذه المجتمعات ، والى ضياع مقوماتها وهى : الخصوبة فى النسل ، ويسر الاعتقاد وهو الالتفاف حول : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، بدون وساطة وسيط ، أو سيادة حكم أو عصابة ، وتكامل اقتصادى قل أن يكون فى غير أرض المسلمين.
ان المجتمعات الاسلامية المعاصرة مهددة بخطر الضياع : فى استقلالها ، وفى ايمانها ، وفى اقتصادها . وان الشباب المسلم هو فى حيرة الآن ، ومهدد بالانتقال من هذه الحيرة الى تبعية فكرية وسياسية ، لا خلاص له منها . والمسئولون عن هذه المجتمعات يعيشون فى تصورات هى أقرب الى الاحلام التى مبعثها : اللاشعور فى الانسان .
اللهم اليك الأمر وحدك .



كان شباب من الأنصار سبعين رجلا يقال لهم القراء قال : كانوا يكونون في المسجد فاذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون يحسب أهلوهم أنهم في المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم حتى اذا كانوا في وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب فجاءوا به فأسندوه الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا يوم بئر معونة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلتهم خمسة عشر يوما في صلاة الغداة ..

ـ مسند أحمد ـ

عن علي قال : تقدم ـ يعني عقبة بن ربيعة ـ وتبعه ابنه وأخوه ، فنادى ، من يبارز ؟ فانتدب لي شباب من الأنصار ، فقال : من أنتم ، فأخبروه ، فقال : لا حاجة لنا فيكم ، انما أردنا بني عمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيدة بن الحارث » فأقبل حمزة الى عتبة ، وأقبلت الى شيبة ، وأختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد ، فقتلناه واحتملنا عبيدة .

مسند ابن ماجة

عن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل ، فاقرأه في شهر ، فقلت : دعني استمتع من قوتي وشبابي » . قال : « فاقرأه في عشرة » قلت : دعني استمتع من قوتي وشبابي ، قال : فاقرأه في سبع « قلت : دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى » .

مسند ابن ماجة

سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل : وشاب نشأ فى عبادة ربه : ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله . ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

البخارى

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب ، وهو فى الموت . فقال : (كيف تجدك ؟) قال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يجتمعان فى قلب عبد ، فى مثل هذا الموطن ، الا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف)) .

مسند ابن ماجة

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تزول قـدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيما عمل . .

الترمذى

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين : فى حب الدنيا ، وطول الأمل . قال ليث عن يونس وابن وهب .

البخارى

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه .

الترمذى

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

ان الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة .

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن أبى سعيد الخدرى قال جاءت امرأة صفوان بن المعطل الى النبى صلى الله عليه وسلم ونحن عنده فقالت يا رسول الله ان زوجى صفوان ابن المعطل يضربنى اذا صليت ويفطرنى اذا صمت ولا يصلى صلاة الفجر حتى تطلع الشمس قال وصفوان عنده قال فسأله عما قالت فقال يا رسول الله ، اما قولها يضربنى اذا صليت فانها تقرأ سورتين فقد نهيتها عنها قال فقال لو كانت سورة واحدة لكفت الناس واما قولها يفطرنى فانها تصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لا تصومن امرأة الا باذن زوجها قال واما قولها بانى لا أصلى حتى تطلع الشمس فانا أهل بيت قد عرف لنا ذاك لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس قال فاذا استيقظت فصل .

مسند أحمد

عن أبى امامة قال : ان فتى شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذنى بالزنا فأقبل عليه القوم فزجروه وقالوا مه مه .. فقال أدن فدنا منه قريبا قال فجلس قال أتحبه لأمك قال لا والله جعلنى فداءك قال ولا النـــاس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبـــه لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أتحبه لأختك قال لا والله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لاخواتهم قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك قال لا والله جعلنى الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يديه عليه وقال اللهم أغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شىء ..

مسند أحمد

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

فى حديث على بن أبى طالب فى سياق حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال استفتته جارية شابة من ختعم فقالت : ان أبى شيخ كبير قد أدركته فريضة الله فى الحج . أفيجزى . أن أحج عنه ؟ قـــال : ((حجى عن أبيك)) .

قال ولوى عنق الفضل . فقال العباس : يا رسول الله (لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال ((رأيت شابا وشابة ، فلم آمن الشيطان عليهما)) .

مسند أحمد

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن على رضى الله عنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : يا على هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين .

مسند أحمد

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ..

مسلم

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((أهل الجنة شباب جرد ، مرد كحل ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم)) .

سنن الدارمى

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

عن عبد الله بن مسعود ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء .

متفق عليه .



الحاجة إلى منهاج واضح لا يقع

قد يصف الطبيب للعليل داءه ثم يسمى له دواء لا يظفر به لقلـة ذات يده ، أو لأن الدولة لا تستورده غير أن ذلك لا ينبغى أن يكـون مانعا من تشخيص الداء وتسمية الدواء .

ومشاكل الشباب اليوم كثيرة متشعبة ، ولعل الانسانية منذ برأها الخالق تعالى وعز ، لم تشهد من مشاكل الشباب ، ومتاعبه ، والمتاعب به ، ما تشهده اليوم فى كل أنحاء الدنيا وسائر جوانب الارض ، لا نستثنى من ذلك بلدا ولا قطرا ولا عالما ، فالمادية الغربية والدائرون فى مدارها والمادية الشرقية والدائرون فى مدارها أيضا ، كلاهما حائر أبلغ الحيرة حيـال الشباب ومشاكل الشباب ، وشقاء الشباب ، والشقاء بالشباب ، ومعنى ذلك أن المشكلة عامة ، وأن الشقاء بها شامل فهل يعنى ذلـك أن علاجها لا بد أن يكون من العموم والشمول على مثل عموم المشكلة وشمولها فيدعى لها مؤتمر عالمى يحضره ممثلون من جميع أنحاء العالم على اختلاف المذاهب والملل والنحل لكى يبحث ويشخص الداء ، ويصف الدواء ؟

ذلك هو ما يقتضيه المنطق ويتلاءم مع هذه المقدمات ، ولكن المنطق فى دنيانا هذه لم يعد هو الحاكم الفارد بالقدرة على أخضـاع الناس ،

للشيخ أحمد حسن الباقوري

الشباب والمشكلات

بالشباب في حرج، وقدوة تلتزم هذا المنهاج التزاماً كاملاً

فالناس اليوم — كما كانوا وكما سيكونون — هم أسارى مطامع وليسوا أسارى مبادىء ..

واذن فلا بد أن يحل كل شعب مشاكله وحده، أو أن تحل كل شعوب تجمعها عقيدة واحدة وتاريخ واحد مشاكلها على ضوء من مبادئها وعقائدها وتاريخها ..

فالشباب فى عالم الشيوعية الشرقية لا يمكن حل مشاكله الا على أصول من الفلسفة التى قامت عليها المذاهب الشيوعية، وكذلك الشباب فى العالم الرأسمالى الغربى، لا يمكن حل مشاكله الا على أصول من الفلسفة التى قامت عليها المذاهب الرأسمالية الغربية، والشباب البوذى فى الشرق الأقصى له أيضا مشاكله، وليس من المستطاع حل مشاكله الا على أصول من فلسفاته القديمة التى قامت عليها مذاهبه ودياناته .. وليس فى وسع هذه المقالة أن تستبدل بهذا الاجمال فى هذا المقام تفصيلا أو شرحا يقصر أو يطول، فحسبنا من ذلك هذه اللمحات الدالة، والاشارات الرائدة ..

واذا كان لا بد فى هذا المقام من تفصيل، فان ذلك لا يمكن الا أن

يكون موصولا بشباب أمتنا العربية الاسلامية على ما فى ذلك من دقـــة المسلك وشدة الغرر وكثرة العقبات ، فان من الصعوبة بمكان مكين أن تجد السبيل ذلولا الى تربية الشباب تربية راضية مرضيـــة تشده الى مجادة العروبة وأدب الاسلام ، ذلك أن الكتاب الذى نقرؤه ، والفلم الـــذى نشهده ، والأندية التى نغشاها هى نفسها مشاكل تخـــلق فى الشباب المشاكل ، وليس فى الوسع أن نحرم على شبابنا موارد الثقافة العقليـــة والعاطفية وأن نحرمه من متع الحياة لنرده الى وراء قرونا طويلـــة لكى يعيش كما كان يعيش أسلافه ، لأن هناك فروقا لا سبيل الى جحودهـــا بين حياتنا أمس وحياتنا اليوم ، والذين يرون غير هذا الذى نرى ، يذهبون ــ فيما نظن ــ مذاهب تسلمهم بلا ريب الى متائه بلا حدود ومجاهل بـــلا أعلام ..

ان الضغوط المادية التى يعيش فيها شبابنا اليوم ضغوط لا يسلم من شرها الا أولو العزائم الصارمة وكل الذى نطمع فيه ويطمع فيه المنصفون هو أن نرد شباب أمتنا الاسلامية الى أن يعرف حقيقة أمته بما تنطوى عليه من أمجاد لا يجحدها عدو ، ولا يجهلها ولى ، وهذه المعرفة وحدهـــا قادرة قدرة كاملة على أن ترد عنه عوادى الفناء فى شرق أو غرب ، لأن الذى له أصل يعتزى اليه ويعتز به لا يسهل عليه أن ينسى أصله العريق ليعيش مسودا لسيد أو تابعا لمتبوع ، وانما يحرص أشد الحرص وأبلغه على أن يصون تراثه وأن يعتز بنفسه فردا يمثل أمته بأخلاقها العظيمة ومفاخرها الجليلة .

ان تربية الشباب فى كل عصر ، وفى كل أفق تحتاج الى منهاج وقدوة ومن شرط المنهاج أن يكون واضحا لا يقع بالناس فى الحرج الذى تأباه النفوس وتنفر منه الطباع ، والله لا يكلف نفسا الا وسعهـــا والله لـــم يجعل على المسلمين من حرج فاذا كان لهذا المنهاج أن يوضع على أصول سليمة ، وأن يلتزمه فى تربية شبابنا المثقفون من الأساتذة والمدرسين والقصاص والكتاب والمشرفين على الاعلام عامة ، فان ذلك أحد الأصلين اللذين لا بد منهما فى تربية الشباب « أعنى القدرة والمنهاج » وفى هـــذا الصدد لا بد لى أن أشير الى أننا أمة توزعنا الثقافات المختلفة فمنا من تعلم فى فرنسا أو فى انجلترا أو فى أمريكا أو فى المانيا أو فى ايطاليا أو فى روسيا وكل هؤلاء يعتزون بالثقافة التى تلقوها وانفعلوا بهـــا وتأثروا بها وأقاموا جوانب من حياتهم عليها . وربما بلغت بهم المطامـــع امادا بعيدة فى الاعتزاز بالشعوب صاحبة هذه الثقافات ، وكان من نتيجـــة هذا الغزو الفكرى الخطير **أننا أصبحنا أمما فى أمة وشعوبا فى شعب** ، ولهذا ينبغى أن نسعى الى أصل نجتمع عليه وندير ثقافاتنا من حوله فى غير تعصب مقيت ولاتزمت مميت ، وعن هذا تنشأ بيننا فى مختلف شعـــوب أمتنا الاسلامية وحدة فكر لا تنتقصها الأهواء ولا تتربص بها الشهوات ، وعن

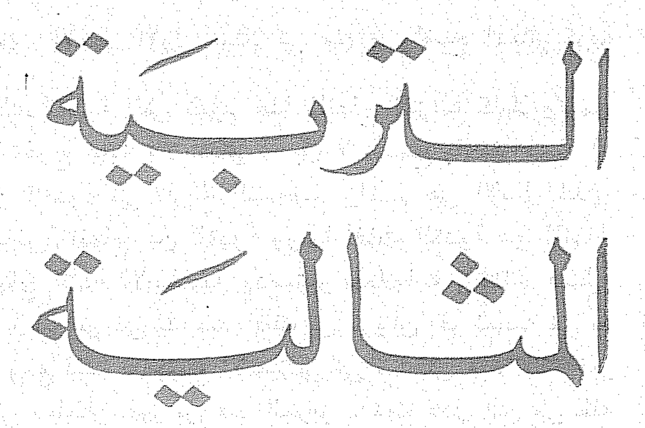
هذه الطريق فقط يقوم الأصل الأول ممثلا فى منهاج واضح المعالم كريم الغاية .

ويبقى بعد ذلك القدوة التى تلتزم هذا المنهاج التزاما كاملا وتؤمن به ايمانا عميقا فلا تخرج عليه ولا تتنكر له بل لا تسمح بالتنكر لـــه أو الخروج عليه ، فان القدوة فى تاريخ الشعوب والأمم هى الأصل الذى لا غنى عنه ، ولا يغنى المنهاج عن القدوة وربما أغنت القدوة عن المنهاج فان القرآن هو منهاج الأمة الاسلامية ودستور حياتها ، والقائم عـــلى توجيهها وأرشادها ، ثم هو فى يد عبد الملك بن مروان هو نفسه فى يد عمر بن عبد العزيز ومع ذلك فالمجتمع الاسلامى فى سلطان عبد الملك غير المجتمع الاسلامى فى سلطان عمر بن عبد العزيز . فهنا عدل أمن فى ظله الخائفون وهناك هوى خاف فى ظله الآمنون ..

وليس لذلك سبب مع وحدة المنهاج فى العهدين سوى القدوة بين الخليفتين ، وهكذا يستبين أثر القدوة لمن يرتادها فى جميع مجتمعات الاسلام ويستبين معها أن القدوة بلا منهاج أنفع للمجتمع وأقدر على تحصيل الخير من المنهاج بغير قدوة . وصدق الله العظيم حيث يقول « لقد كان لـــكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . »

وحيث يأمر من طريق التأنيب عباده المؤمنين بأن يقولوا للناس بعد أن يقولوا لأنفسهم ، ويأمروا الناس بعد أن يأمروا أنفسهم فذلك حيث يقول جل ثناؤه « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلوا » ، فالحاصل أن ها هنا ثلاث مراتب ، أعلاها أن تجتمع القدوة والمنهاج ، وأنزل منها درجة أن توجد القدوة بلا منهــاج ، وأحط المراتب أن يوجد منهاج بلا قدوة فتلك هى الطامة الكبرى ، والبلاء العظيم ، والمسلمون فى تاريخهم الطويل لم يقع بهم شر يهز مجتمعهم ، ويزلزل كيانهم الا من منافقة بعضهم بعضا ، وقولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، ودعوتهم الناس الى ما لا يدعون اليه أنفسهم ، فبهذا انحلت عرى موداتهم وضاعت الثقة بينهم ، وأصبح الكلام وحده هو الغاية المنشودة لعامتهم وخاصتهم فقامت به الحجة عليهم أكثر مما قامت لهم وتضرروا بما به أكثر مما انتفعوا ولهذا كان لا بد من القدوة تتمثل للشعوب فى حكامها وللطلبة فى المدرسين وللمصلين فى أئمة المنابر ولقراء الصحف والمجلات فى كتابها والمشرفين عليها والقائمين بشئونها ، فتلك وحدها هى السبيل الى الاصلاح فى كـــل مجالات الحياة سواء فى ذلك ما يتعلق بالشباب والشيوخ وما يتعلق بالحاكم والمحكوم ، وما يتعلق بالعامة والخاصة فذلك يفعل الناس فى كل المجتمعات على اختلاف المذاهب والديانات ، وكذلك يأمر الله وينظر المؤمنون .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .



تجارب عملية في تربية الأطفال وتوجيه الشباب

سألني صحفي قبل أيام : « هل تعاني مشاكل من تصرفات أولادك ؟ » فأجبته : « مشاكل ! ولماذا أعانى المشاكل منهم ؟ » .

واستغرب الصحفى من جوابى ، وسرد على ما يعانيه الأبوان من تصرفات أولادهم ، وقص على أمثلة من تمرد النشء الجديد على أبويهم ، ثم ذكر أن السيطرة على المراهقين والمراهقات بخاصة والشباب والشابات بعامة صعبة جدا ، وأن الوالدين فقدا السيطرة على ذريتهما من الجيل الجديد ! .

ولم أكن بحاجة الى سرد الأمثلة وقص القصص وضرب الأمثال ، لأننى أعرف ما يعرف وأسمع ما يسمع وأرى ما يرى . ولكننى اختلفت معه فى شيء واحد ، فقد صب اللوم كله على الأولاد ، وزعم أن الأبوين لا يستطيعان أن يفعلا شيئا لاستعادة سيطرتهما على أولادهما . أما أنا فصببت اللوم كله على الأبوين ، وذكرت له كيف يستطيع الأبوان فرض سيطرتهما على أولادهما بسهولة ويسر ولمصلحة الأولاد بالدرجة الأولى ومصلحة الأسرة بالدرجة الثانية .

ولم أصب اللوم كله على الأبوين عبثا ، فقد درست حالات كثيرة عن علاقة الاولاد بالأبوين ، فوجدت أن الوالدينيجنيان غرس أيديهما ، فلو أحسنا لأحسن أولادهما ، ولكنهما أساءا التربية أو قصرا فيها أو أهملاها اعتمادا على غيرهما من الناس أو المدارس ، فكانت النتيجة وبالا عليهما وعلى أولادهما على حد سواء .

وسأتحدث فى هذا المقال عن تجاربى العملية فى تربية الأطفال وتوجيه

اللواء محمود شيت خطاب

الشباب ، مستمدا هذه التجارب من تربيتى الأولى حين كنت طفلا ثم ترعرعت فأصبحت شابا ، ومن أسلوب تربيـــة أولادى ضمن نطاق أسرتى ، ومـــن توجيه الشباب فى الجيش حين كنت أعمل فيه .

تلك ثلاثة مصادر لتجاربى العملية فى التربية : الأولى متعلما مـــن الـــذين سهـــروا الليـــالى الطـــوال عـــلى تربيتى فى البيت والمدرسة والكلية ، والتى كان من ثمراتها أن أصبح كما يعرف الناس متمسكا بدينى ، مدافعا عن عقيدتى ، محبا للعلم ، مقدرا للعلماء ، مطيعا لوالدى الى أبعد الحـــدود .

والثانية معلما فى مجالين : مجال عائلتى الصغيرة التى هى أسرتى . ومجال عائلتى الكبيرة ، التى هى الجيش وكان من ثمراتها تربية أطفالى ليطيعوا نتيجة للاقتناع لا للقسر وللثقة لا للخوف .

والثالثة معلما أيضا فى الجيش ، لأن من جملة واجبات الضباط القاء المحاضرات الثقافية والتهذيبية والعسكرية ، وتربية الجنود وضباط الصف تربية سليمة ليكونوا عناصر مفيدة فى الجيش وفى الحياة المدنية على حـــد ســـواء .

وكم أتمنى أن يقرأ هذا المقال كل عربى من المحيط الى الخليج ، وكل مسلم مـــن المحيط الـــى المحيط ، ويتدبر معانيـــه ، ليعمـــل به مستفيدا من تجاربى العملية وخبرتى الطويلة ، اذا اقتنع بها اقتناعا كاملا ، فاذا لم يقتنع فيسرنى أن يبدى رأيه لأستفيد ويستفيد غيرى من تجاربه . المهم أن نجد الطريق السوى فنسلكه جميعا ، لننقذ أطفالنا وشبابنا من الضيـــاع ، اذ لست متفائلا ولا أظن غيرى من الذين يحرصون على حاضر الشـــعب العربى والأمة الاسلامية ومستقبلها متفائلا ، وهو يرى أبناءنا وبناتنـــا يبتعدون بسرعة مذهلة عن تعاليم الدين الحنيف والمثل العليا ، وينحدرون

بسرعة خاطفة الى مهاوى الانحلال والتفسخ ، حتى أصبح التماسك العائلى مهددا بالزوال ، وأصبح الرباط بين أفراد العائلة رباطا مصلحيا والمفروض أن يكون رباط مودة ورحمة ورحم .

ومن الصدف أن أشاهد ندوة فى الاذاعة المرئية ، طالب فيها قسم من النساء بحقوقهن ، وزعمن أنهن مظلومات بالنسبة للرجال ، وأنهن يردن المساواة الكاملة بالرجل . وكنت قبل أن أشاهد هذه الندوة أعتقد أن المساواة التى تطالب بها النساء تقتصر على حقوق التعلم وتسنم المناصب الحكومية وممارسة الأعمال الحرة والمهن التى يمارسها الرجال ، ولكننى بعد مشاهدة هذه الندوة فهمت معنى المساواة ، فقد قالت احدى المشاركات فى الندوة : « لماذا يسمح لأخى بالخروج من الدار فى أى وقت ولأية جهة دون رقيب أو حساب ولا يسمح لى ؟ » ثم قالت : « لماذا لا يحاسب أخى حين يمكث حتى الهزيع الأخير من الليل خارج الدار وأحاسب أنا ؟ ما هو الفرق بينى وبين أخى حتى أحاسب ولا يحاسب ؟! »

حينذاك فقط فهمت معنى المساواة على حقيقتها ، وفهمت معنى شعار : حرية المرأة ، التى دأبن ودأب قسم من أشباه الرجال على ترديده بمناسبة وبدون مناسبة .

وهكذا تكون المساواة ، وهذه تكون الحرية ، والا فلا !

ان محاسبة الأبوين للأولاد على تصرفاتهم الخاطئة ضرورى للغاية ، والأبوان اللذان لا يحاسبان الذكور على تصرفاتهم الشاذة ، يفسحان المجال للأناث بالمطالبة بمثل هذه المساواة وهذه الحرية .

وليس من مصلحة الذكور والأناث السهر خارج الدار الى وقت متأخر من الليل فى أماكن مشبوهة أو مع رفاق السوء ، فلا بد من وضع الأمور فى نصابها ، والا فالأبوان مقصران فى صميم واجباتهما الأبوية .

— ٢ —

واذا كانت التربية السليمة التى تؤدى الى ((**بناء الرجال والنساء**)) ضرورية لكل مجتمع فى كل زمان ومكان ، فان هذه التربية السليمة أصبحت قضية حياة أو موت بالنسبة للعرب والمسلمين فى هذا الوقت بالذات ، لأن اشاعة الانحلال الخلقى والفساد والترف والابتعاد عن تعاليم الدين الحنيف لا يخدم أحدا كما يخدم اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ، اذ أن الملوث جنسيا أو الملوث جيبيا لا يمكن أن يقاتل كما يقاتل الرجال .

فكيف نربى الأطفال ، وكيف نوجه الشباب ؟

وأبادر الى ابراز أهمية « المثال الشخصى » فى التربية والتوجيه ، فاذا كان المربى أو الموجه مستقيما : يطبق ما يأمر به غيره على نفسه أولا ، ويلتزم بما يقوله التزاما صارما ، ويفعل ما يقوله فانه ينجح فى تربيته وتوجيهه نجاحا باهرا ، ويطبع أطفاله فى البيت وتلامذته فى المدرسة وطلابه فى الجامعة بطابعه المتميز ويكون قدوة حسنة لهم يقتدون به ويقتفون آثاره ويسيرون على هديه ، ويكون مثلا أعلى لهم فى حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربى أو الموجه ، **يبنى الرجال والنساء** ، ويفيد دينه وأمته ووطنه ، وترتفع على أكتافه صروح الحاضر والمستقبل على هدى وبصيرة .

أما اذا كان المربى أو الموجه منحرفا ، لا يطبق ما يأمر به غيره على نفسه أولا ، ولا يلتزم بما يقوله التزاما كاملا ، ويقول ما لا يفعل ، فانه يخفق فى تربيته وتوجيهه ! اخفاقا تاما ، ويطبع أطفاله فى البيت وتلامذته فى المدرسة وطلابه فى الجامعة بطابعه المنحرف ، ويكون قدوة سيئة لهم يقتدون به فى النفاق ، ويقتفون آثاره فى التلون ، ويسيرون على نهجه فى التذبذب ، ويكون مثلا أدنى لهم فى حياتهم الخاصة والعامة .

مثل هذا المربى أو الموجه ، يحطم الرجال والنساء ، ويضر بدينه وأمته ووطنه ، وتنهار على يديه أعمدة الحاضر والمستقبل ، وتحل به وبأمثاله الكارثة على المصلحة العليا للبلاد .

ان واحدا من المربين أو الموجهين ، يعمل بما يقول : أكثر نفعا وأعظم تأثيرا فى الأطفال والشباب من آلاف المربين أو الموجهين الذين يقولون ما لا يفعلون ، ولو كانوا من أبلغ الناس خطابا وبيانا ، اذ أن الكلام الذى لا يصبح عملا فى نفس صاحبه يبقى كلاما ولا يصبح عملا فى نفوس الآخرين .

وشتان بين الأقوال والأعمال .

— ٣ —

وأبادر أيضا الى ابراز أهمية تطبيق تعاليم الدين الحنيف فى التربية والتوجيه ، وأن يكون المربى أو الموجه متمسكا بهذه التعاليم ، ليكون قدوة حسنة لأطفاله وتلاميذه وطلابه وجنوده وموظفيه وفلاحيه وعماله ، كل حسب واجبه ونطاق عمله : رب أسرة ، أو معلما أو مدرسا أو أستاذا أو ضابطا أو رئيسا فى دائرة حكومية أو مزرعة أو مصنع .. الخ .. .

ان الدين الاسلامى بالاضافة الى تعاليمه فى العبادات ، منهج للحياة وطريق للعمل الصالح وسبيل الى الخير ، يتضمن تعاليم مفصلة تتصل بالعلاقات الفردية والجماعية ، والمعاملات بين الناس ، وهى تعاليم أخلاقية سامية يأمر بالعفة والحياء والأمانة والصدق والاستقامة ، والكرم والسخاء والصبر ، والشجاعة والاقدام والتقوى ، والقناعة والاجتهاد فى العمل والاتقان فيه ، والطهارة والنظافة والعدل ، والاحسان والمروءة والعفو ، والرحمة والشفقة وايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة » ، وصدق عليه أفضل الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

هذا الدين العظيم ، يأمر بالأدب والرقة ، والتودد فى معاملة الناس ، والتوسط فى ازالة الخلافات بين الأفراد والجماعات ، والطاعة لأولى الأمر ما أطاعوا الله ، واحترام الوالدين ، وينهى عن سوء الظن والغيبة والتجسس والنفاق ، والتولى يوم الزحف والفحشاء والمنكر ، والبغى ، وشرب الخمر ولعب الميسر ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .. الخ ..

ولو مضيت فى تعداد ما أمر به الاسلام من مكارم الأخلاق وما ينهى عنه من الرذائل ، لطال بى السرد ولخرجت عن صلب الموضوع .

فاذا كان الأبوان يطبقان هذه التعاليم الأخلاقية الرائعة ، فانهما بدون شك يهيآن المناخ المناسب لتربية أطفالهما تربية سليمة صالحة موفقة .

وما يقال عن الأبوين ، يقال عن المعلم والمدرس والأستاذ والضابط والمسئولين فى الدوائر الحكومية والمصانع والمزارع والنوادى والمساجد والمصالح الخاصة والعامة .

أما اذا كان الأبوان بواد ، وتعاليم الدين الحنيف بواد آخر ، وكان المسئولون عن توجيه الشباب والناس عامة كذلك ، فانهم لا يؤدون واجباتهم كما ينبغى فى التربية والتوجيه ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، وواقعنا المرير خير دليل على ما أقول .

وصدق امام المربين وسيد الموجهين رسول الرحمة ونبى الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام : « من خاف على عقبه وعقب عقبه ، فليتق الله » .

— ٤ —

ان الآباء والأمهات الذين يريدون أن يفرضوا سيطرتهم على أولادهم بعد أن شبوا عن الطوق ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء تربيتهم تربية صالحة منذ أيام الطفولة ، يخفقون فى فرض سيطرتهم كل الاخفاق ، كما نلمس ونسمع ونشاهد اليوم ، حيث أصبحت السيطرة التامة بيد الأولاد على الأبوين لا بيد الأبوين على الأولاد ، مما أدى الى تصدع بناء الأسرة وحلول الكوارث الاخلاقية ، وأرخاء العنان للأولاد طوعا أو كرها .

ان ولد اليوم هو رجل المستقبل ، فيجب أن يكون الهدف من تربيته هو بناء المثل العليا فى نفسه لتكون طبيعة فيه ، حتى يتسنى له عندما يحين الوقت المناسب أن يؤثر فى الآخرين الى ما فيه الخير .

وهناك أمر يجب ألا نخطىء فيه ، وهو أن غرس أسس المثل العليا فى الطفل ، يجب أن يتم فى البيت ، وأن التربية الأساسية يجب أن تبدأ هناك . هذه التربية هى التى تؤثر فى الطفل وتوجهه طيلة حياته ، إما الى الخير واما الى الشر . وعلى أسس التربية السليمة التى تقام فى البيت ، سيبنى المعلم تربية الولد عندما يلتحق بالمدرسة ، فان لم تكن تلك الأسس قد غرست فى البيت من الأبوين فى الطفل ، فلا يستطيع المعلم أو أى شخص آخر أن يفعل شيئا فى تنمية التربية السليمة .

وما نسمعه اليوم عن « انحراف الأحداث » و « آثام الأحداث » ، سببه الرئيسى بدون شك هو اهمال الأبوين فى تربية الطفل .

وتجربتى العملية تحملنى على الاعتقاد بأن أسس التربية السليمة يجب أن تغرس فى الطفل من أول شعوره بالحياة وابتداء فهمه لما يجرى حوله من أعمال يتساءل عنها تارة ويقلدها تارة أخرى . وبصورة عامة ، تبدأ تربية الطفل عندما يصبح فى الثالثة من عمره ، فيرى والده يصلى مثلا فيسأله : ماذا تصنع ؟! فيقول الوالد : هذه صلاة لله . فيسأل الطفل : ومن هو الله ؟ فيقول الوالد : الذى خلقنا والذى يرزقنا ، والذى يوفقنا فى الحياة . .

وبأسلوب بسيط يجرى افهام الطفل عما يتساءل عنه ، وحينذاك سيصلى الطفل بدون متطلبات الصلاة وبأى شكل ، ولكنه بالتدريج يتعلم

ما ينبغى أن يفعل فى الصلاة ، فيكون من واجب الوالد تشجيعه ماديـــا ومعنويا ، فلا يبلغ السابعة من عمره الا ويكون قد أتقن اقامة الصلاة ، تلك الصلاة التى بدأ فى اقامتها تطبعا وتقليدا ، وبمرور الوقت أصبحت فيه طبعا وعقيدة .

وما يقال عن الصلاة ، يقال عن غيرها من أعمال البر والخير .

ان الطفل يجب أن يربى تربية تجعله يميز بين الخطأ والصـــواب ، ويتحلى بالصدق والاستقامة وحب الخير .

ولعل تعليمه الصلاة ، والصلاة عمود الدين ، بداية مباركة تعلمـــه بالتدريج كل خصال الفضيلة ، وكل فضائل الخصال .

ومن المناسب فى أيام الجمع والأعياد ، مرافقة الطفل الى المساجد للصلاة ، حتى يتعود ارتياد المساجد ، وحتى يتشرب بـــروح المسجـــد . وسيجد الطفل فى ارتياد المساجد نوعا من التسلية فى بداية الأمر ، حتى اذا كبر أصبح ارتيادها محببا الى نفسه ، يجد فيها راحة وسلوى واطمئنانا وأمنا .

وللمسجد فوائد للطفل والشاب ولغيرهما أيضا ، من هذه الفوائد أن يتعرف الطفل أو الشاب بأصدقاء طيبين أخيار ، يفيدون ولا يضرون ، ويبنون ولا يهدمون .

— ٥ —

ويسير الطفل الى جانب والده فى الطريق ، فيجدان فقيرا أو محتاجا يسأل الناس ويطلب المساعدة ، فيعطى الوالد شيئا من المال لولده ، ويأمره أن يقدم المال للفقير أو المحتاج . ويسأل الطفل أباه : لماذا ؟ فيقول : لا بد أن نساعد الفقراء والمحتاجين ، حتى لا يبقى أولادهم بدون طعام ولا ثياب . ثم يذكر الأب لطفله فوائد الصدقة ، وأن الله يبارك فى أموال المتصدقين ويدفع عنهم الضر والعوز .

واذا طرق فقير أو محتاج باب الدار ، فان الأبوين يقدمان للطفل نقودا ليقدمها بدوره الى الفقير أو المحتاج ، ويعود الى أبويه فرحا مستبشرا . وبمرور الزمن ، يتعود الطفل مساعدة من يحتاج الى المساعدة من مالـــه الشخصى ويجد راحة نفسية لذلك .

وعلى المائدة يبدأ تناول الطعام باسم الله ، ويكرر ذلك على مسمع من الطفل ، حتى يتعلم الطفل ما يسمعه ، ويردد ما يردده أبـــوه وأمه .

فاذا طرق الباب ضيف أو فقير ، بادر الأب الـــى الترحيب بالضيـــف ودعوته الى تناول الطعام ، وتقديم كمية من الطعام الى الفقير .

من ذكريات الطفولة ، التى لا أنساها ، أن جدتى لوالدى آثرت أن تبقى جائعة لتقدم طعامها الى ضيف قدم على غير ميعاد .

ومن ذكرياتى عنها أنها قدمت طعامها الذى كانت تتناوله الى فقير طرق الباب ، وهى تقول فرحة مستبشرة : « سهمى فى الجنة » .

وجاءها مرة فقير ، فلم تجد ما تقدمه لـــه ، فخلعت ثوبها وكسته ، به وحين عادت الى غرفتها لترتدى ثوبا آخر ، كانت مسرورة بعملها سرورا لا يوصـــف .

وكانت تردد كلما أكملت تنــاول الطعام : « اللهم أطعمنى ، فأطعم كل فقير » .

تلك ذكريات قليلة مما كانت تفعله ، أثرت فى نفسى فى حينه ولا تزال تؤثر فى نفسى حتى اليوم .

ولكننى لم أكن أدرى يومها ، أنها كانت تفعل ما تفعل ، بالاضافة الى ما كانت ترجوه من أجر وثواب من الله ، انها كانت تلقننى دروسا عمليــة فى التربية ، مكتفية بالتطبيق العملى حينا ، ومفسرة موضحة بالكلام البسيط بعض ما كان يخفى على من معان حينذاك .

والواقع أن هذه الجدة الأمية ، أثرت فى تربيتى بورعها وتقواها ، ما لم يؤثره فى كبار العلماء من القدماء فى مؤلفاتهم ومن المحدثين فى تماسهم الشخصى بى تلميذا وطالبا وزميلا .

ومرة ثانية . فان المثال الشخصى له أعظم الأثر فى التربية ، لأنــه عمل يصبح فى النفوس عملا ، وليس كلاما لا يلبث أن يتلاشى .

— ٦ —

واذا كان الأبوان هما المثال الشخصى لأولادهما : يقلدهما الطفل حتى يعقل ، فاذا عقل أصبحا أسوة حسنة له ، يقتفى آثارهما ، ويســلك سلوكهما ، ويرى ما يفعلانه حسنا فى نظره ورأيه ، فان المعلم والمدرس فى المدرسة ، والأستاذ والمؤلف فى الجامعة ، وضابط الصف والضابط فى الجيش ، والرئيس المباشر فى العمل ، والشيخ فى الطرق الصوفية ، هم المثال الشخصى الذى يؤثرون فى التلميذ والطالب والجندى والعامــل والفلاح والصوفى .. الخ ..

والأمة التى تريد أن تربى شبابها تربية مثالية ، عليها أن تعد المعلــم والضابط أعدادا مثاليا ، فهما رأس كل خير ، كما أنهما رأس كل بلاء أيضا .

انهما رأس كل خير ، اذا أحسنا فى اداء واجبهما ، وهما رأس كل بلاء اذا أساءا .

وقد كان وراء كل عظيم أب عظيم أو أم عظيمة أو أبوان عظيمان ربياه تربية صالحة ، أو كان وراء هذا العظيم معلم عظيم أو أستاذ عظيم ضابطا كان أو مدنيا .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه ، يجد وراء كل خصلة من خصالــه الحميدة قدوة حسنة من أب أو أم أو معلم أو أستاذ ، أو قريب أو صديق .

وكل واحد منا ، اذا راجع نفسه أيضا ، يجد وراء كل رذيلة من رذائله قدوة سيئة من أم أو أب أو معلم أو أستاذ ، أو قريب أو صديق .

واذا كان لدى ما أنصح به شباب اليوم فهو مطالبتهم بالاستقامــة وعمل الخير ، والاستفادة من أوقاتهم فى العلم والتعلم ، والحرص علــى المصلحة العامة وايثارها على المصلحة الخاصة .

ان التربية المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ، هى التى تيسر كل هذه الخصال .

المسلم الحق الصادق لا يكذب ، نزيه لا يتلوث ، قوى لا يضعف ، أمين لا يخون ، طاهر الذيل لا يزنى ، مخلص لا يراوغ كريم لا يبخل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة فى الأرض ، يقول الحق ولو على نفسه ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والاشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكرى ، ويقاوم الغزو الحضارى ، ولا يقنط أبدا ولا ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق يقظ أشد اليقظة ، حذر أعظم الحذر ، يتأهب لعدوه ويعد العدة للقائه ولا يستهين به فى السلم أو الحرب .

ان التربية الاسلامية تعد المسلم ليكون عنصرا مفيدا فى الأمة الاسلامية من الناحيتين العسكرية والمدنية ، لذلك حمل المسلمون عندما كانوا مسلمين حقا للعالم حضارة عظيمة وكانوا فى الحرب لا يغلبون من قلة أبدا .

— ٧ —

لا بد من اعادة النظر فى : بناء الرجال والنساء ليكونوا دعامة وسندا المستقبل ، ولتكون الأمة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس .

والسبيل الى ذلك هو :

(أ) يجب أن يتحمل الآباء والأمهات واجباتهم كاملة فى تربية الطفل ، لأن كثيرا منهم قد أهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة ، فيجب تلقين الأطفال مبادىء الدين الحنيف وأسس الخلق القويم فى البيت قبل الالتحاق بروضة الأطفال والمدرسة .

ان الطفل الذى لا يتلقى التربية الصالحة من والديه فى بيته قبل ذهابه الى الروضة والمدرسة ، أو يتلقى تربية فاسدة فى البيت ، فان الروضة والمدرسة تعجز عن تقويم اعوجاجه التربوى ، ومن المؤسف أن كثيرا من المدارس لا تعلم التدين ، وأن بعضها يعلم ما يتناقض مع الدين . . ولا أزيد .

ان البيت هو المدرسة الأولى للأطفال ، وفيه يوجهون مبكرا الى الخير أو الشر . والأطفال أمانة لدى الوالدين ، والسيطرة على الأطفال واجب من واجبات الوالدين ، والسبيل اليها التربية المثالية المبكرة ، حيث يقتطف الأبوان ثمرات هذه التربية حين يشب طفلهما ويصبح شابا ، وحينذاك لا يعصى لهما أمرا .

ان الوالد الذى لا يربى أولاده تربية سليمة فى البيت ، ولا يسيطر عليهم سيطرة الثقة المتبادلة لا سيطرة التحكم والتعسف ، خائن وجبان .

والذى يدع عرضه نهبا لأعين الفساق خائن وجبان وديوث .

(ب) اعادة النظر فى تربية النشء العربى الاسلامى ، ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف .

ان تفشى التردى الخلقى بين أبنائنا ، يخدم اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ، فلماذا نخرب بيوتنا بأيدينا ؟؟ !! ان إعداد المعلم والأستاذ والضابط إعدادا سليما هو مفتاح الاصلاح التربوى ، فلا بد من إعطاء هذه الناحية أعظم درجات الاهتمام .

يجب أن ندخل التعليم الدينى فى مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا ، وأن نعد مناهج هذا التعليم بتوجيه علماء الدين الحنيف .

ومن المؤلم أن التعليم الدينى حورب فى البلاد العربية والاسلامية محاربة لا هوادة فيها ، حتى تلاشى هذا التعليم فى المدارس والمعاهد والكليات أو كاد .

ومن المذهل حقا أن رجال التربية والتعليم العرب والمسلمين هم الذين ذبحوا التعليم الدينى فى بلادهم بغير سكين ، وبذلك نفذوا أهداف الاستعمار والصهيونية فى سلب العقيدة من المتعلمين !

فهل يمكن أن نصدق أن ذلك جرى عفوا ؟ أم أن الأيدى الخفية كانت وراء الأكمة ؟ فسخرت التافهين والامعات والعملاء وأشباه الرجال لوضع مخططاتها التخريبية فى موضع التنفيذ .

(ج) يجب بناء المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية ، واعداد المعلمين القادرين على تدريس الدين واقامة شعائره والقاء المحاضرات الدينية ، وحث التلاميذ والطلاب على أداء الفرائض وعلى رأسها الصلاة .

وقد دأب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية ، فلماذا لا يسافرون لأداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة سنويا فى كل قطر عربى واسلامى ؟!

أليس من الغريب أن نسفر التلاميذ والطلاب الى الشرق والغرب ، ولا نسفرهم ولو مرة واحدة الى الديار المقدسة ؟!

لقد سافرت لأداء فريضة الحج يوم كنت فى السنة الثالثة من المدرسة المتوسطة مع وفد مؤلف من التلاميذ والمعلمين ، فأثر ذلك فى نفسى تأثيرا لا تمحوه الأيام ، ووجهنى الى الدين الذى هو مصدر الخير والنور والبركة ، فلماذا لا تكرر هذه التجربة على أكبر عدد من التلاميذ والطلاب والمعلمين والمدرسين والأساتذة ؟

(د) مراقبة تصرفات التلاميذ والطلاب والمدرسين والأساتذة ، ووضع حد حاسم للانحراف ، والمنحرفين بحزم وأمانة وقوة ، لمصلحة أولئك المنحرفين أولا وقبل كل شىء .

ان « الحرية » التى بدون قيود هى « فوضى » ، والحرية الحقة هى فى التصرف ضمن اطار الفضيلة والخلق الكريم .

أننا لسنا بحاجة الى « حرية » التفسخ والانحلال والضياع .

ان عقلاء الأجانب ومفكريهم متذمرون من ضياع شبابهم ، فلماذا نستورد الانحلال من وراء الحدود باسم المدنية والحضارة والحرية .. الخ .. من شعارات .

(هـ) على الدول العربية والاسلامية أن تشجع الفضيلة وتقضى على الرذيلة ، وان نولى مقاليد الأمور الملتزمين بالفضيلة والدين حتى يكونوا أسوة حسنة لغيرهم .

وعلى هذه الدول تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية وتحريم استيرادها وانتاجها وبيعها في بلادها ، وأن تمنع استيراد الأفلام الخليعة

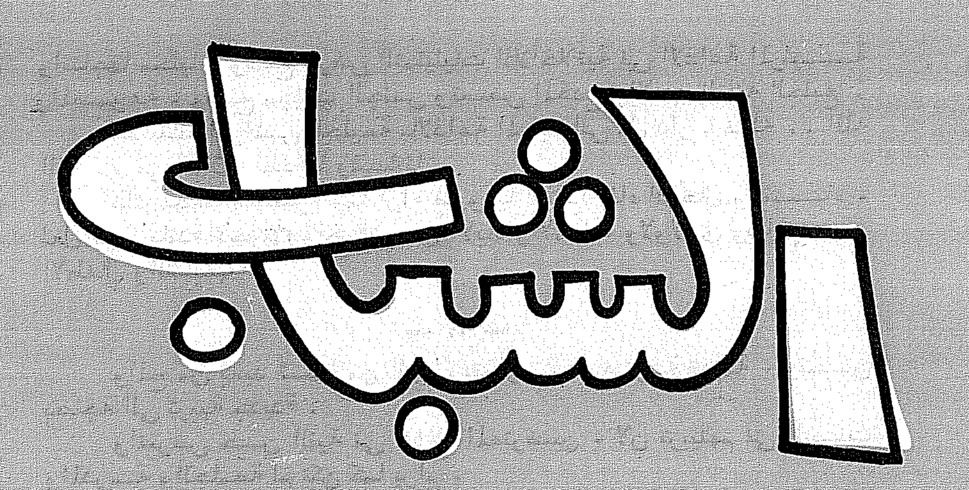
وانتاجها محليا ، وتمنع عرض التمثيليات اللاأخلاقية فى الاذاعة المرئيـــة والمسموعة ، وتمنع مجلات الجنس وقصص المخدع والأدب التافه الخليع .
لقد نقلنا المراقص الخليعة بالاذاعة المرئية الى كل دار ، فالله .. الله الله .. فى أخلاق أطفالنا وشبابنا .
تلك لمحات مختصرة مما أراه ضروريا لاعادة بناء الرجال والنســاء ، لعل فيها فائدة لأخوتى وأخواتى من الآباء والأمهات ولأولادى وبناتى مـن الأطفال والشباب .

— ٨ —

وألمح من بعيد قسما من القراء يقولون : هذه تربية قديمة ، ونحـن بحاجة الى تربية جديدة .
وأفترض حسن النية فى هؤلاء المعترضين ، لأن تربيتهم فى البيـت والمدرسة والجامعة لم تكن كما يرام .
وأفترض حسن النية فى هؤلاء المعترضين ، لأن تربيتهم فى البيت والمدرسة والجامعة لم تكن كما يرام .
هذه التربية المنحرفة فى عقر دارهـــا ، والمستـــوردة حسب مخطط مشبوه ، هى التى أدت الى انحراف الأحداث والشباب ، فأصبحوا يفكرون بأنفسهم ولا يفكرون بغيرهم ، ويرون الحياة ، « مادة » بحتة تتركز فـى البطن والجيب والفرج ، خالية من الروح بما فيها من سمو وخير وبركة ..
هؤلاء الذين أصبحوا نتيجة لتربيتهم المنحرفة المشبوهة ، يعانون من عقدة مركب النقص تجاه التربية الغربية وعقدة مركب العظمة تجاه التربية الاسلامية ...
لهؤلاء وحدهم لا لغيرهم من الذين أنعم الله عليهم بالايمان ، سيتركز حديثى فى مقال آت ، عن آراء المشير مونتكومرى فى التربية التى سطرها فى كتابه الأخير : « السبيل الى القيادة » ، وهو آخر مؤلفاته بعد أن بلغ الثمانين أو أكثر .. لعل فى آرائه ما يقنعهم بوجهـــة نظرى ووجهـــة نظر السلف الصالح من علمائنا الأبرار .
وأشهد أننى قارنت بين آراء مونتكومــــرى التربوية وآراء الامـــام الغزالى التربوية فى كتابه : « أحياء علوم الدين » فوجدت آراء الغـــزالى عليه رضوان الله أكثر دقة وأشمل تفصيلا وأدق بحثا وأوضـــح منهجا ، وأقوم أسلوبا وأقرب الى الواقع من آراء مونتكومرى !!
ولكن ما حيلتنا مع الذين استهوتهم شياطين الغرب ، وبهرتهم مدنيته وحضارته ، واستحوذ عليهم الاستعمار الفكرى البغيض ؟؟!!

اعتــــــــذار

لم يتسع هذا العدد لاستيعاب المقالات التى تفضل بارسالها السادة الكتاب اسهاما منهم فى هذا العدد الخاص بالشباب ولهذا نأسف لتأخير بعضها الى العدد القادم .



تربيته ومشكلاته

للأستاذ
عبد الكريم الخطيب

— ١ —

لا نحسب مجتمعا انسانيا فى أمة من الامم ، وفى أى زمن من الازمان، لم يشهد هذه الظاهرة التى تثير حوارا دائما متصلا بين جيل الآباء وجيل الأبناء ، بين جيل قام على الحياة فى مجتمعه يسوسها ، ويدبر أمرها ، وجيل يتهيأ لميراث القوامة على هذا المجتمع والامساك بدفة سفينته يدفع بها فى عباب المستقبل ..

وأول ما ينبغى الالتفات اليه فى هذا المقام ، هو النظر الى هـــذا الحوار على أنه أمر طبيعى لا بد منه عند التقاء الأجيال ، وهو علامـــة صحة وحياة فى المجتمع ، أكثر منه أعراض مرض ، وافراز آفة ، كما يحلو لبعض الناس أن يسميه ..

واذن فلا يقع هذا الحوار الذى تشهده الحياة بين جيل الشيوخ وجيل الشباب موقع انكار ، أو استغراب بل المنكر والمستغرب حقـــا هو ألا يقوم هذا الحوار ، وألا يتصل بين الأجيال المتعاقبة على الحياة .. وأنه اذا كان لنا أن نسمى هذا الحوار مرضا ، فهو مرض انسانى ، ملازم للطبيعـــة البشرية ، لا تتخلص منه أبدا .. أشـــبه بتلك التغيرات

● الحوار بين جيل الشيوخ وجيل الشباب ليس موضع انكار واستغراب .
● أنه من الخير للجيلين أن يلتقيا على تفـــاهم وتصالح .
● الخطر الذى يتربص الشباب من جانب المذاهب المنحرفة .
● العقيدة الدينية هى الصخرة التى تتحطم عليهـــا كل دعوة ضالة .
● الوجودى يعيش عاريا جسدا وروحا عقلا وقلبا .

الجسدية والنفسية التى تظهر على كل فتى أو فتاة عند المراهقة ، حيث يلتقى الصبا مع الشباب فى الكيان الجسدى ، كما يلتقى الشباب مـــع الشيوخ فى كيان الجسد الاجتماعى ..

فهذا الحوار الذى يقوم بين الاجيال عند ملتقى كل جيلين ، هـــو تعبير طبيعى عن حقيقة كامنة فى كيان المجتمع ، ينبغى أن نتقبله ، وأن نوسع صدورنا له ، سواء جرى هذا الحوار سهلا سمحا ، أم وقـــع ثائرا عاصفا .. فان الطبيعة لم تستقم معنا على وجه واحد ، فيما نتقلب فيه من شئونها ، فهى خصب وجدب ، ونسيم وســـــموم ، وزمهرير وحرور ، ونور وظلام .. وهكذا .. وانه لا يصلح أمرنا مع الطبيعة ، اذا نحن أعلنا الحرب عليها ، وحاولنا أن نغير مجراها ، ونخرج بها عن سنن الكون التى أودعها الخالق جل وعلا فى أرضـــها وسمائها ، فى ذراتها ومجراتها .. فذلك أمر ان حاولناه وتصدينا له ، لم نحصـــل منه على طائل ، وضاع فيه جهدنا هباء ، لان سنن الطبيعة لا تقـــاوم ممن هم محكومون بسننها ، وهم نحن البشر الذين هم بعض هـــذه الطبيعة . .والاسلوب الحكيم الذى تلقى به الكائنات نواميس الطبيعة، هو مصالحتها ، ومصانعتها ، وتحويل دفة السفينة الى اتجاه تيارها ، وافراد قلوعها على مهب رياحها ، والا تحطمت السفينة عند اول صخرة يلقى بها التيار اليها ..

هكذا نجد كائنات الحياة جميعها ، من أدنى درجاتها الى أعلاها، تكيف وجودها مع الطبيعة ، وتلبس لكل حال من أحوالها الثوب الملائم

لتلك الحال ، وبهذا تتناغم مع لحن الطبيعة ، وتنسجم مع أنغام الوجود، ولم نجد كائنا من الكائنات حاول أن يخرج على سنن الطبيعة ، ويتحدى أحكامها ، ثم سلم من العطب ، أو نجا من الهلاك .. وهكذا انقرضت كثير من الكائنات ، من أنواع النبات والحيوان ، لانها لم يكن لهـا من ذاتيتها هذا الاستعداد الذى تتلاءم فيه مع ظروف الطبيعة ، وأحوال البيئـة ..

— ٢ —

فاذا سلمنا بهذا الحوار ، أو هذا الصراع الذى يقوم بين أجيال الناس — ولا بد أن نسلم به طوعا أو كرها لانه طبيعة وجود وسـنة حياة — اذا سلمنا بهذا الحوار ، خف على أنفسنا ما نشهده من خروج الشباب على أسلوب الحياة التى يحياها المجتمع ، ذلك الاسلوب الذى تحكمه أفكار وتصورات ، وتضبط ناموسه عادات وتقاليد وأوضاع ، هى من صنع جيل أو أجيال لم يشارك الجيل الجديد الناشىء فى صنعها، ولم يعطها من وجوده ما أعطت الاجيال السابقة من أفكارها ، وخواطرها .

وانه لمن قبيل التحكم الظالم أن يحرم الشباب حقه من المشاركة فى صنع الحياة التى يحياها ، وأن يعد نفسه للدور الذى سيقوم به على ميراث عريض ، هو تركة الاجيال السابقة كلها .. وانه لمن التصـور الخاطىء أن يفهم الجيل المتقدم أن الحياة له وحده ، وأن له أن يفرض على المجتمع آراءه وأفكاره وأسلوب حياته ، غير عامل حسابا للجيـل الناشىء الذى يشاركه هذه الحياة ، بل والذى يتهيأ لأن يستقبل الى حد ما بتوجيه مسيرتها فى مرحلة من مراحل رحلة الحياة !

فالحياة قسمة مشتركة بين الجيل القائم والجيل الناشىء .. وانه لمن خير الجيلين معا أن يلتقيا على تفاهم وتصالح .. وذلك لا يكون الا اذا عرف كل من الجيلين موضعه من الآخر ، والا اذا اعترف كل من الجيلين بحق صاحبه ، وأفسح له المكان الذى يحقق به وجوده ، ويحفظ عليه ذاتيته .. انهما للمجتمع أشبه بالجناحين للطائر ، وباليـدين للانسـان ..

— ٣ —

على أن الحياة لا تجرى فى كل حين على هذا الاسلوب من التفاهم والتصالح بين الجيلين المتقابلين — الجيل السابق ، والجيل اللاحق — بل كثيرا ما يخرج الامر بينهما الى أن يكون نزاعا وخلافا ، يبلغ فى بعض الاحيان الى اعلان الحرب بينهما ، يرمى كل من الطرفين صاحبه بألوان شتى من التهم .. فالجيل السابق فى نظر الجيل الناشىء ، هو بقايا حياة ، ومخلفات معركة الحياة ، قد امتصت الحياة حياته ، وصدع الزمن مغارسه ، فلم يعد صالحا لان يخرج زهرا ، أو ينضج ثمرا .. والجيل الناشىء فى حساب الجيل السابق ، هو أشبه بنبتة البقـلة الحمقاء ، تنبت فى مجرى السيل ، فتمتلىء عروقها ماء تستغنى به عن أن تضرب بجذورها فى الارض حتى تستنبط الماء من بطن الثرى ، فاذا انقطع المطر ، وجف مجرى السيل ماتت وشيكا !!

وليس بمنكور أن يخرج الشباب عن جادة الطريق التى يسير عليها الآباء ، وليس بمنكور كذلك أن ينكر الآباء على أبنائهم هذا المسلك الذى سلكوه .. فهذا الذى يأتيه الابناء هو حق لهم ، وهذا الذى يكون من

الآباء للأبناء هو حق لهم ، وواجب عليهم فى وقت معـــا .. فللأبناء أن يجربوا الحياة بأسلوبهم الخاص الذى يوائم طبيعة الشباب ، ويستجيب لنداء هذا الدور من حياته ، وللآباء أن يقفوا على الشاطىء يرقبـــون أبناءهم ، وهم يسبحون فى بحر الحياة ، ويضربون بأيديهم على أمواجها، ليتعلموا العوم .. فاذا بعد بعض الابناء عن الشاطىء ، أو جرفه التيار الى منطقة الغرق ، كان على الآباء أن يفعلوا فعل رجـــل الانقاذ فى مواجهة من يشرف على الغرق ، همه كله فى انقاذه ، وانتشاله مـــن يد الموت الممتدة اليه ..

— ٤ —

ان الشباب هو غرس الجيل الذى سبقه الى الحياة ، والذى تعهده رضيعا ، وصبيا ، وغلاما ، وفتى ، وشابا .. والذى علق عليه آماله، وانتظر منه ما ينتظر الزارع من زرعه ، من ثمر طيب ، ومحصول وفير . وان هذا الذى يوجه الى الشباب من لوم ، وما يقع على آذانهم من نقد ، وما يلقاهم به الآباء ، والمربون والمصلحون من تجهم أحيانا ، ومن انكار وسخط أحيانا أخرى ، هذا كله وكثير غيره هو من قبيل الحرص على الشباب ، والحراسة لعقولهم القاصرة أن يغتالها الغرور ، ولقلوبهم الغضة أن تصبح مرعى لآفات الغواية والضلال ، التى تباكرهم قبـــل أن تشتد أعوادهم ، وتعمق جذورهم ، وتتفتح زهـــرات ملكاتهم ، وتستحصد ثمرات عقولهم ..

فالشباب يمثل أخطر مرحلة فى حياة الانسان ، حيث يتعرض — لأول مرة — لممارسة الحياة ، والاستقلال بالسباحة فى بحرها المتلاطم، أشبه بالطائر يخرج من عشه لاول مرة يحاول أن يحلق فى الجو بجناحيه الواهنتين .. انه لا يقدم على تلك التجربة الا وبين يديه ومن خلفه أبواه. فان حدثته نفسه بأن يخرج فى غفلة منهما انقض عليه طائر فاختطفه، أو خانه جناحاه ، فهوى الى الارض صريعا .. !

— ٥ —

ولقد تولت الشرائع السماوية والوضعية رسم الدستور الذى يربى عليه الشباب ، وتزويده بالزاد الذى يقطع به رحلة الحياة مسلحا بكل سلاح ، تعينه عليه ظروفه وأحواله ، وتسعفه به طبيعة مجتمعه ، حتى يستطيع أن يمضى فى طريقه ، وأن يدفع بالسلاح الذى فى يده ما يلقاه على طريق الحياة من أكثر من عدو يهاجمه فى كل موقع منمواقع الحياة منه .. فى عقله وفى روحه ، وفى وجدانه ..

والخطر الذى يتربص بالشباب على طريق الحياة ، انمـــا يكون أكثر مهابة من جهة أصحاب الفلسفات المريضة ، والمذاهب المنحرفة ، والآراء الضالة ، ممن يخيل للشباب منهم أنهم طلائع الفكر فى العصـــر ، وقمة الحياة العقلية فى مجال العلم ، والفن ..

فهؤلاء المنحرفون انما تروج آراؤهم ، وتشيع مذاهبهم فى عالم الشباب الذى يستهويه هذا الغى ، ويستغويه هذا الضلال ، حيث يجد الشباب عند اول طرقه لأبواب الحياة ، طريقا مفتوحا ، الى دنيا المنحرفين ، تقوم على جانبيه ومن بين يديه ومن خلفه نافخات الابواق من مهـــاب الفتنة ، ومسارح الغواية والضلال ، فيتهافت الشباب على شباك هذه

الموائد المنصوبة لصيده ، ويترامى عليها كما يترامى الفراش على النار، يحسبها ألوانا من الزهر ، فى خميلة من خمائل الربيع !

وهناك جهة أخرى تغرى الشباب بهذه الضلالات ، وتدفعه دفعا الى تلك الشباك المنصوبة له ليس مصدرها هؤلاء الضالون المنحرفون من رجال الفكر والأدب ، والفن ، وانما مصدرها الشباب نفسه ، أو بمعنى أدق بعض الشباب ، ممن يقعون فريسة سهلة لتلك الدعوات الضالة ، التى ينزلقون اليها ، ويغرقون فى لججها .. فهؤلاء الشبان الذين أغواهم هذا الغى ، يمثلون طليعة الهزيمة لجيش منهزم فى معركة الحياة ، وهم بهذا يفتحون طريقا للجبناء ، وضعاف الايمان ، وسرعان ما يكثر المتدافعون على طريق الهزيمة ، ثم لا يلبث الجيش كله أن يركب هذا الطريق ، مجللا بالخزى والعار .. فانه ليس أكثر اغراء للشباب بركوب الضلالات ، والتزيى بكل بدعة ضالة ، من الشباب نفسه ، ومن التعرض من بعض أفراد منهم لحمل جرثومة هذا المرض الخبيث ، حيث لا تلبث العدوى أن تنتقل الى جماعة الشباب كلها ، كما تنتقل النار الى أعواد الهشيم ..

— ٦ —

والعقيدة الدينية ، وما يدور فى فلكها من عبادات ، ومعاملات ، ووصايا ، وأخلاقيات ، ومثل ، وانسانيات ، هى الركيزة القوية التى يقوم عليها بناء الكيان الانسانى كله ، مادة ومعنى ، جسدا وروحا .. وهى (المصل) أو (اللقاح) الذى اذا باكر حياة الشاب ، ومازج عقله، وسكن الى قلبه كان له منه حصانة تؤمنه من أن يكون ضحية من ضحايا تلك الدعوات التى تغرر بالشباب ، وتلقى بهم فى عالم التيه والضياع .

لهذا كان الدين ، وكانت العقيدة فى وجه عداوة حقود عند أصحاب البدع والضلالات ، لان العقيدة الدينية هى التى تتحطم على صخرتها العتيدة الصلدة كل دعوة ضالة ، ويستخزى أمام جلالها وبهائها كل مذهب غوى آثم ..

ومن هنا كانت دعوات الكفر ، والالحاد ، هى السلاح الذى يرمى به الغواة والمضللون فى وجه أصحاب الاديان والمعتقدات التى تؤمن بالله ، وبرسل الله ، وباليوم الآخر ، وبالحساب والجزاء ، والجنة والنار .. وفى تقديرهم أنهم اذا استطاعوا أن يكسروا هذا السد المنيع ، لم يكن للمحتمين خلف هذا السد من عاصم يعصمهم من الغرق، فى أمواج الاهواء ، والفتن ، والضلالات ، التى لا ممسك لها ، بعد انهيار حائط الايمان ..

والشباب — لا شك — هو أول ضحايا هذه الكارثة التى تنجم عن سقوط قلعة الدين ، وأول مغنم يقع ليد هذا الغزو البربرى الذى يحارب بسلاح المادية الملحدة خصما أعزل مجردا من سلاح العقيدة ، الذى ليس ثمة من سلاح غيره يفل كل ما تلقى به المادية فى ميدان القتال من عدة وعتاد !

— ٧ —

فالله ، والبعث ، والجنة ، والنار .. كلها عند الماديين أضغاث أحلام ، وتصورات وهم خداع ، ورؤى جياع ومحرومين ، مثلها الضعف الانسانى ، وجسدها الواقع الأليم المرير للحياة ، وما يجد فيها الناس من

آلام وشقاء ، وما يرميهم به القدر الأعمى بيده العسراء التى لا ترحم .. فكان الفرار من هذا الواقع الكريه والهرب من وجه هذه الحياة الكالحة الكئيبة دعوة مستجابة عند الناس ، انتهزها رجال أذكياء خبثاء فرصة مواتية ، فأقاموا للناس هذا العالم الغيبى ، من وراء العالم الذى يعيشون فيه ، ونصبوا لهم موائد فاخرة زاخرة ، أجلبوا اليها كل ما يبلغه الخيال من ألوان النعيم ، الذى تتراقص صوره وأشباحه فى مخيلة المكدودين والمحرومين ، الذين أغراهم هذا السراب الخادع ، فتدافعوا اليه ، وتواردوا على موارده !

هكذا يتحدث الماديون عن الدين ، وعن الحياة الآخرة ، وما وعد المؤمنون فيها من جنات تجرى من تحتها الانهار .. فـمـا الديانات ، والمعتقدات الدينية التى تشد الناس الى الحياة الآخرة ، وتصل وجودهم الدنيوى الفانى بوجود آخر ، خالد لا يفنى .. ما هى الا أوهام وأضغاث أحلام ، فتحت للناس أبوابا واسعة يهرب منه الجبنـاء ، وضـعاف الأحـلام من مواجهة الواقع ، كما يهرب شارب الخمر باغراق نفسه واغراق همومه معها فى كأس الخمر .. فاذا صحا من خماره طلعت عليه همومه فى صورة أشد نكرا ، وأمر طعما ، فلا يجد مهربا منها الا أن يقيم على كأس لا تفرغ أبدا ، والا على سكر لا صحو معه ..

وهكذا وجدت المادية فى دعوة كدعوة المزدكية ، والخرمية قديما ، وكدعوة (الوجودية) — وجدت —دينا اسمته دين الحياة، أو دين الواقع، أو دين الوجود .. الى ما شاءت من أسماء أطلقتها على هـذا المولود المشئوم ، لتجعل منه نبيا يبشر بهذا المذهب البهيمى ، الذى يحل الانسان من كل التزام انسانى ، او اجتماعى ، او خلقى ، ويرسله هكذا هملا يرعى مع الدواب ، ويساكن الهوام والحشرات ، لا يرفع بصرا الى السماء أبـدا ..

وكما أن لكل دين فلسفة ، ولكل فلسفة منطقا ، كذلك كان للوجودية فلسفتها ومنطقها ، كى ينخدع الشباب بهذه الفلسفة وذلك المنطق ، وكى يحسب نفسه فى عداد الفلاسفة والحكماء !

وأول ما تنادى به الوجودية ، وتقيم عليه فلسفتها المريضة هـو (القوة) .. فمن كان يجد فى نفسه الشجاعة ، ويرى فى وجده القوة — كان جديرا بأن يدخل عالم الوجودية ، ويجد له مكانا رحيبا فيه ، ومن افتقد القوة والشجاعة فلن يجد سبيلا الى هذه الجنة الارضية التى يحلم بها المؤمنون فى ملكوت الله .. !

واذن فليكن الانسان شجاعا ، وليخلع أردية الزيف والضلال من ديانات ومعتقدات ، وتقاليد ، ليخلع كل هذه الاغطية التى نسجها لـه الامل الكاذب ، المتولد عن الالم ، والحرمان ، والشقاء ، والخوف الذى ترمى به الحياة أبناء الحياة .. ليخلع الوجودى كل هـذه الاغطية ، وليخرج الى الحياة عاريا كما ولدته أمه ، وليولد ميلادا جديدا .. عاريا جسدا ، وروحا ، عقلا وقلبا ..

ليكن الوجودى ابن الطبيعة .. لا ابن المجتمع ، ولا ابن العقيدة ، ولا ابن أبويه !!

ليتعر جسده ، فلا يتدثر بشىء فى برد أو حر ..

وليتعر روحه .. فلا يتجمل بخلق أو فضيلة ..

وليتعر عقله .. فلا يمسك برأى ، ولا يحتفظ بفكرة ..

وليتعر قلبه .. فلا ينبض بحب أو بغض ، ولا يخفق بشفقة أو رهبة ..

انه اذ يفعل ذلك يكون الانسان الذى عرف ذاته ، وحقق وجوده، وعاش حياته ، وملك أمره ، وأصبح سيد نفسه ، وأطلق انسانيته من القيود التى كبلها بها الدين والمجتمع ظاهرا وباطنا ..

يقول الفيلسوف الوجودى المعاصر (كارليل) مخاطبا الانسان بلسان الدين الوجودى :

(لماذا تبكى وتنوح مثل الجبان ؟ لماذا تترنح خائفا مضطربا أيها الانسان المحتقر ؟

(أليس لك من قلب ؟ ألا تقدر أن تتحمل ما يأتى به الدهر ، متجاهلا كل صروفه ، فتطأ النار بقدمك وان كانت تلتهمك ؟ .

ان أى توقف أو تردد ازاء أى عمل تشتهيه النفس ، أو يهفو اليه القلب ، هو فى مذهب الوجودية كفر بالوجود الانسانى ، وانكار لذات الانسان .. وان أية نظرة الى السماء ، لاستشارتها فى حل أمر أو حرمته هو شرك بعبادة المرء لذاته ..

يقول الفيلسوف الوجودى (نيتشه) : لا نريد ملكوت السموات، فنحن بشر .. نريد ملكوتا أرضيا .. طوبى للنقية قلوبهم .. لأنهم لا يعاينون الله !!) .

ثم يجىء من بعده (سارتر) ليدفع بالوجودية الى قاع الهاوية التى كانت تدحرج على دركاتها ، فيشرح لاتباعه الوجودية شرحا واضحا صريحا ، ويقول : (الوجودية) هى توديع ما يسميه الجبناء وجدانا ، وضميرا ، والاستجابة الى داعى الحيوانية ، وتلبية الوجودى كل ما تمليه عليه شهواته .. ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية ، وما تواطأ الناس عليه من الجهة الاخلاقية ، وتحطيم القيود التى ابتدعتها الاديان والفلاسفة ، وتبنتها المدنية .. ومن ثم فعلى الوجودى أن يطلق الماضى ، وأن يسلخ نفسه منه ، متجها الى الامام ، الى المستقبل قفزا .. الى المصير المحتوم .. الى الموت .. الى العدم الابدى !

— ٨ —

ان الوجودية — وهى قمة الدعوات المادية فى هذا العصر — قد سلبت الحياة كل معنى ، وجردتها من كل حكمة ، وحرمتها الفزع الى العناية الالهية ، والرحمة الربانية عند الشدائد والمحن ، وقطعت الانسان عن كل أمل فيما بعد الموت ..

ولا أدرى كيف تكون الحياة اذا غربت من آفاقها العقيدة الدينية والروابط الاجتماعية ، والتقاليد الانسانية التى تواضعت الاجيال على احترامها ، والتقيد بها ؟ ألا يكون ذلك ردة الى عالم الحيوان ، بل والى أحط أنواع الحيوان ؟

وليست جناية الوجودية وما اليها من الدعوات الملحدة — ليست جنايتها على الانسانية ، فى أنها عزلت الشباب عن المجتمع الذى يعيش

فيه ، وجعلت منه عدوا يحارب مجتمعه ، ويهدم كل بناء قائم فيه — وانما جنايتها فوق هذه الجناية أنها حرمت الانسانية ما كان لها أن تكسبه من اضافات جديدة ، تضيفها الى رصيدها من المواليد البكر فى مختلف العلوم والفنون والآداب التى يجنيها الشباب من مغارس الحياة ، ويطولها بيده القوية ، ويعتصرها بأمله المتفتح .. فالشباب هو طليعة الحياة فى كل عصر ، وهو المهيأ لاستقبال الجديد من دعوات الحق والخير ، اذا هو سلم من تلك الآفات التى تتسلل اليه من الدعوات الضالة المنحرفة ، التى كل همها هو أن تقطع كل صلة بين الشباب وبين الدين ، وأن تحول بينه وبين أن يروى أشواق نفسه من موارد العالم العلوى ، على حين تحول مجرى هذه الاشواق الى الجانب الحيوانى فى الانسان ، الذى هو فى الشباب طبيعة غالبة ، لا يكبح جماحها الا الدين ، ولا يلوى زمامها الا صوت الحق يهتف بالشباب أن يتسامى بانسانيته ، وأن يعلو فوق طبيعة الحيوان ..

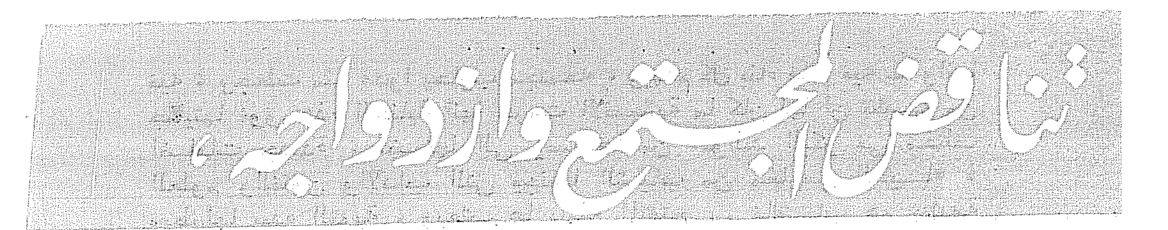
(يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم .. فان الصوم له وجاء) ..

هذه دعوة رسول الله الى الشباب ، وتلك تربيته لهم ، وذلك هو الدواء الذى يقدمه للشباب ، ليستشفى به من أخطر داء يتهدده .. انه التعفف ، والتصون بالزواج ، لمن كان قادرا على حمل تبعات الزوجية .. فمن قصرت يده عن ذلك فليكسر حدة هذه الفورة التى تغلى بها مراجل الشباب بالصوم ، قربة لله ، وجهادا فى سبيل الله ، يجاهد به المرء هواه ، ويقهر به شيطانه الذى يوسوس له ..

انه ليس الا الدين حصنا يتحصن به الشباب من جهالات الشباب وصبواته ، وليس الا العبادات والطاعات لله ، يتربى عليها الشباب ، وينشأ عليها من مطالع الصبا ، حتى تتوثق الصلة بينه وبين الله ، وحتى يقوم فى نفسه وازع يزعه ، بما يطلع به عليه من جلال الله ، وعظمة الله ، وما يدعوه اليه من احسان الله ورضوانه ..

والصلاة هى أول خطوة يخطو بها الصبى فى طريقه الى الله ، فيضع بها قدمه على صراط الله المستقيم ، وذلك قبل أن تتحرك شهواته، وتنطلق أهواؤه ، فاذا دخل مرحلة الشباب دخلها ومعه هذا الرصيد العظيم من تقوى الله ، ومراقبته ، فلا يقع فريسة سهلة فى مراتع الاثم ، فان زل زلة ، أو سقط سقطة ، وجد من دينه قوة تعينه على أن يقف على قدميه ، ويواصل مسيرته على طريق مستقيم الى الله ، يستغفر لذنبه ، ويتطهر بالتوبة من مأثمه .. (ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ..)

ان مسئولية الآباء ، والمعلمين ، والقائمين على أمر الشباب فى أى موقع من مواقع الحياة مسئولية تقوم على أعظم أمانة حملها الانسان ، هى أمانة اعداد الشباب للحياة اعدادا صالحا ، يحفظ عليه سلامة فطرته التى فطره الله عليها .. وان التفريط فى هذه الامانة — باهمالها أو تضييعها — هو خيانة لله ، وجناية على حاضر الانسانية ومستقبلها ..





رغم أن الحديث عن الشباب ومشاكله ، يتعلق بأهم القضايا الاجتماعية ، وأشدها صلة بما قد نعانيه من المآسى والمصائب المختلفة ، فانى أتصور أن الحديث فى هذا الموضوع لا يأتى بطائل !.. « وأرجو أن أكون مخطئا فى هذا التصور » .

ذلك لأن الذين تؤرقهم مشاكل الشباب ، ويتذاكرون فى أسبابها وعلاجاتها ، لا يملكون من أمر هذا العلاج شيئا . والذين يملكون العلاج ويقدرون على الاصلاح لا يؤرقهم شىء من هذا الأمر ولا يحسبون لنتائجه أى حساب .

وطالما عقدت لهذه المشكلة ندوات ، ونشرت فيها كتب وأبحاث ، وظهرت فيها نظريات وآراء ، دون أن نجد لشىء من ذلك كله أى ثمرة أو فائدة فى ساحة التنفيذ .

بل ظل النشء يعانى من مشاكله ، وظل المجتمع يعانى من معاناته ، وظل الذين بيدهم حقيقة الحل والتنفيذ منصرفين بأفكارهم واهتمامهم عن هذا الأمر كله .

وأعود مرة أخرى فأسأل الله تعالى أن أكون مخطئا فيما قد توهمت ، وأسأله تعالى أن تكون « الوعى الاسلامى » مستمسكة — فى معالجتها لهذا الأمر الخطير — بحبل من الأمل متين ، لا مسوقة الى ذلك بمجرد أداء الأمانة وتقديم المعذرة .

وأيا ما كان الأمر ، فلنعالج هذه المشكلة بدافع من الامتثال لقوله تعالى : « قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يرجعون » .



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

المشكلة وآثارها المختلفة :

لهذه المشكلة جوانب متعددة ، وربما لاحظ الباحث جانبا واحدا منها ، فعالجها من ذلك الجانب وحده .

فقد يرى البعض أنها مشكلة نفسية ، سرت الينا من عدوى الغرب ووبائه . وقد يرى البعض أنها مشكلة فكرية ، أثارتها غواش من آثار النهضة العلمية الحديثة والاكتشافات الهائلة المثيرة . وقد يرى آخرون أنها تعود الى قضايا جنسية وعاطفية ، عقدها الكبت والحرمان ، فظهرت بمظاهر متلونة مختلفة ! ..

ولا يجوز لنا أن نعتبر شيئا من هذه الآراء تصورا خاطئا ، أو نظرا بعيدا عن الواقع ،وانما هى فى الحقيقة شرح سطحى لآثار مشكلة واحدة .

فالمشكلة بحد ذاتها ليست كامنة فى الفكر أو النفس أو الجنس ، ولكنها أمر كلى خطير ، ينعكس بآثار معينة على كل من هذه الجوانب الثلاثة .

الازدواج والتناقض :

والأمر الكلى الخطير الذى تعانى منه الناشئة فى مجتمعاتنا ، انما هو الازدواج !.. الازدواج فى القدوة ، والازدواج فى التعليم ، والازدواج فى التربية ، والازدواج فى الأفكار والقيم . وبالجملة فهو ازدواج فى جميع الحقول التى تساهم فى تكوين شخصية الشاب ونسيجه الفكرى .

ففى المدرسة — وهى أهم العوامل التربوية — يتلقى التلميذ أمشاجا من القيم والآراء المتناقضة المتنافرة ، يتسابق اليه بها مربون ومعلمـــون متناقضون فى الفكر والمنهج والسلوك . فهو يتلقى من مدرس الفلسفة والاخلاق نقيض ما قد تلقاه من مدرس الدين ، ثم يتلقى من مدرس العلوم خلاف ما كان قد تعلمه من كليهما !!..

وتغدو عملية التربية والتعليم والتثقيف ، فى حياة التلميذ ، عبارة عن صراع من البناء والهدم ، والمحاولات المتدافعة ، وتتجمع حصيلتها فى كل من ذهنه ونفسه ، غبارا وغشاوات داكنة ، تحجز العقل عن التفكر وتبعـــد الصفاء عن النفس ! ..

مجتمع متناقض :

وفى الشارع والمكتبة والنادى وأمام التلفزيون ، تطوف بـــه مظاهر أخرى من هذا التناقض العجيب ! ..

فهو يسمع عن الأخلاق والفضيلة وضرورة التقيـد بهمـا وخطورة الخروج عن قانونهما . ويسمع أيضا عن الحرية والحياة العصرية وضرورة التجمل بها ، وخطورة الكبت والقوقعة فى حمأة التقاليد !!..

وهو يسمع عن الدين وحقائقه وقيمه وضرورة قيام المجتمع عـــلى دعائمه والاستعانة بمنهاجه وعلاجه لحل كل مشكلة . ويسمع أيضا عـــن الرجعية وأوضارها والنهضة العلمية وكيف أنها نسخت العقائد الدينية ، وعن ضرورة تحرير الفكر من أسر الايمان بالغيبيات والاستعانة بالفـــكر المادى لحل كل مشكلة وتحرير كل أرض .

انه يلمس هذا التناقض الخطير فى الشارع الذى يسير فيه ، ويقرأه فى الكتب والمجلات التى يطلع عليها ، ويسمعه فى المحاضرات والندوات التى يحضرها ، ثم هو يعانيه بين زملائه وأصدقائه الذين ينعكس عليهم ذلك كله ، جدالا ومشادة وهياجا .

وفى البيت ، تتجمع آثار ذلك كله حوله ، فى مظاهر أشد خطورة ، وضررا . اذ قلما تخلو أسرة من أنصار متناقضين ، يجنح كل منهم الــــى واحدة من هذه الأفكار والاتجاهات المتناقضة . فيتحول وئام البيت وسعادته الى شقاق وشقاء ، وتسوء علاقة الوالد مع أولاده ، وتتأزم صلة الزوجـــة بزوجها ، ويتعالى الشجار بين الجميع عند كل صباح ومساء .

مظاهر النفاق ..

ويتجسد هذا التناقض فى جوانـــب أخرى من المجتمـــع ، فى مظهر هادىء من النفاق الأملس ، فيفوق فى أضراره وبلائه على الناشئة ، تلك المظاهر المتناقضة الأخرى ، اذ تكون هى وحدها فى الغالب ، محط الخديعة وكبش الفداء .

يسمع الشاب ، فى نفس صافية ، وقلب صدوق ، حديث التضحية والوطنية والفداء ، ضمن قالب رائع من الألفاظ والشعارات ، فيصـــدق ويتحمس ويتفاعل ، ثم يكتشف على حين غرة أن الشأن أهون من ذلـــك بكثير ، وأن الأمر لم يكن أكثر من بضاعة كلام .

ويصغى السمع الى كثير من الوعاظ والخطباء والموجهين ، فيتأثر لما

يسمع ، وتطمح به نفسه الى القيم العالية والأخلاق الفاضلة . وفيما هو يسير بصدق وحماس الى هذه الغاية ، يفاجأ باكتشاف أغراض ومصالح أخرى منوراء تلك التوجيهات والعظات البليغة ، ويكتشف من حال أربابها ما يناقضها كل التناقض !..(١)

فقد الثقة أول النتائج :

هذا هو المجتمع الذى ينشأ الشاب فى ظله !..

وهذه هى الأجواء التربوية التى ينهل الشاب تربيته ويستوحى نهج سلوكه منها ! ..

فأى مصير تنتظره من الشاب أفضل من هذا المصير ؟!..

ومن هو الشاب ؟ .. انه كتلة غضة يانعة من الفكر والنفس والعواطف .. وكل من هذه العناصر الثلاثة بأشد الحاجة الى الغذاء الصالح الذى يتوقف عليه نموه وتكامله .

وقد كان الغذاء ـ لسوء الحظ ـ هذا الذى وصفته لك ، فماذا عسى أن تكون النتيجة ؟..

ان رأس النتائج كلها ، هو انعدام ثقة الشاب بالمجتمع . فلا الشاب يصلح أن يتتلمذ عليه ، ولا المجتمع يصلح أن يكون مربيا له . وانما يغدو أستاذا لنفسه منفردا بارشاد ذاته !! ..

وأما النتائج الأخرى ، فلا ريب أنها ينبغى أن تتمثل فى الانحراف الفكرى ، والتعقد النفسى ، والانطلاق الغريزى .

الانحراف الفكرى والنفسى والغريزى :

فهى تتمثل فى الانحراف الفكرى : لأن المقدمات المنطقية المتناقضة ، تنتج شيئا واحدا هو : انكار طبيعة المنطق بحد ذاته . وليس لك أن تنتظر منه غير هذا ، ما دام سائرا فى المرحلة التى يتوكأ فيها عقله ـ بشكل طبيعى ـ على أفكار الآخرين وتعليماتهم . وقد توكأ عليها فأورثه اضطرابهم عرجا دائما فى الفكر .

وأى قيمة تبقى للعقل عنده ، وانما مقياس هذه القيمة واقع مجتمعه الذى يعيش فيه ، وقد رأى العقل ممزقا فيه بين تناقضات عجيبة داخل جدران مدرسته ، وضمن وسائل اعلامه ، وفى شتى شوارعه وأسواقه . ثم رأى هذه المزق العقلية المتناقضة كيف تعيش فى ظل ظليل من رعاية أرباب هذا المجتمع وساسته والبصيرين بشأنه .

ان من الطبيعى أن تجد أكثر هؤلاء الشبان لا يؤمنون بشىء ، لأن اللاشىء هو النتيجة المنطقية للصراع المستمر بين شيئين ! ..

وهى تتمثل فى التعقد النفسى : لأن النفس الانسانية انما تسير فى فجاج الحياة بدافع من مجموع عواطفها الدافعة والرادعة والمجدة . وهذه العواطف انما يتألف نسيجها فى النفس عن طريق المجتمع وما فيه من دوافع الأمل والرجاء والحب ، وروادع الخوف والعقاب والاشفاق ،

---

(١) ليس هذا حكما على الجميع ، وانما هو حكم على كثرة من هؤلاء الناس ، يكفى عددهم لصبغ المجتمع بهذه الصبغة المؤسفة .

وأسباب النعم والرفاهية والخيرات ، ويقدر ما يتألف مزاج معتدل من مجموع هذه الأنواع الثلاثة من العواطف فى النفس ، يتوفر فيها الصفاء والشعور بالسعادة والاستقرار .

فكيف للنفس أن تسترضع من المجتمع الذى هذا شأنه عواطفها الانسانية فى تناسق واعتدال ؟ !!

ان المجتمع الذى تتشابك متصارعة فيه المذاهب والآراء ، ثم يتخذ من الناشئة حقلا لتجاربه وحلبة لصارعاته — سواء تمثل ذلك فى المدرسة أو البيت ، أو الشارع أو المكتبة — هذا المجتمع لا يستطيع أن يغذى نفس الشاب بأى معنى مما يسمى بالحب أو الأمل أو الرجاء ، ومن ثم فهو لا يستطيع أيضا أن يقرنه بأى مزيج معتدل من الخوف والاشفاق وروح العقاب .

والنتيجة هى أن تنمو بين جوانح هذا الشاب نفس متمردة على كل شىء ، لا تدين بولاء ، ولا تنقاد لحب ، ولا ترتدع بخشية ، نفس مضطربة لا تؤمن الا بذاتها ، ولا تغذى سوى أنانيتها ، لأنها لم تجد من سلطان العقل ما يفرض عليها أى سلوك غيره ، ولم تجد من عطاء المجتمع ما يربطها بأى تعلق آخر .

وتتمثل فى الانطلاق الغريزى ، لأن العقل لما تثلم حده ، وعجز عن النظر والضبط ، وتقاصر سلطانه عن السيطرة على النفس والقدرة على توجيهها — ظهرت من وراء ذلك الغريزة الطبيعية لتنطلق على سجيتها . والانسان كلما ازداد تحررا من قيوده الفكرية ازداد ارتباطا بدوافعه الغريزية . وما الانسان لولا ضوابط العقل والتفكير الا حيوان هائج ثائر الأهواء والشهوات . وقلما نجد فى مثل شراسته أى حيوان آخر . ذلك لأن الغريزة فى الحيوانات المختلفة تسد مسد العقل عندما تتوقف حياتها على انبعاثات عقلية مدبرة ، أما الانسان فالغريزة فيه هى الدوافع واللواعج الشهوانية فقط . اذ كان فى وجود العقل ما يغنى عن ضوابط الغريزة وتدبيرها . فاذا فاتت حكمة العقل وزال رشده هاجت الغريزة هياجا لا تجد مثله عند أى حيوان ! ..

التيارات الاجتماعية الصغيرة :

فتلك هى سر مشكلة الشباب فى مجتمعنا ، وهذه هى آثارها .

وكلما كانت هذه المشكلة أبرز وأقوى ، كانت آثارها فى نفوس الشبان وتفكيرهم أشد وأخطر ، واذا تأملت حال الأمم المختلفة اليوم وما يعانيه نشؤها من المشاكل والعقد ، رأيت مصداق هذا الذى أقوله لك . ولا مجال فى هذا المقام لسرد الوقائع التفصيلية دليلا على ذلك .

وقد تجد فى مجتمعاتنا — رغم ما فيها من التناقض الذى وصفناه — شبانا يستمتعون باستقامة فكرية وسعادة نفسية وسلوك منضبط قويم ، فتظن أنه دليل على خطأ ما قد عرضناه .

والحقيقة أن هؤلاء الشبان أتيح لهم أن ينضووا فى تيارات اجتماعية صغيرة ، ضمن مجتمعهم الصاخب العام ، فكان لهم من مجتمعهم الصغير ذاك ما حجزهم عن الزعازع والعواصف التى تطوف من حولهم ، فتقلصت آثارها عنهم بالقدر الذى يملكون به قوة المدافعة والثبات . ومثل هذه التيارات الاجتماعية الصغيرة يعتبر قوارب نجاة قد ينجو من يتعلق بها

ويصل الى شاطىء الأمان . ويعود اليها والى قادتها الفضل الأكبر فى انقاذ ما يمكن انقاذه وسط عواصف هذا المجتمع الخطير .

المرض فى المجتمع وليس فى الشبان :

ولنبحث بعد هذا عن العلاج .

ولكن فلنتساءل قبل ذلك عن المريض الذى يتطلب العلاج ، أهو النشء أم المجتمع ؟

لا ريب أن المريض انما هو المجتمع وما ظاهرة المشكلة التى تتمثل فى حياة الشباب الا أثرا من آثار مرضه هو .

ومن الظلم العجيب ما قد يفكر فيه بعض الباحثين من علاج يوصف للشبان أو منهج تربوى يؤخذون به ، حتى يصلح أمرهم وتحل مشاكلهم !!. وطبيعى أنهم يفكرون فى غير طائل ، وأن علاجاتهم لا تقع أى موقع للشفاء ، لأن الشبان ليسوا هم المرضى ، وانما المريض هو المجتمع الذى يعيشون فيه .

وهذا هو العلاج :

وما هو العلاج الذى يصلح المجتمع ؟

ان الذى يصلحه انما هو شىء واحد ، هو أن يكون صادقا مع نفسه ، متسقا مع شتى أجزائه وجوانبه .

يصلحه — وقد أقر بالاسلام وسبيله — أن يحرك أجهزته باتساق وتعاون نحو هذا السبيل . فالمدارس بمختلف مقرراتها ومدرسيها ونظمها يجب أن تضفر جهودها فى هذا السبيل . والحركة الثقافية التى تتمثل فى نشر الكتب والصحف ونشاطات وسائل الاعلام يجب أن لا تند أو تنحرف عن هذا السبيل . والقيم والمبادىء التى يدين لها المجتمع يجب أن لا تكون شيئا آخر غير قيم الاسلام ومبادئه . ونظرة التطور والتقدم والرقى يجب أن تكون محصورة ضمن سلم الاسلام ومنهجه .

أجل .. فما ينبغى أن يترك المجتمع شبابه المثقف حائرا بين الآيات القرآنية التى يتلوها القارىء فى المذياع مرددا قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن . . » والحديث الاجتماعى الذى يلقيه مذيع من بعده يفند فيه مضمون هذه الآية ويدعو النساء الى التحلل من الستر والصيانة والحجاب !..

وما ينبغى أن يلوح للشبان بعقوبة من يعاكس الفتيات وبحطة من ينحرف الى معاطاة الرذيلة ، ثم ينقلب هؤلاء الملوحون فيشجعوا مغريات الرذيلة ويصفقوا لمظاهر العرى ونداء الجنس ودوافع الأهواء ! ..

وما ينبغى أن تترك المدارس حقلا للتنافس فى النزعات الفكرية المتصارعة ، الى جانب درس الدين الذى يتلقاه التلاميذ من مدرس مسئول وبشكل نظامى ورسمى !..

وما ينبغى أن ينشر فى صحيفة يومية سائرة ، حديث دينى يذكر الناس بالخالق وحسابه ، وينشر الى جانبه حديث آخر يهزأ بالدين ودلائله وقيوده ..

وما ينبغى أن يجهد نفسه كاتب مثلى بالبحث فى حلول مشاكل الشباب على حين يعكف آخرون على اضرام المزيد من نيران هذه المشاكل .

لا مكان لمثل هذه الحرية بين عوامل التربية :

ولعلك تقول : انها حرية الفكر والقول ! ..

فلتعلم أنه لا مسوغ لرتع هذه الحريـــة ضمن العوامل التربويـــة المقصودة فى المجتمع . وما قال أحد من علماء التربية يوما أن لحرية الفكر والقول مجالا ضمن سلطان هذه العوامل . والا فكيف تكون المدرسة أو المذياع أو الرائى أو الصحف والمجلات وسائل تربوية لعقلية النشء ونفسه اذا كان لوساوس الأفكار على اختلافها أن ترتع وتتصارع فيها كما تشاء ؟ . وأى غاية تربوية تبقى أمام هذه العوامل عند ذلك ؟

ما هو البديل عن الاسلام ؟

أما ان اختار قادة المجتمع سبيلا له غير سبيل الاسلام ؟ فعليهـم أن يستعجلوا فى عرض البديل .

ما هو البديل الذى يحرس كيان المجتمع ، ويعالج مشاكله ، ويحقق مصالحه ؟

ان أى بديل عن الاسلام يوقع المجتمع عامة وشبانه خاصة فى أخطر من المشكلة التى نبحث الآن عن مخرج منها .

ان الجنون الذى سيطر على رؤوس الشبان فى أمريكا وأنحاء أوروبا ، فراح يدفع أمواجا منهم الى الانتحار ويدفع بأمواج أخرى الى العزلـــة وممارسة البهيمية ، انما هو جنون الفراغ والابتعاد عن الدين . اذ كـــان الدين فى حياتهم لا يعدو شعارا يقبع فى المعابد والكنائس ، أما المجتمـــع والسلوك فبعيدان كل البعد عن الدين وأحكامه وأخلاقه !..

وربما يحلم البعض ببديل يتمثل فى الحضارة الغربية ! .. وربمـــا ظنوا أن هذا البديل يكسبهم أصالة جديدة ، ويحل الكثير من مشكلاتهم .

وعلى هؤلاء الناس أن يدركوا بأن المسلمين يستطيعون بسهولة أن يخرجوا على مبادىء الاسلام ، وأن يحيدوا عن صراطه الذى ارتقى بهم الى أوج التاريخ ، ولكنهم لا يستطيعون فى يوم ما أن يكتسبوا أى أصالة أو حياة عزيزة من وراء هذا الانحراف والخروج .

ان الذى سيتم ، بالتأكيد ، بعد محاولة استجرار الحضارة الغربية الينا ، هو أننا سنقع فى جو من الفراغ النفسى وسننتهى الى حالـــة تشعرنا بأن أى تاريخ لا يتعرف علينا ، وسنجد أن الأمم كلها تنظر الينا بهذا الاعتبار ، أى كشحاذين تتقاذفنا جدران الحضارات التى نتطفل عليهـــا ، وستتراكم على نفوسنا مركبات النقص ، وسيحول كل ذلك بيننـــا وبيـــن الوصول الى ثمار ذلك المجتمع التى نتخيلها وتتحلب منا الاشداق شهوة اليها

شهوة البديل أم البحث عن البديل :

ان على الذين يشتهون بديلا عن الاسلام ، أن يتذكروا أن سبيـــل الاشتهاء يسير ، يسلكه العقلاء وغيرهم ، لأن دوافعه الغريـــزة ، وليس الانسان أغنى بها من البهائم . ولو كان لشهوة الغريزة أن تصلح فاســـدا لظهر الصلاح فى عالم البهائم .

أما الذين يبحثون عن البديل ، فليسائلوا عنه عقولهم وتجاربهـــم ، ووقائع الدنيا التى من حولهم ، وشقاء الغرب بحضارته ، ورثاء العالـــم لشبابه . ثم ليقولوا منصفين صادقين ، هل يجدون عن الاسلام من بديل ؟



للدكتور وهبة الزحيلي

من أوزار المدينة الحاضرة ومفاسدها الشاخصة عزوف الشباب والشابات عن الدين ، وتخطى القيم الخلقية ، والاستخفاف بالأصول والعبادات الدينية ، واهمال الفرائض والأركان الاسلامية ، وذلك يشكل ظاهرة خطيرة فى هذا الزمان ، ولا سيما اذا جهلت أسباب تلك الظاهرة ودواعيها الداخلية والخارجية ، أو لم يعد للمحاكمات العقلية الصحيحة دور فعال فى معرفة الداء ووصف العلاج الحاسم .

فسبب هذه الظاهرة الخارجي : ما تقوم به أوساط الاستعمار والصهيونية العالمية من تركيز دعائى لافساد الجيل المسلم متمثلا بالأفلام السينمائية ، ودور الأزياء العالمية ، والصور العارية ، والكتب المروجة للتحلل الخلقى تحت ستار الحرية « الكاذبة » وخدمة الأدب « الساقط » عن طريق فن القصة ، وعلمانية التعليم بحجة كونه طريق الحضارة والمدنية والنور .

ويقوم الكتاب المأجورون من العرب ، والمسلمين ظاهرا — مع الأسف — بتبنى أفكار وآراء الهدامين لصرح مجدنا بواسطة الحملات الصحفية المسعورة ، وقصص الجيب الخليعة ، والشعر المنثور الراقص ونحو ذلك من أساليب الدس الرخيص والمجون المقنع .

وأما السبب الداخلى لظاهرة عزوف الشبان عن الدين فهو ما نعانيه فى داخل البلاد العربية والاسلامية من آفات التخلف والجهل والمشاكل الاقتصادية ، والبطالة ، والاحتلال الصهيونى والاضطرابات السياسية والاجتماعية ، وموجات الالحاد والمبادىء الجديدة المستوردة من قومية واشتراكية حادة ، ورأسمالية طاغية ونحوها .

كما أن وطأة الحياة المادية والاستئسار لها والاغراق فى متطلباتها ، وفصل الدين عن الدولة ، وعزل سلطان القرآن عن الشئون العامة : ساهم كل ذلك بتقوية الانحراف الدينى والخلقى وتغذية سيل الالحاد الجارف .

وبما أن عنصر الشباب سريع التأثر والانفعال ، فقد تاه النشء فى الخضم الشاسع للحياة ، وأنجرف فى التيار الشديد اللفح ، ولان أمام المفاتن والمباهج وصنوف الاغراء التى أغرقت العالم الاسلامى والعربى ، فعصفت بالشباب وحرفته عن رسالته الصحيحة .

واستغل الغزو التبشيرى — الاستعمارى — الميول الطبيعية المشتركة بين الفتى والفتاة ، فزين لهما أنواع اللذة والمتعة الجنسية ، وسهل لهما اللقاء غير المشروع بينهما، وحرضهما على الثورة «الوحشية» فى وجه الأبوين أو دعاة الدين والفضيلة ، وسلحهما ضد هؤلاء بعبارات هوجاء كالرجعية والجمود والتزمت ، بل والخرق والسفه ، وبالتالى اللامبالاة ، وازدراء كل ما يصدر عن الآباء والعلماء من آراء وأفكار ونصائح !!

ولم يدر هذا الشاب الغر أن مثل هذا اللقاء هو السم بعينه ، أو هو المهلكة فى حد ذاتها ، فكثيرا ما يقع المرء فريسة الوهن العصبى بسبب حب ضائع ، ووصل مفقود ، بل قد يحدث الانتحار ، أو قد تحصل الخيبة والفشل والخسران أثناء دراسة رائعة أو نجاح مرتقب أو تأمين مستقبل زاهر .

ولكنها قوة الغريزة العارمة فى فحولة الشباب المعرقة تلغى أحيانا عامل التفكير السليم والعقلية النافذة ، فتطغى الاهواء والنزوات على المصالح الحقة ، ويسرع الفتى وراء الفتاة التى توقع كثيرا من الصيادين فى شراكها وحبائلها ، ويكون الفتى دائما هو الضحية !!

وهكذا ستظل المرأة عموما منذ عهد أبينا آدم هى عنوان الخطيئة ، بل هى فى الغالب التى تجرف الرجل الى مهاوى النار ومزالق الشيطان بما أوتيت من أسلحة حادة متنوعة تستخدمها حسب الظروف والمناسبات ، تارة بأزيائها العديدة الأشكال ، أو بفتنتها واغراءاتها ، وتارة بكيدها ونعومتها ، ومرة بصوتها الرخيم وخيلائها المصطنع .. الخ .

ان الأفاعى وان لانت ملامسها عنـد التقلب فى أنيابها العطب

وحينئذ يبدو لكل شاب عاقل أنه لا حاجة الى الالحاح عليه بألا يغتر

كثيرا بالمرأة ، لا سيما فى وقت الشباب ، فى مرحلة الاضطراب العصبى والجسمى ، وفى فترة اعداد النفس للحياة ، فلكل سكرة صحوة ، ولكل غفلة يقظة ، ولكل عاصفة سكون ، وبعد كل نشوة ندم وقلق .

وهنا تتجلى حاجة الشاب الفطن الى العقل والتفكير ، فبالعقل يحدث التغلب على العاطفة ، ولكن العقل وحده لا يكفى اذا لم يكن هناك حارس أمين عليه وعلى النفس والمال والعرض ، وهذا الحارس هو الدين ، اذ بدونه سرعان ما تكون العاطفة المشبوبة كالنار اللاهبة التى تحرق أولا صاحبها ، ثم يمتد شررها الى الآخرين ، فتقع الكارثة ، ويتشتت الفكر والعقل ، لأن النفس أمارة بالسوء ، وأهواؤها جارفة ، وميولها كثيرة ، ورغائبها عنيفة ، والاستجابة لها موقع فى الهلكة غالبا :

وخالف النفس والشيطان واعصهما　　　وان هما محضاك النصح فاتهم

اذن أنت أيها الشاب « الصريع الغوانى » فى النهاية لا يراد بك الا السوء من معطيات الحضارة الزائف البراق ، فحذار أن تكون مضيعة أو تصير فى متاهة ، أو تقع فى ميوعة وانحلال ، فدورك الكبير فى هذه الحياة، ومسئوليتك العظمى يتطلبان منك اعداد شخصيتك اعدادا حازما كاملا ، وفرض ارادتك الحديدية العقلانية ، وبدون ذلك تصبح ألعوبة بيد القوى الدولية الكبرى كالريشة فى مهب الريح ، تعيش كما يراد لك فى فوضى الاحداث العامة ، وفى وسط العواصف الاجتماعية الهوجاء .

واذا كان الشباب عدة المستقبل ، وأمل الغد ، وبناة الوطن والبلاد ، فان العناية الكاملة بهم وتهيئتهم الصحيحة هى الواجب الأول للدولة أو المجتمع عن طريق الاعلام والتوجيه المخلص البناء ، وفى أدوار التعليم المختلفة ولا سيما فى المرحلة الجامعية ، حيث ينبغى تثقيف الطلاب والطالبات من النواحى الروحية والخلقية والدينية ، وتوسيع معرفتهم بتلك النواحى بجانب العلوم الاختصاصية الأخرى ، حتى ننهض بمستواهم الفكرى على أساس الاسلام وحده ، ولتظهر ثمرات التربية الاسلامية فى نطاق أعمالهم وسلوكهم ووظائفهم العملية ، مما يعود على المجتمع والدولة بالخير الزائد والعطاء النابض والانتاج الخصب والنفع التام .

ومما يجدر ذكره أن على عواتق الشباب المؤمن قامت دعوة الاسلام وعمت الفتوح أرجاء الدنيا ، كما يدل لذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد نصرنى الشباب وخذلنى الشيوخ » وكان الشاب الذى تربى فى المدرسة الاسلامية الصحيحة رمز التضحية والجهاد ، والفداء والايثار ، والبذل والعطاء ، وكان الشاب اذا فكر قدر ، واذا قدر عزم ، واذا عزم أقدم ، واذا أقدم لم يبال أوقع على الموت فى سبيل عقيدته ومبدئه أم وقع الموت عليه . ويصدق على شباب الاسلام الاوائل وصف شباب أهل الكهف : « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » فكانوا بايمانهم نماذج فذة للبطولات الخارقة ، سواء فى معارك الأعداء ، أم فى مجال البناء الداخلى لدولة الاسلام من مختلف النواحى العمرانية والثقافية والفنية والاقتصادية .

والسؤال الأخير مناط البحث : لماذا نلح على الشباب بالذات بضرورة التزام نظام الدين أو التدين ؟

والاجابة تتحدد بادراك خصائص الدين :

١ — التدين منزع فطرى أصيل فى النفس الانسانية ، ولا يمكن لانسان سوى التخلى عنه فى كل زمان ، وهو ان انحرف عنه فترة ، وبخاصة فى عهد الشباب ، فلا بد من أن يعود الى حظيرة الدين طوعا أو كرها قبل أو بعد سن الكهولة ، كما حدث للمعرى ولكثير من عمالقة الفكر والعقل والفلاسفة وعلماء الطبيعة .

٢ — التدين أمر ضرورى لتكميل القوة المفكرة المبدعة فى الانسان ، فبه يعرف العقل حدوده ، ويحقق تطلعاته فى الأفق الأعلى . كما أن التدين عنصر هام لتكميل قوة الوجدان وأحاسيس النفس البشرية ، فالعواطف السامية والأخلاق الكريمة الثابتة لا تجد مقرا دائما لها وغير ملوث بشوائب المنفعة المادية الا فى نطاق الدين .

وكذلك التدين ضرورى لتقوية الارادة وشحنها بأعظم الطاقات المولدة للحركة والحرية والنشاط والتغلب على مشاكل الحياة .

ولا أدل على أثر الدين المفيد فى النفس من حالة المحن والمصائب ، واليأس والقنوط التى يتعرض لها كل امرىء فى حياته ، بدليل ما صوره القرآن لطبع الانسان ، فقال سبحانه : « لا يسئم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط . ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن : هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ . واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض » .

ففى وقت المحنة يضرع الانسان — ولو بدون ارادة منه — الى الله ، فيجد فى الايمان خير عزاء ، وبه ينبعث العقل والفكر ، ويلتزم جانب الحلم والأناة ، ويتيقظ الضمير والاحساس ، ويتقوى الشعور بالواقع .

وفى حالات التردد والقلق والحيرة يكون الايمان خير دافع وباعث على اجتياز مرحلة اليأس بعزيمة صادقة وارادة فعالة ، وبذلك يكون الدين هو الضمان الخالد لتوفير الاستقرار النفسى والاطمئنان الداخلى عند الضيق والشدائد وفى الأزمات المستحكمة،حيث لا يجد الانسان — وبخاصة الشبان لكثرة تعرضهم للهزات والاضطرابات — ملاذا فى غير الدين والايمان ، ففى سلاح الدين وحرارة الايمان تخلص من الكوارث الخاصة وتجنب لكل عوامل اليأس والقنوط ، لأن اليأس والايمان لا يجتمعان فى قلب واحد .

٣ — الدين محقق فعلا لمصالح الشباب وغيرهم بشكل ثابت دائم ، لأنه أما جالب لمصلحة أو دارىء ودافع لمفسدة وشر أو مضرة ، قال علماء أصول الفقه الاسلامى : « ان من الأمور الثابتة فى الشريعة الاسلامية

بالاستقرار والتتبع أن الأحكام الشرعية كلها شرعت لتحقيق مصالح العباد ، اما لجلب المنفعة لهم ، أو لدفع المفسدة والضرر عنهم ، قال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

٤ ـ ليس الدين غلا ولا قيدا ولا حجرا على حرية الانسان ، وانما هو رحمة وعامل منظم ، وباعث معدل أو مهدىء ، وصمام أمان ، فاذا استبد الهوى الجارف للشاب وغيره الى مواطن الهلاك ، كان الدين أو خشية الله خير منبه للمخاطر ، ومحذر من العواقب ، ومهىء للسعادة والراحة النفسية .

ومن هنا تتضح سلامة مبدئنا فى دعوة الشباب الى التزام جانب الخوف من الله والاعتصام بالعقيدة الصلبة .

واذا كنا لا ندعو بهذا الى ايقاع الشبان فيما يسمى بالكبت لماله من آثار ضارة ومضاعفات خطيرة ، فانه يمكن أيضا التوصل الى شىء من الاعتدال ، وتحقيق التوافق بين متطلبات الدين ورغائب النفس البشرية ، وذلك عن طريق شغل وقت الفراغ بالعادات الحسنة ، والأعمال اليدوية الصغيرة ، أو بالرياضة البدنية والسباحة ، أو بالمطالعة للكتب الأدبية والاجتماعية النافعة البعيدة عن المثيرات والاغراءات .

ولا بد مع هذا من تجنب مصاحبة رفاق السوء ، والنأى عن مواطن اللهو الماجن والسهر الفاتن ، والعرى الفاضح ، كما هو حادث ـ مع أشد الأسف ـ فى بعض البلدان العربية فى حمامات البحر الصيفية (البلاجات) والمسابح المختلطة .

كما أن البعد عن دور السينما وعن مشاهدة الافلام الخليعة ، وبرامج التلفاز المثيرة بالرقص ونحوه يعد أفضل الطرق للنجاة من آثام قافلة حياة الشباب المترعة بالحيوية والنشاط والقوة .

هذه النواحى هى من الصوم المعنوى ، وهناك الصوم الشرعى المعروف بالامتناع عن الطعام والشراب والشهوات لعلاج الحدة الطارئة والنزوة الثائرة : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ـ مؤن الزواج ونفقاته ـ فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

وفوق كل ذلك لا بد من قراءة القرآن والتزود بقصص الصالحين من علماء الاسلام ، وسيرة القادة السلف الصالح ، وادراك المبادىء الاسلامية ومعرفة حكمة التشريع ، والاعتقاد الجازم بأن الدين لتحقيق خير البشرية جمعاء وأن الاسلام دين عقل ومنطق وحكمة وواقعية .

وليكن شعار الشاب الذى يذكره فى كل آونة : هو خشية الله تعالى ، وغض البصر ما أمكن ، فبذلك استطاع كثير من الشبان التغلب على الأهواء الجانحة ، فعاشوا بحمد الله عفيفى المئزر : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » « قل الله أعبد مخلصا له دينى » أى بالتقوى والاخلاص .

وبهذه المغالبة للشهوة استحق الشاب التائب أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ، كما فى الحديث المعروف : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : أمام عادل ، وشاب نشأ فى

عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

٥ — الدين كما هو نزعة فطرية انسانية هو أيضا ضرورة اجتماعية ، فبه تحترم الأنظمة والقوانين ، ويتحقق استقرار المجتمع وتتقوى عرى التماسك والتعاون بين الأفراد ، وتشيع منه أسباب الطمأنينة والراحة والهدوء ، ويرتقى السلوك قولا وعملا لصدورهما عن عقيدة وضمير ، ومراقبة لله فى السر والعلن، وبالتزام الدين تسود العدالة ، وتقاوم الفوضى والفساد ، بل انه لا سبيل لتقوية الروابط الاجتماعية بين الناس على أساس المحبة والتراحم الا بالدين .

٦ — الدين ميزان الحياة ، والوازع الدينى يحقق استقرار الفرد والجماعة ، ويوفر السعادة الحقة لهما ، وان محاولة أضعافه أو التخلى عنه نذير سوء بالانهيار العام ، وانحلال الروابط وأضمحلال المجتمعات ، ففى الطهر والعفاف مثلا سلامة وقوة ، وصحة واطمئنان ، وفى الرذيلة خراب وخسران وأمراض جسام .

٧ — ليس الاسلام بالذات نظاما منعزلا عن الحياة ، وانما هو جزء أصيل من الحياة ، ومتصل بها اتصالا وثيقا لا يفصمه عنها أى قوة أرضية ، وكل ما فى الامر أنه ينبغى فهمه فهما صحيحا ، وتوجيهه وجهة صائبة ، وادراك معانيه وكفايته لرأب الصدع ، وسد العجز وازالة المتناقضات ، وتسوية الشروخ التى نعانيها ونلحظها فى مجتمعنا الحاضر بسبب الاعراض عن الديـن .

٨ — من الخطأ الكبير والخداع المبطن أن يتمكن العقل وحده ، أو العلم ونشر الثقافة من اقامة مجتمع نظيف سليم البنية يسوده الأمن والسلام والرخاء ، أى أنه لا يصلح العقل والعلم أن يكونا عوضين أو بديلين عن الدين بأية حال ، لأن العقل قد يضل ، وكثيرا ما ضل وغوى ، والعلم سلاح ذو حدين : قد يستعمل للتدمير والخراب ، كما قد يستخدم للبناء والاصلاح، ولا بد له من رقيب شديد يوجهه نحو الخير ، وينذره بالشر ، وينأى به عن الفساد ، وذلك الرقيب فقط هو الدين والخوف من عقاب الله ، وما عداه هو الضلال بعينه .

لهذا كان من حكمة الله وعدله ، ارسال الرسل ، وانزال الكتب السماوية ليتبين الرشد من الغى ، والحق من الباطل : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وخلاصة القول أن الشباب نعمة كبرى وأمانة عظمى عند صاحبه ، وجسر قصير لحياة أطول ، فاذا حوفظ عليه ، وذاق الشاب حلاوة التدين ، كان من صفوة الأبرار المختارين ومن المخلصين للأوطان والديار والأهل والبلاد ، ومن العقلاء بحق .

لهذا نبه الاسلام الى ضرورة اغتنام فرصة الشباب الذهبية : « اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

أسماء الشباب الذين أسلموا في العهد السري للإسلام

١ ـ على بن أبى طالب : أول الشباب اسلاما ، أسلم وهو ابن ثمان من السنين . استشهد سنة ٤٠ هـ وسنه ٦٣ سنة .

٢ ـ الزبير بن العوام : أسلم وهو ابن ثمان من السنين . استشهد فى واقعة الجمل سنة ٣٦ وله ٦٧ سنة .

٣ ـ طلحة بن عبيد الله : أسلم وهو ابن احدى عشرة سنة . استشهد فى واقعة الجمل سنة ٣٦ وله ٦٤ سنة .

٤ ـ الأرقم بن أبى الأرقم : أسلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ومات سنة ٥٥ من الهجرة .

٥ ـ عبد الله بن مسعود : أسلم وقد قارب البلوغ ، ومات سنةاثنين وثلاثين من الهجرة .

٦ ـ سعيد بن زيد : أسلم وهو دون العشرين ، ومات سنة اثنتين وخمسين من الهجرة .

٧ ـ سعد بن أبى وقاص : أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومات سنة أربع وخمسين من الهجرة .

٨ ـ مسعود بن ربيعة : أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومات سنة ثلاثين من الهجرة .

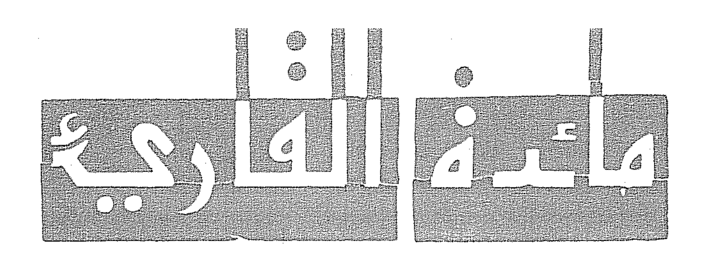
٩ ـ جعفر بن أبى طالب : أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، استشهد بمؤته ؟

١٠ ـ صهيب الرومى : أسلم وهو دون العشرين ، ومات سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

١١ ـ زيد بن حارثة : أسلم فى حدود العشرين ، ومات وهو ابن خمس وخمسين سنة . فى غزوة مؤته .

١٢ ــ عثمان بن عفان	:	أسلم فى حدود العشرين ، استشهد سنة ٣٥ هـ وسنه ٨٢ سنة .
١٣ ــ طليب بن عمير	:	أسلم فى حدود العشرين ، استشهد فى وقعة أجنادين .
١٤ ــ خباب بن الأرت	:	أسلم فى حدود العشرين ، ومات وعمره ثلاث وستون سنة . (مات سنة سبع وثلاثين) .
١٥ ــ عامر بن فهيرة	:	أسلم ابن ثلاث وعشرين سنة .
١٦ ــ مصعب بن عمير	:	أسلم وهو ابن أربع وعشرين سنة . استشهد فى احد .
١٧ ــ المقداد بن الأسود	:	أسلم وهو ابن أربع وعشرين سنة ، ومات سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة .
١٨ ــ عبد الله بن جحش	:	أسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ومات وهو ابن نيف وأربعين سنة .
١٩ ــ عمر بن الخطاب	:	أسلم وهو ابن ست وعشرين سنة ، واستشهد سنة
٢٠ ــ أبو عبيدة بن الجراح	:	أسلم وهو ابن سبع وعشرين سنة ، ومات وكانت سنه عند موته ثمان وخمسين سنة .
٢١ ــ عتبة بن غزوان	:	أسلم وهو ابن سبع وعشرين سنة ، ومات وسنه سبع وخمسون سنة .
٢٢ ــ أبو حذيفة بن عتبة	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، استشهد فى وقعة اليمامة ، وسنه ست وخمسون سنة.
٢٣ ــ بلال بن رباح	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات سنة عشرين من الهجرة .
٢٤ ــ خالد بن سعيد	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، واستشهد يوم مرج الصفر .
٢٥ ــ عمرو بن سعيد	:	أسلم فى حدود الثلاثين ، واستشهد يوم مرج الصفر .

٢٦ ـ عياش بن أبى ربيعة :	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات شهيدا سنة خمس عشرة من الهجرة .
٢٧ ـ عامر بن ربيعة :	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة .
٢٨ ـ نعيم بن عبد الله :	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات بمؤتة .
٢٩ ـ عثمان بن مظعون :	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات فى السنة الثانية من الهجرة .
٣٠ ـ عبد الله بن مظعون :	أسلم بن سبع عشرة سنة ، ومات سنة ثلاثين من الهجرة .
٣١ ـ قدامة بن مظعون :	أسلم بن تسع عشرة سنة ، ومات سنة ست وثلاثين من الهجرة .
٣٢ ـ السائب بن مظعون :	أسلم فى حدود العشر من السنين ، واستشهد فى وقعة اليمامة .
٣٣ ـ أبو سلمة بن عبد الأسد :	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات فى السنة الرابعة من الهجرة .
٣٤ ـ عبد الرحمن بن عوف :	أسلم فى حدود الثلاثين ، ومات فى سنة احدى وثلاثين من الهجرة .
٣٥ ـ عمار بن ياسر :	أسلم بين الثلاثين والاربعين ، واستشهد فى وقعة صفين سنة ٣٧ من الهجرة .
٣٦ ـ أبو بكر الصديق :	أسلم وهو ابن (٣٧) سنة ، ومات سنة ثلاث عشرة من الهجرة .
٣٧ ـ حمزة بن عبد المطلب :	أسلم وهو ابن (٤٢) سنة ، واستشهد فى غزوة أحد .
٣٨ ـ عبيدة بن الحارث :	أسلم وهو ابن خمسين سنة ، ومات بعد عودته من بدر .
٣٩ ـ عامر بن أبى وقاص :	مات بالشام فى خلافة عمر ، واسلم بعد عشرة رجال .
٤٠ ـ السائب بن عثمان بن مظعون :	أستشهد باليمامة وسنه بضع وثلاثون سنة .



قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين .

صدق الله العظيم

عبد الله بن عباس

جاءه رجل من الأنصار فشكى اليه أمره ، وأنه ولد له ولد وأن أمه ماتت وهى تلده ، فأمر وكيله بأن يعطيه حاضنة ، وأن يدفع له مائتى دينار للنفقة على تربية الطفل ، وقال للأنصارى :

عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة :
قال الأنصارى : لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ، ولكنه سبقك ، فصرت له تاليا ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطل كرمك أكثر من وابله .

تربية

أسر معاوية الى ابن أخيه عمرو بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا .
قال عمرو : فأتيت أبى وقلت له :
ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا ، أفأحدثك به ؟

قال : لا ، لأنه من كتم حديثه كان الخيار له ، ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا .
فقلت : أو يكون هذا بين الرجل وأبيه ؟
قال : لا ولكن أكره أن تعود لسانك اذاعة السر .

صناديق النذور

رأى حافظ ابراهيم تزاحم الناس على صناديق النذور فى الأضرحة فأنشد :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة ... قامت على احجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها ... بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى ... ووسيلة تقضى بها الحاجات

اريحية العربي

روى التاريخ الاوروبي : ان شارلمان أسر أحد أمراء العرب ، وأدخل عليه وهو بين فرسانه وحاشيته ، والموائد موضوعة . والكل يأكلون فصاح فيه اما ان ترتد عن دينك ، واما أن تقتل ، فقال الأمير العربي : بل أوثر القتل ، فقال شارلمان : ولماذا قال ستعرف بعد برهة : من هؤلاء الاشخاص الضخام الذين يلبسون الفراء ، ويجلسون على مائدتك ؟ فقال شارلمان انهم مطارنة وقساوسة ، فسأله الأمير العربي : ومن هـؤلاء النحاف الذين يلبسون السواد ؟ فأجاب انهم رهبان يصلون من أجلنا ، فسأل مرة ثالثة ، ومن هؤلاء الذين يجلسون على الارض ويأكلون من فتات المائدة ، فقال : انهم الفقراء ، فصاح الأمير العربي : أهكذا تعامل الفقراء : ان هذا مخالف للشرف والمروءة ، ولا يرضى ربك الذى تعبده ، والآن : لا . لن أتنصر أبدا وهذه سمة دينك ، وانى أفضل الموت .

محضر تحقيق

القاضي : ما اسمك ؟
السائق : قائد السيارة
القاضي : وصنعتـــك ؟
السائق : سائق .
القاضي : كم عمـــرك ؟
السائق : مائة قتيـــل .
القاضي : أنت متهم بالدهس .
السائق : كله بالقضاء والقدر .
القاضي : قل السرعة والغفلة .
السائق : لا : القضاء والقدر .
القاضي : يوجد شهود عليك .
السائق : كذابـــون .
القاضي : رجال الاسعاف يشهدون .
السائق : كذابون لأننا نشغلهم باستمرار .

ديك يبيض

من أغرب قضايا محاكمة الحيوان فى القرون الوسطى محاكمة الديك الذى باض ، فقد رفعت دعوى على ديك فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٤٧٤ لأنه باض ، وذلك فى عرف الأوروبيين جريمة شنيعة اذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديك ليستخدموها فـــى أغراضهم الشيطانية ، وقدم الديك للمحاكمة ودافع محاميه بأن الديك لا يعتبر مسئولا ، ولكن المحكمة أصدرت حكمها باعدام الديك حتى يكون عبرة لغيره .



قالـــوا : أن فترة الشباب أخصب مراحل العمر ، وأجدرهـــا بحسن الافادة وعظم الاجادة !!

فهى القوة الظاهرة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة .

وقد قرر القرآن الكريم ذلـك فى قوله تعالى : « **الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** » .

ومن ثم كان على المرء أن يقدم حسابا عاما عن حياته كلها ، وحسابا خاصا عن طور الشباب وحده ، فهو طور له خطره وأثره « لا تزول قدما عبد حتى يسأل : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ » ..

والحق أن أمجـــاد المتفوقين ، وأشواط الصاعدين ، انما تستمد حركتها وبركتها من جهـــودهم أيام الشباب ، واستغلالهم عرامه وأقدامه فى السبق والانطلاق على أن الشباب وان اكتنفته من طرفيه المتباعـــدين الطفولة والشيخوخة ، الا أنه يصعب وضع حدود زمنية لعهده السعيد !! فهناك رجال تظل وقدة الشباب حارة فى دمهم وأن أنافوا على الستين ، لا تنطفىء لهم بشاشة ، ولا يكبو لهم أمل ، ولا تفتر لهم همة .. !!

وهناك شباب يحبون حبوا عـــلى أوائل الطريق لا ترى فى عيونهم بريقا، ولا فى خطاهم عزما ، شاخت أفئدتهم فى مقتبل العمر ، وعاشوا فى ربيع الحياة لا زهر ولا ثمر !!

ومن الأخطاء تصور الشباب قدرة جسد ، وفتاء غريزة ! ان الشبـــاب توثب روح ، واستنارة فكر ، وطفرة أمل ، وصلابة عزيمة ..

للشيخ : محمد الغزالي

بين الشباب والشيوخ

نعم ان فترة الشباب في حياة الانسان هي أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة ، والعواطف الفائرة لكنها ليست عهد العافية المكتملة في البدن الناضج فقط ، بل انها — كذلك عهد النزعات النفسية الجياشة ، يمدها الخيال الخصب ، والرجاء البعيد ..

والأمم تستغل في شبانها هذه القوى المذخورة ، وتجندها في ميادين الحرب والسلم ، لتذلل بها الصعب ، وتقرب البعيد .

ونجاح النهضات الكبيرة يرجع الى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهممهم ، والى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم .

وقد راقبنا الثورات التي اشتعلت في أرجاء الشرق ضد الغزاة المغيرين على بلاد الاسلام ، فوجدنا جماهير الشباب هم الذين صلوا حرها ، وحملوا عبئها ، واندفعوا بحماستهم الملتهبة ، وأقدامهم الرائع ، يخطون مصارع الأعداء ، ويرسمون لأمتهم صور التضحية والفداء .. !

ولا يزال الشباب من طلاب وعمال وقود المحركات الحرة ، وطليعة الثائرين على الفساد والاستبداد ، وقبلة المربين والمرشدين ، والزعماء الذين ينشدون مستقبلا أزكى لهذه الحياة .

ونحن اذ نقرر هذه الحقائق ننوه بما تنطوي عليه من دلائل الايثار والتفاني ونرجو أن يكون حظ أمتنا من هذه الثروة الحية كفاء ما رميت به من أحداث جسام ، وما فقدت من أمجاد عظام ..

فلا ينتهي هذا العصر حتى نكون قد غسلنا بلادنا من أدران الاحتلال

الأجنبى الذى أخزانا فى ديننا ودنيانا ..!!

بيد أن هناك رجالا تأخرت بهم السن وذهبت عنهم سورة الشباب ، وتكاثرت الصلات التى تربطهم بالدنيا ، ومع ذلك فان جذوة اليقين المتقد فى قلوبهم تمسك بالشباب المولى عن جلودهم وعظامهم ، وتبقيه ، بل تضاعفه ، فى قلوب تنبض بالحق وتدفعه فى العروق مع الدم ، فاذا أنت ترى منها بأس الحديد ، وجرأة الأسود ، وترى رجالا تستهويهم المغامرة ، ويطيرون الى التضحية فى سبيل الله أخف من الشباب الغض ..

قد يقبل الشباب على المخاطرة وسبل البذل أمامه ميسرة ، فهو أن سجن لم يجزع على أسرة يعولها ! وان قتل لم تبكه امرأة أيم ! ولا ولد يتيم ! وخفة حمله من هذه الناحية تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب ، أو تزيح العوائق من أمامه اذا ثارت فى دمه نوازع النجدة ..

أما البطولة الفارعة فهى أن يكون المرء رب أسرة كبيرة يضرب فى مناكب الأرض لرعايتها ، ويسير فى الحياة وهو موقر بأثقالها . غير أنه ـ وهو الزوج المحب والأب الرحيم ، والراعى المسئول ـ مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله ، مخلص للدين الذى اعتنقه ، مقدر للحقوق التى ارتبطت به .

فاذا أحس للاسلام طلبا سارع اليه ولباه بروحه ، وماله ، ولم تشغله أعباء الحياة التى يكدح فيها عن مطالب المثل العالية التى آمن بها .. !!

والانسان عندما يقرأ استشهاد عبد الله بن حرام ، يرى فى قصته جلالا تنحنى له الجباه . أعزازا للأبوة الرقيقة التى جادت بنفسها ، واستودعت الله أسرة من غلام واحد وست بنات !

روى أبو داود والنسائى عن جابر ابن عبد الله قال : ((**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى المشركين يقاتلهم ، وقال لى أبى : يا جابر عليك أن تكون فى نظارى أهل المدينة حتى تعلم إلآم يصير أمرنا ؟ فانى والله لولاأنى أترك بنات لى بعدى لأحببت أن تقتل بين يدى .. !!**

قال : فبينا أنا فى الناظرين ! جاءت عمتى بأبى وخالى ، عادلتهما على ناضح ! فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا ، اذ لحق رجل ينادى : ألا أن النبى صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوهم فى مصارعهم ، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا ..)) ..

وروى البخارى عن جابر أيضا : ((لما حضر أحد ـ يعنى القتال عند الجبل وفوقه ـ دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى الا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وانى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله !! وان على دينا ، فاقضه واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا .. وكان أول قتيل)) .

هذا الصاحب الجليل خرج مع رسول الله ليصد هجوم المشركين على المدينة تاركا وراءه هذه الأسرة الكبيرة وقوامها كما رأيت بنات يحتجن الى الكافل الحانى ، ولم يكن أبوهن ذا بسطة فى المال ينفق منه عن سعة ، ويترك لعقبه من بعده ما يغنى ويصون ، بل كان الرجل مهموما بشئون الرزق ، ينصب فيه ويستدين . وغلام فرد الى جوار ست بنات يكون غالبا قرة عين الوالد وموضع حبه

العميق ، لكن عبد الله يقسم أنه يود لو قدم ابنه ليستشهد فى سبيل الله وأنه انما يعجل بنفسه حتى يبقى الابن للبنات يخدمهن ، فان ابنه لو قتل قبله ، فلن تطول بالأب الحياة .

انه لا بد مقتول فى أقرب معركة . ان أصحاب المبادىء سراع الى تلبية مبادئهم ! عندما يقرع باب الكريم ينهض ويقول :

فقمت ولم أجثم مكانى ولم تقم
مع النفس علات البخيل الفواضح

وعندما يطلب الشجاع الى ساحة الوغى يذهل عن الحياة وأواصره بها ، وينطلق وهو يقول : « وعجلت اليك رب لترضى » !!

وقد خرج أبو جابر الى أحد ليلقى مصيره مع أبر شهداء الاسلام . وروى الشيخان عن جابر قال : أصيب أبى يوم أحد فجعلت أكشف عن وجهه وأبكى !! وجعلوا ينهوننى ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا ينهانى ، وجعلت فاطمة بنت عمرو رضى الله عنه تبكيه !!

فقال صلى الله عليه وسلم : تبكينه أو لا تبكينه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه !

وروى الترمذى عن جابر قال : لقينى رسول الله مرة **وأنا** مهتم ، فقال : مالى أراك منكسرا ؟ فقلت : استشهد أبى يوم أحد . وترك عيالا ودينا ، فقال : ألا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قلت بلى ! قال : ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب ، وأنه أحيا أباك فكلمه كفاحا ، فقال : يا عبدى ، تمن على أعطك ! قال : يا رب تحيينى فأقتل ثانية ! فقال سبحانه وتعالى : انه قد سبق منى أنهم لا يرجعون : فنزلت : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا** » .

والمرأ يحار ، أيعجب من كرامة الشهيد على الله ؟ أم حلاوة الفناء فى الله التى ذاقها أولئك الشهداء ؟

ان أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده ، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده ، بل تطلع للعودة الى الدنيا كيما يذهل مرة أخرى عن أحب شىءفيها ، ويتمشى بخطى ثابتة الى ساحة القتال !!

ولقد كفل الله أولاد الشهيد ، وقضى عنه دينه فى حديث يطول .

ولندع حديث الصدر الأول ، ونستأنف حديث الأشياخ المجاهدين فى عصرنا هذا ، اننا واجدون رجالا من طراز رائع ، صنعهم الاسلام القوى فأحكم صناعتهم ، وقذف بهم على جند الباطل فجددوا سير السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

من أولئك النفر الغر : عمر المختار . البطل الذى بلغ التسعين من عمره وهو يجوب الصحراء مطاردا « الطليان » الذين أغاروا على طرابلس ، وعملوا على تنصيرها بالحديد والنار ، وفيه يقول «شوقى» :

بطل البداوة لم يكن يغزو على
(تنك) ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حمى صهواتها
وأدار من أعرافها الهيجاء

وقد وقع الشيخ المهيب فى أسر الاعداء ، فألفوا محكمة قضت بقتله شنقا !! والمستعمرون قوم لا ينتظر منهم شرف المعاملة لا مع صديق ولا مع خصم ، وقد ندد شوقى بهذا الحكم الشائن فقال :

خفيت على القاضى، وفات نصيبها
من رفق جند قادة نبلاء
تسعون لو ركبت مناكب شاهق
لترجلت هضباته أعياء

ويقول :

شيخ تمالك سنه ، لم ينفجر
كالطفل من خوف العقاب بكاء ؟
الأسد تزأر فى الحديد ولن ترى
فى السجن ضرغاما بكى استخذاء

ثم يخاطب الشعب طالبا منه تجنيد الشباب واعفاء الشيوخ فيقول :

فأرح شيوخك من تكاليف الوغى
واحمل على شبانك الأعباء

على أن منطق اليقين لا يكترث بفوارق السن ، فان العقيدة المتفجرة فى القلوب الكبيرة ترد الكهول الوانين فتيانا نشيطين ، أما اذا تخلخل الايمان فان الشاب الجلد يمسى حلس منفعة تافهة مهينة !! .

والدعوات العظيمة لا تضار بشىء مثل ما تضار بهذا الصنف من المتلونين المتطلعين ، الصنف الذى يحاذر أن يمسه سوء ، ويسارع الى احراز الغنائم ، ويشارك بجسمه أصحاب الرسالات ، أما قلبه فهو بعيد بعيد . الصنف الذى صور القرآن موقفه النابى المريب فى هذه الآيات .

« وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » .

والمرء لا يصلح أن يكون رجل دعوة وصاحب رسالة اذا بنى حياته فى حساب الارباح والخسائر على هذا النحو المنكر .

ربما كان الرجل خالى البال لا يتبع أهلا ولا مالا ، فهو يهز كتفيه لما تفد به الليالى من أحداث ، أفاذا بلى بأثقال الفضائل ألقى بها فى عرض الطريق ، وأضحى لا يهدأ أو لا يهيج الا لمنافعه الخاصة ؟

كذلك فعل المنافقون قديما ! فعندما ندبوا للجهاد قعدوا واعتذروا **« سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا »** ..

انهم توهموا الخروج مغامرة مخوفة العاقبة ، أو مقامرة بعيدة الربح ، فنكصوا وأفئدتهم صفر من معانى اليقين والتضحية التى تجعل الشهيد يقبل على الموت ، ويود لو يرد الى الحياة ليموت مرة أخرى .

ولو كان الخروج لنفع يسير لكان لهم مع القافلة سواد كثيف .. !

« سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » .

وقد حذر الله المؤمنين أن تسيطر على أفكارهم هذه المآرب ، أو تتدخل فى نياتهم هذه المنافع .

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

فلتكن لنا من حياة المجاهدين عظة ، ومن مماتهم عبرة ، ومن مسلكهم مع أهليهم وأموالهم أسوة حسنة ..

ترتيب سنّ الشباب

قال الامام أبو منصور عبد الملك الثعالبى فى كتابه فقه اللغة :

الجنين ما دام الحمل فى رحم أمه فهو جنين .

الوليد فاذا ولد فهو وليد .

الصديغ وما دام لم يستتم سبعة فهو صديغ . لانه لا يشتد صدغه الى تمام السبعة

الرضاع ما دام يرضع فهو رضاع .

الفطيم ثم اذا قطع عنه اللبن فهو فطيم .

الدارج ثم اذا دب ونما فهو دارج .

الخماسى فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسى .

متغور فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور .

الناشىء فاذا كاد يجاوز العشر السنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشىء .

المراهق فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع أو مرافق

الحزور فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور .
واسمه فى جميع هذه الاحوال التى ذكرناها غلام

الفتى فاذا صار ذا فتاء فهوفتى وشارخ .

المجتمع فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع .

الشاب : ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب .

الكهل ثم هو كهل الى أن يستوفى الستين .

الطفلة أما المرأة فهى طفلة ما دامت صغيرة .

الوليدة ثم وليدة اذا تحركت .

الكاعب ثم كاعب اذا كعب ثديها .

الناهد ثم ناهد اذا زاد .

المعصر ثم معصر اذا أدركت .

العانس ثم عانس اذا ارتفعتعن حد الاعصار .

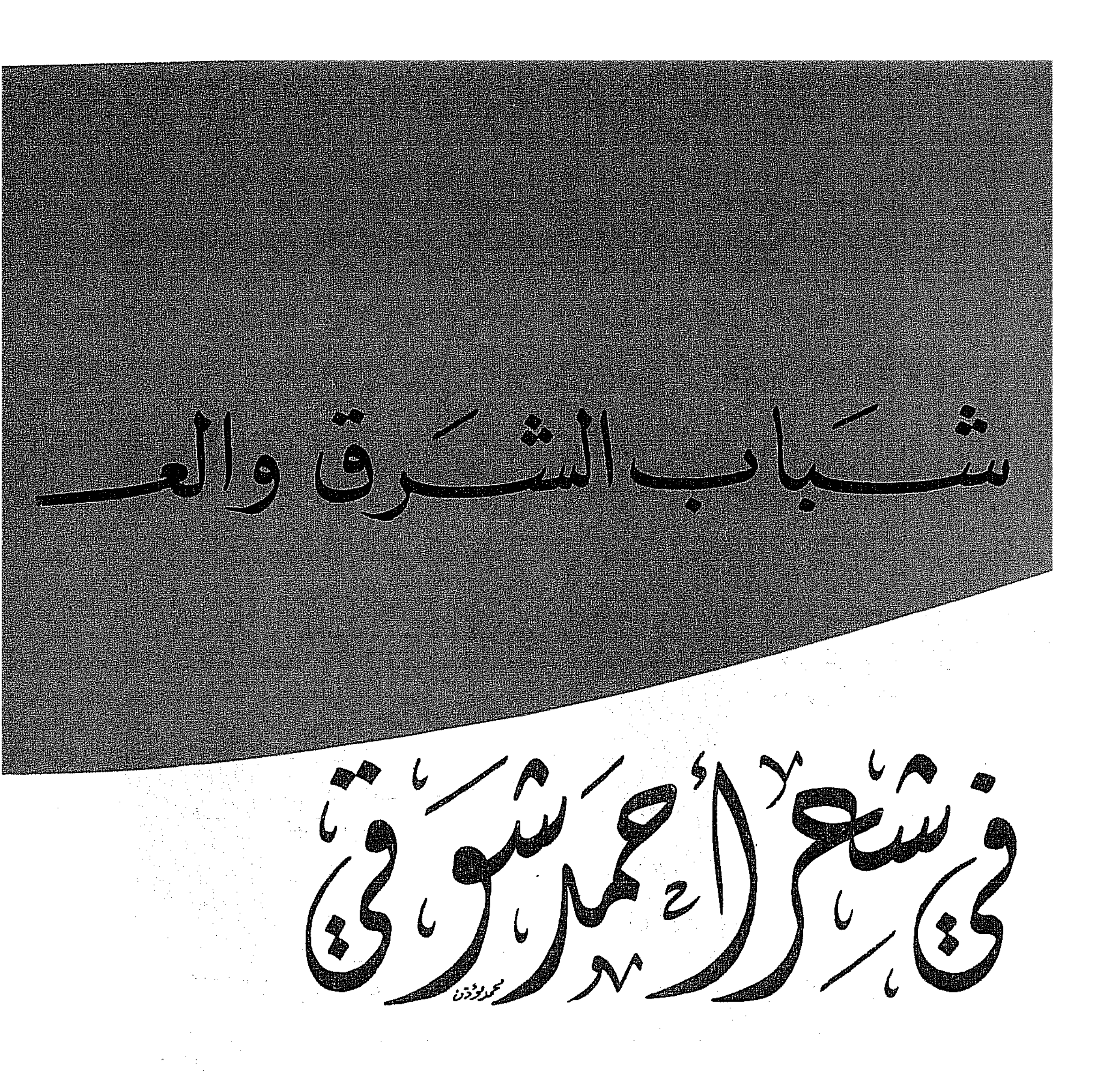
الخود ثم خود اذا توسطت الشباب .

النصف ثم نصف اذا كانت بين الشباب والتعجيز .

الشهلة ثم شهلة كهلة اذا وجدت مس الكبر وفيها بقيةو جلد

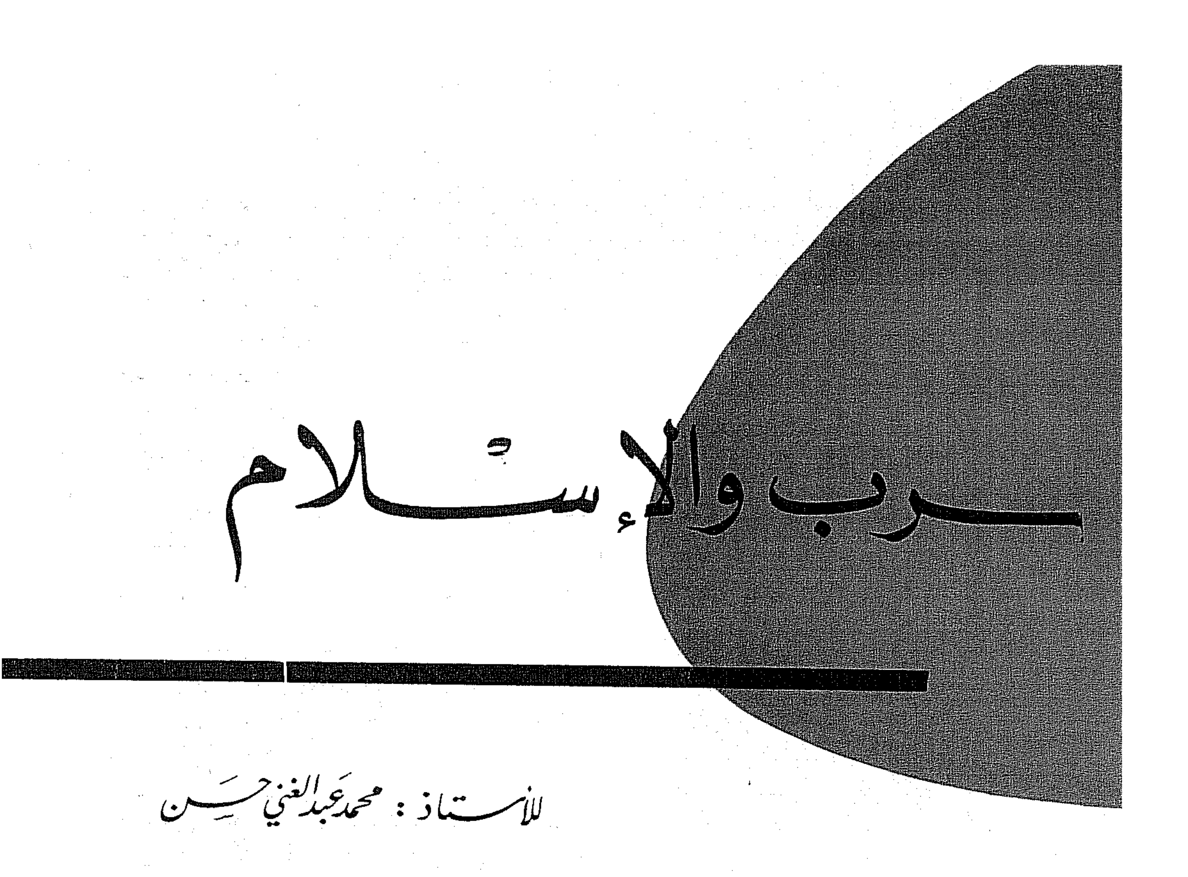
الشهيرة ثم شهيرة اذا عجزت وفيها تماسك .

الحيزبون ثم حيزبون اذا صارت عالية السن ناقصةالقوة



حينما رغبت الى مجلة (الوعى الاسلامى) أن أشارك بقلمى فى عددها الممتاز عن (الشباب : تربيته ومشاكله) ، قفزت الى الخاطر تلك العبارة الكريمة التى قالها النبى محمد عليه السلام حينما أنزل عليه قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) فجمع بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب ، وكان عددهم خمسة وأربعين رجلا ، وصنع لهم طعاما ، فلما أكلوا قال لهم : يا بنى عبد المطلب ! انى والله ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بكلمتين خفيفتين على اللسان ، ثقيلتين فى الميزان : شهادة أن لا اله الا الله ، وانى رسول الله .

فمحمد هنا وهو فى سن الأربعين : سن الرسالة والنبوة ، يقر بأنه شاب ، وبأن شابا آخر من قريش لم يجئهم بمثل ما جاءهم به محمد أو بأفضل منه .



ويشاء الله أن يجمع الى شباب محمد شباب رجال دعوته ، حتى تلتقى القوة بين الداعى والدعاة على أشد ما يكون الالتقاء حين يجتمع الشباب الى الشباب . وكانت سن كل واحد من هؤلاء دون الأربعين بكثير أو بقليل ، كعلى بن أبى طالب ، وجعفر بن أبى طالب ، وصهيب الرومى ، وزيد بن حارثة ، وعثمان بن عفان الذى أسلم فى حدود العشرين سنة ، والمقداد بن الأسود ، وعمر بن الخطاب الذى أسلم وهو ابن ســـت وعشرين سنة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف الذى أسلم فى حدود الثلاثين سنة ، وأبى بكر الصديق الذى أسلم وهو ابن ست أو سبع وثلاثين سنة . ولم يتجاوز الأربعين من هؤلاء السابقين الا حمزة بن عبد المطلب ، فقد كانت سنه اثنتين وأربعين سنة ، وعبيدة ابن الحارث فقد أسلم وهو ابن خمسين سنة ، أى أنه تجاوز سن اكتمال الشباب بعشر سنين .

وقفزت الى الخاطر مسائل أخرى ، كاحتفاء طائفة من الشعراء بالشباب والمشيب ، والمقارنة بين سواد أولهما وبياض ثانيهما ، والبكاء على الشباب ، والجزع للمشيب وذمه ، ومحاولة اخفاء وجهه الأبيض بالخضاب الأسود ! كما فعل أبو تمام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، وأخوه المرتضى وابن الرومى ، وهم ممن أطالوا فى هذا الباب اطالة دعت الشريف المرتضى الى جمع أشعارهم فى كتاب أسماه (الشهاب ، فى الشيب والشباب) .

ويتضح بأدنى نظر أن لفظة (الشباب) لها مدلولان : اما أن تكون للحالة التى تضاد المشيب والشيخوخة بمعنى الفتاء والحداثة ، واما أن تكون جمعا بمعنى الشبان ، جمع شاب . وقد جاءت معاجم اللغة بالمعنيين معا . ففى (القاموس المحيط) : (الشباب : والشبيبة : الفتاء ، والشباب والشبيبة والشبان : جمع شاب) وعلى المعنى الأول قول البحترى :

يعيب الغانيات على شيبى ... ومن لى أن أمتع بالمعيب ؟!
ووجدى بالشباب وان تقضى ... حميدا دون وجدى بالمشيب

وعلى المعنى الثانى — بمعنى الشبان — قول الشاعر أحمد شوقى :

شباب قنع لا خير فيهم ... وبورك فى الشباب الطامحينا

والحق أن أكثر شعراء العرب منذ الجاهلية الى اليوم قد أداروا (الشباب) فى شعرهم على حالة الفتاء المضادة للمشيب . وجعلوا ما أداروه فى هذا المجال بكاء على عهد الشباب المزهر المدبر ، وخوفا من عهد المشيب الذى يفضى بدوره الى نهاية الحياة . فانقضاء الشباب لا يخيف ولا يزعج قدر انقضاء المشيب الذى به خاتمة العمر . ولم نجد — حتى العصر الحديث — شاعرا يتكلم عن الشباب بمعنى الشبان ، أو يتحدث الى الشبان ، أو يدلى اليهم بنصيحة ، أو يعلق عليهم أملا . وكأن كل شاعر من القدامى كان مشغولا بشئون نفسه ، وهموم شعره الأبيض ، وأحلام شعره الأسود ، ونفور الحسان من بياضه ، حتى لقد جعل بعضهم بياض المشيب ضحكة الأزهار فى الرياض : ولعله بذلك كان يوهم نفسه ، ويغالط حسه .. بل جعله زينة ووقارا ، فقال :

لا يرعك المشيب يا أبنة عبد اللـه ، فالشيب زينة ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما ... ضحكت فى خلالها الأزهار !

والحق — أيضا — أن اهتمام بعض الشعراء المعاصرين بالشباب اليوم ، وبالتعويل عليه ، والتأميل فيه ، لمستقبل البلاد ، وخير الأمة ، ونفع الجماعة ، انما هو أثر من آثار الاهتمام بالمجتمع والدراسات الاجتماعية . كما اهتموا اليوم بالمرأة ، والطفل واليتيم ، والفقير — مثلا — على حين كانوا بعيدين كل البعد من دائرة اهتمام الشعراء .

وما وجدت شاعرا عربيا معاصرا أولى الشباب اهتمامه ورعايته، وعانى التخاطب معهم ، وكابد النصيحة لهم ، وألف فى أشعاره الحديث اليهم ، كما فعل أحمد شوقى — رحمه الله — فان ديوانه يحفل بالشباب، ومدحهم ، والأمل فيهم ، والنصح لهم ، حتى فى المناسبات التى قد يكون الخطاب فيها الى الشباب بعيد الاحتمال . ولكن حب (شوقى » للشباب وتعليق الآمال عليه يجعله يخلق من المناسبة سبيلا الى الحديث عن الشباب والتحدث اليهم .

وقد تكون المناسبة التى يختارها الشاعر أحمد شوقى للحديث الى الشباب مناسبة رثاء . وهنا يخرج الشاعر من جو البكاء والدموع

ومن جو الحزن على الراحل وتعداد مآثره الى جو الاشادة بالآباء والأجداد شبابا وكهولا ، ولا يفوته هنا أن يقدم الشباب على الكهول ، وهو ترتيب اذا روعى فيه السن والزمن من ناحية ، فقد روعى فيه الاعتبار والتقدير من ناحية أخرى ، كما فى مرثيته للشهيد البطل عمر المختار حيث يقول :

تلك الصحارى غمد كل مهند ... أبلى فأحسن فى العدو بلاء
وقبور موتى من شباب أمية ... وكهولهم لم يبرحوا أحياء

وحين استشهد جماعة من الشباب طلبة العلم المصريين مغتربين فى أوربا فى حادثة قطار مشئومة بايطاليا سنة ١٩٢٠ ، وجدها شوقى فرصة مواتية للمقارنة بين المشيب والشباب . فالمشيب ليس مركبا للعلا ولا هو من خيولها . والمشيب لا يشجع على شجاعة ولا يقدم على جود ، ولكنهما مظنة الشباب ونتاجه ، فيقول :

وكل شباب أو مشيب رهينة
بمعترض من حادث الدهر مغتال

وما الشيب من خيل العلا ، فاركب الصبا
الى المجد تركب متن أقدر جوال

يسن الشباب البأس والجود للفتى
اذا الشيب سن البخل بالنفس والمال

ولا يقف شوقى فى مرثيته لشهداء القطار عند حد الموازنة بين اقدام الشباب وجوده ، وخوف المشيب وبخله ، ولكنه ينتهز فرصة استشهاد أحد عشر طالبا فى سبيل العلم فيقول موجها نصحه الى شباب النيل :

ويا نشأ النيل الكريم عزاءكم ... ولا تذكروا الأقدار الا باجمال
عليكم لواء العلم فالفوز تحته ... وليس اذا الأعلام خانت بخذال
اذا مال صف فاخلفوه بآخر ... وصول مساع ، لا ملول ، ولا آلى
ولا يصلح الفتيان لا علم عندهم ... ولا يجمعون الأمر أنصاف جهال

وفى رثاء شوقى للزعيم مصطفى كامل الذى اختطفه الموت فى سن الشباب يتخلص الشاعر من موقف البكاء الى موقف احياء الشعور الوطنى بين شبان البلاد ، فيقول مخاطبا الفقيد :

أخلع على مصر شبابك عاليا ... وألبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرا من شبابك ترتدى ... مجدا تتيه به على البلدان
علمت شبان المدائن والقرى ... كيف الحياة تكون فى الشبان

وينتزع الشاعر أحمد شوقى من كبار الأحداث والذكريات مناسبة للتحدث الى (الشباب) ونصحهم وتذكيرهم بسير العظماء من أسلافهم . ففى الموشح الأندلسى الذى نظمه شوقى لذكرى عبد الرحمن الداخل المعروف بصقر قريش يخاطب شوقى شباب الشرق — ولا يخص شباب النيل — قائلا :

يا شباب الشرق عنوان الشباب ... ثمرات الحسب الزاكى النمير
حسبكم فى الكرم المحض اللباب ... سيرة تبقى بقاء ابنى سمير (١)

---

(١) كناية عن الليل والنهار

في كتاب الفخـــر (للداخل) باب   لم يلجه من بنى الملك أمـــــير

وكثيرا ما كان شوقى يعتقد فى براءة الشباب وسماحته وطهارته الى حد أن الله لا يرد دعاءهم . ففى قصيدته التى افتتح بها عهد عودته من المنفى بالأندلس يقول :

وحيـــا الله فتيانا ســـماحا   كســوا عطفى من فخـــر ثيابا
ملائـــكة اذا حفـــوك يومـا   أحبـك كل من تلقى ، وهـــابا

ثم يخاطبهم قائلا :

شباب النيـــل ان لكم لصـــوتا   ملبى حـــين يرفع مســـتجابا
فهـــزوا العرش بالدعوات حتى   يخفف عن كنـــانته العـــذابا

وفى قصيدته التى نظمها بمناسبة مشروع (ملنر) البريطانى يخاطب الشبان ويشير الى جهودهم قائلا :

يا نشأ الحى ، شـــباب الحمى   سلالة المشـــرق من نجبـــه
بنى الألى أصـــبح احســانهم   دارت رحى الفن على قطبـــه
موسى وعيسى نشـــآ بينهـم   فى سعة الفكر وفى رحبـــه
ما نسيت مصـــر لكم برهــا   فى حازب الأمـــر وفى صعبه ..

وما فتىء شوقى فى كثير من قصائده مادحا للشباب مشيدا بمآثرهم وجهودهم فى خدمة بلادهم ، فحين أطلقت مصر سراح المسجونين من الشباب ١٩٢٤ على يد سعد زغلول قال شوقى من قصيدة القيت فى حفل تكريمهم :

قالوا : أتنظم للشباب تحيـــة   تبقى على جيـــد الزمان قصيدا ؟
قلت : الشباب أتم عقـــد مآثـر   من أن أزيدهم الثنـــاء عقـــودا
قبلت جهودهم البـــلاد ، وقبلت   تاجا على هاماتهم معقـــودا ..

وطالما حض شوقى الشباب على ركوب العظائم والاقدام على جلائل الأعمال . فهو ينصح الشباب أن يركبوا المخاطر كما ركبها الرحالة أحمد حسنين فيقول :

قل للشباب بمصر : عصركم بطل   بكل غـــاية اقـــدام له ولـــع
أس الممالك فيـــه همـــة وحجى   لا الترهات لها أس ولا الخـــدع
ان الشباب غد ، فليهدهم لغـــد   وللمسالك فيـــه الناصـــح الورع
لا يمنعنكمو بـــر الأبـــوة أن   يكون صنعكمو غـــير الذى صنعوا

ولا يدع شوقى مناسبة تمر دون أن ينتهزها بالنصح للشباب ونصح ولاة الأمور بتربيتهم وبنائهم على أسس متينة من الخلق والدين ، وتنشئتهم نشأة صالحة . ففى قصيدته المشهورة التى نظمها لتكريم المعلم والعلم يخاطب المعلمين قائلا :

ربوا على الانصاف فتيان الحمى   تجدوهم كهف الحقـــوق كهـــولا
فهـــو الذى يبنى الطباع قويمـــة   وهو الذى يبنى النفوس عـــدولا

وفى قصيدته الجريئة العظيمة التى يلوم فيها رياض باشا على مدحه وتملقه للورد كرومر معتمد بريطانيا فى مصر سنة ١٩٠٤ ، يعاتبه

على أنه ترك نصيحة الشبان والطلاب وتحذيرهم من الاستكانة للمستعمر فيقـــول :

فهـــلا قلت للشـــبان قـــولا — يليق بحـــافل الماضى الهمـــام ؟
يبث تجـــارب الأيـــام فيهـــم — ويدعو الرابضين الى القيـــام
خطبت على الشـــبيبة غـــير دار — بأنـــك من مشـــيبك فى منام !!

والمتتبع لشعر شوقى كله يرى أنه لم يمل فى أكثر المواقف من مخاطبة الشباب ، والتوجه اليهم بالنصح تارة ، والفخر بهم تـــارة أخرى ، وكأنما كان يتخذ هذا التفاخر بالشباب سبيلا الى حمله على أن يزيد من طاقاته ، ويوسع من أمد اهتماماته . ففى مشروع القرش الذى نهض به بعض من كرام الشبان سنة ١٩٣٢ قال شوقى من قصيدة يخاطب بها الشباب :

فتيـــة الوادى عـــرفنا صـــوتكم — مرحبا بالطـــائر الشـــادى الغرد
هو صوت الحق لم يبـــغ ، ولم — يحمل الحقد ، ولم يخفف الحســـد
وخـــلا من شـــهوة ما خـــالطت — صالحا من عمـــل الا فســـد

وطالما وجد الشاعر شوقى فى الشباب الأمل المرتجى ، وكثيرا ما كان يجعل أمل البلاد معلقا عليهم ومنوطا بهم . ففى الحفل الذى أقيـــم بفندق شبرد تكريما للأساتذة الشبان عبد الملك حمزة ، واسماعيل كامل، وعوض البحراوى ينظم شوقى قصيدة يفتتحها بقوله :

وطن يرف هـــوى الى شـــبانه — كالروض رقتـــه على ريحـــانه
هم نظم حليته ، وجوهر عقـــده — والعقـــد قيمتـــه يتيم جمـــانه
يرجو الربيع بهم ، ويأمـــل دولة — من حســـنه ومن اعتدال زمـــانه
من غاب منهم لم يغب عن سمعه — وضميره ، وفؤاده ، ولســـانه ..

وكثيرا ما كان يدعو الله أن يطيل فى عمره ، ويمد فى أجـــله ، حتى يرى من روائع الشباب أكثر وأكثر ، فعندما حيا الطيارين الفرنسيين : (فدرين) و (بونيه) بمناسبة قدومهما طائرين الى مصر لأول مرة سنة ١٩١٤ خاطب شباب مصر بقوله :

يا شباب الغد : وأبنـــاء الفـــدا — لكم ، أكرم وأعـــزز بالفـــداء
هل يمد الله لى العيش عســـى — أن أراكم فى الفريق السعداء ؟
وأرى تاجكمـــو فـــوق السهى — وأرى عرشكمو فوق (ذكـــاء) ؟

ولم يدع هذه السانحة تمر دون أن يوجه النصح الى الشباب قائـــلا :

انمـــا مصر اليـــكم ، وبـــكم — وحقـــوق البر أولى بالقضـــاء
عصركم حـــر ، ومســـتقبلكم — فى يمـــين الله خـــير الأمنـــاء
لا تقولوا : حطنـــا الدهر ، فما — هـــو الا من خيـــال الشـــعراء
هـــل علمتم أمـــة فى جهلهـــا — ظهرت فى المجـــد حسناء الرداء ؟
باطـــن الأمـــة من ظاهرهـــا — انما السائل من لـــون الاناء ..
فخـــذوا العـــلم على أعلامـــه — واطلبوا الحـــكمة عنـــد الحكماء

وأقــرءوا تاريخــكم واحتفظــوا بفصـــــيح جاءكم من فصـــــحاء
أنـــــزل الله على ألســــــنهم وحيـــه فى أعصر الوحى الوضاء
واحكموا الدنيـــا بسلطان فمــا خلقت نضرتهـــا للضـــعفاء . .
واطلبوا المجــد على الأرض فان هى ضاقت فاطلبوه فى السماء .

وهل نجد تربية للشباب أسمى من هذه التربية التى وضع الشاعر شوقى منهجها فى هذه الأبيات السابقة ؟ فهو يحض الشباب على العلم فان الأمة الجاهلة لا تظهر فى المجد حسناء الرداء ، ويحض على قراءة التاريخ الخاص بالأمة حتى يعتز الشباب بانتسابهم الى امة عريقة ، ويحض على تعلم اللسان الفصيح والبعد من العامية والعجمة ، — وكأنه كان — رحمه الله — يتنبأ بأحوالنا اليوم — ويحض على صون القرآن الذى نزل بلسان عربى مبين ، ويحض على الاستمساك بالقوة ، وطلب المجد فى أى مكان .

ولا يخص شوقى بالنصيحة شباب مصر ، أو شباب النيل ، أو شباب الشرق ،ولكنه يعمم النصح ويمد أطنابهالى جارة عربية مثل الشام. ففى قصيدته (دمشق) يوجه الخطاب الى فتية الشام قائلا :

شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها فالملك غرس ، وتجديد ، وتبيان
لو يرجع الدهر مفقودا له خطــر لآب بالواحــد المبكى ثكـــلان
الملك ان تعملوا ما استطعتموا عملا وان تبين على الأعمــال اتقــان
الملك أن تخرج الأمــوال ناشطة لمطلب فيــه اصــلاح وعمـــران
الملك تحت لســـان حـــوله أدب وتحت عقل على جنبيـــه عـــرفان
الملك أن تتلاقوا فى هـــوى وطن تفرقت فيـــه أجنـــــاس وأديان

وليس شوقى فى نصائحه لشباب الشام متطفلا على مائـــــدة غيره ، أو مقتحما غير أهله وطنه ، فقد كان (رحمه الله — ينظـــر الى العالم العربى وأقطاره — من زمن بعيد — نظرة واسعة كان من آثارها هذا الشعور الموحد الذى نشعر به اليوم ، والذى كان لشعراء العروبة المحدثين والمعاصرين فضل كبير فى دعمه وتمكينه .

وهذا الشعور بجمع الشمل ولم الصفوف كان شوقى يدعو الشباب اليه فى مصر ، وفى الأقطار العربية التى منيت على يـــد الاســـــتعمار بصدع كبير . ففى المؤتمر الوطنى الذى دعا اليه سعد زغلول ، وأقيم بدار محمد محمود (باشا) سمعنا شوقى سنة ١٩٢٦ يخاطب الشبـــاب قــــــائلا :

قل للبنين مقال صدق ، واقتصد ذرع الشباب يضـــيق بالنصـــاح
أنتم بنو اليوم العصيب نشأتمــو فى قصف أنـــواء وعصف رياح
ورأيتمـــو الوطن المؤلف صـــخرة فى الحادثات وســـيلها المجتـــاح
وشهدتمو صدعالصفوف ،وماجنى من أمر مفتات ، ونهى وقـــاح :
صوت الشعوب من الزئير مجمعا فاذا تفـــرق كـــان بعض نبـــاح

ولقد كان الشاعر أحمد شوقى والدا حكيما فى تربية الشباب ومعالجة بعض مشاكله ـ فحين رأى موجة من الطلاب الشباب تنتحر ـ منذ نصف قرن ـ لأسباب واهية لا تجيز التخلص من نعمة الحياة ومن حق الحياة ، رأى أن واجبه يقتضيه أن يوجه النصيحة الى الشباب ليدلهم على حماقة هذه البدعة الطارئة ومخالفتها للشرائع والعقل والفطر السليمة ، فقال من قصيدة رائعة :

نشأ الخير : رويدا ، قتلكم فى الصبا النفس ضلال وخسر
لو عصيتم كاذب اليأس ، فما فى صباها ينحر النفس الضجر
تضمر اليأس من الدنيا ، وما عندها من حادث الدنيا خبر ..
فيم تجنون على آبائكم بين إشفاق عليكم وحذر ؟
وتعقون بلادا لم تزل ألم الثكل شديدا فى الكبر ؟
فمصاب الملك فى شبانه كمصاب الأرض فى الزرع النضر
ليس يدرى أحد منكم بما كان يعطى لو تأنى وانتظر !!!

وفى قصيدة أخرى للناشئة رسم الشاعر شوقى دستورا كاملا لسلوك صحيح قويم فى الحياة . فنصح الشباب بعبادة الله بعقل ، والايمان به كايمان العجائز ، وبالعلم ، والقراءة ـ وخاصة قراءة التاريخ ـ والنشاط ، والصدق ، والأمانة ، والشجاعة ، واحترام الأديان ، والصبر على المكاره ، وعمل الخير ، والكرم ، ومعاملة الناس بالاحسان ، وطلب الحق ، وذكر الموت وصيام رمضان ، والصوم عن غيبة الناس ، والصلاة مقرونة بالخوف من الله ، والحج الى بيت الله ، والى بيوت الفقراء لوصلهم بالعطاء والزكاة مع التوسع فيها . وهى أرجوزة طويلة جمع فيها كثيرا من قواعد السلوك ، وأصول التربية للناشئة والشباب . ومن العجيب أنه نهى فيها الشباب عن الميسر والخمر ، ولكنه نصحهم بالعشق مع التعفف ، فان من لم يعشق لم يدر معنى اللذة !! واسمعه هنا يقول :

واترك الخمر لمشغوف بها لا يرى مندوحة عن شربها
وعن الميسر ما استطعت ابتعد فهو سل المال ، بل سل الكبد
وتعشق ، وتعفف واتق مادرى اللذة من لم يعشق !

وهو هنا فى مدار نصيحته السابقة للشباب الذى يتغرب فى طلب العلم ، ولعله هنا يدور فى مدار الشاعر القديم الذى يقول :

اذا أنت لم تعشق ولم تك ذا هوى فكن حجرا من جامد الصخر جلمدا

ومن الغريب أيضا أن شوقى استعمل لفظ (العشق) فى رسالته هذه للشباب ، مع انه لم يقع فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية الا فى حديث سويد بن سعيد (من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد) كما ذكر ابن قيم الجوزية فى كتابه (روضة المحبين) ..

وأيا ما كان الأمر فقد كانت اهتمامات الشاعر أحمد شوقى بالشباب وتربيته ومعالجة مشكلاته كثيرة وواضحة .

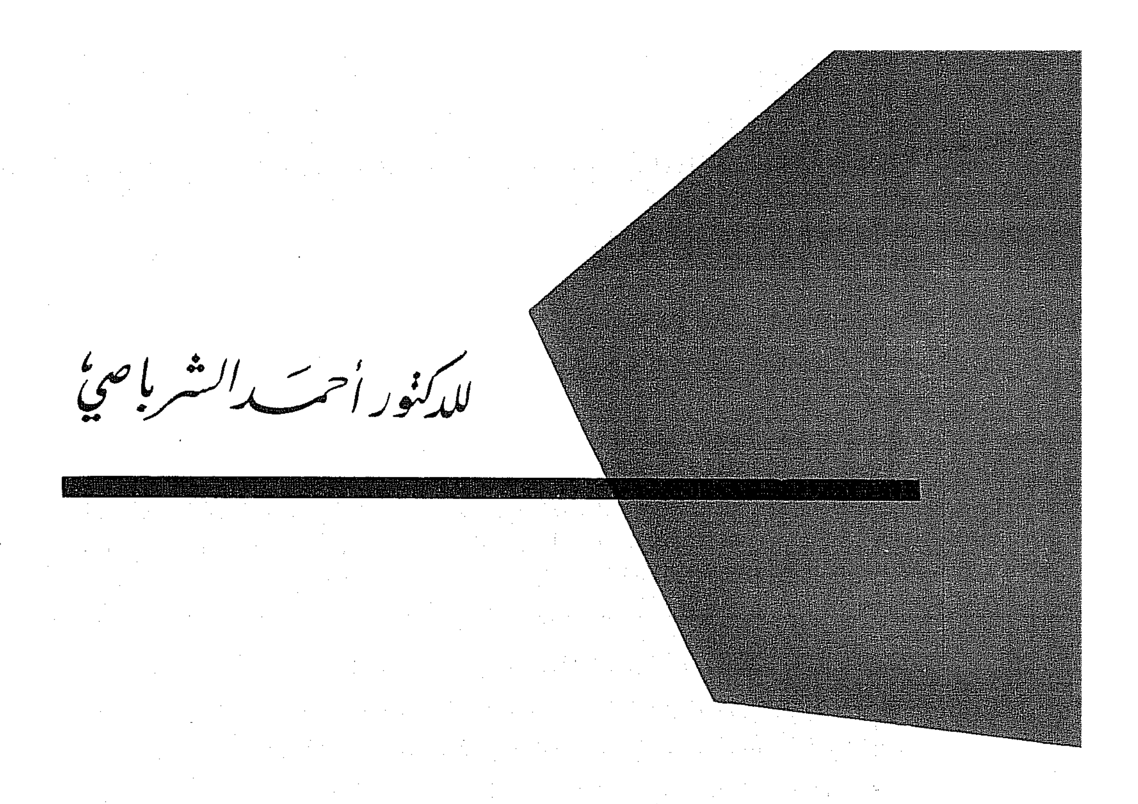


كلما هممت بالحديث أو الكتابة عن الشباب خطر ببالى ما جاء منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو : « أوصيكم بالشباب خيرا ، فانهم أرق أفئدة ، ان الله تعالى بعثنى بشيرا ونذيرا ، فحالفنى الشباب ، وخالفنى الشيوخ » ثم تلا قوله تعالى : « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

نعم ان الشباب أرق أفئدة وأصلح قلوبا ، اذا وجدوا منذ بداية الطريق من يحسن قيادتهم وسياستهم ، فان فى الشبيبة معنى العزم والتوقد والاقدام ، وكلمة (الشباب) نفسها فيها معنى الحرارة والنور ، لأنها مأخوذة من قولهم : شب الرجل النار ، اذا أوقدها فتلألأت ضياء ونورا ، وفيها معنى الطموح والارتفاع والتوفز ، اذ يقال شب الجواد ، اذا رفع يديه معا الى أعلى .

ولا جدال فى أن شبابنا بحاجة الى تربية وتوجيه ، بل نحن أحوج ما نكون الى تربية الشباب ، لأن الشباب هم رجال الغد ، وهم الذين ستوكل اليهم مقاليد الأمور عما قريب ، وبمقدار توفيقنا فى اعدادهم وتخريجهم يكون الجيل القادم رشيدا موفق الأعمال مسدد الخطوات .

وبعض المصلحين الاجتماعيين يرى أنه لا وسيلة للنهوض بالمجتمع الا بتربية جيل من الشباب تربية قويمة سليمة ، تكون فيصلا بين جيل فسدت



تربيته فنزلت رتبته ، وأجيال قادمة تكون أنقى وأرقى ، وهذه الأجيال لا تتوالد الا من أصل كريم طيب ، هو ذلك الجيل من الشباب الذى نستنفد الجهد صادقين مخلصين فى تعليمه وتقويمه .

ونحن نتطلع فنرى الناس شتى المذاهب فى اعداد أبنائهم وفلذات أكبادهم ، فمنهم من يسرف مع أبنه فى الشدة والضغط والكبت ، فيتولد من ذلك التمرد والانفجار ، وتزهق خصائص شريفة كان من الممكن استغلالها والافادة منها . وهناك من يسرف فى التدليل واطلاق سراح الحرية ، فيأتى التحلل والفساد ، وتنماع خصال الخير والقوة فى طوفان من الشر والاثم .

ومنهم من يخبط خبط عشواء فى تربية أبنائه ، فيتبع معهم أساليب « عرفية بدائية » لا نصيب لها من العلم أو الفهم أو التقعيد ، بل هى مواريث فجة من مختلف الأجيال المنحرفة أو الفاسدة .

فكيف السبيل الى تربية الشباب ؟ . من الواجب أن نتذكر أولا أن الشباب عنده مجموعة من الطاقات والغرائز ، اذا لم نحسن امتلاك قيادها والبراعة فى توجيهها ، صارت نارا ودمارا ، فسن المراهقة عند الشاب تحتاج الى رعاية ووقاية وارشاد ، وفترة الشك التى تعرض للشاب لا يجوز بحال من الأحوال أن نتجاهلها أو نعالجها بالقسوة والتهديد والوعيد

بل علينا أن نتذرع بالحكمة فى اصلاح ما يحتاج الى اصلاح حتى لا يفلت من أيدينا الزمام .

واذا كان الحديث الشريف يقول : « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع للمساكين » فان الحديث الشريف أيضا يطالب بالاحسان — أى الاتقان — فى هذا التأديب — فيقول : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » ويقول : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » .

ولا ريب فى أن رأس الأدب الحسن هو أن ينشأ الشاب على أساس من الايمان بالله والتدين السليم ، والتمسك بمكارم الأخلاق ، وحينما قال القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » جاء الحسن وفسر هذا بقوله : « مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير » .. وقال ابن عباس : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لكم ولهم من النار » .

ولقد سأل كثير بن زياد الحسن عن قوله تعالى : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما » فقال : يا أبا سعيد ، ما هذه القرة فى الأعين ، أفى الدنيا أم فى الآخرة ؟ فقال : لا والله ، بل فى الدنيا . قال : وما هى ؟ قال : هى والله أن يرى العبد من زوجته ، من أخيه ، من حميمه ، طاعة الله ، لا والله ما شىء أحب الى المرء المسلم من أن يرى والد ولدا أو حميما أو أخا مطيعا لله عز وجل .

ولكن غرس الايمان والتدين والاستقامة الأخلاقية فى نفس الناشىء لا يتحقق بكثرة الكلام وحده ، ولا بشدة التحذير والانذار ، وانما يتحقق اذا كانت هناك أمام الناشىء قدوة عملية سلوكية مؤمنة ، تقرن القول بالعمل ، والناشىء يقلد الكبار الموجودين أمامه ببراعة واتقان ، فاذا كان الكبار أمثلة طيبة للتدين والاستقامة أثروا تأثير الخير والاصلاح فى الناشئين من حولهم ولو أن الوالد تذكر على الدوام أن ولده أمانة بين يديه ، وهو مسئول عن هذه الأمانة فى الدنيا والآخرة ، لما ارتضى لنفسه أن يقتصر فى تأديبه لولده على مجرد النصائح والوصايا يسوقها اليه فى ترفع وتعال ، وهذا المعنى يذكرنا بقول سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير راع على الناس ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

ويقول عبد الله بن عمر : « أدب ابنك ، فانك مسئول عنه : ماذا أدبته وماذا علمته ، وانه مسئول عن بره لك ، وطواعيته لك » . وكأن ابن عمر أراد أن يشير الى أمر له منزلته فى تصور العلاقة بين الآباء والأبناء ، اذ يجب أن تقوم هذه العلاقة على تبادل الاحسان بين الطرفين ، فالوالد يبدأ باحسان تربيته لابنه وتنشئته على الدين والخلق القويم والسلوك الرشيد وحسن الجمع بين القول والعمل ، فاذا صار الفتى رجلا ، ورأى أن أباه

قد رباه وقومه ، ورعاه وأكرمه ، حفظ الجميل وصان الصنيع وقابل الاحسان بالاحسان .

وهذا شاب يرى أن أباه قد أهمله وأساء اليه ، ومع ذلك يطالب الوالد ولده بأن يؤدى اليه حق الآباء المكتوب على الأبناء ، فقال الشاب لأبيه : يا أبت ، ان عظيم حقك على لا يذهب صغير حقى عليك ، والذى تمت به الى أمت به اليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكنى أقول : لا يحق لك الاعتداء ! . .

ولذلك رأينا ابن القيم فى كتابه : « تحفة الودود » يقول فى هذه العبارة : « فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء اليه غاية الاساءة ، وأكثر الأولاد انما جاء فسادهم من قبل الآباء واهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغارا ، فلم ينتفعوا هم بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كبارا . » .

والاشارة فى كلام ابن القيم الى تضييع الشباب صغارا يلفت أبصارنا وبصائرنا الى خطيئة كبرى يقع فيها الآباء بالنسبة الى تربية الأبناء ، فكثير من هؤلاء الآباء يهملون تنشئة أبنائهم على الدين والاستقامة وهم فى أول الطريق ، فاذا شب هؤلاء الأبناء ، وخيل اليهم أنهم قد صاروا رجالا ، وأن لهم الحق فى الحرية والانطلاق ، ومضوا فى مسالك الحياة بلا تحفظ أو احتياط ، أخذ الآباء يحاولون تعليم أبنائهم مبادىء الحق والفضيلة ، فيصعب عليهم قيادة الأبناء ، فيسخط الآباء على أولادهم ، ويصفونهم بالتمرد والاعتساف ، ولو أنصف الآباء للاموا أنفسهم قبل لومهم أبناءهم ، فهم الذين أهملوا هؤلاء الأبناء حينما كانوا كالعجينة اللينة الطيعة القابلة للتشكيل والتعديل ، ولو تدرج الآباء مع الأبناء فى غرس التدين والاستقامة ، درجة بعد درجة ، ومرحلة وراء مرحلة ، لاعتدل أمر هؤلاء وهؤلاء ، وقديما قال شاعرنا :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه !

وما أقوى التحذير الذى نلمحه فى تلك العبارة التى قالها — وقد كبر — لأبيه الذى أهمل تربيته فى صغره ، وهى : « يا أبت ، أنك عققتنى (أى أهملتنى) صغيرا ، فعققتك كبيرا ، وأضعتنى طفلا ، فأضعتك شيخا » .

• • •

والرائع المعجب أن التراث الاسلامى قد عنى بتربية الأبناء والشباب عناية كبيرة ملحوظة ، ولو راجعنا ما كتبه أمثال الغزالى وابن خلدون وابن المقفع وابن سينا وابن جماعة وابن سحنون والماوردى وابن مسكوية ، لوجدنا أنهم تعرضوا للجلائل والدقائق فى تربية الأبناء ، ونوهوا بأن العناية بهذه التربية تجلت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكتب الأخلاق والوصايا وغيرها من مصادر التراث الاسلامى .

وها نحن أولاء نرى السنة النبوية الشريفة تلفتنا الى العناية بالأبناء ، منذ بداية الطريق ، فيقول الحديث : « من ولد له ولد فليحسن اسمه

وأدبه » . واذا كانت عناية الاسلام بتربية الأبناء تبدأ من حسن اختيار الاسم ، فان ما خلفه المسلمون السابقون من تراث تربوى يرينا كيف اتسعت آفاقهم ، وتكاثرت وصاياهم فى هذا الباب ، حتى شملت كل ناحية تتعلق بتقويم الناشئة واعدادهم للحياة العاقلة الفاضلة الواسعة ، فهذا عمر بن الخطاب يكتب الى سكان الأمصار يقول لهم : « اما بعد ، فعلموا أولادكم السباحة الرمى والفروسية ، ورووهم ما صار من المثل وحسن من الشعر ، وكان ابن التوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتابة والحساب والسباحة .

ولقد قال الحجاج لمؤدب أولاده : « علم أولادى السباحة قبل الكتابة ، فانهم يجدون من يكتب ، ولا يجدون من يسبح عنهم . وتحدث أبو عقيل بن درست فقال : رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر ، فقلت : فى أى شىء كنت اليوم ؟

فقال : فى تعلم ما ليس ينسى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غنى . قلت : وما ذاك ؟ قال : السباحة .

والاسلام يرى من الواجب على كبار الأمة نحو شبابها أن يوصوهم دائما بحياة القوة والفتوة والفروسية ، وبالتخفف من الترف والتنعم ، ويتعود الخشونة لأن النعم لا تدوم ، وهذا عمر بن الخطاب يوصى شباب الأمة المؤمنة وصية جليلة تعد نموذجا باهرا لأدب الفروسية والفتوة ، فيقول لهم : « اتزروا وارتدوا ، وانتعلوا ، وألقوا الخفاف ، وألقوا السراويل ، وعليكم بثياب أبيكم اسماعيل ، واياكم والتنعم وزى العجم ، وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ، وتمعددوا واخشوشنوا ، واخلولقوا ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا ، وارتموا الأغراض » .

انه يقول لهم : « اتزروا وارتدوا » أى اكتفوا بلبس الازرار والرداء ، وهما ثوبان خفيفان ليس فيهما ثقل ولا ترف ولا اسراف . ويقول لهم : « وانتعلوا » والنعل حذاء خشن فيه شىء من الصلابة والتماسك ، مع قلة ثمنه وقلة ما يستره من القدمين ، ويقول لهم : « وألقوا الخفاف والسراويل » لأنها لينة طرية قد يتعود الانسان معها نعومة الأظفار وضعف الاحتمال .

ويقول لهم : « وعليكم بثياب أبيكم اسماعيل » . اسماعيل هو جد العرب ، وكان فارسا قويا متماسكا ، وكانت ثيابه ثياب فروسية ، لأنه يكتفى بالازار والرداء ، ولا يلبس ثياب المترفين أو العاطلين من النشاط والعمل .

ويقول لهم : « واياكم والتنعم وزى العجم » فهو يحذرهم من التوسع فى التمتع باللذات والشهوات ، ويحذرهم ان يقلدوا العجم فى ثيابهم الناعمة الرخوة التى يألفها أهل التبطل والفراغ من التبعات .

يقول لهم : « وعليكم بالشمس فانها حمام العرب » فهو ينصحهم بالتعرض للشمس ، حتى تصح أبدانهم ، وتقوى عضلاتهم ، ويتعودوا

احتمال أشعتها وحرارتها ، وتذيب هذه الشمس من أجسامهم ما فيها من فضلات ورواسب .

ويقول لهم (وتمعددوا) أى كونوا كأبيكم معد بن عدنان الذى كان ذا فروسية وقوة ، وكان خفيف الثياب ، حسن الأخلاق والأفعال ... ويقول لهم : « واخشوشنوا » أى تعودوا الخشونة فى الملبس والمأكل والمركب ونحو ذلك ، حتى لا تضعفوا ولا تتعودوا الرفاهية والكسل ، ولذلك قال عمر فى كلمة أخرى : « اخشوشنوا فان النعم لا تدوم » .

ويقول ابن القيم فى كتابه « الفروسية » تعليقا على هذه العبارة : « وقوله : واخشوشنوا ، أى تعاطوا ما يوجب الخشونة ويصلب الجسم ، ويصبره على الحر والبرد والتعب والمشاق ، فان الرجل قد يحتاج الى نفسه فيجد عنده خشونة وقوة وصبرا مما لا يجده صاحب التنعم والترفه ، بل يكون العطب اليه أسرع » .

ويقول لهم عمر : « واخلولقوا » أى جهزوا أنفسكم وكونوا على استعداد للقيام بما يجب عليكم من تبعات وواجبات ، لأن الكلمة مأخوذة من قولهم : اخلولق السحاب ، أى اجتمع وتهيأ للمطر وصار خليقا له ، فمعنى (اخلولقوا) ـ كما يعبر ابن القيم نفسه : تهيئوا واستعدوا لما يراد منكم ، وكونوا خلقاء به جديرين بفعله ، لا كمن ضيع أسباب فروسيته وقوته عند الحاجة !

ويقول لهم : « واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا » أى لا أى لا تتعودوا ركوب الخيل بوضع أقدامكم فى الركاب ، بل اقطعوا هذا الركاب من سرج الجواد ، اذا أراد أحدكم أن يعتلى ظهر الجواد ، فليقفز عليه دون الاستعانة بالركاب ، وهذا يستدعى خفة فى الجسم ، ونشاطا فى الحركة ، ومرونة فى القفز ..

ويقول لهم أخيرا : « وارتموا الأغراض » أى اجعلوا همكم عند الرمى هو أن تصيبوا الأهداف ، واصابة الهدف عند الرمى لا بد له من تمرين وتدريب ودقة رياضية خاصة .

وهكذا طلب عمر الى الشباب فى وصيته هذه أن يكونوا أمثلة للقوة والفتوة والفروسية ، ولذلك أورد ابن القيم هذه الوصية الغالية وتحدث عنها فى كتابه « الفروسية » وهو كتاب لو كان الأمر بيدى لفرضت دراسته وتفهمه على كل شاب نعده فى مجال الجندية أو الفتوة أو الرياضة أو الأخلاق .

كأنما كان الفاروق فى وصيته السابقة يريد أن يحقق ما طالب به السلف الصالح حينما قالوا : « طيروا دماء الشباب فى وجوههم » وكأنهم بهذا القول كانوا يطالبون الكبار بأن يجعلوا الشباب دائما فى حركة ونشاط حتى يظل دم الشباب حارا جاريا مترقرقا على صفحات وجوههم .

ومن الطبيعى أن يكون هناك خلاف ما بين الشيوخ والشباب ، أو بين الآباء والأبناء ، أو بين أهل جيل على أهبة الرحيل ، وأهل جيل على أهبة

التألق والسطوع ، واذا لم يفهم الكبار هذه الحقيقة . فانهم لن يحسنوا قيادة الشباب ، بل سيوسعون دائرة الخلاف بين الفريقين يوما بعد يوم .
من واجب الشيوخ نحو الشباب أن يتذكر الشيوخ أن الأجيال يختلف بعضها عن بعض بسبب اختلاف الاحداث والاوضاع والبيئات ، وبسبب التطور الذى يحدث فى أساليب الحياة وشئون الاحياء ولعل عمر رضى الله عنه كان يقصد شيئا قريبا من هذا المعنى حين قال . « الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم » وهذه الكلمة ينسبها الجاحظ فى كتابة « البيان والتبين » الى عروة بن الزبير بن العوام ، وفى موضع آخر من كتابه هذا يقول عنها انها احدى ثلاث كلمات « مرسلة » ، وقد رويت لأقوام شتى ، وقد يجوز أن يكونوا حكوها ولم يسندوها (١) .

وكذلك ينسب الى عمر أنه قال : « ان أبناءكم قد خلقوا لجيل غير جيلكم ، وزمان غير زمانكم » . ومن هنا كان واجبا على الوالد أن يقدر شعور ولده وتفكيره ، ويلاحظ الفرق بين زمنه وزمنه ، وبين تفكيره وتفكيره على الأب أن يتعرف ميول ابنه ، وان يتبين استعداده واتجاهه ، وان يضعه حيث يريد ، أو حيث يستفيد ويفيد ، فلا يكرهه على لون من الدراسة لا يطيقه أو لا يستطيعه ، ولا يرغمه على اتجاه لا يحبه ، أو حرفة لا يرغب فيها ، ولنذكر الحديث القائل : « كل ميسر لما خلق له » .

ومن باب تقدير الشباب وحسن الافادة منهم أن نشركهم فى الأمور ونبادلهم الآراء ، وقديما قالت العرب : عليكم بمشاورة الشباب ، فانهم ينتجون رأيا لم ينله القدم ، ولا استولت عليه رطوبة الهرم ، وقال هرم ابن قطبة : « عليكم بالحدث السن ، الحديد الذهن » . كما قال الشاعر :

رأيت العقل لم يكن انتهابا — ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقاسمته — حوى الآباء أنصبة البنينا

ولقد روى البخارى أن عمر بن الخطاب كان يدخل عبد الله بن عباس — وهو شاب — مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لعمر : لم تدخل هذا معنا ؟ . فيقول عمر : انه من حيث علمتم . ودعا عمر ابن عباس ذات يوم مع هؤلاء الاشياخ ليريهم من عمله وحدة ذهنه ، وسألهم عمر عن بعض آيات القرآن الكريم ، فقالوا فيها قولا لم يقتنع به عمر ، ثم سأل عمر ابن عباس فقال فيها رأيه ، فذكى عمر هذا الرأى قائلا : « ما أعلم منها الا ما تقول » .

ويروى أيضا — كما جاء فى تفسير الطبرى — أن عمر قرأ قوله تعالى : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . .
ثم سأل عمر عنها من كانوا معه ، فقالوا الله أعلم . فقال عمر : قولوا نعلم أولا نعلم .

وكان ابن عباس واقفا خلفه في تواضع ، وهو شاب حدث ، فقال لعمر : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقربه عمر اليه وقال له . قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك . فقال ابن عباس : « هذا مثل ضربه اللـــه فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير والسعادة ، حتى اذا كان أحوج ما يكون الى أن يختم بخير ، حين فنى عمره ، واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من أعمال أهل الشقاء ، فأفسده كله فحرقه أحوج ما يكون اليه » . فأعجب عمر بابن عباس .

ومن واجبات الآباء نحو الابناء أن يشعروا هؤلاء الأبناء منذ بدايـــة الطريق بروح الصداقة والمودة ، وعاطفة اللين والمرحمة ، ولقد روى ابن قتيبة فى « عيون الاخبار » أنـــه جاء فى الحديث : « من كان له صبـــى فليستصب له » (٢) . وكان عروة بن الزبير يقول لأولاده « يا بنى ، العبوا فان المروءة لا تكون الا بعد اللعب » . وجاء فى « الجامع الصغيـــر » أن الخطيب روى فى التاريخ عن سهل بن سعد وعن ابن عمر . « التراب ربيع الصبيان » .

وجاء فى حديث ابى رافع : « كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحى » وهى أحجار كانوا يحفرون لها حفيرة ، ويدحون — أى يرمون — فيها بتلك الأحجار ، فان وقع الحجر فى الحفرة فقد غلب صاحبها ، وهى تشبه لعبة « البليارد » المعروفة الآن . ولقد سئل ابن المسيب عن الدحو بالحجـــارة فقال : لا بأس به (٣) .

وورد فى الأثر : « لاعب ابنك سبعا ، ثم أدبه سبعا ، ثم صاحبـــه سبعا ، ثم دع حبله على غاربه »

وقديما قال الأحنف : « أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة فان غضبوا فأرضهم ، وان سألوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ، ويتمنوا موتك » !

ولكن هذا يجب أن يكون بميزان معتدل ، فالصبى فى صغره لا يطيق القسوة أو الخشونة ، كما أنه يتعقد نفسيا لو أنه أحس من أبيه أو مربيه روح التخويف والتعذيب ، وفى هذا الصبى طاقات وامكانيات وقـــوى مذخورة ، يمكن اثارتها وتجليتها بروح المـــودة والتشجيع ، وأسلـــوب [illegible] التحبير ، والحكمة فى معالجة نـــوازع الشر ، ولا ينبغـــى أن يفرض الكبير على نفسه التزام التهديد والارغام للصغير ، أو فرض التوقير والاحترام حتى فى مواقف لا تستلزم هذا التوقير أو ذلك الخوف ، ولعلنـــا نتذكر موقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين مر على مجموعة مـــن الصبيان وفيهم عبد الله بن الزبير ، فانصرف الصبيان هيبة من عمر ، ووقف عبد الله ، فقال له عمر : فى تودد : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ فأجابه : يا أمير المؤمنين ، لم أذنب فأخافك ، ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك ، فلم يضق عمر بما قاله عبد الله ! . .

ولقد تتوافر عند الصبر طهارة وبراءة وسذاجة ، ثم نسيء به الظـــن دون موجب ، فنلقى على هذه البراءة سحبا من الشكوك والريب ، ونلقى

هذه الطهارة بما لا يناسبها من العنف والشدة ، فنزهق تلك الروح الطيبة ، ونوجد مكانها التواء وانحرافا ، فنكون نحن الجناة ، ويكون الناشيء هو الضحية ، بين أيدينا دون أن نشعر .

. . .

ومن الواجب على الآباء نحو الأولاد أن يعدلوا بين هؤلاء ، ولا يفرقوا بين ابن وابن ، ولا بين بنت وبنت ، ولا بين ابن وبنت ، وقد جاء في الحديث : « أعدلوا بين أبنائكم ، أعدلوا بين أبنائكم ، أعدلوا بين أبنائكم » وهذا أمر مؤكد بالتكرار ثلاث مرات لايضاح الايجاب وابرازه .

والمشاهد في كثير من نواحي المجتمع الاسلامي أن كثيرا من الآباء لا يعدلون بين أولادهم ، بل يفرقون بينهم في المعاملة ، مستجيبين في ذلك لرغبات بعض الزوجات أو خاضعين لبعض التقاليد المنحرفة الموروثة التي تؤدي في كثير من الأحيان الى حرمان بعض الذرية ممن الحقوق المشروعة التي قررها الدين .

وتروى السنة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يشهد على أنه خص بعض أولاده بشيء من ماله ارضاء لرغبة زوجته ، فسأله الرسول عما اذا قد أعطى كل ولد من أولاده مثل هذا ، فأجاب الرجل بالنفي ، فرفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يشهد ، وقال : اني لا أشهد ، الا على حق . وفي رواية أنه قال : لا تشهدني على جور ، ان لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ، وفي رواية : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . وفي رواية : اشهد على هذا غيري (٤) .

ولعل أخطر أنواع التفرقة هنا هو التفرقة بين الذكور والأناث من الأولاد ، فترى الجهلة من الآباء يحرمون بناتهم حقهن في الميراث ، ويفرقون في المعاملة بين الأبناء والبنات ، مع أن أنسا رضي الله عنه يروى أن رجلا كان جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء ابن صغير له فقبله الرجل وأجلسه في حجره ، ثم جاءت ابنة صغيرة له ، فأجلسها الى جانبه ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ما عدلت بينهما :

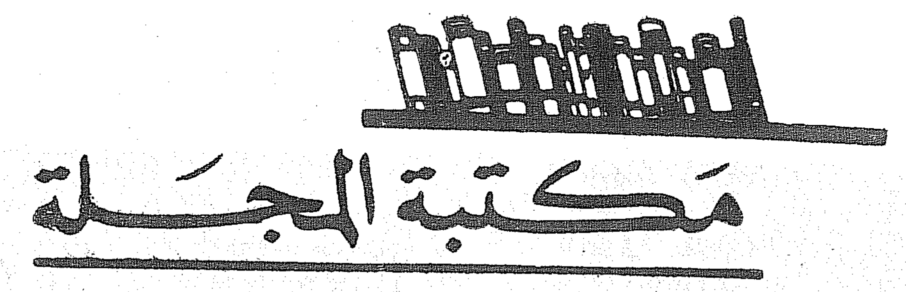
وقديما أجاد الشاعر حين قال :

لقد زاد الحياة الى حبا ... بناتي ، أنهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدي ... وأن يشربن رنقا بعد صاف
وأن يعرين ان كسي الجواري ... فتنبو العين عن كرم عجاف(٥) !

ان الأولاد أفلاذ الأكباد من الآباء ، وان الأولاد أمانة بين أيدي الآباء ، والآباء مسئولون عنهم أمام الله وأمام الناس ، وخير الآباء من صان الأمانة وأدى اليها حقوقها منذ بداية الطريق .

---

(١) أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٢ و ٢٠٢ و ج ٢ ص ٢٩٤ .
(٢) عيون الاخبار ج ٣ ص ٩٥ .
(٣) النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٦ وانظر تفسير المنار ج ١ ص ٢٤٨ .
(٤) اتحاف الورود لابن القيم ص ٧٦ .
(٥) كرم . بمعنى كريمات ، لأن الكلمة مصدر يلتزم فيه الافراد والتذكير .



اعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم

الكاتب الكبير الأستاذ محمد عزة دروزة يعرفه القراء من مؤلفاته الضخمة وبحوثه المستفيضة ، وما اظن أن احدا من قراء (الوعي الاسلامي) الا ويشهد له بطول الباع وعمق الفكرة ، ودراساته القيمة في القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وله مؤلفات عديدة ومنها هذا الكتاب : « تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم واحوال واخلاق ومواقف اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته من القرآن الكريم ، وهو كتاب يشهد لمؤلفه بتضلعه في التاريخ ، وصبره على البحث وسعة أفقه وغزارة علمه في فهم الكتاب والسنة ، والكتاب من منشورات المكتبة المصرية للطباعة والنشر في بيروت ويقع في (٥٥٢) صفحة .

الطبري

قد يكون من المقال المكرر المعاد أننا في نهضتنا وفي وثبتنا الاسلامية بحاجة الى انبعاث ماضينا المشرق الزاهر ، وبحاجة الى احياء تراثنا الفكرى الزاخر ، والتأسي بما كان لنا في ميادين الفكر والحضارة والبطولة عن آثار سباقة وأعلام خفاقة وأعمال مجيدة ومشهورة ، هذه الفكرة الأولى من المقدمة التى افتتح بها الدكتور أحمد الحوفى كتابه (الطبرى) وهو الامام العلامة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد من أعلام القرن الثالث الهجري ، ويقع الكتاب في (٢٥٥) صفحة ، وهو من مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .

الاسلام والتفرقة العنصرية

بقلم الدكتور عبد العزيز كامل الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ووزير الاوقاف وشئون الأزهر بالجمهورية العربية المتحدة ، والكتاب بحث أصدرته هيئة اليونسكو ضمن سلسلة (المسألة العنصرية والفكر الحديث) بمناسبة العام الدولي لمقاومة التفرقة العنصرية ، وطبع باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ويصدر باللغة العربية للمرة الأولى .. ويتناول البحث التعرض للأصول التى أكدت كرامة الانسان ، والاخاء الانسانى الشامل فى الاسلام الذي يرتفع فوق عصبية الجنس واللون والطبقة .. والكتاب من مطبوعات مركز اليونسكو ١ شارع طلعت حرب بالقاهرة .

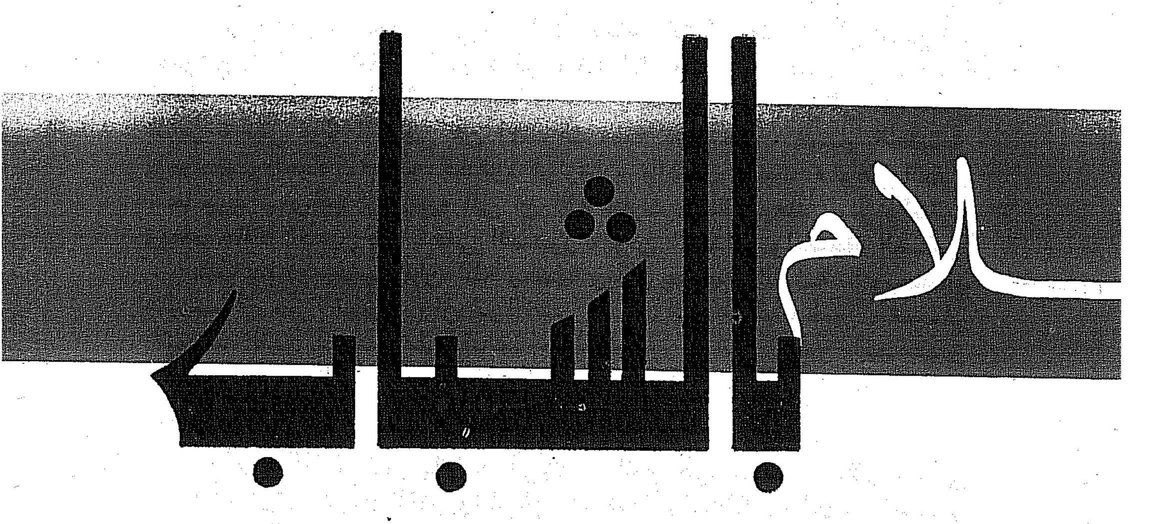
اهتمام الإسـ

الشباب هم أمل الحاضر ، وعدة المستقبل .. أى رجال المستقبل: قادته ، حكامه ، وزراؤه ، قضاته ، معلمو أجياله التالية . اذن فمهمة اعداده وتربيته ليست سهلة ولا هينة ، وواجب اصلاحه وتقويمه ليس أمرا ثانويا .. بل هو فريضة على الآباء والأولياء ، واجبة الأداء .

لذلك وجب أن يبدأ فى تكوين الشباب منذ النشأة الاولى ، منذ الطفولة الباكرة ، على أن يستمر هذا التكوين الراشد فى كل أطوار العمر . ونحن كمسلمين ينبغى أن نخلص فى تكوين شبابنا على أساس اسلامى ، فلا ندعه ينشأ على عادات غير اسلامية ، ولا نطيل اقامته فى جو غير اسلامى ، واذا اضطررنا الى ذلك من أجل الدراسة ، فلنقم له البيوت الاسلامية هناك ، التى يجد فيها بيئة أهله : معيشة وسلوكا وأداء لفرائض الدين ، واستمساكا بآدابه ، وسيرا على هداه .

ودور الأبوين فى تكوين الشباب ، منذ النشأة الاولى ، مهم وفعال، وقد أكد أهميته وفعاليته التوجيه النبوى : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه) .

أما اهتمام الاسلام — قرآنا وسنة — بالشباب تربية وتعليما ، واصلاحا وتقويما ، فهذه بعض مبادئه ونماذجه :



للأستاذ أحمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة

اهتمام القرآن بالشباب :

يلفت القرآن الكريم أنظار الآباء الى مهمتهم الابوية المقدسة ، فى وصايا لقمان لابنه ومواعظه له ، كما حكاها القرآن نفســـه عن هذا الأب الحكيم (١) فى هذه الآيات الكريمات التى بدأت بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا :

● ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد .

● واذ قال لقمان لابنه ــ وهو يعظه ــ يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) .

● (يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة أو فى السمارات أو فى الارض يأت بها الله . ان الله لطيف خبير .

● يا بنىّ اقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور .

● ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الارض مرحا . ان الله لا يحب كل مختال فخور .

● واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك . ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) (٢) .

ان هذه الوصايا التربوية ، التي حكاها القرآن على لسان لقمان .. كنموذج لاهتمام الآباء بالأبناء ، أو عناية الشيوخ بالشباب — واضحة المعاني ، سامية الاهداف ، لا تحتاج الى تفسير كثير ، والى تفصيل طويل ، فهي **أولا** : النهي عن الاشراك بالله عز وجل ، فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة ، لانه الخالق الرازق ، والمحي المميت ، وهو الفعال لما يريد . **وثانيا** : التنبيه الى ان الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وان الأحداث والاشياء الصغيرة .. مهما دقت وخفيت فان الله يعلمها ويأتي بها يوم القيامة ، ويحاسب عليها ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .. ان الله لطيف خبير ، فعلى الشباب الذين لهم — على آبائهم وأولياء أمورهم من الشيوخ — حق التعليم والتوجيه : أن يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله عز وجل ، وبحكمه الواسع ، وخبرته المحيطة .

وهي **ثالثا** : الامر باقامة الصلاة ، التي هي عمود الاسلام ، وهي — كذلك فرق ما بين الكفر والايمان .. ثم التوجيه الى واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اللذين هما أساس صلاح المجتمعات وقيامها على الحق والخير والبر .. ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة الى الله ، ومتاعب الجهاد في سبيله ، ففي الصبر — كما جاء في الحديث — خير كثير ، و (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

وهي **رابعا** : الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس ، وعن الخيلاء مشيا في الارض .. فان الله يبغض كل مختال فخور .

وهي **خامسا** : الامر بالاعتدال في الخطى ، وخفض الصوت عند الكلام . لان رفع الصوت ليس من ادب الانسان ، بل هو شأن الحيوان .
وهل بعد هذه الاخلاق الكرائم ، والآداب الحسان .. من تربية ينشدها الآباء لابنائهم ، او يطلبها الشيوخ لشبابهم ؟!

❊ ❊ ❊

ونمضي في تأمل آي القرآن الكريم ، فنجده يثني على جماعة من الشباب بانهم (فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (٣) لماذا ؟ لانهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا الى الله في كهف يعبدونه ويدعونه : (ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا) (٤) .

ونجد القرآن — في موضع آخر ، بل في سورة كاملة — يضرب نبيه يوسف عليه السلام مثلا للشباب الصالح العفيف ، الذى يستعصم عن الفسوق وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز ، ويتصدى لرغبتها فيه ، ودعوتها اياه ، واستعدادها له .. (وراودته التي هو في بيتها ، عن نفسه وغلقت الابواب وقالت : هيت لك قال : معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون) (٥) .

كما نقرأ في أواخر سورة النور تأديبا قرآنيا رائعا لاعضاء الاسرة المسلمة يشمل الشباب ، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة : (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ، فليستأذنوا ، كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته . والله عليم حكيم) (٦) وذلك لئلا يطلع الشباب على علاقات آبائهم الخاصة ، فينشغلوا بها ، قبل أوانها .. وفي ذلك فساد كبير . وفي اهتمام السنة بتربية الشباب ــ كما سيأتي ــ توجيه آخر من هذا الوادي .

واخيرا نجد القرآن يصور لهفة الآباء ، وحرصهم على صلاح ذريتهم في الدنيا ، تمهيدا للحاقهم بهم في سعادة الآخرة : (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) (٧) (والذين آمنوا ، واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم ، وما التناهم من عملهم من شيء . كل امريء بما كسب رهين) (٨) .

اهتمام الرسول بالشباب :

ونتأمل ــ الآن ــ اهتمامات نبي الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، بالشباب : تعليما وتربية وتوجيها وانتفاعا بنشاط الشبيبة وحماسها . واخلاصها . فقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم الاحاديث التالية :

- أوصيكم بالشبان خيرا ، فانهم أرق أفئدة . لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة ، فحالفني الشباب ، وخالفني الشيوخ .)
- يا شباب قريش من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء .)
- ما نحل والد ولده نحلة افضل من ادب حسن .)
- لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع .)
- يا غلام اني اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . واذا سألت فأسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله .)
- مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، والبسوهم السراويل ، وفرقوا بينهم في المضاجع) .
- اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك) .

وغير ذلك من توجيهات تربوية نبوية يختص الاسلام بها الشباب ــ لا نحصيها في هذه المقالة ، لئلا نطيل على القاريء .

وبتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب نتبين أن الاسلام حريص على أن يلفت أنظار اتباعه وافكارهم الى حقيقة تكوين الشاب كغرسة ناشئة طرية ، قابلة للتشكيل والتلوين على الصورة المرادة . كما يلفت انظارنا وافكارنا الى خطورة هذه المرحلة من عمر الانسان ، للمسارعة والاستباق الى رعاية تشكيلها وتلوينها على

الصورة الطيبة الفاضلة التى يريدها الاسلام ، والتى يحث عليها القرآن والسنة النبوية .

ولأن الشبان — كما جاء فى التوجيه النبوى الاول — أرق أفئدة ، لم تتراكم بعد على قلوبهم غشاوات العادات والاخلاق التى تتركز عادة فى طبائع الشيوخ — كانوا ، اى الشبان ، اسرع الى الاستجابة لدعوة الاسلام ، ونصرة رسوله الكريم .

وللسبب نفسه يحث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما سبق من توجيهاته وتنبيهاته ، على ان يحسن الآباء تأديب أولادهم وهم صغار قبل ان يشبوا عن الطوق ، وتتحجر عقولهم وقلوبهم على طبائع منكرة ، فيصعب تهذيبها أو تطبيبها فى الكبر .

ويعد النبي صلى الله عليه وسلم تأديب الوالد لابنه الشاب أفضل عطية يهبها اياه ، بل هي خير من الصدقة يمنحها غيره .

وفي سبيل المحافظة على الشباب من الاندفاع مع فورة الحداثة وثورة العاطفة — يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم الشبان بالزواج ، لان فيه سكنا ومودة ورحمة بين الجنسين من الشباب . وفي حالة تعذره أو تعسره .. عليهم بالصوم ليخفف عنهم الحاح العاطفة ، ويلطف فيهم فورة الشبيبة .

وفي هذه السبيل ايضا يأمر الرسول عليه الصلاة والسلام الآباء والأولياء ان يلبسوا أولادهم السراويل ، وان يفرقوا بينهم فى المضاجع ، ابتعادا بهم عن النزوة والشهوة ، ولينشأوا أطهارا أبرارا . وقد أشرنا من قبل — في موضوع اهتمام القرآن بالشباب — الى بعض آداب الاسرة التى شرعها الاسلام لصيانة الشباب من الانحراف الجنسي .

ثم يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم — في بعض تلك الاهتمامات — ان يغتنم الشباب شبابه الذى هو قوة وفتوة وحماس واخلاص ، قبل ان يهرم ، فلا يستطيع طلبا للعلم النافع ولا انجازا للعمل الصالح ، ولا اداء لواجبات دينه وامته ووطنه : دعوة وجهادا وذيادا .

كما يوصيه أن يحفظ الله .. أي يتقيه ويطيعه ائتمارا وازدجارا . فجزاء ذلك أن يحفظه الله .. أي يكون معه في كل ما يسلك من طريق نحو معيشته وعمله وعبادته . بالتوفيق والتيسير والعون ، والوقاية من كل سوء .

.. وان يكون اتجاهه بالسؤال والاستعانة الى الله وحده ، فهو المالك المتصرف فى الكون كله ، وفى الناس كافة .. خلقا ورزقا ، ونفعا وضرا ، واحياء وأماتة ، ورفعا وخفضا ..

❋ ❋ ❋

ومن وصايا علماء السلف — رضي الله عنهم — ما كان يقوله ابن شهاب الزهري لتلاميذه : (لا تحقروا انفسكم لحداثة اسنانكم ، فان عمر بن الخطاب كان اذا نزل به الامر المفصل دعا الفتيان ، واستشارهم يبتغي حدة عقولهم) .

وكان الامام ابن الجوزى يرى : ان الشباب امانة عند آبائهم ، وان قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لكل نقش ، فان عودهم آباؤهم الخير نشأوا عليه ، وان عودوهم الشر نشأوا عليه .. فينبغى أن يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم ، ويعلموهم محاسن الاخلاق ، ويحفظوهم من قرناء السوء ، ولا يعودوهم التنعم والرفاهية ، فتضيع أعمارهم فى طلبها اذا كبروا . ان الولد جزء من والده . وهو نعمة وفخار ، أو نقمة وعار ، فاختر لجزئك ما تشاء .)

شبابنا : انحرافاته ومشكلاته

بعد ذلك العرض الموجز لاهتمامات القرآن والسنة وعلماء السلف .. بالشباب : تعليما وتربية وتوجيها — نتحدث بايجاز أيضا عن انحرافات شبابنا ومشكلاته ، وما ينبغى لنا ، بل ما يجب علينا من المسارعة الى انقاذه واصلاحه وتقويمه .

مما لا ريب فيه ان هذه الانحرافات والمشكلات التى يعانى منها الشباب الاسلامى — فى عصرنا الحاضر — هى نتيجة لاسباب وعوامل متعددة ومختلفة .. بعضها ذاتى ، وبعضها محلى ، وبعضها خارجى .

● أما السبب الخارجي لانحرافات الشباب المسلم ومشكلاته ، فهو العدوى السريعة الفتاكة التى انتقلت من شباب الغرب العلمانى وشباب الشرق الالحادى ، الى شباب العالم الاسلامى عن طريقين : الأول الاستعمار السياسى سابقا وما خلفه من استعمار فكرى وثقافى وتشريعى . الثانى : الاتصال الحضارى والثقافى الدائم بين العالم الاسلامى والعالمين الغربى والشرقى .. فكثير من ابنائنا يتلقون العلم فى معاهدهم وجامعاتهم ، وكثير من خبرائهم ومدرسيهم نستقدمهم للعمل فى معاهدنا وجامعاتنا ومؤسساتنا .

● واما السبب المحلى لانحرافات شبابنا ومشكلاته .. فهو هذا التناقض الاجتماعى العجيب الذى يشيع فى جوانب شتى من حياتنا : فى البيت ، والمدرسة ، والسوق والشارع ، والنادى .. ان الشاب — فى مجتمعنا — يتعلم فى مدرسته أمورا دينية ، ويستمع من العلماء والوعاظ الى دروس اخلاقية .. ثم ينطلق الى البيت او السوق أو النادى ، فلا يرى أثرا او صورة أو مثالا لما تعلمه فى المدرسة ، أو استمع اليه فى المسجد .

ثم يتكرر هذا التناقض عندما يرى الشاب فى التلفاز ، أو يسمع فى الراديو : قصة اسلامية رائعة تبدو فيها الاسرة مسلمة العقيدة والسلوك ، أو حديثا دينيا يحث على مكارم الاخلاق ، ويروى او ينقل بعض الآداب القرآنية والنبوية .. ثم بعد ذلك مباشرة يرى او يسمع ، من نفس الراديو أو ذات التلفاز : قصصا تمثيلية ، أو أغنيات ، او أحاديث .. تغرى بمشاهدها وكلماتها وحركاتها بالفسق والفجور وعظائم الامور !!

هذا الى جانب ما يرى — فى المكتبات التجارية — من كتب وصحف

ومجلات تتناقض موضوعاتها وصورها وقصصها ، وتورث قلوب الشباب حيرة وضلالا ، لا يميز معهما الطيب من الخبيث .

ان هذا (التناقض) الشائع في المجتمعات الاسلامية — هو السبب المحلي لانحرافات شبابنا ومشكلاته ، وهو — في نظرنا — أهم الاسباب الثلاثة واخطرها ، واجدرها بان نبدأ بأصلاحه وتقويمه .

● أما السبب الذاتي .. فهو طبيعة الشباب : الحدة والجدة وحب الانطلاق ، والحرص على الحرية ، والفراغ من المهمات والشواغل. وهو — في نظرنا — أيسر الاسباب الثلاثة ، واصلاحه والخلاص منه، يتأتى تلقائيا بالخلاص من (التناقض) الذى يعم سلوك المجتمعات الاسلامية كلها : فى مناهج تعليمها ، وفي برامج اعلامها اذاعة وتلفازا وصحافة وكتابا ، وفي احكام تشريعها الشخصي والجنائى ، وفي المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية .

* * *

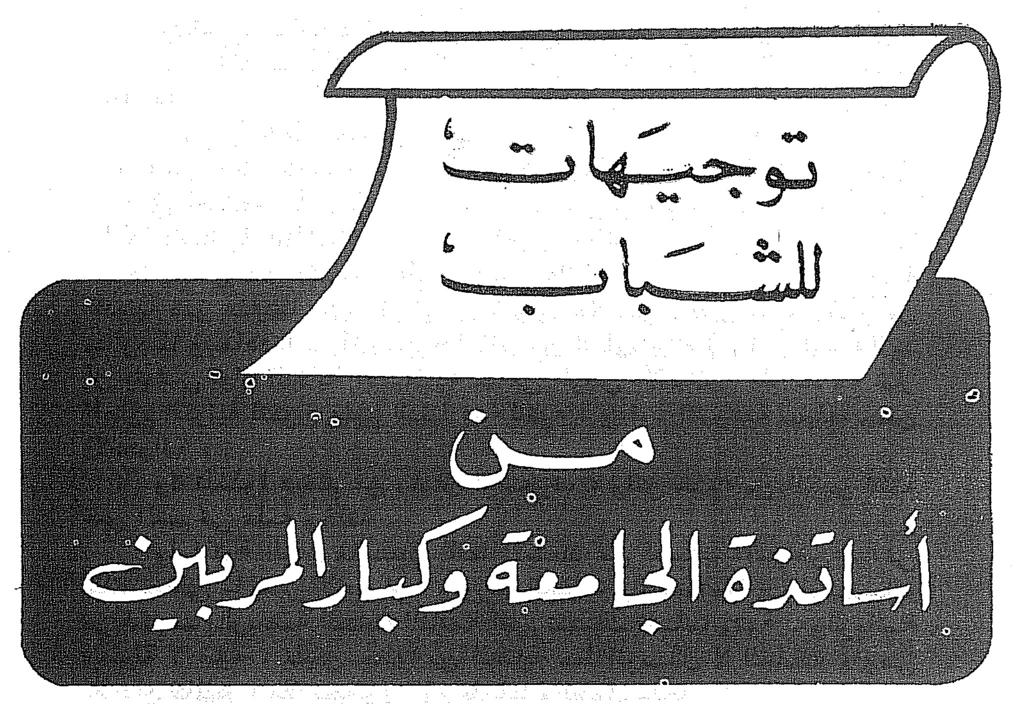
اذا استطعنا — حكاما وعلماء ومفكرين ومعلمين — ان نتخلص من هذا (التناقض) الرهيب الرعيب فى سلوك مجتمعاتنا الاسلامية .. عاش شبابنا بخير وطمأنينة ، وذهبت حيرته وثورته ، وانتهى تقليده لانحلالات شباب الغرب وانحرافاته ، واقترب من دينه اعتقادا وسلوكا وعبادة ، وأحس بالامن النفسى والخارجي .. فيما تحققه له من توافق بين المبادىء الدينية والاخلاقية وسلوك المؤسسات الثقافية والاعلامية والاجتماعية والادارية والتجارية فى مجتمعه الاسلامي .

وباختصار : ان ما يقرأه شبابنا أو يسمعه فى جامعته أو مدرسته أو مسجده او كتابه أو صحيفته : عن عدالة التشريع الاسلامى ، واصالة حضارة الاسلام ، وقصص ابطاله ورجاله وخلفائه ، التى ملأت سمع الزمان وبصره مجدا وحمدا — ان هذا المقروء او المسموع يجب ان يجده الشباب حقيقة واقعة فى البيت والمدرسة والجامعة والنادي والسوق والادارة والوزارة .

وسيكون من طبيعة المطابقة بين السلوك والمبدأ : ان يعطى الآباء والحكام والعلماء والمربون والمدرسون والمفكرون والكتاب والوعاظ والرؤساء والوزراء .. القدوة الطيبة ، والاسوة الحسنة ، من أنفسهم للشباب . وبذلك يقضون على انحرافاته ومشكلاته ، وينتفعون بجهوده وطاقاته ، لخير دينه وأمته ووطنه .

---

(١) أختلف فى نبوة لقمان .
(٢) الآيات ١٢ — ١٣ — ١٦ — ١٧ — ١٨ — ١٩ — من سورة لقمان .
(٣) الآية ١٣ من سورة الكهف .
(٤) الآية ١٠ من سورة الكهف .
(٥) الآية ٢٣ من سورة يوسف .
(٦) الآية ٥٩ من سورة النور .
(٧) الآية ٤٧ من سورة الفرقان .
(٨) الآية ٢١ من سورة الطور .



ننشر فيما يلي التوجيهات القيمة للشباب التي افضى بها الى مندوبنا اساتذة الجامعة وكبار المربين في دولة الكويت .

الى الأبناء والأحفار

يوجه فضيلة الشيخ بدر المتولي عبد الباسط استاذ الشريعة بجامعة الكويت هذا النداء فيقول :

أنتم الرجاء والأمل ، وأنتم الغد والمستقبل ، والرجاء والأمل أن بقيا رجاء وأملا كانا خيالا ، والغد والمستقبل ان لم تعدوا له عدته ، ولم تأخذوا له أهبته كان — والعياذ بالله — وبالا ، فاجعلوا من الأمل حقيقة ، وأعدوا أنفسكم لغد مشرق وتسلحوا بالقوة ، القوة في كل شيء ، القوة في العقيدة والقوة في الأخلاق والقوة بالعلم ، والقوة في البدن ، فان قوة العقيدة تذلل لكم كل صعب ، وتيسر لكم كل عسير ، وتعطيكم طاقة من الاحتمال تصنع العجائب ، وخذوا عقيدتكم من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا تستجلبوا عقائد من الشرق أو الغرب فانه لم يأت عن هؤلاء أو أولئك — من العقائد — الا كل ما يبلبل الأفكار ، ويحطم النفوس ، وقارنوا بين الشباب المؤمن حينما تنزل به شدة ، وبين أخيه المتشكك المتردد لتعلموا أى الفريقين أحسن حالا وأثبت — عند الشدائد — جنانا .

وأما قوة الأخلاق فهي عماد الأمم وعزة الشعوب .

انما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ودينكم ــ والحمد لله ــ جاء بجماع الفضائل ومحاسن الأخــلاق ، فليس ــ هناك ــ خلق كريم الا دعا اليه ولا خصلة ذميمة الا نهى عنهــا وحاربها .

وأما قوة العلم فهي ــ في عصرنا هذا ــ ميدان التسابق بين الأمم ، فخذوا من العلم أنصعه ، ولا يكن حظكم من العلم التحصيل فحسب بــل التطبيق لمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وان الخطر كل الخطر تلــك الأمية الضاربة أطنابها في الوطن العربي والاسلامي ، وانه لمن المؤسف ــ حقا ــ أن تلك الشعوب التى بدأت تسلك سبيل العلم لا تعنى بالثقافــة الدينية قدر عنايتها بأي علم أو فن ، وان حظ علوم الدين ــ في كثير من مدارسنا ومعاهدنا ــ أقل من حظ كثير من العلوم والفنون الترفيهية ولا بد أن يتمشــى تيار الثقافة الاسلامية ــ فى الوطن الاسلامى كله ــ مع تيار العلوم الكونية لتكون علوم الدنيا عدة للقوة ، وعلوم الشريعة سياجا مــن الانحراف .

ولا تأخذوا دينكم عن مضلل أو مخرف ، ولكن خذوه من الخبير الثقة غير المتهم فى علمه وخلقه .

وأما قوة البدن فالسبيل اليها الابتعاد عن أسباب الامراض بما فى ذلك تعاطى ما يضر الأجسام ، ويورث العلل ، ولتستمتعوا فى أوقــــات فراغكم ــ بالرياضة البدنية النافعة التى تكسبكم نشاطا وقوة . والرياضة وسيلة لا غاية ، فليكن حظها من العناية حظ الوسائل لا الغايات ، وهى للأبدان كالملح ، فلا تجعلوا الملح طعاما والطعام ملحا .

هذه كلمة أب جرب الحياة وجربته الحياة يقدمها لأبنائه ليوفر عليهم مؤونة التجربة ، وليأخذوا من الحياة حيث انتهينا لتكون الحياة ــ دائما ــ في تقدم وتطور ، ولكنه تقدم وتطور الى الخير لا الى التخبــط والتقليــد الأعمى .

والله أسأل أن يكون غدكم خيرا من أمسكم وما يستقبلكم خيرا مما فاتكم .

الوقاية هي العــلاج

قال فضيلة الشيخ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراســات الاسلامية بجامعة الكويت :

حين أتحدث الى الشباب ، فانى أتجه مباشرة الى أبنــائى الذيــن يسترشدون في حياتهم وسلوكهم بالآداب الاسلامية السليمة . أما أولئك الذين اتخذوا الههم هواهم ، وشهواتهم معبودهم ، فانى لا أتجه اليهم ــ قصدا ــ بهذا الحديث ، لأنهم لا يقرأون هذه المجلة ، وانما يقرأون مجلات أخرى اتخذت من الجنس والعرى والانحلال تجــارة ، من الغــلاف الى الغلاف .

هذه المجلات التى اذا أمكن معرفة الدوافع لأصحابها على اصدارها بهذه الصورة ، وهي جمع الأموال على حساب الأمة وفضائلها ، واشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، استجابة لمقررات الصهيونية ومن وراءها فــلا يمكن الدفاع عمن يسمحون بدخولها الى بلادهم وانتشارها وترويجها وهى

لا تحمل الا كل شر وفساد ، واثارة للغرائز ، ودعوات الى الانطلاق فى الشهوات ، مما لا ينفع معه آلاف الوعاظ والمرشدين ، مهما أحسنوا القول وأحسنوا العمل ، لأنها الغرائز الحيوانية التى لا يجدى معها الا اتخاذ وسائل الحماية ، والوقاية خير من العلاج بل ان الوقاية وحدها هى العلاج فى هذا المجال .

وأرى أن الحياة تسير فى جو متناقض ، يمكن لوسائل الغواية والفتنة بصورة أساسية ، مع السماح أحيانا بنوع من أنواع الوسائل لمكافحتها ومقاومتها . ولو خيرت بين أمرين لا ثالث لهما : بين منع وسائل الفتنة التى اتخذت طرقها فى جوانب الحياة المتعددة مع تقليل عدد الوعاظ والمرشدين ، وبين ابقاء هذه الوسائل بهذه الصورة العارية الطاغية والتمكين لأساليب الهداية والارشاد أيضا ، لاخترت — دون تردد ولا تريث — الحل الأول ، لأنه أجدى نفعا وأقرب الى تحقيق الخير والفضيلة .

وبعد . فقد أطلت عليكم فيما قد ترونه مقدمة لحديثى اليكم ، وليس الأمر كذلك ، فلم تصر هذه مقدمة ، ولكنه صلب الحديث الذى أوجهه اليكم والى جميع من يعنيه أمر الشباب رغبة فى اتخاذ الطريق السوى الى وضع الأمور فى مكانها الصحيح . ثم أقول لكم : ان مرحلة الشباب هى ربيع الحياة وفرصة العمر الأولى والأخيرة لجمع رصيد الخير والبر فى الدين والدنيا ، فى العلم والمعرفة ، فانتهزوها استجابة لدينكم ، وتدعيما لمستقبلكم ، وبناء لأمتكم ، وخذوا من يومكم لغدكم ، وتحملوا بعض الأعباء اليوم لتستريحوا غدا ، واقرأوا قول الفقيه الاسلامى العظيم ابن القيم : « ان المصالح والخيرات ، واللذات والكمالات ، لا تنال الا بحظ من المشقة ، ولا يعبر اليها الا على جسر من التعب ، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من آثر الراحة فاتته الراحة ، وانه بحسب احتمال المشاق تكون الفرحة واللذة ، فلا فرحة لمن لا هم له ، ولا لذة لمن لا صبر له ، ولا نعيم لمن لا شقاء له ، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة ، وكلما كانت النفوس أشرف ، والهمة أعلى ، كان تعب البدن أوفر ، وحظه من الراحة أقل » .

ثم أقول لكم : ليست السعادة بجمع المال وكثرته ، فقد يكون المال شؤما على صاحبه ، اذا اتخذ وسيلة للفساد والافساد ، وليست السعادة فى اللذائذ والشهوات المنحرفة ، وما أكثر المنتحرين والضائعين فى عالم الممثلين والممثلات ممن غرقوا فى الشهوات الى أذقانهم ، وما أعلى نسبة الانتحار فى بعض البلاد الأوربية التى تحولت الى غابة حيوانية لاحياء فيها ولا أدب ، غابة اتخذت من وسائل العلم والحضارة سلاحا للشر وتمكينا للرذيلة .

واذا كانت هذه الحياة تليق بالبهائم وليس لها الا جسدها ، فانها لا تليق بالانسان وهو روح وجسد ، وأى اشباع لحاجات أحد عنصريه على حساب الآخر ، يفقد الانسان توازنه ، ويؤدى الى ضياعه اليوم أو غدا .

وليس هناك من حرام خبيث ضار بالنفس أو بالغير ، الا وبجانبه أنواع من الحلال الطيب النافع ، تحقق للانسان السوى كل ما يبتغيه من سعادة وهناءة ورفاهية « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ويبدا الحديث الدكتور : عثمان خليل — الخبير الدستورى بمجلس الأمة الكويتي فيقول :

حملتنى على الكتابة فى هذا الموضوع أمور ثلاثة واقعية لا نصيب فيها لنسج الخيال :

أولها : تلك **الأنة** الواردة في بعض السجلات الفرعونية القديمة حاملة شكوى الكهال والشيوخ من شطحات الشباب ، وضحالة معارف الأبناء ، وخطر ذلك كله على مستقبل الأجيال .. وقد تداعت ذكريات تلك (الأنة) — وهي لا شك تتداعي في ذهن كل انسان — اذا ما وقع البصر على مظاهر الشذوذ المتزايدة في مظهر بعض شباب هذا الزمن ، وتعثرهم المتواصل بين وجودية .. وخنافس .. وهيبيز .. وغير ذلك من مسميات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ..

وتأمل هذه الحقيقة - وهي استمرار تلك الشكوي وأسبابها حتى يومنا هذا ، بل وحتمية بقائها على مر الزمن « ما دام هنالك شباب وكهال » يبعث فى النفس شعورا مزدوجا ، بالراحة من ناحية ، وبالأمل من ناحية أخرى .

أما الراحة : فمردها صحة الشكوي وأسبابها ، والا لما قدر لها أن تبقى حقيقة خالدة عبر الدهور .. ومردها كذلك انها انما تصدر عن حرص الآباء على تقويم حاضر الأبناء ومستقبل المجموع .. وهذا الحرص أجدى على الأمم — أيا كانت نسبة نجاحه — من اهمال الجيل الصاعد أو فقد الرجاء فيه .

ومرد الأمل : اننا — برغم تواتر تلك الشكوي منذ أقدم العصور وتوافر أسبابها باستمرار ، فاننا نرى قافلة الشباب تسير عبر الزمن فى تقدم مطرد .. وتوفيق متزايد .. وما علماء كل عصر .. الا شباب أمسه الذين كانوا موضع نقد الآباء .. وتجريح الجدود .. ذلك أنه برغم ما يؤخذ بحق على البعض ، فان كتلة الشباب فى مجموعه تسير بحمد الله دوما من حسن الى أحسن .. ونحو مستقبل أفضل .. فليطمئن الشيوخ والآباء .. ولا يضيقن بالنقد صدر الشباب والأبناء ..

الأمر الثانى الذى حفزنى للكتابة فى هذا الموضوع أكثر من شكوى أو مكتوب وردتنى من أبناء لى « بنوة قرابة أو علم » يشكون الحياة برغم ما أفاءه الله عليهم من أسباب العيش الرغد فيها ، وتتلاقى شكوى الجميع عند عنصر مشترك هو « القلق » وعدم الاحساس بطعم للحياة ولا بأمل يشد النفس الى الغد ويخرجها من آسن الحاضر الرتيب .. وهذا الشعور بالقلق وفقدان الآمال الجدية فى المستقبل ، هما فى تقديرى أهم أسباب انحراف شباب الغرب على النحو السابق ذكره .. والذى أخذ يتسرب — مع الأسف الشديد — الى بعض شبابنا المصابين بضعف فى الشخصية أو الحاطين بدوافع القلق المذكورة دون القدرة على مقاومتها .

ولكن ما هو العلاج ؟.. لئن كانت وسائل العلاج عديدة ويجب أن تتناول المجتمع والشباب كليهما على سواء ، الا أن من أهم أوجه علاج

هذا الشباب (القلق) الاعتصام بالدين ، فبه تحل الاضـــــواء والآمـــال ومشاعر الرضا محل الظلمة واليأس والتبرم بكل شيء ومن ثم « القلق » القاتل . ولقد ردد المختصون أثر هذا الاتجاه في الصحة وبخاصة صحة النفس والقلب .. كما يبدد الدين ــ بأقدار متفاوتة حسب تفاوت الأفراد ــ ظلمات الحياة ووقع المحن وأسباب القلق .. وهنا كانت الواقعة الثالثة من الوقائع التي جعلتني أكتب في هذا الموضوع فقد جاءت وكالات الأنباء أخيرا بأنباء جماعات من الشباب « القلق » اتخذت الصلوات والاناشـــيد الدينية أسلوبا لها في الحياة .. مع ما يصاحبها من تأملات .. وسبحات .. وليس ذلك في الحقيقة الا محاولة لتبديد القلق بنوع ما من الرياضـــة الدينية ، واستغلال لما في (الدين) من عـــلاج للنفس ..

فهل آن الأوان لكي يتجه شبابنا الى (الدين) ؟

انه ان فعل ذلك حقا .. لوجد اصل الدواء .. لكل ما نشكوه مـــن أمراض الفرد والمجموع ..

والله ولي التوفيق .

كيف نربي شبابنا ونرعاه ؟

اما الدكتور احمد عبد المنعم البهي استاذ الشريعـــة بجامعـــة الكويت فيتحدث من خلال التجارب العملية فيقول :

الشباب عماد المستقبل وعدته ما في ذلك شك أو ريب ، ومن ثم فان العناية به من أقدس الواجبات والمسؤوليات على الأسرة والمجتمع والدولة .

ومشكلة العصر الآن .. كيف نجنب شبابنا التيارات المختلفة والمتباينة التي تحطم القيم والمعنويات وتنشر الفساد والالحاد ؟ ولم يعد درعا للشباب أن ينشأ في أسرة صالحة لأن محيط الأسرة ليس وحده كافيا الآن في الرعاية الكاملة ، اذ سرعان ما يتأثر الشـــاب بمخالطيـــه ويأخذ عنهم من أخلاقهم وعاداتهم ما لم يتعلمه في محيط الأسرة ولم يعد في هذا العصر مكان لقـــول الشـــاعر :

وينشأ ناشيء الفتيـــان منـــا على مـــا كان عـــوده أبوه

فالأمر اضحى في حاجة الى كل رعاية للشباب في البيت ، في البيئـــة وفي المدرسة ، وفي المجتمع ، وما عادت رعـــاية الأسرة وحدهـــا هي كل متطلبات العناية بالشباب .

وقد حاول بعض المصلحين الاهتمام بالشباب وحمايتـــه عن طريق نشر الوعي الرياضي أو شغل أوقات الفراغ بالرحلات والمطالعة الا أن هذا لم يأت بالثمرة المرجوة في هذا المضمار ، لأن التيارات الوافدة من الانحلال وبريق الحضارة الزائف أعتى من أن يصدها مثل هذا الأسلوب .

ورايي أن تربية الشباب وحمايتـــه والحفاظ على مقـــدراته تأتي أولا وبالذات عن طريق القيم الروحية والفهم الواعي للاسلام .

وهذا بالطبع يستدعي أن تكون هناك برامج بعيدة المدى تتعهد الشباب بالتوجيه الاسلامي في جميع مراحل حياته وتتطور مع نموه لا تسير كلها على نسق واحد في جميع الأحوال والمراحل ، فلا تكون كلها نصا يحفظ ، ولا آثارا تتلى ولا تكون في شكل دروس دينية دائمة ، بل يحسن أن تكون أحيانا أمثلة

تطبيقية ، ومقارنات بين بعض المذاهب المعاصرة والفكر الاسلامى وشرح الميزات التى ينفرد بها الاسلام عما عداه .

ويجب أن نذهب الى الشباب حيثما وجد فى النادى أو فى الديوانية . ولا ننتظر حتى يأتى الينا ، ان الشباب فى بداية تكوينه كالعجينة فى اليد يمكن تشكيلها كما نريد ولذا فمن الواجب أن نسرع اليه قبل أن ينصرف الى اللهو والعبث .

جاءنى مرة شاب وقال : أريد أن أومن ولكن كيف أومن بمن لا أراه ؟ أين الله ..؟

وأجبته اذا عرفت نفسك فقد عرفت الله .

قال : انى أعرفها .

وأجبت أنك لم تعرفها بعد . انك روح ومادة وأجهزة دقيقة وفيك مراكز للسيطرة والاحساس وفيك قلب ينبض وعقل يفكر ودم يجرى وماء يروى وكل هذا وغيره مما أودعه الله فيك يتسق مع بعضه ويؤدى رحلتك فى الحياة .

اذا عرفت هذا حق المعرفة وأدركت هذا التناسق الدقيق والعجيب معا فى نفسك أدركت عظمة الخالق وسره فيك وعرفته حق المعرفة وآمنت به حق الايمان .

ولم يقتنع الشاب بما قلته وقبل أن ينصرف قلت له فكر فيما أجبتك به عسى أن ينفعك ولم أزد على هذا شيئا . وجاءنى بعد أسبوع أو أكثر وقال لقد وجهتنى الى عدة قضايا جعلتنى لا أنام الليل ولا أمل التفكير فيها وأخيرا أسلمت واهتديت ، وتعهدته بعد ذلك بتثبيت يقينه وايمانه ، وهو الآن داعية بين أقرانه واخوانه للحق والايمان .

ان قضية الايمان لكل ذى فطرة سليمة قضية سهلة ميسرة لا تعقيد فيها ولا صعوبة فى التدليل عليها ، غير أن الذى أدعو اليه أن نكون فى سباق مع الزمن الى قلوب أبنائنا وأفكارهم لنكون درعا لهم من الافكار الوافدة حتى لا ينخدعوا بأى بريق زائف ، يعزف عنه الشاب كما يعزف عن الماء الراكد ، التالف وتعافه نفسه كما تعاف الطعام الفاسد .

لقد أرادت فرنسا أن تنشىء صغارها بعد حرب الألزاس واللورين على كراهية ألمانيا فلم تكتف بتلقين الصغار كراهية ألمانيا لأنها حاربتهم ولكن عمدت الى مصانع الحلوى لتضع فى (الشيكولاته) مأكول الأطفال جانبا مرا اذا انتهى اليه الطفل صاح بأمه : هذه القطعة من الشيكولاته مرة يا أماه . فتجيبه على الفور ارمها انها ألمانيا . وذلك قبل أن يدرى الطفل ما هى ألمانيا وما قصتها وما سر بغض فرنسا لها ، ولكنها نشأت جيلا من الشباب على بغض ألمانيا حتى ثار لأمه الكبرى فرنسا من عدوتها ألمانيا .

نريد أن نسرع الى شبابنا ببرامج مخططة بعيدة المدى تتناول كل جانب من جوانب حياته ويقينى أنه لا اصلاح للشباب ولا أمل فى اصلاحه فى أى وقت الآن أو غدا الا عن طريق القيم الروحية وهذا أيضا ينادى به كثيرون من مصلحى الغرب بعد أن شاهدوا المحنة التى يعيشها شبابهم وما يقال غير هذا فانه مكابرة ومغالطة والتاريخ خير شاهد على ما نقول .

بقى أن أقول انه حين تتيسر لنا تربية الشباب على هذا النحو الذى ذكرت فانى لا أخشى عليه بعد ذلك زيف الحضارة ولا تياراتها المختلفة لأنه على نفسه رقيب وحسيب والله الموفق والهادى .

ويقول الدكتور ابو الوفا الغنيمى التفتازانى أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الكويت :

بدأنا نحس — خصوصا فى السنوات الأخيرة — بقلق شديد على مستقبل شبابنا لتأثر كثير منهم بما يفد الينا من فلسفات مادية أو عبثية انحلالية . وقد أدى هذا الى اختلال القيم وعدم أخذ هذا الشباب أمور الحياة والعمل مأخذ الجد ، والى الانسياق وراء الملذات الحسية ، وفقدان الشخصية المتمثل فى التقليد الأعمى للمجتمعات الاجنبية ، حتى فى ارتداء الأزياء الشاذة ! وأصبح شعار بعض الشباب الآن الرفض لمجرد الرفض ، أى رفض كل تقاليد المجتمع وعاداته بلا هدف واضح .

ويسىء بعض الشباب فهم الحرية ، فليست الحرية انطلاقا بلا حدود ، وأخذا بلا عطاء ، وانما هى واجبات تؤدى للمجتمع ، والتزام بحمل أعبائه ، وحل مشكلاته ، وارتفاع بالنفس فوق الشهوات والأهواء بارادة حرة . وبهذا يصبح الانسان حرا بالمعنى الحقيقى للحرية متمكنا من الوقوف على قدميه فى معترك الحياة مكافحا كفاح الشجاع الواثق بنفسه وبالله . وفى رأينا أن ذلك الشاب الذى يوهم نفسه أنه حر باطلاق ، وأن حريته مصدر كل قيمة ، سرعان ما يتخلى عن مسئولياته وواجباته تجاه الآخرين ، ويندفع بسرعة الى هوة الشهوات فيخضع لها خضوعا أعمى ، وبهذا يلقى بنفسه فى هوة الجبر ، ولا يستطيع الخروج منها .

وفى الحقيقة لا علاج لشبابنا الا بالرجوع الى عقيدة الاسلام الصحيحة ، فالعقيدة هى الأساس اذا صحت صح للشباب سلوكهم ، واذا فسدت فسد ، وعلى دعاة الاسلام ورجال التربية أن يوجهوا عنايتهم الأساسية الى تعميق مفهوم العقيدة فى عقول شبابنا من ناحية ، والى تبيان موقف الاسلام من كل ما هو وافد الينا من آراء ومذاهب الحادية وانحلالية ، من ناحية أخرى . وبالجملة عليهم أن يبينوا للناس مزايا الايمان ومضار الفسق ، على أسس عقلية واضحة ، وما أعمق المعنى فى قوله تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون » .

قصَّة علميَّة من الأدب الديني

فى كوكب بعيد جدا .. هو احد هذه الكواكب المتناثرة فى الفضاء البعيد .. تلك الكواكب التى تعد بالملايين .. والتى منها ما يرى بالعين المجردة .. ومنها ما يرى بالآلات الراصدة ... ومنها ما لم نستطع ان نراه بعد ...

ان كوكبنا التى تدور فيه احداث القصة ... ربما يبعد عنا سبعين مليونا من الاميال .. او اكثر من ذلك او اقل .. وتفترض القصة ان به سكانا .. وانهم قد بلغوا فى الحضارة شأنا كبيرا .. وان لهم دستورا لا يحيدون عنه ... هو أنهم يهتمون بالمعانى قبل اهتمامهم بالاشكال ... وانهم يحرصون كل الحرص على القيم والموازين التى توزن بها الصفات والأفعال ... وانهم بذلك العمق فى الفهم .. والذكاء فى الادراك ، استطاعوا ان يملأوا رحاب كوكبهم ذاك عدلا وأمنا ونورا ... وانه قل أن يعرف الشر الى احد منهم سبيلا ... الا من اخطاء عابرة ... او هفوات نادرة .. سرعان ما يتعاونون على اصلاحها ... وقد اصبح ديدنهم التعاون ... وان يأخذ بعضهم بيد بعض .. وان يصلحوا ذات البين بينهم اولا باول ...

للأستاذ محمد لبيب البوهي

لذلك تتخيل القصة وتفترض أنهم بذلك استطاعوا أن يبلغوا فى الحضارة السليمة الصادقة شأنا بعيدا ... ولقد تعودوا أن يدرسوا بما أوتوا من العلم ما يحدث فى الكواكب الأخرى القريبة منهم والبعيدة ... وانهم يمدون يد العون والمعروف الى سكان الكواكب الأخرى ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

وفى الأعوام القليلة الماضية كانوا يتساءلون عن حدث غريب أتتهم انباؤه من كوكب بعيد جدا ... وصغير جدا . ومن أجل ذلك اجتمع مجلس العلماء عندهم لدراسة ما جاءت به الأنباء ..

وكان من عادة هذا المجلس أن يجعل جلساته علانية — وأن يدعو من يشاء من سكان كوكبهم الى شهود هذه الاجتماعات — ذلك أن العلم عندهم مشاع كالماء والهواء ... ويجب أن تتاح كل الفرص فيه للجميع على السواء ..

وطلب أحد الحاضرين أن يوجه الى رئيس المجلس سؤالا . فلما تلقى الاذن بذلك قال : —

اننى لست عضوا فى مجمع العلماء ... ولست ادعى اننى على درجة

كبيرة من العلم ... فهل من حقى أن أوجه اليكم سؤالا قد يبدو لكم غريبا .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء : في ذلك الكوكب البعيد : —

— من حقك أن تسأل ما دام هذا السؤال عن شيء ينفعك جوابه ..

قال المتحدث : شكرا أيها السيد الرئيس ... انكم تتحدثون عن أنباء خطيرة جاءتكم بعلمكم من كوكب اسمه الأرض ، فما هى هذه الارض ؟ وأين مكانها .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء : —

هى ذرة صغيرة فى ملك الله الذى لا يحد ... وحين تنظر اليها فى السماء بالعين المجردة لن تراها .. وانها لتبدو فى بعض آلات الرصد فى حجم قبضة اليد — وتبدو أكبر من ذلك فى بعض آلات أخرى ..

قال المتحدث : ما دامت هذه الأرض هى ذرة صغيرة فى ملك الله ... فلماذا يبدو هذا الاهتمام الكبير بهذه الذرة الصغيرة ؟ ..

قال رئيس مجمع العلماء : ذلك سؤال يجرنا الى ان نذكر مبادئنا .. اننا لا نعيش من أجل أنفسنا فحسب — اننا نعيش من أجل الآخرين أيضا .

وما دمنا قد حققنا السعادة على كوكبنا هذا .. بفضل الحب الذى أصبح دستور الجميع — فانه يجب علينا أن ننشر مبادىء الأخوة والعدل ... والتسامح فى الكواكب التى نسيت تلك المبادىء أو تناستها والا فلن نستحق نعمة الحياة .

قال المتحدث الذى لم يكن على درجة كبيرة من العلم :

ولكنكم أيها السيد الرئيس ذكرتم أنها ذرة صغيرة فى ملك الله العريض .. فلماذا لا نوجه مساعداتنا الى كواكب أخرى أكبر وأعظم ليكون النفع اكثر ... ؟

قال رئيس مجمع العلماء : ان أهل هذه الأرض التى لا تعد شيئا مذكورا فى ملك الله العظيم ..

— قد حققوا لأنفسهم قطرات من العلم المادى ... وكان هذا القدر الضئيل جافا خاليا من المثل — ولكنه ملأ نفس بعض حكامهم غرورا فأخذوا يستعملون هذا القدر الضئيل من « التكنولوجيا » فى تدمير أنفسهم .. ان ما وصلوا اليه من هذا العلم لا يزيد عما يتعلمه أطفالنا ... ولكننا نعلمه لأطفالنا مختلطا بالقيم ، أما هم فهم بعلمهم هذا يخربون بيوتهم بأيديهم .

قال المتحدث :

ان العلم نور — وما سمعنا أبدا انه يكون وسيلة الى التدمير !!

قال رئيس مجمع العلماء :

يحدث هذا حين يكون علما بغير أخلاق ... وحين يكون العلم بغير أخلاق فانه يتجرد من عواطف النبل والاخاء والمعاونة .. انه يفرق الناس بدلا من أن يجمعهم — ويجعل كل فرد منهم محصورا داخل نفسه فحسب — لقد أصبح أكثر أهل هذه الأرض سطحيين — وللشهوات والأهواء الجامحة القدح المعلى عندهم .. وهم فى ذلك يتنافسون .

● ● ●

وما أن أتم رئيس مجمع العلماء فى ذلك الكوكب البعيد حديثه ذاك — حتى نهض متحدث آخر يقول : ما دمت يا سيدى تتحدث عن الأخلاق ... فانه لا بد لى أن أذكر فى هذا

المجال هفوة لجأ اليها احد اخواننـا الذين ارسلتموهم فى بعثة الى الارض لاكتشاف حقيقة ما يجرى فيها ..
ذلك أن صاحبى هذا .. (واشار الى رجل يجلس الى جواره) قـد استصحب معه طفلا له ... فلما هبطنا الى جو الأرض ترك طفله يعبث فى شىء لا يخصه ، فدمر بعض ما اعده اهل الارض لانفسهم .... وهذا امر اطالب بتحقيقه الآن .

وصاح بعض الحاضرين :
ذلك أمر بعيد عن المهمـة التى اجتمعنا من أجلها — فلا مبرر لاضاعة الوقت فى امر ثانـوى ... يختص بعبث طفل من سكان كوكبنا فى رحلة مع أبيه الى الأرض .
فقال رئيس مجمع العلماء وقد ظهر الغضب فى وجهه :
اننا لا نسمح بأى مساس بالقيم الخلقية — ولو بدا عبث هذا الطفل يسيرا — فان مثله كمثل الشرارة الصغيرة — اذا تركت أحرقت شيئا كبيرا ... فأين هو والد ذلـك الطفل — ؟
فهب رجل واقفا واعلن عن نفسه وقال : هاأنذا .. اننى أنا والده ..
قال رئيس مجمع العلماء : اذن قم بتوضيح الأمر :
فقال الرجل : فى رحلتى البعيدة الى كوكب الأرض — كى نجمع انباء هذا الخراب الذى انتشر بين أهلها .. طلبت اذنا من رئاستى أن أصحب معى طفلى :

قال رئيس مجمع العلماء : —
اذكر اننا أذنا للبعض بذلك لزيادة وعى الصغار ... فى رحلات الفضاء ولكن ما امر ذلك العبث .

قال الرجل :
مررنا بجزء من ارض بلادهم فى اقصى الغرب .. كان القوم يقيمـون حفلا كبيرا — ورحنا نشهد من بعـد مائة ميل فى الجو مظاهر هـذا الحفل — فوجدنا لعبا صغيرة يسمونها طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت وكانوا يضعون فيها أسلحـة من أسلحتهم التافهة التى يتفاخرون بها — وسمعهم طفلى بمسماعـه العلمى يقولون — انهم سيرسلون هـذه الأسلحة واللعب الصغيرة الطائرة — لتدمير بلاد أخرى اسمها « فيتنام » فما كان من الطفل الا أن اشتد غضبه فتناول فى سرعة جهازه المشع الـذى يلهو به فى تفتيت الصخور ، ثم سلط أشعته على تلك اللعب الطـائرة فدمرها فى لحظات ... وتلـك هى المسألة ...

قال رئيس مجمع العلماء :
هل ترون توجيه شىء من اللـوم الى ذلك الطفل ؟

فقالوا جميعا ..
لا لوم عـلى من يدفع شرا عن الأبرياء .. وان كان عليه أن يحصل على اذن أبيه مسبقا .

قال رئيس مجمع العلماء :
والآن فلنعد الى ما كنا فيه ...
لقد ذكرت لكم أن الأرض معرضـة للدمار بأيدى أبنائها .. وانهم يكرسون لذلك علمهم « التكنولوجى » اليسير التافه المجرد من الأخلاق ، فماذا ترون لانقاذ هؤلاء الناس من شر انفسهم ؟

فعاد المتحدث الأول يسأل :
اليس عندهم لون من الوان الثقافة؟
الا يشيع بينهم شىء من الأدب .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء :
لقد انقلبت عندهم المقاييس حتى ان ادباءهم وكتابهم أصبحوا يتنافسـون

فيما يسمى عندهم بأدب اللامعقول — وأدب العبث .. أو غير ذلك من الأسماء ، انهم يسارعون الى كل ما ليس معقولا .

قال المتحدث :
ما دام الأمر قد وصل الى هـذا الحضيض فلنرسل واحدا منا — ومعه جهاز واحد من اجهزة الأشعة السابقة ... فيدور بجهازه دورة واحدة حول الأرض — فيدعها قاعا صفصفا وننقذ أهلها من أنفسهم — ونوطدهم باطن ثراهم .

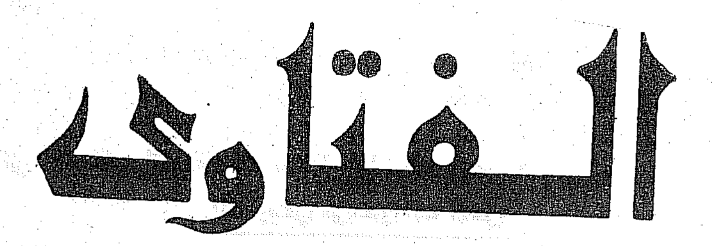
قال رئيس مجمع العلماء .
واسفاه .. واحسرتاه لو اخذنا بهذا الاقتراح — سيصبح مثلنا كمثل من يطفىء النار بالنار — ان هذا ليس من العلاج فى شيء ..

قال المتحدث :
الا يجب القضاء على الفساد اذا ظهر ... ؟

قال رئيس مجمع العلماء :
ان الله قادر على ذلك ... ولـكن علينا نحن أن نحاول الاصلاح .. وأن نمهل هؤلاء الاخوة .. فقد يكونون فى غفلة من أمرهم ، علينا قبل كل شيء أن ندعوهم الى اليقظة .. والى ادراك حقيقة ما هم صانعون بأنفسهم قبل أن يفوت الأوان .. ان فيهم بقية مـن الناس فى مكان ما من الشرق — فى قلوبهم بذور خير — ولكن هذه البذور قد جفت لطول ما أهملت .. انهـا تستطيع أن تنمو وتزهر ..

قال المتحدث : وكيف يتم ذلك ؟
قال رئيس مجمع العلماء : —
بالاهتمام باللباب قبل القشور .. وبالمعانى قبل الماديات ... وبتلقيح العلم بالأخلاق ..
قال المتحـدث :
أو لم يأت الى الأرض من قبل من يرشدهم الى هذا .. ؟

قال رئيس مجمع العلماء :
لقد جاءهم كتاب منير — هو دستور الأرض والسموات — ذلـك الكتاب الذى أخذنا به فصلح أمرنـا — ولن يصلح أمر هؤلاء الا بالعودة اليه .
لقد جاءهم من قبل خير مخلوقات الله فى أرضه وسمائه وعلمهم اياه .
قال المتحدث :
ما دمت لا ترضى أن ترسل عليهم عاصفا يدمرهم .. أترى أن نرسل اليهم شحنات معنوية — على صورة هواتف فى الاحلام ... تطوف بالخيار منهم . أن يهبوا من نومهم ؟
قال رئيس مجمع العلماء :
ذلك ما نرجو أن نبحثه فى اجتماع قـادم ..



الرضاع بالشرب

السؤال :

أرضعت والدتي بنت عمي وهي طفلة ، ولكن هذا الرضاع لم يكن عن طريق مص الثدي كما هو المعتاد ، بل كانت والدتي تحلب لبنها في كوب لوجود مرض جلدي عندها وكانت تشرب اللبن من الكوب ، فهل هذا يعتبر رضاعا محرما ، فلا يحل لي التزوج بها ؟

آدم سعيد — أم درمان

الاجابة :

الرضاع بالشرب من الكوب كالرضاع بالمص من الثدي ، فاذا كانت هذه الطفلة قد شربت خمس مرات متفرقات ، كل مرة منها مشبعة وكان الشرب في سن الارضاع حرم عليك زواجها لانها اصبحت اختك من الرضاع .

معاشرة الزوجة المطلقة

السؤال :

رجل طلق زوجته رسميا ، ولكنها لم تعلم بالطلاق وظل يعاشرها معاشرة الأزواج فما حكم الشريعة في ذلك ؟

عبد السميع . ع . دبي

الاجابة :

الطلاق الذي أوقعه هذا الزوج ان كان بائنا ، او رجعيا وعاشرها الزوج بعد انقضاء عدتها منه ، فهذه المعاشرة حرام ويجب التفريق بينهما . اما اذا كان الطلاق رجعيا وعاشرها قبل انقضاء عدتها منه ، فهذه المعاشرة تعتبر رجعة ولا حرمة عليه في معاشرتها ..

الزوجة المرتدة

السؤال :

حصل نزاع بيني وبين زوجتي ، فوعظتها وذكرتها بالله وتلوت عليها بعض آيات الكتاب الكريم وشيئا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبت وكفرت ، ثم رجعت الى نفسها وتابت واستغفرت ، فهل يحل لي معاشرتها بعد ذلك ؟

ياسين س . طرابلس

الاجابة :

لا شك ان هذه المراة ارتدت عن الاسلام بما تلفظت به من اقوال فى حق الله عز وجل وحق القرآن الكريم وغضبها لا يعفيها من المسئولية ما دامت فى وعيها ، وبهذه الردة ينفسخ عقد زواجها ، ولا يحل لزوجها معاشرتها بعد عودتها الى الاسلام بالتوبة والاستغفار الا بعقد ومهر جديدين .

التعويض فى حوادث القتل

السؤال :

توفى أخى فى حادث سيارة ، وحكمت المحكمة بالتعويض ، فهل هذا التعويض حلال شرعا وكيف يتصرف فيه ؟

على الصرافة ــ الكويت

الاجابة :

هذا التعويض حلال شرعا وهو بمنزلة الدية ، ويقسم قسمة الميراث بين الورثة ..

التليفزيون

السؤال :

هل يجوز شرعا شراء التليفزيون واقتناؤه واستعماله ؟

حصة ع ــ الكويت

الاجابة :

التليفزيون جهاز يذاع به القرآن الكريم والأحاديث العلمية والأنباء كما يذاع به بجانب هذا الأغانى والأفلام والتمثيليات ، ففيه ما هو خير ، وفيه ما هو شر ، ويمكن الانتفاع بخيره ، والابتعاد عن شره ، ومثله مثل السيف ينتفع به فى الجهاد والدفاع عن النفس عند الحاجة كما يستعمل فى العدوان على الناس ، والسيف اتفق الفقهاء على جواز بيعه وشرائه . ونرى ان حكم التليفزيون والراديو حكم السيف ، فيجوز شراؤه وبيعه واقتناؤه والانتفاع به عند بث ما ينفع واغلاقه عند بث ما يحرم ، ويمكن معرفة مواعيد بث كل نوع من البرنامج اليومى له .

فى الميراث

السؤال :

توفيت امراة وتركت أولاد أخوال أشقاء ، وأولاد ابن عمة أبيها ، فما نصيب كل وارث ؟

طارق الهندى ــ البصرة

الاجابة :

جميع التركة لأولاد أخوالها الأشقاء للذكر ضعف نصيب الأنثى ، ولا شىء لأولاد ابن عمة ابيها لأنهم من الطائفة الرابعة من الصنف الرابع من ذوى الأرحام ، اما اولاد الأخوال فهم من الطائفة الثانية من الصنف الرابع ، من ذوى الأرحام والطائفة الثانية مقدمة على الطائفة الرابعة .

المطالعة النافعة

انى احب القراءة ، واقضى وقتا طويلا من فراغى فى المطالعة ولكنى احس بانى لا استفيد كثيرا من هذه المطالعات ، فما هى الوسيلة لكى استفيد من قراءاتى .

عز الدين — القامشلى — سوريا

هواية القراءة نافعة ، ولها قيمة كبيرة ، واكثر المعلومات يحصل عليها الانسان عن طريق القراءة والاطلاع ، وكثير من العلماء النابغين كونوا انفسهم عن طريق المداومة على القراءة ، وحسن اختيارهم ما يقراون .

ولكى تستفيد من مطالعاتك تخير أولا ما تطالعه بحيث يكون ملائما لقدراتك وميولك ، وحدد المقدار الذى تريد ان تطالعه في كل جلسة ، وخير لك ان تطالع كل يوم مقدارا صغيرا بانتظام وننصحك بأن تقرأ الموضوع الذى تطالعه قراءة سريعة ، ثم تحدد النقاط الرئيسية التى اشتمل عليها . ثم أعد قراءته مرة ثانية دقيقة واقرأ والقلم فى يدك ، ولخص أثناء القراءة كل فكرة ترددها ، فهذا يساعدك على التركيز ، ويجعلك تخرج بمعلومات مركزة وثابتة من كل موضوع قراته .

الصهيونية

كيف نشأت الحركة الصهيونية ، وتطورت حتي بلغت هذا المستوى ، وخدعت العالم وضللته ، واستولت على ارض المسلمين ، وما زالت لها اطماع توسعية .

لطفى السيماوى — قطر

الصهيونية حركة سياسية تذرعت بأسباب دينية ، وعوامل قومية وعاطفية لتحقيق اهدافها العدوانية التى لا تستند الى اية اسس قانونية او اخلاقية ، وكلمة صهيونية مشتقة من كلمة صهيون احد جبال القدس ، وقد مرت هذه الحركة بخمس مراحل :

المرحلة الاولي : من منتصف القرن التاسع عشر الى قيام الحرب العالمية الأولي ، وفيها اخذ اليهود ينظمون صفوفهم على يد بعض زعمائهم امثال روتشلد

وتيودور هيرتزل ،وتم عقد اول اجتماع للمؤتمر الصهيونى فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ للعمل على ايقاظ اليهود وتشجيع الهجرة الى فلسطين •

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى الى اعلان وعد بلفور ، وتعد هذه المرحلة من أخطر المراحل التى مرت بها الحركة ، فقد كانت الصهيونية فى هذه المرحلة موضع عطف من الدول الكبرى ومن ساسة بريطانيا بصفة خاصة ومنهم بلفور صاحب التصريح البريطانى المشئوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ •

المرحلة الثالثة : من الانتداب البريطانى على فلسطين الى قيام الحرب العالمية الثانية وفى هذه المرحلة ساعد الانتداب على تهويد فلسطين بفتح باب الهجرة واضطهاد العناصر الوطنية ، وانتزاع الاراضى الفلسطينية عن طريق المصادرة وانتزاع الملكية •

المرحلة الرابعة : اعلان انجلترا انهاء انتدابها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ واعلان اليهود من تل أبيب قيام اسرائيل •

المرحلة الخامسة : محاولة الصهيونية تحقيق اهدافها التى نادى بها زعماؤها وهى التهام الدول العربية •

ونسال الله للمسلمين وللعرب أن يجمع كلمتهم ويقوى شوكتهم وينصرهم على أعداء الانسانية •

تعقيب على تعقيب

كنا نشرنا فى العدد / ٧٣ / تعقيبا للأستاذ مصطفى احمد الزرقا على مقال الأستاذ ناصر الدين الألبانى المنشور فى العدد / ٧١ / حول الاحاديث الضعيفة بين فيه الأستاذ الزرقا انه نبه فى كتابه المدخل الفقهى العام على ضعف الحديث المروى بلفظ (الشفعة كحل العقال) الذى انتقد عليه الأستاذ الالبانى ذكره فى كتاب المدخل الفقهى •

وقد جاءنا من الأستاذ الألبانى تعقيب على تعقيب الأستاذ الزرقا يبين فيه ان الطبعة التى نبه فيها الأستاذ الزرقا على ضعف هذا الحديث هى طبعة متاخرة لم يكن الأستاذ الألبانى مطلعا عليها مع بعض مناقشات لا نجد من مصلحة القراء ان نشغلهم فيها بالجدل اللفظى فاكتفينا بهذه الاشارة الى الناحية المقصودة من التعقيب ولا سيما بعد ان وجدنا الأستاذين متفقين على عدم جواز العمل بالأحاديث الضعيفة الثبوت ولو فى فضائل الأعمال ، لأن تقرير كونها فضائل فى نظر الشرع هو حكم شرعى يحتاج الى دليل صحيح الثبوت كما صرح به الأستاذ الزرقا نفسه فى تعقيبه المذكور •

وجهود الأستاذ الألبانى فى خدمة السنة النبوية جهود مشكورة نسال الله له تمام التوفيق وحسن المثوبة •

بأقلام القراء

قامـوس الفلسفـة

كتب الاستاذ فاروق يوسف غنيم تحت هذا العنوان يقـول :

قرأت فى كتاب « قاموس الفلسفة » "A Dictionary of Philosophy".. الصادر فى الاتحـاد السوفيتى عام ١٩٦٧ تعريفا خاطئا ومضللا للدين الاسلامى يقول الكاتب فى تعريف الاسلام (ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) ..

« الاسلام أو المحمديـة هو أحد الأديان العالميـة . والديانتان الهامتان الأخريان هما المسيحية والبوذية . وينتشر الاسلام أساسا فى الشرق الأوسط وشمال أفريقية وجنوب شرقى آسيا . وقد نشأ الاسلام فى القرن السابع فـى الجزيرة العربية فى فترة انتقال الشعوب العربية من نظام بدائى قبلى الى مجتمع طبقى واتحادها فى دولة اقطاعية ـ دينية فى ظل الخلافة العربية . وقـد كان الاسلام انعكاسا أيديولوجيا لهذه التطورات ، وأصبح الدين الـذى يدافع عن مصالح الطبقات الحاكمة . ويتضمن القرآن ، الكتاب المقدس لـدى المسلمين ، شرحا للعقيدة الاسلامية ، ويتألف القرآن من عناصر موجودة فى الديانات البدائية وكذلك اليهودية والمسيحية والزرادشتية . وهو يقوم على الاعتقاد فى قـوة الله ومحور الاسلام هو القدرية . وطبقا للقرآن ، فان الله قد حدد مسبقا مصير كل فرد وبينما ينادى القرآن بعجز الانسان فى مواجهة الله ، نجده يحث المؤمنين على الصبر والخضوع لله ورسله فى الارض ويعـده مقابل ذلـك بالنعيم فى الآخرة . وتعتبر معاداة الكفار واحتقار مكانة المراة وترخيص تعـدد الزوجات من الصفات المميزة للمحمدية ، كما أن الاسلام يبرر عدم المساواة الاجتماعيـة ويصرف الناس عن الكفاح الثورى ويجعلهم يركنون الى انتظار عديم الجـدوى للفوز بالسعادة فى الآخرة ..

التعليق :

ـ من الواضح أن هذا التعريف يتضمن مغالطات جسيمة فى حق الاسلام كدين له دور تاريخى وحضارى فى حياة الانسانية .

ـ إن التعريف يقوم على أساس الفلسفة الماركسية ، ويعطى تصويرا خاطئا للآثار التى تركها الاسلام على الحياة الاجتماعية والسياسية فـى المجتمـع العربى .

ـ إن محاولة تحديد أصول الاسلام بارجاعها الى معتقدات بدائية أو الى الديانتين المسيحية واليهودية أو الزرادشتية تنطوى على تشويه واضح لحقيقة الاسلام ..

ـ أن تفسير العلاقة بين الانسان وربه فى الاسلام كما جاء على لسان الكاتب تفسير خاطىء ، فضلا عن أن تحديد الصفات المميزة للاسلام بأنهـا « معاداة الكفار واحتقار مكانة المراة وترخيص تعدد الزوجات » هو تبسيط ينم عن سذاجة مفرطة وقصور واضح فى فهم حقيقة الدين الاسلامى .

ـ من الغريب أن الكاتب يزعم ان الاسلام يبرر الظلم الاجتماعى ، على حين أن الاسلام هو فى حقيقته دين المساواة التامة بين الناس جميعا أمام الله سبحانه وتعالى ..
ـ ان الاسلام ، على عكس ما ذهب اليه الكاتب ، دين ثورى له أثر عميق وواسع فى الحياة الانسانية ، وليس دينا يصرف الناس عن الكفاح ويدعوهم الى الاستسلام والخنوع ..

حريـة الفكر فى الاسلام

ومن كلمة تحت هذا العنوان يقول الأستاذ وليد عبد الحليم :
الاسلام هو الدين الذى يساير الفطرة والوجدان ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر وتحكيم العقول ، ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، فأقام صرح الدعوة التحررية على الدعائم الآتية :
الدعامـة الأولى : تحرير الانسان من الحجر العقلى والكبت الفكرى ، لكى يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره . وتكتمل له شخصيته وانسانيته ، فان كمال العقل ، هو الدعامة الاولى لصحة العقائد . وكمال الأخلاق ، وصلاح الأعمال كما يشير الى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « **ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله** » ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى : فاستنهض العقول والأفهام . وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر فى ملكوت السموات والأرض . والتعرف على أسرار العوالم الكونية ، ونواميسها ، قال سبحانه : « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء** »
الدعامة الثانيـة : تحرير الانسان من رق التقليد الأعمى . وتربيته على حرية الفكر . واستقلال الارادة ، واحتقار التقليد والتبعية العمياء ...
وقد قرر القرآن هذه الحقيقة فى آيات كثيرة كقوله تعالى : « **وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون . قال : او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : انا بما ارسلتم به كافرون** » ..
الدعامـة الثالثة : تحرير الانسان من عبادة الأهواء والخضوع لسلطانها ، فان الهوى مذهب للعقل ، ومضيعة للحق ، ولهذا عنى القرآن بتحرير الانسان من عبودية الاهواء عناية كبرى . فندد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها كما قال تعالى : « **افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون** » .
الدعامـة الرابعة : تحرير الانسان من مرض الجهل وظلمته . فان الجهل يطفىء نور القلب . ويقتل مواهب الفكر ، ويميت فى الأمم عناصر الحياة والقوة ، ويفقدها قوة الارادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الاسلام بهذه الدعامة عناية كبرى ، فرفع شأن العلم . وحث على طلبه . وعظم شأن العلماء . وأعلى منزلتهم . وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى كما فى قوله تعالى : « **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب** » .

قالت صحف العالم

المجتمع الاسلامي ... والانسانية العذراء !

نشرت مجلة الشبان المسلمين القاهرية حديثا أجراه مندوبها مع الفيلسوف الاسلامي الاستاذ مالك بن نبي جاء فيه :

ان المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة وكيفية ايجاد الحلول الواقعية لها وازالة التناقض بين النجاح المادي والتخلف المعنوي — أعني تخلف القيم او اهمالها .. لقد شعرت منذ فترة طويلة وعلى وجه التحديد منذ وصولي الى أوروبا لتلقي العلم عام ١٩٣٠ ان المجتمعات المعاصرة تواجه مشكلات بالغة التعقيد ومتعددة الأنواع . واذا كان من المفروض على رجل السياسة أن يتناول هذه المشكلات في تنوعها وتعددها ويجهد في ايجاد الحلول الملائمة لها،واذا كان من حق رجل الفكر أيضا أن يطرق هذا الطريق في بلاد متقدمة فأولى برجل السياسة والفكر في البلاد المتأخرة ان يوجه اهتماما متزايدا لدراسة هذه المشكلات في مجتمعه وأن يجتهد في ايجاد الحلول الملائمة لها ..

ومن الأخطاء والأخطار التي واجهت بعض الدول الاسلامية أنها تناولت مشكلاتها ووضعت لها حلولها وفقا للأنماط والنماذج التي واجهت بها الدول المتقدمة مشكلاتها ، واذا كان هذا الأمر له خطورته من الناحية السياسية ، أعني من الناحية التطبيقية ، فان خطورته أشد من الناحية النظرية ، لا سيما وأن الناحية النظرية هي التي توحي بالحلول التي تطبق وتكون النتيجة أن تبقى حياتنا السياسية أسيرة مجهودات فكرية غير ملائمة لواقعنا ، لأنها أخلت بمبدأ أساسي من مبادىء فلسفة التاريخ .

يمكننا ان نقرب هذه الحقيقة الى ذهن القارىء اذا ما طبقناها على مستوى الأفراد .. من المسلم به أن ما يمكن أن يصنعه أو يتحمله الرجل المكتمل من مجهودات لا يمكن أن يصنعه أو يتحمله طفل صغير أو شيخ هرم ، أيضا المجتمعات لها اعمارها ، فهذا المجتمع في عنفوان شبابه ، يستطيع ان يتحمل وينتج ما تنتجه المجتمعات المزدهرة .. وهذا مجتمع ناشىء لا تستطيع قواه أن تواجه نفس الأعباء التي يتحملها المجتمع الاول ، وهذا مجتمع ثالث هرم لا يستطيع لنفس الأسباب أن يقوم بالمهمات الكبرى ما دام يستولي عليه هرمه .

واذا ارجعنا هذه الاستعارات الى مصطلح علم الاجتماع نقول بغير تردد إن المجتمع الاسلامي اليوم يتكون من عناصر بشرية ما زالت تشكل ما تسميه « بالانسانية العذراء » . اعني الانسانية التي لم تدخل بعد في دورة حضارة ولهذا السبب تحتفظ بكل رصيدها التاريخي الأمر الذى يملؤها بالتفاؤل نحوها ،

كما يتكون المجتمع الاسلامي ايضا من عناصر بشرية قامت بدور حضاري كبير وانارت الانسانية طيلة قرون ازدهارها واتى على هذه المجتمعات ما ياتي على كل المجتمعات وكل الحضارات فاستولى عليها الهرم وربما تجد نفسها في هذه الحالة عاجزة عن القيام بالمهمات التي يضطلع بها غيرها من الشعوب المتحضرة لانها هرمت .

والمشكل الرئيسي اذن بل ام المشكلات التي يواجهها العالم الاسلامي هي مشكلة الحضارة من طرفين ، كيف تدخل الشعوب العذراء في دورة حضارية جديدة ، وكيف تعود الشعوب الاسلامية التي خرجت من حلبة التاريخ لدورة حضارية جديدة ؟

اذا سلمنا بهذه الحقائق يبقى علينا ان نفكر في مصير العالم الاسلامي ، وكيف يمكن لنا الدخول في دورة حضارية جديدة ، هذه القضية باختصار هي التي وجهت لها كل مجهوداتي المتواضعة منذ ثلاثين سنة . ولسنا في حاجة الى حديث طويل لكي نؤكد ان الفكر الاسلامي قد وضع حلولا لمشكلات العالم الاسلامي وما يعانيه انسان العصر الحديث من قضايا ومواقف . ان القرآن الكريم قد وضع حلولا لهذه القضايا والمواقف ويجب ان نعمل على ضوء هذه الحقيقة ، فمن ناحية المشكلات الاجتماعية التي تواجه الانسان تكفل القرآن بوضع تشريع المعاملات الاجتماعية كالزواج والمعاشرة والطلاق . الخ . كما وضع تشريعا للمسائل الدنيوية كالبيع والشراء والتجارة من ناحية اخرى ، فان القرآن الكريم يضع في اعماق عقيدتنا الاستعدادات التي تؤهلنا لتطبيق المعاملات المتعددة ويحفزنا على الابداع والابتكار .

ان حصيلة دراستي في هذه الناحية تتحدد في مجموعة من النقاط ابرزها ان الحضارة لا تصنع بمنتوجات حضارية مستوردة ، بل هي التي تصنع وحدها المنتوجات الحضارية وهذا يؤدي بنا الى تساؤل تقليدي عن شروط الحضارة في جوهرها العام ، والجواب بدون استطراد طويل ، ان شروط الحضارة تتكون من ثلاثة عناصر : الانسان .. التراب .. والوقت .. واذا دققنا النظر في هذه العناصر نستطيع ان نستخلص المعنى والمطلوب ..

واذا كانت هذه فقط شروط الحضارة فلماذا لا توجد حضارة في مجتمع توافرت فيه هذه الشروط وهي غالبا ما تتوافر في مجتمعات العالم الثالث الذي يضم اكبر كتلة بشرية واخصب مساحات من التراب ولديه من الوقت ما لغيره من الدول صاحبة الحضارة ، ومع ذلك فلا توجد حضارة كالموجودة في الدول الاولى . وفي رأيي ان السبب في ذلك ان هذه العوامل تتطلب الى جانبها عاملا آخر لا غنى عنه .. هو العامل النفساني .. هذا العامل الذي يصطلح البعض على تسميته بكلمة « العقيدة » والبعض الآخر يسميه (ايديولوجية) فنحن اذن امام قضية واضحة وضوحا كاملا .. إن الشروط اللازمة لتكوين الحضارة موجودة .. والذي ينقصنا هو العمل بموجب العقيدة الاسلامية . الاسلام وحده هو الذي يمكن ان يعيد المسلمين الى عالم الحضارة الخلاقة والمبدعة ، أو يدخلهم في حلبتها ، ولكن شريطة ان يعتبروا ان هذه العقيدة رسالة هامة وضرورية ولا غنى عنها .. ولكن العقيدة لا يمكن أن تحرك الطاقات الا بقدر تسخيرها — أي العقيدة لحاجات ابعد واسمى واجل من الحاجات اليومية .

اعداد عبد المعطى بيومى

الكويت : قام سعادة وزير الخارجية بزيارة القاهرة وقد تباحث مع المسئولين فيها حول قضايا الشرق الأوسط ، كما بحث مسألة اتحاد الامارات العربية فى الخليج .

● بعثت الكويت بطائرتى نقل مواد غذائية ومعونة الى ضحايا الزلزال الذى حدث فى تركيا فى الشهر الماضى .

● سيصدر قريبا الكتاب الخامس من سلسلة احياء التراث الاسلامى التى تصدرها ادارة الشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ، وهو الجزء الثانى من كتاب المطالب العالية المؤلف من ٤ أجزاء .

● افتتح فى الشهر الماضى ٤ مساجد جديدة ، كما بوشر فى بناء ثمانية مساجد اخرى موزعة على بعض المناطق فى الكويت ، ومن جهة ثانية فان عددا من المساجد سوف يعاد بناؤها .

● ستصدر الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية طبعة تمهيدية لموضوع ثالث بعنوان عقد الحوالة .

● مثل الكويت فى اجتماعات لجنة نشر الثقافة الاسلامية التى عقدت بالمغرب فى الشهر الماضى السيد الأستاذ مدير شئون المساجد بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

القاهرة : أعلن الرئيس أنور السادات أنه لا يقبل المناقشة حول عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية للقناة ، ولا يقبل المساومة في حق الشعب الفلسطيني .

● أصدر مؤتمر علماء المسلمين فى ختام دورته الثانية التى انتهت فى الشهر الماضى عدة قرارات وتوصيات للعمل على تحقيق الوحدة الفكرية والدينية والاقتصادية بين الدول الاسلامية .

● قرر علماء الأزهر تنظيم كتائب جديدة منهم للعمل مع القوات المسلحة فى الجبهة ، وأعلنوا ثقتهم فى القوات المسلحة ، ووقوفهم خلفها فى الجبهة الداخلية صفا واحدا .

● أقامت جمعية الشبان المسلمين حفلا كبيرا لتكريم مائتى عضو من أعضاء نادى المسلم الصغير بمناسبة نجاح الأعضاء فى حفظ جزء (عـم) من القرآن الكريم .

● عقد فى الجامعة العربية بالقاهرة من ١٥ ــ ٢٤ مايو الماضى مؤتمر عربى لمناقشة الجهود التى تبذل لثقافة الطفل فى الوطن العربى .

● تقرر التوسع فى قبول أعداد كثيرة من الطلاب فى كلية أصول الدين بالأزهر لتغطية النقص فى جهاز الدعوة الاسلامية ، والذى يقدر بألف عالم أزهرى كما ستنشأ مدينة جامعية كاملة لجامعة الأزهر ، والحاق قاعات اجتماعات ومكتبات كبيرة بالمساجد الجديدة .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل بزيارة الصين الوطنية (فرموزا) واليابان وأمريكا ، وقد شرح للمسئولين الأمريكيين الموقف العربى من قضية فلسطين .

● صرح الأمير فهد بن عبد العزيز أن المملكة تقوم على تنمية الروابط الأخوية بين شقيقاتها العربية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لها ، وقال أن المملكة واليمن يمثلان خط الدفاع الأول ضد المبادىء الهدامة .

● بحث الأمير عبد الرحمن أمين المنظمة الاسلامية مع اللجنة الدستورية للمؤتمر الاسلامى دستور المنظمة ، وذلك فى جدة فى الشهر الماضى .

● أهدت وزارة المعارف الى وزارة التربية والتعليم فى العربية اليمنية مطبعة حديثة لتدعيم الروابط بين البلدين .

● أعلن وزير الدولة للشئون الخارجية أن المملكة تقف الى جانب شقيقتها الباكستان ، وتأمل أن يكف الجميع عن التدخل فى شئونها الداخلية .

الأردن : بعث المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى عمان فى الشهر الماضى وحضره عدد من كبار الشخصيات الاسلامية ببرقية الى الهند ناشدها فيه الكف عن الأعمال الاستفزازية ضد وحدة الباكستان .

● أصدر رئيس لجنة تمويل وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة نداء لتقديم المزيد من المساعدة للفلسطينيين .

الأرض المحتلة : أعلن رئيس الصندوق القومى اليهودى فى تل أبيب أن الحركة الصهيونية العالمية قدمت لاسرائيل منذ انشائها ٤ آلاف مليون دولار .

● صرحت جولدا مئير فى أول يونية بأنها (لا تتصور) التخلى عن القدس ، وعودتها الى قدس عربية وقدس اسرائيلية ، كما لا تتصور الجلاء عن مرتفعات الجولان السورية .

سوريا : صدر قرار جمهورى بانشاء جامعة فى اللاذقية ، وبهذا يبلغ عدد الجامعات فى سوريا ٣ جامعات هى جامعة دمشق ، حلب ، اللاذقية .

لبنان : سينشأ مكتب لوكالة الأنباء الاسلامية فى بيروت يكون تابعا للأمانة العامة الاسلامية التى قررها مؤتمر وزراء الدول الخارجية فى كراتشى فى العام الماضى .

البحرين : أنشىء مصنع كبير للألمنيوم فى البحرين ، وقد تكلف مبلغ ٦٠ مليون دينار .

الجزائر : تم الاتفاق على تقديم الجزائر ٥ ملايين دينار جزائرى كمساعدة لموريتانيا لبناء ميناء فى نوكشواط .

المغرب : أعلن وزير الخارجية فى مؤتمر صحفى عقده فى الشهر الماضى بأن تونس والمغرب ستلازمان اليقظة الكاملة بخصوص مشكل الشرق الأوسط الذى يهم المغرب العربى مباشرة .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافـــة .

جــدة : **مكتبة مكة** ـ السيد عوض با عامر ـ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

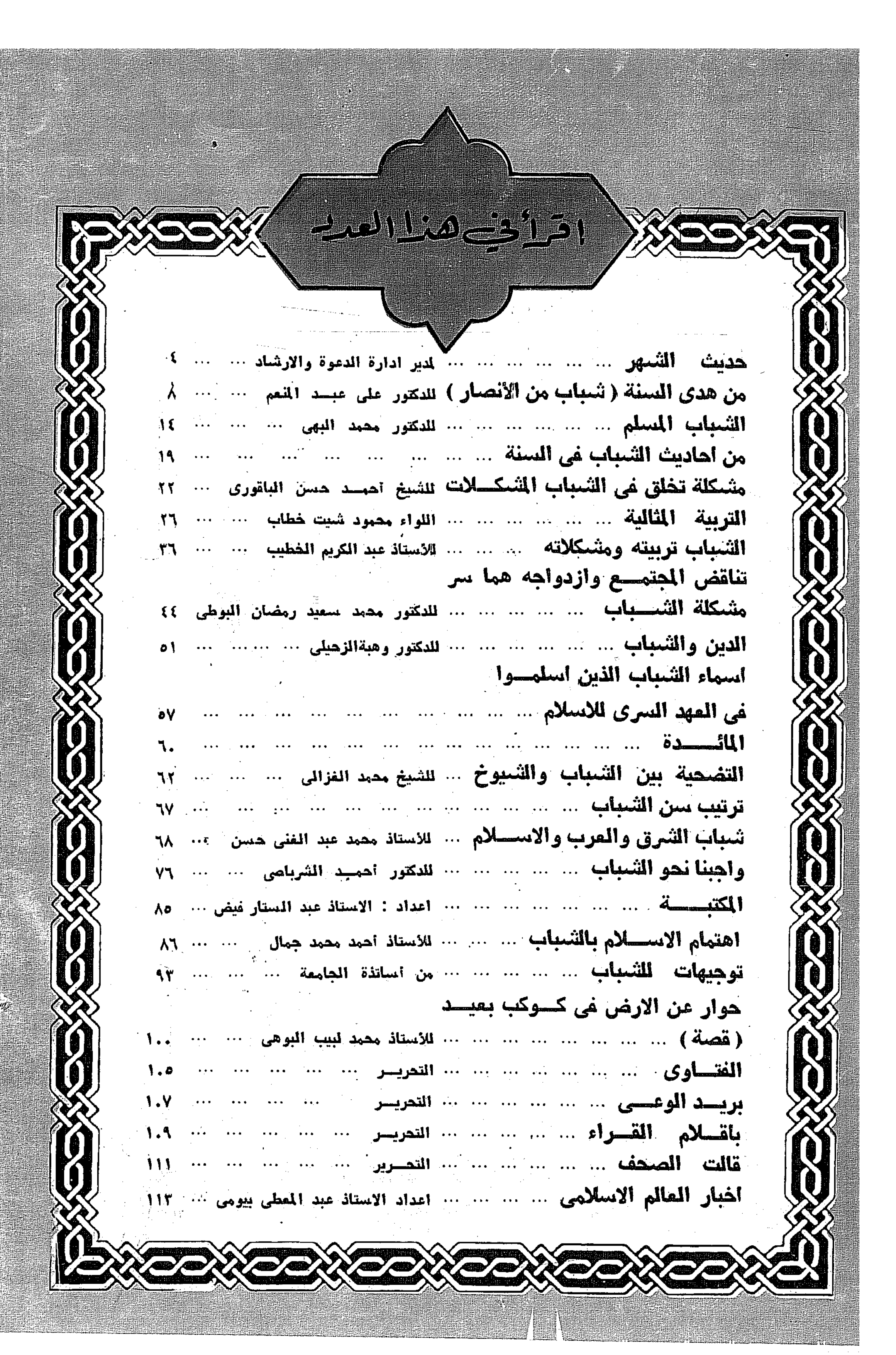
دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ـ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩

قطـــر : مكتبة الثقافة ـ السيد سالم الانصارى ـ الدوحة

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



اقرأ في هذا العدد



اسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة السابعة ــ العدد ٧٨ ــ جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ ــ ٢٣ يوليو « تموز » ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله وتوفيقه تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

عن افتتاح دار القرآن الكريم في العام الدراسي الجديد ١٣٩١-١٣٩٢هـ

يحفظ الطالب فيها القرآن الكريم كله ويجيد ترتيله وأحكامه .

يشترط للالتحاق بها الإلمام بالقراءة والكتابة دون التقيد بسن

معيّنة ويستثنى من ذلك مكفوفو البصر .

وستكون الدراسة صباحية بمقر معهد الإمامة والخطابة الواقع بشارع

فلسطين . فعلى الراغبين في الانتساب إليها أن يتقدموا بطلباتهم إلى

إدارة الدعوة والإرشاد بالوزارة أثناء الدوام الرسمي اعتباراً من

أول يوليه ١٩٧١م . وستبدأ الدراسة بمشيئة الله تعالى يوم

السبت ١٢ من شعبان ١٣٩١هـ الموافق ٢/١٠/١٩٧١م

والله ولي التوفيق

وكيل الوزارة

عبد الرحمن عبد الله المجحم



لوحة تمثل حلقة من حلقات دروس
الوعظ فى أحد مساجد الكويت ٠
للرسام : محمد المؤذن

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الثامن والسبعون

جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ

٢٣ يوليو « تموز » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

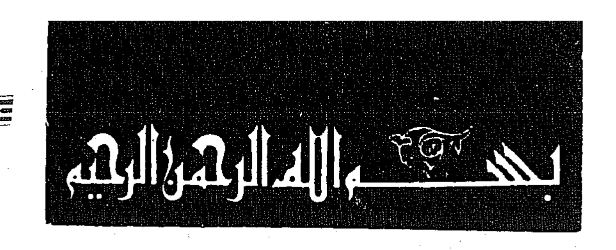
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

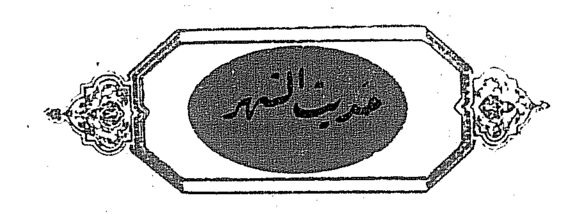
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



أصحاب الأخدود

لم تشهد الانسانية فى تاريخها القديم والحديث مآسى ابشع ، ولا اعنف ، ولا أوغل فى الجريمة والوحشية من المآسى التى يدفع اليها ، ويحركها ، ويقودها الاضطهاد الدينى .

والاضطهاد الدينى ليس وليد التدين الصحيح ، ولا الغيرة على عقيدة خالصة مبرأة من الهوى والغرض ، وانما هو وليد التعصب الحاقد الاعمى والغيرة على عقيدة كافرة حمقاء تتستر وراءها أطماع أناس كفروا بالله ، وكذبوا على أتباعهم وأوردوهم موارد الهلكة ، وخاضوا بهم بحارا من الدم الطاهر البرىء .

والقرآن الكريم يقص علينا من أنباء هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع فى العصور السابقة على الاسلام قصصا يشيب من هولها الولدان ، ويعرض صورا حية لأبشع ما تعرض له المؤمنون السابقون من تنكيل وتعذيب لغير ما سبب الا أنهم قالوا ربنا الله .

ومن أبرز هذه القصص الدامية قصة أصحاب الأخدود التى ورد ذكرها فى سورة البروج يقول الله تبارك وتعالى :

(قتل أصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والارض والله على كل شىء شهيد . ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق .

وموضوع القصة كما يقول المفسرون هو أن جماعة من المؤمنين السابقين على الاسلام ابتلوا بأعداء لهم طغاة قساة شريرين أرادوهم على ترك عقيدتهم والارتداد عن دينهم فأبوا وتمنعوا فشق الطغاة لهم شقا فى الارض وأوقدوا فيه النار وجاءوا بالمؤمنين وفيهم النساء والاطفال والشيوخ فكبوهم فى النار على مرأى ومسمع الجموع التى حشدوها تشهد مصرع المؤمنين ولكى يتلهى الطغاة ويثبتوا سلطانهم بمشهد الحريق حريق الآدميين المؤمنين (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

هذا وجه المأساة الدامى ووراء هذا الوجه تكمن حقيقة عليا حقيقة تملأ القلب بالروعة التى يصفها أحد المفسرين بأنها روعة الايمان المستعلى على الفتنة والعقيدة المنتصرة على الحياة والانطلاق المتجرد من أثقال الجسم وجاذبية المادة ، فقد كان فى استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لايمانهم ولكن كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير معنى زهادة الحياة بلا عقيدة وبشاعتها بلا حرية وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الارواح بعد سيطرتهم على الاجسام انه معنى كريم جدا هذا الذى ربحوه وهم بعد فى الارض ربحوه وهم يجدون مس النار تحرق اجسادهم وينتصر هذا المعنى الكبير معنى الثبات على الايمان والاستمساك بالعقيدة وبعد ذلك لهم عند ربهم حساب ولاعدائهم الطاغين حساب (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهمجنات تجرى منتحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) .

هذه صورة من صور الاضطهاد الدينى الذى أصاب المؤمنين قبل الاسلام كما يصورها القرآن وهى على بشاعتها ليست خاتمة الاحداث ولا أفظعها بل لقد حدث للمؤمنين فى عصر النبوة الخاتمة ما هو أبشع وأفظع .

أجساد المؤمنين مضرجة بدمائهم ممزقة الاشلاء والاوصال ملقاة فى الصحراء بعيدة عن الاعين لا يستدل عليها الا من الطيور الجوارح تحوم حولها وتنقض عليها وترتفع وفى مخالبها يد مؤمنة وساق موحدة وعين طالما بكت من خشية الله .

هؤلاء المؤمنون هم شهداء بئر معونة .

تروى كتب السيرة أنه قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامر ويدعى ابا براء ويلقب بملاعب الاسنة فعرض عليه رسول الله عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام . وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء — أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار

المسلمين فساروا حتى نزلوا عند (بئر معونة) وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى شيخ قبيلة بنى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب وعدا عليه فقتله واستصرخ من حوله الرجال وجمعهم وخرج بهم حتى أحاطوا ببقية الاربعين فقتلوهم ولم يعرف خبرهم الا عمر بن أمية الضمرى فقد ابصر الطير تحوم حول المعسكر فأقبل ينظر ما شأن هذه الطير فاذا القوم فى دمائهم والطير تنهش اجسادهم فلما بلغ الأمر رسول الله حزن أشد الحزن ومكث نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه فى بئر معونة وفى الرجيع كلما صلى .

وفى الحرب الصليبية خرجت أوروبا عن بكرة أبيها فى تعبئة لم تشهد القرون الاولى كثافتها واتجهت فى زحفها نحو الشرق الاوسط تستهدف محو الاسلام والقضاء على كتابه وهدم مساجده واستئصال المسلمين وكانت لهم فى بيت المقدس جرائم وحشية فتكوا فيها بالمسلمين فتكا ذريعا وأبادوا عشرات الألوف منهم دون رحمة ولا هوادة .

وفى عصرنا الحاضر ماذا فعلت الصهيونية بالعرب المسلمين فى فلسطين أرض الشهداء فى دير البلح وفى دير ياسين فى كل شبر من الأرض هناك وماذا تفعل الآن بالمسلمين العزل فى السجون ومعسكرات التعذيب ولم حالت بين لجنة حقوق الانسان وبين رؤية هؤلاء المضطهدين المعذبين .

وآخر ما تناقلته وكالات الانباء وما رددته الاذاعات والصحف الاضطهاد الدينى الذى يتعرض له المسلمون فى الفلبين .

قالت صحيفة (مانيلا تايمز) ان رجالا مسلحين ذبحوا سبعين شخصا مسلما فى مقاطعة جنوبية فى كوتاباتو وقالت الصحيفة ان الحادث وقع فى قرية بوالى وأن الضحايا كلهم مسلمون وكانوا ينتظرون فى المسجد عقد مؤتمر للسلام مع المسيحيين حينما داهمت جماعة مسلحة المسجد وبدأت تطلق النار على الرجال والنساء والاطفال الموجودين فى المسجد حتى الموت .

هذا وقد جرح عدد كبير من الموجودين هناك والمعروف ان مئات الضحايا قد لقوا مصرعهم فى الشهور الاخيرة فى مقاطعة كوتاباتو التى تبعد ٨٨٥ كم جنوب عاصمة الفلبين بسبب الهجمات المسيحية المتعصبة والقبائل المتوحشة والتى أعلنت حربا شعواء على المسلمين هناك .

ان هذا الاضطهاد الدينى الذى وقع على المسلمين فى الفلبين ليس وليد اليوم انما هو نتيجة مخطط منظم معاد للاسلام من قديم وقد كشفت صحيفة الاهرام القاهرية هذا المخطط فى تحقيق نشرته أخيرا جاء فيه :
ان الاسلام دخل جزر الفلبين على أيدى تجار الجزيرة العربية وحضرموت والملايو فى القرن الثالث عشر وان أغلبية مسلمة كانت تسكن جزر الفلبين ولما غزا

الاسبان هذه البلاد فى القرن السادس عشر خاض المسلمون حربا ضارية ضدهم دفاعا عن الارض والعقيدة ، وسقطت الجزر المسلمة واحدة واحدة فى أيدى الغزاة وأرغم أهلها على ترك دينهم ومن بقى منهم مسلما غيروا أسماءهم العربية وفى النهاية تركز المسلمون فى جزر الجنوب لكن المسلمين أصبحوا أقلية بعد القرون الاربعة التى عاشتها بلادهم تحت الحكم الاسبانى .

وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفلبين تحت الاحتلال الاميركى ثم استقلت سنة ١٩٤٦ وبعد الاستقلال أخذت المناطق المسلمة تتعرض لغزو جديد ولكن من نوع آخر بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة وكان هدف هذه العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل مغلقا على المسلمين قرونا عديدة واقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة وكان المهجرون يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون فى الجنوب آلاف الهكتارات من الاراضى الزراعية وطردوا منها وعاشوا فى أكواخ على شاطىء المحيط ومع عمليات التهجير والتوطين مضت بعثات التبشير الغنية النشيطة فأقامت المستشفيات والمدارس والجمعيات الدينية وشدت المسلمين الفقراء اليها .

وهكذا أجبر المسلمون على التخلى عن أراضيهم وحملوا على ترك دينهم وكان طبيعيا بعد ذلك أن تتناقص أعدادهم ويهتز كيانهم .

لم يعد المسلمون قلة فى الفلبين بل أصبحوا أقلية فى مدن الجنوب ذاتها التى ظلت طوال القرون الماضية بطابعها الاسلامى .

كان كل سكان جزيرة مناوناو من المسلمين وأصبحت نسبتهم الآن لا تتجاوز ٥٠ ٪ وفى مدينة زامبوا نجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠ ٪ وظلت تتدهور حتى وصلت الى ٣٠ ٪ لم يبق غير كوتاباتو التى ما زالت تحتفظ بأغلبية مسلمة وقد كانت مسرحا للمذبحة التى جرت أخيرا ويبدو أن أعداء الاسلام لجأوا الى ذبح المسلمين للتخلص منهم .

وما حدث فى فلسطين والفلبين يحدث مثله الآن فى كثير من مناطق افريقيا وآسيا وأوروبا وتوجد أخاديد كثيرة للمسلمين يقوم عليها أعداء الله ورسله وكتبه .

أوليس لهؤلاء المضطهدين من أجل اسلامهم من مجير ذلك ما نرجو أن يكون موضع نظر مؤتمر القمة القادم للملوك والرؤساء والامراء المسلمين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

ضيواء الهبلي

من هدي السنة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

زهرة الدنيا

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض . قيل : وما بركات الأرض ؟ قال : زهرة الدنيا ، فقال رجل : هل يأتى الخير بالشر ؟ فصمت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أنه ينزل عليه ، ثم جعل يمسح عن جبينه (١) فقال : أين السائل ؟ قال . أنا ، قال أبو سعيد (٢) لقد حمدناه حين طلع لذلك (٣) قال . لا يأتى الخير الا بالخير ، ان هـذا المال خضرة حلوة ، وان كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم ، الا أكلة الخضرة ، أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس اجترت وثلطت وبالت ، ثم عادت فأكلت ، وان هذا المال حلوة ، من أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، وان أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع .

رواه البخارى وغيره ...

١ ــ يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على التمكين لقومه فى الأرض ، ليكونوا مناراتها المضيئة ، ومشاعلها على طريق الخير والسلام ، ولهذا كان حدبا على أتباعه ، مهتما بأمرهم الحاضر ، والمستقبل ، لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الفلك لا يتوقف ، وأن الأحوال لا بد أن تتغير ، وبادراكه الناشىء عن نور النبوة يتطلع الى غيب المستقبل فيرى من خلاله دنيا مقبلة على هؤلاء العرب الذين ارتضوا الاسلام دينا ووقفوا جهودهم على الذود

عن حياضه ، ويعملون دائبين على نشره ، وتوسيع رقعته ، فهم قد ذاقوا لذة الايمان بالله وبرسوله ، التى أنتجت منهم بطولات فى مختلف ميادين الوجود الانسانى ، ولهذا لا يرتضون لأنفسهم الاستئثار بالفضل ، ولا يضنون به على غيرهم ، ومن أجل ذلك فهم سيطرقون أبواب الدنيا يطلبون مفاتيح الأرض ليبسطوا عليها سلطان الهداية والنور ، وسيتبع ذلك الثراء المادى الذى سيبدل الأحوال ويشيع أجواء لا عهد لهم بها ، ويتطلب حكمة وحسن تأت للأمور ، وهم فى وضعهم على عهد سيدى رسول الله اخوة لم يفرقهم مال ، ولم يميز بعضهم عن بعض جاه ، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وكل ما يصل اليهم من الفتوح ينالونه كما يشاء الله ورسوله فلا اعتراض ، ولا تنافس فأكبر هممهم الدار الآخرة ومفتاحها طاعة الله ورسوله ، ودرجاتها تدرك برضا الله ورسوله ، وسيدى رسول الله كان مدركا أن التنافس فى الدنيا مهلكة ، وأن مدار التنافس المسىء سيبدأ من انفتاح خيرات الأرض على مجتمع المسلمين ، ففى الحديث الشريف يقول سيدى رسول الله ((.. وانى والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها (أى الدنيا))) ..

ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر .

« فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم » .

وفى رواية ((فتهلككم كما أهلكتهم)) وذلك أن المال مرغوب فيه وترتاح اليه النفس وتمعن فى طلبه وتتفانى فى الحصول عليه وتسلك كل الطرق للوصول اليه ، وأحيانا تمنع منه فتقع العداوة ، والعداوة مقتضية للقتال أحيانا ، والقتال يفضى الى الهلاك لا محالة .

٢ ـ ولما كانت تعاليم الاسلام مهداة الى البشرية جمعاء لا تتقيد بعصر أو بمصر ، كان سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى الى أصحابه من الحكمة ما يعنى به أحوال المستقبل وما سيصير فيه ، ولم يزهد أبدا فى جمع المال من حله ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، والمعطى أفضل من الآخذ ، والمال حلوة خضرة وهو زهرة الدنيا وبه زينتها ، وهو سلاح ذو حدين ان أحسن استعماله نما بره وربا خيره وعمر الديار . وأشاع فيها العلم والمعرفة ، وأعلى مكانة الأمة ، فيهابها أعداؤها ، ويوقرها أندادها فبالمال والعلم يبنى الملك السعيد ، وما سعدت أمة أبدا بجهل واقلال ،

أما اذا أسىء استعمال المال وعدل به عن موضعه الحق فحينئذ يصبح وبالا على صاحبه ، وينعكس وباله على الأمة فيودى بها ، والعجيب فى أمر كثير من الأمم التى مضت مع الزمان وصارت تاريخا من التاريخ أضعفها الترف وأودى بها الثراء حين أفقدها توازنها ولم ترزق رجالا يحسنون توجيه المال ويدركون قوته وخطورته ، فنمت فيها الميوعة ، والخور ، وعشش فى دورها الهوان والتفاهة فاستنام الناس الى ما فى أيديهم ، ولما زاد عن حده بحثوا له عن مصرف ايقظته تخمة البطن وقلة الاجهاد ، وقوته الراحة ، وعززته الشهوات ، فترنحت الرءوس ، ولانت الجذوع ، وماتت الاطراف ، وصارت الدولة أثرا بعدعين .

والحديث الشريف يشير الى الطريقة التى يجب أن يسلكها المال لينتفع به

وللعلماء السابقين فى تبيين أسراره أقوال منها أنهم قالوا : فى هــذا الحديث وجوه من التشبيهات بديع .

(**أولها**) تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره ، **وثانيها** تشبيه المنهمـك فى الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة فى الأعشاب **وثالثها** تشبيه الاستكثار منه والادخار بالشره فى الأكل والامتلاء منه ، **ورابعها** تشبيه الخارج من المال مـع عظمته فى النفوس حتى أدى الى المبالغة فى البخل به بما تطرحه البهيمـة من السلح **وخامسها** تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمـه بالشاة اذا استراحت وحطت جانبيها مستقبلة عين الشمس **وسادسها** تشبيه موت الجامع المانـع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها ، **وسابعها** تشبيه المال بالصاحب الذى لا يؤمن أن ينقلب عدوا فان المال من شأنه أن يحرز ويشد وثاقه حياله وذلـك يقتضى منعه من مستحقه فيكون سببا لعقاب مقتنيه **وثامنها** تشبيه آخذه بغير حق بالذى يأكل ولا يشبع .

وفى المال يقول الامام الغزالى ((اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه ، وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره ويستدر من خيره)) .

٣ ــ وعرج على شرح هذا الحديث الشريف العلامة ابن منظور صاحب ((لسان العرب)) وبسط القول فيه بسطا يقرب فهمه للدارس المتفحص فأحببت أن أنقل قوله دون زيادة عليه لتعم الفائدة كل مطلع عليه من طلاب العلم ورواد السنة الشريفة ــ دون عناء الرجوع الى بطون الموسوعات وما يستلزمه ذلك من مشقة ودأب (٤) ..

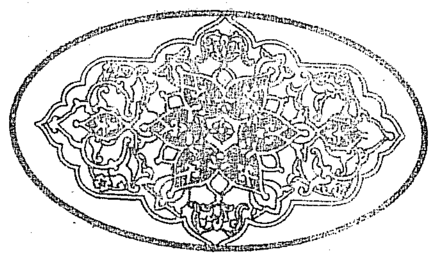
قال ابن منظور : ...

وفيه مثلان : ضرب أحدهما للمفرط فى جمع الدنيا مع منع ما جمع من حقه ، والمثل الآخر ضربه للمقتصد فى جمع المال وبذله فى حقه ، فأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا » (كما ورد فى روايته) فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع وذلك أن الربيـع ينبت أحرار العشـب التى تحلولبها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك ، وكذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب ، وأما مثل المقتصد المحمود فقوله صلى الله عليه وسلم .. الا آكلة الخضرة ، فانها أكلت حتى اذا امتلأت خواصرها اسـتقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت ، وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول التى تستكثر منها الماشية فتهلكه أكلا ، ولكنه من الجنبة التى ترعاها بعد هيج العشب ويبسه ، وأكثر ما رأيت العرب يجعلون الخضر ما كان أخضر من الحلى الذى لم يصفر والماشية ترتع منه شيئا فشيئا ولا تستكثر منه فلا تحبط بطونها عنه ، فالخضر من كلأ الصيف فى القيظ وليس من أحرار بقول الربيع ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلة الخضرة مثلا لمن يقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يسرف فى الحرص عليها ، وأنه ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر ، ألا تراه قال : فانها اذا أصابت من الخضر استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ؟ واذا ثلطت فقد ذهب حبطها ، والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج منها ما فيها (٥) ..

والخــلاصة :

أن المال عصب الحياة وثقافها ، ووسيلة كل خير فيها ، بل هو خير مقوماتها كما سماه القرآن الكريم فى قوله تعالى « ان ترك خيرا .. » الآية اذ به يتوصل الى كل مبتغى ، وينال كل مطلب اذا ملكته رجال تقدره قدره وتعرف كيف تقلبه وتدرك مصادره وموارده ولهذا دأبت القيادات الواعية على تلمس مواطنه وكثيرا ما ثار قتال من أجله ، به بسطت دول سلطانها وأرست قواعد حضارتها وتقدمت غيرها ، ونالت كل مبتغاها ، والاسلام متمثلا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهمل قط شأنه ولا حط من قيمته ، والقرآن الكريم جعله فى مواضع من آياته نعمة ومنة من الله على عباده ((ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)) وحث على حفظ حق الورثة فى مال مورثهم مبعدا له عن السرف ولو فى انفاقه فى حلال ((لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالــة يتكففون الناس)) ..

وفى المقابل ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر فيما أخرجه أبو مسلم الليثى فى سننه ، والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس رضى الله عنــه حيث قال عليه الصلاة والسلام ((كاد الفقر أن يكون كفرا)) وقد عقد المتقدمون فصولا طويلة فى بيان فضله وجليل آثاره وخطير سلطانه ، ولهذا فسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى وضعه فى مواضعه ، وادراك جهات استغلاله لخيرى الدنيا والآخرة حتى يكون نافعا فى العاجلة والآجلة ، وأوضحت السنة الشريفة فى أحاديث كثيرة كيف يجمع وكيف ينفق ، وفى السنة أسرار خير الدنيا والآخرة وما لو ترسمه المسلمون فى حياتهم العملية والواقعية لكانوا فى القمة ، ولبلغوا ما يتشوفون اليه مما وصلت منتهاه أمم أخرى ولعل قوارع الايام توقظهم وتفتح قلوبهم على مضامين القرآن والسنة وتسديده ، والذين جاهــدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ولنا — ان طال المقام — الى هذا الحديث عودة والله المستعان وحده .



---

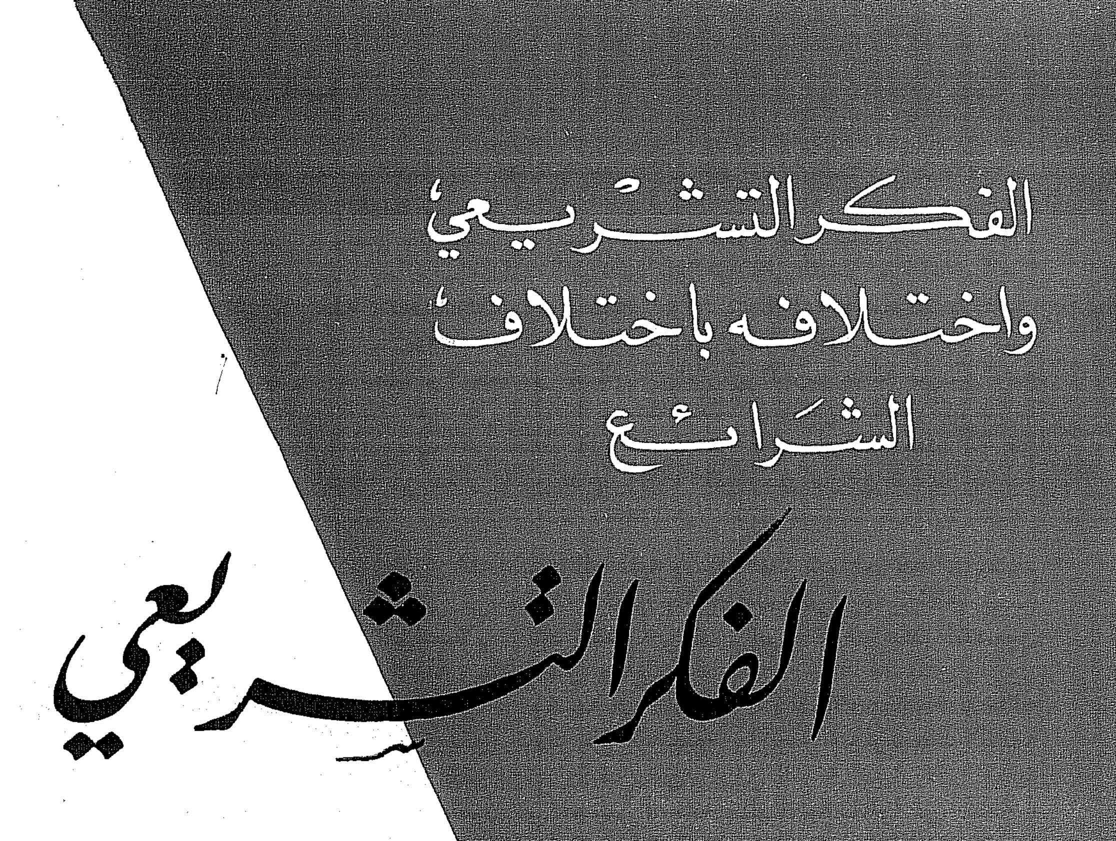
(١) أبو سعيد : هو راوى الحديث .

(٢) يمسح عن جبينه : أى العرق كما ورد فى رواية أخرى .

(٣) حمدوا السائل : لانهم لاموه أولا حين رأوا سكوت النبى صلى الله عليه وسلم فظنوا أنه قد أغضبه ثم حمدوه أخيرا حين رأوا أن مسألته كانت سببا فى الشرح الذى استفادوا منه ما يرمى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) فى الحديث ما يحتاج الى مواقف وتأملات خصوصا لمن أراد استكناه أسرار السنــة الشريفة وساعرج على كل ذلك بالتفصيل فى مقال تال بعون الله تعالى وتوفيقه .

(٥) لسان العرب ﺟ ١ ص ٥٥٣

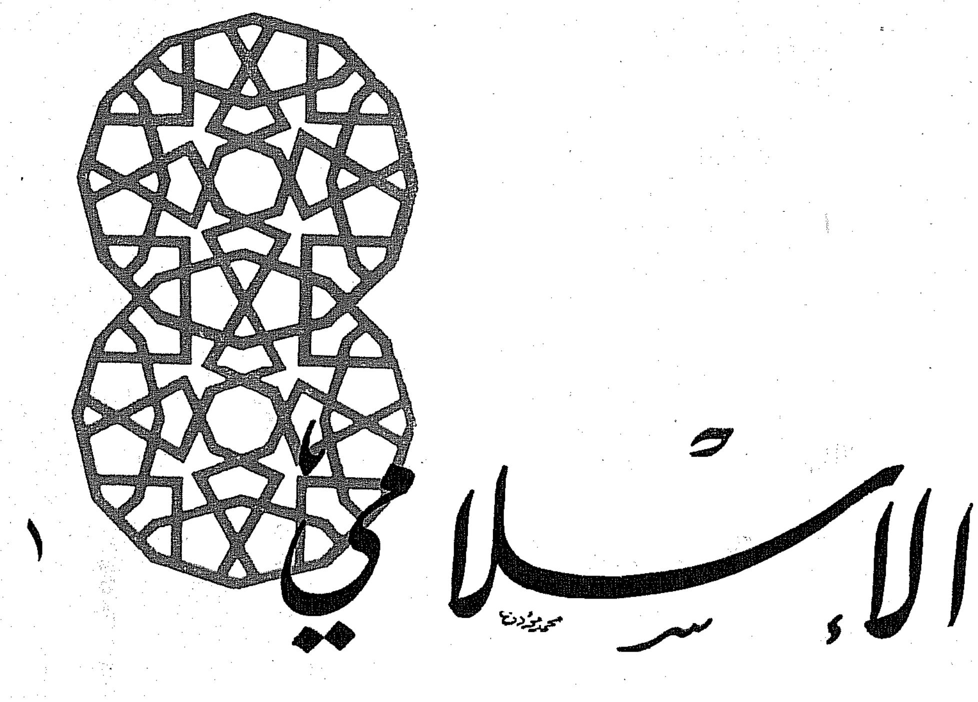


يختلف الفكر التشريعى ، ويتعدد باختلاف الشرائع وتعددها بحسب ما وضعت لتحقيقه من أغراض وأهداف مختلفة ، اذ كان ذلك سببا فى اختلاف أسسها وتعارضها والتباعد بين قواعدها وطرائق تطبيقها ، وتبع ذلك اختلاف أحكامها وتعارضها فى كثير من مسائلها وفروعها ، ومن أجل ذلك لكل شريعة اتجاه خاص فى تأسيسها ووضع قواعدها ، وتأصيل أصولها وسن أحكامها وتفريع مسائلها .

ولقد ظهر فى المجتمع فى هذا العصر نظامان هما :

١ — النظام الفردى .
٢ — والنظام الاشتراكى .

وكان أساس النظام الفردى مصلحة الفرد ، أو المنفعة الخاصة ومن ثم اتجهت تشريعاته الى التمكين للمصلحة الفردية ، وتقديسها وجعلها الأصل الأول الذى يراعى فى شرائعه وأحكامه التى اتخذها طريقا الى حماية الحرية الفردية ، وعدم المساس بالملكية الخاصة ، محتفظا بتنظيمها للسلطة التشريعية بالتصرف فيها للسلطة القضائية ، وكان أساس قيام المجتمع فيه ونظامه المحافظة على الحرية الفردية ، وغير ذلك من الأصول ذات النزعة الفردية التى رفعها أصحاب هذا المذهب الى مرتبة المقدسات والأسس التى لا تمس ، ولذا كان للفرد فى هذا النظام أن يفعل ما يشاء فى حدود القانون ، بحيث لا يضر بغيره ضررا يمنعه من



للشيخ : علي الخفيف

حقه ، وبذلك كان حرا فى ارادته حرا فى عقيدته حرا فى تملكه ، وكان الفكر التشريعى لهذا النظام متمثلا فى حرية الفرد ، واطلاق تصرفه ، والاتجاه الى تحقيق مصالحه الخاصة ، ومنفعته الذاتية أولا فى حدود ما يوضع من نظام ، وعلى هذا الأساس سنت شرائعه ووجه نشاطه .

أما النظام الاشتراكى أو الجماعى فان أساسه قام على النظر الى المجتمع ورعاية مصالحه رعاية تجعلها محل النظر والاعتبار ، والوصول به الى أعلى ما يتمنى أن يصل اليه من الرقى ، واليسر ، والرخاء ، بحيث لا يكون فيه محل لأسباب الانحطاط والضعف من الفقر والمرض والجهل ، ونحوها ، وبحيث تتلاشى أمام مصالحه مصالح الأفراد وارداتهم ، ويكون نشاطهم كله موجها الى مصالحه دون نظر الى مصالحهم ، فلا أعتبار لها أمامه الا بقدر ما يجعلهم أقوياء قادرين على القيام بما تتطلبه منهم مصالح المجتمع من جهد وسعى ، وبذلك تتضاءل المصالح الفردية فى هذا النظام ، وتضمحل أمام مصالح المجتمع وأهدافه التى أرادها له أصحاب هذا النظام وواضعوه .

ومن أجل هذا لم يكن الحق فى النظام الاشتراكى مصلحة لصاحبها يحميها

القانون كما يراه أصحاب النظام الفردى ، وانما يعد فيه مكنة أو صلاحية يقوم بها الفرد فى مجال العمل والمساهمة فى تحقيق مصالح المجتمع التى يستهدفها ، ولم يكن للفصل بين السلطات الثلاث : الشرعية والقضائية والتنفيذية فيه محل ولا داعية ، اذ المفروض فيه تضافر جميع الأفراد على اختلاف أعمالهم وما نيط بهم فى الوصول الى ما يتطلبه المجتمع من مصالح ، وعلى هذا تسن شرائعه وترتب أناظيمه ، وكان الفكر التشريعى فيه يتمثل فى النظر الى كل الأمور والأفعال باعتبارها وسائل لتحقيق متطلبات هذا النظام ، وتوجيه النشاط فيه سواء كان فرديا أو جماعيا هذه الوجهة حتى لا يكون الفرد فيه الا جزءا من كل ، يتحرك بحركته وينغمر فى غماره ويسير فى تياره وذلك ما يولد تضامنا اجتماعيا عاما بين جميع أفراده حاكمين أم محكومين للوصول الى غاية اجتماعية منشودة من الجميع خلافا للنظام الفردى ، اذ لا يتغيا أفراده جميعا غاية واحدة مشتركة ، وانما يتغيا كل فرد فيه مصلحته الخاصة ، وبذلك تتعارض المنافع الخاصة والمصالح الذاتية على صورة توجد الصراع بين الطبقات وتؤدى الى وجود الأحزاب وتعارضها ، ومن هنا يختلف الفكر التشريعى فى النظام الفردى عن الفكر التشريعى فى النظام الجماعى ، وهكذا يختلف الفكر التشريعى ويتعدد باختلاف الشرائع وتعددها ، واختلافها فى الغاية والهدف .

واذا كان لكل شريعة فكر تشريعى خاص يلائمها ، ويتفق مع أهدافها ، فان للشريعة الاسلامية كذلك فكرا تشريعيا خاصا يلائمها ويوجهها الى تحقيق أهدافها السامية .

وذلك يتضح فيما يلى :

فى بيان الفكر التشريعى الاسلامى :

يتمثل الفكر التشريعى الاسلامى فيما أرساه الاسلام من قواعد ، وما أقامه من أسس وما أصله من أصول ، وما اتجه اليه من اتجاهات فى سبيل ايجاد مجتمع سليم ، ذى نظام متكامل مترابط فى قواعده وعناصره ونظمه ، محكم فى بنائه ، قوى فى لبناته وشدة تماسكها ، مرتبط أشد الارتباط وأحكمه بأصول الدين الحنيف ومثله العليا وفضائله السامية ، مؤمن بالجزاء على أعماله ليسعد أفراده وتطيب حياتهم وتزكو نفوسهم وتطهر قلوبهم ، وعلى هذا الأساس أقام شريعته التى نزل بها كتابه الحكيم ، وبينها للناس رسوله الأمين ، فكانت واضحة الأهداف ، بينة المعالم ، متسقة فى أحكامها وأغراضها ، تجمع بينها روح عامة ، وفكرة شاملة ، كانت بمثابة النظام الذى به ترابطت ، والاطار الذى فيه تضامنت واجتمعت ، وكان انطواؤها تحت هذا النظام دليل شرعيتها وصحتها ، وخروجها عنه أمارة بطلانها ، فالحكم حكم الله ما انطوى تحته وظل فى دائرته ، وباطل ما تعدى حدوده وتجاوز اطاره .

وانك لترى هذه الروح واضحة فيما شرع الله فى كتابه من الأحكام ، وفيما جاء به رسوله من شرع وبيان ، وفيما وضع وسن لتطبيق ذلك من طرق ميسرة ، جانبت المشقة ، وجانبت الحرج والعنت على ما لذلك من صور وأوضاع نتيجة لتعدد الأحداث وتنوعها ، واختلافها فى أسبابها وظروفها ، كما تراها كذلك بينة فيما لهذه الشريعة من اجتهادات ، وما تضمنته من أنظار ، وما روعى فيها من موازنات ومقايسات ومفارقات ، مما ساعد على تحديد الأغراض وظهور العلل والأسباب .

ولقد كان كل هذا فى عهد الرسول صلوات الله عليه ملحوظا فى قوله وفى فعله وفى اقراره وفى اجتهاده ثم اتخذه أصحابه ومن جاء بعدهم فيما بعد وفاته أساسا أقاموا عليه اجتهادهم وبنوا عليه أحكامهم بقدر ما أخذوا عن رسولهم ، وما أمكنتهم قدراتهم ، وأسعفتهم أنظارهم على اختلافهم فى فهمهم وتقديرهم ، فازداد بذلك الفكر التشريعى الاسلامى وضوحا وتكشفت معالمه ، وتبينت طرقه ومناحيه ، وذلك بما كان لهم من دقة فى المتابعة ، واحكام فى الاتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اجتهاده ، ومقايساته واستنباط الأحكام واستلهام ما قصد اليه الشارع الحكيم من جلب مصلحة ، أو درء مفسدة مما يتمثل فى القصد الى حفظ ضروريات الحياة وحاجاتها وكمالياتها ، وما يستتبعه ذلك من كل ما يزول به الضيق ويرتفع به الحرج ويكمل به العمران ، وتزكو به النفوس ، وتطهر القلوب ، وهذا هو ما يهدف اليه الفكر الاسلامى التشريعى بما يصوره ويمثله من أصول وقواعد وأنظار أسست عليها أحكام الشريعة الاسلامية التطبيقية العملية ، سواء فى النفوس ، أو الأموال ، أو الأعمال ، أو العقود ، أو المعاملات ، وكذلك بما قرره من مبادىء وطرق فى تطبيقها روعيت فيه ظروف التطبيق وملابساته وأحوال الناس حتى تكون مرنة سهلة ، ولقد وضعت تلك القواعد وفق مقتضياتها ، مستهدفة غاياتها ، وكان الفكر الاسلامى التشريعى لذلك متمثلا فى أمرين :

أحدهما : أحكام الشريعة الاسلامية واتجاهاتها الموضوعية .

وثانيهما : أحكامها المتعلقة بطريقة التنفيذ والتطبيق ، وكان النظر فى الامرين من وسائل تعرفه وتحديده ، والوقوف عليه ، وذلك بعد استقراء أحكامها ، والكشف عن عللها وأسباب اختلافها ، وجميعها أنظار عديدة تنوعت بحسب تنوع ما تعلقت به ، وليس من اليسير حصرها وضبطها ، ولئن أمكن ذلك باللجوء الى الضوابط والاكتفاء بالاجمال عن التفصيل ، فان التعرض لها أيضا على هذا الوضع يتطلب من البيان ما لا يتسع له الوقت ولا ينفسح له مجال البحث ، وقد يكون فى الاشارة الى بيان مصادرها التى منها استنبطت ومنها انبثقت الطريقة المثلى ، والوسيلة الممكنة الميسرة الى التعرف عليها بالصورة المرضية فى بحث كهذا تعرفا كافيا للاحاطة بمعناها وبمالها من أغراض وأهداف ، وما يجب أن يلاحظ فيها من قيود ، وأن يراعى فيها من استثناء تستوجبه الضرورات ، أو تتطلبه الحاجيات تبعا لتعدد البيئات واختلافها وتطورها ، واختلاف الأعراف وتغيرها ، ويلى ذلك بيان ببعض تلك الانظار فيما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران والنظام ، وترتد اليه كثير من الاتجاهات النظرية والتطبيقية الأخرى مما ينبنى عليها ويتفرع منها حتى يكون فى ذكرها بعض الغناء عن ذكر سائرها .

مصادر التعريف بالفكر الاسلامى التشريعى :

تعرف الفكر التشريعى الاسلامى والكشف عن أهدافه واتجاهه وأصوله يكون بالنظر فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وفيما انتهى اليه النظر فيهما على اختلاف أربابه فى تنازعهم وقدراتهم ، وأحاطتهم بما دلت عليه النصوص من القرآن والسنة .

وأما ما أجمع عليه من الأحكام أو ما استمد منها من العرف فانه لا يعدو أن تكون أحكاما قد أجمع عليها ، لدليل دل عليها من كتاب أو سنة أو نظر كان محل اتفاق من المجتهدين ثم أغفل الدليل وتنوسى ، وعندئذ ينتظمها البيان المتعلق بما

دلت عليه النصوص من الاحكام ، أو المتعلق بما كا ناساسه النظر من الأحكام — وإما أن تكون أحكاما استند فيها الى العرف وعندئذ ينتظمها ما ستشير اليه مما يتعلق بما دلت عليه المصلحة من أحكام ، لأن العرف لم يجربها بصفة عامة الا لاستحسان الناس لما رأوه فيها من مصلحة ، فان استقراء ما جاءت به تلك المصادر من الأحكام والقواعد والمبادىء والحكم والأسباب والعلل والموازنة بينها ، وما بينها من مفارقات ومشابهات ، وما ترتب على ذلك من اختلاف فى الأحكام يكشف عن الاتجاه التشريعى الاسلامى فى الاحكام الشرعية على العموم ، ويستبين به النظر التشريعى الذى جعل أساسا لشرع تلك الاحكام ، وأسباب تخصيص العام من أدلتها ، وتقييد المطلق منها وارادة الاطلاق فيما يجىء على صورة المقيد والعموم فيما جاء على صورة الخاص ، وارادة الاستثناء حيث لا يكون فى النص استثناء لفظى ، وهكذا مما هو مبين فى مواضعه من كتب الفقه وأصوله ، ولا شك أن فى ملاحظة ذلك جميعه الوسيلة الكفيلة ببيان الفكر التشريعى الاسلامى بيانا كاملا تتضح به أهداف الأحكام وأغراضها على اختلافها .

فأما النصوص على العموم فان اتخاذها سبيلا الى الوقوف على هذا الفكر يتطلب النظر فيما جاءت به من أحكام بطريق النص عليها أو بطريق الاشارة والدلالة عليها بأى طريق من طرق الدلالة المعتبرة التى تحدث عنها علماء أصول الفقه ، وهى دلالة الاشارة ، ودلالة النص التى يسميها بعض العلماء بمفهوم المخالفة ، أو دلالة الاقتضاء ، وفيما عللت به تلك الأحكام من علل أشارت اليها هذه النصوص ، ولو جاء ذلك على وجه الايماء والتنبيه فان الناظر فى كتاب الله تعالى لا يجد صنيعه فى بيانها سردا مجردا عن بيان حكمها وعللها ، بل يرى أن قد عنى كثيرا ببيان العلل والحكم فى كثير منها عناية أشعرت بأن كل حكم جاء به انما كان لمصلحة أريد تحقيقها وذلك بما يرى فى تعلله من احاطة وشمول على ما يلاحظ فيه من تغيير وتنويع ، وتفصيل واجمال ، فتارة يذكر الحكم مرتبا على وصف يفهمه السامع أن هذا الحكم يدور معه أينما وجد . وأخرى يذكر الحكم ومعه سببه مقرونا بحرف العلة ، وآونة يذكر الحكم ومعه أثره المترتب عليه . وهكذا مما يخرجنا بيانه وتفصيله عما نحن بصدده .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » . وقوله : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » . وقوله تعالى : — بعد ذكر ما حدث من قتل أحد ابنى آدم أخاه — « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل .. الآية » وقوله بعد بيانه لقسمة الفىء : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء » . وقوله فى بيان علة تحريم الخمر والميسر : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء .. » الآية .

وعلى الجملة فان الناظر فى كتاب الله تعالى المستقرىء لأحكامه وما جاء به من قواعد كلية يرى أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع أحكامه الا لتكون وسيلة الى جلب الخير للناس ودفع الضر عنهم ، وأنه سبحانه قد بين ما فى المنهى عنه من المفاسد حثا للناس على اجتنابها ، وما فى المأمور به من المصالح ترغيبا لهم فى الاقبال عليها وفى اتيانها ، وأن لدلالة كتاب الله على ذلك من القوة والظهور ما لدلالة آياته الصريحة المحكمة بسبب ما اجمعت عليه واتفقت فيه من دلالة ، كشفت عن أن قصد الشارع من شرعه حفظ الضروريات الخمس : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ، وهى جماع مصالح الناس فى حياتهم الأولى والآخرة ، وكذلك كان مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيانه

القرآن ، وفيما بلغه من الأحكام فان المتتبع لأحاديث الأحكام يجد أن الرسول صلوات الله عليه كثيرا ما يذكر الحكم مبينا حكمة شرعه وموضحا ما يترتب عليه من مصالح دنيوية وأخروية ، وأنه عند النظر والتدبر يرى أنه لم يأمر بشيء ، ولم ينه عن شيء الا لداعية دعت الى ذلك الأمر أو النهي ، ويلاحظ أن تنوع الحاجة واختلاف البيئات والناس كثيرا ما دعت الى اختلاف الحكم في الحوادث المتماثلة تبعا لاختلاف الأثر بسبب اختلافهم ، ولذا فقد يظن أن فعلا ما ينبغي الاتيان به ، لأنه خير في بادىء الأمر ، وينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرى من أن خيره يعارضه شرفيه أعظم منه ، وأن المصلحة فيه تصاحبها مفسدة تفوقها فهذا عبد الله بن عمرو بالغ في عبادته ، فصام نهاره وقام ليله ظنا منه أن في ذلك رضا مولاه ، فيشكوه أهله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يرضى ذلك رسول الله ، ويقول : انك اذا فعلت ذلك هجمت عينك ، ونفهت نفسك ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك حقا ، فصم وأفطر وقم ونم . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد شكاه الى الرسول بعض أصحابه لطول صلاته : أفتان أنت يا معاذ ؟ من صلى بالناس فليخفف ، فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص حين عاده وقد استشاره في التصدق بثلثي ماله : الثلث ، والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

وينص الكتاب العزيز على جواز الوصية فيقول بعد بيانه لسهام الورثة في سورة النساء : « من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار » ويكرر ذلك المعنى فيها فيأتي حكم الكتاب في الوصية مطلقا ، ويقيده رسول الله بقوله : ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث . وبقوله : لا وصية بأكثر من الثلث الا أن تجيز الورثة . ثم يكون لبعض المجتهدين اجتهاد في هذا التقييد .

وينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها فيقول : أنكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم . وينهى كذلك عن أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو أن يبيع على بيع أخيه ويأذن النبي صلى الله عليه وسلم لقوم نضبت أزوادهم وأملقوا ، في نحر ابلهم ، ويبلغ ذلك عمر فيقول لهم : ما بقاؤكم بعد ابلكم ، ويدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا له : ما بقاء هؤلاء القوم بعد ابلهم فيقول صلى الله عليه وسلم : ناد في الناس فليأتون بفضل أزوادهم ويبسط لذلك نطعا جعلوا أزوادهم عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأدعيتهم ، فاحتسى الناس منه حتى فرغوا .

وخلاصة القول أن السنة مليئة بالأحكام المعللة ، وأن منها ما دل على أن بعض أحكامها تدور مع المصلحة التي لأجلها شرعت ، وذلك ما يبين أيضا لمن تتبع ما كان يجيب به رسول الله صلى الله عليه وسلم سائله ، وأنه كان يخالف في اجابته لاختلاف ظروف السائل ، فقد سأله شيخ مسن عن قبلة الصائم فلم ير أن بها بأسا ، وسأله شاب عنها فنهاه عن ذلك حتى لا تكون ذريعة الى ما بعدها وكان صلى الله عليه وسلم يسأل في حين فينتظر الوحي ، وفي حين آخر يجيب من غير انتظار ، وقد ينزل القرآن ببيان خطئه في اجتهاده هذا ومعاتبته مع ذكر السبب كما في معاتبته في قبول الفداء من أسرى بدر ، وفي اذنه بالتخلف لبعض المتخلفين في غزوة تبوك ، وهكذا يتضح لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فوض اليه الحكم في كثير من الأمور وخاصة ما يتعلق بالمعاملات المالية ،

والأمور الادارية وذلك حسبما يراه من المصلحة ، وكان رأيه فيها سنة مشروعة واجبة الاتباع .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نعرض لما جاءت به نصوص القرآن والسنة من قواعد ومبادىء كانت ببيان الفكر التشريعى الاسلامى أعلق وألصق ، ومن ذلك ما جاء فى الكتاب العزيز من مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » وقوله تعالى : « فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ». وقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ما سعى » ، وقوله : « ولا تكسب كل نفس الا عليها » وقوله : « لينفق ذو سعة من سعته » . وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها » وقوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وقوله : « انما تجزون ما كنتم تعملون » وقوله : « وليوفوا نذورهم » وهذا الى ما شرعه فى كتابه من تخفيف فيما كلف الناس به اذا ما لحقتهم مشقة واضطرار ، كما فى قوله تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » وقوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا أثم عليه » وقوله : « الا ما اضطررتم اليه » وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

ومن ذلك ما جاءت به السنة من قوله صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار . وقوله : انما الاعمال بالنيات ، وقوله : انما البيع عن تراض ، وقوله : المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا ، وقوله : لا ضمان على مؤتمن ، وقوله : العجماء جرحها جبار ، وقوله : لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه ، وقوله : أنت ومالك لابيك ، ونهيه عن بيع الغرر ، وغير ذلك كثير ، وكل ذلك يبين كما ذكرنا هدف الاسلام من شريعته ، وأن الاتجاه التشريعى فى جميع أحكامها تصوره وتمثله أنظار أسست عليها شريعته قصدا الى تحقيق هذا الهدف .

وأما النظر فقد كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجع بعض الأحكام فقد اجتهد عليه السلام ، وصدرت عنه فتاوى فى بعض الأقضية والوقائع تقوم على الرأى والنظر ولأن أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته جزء من التشريع ، كان اجتهاده عليه السلام واجب الاتباع ، فاذا قرر حكما أو رأى رأيا وأقره الله عليه كان سنة شرعية من سننه يجب الحفاظ عليها والعمل بها .

ومن الأحكام التى أجتهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقره الله عليها ورده الى الصواب فيها قبوله الفداء من أسرى بدر ، واذنه بالتخلف لمن اعتذر عن غزوة تبوك ، وفى اعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم ، حين جاءه فى أمر من أمور الدين ، وهو مشغول مع الرؤساء من قريش يدعوهم الى الاسلام ، فان الرسول فى مثل هذه الأحكام كان يستجيب لمصلحة قدرها ورآها ، ولكن الله سبحانه وتعالى بين له أنه قد ترك فى مراعاة تلك المصلحة مصلحة أخرى هى أعظم منها وكانت أولى بالمراعاة ، فعاتبه من أجل ذلك وغفر له .

على أن اجتهاد الرسول صلوات الله عليه لم يقتصر على أمور الدين ، فقد تجاوزه الى الأمور الدنيوية كالرأى الذى كان منه فى تأبير النخل ، اذ نهى عنه لأنه لم ير فيه نفعا ، فلما فسد الثمر أعرض عن ذلك قائلا : أنتم أعلم بشئون دنياكم وكما فى غزوة بدر حين نزل بجيشه منزلا رآه حسنا ، ولم ير ذلك الحباب بن المنذر

فأشار عليه بمنزل آخر بين له فائدة النزول عليه ، فانتقل الرسول عن المنزل الذى نزله الى ما أشار به الحباب لما رآه من المصلحة فى ذلك .

وهناك وقائع غير هذه اجتهد فيها الرسول ، وكلها تدل على أنه عليه السلام لم يكن ليفعل الا ما يرى فيه المصلحة .

وكما اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقضى فى بعض ما عرض عليه ، اجتهد أصحابه فى حضرته بأمره ، كما فى اجتهاد سعد بن معاذ حين حكمه الرسول فى بنى قريظة ، وفى غيبته باذنه كما يدل على ذلك حديث معاذ بن جبل حين أرسله الرسول قاضيا فى اليمن ، وسأله بم يقضى به ، فقال : أقضى بكتاب الله ، فان لم أجد فبسنة رسول الله ، فان لم أجد أجتهد رأيى ولا الو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسل رسول الله الى ما يرضى الله ورسوله .

وقد يكون اجتهاد أصحابه بغير اذن منه كما فى حادثة غزوة الخندق ، اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فقد اجتهد بعضهم فرأى أن المراد بذلك الاسراع لا تأخير صلاة العصر ، ورأى آخرون حظر صلاة العصر الا هناك فلم يصلها الا بعد العشاء الأخير ، ولم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد منهم ما رأى ، ولم يكن النظر فى ذلك العهد سواء أكان من الرسول صلوات الله عليه وسلم أم من أصحابه الا بحثا عن حكم الله فيما هو معروض ، وذلك بالبحث عن المصلحة أين تكون ، لما استقر فى نفوسهم ، وعرفوه من فهم كتاب الله ، وما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام فى أحداث حدثت جاءت محققة للمصلحة فيها .

وعلى هذا كان اجتهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم حيث لا يجدون فى المسألة كتابا ولا سنة اذ كانوا يلجئون الى النظر مسترشدين بما حفظوا من كتاب الله ، وبما وعوه من أحكام أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عرض عليه من أقضية ، وما سئل عنه من مسائل ناهجين منهجه ، مستنين سنته ، مستعينين بما مرنوا عليه من استنباط أقرهم عليه ودرية اكتسبوها من مراجعة بعضهم بعضا فيما حدث لهم من الاحداث أو نزل بهم من الوقائع، ولم يكن ذلك متوافرا فى كل فرد منهم ، بل اختص به قلة اصطفاهم الله بما أعطاهم من نفاذ نظر ، وسلامة تقدير ، ووزن وحسن ادراك ، ودقة ملاحظة ، مما هيأ لهم ما صاروا اليه من الأهلية والقدوة والأسوة والمتابعة فيما يكشفون عنه من أحكام فى المسائل التى عرضت لهم ، والوقائع التى استجدت فيهم ، ولم يكن لهم سبيل الى تعرفها الا البحث عن المصلحة التى راعاها الشارع فى أحكامه أين تكون : لأنها دليل حكم الله فيها ، وكان بحثهم يقوم تارة على الحاق الشبيه بشبيهه ، وتارة على تطبيق قاعدة عامة استنبطوها من أحكام الشريعة العديدة التى قامت عليها ، واستندت اليها ، وتارة يقوم على مراعاة العرف ومتابعته حيث لا نص يعارضه ، لأن جريان العرف عندئذ دليل ارادته وقصده لما فيه من مصلحة قامت لسد حاجة ، وتارة يقوم على المصلحة المعتبرة من الشارع دون مقايسة أو تطبيق لقاعدة أو مراعاة لعرف ، بانين نظرهم على اطمئنان النفس بوجودها حيث انتهى نظرهم ، وليس أدل على ذلك من قول عمر لأبى بكر رضى الله عنهما حين أبى ابتداء أن يستجيب الى ما أشار به عليه ودعاه اليه من جمع

القرآن ، استنادا منه الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعلـــه ، وأنه كيف يفعل أمرا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال له : « هو والله خير» ،ولاشك أن عمر رضى الله عنه كان يعنى بالخير ما فيه صلاح الاسلام والأمة فهو قد احتج بالمصلحة ، ورأى أبو بكر أنها حجة سليمة ، فأقر عمر على وجهة نظره ، واقتنع بها ، واستجاب الى ما دعاه اليه . وطلب من زيد بن ثابت رضى الله عنه أن يقوم بذلك فأبى عليه ذلك أولا حتى اذا قال له أبو بكر تلك العبارة التى قالها عمر اقتنع زيد واستجاب .

ومن ذلك ما كان عليه الناس فى عهد رسول الله صلى الله عليه وســـلم وحقبة بعد وفاته حيث كانت الأمانة عامة فى الناس شاملة من استئمان الصناع وعدم تضمينهم عند ادعائهم هلاك ما أعطى لهم من أموال لتكون محلا لصنعتهم ، ولكن حيث كثرت دعاوى الهلاك ، ووقع كثير من الناس فى الحرج بسبب ذلك رأى كثير من الصحابة تضمين الصناع حفظا لمصالح الناس ، وفى هذا أثر عن على رضى الله عنه أنه قال : « لا يصلح الناس الا ذلك » فتركوا ما كان عليه زمـــن الرسول ، وزمن أبى بكر ، وألزموا الصناع بضمان ما تحت أيديهم .

ومن ذلك أيضا ما فعله عثمان رضى الله عنه من زيادة أذان ثـان يـوم الجمعة حين كثر الناس على عهده ، ورأى أن الأذان الأول غير كاف لاعلامهم .

ومنه أيضا عدم اقامة عمر رضى الله عنـــه حد السرقـــة فى غلمة لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها وأكلوها ، وذلك حين ظهر له أن حاطبا قد أجاع هؤلاء الغلمة ، وغرم سيدهم جزاء ذلك ضعف قيمة الناقة التى سرقوها .

وكذلك عدم اقامة حد السرقة والشرب فى الغزو والسفر ، وفى السرقة من بيت المال ، وفى سرقة الخادم متاع سيده ، وذلك فى عهد عمر ، ففى كنز العمال ما أخرجه عبد الرازق وابن أبى شيبة عن القاسم أن رجلا سرق من بيت المال فلما كتب فى ذلك الى عمر ، كتب لا يقطع فان له حقا فيه ، وروى عن مالك فى الموطأ أن عبد الله بن عمرو المخزومى جاء بغلام الى عمر ، فقال له : اقطع يد غلامى فانه سرق ، فقال له عمر : ماذا سرق ؟ قال: سرق مرآة لامرأتى ، ثمنهـــا ستـــون درهما ، فقال عمر : أرسله فليس عليه قطع ، خادمكم سرق متاعكم ، والأمثلة من هذا النوع عديدة ، وهى تدل على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد كانوا شديدى الحرص على متابعة رسول الله والاقتداء به — قد سلكوا سبيله فى تعليل الأحكام ، وبيان المصلحة التى لأجلها شرعتوإناطة الأحكام بها وانزالها بمرعاة ذلك على ما يجد من الاحداث طلبا للمصلحة فيها ، وتعرف الحكم فيمــــا سيجد من الحوادث مما لم يؤثر فيه حكم عن رسول الله ، ولم يكن له شبيه سبق الحكم فيه ، وذلك بالبحث عن المصلحة وتعرفها أين تكون ، فاذا عرفوها حكموا بما يحققها ، بل كانوا فيما تدعو اليه الحاجة يعمدون الى الحكم المنصوص فيديرونه بدوران علته ، وذلك بما كان لهم من علم ومعرفة ، ليوسعوا دائرته ، بـــل وليجعلوها مناطا له يدور معها وجودا وعدما ، معتقدين أنهم بذلك عند حكم الله لم يخالفوا عنه .

والحوادث من هذا النوع كثيرة ، والكلام فيها يطول ، وحصرها متعـــذر ، ولكن النتيجة التى ننتهى اليها من ذكرها والنظر فيها هى أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع حكما الا لمصلحة الناس وهى نتيجة قطعية دل عليها الاستقراء ، وأيدتها النصوص ، ولذا كانت أساس التشريع وهدفه ، وكانت دليلا على الحكم اذا أعوز النص ، بل كانت عند وجوده السبيل الى فهمه وتفسيره وتعيين المراد منه بمـــا

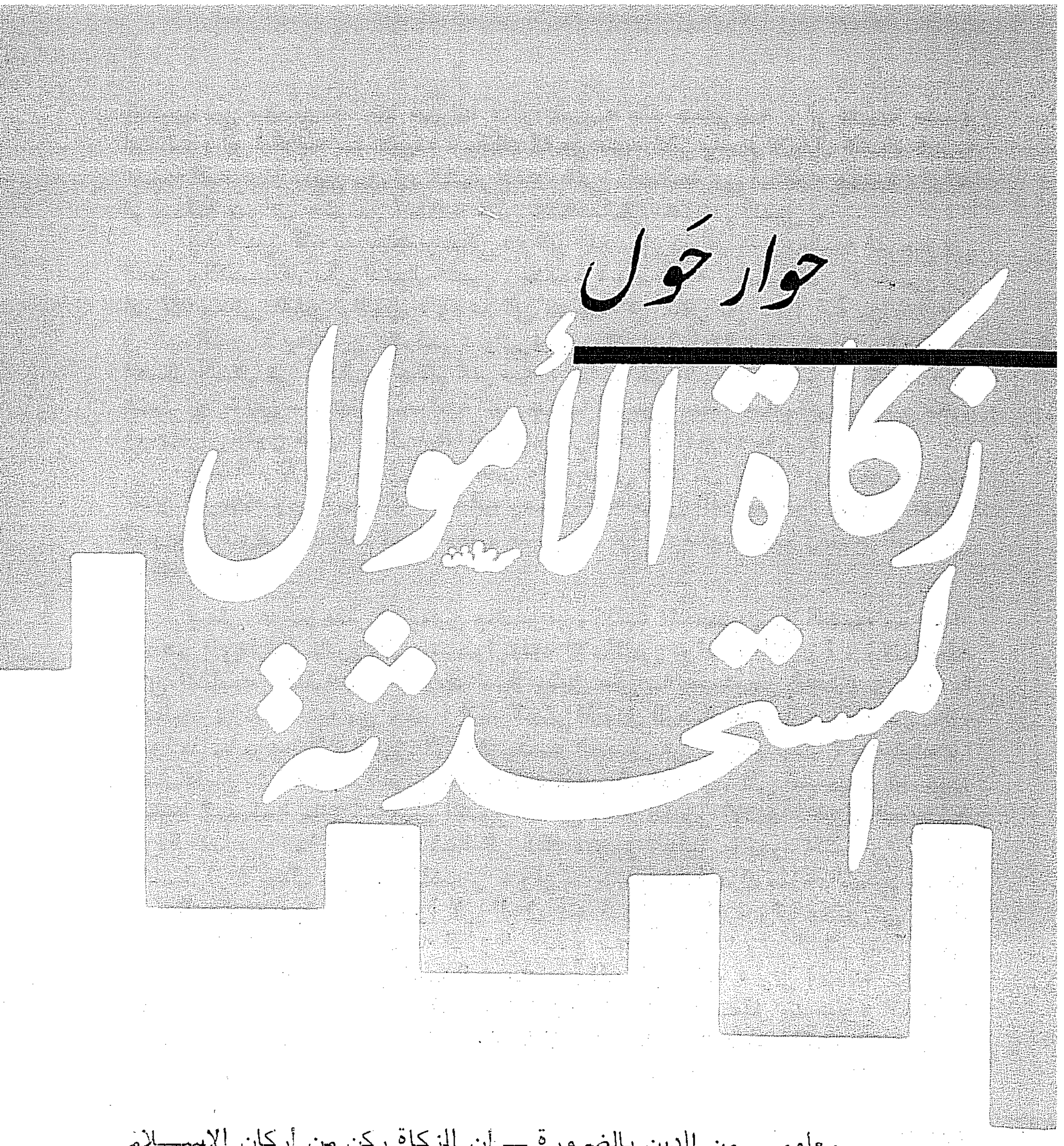
تقتضيه من تخصيصه عند عمومه ، أو تعميمه عند خصوصه ، أو تقييده عند اطلاقه ، أو اطلاقه عند تقييده ، وذلك لما هو ثابت على وضع لا يقبل الشك كما أشرنا اليه فيما سبق من أن الشارع قد راعى المصلحة فى أحكامه جميعا ، وأنه لم يهملها فى أى حكم من أحكامه حتى كانت دليلا عند عدم النص .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد آثر العقل فى كتابه وجعله المرجع فى النظر والاستدلال على أصول الدين وعقائده ، وجعل له السلطان الأعلى فى ادراك معانى الخير والحق ، ودعا الى تحكيمه فى أكثر من ٣٠٠ آية من كتابه ، وعاب الذين لا يحكمون عقولهم ، وأزرى بهم ازراء شديدا ، لم يكن من الجائز اهمال العقل فى مجال الأحكام الفرعية ، اذا ما دل على تخصيص أو تقييد ، أو عموم أو اطلاق ، تحقيقا للمصلحة التى جعلها الشارع مناط أحكامه وأصل شرعه ، ووجب أن يكون دليل العقل بيانا للنص والارشاد الى تعرف ما يراد منه .

وقد أشرنا فيما سبق الى بعض ما ورد فى ذلك من أمثلة ، وقد كان هذا الذى شرحناه وبيناه مسلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفهمهم للشريعة ، وفى قضائهم فيما عرض عليهم من نزاع وفتاوى فيما رفع اليهم من استفتاء ..

وعلى هديهم سار التابعون وتابعوهم والائمة المجتهدون من الفقهاء ممن جاء بعدهم ، وعلى أساس ذلك وضعوا للفقه الاسلامى قواعده الكلية ، وضوابطه التى انتظمت أحكامه ، واعتبرت أصلا يطبق على ما يحدث من أحداث يشملها فأعطيت ما تدل عليه من حكم ، لأنه الحكم المحقق للمصلحة فيها ، وكان من هذه القواعد ما يرجع الى تطبيق الأحكام بقصد التيسير فى تطبيقها ، وتخفيف ما تتضمنه من مشقة وشدة فى بعض حالات تدعو الحاجة فيها الى التيسير والتخفيف تحقيقا للمصلحة مثل : يتحمل الضرر الادنى دفعا للضرر الأشد ، تنزل الحاجة منزلة الضرورة اذا دعت المصلحة الى ذلك فيجوز لأجلها ما يجوز للضرورة ، وان الاضطرار لا يبطل حق غير المضطر ، وان ما يمتنع عادة ينزل منزلة الممتنع حقيقة فلا يطلب ، ووجوب الصيرورة الى البدل عند امتناع أصله ، وأنه يغتفر فى البقاء ما لا يغتفر فى الابتداء ، وأنه اذا زال المانع عاد الممنوع ، وأن الكلام يحمل على حقيقته متى أمكنت ، وأن السؤال معاد فى الجواب عليه ، وأن المشقة تجلب التيسير ، وغير ذلك من القواعد ، كما كان منها قواعد تتعلق بموضوع الحكم لا بتنفيذه مثل الأمور بمقاصدها ومعانيها لا بألفاظها ومبانيها ، واليقين لا يزول بالشك ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تقدر بقدرها ، وما حرم أخذه حرم اعطاؤه ، وما حرم فعله حرم طلبه ، والعادة محكمة والمعروف كالمشروط ، واذا بطل الشيء بطل ما فى ضمنه ، والتصرف بالولاية منوط بالمصلحة ، والولاية الخاصة مقدمة على الولاية العامة ، والجواز الشرعى ينافى التضمين ، والغنم بالغرم ، وغير ذلك ، وكلا النوعين مستنبط من استقراء الأحكام وملاحظة أهدافها فكان تأصيلها استمرارا وامتدادا وتأصيلا لأهداف الفكر التشريعى الاسلامى وأغراضه ، وهو النفع الانسانى العام الذى هو عماد الدين والدنيا ، ولذا كان من الضرورى أن يكون قصد الانسان وارادته واختياره فى مجال النشاط والعمل متفقا مع قصد الشارع ، اذ أنه حين يقوم بذلك يجب أن يلاحظ أنه انما يقوم به بحكم خلافته فى الأرض عن خالقها فى اقامة المصالح بحسب طاقته ، وبقدر وسعه تحقيقا لمقاصد شريعته ، فوجب ألا يحيد عن حدوده وشريعته ، ولا يقصد خلاف ما قصد من اقامة الحق والعدل .

للحديث صلة



معلوم — من الدين بالضرورة — أن الزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ومن المسلم به أن الله عز وجل انما فرض الزكاة على الأغنياء وأصحاب الأموال المختلفة من زرع وضرع ، وصناعة وتجارة ، لحكمة بالغة واضحة ، وهى تحقيق التضامن الاجتماعى ، والتعاون الأخوى بين المسلمين فى المجتمع الواحد : « ان هذه أمتكم أمة واحدة »(١) فتؤخذ الزكاة من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فلا يكون بينهم سائل ولا محروم .

والزكاة — على هذا الاعتبار ركن متين من أركان المجتمع الاسلامى ، وأساس أصيل من أسسه الاقتصادية ، بدونه لا يستقيم حال هذا المجتمع الانسانى ، ولا يستقر عيشه ، ولا تهدأ خواطر أفراده ، ولا يمثلون أمة

للاستاذ : أحمد محمد جمال

واحدة — كما وصفهم القرآن — كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا — كما نعتهم الحديث النبوى .

وليس مثل الحرمان فى جانب ، والترف فى جانب آخر : عامل هدام لبنيان المجتمع الانسانى ، مفرق لشمله ، مورث للحسد والبغضاء وحرب الطبقات بين أعضائه وأبنائه .

هذه مقدمة موجزة عن حكمة تشريع الاسلام للزكاة ، وعن الأثر السيىء لتعطيلها والاحتيال للاعفاء منها .

وحوارنا — هنا — يدور بصفة خاصة حول زكاة الاموال المستحدثة ، ويدور بصفة أخص حول « العقار » من بين هذه الأموال .

ان أصحاب هذه الأموال المستحدثة النامية الرابحة لم يعدموا فقيها أو عالما أو مفتيا جريئا يقول لهم . ان الشركات والمؤسسات الفردية ، التجارية والصناعية والزراعية لا تجب الزكاة فيها الا بمقدار ٥ر٢٪ من صافى الأرباح ، وهى فعلا لا تؤدى زكاة أعمالها التجارية الا بهذا المقدار .

كما لا يعدم المشتغلون بانشاء العقار وشرائه ، وبيعه وتأجيره — من يفتيهم بأن الزكاة لا تجب عليهم فى أرباحهم الطائلة من أثمان عقاراتهم وأجورها .. قياسا على اعفاء الفقهاء القدامى دور السكن وآلة الحداد والنجار ، ودابة الركوب من الزكاة !! أو يفتيهم بأن الزكاة انما تجب عليهم بعد أن يحول الحول على الأجور والأثمان بعد قبضها !

وهذا — فى رأيى — تجاهل ، ولا أقول : جهل ، لأصول تقدير الزكاة وعلة تشريعها ، والكيفية الصحيحة لأخراجها . فالشركات التجارية ذات الأسهم المحدودة ، أو العامة تمثل مقادير أسهمها أو سنداتها « عروض تجارة » وعروض التجارة — كما هو معلوم — تجب الزكاة فيها بمقدار ٥ر٢٪ من قيمة كامل الأسهم — أى مجموع رأس المال — مع الارباح .

وليس فى صافى الأرباح وحده كما أفتى المفتون وقال العلماء العصريون !

ولا شك عندى أن هذا التجاهل لعلة وجوب الزكاة ،وحكمة تشريعها وأصول تقديرها وكيفية اخراجها — سواء أكان هذا التجاهل من المفتى أم

من المفتى لهم — الى جانب كونه مخالفة صريحة لتعاليم الدين ، وهدما لأحد أركانه .. فهو كذلك :

حرمان لمستحقى الزكاة المقررة شرعا لهم ، وهو بالتالى : اخلال بميزان المجتمع الاقتصادى الذى هو — أى الميزان — يحقق التضامن الاجتماعى بين المسلمين .

وكذلك ملاك العقارات الضخمة الفخمة التى تدر أجورا ، بل كنوزا سنوية من الأجور ، الذين لا يؤدون زكاة عن حصيلة عقاراتهم ظانين أنها لا تجب فيها الزكاة مطلقا ، أو أنها تجب فيها بعد حولان الحول ، ولكنهم يتهربون من تمام الحول بمسارعتهم عند قبضها الى شراء عقار جديد ، أو انشاء لعمارات تجارية جديدة — هؤلاء مثل أولئك مانعون للزكاة الواجبة مطففون فيها ، أو محتالون لامساكها بشتى الحيل .

ان من الواضح الجلى .. الذى لا يخفى على المسلم العامى فضلا عن العالم بأمور دينه ، الخبير بشؤون الاقتصاد والعمل التجارى وصوره العديدة ، ومجالاته المختلفة — ان اقامة الدور والقصور بقصد الكسب ، وتنمية الثروة ، وتحريك رأس المال .. هى تجارة صريحة أصيلة لا شبهة فيها ولا غبار عليها .

شمول الزكاة لكافة الأموال النامية

ومما لا ريب فيه — وهو واقع مشهور وملموس — : ان أموالا نامية جديدة قد استحدثها الناس فى عصرنا الحاضر : و (النماء) أو (التنمية) فى قيام هذه الأموال المستحدثة ، وحركتها بالتجارة بيعا أو كراء : هى علة وجوب الزكاة فيها ، اذ أن الاساس التشريعى فى ايجاب الزكاة فى الاموال عامة . هو عمل أصحابها فى تنميتها بالاتجار فيها ، على مختلف أنواع الاستثمار ، وشتى مجالات الاستغلال .

فاذا توفرت (العلة) صح (الايجاب) ولو لم تعرف هذه الانواع الجديدة من التجارات الحديثة أو الاموال النامية المستحدثة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو زمن الصحابة ، أو حتى عهود الأئمة الاربعة الذين تدور معظم العبادات والمعاملات — فى العالم الاسلامى — على مذاهبهم المعروفة .

فالرسول عليه الصلاة والسلام انما نص على زكاة الأموال الموجودة فعلا فى زمنه : كالابل والبقر والغنم من الحيوانات ، وكالقمح والشعير والتمر والزبيب من الزروع والثمار ، وكالدراهم الفضية من النقود . ومع ذلك لم يتقيد فقهاء التشريع الاسلامى بالنص النبوى فيما تجب فيه الزكاة ، وانما قاسوا على تلك الاموال التى نص عليها الحديث النبوى أموالا أخرى .. رعاية لعلة الايجاب ، وتحقيقا لحكمة الزكاة .

فأما (العلة) فهى كما أسلفنا : « النماء » فى هذه الأموال المستحدثة وأما الحكمة فهى أخذ زكاتها من الأغنياء وردها على الفقراء — كما هو توجيه التشريع الاسلامى للزكاة فى حديث معاذ رضى الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن .

ولو تقيدنا بالنص النبوى — مع أن الفقهاء الأقدمين لم يتقيدوا به كما سيرد فيما بعد — فى منع الزكاة عن هذه الاموال المستحدثة النامية ،

المتعددة والمتنوعة ، والتى هى أكثر جولانا ودورانا فى العمل التجارى ، وأعظم أرباحا من الأموال القديمة المعروفة — لو فعلنا ذلك لعطلنا حكمة الزكاة ، وهى العطف على الفقراء ، واللطف بالمساكين والمحتاجين ، ولحرمناهم من حقوقهم فى أموال الأغنياء ولجعلنا هذه الأموال الكثيرة الوفيرة المتزايدة يوما بعد يوم : « دولة بين الاغنياء » وهو ما حذرنا منه القرآن (٢) .

أما أن الفقهاء الأقدمين لم يتقيدوا بالنص النبوى ، فيتضح ذلك من ايجابهم للزكاة فى الأموال التالية التى لم يرد ذكرها فى النص النبوى :

(١) **الذهب** .. قياسا على الفضة الواردة فى النص النبوى ، لأنهما نقد الناس الذى يكتنزونه ، ويجيزونه أثمانا على ما يتبايعون به قبل الاسلام وبعده — كما أشار الى ذلك الامام الشافعى فى رسالته — وقد ذكر القاضى الفقيه أبو بكر بن العربى — فى شرح الترمذى — : انما جاء النص النبوى على زكاة الفضة لأن تجارة عهده انما كانت فيها ، فوقع التنصيص على المعظم ليدل على الباقى — وهذا « الباقى » الذى يذكره ابن العربى ينسحب عليه حكم زكاة الفضة سواء أكان ذهبا أم عملة ورقية ، وهى التى يجرى بها التعامل فى عصرنا الحاضر .

(٢) عروض التجارة .. لم يرد بها نص صحيح صريح بوجوب الزكاة فيها ، ومع هذا نقل الاجماع عليها ، ولم يخالف الا الظاهرية الذين يطالبون بالنص فى كل صغير وكبير ، وقد شنع عليهم ابن العربى فى ذلك .

قلت : ان النص القرآنى موجود : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » فعروض التجارة مما يدخل فيه .

(٣) **الخيل** .. أوجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الزكاة فيها عندما تبين له أن فيها ما يقوم بمال عظيم ، وتبعه فى ذلك الامام أبو حنيفة ما دامت سائمة واتخذت للنماء والاتجار .

(٤) **العسل** .. أوجب الامام أحمد فيه الزكاة لما ورد فيه من الأثر ، وقياسا على الزرع والثمر .

(٥) **المعادن** .. كذلك أوجب الامام احمد فيها الزكاة قياسا على الذهب والفضة ، ولعموم الآية القرآنية . « ومما أخرجنا لكم من الأرض » فالمعادن تخرج من الارض كالزروع والثمار ، ومثلها البترول وكل مشتقاته وقد أصبحت جميعها تجارات ناجحة رابحة .

(٦) **ما يستخرج من البحر** .. من لؤلؤ ومرجان وعنبر وغيرها .

أوجب الزهرى والحسن وأبو يوسف فيها الزكاة (الخمس) قياسا على الركاز والمعادن .

هذا وقد أجاز بعض الفقهاء العصريين (٣) اخراج النقود زكاة للفطر دون الزام بالتمر أو الحنطة أو الشعير — كما هو النص النبوى — لما لوحظ من أنهم يأخذون هذه الأصناف ثم يبيعونها بأبخس الأثمان على تجارها ، نظرا لشدة حاجتهم الى النقود ليشتروا بها كساء لهم ولأولادهم فى عيد الفطر .

وكما أوجب معظم الفقهاء القدامى الزكاة فى أموال مستحدثة كثيرة لم يذكرها النص النبوى ، فانا نجد — كما يقول العلامة الاستاذ المودودى فى كتابه عن « الربا» — ان الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين بعدهم قد فرضوا الجزية على المجوس وعبدة الأصنام ، مع أن القرآن الكريم انما نص على

أخذ الجزية من أهل الكتاب ، ولكنهم داروا مع العلة والحكمة فى تشريعها وأخذوا بالقياس .

وقد أورد الاستاذ محمود أبو السعود — فى كتابه ((خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى)) رأى الامام الشافعى فى شمول الزكاة لغير الأصناف السبعة وهى : ((النقدان ، والبر ، والشعير ، والتمر والابل ، والغنم ، والبقر ، والمعدن ، والركاز)) وقال الاستاذ أبو السعود : ان الامام الشافعى أدخل أربعين سلعة مدخل المزكيات السبع ، لأنه رأى انتشارها وشيوع استعمالها وحاجة الناس اليها .

قلت : ان الله عز وجل قد أوجب ((الزكاة)) وترك بابها مفتوحا ، فعلينا أن نتقصى حكمتها ، وأن نتفهم علتها ، وأن نقيم لأنفسنا نظاما يتفق مع أحكامها وأهدافها ، ويساير مقتضيات مصالحنا المرسلة ، فليس من المعقول أن نفرض الزكاة على التمر والشعير ، ونعفى ((القطن)) مثلا — وقد أصبح ثروة تجارية مربحة ، أو نعفى ((العقار)) كما هو رأى بعض الفقهاء القدامى والمحدثين — من الزكاة مع أنه معد للتجارة والاستغلال بيعا وكراء ، وقد اتجه اليه معظم أصحاب — رؤوس الاموال لاستثمار أموالهم فى بنائه واقتنائه ، وبيعه وشرائه ، وفى تعميره وتأجيره ، وأصبح يدر على ملاكه مئات الألوف أو عشرات الملايين من الريالات كل حول .

واذن فلا لزوم للتقيد بالنص النبوى فى الأصناف التى أوجب فيها الزكاة ، ولا فى الأصناف التى عينها لزكاة الفطر ، وانما اللازم عقلا والثابت نقلا : أن ندير العلة مع معلولها ، وأن نحقق الحكمة التشريعية والثابت نقلا : أن ندير العلة مع معلولها، وأن نحقق الحكمة التشريعية للزكاة وهى الموضحة فى حديث معاذ :« تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » .

والآن نصل الى صلب القضية ، وصميم الموضوع ، وهو قول القائلين بمنع الزكاة عن « العمارات » الاستغلالية و « المصانع » التجارية ذات الآلات الضخمة المنتجة انتاجا عظيما مربحا ، وعن مؤسسات الطيران والبواخر والسيارات وأمثالها — قياسا على اعفاء قدامى الفقهاء دور السكن ، وآلة الحداد والنجار وشفرة الحلاق ، ودابة الركوب من الزكاة !!

ان هذا القياس الأعوج الأعرج من مانعى الزكاة — هؤلاء — فى هذه الاموال المستحدثة النامية : انما هو خطأ واضح ، واحتيال فاضح والا فأين الدار الخاصة بسكن صاحبها من العمارات الضخمة ذات الطبقات العديدة التى يربح مالكوها من أجورها كل حول مئات الألوف بل عشرات الملايين من الريالات ؟

وأين من دابة الرجل ، التى تحمله أو تحمل متاعه ، وهو يقوم بعلفها ورعايتها — من مؤسسات الطيران والبواخر والسيارات المعدة للتجارة والربح من طريق التأجير ، والتى تدر فعلا أرباحا طائلةحوليا على أصحابها سواء أكانوا أفرادا أم شركات أم مؤسسات حكومية ؟

وأين كير الحداد ، ومنشار النجار ، وشفرة الحلاق وأضرابهم من المحترفين بأيديهم وأبدانهم — من الآلات الصناعية الكبيرة التى تدار بالكهرباء وتنتج ملايين الأطنان من السلع التجارية طعاما كانت أو كساء أو مواد وحاجات معيشية أو عمرانية أو اقتصادية أخرى ؟

ومع ذلك فان الفقهاء القدامى قد عللوا اعفاء تلك الآلات البسيطة التى يستخدمها المحترفون الافراد — بأنها مشغولة بالحاجة الأصلية ، وليست نامية .. أى أن علة الزكاة فيها مفقودة .

آراء الفقهاء القـدامى
فى زكاة ما أعد للكراء

فى (بدائع الفوائد) للامام ابن القيم رأى للفقيه الحنبلى ابن عقيل : بأن فى العقار المعد للكراء زكاة ، وفى كل سلعة تعد للايجار زكاة قياسا على رأى الامام أحمد بن حنبل فى ايجابه زكاة الحلى المعد للكراء — يقول ابن عقيل : « ثبت من أصلنا ان الحلى لا تجب فيه الزكاة ، فاذا اعد لكـراء وجبت فاذا ثبت أن الاعداد للكراء أنشأ الزكاة من شىء لا تجب فيه الزكاة ، كان الاعداد للكراء فى جميع العروض التى لا تجب فيها الزكاة ينشـىء ايجاب الزكاة . يوضح ذلك : أن الذهب والفضة عينان تجب الزكـاة بجنسهما وعينهما ، ثم ان الصياغة والاعداد للباس والزينة والانتفاع غلب على اسقاط الزكاة فى عينه ، ثم جاء الاعداد للكراء ، فغلب على الاستعمال وأنشأ ايجاب الزكاة ، فصار أقوى مما قوى على اسقاط الزكاة ، فأولى أن يوجب الزكاة فى العقار والأوانى والحيوان — التى لا زكاة فيها » .

وهكذا يوجب ابن عقيل — بالقياس طردا وعكسا ، الزكاة فى العقار والآلات والحيوان ، اذا أعدت للتجارة والربح ، وبهذا تنهار حجة القائسين لهذه الأموال النامية على آلة الحداد والنجار والحـلاق ، وعلى المنـزل الخاص بسكن الرجل ودابته الخاصة بركوبه ، التى أعطاها الفقهاء القدامى من الزكاة ، لكونها ليست نامية أخذا بالحديث . « لا زكاة على الرجل فى فرسه وعبده » لأنهما مشغولان بخدمته ، وانتفاعه الشخصى ، لا يتاجر بهما فى بيع ولا تأجير .

ومذهب الامام أحمد فى اسقاط الزكـاة عن الـذهب والفضـة اذا صيغتا حليا للاستعمال الخاص ، ثم ايجابها اذا أعد الحلى للايجـار — صحيح وسليم وحكيم لاستناده على الأصل الأصيل فى وجوب الزكاة وهـو أن الزكاة لا تجب فى مال غير نام أو مشغول بحاجة صاحبه ، انما الزكاة فى الأموال النامية التى تدر على صاحبها ربحا وكسبا .

وكذلك ترى (الهادوية) من الشيعة الزيدية . ايجاب الزكاة فـى المستغل من كل شىء ، ولأجل الاستغلال ، استنادا الى الآية القرآنيـة : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » كما جاء فى البحر الزخار .

آراء فى كيفية تزكية العقار

وهناك آراء مختلفات فى كيفية تزكية العقار لبعض الفقهاء القدامى والمحدثين نوجزها فيما يأتى :

(١) روى عن الامام أحمد رحمه الله أنه قال : « من أجر داره فقبض كراءها وبلغ نصابـا وجبت عليه الزكـاة اذا استفاده مـن غيـر انتظار حـول » (٤) .

(٢) يرى العلامة الاستاذ محمد أبو زهرة — من الفقهاء العصريين — : أن يزكى العقار فور قبض أجوره دون انتظار حول ، وهو فى هذا يذهب مذهب الامام احمد بن حنبل ، ويحدد نسبة الزكاة بـ ٥ ٪ أى نصف العشر وهذا نص كلامه (٥) : من المقرر أن غلات العقارات المعدة للاستغلال تجب فيها الزكاة كما تجب فى الارض الزراعية ، وعلى ذلك نقول ان كل ما يحصل

من غلات العمارات المعدة للسكنى أو نحوها تجب فيها الزكاة،واذا انقطعت الغلات أمدا انقطعت الزكاة فى ذلك الأمد . وتتبع الزكاة الأدوار التى تحصل بها غلات تلك العقارات وما يشبهها ، فاذا كانت الغلات تؤخذ كل شهر وجبت الزكاة كل شهر ، وان كانت تحصل كل عام وجبت كل عام .

ويؤخذ نصف عشره — وكذلك أدوات الصناعة تجب فيها الزكاة ، وتكون من قبيل الاموال الثابتة ، فتجب الزكاة فى ثمراتها ، وقد قدرناها بنصف العشر أسوة بما قرره النبى صلى الله عليه وسلم فى الزرع .

(٣) أما العقار المعد للبيع والشراء ، فيرى بعض العلماء أن يعامل معاملة عروض التجارة ، أى تجب الزكاة فى رأس المال والربح معا بنسبة ٥ر٢٪ (ربع العشر) وذلك أن مالكه يعده للبيع يبنى الدور والعمارات الكبيرة ، ويعرضها للتجارة بيعا لاكراء ، وكلما باع دارا بنى أو اشترى غيرها بقصد التكسب وأعدها للبيع ، وهكذا دواليك .

قلت توضيحا لما سبق — : ان فتوى العلامة أبى زهرة — فى نظرى — هى الصواب بالنسبة للعمارات المعدة للاجارة ، فانها تعامل معاملة الارض المزروعة ، فى دوراتها الزراعية ، أى كلما أنتجت تعطى زكاتها يوم حصادها ، فكذلك العقار المعد للايجار كلما أخذت أجرته شهريا أو سنويا أعطيت زكاته بالمقدار المذكور من فورها دون انتظار لحولان الحول — ذلك بأن الملاك لا يحتفظون بالنقود لديهم ، بل انهم يسارعون الى بناء عمارات أخرى أو شرائها بقصد التكسب من تأجيرها .

وهكذا كلما قبضوا أجورا أنفقوها فى بناء أو شراء جديدين ، ويجدون فى ذلك مندوحة للهرب من الزكاة ، وبالتالى يفتقد الفقراء والمساكين والمحتاجون حقوقهم المشروعة فى أموال الأغنياء .

وبعد فانا نعود فنؤكد ما ذكرناه — فى صدر هذا البحث — من أن « الزكاة » ، ركن متين من أركان المجتمع الاسلامى ، وأساس أصيل من أسسه الاقتصادية ، وقد أثنى على تشريعها فى الاسلام حتى الذين لا يؤمنون به ، ممن درسوا ديانته وحضارته ، وبحثوا فى تأريخه وتشريعه أمثال « توماس كارليل » الذى قال — فى كتابه « الأبطال » الذى دافع فيه عن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام رسالة وخلقا وجهادا — : « فى الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال ، وهى التسوية بين الناس ، فالناس فى الاسلام سواء — والاسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة ، بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، ثم يقدرها بالنسبة لثروة الرجل فتكون جزءا من أربعين من الثروة ، تعطى للفقراء والمساكين والمنكوبين — جميل والله كل هذا ، وما هو الا صوت الانسانية صوت الرحمة والاخاء والمساواة .

---

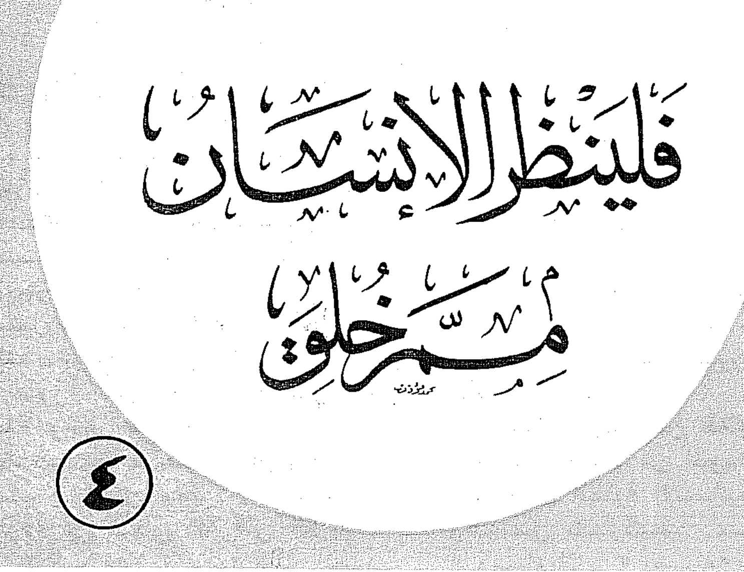
(١) ٩٢ من سورة الانبياء .

(٢) ٧/ من سورة الحشر .

(٣) من هؤلاء الفقيه السورى مصطفى الزرقا ، والفقيه المصرى محمد أبو زهرة .

(٤) نقلناه عن بحث فى زكاة الاموال المستفادة للأستاذ يوسف القرضاوى نشرته مجلة حضارة الاسلام الدمشقية .

(٥) عن حضارة الاسلام أيضا .



٤

وأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مدكور

مراحل التخلق :

بينا فى المقالات السابقة الصلة الوثيقة بين الانسان والأرض ، وتنوع الآيات التى أشارت الى خلق الانسان ، وقدرة الله على خلق الانسان على غير نظام التطوير المألوف ، كما تكلمنا عن حقيقة النطفة ورحلتها الى القرار المكين ومدة هذه الرحلة ، والتوفيق بين ما جاء بالحديث وما أثبته الطب الحديث ، وأشرنا الى بعض الأحكام المتعلقة بالنطفة ونتكلم هنا عن التخلق بادئين بمرحلة **العلوق** .

. . .

يقول الله سبحانه : « ثم خلقنا النطفة علقة » ، واذا نظرنا فى النظم القرآنى الكريم نجده عبر فى ايجاد العلقة بما لم يعبر به فى ايجاد النطفة اذ يقول جل شأنه بالنسبة للنطفة « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » بينما عبر هنا بالنسبة للعلقة بالخلق. وما ذلك الا لأن فى هذه المرحلة يظهر أول تطور واقعى فى الانسان فالنطفة فى رحلة العلوق بجدار الرحم تدخل فى مرحلة مغايرة تماما للمرحلة التى كانت عليها ولذلك استحقت أن توصف بوصف الخلق .

من أجل ذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى امتن علينا بهذا الطور دون سابقة فى أول آيات القرآن نزولا اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك

الذى خلق . خلق الانسان من علق ..» وما دام العلوق هو أول مراحل التخلق المعتبرة على ما أشعرت به الآية الكريمة ، فان هناك مرحلة أخرى يكون فيها تخليق وتصوير . به تظهر الأعضاء والأجهزة ، وهى مرحلة المضغة . اذ يقول الله سبحانه : « فخلقنا العلقة مضغة » ويقول فى آية أخرى فى سورة الحج « ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. » وسنبدأ بالكلام عن مرحلة العلوق لأنها الأسبق فنبين معنى (العلقة) الواردة فى النص القرآنى الكريم ، وما تتركب منه ، وبدء ذلك الطور ومدته ، وقد يجدر بنا أن نشير الى ما يتعلق بها من الأحكام الفقهية .

١ ــ معنى العلقة وتركيبها :

جاء فى كتب اللغة . علقت المرأة وكل أنثى بالولد حبلت ، وعلق الشوك بالثوب تشبث به ، واستمسك ، فمعنى العلقة يؤدى الى الارتباط بالشىء والتشبث به .

وأكثر المفسرين يفسر العلقة بالنطفة الجامدة من الدم (١) استنادا الى ما ورد فى بعض تفسيراتها اللغوية . لكن الذى يترجح عندى فى تفسير هذا الطور على ضوء دراستى للموضوع دراسة تقارنية . أنه تلك النطفة منذ يبتدىء تعلقها بجدار الرحم وتشبثها به . وانما رجحنا ذلك لأنه بدء ذلك الطور من الناحية العملية وهو الذى يتفق مع التحليل العلمى ويتمشى مع تفسيرات اللغة التى عرضنا . فهى اذن مجموعة الخلايا التى اتخذت لنفسها شكل التوتة والتى يطلق عليها العلم الحديث (الجرثومة التوتية) والتى قلنا انها ناتجة من البويضة الملقحة عندما تصل الى جدار الرحم وتلتصق به . فهى بعد أن كانت حرة الحركة فى فراغ الرحم فانها تعلقت بجدار الرحم وتشبثت به لتغوص فيه وتتغذى عن طريقه . وهى فى هذه المرحلة وحتى قرب نهاية الايام الاخيرة منها لا تحوى خلايا دموية على الاطلاق ، وان كانت فى الأيام الأخيرة لها تبدأ ظهور الجزر الدموية بها ، كما يؤكد العلماء المتخصصون فى علم الأجنة .

فالعلقة تتركب من خلايا نشأت بطريق الانقسام عن البويضة الملقحة التى تمثل الخلية الانسانية الأولى ، وهى تتركب من نواه « وسيتوبلازم » بصفة أساسية بخلاف الدم ، وما قاله المفسرون ليس هو الشريعة الاسلامية بذاتها ، وانما هومجرد فهم واستنباط لهؤلاء العلماء يتفق مع الفهم العلمى المعاصر لهم ، واذا كان الفهم الذى ذهبوا اليه لا يصور الواقع فانه لا يقلل من دقة النص القرآنى الكريم لأن ما قالوه مجرد تفسير ممن يجوز عليهم الخطأ فى الفهم والتصور ، على أن هذا الخطأ لا يقلل من شأن هؤلاء الأئمة المفسرين بوصفهم علماء شريعة لأن هذا الخطأ ــ ان صح هذا التعبير ــ لا يتعلق بحكم شرعى من أى نوع ، كما أنه أمر خفى لم تعرف حقيقته الا فى عصر التحليل والتجارب العلمية ، بل وعذرهم فيما ذهبوا اليه واضح لأن عدتهم فى ذلك الفهم ما ورد فى كتب اللغة مما يفيد ذلك .

٢ ــ بدء ذلك الطور ومدته :

هذه المرحلة تقضى فيها تلك العلقة مدة يقدرها الطب بنحو أسبوعين ، ولا تعارض أيضا بين هذا القول وبين حديث الصحيحين « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون

فى ذلك مضغة مثل ذلك .. » على ما ذكرنا فى المقال السابق اذ لا معنى لقيد « فى ذلك » الا ما تفيده دلالة اللفظ وهى أن طور العلقة يكون فى أثناء المدة الأولى ، وتكون كلمة ثم للترتيب الذكرى لا للترتيب الخارجى . فمرحلة العلقة متداخلة فى نفس المدة الأولى — مدة النطفة ، ومدة المضغة متداخلة فى نفس مدة العلقة . وبذا يمكن التوفيق بين ما جاء فى الحديث على هذه الرواية وما ذهب اليه الطب الحديث من أن مرحلة العلقة تبدأ من اليوم الثامن من وقت التلقيح ، وما ذهبنا اليه من تفسير العلقة بأنها ما يعلق بجدار الرحم فتكون مرحلة المضغة من مراحل العلوق أيضا لأنها تكون عالقة بجدار الرحم أيضا .

٣ — ما يتعلق بالعلقة من أحكام شرعية :

بين الفقهاء الحكم الشرعى بالنسبة للعلقة اذا ما حدث سقط فخرجت من الرحم ، كما تناولوا حكمها من ناحية الطهارة والنجاسة ، وسنتكلم أولا عن الاسقاط وحكمه الأخروى والدنيوى ، ثم نتبع ذلك بالكلام عن حكم طهارة ذلك السقط أو نجاسته :

أ — حكم الاسقاط :

تعبر بعض كتب الفقه بالاجهاض بدل الاسقاط ، وجاء فى المصباح أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق . وللفقهاء كلام كثير فى موضوع الاجهاض وتفصيل بين ما اذا كان بعد الشهر الرابع أو قبله مما نرجىء الكلام عنه تفصيلا الى ما بعد الانتهاء من التحدث عن مراحل التخلق ، وعند الكلام عن الاحكام التى تتعلق بالجنين وترتبط به ، ولكننا هنا نشير الى خلاصة ما قاله الفقهاء فى اسقاط العلقة بعد استقرارها وتشبثها بالرحم فنقول : انه نقل عن فقهاء الحنفية القول بأنه يباح للمرأة اسقاط الولد قبل أربعة أشهر ولو بلا اذن الزوج ، ونقل ابن عابدين الفقيه الحنفى عن بعض فقهاء الحنفية عدم الحل الا لعذر كانقطاع لبن المرأة بعد ظهور الحمل وكشعورها بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل ، وكون الوضع بالنسبة لها يتم من غير طريقه الطبيعى وقد تكرر لها ذلك . وما نقله ابن عابدين هو عندى أشبه بالفقه وأدق فى النظر وهو ما نتجه اليه ، ولعل من قال منهم بالاباحة ، انما يقصد حالة العذر ، وهذا هو ما علق به ابن وهبان على ذلك القول (٢) :

وقد كان المالكية أكثر تشددا فى الجملة من الحنفية فى هذا اذ منعوا الاجهاض من بعد العلوق ولو قبل الأربعين يوما على ما هو المعتمد فى المذهب (٣) ، اذ جاء فى شرح الدردير : « لا يجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ، ولو قبل الأربعين يوما » ويقول القرطبى : « ان النطفة لا يتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم » وهذا واضح فى أن العلقة لا يحل اسقاطها .

والمتجه عند الشافعية (٤) أنه بعد الاستقرار فى الرحم والأخذ فى مبادىء التخلق الحرمة ، وان كان يتجه بعضهم الى جواز الاسقاط فى فترتى النطفة والعلقة ، ويصرح الزيدية (٥) بأنه يجوز القاء النطفة والعلقة وكلام الحنابلة والشيعة الجعفرية فى هذا عام ويشعر بالحرمة .

وتكاد المذاهب الفقهية أن تكون متفقة فى الجملة على وجوب (الغرة)

بمثابة تعويض على الاسقاط ، ولا يبرز الاختـــلاف بينهم الا فى القدر الواجب فالمـالكية يرون أنـــه يجب بالقـــاء الجنين وان كـــان علقة عشر ما يجب فى أمه بينما يفصل الزيدية والشيعة الجعفرية على ما سنبينه تفصيلا فى موضعه بعد .

ويعنينا هنـــا قبل أن نترك هذه الجزئية ان نشـــير الى أن القانون الجنائى المصرى يحرم الاجهاض فى جميع مراحله ويعاقب عليه حتى لو كان ذلك باذنها ورضائها ، كما ينبغى أن نشير الى أن هذا الحكم لا يسرى على العزل واتخاذ الوسائل المانعة للحمل مؤقتا يقول الامـام الغزالى مـــا حاصـــله : ان العـــزل ليس كالاستجهاض والوأد .. ويقول ابن حجر « وفرق بين ذلك وبين العزل بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحيـــاة بوجه بخلافـــه بعد اســـتقراره فى الـــرحـــم وأخـــذه فى مبـــادىء التخلق .. » وواضح أن الاستقرار فى الرحم لا يكون من وقت العلوق .

ب ـ طهارة العلقة ونجاستها :

ينقـــل ابن قدامـــة الحنبلى (٦) روايتين :

الاولى : أنها طاهرة كالمنى لأنهـــا بدء خلق آدمى .

الثانية : أنها نجسة .

قال : وهو الصحيح لأنها دم ولم يرد من الشرع فيها طهارة ، وقياسها على المنى ممتنع لكونها دما خارجا من الفرج » وينقل ابن عابدين الحنفى : أن العلقة نجسة كالمنى » . واذا كان ابن قدامة الحنبلى يقيسها على المنى فى الطهارة فذلك لأن مذهبهم الحكم بطهارة المنى لأمر الرسول السيدة عائشة بفركه ، واذا كان الحنفية قد قاسوها على المنى فحكموا بنجاستها فذلك بنـــاء على مذهبهم من القول بنجاسة المنى لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بغسله اذا كان رطبا وان كـــان رخص فى فركه ان كان يابسا رفعا للحرج ، وتخفيفا على الناس .

وبعد فقد التمس من القـــارىء العذر أنى خرجت عن موضوع النظر والتأمل فى خلقه ليطمئن الى صدق عقيدته من أن الله حق وأن محمدا صلوات الله عليه رسول اصطفاه الله وصنعه لتبليغ رسالة ربه ، ثم ينتهى الى أن الله على رجعه لقادر فيحسن صـــنعه فى الدنيا ويعمل لآخرته كـــأنه يموت غدا . التمس عذرا من القـــارىء اذ تغلب على صناعتى فاســـتطرد لبيان الأحكـــام الشرعية واسترسل فى بيانها بعض الشىء ، وقد تتحقق بهذا فائدة أخرى للقارىء فيتعرف الأحكام التى تتعلق بالجنين وهى مبعثرة فى كتب الفقه مع تعددها ، واختلاف المذاهب فيها بعثرة قد لا تســـمح لغير المتوفرين على دراســـة الفقه بـــالاهتداء الى معرفتها .

المضغة وتكوين الجسم :

المضغة مقدار ما يمضغ والمراد هنا القطعة بمقدار ما يمضغ .. وهذه المرحلة هى مرحلة التجميع التى يشير اليها قوله عليه السلام .. « يجمع أحدكم فى بطن أمه .. » الحـــديث فانظر كيف نحا فيـــه منحى التجميع الذى يكون مع وجود مـــادة **النطفة** مما يشعر بتداخل الأطوار ـــ **وهنا** تبدأ مرحلة التصوير **والتخليق** وهو معنى قول الله سبحانه على ما فهمه كثير من أئمة **السلف** « ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة » **وان كان** بعض المفسرين يفهم **أن المراد بالتخليق** هنا نزول المولود من الرحم كاملا لا نقص

فيه ، وأن عدم التخلق نزوله ناقصا بعض الأجزاء .

ويذهب البعض الى أن غير المخلق هو السقط الذى لم يتكامل انسانا ولفظة المخلق يراد منها من تكامل وولد حيا .

فهذه المرحلة اذا هى التى يقع فيها التخليق بتقسيم أجزاء تلك المضغة وقد يمتد ذلك التخلق حتى الأطوار التى ما بعد هذا الطور فالجنين — كما يقرر الطب والتشريح فى نهاية الشهر الأول وهو مضغة تظهر فيه أربعة براعم تمثل الأطراف ، وفى الشهر الثانى تتميز اليدان والأصابع وتظهر الأذن الخارجية وتنفصل فتحة الفم عن الأنف ، وفى الشهر الثالث يظهر جفنا العين ملتحمين وتظهر أعضاء التناسل الخارجية وان كان لا يمكن تميزها ، وفى الشهر الرابع يبدأ ظهور الشعر والأظافر وتتضح الأعضاء التناسلية ، وفى الشهر الخامس ينفصل جفنا العينين وتظهر الطبقة الدهنية على سطح الجلد ، وفى الشهر السادس تظهر أهداب الجفنين وشعر الحاجبين مع تقبض الجلد وتلونه بالحمرة ، وفى الشهر السابع يبدأ ظهور طبقة دهنية تحت الجلد ، وفى الشهر الثامن ينبسط الجلد فيذهب تجعده ويصير لونه ورديا لامعا وتصل الأظافر الى أصابع اليدين ، وفى الشهر التاسع يتم تخليق بقية الأجزاء بحكم الله ودقة صنعه وهو الذى أتقن كل شىء فأحسن صوره .

ففى الشهور الأولى من الحمل تكون الرأس عبارة عن كتلة صغيرة منبعجة تحمل على جانبيها بروزين جاحظين هما العينان وفى أسفلهما يمتد شق مستطيل هو الفم وفى مقدمتهما ثقبان هما المنخران ، ثم فى الشهور الأخيرة تتشكل هذه الكتلة وتتجدد معالمها وتنسق أبعادها .

هذا ما قاله الطب عن مراحل التخلق فى المضغة وهو ما أجمله القرآن الكريم فى قوله سبحانه فى سورة المؤمنين .. « فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما .. » .

ولعل أهم ما يحدث للمضغة من تخليق هو تكوين وعاء القلب من مجموعة الخلايا الدموية الصغيرة . وهذا بدء تكوين القلب الذى يأخذ بعد ذلك فى التطور الى أن يصبح قلبا حقيقيا . كما أنه من أهم ما يحدث فى المضغة من تخلق هو نشوء الأعضاء التناسلية . وتنشأ هذه الأعضاء من نقطة فى ظهر الجنين حتى اذا اكتمل نموه انحدرت الأعضاء التناسلية الى موضعها الخارجى من الجسم ، هذا ما يقوله المتخصصون فى علم الأجنة ويتضح من هذا أن ذرية الانسان من الظهر مصداقا لقول الله تعالى فى سورة الأعراف : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » كما يتضح أيضا أن الأغشية الثلاثة التى تحيط بالجنين دقيقة لا يمكن أن تظهر الا بالتشريح ولعلها هى التى حدثنا عنها القرآن وسماها ظلمات ثلاث فى قوله جل شأنه فى سورة الزمر « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك .. »

وأما قول الله سبحانه « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » ففيه اشارة لطيفة الى أن اللحم ساتر لتلك العظام وأنه مع ما يؤديه من وظائف مجمل لها ومحسن لصورة الانسان عليها . أنظر الى هيكل عظمى مجرد من اللحم لترى ما فيه من بشاعة وازعاج ولا سيما اذا فوجئت به أو نظر اليه من لا عهد له بشأنه . ولقد قال علماء التشريح : أن طور خلق

العظام وكسوتها لحما مشترك فى التكوين والتخلق .

فالله سبحانه جعل تكوين العظام واللحم مرتبطين ببعضهما مع بعض وهذا لا ينافى التعبير القرآنى الوارد فى قول الله تعالى : « فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » لأن الفاء كما أنها موضوعة فى لغة العرب لافادة التعقيب فهى موضوعة أيضا لبيان التفصيل وان لم يكن هناك ترتيب ولا تعقيب فى الدلالة ونظير هذا ما قاله بعض المفسرين فى قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » ، فان القتل غير متأخر عن التوبة وانما هو شيء ملابس لها ومختلط بها . ومن ذلك قوله تعالى : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم » فليس هناك ترتيب ولا تعقيب بين الانتقام والاغراق وانما وقع الاغراق تفسيرا للانتقام .

هذا وقد تعرض علماء التشريح لبيان تفصيل دقيق طويل للمرحلة التى يتكون فيها كل من العظم واللحم ، كما تناولوا سائر أعضاء جسم الانسان وأجهزته بالبيان والتفصيل من تطور نمو الجنين والأجهزة التى يحتوى عليها جسمه من الجهاز القلبى الوعائى ، والجهاز التنفسى ، وجهاز الاغتذاء الذى يشمل الفم والمرىء والمعدة والأمعاء الدقيقة ، والجهاز البولى ، وجهاز الافراز الداخلى ، والجهاز العصبى وما يؤديه الكبد من وظائف ، والهيكل العضلى ، وتوارث الصفات وتكون التوأم الى غير ذلك مما يتعلق بأطوار تكوين الجنين ومما لا يتسع له المقام هنا وان كنا قد بينا ذلك فى كتابنا « الجنين والاحكام المتعلقة به فى الفقه الاسلامى » ولكنا نسوق هنا شيئا مما قاله ابن القيم أثناء تصويره لبدائع صنع الله فى خلقه مما يدل على وحدانيته وصفات كماله . يقول : « وقد ندب الله سبحانه الى التفكر فى آياته والنظر فى آياتكثيرة أوردها . . ثم قال : فانظر الى النطفة بعين البصيرة وهى قطرة من ماء مهين وجعلها فى مكان مكين لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ولا عارض يصل اليه . وأنظر كيف قسم ذلك الشيء الواحد الذى هو المضغة الى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار ثم ربط بعضها ببعض أقوى رباط ، وكيف كساها لحما ركبه عليها وجعله وعاء وغشاء وحافظا لها ، وأنظر كيف صور أجزاء الجسم فأحسن صورها » . .

وأطال ابن القيم فى هذا التصوير بما يدل على أن علماء الاسلام اتجهوا الى أن من صميم دينهم أن يأخذوا من كل تفكير وصل اليه مستوى العلم الى زمنهم ما يزيد المؤمن ايمانا ويعينه على تصور الكتاب الكريم وتفهم آيات الله فى الآفاق والأنفس مصداقا لقوله سبحانه « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون» فالآية الأولى توجه الى النظر فى الآيات الكونية ، والآية الثانية توجه الى النظر فى الآيات النفسية ، وكل من الآيتين تنتهى بالناظر المتأمل الى الايمان الكامل .

القرآن ليس بكتاب طب ولا فلك ، وانما جاء بالموعظة الحسنة والأحكام العامة التى تمكن الناس من حياة رغدة ، وكذلك السنة ما كان من شأنها أن تكون طبا وفلكا تتصدى لبيان التفاصيل والجزئيات فى الفلك والطب ونحو ذلك وانما جاءت مبينة ومفسرة لمقصود القرآن الأول ، ولا شك أن مقصوده الأول هداية الناس وموعظتهم ووضع أسس الأحكام التى تنظم لهم حياتهم فى المجتمع الانسانى . وحينما يتعرض الكتاب أو السنة الى الآيات الكونية أو الآيات

النفسية انما يلمسها بالقدر الـذى يفتح به الأذهان الى عظمة الخالق وقدرته والايمان به والخضـوع والانقياد الى دعوته وحكمه .

وحسبهما من السمو والنبل ورفعة المستوى فى هـذه النواحى تسجيل الصدق فى كل ما أورده منها لمناسبة دعت الى ذلك .

وأما حقائق تلك العلوم مما يسعى اليها العلماء ببحوثهم وينتهون اليهـا بتجاربهم وملاحظاتهم جيلا بعد جيل . فانها ليست هدفا للكتـاب والسنة وانما هى مما علمه اللـه للانسان بالاعداد والتوجيه وصدق الله « علم الانسان ما لم يعلم . » .. وحقـا « وفوق كل ذى علم عليم » وها هو التقدم العلمى السريع وتطوره يزيدنا ايمانا بقول الله : « وما اوتيتم مـن العلم الا قليلا » .

هذا والذى يبين من الاستعمالات القرآنية أن الانسان ليس جسما فقط وانما هو روح وجسد واذ كنا تكلمنا عن تطور الجسد فان الروح كما يقول الله سبحانه « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » والظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الـذى هو مدار البدن الانسانى ومبدأ حياته لأن ذلك من أول الأمور التى لا يمكن لأحد انكارها ويشرئب كل الى معرفتها وتتوافر دواعى العقلاء اليهـا وتكـل الاذهان عنها .

ويقول الامام الرازى ان الروح حادثة حصلت بفعل اللـه وتكوينـ وايجاده والأرواح فى مبدأ الفطـرة تكون خالية عن العلوم والمعـارف ثم يحصل فيها ذلك فهى لا تزال تكون فى التغير والتبديل وكلاهما مـن أمارات الحدوث .

ويبدو أن فى الانسان روحين روح حيوانية يكون بها الحس والحركة ، وهذا هو القدر المشترك بين الانسان وبين الحيوان وهو معنى ينفصل عن الانسان بموته كمـا ينفصل روح الحيوان عنه بالموت ، وروح انسانية يتميز الانسان بها عن غيره .

يقول العز بن عبـد السلام الفقيـه الشـافعى : ان الأجساد مساكـن الارواح ولا شرف بالمساكن وانمـا العبرة بالساكن ثم يقول واعلم ان فى كل جسد روحين روح اليقظة ، وهى الروح التى أجرى الله العادة أنها اذا كـانت فى الجسد كـان الانسان مستيقظا واذا خرجت نام .. وروح الحياة وهى التى أجرى الله العادة أنها اذا كانت فى الجسد كان حيا ، فاذا فارقته مات الجسد فاذا رجعت اليه كان حيا .. وهاتان الروحان لا يعرف مقرهما الا من أطلعه الله على ذلك ..

ويقول الامام الغزالى عن الروح الحيوانية « انه جسم لطيف منبعـه تجويف القلب الجسمانى وانه ينتشر بواسطة العروق وأن جريانه فى البدن يضاهى فيضان النور من السراج فى زوايا البيت » ، ويبدو أن هـذا لا يختلف فى الجملة مع الطب الحديث فهم يقرون أن التأكـد مـن موت الانسان بوقف حركة القلب كما يقولون ان القلب هو الذى يمد الجسم بالدم

الذى به تكون الحركة وقيام جميع الاعضاء بوظائفها المطلوبة ولا شك أن هذا القدر لا يفيد الوقوف على حقيقة الروح وكنهها ومعرفة سر الحياة وانما هو تصوير لمنبع حركتها فى الجسم وطريق انتشارها .

ولقد نقل بعض الكاتبين ان الباحثين فى المسائل النفسية فى أمريكا وأوروبا توصلوا بمباحثهم الى أن فى الجسم الانسانى روحا من طبيعة علوية وان هذه الروح المستقلة عنه تتصل به وقت تكوينه وتغادره عند موته ، وان الروح وان كانت أمرا إلهيا لا يدرك كنهه أحد فان لها جسدا أثيريا على صورة جسم صاحبها وهى غاية فى اللطافة ..

ولعل قول الله سبحانه «ثم أنشأناه خلقا آخر » تشير كما يقول كثير من المفسرين الى خلق الروح ولا مانع عندى أن تكون الآية تشير الىكل من الروحين الانسانى والحيوانى فان الجنين له طور فيه يتحرك ويحس كما يتحرك الحيوان ويحس وهذا هو أثر الروح الحيوانى .

وأما الروح الانسانى فانه يبدأ فيه بالقوة لا بالفعل وبما خلق الله فيه من التهيؤ لكسب المعلومات ونمو الادراكات ، وبعد فهذا الجنين الذى يصل فى طوله بعد ولادته ونموه الى قرابة المترين وفى وزنه الى قرابة المائة كيلو والذى له عينان ولسان وشفتان وجوارح متعددة وأجهزة مختلفة وعقل مفكر مدبر والذى يطغى ويتجبر ويمشى فى الارض مرحا يظن أنه يخرق الارض أو يبلغ الجبال طولا ... خلق من ماء مهين وصدق الله « لقد خلقنا الانسان فى كبد » أى فى مكابد ومشقة وجهد وكد وكفاح وكدح . وصدق سبحانه اذ يقول « يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .

« خلق الانسان من علق » فالعلقة التى هى مبدأ التكوين الجنينى لا تستقر فى الرحم حتى تبدأ فى الكدح والكد لتوفر لنفسها بأذن الله وتوجيهه الظروف الملائمة للحياة والغذاء وما تزال كذلك فى أطوارها المتلاحقة حتى تنتهى الى الخروج من مكان ضيق الى الحياة الدنيا فتتنفس الهواء وتجد فى كل حركة بعد ذلك كبدا . ومع هذا فان الانسان يحسب ان لن يقدر عليه أحد ، ونسى كيف خلق من علق ، وكيف تميزت هذه العلقة الى خلايا بالأعصاب والعظام والعضلات وغيرها .

وبعد ذلك هل يشك أحد فى الله وفى أن محمدا رسول الله . أيشك أحد فى البعث والحساب وأن الله سبحانه قادر على أن يعيده الى حياة أخرى بقدرته سبحانه التى أوجدت الانسان فى الحياة الاولى . وصدق الله « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه . » ..

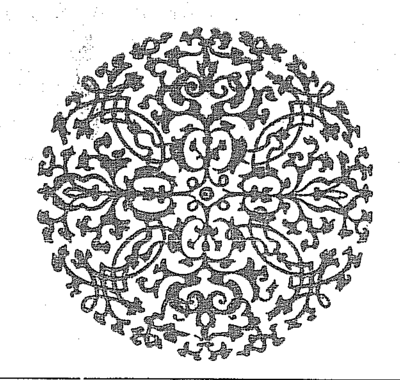
وأن بسط القول فى ذلك لا نهاية له وحسبنا أن نشير الى قول الله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير .

وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور » ويقول جل شأنه « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ففيم يختلف الناس من أمر هذا الخالق كيف يتنكر عاقل للقائه . أيغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الأنعام ويرخوا لأنفسهم حبل الأمل فى حياتهم !! « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون » ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » .

والواجب على كل من له عقل أو قدر من العقل أن ينتهى الى أن الله حق ، ورسالة محمد صلوات الله عليه حق ، والبعث حق ، وان الواجب علينا أن نعد أنفسنا للقاء الآخرة ونحن مزودون بالعمل الصالح وملتزمون حدود الله . « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » .

وأن خير ما نختتم به حلقات هذا الموضوع « فلينظر الانسان مم خلق » .. هو دعاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى كان يردده دائما « اللهم أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت . فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت » .



---

(١) راجع فى هذا « الجامع لاحكام القرآن للقرطبى » ج ١٢ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية ، والتفسير الكبير للرازى طبع المطبعة المصرية ج ٢٣ ص ٨٤ ، وروح المعانى للامام الالوسى ج ١٨ ص ١٣ .

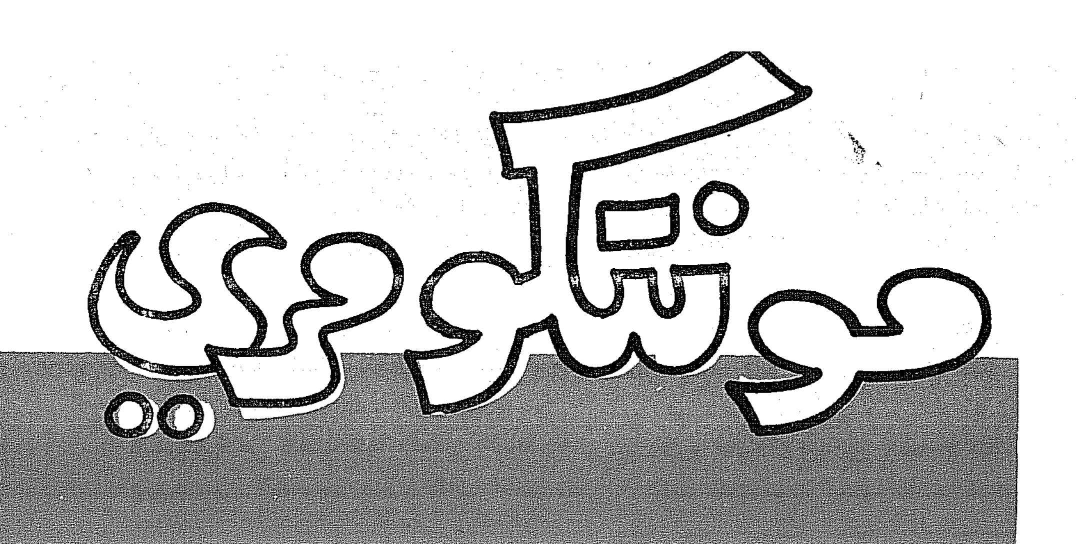
(٢) راجع حاشية ابن عابدين ج٣ص ٤١١ .

(٣) الشرح الكبير ج ٢ ص ٨ .

(٤) نهاية المحتاج ج ٨ ص ٤١٦ .

(٥) البحر الزخار ج ٣ ص ٨١ .

(٦) المغنى ج ٢ ص ٤٤ .



— ١ —

المشير مونتكومرى قائد بريطانى ، من أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) . وقد لمع اسمه لأول مرة بعد انتصاره على جيوش المحور فى معركة (العلمين) سنة ١٩٤٢ ، فأصبح معروفا فى العالم كلـــه .

بدأ حياته العسكرية العلمية برتبة ملازم فى الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ — ١٩١٨ » ، وتدرج فى الرتب العسكريـــة ، وتولى المناصـــب القيادية ومناصب الاركان ، وأصبح معلما فى كلية الاركان البريطانية فى « كامبرلى » وهو منصب تعليمى تربوى مرموق .

وفى أواخر الحرب العالمية الثانية أصبح قائد مجموعة جيوش مؤلفة من مختلف الأسلحة ، وكان تعدادها يناهز المليونين من الجنود وضبـــاط الصف والضباط والمراتب الأخرى .

وبعد الحرب العالمية الثانية تسنم منصب رئيس هيئة أركان الحرب فى بريطانيا ، ثم تسنم منصب نائب القائد الاعلى لحلف الاطلسى .
وأخيرا أصبح عضوا فى مجلس اللوردات البريطانى ، اذ منح لقب : « لورد العلمين » ، فتفرغ لواجبه فى هذا المجلس ، وعكف على التأليف ، وأصبحت هوايته توجيه الشباب ورعايتهم .

وقد أمضى فى الخدمة العسكرية نحو خمسين سنة ، ربى خلالهـــا ما لا يعد ولا يحصى من العسكريين معلما ومدربا ومثقفا ومحاضرا وقائدا .
وقد سجل فى آخر مؤلفاته : « السبيل الى القيادة » عصارة تجاربه فى تربية الأطفال وتوجيه الشباب . وهو يرعى فى الوقت الحاضر جماعة من الشباب ، ويجد لذة ومتعة فى توجيههم ، ويرى فى ذلك خدمة لوطنـــه وتطبيقا لمبادئه التربوية .

وسأذكر ما أورده فى كتابه عن التربية ، لعل فيها فائدة للذيـــن لا يرضخون الا لآراء الغربيين ، والذين لا تطربهم مغنية الحى ، وتشفى عيونهم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

وآراؤه التربويــة ..

رمال الغرب ، وتدميها ورود بلدهم ، ويستسلمون للأجنبي ولا يسالمـــون العربي أو المسلم ، بهرتهم حضارة الغرب لأنهم يجهلون حضارة أمتهـــم واستحوذ عليهم الاستعمار الفكري البغيض .

الى هؤلاء أسوق آراء مونتكومري التربويـــــة ، تلك الآراء التي لو سمعوها من عربي مسلم لكالوا له التهم جزافا ولرموه بالتخلف والرجعية !!

ترى ! ماذا سيقول هؤلاء عن آراء مونتكومري التربوية ؟

— ٢ —

عقد مونتكومري في كتابه : « السبيل الى القيادة » بابا كاملا هو الباب الحادي عشر بعنوان : « قيادة الشبيبة » استغرق نحو ثلاثيـــن صفحة من كتابه ولا أرى مسوغا لعرض آرائه التربية كافة ، لأنني لا أريد أن أطيل فأثقل على القارىء ، ولكنني سأعرض مختصر آرائه لاعطاء فكرة كاملة عنها ، وهذا يقتضيني أن أكثف تلك الآراء بعيدا عن الايجاز المخـــل والاطناب الممـــل .

ويذكر مونتكومري أن أولاد أمته لا نقص فيهم من حيث المادة أو النوع ، ولكن الخطأ فـــي أسلوب تربيتهم ، مما أدى الى أن يصبحوا دون المستوى المطلوب ، وهذا خطأ المربين لا خطأ الشباب .

ثم قال : « انني غير راض عن شباب اليوم (١) » .

ويمتدح بنات جيله فيقول : « ان البنات لم يكن يسمح لهن بالخروج من البيت وحدهن والذهاب مع الأولاد الى المراقص وغيرها » (٢) ، وبذلك ينتقد مر النقد ما يراه من ترك الأبوين بناتهم يسرحن ويمرحن كما يشأن دون رقيب أو حســـيب .

ويقول عن تربية الأطفال وتنشئتهم ليكونوا عناصر مفيدة للمجتمع : « **ان ولد اليوم** ، وهو رجل المستقبل ، يجب أن يكون الغرض من تربيتـــه بناء سجيته ، ليتسنى له عندما يحين الوقت المناسب ، ان يؤثر في الآخرين الى ما فيه الخير . وهنـــــاك أمر يجب الا نخطيء فيه ، وهـــو أن أسس

(السجية) يجب أن توضع فى البيت ، بل أن التربية الأساسية يجب أن تبدأ هناك ، فهذه التربية هى التى تؤثر فى الولد ، وتوجهه طيلة حياته ، أما الى الخير أو الى الشر . وعلى أسس الخير القويمة التى تبنى فى البيت ، سيبنى المعلم سجية الولد عندما يأتى الى المدرسة ، فان لم تكن تلك السجيه قد أقيمت فى البيت ، فلا يستطيع المعلم أو أى شخص آخر أن يفعل شيئا فى هذا الصدد اننا نسمع اليوم الكثير عن : (آثام الاحداث) التى لا شك أن السبب الرئيسى لأغلبها هو اهمال الآباء .

« ان تجربتى الشخصية تحملنى على الاعتقاد بأن الأسس لبناء السجية يجب أن تغرس فى الولد عندما يصبح فى السادسة من عمره ، وأهم ما فيها التمييز بين الخطأ والصواب والتحلى بالصدق والمروءة » (٣) ويرثى مونتكومرى لحال البشرية التى أصبحت تلهث وراء (المادة) وتبتعد عن (الروح) فيقول : ألسنا نعيش جميعا فى ضباب من خداع النفس ، فى عالم تستحوذ عليه (المادية) وتنبذ فيه القيم الروحية ؟!

فلنفكر مثلا فى نماذج الاعلانات الكثيرة التى تواجهنا أنى ذهبنا ، والتى تؤثر فى كثير من الناس ، فهى توحى الينا أن حل كل مشكلة يمكن أن تشترى بالمال . انها تقول مثلا : أتنشد السعادة فى بيتك ؟! اذن فاشتر هذه المكنسة الكهربائية أو ذلك النوع من طعام الفطور ، أو هذا الصابون ، أو اشرب تلك الجعة ! ولا شك أن الناس جميعا لا ينخدعون بهذه الاعلانات الكثيرة ، ولكن الولد المراهق يتعرض للخطر وهو يعيش فى هذا الضباب من خداع النفس . (ماذا ينفع الانسان ، لو حصل على الدنيا كلها ، وأضاع روحه (٤) .. (٥)) .

هكذا يستشهد مونتكومرى بآيات من الانجيل لتأييد آرائه فكم من قادتنا يستشهد بآيات من الذكر الحكيم ؟

ويضيف مونتكومرى : « اذا أردنا أن يجتاز العالم بسلام وتعقل حالة الهياج والاضطراب التى تسوده اليوم ، فينبغى أن نحيا الحياة الحقة ونقتدى بالمسيح عليه السلام ، بدلا من الخبط فى دياجير الظلام » (٦) .

انه ينصح بالاقتداء بالمسيح ، وهذا طبيعى لأنه مسيحى ، فكم من رجالنا ينصح علنا وبكل قوة العرب والمسلمين بالاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ؟!

ويقول : « وهكذا نرى مدى الصعوبة التى يجابهها أولاد اليوم ، وجسامة (الواجب) الذى يجابهه الآباء والمعلمون فى تفسير كل ذلك لهم وتوجيههم نحو الصراط المستقيم . وقد زادت المهمة صعوبة زيادة كبيرة من جراء أحوال الحياة العصرية ـ الحياة التى يواجه فيها الاولاد مغريات ومشاكل أعظم من تلك التى واجهها أى واحد منا عندما كنا شبابا . فالاشياء المثيرة ، وافلام العصابات ، والبيوت المخربة بسبب التهاون فى الواجبات الزوجية ونشر القضايا الجنسية فى بعض الصحف ، كل هذه تفرض على الولد المراهق ضغطا شديدا ، وليس من السهل أن ننمى السجية فى ظروف كهذه (٧) » .

ونحن ؟! لماذا نستورد أفلام العصابات ؟ لماذا نسمح للصحف والمجلات بنشر القضايا الجنسية ؟ لماذا نعرض الافلام الخليعة والتمثيليات

الداعرة فى الاذاعة المرئية ؟ الأجل ان نخرب بيوتنا بأيدينا ؟ الأجل أن نشيع الفاحشة فى أولادنا ؟! الأجل أن تتصاعد نسبة الرسوب فى مدارسنا وكلياتنا ؟ .. لماذا ؟!

— ٣ —

ويمضى مونتكومرى بالحث على تلقين الأطفال التعاليم الدينية فيقول .
« لقد سبق أن ذكرت كلمة (الضبط) ان لهذه الكلمة صدى غير مستحب عند فريق من الناس ، وربما كان السبب هو لأنها غير مفهومة فهما صحيحا ان الأساس الحقيقى للضبط ، هو ضبط النفس ، وهو السيطرة على النفس وكبح جماحها ، وأن يعيش المرء حياة ، منظمة ومقيدة بقيود اختيارية يفرضها على نفسه ، وقد نعد هذه القيود بمثابة (واجبات) ينبغى أن نشعر بضرورة القيام بها .

« ان مفهوم (الواجب) هذا يؤكد أهمية التعاليم الدينية التى تتعلق بالسيرة الشخصية للانسان ، ويجب أن يوحى بهذه التعاليم الى كل طفل حالما يبدأ بالذهاب الى الروضة « يريد روضة الأطفال التى تسبق المدرسة الابتدائية وينبغى أن يتم ذلك حتما قبل بلوغه السنة السادسة من عمره » . (٨)

ويتساءل مونتكومرى : « فما هو غرضنا ؟ » ، ويجيب : « ان الغرض هو أن نبث فى صفوف الشبيبة الاستقامة والشجاعة الأدبية ، والحمية ، بغية اقامة حصن يتحدى المؤثرات المخربة التى تسعى الى تحطيم أخلاق أولادنا . وينبغى تربية هؤلاء ليكونوا « نقاطا قوية » فى الأمة ، تدافع عن الأمانة وسط مغريات تحرض على الخيانة ، وتدافع عن العمل الجماعى والاخلاص ، وعن الجهد الصادق وشعور الواجب الرفيع ، بل عن كل شىء فيه خير البلاد (٩) .

ثم يقول : « أين يجب أن يبدأ التعليم ؟ فى البيت طبعا ، فذلك هو المكان الذى يجب أن يبدأ فيه تكوين « السجية » . ويجب أن يتعلم الطفل فى البيت أمورا معينة تعد خطأ وأخرى تعد صوابا ، ويجب أن يتعلم أسس الأمانة والاخلاص والصدق والثبات على ما يعتقده صوابا وحقا ثباتا راسخا برغم ما يواجهه من اغراء . ويجب أن تبدأ أسس هذه التربية فى وقت مبكر ، وأن ترسخ فى ذهن الطفل عندما يبلغ السادسة من عمره ، حتى اذا ما بدأ بالذهاب الى المدرسة لا يكون فريسة لتأثيرات شريرة قد يواجهها » . (١٠)

ثم ينعى مونتكومرى على العالم تخليه عن : « المثل العليا » ، ويتوجه الى قومه البريطانيين برأيه صريحا واضحا . « لكى نخدم بريطانيا ونفخر بأننا بريطانيون ، ليس من الضرورى أن نملك قنابل ذرية بقدر ما تملكه الولايات المتحدة الامريكية أو علماء بقدر ما تملكه روسيا ، فليست البلاد التى تنقصها القنابل الذرية أو القوات الكبرى هى التى يجب أن تدعى : دولا من الدرجة الثانية ، بل ينبغى أن يطلق ذلك على البلاد التى تعوزها المثل العليا ، وهذه المثل تبقى وغيرها يفنى » . ثم قال « ان أول ما نحتاج اليه ، هو معالجة الجهل المتفشى بيننا عن الحقائق الأولية للدين » (١١) .

— ٤ —

— ووصف مونتكومرى آراءه التربوية التى تؤدى الى اعداد قادة

المستقبل ورجال الأمة فقال : « وقد لا تكون آرائى مقبولة على العموم ، لكنها بسيطة على الأقل ، وقد بنيت على « مثل عليا » وحقائق أزلية ، لن تتغير مهما كان العصر الذى نعيش فيه » (١٢) .

ثم يكرر ما قاله سابقا باسلوب جديد ، أكثر وضوحا وتفصيلا فيقول : « انى من المؤمنين ايمانا راسخا بوجوب توجيه الشباب نحو « العلا » ، ويجب أن نوضح لهم ما يجب أن يفعلوه لبلوغ ذلك ، وأن نبين لهم السبب . ان ذلك لأمر مهم ، لأن المستقبل هو للشباب ، فهم الذين يجب أن يستلموا المشعل منا . ان مهمتنا أن نوحى الى الشباب أن يستهدفوا غرضا « أخلاقيا » عاما مبنيا على ايمان واع قوى بالدين . فاذا استطعنا بعدها أن نوحد شبابنا وراء قادة يهتمون بهذا الدين كما يهتم الشيوعيون بعقيدتهم ، فما من شىء نخشاه : لا الأعداء ولا المشكلات الاقتصادية ، اذ يمكن التغلب عليهما معا . ان أهم ما فى التربية — وفى الحياة كذلك — هو أن يكون لدى الطفل أو للشاب احساس بالغرض قوى الى درجة تمكنه من مواجهة الصعاب والتغلب عليها . ان غرضا كهذا لا يمكن أن يبنى الا على « عقيدة » ولا يمكن تنمية هذه « العقيدة » الا فى زمن الصبا . لكنه يجب أن تكون هذه « العقيدة » حسنة ، فالعقيدة السيئة هى السبب فى معظم ما نعانيه اليوم من اضطرابات » . (١٣)

ويعتبر مونتكومرى تضليل الطفل أو الشاب أخلاقيا من أعظم الجرائم فيقول : « سئلت ذات مرة عن رأيى فى أسوأ جريمة يمكن أن يرتكبها أى انسان ؟ فأجبت بدون تردد : تضليل طفل أو شاب أخلاقيا !

وأضفت الى ذلك قولى : ما من عقوبة تعد قاسية بحق انسان كهذا » (١٤) . ومن الواضح أن رأى مونتكومرى هذا سليم الى أبعد الحدود لأن الذى يضلل طفلا أو شابا أخلاقيا ، سيقضى على مصدر الخير فيه ، وسيجعل منه بؤرة للفساد والشر ، اذ سيكون عاملا من عوامل اشاعة الفساد بين الناس ، يهدم ولا يبنى ، ويفسد ولا يصلح ، ويخرب ولا يعمر .

ان الوالدين اللذين لا يربيان طفلهما تربية سليمة ، يضللان طفلهما ويحرمانه من ومضات النور والخير .

والمعلم الذى لا يعلم تلميذه تعليما ناجعا ، يضلل تلميذه ويفسد طبعه ويوجهه نحو الجهل والضياع . فكم من أب وأم ضللا طفليهما عن عمد باهمالهما تربيته أو عن غير عمد لجهلهما التربية السديدة .

وكم من معلم ضلل تلميذه ، لكسله أو جهله أو عدم تقديره المسئولية الملقاة على عاتقه ، فأصبح ذلك التلميذ مشردا ، أو لصا أو قاتلا أو تافها .

— ٥ —

— ويعود مونتكومرى الى تلخيص آرائه التربوية فيقول : « ما هى النصيحة التى أقدمها للشباب ؟ كيف يستطيعون احراز مجد الفتوة ؟ اننى أقدم اليهم الوصايا الأربع التالية :

أولا : ليكن لديك شىء من رزانة الفكر ! ان ذلك لا يعنى أن الطفل أو الشباب لا يجب أن يكون سعيدا نبيها ، بل بالعكس . ولكن أنبه الناس هو من كان ذا بصيرة ، وقلب بسيط ، وضمير طاهر ، ومن يحاول قلبيا وبكل تواضع التمسك الشديد بتعاليم الدين .

ان الملذات التى لا نهاية لها ، والفرص الضائعة ، والامتيازات التى يساء الاستفادة منها — كل هذه الأمور لا تعوض عن ضياع الفضيلة ، وفقدان الرجولة ، وعدم احترام النفس .

ثانيا : أوصى بالطاعة ، تلك الفضيلة التى يبنى عليها السلطان ، وهى تعنى قبول قانون « الواجب » قانونا للحياة ان الله سبحانه وتعالى يفوض شيئا من سلطته الى اخواننا البشر منذ السنين الأولى من حياتنا يفوضه أولا الى أبوينا ، ومن ثم الى الذين يولون علينا ، فاحترام السلطة اذن واجب مقدس كما هو أمر إلهى ، وما من عصر انتهكت فيه حرمة هذا الأمر الا وساد فيه الفساد . ان آمال الأمم تتعلق باخلاص ابنائها وتواضعهم وفى طاعة شبيبتها واحترامهم لمن هو أكبر منهم سنا .

ثالثا : أوصى بالجد والمثابرة ، فالوقت المتيسر للعمل والدراسة قصير ، وسن الصبا سرعان ما يمر من غير أن نشعر به الى دور الشباب فدور الرجولة .

رابعا : لقد تعلمت فى حياتى الخاصة ، أن صفات ثلاثا ضرورية للنجاح . العمل الشاق ، والاستقامة المطلقة ، والشجاعة الأدبية ، — وهى تعنى عدم خوف الانسان من قول ما يعتقده صوابا ، والثبات على هذا الاعتقاد (١٥) .

ولا يكتفى مونتكومرى بهذا الباب من كتابه للحديث عن : آرائه التربوية ، بل يعود ثانية فى الباب الخامس عشر الى عرض آرائه فى التربية فيقول : « بالاضافة الى تزويد المدارس بنظام تربوى جيد ، وبمعلمين ماهرين ، يجب أن يتيسر فيها نظام سليم للتدريس الدينى بالتعاون مع رجال الدين » . (١٦) .

ثم يقول عن أثر المثال الشخصى الذى هو التطبيق العملى للنظريات التربوية : « والواقع أن التربية الفكرية والخلقية التى نزود بها أولادنا ، هى ليست بذاتها أهم الأمور ، بل المهم هو ما سيفعلونه بهذه التربية ، والفائدة التى سيجنونها منها فى السنين القادمة . ومن الواجب تخصيص قسم من هذه التربية لغرس الصفات التى هى جزء لا يتجزأ من القيادة الجيدة ، ويجب أن يقوم بذلك خيرة المعلمين الذين يمكن أن نحصل عليهم وأن يقوموا به بالمثال الشخصى الحسن الذى يضربونه بأنفسهم لتلاميذهم وطلابهم » (١٧) .

وفى ختام كتابه قال مونتكومرى . « عندما انظر الى عالمكم اليوم ، ينتابنى القلق أحيانا على الجيل الجديد ، عندهم مغريات لم نحصل عليها أنا وأنت (١٨) . ويبدو أنهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجرى فى عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى أن يجعلوا للأمور « المادية » قيمة كبيرة ويهملوا « القيم الروحية » .. على الشباب أن يتسلح جيدا بالشعور « الروحى » اذا أراد الا ينحرف أو أراد الا يجرفه التيار ..

ان « الحرية » الحقيقية هى أن يكون لديك الخيار فى أن تفعل ما « يجب » أن تفعله لا ما (تريد) أن تفعله ... ان هذه هى الحقيقة بعينها التى تواجه أى ولد ، وهى التوفيق بين ما (يريد) أن يفعله وبين ما يوحى اليه ضميره أن يفعله » (١٩) .

تلك هى موجز آراء مونتكومرى فى التربية المثالية ، أعرضها للذين يتلقون الوحى من الأجنبى ، ويؤمنون بما يقوله دون مناقشة .

أما الذين يعرفون ما ورد عن : التربية المثالية ، فى تراثنا العربى الاسلامى العظيم ، والذين درسوا هذا التراث بامعان من منابعه الاصلية فيعلمون أن أراء مونتكومرى تعتبر تافهة عند موازنتها بآراء السلف الصالح من علمائنا الأبرار .

وبكل صراحة وأمانة ، أذكر اننى نقلت آراء مونتكومرى فى التربية مضطرا وبعد تردد طويل . ولكن ما حيلتى مع الذين تستهويهم آراء الأجانب ولا يستهويهم آراء الأقارب ؟؟

على كل ، فان العلم لا وطن له ، وباستطاعة من يشاء أن ينقل ما يشاء من علوم الآخرين وآرائهم ، على أن تكون تلك الآراء مفيدة وبناءة .

ولكن رأيى الذى أومن به ، هو أن العربى المسلم ، اذا وجد فى تراثه ما يتفوق على تراث الأجانب أو يشابهه ، فلا ينبغى أن يغمط حق آبائه واخوته ليستورد من الأبعدين ، أو يتباهى بأقوال الأجانب ويتنكر لأقوال قومه وبنى عقيدته .

اننا بحاجة الى علوم الغرب ، ولكننا لسنا بحاجة الى مبادئه ، ومرة أخرى .... لو أبدى عربى مسلم مثل آراء مونتكومرى فى التربية ، فماذا يقول عنه أبناء جلدته المحدثون ؟!

ان الاسلام أقوم المبادىء التى تبنى الرجال والنساء ، وهو دين الخلق الكريم والفضيلة والعزة والمجد والسؤدد .

فمتى يعرف قيمة هذا الدين أبناؤه من العرب والمسلمين ؟؟ متى ؟؟

---

(١) السبيل الى القيادة (١٩١ و ١٩٢) .
(٢) السبيل الى القيادة (١٩٣) .
(٣) السبيل الى القيادة (١٩٤) .
(٤) آية من آيات الانجيل .. ترى ! كم من قادتنا يستشهدون بآيات الذكر الحكيم ؟!
(٥) السبيل الى القيادة (١٩٥) .
(٦) السبيل الى القيادة (١٩٦) .
(٧) السبيل الى القيادة (١٩٦) .
(٨) السبيل الى القيادة (١٩٧) .
(٩) السبيل الى القيادة (١٩٨) .
(١٠) السبيل الى القيادة (١٩٨ و ١٩٩) .
(١١) السبيل الى القيادة (٢٠٥) .
(١٢) السبيل الى القيادة (٢١١) .
(١٣) السبيل الى القيادة (٢١٣) .
(١٤) السبيل الى القيادة (٢١٥) .
(١٥) السبيل الى القيادة (٢١٧) .
(١٦) السبيل الى القيادة (٢٩١) .
(١٧) السبيل الى القيادة (٢٩٢) .
(١٨) يقصد الناس من جيله .
(١٩) السبيل الى القيادة (٣٠٧ — ٣٠٨) .

الشباب في اطار التربية الاسلامية

للدكتور عبد العال سالم مكـرم

الشباب فى عصرنا الحاضر تتنازعهم تيارات شتى ، وتسيطر على نفوسهم قيم عديدة ، وهم بين هذه التيارات ، وهذه القيم فى صراع عنيف مع أنفسهم ، ومع مجتمعاتهم حتى اظلمت الحياة أمامهم كأنهم فى بحر لجى يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض .

واستغلت المذاهب الالحادية ، والنزعات المادية هذا الصراع النفسى الذى استبد بالشباب فظهرت (الوجودية) لتدعو الشباب الى تحقيق الـذات بشتى الوسـائل ، ومختلف السبل ، ومن بعدهـا ظهرت الطبقة (الهيبية) وتميزت بارسال اللحى ، وإطالة الشعور واتخـذت الحفاء مذهبا ، والعبث سلوكا ، والاستهتار بالتقاليد مبدأ وعقيدة ومن ثم كثر الفسـاد ، وعـانت المجتمعات الغربية والاوربية من سلوك شبابها الشىء الكثير مما عقد الحياة ، وضاعت صرخات الشيوخ والآباء أمام عناد أبنائهم وبناتهم .

ماذا يعنى هذا ؟ اننا فى عالم متشابك ، قرب بعيده ، ودنا قاصيه ، ولم تعد حواجز المجتمعات أو حدود الاوطان حائلا بين تسرب هـذا الفساد الى أمتنـا الاسلامية والعربية ، ومن ثم اذا لم نتدارك شبابنا ، ونرعاهم كما نرعى النبتة الصالحة والشجرة الفارعة ، والثمرة الغالية لحل بشبابنا ما حل بشبابهم ، وحينئذ نعض بنان الندم بعد فوات الوقت ، وضياع الامل .

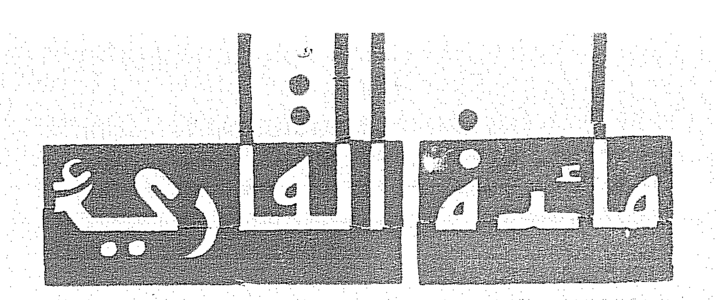
نريد من شبابنا أن يغرسوا فى نفوسهم وقلوبهم الايمان بالله . ذلك لأن النفس البشرية تموج بشتى الغرائز ، والشهوات العارية ، والرغبات الصارخة ، فالايمان بالله سلاح عنيف ضد هذه الغرائز ، وهذه الشهوات ، واذا ما انتصر الشاب المسلم فى ميدان نفسه أصبح قوى الجانب ، عزيز النفس ، صلب الارادة والمجتمع الذى يضم أمثال هذا الشاب مجتمع قوى يسير نحو العـزة ، نحو الكرامة ، نحو البطولة والمجد .

نريد من شبابنا أن يملكوا من سلاح العلم والمعرفة رصيدا ضخما ، يصرع الجهل ويقضى على أمراضه فى عصر التحديات ، ولا أريد من الجهل مجرد جهل القراءة والكتابة ، وانما أريد به التخلف عن ركب التكنولوجيا والعلم الحديث .

ونريد من شبابنا أن يحموا ثروة العلم والمعرفة بالخلق ، انه الحـارس الامين الذى يحفظ للامـة كيانها من عدوان المعتـدين ، وكبرياء المسـتبدين ، وسلطان المستعمرين .

ونريد من شبابنا أن يتعلموا معنى التضحية والفداء . فان أسلافهم من شباب الاسلام حينما تربوا فى مدرسة محمد عليه الاسلام كان أول درس تعلموه هو التضحية بكل ما يملكون من أجل القيم والمبادىء ، ومن أجل أن يسود الحق ، من أجل أن ينتصر الايمان ،من أجل احقاق الحق ، وابطال الباطل ، مهما كان الثمن ومهما كان الفـداء .

وبسبب هذا الدرس العظيم استطاع شباب الاسلام أن يسيطروا عـلى ثلاثة أرباع الكرة الارضية من المحيط الى الخليج .



جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم — يشكو جاره فقال له — اذهب واصبر ، فأتاه مرتين وثلاثا ، فقال له : اذهب ، فضع متاعك على ظهر الطريق ،فوضعه ، فجعل الناس يمرون عليه ويسألونه ، فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فجاء الى النبى ، فقال — يا رسول الله — لقد لقيت من النـــاس ، قال وما لقيت منهم ؟ قال يلعنونني ، قال قد لعنك الله قبل الناس ، فقال انى لا أعود فجاء الذى شكاه ، وقال له (ارفع متاعك فقد كفيت) . رواه أبو داود

اللـــــه

سأل رجل جعفر الصادق عن الله فسأله جعفر — ألم تركب البحـــر ؟ قال — بلى ، قال جعفر : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟.. قال نعم .. فقال جعفر — فهل خطرببالك أو انقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شـاء .. قال نعم ..... قال جعفر فذلك هو الله .

مؤهلات الولايـــة

احتاج عمر بن الخطاب يوما الى وال كفء يوليه عملا هاما من أعمال الدولة فقال لجلسائه دلونى على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى ، فقالوا فلان . قال لا حاجة لنا فيه ، قالوا فمن تريد ؟ قال أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، واذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم ، قالوا ما نعرف هذه الصفة الا فى الربيع ابن زياد الحـــارثى . قال : صدقتم فولاه .

النساء المؤمنات

قالت ام المؤمنين عائشة — ان لنساء قريش لفضلا وانى والله ما رأيت أحدا أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فى سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهم ما أنزل الله اليهم منهـــا . يتلو الرجل على امرأته وابنته واخته وعلى كل ذى قرابة ، فما منهن امـــرأة الا قامت الى مرطهـــا المرحل فاعتجرت به تصديقـــا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فأصبحن وراء رسول الله كأن على رؤوسهن الطير .

أم التوائـــم

نقل فى كتاب « العذب الفائض » عن الامام الشافعى أنه قال — رأيت فى بعض البوادى شيخا ذا هيبة فجئت لاستفيد منه فاذا بخمسة كهول قد جاءوا فقبلوا رأسه ودخلوا الخباء ، ثم خمسة شبان فعملوا كذلك ، ثم خمسة أصغر منهم ، ثمخمسة أحداث ، فسألته عنهم ، فقال كلهم أولادى وكل خمسة منهم فى بطن وأمهم واحدة فيجيئون كل يـوم ويسلمون علـى ويزورونها ولى منها خمسة أخر فى المهد .

مزرعة على ظهر جمل

روى أن جميلة بنت ناصر الدولة احدى بنات ملوك بنى بويه لما حجت كانت أول من استنت محامل البقول مزروعة على أظهر الجمال مع عدة أصناف من الرياحين .

الرأس الثقيلة

أتى رجل الى أبى محمد النوبهارى فقال له — وضعت رأسى فى حجر امرأتى فقالت : ما أثقـل رأسك ؟ فقلت : أنت طالق ان كانت رأسى أثقل من رأسك .

فقال له أبو محمد : تطلق عليك امرأتك قيل لـه ولم ؟ قال — لان القصابين أجمعوا عـلى أن رأس الكبش أثقل من رأس النعجة .

ما هو ؟

قال العباس بن الاحنف —

قلبـى الى ما ضرنى داعـــى
يكثـــر أسقامى وأوجاعـى

كيف احتراس من عـدوى اذا
كان عـــدوى بـين أضلاعى

ان دام بى هجـرك مع كل ذا
يوشك أن ينعـــانى الناعـى

الجواب — الطعام .

البـــدوى المفتون

روى أن بدويا يدعى أبا وهب كان يملأ خياله تصور البطـولة وكانت تمتلىء أحلامه بهذه الصورة وكان مثل البطولة الأعلى فى رأيه وفى حياته وفى أحلامه (تابط شرا) وذات يـوم لقى أبو وهب هذا (تابط شرا) فطلب اليه أن يتبادلا اسميهما وأن يكون أبو وهب (تابط شرا) وأن يكون (تابط شرا) أبا وهب .. ويرضى (تابط شرا) هذه المساومة لقاء ما أخذه من مال وأثواب وانصرف كل منهما الـى وجهته .

مضى البدوى يقطع الصحراء فى خيلاء وعجب وكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها حين خلع عليــه (تابط شرا) أما تابط شرا فقـد خلا الى نفسه يضحك ويردد أبياتا يقول فيها :

الا هل أتى الحسناء ان حليلهـا
تابط شرا واكتنيت أبـا وهـب

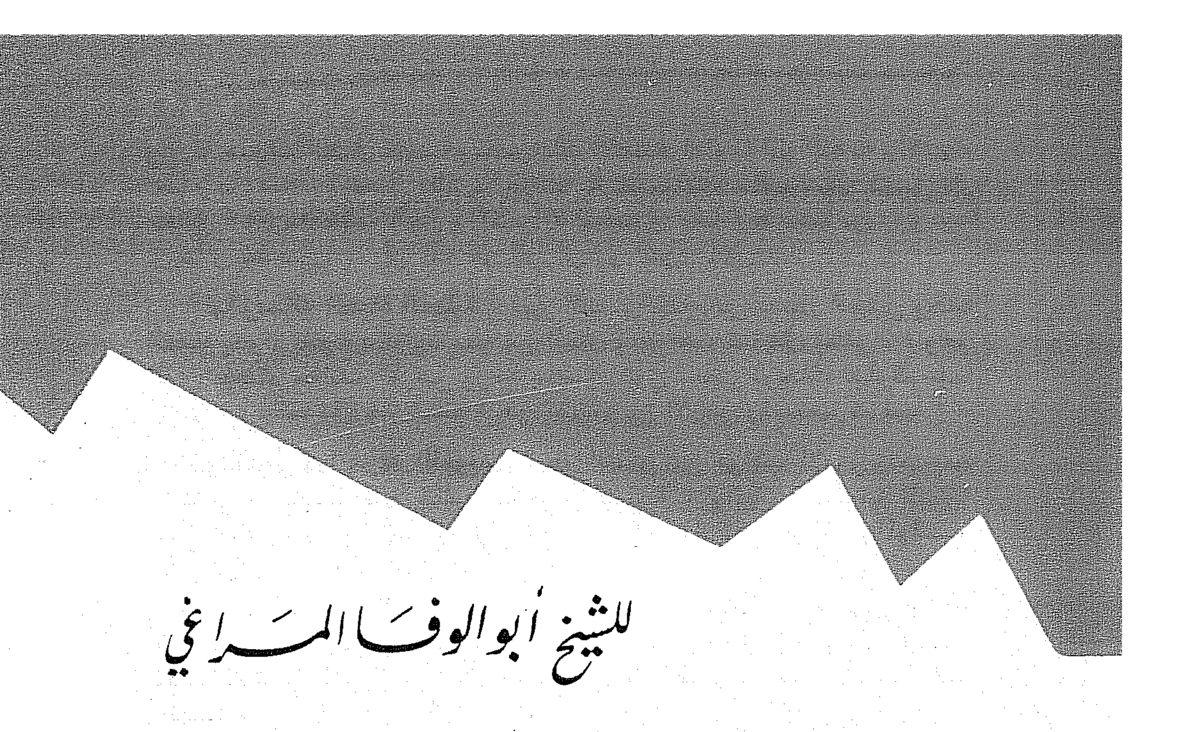
هبه تسمى اسمى وسميت باسمه
فأين له صبرى على معظم الخطب

وأين له بأس كبأسى وشـــدتى
وأين لـــه فى كل فادحـة قلبى ؟



قضية إسقاط التدبير قضية صوفية قديمة شغلت أذهان المتصوفين ، وأخذت من جهودهم وأوقاتهم قسطا وفيرا ، واستغرقت من كتبهم فراغا كبيرا ، وترددادها على الدوام سمة من سمات شيوخ المتصوفين ومريديهم ، أو إن شئت فقل إنها شعار من شعاراتهم ، وهى قضية فكرية ودينية معا تستحق أن تدرس ويكرر فيها القول ، لأنها تتعلق بحياة المسلمين ونشاطهم ومكانهم فى محيط الحياة الزاخرة ، وإسهامهم فى حضارة العالم وازدهاره ، ومن حق أجيال المسلمين أن يكونوا منها على بصيرة ، وأن يستبينوا وجه الصواب .

وقبل أن ندخل فى مناقشتها وبيان آثارها وأخطارها على النحو الذى يفهمه منها كثير من القدامى والمحدثين ، نرى أن نكشف عن بعض الكلمات التى ترتبط بهذا الموضوع ، وهى **العقل ووظيفته ، ورسالة الانسان على الأرض ، والتدبير ، وإسقاط التدبير .**



للشيخ أبو الوفا المراغي

أما العقل : فلم يصل العلم ولا العلماء بعد الى معرفة حقيقته معرفة تسمح بتحديده تحديدا منطقيا جامعا مانعا كما يقولون ، لذا لجأ العلماء الى رسمه بآثاره وخواصه رسوما مختلفة ، غلب على كل رسم منها اصطلاح كل طائفة منهم ، **فعرفه اللغويون** : بأنه ما يكون به التفكير والاستدلال ، وما يتميز به الحسن من القبيح والخير من الشر ، والحق من الباطل ، **وعرفه الفلاسفة** : بأنه القوة المدركة للأشياء على ما هى عليه من حقائق المعنى ، **وعرفه المفسرون** : بأنه الذى يكرم الله به بنى آدم ليهتدوا به الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الأرض ، والتمكن من الصناعات واتساق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع ، واتفقوا على أن العقل هو الذى يتميز به بنو آدم من الحيوان ويتم بناء الانسان ويكمل وجوده ، وخير ما جاء فى تعريف العقل قوله صلى الله عليه وسلم « العقل نور بالقلب يفرق به بين الحق والباطل » .

ووظيفة العقل كما قال الماوردى : هى أن تعرف به حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات ، وهو الذى جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا فأوجب الدين بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه والف بين خلقه ، مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين اغراضهم ، ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين ، قسما وجب بالعقل فوكده الشرع ، وقسما جاز فى العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا .

أما رسالة الانسان فى الأرض : فهى رسالة عقائدية وعملية ، ... **العقائدية** الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه عن الشـ...

وان له صفات الكمال كلهـــا ومظهر ذلك الاعتقاد أداء ما أمر الله به والانتهاء عما زجر عنه ، ويفصل ذلك ما جاءت به الرسالات والرســـل كمـــا قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

أما رسالة الحياة العملية : فهى الجد والكفاح فى سبيل العيش وحفظ الحياة ودوام النوع بما زود بـــه من العقل والمواهب كما قال تعالى : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » ، وكما قال جل شأنه « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

والتدبير كما عرفه اللغويون : هو التفكير فى عواقب الأمور وتصريفها واختيار ما يترجح فيه جانب الخير والمصلحة ، وتهيئة الأسباب الكفيلة ببلوغ الأغراض والمقاصد ، وانجاح الحاجات وازالة الحوائل والموانـــع التى تحول دون هذه الغايات .

وأما إسقاط التدبير : فهو ترك التفكير فى عواقب الأعمـــال وايثار الصالح منها ، وصرف الهمم عن اتخاذ الأسباب للوصول اليها وترك الانسان نفسه للأقدار التى لا يعرفها تتصرف فى مستقبله وهو مستسلم لها راض عنهـــا .

وبعد . فقد اختلفت عبارات المتصوفين عن التدبير وإسقاطه بين التعميم والشمول وبين التقسيم والتفصيل ، ومن عباراتهم الشاملة لاسقاط التدبير فى كل شىء قولهم إن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها فان المؤمن قد علم أنه اذا ترك التدبير مع الله كان له بحسن التدبير منه . ومن عباراتهم أن اهتمامك بأمر نفسك وتدبيرك لها منك جهل بالله بل الأمر كما قال : « وما قدروا الله حق قدره » وأن التدبير والاختيار وباله عظيم وخطره جسيم وذلك أنا نظرنا فوجدنا أن آدم عليه السلام إنما حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه ، ومن عباراتهم روح العبودية وسرها إنما هو ترك الاختيار وعدم منازعة الأقدار ، ومن عباراتهم الخروج عن الارادة هو أفضل العبادة ، وأن التدبير والاختيار أشد الذنوب والأوزار ومـــن عباراتهم التى تناولت إسقاط التدبير بالتفصيل والتقسيم قولهم : إن التدبير على قسمين : تدبير محمود وتدبير مذموم ، فالتدبير المذموم : هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه ، والتدبير المحمود : هو ما كان تدبيرا بما يقربك من الله ، ليس إسقاط التدبير الممدوح ترك الدخول فى أسباب الدنيا والفكرة فى مصالحها لتستعين بذلك على طاعـــة الله تعالى من أجلها وأن يأخذها كيف كان من حلها .

هذه عبارات المتصوفين عن قضية إسقاط التدبير . فما المـــراد من هذه العبارات ؟ وما وجه الصواب فيها ؟

لا شك أن المتصوفين المستنيرين الواقفين عـــلى أسرار الشريعة وحكمها ، وعلى أسرار خلق الانسان وتحميله أمانة خلافة الله فى الأرض وتكليفه استعمارها لا يقرون هـــذا الاطلاق فى العبارات ولا يشترطون ... إن إسقاط التدبير فى الأعمـــال والأقوال ، لأن إسقاط التدبير

إهدار لنعمة العقل الذى كرم الله به بنى آدم وميزهم به عن الحيوان ، إذ أهم وظائف العقل هذا التدبير والتفكير فيما ينفع فى الحياة ويكون سببا الى النجاة ، وهو أيضا إبطال للأعمال واستسقاط لرسالة الانسان ، وتقويض للعمران ، فرسالة الانسان ازدهار العمران وتحقيق الاطمئنان ودفع البغى والعدوان وعمل دائب وتجربة مستمرة ، والعمل والتجربة والاعداد والقوة أساسها النظر والفكر والتدبير والترجيح ، وكل حركة من حركات الانسان وكل عمل من أعماله الاختيارية لا بد أن يكون مصحوبا بفكر وتدبير وإلا كان عشوائيا ان صادف الصواب مرة صادفه الخطأ مرات ومرات وقد أمر الله بالعمل لأنه سبيل العيش الكريم قال تعالى : « فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب . » وقال عز من قائل : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وكان مما أمر به الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من وسائل الرزق ، وكل منها لا بد فيه من التدبير العميق والتفكير المحكم حتى يتحقق الغرض المقصود منه ويقع على الوجه الصحيح ، ومحال أن يطالبنا الله بما لا بد فيه من التدبير ثم يستحب لنا أو يطالبنا باسقاطه وإغفاله ، هذا وان فى ترك التدبير وعدم الاشتغال بالأسباب انصرافا كاملا عن الدنيا . وليس هذا مقصود الشرائع وهو مناف لما ورد فى الأخذ بنصيب منها كما قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

لقد كان أهم ما يبنى عليه أنصار قضية إسقاط التدبير أن فى التدبير منازعة لله فى أحكامه ومضادة له فى نقضه وإبرامه وتدبيره واختياره ، وذلك شىء لا يجوز للمؤمن بل إنه يخل بالايمان وينقضه ، وذلك فى رأينا توجيه غير سديد لأنه ليس فى تدبير العبد منازعة فى تدبير الرب ولا اغتصاب لشىء من إرادته وسلطانه فهو الذى وهبنا حق التدبير والاختيار بما وهبنا من نعمة العقل فما وهبنا العقل الا لننتفع بثمرات التفكير والتدبير فكيف نسقط ما نحن مؤاخذون بـه ومسئولون عنه .

ولما رأى بعض المتصوفة خطأ ذلك الاطلاق حاولوا أن يصححوه ويخصصوه ، وانقسموا فى تصحيحهم فريقين : فريقا رأى أن يقسم الأمور الى قسمين قسم يحمد التدبير فيه وهوالتدبير فيما يقربك إلى الله ، وقسم يذم التدبير فيه وهو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها لا لله قياما بحقه ، وفريقا يرى ذم التدبير ووجوب إسقاطه فيما لله حكم فيه من الأمور لأن التدبير فى ذلك منازعة لله فيما دبره واختاره ، والى ذلك يشير قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ويبيح التدبير فيما وراء ذلك ، وفى ذلك يقول بعض الصوفية إن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الانسان ضيعة، فيكون كلا على الناس فيجهل حكمة الله

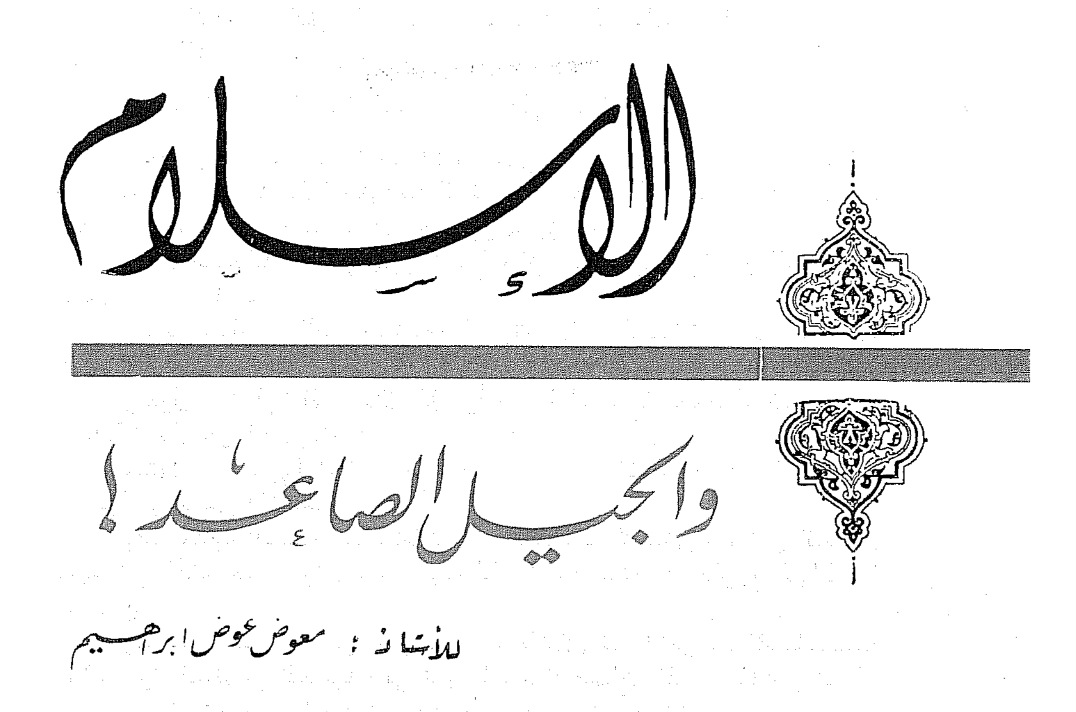
فى إثبات الأسباب وارتباط الوسائط ، وكيف ينكر الدخول فى الأسباب بعد أن جاء قوله تعالى : « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

ولقد قامت رسالات الأنبياء ونجحت ، وقامت دعوات المصلحين ونجحت لحسن التدبير ومن درس سير الأنباء يرى العجب فى حسن التدبير بالالهام مرة وبالاجتهاد مرات يرى كيف دبر ابراهيم عليه السلام لهداية قومه وتزييف معتقداتهم فى الأصنام كما حكى الله عنه إذ قال جل شأنه : « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا مَن فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » ويرى كيف دبر محمد صلى الله عليه وسلم لانجاح دعوته وتبليغ رسالته كيف دبر للهجرة ، وكيف دبر اللقاء الأول والثانى بأهل المدينة بالعقبة ، وكيف دبر بالمؤاخاة بين الأوس والخزرج ، وكيف دبر شئون المسلمين عامة فى حياته حتى تم الأمر واستقرت دولة المسلمين ، ثم كيف دبر أبو بكر وعمر بعده شئون المسلمين حتى خلفوا الامبراطوريات وفاقوها حكمة وعدلا وسلاما وأمنا ، فهل كان هؤلاء على غير الصواب فى أمر التدبير .

إن دعوى إسقاط التدبير فى كل الأمور دعوى منافية للطبيعة والشريعة وكل ما استند إليه أربابها من أدلة فهو موضع النظر ، فالملاحظ فيها بوجه عام أنها تدور كلها حول إسقاط التدبير فيما قرره الله واختاره مما لا يصح الاعتراض عليه والتدبير فى اختيار غيره ، من ذلك استدلالهم بقوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وقوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » وقوله تعالى : « أم للانسان ما تمنى » وبقوله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا » وقوله : « اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير » .

ولا شك أن موضوع الرضا بما حكم الله به وهو ما دارت حوله الأدلة فرض على كل مؤمن ولا يجوز التدبير فيه إلا أنه ليس فى تلك الأدلة ما يوجب على المؤمن ترك التدبير فيما عداه مما تقوم عليه فطرة الانسان وطبيعته وتقوم عليها حياته ومعاشه .

إن دعوى إسقاط التدبير فى كل الأمور والترويج لها دعوى خطيرة الأثر على أجيال المسلمين ربما يتأثر بها بعضهم فتبعثهم على التوانى فيما انتدبوا له من كفاح ونضال فى وقت أصبحت موازين الأمم والأفراد بالعمل الجاد المبنى على التخطيط والتدبير ويكفينا فى اعتبار التدبير نداء الاسلام لنا بالعمل فى عشرات من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .



رعاية الأبناء ، والحرص على تنشئتهم ، منذ نعومة أظفارهم ، تنشئة فاضلة كاملة يكونون بها قرة أعين آبائهم فى هذه الحياة ، وعملا صالحا يرجون أجره عند الله يوم نلقاه ، حقوق أوجبها الاسلام علينا ، وان سواء الفطرة لتدعو اليها وتحث عليها ، فأبناؤنا امتداد لوجـودنا ، ووصل لما ينقطع حين تقضى الينا آجالنا .. حيث نحيا بهم فى أعمارهم مرة أخرى .

ولا يعين على حسن تربية الأبناء شىء أفضل من سلوك الآباء والأهل والمربين ، وما يسمعون من قرناء وأصدقاء ، وما يترسب فى أذهانهم من الكلمة المسموعة والكلمـة المقروءة والكلمـة المرئية المشاهدة فى جرائد ومجلات ، وفى كتب ونشرات ، وسينمات واذاعات وتليفزيونات .. تلك التى يسمونها اليوم وسائل الاعلام ، ونرجو أن تكون وسائل خير واصلاح ، وأن لا يخلو منها مكان لهذه الأخرى التى يلونها الشيطان ، ويؤلف عباراتها ، ويحدد مراميها وغاياتها ، فتعصف بالفضائل التى أرسينا قواعدها بين أعطاف ناشئة عزيزة ، ستصير اليها مواريث الدين والدنيا غدا أو بعد غد ، فتصونها أو تهينها ــ لا قدر الله ــ !!

.. ان رعاية الأبناء والحرص على تنشئتهم تلك التنشئة الفاضلة الكاملة ، أعود بالخير عليهم من المال الـذى يورثه لهم الآبـاء فيبددونه

بحماقتهم فى يوم أو بعض يوم ، ثم يمضون مبعث سخط ونقمة على أصول أهملت الفروع فشبت عوجاء ، وزادت على الايام انحرافا واسفافا « ومن شب على شىء شاب عليه » .

واذا كان الصادق المعصوم ، صلوات الله عليه يقول (الولد سر أبيه) فان الشاعر العربى يقول :

وينشأ ناشىء الفتيان فينا على ما كان عـــوده أبـــوه

ولقد أوجب الله هذا الحق للأبناء ومن يلينا فقال : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجـــارة عليها ملائكة غـــلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) .
وقال سبحانه : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم .. » (٢) .
والنبى صلوات الله وسلامه عليه يقو ل: « ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .
ويقول : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » .
ويقول : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .
واذا كانت الصلاة هنا مثلا لسائر التكاليف الاسلامية ، فان التفريق بينهم فى المضاجع عنوان لسهر ويقظة دائمين حتى لا يقارب الأولاد ما يشـــين ..
وتقليد الصغير للكبير ، والضعيف للقوى فى الأفراد والجماعـــات والأمم من المسلمات البدهية التى قررها علم الاجتماع منذ ابن خلدون العالم المسلم ، واستعلنت بها حكمة الحكماء وشعر الشعراء فقالوا ...

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا فى منابتها النخل !
ولقد فصلت السنة أدب الرســـول فى ختان الأطفال وتسميتهم ، والعقيقة والصدقة عنهم فى اليوم السابع من ولادتهم ، وأنه صلوات الله عليه كان يعجبه الاسم الحسن ، وكان يتفاءل به ، ويسارع الى تغيير ما يدعو منه الى نفرة واشمئزاز ، أو الى اعتساف واسراف فى معانى البر والفضل والكمال ..

روى الامام مسلم بسنده عن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتى برة ، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم ، وسميت برة فقال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : « لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم » . فقالوا : بم نسميها ؟ قال : (سموها زينب) .
وقدم على النبى رجل من المسلمين فسأله : ما اسمك ؟ قال : غاوى أبن ظالم .
هكذا سماه أبواه فى الجاهلية ، وكانت فلسفتهم فى تسمية مواليهم أنهم يختارونها جميلة حسنة متاعا لأنفسهم ، بينما يســـمون أبناءهم على نقيض ذلك ارهابا لعدوهم ..

فقال الرسول للرجل : بل أنت راشد بن عبد الله !

والفرق بين جهل هؤلاء وبين رحمة الرسول وتكريمه للانسان ، هو الفرق بين جاهلية جهلاء ، وبين نور الاسلام ، الذى يتراءى فيه الناس كرماء راشدين ، لا تزرى بهم الأسماء ، ولا تغبر وجوههم التصرفات ..

وروى الامام مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل :

ما اسمك ؟

قال : جمرة !

قال : ابن من ؟

قال : ابن شهاب !

قال : ممـــن ؟

قال : من الحرقة !

قال : أين مسكنك ؟

قال : بحرة النار !

قال : بأيهـــا ؟

قال : بذات لظى !

قال عمر ناظرا بنور الله وفراسة المؤمن : أدرك أهلك فقد احترقوا . فكان كما قال عمر رضى الله عنه !!

.. وفى تاريخ أبى حفص رضوان الله عليه أنه أراد أن يستعمل رجلا ، فسأله :

ما اسمك ؟ قال : سارق بن ظالم .

قال : تسرق أنت ويظلم أبوك ؟ اذهب فلاتلى لنا عملا !

ومن أجل هذاالاغراق والشطط فى التسمية ندب الرسول المسلمين أن يحسنوا أسماء أبنائهم وكناهم . وقال لرجل اسمه زيد الخيل ، سأل الرسول فأحسن السؤال ، بل أنت زيد الخير ...

وأوجب الرسول لزوم الأبناء ، واحسان أدبهم ، واتاحة فرص تعليمهم ذكورا واناثا مع رعاية مايتصل من ذلك بوظيفة الفتى والفتاة فى المجتمع الاسلامى ، وتزويد الجيل الصاعد بما يصون له احتشامه وعفته وفطرته النقية ، وكتاب الله معين لاينضب ،وينبوع ثر لألوان المعارف والعلوم، وهو سياج واق من الغوص فى دراسات ، وتعمق مسائل طالما أثمرت للذين يواجهونها قبل أن يعصمهم الدين — الكفر والالحاد ، والغرور بما يمــلأ أذهان الذين يحسبون أنهم على شىء واهمين !

وتوجيه ناشئتنا الى القرآن — والخير كله فى القرآن — والحرص على ملء قلوبهم به ، وتدريبهم على حسن النظر فيه ، والاستهداء — على كل حال — بأوامره ونواهيه ، يغرس فيهم الشعور بكرامتهم ، والحفاظ على انسانيتهم ، ومواصلة السير على صراط الله الذى التزمه سلف هذه الأمة ، عقيدة نقية ، وعبادات تنتظم الانسان مادة وروحا ، ومكـــارم أخلاق هى ثمرة نفيسة عزيزة للعقيدة والعبادة ، ونظام حياة اعتبرها الاسلام وكتابه أوفى اعتبار ، وانفرد بذلـــك كتاب الله دون ســـائر الكتب الســـماوية والوضعية ، والقرآن الكريم الى ذلك كله فيصل التاريخ الصادق والقصص

الهـادف فى أسلوب كان وسيبقى كلام الناس منه بمنزلتهم هم ممن أنزل القرآن هدى للناس وشفاء لما فى الصدور وتبيان كل شيء !!

قال تعالى « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (٣) .

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وان الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما .. » (٤) .

وتعلم الناشئة لكتاب الله يدعوهم لتعلم السنة المطهرة التى تفصل مجمله ، وتوضح مشكله وتبين للنـاس مانزل اليهم . قال تعالى « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٥) .

« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم .. » (٦) .

والرسول صـلوات الله عليه يقـول : (ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ..) .

ثم تمضى الشبيبة بذلك فى خضم الحياة آخذة من علومها وخبراتها بقدر ما يعملون فى ذلك من عقولهم وبصائرهم التى حاكم الله اليها خلفاءه فى أرضه ، ونظر اليهم من خلال ما يحكمون بها تصرفاتهم وأعمالهم ..

واذا كنا نضع الجيل الصاعد أمام القرآن والسنة وجها لوجه ، فلا بد من تقرير حقيقة لا ريب فيها ، تلك هى أن القرآن الكريم أمرنا ونهانا وحذرنا ووصانا ولفت أنظارنا الى أغوار النفس ، والى ملكوت السموات والأرض وما فيهن ليتعـلم الراشدون من كل شيء أحسن ما فيـه ، ويستخلصوا لأنفسهم وللناس ، فى عصور وأمصار تتتابع ، ما بث الله فى أرضه وسمائه ومخلوقاته جميعا من أسرار وحكم وكنوز فتحت مغـاليق الحياة لأوائلنا وجعلتهم أوعى ما يكونون لمعارف لم تعقهم عن السبق فى كل مجال صالح ، وكانوا وسيبقون المصادر الأولى لكل ما تسعد به البشرية من المبتكرات وكشوف العلم التى يدعيها أقوام فى شرق الدنيا وغربها !!..

وكانوا مضرب الأمثال فى شكر النعم حـين تقبل ، والصبر على الخطوب حين تنوب ، والنهوض بتكاليف العمـل والرضى بنتائجه بعد افراغ الوسع فى طلب الحلال بشريف الوسائل والأعمال ، وفى قول الحق والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم ..

عن الحسن قال : كتب زياد الى الحكم بن عمرو الغفارى ــ وهو على خراسان .

ان أمير المؤمنين كتب الى أن يصطفى له الصفراء والبيضاء ــ الذهب والفضة ــ فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة .

فكتب اليه الحكم : « بلغنى أن أمير المؤمنين كتب أن يصطفى لـه الصفراء والبيضاء ، وانى قد وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وانه والله ، لو أن السموات والأرض كانتا على عبد ثم اتقى الله ، الا جعل الله له مخرجا والسلام » .

ثم قال للناس : أغدوا على مالكم ، فغدوا فقسمه بينهم !

ان كتاب الله جاء الآباء والأبناء قبل أن يجيئهم كتاب أحد ، فما ينبغى أن نقدم بين يدى الله ورسوله ، أو تكون لنا الخيرة بين ذلك وبين ثقافات وواردات معارف لا تتفق مع كتاب الله ، ولا يغنى ما وراء ذلك عن الحق والخير شيئا ...

.. ان الدين الذى يدعو كتابه وسنة نبيه ، الى تنشئة أبنائنا على الرياضة البدنية التى تروى السنة منها أمثلة لكل رياضة بدنية نظيفة عرفتها وتعرفها الحياة الى يوم الدين ، بعد أن نجعل قلوبهم أوعية لكتاب الله وهدايات رسوله ، هو الدين الذى صنع الجيل المثالى الذى عزز رسول الله ونصره ، واتبع النور الذى أنزل معه ، من مثل أسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، وابنى عفراء فى بدر ، وبطل الرماية العربية ابن الأكوع ، وعمير بن أبى وقاص ، وحبيب وعبد الله ولدى زيد بن عاصم ..

قال ابن حجر : شهد زيد بن عاصم بن كعب أحدا ، ومعه زوجته أم عمارة ، وولداه حبيب وعبد الله !!

.. أسرة بكاملها تعمل صفا واحدا ، فى بناء صرح هذا الدين الخالد ، وفى أشرف الميادين !

وفى ظروف الدعة والسلم يأبى الراشدون أن يأخذ الترف والرفاهية أبناءهم من مختلف جهاتهم ، فالترف موبق مهلك للأفراد ، والجماعات والأمم ، وهو فى كتاب الله قرين الكفر والتكذيب باليوم الآخر ، كما هو اثم من أخطر الآثام ، ومدرجة الظلم والاجرام قال تعالى : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » (٧) .

« وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا .. » (٨) .

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » (٩) .

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (١٠) .

« وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم .. » (١١) .

ولقد بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بألف درهم ، فكتب اليه :

« بلغنى أنك اشتريت خاتما بألف درهم ، فبعه بألف درهم ، وأطعم به ألف جائع ، واشتر خاتما بدرهمين واكتب عليه : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

وما نذكر هؤلاء الأبناء والآباء والولاة إزجاء للفراغ . ولا رغبة فى التسلى ، ولكننا نرجو أن تكون هذه النماذج الخيرة تحت أعين الذين يخططون للشباب أخيرا بعد أن يجربوا فيما سموه (منظمات الشباب) برامج ومناهج ، وخلطو الذكور والاناث فى رحلات ومخيمات — كما فعل ناس فى الشرق والغرب — فماذا جنينا من هذا كله غير الضياع والاحساس الصارخ بضرورة عمل للشباب جديد رشيد ...

ورعايتنا للشباب امتداد لحرص أوائلنا الذين ارتادوا لهم مناهج الثقافة المضيئة، والتربية الصالحة ، واستلهموا فى ذلك وصايا الاسلام

وتعاليمه ، فرووا فى أنفس الأبناء شجرة التدين ، وكان الايمان دائما هو الديدبان الحارس ، والصديق الناصح ، والنور الذى يكشف المسالك ، ويثلج صدور الجادين فى دعم جوانب الحياة .

وأمام طوفان الأفكار والمبادىء والمشاهد الوافدة من خارج حدودنا ، والتى يزيف بعضها فينا من يطوون جوانحهم على « مسمار جحا » .. على رواسب ثقافة الاستعمار ، ويحنون الى ما كان لهم فى عهوده ، التى ذهبت ولن تعود ان شاء الله ، من مكانة واعتبار ، نقف نحن ويقف الشباب ، فيعصمنا من مزالق ما نواجه ونرى ونسمع ، طول تمرس بالحياة ، وفضل علم بالسموم التى تخالط مايبدو من سمن ودسم .

ورجال الغد رصيد ضخم لأمتنا ، يجب أن نخطط ليومه وغده ، ونحرص أن تلتقى جهود العاملين فى سبيله على أساس من التخطيط الهادف ، والا ضل سعى العاملين وخابت فى الشباب الآمال ..

متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ..

ولكم يسوءنى وأنا أسمع اذاعاتنا العربية أن بعض المسئولين عن برامج وأركان من الرجال والنساء يوجهون الى الذكور والاناث أسئلة كلها دس ومكر وخبث وتحريض على الاندفاع فى تيارات التحلل من قيود الأخلاق وفضائل النفس ، ويعيبون على الفتاة المتحفظة تحفظها ، وعلى الشاب الملتزم لآداب دينه هذا الذى يسمونه التزمت والجمود والرجعية وعدم الانفتاح على الحياة ظالمين .. ولا رقيب على أصحاب هذه البرامج ولا محاسب على ما يفعلون !

. . . .

أما بعد .. فان تبعة الفوضى الخلقية التى يخر فيها الى الأذقان جم من الشباب غفير ، لا يسأل عنها رجال الدين وحدهم ، ولكن تسأل عنها أجهزة الاعلام التى تغلب بكل ما أوتيت من امكانيات على ما يؤديه الدعاة الصادقون من خالص التوجيه وصادق النصح ، وولاة الأمور مسئولون أن ينصفوا البناة من الهادمين قبل أن تنفذ الى قلوب شباب اليوم — رجال الغد — معانى السوء ممن لم يخرجهم الاسلام فى المحاريب وحلق العالم ، وميادين الجهاد ومجالات العمل الجاد .

« وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

---

(١) **التحريم** : ٦ .
(٢) **الطور** : ٢١ .
(٣) **الاسراء** : ٨٢ .
(٤) **الاسراء** : ٩ و ١٠ .
(٥) **النساء** : ١٠٥ .
(٦) **النساء** : ١١٣ .
(٧) **هود** : ١١٦ .
(٨) **المؤمنون** : ٣٣ .
(٩) **سبأ** : ٣٤ و ٣٥ .
(١٠) **الزخرف** : ٢٣ .
(١١) **الواقعة** : ٤١ وما بعدها .



علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب فى بحوثهم العلمية الحديثة لكنهم

لم يتطرقوا فى الاستنتاج !

عبد الرحمن بن خلدون هو عالم عربي مسلم ولد فى المغرب سنة ٧٣٢ هـ سمى بابن خلدون نسبة الى جده التاسع خالد بن عثمان ، بدأ ابن خلدون أولى مراحل نشأته الثقافية بقراءة أهم كتب الحديث والسير والفقه والأدب والتاريخ . واكتسب الى جانب ثقافته الادبية والعلمية تجارب ثمينة كان لها فضل كبير فى تكوين شخصيته الفكرية ، اذ كان عصره من العصور المضطربة ذات التغير السريع فى الاوضاع فزامل كثيرا من الحكام ، وتنقل بين دول متعددة مما أكسبه ذلك عقلية واقعية تفهمت أوضاع المجتمعات المختلفة . وكانت شخصيته العلمية جامعة ، حتى قيل إنه يعرف جميع علوم عصره بدون استثناء وتجلت موهبته فى علم الاجتماع حتى قيل إنه مؤسسه . وأوضح سنن التاريخ حتى قال عنه توينبى ((إن ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وانشأ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أى عقل فى أى زمان ومكان .)) (١) ولقبه آخرون بأنه أبو الاقتصاد لما فى مقدمته من أبحاث اقتصادية عميقة كان الاقتصاديون الجدد يتصورون أنها من بنات أفكارهم .

للأستاذ — قيس القرطاس —

ابن خلـدون وتقسيمـه البديع للعوالم : ـ
ونظـرا لأن ابـن خلـدون قد حاز على قصب السبق فى هـذه المجالات المتعـددة فليس غريبا أن يشير البعض الى ان مقـدمته قـد تطرقت الى نظرية حديثة أحدثت أكبر ضجة لم تستطع اثارتها أية نظرية أخرى . فماذا قال ابن خلـدون فى مقدمته ، حتى جعل الباحثون يؤكدون هـذا المعنى فى أبحاثهم . قال ابن خلدون « اننا نشاهد العالمبمافيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام ، وربط الاسباب بالمسببات، واتصال الأكوان واستحالـة بعض الموجودات الى بعض ، وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى وأولا عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدا من الأرض الى الماء ، ثم الى الهواء ، ثم الى النار متصلا بعضها ببعض ، ويستحيل بعض الأوقات الصاعد منها ألطف مما قبله الى ينتهى الـى عالم الأملاك وهو ألطف مـن الكل . وكل واحد منها مستعد لان يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا .

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعـة من التدريج وآخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد فيه الا قوة اللمس فقط . ومعنى الاتصال فى هذه المكونات ، ان آخر كل أفق منها مستعد بالاستعداد الفطرى لأن يصير أول أفق الـذى بعده .

واتسع عـالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القردة الذى اجتمع فى الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده . » (٢) وقد وردت عبـارات مشابهـة لعبارة ابن خلدون ذكرها الفارابى فى المدينة الفاضلة والقزوينى فى عجائب المخلوقات وابن مسكويه فى الفوز الأصغر واخوان الصـفا فى رسائلهم .

رأى الاستاذ درابر : ـ ولو دقق أى باحث فى هذه الأقوال وأمثالها ، لظن أنها صادرة من أحد علماء القرن العشرين ، لما فيها من دقة فى التعبير وانسجام مع المعلومات العصريـة الحديثة . ولقد أذهلت هذه الأقـوال بعض العلماء الغربيين ، فأعلن درابر الاستاذ بجامعة نيويورك بعد حديثه عن المنهج التجـريبى عند علماء المسلمين فقال « لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنهمن نتائج العلم فى هذا العصر ، ومن ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا كان يدرس فى مدارسهم ، وقد ذهبوا فيه الى أبعد مما وصلنا اليـه وذلك بتطبيقه على الجوامد والمعادن . »

رأى مستشرق فرنسى :ـ واذا كان الاستاذ درابر قـد أشار اشارة عامة الى علماء المسـلمين بـدون تخصيص ، فان البروفسور فنساى مونتاى مدير معهـد افريقيا وأستاذ اللغـة العربية والحضارة الاسلامية فى جامعة باريس قد أعلن أن نظـرية أصول الاحياء التى تعرف باسم نظرية داروين كانت قد وضعت لأول مـرة من قبل ابن خلدون . وقال ان ابن خلدون كان قد تحقق مـن علاقات الانسان قبل داروين بوقت طويل فانه كان رائد علم الاجتمـاع والتاريخ ، وتناول فى بحثه جميعنواحى الحضارة وموقع الانسان فى الكون (٣) .

آراء الكتاب المعاصرين :ـ ولما كان اعتراف الخصم يشكل شهادة لا

تمارى فى غالب الأحوال لذلك اعتبر الكتاب المعاصرون هذه الشهادة اعترافا بأصالة وعراقة الحضارة الاسلامية ورقى العلم فيها وذلك حق من ناحية العموم ، الا أن الجزئيات الواردة فى شهادته ليست صحيحة تماما . وقد اهتم الكتاب المعاصرون بجمع الأقوال الصادرة من علماء المسلمين والمشابهة لأقوال أنصار التطور ، وأشهر هؤلاء الكتاب الاستاذ العقاد فانه قد خصص لها فصلا خاصا فى أحد كتبه (٤) . أما الدكتور على عبد الواحد وافى فقد ذكر أقوال ابن خلدون وعلق عليها بما يؤكد أن ابن خلدون سبق داروين فى نظريته هذه (٥) . وقد وقف الاستاذ ساطع الحصرى عند هذه النقطة بالذات وبين أن الطبعات الشرقية قد وقعت فى خطأ فحرفت كلمة عالم القردة الى عالم القدرة (٦) ، وأن التحريف المذكور قد مسخ معنى الجملة وبعد بها عن معنى التطور وقد أكد الاستاذ عمر فروخ أن أول من نبه الى هذا الخطأ كان الاستاذ ساطع الحصرى (٧) ..

آراء أخرى : — ان الذى لا شك فيه أن ابن خلدون قد اثبت فى عبارته المدهشة هذه أساس علم التصنيف الحديث . ومن المعلوم أن أنصار التطور يعتبرون التصنيف دليلا على صحة نظرية التطور فليس من الغريب أن يعتبروا ابن خلدون من أنصارهم . ولعل تقسيم ابن خلدون للعوالم ادق من التقسيمات الحديثة التى تقسم الكائنات الى مملكتين ، المملكة النباتية والمملكة الحيوانية التى تضم الانسان والحيوان . أما ابن خلدون فيعزل عالم الحيوان من عالم الانسان وكأنه يقول انهما عالمان مختلفان . وعلى هذا الاساس لا نعتقد أن ابن خلدون قد أراد من عبارته هذه أن الأرض تتحول الى ماء والماء يتحول الى هواء والهواء يتحول الى نار ، أو أن المعدن يتحول الى نبات والنبات يتحول الى حيوان والحيوان الى انسان . وأود أن ألفت النظر الى أن أنصار التطور يركزون على هذا المعنى الأخير ألا وهو تحويل الحيوان الى انسان . وهذا المعنى مستبعد صدوره عن ابن خلدون لأنه يتناقض تناقضا واضحا مع عبارة صريحة أوردها فى تاريخه الذى يشكل مع المقدمة كتابا واحدا فى حقيقة الأمر . فقد قال عند حديثه عن مبدأ البشرية « ان النسابين كلهم اتفقوا على أن الأب الأول للخليقة آدم عليه السلام كما وقع فى التنزيل ، الا ما يذكره ضعفاء الاخباريين من أن الجن والطم كانتا فيما زعموا قبل آدم وهو ضعيف متروك . وليس لدينا من أخبار آدم وذريته الا ما وقع فى المصحف الكريم وهو معروف بين الائمة . » (٨) ومن الجدير بالذكر أن الاستاذ شكيب أرسلان قد أورد ردودا حاسمة على نظرية داروين ، فى تعليقاته على التاريخ المذكور فقال « ومن اشتهر فى الرد على مذهب داروين الانجليزى ولامارك الفرنسى فى النشوء والارتقاء ، الأستاذ فيالتون المدرس فى جامعة مونبلييه والاستاذ موريس توماس البلجيكى وغيرهما ممن يقولون إن مذهب لامارك وداروين مناقضان للعلم .. وكان الكيمياوى الفرنساوى برتلو وهو من أشهر علماء الطبيعة ينعت مذهب داروين بقوله قصة داروين الخيالية وقصيدة لامارك الفكرية . »(٩) وليس من المعقول أن يكلف الاستاذ شكيب أرسلان نفسه بالرد على نظرية يؤمن بها ابن خلدون فى تعليقاته على التاريخ المذكور بدون أن يشير الى ذلك وهو خير من أوقف نفسه لدراسة وفهم آثار ابن خلدون .

المعنى الحقيقى لهذه الاقوال : — فما معنى أقوال ابن خلدون اذن ؟ وما هى النظرة العلمية لعلماء المسلمين

فى هذا الموضوع ؟ ان الأديب غالبا ما يتكلم بلغة العصر الذى يعيش فيه وكثيرا ما يقع الباحث المعاصر فى خطأ عند محاولته فهم أقوال العلماء الذين عاشوا فى غير عصره بعقلية الزمن الذى يعيش فيه الباحث الحديث . فلا أدرى كيف تم تفسير أقوال ابن خلدون بما يتفق وعقلية العصر الحديث المسمى بعصر التطور وكيف يستقيم ذلك وابن خلدون قد بين بوضوح أن أبا البشرية هو آدم . وهذه العقيدة تختلف اختلافا أساسيا مع رأى التطوريين الذين يقولون إن الانسان متسلسل من حيوان . نعم انه كان يرى أن المخلوقات على هيئة من التدرج كدرجات السلم . وان أصناف الحيوانات المختلفة تشغل قسما من درجات هذا السلم ، الراقية منها تجلس على أعلى درجات هذا القسم ، أما الحيوانات البسيطة فتجلس على أسفلها . وبالمثل النبات يحتل آخر درجات هذا السلم . أما الانسان فهو يجلس على القمة العليا لهذا السلم ، وبينه وبين أرقى الحيوان تفاوت بعيد وهائل . وان كان الحيوان أقرب اليه من النبات والحيوان الراقى أقرب اليه من الحيوان البسيط ، ولكن بين هذا المعنى الذى أراده ابن خلدون والمعنى الذى يريده أنصار التطور مفاوز شاسعة . ومن أجل ذلك نرجح الرأى السديد الذى يقول إن « مذهب النشوء والارتقاء كما قرره دارون وولاس شىء آخر غير ما قرره المسلمون فى بحثهم العلمى المؤمن البرىء من لوثة الهروب من الكنيسة وإله الكنيسة فى العالم الغربى . وقد لاحظ علماء المسلمين التدرج بين مراتب الخلائق وبدأوا من صفات المادة الجامدة ، ورأوا أنها تنتهى عند أول مراتب الحياة النباتية ثم تترقى هذه الحياة ولكنهم ردوا كل ذلك الى تقدير وفاعلية الله . أما دارون فقد حرص على نفى تدخل أى عنصر غيبى فى النشوء والارتقاء كذلك لم تتطرق الى بحوث المسلمين لوثة تحقير الانسان وتجريده من كل عنصر روحى ورده الى أصل حيوانى فالنظرية الاسلامية صحيحة فى أن الانسان خلق مستقلا . وان كان يجلس على قمة مراتب الكائنات الحية من حيث تكوينه العضوى واستعداده العقلى والروحى . ولكنه كان هكذا لأن الله سبحانه أنشأه ابتداء كما أنشأ سائر الخلائق فى مراتبها التى وجدت عليها . فهناك فارق كبير فى أصل النظرة مع سبق المسلمين فى البحث العلمى . » ولهذا نميل الى هذا الرأى لأنه أقرب الى روح العصر الذى عاش فيه ابن خلدون ولا يتناقض مع أقواله الصريحة فى مبدأ الخليقة .

---

١ — دراسات فى مقدمة ابن خلدون « ٢٦٠ — ٣٠١ » سنة ١٩٦١ ساطع الحصرى.

٢ — مقدمة ابن خلدون . « ص ٩٦ » — القاهرة طبعة مصطفى محمد — عبد الرحمن ابن خلدون .

٣ — مجلة المكتبة العدد (٦٥) أ ب ١٩٦٨ « ص ٦٠ » (مكتبة المثنى فى العراق .

٤ — الانسان فى القرآن الكريم « كتاب الهلال رقم ١٢٦ » (ص ١٠٣ — ١١٤) عباس محمود العقاد .

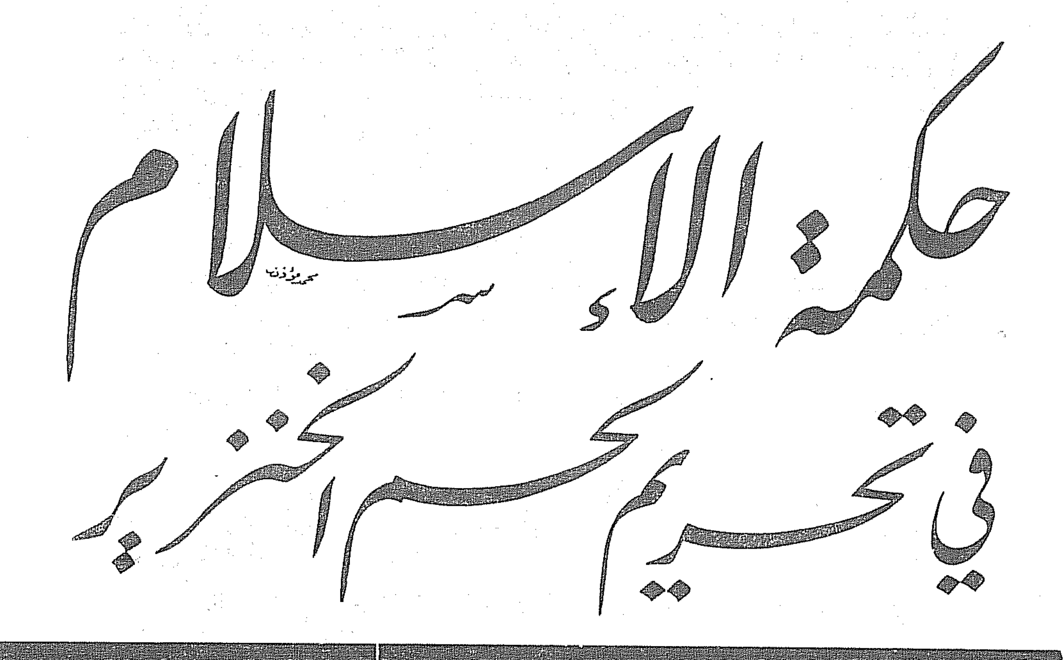
٥ — عبد الرحمن بن خلدون « سلسلة أعلام العرب رقم (٤)) « صحيفة ٣٢٠ » — الدكتور على عبد الواحد وافى .

٦ — دراسات فى مقدمة ابن خلدون « ٢٦٠ — ٣٠١ سنة ١٩٦١ ساطع الحصرى .

٧ — تاريخ العلوم عند العرب « دار العلم للملايين » « صحيفة ٢٦٤ » عمر فروخ .

٨ — تاريخ ابن خلدون « محمد المهدى الجبارى » « الجزء أ / صحيفة ٤ — ٥ » عبد الرحمن بن خلدون .

٩ — تعليقات الامير شكيب على التاريخ « صحيفة ٣٨ — ٣٩ » المجلد الاول الامير شكيب أرسلان .



للدكتور أحمد شوقي الفنجري

كثيرا جدا ما يتعرض أى انسان مسلم وخصوصا اذا كان يزور بلدا أجنبيا فى أوروبا أو أمريكا أو حتى آسيا الى سؤال هام حول الحكمة فى أن الاسلام قد حرم لحم الخنزير .

وفى أغلب الأحيان يبادر المسلم الى الرد دفاعا عن دينه بقوله : ان الخنزير حيوان نجس وكريه المنظر وقذر ، ولهذا حرم على المسلمين أكله ، ولكن العقلية الأوروبية لا يقنعها الحديث العاطفى ، ولا الكلام النظرى ، بل تقتنع بالحقائق العلمية وبالمنطق المدروس ..

وقد تعرفت فى احد رحلاتى بعالم فرنسى متخصص فى دراسة الأديان ، ودعانى الصديق الفرنسى الى الطعام فى أحد المطاعم ، فما ان جلسنا معا حتى بادرنى بالاعتذار فى أدب فرنسى قائلا : هل يضايقك لو أننى طلبت لحم خنزير فى طعامى ؟
قلت : عندنا مثل عربى يقول : « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » . فاستطرد الصديق الفرنسى قائلا : أرجو أن تعذرنى اذا قلت لك

يا دكتور ان رأيى الشخصى فى لحم الخنزير أنــه من ألذ اللحــوم وأحلاها طعما .. وقد درست الأديان جميعا ولى كتب ومؤلفات عنها .. فالبوذية مثلا تحرم لحم البقر كنوع من العبادة ، ولكن الأمر الذى يحيرنى حقا ولم أجد له جوابا مقنعا من أى مسلم مثقف ، هو أن الاسلام برغم أنه دين منطقى ومعقول فهو يحرم لحم الخنزير ، فهل هناك فى عملك كطبيب ما يثبت أن لحم الخنزير ضار بالصحة مثلا .. ؟

قلت : نعم أنا مستعد أن اقنعك طبيا .. ولكن أرجو أن لا تفسد هذه المناقشة شهيتك للأكل . فقال : لا تخف على شهيتى أبدا فأنا منذ ولدت آكل لحم الخنزير ولن يتغير رأيى فيه الا بالحقائق العلمية وحدها . ويكون ذلك حقا معجزة .

قلت : ان هناك على الأقل ثلاثة أسباب طبية وعلمية تجعــل لحم الخنزير محرما على الانسانية كلها لا على المسلمين وحدهم .

أولا : « انك تعرف من دراستك العملية أن هناك نوعا من الطفيليات اسمه الدودة الوحيدة أو الشريطية أو الــ Taenia تصيب الانسان عن طريق أكله لحوم الحيوانات .

فقال : نعم ومن المعلوم أنها تصيب الانسان عن طريق لحم البقر أو الغنم وليس لحم الخنزير وحده .

قلت : مهلا ولا تتعجل ، هل تعرف الفارق بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى كالبقر والأغنام ؟ هناك فارق كبير .. فدودة الخنزير اســمها العلمــى Taenia Solium وذلــك لتمييزهــا عن دودة الحيوانات الأخرى المسماة Taenia Saginata وليس المهم فى الفرق ، هو المنظر والحجم والأوصاف العلمية ، ولكن الفرق بينهما فى مقدار الضرر بالانسان ، والخطر على حياته ، فدودة الغنم تصل الى الأمعاء وتعيش فيها وتحدث أعراضا طفيفة ، ويمكن التخلص منها ببعض الأدوية . أما دودة الخنزير فانها لا تكتفى بالحياة فى الأمعاء ، ولكنها غالبا ما تتجه الى الأعضاء الحيوية فى الجسم كالمخ والعين والقلب والرئة والكبد ، وتكون هنــاك حوصلة فى حجم حبة الفول أو أكبر .

فاذا كانت فى المخ أحدثت الجنون ، أو الشلل واضطراب الشخصية ، واذا وصلت الى العين أصابتها بالعمى ، واذا وصلت جدار القلب أحدثت هبوطا فى القلب أو ذبحة قلبية ، وفى بعض البلاد الموبوءة بهذه الدودة ، مثل أمريكا اللاتينية ، اذا ظهر على أى شخص أعراض الجنون أو التشنج أو العمى أو الموت المفاجىء يعرفون فى الحال أنه قد أصيب بدودة الخنزير وفى غير المناطق الموبوءة قد يكون تشخيص الحالة مستحيلا ، وغالبا يموت الشخص دون أن يعرف سبب وفاته ، كما أن العلاج قد يكون مســتحيلا وذلك لأن الحوصلة لها جدار سميك لا تستطيع الأدوية بالفم التأثير عليه .. وهذا فى علمى أحد الأسرار التى جعلت الاسلام يحرم لحم الخنزير .

فأطرق الصديق الفرنسى فى تأمل وتفكير وقال : ــ
هذا وحده سبب كاف وحجة مقنعة .

قلت : وهناك سبب آخر لا يقل عن هذا أهمية .. ولكى اقنعك به أسألك أولا لم لا يأكل الانسان لحم القطط والكلاب والذئاب والثعالب ، وربما كان لحمها لذيذا مثل لحم الغنم .. وما هو شعورك لو قلت لك مثلا وأنت تهم بأكل لحم انه ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب مثلا ؟

فقال : أصاب بالغثيان والقيء .

قلت : لماذا .. ؟ هل تعرف السبب العلمى وراء ذلك بصرف النظر عن الأسباب العاطفية والانسانية التى اتفقنا فى أول حديثنا على تجاهلها ..

قال : لا أعلم .

قلت : المعروف علميا أن الحيوانات تنقسم الى قسمين : —

قسم يسمى آكلات الأعشاب Hanbivona مثل الغزال والجمل والأرنب والغنم .

وقسم يسمى آكلات اللحوم Cannivona مثل الأسد والذئب والثعلب والكلب والقط .

ومنذ خلق الله البشر حتى اليوم ، أى حتى فى العصور المختلفة التى كان الانسان فيها أقرب الى الحيوان ، لم يحاول الانسان أن يأكل لحوم الحيوانات آكلات اللحوم الا فيما ندر ، وفى الظروف الشاذة ، أو فى بعض القبائل المتخلفة جدا ..

وفى علمى أنه لم تحدث أبحاث علمية لاكتشاف السر فى هذه الحقيقة الانسانية ومعرفة أسبابها ، ولكن هناك ملحوظات لا يمكن اغفالها .

١ — ان الحيوانات آكلة اللحوم تكون أكثر ذكاء ووعيا ، وربما كانت تفهم معنى الذبح والأكل ، كما يفهمه البشر ، فأنت لا تستطيع أن تأكل كلبك ، لأنه يحس ويدرك ويتألم مثلك وله مشاعر كمشاعرك .

٢ — الملاحظ على القبائل المختلفة التى تأكل آكلات اللحوم أنها تصاب بنوع من الشراسة والميل الى العنف ، والقتل بدون سبب الا الرغبة فى سفك الدماء ، بل ان أكثرها فعلا يأكل لحم البشر .

٣ — وهناك رأى آخر يحسن بى أن لا أغفله وان كنت غير متأكد من صحته ، وهو أن أكل هذا النوع من اللحوم يسبب فى الانسان نوعا من الميل الى الفوضى الجنسية ، بمعنى أن علاقاته الجنسية يغلب عليها الفوضى والبدائية وعدم المبالاة لموضوعات العرض والشرف ، وانعدام الغيرة على النساء .

فاذا جئنا الآن الى موضوع حديثنا وهو الخنزير لوجدنا انه يعتبر علميا مرحلة بين آكلات اللحوم ، وآكلات الأعشاب ، وحتى تركيب جسمه وكبده وأسنانه تجعله ينتمى الى آكلات اللحوم أكثر من آكلات العشب . وأسوأ ما فيه أنه لا يأكل اللحم الطازج العادى ، ولكنه يأكل اللحم المتعفن ، أى الرمم وبقايا الحيوانات الأخرى مثل ابن آوى .

حقيقة انكم فى أوروبا تضعونه فى حظائر نظيفة لا يصل الى مستوى المعيشة فيها بعض البشر ، ولكن الخنزير برغم هذه النظافة قد يأكل براز الحيوانات الأخرى التى معه ، أو برازه . .أو أى فأر ميت يجده فى طريقه .

والآن يا صديقى العزيز ، اذا حاولنا تطبيق هذه الحقائق على الرجل الشرقى الذى لا يأكل لحم الخنزير ، وعلى الرجل الغربى وبدون أى شعور بالحساسية من هذه المقارنة لوجدنا أن هذه الفروق تنطبق على الاثنين تماما ، فالغربى أكثر ميلا الى العنف والحرب من الشرقى الذى اشتهر بالوداعة وحب السلام . والشرقى أكثر غيرة على النساء ، ومحافظة على التقاليد من الغربى ، فهل ياترى قنعت بالسبب الثانى ؟

فتبسم صديقى وقال — نعم فما هى حجتك الثالثة ؟

قلت : من المعروف لدى الأطباء الباطنيين عامة أن لحوم الحيوانات تنقسم من ناحية سهولة الهضم والامتصاص ، ومن ناحية التأثير الصحى على الكبد الى نوع ثقيل ، وآخر خفيف وذلك بالنسبة الى كمية الدهنيات التى تحتويها ..

والطبيب اذا جاءه مريض بعسر الهضم ، أو مرض الكبد ، فانه ينصحه بعدم أكل الدهنيات واللحوم المدهنة محافظة على صحته ، ومن المعروف أن لحم الخنزير أكثر اللحوم دهنا ، ثم يأتى بعده لحم الغنم ثم لحم البقر الذى يعتبر أقلهم فى نسبة الدهن .

وهذا سبب ثالث من الناحية الطبية والعلمية فقط لتحريم الاسلام لحم الخنزير ، وربما كانت هناك أسباب أخرى دينية ، أو فلسفية ، وهذه يسأل فيها أهل الاختصاص .

ولعلك اقتنعت . قال : صديقى الفرنسى وهو يزيح صحن لحم الخنزير من أمامه :

لقد أفلحت حقا فى اقناعى وتلك معجزة .

قلت : المعجزة لله وحده الذى نهانا عن لحم الخنزير قبل أن يكتشف العلم الحديث ضرره بأربعة عشر قرنا من الزمان ..



الوسيط
فى احكام التركات والمواريث

الأستاذ زكريا البرى فقيه معاصر ، عمل فى الفتوى والتدريس ، وشغل عدة مناصب ، فهو أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ورئيس قسم الشريعة بجامعة الكويت ، وقد صدر له هذا الكتاب الذى ضمنه خلاصة وافية فى أحكام التركات والمواريث كما جاءت فى الفقه الاسلامى بمذاهبه المتعددة ، وكما هو المعمول بــه بمقتضى النصوص القانونية .
وقد ربط فى هذا الكتاب بين الأحكام وأدلتها الشرعية ومواردها القانونية بعد أن وقف على المواطن التى يكثر السؤال عنها والخطأ والاشتباه فيها ، والتى تحتاج الى مزيد من البيان والتوضيح وتحرر المــراد . ويقع الكتاب فــى ٣٢٠ صفحة ، والناشر دار النهضة العربية بالقاهرة .

.. مدى حرية الزوجين فى الطلاق ..

كتاب يقع فى جزءين كبيرين ـــ ١١٠٠ صفحة ـــ من تأليف الـدكتور عبد الرحمن الصابونى عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق .. وهو أول رسالــة منحتها جامعة القاهرة لخريجى معهد الشريعة الاسلامية للدراسات العليا .. نال بها المؤلف درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى . والكتاب كمــا قال عنه الدكتور مصطفى السباعى : أول كتاب أفاض فى موضوع الطلاق بحيث يعتبر مرجعا فى هذا الموضوع ، واعتمد المؤلف مبدأ : الأصل فى الطلاق والخطر . وبذلك اختار من كل مذهب ما يؤدى الى تضييق نطاق الطــلاق ، وعالج بعض الآراء الخاطئة حول الزواج ... وادعاءها أنه سبب فى انتشار تشرد الأطفال ، وكانت مناقشته هادئة ومعتمدة على العقل والاحصاءات الرسمية ...
ويحاول المؤلف بكتابه هذا أن يوحد بين قوانين الأحوال الشخصية فى البلاد العربية ، وفى أكثر من موضع عقد المؤلف مقارنة بين أحكام الشريعة الاسلامية فى الطلاق وبين ما ورد فى القوانين الأجنبية .. وابان عن موضوعية الاسلام .. ومعالجته للواقع .. وبناء أحكامه عليه . والكتاب من طبع دار الهاشم ـــ بيروت .. والناشر دار الفكــر .



خطران فى وجه الشباب لا بد من مواجهتهما مواجهة حاسمة ووضع الكلمة الأخيرة فيهما : هما :

أولا) تلك الحملة الضارة التى تقودها فى الخفاء قوى الاستعمار العالمى واجهزته المنبثة فى كثير من مجالات الصحافة العالمية والاخـــراج المسرحى والسينمائى والتعليم وتقوم بها مؤسسات التبشير والاستشراق والغزو الثقافى ، تلك هى القول بان « الجيل الجديد لا يقبل التوجيه من الجيل القديم وانه جيل بلا اساتذة ، وانه مطلق الحرية فى اختيار طريقه دون وصاية من أحد » .

وتحمل هذه الدعوى بعض مظاهر الحق لتقصير الآباء والأساتذة وفسادهما من حيث القدوة والمثل الأعلى ولكنها تضمر ذلك التوجيه الخفى الموجه الى كراهية الآباء والاساتذة والجيل القائم اليوم فى مجال الثقافة والتربية والتعليم وكراهية التراث القديم كله ، والانفصال عن المجتمعات فى تطورها ، وعن الامـــة فى خطوها ، وعن القيم الاساسية التى عرفها العرب والمسلمون والتى هى سنادهم

القوى فى وجه حملات الغزو الخارجى التى لم تتوقف خـــلال تاريخهم كله .
ان من حق الشباب أن يكون له ذاتيته الخاصة وان يتاح له عن طريق كل المتعاملين معـــه فى الأسرة والمدرسة والبيئة افساح الطريق لتكوين طابعـــه المستقل الذى هو طابع الامة فى مستقبلها .
ولكن السؤال هو : مم تتكون هـــذه الذاتية التى ستحمل لواء قيادة هذه الامة فى المرحلة القادمة . أليست تتكون من هـــذا الواقع الذى نعيشه ، ثم تصبح امتدادا له ، اذن فلا سبيل لها لان تنفصل عنه ، وانما هى تبدأ منه أساسا ثم تنمو فتجدده لتضيف فى الجيل القادم لبنة فى البناء ، اذن فليس هناك حركـــة فى فراغ ، وليس فى وسع الشباب أن ينفصل عن أمته ومجتمعه وعن الجيـــل المعاصر لـــه ..
وليس من مصلحته مطلقا ان يكون بغير اساتذة ، الا اذا كان قـــد استطاع ان يشكل نفسه على نحو أكثر اتصالا بقيم هـــذه الامة ومما يجده فى جيله وذلك استمدادا من المثل العليا المتقدمة فى تاريخه ومن بطولات الاعـــلام السابقين فى مجال الفكر والقيادة .
أما اذا كانت هـــذه الصيحة تحاول ان تخرجه عن القيم والمقـــدرات الاجتماعية والدينية والاخلاقية لتدفعه الى الانطلاق نحو مظاهر الحضارة ، فان صاحب هـــذا القول هو عدو مبين ، والدعاة الى هذه الحرية لا يريدون الخير بهذا الشباب لانهم يدفعونه الى تحطيم ذاته ، وتدمير نفسه ، بالاندفاع كراهية

منعه من خبرة الأجيال وإنكار المسؤولية والجزاء

للأستاذ أنور الجندي

عضو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة

أو هربا من محاولة وهمية يطلق عليها اسم وصاية الآباء أو الجيل القائم ، أو توجيهه .
ومن الحق ان الامر ليس فيه وصاية او توجيه على النحو الذى يحول دون حرية الحركة للشباب ، بل هى مرافقة النبت الصغير حتى ينمو ، وحمايته من العطب ، وتسديد خطاه فى وقت تقصر فيه العيون عن النظر البعيد كما تقصر العقول عن الاستيعاب الواسع .

ومن حق الشباب ان ينتفع بكل ما فى طريقه من خبرة وتجربة سابقة حتى لا يقع فى نفس الاخطاء التى وقع فيها من جاءوا قبله وحتى يبنى نفسه على نحو أكثر قوة وحيوية ، ولذلك فان الشباب الصاعد الطامح هو الذى يجب ان يسعى للبحث عن تجارب السابقين ، سواء فى مجال الحياة الاجتماعية أو فى أمور التاريخ والحضارة لانه لن يستطيع ان ينظر فى الواقع القائم الا اذا كان قد الم بالمراحل السابقة : والتجارب الماضية باخطائها وانتصاراتها ولن يستطيع ان يبنى لبنة واحدة الا اذا عرف الى أى حد وصل البناء ، وتجارب الامم هى زاد الأجيال المؤهلة لتولى زمام الامور فى بلادها ، فاذا انفصلت أجيال الشباب الجديد عن هذه التجارب فقد فاتها الكثير وقصر أمامها الطريق وضاق .

ثانيا) تلك الاخطار الوثنية الفلسفية التى تروجها بعض المذاهب الفلسفية والتى تحاول القول بان الحياة الدنيا التى نعيشها هى الحياة وانه ليس وراءها حياة أخرى ، ومن هنا فان على الانسان ان يأخذ حظه من كل متعة ولذة ، دون ان يعمل حسابا لاى شيء آخر ..

وليس فى هذه الفكرة من حق يقال به ، ولكنها دعوة لا يقرها العقل قبل ان ترفضها الاديان وتنكرها القيم الانسانية التى عرفها العرب والمسلمون منذ قرون ..

واذا كانت هذه الدعوى تروج فى الغرب وفى بيئات قامت فى أساسها على الوثنية فانها لا تجد قبولا فى عالم المسلمين والعرب . واذا روج لها فان المزاج العربى الاسلامى لن يقبلها وان الذاتية العربية المسلمة ترفضها مهما بدا بريقا لامعا فى العيون : عيون الشباب التى لا ترى الا من خلال العاطفة الحادة أو الحس الذى لم يستقر بعد ..

وان مثل هذا القول على اطلاقه فيه امتهان لانسانية الانسان ، فهو انكار للمسئولية الفردية أساسا التى هى منطلق الشخصية الانسانية ، فضلا عما فيه من الغاء للحدود والقوانين التى تحول دون طغيان فرد على حرية الآخرين .

وليس من المعقول اطلاقا ان تكون الحياة فوق هذه الارض هى كل شيء ، وان يكون الموت هو نهاية هذه الحياة ، ولا بد أن يكون للوجود الانسانى فوق الارض حكمة ، وان يكون للانسان نفسه رسالة وان تكون قدرته على الحركة فى حرية سواء فى اتجاهه نحو الخير أو الشر لها مسئوليتها وتبعتها ، ولها من بعد ذلك حسابها وجزاؤها ..

ومن ثم فان ارتباط حياة الانسان على هذه الارض بحياته الأخرى ، هو ارتباط بين الجزء والكل وبين الفعل ورد الفعل وبين العمل والجزاء ، وليس الموت الا فاصلا رقيقا بينهما .

ولا قيمة للحياة اذا لم تكن لها رسالة يقف منها الانسان موقف التجربة والتحدى ، بين اخطار الشر ودوافع الخير ، ولا بد لهذه الرسالة من حساب وجزاء ، واجر كبير للقادرين على الصمود فى التجربة ، ولا بد من عقاب كبير

للذين عجزوا عن اداء الرسالة أو ضعفوا عن احتمال التبعة ، ولذلك فالعمل فى هذه الحياة محسوب ، له وزنه وتقديره ، ولن يكون انطلاقا لارقابة عليه .

ومن الحق ان يقال ان كلا الدعوتين والخطرين هما مما تروجه القوى الاستعمارية والصهيونية كأسلوب بعيد المدى فى محاولة تدمير الجيل القادم الذى سيتولى مصائر الامور فى هذا الوطن بعد عشرين أو ثلاثين عاما ، وان محاولة تدميره من الان انما تجعل امر سيطرة هذه القوى الاستعمارية على الامم سهلا يسيرا فانها تضمن من الآن انها لن تجد مقاومة ، وسوف تجد جيلا هشا ضعيفا مدمرا فى قيمه ومعتقداته ، ومن ثم تسهل السيطرة عليه واحتواؤه .

هذا هو الهدف الخفى وراء اذاعة دعوى تحرر الشباب من توجيه الآباء ، واغراء الشباب بالثورة على أهله وآبائه ، والخروج عن واقع مجتمعه ، والاندفاع الى أقصى الغايات فى التماس اللذات والرغبات .

ولقد كانت القيم الاسلامية من اكبر العوامل اثرا فى بناء الشباب وحمايته مع منحه كل الحرية فى تشكيل نفسه على نحو مخالف لاجيال الآباء ، فقد قدمت هذه القيم خطة ذات شقين متلازمين :

(الشق الاول) : بناء الشباب على اساس الخلق والايمان بالله والصلابة والصمود بالرياضة والرمى ، وتعميق الثقافة بالقرآن والسنة وحكمة التاريخ وعظمة اللغة العربية ، وتقدير النوابغ والابطال الذى يزخر بهم تاريخ المسلمين والعرب ، والتشكل على نحو واضح فى الثقة بالنفس ، والتاريخ ، والاعتزاز بالاسلام والعروبة وامجادها .

(الشق الثانى) الاعتراف بالنفس الانسانية ومطامحها واهوائها ونوازعها والاعتراف بما للحس والذات من أثر واضح عميق فى الكيان الانسانى والوعى العميق بخطر الاندفاع فى تحقيق هذه اللذات عن غير طريق الزواج المشروع ، مع التوسط فى اللذات حماية للكيان الانسانى من التدهور والانهيار .

ومن هنا فقد كانت العلاقة بين الاجيال الجديدة والاجيال القديمة هى علاقة تقدير من ناحية الأبناء وعلاقة حب ووفاء من ناحية الآباء ، ايمانا بذلك الامتداد الذى لا ينقطع بين الأجيال اخذا وعطاء ، غير أن النفوذ الاستعمارى ومن ورائه قوى الغزو « الثقافة والتغريب » كان حريصا على ان يدمر هذه البراعم الجديدة ويحطمها ويحول بينها وبين فهم حقائق الامور ، ومن ثم كانت الثقافة الوافدة عاملا هاما فى اذاعة ادب الجنس ، من قصص وافلام ومسرحيات وصور عارية ، وقد رافق ذلك دعوات فلسفية صيغت خصيصا لتحطيم مقومات الامم والشعوب ، وهى الفلسفات التى تحمل لواء الاباحية النفسية وتحرير « الوجود » النفسى من القيود واطلاق الذات الانسانية من كل القيم ، ودفعها الى مجال الاغراء والمتعة دون ضوابط لا بد منها ، أو قوائم اساسية لتنظيم الحياة الاجتماعية وحماية الكائن الحى وحماية المجتمع نفسه مع ارهابها بخطر الكبت واثره فى العقل وهى اخطار ثبت علميا كذبها وتضليلها وهدفها الماكر الخطير .

ولا بد ان تجد مثل هذه الدعوات تقبلا واعجابا من الشباب المراهق الذى لا يعرف مدى الاخطار التى تكمن وراءها والذى لم يجد من الحماية الذهنيــــة والروحية ما يكشف له الخطر أو يبين له وجه الحقيقة بعد ان بعد هذا الشباب عن دينه وخلت معظم المناهج من تربيته تربية روحية تكون له حصنا ضد أخطار الدعوات البراقة والاغراء الذاتى .

وهنا تبدو أهمية « تجربة الآخرين » (١) وحاجة الشباب اليهــا لحماية وجوده الذاتى ، واستشراف المستقبل ومعرفة الحاضر ، ان علينـــا أن نعرف ان محاولة الوقيعة بين الجيل الحاضر والاجيال الجديدة هى احدى مؤامرات الصهيونية والاستعمار لعزل هذا الشباب الجديد عن التراث والماضى والقيم الاساسية ، ثم تدميره بالتيارات الجديدة الخطيرة من الفلسفات ومن اشاعــة انواع جديدة من الملابس والزينة من شأنها ان تزيل الفوارق بين الرجل والمراة وتعطى الرجل صورة المراة بانشاء السوالف وتغزير الشعر وتعطى المراة صورة الرجل بالملابس والسراويل الطويلة . وتلك من اخطر المحاولات لازالــة الفوارق الاساسية بين الرجل والمراة ، ونقل قيم المراة الى الرجل ونقل قيم الرجل الى المراة وبذلك تختلط الطبائع ويفقد الجنس أقوى مقوماته استقلاليته وذاتيته . هذا مع ملاحظة ان السوالف تقليد يهودى ..

ومن أخطر الوسائل التى يحمل لواءها الاستعمار والصهيونية : اعلاء أخبار الجنس والجريمة فى الصحافة والسينما .

ومن خلال عدد من الصحف والمجلات التى تصوغها دوائر الاستعمار وتذاع فى مختلف انحاء العالم العربى نجد (اسطورة طرزان) التى تمثل الرجـــل الاوربى القوى الذى يعيش فى مجاهل وغابات أفريقيا وهو بطل آلاف القصص والأفلام التى تخدم الاستعمار . وبجواره يعيش الرجل الافريقى والعربى والمسلم ذليلا ضعيفا مسحوقا .

ونجد « جيمس بوند » البطل الزائف الذى يتمثل فى صورة المقامر الأفاق ، ورجل المقالب الذى لا يتحلى بفضيلة ما ، والذى تقوم بطولته على أساس ان الغاية تبرر الواسطة ، والتى تجعل من الثراء والقوة مصدرا لها . مع امتهان كل القيم والفضائل .

وترد هذه المثل فى مجلات توجه الى الأطفال والشباب وهو عمل خطير مخطط يراد به تدمير الاجيال التالية والمعروف أن كل ما يصل الى أذهان الصغار لا يتلاشى منها وانما يبقى فيها طويلا ويكون تأثيره من بعـــد عميق الأثر .

وجملة القول فى مجال الشباب هو تأكيد معنى واحد هو مفتاح كل المعانى وفيه تفسير لكل الأخطار ، ذلك هو ان من وراء ثقافة الشباب تحديا كبيرا ، يوجهها ويصوغها دون أهلها الذين اهملوها هو التحدى الاستعمارى الصهيونى الذى يحاول ان يصنع الشباب على نحو يجعله اداة خالصة لاهوائه واغراضه .

فعلى العرب والمسلمين ان يواجهوا هذا الخطر فى حسم وأمانة حتى يحفظوا هذه الاجيال الجديدة ويحموها من الاخطار التى سوف تكون اشد خطرا على مصير العرب والمسلمين من الاخطار التى يواجهونها الآن .

---

(١) لا بد ان تكون « تجربة الآخرين » قائمة على اساس اهـل الوطن والفكر مـن الصادقين المخلصين ، لا من أولياء النفوذ الاستعمارى والتابعين لدعاة التغريب او خريجى الارساليات التبشيرية (الكـاتب) ..

مؤتمر المراكز الاسلامية

اعداد : عبد المعطى بسيومي

ثمرة من ثمار الأمانة الاسلامية العامة التى تولى ببحثها وعنايتها ما يتعلق بامور الاسلام والمسلمين عقد مؤتمر المراكز الاسلامية فى مدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية فى الفترة بين ٧ ــ ١٠ ربيع الثانى ١٣٩١ (١ ــ ٣ يونية ١٩٧١) ٠

وقد مثل الكويت الاستاذ احمد المدينى مــدير ادارة شئون المساجد بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ٠٠٠ وكان لقاء مع سيادته تناولنا فيه شئون المؤتمر ٠٠

ــ ما هى الفكرة من عقد هــذا المؤتمر ٠٠؟

نبتت فكرة عقد هذا المؤتمر خلال انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الــدول الاسلامية الذى انعقد فى كراتشى حين اتضحت حاجة الدعوة الاسلامية فى أماكن معينة فى العالم الى مراكز اسلامية تعمل عــلى ابراز حقائق

الاسلام وتجلوها باعتبار الاسلام رسالة عالمية تتضمن كل ما يقيم حياة الانسان بكل ما يلزمها ويوجهها نحو الخير والتقدم ٠

ولذلك فان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية قرر عقد مؤتمــر خاص للخبراء المسلمين لبحث موضوع انشاء هذه المراكز والتخطيط لها وكان هذا هو مؤتمرنا فى الرباط ٠

ــ كم دولة اسلاميةاشتركت فى هذا المؤتمر ٠٠؟

اشترك فيه ممثلو ٢٠ دولة اسلامية هى :

ـ المغرب ـ ليبيا ـ النيجر ـ ماليزيا ـ السنيغال ـ موريتانيا ـ افغانستان ـ الباكستان ـ الجزائر ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ اندونيسيا ـ السعودية ـ ايران ـ الصومال ـ الاردن ـ تونس ـ الكويت ـ تركيا ـ لبنان الجمهورية العربية اليمنية .

ـ ما هى الخطوات التى اتخذها لبحث انشاء المراكز الاسلامية ..؟

الحقيقة كانت هناك عدة اقتراحات وعدة مشروعات

* اقتراح من الأمين العام
* اقتراح من الحكومة المغربية
* اقتراح من الباكستان

* فالأمين العام الأمير تنكو عبد الرحمن كان يرى فى توجيهه للمؤتمر تكوين لجنة دائمة تتولى مهام تنسيق نشاطات المراكز الثقافية وتعمل ثقافيا وحضاريا على خلق تطابق اسلامى مبنى على العقيدة الاسلامية ومناهجها للحياة البشرية .

ـ وتعمل هذه اللجنة على تنسيق نشاطات المراكز الاسلامية واقامة ندوات فى البلدان المختلفة لشرح المواضيع المديدة من الجانب الروحى والعلمى واثر ذلك على حياتنا الاسلامية .

وبعد الموافقة على عقدهذهاللجنة تقوم باعداد مسودة دستورها لتقدم الى الأمين العام لتقديمها بالتالى الى مؤتمر وزراء الخارجية الذى سيعقد بمدينة كابل بأفغانستان .

ثم تقدم وفد المغرب باقتراح جعل المسائل الاسلامية بعيدا عن النزاعات السياسية فى العالم الاسلامى ثم عرض لدور المراكز الذى ينبغى ان تضطلع بسه .

ثم تقدم وفد الباكستان باقتراح انشاء هيئة للثقافة الاسلامية فى مقر الأمانة العامة باشراف نائب الأمين العام للشئون الثقافية وهذه الهيئة يعهد اليها بالنواحى العلمية وتنشيط المراكز الاسلامية الموجودة وانشاء مراكز جديدة ويقوم الأمين العام بتزويد القسم الثقافى من أموال التبرعات العامة والخاصة ومن الاشتراك .

والحقيقة أننى كنت احمل عدة اقتراحات الا اننى رأيت توافقا بينها وبين أفكار المغرب واقتراح الباكستان ورأيت توفيرا للوقت ، واعتمادا على اننى حضرت فى لجنة التوفيق بين الأفكار أننى يمكن ان اضيف ما أراه فى اللجنة .

وقد كون المؤتمر هذه اللجنة من عشرة اعضاء ـ على أن يسبقها اجتماع بين الوفدين المغربى والباكستانى لتوحيد المقترحات ـ للتنسيق بين افكار المغرب والباكستان لتقديمها فى اقتراح واحد يقدم الى مؤتمر (المراكز الاسلامية المنعقد)

وفعلا رسمت اللجنة مشروعا واحدا وقدمته للمؤتمر للموافقة عليه وقرىء بندا بندا ووفق عليه بالاجماع مع بعض التعديلات والصيغ كتوصيات لمؤتمر كابل لوزراء الخارجية على النحو التالى :

(١) قسم البحث والتوجيه ويتكلف بـ

(أ) جمع أمهات الكتب الاسلامية ونشرها

(ب) دراسة ما يكتب عن الاسلام وتقييمه
(جـ) ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغات الحية
(د) دراسة الوثائق المتعلقة بالمراكز الاسلامية
(هـ) اعداد برامج ومناهج وكتب المراكــز
(و) تكوين الدعـــاة ـــ
(ز) تنظيم محاضرات وندوات للقائمين على هذه المراكز
(حـ) اصدار مجلة تعنى بالتوجيه وبنشاطات المراكز .
(٢) ناحية الشئون العامة وتتولى النواحى الادارية للجنة .
(٣) الناحية المالية حيث تعتمد اللجنة فيها على الميزانية التى ترصدها الأمانة الاسلامية العامة .

ـــ ما هو الشيء الذى كنت تتمنى أن يتم فى المؤتمر ؟

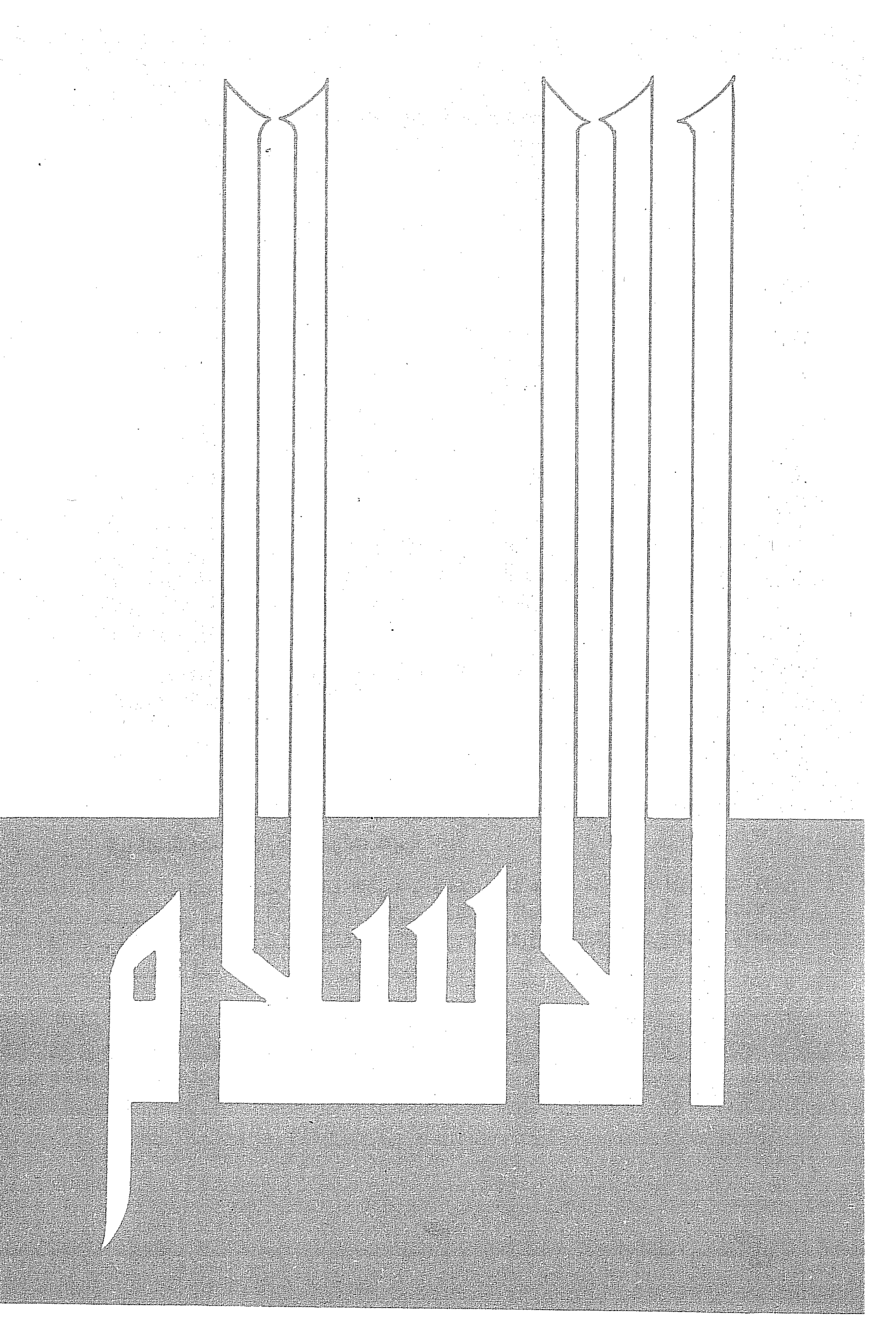
ـــ هناك طبعا تمنيات كثيرة فى كل عمل اسلامى وهناك ـــ مثلا ـــ كنت اتمنى أن تتم اقامة معرض للكتب والافلام عن الحضارة الاسلامية من كل الــدول الاسلامية كما كان اقتراح الأمانة العامة على الدول المشتركة فى المؤتمر . لكن الذى حدث أن الكويت والصومال فقط هما اللتان أقامتا هذا المعرض وحدهما فى خلال المؤتمر .

ـــ هل يكفى مشروع هذه اللجنة التى اتفق عليها المؤتمر للنهوض بالمراكز الثقافية الاسلامية فى نظركم ..؟

هى تكفى مع مراعاة التوصيات الأخرى التى اتخذها المؤتمر وسوف يعرضها على مؤتمر وزراء الخارجية الذى سيعقد فى كابل .

ـــ ما هى القيمة الحقيقية لهذه المؤتمرات فى نظركم وخاصة اننا شهدنا فى السنوات الأخيرة مؤتمرات كثيرة ..؟

الواقع أنه مع النوايا الطيبة والاخلاص للأهداف فان هذه المؤتمرات تؤتى ثمرتها فى تحقيق التضامن الاسلامى الحقيقى الذى تحتاج اليه الأمة الاسلامية وانا نسأل الله أن يوفق الأمة الى الصدق فى القول والاخلاص فى النوايا والعمل الصالح المثمر البناء والله ولى لتوفيق .


الاسلام

للدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي

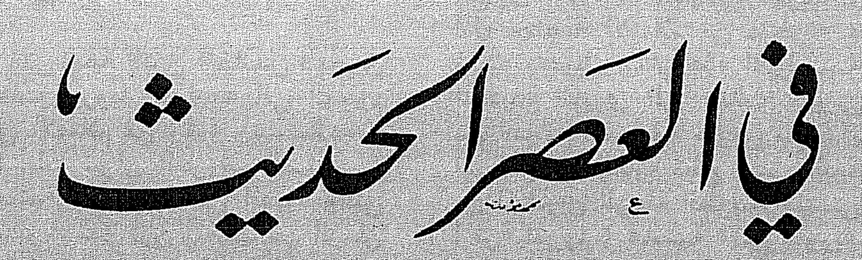
— ١ —

حركة الاسلام فى العصر الحديث حتى اليوم ، من الضرورى أن يتنبه لها كل مسلم غيور على دينه وأمته ، ليعرف خطاه وخطى بنى قومه ، والى أية غاية اداه اليها مسيرة التاريخ الاسلامى حتى اليوم ، والى أى هدف يسير ، أو يجب أن يسير اليوم ، ليصل الى نقطة ارتكاز جديدة ، والى منطلق قومى اسلامى جديد .

ولا نستطيع فهم مسيرة التاريخ الحديث للاسلام الا اذا صورنا فى ايجاز حركة الاسلام قبل العصر الحديث لتكون مقدمة لحديثنا اليوم .

— ٢ —

غير الاسلام ، بعد انبعاثه بقليل وفى حوالى ست سنوات لا غير فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، مجرى التاريخ العالمى ، بل غير وجه العالم تغييرا لم يحدث مثله من قبل ولا من بعد ، وحطم انبعاث الاسلام على هذه الصورة المذهلة كل الاقيسة التاريخية ، اذ لم يسبقه فى هذا سابق ، ولم يلحقه لاحق ، كما يؤكد المؤرخ الانجليزى المشهور « توينبى » وورثت الأمة العربية المسلمة الامبراطورية الساسانية ، كما ورثت ملك الامبراطورية الرومانية الشرقية



فى الشام ومصر والمغرب وجـــزر البحر الابيض المتوسط .

وامتدت بعـد ذلك الفتوحـات الاسلامية شرقا وغربا الى اماكـن كثيرة حتى اصبحت امبراطوريــة الاسلام تمتـــد من الصين حتـى شواطىء المحيط الاطلسى ، وتشمل كثيرا من سهول آسيا الصفـــرى وجزر البحر الابيـض المتوسـط واسبانيا واماكن كثيرة متعددة فى جنوب أوروبا .

وكان من الطبيعى أن تقف أوروبا المسيحية بقواتها العسكرية ممثلـة فى الامبراطورية البيزنطية فى وجه الاسلام ، لتعوق هى وأحلافها فـى أوروبا امتداده اليها والى غيرها من معاقل العالم المسيحى .

وظلت الامبراطورية البيزنطيــة تقاوم الاسلام ، على امتداد الايام ، بكل ما تستطيع من جهد عسـكرى وسياسى معا .. نحو ثمانية قرون من الزمان .

وظهرت القوميات الاسلامية فى العالم الاسلامى فى القرن الثالـث والرابع والخامس الهجرى ، لتضعف من قوته ووحدته وتعاونه فى صـد هجـــوم البيزنطيين على معاقـل الاسلام .

وفى نهاية القرن الخامس الهجرى انتقلت أوروبا الصليبية الى الهجوم على الاسلام فى وطنه وبـــلاده ، واشتعلت نيران الحروب الصليبيــة الحاقدة المتعطشة الى الدماء والتى استمرت نحو قرن ونصف من الزمان وشجعت أوروبا كـذلك فرســـان أسبانيا على مقاومة المسلمين فيهـا والعمل على طردهم منها نهائيا .

وخلال موجات الحروب الصليبية التى أنهكت العالم الاسلامى انهاكا شديدا ، والتى لم تضعف من عزيمته فى مقاومة الغـــزو الصليبـى ، والعدوان المدمر الزاحف من أوروبا زحف الخطر المغولى على العالـم الاسلامى ودمره تدميرا شديـــدا واستولى على بغداد عاصمة الخلافة العباسية وزحف الى الشام وهـدد مصر تهديدا كبيرا .

ويظن أن المغول كانوا فى زحفهم هذا يقفون وحدهم ، ولكن هذا خطأ كبير ، فلقد كانت المسيحية أو على الاصح الصليبيـــة ، هى المحرض الاول للتتار على هذا الزحف ، وهى التى رسمت لهم الخطط ، وامدتهم بالتقارير الوافية عن حالة الخلافـة العباسية فى بغداد ، وحالة العالم الاسلامى عامة ، وحسبنا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هيتون ملك أرمينية المســيحى كان العامـــل الرئيسى فى اقناع ما نجو خان (٦٤٦ — ٦٦٥ هـ : ١٢٤٨ — ١٢٥٧ م) بارسال تلك الحملة التى دمـــرت بغداد بقيادة هولاكو (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) (١) ، وأن هولاكو التترى زوج ابنه من ابنـــة الامبراطـــور البيزنطى (٢) .

ولما قامت الامبراطورية المغوليــة الكبرى ، داعب المسيحية الغربية ، أمل مهاجمة الاسلام فى مؤخرته ، وذلك بتحويل حكام هذه الدولـــة الجديدة الكبرى الى القالب الغربى من الديانة المسيحية ، وفى سبيـل ادراك هذه الغاية قطع رسل البابا من المبشرين الرحلة الطويلة الـــى (قرة قوروم) عاصمة الامبراطورية المغولية آنذاك ، وتلاهم ماركو بولو بعد ذلك بقليل وهو فى طريقه الى بلاط قوبيلاى خان أمبراطور الصين ،

لكن خاب امل المسيحية الغربية فى ذلك كله (٣) ، ومع ان الغزو المغولى قد دمر العالم الاسلامى ومراكز حضارته تدميرا كاملا ، الا أن هزيمة المغول امام الجيش المصرى فى عين جالوت ، التى اشبهت هزيمة الصليبيين امام صلاح الدين الايوبى فى حطين ، كانت عاملا كبيرا فى عودة الطمأنينة الى العالم الاسلامى من جديد ،واصبحت مصر بعد معركة عين جالوت (الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م قلعة العالم الاسلامى العسكرية وحصنه السياسى والاقتصادى ، ومنارته الثقافية والدينية (٤) ، وكانت قدرة العالم الاسلامى على ان يسحق فى القرن السابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى قوة العدوان الصليبى ، وشوكة الغزو التترى ، ثم قدرته خلال القرن التاسع الهجرى — الخامس عشر الميلادى على أن يجتاح اخيرا الامبراطورية الرومانية الشرقية ويزيلها من الوجود ، عاملا كبيرا فى طأطأة أوروبا رأسها للتيار الاسلامى العظيم ، حتى أصبحت تعتقد فى قرارة نفسها« استعصاء المسلمين على الهزيمة » (٥) .

وارادت أوروبا القيام بضغط عسكرى ضخم على المسلمين فى الاندلس لرد الثقة فى النفوس ، فاحتلت غرناطة وأزالت آخر معقل اسلامى فى الاندلس ، بأيدى فرسان اسبانيا وحلفائهم وذلك عام ٨٩٧ هـ — ١٤٩٢ م .

— ٣ —

ولم تستطع أوروبا مقاومة القوة الاسلامية ممثلة فى مصر آنذاك ، فأخذ البرتغاليون طريقهم الى الهند عبر راس الرجاء الصالح ، واخذوا السيادة البحرية — من ايدى العرب — على المحيط الهندى فى القرن السادس عشر الميلادى — واخذت روسيا تجتاح مناطق الشمال الآسيوية وتطوق العالم الاسلامى الممتد الى اطراف الصين ، وذلك خلال القرن السابع عشر ، ثم كان ارتداد العثمانيين عن فينا خلال عام ١٦٨٢ م نقطة تحول كبير فى المعارك بين أوروبا والعالم الاسلامى فى جبهة وسط أوروبا على امتداد جبهة الدانوب ، كما هزم العثمانيون أمام روسيا هزيمة كبيرة ساحقة أيضا عام ١٧٧٤ م ، ثم كانت هزيمة المماليك أمام الجيش الفرنسى فى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م ، وانزلت أداة الحرب الأوروبية الحديثة عدة هزائم بالعالم الاسلامى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادى .

وكما استولى الهولنديون خلال القرن السابع عشر على جاوة وبقية جزر الهند الشرقية ، استولى البريطانيون على البنغال خلال أعوام ١٧٥٧ — ١٧٦٤ م ، واستولت فى القرن التاسع عشر فرنسا على الجزائر ثم تونس ثم المغرب ، واستولت انجلترا على مصر ، وبدا ضغط الاستعمار الاوروبى للشرق العربى الاسلامى يتفاقم ويزداد خطره على مقومات المسلمين الروحية والحضارية والسياسية .

— ٤ —

وفى ظلال الاستعمار الاوروبى للعالم الاسلامى قامت المدارس التبشيرية فى كل مكان من انحاء الوطن الاسلامى ، وحدثت حركة

طغيان شديد للحضارة الغربية التي اشتدت موجتها العاصفة الزاحفة علـى بلاد الاسلام ، والتى اخذت تطبع حياة المسلمين بطابع غربى محض فى كل جانب من جوانب حياتهم : السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وزاد مد الاستعمار الغربى بعد ذلك فاحتلت ايطاليا ليبيا ، وصحب ذلك زيادة نفوذ التبشير المسيحى ، وكلب الغزو الحضارى الاوربى للعالم الاسلامى ، وقضت اوروبا على الخلافة العثمانية التي كانت تمثل الفكرة الاسلامية قوميا وسياسيا وعقائديا تمثيلا كبيرا .

ثم ظهر الخطر الصهيونى ، وتفاقم خطره بقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ فى فلسطين ، وعلى رقعة من اهم بلاد الاسلام واكثرها عروبة ، وقامت اسرائيل خلال عشرين عاما بثلاث حروب على العالم العربى ، هى حرب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .
كل ذلك يعد تنفيذا لمخططات اوروبا المسيحية فى مقاومتها للاسلام ، وفى معركتها مع المسلمين .
وتعتبر اوروبا أن الخطر الاكبر عليها هو الاسلام نفسه ، وأن كل عمل ضد الاسلام فى بلاده هو خط أمان جديد لأوروبا فى الحاضر والمستقبل ...

— ٥ —

والقضاء عليه .. ويشارك اوروبا فى هذا الشعور امريكا وغيرها من بلدان العالم المسيحى .

وللقضاء على الاسلام فى عرف اوروبا اساليب كثيرة ، تبدأ من المدرسة ومنهجها التربوى ، والثقافة وحركتها فى ثلب الاسلام والمسلمين والعرب والعروبة ، وتشويه تاريخهم واعلامهم وثقافاتهم وحضاراتهم ، وتسير فى امتداد التبشير من داخل العالم الاسلامى وخارجه ، على ايدى المبشرين الظاهرين ، والمبشرين المختفين من المستشرقين ، وممن ينتمون كلهم او جلهم الى الاديرة المسيحية ، وممن تخرجوا من صوامع الرهبنة ، فى الغرب وامتلأت نفوسهم بالبغضاء للاسلام وتراثه وثقافاته ولغته وعقائده .

وقد ساعدت البيئات الصليبية المسيحية على قيام دعوات اسلامية متطرفة فى العالم الاسلامى من مثل البهائية والقاديانية وغيرهما .

كما ساعدت امريكا بنفوذها ومالها الشيوعية على التغلغل فى العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية مما ذكره بوضوح ايدن فى مذكراته . كل ذلك فى محاولة قوية لتحطيم العقيدة الاسلامية ، وتحطيم الكيان الاسلامى القوى فى نفوس المسلمين .

— ٦ —

وعداوة اوروبا للاسلام ، ومقاومتها له ، ووضعها الخطط لحصاره ، وتبديد قوته ، لا تنتهى عند حد ، وكل حدث كبير او صغير فى بلاد الاسلام انما هو اثر تخطيط غربى موضوع لمقاومة الاسلام

وقد اسهمت اوروبا فى الدعوة الى العلمانية ونشر فكرتها بين ابناء المسلمين ، وبخاصة المثقفين منهم فى معاهد الغرب وجامعاته ، لعزل الاسلام ، عن المجتمع وجعله دين رهبنة فحسب ، كما حدث للدين

المسيحى نفسه ، وهذا منطق يأباه الاسلام وطبيعته اباء شديدا ، لأنه دين يجمع بين العقيدة والحياة ، وبين الفكر والعمل ، وبين الآخرة والدنيا ، وبين المادة والروح ، ويربط بين الفكرة والواقع برباط وثيق .

— ٧ —

ولا ادرى لماذا تقوم معاهد الدراسات الاسلامية فى الغرب وفى كندا وامريكا، وهى ملحقة بالجامعات الغربية والكندية والامريكية ، على فكرة واحدة ، هى ان تكون مراكز استماع على العالم الاسلامى وحركاته ، وعلى تشويه حقائق الاسلام وتاريخه ، ومن اجل الوصول الى هذه الغاية تنتدب هذه المعاهد من انحاء العالم الاسلامى لفيفا من الاساتذة المتلمذين على الثقافة الغربية ، والمتشبعين بها ، والذين لا يرون الاسلام الا بمنظارها وحده ، حيث يجلسون مع اساتذة صهيونيين متخصصين فى محاربة الاسلام وشعوبه ، وفى تشويه كل فكرة اسلامية ، وفى دراسة كل حركة نابتة أو قائمة فى الشعوب الاسلامية ، وكل حركة يمكن ان تؤدى الى خطر جديد على الغرب وأمنه وسلامه فى المستقبل (٦) .

— ٨ —

ان ايمان المسلمين المعاصرين ، أو كثير منهم ، بالحضارة الغربية ، ايمانا مطلقا ، واعتناقنا للافكار الهدامة الشيوعية والصليبية والتبشيرية اعتناقا كاملا ، وطبع ثقافاتنا وكل حركات التعليم فى بلادنا بطابع غربى محض ، وانتشار الافكار السخيفة الوافدة الينا من الغرب والتى تروجها الصليبية الغربية فى صفوفنا ، من امثال أن الدين الاسلامى دين رجعى ، وان تشريعاته وحدوده ونظمه قديمة بالية لا تتفق وروح العصر الحاضر .

كل ذلك ، وغيره ، انما هو من مظاهر العمل الخفى ، الذى جهد الغرب الصليبى وأذنابه فى العمل من اجله قرونا واجيالا ، فى بلاد الاسلام وبين شباب المسلمين .

ومن العجيب أن نتلقى من الغرب كل الأحكام التى يصدرها علينا — بدافع من العصبية والحقد والعداوة الموروثة — بالقبول والتسليم ، وأن نحاول فى تفريط ظاهر ، الانسلاخ من مقوماتنا الأصيلة ، لنحقق أمل الغرب وامانيه بأيدينا نحن ، ولنؤكد له ولاءنا الروحى والفكرى والثقافى ولنظهر امام الناس بمظهر المتطفلين على موائده ، والمتتلمذين على افكاره ، ما جل منها وما هان ، وما صلح وما فسد .

— ٩ —

وما رأيت رجلا مصمما على قتل انسان ، ثم يصبح هذا الانسان عونا له فى تنفيذ جريمته باختياره ، الا نحن المسلمين ..

أذلك لغباء وعته وغفلة ؟
أو لجنون وفقدان تمييز ؟

أو لجهل بحقائق الصراع العالمى والتاريخى بين الاسلام والغرب ؟
لا أدرى ..

ولكن الذى أقرره ، ويقرره كل دارس لتاريخ الاسلام : القديم ، والحديث ، والمعاصر ، هو أن عداوة أوروبا واحلافها للاسلام لا تقف عند حد ، وان تخطيطهم للقضاء عليه وتحطيم شعوبه لا ينتهى عند غاية ،

وأن جميع الأحداث السياسية والاجتماعية فى العالم الاسلامى خلال القرن العشرين وما سبقه من قرون ، انما هى اثر لمخططات الغرب فى حرب الاسلام والقضاء عليه .

― ١٠ ―

ومن البدهى أن الخطر الاسرائيلى الصهيونى ، وتهديده المستمر للعالم العربى الاسلامى ، انما هو اثر لمخطط صليبى قصد به الاسلام ذاته ، ولا يعوزنا فى ذلك الدليل ..
فبلفور هو صاحب الوعد المشئوم ..
وأمريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا هى اوائل الدول التى اعترفت باسرائيل ..
والغاية من كل ذلك هى تحطيم العالم العربى ، واشعال الحروب والفتن الدائمة فى ربوعه ، ومنعه من أية حركة اسلامية أو حربية فى الحاضر والمستقبل ، وابقائه دائما عاجزا عن اى تهديد لأوروبا .

― ١١ ―

وليس أمامنا مجال لليأس .

بل يجب علينا الوعى والتدبر والرفض الكامل لكل مخططات الصليبيين والالحاديين التى يريدونها ويريدون أن ننفذها نحن بأيدينا .

يجب علينا أن نتمسك باصرار بالاسلام .

أن نستمد منه القوة والمنعة والرجاء فى انقاذ جديد شامل من هذه المحنة وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) الدعوة الى الاسلام ٢٥٢ ― أرنولدوتوماس ― ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين .
(٢) المرجع نفسه ٢٦٠ .
(٣) حضارة الاسلام فى دراسة توينبى للتاريخ ٤٧ فؤاد شبل .
(٤) المرجع نفسه ٨٩ .
(٥) المرجع نفسه ٦٢ .
(٦) من مثل ذلك قيام ولفريد كانتويل سميث أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة مونتريال بدراسة مجلة الازهر والفكرة الاسلامية التى تنطوى عليها فى كتابه « الاسلام فى التاريخ الحديث » .

شهداء بئر معونة

الكفر الحقود

بمناسبة ما تناقلته وكالات الانباء أخيرا عن المذبحة التى وقعت بالمسلمين فى « مانيلا » على يد أثيمة وعصابة مجرمة ساقت العديد من المسلمين رجالا وأطفالا ونساء الى الجوامع ، وأوسعتهم ذبحا وتقتيلا — نقدم للقراء صورة بشعة أخرى من صور الكفر الغادر جرت أحداثها فى عهـد النبوة . فيها عزاء لأولياء الحق .

قدم على رسول الله شيخ من شيوخ بنى عامـر يدعى (أبا براء) ويلقب بملاعب الأسنة فعرض رسول الله عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال — يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء — انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك ...

فبعث رسول الله المنذر بن عمرو فى أربعين من أصحابه من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا عند (بئر معونة) فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى عامر ابن الطفيل — وهو شيخ بنى عامر — فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجلفقتله ، واستصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يخفروا جوار أبى براء فاستصرخ عليهم قبائل من سليم ، فخرجوا حتى غشوا القـوم فأحاطوا بهم فى رحالهم . فلما رأوهم ، أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلـوا عن آخرهم — يرحمهم الله — إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق .

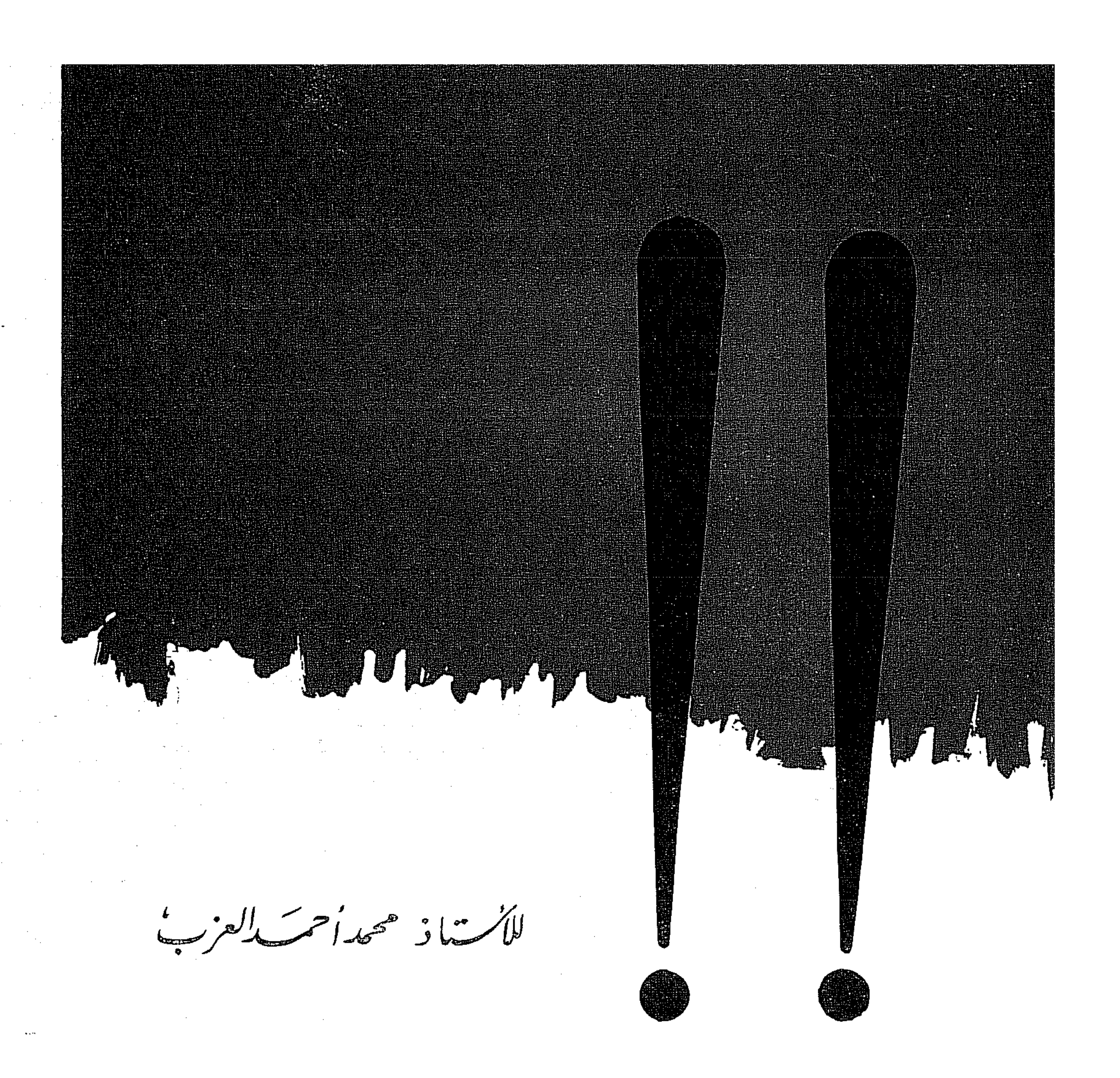
وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الأنصار فلما أبصرا الطير تحوم حول المعسكر ، أقبلا ينظران ما شأن هـذه الطير فاذا القوم فـى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم لا تزال واقفة .. فاما الانصارى فقد أبى إلا أن يقاتل القوم حتى قتل ، وأما عمر بن أمية فأخذ أسيرا . فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقوه فخرج مقبلا على المدينة حتى اذا كان بقرقرة الكدر نزل منزلا ليستريح ونزل معه رجلان من بنى عامر وكان معهما عقد من رسول الله وجوار لم يعلم به عمرو — فلما عرف أنهما من بنى عامر أمهلهما حتى ناما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قدم على رسول الله فأخبره الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم (لقد قتلت قتيلين لادينهما) .

وحزن رسول الله على أصحابه أشد الحزن وقال (هذا عمل أبى براء) ومكث — صلى الله عليه وسلم — نحو شهر يدعو على قتلة أصحابه فى بئر معونة وفى الرجيع كلما صلى ، حتى أنزل الله عليه قوله سبحانه (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فسكنت نفسه وانقشع عنه حزنه .



قبل الخوض فى هذا الغمار .. لابد من تفرس وجه الأدب فى شكله العام لنعرف ما هو ؟ ان وقوفنا على حقيقة ماهية الأدب هو وحده الذى يمكن أن يتيح لنا أن نعرف الى أى مدى يمكن أن يوجد أدب اسلامى .. أو لا يوجد على الاطلاق !!

ولسنا بالطبع فى حاجة الى الضياع فى مجاهل التعريفات الغريبة والشاجنة التى يكب عليها جيل من أدبائنا ومفكرينا بلا يأس .. لسنا فى حاجة الى الضياع فى مجاهل هذه التعريفات .. لأنه لا يحبط من قضيتنا ولا يؤلق من مصابيحها أن يكون الأدب مشتقا من « الدأب » بمعنى العادة .. وأن يكون هذا الاشتقاق من الجمع وليس من المفرد .. وأن يكون هذا الجمع هو « أدآب » وأن يكون فى نهاية الأمر قد حدث فيه قلب فقيل « آداب » كما يقال فى بئر .. أبآر .. ثم آبار « وفى رئم ..



للأستاذ محمد أحمد العزب

أرآم .. ثم آرام » .. الى آخر ما يقال فى هذا الصدد . مرورا بكون هذا الأدب قد اشتق مرة من « الأدب » بمعنى الدعوة الى الولائم .. أو اشتق مرة أخرى من « أدب » بمعنى علم وهذب .. أو استجلب فى نهاية الأمر من لغة غير اللغة العربية على الاطلاق !!! (١)

قلت .. لا يعنينا كثيرا أن يكون الأدب مشتقا من المفرد أو مشتقا من الجمع ولا أن يكون مشتقا من مادة دون مادة أخرى .. ولا أن يكون مصطلحا نابعا من الحس اللغوى للعربية أو وافدا اليها من الحس اللغوى للهجة من اللهجات أو لغة من اللغات .. لأن مجال هذه الدراسة الأكاديمية البحتة انما هو البحث العلمى المتخصص فى تاريخ الأدب بما هو رصد لمساره فى الزمن .. من أين .. والى أين ؟؟ وليس هو الأدب نفسه بما هو معطى فكرى ووجدانى نابع من حاجة الانسان الوجودية الى التعبير

الجمالى عن واقع يختلط فيه الجمال بالقبح .. والخير بالشر .. والوجود بهوات من العدم الطاغى بلا قرار !!

يكفى اذن .. أن نقول : ان الأدب هو حركة النفس فى الوجود من خلال حلولها الجمالى فى كلمات !!

فاذا اتفقنا على أن نبدأ من هذا المنطلق ، فلست أعرف حاجزا يمكن أن يقف فى وجه ميلاد حقيقى لأدب اسلامى يضع شروطه على صعيد الأدب العالمى العائش فى الزمن وما وراء كل الأزمان .. اننا نقرأ الأدب « الاشتراكى » والأدب « الرأسمالى » والأدب « الوجودى » والأدب « اللا معقول » .. وكل واحد من هذه الأنماط انما يصدر عن رؤيا مذهبية .. ويهدف الى غائية عقائدية . .حتى فى أدب اللا معقول . يوجد دائما « معقول » خلف هذا اللامعقول يحرك الكاتب فى اتجاهه .. ويعطيه مبرر الرفض .. أو مبرر العبث .. أو مبرر اللاجدوى التى يكثفها ايقاعا جماليا فى السطور !!! فلماذا لانقرأ الأدب « الاسلامى » الذى يصدر عن عقائدية اسلامية بحتة .. بكل مافى هذه العقائدية الاسلامية من انفتاح قابل وموصل .. متأثر ومؤثر .. آخذ من غيره مايلائم مناخه الفكرى والروحى .. ومعط غيره من روافد مناخه الروحى والفكرى بلا حدود !! قد يقال هنا .. ان الأدب « العربى » فى اطاره العام يعنى بالدرجة الأولى أنه أدب « اسلامى » لأنه صادر من منطقة تدين قطاعاتها العامة بالاسلام .. وناطق باللغة العربية التى هى لغة القرآن محور تحرك الاسلام .. ولكن هذا المنطق الساذج يجب أن لا يخدعنا عن حقيقة ما نريد أن نقول .. ان أدبا ينطق بالعربية .. ويصدر عن أديب مسلم .. لا يعنى بالضرورة أنه أدب « اسلامى » .. الا اذا كان هذا الأدب صادرا كما قلت عن « عقائدية » اسلامية ناضجة .. ومعبرا عن رؤيا فنان مسلم موهوب .. يستشعر فى كل حروفه أنه فاتح مطالب بالفتح .. أو مجاهد محكوم بمنطق المقاومة .. أو ملتزم لا يستطيع أن يتحرك الا فى مناطق التزامه الطوعى .. ان ماأعنيه بالأدب الاسلامى أن يكون على الارض أدب بملامح تصرخ باسلاميته حتى ولو لم تتشدق السطور بلكنة دعائية من هنا أو هناك .. فماذا اذن نقصد بكلمة « الأدب الاسلامى » ؟ وما ملامح هذا الأدب .. ان كانت له ملامح فارقة تحدد أبعاده وأحجامه ؟؟

ان ما أعنيه بالأدب الاسلامى كما قلت ليس شيئا غير أن يكون أدبا عقائديا .. يصدر عن رؤيا عقائدية .. ويرسم فى رحلاته مع الصوت واللون وحبر القلم فلسفة انسانه المسلم .. بوضعيته فى الكون .. وبوضعيته من الكون .. وبوضعيته مع الكون فى أكوان أخرى بلا حدود !! هذا ماأعنيه بمصطلح « الأدب الاسلامى » .

أما ملامح هذا الأدب الفارقة .. فلست أجدنى فى حاجة الى مزيد من المعاناة حتى أقف معها وجها لوجه ..

ان العقائدية أول هذه الملامح .. والعقائدية هنا ليست موقفا

متصلبا من قضايا كونية ترفض ماعداها بلا حوار .. وانما هى بالدرجة الأولى عقائدية « فاعلة » تفتح كل جبهات الحوار بلا وجل .. وأيضا بلا سأم .. ان عقائديتها تنبعث من رغبة أكيدة فى الفهم .. ورغبة لازبة فى الجدل .. ورغبة ظمأى دائما الى الاشعاع من .. وفى . .وعلى كل المستويات !! ولست أقصد من الأدب العقائدى أن يصوغ العقائد شعرا .. أو مسرحا .. أو رواية .. ولكنى أقصد أن تكون الرواية .. والمسرح .. والشعر .. انعكاسا لايمان الفنان بعقائدية اسلامية .. أما القضايا .. والظواهر .. والقوانين .. فقد يكون فى البحث الأكاديمى متسع لها جميعا .. يجلى غوامضها .. ويكشف عن أسرارها للجموع !!

والتراثية ملمح من هذه الملامح .. ولقد أعنى بالتراثية انحناء الأدب الاسلامى المعاصر على تراثه المتفجر بالعطاء .. واستلهام هذا التراث فيما يشبه الترهب .. ولكنى أعنى بالتراثية الى جانب ذلك .. أن نخوض بها عباب الواقع المعاصر .. وأن نعرض أجسادها لشمس العصر .. وهوائه .. وتياراته .. وأن نعيد تحليلها وتركيبها من جديد .. وأن نضيف الى فهم السابقين لها فهمنا الآخر المعاصر .. وأن نرفض الخوف الكسيح على جلالها أن يخدش .. وعلى نومها أن يفزع بأحلام عصرنا المرور !! ان التراثية التى أعنى .. هى نوع من البحث البدئى عن الذات .. ثم المغامرة بهذه الذات فى شتى مجالات الصراع والابداع .. ان ذلك وحده هو القادر بغير حد على اعطاء التراث وجهه الحضارى .. وعلى اعطاء وجهه الحضارى ملامح التفرد .. والتمايز .. والتشخص الواعى بدوره على مسرح الوجود !!

والقرآنية ملمح من هذه الملامح .. وأرجو أن أكون مفهوما حين أقول ان القرآنية ملمح من ملامح هذا الأدب الاسلامى المنشود .. ان القرآن ليس مذهبا أدبيا أدعو الى احتوائه .. ولكن الأدب الاسلامى اتجاه يجب أن يستفيد من قرآنية القرآن .. ان الشعر العربى المعاصر — والشعر الحر منه على وجه التحديد — قد استفاد من الانجيل والتوراة أكثر مما استفاد من القرآن .. ولقد حاول الاستفادة من التاريخ الاسلامى .. الا أن اقترابه من القرآن ما يزال مشوبا بحذر لا مبرر له .. ولا منطق من ورائه .. وربما كان ذلك بعض جناية الفكر الاسلامى الجامد المتعنت (٢) .. الذى يرى فى استلهام الشاعر المعاصر لقرآنه لونا من ألوان التجديف والتحريف .. اننى — بداهة — لا أدعو الى صوغ القرآن شعرا .. ولكنى أدعو بلا تهيب الى أن يكون القرآن بأسلوبه الفذ .. وسياقه المعجز . .وقصصه الهادف .. وايقاعه العملاق .. مجالا لتحرك الشاعر بالشعر .. يعيش به فى أعمار قصائده التى تولد من غور الذات وأغوار الوجود !!

والانسانية ملمح من هذه الملامح .. وقد يشتجر الخلاف حول هذا الملمح بالذات .. بما هو قاسم مشترك بين كل الآداب المحلية والعالمية على السواء .. ولكن هذا الخلاف لا يعفينا من تقرير هذه الحقيقة .. أولا :

لأن احتواء الأدب الاسلامى على ملمح من ملامح غيره من الآداب لا يطعن فى تفرد هذا الأدب بحال من الأحوال .. وثانيا : لأن انسانية أدب من الآداب لا يمكن أن تكون انسانية أدب آخر .. بمعنى أن مفهوم « الانسانية » فى الأدب الاشتراكى .. غير مفهومها فى الأدب الرأسمالى .. غير مفهومها فى الأدب اللامعقول .. ان الانسان محور كل هذه الصراعات .. يعيش فى الأدب الاشتراكى وضعية مخالفة تماما لوضعيته فى الأدب الرأسمالى .. ويجب أن يعيش وضعية أخرى فى الأدب الاسلامى .. اننا نطل على الانسان من خلال تقييم معين .. عقائدى قد يكون .. وفكرى ربما .. الا أن اطلالنا عليه مغاير تماما .. ويجب أن يكون مغايرا تماما لاطلال غيرنا عليه .. ولسنا مطالبين باحتذاء نمط من هذه الأنماط .. ولكن هذه الأنماط جميعها يجب أن تكون دائرة فى حتمية احتذائها لنا .. متى استطعنا نحن أن نحتل المشارف التى تؤهلنا لاحتواء هذا الدور القيادى الخطير !!

والنضالية ملمح من هذه الملامح .. وأعنى بالنضالية أن يخرج الأدب الاسلامى الى مجالات التحقق الوجودى مرتديا خوذاته .. قابضا على كل البنادق .. مقاتلا حتى غسق الكون الأخير من أجل أن تولد على الارض العدالة .. ويتحرر فى الارض الانسان !! ان النضالية هنا لا تعنى قتالا من أجل لقمة الخبز .. أو من أجل تحرير أشبار من الارض .. ثم لا شىء .. ولكنها تعنى قتالا من أجل ثقافة واعية .. وقتالا من أجل ابتسامة نظيفة .. وقتالا من أجل انتماء شريف .. وقتالا من أجل تواصل كونى بين شرق هذا العالم وغربه .. تواصلا يفضى فى النهاية الى مزيد من الحب .. ومزيد من الفعاليات !! ان نضالية الأدب الاسلامى تعنى الخروج من مقاعد المتفرجين الى ساحة الصراع .. تعنى أن نرفض كل ما هو مخنث فى الأدب .. كل ما هو خرافى فى الفكر .. كل ما هو ميتافيزيقى بلا بصيرة فى الشعر .. كل ما هو عدوانى يستهدف فى النهاية ضرب مكاسب الانسان !

كل هذه الملامح التى أسلفت .. من عقائدية .. الى تراثية .. الى قرآنية .. الى انسانية .. الى نضالية .. يمكن أن تشكل فى النهاية كل ملامح الأدب الاسلامى المأمول .. ويمكن أن تكون بعض ملامح هذا الأدب متى شارف مراحل التحقق والنضوج .. فان بداهة يقينية أومن بها على الاطلاق .. وهى أن كل أدب يشكل فى النهاية ملامحه .. ولا يمكن أن يجىء أدب ليطابق مواصفات موضوعة له من قبل لحظات ميلاده .. ان حركة الأدب فى مدها الزاحف .. وجزرها المقرور .. فى اندفاعها الرائع الى الفعل .. وانفتاحها الرائع لرد هذا الفعل .. فى تحورها وتطورها .. وأرتدادها الدائم الى محورها ومن محورها جميعا .. كل أولئك يشكل فى النهاية كما قلت ملامح هذه الحركة .. أو ملامح هذا الأدب كما يجب أن يقال !!

ولكن .. اذا كان الأدب هو حركة النفس فى الوجود من خلال حلولها الجمالى فى كلمات .. كما قلنا .. فماذا يكون موقف الأدب الاسلامى من هذه الجماليات وهو كغيره من الآداب محكوم بهذه الجماليات ومطالب

بها على كل المستويات ؟ كيف يمكن لهذا الأدب .. العقائدى .. أن يتواءم مع الخيال .. والاسطورة .. والخرافة .. وكل مضامين الشعر التى بها غالب الشعر كل عناصر الفناء فى الزمن .. وانتصر بها على كل حرائق التاريخ ؟؟

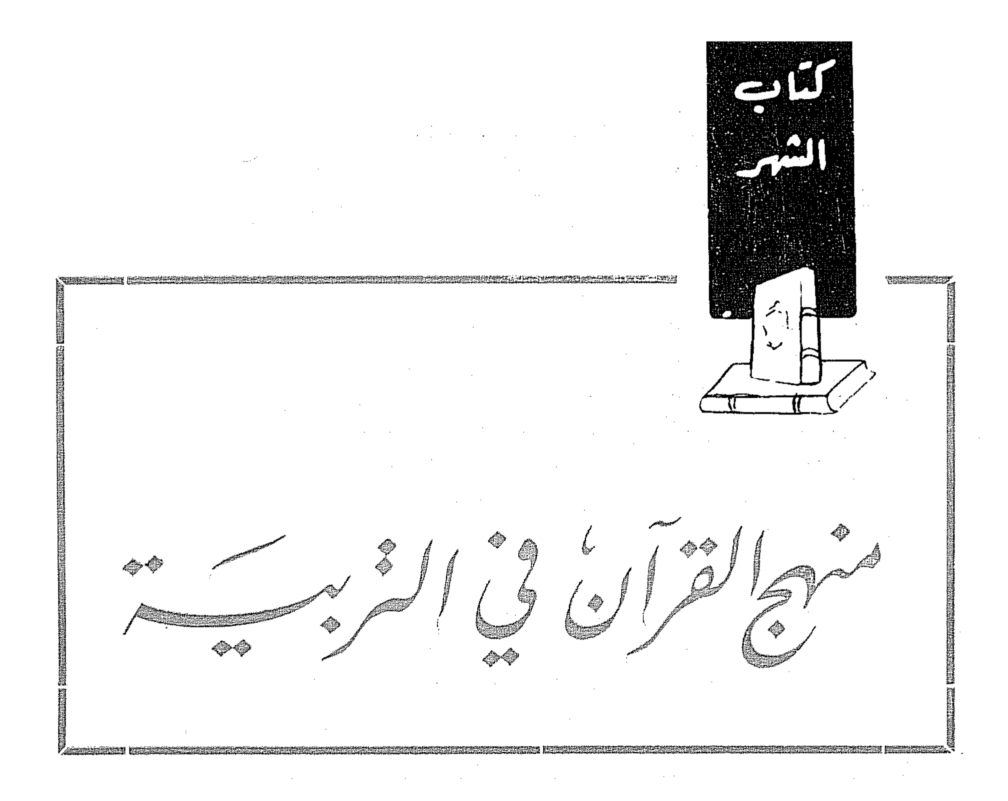
هنا .. لا بد من العودة الى تأكيد أولى .. ان .. المباشرة .. لا يمكن أن تكون ملمحا من ملامح هذا الأدب الاسلامى .. ولم نرها واحدة فى كل ما رصدنا له من ملامح بالذات .. وتأسيسا على هذا التأكيد الأولى .. فقد يصح لنا أن نقول ان الأدب الاسلامى الذى هو أدب عقائدى بالدرجة الأولى .. مطالب بارتياد كل آفاق الابداع الفنى .. وبالصيرورة الى كل اطار من هذه الأطر الفنية .. ان شيئا واحدا هو ما نطالبه به .. أن يعيش أبعاد قضيته .. أن تكون لحم اطاره ومحتواه .. وهو بعد .. حر بلا مبالاة فى كيفية أدائه للدور .. فى كيفية استيلائه على مناطق الصحو فى الجماهير !! ان هذا المنزع الفنى معترف به من القرآن الكريم .. فى قصصه .. وأمثاله .. معترف به من مناط وحى هذا القرآن .. محمد .. فى بعض من أحاديثه .. وأمثاله .. معترف به من أولئك الرائعين فى كل عصر .. الذين لم يحجروا الاسلام فى نمط دعائى .. وانما انساحوا به على كل زورق .. وفى كل جناح طائر بلا حدود !!

اذن .. فجمالية الأدب الاسلامى بما هى حتمية قدرية .. تبيح له بلا تحرج أن يوغل .. فى الخيال .. وأن يرتفق الاسطورة .. ما دام ذلك قائما على أساسين .. أولهما : رفض المباشرة فى التعبير عن حقائق صلبة .. وترك هذا المجال للفكر الاسلامى .. والفلسفة الاسلامية لقدرتهما وحدهما على الخوض فى هذا المجال .. وثانيهما : استذكار الهدف دائما على طرائق الوسيلة .. واستهداف الغاية دائما من وراء الواسطة !

وهذا وجه القضية بلا قناعات ..

قد تشتبه المعالم هنا .. فيخيل الى البعض أننا ندعو الى أدب اسلامى يخلط الحقائق بالخرافة .. والواقع بالأسطورة .. والمعنى باللامعنى اذا جاز ... وما الى هذا المستوى النازل يجب أن نهبط فى تصورنا لحقائق كل ما يقال .. ان واقع الاسلام .. وحقائق الاسلام .. ومعنى المعنى فى الاسلام .. لم تعد قضايا قابلة للأخذ والرد بما هى كذلك على الاطلاق .. ولكن الأدب الاسلامى المأمول فى أطره المختلفة .. شعرا .. وقصة .. ورواية .. ومسرحا .. يجب أن يتحرك من منطلق ايمانه بهذه القضايا أولا ... ثم من منطلق « أحساسه بها » وليس « صوغها » ثانيا . ثم من منطلق استفادته بكل أشكال التعبير الملائمة لعصره فى نهاية الأمر ... وهكذا — فيما يخيل الى — فعل توفيق الحكيم فى مسرحيته « أهل الكهف » .. وطه حسين فى ترجمته الروائية « على هامش السيرة » .. وغيرهما ممن تصدوا للكتابة فى هذا المجال .. ممهدين بحق لخلق

البقية ص ٩٧



للأستاذ : محمد شديد

تعريف وتلخيص
الأستاذ : ابراهيم بن عبد الرحمن البليهي

لقد أثرت المكتبة الاسلامية الحديثة ثراء كبيرا ، وبات من واجب الباحثين والدارسين .. أن يعنوا بالتعريف بمحتوياتها .. والتحليل لجوانبها .. والتأريخ لمراحل نموها .. والقاء الضوء على حياة بناتها .. وتقويم مضامينها .. فلقد تعددت جوانب هذه المكتبة ، وكثر المشاركون فى تشييدها .. واختلفوا فى أشياء كما اتفقوا فى أشياء .. ومع فخامة هذه المكتبة وعمقها .. وسعة أبعادها .. فأنها لم تصدر عنها حتى الآن دراسة شاملة ..

.. أجل ان المكتبة التى تحوى مؤلفات محمد فريد وجدى ، وأحمد أمين ، واسلاميات العقاد .. ومؤلفات الدكتور محمد عبد الله العربى ، وغيرهم — وهم كثيرون بحمد الله — من رجال الفكر الاسلامى الحديث .. ان المكتبة التى تشتمل على مؤلفات هؤلاء وأضرابهم .. هى مكتبة ضخمة كبيرة واسعة عميقة ... خليقة بالدراسة الجادة والتقويم العادل ،

وتحتاج الى تضافر الجهود .. لابرازها على الوجه الصحيح .. والكتاب الذى نقدمه اليوم هو واحد من محتويات هذه المكتبة الحية المشرقة .. وهو يقع فى نحو (٣٧٠) صفحة .. يقدمه مؤلفه الاستاذ محمد شديد بقوله : « فى هذا العهد (الفاسد) جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام ، فكانت بعثته نهاية لعهد الطفولة البشرية وبداية لعهد الرشد والاكتمال .. وتأبت مكة على الاسلام ، وقاومت هديه بكل سلاح ، وربى الرسول قلة مؤمنة هاجر بهم الى يثرب .. حيث كون مجتمعا وأقام دولة .. ثم دانت الجزيرة كلها بدين الحق فكان نجاحه فى العهدين معجزة ، وكان انتشار الاسلام من بعده أعجوبة الأعاجيب .. كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون من عرب الجزيرة أمة : تحمل رسالة وتنشىء حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الأساطير ؟!

وكيف خلقت رسالة الاسلام : من الفرقة وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الامية علما ، ومن البداوة حضارة ، ومن الحفاة العراة .. خير أمة أخرجت للناس .. ؟

ذلك سر القرآن ، وعمل منهجه التربوى فى تقويم النفوس والأمم .. وأثر تطبيقه فى الجماعة والدولة » ..

ويؤكد المؤلف أنه لا بد لادراك حقيقة الاسلام من معرفة الميزان السليم الذى توزن به الدعوات ..

كما يقرر أن تربية القرآن لا تعنى مفهومها المألوف .. فهى لا تقتصر على المسجد أو المعهد ولا تختص بالعبادة دون السلوك .. أو تهتم بالفرد وتترك الجماعة .. أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل .. انما تشمل كل جوانب النفس وتعمل فى كل ميادين الحياة .. وعلى أساس هذا الشمول : يقوم منهج القرآن فى التربية ، وهذا الكتاب محاولة لبيان فكرته وأسلوب عمله وتطبيقه ..

ويؤكد ان عناصر رسالة الاسلام عقيدة وعبادة وتشريع : فالعقيدة أصل وفطرة ، والعبادة صلة وتربية ، والتشريع : أمن ونظام .. وجوهر هذه الرسالة : خلق واحسان ، ووسيلتها : قدوة وتربية ، وأول ميادينها : النفس والضمير .. ومن ثم كان هدفها اقامة مجتمع انسانى نظيف .

ويثبت من وقائع التاريخ الاسلامى .. ومن سجل السيرة النبوية .. أن الرسول عليه السلام قد عنى بتربية المؤمنين أكثر من أى شىء آخر .. وأن تربيته نجحت نجاحا ليس له فى تاريخ البشرية مثيل ، وانه وصل بمجتمع المدينة فى واقع الحياة الى غاية من الرفعة والسمو لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون فى الأمانى والخيال .. ويستدل المؤلف بنجاحه : على ما تستطيعه التربية — وفق منهج القرآن — من تغيير للأنفس وسمو بالمجتمع ورفعة بالبشرية الى أسمى الآفاق .

ولكنه — وهو يقرر أن الرسول عليه السلام قد ارتفع بالمجتمع الاسلامى الى أوج فوق مألوف البشر — يؤكد فى الوقت نفسه .. أن مداومة التحليق قريبا من هذا المستوى فى حاجة الى مداومة التذكير والتربية وتنشئة الأجيال وفق منهج القرآن الكريم ، كما هو فى حاجة الى الأسوة الحسنة ، وحزم الحاكم ويقظته ..

ذلك أن منهج القرآن منهج عملى واقعى : يقيم المجتمع على العقيدة والخلق ، ويحرسه بالتشريع والنظام .. ويحول (وهــذه هى النقطــة الأساسية فى هذا المقام) .. بينه وبين الانحراف والفساد باقامة جماعة واعية تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ويذكر المؤلف صورا من واقع التاريخ الاسلامى .. تسمو بالحرية وبالكرامة الانسانية الى آفاق لا يحلم بها الناس ثم يقول : « أسلوب جديد فى الحكم : جديد فى عدله وحريته وضماناته .. وجديد فى قضائه عــلى قداسة الحكام .. وجديد فى مساواته بين الناس ، وجديد فى حق محاسبة الخليفة والعمال ، وحرص الخلفاء على تنفيذه .. وعلى تربية الأمــة عليه .. ورياضتها على ممارسته » ..

كل ذلك فى الفصل الأول الذى عقده بعنوان : « جولة مع الرعيل الأول » والذى استغرق (٧٩) صفحة من الكتاب ..

يليه الفصل الثانى عن : « منهج الفطرة » .. يؤكد فيه أن عمــل القرآن الأول فى سبيل تربية النفس : هو ردها الى فطرتهــا السليمة وتخليصها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة وخــرافات العــرف والتقليد .. وأن أساس هذه الفطرة : هو التوحيد .. حيث جبلت النفس على معرفة ربها .. لكنها قد تحجبها الغفلة وقد تضللها البيئة .. وقد ينحرف بها التقليد .. بيد أن جذور هذه المعرفة عميقة فى النفس لا سبيل الى انكارها أو التخلص منها .. ودليل هذه الفطرة ان الانسان بطبعه يحس بالحاجة الى القوة المعينة .. والاشراقة الهادية والسكينة المطمئنة ... وهو شعور عميق فى نفوس البشر .. وما كل مظاهر العبادة والتقديس لغير الله : الا تنفيس عن هذه الطاقة واستجابة لهذه الفطــرة ولكنهــا انحرفت عن طريقها السوى ..

ويقيم المؤلف الحجة .. على صحة هذه الحقيقة .. وينصب البرهان على وجود الخالق العليم .. ويؤكد أن القرآن قد دعا الى النظر فى آيات الله فى السموات والأرض ، وجعل من الكون محرابا للفكــر ، وكتابــا للمعرفة ودليلا على وحدة التدبير والنظام .. وانه حين يتفتح القلب على بعض حقائق الوجود يحس أنه أمام تناسق مطلق وجمــال معجز وتدبير محير ..

يلى هذا الفصل الذى يقع فى نحو (٢٠) صفحــة .. فصل عن (منهج المعرفة) .. بين فيه أن منهج القرآن فى التربية .. يقوم عــلى الايمان بحقيقة الوحدة فى الكون : وحدة الاله المعبود ، ووحــدة النظم والنواميس التى تشمل كل ما فى الكون ، ووحدة القوة التى تصدر عنها وتخضع لها تلك النظم والنواميس .. ووحدة الأمم التى آمنت بهذا الدين ووحدة المنشأ والمصير ..

وأكد — من ثم — ان هذه الوحدة الشاملة هى أساس العقيــدة فى القرآن ، وأنها هى التى تحدد معنى الوحدانية تحديدا كاملا .. وتحدد الصلة بين الانسان وربه والكون وما فيه .. وبالتالى فان الايمان بهــذه الوحدة — على هذا الأساس — : هو السبيل الى انطلاق قوى النفس الكامنة والسمو بدوافعها والارتفاع بها عن شهواتها ، وتغلبهــا على عوامل ضعفها ..

أن هذا الكون العجيب بل المتحف المثير للدهشة .. والباعث على الحيرة .. خليق بالنظر ، وجدير بإمعان الفكر .. لمعرفة موجده .. ولكن الف العادة والتكرار — كما يؤكد المؤلف — جعل الناس لا يرون ألا الأسباب الظاهرة ، ولا ينفذون بتفكيرهم وبصائرهم الى ما وراء هذه الأسباب .. ويأسف لهذه الغفلة التى تكشف عن بلادة الحس والكفر بمواهب الحياة ونعمها ..

ويقرر من ثم ان القرآن يريد أن يجعل المؤمن يقظا مرهف الحس ، موصولا بربه ، كأنما يرى يد الله وهى تسقط الغيث وتنبت الزرع وتبعث الحياة فى موات الأرض .. يريد أن يجعل قلبه ينبض مع كل ظاهرة من ظواهر الكون ، ويتجاوب حسه مع تسبيح الوجود بحمد الله وقدرته .

ويثبت المؤلف .. من آى الذكر الحكيم . ومن منطق التاريخ الاسلامى .. أن نصر الله للمؤمنين حقيقة من حقائق الوجود ، وسنة باقية من سنن الله .. ولكن الله قد يؤخر النصر لحكمة يريدها فتظهر لبادى الرأى .. هزيمة .. وأنه قد يهزم الحق فى معركة ، ويظهر الباطل فى مرحلة .. ولكن ذلك كله — فى منطق القرآن — صور للنصر تخفى حكمتها عن البشر .. ويعزو المؤلف سبب ضلال عقول الناس .. وشقاوتهم .. الى أنهم لم يفهموا لوجودهم فى الحياة حكمة .. ولم يجدوا لها حولهم فى الكون تفسيرا .. ولم يعرفوا لهم منشأ ولا مصيرا .. فهم أبدا فى تشاؤم وشقاء .. لا يقر لهم قرار .. ولا تهدأ لهم نفوس ..

ولو اهتدوا بهدى الاسلام .. لتلاشت هذه الحيرة .. ولاضمحل هذا الضياع .. ولذهب هذا التشاؤم ، ولتحول الاضطراب الى سكينة .. ولانقلب الخوف الى أمن .. فهذا الكائن البشرى لم يوجد فى الحياة صدفة .. ولا ظهر نتيجة تطور الحياة والأحياء انما خلقه ربه ونفخ فيه من روحه .. وحدد له ناموس وجوده على الأرض ، وجعل له فيها غاية محددة مرسومة تربطه بناموس الوجود والأحياء .. وهو مع هذا لم يتركه على الأرض هملا لدوافعه وعقله وفطرته وحدها .. بل تعهده بالهداية ، ووالاه بالتوجيه .. ويضرب المؤلف .. أمثلة .. من روائع أحداث التاريخ الانسانى .. والتى تحققت فى تاريخ الاسلام دون سواه .. على ما وصلت اليه التربية على الايمان — بمنهج المعرفة — بمجتمع المدينة حيث بلغت أفقا رفيعا .. حتى أصبح الاستشهاد أمنية يسعى اليها الجميع .. وحتى صار الموت فى حس المؤمنين لقاء لله ، ونقلة الى حياة هانئة كريمة ..

ومنها ينتقل الى الفصل الرابع عن (منهج العلم) .. وهو — فى نظر المؤلف — : امتداد لمنهج المعرفة .. يقوم على أساس ما أبانه من حقيقة الوحدة فى الكون ..

فالقرآن وهو يصقل الوجدان .. ويهذب الروح .. ويطهر الفطرة .. ويوجه الانسان الى هذا الكون العجيب .. لا يكتفى بهذا فحسب .. بل جاء لينهى عن الطفولة البشرية ويدفع الانسان الى آفاق العلم والمعرفة .. وينتقل بها الى عهد الرشد .. فكان اهتمامه بالعلم اهتماما بالغا .. بل لقد بدأ الوحى بالأمر بالقراءة والاشادة بالعلم ..

والعلم الذى يشيد به القرآن ويدعو اليه هو العلم بمفهومه الشامل الذى ينتظم كل ما يتصل بالحياة ولا يقتصر على علم الشريعة .. أو العلم الدينى .. كما يتبادر الى بعض الأذهان .. أو ما ذاع فى عهود التخلف عن القرآن ..

ويذكر المؤلف طرفا من جهود علماء الاسلام .. فى بناء الحضارة الانسانية ، وأثرهم فى الحضارة الغربية .. ويستشهد بأقوال رجال هذه الحضارة أنفسهم .. ثم يذكر سبب انحراف العلم الحديث .. ويؤكد .. أنه قد استطاع أن يحقق للبشر تقدما فى الكشوف ، وانتاجا فى المصانع ، ومتاعا فى الحياة .. ولكنه — مع ذلك — عجز كل العجز عن توفير السكينة للنفوس أو اشاعة الطمأنينة والرحمة والتعاطف فى المجتمع ..

أما الفصل الخامس فهو عن (منهج الفكر) .. لقد تابع الاسلام .. مآرب النفس الانسانية .. ونفض عن هذه النفس كل ما علق بها من أوضار .. وما حاق بها من انتكاس .. وما أصابها من تغير .. فردها الى فطرتها .. وقومها بالمعرفة .. وشحذ عقلها بالعلم .. وسما بها فى الفكر .. وحرر عقلها من الانحراف والخرافة .. وخلص فكرها من قيود التقليد والعادة .. وهذبها من الهوى والأنانية .. فالاسلام — اذن — هو الدين الذى يدعو الى الفكر ، والفكر يدعو اليه .. ومن هنا كان منهج القرآن الفكرى مبدأ تحول الفكر الانسانى من التفكير المجرد الهائم الى التفكير الواقعى المرتبط بالحياة والأحياء ..

يعقبه الفصل السادس عن (منهج الخلق) .. فالقرآن يهدف الى اقامة عالم رفيع الخلق ، عف المشاعر ، نظيف التعامل والسلوك .. وهو منهج خلقى كامل يشمل كل ما يتصل بالحياة والأحياء .. وهو يقوم على الايمان والحق والثبات .. فالعقيدة هى الأساس الأول لهذا المنهج الخلقى .. كما أن الحق أصيل فى طبيعة الكون .. عميق فى تكوين الوجود .. أما الباطل فطارىء لا أصالة فيه ولا استقرار له ..

وما دام أن القرآن منهج عالمى خالد .. فلا بد أن يتوفر له عنصر الثبات حتى لا يكون خاضعا للتغيير والتبديل مع الهوى والشهوات .

وفى هذا الفصل .. يبين مكانة الانسان فى الاسلام .. ويحدد علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة المجتمع بالفرد .. بحيث يتحقق التوازن فلا افراط ولا تفريط فى منهج القرآن .. ويبين مكانة الأسرة .. مؤكدا ان المجتمع القرآنى يقوم على أساس الأخوة العامة بين المؤمنين ..

أما الحدود فى الاسلام فقد شرعت — كما يقرر المؤلف — لصيانة المجتمع من الشذوذ والانحراف .. ولم تشرع اكراها على الفضيلة وحسن الخلق ..

ويؤكد .. أنه لا بد فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر .. أن تتوفر فيه صفات الداعية .. مع فقه الفكرة .. وفهم المنهج القرآنى ..

أما الخلق فى المجال الدولى .. فهو — كما يبين المؤلف — أهم ما

عنى به القرآن ، ومبادؤه فى هذا المجال ثورة عنيفة على كل مظاهر الفساد .. وأساس التعامل فى المجال الدولى .. هو الوفاء بالعهد والمحافظة على المواثيق ..

أما الفصل السابع فهو عن (منهج العبادة) .. وهو منهج تربوى يقوم على أساس تحديد مكان الانسان من هذا الكون والحياة .. وأما هدفه فهو : أن يضع الانسان فى مكانه الصحيح من الكون .. وهو منهج يلبى فى الانسان فطرته .. وينير له طريقه ، فمدلول العبادة فى القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض .. ذلك أن الحياة كل لا يتجزأ ، جميع ما فيها لله .. لا انفصال بين طريق الدنيا وطريق الآخرة .. ولا فرق بين الفرائض والسلوك .. فالحركات تتحول بمجرد النية الى عبادة ينتظر منها الثواب .. والقرآن يربى فى الانسان قوته .. ويزيل عنه الضعف والتخاذل .. وهو يستشرف بالنفس الانسانية الى السمو .. والاتصال بالخالق العليم .. فالدعاء مخ العبادة .. ويبين آثار كل عبادة على انفراد : أثر الدعاء التربوى .. وأثر الصلاة ، وأثر الصوم .. وأثر الزكاة ..

والقرآن لا يغفل أى جانب من جوانب التربية الكاملة الشاملة ... وهو لهذا يربى الانسان على اليقظة الدائمة .. والارادة الواعية .. واذا كان هذا شأنه مع الفرد .. فانه يهدف الى تكوين جماعة متميزة : تحمل مبادئه ، وتعمل على تبليغها والجهاد فى سبيل تأمينها والدعوة اليها ..

أما الفصل الثامن فهو عن (منهج الدعوة والداعية) وهو فصل مهم ، ويجب أن يستفيد منه الدعاة الى الله .. فالمؤلف .. يستعرض تاريخ الدعوة الاسلامية منذ أول البعثة المحمدية حتى سيادة مبادىء الاسلام .. وهو فى ذلك يستخلص منها الرشاد ويستلهم منها العبرة .. ويستوحى منها العظة .. : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » .. « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

وفى الفصل التاسع .. يتحدث عن (ميزان القيم) مؤكدا أن القرآن منهج حياة متكامل تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته .. فهى الأصل وما عداها فروع ، ومن ثم جعلها (أى العقيدة) ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة .. فالمسلم أخو المسلم .. ولا أخوة وثيقة تجمع بين المسلم وغيره من ذوى المذاهب والمبادىء والأفكار والأديان المخالفة للاسلام : « ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال : يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح .. » ..

أجل انه ليس من أهلك !! فى صراحة ووضوح رغم أنه ولده من صلبه .. وما أهله الا الذين آمنوا معه واحتوتهم سفينة الايمان والنجاة .. انها الحقيقة الضخمة الخالدة ، يرسى قواعدها القرآن ويقرها فى الحياة

ويربى على أساسها الأمة المؤمنة .. فلا أبوة ولا قرابة ولا زوجية الا على أساس الايمان ..

والعلم — فى نظر القرآن — قيمة ضخمة وهبة عظيمة وسر كبير من أسرار تكوين الانسان : فقد خلقه الله سبحانه وكونه بحيث يتجاوب بعقله وتفكيره مع كل مظاهر الحياة على الارض .. ومع كل آيات الله فى الكون .. وبهذا أصبح الانسان أهلا لرسالة الاستخلاف فى الارض .. وبهذا يصبح العلم عبادة أو فريضة ، وتصبح دور العلم والمعاهد والمعامل .. كالمساجد والمحاريب ..

ومفاهيم القرآن تختلف عما عداها من مفاهيم .. وهى ان التقت معها فهو التقاء عرضى ليس دليل الوفاق .. انها قيم جديدة ومفاهيم حية .. تنبع من فلسفة شاملة للحياة .. ونظرة واسعة عميقة للكون ... وتحديد صحيح وحكيم لمكان الانسان فى الوجود .. وقيمة ما تواضع عليه الناس من قيم .. لقد ألغى القرآن كل ما تعارف عليه الناس فى الجاهلية من قيم ، ووضع ما قامت عليه المجتمعات الجاهلية من صلات .. وأقام قيمة جديدة .. هى قيمة الايمان .. وجعل من العقيدة قاعدة كبيرة للمجتمع المؤمن .. تنبع أخلاقه وصلاته ونظمه من عقيدته ، وأعتبر كل ما يقوم على غير أساسها من علم أو عمل خروجا على منهجه .. والحادا فى عقيدته وضلالا يؤدى الى الدمار والفناء .. واعتبر الايمان بهذه العقيدة حياة ونورا وبعثا لموات الأمم والأفراد ..

أما الفصل العاشر والأخير فهو عن (التربية فى ظل الأحداث) فالقرآن ما نزل منجما الا لأنه لا يؤثر فى النفوس شىء كما تؤثر فيها التربية فى ظل التجارب والاحداث حيث تكون القلوب متفتحة للتوجيه .. والنفوس مهيأة للانطباع .. بيد أنه لا يملك التربية بهذا النهج الا رب الناس .. فهو الذى يكشف النوايا والسرائر ويعرض النفوس سافرة بلا أستار ، وينفذ الى مواضع التأثر والاستجابة منها .. ثم يصوغها وفق منهجه كما يشاء « انه يطرق الحديد ما دام ساخنا » .. وبهذاكان أسلوب تنزيله أساسا لنجاح التربية وأصلا لعمق أثرها فى النفوس .. فقد جعل من كل هزيمة عبرة ... ومع كل نصر درسا ولكل موقف تحليلا .. كما كان بناؤه مظهرا رائعا للخلود .. جعله صالحا للسير مع كل نفس ، موجها لكل جيل ، بانيا لكل أمة لتماثل النفوس وتشابه الأحداث ..

فلا غرو ان كان نزوله منجما حسب الظروف والأحداث .. انه كتاب بناء وتربية لا كتاب ثقافة أو متاع .. جاء بمنهاج كامل للحياة والتربية : لصياغة نفوس ، وبناء أمة ، واقامة مجتمع ..

وبعـد :

فهذه أهم مباحث هذا الكتاب النفيس ..وهو عرض موجز .. وتلخيص مختصر وتعريف لا يعدو دور الدلالة على الطريق .. وهذا هو هدفى .. فان أفلحت فى اغراء القارىء بدراسته بنفسه .. فذاك ما أرجوه ..

أدب اسلامى عابر لحدودنا ومخاطب لكافة أنماط البشر فى كافة زوايا الأرض .. بلا تفرقة من لون .. أو جنس .. أو جغرافية مكانية .. أو حتى زمانية .. على تعاقب الأحقاب !!

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. أدب عقائدى بلا تعصب ... تراثى بلا جمود .. قرآنى بلا تحفظ .. انسانى بلا كراهية .. نضالى بلا مبالاة ...

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. ليس هذه البحوث الفقهية .. أو الأصولية .. أو التاريخية .. التى تسيل على أقلام الكاتبين .. وأن كان لهذه جميعا دورها الخطير فى تشكيل ملامح العصر ... وانما هــو الأدب بمعناه الجمالى .. قصة .. أو مسرحا .. أو رواية .. أو شعرا .. وأرجو ألا يصدمنا مصطلح « الأدب بمعناه الجمالى » .. لأن .. «الجمالية» فلسفة غائرة العمق .. وليست مجرد تلوين لسطوح الأشكال .. ليست الجمالية موقفا من مواقف الترف حيال ما يجرى فى الكــون .. ليست انكماشا مخدرا فى لذاذات فردية بائسة .. ليست التلهى بأنماط من القول منخوبة بلا قرار ...

.. وهذا هو معنى النظرة الجمالية .. ليس معناها أنى غير مطالب بالسخط على الظلم .. ولا معناها أن الاشياء تعرض على ذاتى المحايدة غير المنحازة الى جانب ، كلا .. فالمطلوب أن يكون حكمى منحازا الى هذا الجانب أو ذاك ، لكنه يجب أن يكون منحازا بحرية .. ان هذه المخاطبة لا تتجه الى ما فى الانسان من لحم ودم .. بل الى ذلــك الجانب الانسانى فيه حقا .. الى حريته ... الحكم الجمالى اذن هو الاعتراف بأنى انما أواجه شكلا معينا من أشكال الحرية ، هى حرية الخالق ، وهو ثانيا وفى نفس الوقت الاعتراف بالوعى بحريتى ازاء الشىء الذى يواجهنى ، وهــو أخيرا أصرار على أن يستمتع الناس الآخرون الذين لهم ظروف كظروفى بالحرية نفسها (٣) ..

الأدب الاسلامى الذى ندعو اليه .. هو كل أولئك جميعا .. وهو شىء وراء كل أولئك جميعا .. لأن الأدب الحقيقى — كما قلت — قــادر باستمرار على أن يخلق قوانينه .. ويشكل ملامحه .. ويقف اطـــاره ومحتواه على مستوى المعاطاة التى لا تنتهى الى حد .. غير حد الابداع دائما .. والريادة دائما .. ونبالة الذود عن كل ما هو رائع فى التاريخ .. دائما .. دائما !!

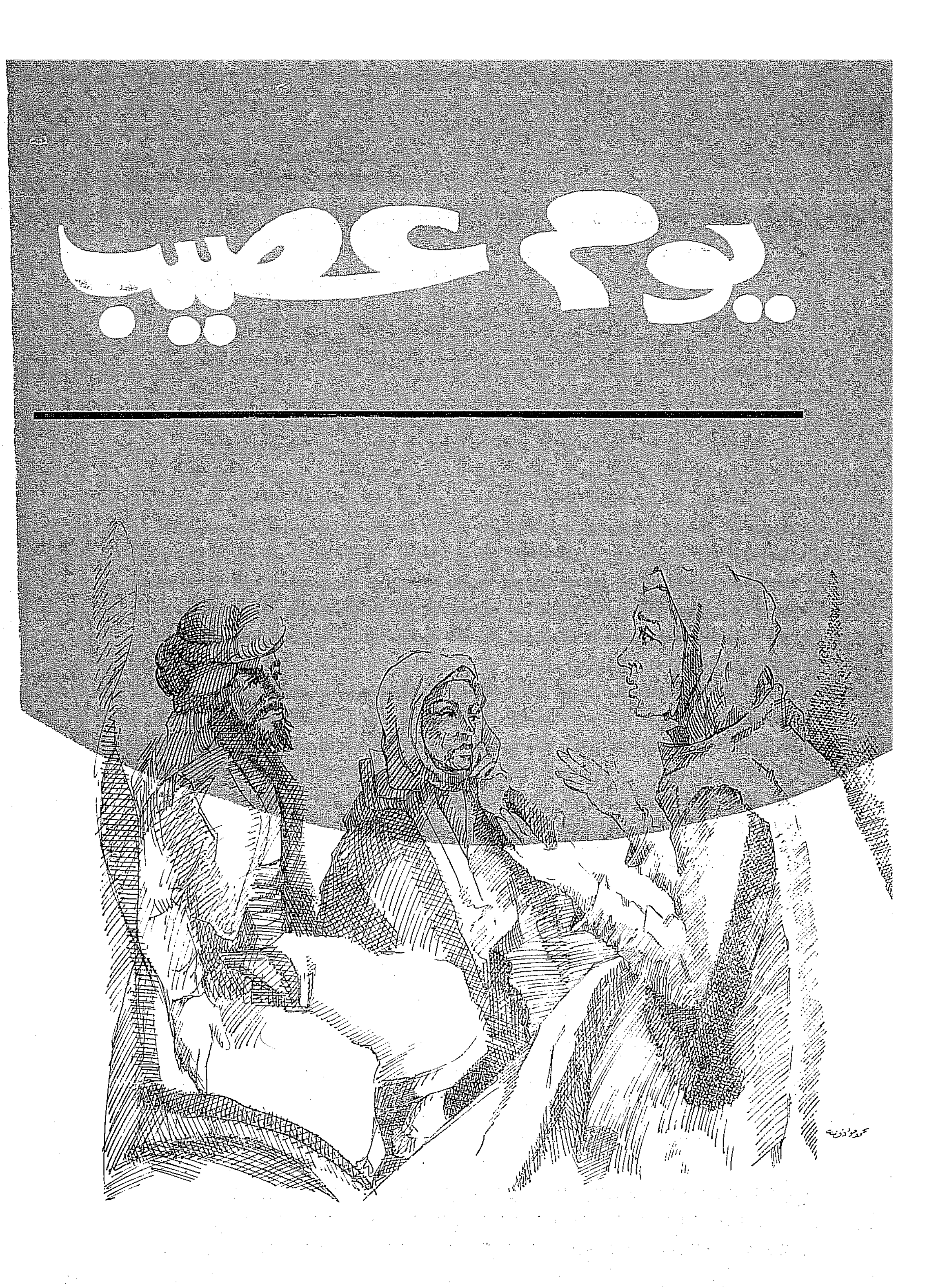
---

(١) راجع « فى الادب الجاهلى » — للدكتور طه حسين .

(٢) لعلى لست فى حاجة الى أننى أعنى (بالفكر الاسلامى الجامد المتعنت) بعض الشروح التى لا تبيح للانسان المعاصر أن يضيف الى تراثنا فهما جديدا . أو استلهاما جديدا .

(٣) جان بول سارتر — من كتاب الرؤيا الابداعية — جمع بلوك . وسالنجر . ترجمة : أسعد حليم .

يوم عصيب



يا للذهول أية هلهلة ملابس وأى نحول ؟ من يصدق أن هذا هو عمر بن عبد العزيز ؟

— ٦ —

الحديث طال بين أمير المؤمنين عمر وبين عمته فاطمة بنت مــروان. تريد هى أن تفجر غضبها ، ولكن ذكاءها وخبرتها يمسكان بغضبها ، فالمهم أن تنال من زيارتها اربها ، وما اعتادت عند الخلفاء من قبل عمر الا أن تعود محققة هدفها ..

وعمر بهدوئه وحيائه وبالغ تودده وتواضعه يرد غضبها الى مكامنه فى جوانحها .

وصمتت السيدة الكبيرة وأطرقت ولكن ادكارها أبناء أخوتها وبناتهم وما أهمهم من أمر عمر وأهاج خواطرهم والشر الذى صمموا عليه فى حق عمر كل ذلك أثار ثائرتها فانفجرت صارخة !

« ومن قال لك انهم سوف يرضون لك بكل ما تفعله بهم فيذعنوا لك ويستسلموا لمشيئتك ؟؟

« انهم رعية كسائر الرعية ، وأنا استخلفت برضاء الناس ورضائكم ، وما أفعل الا بما أمر الله ورسوله وسار عليه أبو بكر وعمر .

« ولكنك لن تجيئهم بناس كمن عايشوا أبا بكر وعمر ..

« اذا زاغ الناس فنحن أولى بأن نستقيم أمامهم ، ونبدأ بأنفسنا من دونهم .

« لا فائدة انك لن تسمع من أحد ! أنك ترزأ أبناء عمومتك فى مالهم وشرف الرياسة التى نالوها بجدهم ودمائهم .

« الخلق كلهم عيال الله يا عمه .

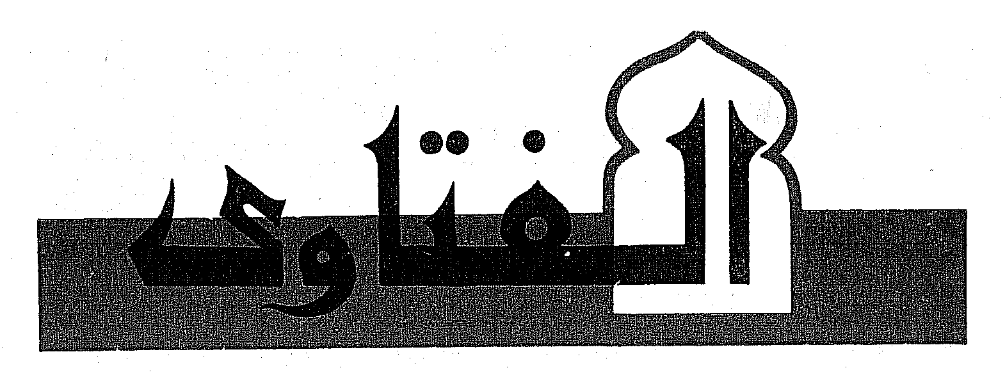
« استمع الىّ يا عمر طاوعنى يا عمر ، انك إن لم تفعل فان أبناء عمومتك سيهيجون عليك يوما عصيبا ..

« ان يوما أخافه يا عمه دون يوم القيامة فلا نجانى الله منه ! ..

« لا فائدة ! انك لن ترضينى ولو مكثت عندك ألف سنة ...

« الله ورسوله أحق منك بالرضا يا عمه ...





متى يقام للصـــلاة

السؤال :

يلاحظ ان المصلين لا يقومون فى وقت واحد عند اقامة الصلاة ، فبعضهم يقوم عندما يبدأ المؤذن الاقامة ، وبعضهم يقوم فى اثناء الاقامة ، فأيهما افضل ؟

سليم العدنى ــ عدن

الاجابـــة :

قال الامام مالك فى الموطأ : لم اسمع فى قيام الناس حين تقام الصلاة حدا محددا انى أرى ذلك على قدر طاقة الناس فان منهم الثقيل والخفيف ، وما دام لم يرد نص يحدد زمن القيام للصلاة ، ولا نص يحدد كلمة مخصوصة من كلمات الاقامة يقوم المصلى عند سماعها فان ذلك متروك لتقديره وحـــالة المصـــلين ، والمطلوب ان يكون المصلون جميعا صفوفا متراصة منتظمة كاملة عند تكبير الامام تكبيرة الاحرام .

وروى ابن المنذر عن أنس : انه كان يقوم اذا قال المؤذن قد قامت الصلاة .

الوقت بين الاذان والاقامـــة

السؤال :

اذا أذن المؤذن للصلاة فمتى يقيمها . هل هناك زمن محدد شرعا يفصل بين الاذان والاقامة بمعنى انه لا يقيم الصلاة ، الا بعد خمس دقائق أو عشر مثلا .

على بن زيـــد ــ دبى

الاجابـــة :

لم يرد نص يحدد الزمن الذى يفصل بين الاذان والاقامة وانما المطلوب شرعا هو الفصل بين الأذان والاقامة بوقت يسع الاستعداد وحضـــورها لأن الأذان انما شرع لاعلام الناس بدخول الصـــلاة فيستعدون لها ومتى اجتمـــع المصلون أقيمت الصلاة ، وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والـــترمذى عن جابر بن سمرة قال ــ كان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن ثم يمهل فلا يقيم حتى اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج اقام الصـــلاة حين يراه .

صـلاة المستحاضـة

السؤال :

العادة الشهرية عندى كانت ستة أيام ثم أصابنى نزيف واستمر نزول الدم دون انقطاع وأحيانا يكون غزيرا وأحيانا يكـون على هيأة نقـط وعجزت عن علاجه فكيف اصلى ؟

الاجابـة :

ما دامت مدة العادة الشهرية لك كانت معروفة قبل حدوث النزيف فتعتبر هذه المدة حيضا وهى عندك ستة أيام شهريا فلا تصلى ولا تصومين فيها ، وبعد مضى هذه المدة يجب عليك أن تغتسلى وتصلى وتصومين ، وفى هذه الحالـة يجب عليك الوضوء لكل صلاة بعد دخول وقتها وان تغسلى مكان النزيف قبـل الوضوء وتضعى قطنة مثلا لدفع النجاسة أو تقليلها .

الدعاء أثناء القـراءة

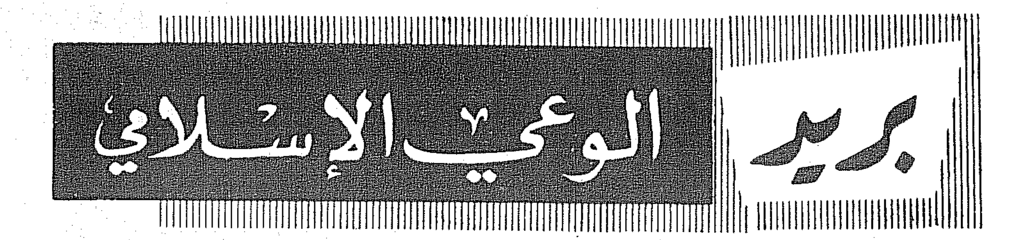
السؤال :

سمعت بعض المصلين أثناء قراءته القرآن فى الصلاة يقطع القراءة ويدعو بأدعية مناسبة فيقول عند ذكر الجنة اللهم انى اسألك الجنـة وعند ذكر النار اللهم أجرنى من النار فهل ذلك جائز شرعا ؟

هيثم عدنان ـــ الدوحة

الاجابـة :

يسن لكل من قرأ فى الصلاة أو غيرها اذا مر بآية رحمة ان يسأل اللـه تعالى من فضله ، واذا مر بآية عذاب ان يستعيذ به من النار ، واذا مر بآية تنزيه لله سبحانه نزه فقال سـبحانه وتعالى أو نحو ذلـك ، ويستحب لكل من قرأ (أليس الله بأحكم الحاكمين) ان يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين ، واذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) قال بلى أشـهد واذا قرأ (فبأى حديث بعده يؤمنون) قال آمنت بالله واذا قرأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قـال لا نكذب بشىء من آيات ربنا واذا قال (سبح اسم ربك الأعلى) قال سبحان ربى الأعلى ويستحب هذا للامام والمأموم والمنفرد لانـه دعاء فهو مطلـوب منهم كالتأمين وكذلك الحكم فى القراءة فى غير الصـلاة .



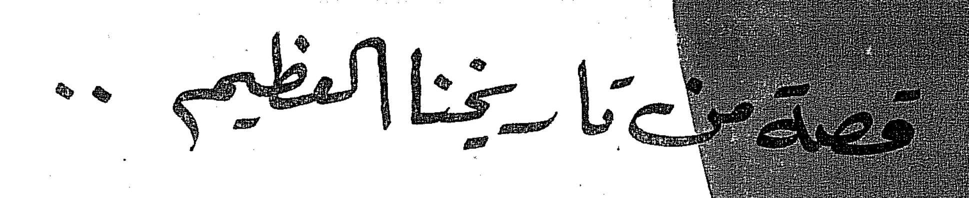
ملاحظـــات
حول مقال ((دين زاحف مهما كانت العوائق))

بعث الينا الاستاذ أبو القيم الكبيسى من محافظة الانبار بالعـراق الملاحظات التالية : —

اقرأ الأستاذ الكبير محمد الغزالى كتبه فى (الدعوة) ومقالاته فأحس بفيض من الحياة يغمرنى فأود أن أتحرك وأن أعمل ممزقا كل خيوط العزلة ، والتى يكـاد أن يفرى المؤمن بها بضغط ... التقهقر الانسانى نحو ((السافل)) .

وآخر ما قرأته لفضيلته فى مجلة الوعى الاسلامى مقاله ((دين زاحف مهما كانت العوائق)) والمقال هذا عالج فيه الأستاذ — ككل كتاباته — موضوع الساعة ((الاسلام)) فى آخر زمان ، كما يسيغ لدعاة القعود ، ومثبطى همم الشباب الداعى الى الله تعالى أن يسموه ، آخذين من تسميته هذه أن لا جدوى من ((الدعوة)) فهى اليوم فى محل من يحاول أن يرجع الايام الأولى ، وما هـو بفاعل ، ولهذا أسباب ليس هنا محل بحثها ، وحقا أجاد أستاذنا بالغيب الأستاذ الغزالى فأتاها من القواعد ، فجزاه الله تعالى على غيرته الخير ، ومد فى عمره لنصرة الحق الغريب .. غير أن ثمة ملاحظات عنت لى وأنا اقرأ مقالـه آنف الذكر ، فوددت تسجيلها ومبادلة فضيلته الرأى فيها على صفحات مجلتنـا الزاهرة فليأذن لى فضيلته مشكورا .

١ — قال فضيلته ((كلما قرأت أبواب الفتن فى كتب السنة شعرت بانزعاج وتشاؤم ، وأحسست أن الذين أشرفوا على جمع هذه الأحاديث قد أساءوا — من حيث لا يدرون ومن حيث لا يقصدون — الى حاضر الاسلام ومستقبله — وأظن ان الأمر لا يدعو لكل هذا ليكون بالتالى قد أساء من جمع هذه الأحاديث بقصد أو بغير قصد !! فالأمر أهون من ذلك بكثير ذلك لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، قالها وهو يعلم اذ يقولها أنها أمانة الرسالة والتبليغ ((وما ينطق عن الهوى)) ولا يجهل أنها ستتصل الأجيال جيلا بعد جيل . ((انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون)) وسنته الصحيحة من (الذكر المحفوظ فقائلهـا وناقلوهـا براء من قصد الاساءة .. بقى ما يحتمل ((النص)) المنقول من وجهة نظر تفسيرية هى ملك لصاحبها لا لغيره ، فهى ان كان يؤخذ منها كما يقول فضيلـة الشيخ ((تصوير الدين وكأنه يقاتل فى معركة انسحاب)) فهى مردودة لا يتحمل ما يترتب على ردها ((النص)) باعتبارها أبعد ما تكون عنه ... ولقد أجاد فضيلـة الشيخ فى ردها .



للأستاذ أحمد الغناني

— ١ —

على وجهها المشرق القسمات تبدو نضرة النعيم كأحسن ما تبدو على محيا سيدة تقدمت بها السنوات ، ولكن فى سلسلة من المسرات ، وأيام من العز والسعادة .

وكل شىء من حولها يكاد ينطق بالهناءة والغنى الموفور ... ولو أنها سألت نفسها ماذا تريد من الدنيا ، مما لم يتحقق لسيدة مثلها لأعياها أن تتمنى على الدنيا الا مستحيلا لا يتحقق لها ولا لسواها ، وهو أن تعيش مع النعمة التى تتقلب فى أعطافها فلا تموت أبدا ...

وهى لا تذكر فى ماضيها شيئا تشكو منه الا أن يكون ذلك وفاة من توفاه الله من أهلها ولا سيما عبد الملك ، وعبد العزيز ابنا مروان أخواها ، ولكنهما أن يكونا قد عنوا لأمر الله فان حسبها أن أبناء عبد الملك ، خلفاء كانوا أم أولياء عهد وأمراء ، وأبناء أبنائهم أيضا يعرفون حقها عليهم ، فلا يتأخرون فى زيارة ، ولا يقصرون فى واجب ، بل هم يصلون حد المبالغة فى اعزازها والرجوع فى كثير من الأمور الى رأيها ، حتى أصبحت هى العنصر المرجح فى خلاف يقع ، أو حيرة تلتاث فيها الأمور ...

لقد كانت سيدة راجحة العقل ، تعرف كيف تحترم نفسها وتــــزن مواقفها ، وتجنح الى الانصاف والروية ، ومع أن الجميع كانــوا مجمعين على توقيرها ، أن كانت آخر الاحياء من ابناء مروان جدهم ، وبانى مجدهم الا أنها كانت غير مسرفة فى الانفاق من ذلك الرصيد الكبير ، فهى لا تدخل فى أمر لا يعنيها ، ولا تتطوع أو تتطفل فى موضوع لا تسأل رأيها فيه .. مقيمة فى دارها الفخمة على ضفة بردى ، يسعى لها بما تشاء خدمها وغير خدمها .

ولقد دارت بها الأيام حتى ملأت ذاكرتها بذكريات أحداثها .. من عهد النصر الذى حققه أبوها فى « مرج راهط » فثبت أركان حكمه فى دمشق ،

الى عهد عبد الملك أخيها ، وما شهدته أيامه من تثبيت لملك أمية فى دمشق وانطواء صفحتى عبد الله ومصعب ابنى الزبير ، وعودة الحجاز والعراق ومصر وأفريقيا لحوزة الخلافة ، ثم استئناف الفتوح فى غير مكان واحد من أطراف الدولة العظيمة ، ثم امتداد تلك الفتوح العظمى فى أيام الوليد .

— ٢ —

وانها لمحصورة المنى فى مجد أبناء أبيها وأحفاده ، لا تتمنى أن يوافيها الأجل وهى ترى بينهم خصومة قد تطمع أحدا فى ملكهم ، أو بادرة ضعف قد تودى بباذخ شرفهم ..

وكانت تحس بدورها الكبير ، ونفوذها الأدبى الحاسم فى كثير من الأمور ، كما تستشعر حاجة بنى أبيها لها ، فلا تسمح لنفسها أن تغفل عن شاردة أو واردة من أمرهم الا وعندها علمها .

ومنذ وفاة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ابن أخيها وهى تحس بغير سبب واحد لقلق يشيع فى نفسها .... قلق غامض مبهم خفيف ، يغشى جوانحها كما تغشى سحابة الدمعة المتراجعة أطراف العين الحزينة .

لقد كانت كسائر بنى مروان تعرف لعبد الملك حقه عليهم جميعا وهى بعد وجدت كما وجد سواها فى الوليد ابنه تأكيدا لذلك الحق ، فلولا عبد الملك والوليد لمادت بالأمويين الارض أو ساخت تحت أقدامهم ..

ولقد مات الوليد ثم طوى الردى بعد على حين غرة أخاه سليمان ولكن بيت عبد الملك لم يخل من الرجال فثمة يزيد وهشام ..

لم يكن أمرا مريحا أن تنتقل الخلافة الى بيت عبد العزيز بن مروان .. ولكن كذلك جاءت مشيئة سليمان وهو على فراش الموت المباغت وكذلك دبر رجاء بن حيوة فأحكم التدبير ، وأسقط فى أيدى أبناء عبد الملك حين سارع مسلمة أخوهم الى تأييد ابن حيوة ، ومسلمة بطل شجاع ولكنه ابن لأم ولد فليس غريبا عنه ، وهو الذى يقعد به نسب أخواله عن مجد الخلافة ، أن يؤثر عمر بن عبد العزيز على اخوته أبناء أبيه عبد الملك ...

— ٣ —

ولكن مهلا .. لم اليأس من عمر ؟

لقد يكون من الخير للأمويين أن يستخلف هذا الرجل بالذات من أبناء أخيها عبد العزيز .. فلهذا الرجل شعبية واضحة ، ان كان جده لأمه هو عمر بن الخطاب الذى أوسع الناس عدلا وكرامة ، وأبوه أكثر الأمويين اسماحا وكرما وتوددا للناس .

ثم هو رجل كريم ، وصاحب علم وفضل ، وهو بعد ابن عبد العزيز أخيها الذى طالما أوسعها برا ، وأطلق لسانها بالشكر ، وهذا الرجل أيضا زوج أحب بنات أخيها اليها ، وأقرب الأمويات الى قلبها سميتها فاطمة بنت عبد الملك التى طالما رأت فيها امتدادا لوجودها هى نفسها .

ثم ان الناس ضاقت مذاهبهم بهذا الحصار الطويل الذى فرضه

سليمان على القسطنطينية من غير أهبة كافية له ، فلا هو بمثمر ولا هو بمتوقف .

وعمر محبوب ولا سيما فى مدينة الرسول ، وما تزال يثرب موطن الهجرة والرسالة والنصر ، وخيرة التابعين وعلماء المسلمين .. لعلها تسمح فى خلافة عمر وترضى .. الم يكن عمر فيها قائما بالقسط ؟ منافحا فى وجه الحجاج وغير الحجاج حتى انه بسبيل الدفاع عن أهلها لقى ما لقى من عنت الوليد ؟

ومع كل هذه الأمور ، فان خلاف الأمويين مع عمر خطير جد خطير ! تذكرت فاطمة ما سمعته من شكاوى أبناء اخوتها من عمر فأحست بغضب يستبد بقلبها ، ويهيج فيها رغبة فى العنف والصيال . ماذا يريد عمر من مصادرة أموال المروانيين ؟

ما هذا الذى يبغيه من العنف العنيف بأبناء سليمان والوليد ؟ وأى تفسير للتقشف الذى أخذ به نفسه وعياله حتى كاد يجيع أبناءه وبناته ؟

أليس كل هؤلاء وأولئك أبناء اخوتها وبناتهم وهى أولى الناس بالغيرة على ما أصابهم ... وأحست بغليان الغضب فى رأسها وقلبها وكيانها كله ونهضت نافرة حانقة تنادى فتيانها أن يهيئن لخروجها ، واضطربت الفتيات لما حسبنه من أمر عظيم يغضب السيدة الأميرة الوقور التى اعتاد الأمراء أن يسعوا اليها وتهامسن فى حذر ، وتراكضن لحاجتها فى تهيب وحذر ، وخرجت فاطمة تتهادى فى مسيرتها ، لكنها فى هذه المرة لم تأخذ فتيانها من خلفها ..

— ٤ —

ترى ما حال فاطمة ابنة أخيها وحال أبنائها وبناتها ؟

قد مضى عليها وقت لم ترهم ولم ترها ، ولكن أخبارا نميت اليها ما تكاد تصدقها .. .. أحقا تكون فاطمة ابنة أخيها قد عنت لرغبة زوجها فأعادت الى بيت المال سائر مالها وحليها ؟

أحقا ما قيل منذ شهرين وأكثر بأن الهزال والاصفرار قد ألحا عليها وأخرجت مرآة ساذجة نظرت فيها الى نفسها .

انها أكبر من زوجة عبد الملك أم فاطمة ، زوجة عمر بن عبد العزيز ، ومع ذلك فان الحياة تتفجر ثرّة غزيرة فى كل كيانها ...

وعلى الطريق لقيها أحد أبناء الوليد دون بيت عمر ، فسارع اليها متهيبا وسلم وابتدر يدها فقبلها ... ثم مال الى رأسها هامسا « ابن عمه ؟ »

« الى ابن أخى عمر هذا أمير المؤمنين .

« كذا ؟ عهدى بك

« عهدك بى أزار ولا أزور ، مرعية القربى والرحم لكن ابن أخى هذا مشغول ليله ونهاره فى أمور الناس ، فما يصفو لـه عيش ، ولا يقر له قرار ... كأنه لم يستخلف قبله أمير للمؤمنين .

« بلى ، قد استخلف من هو مثله ومعلمه .

« معك حق ، فهو أشبه الناس بجده ابن الخطاب .

« ولكن أيام جده تولت يا عمه وأرى هذا الرجل قد ألقى بشره على رءوسنا ، والأمر استفحل ... الساعة وضع يده على ضيعتى بطريق حمص فأعادها الى بيت المال كذا ؟

« أجل يا عمه والمصيبة أنه يفعل بنفسه أشد من ذلك تدرين أنه أعاد جبل الورس الذى تركه له أبوه الـى بيت المال ؟ مـن ذا يقوم بأولاده ان مال بهم زمان ؟ لكنه حر فيما يشاء لنفسه .. أما نحن ؟ ما شأنه بنا نحن ؟ يمين الله لنرينه يوما أشد وقعا على رأسه من النبال .

« حسبك يا بنى .. لا يسمعك أحد .. لا تطمعوا الناس فيكم لستم بغير أعداء ..

« والى متى يا عمه ؟ قد طفح الكيل يا عمه ؟ يريد هذا الرجل أن يردنا الى منزلة العامة والسوقة ؟

« لا بأس يا بنى لا بأس .. الجرح فى الكف ، والرجل ابن عـم ، والنصيحة ان تكررت تثمر ، دع ذلك عنك لى فانى آخذة ايـاه بالحـزم والوعيد ..

جلست فاطمة بنت عبد الملك الى عمتها فاطمة بنت مروان كانت تحاول أن تشيح بوجهها ولو قليلا عنها فطعامها فى ذلـك اليوم مـن العدس والبصل ، وافتقار بيتها الى الروائح والطيب أحرجها أمام السيدة الوقور الفواحة العطور .

وابنة مروان تدير بصرهـا فى أرجاء بيت عمر بن عبد العـزيز وتنظر فى امرأته وبناته وأبنائه فتكاد تصعق ؟

« أهذا بيت أمير للمؤمنين ؟ أهذه حياة تنبغى لمن يمتد ملكه من وراء النهر عند تخوم الصين ، الى ملتطم الأمواج على بحر الظلمـات ؟ أكـذا تعيشـون على أتفه زاد ، وتتدثرون بأفقر ملابس ؟

أكذا داركم عارية فلا تلحق بدار أدنى تاجر أو أفقر صانع ؟ أكـذا تصنعون بأنفسكم أيها الناس ؟

ألم يكن عمر قبل الامارة والولاية مثلا يحتذى به فى رقة الحاشيـة وغضارة العيش ، ومطارف الخز ، وعيش البلهنية والعز ؟ ما الـذى أصابكم أيها الناس ؟ ماذا جرى لعقولكم ، لماذا أنت مطرقة يا فاطمة ؟

ورفعت فاطمة بنت عبد الملك رأسها فاذا الدموع ملء عينيها ..

« ان عمر على حق يا عمه !

« ماذا ؟ أنت الأخرى تقولين بقوله لأمر ما اذا أعدت حليك الى بيت المال ؟ ورضيت هذا العيش الأجدب عيش الهوان ؟

« عمر على حق يا عمه ... كيف وما تزول قدما عبد يوم القيامة الا بعد أن يسأل عن أمور تشيب لهولها الاطفال .

اننا لم نخلق لنحمل على رقاب الناس يا عمه إن اليوم الذى يجمع له الناس ليوم مخيف يا عمه » .. غفر الله لأبى ولجدى كيف من السحت أو الظلم نميا لحمى وعظمى ..

« وأنت أيضا يا فاطمة ؟ أنت تقولين بما يقول به ، لا بدع ما دام ابنك عبد الملك بن عمر هو الآخر يقول بقول أبيه هاها ! ... ها هو أقبـل !



الايمان المادى

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ محمدسيد أحمد المسير :

الايمان — فى نطلق الحق الآلهى . تحقيق للفضيلة والكرامة فى مجتمع البشر ، وتخليص لأفراده من رق العبودية الوضيعة ، وازكاء لمثل رفيعة تحفظ لهم قرائحهم الانسانية ووجودهم الروحى مما يؤهلهم للسير فى هذه الحياة على هدى وبصيرة بطيب العمل وقويم السلوك عمارة للأرض وزادا للسماء ..

ويبدو ان المسلمين فى وقتنا الحاضر قلبوا معايير الايمان وتعلقوا بأشكاله ونأوا عن جوهره واصالته وأضع أمام القارى صورة تبدو للنظرة الأولى بسيطة سهلة ولكن لها دلالتها ومغزاها .. فذات مرة جلست بجوارى فى « التاكسى » فتاة ، وحين تحرك بدأت تتلو آيات من الذكر الحكيم .. وكلما حدث شىء فى الطريق استعاذت بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب .. والى هنا تبدو الصورة عادية فاذا علمت ان هذه الفتاة ترتدى احدى (صيحات) الموضه .. بدأ العجب .

لماذا ؟ لانها لو كانت تتلو الآيات تعبدا وتدعو الله تضرعا لاستحيت ان تناجيه وهى متلبسة بالمحرم لكنه الايمان المادى — ان صح التعبير — ايمان للشفاء من مرض أو للفوز بالنجاح أو للوصول الى منصب أو للتحرز من خطر .. ومن هنا ظهرت فى دنيا المسلمين التمائم واحتفظ كل منهم معه بآية الكرسى أو سورة ((يس)) وهم أبعد الناس عن الله وانآهم عن القرآن وأجهلهم بأحكامه لقد سرت المادية الى كل شىء حتى الايمان لا يلتجأ اليه الا لكسب مادى .. !!

ومن المضحك أو المؤسف على حد سواء أن الأمر لم يقف عند حد طلب الكسب الطيب بل أصبح من المألوف على ألسنة الراقصات وذوى الفن الماجن أن نسمع منهم هذه الكلمات : الحمد الله أنا أديت رقصتى بنجاح والحمد الله كان اعجاب الجمهور بدورى فى الفيلم شديدا ، وان شاء الله أتمنى أن أقوم بدورى فى المسرحية على خير وجه ، وربنا يوفقنا دائما لأن نقدم للجمهور كل جديد فى الرقص والفن والغناء ..

ياللجهل .. !! أيستعان بالله فى معصية الله ؟ !!

علينا أن نطهر ايماننا من دنس المادة ورجسها ونخلص لله تديننا . وفى الحديث الصحيح (من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) . ولنتذكر قول

المصطفى عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وقد غذى بالحرام فأنى يستجاب له ؟)) .

هذا وعلينا أن لا نتشاءم فلهذه القصة دلالة قوية على جانب كبير من الأهمية فهى من أقرب وأعمق آيات افحام ذوى الالحاد فالفطرة الانسانية فى حال نقائها وبعدها عن غوائل السوء تلجأ الى الذى فطرها كما قال جل شأنه ((قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون)) .

فعجيب أمر هذا الانسان ... !!

اذا أظلم عليه السبيل أو هاله ليل أو جاءته ريح عاصف أو هاجه موج ثائر — رجع الى صوت الفطرة وتضرع الى الله وحده بذله وانكسار رجاء كشف الكروب وازالة الشدائد فتتداركه يد الرحمة الشاملة وتعمه بآلائها وتسبغ عليه من النعم ظاهرها وباطنها .. لكنه هو الانسان الظلوم الجهول .. !!

ما ان يستشعر بسطة جسم أو فضل نعمة حتى يقول ((لقد أوتيته على علم عندى)) ..

ويعلم اللـه أنى التقيت كثيرا مع هؤلاء وفى احدى المرات ناقشنى أحدهم طويلا وبدا لى انه من أئمة الكفر ، ليس عن بينة طبعا فالالحاد لا يقوم على حجة وانما ينشأ عن هوى طائش وشهوة جامحة وخبث دفين .. وقد يكون عن ارتجال وانسياق ومع هذا فأشهد الله انى سمعته وهو نائم يقول بعالى صوته .. يارب .. يارب مما جعلنى أوقظه وأنقذه من الصراع النفسى الدائر داخل خبايا ضميره والذى يتظاهر باخفائه ..

وليطمئن القارى فقد رأيت صاحبى هذا بعد ذلك وهو قائم يصلى فى بيت من بيوت اللـه .. ان الدين صوت العقل وهتاف الضمير ونداء المثل « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) .

صدق الله العظيم

اقـرء فى العـدد القـادم:

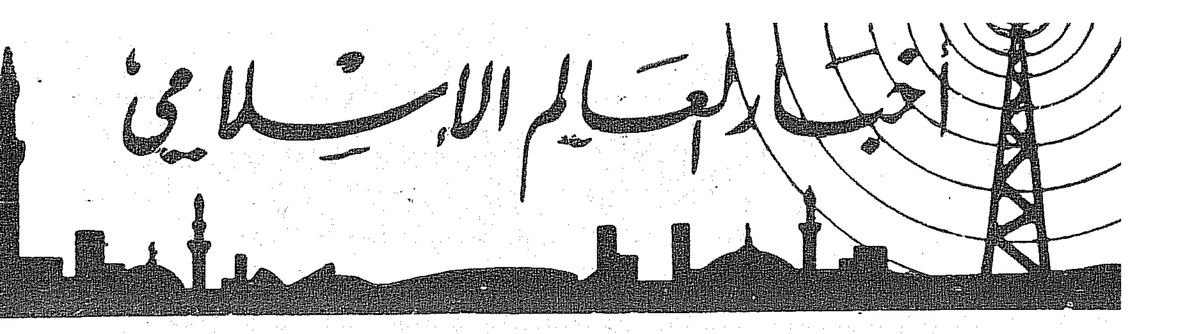
الاستشراء في مجال الدعوة . في ذكرى الاسراء والمعراج

. الاسراء والمعراج . آية الاسراء والمعراج . القرآن والعلم .

من وحي الاسراء والمعراج . يوم من أيام الاسراء .

لماذا عدوان الصهيونية . قضية الشيوع الأدبي .

صور من بطولات أهل فلسطين .



اعداد : ع.ب

الـــكويت : قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة رسمية لســوريا تلبية لدعوة مــن السيد رئيس الجمهورية ، ثم توجه حفظه الله الى لبنان لقضاء فترة من الراحة والاستجمام .

● استقبل معالى وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة وفد اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وقد أكد معاليه للوفد مساندته للاتحاد ودعمه لنشاطاته .

● تلقى معالى الاستاذ راشـــد الفرحان وزير الاوقـــاف والشئون الاسلامية دعـــوة لزيـــارة المسلمين فى الاتحاد السوفياتى من الشيخ ضياء الدين باباخان زعيم المسلمين فى الاتحاد السوفياتى ، وقد لبى معاليه الدعوة وسيرافقه الأستاذ عبد الله العيسى المستشار ، والأستاذ أنور الرفاعى مدير الشئون المالية بالوزارة .م كما تلقى معاليه مذكرة من السيد روحى الخطيب أمين مدينة القدس توضح الخطر المتمثل فى ظهور المنظمة الصهيونية « أمناء جبل البيت » على البيت الحرام فى القدس .

● أعلنت الوزارة عن افتتاح دار القرآن الكريم تقبل المتقدمين من الآن لحفظ القرآن الكريم .

● أعلنت نتائج الامتحان النهائى لمعهد الامامة والخطابة وبلغ عدد الناجحين ٣٢ طالبا .

● رفعت الوزارة مذكرة الى مجلس الوزراء بشأن تكييف جميـــع مساجد الكويت .

● تولى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عناية خاصـــة بشراء الكتب الاسلامية باللغات الأندونيسية والأوروبية والفيليبينية واليابانية والصينية وغيرها كوسيلة من وسائل الوزارة للعنايـــة بالدعوة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

● شددت وزارة الاعلام الرقابة على جميع المطبوعات الاجنبية ، ومصادرة الكتب المنافية للأخلاق .

● تم افتتاح ٩ مساجد جديدة فى ٩ مناطق مختلفة خلال الشهر الماضى من بينها مسجد مدينـــة الحجاج .

القـــاهرة : انتهت الدراسات الاعدادية الخاصة بانشاء بنك اسلامى عالمى ، وسيعرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية القادم . صرح بذلك الرئيس العـــام لجمعيات الشبان المسلمين .

● وجّه شيخ الجامع الأزهر نداء الى لجنة (وضع الدستور الدائم) ناشدها العمل على اقتباس الدستور من كتاب الله وشريعـــة الاسلام.

● أقيمت صلاة الغائب فى مساجد مصر ترحمًا على أرواح المسلمين الضحايا فى مذابح الفيليبين وقد بعث شيخ الأزهر نداء الى الرئيس الفيليبينى دعاه الى وقف المذابح وحقن الـــدم الاسلامى .

● قام الرئيس داوود ياورا رئيس جمهورية جامبيا بزيارة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وقد تعرض الحديث بينهما لمساعدات الأزهر الثقافية لمسلمى جامبيا .

● قام وفد رسمى يمثل فيه الأزهر بزيارة الجزائر وليبيا حيث عقد اتفاقيات مع البلدين لتزويدهما بالخبرات فى مجال التعليم والثقافة .

السعوديـــة : وجّه جلالة الملك فيصل بيانا الى الشعب العربى فى مصر حمد الله فيه على موقف هذا الشعب من العروبة واستمساكه بالاسلام ودعا الى التأييد العملى من العرب والمسلمين لمصر .

● أكد البيان المشترك الذى صدر عقب زيارة الملك فيصل لمصر تمسك البلدين مصر والسعودية بحقوق شعب فلسطين والعمل مشتركين على درء الخطر الصهيونى .

● تلقى جلالة الملك فيصل تقارير من الهيئات الاسلامية عن أحوال المسلمين وأوضاعهم فى جنوب شرق آسيا أثناء زيارته للصين واليابان .

الأردن : تقوم اسرائيل بتنفيذ مخطط جديد لها بتعويض أهالى مدينة القدس العربية عن ممتلكاتهم التى صادرتها السلطات الاسرائيلية .

● رفضت اسرائيل التعاون مع لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة ومنعتها من اجراء أبحاثها حول أوضاع العرب فى الأرض المحتلة .

● تجرى مباحثات جادة مع العواصم العربية لمنع تهويد القدس والقيام بتحرك عالمى واسع النطاق لهذا الغرض .

العراق : أرسل فخامة رئيس الجمهورية رسالة الى حضرة صاحب السمو أمير الكويت المعظم ، كما بعث سيادته رسائل مماثلة الى ثلاث عشرة دولة عربية تتضمن وجهة نظر العراق فى الوضع العربى الراهن .

سوريا : استقبل حضرة صاحب السمو أمير الكويت المعظم بحفاوة بالغة من الحكومة والشعب وقد تفقد سموه معالم النهضة فى البلاد اثناء زيارته الميمونة .

لبنان : عقدت فى الشهر الماضى اجتماعات الدورة الخامسة للتخطيط التربوى لأبناء فلسطين وقد تناولت خطة الخدمات التعليمية فى الأراضى المحتلة وفى المؤسسات العربية كما تناولت بحث المعونة لمن لا مورد له من لدن جامعة الدول العربية .

ليبيا : تقوم بعثة اسلامية من ليبيا بجولة فى بعض دول افريقيا وهى تحمل رسائل من الرئيس القذافى الى رؤساء تلك الدول تتعلق بالشئون الاسلامية .

المغرب : اجتمع جلالة الملك الحسن بالأمير تنكو عبد الرحمن أمين عام الأمانة الاسلامية وقال الملك انه مقتنع بأن مؤتمر المراكز الاسلامية الذى عقد فى الرباط سيعمل على توطيد الروابط الاسلامية .

● أقيمت فى الشهر الماضى مسابقة كبرى فى حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وقد وزعت الجوائز على الفائزين .

أرتيريا : تمكن رجال حركة التحرير الأرتيرية من اسقاط طائرة أمريكية كانت تقصف قرى المسلمين الأرتيريين وقتلوا قائد الطائرة .

باكستان : تتوالى عودة اللاجئين الى باكستان الشرقية بعد هدوء الأوضاع وانتهاء الفتنة الداخلية .

الفيليبين : راح أكثر من ١٢٠ مسلما ضحية مذابح طائفية قام بها بعض المسيحيين فى الفيليبين بعد أن اقتيد كثير من هؤلاء الضحايا الى المساجد والمدارس وتم قتلهم ، والوعى الاسلامى تأسف لهذا التعصب الهمجى وتناشد العالم الاسلامى والضمير العالمى الضغط على حكومة الفيليبين لايقاف هذه المذابح .

أفغانستان : سيعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية دورة جديدة له فى مدينة كابل (العاصمة) وسيبحث المؤتمر انشاء المراكز الاسلامية وتوحيد وكالات الانباء الاسلامية .

أعود فاقول ان مجرد وجود أبواب الفتن لا يقتضى الاساءة اطلاقا ، والا نهى كذلك فى آيات الصفات وأحاديثها الصحاح .

٢ ــ تساءل الاستاذ الغزالى عما يفعله المسلم المسكين ! وهو يقرأ حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى عن الزبير بن عدى قال : شكونا الى أنس ما نلقى من ((الحجاج)) فقال ((اصبروا ، فانه لا يأتى عليكم زمان الا الــذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ونفى الشيخ أن يراد بهذا ((أن أمر المسلمين فى ادبار وأن بناء الامة كلها الى انهيار ، ولا خلاف مع فضيلته فى هذا ، أما أن يستشهد الاستاذ فى نفى هذا الظــاهر بأحداث وقعت فى عصر بنى أمية جاء فيها الأتقى (الملتزم) بعد (غير الملتزم) فهو استشهاد يلزم أن يكون مدار حديث أنس هذا الظاهر فقط لا غيره ، واستميح الشيخ لطفا أن أقول ان حديث أنس لا يحمل هذا ((المضمون)) ليعتمد فى نفيه على هذا ، ذلك لأن الاستشهاد بالنص على كيفية ما ، لا تعنى النص ذاته أن الذى يفسر حديث أنس قول الشعبى قال عبد الله : ليس من عام الا والذى بعده شر منه لا أقول أمير خير من أمير ولا عام أخصب من عام ، ولكنه ذهاب خياركم وعلمائكم ، ويحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الاسلام وينثلم ، يعزز هذا التفسير الكثير من أقوال السلف ، ومشاهدة واقع الخلف خير دليل على صحة هذا ، فانكماش الاسلام أمام جحافل البدع والآراء والأهوال فى رحاب عالم اسلامى ، ملىء بمذاهب ونحل داخل (الاسلام) نفسه ، وكأنهم ليسوا ممن يقرأون قول الله تعالى ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) ((ان الذين فرقــوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء)) الى غير ذلك من مفارقات موزعة بين المشاهد والقبور فى كل العالم الاسلامى ، حاشا الحجاز ، فانتشار الاسلام اذن ودخوله كل بيت لا يرد بمحال غربة الدين الخالص البعيد عن ((الشرك)) بأنواعه والأمر أعنى أمر غربة هذا الدين الخالص ، تزداد ما دام الشر ينتشر بجناحى ((الحرية)) والحق مكبلا بقيود القوانين الجائرة ، روى أبو الدرداء قال لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه الا الصلاة قال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم (وأقول) فكيف لو جاء اليوم ! ولن تشفع بحال من الأحوال فى ازالة (الغربة) غربة الدين كما أراده اللــه ورسوله تلك الاحصائية الحافلــة برقم ثمانمائة مليون فكثرة الغثاء لا تسمن ولا تغنى من جوع ... وذهاب الأخيار الأول ، فالأول حق لا مرية فيه ، ومدار قيام الساعة يأذن به رقاص الايام المسافر الى الأمام قدما اليها على أن هــذا لا يغرى بالقاء عصا الترحال فى عماية وضع اليد على الذقن ، فالجهاد ماض الى يــوم القيامة ، وعصبة لا تزال على الحق الى أن يأتى أمر الله تعالى .

هذا ما أردت أن أبادل به فضيلة الشيخ الرأى فان يكن صوابا فمن الله تعالى وان يكن غير ذلك فمن نفسى والشيطان ، واستغفر الله أن أقول شططا،ولا يفوتنى أن أشكر للشيخ غيرته وانتصاره للعمل والدعوة الى الله لا سيما ونحن نعيش مجتمعات نفخ فيها الشيطان الرجيم ، وأعطيت فيها حرية العمــــل اللامسئول لألف سامرى أو يزيدون فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ولفضيلته شقيق الروح السلام والاحترام .

يهود الحجاز اسرائيليون يقينـــا

جاءنا من الأستاذ محمد عزة دروزة التعقيب الآتى : ــ

تعليقا على جواب الوعى الاسلامى على (سائل) المنشـــور فى العدد ٧٤ شهر صفر ١٣٩١ هـ نقول أن القرآن قد خاطب يهود الحجاز بصفة بنى اسرائيل فى كثير من الآيات بحيث يكون أى بحث وتخمين فى صور جنسيتهم لا محل له ، وبحيث يكون أى شك وتخمين بأنهم غير اسرائيليين أو عرب متهودون متهافت لا معنى له .

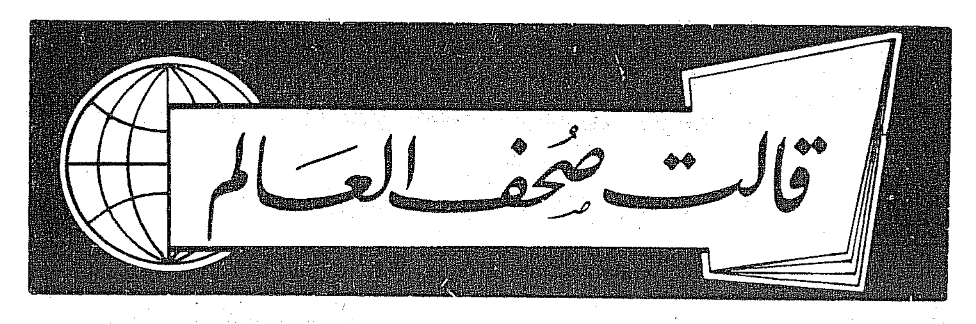
ومع أنهم كانوا أتوا الى الحجاز من أمد غير قصير واندمجوا فى المجتمع العربى ، وتعلموا العربية فقد ظلوا يعيشون حياتهم الخاصة من جهة ، ويحتفظون بلغتهم العبرانية من جهة أخرى على ما تفيده آثار عديدة منها حـــديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت جاء فيه (آمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود ، قال انى والله ما آمن يهود على كتاب ، قال فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته له ، قال فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبت لهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم ، وقد جاء فى الجزء الثالث من طبقات ابن سعد (أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث بجماعة من المسلمين لاغتيال زعيم يهودى فى خيبر اسمه أبو رافع لتحريضه قبائل غطفان ومن حولها من المشركين على حرب رسول الله ، وقد جعل على رأسهم عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية فيسر لهم ذلك دخول خيبر والوصول الى الزعيم وقتله ... وقد روى البخـــارى ومسلم عن ابن عمر قال : ــ

(اتى بيهودى ويهودية قد زنيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى يهود فقال ما تجدون فى التوراة على من زنى قالوا نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما ، قال فأتوا بالتوراة ان كنتم صادقين فأتوا بها فقرأوها حتى اذا جاءت آية الرجم سترها الذى يقرأ بيده وقرأ ما قبلهـــا وما بعدها فقال عبد الله بن سلام وهو مع النبى مره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله فرجما ، وهذا يفيد أن التوراة كانت بالعبرانية فلم يلحظ مكر القارىء اليهودى الا عبد الله بن سلام الذى كان قد أسلم .

المحـــــرر

مع تقديرنا للكاتب الاسلامى الكبير الاستاذ دروزة واقتناعنا بغزارة علمه وسعة اطلاعه نقـــول :

* اننا انتهينا فى بحثنا عن جنس يهود الحجاز ــ الذى علق عليه ــ بأنهم اسرائيليون فقلنا ((ومن هنا نتوصل الى القناعة بأن القبائل اليهودية الثلاث التى سكنت المدينةــ بنى النضير ، وبنى قريظة ، وبنى قينقاع ــ هى قبائل من جنس اسرائيلى)) وهذا هو ما ارتآه الكاتب الكبير فى تعقيبه ..



مأساة المسلمين فى الفلبين

نشرت صحيفة الاهرام القاهرية تحت هذا العنوان تقـــول :

المسلمون فى جنوب الفلبين يعيشون كمواطنين من الدرجة الثانية . نصيبهم من التعليم أقل مـــن القليل . فصل دراسى واحد لكل عشرة آلاف مواطن ، بينما فى بقية الجزر فصل دراسى لكل ٣٠٠ فرص العمل أمامهم ضيقة ومحدودة . الذين يسمح لهم بالتوظيف لا يتجاوزر عددهم ٥٠٠ شخص قراهم فقيرة وتعسة لا مشروعات ولا مرافق ولا خدمات .

مسلمو الفلبين ليسوا ضحايا التعصب فقط ، ولكنهم ضحايا زعمائهم أيضا .. هذه حقيقة عشتها فى الفلبين فى جزيرة مندانا والتى شهدت المذابح والتى تعد أحد المراكز الرئيسية لتجمع المسلمين الذين يرصدون كل حركة تحدث فى العالم العربى بينما لا يراهم أحد من على البعد بل لا يكاد احدنا يعرف أين موقعهم على خريطة العالم .

أقليـــة فى بـــــلادهم :

هم أقلية لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم موزعون على جزيرتى مندانا وسولو فى الجنوب وثمة أقليات أخرى فى الفلبين (٢٥ مليون نسمة) هم البوذيون والهندوس والوثنيون الذين يعيشون فى أقصى الشرق ويأكلون الكلاب ويعبدونها بينما أغلبية السكان من الكاثوليك .

هذه الصورة كانت مختلفة تماما منذ قرون قليلة مضت .

كانت هناك أغلبية مسلمة ساحقة وكانت جزر الفلبين مجموعة من السلطنات وعندما غزاالأسبان الفلبين فى القرن السادس عشر كان يحكم مانيلا ـــ العاصمة الآن ـــ السلطان راجا سليمان (دخـــل الاسلام جزر الفلبين على أيدى تجار الجزيرة العربية وحضرموت والملايو فى القرن الثالث عشر عندما كانوا يقومون برحلاتهم الشهيرة الى الصين) .

وطوال اربعة قرون خاض مسلمو الفلبين حرباً ضارية ضد الأسبان دفاعا عن الارض وعن العقيدة وخلال هذه الفترة (من القرن السادس عشر الى التاسع عشر) سقطت الجزر المسلمة واحدة تلو الأخرى فى أيدى الأسبان وارغم أهلها على ترك دينهم حتى الذين بقوا على اسلامهم غيروا اسماءهم العربية الى أسبانية خشية البطش والارهاب وأصبح (مامندال) هو البديل عن أسم (محمد) وعباس هو (أباسو) وجعفر هو (كازانو) وهذه الاسماء الجديدة ما زالت منتشرة بين المسلمين الآن .

فى النهاية تركز المسلمون فى جزر الجنوب التى لم يستطع الأسبان اقتحامها بسبب تطرفها وبعدها عن العاصمة (ألف كيلو متر تقريبا بين جزيرة مندانا ومانيلا) وبسبب ظروفها الطبيعية التى ميزتها بالأحراش الكثيفة والجبال العالية . وقد استفاد المسلمون من هذه الظروف فى صد محاولات الغزو ، ونجحوا فى الاحتفاظ بكيانهم فى تلك المناطق .

لكن مسلمى الفلبين أصبحوا أقلية بعد القرون الأربعة التى عاشتها بلادهم تحت الحكم الأسبانى .

وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفلبين تحت الاحتلال الامريكى الذى نجح فى السيطرة على المناطق الجنوبية المسلمة ثم منحت الفلبين استقلالها فى عام ١٩٤٦ .

ومنذ عام ١٩٤٨ بدأت المناطق المسلمة تتعرض لاقتحام من نوع جديد ..

والمسلمون هناك لا ينسون أن الارض العربية فى فلسطين قد اغتصبت فى ذلك العام ويعدون أوجه شبه كثيرة بين ما يتعرضون له وبين ما جرى فى فلسطين .

بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة من شمال الفلبين الى جنوبه فى عام ٤٨ وكان هدف العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل طوال قرون عديدة مغلقا على المسلمين وبالفعل أقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة من الشمال .

ولم تجد هذه العائلات صعوبة فى الاستقرار وسط مجموعة المسلمين فالارض شاسعة وغنية والمسلمون فقراء وسذج وحسنو النية دائما هم أيضا جهلاء لا يعرفون أساليب التحايل فضلا عن نصوص القانون واحكامه .

وبسبب هذا الجهل فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروة . كان القادمون من الشمال يسجلون الارض باسمائهم بعد قليل من استقرارهم فيها بينما لم يكن هناك من بين المسلمين من يكترث أو يفطن الى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للارض .

وبعد التسجيل كان المهجرون من الشمال يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وعندما يصل الأمر الى القضاء يحكم لصالح من لديه الدليل لاثبات الملكية .. المهاجر طبعا .

وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون فى الجنوب الأف الهكتارات من الاراضى الزراعية بل وطردوهم منها وظلت جموعهم تنحسر وتتقهقر حتى رأينا بعضهم يعيش فى اكواخ على شاطىء المحيط — مياه البحر وراء ظهورهم مباشرة — فى مدينة زامبوانجا فى غرب جزيرة منداناو .

ويقدر البعض أن متوسط عدد الأسر التى تهجر كل عام الآن من الشمال الى الجنوب يصل الى ٥٠٠ أسرة .

الترغيب بالتبشير :

مع عمليات التهجير والتوطين هذه كانت هناك محاولات اقتحام أخرى لمجتمع المسلمين فى الجنوب استخدم فيها أسلوب الترغيب والترهيب .

مضت بعثات التبشير الغنية والنشطة فى طريق الترغيب أقامت المستشفيات والمدارس والجمعيات الدينيه وكل صور الخدمات الممكنة وشدت المسلمين الفقراء الى هذه المواقع حيث وجدوا فيها التعليم والرعاية الطبية والغذاء والكساء بل والمال احيانا .

ولا ينكر أحد أن هذه البعثات قد حققت قدرا من النجاح دفع الكثيرين الى ترك دينهم بعدما لم يبق من تعاليمه لديهم غير القليل المشوه بسبب عزلة المسلمين فى هذه المناطق طوال سبعة قرون وبسبب اختلاط تعاليم الاسلام بآثار من الهندوكية والبوذية اللتين كانتا فى جزر الفلبين قبل الاسلام .

وبنصوص القانون كان الترهيب ...

فمن طريق هذه النصوص لم يعد هناك وجود تقريبا للعديد من الشعائر الاسلامية . فالزواج الشرعى مثلا غير معترف به ولا بد أن يكون هناك عقد مدنى حتى يصبح الزواج قانونيا وتترتب عليه آثاره الطبيعية فى النسب والأرث .

وهكذا أجبر المسلمون على التخلى عن أراضيهم ودفعوا الى ترك دينهم وكان طبيعيا بعد ذلك أن تتناقص أعدادهم ويهتز كيانهم الذى دافعوا عنه طويلا أمام الغزو الأسبانى .

لم يعد المسلمون أقلية فى الفلبين كدولة فقط بل أيضا أصبحوا أقلية فى مدن الجنوب ذاتها التى ظلت طوال القرون الماضية محتفظة بطابعها المسلم .

كان كل سكان جزيرة منداناو من المسلمين فأصبحت نسبتهم الآن لا تتجاوز ٥٠٪ من السكان . وفى مدينة زامبوانجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠٪ وظلت هذه النسبة تتدهور حتى وصلت الى ٣٠٪ فقط لم يبق غير كوتاباتو أحدى مناطق مقاطعة منداناو التى ما زالت تحتفظ بأغلبية مسلمة وكانت كوتاباتو هذه مسرح المذبحة التى جرت فى الاسبوع الماضى وقتل فيها ٧٠ رجلا وطفلا من المسلمين .

« الى راغبى الاشــــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم
عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى
الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : **مكتبة مكة** ـ السيد عوض با عامر ـ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

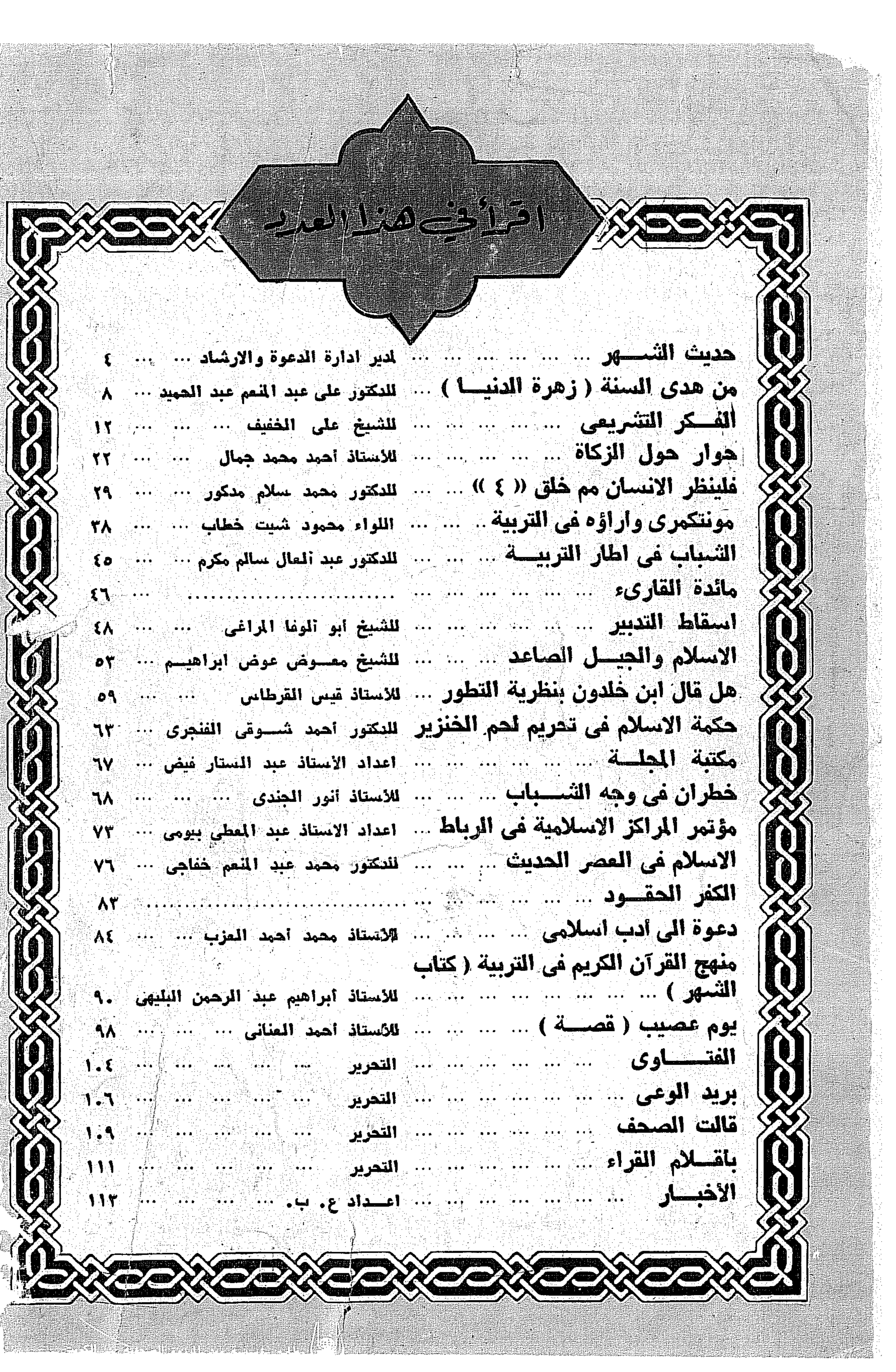
دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ـ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص. ب : ٨٥٧ .

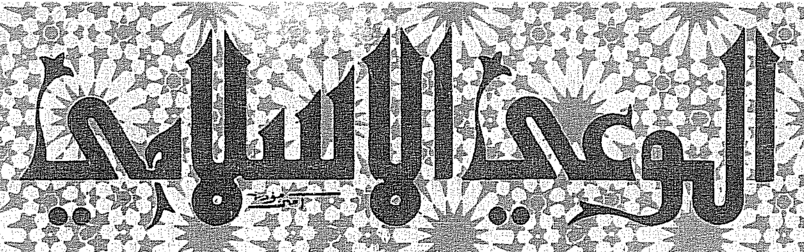
الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ـ السيد سالم الانصارى ـ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



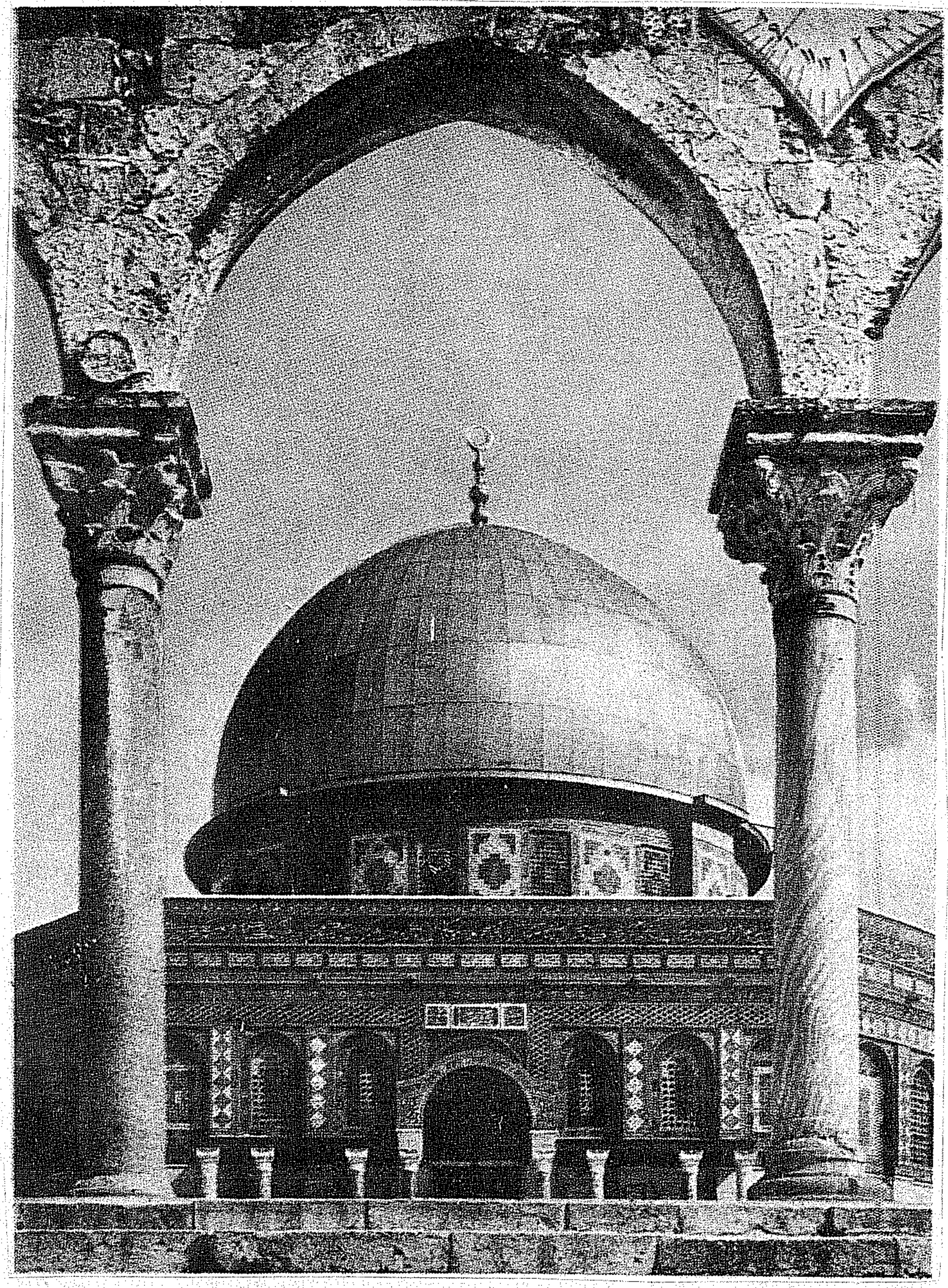
اقرأ في هذا العدد



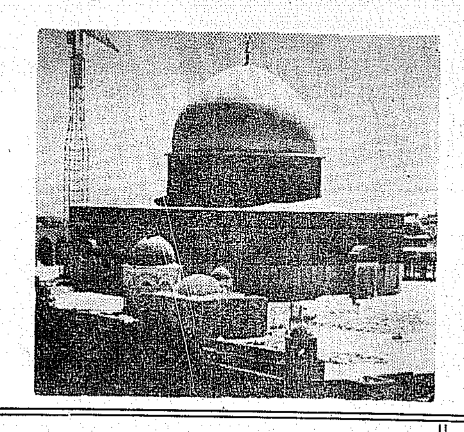
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ــ العدد ٧٩ ــ رجب سنة ١٣٩١ هـ ــ ٢٢ اغسطس (آب) ١٩٧١ م



مسجد الصخرة



مدينة المقدســات

مجموعــة ضخمــة من الآثــار الاسلامية فى مدينة القدس وتبدو فى الصورة قبة الصخرة المشرفة تتحدى الظالمين ، وتنبه الغافلين .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنــة السابعــة

العدد التاســع والســبعون

غرة رجب سنة ١٣٩١ هـ

٢٢ أغسطس « آب » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمــن

الـكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر		دينــار وربع
المغـرب		درهم وربـع
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

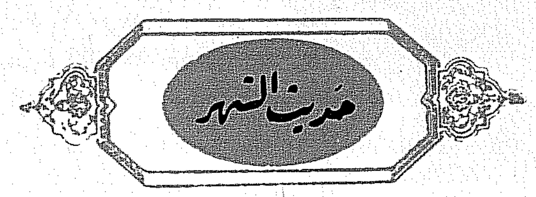
الاشـتراك السـنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الأفراد فيشــتركون راسـا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـــ كويت





التسامح الديني

التسامح الدينى هو الوجه المقابل للاضطهاد الدينى الذى تحدثنا عنه فى العدد السابق .. هو الأثر الاجتماعى فى حياة الأمم والشعوب نتيجة الاعتراف بحق الحرية الدينية لكل انسان ، وهذا الحق هو أقدس الحقوق الانسانية التى يجب حمايتها وتوفير الضمانات لها حتى يتعايش الناس على ظهر الأرض فى أمن وسلام وتعاون واخاء .

والحرية الدينية لا تعنى أكثر من ترك أمر الانسان لنفسه لارادته وفكره لعقله وتفكيره فى اختيار الدين الذى يرتضيه ، والعقيدة التى يقتنع بها دون أية شائبة من ضغط أو تهديد أو اكراه ، كما تعنى اطلاق الحرية له فى القيام بالعبادات والالتزام بالشريعة التى يمليها عليه معتقده ودينه .

وحرية العقيدة أمر تقتضيه الفطرة الرشيدة ، والمنطق السليم ، لأنها لن تكون الا وليد ادراك واقتناع ورضا وتسليم ، وهذا أمر لا يمكن الوصول اليه بقوة الحديد والنار ، ولا يمكن أن يتم بوسائل القمع والتعذيب .

وكم حاول الجبارون تجاهل هذا المنطق والتنكر لهذا الحق المقدس باكراه الناس على التخلى عن عقيدتهم تحت سيف الضغط والارهاب ، فخابوا وأخفقوا الا فى أمر واحد هو نشر الذعر والرعب وارواء الارض بدماء المؤمنين الأبرياء .

أبى فرعون أن يتسامح مع سحرته حين آمنوا وأخفق فى حملهم على الايمان به وترك الايمان برب موسى على الرغم من مواجهته لهم بأقسى ألوان التنكيل : « فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى » وثبتوا على ما اطمأنت اليه قلوبهم ، واقتنعت به

عقولهم و « قالوا لن نؤثرك ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

وكما لم تجد وسائل التهديد والقهر فى تحويل المؤمنين عن عقيدتهم ، لم تؤثر كذلك وسائل الاغراء والفتنة ، فقد أخفقت زينة الحياة ومتاعها فى زلزلة عقيدة الفتية الذين آمنوا بربهم ، ففروا من جو الكفر والظلم الذى كان يتهدد عقيدتهم ، وآووا الى الكهف « وقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا » .

ان التسامح الدينى الذى يكفل للبشرية الهدوء والاستقرار ، ويقيها ويلات العسف والجبروت لا يمكن أن يسود ويتحقق الا على أساس الاعتراف الكامل والتطبيق العملى لحق حرية العقيدة لكل انسان .

وموقف الاسلام من هذا الحق الطبيعى موقف صريح ، فالله ــ جل شأنه ــ يقرر فى كتابه الكريم أن مشيئته لم تتعلق بقهر الناس وجمعهم على الايمان به ، وأنه سبحانه لا يرضى لأحد أن يكره أحدا على الدخول فى دينه ، اذ الاكراه لا ينفع فى غرس العقيدة فى القلوب « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم لم يبعثهم الله جبارين ولا مسيطرين ، وانما بعثهم مبلغين مبشرين ومنذرين « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » والجهاد فى الاسلام لم يؤذن فيه لاخراج الناس من دينهم واكراههم على الدخول فى الاسلام ، وانما شرع لدرء العدوان وقمع المعتدين « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز » « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ولما لحرية العقيدة التى يقوم على أساسها التسامح الدينى ــ من أثر فى استقرار حياة الناس وتحقيق التعاون بينهم نجد الله جل شأنه يؤكد هذا الحق فى أكثر من آية فينص صراحة على عدم الاكراه فى الدين فى آية ويدعو صراحة فى آية أخرى الى التسامح الذى يبلغ حد المودة والبر بالمخالفين فى الدين فى آية أخرى .. يقول سبحانه فى الآية الأولى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من

الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ويقول سبحانه فى الآية الثانية : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

وقد جاء فى سبب نزول آية (لا اكراه فى الدين) ان رجلا من الأنصار يدعى أبا الحصين كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو مسلما ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ، الا استكرهما ، فانهما قد أبيا الا النصرانية فأنزل الله هذه الآية .

ويعرض أحد المفسرين لقضية العقيدة كما جاء بها القرآن ، فيقرر أنها قضية اقتناع بعد البيان والادراك ، وليست قضية اكراه وغصب واجبار وان الاسلام جاء يخاطب الادراك البشرى بكل قواه وطاقاته . يخاطب العقل المفكر والبداهة الناطقة ، ويخاطب الوجدان المنفعل ، كما يخاطب الفطرة المستكنة . يخاطب الكيان البشرى كله ، والادراك البشرى بكل جوانبه فى غير قهر حتى بالمعجزات المادية التى قد تلجىء شاهدها الجاء الى الاذعان ، ولكن وعيه لا يتدبرها ، وادراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعى والادراك .

ان الانسانية لم تشهد دينا من الأديان دعا المؤمنين به الى التسامح مع من خالفهم فى العقيدة كما دعا الاسلام ، فهو يقرر أن الأديان السماوية كلها من وحى الله « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

كما يقرر أن الرسل جميعا صادقون ويجب الايمان بهم جميعا « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

واختلاف الناس فى عقائدهم ودياناتهم لا ينبغى أن يكون سببا من أسباب تعاديهم وتقاتلهم فالفصل بينهم فيما يختلفون فيه لله وحده هو الذى يحكم بينهم يوم القيامة « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

ومن مظاهر التسامح الدينى فى الاسلام وكفالته لحركة العقيدة انه أباح للمسلمين طعام أهل الكتاب كما أباح لهم التزوج من نسائهم « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

وليس أدل على سماحة الاسلام واتساع صدره للمخالفين له من أنه قرر احترام أماكن العبادات للديانات السماوية ، وأوجب الدفاع عنها وحمايتها كحماية مساجد المسلمين « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

وقد حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على توكيد هذا الحق كتابة في الأمان الذي أعطاه لأهل ايلياء ، عندما دخلها لعقد الصلح مع أهلها فقد جاء فيه : « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان .. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم .. انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم » .. وعندما دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة غادر الكنيسة وأدى الصلاة خارجها ولما سئل عن ذلك قال : « أني أخشى أن يقول المسلمون هنا صلى عمر ثم يتخذوها مسجدا » . ولما شكت اليه امرأة مسيحية من سكان مصر ان عمرو بن العاص قد أدخل دارها في المسجد كرها عنها سأله عن ذلك ، فأخبره ان المسلمين كثروا وأصبح المسجد يضيق بهم ، وفي جواره دار هذه المرأة ، وقد عرض عليها ثمنها وبالغ في الثمن ، فلم ترض ، مما اضطره الى هدم دارها وادخالها في المسجد ، وايداع قيمتها في بيت المال تأخذه متى شاءت ــ مع هذا فان عمر لم يرض عن تصرف عمرو وأمره أن يهدم البناء الجديد من المسجد ويعيد الى المرأة المسيحية دارها كما كانت .

في ظل هذا التسامح الاسلامي ازدهرت حضارات ، ونمت مدنيات ، وفتحت أمصار ، وانتشر عدل وسادت طمأنينة ..

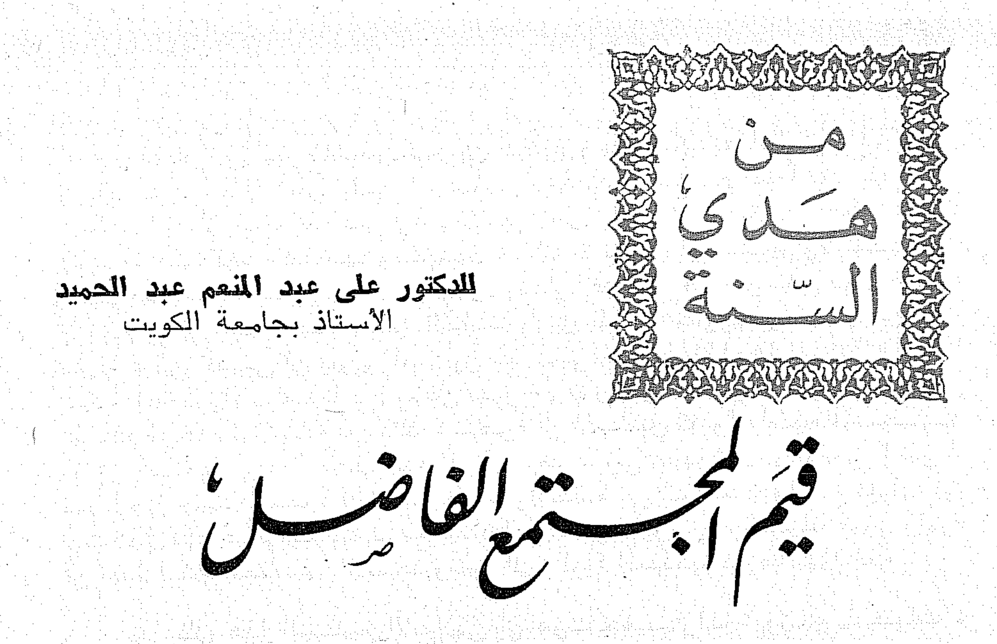
فأين من هذه الروح الاسلامية السمحة والمعاملة الانسانية الكريمة روح الحقد الديني الكريه ، وحرب الابادة والافناء التي تعرض ويتعرض لها المسلمون في القرن العشرين ؟

أين بلاد وأحفاد الامام البخاري والترمذي والنسائي ، وجار الله الزمخشري وأبو البركات النسفي وعبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي وأبو نصر الفارابي وابن سينا وأبو ريحان البيروني وأبو منصور الماتريدي وأبو بكر الخوارزمي وشمس الدين السرخسي والجوهري صاحب الصحاح . وغيرهم وغيرهم من مئات العلماء الذين أفادوا الانسانية في كل علم وفن .. لقد اجتاحت بلادهم وذريتهم من بعدهم ، واجتاحت معالم ومقدسات دينهم غارات الالحاد العاتية ، فلم تبق منهم ، ولم تذر ..

وهذا المسجد الأقصى المبارك تقوم آثار تدميره واحراقه شاهدا حيا على عدوان الصهيونية على المقدسات الاسلامية .. وتمر ذكرى هذا الحريق على المسلمين في هذه الأيام وهم يرقبونه في أسى ، ويتطلعون الى اليوم الذي يستردونه فيه .. ولكن متى .. قريبا « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان النبيلي



للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

قيم المجتمع الفاضل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انما الناس كالابل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة »
رواه البخارى ومسلم والامام أحمد .

١ ــ مضى القول فى هذا الحديث الشريف من كلم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ شهور (١) وظهر مقال يعالج بعض جوانب ما يشير اليه من معان قد تعلو على ادراك عابر غير متعمق يرضى بما يطفو على السطح ، ولا يحاول معاناة الغوص على درر القاع ، ورضيت حينذاك بما أفاض الله من معرفة على عبد ضعيف يتلمس الحقيقة ، ويسعى جاهدا للتعرف عليها ، فالظواهر خداعة براقة وخاصة اذا أحيطت بأبواق دعاية عززتها وسائل اعلام تهز اعطاف الناس ، والسنة تبدى بالافواه غير ما استكن فى القلوب ، ولا أدرى ما الذى جعل هذا الحديث الشريف يطرق قلبى وسمعى من جديد ، فأعود الى ما قيل فيه لاجده سرد أحاديث أخرى تبين عن العناصر التى يريد الاسلام استقرارها فى المجتمع متمشية مع ما اختاره له أخ حبيب فاضل من عنوان وتلك طريقة لعمر الحق تبرز ما فى السنة الشريفة من أضواء تقشع ظلام النفس الانسانية ، وتجرى أنهارها لتجرف الماء الراكد الآسن ، وتنفى عن الوجود الانسانى ما يشينه وتثبت قواعد الهداية الالهية التى من أجلها بعث المرسلون ، ولكن خلت تلك السطور عن المثل التى تعيش على البسيطة شارحة موضحة لمقاصد الكلم الطيب ومراميه ، ويشاء

الله أن نعيش أحداث أيام هى تكرار لأخوات لها تمضى فى سواد ليل حالك لم يطلع له بدر ، ولم يضىء فيه نجم ، والتقيت بصاحبى الذى حدث عنه شارح الحديث نفسه فيما مضى من مقال ، ومعه جعبة عامرة بأشخاص لهم فعالية فى عالم اليوم وخاصة فى مسلمى العصر ، وعلى الأخص العرب العائشين اللحظات الحاضرة، وهم تارة قادة فى سياسة وأخرى فى رياسة وثالثة فى معبد ورابعة فى دور علم تشع الحضارة ، وتحفظ التراث ، وتأخذ من كل شىء أحسنه كما يقولون ، لتقدمه عذبا سائغا جميلا سقيا لأعواد هشة يرجى لها أن تشتد سواعدها لتتصدر كل ميادين المستقبل من الزمان ، وما أكثر شعبها وراح صاحبى يسرد وأنا أسمع مصغيا مسجلا ما يشير اليه من شخوص رمز لها بحروف من أعلام تدل عليها ، وان كان لا يعرف مرمى هذا الرمز الابجدى الا مملى الحديث سارد القول .

٢ ــ قال صاحبى عرف الزمان من يحمل الحرف السادس (٢) من ترتيب الابجدية الذى لو أضيف اليه شقيق أو شقيقان لدل المتكامل منها على ما يسر الناظر ويعجب القريب ويغرى البعيد ، ولكن الذى ميزته تلك الاحرف أدخلته فى أول معارف القواعد الاجرومية لا يساوى نقيرا ولا قطميرا اذا قسته بمقاييس الانسانية ذات الشخصية الاسلامية الحقة أو العربية الاصيلة أو العالمية المرموقة فى ضروب الخير ودروبه فهو دون فى التفكير وفى السلوك أنانى مقيت وشهوانى بغيض ومتغطرس فاجر ومعتد باغ يضرب على غير هدى برز فى غفلة من عقلاء قومه واستعلى عليهم على حين غرة منهم ، فتقدم وتأخروا ، ساد واستعبدوا ، جذب فريقا ببريق النضار وقواهم بما حملوا من حديد ونار ، وحين حاول المثاليون رفع رؤوسهم لقولة حق ودلالة على مسلك صدق ناشتهم الحراب وقهقه صاحبهم فى فجور وتداروا هم فى استخزاء ومن ثبت مادت من تحته الارض فاغرة فاها ليستقر فيها الى الابد ، قلت لصاحبى أفى غاب يعيش هذا أم فى فلاة فأجاب أولست تعيش وتفكر ، تلك قمم فى العرف هكذا صيرها الحظ ان كان الختل والخداع خطابه أو هو صورة تتكرر هذه الايام بعد أن ظن الناس أن التقدم الحضارى قد قضى عليها لا الى العودة ولكن هاهى ذى كل لحظة تعود لتظهر على المسرح فى أثواب جديدة ، دع ذا واتبعنى الى تلك المنارة السامقة على قلعة عظيمة تبدو من كثب مشعة مزدانة بما حوت من نبت طيب وخامات كريمة تصهر فى بوتقتها لتخرج مكتملة القوام جيدة الثمر شهية الجنى ، وتأمل معى القيمين والرعاة ، وصاحبهم صحوة نهار وسواد ليل ، ثم حدثنى عن انطباعاتك التى ترسخ فى ذاكرتك بعد مفارقة مجلسهم حيث تلقى لهم قولا حميدا وأناة يغبطون عليها ، وقد سودوا صحائف وحبروها كاشفة عن خبيئات الكون وآراؤهم لها وزنها فى معيار التهذيب والترقى ، ولكن ما هذه الشرارات الحارقة الصادرة من بعيد التى قد أبادت الاوراق ، وحطمت الاقلام ، وأودت بكل جهد نافع مفيد ، وما مصدر تلك القنابل الفتاكة بالموجه نفسه الذى جهل نفسه ، فأفرغ محتواها فى عقول رواده ، وأصبح فؤاده فارغا لم ينعم بوجوده كما أريد له أن يكون وانما جرفه التيار وصار أثرا بعد عين فلا سعادة أدرك ، ولا خيرا أبقى .

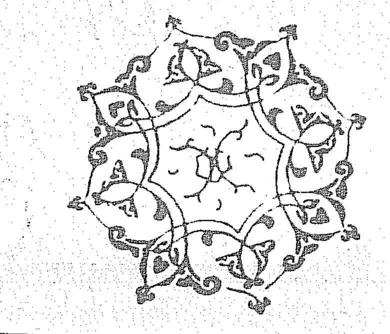
٣ ـ عاج صاحبى فى حديثه على قائم يحكى قصص الرسالات وحكم الديانات ، ويضرب الأمثال للتضحيات ويحاول توضيح مدارج الخير ومسالك البر ليصل بالجمع المصغى الى ملكوت السموات حيث لا نفار ولا شقاق فى مستقر لا شجار بين أهله ولا خلاف ، ويتقدم منه خبير بخبىء نفسه يطلب لعلة دواء وينشد المثال فى العمل لا فى القول فيلفى صاحبه غفلا من كل فضيلة منطويا على نفس شرسة لا تقيم وزنا لما يصدر عنها من حديث ، وانما صناعة للعيش كصناعة حداد يصوغ الرمح والسيف ويعمل الدروع والمجن ، والكل عنده سواء فوسيلة القتل كوسيلة الدفاع معدنهما واحد ، وصانعهما واحد ، والجنى رمق أمسك ذماؤه لحظات ثم تلاشى كما تلاشى من قبله تاركا وراءه الآثار العكسية لما بدا من قوله وما سمع الجمع من آهات ولو تأملت اللقاء الأول لالفيت له وقفة أسد ومنظر راهب متعبد ونظرات رائد فطن ، وما هو بواحد من هؤلاء ولا يقاربه ، والقصة حكاية ماض ودوران فى حلقة مفرغة ما يدرى الجمع مبدأها ولا يعلم منتهاها ألفاظ تطن فى الآذان، وصرخات تدوى وصيحات ليس لها صدى ما له من منذر الجيش الا الرواية والحكاية ، وأما اللباب والعمل والقدوة فما أبعد كل هذا عن موقفه ، وما أقصاه عن مرتقاه ، وما ذاك الا أنه استغل هدأة الليل لا فيما استغله صاحب المزمل والمدثر وانما فى احتيال على فان وبحث وراء سراب وأين الروح المحركة لهذه الرمم العفنة لقد اختفت وخلفت وراءها الخواء .

٤ ـ مضى صاحبى ومضيت معه فقمنا على جمع آخر قد احتشد يرسم ويخطط ينقد ويؤيد يديره أشيب عرك الحياة وما عركها اصطاد بالختل والنفاق ذلك المقعد العالى المطل على الجمع وجلس فى محاذاته وبعيدا عن موقعه شيء تجسد من لحم ودم دعوه سائسا ومرشدا ، ويعلم عالم السر واخفى أنه صائد ماهر للاصفر الرنان له جبهة تقف الى جوار صاحب نظرية التطور الحيوانى شاهدة على صدقها أو ملقية كثيرا من الشك على حجج معارضيها ليس من نبت الوادى وانما هو والج من بعيد مهدت له الاساطير ، بعيد فى سلوكه عن دراسته ومنهجه الذى أبرزه أول ما برز ، فحلا فى موضوعه اتخذ من الهوى هواية ومن الاسطورة رواية وغشى مجلسه جليس الاسد فعاث فى عقول الجمع افسادا الا قليلا ممن حمى الله وعصم والكل عالم بالحقائق ولكنهم شياطين خرس فى تعبير دينى مشهور ، واسهم الكل فى بناء معكوس وتركوا ظلالا قاتمة لمستقبل غير واضح المعالم ورضوا من الغنيمة بالاياب ممسكين بحفنات من الاصفر الرنان والوالهون جوعى يتضاغون يركل أحدهم الآخر ليفسح له مجالا يقربه من تنسم الاخبار وبعد طول انتظار ينفض الجمع دون الوصول الى غاية ، وتحمل صاحبى قدماه الى نوع آخر من الجماعات واذا حماس وثورة وتطلع الى غد أسعد ويتشاءم صاحبى حين يرى قردا قابعا فى الزاوية اليسرى من المكان تفتر شفتاه بين الحين والآخر عن ابتسامة صفراء تحكى صدى نفس مريضة بالقيادة وما هى واصلة اليها يحاول السيطرة على القوم ولكنهم يهيجون عليه هياج ديكة فأجاهم ثعلب ، وهنا توقف صاحبى عن الاملاء وصاح أفى يقظة أنا ، أم فى منام وحقائق ما أرى أم خيالات ، وهل نحن فى (سرك) أم فى سوق ما هذا التضارب والتناقض قلت يا سيدى هون عليك

تلك شنشنة القوم قبل الرسالات قد أخفاها ضوءها ، ثم عادت حين خبا الضوء فى صورة أنكى وأشد ويضرب صاحبى بثقل يديه على كاهلى كأنما صحا من منام ويتنفس الصعداء وتعتريه نوبة سعال كأنه مصدور وما هو بمصدور ، وتغرورق عيناه والدمع مفرج أحيانا ، ولكن ليس دائما ، ويتأمل الجانب الآخر فى الوادى البعيد فيرى شبابا وشيبا . شارخين وكهولا قد اجمعوا أمرهم على افتراسنا والاستيلاء على ما منحتنا السماء من رزق ورسموا لذلك طرقا بعيدة عن التهريج والتزييف والتضليل فتجمعوا وافترقنا وتآخوا وتقاتلنا اشتغلوا باللباب المفيد ، وعولنا على التافه المهلك فهل اذا درست قارئى العزيز وتأملت تجد راحلة بين المائة التى أشار اليها سيدنا محمد رسول الله وما أظنه يعنى العدد وانما يقصد ندرة النافع الذى يطرح السفاسف التى تبعد عن ساحة الدين الحق الذى عاش له سيدنا رسول الله واخوان له من قبل فأرسى عليه الصلاة والسلام القواعد الشامخة ثم خلف من بعده وصحابته خلف أهمتهم العاجلة فى صورتها المقيتة يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم ، فصاروا الى ما هم عليه اليوم ، وقبل القاء القلم وجره بعيدا عن القرطاس أسجل تفسيرا لهذا الحديث الشريف أورده بعض علماء السلف رضى الله عنهم قال :

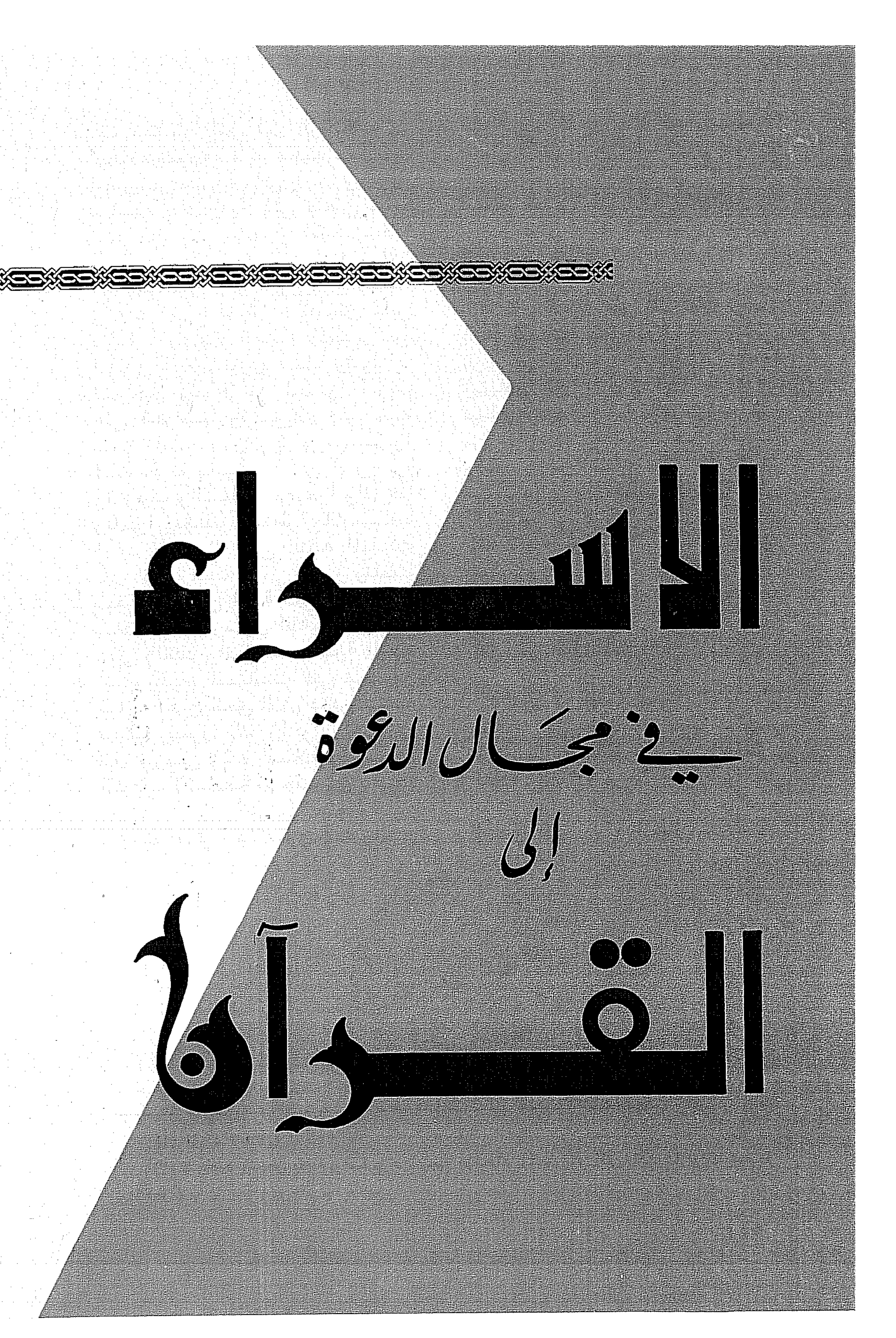
(كان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر أصحابه بما حذرهم الله تعالى من ذميم عواقب الانغماس فى الدنيا وينهاهم عن الولوغ فيها ويزهدهم فيما زهدهم الله فيه منها فرغب أكثر من جاء بعده فيها وتشاحوا عليها وتنافسوا فى اقتنائها حتى كان الزهد فى النادر القليل منهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (انما الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ولم يرد تساويهم فى الشر ولكنه أراد أن الكامل فى الخير والزهد مع رغبته فى الآخرة قليل كما الراحلة النجيبة نادرة فى الابل الكثيرة) .

وأقول لو فهمنا الحياة الدنيا على حقيقتها التى أوضحها ديننا لتغير الموقف ولأعطينا كل شىء حقه ولصرنا القادة والسادة فى كل ميدان ولكن الفاقه قليل نادر والله وحده هو الهادى الى سواء السبيل .



(١) العدد (٧٥)

(٢) لا يقصد شخص بعينه وانما يراد أسماء الاضداد كالسوداء التى يدعوها والداها (قمر) .


الاسراء
في مجال الدعوة
إلى
القرآن

للدكتور محمد البهي

*** « الاسراء » بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فيما يذكره قول الله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام (فى مكة) الى المسجد الأقصى (فى أرض كنعان أو الشام) الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » .. هو نقله الى مكان الأحداث الكبرى فى تاريخ الرسالة الالهية . وهى أحداث الرسل المتتابعة الى بنى اسرائيل فى أرض الله التى بارك فيها ، وهى أرض كنعان أو الشام . وذلك ليكون عليه الصلاة والسلام على بينة من تحقيق وعد الله فى جزائه للمؤمن والكافر بالرسالة التى يوحى بها الى رسله .**

فقد بدئت سورة الاسراء ــ أو سورة بنى اسرائيل ، كما تسمى أيضا ــ بأمر الاسراء . والاسراء على أى نحو هو : الالتقاء مع مشاهد الاحداث الدينية التى تجسم الواقع التاريخى لسير الرسالة الالهية فى هذه الأرض المباركة . وهى أحداث امتدت فى الزمن الى عدة مئات من القرون ، وفى مواجهة عدد كثير من الأنبياء والرسل ، وتقلبت بين التتبع والاضطهاد مرة والسيادة والسيطرة مرة أخرى : لشعب ــ هو شعب بنى اسرائيل ــ تقلب بين المادية والروحية ، والكفر والايمان ، والاصرار على الخطيئة واقتراف الجريمة أحيانا عديدة والبعد عنها والاستكانة والرجوع الى الله حينا آخر .

وقيل فى شأن الاسراء : انه وقع قبل الهجرة من مكة الى يثرب بسنة . ويروى عن أنس والحسن : أنه كان قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

كما قيل : انه وقع فى اليقظة فأسرى ، كما عرج بروحه . ويروى ذلك عن معاوية وعن عائشة . وقيل : انه كان فى المنام : رؤيا رآها . ويروى ذلك عن الحسن (١) .

فاذا نقل الرسول عليه الصلاة والسلام الى مكان الأحداث الدينية التاريخية التى وقعت فى بنى اسرائيل على أرض كنعان ، وعرض عليه عظماء الرسل فى تاريخ الرسالة .. عرض عليه موسى ، وعيسى ، وابراهيم ، وتتابع عليه الوحى فى القرآن بأهم الأحداث التى وقعت على هذه الأرض .. فانه عليه الصلاة والسلام لا يعيش هذه الأحداث حية فقط ، وانما مع ذلك تطمئن نفسه اطمئنانا كاملا الى نصر الله اياه فى رسالته ضد المعارضين من الماديين . سواء : أكانوا من المعارضين المشركين بمكة وهم أقل شأنا ، أم أكانوا من اليهود وقد تمرسوا على

المعارضة للايمان بالروحية الانسانية التى تدعو اليها رسالة الله ، كمـــا استمرأوا المادية وأشربوا حبها فى نفوسهم وفى دمائهم ، وتوارثوها فى أجيالهم العديدة . ولذا كان مصيرهم فى الحياة مقترنا بالمذلة والهوان .. الى يوم البعث : « فلما عتوا عنه ، قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين (أى أذلاء محتقرين) . واذ تأذن ربك (أى اذ علم ربك) ليبعثن عليهم الى يوم القيامة : من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم . وقطعناهم فى الأرض أمما : منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب : يأخذون عرض هذا الأدنى (أى يتمسكون بالماديات الدنيوية) ويقولـــون سيغفر لنا (أى ومع ذلك يدعون أن الله سيغفر لهم اتباعهم واستغراقهم فى ماديات الحياة) وان يأتهم عرض مثله يأخذوه (أى ولا يتورعون عـــن الانغماس مرات أخرى فى ماديات الحياة ان واتتهم . فاتجاههم فى الحياة اتجاه مادى ، مهما ادعوا : أنهم ذاكرون الله وراجعون اليه فى فترة ما . ولذلك فعقاب الله لهم بالمذلة والهوان مستمر طالما لم يعودوا الى الروحية الانسانية) : عسى ربكم أن يرحمكم ، وان عدتـــم عدنا ، وجعلنا جهنـــم للكافرين حصيرا) » (٢) .

ويروى فى اسراء الله لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام الى أرض كنعان ، عنه صلى الله عليه وسلم ، عن أبى هريرة قوله : « لقـــد رأيتنى فى الحجر (فى حجر اسماعيل بالكعبـــة) وقريش تســـألنى عن سراى فسألتنى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط ، فرفعه اللـــه الى أنظر اليه (أى فرفع بيت المقدس أمام نظرى) ما يسألونى عن شىء الا أنبأتهم به . وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء :

فاذا موسى قائم يصلى ، فاذا رجل ضرب (أى نحيف) جعد (أى شعره مجعد) كأنه من رجال : شنؤة .

واذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى ، أقرب الناس اليـــــه شبها : عروة بن مسعود الثقفى .

واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى ، أشبه الناس به صاحبكـــــم (يعنى نفسه عليه السلام) .. فحانت الصلاة فأممتهم . فلما فرغت مـــن الصلاة قال قائل : يا محمد ! : هذا مالك ، صاحب النار ، فسلم عليـــه : فالتفت اليه فبدأنى بالسلام » (٣) .. وهذا المشهد للرسل الثلاثة العظام ، مع امامة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لهم فى الصلاة :
ينوه بمكانته أولا بين الرسل جميعا ، كما يبرز ثانيا : أن رسالة القـــــرآن باكتمال دين الله بها .. تنتهى أدوار الرسالة الالهية الى البشرية .

* فاذا نزل الوحى فى القرآن ــ بعد اسراء الرسول عليه الصـــلاة والسلام بالروح أو فى الرؤيا الى أرض كنعان ــ بأحداث رسالة موســـى والانبياء والرسل بعده الى بنى اسرائيل ، وبالأخص رسالة عيسى اليهم ، كما تقصه سورة الاسراء هنا .. فان ما نزل الآن يكون له من قوة الأثر فى النفوس للمشاهد المرئية على هذه الارض ، التى تعكس بدورها حياة اليهود المتقلبة ، وما جزاهم الله به من حسنات ، وما أوقعه بهم من عقوبـــات ، انتهت بتشريدهم فى الأرض واذلالهم على يد أقوياء يسومونهم سوء العذاب الى يوم القيامة .

وتجسيد تاريخ الأرض المباركة حينئذ كفيل بايقاظ البشرية والسادرين فى طغيان المادية ، وباعادة المجتمع الانسانى الى صراط الله ، وهو الصراط المستقيم .. صراط الهداية البشرية ، ان شخصته الأبصار فى موضوعية وفى غير تحزب :

* فقد ذكر الوحى فى القرآن : كتاب الهداية البشرية لبنى اسرائيل ، وهو كتاب موسى ، أو التوراة ، أو صحف موسى . وركز فيه على أنه لا ينبغى لهم اطلاقا أن يكون لهم سند فى الحياة سوى الله جل جلاله . فلا ما فى هذه الحياة من أموال ومتع مادية ، ولا ما فيها من أولاد ، ولا ما لها من مظاهر الجاه والقوة يصح أن يتخذ وكيلا ونائبا بحيث ينصرف ايمانهم الى ما سواه ، ويقصر اعتمادهم على غيره مما فى هذه الحياة الدنيا : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل : ألا تتخذوا من دونى وكيلا » (٤) .. ولكنهم ترددوا بين الايمان والكفر ، وبين الانصراف عن الله سبحانه ، والرجوع اليه . وقد سجل تاريخهم مع الرسالة الالهية حقبتين رئيسيتين تمثلان العصيان والانصراف عن الايمان بالله ، تحت التأثر بالمادية واتجاهها فى الحياة ، حتى لم ينالوا فيهما من الرسالة فحسب ، وانما نالوا أيضا من الرسل الذين كرروا الدعوة فيهم اليها .

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب (أى أوحينا الى بنى اسرائيل فى التوراة) لتفسدن فى الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا (أى وليشتد طغيانكم بما يكون لديكم آنئذ من قوة مادية وعددية) » (٥) .

الحقبة الأولى : هى تلك الحقبة التى أنذرهم فيها : النبى زكريا .. بعقاب الله على فسادهم وعبثهم وبعدهم عن الايمان بالروحية الانسانية التى يحمل عليها الايمان بالله . ولم يأبهوا لانذاره ، واستمروا فى غيهم وضلالهم وتحديهم ، وقتلوا نبيهم هذا . فسلط الله عليهم البابليين على عهد بختنصر سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ودخلوا عليهم بلادهم وبيوتهم ، واقتحموا معبدهم الذى بناه سليمان وهو بيت المقدس ، وأتم بناءه سنة ١٠٠٤ ق.م وساقوا رجالهم ونساءهم فى الأسر . وأصبحوا بهذا الغزو مغلوبين على أمرهم ، أذلاء فى أسرهم وبعدهم عن ديارهم :« فاذا جاء وعد أولاهما (أى حل وعد المرة الاولى فى عقابهم من قبل الله) بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد (وهم البابليون قادمون من العراق وقد كانوا أصحاب بطش فى قوتهم المادية فسلطهم الله عليهم) فجاسوا خلال الديار (أى دخلوا الديار واقتحموها كما اقتحموا معبد سليمان وهدموه) وكان وعدا مفعولا (أى وبذلك تحقق وعد الله لبنى اسرائيل بعقابهم على كفرهم وماديتهم) » (٦) .
وبعد هذا الأسر والاذلال ، عقوبة لهم من الله ، أعطاهم فرصة ثانية ومكنهم من العودة من الأسر عند البابليين .. الى أوطانهم فى كنعان سنة ٥٢٠ ق.م. أى بعد أكثر من ستين عاما على الأسر والبعد عن الديار .
ويذكر القرآن الكريم قصة هذا التمكن من استرداد سيادة أنفسهم فى سورة البقرة ، فيما تذكره هذه الآيات : « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم (هو صموئيل) : أبعث لنا ملكا نقاتل فى

سبيل الله قال : هل عسيتم ان كتب عليكم القتال : أن لا تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ... الى أن يقول : فلما فصل طالوت بالجنود (أى خرج بهم متجها نحو بابل ، وطالوت هو الملك الذى عينه صمويل) قال : ان الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى (أى ليس من جنودى ومن رفاقى فى القتال) ومن لم يطعمه فانه منى ، الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده (لأنهم رأوا أعداءهم كثيرين بعددهم ، وأقوياء بعدتهم تحت امرة جالوت) قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا : ربنا افرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود (وقد ظهر بشجاعته بين جنود طالوت) جالوت ، وآتاه الله (أى آتى داود) : الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس : بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٧) .

وتجمل آية الاسراء : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال ، وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا (أى عددا) » (٨) .. أمر استرداد بنى اسرائيل هذه السيادة لأنفسهم ، وتحررهم من البابليين ، وعودتهم الى القوة المادية من أموال ، وبنين ، من جديد ، بعد الاذلال فى الأسر والبعد عن الديار والأبناء . فابتدأوا الحياة وأعادوا بناء المعبد ، ونفذوا عدة اصلاحات ، وبنوا اليهودية من جديد . وذلك على أمل : أن يرجعوا الى الله ويلتزموا بالسلوك الانسانى السوى . وعندئذ يحسنون فقط الى أنفسهم وحدهم : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها . »

والحقبة الثانية : وهى حقبة الخطيئة الأخرى .. خطيئة رفض رسالة عيسى والقصد الى قتله . فجازاهم الله على هذه الخطيئة باحتلال الرومان تحت زعامة تيتوس ابن الامبراطور فيسبان سنة ٧٠ بعد الميلاد ، لديارهم . فحطم مصادر ثروتهم وقوتهم التى حصلوها بعد عودتهم من أسر البابليين ، ودخل معبد سليمان وهدمه هدما كاملا ، بعد أن أعيد بناؤه آخر مرة قبل ذلك فى عهد هيرود سنة ١٧ ق . م . من خلفاء الاسكندر : « فاذا جاء وعد الآخرة (أى فاذا حل موعد العقوبة الثانية) ليسوءوا وجوهكم (أى سلطنا عليكم أعداءكم ليشوهوا وجوهكم . ويقصد بتشويه الوجوه هنا : تحطيم كل مصادر القوة) وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة (أى وليدخلوا المعبد الذى أقيم فى المسجد الأقصى على طرف منه بعد فتح عمر بن الخطاب لأرض كنعان المباركة) وليتبروا ما علوا تتبيرا (أى وليزيلوا كل ما ارتفع من أبنية ازالة كاملة) » (٩) .. وبتحطيم مصادر الثروة ، وبهدم المعبد هدما كاملا ، تلاشى ما كان يملكه بنو اسرائيل فى أرض كنعان من قوى مادية ومعنوية ، وأصبحوا شتيتا كأقلية بين الشعوب الأخرى . ولكن ما زال هناك أمل لهم فى رحمة الله ، ان هم اتبعوا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام : « عسى ربكم أن يرحمكم (أى لعل الله يهديكم

الصراط السوى عن طريق ايمانكم بالقرآن وبذلك يرحمكم الله) وان عدتم عدنا (أى وان عدتم الى الخطيئة فكفرتم برسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، كما كفرتم برسالة زكريا ، وبرسالة عيسى من قبل .. عدنا الى عقوبتكم وتسليط أعدائكم عليكم) » (١٠) .. فرسالة القرآن هى رسالة الهداية للطريق الأقوم ، فى الوقت الذى يبشر فيه المؤمنين به والذين يعملون الصالحات : بالأجر الكبير فى الآخرة ، بينما ينذر الذين يكفرون به وبالآخرة وهم الماديون : بالعذاب الأليم : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات : أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة : أعتدنا لهم عذابا أليما » (١١) .

● ●

ان الاسراء هو سبيل آخر من سبل الدعوة الى القرآن الكريم .. وسبيل آخر كذلك الى اطمئنان الرسول عليه الصلاة والسلام وتحمله فى شأن دعوته الى الحق .. وسبيل آخر أيضا الى التنويه بأمره فى مستوى النبوة والرسالة فى تاريخ الدعوة الى دين الله .

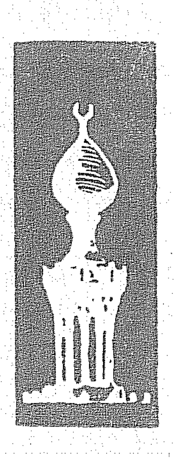
وان العبرة التى تستخلص من الوقائع والأحداث التاريخية التى تمت على أرض كنعان التى بارك الله فيها فى بنى اسرائيل .. هى عبرة حية ، وتعطى المبدأ الصادق الذى لا يتخلف وهو : أن الايمان بالله وحده ، هو وحده : مصدر النجاة ، ومصدر النصر والغلبة فى هذه الحياة : « قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : كل من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » .

والمسلمون — على عهد عمر رضى الله عنه — عندما دفعوا قوى الرومان الطاغية من أرض كنعان المباركة الى خارجها : لم يدفعوها الا بايمانهم بالله وحده ، فاذا أراد المسلمون اليوم استعادتها من أصحاب المادية اليهود .. فلا يستعيدونها : لأنهم من أبناء هذه الارض المباركة يوما ما ، ولا لأنهم أصحاب عتاد ثقيل أو خفيف فى القتال ، ولا لأنهم دربوا على حرب العصابات ، ولا لأنهم ماركسيون أو علمانيون ، ولكن فقط : لأنهم مؤمنون بالله .

والايمان بالله ليس سحرا . ولكنه : اخلاص فى سبيل المثل العليا ، وانكار للذات ، وصبر وتحمل ، وتضحية بكل متعة فى الحياة — حتى بالحياة نفسها .

ليس من مصلحتنا اليوم فى الصراع مع اسرائيل : أن نعدد لها التهمة تلو التهمة ، ونظل محجبين عن عوامل الضعف فينا . يجب أن نكشف عن عيوبنا أولا ، لنبعدها عن أنفسنا فى هذا الصراع .. يجب أن نستوثق بأننا مع الله ، قبل أن نستوثق من مناصرة هذه الكتلة المادية أو تلك الكتلة الأخرى المادية أيضا لحقنا بالقوة المادية أو المعنوية .. يجب أن نسلك طريق الايمان بالله ونتصرف فيه على ما ينبغى أن نفعله ، وما ينبغى أن لا نفعله ، قبل أن نعلن التبعية لهذا الفريق أو ذاك وهم جميعا من أعداء الله .

ان الصهيونية شر وبلاء وقد ساعدها الشيطان الأحمر والأبيض على السواء . فهل ناشدنا نحن عون الله وتأييده ؟ ..



---

(١) هذه أقوال وردت فى تفسير الكشاف ﺣ ٢ ص ٥٤٢ ــ المطبعة الشرقية : الطبعة الاولى القاهرة .

(٢) الأعراف : ١٦٦ ــ ١٦٩ .

(٣) فى رواية مسلم فى كتاب الايمان ــ التاج ﺣ ٣ . ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

(٤) الاسراء : ٢

(٥) الاسراء : ٤

(٦) الاسراء : ٥

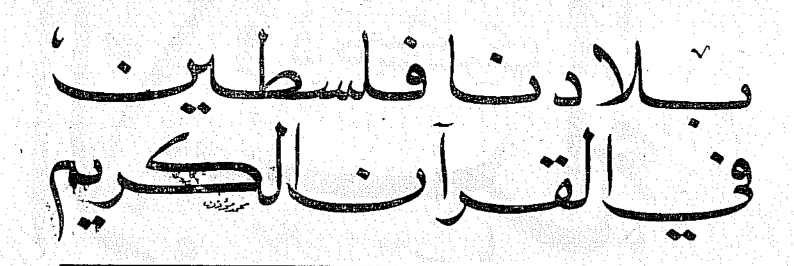
(٧) البقرة : ٢٤٦ ــ ٢٥١ .

(٨) الاسراء : ٦

(٩) الاسراء : ٤

(١٠) الاسراء : ٨

(١١) الاسراء : ٩ ، ١٠ .



١ ــ قال الله تعالى (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا مــن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هــو السميع البصير) .**

عن ابن عباس رضى الله عنه فى قولــه (باركنا حوله) فلســطين والاردن .

٢ ــ ((ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين)) .
لما وجد سيدنا ابراهيم عليه السلام ان نصائحه لم تنفع مع قومه فى بلاد ما بين النهرين ، وانهم ارادوا قتله ، نجاه الله هو وابن أخيه الــى فلسطين ، الى الاردن التى بارك فيها للعالمين .

٣ ــ ((يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون)) .

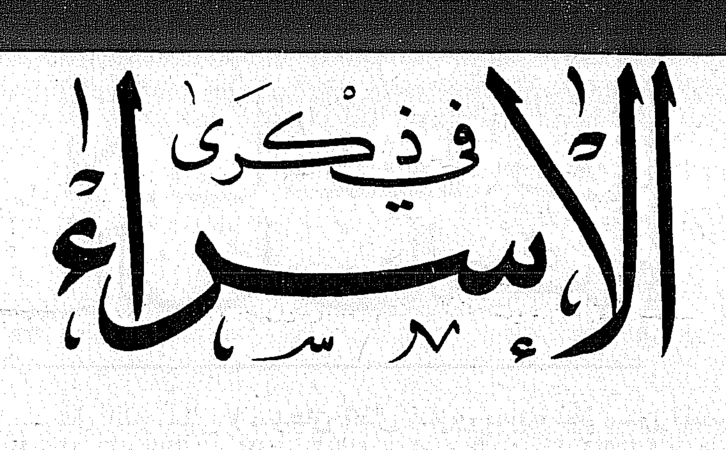
٤ ــ ((وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مســاكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)) .

ويقع (وادى النمل) هذا فى فلسطين بجوار عسقلان .

٥ ــ ((وجعلنا ابن مريم وأمــه آية وآويناهما الى ربــوة ذات قرار ومعين)) .

قال ابن عباس هى بيت المقدس ، وهو قــول قتادة وكعب ، وعــن الحسن وابى هريرة انها فلسطين .

٦ ــ ((كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)) .



في أوائل شهر رجب الفرد منذ سنوات تلقيت آنذاك بصفتي مديرا لجامعة الأزهر الشريف دعوة الى شهود الاحتفال بليلة الاسراء مع وفود العالم الاسلامي في المسجد الأقصى المبارك .

وكانت الدعوة موجهة من قبل حكومة المملكة الهاشمية ، باسم الاستاذ الجليل الشيخ عبد الله غوشة قاضي قضاة الأردن يومئذ .

وقد اجابت هذه الدعوة وفود اسلامية كثيرة من سورية والعراق والسودان وليبيا وامارات الخليج ، وأقطار أخرى وراء ذلك .

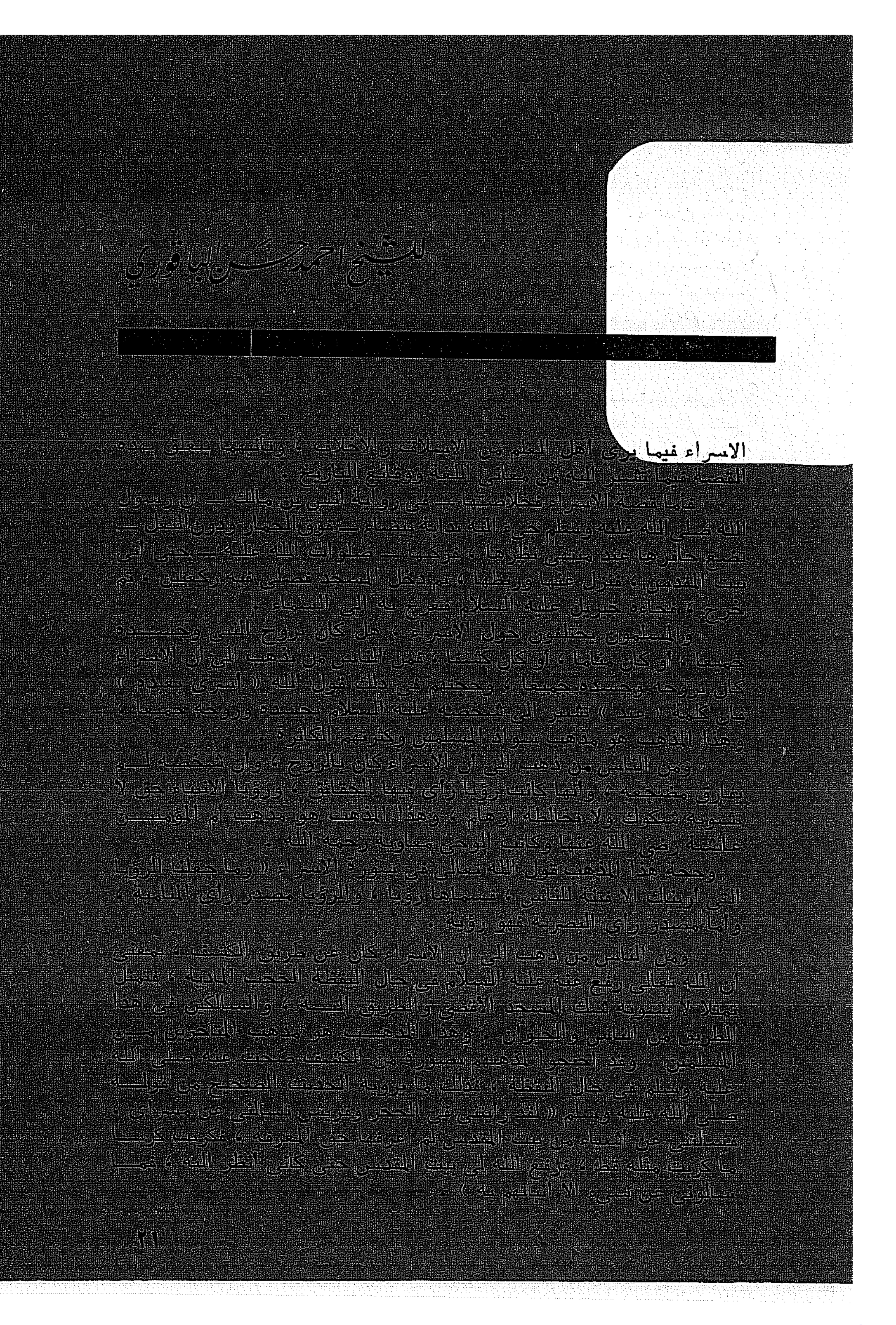
ولم يكن الذين دعوا ، والذين استجابوا للدعوة ، يتحرون شيئا سوى التعارف بين المسلمين ، والتعاون على التعريف بما كان يتهدد الاماكن المقدسة ، من خطر رابض تحركه الاحقاد وتدفعه المطامع الى اذلال أمتنا الاسلامية ، التي تسعد بالاعتزاء اليها والاعتزاز بها ، ولا تضن عليها ببذل ما يبلغه الوسع لاعلاء رايتها ، ومعاونتها بكل سبيل على الظفر بما تصبو اليه من حرية شاملة وعدالة كاملة وأخوة جامعة وسلام عزيز .

ولست أستطيع التغاضي عن الصورة القائمة على الود ، والتي تتمثل لعيني الآن ، وقد تلاقت وفود المسلمين من مختلف الاقطار تتصافح وتتعانق في ظلال وارفة من الأخوة الاسلامية ، تضفيها عليهم جلالة المشهد الكريم في المسجد المبارك ، حوالي منبر الشهيد نور الدين زنكي أستاذ القائد المجاهد يوسف صلاح الدين .

ومن أوائل الذين تعرفت اليهم في هذه البقعة الطاهرة ، العلامة الاستاذ الشبيبي رحمه الله ، والسيد الوزير المفضال المشاري الروضان ابقاه الله .

تلك مقدمة لم أجد متندحا عنها ولا بدا منها ، وأنا أحاول الكتابة عن الاسراء ، في ذكرى لم نكن آنئذ نتوقع لها هذا المصير الذي تصير اليه اليوم ، ومنبر نور الدين محترق والمسجد الاقصى مهين ، والاماكن المقدسة كلها في سلطان عدو لا تنام له عداوة ، ولا تكف عنه أحقاد على المسلمين والمسيحيين أجمعين .

والحديث عن الاسراء يقتضينا حقه في أمرين ، أحدهما يتصل بقصة



للشيخ احمد حسن الباقوري

الاسراء فيما يرى اهل العلم من الاسلاف والاخلاف ، وتاليهما يتعلق بهذه القصة فيما تشير اليه من معانى اللغة ووقائع التاريخ .

فاما قصة الاسراء فخلاصتها — فى رواية انس بن مالك — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جىء اليه بدابة بيضاء — فوق الحمار ودون البغل — تضع حافرها عند منتهى نظرها ، فركبها — صلوات الله عليه — حتى اتى بيت المقدس ، فنزل عنها وربطها ، ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج ، فجاءه جبريل عليه السلام فعرج به الى السماء .

والمسلمون يختلفون حول الاسراء ، هل كان بروح النبى وجسده جميعا ، او كان مناما ، او كان كشفا ، فمن الناس من يذهب الى ان الاسراء كان بروحه وجسده جميعا ، وحجتهم فى ذلك قول الله ((اسرى بعبده)) بان كلمة ((عبد)) تشير الى شخصه عليه السلام بجسده وروحه جميعا ، وهذا المذهب هو مذهب سواد المسلمين وكثرتهم الكاثرة .

ومن الناس من ذهب الى ان الاسراء كان بالروح ، وان شخصه لم يفارق مضجعه ، وانها كانت رؤيا راى فيها الحقائق ، ورؤيا الانبياء حق لا تشوبه شكوك ولا تخالطه اوهام ، وهذا المذهب هو مذهب ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وكاتب الوحى معاوية رحمه الله .

وحجة هذا المذهب قول الله تعالى فى سورة الاسراء ((وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس ، فسماها رؤيا ، والرؤيا مصدر راى المنامية ، واما مصدر راى البصرية فهو رؤية .

ومن الناس من ذهب الى ان الاسراء كان عن طريق الكشف ، بمعنى ان الله تعالى رفع عنه عليه السلام فى حال اليقظة الحجب المادية ، فتمثل تمثلا لا يشوبه شك المسجد الأقصى والطريق اليه ، والسالكين فى هذا الطريق من الناس والحيوان . وهذا المذهب هو مذهب المتاخرين من المسلمين . وقد احتجوا لمذهبهم بصورة من الكشف صحت عنه صلى الله عليه وسلم فى حال اليقظة ، فذلك ما يرويه الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم ((لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى عن مسراى ، فسالتنى عن اشياء من بيت المقدس لم اعرفها حق المعرفة ، فكربت كربا ما كربت مثله قط ، فرفع الله لى بيت المقدس حتى كأنى انظر اليه ، فما يسالونى عن شىء الا انباتهم به)) .

تلك مذاهب ثلاثة فى تصور الاسراء ، لكل مذهب منها اسناد تعضده من الكتاب أو من السنة ، ولسنا بسبيل ترجيح مذهب على مذهب ، وانما الذى نراه حقا علينا وعلى كل مسلم غيور ألا يكون الخلاف حول هذا المعنى داعية صراع ، ووسيلة بغضاء بين المسلمين ، فأيا ما كان الامر فان مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج الى كل جهد يبذل فى سبيل حمايته وانقاذه ، وتخليصه من يد الاطماع والاحقاد . وكل خلاف فى صفوف المسلمين اليوم يسلمهم الى عداوة وبغضاء وكراهية هو بلا ريب توهين لقوتهم ، وتشتيت لجماعتهم ، وتفتيت لوحدتهم . ولن يرضى مسلم عن نفسه ولا عن قومه اذا رآهم ينصرفون عن الوسائل التى تجمع الكلمة الى الطرق التى تزيدهم فرقة .

والذين يمهدون لهذا الخلاف أو لأى خلاف بين المسلمين طريقا ، يجنون أشد الجنايات على الاسلام ، ولا يدركون قيمة حرية الرأى فى الاسلام ، فان دينا فى الارض لم يكفل حرية الرأى القائمة على الحجة والبرهان كما كفل ذلك الاسلام بل ان الاسلام لم يقف عند الكفالة لحرية الرأى ، بل حرض عليها وأمر بها ودعا اليها . حتى ان علماء الاصول ليقررون فيما يقررون من قواعد أن الذى يعتنق مذهبا يقتنع به يجب عليه أن يقول « مذهبى صواب يقبل الخطأ » ، « ومذهب غيرى خطأ يقبل الصواب » وانما كان ذلك كذلك لشدة كراهية الاسلام للتقليد الذى يكون فيه المسلم تابعا لا يرى ولا يسمع ولا يعقل الا فى حدود ما يريد له متبوعه أن يرى وأن يسمع وأن يعقل .

وكما أمر الاسلام اتباعه أن يستخدموا عقولهم استخداما يصل بهم الى الحقيقة ، نعى على الذين لا يفعلون ذلك غفلتهم ، ووصفهم بأخس الاوصاف فذلك حيث يقول تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ومن أجل هذا كان المسلمون فى عصورهم الزاهية يحترم بعضهم رأى بعض مهما اختلفت آراؤهم ، لأنهم كانوا يعطون مخالفيهم من الاعتزاز بآرائهم والانحياز اليها ما يعطون أنفسهم من ذلك ، التزاما منهم لشرعة العدل والانصاف . ولم يعرف تاريخ المسلمين الخلاف المتقاتل والتعصب الأعمى الا فى عهود الضعف والجهالة ، والتهالك على استرضاء العامة بكل سبيل .

هذا ما يتصل بقصة الاسراء .

وأما ما يتعلق من ذلك باللغة فان ها هنا سؤالا حاصله :

ان المسجد اسم مكان من السجود ، فهل كان السجود معروفا للمؤمنين قبل الاسلام ؟ أو أن السجود خاصة للمسلمين فى صلاتهم ؟

ويترتب على هذا السؤال التماس سبب لتسمية بيت المقدس المسجد الاقصى .

وفى هذا يقول الزجاج رحمه الله : كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، ومن ذلك يقول اللغويون : سجد الرجل اذا انحنى وتطامن الى الأرض ، كما يقولون أسجد ، وكذلك يقولون : « سجد البعير اذا طأطأ وانحنى ليركب ، وفى هذا يروى أبو عبيد : « وقلن له اسجد لليلى فاسجدا » يعنى أن بعير

ليلى طأطأ رأسه لتركبه . ومن أجمل ذلك قول حميد بن ثور يصف نساء أردن ركوب جمالهن :

فلما لوين على معصم ... وكف خضيب وأسوارها
فضول أزمتها أسجدت ... سجود النصارى لأحبارها

فالشاعر يقول : لما اعتزم هؤلاء النسوة الرحيل لوين أزمة جمالهن على معاصمهن فأسجدت لهن وانحنت وطأطأت رؤوسها ليسهل ركوبها .

فالاصل فى السجود هو التطامن والخضوع ، والعلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاسلامى واضحة لأن الساجد متطامن خاضع . فتسمية بيت المقدس بالمسجد الاقصى لا يعنى أنه يتعبد الناس فيه ربهم بسجود كسجود المسلمين ، وانما كانوا يذهبون اليه ويعبدون الله فيه بالتطامن والخضوع ، ومن أجل ذلك سمى مسجدا .

على أن القرآن الكريم أعطى معابد أهل الديانات السماوية أسماء يمتاز بها بعضها على بعض كما يقول تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

فالصوامع بيوت رهبان النصارى وعباده الصابئين قبل الاسلام ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات كنائس اليهود وهى بالعبرانية صلوتا على ما يقول ذلك أهل اللغة .

وأما ما يتصل بوقائع التاريخ حول هذا الموضوع ، فان أمير المؤمنين عمر حين وفد على بيت المقدس كان يلقى بمزيد الاحتفاء والاكرام الاساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان وعلى رأسهم جميعا البطريرك . ثم كتب لهم وثيقة الأمان التى لم ينقض فيها المسلمون عهدا ولم يخلفوا وعدا الى يوم الناس هذا . ومن أعجب العجب فى هذا أن يطلب المسيحيون من عمر ألا يساكنهم فى مدينة القدس أحد من اليهود ، وأن يجيبهم عمر على ذلك . ثم هؤلاء المسيحيون اليوم يقفون مع اليهود ضد المسلمين وضد النصارى أيضا الذين يسكنون فلسطين .

ومن العجب أيضا أن يكون أول عمل يقوم به عمر بعد أن تم له فتح بيت المقدس زيارة كنيسة القيامة مع امتناعه عن أداء صلاته الاسلامية فيها وقد دعى الى ذلك من البطريرك نفسه ، ايثارا لدوام السلام وأبعاد النزاع فى المستقبل عن أرض السلام هذه .

ومن العجب أيضا أن يزور عمر مكان الهيكل وهو فى حالة خراب وقد تجمعت فيه الاقذار فأصبح مزبلة تتقزز منها النفوس وتنبو عنها الابصار ، ولكن عمر اطاعة لتعاليم دينه راح يحفن التراب عن الهيكل وينضحه بكفيه ، وأصحاب النبى يقتدون به فى ذلك ، فينظفون المكان حتى برزت الصخرة التى بنى عليها المسجد الذى يعرف الآن بمسجد الصخرة .

بمثل هذا النظر وفى مثل هذه المواطن تلتمس العبر ، وينطلق المسلم الصادق عاملا عملا نافعا ، وليس عن الجدال والخلاف حول الاسراء والبراق وطريقة سيره وربطه بالصخرة ، يصدر ما ينفع المسلمين فى دنيا أو دين .

نسأل الله تعالى أن يجمع القلوب على التقوى ، وأن يلهم أمتنا رشدها ، حتى تعمل على ربط حاضرها بماضيها ، ومن ذلك نتجه الى مستقبل يشبه ذلكم الماضى المجيد ، والله من وراء المؤمنين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .



فى كل عام تتجدد ذكرى الاسراء والمعراج ، وتتجدد بتجددها الآمال فى مستقبل أكثر أمنا وعزة ، من حاضر لا يخلو من أسباب القلق والاضطراب .

ان الامة ــ والمجتمع منها ــ تكون مجموعة من الأفراد تقل وتكثر ، فتتمثل فيهم وحدة المكان والزمان واللغة والدين والتاريخ والهدف ، ويتم بينهم بالضرورة التعاقد على التعايش فى ظل تعاون مخلص ، وفى رعاية حكم يختارونه ويحتكمون اليه ، ويسندون اليه أمر السهر على المثل والفضائل والأمانى التى آمنوا بها ، والمصالح التى اتفقوا عليها فيما بينهم ، ووضعوا فى ضوئها دستورهم ، ونظام حياتهم ودولتهم .

وهذا ما كان يشاهد واضحا فى أمة الاسلام من الخليج الى المحيط ، فقد تحققت فيها وحدة الزمان والمكان واللغة والدين والتاريخ والهدف ، وأرتضى أبناؤها بالضرورة التعاقد على أن يتعايشوا فى ظل رخاء دائم ، وتعاون مخلص وفى رعاية حكم تقبلوه طوال قرون حتى نشأ بينهم النزاع . واهتبل المستعمر الفرصة وبسط نفوذه عليهم وقطعهم دويلات ، ولكنهم مع ذلك بقوا يمثلون فيما بينهم وحدة الزمان والمكان واللغة والدين ، ووحدة التاريخ والهدف ، رغم اختلاف الحاكم والمحكوم .

وما يزال شعار الوحدة يرتفع عاليا فى مجتمعاتهم كلما سنحت الفرصة وهلت المناسبة ، ان هذه الأمة ما تزال تتطلع الى تحقيق أمانيها فى ضوء كتابها ودستورها ، وتعلم أن ذلك كله لا يليق أن يبقى أفكارا وأمانى راسبة فى عقول ونفوس أبنائها ، بل تتصدى لمحاولة ارساء قواعدها فى حياتها الاجتماعية بصورة عملية فتجسدها فى سلوك أفرادها وتصرفاتهم وتعاملهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض ، فقد قال التابعى الجليل جندب بن عبد الله رضى الله عنه :

الإسراء والمعراج

للشيخ حسن خالد

((عليكم بالقرآن ، فانه نور بالليل ، وهدى بالنهار فاعملوا به على ما كان من فقر وفاقة فان عرض بلاء فقدموا أموالكم دون أنفسكم فان تجاوز البلاء ، فقدموا أنفسكم دون دينكم فان المسلوب من سلب دينه فانه لا فاقة بعد الجنة ولا غناء بعد النار)) .

وتجسيد هذه المعانى والمفاهيم السامية فى حياة الافراد والجماعات فى الامة الواحدة يفتقر الى سهر مستمد من سلطة نافذة القول والفعل فان المأثور أن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

ولا سبيل الى ارساء وجود السلطة ، وتعميق فاعليتها فى الردع أو التشجيع والدفع الا بفعل فئة تستمد قوتها ومهابتها من رضى المجتمع المؤيد لها ، والذى يضعف ، ويشتد بنسبة ما تكـــون عليه أريحيـــة أبنائه سخاء وعطاء ، وكلما كان البذل من هؤلاء سخيا جوادا تيسر لتلك الفئة الحاكمة مجال التوفيق ، وتمكنت من التغلب على صعوبات الحيـــاة ومشاكل المجتمع ، وفازت بالنصر على المناوئين والمتمردين فى داخـــل مجتمعاتها والطامعين بها من خارجها ولئن كانت السلطة الحاكمة بحاجة ماسة الى عطاء رعاياها المادى وتشجيعهم المعنوى ، فهى الى مساعدتهم الشخصية أحوج ..

ولهذا كان لزاما على كل أمة تنشد لكيانها البقاء والاستمرار والأمن والوقار أن يكون جميع أفرادها دوما مستنفرين وعلى أهبة النضال والدفاع ولو اقتضى ذلك منهم بذل الروح ذبا عن كيان الامة وتعزيزا لوجودهـــا ومبادئها وتحصينا لهيبتها .

وكلما كثر فى أفراد الامة الموت دفاعا عن حياضها ، وحرصا عـــلى كرامة عقائدها ومبادئها ووجودها اشتد عودها ، وقوى جهازها الرادع ، وهابها القاصى والدانى من الناس وشاع فى ربوعها الأمـــن والاستقرار

وهنىء أبناؤها ورعاياها وانتشرت فيهم معالم البحبوحة والسعادة والرخاء .

والامة التى لا يتعدد ضحاياها ، ولا يكثر فيها المستشهدون دفاعا عن العقيدة والشريعة والآداب والمثل التى أمرهم الله بالدفاع عنها والتى تنظم الحياة وتحفظ الهيبة والكرامة والحق والحرية والعدالة أمة غير جديرة بالعزة ، بل حرية بان يتخطفها الناس من كل حدب ، ويطمع بها القوى والضعيف والصالح والفاسد .

فالشهداء من الامة اذن بمثابة القاعدة من البناء على جثثهم ينتهض بناء الأمة ويسحق حتى يطاول السحاب شموخا وعزة واباء .

والشهداء من الأمة بمثابة الروح من البدن يضوى كيان الامة بدونهم ويذبل ، ثم يصوح ويزول تماما كما يكون من البدن ساعة تبارحه الروح الى لقاء ربها .

بل أن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض الوطن تشربها التربة ، ولا تضيع فاذا كان الماء الذى يمس الارض يهزها ويربيها ، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حبا جنيا ، وثمرا شهيا ، وأكلا طيبا هنيا فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه ، ويسقى أديم الارض ، ثم يسوخ فى ذرات التراب حتى يبرز من جديد من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم ، وطاقاتهم الوجدانية غضبا عاصفا يموج فى الأثير ، ثم ينصب على رؤوس الظلمة الغاشمين عزة وشمما وقوة تربو بها نفوس الابناء والآباء والأخوة والأقرباء ، وأبناء الوطن الواحد .

بل ان دم الشهيد هو وقود حياة الأمة وهو الطاقة الخفية التى تشق للامة طريق المجد والخلود ، وتظللها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء .

ومهما يكن عطاء الله لهؤلاء الشهداء بعد ذلك ومهما يكن احتفاؤه بهم وتمجيده لذكرهم واكرامه اياهم ، فهم له أهل ، لانهم عملوا فى مرضاته تعالى ، وشروا أنفسهم فى سبيله .

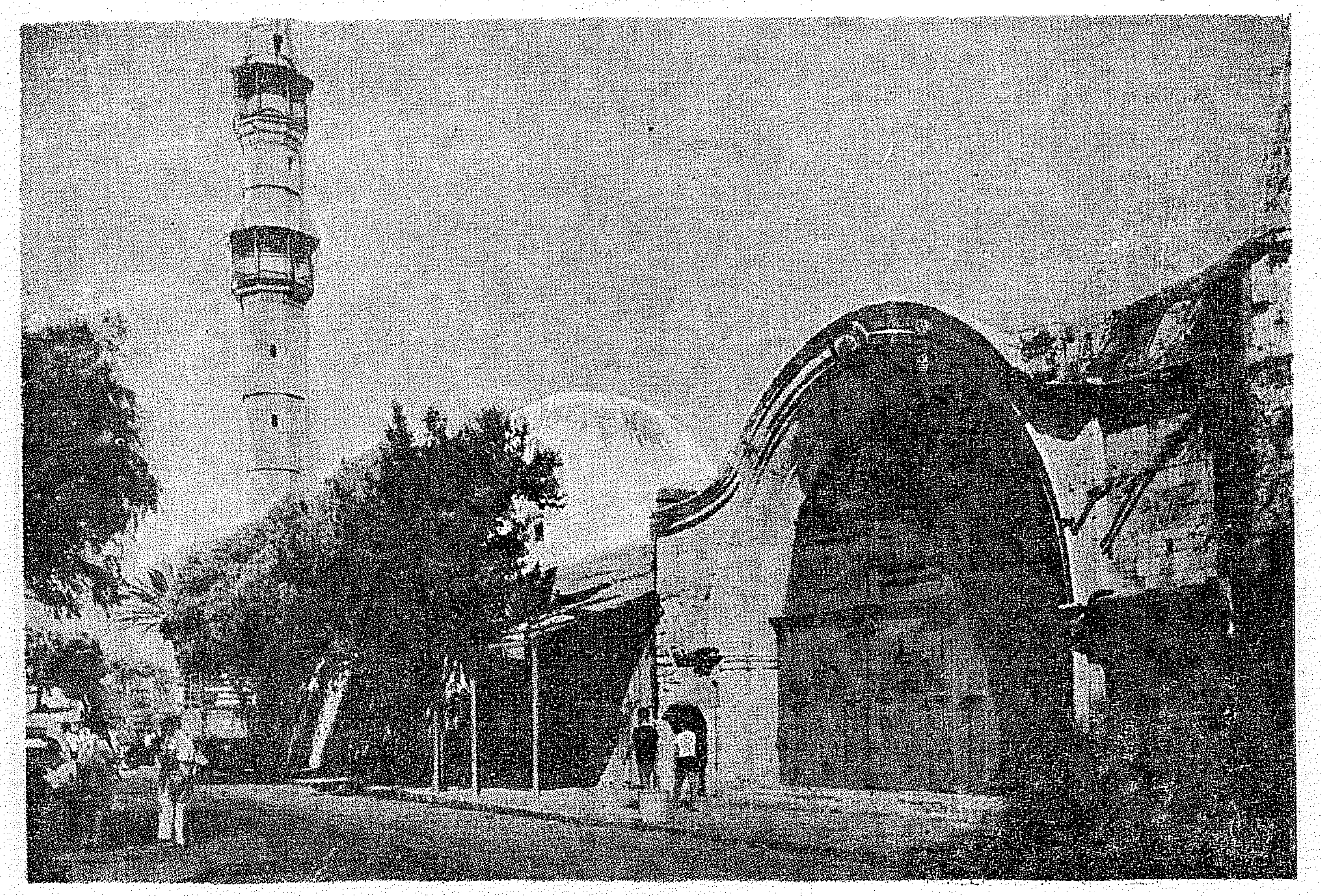
كذلك كثر الشهداء فى عصرى الاسلام الاول والثانى فعلا نجم الأمة وانتشر ظلها حتى عم العالم القديم تقريبا .

وكذلك فان العالم الاسلامى اليوم فى معاركه السافرة الضارية مع الاستعمار والصهيونية أحوج ما يكون لتعزيز نضاله وشحذ نشاط بنيه والهاب أحاسيسهم للثأر من الظالمين والمعتدين ، والدفاع عن أراضيهم وأعراضهم ، ومقدساتهم وكرامة الآباء والأجداد ، وأولا وقبل كل شى للذب عن المعتقد الثمين ، عن الاسلام العظيم الذى ارتضاه الله للناس دينا .

أقول أنه أحوج ما يكون فى ذلك الى رسالة الدم الزكى القانى ، وازهاق الارواح الطاهرة النبيلة ، شهيدة ، فى سبيل الله والحق والعدل هذه المعانى الكريمة التى كفر بها كثير من الامم وداسها الانسان الحديث بنعاله .

ان فلسطين ومقدساتها لن تعود للعرب والمسلمين بالكلام يطرح هنا وهناك ، ولا بتفضل الناس الأباعد ومناصرتهم المشروطة أو غير المشروطة بل إن عودتها مرهونة بفضل جهاد أبنائها وجهاد أخوتهم المسلمين ونضالهم .

ان معركة فلسطين اليوم هى المحك لقدرة العرب والمسلمين فى هذا العصر على حماية أنفسهم ومقدساتهم وعلى جدارتهم فى العيش فى عزة وكرامة وبمواكبة تدرج الامم فى مدارج الرقى والعز والشرف .



جامع يافا الكبير وأبوابه مغلقة بعد الاحتلال الصهيونى لمدينة يافا .



للأستاذ عبد الله كنون

ان الاسراء والمعراج من معجزات سيدنا محمد العظمى وخصائصه الكبرى . وهما ثابتتان ثبوتا قطعيا لا مجال للشك فيه ، بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة . وهذا مما اتفقت عليه الأمة ولم يخالج صدور المؤمنين ريب فى حقيقته .

وقد كانا معا فى عام واحد ، وشهر واحد ، وليلة واحدة ، هى على المختار ليلة السابع والعشرين من رجب عام اثنى عشر من البعثة النبوية وهو صلى الله عليه وسلم ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر .

واختلف السلف والعلماء هل كان ذلك بروحه وجسده على ثلاث مقالات ، فمعظمهم على أنه بالجسد وفى اليقظة . وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وأبى حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وكثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين .

وذهبت طائفة الى أنه بالروح فقط ، وأنه رؤيا منام ، مـــع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء وحى وحق ، مستدلين بقوله تعالى **(وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس)** ولكن استدلالهم بهذه الآية على ما ذهبوا اليه لا يصح ، لأن الآية لم يثبت نزولها فى الاسراء بل قيل ان المراد بهـــا رؤيا النبى (صلى الله عليه وسلم) المبشرة بفتح مكة .

ولما كانت الرؤيا فى الآية غير نص فى الاسراء ، أصبحت الآية غير صالحة أن تكون لهم دليلا ، فلا تقوم لهم بها حجة على ما ذهبوا اليـــه ، ولوكان الاسراء رؤيا منام ، ما دهش المشركون وملكهم العجب لما سمعوا النبى (صلى الله عليه وسلم) يخبر بذلك ، وما سارعوا الى تكذيبه ، وما ارتد ضعفاء الايمان عند سماع ذلك ورجعوا بعد ايمانهم كفارا .

على أن الرؤيا المنامية لا تستبعد من أى انسان كائنا من كان . فاذا حدث الناس شخص بأنه رأى فى منامه أنه انتقل الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة ، أو صعد الى السماء ودخل الجنة ، ورأى من العجائب مالا يخطر ببال ، لا يجد من بين سامعيه انكارا ولا جحودا ولا تسفيها له ، ولا تكذيبا ، اذ كل ذلك ممكن ومقبول عقلا من غير استبعاد ولا استحالة ، فانكار المنكرين لقول النبى (صلى الله عليه وسلم) لما أخبرهم بما عاين دليل صريح وبرهان واضح على ان الاسراء كان بجسمه وروحه الطاهرين .

وقالت جماعة أخرى كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس ، والى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليـــلا من المسجد الحـــرام الى المسجـــد الأقصى) فجعـــل المسجـــد الأقصى غايـــة الاسراء الـــذى وقع التعجيب منه بعظيم القـــدرة والتمدح بتشريف النبى (صلى اللـــه عليـــه وسلم) بـــه واظهـــار الكرامـــة له بالاسراء اليه . وقـــال هـــؤلاء : ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الأقصى لذكره ، فيكون أبلغ فى المدح . وكأن هذا جمع بين القولين ، ولكن الاعتماد على القول الأول كما علمنا ، والآية لم تشر أصلا الى زائد على الاسراء الى المسجد الأقصى لا بجسد ولا بغيره ، فكيف يكون ذكر الاسراء الى السماء دليلا على وقوعه بالروح فقط ، وهـــو انما استفيد من آية أخرى فى سورة النجم ، ومن الأحاديث لا غير .

وفوق هذا فان الرؤيا تكون بمعنى الرؤية فى اليقظـــة ، ولا تختص بالنوم كما فى قول الشاعر يصف صائدا :

وكبـــر للرؤيا وهش فـــؤاده   وبشر قلبا كان جما بلابله

وقد أصبحت الآن أكثر ما تستعمل فى عبارات الأدباء والنقاد بالألف لا بالتاء ، وهم يريدون بها الرؤيا البصرية .

ان الاختلاف فى هذا الأمر بين علماء المسلمين ، هو فى نظرنا دليل على تحكيمهم العقل ، حتى فى أخص أمور الدين ، والا فاننا اليوم لا نكاد نشك فى أن الاسراء والمعراج معا كانا بذاته الشريفة ، وفى حالة اليقظة ، وقد رأينا من قدرة الانسان وتدرعه بما أوتى من علم قليل ، أنه استطاع أن يخرق الأجواء ، ويصل الى القمر ، أفتعجز قدرة الله غير المحدودة وعلمه المحيط ، أن يعرج بنبيه الى السماء ، ويسرى به الى بيت المقدس فى بعض ليلة ؟ . .

لقد حكى لنا القرآن من قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ، وقول عفريت من الجن له : أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقامك ، وقول الذى عنده علم : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، .. حكى لنا القرآن ما فيه مقنع وبلاغ لأن تكون قضية الاسراء والمعراج ، قبل صعود الانسان الى القمر بعشرات القرون ، قضية لا غرابة فيها بالنسبة الى قدرة العزيز الحكيم ، ولكن النزعة العقلية عند علماء المسلمين ، التى كان القرآن نفسه أعظم مذك لها فى نفوسهم ، جعلتهم يطرقون جميع الاحتمالات فيها مع ايمانهم الراسخ بالمعجزة وصدق المبلغ عن الله عز وجل . حتى الذين قالوا انها رؤيا منام محض ، قد حكموا بأن رؤيا الانبياء وحى وحق ، وذلك هو الخيط الرفيع الذى يفرق بين رؤياه (صلى الله عليه وسلم) ورؤيا غيره من الناس .

واذا كنا قد ألمعنا الى الصعود للقمر ، على سبيل المثال والتقريب . فلا بد أن ننبه على الفرق العظيم بين المعراج وهذا الصعود ، فالأمر هنا لم يخرج عن المدار الفضائى لمجموعتنا الشمسية التى نعيش على ظهر كوكب من كواكبها ، أما المعراج فكان الى السماء الحقيقية ، السماء التى ورد ذكرها فى كتب الأنبياء جميعا لا السماء اللغوية التى هى ما علا الانسان ، بل السماء التى هى مقر الملائكة والأرواح ، وعالم الملكوت المحفوظ من كل أنس وجان ، الا من أكرمه الله بدخوله . فأين الثرا من الثريا ؟ ..

ولهذا قال تعالى منبها ذوى العقول لما فى هذه الآية العجيبة من الدلالة على عظيم قدرته وبليغ حكمته : (سبحان الذى أسرى بعبده) وسبحان علم للتسبيح ، والحكمة فى التعبير به هنا كما قال ابن الجوزى : ان العرب تسبح عند الأمر العجيب ، فكأنه تعالى يعجب خلقه مما أسدى الى نبيه بالاسراء به من الأيادى والنعم ، وأسرى مأخوذ من السرى ، وهو سير الليل خاصة ، وبعبده المراد به النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو المتحقق بكمال العبودية لله عز وجل ، وبذلك يكون وصف تشريف كما قال القائل :

لا تدعنى الا بيا عبدها ... فانه أشرف أسمائى

و (ليلا) ظرف وهو للتوكيد ، اذ الاسراء لا يكون الا بالليل ، وفائدته رفع توهم المجاز ، لأنه قد يطلق على سير النهار ، مع الاشارة بتنوينه الى ان ذلك وقع فى بعض الليل لا فى جميعه . وانما كان الاسراء ليلا لأنه وقت الخلوة والاختصاص والتقريب على ما قيل . (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (الى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس . ووصف بالأقصى لبعده عن المسجد الحرام ، وذلك محط العجب ومناط الاعجاز (الذى باركنا حوله) صفة أخرى للمسجد الأقصى ، وبركته بما خصه الله به من كونه مقر الأنبياء ومتعبدهم ومهبط الوحى والملائكة . وانما قال حوله لتكون بركته أعم وأشمل ، فانه اذا بارك فيما حوله من البقاع لأجله ، فهو مبارك بطريق الأولى .

والمسجد الأقصى بمدينة القدس من أرض فلسطين ، هو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها ، وهو أولى القبلتين ، ومسرى النبى

(صلى الله عليه وسلم) ومكان عروجه ، والصلاة فيه بألف صلاة ، كما فى الحديث الذى أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة ، وفيه : ائتوه وصلوا فيه ، فان صلاة فيه بألف صلاة ، وفى رواية لأحمد عن بعض نسائه (صلى الله عليه وسلم) انها قالت يا رسول الله : فان لم تستطع احدانا أن تأتيه . قال : فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه ، فان من بعث اليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه .

ومهما يكن من درجة هذه الرواية وصحة اعتبارها فان المسلمين اليوم قد أضاعوا القدس بتهاونهم وتخاذلهم ، وقد مرت على سقوطه فى أيدى الصهاينة سنوات أربع ، وهى فى نظر الغير من أهل الاسلام بمثابة أربعين سنة ، وبضياع القدس بطلت زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه على سبعمائة مليون مسلم ، فأقل ما يجب على المسلمين لاسترداده — أن يبذلوا المال للفدائيين والفئة المؤمنة القائمة بالجهاد لرفع السيطرة الصهيونية عنه . . فلو بعث كل من كان يزور القدس من المسلمين وخصوصا الحجاج ، بما كان يصرفه فى سبيل زيارته من مال ، الى من ذكرنا لحصل له ثواب الزيارة والصلاة على حسب ما جاء فى هذا الحديث ، ولأسهم فى انقاذه بحسب وسعه . . وما أصدق ما قال المشركون لسلمان : لقد علمكم نبيكم كل شيء ، . فياحسرتا على المسلمين كيف فرطوا فى دينهم وتعاليمه التى بها نجاتهم ، وتمسكوا بالأوهام والأضاليل . . ثم قال تعالى : (لنريه من آياتنا) أى لنظهره على عجائب قدرتنا ، وبدائع حكمتنا ، أو يكون المعنى لنرفعه الى السماء حتى يرى ما يرى من آياتنا الباهرة ، فتكون فى الآية اشارة الى عروجه (صلى الله عليه وسلم) وخصوصا اذا جعل معاد الضمير فى قوله (انه هو السميع البصير) عليه (صلى الله عليه وسلم) كما قيل به والمعنى أنه هو السميع لكلامنا البصير لآياتنا .

ومن هنا ينصرف بنا القول الى المعراج ، وقد ألمت به سورة النجم فى الآيات الكريمة القائلة : **(والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) الى قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .**

ونأتى بالحديث المفسر لها ، ولقضية الاسراء معا ، ففيه غنى . وهو ما أخرجه مسلم من طريق ثابت البنانى عن أنس (صلى الله عليه وسلم) وقال فيه القاضى عياض : جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ، ولم يأت أحد بأصوب من هذا . قال أنس : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض ، طويل فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته فى الحلقة التى يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت . فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل أخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل ، فقيل له : من أنت . قال جبريل ، قيل من معك . قال محمد . قيل : وقد بعث اليه . قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم (صلى الله عليه وسلم) فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ،

فقيل : من أنت . قال : جبريل ، قيل : ومن معك . قال : محمد قيل : وقد بعث اليه . قال : قد بعث اليه . ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء (صلى الله عليه وسلم) فرحبا بى ودعوا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ، ففتح لنا فاذا أنا بيوسف (صلى الله عليه وسلم) واذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فاذا أنا بادريس ، فرحب بى ودعا لى بخير . قال تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ، ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله ، فاذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فاذا أنا بموسى ، فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله ، فاذا أنا بابراهيم ، مسندا ظهره الى البيت المعمور ، واذا يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه . ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى ، واذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال .. قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . فاوحى الله الى ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت الى موسى ، فقال : ما فرض ربك على أمتك . قلت : خمسين صلاة . قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فان أمتك لا يطيقون ذلك ، فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت الى ربى ، فقلت يارب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمسا ، فرجعت الى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا ، قال : ان أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف . قال فلم أزل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد انها خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فان عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته . فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول الله (صلى الله عليه رجعت الى ربى حتى استحييت منه .

فهذا الحديث قد جمع قصتى الاسراء والمعراج معا ، واستوفاهما أحسن استيفاء ، واستوعبهما بيانا ، وان كان قد خلا من بعض الزيادات التى ثبتت فى غيره مما هو أقصر منه ، ولا تخلو من فائدة .

ومنها شق صدره الشريف قبل الاسراء ، وقد ثبت فى الصحيح ، فلا عبرة بمن أنكره ، قائلا ان ذلك كان فى صباه (صلى الله عليه وسلم) فذاك كان لاخراج حظ الشيطان منه ، وهذا للتهيىء لدخول الملأ الأعلى ، ومنها صلاته بالانبياء فى بيت المقدس ، قبل أو بعد العروج على اختلاف الروايات فى ذلك ، مثلوا له وصلى بهم ركعتين .. ولعلهم الانبياء الذين لم يلقهم فى السماء . وان كان لفظ الحديث يدل على العموم ، وقد تكرر ذكر هذه الكرامة فى شعر المديح كقول العلامة اليوسى :

وتقدمت للصلاة فصلوا كلهم مقتد وأنت الامام

ومنها أنه لما أتاه الملك بالخمر واللبن ، فاختار اللبن وقال له : اخترت الفطرة ، زاد : ولو شربت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل . وكفى بهذا ذما للخمر وردعا لشاربيها .

ومنها أنه لما لقى ابراهيم فى السماء السابعة ، قال له : مرحبا بالابن الصالح ، وقال له : مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة ، فان تربتها طيبة ، قال : وما غراس الجنة . قال : لا حول ولا قوة الا بالله .

ومنها فى وصف سدرة المنتهى : أنها فى السماء السابعة ، اليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض ، واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها .

ومنها أنه قال : ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام أى صوت حركتها جارية بما تكتب من القضاء والقدر .

وقوله فيه : وقد بعث اليه . أى للعروج الى السماء . وأما بعثته أى رسالته الى أهل الأرض فانها لا تخفى على أهل السماء .

والحكمة فى تردده للتخفيف من عدد الصلاة بين موسى والحق سبحانه وتعالى ، تقدير ذلك الفضل العظيم والعطاء الجسيم الذى أتحفه به عز وجل ، وهو كون الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بواحدة فقط ، بصورة عملية محسوسة ، ليكون ذلك أدعى لتقديره ، والاعتراف بواسع كرمه تعالى ، وجزيل ثوابه لعباده المؤمنين .

ثم انه صلى الله عليه وسلم رجع من ليلته ، فلما أصبح غدا الى نادى قريش ، فحدثهم بأمره ، فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا . وارتد أناس ممن كان آمن به من ضعاف النفوس ، وسعى بعضهم الى أبى بكر فقال له : أرأيت الى صاحبك ، يزعم أنه أسرى به الى بيت المقدس ورجع فى ليلته . فقال : ان كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : وكيف . قال انى لأصدقه على أبعد من ذلك ، على خبر السماء فى غدوة وروحة .. فسمى من ذلك اليوم الصديق .

وقوله تعالى فى سورة الاسراء : (لنريه من آياتنا) وفى سورة النجم : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) هو مما يصدق بما تقدم من معجزة الاسراء نفسها ، ومعجزة المعراج ، وما رآه فيهما من الآيات والعجائب ، وناهيك بمقام القرب والدنو ، وما غشى سدرة المنتهى مما عبر عنه بقوله : فلما غشيها من أمر الله ما غشى ، تغيرت فما أحد يستطيع أن ينعتها من حسنها .. وما كان بعد ذلك من الوحى كفاحا ، دون ما زيغ من البصر ولا طغيان ، كما قال تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) .

والى ذلك فقد وردت فى بعض روايات الحديث أشياء ومشاهد أخرى ، مما رآه فى ليلته تلك ، ومجرد وصفها يدل عى صدقها ، اذ أنها من عالم الغيب الذى سكتت عنه جميع الكتب والصحف . وخرست ألسنة الحكماء والفلاسفة .

ومن ذلك أنه أتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل ، ما هذا . قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ، قال يا جبريل : من هؤلاء . قال : الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كما تسرح الابل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ، ورضف جهنم ، قال ماهؤلاء يا جبريل . قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقة أموالهم .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج طيب ، ولحم ، آخر نيىء خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيىء الخبيث ، ويدعون النضيج الطيب . قال ماهؤلاء . قال : الزناة .

ثم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل . قال : هذا مثل أقوام يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا : (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) .

الى آخر ما فى هذا الحديث ، وهو مما رواه البيهقى عن أبى هريرة .

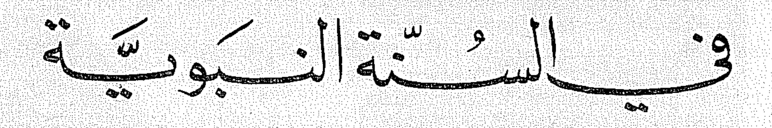
ونقدم ما فيه من وعد وجزاء حسن ، هدية الى أخواننا المجاهدين من أهل فلسطين ، وما فيه من وعيد ومثال سيء الى عملاء العدو وحلفاء الصهاينة ، الذين يعملون على تصفية الثورة الفلسطينية بالقول أو الفعل ، فان الصد فى الآية الكريمة حسى ومعنوى .

وبعض هذه الأحاديث ، وان لم يرتق الى درجة الصحة ، فانه عامل فى الترغيب والترهيب ، كما تقرر عند العلماء . . وقد كانت أحاديث المعراج نبعا ثرا ، استقى منه حتى الأدب الأجنبى ، ومن أعظم الأمثلة على ذلك ما تضمنته قصة الكوميديا الآلهية لشاعر ايطاليا دانتى الليجيرى من أوصاف ومناظر تكاد تنطق بأنها مقتبسة من المصادر الاسلامية ، والأحاديث النبوية ، بالخصوص ، الواردة فى هذه المعجزة . فما أعظم الاسلام ، وأوسع رسالته التى لم يبق أحد لم ينل من خيرها ، حتى من يكفرون بها .

ونسأله تعالى أن ينفحنا بروح من عنده ، تعمر من هممنا ما خرب ، وتجدد من مآثرنا ما دثر ، وتحيى من قلوبنا ما مات ، وتبعث من عزائمنا ما خمد ، حتى ننتبه لعمل ما فيه صلاحنا وفلاحنا ، معاشا ومعادا ، دينا ودنيا ، والله ولى التوفيق .

قبـة الصـخرة





أخرج البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب رضى الله عنه **« ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس »** .

الحديث رواه البخارى ج١ ص ٢٩ .

وروى الطبرى فى تاريخه عن قتادة قال **« كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة . وبعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام »** .
ج٢ ص ٢٦ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم **(لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . مسجدى هذا ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى)** .

رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى ج١ ص ٢٤٩ .
(التاج ج١ ص ١٤٩) ورواه البخارى .

وعن ابى ذر رضى الله عنه قال **(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الأرض قال (المسجد الحرام) قلت ثم أى ؟ قال (المسجد الأقصى)** .

الحديث رواه البخارى ومسلم والنسائى (التاج ج١ ص ٢٤٨) .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(اتيت بالبراق فركبته ، حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة**

التى يربط بها الانبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عرج بنا الى السماء) .

الحديث رواه مسلم فى صحيحه .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط ، فرفعه الله لى (أى بيت المقدس) انظر اليه ما يسألوننى عن شىء ألا انبأتهم به . وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء (يعنى فى بيت المقدس) فاذا موسى قائم يصلى فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءه ، واذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه به صاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل — يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأنى بالسلام) .**

رواه مسلم (التاج ج٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦) .

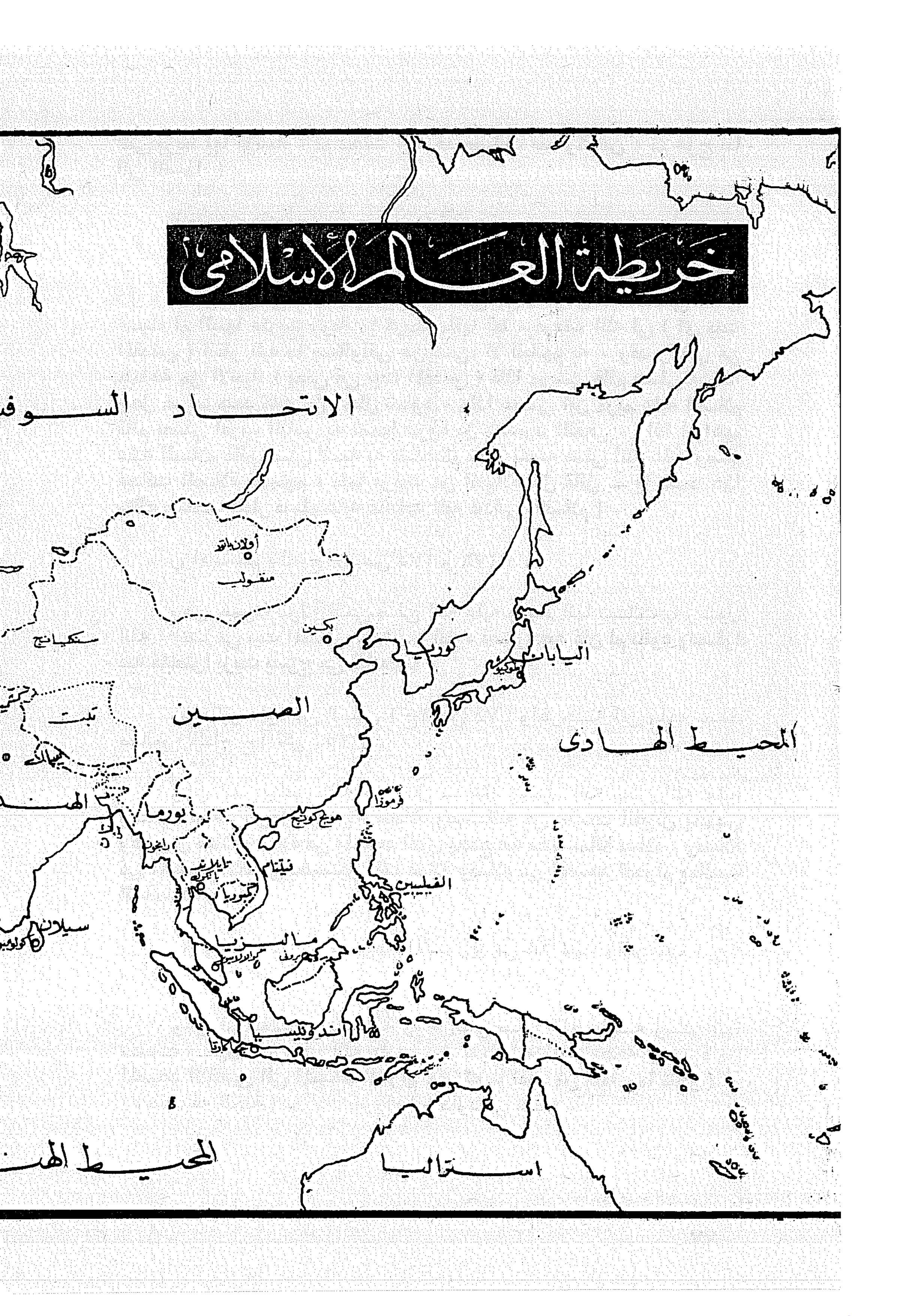
وعن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت يا رسول الله ، افتنا فى بيت المقدس . فقال (**ائتوه فصلوا فيه فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله) .**

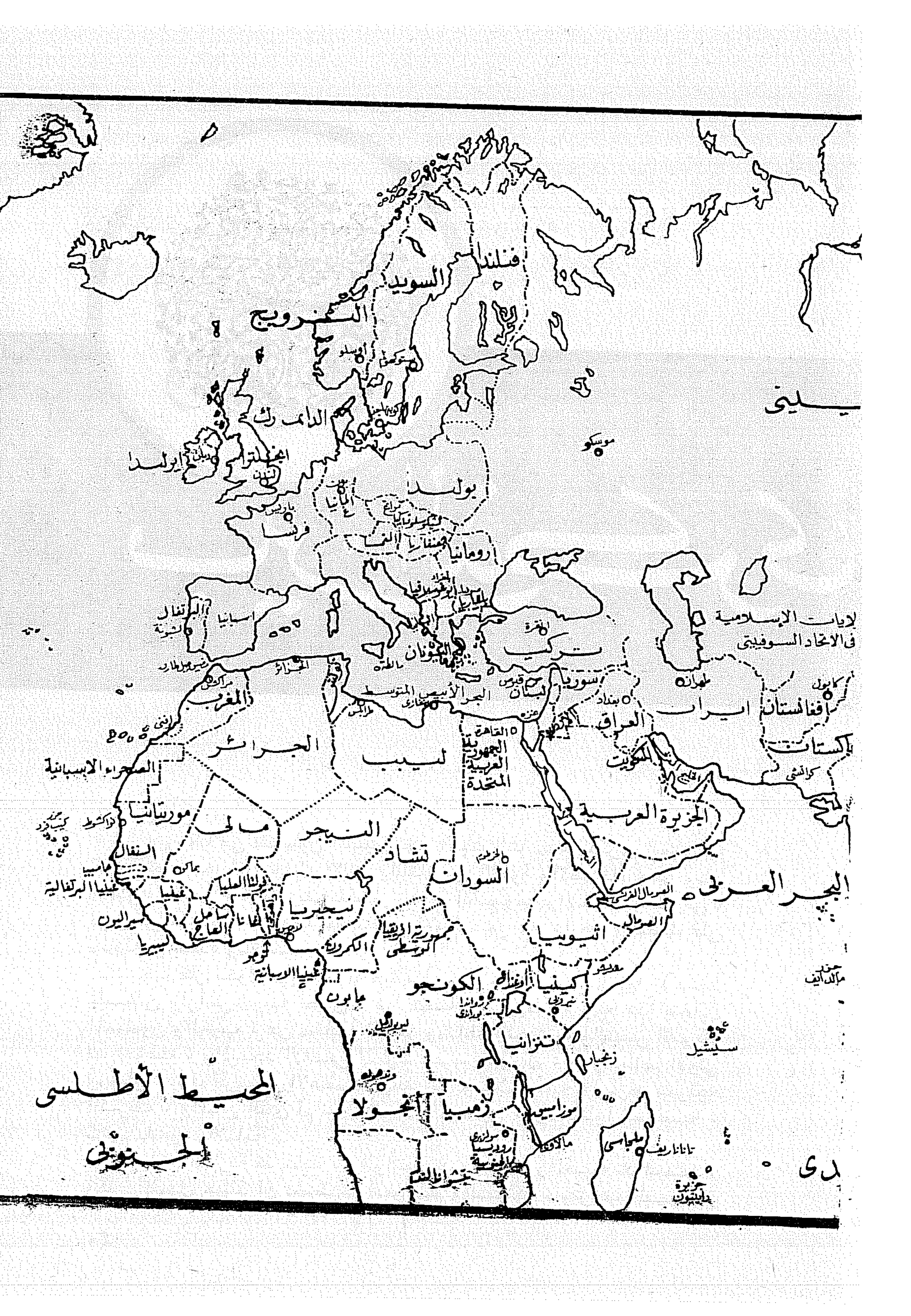
رواه أبو داود فى السنن (ج١ ص ٧٥) وأخرجه ابن ماجه بسند صالح (التاج ج١ ص ٢٥٠) .

وعن أنس رضى الله عنه قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**صلاة الرجل فى بيته بصلاة وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاة فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاة فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة) .**

رواه ابن ماجه . وأخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب (ج٢ ص ١٣٦) .

وعن ام المؤمنين ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أو** (وجبت له الجنة) . رواه ابو داود فى سننه .


خريطة العالم الاسلامى
الاتحاد
أولان باتور
بكين
سنكيانج
كوريا
اليابان
طوكيو
الصين
تبت
المحيط الهادى
فرموزا
هونج كونج
بورما
رانجون
فيتنام
الفلبين
كمبوديا
سيلان
ماليزيا
اندونيسيا
جاكرتا
استراليا



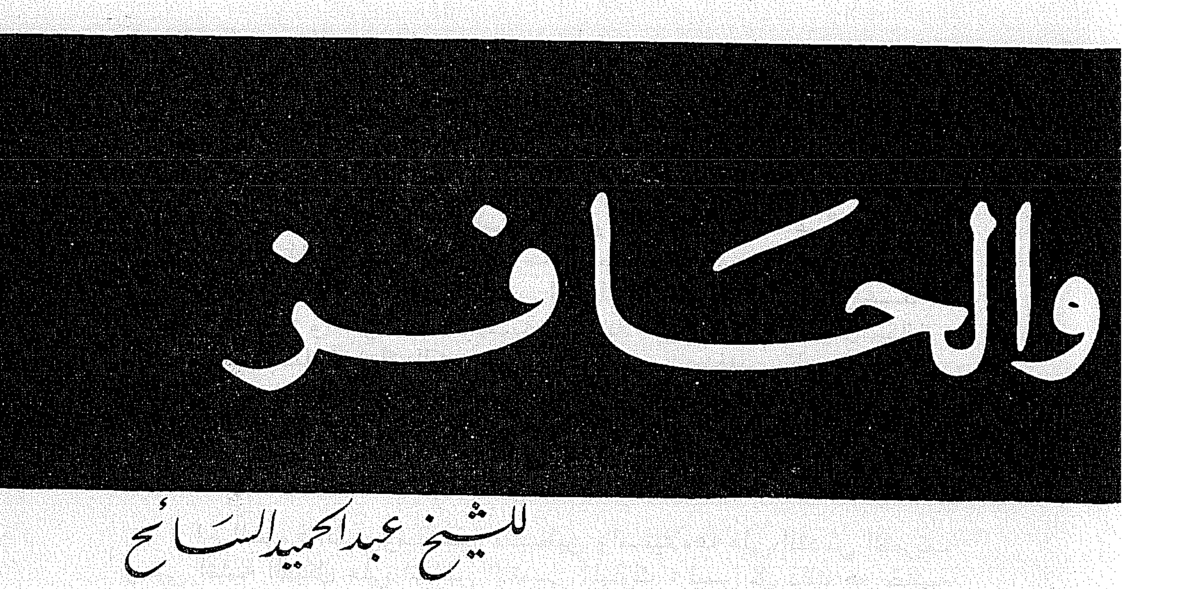
السويد
فنلندا
النرويج
الدانمرك
ايرلندا
انجلترا
فرنسا
بولندا
المانيا
رومانيا
اسبانيا
البرتغال
تركيا
اليونان
موسكو
سوريا
لبنان
العراق
ايران
افغانستان
الكويت
الجزيرة العربية
المغرب
الجزائر
ليبيا
الجمهورية العربية المتحدة
البحر الأبيض المتوسط
الصحراء الاسبانية
موريتانيا
مالى
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
اثيوبيا
الكونجو
كينيا
تنزانيا
انجولا
زامبيا
موزامبيق
ملجاشى
سيشيل
البحر العربى
المحيط الأطلسى
الجنوبى



حين كنا فى فلسطين الحبيبة نقيم الاحتفالات بهذه الذكرى العزيزة ، كان القصد تحريك عوامل الالفة واللقاء بين الأخوة والأصدقاء ، فى وطن الاسراء والمعراج ، للتعريف بأخطار تحالف الصهيونية والاستعمار الغربى ، فى صليبية حديثة ، الهدف منها تحطيم الاسلام فى عقر داره ، والقضاء على مبادئه وعقائده ومقدساته .

وما كان يجول فى خاطرنا حينئذ أن ندرك اليوم الـذى فيه تسـقط فلسطين وأراض عربية أخرى ، فى قبضة الصهيونية ، ومع هذا يتخاذل المسلمون والعرب ، عن مجابهة الخطر ومقابلة التحدى ، والقدس الشريف قد ضاعت ، والمسجد الاقصى المبارك تعرض للزوال ، وهو قبلتهم الاولى وموطن اسراء الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه ، ومركز معراجه الشريف ، والمكان الذى أم فيه الانبياء والمرسلين ، يوم تمثلوا لهم فيـه ، كأنهم بايعوه بالامامة .

ولكن الكارثة قد حلت ، والواقعة قد وقعت ، والمصيبة قد شملت ، وكان المأمول حينئذ أن تضطرب العواصم والدساكر ، وتزحف البـوادى



للشيخ عبد الحميد السائح

والحواضر ، وتهتز العروش والمنابر ، وتتجــه الى القدس وسائر فلسطين لأنقاذها ، ولكن ما حدث دون ذلك بكثير ، ولا يجدى فتيلا ، فى عالم لا يقنع بغير القوة سبيلا ، ولا يخضع لغير الســلاح الفتاك طريقا لاستخــلاص الحق المغتصب والكرامة المسلوبة والشرف المثلوم ، وقال زعماؤنا أكثر من مرة « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، وهو منطق العصر ، ومنطــق التاريخ ، وهو الذى هدفت اليه آيات القرآن الكريم :

١ « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين » (١) ولا ريب ان الوجود الصهيونى فى فلسطين عدوان أيما عدوان .

٢ « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم . ولا تعتدوا ان اللــه لا يحب المعتدين » (٢) .

٣ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (٣) .

وهذا ما ينبغى أن يكون مسلكنا وخطتنا ، لو كنا حقيقة مؤمنين بهذا القرآن الكريم ، ومقدرين لهدف الاسراء والمعراج وهو الاحتفاظ بهذه الديار المقدسة مركزا لحضارة الاسلام ، وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان لسماحة الاسلام ، وعدالة الاسلام ، وصلاحيته للتطبيق فى كل زمان ومكان .

وبلاد الاسلام والعروبة قادرة بما تملك من مصادر الثروة الهائلة ، والقوة الكافية ، لو أطرحت أنانيتها ، وتخلت عن أهوائها وتجمعت صفوفها واتحدت كلمتها .

أيها المسلمون والعرب :

ان الامر قد زاد خطرا ، واستفحل تحديا ، وأمعن استهزاء ، بمشاعركم ومبادئكم ، يوم أقدم الصهاينة على احراق المسجد الاقصى المبارك ، يبلونكم ، ويختبرون مدى ايمانكم ، فلم يجدوا منكم الا تظاهرات فارغة ، ومؤتمرات سقيمة وعقيمة ، وأقوالا لا تصدقها أعمالكم ، ولا تترجمها مخططاتكم ، ولذلك فانهم خطوا خطوة أخرى فى تحدياتهم لكم ، فأقدموا على الحفريات حول الاقصى المبارك تمهيدا لتصديع قواعده ، وانهيار بنيانه ، وأعدوا خطة جهنمية للاستيلاء عليه واقامة الهيكل مكانه ، ضاربين بكل حفلاتكم وأقوالكم عرض الحائط ، ومستخفين بكل مشاعركم وعقائدكم .

أيها المسلمون والعرب فى المشارق والمغارب :

ان الغزوة الصهيونية على فلسطين واستيلاءها على القدس الشريف وحتى اقامة الهيكل على انقاض الاقصى المبارك ، ليس كل ذلك هو خاتمة المطاف ، وانما هو مرحلة ، تتلوها مراحل ، وخطر يعقبه أخطار ، على الاسلام فى عقر داره ، وعلى العرب فى مركز تجمعاتهم ، وعلى العالم أجمع .

ولا ينبغى أن نكون أغبياء فى تقديرنا ، ولا ان نكون سذجا فى تصورنا لأخطار الصهيونية وتحالفها مع الاستعمار الغربى .

فليس من قبيل الصدفة أن يدعو كامبل باترمان رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٧ دول الاستعمار حينئذ ليبحثوا عن أخطر جهة يمكن أن تؤثر على الاستعمار الغربى وتقويض دعائمه ، فكانت النتيجة الاجماع ، على أنه يكمن فى البحر الابيض المتوسط ، الذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد ، يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، بما فى أرضه من كنوز وثروات ، يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة ، نظرا لأن سكانها يتكلمون لغة واحدة ،وأكثريتها يدينون بدين واحد ، وان العلاج لذلك هو أن تعمل دول الاستعمار على تجزئة هذه المنطقة ، والابقاء على تفككها ، وضرورة اقامة حاجز بشرى ، قوى وغريب فى نقطة التقاء آسيا وافريقيا ، يفصل أحداهما عن الأخرى ، ويمكن الاستعمار أن يستخدمه اداة لتحقيق أغراضه .

ولا من قبيل الصدفة أن يصدر وعد بلفور بعدئذ بعشر سنين سنة ١٩١٧ م ثم يعقب ذلك تحالف الاستعمار الاميركى والبريطانى على تمكين الصهيونية فى فلسطين بشتى الاساليب ، الى أن انتهى الامر بقيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ وعدوانها سنة ١٩٦٧ ودعم الاستعمار الاميركى لها بصورة سافرة ، متحدية لكل المشاعر والقيم والمواثيق الدولية .

يجب علينا أن نستعرض تصريحات زعماء الصهيونية فى فترات معينة لنقدر الخطر على حقيقته ، ونعلم أن أهدافهم لا تتغير ولكن التصريحات تتطور حسب الظروف والاحوال الملائمة .

وقد جاء فى يقظة العالم اليهودى ، كتاب المؤرخ اليهودى ليفى أبو عسل نص خطاب وجهه أحد حكمائهم الى بنى قومه سنة ١٧٩٨ م وفيه أقوال مثيرة جديرة بالتدبر ومقارنتها بما حدث ويحدث فى عالمنا العربى . ومما ورد فيه : آن الاوان لنهضتنا واحتلال المركز اللائق بنا بين أمم العالم ، وهيا بنا لتجديد هيكل أورشليم الخ .

وان البلاد التى ننوى قبولها هى اقليم الوجه البحرى فى مصر ، مع حفظ منطقة واسعة المدى ، يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت ، ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر الخ .

وفى الخطة الاستراتيجية الاسرائيلية لجيش الدفاع الاسرائيلى لعام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م أن توأمين من الاهداف يجب أن لا يغيبا عن بالنا فى جميع تخطيطاتنا :

١ — اكتساب منطقة لا غنى لنا عنها فى وقت الحرب .

٢ — اكتساب منطقة تفى بجميع احتياجاتنا .

وانه لا يمكن للاقطار العربية أن تجابه اسرائيل بمقاومة عظمى الا اذا كانت متحدة ، وان عملا سياسيا تحضيريا فى البلاد العربية يدار بمعونة الغرب سيكون ذا أثر بالغ فى نجاح عملياتنا العسكرية ، وسيكون هدفه اثارة الخلافات الداخلية ، وتعزيز القوات المعادية لمصر فى الاقطار العربية الأخرى .

وقد جاء فى خطة جيش الدفاع الاسرائيلى ، التى كان ينوى تطبيقها فى عدوان سنة ١٩٥٦ م ان متطلبات دفاعنا تجعل من الضرورى الاستيلاء على المناطق التالية :

المنطقة الجنوبية : منطقة غزة وستضمن هذه المنطقة سلامة مراكزنا الحيوية ، وستمكننا من اغتصاب القطاع الجنوبى لشبه جزيرة سيناء وتأمين منفذ ايلات ، شبه جزيرة سيناء ، سيجعل احتلالها الهجوم المصرى مستحيلا .

المنطقةالشرقية : غرب الاردن (المثلث) تلال الخليل ، وشرقى الاردن بما فى ذلك المناطق الصحراوية .

وان الاستيلاء على هذه المناطق سيمكن اسرائيل من اقامة حدودها مع العراق والعربية السعودية .

المنطقة الشمالية : وتضم الجولان وحرمون والليطانى ،

وان الاستيلاء على شور سيمكننا من اغتصاب زيت العربية السعودية .

وان الاستيلاء على غربى الاردن سيمكننا من اغتصاب الاماكن المقدسة الخ .

وان اغتصاب المنطقة التى تحدها قناة السويس ونهر الليطانى والخليج العربى ذو أهمية بالغة لنا الخ . وقد تحقق قسم من هذا فى عدوانها سنة ١٩٦٧ ولا تزال تماطل وتسعى بشتى الوسائل الى تحقيق سائر أهدافها .

هذا وان موقف الصهيونية الغادرة فى تحديها للامم المتحدة والمواثيق الدولية ، واستخفافها بكل القيم ، واقدامها على العبث بأقدس المقدسات الاسلامية فى فلسطين ، وانتهاك حرماتها وحرمات المقدسات المسيحية ، وضع العالم الاسلامى أمام تحد صارخ ينادى ملوكهم ورؤساءهم وشعوبهم وحكوماتهم ، أينما كانوا وحيثما وجدوا ان تنبهوا للخطر المستشرى على مقدساتكم وعقائدكم ومبادئكم ، كما وضع العرب أمام محنة قاسية تتعلق بوجودهم وكيانهم وبترولهم وثرواتهم وحضارتهم ومصادر أمجادهم ، « واذا ذلت العرب ذل الاسلام » (٤) .

ووضع العالم المسيحى أمام امتحان دقيق يتبين فيه مدى حرصه على مقدساته ومعتقداته ، ووضع العالم كله أمام اختبار أقسى يتبين فيه مدى حرصه على السلام ، وعلى صدق مبادئه التى وضعها فى المواثيق الدولية وينادى بها ، لتجنيب العالم أخطار الحروب المدمرة والعودة الى شريعة الغاب .

ويجب أن يعلم كل من يجب أن يعلم فى هذا العالم ، ان الشعب الفلسطينى مصمم على الوصول الى حقه ، وازالة كابوس الظلم الذى وقع عليه ، يسنده فى ذلك كل شعوب العالم العربى والعالم الاسلامى والشعوب المحبة للحرية والسلام .

وانى أرجو أن تكون ذكرى الاسراء والمعراج هذه السنة حافزا لعمل جدى حاسم يجند جميع الطاقات والقدرات فى سبيل معركة المصير ، التى لا محيد عن خوضها انقاذا لمقدساتنا وشرفنا ووجودنا ، وان هذا أفضل ما نقوم به فى هذه الذكرى العطرة ، وان هذا ما يرضى عنا الله ورسوله والاجيال القادمة ، وان التاريخ سجل لا يرحم كل متخلف أو متخاذل أو معوق أو ضالع مع الاستعمار مهما كان نوعه أو لونه ، والله ولى الهداية والتوفيق .

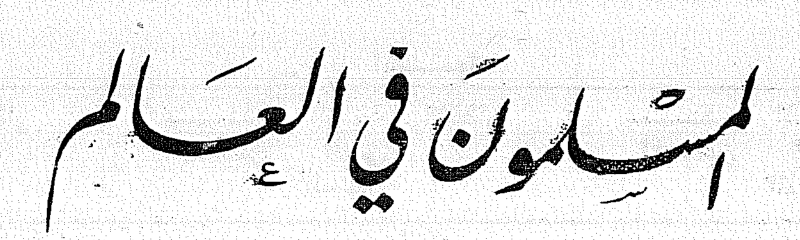
---

(١) الآية ١٩٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٦٠ من سورة الانفال .

(٤) حديث شريف رواه أبو يعلى فى مسنده .



أفريقيا

الاقطار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان	الاقطار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
ج.ع.م	٢٧٠٤٨٤٧٥	٪٩٠	ليبيريا	٦٢٥٠٠٠	٪٢٠
السودان	٦٤٧٤٤٥٣	٪٤٩	برونـدى	٥٠٢٠٠٠	٪٢٠
ليبيـا	١٥٢٠٣٩٩	٪٩٧	جمهورية افريقيا		
الجـزائر	١٠٣٥٠٠٠٠	٪٩١	الوسطى	٧٥٠٠٠٠	٪٦٠
المغرب	١٢٧٧٨٠٠٠	٪٩٥		٩٠٠٠٠	٪٥٠
تونس	٤١٨٥٠٠٠	٪٩٣	تشاد	١٤٣٠٠٠٠	٪٥٢
الصومال الفرنسى	٦٠٠٠٠	٪٧٣	جابون	١٧٩٢٠٠	٪٤٠
جمهورية الصومال	٢٤٥٠٠٠٠	٪٩٨		٥٠٠٠	٪ ١
أثيوبيـا	٦٧٨٠٠٠٠	٪٣٠	جزيرة رينون	٦٩٢٠٠	٪٢٠
تانزانيا	٦٠٢٣٧٥٠	٪٦١	موزمبيق	١٦٦٢٥٠٠	٪٢٥
موريتانيا	٨٨٢٠٠٠	٪٩٨	توجـو	٨٣٦٠٠٠	٪٥٥
جمبيـا	٢٩٤٠٠٠	٪٨٤		٧٦٩٥٠	٪ ٥
مالـى	٢٠٠٠٠٠٠	٪٧٠	الكنغـو	١١٥٥٠٠	٪ ٠ر٨
السنغال	٢٦٠٠٠٠٠	٪٧٩	الكنغـو برازافيل	٤٥٤٠	٪ ٠ر٥
جمهورية الفولتا	١١٠٠٠٠٠	٪٢٥	أنجـولا	١١٢٧٥٠٠	٪٢٥
غينيا	٢٠٠٠٠٠٠	٪٦٥	أوغندا	١٤٠٠٠٠٠	٪٢٠
غينيا الاسبانية	١٢٤٠٠٠	٪٤٠	كينيا	٢١٥٧٥٠٠	٪٢٥
غينيا البرتغالية	٣٣٠٠٠٠	٪٥٥	مـلاوى	٥٩٠٠٠٠	٪٢٠
ساحل العاج	١٨٥٦٢٥٠	٪٥٥	زمبيـا	٥٢٥٠٠٠	٪١٥
داهومـى	١٤٠٠٠٠	٪ ٧	روديسيا	٦٣٢٠٠٠	٪١٥
	١٢٣٠٠٠٠	٪٦٠	باسوتولند	٧٠٨٠٠	٪١٠
غانـا	٢٢١٧٠٠٠	٪٣٠	بوسطوانا	١٦٦٥٠	٪ ٥
الكمرون	٢٦٩٨٨٥٠	٪٥٥	جمهورية جنوب افريقيا	١٧٠٠٠٠	٪ ١
سيراليون	١١٠٠٠٠٠	٪٥٠	جمهورية ملجاسى	١١٤٦٠٠٠	٪٢٠
نيجيريـا	١٦٠٠٠٠٠٠	٪٢٩		٢٨٣٠٠٠	٪ ٥
	٤١٢٥٠٠٠٠	٪٧٥	جزر مورشيوس	١٠١٧٨٠	٪١٤
النيجـر	٢٦٥٠٠٠٠	٪٨٥	جنوب غرب أفريقيا	١٠٠٠٠	٪ ٢
سبتة اوكوتا	٧٠٠٠٠	٪٩٣	الصحراء الاسبانية	٤٥٠٠٠	٪٩٣
مليـلا	٨٥٠٠٠	٪٩٤	أفنـى	٥٥٠٠٠	٪٨٣

مجموع عدد المسلمين فى أفريقيا ١٥٥ر٣٧٨ر٣٤٧

آســـيا

الاقطار	عـــدد المسلمين	النسبة الـى السكان
جمهورية الجنوب اليمنى الشعبية	١١٩٠٠٠٠	٩٥ر٢ ٪
افغانستان	١٤٨٤٥٠٠٠	٩٩ ٪
البحرين	١٧٣٥٩٤	٩٥ ٪
أندونيسيا	٨٧٣٧٧٠٠٠	٩٠ ٪
ايـــران	٢١٥٦٠٠٠٠	٩٨ ٪
الاردن	١٥٢٠٠٠٠	٩٠ ٪
الكويت (١)	٧٣٣٠٠٠	٩٤ ٪
لبنان	—	—
ماليزيا	٥٤٥٠٠٠٠	٥١ ٪
مسقط وعمان	٧٥٠٠٠٠	١٠٠٪
باكستان	٨٤٩٧١٠٤٠	٨٨ ٪
قطـــر	٥٩٩٤٠	٩٩ ٪
المملكة العربية السعودية	٥٩٤٠٠٠٠	٩٩ ٪
الجمهورية العربية السورية	٤٧٧٠٢٠٠	٨٧ ٪
الامارات المتصالحة	١١٠٠٠٠	١٠٠٪
اليمـــن	٥٠٠٠٠٠٠	١٠٠٪
غـــزة	٣٩٥٠٠٠	٩٩ ٪
العراق	٧٤٣٥٠٠٠	٩٠ ٪
تركيـــا	٢٨٢٦٠٠٠٠	٩٠ ٪
برونـــى	٥٠٠٠٠	٥٥ ٪
جـــزر مالديف	٩٧٠٠٠	٩٧ ٪
الفلبين	٢٩٦٩٠٠٠	١٠ ٪
فيتنام الشمالية والجنوبية	٩٢٧٨٧٠	٣ ٪
كمبوديا	٥٠٠٠٠	٨ر ٪
تايلاند	٣٠٠٠٠٠٠	١٠ ٪
بورمـــا	١٠٠٠٠٠٠	٤ ٪

الاقطار	عـــدد المسلمين	النسبة الـى السكان
سيلان	٧٣٠٩٤٠	٧ ٪
هونج كونج	١٠٠٠٠	٣ر ٪
فرموزا (طيوان)	٤٠٠٠٠	٠ر٣٥ ٪
غينيا الجديدة الاسترالية	١٤١١٠٠٠	٩٩٪
بابـــوا	٤٩٥٠٠٠	٩٢٪
نيبـــال	١٣٠٠٠٠	٢ر٥ ٪
اليابان	٤٧٤٦٥	٠ر٠٥ ٪
الصين الشعبية	٧٥٥٠٤٠٠٠	١١٪
	١٠٠٠٠٠٠٠	١ر٤ ٪
	٦٠٠٠٠٠٠٠	
الهنـــد	٤٧٠٠٠٠٠٠	١٠ر٢٪
جـــزر فيجى	١٠٠٠٠٠	٢٠٪

الاتحاد السوفياتي الجمهوريـــات

الجمهوريات	عـــدد المسلمين	النسبة الـى السكان
طاجيكستان	٢٢٢١٦٦٠	٩٨٪
قرغيزيا	٢١٨٨٦٨٠	٩٢٪
تركمـــان	١٥٦٨٧٠٠	٩٠٪
اوزبكستان	٨٣٥٥٦٠٠	٨٨٪
أذربيجـــان	٣٣٠٠٩٦٠	٧٨٪
كازاكستان	٧٦٦١٥٦٠	٦٨٪
جورجيـــا	٨٢٤٩٨٠	١٩٪
أرمينيا	٢٤٠٨٤٠	١٢٪
أوكرانيا	٥٢٨٦٤٨٠	١٢٪
روسيا	٧٤٠٦٤٦٠	٦ ٪
بايلروسيا البيضاء	٥٠٤٧٨٠	٦ ٪
مولدافيـــا	٩٥١٦٠	٣ ٪

مجموع السكان المسلمين فى الاتحاد السوفياتى (٣٩٦٥٥٨٦٠)

مجموع عدد المسلمين في آســـيا ٤٤٣ر٦٣٩ر٥٩٦

(١) احصاء سنة ١٩٧٠ .

أوروبـــــا

الاقطـــار	عدد المسلمين	النسبة الى السكان
ألبانيـــا	١٢١٦٠٠٠	٧٣٪
يوغوسلافيا	٢١٠٠٠٠٠	١١٪
قبرص	١٢٠٠٠٠	٢٠٪
مالطـــة	٣٤٠٠٠	١١٪

مجموع المسلمين فى أوروبا بمـــا فى ذلك جاليات أخرى متفرقة غير المذكورة أعـــلاه ٠٠٠ر٤٣٣ر١٦

أمريكا وأستراليا

أمريكا الشمالية	٤٠٠٠٠٠
أمريكا الجنوبية	٣٤٠٠٠٠
جزر الهند الغربية	١٣٦٠٠٠
استراليا	١٠٠٠٠

مجموع المسلمين فى أمريكا واستراليا ٠٠٠ر٨٨٦

مجموع المســـلمين الاجمالى فى العالم كله ٩٤٣ر٣٣٦ر٦١٦ .

ملاحظـــة :

حيث يوجد رقمان أمام البلد الواحد ، اقتضى ذكرهما تضارب المصادر ، أخذنا عند الجمع بالرقم الاكبر .

● نقلا عن خريطة العالم الاسلامى التى أصدرتها مجلة العربى سنة ١٩٦٨ .



د. زكى غيث

« ١ »

فى يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ (٢ من شهر أكتوبر ــ تشرين أول سنة ١١٨٧ م) استعاد المسلمون بقيادة السلطان صلاح الدين ، « بيت المقدس » من الصليبيين ، وتسلموا المدينة ، « وليلته كانت ليلة المعراج ، ويَسَّرَ الله عوده الى المسلمين فى زمن الاسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ... » (١)

---

(١) النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين .. المعـروف بابن شداد ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

((٢))

ما أشبه الليلة بالبارحة ، فإننا اليوم فى حاجة الى بطل كصلاح الدين ليقضى على الشرذمة الباغية اسرائيل ربيبة الاستعمار ، وينتزع « بيت المقدس » من أيديهم ، ويطهره من أرجاسهم وأدرانهم ، وما هذا فيما نعتقد بعزيز إذا خلصت النيات ، وصدقت العزائم ، وتضافرت الجهود . فهل يتحقق الأمل وتحدث المعجزة ؟.

((٣))

إن قصة استعادة « بيت المقدس » سنة ٥٨٣ هـ بعد أن ظل يرزح تحت نير الصليبيين احدى وتسعين سنة (٤٩٢ــ٥٨٣ هـ) تستحق الذكر اليوم ، ففى ذكرها عبرة ، وشحذ للهمم ، واستثارة لنخوة أهل النجـــدة والبطولة من أبناء العروبة ، مسلمين ومسيحيين ، فما قصة استعادة صلاح الدين « لبيت المقدس » من الصليبيين ؟ .

((٤))

كان انتصار صلاح الدين فى « موقعة حطين » الضربة القاضية على الصليبيين ، فبعد أن استقر الأمر للسلطان صلاح الدين ، واستولى على معظم مـــدن السواحل ، وامتلك الأماكن المحيطة « بالقدس » ، شـَمـَّر عن ساق الجد والاجتهاد فى قصد القدس المبارك (٢) ، فسار اليه بعد أن اجتمع اليه الجند الذين كانوا متفرقين فى الساحل ، منتهزا الفرصة فى فتح باب الخير الذى حث على انتهازه بقوله عليه الصلاة والسلام : مَن فتح لـــه باب الخير فلينتهزه ، فإنه لا يعلم متى يغلق دونه » (٣) .

((٥))

كان « بالقدس » وقتئذ من الصليبيين ستون ألف مقـــاتل ، ما عدا النساء والأطفال والسكان الأصليين (٤) وكانوا بدون ملك ــ لأنه أسر فى موقعة حطين ــ فأقاموا « باليان بن بيرزان » صاحب الرملة ــ وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك ــ (٥) رئيسا عليهم ، فكان بمثابة الملك . « وكلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس ، ويرى بذل نفسه ومالـــه وأولاده بعض ما يجب عليه فى حفظه » . (٦)

---

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٨ ، والكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ج ١١ ص ٢٤٩ ، ومختصر تاريخ العرب ، والتمدن الاسلامى لسيد أمير على ، تعريب رياض رأفت ص ٣٠٦ .

(٥) ابن الاثير ١١ : ٢٤٧ .

(٦) المرجع السابق ١١ : ٢٤٨ .

بهذه الروح التى شعارها التضحية بالنفس والمال والولد استعد الصليبيون داخل المدينة للقاء السلطان صلاح الدين وجنده (٧) الذى كان قد نزل بقواته على القدس يوم الأحد منتصف شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ ، وكان نزوله بالجانب الغربى ، « وكان مشحونا بالمقاتلة من الخيّالة والرّجّالة ، فدار حول المدينة خمسة أيام يلتمس مكانا ضعيفا ينزل عنده للقتال ، وكانت المدينة فى غاية الحصانة والامتناع » (٨) ، ثم رأى أن الجهة الشمالية أصلح الجهات للقتال ، « فانتقل اليها فى عشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات ، وفى الصباح رمى المدينة وقابلته حاميتها بالمثل فرمته بالمنجنيقات ، وتقاتل الفريقان أشد قتال ، وكان كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحقا واجبا » . (٩)

«٦»

حمل المسلمون على أعدائهم فأزاحوهم عن أماكنهم حتى أدخلوهم المدينة ، واجتازوا الخندق الى السور ، وأخذوا ينقبونه فى حماية الرماة والمنجنيقات حتى تمكنوا من نقبه ، « وضيق المسلمون على البلد الخناق بالزحف والقتال وكثرة الدماء » (١٠) وأدرك الصليبيون أن أمرهم الى بوار ، وظهرت لهم أمارات نصرة الحق على الباطل ، وظهور المسلمين عليهم ، فوهنت قواهم ، وخمد حماسهم ، ومالوا الى الصلح وطلب الأمان ، فأرسلوا وفدا قابل السلطان صلاح الدين يطلب الصلح والأمان وتسليم بيت المقدس ، فأبى السلطان إلا القصاص ، وقال للوفد : « لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حينما ملكتموه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من القتل والسبى ، وجزاء السيئة بمثلها » . (١١)

«٧»

عاد الوفد وقد يئس من استجابة السلطان فطلب رئيسهم « باليان بن بيرزان » الأمان لنفسه ومقابلة السلطان فأجيب الى ذلك ، وحضر وخاطب السلطان فى أمر الصلح ، « واستعطفه فلم يعطف عليه ، واسترحمه فلم يرحمه » (١٢) لأن مذبحة المسجد الأقصى التى ذهب فيها

---

(٧) لم تعطنا المصادر التى بين أيدينا عدد القوات الاسلامية المقاتلة بأكثر من عبارة « جند كثيف » فى الوقت الذى حددت فيه أعداد القوات المقاتلة من الصليبيين ، وهذا من غير شك تقصير كبير .
(٨) ابن شداد ص ١٢٨ وابن الاثير ١١ — ٢٤٨ .
(٩) المرجع السابق ١١ ، ٢٤٨ .
(١٠) ابن شداد ص ١٢٨ .
(١١) ابن الاثير ١١ : ٢٤٨ .
(١٢) المرجع السابق ١١ — ٢٤٨ .

نحو السبعين ألفا من المسلمين لا تزال ذكراها الأليمة عالقة بالنفوس ».(١٣)

فلما يئس الرَّجل من استجابة السلطان لضراعته هـدد بتخريب المدينة ، وتقويض أركانها وتدمير كل ما فيها من مقدسات ، والقضاء على كل الأحياء من انسان وحيوان ، فقال له « أيها السلطان ، اعلم أننا فى هذه المدينة فى خلق كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى ، وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان ، ظناً منهم أنك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم ، وهم يكرهون الموت ويرغبون فى الحياة ، فإذا رأينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ، ونحرق أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ، ولا تأسِرون رَجُلا ولا امرأة ، وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى (١٤) ، وغيرهما من المواضع ، ثم نقتل مَن عندنا من أسارى المسلمين ، وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك لنا دابّة ولا حيوانا إلا قتلناه ، ثم خرجنا إليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن يحمى دمه ونفسه ، وحينئذ لا يقتل رَجُل منا حتى يقتل أمثاله ، ونموت أعزاء ، أو نظفر كراما ». (١٥)

« ٨ »

كان على السلطان أن ينظر بعين الاعتبار الى هذه الكارثة التى تنتظر القدس إذا أصرّ على موقفه ، فحكَّم عقله ، وغلبت عليه النوازع الانسانية السامية ، بجانب حرصه على بقاء الأماكن المقدسة التى يكن لها — شأنه شأن المسلمين جميعا — كل تقدير وإجلال ، ويحترمها المسلمون كافة كاحترام النصارى لها ، وكان السلطان يعتقد أن مخلفاتها الدينية يجب أن

(١٣) امتلك الصيبيون « بيت المقدس » عنوة فى الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة ٤٩٢ بعد حصار نيف على الاربعين يوما ووضعوا السيف فى المسلمين أسبوعا ، والتجأ الناس الى المسجد الأقصى ، فقتلوا فيه ما يزيد على سبعين ألفا ، ووصلت الدماء فى رواق المسجد الى الركب .

(١٤) المسجد الأقصى ، هو بيت المقدس ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد لها الرحال « المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد البيت المقدس » وبه الصخرة وقبتها ، والمسجد الأقصى على قرنة البلد الشرقى نحو القبلة ، أما نفس المدينة فهى على فضاء فى وسط الجبال ، وتسمى : القدس الشريف . وأيلياء وأورشليم ، وقد فتحها أبو عبيدة بن الجراح زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٦ هـ ، وطلب أهلها منه أن يتولى الخليفة عمر عقد الصلح معهم بنفسه ، فحضر الخليفة وأنفذ صلحهم وكتب لهم بـه كتابا ، وكان ذلك سنة ١٧ هـ وصارت منذ ذلك الوقت بيد المسلمين ، ثم استولى عليها الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ ، واستردها صلاح الدين منهم سنة ٥٨٣ هـ ، ثم كانت حرب ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ م واستولى عليها الاسرائيليون ، والعرب اليوم يبذلون جهودهم فى المحافل الدولية يساندهم المسلمون وانصار الحرية ، فى أرجاء المعمورة ، ويحاولون توحيـد جبهتهم لانتزاعها من يد مغتصبيها الصهاينـة أعداء الانسانية ، فعسى أن يكون النصر قريبا باذن الله .

(١٥) ابن الاثير ١١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

تصان ولا تعبث بها أيدى العابثين ، لهـذا عـدل عن رغبته فى الثـأر والانتقام ، وأجاب القوم الى الصلح بعد مشاورة أصحابه ، « واستقر الأمر بين الفريقين على أن يفدى الرّجل نفسه بعشرة دنانير غنيا أو فقيرا ، والمرأة بخمسة دنانير ، والطفل من الـذكور والأناث بدينارين ، وأمهلهم أربعين يوما للوفاء ، وبعدها يصبح العاجزون أرقّاء » (١٦) وتعهّد السلطان من جانبه بسلامة كل من يفدى نفسه حتى يصل الى مأمنه ، فى صور أو طرابلس . (١٧)

« ٩ »

تسلّم المسلمون القدس فى يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب سنة ٥٨٣هـ « وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن المجيد — فانظر الى هذا الاتفاق العجيب — كيف يسّر الله عوده الى أيدى المسلمين فى مثل زمن الاسراء بنبيهم — صلى الله عليه وسلم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى » (١٨) وقد كان فتحا عظيما فرح به المسلمون وبادروا برفـع الأعلام على الأسوار والشرفات بين مظاهر الفرح والسرور والابتهاج ، « وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير » (١٩) شكراً لله وتقديراً لجهود السلطان .

« ١٠ »

ومما يثير الاعجاب أن السلطان صلاح الدين احترم شعور المغلوبين ، فلم يدخل المدينة بجيشه الجرّار إلا بعد أن غادرها جميع الصليبيين ، فدخلها يحف به الأمراء ، وأشراف دولته الذين قدموا لتهنئته على هـذا النصر المبين ، (٢٠) إذ كان فتح القدس فتحاً عظيماً « شهده من أهل العِلم خلق ، ومن أرباب الحذق والزهد عالم ، وذلك أن الناس لمّا بلغهم ما يسّره الله تعالى على يده من فتح الساحل ، وقصد القدس ، قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلّف أحد منهم ، وصلّيت فيه الجمعة يوم فتحه ... ونصر الله الاسلام نصر عزيز مقتدر » (٢١) .

« ١١ »

وهكذا استطاع السلطان صلاح الدين بصدق ايمانه ، وقوة يقينه ، وما يكنه قلبه الكبير للبيت المقدس وغيره من الآثار المقدسة اسلامية وغير

---

(١٦) ابن الاثير ١١ ، ٢٤٩ وابن شداد ص ١٢٩ ويذكر أنه قرر على الطفل من الجنسين دينار واحد .

(١٧) ابن شداد ص ١٣٠ وسيد أمير على ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(١٨) ابن شداد ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(١٩) المرجع السابق ص ١٢٩ .

(٢٠) سيد أمير على ص ٣٠٨ .

(٢١) ابن شداد ص ١٢٩ .

اسلامية من احترام وتقديس ، أن يفوز بشرف استعادة « بيت المقدس » من أيدى الصليبيين بعد احدى وتسعين سنة من امتلاكهم له سنة ٤٩٢ هـ ، وتلك مكرمة « لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح الدين — رحمه الله — وعاد الاسلام بالقدس غضاً طرياً .. » (٢٢) وسقطت عاصمة مملكة الصليبيين اللاتينية ، وتقوّضت دعائم ملكهم بالشرق ، وتمكن صلاح الدين من الاستيلاء على معظم المدن الفرنجية فى الشام وفلسطين ، « وكأنما روح الجهاد التى يظهر أن الصليبيين فقدوها قد سرَت فى بطل الاسلام العظيم فدفعته يواصل انتصاراته فى الشمال حتى اللاذقية ، وفى الجنوب حتى الكرك والشوبك ، ويستولى على كل المدن التى كانت تحزّ فى جنب المسلمين قبل خاتمة سنة ١١٨٩ م » (٢٣) .

« ١٢ »

وقد حاولت جيوش الفرنج بكل ما أوتيت من قوة أن تنتزع « بيت المقدس » من يد السلطان صلاح الدين ، غير أنهـا لم تستطع الى ذلك سبيلا ، وكانت سيوفهم تتكسر الواحد إثر الآخر على صخرة « وحـدة العرب » التى أرسى قاعدتها صلاح الدين (٢٤) فما أحوَجنا اليوم الى وحدة الصف ، وخوض معركة تحرير القدس جبهـة واحدة ، فلعلنا « بقومية المعركة » نستطيع إنقاذ « بيت المقدس » من يد عصابة صهيون ، حتى تعود له قدسيته ، وتصان حرمته من العبث والمجون ، ويحفظ من التخريب والتدمير بالاحراق تارة ، والهـدم تارة أخرى .

« ١٣ »

وبعد : فذلك يوم من أيام الاسلام تم فيه النصر على يد بطل الاسلام العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ذكرناه ليكون نداءً من القلب لأبناء العروبة قاطبة ليهبوا فى عزم وقوة وإيمان لانقاذ « بيت المقدس » من يد شرذمة الصهاينة شذّاذ البشرية ، فذلك واجب دينى وإنسانى ، وبالتالى ليكون مساهمة إيجابية من مجلة « الوعى الاسلامى » فى دعوة العرب ، وسائر المسلمين ، وأنصار الحرية فى سائر أقطار الأرض للقيام بهـذا الواجب المقدس فى الـذكرى القادمـة ان شاء الله تعالى ، وذلـك الواجب المقدس بمناسبة الذكرى المجيدة « لليلة الاسراء والمعراج » عسى أن تكون بشيرا بعودة « بيت المقدس » فى الذكرى القادمة إن شاء الله تعالى ، وذلك هو الجهاد الذى يثيب عليه المولى بالمنزلة العظيمة عنده ، وبالفوز والرحمة والرضوان والجنّة . « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنّات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنـده أجر عظيم » (٢٥) .

---

(٢٢) ابن الاثير ١١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ .
(٢٣) تاريخ العرب لفيليب حتى تعريب المرحوم محمد مبروك نافع — المجلد ٣ ص ٨٣٩ ، الطبعة الثانية ١٩٤٩ .
(٢٤) صلاح الدين الأيوبى للدكتور جمال الدين الرمادى ص ٧٩ « كتاب الشعب ٢٥ ».
(٢٥) سورة التوبة آيات ٢٠ — ٢٢ .



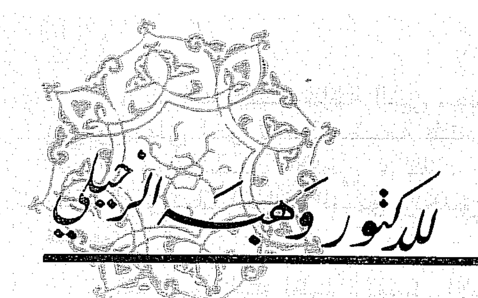
ليس فى تاريخ البشرية حادث يستحق الاكبار والاعجاب ، والتقديس والتقدير كحادثة الاسراء والمعراج رمز الحفاوة والتكريم لرسول الاسلام محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله .

وقعت هذه الرحلة الالهية فى شهر رجب الأصم الحرام بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة الى المدينة بعام واحد فى ليلة واحدة ، هى ليلة السابع والعشرين من رجب بالجسد والروح الشريفين معا دون انفصال ، وفى حال اليقظة بالاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس ، ثم بالعروج من فوق الصخرة المشرفة الى السموات السبع العلى سماء بعد سماء ، وطبقا عن طبق ، الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، حيث سمع صرير الاقلام ، وكلمة اللـه فى مكان وكيفيتـه تقاصر العقل البشرى عن تحديدهما للبعد عن الوقوع فى التجسيم والتشبيه للخالق ، وتنزيها له عن مشابهته للحوادث المخلوقة ، واعتقادا بنفى الجهة المحددة لله تعالى .

وستظل هذه الحادثة الفذة حتى فى عصرنا الحاضر ــ عصر ارتياد الفضاء واطلاق الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية ــ مبعث ايمان بالغيب ، ومثلا أعلى للتحدى الالهى للانسان أمام قدرة الله الخارقة الخلاقة التى تذعن لها الموجودات بأسرع مما نحس ونتصور ، سبحانه وتعالى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .

فالأقمار الصناعية ــ كما هو معروف ــ تعتمد على صنع الانسان من الماديات التى تفتح عنها عقله وسخرها فى أعمال جبارة معقدة ، أما واقعة المعراج فتعتمد على قوة خفية علوية قد تكون بالاستعانة بالملائكة ، أو بغيرهم مما أخبر عنهم الله تعالى بقوله ((**ويخلق ما لا تعلمون**)) ومنها دابة البراق ناقلة رسول الاسراء .

ثم أن المعراج بما اشتمل عليه من توفير ظروف الحياة الطبيعية



للرسول محمد عليه السلام يعتبر أوقع مما حدث لسيدنا عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء ، وما سيحدث من نزوله فى آخر الزمان وذلك لما فى المعراج من سرعة الانجاز ووجازة المدة ، وفى حال الحياة والوعى التام الذى استؤنف من بعده فورا نشاط الداعية الأكبر ، مع ما فى رفع السيد المسيح من اختلاف بين المفسرين : أكان عندئذ حيا ، أم بعد الوفاة .

وسواء آمن علماء المادة والطبيعة والناس فى كل زمان بالاسراء والمعراج أم لم يؤمنوا ، فان مصادرنا الموثوقة تجعلنا نؤمن بالاسراء يقينا وبالمعراج فى أغلب الظن الراجح الوقوع بصحبة جبريل الامين الجليل الرائد ، وانى بالتفصيل لا أتعرض فى مقالى هذا لاثبات الحادث واقامة البراهين النقلية والعقلية على وقوعه ، اكتفاء بما سيتعرض له غيرى من أفاضل الكتاب فى هذا العدد الخاص من المجلة الغراء ..

والتزم القول بأن هذا الحادث هو معجزة النبوة ومؤيداتها الغيبية الالهية التى تفوق تصور العقل البشرى المحدود والمنطق الطبيعى البحت والقانون المادى المحسوس ، وذلك بما يوفره الاله القدير لبعض أصفيائه من عجائب المعجزات وخوارق العادات : ((**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام**)) .

ففى الاسراء نزل قوله تعالى : ((**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**)) .

وفى المعراج قوله سبحانه : ((**والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . أن هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فأستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى**)) .

والتفاسير غنية ببيان المراد من هذه الآيات .

وفى السنة النبوية أحاديث مستفيضة كثيرة فى هذا الموضوع كادت تبلغ درجة التواتر وتضافرت كتب السيرة والتاريخ الثقات على تفصيل وبيان هذا الحادث الجليل .

والذى يهمنا الآن ما تثيره ذكرى الاسراء والمعراج من معان عميقة ذات دلالة وعبر وعظات بينات :

١ ــ لقد كانت مقابلة النبى محمد للأنبياء ــ وهم أحياء عند ربهم يرزقون على نحو لا نعلم طبيعة تلك الحياة ــ وامامته بهم جميعا عليهم السلام فى المسجد الأقصى ، كانت تتويجا لرسالات الأنبياء والرسل بالاكمال واتمام البناء والسمو وتحقيق الغبطة وافراغ السعادة على قلوبهم .

كما أنها كانت اظهارا لفضل الاسلام ، وأنه مجمع المحاسن الدينية الالهية كلها ، وملتقى القيم الثابتة المستقرة والفضائل جميعها ، حتى انه بوىء بعدئذ أن يكون هو وحده الدين المقبول عند الله تعالى الى يوم القيامة ((**ان الدين عند الله الاسلام**)) .

وأثبت الواقعة أيضا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قائد الرسل الكرام حقا ، وخاتم الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ((**قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى**)) .
أفلا يجدر بنا اذن أن نجعل هذه الذكرى عيدا للمسلمين ؟ ! قال البوصيرى بمناسبة الاسراء :

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك فى علاك، وقد حا   ل سنا منك دونهم وسناء

٢ ــ كانت حادثة الاسراء والمعراج اعدادا قويا للقائد الخالد الذى يقود الأمة بطاقة جبارة من الصبر والتصميم والكفاح ، كما كانت ترفيها روحانيا عميقا ، وتكريما للنبى ، وتثبيتا وطمأنة له بأن الله ناصره ومؤيده وعاصمه من الناس .

بل فيها تعويض عن الآلام والشدائد التى عاناها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايذاء قومه فى مكة ، واضطهاد ونبذ قبيلة ثقيف أثناء هجرته الى الطائف ، حتى انه وقف شاكيا متضرعا الى الله من جور الأعداء ، غير عابىء بالصعاب اذا كان الله وحده راضيا عنه .

وفى ذلك ما فيه من معان رائعة تجلت آثارها فى الاسراء والمعراج حيث أشرقت الروح وسمت النفس ، وترفعت عن مختلف الأهواء ، وأوضار المادة ومآسى الدنيا الفانية .

٣ ــ ان الهدف من جعل المسجد الأقصى مقرا للاسراء والمعراج هو تقديس هذا المكان وما جاوره ، لأن الله تعالى بارك حوله حسيا بما يكتنفه من الماء والخضرة والأشجار الباسقة والزرع اليانع والضرع الغزير ، ومعنويا بنزول الأنبياء فيه وزيارتهم له مرارا ، فهو ملتقى الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى السماوى .

وكان فى الاسلام أيضا أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ومن هنا تتجلى وحدة الأهداف الكبرى لديانات السماء ، والحرص على التقائها عند مبدأ التوحيد الخالص لله عز وجل ، وتثبيت معانى الوحدة والاخاء بين جميع الأنبياء : ((**لا نفرق بين أحد من رسله**)) ثم الاخاء والاتحاد

الذى يربط المسلمين بجميع أجزاء الوطن الاسلامى ، دون تفرقة بين مكة والمدينة والقدس مسرى النبى العظيم ومعراجه .

كما أن ذلك ايذان بوسطية الاسلام بين الديانات ، حيث لا غلو فى النزعة المادية أو المعنوية ، وانما هناك توسط بين مادية اليهود الطاغية ، وروحانية النصارى ، وأن أمة الاسلام وسط ، عدول شهود على الأمم السابقة ، ونبى الاسلام أوتى قوة موسى ، وزهد عيسى ، وجدل ابراهيم ، وصبر أيوب ، وما امتاز به كل نبى من الخصائص البارزة .

٤ ـ تمخض الاسراء والمعراج عن بلورة الصف الاسلامى واظهار المؤمنين حقا ، ومعرفة موقف ضعاف الايمان والمنافقين وأعداء العقيدة ، وذلكم هو المقصود بالفتنة فى قوله تعالى : ((**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس**)) قال ابن عباس رضى الله عنهما « هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى بيت المقدس » .

فبتحديث الرسول عليه السلام الناس عما رأى فى القدس وغيرها ازداد عتو الكافرين وانكار الجاحدين الذين تسيطر عليهم العقلية المادية الجافة ، فقالوا : « هذا والله الأمر البين ، والله ان العير لتطرد ـ تتابع سيرها ـ شهرا من مكة الى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، أيذهب محمد ذلك فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ؟ » وأرتد كثير ممن أسلم .

وكان لموقف أبى بكر رضى الله عنه بتصديقه الرسول على الفور أثر كبير فى نفوس الأصحاب والأعداء ، حتى انه استحق من ذلك الوقت لقب « الصديق » .

ولا يخفى أن معرفة الخلص من الأعوان أساس كبير فى نجاح الدعوات الاصلاحية التى تتطلب جهادا وتضحية وصبرا وثباتا على المدى الطويل .

قال ابن القيم فى زاد المعاد : « فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى ، فاشتد تكذيبهم له ، وأذاهم واستضرارهم عليه ، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس فجلاه الله له حتى عاينه فطفق يخبرهم عن آياته ، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا ، وأخبرهم عن عيرهم فى مسراه ورجوعه وأخبرهم عن وقت قدومها ، وأخبرهم عن البعير الذى يقدمها ، وكان الأمر كما قال ، فلم يزدهم ذلك الا نفورا ، وأبى الظالمون الا كفورا » .

٥ ـ لقد كان هذا الحادث اظهارا مضمونا لنتائج الطاعة والمعصية فى ضوء نظام الاسلام ، فقد مثلت للرسول صلى الله عليه وسلم فى طريقه صور مادية رهيبة ، وأوضاع مجسدة للفضائل الانسانية ، والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية . فمن ذلك صورة أعداء المجتمع الانسانى وهم مانعو الزكاة ، وصورة مصاصى دماء الشعوب وهم أكلة الربا كاليهود فى العالم ، وحالة الطامعين العتاة وهم أكلة أموال اليتامى ظلما ، وأعوان السوء

ووسطاء الفاحشة وسماسرة الأعراض وهن اللاتى يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

ومن الصور أيضا صورة أعداء النظام وقاطعى الصلة الوثقى مع الله تعالى وهم المتثاقلون عن أداء الصلوات المفروضة وتاركو الصيام .

ومن أهم هاتيك الصور حالة المجاهدين حيث رأى الرسول فى مسراه قوما يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال عليه السلام « يا جبريل من هؤلاء ، فقال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف » .

فكان هذا التمثيل المادى العنيف للمعانى من أجل اصلاح المجتمع ، وصيانة الأخلاق الانسانية ، ومحاربة الأوضاع الفاسدة فيه ، ولفت النظر الى طريق البناء الداخلى للفرد والمحافظة على كيان الجماعة .

٦ — الاسراء والمعراج — وهذا بيت القصيد اليوم — حافز أساسى دائم للمسلمين والعرب يستصرخ الهمم الفاترة والعزائم الراكدة لتسترجع الفردوس المفقود ، وتحمى الأراضى المقدسة ، وتطرد الدخيل ، وتدحر الغاصب الطامع ، وتجاهد العدو ، وتصد المعتدين اليهود وأعوانهم المستعمرين .

لذا يبدو أنه قد تحول عيد الاسراء والمعراج الى مأتم كبير لا من أربع سنوات فحسب عام ١٩٦٧ ، وانما لأكثر من عشرين سنة فى عام ١٩٤٨ حيث احتل الصهاينة فلسطين ، وكنا مع الأسف ننتظر المزيد ، والآن هل حرمة الأقصى باقية أو هل شرف الصخرة قائم ؟ ! بل هل هناك عزة لعربى ؟ !

حقا ان الصهاينة اليهود ليسوا جديرين بحماية المقدسات فى بيت المقدس لعدائهم الدفين ، وحقدهم البغيض على الناس جميعا ، ولعنصريتهم الواضحة فى الماضى والحاضر ، فهم أعداء الحضارة والانسانية ، وموقدو الحروب ، ومفسدو الأمم ، ومحركو الفتن والدسائس والقلاقل والاضطرابات .

فهم مثلا الآن يجثمون على جوانب الأقصى ، ويربضون على هاماته ، ويعبثون بمقدساته ، ويضيقون الخناق على الرواد والعباد والناسكين والركع السجود ، ويصادرون الحريات ، ويكبتون صوت الحق والضمير ، ويهدمون برج العدل ، وينشرون الحقد الأسود كالأفاعى الرقط . فأين هذه الخصائص من مبادىء صاحب الاسراء والمعراج فى التسامح والمحبة والسلام والرحمة العامة بالناس ، والتى التزمها المسلمون قانونا ، ووفروها فعلا لأتباع الديانات الأخرى طيلة أربعة عشر قرنا ؟ !

٧ — الرسالة الاسلامية ، ووقوع الاسراء لرسولها ، وضمها جناحى القبلتين فى مهدها تثبت أنها رسالة حق وعدل ومدنية وسلام وانسانية . أما الصهيونية القابعة فى فلسطين فهى على نقيض كل ذاك ، بل تستهدف استعمار الوطن العربى ، والقضاء على رسالتنا الانسانية بما تثيره من

فتن ودسائس ، وتنشره من مفاسد وشرور ، وبما ترتكبه من حروب واعتداءات متكررة ، بالاضافة الى تنكرها للقيم الروحية الأصيلة ، والتراث الحضارى الانسانى والحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

وأن محاولة يهود الآن تهويد الخليل والقدس بكاملها شكلا وموضوعا واحراقهم المسجد الأقصى ، وقيامهم بالحفريات فى أرض الحرم الشريف والمقدسات الاسلامية لهى أكبر برهان على عنصرية اليهود وعدائهم للأمم الأخرى وأتباع الديانات السماوية . فقد جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون — الرابع عشر منها قولهم : « حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أى دين غير ديننا .. يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ، واذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا اثمار ملحدين ... وسيفضح فلاسفتنا كل مساوى الديانات الأممية « غير اليهودية » ، ولكن لن يحكم أحد أبدا على ديانتنا من وجهة نظرها الحقة » وفى البروتوكول السابع عشر يقولون : « وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين « غير اليهود » فى أعين الناس ، وبذلك نجحنا فى الاضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كئودا فى طريقنا » .

فاليهود اذن يسعون بكل ما فى وسعهم لهدم الأديان وتحقير علماء الدين والعبث بالثقافات ، ونشر الالحاد ، ونسف الايمان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دوركايم والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريالية .

وفى مقابل ذلك ينبغى العلم بأن الصهيونية حركة سياسية تتستر بشعار الدين لتستخدم اليهود فى العالم لمطامعها الاقتصادية وتهدف اسرائيل من التدريس الدينى فى الجيش اليهودى الى تطبيق شعار « التوراة والسيف نزلا معا من السماء » .

كذلك مهمة الصهيونية افساد الأخلاق ، والاستخفاف بالقيم الاخلاقية وهدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الانسان فى جميع الأزمان ، يقول حكماء صهيون فى البروتوكول الثانى : « والأثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى « غير اليهودى » سيكون واضحا لنا على التأكيد » وفى البروتوكول الخامس : « لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا » وفى البروتوكول الأول : « ان السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء » وفى البروتوكول التاسع : « ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن الملقنون لها » .

ويعتمد اليهود من اجل تحقيق اغراضهم الخبيثة السالفة الذكر وغيرها على الرأسمال الضخم والبنوك الكبرى ، والاحتكارات الصناعية والتجارية ، ففى البروتوكول الخامس : « يجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر » .

وفى البروتوكول السادس « سنبدأ سريعا بتنظيم احتكارات عظيمة ـ هى صهاريج للثروة الضخمة ـ لتستغرق خلالها دائما الثروات الواسعة للأمميين « غير اليهود ... » وفى البروتوكول الثامن : « اننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ... » .

والهدف الكبير للصهيونية هو قيادة العالم بالقوة والمال والخداع ، ففى البروتوكول الخامس : « نحن أقوياء جدا ، فعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب الينا ، وأن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا » .

ولا ننسى واقع قيام اسرائيل بالاعتماد على الدكتاتورية والارهاب والبطش والوحشية والتنكيل بما قامت به من مذابح كثيرة فى فلسطين وبما تقترفه الآن من جرائم وحشية فى حق السكان العرب لاجبارهم على النزوح ، جاء فى البروتوكول الأول : يجب أن يكون شعارنا : « كل وسائل العنف والخديعة » وفى البروتوكول التاسع « اننا مصدر ارهاب بعيد المدى » .

واعتمادهم على القوة أمر واضح من حروبهم الثلاث الأخيرة : عام ١٩٤٨ م ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ جاء فى البروتوكول الأول « ان حقنا يكمن فى القوة ، وكلمة الحق فكرة مجردة قائمة على غير أساس » وفى البروتوكول السابع « ان ضخامة الجيش وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لاتمام الخطط السابقة الذكر » .

ومذهب اسرائيل العسكرى الآن هو : أن اسرائيل لن تحارب الا مرة واحدة ، وأن الهزيمة فى اسرائيل تعنى الزوال ، ويعتقد الاسرائيليون أن العمل العسكرى هو الحل الأمثل أمام يهود العالم للتخلص من الأزمة الاقتصادية ، وإلباس هذا العمل ثوب القداسة ، لأنه فى عرفهم يحقق الأهداف القومية والروحية لليهود .

ولقد تركت الصهيونية والعقلية الاسرائيلية فى المجتمع الاسرائيلى نزعة دائمة وعميقة من الحقد الجماعى فى جميع مرافق حياة المجتمع . وغالب احصاءاتهم تؤيد الافناء الكامل للعرب المقيمين فى اسرائيل فى حالة صراع مسلح مع الدول العربية . وكل شىء فى اسرائيل مسخر لغرض الحرب ، وموجه لخلق أمة محاربة .

وقسوة حروب اسرائيل وعنفها له رصيد كبير فى كتابهم العهد القديم ، ففى الاصحاح الثالث عشر من تثنية الاشتراع : « فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع كل أمتعتها الى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب الهك ، فتكون تلا الى الأبد لا تبنى بعد : ١٥ ، ١٦ » .

فأين هذا من وصايا قادة الاسلام أتباع رسول الاسراء والمعراج ، جاء فى وصية أبى بكر لقائده يزيد : « وانى موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن

شاة ولا بعير الا لماكلة ، ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ، ولا تغلل ولا تجبن » .

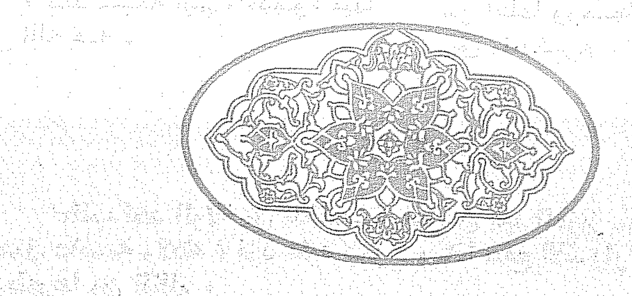
وخلاصة القول : أن الثالوث الخبيث « الاستعمار والصهيونية واسرائيل » يمثل خطرا كبيرا على العرب فى كل المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والوطنية ، وتمثل الصهيونية بالذات خطرا على الانسانية كلها فى العقيدة والأخلاق والدين .

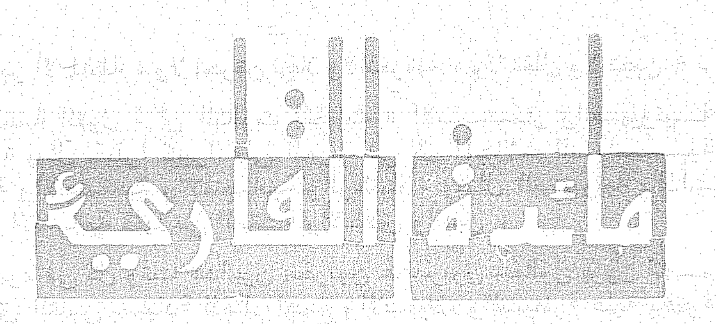
واليهود فى كل وقت هدامون مخربون عنصريون مغالون يرون أنهم وحدهم أحق الناس بسيادة العالم أجمع والاستيلاء والسيطرة عليه بالقوة والمال ، وهم الآن فى اسرائيل يمارسون أحط صور وأشكال العنصرية البغيضة ضد السكان العرب .

فاذا كانت هذه مبادئهم ، وتلك هى مبادىء صاحب الاسراء والمعراج ، فمن هو الأحق بفلسطين ان كان للحق صوت يسمع وأهل يذودون عنه ؟!

واذا كان الواقع الأليم فى فلسطين يقطع الأكباد والانفاس ، فاننا نأمل من قادتنا أن يعملوا ويخططوا ويعدوا أنفسهم وجيشهم لمعركة فاصلة يتهيأ اليهود لها دائما وأبدا ، لا أن يغفلوا أو يتغافلوا ، ولا أن ينخدعوا أو يخدعوا ، فقد أيقن كل الناس أن لا سبيل لاسترداد حقوقنا المغتصبة وأرضنا المقدسة الا بحرب شاملة مدمرة نكون نحن — لا اليهود — فرسانها وقادتها وسادة موقفها ، فشرف الاسلام أرفع من أن يعدو عليه حفدة القردة والخنازير ، وادخال الاسلام وجنده أو وحدة العرب سبيل نصر محقق باذن الله .

قال المعلقون العسكريون على هزيمة ١٩٦٧ « ان هزيمة اسرائيل ممكنة ، فقد ارتكبت خلال عمليات حرب ١٩٦٧ مجموعة من الأخطاء الاستراتيجية والعمليات التكتيكية كان يمكن أن تجعل من نصرها هزيمة ، لو كان فى الطرف العربى المقابل تفكير استراتيجى عسكرى موحد ، وقيادة عملياته واحدة ، وتصميم على النصر . اننى أكاد أقول : ان اسرائيل — فى حرب ١٩٦٧ لم تأخذ النصر كله استراتيجيا وعسكريا وحدها ، وانما نحن الذين أعطيناها بعض أسباب ذلك النصر — وأن الدراسة اعتبرت احتلال الاراضى العربية وتغيير معالمها بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ والنتائج التى انتهى اليها هذا العدوان أمورا عارضة ليست ذات قيم ومعايير ثابتة » .





اجر المجاهدين

من حديث الاسراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى مسراه قوما يزرعون فى يوم ، ويحصدون فى يوم ، وكلما حصدوا عــاد كما كان ، فقال عليه السلام : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف .

ابو طلحة الأنصارى

قرأ أبو طلحــة الأنصارى سورة براءة حتى بلغ هذه الآية : « انفروا خفافا وثقــالا وجاهــــدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » فقال : خفافا وثقالا . شبانا وكهــولا . جهزونى للجهاد ، فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنــك ، قــال : لا جهزونى . فجهزوه للحرب ، فغزا فى البحر ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونــه فيها الا بعد سبعة أيام ، فدفنوه فيها رضى الله عنه .

ام المساكين

أرسل عمر بن الخطــاب الى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنهــا — وكانــوا يلقبونهــا بأم المساكين — نصيبهــا من العطاء ، فلما دخل عليها حامل المال ، قالت : غفر الله لعمر . غيرى من أخواتى أقدر على قسم هذا منى . فقالوا : هذا كله لك . قالت ســبحان الله ، واستترت بثوب ، ثم قالت : صبوه ، واطرحوا عليه ثوبا ، ثم قالت لجاريتها أدخلى يدك ، فاقبضى منـــه قبضة ، فاذهبى بها الى بنى فلان وبنى فلان من أهلها ورحمها ، فقسمته حتى لم يبق منه شىء .

حصنها بالعــدل

طلب أحد الولاة من الخليفــة عمر بن عبد العزيز مالا يبنى به سورا حول عاصمة ولايته ، فرد عليه عمر : وماذا تنفع الأسوار ؟ حصنها بالعدل وطهرها من الظلم .

العمل لا الأمانى

روى أن مجلسا ضم جماعة من المسلمين والنصـــارى واليهود ، فزعمت كل جماعة منهم أنهم أولى الناس بدخول الجنة .

اليهود قالوا : نحن أتباع موسى الذى اصطفاه اللـــه برسالاته وبكلامه .

والنصارى قالوا : نحن أتباع عيسى روح الله وكلمته .

والمسلمون قالوا : نحن أتباع محمد خاتم النبيين وخير أمة أخرجت للناس ، فنزل القرآن الكريـــم يخاطب المسلمين بحكمـــه الفصل : ((ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا .

رجل ايجابى

كان لثرى مصانع ومتاجر أصابتها النار ، فأتت عليها ، وقدرت الخسائر بالألوف ، وكان هذا الثرى فى السنين الأخيرة من عمره ، وليس له قوة الشباب ولا أمل الشباب ، وكانت ثروته الضائعـــة ثروة العمر ، وجاءه رجل يواسيه ويسأله عن أسباب الكارثة ، فأجابه : لست أفكر فى شىء من ذلك ، وانما يملك على كل فكرى : ماذا أنا صانع غدا .

القـــــدس

فى شـعر أحمد شـوقى أمير الشـعراء

بلد على أرض الهـــدى وسمائه
المجـــــد حائطه ورأس بنائـــه

بلد بنـــوه الأكـــــرمون قبورهم
وقصورهم وقف على نزلائـــــه

ما قل ودل :

- لا تكن ممن يلعن إبليس فى العلانية ، ويواليه فى السر .
- لبست الحياة أن تتنفس ، ولكن أن تعمل .
- اذا أصبت لم يذكرك أحد ، واذا أخطأت ذكرك جميع الناس .
- من [illegible] شاء لقى ما ساء .
- العجز عجزان : التقصير فى طلب الشىء وقد أمكن ، والجـــد فى طلبه وقد فات .



من عوامل ضعف اسرائيل التميز العنصرى الذى تعانيه داخل بلادها .

هناك تمييز فى اسرائيل بين اليهود الشرقيين وبين اليهود الغربيين ، وهناك تمييز بين اليهود الشرقين أنفسهم ، فمنزلة يهود العراق مثلا أرفع من منزلة يهود اليمن .

وهناك تمييز بين الغنى من اليهود الشرقيين وبين الفقير منهم ، وهناك تمييز بين اليهود الغربيين أيضا ، فيهود أمريكا اللاتينية ليسوا كيهود أوروبا أو الولايات المتحدة الامريكية .

وعلى العموم ، فالوزراء وكبار موظفى الدولة وقادة الرأى وقادة الفكر ومناصب المعامل الكبرى والمصارف كلها لليهود الغربيين .
أما اليهود الشرقيون فلهم المناصب الصغيرة والمراكز الحقيرة ، عمالا وفراشين وكتبة صغارا . ولليهود الغربيين مناطق السكن الممتازة فى المدن الكبيرة والمستعمرات المنظمة ، أما اليهود الشرقيون فلهم الصحراء القاحلة فى النقب والاراضى الصخرية الجرداء .

ولليهود الغربيين المعامل الضخمة والمصارف الكبيرة والمزارع النضرة والبيارات الواسعة ، أما اليهود الشرقيون فلهم التعب والشقاء والعرق والدموع .

واليهودى الغربى يعاونه اليهود الغربيون فى تسلم المناصب المرموقة، وفى امتلاك المزارع والمصانع والبنايات .

واليهودى الشرقى . لا يصادف غير العراقيل والمشكلات من أرباب السلطة الغربيين . والخلاصة أن اليهودى الشرقى يلاقى اضطهادا ملموسا من اليهودى الغربى .

هذا التمييز بين اليهود الغربيين ، وبين اليهود الشرقيين ، وهذا الاضطهاد المكشوف الذى يلاقيه اليهود الشرقيون من اليهود الغربيين ، قد أدى الى تذمر اليهود الشرقيين والى أصابتهم برد فعل نفسى بعد تجربتهم القاسية التى عاشوها فى اسرائيل — حلمهم المنشود — ومحاولتهم بشتى الطرق الهرب من جنتهم على الارض ، أرض الميعاد الى أى أرض فى الدنيا .

لقد جندت أجهزة اعلام يهود كل امكاناتها وطاقاتها ، لاغراء يهود العالم على الهجرة الى اسرائيل وقد آمن يهود الشرق بدعايات اليهود المضللة ، واستجابوا لوعودها البراقة ، فتركوا بلادهم وهاجروا الى اسرائيل .

وحين استقر بهم المقام ، اكتشفوا أنهم كانوا ضحية لوعود كاذبة وادعاءات مختلقة ، ولكن اكتشافهم هذا جاء متأخرا بعد أن أطبق عليهم المسيطرون على اسرائيل أبواب سجنهم الكبير .

لقد ندم هؤلاء على هجرتهم ، ولات ساعة مندم ، والذين استطاعوا الهرب من سجن اسرائيل الكبير ، ذكروا العجائب عن ظلم يهود لاخوانهم يهود .

حاول بعض اليهود الشرقيين الهرب من اسرائيل منذ كانت الجيوش العربية فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، وقد اخترق بعضهم الحدود العربية — الاسرائيلية ، ولكن ظروف الحرب حينذاك كانت تلقى ظلالا كثيفة من الشك على أسباب هروبهم ، وكان العقل يتطلب فرض أسوأ الاحتمالات فى مثل تلك الحالات .

وحدثنى أحد الضباط الذين كان من واجبهم ملاقاة بعض ضباط اسرائيل على خطوط الهدنة بحضور ممثلى هيئة الأمم المتحدة لحل بعض المشكلات فقال : (كان مع الضابط الاسرائيلى جندى ، وحين رآنى سألنى :

ألا تعرفنى يا سيدى) فقلت له : لا اتذكرك ، فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن الصائغ فلان فى سوق السراى من بغداد ، وأهلك يصوغون عند والدى ، وقد حضرت أنت كثيرا الى دكان والدى برفقة أخواتك وأمك . وتذكرته فعلا ، فسألته : كيف حالك ؟ فقال . موت يا ليتنى أعود الى بغداد بأى ثمن .

ان تذمر اليهود الشرقيين فى اسرائيل لم يعد سرا ، وقد وصلت أخباره الى المؤسسات الدولية مثل مؤسسة حقوق الانسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد استلمت هذه المؤسسة كثيرا من شكاوى المواطنين الاسرائيليين يطالبون فيها بنجدتهم على النطاق الدولى للتخلص من جحيم اسرائيل .

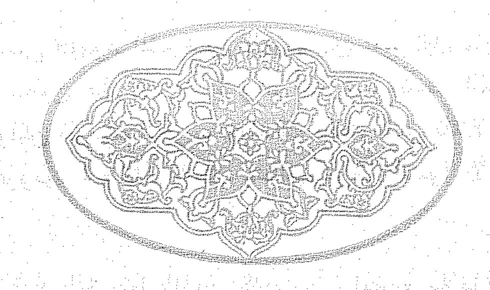
ولم يقتصر التذمر على اليهود الشرقيين ، بل شمل اليهود الغربيين أيضا ، وخاصة الفقراء منهم .

ان مد التمييز العنصرى والتفرقة العنصرية طاغ فى اسرائيل ، واسرائيل تغلى كالمرجل على الرغم من أجهزة اعلامها التى لا تسكت ليلا ولا نهارا .

ان الغنم فى اسرائيل لليهود الغربيين ...

والغرم فى اسرائيل على اليهود الشرقيين .

وليس فى اسرائيل مكان لمبدأ : الغنم بالغرم ، أو الغرم بالغنم . ان المبدأ السائد هناك ، هو مبدأ : المال ، فمن كان له مال وله سند من عصبية عاش بسلام .. والا فله العرق والدموع والصحراء .



● عن « طريق النصر » للواء الركن محمود شيت خطاب

أكذوبة الحدود الآمنة

تتعمد دولة العدوان الصهيونى ايهام الرأى العام العالمى بأنها ترفض الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها اثر حرب ٥ حزيـران ١٩٦٧ بسبب تصميم العرب على ازالتها من الوجود ضمـن مخطط صهيونـى للاستئثار بمكاسب جديدة تضمن لها المزيد من التوسع بعد أن تكون قـد ضمنت كسب عطف المسئولين فى الدول الكبرى ، وأثارت شفقة الشعوب التى تتفاعل مع محنة اليهود خلال الحرب العالميـة الثانية بعد تعرضهـم للمذابح النازية ، والتى يحاول الاعلام الصهيونى الاعتماد عليها فى كل خطوة تستلزم الكسب الاقتصادى أو السياسى أو العسكرى .

مناورات الصهيونية فى اثارة المغالطات والمتناقضات حول الحـدود الآمنة أصبحت سياسة واضحة للزعماء الصهاينة التى تعمل على تحويل قضية الاحتلال الى أمر واقع لا تستطيع الدول الكبرى بعد ذلك تغييره ، كما حدث بعد حرب ١٩٤٨ وما تبع ذلك من غزوات صهيونية حققت للدولة العدوانية الهدف الذى تسعى اليه من توسع .. واحتلال ..

ان سياسة الزعماء الصهاينة هى عدم الكشف بوضوح عن أطماعهم التوسعية بغية تجنب الاستنكار العالمى ، وسخط الشعوب التى تتطلـع الى السلام .. لذلك فهم يلجأون الى مناورات جديدة فيتقدمون كل فتـرة باقتراحات بغية اقناع العالم بأن دولتهم تتطلع الى سلام عادل يســود المنطقة . وبذلك تضمن عدم لجوء مجلس الأمن أو الدول الاعضاء الـى سياسة الضغط فى اكراه القوات الصهيونية على الانسـحاب .. وفـى الوقت ذاته يقوم المسئولون باصدار التصريحات حول شروط الانسحاب .. وضرورة ما يسمونه باجراء تعديلات طفيفة على الحدود لضمان أمن وسلامة دولتهم الدخيلة دون الاشارة الى حقوق شعب فلسطين .

والتعديلات الطفيفة والحدود الآمنة التى تطلبها الدولة الصهيونيـة هى ضم القدس والمرتفعات السورية وشرم الشيخ وبعض أجزاء الضفـة الغربية ، مع الاحتفاظ بقسم كبير من صحراء سيناء .

هذا فقط ما تطالب به الصهيونية لضمان أمن قاعدتهم فهذه الاجزاء التى تمثل كل الأراضى المحتلة تريدها الصهيونية لتكون منطلقا جديـــدا لعدوان جديد تضمن بعده ضم مزيد من الاراضى ...

وما تدعيه رئيسة الوزراء والمسئولون فى الحكومة الاسرائيلية حول الاحتفاظ بالاراضى اللازمة لضمان سلامة القاعدة هو مجـرد تمويـه ، والتصريحات التى يطلقها زعماء الحركة الصهيونية وأعضاء الحكومـة الاسرائيلية تبين بوضوح الخطوط العريضة لسياسة الصهيونية التوسعية والاستيلاء على ما تستطيع من أراض عربية ..

لماذا عدوان الصهيونية على

أرض الإسراء

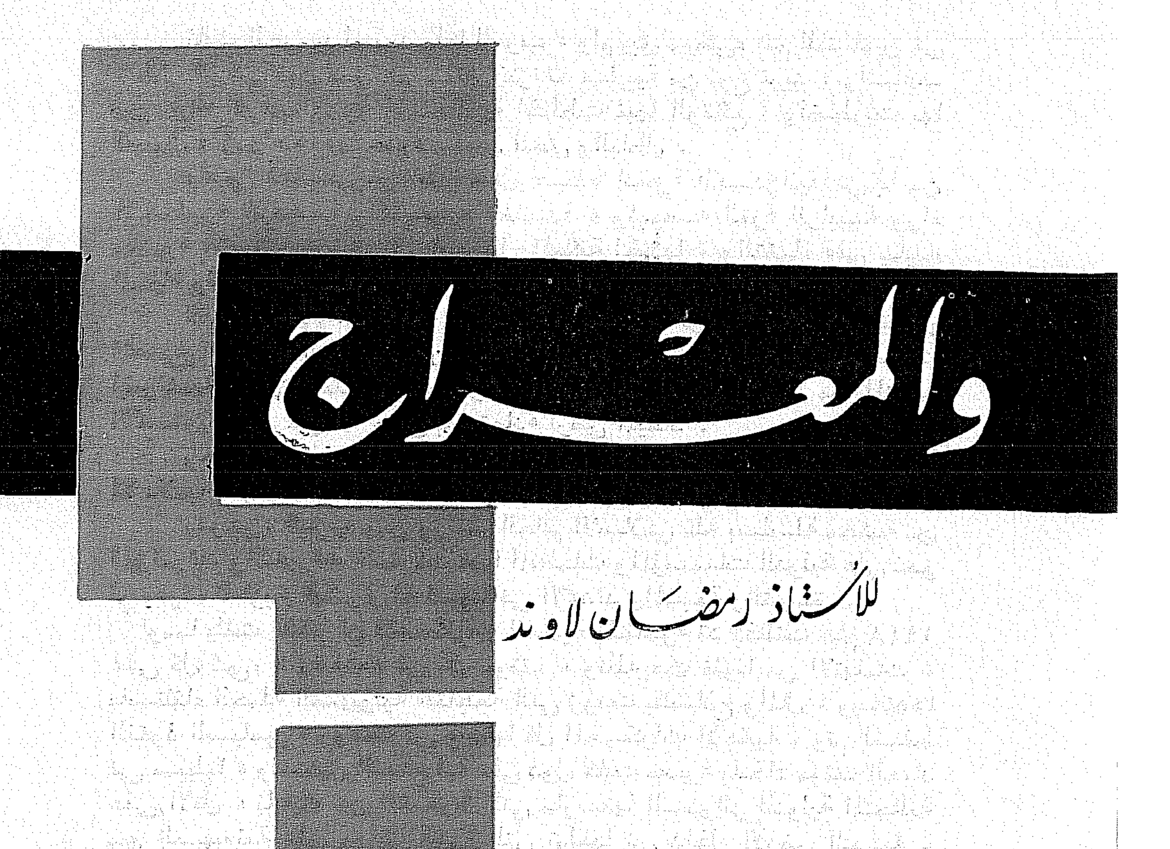
إذا كانت الذكريات « صدى السنين الحاكى » كما يقول شاعرنا شوقى رحمه الله ، فقد وجب أن تكون ترجمتنا التاريخية باعتبارنا أمة ذات دين وحضارة ، هى ترجمة هذه الذكريات بالذات .

إن طريقنا التاريخية ولا سيما تلك التى تبدأ بعهد الرسالة الاسلامية والتى تمضى فوقها مواكب العرب والمسلمين فى روعة بالعشرات بل بالمئات من مواطن الذكريات ، وهى كلها متصلة أوثق الاتصال بالوقائع والأحداث التى تسجل لنا مواقف حية ، وأطماحا كريمة ، وتضحيات جليلة فى سبيل بنية اجتماعية قويمة .

البيت الحرام فى وادى مكة موطن من مواطن هذه الذكريات ... وهو الموطن الذى ارتفعت بجدرانه قواعد العقيدة الاسلامية لا منذ أيام محمد بن عبد الله عليه السلام ، بل منذ أبى الأنبياء ابراهيم الخليل يوم قال وولده اسماعيل بعد رفعهما القواعد من البيت « ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » .

وتمضى القرون الطويلة بعد ذلك ويتعاقب الأنبياء من بنى إسرائيل وغير بنى إسرائيل حتى يأتى اليوم الذى تتخذ فيه الدعوة الى الله طابعها العالمى فاذا ببيت مكة وبوادى مكة يحتفظان بعد الدهر الطويل بخصائص الذكريات التى هى « صدى السنين الحاكى » تحكى للأجيال الطالعة القصة الكاملة للهداية التى تغلغلت بها أنوار المعرفة الى القلوب .

★ ★ ★



والمعراج

للأستاذ رمضان لاوند

ويأتى مسجد المدينة المنورة شاهدا آخر من الشواهد المزروعة فى الطريق فيكون بمثابة الحافز الى المزيد من الايمان ، والآية على رجولة المواقف وقدرة المؤمنين على تحقيق المنجزات الكبيرة .

ثم يكون ثالث الحرمين فى بيت المقدس تمنحه امتيازاته وتعين لــه معناه فى ترجمتنا التاريخية تلك الزيارة الفريدة التى قام بها النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم من أيام دعوته السماوية ، ثم صنفت فى عداد الذكريات الحاكية لأيــام العرب والاسلام فى قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريــه من آياتنا إنــه هو السميع البصير » .

★ ★ ★

وهنا نقف فلا نجاوز هذه الذكرى الى ذكريات أخرى غيرهــا فى روعة ، فى عشرات من المواطن أسهمت فى رعايتها وسقايتها ملايين من القلوب العامــرة بالايمان والحافلــة بمواقف التضحية والرجولة والفداء . إذا كنا قد اخترنا الوقوف عند ثالث الحرمين فلأن هذا الحرم هو اليوم قضية العرب الكبرى ومعضلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثالث الحرمين لم يعد ملكا للعرب ، ولم يبق موطىء قدم للمسلمين فى أقطار الأرض دون سواهم . لقد انتزعته صليبية من نوع فريد . وأشاعت من حوله الرعب موجة استعمارية اختلطت فيها الوقائع ، واضطربت بها السبل ، وموّهت بها حدود ما بين الحق والباطل .

وأصرّ المستعمرون على جعل هـذه الغارة العـدوانية مزيجا من الأسطورة الوقحـة والمكيافيلية الفاسدة ، وسياسة القوة الرابضة وراء مسيرة الاسلام تتوسل كل الوسائل الممكنة لخنقها ، والقضاء على ينابيع الحياة والفتوّة فيهـا .

الصليبية فى هذه المرة لم تموّه عدوانها بدعوى الحفاظ على قبـر المسيح ، وهى التى تعلم أن هـذه الدعوى قد بليت جدتها وافتضحت أغراضها ولكنها أتتنا على صورة الصهيونية بكل ما يرافقها من المزاعم الأسطورية فى حق لها وهى باستعادة أرض الميعاد .

وحشدت لهذه المزاعم كل الأكاذيب ، ووضعت فى خدمتها كل الأجهزة الاعلامية ، وأنفقت على هذه وتلك مئات الملايين بل ألوفها من الدنانير .

وفوجىء العرب ومن ورائهم العالم الاسلامى كله بسلسلة محكمة من المؤامرات والمناورات اشتركت فيها المنظمات والمؤسسات الدولية على نحو لم يعرف التاريخ البشرى له شبيها فى الاعداد والمتابعة والتنسيق .

ومما يلفت النظر أن المعسكرات العالمية المتناحرة قد اختلفت عام ١٩٤٨ على كل شىء ، وتنابذت فى كل موقف ، وتطارحت فنونا من الاتهامات ، باستثناء الحملة الصهيونية الفاجعة التى زودت بالسلاح والمال ، وساندها النفوذ السياسى ، ووقفت فى جبهتها كل المعسكرات الأجنبية ، وتم الضغط فى سبيلها ، ولتحقيق النجاح لها على دول كانت جديرة باتخاذ موقف الحياد على الأقل ، ناهيك عن الضغوط التى مارستها الـدوائر الدولية المتحالفة مع الصهيونية على مراكز القوة التى تملكها فى داخل الأرض العربية ، وعبر العالم الاسلامى كله .

لقد ترددت مئات الأساطير حول ما يجرى فوق التراب الفلسطينى ، وانطلقت مئات الأكاذيب ، وانعقدت ألوف الاجتماعات فى غرف سوداء بين أقصى الأرض وأقصاها لتخدير الضمائر ، وتضليل العقول ، وإفساد الذمم ، وتقديم العروض المغرية . ثم انكشفت كل هذه الجهود غير الشرعية ، والمناورات المريبة ، والمؤامرات السوداء عن دولة لم تكد تعلن عن نفسها فى ١٥ أيار من عام ١٩٤٨ م حتى تسابق الأقوياء فى العالم الى الاعتراف بها ، والاعلان عن حمايتها ، والمبادرة الى تزويدها فى سخاء منقطع النظير بالمال والسلاح والرجـال ، وبصورة خاصة بأحـدث الكفاءات العلمية والتكنولوجية .

★ ★ ★

والواقع أن الخطط الصهيونية الاستعمارية العالمية كانت وما تزال أعظم حجما من أغراضها العسكرية والسياسية والاقتصادية المباشرة ، إن القوى المعبّأة لانجاح هذه الخطط منذ بداية تنفيذها عام ١٩٤٨م وحتى اليوم أى على امتداد ثلاثة وعشرين عاما لا تهـدف فى الحقيقة الى إجلاء

شعب فلسطين ومن حولها من الأرض وحسب ، بل تطمح الى القضاء على تراث تاريخى ضخم ، هو فى حقيقته أسلوب حياة ، وعقيدة ذات أبعاد عالمية ، وقدرة تشكل تهديدا للتوازن الدولى ، ومراكز استراتيجية تستوعب حضارة غير الحضارة التى تفد إلينا على صور ثقافية ، وأسلوب حياة وخطة عمل وتفكير .

إن تعبئة العدو الصهيونى ومن ورائه دوائر العدوان الاستعمارى الدولى ، هى تعبئة على مستوى تلك التى عرفها العالم الاسلامى ، وواجهها منذ بداية القرن الثانى عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلاديين مع الفارق الكبير فى الأهبة والاستعداد ، والخبرات وأسلحة التكنولوجيا الضخمة .

كل هذه التعبئة تقف وراء اسرائيل ، وتمكّن لها فى أرض فلسطين ، وتتيح لها فرصة السيطرة على ثالث الحرمين بحيث يكون وجودها المستمر فى بيت المقدس عنوانا على هزيمة معنوية تتحطم بها روح المقاومة عند العرب والمسلمين بعامة ، وهى واحدة من الأغراض البعيدة التى يقصد بها استنزاف ينابيع الرجولة والفتوة فى ثقافة المسلمين وعقيدتهم .

نحن هنا لا نحاول أن نثبت للعالم ولأنفسنا بأن الصهيونية والقوى المحالفة لها هى عنوان على جريمة بيتت بليل، حتى الذين اقترعوا ويقترعون لصلحة الاستعمار والصهيونية يعرفون حقيقة هذه الظاهرة وأبعادها والدور الذى تقوم به ، والأغراض التى تسعى الى تحقيقها ، ولكننا نسلّط الضوء على هذه الجريمة الدولية لنربط بينها وبين معنى من المعانى الخاصة بنا نحن المسلمين . نحن نسلّط عليها الضوء لنحكى حكاية التناقض العجيب بين ما يرمى إليه العدوان الصهيونى الأسود ، والصورة الانسانية المتمثلة فى الاسراء والمعراج .

ومن الطبيعى أن نتعرف الى الخلفية التربوية والخصائص الثقافية الأساسية للعقلية اليهودية الصهيونية ، قبل أن نعقد المقابلة بين موطن الاسراء والمعراج من ناحية ، وبين الحضور اليهودى الصهيونى من ناحية أخرى .

فالتعاون مع اليهودية الصهيونية لم يأت عفو الخاطر ولا هو حصيلة جهد يهودى صهيونى وحسب ، لقد تم هذا التعاون وتوفرت لليهودية والصهيونية المساندة التامة رغم تعاقب الحكومات ، وتباين الأغراض عند الدول والمعسكرات العالمية ، لأن هناك مصلحة مشتركة عليا دفعت كل الأطراف بكل مذاهبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى اتخاذ موقف التأييد والمساندة دون تحفظ من الأطماع الصهيونية ، واقتنعت كل هذه الأطراف بضرورة تعبئة كل الامكانات المادية والمعنوية واتخاذ كل الأسلحة للحيلولة دون نجاح الرد العربى ، ونمو الاستجابة الاسلامية للتحديات الصهيونية .

وتقررت الافادة من المزاعم الاسطورية التى تحفل بها الكتابات اليهودية ذات الطابع الكهنوتى ، لاعطاء المؤامرة العالمية فى وجهها الصهيونى ، الشرعية والصفة القانونية .

★ ★ ★

ولكن ما هى هذه المزاعم الأسطورية ؟ وكيف وجد فيها المتحالفون مع الصهيونية المادة الخصبة التى تزوّدهم بحملاتهم الدعاوية شعاراتهم التى تتيح لهم فرصة دمج الوجود الصهيونى فى الأسرة الدولية ؟..

أول ما يلفت النظر أن أسفار التوراة حافلة بالكتابات التى تَعِد اليهودة بالعودة الى أرض الميعاد فلسطين ، والتى تميِّز اليهود عن كلّ شعوب العالم بحيث تمنحه الصفات والخصائص التى لا يستقل بها غير الشعب المختار من قِبَل السماء ، فهى إذن كتابات خاضعة لعقدة الشعور بالعظمة ، حافلة بروح الاحتقار والكراهية للامميين الذين هم غير اليهود ، والمزروعة بالحكايات والقصص التى تغذى عزلة اليهودى واستعلاءه .

جاء فى سفر الخروج من التوراة ٢٣ ، ٢٧ ، ٣١ ما يلى :

قال الرب لموسى ــ هكذا تقول بنى اسرائيل « سأرسل هيبتى أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم لأطردهم من أمامك فى سنة واحدة ، لئلا تصير الأرض فتكثر عليك وحوش البرية .

قليلا قليلا اطردهم من أمامك الى أن تثمر وتملك الأرض .

واجعل تخومك من بحر سوفٍ الى بحر فلسطين ، ومن البرية الى النهر فإنى أدفع الى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامكم » .

أما فى سفر التثنية ٧ : ١ــ٧ فقد ورد النص التالى :

« اسمع يا اسرائيل متى أتى بك الرب الهك الى الارض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك . سبع شعوب أكثر وأعظم منك . لا تقطع لهم عهدا . ولا تشفق عليهم . ولا تصاهرهم . بنتك لا تعطى لابنه . بنته لا تأخذ لابنك » .

وفى سفر التثنية أيضا هذا النص المعبِّر ٦ ، ١٠ ، ١١ قال :

« اسمع يا اسرائيل . أتى الرب إلهك الى الارض التى حلف لآبائك ابراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك . الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها ، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها . وكروم وزيتون لم تغرسها » .

وهناك نصوص كثيرة غير هذه التى سجلناها هنا منثورة فى سفرى الخروج والتكوين من أسفار التوراة مليئة بالمزاعم والأساطير والحكايات التى تغذى فكرة تحيُّز الاله ، إله اسرائيل ، لجماعة اليهود ، كما تغذى روح الحقد والكبرياء والاستعلاء عند أصحاب هذا الدين .

ومن الطبيعى جدا أن تتخذ هذه المزاعم الاسطورية والكتابات النابعة من عقدة الشعور بالعجز فى فترات طويلة من تاريخ الشعب اليهودى صفة الحافز الذى يتحول الى ركام من أحلام اليقظة يجترها أصحابها كعملية تعويض مرضٍ عن العزلة الطويلة التى فصلتهم عن **شعوب العالم** .

وبفعل تعاقب القرون واستمرار العزلة نشأ الهوَس ، ونمت روح التعصب بغض النظر عن تصديق كل اليهود أو بعضهم بصحة النصوص الواردة فى التوراة والتلمود ، وبعيدا عن ايمان الكل أو البعض بالوجود الالهى .

لقد كانت هذه النصوص قبل ظهور **الصهيونية حركة سياسية** اقتصادية وبعد ظهورها مادة اعلامية وينبوعا ثقافيا لكل الدعاة الصهاينة حتى الملحدين منهم . ولعل « هرتزل » مؤسس الصهيونية الأول قد كشف عن دور هذه النصوص فى تعبئة القوى الاستعمارية لتحقيق أحلام

اليهود الصهاينة حين كان يقول دائما لمن يحب أن يسمعه « سنكون نحن الصهيونيين جزءا من السور الأوروبى المرفوع فى وجه آسيا . سنكون نحن فى الصفوف الأولى من الجبهة حماة المدنية وخفراءها ضد البربرية »

ولا بدع أن تجد الصهيونية الأنصار الكثر فى الدوائر الاستعمارية العليا وأن تتلاقى مصالح الطرفين . والواقع أن هــذه الدوائر قد اكتشفت فى الصهيونية المنجم الذهبى الذى يغذى حملاتها العدوانية لكبح جمــاح العرب واطفاء نور الاسلام لا سيما وان الصهيونية هى فى جوهرها جزء من الحضارة التى تمثلها هذه الدوائر بالذات ، ويوم تم اكتشـاف الــدور الذى يمكن أن تقوم به اليهودية الصهيونية لحماية النفوذ الاستعمارى على طريقة حصان طروادة لم تتردد الدوائر ذات العلاقة فى إخراج هذه الحركة من ميدان النظر الى ميدان الفعل .

بقى أن نقرر بأن اليهودية الصهيونية بالرغم من مزاعمها الرسمية التى تنادى بحق كل يهودى فى الانتماء الى دولتها فى الأرض المحتلة هى امتداد للشخصية المتمثلة فى الدوائر الاستعمارية العليا ، وما تكتبه الصحف العالمية وتنقله وكالات الأنباء عن سياسة التمييز العنصرى التى تمارسها سلطات تل أبيب بين المهاجرين اليهود الغربيين « اشكناز » وبين المهاجرين اليهود الشرقيين « سفرديم » هو توكيد لطابع هذه الدولة وفضح لأغراضها البعيدة وتحقيق لفلسفتها التى تنادى بامتياز شعوب الحضارة الغربية من خلال العقلية المتغذية بالكتابات التوراتية والشروح التلمودية .

إن العالم الاسلامى إذ يواجه العدوان الصهيونى إنما يواجه فــى الحقيقة حربا صليبية من نوع جديد ولكنها تبقى فى جوهرها حربا عدوانية ، مادتها وسياستها وأغراضها وأسلحتها واردة من دول العالم الاستعمارى العامل على احتوائه وإطفاء نوره والقضاء على ثقافته وتراثه منذ قــرون عديدة .

هذا الهوَس الصهيونى وما تحتويه بطانته من المزاعم والادعاءات ، وما يتصف به سلوكه وطريقة تعامله مع الشعوب المسلمة ، هو الذى يقابل الوجود الاسلامى باعتباره تجربة حضارية أصيلة ورؤية ثقافية نابعة من الاسلام وعقيدة موحدة .

وليس عبثا ولا من قبيل المصادفة أن يصر الصهاينة على الاحتفاظ ببيت المقدس وما حوله مركزا لعاصمة دولتهم . إن وراء هذا التصميم استراتيجية ثقــافية أخلاقية بالاضافــة الى الاستراتيجيات العسكريـــة والاقتصادية التى تدفعهم الى الاحتفاظ بالجولان ، وشرم الشيخ ، وببعض المناطق الأخرى التى تتيح لهم فرصـــة السيطرة العملية على العالم العربى من أقصاه الى أقصاه .

إن مدينة القدس موطن لذكريات إسلامية ، والذكريات ـــ كما قلنا فى بداية هذه المقالة هى شواهد وصوى فى الطريق التاريخية للشعوب . ولما كان الاسراء والمعراج صورة روحية تشد المسلمين اليها بخاصة وتحقق لهم إحساسهم بوحدة الشخصية ، وتقوم بعملية توكيد لــدورهم الثقافى

فى التاريخ فان وضع المكان الذى أسرى إليه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بشهادة القرآن الكريم تحت السيطرة اليهودية الصهيونية هو بمثابة المعول الذى تحدث بـه دولة اسرائيل شرخا حقيقيا عميق الأبعاد فى الشخصية الاسلامية .

فى الاسراء آية على اتصال المسلم بالغيب الذى يؤمن به .
وفى الاسراء توطيد لتكامل الرؤية الثقافية والروحية عند المسلم ، وفى الاسراء أخيرا إعلان عن أن الحفاظ على أرض ثالث الحرمين هو توكيد لحماية الدعوة الى الله .

إن الحضور الاسلامى فى أرض الاسراء يعنى من الناحية العملية بالاضافة الى حضوره فى المدينة المنورة ومكة المكرمة أن المسلم قد ضمن لنفسه الحد الأدنى من الظروف والقدرات التى تمنحه حرية الحركة والاعلان عن عقيدته وتوفر له الاحساس بسيادته الثقافية .

فكما أن المرء يشعر بسيادته الصميمة حين يكون له بيت خاص به ، وبأن أسرته تتصرف فيه تصرف المالك لأمره ويحس معه بتكامل شخصيته الاجتماعية ويتمتع بلذة الحرية فيه ، فكذلك الشأن فى مواطن الذكريات الثقافية والدينية الحميمة بالنسبة لوجود المؤمن الحضارى .

فأنا موجود وجودا حقيقيا تتوفر فيه كل الشروط المطلوبة حين أستمتع بسيادتى الثقافية وبأصالتى فى التفكير ، وبالقدرة على تحقيق المفاعلة التامة بينى وبين مواطن الذكريات ، ومعالم العقيدة التى بها أؤمن وفى سبيلها أحيا وأموت ، وليس عبثا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل بيته المحرم فى واد غير ذى زرع ، وربط قواعده بوجود أبى الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام وأتاح لهذا النبى الكريم أن يتولى هو شخصيا بالتعاون مع ولده إسماعيل رفع القواعد من البيت الحرام وجعل استمرار الحنيفية السمحاء مرتبطا باستمرار الحرمة التى يتمتع بها هذا البيت الكريم .

ان العلاقة النفسية بين المسلمين ومكة وهى علاقة وجود وبالتالى عملية توكيد للشخصية الاسلامية على امتداد التاريخ .

ولم تكن الدعوة الدينية التى جاء بها خاتم الأنبياء بدعا فى تاريخ النبوات التى ظهرت بعد نبوة ابراهيم الخليل ، بل إحياء لجوهر هذه النبوات وتوكيد لها وتصحيح للقيم والأفكار وتحرير لها من الشوائب التى دخلت عليها كما أن إبقاء البيت الحرام الذى دنسته وثنيات الجاهلية بعد تطهيره منها ركيزة تستقطب قلوب المسلمين يعنى تحقيق تلك العلاقة النفسية بين المسلمين وبين بيت الله فى مكة المكرمة .

ولنا فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة شواهد ثابتة على المعنى الدينى العميق الذى يرمز اليه موطن الاستمرار الاسلامى فى مكة وعلى أن سلامة هذا البيت تعنى توكيد السيادة والسلامة لتراث العقيدة الاسلامية .

هذه الظاهرة نفسها نجدها فى موطن الاسراء والمعراج ، وقد أعطت العناية الالهية هــذا الموطن دورا خاصا حين جعلت من إسراء النبى محمد صلى الله عليه وسلم إليه مناسبة يتعرّف منه فيها على جملة من آيــات الله فى كونه العظيم ، ويكتشف عن طريقها نِعَم الله وآلاءه .

وبيت المقدس يبقى فى ضوء هذه الرؤية الــدينية موطنا للحــدود الخارجية لأبعاد الشخصية الدينية ولمحتواهــا الثقافى ، وخصائصهــا الأخلاقية ، وخسارة هذا الموطن تعنى أن العدو قد بدأ يحطِّم الحصون الخارجية والهامّة لحُرمة الوجود الاسلامى .

ولذلك فإن اليهودية الصهيونية وحلفاءها فى العالم حريصون على الاحتفاظ بهــذا الموقع الذى انتزعوه وهم أشد حرصا على تشويه معالمه فيكسرون قلوب العرب والمسلمين بحيث تتاح لهم من بعد فرصة التحرك فى العالم الاسلامى كله فيتلفون مــن ثرواته ما لا يســتطيعون اجتيازه وإخراجه من أرضه .

وإذا كان العدوان اليهودى الصهيونى على أرض الاسراء والمعراج هو المدخل الى تنفيذ خطة طويلة الأجل تجمد بها طاقات المسلمين وتسهل عن طريقها عمليات التضليل والتشــويه والتزييف لفكر المسلم وعقيدته وعلمه .

وما لم ندرك نحن المسلمين العلاقة الوثيقــة بين خطة العدوان على مواطن حرماتنا وأرض ذكرياتنا من ناحية ، وبين احتمــالات التقــدم الاقتصادى والاجتماعى فى مستقبلنا المنظور وغير المنظور ، فستبقى معركتنا التحررية التى نخوضها ضربا فى الفراغ وجهودا ضائعة .

لقد فقدنا حريتنا منذ بدأنا نفقد قدرتنا على الدفاع عن حصوننا الدينية والثقافية ، ثم فقدنا قدرتنا على التعامل مع الطبيعة وتنمية ثرواتنا القومية منذ فقدنا أخلاق الكفاح فى ميدان وجودنا الثقافى .

إننا إذ ننتهز هذه الفرصة ، فرصة احتفال العالم الاسلامى بذكرى الاسراء والمعراج لنحقق العلاقة بين سيادتنا الدينية وحرياتنا فى بنــاء اقتصادنا وقوانا الوطنية الأخرى ، إنما نفعل ذلك من أجل تصحيح نهج المعركة التى نخوضها اليوم ، معركة العودة الى الأرض السَّليب والحُرمات المُنْتَهَكَة .



زعموا أن عمدة البلد قد مات .

وكان رجلا غنيا رئيسا . له أولاد يحبونه ويحترمونه ، فقال أحدهم : لا يجوز أن ندع والدنا فى قبره ((ليلة الوحدة)) وحيدا ، بل علينا أن نؤنس وحشته ، وأنا على استعداد أن أبيت معه الليلة .

قالت الأم : ((يا ولدى لا تجمع على الفجيعة فيك الى جوار أبيك ، وان شئتم فاستأجروا للمرحوم من يبيت معه)) .

قال الراوى :

فاستأجروا رجلا فقيرا ممن يلقحون النخل ، ودفعوا له عشرة جنيهات لكى يقضى مع الميت العزيز ليلة واحدة ، وأودع العمدة فى قبره الفخم المجصص ووضعوا عليه الورود والزهور ، ثم أنزلوا الرجل الآخر فى القبر معه ، وتركوا له كوة ليدخل له منها الهواء .

وانتظروا فى الصباح كى يخبرهم ويطمئنهم على ميتهم ، وهم لا يشكون أنه سيصف لهم روضة من رياض الجنة . وما أن بزغ الفجر حتى رأوا ((العم مجاهد)) يخرج من القبر هاربا لا يلوى على شىء ، فأحاطوا به وسألوه عن حال الفقيد الغالى ، وأن عسى أن يكون قد حوسب حسابا يسيرا .

وما كان أشد دهشتهم حين رمى لهم ((العم مجاهد)) بالجنيهات العشر وهو يقول : مصيره مجهول وحسابه طويل ، لا حاجة لى فى نقودكم .

فاستبد بهم الغم والفزع وقالوا : ماذا رأيت ؟

قصــة رمــزيـة

للأستاذ عبد البديع صقــر

قال : ما ان ذهب المشيعون حتى جاءنا ملكان . قال أحدهما : ((نبدأ بالحى أم بالميت ؟)) قال الثانى : ((نبدأ بالحى الذى سيخرج فى الصباح)) ، فجعلا يسألانى عن حبل المسد الذى أربطه عــلى وسطى . فقلت لهما : اننى فتلته من ليفــة من ليف النخل الــذى أتعهده وأصلحه . قالا : من أى نخلة كانت الليفة ؟ ونخلة من هى ؟ وهل سمح صاحبها بأخذ الليف منها ؟ وجعلت أتذكر ولا أستطيع الجواب ــ وهما يكرران السؤال ويهددان بالعذاب ــ ثم سألانى عن القميص ، وسألانى عن الطاقية ، وسألانى بأشد من ذلك عن النعل القديم المركون فى جانب القبر ، وأخيرا وجــدا معى الجنيهــات العشر ، وقالا من أين اكتسبتها ؟ وهل تراها أجرا مكافئا للعمل ؟ وهل كان من عادتك أن تكسب هذا المبلغ فى ليلة واحدة ؟

قال : وما زالا بى والقبر يضيق على رويدا رويدا حتى كادت نفسى أن تنخلع من هول ما رأيت .. وما أن لمحت نور الفجر حتى خرجت هاربا كأنما ولدت من جديد ــ وعاهدت ربى ألا آكل إلا طيبا ، ولا أعمل إلا طيبا .

أما أبوكم فقد كان رئيسا للجمعية التعاونية ، ومخزن الأسمدة والبذور ، وكان عضوا فى المجلس البلدى وبنك التسليف وغيره .. على كل حال ...

لا أدرى متى يستطيعون الانتهاء من حسابات والدكم المسكين ، وكلما تصورت معاملة الملكين لى ... ونظراتهما الجادة .. أشك كثيرا فى مستقبل ((المرحوم)) .

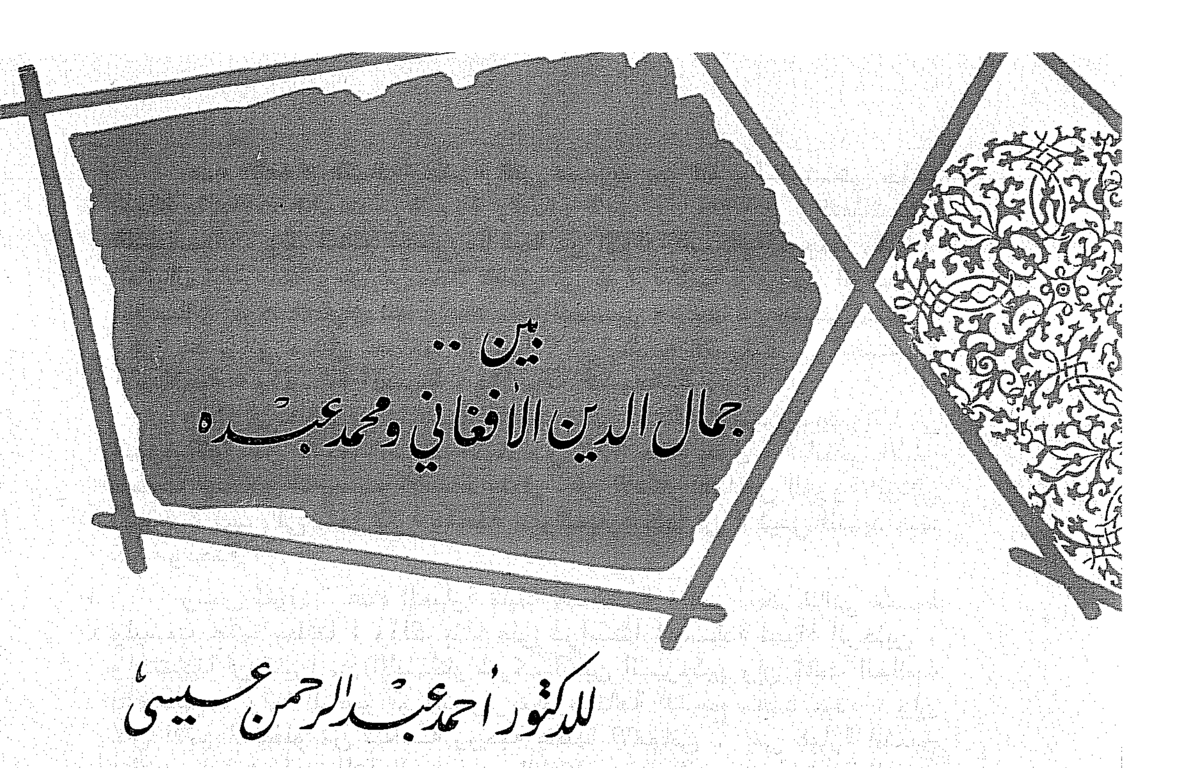


وهى قضية هامة من قضايا الأدب المعاصر ، ثار فيها الحديث أخيرا وتشعب ، فرأينا أن نتناولها بالـــدرس والتحليل ، مع التزام الحيدة وتحرى الموضوعية . ونقدم بين يديها بهذا التمهيد فنقول :

فى سنة ١٨٨٤ م كان جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده يوجهان العالم الاسلامى وبلاد الشرق من قلب باريس وكأن الذين حاكموا الشيخ محمد عبده على سهمه فى الثورة العرابية ، لم يحكموا عليه بالنفى وانما كلفوه بالسفر الى الخارج فى مهمة عظمى ، هى مواصلة الثورة العرابية من وراء البحار . لقد نفى جمال الدين من مصر فى أغسطس سنة ١٨٧٩ وسط أحداث ضخام ، ونفى محمد عبده منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٢ أثر ملمـــات كبار ، وشاء الله أن يلتقيا بمدينة باريس أواخر سنة ١٨٨٣ لكى يستأنفا جهادا مشتركا كان قد انقطع منذ قرابة خمس سنوات .

إن مصر حينئذ جريحـــة ، والعالم الاسلامى مدمى . فما مدى عمق هذه الجراح فى نفس الامامين . وما خطة العمل وكلاهما ذو إرادة مـــن حديد ؟ . لا بد من عمل له ظاهر وباطن كما كانت خطة الأفغانى فى مصر . كانت له فى باريس جماعة سرية تتغلغل فى أنحاء العـــالم الاسلامى هى « جماعة العروة الوثقى » وصحافة ناطقة تعمل جهارا أو فى وضح النهار هى « مجلة العروة الوثقى » .

قامت إدارة المجلة فى غرفة صغيرة على سطح منزل قريب من ميدان المادلين بباريس . كل شىء فيها يتميز بالبساطة . المفكر جمال الدين ، والمحرر محمد عبده يتناقشـان ويتحاوران وتهوى إليهما أفئدة من المثقفين الاسلاميين ، حيث ينطلق لسان الأفغانى ، ويجرى قلم محمد عبده ، وتصدر الجريدة فى يوم معين من الأسبوع ، واختارا أن يكون يوم الخميس لتتكون السجعة مع كلمة باريس فتنطبـــع فى ذهن القارىء عبارة موســـيقية هى « باريس فى يوم الخميس » ويصدر منها ثمانية عشر عددا فقط هى كل ما سمحت به الاقدار . وحينئذ قامت العروة الوثقى بعمل فريد توحدت بـــه فى الميدان ، وهو مقاومة الاستعمار البريطانى لمصر فى أول عهده . إذ لم



للدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى

تكن حينذاك صحافة عربية على الاطلاق تواجه الانجليز فى هذه الفترة ، لا فى مصر ولا فى الخارج . ولقد ذاق منها الانجليز الأمَرَّين حتى أسكتوا صوتها فسكتت المعارضة الى أن قامت جريدة المؤيد بعد عدة سنين فى القاهرة . وكان للمجلة وجمعيتها غرض بعيد ، وغرض قريب . كان غرضها البعيد هو إعادة الحكم الاسلامى ، وهداية الدين الى ما كانا عليه من الطهارة والعدل والكمال فى العصر الاسلامى الأول ، وذلك بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الرشيدة فى الدين ، وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام فى أمور الدنيا ، ويتبع هذا انقاذ المسلمين والشرقيين من ذل الاستعمار .

أما الغرض القريب فهو إنقاذ مصر والسودان من قبضة الاحتلال البريطانى .

صدر العدد الأول من مجلة العروة الوثقى بباريس فى يوم الخميس ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ ١٣ مارس ١٨٨٤ وأبرز ما فيه هذه المقالات : فاتحة الجريدة ومنهجها ، سياسة انكلترة فى الشرق ، مصر كما جاءت به هذه التعليقات ، اعجوبة غريبة ، غوردون باشا .

وتتوالى الأعداد حتى يصدر العدد الثامن عشر فى يوم الخميس ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٠١ هـ ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٤م وبه هذه المقالات : الجبن ، زلزال الانجليز فى السودان ، عماء بعض الناس فى مصر أو تعاميهم عن مقاصد الانجليز فيها . وقد كان هذا العدد آخر خفقة فى السراج ، فقد تألب عليها الانكليز ومعاونوهم الخانعون لهم من الحكام المسلمين والشرقيين ، حتى أسكتوا صوتها وأغلقوا بابها ، وافترق قطباها فراقا لا لقاء بعده .

هذه الاعداد الثمانية عشرة التى صدرت من العروة الوثقى جاءت حافلة بالمقالات الضافية والعمود ونصف العمود والأخبار والتعليقات السياسية . ولو ذهبنا نحصى ما فيها من المواد الصحفية لوجدنا مقالاتها الطوال تبلغ ستة وعشرين مقالا تتدفق فى حرارة كأنها قبس من الرحمن . أما سائر المواد الأخرى فقد زادت على السبعين ، وفيها فن صحفى ممتاز ، وهى تخدم فى صدق أهدافها الأربعة : الرابطة الشرقية ، والجامعة الاسلامية ، والمسألة المصرية ، والمسألة السودانية .

وقبل أن ندخل فى مناقشة القضية ننقل ما قاله السيد رشيد رضا فى الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الامام ص ٢٨٩ حيث يقول : « أنبأنى الأمير شكيب أرسلان أنه سمع الأستاذ يقول : إن الأفكار كلها فى العروة الوثقى للسيد ، ليس لى منها فكرة واحدة . والعبارة كلها لى ، ليس للسيد منها كلمة واحدة » .

ونحن نقول : هذه العبارة قابلة للمناقشة ، فهى حكم غالبى فقط وليست حكما مطلقا ، وذلك بناء على دراستنا الجادة لحياة الرجلين ، واعتقادنا أن كثيرا من الأفكار شركة بين الرجلين وإن كانت الغالبية للأفغانى . وأما التعبير أو التحرير فهو صناعة الشيخ محمد عبده ، وإن كان الأمر لا يخلو من نفحة روحية ينفثها الأفغانى . فى عبارة الشيخ فتأتى حارة قوية منطلقة العبارة . وإذا كان جمال الدين قوة دافعة للشيخ محمد عبده ، فان هذا الشيخ كان سماء سطع بها كوكب الأفغانى ، ولولاه ما كانت للأفغانى هذه العروة الوثقى .

ونناقش قضية الشيوع الأدبى بين قطبى العروة الوثقى فنقول : هناك جماعة تعصبوا لجمال الدين الأفغانى فنسبوا له مقالات العروة الوثقى وعدوها من خاصة آثاره ، وأصدروا فى ذلك أحكاما يجورون فيها على الشيخ محمد عبده ، مثل الأستاذ محمد عماره فى كتابه « الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى » .

وجماعة تعصبوا للشيخ محمد عبده ونسبوا له مقالات العروة الوثقى وعدوها من خاصة آثاره ، مثل السيد سعيد رضا فى كتابه « تاريخ الأستاذ الامام » مع أن القضية لا حاجة بها الى التعصب أو التحيز ، فالأمر شركة بين الرجلين ، ولكن صاحب الفضل فى إبرازها الى الوجود هو الشيخ محمد عبده ، تماما كما أظهر أفلاطون فلسفة أستاذه سقراط .

عقد الأستاذ محمد عماره فى كتابه هذا فصلا بعنوان « هذه الأعمال » تناول فيه بالدراسة آثار الأفغانى ، وتعرض لقضية الشيوع بينه وبين الأستاذ الامام فى هذه الآثار . وهى دراسة قيمة ممتعة ولكننا نأخذ عليه أنه غمط الأستاذ الامام حقه وانحاز الى جانب الأفغانى ، دون داع الى ذلك يقول الأستاذ عماره فى ص ١١٧ هذه الأعمال :

« على الرغم من أن جميع المقالات والدراسات والفصول التى خلفها فيلسوفنا الثائر جمال الدين قد طبعت جميعها ... فان القيام بجمع هذه الآثار وتبويبها والتعليق عليها إنما هو عمل أكثر مشقة من التعامل مع المخطوطات . ذلك أن هذه الآثار التى جمعناها والتى خلفها جمال الدين إنما كانت ولا تزال حتى وقتنا هذا تحمل الكثير من صفات منشئها ومحررها

ومبدعها فى كثير من الأحيان . فهى تمتاز بعديد من الصفات وتحكم حياتها مجموعة من الظروف والملابسات أهمها :

١ ــ ذلك الشيوع الذى أصاب هذه الآثار فيما بين جمال الدين الأفغانى وتلميذه وصديقه الأستاذ الامام محمد عبده . . . وهو شيوع دعا اليه اشتراك الاستاذ الامام كمحرر أول فى المجلة التى رسم سياستها وحدد منهجها وأشرف على اصدارها وتحريرها فى باريس وهى مجلة العروة الوثقى .

والمقالات والأبحاث والفصول والدراسات التى نشرت فى هذه المجلة ، والتى اشتمل عليها بعد ذلك كتاب تاريخ « الأستاذ الامام » للشيخ محمد رشيد رضا والتى جمعت مقالاتها وفصولها وأخبارها بعد ذلك فى مجلد خاص يحمل اسمها ، لم تكن لتمهر باسم الكاتب فلم يعرف لمن هذا البحث ولمن هذه المقالة . أهى للأفغانى ، أم للأستاذ الامام » .

فهذه أسئلة لا داعى لها من الاستاذ عماره ، لأن الامر واضح بالنصوص الثابتة التى تقطع بأن الأفكار للأفغانى والتحرير للشيخ محمد عبده على أبسط الأقوال . ولكن يبدو أن الاعجاب الجارف بالأفغانى حجب ضوء الحقيقة عن هذا الكاتب .

ثم يقول : « ومن ثم كان ذلك مصدر الخلط الذى شاع فى عمليات النشر التى حدثت لبعض هذه الآثار ، وكنموذج لذلك ، هذا الخلط الذى أحدثه بعض الناشرين للبحث المعنوَن « التعصب » فبعد أن نشر هذا البحث فى العروة الوثقى ، ثم فى المجلد الذى احتوى على المواد التى نشرت بها نجد « دار نشر الثقافة الاسلامية » تنشر هذا البحث فى كتيب مستقل وتنسبه للأستاذ الامام . . . بينما الحقيقة تؤكد أن هذا البحث إنما هو من إنشاء الأفغانى وبقلمه ، بدليل وروده فى كتاب « خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى » الذى جمعه مريده وتابعه محمد باشا المخزومى وبدليل ذكر الأفغانى صراحة لهذه الحقيقة فى هذا الكتاب كما نقل ذلك عنه المخزومى . وبالدليل الذى تجسده الدراسة البيانية لأسلوب الأفغانى والقسمات التى تميزه عن أسلوب الأستاذ الامام ومحاكمة هذا البحث الى هذه القسمات .

ونموذج آخر لهذا الخلط نجده عندما نتصفح ذلك الكتاب الذى أعده الاستاذ طاهر الطناحى والذى نشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كأثر من آثار الاستاذ الامام تحت عنوان « الاسلام دين العلم والمدنية » حيث تجد بين فصوله ذلك البحث المعنون بعنوان « الاسلام والنصرانية » وهو البحث الذى دبجه يراع الأفغانى وصاغه عقله ثم نشر بالعروة الوثقى ... اهـ

ونحن نقول : هذه دعوى مبالغ فيها ، فان الدارس لمواد العروة الوثقى لا يجد حدا فاصلا بين هذين المقالين مثلا وبين غيرهما من المقالات والفصول حتى نقطع بنسبتهما الكاملة الى الأفغانى وبراءة محمد عبده منهما أو براءتهما منه ، ففيهما كل ما فى غيرهما من الطابع العام للمقالات وهو روح الأفغانى وقلم محمد عبده . ثم إنا لا نجد فرقا كبيرا بين أسلوب الشيخ محمد عبده فى مقالات الوقائع وبين أسلوبه فى مقالات العروة الوثقى إلا فى الارتقاء بالفكرة وعمومها تبعا لموضوعات الكتابة ، فهو فى الوقائع مصرى يكتب للمصريين ، وفى العروة الوثقى مسلم وشرقى يكتب

للمسلمين وللشرقيين ، ولكن الترسل هنا هو ترسل الشيخ محمد عبده ، والانطلاق هو انطلاقه . فلا داعى اذن لهـذا العزل بين مقالات ومقالات ، وبخاصة أن أدلة العزل غير كافية ولا ناهضة بالحجة فى هذه السبيل . ثم هناك دليل قريب على أن أسلوب الأفغانى من غير محمد عبده إنما هو أسلوب مغاير لهـذه المقالات تماما . ذلك الدليل هو كتاب الأفغانى الذى وجهه الى الشيخ محمد عبده من بور سعيد وهو يعبرها الى لندن فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م وكان الشيخ محمد عبده فى غيابة السجن رهين المحاكمة مع العرابيين ، وجمال الدين لا يعلم شيئا عن هذا المصير المؤلم . فأسلوب هذا الكتاب أسلوب أفغانى حقا لا عربى صريح . ويكفى أن نذكر منه قول الأفغانى « ... والمحمدة شهادة تبعث ملكوت وحدانية الهيئة على بثها متشخصات الطبيعة فى مشهد العالم ... »

وبعد أن أورد الأستاذ محمد عماره أن أسباب الخلط ذلك الشيوع أولا ، وطريقة الأفغانى بأنه يملى وغيره يكتب له ثانيا ، واصابته بالنفى المتتابع ثالثا ، تراه يقول : « وهناك سبب رابع أدى الى هـذا الخلط وهو ذلك الخطـأ الفكرى الذى سلك أفكار الأستاذ الامام فى سـلك أفكار الأفغانى من الناحية الموضوعية ... فاعتبر البعض خطأ أن أفكار الرجلين انما تمثل مدرسة واحدة . ومن ثم شجع ذلك الموقف بعض الناشرين على نسبة بعض آثار الأفغانى للأستاذ الامام ... بينما نجد أن بين فكر الرجلين العديد من نقاط التمايز بل والاختلاف ، والتى نسوق كنموذج لها بعض الأمثلة فى هـذا الباب ، وهى أمثلة للتمايز فى المضمون وأيضا فى الشكل والأسلوب والصياغات ، فالأفغانى ثورى ومحمد عبده مصلح ...

وبينما نجد فكر الأفغانى ذا صبغة فلسفية ... فانا نجد افكار الأستاذ الامام تتحرك فى الاطار الوعظى ... والأفغانى صاحب أفق أوسع بكثير من أفق الاستاذ الامام ... ومحمد عبده عالم من علماء الدين الاسلامى بينما الأفغانى مثقف .. هذا الى خاصية التمايز بين آثار الرجلين فى الاسلوب والشكل والصياغات ... فالافغانى صاحب جملة ذات طول فى التركيب بينمـا كان الاستاذ الامام صاحب جملـة قصيرة التركيب محـدودة الألفـاظ ... » ا هـ

ونحن نقول : ما دام الأفغانى ثوريا مفكرا ، والشيخ محمـد عبده مصلحا محررا ، فكلاهما مكمل للآخر متمم لمعالم صورته ، وقد استقر بينهما من التوافق العاطفى والواقع العملى ما جعلهما مدرسة واحدة تميز بهـا الربع الاخير من القرن التاسع على مدى الصعيدين الاسلامى والشرقى معا ، وقاما بعمل فى الجمعية ومجلتها ما كان يمكن أن يتم بأحدهما دون الآخر بالذات .

والكلمة الفاصلة فى تميز أسلوب كل من الرجلين هى الاحتكام الى جملة رسائل لكل منهما بعيدا عن صاحبه نسوقها وهى تحمل خصائص كل منهما وتدل على تحديد نسبتها الى صاحبها الذى صدرت عنه . ونبدأ بنماذج للأفغانى فنقول : ذكرنا عبارة من كتاب جمال الـدين وهو يعبر بور سعيد الى لندن وقد وجهه الى الشيخ محمد عبده ، ويكفى هنا أن نشير الى شىء ورد فى هذا الكتاب ، وذلك أن جمال الدين ذيله بحاشيتين يطلب فى الثانية منهما أن يقوم الشيخ محمد عبده بنشر كتاب معين لجمال الدين

فى الجرائد المصرية بعبارة فصيحة فما معنى هذا الطلب من جمال الـــدين وتكليفه الشيخ محمد عبده بحكاية العبارة الفصيحة ؟ معنى هـــذا أن كلام الأفغانى باعترافه هو لا يصلح للنشر الا بعبارة الشيخ محمد عبده الفصيحة ؟ والفصاحة فى الكلام خلوصه من تنافر الكلمات ، ومن ضعف التأليف ، ومن التعقيد اللفظى والمعنوى ، مع فصاحة مفرداته . ويقول السيد رشيد رضا فى الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ص ٢٨٢ : « كان السيد ــ جمال الدين ــ كثيرا ما يحلى الاعلام بالالف واللام كأكثر الأعاجم » وذلك مثل : سعد الزغلول وبرط السعيد والأوربا ونحوها .

وهاك نموذجا آخر : فى سنة ١٨٩٠ منحت حكومة فارس حق احتكار التمباك لشركة انجليزية ، وكان جمال الدين فى البصرة يتابع أنصاره فى فارس ، ففزع لذلــك وكتب رسالة الى ميــرزا حسن الشيرازى رئيس المجتهدين ، يطلب منه إصدار فتوى بحرمة التمباك ، لكى يمتنع العامـــة عن تدخينه ويفشل المشروع الانجليزى . وهى رسالة طويلة كما أوردها السيد رشيد رضا ويكفى أن نذكر منها حديث الأفغانى عن علماء فارس حيث يقول : « وهؤلاء لتماثلهم فى مدارج العلوم ، وتشاكلهم فى الرئاسة وتساويهم فى الرتب غالبا عند العامة ، لا ينجذب بعضهم الى بعض ، ولا يصير احد منهم لصقا للآخر ، ولا يقع بينهم تأثير الجـــذب وتأثر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وجدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره ، وكل يردع الزور وهو فى مركزه » ...

فجمال الدين فى هـــذه الفقرة يدعو علماء فارس الى الاتحاد والوقوف صفا واحدا لقيادة العامة فى الجهاد . ولكن عبارته فلسفية مشـــحونة بمصطلحات علمية مثل الجذب والانجذاب ، والتأثير والتأثر ، والمحور والمركز . وان كنا نلمح فيها حقا قوة فى اختيار الألفاظ مثل الدفع والردع والحوزة ، وقد وردت فى هذه الرسالة فقــرات أخرى اشـــد من ذلك . والنماذج كثيرة نكتفى منها بنموذج ثالث :

كتب الأفغانى مقالا عنوانه « تنازع البقاء » بداه بأفكار علمية فلسفية وانتهى فيه الى الحديث عن استعمار الانجليز للهند ، وتسلط اسبانيا على مراكش . وقد نشر المقال فى كتاب « خاطرات جمال الدين الأفغانى » ومن عباراته : « ولا تظهر وتتعين القوة إلا بإضعافها الغير وتسخيرها لها . وما كان قوة فى طبقة بعض الأحيان يكون ضعفا مع الأقوى فيها . وهى والحالة هذه نسبية . » فقوله : وتسخيرها لها ، كان الصواب أن يقول : وتسخيرها له ، أى تسخير القوة للغير . هذا الى خلو العبارة من إشراق الأسلوب العربى . فأين هذا من ترسل الأستاذ الامام فى الوقائع بعيدا عن الأفغانى ، حتى الكتابة الفلسفية نرى فيها وضوح الفكر عند محمد عبده كما فى مقالاته التى رد بها على ها نوتو وكانت أساسا لكتابه الاسلام والنصرانية على حين نفتقد هذا الوضوح عند الأفغانى كما فى مقاله تنـــازع البقاء .

إن جمال التصوير وهدوء صفحة التعبير قد اختص بهما الشيخ محمد عبده وكانا فيضا من عذوبة نفسه ، ويكفى انه كتب أحد عشر مقالا فى الأدب السياحى تصور مذهبه فى الفلسفة الأدبية الرائقة ، ونذكر منها هذا النموذج الذى كتبه فى نهاية رحلته الى صقلية حيث يقول : « البحر هادىء والهواء عليل ، وقد قرب الغروب ، واليوم آخر أيام السفر ، وأنا محبوس

فى هذا المكان الضيق لتحرير هذه الأحرف اجابة لطلب بعض الناس ، وبودى لو أستنشق الهواء ، لكن بقيت على قصة اقصها ولو تركتها بعد اليوم لم يعد إليها القلم فى يوم » . .

ونحن فى دراستنا الجادة لمقالات العروة الوثقى وموادها استطعنا أن نخرج بالحقائق التالية التى تعتبر خصائص مميزة لقلم الشيخ محمد عبده فى العروة الوثقى وهى :

١ ــ التصوير الفنى وهو تجسيم المعنويات واعطاؤها المنظر الملموس حتى لكأنها تدرك بالحواس الظاهرة .

٢ ــ الاعتماد على التشبيه بصوره البلاغية المختلفة ، وبخاصة ما اذا كان يسوقه تأييدا للفكرة .

٣ ــ الطريقة الجدلية التى تفترض الشيء وترد عليه بالجواب الشافى، وهى طريقة أزهرية ناجعة .

٤ ــ العبارات الموحية وما تقتضيه من الفاظ مناسبة .

٥ ــ كثير من المقالات عنوانه آية كريمة ، وقد يكون البعض حديثا نبويا ، وجميع المقالات تختم بالدعاء المقتبس من آى الذكر الحكيم . .

وقد يهدينا هذا الصنيع الى فكرة جديدة فى الصحافة الدينية التى لم يعرفها العالم الاسلامى الا بظهور العروة الوثقى ، هذه الفكرة هى مزج الكتابة السياسية بالكتابة الدينية .

والواقع أن صحيفة العروة الوثقى نوع فريد من الصحافة يعتبر ظهوره مبكرا فى ذلك العصر .

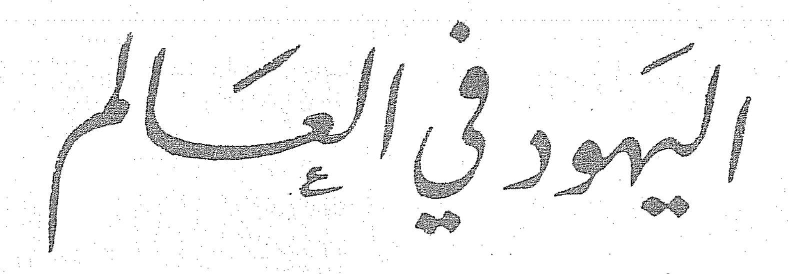
٦ ــ يستتبع ذلك ما نراه فيها من سعة الأفق وشمول الثقافة ، وهذا من سمات جمال الدين ، وقد وجد فى قلم الشيخ محمد عبده معرضا لما اتسم بـه .

٧ ــ ظهرت فى أسلوب الصحيفة لازمة خاصة من لوازم الشيخ محمد عبده وهى استعمال صيغة الكثرة ((فَعَلَة)) كقوله : سكنة وملكة ونقلة وحملة . جمع ساكن ومالك وناقل وحامل .

واخيرا يقول السيد رشيد رضا : « وقد رأينا لكل من هذين الحكيمين مقالات كتباها بعد ذلك فلم نرَ لها من الروعة والدهشة والسلطان على الأرواح ما لمقالات العروة الوثقى . بل قال لى الاستاذ الامام نفسه إننى لا أستطيع أن اكتب الآن مثلها ، وعلل ذلك بتأثير الزمان والمكان والحال والانفعال والآمال .

ولو اتسعت لنا صفحات هذه المجلة المباركة لرجونا أن نقدم لقرائها الكثير من الدراسات الجادة حول جمعية العروة الوثقى ومجلتها وأثرها فى خلق الصحافة الدينية ، وصراعها الفكرى والسياسى ، ومعركة الحياة لها مع الشاغبين عليها من قوى الشرق والغرب ، وما تفرد به قطباها من عمل عظيم .

الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى ..



يقــدر الكتاب اليهودى السنوى عدد اليهود فى العالم عام ١٩٦٨ بما يقرب من ١٣٫٢٥٦٫٠٠٠ يهــودى ، منهم ٣٫٧٠٨٫٠٠٠ يهودى فــى أوروبـــــه ، واكثر مـــن ٦٫٧٦٩٫٠٠٠ يهـــــودى فى الامــريكيتين و ٢٫٤٧٩٫٠٠٠ فى آسية (منهم ٢٫٣٦٥٫٠٠٠ فى فلسطين المحتلة واكثر من ٢٢٨٫٠٠٠ فى افريقية .

واذا ما نظرنا الى توزيع اليهود فى العالم نجد انهم يتركزون بشكل كثيف فى ثلاثة مراكز رئيسية فى العالم تاتى الولايات المتحدة الامريكية فى المقدمة ويوجد بها ٥٫٧٢٠٫٠٠٠ يهودى او ما يقرب من ٤٢٪ من يهــود العالم ، ثم يليها الاتحاد السوفياتى ويضم ٢٫٤٨٦٫٠٠٠ يهودى او ما يقرب من ١٩٪ من يهود العالم ثم يلى ذلك فلسطين المحتلة وتضم ٢٫٢٩٩٫٠٠٠ يهودى او ما يقرب من ١٧٪ من يهود العالم اما باقى يهــود العالم وهم قرابة ثلاثة ملايين يهودى فموزعون على حوالى مائة بلد فى العالم .

الـــــدولة	عدد اليهـــود	الـــــدولة	عدد اليهـــود
الولايات المتحدة	٥٫٧٢٠٫٠٠٠	مراكش	٥٥٫٠٠٠
اسرائيـــل	٢٫٣٦٥٫٠٠٠	أروجواى	٤٨٫٠٠٠
الاتحاد السوفياتى	٢٫٢٦٨٫٠٠٠	بلجيكية	٤٠٫٠٠٠
فرنسة	٥٣٠٫٠٠٠	تركية	٣٩٫٠٠٠
الارجنتين	٤٧٥٫٠٠٠	تشيلى	٣٦٫٠٠٠
بريطانيا العظمى		ايطالية	٣٥٫٠٠٠
وشمال ايرلنده	٤٥٠٫٠٠٠	المكسيك	٣٠٫٠٠٠
كنـــده	٢٨٠٫٠٠٠	المانيا الغربية بما فيها	
البرازيل	١٤٠٫٠٠٠	برلين الغربية	٢٦٫١٠٠
جنوب أفريقية	١١٦٫٠٠٠	هولنـــدة	٢٢٫٠٠٠
رومانية	١٠٠٫٠٠٠	بولندة	٢٠٫٠٠٠
المجـــر	٨٠٫٠٠٠	تونس	٢٠٫٠٠٠
ايران	٧٥٫٠٠٠	سويسرا	١٩٫٠٠٠
استرالية	٦٧٫٠٠٠	اثيوبية	١٥٫٥٠٠

الدولة	عدد اليهود	الدولة	عدد اليهود
الهند	١٤ر٤٥٠	النرويج	٩٠٠
تشكسلوفاكية	١٤ر٠٠٠	جامايكه	٨٥٠
السويد	١٣ر٠٠٠	افغانستان	٨٠٠
النمسة	١١ر٥٠٠	البرتغال	٨٠٠
كولمبية	١٠ر٠٠٠	اليابان	٨٠٠
فنزويلة	٩ر٠٠٠	زامبية	٧٠٠
لبنان	٧ر٠٠٠	كينية	٧٠٠
يوغسلافية	٦ر٥٠٠	جبل طارق	٦٥٠
بلغارية	٦ر٠٠٠	الفلبين	٥٠٠
العراق	٦ر٠٠٠	سنغافورة	٤٥٠
الدانمارك	٦ر٠٠٠	السلفادور	٣٠٠
اسبانية	٥ر٠٠٠	الكونجو	٣٠٠
روديسية	٥ر٠٠٠	بورتوريكو	٢٥٠
اليونان	٥ر٠٠٠	الباكستان	٢٥٠
نيوزلندة	٤ر٥٠٠	الدومنيكان	٢٥٠
ايرلندة	٤ر٠٠٠	البانية	٢٠٠
بوليفية	٤ر٠٠٠	بورمة	٢٠٠
بيرو	٤ر٠٠٠	الجزر العذراء	٢٠٠
سورية	٤ر٠٠٠	نيكاراجوه	٢٠٠
كوبة	٢ر٤٠٠	هونج كونج	٢٠٠
بنمة	٢ر٠٠٠	البحرين	١٥٠
الجزائر	٢ر٠٠٠	هندوراس	١٥٠
ج.ع.م	٢ر٠٠٠	اندونيسية	١٠٠
ليبية	٢ر٠٠٠	هايتي	١٠٠
فنلندة	١ر٧٠٠	بربادوس	٨٠
المانيا الشرقية بما فيها برلين الشرقية	١ر٤٠٠	تايلند	٦٠
كورستاريكه	١ر٥٠٠	ترينيداد	٦٠
براجواي	١ر٢٠٠	مالطة	٣٠
لكسمبرج	١ر٢٠٠	الصين	٢٥
جواتيماله	١ر٢٠٠	قبرص	٢٥
اليمن	١ر٠٠٠		

المصدر :

The Jewish Year Book, London, 1968, PP. 187 - 188.

قائمة بأهم الوقائع التي حدثت في فلسطين

حسب الترتيب الزمني

اولا :

قبل التاريخ المدون .

العام	الوقائع
فى نحو ٢٠٠ر٠٠٠ ق.م	سكن البشر فلسطين . وكانوا صيادين
فى نحو ١٥٠ر٠٠٠ ق.م	معرفة الفلسطينيين للنار .
فى نحو ١٢ر٠٠٠ — ٦٠٠٠ ق.م	دجن الفلسطينيون الكلب وغيره من الحيوانات واخذوا يعتمدون فى معيشتهم على الصيد والرعى . وفى الفترة الاخيرة زرعوا القمح وغيره وابتداوا ينشئون المدن .
فى نحو ٦٠٠٠ ق.م	نزل بعض سكان الجزيرة العربية فلسطين واستقروا فيها .
فى نحو ٥٠٠٠ ق.م	اخترع الفلسطينيون صناعة الخزف .
فى نحو ٤٠٠٠ ق.م	استعمل الفلسطينيون النحاس .

ثانيا :

بعد التاريخ المدون حتى الفتح العربى الاسلامى :

العام	الوقائع
فى نحو ٢٥٠٠ ق.م	استقرار القبائل الأمورية — الكنعانية العربية فى فلسطين .
فى نحو ١٨٠٥ ق.م	هجرة النبى ابراهيم من العراق الى فلسطين .
فى نحو ١٦٧٥ — ١٥٨٠ ق.م	حكم الهكسوس لمصر .
فى نحو ١٦٥٦ ق.م	نزوح احفاد ابراهيم من فلسطين الى مصر .
فى نحو ١٥٧٠ ق.م	سقوط (شاروحين) المدينة الفلسطينية بيد القوات المصرية .
فى نحو ١٥٠٠ ق.م	استقرار القبائل الآرامية فى شمال الشام وجنوبه الشرقى .
فى نحو ١٤٧٩ ق.م	سقوط (مجدو) بيد المصريين وتثبيت الحكم المصرى فى فلسطين .

فى نحو ١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق٠م	تعرضت فلسطين لغارات البدو (الخابيرى) .
فى نحو ١١٨٦ ق٠م	غارة اليهود على فلسطين وسقوط أريحا بأيديهم .
فى نحو ١١٨٤ ق٠م	نزول الفلسطينيين الآتون من كريد ، وأدخلوا معهم اليهـا صناعة الحديد .
فى نحو ١١٥٠ ق٠م	تقلص النفوذ المصرى عن فلسطين .
فى نحو ١٠٢٠ ق٠م	انتخاب طالوت (شاول) ملكا على اليهود .
فى نحو ٩٢٣ ق٠م	انتهاء حكم الملـك سليمان بن داود وانقسام المملكـة اليهودية .
فى ٨٥٣ ق٠م	معركة (قرقر) بين الاشوريين ودول الشام .
فى ٧٣٢ ق٠م	خضوع فلسطين للحكم الاشورى .
فى ٧٢٢ ق٠م	زوال المملكة الاسرائيلية .
فى ٦٠٨ ق٠م	عودة الحكم المصرى لفلسطين .
فى ٦٠٥ ق٠م	خضوع بلاد الشام للكلدانيين .
فى ٥٨٦ ق٠م	زوال المملكة اليهودية وخراب القـدس .
فى ٥٣٨ ق٠م	فتح الفرس لفلسطين .
فى ٣٣٢ ق٠م	فتح الاسكندر المقدونى لفلسطين .
فى ٣٠١ ق٠م	ابتداء حكم البطالسة .
فى ١٩٨ ق٠م	ابتداء حكم السلوقيين .
١٦٧ ق٠م	ثورة المكابيين .
٦٣ ق٠م	دخول الرومان لفلسطين .
٤٠ ق٠م	استيلاء الفرس على فلسطين .
٣٨ ق٠م	عودة الحكم الرومانى للبـلاد .
٣٧ ق٠م	القضاء على المكابيين وابتداء حكم الهرادسة فى فلسطين .
٤ ق٠م	وفاة هيردوس الكبير وولادة سيدنا عيسى عليه السلام .
٧٠ م	خراب القدس على يد طيطوس الرومانى .
١٠٠ م	انتهاء حكم الهرادسة .
١٣٥ م	اخماد ثورة (بركوكب) اليهودى ضد الرومان وتشتت اليهـود فى اقطار العالم .
فى ١٩٥ م	انقسام الامبراطورية الرومانية ودخول فلسطين تحت حكم الامبراطورية الرومانية الشرقية .
فى نحو ٢٦٧ م	احتلال زنوبيا ملكة تدمـر لفلسطين .
فى نحو ٢٧٢ م	انتهاء مملكة تدمر وعودة الحكم الرومانى للبلاد .
٦١٤ م	احتلال الفرس لفلسطين .
٦٢٧ م	عودة الحكم الرومانى للبلاد .
٦٣٦ م	استيلاء العرب المسلمين على فلسطين .

---

* كتاب بلادنا فلسطين للاستاذ مصطفى الدباغ .



وانطفأت.. الفتنة

فتنة بابك الخرمي

للأستاذ
أحمد محمد السفاريني

المنظـــر : قصر المعتصم فى سامراء ، على بوابته الضخمـــة ثلاثة من المماليك ، غلاظ شداد ، يعترضون سبيل كل غاد ورائح . الى القصر . فيقف يظهر جندىقادما عند البوابة .

الجنــدى : سلام الله عليكم . أين الطريق الى ديوان الخليفة ؟

احد الحجاب : وعليك السلام ، من الرجل ؟ وماذا تريد من أمير المؤمنين ؟

الجنـــدى : رسول اليه من قائده الأفشين ، واريد مقابلة الخليفة المعتصم الساعة .

الحـــاجب : وهل تحمل إليه كتابا ؟

الجنـــدى : اجل ، فهذا كتاب مختوم الى أمير المؤمنين من القائد الأفشين .

الحـــاجب : انتظر قليـــلا .

الجنـــدى : قل له انى احمل اليه بشرى عظيمة فأخبارى تهم الخليفـــة وتبهجه .

« يغيب الحاجب داخل القصر ، ويدخل مجلس الخليفة » .

الحـــاجب : مولاى ، بالبـــاب جندى يقول انه رســـول القـــائد الأفشين لأمير المؤمنين .

الخليفـــة : عجل بـــه الينا ، عساه ينقل الينا اخبارا سارة ... لقـــد طال بنا أمر هذا الرومى الخبيث بابك الخرمى .

الحـــاجب : امر مولاى أمير المؤمنين فى الحـــال .

« يخرج الحاجب ويتجه الى البوابة حيث ينتظر الجنـــدى بكتابه » .

احد الجالسين : ان الله ناصر عباده المؤمنين ولا بد يا أمير المؤمنين .

آخـــر : اخبار الأفشين منذ شهر تنبىء بالفوز القريب ان شاء الله .

ثـــالث : انى احدث نفسى بأن الأفشين قد قتل بابك وها هو يرســـل بالبشارة الى أمير المؤمنين .

الخليفـــــة : أنا لا اريد بابك قتيـــلا ، ولكنى اتمنى ان يحضره الىّ اسيرا ، لأجعله آية وعبرة لكل العالمين .

الأول : لقد غدر بابك بأمير المؤمنين ، وقاتل جنده ، وبغى فى تصرفه المشين .

الخليفـــة : هذا كله اهون على من فعلته النكراء تلك ، يا للكافـــر المتمرد يريد أن يعيد الوثنية الى الأرض بعد أن محاها دين الحق ؟!!

الحـــــاجب : « يعلن عن مقدم الجندى » رسول القائد الأفشين .

الجنـــدى : « يدخل ديوان الخليفة » السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

الخليفـــة : وعليك سلام الله ، من أين يا اخا العرب ؟

الجنـــدى : من ارض المعركة يا خليفة رسول الله ، بعد أن أيدنا اللـــه بالنصر المبين .

الخليفـــة : وماذا تحمل الينا من أنباء ؟

الجنـــدى : رسالة من قائد الجيش الأفشين .

« يقدم الجندى الرسالة الى الخليفة فيتناولها ويسلمها الى الوزير »

الخليفــــــة : وكيف كان لقاؤكم لبابك الخرمى أيها الجندى ؟
الجنــدى : كما يلاقى جنود الحق أتباع الباطل .. وتحت راية الاسلام ، ولواء أمير المؤمنين ينتصف الحق وأهله .
الخليفــة : بورك فيك من جندى مؤمن يثق بربه وبأميره وبنفسه ، وهذه دعائم النصر .
الجنــدى : لقد آمنا بربنا وبنصره لنا « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .
الجميـــع : صدق الله العظيم .
الخليفــة : ما أعظم الاسلام عقيدة للمؤمن ، وشريعة للحق ، وطريقا للعزة والغلبة .
الجنــدى : سوف يبقى نور الاسلام قبسا مضيئا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
الخليفــة : صدقت يا بنى . ونعمت العزمات الصادقة .
الوزيــر : أبشر أمير المؤمنين بالنصر والتأييد من الله القوى العزيز .
الخليفــة : ماذا قرأت فى كتاب الأفشين اسممنا .
الوزيــر : كل الخير يا مولاى ..
« يقرأ الكتاب » بسم الله الرحمن الرحيم .
من قائد جيش المسلمين الى خليفة رسول الله مولاى المعتصم ابن هارون الرشيد .
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد ،
« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » لقد خذل الله عدوك ، وأوقع جنده فى أيدينا ، فهو أسير لدينا ، سنتقدم به الى دار الخلافة ، بانتظار توجيهاتكم .
أدام الله عز أمير المؤمنين .
الخليفــــــة : يا للبشرى الكريمة ، اليوم من أيام الله الكريمة على كل المسلمين .
الأول : وماذا ينوى الخليفة أن يفعل بالخائن الكافر الأفشين ؟
الثــانى : نريدها يا أمير المؤمنين عقوبة تذكر ، فتنزل الرعب فى قلوب المنافقين .
الثــالث : بل قل نريدها قصاصا يحمى الدولة من عبث العابثين ، وتعيد الى الاسلام نضارته ، ويعتز بها كل مؤمن .
الخليفــة : وهل أمامنا غير ما حكم الله به على البغاة الخارجين على السلطان ، ان فيه الحياة والحكمة .
الأول : أرى أن تشعل نار كبيرة يجتمع الناس من حولها ، ثم يلقى فيها هو ومن معه من المجرمين .
الخليفــة : بئس الرأى ، ألم تعلم أن الله وحده هو الذى يعذب بالنار ؟!
الثــانى : اذن نلقى به فى نهر عظيم بعد أن نوثقه بحبل نربط به يديه ورجليه .
الخليفــة : كلا يا قوم ، فحكم الله أولى بالاتباع مما تقولون ، ويتهيأ لكم « بسم الله الرحمن الرحيم » :
« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » صدق الله العظيم .

الثـــالث	: اصبت والله يا أمير المؤمنين ، وما كان لنا ان نتعدى حكم الله وقد نصرنا ونصر دينه ، وانتقم بنا من اعدائنا واعدائه .
الوزيـــر	: تلك هى شريعة الله ، فلتنزل بهذا الفاجر العقوبة التى يستحق .
الخليفــة	: أجل يا قوم ، فهذا أمر ينبغى أن تحفظه الأجيال القادمة ، لتعلم ان الله الذى انزل على رسوله كتابه ، حافظ له ومؤيده .
الوزيـــر	: لو كتبت الى الآفاق مبشرا بهذا الفتح العظيم يا أمير المؤمنين ؟
الخليفــة	: أجل ، أجل ، أين الكاتب . ؟
الكــاتب	: ها أنذا يا أمير المؤمنين .
الخليفــة	: هات دواتك وقرطاسك ، واكتب :
الكــاتب	: انا مستعد يا مولاى :
الخليفــة	: اكتب : أيها المسلمون ، بشراكم اليوم بنصر الله « نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » لقد خذل الله عدوه ، وهو اسيرنا فأقيموا صلاة الشكر فى كل مكان .
الوزيـــر	: انوجه بهذا الكتاب الى الأمصار يا أمير المؤمنين ؟
الخليفــة	: نعم ، أرسلوا به الى كل مكان ليكون السكينة تدخل الى قلب كل مؤمن .
الوزيـــر	: والجندى هذا ، الذى جاء بالبشرى ؟ !
الخليفــة	: دعه ينتظر الى الغداة ، لنوجه معه كتابا الى الأفشين ، بشأن بابك الكافر .
الوزيـــر	: أيها الحاجب ، خذ هذا الجندى ، وانزله مكرما فى ضيافة الخليفة الى صباح الغد .
الخليفــة	: واخلع عليه حلتين وسلمه الفى درهم .

الفصل الثانى

« فى معسكر الأفشين وقد ضربت له خيمة كبيرة ، فجلس فيها ومن حوله قواده ينتظر وصول بابك الخرمى » .

الأفشيــن	: قم أبا سعيد ، فانظر أين وصل الفرسان مع بابك ؟ فقد ابطأوا علينا .
أبو سعيد	: لقد سبقتهم اليك أيها القائد ، فهم على إثرى قادمون .
الأفشيــن	: اين ابن سنباط ؟
ابن سنباط	: هو ذا أنا يا سيدى القائد .
الأفشيــن	: مر الناس فليصطفوا صفين وليتركوا بينهم طريقا يمر منها بابك الينا .
ابن سنباط	: أيها الجند اصطفوا على جانبى الطريق ، ليمر من أمامكم بابك « يأخذ الجند بتنظيم الناس » .
الأفشيــن	: وماذا فعلتم بمن اسر من الناس فى قصر بابك يا ابن سنباط ؟
ابن سنباط	: لقد جعلناهم فى معسكر كبير يحرسه الجند .
الأفشيــن	: أهم كثير الى هذا الحد ؟
ابن سنباط	: هم اكثر مما تتصور أيها القائد ، فانهم يعدون بالمئات بين امرأة وصبى .
الأفشيــن	: أجروا لهم الأرزاق ، حتى نرى راينا فيهم .

ابن سنباط : ارى ان ترسل الى الآفاق ليحضر من له عند بابك بنت او اخت فيأخذها ، فأولياؤهم احق بهم .

الأفشين : نعم الراى ، اكتب اذن كتابا الى الدهاقين والأمراء بهذا .

ابو سعيد : ها قد وصل بابك الى ابواب المعسكر .

الأفشين : اوقفه قليلا ، وعلى بعد نصف ميل ، واذن فى الناس أن بابك المرتد سيمر من بينهم .

ابو سعيد : هو ذلك ايها القائد « ثم يصيح فى الناس » بابك الخرمى الخارج على ملة الاسلام سيمر بكم ، فاستقبلوه بما يستحق .

الأفشين : يا ابا سعيد لا تجعلوا معه احدا . دعوه يسير وحده .

ابو سعيد : وماذا نلبسه ؟

الأفشين : ما كان يلبس عادة درعه وعمامته وخفيه ، ولا تزيدوا عليه شيئا .

ابو سعيد : أمرك مطاع ايها القائد الكبير .

احد الجند : عدو الله بابك الخرمى .

الناس : « يتصايحون » لعنه الله ، اخزاه الله ، الظالم ، الكافر .

احد الناس : اهذا الذى شغل الخلافة كل هذه المدة ؟

آخر : انه لا يستحق كل هذه الضجة ، وليس على حال تهيؤه لذلك .

الأول : بل قل كيف استطاع أن يجمع من حوله كل هؤلاء الناس ؟

الآخر : انه لعجب عجاب ، فكثيرون من الناس لا يملكون عقولا بها يفكرون .

ابو سعيد : لا تعجل بخطاك يا بابك ، واترك الناس يملأون من وجهك عيونهم ، ليروا عاقبة المفسدين .

الجندى : ايها القائد الأفشين هذا عدو الله بابك الخرمى .

الأفشين : دعه يتقدم حتى انظر اليه ، هذا الذى اجهد الجيش ، وأثار الفتنة ، وليكن حاسر الرأس .

الجندى : تقدم من القائد ، واكشف عن راسك .

بابك : وماذا يريد منى قائدك ايها الجندى ؟

الأفشين : اريد ان اعرف كيف اغويت القوم هؤلاء كلهم ؟!

بابك : ان الذين رأيت لا يهمهم الا ان يأكلوا ويشربوا ، ويشبعوا شهواتهم ليس غير .

الأفشين : ولكن كيف كنت تدفع بهم الى الموت ويستجيبون لك ؟

بابك : تلك مهمة لا يتقنها الا أصحابها ، فلا استطيع ان اجيبك عنها .

الأفشين : يا ابا سعيد هات دابة أركبوا بابك عليها مهانا ، لينظر اليه الناس فتذهب مهابته من نفوسهم ويعلموا أن الغلبة للحق .

ابو سعيد : امرك ايها القائد الكبير .

« يؤتى بدابة يركب عليها ويطاف بها على الناس وهم ينظرون اليه ويستهزئون به »

الأفشين : خذوه الآن يا ابا سعيد الى غرفة مغلقة تكون له سجنا .

ابو سعيد : والى متى ايها القائد الأفشين ؟

الأفشين : حتى يحضر الينا اخوه عبد الله ، ثم نسير بهما الى الخليفة .

ابو سعيد : ولم لا تقتلهما هنا ؟

الأفشين : تلك اوامر الخليفة المعتصم ، فانه يريد أن ينتقم منه ، وأن ينفذ فيه حكم الله امام المسلمين فى سامراء .
ابو سعيد : لا بأس ، سنجعله فى مكان محاط بالجند فى وسط المعسكر .
الأفشين : ايها الجند ، انزلوا بابك عن الدابة ، وسوقوه الى سجنه .
الحاجب : ايها القائد الأفشين ، بالباب ابن اصطفانوس.
الأفشين : وهل معه احد ؟
الحاجب : معه اخو بابك الخرمى ، عبد الله .
الأفشين : دعه يدخل فى الحال .
ابن اصطفانوس : السلام عليكم ورحمة الله ايها القائد الأفشين .
الأفشين : وعليك السلام ، اهلا بك . هل جئت بعبد الله الخرمى ؟
ابن اصطفانوس : أجل ايها القائد ، وقد كنت انظر اذنك بالقدوم .
الأفشين : شكرا لك ، وسنفرض لك جراية كبيرة على عملك هذا .
ابن اصطفانوس : يكفينى أن أكون عند حسن ظن الخليفة بى ، فنحن جنده واتباعه .
الأفشين : ماذا حدا بكما يا ابن الخرمى على ما فعلتما ، واثرتما من فتنة ؟
عبد الله : الحسد والجشع ، وحب الرياسة ايها القائد .
الأفشين : اف لكما ولما تطلبان .
« وينادى » يا أبا سعيد .
ابو سعيد : لبيك ايها القائد الكبير .
الأفشين : خذه الى السجن الذى يأوى اليه اخوه بابك .
ابو سعيد : تعال معى ايها الفاجر الفاسق ، وانتظر مصيرك الأسود فى الدنيا والآخرة .
الأفشين : يا أبا سعيد . هل هيأت الجيش للمسيرة الى الخليفة ؟
ابو سعيد : نعم ايها القائد ، فالأمور كلها على ما يرام .
الأفشين : وهل الحراسة على الكافرين كافية ؟
ابو سعيد : نعم ، فقد وكلنا بهما فرقة من الجيش ، وقادة اكفاء .
الأفشين : قم بنا الى سجنهما قبل أن نبدأ السير .
ابو سعيد : هيا بنا .
« يذهب الأفشين وابو سعيد الى سجن بابك الخرمى واخيه »
ابو سعيد : ايها الجندى : افتح الباب .
الجندى : من انتما ، ولماذا افتح ، هل لديكما امر بهذا ؟ ماذا تريدان ؟
ابو سعيد : هذا قائد الجيش الأفشين ، وانا ابو سعيد احد قادته .
الجندى : اما الآن فأهلا بكما ، تفضلا وانظرا ما يفعل بابك واخوه .
الأفشين : يا بابك ، ماذا تفعل ؟
بابك : وما الذى جاء بك الى هنا الساعة يا قائد الجيش ؟
الأفشين : جئت اسألك ان كانت بك رغبة لشىء من هذه الديار قبل أن ننتقل الى سامراء لتواجه مصيرك المحتوم .
بابك : لا حاجة لى بشىء الا ان ألقى نظرة على مدينتى البز .
الأفشين : سنوجه معك جماعة يطوفون بك فيها ، سنلبى لك هذه الرغبة.

الفصل الثالث

الأفشين : يا أبا سعيد ، اعلن النفير العام الى سامراء ، واحرص على بابك واخيه ، شدد عليهما الحراسة .

ابو سعيد : النفير النفير ايها الناس ولا عذر لمتخلف بعد طلوع الشمس .
« يتهيأ الناس للمسير ، يتوسطهم ركب الأفشين وكبار القادة »

ابن سنباط : هلا امرت ايها القائد فنقيل هنا بعد هذا العناء الطويل من السفر والجهد .

الأفشين : بلى يا ابن سنباط ، فما احوجنا اليها الآن .
« ينادي على ابى سعيد » يا ابا سعيد مر الجند فليتخذوا لنا مراحا ويقيموا معسكرا .

ابو سعيد : وهل نسى القائد استعجال الخليفة ، ورسله الكثيرين يستحثنا على القدوم اليه ؟

الأفشين : ما نسيت ذلك يا ابا سعيد ، وبودى لو استطعت ان اطير اليه ، ولكن الجند مرهقون .

ابو سعيد : اذن نجعل بيننا وبين الخليفة بريدا متصلا نبعث اليه كل يوم بكتاب نخبره فيه عن مواقعنا ، ونتلقى رده .

الأفشين : نعم الراى يا ابا سعيد ، وليكن ذلك منذ الساعة .
« فى قصر امير المؤمنين المعتصم والجمع فى الديوان محتشد ، يدخل الحاجب » .

الحاجب : رسول الأفشين بالباب يا مولاى .

الخليفة : دعه يدخل .
« يدخل الرسول » .

الرسول : السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

الخليفة : وعليكم السلام ، ماذا تحمل من أخبار جديدة ، اين تركت ركب الأفشين واسيريه ؟ !!

الرسول : لقد وصلوا ضواحى سامراء ، وهم الآن بالقرب من قناطر حذيفة .

الخليفة : اين الحاجب ؟ ادع الى الأمير هارون ولدى .

هارون : ها انذا يا امير المؤمنين .

الخليفة : انت هنا يا هارون ؟ تهيأ سريعا وخذ معك كوكبة من الفرسان والق الأفشين على قناطر حذيفة ولا تفارقه .

هارون : أمرك يا امير المؤمنين . سنرحل اليهم الساعة .

الخليفة(لوزيره) : لقد وصل ركب الأفشين ، فأين ترانا سنجلس لبابك ولأخيه ؟

الوزير : فى دار العامة يا امير المؤمنين .

الخليفة : اترى هذا الراى يا محمد ؟

الوزير : اجل يا امير المؤمنين ، يدعى الناس للتفرج عليه ولسماع الحكم عليه ، ويشفون غليلهم من النقمة عليه .

الخليفة : هيئوا لنا دار العامة ، واذنوا فى الناس ان يجتمعوا
« فى مجلس العامة ، وقد وضع للخليفة كرسى مرتفع يشرف منه على الناس » .

الخليفة : أيها الوزير ، اشر على . أريد ان يرى الناس كلهم هذا اللعين فما العمل ؟ .

الوزير : ارى يا امير المؤمنين ان يصطف الناس صفين يمر من بينهم بابك واخوه .

الخليفة : ولكن الناس لا يمكنهم الاشراف عليه كلهم . ولا بد من اشهاره .

احد الحضور : ليس هناك اضخم جثة ، ولا اطول قامة من الفيل ، يحمل عليه فلا يخفى على احد .

الوزيـــر : اجل يا أمير المؤمنين ، ويخترق الفيل به الصفين حتى يصل الى مجلسك ، فيترجل .

الخليفـة : نعم الراى ، أحضروا الفيل ، واركبوه عليه .

« واصطف الناس بينما أخذ الفيل يخترق الصفوف الى مجلس الخليفة » .

الوزيـــر : « محمد بن عبد الملك الزيات » ما أبهج هذا المنظر يا أمير المؤمنين .

الخليفـة : الم تقل فيه شعرا يا محمد ؟

الوزيـــر : بلى يا أمير المؤمنين استمع :

قد خضب الفيل كعاداته   يحمل شيطان خراسان
والفيل لا تخضب أعضاؤه   الا لذى شأن من الشان

الخليفـة : احسنت يا محمد ، انه شيطان واى شيطان ، سأريك كيف انزل به العقاب العادل .

الوزيـــر : انه يستحق كل عقوبة . ها هو قد اقبل .

« يتقدم بابك بين جنود يمسكون به حتى يقف أمام الخليفة » .

الخليفـة : هيه يا بابك ، ألم يخزك الله ويظهر كيدك ، ويديل منك .

« بابك لا يحير جوابا »

الخليفـة : أين ابن ابى دؤاد القاضى ؟

القـاضى : بين يدى أمير المؤمنين .

الخليفـة : احكم عليه حكم الله الذى انزل بكتابه .

القـاضى : انه باغ ، خرج على الخليفة أمام المسلمين وقد اخاف الناس وسلبهم فحكمه أن تقطع يداه ورجلاه من خلاف . ويصلب بعد ذلك .

الخليفـة : ايتونا بجزار ينفذ حكم القاضى .

الوزيـــر : لو راى أمير المؤمنين أن يتولى سياف بابك (نود) هذه المهمة لكان أنكى له

الخليفـة : هو ذاك ، يحضر (نود) سياف بابك .

« يتنادى الناس نود ... نود حتى يحضر » .

الوزيـــر : أمير المؤمنين يأمرك أن تقطع يدى بابك الكافر المرتد ورجليه من خلاف .

نـــود : أمر أمير المؤمنين مطاع .. إنه لشرف لى عظيم أن اكفر عن بعض ذنوبى فى صحبة هذا الأفاك الشرير .

يقطع نود ، اليد اليمنى ثم الرجل اليسرى ، ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى ، ويلقى بها .

بابـــك : يا ويلتاه ، الرحمة ، الشفقة .

الخليفـة : ان الشياطين لا يرحمون ، وان الفجار لا يستحقون العطف والشفقة .

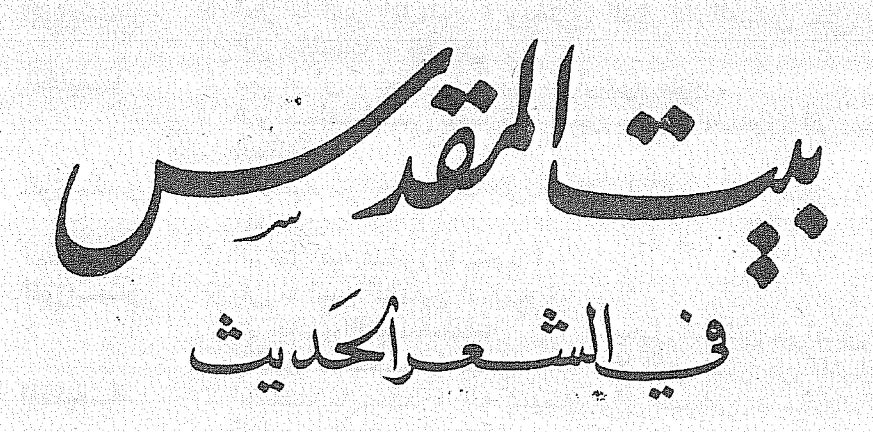
الوزيـــر : أين يرى أمير المؤمنين صلبه بعد ذلك ؟

الخليفـة : خذوه الى العقبة واصلبوه هنـاك ، فذلك جزاء عدل لأفظع جريمة فى التاريخ .

الوزيـــر : وأخوه عبد الله ؟

الخليفـة : وجهوا به الى بغداد وافعلوا به ما فعل بأخيه بابك .

ــ ستار ــ



بيت المقدس في الشعر الحديث

ان المعركة حين حميت بين العرب واسرائيل وحين اسفرت اسرائيل عن مطامعها التوسعية لم يشغل الشعراء الحديث عن مدينة بيت المقدس بقدر حديثهم عن ضرورة التشبث بالبقاء داخل الاراضى الفلسطينية الكبيرة فالمشكلة لم تعد مشكلة مدينة ، وانما اصبحت مشكلة وطن مضاع ودم مطلول ووجود مهدر ، ومن هنا كانت دعوتهم الحارة والعميقة الى ضرورة البقاء فى الارض حتى ولو كانت محتلة ، الى ضرورة التشبث بالتراب حتى ولو كان يتلون دائما بالدم وبالغيظ وبالكمد وما أعمق هنا صوت نازك الملائكة وهى تقول : —

يا رمح اسرائيل مهما ارتوى
من جنحه من روحه من مناه
يبقى ثرانا عربى الشذى
والضوى .. يبقى عربى المياه

وفى ضوء هذا سمعنا ((فتحى قاسم » يقول فى قصيدة بعنوان : هنا جذرى .

سابقى رغم اذلالى
وجرحى والأسى المقوت
هنا فى حضن اجدادى
وارضى والسنا الموروث
سابقى رغم اذلالى ولن أرحل
هنا جذرى وتاريخى وقصة حبى الأول
هنا وطنى
ولن ارحل

ويقول محمود درويش

آه يا جرحى المكابر
وطنى ليس حقيبة
وانا لست مسافر
اننى العاشق والارض الحبيبة

وسميح القاسم يعيب على صديق له انه يعيش بلا جذور بعيدا عن الارض فيقول : —

رسالتك التى اجتازت الى الليل والاسلاك
رسالتك التى حطت على بابى جناح ملاك
اتعلم ؟ حين فضتها يداى تنفضت اشواك

على وجهى وفى قلبى
أخى الغالى
اليك هناك فى بيروت
اليك هناك حيث تموت كزنبقة بـلا جـذر
كنهر ضيع المنبع
كأغنية بلا مطلـع
كعاصفة بلا عمر
اليك هناك حيث تمـوت كالشمس الخريفية
بأكفان حريرية .

وتؤكـد فدوى طوقان ظاهـرة التشبث بالارض الفلسطينية بصفـة عامة فى قصيدة لها بعنوان (أغنيات صغيرة الى الفدائيين) فتقول .

كفانى أموت عليها وادفن فيها
وتحت ثراها اذوب وافنى
وابعث عشبا على أرضها
وابعث زهرة
تعيث بها كف طفل نمته بلادى
كفانى أظل بحضن بلادى
ترابا ، وعشبا ، وزهرة ..

ويحدد القضية أكثر الشاعر توفيق زياد فى قصيدة بعنوان (من وراء القضبان) حيث يقول :

هنا على صدوركم باقون كالجدار
نجوع . نعرى . نتحدى
ننشد الاشعار
ونملأالسجون كبرياء
ونصنع الاطفال جيلا ثائرا وراء جيل
اذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب أن جعنا ولا نرحل
يا جذرنا الحر تشبث
واضربى فى القاع يا أصول ..

من كل هذا نرى أن الشعراء — وبخاصة الشعراء داخـل الارض المحتلة قد رأوا المصيبة تعم ، ورأوا أن الخطر لا يتربص بمدينـة (بيت المقدس) فقط وانما يتربص بالتراب العربى .. بالتراث العربى بالوجود العربى ومن هنا نراهـم يدورون باجفانهم المليئة بالدموع والاشفـاق على العديد من المدن العربية وعـلى العديد من المناطق العربية .

ومن الملاحظ أنه بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ وبعد أن أفاق الشعراء مـن الصدمة رأيناهم يقفون وقفة خاصة عند سقوط هذه المدينة ورأينا هذه الوقفـة منسوجة نسجـا محكما من المشاعر الدينية .

والشاعر هارون هاشم رشيـد يرسم لها صورة ملونة بالاسلام فى قصيدة كبيرة بعنوان القدس ، يقول فى افتتاحيتها :

القدس ... القدس
ومآذن تهتف بالناس
الله أكبر .. الله أكبر
وحى على الصلاة..وحى على الفلاح
الله أكبر .. الله أكبر
القدس وفى الناس المسرة
القدس وحى على الصلاة

ومن الشعراء الذين نظروا الـى

القدس فى ضوء اسلامى خالص على أحمد باكثير فى ملحمته الطويلة (اما نكون أبدا أولا نكون ابدا) فالى جانب ان الروح العام لهذه الملحمة هى ايقاظ الهمم والدعوة الى الارتفاع عن الحزن نراه يقول :

المسجد الثالث قد ذل وهان
أسلمه الى اليهود الامريكان
عداوة منهم لدين المسلمين
ولكتاب المسلمين
ولا نبعاث المسلمين
وحلقة جديدة من ذلك الزحف الصليبى اللعين

ومن العالم الدينى ، واجوائه الشعرية بل وقاموسه نجد محمود حسن اسماعيل يقول :

سمعت بها غضب الانبياء
مزامير ويل عتى صداه
وابصرت الواحهم فى الفضاء
محاريب تصرخ فيها الصلاة
وتسبيحهم من ضفاف السماء
يصب على الارض سخط الاله
ويرمى عليها دخان الشقاء
أعاصير حقد تؤز الحياة

ونجد على هاشم رشيد يقول : —

وطار بى الشوق لارض السلام
ومهبط الوحى ومهد الكماه
نزلت بالقدس وسرب الحمام
يبث للازهار نجوى هواه
جبالها الشم بوجه الخطوب
قد خضبتها سائلات الدماء
ما هب فيها شمال أو جنوب
الا وكان الهدى ذاك الحداء

ونجد هذا الاتجاه الاسلامى النقى عند الشعراء على الجندى ومحمود غنيم وعامر بحيرى وعبد الله شمس الدين ، وقاسم مظهر وروحية القلينى وشريفة فتحى وعلية الجعار .

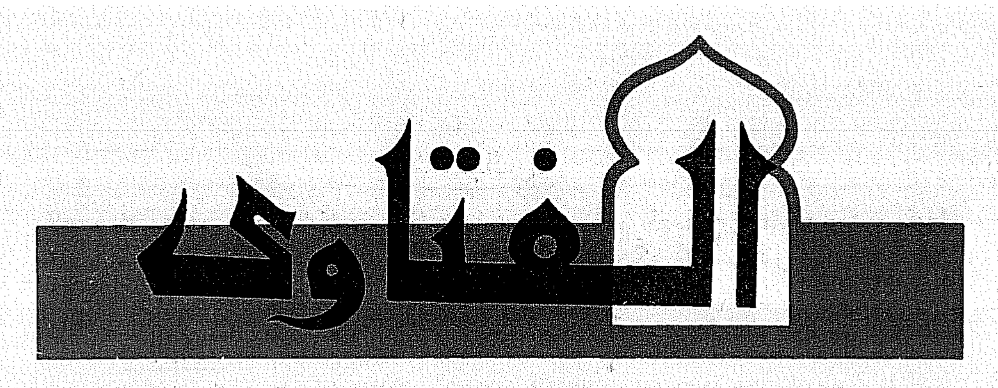
.. وبرغم ما قيل فى هذه المدينة الحزينة ، فان كل شعر قيل كان دون المأساة ، وكان دون نكبة العرب والمسلمين بهذه المدينة المقدسة أو بمدينة الصلاة كما يحلو للبعض أن يسميها .

فاذا عرفنا أن كل يهودى كان لا يمل من القولة المأثورة عندهم والتى تقول :

((اذا نسيتك يا أورشليم فلتخذلنى يمينى ، وليشل لسانى فى فمى اذا لم اذكرك)) فلا أقل من أن يقول كل مسلم فى كل يوم (.. يا بيت المقدس اذا نسيتك فلتخذلنى يمينى وليشل لسانى فى فمى اذا لم اذكرك) .

فنحن معنا الحق . والله ولى الحق .

*** ((حول بيت المقدس)) كتاب أصدرته لجنةالتعريف بالاسلام احدى اللجان التابعة للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة .**



الصور العاريـــة

السؤال : ما حكم الصور العارية فى الشريعة الاسلامية ؟

الاجابة :

الصور الفاتنة العارية منها وغير العارية التى تظهر على غلاف المجلات فى الصحف والاعلانات واللوحات وفى الافلام المثيرة ، وفى الشوارع والحدائق وأجساد النساء المتكشفة التى ترى فى الشوارع والمراقص ودور اللهـــو والاستعراضات والمسابقات . كل هذا قال الدين فيه قوله بصراحة ، وجهــر المصلحون برأيهم فيه ، وحذروا الناس من مغبة هذه المآسى وأثرها السىء فى الأخلاق ، وضررها على الفرد والأسرة والمجتمع .

لقد بين الدين ما يجب التزامه على كل من الرجل والمرأة فيما يرجع الى المعانى التى من شأنها اثارة الغرائز الدنيا بين الرجال والنساء غير الحلائل ، وأوجب كمال الاحتياط فى هذا الامر صيانة للشرف حتى لا يتردى الناس فى مهاوى الفجور ، وحتى تحفظ الأعراض والأنساب .

أمر الاسلام بستر العورات والغض من الأبصار ، وحذر من الخلوة المريبة والقـــول اللين والنصوص فى ذلـــك صريحة وواضحة قال تعـــالى « قـــل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)) وقال ((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن عـــلى جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن)) ..

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحدث عن محاسن المرأة الى رجل أجنبى عنها حتى لا يفتن بها فقال (لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر اليها) ، واذا كان مجرد الحديث عن صفات المرأة منهيا عنه ، فما بالـــك بالصور العارية التى هى أقوى من القول وأشد تأثيرا .
ان نشر الصور العارية حرام والنظر اليها حرام والاتجار فيها حرام .

وقد اتفق المصلحون على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وان ما زاد ضرره على نفعه يجب منعه رعاية للصالح العام .

حديث المجالس

السؤال مجالسنا لا غنى لنا عنها ، وهى تضم الصالح والطالح ويدور فيها الحديث الغث والسمين والعف والفاحش ، فما حكم الجلــوس فى هـــذه المجالس ؟

الاجابة :

الاسلام لم يحظر على الناس أن يتسامروا ، ولم ينكر عليهم أن يتبسطوا ، بل اعتبر المحادثة من أسباب المودة ووسائل التعارف ، والاسلام مع دعوته الى التودد يحرص على تنقية مجالسنا من الشوائب ، فيصرفنا عن المهاترات فى الحديث ويكفنا عن التعرض للغو الكلام وفاحشه ويشبه الجليس الصالح بحامل المسك ويشبه الجليس السوء بحداد ينفخ الكير ، والانحراف فى السمر آثم ونقيصة فاذا كان الحديث يتعرض لحرمات الناس أو للنكات الفاحشة أو للخوض فى الباطل فلا يجوز حضوره ولا المشاركة فيه ، يقول الله تعالى لرسوله الكـريم ((واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)) .

احتساب الدين من الزكاة

السؤال : لى دين عند رجل فقير يستحق الزكاة ، فهل يجوز لى أن أتنازل عن هذا الدين كله أو جزء منه واعتبره من زكاة مالى .

الاجابة :

الراجح فى مذهب المالكية أنه اذا كان الدين على فقير يمكنه أن يؤديه لدائنه الذى عليه الزكاة فلدائنه أن يحتسبه من زكاته ، وكذلك اذا كان به رهن فى يد من عليه الزكاة ، ففى كلتا الحالتين يجوز لمن عليه الزكاة أن يحتسب دينه مـن الزكاة ويجزئه .

أما فى غير هاتين الحالتين فلا يجوز حسبان الدين من الزكاة .

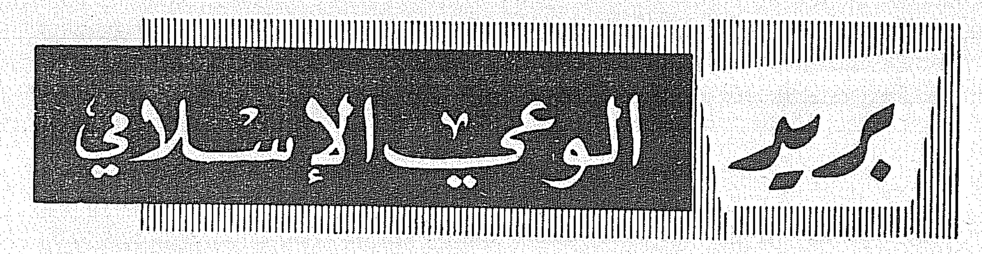
قراءة القرآن للميت

السؤال : هل ينتفع الميت بقراءة القرآن عليه بمعنى أن ثوابها يصل اليه ، فيرفع من درجاته عند الله أو يخفف من عذابه .

الاجابة :

قال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا وردت الى والدى رحمه الله رسائل كثيرة فى هذا المعنى وكان مالكى المذهب ، وقد أجاب عليها بما يأتى —

أما قراءة القرآن للميت سواء أكانت على القبر أم بعيدا منه فقد أختلف العلماء فى وصول الثواب اليه ، والجمهور على الوصول وهو الحق خصوصا اذا وهب القارىء بعد القراءة ثواب ما قرأه للميت ، وللقارىء أيضا ثواب لا ينقص من أجر الميت شيئا .



بعث الينا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى هذه الرسالة التى وردت اليه والاجابة عليها :

أرسل الى قارىء أغفل اسمه ، خطابا يقول فيه : الله عادل ورحيم، ففيم ترك فى المجتمع أشخاصا كثيرين ، يعانون ، بدون ذنب ولا جريرة ، من عاهات ومصائب يتقطع لها قلب الانسان ؟ .. وأين العدل بين من كان هذا حاله وأولئك الذين يتقلبون فى ألوان النعيم ؟

هل السائل مؤمن بالله

وأغلب الظن أن السائل غير مؤمن بالله عز وجل ، أو هو فى شك من وجوده .

فليس سؤاله هذا الا نتيجة لجحوده أو عدم يقينه . كالجاهل ، ينكر اختصاص مؤلف أو باحث فيمضى يسفه أفكاره ، ثم يجعل من هذا التسفيه برهانا على جهله وعدم خبرته واختصاصه ... وهو لو تنبه الى أمر نفسه ، لعلم أنه دائر وسط حلقة من وهم تصوراته . فلولا ما توهمه أولا من جهل الباحث ، لما تصور أبحاثه سفاهة وجهلا ، ولولا هذا التصور لما كان له منه أى برهان على صدق وهمه الاول .

ان هذا السائل ، لم يتوفر — فيما أحسب — على يقين صادق بوجود الله تعالى . اذ لو آمن به لأيقن أنه أحكم الحاكمين ، ولو أيقن ذلك لآمن برسالات الانبياء وما تضمنته من تعريف بحقيقة هذه الحياة الدنيا ومبدئها ومنتهاها وعلاقتها بما وراءها . ولو آمن بذلك لأدرك سر وجود الانسان فى الكون ، وتنبه الى الأمانة التى حمله الله اياها فى هذه المرحلة من الحياة .. واذا لما وجد فى شىء من مظاهرها ما يثير فى نفسه اشكالا أو يرده الى أى شك أو جحود . فهو يرى كل ما فيها متسقا مع طبيعة هذه الامانة أتم ما يكون الاتساق ، وهو يرى ذلك كله أدق تمهيد لطبيعة الحياة الخالدة الأخرى .

كل هذه المدركات اليقينية ، انما تنبع من يقين عظيم آخر سابق عليه هو الايمان بالله عز وجل . ولن ينتهى من دونه لغز هذا الكون ، ولا يتخلص الفكر بغيره من دوامة **نظر عابث لا طائل له .**

فان كان هذا السائل كما قدرت ، فليطو مشكلته الوهمية هذه ، فلو أجتمع من حوله أهل الارض كلهم ليجيبوه عليه لما وقع كلامهم من عقله أى موقع للقبول . وليلتفت الى مشكلته الحقيقية الاولى ، مشكلة ذهوله عن الايمان بالخالق جل جلاله وليجدد سؤاله وبحثه ضمن هذه الحقيقة دون أن يروغ عنها الى الاوهام التى لم يتفرع الا عن جهله بها .

ما معنى المحنـــة ؟

أما ان كان السائل مؤمنا بالله واليوم الآخر ، ولكنه يراها مشكلة التصقت بوهمه من كثرة ما يرددها محترفو الالحاد وتجاره ، فان الخطب فى ذلك سهل ، وليطمئن الى أنه شباك أخرق لا يبلغ

ان يمسك لأربابه على أى صيد من ايمان امرىء صادق فى ايمانه

ونحن نبدأ فنقول : من أين لك أن المحنة لا تتمثل الا فى هذا الذى بترت يده أو عميت عينه أو استحكمت به عاهة ؟.. ومن قال لك أن المحنة هى تلك التى يصطبغ بها ظاهر الانسان وتتجسد واضحة فى ناحية من انحاء جسمه ؟.

انما المحنة ما تسلل الى طوايا النفس ، فأصاب بمرارته أو بحرقته القلب .

والمحنة اذا ، ليست هذا الذى تراه عيناك من ظواهر بعض الناس . وانما هى ما تراه عيناك ولا يدركه شعورك مما قد يطوف بنفوسهم ويستحكم بأفئدتهم ومشاعرهم ، وان لها اليهم سبيلا أعم وأشمل مما قد تظن .. وما من انسان الا وهو منحرف اليها ومسوق الى غايتها وذائق من عذابها .

وهذه ألوان منهـا :

ان الذى تضل به سيارته عن طريق غايته ، ويقع فى تيه لا يدرى الى أى مصير سيسلمه ، انما يعانى من محنة خانقة ، ولو كان محفوفا ، وسط ضلالته تلك بخضرة الرياض وفوح الرياحين .

والذى أوقعته ظروف التجارة ومغباتها ، فى خسارة مالية غير متوقعة ، — وهو ممن يرقص لمرأى القرش وتأخذه النشوة لحركة توالده وتزايده — انما تنقطع نفسه حسرات تحت رحى محنة قاسية يعجز عن وصفها البيان ، وان كنت تراه فى عيش رغيد وسط دار جميلة آمنة .

والذى تعلق قلبه من الدنيا بحسناء ، وراح يتصور أن الوان النعيم كلها ستفيض فى كيانه ان هو سكن اليها ، وفيما هو ينسج فى خياله الآمال ، ويحدث الدهر عن أمانيه ، ويأمل عنده الخير فى انجازها ، اذ ضرب الدهر بينه وبينها بسور غليظ تهدم تحته كل آماله — هذا الانسان يلتف به من سعار المحنة ما يشبه اكفانا من اللهب ، لا تطفئها عنه افراح الدنيـا كلها ولا فنون اللذة بأسرها وقد تبصره فلا تقع عينك منه الا على ما تغبطه فيه أو تحسده عليه ..

والذى ساقه سوء الطالع الى حياة من اللهو والاباحية المطلقة ، فهو يسهر الليل كله فى معاقرة اللذة واعتصارها ، حتى اذا أقبل النهار طارده بنوم ثقيل متواصل ، ولا يزال هذا دأبه ولون حياته — انما تحسبه سعيدا وهو يميس فى حلة (السهرة) تحت أضواء من الليل ساطعة أو خافتة ، ولو علمت دخيلة أمره ، ووصلت الى طوية نفسه ، لرأيت وراء صدره مرجلا من الهم تصاعد منه الزفرات المذيبة الخانقة ، ولرأيت النوم فى حساب حياته ليس الا (كابوسا) من سحائب الغم والنكد يتغشى الباطن والظاهر من شعوره وعقله ، على حين لا يكون فى حساب سائر الناس وشعورهم الا واحة من الراحة والنعيم يتفيؤون ظلالها كلما فاض بهم الجهد والنصب .

والذى استغلقت عليه نوافذ الايمان بالله تعالى ، فتتابعت على فكره الاسئلة المتنوعة المختلفة عن الكون والانسان وسر وجوده وعاقبة أمره ، دون أن يجد عليها جوابا شافيا ، وثارت فى نفسه عوامل الرعب والالم للذى يراه حوله من مظاهر الهرج والمرج والتطاحن والعدوان والبغى ، حتى راح يتخيل مظاهر الترف والنعيم خلال ذلك أشبه ما تكون ببروق مرعبة خاطفة تومض فى ليلة عاصفة ظلماء ، فهى تنذر بالشر أكثر مما تؤنس أو تنير السبيل ، دون أن يهتدى من وراء ذلك كله الى سر ولا تأويل — هذا الانسان قد تراه فتحسبه سعيدا وهو انما يعيش فى رعب مطبق على نفسه . ولو أبصرت ، لوجدت المحنة تتسلل منها الى جذور تفكيره وعقله ، لتقذف به أخيرا اما الى ساحة جنون أو الى سبيل انتحار ..

الشعور هو المقياس :

ورغم أن أصحاب العاهات والمصائب الظاهرة ، ينبغى أن يقاس أمرهم — فيما يبدو — على حال هؤلاء الاصناف الذين حدثتك عنهم ، فانه قياس خاطىء لا مستند له .

كثير ممن سلبهم الله تعالى نعمة البصر ، يتمتعون بنفس راضية سعيدة ، لا تعرف الهم .
وكثير ممن ترى عليهم أشد مظاهر البؤس والفقر ، تظل أفئدتهم نابضة بمرح رائع عجيب قد لا تتصوره الا فى ذكريات طفولتك . وكثير ممن ترى الاوجاع والامراض مستحكمة فى جسومهم ، يعيشون وسط مزيج من الشعور بآلامهم والرضى القلبى العميق عن واقع حياتهم وما أقامهم الله تعالى فيه .

ولست أقصد بذلك الى أن هذه المحن مصائب وهمية لا سلطان لها على النفس . وانما أريد أن ألفت نظر القارىء الى أن العبرة بما تشعر به النفس ، وبما قد تتلون به حالة القلب ، والى ان المصائب التى قد يكون لها سلطان على المشاعر ليست محصورة فى هذا الذى تراه متلبسا بمظهر بعض الناس فترق لحالهم أو تتألم لمنظرهم . بل هى مختلفة متنوعة . وقل ان ترى رجلا من الناس الا وهو مصاب بنوع منها .

وليس الشقاء الذى ينزل بأحد الناس ، نابعا من وقع المصيبة ذاتها ، مهما اختلفت وتنوعت . ولكنه آت من عدم اتساع النفس لها واستعلائها عليها .

وانما تتسع النفس لها باحدى وسيلتين لا ثالث لهما :

أما الوسيلة الاولى فهى يقينه بوجود الله عز وجل ، وما يستلزمه ذلك من يقينه باليوم الآخر وقيمة هذه الحياة الدنيا وبأنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وبما قد تلقاه من خطاب الله تعالى للصفوة المختارة من مخلوقاته وما تضمنه من بيان سنة الله تعالى فى عباده ومن طبيعة هذه الحياة الدنيا ، ومن ان الانسان ليس الا عبدا مملوكا لله .

فهو قد قرأ قوله تعالى : ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون .

وقرأ قوله : وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا .

وقرأ قوله : ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين .

قرأ هذا كله فاستيقنته نفسه وآمن بحكمة الله عز وجل وخضع لها ، سواء اهتدى الى معرفة تفصيلها أم غابت عنه واستغلقت عليه .

أما الوسيلة الثانية فهى فى أن يملك الانسان طاقة خارقة يبعد بها عن نفسه حديث الفكر وتشويش العقل ومنغصات الخيال .

اذ ان أكثر ما يصاب به الانسان من أكدار القلب وهموم النفس ، انما يأتيه بسبب من طول التذكر أو ملاحقة التخيل أو تساؤلات العقل . فلو أتيح له أن يلجأ الى النسيان أو الامل أو الذهول لانزلقت عن قلبه المصائب فما شعر بها وما أهمه سوء وقعها .

ولكن الفاطر الحكيم لم يشأ أن يعطى الانسان ، العزيز الكريم ، هذه الطاقة ..

بل أثقله بأعباء جسيمة من المشاعر والفكر والعقل . وحمله الى ذلك أثقالا عظيمة من صور الماضى وآثاره ، وأخيلة وتقديرات مختلفة عما يحمله فى طيه المستقبل .

من أجل هذا ، كان الذين يملكون هذه الطاقة هم المجانين وحدهم .

سر هذا كله

وقد تسأل : ففيم أرهق الانسان تحت هذه الاثقال كلها ؟ وهل كان مستحيلا على قدرة الله تعالى أن يحمله اياها دون أن يشعره بشىء من نتائجها المؤلمة ؟ وفيم كانت المعرفة مقرونة بنكد الحياة ومصائبها ؟

والجواب : أن ارادة الله تعالى شاءت أن يكون الانسان أعظم مظهر لا لوهيته سبحانه وتعالى وأبين لسان ناطق بسر الوجود كله . والشكل الذى شاءت حكمة الله أن يظهر فيه ذلك كله هو عمارة الكون عن طريق ممارسة العبودية الصادقة لله تعالى .

وممارسة العبودية لله عز وجل ، هى أن يكون الانسان عبدا مملوكا لله تعالى بالسلوك والاختيار كما قضى عليه بذلك بالخلق والاضطرار .

ولا تظهر العبودية لله تعالى الا بقبول التكاليف . أى بقبول السير فى طريق من الحياة فيهـا كلفة ومشقة .

ولا يتم ذلك كله الا بتكامل أسباب الاهلية من عقل ورشد وسلامة تفكير .

ينبوع التكاليف والمشقات

وانما قوام تكاليف الحياة ومشقاتها على أمرين اثنن :

صعوبات يراد من الانسان الصبر لها ، وخيرات يراد منه الشكر عليها والكف عن الاستغراق فيها .

وليس الشكر ما قد تظنه من تحريك اللسان بالثناء ، وانما هو تسخير الانسان جميع ما أنعم الله به عليه لما قد خلق من أجله . وكل ما سخره من مظاهر النعيم فى غير ذلك ينقلب وبالا وشـقاء عليه فيما بعد ..

ولذلك كان الابتلاء بوجوب الشكر لا يقل صعوبة عن الابتلاء بوجوب الصبر .

واذا كانت وظيفة الانسان فى هذه الحياة الدنيا — وهى ممارسة العبودية الراضية لله تعالى — قائمة على كل من محورى الشكر والصبر ، فقد كان لا بد اذا أن تكون مادة الحياة نفسها مؤلفـة من أسباب كل منهما . بل ان وجود كل منهما لا يتم الا الى جانب وجود الآخر . ولا يستقيم فى الذهن معنى أحدهما ألا عند تصور الثانى منهما .

وكلاهما أبرز حقيقة للابتلاء الخطير الذى شاءت حكمة الله أن يساق الانسان فى سبيله .

أجل .. ان الابتلاء بالخير لا يسمى ابتلاء عند من لم يفهم معنى هذا الوجود على حقيقتـه ، ولم يتعرف على هوية نفسه وقصة رحلته الخطيرة فى هذا الكون . فهو يمارس هذه النعم التى مـن حوله كدابة تفتحت عيناها على معلف أمامها فانحطت برأسها فيه دون أن تدرك شيئا آخر مما قـد يراد بها .

الا أن العقل وحركة الفكر يأبيان ، مع ذلك ، على هذا الانسان أن يستغرق فى ملاذه دون منغص . بل الخير نفسه ينقلب ، مع الممارسة ، الى مادة ضجر ومصدر لغز وسجن خانق . اذ كان الفرق بينه وبين البهائم هذه الاثقال التى تلازمه من العقل والفكر وحركة الذهن والخيال .

الأمل جوهر الصبر

والذى يرى أن الدنيا هى الفرصة الوحيدة للحياة ، فلا حياة أخرى من ورائها — لا يفهم للصبر على بلائها أى معنى ، ولا يرى للشكر على نعمها أى دافع . فهو لا يتحمل ، من أجل ذلك ، صبرا ولا يحصر نفسه فى طريق أى شكر .

وهذا الصنف ، هو الذى تراه دائما يجأر بالشكوى من المصائب ويظل ينشد العدالة الالهيـة ويبحث عن مصيرها .

ولهم الحق كله فى أن لا يفهموا ما يفهم المؤمن من معنى الصبر وضرورته أو الشكر ودوافعه .

فان الصبر فى حقيقته ليس أكثر من تعلق الأمل بخير متوقع .. فاذا لم يكن ثمة أمل فلا صبر ، بل لا معنى عندئذ للصبر ، وليس معنى تحمل الضر عندئذ الا الخضوع القسرى لعذاب لا ثمرة له ولا مناص منه . وجدير بمن كان هذه حاله أن يختنق أو ينتحر .

ان الذى كتب عليه السير ضمن مغارة ضيقة مظلمة ، وطال عليه السير فيها ، دون أن يتوقع لها نهاية تنفذ به الى متنفس سعيد يستنشق فيه الهواء والضياء ، لا يعتبر سيره أو بقاؤه فيها مـن

الصبر فى شىء وانما هو سير وئيد أو سريع الى الانفجار أو الاختناق .

أما ذاك الذى يسير الى جانبه وسط تلك الظلمة ذاتها ، وهو موقن أنها الطريق الطبيعى الوحيد الى جنة غناء وارفة الظلال ، فانه لا يحس من كل ما حوله الا بالأمل الذى يراوده ، ولا يرى من الظلام المطبق عليه الا صورة الضياء الذى ينتظره .

وهذا هو الصبر الذى أمر الله عز وجل به فى كثير من آيات كتابه .

ليس صبرا لا معنى له على عذاب دائم خانق . وانما هو صبر فى طريق لا بد منها ، الى الغاية التى لا شك فى وجودها ولا مرية فى انتهاء الانسان اليها . وبمقدار ما أمر الخالق عباده بالصبر فقد أكد لهم حقيقة الأمل وجزم لهم أنها حقيقة واقعة لا ريب فيها .

وعلى الذى يظل يشكو من ظلام السرداب الذى يسير فيه ، ان يشكو من جحود ، بالنهاية التى تنتظره وراء الظلام .

والحب أو الخوف سائق الشكر

والانحباس فى طريق الشكر أيضا لا معنى له عند من لم يؤمن بعد بوجود من ينبغى عليه شكره أو هو مؤمن به ولكنه لا يستشعر بالخوف من عذابه أن هو استغرق فى النعم التى سيقت اليه ولم يستعملها ضمن حدود معينة وبحساب .

فلئن ركب مثل هذا الانسان رأسه سعيا وراء المتعة أينما كانت واستغرق فى لجة من الإباحية والنعيم . فان حاله لا تعتبر مقياسا حقيقيا للسعادة ، وانما سعادته وهم قائم فى خياله وخيال من قد ضل ضلاله وذهل عن العاقبة مثل ذهوله .

ان كل عاقل يعلم أن الذى يتقلب فى نعيم محظور ومتوعد عليه من قبل من لا كذب أو خلف فى كلامه ، لا تغبط حاله ولا يعتبر سعيدا الا فى وهم نفسه بسبب الجهل بمصيره .

أما من آمن بالله وصدق بوعيده وعذابه ، فانه يساق بمزيج من دافع ايمانه بالله وحبه له أو خوفه منه الى ضبط نفسه ضمن حدود الشكر ، ثم هو يجد نفسه مسوقا أيضا الى الصبر على هذا الانضباط أملا بما استيقنته نفسه من المثوبة والاجر على ذلك .

هذه الحياة فصل من قصة حياة كاملة

وملاك كل هذا الذى أقوله لك أن تعلم ان هذه الحياة التى تعيشها ليست الا فصلا قصيرا من قصة الحياة الكاملة التى جعل الله عز وجل من هذا الحيوان الناطق العجيب بطلا لها .

ولذلك فان أحداث هذا الفصل لا تقوم تقويما صحيحا الا من خلال فهم القصة بأكملها وأى حكم عليها من خلال الانحصار فى فهم هذا الجزء اليسير وحده ، جهل بالحقيقة وضرب من الوهم والانخداع .

وان شئت فقل : ان هذه الحياة التى تعيشها اليوم ليست الا رقعة صغيرة فى لوحة كبرى لمنظر شامل عظيم . وهيهات أن تدرك قيمة هذه الرقعة أو تفهم مضمونها الا من خلال رؤية مستوعبة دقيقة الى اللوحة بأكملها .

وانما شأن من ينتقد حكمة الخالق جل جلاله عندما يبصر من حوله مظاهر البؤس والآلام كالذى يبصر الفصل الاول من رواية على المسرح ، ثم يسرع فيحكم عليها ، من خلال ذلك الفصل وحده بالفساد أو الاضطراب أو فقد معنى العدالة فى مفهومها ووحيها ... أو كالذى يدنو فيحملق فى رقعة صغيرة من لوحة رائعة عظيمة أبدعتها ريشة فنان فيحكم عليها من خلال ما يبصره فيها من الخطوط المتموجة والالوان المضطربة المتداخلة ...

يا أخى السائل :

تأكد أنه سوف يتكامل مرور الناس على معبر هذه الدنيا التى تعيش فيها ، ولسوف يقوم الناس لرب العالمين ، وستتكامل حينئذ عناصر القصة . فما من منكوب صابر مسلم كنت تتألم اشفاقا عليه فى الدنيا الا وتتمنى أن لو كنت مكانه فى الآخرة . وما من سعيد منعم مسرف على نفسه فى الدنيا الا وتشفق على ما هو فيه من ضنك وبؤس فى الآخرة .

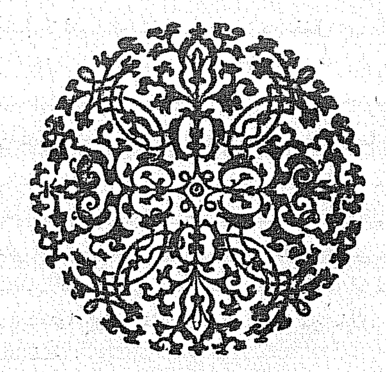
ولسوف تسمع صوت الحقيقة يفيض به الزمان والمكان كله : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ، ان الله سريع الحساب) .

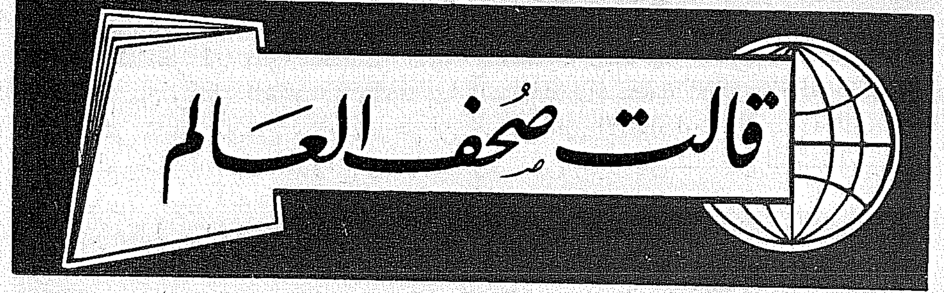
وخير من كل هذا الذى سردته عليك من الكلام أن أضع بين يديك كلمات رائعة جامعة نطق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبدع فيها صورة مختصرة صغيرة عن قصر هذه الحياة بأكملها ، واخرج منها أمام عينيك نموذجا صغيرا لخط هذه الرحلة الانسانية من أولها الى آخرها . فاسمع باذن حرة واعية :

« الا يا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة ، الا يا رب نفس جائعة عارية فى الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ، الا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، الا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم . الا يا رب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خلاق . ألا وان عمل الجنة حزن بربوة . الا وان عمل النار سهل بسهوة الا يا رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا » .



وأخيرا . فان كان شىء من هذا الكلام لم يقنعك بعد ، فاعلم أنك فى شك من وجود الله تعالى . وخير لك اذن أن تعيد النظر بدقة وحذر فى فكرتك عن الله عز وجل من أن تضيع الوقت وترهق نفسك فيما لا طائل فيه .





فتـــوى الأزهر :

فى تحضير الأرواح

نشرت صحيفة السياسة الكويتية ما يأتى :

بمناسبة ما نشر أخيرا عن استخدام الأرواح للعلم بالغيب والعلاج ننشر فيما يلى فتوى صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف تبين رأى الشرع فى هذا الموضوع ونصها كما يلى —

((بسم الله الرحمن الرحيم)) .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

وبعد ، فقد أطلعت لجنة الفتوى بالأزهر على خطابكم بشأن ابداء رأى الشرع فى مسائل الأبحاث الروحية واستخدامها الأرواح فـــى عـــلاج بعض المواطنين ، ونفيدكم بأن هذا الاستفتاء يتعلق بأمرين :

الأول :

الاتصال بأرواح الموتى واستحضارها من العالم الآخر ، واستخدامها فى أغراض مختلفة مثل العلم بالغيب والاستعانة بها فى علاج الأمراض .. الخ ..

الثانى :

الاتصال بالجن واستخدامهم كذلك فى أغراض كالتى ذكروها عن أرواح الموتى .

وموجز الجواب عن الأول — أن استحضار أرواح الموتى من عالم الآخرة على نحوما جاء فى الاستفتاء موضوع لا نعرف له أصلا فى شريعة الاسلام ، ولا يسوغ التخمين فى القول بهذا لأن علم الغيب كله مما يختص الله به ولا يظهر الله غيبه الا لمن شاء من ملائكته أو من أنبيائه بواسطة الوحى اليهم بأى طريق من طرق الوحى التى جعلها الله وسائل العلم بينه وبين رسله من البشر **((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من أرتضى من رسول)) .**

وأما أرواح الموتى فليست وسيطة بين الله والناس ، وانما تعيش فى أخراها على حالة يعلمها الله ، ولا سلطان لنا عليها ، ولا يمكن التصرف فيهـــا بالاستحضار أو غيره ، ولا سبيل الى العلم عن طريقها بشىء من الغيب عن أحوال الآخرة ، ولا أحوال الدنيا ، وكل ما لها من الصلة بعالم الدنيا انها تتصل بأرواحنا فى المنام .

وأن الله يكشف لها العلم بمن يتصدق عليها أو يدعو لها أو يزور الموتى فى القبور ، وذلك هو ما تقيده نصوص الشريف [illegible] أن نتجاوز هـــذا

الى القول بأن لنا قدرة على احضارها أو بأن للأرواح سلطانا خاصا يتعلق بحياتنا فى دنيانا .

والظاهر أن فكرة تحضير الأرواح محاولة ابتدعها أناس لا صلة لهم بالاسلام من رجال الغرب ، وأخذ بها البسطاء وأصحاب الأهواء ليشككوا الناس فى شأن الوحى ، ويفهموهم أن الوحى الى الأنبياء ليس الوسيلة الوحيدة فى العلم بالغيب ، بل الأرواح وسيلة أخرى تأتى بمثله فى شخص الوسيط فيخبر بالغيب ولا غيب عندها كما سلف .

وهكذا مما يعتبر هدما للعقيدة وفتحا لباب التنصل من الايمان الصحيح برسالة الرسل .

والخلاصة أن فكرة تحضير الأرواح للموتى بدعة وضلالة .

وأن بعض الناس يتخذها حرفة للكسب واغواء البسطاء ، وحسنى النية من الناس ، وما يذكره بعض الناس من حضور الأرواح فعلا ومناجاتهم لها فى شخص الوسيط بالتنويم المغناطيسى فان ذلك كله من المحاولات التى يمهد لها المحترفون أو هى من قبيل استخدام الجن على نحو ما سنذكره فى الجواب عن الأمر الثانى .

وموجز الجواب عن الأمر الثانى — أن الجن عالم موجود فى الدنيا من بدء الخليقة ، وكما وجد بعده عالم الانس وغيره من العوالم الارضية ، وعلى هذا تضافرت نصوص فى القرآن والسنة وأيدها الواقع من مشاهدات الناس طوال حياتهم .

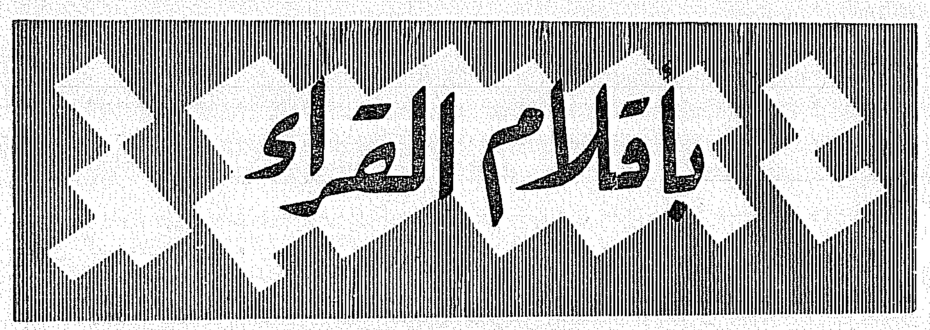
وفى الجن أشقياء وطيبون ومسلمون وغير مسلمين ، وفيهم النوع المتمرد المفسد فى الدنيا وهو المذكور فى كتاب الله باسم الشياطين .. ومن الثابت علميا وواقعيا أن بعض الناس يستطيعون استخدام الجن بواسطة محاولات يعرفونها من الكتب أو عن طريق المزاولة بأسباب أخرى .

والثابت أن للجن تأثيرات مختلفة على بعض الأشخاص الذين يمسهم من حدوث أمراض أو صرع ونفور من الزوجين ونحو ذلك من الأغراض السحرية التى تستخدم فيها الجن ، وهذا عمل السيئين الأشرار من الناس ، كما أن من المحاولات استحضار الجن الطيبين فيستهينون بهم فى التغلب على عمل الخبثاء بأزالة الآثار السيئة ، وعودة الممسوس الى حالته الطبيعية .

ومن المحاولات كذلك استخدام الجن فى تقليد الأحياء ، والتحدث باسم الغائب ، ونقل الأخبار التى يسترقونها بالسمع من المتحدثين فى أماكن أخرى أو باختراع أحاديث وهمية ، ويقلدون فيها صوت انسان معين فيظن بعض البسطاء أن هذا من قبيل استحضار أرواح الموتى ، واستماع أخبار الغيب .. والجن قادرون على هذا الشكل بحكم خلقتهم ، ولكن ذلك فى شئون الأحياء لا فى علم الغيب من عند الله ، كما يزعم الزاعمون اعتبار تلك المحاولات طريقا للعلاج ، واذا كان بعض المحاولات ينجح ويفيد كما يشاهد بين الناس ، فان هذا كله من قبيل المصادفات التى تصدق أو لا تصدق .

ومن ذلك يعلم أن المحاولات التى يستخدمونها فى استحضار الجن لا تعتبر علما نثق به ولا نسميها علاجا كما هو العلاج الطبى المستمد من العلم الصحيح .

وان فتح الباب فى هذا رسميا يطلق للدجالين أن يستغلوا سذاجة الناس فى ابتزاز النقود والتوسع فى الاحتيال فلا يسوغ الركون الى أعمال هؤلاء المطالبين بالاعتراف بهم ، وهم يريدون أن يستعينوا بالقضاء على اكتساب هذا الاعتراف عن طريقه .



فى دروب الايمان

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ محمد العربى الخطابى
اهتمام التنزيل بالانسان :

قرأت القرآن الكريم فى طفولتى وحفظت منه ما تيسر ، غير أنى قلما كنت أفهم منه ما أقرأ أو أعى من آياته ما أسمع . يسرده الساردون فى المساجد وفى المآتم ويتسول به المتسولون فى الطرقات ، لا يرتلون آياته ، ولا يجودون كلماته ، ولا يتدبرون معانيه الا فيما قل وندر .

وقد صرفتنى الحياة فيما بعد ، كما تصرف الكثرة من شبابنا ، عن العناية بقراءة كتاب الله قراءة تمعن وتدبر ، كما صرفتنى عن سماعه الا فى مناسبات معلومة معدودة ، حتى اغتربت عن وطنى ، وكان المصحف على رأس الكتب التى اصطحبتها معى فأخذت أقرأ ما تيسر من القرآن كلما مسنى كرب ، أو هتف بى هاتف الايمان وضجت نفسى من فرط انحرافها عن طريق الله وانشغالها الملح بشؤون الحياة فى محيط ممتلىء بأسباب الغواية .

ولأول مرة بدأت أقرأ الكتاب المنزل قراءة متدبر يبحث عن نفسه فيما يقرأ من سوره وآياته يريد أن يكشف أسرار بيانها وأن يستهدى حكمها وتشريعها . وهكذا اكتشفت القرآن حينما خلوت اليه وغصت فى أعماقه فتذوقته واستطبت عباراته ، واستسغت تراكيبه ، وأحببت بيانه .

وقد رأيت أن القرآن الكريم قد جعل محور اهتمامه الاول الانسان فى صلته بخالقه وتصرفه مع نفسه ومع غيره . جعل خليفة فى الارض وتحمل الامانة التى عرضت عليه . مدت له أسباب الهداية والضلال ، والخير والشر . ولقد اهتم القرآن بحياة الانسان على هذه الارض كما اهتم بحياته الاخرى ، فجعل من حقه ألا يجوع فيها ولا يعرى . سخر الله له البر والبحر ، وقسم له رزقه ، وأمره بالعدل والاحسان ، والاعتدال والقصد ، وهو لذلك شرع له الشرائع ، وبصره بحقيقة نفسه : خيرها وشرها ، وأتاح له تطهيرها وتزكيتها بالعبادات ، وحثه على استعمال عقله واستكشاف ما حوله ، وأشعره بحدود قوته وحقائق ضعفه ، ثم منحه الحرية والقدرة على الاختيار فى محيط القدرة الألهية المتحكمة فى الكون المنظمة لنواميسه ، وقد جعل رسالة الانسان على الارض أن يعنى بأمر نفسه ، روحا وبدنا وعقلا ، وأن يرعى شؤون أسرته ،

وأن ينتظم فى جماعة متماسكة يتعاون أفرادها على البر والتقوى ويسعون الى نيل كفايتهم من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك من متع مادية مباحة ، ويجتهدون لنيل السعادة والطمأنينة والأمن والتزود لدار الخلود .

وقد رأيت أن القرآن ليس بكتاب طقوس غامضة وأقوال معماة ، بل هو كتاب مجادلة ومحاورة واقناع ، برهانه بين يديه ، يكلم الانسان بلهجة مباشرة وعبارة مقتضبة نافذة ، يخاطب عقلك أحيانا ، وجوارحك ومشاعرك فى أحيان أخرى ، يضرب لك الأمثال ، يبشرك وينذرك ، يرغبك ويرهبك ، يريك الخير بينا والشر واضحا ، يقيم الحجة لك أو عليك ، وهو فى كل ذلك رفيق بك مشفق عليك معنى بشؤونك . وهو بعد ذلك لا يذكر الايمان الا مقرونا بالعمل الصالح .

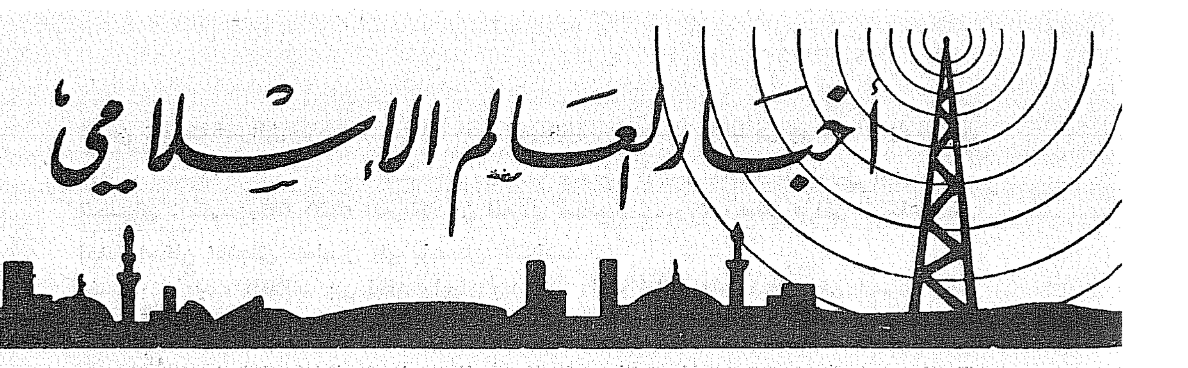
هذا بعض ما اكتشفته فى القرآن الكريم اقتضبت الكلام عنه اقتضابا ، وأرسلته بريئا من كل اسراف .

وجدير بالمرء أن يكتشف فى كل يوم جديدا فى كتاب الله اذا هو واظب على تلاوته بعين فاحصة ووجدان متفتح وفكر متدبر وقلب خاشع .

عودى الى ثوب العفاف

ومن قصيدة للأستاذ عبد الحى عبد اللطيف محمد تحت هذا العنوان نقتطف الابيات التالية : ــ

عودى الى ثوب العفاف ، وقيت شر الحادثات
عودى أيا حواء عودى فالفضائل ساحرات
عودى الى سحر الأنوثة ، فى ثياب مسبلات
حواء ما احلى جمالك ، مكتسى بالضافيات
عودى فزينتك الفضيلة لا فنون المغريات
هيا الى ثوب الهدى ان رمت عيش الراقيات
ليس الترقى فى حياة العرى عيش السائمات
صنع الشباب ، ومقبل الأجيال ، عرس النابهات
تبنيه للأمجاد ، أو .. تلقى به للسافيات
تبنى العروبة مجدها من باذلين ، وباذلات
هذا عدو الدار يستخفى وراء العابثات
نشر السموم تقوض الاركان من ماض وآت
واذا تباعد ديننا فالدار أولى الذاهبات



الكـويت : صرح معالى وزير الدولة بأن الكويت تراقب الوضع فى الأردن وبخاصة المساعى التى تقوم بها تونس والسعودية ومصر لايجـاد حل يضمن حرية العمل الفدائى ويؤكد التزام الأطـراف المعنية باتفاقيـة القاهرة وبرتوكول عمان .

● يتضمن برنامج الزيارة التى يقوم بها حاليا معالى الأستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية للهيئات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى تفقد بعض المراكز الاسلامية فى أوروبا والوقوف على نشاطها الاسلامى .

● على أثر اعلان وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عن عزمها على فتح دار القرآن الكريم فى العام الدراسى القادم والوزارة تتلقى مئاتالطلبات الراغبين فى الالتحاق بها من داخل البلادوخارجها.

● كما أعلنت الوزارة عن استعدادها لافساح المجال أمام كل مواطن يجد فى نفسه الكفـاءة للخطابة فى المساجد .

● تبدى الوزارة اهتماما خاصا بمحاربة الحركات الهدامة فى العالم وقد قامت بتوزيع كميـات كبيرة من المطبوعات التى تفضح هذه الحركات .

● أهـدت الكويت (٣٢٠) صندوقا من الكتب والمراجع الاسلامية والكتب المدرسية لاندونيسـيا . وقد ساهمت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ووزارة التربية فى هذه الهدية .

القـاهرة : أعلن الرئيس أنور السادات أن سنة ٧١ ستكون سنة حاسمة وستشهد الشهور القادمة بداية التحرك العملى لانهاء الازمة مع اسرائيل حربا أو سلما .

● صرح الدكتور فوزى رئيس الوزراء لرجال الصحافة بأن عليهم بأن يقوموا بدور المحتسب فى الاسلام وأن الاسلام أصدق دستور فى الوجود .

● صرح فضيلة شيخ الأزهر أن على العلمـاء اليوم الدور الاكبر نحـو واجب الدعوة الاسلامية ، وأن الاسلام لن يستعيد قوته الا بتوحيد جهود الأمة الاسلامية وتضامنها .

● قام فضيلة شيخ الأزهر بزيارة الى ايران لبحث أوجه التعـاون الاسلامى بين البلدين ، ومن المنتظر أن يقوم شيخ الأزهر بزيار مماثلة الى أندونيسيا .

● ستقيم مصر هذا العام مؤسسة تبلغ تكاليفها مليون جنيه للفكر والتراث الاسلامى وتصـدر كتابا اسلاميا كل شهر .

● قيل ان النية تتجه الى الغاء نظام القرعة فى الحج وتيسير السبيـل لكل راغب هذا العـام ، وينتظر أن يبلغ عدد الحجاج المصريين هذا العام — كما صرحت بعض المصادر — أربعين ألف حاج .

السعودية : أجرى ممثلا جلالة الملك فيصل والرئيس السادات مشاورات واسعة مع جلالة الملك حول الجهود المبذولة لحسم النزاع بين الفدائيين والسلطات الاردنية .

● تعهد مندوب رابطـة العالم الاسلامى لمؤتمر مسلمى أمريكا بتقديم المساعدة للمسلمين فى جهودهم التى يبذلونها من أجل الدعوة الاسلامية .

الأردن : قامت اسرائيل بترحيل (٢٣٠٠) أسرة فلسطينية من معسكر جباليا فى جو من الارهاب ضمن عمليات التصفية واخلاء الشعب الفلسطيني من بلاده وتفريغ الاراضى المحتلة للمهاجرين اليهود .

العــراق : ذكرت وكالة الانباء العراقية بأن العراق سيقدم (٣٠٫٠٠٠) دينار عراقى للمساهمة فى اعادة اسكان اللاجئين العائدين الى باكستان الشرقيــة .

لبنــان : أعيدت العلاقات بين لبنان وايران بعد فترة دامت ثمانية عشر شهرا على أثــر رفض لبنــان تسليم الجنرال بختيارى لايران .

● أنهت اللجنـــة الدولية للتحقيق فى جرائم اسرائيـــل فى الارض المحتلة عملها ، وقد غادرت اللجنة بيروت فى الشهر الماضى .

ليبيـــا : عقد مؤتمر قمة من ٥ دول عربية وقد أهاب بالعرب أن يمدوا يد المساعـــدة للفـــدائيين الفلسطينيين ويمنعوا كل تصفية لها وذلك استجابة لدعـــوة الرئيس القذافى التى وجهها الى الملوك والرؤساء العــرب .

تونــس : أعلن أن تونس قررت التبادل الديبلوماسى بينها وبين سلطنة عمان فى الخليج العربى .

الجــزائر : عقد ملتقى ثقافى بين المغرب وتونس والجــزائر وقد دعا وزير الثقافة الجــزائرى الى الاهتمــام بابراز خصائص الحضارة العربية الاسلامية .

● صدر قرار بتعميم تعريب القضاء وتعريب كل مراحل التعليم فى البلاد ابتداء من العـــام الدراسى القادم .

المغــرب : أكد العــاهل المغربى دعمه غير المشروط للشعب الفلسطينى فى جهوده لاسترجاع حقوقه فى فلسطين كاملة .

الســودان : عاد الامن والاســتقرار الى السودان عقب الاضــطرابات التى حدثت أخيرا بسبب الانقــلاب الفاشل .

اليمـــن : عقد فى صنعاء اتفاق ثنائى بين اليمن والمملكة العربية السعودية .

امارات الخليج : أعلن اتحاد امارات الخليج العربى بعد مشاورات دامت أكثر من عامين .

باكســتان : دعا السكرتير العام للامم المتحـــدة الدول الاعضاء فى المنظمة الدولية الى القيـــام بدور مباشر فيما يتعلق بالنزاع الهندى الباكستانى .

الفــليبين : حذر مسئولان مسلمان فى مانيلا من أن حربا مقدسة قد تنشب فى اقليم كوتا باتو على اثر المجازر الوحشية التى ترتكبها العصابات المسلحة ضد المسلمين هناك .

● أخبـــار متفرقـــة ●

لوس انجلوس : أنهى المؤتمر الخامس لاتحاد جمعيات الطلبة المسلمين فى كندا وأمريكا أعماله فى الشهر الماضى وكان موضوع المؤتمر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى والمــدنى واستخلاص الأسس الانسانية من خطبـــة الوداع ومناقشة المجتمع المعاصر فى ضوء الاسلام ..

باريس : أقيم فى الشهر الماضى معرض للفن الاسلامى فى متحف باريس عرضت فيه بعض الأجهزة العلمية للرصد وغيره كما عرضت بعض الهدايا المتبادلة بين هرون الرشيد وشارلمان .

سويسرا : وافقت وزارة الخارجية السويسرية على السماح بفتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى جنيف .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم‍ عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل‍ الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شـارع الصحافـــة .

جـــدة : **مكتبة مكة** ـــ السيد عوض با عامر ـــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شـارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشـعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

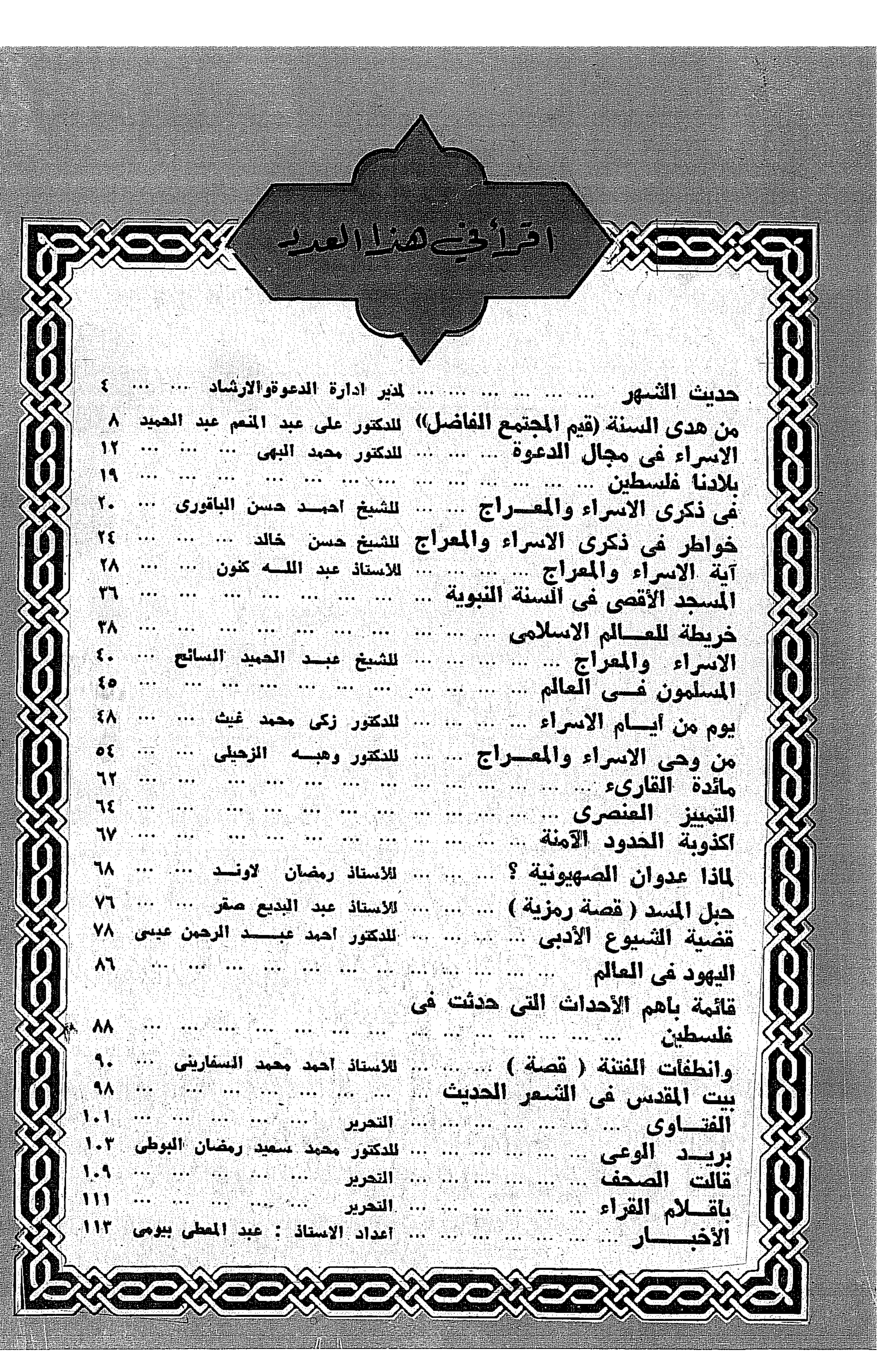
دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ـــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ـــ السيد سالم الانصارى ـــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



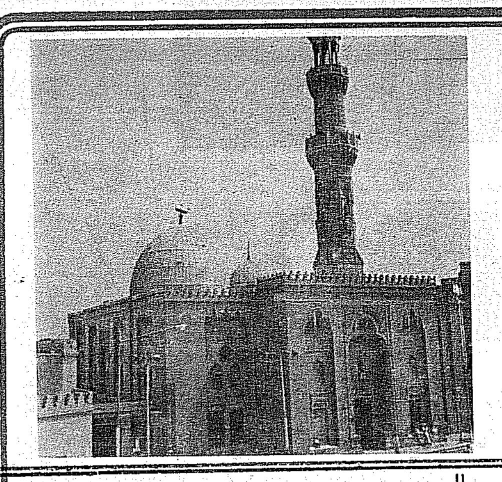
اقرأ في هذا العدد



السنة السابعة ـ العدد ٨٠ ـ شعبان سنة ١٣٩١ هـ ـ ٢١ سبتمبر (أيلول) ـ ١٩٧١م



قام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بزيارة للمسجد الاموى بدمشق ، وقد رافقه فى هذه الزيارة رئيس بعثة الشرف ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية فى الجمهورية العربية السورية عبد الحليم خدام . ويبدو فى الصورة الشيخ عبد الله الجابر المستشار الخاص لسمو الامير المعظم وبعض المرافقين.



مسجد الامام الشافعي بالقاهرة . انشاه الملك الكامل المظفر سنة ٦٠٨ هـ وجدد سنة ١٣٠٩ هـ ، وتبدو في الصورة قبته الضخمة ومنارته الشاهقة ، وهي مبنية على الطراز المملوكي .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الثمانون

شعبان سنة ١٣٩١ هـ

٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

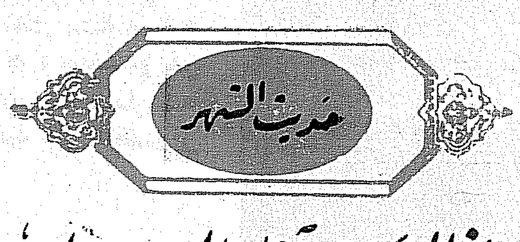
الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلها بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





ازالة آثار العدوان

العدوان الذى نعرض له فى هذا الحديث ، وننبه الى آثاره ونطالب بحشد القوى المتخصصة لازالته — عدوان اسرائيلى قديم ، لا يقل خطرا عن العدوان الاسرائيلى المعاصر الذى تستنفر له الآن جميع القوى العربية والاسلامية .

واذا كان اختيار الوقت المناسب للقيام بعمل من الأعمال شرطا اساسيا فى انجاحه فاننا نرى ان هذا الوقت الذى يبلغ فيه شعور المسلم ، — كل مسلم — بمرارة الحقد اليهودى عليه منتهاه هو انسب الأوقات واكثرها ملاءمة لاستثارة الجهود الاسلامية لازالة آثار العدوان الذى نلفت النظر اليه فى هذه السطور .

كان اليهود أعلم أهل الكتاب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أولى الناس بأن يؤمنوا به لأنه جاء مصدقا لما معهم من التوراة ، وموافقا لكل ما يعرفونه من صفاته التى وردت فيها ، وفى الوقت نفسه كانت توحى اليهم اثرتهم وانانيتهم انهم ابناء الله واحباؤه وشعبه المختار فى الأرض ، وان الأنبياء والرسل لا يكونون الا منهم ، فلما ارسل الله محمدا عربيا لا يهوديا غلبت عليهم طبيعة الحقد عليه والعداوة لدينه ، وملأ نفوسهم الحسد والغيرة ، فجعلوا يشككون الناس فى نبوته ، وطوعوا توراتهم لأهوائهم وشهواتهم ، فحرفوا كل ما جاء فيها عنه ، وغيروا كل ما يشير منها اليه أو يدل عليه ، واتخذوا كل وسيلة دنيئة وكل حيلة خبيثة حتى لا يظهر دين غير دينهم .

وكان من اخزاء الله لهم انه سبحانه فضح أسرارهم ، واظهر زيفهم على يد بعض احبارهم الذين شرح الله صدرهم للاسلام ، فدخلوا فيه مخلصين .

وعداوة اليهود للاسلام ، وكراهيتهم للمسلمين ، ومحاولاتهم لصد الناس عن دين الله ، ومؤامراتهم للتشكيك فيه وزعزعة الثقة والايمان فى قلوب المؤمنين ظاهرة واضحة منذ فجر الاسلام ، وكان جديرا بالمسلمين على ممر العصور ان يضعوها نصب اعينهم ، وان يكون تعاملهم مع بنى اسرائيل ، وتلقيهم لما ينقل عنهم بمنتهى الحذر والحيطة ، وخاصة بعد أن

تنزلت الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم تنبه الى أساليبهم الخفية فى الكيد للاسلام والمسلمين « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون » « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم انه الحق » « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » والمراد بأهل الكتاب فى الآيات اليهود ، والمراد بالطائفة جماعة منهم تحدثوا فيما بينهم ، وقالوا : أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار ، واكفروا آخره فانه أجدر أن يرجعوا عن دينهم . الى هذا المدى بلغت حملة التشكيك التى خطط لها اليهود لصد الناس عن الاسلام .

ان اليهود أجرأ الناس على وحى الله ، واقدرهم على تحريف كتبه بما يتفق مع طبيعتهم النكدة ، ولم يكن هذا مستورا عن المؤمنين حتى يعذروا فى تصديقهم ، والأخذ عنهم ، ونقل مفترياتهم .. لقد بلغ من أمرهم فى الجراة على الوحى انهم حاولوا أن يفتنوا الرسول نفسه ، وان يؤثروا عليه، ويجروه الى التحايل على تعاليم الله ، فقد روى أن زعماء اليهود قالوا لبعضهم : اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد انك قد عرفت انا احبار يهود ، واشرافهم وسادتهم ، وانا ان اتبعناك اتبعتك اليهود ، ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، فنحاكمهم اليك ، فتقضى لنا عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

هذه الصورة الحقيقية الواضحة لليهود . لعداوتهم للاسلام ، وتآمرهم عليه ، ومهارتهم فى الدس والتحريف ــ لم تمنع بعض المسلمين السابقين من النقل عنهم والأخذ منهم عند تفسير كتاب الله ، فامتلأت كتب التفسير التى الفوها بالغث والسمين والحق والباطل ، والصحيح والمزيف . امتلأت بالاسرائيليات ، عن هذا الطريق استطاع اليهود أن يحققوا نواياهم السيئة فى تشويه الفكر الاسلامى وتضليل العامة .

وهذه نقول ونماذج من الخرافات والقصص الاسرائيلى الذى شغف به نفر من المفسرين ، فضمنوها تفاسيرهم ، وهى آثار فكرية مضللة وفدت على الثقافة الاسلامية ، وخدع بها عامة المسلمين ، واستغلها خصوم الاسلام من المستشرقين .

١ ــ قال مقاتل بن سليمان عند تفسير قوله تعالى : « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها : اما مكة فتخربها الحبشة ، وتهلك المدينة بالجوع ، والبصرة بالغرق ، والكوفة بالترك ، والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكر بلدا بلدا .

وروى عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب

أرمينية ، وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ، ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ، ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة ، فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بنى هاشم ، وخراب الأندلس من قبل الزنج ، وخراب افريقية من قبل الأندلس ، وخراب مصر من انقطاع النيل ، وخراب العراق من الجوع ، وخراب الكوفة من قبل عدو يحصرهم ويمنعهم من الشراب من الفرات ، وخراب البصرة من قبل الفرق ، وخراب الأبلة عدو يحصرهم برا وبحرا ، وخراب الرى من الديلم ، وخراب خراسان من قبل التبت ، وخراب التبت من قبل الصين ، وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع .

٢ — والامام النسفى مع فضله وعلمه وتحقيقه لم يسلم تفسيره من هذه الاسرائيليات ، فهو فى تفسير قوله تعالى : « وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير » يقول : روى انه صاحت فاختة فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : يقول كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : يقول استغفروا الله يا مذنبون ، وصاح خطاف فقال : يقول قدموا خيرا تجدوه ، وصاحت رخمة ، فقال : تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه ، وصاح قمرى فأخبر انه يقول سبحان ربى الأعلى . . واخذ يعدد الحيوانات والطيور ويترجم أصواتها .

٣ — وقد تجاوزت الاسرائيليات هذه الترهات والسخافات الى التطاول على مقامات النبوات وانك لتجد هذا التطاول الفاضح مسطورا فى كثير من الكتب عند تفسير قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط » وعند قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » .

ومع ان كثيرا من أئمة الفكر الاسلامى فى العصور السابقة تنبهوا الى هذه الاسرائيليات فان أحدا من المسلمين لم ينهض لتطهير الكتب منها وازالة آثار هذا العدوان الاسرائيلى عليها .

يتحدث العلامة ابن خلدون فى مقدمته عن كيفية تسرب هذه الاسرائيليات الى المسلمين ، واسباب — استكثارهم منها فيقول عند الكلام على التفسير بالمنقول : وقد جمع المتقدمون فى ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمردود،والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شىء مما تتشوق اليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة ، واسرار الوجود فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ، واهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية ، فلما اسلموا ابقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام

الشرعية التى يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك .. فامتلأت كتب التفسير من المنقولات عنهم ، وفى أمثال هذه الاغراض أخبار موقوفة عليهم ، وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا من أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك . الا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ » .

ان تصحيح كتب التفسير وتنقيتها مما أصابها من الاسرائيليات المخرفة واجب تجب المسارعة الى النهوض به ولا أدرى كيف تورط الأولون فى هذا النقل ، ولا كيف سكت الآخرون عنه الى هذا اليوم مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى المسلمين أن يأخذوا شيئا عن أهل الكتاب لا يتفق مع أصول دين الله وأحكامه وآدابه فقد روى أحمد عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبى بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى ، فغضب وقال : أمهوكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده : لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى ، وفى رواية : لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، وبباطل فتصدقوا به .

وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء ، وكتابكم الذى انزل على رسول الله أحدث الكتب تقرءونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله ، وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى انزل اليكم .

والعدوان الذى ننبه اليه فى هذا الحديث هو عدوان اليهود على الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية .. هو المفتريات التى دسها اليهود على بعض المفسرين لكتاب الله . هو الاسرائيليات التى حفلت بها هذه الكتب كلون كلب أهل الكهف ، والبعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ووصف سفينة نوح واسم الغلام الذى قتله الخضر ، ونوع الشجرة التى أكل منها آدم وزوجه ، والحيوان الذى تقمصه الشيطان فدخل الجنة ووسوس لهما وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم .. الخ .

وازالة آثار هذا العدوان تكون بتوفر جماعة من أهل العلم على هذه الكتب وتصفيتها مما علق بها .

ان واجب المسلمين الى تصحيح هذا التراث لا يقل أهمية عن احياء التراث ، وازالة آثار هذا العدوان لا تكلف المسلمين دما ولا سلاحا وانما تكلفهم جهدا وصبرا .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلي



ومكانة الاجتهاد فيه..

لعالم إسلامي كبير

ما هى حدود التشريع فى الاسلام وما هى مكانة الاجتهاد فيه ؟ اذا اردنا معرفة ذلك ، فلا بد أن نكون ، قبل كل شىء ، على ذكر بين من أمرين :

اولهما : أن الحاكمية فى الاسلام مختصة بالله وحده ، لا يشاركه ولا ينازعه فيها غيره ، ذلك بأن التوحيد ، كما فسره القرآن يستلزم أن يكون الله وحده هو المعبود بالمعنى الدينى المعروف ، ليس ذلك فحسب ، بل يستلزم أن يكون الله وحده هو الحاكم المطاع ، والآمر والناهى ، والشارع بالمعنى السياسى والقانونى أيضا ، وهذه الحاكميه القانونية قد أبدا القرآن واعاد فى بيانها بمثل القوة والجزم الذى يبين به عقيدة الالوهية الدينية ، واكد كل التأكيد ان كلا من هاتين المنزلتين من المقتضيات اللازمة لالوهية الله تعالى لا يجوز فصلها عن الأخرى بحال من الاحوال وقرر بما لا مجال فيه للارتياب والشك أن انكارها انكار لالوهية الله ، ثم ان القرآن لم يترك اى منزع لشبهة أن يراد بالقانون الالهى قانون الطبيعة والفطرة ، وجعل من واجب الانسان ، اذ يدعوه الى التوحيد ، أن يعترف فى حياته الخلقية والاجتماعية بذلك القانون الذى أنزله الله على انبيائه ورسله ، بل ان الايمان بهذا القانون ، وبتجرد الانسان عن استقلال نفسه وحرية ذاته ازاءه هو الذى يسميه القرآن بالاسلام ويأبى — بأوضح ما يكون من البيان — ان يكون للانسان حق فى

ان يقضي برايه شأنا من شؤون حياته اذا كان قد قضاه الله ورسوله **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** .

وثانيهما : وهو لا يقل فى اهميته فى الاسلام عن توحيد الاله ــ هــو ان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسل الله وخاتم انبيائه ، وهذا ما تخرج بــه عقيدة توحيد الاله من حيز الفكرة المجردة فتبرز بشكل نظام عملي ويقــوم على أساسها بناء نظام الاسلام الشامل للحياة الانسانية ، ذلك بأنه قد اجتمعت بموجب عقيدة الاسلام تعاليم جميع الانبياء السابقين مع زيادة تعاليم مهمة أخرى فى تعليم محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده المصدر الموثوق به لهدى الله وتشريعه ، ولن يأتى من الله بعده هدى أو تشريع يحتاج الانسان أن يرجع اليه ، وتعليم محمد صلى الله عليه وسلم هو القانون الاعلى الذى يمثل للناس مرضاة الحاكم الأعلى ، وقد وصل الينا على صورتين :

القرآن : وهو كلام الله لفظا ومعنى ويشتمل على احكامه وأوامره ونواهيه.
والسنة : أو الاسوة الحسنة لمحمد صلى الله عليه وسلم « وهى التــى تبين غاية القرآن وتشرح مقصد نزوله » .

ما كان محمد صلى الله عليه مبلغا لكتاب الله فحسب ، بل كان من وظيفته مع ذلك أن يكون اماما للناس وقائدا وحاكما ومعلما ومرشدا ، يشرح لهم القانون الالهى بقوله وعمله ، ويخبرهم بغايته الحقيقية ويربيهم على مطالبه ومقتضياته ، ويعمل على تشكيلهم فى صورة جماعة منظمة ، ويرى العالم كله ، فى قالب دولة راشدة مرشدة ، كيف يقوم على مبادىء الاسلام نظام حضارة متكاملة راقية ، وان هذه المهمة التى اضطلع بها الرسول صلى الله عليــه وسلم طوال حياتــه النبوية (٢٣ سنة متوالية) هى السنة التى باشتراكها واجتماعهــا مع القــرآن يكتمل القانون الاعلى من الحاكم الاعلى لرعيته فى الارض ، وان هذا القانــون الاعلى هو المعروف (بالشريعة) فى المصطلح الاسلامى .

حدود التشريع :

وقد يظن الانسان لأول سماعه بهذه الحقائق الاساسية أن الدولة الاسلامية لا مجال فيها أصلا لتشريع الانسان ، اذ أن الله هو الشارع الوحيد فيهــا ، ولا وظيفة فيها للمسلمين سوى أن يتبعوا ما جاءهم به الرسول من قانونه ، بيد أن الحقيقة ، ان الاسلام لا ينافى تشريع الانسان وانما يحيطه بسياج من القانــون الالهى ويحده بعلوه ، أما ما هى دائرة تشريعه تحت القانون الالهى الاعلى وفــى ضمن حدوده ، فهذا ما أريد بيانه فى هذه الكلمة متوخيا الايجاز والاختصار .

تفسير الاحكام :

منها ما قد جاء فيه القرآن والسنة بحكم قاطع واضح ، أو وضعا له قاعدة خاصة فليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعى أن يغير فى مثل هذه المعاملات والشؤون أحكام الشريعة وقواعدها ، وليس معنى ذلك أنه لا مجال مع هــــذه

الاحكام لتشريع الانسان ، بل ان دائرة تشريع الانسان فيها ان يعرف أولا بكل دقة ما هى احكام الشريعة فى واقع الامر ويحدد ثانيا مفهوم تلك الاحكام ، ويتبين لأى الحالات والوقائع هى ، وتقرر أخيرا صور تطبيقها على القضايا الطارئة الحاضرة وتفاصيلها الفرعية ان كان فيها المجال ، والذى يجب أن يشخص مع كل ذلــك ، هو : أين والى أى حد يجوز للانسان التشريع للاحداث والوقائع الاستثنائية على أن لا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها .

القيـــاس :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم ، ولكن لها أحكام فى امثاله واشباهــه فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن تعرف علل الاحكام بدقــة تامة وتنفذ فى كل شأن توجد فيه تلك العلل ويستثنى منها كل شأن لا توجد فيه تلك العلل .

الاستنبـاط :

ومنها ما لم تأت فيه الشريعة بحكم صريح ، ولكن جاءت فيه وفى أمثالـــه بقواعد جامعة او اظهرت مرضاة الشارع عنه ، فيجب العمل على تنميته وترقيته وما هو مبغض عنده يجب العمل على محوه واستئصاله ، فالتشريع فى مثل هذه الشؤون والمعاملات يكون بأن يعرف ما جاء فيها مـــن قواعد الشريعـــة ومرضاة الشارع ، ويوضع فى القضايا العملية الحاضرة من القوانين ما يقوم على هذه القواعد ويحقق مرضاة الشارع .

دائرة التشريع بحرية الراى :

ومنها ما سكتت الشريعة فى بابه سكوتا تاما ، فلا جاءت فيه بحكم صريح ، ولا بهداية فى امثاله وأشباهه حتى يقاس عليها ، فلا معنى لسكوت الشريعة فى مثل هذه الشؤون الا أن الحاكم الاعلى بنفسه قد أجاز الانسان ان يقضيها برأيه ، فالتشريع جائز فيها للانسان بكل حرية على أن يكون موافقا لروح الاسلام وقواعده العامة ، والا تختلف طبيعته عن طبيعة الاسلام الشاملة حتى يلتئم أحسن التئام مع نظام الاسلام للحياة .

الاجتهـــاد :

وكل هذا العمل التشريعى الذى يحرك نظام الاسلام للقانون ويرقيه حتـــى يلبى حاجات البشر ويجارى تطورات الزمان ، لا يمكن أن يتم الا بتحقيـــق علمى وخاص وبذل للقوة الذهنية على صفة غير عادية ، وهو المعروف بالاجتهاد فـــى المصطلح الاسلامى .

والاجتهاد معنـــاه لغـــة : بذل الجهد واستنفاده ، والمراد به اصطلاحــا بذل الجهد واستنفاده فى استجلاء حكم الاسلام أو مقصوده فى القضية تحت

البحث . وقد يخطىء بعض الناس ويفسرون الاجتهاد بمعنى التمتع بحرية الرأى دون ما قيد أو شرط ، على أن كل من له أدنى المام بطبيعة القانون الاسلامى ومزاياه لا يكاد يذهب به سوء الفهم الى أن فيه مجالا لهذا النوع من الاجتهاد لأن القانون الحقيقى فى الاسلام هو القرآن والسنة ، ولا يجوز التشريع فيه للمسلمين الا بشريطة أن يكون مأخوذا من هذا القانون الحقيقى أو فى ضمن الحدود التى يبيح لهم أن يتمتعوا فيها بحرية رأيهم ، فكل اجتهاد لا يستند الى أحكام الشارع الحقيقية ولا يتقيد بحدودها ليس من الاجتهاد الاسلامى فى شىء ولا مكانة له فى نظام الاسلام القانونى .

الاوصاف اللازمة للمجتهدين :

ولأن الاجتهاد ليس المقصود به احداث الثلم فى القانون الالهى ليستبدل به القانون الانسانى ، وانما المقصود به فهم القانون الالهى فهما دقيقا وجعل نظام الاسلام القانونى ملبيا لحاجات البشر مجاريا لتطور الزمان تحت هدايته وارشاده فلا يصح أى اجتهاد الا بأن يكون المتولون لمهمته على جانب عظيم من الصفات الآتية :

١) الايمان بالشريعة الالهية ، والايقان بكونها الحق ، والعزيمة الخالصة لاتباعها ، وخلو الذهن والفكر من الرغبة فى التحلل من حدودها وقيودها وعدم أخذ الغايات والمبادىء من مصدر غير مصدرها .

٢) الالمام الجيد باللغة العربية وقواعدها وأساليب أدبها ، لأن اللغة العربية هى التى بها نزل القرآن ولا يتسنى معرفة السنة الا بها .

٣) التضلع بعلم القرآن والسنة حتى لا يعرف به الانسان أحكام الشريعة الفرعية ومواضعها فحسب ، بل يفهم أيضا قواعدها الكلية وغاياتها معرفة جيدة : يجب أن يعرف المجتهد ما هى خطة الشريعة لاصلاح الحياة الانسانية بأجمعها ، ويعرف الى جانب ذلك ما هى مكانة كل شعبة من شعب الحياة فى هذه الخطة الجامعة الشاملة ، وما هى الخطوط التى تريد الشريعة أن تؤسس عليها مختلف شعب الحياة وما هى المصالح التى ترمى اليها فى تأسيسها أو بكلمة موجزة : ان الاجتهاد شىء يتطلب من الانسان علما بالقرآن والسنة يوصله الى مغزى الشريعة وجوهرها .

٤) الوقوف على تراثنا القانونى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ، والحاجة اليه ليست للتدرب على الاجتهاد فحسب ، بل هى كذلك لاستمرار الارتقاء القانونى لأنه ليس — ولا يسوغ ان يكون — المقصود بالاجتهاد ان يهدم كل جيل جديد ما بناه سالفه أو يحكم عليه بالبلى ويشرع فى بنائه من جديد .

٥) التخلق بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاسلام للاخلاق ، لأنه لا يمكن بدونه أن يطمئن عامة الناس الى اجتهاد المجتهدين ولا أن تنشأ فى قلوبهم عاطفة الاحترام للقانون اذا كان قد قام بوضعه الافراد غير الصالحين ..

ليس المطلوب ببيان هذه الاوصاف أن على كل مجتهد أن يثبت بدلائل على

كونه متصفا بها ، بل المطلوب ببيانهــا انه لا يمكن بالاجتهــاد انعاش القانــون الاسلامى وترقيته على الخطوط الصحيحة ، الا بأن يكون نظامنا لتعليم القانــون صالحا لاعداد رجال من ذوى العلم متصفين بهذه الاوصاف والاخلاق المذكورة ، وكل تشريع بدون ذلك لا يمكن أن يتفق مع نظام الاسلام القانونى ولا أن يستسيغه مجتمع المسلمين .

الطريق الصحيح للاجتهاد :

وكما أن قبول الأمة شيئا من الاجتهاد والتشريع يتوقــف على أن يــكون المجتهدون صالحين للاجتهاد ، فكذلك هو يتوقف على أن يكون اجتهادهم بطريق صحيح يطمأن اليه ، فالشريطة الاولى للاجتهاد الصحيح ـــ سواء أكان تفســيرا لحكم أو قياسا عليه أو استنباطا منه ـــ أن يكون مبنيــا على دلائل من القــرآن والسنة ، وأما اذا كان التشريع فى دائرة المباحات فعلى المجتهد أن يأتى بالدلائل على انه لا القرآن ولا السنة قررا حكما أو قاعدة فى القضية ، ولا جاء فى أحدهما أساس للقياس فيها ، ويجب أن يكون الاستدلال بنصوص القرآن والسنة قائمــا على قاعدة من القواعد المسلم بها بين أهل العلم ، فاذا أراد المجتهد أن يســتدل بالقرآن ، فعليه أن لا يفسر كل آية الا بما تسمح به اللغة العربية وقواعدهــا وأساليبها المعروفة ، ويتفق مع سياق عبارة القرآن ، ولا يصطدم مع بيانــات القرآن عن الموضوع نفسه فى مواضع أخرى ، وتؤيده شروح السنة القوليــة والفعلية أولا تعارضه على الاقل ، واذا أراد أن يستدل بالسنة الفعلية ـــ مــع رعاية اللغة وقواعدها وسياق العبارة ـــ ان لا يستدل فى مسألة ما الا بروايات صالحة لقيام الحجة بها حسب أصول علم الرواية ، ولا يغفل ما فى تلك المسألة الخاصة من الروايات القوية الأخرى ولا يستنتج من روايــة ما يخالف الكتــاب والسنة الثابتة بالطرق القوية الاخرى ، وكل اجتهاد لا تراعى فيه هذه الامور ولا يقوم الا على أساس اهواء النفوس ورغباتها وأمانيها ، فانه لو جعل جزءا مــن القانون بالقوة السياسية ، لن يقبله ضمير المسلمين الاجتماعى ، ولن يكون جزءا من نظام الاسلام القانونى ، انه يبقى جزء من القانون ما دامت القوة السياسية التى تنفذه آخذة بزمام نظام الحكومة ثم لا يكون محله مع زوالها الا الى ســلة الاوراق المهملــة .

كيف ينال الاجتهاد درجة القانون :

ونظام الاسلام للقانون فيه عدة صور لنيل اجتهاد فــرد أو طائفة درجــة القانون فمنها أن ينعقد عليه اجماع أهل العلم من الأمة ، ومنها أن يتلقاه الجمهور بالقبول كما قد تلقوا الفقه الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى فى غير واحد من البلاد الاسلامية ، ومنها أن تتبناه حكومة من حكومات المسلمين وتجعله قانونــا لنفسها ، ومنها أن يكون فى الدولة مجلس للتشريع حسب الدستور فيسن القانون باجتهاده ، أما اجتهاد مختلف أهل العلم عــلاوة على هذه الصور ، فهو بمثابــة الفتوى لا أكثر ، وأما اقضية القضاة فى المحاكم فهى ـــ على نفاذها فى ما يرفــع اليهم من الدعاوى وكونها بمثابة النظائر والاشباه ـــ لا تكون قانونا بالمعنــى

الصحيح ، حتى أن أقضية الخلفاء الراشدين لم تنل درجة القانون فى الاسلام ممن صدرت عنهم بصفتهم قضاة فى المحكمة .

انى سأحاول فى ختام هذا البحث أن أجيب — بأقصى ما يمكن من الايجاز — على ما يمكن أن يثار حوله من اعتراضات : فالاعتراض الاول هو على المكانة التى بينتها للسنة مع القرآن فى التشريع الاسلامى ، فأريد — جوابا على هـذا الاعتراض — ان أقدم اليكم أمورا ، حتى تتضح لكم القضية وذلك بالترتيب الآتى :

أولا — ان من الحقائق التاريخية الثابتة ، التى لا تقبل الانكار والجحود ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان قد اكتفى — بعد أن أكرمه الله تعـالى برسالته — بتبليـغ الناس القرآن بتلاوته عليهم ، بل كان مع ذلك ، قد قام بحركة شاملة ، ظهر كنتيجة لها ، مجتمع اسلامى خالص ونظام جديد للمدنية والحضارة وقامت دولة واسعة فى بلاد العرب ، فالسؤال الذى ينشأ فى هذا الصدد ، ان جميع هذه الاعمال التى قام بها الرسول ، عليه الصلاة والتسليم علاوة على تبليغ القرآن بتلاوته على الناس ، بأى صفة وعلى أى اعتبار كان قد قام بها ؟ هل كان قيامه بها من حيث كان رسولا من الله ، ممثلا لمرضاته ، مثل تمثيل القرآن اياها ، أم انما كانت رسالته تنتهى بمجرد تلاوته ما ينزل عليه من القرآن حتى لم يـكن بعدها الا رجلا عاديا من عامة المسلمين ، حيث لا حجة بقوله ولا عبرة بفعله فى حد ذاته ، من الوجهة القانونية ؟ فاذا سلمنا بالصورة الاولى ، فلا بد لنا أن نسلم بالسنة حجة قانونية مع القرآن ، واما فى الصورة الثانية ، فلا مبرر البتة ، لجعلها من القانون .

ثانيا — أما القرآن ، فيبين لنا بيانا واضحا شافيا لا لبس فيه ولا ابهام ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما كان مبلغا لما ينزل عليه من القرآن فحسب ، بل كان — مع ذلك — اماما للناس وحاكما ومعلما يجب على المسلمين أن يتبعوه ويطيعوه على المنشط والمكره ويعتبروا حياته أسوة لأنفسهم .

واما العقل ، فيأبى كل الاباء ان يعترف بقول من يقول أن الرسول انما هو رسول لحد تبليغه للناس كلام ربهم ، وما هو بعد ذلك الا رجل مثل سائر الرجال ، أما المسلمون منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا ، فما زالوا ولا يزالون مجمعين على الاعتقاد بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم اسوة واجبة الاتباع ، وان كل أمر من أوامره ونهى من نواهيه يجب الوقوف عنده ، ان هذه هى العقيدة التى ما زال ولا يزال عليها المسلمون ، ولا يسع مسلما أن يجحد بأن هذه هى مكانـة الرسول التى آمن بها المسلمون فى كل مكان وفى كل زمـان ، وانهم لأجل هـذا ما زالوا يسلمون بسنته مصدرا أساسيا لقانونهم مـع القرآن ، وليت شـعرى كيف يجوز لرجل فـى هذا الزمان ، أن يتحدى هذه المكانة للسنة ما دام لا يعلن اعلانا واضحا سافرا أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما كان نبيا الى حد تبليغه القرآن ، حيث كانت نبوته تنتهى بمجرد فراغه من تلاوته على الناس ثم ان هـذا الرجل — اذا كان يدعى ذلك — عليه أن يبين أن كان يعطى الرسول هذه المكانة من عند نفسه أو أن القرآن هو الذى قد أعطى الرسول هذه المكانـة ؟ اما فـى

الصورة الاولى فلا علاقة له بالاسلام أبدا وأما فى الصورة الأخرى ، فعليه أن يستدل بنص من نصوص القرآن .

ثالثا — والسؤال الذى ينشأ بعد تسليمنا بالسنة مصدرا أساسيا للقانون فى حد ذاتها وهو : ما هى الوسيلة لمعرفة السنة ؟ فأقول جوابا على هذا ان ليس لأول مرة قد واجهنا السؤال بأن السنة ، التى تركتها فى الدنيا تلك الرسالة التى كانت قد ظهرت فى بلاد العرب قبل الف وخمسمائة سنة ، ماذا كانت هى ؟ فهناك حقيقتان تاريخيتان لا تقبلان الانكار او المكابرة أولاهما : أن المجتمع الذى تأسس على تعليم القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بدء الاسلام ، لا يزال حيا قائما الى هذا اليوم وما فارقته حياته ليوم واحد ، وما زالت جميع مؤسساته طيلة هذه المدة قائمة بأعمالها بصفة غير منقطعة وان التشابه الذى يوجد اليوم بين المسلمين فى جميع اقطار الارض على تباعدها فى عقائدهم وأساليب فكرهم واخلاقهم وقيمهم وعباداتهم ومعاملاتهم ونظريتهم فى الحياة وطريقتهم لها ان هذا التشابه أو التماثل بين المسلمين الذى يغلب فيه عنصر التوافق والتطابق على عنصر التخالف والتفارق ، لهو دليل واضح ، وبرهان قاطع على أن المجتمع انما اقيم على سنة واحدة بعينها ، وان هذه السنة ما زالت جارية فى مجراها بصفة واحدة بدون انقطاع ولا توقف ان هذه السنة ليست بشىء مفقود حتى نحتاج للبحث عن آثارها الى التخبط خبط عشواء فى الظلمات .

والحقيقة التاريخية الثانية ، التى لا تقل عن الاولى فى جلائها وسطوعها ، هى أن المسلمين ما زالوا فى كل زمان بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يبذلون سعيهم ليعرفوا ما هى السنة الثابتة ، وما هو الشىءالاجنبىالذىيحاولالتسرب الى نظامهم للحياة بطريق صناعى وبما أنهم كانوا يرون فى السنة مصدرا لقانونهم وما كانت تحكم محاكمهم الا بها ولا كانت تجرى شؤون حياتهم — من شؤون بيوتهم الى شؤون حكوماتهم — الا على أساسها ، فما كان لهم بوجه من الوجوه ، أن يكونوا من الغافلين غير المكترثين لشىء فى تحقيقها ، فما زال كل جيل منا — منذ خلافة الاسلام الاولى الى هذا اليوم — يرث عن سالفه وسائل هذا التحقيق ونتائجه ولا يزال محتفظا به عندنا اليوم كل عمل تم على يد جيل من اجيالنا الماضية بدون انقطاع ولا ضياع .

فهاتان الحقيقتان التاريخيتان اذا تأمل فيهما الانسان ودرس ما اتخذ من الوسائل لنقل السنة دراسة علمية وافية ، لا تكاد تساوره الشبهة بأن قضية تحقيق السنة ووسائل معرفتها معضلة ، لا يمكن أن يوجد لها حل .

رابعا — لا شك ان قد ظهرت فى الماضى ، ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك اختلافات كثيرة فى المسلمين حول تحقيق السنة وتعيينها ، ولكن اليس من الحقيقة فى الوقت نفسه أن قد ظهر ويجوز أن تظهر فى المستقبل كذلك ، مثل هذه الاختلافات فى المسلمين حول تعيين المعنى لكثير من أحكام القرآن وآياته ، فاذا كان لا يجوز أن يكون وجود مثل هذه الاختلافات دليلا على ترك القرآن ، فكيف يجوز أن يكون دليلا على ترك السنة ؟ من القواعد التى ما زال يعترف بها من قبل

ولا بد من الاعتراف بها اليوم أيضا ، ان كل من يدعى شيئا انه من أحكام القرآن او أحكام السنة ، عليه أن يأتى بدليل على دعواه ، فان كانت دعواه قوية ، فــلا بد ان ترغم اهل العلم من الأمة او عددا كبيرا منهم على الاقل ، على الاعتــراف بصحتها ، واما ان كانت دعواه بدون وزن باعتبار الدليل ، فلا تنال رواجا فــى الامة أبدا ، وهذه هى القاعدة التى على أساسها قد اجتمع عشرات الملايين من المسلمين فى مختلف اقطار الارض على مذهب من المذاهب الفقهية واقامت جماعات كبيرة منهم نظامها الاجتماعى على طريق من الطرق لتفسير أحكام القرآن ومجموعة من مجامع السنة الثابتة .

هذا هو جوابى على الاعتراض الاول ، أما الاعتراض الثانى على مقالى ، فهو أن فيه التناقض أى ان قولى « ان ليس لفقيه ولا لقاض ولا لمجلس تشريعى أن يغير فى أحكام الكتاب والسنة القاطعة » وقولى « انه يجب أن يشخص بصــدد تفسير الاحكام انه أين والى أى حد يجوز للانسان التشريع للحالات والوقائــع الاستثنائية على أن لا يصطدم مع أحكام الشريعة وقواعدها » ، فهذان القولان بينهما التناقض فى نظر المعترض ، غير انى ما استطعت أن أجد بينهمــا هــذا التناقض ، لأن الدنيا لا يوجد فيها قانون ، الا وفيه الاستثناء من القاعدة العامة فى حالة الاعتذار والاضطرار ، وان القرآن نفسه فيه غير نظير واحد لمثل هذه الرخص والاستثناءات ، وان الفقهاء قد حددوا القواعد التى لا بد من رعايتها فى تعيين الرخصة ومواقعها ، كقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات ، وقاعدة ان المشقة تجلب التيسير . والاعتراض الثالث على جميع أولئك الذين قد بينوا فى مقالاتهم شرائط للاجتهاد والمجتهدين وبما انى واحد من هؤلاء ، أرى من الواجب على نفسى أن اقوم بالرد على هذا الاعتراض .

فالذىيحسن بى ــ فى هذا الصدد ــ أن اطالب المعترض بأن يتفضل ويعيد النظر مرة أخرى فى ما بينت فى مقالى من الشرائط ، ويبين أى هذه الشرائط يريد اسقاطه ؟ اشرط أن يكون المجتهد مؤمنا بالشريعة الاسلامية وموقنا بكونها الحق ؟ أم شرط أن يكون ملما باللغة العربية وقواعدها وأساليب أدبها ؟ أم شرط أن يكون متضلعا من علم القرآن والسنة ، أم شرط يكون واقفا على تراث الأمة القانونــى الذى ورثناه عن فقهاء السلف ؟ أم شرط أن يكون مطلعا على أحوال الحيــــاة العملية ؟ أم شرط أن يكون متخلقا بالاخلاق الفاضلة حسب مقياس الاســـــلام للاخلاق ؟ ــ هذه هى الشرائط التى بينتها فى مقالى ، فليتكرم المعترض ويبين بالتحديد أى شرط من هذه الشرائط يجب حذفه ؟ أما القول بأنه لا يمكن أن يوجد فى الدنيا كلها الا عشرة أو أحد عشر رجلا يعتبر أهلا لمثل هذه الشرائط ، فانى لا أرى هذا القول الا مبالغة شنيعة فى سوء الظن بمسلمى الدنيا .

ولعلنا لم ننل الانحطاط حتى فى نظر أعدائنا الى درجة أن لا يروا من بين مسلمى الدنيا كلها الا عشرة أو أحد عشر رجلا متصفين بهذه الصفات اللازمة للاجتهاد ، وأقول إنكم اذا كنتم متشوقين الى فتح باب الاجتهاد لكل زيد وعمرو ، فافتحوه على الراس والعين ، ولكن بينوا لى على الاقل أن الاجتهاد الذى سيتولاه الجهال بالاسلام ، غير المتقيدين بالاخلاق ، غير المخلصين فى ارادتهم المشبوهين فى نياتهم ، ماذا ستعملون لجعل اجتهادهم شرابا عذبا فراتا ، يستسيغه جمهور المسلمين .

من هدي السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ بجامعة الكويت

المسارعون في الخيرات

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » (١) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : (لا ، يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم . » اولئك الذين يسارعون فى الخيرات .

رواه ابن ماجة والترمذى

١ نظرة فى الآية الكريمة وخاصة فى الفعل (يؤتون) بالاضافة الى سؤال أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وجواب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعطى أن فى هذا الفعل قراءتين ، فقد قرأت أم المؤمنين : (يأتون) وتابعها فى ذلك ابن عباس وقتادة والأعمش والنخعى ، والمعنى على هذه القراءة (يفعلون) فهو من الاتيان يأتون ما اتوا أى يفعلون ما فعلوا ، وعليه صح أن يرد السؤال : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ، وفى رواية زيادة : ويزنون ، أى يفعلون هذه الافعال المنهى عنها شرعا ، والقراءة الثانية للجمهور : يؤتون أى يعطون ، وفى جواب سيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وأزكى السلام ما يشير الى هذا فقد قال : لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون .. الخ .. ومع هذا يخافون الا يقبل منهم ما قدموا ، ولهذا قيل : المؤمن يجمع احسانا وشفقة ، والمنافق يجمع اساءة وامنا ، وقال أبو عبد الله الرازى (ترتيب هذه الصفات (٢) فى نهاية الحسن ، لأن الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز والثانية على تحصيل الايمان بالله ، والثالثة على ترك الرياء فى الطاعة ، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتى بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين) .

بعد هذا نجد الجواب الشريف راسما الصورة الصادقة للمؤمن الكامل الايمان ، فالمؤمن الحق هو المعتقد اعتقادا جازما بوجود الله وصدق رسله غير مرتاب ولا شاك ، فهو يرى أن اداء ما فرضه الله عليه واجب لا يمكن مخالفته ، وأن الجهاد بالنفس والمال للموت والفناء أو النصر وكريم البقاء من أسمى غايات

الايمان ، يقول الله تبارك وتعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) ومن ظن أن الايمان هو اظهار القول دون التصديق بالقلب ودون أن يبرز اثر ذلك الايمان فى تصرفات المؤمن على حد قوله فهو اما منافق يدافع عن المنافقين مؤيدا لهم واما جاهل لا يدرى ما يقول ، قد اخرجه عناده عن دائرة الحق . والايمان يقرب العبد من ربه ويحمله على الخوف الشديد من لقائه ، وقد حث القرآن الكريم على الخوف من الله فقال سبحانه : (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى لا تخافوا أولياء الشيطان ولا تحفلوا بهم ، بل خافونى فى مخالفة أمرى لأنكم اوليائى وانا ناصركم . وقال سبحانه : (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وروى الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خاف ادلج ، ومن ادلج بلغ المنزل ، الا ان سلعة الله غالية ، الا ان سلعة الله الجنة) . والمؤمن متوكل على الله معتمد عليه واثق به موقن انه ناصره وهو حسبه ، وورد فى القرآن الكريم ما يشير الى ان التوكل شرط فى الايمان فى قوله تعالى : (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وفى قوله جل وعلا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) كما اشار القرآن الى حديث لرسل الله مع اقوامهم يؤيد هذا (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وحكى القرآن عن سيدنا هود عليه وعلى سيدنا محمد افضل الصلاة وأزكى السلام قوله (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) وما أكثر الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر التوكل على الله ، وروى ابن ماجة عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان بقلب ابن آدم أودية ولكل واد شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأى واد هلك ومن توكل على الله كفاه الله الشعب) . وفى مسند الامام احمد وسنن ابن ماجة والدارمى عن ابى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (انى لأعلم آية فى كتاب الله عز وجل لو اخذ الناس بها لكفتهم (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل لكل شىء قدرا) من دلائل الثقة بالله ، وقوة الايمان به ان يرهب المؤمن عقاب الله ويخشع لجلاله ويسارع فى عمل الطاعات مع الامل فى ثواب الله تعالى ، وقد مدح الله سبحانه عباده الذين اخلصوا العمل وخشعت قلوبهم لسلطانه ، قال تعالى : « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » وقال عز اسمه « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .

٢ — ويلاحظ فى الآيات والأحاديث أنها تدعو دائما للعمل الجاد مع الرجاء والخشية من الله ، فثواب الله وجناته لا تنال بالكلام دون التطبيق العملى الواقعى ، فلو وقف انسان تحت شجرة مثمرة الف عام وهو ماد يديه الى الثمر يطلب جناها دون أن يعمل ما يساقط عليه ثمارها فلن يحصل على طائل منها مهما دعا ومهما جأر بصوته ومهما نادى ، ولهذا كان من دلائل القرب من الله ادمان العمل بأوامره واجتناب نواهيه فمن أشفق من عذاب ربه عمل ما يبعده عنه ، ومن خاف أن يحشر الى الله وليس له من دونه ولى ولا شفيع فعليه بالعمل والامتثال وانظر الى قوله تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون . ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك

عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) وقوله سبحانه (انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وقوله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دائب العمل والاستغفار وقد ورد انه نوقش في هذا وقيل له لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأجاب عليه الصلاة والسلام : افلا اكون عبدا شكورا ، وورد أنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة والعدد هنا لا مفهوم له فربما كان يزيد الى مئات ، ومجمل القول أن الذي يقول ولا يعمل هو مخادع كذاب لا يخشى الله ولا اليوم الآخر .

٣ ــ فالذين يتحدث عنهم الرسول الكريم يعملون ويخافون أن لا يقبل منهم عمل ووصفهم بأنهم يسارعون في الخيرات وهنا نثوب الى واقع المسلمين ونتساءل هل طبقوا ما يعلمون من دينهم على ما يعملون في واقع حياتهم والجواب الذي يمليه ما هم عليه : كلا والف كلا حتى حملوا أسماء الاضداد فهذا مسلم ظاهرا وهو ابعد ما يكون عن الاسلام حقيقة ، وذاك سميع لله وهو يهجر ابسط قواعد دين الله ، وكأني بالمسلمين يتحدون ربهم والعياذ بالله من شر الوسواس الخناس،وذلك حين يقاتل بعضهم بعضا،ويقطع بعضهم أواصر القربى فقل لي من أعان التتر على المسلمين،ومن مزق دولتهم في القرون الاولى من تاريخ الاسلام،ومن أعطى الأندلس بعد اسلامها الذي دام ثمانية قرون لقمة سائغة لأعداء الله ، ومن حالف الكفر واستنصر بـه ، وولى ظهره لبني عمومته واوليائه المسلمين ، السنا نجني الآن ثمار اهمال طويل لدين الله ، وما واقع المسلمين اليوم الا حكاية كل يوم مر بهم عبر السنين المتلاحقة التي ولت ، وهم جثاة على أعتاب الشيطان الذي أذلهم حين عاذوا بـه ويوم لاذوا بسلطانه فزادهم رهقا ، وكيف يطلب احترام الغير من لا يقدر نفسه ولا يزنها بميزان اسلامه وكرامته ، بميزان قرآنه وسنة نبيه .

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا

عاش المسلمون دهرا يستذل قويهم ضعيفهم فخرست الألسن عن الحق ، ولاذ مؤمنهم بجحر ضب خرب ، وأصم اذنيه وأعمى عينيه ، يرى ما يستحق الانكار ولا يستطيع أن يفتح فاه بكلمة صدق فضاعت فيهم حرية الرأي وانطلقت ألسنة السوء تغتال كل كريمة وتقبح كل حسن وتجمل ما ساء وما يهلك ، واحتال العقلاء للوصول الى طريق النجاة ولكن هيهات ، وأخيرا تواكلوا ولم يتوكلوا ، وتركوا اللب واهتموا بالقشور، جرت الأمثال تنذر أحيانا في أسلوب ساخر تلميحا ففي التصريح الموت والدمار وقال قائلهم : (عــلام تناطحون والجزار بالباب) ونادى مناديهم (كلنا في الهم شرق) وما قصر الداعون وان عملوا في جو رهيب .

ونعود فنتذكر أن اليأس مهلك ، وأن الأمل محيي موات القلوب ونسارع الى كتاب الله والى جهاد السابقين فنجد الدواء والقدوة ولقد كان لنا في رسول الله الاسوة الحسنة ، وعسى أن يطلع الغد بما هو خير لأوطان الاسلام ونور يضيء لقادة القوم طريق الحياة الكريمة ويريهم الغي غيا فيبتعدوا عنه ، وسبيل الرشد صلاحا فيسلكوه ، ومهما طال الليل فلا بد من فجر ، ومتى اشتد الظلام طلب الضياء فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا . ولكن لا بد من اقتران القول بالعمل والاستعانة برب كل شيء فالله يقول بعد هــذا « فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب » .

---

(١) الاية ٦٠ من سورة « المؤمنون » .

(٢) الواردة في الآيات المنضمة الى الآية الكريمة التي معها وقد سبقها ولحقها آيات اخر هي من قول الله تعالى « ان الذين هم من ربهم مشفقون ، الى قوله سبحانه اولئك يسارعون في الخيرات » .



ان هذا الوجود كله بما فيه من حيوان ونبات وجماد ، وبما فيه من صنع عظيم وانتظام بديـع وتنسيق رفيع ، لأكبر آية على وجود مبدع لا شريك له .

ان هذا الوجود بنظامه الدقيق ، وما فيه من سنن لا تتخلف ، وتماسك لا يقبل التفكك ، آية على ذلك الاله العظيم . فهذا الوجود لا بد له من موجد عظيم ، وهذا الخلق العجيب لا بد له من خالق قدير . فمحـال أن يكون ذلك الكون نشأ وحده دون قوة تنشئه وتدبر شأنه ، كما أن محالا أن تكون صنعة لا صانع لها وان لم تـر الصانع حين صنع . فكل أثر لا بد له من مؤثر ، وكل موجود لا بد له من موجد ، ولهـذا سئل الأعرابى فقيل له : كيف عرفت ربك ؟ فقال : الأثر يدل على المسـير ، والبعـرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحـار ذات أمواج ، الا تدل على اللطيف الخبير .

وان كل عقل سليم اذا فكر اهتدى لا محالة الى معرفة خالقه فآمن بـه واتجه الى عبادته تقـديرا لربوبيته وشكرا له على نعمته « ومن يؤمن بالله يهـد قلبه واللـه بكل شيء عليم » .

والايمـان هـو النـور الـذى يضيء للقلب طريقه فى الحياة عـلى نوعين : ـــ ايمان بقيمة الفضـيلة والسلوك الحسن ، وايمـان بذات عالية رقيبة على السرائر ، يسـتمد القانون سلطانه الأدبى من أمرهـا

. ولا ريب أن هذا الأخير أقوى سلطانا على النفس الانسانية ، وأسرع نفاذا فى قلوب العامة والخاصة لايمانهم بوجود رقيب على سلطان الضمير . ومن أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة ، وكان التدين ضرورة اجتماعية ، كما هو فطرة انسانية وفيه صلاح الفرد وصلاح الجماعة كلها .

والايمان هو التصديق ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمان ، ولذا كان الايمان أشرف أجزاء الاسلام الذى هو التسليم والانقياد بالقلب أو اللسان أو الجوارح ، يقول الله فى بيان ذلك « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .. » أى استسلمنا فى الظاهر ، وهذا يفيد أن الايمان دعامته التصديق بالقلب ، وأن الاسلام اظهار ذلك بالجوارح ، ولذا فان الله سبحانه يقول « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ولم يقل بالاسلام . وقد جاء فى الحديث الشريف أن الرسول عليه السلام سئل أى العمل أفضل ؟ فقال الاسلام ، فسئل أى الاسلام أفضل ؟ فقال الايمان .

وقيل إن الايمان تصديق بالقلب وشهادة باللسان وعمل بالأركان ، ولا شك أن من جمع بين اطمئنان القلب بالايمان واظهاره ذلك باللسان واقامة الشعائر والعمل الصالح كان فى أعلى الدرجات .

وقد اشتهر عن السلف قولهم : ان الايمان عقد وقول وعمل . وان كنا نقول : ان الايمان يتحقق بتصديق القلب واطمئنانه ، الا أننا نرى أن اظهار ذلك بالقول والعمل الصالح مكمل له ومتمم ، فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من الانسان ، وبوجوده يتحقق وجود الانسان وبانعدامه ينعدم الانسان ، وبقية الطاعات ، ومنها اظهار الايمان بالقول والفعل تكون كأطراف الانسان فانه بزوال بعض هذه الاجزاء لا تنعدم حياة الانسان ، وانما هى مكملة ومتممة له ، كما أن الأعمال التى هى عنوان على التصديق النفسى من مكملات الايمان ، وان قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » ومعناه أن ايمانه فى هذه الحالة لا يكون كاملا ، وليس معناه انه افتقد ايمانه ، بدليل أن الزانى يعامل فى الاسلام معاملة المؤمنين ، ويدفن اذا مات فى مقابر المسلمين .

ولهذا يقول السلف ان الايمان يزيد وينقص بالعمل الصالح ، والعمل السىء ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فالعمل يؤثر فى نماء الايمان وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ، ولذلك قال الله تعالى : « فزادتهم ايمانا » وقال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » ولهذا قال على كرم الله وجهه : ان الايمان ليبدوا لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم .. ويبدو أنه رضى الله عنه يقصد قول الله تعالى « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

وكل هذا يدل بوضوح على ارتباط كمال الايمان وتمامه بالاعمال ، وأن الطاعة تزيده وتقويه ، وأن المعصية تنقصه وتضعفه فالله سبحانه جل شأنه يقرن الايمان بالعمل فى الكثير الغالب ، ويجعل الايمان أصل الصلاحية « الفلاح والعمل مترتبا

عليه ، ومقاما على أساسه ، ليشعر أن العمـــل من غيـــر أساس يكون ضعيفا واهيا مآله الزوال العاجل ، وان الايمان دون عمل لا يظهر لـــه نفع ولا يعود على الناس منه خير . فهو كمن يصـــنع الأساس دون أن يقيم عليه أى بناء ، انظر فى هـــذا التشبيه قول الله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من اللـــــه ورضوان خير أم من أسس بنيانـــه على شفا جرف هار فانهار به » .. وكذلك فان ما روى عن الرسول عليه السلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فيه ما يشعر بوضوح بارتباط كمال الايمان وتمامه بالعمل الصالح الذى ينفع الفرد والمجتمع . وانه لتشبيـــه بليغ أن يقول صـــلوات اللـــه عليه « الايمان عريان ولباسه التقوى ، فهو صلوات الله عليه يبين أن الايمان هو الأصـــل والأساس ، ويشبهه بالانسان ، ويشبه العمل الصـــالح باللباس الساتر للعورة والواقى من الحر والبرد ، كما ربط صلوات الله وسلامه عليه الايمان بالبراءة عـــن النفاق والشرك الخفى فقال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن . اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، واذا عاهد غدر » ..

وفى هذا الحديث ما يدل بوضوح أيضا على أن مجرد زعـــم الايمـــان والاذعان دون تحققه وتعلق القلب به لا يجدى ، وأن ما يقوم به الشخص مع ذلك من عمل يكـــون مـــن غير أساس . ويؤيد هذا المعنى بوضوح قول الله سبحانه وتعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . » فهو يدل على أن العمـــل بدون ايمان لا أثر لـــه فـــى ميزان الأفعال عند اللـــه ، ولا قيمة لـــه عنده ، ولا ثواب له عليه ، ولهـــذا يقول العلماء : من فقد الايمان وعمل مهما عمل من الصالحات ، فان الله سبحانه جل شأنه بعـــدله واحسانه يكافئه عليه حسنات فى الدنيا ، وقد تكون تلـــك الحسنات بدفـــع بعض المكروهات حتى يجىء يوم القيامة ولا يجد مما عمل شيئا من الثواب .

وكذلك قول الله تبارك وتعالى فى أعمال غير المؤمنين اذ يشبهها برماد أزالته الريح فى يوم عاصف تشتد فيه الرياح فيقول جل جلاله : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد » .

ومن هـــذا يتبين بوضوح صدق القول بأن الله لا ينظر الى صورنا ، وانمـــا ينظر الـــى قلوبنا وأعمالنا فالأساس هو العمل المقام على نية صادقة وايمان كامل . كما يبين مدى اهتمام الاسلام بالعمل فى الحياة ، حتى بين الله سبحانه لنا أنه خلـــق الموت والحياة ، لتكون الحياة مجال عمل ، ويتبين من أحسن عملا يقول الله جل شأنه « تبـــارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق المـــوت والحياة ليبلـــوكم أيكم أحسن عملا .. » فنعم أجر العاملين.

فليس الايمـــــان اذا أن أنطق بالشـــهادتين ، وأن أومـــن بالبعث والحساب ، وبأن الفضائل مطلوب فعلها وأن الرذائل مطلوب اجتنابها ، وأن معامـــلات الناس بعضهم مـــع بعض أفراد وجماعات يجب أن تقوم على الحب والاخـــلاص والصـــدق والوفاء ، وأن الفرد يجب أن يتقرب الى الله بالعبـــادة وفعـــل الخيـــر والاحسان الى الناس بفعل ما يعود على مجتمعهم بالنفع ، ليس الايمان أن يعتقد الشخص فى نفسه بكل ذلك

دون أن يكون له أثر فى فعله وقوله . وانما لا يكتمل الايمان الا اذا كان لذلك مظهر واضح فى الأقوال والأفعال ، فيتصف بالصدق والوفاء والأمانة والاخلاص ، ويعرف عنه الكد والكفاح والعمل فى مجال الحياة بما ينفعه ويجعله شخصا نافعا لجماعته وقومه .

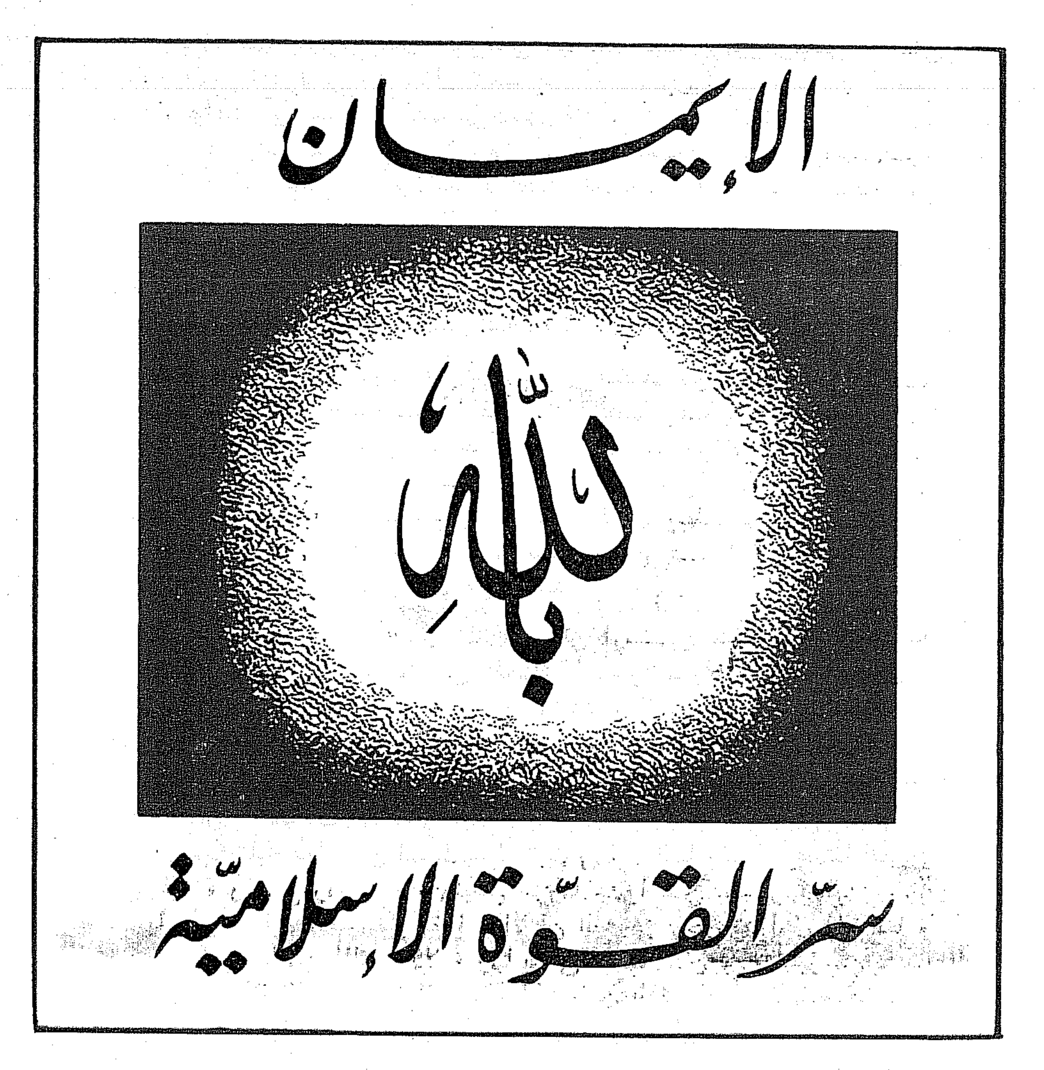
فالكذب والغدر والخيانة وقول الزور وفعل الموبقات مما يضعف الايمان وينقصه ، والخلود الى الخمول والكسل والقصور عن العمل والكد والكفاح والضرب فى الأرض للاستفادة بما بثه الله فيها من خيرات ، وعدم السعى للتزود بالعلم والمعرفة بقدر الطاقة والمستطاع مما يضعف الايمان وينقصه .

فالعمل المطلوب من المؤمن ليس هو فقط فعله العبادات المعروفة ، وانما كل عمل نافع فى الحياة لأن كل ذلك عبادة وقد وردت فى القرآن والسنة أمثلة كثيرة تؤكد هذا المعنى وتصف الأنبياء بأنهم كانوا ذوى حرف وصناعات ، فضلا عن انشغالهم بالدعوة الى الله . فقد كانت مهنة داود عليه السلام أن يصنع الدروع والسيوف ، أشبه بمهنة الحدادة فى عصرنا ، فقد ألان الله له الحديد ، وأقدره على تحويله يقول الله تعالى « يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات .. » .

ويقول الرسول صلوات الله عليه « ما أكل أحد طعاما خير من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وكانت مهنة نوح النجارة وصناعة السفن يقول الله تعالى « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون . ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه » وكانت مهنة موسى عليه السلام رعى الغنم فقد أشار القرآن الكريم الى أنه اشتغل أجيرا عشر سنين فى أرض قومه ، وهكذا بالنسبة لخاتم الرسل فانه اشتغل برعى الغنم وبالتجارة ، وكانت حياته كلها كفاح وعمل فى سياسة الدولة والفصل بين الناس ، فضلا عن توجيههم وارشادهم « وفضلا عن العبادات الخاصة » ولذا فانه صلوات الله عليه يقول فيما رواه عنه ابن عمر رضى الله عنهما « أن الله يحب المؤمن المحترف » ويقول فيما روته السيدة عائشة رضى الله عنها « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » والله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

فالايمان يا أخى القارىء عقيدة وعمل . تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، والعمل هناك يقتصر على الصلاة والصوم وغيرهما مما عرف باسم العبادات وانما هو شامل لكل أعمال الخير التى تنفع المجتمع ، وتعود على البشرية بالخير وفقنا الله الى الايمان الكامل .

والى لقاء قادم لنتكلم عن العقائد التى طلب الله سبحانه منا الايمان بها .



للأستاذ محمد عطية الأبراشي

ان الايمان بالله هو الذى حبب الى المسلمين الاستشهاد فى سبيل الاسلام وجعلهم يعتقدون أن الاستشهاد نصر من الله دونه كل نصر . ولا نبالغ اذا قلنا ان الاسلام لم ينتشر الا بالايمان . فالايمان هو سر القوة الاسلامية ، وسر انتصار المسلمين الأول فى نشر الدين الاسلامى فى الامبراطورية الاسلامية العظيمة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين .

وفى أثناء فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص أرسل المقوقس الى عمرو رجالا من أصحابه ليروا كيف يعيش المسلمون .

فلما أتت عمرا رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : « أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ، ويستحلون ذلك فى دينهم ؟ » .

وقد أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين ، ثم رد عليهم عمرو بقوله : « انه ليس بينى وبينكم الا احدى ثلاث خصال : اما ان دخلتم فى الاسلام ، فكنتم اخواننا فى الاسلام ، وكان لكم ما لنا . وان أبيتم أعطيتم الجزية عن يد (قدرة) وأنتم صاغرون وأما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين . »

فلما جاءت رسل المقوقس اليه سألهم : كيف رأيتموهم ؟

فأجابوا : رأينا قوما الموت أحب الىأحدهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة . وانما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد . يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون فى صلاتهم .

فقال المقوقس : والذى يحلف بـه لو أن هـؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .

ويؤخذ من اجابة رسل المقوقس أن المسلمين كانوا مثلا للشجاعة والبسالة يحبون الموت أكثر من الحياة . كانوا متواضعين ، زاهدين ، غير مترفين . يعيشون عيشة تقشف وزهد ، لا يفكرون فى المظاهر . يؤمنون بالاخوة والمساواة ، فأميرهم يرى كأى فرد منهم . لا يعرف فيهم الرفيع من الوضيع ، ولا السيد من العبد . يؤمنون بربهم ، ويعبدونه وحده ، خاشعين فى عبادتهم .

ومما قاله عبادة بن الصامت للمقوقس : « انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله ، واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة الدنيا ، ولا طلبا للاستكثار منها ، الا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك الا درهما ، لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ، ليلته ونهاره ، وشملة (١) يلتحفها . وان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه . وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله ، واقتصر على هذا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، وانما النعيم فى الآخرة . بذلك أمرنا الله ، وأمرنا بـه نبينا ، وعهد الينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضا ربه ، وجهاد عدوه .

وبينما عبادة بن الصامت يصلى فى ناحية ، وفرسه عنده ــ رآه قوم من الروم ، فخرجوا اليه ، وتحرشوا به ، فلما دنوا منه سلم من الصلاة ، ووثب على فرسه ، ثم حمل عليهم . فلما رأوه ولوا هاربين ، وتبعهم فجعلوا يلقون حللهم ومتاعهم ، ليشغلوه بذلك عن طلبهم ، فصار لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن . ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة ، فرجع ، ولم يتعرض لشىء مما رموه من متاعهم ، حتى رجع الى المكان الذى كان فيه ، فاستقبل الصلاة ، وخرج الروم الى متاعهم وجمعوه .

وهكذا يكون الايمان بالله ، والزهد فى الدنيا ومتاعها ، والشجاعة والاقدام .

الله معك وكفي بالله وليا ونصيرا :

وقد كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب ، وأرسل الكتاب مع عبد الله بن قرط الثمالى :

« أما بعد : أخبر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أن الروم نفرت (٢) الى المسلمين برا وبحرا ، ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح الا جاشوا (٣) به ، وجاءونا وهم نحو أربعمائة ألف رجل ... فالعجل العجل يا أمير المؤمنين ؟ بالرجال بعد الرجال والا فاحتسب أنفس المؤمنين أن هم اقاموا ، ودينهم منهم ان هم تفرقوا ، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به ، الا أن يمدهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغياث من قبله . والسلام عليك .»

فكتب عمر الى أبى عبيدة :

« أما بعد ، فقد قدم على أخو ثمالة بكتابك ، يخبرنى فيه بنفير الروم (اسراعهم) الى المسلمين برا وبحرا .... وان ربنا المحمود عندنا ، والصانع لنا ، والعظيم ذا المن والنعمة الدائمة علينا ... بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، وأعزه بالنصرة ، ونصره بالرعب على عدوه ، وقال — وهو لا يخلف الميعاد : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون . » فلا يهولنك كثرة ما جاءك منهم ، فان الله منهم برىء . ومن برىء الله منه كان قمنا (٤) لا تنفعه كثرة وان يكله الله الى نفسه ويخذله . ولا توحشك قلة المسلمين فى المشركين (٥) فان الله معك . وليس قليلا من كان الله معه . فأقم بمكانك الذى أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم (٦) وتستظهر (٧) بالله عليهم . وكفى به ظهيرا ووليا ونصيرا . وقد فهمت مقالتك : « احتسب أنفس المسلمين ان هم أقاموا ، ودينهم ان هم تفرقوا . فقد جاءهم ما لا قبل لهم به . الا أن يمدهم الله بملائكته ، ويأتيهم بغياث (٨) من قبله » .

وأيم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأت . ولعمرى ان أقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لما عند الله خير للابرار . « فمنهم من قضى نحبه (٩) ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » « فطوبى)) (١٠) للشهداء . وان لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصرَّعين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطنه . فما عجز الذين قاتلوا فى سبيل الله ، ولا هابوا الموت فى جنب الله ، ولا وهن الذين بقوا من بعده ، ولا استكانوا لمصيبتهم ، ولكنهم تأسوا بهم ، وجاهدوا فى الله من خالفهم منهم ، وفارق دينهم ، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال : « وكأين من نبى قاتل معه ربيون (١١) كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » . فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .

واقرأ كتابى هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلوا فى سبيل الله ، وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

فاما قولك : انهم قد جاءهم ما لا قبل لهم به ، فالا يكن لكم بهم قبل (طاقة) فان لله بهم قبلا ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدرا . ولو كنا والله انما نقاتل الناس بحولنا وقوتنا وكثرتنا لهيهات ما قد أبادونا (١٢) وأهلكونا. ولكن نتوكل على الله ربنا ، ونبرأ اليه من الحول والقوة ، ونسأله النصر والرحمة وانكم منصورون ان شاء الله على كل حال . فأخلصوا لله نيتكم ، وارفعوا اليه رغبتكم ، واصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . » ثم أرسل اليه عمر جيشا مددا له .

الاسلام انتصر بالايمان والاخلاص :

وان نظرة واحدة الى كتاب عمر بن الخطاب ترينا أن الاسلام قد انتصر بالايمان والاخلاص ، وتوفيق الله ، والعقيدة والصبر ، والثقة بالله ، والاتكال على الله والتفاؤل ، والثقة بالنفس . وقد اتخذ عمر الايحاء فى رده على أبى عبيدة بقوله : « انكم منصورون ان شاء الله على كل حال . » مهما يكن عدد المسلمين قليلا ، ومهما يكن عدد المشركين كثيرا . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . » وقد انتصر المسلمون مع قلتهم ، على الروم والمشركين من العرب والفرس مع كثرتهم . وكان من أهم أسباب النصر الايمان بالنصر ، والعقيدة ، والاستعانة بالله ، ويبدو ذلك من رد عمر بن الخطاب ، على أبى عبيدة بن الجراح بما يأتى :

« واعلموا انه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ، ولربما خذل الله الجموع الكثيرة ، فوهنت ، وفلت (١٣) وفشلت ولم تغن عنهم فئتهم شيئا . ولربما نصر الله العصابة القليل عددها ، على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه (١٤) ورجزه » .

ولكى نثبت أن الاسلام انتصر بالايمان والعقيدة نقتبس هنا جزءا من كتاب باهان الى قيصر الروم يصف فيه جنود المسلمين :

« أما بعد ، فانك قد بعثتنى فيما لا يحصيه من العدد الا الله ، فقدمت على قوم فأرسلت اليهم ، وهيبتهم فلم يهابوا ، وأطمعتهم فلم يطمعوا ، وخوفتهم فلم يخافوا ، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا . وجعلت لهم الجعل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا . وقد ذعر منهم جندك ذعرا شديدا ... »

ونشبت بين الفريقين وقعة اليرموك ، وكانت النصرة فيها للمسلمين والهزيمة على المشركين ؛ لان المسلمين كانوا مثالا للشجاعة والايمان ، ولم يبالوا بالاعداء مع كثرتهم . ولما انتهى خبر الهزيمة الى ملك الروم رحل الى القسطنطينية راجعا وخرج من أرض الشام . ولما أشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه فقال : « السلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى أنه يرجع اليك أبدا . »

الايمـــــان الكامـــــل :

وقد وصف الله المؤمنين ايمانا كامــــلا فى سورة (المؤمنون) بقوله :
« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون (١٥) والذين هم عن اللغو (١٦) معرضون . والذين هم للزكاة فاعلـــون . (١٧) والذين هم لفروجهم حافظون . (١٨) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم (١٩) فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . (٢٠) والذين لأماناتهم وعهدهم راعون . (٢١) والذين هم على صلواتهم يحافظون . »
وفى سورة الحجرات فى قوله عز وجل : « قالت الاعراب (٢٢) آمنا (٢٣) قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا (٢٤) ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم . وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم (٢٥) من أعمالكم شيئا ، ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون (٢٦) الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا (٢٧) ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . » فى ايمانهم بالله .
وفى سورة الانفال فى قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكـــر الله وجلت (٢٨) قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون (٢٩) . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٠) . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . »

« اللـــه أكـــــــبر » :

الله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وأقوى من كل قوى فى هـــذه الحياة .
اذا سمعت المؤذن يؤذن للصلاة قائلا : « الله أكبر » كان لهاتـــين الكلمتين روعة مؤثرة فى نفسك . واذا سمعت المسلمين يرددون فـــى صلاتهم : « الله أكبر » كان لهذه الجملة أثر شديد فى نفوس من يسمعونها ولا عجب ، فهى تمثل الايمان الكامل بالله وعظمته وحده لا شريك له ، تمثل الايمان الذى ينبعث من قلب المؤمن بالواحد الاحد ، العلى الصمد . وان المؤمن بالله هـــذا الايمان القوى لا يتأثر ولن يتأثر بأى قوة أخرى فى هذا العالم . واذا آمن المسلمون جميعا بالله وعظمته الالهية ، فلن تستطيع أمة أخرى من الامم أن تقف فى سبيلهم ، أو تمسهم بأى سوء .
وبالايمان بالله كان المسلمون أقوياء ، معتزين باسلامهم ، محافظين على دينهم مدافعين عنه بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم .

ما يتطلبه الايمان بالله :

ويتطلب الايمان بالله أن تكون عبادة الله خالصة لوجهه تعالى ، فيصلى المسلم ليبتهل الى الله ، ويتصدق على الفقراء والمحتاجين ارضاء لله ، ويصوم رمضـــان شكرا لله ، ويحج ليذكر الله ، لا يبتغى من هـــذه العبادة جزاء ولا ثوابا ، ولكنه يتقرب بها الى ربـــه ، ويلتمس منه قبولها بروحه وقلبـــه .
يتطلب الايمان بالله الطهارة والصفاء والاخلاص والعمل عن عقيدة ، وترك المظاهـــر الكاذبة ، حتى يكون العمل خالصا لله .
يتطلب الايمان من الاغنياء القادرين من المسلمين أن يطهروا أموالهم

بالقيام بالاعمال الخيرية ، كانشاء مدرسة لتعليم أبناء الفقراء ، أو مسجد لاقامة شعائر الله أو وحدة علاجية لعلاج المرضى ، أو دار كتب صغيرة ليقضى فيها الطلبة بعض أوقات فراغهم فى القراءة والبحث والاطلاع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له . »

وبالايمان بالله انتصر المسلمون الاول ، وسادوا العالم ، ونشروا الحضارة الاسلامية ، والعظمة الاسلامية ، فى البلاد التى اعتنقت الاسلام . وكان لهذه الحضارة أثر كبير فى تقدم العالم ونهضته . ولم يتأخر المسلمون فى العصور الاخيرة الا لانهم خالفوا المثل العليا فى الاسلام ، فوهنوا وضعفوا وتحكم الاستعمار فيهم ، واستغل بلادهم ، ونهب خيراتها لصلحته . واتخذ كل الوسائل الاستعمارية لنشر الجهل والفقر والمرض والتفرق فيها ، كى يستمروا ضعفاء ، وتستمر سيطرته عليهم .

ولا نبالغ اذا قلنا أن البلاد الاسلامية كانت بلاد العلم والعلماء ، والأدب والأدباء ، وموئل الحضارة التى لم تعرفها أوروبة الا عن طريق العرب فى الأندلس .

كيف يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ؟

ولكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى وعظمتهم السالفة ، يجب أن يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية ، وأخلاقه العالية ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ويكونوا يدا واحدة ، ووحدة قوية متماسكة متعاونة ، ضد المستعمرين والمعتدين ، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم متحدين بقلوبهم وأعمالهم ، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان ، عندئذ سينتصرون على الاعداء الباغين . ولن يستطيع الاستعمار أن يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده وأسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الأولين .

---

(١) الشملة : كساء يتلفف به .
(٢) نفرت : أسرعت .
(٣) حاشو : أتوا به .
(٤) قمنا : خليقا وجديرا .
(٥) فى جنب المشركين .
(٦) وتبارزهم .
(٧) تستعين .
(٨) انفاذ ومعونة ونصر .
(٩) أجله .
(١٠) الطوبى : الخير والحسنى .
(١١) علماء اتقياء صابرون كثيرون .
(١٢) ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، أى لوقعت أبادتهم لنا منذ زمن بعيد .
(١٣) كسرت وهزمت .
(١٤) عذابه .
(١٥) متواضعون .
(١٦) من الكلام وغيره .
(١٧) مؤدون .
(١٨) عن الحرام .
(١٩) أى السرارى .
(٢٠) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم
(٢١) حافظون .
(٢٢) نفر من بنى آسد .
(٢٣) صدقنا بقلوبنا .
(٢٤) انقدنا ظاهرا .
(٢٥) لا ينقصكم .
(٢٦) الصادقون فى ايمانهم .
(٢٧) لم يشكوا فى الايمان .
(٢٨) خافت .
(٢٩) به يثقون ، لا بغيره .
(٣٠) فى طاعة الله .



للأستاذ محمد عبد الرحيم السمان

كثرت فى الآونة الأخيرة الأحاديث والأقوال حول الربا وهل هناك ربا محرم وربا غير محرم ، وهل الحرام هو الأضعاف المضاعفة والحلال غيره ؟! وهل فوائد البنوك تعتبر ربا لا يجوز أخذه أم هى الربح الحلال نتمتع فيه ؟! وظهرت آراء كثيرة بهذا الخصوص حتى قال أحدهم عن فوائد البنوك برأى أخذه من الواقع فقال : « هل يقال للمسلم اذا أردت ايداع أموالك فى البنك فلا تأخذ عنها أية فائدة بل دع البنك ينفرد بالفائدة دونك ، أهذا هو الحلال أم السفه !! » .

ومنهم من قال ان البنوك أصبحت عماد الاقتصاد والتجارة فلا غنى عنها فان قلنا بتحريم البنوك فمعنى ذلك اغلاقها واضطراب حبل التجارة بل ضرب الاقتصاد أشد الضربات .

وغير هذا كثير ، ولم تظهر مثل هذه الآراء الا بعد أن غزانا الكافر وركز فى بلادنا استعماره العسكرى والسياسى والاقتصادى ، وأخيرا وليس آخرا بل هو الأهم الاستعمار الثقافى الذى تغلغل فى نفوس الكثيرين ودعم هذا الاستعمار بالاوضاع التى أقامها حتى أصبحنا نرى ما وضعه فى بلادنا ضرورة قائمة منه نستمد تشريعنا وعليه نبنى حياتنا وكأننا لا بد أن نأخذ التشريع من الواقع ونرتضى به ولو كان سيئا ، لا أن نغير الواقع السيىء فنرفعه الى أعلى المستويات بتطبيق ما أنزل الله !! وعلى كل حال لا بد للاجابة على هذه التساؤلات من استعراض الآيات والأحاديث الشريفة المتعلقة بالربا :

ان أول ما نزل بخصوص الربا هى الآية (٣٩ من سورة الروم وهى مكية) فقال تعالى : وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » ، فكان هذا تنفيرا من الربا وتحبيبا فى الزكاة والصدقات وتهيئة للأنفس المؤمنة بأن الربا لا وزن له عند الله سبحانه وتعالى، ولم تنزل آيات التحريم القطعى الا بعد أن قامت الدولة الاسلامية

فى المدينة المنورة برئاسة سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقر المجتمع الاسلامى فى المدينة فنزلت الآيات فى تحريم الربا منها آية (١٣٠ من سورة آل عمران) ويقول الله تعالى فيها : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

وآيات أخرى فى سورة البقرة من (٢٧٥ — ٢٨٠) يقول الله تعالى فيها : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقول الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ونظر بعضهم الى آية ربا الأضعاف المضاعفة فأخذوا منها أن الربا نوعان ربا بسيط أجازوه وربا مضاعف هو المحرم فقط وغيره المباح واستندوا الى نقطتين:
الأولى : أن سورة آل عمران التى فيها آية الربا الأضعاف المضاعفة نزلت بعد سورة البقرة التى فيها : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . فكانت آيات البقرة عن الربا منسوخة بآية آل عمران .

الثانية : وهى مرتبطة بالأولى ، وهى أنه ما دام النهى منصبا على الربا الاضعاف المضاعفة فمفهوم المخالفة يدل على أنه اذا لم يكن الربا أضعافا مضاعفة فلا نهى فيه أى اذا كان قليلا وعلى هذا الأساس أباحوا فوائد البنوك .
وبالنظر الدقيق الى الموضوع يتبين أنه لا يوجد هناك ربا محرم وآخر غير محرم ، فكل الربا حرام قليله وكثيره ، وأن فوائد البنوك هى الربا بعينه وان سموها فوائد . وذلك واضح من التحقيق فى مناطق الحكم الشرعى .

وهذا يتبين بالنظر الى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وواقع الربا وتعريفه الشرعى ، أما بالنسبة للآيات والنسخ فان النسخ غير وارد فآية الربا المضاعف وان وصفت نوعا من أنواع الربا الذى كان متبعا فى ذلك الحين ونهت عنه فهى — أى آية الربا المضاعف — ليست كما يقول بعضهم هى آخر ما نزل بخصوص الربا فالعبرة ليست بترتيب السور بل بنزول الآيات وان آخر آية نزلت فى القرآن الكريم بأكمله لا فى الربا فحسب هى قوله تعالى فى سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا .. » فقد أخرج البخارى عن ابن عباس قال : « آخر آية نزلت الربا » وروى البيهقى عن عمر مثله ، وعند أحمد وابن ماجة عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا ، وعن أبى سعيد الخدرى قال خطبنا عمر فقال : « ان آخر القرآن نزولا آية الربا » .

وبعد التدقيق فى آيات سورة البقرة يتبين قطعية تحريم الربا لقطعية الدلالة

وقطعية الثبوت ولنعش لحظات مع هذه الآيات الكريمة والتى كان تحريم الربا فيها مفصلا أيما تفصيل .

ان القرآن الكريم يعرض لنا صورة لا يحب ذو عقل أن يتصور بها ، فهى صورة بشعة ، صورة آكل الربا الذى يقوم كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، وبعد هذه الصورة البشعة ينتقل الى التحريم بعد أن هيئت النفوس لتتقبل ما بعد الصورة البشعة وهو التحريم فقال تعالى بعد ذلك الوصف : « وأحل الله البيع وحرم الربا » والتحريم هنا ورد بصراحة لا لبس فيها ولا تأويل ، فالتحريم كان بلفظ التحريم بذاته وليس بأمر الاجتناب كقوله عن الخمر وغيره ، فاجتنبوه ، أو النهى كتحريم الزنا بقوله : « ولا تقربوا الزنا » ، ثم يأتى القرآن ليعفو عما سلف أى عما سبق نزول هذه الآيات الكريمة : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » ويتوعد من يعود الى الربا مرة أخرى : « ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وأى عذاب أشد من عذاب التخليد فى النار !! . ثم ينتقل القرآن الى معالجة النفس البشرية وحبها للمال فيطمئنها بأن الربا مهما كثر زائل ولا خير ولا ثواب فيه « يمحق الله الربا » وأما الصدقات والاقراض بالحسنى ففيهما الخير ومن أقرض مرتين فكأنما تصدق بمرة واحدة فقال تعالى « ويربى الصدقات » وقال عليه السلام (ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين الا كان كصدقة مرة » .

أما الآية النهائية القطعية وآخر ما نزل فى الربا وفيها الأمر الجازم بترك ما بقى من الربا ، ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » ، ومن صفات المؤمنين اتباع أوامر الله ومن شذ وعصى وأخذته العزة بالاثم فأبى فليأذن بحرب من الله ورسوله تلك الحرب التى لن تتساوى فيها القوى بشىء بل من يقوى على تصور نفسه يقف فى حرب أمام الله ورسوله ؟!! ولا بد أن تأخذ هذه الآيات مأخذها من نفوس المؤمنين الذين سيكفون عن التعامل بالربا بل لا بد عند التوبة من اعادة ما زاد عن رأس المال لأصحابه : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ، لا يظلمون الناس بأخذهم الزيادة عن رأس المال قلت أم كثرت ولا يظلمون بانقاص رؤوس أموالهم مهما كان الانقاص قليلا أو كثيرا ثم يخلص القرآن الى الخلق الاسلامى المتسامح « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وقال عليه السلام : « من فرج عن مسلم كربا فرج الله عنه كربا من كرب يوم القيامة » .

ويجيب القرآن الى النفس المسامحة لمن أرهقتهم الديون وقد لا يستطيعون السداد الا على حساب لقمة العيش فيعدهم بالخير وجعل الخير عاما غير مخصص فتتشوق النفس للتطلع الى المجهول وهو الخير الذى لا بد أن يكون ممن بيده الخير خيرا كثيرا فقال تعالى : « وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

أما بالنسبة للحديث فقد قال عليه السلام : « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

وقال : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل والتمر بالتمر مثلا بمثل والبر بالبر مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل والشعير بالشعير مثلا بمثل

فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد ، وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » .

وقدعرف الفقهاء الربا من هذه الأدلة الشرعية بأنه :

« أخذ مال بمال من جنس واحد متفاضلين » .

وواضح من الأحاديث الشريفة أن الذهب بالذهب وزنا بوزن ومثلا بمثل وكذلك الفضة .... (الحديث) فمن زاد أو ازداد فقد أربى وواضح ؟ من الآية الكريمة : « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم » وواضح من تعريف الربا أنه التفاضل .

ومن هذا كله نخلص الى نتيجة أن الربا محرم قطعا بلا أدنى شك قليله وكثيره وأن فائدة البنوك هى نوع من أنواع الربا ، وأنه مما لا شك فيه أن البنوك لم تكن موجودة فى العصور الاسلامية فلم يكن هناك رأى واضح فيها (وهى غير موجودة) ولكن النصوص الشرعية واضحة فى أن أية زيادة هى محرمة ، واننا نعلم أنه لا مساغ للاجتهاد فى مورد النص أى أنه ان كان هناك نص صريح فيها والا فالاجتهاد واجب والاجتهاد معروف انه استفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية مما ورد فى الكتاب والسنة ، وأن أولئك المجتهدين العظام لم يحيدوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة فى جميع ما أتوا به ولم يأتوا برأى الا ودعموه بدليل شرعى من الكتاب والسنة ، ولا يكفى فى الاجتهاد الاتيان بالرأى المجرد دون الرجوع الى الأدلة التى هى شرط أن يكون الاجتهاد منها فبدون الدليل لا يحق لنا أن نخرج بنتيجة .

أما من حيث القواعد الشرعية وواقع الربا فان القاعدة الشرعية التى تقول « الغرم بالغنم » يتعارض معها ربا البنوك اذ يتعرض المال المودع فى البنوك لجانب واحد وهو الربح دون الخسارة وهذا هو الفرق بين الربا والربح ، ولا يقال ان الأموال هذه الأيام ليست ذهبا ولا فضة وانما أوراقا نائبة ، والحقيقة انها مقومة بالذهب وقادرة على شرائه بقيمتها الشرائية فلا فرق بين الورق النائب والذهب فأيــة زيادة هنا أو هناك هى الربا .

أما القول : هل نترك البنك ينفرد وحده بالفائدة !! وهل نستغنى عن البنوك وأصبحت عماد الاقتصاد ؟! فالجواب على هاتين النقطتين يكون فيما يلى :

أولا : لنبحث هل يجوز ايداع الأموال أى ادخارها فى البنوك أو فى غيرها أصلا أم لا يجوز ؟! ومتى يجوز ان جاز ؟؟! « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم .. » الآية ، وفى الآية وعيدان وعيد لمن لا ينفقون فى الجهاد ووعيد لمن يكنزون . والكنز المقصود فى الآية الكريمة هو جمع المال لغير ما حاجة ، فقد أباح الشرع الادخار وهو جمع المال بعضه فوق بعض لحاجة كالزواج أو بناء بيت أو لأداء فريضة الحج .. أما جمع المال لمجرد الكنز فهذا ما حرمه الشرع الشريف وهو الذى يوقف دولاب الحياة الاقتصادية ولا يقال ان البنك يشغل هذه المبالغ المتجمعة لديه فى مشاريع ضخمة لا يمكن للأفراد القيام بها ، فالشركات الشرعية كثيرة وجائزة اذا لم تكن من ضروريات الجماعة ، أما اذا كانت من ضروريات الجماعة فأصلا لا يجوز للأفراد أو جماعة معينة تملكها

وانما تكون ملكيتها للجماعة وقد بينها الرسول عليه السلام من حيث وصفهـا لا من حيث عددها فقال : « الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار » ومع أن هذه الأشياء أسماء جامدة لا يجوز تعديها لغيرها كما يتبادر للذهن ، فقد أباح الرسول عليه السلام فى الطائف وخيبر للأفراد أن يتملكوا الماء عندما لم يكن من مرافق الجماعة ومن هذا يتبين العلة الشرعية وهى كونه من مرافق الجماعة ، وبهذا فكل شىء يعتبر من مرافق الجماعة يعتبر ملكا عاما والجماعة لا تحصر فى الدولـة جميعها وانما فى قرية أو مجموعة بيوت .

أما بالنسبة للبنوك وانها قد أصبحت عماد الحياة الاقتصادية أو على الأصح أصبحت جزءا لا ينفصل من الحياة الاقتصادية التى أوجدها بيننا الكافر بتطبيـق نظامه الاقتصادى علينا والذى لا نزال نسير بموجبه ، وان الاسلام حين يدعو لتحريم الربا وبالتالى اغلاق البنوك التى تعامل به ، لا يتخذ هذا الاجراء وينتهى الأمر والا لكان كمن يهدم بيتا ليلقى بأهله فى العراء دون أن يبنى لهم بيتا غيره والاسلام ما هدم بيتا الا ليبنى بدله بيتا متميزا ، فان البنوك القائمة على الربـا والتى هى جزء من النظام الرأسمالى الذى يطبق علينا ان الغاءها يحتم تطبيـق النظام الاقتصادى فى الاسلام ، والذى يحتم وجود بيت مال المسلمين الذى يسد الحاجات ، فالمحتاج الى الاستقراض أما أن يحتاجه لأجل العيش أو يحتاجه لأجل الزراعة والعمل ، فأما الحاجة الأولى فقد سدها الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية « من ترك كلا فعلينا ومن ترك مالا فلورثته » وأما الحاجة الثانية فقد سدها الاسلام بقرض المحتاج دون ربا وبيت المال يقوم باقراض المال بـلا فائدة بعد التحقق من امكانية الانتفاع بالمال ، وقد أعطى عمر بن الخطاب من بيت المال للفلاحين فى العراق أموالا لاستغلال أراضيهم ، والحكم الشرعى أن يعطى الفلاحون من بيت المال ما يتمكنون به من استغلال أراضيهم الى أن تخرج الغلال فان أمحلت طبق الباب الأول وهو كفالة الاسلام بضمان العيش لكل فرد من أفراد الرعية ، أما معاملات البنك التجارية الغير قائمة على الربا فان الاسلام لا يمنعها وتظل قائمة اذ لا يمنع الا التعامل بالربا فقط فتبقى التحويلات والصرف ما سارت حسب الصرف فى الاسلام ، وبهذا يظهر أن تطبيق جزء من الاسلام وترك جزء آخر فوق حرمته لا يفى بالغرض فلا نحرم الربا فحسب بل لا بد من انقلاب جذرى فى جميع شؤون الحياة والعودة الى الحياة الاسلامية بجميع دقائقها .

• • •

أما من حيث واقع الربا فانه لا يكون الا فى بيع أو قرض أو سلم .

وهو لا يقع فى البيع والسلم الا فى ستة أشياء فقط : « التمر والقمـح والشعير والملح والذهب والفضة » .

أما القرض فيقع فى كل شىء فلا يحل اقراض شىء ليرد أكثر أو أقل ولا من نوع آخر أصلا .

والفرق بين البيع والسلم والقرض : ان البيع والسلم يكونان من نـــوع بنوع آخر وفى نوع بنوعه أما القرض فلا يكون الا فى نوع بنوعه .

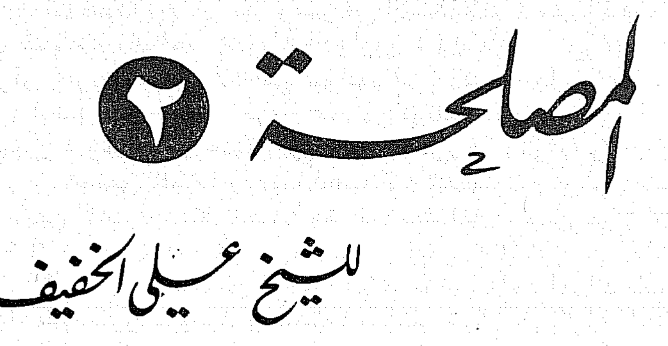
أما كون الربا فى الستة أنواع فقط فى البيع والسلم فذلك لقوله عليـــه السلام : « الذهب بالذهب مثلا بمثل والفضة بالفضة مثلا بمثل ، والتمر بالتمر مثلا بمثل ، والبر بالبر مثلا بمثل والملح بالملح مثلا بمثل ، والشعير بالشعير مثلا بمثل ، فمن زاد أو أزداد فقد أربى ، بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يدا بيد وبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يدا بيد » ولم يرد أى دليل على التحريم فى غير هذه الأنواع الستة ويدخل فيها كل ما هو من جنسها وينطبق عليه وصفها ، وأما ما عداها فلا يحل .

أما تعليل التحريم فبما أنه لم يرد فلا يعلل أما قياس العلة فغير وارد لأنه يشترط فى قياس العلة أن يكون الشىء الذى اعتبر علة (وصفا مفهما) حتـــى يصح القياس عليه فان لم يكن كذلك بأن كان اسما جامدا أو وصفا غير مفهم فلا يصلح أن يكون علة ولا يقاس عليه غيره كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة . .) فلفظ الميتة ليس وصفا مفهما للتحريم فلا يقاس عليه فينحصر التحريم بالميتـــة ولا يقال حرم الربا فى القمح لأنه مطعوم اذ هو ليس وصفا مفهما فلا يعتبر علــــة للتحريم ولا يقاس عليه ، أما قوله عليه السلام « لا تباع الصبرة من الطعام بالصبرة من الطعام ولا الصبرة من الطعام بالكيل من الطعام المسمى) فان ذلك لا يدل على أن علة التحريم الطعام وانما يدل على أن الربا يحصل فى الطعـــام وجاء حديث الرسول ليخصص أنواع الطعام التى يحصـــل فيها الربا (الذهب بالذهـــب .. الحديث) والدليل على أن هناك أطعمة كثيرة لا يحصل فيها الربا مع أنها من الطعام كالخضروات مثل الجزر والفلفل .. الخ . وعلى هذا فالربا لا يقع فى البيــــع والسلم الا فى هذه الأشياء وكذلك لا يقال حرم الربا فى الذهب والفضة لأنهمـــا موزونان فتجعل علة تحريم الربا الموزون ولا فى القمح والشعير لأنهما مكيـــلان فالوزن والكيل جاء فى الحديث وصفا لا علة قال عليه السلام « الذهب بالذهب تبره وعينه وزنا بوزن ، والفضة بالفضة تبره وعينه وزنا بوزن والملح بالملح والتمر بالتمر والبر بالبر والشعير بالشعير كيلا بكيل فمن زاد أو ازداد فقد أربى » .

أما القرض فيه ربا فى الأشياء الستة وما عداها وفيه وجه واحد فقط وهو اشتراط أكثر مما أقرض أو أقل مما أقرض أو أدنى أى (أردأ جنسا) .

فماذا بقى بعد هذا لاباحة ربا البنوك أو غيرها ، وأى دليل لها يبيحها ، وقد جاءت الآيات والأحاديث شاملة لا مجال فيها ؟ بل لقد وضع الفقهاء بالاضافة الى رد المال الزائد عن رأس المال لأصحابه وضعوا عقوبة التعزير لآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه بالجلد والحبس حتى سنتين فالربا حرام وفوائد البنوك ربا لانها زيادة مشروطة فى المال ومن أكلها فليأذن بحرب من اللـــه ورسوله وقانا اللـــه والمسلمين من الوقوف فى ذلك الموقف وأعاننا والمســلمين على فهم اسلامنـــا واستئناف تطبيقه فى الحياة .





بينا فيما سبق أن الفقه الاسلامى ، أو الفكر التشريعى الاسلامى يستهدف مصلحة الأمة ، أو مصلحة المجتمع ، وذلك بمراعاته كل ما يحفظ عليه وحدته وتماسكه ويحقق له أهدافه ويصون علاقات أفراده من الوهن والتفكك ، ويوفر لهم الاستقرار والسلام ويهيىء لهم بالأمن فرص العمل والرخاء فما كان فيه المصلحة له فهو محل طلبه ، وما كان فيه المضرة له فهو محل نهيه ، وأن هذا أمر أجمع عليه فقهاء المسلمين ، وأثبته استقراء الاحكام فلم يلاحظ فيها حكم ضار بالأمة أو يزيد ضرره على نفعه ، وما من حكم جاء به الا كان نفعه أكبر من ضرره .

وكل هذا لم يكن محل خلاف ولا مجال نزاع ، واذا كان خلاف فهو خلاف فى النظر أو التطبيق ومن أجل ذلك اتخذت المصلحة دليلا من أدلة الحكم وأمارة عليه ، واقتضى ذلك بيان المراد منها وكان بيانها وتحديدها بيانا وتحديدا للفكر الاسلامى واتجاهه .

وقد جاء فى التعريف بها ، أنها ما يتحقق به مقصود الشارع من المحافظة على الضروريات والحاجيات والتحسينات التى أشرنا اليها فيما سبق ، وممن ذهب الى ذلك الغزالى فى المستصفى .

وكذلك عرفت بأنها ما يتحقق به مقصود الشارع ، وهو دفع المفاسد عن الخلق ، ولا يكاد يختلف هذا التعريف عن سابقه . اذ أن دفع المفاسد يتحقق بالمحافظة على الضروريات السابقة .

على أن محاولة تعريفها على هذا الوضع ليس بالأمر ذى البال ، اذ أنها من الوضوح بحيث تستغنى عن التعريف ، فالمصلحة مفعلة من الصلاح وهى تكون كذلك اذا تجردت عن المفسدة ، أو كان نفعها أكبر من فسادها ، وليس المراد بها كما أشرنا أن تكون فردية بل المراد منها أن تكون مصلحة كلية ظنية ظنا راجحا على الأقل ، غير معارضة بما يذهب بنفعها وليست اتباعا لهوى أو انقيادا لشهوة ، دون مراعاة لدلالة الادلة ووزنها آمرة كانت أم ناهية ، فان الشارع لا يأذن الا بما هو مصلحة ، ولا ينهى الا عما هو مفسدة ، وفى طاقة العقل البشرى أن يدرك أوجه المصلحة فى شئون الدنيا فيحصلها بأمر الشارع ، وان لم يرد بها نص صريح خاص بها ، لأن الأوامر العامة ، واستقراء الاحكام تدل على أن أحكام الشريعة فى كلياتها وجزئياتها تتجه الى جلب المصالح ودفع المفاسد ، ولذا عمل بها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون ، وجعلوها أصلا من أصول استنباط الأحكام دون انكار عليهم كما حدث من أبى بكر وعمر فى الاستخلاف ، وفيما ذهب اليه عمر من قتل الجماعة بالواحد وتدوينه الدواوين ، واشارته على أبى بكر بجمع القرآن ، ومقاسمته ولاته فى أموالهم التى اكتسبوها بجاه السلطة ، وفيما قرره أيضا من توظيف الخراج على من تركت الأرض المفتوحة فى أيديهم من الذميين ، وكما فعل عثمان فى حمل الناس على قراءة واحدة ، وكما فعل على فى تضمين الصناع وفيما ذهب اليه الفقهاء من فرض الضرائب على المسلمين القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، ومن جواز اتلاف ما يقاتل عليه الاعداء من الحيوان ، وقتل من يتترس به الكفار من المسلمين ، ونفى أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه شرهم ، وتفضيل أحد الاولاد بالعطية لمصلحة معينة كأن يكون مريضا أو محتاجا صاحب عيال ، واكراه المحتكرين على بيع أموالهم بالقيمة ، واجبار ذوى الصناعات عند الحاجة على العمل بأجر المثل ، الى غير ذلك من الأحكام الاجتهادية التى ملئت بها كتب الفقه فى المذاهب المختلفة وليس يعارض ذلك ما تضمنته كتب الأصول من انكار لبعض العلماء ، فانهم انما أنكروا متابعة الهوى وتحكيم الشهوة ، كما يدل على ذلك صنيعهم فى بعض ما أثر من أحكامهم فى كثير من المسائل المليئة بها كتب المذاهب على اختلافها ، اذ بنوا الحكم فيها على مراعاة المصلحة حين اعياهم أن يعثروا فيها على نص .

وانه لمن الأمور المقطوع بها أن الشريعة راعت مصالح العباد ولم تشرع من الأحكام الا ما يوصل اليها ، وأن ذلك أمر استوجبه تعذر استيعاب النصوص لجميع الحوادث والوقائع لعدم تناهيها فكان لا بد من الالتجاء الى أصل صالح للتطبيق فى كل عصر وبيئة ، وهو الأمر بمراعاة مصالح الخلق وذلك ما أشارت اليه نصوص الشريعة ، ودل عليه مسلكها فى تشريع الاحكام ، ونظرها الى دعائم المعيشة واسس الحياة ، وعناصر العمران حين بنت عليه أحكامها ، واسست عليه قواعدها .

ويتبين مما تقدم أن المصلحة التى استهدفها الشارع من شرعه هى المصلحة الجماعية كما نص على ذلك الغزالى .

أما المصلحة الفردية فليس لها اعتبار الا حيث لا تتعارض مع مصلحة الجماعة ، أو تكون وسيلة الى مصلحة الجماعة ، وذلك ما يقتضيه الأمر بالعدل والاحسان فى قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية » ، وما يوحى اليه قوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو **اصلاح بين الناس** » .

فليس من الاحسان اهمال مصلحة المجتمع فى سبيل المحافظة على مصلحة الفرد ، وليس يترتب على ترك مصلحة المجتمع واغفالها الا فساده وانحلاله ، والله لا يحب المفسدين ، ثم لا يعد هذا الا أمرا تعده العقول السليمة منكرا لا خير فيه والله يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ولا يعد الاقدام على مثل هذا الا من قبيل الشح ، وذلك لما فيه من الأثرة المذمومة وقد ذمه الله سبحانه وتعالى فى قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ويؤيد ذلك ما فعله كل من عمر وعثمان رضى الله عنهما دون انكار من الصحابة عليهما حين ضاق المسجد الحرام فى عهدهما ، فقد أرادا شراء بعض ما يحيط به من الدور لادخاله فى المسجد توسعة له فأبى عليهما بعض أصحابها لحاجتهم اليها ، فأخذاه جبرا عنهم بقيمته ، ولم يأبها باعتراضهم وتمسكهم بحقهم ومصلحتهم ، تقديما للمصلحة العامة وايثارا لها على غيرها .

وهكذا كانت المصلحة العامة هدفا للتشريع الاسلامى ، وهذا ما يصور لنا الفكر الاسلامى التشريعى ، فكرا موحد الهدف متعدد النوع والموضوع ، مختلف الأثر .

وجملة القول أن الفكر الاسلامى التشريعى يصوره لنا ويمثله نظر الشارع الى ما تقوم به الحياة ويؤسس عليه العمران وتنتظم به مصالح الخلق وترفه به معيشتهم ومن ذلك نظره الى ما يأتى :

أولا : نظره الى ارادة الانسان واختياره ، وما له من حقوق .

يقيد الاسلام ارادة الانسان واختياره وحقوقه بما لا يجعل لهواه ولا لشهواته سلطانا على ارادته ، وتحكما فى اختياره ، وبما لا يجعل لحقوقه طغيانا على حقوق غيره ، ذلك أن للانسان غرائز تتحكم فى ارادته ، وعقلا ينازع ارادته ويعارض هواه ويحاول صده ، وتقييد ارادته حين تتحكم فيه الغرائز ويغلب عليه الهوى لكيلا يتعدى ما تتطلبه الحياة الراضية الحكيمة ، فلا يتجاوز حدود الحق والخير ، غير أن العقل لا يكتب له الظفر فى هذا العراك الا قليلا ، لما للغرائز من قوة تظاهرها فيها الشهوات ، فيضعف العقل أمامها . ولما ينتاب العقل فى كثير من الاحوال من تردد عند حكمه تبعا لاختلاف البيئات والظروف مما يشبه عليه الامور فيعجز عن التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، ولذا كان لا بد له من هاد يهديه السبيل ويمنحه القوة على كبت الغرائز والانتصار عليها وهو وحى السماء ، وما جاء به من هداية وارشاد وبيان لمعنى الحرية المنشودة النابعة من الحكمة الكفيلة باسعاد المجتمع ، المتلاقية مع الحق والعدل والخير ، المانعة من الأثرة والطغيان .

لقد جاءنا الاسلام بشريعة اقامها على الهدى الذى يكفل الحرية لجميع الناس ، ويطلق ارادتهم واختيارهم بلا طغيان لارادة أحد على ارادة أحد آخر ، وبحيث لا يصادم ذلك منهم الحق والعدل ، وبحيث تكون ارادة كل منهم موجهة الى ما فيه الخير والنفع له ولأسرته ولمجتمعه وتلك هى الرحمة

أو أثر الرحمة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ودل عليها قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » أى رحمة للناس جميعا بما فرضته من مساواة وما أقامته من عدل وما أشاعته من خير ، وما أمرت به من صلاح ، وما نهت عنه من ظلم وافساد وما حضت عليه من تعاون ووحدة وكل هذه أمور تحقق معنى الرحمة التى جاءت بها تلك الرسالة ، ولا يتم التراحم فيما بين الناس الا بها ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ننزع الرحمة الا من شقى . ويقول : ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء .

ولقد قال له قائل : انا لنرحم أزواجنا ، وذرياتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا أريد ، انما أريد الرحمة بالكافة . والرحمة بالكافه ليست الا بدفع الفساد عنهم ، ولذا كانت المصلحة العامة الشاملة هى غاية الشريعة وكان كل أمر فيه مصلحة عامة أو كانت منفعته أكبر من ضرره مطلوبا لها ، وكل أمر فيه مفسدة أو كانت مفسدته أكبر من منفعته منهيا عنه ، ولذا قال ابن قيم الجوزية : « اذا تأملت شرائع الله التى وضعها لعباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة او الراجحة ، واذا تزاحمت قدم أهمها وأجلها وان فات أدناها ، كما لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصة ، أو الراجحة بحسب الامكان ، وان تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها ، وعلى هذا وضع الشارع الحكيم شرائع دينه ، وهذا ما لا يستريب فيه من له ذوق الشريعة وارتضاع من ثديها وورود من صفو حوضها » (١) .

ومن هذا يبين أن الشارع الاسلامى انما شرع شريعته فجعلها رحمة للناس ، وأن هدفه منها مصالحهم ، وقد اتفقت كلمة جميع العلماء على أنها انما شرعت لهذه الغاية السامية ، سواء منها ما صرحت به النصوص ، وما عرف بواسطة العقل ، وان ما قد تغيب من هذه الأحكام عند النظر حكمته ، فذلك انما يكون عندما يحجبها عن العقل نوازع الاهواء ، ودوافع الشهوات وقد دل على ذلك أنها كلها من عند الله — ان الحكم الا لله — وانه هو الحكيم العادل العليم ، وأنه لا يأمر الا بالعدل والاحسان وليس من الاحسان ولا من العدل أمر الناس بالفساد والضرر ، واذا ما لوحظ أن فى حكم من الأحكام مضرة ، فذلك لأنه قل أن يوجد الخير المحض ، كما يقل أن يوجد الشر المحض ، ولذلك كانت الموازنة بين منافع الحكم ومضاره هى أساس طلبه ، أو منعه ، ولاختلاف الناس واختلاف البيئات والظروف تأثير فيها من ناحية ترجيح المنافع والمضار ، وذلك لاختلاف المصالح بحسب اختلاف الناس ، وعلى هذا الأساس شرعت الحقوق مقيدة بعدم الضرر ، وكان للانسان ارادته واختياره على هذا الوضع ، فلم يكن طليقا طيعا لهواه ، متابعا لشهواته فى أى حق من حقوقه ، ولا فى أى تصرف يتصرفه ، ولا فيما أبيح له من المباحات ، والانتفاع بها ، بل كان كل ذلك مقيدا بهذا النظر وقائما على هذا الأصل ، فاذا ما تجاوز الانسان به دائرة هذا الاصل ، وخرج به غير ه، ووجب بحكم الشريعة أن يحال بينه وبين ما قصد اليه من ذلك ، عن اطاره وتعدى حدوده انقلب استعمالها طغيانا وظلما وتعديا على والزم بتعويض ما ترتب على تعديه هذا من ضرر .

وجملة القول أن النظر الاسلامى يقضى بتقييد كل الحقوق وطرائق الانتفاع بها بعدم معارضتها للحق والعدل ، وبعدم تأديتها الى الضرر ، ولو كان ضررا لاحقا بصاحبها ، ولذا نهى الشارع عن الاسراف فى الأكل والشرب

فقال : « فكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ونهى عن التبذير فقال : « ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » ونهى عن القتر « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وهكذا .

ذلك هو نظر الاسلام وفكره التشريعى فى مجال بيان الحقوق واستعمالها ، وفيما للأشخاص من حرية وارادة واختيار عند مزاولة نشاطهم المالى والاجتماعى ، بل والسياسى ، نظر يقوم على التقييد بما يحقق المصلحة ولا ينافيها ولا يصادمها ، لا الاطلاق الذى ينحرف بالناس الى ما فيه فساد أمرهم والطغيان على غيرهم ، وانحلال مجتمعهم ، وهو نظر استوجبته أغراض التشريع وأهدافه .

ثانيا : نظره الى المال والملك :

يقرر الاسلام أن جميع ما فى الكون ملك لله تعالى « له ما فى السموات وما فى الارض » (٢) ، « ولله ملك السموات والأرض وما بينهما » (٣) « قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله » (٤) ، وهذه الملكية تقوم على الخلق والتسلط والتسخير وهى ملكية لا تنتهى بنهاية ولا يغير من وضعها أى تصرف ولا أية حيازة .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما على سطح الأرض للانسان ، لتكون له منافعه وثمراته ، فكانت مباحة لجميع الناس لكل انسان منها حاجته ، (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) ، وكان للانسان أن ينتفع بذلك فى النطاق الذى يحقق العدالة والمساواة فى الاباحة ، ويحدده نواميس العمران ومتطلبات الاجتماع وكأن الخروج من هذه الدائرة محظور ، ولم يكن لأحد فى الناس اختصاص بشىء الا بما تسبق اليه يده ، ويستولى عليه ابتداء بداعى حاجته اليه واتجاه رغبته نحوه لادخاره خوفا من نفاذه أو عدم وجوده عند الطلب .

ولما كانت رغبات الناس غير محدودة نشأ عن ذلك التزاحم ، وظهرت غرائز الانسان فى حب الاستيلاء والاقتناء والاستبداد وكان ذلك أساس ما يسمى أخيرا بالملك أو التملك ، وقويت هذه الغريزة فيه بسبب ما جبل عليه من حب التغلب والتسلط ، وأصبح لها من القوة على ارادة الانسان ما تتلاشى معه مقاومته ، وما يحمله على ما هو محظور عليه ، من طغيان على غيره ، باستيلائه على ما سبقت اليه يده أو حصوله على ما يستطيع مما هو فوق حاجته ، أو على استئثاره بالمال استئثارا يترتب عليه حرمان غيره وهو مثله صاحب حق فيه ، بحكم الاباحة العامة .

لهذا اتجه الاسلام الى الحد منها ، والتحذير من عاقبتها ، والترغيب عنها بما هو خير للانسان من مطاوعتها ، وذلك فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

فوصفها بأنها متاع الحياة الدنيا ، وهو ذلك المتاع الزائل الفانى ، ودعا الى الاستعاضة عنها بما هو أفضل وخير بقوله : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله» ، وان ذلك جزاء من اتقى فانصرفت نفسه

عن ذلك المتاع الذى يطغى ويوقع صاحبه فيما لا يصلح عليه أمر الناس .

والاسلام كما أسند ملك جميع ما على الأرض من أموال ومتاع لله تعالى ، جعل منافعه للناس جميعا ، فأشركهم فيها ، وجعل الخلافة عليها للانسان ، ليقوم بتدبير أمورها على وفق ما شرع من أحكام ، وما أراد لها من صلاح ، وأمر بالانفاق على الفقراء وأصحاب الحاجات ، وجعلهم أصحاب حقوق فيها .

فقال : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وقال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » ، وقال : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات ومافى الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، وقال : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وبناء على ذلك كان انتفاع الناس بالمال كما أشرنا انتفاعا مشتركا مباحا لهم ، لكل منهم حق فيه ، وكان كل فرد على هذا الاساس اذا ما عمل عاملا فى مال الجماعة بالنظر الى اشتراكهم فيه ، وفى مال الله بالنظر الى أنه ملك له تعالى ، وكان عليه وقد كلفه الله بالقيام عليه والعمل فيه لأجلهم أن يعمل فى نطاق ارادته ومواهبه وقدراته « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وكان سلطانه فى عمله وولايته عليه ممتدا ومتسعا بامتداد مواهبه واتساع قدراته ، وكانت ثمرة عمله بحكم ذلك ثمرة لعمل قام به فى مال الله الذى جعل منافعه للجماعة فكان واجبا عليه فيه أن يكون عندما حد له من حدود ، وألا يتعدى بأعماله حدود خلافته موجها عمله الى الخير صارفا ثمراته فى وجوه صرفها ، وأن ينميه بالطرق المشروعة التى لا ضرر فيها لأحد .

وبناء على ذلك يبين أن ملكية الأموال انما تتمثل فى حق الانتفاع بها ، على الوجه الذى قيده به الشارع وحق الولاية عليها بالتصرف والتنمية والاختيار فى وسائل الانماء والتحصيل وذلك بالتزام المشروع منها ، وهو ما يجنبه الاضرار بنفسه وبغيره ، ويحفظ عليه كرامته ، كما وجب عليه بحكم خلافته فى هذا المال عن الشارع أن يكون مسلكه فى التصرف فيه وفى انفاقه سواء على نفسه أو على غيره وفقا لما أمر به الشارع وندب اليه ، وتلك نتيجة طبيعية لثبوت الملك لله تعالى وخلافة الانسان عنه فيه .

وجملة القول أن المال فى نظر الاسلام ضرورى للحياة البشرية ودعامة فى وجود المجتمع ، وبه قيامه وبه حياة الانسان وبقاؤه ، وان سعى الانسان الى تحصيله واقتنائه انما هو بحكم فطرته وغريزته ، لأن فيه رزقه وسد حاجته ، ونظام أمره ، وقد جعلت منافعه وثمراته له فأبيح الانتفاع به لجميع أفراده ، وان الملك فيه لله سبحانه وتعالى بحكم أنه خالقه ، وخالق كل شىء ، فكان كل شىء له ، وقد جعل الخلافة عليه للانسان فكان المال فى يده وديعة وأمانة يجب أن يحافظ عليه من العبث والتبديد والضياع ، وليس له فيه الا أن يقوم عليه خلافة من مالكه الذى جعل له فيه حق الانتفاع مقيدا بما شرع من أحكام أريد بها حفظه وبقاؤه وتنميته وتوجيهه للغرض السامى الذى لأجله خلق ، وهو صلاح المجتمع وسعادته ، وفى الحدود التى دلت عليها أوامره ونواهيه ، المحققة لعدالة توزيعه ، وحسن انفاقه ، وسداد التصرف فيه ، والوفاء بما للناس فيه من حقوق ، والحيلولة دون

الافتنان به ، واتخاذه أداة تسخير وطغيان واستعباد ومصدر اغراء ، وتكبر وخيلاء وعبث بالحقوق ، ووسيلة انحراف فى السلوك ، وافساد فى الأرض واهدار للكرامة — يقول الله تعالى : « واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم » ، ويقول « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » ، ويقول : « يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »

ولهذا كانت عناية الشريعة الاسلامية بالمال عناية بالغة فبينت وسائل تحصيله وجمعه وانمائه ، فبنتها على العمل والتجارة والتعاقد والكسب والصدق والرضا ، وجنبتها الخداع والغرر والتدليس والغش والاكراه والضرر ، والا يباشر الانسان منها الا ما يوصله الى خير نفسه ابتغاء خير المجتمع ، ولهذا نهت عن أكل أموال الناس بالباطل « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم » وعن أخذ أموال اليتامى والضعفاء ممن يكونون تحت الولاية أو الوصاية : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » ، وقال : « ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » ، « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » وقال « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن » .

وحرم الربا لقيامه على استغلال الضعيف وحاجته وحرم تطفيف الكيل والميزان ، كما عنى ببيان مصرفه وطرق انفاقه .

وعلى الجملة فقد كان أساس التشريع فى المال مبنيا على اعتبار أنه لله تعالى ، وأن ليس للانسان فيه الا حق الانتفاع والقيام عليه بطريق الخلافة وعلى ذلك شرعت الاحكام الآتية :

١) ليس للانسان الارادة المطلقة فى التصرف فى المال وتنميته ، بل يجب عليه أن يراعى فى تصرفه الا يؤدى الى الاضرار بنفسه أو بغيره أو بالجماعة .

٢) أنه يجب على الانسان أن يلتزم فى قيامه على المال جميع الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية فى طرق تحصيله وتنميته وحفظه وصرفه ، بحيث يراعى فى ذلك **أولا : عدم** استغلال الضعف البشرى بأية صورة ما ، وعدم اتخاذ المال وسيلة لاهدار الكرامة أو للتحكم ، **ثانيا :** عدم اكتناز المال والحيلولة بينه وبين تداوله للصالح العام ، **ثالثا :** عدم انفاقه فى أى محظور أو فى كل ما من شأنه أن يحط بالفضيلة أو بالخلق ، **رابعا :** عدم الاسراف فى انفاقه ، وعدم التقتير فيه ، وقد قال تعالى : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » . **خامسا :** مراعاة مصلحة المجتمع وحقوق أصحاب الحاجة فيه ، وذلك بالتزام حدود الله فيه وفيما دعا اليه من الانفاق فى سبيله .

ذلك هو نظر الاسلام الى المال والى الملكية ، وعلى أسس ذلك جاءت أحكامه وشرائعه الخاصة بشئون المال .

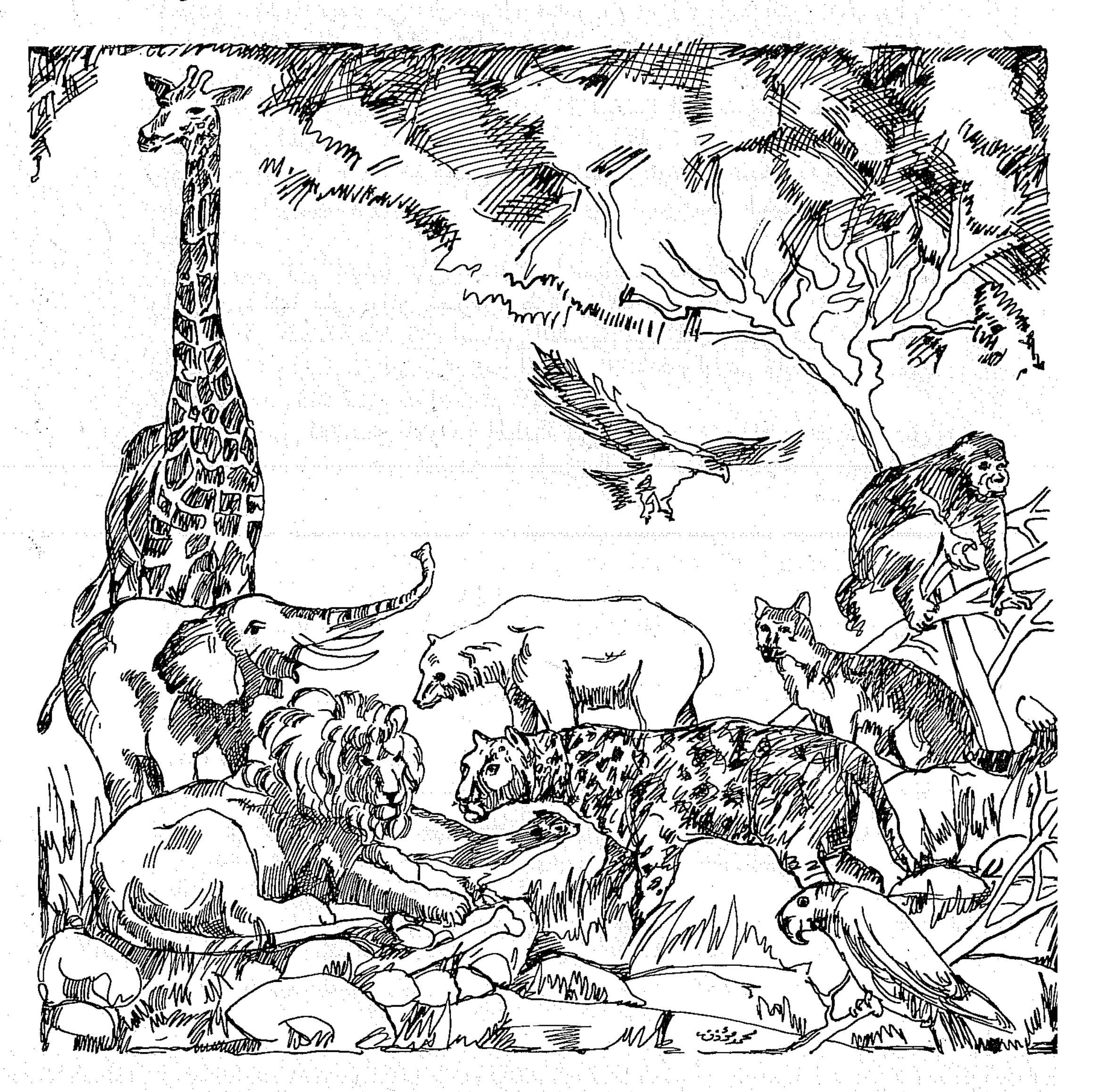
---

(١) مفتاح دار السعادة . (٣) ١٧ / المائدة .

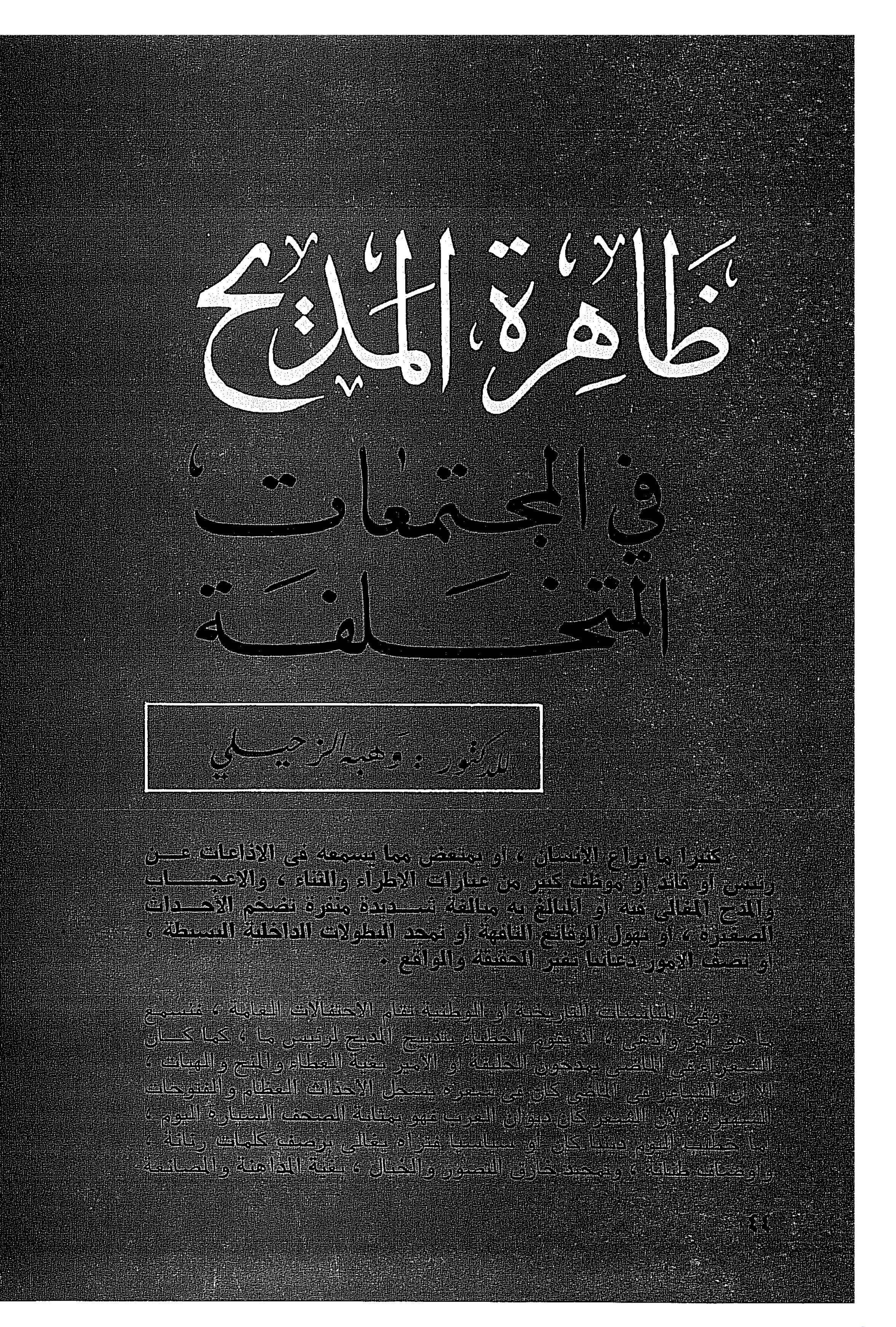
(٢) ٥٢ / النحل . (٤) ١٢ / الأنعام .

مملكة العجائب

للمَرحوم الشاعر : محمد الأسير



ضاق على الضرغـــام يوما غابه   وانقطعت من رزقـــه أســـــبابه
فقـــال للفهـــد أشر بمـــــا ترى   فقـــال ان الخير فى ترك الشرى
فمشيا فى الأرض حتى وجـــــدا   غابا حوى من الوحوش عـــددا
وبصرا بالقـــرد وهو يحـــكم ..   يومىء باللحـــــظ ولا يكـــلم ..
منتفـــخ كالليث وهـــــو قـــرد   منفـــرد بالحــــكم مســـتبد ..
له بطـــــانة بهـــا الحمـــار ..   مدخـــر للـــرأى مستشـــار ..!!
والبغل فيها الشـــــاعر المقـــدم   وتنفـــذ الحجـــر الكمى المعلم ..
والبـــوم للبشرى بكـــل خير ..   والببغـــــاوات لحفـــظ الســـر
والضـــفدع الصــــداح والمغنى   والـــذئب قـــائم بأمـــر الأفن ..
والجـــرز القـــائم بالاصلاح ..   والهر طاهى اللحم فى الأفراح ..
والدب للـــزمر وقـــرع الطبـــل   والفيـــل للالعاب فوق الحبـــل !
رأى الهـــزبر مـــا رأى فـــزأرا   وقال للفهـــد : أحق مـــا نرى ؟!
فقـــال يا مولاى حـــق صــــدق   جميع ما يفعـــل هـــذا الخلق ..
ليس الـــذى ترى من الغـــرائب   فنحن فى مملكــــة العجـــائب .



ظاهرة المديح في المجتمعات المتخلفة

للدكتور : وهبة الزحيلي

كثيرا ما يراع الانسان ، او يمتعض مما يسمعه فى الاذاعات عن رئيس او قائد او موظف كبير من عبارات الاطراء والثناء ، والاعجاب والمدح المغالى فيه او المبالغ به مبالغة شديدة منفرة تضخم الأحداث الصغيرة ، او تهول الوقائع التافهة او تمجد البطولات الداخلية البسيطة ، او تصف الامور دعائيا بغير الحقيقة والواقع .

وفى المناسبات التاريخية او الوطنية تقام الاحتفالات العامة ، فنسمع ما هو امر وادهى ، اذ يقوم الخطباء بتدبيج المديح لرئيس ما ، كما كان الشعراء فى الماضى يمدحون الخليفة او الامير بغية العطاء والمنح والهبات ، الا ان الشاعر فى الماضى كان فى شعره يسجل الاحداث العظام والفتوحات الشهيرة ، لأن الشعر كان ديوان العرب فهو بمثابة الصحف السيارة اليوم ، اما خطيب اليوم دينيا كان او سياسيا فتراه يغالى برصف كلمات رنانة ، واوصاف طنانة ، وتمجيد خارق للتصور والخيال ، بغية المداهنة والمصانعة

والرياء ، فتشيع من ثنايا خطبته رائحة عفنة : هى رائحة التملق والنفاق وحب الظهور .

ومما يؤسف له أن طبيعة العرب تتأثر ببلاغة الكلمة وفصاحة البيان تاركين استبطان الحقيقة ، وسبر أغوار القضية بعقل واع ، وأفق واسع ، ونظر عميق بعيد المدى .

هذا فى الحقل العام ، وكذلك الشأن فى النطاق الخاص ، اذ قد يضم الحضور مجلس من المجالس ، فلا تكاد تسمع فيه الا الاطناب فى مديح شخص حاضر مواجهة ، حتى يتيه غرورا واستعـلاء وترفعا ، فيصبح كالطاووس المتبختر ، وتمتلىء نفسه عجبا وصلفا وكبرا ، ثم ينطلق من المجلس وقد داخله الشيطان بوساوس عجيبة ، فيزين لنفسه الفساد ، ويروق له الانحراف وظلم العباد .

وهناك فى مجلس آخر عام أو خاص ترى أناسا لا هم لهم الا الحديث عن أنفسهم وتاريخهم وبيان أفضالهم ومكارمهم ، أو علمهم وأدبهم ، وتجديدهم أو فتحهم فتحا فكريا أو ثقافيا . . . الخ متجاهلين أنهم فيما يدعون مخادعون أو منخدعون فى غالب الأحيان .

فهل فى صنيع كل هؤلاء بمدح الحكام أو الاشخاص أو النفس وجه مقبول ؟ . وهل هؤلاء المادحون مصيبون أم خاطئون ؟ وهل هناك فى الاسلام ميزان دقيق لمعرفة ما يقبل من المديح وما يرفض ؟

وهل يمكننا أن نقارن ما نحن عليه الآن بسيرة قادة الاسلام الأوائل وأبطاله الغر الميامين ، أو بما عليه الناس فى المجتمعات المتقدمة فى الغرب أو فى الشرق ؟

الحق يقال : اننا فى كيل المديح جزافا لأى شخص كان خاطئون عابثون مشوهون لحقائق التاريخ المقبل ، ولسنا فى الاسراف على هذا النحو من الاطراء الا نمثل مظهرا من مظاهر التخلف الذى نعانى منه نحن العرب ، وما أحوجنا الى تقدير ووعى المسئولية العظمى عن أمانة الكلمة التى نطلقها بدون حساب !! فهل لعمرى يستحق أحد من الناس اليوم تقديرا وثناء ، وكرامتنا مفقودة ، وعزنا مسلوب فى دنيا العرب والاسلام ؟

أنمدح هذا أو ذاك ، لأنه فتح بيت المقدس ، وطهر المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة من رجس الصهاينة الأوغاد ، أو حطم الغزاة وطرد المحتلين من بقاع شاسعة فسيحة الجنبات ، وجنات وارفة الظلال ، وممرات خطيرة الاهمية تتدفق بالخيرات ؟!!

وما أزهدنا بحق عن ألقاب وأوصاف وهمية اسمية ، كما كان شأن الخلفاء العباسيين فى دور بدء الانحطاط وما يليه حيث استبد الترك بالخلافة حتى صيروها اسمية فى يد الخليفة وفعلية فى أيديهم ، ورضى الخلفاء بألقاب ضخمة لكنها فارغة فى الواقع مثل « ظل الله » والقاهر والمقتدر ونحو ذلك :

ألقاب مملكة فى غير موضعها　　كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

حتى ان الخليفة صار كأنه سجين القصر مما جعل شاعرا يقول فى بعض الخلفاء العباسيين :

خليفة فى قفص　　بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له　　كما تقول الببغا

فمقتضى المدح الحق أن يكون فى انجاز أعمال كبرى ، وآثار بارزة ، وأفعال تعتبر حدثا تاريخيا هاما ، وتضحيات عظيمة ، وفتوحات مبينة يكون لها وقع الصواعق على النفوس ، وعندئذ نترك تقييم الاعمال والمنتجات والانجازات للتاريخ وحده الذى هو شاهد عدل وصدق على البلاد والاشخاص والأمم .

أما تعظيم الأمور الصغيرة أو جعل القيام بالواجب هو الفضيلة والنصر ، فذلك من أهم عوامل التردى والتخلف والهزيمة اذ لم يعد يخفى على أحد تلك المظاهر الخادعة والأقوال المزخرفة والدعايات التى بشم الناس منها ، أو اتخموا بها ، حتى صاروا يتندرون من منجزات بسيطة ، ويسخرون من هول المديح « الفارغ » والثناء « الأجوف » الذى لا رصيد له فى الواقع ، فما أغنانا الآن عن الدعايات الجوفاء أو ما يسمى بحرب الكلام أو حرب الاعصاب لأن الناس سئموا الكلام وملوا من الدعاية ولم يعد يجدى الا العمل البارز ، واذا قارنا ما نحن عليه بما عند الأمم الراقية المتقدمة علميا وصناعيا وتقنيا لم نجد مثل ذلك المديح الكبير لأعظم رئيس فى العالم ، أو أكبر دولة بين الدول ، أو أجل عالم بين العلماء فى حقل الذرة وغيرها ، بل على العكس من ذلك نجد ضنا شديدا بمنح الألقاب أو اسباغ الصفات ، وهذا هو المستوى المنطقى الصحيح ، لأن أثر السياسى الكبير أو المصلح العظيم أو القائد الفذ ، أو المخترع أو العالم الشهير انما يكمن فى انجازه أو عمله الذى يخلده له التاريخ على ممر العصور .

وكذلك كانت سيرة عظماء الاسلام ، فانهم كانوا أشد الناس زهدا فى الثناء والتعظيم والاطراء ، واذا تحقق حدث هام أو فتح جليل بواسطة أحدهم ، اعتبره فخرا وعزا لأمة الاسلام ، وارغاما لأعداء الله ، ونصرا للقيام بالواجب الأقدس الملقى على عاتق كل انسان ، وتوفيقا من الله العزيز باجراء الخير والفلاح على يديه ، فعمل المؤمن كله لله وفى سبيل الله باخلاص .

وكان المسلم الذى يمدحه غيره بمدحة عابرة أو كلمة مشجعة يطلب من الله مزيد الالهام بالخير وفعل الحسنات ومضاعفة الجهد بتقديم الصالح من الأعمال لنفسه وأمته ، متأسيا بما علمه رسول الهدى صلوات الله عليه ، قائلا على الفور : « اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » وبذلك لا يغتر بنفسه ، ولا يجعل

للشيطان سبيلا عليه ، ولا يقف على درب الكفـــاح ومسيرة النجـــاة والصلاح .

ورحم الله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى أوصد الباب أمام المداحين من الشعراء ، فلم يجز أعشى بنى تغلب « النعمان بن يحيى » حين جاءه مادحا ، وقال له : « ما أرى للشعراء فى بيت المال حقا » . وكذلك عدالة كل مسلم وتقواه وايمانه بأن الضار والنافع والممسك والرازق هـو الله تعالى تأبى عليه كلها التزلف للناس قادة وأفرادا ، حكاما ومحكوميـن بالمدح والاطراء : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الأمور تجـرى بالمقادير » وفى ذلك تحقيق للعدالة ، وحث على الاستزادة من الخيرات وفعل المعروف ، وبعد عن الاغترار بالنفس الأمارة بالسوء ، وطلب لمعالى الأمور ، واستشراف لتحقيق غرر الفعال ، والوصول لرفعة الأمجـاد ، والتحلى بأكرم الشيم والخصال .

والمسلم بحق لا ينتظر تقديرا أو يستمنح رضا الا من الله وحده ، فهو الذى يخلد له فى صحائف أعماله ما قام به من خير مقصود لذاته ، لا للرياء ولا من أجل السمعة واذاعة الصيت والشهرة الضائعة وحينئذ يزهـــد الانسان بمديح الناس وثنائهم ، لأن الناس فى الحقيقة لا فائدة ترتجى منهم، بل ولا ثبات لديهم ، فهم كالدهر متقلبون زائلون يذمــون اليوم ما كانــوا يمدحونه بالأمس ، بل قد يمدحون الرجل ويذمونه فى برهة واحدة .

لذلك كان الواجب على الانسان أن يكون الهادى له ميزان دينـه ، ورائده ارضاء ضميره الحر المستقل الـــذى يدعوه فى كل آونـــة — ان استجاب اليه — لفعل الخير ، والالقاء به فى البحر فان لم يعرفـه الناس يعرفه الله كما يقول الحكماء فى الأمثال .

وأخيرا بقى أن نعرف ما هو موقف الاسلام فى نصوصه من حكـم المديح مواجهة أمام الشخص ، أو حكم مدح الانسان نفسه .

الاسلام دين الفطرة والملة الحنيفية السمحة ، وميزان الاعتـدال والقصد والتوسط بين الافراط والتفريط ، فالانسان بطبعه ميال الى المدح ، يهتز نشوة وطربا للثناء ، ويتجاوب الاسلام مع هذه النزعة فيبيح المـدح بحق للتشجيع ، وضرب الأمثال ، والحث على الاقتداء اذا كان الممدوح قوى الايمان متزن العقل بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ، فان خيفت الفتنة كـره كراهة شديدة وكان الى الحرام أقرب، وان كان المدح بغير حق كما فى حالة أدعياء الأفعال الحسنة ، كان مذموما وحراما موجبا للعذاب فى الـــدار الآخرة .

كما يباح للانسان مدح نفسه عند الحاجة الى ذلك بقصد التعريـف للتوصل الى مقصد شريف مشروع كعقد زواج أو تولى منصب سياســى أو دينى اذا كان أهلا لذاك .

وهكذا فالاسلام يقرر أولا استحقاق العقاب لمن يدعى اتصافـــه بأوصاف جميلة وهو منها براء ، وفى القرآن الكريم تحذير شديد للمسلمين بأن يفعلوا مثل هذا الفعل الذى كان يقوم به أهل الكتاب :

« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » فهؤلاء أهل الكتاب حكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك فرح اعجاب وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، وودوا أن يمدحهم الناس بما هم عراة عنه من الفضائل .

روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شىء مما فى التوراة ، فكتموه اياه ، وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا اليه ، وفرحوا بما فعلوا ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وسلاه بما أنزل من وعيدهم » أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ، ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب .

هذا سبب نزول هذه الآية ، وقد علق الألوسى على كلام ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن فقال : « ولا يلزم من كلام الحبر على هذا عدم حرمة الفرح ، فرح اعجاب وحب الحمد بما لم يفعل بالمرة ، بل قصارى ما يلزم منه عدم كون ذلك مفاد الآية — كما قيل — وهو لا يستلزم عدم كونه مفاد شىء أصلا ليكون ذلك قولا بعدم الحرمة ، كيف وكثير من النصوص ناطق بحرمة ذلك حتى عده البعض من الكبائر » وقال ابن كثير « ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء — أى أن الآية فى المنافقين — لأنها عامة فى جميع ما ذكر » .

وثانيا — يحرم الاسلام المدح مطلقا سواء فى حضور الانسان أم فى غيبته اذا كان فيه مبالغة وغلو بحيث يجازف المادح ويدخل فى الكذب وهذا التحريم بسبب الكذب ، لا لكونه مدحا ..

ومن أمثلة المبالغة فى المديح وصف شاعر للرشيد بقوله :

واخفت أهل الشرك حتى انه   لتخافك النطف التى لم تخلق

ومما لا يقبل من المديح الا بتأويل وتكلف ظاهر بيت فى بردة البوصيرى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

فهذا البيت يوهم اللبس والشك الذى لم يكن البوصيرى رحمه الله قاصدا اليه ، لذلك فعلا لسنا مع أولئك الذين شنعوا عليه واتهموه بالشرك لأن قصده تمجيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدير ما أثر عنه فى حدود الشرع مريدا بذلك أن من خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس ، ومن خير الآخرة ضرة الدنيا : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى الناس ؛ ومن علومه عليه السلام المعلومات التى أطلعه الله عليها وهى علوم الأولين والآخرين ، كما يقول الشراح .

قال النووى رحمه الله مبينا حكم المدح فى الغيبة : يستحب المدح

الذى لا كذب فيه اذا ترتب عليه مصلحة ولم يجر الى مفسدة بأن يبلغ الممدوح فيفتتن أو غير ذلك .

ثالثا — يحرم المدح فى وجه الانسان اذا كان مدعاة للبطر والأشر والغرور والفتنة والظلم ومنع الحقوق ونحو ذلك بدليل الاحاديث الصحيحة التى تمنع هذا ، منها ما رواه الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال « سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يثنى على رجل ويطريه فى المدح ، فقال : أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل » والاطراء المبالغة فى المدح . وروى الشيخان أيضا عن أبى بكر رضى الله عنه « أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم — ويحك قطعت عنق صاحبك ، يقوله مرارا ، ان كان أحدكم مادحا لا محالة ، فليقل أحسب كذا وكذا ان كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكى على الله أحدا » . وروى مسلم عن همام بن الحارث عن المقداد رضى الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان رضى الله عنه ، فعمد المقداد ، فجثا على ركبتيه ، فجعل يحثو فى وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » .

رابعا — يجوز المدح أثناء حضور الشخص من أجل التقدير والتشجيع وحث الآخرين على تقليد فاعلى الخير لا سيما فى مجال التعليم كما يقول علماء التربية ، ذلك بكلمات مقتضبة واشارات عابرة اذا كان الممدوح كامل الايمان ، حسن اليقين ، واسع المعرفة والأفق بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه ، فان خيف عليه شىء من هذه الأمور كره مدحه كراهة شديدة كما يقول الامام النووى رحمه الله .

والحقيقة أن أوقع الكلام والثناء عند السامع ما اتصف بالاقتصاد والاعتدال والايجاز والتلميح .

وقد وردت أحاديث نبوية تدل على اباحة المديح فى مثل هذه الحالات منها قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لأبى بكر رضى الله عنه « أرجو أن تكون منهم أى من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها » وقوله عليه السلام له أيضا « ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه « ما رآك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » وفى حديث آخر قال : « افتح لعثمان وبشره بالجنة » وقال لعلى كرم الله وجهه « أنت منى وأنا منك » وقال لبلال « سمعت دف نعليك فى الجنة » وقال لأشج عبد القيس « ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله : الحلم ، والأناة » وقال للأنصار : « أنتم من أحب الناس الى » ومن المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم اجاز مديح كعب بن زهير له فى قصيدته اللامية المشهورة وخلع عليه بردته الشريفة .

خامسا — يحرم على الانسان تزكيته نفسه اذا كان بقصد الاعجاب أو الافتخار ، واظهار الارتفاع والتميز على الأقران ، أو الرياء ونحو ذلك لقوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » ، وليس القصد التكليف بعدم الحزن وعدم الفرح ، وانما المراد المنع من السخط حالة الحزن ومن التفاخر حالة السرور : ولقوله سبحانه « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » (١) فان لم يكن كذلك فلا بأس به ، ولا يعد فاعله من المزكين أنفسهم ، كأن يكون فى التزكية مصلحة دينية بأن يكون المزكى نفسه آمرا بالمعروف أو ناهيا عن منكر ، أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما أو مؤدبا أو واعظا ومذكرا ، أو مصلحا بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شرا أو نحو ذلك ، فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره ، كما قرر الامام النووى رحمه الله .

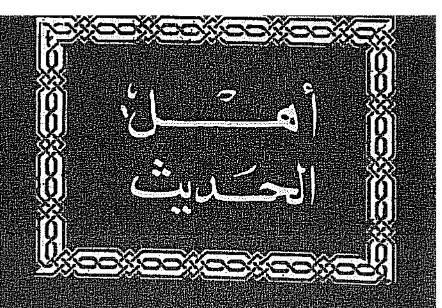
وقال شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام « ولا يمدح المرء نفسه الا اذا دعت الحاجة الى ذلك ، مثل أن يكون خاطبا الى قوم فيرغبهم فى نكاحه أو ليعرف أهليته للولايات الشرعية والمناصب الدينية ليقوم بما فرض الله عليه عينا أو كفاية ، كقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » وقد يمدح المرء نفسه ليقتدى به فيما مدح به نفسه ... وهذا مختص بالاقوياء الذين يأمنون التسميع ويقتدى بأمثالهم » .

هذه هى مبادىء الاسلام فى زاوية حساسة من زوايا المجتمع ، فهل نحن سائرون عليها ، أو أننا نسينا كل شىء عن الاسلام ما عدا الصلاة والصيام والحج ؟

وأخيرا وليس آخرا أقول لعلماء الاسلام بالذات على منابرهم ومكاتبهم ليتق الله كل خطيب فيما يخطب الناس فى المناسبات العامة ، فانه مسئول عن كل كلمة قالها ، وهو موئل الثقة من الناس وقدوتهم ، فاذا مدح قائدا أو رئيسا فليعتدل فى مدحته ، وليحمل المسئول تبعة مسئوليته العظمى وأمانته الكبرى ، ولا يكونن جسرا يعبر عليه لتضليل الناس وتمويه الحقائق ، وليترك كل انسان أعماله لتقدير التاريخ ، وليدع انجازاته العامة أو مقالاته أو مؤلفاته مثلا لتقدير المواطن أو القارىء ولحكمه الصادر من اقتناعه الذاتى ، ولا يغترن أحد بالالقاب والمناصب فليست هى أحيانا عن جدارة ، كما لا ينخدعن أحد بتقديم الكتب وتدبيج المديح فيها للمؤلف من أحد الاعلام ، مثلا ، فتلك مجاملة محضة فى الغالب ، ولنفعل الفعل القوى الصارم ونترك الجزاء لله وحده فهو خير الشاهدين وأعدل الحاكمين .

---

(١) وقيل فى تفسير الآية أيضا : لا يزكى بعضكم بعضا ، والمراد كما قال الالوسى : النهى عن تزكية السمعة ، أو المدح للدنيا ، أو التزكية على سبيل القطع ، وأما التزكية لاثبات الحقوق ونحوه فهى جائزة ، وبهذا الفهم للآية يضاف دليل جديد على حرمة مديح الغير على النحو الذى فصلنا البيان فيه .



أبو بكر الصديق رضي الله عنه

للدكتور : محمد تقي الدين الهلالي

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي فى كتابه « تذكرة الحفاظ » ما نصه :

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أفضل الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤنسه في الغار وصديقه الأكبر وصديقه الأشفق ووزيره الأحزم ، عبد الله ابن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي قد أفردت سيرته في مجلد وسط ، وكان أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب أن الجدة جاءت الى أبي بكر تلتمس أن تورث ، فقال ما أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة . فقال : حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيها السدس فقال له هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه .

فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت فى الأخبار والتحرى ، لا سد باب الرواية ، الا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده فى الكتاب كيف سأل عنه فى السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج .

وحدث يونس عن الزهري أن أبا بكر حدث رجلا حديثا فاستفهمه الرجل اياه فقال أبو بكر هو كما حدثتك ، أي أرض تقلني اذا أنا قلت ما لم أعلم ؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار .

وقال على بن عاصم وهو من أوعية العلم لكنه سيء الحفظ أن اسماعيل ابن ابى خالد عن قيس ابن أبى حازم قال سمعت أبا بكر الصديق يقول اياكم والكذب فان الكذب مجانب الايمان قلت صدق الصديق ، فان الكذب رأس النفاق وآية المنافق والمؤمن يطبع على المعاصى والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب ، فما الظن بالكذب على الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه ، وهو القائل ان كذبا على ليس ككذب على غيرى ، من يكذب على نبى له بيت فى النار وقال من يقل على ما لم أقل ، الحديث . فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله فكيف حال من تهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمد عليه الكذب وقوله ما لم يقل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ، فانا لله وانا اليه راجعون ما ذى الا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروى الاباطيل والاحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب فحق على المحدث أن يتورع فى ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على ايضاح مروياته ولا سبيل الى أن يصير العارف الذى يزكى نقلة الاخبار ويجرحهم جهبذا الا بادمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتقيظ والفهم مع التقوى والدين المتين ، والانصاف والتردد الى مجالس العلماء والتحرى والاتقان والا تفعل .

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله تعالى عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فان آنست يا هذا من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعا والا فلا تتعن ، وان غلب عليك الهوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب ، وان عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فقد نصحتك فعلم الحديث صلف ، فأين علم الحديث ؟ وأين أهله ؟ كدت ألا أراهم الا فى كتاب أو تحت تراب .

نعم فرأس الصادقين فى الأمة الصديق واليه المنتهى فى التحرى فى القول وفى القبول .

توفى الصديق رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة (٦٣) .

توضيحات وشروح لما تقدم

١ — قوله مؤنس فى الغار هذه فضيلة من فضائل الصديق خصه الله بها وذكرها فى كتابه العزيز قال تعالى فى سورة التوبة « آية ٤٠ » ((الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها)) .

قال الامام ابن كثير فى تفسيره يقول تعالى (الا تنصروه) أى تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) أى عام الهجرة لمَّا هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبى بكر بن أبى قحافة فلجآ الى غار ثور ثلاثة

أيام حتى يرجع الطلب الذين خرجوا فى آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص الى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) اهـ .

فهذه المزية مع شهادة الله له بالصحبة من المناقب التى خصه الله بها ! ..

٢ ــ قوله وكان أول من احتاط فى قبول الاخبار من المعلوم أن أعداء الاسلام الأولين والآخرين حاربوا الاسلام وكادوا له ، فبعضهم حاربه ، بوضع الأحاديث ، وبعضهم حاربه بردها وعدم قبولها ، وكلا الطرفين مذموم ، وخير الامور الوسط ، فأهل الحق يتثبتون فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومتى صح لهم حديث عضوا عليه بالنواجذ وتلقوه بالقبول ، واعتقدوه وعملوا بــه وامامهم فى ذلك الصديق الاكبر ، فلما جاءته الجدة تلتمس نصيبها من الميراث أخبرها أن كتاب الله لم ينص على شىء من الحق لها فى الميراث ، ولم ينف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جعل لها حقا ، ولكن نفى علمه بذلك وهذا شأن الأئمة المحققين المتثبتين ثم سأل اصحاب رسول الله هل عندهم علم بأن النبى صلى الله عليه وسلم جعل لها شيئا فلما ثبت عنده الحديث برواية عدلين أعطاها حقها وهو السدس .

٣ ــ قوله : ما ذى الا بلية الخ .. اذا استمعنا الى الخطباء فى المساجد والوعاظ وما يذكرونه من الاحاديث وينسبونها الى النبى صلى الله عليه وسلم بــدون عزو الى مخرج ولا معرفة لصحيح أو ضعيف أو موضوع رأينــا العجب العجاب ، هذا مع أن كتب الحديث الصحيحة التى خدمها الأئمة بالشرح وبينوا صحيحها ومعانيها ميسورة ، فلم يرد الخطباء والوعاظ بل والمدرسون فى المعاهد الدينية أن يكلفوا أنفسهم دراسة تلك الكتب وأخذها من أهلها العارفين بها ونقل الاحاديث منها على نــور وبصيرة ، بل أقبلوا على دواوين الخطب التى تجمع كل غث وسقيم من فضائل الايام والشهور ، فتجد عندهم لكل شهر خطبة خاصة يجمعون فيها أحاديث واهية أو موضوعة فى فضل ذلك الشهر أو يوم مخصوص منه ، ولا يهمهم من شؤون الناس الذين يستمعون خطبهم الا ذلك ، وقد يذكرون خرافات وأباطيل يقطع كل من يسمعها ببطلانها ، وقد اشتكى الامام الذهبى من أهل زمانه فلو عاش الى هــذا الزمان لــرأى ما لم يخطر له ببال فالى اللــه المشتكى .

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمر منــكر

وبقيت فى خلف يزكى بعضهم   بعضا ليسكت معور عن معور

٤ ــ قوله : وان غلب عليك الهوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب الخ ...

ما أصدق هــذا الكلام وأحسنه فان طالب علم الحديث لا ينتفع بــه ويكون من أهله الا اذا عقد العزم على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما صح عنه لا يمنعه من ذلك رأى كان من قبل يراه أو كان يراه أستاذه ولا مذهب ينتسب اليه بل ينشد دائما قول القائل

دعوا كل قول غير قول محمد فما آمن فى دينه كمخاطر

بل يجعل نصب عينيه قول الله تعالى ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى .. يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**)) ٣١ سورة آل عمران .

٥ ــ قوله : أين علم الحديث وأين أهله ؟ كدت الا أراهم الخ .. هكذا يقول الامام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وكان عصره مشرقا عامرا بحفاظ الحديث ونقاده فقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلانى (كتاب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وذكر فيه جما غفيرا من الحفاظ المحدثين وهو أحد أئمتهم فكيف بزماننا هذا وماذا نقول فيه أكثر من (لا حول ولا قوة الا بالله) .

فوائد من سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الاولى ــ ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر ، وفى الاصابة للحافظ ابن حجر أن عائشة رضى الله عنها قالت : تذاكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ميلادهما عندى فكان النبى صلى الله عليه وسلم أكبر ، اهـ .

ومن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل أى فى العام الذى غزا فيه الحبش مكة بالفيلة فردهم الله على أعقابهم خاسرين (أنظر تفسير سورة الفيل) .

الثانية ــ صحب النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان أول من آمن به من الرجال على الصحيح واستمر معه طول اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها الى وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج فى الناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع ، واستقر خليفة بعده ، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله فمن يتنقصه يريد أن يستر الشمس بالغربال فهو

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفى مثله ينشد أيضا

يا ناطح الجبل الراسى بهامته أشفق على الراس لا تشفق على الجبل

وما أحسن قول المتنبى

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها بضريب

الثالثة ــ روى أبو بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين منهم عمر وعثمان وعلى ، وهم الخلفاء بعده وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وحذيفة وزيد بن ثابت وخلق لا يتسع المقام لذكرهم .

الرابعة — روى سعيد بن منصور بسنده الى عائشة قالت اسم أبى بكر الذى سماه بــه أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق .

الخامسة — كان أبو بكر رضى الله عنه أبيض نحيفــا خفيف العارضين معروق الوجــه ناتىء الجبهــة يخضب بالحناء والكتم ، — والخضاب بالحناء والكتم قريب من السواد وهو الى السواد أقرب منه الى الحمرة التى تنشأ عن الخضاب بالحناء — وقد صح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالحناء والكتم هو الذى يسمى (بالوسمة) وقد قلت فى ذلك شعرا .

انى لأخضب بالحنــاء والكتم — أقفوا بذلك خير العرب والعجم

محمدا وأناسا مــن صحــابته — كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

السادسة — قال الحافظ فى الاصابة وأخرج أبو يعلى بسنده الى عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفناء البيت اذ جاء أبو بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم **« من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر »** .

السابعة — قال الحافظ وقال ابن اسحق كان أبو بكر مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به . فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ا هـ .

قال الحافظ وأخرج أبو داود فى الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرنى أبى قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم وأخبرتنى عائشة أنه مات وما ترك دينارا ولا درهما .

الثامنة — قال الحافظ وأخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسنده الــى هشام عن أبيه قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألفا فأنفقها فى سبيل الله ، وأعتق سبعة كلهم يعذب فى الله أعتق بلالا وعامر بن فهيــرة ونذيرة والنهدية وابنتها وجارية بنى المؤمل وأم عبيس .

التاسعة — قال الحافظ وأخرج الدار قطنى فى الافــراد من طريق أبى اسحاق عن أبى يحيى قال لا أحصى كم سمعت عليا يقول على المنبر ان الله عز وجل سمى أبا بكر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم صديقا ، انتهى مستفادا من الاصابة .

فوائد أخرى من الاستيعاب للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر رحمه الله

الأولى — كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله هذا قول أهل النسب الزبيرى وغيره .

الثانية — قال فيه حسان بن ثابت يمدحه :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا

والثانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس من صدق الرسلا

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صعدوا الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... خير البرية لم يعدل به رجلا

وقال فيه أبو محجن الثقفى :

وسميت صديقا وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت الى الاسلام والله شاهد ... وكنت جليسا بالعريش المشهر

وبالغار اذ سميت بالغار صاحبا ... وكنت رفيقا للنبى المطهر

قوله ـ وكنت جليسا بالعريش المشهر ، يعنى أن أبا بكر كان يحرس النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش الذى جعل له فى غزوة بدر ، فرافقه فى العريش كما رافقه فى الغار .

الثانية ـ سمى الصديق صديقا لمبادرته لتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به .

الثالثة ـ قال أبو عمر قال صلى الله عليه وسلم ((**ما نفعنى مال ، ما نفعنى مال أبى بكر**)) معناه ما نفعنى مال مثل ما نفعنى مال أبى بكر لأن ما الأولى نافية والثانية مصدرية .

الرابعة ـ قال أبو عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**دعوا لى صاحبى أى أبا بكر ، فانكم قلتم لى كذبت وقال صدقت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلام البقرة والذئب آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر**)) .

ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه أن بقرة تكلمت وأن ذئبا تكلم ثم قال لهم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر ، فشهد لهما بتصديقه فى ما أخبر به من هذا الأمر الخارق للعادة ، وهذه منقبة لهما ، فويل لمن يعاديهما ويجحد فضلهما انه لمن الخاسرين .

الرابعة ـ قال أبو عمر قال عمرو بن العاص يا رسول الله من أحب الناس اليك ، قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها ، وروى مالك عن سالم بن أبى النضر عن عبيد بن حنين عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا**

خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام لا تبقين فى المسجد خوخة الا خوخة أبى بكر » .

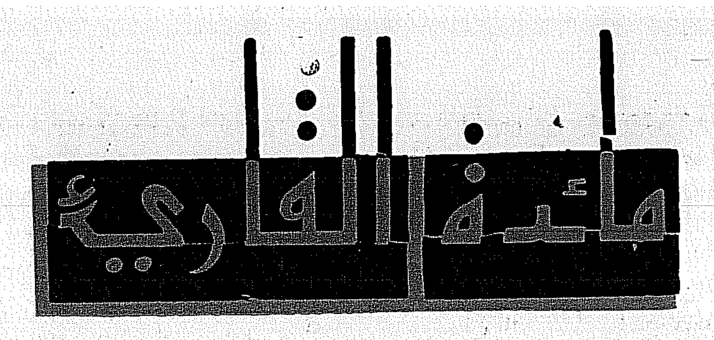
الخامسة — قال أبو عمر روى سفيان بسنده الى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنهم قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا فى المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول فى آلهتهم فبينما هم كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فقاموا اليه وكانوا اذا سألوه عن شىء صدقهم فقالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى قال فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبى بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال (ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) قال فلهوا عن رسول الله صلى اله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر يضربونه ، قالت فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام .

السادسة — قال أبو عمر وروينا من وجوه عن أبى أمامة الباهلى قال حدثنا عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت، يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر قال (حر وعبد ، أبو بكر وبلال) قال فأسلمت عند ذلك اهـ .

السابعة — أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبايعته بالخلافة ، لما ظهر لهم من امارات تدل دلالة قاطعة على أن النبى صلى الله عليه وسلم ارتضاه للخلافة بما تقدم من كونه أحب الناس اليه وتقديمه للصلاة بالناس ، وروى أبو عمر بسنده الى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال أتت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شىء فأمرها أن ترجع اليه فقالت يا رسول الله أرأيت ان جئت فلم أجدك تعنى الموت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تجدينى فأتى أبا بكر ، قال الشافعى فى هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

الثامنة — قال أبو عمر بسنده ذكره عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليل فدعاه بلال الى الصلاة فقال لنا مروا من يصلى بالناس قال فخرجت فاذا عمر فى الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان مجهرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث الى أبى بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس طول علته حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أيضا واضح فى ذلك .

ومناقب أبى بكر رضى الله عنه أكثر من أن يتسع لها هذا المقال ، والمقصود هنا أنه رضى الله عنه هو أول أهل الحديث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسأل الله أن يجعلنا منهم وينفعنا بمحبتهم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



تفسير آية

روى أن عمر بن الخطاب سأل الناس عن معنى قوله تعالى : ((أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجــرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون)) .

فما وجد أحدا يشفيه ، ففسرها له ابن عباس ، وقال فى بيان معناها : هذا مثل ضربه الله عز وجل ، فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء ، فأفسده كله ، فحرقه أحوج ما كان اليه .

أى الأجلين :

عن سعيد بن جبير قال : قال يهودى بالكوفة . وأنا أتجهــز للحج ــ انى أراك رجــلا تتبع أهل العلم ، فأخبــرنى : أى الأجلين قضى موسى ؟

قلت : لا أعــلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب ــ يعنى ابن عباس ــ فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكــة سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبى اذا وعد لم يخلف .

قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى ، فأخبرتــه ، فقال : صدق وما أنزل عــلى موسى .. هذا والله العالم .

الاسلام عــز

خرج عمر الى الشام ، ومعه أبو عبيدة ، فأتوا مخاضـــة ، وعمر على ناقة له ، فنزل وخلع خفيه ، فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته ، فخاض فى الماء ، فقال أبو عبيدة : يا أميــر المؤمنين أأنت تفعل هذا ؟ ما يسرنى أن أهــــل البلــــد استشرفوك .

فقال عمر : أوه . لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته نكالا لأمة محمد .. إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهمــا نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله .

فتنة السراء

قال معاذ بن جبل : أنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وانى أخاف عليكم فتنة السراء ، وهى النساء اذا تحلين بالذهب ، ولبسن ريط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعبن الغنى وكلفن الفقير ما لا يطاق .

الايمان أولا :

قال جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه :

كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (إبان شبابنا وقوتنا) فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا .

مفاخرة فى الخير

تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس :

لنا غسيل الملائكة حنظل الراهب ، ومنا عاصم الأفلح الذى حمت لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ومنا الذى اهتز عرش الرحمن لموته سعد بن معاذ .

فقالت الخزرج :

منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيده الله بروح القدس حسان بن ثابت .

مدارس دمشق

قال النعيمى فى كتابه (الدارس فى تاريخ المدارس) وهو من علماء القرن العاشر الهجرى .

كان فى دمشق للقرآن سبع مدارس ، وللحديث ست عشرة مدرسة ، وللقرآن والحديث معا ثلاث مدارس ، وللفقه الشافعى ٦٣ مدرسة ، وللفقه الحنفى ٥٢ مدرسة، وللفقه المالكى ٤ مدارس ، وللفقه الحنبلى ١١ مدرسة .

العصفور والفخ

رأى عصفور فخا فى التراب

فقال له : من أنت ؟

قال الفخ : أنا عبد من عباد الله .

قال العصفور فلم جلست على التراب ؟.

قال الفخ : تواضعا لله .

قال العصفور : فلم انحنى ظهرك ؟

قال : خشية لله .

قال : فلم شددت وسطك ؟

قال الفخ : للخدمة .

قال : ما هذه القصبة .

قال : هذه عصاتى أتوكأ عليها .

قال العصفور : فما هذه الحبة؟

قال : أتصدق بها .

قال : أيجوز أن ألتقطها ؟

قال الفخ : أن احتجت فافعل .

فدنا العصفور من الحبة فانطبق عليه الفخ ، فقال : اللهم انى أعوذ بك من شخص هذا قوله وذلك عمله .



للدكتور محمد علي حيدر

١ ــ مقدمات الفكر السياسى

عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اجتمع المسلمون أنصارا ومهاجرين ، فى سقيفة بنى ساعدة اجتماعا تاريخيا ، يعتبر أهم اجتماع سياسى ، فى تاريخ الدولة الاسلامية ، لما ترتب عليه من نتائج سياسية ، أبرزها انشاء منصب الخلافة ، وقد دارت المناقشات فى هذا الاجتماع الكبير بحرية وصراحة ، مما يذكرنا بالمؤتمرات السياسية الحديثة ، وما أشبهه بجمعية وطنية اسلامية ؛ أو مؤتمر سياسى يبحث فى مصير الدولة الاسلامية لقرون تالية .

وقبل أن نتناول هذا المؤتمر بالبحث والدراسة ، لنتعرف على ما دار فيه من أفكار سياسية ، وما أسفر عنه من نتائج على جانب كبير من الاهمية فى حياة الأمة الاسلامية نلم الماما يسيرة بالعوامل التى أثرت فى فكر الجماعة الاسلامية ، وجعلتها تتجه صوب السقيفة لتلتقى هذا اللقاء الكبير .

لعل أبرز العوامل التى أثرت فى الفكر السياسى فى الاسلام بصورة عامة ، وفى اجتماع السقيفة بصفة خاصة يمكن مردها الى هذه العوامل الثلاثة :

أ ــ النظام الذى أوجده الرسول عليه السلام :

لم يعد هناك شك فى أن النظام الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنون معه بالمدينة ، يمكن أن يوصف بأنه « سياسى » بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى ، وهذا لا يمنع انه يوصف فى نفس الوقت بأنه « دينى » .

فقد بدأ تكوين الدولة الاسلامية بهجرة النبى عليه السلام وأصحابه من مكة الى المدينة ، بعد أن أيقن المسلمون بأن مكة ليست هى البيئة الصالحة لنشر الدعوة الاسلامية ، ونموها بعد أن حاول المشركون أن يطفئوا نور الله بأفواههم بمحاولاتهم المتكررة للقضاء على دين الله ، وتعذيبهم المسلمين ، ولكن « يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون » .

وفى المدينة ، أخذ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ينظم الجماعة الاسلامية ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأخذ يحدد العلاقة بينه وبين الطوائف الدينية الاخرى ومن ثم أخذت مقومات الدولة الاسلامية تتحقق فى المدينة ، فقد أصبح لها الوطن الآمن فى المدينة وما حولها ، وصار الشعب الاسلامى يتكون من المهاجرين والانصار وأخذ الرسول القائد يحكم بين الناس بالعدل ويسوسهم بكتاب الله ، ولم يعد المسلمون يقفون موقف الضعيف ، بعد أن تحقق لهم الجيش القوى الذى أخذ يدافع عن حقوقهم السليبة ويذود عن كيان الدولة الاسلامية الناشئة .

ولم تكن الدعوة الاسلامية مقصورة على التغيير الكامل فى الوضع السياسى ، بل شملت أيضا الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وظل الرسول وفيا للمبدأ الذى نادى به وهو المساواة والاخوة بين جميع المسلمين .

والحق أن التاريخ لم يعهد مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير ، كما فعل محمد عليه الصلاة والسلام ، اذ لم تتجاوز دعوته ثلاثة وعشرين عاما مجيدا فى حياة الامة الاسلامية ، حتى أقام خلالها نظاما سياسيا ، وأوجد دينا ودولة معا ، وفى هذا المعنى الذى نقصد اليه نذكر بعض آراء المستشرقين :

يقول الاستاذ « نلينو » Nallion « لقد أسس محمد فى وقت واحد : دينا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته . »

ويقول الدكتور شاخت : Schacht على أن الاسلام يعنى أكثر من دين : انه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول الاستاذ « ماكدونالد » Macdonald هنا ــ أى فى المدينة ــ تكونت الدولة الاسلامية الاولى ، ووضعت المبادىء الاساسية للقانون الاسلامى » .

وهذه الدولة الاسلامية المثالية التى تحققت على يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، سوف تكون المحور والأساس الأول الذى تدور من حوله الافكار السياسية ، التى سوف تنطلق بعد وفاة الرسول مباشرة فى اجتماع السقيفة ، وبعد هذا الاجتماع ... لأن هذا النظام حرك مشاعر المسلمين ، اذ لا بد له من قائم يقوم به ، ويحافظ عليه ، وان لا يترك هكذا

دون راع يرعاه ، والا عصفت به العواصف ، وضاع فى مهب الرياح .
وقد وفق المسلمون ، حين أدركوا بفطرتهم السليمة ، أن هذا البنـــاء الشامخ فى حاجة ماسة الى من يرعاه ، ويحافظ عليه ، ومن هذا المنطلق الفكرى بوجوب حاكم يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى أمته ودولته ، هرع المسلمون الأولون الى سقيفة بنى ساعدة ليختاروا من بينهم أحـــد المسلمين ليخلف النبى عليه السلام ليحافظ على دين الله ويرعى مصالـــح الدولة الاسلامية الناشئة .
وهكذا كانت الدولة الاسلامية التى أقامها الرسول عليه السلام على أساس من الدين ، هى المحرك الأول ، والدافع المثير ، فى ايقاظ الفكـــر السياسى ، الذى تمثل فى اجتماع السقيفة ولكن لا بد من عامل ثان لهذه اليقظة الفكرية ، والذى يمكن أن نطلق عليه بأنه الحرية المطلقة فى التفكير وفى التعبير ، والتى كانت مبدأ هاما من مبادىء الاسلام .

ب ــ حرية التفكير :

وقد ضمن الاسلام وجود هذا العامل باقراره لهذا المبدأ الذى سبق أن أشرنا اليه : وهو مبدأ حرية التفكير للفرد ، فالاجتهاد حق لكل مسلم ، ومبدأ هام من مبادىء التشريع الاسلامى ، واذا كانت أوربا لم تهتد الى هذا المبدأ الخطير الا فى القرن السابع عشر الميلادى ، فان هذا يظهر بجـــلاء سمو التفكير الاسلامى ، وأصالته ، وسبقه للفكر الاوروبى فى هذا المجال بحوالى عشرة قرون .
فقد ظلت الكنيسة فى أوروبا تحتكر لنفسها ــ من دون الناس ــ فهم النصوص الدينية ولم يكن يحق لفرد من أفراد الشعب أن يكون لنفسه رأيا ، أو يبدى فهما خاصا للنصوص الدينية ، وظلت أوروبا غارقة فى بحار الجهل قرونا طويلة ، حبيسة هذا الاحتكار الفكرى لجماعة قليلـــة متعصبـــة ، تمركزت فى رجال الدين ، الى أن كانت ثورة رجال الفكر ، على جمود رجال الدين ، بقيادة « لوثر » وأتباعه ، وكانت النتيجة لهذه الثورة التحررية ، أن تحقق مبدأ الحرية الفكرية فى أوروبا ، وأصبح من حق الانسان ، ان يكون لنفسه رأيا فى أوروبا ، ولكن بعد أن كان هذا المبدأ ، قد ساد أنحاء الدولة الاسلامية بحوالى ألف عام .
وهذه الحرية الفكرية النابعة من تقاليد الاسلام وتعاليمه ، هى التى حركت عقول المسلمين ، الى أن يكونوا لهم آراء سياسية ، وكان اجتماع السقيفة أهم مظهر من مظاهر هذه الاتجاهات السياسية فى فجر الدولـــة الاسلامية .

جـ ــ تفويض الأمر للأمة :

واذا كان هذان العاملان : الدولة والحرية ، قد أديا دورهما كمقدمات ضرورية للأفكار السياسية التى ظهرت فى اجتماع السقيفة ، الا أنهما كانا فى حاجة ماسة الى تجربة يمتحن فيها المسلمون ، وقد تهيأت لهم التجربة بموت الرسول عليه السلام ، دون أن يحدد لجماعـــة المسلمين الأسلوب

الذى يسلكونه ، ولا النظام الذى يتبعونه فى اختيار الحاكم من بعده .

وقد ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى محاولتهم معرفة السبب الذى من أجله ترك الرسول هذا الأمر دون أن يحدد الشخص الذى يخلفه فزعم بعضهم أن المرض هو الذى شغله عن هذا الأمر ، وهذا زعم ظاهر البطلان ، ولا أساس له من الواقع ، فلم يكن المرض خطيرا الى هذه الدرجة التى تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من الكلام ، فقد أمر رسول الله عليه السلام أبا بكر أن يصلى بالناس ، وكان فى وسعه أن يردف قائلا ، وأنت يا أبا بكر خليفة المسلمين من بعدى .

فلم يكن اذن المرض على هذه الدرجة من الخطورة ، وعلى فرض صحة هذا الزعم ، فلماذا لم يعين الرسول من يخلفه أثناء صحته وقبل مرضه أثناء حياته الطويلة .؟؟

ولم يقف ادعاء المستشرقين عند هذا الحد ، بل ذهب آخرون بأن الرسول ترك هذا الأمر ، جريا وراء التقاليد العربية ، فى اختيار شيخ القبيلة . ولكن كيف يكون الأمر كذلك ، وقد جاء الاسلام لهدم التقاليد العربية ، والقضاء على العادات القبلية ، باحلال النظام الاسلامى محل تلك العادات البالية ، ثم لم يكن هناك تقليد واحد متبع حتى يتبعه المسلمون بل كانت هناك تقاليد عدة فأى التقاليد اذن ترك المسلمون ليسلكوه ؟ لقد كان لكل قبيلة نظامها الخاص فى اختيار شيخ القبيلة ، ومن هنا كان يمكن أن يكون هذا الأمر مثار نزاع طويل بين القبائل العربية المختلفة ، وسببا للفرقة والخصام . وهذا ما لا يرضاه الرسول لأصحابه .

ويبقى بعد ذلك السبب المقبول والمعقول هو أن الرسول عليه الصلاة والسلام ترك تحديد الشخص الذى يخلفه فى أمته ، لايمانه الذى لا يتزعزع فى حق الامة الاسلامية فى تقرير مصيرها بنفسها ، فهو لم يرد للأمة أن تكون حبيسة تقاليد معينة قد لا ترضى عنها الامة فيما بعد ، فنظرا لايمانه بالتطور ، وايمانه بحق الشعب المسلم فى تقرير مصيره بنفسه ، دون أن يكون هناك توجيه من أحد فيما بعد هو ما دفعه الى أن يترك هذا الأمر للأمة وحدها ، كى تواجه قدرها بنفسها حتى تكون لها حرية الارادة ، وحرية التفكير ، وحرية الاختيار ، وكأنه بهذا قد سبق الدساتير الحديثة التى تقرر بأن « الامة هى مصدر السلطات » . وأن ارادة الأمة فوق ارادة الأفراد ، لأن الامة باقية ، والافراد زائلون .

وهكذا كانت الدولة الاسلامية التى أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام والحرية الفكرية التى رعاها الاسلام ، وتفويض الأمر للأمة ، مقدمات طبيعية لاثارة الفكر الاسلامى ، والتأثير فيه . وقد ظهرت آثار هذا فى اجتماع السقيفة ، الذى أثيرت فيه نظريات سياسية لأول مرة فى تاريخ الفكر الاسلامى .

٢ ــ فى اجتماع السقيفة :

لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فى يوم الاثنين

١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية (٨ يونيه سنة ٦٣٢) . وهو فى الثالثة والستين من عمره . ووجد المسلمون أنفسهم أمام مشكلة دستورية خطيرة فان هذه الدولة لا بد لها من قائد يتولى أمورها ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يحدد الشخص الذى يخلفه ، وهنا فكرت الأمة الاسلامية ، وقدرت موقفها وخطورته ، وهديت الى الصواب حين قررت أن لا بد من قائم يقوم بهذا الأمر ، برغم الصدمة ، وفداحة الخطب ، وجلل المصاب .

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى عرف بالشجاعة ، يقول بعد أن سمع صوت النعى « إن رجلا من المنافقين زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ، والله ما مات ولكنه ذهب كما ذهب موسى والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقطع أيدى رجال زعموا أنه مات » ويثوب المسلمون الى رشدهم بعد أن ذاد عنهم أبو بكر الفزع والهلع بخطبته التى قال فيها :

أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وقد بادر أحد الفريقين الرئيسيين اللذين كانت تتألف منهما الجماعة الاسلامية وهم الأنصار الى عقد اجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ، ليتشاوروا فى الأمر ، ويختاروا من بينهم خليفة فقال سعد بن عبادة سيد الخزرج « يا معشر الأنصار لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمدا عليه السلام لبث بضع عشرة سنة ، فى قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه الا رجل قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به ، حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الايمان به ، وبرسوله والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قرير عين استبدوا بهذا الأمر من دون الناس ، فانه لكم دون الناس » .

كانت هذه المقدمات التى أراد بها الأنصار أن يصلوا بها الى النتيجة التى أرادوها وهى أنهم أحق المسلمين بالخلافة ، لاعزازهم الاسلام ، وعظيم جهادهم فى سبيل الدعوة الاسلامية بأنفسهم وأموالهم لأنهم أصحاب الدار ، ويحق لنا أن نقول بأن هذه النظرية — نظرية حق الأنصار — أول نظرية سياسية فى تاريخ الفكر السياسى فى الاسلام .

وانبرت نظرية ثانية لمقاومة هذه النظرية ، وهى الدفاع عن حق المهاجرين واثبات أولويتهم فى استحقاق الخلافة على غيرهم .

فقد علم المهاجرون بنبأ هذا الاجتماع ، فأسرع اليه أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ، ووقف أبو بكر فى الناس خطيبا ، وأخذ يقيم الحجة على أحقية المهاجرين بالخلافة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به ، والمساواة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم له ، وتكذيبهم اياهم ، وكل الناس مخالف لهم ، زاد عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (بغض) الناس لهم واجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الارض ، وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم فى ذلك الا ظالم ، وانتم يا معشر الأنصار ، ممن لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الاسلام : رضيكم الله أنصارا لدينه ولرسوله ، وجعل اليكم هجرته ، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا من بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، فلا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور » .

وهكذا يسلم أبو بكر ببعض المقدمات التى ساقها الأنصار ولكنه لا يسلم بالنتيجة التى أرادوها لأنفسهم ، وانما يقيم الحجة على أن المهاجرين هم أحق الناس بالخلافة ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وهم الذين هاجروا فرارا بدينهم تاركين أرضهم وديارهم وأموالهم ، وهم الذين جاهدوا وصبروا ، ثم هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لهذا كله يفضلون الأنصار فى دعوى أحقيتهم بالخلافة ، وبهذا تقررت نظرية المهاجرين فى أحقيتهم بالخلافة .

ثم يظهر فى ثنايا هذا الصراع الفكرى نظرية أخرى ثالثة ، دعا اليها « الحباب بن المنذر » وهى امكان اقتسام السيادة ، أو تعدد الامرة بأن يكون هناك خليفتان ، وذلك حين قال : « منا أمير ومنكم أمير » ولكن المجتمعين على اختلاف وجهات نظرهم قد أقروا مبدأ خطيرا وهو عدم اقتسام السيادة .

واستقر الرأى على انتخاب « أبى بكر » لما كان يتمتع به من مكانة دينية عالية ، راجعة الى سبقه فى الاسلام ، وحسن بلائه ، وطول صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، وعظيم اخلاصه ورسوخ ايمانه ، ثم الى صفاته الخلقية والعقلية النادرة التى جعلت من شخصه المثل الأعلى للمسلم الكامل .

وعلى هذه الصورة تم انتخاب أبى بكر ليكون أول خليفة فى الاسلام ، وأقر المجتمعون هذا المبدأ فى اختيار رئيس الجماعة أو الدولة ، وهو البيعة ، او الانتخاب ، وأطلقوا عليه لقب خليفة رسول الله الذى يشعر بالعلاقة التاريخية التى تربط الرسول وصحبه .

ومنذ هذه اللحظة التى تمت فيها البيعة لأبى بـكر ، أصبـح يباشر سلطاته الدستورية من خلال هذا الاجماع الذى انعقد عليه من جماعـة المسلمين ، وهنا ينبغى أن نقف لحظة أمام هذا العقد السياسى الذى عقده المسلمون لأبى بكر لنتبين طبيعة هذا العقد السياسى .

فقد اهتم الباحثون بهذا العقد من وجهة نظر القانون والدستور فقرر الدكتور السنهورى : «ان الامامة عقد حقيقى مبنى على الرضا، وان الخليفة أو رئيس الدولة فى الاسلام يتولى السلطة نيابة عن الامة ، أى أن الأمة هى صاحبة السلطة ، تفوض الحاكم فى ممارستها نيابة عنها ، ووفقا لعقـد صحيح بينها وبينه » .

فهذا العقد السياسى اذن الذى عقده المسلمون لأبى بكر ، انما هو عقد حقيقى ، نشأ عن ارادات حرة ، وجاء نتيجة لتطور الأحداث التاريخية وليس وليد الوهم أو التخيل أو الافتـراض كما جـاء فى الفكر السياسى الأوروبى .

ولبيان هذه الحقيقة نذكر فكرة الفلاسفة الاوروبيين حول العقـود السياسية لنتبين منها الفرق الكبير بين الفكر السياسى الاسلامى والفكـر السياسى الاوروبى .

لعل من أشهر النظريات السياسية التى تعالج موضوع نشـأة الحكومات فى أوروبا نظرية الفيلسوف الانجليزى « توماس هوبز » التى جاءت فى كتابه « التنين » عن الحكم المطلق . « والتنين » اسـم وحش بحرى ، جاء ذكره فى الكتاب المقدس فى سفر أيوب وقد وصف هـذا الوحش الطاغى بأن الرعب يمشى فى ركابه ، ولكنه مع ذلك يخشى من دودة صغيرة ، تتعلق فى زعانف نـوع من الأسماك الكبيرة .

ويقول « هوبز » فى مقدمة كتابه « ان دهاء الانسان وتحايله هـو الذى خلق هذا الوحش الطاغى الذى نسميه الدولـة » فالدولة فى نظره تتمثل فى نظام الحكم المطلق الذى يتمتع به الحاكم مما يجعل الافـراد يرهبونه كذلك الوحش الطاغى الذى سمى الكتاب باسمه. وقد تبنى «هوبز» نظريته عن نشأة المجتمع والحكومات ، على أن الانسان أنانى بطبعه وأن هذه الأنانية تجعله لا يفكر الا فى نفسه ، وفى سعادته الفرديـة ، الا أن العقل ما لبث أن وجد تناقضا بين هذه الأنانية المطلقة التى تدفع القوى الى الاعتداء ، وبين رغبة الانسان فى الاحتفاظ بسلامته وأمنه ، لذلك فـكر الناس فى طريقة للخلاص من هذا الصراع الدامى ، واتفقوا فيما بينهـم لوضع حد لتنازعهم الأبدى باقامة الحكومات ، فلكى يضمن الفرد الاحتفاظ بتسعة أعشار حريته وأمنه فعليه أن يضع العشر الباقى من حريته بين يدى الحاكم الذى تكون مهمته السهر على مصالح الافراد ، والتدخل بالقـوة لمنع أى اعتداء يقع على أحدهم من جاره .

(له بقية فى صفحة ١٠٤)



للأستاذ: محمد الدسوقي

١) الأستاذ عبد الله كنون علم بارز من أعلام النهضة العلمية والوطنية فى المغرب العربى ، وفى مدينة طنجة حفظ القرآن الكريم ودرس على يد والده ــ فقد كان عالما كبيرا ــ وعلى غيره من العلماء الفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية ، كذلك درس فى جامعة القرويين ــ مصدر الاشعاع الفكرى الاسلامى فى المغرب العربى .

٢) وفى نحو العشرين من عمره اشتغل بالتعليم وأخذ مع هذا يكتب فى الصحف نثرا وشعرا يدعو الى الجهاد وتحرير الوطن من الدخلاء ، فاضطهده المستعمرون كثيرا ، وما زاده اضطهادهم له الا قوة فى عقيدته وعزيمة واصرارا على مواصلة العمل من أجل الحرية والاستقلال ، ومن ثم كان أحد المؤسسين للجمعية الوطنية الأولى التى تلت حرب الريف مباشرة ، وتفرعت عنها كتل العمل الوطنى التى انبثقت منها جميع الأحزاب السياسية بعد ذلك .

ولما كانت سياسة المحتل تسعى فى خبث وكيد لبتر صلة المغرب العربى بماضيه ، وتراثه الاسلامى العريق ، فان الأستاذ كنون أسس كثيرا من المدارس والمعاهد القومية ، ليحمى وطنه من مؤامرات الاستعمار التى كانت تمكر فى الظلام لمسخ عروبته وتمزيق وحدته وفرنسة أهله .

٣) وهذا المجاهد الثائر المصلح مفكر اسلامى أصيل ، له نشاط جم فى الدراسات الاسلامية والمباحث اللغوية ، وهوفى ميدان الأدب والنقد أستاذ له مدرسة وتلاميذ ، وكتبه تربو على العشرين ، منها « النبوغ المغربى فى الأدب العربى » فى ثلاثة أجزاء ، وهو تاريخ للحركة الفكرية والأدبية فى المغرب منذ دخله الاسلام حتى الآن ، و « مفاهيم اسلامية » وهو طائفة من الدراسات الاسلامية الرصينة حول بعض المشكلات المعاصرة ،

وكتاب « أدب الفقهاء » وهو دراسة مبتكرة تناولت بالتحليل والتعليق آثار فقهائنا الأعلام فى الأدب واللغة ، وتحقيق كتاب قواعد الاسلام للقاضى عياض ، وكتاب ترتيب أحاديث الشهاب لابن القلعى ، وكتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب للحازمى .

وفضلا عما أسلفت فهو عضو بمجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وقد مثل بلاده فى كثير من المؤتمرات العلمية والأدبية فى البلاد العربية وغيرها ، وقد انتهزت فرصة حضوره مؤتمر المجمع اللغوى فى الدورة الخامسة والثلاثين ورغبت اليه فى أن يحدث قراء الوعى الاسلامى عن الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق ، فأبدى سروره لتحقيق هذه الرغبة ، وبخاصة أن مجلة الوعى أثيرة لديه ، وأنها تحمل رسالة الفكر الاسلامى المعاصر الى كل مكان فى الوطن الاسلامى .

٤) وجلست مع المفكر والمجاهد العربى الكبير أكثر من ساعتين ، وحدثنى حديثا موجزا جامعا استهله بالكلام عن الاخطار التى تعرض لها الاسلام فى ظل الاحتلال ، فقال :

« ما دخل الاستعمار بلدا اسلاميا الا سعى فى حقد ليبعد أهله عن جوهر اسلامهم ، وعمل فى كيد لتفريق كلمتهم وتوهين قوتهم حتى لا يثور ضده ثائر ، ولا يقف فى طريق اطماعه مكافح أو مناضل ، وحتى تظل له دائما كلمة السيادة والقيادة .

وحين دخل الفرنسيون المغرب العربى أخذوا يفكرون فى وسيلة يمزقون بها وحدة هذا الشعب ، ويضربون بها فى الوقت نفسه العقيدة الاسلامية فى هذا الجزء من الوطن الاسلامى ضربة قاصمة ، وقد تفتق ذهن المحتلين بعد نحو عشرين عاما من تاريخ الاحتلال ، عن ذلك المرسوم الذى وقعه الملك كرها وصدر فى ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ وعرف باسم « الظهير البربرى » وكان هذا الظهير يقضى بفصل السكان الذين هم من أصل بربرى عن العرب ، وأن يكون للبربر مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها البربرية والفرنسية دون العربية ، وقد نص هذا الظهير أيضا على الغاء المحاكم التى كانت تفصل بين البربر ، طوعا لتعاليم الشريعة الاسلامية وأن تحل محلها محاكم أخرى يكون أعضاؤها من شيوخ البربر والضباط الفرنسيين ، وتخضع هذه المحاكم فى أحكامها للاعراف الجاهلية والقانون الفرنسى ، وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .

وكان معنى هذا القضاء على الاسلام ولغة كتابه بين البربر ، واحياء العصبية الجنسية بينهم ، توطئة لأن يستقلوا بحكومة أو دولة ضد الاسلام والعرب .

ولذلك قامت سلطات الاحتلال فور صدور هذا الظهير أو المرسوم بنشاط محموم من أجل تنفيذ نصوصه ، أغلقت الكتاتيب القرآنية ، وأبعدت معلمى القرآن من المناطق البربرية ، وشجعت الدراسات المغرضة التى ذهبت الى أن البربر أصلهم آرى وليسوا ساميين كالعرب ، وأن قبائل البربر قد نزحت الى المغرب من أوروبا ، فهذه القبيلة من ايطاليا ، وتلك من أسبانيا .. وهكذا ..

وفى الوقت نفسه انبث المبشرون فى كل قبائل البربر وكانت وسائل الاحسان الى الفقراء وانشاء الوحدات الطبية والمكتبات العلمية ، من أهم

ما لجأ اليه المبشرون من أجل الغاية التى جندهم الاستعمار لها ، الا وهى تنصير البربر والتفريق بينهم وبين العرب .

٥) وقلت للأستاذ كنون : فماذا كان موقف العلماء والشعب من ذلك الظهير ؟

وصمت العالم المجاهد برهة ، وكأنه يسترجع ذكريات عزيزة عليه ، ثم قال :

بعد صدور الظهير البربرى قام العلماء فى المغرب الشيوخ منهم كالشيخ عبد الرحمن القرشى ، ومحمد بن العربى العلوى ، ومحمد غازى ، وابراهيم الكنانى ، والشباب كعلال الفاسى ومكى الناصرى وعبد الله كنون بحركة لتوعية الشعب ، من الوقوع فى حبائل تلك المؤامرة ، واندلعت المظاهرات الضخمة فى كل مكان فى المغرب ضد سياسة المحتل التى تعد من جهة نقضا لعهد الحماية ، ومن جهة أخرى محاولة لتنصير البربر ، وهذا يصادم ما تزعمه فرنسا من أنها دولة علمانية لا دينية .

لقد صدرت أبحاث كثيرة حول هذا الظهير ، وكشفت هذه الأبحاث عن البواعث الحقيقية له ، وأدرك الشعب فى وعى صادق أحقاد المحتل الغاصب واتحدت كلمة العرب والبربر على العمل فى سبيل العقيدة والوحدة ، وبلغ من نفور البربر وثورتهم على ذلك الظهير أنهم قاموا بانشاء المساجد والمدارس الاسلامية ، والكتاتيب القرآنية ، وكانت الأفواج منهم تأتى الى الرباط يطلبون قاضيا شرعيا بدلا من المحكمة العرفية .

ولم تنجح حركة التبشير التى أنفق المستعمر عليها فى سخاء فى أداء مهمتها ، لأنها لاقت هجوما شديدا من البربر ، وكان هؤلاء يضربون المبشرين فى كثير من الأحيان على الرغم من المحاولات المختلفة لارضاء البربر والتقرب منهم ، وأذكر من ذلك أنه كان فى جبال الأطلس مركز للرهبان به مكتبة عظيمة ، وكانت تلقى فيه محاضرات ودراسات يقوم بها محاضرون ممتازون وكانت الضيافة فى هذا المركز مجانا ، لاغراء الشباب وجذبهم ، ومع هذا لم يحقق هذا المركز شيئا ، وقد أغلق بعد الاستقلال ، واشترت مكتبته احدى الجامعات الامريكية .

٦) ومن الجدير بالذكر حول الظهير البربرى أن الشعب انشأ دعاء خاصا كان الناس يتوجهون الى الله به فى كل مسجد بعد كل صلاة ، وهو « اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابرة » .

وكان هذا الدعاء يسبب للفرنسيين ذعرا وخوفا ، وصار اسم اللطيف عنوانا على هذه القضية ، حتى قال أحد القادة الفرنسيين : ما مدى هذا اللطيف ؟ لقد ظنه بعقله المادى القاصر مدفعا ، وما درى أنه فوق ظنه وتصوره ، وأنه القوة التى لا تغلب لأنها تهيمن على هذا الكون وبيدها كل شئ واليها المآب .

وخلاصة القول أن الظهير البربرى قوى الوحدة الوطنية بين العرب والبربر ولم يحقق لفرنسا ما كانت تحلم به وتسعى اليه ، فأكرهت على العدول عنه .

٧ ــ وسألت الأستاذ كنون ، هل كان هذا الظهير الخطر الوحيد الذى تعرض له الاسلام فى المغرب ؟

فقال : لقد تعرض الاسلام لخطر آخر ، تمثل فى ظهور الحركة البهائية وبخاصة فى اقليم الريف ، ومن المؤسف أنها جاءت من طريق الشرق على أيدى بعض المدرسين الذين جاءوا للعمل فى المغرب وأدى اعتناق بعض الرجال لمبادىء البهائية الى مشكلة أثارت الرأى العام وبسببها حملت الصحف الاجنبية على المغرب حملة مغرضة تحركها بواعث الحقد والكيد للاسلام والمسلمين ، وذلك أن كل امرأة كان يعتنق زوجها مبادىء تلك النحلة الضالة فانها كانت تذهب الى المحكمة تطلب الطلاق ، لأن زوجها لا يغتسل من الجنابة ، ولا يعترف بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ، وكانت المحكمة تستدعى الزوج فيعترف أمامها بما قالت زوجه فتأمر بسجنه .

وتطور الأمر بعد ذلك الى حملة ضد البهائيين جميعا ، وكان للعلماء المغاربة دورهم البارز فى مقاومة هذا الانحراف ، وقد أعدم بعض البهائيين ، لاصرارهم على اعتناق تلك المبادىء الفاسدة ، كما سجن كثير منهم ، وقد فر بعضهم الى أوروبا ، وقاموا هناك بضجة خطيرة نجم عنها أن الصحف الفرنسية أخذت تنشر المقالات العديدة تهاجم المغرب وتزعم أن محاكم التفتيش عادت فى القرن العشرين فى هذا القطر . كما نجم عن تلك الضجة أيضا تظاهر عدد كبير من الامريكيين والانجليز ضد المغرب ، وكانت هذه الاعمال فى الواقع لا تحركها الرغبة فى حماية البهائيين ولكن تشويه الاسلام والحملة على المؤمنين به ، وقد لجأت الحكومة المغربية بسبب نشاط البهائيين فى أوروبا وأمريكا الى الافراج عن بعض المسجونين البهائيين ، ثم خفت صوت البهائية بعد ذلك فى المغرب وتلاشى شيئا فشيئا « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

٨ ــ وقلت للأستاذ كنون يبدو مما ذكرتم أن لعلماء المغرب جهادهم العظيم فى ميدان الدفاع عن الاسلام فماذا عن هذا الجهاد غير ما أشرتم اليه ؟ فقال :

لقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يتعاون مع الصوفية فى المغرب ، ونجح فى هذا بعض النجاح لجهل كثير من الصوفيين أو غرورهم ، وكان على علماء المغرب أن يبينوا للشعب أهداف التعاون بين الاستعمار وحركة التصوف ، وقادهم هذا الى الدعوة الى السلفية عقيدة وعملا ، وكان لهذه الدعوة تأثير على حركة التصوف ، فضعف نشاطها ، كما كان لها تأثيرها على المذهبية فى الفقه ، فقل المتعصبون لها ، وهذا يدل على أن علماء المغرب كانوا متحررين لا جامدين . .

وبعد الاستقلال قام هؤلاء العلماء بتأسيس جمعيات تحمل أسماء مختلفة لكنها كلها تسعى نحو غاية واحدة ، وهى تطوير التعليم الدينى ، والمطالبة بشرعية القوانين وحماية الاخلاق والقضاء على الفساد ومظاهر الانحلال ، وكل ما خلفه الاستعمار من نظم وعادات لا يقرها شرع الله .

وحين حاولت وزارة التعليم المغربية التهوين من شأن جامعة القرويين وتضييق مجال عملها اجتمع علماء المغرب فى صورة مؤتمر عام ، وكان أساس هذا المؤتمر هو وضع نظام هذه الجامعة التى تعد رائدة التعليم الدينى فى المغرب كله .

وكان أهم ما أسفر عنه هذا المؤتمر ، هو انشاء رابطة علماء المغرب ،

وهى تجمع خيرة هؤلاء العلماء ، ولها مهمة مقدسة تتمثل فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، ومقاومة التبشير ، والمطالبة بشرعية القوانين والمحافظة على التعليم الدينى وبخاصة جامعة القرويين ، وأن يظل لها كيانها المستقل فلا تدمج فى الجامعات المدنية ، كما حدث فى بعض البلاد الاسلامية .

والرابطة تعقد مؤتمرا عاما على رأس كل عامين يشترك فيه كل العلماء المغاربة ، ويصدر قرارات وتوصيات داخلية وخارجية على مستوى الاحداث وأذكر مثلا أن الرابطة تدخلت فى قضية باكستان الأخيرة ، وان لها مواقفها الهامة من قضية فلسطين والوجود الصهيونى الدخيل فى الوطن الاسلامى .

وللرابطة جريدة اسمها الميثاق تصدر نصف شهرية مؤقتا ، لنشر أفكارها والدعوة الى مبادئها .. « والجدير بالذكر أن الأستاذ كنون أمين عام للرابطة منذ انشائها » .

٩ ــ وعن مدى تمسك الشعب المغربى بعقيدته ، قال الأستاذ كنون :

ان قضية الظهير البربرى ، وظهور البهائية فى اقليم الريف بوجه خاص يشيران الى أن الشعب المغربى متمسك بعقيدته الاسلامية ، غيور على دينه ، ومن دلائل ذلك أن الشعب لا يبخل بماله على انشاء المساجد الكثيرة ، فضلا عن جهود وزارة الأوقاف المغربية فى هذا المجال وأيضا فان الكتاتيب التى تعلم القرآن منتشرة فى البلاد ، وهذه الكتاتيب أنشأها الشعب ورعاها وأنفق عليها ، وان كانت وزارة الاوقاف تقدم اليها بعض الهبات ..

ومن مظاهر حرص الشعب على عقيدته وجود الحركات الاسلامية مثل جمعية شباب النهضة الاسلامية التى يرأسها الشيخ أبو بكر القادرى ، وتصدر مجلة الايمان ، وجمعية عباد الرحمن وتصدر مجلة الأمانة .

وبالاضافة الى كل ما سلف ، هناك حركة نشر فى ميدان البحوث والصحافة الاسلامية ، للحديث عن الاسلام والدفاع عنه ، ككتاب « المغرب المسلم ضد اللادينية للاستاذ ادريس الكتانى ، هو دراسة عميقة وافية عن الصراع بين الاسلام ومحاولات تشويهه والكيد له ، ويقظة الشعب المغربى لكل المؤامرات التى حيكت بقصد بتر الصلة بينه وبين ماضيه الاسلامى العريق ، وأما الصحافة الاسلامية ، فهى عديدة ، مثل دعوة الحق ، والميثاق والارشاد ، والايمان ، والامانة والبينة ، وتصدر وزارة الاوقاف مجلة للعامة والمغاربة الذين يعيشون فى غير المغرب وبخاصة فى أوروبا ، ولذا تصدر سهلة العبارة جدا وكاملة الضبط .

ولكن الذى لا سبيل الى انكاره مع هذا ان الزحف الحضارى العصرى على المجتمعات الاسلامية ، وما يحمل معه من الشك ، وقلة المبالاة باقامة الشعائر الدينية ، وما يحرض عليه من مظاهر الانحلال والفساد ، له تأثيره لا فى المغرب فحسب بل فى كل المجتمعات الاسلامية ونحن فى بلادنا نحاول جادين القضاء على كل ما يخالف تعاليم الاسلام ، ومن أجل هذا يطالب علماء المغرب بأن تكون فى أيديهم السلطة ، فالكلمة وحدها لا تكفى ، وكنا حين تشتد الازمة بيننا وبين المسئولين نلجأ الى الملك فكان دائما فى صف العلماء ، صدر قانون خاص بالضريبة على التركات ، وقاومنا هذا القانون ، لأنه يتعارض مع مبادىء الاسلام ، وبلغ الملك ما ندعو اليه

ونطالب به ، فطلب من العلماء أن يجتمع بعضهم مع وزير المالية ، وجرت بيننا وبين هذا الوزير مناقشة حول ذلك القانون واقتنع الرجل ، فالغى قراره .

١٠ — والذى لا جدال فيه أن البلاد الاسلامية قد غزتها مظاهر الحضارة المادية المعاصرة بما تحمله من سموم وأمراض وأن هذا الغزو أخطر عليها من الغزو العسكرى الذى أصيبت به ، لأن ذلك الغزو نشأ عنه فى المجتمعات الاسلامية نوع من الانفصام أو الازدواج بين أبنائها فى طرائق التفكير ومنهج السلوك ، فهناك الذين لا يبالون بتعاليم الاسلام ويذهبون الى أنها لا تصلح للتطبيق الآن ، لأنها ان كانت قد صلحت لعصر الجمل والصحراء ، فلن تصلح اليوم لعصر الصاروخ والفضاء .. وهؤلاء يعرفون عن ثقافة غيرنا أكثر مما يعرفون — ان كانوا يعرفون — عن ثقافتنا وتراثنا وحقائق ديننا .

وهناك من يرعى تعاليم الاسلام ويأخذ نفسه بها فى القول والعمل ، ويدرك كل الادراك أن سبيل الخير والنصر لهذه الأمة التى جعلها الله خير أمة أخرجت للناس هو الاعتصام بحبل الاسلام فى كل ما جاء به ، غير أن الذى تأسى له النفس أن هؤلاء لا يملكون من الأمر شيئا فى المجتمع الاسلامى فى كل مكان بوجه عام .

١١ — وقلت للعالم المجاهد ، وماذا ترون لتحرير المجتمعات الاسلامية من هذا الانفصام ، ولتعاون علماء المسلمين جميعا من أجل أن يكون للاسلام ومبادئه الكلمة العليا فى هذا العصر الذى يموج بمختلف التيارات المذهبية والسياسية ، والذى يتصارع فيه أصحاب تلك المذاهب رغبة فى القيادة والسيطرة وبسط النفوذ ؟

وجاء جواب الأستاذ كنون دعوة صريحة الى أن يكون للعلماء دور عملى فى الحياة حتى يؤدوا رسالتهم على أحسن وجه وأشرف غاية ، فقد قال :

ان انقاذ المجتمع الاسلامى من هذا الانفصام الذى أوهى بين المسلمين روابط الوحدة وعناصر القوة هو أن يلتزم الساسة والقادة فى كل البلاد الاسلامية بما دعا اليه الاسلام وسبيل ذلك أن تكون لعلماء المسلمين مشاركة فى الحياة السياسية وتمثيل فى المؤتمرات واللقاءات التى تتم بين قادة العالم الاسلامى ، وأذكر مثلا مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى المغرب، لماذا لم يمثل فيه العلماء المسلمون ، وبخاصة الذين يهتمون منهم بالقضايا الاسلامية المعاصرة ؟ .

ان الكلمة وحدها لا تكفى ونحن فى زمن يزع الله فيه بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ولكنا نريد السلطان الذى يخشى الله فى الرعية حتى يحملها على الجادة السوية وحتى لا يحيد عن شرعة العدل ودعوة الحق ، ومن ثم كان لا بد أن يشارك العلماء فى الحياة وألا تكون مهمتهم قاصرة على القول دون العمل والتنفيذ .

١٢ — ولكن كيف يصل العلماء الى هذا ، وأنى لهم أن يفرضوا رأيهم ويشرفوا على الأخذ به وعدم التفريط فيه ؟

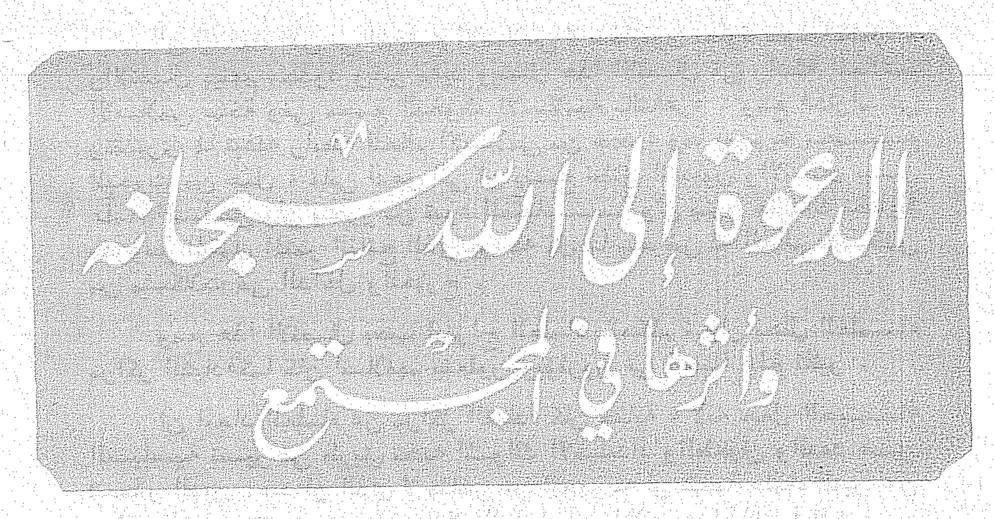
ان العلماء الآن فى المجتمع الاسلامى لا يتعاونون تعاونا مجديا مثمرا . والاتصال بينهم محدود وغير مفيد ويتمثل هذا الاتصال فى رابطة العالم الاسلامى بمكة وفى مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، ومع احترامى وتقديرى لما تبذله رابطة العالم الاسلامى من جهد ، وما يقوم به مجمع البحوث من عمل ، فانى أدعو الى أن يتسع نطاق التعاون والاتصال بين علماء المسلمين وأن يتحرر من قيود السياسة وأن يكون هناك تخطيط مدروس للعمل المثمر النافع الذى يواجه كل ما يتعرض له العالم الاسلامى من مشكلات فى الداخل والخارج .

ومع هذا الاتصال يجب امتزاج العلماء بالحكام ، وأن يحتل العلماء مراكز القيادةكما كان أسلافهم يفعلون ويؤثرون فى الحياة أبلغ تأثير .

ان ابعاد العلماء عن مراكز القيادة كان جناية ، لأنه جعل الحياة السياسية تسير فى طريق تحفه أشواك الاستبداد والطغيان والبعد عن شعائر الدين ، بيد أن الذى لا مناص من الجهر به أن تنحية علماء الدين عن مراكز القيادة تقع تبعته على هؤلاء العلماء أيضا لأنهم بما أخلدوا اليه من الدعة وبما فرطوا فى حق أنفسهم من الرضا بما لا يجدر بهم ، وبما انصرفوا اليه من دراسات لا تيسر لهم الانفتاح الفكرى والابتكار العلمى ، جمدوا وتخلفوا ، ولم يستطيعوا أن يؤكدوا صلاحية الاسلام لكل زمان وكل مكان .

ان الاسلام دين العلم ، ولكنه العلم القائم على الايمان ، ودين الحضارة ، ولكنها الحضارة التى تحترم الانسان فلا تفرق بين الناس بسبب الألوان والاجناس ، وقد أنقذ هذا الدين البشرية منذ أربعة عشر قرنا من وهدة التخلف الدينى والفكرى والخلقى وهو صالح اليوم كل الصلاحية لإنقاذها مرة أخرى من هذه الحضارة المادية التى امتهنت كرامة الانسان على الرغم من مظاهرها الخلابة ، ومبتكراتها العلمية الرائعة . ومن ثم تبدو مسئولية علماء الاسلام جسيمة ، ورسالتهم اليوم خطيرة ، وعليهم أن ينهضوا بها نحو المسلمين والبشرية كلها حتى يعود للحياة أمنها وكرامتها وحريتها .

١٣ ــ وبعد فانى أقدم للعالم والمجاهد الكبير الاستاذ عبد الله كنون أعمق الشكر على حديثه القيم الذى ألقى ببعض الضوء على الاسلام والمسلمين فى المغرب الشقيق والذى أشار فيه الى رسالة العلماء فى العصر الحديث ، وأرجو أن تتاح فرصة أخرى للحديث عن آثار الأستاذ كنون العلمية ، فهى تمثل انتفاضة الفكر الاسلامى المعاصر فى جزء عزيز من الوطن الاسلامى الكبير .



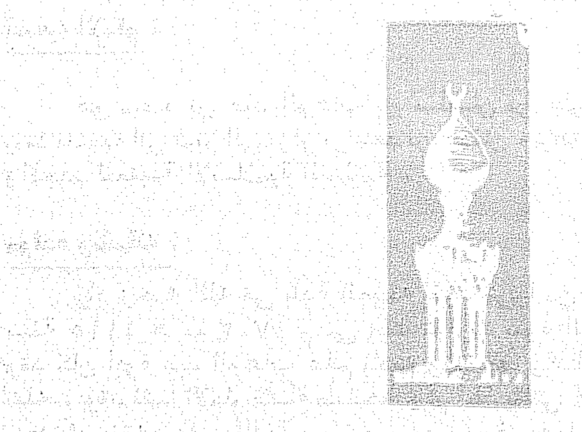
للشيخ عبد العزيز بن باز

لقد رفع الله شأن الدعاة اليه وأبلغ فى الثناء عليهم حيث يقول سبحانه : (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين**) ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ويخفف عبء الدعوة الى الانطلاق فى سبيلها بكل نشاط وقوة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصرى — رحمه الله — أنه تلا هذه الآية الكريمة (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله**) الآية . فقال : هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته ، وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله . انتهى .

ولا ريب أن الرسل — عليهم الصلاة والسلام — هم سادة الناس فى الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التى ذكرها الحسن — رحمه الله — وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال امامهم وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب — صلى الله عليه وسلم — الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة الى ربه أتم صبر وأكمله حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته فى دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا فى الدعوة ونشروا لواء الاسلام فى غالب المعمورة لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل فى جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها فى الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح وبذلك انتصروا على

أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق فى كل ميدان وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التى ذكرها الحسن وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة الى الله وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هـذا الثناء الجزيل الذى دلت عليه الآيـة الكريمة والصفات الحميدة التى وصف بها الحسن الدعاة الى الحق ، وقد صح عن النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أنه قال : **(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)** وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **(من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)** وقال لعلى ـ رضى الله عنه ـ لما بعثه الى خيبر : **(فوالله لأن يهـدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)** وفى هذه الأحاديث وما جاء فى معناها تنبيه للدعاة الى اللـه والمجاهدين فى سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة الى الله سبحانه هو هداية البشر واخـراجهم مـن الظلمات الى النور وانتشالهم مـن وهدة الشرك وعبادة الخلق الى عـز الايمان ورفعة الاسلام وعبادة الاله الحق الواحد الأحد الذى لا تصلـح العبادة لغيره ولا يستحقهـا سواه سبحانه وتعالى وليس المقصود مـن الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية.

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الاسلام التى يشهد له بهـا أهـل الانصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه وذلك من رحمة الله الحـكيم العليم الذى جعل هذا الدين الاسلامى دين رحمة واحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانـون ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثلـه أو أحسن منه لم يستطيعوا الى ذلك من سبيل فسبحان الذى شرعه ما أحكمه وأعدله وما أعلمه بمصالح عباده وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث ومـا أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة ، فيا أيها الأخ المسلم ، ويا أيها العاقل الراغب فى الحق تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ وادرس ما دلا عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيـدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفى قلبك ويروى غلتك ويشرح صدرك ويهديك الى سواء السبيل .





للأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد

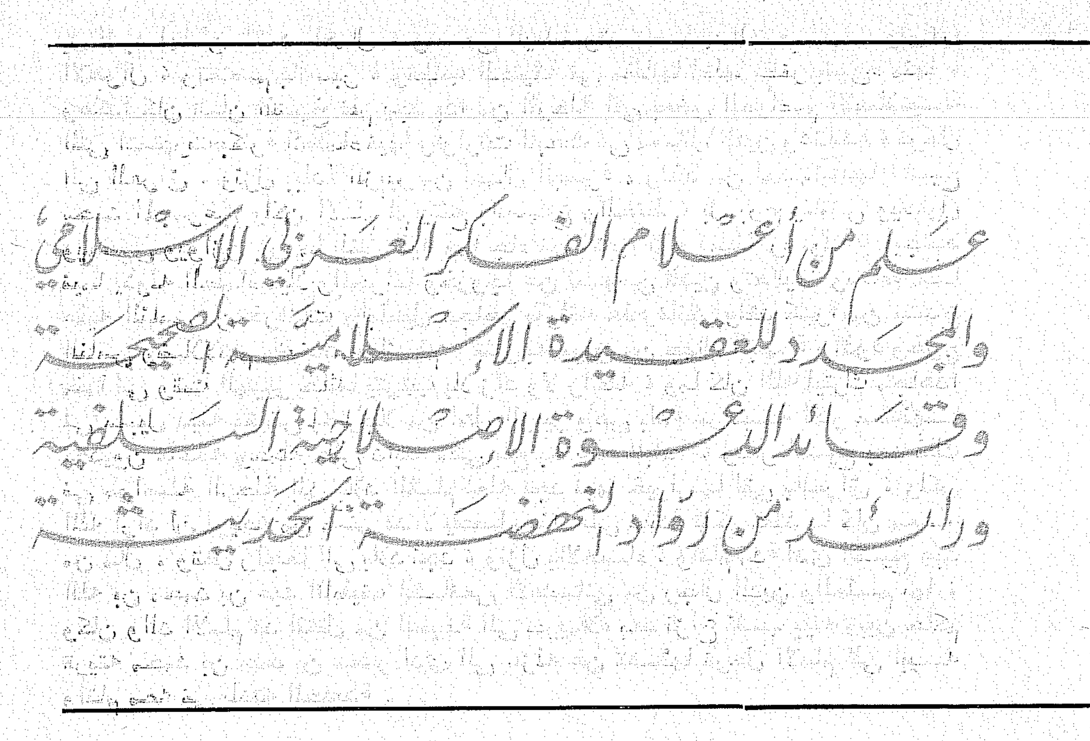
ان دراسة مناقب الاعلام تملأ الاجيال المتأخرة روحا تقدمية ونفسا طموحة الى العلا شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسنة ، وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (كنا أذل أمة فأعزنا الله بالاسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره اذلنا الله) لذلك يطيب لى أن أقدم هذه السيرة المعطرة لنابتة البلاد العربية ولأجيالها الصاعدة خصوصا ولكافة المسلمين عموما لتكون حافزا لهم على التمسك بدينهم وعقيدتهم خالصا من شوائب الشرك والبدع .

نسب الامام :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها الى تميم الى نزار بن معد بن عدنان ، وهو امام الدعوة السلفية الحديثة والمجدد للعقيدة الاسلامية السليمة .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله فى بلدة العيينه بنجد قريبا من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥ هـ ــ ١٧٠٣ م فى بيت توارث بنوه العلم والتقى كابرا عن كابر ، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها وكذلك كان جده ــ سليمان ــ من قبله . وقد نشأ الامام نشأة صالحة ، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما ، وأكثر من القراءة والاطلاع



على الكتب المتداولة بين الناس فى ذلك العهد ، وكان ذكيا المعيا ينفذ بذهنه وعقله الى ما وراء النصوص المدونة ، ويميز بين الحق منها والبهرج فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم ، فأعجب بهـــا ومال اليها ، ورأى كثيرا مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه فى معتقدات قومه وأعمالهم لا سيما العامة منهم فهو اذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما وان آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الاثـــر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته .

رحلاته العلمية :

وتطلع الشيخ الى أفق علمى أرحب فذهب الى مكة المكرمة حاجا لله تعالى ، وملتمسا فيها من العلماء من يشفى غلته ويروى ظمأه ، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل الى المدينة المنورة ، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن ابراهيم بـــن سيف وهو عالم من أهالى المجمعة بنجد أقام بالمدينة ، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه كما أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندى .

رحلة الإمام خارج الجزيرة :

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء ،

بل لا بد لها أن تنشد الكمال ، وتسعى اليه ، وتستعذب الصعاب ، وتركب الاهوال ، وتعتصم بالصبر ، وتطلب الحقيقة فى مظانها لعلها تظفر بشىء منها ، وهكذا كان شأن الشيخ فلم يجد بدا من الرحلة الى بعض العواصم الاسلامية التى اشتهرت بكثرة العلماء فيها وتوارثت البحث فى مسائل الدين وعقائده ، فرحل الى العراق ، ونزل ببلدة الزبير من أعمال البصرة ، وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ محمد المجموعى ولكن الامام لم يقنع بالسماع والحفظ ، بل برح يناقش ويحاول ويمحص ويوازن بين ما يلقى اليه وما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، فيجد فيما يقوله العلماء ميلا وانحرافا وخروجا عن نصوص الدين وتعاليمه وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل فجاهر بآرائه هذه فأنكر ونقد كثيرا من بدع الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم ، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه وخرج منها فى وقت الهجير خائفا يترقب بلا زاد ولا راحلة ، وما كان الله ليترك مجاهدا فى سبيل دينه فقيض له رجلا من أهل الزبير وهى بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون فأعانه وحمله على دابته حتى بلغ به هذه البلدة ، وفكر الشيخ بعد ذلك فى مواصلة الرحلة الى بلاد الشام لعله يجد فيها خيرا مما لقى بالعراق ، ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ففقد ما كان معه من مال . وقفل راجعا الى بلاد نجد ، ونزل بالاحساء ، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى الاحسائى من رجال الدين والعلم بها ، وكان والد الامام قد انتقل من العيينة الى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن حمد بن معمر أدى الى عزله عن قضائها فرحل الامام الى أبيه وأقام معه فى بلدته الجديدة .

تنفيذ الدعوة ومراحلها :

بدأ الشيخ دعوته فى حريملاء ولم تلق هناك نجاحا يذكر ، ولكنه لم ييأس ولم يقنط وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده فى عام ١١٥٣ هـ — ١٧٤٠ م وهنا أعلن دعوته وجد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فتبعه بعض أهلها وأيدوه ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون فى الارض فسادا ويجاهرون بالفسق والمعاصى ، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم وتنفيذ حكم الشرع فيهم ، فأضمروا له البغضاء ، وحاولوا الفتك به ، فحماه الله منهم ، وردهم على أعقابهم .

ولم يطب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث فانتقل الى مسقط رأسه بالعيينة ، وتلقاه أميرها عثمان بن حمد بن معمر بالترحيب وعاونه فى دعوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصا بعد أن أصهر الشيخ الى أسرته ، وقد تبعه كثير من الاهالى ، ثم شرع فى تنفيذ مبادئه عمليا فأستأجر أناسا ليقوموا بقطع الاشجار التى يعظمها العامة ، ثم خرج بنفسه الى كبراهن فقطعها .

ولكن أمر هذه الاشجار كان هينا ، وهناك ما هو أشد منه وأخطر ولا بد للشيخ أن يمضى فى طريقه بلا وجل ولا تردد فاتجه بذهنه الى قبر (زيد بن الخطاب) رضى الله عنه بترية (الجبيلة) وأعد العدة لهدمه واستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له ، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله فتقدم الشيخ وهدمه بنفسه حتى أتى عليه ومضى فى سياسته العملية « فأقام حد الزنا ونفذ أحكام الشريعة » ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيبته وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين .

مناوأة الدعـــوة :

وبينما الدعوة تشق طريقها الى القلوب الصلدة فتصدعها والى العقـــول الضالة فتردعها والى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها وتجلو صدأ الجهالة الذى ران عليها ، نرى محمد بن عريعر الحميدى حاكم الاحساء والقطيف ينـذر عثمان بن معمر بالثورة عليه وقطع الخراج عنه ان لم يقتل الشيخ ويقضى علـــى دعوته ، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلدته ، ويوعز الى أحد رجاله بقتله اذا صار بين العينية والدرعية ، ويهم الرجل بتنفيذ ما أمر به فيأخذه الرعب والفزع ولا يستطيع أن يمد له يدا .

آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه :

نزل الشيخ بالدرعية فى عام ١١٥٨ هـ فى بيت رجل يسمى محمد بن سويلم العرينى فآواه وأكرم وفادته ، ولكنه كتم أمره خوفا من بطش الأمير محمد بـــن سعود مؤسس الدولة السعودية الاول ورجاله ظنا منه أن الامير يأبى تعريض بلاده لانقسام دينى وفتنة تعكر صفو الأمن فيها وأخذ الشيخ يبث دعوته سرا ، ثم لم يلبث أن جهر بها حين استطاع أعوان الشيخ أن يقنعوا الامير بمناصرته وتأييده فأقبل عليه وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء ، ومن ثم تظاهر وتضافر الدين والسياسة ، ودخلت الحركة فى طور جديد اشتد فيه ساعد الشيخ ، وتابعه أهل الدرعية وكانوا له أنصارا وأعوانا وبدأ الشيخ يراسل ذوى الرأى فى البلاد النجدية من قضاة وعلماء وأعيان ، فاستجاب بعضهم وصد عنه كثير منهم ، ورموه بالجهالة والمروق وغير ذلك من ـــ النقائص وأنذروا به ، وبدأوا يعدون العدة للفتك به وتمزيق حركته .

لم يكن بد حينذاك من الجهاد وامتشاق الحسام فاندلعت الحرب فى بلاد نجد واتخذت أدوارا عدة واستشهد فيها كثير من بينهـــم ولدا الامير محمد بـــن سعود . فيصل وسعود . ثم توالت الحروب والغزوات وتألب الاعداء من كل جانب الى أن توفى الامير وتولى بعده ابنه عبد العزيز فواصل الكفاح المر وانتصر على كثير من خصومه واستولى على الرياض والقصيم والخرج وغيرها مـــن البـــلاد .

الخطر الخارجى :

على أن هذه الحروب لـــم تظل فى دائرتها الداخلية الضيقـــة فقد هجـــم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الاتراك العثمانيين وكل يدعى الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه ، فتبلبلت أفكار المسلمين فى سائر البـــلاد وقذفت السياسة فى هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة ، وخيلت للناس أن الشيخ متنبىء جديد يحاول القضاء على الاسلام والتعفية على آثاره ، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه فى كل مكان .. وتوفى الشيخ رحمه الله فى ابان هذه المعارك سنة ١٢٠٦ هـ ـــ ١٧٩٢ م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد لكنه رأى مبادئه الاصلاحية ودعوته الاسلاميـــة السلفية تشق طريقها ، وتسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذيـــن أصبحوا خلفاءه فى نشر دعوته الى يومنا هذا والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة .

واذا كانت الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حينا من الدهر ، فانها كانت الصقال الذى شحذ عزائمهم وحرك هممهم وأثار حماستهم للدفاع عن حوزة بلادهم ونصرة مبادئهم وكان لهم الغلب فى آخر المطاف .

والسر فى نجاح النجديين فى حركتهم هذه يرجع الى قوة الايمان التى بثها الشيخ فيهم والصمود فى سبيل الدعوة والاستبسال فى الجهاد وتعبئة قوى الشعب وتعليمه فنون الحرب الى جانب تعاليم الشريعة فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تبيمى (وكر التوحيد) تلقن فيها علوم الدين طرفى النهار وفنون الحرب فى أوسطه .

خطب الشيخ ورسائله :

قضى الشيخ طوال حياته واعظا مرشدا مبينا لأحكام الدين حاضا على اتباعه والعزوف عما ينافى التوحيد من — ضلال وبدع وشرك ومحرضا على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، وقد حفظ بعض أحفاده كثيرا من خطبه . ولقد كان فى خطبه يميل الى مخاطبة قومه باللغة التى يفهمونها وكان همه منصرفا الى المعانى لا الى العبارات — والتأنق فى الاساليب ولو فعل لأضاع كثيرا من جهده سدى ، فما كانت البيئة النجدية فى زمنه تتقبل غير الطريق الذى سار عليه .

مثال من رسائل الشيخ :

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التى يشرح فيها عقيدته السلفية وهى رسالة موجهة منه الى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدكم أنى أعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله — الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل بل أعتقد أن الله (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا ألحد فى أسمائه وآياته ولا ، أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمى له ولا كفء ، ولا ند له ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره وأصدق من أهل التحريف والتعطيل فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) فالفرقة الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية وهم وسط فى باب وعيد الله بين المرجئة والمعيدية . وهم وسط فى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج ، وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأومن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شىء الا بارادته ، ولا يخرج عن مشيئته ، وليس شىء فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور ، وأعتقد لكل ما أخبر

به صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت وأومن ــ بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غــرا لا تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون) وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ، وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بــأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم . وأومن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وانه أول شافع وأول مشفع ولا ينكر شفاعة النبى الا أهل البدع والضلال ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال الله تعالــى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وهو لا يرضى الا التوحيد ولا يأذن الا لأهله . وأما المشركون فليس لهم فى الشفاعــة نصيب كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وأومن بأن الجنة والنــار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان وانهما لا يفنيان وأن المؤمنيــن يرون ربهـــم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ، وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبـــد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم . وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم ، واستغفر لهم ، وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء ، وأقر بكرامات الاولياء الا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسىء ، ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنبه ، ولا أخرجه من دائرة الاسلام ، وأرى الجهاد مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل . وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله . ومن ولى الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا . وأحكم عليهم بالظاهر وأكل أسرارهم الى الله ، وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة ، وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد

بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاه شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، وأرى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعـــة المحمدية الطاهرة . فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول شهيد) .

أثر الشيخ فى النهضة العلمية والأدبية :

لا مراء فى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الصرخة المدوية ، والصيحة التى نبهت الأمة من وقدتها ، ووجهت الانظار الى البحث والجدل ومناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة والدليل بالـــدليل ، وحملت الناس على النظر فى الكتاب العزيز ، واستظهار كثير من آياته ومن الحــــديث النبوى الشريف وهما الغاية القصوى فى البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية تتشابك وتترابط ولا يمكـــن الفصل بينها اذ أن علوم اللسان العربى كلها ما قامت الا لخدمة الكتاب والسنـــة وفهمها فهما صحيحا فكان لا بد من قيام حركة علمية شاملة ونهضة فكرية عامـــة ولكن لم تتكامل الاسباب لتنظيم هذه النهضة وتعميمها الا قريبا ، ومع ذلك خطت خطوات واسعة الى الامام، واذا سارت الامور على هذا المنوال فانها تبشر بظهور فجر جديد يجعل من هذه الجزيرة كما كانت من قبل منهلا للآداب ، ومنبعا للعلوم والمعارف ، ومهدا للحضارة الحقة والمدنية الصادقة .

مؤلفات الامام وآثاره العلمية :

وتفسير شهادة أن لا اله الا الله ، وكتاب التوحيد وكشف الشـــبهات فى معنى التوحيد وما يخالفه ، وكتاب معرفة العبد ربه ودينه ، وكتاب مفيد المستفيد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومختصر الانصاف ، وكتاب الكبائر ، وله رسالة فى التقليد ، ومختصر الشرح الكبير ومختصر الفتاوى المصريـــة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وكتاب المسائل التى تخالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، وكتاب النبذة فى معرفة الدين الذى معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار .

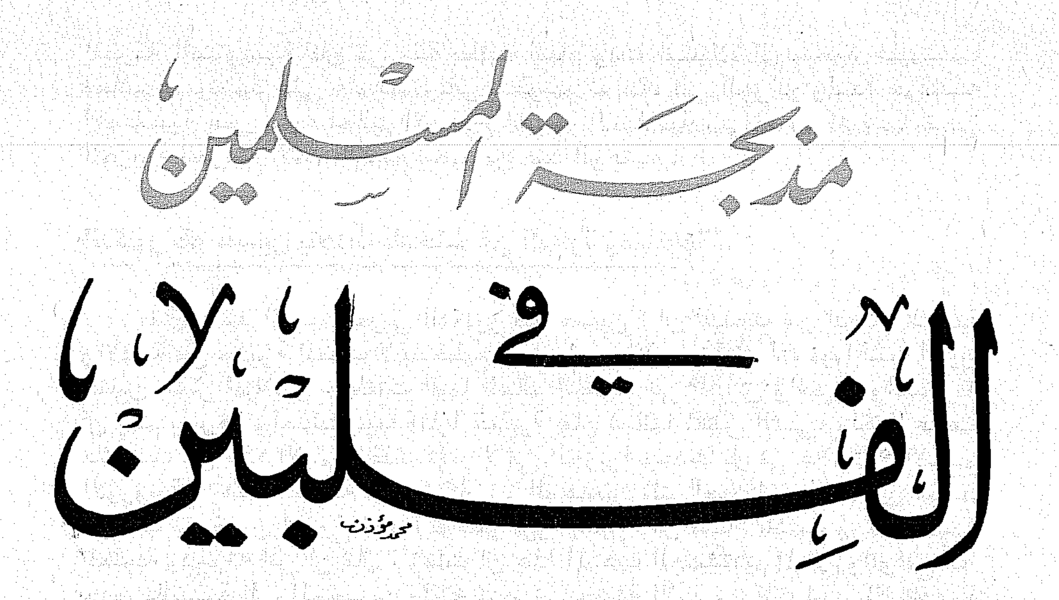
انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية :

ان استيلاء آل سعود على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى أوائل القـــرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلاميـــة ليتعرفوا أهداف الدعوة ويلتقوا بدعاتها ويناقشوهم فيما يدعون اليه ، وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج هذه المبادىء وتعصبوا لها ثم حملوها معهـــم ودعوا اليها فى بلادهم بعد رجوعهم اليها ، فانتقلت هذه المبادىء الاصلاحية الى السودان والى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعاتها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية ، ثم محاولة اقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفيذ الاحكام وتقييم الحدود كما انتقلت هذه الدعوة الى مصر والشام وزنجبار واليمن وكذلك الحركة السنوسية التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ثم غزت طرابلس بعد ذلك ، وانتشرت فى شمال افريقيا ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان وان هذه الحركة السنوسية التى ناهضت الاستعمار فى كل مكان حلت فيـــه والتى

الحركة السنوسية كان فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء آل سعود عليها فعاشرهم وتتلمذ على علمائهم وتأثر بدعوتهم ثم عاد الى الجزائر وابتدأ حركته الاصلاحية على ضوء تعاليم الاصلاح الدينية الاسلامية التى أضرم نارها فى الجزيرة العربية الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الدكتور طه حسين يتحدث باعجاب عن الدعوة وصاحبها :

قال عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين (ان الباحث عن الحياة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادى ، فلفتت اليها العالم الحديث فى الشرق والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها وأحدثت فيها آثارا خطيرة هان شأنها بعض الشىء ولكنها عادت فاشتدت فى هذه الايام وأخذت تؤثر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقاتها بالامم الاوروبية ، هذه الحركة هى حركة .. الوهابيين التى أحدثها (محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد) ثم ذكر نزرا يسيرا عن نشأة الشيخ ورحلاته العلمية ودعوته الى أن قال : (قلت ان هذا المذهب الجديدقديم المعنى والواقع أنه جديد بالنسبة الى المعاصرين ولكنه قديم فى حقيقة الامر ، (لأنه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقى المطهر من شوائب الشرك والوثنية . هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم خالصا لله ملغيا كل واسطة بين الخالق والمخلوق . فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا اليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة الى أن قال : ولولا أن الجاهلين اجتمعوا على حرب هذه الدعوة وحاربوها فى دارها بقوى وأسلحة لا عهد لأهل الدعوة بها لكان من المرجو أن توحد هذه الدعوة كلمة العرب فى القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرى كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم فى القرن الاول ولكن الذى يعنينا من هذه الدعوة هو أثرها فى الحياة العقلية والأدبية عند العرب . فقد كان هذا الأثر عظيما وخطيرا من نواح مختلفة فقد أيقظ النفس العربية فوضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم والسنان) وأخيرا لقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم فى العالم الاسلامى اذ كانت الشعلة الاولى لليقظة الحديثة فى العالم العربى والاسلامى كله تأثر بها زعماء الاصلاح فى سائر الاقطار الاسلامية وكل الحركات الاصلاحية مدينة لهذه الدعوة الاصلاحية ويمكن تحديد الصلة بينها وبين كل من هذه الحركات اما عن طريق الاقتباس أو المحاكات أو مجرد التأثر والتأثير .



قام الأستاذ سامى محمود بتحقيق عن مأساة المسلمين فى الفلبين نشرته صحيفة (أخبار اليوم) القاهرية ننقله للقراء فيما يلى :

مذبحة تحدث الآن للأقلية المسلمة فى الفلبين ..

الهدف : القضاء على آخر معاقلهم فى الجنوب ..

الخطة : الاستيلاء على أرضهم .

الوسيلة الاغتيال المنظم .. الخطف .. نسف المنازل .. والقاء القنابل على المواطنين .. الطرد من الأراضى ..

اطلاق النار على المصلين .. اثارة الطائفية ..

الأداة : جيش سرى منظم يطلق على نفسه اسم (الفئران) .

المذبحة مستمرة بعنف منذ ثلاثة شهور متتالية . الجمعيات الاسلامية فى الفلبين استنجدت بالفاتيكان .

تنكو عبد الرحمن أرسل الى (ماركوس) رئيس جمهورية الفلبين يطلب منه تقريرا عن مذابح المسلمين ..

ويسألون لماذا ؟

والقصة قديمة عمرها ثلاثة قرون ونصف قرن والفاعل الأول .. اسبانيا .. لكن الخطة الجديدة بدأت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وكانت تستهدف رشوة زعماء المسلمين ومنحهم مناصب كبيرة .. شراء أراضى المسلمين فى جزر الجنوب خاصة جزيرة (مندانا) و (سولو) .. تهجير اعداد ضخمة .. من أهم المحافظات الاسلامية وهى (لاناو) كوتباتو ـ دافاو ـ زمبوانجا ـ صولو (باسيلان) زيادة حملات التبشير .. الغاء أحكام الشريعة الاسلامية وسيادة القانون المدنى على كافة المسلمين خاصة أحكام الزواج والطلاق ، واباحة زواج المسلمة بغير المسلم ـ خلط العقيدة الدينية بالخرافات والاسرائيليات . الهجوم

الفكرى المستمر على الاسلام الذى تتزعمه جماعات شريكة لمنظمات صهيونية معاملة المسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية عددهم ٥و٣ مليون من مجموع السكان الذى يصل الى (٣٤) مليونا – فرص أقل فى التعليم والخدمات الصحية وغيرها . مناطق اسلامية كثيرة لا تعرف شيئا اسمه الصحف أو التليفزيون ، وليس غريبا أن تكتشف قبيلة بدائية تماما تعيش بأسلوب العصر الحجرى فى جزيزة منداناو .. فى الجنوب الذى تتركز فيه الأقلية المسلمة !

والفلبين تقع من الجانب الغربى للمحيط الباسفيكى جنوب شرق آسيا وتحيط بها أندونيسيا وماليزيا وفورموزا والصين وتشتمل على ٧١٠٠ جزيرة ومساحتها (١١٥) ألف ميل مربع وعاصمتها مانيلا ويتكلم أهلها أكثر من ٨٧ لغة أهمها اللغة التاجوليكمية والاسبانية والانجليزية ، ويزيد عدد المسيحيين الكاثوليك على ٨٤٪ من السكان ،والمسلمين حوالى ٩٪ . وتقوم الحياة السياسية على حزبين أساسيين هما (الاحرار .. والوطنيون ..) وقد وصل اليها الاسلام فى القرن التاسع الميلادى الا أن أول حكم اسلامى كان فى أواخر القرن ١٣ .. ثم احتلها الاسبان فى بداية القرن السادس وتبعهم الامريكان فى بداية القرن العشرين .. وتشتهر بمعادنها الكثيرة – ذهب وفضة – وكذلك بالمحاصيل الزراعية .. الأرز والسكر والتمباك والمطاط ..

وموقع الفلبين الاستراتيجى فى جنوب شرق آسيا فى قلب الصراع بين أمريكا والصين يفرض عليها أوضاعا خاصة ..

السفارة تقول :

وقد ذهبت بعدد من القصص والأخبار والأحاديث التى جمعتها أثناء مقابلاتى مع عدد من زعماء العالم الاسلامى ومسلمى الفلبين . وأخبار الوكالات الأجنبية – الامريكية – خلال هذا الاسبوع وفى موسم الحج وفى عدد من اللقاءات الأخرى فى مناسبات مختلفة .. ذهبت بهذا كله الى المسئولين فى سفارة الفلبين .. حرصا على أخذ وجهة النظر الأخرى – لكنهم وعدوا بالرد على كل ما سيجىء بهذا التحقيق بعد الرجوع الى حكومتهم لسماع الرد الا أنهم من ناحية أخرى أكدوا أن الذى يحدث ليس حربا دينية !!! وان الحكومة شكلت لجنة لبحث مشكلة الأرض ! وان المسلمين لا يعاملون معاملة الدرجة الثانية .

مذبحة الأحد القادم :

ومهما كان رد المسئولين فى السفارة فان وكالات الانباء نقلت انذارا وجهه الجنرال جارسيا قائد الجيش الفلبينى الى المسلمين حول مدينة (بولدن) والذين سماهم (بالقمصان السود) بأنه ما لم يسلموا أنفسهم قبل يوم الأحد القادم فانهم سيتعرضون لهجوم مدمر من قوات البوليس التى يزيد عددها على (٢٠٠٠) جندى

والجدير بالذكر ان صداما وقع بين المسلمين والمسيحيين يوم الثلاثاء الماضى .. وأرسلت الحكومة قوات لفض النزاع . لكن هذه القوات الحكومية .. تحالفت مع المسيحيين فى قتالهم ضد المسلمين وهاجمتهم بالدبابات والطائرات .. ورغم هذا فان المسلمين المسلحين ببنادق مخلفة من الحرب العالمية استطاعوا أن يقتلوا ٢٠ ويسقطوا طائرة هليوكبتر ويدمروا دبابة وقد أعلن البروفيسور ابراهيم

اسماعيل أحد زعماء المسلمين فى الفلبين بيانا اذيع من (مانيلا) نفسها أعلن فيه ذلك ان ١٠ مسلمين قد ذبحوا كالشاة .

ومن ناحية أخرى فان المسلمين ما زالوا متحصنين فى بعض المناطق ومحاصرين بقوات ضخمة من البوليس والجيش وهذه القوات مزودة بمدفعية عيار (١٠٥ ملليمتر) وطائرات هليوكبتر ودبابات وقد نسفت احدى سيارات البوليس المدرعة بلغم أول أمس وهى تحاول الاقتراب من معسكر المسلمين .. وكان الحصار مستمرا وتستعد قوات البوليس لمذبحة جديدة يوم الأحد ٧١/٨/١٥ ومن المقدر أن يكون عدد الضحايا من ١٥٠٠ الى ٢٥٠٠ وهى تقديرات متحدث بلسان البوليس الفلبينى .. ومما يدعو الى الدهشة أنه قد أذيع يوم الاربعاء أن طائرات الحكومة اسقطت منشورات تطلب فيها من المدنيين فى بولون اخلاء جزيرة ميندانو — والمعروف أن أغلبية المسلمين يتركزون فى هذه الجزيرة .

اسرائيل هناك ايضا :

ويتهم المسلمون فى الفلبين وعدد من شهود العيان من الفلبين أيضا — الصهيونية العالمية بمحاولة ابادتهم واغراء مسيحيى الشمال بالزحف على أراضى الجنوب الغنية فى محاولة لطردهم منها والاستيلاء عليها .. وقد تم بالفعل طرد أكثر من ٥٠ ألف أسرة ما زالت مشردة فى الجبال والغابات بنفس الاسلوب الذى استخدم فى فلسطين . وجدير بالذكر أن أقرب مستشارى رئيس الجمهورية جنرال صهيونى خطير يدعى (منسى) وبليونير يهودى آخر يدعى اليسالدى .

وطرد المسلمين من أرضهم مشكلة من أغرب المشاكل . فأغلب الاراضى التى يملكها المسلمون توارثوها جيلا بعد جيل لمدة تزيد فى بعض الاحيان على أربعة قرون .. وفجأة خاصة فى السنوات الثلاث الاخيرة . قررت الحكومة تشجيع هجرة أهل الشمال المسيحى الى أراضى الجنوب المسلمة الخصبة . ويأتى المهاجرون الجدد ويشرعون فورا فى تسجيل (أراضى المسلمين) — وهى غير مسجلة أشبه بالحكر — ويأتون فى صباح اليوم التالى بعد التسجيل يطلبون من المسلمين اخلاء أراضيهم .. لان الحكومة سجلت لهم هذه الأراضى — هكذا — يطالبون المسلمين بالأرض ويرفض المسلمون ويلجأ الاقطاعيون وأصحاب الأراضى الجدد من المسيحيين الى اعمال العنف والشغب وهى تبدأ عادة بحرق الأراضى وتسميم المياه والحيوانات .. وتنتهى بالاغتيال والخطف وبقر البطون . واستمرت هذه العمليات ونمت حتى أصبحت جيشا رهيبا يطلق عليه اسم الفئران أو الا (ايلاجا) .. وهذا الجيش فى الحقيقة مجموعات من الرجال الذين دربهم الجيش والبوليس ويشترك المزارعون الجدد فى تمويلهم .. اما لماذا لم تسجل الحكومة للمسلمين أرضهم أو تطلب منهم ذلك وهى معترفة بأنهم يعيشون عليها من قرون — فلا أحد يدرى .. ومن ناحية أخرى عندما طلب المسلمون تسجيل أرضهم رفضوا .. وعندما طلبوا تسجيل أراض جديدة رفضوا أيضا .. وأصبحت اكثر من ٥٠ ألف أسرة مشردة فى الغابات والجبال .. يعيشون كالأنعام ويتعرضون للقتل وهتك العرض والسلب والموت من الجوع والمرض والبرد !!

مذبحـــة للشبان فقـــط :

ومن أغرب القصص القادمة من الفلبين قصة (مذبحة الـ ١٦٩) شـــابا مســـلما . فقد اختارت السلطـــات من كل أسرة شـــابا لتدريبهم فى معسكر (كوريجيدور) ولم يمض وقت طويل حتى عرف أنه قد تم ابادة هـــؤلاء الشـــبان جميعا عدا واحدا فقط اسمه جبين أرولا استطاع الهرب وروى هذه المذبحـــة الرهيبة واتصل بعدد من زعماء المسلمين بالقرب من مانيلا وروى لهم تفاصيل ما حدث وكان الهدف ابادة القادرين على المقاومة وحمل السلاح واحداث موجة ذعر رهيبة بين المسلمين . وفى يونيو الماضى حدثت مذبحة أخرى لم يستطيعوا هذه المرة اخفـــاءها .. فقد جمعوا المســـلمين داخل المسجد لعقد صـــلح بين المسيحيين وبينهم ــ حول مشاكل الأرض ــ وجلس المسلمون داخل بيت الله . جانحين للسلم مستعدين للصلح وفجأة اقتحم المسجد مجموعة من المسيحيين المسلحين بالمدافع الرشاشة وبدأوا اطلاق النيران .. واستطاعوا أن يذبحوا ٧٠ بينهم سيدات وأطفال ويجرحوا خمسين آخرين اصيبوا اصابات مختلفة ..

وللرئيس ماركوس مستشار يهودى صهيونى آخر هو (مانويل اليسالدى جوبنر) . واختصاصه هو شئون الأقلية !!! وهو ــ المتهم الأول فى الحـــوادث الأخيرة .. وقام منذ عدة أسابيع بزيارة هذه المناطق وتنظيمها .. وهو فضـــلا عن كونه مليونيرا فهو وزميله اليهودى الآخر الجنرال منسى يملكـــــون مزارع شاسعة فى الجنوب .. هذا فضلا عن مناجم الذهب والنحاس وطائرة (السندى) الخاصة مثلا هى التى اكتشفت القبائل البدائية وقام (الستوى) بتوزيع الســـلاح على بعض القبائل اللادينية التى تعيش فى الجبال والتى استولى المسيحيـــــون أيضا على أرضهم .. وقد بدأت هذه القبائل عمليات القتل بين المسيحيين وفـــر أغلبها الى الغابات فى الوقت الذى بدأ فيه المسيحيون عمليات الارهـــاب ضـــد المسلمين ، وكان هدفه اثارة الفتنة .. ومن المعروف أنه على صلة بأحد زعمـــاء قبائل الاغلبية واسمه (تونبك) وانه أمده بالسلاح .

جيش الفئران :

ويلجأ المسيحيون فى تنفيذ مخططهم الصهيونى لاجلاء المسلمين من أراضيهم .. الى تكوين جيش سرى مزود بأحدث الأسلحـــــة .. وهو أشبه بجماعـــات الهاجاناه فى فلسطين .. ويبلغ عدده فى كوتاباتو وحدها نحو ٣٥٠ ألف رجل ..

وفى مقاطعة (واو) حرقوا البيوت والمزارع وطردوا أصحابها فى الشهر الماضى .. وفى (باتوت) أيضا اشترك البوليس مع جماعة الفئران فى احراق مزارع القرية وطرد أهلها واحراق ٥ مساجد و ٥٨ منزلا فى قرية (بولفان) .. ونفس الشىء حدث فى (أوبى) لكنهم قتلوا هذه المرة عشرات من النساء والأطفال .. والى جانب الفئران توجد عصابة أخرى تطلق على نفسها اسم (الاخطبوط) وهى مدربة تدريبا راقيا وتقوم بغارات منظمة على المزارع لافزاع أصحابها .. وآخر غاراتهم على ٤ مدن فى كوتاباتو .. بينما اشترك معهم الفئران فى قتـــل ٦٨ رجلا من المسنين وجرحوا طفلا ، وأثناء دفاع الشيوخ عن أنفسهم قتلوا ثلاثة من العصابة .. وتعرف هذه المذبحة باسم (مذبحة الشيوخ) .. شاهد عيـــان لمذبحة المسجد الشهيرة فى شهر يونيو الماضى اسمه (بانكوسوماما) قال ان

القتل لم يقتصر على الـ ٧٠ ضحايا المسجد فحسب بل تعداه الى مدرسة تبعد عنه كيلومترا واحدا وقتل فيها ٧ من الأطفال داخل الفصول .. (توماما) قال أيضا أن رجال العصابة كانوا يرتدون زيا خاصا وانه كان يجلس بجوار زوجته التى قتلت وشقيقته التى أصيبت اصابات بالغة وانه نجا بأعجوبة .. وأكمل قصة المدرسة (أحمد سولاى) عندما قال ان طفليه (نوردن ونورما) وزوجته (ليريرا) وشقيقه (جونون) قد قتلوا أيضا داخل المدرسة .. وان القتل حدث فجأة عندما اقتحمت جماعة من العصابة المدرسة وقتلت الأطفال ..

هذه مجموعة من الحقائق المؤلمة لما يحدث فى الفلبين ولا يستطيع أحد أن يتجاهل الحقائق الرهيبة التى تبرز وراء هذه القصص فى كلمة واحدة هى محاولة تصفية المسلمين والاستيلاء على أرضهم التى توارثوها لمدة تزيد على أربعة قرون .. وعلى حد تعبير (ساليبدا بينون) عضو مجلس الشيوخ المسلم .. انه قد أصبح واضحا لدى المسلمين الآن بشكل لا يدعو الى الريبة ان عملية منظمة لابادتهم وتصفيتهم فى الجنوب تجرى الآن .. » وان البوليس يتخذ دفاع المسلمين عن أنفسهم بالعصى والسكاكين والبنادق القديمة التى ينقصها الذخيرة .. ذريعة للقضاء عليهم .. ان الذى يحدث الآن للمسلمين فى الفلبين صورة مفزعة — مكررة — لما حدث فى فلسطين .. وليس غريبا أن يقود عملية الفلبين اثنان من أعتى الصهاينة اليهود : الجنرال منسى والبليونير اليسالدى .. وكلاهما يملك مزارع شاسعة فى أرض المسلمين !

والمسلمون يقولون اننا نعامل معاملة المواطن من الدرجة الثانية .. المناصب القيادية والهامة ممنوعة .. الجيش نحن الجنود دائما وهم الضباط والجنرالات .. فرص العمل تكاد تكون معدومة للمواطن المسلم العادى .. وكل ٤٠٠ تلميذ لديهم مدرس واحد وكل نصف مليون لديهم مستشفى واحد به ٤٠ سريرا وطبيبا عاما .. مثلما يحدث فى سولو ومنداناو .. مياه الشرب والكهرباء معدومة فى أغلب مناطق المسلمين .. المساكن أغلبها من البامبو التى يصنعها الأهالى بأنفسهم المرافق والخدمات معدومة .. القرآن واللغة العربية ممنوعان فى كثير من المناطق .. الدعاية المضادة للاسلام .. ونشر الاسرائيليات و (الماسونية) . الحكومة تستولى على مناطق شاسعة من أراضيهم — وهى دائما غير مسجلة وتوزعها على المسيحيين بواقع ١٠ هكتارات لصغار الملاك .. الحكومة تقيم معسكرات الاصلاح والسجون للمجرمين الخطرين داخل أراضيهم .. الحكومة تشجع هجرات أهل الشمال المسيحى الى غزو مناطق الجنوب .. ووصل عدد المهجرين فى السنوات الأربع الأخيرة الى مليون ونصف مليون .. والمهاجرون الجدد مسلحون بالمدافع والعلم والمال . ومعهم دائما دعاة تبشيريون يقيمون الكنائس والمستشفيات .. المسلمون أصبحوا لاجئين فى الجبال والغابات .. الحكومة تطرد الأهالى من مناطق كاملة فى حجم المحافظات الكبيرة بحجة عدم التسجيل .. ثم تعيد توزيعها بعد فترة على المسيحيين .. حدث هذا أخيرا فى (واو) و (لاناودلسور) و (لاناود لسنترى) وفى (كوتاباتو) . والسؤال الذى يبرز دائما .. ان لم يكن هذا اضطهادا ومعاملة من الدرجة الثانية وتصفية وارهابا .. فما الذى يمكن أن نسميه !؟..

ورغم أن زعماء المسلمين متصارعون دائما فى الفلبين بحكم ارتباط مصالحهم بالقوى الاقتصادية والسياسية الرئيسية التى تحكم البلاد والتى تتمثل فى حزبى الأحرار والوطنيين .. الا أنهم رفعوا شعارا واحدا هذه الأيام وهو الوحـــدة للمحافظة على أرواح المسلمين .. واصدروا بيانا وقع عليه ٣٠ من كبار زعمائهم من الحزبين أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح الدموية التى تحدث مثل (مذبحة زبيدة) ومذابح الجوامع والتفرقة فى المعاملة وقلة الفرص المتاحة للمسلمين ، وعـــدم احترام الشريعة الاسلامية أو الشعائر الدينية .. وعدم معاقبة المسئولين عن هذه الحوادث دائما ، وتواطؤ البوليس والجيش مع المجرمين .. ومحاولة تصفية المسلمين فى الجنوب تماما .. وهم أصحاب البلد الأصليون ..

ورغم أن المسلمين كانت تقودهم حركة اسلامية واحدة الا أنهم انشقـــوا وتمثلوا فى جميعية أنصار الاسلام التى يمثلها أحمد دوموكاو النتو .. والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ويتزعمه محمد على ديمابورو .. وجدير بالذكر أن الذى ساعد ديمابورو على انشاء هذا المجلس هو (ماركوس) رئيس الجمهورية وزعيم الحزب الوطنى .. وهكذا ترى أن المسلمين منشقون أو كانـــوا كذلك .. وقـــد استغلوا دائما كواجهات كاذبة على حسن معاملة المسلمين .. فهـــم دائمــــا الزعماء فقط — وهم دائما يملكون السيارات الفاخرة والمزارع الغنية — وهـــى طبعا مسجلة ! — .. ومن الأشياء التى تدعو الى الرثاء أن الحكومة تضع فى وزارتها وزيرا مسلما مسئولا عن شئون الأقلية — وهى فى أغلبها مســـلمة — واسمه (تاتوما ماما) وتضع له من ناحية أخرى (كسالدى) اليهودى مستشار الرئيس .. وطبعا كل السلطة للمستشار الصهيونى .. و (ماما) مجرد واجهة .

بعد الحوادث الأخيرة تجمعت أعداد هائلة من شباب المسلمين المثقفيـــن وعدد من زعماء المسلمين يقودهم — اوتوج ماتالام — و (الزعيم كاملون) الذى استمر فى صراع مسلح مع الحكومة ست سنوات ويتحصن هؤلاء فى بلدة(بـــابا لومان) وهى منطقة لم يدخلها غير المسلمين منذ سبعة قرون تقريبا — وقد طالب هؤلاء بفصل اقليم (مندانا) و (سولو) الذى يتركز فيه المسلمون .. لحمايتهم من المجازر التى تحدث لهم الآن .. وهم من ناحية أخرى يطالبون العالم الاسلامى بالوقوف معهم ومساعدتهم فى الأمم المتحدة ولدى حكومتهم والفاتيكان لانقــــاذ أرواحهم ..

وقد زاد اتصال مسلمى الفلبين بالعالم الاسلامى منذ مؤتمر باندونج .. وكان السناتور (أحمد النتو) من أشد المتحمسين لذلك .. ودعيت بعد ذلـــك شخصيات مختلفة من العالم الاسلامى لزيارة مسلمى الفلبين وساعد على ذلك أن رئيس الفلبين (ماكاباجال) كان صديقا للرئيس الراحل عبد الناصر .. وكان صديقا أيضا للمسلمين .. وهو الذى دعا الى اتحاد ماليزيا والفلبين وأندونيسيا فيما يعرف باسم (مافلندو) .. وكانت أهم الزيارات التى قام بها الدكتور عبـــد العزيز كامل وزير الأوقاف منذ وقت غير بعيد وتوفيق عويضـــة رئيس المجلس

الأعلى للشئون الاسلامية وقبلها زار الشيخ الباقورى والمرحوم الشيخ محمــود شلتوت شيخ الأزهر السابق .. ويزورها حاليا الدكتور محمد كاظم عميد كليــة التربية بالأزهر والدكتور عبد اللطيف بدوى مدير جامعة الأزهر .. ويدرس أكثر من ١٥٠ طالبا فلبينيا مسلما .. فى جامعة الأزهر .. كما يوجد بعض المدرسين الأزهريين فى الفلبين .

وقد عبر عدد كبير من الشخصيات الاسلامية البــارزة فى موسم الحــج الماضى عن أسفهم الشديد لما يحدث للمسلمين المسالمين فى الفلبين .. فى بــلاد اختارت الاسلام بنفسها دينا لها منذ قرون طويلة .

ومن الأشياء الغريبة ان الاسبان الذين قضوا على الاسلام فى اسبانيا .. هم أنفسهم الذين قضوا عليه فى الفلبين عندما غزوها عام ١٥٢١ .. وكانــت توجد فى مانيلا العاصمة سلطنتان اسلاميتان وكان يحكمهما السلطان راجــا سليمان .. وأطلق الأسبان على المسلمين (موروس) .. وهو نفس الاسم الذى كانوا يطلقونه على المسلمين فى شمال افريقيا الذين انتصروا عليهم واســتمروا يحكمون اسبانيا لفترة تقرب من التسعة قرون .. ورفض المسلمون فى مانيــلا خاصة فى سلطنتى تسرى بيسايس وقاجابات ، ان يغيروا دينهم .. فأبادهــم الاسبان .. وبعضهم هرب الى الجنوب والبعض الآخر تظاهر بقبول الاحتــلال الاسبانى .. واستمر الاسبان فى زحفهم على باقى الجزر .. لكنهم عجزوا دائما على الوصول الى سلطنتى سولو ومنداناو فى الجنوب واستمرت هاتان السلطنتان من القرن السادس حتى آخر القرن التاسع عشر تتمتع بالحرية والاستقلال .. حتى حل الامريكان مكان الاسبان فى عام ١٨٩٨ وبقوا فيها حتى عام ١٩٣٦ عندما غزا اليابانيون الفلبين ولم يجلوا عنها الا بانتهاء الحرب العالمية الثانية .

وقد شارك المسلمون المسيحيين وساعدوهم فى تحرير جزر الفلبين كلهــا وكانوا يحاربون فى ذلك الوقت ، مع الحلفاء .. لكن بعد انتهاء الحرب العالميــة .. حل المسيحيون مكان المستعمرين .. وبدأت المأساة .. وخطط لتنفيذ زحف المسيحيين والاستعمار وراءهم الى المناطق التى لم يستطع الاسبان احتلالها والتى ظلت فى الحقيقة ومنذ القرن التاسع الميلادى .. — على أرجح الاقوال — تتمتع بالحرية ونشأ أول حكم اسلامى بالمعنى المفهوم مع بداية القرن الثالث عشر ... وكان بحر الصين والبحر المتوسط دلتا بحيرة اسلامية .. وطريق التجارة الدولى .. الى أن ظهرت قوة البرتغال والاسبان المستعمرة وكان هذا يعنى بداية غروب سيطرة الاسلام فى جزر بحر الصين والبحر المتوسط ..

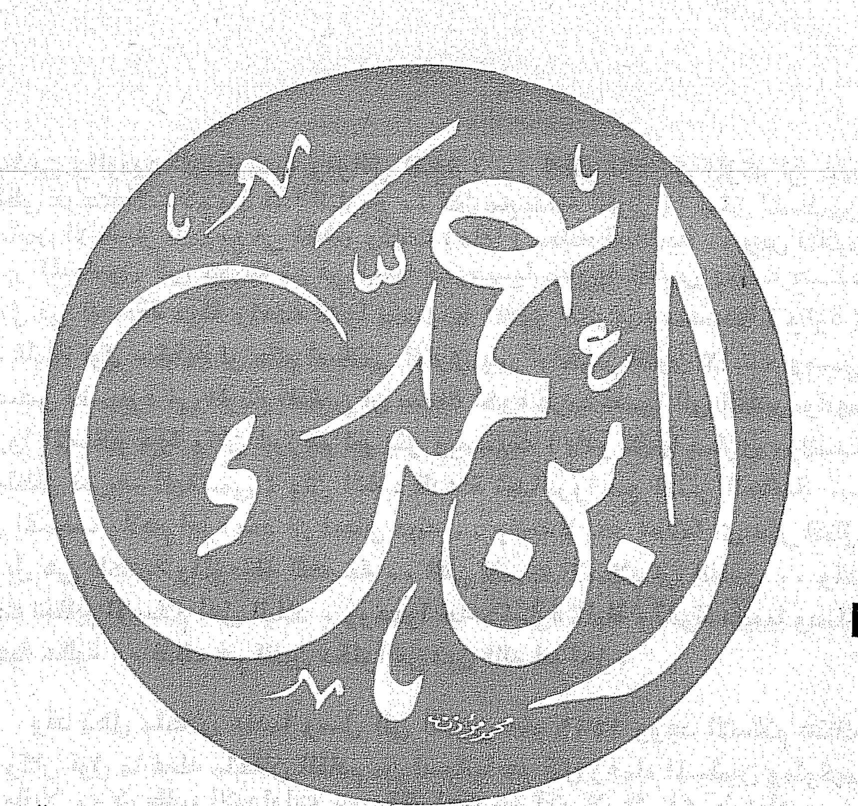
والسكان المسلمون الأصليون اسمهم (أنديوس) وهم ينتسبون الى أهــل الملايو وأندونيسيا من ناحية النوع .. أما (فلبيى) فيطلق على الاسبان الذيــن استوطنوا الفلبين وكذلك على أهلها الذين اعتنقوا المسيحية .. و (فيليب) هو ملك اسبانيا فى ذلك الوقت وقد أطلق عليها ..

ومن المؤكد أن الاسلام وصل الى الهند والصين فى وقت مبكر جــدا فى القرن الثامن الميلادى .. وان الجزر المحيطة بهاتين القارتين كانت محطات للتجار

المسلمين والوفود الاساوسية وقوافل التجارة .. لذلك فانه من المؤكد أن هذه المناطق عرفت الاسلام منذ هذا التاريخ .. لكن مع بداية القرن ١٤ تمكن المسلمون تماما من الانتشار السريع فى الملايو وكانت (ملقا) منطقة اسلامية .. ومن الملايو انتشر المسلمون الى جنوب شرقى آسيا أندونيسيا ماليزيا الفلبين وكانت هــذه الدول فى الحقيقة دولة واحدة كانوا يسمونها الملايو الكبرى وعاصمتها (جاوة) وقد قامت أول سلطنة أو حكم اسلامى ادارى بين أواخــر القرن ١٣ .. ومــن القصص الشهيرة فى تاريخ الفلبين ان سبعة أخوة عرب قدموا الى الفلبين وأنهم نشروا الاسلام فيها وكان أبرزهم أبو بكر ويسمونه (يادو كامها سارى مولانـــا السلطان شريف الهاشمى) وان أغلب الدعاة تصاهروا مع الأسر الحاكمة .. وان الشعب ولاهم أمره بعد أن اعتنق دينه .. وأنت لا تجد اطلاقا أى ذكر لقتال .. بل هى الحكمة والموعظة الحسنة .. التى نشرت الاسلام فى الفلبين .. وقد بهرت تعاليم الاسلام أهل البلاد . ووجدوا فيه حضارة كاملة وقانونا دنيويا وصلة روحية عالية .. لذلك هم الذين دخلوا فى دين الله أفواجا .

وقد ذهل ماجلان عندما وصل الى الفلبين عام ١٥١٩ ووجد الاسلام هناك .. وكان أول ما فعله ماجلان القادم من اسبانيا هو قتل زعماء المسلمين وملوكهم فى مانيلا .. ثم طلب الامدادات .. وقال لحكومته الاسلام الــذى طردناه مــن اسبانيا وجدته هنا .. وذهبت حملات دموية لابادة معتنقى هذا الدين .. لــكن ماجلان شهد نهاية يستحقها عندما قتل بيد الملك المسلم (لابو لابو) .

ان قصة الاسلام فى الفلبين بقدر ما فيها من صفحات مشرقة فى الماضى تؤكد حقيقة هذا الدين ، بقدر ما فيها من صفحات دامية ملطخة بالدماء تجرى هذه الايام ويتعرض المسلمون فيها للمذابح الجماعية والطرد والتعذيب والارهاب فى عصر الأمم المتحدة وحقوق الانسان وحرية العقيدة .. ان قلوب المسلمين كلهـــا معهم وعيونهم دائما عليهم .. وان نصر الله لقريب ..



- ١ -

((أى صفوان ..

فداك أبى وأمى

هو أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس .

ابن عمك عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ..)) .

قالها عمير بن وهب ابن خلف القرشى الجمحي المكى لابن عمه صفوان بن أمية بن خلف ، فى تأثر شديد ، وضراعة ظاهرة ، واستعطاف كبير .

ويرد عليه صفوان فى غضب واستكبار ، وعزم وتصميم ، دعنى وطريقى ، لن أعود أبدا .

وكان صفوان قد هم بركوب السفينة من جدة ، لتقله الى اليمن ، يعيش فيها ، بعيدا عن مكة ، وعما آل اليه أمر مكة يومئذ .

وكان ذلك فى مطلع شوال من العام الثامن من الهجرة ، بعد فتح مكة بقليل .

ويعود عمير ليقول من جديد :

((أى صفوان ..

أى ابن عم .

لن أدعك وطريقك أبدا .

انزل من السفينة ، وعد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، وأنت أنت ابن مكة ، وشريف العشيرة وسيد القوم ، وفيها صاحبتك وأولادك وأموالك » .

وكان صفوان سيد بنى جمح ، بعد أبيه أمية بن خلف ، كما كان من كبراء قريش فى حياة أبيه .

وكان أمر الأزلام فى الجاهلية موكولا الى صفوان ، ونشأ فى جاه أبيه ومجده وشرفه وماله ، وعمل فى التجارة ، وربح وأثرى ، وجمع الذهب ، حتى صار له قنطار من

عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

الذهب ، كما كان لأبيه قنطار من الذهب ، وبذلك جمع السؤدد من أطرافه ، ونال المجد بكلتا يديه .

وتزوج صفوان فى حياة أبيه من أكرم بيوت العرب ، تزوج برزة بنت أبى مسعود الثقفى ، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة .

وكان أبوه ((أمية)) من أشراف قريش وسادتها واليه الرأى فى الكثير من الامور والمشكلات .

وجاء الاسلام ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الايمان به ، وصدت قريش عند ذلك صدودا عجيبا ، وقاومت رسول الله والمؤمنين به مقاومة ليس لها مثيل فى التاريخ : وكان عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام . والوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، وسواهم يمثلون جبهة المعارضة للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب وهو عبد الله ابن أبى أمية المخزومى ، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وكان أخا للرسول من الرضاعة ، أرضعتهما معا حليمة ، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله كانا من أشد الناس عداوة لرسول الله ، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة ، فقال له ابن عمته عبد الله بن أبى أمية : والله لا أومن بك أبدا ، حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك .. وكذلك كان الأخنس الثقفى ، وأبى بن خلف الجمحى ، والعاص بن وائل السهمى ، وغيرهم ..

وكان أمية بن خلف هو الذى تولى تعذيب المسلمين من مثل بلال . وأمية ومعه الوليد بن المغيرة ، وبعض أشراف قريش هم الذين قالوا لرسول الله : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد . وقد حضر أمية بدرا هو وابنه صفوان ، فقتل أمية وقتل معه أبو جهل وأشراف قريش وسادتها وورث صفوان بعد أبيه أمية مجده وحسبه وشرفه ، وصار اليه ما كان لأبيه من قبله .

واستمر صفوان فى حربه للاسلام ولرسول الله ، كما كان يصنع ، وكما كان يصنع أبوه قبله .

— ٢ —

وبعد بدر أخذ صفوان بن أمية يكيد لرسول الله كل الكيد ، ويتآمر عليه بكل ما فى وسعه وطاقته من حيلة ، وهو الشقى الموتور ، قتل أبوه وأخوه فى بدر ، وقتل أشراف قومه وسادتهم .

وجلس صفوان فى الحجر فى يوم من الايام وحوله ابن عمه عمير بن وهب الجمحى ، وكان شيطانا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله وأصحابه ، ويلقون منه عناء شديدا وهم بمكة ، وكان ابنه وهب قد أسر فى بدر .

وأخذ عمير يذكر مصاب قريش فى بدر ، ويذرف الدموع على قتلاهم ، فقال له صفوان . والله ما فى العيش بعدهم من خير ، فرد عليه عمير . صدقت والله ، أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضياع والهوان بعدى لركبت الى محمد حتى أقتله ، وأشمت بالمسلمين فيه ، فان لى قبلهم علة ، ابنى وهب أسير فى أيديهم .

فقام صفوان واقفا ، فرحا جذلان لما سمع ، وما أكرم ما سمع على نفسه ، وقال يغتنم الفرصة حتى لا تفلت من يديه : يا أبا وهب ، يا أخى ، دينك على أنا ، أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أواسيهم ما داموا على ظهر الارض فقال أبو وهب عمير : اكتم عنى شأنى وشأنك هذا ، لا تحدث به أحدا حتى لا يعرف أحد ما أنتويه ورد صفوان فى حماس شديد : أفعل ذلك .

وذهب عمير الى منزله ، فأخذ سيفه ، فشحذه وسممه ، وركب راحلته ، وخرج من مكة يريد المدينة ، والناس يسألونه الى أين تريد يا أبا وهب ؟ فيقول : أريد المدينة لفداء ابنى الأسير .

وقدم عمير المدينة فبينما عمر فى فى جماعة من المسلمين يذكرون ما أكرمهم الله به ، اذ نظر فرأى عميرا قد أناخ راحلته على باب مسجد رسول الله ، متوشحا بالسيف ، فقال لمن حوله : هذا الشيطان عدو الله عمير ابن وهب ما جاء الا لشر ، وهو الذى حرش بيننا ، وكان عينا علينا لقريش فى بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله وهو يقول : يا نبى الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه .

قال : فأدخله على ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه ، فلببه بها ، وقال لرجال من الانصار : ادخلوا فاجلسوا عند رسول الله ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غير مأمون . ودخل به على رسول الله

فلما رآه الرسول وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال : أرسله يا عمر ، أدن يا عمير .

فدنا عمير من رسول الله ، وجلس فقال له رسول الله : فما جاء بك يا عمير ؟ قال عمير : جئت لهذا

الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه .

قال . فما بال السيف فى عنقك ؟

قال عمير : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال الرسول : أصدقنى ما الذى جئت له ؟

قال : ما جئت الا لذلك .

قال : بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ما تريد ، وصعق عمير لما يسمع ليس من أحد يعرف الأمر غير صفوان ، وقد أوصى صفوان بكتمانه عن كل الناس ، ان هذا الا الوحى نزل على محمد من السماء ، واهتزت أعماق عمير ومشاعره اهتزازا شديدا ، وقال أشهد أنك رسول الله قد كنا يا محمد نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان ، فوالله انى لأعلم ما أتاك به الا الله ، فالحمد الله الذى هدانى للاسلام ، وساقنى هذا المساق ، وشهد عمير شهادة التوحيد ، والحق ، فقال رسول الله : فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له أسيره .

فصنع المسلمون كل ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عمير يا رسول الله انى كنت جاهدا فى أطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى حتى أقدم مكة ، فادعوهم الى الله ، والى رسوله ، والى الاسلا م، لعل الله يهديهم ، والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم وأذن له رسول الله .

كل ذلك وصفوان بن أمية فى مكة يصبح ويمسى وهو يقول لمن يلقاه من قومه ، أبشروا بحادثة تأتيكم قريبا فى أيام تنسيكم وقعة بدر ويخرج صفوان الى خارج مكة كل يوم ، يسأل الركبان عن عمير بن وهب وفى أحد الايام لقيه قادم من المدينة ، فسأله عن عمير ، فأخبره أنه أسلم ، فرجع صفوان مهموما مغموما ، وهو يحلف لا يكلم عميرا أبدا ولا يؤدى له منفعة أبدا .

وقدم عمير الى مكة ، فأقام يدعو الى الاسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديدا ، حتى أسلم على يديه أناس كثيرون ، وعمير زوج عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى أروى بنت عبد المطلب .

— ٣ —

وجاءت معركة أحد ، وقتل فيها عم صفوان ، وهو أبى بن خلف ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فازداد حنق صفوان على رسول الله وحربه وعداوته لله ولرسوله . وكان صفوان فى قلب المعركة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء المعركة .

اللهم العن أبا سفيان

اللهم العن الحارث بن هشام

اللهم العن صفوان بن أمية

— ٤ —

وفتح رسول الله مكة فى رمضان من العام الثامن للهجرة ، وأذل الله الشرك والمشركين ، ونكس راية الوثنية والبهتان ، وهدم الرسول صلى الله عليه وسلم الأصنام ، وترددت فى جنبات البيت الحرام شهادة التوحيد

ولكن الفتح لم يمض دون مقاومة من قريش ، لقد أسلم أبو سفيان قبل دخول رسول الله مكة بيوم ، بعد أن رأى بعينيه ما رأى ، وشاهد جيش محمد الذى لا قبل لقريش ومشركى مكة به ، ولا يستطيع أن يقاومه انسان ، وأسلم كذلك سهيل بن عمرو خطيب قريش وأحد أشرافهم وسادتهم يوم الفتح .

ولكن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وجموعا معهم ، قاوموا جيش خالد بن الوليد ، وهو يدخل مكة من أسفلها ، فقتل من المشركين أثنا عشر رجلا ومن المسلمين رجلان .

وبدأ السلام والأمان يعودان الى بلد الله الحرام ، وتردد النداء عاليا :

من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

ومن دخل المسجد فهو آمن .

وخطب رسول الله الناس ، فأعلن العفو العام حتى عن رؤوس الشرك والضلال ، وقال لهم : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

وأرسل رسول الله الى : صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وأبى سفيان : فقال عمر : لئن أمكننى الله منهم لأعرفنهم ، فقال رسول الله : مثلى ومثلكم كما قال يوسف لاخوته : ((لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم)) .

وأسلمت زوجة صفوان ، وهى فاختة بنت الوليد بن المغيرة ، وذلك يوم الفتح ، وهرب صفوان الى حيث لا يعرف مكانه انسان الا ابن عمه عمير بن وهب .

وجاء عمير الى رسول الله يقول له : يا نبى الله ان صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليركب البحر الى اليمن فرارا وذعرا ، فهلا أمنته !!

وفى رواية أخرى أنه قال لرسول الله : أسألك أمانا لصفوان ، قد هرب ، وأخشى أن يهلك ، وانك قد أمنت الأحمر والأسود ، فأمنه يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم : هو آمن وفى رواية أدرك ابن عمك فهو آمن .

قال عمير . يا رسول الله ، فاعطنى آية يعرف بها امانك ، فأعطاه رسول الله عمامته التى دخل فيها مكة كما يروى ابن هشام : ويروى الذهبى فى ((سير أعلام النبلاء)) أن رسول الله بعث اليه ابن عمه عمير بن وهب بردائه أمانا لصفوان ودعاه الى الاسلام وأن يقدم عليه مكة .

وخرج عمير يريد جدة حيث صفوان قد هرب اليها ينتظر فيها سفينة يركبها ليذهب الى اليمن ، ويعيش هناك بعد أن هزمه الله ، وهزم الشرك والمشركين وفتح مكة على الاسلام والمسلمين .

وأدرك عمير صفوان وهو يريد أن يركب السفينة ودار بينهما هذا الحوار الغريب : يقول عمير لصفوان :

يا صفوان .

فداك أبى وأمى .

الله ، الله ، فى نفسك أن تهلكها .

فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به ويرد عليه صفوان :

ويحك ، أغرب عنى ، فلا تكلمنى

قال عمير :

أى صفوان .

فداك أبى وأمى .

أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه ، عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه

ملكك ، ويقول صفوان دعنى وطريقى لن أعود أبدا . ويقول عمير :

عد معى الى مكة ، وطنك ، ووطن آبائك وأجدادك ، وأنت أنت ، ابن مكة وشريف العشيرة ، وسيد القوم ، ويقول صفوان : انى أخافه على نفسى . ويرد عمير هو أحلم من ذاك وأكرم ، وينتهى الموقف بنزول صفوان من السفينة ، ثم عودته مع عمير ابن عمه الى بلده مكة .

فلما قدم صفوان على النبى صلى الله عليه وسلم ناداه على رؤوس الناس : يا محمد ان هذا جاءنى بردائك يزعم أنك أمنتنى ، ودعوتنى الى القدوم عليك فان رضيت أقمت ودخلت فى دينك ، والا خرجت فى مدة شهرين لا أتجاوزهما .

فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وقار وجلال وأناة وحلم :

صدق ، أنزل أبا وهب فيقول صفوان :

لا والله حتى تبين لى فيقول رسول الله : لك أربعة أشهر .

— ٥ —

وبعد قليل يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين فى شوال من العام الثامن للهجرة . وقبل خروجه يذكر له بعض أصحابه أن لدى صفوان أدرعا وسلاحا كثيرا ، فيبعث اليه ، ويقول له وصفوان يومئذ على شركه :

يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان : أغصبا يا محمد ؟

قال : بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك. قال صفوان : ليس بهذا بأس . فأعطى رسول الله مائة درع بما يكفيها من السلاح .

وخرج صفوان وهو على شركه مع رسول الله الى حنين وانتصر الاسلام فى حنين انتصارا مؤزرا ، وعاد رسول الله صلوات الله عليه بالغنائم والأموال ، ومعه صفوان ، فجعل صفوان ينظر الى شعب ملأى نعما وشاء ، وأدام النظر ، ورسول الله يرمقه ، فقال له الرسول :

أبا وهب ، يعجبك هذا ؟

قال : نعم .

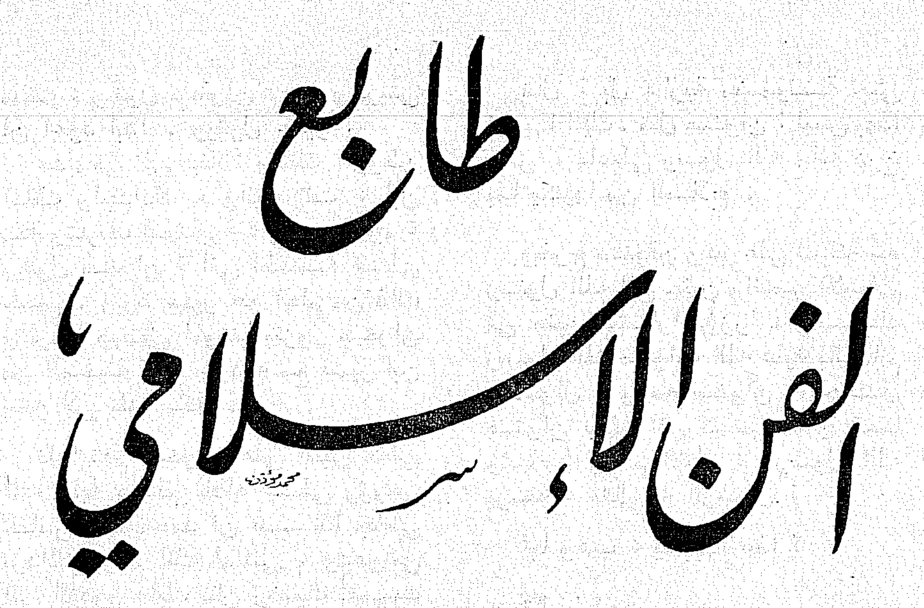
قال صلوات الله عليه : هو لك .

فقال صفوان : ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نفس نبى ، أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وكان ذلك فى آخر ذى القعدة من ثمان .

ويروى عن صفوان : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فما زال يعطينى حتى أنه لأحب الخلق الى واستقرض رسول الله من صفوان فى مكة خمسين ألفا ، فأقرضه أياها .

وعاش صفوان فى الاسلام يشهد انتصاراته ويحضر أيامه ، ويلقى حروبه فكان فى اليرموك أميرا على كتيبة من كتائب جيش المسلمين .

وكان فى غير اليرموك كذلك مجاهدا بطلا ، وعاش حتى توفاه الله الى رحمته عام ٤١ هـ . رحمه الله ..

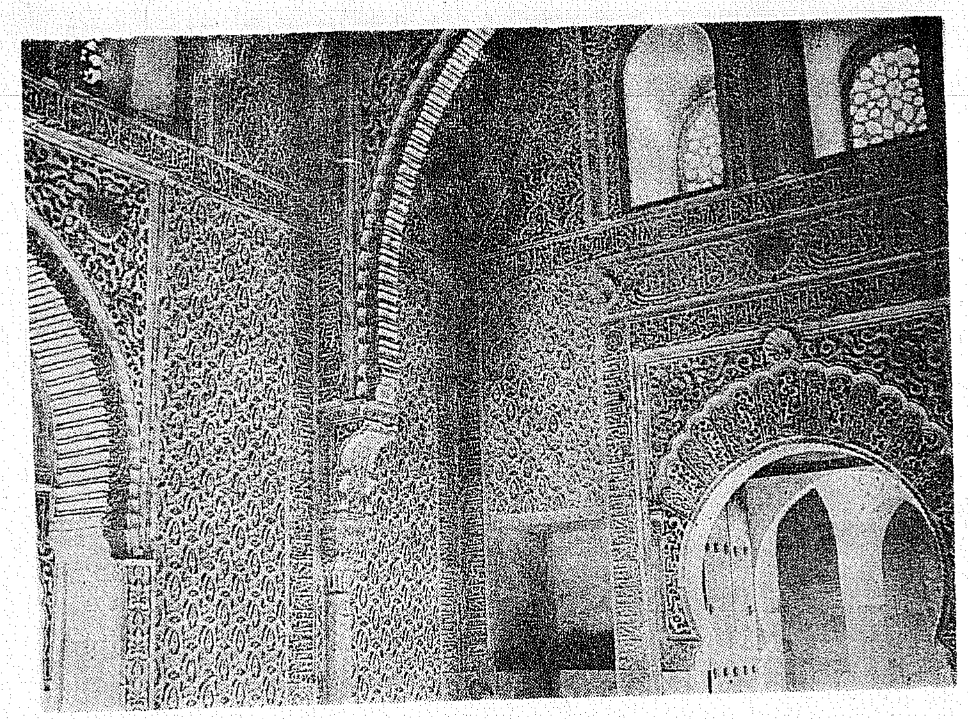


للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

طبع الدين الاسلامى الحنيف الفنون والعمارة الاسلامية بطابعـــه الخاص وكان تأثيره بالغا فكانت أصول الدين وتعاليمه هى القانون الذى سار الفنان على نهجه ووفق نصوصه لم يحد عنها ولهذا ابتعد عن التماثيل وتصوير الاشياء التى تعتبر فى نظره تقليدا للبارى سبحانه الذى هو خالق كل شيء ، كما امتنع الفنان عن الرسوم الآدمية والحيوانية احتراما لأوامر الدين ونظمه واعتمد فى الفن الزخرفى على رسم أوراق الاشجار والازهار وما تفرع منها وعلى اجزائها الى جانب الزخارف كأغصان الاشجار والأزهار والوريقات ، فسرت فى أعطافها مرونة تكاد تبعث فيها الحيوية ، وتجلت عبقرية الفنان فى التأليف بين الالوان المستخدمة فى الطلاء بطريقة تبهج النظر وتريح العين .

الفن المعمارى .

ابتكر المعمار المسلم نظام المسجد على نسق مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة الذى شيد على مساحة مربعة الشكل محاط بجدران من الآجر والحجر وكان سقفه قد غطى بطبقة من الطين وجـــاء تصميم المسجد بسيطا كبساطة الدين وابتكارا اسلاميا خالصا اذ وضعت



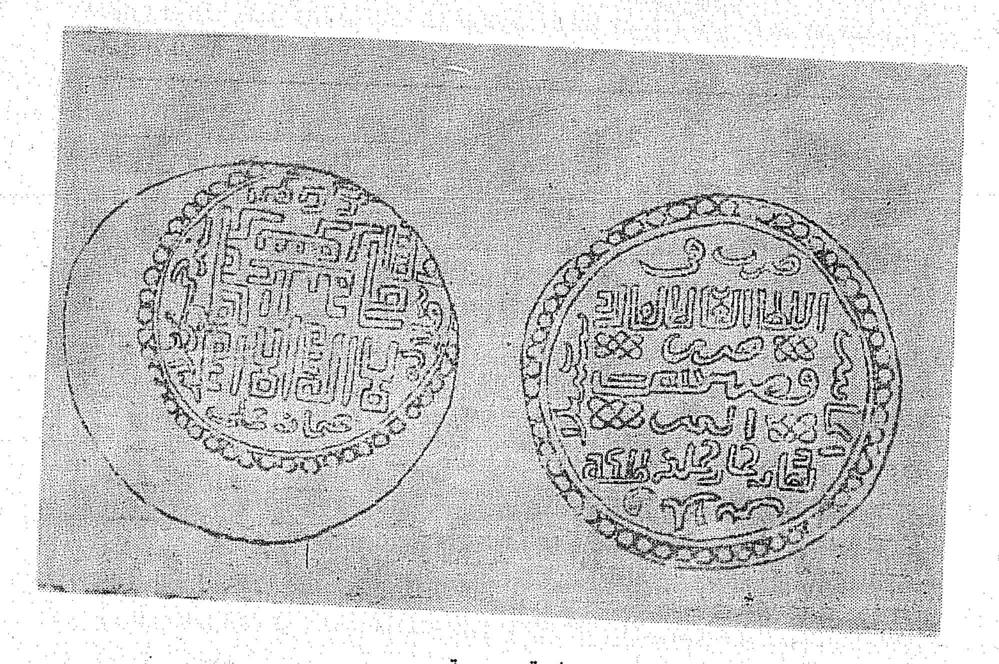
النقوش الرائعة داخل المحراب تحف بها الزخارف النباتية المورقة وتظهر الآيات القرآنية فى مناطق الاطار .

سقيفة للمسجد جهة الشمال حيث كانت القبلة الاولى للمسلمين نحو بيت القدس فلما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام ان يتجه فى صلاته الى مكة بالجنوب أقيمت سقيفة فى هذه الناحية وأصبح للمسجد ظلتان أولاهما ناحية الشمال والثانية ناحية الجنوب ودفعت سنة التطور أن يصل المعمار بين السقيفتين بظلتين أحداهما شرقا والثانية غربا وعلى هــذه الصورة جاء المسجد الاسلامى الاول ايوان فى كل جانب يحف بصحن فى الوسط مكشوف وعلى مثال مسجد المدينة اقتبست المساجد فى كل الامصار الاسلامية وتطور الامر مع رخاء الامبراطورية الاموية فاستبدلت الاعمدة بدلا من جذوع النخل وزخرفت الاعمدة بالتيجان والجص كما زينت بطون العقود بكتابات من القرآن الكريم وأضيفت المآذن والقباب فى العصور التالية وعمد المعمــار الى الاهتمام بالمســـجد وتزيينه فصــار ملتقى للناس من كل صــوب وحتى يليق بما وصلت اليــه الدولـــة من قــوة ولا يجوز أن يقل فى رونقه وعظمته عن المعــابد غير الاســلامية فــى الطراز الزخرفى . وكان الخط العربى العنصر الاول فى الزخرفة فقــد ساعد الخطاط لمرونته وقابليته للمد والانثناء والاستطالة والاستدارة التى تكسبه درجة كبيرة من الابداع والاتقان ، وقد استند الخط الى أصول هندسية وقواعد رياضية أصلها الالف وهى خط مستقيم يعتبر قطر الدائرة

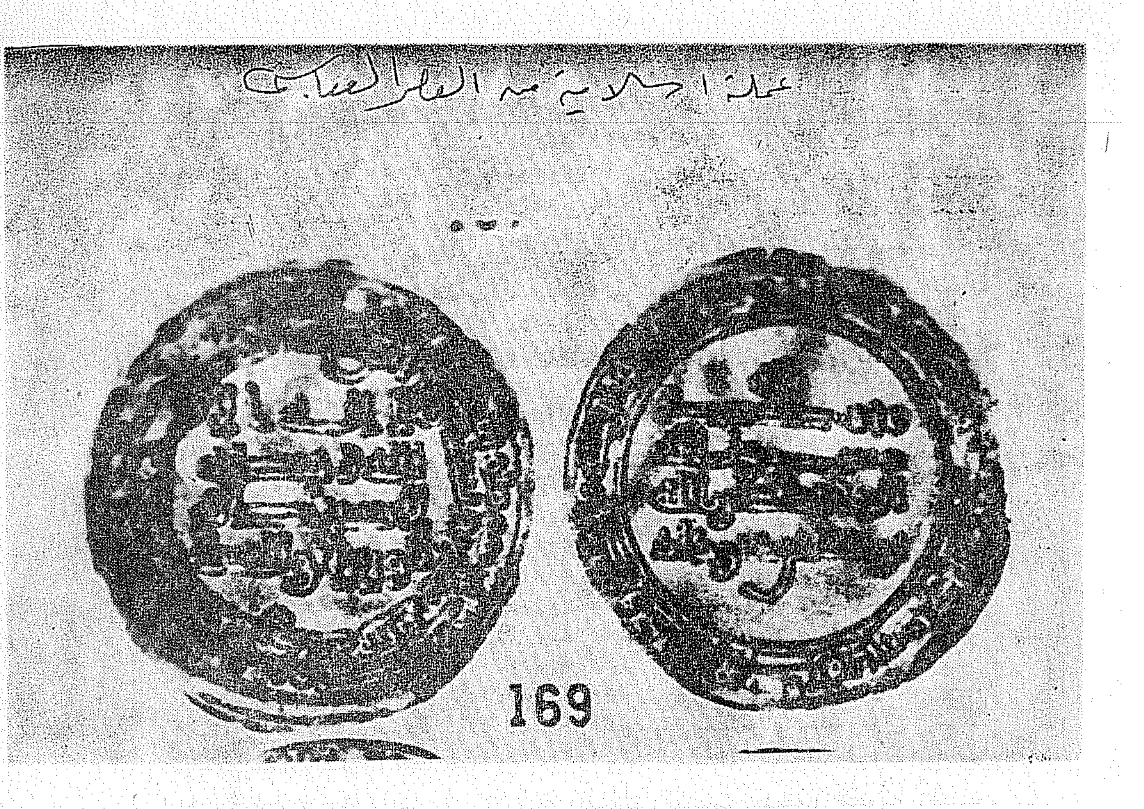
وبقية الحروف أجزاء منها تحيط بها ولو أعيدت جميع الحروف الى التسطيح وأزيل تقوسها لكانت من الالف بنسبة معينة ثابتة ولم يقتصر استخـــدام الخط العربى على كتابة المصاحف والاحاديث النبوية وأوامر الخلفاء بل زينت به المساجد والمبانى ، وانتقل الى العمائر الاوروبية كأسلوب زخرفى وقد وضعت المدرستان الشامية والعراقية النظم والمقاييس للخط العربى وعمدت المدرسة المصرية الى تجويده ، وابتكرت منه خط الطومار بأنواعه النسخ والثلث ، وابتدعت المدرسة العثمانية بعد استقدامها لأمهر الخطاطين العرب أنماطا جديدة منها خط الرقعة والديوانى والاجازة والهمايـــونى واستحدثت فى الدولة التيمورية التى حكمت شرق الدولة الاسلامية خط التعليق الذى تجلت فيه الحياة والحركة وابتدعت خط النستعليق الذى جمع بين النسخ والتعليق وتميز بالخفة والسلاسة والمطاوعة .

الزخارف النباتيـــة :

يعمد الفنان المسلم الى استخدام الزخارف النباتية والبعد بها عن الطبيعة وعمد الى تطويرها ، فاستطالت الاغصان وتحورت الاوراق بطريقة انفرد بها الفنان وتميز بها ، وأصبحت سمة للفن الاسلامى على أنه جمع بين



عملـــة تيمورية



الخط والزخرفة فأخذ يجمل فى الحروف ويعدل فى أشكالها ويصعد ببعض أجزائها ويحذف منها ما يتنافى مع أصول الزخرفة من تناسق أو تقابل أو تناسب ويملأ ما بين سيقان الحروف بوحدات زخرفية كما ينهى الحروف بوريقات نباتية زادت الحروف بهاء وجمالا وهكذا بدت عظمة الفن الاسلامى فى الخط الكوفى المشجر (المزهر) والارابسك والزخارف النباتية التى امتلأت بها تيجان الاعمدة فى المساجد والقصور .

وأبدع الفنان المسلم فى استخدام العناصر الهندسية كالدوائر المتشابكة والأشكال المتعددة الاضلاع كالمثمن والمعين واهتم بالجمع بين الرسوم الهندسية والنباتية والخط الكوفى فى نظام وتناسق بديع يدل على ذوق وأحساس مرهف .

الجص :

وتميز الفن الاسلامى باستخدام الجص على أوسع نطاق فى تزيين عقود المبانى والجدران على هيئة طراز يجرى عليها بالزخارف الهندسية أو النباتية أو بالكوفى أو على هيئة مناطق مستديرة أو معينة بداخلها زخارف نباتية رائعة ، وقد ظهر استخدام الجص فى تسافرا التى شيدها الخليفة المعتصم العباسى عام ٢٢١ هـ ثم أنتقل الى مسجد ابن

طولون بالقطائع ، ثم تطور فن الزخرفة بالجص فبلغ درجة عالية من الاتقان فى العصر المملوكى فاستعمل فى سد النوافذ كما ملىء الفراغ والثقوب بالزجاج الملون .

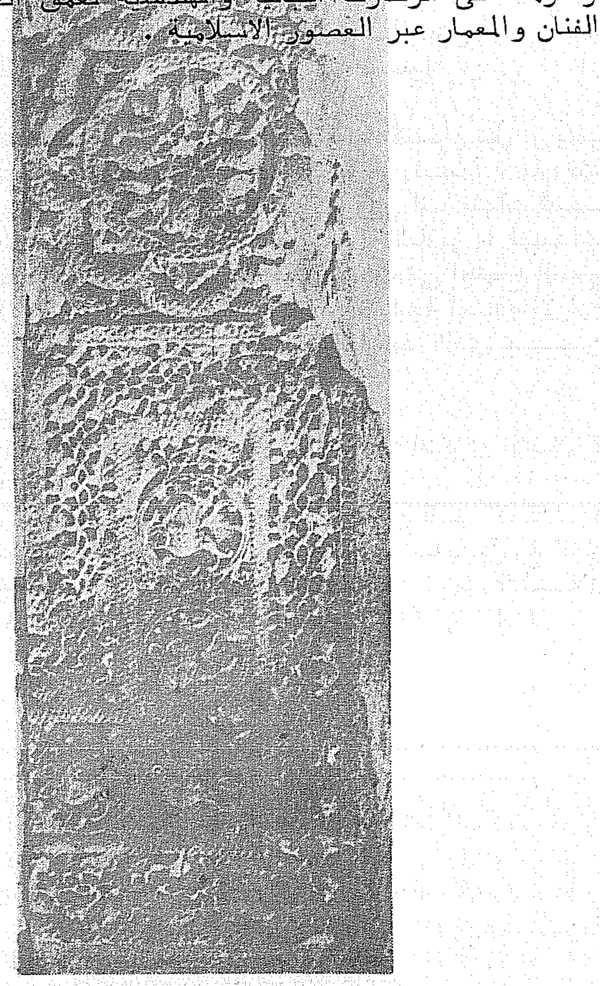
وانفرد الفنان الاندلسى خاصة بتغطية المساحات كلهـا بالرسوم واستخدام الخط الكوفى ذى الحروف المتشابكـة . ويظهر هذا فى قصور غرناطة الى جانب الاسراف فى استعمال المقرنصات (الدلايات) بصورة لم يسبق لها مثيل ، ومن أجمل القباب قبة قلاوون بالقاهرة التى ملئت فتحات النوافذ فيها بالبرونز والجص وتتجلى فيها براعة الفنان وحذقه فى أبهى صورة ويخال من يشاهدها أنها قطعة نسيج تفنن النساج فى تطويرها كما طعمها بقطع من الفسيفساء التى تبدو كعش النحل أو الرواسب الكلسية التى تكونها الطبيعة فى الجبال بسقوط نقط من الماء من أعلى الكهوف فتتدلى فى صورة بديعة وفى الحفر على الخشب اهتدى الصانع الـى طريقـة التعشيق والتجميع والخرط ويعتمد على تزيين الاسطح المراد تزيينهـا بحشوات من الخشب تقطع على أشكال هندسية منتظمة من مثلثات أو مربعات أو مخمسات أو مسدسات أو مثمنـات وتثبت بطريقـة التعشيق .

١ ــ استغل الخطاط الكوفى عنصرا زخرفيا فخرجت من أطرافـه سيقان نباتية ووريقات ذات فصوص وتجمع الحشوات معا فوق السطح ليتكون منها زخارف هندسية أونباتية ، وقد استخدم اسلوب الخرط فى عمل المشربيات فى المساكن فى العصر المملوكى ليسمح بدخول الهواء والضوء فى فصل الصيف ويمكن السيدات من رؤية ومشاهدة من فى الخارج ولا يراها المارة ، وقد تطورت صناعة الحفر عـلى الخشب أيـام الطولونيين والفاطميين لكنها وصلت الى الذروة فى الاتقان فى العصر المملوكى وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة نماذج لهذا النوع كتابوت الامام الشافعى الذى عنى الصانع بزخرفته وتنميقه وهو يزدان باشكال نجمية غاية فى الدقة والجمال وتزينه كتابات كوفية ونسخية رائعة وتتألف جوانبه وغطاؤه من حشوات صغيرة منقوشة بزخارف نباتية بديعة .

الصناعات الخزفية والزجاجية .

وكان أثر الدين السمح واضحا فى صناعة الخزف والاوانى الزجاجية مما دفع الصانع المسلم للنهوض بهذه الصناعة وابتكار أنواع جديدة مـن الخزف ذى بريق معدنى يضاهى الاوانى الذهبية التى كره المسلمـون استخدامها فظهر نوع من الخزف ذى البريق المعدنى جاء بتوجيه الدين ووحيه فأمعن الصانع فى انتاج خزف له جمال الذهب وبريقه ، وذلك بتغطية الخزف بطبقة شفافة من الميناء القصديرية ترسم عليها الزخارف بأكاسيد معدنية بعد حرقها وآنذاك تتحول الأكاسيد باتحادها مع الدخان الى طبقة

معدنية دقيقة ، وهكذا ابتدع الصانع المسلم طلاء مشتقا من أكسيد الفضة عرف بالبريق المعدنى كما اكتشفوا فى صناعة الزجاج طريقة التذهيب بوضع الزخارف على الاناء بالريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفرشاة فى المساحات الكبيرة ، ويعد حرق الاناء للمرة الاولى يحدد موضع الرسم باللون الاحمر ثم يطلى بالميناء التى تعتمد على الاكاسيد المعدنية كما ابتكروا مزج ذرات الذهب بالزئبق وتوضع الاوانى بالافران فيحترق الزئبق فيبقى الذهب عالقا فى صورة رائعة وهكذا استطاع الفنان والمعمار المسلم أن يظهرا نبوغهما وتفوقهما فى رسوم مغيرة تتمشى مع تعاليم الدين وتقاليد الاسلام وأصبح الدين مصدر الالهام والوحى للفنان لا يحيد عنه فاعتمد فى رسومه على الزخارف النباتية والهندسية لعمق العقيدة الاسلامية فى الفنان والمعمار عبر العصور الاسلامية .

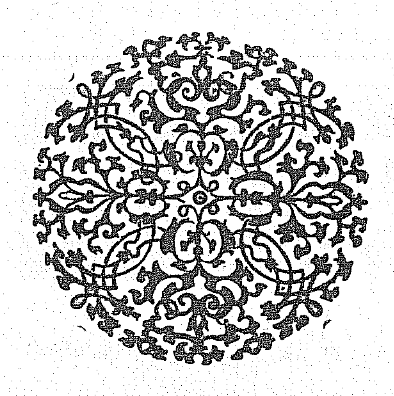


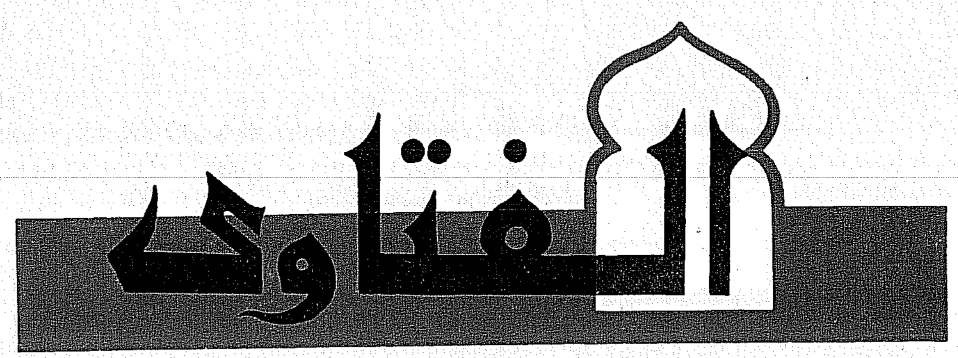
زخارف من الجص المفرغ فى قعر الطوبة .

وفى القرن الثامن عشر أى بعد حوالى قرن ردد « جان جاك روسو » ــ الذى يعتبر بحق أبا الديمقراطية الحديثة فى أوروبا ــ آراء « هوبز » ولكن بصورة مختلفة ، فاذا كان المفكر الانجليزى « هوبز » يرى أن الجماعة ليست من فطرة الانسان وانما اضطر اليها بحكم حاجته الى الاستقرار وتبادل المنافع ، وان حالة الانسانية الاولى كانت فى شقاء دائم ، وان الانسان كان يعيش فى جو ملىء بالصراع والنزاع وعدم الاستقرار ... فان « روسو » كان ينادى بالرجوع الى عهد الفطرة ، والى حياة الطبيعة ، لأنه عهد تساوى فيه الناس جميعا ، ولم يعش أحدهم عالة على الآخر ، ولم يكدس بعضهم المال على حساب الآخرين ، وانما عاش الناس جميعا فى أحضان الطبيعة ، وتمتعوا بخيراتها على قدم المساواة .

ومهما اختلفت وجهة النظر الاوروبية فى حالة الانسان قبل أن يهتدى الى اشكال الحكومات وهل كانت الانسانية شقية أو سعيدة ، فان نشأة الحكومات ، أو العقود السياسية فى الفكر الاوروبى انما نشأت نتيجة للوهم والافتراض والتخيل . أما الفكر السياسى الاسلامى ، فقد نشأ نتيجة للواقع ، وتطور الأحداث التاريخية ، كما حدث فى اجتماع السقيفة فالعقد السياسى الاسلامى نشأ فى وضح النهار ، نتيجة لهذه الارادات الانسانية الحرة فهو عقد حقيقى وليس عقدا خياليا كهذا الذى تصوره « هوبز وروسو » بعد الاسلام بقرون طويلة .

فما أحوجنا نحن المسلمين ، أن نفكر فى تراثنا الفكرى الاسلامى ، ونبعثه فى ثوب جديد ليقف شامخا أمام الفكر الأوربى الذى يغزونا فى عقر دارنا ، ويحاول أن يوهمنا بأن أصالته لم تسبق ، مع أن الفكر الاسلامى فى الحقيقة أسبق منه بحوالى عشرة قرون فى فكرة العقد السياسى مع الفارق الكبير فى الأساس الذى قامت عليه فكرة العقد السياسى فى الاسلام ، والعقد السياسى فى الفكر الأوروبى كما كشف عن ذلك هذا المقال .





معاملــة الأولاد

رجل يملك ثروة من عقار ومال ، وعنده زوجة ، وأولاد ، منهم ذكـــور ، ومنهم اناث ، وقد زوج بعض بناته ، وعلم بعض أولاده الذكور والمرجو الاجابة على الأسئلة التالية :

١ — هل يجوز له أن يحرم بعض أولاده العاقين ؟
٢ — هل يجوز له أن يحرم الولد الذى علمه وأصبح له وظيفة ؟
٣ — هل يجوز له أن يميز بعض أولاده ؟
٤ — هل يجوز له ان يخص بشىء من المال الصغير من أولاده ومن لم يكمل تعليمه منهم وكذلك البنات اللاتى لم يتزوجن ؟

الاجابــــة :

يجب على الوالد أن يسوى بين أولاده فى العطية والهدايا والانفاق قـدر استطاعته ، ولا يجوز له أن يفضل بعضهم على بعض الا لمبرر ، فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((سووا بين أولادكم ولو بشق تمرة)) ، وأمر عليه الصلاة والسلام ألا يفعل الانسان شيئا يحمل أولاده على عقه ، فقال : ((لعن الله ما استعق ولده)) .

واذا أنفق الوالد على أحد أولاده نفقة ذات قيمة بأن زوجه ودفع له مهر الزوجة ، أو أنفق على تعليمه حتى أوصله الى وظيفة ذات غناء أو جهز احدى بناته كان عليه أن يعوض سائر ولده الآخرين بمقدار ما أنفقه على ولده الأول .

ويجوز تفضيــــل بعض الأولاد على بعض لمبرر شرعى ، ومــن المبررات الشرعية العاهات المانعــة من الكســب كالعمى والشلل ، وكذلك العجز عــن التكسب .

الحلف بالنبــى

الســـؤال :

بعض المسلمين يحلف بالنبى ويقول (وحياة النبى) فهل هذا يمين له كفارة عند الحنث ، وما هى الكفارة ؟

الاجابــــة :

قال صلى الله عليه وسلم : ((من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)) ومعنى

هذا أن الحلف بغير الله لا يجوز ، ولا يلزم كفارة لأنه ليس يمينا شرعية .

ليلة النصف من شعبان

الســـؤال :

هل ورد فى فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث صحيحة ، وهل يسن فيها صلوات خاصة ودعاء مخصوص ، ثم هل هى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم .

الاجابـــة :

أقوال اكثر المفسرين على ان الآية الكريمة « انا انزلناه فى ليلة مباركة » تعنى ليلة القدر ، وانها ليست ليلة النصف من شعبان .

والدعاء المعروف بدعاء ليلة النصف ليس له مستند صحيح فى السنة ، والصلوات المخصوصة التى يصليها بعض الناس فى ليلة النصف ليست من عمل السلف الصالح وحديث « اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا ، فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتل فأعافيه ، ألا سائل فأعطيه ، الا كذا ألا كذا .. ألا كذا حتى يطلع الفجر » والحديث المروى عن السيدة عائشة فى فضل هذه الليلة . لا شىء من هذين الحديثين صحيح .

فليلة النصف من شعبان ليست هى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ، ولم يرد فى فضلها ولا فى احيائها بالصلوات حديث يعول عليه ، والدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف لا أصـــل له .

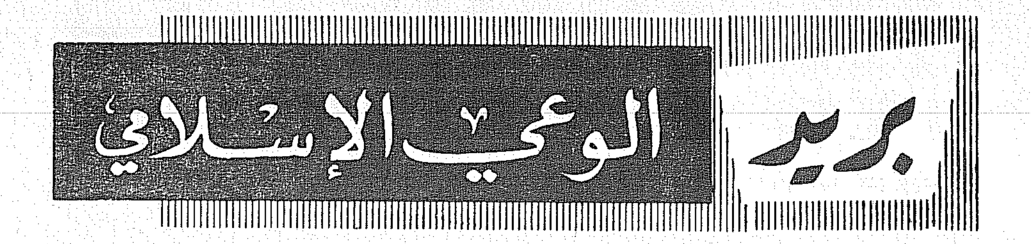
الدعاء فى الصـــلاة

هل تصح الصلاة اذا دعا المصلى فيها بأدعية دنيوية وأخروية كأن يقول : « رب اغفر لى وارحمنى ونجح فلانا ، ووفقنى فى بيع السيارة » .

الاجابـــة :

مذهب المالكية ان الدعاء فى الصلاة جائز بكل ما يشاء الداعى مما يجوز شرعا الدعاء به ، ولو كان الدعاء بأمر دنيوى من اللذائذ والنعيم ، وأصح مذهبى الشافعية والحنابلة كمذهب المالكية .

والحنفية لا يجيزون الدعاء فى الصلاة بما يشبه كلام الناس ومعـــاشهم الدنيوى .



السيد البدوى

السيد البدوى أحد الصوفية المعروفين ، وله شهرة كبيرة فى مصر وغيرها من الدول الاسلامية فما اسمه الحقيقى .

اسمه أحمد بن على ابراهيم ولقبه البدوى لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو شمال افريقيا . ولد بفاس ، وحج طفلا مع أبيه ، وذهب الى العراق ثم دخل مصر واستقر بطنطا ، وبها توفى ، وله طريقة تعرف بالأحمدية وشارة أتباعه العمامة الحمراء والعلم الأحمر .

الرتب العسكرية

فى الجيوش رتب عسكرية مختلفة كل رتبة منها تدل على درجة حاملها ومهمته ، فهل عرفت الجيوش الاسلامية فى العصور الأولى هذه الرتب .

أول نظام وضع لتحديد مراتب الجيش الاسلامى كان فى أيام عمر بن الخطاب حين أنشأ الديوان لضبط عطاء الجيش ، فجعل الناس أعشارا على كل عشرة عريف ، ولما اختلطت الكوفة والبصرة غيرت العرفاء والأعشاء ، وجعلت أسباعا وفى أيام الخليفة الأمين جعل على كل عشرة عريفا ، وعلى كل عشرة عرفاء نقيبا ، وعلى كل عشرة نقباء قائدا ، وعلى كل عشرة قواد أميرا .

ولم تكن الرتب العسكرية ثابتة أو متشابهة فى جميع الدول الاسلامية ، ففى مصر أيام السلاطين المماليك قسمت كالآتى :

الطبقة الأولى : أمراء المئين ، ويقال لهم : مقدمو الالوف ، وكانت عدة كل منهم مائة فارس ، وله التقدمة على ألف فارس .

الطبقة الثانية : الأمراء ، وعدة كل منهم فى الغالب أربعون فارسا يكونون فى خدمته .

الطبقة الثالثة : أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فرسان يكونون فى خدمته .

الطبقة الرابعة : أمراء الخمسات .

ولما استحدثت النظم العسكرية فى الدولة العثمانية ابان القرن التاسع عشر أخذت بها بعض الدول التى كانت خاضعة لها ، واستخدمت فى الدول العثمانية الرتب التالية : (١) الملازم الأول والثانى (٢) اليوزباشى ، وهو الرئيس اليوم ، (٣) الصاغ وهو الرائد (٤) البكباشى وهو المقدم الآن (٥) القائمقام وهو العقيد (٦) أميرالاى وهو العميد (٧) اللواء وهو الزعيم فى بعض البلدان العربية ، (٨) الفريق أو قائد الفرقة (٩) المشير هو أكبر الرتب العسكرية .

بـــــدوح

الســـؤال :

كثير من أصحاب الرسائل يكتبون على ظروفها كلمة بدوح فما أصل هذه الكلمة ، وما السر فى كتابتها؟

الاجابـــة :

ان التجار وأرباب الرسائل والأموال فى بلاد العرب كانوا يكتبون تلـــك الكلمة على بضاعتهم ورسائلهم تحصينا لها من الضياع اذ يعتقدون أن تاجرا من أهل الحجاز كان يسمى بدوحا ، وكان التجار من أهل عصره اذا وجهوا تجارتهم الى بعض الجهات نهبها اللصوص الا ذلك التاجر فان بضاعته ورسائله لا يتعرض لها أحد بسوء ، فتصل سالمة ، وما أن توفى هذا الرجل حتى أخذ أولئك التجار يضعون اسمه على بضاعتهم ورسائلهم ، فكانت تسلم من الأذى ، وكانـــوا لا يكتبونه بالحروف ، بل مما يقابلها من الأرقام ، فى حساب الجمل هكذا (٨٦٤٢) وكثير من الناس قديما كانوا يرقمونه على فصوص خواتمهم للتيمن ورفع الأذى .

تعقيـــب

تعقيبا على مقال (حكمة الاسلام فى تحريم لحم الخنزير) للزميل الدكتور أحمد شوقى الفنجرى بالعدد ٧٨ من السنة السابعة أود أن أضيف الآتى :

١ ــ أن لحم الخنزير له عدة أسماء مما يجعل كثيرا من المسلمين حسنى النية يقعون فى استعماله بدون قصد :

أ ــ الاسم العادى له (يورك) .

ب ــ الاسم الثانى (باكون)

جـ ــ الاسم الثالث (هام)

ويكثر وجود الباكون والهام فى أسواق الكويت والبلاد العربية ويخلط فى غذاء الأطفال .

٢ ــ لو خطرت فكرة اقامة مزارع للحم الأغنام بالذات على أى مسلم غيور ويقوم بتنفيذها فى بلد مثل بريطانيا أو فرنسا حيث تكثر المراعى فالى جانـــب الربح الطائل فان كثرة وجود لحم الأغنام سيحل بالتدريج مكان لحم الخنزيـــــر حيث شاهدت الألوف من الانجليز يقبلون على أكل لحم الأغنام ولولا أنه مرتفع السعر لكان فى متناول الجميع ، فكل الشعوب الاوروبية شعوب مادية بحتة ولو توفر لها ذلك لأقلعت عن أكل لحم الخنزير ــ وهذا طبعا اقتراح يحتـــاج لبضع ألوف من الدنانير لكى يبدأ .

هذا ما أردت أن أذكره والله ولى التوفيق . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(دكتور : فاروق محمود مساهل ــ مجمع الجهراء ــ الكويت) .



حقيقـــة الاسلام

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ ـــ فكرى زكى الجزار ـــ الاسلام روح وجسد .. فاذا ما انفصلت روحه عن جسده فلا وجود له البتة ، ولن يجـــدى نفعا فى دنيا الناس ... فحينئذ تتقاذفه السنـــة السفهـــاء بأنه لا صلـــة لـــه بشئون الناس ونظم الحياة والمجتمع يقولون ذلك لأنهم يرونه شيئا ناقصا ... أو بمعنى آخر يرونه جسدا بلا روح ، أو روحا بلا جسد .

ولكن ما روح الاسلام ... وما جسده ؟

ان روح الاسلام هو ـــ التوحيد الخالص من الشوائب الذى يبعث فـــى نفس الانسان العزة والكرامة ويضىء فى قلبه نور الايمان الحق ، والمعرفـــة الصادقة .

ولن يكون التوحيد ساميا الا اذا أفردنا المكان الاول لله فى قلوبنا ، وكنا على قلب رجل واحد ، ونهجنا فى الحياة كما يخاطبنا الله بقوله جل شأنه ((**وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)) ((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون))** .

تلك هى حقيقة التوحيد .. وأسمى ما جاء به الاسلام ، وأجل ما يؤمن به الناس ويهتدون بنوره فى مدلهمات الحياة .

أما جسد الاسلام فهو ـــ هذه القوة الكبرى ، والسبيل الاوحد الذى يحفظ للاسلام شريعته وينفذ أحكامه بين الناس ، هذا الجسد هو الهيئة الحاكمة التى تحكم بما أنزل الله ، وتهتدى بنور الاسلام فى دياجير الحياة ، وظلمات الطغيان والفساد ... طغيان الاغنياء وفساد الفقراء .

فالغنى اذا لم يجد قوة حاكمة تردعه عن تبديد أمواله واستئثارها لذاته ـــ دون الفقراء ـــ طغى بماله واستبد بجاهه ، وظلم الفقير حقه .. وتلك أهم سبل الفساد والاضطراب الاجتماعى .

والفقير اذا لم يجد من يحميه ويحفظ له حقه ، ويقوم برعاية شئونه ... فسد فى الارض وابتغى حقوقه من سبيل السرقة والنهب والافسادفى الارض وناهيك ما يحمله قلبه من حقد وضغينة لاولئك الذين ينعمون بالمال ، وينفقونه فى سبيل لذاتهم الدنية ، ومآربهم الذاتية .

لذا يمزج الاسلام بين الدين والدولة ـــ لينال كل ذى حق حقه فى الحياة ـــ فالدين والدولة جزآن لا يفترقان ، وكما أن الدين جزء من الدولة فالحكومة جزؤه الثانى ، بل هو الجزء الاهم .. وصدق الـــذى يقول .. ان الله يـــزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

وحـــدة الأمـــة

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند :

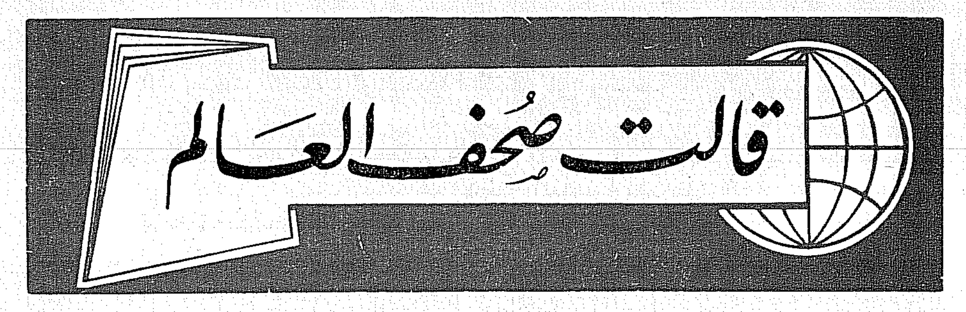
ان الله عز وجل أمرنا بالاعتصام بالدين والاجتماع عليه ، ونهانا عن التفرق والاختلاف ، وحثنا على الأخذ بأسباب الاجتماع والائتلاف ، وشرع لنا عبادات واوجبها ، وجعلها منأقوى أسباب الاجتماع ، يلتقى المسلم مع أخيه المسلم ويعرفه . يعرف ما هو عليه من صحة واستقامة وما يحس به ويتألم منه فينصره أن كان مظلوما أو ظالما ويواسيه ان كان محتاجا ويرشده الى الخير ويعينه عليه .

والشيطان والعياذ بالله منه حريص كل الحرص على تثبيط المسلم وصرفه عن الخير وعن كل ما ينفعه والانسان مهدد من ناحيتين ناحية التفريط والاهمال والتثاقل عن أداء الواجب وناحية الافراط والزيادة والغلو فى الدين فاذا عرف الشيطان ميل العبد الى الكسل والتفريط وعدم المبالاة بالاوامر دخل من هـــذا الباب فأضعف عقيدته وجعله يتهاون بأوامر الله وشرعه فلا يؤدى الواجبات كاملة ولا يحافظ عليها .

واذا وجده يميل الى الغلو والزيادة والافراط دخل من هذا الباب فلا يزال به حتى يخرجه من حدود الدين ويزين له أعمالا ليست مشروعة ولا هى من الدين فيتعبد ويتقرب بعبادات وأعمال لم تشرع ولم يأذن بها الله تعالى فترد أعماله عليه وتضربه حيث لم يكتف بما شرعه الله له على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلا الطرفين قبيح ، ومذموم والشيطان عدو الانسان لا يبالى بأيهما ظفر من العبد اذ غرضه اضلاله وافساد عمله .

ان المسلمين اليوم فى حالة يرثى لهـــا تفكـك فى المجتمـــع وأختلاف فى المشارب وجهل فى الدين واعراض عنه واهمال للمصلحة العامة واقبال على المصالح الخاصة وشح فى المال واسراف فيه وفساد فى الاخلاق واقبال على الملذات والشهوات وتقليد الكافر الأجنبى فى كل مـــا جاءنا به ، وتخـــاذل .. وتباغض بين الاخوان وتقاطع فى الارحام بانتقاض عرى الاخاء بين عمـــوم المسلمين وانصراف كل فرد الى هواه وشهوته ثم فشل وضعف زلزلا كيـــان المسلمين وذهبا بمجدهم وجعلاهم فى ديارهم أذلاء وفى مواطنهم غرباء وفى دينهم ضعفاء وكل فرد منهم بعيدا عن أخيه وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية فأين نحن مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ثم شبك أصابعه . رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

ان عصرنا الحاضر يطلب من المسلمين أن يتمسكوا بدينهم فالدين الاسلامى هو الدين لم يتغير ، وان أول شىء يجب علينا عمله هو العمل بالصالحـــات والتواصى بالحق والتواصى بالصبر وان كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمـــد صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى سلاح ماض وجيش غلاب ــ وعدة قويـــة تنفعنا فى البأساء والضراء وتدفع عنا كيد الاعداء الكافرين وتحررنا من ذلـــة الاستعباد وتبوؤنا المكانة السامية تلك هى تمسكنا بقول لا اله الا الله والعمل بمعناها والله المستعان .



عناية المغرب بحفظ القرآن والحديث

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الميثاق المغربية تقول :

نشرت الصحف أخيرا أعلانا عن مباراة جديدة لحفظ الاحاديث النبوية الشريفة تشرف عليها وتنظمها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، والفكرة فى حد ذاتها فكرة طيبة وصائبة وخطوة مباركة موفقة تهدف أولا وقبل كل شىء الى احياء أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ودفع الهمم لحفظها عن طريق التشجيعات الادبية والجوائز النقدية الهامة بعد ما أصبح حفاظ الحديث أقلية قليلة أعز من بيض الانوق كما يقال .

ولعلنا بهذا العمل نريد أن نتلافى بعض النقص الذى أحسسنا به وهو ضياع الحديث من صدورنا بعد ما كان المغاربة مضرب المثل فى حفظ الاحاديث بمتنها وسندها وسبب ورودها ويوم أسست دار الحديث الحسنية تفاءلنا وتبادر الى ذهننا ان هذه الدار ستخرج مجموعة من الحفاظ يباهى بهم المغرب الاقطار العربية والاسلامية بالاضافة الى تبحرهم وتضلعهم فى علوم التفسير والحديث ، واذا كنا نبارك هذه البادرة الطيبة من طرف الوزارة ، ونثنى عليها أحسن الثناء فاننا نود أن تولى نفس الاهتمام الى حفاظ القرآن الكريم وتهيىء لهم جوائز هامة فى كل مناسبة دينية فالمغرب كما عرف فى مختلف العصور بحفظ أبنائه للاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله عرفوا بحفظهم للقرآن واستظهارهم لسوره وآياته والالمام بقواعد تجويده وطرق رسمه والاهتمام بعلم القراءات وعرضها وكانوا من أكبر الباحثين والمؤلفين فى العلوم التى لها أتصال بالقرآن ، ولقد أسست فى عهد المرينيين مدرسة السبعيين بفاس لمن يحفظ القرآن بالقراءات السبع والمكتبة القرآنية بالمغرب زاخرة بالمؤلفات المخطوطة والمطبوعة فى هذا الموضوع ، لكن الذى نخشاه اليوم ان يضيع القرآن من الصدور كما ضاع الحديث منها ، وان يصبح الذين يحفظون القرآن كله حفظا متقنا مستوفيا لشروط التلاوة كحفاظ الحديث لا يتجاوزون أصابع اليد .

ان الحقيقة المرة التى نعلنها ونجهر بها هى أن حفظ القرآن فى تناقص مستمر ، وان الجيل الصاعد لا يحفظ من القرآن قليلا ولا كثيرا ، والكتاتيب القرآنية المؤسسة حديثا لم تؤد دورها الذى أسست من أجله ، ولعلها بوضعها الحالى أن تكون عرقلة كبرى فى وجه من يرغب فى حفظ جزء كبير منه وخسارتنا

فى ضياع القرآن من صدورنا خسارة عظمى لا تعوض ، فعلى الذين يحاولــون انقاذ التراث وبعث الامجاد ان يعيدوا النظر فى وضعية القرآن ووضعية البقية الباقية من حامليه وذلك بتأسيس المدارس القرآنية والعناية بها والسهر عليهـا وتخصيص المنح والجوائـز لطلابها ، ورد الاعتبـار لحفظة كتاب الله بتحسين وضعيتهم وتوظيفهم واسناد المناصب الدينية المناسبة لهم على غرار ما هو موجود بالاقطار الشقيقة كالجزائر وليبيا .

ان الفراغ الروحى الذى نشعر به فى أعماق نفوسنا لا يأتينا من الشرق ولا من الغرب وانما يأتينا من ابتعادنا عن القرآن ولئن تقاعسنا عن وضع القرآن فى اطاره اللائق به كدستور سماوى وقانون الهى نحتكم اليه فى معاملاتنا وشؤوننا فلن نتقاعس عن وضعه فى متناول أطفالنا وابنائنا ليستظهروه كله أو بعضه وأخشى ما أخشى أن يصدق علينا قوله تعالى **((ومن أعرض عن ذكرى فأن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى))** .

الاسلام والحضارة

نشرت مجلة الحوادث البيروتية حديثا مع العقيد معمر القذافي جاء فيه : البعض يتساءل هل لدى الاسلام ، ما يقدمه للحضارة الانسانية فى أزمتها الحاليـة .. ؟

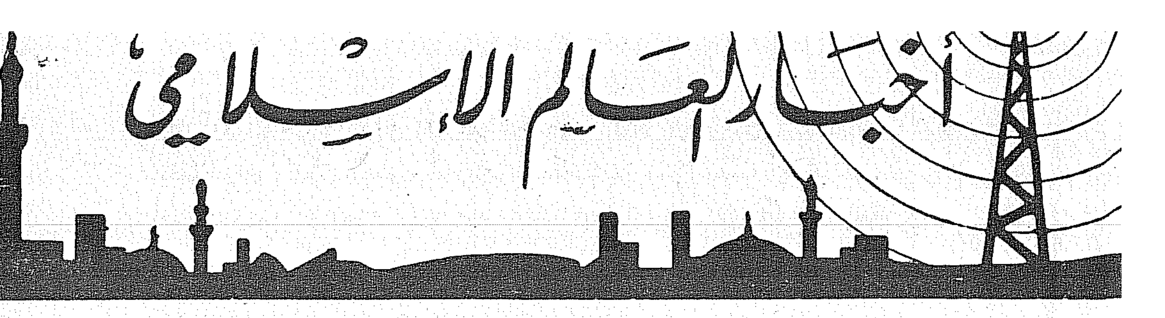
وبكل الحماسة الممكنة لرئيس دولة أجاب :

ـ مؤكد .. ان الحضارة العالمية أصبحت كالانسان الآلى .. كتلة من الصلب ، ولكن بلا روح ، بلا قيم .. والاسلام يستطيع أن يمنحها ما هى بحاجة اليه .. شرط أن يرتفع الانسان الى مستوى الاسلام . المشكلة ليست فى تخلف الاسلام عن احتياجات العصر ، بل فى تخلف الانسان المعاصر عـن مستوى الاسلام ، مستوى فهم الاسلام .

تؤكدون اذن على دور العقيدة فى بناء الدولة العصرية ؟

ـ مؤكد .. لا وجود حقيقيا لاى دولة أو حركة قومية بلا عقيدة ، العالم كله يبحث عن نغمة روحية تبعث الحياة فى الهيكل الآلى الميت الذى يوشك أن تتحول اليه البشرية .

ومهما وصل الانسان من تقدم ، وحلق فى الفضاء فلا بد من أن يعود الى الله ، أننى على ثقة من ذلك ، وقد أبرقت بهذا المعنى الى الاتحـاد السوفيـاتى معزيا بوفاة رواد الفضاء . ولكنهم لم يذيعوا البرقية !



اعـــداد الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الكويت : يدرس مجلس الوزراء موضوع تقديم الدعم المـالى لمشروع أقامـة مدرسة لتعليم اللغة العربية ومبادىء الدين الاسلامى لابناء الجاليات الاسلامية فى واشنطن .

● عاد معالى الاستاذ راشد الفرحـان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من زيارته الرسمية للاتحاد السوفيتى حيث تفقد خلالها أحوال المسلمين هناك .

● احتفلت الوزارة بليلـة الاسراء والمعراج فى مسجـد السوق الكبير وألقى معالى الوزير كلمة مناسبة فى الحفل .

● أبدت الوزارة اهتمامها بالمعهد العالى للدراسات الدينية الذى أفتتح فـى طشقند وستمده بالكتب الاسلامية .

● قامت الوزارة بتوزيع الجزء الثانى من كتاب ((المطـالب العالية بزوائـد المسانيد الثمانية)) على الهيئات والمهتمين بالثقافة الاسلامية .

● شاركت الوزارة عن طريق المحاضرات وخطب الجمعة فى الاحتفال باليـوم العالمى لمحو الأمية .

● زار البلاد وفد من المركز الاسلامى الاسبانى للتباحث فى أمـور ثقافية .

● قررت الوزارة تزويد (١٠٠) مسجد بأجهزة تكييف الهواء .

● تبدأ الدراسة فى دار القرآن الكريم فى الشهر القادم .

● تستضيف الوزارة عددا من كبار علماء المسلمين والقراء لاحيـاء الموسم الثقافى فى شهر رمضان القادم .

القاهـرة : وافق الشعب العربى فى مصر وسوريا وليبيا على اتحاد الاقطار الثلاثة فى دولة (اتحاد الجمهوريات العربيـة) .

● ستقوم بعثة من جمعية الشبان المسلمين برحلـة الى بعض الدول الاسلامية لشرح خطـة تكوين البنك الاسلامى الذى تساهم به الدول الاسلامية والجمعيات الاسلامية .

● سيزود المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الهند واليابان وأفغانستان والاردن بالمكتبات الاسلامية .

السعودية : تواصل السعودية ومصر مساعيهما لحل النزاع بين الفدائيين والسلطـات الاردنيـة .

● احتجت رابطة العالم الاسلامى لدى الفلبين على المذابح التى يقتل فيها المسلمون فى المدارس والمساجد والشوارع .

● تعقد الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى غرة شعبان ١٣٩١ هـ.

● قام وفد من جامعة كابول بأفغانستان بزيارة علمية الى رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بهدف التبادل الثقافى الاسلامى بين الهيئتين الاسلاميتين .

● أنشأت وزارة الدفاع والطيران ادارة للشئون الدينية تشرف على التثقيف الدينى لموظفى الوزارة .

الأردن : قامت اسرائيل بتفريغ عدة معسكـرات للاجئين الفلسطينيين من قطـاع غـزة وطـردتهم الى أماكن متفرقة من الضفة الغربية لنهر الأردن .

● ووسعت اسرائيل نطاق الحفريات فى ساحة المسجد الاقصى حتى أصبحت تهدد المسجد بالانهيار .

العـــــراق : أجرى مسئولون جزائريون مباحثات فى العراق بهدف أن يزيد العراق من مساهمته فى حملة التعريب فى الجزائر ويزيد عدد مدرسى العربية والدين العراقيين فى الجزائر .

السودان : قدم السودان حوالى (٧) آلاف جنيه استرلينى الى تشاد لمساعدتها فى تعليم اللغة العربية كما سيقدم منحة دراسية الى عشرين طالبا من تشاد .

ليبيــــا : صرح العقيد معمر القذافى بأن الاسلام رسالة حضارة كاملة لهذا العصر ولكل عصر وان مشكلة المسلمين فى الاسلام انما هى فى مستوى فهم المسلمين للاسلام .

● أنشأ مجلس الثورة الليبى هيئة للدعوة الاسلامية تكون مهمتها العمل الجاد على نشر الدعـــوة الاسلامية وتفتح لها فروعا فى الدول الاسلامية .

تونس : أقامت تونس — خلال الصيف الماضى — عدة دور للمحافظة على القرآن الكـــريم فى مناطق العاصمة .

● أجريت فى تونس مباحثات ثقافية بينها وبين المغرب شملت مجالات الثقافة والتربية ووسائل تدعيمها بين البلدين .

البحرين : أعلنت البحرين استقلالها دولة مستقلة ويرأس الحكم فيها أمير دولة البحرين وأصبحت عضوا فى هيئة الامم المتحدة .

قطـــر : أعلنت قطر استقلالها وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

باكستان : واصلت باكستان جهودها لحل مشكلة اللاجئين من باكستان الى الهند إبان الفتنة الأخيرة بين شطرى البلاد الشرقى والغربى .

● صدر فى باكستان الكتاب الأول من ترجمة صحيح مسلم باللغة الانجليزية وقام بالترجمة السيد عبد الحميد صديقى والناشر أكاديمية أهل الحديث بلاهور .

الفلبين : أعلن السناتور الفلبينى المسلم مامنتال تامانو — يشغل أعلى منصب يشغله مسلم — أن المسلمين فى الفيلبين لم تعد لهم أراض يعيشون عليها وسيضطرون لشن حرب مقدسة دفاعا عن أنفسهم .

ماليزيـــــا : أعلن تنكو عبد الرحمن أنه سيتقدم بمقترحات عملية لحل مشكلة اللاجئين بين الهنـــد وباكستان .

أخبـــــار متفرقـــة

جنوب أفريقيا : تقوم منظمة الجهاد الاسلامية بجمع التبرعات لانشاء مركز اسلامى فى مدينة مانيزج حيث يبلغ عدد المسلمين فيها (٦٠٠٠) مسلم ليس لهم أى مؤسسة تعنى بشئونهم .

أسبانيــــا : يعقد فى مستهل شعبان مؤتمر ثقافى اسلامى فى مدريد يشترك فيه (٢٤) دولة اسلامية .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جـــدة : مكتبة مكة ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

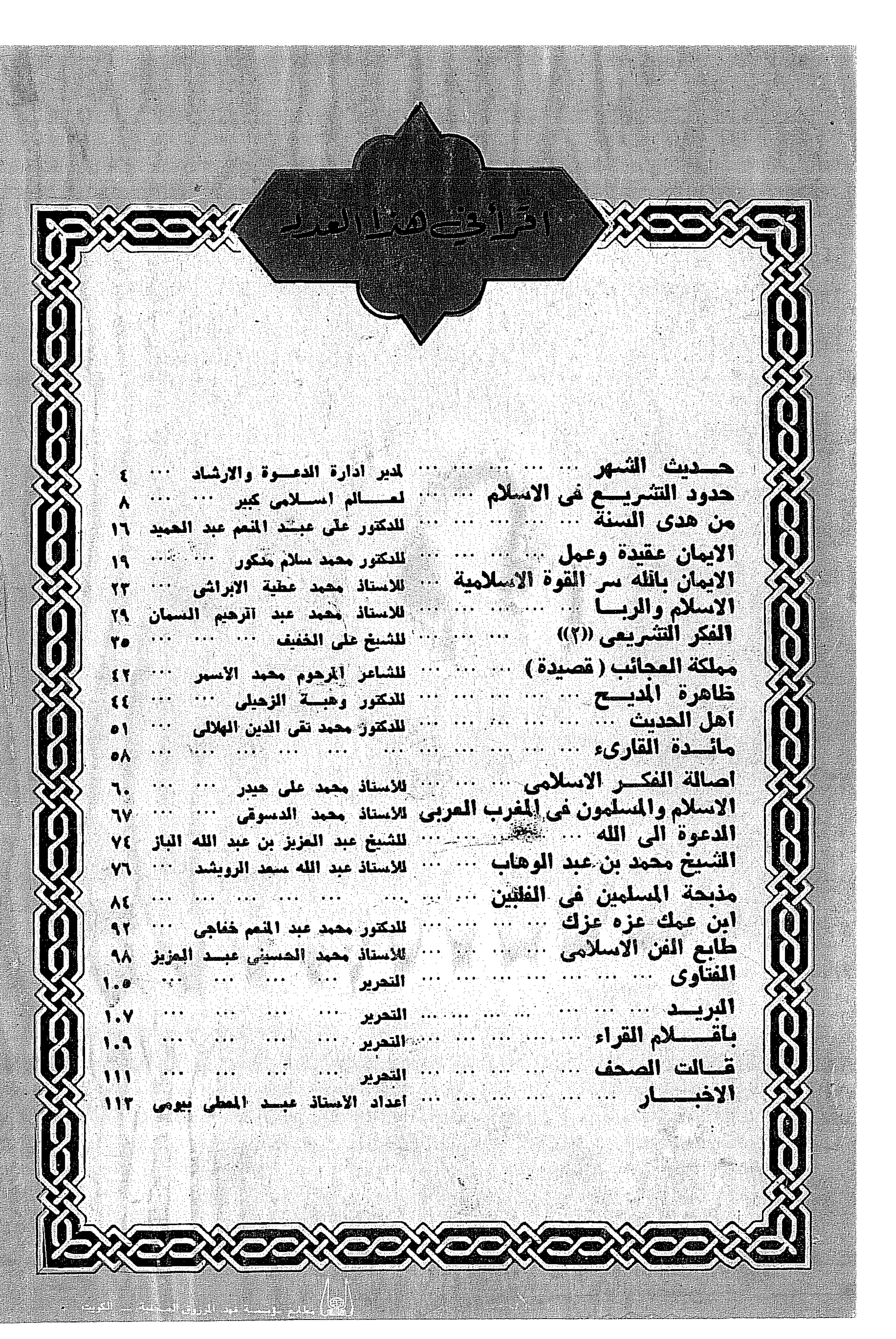
دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت